أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com
العدد (٥٥٧) محرم ١٤٣٣هـ - نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١١م

مجاناً مع العدد (براعم الإيمان)

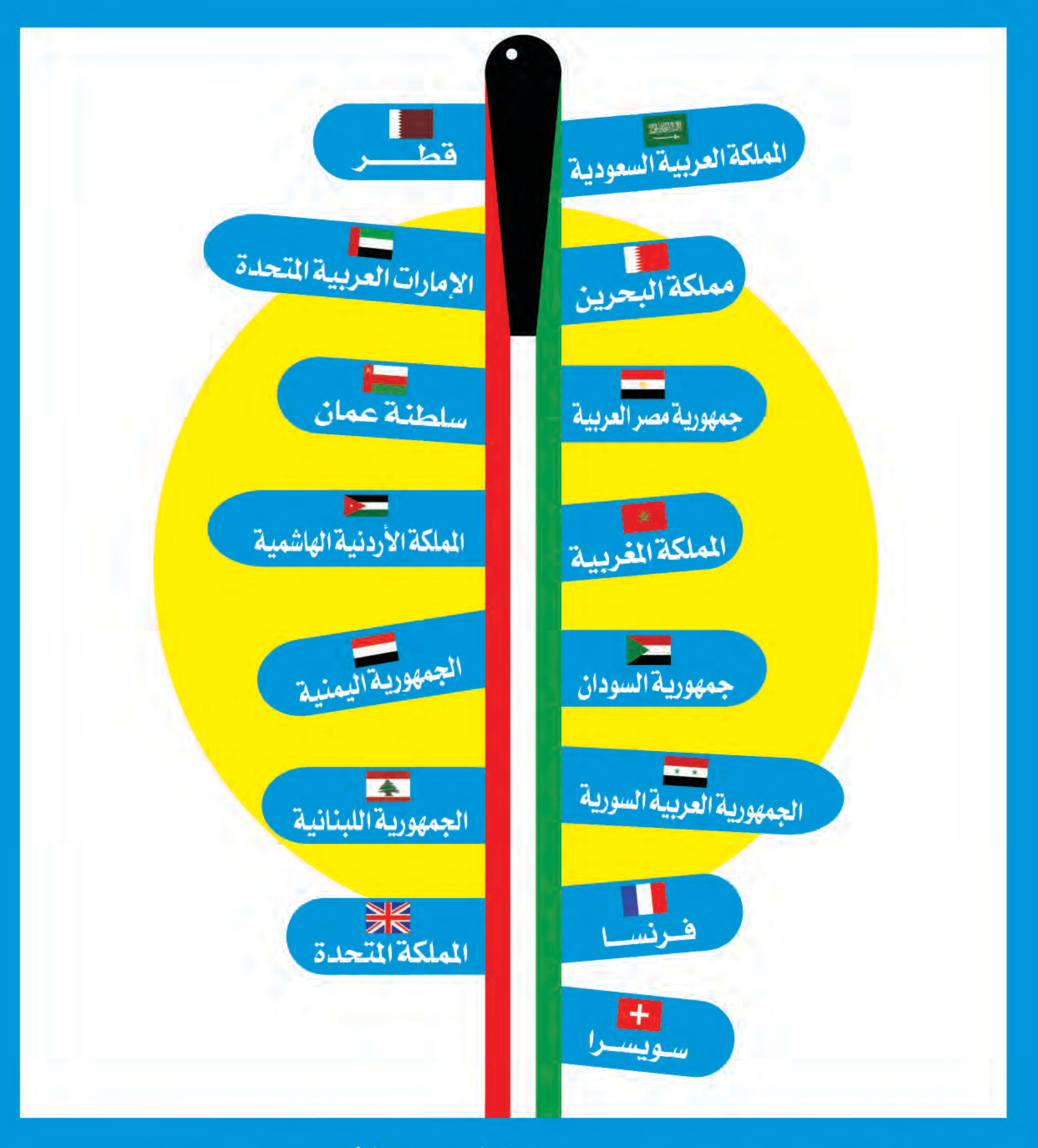
التسامح.. الفريضة الغائبة

المنهج النبوي في التعامل مع مشكلة البطالة

رؤية إسلامية لحقوق الإنسان

هدية العدد التقويم الهجري

هل الدين حقًا أفيون الشعوب؟



أماكن توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم

الكويت ـ المسجد الكبير ـ بدالة : ١٨٤٤٠٤٤ ـ هاتف : ٢٢٤٦٧١٣٢ ـ ٢٢٤٧٠١٥٦ (٩٦٥+) ـ فاكس : ٢٢٤٧٣٧٠٩ (٩٦٥+)

E-mail: info@alwaei.com - Website: www.alwaei.com

الافتتاحية

«ولقد كرمنا بني آدم»

لقد جاء الإسلام ليقرر الحقوق والحريات وكفالتها للجميع بدون تمييز، وهي حقوق ثابتة لا غنى عنها، وميزتها أنها منح إلهية، وقد ركز على تكريم الإنسان كما جاء في القرآن الكريم، «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ».

وبعد أن نشأت المجتمعات ورسمت ضروريات الحياة، كانت الحرية مركز ومنطلق تلك العلاقات، ونزلت الرسالات السماوية، وكانت الحرية هي أساس تلك الرسالات، لتنظم العلاقات البشرية، ولا يوجد تعارض بين الأديان في حقوق وحرية الإنسان، والإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان فتعاليم الإسلام وفاء بحاجات الأمة كلها، وضمان للحريات والحقوق، فأراد النبي[، أن يعرفه العرب أنه بشر مثلهم، لا ملك فوقهم ليزداد تواضعًا، ومن الناس قربًا، وجاء الخلفاء الراشدون بعده فمشوا في إثره، وارتبطوا بالجماهير التي نبتوا منها، فما تنكروا لها، ولا تكبروا عليها، ولا حسب أحدهم نفسه من دم أنقى، أو عنصر أزكى، وهذا الصدّيق يقول: «إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندى القوي حتى آخذ الحق منه».

وقال الفاروق: اعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافًا على الظالم والمعتدي، والأخذ للضعيف من قويهم. وذلك هو أدب الإسلام الذي خطّ مصارع الجبابرة في الدنيا، وحط منازلهم في الآخرة.

فالحرية صدى الفطرة ومعنى الحياة، والمرء يحس بأن كل ذرة من كيانه تنشدها وتهفو إليها، وكما خلق لكل جارحة أو حاسة وظيفتها التي تعتبر امتدادًا لوجودها، خلق الإنسان ليُعَزّ لا ليذل، ويكرم لا ليهان، وليفكر بعقله ويهوى بقلبه، ولكن الناس تظالموا فيما بينهم وطغى كبارهم على ضعفائهم. إن عقول المستبدين لا تعرف مبدأ التفاهم، ولا تطيق الأخذ والرد للوصول إلى الحق، وعندما فرض هذا الاستبداد نفسه على الأديان وضع مبدأ «من قال لشيخه: لم؟ فقد حرم بركته»، فقد خلق الله الإنسان، وسخر له الكون ، ليكون خليفة الله في الأرض، والمسلمون أحوج أهل الأرض إلى الرّواد الذين يمهدون لهم سبيل الكرامة، ويدفعون عنهم مكايد العنف.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت
مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٥٧
محرم ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
نوفمبر - ديسمبر ٢٠١١ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١-٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- **السودان** . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ (٠٠٢١٢) - الشركة الشريفية
- **اليمن** - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- **لبنان** - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- **سوريا** - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- **الأردن** - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- **مصر** - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- **المغرب** - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣
- **مملكة البحرين** - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- **الإمارات العربية المتحدة** - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- **المملكة العربية السعودية** - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- **سلطنة عُمان** - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- **قطر** - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- **المملكة المتحدة** - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلس ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

الهجرة..ترسيخ لمفهوم المواطنة

مع حلول العام الهجري الجديد تتقدم أسرة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» إلى المسلمين في شتى أرجاء العالم بأجمل التهاني وأغلى الأماني، داعين الله عز وجل أن يجعله عام خير ويمن وبركة، وأن يكون منطلقًا نحو حال أفضل تستعيد فيه الأمة مكانتها ودورها الإيجابي الرائد في المسيرة الحضارية والإنسانية المعاصرة.

إن أمتنا اليوم في أمسِّ الحاجة للتعلم من دروس الهجرة ومعانيها العظيمة بالتخطيط والسرية والإخفاء والتمويه والتآلف والتراحم... إلخ، ولعل أسماها ما تعكسه الهجرة من معان ومقاصد تؤكد أهمية الولاء للوطن ومبادئ الوطنية التي أولاها الإسلام منذ بزوغ فجره وفي سائر أدبياته عناية فائقة تدل على التلازم العضوي بين الوطنية والعقيدة، فمنذ الخطوة الأولى نحو يثرب استدار النبي الكريم بوجهه الشريف نحو البلد الأمين مكة وقال بأحاسيس تنم عن حب الوطن والمواطنة: «والله إنك لأحب أرض الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

إن الوطنية والمواطنة مبدأ أصيل في مسيرتنا، ولا مجال للمزايدة من قبل خصومنا على هذا المبدأ الذي يجب أن يحمله ويتبناه كل مسلم ومسلمة دونما عصبية.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥ ,٧دنانير.للمؤسسات١٥ دينارًاكويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التسامح... الفريضة الغائبة!

أحمد عبدالعظيم

ينطوي المجتمع الإنساني على درجة كبيرة من التباين والتوحد في الوقت ذاته، يتجلى التباين في العدد الكبير من الأعراق والأجناس والأديان والقوميات التي تحمل قيمًا ومعتقدات تؤدي إلى ثقافات مختلفة، ويتجلى التوحد في أن كل أعضاء هذه الجمعيات يشتركون في كونهم يسعون للعيش بكرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ومصالحهم، وعلى ذلك فإن ما يجمع الناس هو أكثر مما يفرقهم. إذن.. فلماذا العنف والصراع والحقد والكراهية التي يشهدها عالم اليوم؟! إن العصر الحالي بما فيه من تشابك المصالح نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات جعل من التسامح والتعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لابد منها لتحقيق مصالح المجتمعات جميعها.

التسامح ممارسة يمكن أن تكون على مستوى الأفراد والجماعات والدول، وهو مبدأ ينبثق عنه الاستعداد للسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي تتعارض مع أفكارنا ومصالحنا.. ويمكن تعريف التسامح بأنه: الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة، وهذا التعريف للتسامح يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالميًّا، وممارسة التسامح لا تتعارض مع احترام حقوق الإنسان، ولا تعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن حقوقه ومعتقداته أو التهاون بشأنها.

أنواع التسامح

التسامح الفكري: وهو آداب الحوار والتخاطب وعدم التعصب للأفكار الشخصية والحق في الإبداع والاجتهاد.

التسامح الديني: وهو التعايش بين الأديان، بمعنى حرية ممارسة الشعائر الدينية والتخلي عن التعصب الديني والتمييز العنصري، والمسلم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما آتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه، ويشهد التاريخ بالنزعة الإنسانية للإسلام، وبالتسامح الذي ربط علاقات المسلمين بباقي أهل الديانات الأخرى، حيث دعا القرآن إلى مجادلة كل هؤلاء بالتي هي أحسن ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة يقول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل: ١٢٥). وبهذا المنهج الرباني قام الإسلام على مبدأ عدم الإكراه قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦).

الإسلام دين التسامح

الإسلام دين التسامح والسلام حيث قال رسول الله ﷺ في التسامح «بعثت بالحنفية السمحة». وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري، بحيث حثنا ديننا الحنيف على الاعتقاد بجميع الديانات حيث قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة: ٢٨٥).

إنه الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق العالمية للشخص، وبالحريات الأساسية للآخرين وإنه وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والاختلاف، بحيث قال ﷺ: «الدين المعاملة».

أسس التسامح في الإسلام

١- لقد رسَّخ الإسلام تحت عنوان التسامح أشياءَ كثيرة، فلقد رسَّخ في قلوب المسلمين أنَّ الديانات السماوية تستقي من مَعين واحد، من أجل التسامح، فقال القرآن الكريم: ﴿شرع لكم منَ الدِّين ما وصَّى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه﴾.

٢- رسَّخ الإسلام من أجل التسامح في قلوب المسلمين أنَّ الأنبياء إخوة، لا تفاضل بينهم منْ حيث الرسالة، ومن حيث الإيمان بهم، فقال القرآن الكريم: ﴿قولوا آمنَّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحَق ويعقوب والأسباط وما أوتيَ موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون منْ قبلهم لا نفرِّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾.

٣- لقد رسَّخ الإسلام تحت مظلة التسامح أنْ لا إكراه في الدين، فالعقيدة ينبغي أنْ يستقبلها القلب والعقل بشكل واضح، وبشكل جليٍّ: ﴿لا إكراه في الدِّين

قد تبيَّنَ الرُّشد مَن الغَيِّ فمَنْ يكفر بالطاغوت ويؤمِنْ بالله فقد استمسكَ بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾.

٤- لقد رسَّخ الإسلام من أجل التسامح أنَّ أمكنة العبادات على اختلافها محترمةٌ في نظر المسلمين، فها هو القرآن يقول: ﴿ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهدِّمتْ صوامعُ وبيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكَر فيها اسم الله كثيرا﴾.

٥- لقد رسَّخ الإسلام من أجل التسامح أنَّ هؤلاء المسلمين ينبغي أنْ ينظروا إلى غيرهم على أنَّهم بشر، يجادلونهم بالتي هي أحسن، فقال القرآن الكريم: ﴿ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾.

٦- لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين من أجل التسامح البر بأهل الكتاب، وحُسْنَ الضيافة لهم، فهاهو القرآن يقول للمسلمين: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتابَ حلٌّ لكم، وطعامكم حلٌّ لهم...﴾.

٧- لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين أنْ لا عداوة بين المسلمين وبين غيرهم، لمجرَّد كونهم غير مسلمين، وترك الأمر ليوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: ١٧).

لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين كلَّ هذه الأسس ليحدِّد التسامح المطلوب منْ إنسانٍ يعيش على وجه هذه البسيطة، وليمارسَ هذا التسامح ممارسةً رائعة، تنبثق من إنسانٍ بعث ليؤكد للناس إنسانيته الرائعة.. وقد ضَرب الرسول الأكرم ﷺ أروع وأجل الأمثلة في الرحمة والتسامح والعفو والمغفرة بصور لم تعرف لها الدنيا مثيلا، كما طبّق أصحابه وأتباعه والمؤمنون في مختلف العصور قيمة التسامح، وأعلوا من شأنها، ودعوا إليها في خطبهم ودروسهم وكتاباتهم ومحاوراتهم ومناقشاتهم.. وهانحن نورد بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

روى محمد بن الحسن- صاحب أبي حنيفة ومدوِّن مذهبه- أن النبي ﷺ بعث إلى أهل مكة مالاً لما قحطوا ليوزع على فقرائهم.. هذا على الرغم مما قاساه من أهل مكة من العنت والأذى هو وأصحابه.

وروى أحمد والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك».

وفي قول القرآن يبين أدب المجادلة مع المخالفين: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت: ٤٦). وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان يزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، ذكر ابن إسحق في السيرة: أن وفد نجران- وهم من النصارى- لما قدموا على الرسول بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله: «دعوهم»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وروى البخاري عن أنس: أن النبي ﷺ عاد يهوديًا، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

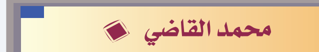
وقبل النبي ﷺ الهدايا من غير المسلمين، واستعان في سلمه وحربه بغير المسلمين، حيث ضمن ولاءهم له، ولم يخش منهم شرًا ولا كيدًا.

وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين، فهذا عمر بن الخطاب يطبق ما رسمه الله تعالى للدعاة حين دخل بيت المقدس فأعطى الأمان لسكانها من النصارى «أن لا تسكن مساكنهم ولا تهدم ولا ينقص من أموالهم شيء ولا يكرهون على دينهم». كما يأمر عمر بن الخطاب بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين، ثم يقول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠) وهذا من مساكين أهل الكتاب، ويمر في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين.

وعبدالله بن عمرو يوصي غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية، ويكرر الوصية مرة بعد مرة، حتى دهش الغلام، وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودي؟ قال ابن عمرو: إن النبي ﷺ قال: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وماتت أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية، فشيعها أصحاب رسول الله. وكان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيبًا من صدقة الفطر لرهبان النصارى ولا يرون في ذلك حرجًا، بل ذهب بعضهم- كعكرمة وابن سيرين والزهري- إلى جواز إعطائهم من الزكاة نفسها. وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد: أنه سُئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل ملتكم من المسلمين، وأهل ذمتهم.

وأخيرًا.. ألا تجدر بنا كل هذه الأمثلة الرائعة، أن نتعلم السماحة، ونتعلم صفات الحلم والصفح والعفو والمغفرة، لنكون ممن سمعوا قول الله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾.

أربعة قرون على مأساة الموريسكيين


محمد القاضي

أجمعت جل الكتب المهتمة بتاريخ الأندلس على الصورة المأساوية التي عاشها الموريسكيون وهم العرب المتنصرون من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة الذين عاشوا تحت الحكم الإسباني بعد إرغامهم على التنصير زهاء قرن من الزمن، منذ سقطت غرناطة حتى أصدر الملك فيليبي الثالث في عام ١٦٠٩م قرارًا بطردهم من إسبانيا بعد أن يئست المحاولات المتعددة والمتعاقبة من تحويلهم عن دينهم واعتناق المسيحية ولكن دون جدوى، فاضطروا إلى مغادرة أراضيهم، إذ منحوا مهلة قصيرة فازدحمت الطرقات بهم واشتد الإقبال على البواخر المنطلقة من السواحل الإسبانية نحو شمال إفريقيا وغيرها.

«وقد استقر هؤلاء في أنحاء مختلفة من إسبانيا والبرتغال والمغرب وتونس وفرنسا، بل وصل بعضهم إلى القارة الأميركية» .

ويرى د.الحسين بوزينب أن الموريسكي طرف إسباني انصهر فيه العنصر المغربي العربي بالعنصر الأوروبي ولذلك ليس في استطاعتنا اليوم أن نأتي بالبرهان القاطع على صفاء دم الإسبانيين الذين لم يشملهم قرار الطرد ١٦٠٩م من العنصر المغربي العربي، كما لا نستطيع أن نبين صفاء دم من طردوا من العنصر الإيبيري، ومع هذا فإن بعض المؤرخين يغالطون حينما يقدمون الموريسكيين وكأنهم شعب عربي بقي في إسبانيا، لكن مفاهيم القرون الوسطى لم تكن تسمح بالتصرف بغير الطريقة التي تم سلوكها، وعلى أي حال فإن المسلمين وهم الأغلبية واليهود هم الأقلية طردوا من بلادهم وكأنهم أجانب .

وكان الفوج المطرود سنة ١٦٠٩م هو الخامس حيث سبقه الفوج الأول سنة ١٤٨٣م، والثاني سنة ١٤٩٣م، والثالث سنة ١٥٠٢م، والرابع سنة ١٥٧١م، والتاريخ يشهد على أن البشرية لم تعرف مأساة تماثل «مأساة الأندلس» التي تكبدها شعب مسلم كان يوجد في وطنه الأصلي، عمره أسلافه لمدة ٨٩٨ سنة، وكانوا يعتبرون أنفسهم من نبت الأندلس وبالتالي فهم أصحابها الشرعيون، غير أن أزمة الأمور قد فلتت من أيديهم ولم تعد لهم قوة لاسترجاع ما ضاع.

وكان الملكان الأسبانيان قد تعهدا لمسلمي غرناطة بشروط وهي:

١-يمنح الملكان الكاثوليكيان الضمانة الكافية للمسلمين على أملاكهم وثرواتهم وأن يبيعوا ويبتاعوا ويتبادلوا ويتجروا مع إفريقيا بدون أن يدفعوا ضرائب أو الواجبات المفروضة عليهم من قبل القانون الإسلامي.

٢- إن الملكين الكاثوليكيين باسمهما وباسم خلفهما مجبوران على احترام العادات الإسلامية على الدوام بترك مساجدهم وعدم منعهم من الأذان ومن الصلاة ومن تحبيس أملاكهم على مساجدهم لإقامة الشعائر الإسلامية، والحكم يبقى مستمرًا بين المسلمين على يد قضاة مسلمين حسب قوانينهم وعوائدهم الاجتماعية والمدنية من إرث وزواج كما كانت من قبل.

٣- لا يتابع ولا يعاقب ولا يسب ولا يهان أو يتعرض بسوء لمن خالفوا القوانين وحاربوا ضد النصارى من قبل أو كان له موقف معاد لهم.

٤- يسمح للفقهاء بالاستمرار في التعليم بالمدارس العامة ويتقاضون مرتباتهم والصدقات والتبرعات المخصصة لهم من الأحباس لهذا الغرض.

٥- أي مشكلة تحدث بين مسلم ونصراني ترفع لقضاة يحكمون فيها من الجانبين (قضاة مسلمون ونصارى) وكل الموظفين أو المستخدمين المسلمين يستمرون في عملهم.

ولكن هل التزم الملوك الإسبان بما تعاهدوا عليه؟ لقد نقضوا العهد بعد ذلك، فكان الاضطهاد تلته حملة الإبادة والتهجير، واتخذت سمة الاستماتة والعنف داعية إلى وجوب إبادة المسلمين وإخراجهم من الأندلس مهما كلف الثمن.

ويصف المقري في كتابه «أزهار الرياض» وصفًا مؤثرًا ومؤلمًا لما حل بالإسلام والمسلمين من طرف القساوسة الطغاة.

«فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه، لكان كل مسلم يندبه ويبكيه، فقد عبث البلاء برسومه وعفى على أقماره ونجومه، ولو حضرتم من جبر بالقتل على الإسلام وتوعد بالنكال والمهالك العظام، ومن كان يعذب في الله بأنواع العذاب، ويدخل به من الشدة في باب ويخرج من باب، لأنساكم مصرعه، وساءلكم مفظعه، وسيوف النصارى إذ ذاك على رؤوس الشرذمة القليلة من المسلمين مسلولة، وأفواه الذاهلين محلولة، وهم يقولون: ليس لأحد بالتنصير أن يمطل، ولا يلبث حينا ولا يمهل وهم يكابدون تلك الأهوال ويطلبون لطف الله في كل حال» .

وقد صرح أحد الموريسكيين

باحث مصري

«لقد كنا مضطرين أن نظهر لهم ما كانوا يرغبون فيه منا، وعكس ذلك، فإنهم يسوقوننا إلى محاكم دواوين التفتيش بسبب اتباعنا الحقيقة، لقد حرمونا من الحياة والأملاك والأبناء وزجوا بنا في سجون مظلمة لأتفه الأسباب، ونظرا لأفكارهم السيئة أيضًا فإنهم يبقوننا سنين عديدة، في الوقت الذي يستولون فيه على أملاكنا التي صادروها، ويستغلوننا، ثم يقولون إن ذلك الفعل مبرر وعلى ضوء ذلك فإنهم يخفون أفكارهم السيئة وسريرتهم المظلمة، أما أطفالنا فإنهم عندما يكبرون يافعين يربونهم على منوالهم ويصبحون مرتدين، أما إذا كبروا فإنهم يسعون إلى الهرب بالإضافة إلى ذلك فإن حكام دواوين التفتيش يفتشون عن كل الوسائل للقضاء نهائياً على هذه الأمة .

وأمام هذا التعنت وهذه المصادرة فقد وجد الموريسكيون في لغة «الا لخميادو: AlJAMIADO» (وهي القشتالية المحرفة تكتب بحروف عربية) متنفسًا لتفكيرهم وآدابهم ولأدعيتهم وصلواتهم وكتبهم الدينية، وقد تركوا تراثًا أدبيًا من النظم والنثر، وقد عثر على مجموعة من المخطوطات صدفة «في أكثر من مناسبة بعد إخفائها قديما في تجاويف جدران المنازل وبين السقوف وفي المغارات وكذا في مخابئ أخرى وهو أدب هجين تمتزج فيه العربية والإسبانية في شتى المستويات بشكل لا نظن أنه عرف قبل هذا بين اللغة العربية ولغات أخرى، وقد تمخض هذا المزيج عن نتاج معبر أيما تعبير وممثل أيما تمثيل لكيان أصحابه ولهويتهم الثقافية، فهذه اللغة الموريسكية تعكس بوفاء كبير شخصية مجموعة إسبانية متميزة داخل الجزيرة الإيبيرية» .

والنتيجة؟

وماذا كانت النتيجة إذن؟ إن إسبانيا لم تجن من هذه الاضطهادات المخزية إلا الضرر والتخلف عن مسايرة الركب الحضاري والثقافي والصناعي الذي عرفته أوروبا .

ورغم كل المجهودات التي بذلتها الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية من أجل محو أي آثار للوجود الحضاري العربي والإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، فإن سكان إسبانيا

لنجعل هذه الذكرى مناسبة لقراءة تاريخنا من جديد

اليوم لا يجدون بدا من الإشارة إلى الحضارة العربية باعتبارها مرجعًا مهما في حياتهم.

فقد عاش الرومان والقوط قرونًا في إسبانيا، فلا نجد في كتاباتهم شيئًا عن تميز لهذه البلاد بزراعة ولا فاكهة ولا خضرة أو تدبير للماء.

كما تجري على ألسنة الإسبانيين اليوم مئات الكلمات ذات الأصل العربي يستعملونها في مجالات حياتهم (الفلاحة، التجارة، الحرف، البناء والعمارة، المهن والوظائف، الملابس...).

وتجدر الإشارة إلى أن شخصية «الموريسكي» تسللت إلى الأدب الإسباني، فقد استلهم فيه الأدباء (شعراء وكتاب القصة والرواية والمسرحية) قصائدهم وقصصهم ورواياتهم ومسرحياتهم، وذلك في عصره الذهبي، وقد خصص د.حسن الوراكلي دراسة مهمة عن ملامح من صورة الموريسكي في الأدب المسرحي الإسباني.

خرج الموريسكيون من إسبانيا وتركوا فيها حضارة لا يمكن أن تموت، يجني منها الإسبانيون ملايين الدولارات عن طريق السياحة.

وبالنسبة لأولئك الذين اختاروا الإقامة في المغرب، فقد وجدوا فيه كل عناية وترحيب في كل مكان نزلوا به (تطوان، شفشاون، فاس، سلا، الرباط، وبعض بوادي شمال المغرب) وقد استفيد من خبرتهم ومهاراتهم في سائر مرافق الحياة اليومية سواء تعلق الأمر بالفلاحة والتجارة أو بالشؤون الثقافية والعلمية، وقد حافظت تلك الجماعات على أسمائهم وألقابهم الأندلسية حتى اليوم، ومنهم من احتفظ بمفاتيح منازلهم التي حملها أجدادهم على سبيل الذكرى نذكر منهم «الغرناطي، الراندي، وبيصة، وابن عبدون، وعذرون، وبرهون، والحضري، وبيرميجو، وهراندو، وقشتول، ومرينون، وقشتيلو، ولقاش، وبلانكو، وأندلسي، وطنانة، وبلامينو، والرندة، وكليطو، وبريطل، وجوريو، واشماعو، وكراكشو، وغيرهم»، وقد قام الباحث محمد بن عزوز حكيم بتوثيق الألقاب والأسماء التي كانت تتخذها أسر موريسكية نزلت بتطوان (شمال المغرب) وهي أسماء قشتالية أصلًا، أو هي قشتالية نطقًا، عربية أصلًا، أصبحت أسماء لأسر عربية مسلمة أريد لها أن تكون قشتالية.

وكان لاستقرار الأندلسيين في المغرب الأثر الكبير في ازدهار حركة العلوم والآداب والفنون والمعمار والصناعة.

أما عن مصير اليهود الإسبان الذين صدر في حقهم مرسوم الطرد من بلادهم التي عاشوا فيها قرونًا طويلة، فقد استطاعوا في السنوات الأخيرة وتحت ضغط إمبريالي صهيوني وإسلامي تشهيري أن ينتزعوا من الحكومة الإسبانية اعتذارا رسميًا وعلنيًا عما صدر من حكم تسبب في طردهم من إسبانيا، دون الإشارة ولو بكلمة على الصعيد الرسمي الإسباني إلى ما لحق بالمسلمين رغم أنهم كانوا أكثر عددًا من اليهود، وكان الباحث المغربي محمد بن عزوز حكيم قد وجه رسالة إلى الملك الإسباني خوان كارلوس أيده فيها المؤرخ الإنجليزي ٢٠٠٢/١/٢ «مسترجيبس» يطلب فيها من التاج الإسباني بأن يعتذر للمسلمين «ولكي يسجل التاريخ ، وتعلم الأجيال اللاحقة فإننا لم ولن ننسى أبدا «مأساة الأندلس» فقد قمنا بواجبنا قدر الإمكان نحو الشعب المذكور، حيث طالبنا مرارًا وتكرارًا من التاج الإسباني بأن يعتذر للمسلمين على غرار ما قام به مرتين نحو اليهود السفرديين»

وأخيرًا لنجعل من هذه الذكرى المئوية الرابعة مناسبة لقراءة تاريخنا من جديد ولنأخذ العبر من الأحداث المهمة التي عاشها أجدادنا ونقومها بموضوعية علمية مجردة.

فهل نحن فاعلون؟ وهل يعتذر الإسبان للمسلمين ونحن نعيش عصرًا جديدًا؟



مطاعن المستشرقين ضد الإسلام الحنيف (الجزء الأول)

عليك أن تكتب كلمة إسلام باللغة الإنجليزية (Islam) في أي محرك بحث إلكتروني باللغة الإنجليزية لتدرك حجم وقدر الهجمة الشرسة التي يوجهها أعداء الإسلام له، وإذا أراد الباحث الإسلامي أن يعد دراسة علمية حول حملات التشكيك في الدين الإسلامي فلسوف يحتار كثيرًا عندما يجد كمًا هائلا من الكتب والدراسات والمراجع والمواقع الإلكترونية التي تكيل التهم المتنوعة للعقيدة الإسلامية.



د .بليغ حمدي إسماعيل

اللافت للنظر أن الهجوم على الإسلام والقرآن الكريم والنبي ﷺ ليس جديدًا، بل بدأ منذ ظهور فجر الإسلام وحينما قويت شوكته ازداد الهجوم الضاري عليه، وفي هذه الآونة أصبح الغرب بصفة عامة مصابًا بمرض الإسلاموفوبيا، بل إن زيادة دخول الغربيين في الإسلام شكل للبعض الآخر من غير المسلمين هوسًا بالتفكير في هذه العقيدة الفريدة القادرة على الصمود والرسوخ في ظل استعار الرأسمالية، وانحلال القيم والآداب والتقاليد والأعراف.

مطاعن المستشرقين في القرن العشرين

بدأ المستشرقون في مطاعنهم بصورة مخططة ومنظمة نحو الدين الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر مرورًا بالقرن العشرين، وتجسدت تلك المطاعن والشبهات في نقاط محددة نوردها في الآتي:

- خطر الإسلام على الحياة العامة.
- خطر الإسلام على النشاط الفكري والثقافي.
- خطر الإسلام على الحياة العلمية.

خطر الإسلام على الحياة العامة

رأى أعداء الإسلام من المستشرقين أنه

رئيس قسم اللغة العربية- صندوق تطوير التعليم - رئاسة مجلس الوزراء المصري

يشكل خطرًا جسيمًا على الحياة العامة، وأنه يقف حجر عثرة في طريق التقدم الاجتماعي للمجتمعات المدنية، وأنه يكدرها ويعكر صفوها، لأنه يحرم على الناس شهواتهم ويقمع غرائزهم. والإسلام في حقيقة الأمر خلاف ما يزعمون، فهو يدعو إلى تقدم البشرية بصفة عامة، كما أنه يضع قواعد وضوابط شرعية في صالح البشرية. والرائي يستطيع أن يدرك مقاصد الشريعة الإسلامية من سمو الأغراض وشرف الغايات.

فالإسلام استطاع أن يستبدل الحاجات المادية التي تجعل المرء عبدًا لها بروابط روحانية قائمة على مبادئ راقية وأصول ومرتكزات ثابتة أصيلة. والحقائق التاريخية تؤكد وتشير إلى الروابط الاجتماعية القوية التي سادت المجتمع الإسلامي منذ ظهور الإسلام الحنيف. كما أن الإسلام قد أقر مجموعة من الأصول والواجبات التي يقوم عليها الاجتماع والتعارف والمشاركة الحياتية العامة.

بل واستطاع الإسلام التوفيق بين المصالح الدينية للمجتمع، وبين مصالحه الدنيوية، بحيث تتكافل في إيصاله إلى كماله المادي والأدبي، ويمكننا إدراك هذه الحقيقة المطلقة من خلال حياة الصحابة الكرام، حيث استطاعوا بالإسلام وتعاليمه السمحة التوفيق بين السمو الديني وروح العمل الدنيوي دون خلل أو نقص أو عيب.

وكما فتح الإسلام للنفس البشرية باب الارتقاء الروحاني على مصراعيه، ووسع مداه إلى ما لا يصل إليه خيال المتخيل، فتح كذلك لها باب الارتقاء المادي، فلم يحرم عليها علمًا نافعًا، ولم يضع للعلوم حدودًا، كما يشير فريد وجدي إلى أن الإسلام استنهض الهمم للشؤون الصناعية، والإبداعات الفنية، وعد الارتقاء في هذه المجالات فتوحًا إلهية يثاب عليها الموفق لها ثواب العاملين على ترقية الإنسانية.

خطر الإسلام على النشاط الفكري والثقافي

سعى المستشرقون منذ بداية حملتهم المسعورة إلى تشويه الإسلام بأنه يخالف وينافي الحياة الثقافية والنشاط الفكري، وأنه يقف عائقًا ضد الأفكار المستنيرة الحرة.

لا يزال ملاحدة هذا الزمان يروجون أن الإسلام يحارب العلم والعلماء

ولاشك أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي أعلى من شأن العقل والفكر الإنساني، ورفع من مكانته، فالعقل هو مناط التكليف والمسؤولية، وبه يعرف الإنسان خالقه ويدرك أسرار الخلق وعظمة وقدرة الخالق. وإذا كانت التيارات والفلسفات الإلحادية قد حرمت الإنسان من حق وحرية النظر والتفكير، فإن الإسلام الحنيف دعا المرء إلى ضرورة استخدام النظر والتفكر في نفسه والكون، بل عاب على أولئك الذين لا يعملون عقلهم ويعطلون قدراتهم التفكيرية، يقول الله تعالى ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ (الأعراف: ١٧٩).

بل سبق الإسلام موجات هادمة للتفكير وحجب النظر والتدبر والتعقل، فجاء داحضاً هذه الأفكار، داعيا الناس كافة إلى ضرورة النظر العقلي والاعتماد على الحجة والبرهان. يقول الله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات:٢٠-٢١). بل ويدعو القرآن الكريم الإنسان إلى ضرورة النظر في مخلوقات الله وظواهره وإعمال العقل، يقول تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبًا. ثم شققنا الأرض شقًا. فأنبتنا فيها حبًا. وعنبًا وقضبًا. وزيتونًا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ (عبس: ٢٤-٣٢) .

والقرآن الكريم يزدحم بالشواهد والآيات التي تحث الإنسان على ضرورة التفكير وإعمال العقل والتدبر والنظر والاستدلال، كقوله تعالى: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

خطر الإسلام على الحياة العلمية

رغم حصول كثير من العلماء المسلمين على جوائز علمية في مجالات التكنولوجيا والطب والعلوم الفيزيائية والكيميائية، إلا أن ملاحدة هذا الزمان لا يزالون يروجون أن الإسلام يحارب العلم والعلماء، بل يمثل عقبة تاريخية في وجه تقدم العلوم والتقدم التكنولوجي، وأنه عقيدة جهل وتخلف. والتاريخ يؤكد أن علماء المسلمين لهم أياد بيضاء على الحضارة الأوروبية والنهضة العلمية في الغرب، وللأستاذ العقاد كتاب في ذلك يوضح فضل الإسلام والمسلمين على النهضة الأوروبية. ونذكر من التاريخ الإسلامي ما قام به أبوجعفر المنصور حينما نقل عاصمة الملك إلى بغداد وجعلها عاصمة العلم والعلماء، وبذل جهدًا كبيرًا في تطوير مدارس الطب والعلوم، أما هارون الرشيد فقد أضاف مدرسة إلى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه.

ولن نغالي حينما نقول بأن الإسلام قد أعلى من شأن العلم، والتشديد على أهميته ودوره في رقي المجتمعات والأمم، يقول الله تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط﴾ (آل عمران: ١٨). كما أن الله تبارك وتعالى رفع من قدر العلم ومكانة العلماء حين يقول في كتابه العزيز: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩). ويشير القرآن الكريم إلى أن الله يرفع مكانة العلماء في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١).

ويحضرني موقف من السيرة النبوية لصاحبها ﷺ، فلقد روي عن أسامة بن شريك رضي الله عنه أنه قال: «أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم». وهذا يؤكد أن الإسلام متمثلا في نبيه ﷺ لا يحارب العلم والطب، بل يسعى إلى الأخذ بالأسباب، فقرن الفعل بالقول، حتى يكون الأمر في علم الطب قولا صريحًا، إنه علم بالداء، وعلم بالدواء، وأن الدواء له أثر في الشفاء.

هل حقًا أن «الدين أفيون الشعوب»؟



بشار بكور

هل كان كارل ماركس محقًا في هذه العبارة؟ هل حقًا أن الدين من شأنه أن يخدر ويدمر ويهدم ويفرق كالأفيون؟ قبل الجواب، نسأل: هل الدين مهم في حياتنا؟ الجواب: نعم.

لأن الدين من الحقائق الكبرى في حياة البشر أجمعين. فمنذ بدء الخليقة وحقيقة الدين أو الرغبة في التدين مركوزة في النفوس، و متأصلة في العقول. وليست مجرد دواء نأخذه اليوم ثم نرميه غدًا. ونحن قبل أن نخلق- عندما كنا في عالم الذّرّ- أخذ علينا العهدُ بالدين والإيمان، والاعترافَ بالله عز وجل ربًا وخالقًا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢). يقول الإمام ابن كثير: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم:٣٠)». «إن الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها من الاعتراف للربِّ الخالق الواحد الأحد بربوبيته لهم، والإذعان له بهذا الحق، قد أشهد اللهُ به الناسَ على أنفسهم وهم في مرحلة عالم الذرّ، وهم خالُون من شهوات الحياة، ونزَعاتها ونزَغاتها، قبل أن يوصلهم بعمليات الخلق إلى مرحلة حياة الابتلاء، مزودين بالأهواء والشهوات، والنزعات والنزغات، والإرادة الحرّة، والقدرة على كسب الخير، واكتساب الشر». هذه الفطرة التي وهبنا الله إياها صافيةً، نقية، اختلطت كَرْهًا، وعن غير اختيار، بكثير من الشوائب والمكدِّرات من شرك، وكفر، وجحود، ونكران، وإلحاد، وغيرها من الظلمات التي بعضها فوق بعض. جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ:«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه أَوْ يُمَجِّسَانِه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ».

ولأن هذه الفطرة حتى بعد أن انحرفت أو حرِّفت عن مسارها الصحيح، وطريقها المستقيم، كانت ومازالت تدفع بأصحابها دفعًا إلى دين ما تؤوب إليه، ولو كان أرْضيًا، وإلـه تسجد له وإن كان وهميًا. وقد كان مشركو العرب يصنعون الأصنام يعبدونها، و يتقربون إليها بشتى أنواع القرب.

يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك: «قد وجدت في التاريخ مدنٌ بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد، ويقول المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي: «الدين إحدى الملكات الضرورية الطبيعية البشرية، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحي، تضطره إلى التماس العزاء الديني على موائد لا تملك منه شيئًا».

ولأن الدين، كما الماء والهواء، لا غنى عنه، ولا مفرّ منه، لم يستطع الإنسان أن يبتعد عن شاطئه طويلاً. فعندما وجد نفسَه قد تاه في الظلمات، وازدادت مشكلاته النفسية والاجتماعية، أيقن ألا ملجأ له إلا العودة إلى ثوابت الدين وأخلاقه. فقد أيقن كل من نواليس وكانط، وهما من أنصار العقلانية، أن القوى الدنيوية لا تستطيع أن تحافظ على توازنها ما لم يتماسك المجتمع بفعل الدين. ولذا تسعى اللجنة الأوروبية في مشروعها «إعطاء أوروبا روحًا» لكي تسري بعض الروحانيات في هذه القارة من جديد.

وتوصل جانيال بيل منذ ربع قرن، في عمله «التناقضات الثقافية للرأسمالية» أن الرأسمالية القائمة على مبادئ وقيم كالفينية، تؤدي إلى التدمير الذاتي إذا تحولت إلى هوس في التقدم الاقتصادي والعلمي. ففي هذه الحالة ستتحول بعض الفضائل مثل الوفاء وعدم الإسراف والالتزام إلى نقيضها. وستتحول المنظومة إلى نزعة استهلاكية، وتسيّب جنسي، ولا مبالاة، وتقليد أعمى. إن عالم ما بعد الصناعة يجيب عن كل شيء خلا الإجابات عن الأسئلة الكبرى في حياتنا ووجودنا: من أنا؟ إلى أين؟ لماذا؟.

إن المجتمعات عمومًا، والغربية خصوصًا، عندما أعلنت قطيعتها مع الدين والله، أو على الأقل، عزلت الدينَ عن الحياة، رافعةً شعار العلمانية، عانت من الويلات والأمراض، التي هزّتها هزًا قويًا. و أصبح التشرد والإيدز وإدمان المخدرات واللقطاء والتحلل الجنسي من سمات هذه المجتمعات. وما كتاب «موت الغرب» The Death of the West (٢٠٠٢) لباترك بوتشانانPatrick Buchanan إلا واحد من عشرات الكتب التي تحذر من الموت الحضاري والأخلاقي للغرب. فهو يشير إلى عدد من العوامل التي إن لم يتم احتواؤها وضبطها، فسوف تؤذن بانهيار الحضارة الغربية انهيارًا فظيعًا، من هذه العوامل: انخفاض معدلات المواليد،

باحث سوري

وذوبان العائلة، واندثارها وحدةً اجتماعية، وعزوف النساء عن الحياة الطبيعية التقليدية مثل الزواج وإنجاب الأطفال ورعايتهم، وعزوف الشباب عن مؤسسة الزواج، وشيوع الجنس، واللواط، والحماية القانونية لهذه النزعات غير السوية. ومن عجب أن أناسًا في عالمنا العربي يسيرون على نهج هذه الحضارة و يترسّمون خطاها، حيث يسلكون طريقًا هي الآن منه عائدة.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت. قال الفيلسوف فيخته: «إن الأخلاق من غير الدين عبث». والفيلسوف كانط لم يرَ ضمانًا للأخلاق يوثق به غير الدين، وقد بنى الإيمانَ بالله على دليل الأخلاق، فأوشك ألا يعترف بوجود الله لولا ضرورة الحاجة إليه لصيانة الأخلاق، ورأى أن أجدرَ وصف لمن ينكر وجودَ الله أن يقول: إنه كافرٌ بالأخلاق.

- فلا عجب -بعد الذي ذكرناه- أن يجد الإنسان في الدين سندًا يركن إليه، وحضنًا يرتمي عليه، وحنانًا يأوي إليه. فأنت في سائر أحوالك وشؤونك من فقر وغنى، وترح وفرح، ويأس وأمل، وكرب وفرج، وطمع وقناعة، وخوف ورجاء... إلخ تجد الدين معك، مؤازرًا ومواسيًا، وناصحًا ومحذرًا، ومبشرًا ونذيرًا. فالدين عامل عظيم الفاعلية، شديد التأثير في الأمن، و الأمان، والصحة النفسية، والسعادة القلبية. يشير الدكتور محمد عودة محمد والدكتور كمال إبراهيم مرسي في كتابهما «الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام» على مؤشرات الصحة النفسية:

١-الجانب الروحي: الإيمان بالله، أداء العبادات، القبول بقضاء الله وقدره، الإحساس الدائم بالقرب من الله، إشباع الحاجات بالحلال، المداومة على ذكر الله.

٢-الجانب النفسي: الصدق مع النفس، سلامة الصدر من الحقد والحسد والكره، قبول الذات، القدرة على تحمل الإحباط، القدرة على تحمل القلق، الابتعاد عما يؤذي النفس (الكبرياء، الغرور، الإسراف، التقتير، الكسل، التشاؤم)، التمسك بالمبادئ المشروعة، الاتزان الانفعالي، سعة الصدر، التلقائية، الإقبال على الحياة، السيطرة وضبط النفس، البساطة، الطموح، الاعتماد على النفس.

٣- الجانب الاجتماعي: حب الوالدين، حب شريكة الحياة، حب الأولاد، مساعدة المحتاجين، الأمانة، الجرأة في قول الحق، الابتعاد عما يؤذي الناس (الكذب، الغش، السرقة، الزنا، القتل، شهادة الزور، أكل مال اليتيم، الفتن، الحقد، الحسد، الغيبة، النميمة، الخيانة، الظلم)، الصدق مع الآخرين، حب العمل، تحمل المسؤولية الاجتماعية.

٤- الجانب البيولوجي: سلامة الجسم من الأمراض، سلامته من العيوب، سلامته من العيوب الخلقية، عدم تكليفه إلا في حدود طاقته.

تأمل جميع هذه الجوانب، هل كان من الممكن أن يهتدي إليها الإنسان وينعم بالعيش بها لولا أن الدين هو الذي أرشده إليها ودلّه عليها، وسلك له مسالك إليها. ولو شئت أن أستشهد على كل جزئية من جزئيات هذه الجوانب الأربعة، بآية من كتاب الله تعالى أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ، لما كان في هذا كثير عناء، لكن فيه تطويل و إملال. يذكر الدكتور ألفونس ويليمز، باحث أميركي في مقالة له باسم «الإيمان والشفاء» أن عددًا من المتخصصين، في معاهد كبرى أجروا أبحاثًا علمية حول أثر الإيمان في الشفاء. من هؤلاء، الطبيب النفسي، ديفيد لارسون، رئيس المعهد القومي لبحوث العناية بالصحة، ومؤلف الكتاب التعليمي «العنصر المنسي» الذي قام بتأليفه بالاشتراك مع زوجته سوزان. يناقش في كتابه هذا العلاقة بين الصحة والدين.

وتقول الأرقام التي وردت في كتابه عن طريق استطلاع «جالوب» أن ٩٥ بالمائة من الأميركيين يؤمنون بالله، وعلى الرغم من أن النصف يؤمنون بوجود النار فهناك ٨٠ بالمائة يثقون بأن الله غفور رحيم ولا يعذب بها، وهناك ٤٠ بالمائة يحضرون القداس الأسبوعي. وفي استطلاع تم توزيعه على ٢٦٩ طبيبا عام ١٩٩٦ في أحد اجتماعات الأكاديمية الأميركية لأطباء العائلات قال ٩٩ بالمائة: إنهم يعتقدون أن المعتقدات الدينية يمكن أن تساهم في الشفاء. وحينما سئلوا عن تجاربهم الشخصية أجاب ٦٦ بالمائة من الأطباء أن الله تدخّل وحسن أحوال مرضاهم، بل وبدا الحماس على المرضى بشدة وهم يبينون أن الصلاة أداة فعالة في الشفاء.

الدين هو سفينة النجاة التي على كل بشر أن يركبها لتسعده في الدنيا، وتنقذه في الآخرة، و من الدين يستقي الإنسان منهاجًا واضحًا، متكاملاً لجميع جوانب حياته، دينية كانت أم دنيوية، خاصة أم عامة.

بعد ما سبق ذكره نتساءل مرة ثانية: هل الدين «حقًا أفيون الشعوب»؟ نقول: إذا كان الدين المقصود بهذه العبارة الماركسية، كلمة عامة، تشمل جميع الأديان، فهي-دون ريب- محض باطل، أما إذا قصد بها الدين الذي **يُقصي العلمَ، و يغيِّب العقل، ويجمِّد الفهم**، ويحجب الحرية- وهو ما حصل في الغرب في زمان خلا- فهو فعلاً أفيون، بل أسوأ من الأفيون.

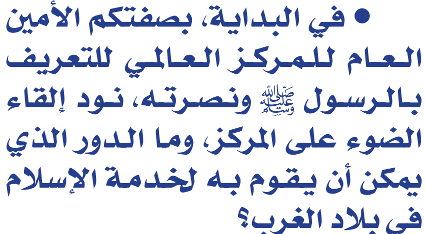
الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ د.عادل بن الشدي لـ«الوعي الإسلامي»:

الخطاب الإسلامي دون المستوى المأمول.. والمنظمات الإسلامية عليها عبء كبير

حوار: صابر رمضان

ثمّن الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ الدكتور عادل بن الشدي رعاية خادم الحرمين الشريفين ودعمه ومساندته للجهود التي يقوم بها المركز العالمي للتعريف بالرسول وسيرته وأخلاقه للناس جميعًا، والرد على الشبهات التي تثار بين فينة وأخرى، وأكد أن مبادرة خادم الحرمين الشريفين بين أتباع الديانات والثقافات جاءت لترسخ التعايش مع الآخر عن طريق الحوار والانفتاح، وأشار إلى أن هناك حاجة ماسة اليوم لتوافر الجهود إلى خطة استراتيجية لتنسيق العمل في خدمة الإسلام والمسلمين وتصحيح الصورة السلبية عن الإسلام والرسول ﷺ خصوصًا في الغرب، وأن هذه مسؤولية شاقة تحتاج لجهد ولمواجهة نزعات التطرف والانحراف الفكري، وأوضح بن الشدّي أن الخطاب الإسلامي الحالي في الغرب دون المستوى المأمول، ولا يراعي الأولويات والأهداف.. «الوعي الإسلامي» التقت بن الشدي وإليكم نص الحوار:





• في البداية، بصفتكم الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، نود إلقاء الضوء على المركز، وما الدور الذي يمكن أن يقوم به لخدمة الإسلام في بلاد الغرب؟

– بالنسبة للمركز، فهو أحد مراكز رابطة العالم الإسلامي المستقلة، ويهدف إلى تعريف غير المسلمين بالرسول ﷺ وهو واجب كل مسلم حسب استطاعته وإمكاناته ووفق الضوابط الشرعية والأنظمة المراعاة، ونشر سيرة المصطفى ﷺ وأخلاقه داخليًا وعربيًا وإسلاميًا وعالميًا بالوسائل المعاصرة، وكذلك الإجابة عن التساؤلات المثارة حول الرسول ﷺ، ومواجهة حملات الإساءة التي تظهر بين الفينة والأخرى تجاه الرسول ﷺ، وأخيرًا التنسيق بين الجهات التي تعمل في مجال النصرة والتعريف بالرسول ﷺ ليتكامل العمل ويؤتي ثماره المرجوة، وهذا المركز أنشئ عام ١٤٢٧هـ وتشرف بإشادة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث وصفه بأنه يحمل استراتيجية واضحة وواقعية في الدفاع عن الإسلام ورموزه وحضارته ومنهاجه المتصف بالوسطية والاعتدال، وهذا حمل القائمين والمسؤولين عن المركز مسؤولية أكبر حتى يكون في مستوى تطلعات خادم الحرمين الشريفين، ويمارس المركز أعماله من خلال ثماني لجان تهتم بالطباعة والنشر والترجمة، كما تهتم بواقع الإنترنت، وكذلك هناك لجنة متخصصة في المعارض وأخرى متخصصة في المؤتمرات والدورات والندوات والوفود ولجنة متخصصة في استخدام التقنيات المعاصرة، ولا سيما تقنيات الاتصال في التعريف بالرسول ﷺ وتتكامل أعمال هذه اللجان من خلال الأمانة العامة لتؤدي في النهاية إلى التعريف الفعال بالرسول ﷺ.

• تعاني الأمة الإسلامية ويلات كثيرة.. فما تقييمكم لواقعها اليوم؟ وما أبرز التحديات والمخاطر التي تراها تمثل عقبة أمامها؟ وما السبيل للخروج منها؟

– صحيح أن التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية كبيرة، وصحيح أن هناك جوانب قصور وخلل قد تكون مصدر قلق إيجابي، وقد تكون مصدر قلق سلبي، وما نريده هو القلق الإيجابي الذي يحفز على تصحيح الأوضاع، وعلى التوازن في النظر إلى واقع الأمة، لأن هناك- للأسف الشديد- موجة من

الإحباط والتشاؤم موجودة، وخصوصًا عند فئة كبيرة من الشباب نتيجة الواقع السيئ الذي تمر به الأمة الإسلامية، والمفترض في مثل هذه الحالات- من وجهة نظري- أن نعزز جانب التفاؤل والأمل، لأن هذه الأمة مرحومة، كما أخبر الرسول ﷺ، والخير فيها إلى قيام الساعة، ولذلك فإن هناك مبادرات إيجابية وأعمالاً نافعة وجهودًا مشكورة في خدمة الإسلام والمسلمين تبذلها هيئات وجهات ودول وأفراد، ولكن هناك حاجة ماسة اليوم إلى خطة استراتيجية لتنسيق العمل في خدمة الإسلام والمسلمين وتصحيح الصورة السلبية عن الإسلام والرسول ﷺ وخصوصًا في الغرب، وهذه مسؤولية شاقة تحتاج منا إلى جهد وإلى مواجهة نزعات الانحراف الفكري والتطرف، سواء إلى جهة الغلو والإفراط والإرهاب، أو إلى جهات الجفاء والتفريط في ثوابت الأمة وهويتها.

• كيف تنظر للخطاب الإسلامي الحالي في الغرب؟

- أقول بكل شفافية إنه دون المستوى المأمول، وليست هناك خطة استراتيجية واضحة المعالم لخطابنا الإسلامي، تراعي الأولويات والأهداف وتتكامل فيها الجهود، ويتم التنسيق من خلالها مع الفعاليات والجمعيات والهيئات المسلمة الموجودة من المواطنين المسلمين في الغرب الذين يقدرون بـ٥٠ مليونًا، وهم لا شك أقدر على توصيل رسالة الإسلام وتعاليمه وأخلاقياته من خلال القدوة الحسنة ومن خلال الالتزام بالقيم التي دعا إليها الإسلام، ولكن يحتاجون منا إلى دعم وإعانة وتأهيل، فإذا كانت هناك حاجة إلى التأهيل في دورات شرعية، فلماذا لا يكون هناك التفات لها، تأهيل في مهارات الحوار، والتواصل مع الآخرين، لماذا لا يركز عليها ولكن- كما قلت- الواقع دون المأمول بكثير، ويكفي من وجهة نظري

«العولمة» تحد عظيم وفرصة كبيرة أفادت منها الدعوة الإسلامية كثيرًا

أن وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في الدول العربية وفي الدولة الخليجية بشكل أكثر تحديدًا ليس لهم اجتماع منتظم أسوة بنظرائهم من الوزراء، فنحن نجد وزراء الاقتصاد والمالية يجتمعون بانتظام في الجامعة العربية وفي مجلس التعاون الخليجي، ونجد كذلك وزراء الصحة والتعليم والتعليم العالي، فلماذا يبقى وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية دون اجتماعات تنسيقية تكاملية لجميع الدول العربية، ولدول الخليج على سبيل المثال، وهي منظومة مكملة لجهود الجامعة العربية، وهناك تجانس كبير بين العمل الدعوي والعمل الهادف إلى خدمة الإسلام فيها.

• كيف ترى مطالبة البعض باستبدال الشريعة الإسلامية بالمواثيق العالمية لحقوق الإنسان؟

- أنا أقول إننا إذا وصلنا إلى هذا المستوى من العرض فإننا بحاجة إلى التأكيد على الثوابت، لأن أساس الإسلام هو الالتزام بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أصول شرعية، فالشريعة الإسلامية هي دين يتعبد به المسلمون لربهم، وهو أساس هويتهم وعنوان إنتمائهم لدينهم، والدعوات إلى استبدالها بغيرها من القوانين والتشريعات والمواثيق فيه خطر كبير على الأمة بشكل عام، والتجارب أثبتت أن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة وافية لحاجات البشر، مصلحة لواقعهم، ويمكن أن تتلاءم مع العصر الذي نحن فيه في مختلف مجالاته، ولا يمنع ذلك من تطوير وسائل عرضها ومحاولة ربط الوقائع المعاصرة بأصول الشريعة الإسلامية من خلال المجالس التي تتولى العمل الجماعي المؤسسي والمجامع الفقهية، فهذا كله متاح، شرط ألا يُدعى إلى ترك أحكام الشريعة الإسلامية واستبدالها بمواثيق وقوانين، لأن هذه الدعوة ليس لها مبرر، وهي دعوة غير مقبولة.

• ماذا ينبغي على المنظمات الإسلامية لدفع المخاطر عن المسلمين؟

- المنظمات الإسلامية عليها عبء كبير أسال الله أن يعينها ويعين القائمين عليها للقيام به، إلا أن المنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية بحاجة إلى رؤية واضحة لما تريد أن تكون عليه، وخطة محددة لعملها، وتنسيق وتكامل وحشد للطاقات والموارد المالية والبشرية في سبيل تحقيق أهداف محددة، ولاشك أن التحديات التي تواجه هذه المنظمات الإسلامية تحديات حقيقية يُفترض أن يكون القائمون عليها على مستوى هذه التحديات، وأن يواجهوها بشجاعة وأن يطوروا من أدائهم وأن يقبلوا النقد، ويكون هذا حافزًا للتفوق والإبداع الهادف لخدمة الإسلام والمسلمين، مع المحافظة على الثوابت والأصول التي ميّزت أمة محمد ﷺ والتي تسعى هذه المنظمات لرعايتها والاهتمام بها.

• في الفترة الأخيرة ركز الغزو الثقافي على قضايا المرأة المسلمة في محاولة للتأثير فيها وزعزعة عقيدتها.. تُرى كيف يمكن التصدي لذلك من قبل المؤسسات والمنظمات الإسلامية؟

- يجب أن نكون واضحين بالنسبة لقضايا المرأة المسلمة، فهناك حقوق شرعية لها تحتاج إلى الإنصاف في كثير من الممارسات التي تحصل في حقها، وهي مخالفة لتعاليم الإسلام،

وهنا مكمن الخطر، لأن هناك ربطًا أحيانًا لبعض العادات والتقاليد وبعض ما يتعارف عليه الناس في مجتمعاتهم بالإسلام، وهذا خطأ، وحينما تعطى للمرأة مكانتها وحقوقها فإن هذا السلاح سوف يُسحب من يد من يدعون ظلم الإسلام للمرأة، وبالتالي تكون مساحة النقاش والحوار مع الآخرين أكثر وضوحًا وتحديدًا، فنصل إلى نتيجة أن هناك قيمًا وضوابط للتعامل بين الرجل والمرأة في الإسلام، وحدودًا لكل منهما، لأنهما، في النهاية يتلقون أوامرهم وتوجيهاتهم من الدين الإسلامي، وليس بالضرورة أن التعاليم التي يسير عليها المواطن المسلم في مفهومه لدينه تكون مطابقة ومنسجمة مع الثقافة والمفاهيم الغربية لحقوق المرأة، فهناك خصوصيات لكل مجتمع ولكل ثقافة وحضارة، وهذا أمر معروف، المهم أن تكون هناك قواعد عامة مشتركة، العدل، الاحترام، الإنصاف، الحرية المسؤولة المنضبطة... إلى غير ذلك من قيم عامة يشترك فيها الجميع، ويجب أن يكون هناك احترام لموقف كل دين وكل ثقافة وكل حضارة من القضايا المتعددة، ومن أهمها قضية المرأة، ومن المهم جدًا أن تتحدث المرأة نفسها عن همومها، وألا يوكل ذلك لغيرها، لأن الملاحظ أن عددًا كبيرًا لا يستهان به من قبل الرجال قد تبرعوا بالحديث نيابة عن المرأة، سواء في الطرف المسلم أو غير المسلم، وفي رأيي أن هناك حاجة أن يظهر صوت المرأة وأن تبرز موقفها من هذه الدعوات.

• كيف ترى الدعوة لصياغة فقه جديد يساير العصر الذي نعيشه؟ وهل نحن في حاجة لذلك؟

– الفقه الإسلامي واضح المعالم وطرائق الاستمداد منه محددة، وهناك علماء – ولله الحمد – مؤهلون للقيام بواجبهم في مجال الفقه الإسلامي – الفقه بذاته – وبحكم النوازل المتعددة، فإنه يتطور مفهوم من يفتون في هذا المجال، ومن المهم أن تكون هناك مجامع فقهية تتولى بحث المسائل المستجدة، وألا يترك هذا للاجتهادات الفردية، خصوصًا الفتاوى الفضائية التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها في كثير من الحالات نتيجة لاستفتاء بعض غير المؤهلين أو لحاجة المفتي فيها إلى الجواب السريع غير المدقق، وندرة من يقول لا أدري أو إنني بحاجة إلى مراجعة هذه المسألة، فأقول نعم، هناك حاجة لمواكبة مستجدات العصر وطرح الحلول الفقهية الشرعية في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والطبي، وأن يكون هذا من خلال اجتهاد مؤسسي جماعي لا يتعطل.

قد يكون ضرر الفتاوى الفضائية أكثر من نفعها نتيجة لاستفتاء بعض غير المؤهلين

• كيف تنظر للإعلام الإسلامي في مواجهة الأخطار والتحديات المحدقة بالأمة الإسلامية؟ وما السبيل لتفعيله من وجهة نظركم؟

– الإعلام اليوم هو أكثر الوسائل فعالية في نقل الأفكار، وفي الغالب أنه هو الذي يشكل قناعات وأفكار أعداد لا يستهان بها من الناس، ومن هذا المنطلق فإن الاهتمام بالإعلام الموصل لرسالة الإسلام وثوابته وخدمة الأهداف التي يسعى إليها المسلمون من الأهمية بمكان، ولا يزال الجهد في هذا أقل من المطلوب، وهناك جهود مبعثرة هنا وهناك من جهات وقنوات تحاول أن تسد ثغرة في هذا الإعلام الهادف الملتزم الذي يحمل قيمة ويدافع عن رسالة وهوية، لكن مازالت هناك حاجة ماسة لتفعيل النشاطات الإعلامية، واستبشرنا كثيرًا بتوجيه الملك عبدالله بن عبدالعزيز بإطلاق قناة للقرآن الكريم وقناة للسنة النبوية من المملكة العربية السعودية، ونأمل أن يتم دعمها بالكوادر المؤهلة وبالرؤية الواضحة التي تكفل لها تقديم ما يخدم الأمة الإسلامية، وفي رأيي أن الوصول للآخرين يقتضي أن تتعدد اللغات وتتعدد القنوات، لأنه لا يصح أن نظل نخاطب أنفسنا وذواتنا دائمًا، فقضيتنا معروفة، والقناعات واضحة ومعروفة، ولكن المهم أن نخاطب الآخر بلغته التي يفهمها وبثقافته التي يعيش فيها، حتى نكون أقدر على توصيل رسالتنا وإعلامنا كما هو حاصل في كثير من وسائل الإعلام في الدول الغربية التي نجحت في تسويق – إذا صحت العبارة – الثقافة الغربية والمنتج الغربي من الإنتاج الدرامي والبرامج الحوارية، ومن خلال الاحترافية الإعلامية في تقديم الثقافة.

• هل تخشى على الإسلام في ظل العولمة؟

– بلا شك لا يمكن أن يكون هناك أمن تام في ظل العولمة التي تخترق فيها الحواجز المختلفة، وفي رأيي أن العولمة بقدر ما هي تحد، هي فرصة كبيرة وحقيقية وقد أفادت منها الدعوة الإسلامية بشكل كبير في السنوات الماضية من خلال وسائل الاتصال والمعلومات، سواء على شبكة الإنترنت أو غيرها، ومن خلال أنواع العولمة الثقافية والاقتصادية والسياسية، حيث تزول الحواجز ويصبح سكان العالم أكثر قربًا بعضهم من بعض، ويمكن أن تنتقل الأهداف والرؤى والأفكار بينهم بصورة سلسة وسريعة، وأعتقد أن هذه فرصة لعرض ما عندنا وتقديم رسالتنا ومنهجنا واستثمار هذا الجانب الإيجابي.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (**الوعي الإسلامي**) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

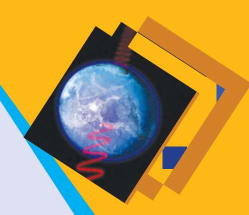
- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملًا، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني ورقم الحساب البنكي ، واسم الفرع .

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.



ملاحظة : المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.



حقوق الإنسان في ميزان الإسلام

المقولة الشهيرة التي قالها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لواليه على مصر حين اعتدى ابن الوالي على أحد أفراد الرعية وهو قبطي لكن حقوقه مصانة في الإسلام: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

نقول: إن هذه المقولة الخالدة كانت ومازالت أصداؤها تتردد في الآفاق منذ اكثر من اربعة عشر قرنًا ما يعني أن الإسلام هو السباق في صون هذه الحقوق وإعلان هذه المبادئ قبل أن تقوم الأمم المتحدة بإصدار الاعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، لقد كفل الإسلام هذه الحقوق للناس جميعًا دونما تمييز في الدين أو العرق أو الجنس لأنهم جميعًا خلقوا من نفس واحدة ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء: ١) ولاشك أن الحرية هي العمود الفقري لهذه الحقوق ومنها حق الاعتقاد والتفكير والمساواة والملكية والعدل وغيرها، وقد نصت على ذلك نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ونظرًا للظلم الواقع على الانسان المعاصر أيًا كان هذا الانسان مسلمًا أو غير مسلم وما تعانيه البشرية من تعد صريح وفاضح على حقوق الانسان وامتهان كرامته واستغلاله وما نتج عن ذلك من حروب وكوارث وتفاوت طبيعي وإزهاق ارواح الملايين من البشر فقد ارتأينا طرح هذه القضية على بساط البحث لنبين من خلاله عظمة التشريع الإسلامي في صون هذه الحقوق وحماية الذات البشرية من الارتكاس في العبودية واخلاص العبودية لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له وهو المستعان وعليه التكلان.

التحرير

النبي محمد ﷺ وحقوق الإنسان

السيد أحمد المخزنجي

غني عن البيان أن الإسلام يوم أن جاء إلى الناس ظهر في مجتمع تعددت فيه جنسيات الأرقاء، زنجا وروما وفرسًا وأحباشا... إلخ، وأهم من ذلك تعددت فيه المصادر والروافد التي تمد «نهر الرقيق» بالمزيد والمزيد من الأرقاء، والتي تجعل هذا النهر دائم الفيضان.. فلما جاء الإسلام اتخذ من هذا «النظام الاستعبادي» الموقف المغاير والهادف إلى إلغاء الرق، ولكن بالتدريج.

حث الإسلام المسلمين على عتق الرقاب، بأن جعله قُربة يتقربون بها إلى الله، فمن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من أعضاء مُعتقيه من عذاب النار. وجعل كفارة بعض الذنوب التي يرتكبها العبد عتق رقبة.

ويتصل بمبدأ كرامة الإنسان، بوصفه إنسانًا، مبدأ آخر هو أن الناس جميعًا أمة واحدة: ربهم واحد، وأصلهم واحد، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. (النساء:١). وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

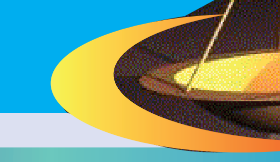
مما سبق يمكن القول أن مفتاح موضوع حقوق الإنسان في الإسلام هو مبدأ كرامة الإنسانية الذي قررته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالله عز وجل كرم الإنسان بوصفه إنسانًا بصرف النظر عن عنصره أو لونه أو ديانته!!

ومنهج القرآن صريح في هذا المعنى، فهو لا يتحدث عن العرب أو المسلمين أو الذين آمنوا، وإنما يتحدث عن الإنسان بوصفه (ابن آدم). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

وبنظرة فاحصة في مصادر الإسلام الأساسية- القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة- نستطيع أن نتبين أن الإسلام قد اعترف- منذ البداية- بحق الإنسان في المساواة، وحقه في الحرية، بصورة صريحة وواضحة تمامًا. واعترافه أيضًا بالحقوق الأخرى المتفرعة عن هذين الحقين. ولم يكتف الإسلام بمجرد الاعتراف للإنسان بهذه الحقوق، بل سعى إلى تأصيلها، وبيان مرتكزاتها بصورة مقنعة للعقول، بهدف ترسيخ هذه المعاني في الأذهان، وتعميقها في النفوس.

ومن العذابات التي عانى منها الإنسان في رحلته التاريخية- ولا يزال- تلك الصور من التمييز اللوني، فهناك في العالم صور لتعالي الرجل الأبيض، وتصنيف البشر إلى سادة

باحث في الأمانة العامة للأوقاف - الكويت



ومنبوذين، إما بسبب لونهم أو عنصرهم، وجعل بعض الحيوانات، كالقطط والكلاب، أكثر كرامة وأوفى حقوقًا من الإنسان الملون في «حضارة الرجل الأبيض»!! «وليست نظريات التمييز العرقي والقبلي والقومي التعصبي والطائفي، بأقل هدرًا وإلغاءً لحقوق الإنسان وكرامته من التمييز اللوني والحكم الطبقي والإقطاعي والثيوقراطي وتحكم رجال الدين»! (١).

فاقتضت إرادة الله الرحيم بعباده أن ينقذهم من سقطتهم، وأن يجعل منهم خير أمة أخرجت للناس، فأرسل محمدًا ﷺ رحمة للعاملين، وهاديًا للناس أجمعين، أرسله بخاتمة الرسالات الربانية لتكون دين الإنسانية عامة، وعقيدة البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

«وكان الرسول ﷺ لا يحكم في العاصمة، ولا يرسم سياسة المال، ولكنه كان يحكم الروابط بين قلوب المسلمين في الريف والمدن البعيدة، فتقوم بينها محبة الإسلام وتكافل الإسلام وتراحم الإسلام، في الوقت الذي كانت البيئة الزراعية المماثلة في أوروبا تقوم على علاقة السادة والعبيد.. سادة لهم الأمر كله والملك كله، وعبيد ليس لهم من الأمر شيء سوى العبودية المطلقة والانعدام الذليل»(٢).

وبالمقابل نجد أن الإسلام يقدم منظورًا واقعيًا لحقوق الإنسان في تشريعاته، منسجمًا مع الفطرة الإنسانية وثابتًا في التصور، حيث حدد الحقوق بأوامره ونواهيه الشرعية، ورسم الكيفية والضمانات التي يتم بها تأكيد تلك الحقوق وإبرازها، وبيَّن الأداة التي يناط بها إقامتها.



مبدأ الشورى أعظم المبادئ دستورية وديمقراطية حيث تتأكد في ظله حقوق الإنسان

وهذا ما أرساه الرسول الكريم في مبدأ الشورى (كحق من حقوق الإنسان في الإسلام) والذي يتبلور في إطاره الحل الأمثل والعلاج الأنجح لكل المشاكل صغيرها وكبيرها. وغني عن القول أن يوصف- مبدأ الشورى- بأنه أعظم المبادئ دستورية و«ديموقراطية» تأكدت في ظله حقوق الإنسان، وكشف للعالم المتمدين عن أروع نظام سياسي عرفته البشرية في ظل هذا المجتمع الإسلامي الذي تحكمه وحدة القيادة ويسوده العدل القضائي في دولة الإسلام العالمية(٣).

ففي هذا المبدأ بين الرسول الكريم، جملة من المسؤوليات التي تقع على عاتق الحكام والمحكومين، فوضع أساسًا قيِّمًا لمسؤولية رجال الحكم أمام الأمة، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاَّه أمركم» (رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة).

وهذا كله بخلاف ما تقرر في الفكر الغربي الرأسمالي الذي ربط مصدر الحقوق وتشريعاتها بمبدأ الحرية، وترك الأمر لكل قادر لنيل حقوقه بناء على ما يراه من مصلحة. ثم قيدها بالقيود الخيالية، عند الاضطرار لذلك. كالتأكيد على أن الحقوق والحرية الفردية تنتهي حين تبدأ حقوق الغير، أو التأكيد على عدم تدخل الدولة إلا عند انتهاك الحريات، وجعل مسؤوليتها الرئيسية: حماية الحريات دون رعاية الشؤون. مما يجعل الحقوق في الغالب أمرًا نظريًا، لا أثر له في الواقع، نظرًا لعدم امكانية الاتفاق حول «المصلحة» ولوجود الأثرة والنزعة الأنانية لدى الكثيرين، مما يؤدي في النهاية إلى سيطرة القوي على الضعيف، وسطوة القادرين، ووضع التشريعات من قبل الرأسماليين لخدمة مصالح طبقتهم وحدها دون مراعاة سائر حقوق أفراد المجتمع.

الهوامش

١- انظر: «تقديم» عمر عبيد حسنة لكتاب: النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، دراسة مقارنة، للدكتورين أحمد المفتي وسامي الوكيل، ع (٢٥) ط/١، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٦-١٨.

٢- قبسات من الرسول، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/٧، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٠.

٣- العدل والتسامح الإسلامي، تأليف السيد أحمد المخزنجي، دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٤.



سبق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بحوالي ١٣٥٠سنة

حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام

محمد عويس

جاء الإعلان السماوي الكوكبي الدولي لحقوق الانسان- أيا كانت هوية هذا الإنسان أو لونه- للبشرية كافة، على لسان رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة في خطبة الوداع أي قبل الإعلان العالمي لحقوق الانسان بحوالي ١٣٥٠سنة، حيث قال فيها رسول الله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه.. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله ...» (البخاري / ٢١٣٧). من هذا المنطلق يتبين لنا أن الإسلام بخصائصه الكريمة ووسائله النظيفة، وغاياته النبيلة، يهدف أولاً إلى تكريم الإنسان، لأنه حجر الزاوية في بناء أي حضارة، وأي تنمية، وأي تقدم وأي نهضة صناعية كانت أو زراعية أو غير ذلك. لهذا كان لابد لهذا الانسان أن يعيش تحت قوانين إلهية تحميه وتحفظه وتدفع عنه غوائل الحرب والامتهان والاستذلال ليعيش حُرا كريمًا مُنتجًا.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب (حقوق الانسان الخاصة في الاسلام- الشيخ منصور الرفاعي محمد عبيد، والدكتور اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي- مكتبة الدار العربية للكتاب) ليوضح الحقوق الخاصة التي وضعها الاسلام لمعالجة ضعف بعض جوانب الانسانية من خلال منح الحقوق الخاصة لبعض الفئات التي تحتاج الى رعاية واهتمام خاص، حيث عالج مختلف جوانب حقوق الانسان الخاصة في وقت السلم وفي وقت الحرب، موضحا التكامل المنهجي الاسلامي في معالجة مختلف القضايا الانسانية عامة، وقضايا ومشاكل حقوق الانسان خاصة، في كل وقت وحين، من خلال الحديث عن الحقوق الانسانية الخاصة، ومنها: حقوق المرأة والطفل والجار والمُعاق والمُحارب والأسير، وحق الأمن، وحق البيئة النظيفة وغيرها من الحقوق الخاصة سواء لفئة معينة، أو خاصة بمجال انساني مُحدد في حالات محددة.

كما أوضح المؤلفان المقاصد الاسلامية

الإسلام وضع حقوقًا خاصة لمعالجة ضعف بعض جوانب الإنسانية

الانسانية من وراء كل حق من الحقوق المتكاملة الخاصة التي شرعها الله للانسانية جمعاء من خلال الشريعة الاسلامية العالمية التي تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان لكي يحيا الانسان حُرا كريمًا ينعمُ بحقوقه ويعرف واجباته، آمنًا سعيدًا قرير العين في وقت السلم وفي وقت الحرب أيضًا، حيث أشارا في تناولهما لحقوق المرأة في الاسلام ان الشريعة الاسلامية عندما أعلت من وضع المرأة كان ذلك لأنها من دعائم تكوين الأسرة، وكان الاهتمام العالمي لحقوق الانسان برعاية حقوق الطفل في صيغة عامة وفي عبارة مقتضبة، حيث نص في الفقرة الثانية من المادة (٢٥) على حق الطفولة في المساعدة والرعاية الخاصة، وعلى تمتع كل الأطفال بقدر متساو من الحماية الاجتماعية، وهو نفس الاهتمام الذي أعطاه الاسلام للطفولة أيضًا، إلا أن الاسلام قد تميز بإعطاء عناية خاصة لليتامى، حيث حرص على التوصية بالاهتمام بهم ورعايتهم وحفظ حقوقهم وعدم الاعتداء على أموالهم والاحسان اليهم. أما حقوق المُعاقين والتي مُنحت لهم من جانب المواثيق الدولية فإنها لا ترقى الى الحماية الشاملة والحقوق الواسعة التي تضمنها المنهج الاسلامي المتكامل، حيث تُطرح التساؤلات التالية حول عدم اهتمام القوانين الوضعية الانسانية الدولية بباقي فئات المعاقين غير حالات التخلف العقلي.

ويشير الكتاب الى ان هيكل الحقوق الانسانية في الاسلام ليس من وضع الانسان، وانما يجدها الانسان في كتاب الله فيتعرف عليها، ليس الانسان بمُوجدها، بل بينها لنا رب العزة، مُسيرُ الكون، العليم بخلقه، فمن آمن بالله عرف هذه الحقوق الربانية التي

صحافي مصري



أكرم الله بها الانسان، فيعرف فضل الله عليه ورعايته له، حيث يتبين للشخص أن كل ما أمرنا به الله يقع في نطاق الحقوق الانسانية الواجبة.. ولم لا؟ فلقد أكرم الله الانسان أحسن تكريم، ومنحه من الحقوق ما يصون كرامته، ويحفظ له هذه الحقوق التي أنعم الله بها عليه، فلقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر﴾ (الإسراء: ٧٠) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤)، ففي هاتين الآيتين وغيرهما نجد ان القرآن الكريم يضع الانسان في أعلم المراتب بين خلقه، ولم يربط تفضيل الانسان بالاسلام أو بشريعة من شرائعه بل قرره لآدم وبنيه، ولذا يوجب الاسلام معاملة الانسان لأخيه الانسان بطريقة تتفق مع المساواة والحرية والتكريم بالعلم والتعظيم بين خلق الله.. فالحقوق في الاسلام لا تفريق فيها بين أولوية احداها على سواها، فالحق حق، ولا تنفرد الحقوق الانسانية في مرجع واحد أو باب مُستقل في الفقه الاسلامي بمعالجة مستقلة بهذا المعنى، وانما تُعالج في كل أبواب الفقه لأنها لازمة له مُكملة لحياته، فتضمن الشريعة الاسلامية كافة الحقوق للانسان من خلال التشريع والفقه الاسلامي مثل: حق الحياة، وطلب العلم، وسلامة الجسد، والحرية، والمساواة في المعاملة والملكية الخاصة، وحرية الضمير، والزواج، وحق اللجوء، والعدالة، وغيرها من آلاف الحقوق الواجبة النفاذ لأنها جزء من الدين.

ويؤكد الكتاب على ان حقوق الانسان في الاسلام عديدة متنوعة فهي مجموعة من الحقوق المتكاملة التي تؤدي الى سعادة الانسان ورُقيه في الدنيا وكرامة منزلته في الآخرة، ولهذا أوردت المعاجم العربية مجموعة من الحقوق الانسانية التي وردت في القرآن الكريم، وفي السُنة النبوية ومنها: حقوق الانسانية كافة، حقوق ما في الأرحام، حقوق المولود، حقوق اليتيم، حقوق السائل والمحروم، حقوق المساكين، كرامة الانسان، الحمل، الرضاعة، الأبناء، الشيخوخة، حقوق ابن السبيل، حقوق ذي القربى، الأسير، الوالدين، الأرحام، بناء الاسرة، المرأة، حقوق الزوج على الزوجة، والزوجة على الزوج، المودة والمُعاشرة الزوجية، حقوق الميت، الجار، العدالة، التبني، اللجوء، استخدام الإنسان للطبيعة، حق العمل والانتاج، الهجرة والاقامة، والحياة والدية في النفس، حرية الأقليات، الحرية الدينية، الشورى، المساواة، الأمن والأمان، التملك، التسامح، الأموال، والشارع والطريق، والمعارضة والأحزاب، التعليم.. وغير ذلك من الحقوق التي شرعها الاسلام.

فإذا كان الاسلام قد كفل الحقوق العامة لمعتنقيه وأمر بتطبيقها على المواطنين جميعًا دون النظر إلى عقيدتهم وأجناسهم وأنسابهم، فالمواطنون جميعًا في الحقوق سواء لأنهم جميعًا يتمتعون بالحرية والعدالة والمساواة والديموقراطية والأمن والأخوة والتكافل والتعاضد، وغير ذلك من الحقوق التي هي عامة من حيث الشكل والمضمون، فهي تُطبق على الصغير والكبير، وعلى الرجل والمرأة، وعلى السيد والمسود، وعلى الحاكم والعامة والخاصة، وعلى المسلم وغير المسلم.. وهي حقوق أعلى الاسلام من قدر الانسان بها، فكرمه أعظم تكريم وفضله على كثير ممن خُلق تفضيلا.



أيضًا هناك جملة من حقوق الانسانية التي اختص الله بها فئة معينة من فئات الانسانية، أو مجموعة معينة لها نفس الظروف، فأعطاها الاسلام حقوقًا متميزة ومنحها حقوقًا خاصة لمكانتها وأهميتها في المجتمع الانساني، لأن الاسلام تشريع سماوي دقيق لا يعرف الثغرات، ولا يمالئ النفوس الضعيفة التي تحاول السيطرة على المقدرات الانسانية، ولذلك قام الاسلام بحماية مجموعة من البشر الضعفاء، فأعطاهم حقوقًا خاصة تمنحهم سياجًا آمنا ضد طمع الطامعين، وتعطيهم أمانًا اضافيا ضد الظلم والفساد، وتغدق عليهم بحقوق اضافية تحميهم من السفهاء الذين يحاربون الانسانية في كل وقت وحين.

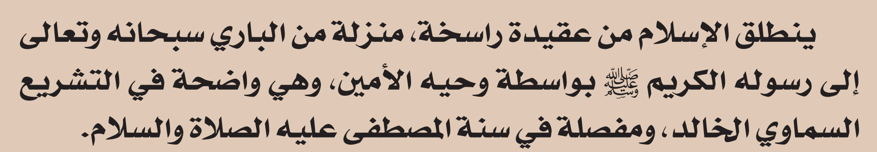
ولم يُعط الاسلام هذه الحقوق لهؤلاء الخاصة بالاسم لأنه يعرفهم، ولكن بالصفة يمنحهم هذه الحقوق، لأن حقوقهم مهضومة على مر الزمان وفي كل مكان، فكأن الاسلام يمنح هذه الفئة من الانسانية حقوقًا زائدة حتى لا يصيروا ممتهنين كما عاملتهم البشرية في تاريخها الطويل.

من هنا تبرز بجلاء عظمة الاسلام كشريعة ومنهج حياة يصلح لكل زمان ومكان، ولم لا؟ فلقد جاء الرسول الأمين محمد ﷺ رحمة للعالمين جميعًا منذ بعثته وحتى قيام الساعة، والرحمة المهداة للبشرية لابد وأن تأتي بمنهج رباني يحمي الضعفاء ويسوي بالفعل بين الجميع، ويمنح الحريات والحقوق بعدل شامل وكامل لا يستطيع منهج بشري آخر أن يمنحه.



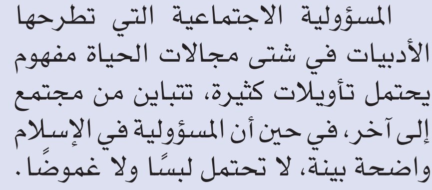
الإعلام وحقوق الإنسان

د. عبدالله بدران



ينطلق الإسلام من عقيدة راسخة، منزلة من الباري سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم ﷺ بواسطة وحيه الأمين، وهي واضحة في التشريع السماوي الخالد، ومفصلة في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

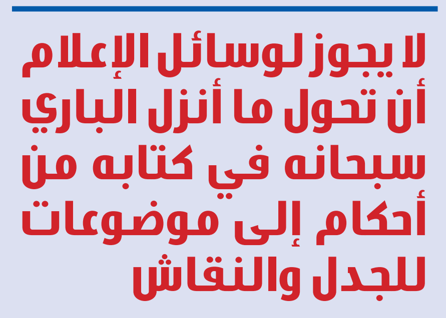
والإسلام ليس مجرد عقيدة إيمانية بل دعوة إنسانية تتسم بطابع الشمول والعمق، وهو رسالة أخلاقية ودعوة اجتماعية وحركة سياسية تهدف إلى تحرير الإنسان، والانتقال بدنياه من دنيا التعصب والعصبية إلى دنيا المحبة والسلام، ومن خواء الروح إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه واليوم الآخر وقضاء الله وقدره.



المسؤولية الاجتماعية التي تطرحها الأدبيات في شتى مجالات الحياة مفهوم يحتمل تأويلات كثيرة، تتباين من مجتمع إلى آخر، في حين أن المسؤولية في الإسلام واضحة بينة، لا تحتمل لبسًا ولا غموضًا.

ومن المصطلحات التي يكثر الحديث عنها دائما «حقوق الإنسان»، باعتباره مصطلحا متداولا في كل الأمم وتناولته كل الأديان، ونصت عليه كل التشريعات الوضعية، لكن ثمة اختلافا واضحا في فهمه ومضمونه وتطبيقه بين الأمم والمجتمعات، والفلاسفة والمفكرين، والتربويين والقانونيين. وهذا الاختلاف يعود إلى نظرة كل من هؤلاء إلى تلك الحقوق، والمرجعية التي ينطلق منها، والأسس التي يستند إليها، والتأثيرات المختلفة التي تؤدي دورها في رؤية تلك الحقوق وتفسيرها.

ومما يدعو إلى الأسف الشديد ما نشاهده في المجتمعات الإسلامية التي ترسخت لديها المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان؛ بسبب غياب المفاهيم الإسلامية



لا يجوز لوسائل الإعلام أن تحول ما أنزل الباري سبحانه في كتابه من أحكام إلى موضوعات للجدل والنقاش

المنظمة للحقوق الشرعية للأفراد والجماعات، مما أدى إلى بناء تصور لحقوق الإنسان عند المسلمين مستمد من التجربة الغربية لمعالجة الواقع، ومحاولة الارتقاء بحقوق الأفراد والجماعات.

ومن المعروف بداهة أن الإسلام ترك باب الاجتهاد في الدين مشرعًا أمام ما يحدث من تطورات، وما تقتضيه مصلحة الأمة، إلا ما ورد فيه نص قطعي ثابت. وهذا الاجتهاد يتيح لعلماء الأمة الإسلامية إصدار الفتاوى المختلفة التي تضمن مصلحة الأمة وتدرأ المفاسد عنها.

وحقوق الإنسان في الإسلام واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار، وقد نصت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بوضوح لا لبس فيه، وطبقها السلف الصالح نموذجا حيًا خالدًا سيبقى في سجل التاريخ، ولعل الإسلام هو أكثر الديانات التي نصت على هذه الحقوق، ونادت بتطبيقها، ودعت إلى تنفيذها، وكرمت الإنسان أيما تكريم.

وعلى التوازي أيضا نرى أن وسائل الإعلام في الإسلام مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى قبل أن تكون مسؤولة أمام المجتمع والقائمين عليها، وهي مسؤولية نابعة من الإيمان الحق، الذي غمر القلوب، وسكن الأفئدة، وتمثل عملا صالحا لخير المجتمع، ودعوة إلى الحق بالحسنى، والتزامًا بأخلاق الإسلام وآدابه.

والفلسفة الإسلامية في الإعلام- كما يقول أحد الباحثين «فلسفة راسخة لا تتعدل أو تتبدل بحسب الظروف والمتغيرات التي تفرض نفسها على الساحة المحلية أو الدولية. كما هي الحال

* صحافي في وكالة الأنباء الكويتية





في الفلسفة الليبرالية أو نظرية المسؤولية الاجتماعية. لأنها تتميز بالثبات والمرونة في نفس الوقت، ثابتة ثبات العقيدة، ومتحركة مع حركة الحياة، وأنه لو التزمت الأجهزة الإعلامية في العالم الإسلامي بالثوابت والأصول، وانطلقت منها إلى آفاق الحياة الرحبة، تعمل وتجتهد وتبدع وتضيف، لكان للعالم الإسلامي شأن آخر، ولما أصبح حال الأمة الإسلامية على هذا النحو، لاسيما أن غالبية الأمة الإسلامية مرتبطة بعقيدتها، وأن الدين ما زال يوجه فكر أبنائها، ويبني كيانهم».

ومن أهم معالم تلك الحقوق في الإعلام الإسلامي أن هذا الدين الحنيف يبيح لجميع أفراده تملك وسائل الإعلام وفق ضوابط شرعية تكفل تحقيق هدي الإسلام في الحياة، كما يتيح حرية التعبير والرأي لأفراده كافة، مع الالتزام بالإطار الشرعي لهذه الحرية الذي يشعر الإنسان حقًا بأن عبوديته لله عز وجل حررته من استعباد النفس، والانقياد وراء شهواتها، والتحرر من ذل غرائزها، وأنه بهذه الحرية يتمتع بالخير والحلال من

الإنسان هو المستهدف في الرسالة الإعلامية في الإسلام وتتوجه إليه في مضمونها وتأثيرها

رزق الدنيا وطيباتها، ويتجنب الحرمات والمزالق التي تؤدي به إلى سوء العاقبة في الدارين.

ووفقاً لشرع الله سبحانه لا يجوز لوسائل الإعلام أن تحول ما أنزل الباري سبحانه في كتابه من أحكام إلى موضوعات للجدل والنقاش، بل يجب طاعتها، وعدم الخروج عنها، فليس من وظيفة وسائل الإعلام أن تطرح للنقاش إمكان إلغاء تشريعات سنها المولى عز وجل بحجة تغير الزمان وتطور الحياة، أو تدعو إلى سن قوانين جنائية أو شخصية أو اقتصادية لا تتفق مع ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه.

وهذه النظرة الإعلامية الإسلامية لحقوق الإنسان سبقت بقرون ما دعت إليه دول العالم والمنظمات الدولية بهذا الصدد، حين نصت المادة الـ ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأي وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية» .

إن ما يميز النظام الإعلامي في الإسلام أنه نظام متكامل ماديًا وروحيًا، في حين أن القوانين التي يضعها البشر غير قادرة على إقرار العدل بين الناس، لأنها نتيجة تفكير عقول بشرية، والإنسان في تفكيره يخطئ ويصيب، وقد يمارس الظلم، ويتجاوز الحقيقة.

والباحث عن حقوق الإنسان التي دعا إليها الدين الإسلامي من الجانب الإعلامي يجدها متضمنة في الإطار العام لخصائص الإعلام في الإسلام، تلك الخصائص المستمدة أصلا من الخصائص العامة للإسلام، لكنها تتميز عنها بخصوصية معينة تتلاءم مع اقتصار الإعلام الإسلامي على العمل ضمن طبيعة خاصة به، وبيئة تتعلق بأهدافه ووظائفه.

وتبرز هذه الخصائص مواطن القوة في الإعلام الإسلامي، وتميزه عن غيره من أنواع الإعلام، التي تحاول تلوينه وتوجيهه وصبغه وفقًا لمنطلقاتها ومبادئها، التي لا تخلو من انحراف عن تعاليم الإسلام، وتشويه له، ودس على أفكاره ومبادئه.

ومن أهم خصائص الإعلام الإسلامي تلك المرتبطة بضرورة إحقاق الحقوق كافة، وإعطاء كل ذي حق حقه مهما كانت منزلته ولونه وجنسه، والنزوع إلى الحرية الشخصية للإنسان باعتبارها قيمة عليا وسامية ونبيلة، مع المحافظة في الوقت نفسه على المسؤولية التي دعا إليها الإسلام وحث على تطبيقها التطبيق السليم.

ومن أهم خصائص الإعلام الإسلامي فيما يتعلق بحقوق الإنسان أنه:

١ – إعلام قاعدته الحرية وقمته المسؤولية.

٢ – إعلام حرمات وحقوق.

٣ – إعلام مستقل رافض للتبعية.

٤– إعلام قائم على الإقناع لا الإكراه.

إن هذه الخصائص الأربع توضح المكانة التي تحتلها حقوق الإنسان في الإسلام، فالإنسان هو المستهدف من الرسالة الإعلامية في الإسلام، وهو الذي تتوجه إليه في مضمونها ومحتواها وتأثيراتها، لتتحقق له الحرية التي فطر عليها، والتي هي مطلب أساسي لا غنى عنه، كما أن الإعلام الإسلامي قائم على الإقناع الكامل والحوار البناء دون ضغط أو إكراه أو حمل على اعتقاد ما لا يقتنع به أو يرضاه لنفسه شرعة ومنهاجا.



رؤية إسلامية لحقوق الإنسان الأساسية

إبراهيم نويري

في ظلّ تدافع الأنساق الثقافية والمنازع الحضارية والمرجعيات المذهبية التي باتت تميّز الحياة في عالمنا المعاصر، أخذت قضية حقوق الإنسان تُدفع دفعًا إلى واجهات الاستقطاب، حيث أخذ كل أصحاب انتماء لدائرة من تلك الدوائر المتدافعة يدّعون بأن الاتجاه الموالين لمواريثه وبصمته هو منشئ ومبدع وباعث حقوق الإنسان.. فذهب الفرنسيون إلى أن ثورتهم (١٧٨٩م) التي نصت جمعيتها التأسيسية في ٢٦ أغسطس (آب) من العام ذاته على وثيقة الإعلان التاريخي لحقوق الإنسان، هي اللبنة الأولى في بلورة قضايا الإنسان واهتماماته الرئيسة، وذهب الأميركيون إلى أنهم سبقوا الثورة الفرنسية إلى إعلان تلك المبادئ والقيم لأن وثيقة إعلان الاستقلال (١٧٧٦م) قد أثبتت في ديباجة مقدمتها الخطوطَ العريضة والجوهرية لقضايا حقوق الإنسان، كما زعم الإنجليز أن الوثيقة العظمى التي أرغم النبلاءُ وبعضُ ذوي النفوذ في المجتمع الملك «جون» على إقرارها سنة (١٢١٥م) هي أول ما أرسى معالم تلك الحقوق والقيم الإنسانية باعتبارها أسبق في الظهور من الثورة الفرنسية ومن وثيقة إعلان الاستقلال الأميركي.

بدا من هذه التواريخ والمنعطفات التاريخية التي روّج لها مفكرون وكتّاب وفلاسفة وساسة وغيرهم أن الحضارة الغربية هي صاحبة الأيادي البيضاء على الإنسان وكفالة حقوقه وصون كرامته وموجبات سعادته في الحياة، ولاشكّ أن كثيرا من هؤلاء المروّجين لتلك المزاعم والادعاءات على علم بالكثير من حقائق التاريخ المجانفة لمقرراتهم، النافية لما ذهبوا إليه- هذا إذا كان حديثهم وحُكمهم على المستوى الإنساني والتاريخي العام- إلا أنهم أذعنوا لرغبة إخفاء الحقيقة استجابة لحاجيات نفسية وضغوط تاريخية ولمنازع الهيمنة التي تمُليها قَهْرية مركزية الحضارة الغربية.. ومن هذا المنطلق، ولهذا السبب بات لزامًا على مفكري الإسلام ودعاته التصدي لمحاولات تزييف التاريخ وبعثرة الحقائق التي وعتها بحياد وأمانة الذاكرة الإنسانية، إذْ من الواجب إظهار أن الإسلام هو المنهج الخالد الذي أسس لتكريم الإنسان وعزته في الأرض واستخلافه فيها عن

المسلم وغير المسلم سواء في حرمة الدم واستحقاق الحياة

الله، ومكافأته في المعاد على حسن القيام بمقتضيات هذا الاستخلاف، وهذا الفهم والمعتقد هو المهاد الأول للشعور الصحيح بمعنى الحياة وقيمة الحرية وقدسية رسالة الإنسان والحكمة من الوجود في هذا الكون.

إن الإنسان-كما ثبت في القرآن- هو المخلوق الذي ميزه الله تعالى عن كلّ مخلوقاته، وإنه بذلك استحق صفات التكريم والتبجيل والتفرد، ثم إن ما حصل للإنسانية في تاريخها الطويل من ويلات ومصائب تناقض صفة التكريم الذي فضل الله به بني آدم عن غيرهم، يدفع العقلاء إلى الاعتبار والتأمل في طبيعة الخطاب الذي يقدمه الإسلام عن الإنسان ومكانته الكونية، ذلك أن المظالم التي وقعت على الناس في الأعصار الطويلة الماضية- وفق مقررات القرآن- لا تنفي الطبيعة الأصلية والمؤهلات المركوزة في الفطرة الإنسانية التي أهّلته لفضيلة الاستخلاف والتكريم وخصوصية التكليف، ومن ثمة فإن سمات الخطاب الذي يقدّمه الإسلام لمكانة الإنسان وحقوقه هي الضمانة الصحيحة الواقعية لصون وحماية الحقوق الإنسانية ورعاية ثمرات نضال الإنسان في كفاحه الطويل مع قاهريه وسالبي حريته.

حقوق الإنسان الأساسية في المنهج الإسلامي

إن المنهج الإسلامي يعتبر الإنسانَ جوهرة الوجود والكائن الذي خلقه الله تعالى مميزًا عن جميع مخلوقاته، نظرًا للأمانة التي تحمّلها وللاستعدادات والمؤهلات الفطرية المركوزة في إهابه، وهي ميزات تمكّنه من الانسجام مع

أكاديمي جزائري





مقتضيات الرسالة وتبعات التكليف، وفي نصوص ومفردات هذا المنهج تفاصيل نظرية مسهبة وأحكام تطبيقية ضافية لحقوق الإنسان والإنسانية.. غير أن قاعدة تلك الحقوق، أو الحقوق الأساسية تتمثل فيما يأتي:

١- **حق الحياة**: الإسلام هو المنهج الأول الذي أضفى صفة القداسة على الحياة، لأن هذه الحياة سرٌّ إلهيٌّ، وهي وسيلةُ اختبار الخلق بالتكليف، عبر إرادة الاختيار والتمييز والأهلية، فقد وهب الله نعمة الحياة للإنسان، وجعل حياطتها كلًّا وجزءًا، وصيانتها مادةً ومعنىً، في طليعة الأهداف التي أبرزها الدينُ وتحدّث فيها الرسل مبشرين ومنذرين.. ولا عجب فإن إشقاء حيوان وإزهاق روحه ظلمًا يعدّه اللهُ العدلُ الرحيم جريمةً يُدخل فيها الإنسان النار، فكيف بتعذيب إنسان وقتله؟ قال رسول الله- ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرّة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (رواه البخاري).. فانظر كيف أن إراحة حيوان وإنقاذ حياته باب إلى رضوان الله.. وكيف أن إتعاب حيوان وإهدار حياته باب إلى سخطه.. فإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى قيمة الحياة في المخلوقات الدنيا، فما تكون عنايته وجائزته لمن يدعم حق الحياة بين الناس؟ وما تكون نقمته وعقوبته لمن يستهين بهذا الحق؟ (١).

إن الإسلام وهو يضع المواثيق القسط ويشرع الأحكام العادلة ويصف الحق في الحياة بالقدسية، لم يفرق في ذلك بين إنسان وإنسان بغضّ النظر عن المعتقدات التي يعتقدها الناس والمذاهب التي يدينون بها «فالمسلم وغير المسلم سواءٌ في حرمة الدم واستحقاق الحياة.. والاعتداء على المسالمين من أهل الكتاب هو في نُكره وفُحشه كالاعتداء على المسلمين وله سوء الجزاء في الدنيا والآخرة.. عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة» (رواه البخاري).. إن الحياة الكاملة مصونة، والاعتداء عليها بالقتل جريمة، وكذلك الاعتداء على جزء منها وتعريضه للتلف أو التشويه، فذلك كله في نظر الإسلام عدوان أساس العقوبة فيه القصاص، وإنما شُرع القصاص تأمينا للسلامة المطلقة بين الناس وهذا معنى قوله تعالى ﴿في القصاص حياة﴾ (البقرة: ١٧٩)، فأنواع القصاص التي أقامها الشارع هي كلها ضوابط وحصانات لإشاعة حق الحياة في أسمى صورها بين الناس أجمعين، ومن هنا حرّم الإسلام كلّ عمل ينتقص من هذا الحق، سواء كان هذا العمل تخويفًا أو إهانة أو ضربا أو تطاولا أو طعنًا في العرض، فإن حياة الإنسان المادية والأدبية موضع الرعاية والاحترام» (٢).

فمن المبادئ الأساسية في شريعة الإسلام «أن الجائع يستحق أن ينال الخبز بأي حال من الأحوال، والعاري يستحق أن ينال اللباس مهما كان الأمر، والجريح والمريض يستحقان أن يوفّر لهما الدواء والعلاج بأية حال، بغضّ النظر عن كون الجائع والعاري والجريح والمريض صديقا أو عدوا، وهذا المبدأ يُعتبر مبدأ عامًّا شاملًا يلتزم به الفرد والحكومة، ويعامل العدو كذلك نفس المعاملة اتباعا لهذا المبدأ، فإذا جاءنا فردٌ من قوم العدو، يكون من الواجب علينا ألا نتركه جائعًا أو عاريًا، أو دون أن نقدم له العلاج والدواء إذا كان مريضًا» (٣).

٢- **حق حرية التفكير والاعتقاد**: إن الإسلام لم يذهب فحسب إلى إقرار حرية الفكر والرأي والمعتقد وإنما اعتبر ذلك فريضة شرعيةً وواجبًا إسلاميًا، فلم يجعل أيُّ دين قضية الإيمان ذاتها قضية عقلية، مستندها الأول والمدخل إليها هو إعمال الرأي والنظر السديد والتفكير الحر، كما فعل الإسلام في منهجه، بل يذهب هذا الدين إلى أن الغباء أو تعطيل الفكر قد يكون طريقا إلى النار وعذاب الآخرة، لأنه زيغٌ عن الفطرة وانحراف عن إدراك الحكمة من الوجود فإذا «منح الله الإنسان عقلا فلكي يفكر به ويهتدي بنوره، فتلك وظيفة العقل وثمرته المرجوة، والله جل شأنه يكره أن يهدر إنسان هذه المنحة فيحيا أحمق وهو يستطيع الرشد، بليدًا وهو يستطيع النظر، وإذا ذرأ اللهُ الناسَ على فطرة سليمة ينبعثون منها كما ينبعث السهم إلى غايته، فهو يأبى عليهم عوج الطبع وزيغ الخطو وضلال الوجهة.. إن المهندس الذي يبتكر آلةً لتدور بمحركات داخلية لا يَعدُّ هذه الآلة صحيحةً ولا ناجحةً إلا إذا دارت وفق ما





قدّر لها، وأدت الغرض المقصود منها، أما إذا أديرت باليد لعطل أصابها أو جرّتها دابة مثلا، فهي آلة فاشلة لا تساوي شيئا، وكلّ تديّن يصحبه فسادُ الفطرة وشلل العقل فهو تديّن تافه عديم القيمة، لأنه أمات الحقيقة الإنسانية وجعل تعاليم الدين أعوادًا تُغرس في الثلج أو الصخر، هيهات أن يكون لها ورق أو ثمر» (٤).

وهذه الميزة كذلك هي مما يتميز به المنهج الإسلامي عن المذاهب الوضعية والفلسفات الأرضية التي اسودّت صفحات تاريخها بمآسي الاضطهاد والحجْر على العقل والنظر والتفكير، أما الإسلام فإنه «لا يلوم على حرية الفكر بل يلوم على الغفلة والذهول، وهو لا يجعل هذه الحرية أيضا من المباحات التي يباشرها مَن شاء ويتركها من شاء، بل يجعلها حقا لله على الإنسان، فالمصابون بكسل التفكير واسترخاء العقل عصاةٌ في نظر الإسلام، تتفاوت جرائمهم بمقدار ما يترتب عليها من اضطراب الصلات الإنسانية بالله وبالحياة.. وتبدأ حرية التفكير من علاقة المسلم بدينه نفسه، فإن قوام الإسلام ولبَّ رسالته كتابٌ مفتوح ميسّر للذكر، مطلوب من الأمة أن تتدبره وأن تستفيد منه شرائعها جميعا» (٥).

٣- حق العمل وكفالة المعاش: إن العمل إلى جانب كونه وسيلة لتأمين عيش الإنسان، فهو في المنظور الإسلامي كرامة ترتفع بالإنسان إلى المستوى الأخلاقي المطلوب الذي تفرضه طبيعة رسالته في الحياة الدنيا، إذْ إنّ حركة الإنسان في العمل لتوفير أسباب عيشه وإعمار حياته بالخيرات هي بحدّ ذاتها من معاني التكليف لأنها صورةٌ من صور العبادة والاستجابة لطاعة طلب التعمير واستمرار الحياة، فمنذ هبط آدم عليه السلام، وجاء بنوه إلى الأرض وهم مكلفون بالكدح في ثراها، حتى يستطيعوا العيش، فإن أبدانهم لا تتماسك بها حرارة الحياة ولا تواتيها قدرة الحركة إلا بوقود متجدد من الغذاء.. وكلّ امرئ مطالب بتحصيل هذا الطعام عن طريق أي عمل يوافق مواهبه وملكاته، ذلك أن العمل هو وسيلة للبقاء، والوسيلة تتبع الغاية في شرفها وخستها، فمن كرس حياته للحق والخير فعمله عبادة، وكل قطرة عرق تبذل فيه فهي آية جهاد، توضع في موازين المرء مع صلاته وزكاته وصومه..إن الإسلام يجعل العمل سمة المسلم ومظهر تجاوبه مع رسالة الوجود، وانقياده لأمر الله وفقهه لطبيعة الدنيا وحقيقة الدين (٦).

٤- الحق في الأمن والاطمئنان:

الإسلام هو صاحب الفضل الأول في تأسيس هذا الحق، لأنه في أصله وليدُ الضمانات التي وضعها هذا المنهجُ لكفالة حقّ الاعتقَاد والرأي، إذ يرى الإسلام أن توفير الأمن والاطمئنان وراحة البال حقٌّ لكلّ إنسان في المجتمع الإسلامي بغضّ النظر عن المعتقد الذي يعتقده أو الدين الذي يدين به، فمن القواعد الثابتة في هذا المنهج أنه «يوصد كل الأبواب أمام نفر من الخلق يستهينون بأقدار الآخرين وحقوقهم خصوصا الحكام الذين قد يدهمون البيوت لتفتيشها أو يعتقلون خصومهم ويقيّدون حركاتهم دون ارتباط بقانون أو رعاية لقضاء، تلك كلها سياسات جائرة تصطدم بما يقرره الإسلام في مجتمعه من تأمين مطلق للفرد، وحس دقيق بحقوقه الشخصية» (٧).

إن النظرة المجردة داخل بيت الإنسان اعتداء على حرمته، وقد أرشد الرسول الكريم أمته ألا تفعل هذا، وحظر على أي امرئ ألاّ يدخل بيتا إلاّ بإذن صاحبه.. لأن تعريض المسلم لأي فزع جريمة، وحق الحياة الآمنة من المخاوف والمظالم والتهديدات والمنغصات المختلفة، لابد من إثباته في حياة الجماعة.

٥- الحق في المساواة والعدل: الحق أن ما ورد في المادتين الأولى والثانية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إنما هو ضهيٌّ فحسب للأصول المقررة في الإسلام وليس إبداعا أو سبقا انفردت به الحضارة الغربية، بل إن ما تقرر في التعاليم الإسلامية هو النبع والأصل الذي تعرفت إليه الإنسانية ذات فترة من تاريخها أول مرة، إن الإسلام يؤكد أن البشرية التي تعيش على ظهر الأرض في القارات الخمس هي «أسرة واحدة انبثقت من أصل واحد ينميهم أب واحد وأم واحدة لا مكان بينهم لتفاضل في أساس الخلقة وابتداء الحياة.. والتكليف الإلهي




يتّجه إليهم جميعا على سواء بوصف أنهم يتوارثون الخصائص النفسية والعقلية الشائعة في جنسهم كله، وأنهم أهلٌ لكل ما كفل الله للإنسانية من كرامة وناط بها من واجب، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء:١).. ولا نكران أن البشر يختلفون في لغاتهم وألوانهم من الناحية العامة، لكن هذا الاختلاف لا يؤبه له، ولا يخدش ما تقرر من تساويهم في الحقيقة الإنسانية الأصيلة، إنه يشبه اختلاف ألوان الورود في البستان، أو اختلاف الأزياء التي يرتديها الإنسان، وقد رفض الإسلام رفضا حاسما أن يكون ذلك مثار تفرقة أو سبب انقسام، بل جعله بالنسبة إلى الخالق الكبير آية على إبداعه وإتقانه.. وبالنسبة إلى الناس أنفسهم مثار تعارف لا تناكر، وائتلاف لا اختلاف» (٨).

٦- الحق في التعلم ورفع المستوى الثقافي: يرى الإسلام بأن الوجود المعنوي للإنسان أهم من وجوده الحسي وأن الجانب المعنوي من وجوده هو ثمرة للتعلّم والتأمل في الكون وتفتيق المدارك العقلية، فالإنسان محتاج إلى أقساط منتظمة من المعرفة حتى يتفتق ذهنه وتتسع مداركه، ويبصر حقيقة ما يحيط به من الأشخاص والأشياء ويعي ما يُطلب منه وما يجب عليه، ولقد بلغ من أمر التشديد على الحقّ في التعلّم والفهم والمعرفة، أن النبيّ ﷺ، عقب غزوة بدر الكبرى أقرَّ- في مسألة أسرى بدر- بكون تعليم الكتابة لعشرة من أبناء المسلمين سببًا كافيًا لإطلاق سراح الأسير، رغم أنه محارب للمسلمين ومناهض للإسلام ودعوته!.. ولمكانة العلم في الإسلام لم يعادل شيء منزلة بعض الأركان الجليلة إلاّ التعلّم والإقبال على المعرفة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «مَن غدا إلى المسجد لا يُريدُ إلاّ أنْ يتعلّمَ خيرًا أو يَعْلَمَهُ كان له كأجرِ حاجٍّ تامًّا حِجّتُهُ» (رواه الطبراني).

ويكفي الإسلام شرفًا ورفعةً أنّ أول كلمة نزلت من كتابه الخالد هي ﴿اقرأ﴾ التي جاءت بصيغة الأمر، وكأن العلم في هذا الدين ليس فحسب من حقوق الإنسان، بل هو أعظم من ذلك إنه من الحقوق ومن الواجبات العينية والكفائية، إذْ لا يمكن أبدًا للحياة أن تكون حياةً بغير العلم وأهل العلم في نظر الإسلام.

كل تديُّن يصحبه فساد الفطرة وشلل العقل فهو تديُّن عديم القيمة

نتائج ومقررات

١- إن الحقوق التي تضمنها البيان العالمي لحقوق الإنسان تُعتبر من أبجديات التعاليم المقررة في الإسلام، وإنْ كانت تلك الحقوق تبدو للغرب أو لجزء من بني البشر جديدةً، فهذا خلل فادح في الوعي بمحفوظات الذاكرة الإنسانية- وهذا على افتراض حسن الظن بالآخر الحضاري، وفي الوقت ذاته فإن هذا الخلل يعكس مدى خطورة جُرم تفريط المسلمين في تضييع الحقيقة ببعدهم عن دينهم وتقاعسهم عن العمل بوصاياه وإبلاغه للناس كافة.

٢- أصالة وتميز المنهج الإسلامي في حفظ حقوق الإنسان، إذ وضع الإسلام آليات وقواعد لحفظ هذه الحقوق، وذلك بِخلاف الكثير من المناهج والفلسفات الوضعية التي لم تتجاوز في معظم الحالات مستويات الحديث النظري المجرد وتخوم الشعارات الخاوية أو المحايدة الرجراجة عن قضايا حقوق الإنسان.

٣- إن حديث الحضارة الغربية عن مبادئ حقوق الإنسان، هو في الحقيقة أثرٌ من آثار الفكر الإسلامي في هذه الحضارة، انتقل إليها عبر وسائط الاتصال والتفاعل التي حدثت في الواقع التاريخي كمراكز العلم ومدائنه المختلفة وجامعات الأندلس وصقلية والاحتكاك بالمسلمين الذي دام قرنين إبان فترة الحروب الصليبية.

٤- إن واجب إعادة تسجيل هذه الحقيقة على شريط الذاكرة الإنسانية، ينبغي أن يتمّ إحياؤه في هذه المرحلة في سياق الوعي بقواعد التدافع الحضاري والزحام الأيديولوجي العولمي، لذلك ينبغي أن ينصف هواةُ البحث عن الحقيقة المجردة الإسلامَ وتعاليمه السمحة من جاحدي فضله ومنكري أثره في البشرية وما أسداه للوجود من خدمات وجليل الأعمال والذكريات.

٥- من الأهمية بمكان أن يجعل الدعاة المسلمون مناسبة الحديث عن حقوق الإنسان فرصةً للدعوة إلى الإسلام نفسه، والتعريف بحقائقه وإنصافه من أخطاء أتباعه أولا.

الهوامش

١- محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣ م، ص ٥٥.
٢- المرجع السابق، ص ٥٧.
٣- أبوالأعلى المودودي، مقال: «نظرة عابرة على حقوق الإنسان الأساسية»، مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي (شوال ١٣٩٤هـ- نوفمبر ١٩٧٤م) ص ٥٦- ٥٧.
٤- محمد الغزالي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٦٦.
٥- المرجع نفسه، ص ٨٠.
٦- محمد الغزالي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٢٠٣.
٧- محمد الغزالي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٥٩.
٨- المرجع السابق، ص ١٦- ١٧.



التربية على حقوق الإنسان في الإسلام

رابعة حسن

بعد أن انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، وعم نوره معظم البقاع العربية في القرون الهجرية الأولى، أخذ الدعاة ينشرون مبادئ هذه الشريعة السمحة في شتى الأمكنة والبلاد، وحملوا معهم راية هذا الدين الحنيف إلى كل مكان استطاعوا الوصول إليه، وكل أرض عرفوا أن فيها أشخاصا لم تبلغهم دعوة الإسلام ولم يعلموا بأمرها.

لم يكن الدعاة وحدهم هم من حملوا راية الدعوة ولواءها، بل شاركهم في ذلك كل مسلم باعتبار ذلك أمرا عاما مطلوبا من كل مسلم ومسلمة، وهكذا وجدنا السلام ينتشر في بقاع نائية جدا وفي جزر بعيدة عن قلب الوطن العربي بفضل أولئك الرجال والنساء الذين نقلوا معهم في تنقلهم وأسفارهم تعاليم الإسلام وبلغوها لكل من يستطيعون.

ولعل من أهم أسباب انتشار الدين الحنيف هو تلك الحرية التي يمنحها لأتباعه، والحقوق التي أقرها لهم والتي تتناسب مع فطرة الإنسان، وتتلاقى مع تطلعاته، وتتناسب مع أموره وشؤونه، وتتقاطع مع اهتماماته الأساسية وغاياته الرئيسية في كل زمان ومكان، ومن أمثلة ذلك اهتمامه البالغ بحقوق الإنسان وسعيه إلى العناية بها وتحقيقها على الأرض واقعا وفعلا.

وسعي الإسلام لتربية أبنائه على حقوق الإنسان واضح جلي، فالإسلام لم يكن مجرد عقيدة سماوية روحية خلاقة فحسب، بل كان ومازال يشكل منهجا فكريا خلاقا يشتمل على منظومة من الأنساق التربوية والفكرية والاجتماعية للوجود الإنساني. إنه منهج عمل ومنطلق حياة ورسالة إنسانية تتميز بأسمى عطاءات الخلق والإبداع. وفي نسق هذه العطاءات الربانية تأخذ تربية الإنسان مركزا جوهريا في نسق العقيدة التربوية الإسلامية. ولا يمكن أبدا الفصل بين الجوانب التربوية والجوانب العقائدية في الإسلام؛ لأن الفكر التربوي ينبثق من صلب العقيدة ويبلورها حقيقة إنسانية مسكونة بأسمى التوجهات الروحية الخلاقة.

ومن المعروف في اللغة العربية أن الحق هو الأمر الثابت، أما في الشرع الحنيف فهو ما ثبت في الشرع لله تعالى على الإنسان، أو للإنسان على غيره. وحقوق الإنسان هي حقوق أساسية للأفراد مادية أو معنوية أو اجتماعية أو اقتصادية، لهم ممارستها بحماية الدولة دون تدخل ومن دون مضايقة منها أو من الأفراد أو المجتمع. وحين الحديث عن حقوق الإنسان من وجهة النظر الدينية، ولاسيما من وجهة نظر الإسلام فإننا نعني به ذلك الإسلام الذي يشكل منطلق نظرة شاملة إلى الكون والحياة الإنسانية بمختلف جوانبها وتجلياتها الروحية والعقائدية. وتتجلى هذه الرؤية الشمولية في صورة شريعة واضحة المعالم تميزت بطابع الشمول والعمق الإنساني.

ولقد كان الإسلام سبّاقاً إلى الإقرار للإنسان بحقوقه، وإلى الحثّ على صون هذه الحقوق وحفظها، وإلى إحاطتها بالرعاية وشمولها بالعناية من أولي الأمر. وهذه الحقوق هي من الثوابت التي يقوم عليها المجتمعُ الإسلاميُّ، فهي ليست حقوقًا سياسية ودستورية فحسب، وليست حقوقًا طبيعية كما يعبر عنها في القانون الوضعي، لكنها في الإسلام وإجبات دينية يُكلَّف بها الفردُ والمجتمع، كلٌّ في نطاقه، وفي حدود المسؤولية التي ينهض بها. وبذلك فإن الفرد في المجتمع الإسلامي يتشرَّب هذه الحقوقَ، ويتكيّف معها، بحيث تصبح جزءًا من مكوّناته النفسية والعقلية والوجدانية، ويحافظ عليها، لأن في المحافظة عليها أداءً لواجب شرعي، وليس من حقه أن يفرط فيها، لأن التفريط فيها تقصيرٌ في أداء هذا الواجب.

والناظر إلى التربية التي قدمها الإسلام يجد أن الإسلام يقدم للبشرية منهجا تربويا أصيلا يتميز بطابع القدسية والشمول. وتأتي قدسية هذا المنهج بوصفه غيضا من فيض القرآن الكريم وسنة نبيه

باحثة في الدراسات الإسلامية - الكويت



الكريم عليه الصلاة والسلام. وتؤكد التربية في الإسلام على أن الفعل التربوي لا يكون في تكثيف المعاني وتحميل النفس بغزارة الصور، بل يرى ويؤكد أن الفعل التربوي هو عملية إيقاظ للفطرة الإنسانية وتوجيهها نحو غايتها في الكشف عن الله وعبادته وتوحيده، كما تعلي التربية الإسلامية من شأن العقل والعقلاء وترفع من قدر الحكمة والحكماء، وتؤكد على أهمية الجوانب الأخلاقية في التربية، وهي تنهض على أساس من توجيهات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يمجد القيم والأخلاق.

مفهوم التربية على حقوق الإنسان

ترى جامعة الدول العربية أنه لما كانت التربية والتعليم أداة فعالة لنشر مفاهيم حقوق الإنسان بين الأجيال، وتشربهم بمضامينها والأنشطة المصاحبة لها، وما يمثله المربي من قدوة، فإن من الجوهري بهذا الصدد استحداث رؤية جديدة للتعليم تنطلق من توسيع التعريف التقليدي للتعليم لكي يعالج تحديات جديدة مثل ارتباطه بالاحتياجات، والقيم العالمية لحقوق الإنسان واتخاذ القرارات على أساس من المعرفة.

وهذا يعني أن التربية على حقوق الإنسان لا تتعلق بتوفير المعارف والمهارات فحسب، وإنما تتعلق أيضًا بتعزيز الاتجاهات والمواقف والسلوكيات التي تسمح للناس بالمشاركة في حياة مجتمعاتهم المحلية والوطنية بطريقة بناءة يحترمون بها أنفسهم والآخرين، وينبغي للأجيال أن يتعلموا حقوق الإنسان من خلال معايير ومبادئ حقوق الإنسان وهي تنفذ في الواقع العملي، وفي قاعة الدرس، وفي المنزل، وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا فإن التربية على حقوق الإنسان تعرّف على أنها سيرورة يتعلم الناس من خلالها على حقوقهم وحقوق الآخرين ضمن إطار من التعلم الذي يقوم على المشاركة والتفاعل. وهي تربية تعنى بتغيير المواقف والسلوك وتعلم مهارات جديدة وتعزيز تبادل المعارف والمعلومات. وهي عملية طويلة الأجل، تهدف إلى إيجاد فهم

الإسلام لم يكن مجرد عقيدة روحية خلاقة فحسب بل يشكل منهجًا فكريًا يشتمل على منظومة من الأنساق التربوية والإجتماعية

أفضل للقضايا وتسليح الأشخاص بالمهارات للتعبير عن حقوقهم ونقل هذه المعرفة إلى الآخرين.

وتشمل التربية على حقوق الإنسان مجموعة من البرامج التربوية الفعالة، في القطاعات الرسمية وغير الرسمية، التي تنفذها بعض المنظمات الدولية، وبهذا الصدد فإن التربية على حقوق الإنسان وفقا لهذه المنظمات تركز على الأمور الآتية:

- تعترف بشمولية حقوق الإنسان وعدم قابليتها للتجزئة.
- تؤدي إلى زيادة المعرفة بحقوق الإنسان وتفهمها.
- تمكِّن الأشخاص من المطالبة بحقوقهم.
- تساعد الأشخاص على استخدام الصكوك القانونية التي وُضعت لحماية حقوق الإنسان.
- تستخدم المنهجية التي تقوم على التفاعل والمشاركة لتكوين مواقف تنطوي على احترام حقوق الإنسان.
- تطور المهارات اللازمة للدفاع عن حقوق الإنسان.
- تدمج مبادئ حقوق الإنسان في الحياة اليومية.
- تشجع على الاحترام والتسامح.

والتربية على حقوق الإنسان في الإسلام تستمد مبادئها وأسسها من المصادر الرئيسية لهذا الدين الحنيف وتنطلق من المنطلقات الأساسية التي أجمعت عليها الأمة الإسلامية، وعمل بها السلف الصالح، باعتبار أن التربية في حياة الأمة هي تعبير صريح عن عقيدتها وفلسفتها، وتنعكس من خلالها تصوراتها وأهدافها من الإنسان، وتعكف على تحقيق غايتها منه.

وهذه التربية على حقوق الإنسان يجب أن يقوم عليها التربويون؛ ذلك أن التربية صنعة مادتها وخامتها الأولى الإنسان وغايتها بناؤه. ويمكن لمن يتولى مسؤولية التربية على حقوق الإنسان في الإسلام أن ينطلق مما خلص إليه مؤتمر عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في روما وتطرق إلى مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام ، وهي:

المبدأ الأول: أهمية ربط الحقوق الإنسانية بمرجعية تراعي المعتقدات والقيم الدينية التي أوصى بها اللّه سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه ورسله.

المبدأ الثاني: ضرورة ربط الحقوق بالواجبات من خلال مفهوم يرتكز على قاعدة التوازن بين وظائف الإنسان واحتياجاته في بناء الأسرة والمجتمع وعمارة الأرض، على نحو لا يتعارض مع إرادة اللّه تعالى.

المبدأ الثالث: اعتبار إسهام المنظمات غير الحكومية في الجهود المبذولة في إعادة صياغة المواثيق والمبادئ المتعلقة بحقوق الإنسان، عاملاً إيجابيًا في تحقيق الشمولية المطلوبة ومساعدتهم لتكامل الرؤى والجهود الإنسانية الساعية لحماية الإنسان وضمان حقوقه.

المبدأ الرابع: تشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات بما يساعد على تفهم أفضل لحقوق الإنسان، وبما يجنّب المجتمعات البشرية ويلات الصراع والنزاع المسلح وما ينتج عن ذلك من آثار سلبية على الإنسان والبيئة.

المبدأ الخامس: العمل على توفير الأسباب والوسائل التي تحقق نبذ التمييز بين أفراد المجتمع البشري على أساس من الجنس أو اللون أو اللغة أو الانتماء الوطني.



حقوق الإنسان.. رؤية قرآنية



د. مسعود صبري

يظل القرآن الكريم هو النبع الصافي الذي لا ينفد من كثرة الرد، متجدد على مر الدهور والعصور، وهو بجانب كونه كتاب هداية كوظيفة رئيسة، فهو أيضا كتاب تشريع ودستور، كما أنه يعد- كذلك- مصدرًا للمعرفة والثقافة بأوسع دلالاتها، وأصدق أخبارها.

لقد كان القرآن- منذ الصدر الأول في الإسلام- هو مصدر المعرفة الثقافية والتشريعية والدعوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولم يكن المسلمون يشغبون معه مصدرا آخر أيًّا كان، مع إدراكهم من الإفادة من جميع المصادر الأخرى وعلى رأسها السنة النبوية بحكم منزلتها بما يشبه المذكرة التفسيرية للقانون والدستور، وإن هذا المسلك سيظل هو الأسلم والأوفق في الرؤية الإسلامية للنظر في القضايا والحوادث.

القرآن مصدر المعرفة الأول

ومن هنا كانت أهمية معرفة «حقوق الإنسان» في مصادر المعرفة الإسلامية بعمومها من الكتاب والسنة ومن فهم الصحابة وتطبيق المسلمين لها عبر التاريخ الممتد، وهو أمر مطروق كثيرا، ولكن الأهمية الكبرى تكمن في إعادة النظر في القرآن الكريم أولا، وبشكل مباشر حتى ننظر الرؤية القرآنية في تلك القضية وفي غيرها.

ويلحظ المطالع لآيات الله أن النظرة الكلية في القرآن للإنسان تتمثل في عديد من القيم الحاكمة لتلك الرؤية من التفضيل والاستخلاف والتكريم وتسخير ما في الأرض لانتفاع الإنسان بها، مما يعني بدءًا أن هناك اهتماما متميزا بالإنسان عن بقية المخلوقات، بعيدا عن دينه أو جنسه أو لونه أو لغته، وآيات القرآن مليئة بهذه الرؤية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

مقاصد التشريع الكبرى تمثل في ذاتها عصب حقوق الإنسان من حيث الرؤية الكلية

وقد استنبط الفقهاء خمسة حقوق كبرى للإنسان من القرآن الكريم، وأسموها «مقاصد التشريع الكبرى»، وهي تمثل في ذاتها عصب حقوق الإنسان من حيث الرؤية الكلية، وما يندرج منها من حقوق جزئية تجيء تبعا لها، مما يعني أن الإسلام جاء بنظرية كبرى تبين معالم حقوق الإنسان.

وهذه الحقوق هي:

الأول: حق التدين

فقد كفل الإسلام للإنسان حق التدين بما يشاء، فللإنسان أن يدين بأي معتقد كان بحرية، مع الإقرار بأن الإسلام هو دين الله الحق، ولا يقبل من العباد في الآخرة إلا من دان به.

أما حق التدين، فالآيات فيه كثيرة، من ذلك:

- بعث الرسل لأجل حق التدين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، وذلك جوابا لقولهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: ٤٧).

- قبول الإسلام للتعدد، لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦).

حرية التدين، كما في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، فأقر القرآن بأن ما جاء به الرسول هو الحق الذي يجب اتباعه، لكنه اتباع عن اختيار لا عن إجبار.

- الدفاع عن أماكن العبادة، وترك الناس يعبدون ما يعتقدون، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

• باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت





وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

ووجه الدلالة في الآية: أنه لولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم والباطل بالقتال لَهُزِم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها.

وأما عدم قبول غير الإسلام في الآخرة، فلقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

ولقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

ومن تلك الرؤية الكلية من القرآن يزال اللبس في اعتبار الإسلام هو الدين المقبول وبين القول بحرية التدين، فحرية التدين في الدنيا، وكون الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل غيره عند الله في الآخرة.

الثاني: حق الحياة

والرؤية الكلية في حق الحياة للإنسان هو أن يعيش الإنسان في أمان، لا يعتدى عليه، حتى يعيش عمره المقدر له، ولا يقتل إلا في ظروف استثنائية كأن يكون قتل هو آخر عمدا، أو ارتكب جرما عظيما يستحق معه الموت، وهي دوائر ضيقة جدا.

وسائل حق الحياة

حرمة قتل النفس: حرم الإسلام قتل النفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

ومنه قتل الأولاد، وهذا يشمل قتلهم بعد الولادة، أو قتلهم في بطون أمهاتهم بعد نفخ الروح فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

وخص من ذلك وأد البنات وقتلهن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).

كما حرم أن يقتل الإنسان نفسه، لأنها ليست ملكا له بل هي ملك لله تعالى، يجب على الإنسان المحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

الثالث: حق التملك

ومن الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان حق التملك ومن وسائلة:

- أن الله تعالى جعل حب المال من الفطرة، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

- أن الله أحل البيع وما يشبهه من وسائل الكسب، كما قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٢).

ومنه إباحة التجارة والحث على التكسب منها، كما قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

كما جعل العمل حقا مكفولا للجميع، وبيّن أصول الصناعات في القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

- أنه جعل وقت الكسب مفتوحا دون تحديد، باستثناء وقت صلاة الجمعة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

- أنه عدد مصادر التملك للإنسان، سواء من الكسب، أو من الميراث، أو الهبة، أو غيرها من مصادر الكسب المتنوعة.

فأقر حق الإنسان في تملك ما يرثه من والديه، وخص تملك النساء من الميراث بالتأكيد على الأمر، لما يعرف من ظلم المرأة فيه، كما قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ

﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

وأقر الإسلام بالغنى وأن كسب الإنسان على قدر عمله، حتى يشجع الناس على التكسب والتملك، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢).

وجعل للفقراء مصدرا للتكسب، وهو الزكاة والصدقات، فأوجب الزكاة على المؤمنين في حق الفقراء، وجعلها حقا مكفولا لهم، لا يتفضل به الغني على الفقير به، بل هو أمر لازم شرعا، وركن من أركان دينه وإيمانه، وبين أن هذا الحق معلوم القدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ. لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥).

الرابع: حق الإنجاب والنسل

فالإنسان مفطور على حب الولد، فكفل الإسلام للإنسان حق الإنجاب والذرية، ولعظم شأنه أقسم الله تعالى به، فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (البلد: ٣).

ومن وسائل حق الإنجاب:

- أن الله تعالى جعل حب إنجاب الولد من الفطرة، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

- أنه حث على الدعاء بأن يوهب الإنسان الذرية الصالحة، كما في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾ (آل عمران: ٣٨).

وجعل من صفات الصالحين قولهم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وبين أن طلب الذرية من سنن الرسل والناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨).

ويلحق بحق الإنجاب حق النسب، فمن حق كل إنسان أن ينسب إلى أبيه وأمه، كما قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥).

الخامس: حق التعقل والتفكر

وذلك من لوازم خلق الله تعالى الإنسان حرا مختارا، وجعله مكلفا، ولذا كان العقل من مناط التكليف، وأرشد الإنسان إلى حفظ عقله، وجعل له الحرية في التفكر.

ومن وسائل التعقل أن دعا الإسلام الإنسان أن يتعقل ويتفكر في خلق الله تعالى وما حوله في الكون، حتى يفيد منه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وذكر في كثير من الآيات الإشارة إلى التعقل والتفكر: ﴿أفلا تعقلون﴾ ﴿لقوم يعقلون﴾ ﴿لعلكم تعقلون﴾، ﴿لعلكم تذكرون﴾، ﴿لقوم يتفكرون﴾.

وذم أولئك الذين لا يعملون عقولهم في إدراك الحق والخير، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢).

وفي سبيل حق الإنسان في التعقل حرم عليه كل ما يضر بعقله، من ذلك تحريم المسكرات والمفترات، كما قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

وحق التعقل والتفكر دافع لإدراك الإنسان وسعيه لما ينفعه في الدنيا والآخرة، وليس في الآخرة فحسب، فهذا العقل دافع للإنسان لتحصيل منافعه في الحياة العاجلة والآخرة.

ومع تلك الحقوق الخمسة ذكر القرآن حقوقا عامة أخرى، ومنها: حق التنعم بالحياة وما فيها من خيرات للإنسان، كما يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، بل يوجه القرآن الإنسان أن الله تعالى سخر له كل ما في الكون حتى يفيد منه في حياة كريمة منعمة، من ذلك تسخير الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ١٢).

فكل ما في الكون مسخر للإنسان بأمر الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥).

ومن يتتبع حقوق الإنسان في القرآن يدرك بحق سبق الإسلام وتفرده في بيان حق الإنسان، بل يحتاج التتبع إلى نفس طويل وعرض أكبر لا يتسع المقال له هنا.



«حُقوق الإنسان».. نظرات في المفهوم والتنزيل

أحمد عبدالجواد زايدة

في وقت تُتداول فيه المفاهيم بقوة الإعلام المصحوب بنفوذ رأس المال «الرأسمالية المتوحشة» المُقترن بالهيمنة «حق القوة» لا «قوة الحق»؛ يتم نشر العديد من المفاهيم وتسويقها والضغط من أجل نشرها «بسياقاتها وجذورها الفلسفية» مما يكون مصحوبًا بتتبع تجليات هذه الجذور على أرض الواقع فيكون أحد نتائجه هو «ذوبان الخصوصية» الثقافية والتُراثية عند الحضارات والمناهج في أرض الله بفعل «مطبخ العولمة» وطباخها!

هذه النظرات القليلة ليست نظرات مقارنة ولا نظرات مُهاجمة؛ فكاتبها لا يسعى «لذبح المفهوم» ليُثبت أن ما لديه من مفاهيم تُراثية بمضامين فلسفية هي الأفضل- وإن كانت- «وقد احتمى تحت ظلالها كثير ممن طُردوا من ديارهم وأُوذوا في سبيل دينهم»- كما أنني لا أسعى لكسوه بغلاف من الإسلامية والتكييف الشرعي لما وصَلت إليه ثقافات وفلسفات أُخرى أختلف مع مُنطلقاتها! وإنما فقط هو نظر في المفهوم وسياقاته وتصورات واضعيه! لنكون فقط على بصيرة مما يتم ضخه من مُصطلحات عبر ماكينة العولمة بآليات الإعلام المدعوم برأس المال أحيانا أو بنكهة السياسة أحيانًا أخرى أو عبر دانات المدافع وأزيز الطائرات في بعض الأوقات؛ ليكون تأسيسنا لمُصطلحاتنا تأسيسًا قُرآنيًا منهجيًا ناظرين فيه إلى تُراثنا مُنزلينه في العصر الحديث صانعين للواقع لا مصنوعين من خلاله! ليكون الانطلاق من القُرآن «بُسننه ونظراته وفلسفته» إلى العُمران.. تأسيسًا وصناعةً على مستوى البُنى والمُؤسسات والمفاهيم.

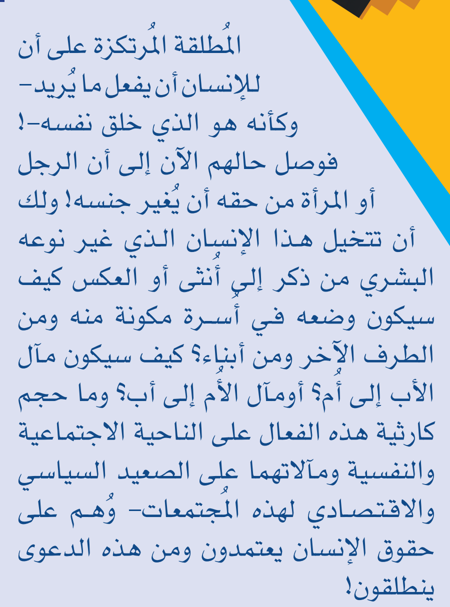
إن مفهوم حقوق الإنسان نشأ في الغرب بعد حروب وصراعات نشأت بين القوى الكُبرى والعصبيات والقوميات زهقت فيها آلاف الأرواح و طحن فيها القوي الضعيف وانتصر فيها الظالم على المظلوم، وكانت القوة هي العنوان لا الحق! ومن ثم كان التفكير في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

نحن بحاجة إلى تأسيس عمران الأمة لتعمر الإنسانية بنور الوحي

في عام ١٩٤٨؛ والعهدين الصادرين عام ١٩٦٦؛ مُتحدثين فيه عن أخلاقيات الحرب؛ وضوابط استخدام القوة بعد أن ذاقوا لهيب حرارتها؛ وذاكرين فيه عدم التمييز على أساس العرق والدين واللغة بعد أن دارت حروب ضروس بينهم تشكل إبادة عُنصرية، فكانت هذه المواثيق الداعمة لحقوق الإنسان بمثابة إطفاء نيران الانحراف الحادث في الفطرة الإنسانية التي انساقت وراء شرور النفس ورغباتها بدون حد واهتداء بنور الوحي الحافظ لكيان الفطرة ونظامها الكوني؛ ومن ثم تم ضخ مفاهيم الحُرية والكرامة الإنسانية والإرهاب والأمن والسلم وفقًا لهذه السياقات وطبقًا لفلسفات واضعيها التي كانت خارجةً للتو من حروب جُهنمية عالمية! فحاولت بذلك أن تحد- ولو على الأقل داخليًا- من إطلاق العنان للتعبير عن شرور النفس ورغبات الهيمنة والسيطرة؛ فآل بها الحال إلى سن مواثيق لتترك لنفسها تفسيرها بعد ذلك بما يوافق سياقاتها الحضارية التي تُعلي فيها من إطلاق الرغبة للإنسان ليفعل كل ما يُريد على المستوى الاجتماعي والشخصي وهي ما سمَته (بالحرية) وأن الجميع سواسية فحقوقهم كذلك كلها واحدة، فصكوا مُصطلح المساواة بجذورهم الفلسفية مما نضحت به بعد ذلك الحقوق المتساوية بين الجنسين بدون أي مُراعاة للتمايز الفطري بين النوعين مما يجعل الأُمر متسقًا مع الفطرة البشرية الإنسانية- مع المساواة في أصل التكريم الخلقي البشري!

إن المفهوم حين نشأ في الغرب نشأ بناءً على أن الإنسان هو مركز الكون لحد يصل إلى التأليه! ومن ثم فمن حقه أن يعيش حياته «بحرية» كما يُريد وأن يضع لنفسه من المفاهيم والتصورات ما يُريد! على الامتداد الأُفقي والرأسي! فعبرت ما سموه حُرية بمصطلحهم عن تجليات غاية في السوء مما أدى إلى كوارث اجتماعية كان لها أثرها على السياسة والاقتصاد وأخلاقيات التحضر؛ وذهبت حُرية السوق إلى سحق الإنسان وكرامته البشرية تحت ماكينة الدولار؛ وأنشأوا مفاهيمًا كمفهوم المُساواة قالوا فيه بمساواة المرأة مع الرجل في كُل الحقوق- مع تسليمنا باستوائهما في أصل الخلقة الإنسانية والتكريم البشري- بدون مُراعاة للفطرة والطبيعة التكوينية! فقالوا بأن من حق المرأة أن تُعدد وأن تتزوج أكثر من زوج في وقت واحد فهذا من تساوى الحقوق- كما زعموا-!فهرُوبًا من النزاعات والحروب خلصوا إلى الولوج في الحُرية

باحث دراسات إسلامية



المُطلقة المُرتكزة على أن للإنسان أن يفعل ما يُريد- وكأنه هو الذي خلق نفسه-! فوصل حالهم الآن إلى أن الرجل أو المرأة من حقه أن يُغير جنسه! ولك أن تتخيل هذا الإنسان الذي غير نوعه البشري من ذكر إلى أنثى أو العكس كيف سيكون وضعه في أسرة مكونة منه ومن الطرف الآخر ومن أبناء؟ كيف سيكون مآل الأب إلى أُم؟ أومآل الأم إلى أب؟ وما حجم كارثية هذه الفعال على الناحية الاجتماعية والنفسية ومآلاتهما على الصعيد السياسي والاقتصادي لهذه المُجتمعات- وُهم على حقوق الإنسان يعتمدون ومن هذه الدعوى ينطلقون!

لقد وصلت هذه الدول التي تحترم «حقوق الإنسان» إلى درجات متقدمة- بحق- في توفير قدر من الكرامة والحرية والعدل- في أوجه كثيرة منها- لمن يعيشون داخل أراضيها لدرجة لا يُمكن تجاهلها- وإن كانت حضارتنا وتاريخنا قد شهدت أمثلة ونماذج تفوقها في كثير من الأمور- فكانت مأوى لكثير ممن لم يجدوا مأمنا وحرية في أوطانهم! لكن هذا لا يعني أن مُنطلقاتهم سليمة وإن توافقنا معهم في بعض التجليات لهذا المُصطلح، ولكن التطبيقات المُنحرفة الناتجة عن انحراف في الجذور والمنطلقات والمبادئ التأسيسية تجعلنا نتوقف أمام القبول بهذه المصطلحات المصحوبة بسياقاتها والمعبأة بدلالاتها المنحرفة.

لذا وجب التنبيه على الفارق بين حقوق الإنسان في التصور الغربي وبين الأساس الذي ينطلق من خلاله التصور الإسلامي:

١- إن الأساس الأول الذي ينطلق منه أي مسلم ويبني من خلاله التصور الإسلامي رؤيته هو أساس: التوحيد ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ (محمد: ١٩)؛ فهو أساس مركزي وجوهري يجب أن يكون في كل تصور ويؤثر في كل هذه المفاهيم؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون كله وخلق الإنسان؛ ومن ثم فليس الإنسان هو النقطة المركزية التي يعود إليها في بناء تصوراته وأفكاره وقناعاته؛ وإلا لوصلنا إلى أزمة «الليبرالية الفردية» وينتهي إلى شبه تأليه للإنسان! فإن الإنسان حين يفكر أو يبنِّي تصوراته فإنه يبنيها على أساس الرؤية التوحيدية؛ وتجليات هذا الأساس في التطبيق أنك تجد من يؤمن بالحرية في التصور الغربي: يعتبر أنه هو المركز فيحق له أن يفعل أي شيء وكل شيء فيحق له قتل نفسه وهتك عرضه وشرب الخمر وارتكاب الفواحش- وكل هذه الأمور يكون لها آثار كارثية على الأخلاق والمجتمع والاقتصاد وكل مقومات الحضارة! ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يصل الأمر إلى تغيير الجنس البشري وغيرها من الأمثلة التي أصحبت «ألغازًا فقهية» حاول علماؤنا أن يجتهدوا في إيجاد أحكام لها مثل بنوك المني واستئجار الأرحام والخلايا الجذعية والاستنساخ وغيرها! فهؤلاء- اتساقا مع مبدأهم الذي انطلقوا منه- لا تحدهم حدود ولا تزجرهم زواجر ولا اتصال لهم بنور وحي فيهدي العقل- كما قال الإمام الغزالي رحمه الله: العقل وحي من الداخل والنص وحي من الخارج- فأنتجوا حضارةً ماديةً تحمل في بذورها أساس الانحراف- حتى بالمعايير المادية؛ أما في الرؤية التوحيدية فإن المسلم ينطلق من أساس الحُرية الذي هو التوحيد والإيمان الذي يخضع له فيزيل كل قوة ظالمة أو غاشمة أمامه ولا يخضع لها؛ فتكون حرية سلبية من كل قيود أو استبداد استمداد بقوة الإيمان واليقين؛ ومن ثم فهو في تصوراته وتصرفاته ينزل نور الوحي على عقله فيهتدي بهذا؛ فالحرية في التصور الإسلامي تنطلق من السماء إلى الأرض؛ وفي التصور الغربي هي انطلاق من الذات البشرية إلى ما فعل كل ما تريد؛ مع إدراك أن القُرآن تحدث أيضا عن قدر من الحُرية ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف: ٢٩)؛ ﴿أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس: ٩٩)، لكن هذا أيضًا مصحوب بآيات الوعيد للكافرين ومصيرهم في الدنيا والآخرة؛ وهو محكوم بسياق ونظام مجتمعي لا يُمكن له أن يخرج بتجليات كفره فيما يخرق النظام العام وسلوك المجتمع وأعرافه وقوانينه فهي حرية مُحملة بالمسؤولية! وهي كذلك حرية إيجابية في إيجادها وكسبها للأفعال؛ فالناظر في كتاب الله المتدبر لآياته يُدرك عمق هذا؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(الأعراف: ١٥٧)؛ .

٢- الأساس الثاني هو أساس «الاستخلاف»؛ ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠)؛ ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾ (الإسراء: ٧٠)؛ فإن الإنسان المسلم في كل زمان ومكان يؤمن بأنه خليفة لله تعالى إن قام بتحقيق شروط ذلك قياما بمقام الخلافة في الأرض تحقيقًا لمقاصد الخلق ومقاصد هذا الدين؛ فهو لم يُخلق عبثًا فيظل يبحث طيلة حياته عن تفسير لأسئلة وجودية حسم القرآن أمرها بالدلالة عليها؛ فتكون عاقبة جهلها انحراف بل انحرافات؛ ومهمة الاستخلاف منهج ورسالة وعمل؛ فهو لم يُخلق عبثًا أو خلق للدوران حول ذاته لإشباع رغباتها فقط بأي وسيلة كانت وبدون نور وحي وهدي سماء!؛ قال تعالى:﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١)؛ فالسين والتاء للمبالغة؛ ومعنى الإعمار كما يقول الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور: ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عَمر الأرض ا.هـ؛ فهو مستخلف في هذه الأرض لتحقيق المقصد العام للشريعة الذي تحدث عنه العلامة المغربي الأُستاذ علال الفاسي فقال: «المقصد العام للشريعة هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها؛ وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع»؛ وهو يدور



مع المقاصد الشرعية الحاكمة التي تحدث عنها الشيخ الدكتور طه جابر العلواني وذكرها «التوحيد والتزكية والعمران»؛ وما ذكره العلامة الشيخ القرضاوي من سبعة مقاصد: «تصحيح العقائد في التصورات للألوهية والرسالة والجزاء؛ وتقرير كرامة الإنسان وحقوقه؛ والدعوة إلى عبادة الله؛ وتزكية النفس البشرية وتقويم الأخلاق؛ وتكوين الأسرة الصالحة وإنصاف المرأة؛ وبناء الأمة الشهيدة على البشرية؛ والدعوة إلى عالم إنساني متعاون»؛ ومن ثم فلا يُفهم أن المقابل لعدم الذاتية الفردية والنظرية التأليهية- أو شبهها- للإنسان أن الإنسان قد اتخذ موقفًا مناهضًا لحاجات العمران والحضارة! فهذا غير سليم ويكفي فيه حديث النبي ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد؛ ومن قتل دون أهله فهو شهيد؛ ومن قُتل دون دينه فهو شهيد» وهذه كلها حقوق للإنسان قدرها الشارع- بل جعل من قُتل من أجل الدفاع عنها شهيدًا.

٣- إن الفقهاء حين تحدثوا عن الحقوق لم يتحدثوا عن حقوق الإنسان بهذه الذاتية المنفصلة! ولكنهم تحدثوا بمصطلحاتهم التى تحتاج إلى إحيائها والدفع بها وتداولها لأنها مرتبطة بتراثنا المتسق مع فلسفتنا وجذورنا عن حقوق العبد التي تتقاطع وتتداخل (الذى قد يكون أبا أو أما أو ابنًا أو ابنة أو أخا أو زوجًا أو زوجةً أو ربيبة أو صديقًا أو جارا) وكذلك حقوق الأمة (المُجتمع) والواجبات العينية (الكفائية)؛ وكل فرد من هؤلاء له حقوق؛ وهي عليك واجبات «بالمفهوم الشرعي» فإن الحكم الشرعي يتدخل هُنا آمرا وناهيًا مُرتبًا عليك واجبات هي في ذات الوقت حقوق للطرف الآخر ومن ثم لا يجوز لك أن تتنازل عنها أو يتنازل عنها الآخر- على الإجمال- لأنها ليست حقوقًا طبيعية مُكتسبة من فعل الإنسان ولكنها مرتبطة بالوحي من حيث أوامره ونواهيه؛ وهو ما يختلف مع طبيعة المفهوم في الغرب الذي يعتبرها حقوقا طبيعية اكتسبها الإنسان من تلقاء نفسه فيجوز له أن يتنازل عنها- على الإطلاق- وفق إرداته وحقوق الله، وهذا باب معروف في كتب الفقه- وقد أفرد له الإمام العز بن عبدالسلام فى كتابه قواعد الأحكام فصلا خاصا وذكر ما لو حدث تداخل بينهما والتقديم والتأخير وأيهما أولى بالتقديم عند التزاحم؟ فالإنسان ليس جزءًا منفصلا وحقوقه ليست قائمة على الشك الذي يطيح بكل شيء ولا على الصراع من أجل انتزاعها، وإنما هي قائمة على التكامل والتداخل؛ لذا فإن الإسلام لم يأت للفرد بمفرده بتجاهل للمجتمع؛ ولا للمجتمع بمفرده بمعزل عن الفرد وإنما جاء لكليهما؛ ولا أدل على ذلك من أن الإنسان سيُحاسب مرة بمفرده ثم تُحاسب الأمة مرة أُخرى جماعةً! فهناك الفرد المُستخلف وهناك كذلك أُمة الشهود! فاقتطاع الفرد والتركيز على الحديث عن حقوق الإنسان إنما هو حديث ينعزل بالإنسان ويحجزه في دائرته المغلقة التي ترتكز حوله فقط وهو ما يُخالف فلسفة الإسلام، وهي أن الإنسان مرتبط بالكون والأمة ومهمة الشهود وليس جزءًا منفصلا ووحدة مقتطعة؛ لذا فإن النظرة التوحيدية الاستخلافية تخلق توازنا في النِسَب وعدم إيجاد لاختلال في الحياة.

على مُستوى التنزيل

لقد جاءت الشريعة التي هي «عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها» لتحقيق مصالح الناس المعتبرة في المعاش والمعاد والعاجل والآجل؛ والمدخل المقاصدي من أفضل المداخل التي يُمكن من خلالها أن نُقارب مفهوم حقوق الإنسان الذي يُناقش في مستوى ضيق من التلفيق للرغبة في إثبات وجودها في الشريعة، مع أن هذا الأمر هو تحصيل حاصل- ولكن الشريعة والفقه متجاوزان لذلك بكثير؛ ولو أردنا التعامل بنظرية التلفيق بأن نأتي لكل بند في ميثاق حقوق الإنسان بما يقابله لدينا في الشريعة لأمكننا أن نأتي بمئات الأقوال من كُتب الفقه -فقط- بما يجعل هذه المواثيق في مؤخرة الركب الحضاري والرُقي القيمي، ولا أعلم ما هذه الثقافة والنفسية التي تُريد أن تجعل نفسها ردة فعل يُرقع خلف مُنجزات الآخرين القيمية، إن الفقهاء تحدثوا عن كراهية أن يتحدث الرجل أمام زوجته غير المسلمة بمحاسن الإسلام إن كان في هذا إكراها لها على تغيير دينها؛ وإن الفقهاء حين تحدثوا عن العقود نصوا على أن من تعاقد مع أجير نصراني أو يهودي واشترط عليه العمل فيً يوم الأحد أو السبت فالعقد باطل لحقه في ممارسة شعائره في يومي الأحد للنصراني والسبت لليهودي احترامًا لحقهما في ممارسة شعائرهما وهذا يفعله المسلم ديانة لا سياسة؛ وقد وضع الإمام الشاطبي مقاصد الشريعة في نسق ونظرية تُبين بوضوح كيف أن الشريعة قد جاءت لتحقيق مصالح الناس- في الدنيا والآخرة- وحفظ جميع حقوقهم؛ فقسمها إلى ضروريات؛ وحاجيات؛ وتحسينات:

أ- المقاصد الضرورية: الأمور التي لابُد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة؛ بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين؛ ونص على أنها حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

ب-المقاصد الحاجية: وهي كما قال الإمام أبوإسحاق الشاطبي: «إنها مفتقر إليها من حيث التوسعة؛ ورفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب فإذا لم تُرعَ دخل على المكلفين- على الجملة- الحرج والمشقة؛ ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي فالمتوقع في المصالح العامة».

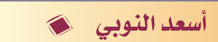
جـ-المقاصد التحسينية: ومعناها كما قال: «الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المُدنسات التي تألفها العقول الراجحات؛ ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق».

إن تُراثنا ومراجعنا عظيمة بها دُرر وكم نحن بحاجة إلى أن نعود بعين الناظر الفاحص المُتأمل إلى هذه المراجع لننظر في مفاهيمنا ونبني تصوراتنا لنؤسس عمران العُقول والقلوب أولًا لننطلق إلى تأسيس عُمران الأُمة لتعمر الإنسانية كله بنور الوحي.. لا بنور غيره، والله المستعان.



الإسلام دين الحرية

أسعد النوبي



لم يعرف في تاريخ البشرية منذ أن عرفت الدنيا أساليب الحكم وسياسة الشعوب قائدًا ومصلحًا مثل محمد ﷺ، فقد استطاع أن يغير وجه الدنيا وأن يحول مجرى التاريخ في فترة بسيطة لا تعتبر زمنًا بالنسبة لعمر الشعوب والأمم وحركات التاريخ، مما يدل على أن هذا النبي الإنسان مؤيد بقوة عليا تدير هذا الكون وتدير نظامه، ورسولنا ﷺ نبي أمي لا يكتب أو يخط بيمينه ولم يجلس إلى معلم ولكن ملأ الدنيا علمًا ونشر في ربوعها كلها حكمة وأمدها بزاد من المعرفة وبث في عقولها الصواب والرشد.

يستحق محمد رسول الله التكريم الدائم، وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها فقد جاء بها لتعرفها العالم.

لقد بعث ﷺ وفي المجتمع الإنساني اصنام كثيرة عملت عملها في تقويض بنيانه ونشر الفساد في كيانه، وفي علاقات العالم الاجتماعية حطم المصطفى ﷺ صنم التعصب والتفرقة العنصرية، والإسلام لا يكره شيئًا ككراهية هذا التمايز العنصري بين الناس، ويبرأ ممن يثير العصبية مصداقًا لقوله ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل مع عصبية، وليس منا من مات مع عصبية».

وللأسف الشديد كما يقول الراحل محمد عطية الإبراشي في كتابه «روح الإسلام»: «ومازالت الأمم التي ترفع صوتها باسم الديموقراطية والحرية تقاتل عباد الله الأحرار الذين تسميهم الأجناس المكونة معاملة خاصة، فيها إذلال وسخرية وعنف واحتقار».

وقد نهى ﷺ عن مخاطبة العبد والأمة بأي عبارة يفهم منها الرق والعبودية حيث قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، ولا يقول المملوك ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله»، فالرسول الكريم يكره كلمة عبد، وكلمة أمة، لأنهما ضد الحرية، وضد الإنسانية.

ومن تعاليمه ﷺ قوله: «لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت ان الناس لا تستعبد ولا تستخدم».

يقول الابراشي في كتابه «عظمة الإسلام»: إن من يطلع على تاريخ الأمم والأديان السماوية يجد أن الإسلام قد دعا إلى تحرير الأرقاء، وإزالة الرق عن بني الإنسان، وابتغاء مرضاة الله، وتقربًا إليه جل في علاه، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه» (البخاري ومسلم).

ولم يكتف الإسلام بالحث على العتق وتحرير الأرقاء، بل دعا إلى الإحسان إلى المملوك والخادم، قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦) .

> **الإسلام لا يكره شيئًا ككراهية التمايز العنصري بين الناس**

ففي هذه الآية الكريمة قد أمر الله بالإحسان إلى كثيرين، وذكر منهم المماليك والخدم.

وعن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلاً، على عهد رسول الله ﷺ، فعيره بأمه، فقال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (البخاري).

وقال ﷺ : «اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه» (البخاري).

وهنا نرى الإنسانية والعطف والشفقة والرحمة وحسن المعاملة جلية واضحة في الإسلام، فهو ينادي بأن تعطي الخادم أو المملوك مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، ولا تكلفه من العمل ما لا طاقة له به، وأن تنظر إليه نظرة تحفظ له كرامته وإنسانيته، وهنا تظهر العظمة الإسلامية في المعاملة الأخوية.



الكويت تدعو إلى تعزيز ثقافة السلام واحترام حقوق الإنسان.. وحرية التعبير

التحرير

دعت الكويت إلى تكثيف الجهود الدولية الرامية إلى تعزيز ثقافة السلام وتفعيل الحوار بين الحضارات، ونشر قيم الاعتدال والتسامح والاحترام المتبادل، ونبذ التطرف والكراهية والعنف بكل صوره وأشكاله.

جاء ذلك في كلمة ألقاها عضو الوفد المشارك في أعمال الدورة السادسة والستين للجمعية العامة عبدالوهاب جمال الراشد في بيان الكويت أمام الجمعية خلال مناقشتها مسائل ثقافة السلام، وتشجيع الحوار والتفاهم والتعاون بين الأديان والثقافات من أجل السلام.

وقال الراشد: «إن تلك المسؤولية تقع على عاتق جميع الدول الأعضاء ومنظمات المجتمع الدولي، وإن دولة الكويت حريصة كل الحرص على دعم جهود الأمم المتحدة في هذا المجال إيمانا منها بالمبادئ السامية التي نص عليها الميثاق، وهي تتطلع إلى القيام بدور دولي أكثر فاعلية في إطار مبادرة تحالف الحضارات».

وأكد أن إثراء ثقافة السلام عملية تستوجب الإيمان والعمل الجاد على تفعيل مبادئ ثقافة السلام، مثل احترام حقوق الإنسان، وحرية الرأي والتعبير، وتطبيق العدل والمساواة، والقضاء على الفقر والبطالة، وتوعية الشعوب بمسؤولياتها في إحلال السلام.

وأضاف: «من المستحيل لشعب تسلب منه أبسط حقوقه في العيش الكريم أن تغرس فيه ثقافة السلام واللاعنف».

وناشد الراشد في هذا السياق جميع الدول الأعضاء «احترام هذه الحقوق وتطبيقها؛ كي نسمو بعالم أفضل يضمنا جميعا يسوده الود والتسامح والسلام».

وذكر أن أول عبارة نص عليها ميثاق المنظمة الدولية هي «نحن شعوب العالم»، أي: «نحن الشعوب المختلفة الذين أتينا من بيئات متباينة ولنا ثقافاتنا وحضاراتنا ومعتقداتنا الخاصة بنا، يجمعنا عالم واحد، نتشارك فيه جميعا لنشكل في النهاية معالم الحضارة الإنسانية».

وقال: إن الكويت تولي من هذا المنطلق أهمية عظمى لمسألة تعزيز ثقافة السلام، وتشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان، لاسيما في الوقت الحاضر الذي يشهد تزايد موجات التطرف والتعصب والكراهية بين الشعوب، وتفاقم قضايا انتهاكات حقوق الإنسان والتمييز العنصري وازدراء الأديان أو المساس برموزها.

وأوضح أن حوار الحضارات أو تحالفها لا يعني انصهار الأديان والمعتقدات أو حتى الثقافات، بل إن «الحضارة هي القبة التي تحوي ديانات وثقافات الشعوب»، وأن الهدف من الحوار بين الحضارات هو دراسة جذور الاختلاف ومعالجتها، وتعلم أخلاق الاختلاف والوقوف أمامها بتواضع.

وذكر الراشد بالخطوات العملية والإيجابية التي اتخذتها دولة الكويت في مجال تفعيل حوار الحضارات، حيث سارعت للانضمام إلى مبادرة تحالف الحضارات، والتحقت بفريق أصدقاء التحالف إيمانا منها بأهمية الحوار الحضاري والتواصل بين الشعوب.

خطة وطنية

كما ذكر أن الكويت أعدت خطة وطنية للفترة ٢٠٠٩- ٢٠١١ تتوافق أهدافها مع أهداف مبادرة تحالف الحضارات، وترمي إلى ترسيخ ثقافة التسامح والسلام والاعتدال، وإلى محاصرة ظواهر الإرهاب والتطرف والعنف. وأسهمت هذه الخطة في تأصيل مفهوم الحوار الحضاري مع عدد من الثقافات على اختلاف مشاربها، وفي خلق الوعي الوسطي بين أفراد المجتمع من خلال برامج وأنشطة قامت بها الأجهزة المختصة في البلاد، مضيفا أن الدولة تعمل على اعتماد الخطة الوطنية الثالثة (٢٠١١-٢٠١٣).

وأشار إلى أن الكويت أنشأت مركزا عالميا للوسطية يدعو إلى الاعتدال في الأفكار، والوسطية في التعامل، وهما أساس ديننا الإسلامي الحنيف، إذ عقد هذا المركز عددا من الندوات والمؤتمرات الفكرية المحلية والدولية.

القلق مرض العصر.. كيف عالجه الإسلام؟

خلف أحمد أبوزيد

إن حياة الإنسان لا تسير على وتيرة واحدة، ولا تمضي على نمط واحد، بل هي خليط من التجارب المتنوعة والانفعالات والعواطف المختلفة، فالإنسان قد يشعر بالحب حينًا، وبالكره حينًا آخر، ويشعر بالخوف والقلق تارة وبالأمن والطمأنينة وسكينة النفس تارة أخرى، ويشعر بالفرح والسرور بعض الوقت وبالحزن والكآبة في بعض الأحيان، وهكذا تمضي حياة الإنسان في تغير مستمر وتقلب دائم، ويعد القلق من الأحاسيس المؤلمة وأساس المتاعب النفسية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، حتى أصبح خاصية عامة وعالمية، حيث إن أحدث تقرير لمنظمة الصحة العالمية، أثبت «أن ٢٥ ٪ من سكان العالم يشعرون بالتوتر والخوف والإحباط، وتوقع السوء، وحدوث ما يهدد حياتهم» (١)، ويعرف لنا علماء النفس القلق بأنه «انفعال يتسم بالخوف والتوجس من أشياء مرتقبة تنطوي على تهديد حقيقي أو مجهول، ويكون من المعقول أحيانًا أن نقلق للتحفز النشط ومواجهة الخطر، ولكن كثيرًا من المواقف المثيرة للقلق، لا يكون فيها الخطر حقيقيًا بل متوهمًا ومجهول المصدر» (٢)، ونتعرف عبر هذه السطور على أنواع القلق وأثره على الصحة الإنسانية، ثم الوسائل التي وضعها ديننا الإسلامي، من أجل النجاة منه.

يمكن لنا أن نقسم القلق إلى نوعين، قلق محمود، أو قلق ايجابي وهو موجود عند كل الناس، حيث إنه يمثل الحافز القوي لكل إنسان، لذا فإن البعض رفعه إلى درجة من الضرورية من أجل السعي نحو الهدف والتقدم في شتى مواقع الحياة، ولهذا النوع من القلق صور عديدة في حياتنا، نذكر منها على سبيل المثال، قلق التلميذ أثناء أداء الامتحان أو القلق الذي يصيبنا أثناء اتخاذ قرار هام، أو لقاء شخص ما، فمن خلال التوتر أو القلق الذي نظهره قبل حدوث هذه المواقف نهيئ أنفسنا لمواجهة هذه المواقف بنجاح، وأنه لو أتيح لنا أن ننجح في هذه المواقف ونتغلب على خجلنا وعوامل ضعفنا في اللقاءات الشخصية الهامة تاركين أثرًا طيبًا وايجابيًا في الآخرين، فإننا نشعر بالعرفان والشكر لمشاعر القلق السابقة لمساهمتها في دفعنا الإيجابي نحو النجاح، فإن أمثال هذه المواقف يعد نموذجًا طيبًا لما يسمى بالقلق الدافع، وهو قلق ضروري للنمو وللتطور بإمكاناتنا نحو تحقيق كثير من الغايات الإيجابية، وهو قلق مؤقت وقليل الحدة ومنشط لإمكانات الكائن النفسية والعضوية، وبعبارة أخرى فإن هذا نوع صحي ومحمود من القلق، وينطبق عليه قول العالم النفسي الأميركي «كاتل» بعد عرض كثير من نتائج بحوثه في هذا الميدان «بعض الناس يربط دائما بين القلق والمرض، ولكن القلق لا يكون دائما دليلا على المرض والعصاب، إن القلق يمكن أن يوجد بدرجة عالية دون عصاب، بل إنني أجد من نتائج دراساتي ما يؤكد أن وجود القلق قد يكون أحيانا علامة على الصحة والنضوج» (٣).

أما النوع الثاني من القلق وهو ما يطلق عليه علماء النفس القلق المذموم، أو القلق المرضي وهو قلق ضار ومعطل لإمكانات الإنسان نحو النمو السليم، وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي بصورة سليمة، من حيث إنه يقيد الشخصية بأوهام الخوف والفشل اللامنطقي ويمثل سلوكًا مدمرا، يدعو للهزيمة الذاتية والاضطراب، ونذكر هنا صورًا لهذا النوع من القلق المذموم، فعلى سبيل المثال، نموذج الطالب الذي يتملكه القلق في يوم الامتحان بصورة توقفه عن أداء الامتحان ذاته والهروب من الموقف كله، أو ذلك الزوج الذي يتملكه الخوف من الضعف الجنسي عند معاشرته لزوجته، بصورة قد تؤدي إلى إصابته بالعنة الجنسية، أو تلك الأم التي تخشى على أبنائها من أخطار الحياة، لدرجة توقف نموهم وتفاعلهم الايجابي بالحياة بحب فج وحرص بالغ، وهذا الطفل الذي يوقعه خوف الانفصال عن الأسرة في التحايل على الذهاب إلى المدرسة بالمرض أو التمارض كل صباح، فكل صورة من هذه الصور السابقة، يمثل

باحث دراسات إسلامية



صورة مختلفة لما يمكن أن نسميه بالقلق المرضي أو العصابي، الذي يمثل الشكوى الرئيسية للغالبية العظمى من الناس.

القلق والصحة الإنسانية

ويترك القلق آثارًا ضارة على صحة الإنسان الجسدية والنفسية، حيث إنه يحدث تغيرات غير سارة يرى العلماء أنها نتيجة للاستثارة الشديدة التي تحدث فيما يسمى بالجهاز العصبي السمبثاوي (الاستثاري) وهو أحد الأجهزة الرئيسية التي تنشط في مواقف الخطر والانفعال ويؤدي نشاطها إلى التأثير في الأعضاء المتصلة به، فتجحظ العيون أو تضيق، وتعرق الأيدي أو تبرد أطرافها، وتتزايد دقات القلب وتتسارع وتنقبض الأوعية الدموية، وتستثار بعض الغدد كالغدد الدمعية في حالات الحزن، ونجد في حالات القلق أن التغيرات العضوية تمتد لتشمل تسارع دقات القلب، جفاف الفم، الدوخة، العرق الشديد، الغصة وانحباس الصوت، وأحيانا الغثيان نتيجة لانقباض المعدة والتنميل في اليدين والقدمين، وصعوبات التنفس التي تكون إما على شكل العجز عن التنفس العميق أو التنفس السريع المتلاحق، كما يحدث القلق أيضا تغيرات عضوية عضلية، لعل من أهمها تصلب عضلات الظهر والرقبة والتصلب على امتداد عضلات الذراعين حتى أسفل الكتفين، وارتعاشات الأطراف والأصابع وزيادة اللوازم الحركية في الوجه بالذات في منطقة الفم والعينين نتيجة للتوتر العضلي الشديد، في هاتين المنطقتين، ولهذا نجد أن كثيرًا من المصابين بالقلق عادة ما يشكون من توترات العضلات وآلام الظهر وتقلبات المعدة، وما يصحب ذلك من اضطرابات الهضم، كما يرتبط التعبير عن القلق بآلام الصدر وضيق التنفس، مما يجعل الشخص يشك في الأمراض القلبية بالرغم من سلامة القلب، إلا أن هناك من الأبحاث ما يؤكد على أن الأشخاص الذين يتسم سلوكهم بالقلق المستمر والشكوى عادة ما يتعرضون فيما بعد لأمراض قلبية حقيقية، وترتفع لديهم أيضا الحالات المرضية المرتبطة بارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة والبول السكري والربو واكزيما الجلد، وإذا تركنا أثر القلق على الجسد الإنساني، إلى أثره على الصحة النفسية للإنسان، نجد أنه يقود الإنسان إلى الانقباض الشديد وعدم الطمأنينة والتفكير الملح، وقد يصل الأمر إذا استفحل إلى ما يعرف بعصاب القلق، وهو يتمثل في الوسواس والخضوع لفكرة ملحة مثل فكرة الموت، أو المرض أو المخاوف المرضية أو العصاب القهري مثل غسل اليدين المبالغ فيه، وعصاب القلق مرض يعاني منه نحو ٥٪ من أفراد المجتمع الأميركي، ونجمل أثر ما يحدثه القلق على النفس والبدن في هذه الكلمات للعالم «بيرتون» الذي يقول «كثيرة الآثار المؤلمة التي يتركها القلق على الإنسان بما في ذلك الشحوب أو احمرار البشرة والرجفة والعرق، وكثيرة آلام هؤلاء الذين يعيشون في خوف، إنهم لا يستطيعون أبدًا أن يتحرروا، أو أن يشعروا بالأمان، عزائمهم خاوية وآلامهم قاسية وحياتهم تخلو من البهجة، ولم أجد تعاسة أعظم، ولا ألمًا أطرى، ولا عذابًا أقسى من العذاب الذي يحيونه» (٤).

العلاج الإسلامي للقلق

بداية نؤكد على حقيقة هامة، أن الإسلام حل أزمات الإنسان المعاصر حلا كاملا، سواءً كانت أزمات روحية أو دينية أو نفسية أو خلقية أو اجتماعية، بما يضمن سعادة الإنسان ويحقق له الطمأنينة والاستقرار على أرض الواقع، ومن هذا المنطلق يهدينا الإسلام إلى الوسائل السليمة لاتقاء القلق، ويفرش لنا أرضًا صلبة نقف عليها بثبات وطمأنينة إذا ما تدبرناه وعقلناه، ومن ناحية العلاج نجد أن الإسلام، يقدم أساليب عالية لعلاج القلق تفوق وسائل

العلاج النفسي الحديث التي تمثلت في الاسترخاء، والعلاج الطبي بالأدوية المهدئة، هذا إلى جانب ألوان أخرى من العلاج، كالعلاج المهني وهو أن يشغل المريض بالعمل عن التفكير في مشكلته، أو التنويم المغناطيسي، ولا أحد ينكر أن علاج القلق بالوسائل الطبية والنفسية الحديثة، قد يجدي في بعض الحالات، وقد لا يجدي في بعضها الآخر، ذلك أن المدرسة الحديثة في الطب وعلم النفس لا تقدم حلا جذريًا للمشكلة، وإنما تقدم لنا علاجًا للأعراض، أما الأسباب فتضرب جذورها في الأعماق، ومن هنا أصبح القلق مرض العصر، إلا أن ديننا الإسلامي قد رسم المنهاج الأمثل، الذي يقينا شر الأمراض العضوية والنفسية، كما يدفع عنا الخوف والقلق، وقد حدد لنا المولى سبحانه وتعالى الخطوات الرشيدة التي تحقق لنا سبل السعادة، وتدرأ عنا أسباب القلق، ويمكن لنا أن نوجز العلاج الإسلامي للقلق فيما يلي.

١- الالتجاء إلى الله والتوكل عليه سبحانه

وأول ما يقضي على القلق، ويجلب السعادة والأمن والاطمئنان للإنسان هو الالتجاء إلى الله والتوكل عليه، قال تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا. ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(الطلاق:٢- ٣) فالإيمان بالله الممتزج بالتقوى والعمل الصالح مع التحلي بالصبر والتواصي بالخلق الحميد والرضا بقضاء الله خيره وشره، يورث الإنسان بشاشة الروح، وحلاوة النفس، قال تعالى ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ (هود: ١٢٣) ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل: ٩٧) فتقوى الله والإيمان به سبحانه، مع التوكل الحقيقي عليه يزيل عن الإنسان أسباب التوتر ويدفع عنه القلق، يقول «ديل كارينجي» صاحب أكبر مجموعة من مؤلفات علم النفس عن أثر الإيمان والالتجاء إلى الله في علاج القلق «إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي، وأن يشفيا هذه الأمراض» (٥)، ويقول «الكسيس كاريل» الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة، حول أثر الإيمان والتوكل على الله على صحة الإنسان النفسية «إن القلق والهموم يحدثان تغيرات عضوية، وأمراضًا حقيقية، وهي تضر بالصحة ضررًا بالغًا، وإن رجال الأعمال الذين لا يعرفون كيف يقون أنفسهم من الهموم يموتون في شرخ الشباب، ثم يتطرق إلى الذين يدينون بأحد الأديان ويصفهم بالبسطاء، ويقول كأن البسطاء يمكنهم أن يحسوا الله بنفس السهولة التي يحسون بها حرارة الشمس أو وجود صديق، إن الذين لا يكافحون القلق يموتون مبكرًا» (٦) وكأنما الكسيس كاريل أراد هنا أن يصف الإيمان بالبساطة، لما يراه من سلوك المؤمنين من هدوء وسكينة وعدم المغالاة في حياتهم الدينية، وأن هذا الإيمان أو البساطة، كما يقول هي التي تدفع القلق.



٢- الصلاة

والصلاة عامل أساسي لوقاية الإنسان من القلق والتوتر عملا بقوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة: ٤٥)، ولنا في رسول الله ﷺ، أعظم قدوة ونبراس فكان ﷺ، إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة وقال لبلال رضي الله عنه «أرحنا بها يا بلال» (رواه الطبراني في الكبير)، فالصلاة منبع السكينة وراحة القلب، ذلك أن الإنسان أثناءها، يمر بلحظات من الطهر والنقاء، لأنه يقف بين يدي الله يناجيه، فيسمع لشكواه وهمومه، فيزيل ما يسبب شكواه، كما أن إقامة الصلاة في وقتها تحقق للإنسان السعادة العالية والمتعة الراقية، التي تجعلنا نستهين بآلام الحياة ومتاعبها، ولكن على المسلم أن يؤدي الصلاة في خشوع، هذا الخشوع الذي دعى اليه الخالق عز وجل بقوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون:١- ٢) هذه الصلاة الخاشعة التي تمد الإنسان بالطاقة الروحية وتوثق الصلة بالله عز

وجل، وكثير من علماء النفس الغربيين، أصبحوا يعتبرون الصلاة، أهم أداة لبعث الطمأنينة في النفوس، ولكن أين هي من صلاة المسلم التي تقربه من الله، إذا ما أداها المسلم حقًا في خشوع وهدوء وسكينة ورضا وطمأنينة.

٣- ذكر الله

كما من الأمور التي تدفع أسباب القلق والتوتر، حرص المسلم على ذكر الله سبحانه وتعالى، عملا بقوله جل جلاله ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨)، ذلك أنه إذا اطمأنت القلوب، وهدأت النفوس واستقرت زال عنها كل خوف وقلق، في حين أن الإنسان الذي يعرض عن ذكر الله هو قاسي القلب جاحد النعمة، بعيد عن الروحانيات، طغت عليه المادة، ولذلك فهو يعيش حياة شديدة القلق مليئة بالمنغصات، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤)، والضنك هو الشقاء الشديد.

٤- الدعاء

إذا كان بعض العلماء النفسيين في الغرب أمثال الدكتور «رورهلفروج» يقول «إن من الأدوية الشافية للقلق إفضاء الشاكي بمتاعبه، إلى شخص يثق فيه، حيث إن تحدث المرضى عن متاعبهم بإسهاب وتفصيل، ينفي القلق من أذهانهم، فإن مجرد اجترار الشكوى فيه شفاء» وعلى هذا فإن الإفضاء بالمتاعب إلى شخص، أصبح من الوسائل العلاجية المعمول بها الآن، في كل المستشفيات النفسية والعصبية، كما ينصح الأطباء النفسيون باختيار الشخص الذي نفضي إليه، فليس كل شخص يمكن الإفضاء إليه، وإنما المهم الإحساس بأن هذا الشخص يسمع ويحس ويعين (٧)، وقد يساور الإنسان الخوف أو القلق من الإنسان الذي يحكي له فيصيب نفسه بعض الشك الذي يجعله أشد قلقاَ من قبل، ولكن اللجوء إلى الله بالدعاء وإفراغ المتاعب النفسية والهموم إليه سبحانه، يعد خير وسيلة للوقاية من القلق، قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة: ١٨٦) ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ (غافر: ٦٠)، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة وأعظم نبراس في ذلك، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا لحق به شيء من عوارض الحياة كالشدة والكرب والغضب وعسر المعيشة، لجأ إلى ربه بالتضرع والدعاء، ومن الأدعية التي علمنا إياها رسول الله ﷺ لمنع الأرق والرؤى والكرب قوله عليه الصلاة والسلام «إذا فزع أحدكم في النوم، فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون فإنها لا تضره» (رواه أحمد والترمذي)، كما أن هناك أدعية بالفرج من هموم النفس فباب الله مفتوح على مصراعيه لكل صاحب هم، إذا ما توجه إلى الله بقلبه وكيانه، فعن الرسول ﷺ قال «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال اللهم إنما أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا، فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ قال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها» (رواه أحمد في مسنده).

٥- تلاوة القرآن

كما أن تلاوة القرآن الكريم تبعث في نفس المسلم الهدوء وسكينة النفس وطمأنينة القلب، قال تعالى ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ (فصلت: ٤٤) ﴿يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ (يونس: ٥٧) ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء: ٨٢)، فهل نستطيع بعد وعد الله عز وجل بأن القرآن شفاء ورحمة وهدوء وطمأنينة للمؤمنين من أن نستفيد منه في الخلاص من القلق وما يدعو إلى التوتر ومشاعر اليأس والإحباط؟

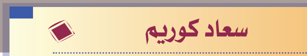
أخيرًا

وفي النهاية نقول، إذا كنا اليوم قد افتقدنا عنصري الرضا والأمن النفسي، وهما جناحا السعادة والهناء، وإذا كنا نحيا دائما بين الحزن على ما فات والخوف مما هو آت، وإذا كنا لا نستطيع أن نقتلع الأحزان والخوف والقلق من نفوسنا بمجرد الرغبة في ذلك، فإننا نستطيع على الجانب الآخر أن نتمسك بالدين قولا وعملا ونتحلى بالخلق الكريم، ولنقرأ دائما قوله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ (الحديد: ٢٢ - ٢٣).

الهوامش

١- مجلة منار الإسلام، العدد الأول السنة ٢٦، محرم ١٤٢١هـجرية، إبريل ٢٠٠٠ ميلادية.
٢- القلق قيود من الوهم، د/ عبدالستار إبراهيم، الناشر دار الهلال بالقاهرة، ص ١٣.
٣- المصدر السابق، ص ١٦.
٤- المصدر السابق، ص ٣٢.
٥- الصلاة وصحة الإنسان، حلمي الخولي، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ١٢٩، ص ٨٧.
٦- المصدر السابق، ص ١٢٦.
٧- الإسلام والعلم الحديث، د/ عبدالرزاق نوفل، ص ١٠٢.

المنهج النبوي في التعامل مع مشكلة البطالة



سعاد كوريم

لا مناص للمتأمل في كيفية تعامل النبي ﷺ مع مشكلة البطالة من أن يلحظ عنايته الخاصة بتصحيح الاعتقاد تمهيدًا لتصحيح السلوك. فالنبي ﷺ لم يقدم فقط حلولا عملية تمكن العاطلين من إيجاد عمل على الفور، ولكنه قبل ذلك ومعه قدم علاجًا تصوريًا تنبيها منه إلى أن تغيير الاعتقاد مدخل أساسي إلى تغيير السلوك وإلى ضمان استمرار ذلك التغيير. وتزداد أولوية العلاج التصوري تأكيدًا بالنظر إلى أن السبب في بطالة العديد من العاطلين هو سبب اعتقادي وتصوري نابع من عدم تحمسهم للعمل أو من عدم رغبتهم فيه.

إن الانتقال من البطالة إلى العمل هو انتقال من الراحة إلى التعب، ولما كان الإنسان ميالا بطبعه إلى كل ما فيه راحة له اقتضى نقله من كره العمل إلى محبته ومن محبة البطالة إلى كرهها غرس مجموعة من القيم التي من شأنها إن حكمت حركات الإنسان والسكنات أن تنقله من ضنك العيش إلى رغد الحياة، ومن هذه القيم قيمة العمل التي كان النبي ﷺ يروم تربية المسلمين على احترامها وإعطائها حظا وافرا من التقييم. ويكشف لنا تأمل مجموعة من النصوص عن كيفية ترسيخ النبي ﷺ لقيمة العمل في وعي الإنسان المسلم:

١- يقول الله تعالى مخاطبا النبي ﷺ: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾(الشرح: ٧) فهذه آية من القرآن، وهي خطاب مباشر للنبي ﷺ الذي كان خُلقه القرآن. ويعني تخلق النبي بها أنه كان يمتثل للأمر الرباني الذي تحمله، فيحوله إلى شعار يرفعه وسلوك يمارسه. وهذه الآية وإن كانت خطابا موجها للنبي ﷺ ابتداء فإنها خطاب لنا أيضا انتهاء، وذلك من جهة أن النبي ﷺ قدوة للمسلمين، ومن جهة أن ما كان خطابا له- مما لم يكن مختصا به- فهو خطاب لعموم المسلمين.

بالتأمل في هذه الآية يتبين أن الله تعالى يطالب النبي ﷺ ويطالبنا من خلاله بالحراك المتواصل. ومعنى ذلك أن المؤمن ينبغي أن يكون في حركة دؤوب تصاحبه في كل آونة وحين، أي في حال انشغاله بالعمل وفي حال فراغه منه. ولا يصطدم ذلك مع إقرار الإسلام بالحاجة الفطرية لدى الإنسان إلى الراحة من تعب العمل، فالإسلام يقر بمبدأ الراحة وبحاجة الإنسان الفطرية إليها حين يجعل لأبداننا علينا حقا، ولكنه في نفس الوقت لا يريدها راحة خاملة سلبية، وإنما يريدها راحة يتحول فيها وقت الفراغ من نعمة مغبونة إلى نعمة مضمونة، بحيث يستفيد منها صاحبها متعة بالراحة وأجرا أخرويا على تلك الراحة. فيكون له بدل الأجر أجران؛ أجر على الراحة بالعمل مع أجره على العمل. وهذه مرتبة أعلى من مرتبة من يطلب الراحة من العمل لتكون عونا له على العمل؛ إنها مرتبة من يجد راحته فيما يطلب غيره الراحة منه. ومن هنا يمكن القول إن الله سبحانه وتعالى قد أراد من النبي ﷺ وأراد منا جميعا أن نكون في نشاط وعمل طيلة الحياة، فلا فجوة بين عمل وعمل إلا ويملؤها عمل.

٢- عن المقدام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده.» (البخاري).

بالتأمل في هذا الحديث النبوي يمكن ملاحظة أمرين؛ أحدهما هو التركيز على كون العمل عبادة مطلوبة من الجميع بما في ذلك الأنبياء أنفسهم. فإذا جاز في حق أحد من الخلق ألا يتعبد بعبادة العمل ويكتفي بعمل العبادة فهم الأنبياء، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يستثنوا من هذا النوع من العبادة، بل كانوا نموذجا رياديا يزاول العمل ويرفع من قيمته. ويظهر ذلك من خلال تتبع سيَرهم التي يتبين من خلالها أن مزاولة العملَ كان من هدي الأنبياء والرسل جميعا. فعلى الرغم مما يشغلهم من أمر الرسالة والدعوة إلى الله، وعلى الرغم من أنهم خير البشر-



باحثة في الدراسات القرآنية، جامعة مولاي اسماعيل - مكناس، المغرب.

وهما سببان كافيان لإعفائهم من العمل وجعلهم مخدومين طوال حياتهم- فإنهم كانوا أصحاب مهن. فقد احترف آدم عليه السلام الزراعة، واحترف نوح عليه السلام النجارة، واحترف داود عليه السلام الحدادة، واحترف محمد ﷺ التجارة، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانوا جميعا رعاة غنم. إذن فلا الانشغال بأعظم مهمة على وجه الأرض ولا الخيرية على جميع من في الأرض كافيان لتبرير البطالة.

الأمر الثاني هو تصحيح المنظار الذي ننظر به والمعيار الذي نقيم من خلاله ما نستهلكه. فخيرية المواد الاستهلاكية على وجه العموم تابعة في العادة لمؤشر الجودة أو النفعية أو الموضة أو غيرها من المؤشرات التي يتعارف عليها الناس في حياتهم ويصنفون بحسبها سلم أولوياتهم الاستهلاكية. لكن النبي ﷺ يقلب هذه المعايير جميعا، ويقدم بدلها الميزان الحقيقي الذي ينبغي أن يكون وحده في مقدمة معايير الخيرية، بل لعله ينبغي أن يكون هو وحده معيار تلك الخيرية، إنه معيار السعي والكسب بعمل اليد، فالمادة الاستهلاكية الأحسن على وجه الإطلاق هي تلك التي نحصل عليها نتيجة كد وكسب وعمل نعتمد فيه على أنفسنا، وليست هي تلك التي تكون نتيجة كد وكسب وعمل



السبب الرئيسي في البطالة نابع من عدم التحمس للعمل أو عدم الرغبة فيه

الآخرين، فالعاطل وإن كان محيطه يوفر له أحيانا أجود الطعام وأحدث اللباس فإنه يكون كمن يأكل طعاما رديئا ويلبس ثيابا رثة. إذن فما نستهلكه لا يكتسب قيمته من ذاته أو مما تضفيه عليه نظرة المجتمع من قيمة، ولكن كيفية حصول المستهلِك عليه هي التي تكسبه ما يستحق من قيمة.

٣- حدثنا هشام بن زيد قال سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليفعل» (رواه أحمد).

بالتأمل في هذا الحديث النبوي يمكن ملاحظة أمرين؛ أحدهما مرتبط بحال العمل والثاني بحال العامل، أما الأمر الأول فمفاده أننا مطالبون بالقيام بالعمل لذاته، وبصرف النظر عن ثمرته. فالإنسان ينبغي أن يعمل لأن العمل مقدس ولأن العمل عبادة، حتى ولو كان متيقنا بأنه لن يتمتع برؤية نتيجة ذلك العمل الذي يقوم به، بل حتى ولو لم تكن لذلك العمل نتيجة مرجوة أصلا كما هو الحال في غرس الفسيلة التي لن تصير نخلة لأنها غُرست قُبيل قيام الساعة. إن الصورة التي يضعها الحديث بين أيدينا هي أقصى صور عدم نفعية العمل وعدم جدواه. فإذا كان الإنسان مطالبا في هذه الصورة بالانخراط في عمل منتج فهو مطالب بذلك فيما دونها من الصور من باب أولى. ويعني هذا أن الإنسان مطالب بالعمل طالما كان ذلك العمل منتجا وإيجابيا، وأنه لا ينبغي له تفضيل حياة البطالة بناء على توهم كون عمله غير مرجو النفع له أو غير مرجو النفع على الإطلاق. وإذا لم يكن تَيَقُّنُ عدم النفع سببا كافيا للتوقف عن العمل فكيف يكون تَوَهُّم عدم النفع مبررا كافيا للعزوف عن العمل؟

الأمر الثاني مفاده أن الإنسان مطالب بالعمل في جميع أحواله هو، بما في ذلك تلك الدقائق الأخيرة التي يوقن فيها بانتهاء حياته، بل وبانتهاء الحياة على وجه الأرض. فإذا كان الإنسان مطالبا بالعمل في أكثر اللحظات حسما في تاريخه وفي تاريخ البشرية جمعاء فهو مطالب بالعمل في أقل تلك اللحظات حسما من باب أولى. واليومُ الذي تقوم فيه الساعة ليس هو اليوم الأخير في حياة الناس الدنيا فحسب ولكنه أكثر الأيام خطورة في حياتهم أيضا، وذلك بالنظر إلى ما يصحبه من تغيرات طبيعية وكونية مما هو مذكور في علامات الساعة الكبرى. وموقف كهذا يفترض أن يذهل فيه الناس عن أنفسهم، وأن تعمهم الفوضى وتغمرهم أحاسيس الرهبة والذعر. ومع ذلك، وفي عز اليوم الذي يؤرخ لنهاية العالم، يطالب الإنسان بالعمل وإعمار الأرض. فمهما قاس الإنسان خطورة أيام حياته مجتمعة إلى خطورة ذلك اليوم الذي طولب فيه بالعمل فإنه لن يجد فيها من الخطورة ما يكفي لإعفائه من العمل.

خاتمة: تشترك النصوص السابقة في ترسيخ قيمة العمل من خلال اعتباره عبادة. وفي ذلك استثمارٌ لأكبر مهمة خلق الله لأجلها الإنسان على وجه الأرض، أي مهمة العبادة، وتحديدٌ لموقع العمل منها حتى يعي المسلم العاطل موقعه بالنسبة إلى المسلم العامل، ويعي موقعه داخل خريطة المجتمع، بل وداخل خريطة الوجود كله. ووضع مشكلة البطالة في هذا المقام من الخطورة ينبه المسلم العاطل على خطورة مقامه، ويغير نظرته إلى طريقته في الحياة ويغير معها حكمه على تلك الحياة. وتغيير التصور مشفوعا بتغيير الحكم هما المدخل المناسب لتغيير السلوك.

كيفية تعزيز الوقف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين

شيرين حسن مبروك

المُعنُ بالنظر إلى ما يجري في قطاع الأوقاف لدعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين، وما تؤكده الإحصاءات من تأكيد ضعف الإنفاق على مشاريع التعليم العالي اللازمة لمختلف مؤسساته، وما ينعكس على نوعية التعليم العالي في فلسطين، تحقيقًا للتلاحم والتفاعل المتميز بين المؤسسات التعليمية للتعليم العالي وقطاع الأوقاف، وتلبيةً لحاجات ومتطلبات التنمية، ووصولًا لهذا التميز والتفرد، يعلم حاجة المؤسسات التعليمية للتعليم العالي إلى تمويل مناسب من خلال الأوقاف لدعم مشاريع التعليم العالي من أجل تحسين نوعية التعليم الذي نريده، وأعدت هذه الدراسة، لتكشف عن كيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين وانعكاساته على نوعية التعليم. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن ضعف الإنفاق على التعليم العالي في مختلف مؤسساته وأن دور الأوقاف في تمويل تلك المؤسسات ومشاريعها متدن، مما ينعكس على نوعية وجودة التعليم والمتعلم.

أوصت هذه الدراسة التي تقدمت بها إلى مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية الذي أقيم مؤخرًا بضرورة تفعيل دور المؤسسات الوقفية للخدمات التعليمية من أجل دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين، والتنمية الشاملة التي ننشدها لا يمكن أن تتجح إلا إذا نشرت الوعي بين أهلها بأهمية الوقف على الأعمال الخيرية والاجتماعية، وأفسحت المجال للمجتمع ولأهل الخير لتحمل جزءًا من أعباء الخدمات الاجتماعية ومنها الخدمات التعليمية، بالإضافة إلى أن تطوير نظام الأوقاف، إدارةً وتسييرًا واستثمارًا وأحكامًا، يقتضي تضافر جهود المسؤولين والفقهاء والمفكرين والاقتصاديين.

إلى جانب أن التخطيط للاستقلال المادي للتعليم العالي يمكنها من تحقيق أهدافها من خلال أموال الوقف، وهذا يتطلب إنشاء مجلس وقفي لكل مؤسسة من هذه المؤسسات يحقق من خلاله أهدافها ويحل مشكلاتها.

ويُعد الوقف الإسلامي من أسمى الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت في بناء المجتمعات الإسلامية على مر العصور، وقد لعبت الأوقاف دورًا حيويًّا على مدار التاريخ في كل المجالات العلمية، فأسست دور العلم وتم الإنفاق على طلابها ومعلميها من أموال الأوقاف الموقوفة لتلك الدور، لذا فقد انتشرت فكرة الوقف الخيري الإسلامي لتضمن استمرارية الإنفاق على العمل الخيري من ريع ما أُوقف عليه، وحتى لا يعتمد العمل الخيري على تبرعات متقطعة ينتهي أمرها إذا توقفت هذه التبرعات.

لقد كان الوقف من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي للبلاد الإسلامية، حيث أسهم في بناء صروح العلم ونشرها، وتخرج من هذه المؤسسات العلمية المرموقة عدد من العلماء في شتى فروع المعرفة البشرية مثل الخوارزمي وجابر بن حيان وغيرهما، ولم يصل هؤلاء إلى ما وصلوا إليه إلا بالدعم المالي الذي توفر لهم من قبل الأوقاف (١) ليتمكنوا من التحصيل العلمي.

إن إحياء نظام الوقف وفتح المجال التعليمي له لا يعني تحويل المؤسسات التعليمية إلى مؤسسات دينية، بل يعني إيجاد قطاع إضافي لا يشكل عبئًا جديدًا على ميزانية الحكومة، قطاع يفتح أفقًا جديدًا للعملية التعليمية من أجل المعاصرة.

إن إحياء نظام الوقف بشكل يتناسب مع العصر أصبح ضرورة ملحة للإنسان المعاصر، حيث إن الوقف هو مصدر التمويل من أجل الاستثمار في رأس المال البشري، فهو من الركائز الأساسية لتحقيق نهضة تنموية شاملة، وذلك يتوقف على حسن إعداده واستثماره، ومن ثم فإن ما تحتاج إليه بلادنا يكمن في عملها لدعم القدرات الوطنية من خلال استثمار الطاقات البشرية، أي من خلال نظام قادر على إعداد نموذج «إنسان التنمية»، خاصة أن كثيرًا من المرافق الخدمية والدينية والصحية والتعليمية تكلف الدولة في الوقت الراهن كثيرًا من الإنفاق، وعلى سبيل المثال الأوقاف الخيرية في مصر التي يصل عددها إلى ما يقرب من ٢٢٠٠٠ وقف خيري (٢) تنهض بأعبائها وتتضافر مع الدولة في إحداث استثمار في رأس المال البشرى، خاصة أن التقدم العلمي الذي تعاصره يتطلب نوعًا من الاستثمار في البشر بما لم يتطلبه أي عصر سابق.

* خبيرة بمركز تطوير المناهج والمواد التعليمية في وزارة التربية والتعليم- مصر

الوقف في فلسطين

تعتبر فلسطين كما باقي بلاد الشام والبلاد العربية بشكل عام من أكثر البلاد أوقافًا، حيث إن الوقفيات فيها شملت مختلف أنواع الوقف من خيري وأهلي ومشترك بينهما. وتزخر مدينة القدس بأرشيف عثماني مهم يتمثل في سجلات المحكمة الشرعية في القدس التي يعود أقدمها إلى العام ٩٣٥هـ/١٥٢٨م، وفي مخلّفات الأوقاف الإسلامية من الوثائق والمخطوطات العربية والعثمانية والفرمانات والدفاتر العثمانية الخاصة بالأراضي والضرائب(٣).

ينقسم الوقف في مدينة القدس إلى قسمين هما الوقف الخيري والوقف الذّري (الأهلي).

١ - الوقف الخيري في القدس

كانت وقفية خاصكي سلطان أبرز نماذج الوقف الخيري في مدينة القدس في العهد العثماني، وتُعد أكبر وقفية عرفتها السجلات الشرعية طوال هذا العهد، حيث شملت محبساتها عقارات وأراضي وضياعًا ومنشآت موزّعة في كثير من أراضي بلاد الشام، ويعود النفع العام للأوقاف الخيرية على أعمال الخير كالحرمين المكي والنبوي الشريفين، أوالحرم القدسي الشريف، أو المساجد، أو المؤسسات الدينية والعلمية والصوفية، أو الفقراء والمساكين.

٢- الوقف الذري في القدس

ازدهر هذا النوع من الوقف في مدينة القدس في العهد العثماني، وكانت واردات الوقف الذري تؤول غالبًا إلى مستحقيها من ذرّية الواقف أو إلى من يشترط فيهم من العلماء أو الشيوخ أو رجال الدين والصوفية، وقد امتلأت السجلات الشرعية بهذا النمط من الوقفيات التي مهّدت لقيام اقتصاد مقدسي متين مبني على أسس يحكمها الشرع الشريف، وقد اشترط في الوقف الذري أن يؤول في آخره إلى منفعة برٍّ لا تنقطع، كأن يؤول إلى قبة الصخرة المشرفة أو مساكين وفقراء المسلمين على نحو يحمي الواقف بمقتضاها أموال الوقفَ من ملاحقة الضريبة، لأنها ستؤول في النهاية كما يشترط الواقف إلى جهات خيرية.

الوقف من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي للبلاد الإسلامية

لا يوجد حتى الآن إحصائية شاملة لعدد الوقفيات التي تعود إلى العهد العثماني في مدينة القدس، وكان المرحوم الشيخ أسعد الإمام الحسيني قد أعدَّ بمساعدة آخرين فهرسًا لأوائل سجلات المحكمة الشرعية في القدس، وأشار خلال فهرسه هذا إلى نصوص الوقفيات التي عثر عليها بين هذه السجلات، إلا أنّ عمله هذا- رغم الجهد الواضح فيه- ما كان ليشفي غليل الباحثين على نحو أكاديمي، ولا حتى الذين يبحثون عن ضالّتهم وحقوقهم في العقارات الوقفية بسبب توقف المشروع في مرحلة مبكرة كانت تغطي فقط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

إنّ عدد الوقفيات العثمانية في القدس غير معروفة إلى اليوم، ومن خلال قراءات متأنية للمحاضر في السجلات الشرعية ودفاتر الأرشيف العثماني يمكن القول إنّ هناك كنز حقيقي من عدّة مئات من الوقفيات التي تحكي تاريخ القدس، إلا أنّ عملية إحصاء جميع الوقفيات العثمانية في القدس تعد مشروعًا كبيرًا بحاجة إلى جهد كبير ودعم مؤسسات تعنى بنشر التراث(٤).

ومازالت بعض هذه الأوقاف شاهدة على الدور العظيم الذي لعبته مؤسسة الوقف يومًا في بناء المجتمع العربي في فلسطين (وبلاد الشام في الأصل هي أرض وقف وقفها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الأمة الإسلامية منذ فتحها)، إلى أن عمل الاحتلال البريطاني لتدمير هذه المؤسسة بكل السبل حتى لا تكون الملجأ والمنطلق لأبناء المجتمع الفلسطيني (بعد أن أهملتهم الأنظمة الوطنية والقطرية المحيطة بهم وخذلتهم في وقت كانوا ومازالوا في أمس الحاجة لتضامن إخوانهم العرب معهم شعوبًا ودولًا) وللأسف الشديد كما حال باقي البلاد العربية، فإن تدمير مؤسسة الوقف وإهمالها لم يكن هدف الاحتلال وحده، وإنما ساهمت في ذلك الدول العربية التي حكمت بشكل أو بآخر أجزاء من فلسطين إبان هذه الفترة (الأردن في الضفة ومصر في غزة).

ولم تشذ السلطة الفلسطينية عن قاعدة الدول العربية في ذلك، إلا أنه يسجل للأردن حفاظها على بعض أوقاف القدس كهياكل وليس كمؤسسة، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل حتى يستوفي كل جوانبه، وسأكتفي هذا بالإشارة إلى مثال عن السياسة الصهيونية تجاه الأوقاف في فلسطين وإشارة رمزية إلى دور الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوقت الراهن رغم سيطرة (الدولة) على مختلف جوانب الوقف عينًا وتصرفًا.

الحقيقة إن هذه الدراسة قدمت بيانات وإحصائيات للأوقاف لكن هذه الخطوة لا تشكل إلا درجة أولى في سلم أولويات الوقف حتى يقوم بالدور المطلوب منه أو الذي يستطيع أن يضطلع فيه هذا النظام في خدمة المجتمع وعلى كل المستويات.

من سمات المرحلة الراهنة لمجتمعنا الفلسطيني- والمجتمعات العربية عمومًا- أنها المرحلة الأكثر إظلامًا وتراجعًا وتخلفًا من كل ما سبقها من مراحل في التاريخ المعاصر والحديث، وهي مرحلة تختمر فيها العوامل التي تدفع نحو تزايد الأزمات اللاحقة على كل صعيد، إذا استمر تقاعس قوى وعناصر النهوض والتغيير عن إدراك

طبيعة التحديات التي نواجهها، وبناء الأطر السياسية المنظمة كأدوات تغييرية تحدد كيفية التعامل الإيجابي مع تلك التحديات بفاعلية وعمق.

وفي هذا السياق فإن التطور العلمي والبحث العلمي في العلوم والمعرفة يشكل واحدًا من التحديات الأساسية الإستراتيجية، يوفر لنا- عبر تحققه- مدخلًا وأداة في مواجهة سلبيات التحديات التاريخية الموروثة والمعاصرة من جهة، ومواجهة تحديات التبعية والتخلف من جهة أخرى، وهو أمر مرهون بتطوير النظام التعليمي ووقف هذا التدهور الذي تعرض له طوال سنوات الاحتلال واستمر- بشكل أو بآخر خلال السنوات الماضية من عمر السلطة الفلسطينية في ظل تفاقم حالات الفقر والبطالة والغلاء وتدهور مستوى الأجور وعديد من العوامل الأخرى التي أدت إلى ارتفاع نسبة التسرب من المدارس بعد المرحلة الأساسية من الفئات العمرية من ١٦-١٨ سنة وغالبيتهم ينتمون إلى أسر فقيرة ومعدمة.

لذلك كله فإن شرط الحداثة أو التحديث، في التعليم أو غيره، من جوانب التطور الاجتماعي هو التحرر من كل المعوقات الخارجية والداخلية بما في ذلك تعميم الوعي بالهوية الوطنية والقومية والحقوق التاريخية في المناهج التعليمية ورفض الاستجابة لمطالب العدو الصهيوني في تعديل المناهج التعليمية بما يستجيب لعملية التطبيع السياسي والثقافي من جهة، وبما يستهدف شطب كل ما يتعلق بحقوق شعبنا التاريخية في وطننا من جهة أخرى(٥)، فليست المشكلة هي مجرد تحديث المناهج فحسب، وإنما في تغيير الواقع من أجل التحرر والاستقلال وتأسيس النظام السياسي الدستوري وفق قواعد التنوير والعقل والحداثة في خدمة الهوية الوطنية والقومية، بما يمكننا من الخروج على قيود الاحتلال والتبعية والتخلف، إذ إن استمرار بقاء هذه القيود سيحول

إحياء نظام الوقف بشكل يتناسب مع العصر أصبح ضرورة ملحة للإنسان المعاصر

دون تحديث المناهج التعليمية في بلادنا من جهة، ويعزز بقاء عوامل الخلل وغياب التوازن الاجتماعي الداخلي لصالح أبناء رموز وشرائح الفساد والتحالف الطبقي الطفيلي الكومبرادوري البيروقراطي، مقابل استمرار حرمان أبناء الفقراء (الأغلبية الساحقة) من الحصول على فرص التعليم وممارسة دورهم الإيجابي الرائد في المشاركة السياسية الاجتماعية الفعالة في توجيه وقيادة المجتمع.

إن انطلاقنا من النظرة الاجتماعية السياسية لقضية التعليم يعني بوضوح الدعوة إلى إلغاء كل الأسباب والشروط التي تحول دون التحاق أبناء الفقراء بالجامعات والدراسات العليا، وفي كل التخصصات، هذه الدعوة تتضمن بالطبع وقف كل مظاهر الفساد والإنفاق الباذخ وكل السياسات والممارسات المعادية للفئات الشعبية الضارة بالنظام التعليمي عمومًا، والجامعي بصورة خاصة، وهي دعوة تغييرية تقوم على رؤية حزبية سياسية يجب أن تعتمدها الطليعة اليسارية الماركسية في بلادنا لتحقيق أهداف ومصالح جماهيرنا الشعبية في التحرر الوطني والديموقراطي بكل جوانبه، فإصلاح النظام التعليمي أمر شبه مستحيل إذا لم يكن متوازيًا مع إصلاح وتطوير القطاعات الوطنية الأخرى في الصحة والاقتصاد والزراعة والأجور والقوانين، وقبل كل شيء في النظام السياسي الديموقراطي العام.

الرؤية المستقبلية

إن قضية تطوير التعليم العالي والاستثمار البشري الذي يعتبر الاستثمار الأمثل للموارد البشرية تستحق أن نخطط لها من أجل إعداد وتكوين المواطن القادر على مواجهة تحديات المستقبل، لهذا كانت هناك حاجة ماسة إلى بناء سيناريوهات مستقبلية بديلة لدور الوقف الإسلامي في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين في ضوء تحديات المستقبل، لتساعدنا على فهم الاختيارات والبدائل والقرارات التي ينبغي اتخاذها في الوقت الحاضر للوصول إلى الوضع المستقبلي المرغوب فيه، ويقدم البحث الحالي ملامح تصور لسيناريوهات ثلاثة تجمع بين المتوقع والمأمول في التعليم العالي وهي:

السيناريو المرجعي حتى عام ٢٠٢٠م

وهذا السيناريو قائم على فرضية مؤداها الامتداد المنطقي للتطورات الراهنة، وذلك فيما لو استمر النمط الحالي لردود فعل السلطة الحاكمة والعوامل الاجتماعية الأخرى اتجاه التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية، دون حدوث تغيرات جوهرية في السياسات المؤثرة على الوقف الإسلامي في دوره للتعليم العالي، وتعتمد الفكرة الأساسية لهذا السيناريو على الإبقاء على الشكل الحالي والملامح الرئيسية للتعليم العالي وتجنب إحداث طفرة كبيرة في الاستثمار البشري ومصادر التمويل والأهداف العامة وآلية الوقف الإسلامي.

السيناريو الابتكاري حتى عام ٢٠٢٠ م

وهذا السيناريو قائم على فرضية مؤداها إطلاق طاقات الإبداع والابتكار الكامنة في المجتمع من أجل التنمية المستدامة في جميع المجالات، ويستند هذا السيناريو على الفروض التالية:

سيادة نظام اقتصادي جديد يقوم على فكرة الأخذ بمميزات الرأسمالية والاشتراكية السابقة بما يتفق مع مميزات الاقتصاد الإسلامي.

تسيطر الدولة على توجيه التعليم، وتضع السياسات العامة لتطويره جذريًا، بغية إنتاج نخبة متميزة من المتعلمين، وكذلك لتطوير منظومة العلم والتكنولوجيا، ولكن الدور الأساسي في التنمية العلمية والتكنولوجية والاقتصادية سيكون للقطاع الخاص.

المنهج الجديد في إدارة شؤون المجتمع والدولة يزداد فيه المكون العلمي في أسلوب اتخاذ القرارات، حيث تعطى فيه اعتبارات الجدية والكفاءة والانضباط أولوية كبرى.

السعي نحو التقدم الاقتصادي، والقدرة على التنافس والتعامل مع الأوضاع المحيطة المحلية والعالمية، وإبراز مدى التفوق من خلال مجالات التعليم والبحث العلمي، مع الأخذ في الاعتبار أن القوى الغالبة على الحكم هي الشرائح الرأسمالية التي يغلب على نشاطها الطابع الإنتاجي والشرائح العليا والوسطى من الطبقة الوسطى، وبعض الشرائح العمالية.

- مؤشرات التصور المقترح لكيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين حتى عام ٢٠٢٠ في ظل السيناريو الابتكاري.

طرق الإحياء

في ضوء ما تم عرضه في الإطار النظري للدراسة من طرق لكيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين، يمكن تحديد مجموعة من الطرق لإحيائه:

قيام مؤسسات اقتصادية ترعى الأوقاف على العلم، ومنها الجامعات والمعاهد العليا، حيث ترعى إدارة الوقف مع خضوع تلك المؤسسات لهيئات رقابية قضائية، وتخضع لنظام محاسبي واضح.

وضع خطط اقتصادية ترعى حاجات المجتمع فيما يتعلق بالوقف على الجامعات والمعاهد العليا بحيث ترعى حاجات المجتمع في هذا الجانب، وذلك من خلال إعداد خطط تطرح فيها عددًا من المشاريع المهمة للجامعات والمعاهد العليا.

الاستفادة من الجمعيات الخيرية الموجودة، وذلك من خلال تقديم القدوة لأفراد المجتمع، لاسيما أولئك الذين لديهم إمكانيات مالية، لاسيما أن الوقف من الركائز الجوهرية المهمة في الإنفاق على مختلف المشروعات، ويتسم بالدوام والاستمرارية.

في ظل هذا السيناريو ستعلو مكانة التعليم العالي، وستزداد مسؤوليته في إعداد المواطن المبدع والقادر على المبادأة والنقد والابتكار، وستصبح عناصر التعليم العالي على النحو الذي يجعل العلم والفكر والثقافة في متناول الجميع خارج وداخل مؤسسات التعليم العالي، ويدخل البعد المهني والإنساني والثقافي في إعداد طلاب التعليم العالي.

__**ويمكن إيجاد مصادر جديدة للإسهام في تمويل التعليم العالي عن طريق أموال الوقف من خلال:**__

تأجير الأبنية والمرافق بالجامعات والمعاهد العليا في العطلات الصيفية والحصول على عائدها وإنفاقه على العملية التعليمية، مع إعداد دراسات خاصة بذلك.

تسويق الخدمات بالجامعات والمعاهد العليا بما يوفر دخلا إضافيًا للجامعات والمعاهد العليا وفي نفس الوقف تحقق الربط بينها وبين المجتمع.

تشجيع المستثمرين ورجال الأعمال بالمؤسسات الإنتاجية في المجتمع، والتي تستفيد من مخرجات التعليم العالي للمشاركة في تمويل مؤسسات التعليم العالي مقابل إعفاء تبرعاتهم من الضرائب المفروضة عليهم.

الاستفادة من تمويل الجمعيات الخيرية وقبول تبرعاتهم المادية والعينية.

الاستفادة من تحويل أموال الوقف إلى قناة تمد التعليم العالي بالإمكانات المادية.

الاستفادة من الخدمات والمنافع من الأموال الموقوفة في مؤسسات الأوقاف للاستثمار في التعليم العالي.

الهوامش

١- عبدالوهاب جودة: الوقف في عمان، ندوة الوقف بين الماضي والحاضر، الوقف العلمي واستثماره لتعزيز موارد البحث العلمي، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس،١٨-٢٠ أكتوبر،٢٠٠٩، ص١١.

٢- محمود ابراهيم القلموني: تجربة جمهورية مصر العربية، من وقائع ندوة عرض التجارب الوقفية في الدول الإسلامية، نظمها مركز كامل صالح للاقتصاد الإسلامي، بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، والإسلامية للتنمية، في الفترة من ١٥- ١٨ ديسمبر ٢٠٠٢ ص٣٠.

٣- الشيخ محمد أسعد الإمام: المنهل الصافي في الوقف وأحكامه، المطبعة الوطنية، القدس، ١٩٨٢م، ص١٤.

٤- مؤسسة التراث الإسلامي: الوقف الإسلامي في فلسطين، دائرة الأوقاف الإسلامية، القدس، ١٩٨٤م، ص٤٩.

٥- المعروف أن السلطة الفلسطينية وافقت على مبدأ تعديل بعض المناهج بما يتفق مع شروط اتفاقات أوسلو وغيرها، حيث نلاحظ إلغاء تناول الحقوق التاريخية لشعبنا في أرض فلسطين التاريخية، وفي هذا السياق تم طباعة بعض الكتب ضمن المنهج الجديد التي تشير إلى أن أعلى جبل في فلسطين هو جبل عيبال في نابلس بدلا من جبل الجرمق في شمال فلسطين، والإشارة إلى ميناء غزة باعتباره الميناء الوحيد في فلسطين بدلًا من موانئ يافا وحيفا.. إلخ

المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب... مشكلات ومقترحات (٢/١)

د. حسن عزوزي

من الواضح أن المشهد الاجتماعي الإسلامي في الغرب قد تكونت وتشكلت بعض قسماته خلال العقدين الأخيرين، وإن كانت أسسه قد انبعثت منذ استقرار طلائع المهاجرين المسلمين في الأقطار غير الإسلامية.

عندما اشتد عود الصحوة الإسلامية العارمة خلال السنوات الماضية أضحى المشهد الاجتماعي الإسلامي في الغرب أكثر بروزًا وأوسع قاعدة حيث توافر من أسباب النهوض بالواقع الاجتماعي في هذه المرحلة ما لم يتوافر مثله في أي مرحلة سابقة.

ومهما اختلفت جنسيات الأقليات الأصيلة والوافدة، ومهما تباينت مستويات الثقافة لديهم فإن المكون الثقافي الأساسي والعامل المشترك بينهما هو الإسلام الذي تتوحد حوله مختلف الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب وهو ما يفرض على جميع الفئات والشرائح المكونة لها نوعًا من التآلف والتعاون والتكامل، وهذه حقيقة ينبغي أن يعيها القائمون على توجيه الهياكل الاجتماعية الإسلامية (تعليمية وتربوية وإعلامية وغيرها) في المجتمعات الغربية.

ولاشك أن اعتبار المسلمين المقيمين في الأقطار غير الإسلامية أقليات يكسب وجودهم خصوصيات معينة ويجعل نشاطهم الثقافي والاجتماعي بالمقابل مقيدًا بمحددات وضوابط، لذلك فإن أية محاولة لنسج خيوط المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب ينبغي أن تضع في الاعتبار أن العمل الاجتماعي الإسلامي بصفة عامة يتم تنفيذ آلياته وفق قوانين البلدان المضيفة وبحسب ما تمليه الإجراءات المعمول بها في التعبير عن حياة اجتماعية مختلفة عن الحياة الاجتماعية المحلية السائدة.

لماذا الاهتمام بالمشهد التعليمي الإسلامي في الغرب؟

هناك ثم دوافع وبواعث تدفع إلى الاهتمام بالمشهد التعليمي الإسلامي في الغرب نذكر منها:

١- ضرورة إعادة النظر في أبرز مكونات العمل الثقافي والاجتماعي الإسلامي في الغرب من أجل تجاوز السلبيات والثغرات واقتراح خطط التغيير والتجديد في إطار رؤية شمولية وواقعية.

٢- إن المتغيرات الدولية الراهنة والتحويلات الاجتماعية العالمية تدفع بقوة إلى مراجعة شاملة لخطط العمل وقنوات «التدبير» التعليمي من أجل صيانة جديدة للبناء المستقبلي للمسلمين في الغرب تراعي الاستجابة المشروعة لضغوط المتغيرات والتحديات.

٣- التطور الهائل للشأن الثقافي والاجتماعي للمسلمين في الأقطار غير الإسلامية المبني أساسًا على تحول الوجود الكمي إلى تأثير كيفي بصورة متنامية ومثيرة تستدعي تصور المشهد أولًا ثم العمل على تطويره وحسن أداء مكوناته واستشراف واقع تعليمي إسلامي ملائم ومتطور.

٤- الحاجة إلى تحقيق تعليم متوازن لأبناء المسلمين في الغرب، يأخذ بعين الاعتبار العناية بالتكوين الروحي والخلقي إلى جانب التكوين العلمي والمعرفي وذلك تفاديا لوقوعهم في براثن الانحراف والانسياق وراء المعطيات السلبية للحضارة الغربية في الحقل التربوي والتعليمي وغيره.

وتعود أبرز معالم الاختلاف بين الدول الغربية في السماح بتفعيل العمل التعليمي الإسلامي في الغرب إلى عوامل عدة منها:

أ- الاعتراف الرسمي بالإسلام، فهناك دول تعترف بالإسلام مثل بلجيكا والنمسا وإسبانيا.. وهناك دول أخرى لا تسمح بذلك.



أكاديمي مغربي

ب- السماح بتدريس اللغة العربية في المدارس.

ج- الموافقة على بناء المساجد والمدارس والمراكز الثقافية الإسلامية.

د- مستوى دعم الدولة الغربية للنشاط التعليمي الإسلامي ماديًا ومعنويًا.

هـ- مدى الإقرار بمبدأ التداخل الثقافي في المناهج التعليمية المعتمدة في الدول الغربية (١).

وهكذا فإنه من الطبيعي أن تنجم عن الوجود الإسلامي في الغرب متطلبات وحاجيات فضلًا عن المشكلات المتعلقة بتربية الأبناء وتعليمهم تعليمًا إسلاميًا، والسعي إلى المحافظة على هويتهم الدينية والثقافية، لذلك فإن واقع التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين المقيمين في الأقطار الغربية يبدو محفوفًا بكثير من المشكلات والعوائق التي تحول دون تفعيل وتطبيق أسس ومبادئ وتعاليم الإسلام في مجال تعليم الأبناء تعليمًا إسلاميًا وتحصينهم من عوامل الذوبان والاندماج السلبي.



مطلوب إعادة النظر في أبرز مكونات العمل الثقافي والاجتماعي الإسلامي في الغرب

مشكلات وتحديات أمام المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب

إن مما لاشك فيه أن مستقبل الحضور الإسلامي في الأقطار غير الإسلامية واستمراره وفعاليته يتوقف إلى حد كبير على عامل أساس يعود لطبيعة المركز الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي سوف يحتله المسلمون في المجتمع الغربي والأدوار التي سيتولون القيام بها، ومن الواضح أن عناصر التكوين والتربية والتعليم هي بمنزلة الوسائل الفعالة لبناء ذلك المركز المنشود وتحسين تلك الأدوار المرتقبة، وقد وعى المسلمون هذه الحقيقة مبكرًا فحرصوا على الاستفادة من المعارف والتقنيات التي تقدمها المدرسة الغربية للأطفال والشباب، لكن حصيلة تمدرس أبناء المسلمين في الغرب خلال العقود الأخيرة قد أثبتت تراكم العديد من العوائق والظواهر السلبية خاصة مشكل الفشل الدراسي الذي أضحى سمة بارزة في الواقع التربوي والتعليمي لأبناء المسلمين في الأقطار غير الإسلامية.

ومن خلال تشخيص بعض المتغيرات والتحولات التي طرأت في السنوات الأخيرة يتبين أن كثيرًا منها تمثل تحديات خطيرة تعترض سبيل التعليم الإسلامي الهادف في الغرب، وذلك نظرًا لتأثيراتها وانعكاساتها السلبية، ولاشك أن وجود جملة من المعوقات والتحديات المؤثرة في العمل التربوي والتعليمي الإسلامي في الغرب من شأنها إضعاف أثر المجهود التربوي الإسلامي المبذول لفائدة أبناء المسلمين في الغرب مهما كان محدودًا.

وقد اعتقد الغربيون لفترة طويلة أن المدرسة الغربية هي الإطار الملائم لاستيعاب أبناء المغتربين وإدماجهم اجتماعيًا وثقافيًا، فحرصوا على أن تستوعب المدرسة جميع الأطفال والشباب المنحدرين من الهجرة، لقد كان رهانهم قائمًا حول فعالية الآليات التربوية للمدرسة وقدرتها الكبيرة على التنشئة الاجتماعية بواسطة فرض النموذج الثقافي والقيمي الغربي عليهم (٢).

وبقدر ما كانت الحصيلة النهائية لتدريس أبناء المسلمين في الغرب لا تستجيب لتطلعات الغربيين الرامية إلى تذويب شخصية هؤلاء وطمس هويتهم وإدماجهم في المجتمع الغربي إدماجًا سلبيًا كانت الحصيلة أيضًا غير مرضية لطموحات الآباء الرامية إلى تحسين المراكز الاجتماعية لأبناء الجيلين الثاني والثالث عن طريق الاستفادة من الدراسة في المدارس الغربية عبر مختلف مراحلها.

ويمكن إجمال الحديث عن بعض المشكلات والتحديات القائمة أمام المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب من خلال ما يلي:

العولمة والاختراق الحضاري الغربي في مجال التربية والتعليم

إذا كانت تحديات العولمة قد ألقت بظلالها على العالم الإسلامي وغيره فإن أبناء المسلمين المقيمين في الغرب هم أشد اكتواء بنارها وأكثر معاناة من شدة وطأتها، ونجد على المستوى التربوي والتعليمي أن المجتمعات الغربية التي تجري فيها عولمة القيم والأخلاق وأنماط العيش والسلوك تؤثر بقوة على أبناء المسلمين، وإذا كان التعليم

الإسلامي المحدود في بلاد المهجر يسعى مع الأسرة المسلمة إلى إنتاج الوجدان الثقافي والتربوي في نفوس أبنائها عن طريق مجموع القيم والأخلاق الإسلامية، فإنه يصطدم بتحديات العولمة في هذا المجال مما ينجم عنه عجز مريع في مجال المقاومة والتصدي لعوامل زحف العولمة الكاسحة والجارفة التي ترمي إلى تحطيم القيود الأسرية ذات المنزع الديني والأخلاقي.

إنه وفي ظل سيادة نظام ثقافة العولمة أصبح اليوم المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم التربوية والتعليمية وصناعتها وتشكيل الوعي التربوي في صفوف أبناء المسلمين في الغرب يأتي عن طريق مجال الإعلام السمعي البصري المتدفق بقوة، وكذا من البيئة الاجتماعية والمدرسة الغربية وغيرها، مما يستدعي من قادة العمل الإسلامي في الغرب والقائمين على شؤون وأمور التعليم الإسلامي بمختلف أنظمته الوعي بخطورة هذا التحدي والتفاعل معه من موقع الثقة بالنفس والإدراك العميق بأهمية التعامل مع المتغيرات والتحديات بوعي وانضباط من أجل القدرة على توجيه أبناء المسلمين إلى ما يصونهم ويحميهم من سلبيات العولمة الثقافية والتربوية وتأثيراتها السلبية، وهو ما يتطلب الاهتمام بمجالات معينة تشكل بمجموعها الإطار العام الذي يغذي الهوية والخصوصيات الثقافية بما يكفل لها الثبات والاستمرارية والأصالة ويأتي على رأس هذه المجالات المجال التربوي والتعليمي الذي يكون هدفه المحافظة على الفطرة السليمة للناشئة والعمل على تنميتها وتزكيتها باستمرار، بالإضافة إلى استهداف بناء أسس تعليم إسلامي هادف يمثل «ممانعة تربوية وثقافية» تتصدى للانعكاسات السلبية للعولمة الثقافية.

من المؤسف أن يتنكر أبناء المسلمين في الغرب للغتهم ودينهم

التأثيرات السلبية علي الهوية الإسلامية

لقد بينت الكثير من الدراسات والأبحاث التي أنجزت حول أزمة الهوية والاغتراب الثقافي أن الأبناء المنحدرين من الهجرة يعيشون وضعية مأساوية تعود للاغتراب الثقافي وضياع الهوية الإسلامية وما ينتج عن ذلك من فقدان الثقة بالنفس والانعزال والتأخر الدراسي وسوء التكيف مع المحيط الخارجي، وتتحمل المسؤوليةَ في ذلك كل من الأنظمة التربوية والتعليمية الغربية التي ترفض التفتح على ثقافات الآخر، وكذلك المجتمع الذي يرفض من لا يتمثل القيم والثقافة الغربية (٣).

وإذا كانت الهوية الإسلامية هي نتاج ما تتميز به الأمة من مكونات ومقومات وخصائص فإن الحفاظ عليها في المجتمعات الغربية يبدو أمرًا بالغ الصعوبة، وهو ما يضع التعليم الإسلامي في الغرب أمام تحد كبير، ذلك أن أبناء المسلمين في الغرب من الأطفال والشباب يجدون أنفسهم معرضين لإغراءات العولمة الثقافية والتربوية من جهة ومستلزمات الحفاظ على الهوية الإسلامية في الغرب، خاصة عندما يكون لدى شريحة من الأبناء- الذين استهواهم بريق وإغراء الحضارة الغربية في جانبها السلبي- فراغ روحي وتشتت ثقافي تسهم المدرسة الغربية في تعميقه.

ومن المؤسف أيضا أن يصطدم أبناء المسلمين في الغرب بالتنكر التام للغتهم ودينهم، وهم عندما يلتفتون إلى آبائهم علهم يجدون لديهم البديل الثقافي القائم على معرفة سليمة بالإسلام عقيدة وشريعة فإنهم لا يجدون ما يشفي غليلهم نتيجة وضعية الأمية المتفشية خصوصًا بالنسبة للجيل الأول، والشيء نفسه حاصل عندما يتعلق الأمر باكتساب الثقافة الغربية حيث إن السائد الغالب هو أن أبناء المسلمين المتمدرسين في المدارس الغربية لا يكادون يكتسبون سوى بعض المظاهر السطحية للثقافة الغربية وهو ما يعني وقوفهم موقفًا متأرجحًا بين قشور ثقافتين مختلفتين: الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية مما يشكل خطورة واضحة على التمسك بالهوية الإسلامية، لكن هذا التمسك لا يعني قطعًا التقوقع والانغلاق على الذات ولكنه تعبير متفتح وواع عن الذات الحضارية باعتبارها الإطَار المرجعي والروحي والأخلاقي، هذا التعبير لا ينفي التعامل مع المجتمع الغربي تعاملًا واعيًا ومسؤولًا، إن الهوية الإسلامية في المجتمعات الغربية هي الأكثر تعرضًا لسلبيات وانعكاسات العولمة لذلك تبرز الحاجة إلى مقاومتها قصد حماية الخصوصيات الثقافية والتربوية لأبناء المسلمين المقيمين في الغرب من الانحلال والتمييع.

الهوامش

١- هذه العوامل المذكورة تختلف مواقف الدول الغربية في التعامل معها، ويعتبر الاعتراف الرسمي بالإسلام مدخلا إلى التسامح وإعطاء الحرية للمسلمين للتعبير عن قناعاتهم الدينية والثقافية والاجتماعية.

٢- إستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، منشورات الإيسيسكو ٢٠١١- ص ٨٩ .

٣- المرجع السابق ص ١٠١.

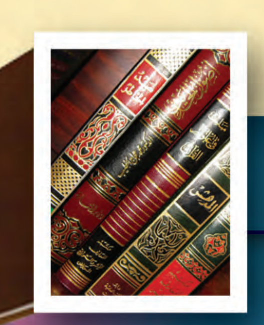
لغة وأدب

القرآن مشغلة الفكر الإنساني

إن ثبات القرآن الكريم على خلاف قاعدة الثبات الإنسانية، إعجاز ليس في العجب أبدع منه إلا تحول معانيه على غير قاعدة التحول.. إنه وجود لغوي ركب كل ما فيه على أن يبقى خالدًا مع الإنسانية، فهو يدفع عن هذه اللغة العربية النسيان الذي لا يدفع عن شيء، وهذا وحده إعجاز، ثم هو لن يكون كفاء ذلك ولن يقوم به إلا إذا كان معجزًا أهل اللغة جميعًا، فتذكر به اللغة ولا يذكر هو بها، وبذلك يحفظها، إذ يكون في إعجازه مشغلة العقل البياني العربي في كل الأزمنة، يأتي الجيل من الناس ويمضي وهو باق بحقائقه، ينتظر الجيل الذي يخلفه، كما أنه مشغلة الفكر الإنساني إذا أريد درس أسمى نظام للإنسانية في حرامها وحلالها مما تحله مصلحة الاجتماع أو تحرمه.

مصطفى صادق الرافعي

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية



أدب المرأة من الذاتية إلى الفضاء الطلق

محمد عبدالشافي القوصي

ظل إبداع المرأة العربية طوال القرون الماضية متوشحًا بالسواد، ومجللًا بالدموع والأحزان، منذ أن وقفت «نائحة بني سليم» سيدة الشعر النسائي ترثي أخاها في سوق عكاظ، وكأنها رسمت حول الشعر النسائي طوقًا من الدموع والأنين، فلمْ يعد الشِّعْر عندها إلاَّ الرثاء، وصادرت سائر أغراضه.. ولمْ نعرف على مر القرون من بنات جنسها مَنْ كسرت ذلك الطوق أوْ مدتْ أظافرها لتمزق جدار الشرنقة الأنثوية المحاصرة بطوفان الدموع والألم والفقدان واللوعة إلاَّ ما ندر، فالمرأة عندنا- كما تقول نوال مهنى: «محاطة بقيود صارمة بعضها موروث، وبعضها بحكم ظروفها العائلية، وأغلب هذه القيود من صنع الرجل، فالرقابة على المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها، أيْ منعها حتى من التعبير عن أفكارها ومشاعرها، لدرجة محاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها، بل البحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها»!

أخيرًا أفلح الشِّعْر النسائي في الخروج من قفص الحريم المخملي، فإذا به يتفاعل مع ما يموج به عالمنا من صراع دام، ومواجهات عنيفة، وإذا به يتدفق هادرًا صاخبًا، وإذا به يندفع إلى خطوط المواجهة شاهدًا ومؤرخًا ومترجمًا لإحساس الأنثى بقيمة البطولة والشجاعة والفداء والصبر، بلِ المشاركة في سائر ميادين الحياة.

ولعلَّ الشاعرة الإسلامية نوال مهنى، من أولئك الشاعرات اللائي شاركن في الحياة الأدبية بإسهامات بارزة ومتنوعة، فقدمت أعمالاً تجاوبتْ مع معطيات واقع الأُمَّة وهمومها، فرسمت لوحات بديعة في الشعر والنثر والمقال والمسرحية، عرضت من خلالها صورة حية وواقعية لما أصاب الأمة من تصدعات ونكبات ونوازل في عصر الهزائم والاستلاب الحضاري والتمزق السياسي الراهن، وبذلك ارتفعت برسالة الإبداع النسوي عن نمطه التقليدي الذي عاش قرونًا في القمقم الأنثوي منكفئًا ومنعزلًا وملتفًّا حول الهموم والمشاعر الذاتية الضيقة؛ إلى استشراف مستقبل أفضل ومحاولة المشاركة في صناعته وترسم خطاه.

> **في زحام الحياة لم تنس الشاعرة نوال فهي أن لها في الشيشان إخوة في العقيدة يواجهون حرب إبادة**

لقد شاركت «شاعرة الوادي» أخواتها الشاعرات العربيات في تشخيص أدواء الأمة، واستنهاض عزائمها، وتحريضها طلبًا للثأر ممن نالوا من كرامتها، واستباحوا حرماتها ومقدساتها، ومن هؤلاء الشاعرات: فدوى طوقان، وعلية الجعّار، وسعيدة خاطر، وإنصاف بخاري، ومباركة بنت البرّاء، وثريا العسيلي، وفاطمة عبدالحق ،وغيرهن.

وقد كتبت شاعرتنا عددًا وافرًا من القصائد الممزوجة بالدماء والمغسولة بالدموع، أثناء استعراضها لواقع الأمة الجريح من البلقان إلى الصومال، ومن الشيشان المنسية إلى بغداد الدامية، إلى فلسطين السليبة التي أرّقتْ الضمير العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن من الزمان، فشاعرتنا تدعوها إلى مزيد من الصبر والصمود، حتى يتحقق الوعد، ويظلها وعد السماء، أوْ كما تقول الشّاعرة:

فلسطين صبرًا هو الله أكبرْ
يـذلُّ ويمحـو ظلومـًا تجبّرْ
لنا الوعد يسحق أحفاد خيبرْ
وسـوف يظلك وعد السماءْ
فلسطين صبرًا لهذا البلاءْ

الأمر العجيب في شعرها السياسي والملحمي التي تصور فيه عوائق وقيودًا، وثورةً وتمردًا وتحقيق نصر واقتناص فوز، وغيرها من المعاني التي يصوغها الشعراء في نطاق البحور العروضية الطويلة؛ حتى يأخذ الشاعر براحه وارتياحه، ولكن شاعرتنا في تحدٍّ ربما لمْ تقصد إليه قصدًا، تصوغها في البحور القصيرة التي تصلح لغير هذا الغرض، فتصيب توفيقًا ربما لم يكن ليتحقق لها ولا لغيرها إلاَّ من خلال ملكة سخية معطاءة، وامتلاك لناصية القريض ونصاعة البيان.

في زحام الحياة، وتوالي الأحداث، وفي ظل غفلة الأمة بفعل عوامل التخدير والتغييب والتذويب الحضاري، لمْ تنسَ الشاعرة أن لها في «الشيشان» إخوة في العقيدة، يواجهون حرب إبادة من طواغيت الكفر الذين يصبّون عليهم

باحث لغوي



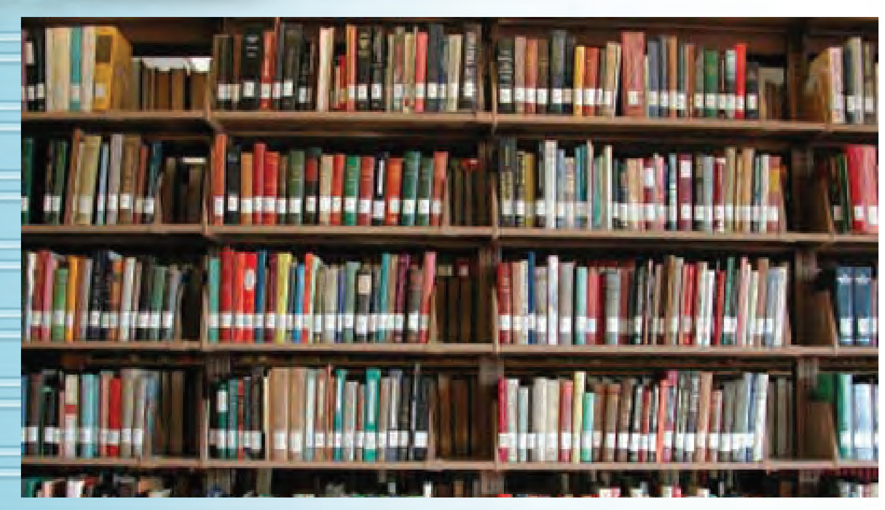
أطنان المتفجرات والقنابل صبًّا، فتدعوهم إلى الاعتصام بالإيمان الذي هو وحده كفيل بسحق جحافل الإلحاد، فتقول:

مهما تمادى الظلم والطغيان
لا تتركي الميدانَ يا شيشانُ
بلْ صابري عند الجهاد وأبشري
لا لن يقيم بأرضكِ العدوانُ
واستعصمي بالصبر في يوم الوغى
فمن الشدائد ينضج الإنسانُ
كل القنابل لن تميت عقيدةً
دستورها وشعارها القرآن
هذي الجحافل رغم كل ضلالها
فلسوف يسحق رأسَها الإيمانُ

الشاعرة المسلمة في هذا العصر، أينما تولِّي وجهها، لا ترى سوى أشلاء تتمزق، ودماء تتدفق، ومنازل تُحرَقُ، ومساجد تُهدَم، وحرمات تُنتهك، وترى إخوانها في العقيدة ما بين جريح وأسير وقتيل، ولا ناصر لهم في ظل العالم المستكبر الذي ضللته أبواق الإعلام والدعاية الصهيونية، فالحل- من وجهة نظر الشاعرة الإسلامية نوال مهنى- هو دعوة المسلمين جميعًا إلى الجهاد المقدس، الذي لا تسترد الأوطان بدونه:

لا لمْ يعد للصمت قط موضع
ضاق الخناق وضاعت الأوطانُ
غير الجهاد فليس يجدي منطقٌ
فالكفر صال وتُعبد الأوثان
بلْ كيف نرضى بالسكوت مواقفًا
وشريعة الإسلام كيف تهان
أجدادنا أصل الجهاد وأهله
يروي التراث وتشهد الأزمان
يدعون جند الحق هيا فانفروا
كيْ يسقط الإرهاب والطغيان

وهكذا رأينا الشاعرة كسائر شعراء الأمة الأصلاء، تصوب قصائدها، وتوجه إبداعاتها للتفاعل مع قضايا وطنها وأمتها، أملًا في استنهاضها من غفلتها، حتى تستأنف مسيرتها ورسالتها الحضارية



المنوطة بها.. وقد تأثرت الشاعرة بمن سبقوها من المبدعين الكبار الذين نافحوا عن قضايا الإسلام والذود عن حياضه، كأمير الشعراء أحمد شوقي.. الذي بلغ افتتانها به حدًّا كبيرا، فتأثرت به، وسارت على دربه، ووفاء منها، نراها تخاطبه في ذكراه، وتعزو إليه فضل البيان الذي ارتشف منه القريب والبعيد:

سلامًا لشوقي أمير القوافي
وكرمة هاني بها العطر صافي
فليس لمثلك جدٌّ قرينٌ
وفضلك في الشعر ليس بخافِ
فكنت النشيد إذا الشرق غنّى
وكنت العزاءَ لشعب يعاني
وكنت الحنين لأرض الخلود
وكنت السفير لأحلى المغاني
فيا دولة الشِّعْر باهي بشوقي
وحيي أميرك في كل آن

إنَّ شاعرية «نوال مهنى» جزء لا يتجزأ من حياتها، وصورة أصيلة مضيئة من شخصيتها، وترجمان صادق لأحاسيسها ومشاعرها، فهي تحيا بالشعر الذي يعينها على الصبر على نوائب الزمن وعوائده، ويمنحها الأمل في الحياة، فتطلق له خيالها، أو كما تقول: «إن الشعر يعطيني فرصة لتفريغ الانفعالات، التي لو كبتها الإنسان كفيلة بأن تدمره، كما أن الشعر له أثر بالغ في التأسي به على الهموم والمحن والأزمات، كذلك من الشعر نستمد الحكم ونستخلص الدروس والعبر؛ لأنني أؤمن برسالة الأدب في الحياة عامة، وأؤمن كذلك برسالة الشعر ودوره في تغيير المجتمع إلى الأفضل، أو الذي ينبغي أن يكون عليه؛ فهو يحفّز الهمم، وينقي النفوس ويزكيها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا، ويساعد على نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة، لأنه يدعو إليها ويحث عليها ويبرز مزاياها ويشرح فضائلها» وراحت شاعرتنا تعارض قصيدة «الشعر والحياة» للشاعر الكبير محمد التهامي، قائلة:

هو الإبداع توحيه حياةٌ
تبوحُ بسرّه حينًا وتكني
فكيف يحيط بالفنان سورٌ؟
وفي أعماقه حرٌّ يغني
فلولا الفن ما ذقنا جمالًا
ولولا الحب ما عشنا لنبني

على الرغم من دعاوى القوم ومزاعمهم بأن مملكة الشعر تهاوت ودالتْ دولتها، وأن «الرواية» أضحتْ ديوان العرب، فإن الشاعرة لا تشاطرهم ذلك الرأي، مؤكدة أن «الشعر وعاء عميق متنوع يحوي القصيدة والموشّحة والأنشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التي تحوي بداخلها





القصة، بلْ إنَّ بيت الشِّعْر الواحد يحوي من الحكمة والعبرة والفكاهة والمثل»

وقالت في ذلك أيضًا:

الشِّعْرفي طبعِ العربْ
رمزُ النجابةِ والأدبْ
ديوانهم وسجلهم
فيه الأصالة والطربْ
وفصاحةٌ نُسبتْ لهم
أكرمْ به هذا النسبْ

وكما وقف البارودي وشوقي وحافظ وأحمد محرم وسواهم من شعراء الوطنية الكبار أمام «النيل» متدلهين به، شاكين له ما يعتصرهم من هموم وآلام- وقفت الشاعرة أمام النيل، مستلهمة من عبقريته وفضله وخيره وبركاته التي عمّتْ الوادي بأسره، والتي زيّنت الأرض وأقامت حوله حضارة إنسانية، شاكرة فضل الله تعالى، ومدركة أنه يجري من عنده سبحانه، دونما حيرة واضطراب، كما حدث مع «شاعر الطلاسم»، فقالت:

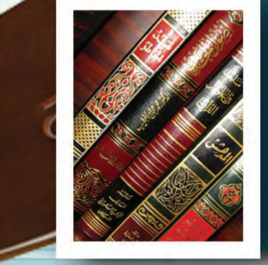
كَمْ فاض النيل بوادينا
كَمْ شاد النهر بماضينا
والشط تُباهي خضرتهُ
كيْ يخطب ودَّ روابينا
فالنيل رحيقٌ مختومٌ
يعطينا خصبًا لا طينا
هبةُ الرحمن إلى مصر
هبة الرحمن لوادينا

هذا، وقد كتبت الشاعرة في جميع أغراض الشعر وفنونه سواء في الوصف أو المدح أو الفخر أو الرثاء... إلاّ (الهجاء) الذي لم تكتب فيه شطرًا واحدًا؛ لأن قلب الشاعرة الإسلامية مملوء بالحنان ومفعم بالرحمة والإيمان، فلم يجد الهجاء على لسانها سبيلًا، وليس من عجب أن يغلب فن الوصف بالذات على إبداعها، فتوليه اهتمامًا بالغًا، وتجيد فيه أيّما إجادة، ذلك الفن الذي كان النقاد القدامى يرون أنه لا تكتمل للشاعر أسباب النبوغ إلاّ إذا أجاد شعر الوصف بعامة ووصف الطبيعة بخاصة، وقد أجاد في هذا اللون أبوتمام والبحتري وابن الرومي والصنوبري والمعتمد بن عباد... وغيرهم، فسارت الشاعرة على درب هؤلاء الرواد.. فلنستمع إليها في رائعتها «دعوة للأمل»:

إنْ رأيتَ الروض يذوي
لابسًا ثوبَ الفقيرْ
أوْ رأيتَ الزهر يغفو
ممسكًا فيه العبير
ورقيق الغصن يهوي
من جفافٍ يستجير
أوْ سمعتَ النهر يشكو
باكيًا فيه الخرير
لا تقفْ خوفًا ويأسًا
فغدًا يأتي الربيعْ
سوف تزدان الروابي
في محيّاها البديع
حين يكسو الروضَ عُشبٌ
نافضًا عنه الصقيع
وتعود الوُرقُ تشدو
في حِمى الزهرِ الوديعْ

الحق، أننا في حاجة إلى مزيد من هذا الشعر العذب الجميل، الموشح بالحُلل البيانية، والمطرز بالصور البديعة، والقيم والمعاني الإنسانية النبيلة، الذي يستحق الوصف الشريف «إنَّ من البيان لسحرًا، وإنَّ من الشِّعْر لحكمة»! ونختم حديثنا هذا، ونحن رافعين أكُف الضراعة ومبتهلين إلى الخالق البارئ- سبحانه وتعالى، المفوّض إليه الأمر كله، ومرددين مع الشاعرة الإسلامية الكبيرة نوال مهنى:

ياربّ أشكو ضارعًا
أنت المجيبُ ولا سواكْ
أنت الغفور لتائبٍ
أنت السميع لمن دعاكْ
أمري إليكَ مفوّضٌ
منْ ذاكَ يُعصمُ من قضاكْ؟
نور الوجود بكوننا
لهبات فيض من سناك
أنت الحبيبُ ودائمًا
القلبُ يخفق من هواكْ



دعوة إلى أدب قرآني

محمود رداوي

إن مجال القرآن وإيحاءاته كبيرة واسعة.. في كل مرة بعد التلاوة أو القراءة يجد قارئه أمورًا ومعاني ودلالات جديدة، وكلما أمعن في التلاوة تكشفت له آفاق جديدة من المشاعر والأفكار، وقد يقف عند الآية أو الآيتين كثيرًا؛ ليستمد منها مادة رائعة في الكتابة الأدبية، وما أكثر تلك الآيات التي تدعو المبدع كي يجول في عالم السماء وعالم الأرض، ليخرج لنا عملًا جديدًا فذا ومتميزًا.

فمعاني الآيات وإيحاءاتها الدالة تلاحق المرء أو تواكبه أينما كان، مع نفسه وأسرته، ومجتمعه، ووطنه، وأمته.. ومع الأحباب الأخيار، والأعداء الأشرار، سواء كانوا فردا أم جماعة، أم قيادة أم دولة.

ويجب ألا يفهم من هذه الدعوة القرآنية أن نحوِّل مجال الأدب القرآني الجديد إلى مجال علم التفسير والمفسرين، ولكن هذا لا يمنع أن يجول المبدع أيضًا في تراثنا التفسيري القديم والحديث، ليستمد منه أجواء تسعفه في ارتياد آفاق عريضة لمعاني القرآن التي ستكون له سندًا لمادته الأدبية.

إننا بصدد عرض مبادئ عامة في التوجه إلى أدب عربي إسلامي جديد، ينبت في أرض متميزة في ماضيها وحاضرها، وإن نصوص القرآن متروكة للمبدع كي يختار أو يستوحي، لأن لكل مقام مقالًا، ولكل حالة اختيارًا.

فالكتاب الإلهي مفتوح، والباب واسع لكل من أراد التقرب منه، وولوجه ليختار ما يشاء، كما قد يقول قائل: الفن والدين. ومع كل ذلك فيمكن لنا- في هذا الصدد- أن ننوّه ببعض الآيات التي يمكن لنا أن نوظفها في أعمال إبداعية، ولنأخذ الآيات التالية حسب تسلسلها في القرآن:

- مثلًا ذاك الذي ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم﴾ (البقرة: ٢٥٩).
- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ...﴾ (يونس: ٤٥).
- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٥٢).
- وعن أصحاب الكهف الذين أماتهم الله أكثر من ثلاثمائة سنة: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾ (الكهف: ١٩).
- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٦).

فهذه الآيات ذات مدلول واحد، وهو الحياة بعد الموت، سواء كان الموت الذي تتبعه الصحوة في الدنيا، أم الموت الذي تتبعه الصحوة في الآخرة، وهو مدلول مكرر كي يكرسه المبدع في موقف أو مشهد قصصي أو روائي حيال الصراع المذهبي الفكري بين الشخوص والأبطال في الحياة، إذ تتناهم قضية جوهرية ومصيرية في حياة الإنسان وإيمانه ووجوده، ومن زوايا مختلفة ومتنافرة، وهي قضية الموت والبعث والحساب، والزمن الفاصل بينهم، فما أكثر المنكرين للبعث؟ أو من هم- على الأقل- يرون أن الحقبة الزمنية التي يرقد فيها الأموات تطول آلاف القرون المؤلفة، بل هي رقدة تكاد تكون أبدية لا تقاس بالسنين والقرون. ولابد من موقف آخر يتبلور كي يتصدى لأولئك المفكرين الملحدين الذين يقيسون أمورهم وزمنهم بمنطق الإنسان في الحياة، وكي يظن- الموقف المتصدي- أن للأموات منطقًا آخر مستمدًا من منطق الخالق حالما تفارق المرء روحه، وحالما يرقد المرء ميتًا سيخضع للمنطق الإلهي حيال الزمن: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧).

وهكذا ستكون رقدة الأموات رقدة قصيرة، ستعقبها اليقظة العاجلة، أي أن البعث والنشور والحساب سيعقب الموت مباشرة، لأن من يمت الآن سيحيا غدًا.. وسيرى أنه كان البارحة حيًّا، وما أقصر تلك الرقدة! وما أسرع الصحوة بعد الموت! ومن تكن هذه هي رؤيته سيخاف كثيرًا في الدنيا قبل أن يدركه الموت وقبل أن يتفرق الحساب السريع.

فعندها سيعرف الجميع.. جميع العباد، كبير وصغير ووجيه وحقير وبريء وظالم أن ثمة حياة جديدة بعد يوم من مماتهم.. كل واحد سينهض، سيحيا سريعًا ليواجه المحكمة الإلهية الكبرى.

* باحث لغوي

آية سورة طه

أحمد بن بحار

نحن- المسلمون- مأمورون بتدبر كتاب الله- عز وجل، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾. وقال عز وجل: ﴿كتاب أنزلنه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ يقول الإمام الشوكاني: «في الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر».

طمعا في التعرض لبركات تدبر كتاب الرب- جل وعلا- سأورد- إن شاء الله- في سلسلة من المقالات آيات من كتاب الله توقفتُ عندها طويلا، أعمل فيها النظر مستهديا بما قرره علماء البلاغة، واللهَ أسأل العون والتوفيق والسداد.

وفي هذا المقال سنقف مع آية سورة طه، وهي قوله- تعالى- حكاية عن موسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ (طه: ١٨).

فقد ذكر كثير من علماء البلاغة والتفسير أن في الآية إطنابا، وأن الغرض منه التلذذ بإطالة الخطاب مع الرب- جل وعلا- إلا أن في نفسي شيئا من هذا التعليل، فالموقف والسياق لا يحتمل هذا التوجيه، بل يدفعه- فيما أحسب- ذلك أن موسى- عليه السلام- كان في موقف يقتضي منه الخوف والفزع، وقد كان ذلك من النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه، والسياق أن موسى عليه السلام ذهب ليأتي بقبس، فناداه الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١١-١٤) وهذا مما لاشك فيه موقف مهيب ذو جلال لاسيما أن موسى فُجِئَ



به، فهل هذا يتناسب مع توجيه الإطناب بالتلذذ بالخطاب؟! بل إن سعدالدين التفتازاني- رحمه الله- ذكر في المطول أن في ذكر المسند إليه- وهو في الآية الكريمة الضمير (هي)- «استلذاذا وبسطا للكلام، ولهذا يطال الكلام مع الأحباء»، وهذا القول من السعد يجعلني أمعن النظر، وأعمل الفكر فيما عنَّ لي عند قراءتي للآية، ونحن إذا ما نظرنا إلى السياق:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه: ٩-٢١).

أمكننا القول جازمين بأن موسى- عليه السلام- فجئ، وبم فجئ؟ بالإله يناديه ويكلمه، وهذا لا مرية موقف جليل ذو مهابة، وموسى- عليه السلام- كثيرا ما اعتراه الخوف الجبليّ الذي يعتري البشر، وفي آيات سورة طه ما يؤكد هذا الخوف منه ﴿قال خذها ولا تخف﴾ (طه: ٢١)، ﴿قالا ربنا إننا نخاف﴾ (طه: ٤٥) ﴿قال لا تخافا...﴾ (طه: ٤٦)، ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ (طه: ٦٧)، وهذا التكرار لخوف موسى في هذه السورة حري بالدراسة، كما أن هناك مواضع أخرى في غير سورة طه تشير إلى خوف موسى- عليه السلام ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ (القصص: ٢١)، وهذا الخوف الجبلي لا يعيب الأنبياء لأنهم بشر.. يقول العلاَمة السعدي رحمه الله- عن خوف موسى عندما ألقى السحرة عصيهم «كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره». وعليه، فإن توجيه الإطناب من موسى بأنه تلذذ في الخطاب وانبساط من موسى ليس بالوجيه- والله أعلم؛ ذلك لأنه لا يتواءم مع

باحث كويتي

طبيعة النفس البشرية، كيف وهما- أي موسى وهارون- يقولان لرب العزة حين أمرهما بالذهاب إلى فرعون: ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ (طه: ٤٥)، فكيف يكون حال موسى عندما فجئ بنداء رب العزة له! إن القول بتوجيه الإطناب بالتلذذ بالخطاب في نفسي شيء منه، ومن ثمَّ أرى أن الأعلى- والله أعلم- أن يقال:

إن موسى توجس خيفة من الاستفهام، وهو استفهام ليس الغرض منه طلب الفهم، وإنما المؤانسة، والتقرير، والتنبيه والإيقاظ، وهو ما أشار إليه الزمخشري، وأبوالسعود. وأما المؤانسة، فلم أرَ من أشار إليها- فيما وقفت عليه- وهي دالة على رحمة الله بعباده، وعلمه بما توسوس به نفوسهم، فموسى عبد من عباد الله كلمه الله تكليما، وهذا كما تقدم موقف جليل عظيم ذو مهابة، ونحن نعلم ما كان من النبي ﷺ حين قال له جبريل- عليه السلام: ﴿اقرأ﴾. فكيف بموسى! وهو الذي كان يسير ليلا يلتمس قبسا، والمعلوم من البلاغة ضرورة أن حال المتكلم والمخاطب معا لهما الأثر الرئيس في هيئة الكلام، يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني- رحمه الله: «إن الألفاظ تقع مرتبة على المعاني المترتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل»، وهذا الكلام من الإمام من أجل وأنفع ما تجده في كتب البلاغة والنقد، نعم؛ لأنه يفتح لك الباب على مصراعيه لتلج قلب المتكلم وعقله، ونحن إذا نظرنا إلى تركيب الآية الكريمة نجد ﴿هي عصاي﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يحذف المسند إليه (هي) لأنه معلوم، ولكن الذكر فيه توكيد، وهذا يعضد ما ذهبتُ إليه من أن موسى كأنه استشعر أن في العصا أمرا ربما يسبب له عقوبة أو مؤاخذة ونحو ذلك، فأكد ليدفع عن نفسه كل ما لاح له من تبعات الاستفهام، وبعض العلماء يرى أن من طرق القصر تعريف الطرفين (هي) (عصاي) بالإضافة، ولم يقل: هي عصا.

إن موسى كان في حال من استشعر الخوف من توجيه الاستفهام ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ ظنا منه أن ثمة ما يؤاخذ به بسبب العصا، مما جعله يقول- تبعا لمقتضى حاله: ﴿هي عصاي﴾ ولعلنا نلحظ الإضافة، فهذه الإضافة لها قيمة رفيعة جدا في بناء الجملة، وهي تعضد الذي تراءى لي عند قراءة هذه الآيات الكريمات؛ لأنها تتضمن نفي كل ما هو خلاف كونها عصاه هو، ثم إنه- عليه السلام- عدد استعمالاته لها، وكل ما ذكر مما ليس فيه تبعة عليه، وهذا يتسق غاية الاتساق مع حال موسى، وفي توجيه الاستفهام رحمة من الله بعبده الصالح، فهذا الكلام من شأنه أن يهدئ من روع موسى، ويعيده إلى شيء محسوس بيمينه طالما صحبه، وغير خاف أن تحول الخطاب من الله عن الله- جل وعلا- إلى الحديث عن العصا يجعل موسى أسكن جنانا وأهدأ نفسا، ومن ثمَّ يهيئه لتلقي الخطاب الإلهي ورؤية المعجزة الكبرى، وهذا لا يصطدم مع ما ذكرتُ، وإنما هو معه في وفاق، ولعلنا نلحظ- أيضا- أنه ذكر أنه يستخدمها في الهش على غنمه وأنه يتوكأ عليها، وهذا فيه إظهار شيء من الضعف مشوب بشيء من طلب الرحمة، ومن ثم تتجلى لنا رحمة الله- عز وجل- من الاستفهام الذي ذكر علماء البلاغة والتفسير أن الغرض منه التقرير والإيقاظ والتنبيه، وهذا حسن جدا، ودقيق جدا، ولكنهم لم يولوا- فيما أعلم- حال المخاطب الخائف عناية نستنبطها من إطناب جوابه عن الاستفهام الذي من شأنه أن يهدئ من روع موسى، ويعيده إلى شيء محسوس في يمينه، ومن ثم يؤهله لتلقي الخطاب الإلهي، ورؤية المعجزة في العصا، وهذا الأخير هو ما نبه إليه العلماء فيما وقفتُ عليه.

وهو ما لمحته من كلام الزمخشري- رحمه الله: «وقالوا: إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته» ثم في قوله- أيضا- في تفسيره للإجمال بعد الإطناب ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ (طه: ١٨).

«وقالوا: إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا: انقطع لسانه بالهيبة فأجمل»، فالقول الأول ليس بالأعلى عندي.

وقد وجدت بعد ذلك حذفا عجبا، وهو في قوله تعالى ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه: ٢١) (لا تخف) بحذف المعمول، نعم.. الذهن ينصرف مباشرة إلى أن تقدير الحذف: لا تخف منها، ولكنه لا يأبى أن يكون المعمول عاما لكل خوف، ومنه الخوف الذي اعترى موسى عليه السلام لهيبة الموقف.

والله تعالى أعلم.



دور الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم

هاني إسماعيل محمد

لم يحظ فن من فنون الأدب العربي بكثرة الدراسات وتنوعها، سواء القديمة منها أو الحديثة، مثلما حظي الشعر العربي، وخاصة الجاهلي منه، إذ يعد المرجع الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانية والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية، فضلا عما يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها، وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسمية الأولى التي دونت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي منذ بزوغ الجنس العربي ونبوغ عقليته.

يفسر لنا هذا مدى احتفاء القبائل العربية بالشعراء الذين كانوا بمثابة المتحدثين الاعلاميين أو الرسميين لقبائلهم، فهم الذين يعبرون عن آراء قبيلتهم وتوجهاتها وينافحون عن جنابها وحرماتها، وهذا ما أكده ابن رشيق في عمدته فقال:

«كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج»(١).

وكما احتفت القبيلة العربية بالشعراء وأشعارهم احتفى المفسرون على اختلاف توجهاتهم وتباين مناهجهم بالشعر، وقاموا بتوظيفه في تفسير النص القرآني الكريم وكشف ما فيه من غريب الألفاظ وغامض المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن ثم كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطًا أساسيًا من شروط من يتصدر للتفسير «وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»(٢)، وقال أبوالليث: «وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير»(٣).

ويؤكد هذا الشاطبي في موافقاته فيقول:

مع بداية ظهور التفسير بدأ الاهتمام بالشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالتها اللغوية

«إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾، وقال ﴿بلسان عربي مبين﴾، وقال: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي أو بلسان العجم، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»(٤).

ومع بداية ظهور التفسير بدأ الاهتمام بالشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالتها اللغوية، وذلك نظرا لما يتضمنه الشعر من ثراء لغوي، ولما يحتويه من خصائص الأسلوب العربي المبين، «فقد كان المفسرون من علماء اللغة الذين يحرصون على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها حتى ذكر الواحدي انه درس اللغة ودواوين الشعراء على شيخه العروضي»(٥).

وتشير المصادر إلى أن حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ورد عنه كثيرًا من الشواهد الشعرية في تفسير آي الذكر الحكيم، يقول عكرمة: «ما سمعت ابن عباس فسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتًا من الشعر، وكان يقول: إذا اعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب»(٦).

وعن سعيد بن جبير قال: «سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا»(٧)، وعنه أيضا وعن يوسف بن مهران أن ابن عباس، «قال: إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربيّ، ثم دعا ابن عباس أعرابيًا، فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق. قال: صدقت»(٨).

وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات التي وردت عن ابن عباس في هذا الباب إلا أن هناك بعض الروايات التي تفيد بأن قصب السبق كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو أول من لفت الأنظار إلى أهمية الشعر في فهم القرآن الكريم وغريب ألفاظه، فقد روي عنه أنه سُئل على المنبر عن قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ فقال له رجل من هذيل التخوف عندنا التنقص، ثم أنشده.

تخوّفَ الرجل منها تامكا قَردا
كما تخوفَ عودَ النَّبْعَة السَّفَن

فقال عمر: أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإنه فيه تفسير

كاتب صحافي



كتابكم(٩).

ومع أن هذه الدعوات صدرت من الرعيل الأول من صحابة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بيد أن فريقًا من المفسرين انصرف عن «الولوج في الشواهد الشعرية لتفسير الآيات القرآنية حذرا من الزلل لاسيما في كتاب الله»(١٠)، وقد ذكر السيوطي أن الفضل بن زياد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله «أنه سئل عن القرآن، يمثل له الرجل ببيت من الشعر؟ فقال: ما يعجبني فقيل ظاهره المنع»(١١)، وهذا يفسر لنا عزوف بل إنكار فريق من المفسرين الاستشهاد ولو ببيت من الشعر مفرد في تفاسيره.

وما عزف المفسرون عن الشعر إلا ورعا وكراهة أن يُصرف معنى من معاني القرآن إلى غير مقصوده، وفي هذا يقول السيوطي: «الكراهة تحمل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها»(١٢).

ومع هذا نجد أن هذا الاتجاه الذي تورع عن توظيف الشعر العربي في فهم النص القرآني لم يكن اتجاهًا سائدا بل كان محدودًا، وعلى العكس من ذلك كان معظم المفسرين ومن قبلهم النحويين يلجأون إلى الشواهد الشعرية لتفسير غريب ألفاظ القرآن، ويصرح بذلك ابن الأنباري بعدما ذكر دور ابن عباس في الاستشهاد بالشعر في الرد على مسائل نافع بن الأزرق عن مواضع في القرآن فيقول: «فيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلا للقرآن، وليس كذلك، وإنما أراد النحويون (وعلى إثرهم المفسرون) أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال:﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ وقال تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (١٣).

وقد قال أبوهلال العسكري في صناعتيه وهو ينوه إلى فضائل الشعر: «من ذلك أيضا أن الشواهد تنزع من الشعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول شاهد»(١٤).

وهذا القول يلفت انظارنا إلى قضية الطعن في الشعر العربي، والجاهلي منه خاصة، كما رأينا في كتاب الدكتور طه حسين «في الشعر الجاهلي»، فالطعن في المصدر الرئيسي والمنبع الأول للغة القرآن الكريم يعد طعنًا صريحًا في القرآن الكريم وطعنا في شواهدها التي عول عليها المفسرون(١٥)، حيث أراد الطاعنون من مستشرقين وتلامذتهم أن يطعنوا في القرآن ومعانيه «عن طريق خافت الضوء هو الشعر، حتى لا تحدث ضجيجًا أو صياحًا يفسد عليها هدفها الذي تسير فيه حتى تصل إلى غايتها الخطيرة، وهي تقصد أساسًا إلى محاربة القيم الإسلامية وإزاحة فكرة الأصول الثابتة»(١٦)، عبر التشكيك في شاهد القضية الرئيسي، الشعر العربي الذي وصفه ابن رشيق في عمدته: «بأكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته، وتمتثل إرادته»(١٧)، ومن قبله وصفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأصح علوم العرب حين قال: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»(١٨).

ومن الأمثلة الموضحة لمدى توظيف الشعر في كشف غموض الدلالة اللفظية والتراكيب اللغوية في السياق القرآني ما جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أي قعر النار، ومنها منشؤها ، ثم هي متفرعة في جهنم، طلعها أي ثمرها، سمي طلعها لطلوعه، كأنه رؤوس الشياطين قيل: يعني الشياطين بأعيانهم، شبهها برؤوسهم لقبحهم، ورؤوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة هي كصورة ملك، ومنه قوله تعالى مخبرًا عن صواحب يوسف: ﴿ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ وهذا تشبيه تخييلي، روي معناه عن ابن عباس والقرظي، ومنه قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وإن كانت الغول لا تعرف، ولكن لما تصور من قبحها في النفوس، وقد قال الله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ فمردة الإنس شياطين مرئية، وفي الحديث الصحيح: ولكأن نخلها رؤوس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين والغيلان، وقال الزجاج والفراء: الشياطين حيات لها رؤوس وأعراف، وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسمًا.

الهوامش

١- ابن رشيق: العمدة ٦٥/١.
٢- السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ٤٤٤/٢.
٣- السابق: ٤٤٧/٢.
٤- الموافقات: ٣٠٥/٢.
٥- الشاهد الشعري في تفسير القرآن عبدالرحمن الشهري ص ٢٠٩.
٦- التبريزي، شرح حماسة أبي تمام ١/٣.
٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤١.
٨- تفسير الطبري: ٦٩٠.
٩- الموافقات: ٣٢١/٢.
١٠- المفسرون واهتمامهم بالشعر العربي: د.أحمد حمد سليمان الصقعبي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع ٨٣ ديسمبر ٢٠١٠، ص ٣١.
١١- الإتقان للسيوطي: ٤٤٤/٢.
١٢- السابق: نفس الصفحة.
١٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٩٧/١.
١٤- الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٤٣/١.
١٥- انظر تفصيل الطعن في الشعر والرد عليه في الشاهد الشعري للدكتور الشهري ص ٢١٢ وما بعدها.
١٦- أنور الجندي: مقال الحداثة، مجلة منار الإسلام الإماراتية، عدد ربيع الأول ١٤٠٦هـ.
١٧- العمدة: ١٦/١.
١٨- طبقات فحول الشعراء للجمحي: ٢٤/١.



قصة العدد

أعمى يقود بصيرًا وراشد لم يكن راشدًا

عبدالرحمن قره حمود

نعم لم يكن راشدًا لأنه بلغ الثلاثين من عمره ولم يعرف لماذا خلق؟ لقد كان مهرجًا حريصًا على إضحاك شلة من رفقاء السوء فرحًا بأنه يملك موهبة في التقليد ولم يدر أن التقليد من عمل القرود، لقد كان فخورًا بقوله: «لم يسلم أحد مني ومن سخريتي، حتى شلتي كانوا يتحاشون تعليقاتي اللاذعة عليهم».

قال: «لم أكن قد تجاوزت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي وفي تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته في السوق، والأدهى أنني وضعت قدمي أمامه ليتعثر، تعثر وانطلقت ضحكتي، عدت إلى بيتي متأخرًا، وجدت زوجتي في حالة يرثى لها، قالت: أين كنت يا راشد؟ فأجبتها ساخرًا في المريخ، قالت: أنا «تعبانة» ويبدو أن موعد ولادتي صار وشيكًا، فانطلقت بها إلى المستشفى، تركتها هناك ورجعت إلى البيت، ثم اتصلوا بي ليزفوا لي قدوم سالم أول أولادي، فانطلقت إلى المستشفى، فطلبوا مني مراجعة الطبيبة، فصدمت حين علمت أن ابني ولد أعمى، تذكرت المتسول الذي سخرت منه في السوق.. آه، كما تدين تدان، لم تحزن زوجتي، كانت مؤمنة بقضاء الله راضية مطمئنة، وطالما نصحتني بالكف عن السخرية من الآخرين، لم أكن أهتم بسالم كثيرًا، اعتبرته غير موجود، حين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة لأنام فيها، كانت زوجتي تهتم به كثيرًا وتحبه، أنا لم استطع أن أحبه، وحين اكمل الثانية من عمره اكتشفنا أنه أعرج، وكلما ازددت ابتعاداً عنه، ازدادت زوجتي حبًا له واهتمامًا به حتى بعد أن أنجبت عمر وخالدًا، ومرت سنوات كنت فيها لاهيًا غافلاً كنت كاللعبة في أيدي رفقاء السوء، لم تيأس زوجتي من إصلاحي، كانت تدعو لي دائما بالهداية، كبر سالم وأدخلته مدرسة خاصة بالمعاقين، لم أكن أشعر بمرور السنوات، فأيامي عمل ونوم وطعام وسهر، حتى حدث ما حدث ذلك اليوم، كان يوم جمعة، استيقظت عند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بسبب بكاء سالم المزعج الشديد، كان يبكي بحرقة سألته لم تبكي؟ قال: أريد الذهاب إلى المسجد، ولا أجد من يرافقني إليه، قلت: أنا أرافقك، استغرب، لم يصدق، ظن أني أسخر منه، فعاد إلى بكائه، مسحت دموعه وأمسكت بيده، أردت أن أوصله بالسيارة فرفض قائلًا: أبي.. المسجد قريب، أريد أن أخطو إلى المسجد، لا أذكر متى دخلت المسجد آخر مرة، ولا أذكر آخر سجدة سجدتها، إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والندم، ورغم أن المسجد كان ممتلئا بالمصلين فقد وجدت لسالم مكانًا في الصف الأول، وبعد انتهاء الصلاة طلب مني مصحفًا، فاستغربت كيف سيقرأ وهو أعمى؟ طلب مني أن أفتح المصحف على سورة الكهف، وضع المصحف أمامه وبدأ في قراء السورة، فإذا به يحفظها كاملة عن ظهر قلب، خجلت من نفسي، وأمسكت مصحفًا، أحسست رعشة في أوصالي، قرأت وقرأت، ودعوت الله أن يغفر لي ويهديني.

هذه المرة أنا من بكى وليس سالمًا، بكيت حزنًا وندمًا على ما فرطت ولم أشعر إلا بيد سالم تمسح دموعي، وعدنا إلى المنزل، كانت زوجتي قلقة على سالم، لكن قلقها تحول إلى دموع فرح حين علمت أني صليت معه، ومنذ ذلك اليوم لم تفتني صلاة الجماعة في المسجد، هجرت رفقاء السوء وأصبح لي رفقاء خيرون عرفتهم في المسجد، ذقت معهم طعم الإيمان، وأحسست أني أكثر قربًا من أسرتي، ما عادت الابتسامة تفارق وجه ابني سالم، من يراه يظن انه ملك الدنيا وما فيها، حمدت الله كثيرًا على نعمه وصليت كثيرًا، وذات يوم قرر أصحابي في المسجد وأنا معهم التوجه إلى بعض المناطق البعيدة للدعوة إلى الله، تغيبت عن البيت ثلاثة أشهر ونصف الشهر، كنت خلالها أتصل بالبيت كلما سنحت لي الفرصة، اشتقت إلى سالم، تمنيت سماع صوته، فهو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافرت، كانوا يقولون لي مرة هو في المدرسة، ومرة في المسجد، فأطلب من زوجتي أن تسلم عليه وتقبله، فتسر بذلك وتضحك، وفي آخر مرة لم أسمع ضحكتها المتوقعة، تغير صوتها قالت لي إن شاء الله، وعندما عدت إلى المنزل تمنيت أن يفتح سالم لي الباب، لكن فوجئت بخالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره، لقد سعدت زوجتي بقدومي لكن هناك شيء قد تغير إنها نظرات الحزن، سألتها ما بك؟ قالت لا شيء: قلت لها أين سالم؟ فلم تجب وسمعت صوت خالد الذي مازال يرن في أذني حتى هذه اللحظة: «بابا.. سالم راح الجنة عند الله» فأجهشت زوجتي بالبكاء وخرجت من الغرفة، عرفت بعدها أن سالما أصابته حمى قبل مجيئي بأسبوعين وبعد مكوثه يومين في المستشفى فارق الحياة.

وعرفت أن ما حدث هو ابتلاء واختبار، فصبرت على مصابي، وحمدت الله الذي لا يحمد على مكروه سواه، ومازلت أشعر بيد سالم تمسح دموعي، وبذراعه تحيطني، كم حزنت على سالم الأعمى الأعرج، لم يكن أعمى أنا من كنت أعمى، فأنقذني الله به من المهالك، سالم الذي امتنعت يومًا عن حبه اكتشفت اليوم أني أحبه أكثر من اخوته، بكيت كثيرًا، ومازلت حزينًا كيف لا وقد كانت هدايتي على يديه؟

هذا ما قاله الكاتب محمد الفوزان تحت

باحث سوري



عنوان «سالم البطل المعوق»، أما أنا فأقول له: هنيئًا لك يا أخي، إني أغبطك على حب الله لك فقد رزقك زوجة مؤمنة صالحة صابرة وراضية، كما رزقك ولدًا لم تحبه لأنه أعمى وأعرج، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم...﴾ (النور: ١١).

لقد كنت في الثلاثين من عمرك ولم تكن راشدا، وكان طفلا لم يبلغ سن الرشد لكنه كان بفضل الله «راشد»، وجلب معه لك ولأمه الخير الكثير، فمن خيره لأمه صبرها عليه وفوزها- إن شاءالله- بما وعد به بقوله: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر: ١٠)، ومن خيره لك أن جعله الله سبب هدايتكم، ثم ابتلاكم بفقده بعد حبك له لتكون أنت أيضًا من الصابرين الذين يوفون أجرهم بغير حساب.

ومن خيره أيضًا أنك أصبحت إمامًا وخطيبًا وداعية بعد أن كنت شريرًا بلغ بك الشر أن تسخر من الأعمى الذي رأيته في السوق وتضع قدمك أمامه ليتعثر وتضحك.

ومن خيره أيضا توبتك وندمك وبكاؤك على ما فرطت في حق نفسك مما جعلك ممن قال الله عنهم: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (الفرقان: ٧٠) ومن خيره هذه القصص الإسلامية التي تكتبها يوميًا في الجريدة، وأخيرًا كيف تحزن على من أحبه الله فلم يطل بقاءه- وهو الكفيف الأعرج- في دار الشقاء ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (طه: ١١٧) ، بل عجل به إلى دار البقاء ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ (الأعلى: ١٧)، ألم يقل رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن»، فلم تحزن على من يخرج من السجن مبكرًا؟!

إن المؤمن إذا مات يصبح في مكان لا يحب الرجوع منه، اللهم إلا إذا كان شهيدًا فإنه يحب أن يعود ويعود ليقتل ثم لفرط ما يجد من حلاوة الشهادة.

وكل ما في الأمر أنه سبقك في الخروج من دار الشقاء إلى دار البقاء وستلحق به قريبًا مهما طال عمرك وهو بانتظارك.

فهنيئًا لك يا أخي بزوجتك المؤمنة الصالحة الصابرة وبولدك الداعية الصغير، ثم حب الله لك الذي أخرجك من الظلمات إلى النور.

ولو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع.

تسابيح بلبل

د. رفيق حسن الحليمي

غرَّد البلبلُ يومًا
فَوقَ أغصانِ الشَّجَرْ
طائرًا بَينَ غُصُون
هائمًا بَينَ الزَّهرْ
في جُمُوعٍ مِنْ طُيُور
ذات ألحانٍ أُخر
في ظلال وارفات
و عـــيـــو ن
و نـــهـــر
زانت الكون بهاء
مَعْ عبير ينتثر
نسمات من عليل
تتهادى في خفر
يا له صبحًا جميلا
في شروق ينتشر
شدني لحن عجيب
يا لقلبي قد ظفر
هاج شوقي بعد ليل
مائج لا يستقر
يكتوي الجسم بنار
تتلظى في شرر
يتجافى عن منام
أو سكون منتظر
مُدْنَفًا يغفو قليلًا
مشفقا يرجو المفر
في ذهول وشرود
واضطراب في الفكر
و عيو ند ا معا ت
تتها و ى كا لد ر ر
و ز فير و شهيق
وانقباض في الصدر
ليس طيف يجتبيه
بعد أن ولى العمر
ليلتي ليل طويل
غاب نجمي والقمر
ليس في ليلي متاع
من غناء أو سمر
ليتني كنت كطير
لا يبالي من ضجر
شاءت الأقدار أني
كائن بين البشر
فر ضينا بقضا ء
و ا رتضينا با لقد ر
ليس هم يعتريه
لا، ولا يشكو كدر
هائمًا بين أقاح
مع أليف ينتظر
لا يبالي من مصير
أو فناء قد قدر
أو غيوم ممطرات
أو سماء مكفهر
أو شموس ساطعات
أو وهـــاد ووعـــر
حوله الأعداء ترنو
بين باز ونسر
ترك الأعداء تهذي
في اغتياظ ومكر
ملأ الجو غناء
ينتشي منه البشر
جل من أعطاك صوتًا
حكمة فيها عبر
جل ربي في علاه
جل ربي واقتدر

أكاديمي فلسطيني

كتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»

التحرير

الكتاب: سلم الوصول إلى طبقات الفحول
المؤلف: حاجي خليفة
الناشر: منظمة المؤتمر الإسلامي (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول).
سنة النشر: ٢٠١٠م عدد المجلدات: ستة مجلدات
تحقيق: محمود عبدالقادر الأرناؤوط
تدقيق: صالح سعداوي صالح

كان من مجالات النشاط الأساسية التي عُني بها مركزُ الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أعمال فهرسة المخطوطات المتعلقة بتاريخ الإسلام وثقافته، ثم العمل على حماية تلك المخطوطات ونشرها والتعريف بها.

قيمة الكتاب

كتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، عمل مهم وضعه في تراجم الأعلام كاتب حلبي «حاجي خليفة» (ت ١٦٥٧م)، العالم العثماني الكبير، صاحب كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» الذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي، وهو على رأس أهم الشخصيات التي ألفت في مجال التراجم العامة، وعلى الرغم من وفاته في سن مبكرة إلا أنه نجح في كتابة عديد من الكتب القيمة، من أهمها وأكبرها كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» في التعريف بالكتب وموضوعات العلوم، وكتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» في التراجم، ثم كتاب «فذلكة» في تاريخ الإسلام العام، وكتاب «جهاننما» أي: مظهر العالم في الجغرافيا، وقد طبع الكتابان الأول والأخير أكثر من مرة، أما «سلم الوصول» الذي لا يقل أهمية عن هذين الكتابين المنشورين، وكذلك «فذلكة» فلم يستطع أحد التصدي لنشرهما حتى الآن.

والجدير بالذكر أن «سلم الوصول» هو من أكبر الكتب التي ظهرت في التراجم العامة الإسلامية في تاريخ الأدبيات العثمانية، وقد تناول فيه المؤلف حياة رجال الدولة البارزين في تاريخ الإسلام، وحياة العلماء والشخصيات المهمة التي احتلت مكانتها في الأدبيات الإسلامية، رغم أنها عاشت قبل ظهور الإسلام، ثم عن أعمال ومؤلفات هؤلاء، مع ترتيب كل ذلك في مداخل ألفبائية، كما قدم لنا في القسم الثاني من الكتاب (ج٤، ٥) معلومات في الأنساب والكنى والألقاب، وعرّف بعض الأماكن والفرق والمذاهب المختلفة.

وقد حرص المؤلف رحمه الله وهو يُعِدّ كتابه على الحديث في المقدمة عن المنهج الذي جرى عليه، مع تقديم شروح حول علم التاريخ وبعض الأنساب، أما الخاتمة فضم فيها معلومات إضافية مكملة للمعلومات الموجودة في نص الكتاب، ومن هنا فالكتاب ليس مقصورًا على التراجم وحدها، وإنما يعد أيضًا واحدًا من كتب الأنساب.

مضمون الكتاب

إن كتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» معجم بيوغرافي شامل للأدبيات الإسلامية، يضم في مجمله نحو ٨٥٦١ ترجمة، جرى ترتيبها في قسمه الأول بحسب أسماء الأشخاص، أما في القسم الثاني فإنه يتحدث عن كنى وأنساب وألقاب هؤلاء الأعلام وغيرهم بطريقة منهجية معينة.

مؤلف الكتاب

مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ويعرف بملا كاتب جلبي أو شلبي، رئيس كتبة أسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية في أيام سلطنته، ولد في القسطنطينية وأبوه من رجال الجند، ولما ترعرع استخدم كاتبًا في نطارة الجيش والأناضول، ثم انتقل إلى بغداد وارتقى المناصب حتى صار من رؤساء الكتاب، وعاد إلى القسطنطينية واشتغل بالعلم، ثم أعيد إلى بغداد وهمدان وصحِب

الصدر الأعظم محمد باشا إلى حلب، ومنها إلى مكة، حيث قضى فريضة الحج وسمي من ذلك الحين حاجي، وتفرغ بعد ذلك للعلم، ولقُب خليفة منذ كان معاونًا أو وكيلًا في إدارة المالية.

ولحاجي خليفة زهاء عشرين كتابًا في غاية الأهمية، منها «جهاننما» المطبوع سنة ١١٤٥هـ وفيه يصف قارة أمريكا، و«لوامع النور في ظلمة أطلس مينور»، ألفه بمساعدة صديقه الراهب الفرنسي الذي اعتنق الإسلام وتسمى بـ«محمد إخلاصي»، وساعده في ترجمة طائفة من الكتب الأوروبية في تاريخ الفرنجة.

كان رحمه الله واحدًا من أبرز الشخصيات التي عرفتها الأمة التركية وعرفتها الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كله على الإطلاق، فانفتاحه في ذلك العهد المبكر على ثقافات مختلفة، ولاسيما على ثقافات وعلوم الغرب قد جعله يتبوأ مكانة تليق به بين الرواد الذين أقاموا أولى الاتصالات فيما بين الشرق والغرب.



توفي في سن التاسعة والأربعين، ومع ذلك فقد استطاع بكتبه التي أنجزها خلال تلك الحياة القصيرة مع كثرةٍ عددها وتنوع موضوعاتها، فضلاً عن محتواها وأصالتها أن يحتل مكانة متميزة في الأدبيات العثمانية والإسلامية، واستطاع كاتب جلبي بذهنه الوقاد وفكره النقاد وإحاطته الموسوعية وأعماله المنظمة التي تركها لنا أن يتحف دنيا العلم ومن خلال منهج علمي لم يدركه أحد في عصره بتراجم رجال برزوا في تاريخ الحضارة الإسلامية وأدبياتها، وقد حظيت تلك الأعمال باهتمام رجال العلم في الغرب منذ عهد مبكر، ولا يزال كل كاتب منها يحافظ على قيمته كمرجع لا يمكن الاستغناء عنه في بابه حتى اليوم.

كان كاتب جلبي يجيد التركية والعربية والفارسية، أي «الألسنة الثلاثة» بالمصطلح العثماني، ولهذا فقد استطاع بخبرته وبراعته العاليتين الاستفادة في تأليف أعماله من المصادر والمراجع المدونة بتلك اللغات الثلاث، فإلى جانب استخدامه الأوسع للغة التركية التي هي لغته الأم قد استفاد بكل يسر من اللغتين الأخريين عند الحاجة، ويدلنا اختياره للغة معينة منها في تأليفه أو ترجمته لأحد الكتب على ماهية الهدف الذي قصده من ذلك الكتاب وعلى كتلة القراء التي أرادها له.

المجتمع المسلم ورعايته لذوي البصيرة

د. ناصر أحمد سنة

المتأمل في كتاب الله تعالى، وسنة مصطفاه، ﷺ، يجد نظامًا إيمانيًا تربويًا اجتماعيًا تكافليًا شاملًا.. نظام من ركائزه «تبني هموم الناس، وبخاصة ذوي الاحتياجات الخاصة، والسعي لمعالجتها، وتفريجها»، وتعتبر فئة ذوي البصيرة ممن كُفّ بصرهم، من أكثر فئات ذوي الاحتياجات الخاصة «حظًا» من حيث الرعاية المجتمعية عبر التاريخ، وقد كانت أوضاعهم في المجتمع المسلم أفضل بكثير إذا ما قورنت بأقرانهم في مجتمعات أخرى.

كانت المجتمعات الغربية القديمة (كإسبرطة وأثينا وروما) تقوم بعزل الأشخاص الأسوياء، فما الظن بغيرهم ممن تنقصهم القدرة على اكتساب العيش أو الدفاع عن النفس؟ فكانوا يعتبرونهم عبئًا ثقيلًا على المجتمع، وفئاته الأخرى، وكان هذا العزل يأخذ أشكالًا مختلفة قد تصل إلى التخلص منهم بالقتل، ثم استيقظ الضمير الإنساني نحوهم فتم إنشاء ملاجئ مختلفة للعناية بالعجزة، والمعاقين، والمُعوزين وغيرهم، وكانت الخدمات المُقدمة لهم تقتصر على توفير المأوى والغذاء والكساء.

لقد أولى الاسلام، دين الله تعالى، وخاتم شرائعه، اهتمامه الكبير بكل شؤون الحياة ونُظمها.. عامة وخاصة، فردية واجتماعية... الخ. لذا فقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرًا بحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، ومنهم من كُفّ بصره، فحرص على تلبية احتياجاتهم المختلفة ودمجهم في المجتمع، ويكفي أن الله تعالى قد عاتب رسوله ﷺ في شأن واحد من هؤلاء المكفوفين (عبدالله بن أم مكتوم): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (عبس: ١-١١). فكان ﷺ حين يقابل «ابن أم مكتوم» يقول له: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي»، وكان إذا غاب عن المدينة- بعد الهجرة- يوليه عليها حتى يعود.

ولقد أكرم الله تعالى المكفوفين بما يجبر خواطرهم ويعلي مكانتهم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته بها الجنة» (يريد عينيه) (رواه البخاري). فالمؤمن المُبتلى بفقد نعمة البصر (يتراوح هذا الابتلاء بين العمى الكامل وحالات أخرى قريبة منه) يستقبل قضاء الله وقدره بكل إيمان ورضا، ولقد كان المؤمنون، قديمًا وحديثًا، أمام هذا الابتلاء أطيب قلوبًا، وأسلم صدورًا.

ولا يغيب عن البال حديث الثلاثة، الأقرع والأبرص والأعمى، وهو في صحيح مسلم. يقول الوزير «ابن هبيرة» في كتابة «الإفصاح» بعد إيراد حديث الثلاثة: «البلاء إلى السلامة أقرب من العافية إليها، ألا ترى كيف هلك مع السلامة اثنان: الأبرص والأقرع، ونجا واحد وهو الأعمى»، فالصبر على البلاء يكون خيرًا للمبتلى، وقد حذر الحديث من اتهام القدر، فإن الله ينظر للعبد في الأصلح، والعبد لا يعلم العواقب، و«الصواب أن يسأل الله العافية من

البلاء والتوفيق إلى رضاه».

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)، يقول الإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»، وفي معرض حديثه عن كفار مكة: «إن الأبصار لا تعمى، أي إن أبصار العيون ثابتة لهم، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن إدراك الحق والاعتبار»، إلى أن قال- رحمه الله- وقال قتادة وابن جبير: «نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم رضي الله عنه». وقال ابن عباس ولما نزل ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٢)، قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى، أفأكون في الآخرة أعمى، فنزلت: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار، لكن إذا رزق الله العبد الاستقامة والتفقه في الدين والعمل بشرع الله فلا يضره عمى البصر كما قال ابن عباس رضي الله عنه:

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فإن قلبي مضيء ما به ضرر

أرى بقلبي دنياي وآخرتي
هو القلب يدرك ما لا يدرك البصر

وقال ابن كثير: «ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر». ففي ذلك عظة وإرشاد إلى خير علاج وهداية لنفس المُبتلى ليجتث منه أي شعور بقلق أو بنقص، ويحل مكانه الرضا والثقة ويرشده إلى أن ما يعانيه لا ينقص من كرامته ولا يحط من قيمته في الحياة، فالعاهة الحقيقية هي التي تصيب الدين والخلق السليم، ولمن أراد المقارنة أن يقارن بين إنسان موفور الأعضاء سقيم الإيمان، وبين عليل سليم العقيدة صحيح الإيمان، ويقارن بين من فقد البصر مثلا، وآخر فقد الشرف، وبين بتر اليد أو الرجل وبتر الكرامة والأخلاق وتشوه الدين والضمير.

في المجتمعات الغربية القديمة كانوا يعتبرون المعاقين عبئًا ثقيلًا على المجتمع

إن أمثال تلك المقارنات لتحمل على الحمد والرضا بسلامة ذي العاهة الجسدية من الإصابة بعاهة إيمانية أو خلقية.

وقد أكد صلى الله عليه وسلم على قيمة «المساواة» في أكثر من حديث، ففي حجة الوداع التي حوت جوامع الكلم ولخصت قواعد الإسلام قال صلى الله عليه وسلم «أيها الناس.. إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم».

ولكي ينزع من النفوس بقايا نزوع أرضي قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

كما أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد حث على إحصاء عدد المعوقين في الدولة الإسلامية، ووضع الإمام أبوحنيفة تشريعًا يقضي بمسؤولية بيت مال المسلمين عن النفقة على المعاقين، أما الخليفة الوليد بن عبدالملك فقد بنى أول مستشفى للمجذومين عام ٨٨هـ، وأعطى كل مُقعد خادمًا، وكل أعمى قائدًا، ولما ولى الوليد إسحاق بن قبيصة الخزاعي «ديوان الزمنى» بدمشق قال: لأدعن الزَّمِن أحب إلى أهله من الصحيح، وكان يؤتى بالزمِن حتى يوضع في يده الصدقة، والأمويون عامة أنشأوا مستشفيات خاصة، فأنشأ الخليفة المأمون نزلًا للعميان والنساء العاجزات في بغداد والمدن الكبيرة، وقام السلطان قلاوون ببناء بيمارستان لرعاية المعاقين، بل وكتب كثير من علماء المسلمين عنهم مثل: «الرازي» الذي صنف «درجات فقدان السمع» وشرح «ابن سينا» أسباب حدوث الصمم.

بل إن من العلماء المسلمين من كان يعاني من إعاقة، ومع هذا لم يؤثر ذلك عليهم فأصبحوا- برعاية ومساعدة محيطهم الأسري والاجتماعي- أعلامًا بارزين، وممن تطرق إليهم «ابن قتيبة» في كتابه «المعارف» حيث ختمه بفصل عن المكفوفين، وعدّ منهم أبا قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأبا سفيان بن حرب، والبراء بن عازب، وجابر بن عبدالله، وكعب بن مالك الأنصاري، وحسان بن ثابت، وعقيل بن أبي طالب. وعقد «ابن الجوزي» في كتابه «تلقيح مفهوم أهل الأثر» فصلًا عن المكفوفين من الأشراف والصحابة والتابعين، ومنهم أبان بن عثمان، ومحمد بن سيرين، ودعبل الخزاعي، والقاضي عبده السليماني، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج، وحاتم الأصم، وسليمان بن مهران الأعمش، وأبوالعباس الأصم وغيرهم. ومن خيرة من كتب عن المكفوفين في عصرنا الحاضر وأشاد بفضلهم وعدد مناقبهم الشيخ أحمد الشرباصي في كتابه القيم «في عالم المكفوفين»، وهو دائرة معارف في هذا الموضوع.

ومع مطلع القرن السابع عشر الميلادي استطاع عدد من المكفوفين العباقرة بجهود فردية أن يثبتوا وجودهم، فلم يتمكن هؤلاء الأفراد من تعليم أنفسهم فحسب بل برزوا في فنون الحياة، ولقد كان لتفوقهم كبير الأثر في إنشاء مؤسسات تعليمية وتأهيلية للمكفوفين فيما بعد، ثم نشدت شعوب العالم المعاصر إلى تكامل بين شرائح المجتمع المختلفة، وتهيئة الظروف التعليمية، والتأهيلية،

والنفسية، والاجتماعية لتمكين المعاقين من الاندماج في المجتمع.

من أهم حقوق ذوي البصيرة

الإعاقة البصرية تحد من فرص الطفل في التعلم الطبيعي من خلال الخبرات والتفاعل مع البيئة المحيطة، حيث يفتقد الإثارة البصرية اللازمة للنمو والتعلم الطبيعي، فضلًا عن حماية الأهل الزائدة له، وعدم الشعور بالأمن أو الثقة بالنفس، لكن في مجالات مختلفة في مقدمتها التربية والتعليم حظي «ذوو البصيرة» في المجتمع المسلم بقدر كبير من الاهتمام والرعاية، وكانت الكتاتيب التي تقوم بتحفيظ كتاب الله تعالى، وتدريس اللغة العربية وعلومها، ثم كان «الأزهر الشريف» أول مؤسسة تعليم عال تفتح أبوابها لهم، في عام ٩٧٠م، ولقد تركت تلك المبادرة- والتي أصبحت تقليدًا رائدًا انتشر في أرجاء العالم الإسلامي- بقبول المكفوفين بصريًّا للدراسة مع أقرانهم المبصرين أثرًا عظيما في حياتهم التعليمية والعملية، كما بدأت مدارس منفصلة خاصة بالمكفوفين بصريًّا عرفت بـ«معاهد النور» تظهر إلى حيز الوجود، بدأت هذه المعاهد نهارية، ثم اتجهت لتكون مدارس داخلية، ولعل ذلك يعود إلى أن النظام المبتكر لـ«برايل» كنظام قراءة وكتابة موحد للمكفوفين عزز بشكل أو بآخر فلسفة قيام هذه المدارس، كما لا ننسى مدارس ودور ومعاهد ومراكز متخصصة لرعاية ذوي الإحتياجات الخاصة، ومنهم المكفوفون، تتولى مسئوليتها وزارات التعليم والشؤون الاجتماعية في مختلف الدول الإسلامية.

وبهذا وذاك حقق المكفوفون في المجتمعات الإسلامية نجاحا تعليميا باهرًا، واستطاع بعضهم بعد تخرجه أن يحتل مراكز قيادية مهمة (قضاة ومدرسون وعلماء وخطباء... الخ)، فكان- وما يزال- للمكفوفين دورهم البارز في خدمة المجتمع الإسلامي وإثراء المكتبة الإسلامية، والقيام بدور ريادي في مجالات العلم والقضاء والأدب والشعر والفقه والفتوى، وقدرتهم على المساهمة والمشاركة والإبداع في هذه العلوم من الأمور التي تحدثت عنها كتب السير والتاريخ والتراجم.

فهم كغيرهم من فئات المجتمع، لا يختلفون من حيث الجد والاجتهاد والذكاء والعلم والمعرفة، بل إن بعضهم يبُز غيره، ذلك لأن «ذهنه وفكره وبصيرته تجتمع عليه وتثقل متشبعة بما يعايشه». وقد عقد «الصفدي» في كتابه «نكت الهميان في نكت العميان» فصلًا عن ذكائهم وطرفًا من أخبارهم، ومما أورده: «قل أن يوجد أعمى بليد، ولا يُرى أعمى إلا وهو ذكي ومنهم «الترمذي»، الكبير الحافظ، و«الشاطبي»، و«المقريّ»، و«السُهيلي» شارح السيرة، و«ابن سيده» اللغوي المعروف، و«بشار بن برد» وغيرهم. ومن المُحدثين الشيخ «محمد بن إبراهيم آل الشيخ»، والفقيه الشيخ «عبد الله بن محمد بن حميد»، والفقيه الشيخ «عبد العزيز بن عبد الله بن باز»، والشيخ «عبدالله بن محمد الغانم» وغيرهم.

حقق المكفوفون في المجتمعات الإسلامية تعليمًا باهرًا واستطاع بعضهم أن يحتل مراكز قيادية مهمة

والمجتمع المسلم ينهض بما أمر الله تعالى ونهاه، وقد نهى الشرع الحنيف عن الغيبة والنميمة، فمن حقوق هذه الفئات عدم السخرية منهم قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١) فالمجتمع الذي يزدري فيه الأصحاء أهل البلاء يكون مصدرًا لشقاء وألم هؤلاء، قد يفوق ألم الابتلاء، في حين أن لأهل البلاء مكانة في المجتمع بإسهامهم في خيره، قال ﷺ: «هل تنصرون، وترزقون إلا بضعفائكم» (رواه البخاري).

خلاصة القول: علاقة المكفوفين بمجتمعهم تحكمها أطر متباينة: إما أنهم عبء عليه، أو يعتبرهم قصرًا تحت الوصاية، أو النظر إليهم كأعضاء عاملين به، وهذا الإطار الأخير حرص المجتمع المسلم على الأخذ به، وعمل على حسن دمجهم فيه، إذا إن كف البصر ليس عائقًا للكفيف، فهو يحمل من القدرات ما يؤهله للعمل الذي يتفق مع ميوله واستعداداته، وهو قادر، بإذن الله، على المساهمة في العطاء والمشاركة في البناء الحضاري والتنموي إذا تم تأهيله التأهيل المناسب، الذي لا يقل بحال عن الاهتمام بغيرهم من ذوي البصر.



قوامة الأسرة المسلمة.. شورى لا استبداد

الحياة الزوجية حياة اجتماعية، ولابد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لابد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يُرجع إلى رأيه في الخلاف؛ لئلا يعمل كل واحد ضد الآخر، فتنفصم عرى الوحدة الجامعة ويختل النظام.

وقد خص الله عز وجل الرجل بالقوامة على الأسرة دونما استبداد بل هي قوامة شورية.

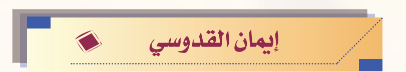
لقد حاول أعداء الإسلام عبر الدهور الطعن في هذه القوامة؛ لأنها بزعمهم ومكرهم وكيدهم تحقر من قدر المرأة ومكانتها.

إن القوامة التي ذكرها الله عز وجل في قرآنه ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ ليس معناها أن يكون المرؤوس – وهي المرأة – مقهورة مسلوبة الإرادة، وإنما هي قوامة تعاون وتشاور وسكن ومودة.. فهل يدرك خصوم الإسلام مغزى القوامة في هذا الدين العظيم؟!

التحرير



كل شيء عن الحب



الحب احتياج بشري فطري يولد به الإنسان، يؤكد ذلك تجربة شهيرة قام بها علماء النفس لبيان تأثير العاطفة في النمو، أجريت التجربة على مجموعتين من حديثي الولادة اللقطاء، كانت المرضات تعطي المجموعة الأولى احتياجاتها من الغذاء والرعاية فقط، أما المجموعة الثانية فأضيف إليها الحب والهدهدة والمداعبة والابتسام وكل صور الأمومة الحانية، وكانت النتيجة شديدة القسوة، فبينما نمت مجموعة الحب نموا رائعا، فإن المجموعة الأخرى ذبلت وماتت، ماتت بسبب الحرمان العاطفي.

للحب مصادر متعددة أولها حب الله ورسوله، ذلك الحب الذي يُشعر المرء أنه يأوي لركن شديد، وأنه إذا ضاقت به السبل يمكنه أن يرفع يديه للسماء داعيا «يا رب»، وإذا كانت الحضارة المادية قد استطاعت أن توفر الكثير من سبل التقدم والرفاهية للإنسان فإنها عجزت عن سد ثغرة الخواء الروحي وجعلت الإنسان يحيا في ظلها كأنه «بينوكيو» أو «رجل الصفيح وخيال المآتة» الذي يشبه البشر تماما إلا أنه بلا قلب.

المصدر الثاني حب الوالدين وبرهما، ويتضح أثره في الدنيا قبل الآخرة، ثم حب الأبناء الذين هم امتداد المرء ووسيلته للتخلص من الإحساس بقصر الحياة التي سرعان ما يختتمها الموت.. إن دافع العمل من أجل الأجيال القادمة وتوريثهم خلاصة جهدنا من أهم أسباب الشعور باستمرارية الحياة والتفاؤل بالمستقبل.

يأتي بعد ذلك حب العائلة الممتدة عندما تجلس وسطهم تشعر أنك تنتمي لتلك الفصيلة بالفعل، فلقد صار عمك شديد الشبه بوالدك- رحمه الله، أما ابن عمتك فهو نسخة منك في شبابك، تستمتع بنوادر وحكايات العائلة، وتسمع للمرة الألف قصة خالك عندما ضرب «الحرامي» وانبهرت العائلة بشجاعته ثم اكتشفوا أنه صديق اتفق معه على هذه التمثيلية ليتخلص من شهرته بأنه يخاف من خياله، تضحك من قلبك وأنت تستعيد التفاصيل من خالتك الصغرى التي تخلت عن لقب «جميلة العائلة» بعد أن فعل الزمن أفاعيله.

حب الوطن والانتماء له مصدر مهم للحب والفخر وتحديد الهوية، في القائمة أيضا الجيران والأصدقاء والهوايات، وأخيرا يأتي حب الزوج أو شريك الحياة، ذلك الحب الخاص جدا والذي يستوطن بؤرة القلب بسهمه المعروف، إنه حبيبك ونديم خيالك ونصفك الآخر وبه تكتمل منظومة الحب البشري التي ترتبط تماما بمعاني السعادة والنجاح والقدرة على العطاء.

تم التركيز على المصدر الأخير فقط واستغلاله تجاريا على نطاق واسع، فإذا أطلق لفظ الحب كان المقصود منه فقط حب الرجل والمرأة، كل الأغاني والأفلام والروايات تدور حوله، وتم تدويره والمبالغة فيه بكل السبل الممكنة وأحيانا غير الممكنة أيضا، ومن هنا جاءت أزمة الحب، فصار هناك من ينفر من كلمة





الحب نفسها لما ترتبط به من معانٍ يرفضها وهناك من يغرق في الحب حتى يهلكه.

والحقيقة أن الشباب الحديث صار أكثر وعيا، وتخلَّص من بعض المفاهيم الخاطئة التي ارتبطت بالحب زمنا طويلا، فلم يعد مقبولا فكرة التمسك بشخص معين وحب مستحيل وإلا كان البديل هو الموت أو الجنون كما في قصص «روميو وجولييت» و«قيس وليلى»، طبعا هناك جاذبية خاصة تجعل شخصا بعينه مقبولا وغيره مرفوضا، ولكن تلك الجاذبية قابلة للتكرار بدليل أن الكثيرين يتزوجون ويقعون في الحب مرات عديدة طيلة حياتهم، كما أن فكرة أن الحب يعلو ولا يعلى عليه أيضا صارت مرفوضة من شباب اليوم المستنير أكثر مما نتصور، لن نجد حاليا «الأميرة إنجي» التي تصر على حب «علي» ابن الجنايني، صار التكافؤ مهما مع جيل جديد عملي جدا.

ولكن الفكرة التجارية التي مازالت مستمرة هي أن الحب بمعنى الغرام هو مصدر السعادة الوحيد في الحياة، تخبئ الفتاة الصغيرة أحلامها في وسادتها وتكبح مشاعرها بين جوانحها وتغذي خيالها بحب الأغاني والأفلام، فإذا تزوجت ألبست زوجها ثوب فارس الأحلام وخلعت عليه تاج الجزيرة السحري، ومن هنا تنشأ المشكلة.

إنها تغرقه بمشاعرها وتتوقع منه أكثر مما يسمح به واقع الحياة اليومية، وبعد فترة العسل الأولى يصبح ذلك الاهتمام الزائد عبئًا على العلاقة الزوجية وحائلا دون نموها وتطورها الطبيعي، ومن ناحية أخرى فإن كل مبالغة في اتجاه يصاحبها تقصير في اتجاهات أخرى، فلن نعطي باقي مصادر الحب حقها، كما أن فرط الارتباط يحول دون نمو الشخصية المستقلة وتتحول تدريجيا لمجرد تابع أو ظل للزوج، وإذا كان هذا يسعد بعض الأزواج في البداية إلا أنه سرعان ما يشعر بعبء تحمل شخص آخر لا يمكنه السير إلا مستندا على عكازه، وتزداد الأمور تعقيدا إذا صادفت الأسرة بعض المتاعب التي تحتاج يدين تدفعان سويا لأن يدًا واحدة لا تصفق.

الحب كالشهد الذي يجمعه النحل من كل الزهور الجميلة ثم يضخه عسلا مصفى، وكلما تعددت مصادره ازدادت حلاوته وتأكدت فائدته، أما الحب من مصدر واحد فهو راكد قليل الفائدة، إذا لم تكن تحب انشغل بمصادر الحب الأخرى فهي تغذي نفسك وقلبك وعندما تعثر على الحب مارسه بقانونه الداخلي ولا تهمل باقي مصادره.

كل شيء في الدنيا له قانونه الداخلي الذي يحكمه، والقانون العام هو العدل، بمعنى الاعتدال والوسطية، حتى الحب، فإن مقداره المضبوط هو المطلوب، مقداره المناسب هو توقف قبل التخمة بخطوة وانشغل أحيانا بالمصادر الأخرى ولا تنس أن تنمي شخصيتك وتطورها ثم تعيد الكرة وكأنك شخص جديد.

والزواج كما يعرفونه حاليا هو علاقة بين راشدين يقوم كل منهما بدوره في الحياة على أكمل وجه ثم يتعاونان فيما بينهما لتحقيق السعادة المتبادلة.

وإذا كان للحب معادلة فلن تكون واحد + صفر على الشمال= واحد يحمل العبء كله ويمل من ذلك الحب المزعوم، ولكنها ستكون واحد + واحد= اثنان ناجحان متعاونان يتنفسان حبا صحيا.

علاقتك بحماتك أيام الخطوبة

- اقرئي واسألي أهل العلم لتعرفي ما لك وما عليك.
- احذري أن تصدقي ما يدور حولك من أحاديث بين بعض الزوجات، وخاصة ما يعرض في المسلسلات والأفلام من أن أم زوجك ستكون عدوتك على الدوام.
- تفاءلي بالخير دائمًا وقولي لنفسك: أنا غير الآخرين.. ليس إعجابًا بالنفس ولا غرورًا، ولكن من باب الإيحاء الذاتي لنفسك بأنك تستطيعين بعون الله وتوفيقه أن تجعلي من علاقتك بأم زوجك علاقة مختلفة، علاقة محبة وتفاهم.
- لا تقيسي على ما ترين أو تسمعين من أحداث واقعية ومشاكل حدثت بين بعض الزوجات وأمهات أزواجهن، فليس من المفروض أن تتعرضي أيضًا أنت لنفس الظروف.
- بيتي النية منذ البداية على أن تحسني إلى أم زوجك وأن تجتهدي في التقرب إليها وتعتبريها أمك.
- ولتكن هذه النية في التقرب إلى أم زوجك خالصة لوجه الله تعالى، ولا تنتظري مردود هذا الإحسان عليك في الدنيا، وإلا لضاع كل شيء.
- اسألي من تثقين بدينهم عن أهل زوجك، مستواهم الاجتماعي والفكري وكذلك عن طباعهم إذا كنت لا تعرفينهم من قبل، حتى يكون تعاملك معهم مناسبًا، فلا تحدث صدامات مستقبلاً.
- توجهي إلى الله بالدعاء، بأن يحببك إلى أهل زوجك، وخاصة أم زوجك ويحببهم إليك، وليكن الدعاء سلاحك دائمًا، في السراء والضراء، في الرضا والغضب.
- لا تلتفتي لما تتبرع به بعض النساء الجاهلات من وصايا ليس لها حظ من رضا الرحمن، بأن تكوني قوية الشخصية أمام أم زوجك وأهله حتى لا يذلوك.



دور الأسرة في تنمية الابتكار



يعتمد المستقبل في عصر المعلومات على الذكاء والإبداع الإنساني، لا على الموارد الطبيعية فقط، وواجبنا- الأسرة آباء ومربين- التأكيد على تنمية قدرة الذكاء والإبداع والابتكار، بغية وضع الأبناء (بنين وبنات) في البيئة التي تساعدهم على ابتكار طرائق ومفاهيم جديدة لظروفهم الحياتية، لأن الابتكار من أهم العوامل التي أسهمت في تقدم الإنسان والإنسانية.

حدد الباحثون- في التفكير الإبداعي- العوامل التي تنمي هذا النوع من التفكير في النقاط الآتية:

- عوامل معرفية.
- عوامل إنتاجية.
- عوامل تقييمية.

الابتكار هو أسلوب في التفكير والسلوك، أي قدرة الإنسان على أن يصبح حساسًا للمشكلات والفجوات في المعرفة والعناصر الناقصة، ثم قدرته على تحديد الصعوبة، ووضع فروض عن أوجه النقص، ثم اختيار هذه الفروض، وإعادة اختبارها وتعديلها، وتوصيل نتائج هذا كله للآخرين.

والعقل الابتكاري له سمات، سيما أن تنمية التفكير الإبداعي تحتاج إلى عقل ابتكاري، مع عوامل إنتاجية تنمي الفكر الإبداعي، ولعل هذه العوامل هي التي تساعد في تحديد سمات العقل الابتكاري، وتتلخص في الآتي:

الطلاقة: وهي قدرة الفرد على أن يأتي بفكر متعدد، أو طرح حلول عدة للمعضلة الواحدة.

المرونة: وتعني قدرة الفرد على الإتيان باستجابات مختلفة للمثير الواحد.

الأصالة: وهي قدرة الفرد على الوصول إلى أفكار حديثة بكر، وبعيدة عما هو معروف ومألوف، والأفكار الأصيلة هي الأفكار النادرة.



ثمة ضوابط يمكن وضعها لتنمية فكر الأبناء وإبداعهم وابتكارهم

التفضيل: وهو القدرة على وضع تفاصيل الخطط أو الأفكار.

ومن اللافت للانتباه، أن الإبداع لا يأتي من الفراغ، وإنما هو محصلة لمعارف ودراسات، ونتيجة لمجموعة من المهارات لحل المشكلة والتفكير الناقد، لاسيما من مهارات الاتصال والدراسة، والعمل مع الجماعة والتقييم، مع التنويه إلى أن الهدف من التربية العصرية المستقبلية هو التركيز على التفكير الابتكاري، ومن أجل مساعدة الطفل على إظهار طاقته الكامنة وتنميتها حسب الإمكان، لكي يبتكر أشياء جديدة، ويعزى ذلك إلى قدرة الطفل العجيبة على التخيل ومتابعة الأشياء الخيالية، كما يفعل العباقرة والنوابغ، خاصة في سن السادسة.

وعلينا أن ندرك، أن ثمة ضوابط يمكن وضعها لتنمية فكر الأبناء وإبداعهم وابتكارهم، هي: الجدية في تقديم شيء

باحثة مغربية



فريد متميز للطفل ووفقًا لعمره الزمني والعقلي، والتأكيد على أن الواحد منهم يفكر حرًا، والسعي في تشجيع الدوافع عند الأبناء للتفكير من خلال التشويق والترغيب بغية إزالة الخوف من نفوسهم، وإتاحة فرصة الإبداع لديهم، مع إمكانية توفر الوقت الكافي والإمكانات، والحرص على أن يكون التقييم خبرة سارة لطالب العلم، مع إمكانية الرجوع إلى المصادر الأصيلة والفرعية للموضوع الواحد أو لعدة موضوعات، حيث سيفجر لدى الأبناء مكامن الإبداع والابتكار والتميز، مع إبداء الملاحظات التالية:

١- أثبتت التجارب أن إعداد الآباء والمربين طريقة لتشجيع ابتكارات الأبناء قد يؤدي بالفعل إلى زيادة نسبة المبتكرين. ومن أجل أن تقوم المدرسة بدورها بشكل فعال لابد من تأمين جو مدرسي يثير الابتكار، والعمل على تشجيع المتفوقين، والاهتمام بالتكليف بالأعمال الإضافية وبشكل حر ومستقل بغية إثارة روح الابتكار.

٢- التأكيد على الثوابت الدينية والأخلاقية، حيث تزيد من قدرة الأبناء على تفهم أمور العقيدة وتعميق الزاد الروحي، سيما وأن الإبداع يبدأ منذ سن صغيرة، ثم ينمو مع الطفل، مع مراعاة أن يكون ذلك عبر اللغة العربية «لغة القرآن الكريم» لكونها الوعاء لأفكارنا وإبداعاتنا.

لذا.. لا يمكن لأحد منا أن ينكر دور الأسرة في تنمية الإبداع والابتكار، لأن في حال عدم رعاية وعناية هذا الإبداع سوف يموت، مما يوجب العمل على تشجيع الطفل على الاستقلال. واحترام الوالدين للطفل المبدع المبتكر وإظهار الثقة في قدراته، ومنحه الحرية لاستكشاف عالمه، واتخاذ قراراته بنفسه، وتأمين الأمن له، وسيادة التفكير العلمي في الأسرة.. كل ذلك تأمين للمناخ الملائم والمشجع لتنمية الروح الإبداعية والابتكارية لدى أبنائنا.

المراجع

- الأسلوب الابتكاري د.حمدي خميس.
- منطق الإبداع د.مراد وهبة.
- التربية الابتكارية أ.عيد معمر.
- التربية الابتكارية والدولة العصرية. أ.تركي سليمان.

قضم الأظافر.. عادة أم هواية؟

مي علي إبراهيم

قضم الأظافر عادة عصبية نتيجة للشعور بالقلق والتوتر والاكتئاب والخمول عند الأطفال والكبار أو بسبب الإجهاد أو الشعور بالإحباط وهي عادة مكتسبة يمكن أن تكون لاإرادية، وهذه العادة غير صحية لأن بعض الأطفال يقضم أظافره حتى تنزف مما يسبب تجمع الجراثيم في المكان الملتهب فيصبح الشخص عرضة للإصابات الميكروبية والفيروسية، وانتقال البكتريا الذي قد يؤدي إلى مشكلات في الفم واللثة والأسنان وكذلك إلى مشكلات معوية ومعدية.

وهناك نصائح علاجية عدة لحل هذه المشكلة يقدمها أخصائي الأمراض النفسية والعصبية، منها إجراء فحص وتحليل للدم لتحديد مستويات الفيتامينات أو المعادن في جسم الطفل لأن نقصها قد يؤدي إلى حدوث مثل هذه الاضطرابات.

تناول طعام صحي غني بالكالسيوم والماغنسيوم وفيتامين «د» المركب لتقوية الأظفار وخفض مستوى التوتر المسبب لهذه العادة أو الناتج عنها، ويتوافر الكالسيوم في منتجات الألبان مثل «الحليب والزبادي والجبن» وسمك السالمون والسبانخ والبامية واللفت والفاصوليا والبسلة وبذور السمسم والقرنبيط واللوز.

أما الماغنسيوم فيتوافر في الفاصوليا والقرنبيط والبندق والفستق والبامية والمحار والألبان والسبانخ والحبوب الكاملة والخبز الأسمر، ويتوافر فيتامين «ب» المركب المركز بكثرة في الكبدة ولحم البقر والتونة والديك الرومي والبندق والموز والبطاطا.

تقليم الأظافر لأن طولها قد يشجع الطفل على قضمها بالإضافة إلى أن تقليمها من العادات الصحية السليمة.

خفض التوتر بالرسم والكتابة والعزف الموسيقي.

ومضغ الألبان أو أقراص النعناع بدلا من قضم الأظافر.

وضع موانع طبيعية تحول بين الطفل وبين أظافره كارتداء قفاز.



ولد صالح يدعو له

كمال عبدالمنعم خليل

حينما يفكر الإنسان في الزواج والارتباط بزوجة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا يخلو ذهنه من هدفين لهذا الزواج وتلك الخطوة، أولهما: صيانة نفسه وحفظها من الفتن والمغريات التي تحيط به، وثانيهما: إنجاب الذرية الصالحة التي تكون امتدادًا لذكره بعد مماته، ولا مانع من إضافة أهداف أخرى مشروعة، إلا أن هدف إنجاب الولد الصالح يبقى هو المنشود، والأمل المعقود.

والولد الذي نقصده لا يقتصر على الذكر فقط، بل الذكر والأنثى على السواء، والقرآن الكريم لمح لنا، بل بين ووضح وضوح الشمس، صفات هذه الذرية التي ننتظرها ونرغب فيها، فحينما تمنى زكريا عليه السلام أن يكون له ولد، رفع يديه بالدعاء وقال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ (آل عمران: ٣٨)، فلم يتمن أي ذرية، لأن الذرية إذا لم تكن طيبة، ولم تتصف بالصلاح فلا فائدة منها، بل إن ضررها يكون أكبر من نفعها، وإذا زادت مشاكل تلك الذرية واشتد عقوق الأبناء للآباء، عندها يتمنى الوالدان زوال تلك الذرية.

كذلك بين القرآن الكريم في صفات عباد الرحمن أنهم يدعون ربهم ليلًا ونهارًا، سرا وجهارًا قائلين: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، ولا تقر الأعين بالذرية إلا إذا بدا صلاحها، فأحسنت العلاقة بربها، وبالتالي انعكس ذلك بالإيجاب على كل سلوك تسلكه، وعلى كل درب تسير فيه، لتصبح كالغيث أينما حل نفع، وإذا انحرفت الذرية عن جادة الطريق أصبحت كالقذى في عين الوالدين، وذلك يزيد من حسرة القلوب، والندم على التفريط. قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره لآية الفرقان: «يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم ومن ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة، فقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين»، وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: «أن يُري الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميم طاعة لله، لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا أو ولد ولد، أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل».



إذا لم تكن الذرية طيبة وتتصف بالصلاح فلا فائدة منها

وهذه امرأة عمران تلد ابنتها مريم- عليها السلام- ولا تغفل أن تدعوا لها وتستعين به في صلاح ابنتها، وأن يحفظها من الشيطان الرجيم، فقالت: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ (آل عمران: ٣٦)، فاستجاب الله لدعائها، إذ هي أحسنت وأجملت في الطلب، فحقق الله مرادها بقبول نذرها وصلاح ابنتها فقال: ﴿فتقبلها ربها بقول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا﴾ (آل عمران: ٣٧).

وإذا كان الإسلام قد رغب في الزواج وفي الذرية، فقد روى أبو داود والنسائي والحاكم، واللفظ له، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم». إلا أن هذه الذرية لا ينبغي أن تتصف بالضعف والذلة وسوء الخلق، فلقد بين الله تعالى أن مثل هذه الذرية لا تنفع صاحبها إذا ألمت به المصائب وضاقت به الحال، فلا يجد العون وقت الشدة حتى من



ذريته، قال تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ (البقرة: ٢٦٦)، قال ابن عباس: كان له ضيعة وبستان في شيبته، فاحترق، فلم يكن له قوة يغرسه، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه.

ولا يغفل الوالدان عن تربية الأبناء انتظارًا لهذا الصلاح المرجو منهم، كذلك فإن الدعاء بالصلاح للذرية له مردود إيجابي عند تقدم العمر بالوالدين، فيكون الابن الصالح سندًا لأبيه، ومتكأً يعتمد عليه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...﴾ (الأحقاف: ١٥).. فأفضل نعمة ينعم الله بها على العبد أن يرزقه الولد الصالح الذي يبره في حياته ويكون قرة عين له، وبعد مماته يدعو له فيكون عملًا موصولًا، وأجرًا غير ممنون، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، وروى أبوداود في سننه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد: «اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك مثنين بها عليك، قابليها بالحمد وأتمها علينا».. اللهم آمين.

أخطاء في التعامل مع الأبناء

التحرير

تربية الابناء تحتاج من الوالدين- خاصة مع الطفل الاول- إلى نظام محدد يتناسب مع نمو الطفل وتطور سلوكه، ولهذا يجب تجنب الوقوع في الأخطاء الشائعة أثناء التعامل مع اطفالنا وهي:

■ عدم الثبات: فلابد من وجود نظام محدد يجعل الطفل يعرف متى يستيقظ أو يتناول الطعام أو يستحم أو يلعب أو ينام، وهذا النظام يضمن ثبات الروتين اليومي مع ضرورة وجود مرونة في هذا النظام.

■ عدم التركيز على وقت للأسرة: فيجب أن يجتمع أفراد الاسرة في وقت محدد، وأن يخصص الوالدان وقتاً لكل ابن، ولهما معاً ايضاً، وأن يمتزج اللعب بالمرح والمناقشة، وأن نسمح للطفل بالتعبير عن مشاعره.

■ تقديم المساعدة بشكل مبالغ فيه: فهذا يجعل الطفل يفتقر الى الكفاءة في العمل والثقة بالنفس والاعتماد على الذات فلا يتعلم المهارات التي تفيده في حياته.

■ الكلام الزائد: عندما تتحدث الأم طوال الوقت حول سلوك الطفل ولا تبالي بلحظات بكائه أو محاولة اتخاذ بعض السلوكات السلبية وهي لا تزال تتحدث، فسوف يكون هناك حوار مفقود بين الطرفين، وعلى ولي الأمر إدراك أن الطفل يختلف عن البالغ من حيث استجابته للنقاش والجدال، لذا يجب أن تراعي الام إصدار تعليماتها مرة واحدة، وإذا لم يطعها الطفل، عليها أن توجه له تحذيرا شفهيا وتمهله برهة قصيرة حتى يسلك السلوك القويم.

■ تقديم الأطعمة التي يحبها الأطفال والوجبات السريعة فقط، فلابد أن تشجعي طفلك على تجربة طعام جديد ولا تحرميه من بعض الحلوى والأطعمة الخفيفة.

■ التعجيل بنوم الطفل بمفرده والحل البسيط أن تعوديه تدريجيًا على سريره الطفولي حتى يطلب هو ذلك بنفسه عندما يكون مستعدا.

■ السماح بوقت أطول من اللازم أمام شاشة التلفزيون، فهؤلاء الاطفال قد يجدون مصاعب تعليمية عندما يلتحقون بالمدرسة وعموما فإن الأطفال حتى سنتين لا يستقبلون ما يرونه في التلفزيون أو الكمبيوتر بشكل واع لذا يجب شغل انتباه الطفل بالحديث والاستماع أو بمشاهدة الصور في الكتب المصورة وبالالعاب التعليمية.

■ محاولة إيقاف نوبة الغضب: فبعض الآباء والأمهات يشعرون بالقلق اذا دخل الطفل في نوبة غضب أمام الآخرين، ويريدون أن يتوقف عن ذلك فورا حيث يشعران بأنهما والدان فاشلان، لذلك يحاولان ايقاف نوبة غضب الطفل بأي وسيلة، والافضل في هذه الحالة ابعاد الطفل عن الناس المحيطين به وإعطاؤه الفرصة لينفث عن غضبه، ويجب الا يكون اهتمام الوالدين برأي الناس فيهما بقدر اهتمامهما بمنح الوقت الكافي للطفل لكي يفرغ كل ما يزعجه ويضايقه والتحدث معه بهدوء.

وأخيرا بعد تلافي كل هذه الاخطاء الشائعة مع الطفل يصبح سليما معافى بدنيا ونفسيا وعقليا.



الأطفال بُشرى، ابتداءً، لقوله تعالى ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ (مريم: ٧). والبشرى بمقدم الغلام الذي وهبه الله لنبيه، تضمنت أيضا اختيار اسم مميز له، لم يحظ أحد قبله بمثل هذا الاسم، قال قتادة وابن جريج وابن زيد: لم يُسمّ أحدٌ قبله بهذا الاسم، واختاره ابن جرير (١).



نظرات في تسمية الأطفال

محمد عيسى صوانة

روى الطوسي أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما حقُ ابني هذا؟ قال: تُحسن اسمه وأدبه وضعه موضعًا حسنًا. وروي البيهقي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «حق الولد على والده أن يُحسن اسمه ويُحسن من مرضعه ويُحسن أدبه». وفي هذا إشارة إلى أهمية اختيار الاسم الحسن للطفل وهو حقٌ له يُسأل عنه والده إذا قصرّ فيه.

فينبغي على الوالدين أن يختارا للطفل اسمًا جميلا مناسبًا، مقبولا في مجتمعه وبيئته وعصره، وأن يكون الاسم غير منفر، لكي لا يترك في نفس الطفل أي أثر سيئ يعاني منه طول حياته.

إنّ حُسن تسمية الطفل إنما هي تعبير عن الذوق الجمالي الذي يصاحب الطفولة ويلازم الإنسان خلال حياته، ويزيد من تنمية ثقة الطفل بالنفس وشعوره بالرضا، وينطلق بقوة في حياته دون تردد أو تلكؤ!

الاسم وتكوين شخصية الطفل

يلتصق اسم الطفل به طول عمره، ويؤثر في نفسيته، فهو أحد عناصر تشكّل الشخصية لديه. إذ إن اسم الإنسان هو أحلى نغم يطرق مسامعه، انظروا إلى الفرق بين أن تنادي شخصًا قائلًا له: «يا هذا» أو «أنت»! وبين أن تخاطبه باسمه. بالتأكيد فإن وقع اسمه

خبير استشارات تربوية



سيكون أكثر ملاءمة وقابلية للاستجابة، فما بالك بالفرق بين وقع الاسم الحسن والاسم غير الحسن على صاحبه.

كيف ينظر طفل إلى الحياة والمجتمع والناس إذا كان يحس أن والديه نحلاه اسمًا يتضايق منه بين أقرانه، ويتمنى لو كان له اسمًا غيره؟ إن مسألة تسمية الأطفال ينبغي أن يُنظر إليها على أنها حق لهم تجاه آبائهم، فتكون موضع اهتمام جدي لديهم، ويضعون أنفسهم مكان أبنائهم عندما يبدأون بالتعرف على أسمائهم ويتعامل المجتمع معهم من خلالها.

وهذا يتطلب اختيار أسماء أكثر ملائمة للزمن الذي سيعيش فيه هؤلاء الأبناء، وهو سيختلف في ثقافته عن زمن آبائهم، والرسول ﷺ يؤكد ضرورة اختيار الاسم الحسن: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» (رواه أبو داود).

أحب الأسماء

قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى: عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمّام، وأقبحها حرب ومرة» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ويقول الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن طلحة بن عبدالله التميمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أن لا نبي بعد محمد ﷺ وأنا أسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا»!

ونشير هنا إلى ضرورة تجنب التسمية باسم «عبد» إلا إذا ارتبط باسم من أسماء الله الحسنى، إذ لا يجوز تسمية: عبدالرسول أو عبدالنبي أو غيره. وبعض من سماهم آباؤهم بمثل هذه الأسماء ينبغي أن ينادوا بعبد رب الرسول وعبد رب

اسم الطفل يلتصق به طوال عمره ويؤثر في نفسيته ويكون أحد عناصر تشكيل شخصيته

النبي.. فلا عبودية إلا لله عز وجل.

مراعاة ثقافة المجتمع

ينبغي على الآباء أن يراعوا ثقافة المجتمع الإسلامي الذي تزخر أدبياته بالأسماء الحسنة، دون اللجوء إلى أسماء غريبة عن مجتمعنا وعن ثقافتنا فالطفل ليس ملكًا لوالديه، بل هو ملك للأمة ويشكل لبنة في بنائها، فينبغي تقديم مصلحة الطفل والأمة على أي نزوة آنية للأب في اسم ربما لم يفكر في تأثيراته على ولده لحظة واحدة. فهل ترى معي أخي القارئ أي داع لأسماء مثل: عذاب، صعب.. إلى غير ذلك من الأسماء غير المقبولة، ألم تكن أسماء: رحمة، سهل أفضل منها؟ تأملوا الفرق، ولكم أن تتوقعوا الفرق بين وقعها على الأطفال وعلى الآخرين.

التفاهم بين الأبوين

ومن نافلة القول أن أؤكد أهمية التفاهم بين الزوجين على اسم المولود



قدر الإمكان، فالشورى لا تفسد المودة ولا تنقص من قوامة الرجل، وتسهم في الوصول إلى اسم مناسب ومقبول في الأسرة للطفل الجديد.

البعد عن ازدواجية الاسم للطفل

بعض الأسر تطلق على الطفل أكثر من اسم، فيصبح له اسم في سجل الولادة الذي يعرف به في مدرسته وجميع أموره في المستقبل، بينما سيعرف الناس باسم آخر نتيجة الاسم المزدوج الذي أطلقته عليه أسرته، نتيجة خلاف بين الزوجين، أو رغبة في التدليل الذي لا طائل تحته!

أسماء لها تأثير غير إيجابي

ومن العجب أن الكاتب والمفكر العربي إدوارد سعيد قال في تعليق له على اسمه «احتجت إلى خمسين عاما لكي أعتاد على إدوارد»! لاحظوا قال لكي أعتاد.. ومتى؟ بعد خمسين عاما! زرت يوما أحد الأصدقاء، وجاءت شقيقته وهي طفلة فسألتها ما اسمك؟ فلم تجب، وأسرعت إلى شقيقها ووضعت يدها على فمه لكي لا يخبرني باسمها! فأثار ذلك فضولي، وعلمت بعد ذلك أن اسمها «نور شاه» وأنها تعاني من هذا الاسم المركب غير الملائم للبيئة التي تعيش فيها هذه الطفلة، في مجتمع لم يتقبل هذا الاسم، وقلت لصديقي كيف ينظر والدك نحو ابنته التي لا تحب هذا الاسم، وبالتأكيد كانت ستقبله لو كان «نور» فقط.

وهذا يعكس مدى تأثير الاسم على الطفل.. ولي صديق آخر أخبرني أن ابنه لم يستوعب اسمه حتى أصبح في الجامعة أي أنه أمضى ثمانية عشر عاما من حياته غير مقتنع باسمه!

دور المدرسة

روى لي آخر قصة أحد الأطفال

وهو طالب في الصف الأول الأساسي مكث يهرب من المدرسة أكثر من شهر دون أن تعرف أسرته، لتكتشف بعد ذلك أنه كان يخرج من الصف ويقضي معظم وقته خارج سور المدرسة حتى يخرج التلاميذ، وما ذاك إلا لأن زملاءه يتندرون باسمه ويضحكون كلما نودي به، لكونه في نظرهم اسمًا غير ملائم مقارنة بأسمائهم.

وهذه القصة وغيرها بقدر ما تلقي بظلالها على مسؤولية الوالدين في اختيار اسم الطفل، فإنها تكشف لنا أهمية دور المدرسة، ودور المعلم في الفصل، وكذلك دور المعلمة في روضة الأطفال، إذ ينبغي ألا يقوم أي منهم بتفضيل اسم على آخر لأي طفل، بل يجب إشعار جميع الطلاب بأن أسماءهم جميلة، فيدعون بها وتكتب أسماء هؤلاء الأطفال على بطاقات جميلة ملونة وتعلق على لوحة في غرفة الصف، ليعتز كل طفل باسمه، ويشعر بقبول المجتمع لهذا الاسم الذي سيحمله طول حياته. ولابد أن يلاحظ المعلم أو المعلمة أي سلوك غير مقبول من قبل الأطفال الآخرين تجاه أي زميل لهم بسبب اسمه، لمعالجته بالأسلوب التربوي المناسب، لكي لا يترك ذلك أي أثر سلبي على أي طفل.

دعوة للآباء

ما أجمل أن يتخيّر الآباء والأمهات لأبنائهم أسماء حسنة، يعتز بها الأبناء ذكوراً وإناثاً ويشعرون تجاهها بالرضا ولا يتحرجون منها أو يتضجرون بسببها، ولا تسبب له الأذى من أقرانهم في المدرسة في سنوات عمرهم الأولى والأهم نظرا لدورها في تشكيل شخصيتهم.



إنها دعوة موجهة لكل الآباء والأمهات أن يتقوا الله في أبنائهم ويحسنوا أسماءهم، وأدبياتنا الإسلامية والعربية تضم تنوعًا كبيرا وتعددا ضخما من الأسماء الحسنة مما يتيح مجالاً لعملية الاختيار والمفاضلة.

كما أن الأسماء الحسنة التي نختارها لأبنائنا تشكل قدوة حسنة للآخرين نحتسب أجرنا فيها عند الله.

إن اهتماماتنا بالأمور والقضايا المتعلقة بالطفولة لا تنتهي، ولعل ذلك يعود للتأثير الشديد لها على تكوين شخصية الأطفال وإعدادهم للحياة.

وهذا يدعونا باستمرار إلى مراعاة كل ما يؤثر على عقلية الطفل وعواطفه ومشاعره وأحاسيسه.

وبقدر ما ننجح في توفير تأثيرات إيجابية محفزة تلبي حاجاتهم وتنمي فيهم القيّم الجميلة الحسنة على إطلاقها، فإننا نقدم للمجتمع لبنات صالحة تجتمع إلى بعضها بعضا لتكون بناء شامخا عصيا على التصدع.

ما دور أنظمة تسجيل المواليد؟

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن بعض الدول ماتزال تضع معوقات أمام الآباء الذين يرغبون بتغيير أسماء أبنائهم لسبب أو لآخر.

ولعلي أنتهز هذه الفرصة لأدعو إلى إتاحة المجال أمام أهالي الأطفال لإعادة النظر في تسمية أبنائهم إذا رغبوا في ذلك- على الأقل خلال السنوات الأولى من العمر ويمكن أن يكون ذلك قبل دخول المدرسة- فالرجوع عن الخطأ وتداركه أفضل من الاستمرار فيه.

وفي السنة أنه كان لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنة اسمها عاصية فسماها الرسول ﷺ جميلة (٥).

وإنني أشعر بالأسى العميق الذي ينتابني كلما تذكرت ذلك الشخص الذي التقيته في إحدى الدول العربية المجاورة لفلسطين المحتلة وقد ارتكب جريمة نكراء بحق ولديه فقد أطلق عليهما اسمين لقادة يهود «رابين، ونتنياهو!» ولعلي أشد عجبا من نظام دائرة تسجيل المواليد في تلك البلد التي تسمح بمثل هذا الانسلاخ من دائرة الانتماء للمجتمع الإسلامي، ولا تملك حق رفض تسجيل مثل هذه الأسماء لأطفال سيطالبون حتما بحقهم من والدهم أمام الله سبحانه وتعالى، بعد أن ضيّعه والدٌ متهور.

وهناك بعض الدول العربية والإسلامية التي تتيح أنظمتها لأهالي الأطفال تغيير اسم الطفل إذا رأى الأب حاجة لذلك لتلافي أي نتائج غير مرغوبة يمكن أن تترتب على الاسم القديم الذي سجل به المولود.



الهوامش

١- تفسير ابن كثير ص٨٢٩.
٢- رواه النووي في تهذيب الأسماء.



رسالة تربوية للأب

ليلى محمد محمد

بداية، لابد من الانتباه إلى أهمية المعرفة التربوية في نجاح الأسرة في مهامها التربوية الجليلة، سيما أن التغيرات العالمية السريعة تحتم علينا اليقظة الكاملة؛ حتى لا يضيع أبناؤنا من بين أيدينا دون أن نعي على نحو جيد الدور التربوي الذي يجب أن ننهض له.

إلا أن ثمة ملاحظة، وتتلخص في إمكانية الطفل والفتى والشاب أن يتجول في أنحاء العالم، من خلال كبسة زر، والنتيجة أننا سنكون أمام حالتين:

- اختلاط النماذج في ذهنه، والاستخفاف بالأعراف السائدة في بيئته المحلية.
- حدوث اضطراب في التعامل مع الواقع، ما لم نوله الكثير من العناية والمتابعة.

وتفيد إحدى الدراسات أن الإنسان يقضي من ثلاثين إلى أربعين سنة من عمره وهو يحاول التغلب على ما حُمِّلَ من مشكلات وانطباعات خاطئة ومفاهيم سيئة في السنوات الخمس الأولى من عمره، وقد يتمكن من التغلب على ذلك وقد لا يتمكن.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سُدى، فقد أساء غاية الإساءة».

ومن هنا فإنني كأم لستة أطفال أقول: إن أكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم ترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آبائهم كبارًا.

ومن هنا نطرح السؤال التالي:

أليس من وسائل وقاية النفس والأهل من النار متابعة المسلم نفسه وأهله؟ فيأمرهم بالخير ويحجزهم عن الشر، ويؤاخذهم بما يؤاخذ به نفسه حيث قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ (التحريم: ٦)، لأن الإنسان يسأل عما استرعاه الله إياه، على نحو ما ورد من قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»(رواه البخاري).

وعلينا أن نهدف من هذه التربية إلى تهيئة الطفل والناشئ من خلال العمل المستمر للقيام بأمر الله تعالى والفوز برضوانه، ولكي يحيا حياة طيبة بغية أن يكون قادرًا على كسب رزقه وإدارة شؤونه الخاصة على النحو المطلوب، وقادرًا على بناء علاقات اجتماعية جيدة، مع ملاحظة أن النجاح هدف التربية، ولكنه وسيلة للصلاح؛ لأن المطلوب هو الفوز برضوان الله تعالى والجنة، لذا يتوجب في هذا الصدد دعم الوازع الداخلي لدى الفرد والذي يتجسد في الصلة بالله تعالى والحياء منه، والشعور بأن في رضوان الله وثوابه ما يعوض كل مفقود.

ومن هنا ثمة ملاحظات ووصايا التربوية من أجل مساعدة الأب (المربي) على القيام بمهمته الجليلة

١- إن إيماننا بتقدم الوعي يجعلنا نطلب من أنفسنا تربية أفضل من التربية التي قدمها لنا الجيل السابق.

٢- علينا أن ندرك أننا سنخسر كثيرًا إذا اتخذنا من التربية وسيلة لتوريث أبنائنا كل ما ورثنا، دون أي تمحيص أو تدقيق أو انتقاء.

٣- الأولاد نعمة أنعم الله بها علينا يجب أن نتقبلها على ما هي عليه مهما كان شأنها.

٤- ثمة نداء: «ننسى عيوب أطفالنا، ونركز على نقاط القوة»، بغية أن يعوضهم الله بخيراتها وثمراتها عن كل ما قد يكونون قد فقدوه في ذواتهم وشخصياتهم.

٥- تخصيص وقت ليتفرغ الجميع (الأسرة) للحديث في شؤونهم المختلفة، وليتذكروا فيما عليهم عمله في المستقبل.

٦- التربية بحاجة إلى انتظار، لذا علينا عدم الاستعجال في النتائج، وألا يصيبنا الهلع.

٧- علينا أن ندرك أن التربية ستظل تنطوي على المعاناة، ويعزى السبب إلى أن وجود عنصر المرونة لدى الطفل ليس مكتملاً.

٨- علينا إدراك حقيقة مفادها أن «الاعتراف بأخطائنا أمام أبنائنا» لن يسقطنا من أعين أطفالنا، وإنما سيزدادون حبًّا لنا وتقديرًا.

٩- إدراك أن التربية التسلطية المستبدة تجعل الطفل ينطوي على نفسه، ويشعر بالنقص، كما تدفعه إلى العدوان والتخريب.

١٠- نعرف أبناءنا إلى الله ونحببهم إليه، وننقي لغة الطفل من الألفاظ التي تجرح صفاء الإيمان، ولاسيما الألفاظ البذيئة.

١١- السعادة الحقيقية تنبع من الداخل لا من ترفيه الجسد، ونعلم أطفالنا المثابرة على بذل الجهد، والعمل على غرس المحبة في نفوس أطفالنا، لدرجة أن نعوض الأيتام الحنان والرعاية، ونقل من إصدار الأوامر والنواهي ما استطعنا، والا نغضب إذا غضب أحد أولادنا، والمحاولة لفهم أسباب غضبه، وعدم زرع العناد في نفوسهم.

وختامًا: إن أسوأ ما يمكن أن يقع فيه الآباء، هو إضاعة أعمارهم وبذل جهودهم في غير المجال الذي ينبغي أن يكون فيه، فتكون بذلك كالطائر الذي يبيض في غير عشه.

باحثة أسرية

ذكر العقبة الأولى والثانية وعُمَرِه ﷺ

لضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى

(٥٦٩ - ٦٤٣هـ)

الحديث عن سيرة المصطفى ﷺ بحرٌ لا ساحل له، تفنن المؤرخون وأصحاب السير وأهل الحديث والأدب، وسواهم من المصنفين في تدوينها وتتبع جوانبها الشريفة المكرمة، فتنوعت أساليبهم، وتعددت وسائلهم وطرقهم، بداية من دواوين السنة المشرفة، والتي أفردت أبوابًا خاصة في أحواله ﷺ، مرورًا بكتب المغازي والتواريخ والسير.

ثم من بعد ذلك تخصصت هذه المصنفات، لتأخذ جانبًا من أحواله ﷺ لتهتم به، فمنها من اهتم في وصف شمائله وصفاته الخَلقية والخُلقية، مثل كتاب «الشمائل النبوية» للترمذي رحمه الله تعالى، وكتاب «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» للسيوطي رحمه الله تعالى.

وانتقل الحال إلى وصف أحوال أهل بيته الطاهرين، مثل كتاب «أزواج النبي ﷺ» للصالحي رحمه الله تعالى، وكتاب «الفخر المتوالي فيمن نسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي» لابن المبرد رحمه الله تعالى، ومن بعدهم ذكر أصحابه- رضي الله عنهم أجمعين، مثل كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر القرطبي رحمه الله تعالى.

ومن المصنفين من اهتم بوصف ما كان للنبي ﷺ من حاجياته الشخصية، مثل كتاب «إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والحفدة والمتاع» للمقريزي رحمه الله تعالى، وكتاب «فتح المتعال في وصف النعال» للتلمساني رحمه الله تعالى، وكتاب «تركة النبي ﷺ» لأحمد بن إسحق رحمه الله تعالى.

ومن المواد التي صنف فيها المؤرخون ما في هذا الجزء اللطيف الذي بين أيدينا، ومادته المتخصصة في بيعة العقبة الأولى والثانية، وما يليه من ذكر عُمَر النبي ﷺ.

وأما عن مصنف هذا الجزء فهو الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى (٥٦٩ - ٦٤٣هـ)، الذي يصفه الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه الماتع «سير أعلام النبلاء» فيقول:

محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن، الشيخ الإمام، الحافظ القدوة، المحقق المجود الحجة، بقية السلف، ضياء الدين أبوعبدالله السعدي المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، بقي في رحلته المشرقية مدة سنين.

كان يجتهد في فعل الخير، ونشر السنة، وفيه تعبد وانجماع عن الناس، وكان كثير البر والمواساة، دائم التهجد، أمّارًا بالمعروف، بهي المنظر، مليح الشيبة، محببًا إلى الموافق والمخالف، مشتغلًا بنفسه رضي الله عنه (١).

وأصل هذه النسخة محفوظ بالخزانة الظاهرية- دمشق- ضمن مجاميع العمرية- تحت رقم: مجموع (٨٥) في الأوراق (٢٦٥-٢٧٢)، كُتبت بخط نسخي معتاد، والنسخة بخط مصنفها الضياء المقدسي رحمه الله تعالى.

ذكر العقبة الأولى والثانية وعُمَرِه ﷺ

لضياء الدين المقدسي رحمه الله

تحقيق الباحث عبدالله محمد الكندري

تعالى

ذكر العقبة الأولى

(١) أخبرنا أبوطاهر المبارك بن المبارك الحريمي، بقراءتي عليه ببغداد، قلت له: أخبركم هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبدالله اليزني، عن أبي عبدالله عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة بن الصامت قال:

«كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّه ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ.

عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللَّه شَيْئًا، وَلا نَسْرِقَ، وَلا نَزْنِيَ، وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا، وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ» (٢).

ذكر العقبة الثانية

(٢) أخبرنا الإمام أبوالفتوح أسعد بن محمود بن خلف العجلي قراءة عليه، ونحن نسمع بأصبهان، أن فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية أخبرتهم، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريذه، أخبرنا أبوالقاسم سليمان أحمد الطبراني، حدثنا موسى بن هارون بن عبدالله الحمال، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، حدثنا معاوية بن عمار الدهني، عن أبيه، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال:

«حَمَلَنِي خَالِي جَدُّ بْنُ قَيْسٍ، فِي السَّبْعِينَ رَاكِبًا الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ قِبَلِ الأَنْصَارِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عبدالْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا عَمِّ خُذْ عَلَى أَخْوَالِكَ، فَقَالَ لَهُ السَّبْعُونَ: يَا مُحَمَّدُ سَلْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ.

فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي، فَتَعْبُدُونَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي، فَتَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ.

قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ» (٣).

(٣) أخبرنا أبوالطاهر المبارك بن أبي المعالي الحريمي ببغداد، أن هبة الله بن محمد أخبرهم، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثني أبي، عن عامر قال:

«انطلق النبي ﷺ، ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: «ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عين، وإن يعلموا بكم يفضحوكم».

فقال قائلهم وهو أبوأمامة: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل وعليكم إذا فعلنا ذلك.

قال: «أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤونا وتنصرونا، وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم».

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال: «لكم الجنة».

قالوا: فلك ذلك» (٤).

وبه حدثنا يحيى بن زكريا، حدثنا مجالد، عن عامر، عن أبي مسعود الأنصاري نحو هذا، قال: وكان أبومسعود أصغرهم سنًا.

(٤) أخبرنا عبدالله بن أحمد بن أبي المجد الحربي بها، أن هبة الله بن محمد أخبرهم، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا إسحق بن عيسى، حدثنا يحيى بن سليم، عن عبدالله بن خُثيم، عن أبي الزبير، أنه حدثه عن جابر بن عبدالله:

«أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم، في الموسم وبمجنة وعكاظ، ومنازلهم بمنى: «من يؤويني وينصرني، حتى أبلغ رسالات ربي عز وجل، وله الجنة» فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه.

حتى إن الرجل يرحل من مضر أو من اليمن أو زور صمد، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل، يشيرون إليه بالأصابع.

حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

ثم بعثنا إليه فأتمرنا واجتمعنا سبعون رجلًا منا فقلنا: حتى متى نذر

رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة ويُخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة.

فقال عمه العباس: يا ابن أخي إني لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك، إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم، هؤلاء أحداث، قلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟

قال: «تبايعوني على السمع والطاعة، في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العُسر واليُسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب، فتمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله عز وجل.

وإمّا أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله عز وجل، قالوا: يا أسعد بن زرارة أمط عنّا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلًا رجلًا يأخذ علينا بشرطة العباس، ويعطينا على ذلك الجنة» (٥).

كذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقد رواه عن عبدالرزاق عن معمر .... (٦) وفيه «وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو من أصغرهم» رواه أبوحاتم بن حبان (٧).

(٥) وأخبرنا الإمام الزاهد أبوعلي عمر بن علي بن عمر الواعظ بالحربية، أن الحصين أخبرهم، أخبرنا أبوعلي بن المذهب، أخبرنا أبوبكر القطيعي، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن إسحق، فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة:

إن أخاه عُبيدالله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعب بن مالك، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ قال:

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء: يا هؤلاء إني رأيت والله رأيًا، وإني والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا، قلنا له: وما ذاك؟

قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أُصلي إليها، فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يُصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إني أُصلي إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة.

قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه، لم نره قبل ذلك، فلقينا رجل من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه؟ قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا.

قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ«الشاعر»؟ قال: نعم.

قال فقال البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها»، قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن

أعلم به منهم.

قال: وخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبوجابر، سيدٌ من ساداتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيدٌ من ساداتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوته إلى الإسلام، وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ، فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبًا.

قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلًا، معهم امرأتان من نسائهم، نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضرً أمر ابن أخيه ويتوثق.

فلما جلسنا كان العباس بن عبدالمطلب أول متكلم فقال: يا معاشر الخزرج، قال: وكانت العرب مما يُسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، أوسها وخزرجها، إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عزٍ من قومه، ومنعة في بلده.

قال فقلنا: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر.

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبوالهيثم بن التَّيّهان حليف بني عبدالأشهل فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنّا قاطعوها، يعني العهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأُسالم من سالمتم».

وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبًا، يكونون على قومهم»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس».

وأما معبد بن مالك فحدثني في حديثه عن أخيه، عن أبيه كعب بن مالك قال:

كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب، والجباجب المنازل، هل لكم في مُذَمّم والصُباة معه، قد اجتمعوا على حربكم.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا أَزَبُ العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك».

ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفعوا إلي رحالكم»، وفي رواية «ارفضوا».

قال: فقال له العباس بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا.

قال فقال رسول الله ﷺ: «لم أومر بذلك».

قال: فرحنا فنمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا، تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا.

قال: فبعضنا ينظر إلى بعض.

قال: وقال القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت كلمة كأني أُريد أشرك القوم بها فيما قالوا: أما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيد من ساداتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا

الفتى من قريش؟ فسمعها الحارث فخلعهما ثم رمى بهما إليّ، فقال: والله لتنتعلنهما.

قال: يقول أبوجابر: أحفظت والله الفتى، فاردد عليه نعليه، قال فقلت: والله لا أردهما، فأل والله، يعني فأل صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه.

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر فيها.

كذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وروى أبوحاتم بن حبان بعضه عن محمد بن أحمد بن أبي عون، عن عمار بن الحسن الهمداني، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحق، عن معبد بن كعب، عن أخيه عبدالله، عن أبيه كعب» (٨).

ذكر عُمَره ﷺ

(٦) أخبرنا زاهِر بن أحمد بن حامد الثقفي، أن الحسين بن عبدالملك الجلال أخبره، أخبرنا إملاءً أخبرنا ابن منصور، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن المقري، أخبرنا أبويعلى الموصلي، حدثنا هدبة، حدثنا همام، حدثنا قتادة، أن أنسًا أخبره:

«أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمر، كلهن في ذي القعدة، إلا التي مع حجته، عمرته من الحديبية، أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرته من العام المقبل ذي القعدة، وعمرته في الجعرانة، حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرته مع حجته» (٩).

أخرجه البخاري، ومسلم، وأبوداود، جميعًا عن هدبة، وهو ابن خالد القيسي نحوه.

(٧) أخبرنا عمر بن محمد بن عمر المؤدب، أن أحمد بن الحسن البنا أخبره، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إسحق بن الحسن الحربي، وبشر بن موسى قالا: حدثنا هوذة بن خليفة، حدثنا داود بن عبدالرحمن، حدثنا عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

«اعتمر النبي ﷺ أربع عُمر، عمرة الحصر، وعمرة الثانية حين تواطأوا على عمرة قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته» (١٠).

أخرجه أبوداود في الحج عن النفيلي، وقتيبة، ورواه الترمذي عن قتيبة، وأخرجه ابن ماجه عن إبراهيم بن محمد الشافعي، ثلاثتهم عن داود بن عبدالرحمن نحوه، وقال الترمذي: حديثٌ غريب.

(٨) وأخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بأصبهان، أن سعد بن أبي الرجاء الصيرفي، وعبدالمنعم بن أحمد بن يعقوب بن أحمد الثقفي أخبراهم قراءة عليهما، أخبرنا أبوطاهر أحمد بن محمود بن أحمد الثقفي، أخبرنا أبوبكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن المقري، حدثنا محمد بن سلمة بن قرباء البغدادي نزيل عسقلان، وابن أبي غيلان، وأبوخُبيب البرتي عباس بن أحمد القاضي ببغداد قالوا: حدثنا عبدالأعلى بن حماد النرسي، حدثنا داود بن عبدالرحمن، عن عمرو بن دينار قال: سمعت عكرمة يُحدث عن ابن عباس:

«أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر، عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته» (١١).

الهوامش

١. سير أعلام النبلاء للذهبي رحمه الله تعالى: ٢٣/١٢٦ (٩٧).
٢. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (٢٢٧٥٤، ٢٢٨٠٦).
٣. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٤٦٩٤)، المعجم الصغير للطبراني رحمه الله تعالى: ٢/ ٢٢٩ (١٠٧٦)، المستدرك للحاكم رحمه الله تعالى: رقم (٥٤٠٥).
٤. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٧١١٩)، الطبقات الكبرى لابن سعد رحمه الله تعالى: ٤/ ٩.
٥. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٤٦٩٤).
٦. كلمة في زاوية النسخة تعرضت للطمس.
٧. صحيح ابن حبان رحمه الله تعالى: رقم (٦٢٧٤).
٨. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٥٨٣٦).
٩. رواه البخاري رحمه الله تعالى: رقم (٤١٤٨، ٣٩١٧)، ومسلم رحمه الله تعالى: رقم (٣٠٩٢، ١٢٥٣)، وأبوداود رحمه الله تعالى في السنن: رقم (١٩٩٤، ١٩٩٦)، وأبويعلى رحمه الله تعالى: رقم (٢٨٧٢)، وابن حبان رحمه الله تعالى في صحيحه: رقم: (٣٧٦٤).
١٠. رواه أبوداود رحمه الله تعالى في سننه: رقم (١٩٥٥، ١٩٩٣)، والترمذي رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٨١٦)، وابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٣٠٠٣).
١١. رواه الترمذي رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٨١٦)، وابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٣٠٠٣)، والدارمي رحمه الله تعالى في سننه رقم: (١٨٥٨)

مفتي اليمن الشيخ محمد الجرافي في ذمة الله

التحرير

فقدت الأمة الإسلامية مفتي الجمهورية اليمنية الشيخ محمد الجرافي عن عمر ٩٣ عامًا

ولد في مدينة صنعاء، حارة المدرسة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من صنعاء في شهر جمادى الأولى ١٣٣٩هـ، الموافق ١٩٢١م.





شيوخه

القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، والقاضي يحيى بن محمد الكبسي، ووالده العلامة أحمد بن أحمد الجرافي، والسيد أحمد بن علي الكحلاني، والسيد أحمد بن عبدالله الكبسي، والعلامة إسماعيل بن علي الريمي، والعلامة علي حسن سنهوب، والعلامة علي بن حسن المغربي، والقاضي لطف بن محمد الزبيري.

الأعمال التي تولاها

عالم محقق في علوم العربية والفقه، أصوله وفروعه، له معرفة بالحديث والتفسير، كتب بخطه الجميل كتبًا كثيرة وتولى أعمالاً مختلفة فكان كاتبًا في المحكمة الأولى بصنعاء من سنة ١٣٦٤هـ إلى سنة ١٣٦٧هـ.

عين عضوًا بمكتب رئاسة الجمهورية، ثم عضوًا بمحكمة الاستئناف العليا، ثم وكيلًا لوزارة العدل، وعضوًا في مجلس القضاء الأعلى، ونائبًا لرئيس محكمة الاستئناف العليا.

وقد أبان في جميع الأعمال التي تولاها، إدارية وقضائية، مهارة فائقة لما يتمتع به من ذكاء وفهم وإدراك، وسرعة الغوص لاستخراج المعاني الدقيقة التي لا يتنبه لها إلا من أوتي ذكاء وفطنة، وقد استفاد منه كثيرون حينما كانت تعوزهم الحاجة لقراءة نص غامض المعنى أو تقويم بيت من الشعر، كما نبه المترجمون إلى بعض أعمال من ترجموا لهم من العلماء المعاصرين، وكان له نشاط قوي في مقاومة التمييز العنصري الذي كان سائدًا في عهد ما قبل الثورة، والذي كان أحد أسباب قيام الثورة للإطاحة بالنظام الملكي الذي كان يرتكز عليه حرصًا على بقاء الحكم في أيدي طبقة متميزة في اليمن.

تولى رئاسة دار الإفتاء الشرعية في الجمهورية اليمنية وعين وكيلًا بوزارة العدل، كما عمل عضوًا في المحكمة الأولى بصنعاء عام ١٣٦٤ هـ، واستمر على ذلك حتى ١٣٧١هـ.

مميزاته

كان من أذكياء الرجال، حريصًا على اقتناص العلم والفوائد، بذل جهودًا في طلب العلم، وعرف إتقانه في علوم الآلة، شرح كتب العلامة الحسن بن جلال، حتى سماه بعضهم بالحسن الجلال الصغير، كان كريمًا عطوفًا على طلبة العلم، قام بنسخ كثير من الكتب بخطه الجميل.



وفاته

توفي الشيخ يوم السبت ١٥ اكتوبر ٢٠١١ في اليمن.



وصف بـ«ماركو بولو» العرب..

الرحالة المسلم ابن بطوطة.. ٢٩ عامًا وراء المعرفة (٢-٣)

القاهرة – دار الإعلام العربية

عادات وتقاليد، قصص وحكايات، غرائب ومعالم، بلدان وشعوب، جبال ووديان وبواد، أفراح وأتراح، علوم ومعارف.. هذه باختصار كانت محصلة نحو ٢٩ عامًا قضاها الرحّالة المسلم «ابن بطوطة» متجولًا من بلد إلى بلد، قاصدًا الحصول على المعرفة ونقلها إلى الآخرين للاستفادة منها، ومعرفة تاريخ البلدان وجغرافيتها وهي التي أفادت الجغرافيين حتى اليوم.. «الوعي الإسلامي» تتجول معه عبر هذه السطور..

اشتهر الرحالة الإيطالي «ماركو بولو» المولود في ١٥ سبتمبر ١٢٥٤م والمتوفى في ٨ يناير ١٣٢٤م بأنه أشهر رحالة الغرب في العصور الوسطى قاطبة، وعد شيخ رحالة الغرب بلا منافس، في المقابل اعتبر كثير من الباحثين والمؤرخين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بـ«ابن بطوطة» المولود في طنجة بالمغرب سنة ٧٠٣هـ- ١٣٠٤م الند العربي للرحالة الإيطالي عن جدارة، لاسيما أن «ابن بطوطة» تفوق عليه في أسفاره العديدة التي لم تترك بلدًا تعلوه راية الإسلام إلا زاره، وكتب عنه، وأحصى كل عاداته ومعارفه وأحداثه آنذاك.

خرج بلا أنيس

ولد ابن بطوطة لعائلة عرف عنها عملها في القضاء، لذلك درس في صباه الشريعة، وقرر عام ١٣٢٥ وهو ابن ٢٠ عامًا، أن يخرج لأداء فريضة الحج، وليتعلم المزيد من علوم الشريعة في أنحاء بلاد الإسلام.. بدأ رحلته الأولى من مدينة طنجة قاصدًا مكة المكرمة للحج وزيارة المدينة المنورة، وعمره لم يتجاوز إحدى وعشرين سنة، كان الغرض من هذه الرحلة أن يُمضي أشهرًا عدة في زيارة أهم الأماكن الإسلامية، وهو في طريقه للبلاد المقدسة، لكنه آثر أن يبقى عامًا للدراسة بمكة والمدينة؛ ليتمكن حين يعود إلى بلاده من القيام بمهام القاضي الشرعي، وقد وجد ابن بطوطة في رحلته ترحيبًا شديدًا من المجتمعات الإسلامية، حيثما حلَّ، وكان يُدعى باعتباره من رجال الدين ليتحدث إلى الأمراء المسلمين.

ومر «ابن بطوطة» في أول رحلة له بالجزائر وتونس ومصر وفلسطين وسورية، ومنها إلى مكة.. وعن تلك الرحلة سجل في مذكراته ما يلي: «كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥هـ- ١٣٢٤م معتمدًا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، منفردًا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة.. فجزمت نفسي على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبًا، ولقيت كما لقيا نصبًا».

وقد اتسع نطاق رحلته دون أن يخطط لذلك، ولم يمكنه حاجز اللغة في البداية من كسب ثقة المناطق التي مرّ عليها، لكنه واصل سعيه بها، وتحدّث لسانها، وحقق غرضه.. واتصل بكثير من الملوك والأمراء، وعندما وصلت رحلته إلى نهايتها بدأ في كتابة مغامراته واصفًا ما لقيه فيها من أشياء مدهشة وعجيبة.

زار بلاد كل حاكم مسلم من حكام عصره.. ومكة كانت هدفه الأول

في البلاد والأصقاع

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات، قطع فيها ما مجموعه تقريبًا (١٢٠٧٠١كم)، وقد استغرق في مجموعها نحو تسع وعشرين سنة، وكان أطولها الرحلة الأولى التي زار خلالها معظم نواحي المغرب والمشرق، وكانت أطول إقامة له في بلاد الهند، حيث تولى القضاء سنتين، ثم في الصين حيث تولى القضاء سنة ونصف، وفي هذه الفترة وصف كل ما شاهده وعاينه فيهما، ومن الغرائب التي ذكرها عن نظام التأمين الاجتماعي في الصين أن العامل أو الصانع كان يُعفى من العمل وتنفق عليه الحكومة إذا بلغ الخمسين، وأن من بلغ ستين سنة عَدّوه كالصبي الذي لا تنفذ فيه الأحكام.

كما ذكر كل من عرفه من سلاطين ورجال ونساء، ووصف ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم وضيافتهم، وما حدث في أثناء إقامته من حوادث وحروب وغزو وفتك بالسلاطين والأمراء ورجال الدين، وكان في خلال إقامته هذه مندفعا بعاطفته الدينية إلى لزوم المساجد، فلم يدع مسجدًا إلا زاره ونزل ضيفا عليه.

ولم يكن ابن بطوطة في أثناء تدوين رحلاته

سجل عادات الأقوام وتقاليدهم ولباسهم ومآكلهم ومشاربهم

عالمًا لغويًا ولا منشئًا بديعًا، لكنه كان رحالة يطوف البلاد والأصقاع، وعلى الرغم مما أتى به في رحلاته من عجيب الخلق والعادات، فإن قصص رحلاته كانت أطرف القصص وأجزلها نفعا من حيث تسجيل عادات الأقوام وتقاليدهم ولباسهم ومآكلهم ومشاربهم، كما أن هذه الرحلة الطويلة امتازت بفوائد تاريخية وجغرافية لما ذكره فيها من وصف البلاد، جوها، تربتها، جبالها، بحارها، ومن ضبط دقيق لأسماء الرجال والنساء والأماكن والمدن والزوايا وغيرها.. وفتحت رحلاته بابًا ولج منه المسلمون إلى عوالم كانت من قبل مجهولة لهم، كما أثْرت المكتبة العربية الإسلامية بمؤلف عظيم هو «تُحْفَةُ النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، تحدث فيه عن كل ما رآه في بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا.. كما تنقل من إثيوبيا جنوبًا إلى فارس شمالاً.

وصف دقيق

لم تكن رحلات «ابن بطوطة» بنفس اليسر الذي تتسم به رحلات العصر الحديث، إنما كان السفر آنذاك شاقًا مرهقًا خطرًا عبر هذه المسافات الشاسعة، وكانت المغامرة بدخول أراض غريبة مجازفة، غير أنه اتسم بجرأة وعزيمة أهلاه لأن يخوض رحلته وحيدًا على حمار.. وقام بوصف مفصل لكل ما صادفه في طريقه، وذكر جميع الأحداث التي مرت به، فذكر الطرق والبلاد والقصور وأبواب المدن ومعالمها والأشخاص الذين مروا عليه، والأحداث التي حدثت بينهم سواء تشاجر مع أحد أو تقابل مع آخر فأكرمه، حتى فترات مرضه ذكرها أيضًا، ولم يغفل نقطة مهما كانت بساطتها، فيقول في وصفه لمدينة الإسكندرية المصرية: «وصلنا في أول جمادى الأولى إلى مدينة الإسكندرية- حرسها الله، وهي الثغر المحروس والقطر المأنوس، العجيبة الشأن، الأصيلة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، ومآثر دنيا ودين، كرمت مغانيها، ولطفت معانيها، وجمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها».. كما بهرته أيضًا مدينة القاهرة ووصفها قائلاً: «أم المدن، سيدة الأرياف العريضة، والأراضي المثمرة، لا حدود لمبانيها الكثيرة، لا نظير لجمالها وبهائها، ملتقى الرائح والغادي، سوق الضعيف والقوي.. تمتد كموج البحر بما فيها من خلق بالكاد تسعهم».

تحفة الأنظار

وبعد نحو ثلاثين عامًا من الترحال والاستكشاف، بدأ ابن بطوطة طريق عودته إلى وطنه، إلى مدينة فاس في المغرب.. وهناك في بلاط السلطان «ابن عنان» قرأ أوصاف ما رآه في أسفاره على «محمد بن جزي الكلبي» الذي خط منها كتاب «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، والذي ترجم إلى العديد من اللغات مثل البرتغالية والإنجليزية والفرنسية، والألمانية والأمازيغية، وعلى الرغم من عدم توافر معلومات وافية عن السنوات الأخيرة من عمره، إلا أن المعروف أنه توفي عن عمر ٦٥ عامًا.. وظل بعد سنين طويلة من وفاته صاحب أطول أسفار في العالم.

وقد طبعت رحلته في باريس مع ترجمة فرنسية في منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرق ديفريمري وسانجنيتي، وطبعت في القاهرة طبعتان عربيتان، كما طبعت في لبنان في سلسلة الروائع اللبنانية، تحقيق فؤاد أفرام البستاني، وكذلك تُرجمت إلى كثير من لغات العالم، مما يدل على مدى أهمية تلك الرحلة، وانتهت أطول رحلة في العالم والتاريخ بوفاة ابن بطوطة في مراكش عام ٧٧٩هـ-١٣٧٧م.

هكذا رآه المستشرقون

عن كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» يقول المستشرق ريجيش بلاشير: «لهذا الكتاب أهمية فائقة في التعرف على العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي، ففيه يكثر الاستطراد وتختلط الأساطير مع الحكايات البعيدة عن التصديق، والأوصاف المتكررة تكشف فيها أيضًا معلومات تاريخية دقيقة ومفيدة، لاسيما تلك التي لا تحصى والمتعلقة بعقائد وعادات وأخلاق السكان كما يراها هذا الرحالة المسلم، الذي يتفوق عنده حبُّ الاستطلاع على حدَّة الذكاء».

بدوره، اعتبره المستشرق الروسي كراتشكوفسكي آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية، أي أنه لم يكن نقَّالة اعتمد على كتب الغير؛ بل كان رحالة انتظم محيط أسفاره عددًا كبيرًا من الأقطار، وجاوز تجواله مقدار مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، وهو بهذا يُعَدُّ منافسًا خطيرًا لمعاصره الأكبر منه سنًّا (ماركو بولو) البندقي الإيطالي.

ويقول الباحث الياباني ياموتو: «من العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده، حقًّا إن وصفه لتلك البلاد يشمل عددًا من النقاط الغامضة، لكنه لا يخلو من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة مباشرة، فضلًا على أنه من المستحيل القول بأن رواياته التي وجدت توكيدًا في المصادر الصينية وفي أسفار ماركو بولو قد كانت من تلفيق مخيلته».

أسست في طرابلس الغرب سنة ١٠٦٤هجرية

مدرسة عثمان باشا المالكيَّة

تركي محمد النصر

طرابلس الغرب هي عاصمة ليبيا، وأكثر مدنها سكانًا، تقع في شمال غرب البلاد على البحر الأبيض المتوسط في سهل ساحلي منبسط مقابل الرأس الجنوبي لجزيرة صقلية، تكثر فيها البساتين، لاسيما بساتين البرتقال والليمون وحقول الزيتون، وتشتهر بعمارتها الحديثة، وشوارعها الفسيحة وجنائنها الرائعة.

فتح المسلمون طرابلس الغرب في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، الموافق ٦٤٤م ودخلت تحت الحكم الإسلامي ثم تعاقبت على حكمها عدَّة ممالك كالنورمانية، والصقلية والإسبانية، وفرسان القديس يوحنا، وبقيت كذلك حتى استعادها العثمانيون منهم سنة ١٥٥١م.

تعتبر طرابلس الغرب التي يبلغ عدد سكانها أكثر من مليون نسمة مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًا وتشهد فيه الصناعة تطورًا ملحوظًا على صعيد صناعة تكرير النفط، ومن أبرز معالمها مرفأها التجاري، وقلعتها الأثرية أو ما يعرف بالسراي الحمراء، ومدينة الأندلس التي تعدُّ من أهم المشروعات السياحية في ضواحي طرابلس الغرب، وبرج الساعة الكبير، ومسجد أحمد باشا الذي أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي بناه عمرو بن العاص عندما فتح المدينة، ومدرسة عثمان باشا الساقزلي.

ولفظة طرابلس روميَّة إغريقيَّة، وهي تعني المدن الثلاث، وقد تحدث عنها أصحاب السير، فقالوا إنها في آخر أرض برقة، بناها أشباروس قيصر، وكان لها سور صخري جليل البنيان وبها أسواق حافلة، وكان فيها مسجد في العهد الإسلامي يعرف بمسجد الشعاب، وكان حولها بربر وأنباط، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ بعد حصار استمر شهرين فانتزعها من يد الرومان.

وينسب إلى طرابلس الغرب عدد كبير من أهل العلم والصَّلاح، ومن أبرزهم العلامة الشيخ علي بن زياد العبسي الطرابلسي، ولد بطرابلس، وسمع من الإمام مالك الموطأ وأخذ عنه أقواله، ثم جلس للتدريس في القيروان، حيث كثر تلاميذه واشتهر أمره، وكاد أن يمتحن بالقضاء ولكنه امتنع وسافر علي إثر ذلك إلى تونس، واجتمع عليه الناس، وكان ملاذهم بل كانت الأسئلة تأتيه من القيروان، واشتهر من تلاميذه ثلة منهم سحنون بن سعيد التنوخي، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات.

وابن زياد ـ رحمه الله ـ هو أول من أدخل الموطأ إلي إفريقيا، وهو أول من فسَّر للمغاربة قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، وهو معلم سحنون الفقة، توفي –رحمه الله– سنة ١٨٣هـ.

تأسيس المدرسة وسبب تسميتها

أسست المدرسة سنة ١٠٦٤هـ الموافق ١٦٥٤م، وتقع بزنقة درغوت باشا، بحي باب البحر في المدينة القديمة، بالعاصمة الليبية طرابلس، وسميت باسم مؤسسها عثمان باشا الساقزلي، وهو والي طرابلس الغرب آنذاك أثناء فترة الخلافة العثمانية، حيث كانت ليبيا منضوية تحتها.

ويعتبر تأسيس هذه المدرسة في العهد العثماني الأول تجديدًا واستمرارًا لتدريس العلوم الإسلامية في طرابلس بعد تدمير الإسبان وفرسان القديس يوحنا لكل المرافق الحيوية للمدينة، بما في ذلك المدارس الشرعية العتيقة مثل المدرسة المستنصرية التي أسسها ابن أبي الدنيا، والتي كانت بدورها استمرارًا لتدريس العلوم الإسلامية منذ أدخل علي بن زياد الطرابلسي تلميذ الإمام مالك كتاب الموطأ إلى المغرب الإسلامي.

وصفها

الداخل إلى مدرسة عثمان باشا من بابها الرئيس سيقابله صحن المدرسة، وهو ساحة مربَّعة الشكل تفتح عليها أبواب أربع عشرة حجرة، كل منها تزدان بعمودين من الرخام الزاهي اللون، ويعلوهما قوس نصف دائري، كما يحيط بالساحة رواق منتظم محمول على أعمدة رخامية متعددة المصادر تعلوها تيجان بديعة، وتعلو المدرسة قبتان عثمانيتان مميزتا الشَّكل، وتفتح الساحة على منطقة منفصلة بها مرافق المدرسة وميضأة تحمل نقوشًا عثمانية بديعة، كما تفتح الساحة من الناحية المقابلة على مقبرة قديمة حُوِّلَت إلى حديقة زهور.

أهميتها

تظهر أهمية مدرسة عثمان باشا من خلال محافظتها. حتى وقت قريب على التعليم الديني وفق نظام الحلقات في مختلف العلوم الإسلامية بشكل منتظم، كما أن المدرسين الذين تعاقبوا على التدريس فيها كانوا من أهم علماء ليبيا الذين تخرجوا على الرعيل الأول، مما أضفى عليها طابع العراقة، وعلى الرغم من صغر المدرسة إلا أنها استطاعت أن تحافظ على الموروث العلمي والثقافي الإسلامي لطرابلس، وأن تنقله عبر الأجيال على الطريقة المغاربية الطرابلسية بكل ما يعنيه ذلك من أصالة تاريخ المدينة وعلو قدر علمائها.

منهجها

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



يتلخَّصُ منهج المدرسة في تدريس علوم الشريعة الإسلامية، العقيدة والفقه والحديث واللغة العربية، وآداب البحث والمناظرة، والآداب الإسلامية العامة، ويجمع منهج المدرسة بين علمَي الرواية والدراية بتدريس الحديث النبوي والفقه المالكي الأصيل.

ولا يزال تدريس هذه العلوم يعتمد على طريقة التلقين وتحمل العلم الشرعي بالسند المتصل، الأمر الذي ميَّز هذه المدرسة العريقة عن غيرها من الدينية الأخرى.

أسانيدها وأبرز أعلامها

ومما زاد في أهميَّة هذه المدرسة وعراقتها العلميَّة والتاريخيَّة أنَّها تجمع أسانيد الأمَّة الإسلاميَّة قاطبة، أسانيد شاميَّة، ومصريَّة، وتونسيَّة، ومغربيَّة، وشنقيطيَّة، ويمنيَّة، وحجازيَّة، وهنديَّة، وتركيَّة، حيث اعتنى علماء طرابلس بالرواية منذ القدم، وأقرب هذه الأسانيد- مثلًا- الأسانيد التي اجتمعت من خلال العلامة مجدد المدرسة في العصر الحديث الشيخ محمد كامل بن مصطفى (ت ١٣١٤هـ) مفتي طرابلس الغرب والذي قام بتدريس العلوم الشرعية مطلع القرن العشرين بمروياَّته عن أكابر علماء الأمة في عصره ومنهم الشيخ أحمد عبدالرحيم الطهطاوي، والشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ حسن العدوي، والشيخ محمد المهدي بن سودة، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ عبدالهادي الإبياري، والشيخ عبدالقادر الريماوي المقدسي الحنفي، والشيخ إبراهيم بن محمد السياني التونسي التوزري، والشيخ مختار شويخ، والشيخ محمد الطاهر الغدامسي، والشيخ أبوالقاسم العيساوي.

كما جمعت المدرسة بين أسانيد المناطق الليبية المحيطة بطرابلس مثل أسانيد الشيخ محمد الأمين العالم من شط الهنشير، وأسانيد الشيخ علي الغرياني من تاجوراء، وأسانيد الشيخ أحمد أبوطبل من بني وليد، وأسانيد الشيخ محمد ظافر المدني من مصراتة التي تتصل بأسانيد الشيخ أحمد زروق.

وقد تسلسل العلم الشرعي المعنعن في المدرسة من خلال تلاميذ الشيخ محمد كامل بن مصطفى من أمثال العلماء إبراهيم مصطفى باكير مفتي طرابلس، وأحمد البكباك، وأحمد الشارف، وأحمد شقرون، وأحمد بن عبدالسلام، وأحمد بن عبد العال وغيرهم.

ولا تزال المدرسة تفخر بتدريس شتى العلوم الإسلامية التخصصية من خلال نخبة من أجلِّ أعلامها، و نذكر منهم

١- العلامة الفقيه الشيخ عبدالسلام البزنطي الذي تخرج في العلوم الشرعية على أيدي علماء كبار من أساتذة جامعة محمد بن علي السنوسي بالبيضاء، وكلية أحمد باشا بطرابلس، ويواصل الشيخ البزنطي مسيرة تدريس الفقه المالكي التي بدأها الإمام علي بن زياد الطرابلسي تلميذ الإمام مالك وذلك بتدريسه الكتب المعتمدة على المذهب المالكي مثل كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني بشروحها وحواشيها الأزهرية.

٢- شيخ القراءات العلامة الأمين محمد قنيوة الذي يتصل سنده بأعلى الأسانيد العثمانية في القراءات والتجويد، وهو حجَّة على مستوى العالم الإسلامي في مجال القراءات والتجويد، ترأس لجان الإشراف على عدة مسابقات قرآنية دولية، وله تسجيلات إذاعية محلية ودولية، ومساهمات مهمة في إخراج مصحف الجماهيرية على رواية قالون عن نافع، وتخرج على يديه عديد من أفضل قرَّاء البلاد الليبية.

٣- اللغوي الدكتور محمد منصف القماطي الذي درس علوم العربية والعلوم الشرعيَّة دراسة جامعيَّة وعلى علماء طرابلس، وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغويات، ويُدَرِّس- بالإضافة إلى تدريسه بمدرسة عثمان باشا- في جامعة الفاتح بطرابلس.

مكتبتها

أَوقَفَ عثمان باشا الساقزلي رحمه الله كتبًا كثيرة وقيِّمة على مدرسته منذ تأسيسها، وحافظ الليبيون على هذه النَّفائس، ومنها كثير من المخطوطات النَّادرة، وعندما أسَّست وزارة الأوقاف الليبية مكتبتها العامة في طرابلس عام ١٣١٦هـ قامت بنقل أغلب هذه الكتب إليها، كما تم تجديد مكتبة المدرسة وتزويدها بمراجع ومصادر مهمة في العلوم الإسلامية، وخاصة كتب الفقه المالكي وأصوله.

دورها في التَّاريخ العلمي لطرابلس

كانت المدرسة تقوم بدور دار الإفتاء في طرابلس، أو ما يُعرف في العهد العثماني بمَقَر المفتي، ويعتبر الشَّيخ محمد كامل بن مصطفى الذي كان مفتيًا لطرابلس الغرب من أهم علماء المدرسة في العصر الحديث، إذ تخرج على يديه في هذه المدرسة أهم علماء ليبيا ممن سبق ذكرهم.

ومن أبرز الأعراف الدينية في طرابلس ما يُعرف بالحزب القرآني الذي أسسه العلامة الشيخ محمد المصراتي في المدرسة، ويُقرأ الحزب كل يوم عقب صلاة المغرب، ويعتبر من النشاطات المميزة ذات الطابع العريق للمدرسة التي لم تنقطع منذ أكثر من نصف قرن.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٤٢٥/١/٨٩... زكاة المال المستثمر

أود أن أعرض عليكم حالة خاصة من حالات المشاركة في تجارة العقار، رجاء أن تبينوا لي ما هو الواجب علي في حكم الزكاة. جزاكم الله كل خير والحالة كالآتي:

عندي مقدار من المال أودعته عند أحد أقاربي عندما انتدبت للعمل في الخارج (خارج الكويت) وقد أبلغني قريبي بأنه أشركني في بناء عمارة سكنية ثم باعها واستثمر في شراء أرض أخرى وبناها ثم باعها، وقد أخبرني بأنه احتسب لي الربع في الشراكة وكنت في البداية أعرف رأسمالي وأضيف إليه الربح تقديرًا وأخرج الزكاة في كل عام من المال الذي أدخره عندي وليس من المال الذي عند قريبي، وكنت أيضًا أطالبه بأن يزودني بكشف حسابي لديه ولكنه لا يفعل بحجة أنه مشغول، ودائما يقول لي انتظر وأنا أتحاشى أن اختلف معه بسبب الإلحاح في المطالبة بكشف الحساب، وكنت أقدر ما لدي من مال عنده وأخرج زكاته من المال الذي عندي كما سبق أن ذكرت، ولكن هذا العام لا يوجد لدي مال أدخره سوى مرتبي الذي بالكفاف أنفق منه على معيشة أولادي، فهل يجوز أن أؤخر زكاة مالي إلى وقت حصولي منه على كشف الحساب أو استلام كل أموالي أو ماذا أفعل بالنسبة لزكاة أموالي المودعة لديه؟ علمًا بأنه لم ينكر هذه الأموال وأنا أفترض فيه حسن النية.

أجابت اللجنة بما يلي: بما أن الزكاة فريضة سنوية وقد حال الحول فيجب على السائل إخراج زكاته سواء من المال الذي وجبت فيه الزكاة أم من غيره، ولا يجوز تأخير الزكاة عن موعدها، وعليه مطالبة شريكه بالمقدار الذي يكفي لأداء الزكاة إن لم يطالبه بجميع حقه، ولابد من معرفة مقدار أمواله ليتمكن من حساب زكاتها.

٤٣٠/٣/٨٩...زكاة المال المدخر لشراء بيت

والدي عنده بيت مضت عليه فترة ثم باع البيت وفي عزمه أن يشتري بيتًا آخر ولكن غلاء الأسعار حال دون شراء البيت الجديد وبقيت أموال البيت الأول حتى حال عليها الحول فهل تجب الزكاة فيها أم لا؟ وهل يجوز صرف الزكاة إلى أقربائه أو أبناء المستحقين للزكاة أم لا؟

●...أجابت اللجنة بما يلي:

...إن الزكاة واجبة في الأموال التي حصل عليها ثمنا للبيت والمعدة لشراء بيت آخر إذا حال عليها الحول، ويجوز صرف الزكاة إلى أقاربه إن كانوا مستحقين بأن كانوا من الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾، ولا يجوز صرف الزكاة إلى أصول المزكي كأبيه وأمه وجده وجدته ولا إلى فروعه وهم أولاده وأولادهم.

٤٣٧/٢/٨٩ زكاة الدين الذي لم يثبت بحكم محكمة أو إقرار صحيح

(١٧٥٢) عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدير العام للهيئة العامة لشؤون القصر، ونصه:... بعد التحية، نرجو الإحاطة أن الهيئة بصفتها وصيا على القصر وقيما على المحجور عليهم من الكويتيين الذين ليس لهم ولي أو قيم آخر يتولى إدارة عقاراتهم وأموالهم وأن هناك بعض التركات توجد عليها ديون لصالح الغير بموجب إفادات ترد للهيئة ودون صدور حكم بها، كما يوجد ديون عقارية لصالح بنك التسليف والادخار والهيئة العامة للإسكان، ونظرًا لأن بعض الورثة الراشدين يطلبون استبعاد هذه الديون من وعاء الزكاة والتي تحصلها الهيئة ممن تتولى رعايتهم. لذلك فإن الهيئة قد رأت التوجه إليكم لبيان الرأي الشرعي في الأمور الآتية: هل يؤخذ في الاعتبار عند احتساب الزكاة على أموال القصر الديون التي لم يصدر بها حكم إذا أقرها الورثة أو كانت ثابتة بالكتابة؟

●...أجابت اللجنة ما يلي:

عند احتساب الزكاة على أموال القصر تعتبر الديون التي صدر بها حكم أو ثبتت بالكتابة المعتمدة شرعًا سواء كان الورثة راشدين أو قصرًا، وبالنسبة للورثة الراشدين تعتبر الديون التي أقروها في حق حصصهم فقط، أما القصر فلا يعتبر منها إلا ما يثبت بالقرائن التي تقتنع بها الهيئة العامة لشؤون القصر باعتبارها وصية عليهم.

٤٣٧/٢/٨٩ زكاة/ زكاة الديون المقسطة إلى آجال بعيدة!!

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدير العام للهيئة العامة لشؤون القصر، ونصه:...بعد التحية،

نرجو الإحاطة أن الهيئة بصفتها وصيا على القصر وقيما على المحجور عليهم من الكويتيين الذين ليس لهم ولي أو قيم آخر يتولى إدارة عقاراتهم وأموالهم وأن هناك بعض التركات توجد عليها ديون لصالح الغير بموجب إفادات ترد للهيئة ودون صدور حكم بها، كما يوجد ديون عقارية لصالح بنك التسليف والادخار والهيئة العامة للإسكان، ونظرًا لأن بعض الورثة الراشدين يطلبون استبعاد هذه الديون من وعاء الزكاة والتي تحصلها الهيئة ممن تتولى رعايتهم.



...لذلك فإن الهيئة قد رأت التوجه إليكم لبيان الرأي الشرعي في الأمور الآتية:

...هل يؤخذ في الاعتبار (عند إخراج الزكاة) الديون التي تسدد على أقساط شهرية لبنك التسليف والادخار أو الهيئة العامة للإسكان، مع العلم أنها أقساط بسيطة ولا يُطلب سدادها بالكامل عند وفاة مالكها، وتقسط على سنوات طويلة، فهل يؤخذ قيمة الدين كاملا بالاعتبار عند احتساب الزكاة، أو تؤخذ قيمة الأقساط المستحقة عند احتساب الزكاة على أموال القصر؟ شاكرين لكم جهودكم للوصول إلى الصواب والالتزام بالحق.

●...وأجابت اللجنة ما يلي:

...الديون الحكومية أو الإسكانية التي تسدد على أقساط شهرية أو سنوية لا يؤخذ في الاعتبار عند احتساب الزكاة إلا القسط السنوي المستحق دفعة أو الأقساط التي تتعلق بالسنة المزكى عنها، وذلك ما انتهت إليه الندوة الثانية لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة في الكويت عام ١٤٠٩هـ.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بشأن موضوعي الاستفادة من أموال الزكاة لبناء المدارس والمستشفيات في البلاد الأوروبية وتأسيس صندوق للزكاة فيها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد ﷺ أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢رجب١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩رجب١٤٠٦هـ قد نظر في توصية مجمع البحث الفقهي الأوروبي، التابع للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمحال إليه من معالي الدكتور الأمين العام، نائب رئيس المجلس، والمتعلق بإمكان الاستفادة من أموال الزكاة لبناء المدارس والمستشفيات في البلاد الأوروبية.

وبعد النظر والاستماع إلى كلمات الأعضاء ومناقشاتهم قرر المجلس تأكيد ما ذهب إليه في الدورة الثامنة من دخول الدعوة إلى الله تعالى، وما يعين عليها، ويدعم أعمالها في مصرف «في سبيل الله» وهو أحد المصارف الثمانية المنصوص عليها في كتاب الله تعالى (الآية ٦٠ من سورة التوبة) اعتمادًا على أن الجهاد في الإسلام لا يقتصر على القتال بالسيف، بل يشمل الجهاد بالدعوة وتبليغ الرسالة، والصبر على مشاقها. وقد قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ في شأن القرآن :﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا»﴾ (الفرقان:٥٢)، وجاء في الحديث الشريف: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» رواه أحمد وأبوداود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه.

ويتأكد هذا المعنى في عصرنا الحاضر، أكثر من أي وقت آخر، فالمسلمون يغزون فيه في عقر دارهم من الملل والنحل والفلسفات الباطلة، وبالفكر والثقافة لا بالسيف والمدفع، وبالمؤسسات التعليمية والاجتماعية، لا بالمؤسسات العسكرية. ولا يفل الحديد إلا حديد مثله، فلابد أن تقاوم الدعوة إلى الطاغوت بالدعوة إلى الله، ويقاوم تعليم الباطل بتعليم الحق، والفكر المشحون بالكفر بالفكر المشحون بالإسلام. كما قال أبوبكر الصديق لخالد رضي الله عنه «حاربهم بمثل ما يحاربونك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح...». وقد تنوعت وسائل الدعوة وأساليبها في عصرنا تنوعًا بالغًا، فلم تعد مقصورة على كلمة تقال، أو نشرة توزع، أو كتاب يؤلف- وإن كان هذا كله مهما- بل أصبح من أعظم وسائلها أثرًا وأشدها خطرًا: المدرسة تصوغ عقول الناشئة وتصنع أذواقهم وميولهم، وتغرس فيها من الأفكار والقيم ما تريد، ومثل ذلك المستشفى الذي يستقبل المرضى، ويحاول التأثير فيهم باسم الخدمات الإنسانية.

وقد استغل هذه الوسائل أعداء الإسلام من دعاة التنصير وغيرهم، لغزو أبناء الأمة الإسلامية، وسلخهم من شخصيتهم، وإضلالهم عن عقيدتهم، فأنشأوا المدارس والمستشفيات وغيرها لهذا الغرض الخبيث، وأنفقوا عليها العشرات والمئات من الملايين، وأكثر ما يتعرض المسلمون وشبابهم خاصة لهذا الخطر حينما يكونون خارج ديار الإسلام. ولهذا يقرر المجلس أن المؤسسات التعليمية والاجتماعية من المدارس والمستشفيات ونحوها، إذا كانت في بلاد الكفر، تعتبر اليوم من لوازم الدعوة، وأدوات الجهاد في سبيل الله، وهي مما يدعم الدعوة ويعين على أعمالها بل هي لازمة للمحافظة على عقائد المسلمين وهويتهم الدينية، في مواجهة التخريب العقائدي والفكري الذي تقوم به المدارس والمنشآت التنصيرية واللادينية.

على أن تكون هذه المؤسسات إسلامية خالصة، ممحضة لأغراض الدعوة والرسالة والنفع لعموم المسلمين وليست لأغراض تجارية تخص أفرادًا أو فئة من الناس. أما ما يتعلق بتأسيس صندوق للزكاة، لجمعها من المكلفين بها، وصرفها في مصارفها الشرعية، ومنها ما ذكرناه أعلاه، فهو أمر محمود شرعًا، لما وراءه من تحقيق مصالح مؤكدة للمسلمين، بشرط أن يقوم عليه الثقات المأمونون العارفون بأحكام الشرع في تحصيل الزكاة وتوزيعها، والله أعلم.

كيف تستثمر أموالك في البورصة بالحلال؟

د. حسين شحاتة

هي سوق تباع وتتداول فيها الأوراق المالية مثل الأسهم والسندات والصكوك الاستثمارية، وتتم عمليات الشراء والبيع والتنازل بطرق كثيرة لتحقيق الربح، وتعمل البورصة تحت إشراف الأجهزة الحكومية المختلفة، وفقًا لقوانين وقواعد وأسس وإجراءات فنية.

– مقاصد الاستثمار في البورصة

هناك هدفان من الاستثمار في البورصة هما:

١– هدف التجارة في الأوراق المالية، ويطلق عليها المضاربة، حيث تتم عمليات الشراء والبيع وتحقيق الربح من فروق الأسعار، فغاية المستثمر في هذه الحالة هو تحقيق الربح من فروق الأسعار، وربما يحقق خسارة.

٢– هدف الحصول على العائد من الأوراق المالية، مثل أرباح الأسهم أو فوائد السندات أو فوائد الصكوك، فالغاية من الاستثمار في هذه الحالة هو الحصول على العائد الذي تدره الأوراق المالية ليستعان به في مطالب الحياة.

٣–وأحيانًا يكون الهدف من الاستثمار الاثنين معًا.

طرق الاستثمار في البورصة

هناك طرق عديدة للتعامل في البورصة منها ما يلي:

١– طريقة التعامل النقدي أو العمليات الناجزة (كاش) حيث تتم عمليات الشراء والبيع والتنازل نقدًا، يدًا بيد، وهذه هي الأعم، ويتم ذلك من خلال التسليم النقدي أو إشعارات الخصم والإضافة في الحساب البنكي، وهذه الطريقة جائزة شرعا.

٢– طريقة التعامل بالهامش: حيث تتم عمليات الشراء والبيع والتنازل بسداد نسبة من القيمة نقدًا والباقي بالأجل من خلال ائتمان من شركة السمسرة أو من إحدى المؤسسات المالية بنظام الفائدة الربوية، ولهذه الطريقة مخاطر وشبهات شرعية.

٣–طرق أخرى يضيق المقام عن ذكرها منها على سبيل المثال:

الاختيارات والمستقبليات، وهما محرمتان شرعًا.

الضوابط الشرعية

من أهم هذه الضوابط ما يلي:

١– أن يكون نشاط الشركات المصدرة للأسهم موضوع التعامل حلالًا طيبًا، مثل التي تعمل في الغذاء والملابس والمساكن والعلاج والتعليم، ولا يجوز التعامل في أسهم شركات الخمر والبيرة والسينما الفاجرة، واللهو غير المشروع وشركات القمار والبغاء التي تنشر الفاحشة.

٢–أن تكون طريقة التعامل جائزة شرعًا وبعيدة كل البعد عن الربا (فوائد القروض والائتمان)، وعن الميسر ومنها المستقبليات والاختيارات.

٣– أن يكون التعامل عن طريق شركة سمسرة تتسم بالأمانة والصدق والشفافية والبعد عن الغش والتدليس والكذب والترويج غير الهادف.

٤– أن تكون الغاية من الاستثمار هي الإسهام في التنمية الاقتصادية وتنمية الأموال بالحق، وتكون الأولوية للشركات الوطنية التي تتعامل في الضروريات والحاجيات ذات العلاقة بالحاجات المعيشية للناس مثل الغذاء والملبس والمأوى والعلاج والتعليم وما في حكم ذلك.

٥– أن تتم المعاملات كافة وفقًا للقوانين والتعليمات والقرارات الحكومية التي تضبط العمل في البورصة وتجنب التعامل في السوق الخفية (السوداء)، ويحكم ذلك كله القيم الأخلاقية والولاء والانتماء للوطن.

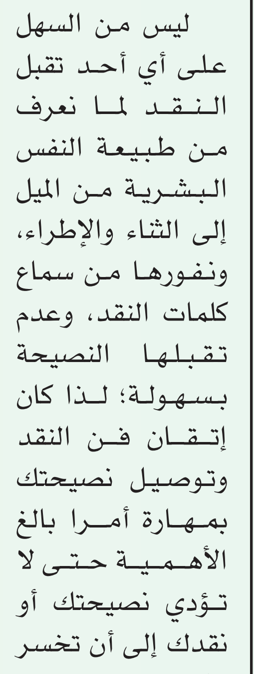
الأستاذ بجامعة الأزهر





إعداد: خالد خلاوي

تميز في نُصحك





ليس من السهل على أي أحد تقبل النقد لما نعرف من طبيعة النفس البشرية من الميل إلى الثناء والإطراء، ونفورها من سماع كلمات النقد، وعدم تقبلها النصيحة بسهولة؛ لذا كان إتقان فن النقد وتوصيل نصيحتك بمهارة أمرا بالغ الأهمية حتى لا تؤدي نصيحتك أو نقدك إلى أن تخسر قلب من تنصحه، فالنصيحة والنقد الإيجابي البناء واجب على كل فرد من أفراد الأمة، أمر به الله سبحانه وجعله من صفات المؤمنين، قال الله تعالى ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: ٣).

وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (متفق عليه). وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «حق المؤمن على المؤمن ست فذكر منها.. وإذا استنصحك فانصح له» (رواه مسلم).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى».

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله: «والنصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورأفة، مراد الناصح بها وجه الله ورضاه، والإحسان إلى خلقه».

ومن أول مبادئ النقد الإيجابي التغليف الجيد للنقد أو النصيحة في أولها وآخرها ففي أولها تبدأ بذكر محاسن الذي تريد نقده، وتثني على جهوده واجتهاداته، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل.

وتغلفها في نهايتها بإظهار حبك وتقديرك و بيان الحرص على مصلحة من تنقده وأهمية هذا النقد في إجادة العمل وإتقانه.

وإليك بعض المقترحات لتقديم النقد الإيجابي من كتاب «يمكنك أن تفوز» لخبير التنمية البشرية شيف كيرا:

- كن مُدربًا: لابد أن يكون النقد ممزوجًا بتوجيه فكري لمساعدة الطرف الآخر، إن المدرب يطرح انتقاداته لكي يساعد على تحسين أداء اللاعب.
- الفهم والاهتمام يعملان كحافز.
- لابد أن يكون الهدف هو التصحيح لا العقاب.
- كن محددًا بدلاً من قول أشياء مثل: أنت دائمًا تفشل أو أنت لا تفعل أبدًا، إن النقد الغامض يسبب الاستياء.
- ضع الحقائق في أماكنها، لا تقفز إلى الاستنتاجات ولا تندفع إلى النقد.
- كن هادئًا ولكن بحزم.
- انقد للإقناع وليس للترهيب.
- لا تكن ساخرًا.
- انقد على انفراد وليس بشكل علني.
- امنح الشخص الآخر فرصة كي يشرح وجهة نظره.
- أظهر لهم أنهم سيستفيدون من تصحيح اخطائهم.
- قم بتوضيح الخسارة من عدم تصحيح الأخطاء.
- انقد الأداء وليس الأشخاص.
- اختم ملاحظاتك الإيجابية بالتقدير.

إعداد: هيفاء حسن

آمال بكشف أسرار الكون



بدأ تلسكوب «الما» الفضائي العملاق، الذي يعد واحدا من أعظم الانجازات العلمية والتكنولوجية في القرن الحادي والعشرين، بالعمل كاشفا أعماق الفضاء الخارجي، فيما يعرف في أوساط العلماء بفجر الكشف عن أسرار الفضاء الكوني.

ويعتبر التلسكوب، الذي أقيم على ارتفاع خمسة كيلومترات فوق سطح الأرض في الصحراء التشيلية، من أعقد وأكبر المشاريع العلمية الطموحة في العالم لكشف الفضاء التي بنيت حتى الآن.

والهدف من بناء هذا المشروع الضخم دراسة الظواهر الكونية التي حدثت خلال عدة مئات من ملايين السنين عقب تشكل الكون، أي منذ بدأت أول النجوم في اللمعان.

ومن شأن نتائج عمل تلسكوب «الما» إلقاء الضوء على أسرار كيفية تشكل الكون على الهيئة التي تكون عليها حاليا.

ويقول أحد علماء التلسكوب د.دييغو غارثيا: إن تشغيل المشروع العملاق بمنزلة «بداية العصر الذهبي لعلوم الفضاء».

وأضاف غارثيا: إن تلسكوب «الما» سيمكن العلماء من رؤية «بداية الكون، وكيف تكونت وتشكلت المجرات الأولى، وسنتعلم الكثير حول الكيفية التي يعمل بها النظام الكوني».

فك الشفرة الوراثية للطاعون القاتل

فك علماء من ألمانيا وبريطانيا وأميركا وكندا الشفرة الجينية للبكتريا التي تسببت في الطاعون الذي حصد حياة ملايين البشر في أوروبا، في نهاية القرن الرابع، وبداية القرن الخامس من القرن الرابع عشر الميلادي.

وقال العلماء إن المجموع الوراثي لهذه البكتريا يشبه إلى درجة كبيرة جينات البكتريا الخطيرة على صحة الإنسان في الوقت الحالي، وإن أقرب بكتريا مسببة للطاعون في الوقت الحاضر تختلف فقط في ١٢ موضعًا عن تلك التي كانت موجودة في القرن الرابع عشر الميلادي.

دبي تؤسس جائزة عالمية للسلام

أعلنت إمارة دبي يوم ٢٠١١/١٠/١٢ تأسيس جائزة عالمية للسلام، باسم «جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للسلام العالمي».

وقالت وكالة أنباء الإمارات إن الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي أصدر مرسومًا بإنشاء الجائزة.

وأشارت إلى أن «أهم أهداف الجائزة تكريم الفئات والجهات ذات الإسهامات المتميزة في قضايا حفظ السلام العالمي باعتباره وسيلة للتفاعل الحضاري بين الشعوب، وإنماء السلام والاستقرار وتنميتها في العالم وتشجيع روح المبادرة والتميز في حفظ السلام العالمي إلى جانب تشجيع الحوار بين الأديان، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام باعتباره دين تسامح وسلام».

وحدد المرسوم إمارة دبي مقرًا دائمًا للجائزة ويجوز أن تفتح فروعًا لها داخل الإمارة وخارجها.



وذكر المرسوم أن مجلس الجائزة يتولى الإعداد لـ«مؤتمر دبي العالمي للسلام» وتحديد موعد انعقاده واعتماد الترشيحات المقدمة لنيل الجائزة، التي ستمنح كل عامين.

النباتات تؤثر في المورثات



توصل باحث صيني يدعى شان يو زانغ من جامعة نانجينغ إلى نتيجة مفادها أن النباتات التي نستهلكها قادرة على التأثير في مورثاتنا.. لقد عثر هذا الباحث الصيني في دم مواطنيه، على الحمض الريبي النووي للأرز، وهو الحمض الذي يرجح أن يكون وراء توقف عمل مورثات الكبد.. يجري العديد من الباحثين الآن تجارب على النباتات في محاولة لدراسة أثرها على الجملة الوراثية للإنسانية وتأكيد دورها في معالجة بعض الأمراض.

طبقة أوزون في كوكب الزهرة

اكتشف العلماء أن كوكب الزهرة محاط بطبقة من الأوزون، وقد اكتشفت وكالة الفضاء الأوروبية هذه الطبقة التي يمثل سمكها ١٪ من سمك طبقة الأوزون الخاصة بكوكب الأرض.

وحتى الآن لم تكتشف طبقة الأوزون إلا في الغلاف الجوي للأرض والمريخ، وقد يساعد الاكتشاف العلماء في تطوير بحثهم عن الحياة في الكواكب الأخرى، وقال الباحثون إن طبقة الأوزون الخاصة بكوكب الزهرة تقع على بعد ١٠٠ كيلومتر من سطح الكوكب، وهو ما يماثل ثلاثة أمثال بعد طبقة الأوزون الخاصة بالأرض، يتكون الأوزون، وهو جزيء يحتوي على ثلاث ذرات أوكسجين عندما يفكك ضوء الشمس ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي لكوكب الزهرة إلى جزيئات بالطريقة نفسها، وتمتص طبقة الأوزون الخاصة بالأرض قدرًا كبيرًا من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، مما يمنعها من الوصول إلى سطح الأرض.





التثاؤب «ترموستات» المخ

أثبتت دراسة علميه حديثة أن عملية التثاؤب ليست فقط دليلا على مدى التعب والإرهاق والاحتياج إلى النوم والراحة إنما هو طريقة طبيعية للحفاظ على درجة حرارة المخ. وقال الباحثون الأميركيون: إن عملية التثاؤب شأنها في ذلك شأن جهاز «الترموستات» أو معدل تنظيم درجة الحرارة، حيث يُسهم التثاؤب في إبقاء المخ في درجة حرارة مناسبة، ويجعله باردًا إلى حد ما، وشبه العلماء مخ الإنسان بجهاز الكمبيوتر، حيث يعمل المخ بصورة أفضل عندما يكون باردًا، والكثير من الأعباء والضغوط والتفكير يرفع درجة حرارة المخ ويجعله منهكًا إلى حد كبير.

من هنا وهناك

- ابتكرت شركة فورد الأميركية للسيارات كرسيًا يراقب نشاط قلب السائق من خلال ملابسه التي تحتوي على ستة أجهزة استقبال، وهذا الكرسي الذي لديه القدرة على قياس ٩٨٪ من الزمن الذي يقود فيه السائق للسيارة يستطيع إعطاء إنذار للسائق في حالة الخطر أن يوقف سيارته ويتجه فورًا إلى أقرب مركز إسعاف.

- طور علماء بريطانيون من جامعة «ليفربول» البريطانية تقنية حديثة تتمثل في تحديد هوية الأشخاص من خلال خطوات الأرجل والتي تعادل دقتها دقة بصمات الأصابع.

- يعتبر العنصر المشعّ (بولونيوم-٢١٠) من أحد مسبّبي سرطان الرئة، وهو لا يزال حتى اليوم موجودا في السجائر، وقد أكدت هذه الحقائق لشركات التبغ سلسلة من البحوث التي أُجريت في الخمسينيات والستينيات إلا أن الوثائق التاريخية تفيد بأن تلك الشركات فضّلت إبقاء تلك النتائج المثيرة للصدمة سرية.

- أصبحت المعلومات المؤتمنة كما «مفهوم السرية» من الناحيتين الصناعية والإستراتيجية على المحك، في عصر التطبيقات الرقمية بحسب الخبراء في الأمن.

- تستعمل الطحالب كإضافات غذائية، كما تستعمل أيضا في إنتاج بعض الأدوية ومواد التجميل، لكن أبحاثا حديثة توصلت إلى أن خلاصة الطحالب يمكن أن تمد البطاريات بـ٣٠ إلى ٤٠ في المائة من الطاقة، كما بمقدورها أن تزيد من فعالية البطارية.

الإنجاز كبير جدا ومن شأنه أن يسمح أكثر فأكثر باستقلالية السيارة الكهربائية.



إعداد: التحرير

شخصيات عربية

هم ثلاثة أخوة، برزوا في علوم اللغة والأدب والتاريخ والفقه والحديث، يطلق على كل واحد منهم ابن الأثير، وجميعهم من أبناء بلدة جزيرة ابن عمر التابعة للموصل، وكان أبوهم من أعيان هذه البلدة وأثريائها.

الابن الأكبر هو مجد الدين أبو السعادة المبارك بن محمد، فقيه محدث اشتغل بدراسة القرآن الكريم والحديث والنحو حتى صار علمًا بارزًا فيه، وألف وترك مؤلفات عظيمة، أشهر هذه المؤلفات: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، جمع فيه الكتب الصحاح الستة وتوفي سنة (٦٠٦ هـ -١٢٠٩م).

أصغر أبناء ابن الأثير: هو ضياء الدين أبوالفتوح نصر الله، المعروف بضياء الدين بن الأثير الكاتب الأديب، كان متقنا لصنعة الكتابة واشتهر بها، وبجودة أسلوبه وجمال بيانه، عاش في زمن صلاح الدين الأيوبي والتحق بخدمته وخدمة أبنائه في حلب ودمشق، وقد ترك مصنفات أدبية قيمة من أشهرها: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تعالج فن الكتابة وطرق التعبير، وتوفي سنة (٦٣٧هـ – ١٢٣٩م).

أما أوسطهم فهو عز الدين الأثير المؤرخ، وسوف أقوم ببيان دوره في التاريخ بشيء من التفصيل.

مولده ونشأته: ولد علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بعز الدين بن الأثير في ٤ من جمادى الآخرة سنة ٥٥٥هـ الموافق ١٣من مايو سنة ١١٦٠م، بجزيرة ابن عمر، وقد عني أبوه بتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراء والكتابة.

بعد ذلك أكمل دراسته في الموصل بعد أن انتقلت إليها أسرته، وأقامت بها إقامة دائمة، فسمع الحديث من أبي الفضل عبدالله بن أحمد، وأبي الفرج يحيى الثقفي، وتردد على حلقات العلم التي تعقد في مساجد الموصل ومدارسها، وكان ينتهز فرصة خروجه للحج ويسمع مشايخها وكذلك يعرج على بغداد ثم يعود إلى الموصل.. وأخيرًا لزم الموصل وانقطع للتأليف والتصنيف.

ثقافة ابن الأثير: قام ابن الأثير برحلة طويلة في سبيل العلم، فدرس الحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والقراءات؛ لأن هذه العلوم كان يجيدها الأساتذة المبرزون، ومن بينهم ابن الأثير، لكنه اختار فرعين من العلوم ليتعمق فيهما وفي دراستهما هما: الحديث والتاريخ، حتى صار إمامًا في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، حافظًا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم، عارفًا بالرجال وأنسابهم لاسيما الصحابة.

وعن طريق هذين العلمين بنى ابن الأثير شهرته في عصره، وإن غلبت صنعة المؤرخ عليه، حتى كادت تحجب ما سواها.

مؤلفاته: توفرت المادة التاريخية لابن الأثير الذي استعان بها في مؤلفاته بفضل اتصاله بحكام الموصل، وأسفاره العديدة في طلب العلم، والتي استعان بها في مصنفاته التي انتظمت في أربعة مؤلفات، جعلت منه ابرز المؤرخين بعد الطبري.

وسوف نستعرض من هذه المؤلفات بإيجاز شديد «الكامل في التاريخ»، وهو في التاريخ العام، وهو ما يسمى بالتاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، الدولة التي أسسها عماد الدين زنكي في الموصل سنة (٥٢١هـ – ١١٢٧م)، وهي الدولة التي عاش في كنفها ابن الأثير.

أسد الغابة في معرفة الصحابة: وهو في تراجم الصحابة.

اللباب في تهذيب الأنساب: وهو في الأنساب.

الكامل في التاريخ: وهو تاريخ عام في ١٢ مجلدًا منذ الخليقة وابتداء الزمان حتى عصره.

وبذلك يكون ابن الأثير قد كتب في أربعة أنواع من الكتابة.

وتعود أهمية الكتاب إلى أنه استكمل ما توقف عنده تاريخ الطبري في سنة (٣٠٢ هـ) وهي السنة التي انتهى بها كتابه، وكذلك تضمن الكتاب تاريخ الحروب الصليبية، وكذلك الزحف التتري على المشرق الإسلامي.

أسد الغابة: وموضوعه الترجمة لصحابة الرسول ﷺ الذين حملوا مشعل الدعوة، وفتحوا بسلوكهم الدول والممالك.

وقد اشتمل الكتاب على ترجمة (٧٥٥٤) صحابيًّا وصحابية تقريبا.

وفاته: بقي ابن الأثير بعد رحلاته مقيمًا في الموصل، منصرفا إلى التأليف، عازفا عن المناصب الحكومية، متمتعًا بثروته التي جعلته يحيا حياة كريمة، جاعلًا من داره ملتقى للطلاب والزائرين.. حتى توفي في (شعبان ٦٣٩هـ الموافق ١٢٣٢م).

جبر الخالدي

ضرب الأطفال

قال باحث أميركي: إن الأمهات اللواتي يعترفن بأنهن أو أزواجهن يضربون أطفالهم بشكل خفيف قد يميلون لاستخدام أساليب أشد عنفا وقساوة في بعض المناسبات، وأوضح الباحث أن أنواع العقاب الجسدي التي تعتبر مسيئة للأطفال من الناحيتين النفسية والجسدية تشمل الضرب المبرح والرفس، واستخدام أدوات معينة لضربهم في أماكن أخرى غير مؤخرتهم، ومنها أيضا الإمساك بطفل لا يتجاوز العامين وهزه بعنف.

وقد توصلت دراسة أميركية أخرى إلى أن الأطفال الذين يتعرضون لإيذاء بدني أو إهمال.. تزيد لديهم احتمالات التعرض لاكتئاب شديد في مرحلة البلوغ.

كما أشارت الدراسة التي نشرت من دورية سجلات الطب النفسي العام الماضي إلى أن الأطفال الذين تعرضوا لإيذاء بدني تزيد لديهم مخاطر الإصابة باكتئاب خطير على مدى حياتهم بنسبة ٥٩ ٪ مقارنة مع نظرائهم من الأطفال الذين لم يتعرضوا لهذه الإساءة، وقد ربطت دراسة سابقة بين إساءة المعاملة في الطفولة وبين الاكتئاب الحاد، وذكر الباحثون أن هذه الدراسة هي الأولى التي توضح أن الاكتئاب هو نتيجة للمعاملة السيئة.

سمير إبراهيم
علي متولي

فقه الدموع

إن الدنيا دار الغرور والأمنيات الكاذبة والمصالح الزائلة، من لاذ بها جمدت مشاعره، وتبلد إحساسه.

وإليك هذا الإعلان من خطبة قطري بين الفجاءة- وهو علم من أعلام الخطابة في العصر الأموي- قال يحذر أتباعه:

أما بعد، فإني أحذركم الدنيا؛ فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات، وراقت بالقليل، وحليت بالآمال، وتزينت بالغرور، غرارة ضرارة خوانة غدارة، لا تعدو- إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها- أن تكون كما قال الله تعالى:﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾، وبسبب التكالب على الدنيا والجري وراء مظهرها الخادع قتل الإنسان أخاه بل أباه بل أمه لميراث أو عرض من أعراضها الفانية، والدنيا عامل أساسي في جمود المشاعر وندرة المواقف النبيلة، وذهاب القيم وقسوة القلب وجفاف الدموع من المآقي. وصراع الإنسان مع الدنيا أزلي أبدي من الميلاد وحتى الوفاة.

والإسلام كمنهج جاء ليضبط بالميزان حركة الناس في صراعهم مع قيم الدنيا وعدم طغيانها على قيم الآخرة، جاء الإسلام بهذا منطلقًا من قول الحق سبحانه: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾، وهذا لإحداث التوازن بين تطلعات النفس للآمال القريبة وطموحاتها نحو الآخرة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»، هذا هو الضابط والميزان الذي يحافظ على القيم الطاهرة والمقدسة في أن تسود وتنتشر في دنيا الناس.

إن معاني الطهر والنقاء والصفاء والشفافية والحلم والعفو والفهم.. كل ذلك يزكي روح الحب والعطف والتعاون والود، ويزيد من ترابط جزئيات المجتمع الواحد، فعندما ترى إنسانًا تبكي عيناه من أجل إنسان آخر ليس قريبًا له تتنابك لحظات من فوران المشاعر الطاهرة، التي تدفع بك نحو الرغبة الكامنة في النفس وهي أن تعيش لغيرك أكثر مما تعيش لنفسك، فأنت في قمة سعادتك عندما تسعد إنسانًا حزينًا، وتواسي كئيبًا، وترعى يتيما، وتبكي من أجل عرض امرأة في أقصى المشرق وأنت تعيش في أقصى المغرب، وإني لأؤكد على أننا في أشد الحاجة لأن نعيش فقه الدموع والخشوع؛ لأن غيابه يؤدي إلى قحط العيون من ماء الوجود والرحمة، وهزال الروح وجفاف القلب وقسوته، فتسود آفات من الغيبة والأنانية والحقد، وهنا تعم الفتن وتكثر المفاسد.

من هنا وجب على كل فرد أن يعرض نفسه على مراتب فقه الدموع حتى يرى موقعه.

ولتسأل نفسك: هل أنت ممن يبكون لدنيا فاتتهم؟ أو جاه لم يصلوا إليه؟ أو صفقة رابحة ضاعت؟

أم أنت ممن لا يعرف البكاء لهم سبيلًا في الأحزان وفقدان العزيز من الأهل؟ أم أنت ممن يبكي شفقة ورحمة لفقير أو يتيم أو كسير؟ أم أنت ممن يبكي للمقدسات تهدم وللحرمات تنتهك في أرض فلسطين؟ أم أنت ممن يبكي تذللا وخشوعًا وهو واقف بين يدي الحق تبارك وتعالى في وقت السحر يناجي ربه ويتذكر ذنوبه ومعاصيه؟ أم أنت ممن يبكي على وقت فاته لم يذكر فيه الله ولم يقرأ ورده ويمر عليه اليوم وهو يلعنه؟

إن المسلم الحصيف ذا الفهم الواعي يبكي في الخلوات خضوعًا وذلة أمام الحق سبحانه، معلنًا الندم على التقصير ويعزم عزمة صادقة على الأداء الجيد، والرغبة الشديدة في أن يكون رحيمًا حليمًا بغيره؛ حتى تسود معاني ومشاعر المحبة والمودة، فتنسج مجتمعًا ملائكيًّا في طهره وقداسته، وعندما نصل لذلك نكون قد فقهنا وعرفنا أن للدموع فقها.

وقبل أن أنهي حديثي أذكرك عزيزي القارئ بأن للبكاء أوقات، فالنفس تمر عليها عبر حياتها سلسلة من الأحداث والمواقف الرهيبة ففيها لا تمسك عن الدمع، واملأ العينين بماء الحياة والشعور، وابك في خلواتك ولا تمسح دمعك، واجعله قطرات ماء لامعة في وجهك؛ حتى يكون كوردة مليئة بقطرات الندى لتزيد وجهك نورًا.. عسى أن يكون من هذا النور سفينة الإنقاذ من المواقف العصيبة يوم القيامة.

محمد محمد الشحات أبوعيد

أول إعلان لحقوق الإنسان في حجة الوداع

لقد مثلت خطبة الوداع، أقصد خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع، نبراسًا للمسلمين جمع لهم فيها رسول الله ﷺ أركان الإسلام جميعا، محذرا من العودة للجاهلية، ليس بالردة إلى الكفر وإنما بالسلوكات التي نهى عنها الإسلام؛ لأن الشيطان يئس أن يعبد في أرض الإسلام، ولم يعد أمامه إلا دعوة الناس إلى جاهلية الفعل.

لقد كان التركيز من رسول الله ﷺ في خطبته على نقاط معينة محذرًا المسلمين منها وداعيًا إلى الالتزام بأمور أخرى، ولقد وصف العلماء خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع أنها كانت بمنزلة إعلان لحقوق الإنسان، ولقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يتناقلها الناس من خلال قوله بعد كل فقرة: فليبلغ الحاضر الغائب.

محمد السيد

إعداد: التحرير

الأيادي ثلاث

بيضاء وخضراء وسوداء.
فاليد البيضاء: الابتداء بالمعروف، واليد الخضراء: المكافأة على المعروف، واليد السوداء: المن بالمعروف.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص:٣١)

لا يُوقد نارًا بليل

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: «كانَ الحاجبُ رجلًا مِنْ أجل العرب، وكان بخيلًا، وكان لا يوقد نارًا بليل كراهة أَنْ يراها راءٍ فينتفع بضوئها، فإذا احتاج إلى إيقادها فأَوْقدَ ثمَّ بَصُر بمستضيءٍ بها أطفَأها».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة)

جواب مسكت

جاء بعض الثقلاء إلى الجاحظ وقال له: سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمني منها، فقال له الجاحظ: لك ما تريد.
فقال له: إذا قال لي رجل يا ثقيل الدم ويا خفيف العقل فبماذا أجيبه؟ فقال له الجاحظ: قل له: صدقت.

(روائع الدرر)

مِن عَيبِ حُبِّ الذِّكر

«مِنْ عيب حب الذِّكر، أَنَّه يحبط الأَعمال إذا أَحبَّ عاملها أَن يُذكر بها، فكاد يكون شِرْكًا، لأَنه يعمل لغير الله تعالى، وهو يَطمسَ الفَضائل، لأَنَّ صاحبه لا يكاد يفعلُ الخيرَ حبًّا للخيرِ، لكن لِيُذْكَر به».

(مداواة النفوس)

وصية لطالب العلم

قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي- رحمه الله: «... وإذا قال الأستاذ للطالب- فهمت؟ فلا يقُل نعم، حتى يتَّضح له المقصود إيضاحًا جليًّا، لئلا يكذب ويفوته الفهم، ولا يستحي من قوله لم أفهم، لأن استيثاقه يُحَصِّل له مصالح عاجلة وآجلة، فمن العاجلة حفظ المسألة، وسلامته من كذب ونفاق بإظهاره فهم ما لم يكن فهمه منها، ومنها وثوق الأستاذ باعتنائه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه، ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائمًا، واعتياده هذه الطريقة المرضية، والأخلاق الرضيَّة». وعن الخليل بن أحمد: «منزلة الجهل بين الحياء والأنفة».

(آداب الدارس والمدرِّس للقاسمي، والمجموع للنووي)

هكذا تسوسهم

الناس ثلاث طبقات، تسوسهم ثلاث سياسات: طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص: ٣٠)

أوَّل مَنْ صَنَّفَ بالتجويد

«موسى بن عبيد الله» الخاقاني، البغدادي، من أهل بغداد، أبومزاحم.
هو أوَّل مَنْ صَنَّف في تجويد القرآن، عالم باللغة العربية، شاعر. غلب عليه حب معاوية بن أبي سفيان، فقال فيه أشعارًا كثيرة دوَّنها الناس، وكان راوية مأمونًا له قصيدة في التجويد، وقصيدة في الفقهاء.

(معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

خلال المكارم

قالت عائشة رضي الله عنها: «خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أَحب: صدْقُ الحديث، وصدْقُ النَّاس، وإِعطاءُ السَّائل، والمكافأةُ بالصنائع، وصلةُ الرَّحم، وحفظُ الأَمانَة، والتَّذمُّم للجار، والتَّذمُّم للصاحب، وقِرَى الضَّيف، ورأسهنَّ الحياء»

(موسوعة أقوال الحكماء)



من تمام المروءة

قال علي بن الحسين رضي الله عنه: «من تمام المروءة، خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وامرأته قائمة﴾ (هود:٧١)، ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم، ويبش عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وألا يحدث بما يروعهم».

(المستطرف للأبشيهي)

أقوى أسباب النَّجاح

قال النبي ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإنَّ كُلَّ ذي نعمة محسودٌ» (الطبراني)

وقال علي رضي الله عنه: سِرُّكَ أسيرك فإنْ تكلمت به صرت أسيرهُ.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كُنْ جوادًا بالمال في مواضع الحقِّ، ضنينًا (بخيلًا) بالأسرار عن جميع الخلق.

وقال بعض الأدباء: مَنْ كتمَ سرَّهُ كان الخيار إليه، ومن أفشاهُ كانَ الخيارُ عليه، وكم مِنْ إظهار سرٍّ أراقَ دمَ صاحبه، ومنعَ مِنْ نيلِ مطالبه، ولو كتمَهُ كانَ مِنْ سَطوتِهِ آمنًا، وفي عَوَاقبهِ سالمًا، ولنجاحِ حوائِجِهِ راجيًا.

(أدب الدنيا والدين للماوردي).

لا في العير ولا في النفير

هو مثل يضرب لهوان الشأن، وأصله أن النبي ﷺ خرج لاعتراض العير وهي قافلة أبي سفيان القادمة من الشام إلى مكة، ولكن أبا سفيان غير طريق القافلة ونجا بها، أما قريش فقد خرجت بكل قواها لتنقذ تجارتها، ودخل أبوسفيان مكة فوجد أهلها قد خرجوا جميعًا فبعث إليهم يخبرهم بنجاة القافلة ويدعوهم إلى العودة فأبوا.

لكن بني زهرة لما علموا بنجاة العير عادوا إلى مكة، فصادفهم أبوسفيان وهم راجعون فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير.. وأصبح يقال مثلًا عند هوان الأمر.

(روائع عربية)

الإخوان ثلاثة

الإخوان ثلاثة: أخ يخلط لك وده، ويبلغ في مهمك جهده، وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته، وأخ يجاملك بلسانه ويتشاغل عنك بشأنه، ويوسعك من كذبه وأيمانه.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص:٣٠)

ثقافتنا وثقافتهم

عبر عشرات السنين تهب رياح عاتية، تحاول أن تقتلع المجتمع العربي والإسلامي من جذوره، من خلال السيطرة على وسائل الإعلام، تبث الأفلام والمسلسلات والبرامج والسهرات والمنوعات، تسعى إلى تغيير العادات والتقاليد والأفكار والآداب، تنشر العري، وتخاطب الغرائز والشهوات، وتدعو إلى الخروج على تعاليم الدين، وهي لا تقف عند هذا الحد، بل إنها تشوه صورة المتدين، وتجعله مصابا بمرض عقلي أو اضطراب نفسي، وتصفه بالتخلف والرجعية.. كل هذا والمجتمع المسلم يظل صامدًا، متمسكا بدينه، يرى فيه الملجأ والملاذ، ويرى في تعاليمه المثل الأعلى الذي تهفو إليه نفسه، وتتوق إليه روحه، وهو إن ابتعد عنه فسرعان ما يعود إليه، وإن اتسخ بالمعصية فسرعان ما يغتسل من ذنوبه بالحج والعمرة وأعمال الخير، ودعاء السحر، ودموع الندم، وخفقات القلب التائب، وهو يرى ضرورة الالتزام بتعاليم الدين في الأفراح والأتراح، ويهتدي بها في كل حركة من حركات الحياة.

سيظل الإسلام هو ثقافة المجتمع المسلم، وستظل الثقافات الأخرى مثل العلمانية والليبرالية والشيوعية والرأسمالية ودعوات التحرر والتقدم والتفسير الخاطئ لأحكام الإسلام هي الزبد الذي يذهب جفاءً، ويذهب دعاتها إلى مجاهل النسيان، لكن الأمر يحتاج منا إلى عمل واجتهاد، فهم يصنعون نجوما، ويحملون همومًا، ويشنون هجومًا، ونحن نكتفي بالرد، لابد أن نحيي أمجاد علماء الإسلام وأبطاله، وأن تعرض الفضائيات الإسلامية أعمالًا فنية تبتعد عن الأشكال التقليدية المنفرة، وأن تخاطب العقول، وتعرض الصورة المشرقة لأهل التقوى والصلاح، وأن تقدم للناس التوعية اللازمة بكل مناحي الحياة، وتتمسك بالصدق والحق، وأن تجدد وتطور من نفسها بصفة مستمرة، هناك دور مهم للعلماء والخطباء والأدباء في توعية الناس وهدايتهم إلى الحق، لتبقى الثقافة الإسلامية شامخة راسخة أمام الثقافات الأخرى التي تقول لدعاتها ما قاله شيخنا الإمام محمد الغزالي: «إن البعد عن الله لن يثمر إلا علقما، ومواهب القوة والجمال والذكاء والمعرفة تتحول جميعها إلى نقم عندما تعرى عن توفيق الله، وتحرم من بركته».

د. يحيى سنبل







بمناسبة العام الهجري الجديد

١٤٣٣هـ

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com

د. زغلول النجار: الإسلام هو الدين الوحيد القادر على مخاطبة العقل والروح معًا

العدد (٥٥٨) صفر ١٤٣٣هـ - ديسمبر ٢٠١١/ يناير ٢٠١٢م

الأقليات المسلمة والتعايش الوطني



فتح الله كولن يكتب: لماذا لم يؤمنوا؟

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

علوم الحضارة الإسلامية ودورها الإنساني

الافتتاحية

المسلم كالغيث

كم من إنسان عاش حياة عادية ومات فنُسي، وكم هم الذين ماتوا منذ مئات السنين وذكراهم خالدة على مر التاريخ بسبب إنجازاتهم، إذ العبرة ليست بطول العمر، فقد يعيش الإنسان عمرًا قصيرًا ويحقق الكثير، وقد يزرع ويحصد غيره، والتاريخ الإسلامي سجل لعمل أمتنا بهذا الدين، ولما كانت الدعوة إلى الله في دم كل مسلم، لتوسيع دائرة الإسلام، زادت أعداد الداخلين فيه شرقًا وغربًا، سافر من سافر إلى البلاد غير الإسلامية لسبب أو لآخر، ونشرت الثقافة على نحو يرسخ مفاهيم الدعوة، ويخلطها بمعالم الواقع، ويضم الأجزاء الجديدة إلى جسم الأمة الكبير، فلا يتميز قديم عن حديث.

إن عرض الدعوة عرضًا صحيحًا يغري ذوي الطباع السليمة بقبولها.. نعم إن الداعي ليس تاجرًا يعرض سلعة، فإذا أخذ ثمنها ذهب.. كلا، إنه يعرض الدين ليؤاخي بين الداخلين فيه، ويمزجهم بكيانه المادي والأدبي، فالإسلام دين شامل، وشريعة خالدة.

والأقليات المسلمة اندمجت وتميزت وحققت المواطنة الصالحة، مستعينة بما تؤمن به من مبادئ، لترسخ ثقافة التعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، وتسهم في بناء المجتمعات، ما يحقق لها الرفاهية والنمو والازدهار، ويعظم شأن القيم الإنسانية، ويدفع الظلم والحيف، ويدافع عن القضايا العادلة، وعمارة الكون، فالنفع في حياة المسلم حالة مستمرة مستقرة، فهو متفاعل مع أمته والبيئة التي يعيش فيها، فالمسلم المهاجر والأقليات المسلمة مصدر إشعاع، في السلوك النزيه، والقدوة الحسنة، وتعميق الفكر، والتمسك بالعلم الرباني والتفكر والتدبر فيه، والمعرفة الإنسانية الواسعة، فهو كالغيث أينما وقع نفع.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٨

صفر ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

ديسمبر ٢٠١١ - يناير ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبوروش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:
info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية - ٤ ش الجلاء - مبنى دوحة ماسبيرو - الطابق ٦ - مكتب ٦٠٦ - تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٢٥٧٦١٢١٣

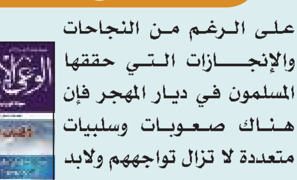
المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

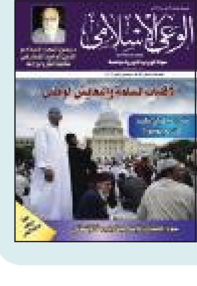
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد



موضوع الغلاف





على الرغم من النجاحات والإنجازات التي حققها المسلمون في ديار المهجر فإن هناك صعوبات وسلبيات متعددة لا تزال تواجههم ولابد من تذليلها بالتعاون والتنسيق بينهم وبين مواطنهم الأصلية حتى يكونوا نبتة خير ورسل سلام كما يهدف إليه إسلامهم.





التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ - ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس: ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠ دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

الشورى..طريق القيادة الناجحة

الشورى مبدأ إسلامي خالد عرفته أمة الإسلام منذ نشأتها، والمؤمنون يتشاورون فيما بينهم في الأمور الخاصة والعامة وكل ما يهمهم في تدبير أمورهم ورعاية مصالحهم، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وقد كان النبي ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه، والشورى طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وهي من ألزم صفات القيادة الناجحة، كما أنها ليست قالبًا جامدًا، بل هي أمر متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان، وعكس الشورى الاستبداد بالرأي، ومصيره التنازع والفشل والخذلان، قال الحسن البصري -يرحمه الله- ما تشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم، وفي لفظ «إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع» (فتح الباري٣/٣٤٠).

ويقول الشاعر:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي لبيب أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فريش الخوافي قوة للقوادم

فهل يستفيد مسلمو اليوم من هذا المبدأ الإسلامي العظيم ليستعيدوا دورهم الإيجابي الرائد في المسيرة الحضارية والإنسانية.. هذا ما نأمله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

الاشتراكات

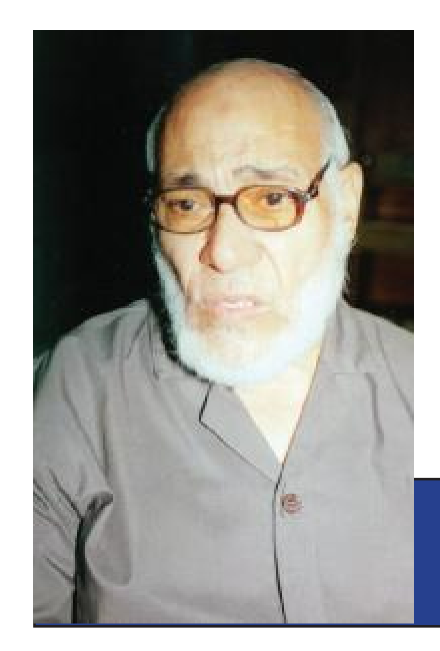
● داخل الكويت: للأفراد ٥٫٧دنانير.للمؤسسات١٥ دينارًاكويتيًا
● الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

«الوعي الإسلامي» تحاورت مع د. زغلول النجار:

الإشارات الكونية في القرآن هدت عشرات من علماء الغرب إلى الإسلام

القاهرة - دار الإعلام العربية



لم يكن ادعاء علماء الغرب اعتمادهم على حقائق العلم المجردة سبيلًا للاقتناع سوى نافذة أطل منها ضياء الإسلام من حيث لا يحتسبون، حيث كان للإشارات الكونية في القرآن الكريم والسنة النبوية دور محوري في تهدئة هواجسهم واعتناق عدد كبير منهم الإسلام من خلال اللغة التي يعرفونها، لغة العلم والعقل.. هذا ما أكده المفكر الإسلامي د.زغلول راغب النجار، رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية.. متطرقا في حديثه لـ«الوعي الإسلامي» إلى العديد من الحقائق المجردة التي تثبت عظمة الدين الخاتم، وقدرته على الوصول إلى القلوب والعقول على اختلاف أنماطها وأساليب تفكيرها واعتقادها.. فإلى الحوار..

سيطرة الطابع الرسمي على حوار الأديان سبب إخفاقه

الإسلام هو الدين الوحيد القادر على مخاطبة العقل والروح معًا

■ حملة شرسة واجهها تدريس الإعجاز العلمي خلال السنوات الماضية.. فهل تطلعنا بداية على واقع هذا العلم في الجامعات الإسلامية؟

- من فضل الله أننا نجحنا في إقناع عدد من الجامعات في العالمين العربي والإسلامي بإدخال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ضمن مناهج هذه الجامعات، ونسعى إلى الارتقاء من مجرد منهج جامعي، إلى مرحلتي الماجستير والدكتوراه.. ولا أخفي أن هناك معارضة غير موضوعية لا تستند إلى منطق أو حجج شرعية، تقف حائلا دون تدريس الإعجاز العلمي، فهناك أنظمة لا ترغب في إعطاء حيز أكبر للإسلام داخل مجتمعاتنا، بالإضافة إلى عدم وجود كوادر أكاديمية قادرة على تدريس هذا المقرر، ناهيك عن وجود تحفظ من بعض علماء الشريعة على تدريسه انطلاقا من قناعة لديهم بأنه يمثل خطرا على القرآن من جهة إدخال نتائج الدراسات العلمية عليه، باعتبار أن العلم ما هو إلا فروض ونظريات قابلة للتغير، في حين أن القرآن والسنة ثابتان، لكننا نرد عليهم بأن العلم لا ينحصر في الفروض والنظريات بل يتجاوز ذلك إلى كثير من الحقائق، وإذا وصل العلم إلى مقام الحقيقة فإنه لا يتغير، ولا يرتد على ذاته، وقد يضاف إليه أو يتوسع فيه، لكنه لا يناقض نفسه مطلقًا، ثم إن هناك معايير لعلم الإعجاز منها أنه يركز فقط على الحقائق غير القابلة للتغيير.

حجج منطقية

■ لكن هذا الأمر يصطدم بموقف متحفظ من قبل علماء ثقات!

- هناك حقيقة مفادها أن أغلب المتخصصين في العلوم الشرعية لا يولون العلوم التطبيقية القدر المناسب من الاهتمام، ولا يعتقدون بإمكانية التوافق بين العلوم التجريبية والقرآن الكريم، ويتبنون موقفهم من خوف على كتاب الله، وهذا موقف غير موضوعي، وهنا تحضرني قصة معارضة أحد كبار الأعضاء في البحوث الإسلامية، حيث تحدث مرات عدة عن عدم اعترافه بالإعجاز العلمي، متسائلا: كيف يؤكد المتخصصون في الإعجاز أن تحت البحر نارًا؟! فما كان مني

إلا أن ذهبت لأعضاء المجمع ومعي حاسوب محمول عليه فيلم مصور تحت قاع البحر يدلل على صحة ما ذهبت إليه، وهنا صاح أعضاء المجمع بصوت واحد «وفوق كل ذي علم عليم».

■ لكن الهجوم لا يقف عند علماء الشريعة فقط، بل الاتجاهات العلمانية والتغريبية تقف منه الموقف نفسه.

- هؤلاء تربوا وتتلمذوا على يد الغرب، وكانت ثقافتهم حصادا لما يسمى الغزو الفكري، وسعوا إلى نفث سمومهم ضد الإسلام، محاولين إلصاق تهم التخلف والإرهاب به، ويبنون اتهاماتهم على فرية تناقض الإسلام مع العلم؛ لذا جاءت حربهم ضروسا على الإعجاز باعتباره تأكيدا على قصور اتهاماتهم، حيث يرد الإعجاز العلمي على اتهاماتهم للدين الحنيف بنفس سلاحهم وهو العلم.

لغة العلم

■ وماذا عن إمكانية تطويع الإعجاز كقناة من قنوات الدعوة في صفوف غير المسلمين؟

- ندرك جميعا أن الأغلبية الساحقة في الغرب يسيطر عليهم العقل بشكل كبير، ولا يفهمون إلا لغة العلم ولا تجدي معهم الوسائل التقليدية للدعوة الإسلامية، ونحن نستطيع الاستفادة من هذه القناة لاسيما إذا أجدنا فهم آيات الإعجاز العلمي في القرآن وأحسنا تفسيرها للناس، وهنا تحضرني قصة إعلان عالم الإلكترونيات البريطاني آرثر أليسون اعتناقه الإسلام بعد سماعه آية واحدة من القرآن الكريم وهي ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).. حيث حاول الوصول إلى يقين بإمكانية وجود الروح في الإنسان، وكلف فريقا من المتطوعين لقياس فرق الطاقة بين البشر وهم أحياء وبعد وفاتهم، وهنا جاءه فريق من المتطوعين أكدوا أن هذا الفارق يعود إلى الطعام الذي يتناوله الحي دون الميت، وهي الإجابات التي لم تقنعه، واستمر في حيرة شديدة حتى قدم إليه طالب مصري مبتعث للدراسة تحت إشرافه وهوّن عليه الأمر قائلا: قس فرق الطاقة بين الإنسان يقظا ونائما، فسأله ما علاقة اليقظة بالحياة والنوم بالموت، فأخبره بأن القرآن يساوي بينهما وتلا عليه الآية الكريمة، فبدأ بقياس فرق الطاقة بين الإنسان يقظا ونائما فوجده نفس الفرق بين الإنسان حيا وميتا، فجاء إلى القاهرة وأعلن إسلامه.. لذا فالإعجاز العلمي في القرآن والسنة من القنوات المهمة للدعوة الإسلامية، وتجاهله خطأ فاحش. فلا يكاد يمر يوم إلا وتظهر تداعيات إيجابية قادت عشرات من العلماء المعاندين إلى دين الله أفواجا.

> **لا توجد مؤسسة إسلامية تهتم بمتابعة الكوادر العلمية الغربية التي تدافع عن ديننا**

حوار فاشل

■ ولماذا لم توظف هذه النجاحات في خدمة الحوار بين معتنقي الديانات السماوية بدلا من حوار الطرشان الذي جرى طوال السنوات السابقة دون نتائج تذكر؟

- هناك قضية مهمة أرغب في الإشارة إليها قبل الإجابة عن تساؤلك، وتتمثل في عدم وجود مؤسسة عربية أو إسلامية تهتم أو تتابع الكوادر العلمية الغربية التي تدافع عن الإسلام، أو تدحض التهم الموجهة إليه، وهؤلاء كان يمكن توظيفهم جيدا لو فتحت قناة حوار معهم بدلا من التركيز على الحوار بين الأديان عبر القنوات الدينية الرسمية، وهو حوار لم يقدم أي جديد.

■ كأنك تعتبر سيطرة الطابع الرسمي على حوار الأديان سبب إخفاقه؟

- بالفعل، وأذكر أنني كنت أخيرا في مؤتمر علمي عقد في العاصمة السعودية الرياض، وخلال جلساته تحدثت عن بعض الحقائق العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا أستطيع أن أصف مدى التأثر من قبل ضيوف المؤتمر الذين أحاطوا بي وطرحوا عليّ تساؤلات عديدة، منهم مستشارة الرئيس الأميركي باراك أوباما وتدعى ويبورا دينيس سميث التي حضرت معي على نفس الطائرة القادمة إلى القاهرة، واستوقفتني في المطار لمدة ساعة لتسألني عن جوهر الإسلام.

دين الحق

■ أيعني ذلك أن الحوار بين الأديان وقع في مجموعة من الأخطاء حكمت عليه بالفشل؟

- ما أطلق عليه حوار الأديان دار طوال العقود الماضية في دائرة مغلقة، فلم ينطلق من قواعد صحيحة، مكتفيًا بالطابع الرسمي، وكان هذا أبرز الأخطاء، حيث تحول إلى عمل روتيني ممل سيطرت عليه الخلافات والمجاملات، فكانت النتيجة هي الفشل، فضلا على أن الغرب لم يؤمن يوما بجدوى الحوار، ففي الوقت الذي يبدأ الحوار نجد هجومًا ممنهجًا ينطلق من كل حدب وصوب على الإسلام.

■ برأيك ما الخطأ الذي ارتكبه المشاركون العرب في حوار الأديان المستمر منذ سنوات مع الغرب؟

- أغلب من يشاركون في حوار الأديان أو الثقافات من الجانبين العربي والإسلامي لا يحسنون الاستعداد لمثل هذه المؤتمرات، ويعتمدون فقط على ثقافتهم الإسلامية العامة دون الاعتماد على مصادر موثقة لحججهم، فبينما يحضر الغربيون هذه الحوارات بأجندات واضحة ومصادر موثقة، لا نجد مثل هذا الاهتمام من جانب علمائنا.

مناقب جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

للحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى ◆

(٥٦٤-٦٤٣هـ)

إن الحديث عن أصحاب نبينا ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، له في النفس لحنٌ خاص، تروق له الخواطر النقية، وتستروح لذكرهم النفوس المؤمنة، فسيرتهم نور وهدى، وذكر أخبارهم شرفٌ لمن أراد الرفعة والارتقا، فهم سادة هذه الأمة، وأعلام التقوى فيها والورع والدين، حفظوا للأمة دينها، ونقلوا لنا سنة نبيها ﷺ، فبذكرهم تتجمل المجالس، وبالدعاء لهم تتزين المحافل.

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الكهف: ٢٨).

وبذلك أوصى السلف الصالح رحمهم الله تعالى، كما جاء عن العوام بن حوشب رحمه الله تعالى: «أدركت صدر هذه الأمة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم، فتجسروا الناس عليهم(١)».

وقديما قال الشاعر:

كَرِّرْ عَلَيَّ حديثهم يا حادي
فحديثهم يُطْفي لَهيبَ فؤادي

كَرِّرْ عَلَيَّ حَدِيثَهُمْ فلربما
لانَ الحديدُ لضربَةِ الحدَّادِ

أما عن الكتب والمصنفات التي تشرفت بالحديث عن أصحاب نبينا ﷺ والترجمة لهم، فكثيرة متنوعة، لا يحصرها عادٌّ ولا مستقصي، فمن مشاهيرها كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر القرطبي رحمه الله تعالى، وكتاب «أسد الغابة» لابن الأثير رحمه الله تعالى، وكتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

أما الجزء اللطيف الذي بين أيدينا فقد افرده مصنفه الضياء المقدسي رحمه الله تعالى لعلم من أعلام الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، ألا وهو ابن عم نبينا ﷺ، جعفر بن أبي طالب الهاشمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.

وأما عن مصنف هذا الجزء اللطيف، فهو الإمام الحافظ الكبير، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد عبد الواحد بن أحمد السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، (٥٦٩ . ٦٤٣هـ)، صاحب المصنفات المشتهرة التي جاوزت المائة في العدد، والتي تنوعت مواضيعها بين الحديث والفقه والعقائد والتواريخ، وسوى ذلك من الفنون والآداب، وهو بعد ذلك مؤسس المدرسة والمكتبة الضيائية في ضاحية الصالحية بجبل قاسيون، التي لا يزال ذكرها حديث أهل التواريخ والعلوم والفنون والأدب.

وأصل هذه النسخة محفوظ بالخزانة الظاهرية . دمشق . ضمن مجاميع العمرية – تحت رقم: مجموع (٧٠) في الأوراق (٨٨ . ٩٤)، في كل ورقة صفحتان، في كل ورقة (١٩) سطرًا تقريبًا، كُتبت بخط نسخي معتاد، والنسخة بخط مصنفها الضياء المقدسي رحمه الله تعالى.

من مناقب جعفر بن أبي طالب لضياء الدين المقدسي

جاء على ورقة الغلاف:

سمعت (٢) الزاهد شهاب الدين أبا محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبدالرحمن العكبري جزاه الله خيرا يقول: سمعت الشيخ أحمد الفارقي قال:

◆ تحقيق الباحث الكويتي عبدالله محمد الكندري

كنت آخذ رقاع الناس إلى السلطان الأشرف . يعني موسى بن أبي بكر . في قضاء الحوائج، فقيل لي: لا تُكثر على السلطان فيمل، ولا يرجع يقضي حاجة.

فاتفق أن رجلًا جاءني برقعة وقال: ترفعها إلى السلطان، فرددتها عليه وقلت: لا تكثروا فيمل السلطان، ويُسد الباب، ثم مشيت فرأيت رقعة على الأرض فأخذتها فإذا فيها:

اسلُك مِنَ الطُرُقِ المَناهج ... واصبِر وإِن حُمِّلتَ لاعج
واقضِ الحَوائجَ ما استَطَع ... تَ وَكُن لِهَمِّ أَخيكَ فارِج
فَلَخَيرُ أَيّامِ الفَتى ... يَومٌ قَضى فيهِ الحَوائج

فرجعت إلى الرجل وأخذت رقعته، وقدمتها إلى السلطان، فقضى حاجته، وحكيت له حكاية الرقعة فقال: كانت مع صاحب الرقعة؟ فقلت: لا إنما وجدتها.

وجاء أيضًا على ورقة الغلاف: خط الحافظ ضياء المقدسي رحمه الله

وعليه أيضًا قيد وقف جاء فيه: وقف مؤلفه الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي رحمه الله بخزانته بالجبل.

مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
للحافظ ضياء الدين المقدسي

١- أخبرنا أبوالمجد زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بقراءتي عليه بأصبهان، قلت له: أخبركم أبو عبدالله الحسين بن عبدالملك بن الحسين الجلال، قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به، أخبرنا إبراهيم بن منصور سبط بحرويه، أخبرنا محمد بن إبراهيم المقري، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا عبدالله بن جعفر المديني، حدثنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«أُريتُ جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير مع الملائكة في الجنة بجناحين» (سنن الترمذي).

رواه الترمذي عن علي بن حجر، عن عبدالله بن جعفر، وقال: حديثٌ غريب، لا يُعرف إلا من هذا الوجه.

٢- أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني، أن أبا علي الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم وهو حاضر، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر البربهاري، حدثنا علي بن الفضل الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال:

«كان عبد الله بن عمر إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين» (رواه البخاري).

٣- أخبرنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن محمود بأصبهان، أن فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية أخبرتهم، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حثنا الحسن بن علي الحلواني، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ:

«دخلت الجنة البارحة، فنظرت فيها، وإذا جعفر يطير مع الملائكة» (المعجم الكبير للطبراني).

٤- أخبرنا أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل الخفاف ببغداد، أن أبا الحسن محمد بن أحمد بن الصائغ أخبرهم قراءة عليه، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن محمد الخلال، أخبرنا أبو محمد الحسن بن الحسين بن علي بن العباس النوبختي قراءة عليه، حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن مبشر قراءة علينا من لفظه، حدثنا إسحاق بن وهب، حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: حدثني إبراهيم بن عثمان، حدثنا الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «أريت جعفر بن أبي طالب ملكًا في الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة حيث يشاء» (المعجم الكبير للطبراني).

٥- وبه حدثنا علي هو ابن عبد الله بن مبشر، حدثنا جابر هو الكردي، حدثنا حسين (٣) حدثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال:

بعث النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، قال: يا رسول الله كيف أصلي في السفينة؟ قال: صل فيها قائمًا إلا أن تخاف الغرق» (سنن الدار قطني).

٦- وأخبرنا أبو عبد الله إسماعيل بن علي بن علي بن وكاس القطان،

بقراءتي عليه ببغداد، قلت له: أخبركم أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد ابن البنا قراءة عليه وأنت تسمع، أخبرنا الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن محمد ابن المهتدي بالله قراءة عليه، أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد الكناني، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن مجالد الهمداني، عن أبيه، عن عامر، عن جابر بن عبدالله قال:

«لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي ﷺ» (مسند أبي يعلى).

٧- وأخبرنا به أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني بأصبهان، أن أبا علي الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم قراءة عليه وهو حاضر، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله، أخبرنا عبدالله بن جعفر، أخبرنا إسماعيل بن عبدالله يُعرف بسمويه، حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا إسماعيل بن مجالد الهمداني، عن أبيه، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال:

«لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي ﷺ» (مسند أبي يعلى).

٨- أخبرنا الإمام أبو الفتوح أسعد بن محمود بن خلف العجلي، وأبوالفتح مسعود بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الجنداني وغيرهم بأصبهان، أن فاطمة بنت عبدالله أخبرتهم، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا أحمد بن خالد بن مسرح، حدثنا مخلد بن يزيد، عن مسعر بن كدام، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال:

قدم جعفر بن أبي طالب على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة، فقبل رسول الله ﷺ ما بين عينيه وقال: ما أدري أنا بقدوم جعفر أسر أو بفتح خيبر» (المعجم الكبير للطبراني).

قال الطبراني: لم يروه عن مسعر إلا مخلد، تفرد به الوليد بن عبد الملك.

٩- أخبرنا محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح بأصبهان، أن الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم وهو حاضر، أخبرنا أحمد بن عبدالله، أخبرنا عبدالله بن جعفر، أخبرنا إسماعيل بن عبدالله، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن عطاء بن السائب، عن محارب، عن بريدة، عن أبيه قال:

لما قدم جعفر من الحبشة قال له رسول الله ﷺ: «ما أعجب شيء رأيته؟» قال: رأيت امرأة على رأسها مكتل من طعام، فمر فارس يركض فأذراه، فقعدت تجمع طعامها، ثم التفت إليه فقالت له: ويل لك يوم يضع كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم، فقال رسول الله ﷺ تصديقًا لقولها: لا قدست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعتع» (السنن الكبرى للبيهقي).

١٠- أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبدالله الصوفي ببغداد، أن جده أبا البركات إسماعيل بن أحمد الصوفي أخبرهم قراءة عليه، أخبرنا أبو القاسم عبدالعزيز بن أحمد بن علي الأنماطي، أخبرنا أبوطاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق المخزومي واسمه إبراهيم، عن المقبري، عن أبي هريرة قال:

«كان جعفر بن أبي طالب يُحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه، وكان رسول الله ﷺ يُكنيه أبا المساكين» «رواه ابن ماجة، عن عبدالله بن سعيد».

١١- وأخبرنا أبو أحمد عبدالله بن أحمد بن صاعد الحربي بها، أن هبة الله بن محمد بن عبدالواحد الشيباني أخبرهم، أخبرنا الحسن بن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا ابن نمير، أخبرنا حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال:

لما خرج النبي ﷺ من مكة، خرج عليٌ بابنة حمزة، فاختصم فيها عليٌّ وجعفر وزيد، إلى رسول الله ﷺ.

فقال علي: ابنة عمي، وأنا أخرجتها.

وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها عندي.

وقال زيد: «ابنة» (٤) أخي، وكان زيد مؤاخيًا لحمزة، آخى بينهما رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ لزيد: أنت مولاي ومولاها، وقال لعلي: أنت أخي وصاحبي، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي، وهي إلى خالتها»(مسند أحمد).



كذا أخرجه الإمام أحمد.

وقد روي في رواية الصحيحين من رواية أبي إسحق ابن البراء بن عازب، أنه حدثني أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا بكر بن سواده، عن عبيد الله بن أسلم مولى النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يقول لجعفر بن أبي طالب:

«أشبهت خَلقي وخُلقي» (رواه الإمام أحمد).

١٢- أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني بقراءتي عليه بأصبهان، قلت له: أخبركم أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الحداد قراءة عليه وأنت حاضر، قال: أخبرتنا الشيخة أم سلمة بنت أحمد بن محمد بن إبراهيم بن شاه قراءة عليها وأنا أسمع، قالت: حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان إملاءً، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جميل، حدثنا أبوزرعة، حدثنا بشر بن عبدالملك الكوفي بالبصرة، حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن إبراهيم، حدثني أبي، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ لما وجه جعفر إلى الحبشة شيعه وزوده كلمات وقال: قل اللهم الطف بي في تيسير كل عسير، فإن تيسير العسير عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة» (المعجم الأوسط للطبراني).

١٣- أخبرنا أبو جعفر الأصبهاني بها، أن فاطمة بنت عبدالله أخبرتهم قراءة عليها، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا سليمان بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عمر بن هارون، عن عبد الملك بن عيسى الثقفي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

«لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب، دخل النبي ﷺ على أسماء بنت عميس، فوضع عبدالله ومحمد ابني جعفر على فخذه، ثم قال: إن جبريل أخبرني أن الله عز وجل استشهد جعفر، وأن له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، ثم قال: اللهم اخلف جعفر في ولده» (المعجم الكبير للطبراني).

١٤- أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر المؤدب، قراءة عليه ونحن نسمع بالجانب الغربي من بغداد، قيل له: أخبركم أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي قراءة عليه، أخبرنا الشيخان أبو الحسين ابن النقور، والشيخ أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي قال: حدثنا أبوطاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص قراءة عليه وأنا أسمع، حدثنا عبدالله هو البغوي، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثني أبو إسحاق المخزومي واسمه إبراهيم، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: «كان جعفر بن أبي طالب يُحب المساكين، ويجلس إليهم، ويُحدثهم ويحدثونه، وكان رسول الله ﷺ يُكنيه أبا المساكين» (سنن الترمذي).

١٥- وبه حدثنا (٥)، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن مجالد الهمداني، عن أبيه، عن عامر، عن جابر بن عبد الله قال:

«لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي ﷺ» (مسند أبي يعلى).

١٦- أخبرنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل البزاز الهروي بها، أن أبا القاسم زاهر بن طاهر الشحامي، أخبرنا أبو سعد محمد بن عبدالرحمن بن محمد الكنجروذي، أخبرنا أبو القاسم بشر بن محمد بن محمد بن ياسين، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة رحمه الله، حدثنا محمد بن يحيى العتكي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عبيد بن رفاعة:

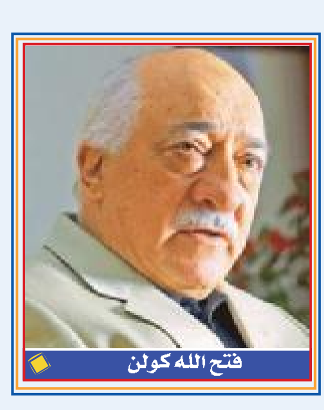
«أن أسماء بنت عميس جاءت إلى النبي ﷺ بثلاث بنين لجعفر، فاستأذنته أن تسترقي لهم، قال: نعم ارقيهم» (٦)، رواه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة به.

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٢- (..) طمس في الأصل لا يُقرأ.
٣- بياض في الأصل قدر كلمتين.
٤- ما بين (....) من مسند الإمام أحمد.
٥- (....) طمس في الأصل لا يُقرأ.
٦- لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن وقفت عليه بلفظ «إن بني جعفر تُسرع إليهم العين فأسترقي لهم ...» الحديث، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٥/٤٤٧ رقم: ٢٣٥٩٣.

لماذا لم يؤمنوا؟

مع أن جميع اليهود والنصارى كانوا يعرفون أنه رسول الله إلا أن حقدهم وحسدهم كان يمنعهم من الإيمان به، ويقف حائلًا دون ذلك. وكانت هذه المعرفة دقيقة وواضحة إلى درجة أن نظرة واحدة منهم لرسول الله ﷺ كانت كافية للإيمان به، ذلك لأنهم كانوا يعرفون هيئة رسول الله ﷺ وشمائله وصفاته، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة فيقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).


فتح الله كولن

ولا يصرح الله تعالى في هذه الآية باسم نبيه، بل يذكره بضمير الغائب (ـه)، وهذا يشير إلى أن جميع أهل الكتاب كانوا يعرفون خاتم الأنبياء؛ لذا، فعندما ذكره بالضمير، كانوا يعرفون أنه يعني النبي المذكور اسمه في التوراة والإنجيل، وهو سيدنا أحمد أو محمد عليه الصلاة والسلام، إذ كانوا يعرفونه أكثر مما يعرفون أبناءهم.

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعبدالله بن سلام: «أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك»؟ قال: «نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه» (١).

١- الغيرة والحسد

أجل، لقد كانوا يعرفون رسول الله ﷺ معرفة جيدة، ولكن الإيمان شيء، والمعرفة شيء آخر.. كانوا يعرفونه ولكن لا يملكون الإيمان به؛ فغيرتهم وحسدهم وقفا حائلين أمام إيمانهم، ومانعين له.

﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩). يشرح الله تعالى في هذه الآية السبب الحقيقي لعدم إيمانهم برسول الله ﷺ؛ فالقضية كلها تنحصر في عدم كون خاتم الأنبياء يهوديًا. فلو ظهر رسول الله ﷺ من بين اليهود، لكان تصرفهم مختلفًا دون شك.

اليهود كانوا يعرفون الرسول ﷺ لكن عنادهم منعهم من الإسلام

والدليل على هذا أن عبدالله بن سلام بعد أن أسلم قال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله! إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك». فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أيّ رجل فيكم عبدالله بن سلام»؟ قالوا: أعلمُنا وابن أعلمنا، وأَخْيَرُنا وابنُ أَخْيَرِنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم عبدالله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك! فخرج عبدالله إليهم فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.» فقالوا: شرّنا وابن شرّنا. ووقعوا به (٢).

وهذه الحادثة تبين بجلاء أن اليهود كانوا يعرفون رسول الله ولا يجهلونه، غير أن عنادهم منعهم من الإيمان به.

ويُعدّ سلمان الفارسي رضي الله عنه دليلًا قائمًا وحده في هذا الموضوع.. فقد كان مجوسيًا أول الأمر، ولكنه كان يتحرّق شوقًا للعثور على الدين الحق، فدخل إلى المسيحية وتنصّر واعتكف في الكنيسة، وعندما حضرت الراهبَ المنتسب إليه الوفاةُ سأله أن يوصيه براهب آخر، فوصفه له، وهكذا انتقل من راهب إلى راهب، وصحب كثيرًا منهم، وأخيرًا سأل السؤال نفسه من راهب شيخ يعيش الدقائق الأخيرة من حياته، فقال له ذلك العالم النصراني: أيْ بنيّ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس

◆ مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب

آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهاجَره إلى أرض بين حَرّتين،(٣) بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال ثم مات، وغُيّب، ومكثت بعَمُّورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كَلْب(٤) تجّار، فقلت لهم: احْملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بَقراتي هذه، وغُنيمتي هذه. قالوا: نعم، فأعطيتهموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القُرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبدًا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقّ في نفسي. فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها. وبُعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق. ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عَذْق(٥) لسيدي أعمل لَه فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلَة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء(٦) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي.

قال سلمان: فلما سمعتها، أخذتني العُرَواء(٧) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة. ثم قال: ما لك ولهذا! أقبِل على عملك. قلت: لا شيء، إنما أردتُ أن أستثبته عما قال.

وكان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُباء. فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا!»، وأمسك يده فلم يأكل. فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئًا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببَقيع الغَرْقَد،(٨) قد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعليّ شملتان(٩) لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي. فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبّله



وأبكي، فقال رسول الله ﷺ: «تحوّلْ!» فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسولَ الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه.(١٠).

٢- شعور المنافسة

يقول المغيرة بن شعبة: إن أول يوم عرفتُ رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبوجهل في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يا أبا الحكم! هل لك إلى الله وإلى رسوله، وأدعوك إلى الله؟» فقال أبوجهل: يا محمد هل أنت مُنْتَه عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهدَ أنك قد بلّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلّغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتّبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء: إن بني قُصَيّ قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا نعم، ثم أطعموا فأطعمنا، حتى إذا تحاكَّت الرُكَب قالوا: منا نبي. والله لا أفعل.(١١).

وفي رواية أخرى أن أبا جهل قال: تنازعنا نحن وبنوعبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرُّكَب وكنّا كفرسيّ رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع له أبدًا ولا نصدقه.(١٢).

واجتمع رجال قريش وقرروا أن يرسلوا عُتبة بن ربيعة لكي يكلم النبي، ويقنعه بالعدول عن دعوته. وكان عتبة هذا يعدّ من حكماء قريش، ومن المقدَّمين في قريش، وكان أديبًا، وشخصًا موسرًا. فقام عُتبة وذهب إلى الرسول ﷺ، وأراد أن يلعب معه لعبة المنطق، فقال له: يا محمد أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال عُتبة: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه. ربما كان سكوته هو الجواب المناسب للأحمق. فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبدت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك.

فقال رسول الله: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم. فبدأ رسول الله ﷺ يقرأ عليه سورة فصلت: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم. تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ × قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١-١٣).

فلما وصل النبي ﷺ إلى هذه الآية ارتجف عُتبة كمن أصابته حُمّى، ومدّ يده إلى شفتي الرسول ﷺ قائلًا ومتوسلًا: اصمُتْ يا محمد بحق إلهك الذي تؤمن به! ثم قام عُتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجهَ الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولًا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي. خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ نبأ، فإن تُصبْه العرب، فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يَظهر على العرب، فمُلكه ملككم، وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.(١٣).

٣- أسباب أخرى

لم تكن هذه الاعترافات اعترافات فردية تعود لشخص أو شخصين، بل كانت هذه قناعة عامة لديهم، ولكن أسبابًا سلبية كانت تمنعهم من الإيمان به، مثل مشاعر الخوف والطمع والحرص والعناد. أجل، فمع أنهم يعلمون أنه نبي، إلا أنهم كانوا يعاندون في الإيمان به. ويشرح القرآن الكريم حالهم هذه وهو يسرّي عن الرسول ﷺ، فيقول: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

إنهم يلصقون بك تهمًا عدة، وأنت تحزن من هذه الاتهامات الباطلة ولكن إياك أن تحزن مما يتقوّل عليك هؤلاء البائسون المغلوبون تحت ثقل أجسادهم، الأسارى بيد شهواتهم، العاجزون عن مغالبة عاداتهم. والحقيقة أنهم لا يكذبونك، إذ لا يستطيعون إسناد الكذب إليك، فأنت بريء من الكذب، وقد سبق وأن دعوك بـ «الأمين» وانظر إلى مدى حماقتهم، فهم لا يؤمنون بما يسندونه إليك، ومع ذلك يتجرأون على ذلك.. إذن، فلا تحزن.

أجل، إن كان هناك من يجب أن يحزن فهو هؤلاء القوم الذين عادَوْا من بيده خير الدنيا والآخرة، والذين لم يفتحوا قلوبهم للنور وهم على مقربة منه.

الهوامش

١- مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني ١/١٤٠؛ وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ١/٣٥٧

٢- البخاري، الأنبياء، ١، مناقب الأنصار، ٥١؛ المسند، للإمام أحمد ٣/١٠٨، ٢٧١، ٢٧٢

٣- الحَرّة: كل أرض ذات حجارة سود. (المترجِم)

٤- كلْب: اسم قبيلة عربية. (المترجم)

٥- عِذْق: النخلة. (المترجم)

٦- قُباء: أصله اسم بئر عُرفت القرية بها. (المترجم)

٧- العُرَواء: الرعدة والانتفاض. (المترجم)

٨- بَقيع الغَرْقَد: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة. (المترجم)

٩- الشملة: الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان أي يلتحف. (المترجم)

١٠- السيرة النبوية، لابن هشام ١/٢٢٨-٢٣٤

١١- البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٨٣؛ كنز العمال، للهندي ١٤/٣٩-٤٠

١٢- البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٨٣

١٣- البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٨١-٨٢؛ السيرة النبوية، لابن هشام ١/٣١٣

من جوامع الكلم

جوامع الكلم أحاديث نبوية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، يتجلى فيها الإيجاز في أروع صوره، وهي من مفاخر نبينا المصطفى ﷺ، إذ خُصَّ بها دون سواه من الأنبياء والمرسلين، بل من البشر أجمعين، وفي ذلك يقول بأبي هو وأمي: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث في قومه، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طيبة وطهورا، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأوتيت جوامع الكلم».

وقد أولاها علماء البلاغة والبيان الكثير من العناية، فقال في وصفها أمير البيان أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

«وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿وما أنا مِنَ المُتَكَلِّفين﴾ (سورة ص: ٨٦).

وقال يونس بن حبيب: «ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ».

وسأورد فيما يأتي أثارة منها مشفوعة بتعليق يومئ باستحياء إلى شيء من مكنوناتها:

- «رفقًا بالقوارير» قاله لأنجشة، وكان يحدو بالنّساء.

وفي هذا الحديث ما يسميه علماء البلاغة استعارة تصريحية، حيث شبهت النساء بالقوارير لرقتهن والحذر من تعرضهن للكسر، وحذف المشبه وهو النساء وصرح بالمشبه به وهي القوارير.

والمراد أن يبطئ أنجشة من إيقاع حدائه لتبطئ الإبل من سرعتها من أجل النساء اللاتي كانت على ظهورها، إذ هي لا تحتمل أن يسرع بها. وقد ذهب الحديث مثلا لكل نساء الدنيا في لطف المعاملة ورفق الحديث.

- «مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيّبًا، ولا تضع إلا طيّبًا».

وهذا تشبيه طريف، يدعى بالتشبيه التمثيلي، إذ شبه المؤمن في حالي أخذه وعطائه.. تعلمه وتعليمه.. بيعه وشرائه... الخ بالنحلة في حالي رشفها لرحيق الأزهار وهي أجمل ما في الطبيعة وأزكى ما في الوجود، وإخراجها أطيب شراب للناس وهو العسل.. فيه شفاء للناس.

- «منهومان لا يشبعان، طالب العلم، وطالب المال».

ما أجمله من تصوير، يجلو حقيقة طالب العلم، كما يجلو حقيقة طالب المال، فكلاهما منهوم، أي مقبل على حاجته إقبال الجائع النهم على طعامه، يمتلئ بطنه ولا تنتهي نفسه. وجاء في اللسان: والنَّهامة إفراط الشهوة في الطعام وأن لا تمتلئ عين الآكل ولا تشبع. ورجل منهوم بكذا أي مولع به.

- «الظلم ظلمات يوم القيامة».

فيه إيجاز سريع وجناس بديع. أما الإيجاز فيربط بين الظلم في الدنيا ومآله في الآخرة، إنه ويل وثبور وعذاب وعقاب وذل وهوان، وكل ذلك مشمول في كلمة ظلمات، إذ لك أن تتصور ما فيها من سوء المنقلب وبؤس المصير. وأما الجناس- وهو من النوع الناقص- فهو بين كلمتي الظلم والظلمات، وفيه مشاكلة عجيبة تربط بين العمل وعاقبته.

من مفاخر نبينا المصطفى ﷺ الأحاديث النبوية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني


د. محمد حسان الطيان

- «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده».

وما أروع تعميم السلامة على الناس جميعا وليس على المسلمين فحسب، إذ رسالة المسلم ليست مقصورة على إخوانه من المسلمين بل هو الرحمة المهداة لكل العالمين طيب معاملة وحسن خلق وجمال عشرة.

«لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ».

لاحظ هذا النفي الاستغراقي الذي عبرت عنه لا النافية للجنس، إنها تنفي الإيمان عمن فقد الأمانة، وتنفي الدين عمن فقد العهد أو أخلَّ به، والعهد كل ما عوهد اللهُ عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق، قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾.

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق.



مطاعن المستشرقين ضد الإسلام الحنيف (الجزء الثاني)



كنا قد بدأنا في الحديث عن مطاعن المستشرقين ضد الدين الإسلامي الحنيف، وكيف وجه بعضهم سهامه إلى صدر هذا الدين القوي باتهامات ظنًا منهم بأنها كفيلة بتقويض هذا الدين الذي تعهد الله- سبحانه وتعالى- بحفظه، وفي السطور التالية نعرض باختصار جهودهم التي شرعوا فيها بعد فشل خطتهم التي بدأوها في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مع تفنيد هذه المطاعن والشبهات الكاذبة.

لم يألُ المستشرقون جهدًا في حملتهم المسعورة ضد الإسلام والمسلمين، بل دفعهم غرورهم العلمي أن ينكروا وجود الله، ولقد بذلوا جهودًا مضنية في الكيد والنيل من الإسلام والقرآن الكريم بوصفه دستور المسلمين، ويمكننا حصر بعض تلك المطاعن والمزاعم في مسائل وشبهات محددة، هي كالتالي:

- الإسلام ملفق من الديانات السابقة.
- الإسلام يدعو إلى التواكل والسلبية.
- الإسلام يظلم المرأة ويهضم حقوقها.

الشبهة الأولى: الإسلام ملفق من الديانات السابقة

بادر المستشرقون في سلب خصوصية الإسلام وانفراده المتميز المتمثل في القرآن الكريم، وادعوا أنه دين ملفق من كتب سماوية وعقائد دنيوية سابقة. ولنا أن نسأل هل كان معاصرو النبي محمد ﷺ ومعارضوه في غفلة عن هذا وقت بزوغ فجر الإسلام؟ بالطبع كان هؤلاء موجودين، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يذكر قرينة واحدة على قولهم هذا، بل لهم نقول: إن الإسلام جاء بتعاليم ومبادئ وقوانين لم تشملها الكتب السماوية السابقة، بالإضافة إلى ما تمتع به القرآن الكريم من مزية فريدة اختص بها وهي الإخبار عن الأمم السابقة، والحديث عن أمور غيبية حدثت بعد ذلك.

الشبهة الثانية: الإسلام يدعو إلى التواكل والسلبية

لم يجد مستشرقو العصر الحديث من

رئيس قسم اللغة العربية - صندوق تطوير التعليم - رئاسة مجلس الوزراء المصري

شبهات يلصقونها بالإسلام فادعوا كذبًا أن الإسلام عقيدة تدعو إلى التواكل والسطحية واللامبالاة تجاه المتغيرات الحياتية والمجتمعية، ومن يقرأ القرآن الكريم ويتدبر معانيه وآياته الحكيمة يتأكد أن الإسلام دين يحث على العمل، ويدفع الإنسان نحوه، والمطالع لآيات القرآن يدرك الربط المستدام بين الإيمان والعمل، يقول الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (التوبة: ١٠٥).

والقرآن يحث المؤمنين على العمل حتى في أوقات الراحة، وأقصد يوم الجمعة، فيقول الله تعالى في ذلك: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (الجمعة: ١٠). فأين هذا التواكل الذي يلصقه الملاحدة بالإسلام والمسلمين؟ والسنة النبوية لصاحبها ﷺ تحث على العمل والسعي الدؤوب غير المنقطع من أجل عمارة الأرض، يقول الرسول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل»، بل نجد الرسول الكريم ﷺ يضرب مثلًا أعلى في الدعوة إلى العمل حيث رفض انقطاع الناس للعبادة في المسجد واعتمادهم على غيرهم في المأكل والمطعم والمشرب والملبس، وامتدح من يعمل ويكد من كسب يده بشرف وأمانة وتقوى ومراقبة من الله تبارك وتعالى.

ولقد خلط أولئك المستشرقون بين التوكل الذي يعني تدبر الأمور والأخذ بالأسباب والتزود بالطاقة الروحية والعبادة، وبين التواكل الذي يعني الكسل وعدم الأخذ بالأسباب والوسائل المعينة، وكلنا يعرف كيف طرد الفاروق عمر بن الخطاب أولئك المتواكلين المنقطعين للعبادة في المسجد معتمدين على غيرهم في رعايتهم وقضاء شؤونهم، وقال عبارته المشهورة: «إن السماء لا تمطر ذهبًا»، واستشهد في ذلك بحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

وليس هذا فحسب بل جعل الإسلام العمل المفيد من أسباب الثواب وزيادة الحسنات،

المستشرقون ادعوا كذبًا أن الإسلام دين ملفق من كتب سماوية وعقائد دنيوية سابقة

وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتعلق بهذه المعاني ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)، كما أن السنّة الشريفة تضمنت العديد من النصوص التي تحث على العمل والكسب الحلال مثل قول الرسول ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده»، وقوله ﷺ: «من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له».

الشبهة الثالثة: الإسلام يظلم المرأة ويهضم حقوقها

تشير أصابع المستشرقين بالاتهام خفية وعلانية إلى أن الإسلام معاد حقيقي للمرأة، وأنه هضم حقها، وأغفل حقيقتها ودورها التاريخي قبل الإنساني. والمجال غير متسع لعرض وضع المرأة قبل الإسلام، وما كان عليه النكاح من صور أكثر وحشية وهمجية، من نكاح استبضاع، إلى نكاح الرهط، مرورًا بنكاح صواحبات الرايات، انتهاءً بنكاح الشغار والبدل والضغينة.

ولاشك أن موقف المرأة كان صعبًا في ظل التصور الإسلامي لبعض الصحابة، ورغم ذلك شاركت النساء في النضال اليومي للعيش والحياة الاجتماعية والاكتشاف اليومي لطبيعة الإسلام، فكن يعملن بالإضافة إلى اكتشاف أحكام القرآن والإسلام دون تمييز أو تهميش أو إلغاء، وهذا يدل على أن المرأة ليست هي العورة، بل إن العورة هي العورة، وهو ما فصله رسولنا الكريم ﷺ، فكانت المرأة تغزو وتتسوق وتبيع ما تصنعه وسط مرأى ومسمع الجميع، وهذا يؤكد طبيعة المجتمع المدني الذي لا يميز أي فرد عن بقية أعضائه.

ولو أن الإسلام قد قوض مكانة المرأة، وسعى إلى تغييبها حضاريًّا لما سمعنا أسماءً بعينها من نساء الإسلام الصالحات، كالسيدة خديجة، والسيدة صفية، والسيدة فاطمة، وزينب بنت جحش، وأم أيوب الأنصارية، وجهيزة، وأم حكيم، وغيرهن كثيرات. ولابد أن نقر حقيقة تاريخية وهي أن الإسلام أنصف المرأة الإنصاف كله، وأزال عنها ما لحقها من ظلم، وحررها من العبودية واستغلال جسدها، ورفع مكانتها وأعلى منزلتها، في الوقت الذي لم يعترف الغرب بحقوق المرأة إلا في القرن التاسع عشر بعد جهاد طويل.

وعجيب جدًّا أمر هؤلاء الذين يقصرون حقوق المرأة في حجاب رأسها، وارتدائها للبنطال، ومشاركتها العمل وسط الرجال، وذهابها إلى صلاة التراويح، وغيرها من القضايا الجدلية لصرف الأنظار عن سماحة الإسلام وإتاحة الحرية للمرأة في معاملات البيع والشراء، والاحتفاظ بمالها، وقد أجاز لها حق التملك، وساوى بينها وبين الرجل والتاريخ الإسلامي يحفظ أسماء الصحابيات اللاتي جاهدن في سبيل الله مثل الربيع بنت معوذ التي قالت: كنا نغزو مع رسول الله نسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة. هذا بخلاف ما صنعه الإسلام للمرأة من حق الميراث وكانت لا ترث، وكذلك تحريمه لوأد البنات وهن صغيرات.

وأكاد أجزم لهؤلاء الذين يؤكدون خفية وجهرًا أن الإسلام قد قهر المرأة، بأن أبين لهم أن الإسلام منح لها حق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتدريس، بل مجادلة الملاحدة والمارقين، لكن المحاربين ملتزمون بقضايا فتنة ذكر المرأة لاسمها، ووجهها العورة، وصوتها العورة، والكارثة أننا ابتلينا منذ فترة ليست بالقريبة بأناس لا يتدبرون القرآن، ويحرفون كلام رسول الله ﷺ عن مواضعه، فيبذلون قصارى جهدهم في إحداث فتنة حقيقية سلاحهم فيها المرأة.



الأقليات المسلمة والتعايش الوطني

يقصد بالأقليات المسلمة المسلمون الذين يعيشون وسط مجتمعات ذات أغلبية غير مسلمة، والمسلمون هؤلاء يواجهون تحديات ومشاكل متنوعة بتنوع الظروف والمناطق والدول التي يعيشون فيها.

فهي تختلف من دولة لأخرى ومن قارة لسواها، فمشاكل الأقليات في أوروبا تختلف عن مشاكلها في آسيا وإفريقيا وغيرها، ولاشك أن مساعدة هذه الأقليات والوقوف إلى جانبها وهي تحاول الإندماج مع البيئة الجديدة أمر في غاية الأهمية بل هو واجب على المسلمين لأنه يندرج في باب التعاون على البر والتقوى. والمسؤولية هنا تقع على عاتق الأمة كلها حكومات وشعوبا ومؤسسات وأفرادا تستطيع تلك الأقليات أن تنهض بدورها الإيجابي الفاعل في التنمية والتعايش الوطني دون المساس بعقيدتها وثوابتها ومبادئها.

لقد كان الإسلام ومازال دينًا رياديًا في ترسيخ قيم التعايش الاجتماعي منذ نزل الوحي على رسولنا الكريم ﷺ. وعلى الغرب والشرق أن يقر بهذه الحقيقة وأن ينأى بنفسه عن الاتهامات المغلوطة بوصف الإسلام وأهله بالتطرف والإرهاب وبذر بذور التفرقة في المجتمعات التي يعيشون فيها.

إن الأقليات المسلمة مطالبة بتأكيد حقيقة المواطنة والتعايش السلمي من خلال سلوكهم النابع من مبادئ دينهم وأهدافه النبيلة.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف التأكيد على المشكلات التي تعاني منها الأقليات المسلمة وسبل معالجتها في عصر تعاني فيه مجتمعات العالم كافة من صراعات عرقية ودينية مع ما يرافقها من حروب دامية أزهقت أرواح الأبرياء.

التحرير

الأقليات الإسلامية.. من الاضطهاد إلى الاندماج

القاهرة - دار الإعلام العربية

ليست بلاد العرب وحدها بلاد الإسلام، فالرسالة المحمدية رسالة عالمية للناس أجمعين في كل مكان على وجه الأرض، وبرغم كل ما تتعرض له الأقليات الإسلامية من اضطهاد فإن الإسلام ينتشر يومًا بعد يوم في أرجاء المعمورة كافة.. في كمبوديا، الفلبين، منغوليا، تركستان، التبت، تايوان، هونج كونج، الصين، كوريا، اليابان، كاليدونيا، جزر فيجي، أستراليا، تايلند، تنزانيا، رواندا، ميانمار، سنغافورة، الهند، جامو وكشمير، نيبال، سريلانكا، أوزبكستان، طادجيكستان، قرغيزيا، أذربيجان، التركمان، أورنبرج، جمهورية ماري، فنلندا، النرويج، ألمانيا، فرنسا، سويسرا، الدنمارك.

الحريات الدينية التي دائما وأبدًا ما «يصدعنا» الغرب بضرورة الالتزام بها في بلاد المسلمين حيال الأقليات الدينية، لا يقابلها أدنى التزام من الآخر بالأقليات الإسلامية لديه، فيعاني المسلمون معاناة متفاوتة ما بين الاضطهاد الذي يصل إلى حد الإبادة الجماعية، والتضييق في ممارسة العبادة في أحسن الأحوال، فعلى سبيل المثال ولاية «كشمير» الهندية، والتي يبلغ عدد سكانها نحو ٥ ملايين نسمة، يمثل المسلمون فيها نسبة ٧٨٪، يواجه المسلمون أسوأ ألوان الاضطهاد ويرزحون تحت نيران الاحتلال الهندوسي الظالم، كما يتعرض المسلمون في بورما (ميانمار) لشتى ألوان التعذيب، والحال ليس أفضل منه في جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقًا)، حيث تواجه الأقليات المسلمة العداء من الروس خاصة في شمال القوقاز، والشيشان.. وفي الغرب الذي يفترض فيه التحضر لا يبدو المشهد أفضل، حيث تفشى العداء لكل ما هو إسلامي، خاصة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واللافت أن هذا العداء في حد ذاته كان سبيلًا إلى تعرف كثير من الغربيين إلى الإسلام والدخول فيه أفواجًا!

فوبيا

لقد أصبح الوجود الإسلامي في أوروبا واقعًا ملموسًا خلال السنوات الماضية بعد تنامي أعداد الأوروبيين المعتنقين للإسلام عامًا بعد آخر، وربما كان هذا التنامي في أعداد المسلمين في القارة الأوروبية سببًا رئيسيًا في استعار الهجوم على الإسلام والمسلمين، استنادًا إلى مزاعم واهية وأكاذيب ليس لها أي سند منطقي أو تاريخي.. يؤكد أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة ستراسبورج الفرنسية والمحاضر أيضًا بجامعة لوفوبان البلجيكية د. يونس جوفرا، أن عدد المسلمين في الغرب عامة وفرنسا خاصة يتزايد عامًا بعد الآخر، سواء من خلال المهاجرين المسلمين إلى فرنسا من الدول الأفريقية، لاسيّما دول المغرب العربي، أو من خلال الفرنسيين أنفسهم الذين يقبلون على اعتناق الدين الإسلامي بقوة خلال السنوات الماضية.

وكمسلم فرنسي يفسر جوفرا الهجوم الضاري الذي تتعرض له الأقليات الإسلامية، لاسيّما في الغرب، بأن هناك مفهومًا جديدًا على القارة الأوروبية هو «الإسلاموفوبيا».. ويعني



خـوف الأوروبـيـين مـن الدين الإسـلامـي وكل مـا يرتبط بـه، لاسيّما في ظل المكونات الثقافية للمجتمع الأوروبـي الـذي يقوم على العلمانية، ما أدى إلى عدم وعي قطاع كبير من الفرنسيين مـن معتنقي الأديـان الأخرى بـالإسـلام.. إضـافـة إلـى أن العشرين سنة الماضية شهدت تزايدًا في أعداد المسلمين في فرنسا، وانعكس ذلك على عدد من المظاهر الملتزمة بآداب هذا الدين الحنيف، مثل الملبس، ما أدى إلـى تخوف عدد كبير من الفرنسيين الـذين تـعـودوا في حياتهم عـلـى الـحـريـة الكاملة وغير المقيدة في جميع مظاهر حياتهم.

إلا أن جوفرا يوضح أن الهجوم الذي يتعرض له الإسـلام في أوروبا لا يسيطر تمامًا على وسائل الإعلام هناك، مؤكدا أن هناك تيارًا آخر يهدف إلى معرفة حقيقة الإسلام، والتعمق في كل ما يرتبط به من أفكار ورؤى، بعيدًا عن الهجوم الشديد الذي تتبناه وسائل إعلامية أخرى تستقي هجومها من تخوف عدد من السياسيين الفـرنـسـيـين مـن تـحـول فـرنـسـا إلـى دولـة إسـلامـيـة فـي ظـل تـزايـد عـدد معتنقي الإسلام بين الفرنسيين.

وأكد أن الهجوم على الإسلام أسهم في اعتناق كثير من الفرنسيين للإسلام، حيث أخذ الهجوم الشديد في وسائل الإعلام على الإسلام والمسلمين عند كثيرين موقفا عكسيًا جعلهم يتجهون بشكل غير مباشر إلى محاولة فهم هذا الدين والقراءة عنه، والوقوف على حقيقته التي تجمع مقومات التكامل بين ما هو مادي وما هو روحي.

وحول وجود المسلمين في دول العالم غير الإسلامية ومنها الدول الأوروبية، أكد أن ذلك يحقق أكثر من هدف، على رأسها انتشار الدين الإسلامي والدعوة إليه من خلال المسلمين القاطنين في هذه الدول، علمًا بأنه ليس شـرطًـا أن تكون الدعوة



الشيخ عبدالحميد الأطرش: ينبغي ألا تستخدم مواضع التشدد الفقهي مع الأقليات

مباشرة، وإنما من خلال سلوكاتهم التي تجذب أنماطًا عديدة من شرائح المجتمع الأوروبـي، مثل السـيـدات والباحثين عن الحقيقة.. ومن خـلال هـذا الـهـدف يأتي الهدف الآخر الذي يقوم به المسلمون في هذه البلاد وهو تهيئة الظروف الإيمانية المناسبة لاستقبال معتنقي الدين الإسلامي، ومساعدتهم على العيش حياة إسلامية تختلف عن تلك التي كانوا يعيشونها من قبل.

وحول ما يحتاجه المسلمون في أوروبا لمواجهة التحديات التي تواجههم، أكد أن المسلمين في أوروبا إذا أدركوا دورهم في الدفاع عن الدين الإسلامي وعن حقوقهم كمسلمين في هذه الدول فإنهم سيسعون إلى تكريس وجودهم في المؤسسات التي مـن شـأنها مساعدتهم على ذلـك، ومنها المجالس التشريعية والبلدية، والتي يجب أن يـتـواجـد فيها ممثلـون عـن المسلمين؛ للتحدث بصوتهم والتعبير عن مشكلاتهم، والمطالبة بإيجاد حلول لها من خلال التشريعات والقوانين التي تسن من وقت إلى آخر.. ويحتاج المسلمون أيضا إلى التواصل مع المؤسسـات الإعـلامـيـة الكبرى هناك من خلال مؤسساتهم من أجل تصحيح الصورة المغلوطة عـن الإسـلام والمسلمين، ومن ثـم تهيئة الـظـروف المناسبة لحصولهم على حقوقهم، والتي تقف الصورة المشوهة والمأخوذة عنهم عقبة في سبيل ذلك.

تكتم

بدوره، تطرق مفتي أستراليا الأسبق، د.تـاج الـديـن الهلالي إلى سمات الجالية الإسلامية في أستراليا، موضحا أنها تميل إلى الوسطية والاعتدال، وهي جالية لها حضورها، فمنها أعضاء في البلديات والجامعات ومشهود لهم بالولاء للمجتمع الأسترالي، وتتكون من ٢٧ جنسية أكبرها الجالية اللبنانية، تليها الجالية الإندونيسية ثم الماليزية.. وأكد أن الإسلام ضارب في أعماق أستراليا، حيث تؤكد الأبـحـاث أن المسلمين وصلوا إليها قبل أن يصلها الإنجليز، وأن الهجرة الثانية لأستراليا كانت عبر المهاجرين الأفغان المسلمين، مشيرا إلى انتشار أكثر من ٣٨٠ مركزًا إسلاميًّا موزعة في شتى الولايات الأسترالية، وأن ٩٠٪ من تعداد المسلمين يقيمون في مدينة سيدني.

وعن أعداد معتنقي الإسلام، أكد أن تعداد الجالية الإسلامية هناك ما يقرب من السبعمائة والخمسين ألفًا، مؤكدا أن المسلمين يتكتمون الحـديـث عن عددهم الحقيقي حتى لا يثيروا حفيظة وعداء غير المسلمين.

تقصير

من جانب آخر، أكد الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية د.جعفر عبدالسلام، أن النـظـرة الـدونـيـة لـلإسـلام فـي الغرب مسـؤول عنها الـغـرب ذاتـه؛ لأنـه لم يضع في اعتباره يومًا التعرف إلى الإسلام من



د.جعفر عبدالسلام: الدول الإسلامية مقصرة في تدعيم الأقليات وتصحيح صورة الإسلام

مصادره الصحيحة، إضافة إلى تقصير الدول الإسلامية في تدعيم المراكز الدينية المتناثرة لدى الجاليات والأقليات الإسلامية؛ حتى تستطيع القيام بمهمتها في تصحيح صورة الإسلام.

وأضاف: كان لافتًا خلال جولاتنا ولقاءاتنا مع المفكرين الغربيين شكواهم مر الشكوى من خلو المكتبات ودوائر المعارف الغربية من الكتب الخاصة بالثقافة والحضارة والشريعة الإسلامية؛ مما دعانا إلى توجيه دعوات لإيجاد مشروع إسلامي ضخم يتولى إعداد كتب ومؤلفات ترد على تساؤلات الغربيين وتشبع نهمهم للتعرف إلى الإسلام ومبادئه، كما توفر للأقليات المسلمة أفكارًا واضحة للتعامل مع المشكلات التي تواجههم.

وأشار إلى أن الجاليات والأقليات الإسلامية تعاني التضييق على حرياتها الدينية، إضافة إلى قيود على حقوقها الاقتصادية، وهو ما حاولت رابطة الجامعات الإسلامية وغيرها من المؤسسات الإسلامية نقله إلى أطراف أوروبية خلال لقاءات مشتركة، وأبلغناهم بأن القيود على بناء المساجد وحظر ارتداء الحجاب في المؤسسات العامة يضر بشدة باندماج هذه الجاليات في المجتمعات التي تضمها، وأوضحنا ضرورة ممارساتهم لشعائرهم الإسلامية في حرية تكفلها القوانين المعمول بها في الاتحاد الأوروبي، شأنهم في ذلك شأن باقي المواطنين سواء بسواء، وركزنا على أهمية تمسك المسلمين هناك بأصول دينهم والحفاظ على قيمهم.

وطالب جعفر بمحو كل مظاهر التمييز التي تمارس ضد الأقليات الإسلامية، سواء في التمتع بفرص العمل والتوظيف، أو بالحماية الواجبة لهم ضد الإساءات الأمنية، باعتبار أن أوضاعهم حاليا تخالف جميع التقاليد الأوروبية، بل وتشكل نقطة سوداء في الثوب الأوروبي.. كما طالب في المقابل هذه الأقليات والجاليات التي تعيش في بلدان غير إسلامية باحترام قوانين هذه البلدان طالما لا تتعارض مع صحيح الدين، وكذا الاندماج في هذه المجتمعات والتعايش معها والاستفادة مما تتيحه من فرص للتعليم والبحث العلمي، بحيث يكون المسلمون مشاركين فاعلين في بناء هذه المجتمعات، وتأهيل أنفسهم للتنافس الشريف والتطلع إلى مستقبل أفضل دون الإخلال بشخصيتهم الإسلامية، ما يؤدي إلى التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية وغيرها، ويصب في النهاية في مصلحة الجميع.

فقه الأقليات

وبالرغم من أن الدين واحد فإن اللغة والأماكن تختلف؛ لذلك تحتاج الأقليات المسلمة إلى خطاب فقهي يتجاوز التحديات والمصاعب التي تواجهها للتكيف مع مجتمعاتها.. وعن ذلك يوضح أستاذ ورئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بجامعة الأزهر د.محمد أبوليلة أن هناك اختلافًا بين الخطاب الفقهي الموجّه إلى الأقليات المسلمة وبين نظيره الموجّه إلى عموم المسلمين، مشيرا إلى أن الاختلاف يأتي من جهة أن الأقليات المسلمة تعيش في أوطان لا يحكمها الإسلام.. ويعتبر من أبرز التحديات التي تواجهها الأقليات في المجتمعات الغربية مشكلات القوانين والشريعة الإسلامية، خاصة قوانين الأحوال الشخصية ومشكلات المواريث، التي من المفترض أن يتعايش معها المسلم وفقًا للقانون الوضعي للبلد الذي يعيش فيه.

وتابع: ان العلماء يختصون الأقليات بمزيد من الرعاية والاهتمام من خلال المحاولة لوضع عدد من الحلول للمشكلات التي يواجهونها في إطار إسلامي.. ويبقى دور الخطاب الفقهي بمحاولة أسلمة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأسرية بما يوافق العادات الإسلامية، لافتا إلى أن أهم معالم فقه الأقليات هو أنه يبيح للأقليات ما لا يبيحه لغيرهم، مع احترام قوانين وخصوصية واستقلال البلد الذي يعيش فيه مع الاندماج في هذا المجتمع.. مشيرا إلى اقتصار ذلك على الفروع التي لا تضر العقيدة.

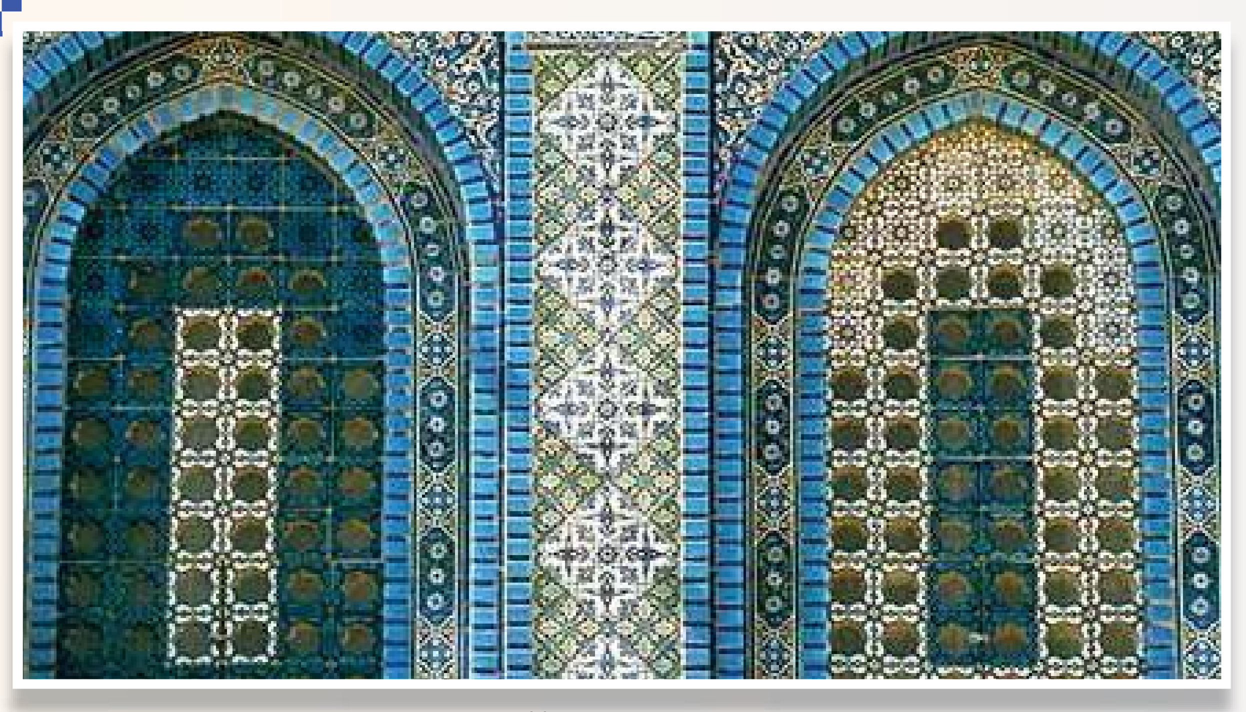
الدين يسر

في الاتجاه ذاته، أكد الرئيس السابق للجنة الفتوى بالأزهر الشريف الشيخ عبدالحميد الأطرش، أن فقه الأقليات المسلمة ينطلق وفقا لقول الرسول ﷺ: «إن الدين يسر»؛ لذلك لا ينبغي استخدام مواضع التشدد مع الأقليات المسلمة حول العالم، ولابد أن يتم التعامل معهم من مبدأ الإيضاح لصورة الإسلام وبيان يسره وسهولته، مع ضرورة أن يكون بعيدًا عن التعقيد وعن الخلافات الفقهية التي قد تؤدي إلى ابتعادهم عن الدين.

وشدد على ضرورة أن يدرك الخطاب الإسلامي الموجه إلى الأقليات الواقع الخاص والمعقد للجاليات المسلمة، من أجل إصدار الفتوى بما يوافق العصر، وأن يحيط علمًا بالثقافات المتنوعة والمختلفة، لافتا إلى أن الخطاب الفقهي الذي يخطئ في فهم أعراف المجتمعات وثقافاتهم لا يتمكن من إنزال حكم الله الصحيح في كثير من القضايا، خاصة المتعلقة بالشؤون والعلاقات الاجتماعية.

وختم قائلا: من الضروري أن يراعي الخطاب القوانين السائدة في تلك البلاد، وألا يعرض المسلمين إلى مخاطر مخالفة القوانين، فالأصل في الإسلام أنه «لا ضرر ولا ضرار»، وينبغي أن يطرح الخطاب الفقهي البدائل المشروعة للمحظورات الموجودة في تلك البلاد، وألا يغلق الباب في وجه المحظورات فحسب، وذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وقوله أيضًا ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.





علوم الحضارة الإسلامية ودورها الإنساني

د. علي عفيفي

الحضارة (Civilization) في اللغة تعني الإقامة في الحضر، والحضارة ضد البادية، ولهذا فقد تعددت تعريفات الحضارة وتنوعت تبعًا لذلك دلالاتها بتنوع تعريفاتها، فرأى بعض الباحثين أنها مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون وما إلى ذلك، وهذا يعني أن الحضارة حسب هذا التعريف تختص بالجانب المادي فقط. وعرفها آخرون بأنها المظاهر الفكرية التي تسود أي مجتمع، وهذا يعني أن الحضارة مرادفة للثقافة ومقتصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط.

وعلى هذا يمكننا أن نعرف الحضارة الإسلامية (The Islamic Civilization) بأنها: ما قدمه المجتمع الإسلامي (social Islamic) للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، في الجوانب الروحية والأخلاقية، فضلًا عما قدمه من منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التطبيقية والتنظيمية، وما يخدم المجتمع الإنساني من الوسائل والأسباب التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء، والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق، وانتشار الخير والفضائل الجماعية، ويدخل في هذا أنواع التقدم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمادية، والأخلاق والتقاليد، والقيم، والعادات، وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضًا في علاقاتهم المختلفة، وكل أنواع العلوم والثقافات.

فتعاليم الدين الإسلامي عالمية لأنها تُعد الإنسان لمستقبل خالد، فالاعتقاد بإله واحد، يقود إلى إذابة كل مبدأ عرقي، أو شعور قومي، من أجل ذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية يشترك في تحقيقها العملي وبنائها التطبيقي كل من استجاب لها من كل عرق ولون ولغة. ولهذا جدير بكل مسلم أن يفخر بتاج المجد الذي صنعه بناة الحضارة الصادقون من المسلمين في كل بلد من بلاد الإسلام، في سالف العصور الإسلامية التي استجابت للإسلام، وأحسنت تطبيق تعاليمه، فإذا كانت

◆ صحافي وأكاديمي مصري



الحضارة الإسلامية عالمية وإنسانية فإن مقتضى ذلك أن تكون صالحة للتطبيق في كل البيئات الإنسانية، وأن تكون كذلك صالحة على مر الأزمان باعتبارها رسالة السماء الخاتمة لكل الرسالات.

ولما كانت رسالة الإسلام هي خاتمة الرسالات السماوية، وكان الرسول ﷺ خاتم الرسل، فمن الضروري أن تكون الحضارة القائمة على هذه الرسالة حضارة متطورة، تستطيع أن تسع كل تطورات الحياة الإنسانية؛ وتحقق ما يخدم المجتمع الإنساني (Social Humanities) ، بحيث تواجه ما يجدّ في حياة البشر من تطورات في شتى المجالات، ولا تقف جامدة أمام متغيرات الحياة البشرية في واقعها الفردي والاجتماعي، ولذلك أقامت أساس تشريعاتها، وقوانينها، وآدابها على أصلين ثابتين هما: الكتاب والسنة، فنرى المبادئ والأصول الكلية جميعها تعود إليهما.

لقد اعتنى المسلمون بالعلوم الطبيعية؛ حيث قاموا بترجمة المؤلفات اليونانية، ولكنهم لم يكتفوا بنقلها، بل توسعوا فيها، وأضافوا إليها إضافات هامة؛ تعتبر أساس البحث العلمي الحديث، وقد قويت عندهم الملاحظة، وحب التجربة، فأضاف الأطباء المسلمون إلى ما ترجموه وورثوه عن اليونان وغيرهم، فألفوا وابتكروا منجزات جديدة من أهمها: اعتمادهم المشاهدة والتجربة، وتجريبهم المنهج التجريبي، والتشخيص، والنظر إلى تاريخ المريض الطبي، وانتباههم للعدوى، والأمراض المعدية، وبراعتهم في علم الجراحة والتشريح، واكتشافهم الدورة الدموية الصغرى.

ولهذا فقد اتفق الباحثون المنصفون على أن الحضارة الإسلامية كانت لها آثار بالغة في الحضارة الغربية، تتمثل في: تأثير مبادئ الحضارة الإسلامية تأثيرًا كبيرًا في حركات الإصلاح الدينية التي قامت في أوروبا منذ القرن السابع الميلادي حتى عصر النهضة الحديثة، فالإسلام الذي أعلن وحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتنزيهه عن التجسيم والتشبيه والتعطيل، كما أعلن استقلال الإنسان في عبادته وصلته مع الله وفهمه لشرائعه دون وساطة مخلوق أيًا كانت منزلته، كان عاملاً كبيرًا في تفتيح أذهان شعوب أوروبا إلى هذه المبادئ السامية والتأثر بها مع فتوحات الإسلام في الشرق والغرب، إذ قام في القرن السابع الميلادي في الأوروبيين من ينكر عبادة الصور، ثم قام بعدهم من ينكر الوساطة بين الله وعباده، ويدعو إلى الاستقلال في فهم الكتب المقدسة بعيدًا عن سلطان رجال الدين ومراقبتهم، ويؤكد كثير من الباحثين أن «لوثر» في حركته الإصلاحية كان متأثرًا بما قرأه عن العلماء المسلمين من آراء في العقيدة والوحي، وقد كانت الجامعات الأوروبية في عصره لا تزال تعتمد على كتب العلماء المسلمين التي ترجمت إلى اللاتينية.

مع بداية حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية غدت كتب علماء المسلمين تدرس في الجامعات الأوروبية

ولم يقتصر أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية (European Civilization) على العقيدة والدين والعلوم التطبيقية واللغة، بل تعداه ليشمل مجال التشريع، حيث كان لاتصال الطلاب الأوروبيين بالمدارس والجامعات الإسلامية في الأندلس وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأفكار الفقهية والتشريعية إلى لغاتهم، ففي عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية، ومن أوائل هذه الكتب «كتاب الخليل» الذي كان نواة للقانون المدني الفرنسي، وقد جاء متشابهًا إلى حد كبير مع أحكام الفقه المالكي.

في الفترة الذهبية من تاريخ الإسلام، أنشئت المدارس والجامعات في مختلف البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا، وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات في شتى العلوم من طب ورياضيات وكيمياء وجغرافيا وفلك، اجتذبت هذه المدارس والجامعات والمكتبات الباحثين الأوروبيين عن المعرفة، وكانوا شديدي الإعجاب والشغف بكل ما يدرسون ويقرأون من هذه العلوم في جو من الحرية لا يعرفون له مثيلاً في بلادهم، ففي الوقت الذي كان علماء المسلمين يتحدثون في حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها وحركات الأفلاك والأجرام السماوية، كانت عقول الأوروبيين تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كلها، ومن ثم ابتدأت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وغدت كتب علماء المسلمين تدرس في الجامعات الأوروبية.

وكذلك تأثر الأوروبيون وخاصة شعراء الأسبان بالأدب العربي تأثرًا كبيرًا، فقد دخل أدب الفروسية والحماسة والمجاز والتخيلات الراقية إلى الآداب الأوروبية عن طريق الأدب العربي في الأندلس على الخصوص.

من هنا يتبين أن الحضارة الإسلامية تمثل حلقة مهمة في سلسلة الحضارة الإنسانية (Civilization Humanities) التي لا يمكن بناؤها بعيدًا عن أسس ومبادئ تلك الحضارة المجيدة، فقد أسهمت في وضع أساس الحضارات الحديثة (Modern civilization) بنصيب موفور، وأن



فضلها عليها واضح غير منكور، وفي الحق، إن الحضارة الإسلامية قد أحدثت ثورة علمية عَمَّ خيرها العالم الإنساني كله، وقد اعترف بذلك كثير من المفكرين المنصفين الأوروبيين.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي يقدمها الدكتور خالد حربي ليتناول علوم الحضارة الإسلامية ودورها في الحضارة الإنسانية، من خلال محاولة الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي طرحها في مقدمته وتتمثل في:

هل شهد المجتمع العلمي الإسلامي اهتمامًا بالعلوم إبان ازدهار حضارته؟ وما طبيعة هذه العلوم؟ وكيف تعامل العلماء مع تلك العلوم التي انتقل معظمها من الأمم الأخرى؟ وهل ابتكروا علومًا جديدة لم يكن لها وجود لدى أسلافهم؟ وهل قدم العلماء العرب والمسلمون إضافات أصلية في العلوم التي بحثوا فيها عملت على تطورها وتقدمها وأثرت في الحضارة اللاحقة وفي بقية الإنسانية عمومًا؟ أسئلة منهجية وجوهرية يحاول المؤلف الإجابة عليها من خلال عشرة فصول تناولت علوم الرياضيات، والفلك، والجغرافيا، والكيمياء، والطب، والطب النفسي، والميكانيكا، والهيدروليات، والتكنولوجيا، والبصريات، وعلم الطفيليات والأحياء المجهرية.

ففي الفصل الأول الخاص بالخوارزمي كمدرسة رياضياتية أفادت الإنسانية بين الدكتور حربي كيف بدأ تكوين الخوارزمي العلمي، ومدى أثر هذا التكوين في إنجازاته العلمية، ثم وقف بصورة موجزة على التطور العلمي والتاريخي للرياضيات حتى عصر الخوارزمي، وذلك بغرض معرفة أبعاد الإنجاز الذي تم على يديه باعتباره أهم علماء الرياضيات في القرن الثالث الهجري، وقاد ذلك إلى التعرف على أبعاد إنجازات علماء المسلمين خلال عصر الخوارزمي، لكي نقف على مدى تأثر هؤلاء العلماء بالخوارزمي، واتضح أن تأثير الخوارزمي لم يمتد إلى علماء الرياضيات المسلمين في العصور اللاحقة فقط، بل امتد إلى العالم الغربي إلى الدرجة التي جعلت العلماء الأوروبيين يعترفون بأن الخوارزمي هو المسؤول بصورة أساسية عن تأسيس علم الجبر، وجاءت معرفة الغرب لكتاب الجبر والمقابلة عن طريق الترجمات اللاتينية التي وضعت له، فلقد ترجمه جيرارد الكريموني، وروبرت الشستري في القرن الثاني عشر الميلادي، ليصبح أساس لدراسات كبار علماء الرياضيات الغربيين.

ثم خصص الفصل الثاني للرياضيات بعد الخوارزمي حيث تحدث عن ستة علماء رياضيات أتوا من بعده وهم أبوكامل، ثابت بن قرة، الكوهي، أبوالوفاء البوزجاني، عمر الخيام، الكاشي، وبينت الدراسة كيف أن الحضارة الإنسانية لم تتوقف على الإفادة من الحضارة الإسلامية في الرياضيات على الخوارزمي فحسب، بل اعتبر علماء الغرب ثابت بن قرة أعظم هندسي على الإطلاق، ثم كيف استخرج أبي سهل الكوهي حلولًا للفروض التي عجز أرشميدس عن إثباتها، وكيف اعترف علماء الغرب بأن أبا الوفاء البوزجاني هو أول من وضع النسبية المثلثة، وأوجد طريقة لحساب جداول الجيب، ليؤسس ويضع بذلك الأركان التي قام عليها علم حساب المثلثات الحديث، ثم كيف توصل عمر الخيام لحلول معادلات الدرجة الثالثة ليعد في نظر علماء الغرب أول من أبدع فكرة التصنيف، ثم اتفاقهم على أن غياث الدين الكاشي هو الذي ابتكر الكسر العشري، كما وضع قانونًا خاصًا بتحديد قياس أحد أضلاع المثلث انطلاقًا من قياس ضلعيه الآخرين، وقياس الزاوية المقابلة له، وقانون خاص بمجموع الأعداد الطبيعية أو المتسلسلة العددية المرفوعة إلى القوة الرابعة، وهو قانون لا يمكن التوصل إليه إلا من شخصية تمتلك مميزات عقلية وعلمية خاصة.

وفي الفصل الثالث الذي خصصه المؤلف لعلم الفلك تناول أهم أعلام الفلك الإسلامي وأثرهم في الحضارة الإنسانية، ومنهم: الفزاري، وأبومعشر البلخي، الفرغاني، إبراهيم بن سنان، البتاني، نصير الدين الطوسي، فبين كيف أفادت الإنسانية منهم ومن علمهم، فأوضح كيف أفاد الطوسي الإنسانية باهتمامه بالهندسة اللاإقليديسية الفوقية، تلك التي تلعب دورًا حاليًا في تفسير النظرية النسبية، كما أنه برهن بكل جدارة على المصادرة الخامسة من مصادرات إقليدس، وبذلك يكون الطوسي قد وضع أساس الهندسة اللاإقليديسية الحديثة، والتي تقترن بأسماء علماء غربيين.

وأوضحت الدراسة كيف اهتم المسلمون بالفلك كعلم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها هذه الحركات المحسوبة بطرق هندسية، وبنى علماء الفلك المراصد الفلكية، ووضعوا آلات الرصد، التي كانت تصنع بمدينة حران في العصر العباسي، ثم انتشرت صناعتها في جميع أنحاء الخلافة العباسية منذ زمن المأمون، وعكف علماء الفلك في المراصد على الدراسة والرصد والتأليف، فجاءوا بآراء ونظريات أصلية عبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته، وأفادت منها الإنسانية جمعاء.

وجاء الفصل الرابع ليوضح أثر علماء الجغرافيا الإسلاميين في نهوض علم الجغرافيا فبين كيف أدت الفتوح الإسلامية إلى زيادة اهتمام الخلفاء بعلم الجغرافيا لمعرفة حدود خلافتهم ومدنها



وقراها، والطرق المؤدية إليها، وذلك لتسهيل الاتصال والبريد بين عاصمة الخلافة المركزية وبقية أرجائها، وساعد على ذلك أيضًا انتشار ظاهرة الرحلة في طلب العلم، فضلاً عن كثرة الرحلات التجارية نتيجة للتطور الاقتصادي، كل ذلك أدى إلى التوسع في البحوث الجغرافية فنشط التأليف الجغرافي المعتمد على الدراسات الميدانية، فبرز عدد من الجغرافيين العرب أثروا في الحضارة الإنسانية، منهم: اليعقوبي، ابن خرداذبة، الإصطخري، ابن حوقل، المقدسي، البكري، الإدريسي، ابن جبير، ياقوت الحموي، القزويني، أبوالفداء، ابن بطوطة.

فقد أفاد الغرب من كتاب اليعقوبي «البلدان»، ومن كتاب «المسالك والممالك»، لابن خرداذبة، والذي عد أول مصنف عربي في الجغرافيا الوصفية، ولهذا فقد أثر في الجغرافيين اللاحقين على ابن خرداذبة، وامتد هذا التأثير حتى العصر الحديث، أما كتاب «المسالك والممالك»، للإصطخري، فقد امتاز بخرائطه التي أفرد منها لكل إقليم خريطة على حده، وجاء كتاب «المسالك والممالك» لابن حوقل، ليعد من المؤلفات الجغرافية العربية التي أفادت منها الإنسانية جمعاء، وكشفت الدراسة النقاب عن أن أول معجم جغرافي عربي مرتب بحسب حروف الهجاء هو معجم «ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع»، للبكري، والكتاب فريد لا يمكن مقارنته بشيء آخر، ويمثل مرجعًا أساسيًا لمن يبحث في الجغرافيا، وامتاز كتاب الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» بشموله لجميع أقاليم العالم، وبما احتواه من خرائط كثيرة ودقيقة موضحة للأماكن التي يتحدث عنها، ليستخرج منه أحد العلماء الغربيين خريطة جامعة للعالم كما رسمه الإدريسي.

وفي الفصل الخامس تحدث المؤلف عن جابر بن حيان كمدرسة كيميائية أفادت الإنسانية، فتناول نشأته وأثرها على توجهه العلمي، وأوضح كيف أن الفكر اليوناني، ومدرسة الإسكندرية والثقافة الإسلامية كانت بمثابة البنية المعرفية التي انطلق منها، لكنه انتهى إلى نتائج علمية جديدة مبتكرة، فأسهم في بناء المنهج التجريبي في مقابل المنهج التأملي العقلي الذي برع فيه اليونانيون، ثم أوضح بنية مدرسته التعليمية، والمبادئ والقواعد التي رأى أنها تحكم علاقة أعضاء المدرسة وتشكل البنية الأساسية التي تقوم عليها، ثم تناول منهجه البحثي وإنجازاته ومؤلفاته العلمية وأوضح أثرها في الإنسانية، فبين أثرها في الكيميائيين اللاحقين له سواء على المستوى العربي أو الغربي، وخاصة عملياته الكيميائية كالتبخير والتقطير والترشيح والتكليس والإذابة والتبلور والتصعيد، فكان أول من استحضر حامض الكبريتيك بتقطيره من الشبة، واستخرج حامض النيتريك، وأول من اكتشف الصودا الكاوية، وأول من استخرج نترات الفضة، وثاني أكسيد الزئبق، واستحضر كربونات الصوديوم، وكربونات الرصاص القاعدي، والزرنيخ، والكحل (كبريتيد الأنتيمون)، وغيرها من الإنجازات التي جعلت جابر بن حيان صاحب مدرسة كيميائية مميزة لها إنجازاتها العلمية الهامة التي كانت بمثابة الأسس التي عملت على تطور الكيمياء العربية فيما بعد عصر جابر، وساعدت على تأسيس وقيام علم الكيمياء الحديث، كدور للحضارة الإسلامية كحلقة من حلقات الحضارة الإنسانية في مجال علم الكيمياء.

ثم خُصص الفصل السابع لعلم الطب بعد الرازي حيث تحدث عن ستة أطباء أتوا من بعده وهم ابن الجزار، علي بن العباس، الزهراوي، ابن سينا، بنُو زهر، ابن النفيس، وبينت الدراسة كيف أن الحضارة الإنسانية لم تتوقف على الإفادة من الحضارة الإسلامية في الطب على الرازي فحسب، بل أثر علماء المسلمين اللاحقين على الرازي في الحضارة الغربية الحديثة، فكتاب «زاد المسافر» لابن الجزار ترجم إلى اللغات الأوروبية واستفاد منه الأطباء الغربيون، واشتهر كتاب «كامل الصناعة» لعلي بن العباس في اللاتينية بالكتاب الملكي، حتى ظهور كتاب «القانون» لابن سينا، وأوضحت الدراسة أن كتاب الزهراوي «التصريف لمن عجز عن التأليف» الموسوعة في عمليات ربط الشرايين، واستئصال حصى المثانة، وتفتيتها، والتهاب المفاصل، وشق القصبة الهوائية.

وبينت الدراسة أن كتاب «القانون في الطب» لابن سينا يعد من أهم موسوعات الطب العربي الإسلامي، وقد أفادت منه الحضارة الإنسانية في عمومها، ويدلنا على ذلك ترجماته الكثيرة، فقد ترجم في القرن الخامس عشر الميلادي أكثر من ستة عشر مرة، وعشرين مرة في القرن السادس عشر، وأفادت الحضارة الغربية الحديثة من إنجازات بني زُهر، كما قدم ابن النفيس اكتشافه للدورة الدموية الصغرى للعالم أجمع، ولم يتم الكشف عن هذا الاكتشاف إلا في بداية القرن العشرين.

أما الفصل الثامن، الذي جاء بعنوان «إبداع الطب النفسي العربي الإسلامي وأثره في الإنسانية»، فأوضح دور كل من: الرازي، وجبرائيل بن بختشيوع، وابن سينا، أوحد الزمان البلدي البغدادي، سكرة الحلبي، رشيد الدين أبوحليفة، في الإسهام في الطب النفسي، فتصدوا لمعالجة الأمراض النفسية وقدموا لها ما ساعد على شفائها، فكان الرازي أول طبيب فكر في معالجة المرضى الذين لا أمل في شفائهم، فعالج الأمراض التي



اعتبرها سابقوه مستحيلة البرء، كالصرع والمنخوليا، كما عالج جبرائيل بن بختشيوع الفصام التشنجي، أو الفصام التصلبي، الذي يتميز سلوك صاحبه بالتيبس النفسي والجسمي، وكان ابن سينا أول من ربط وظائف الإحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية، وبهذا لم يسبقه أحد في إلقاء الضوء الساطع على علم النفس التجريبي، وعالج مرض الوعي بالذات، كما عالج الطبيب أوحد الزمان مرض الهلاوس، واستخدم الطبيب سكرة الحلبي نظرية العلاج المعقود على المريض، إلى غير ذلك من الأمراض النفسية التي اكتشفها وعالجها الأطباء العرب الإسلاميون، كان لها أكبر الأثر في قيام وتطور علم النفس الحديث.

وعند الحديث في الفصل التاسع عن علوم الميكانيكا والهيدروليات والتكنولوجيا والبصريات، تناول بنوموسى بن شاكر كجماعة علمية أفادت الإنسانية، وكنموذج للأسر العلمية التي شهدها تاريخ العالم العربي، فبين كيف استطاع الأخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكر أن يكونوا جماعة علمية متآزرة نبغت في كافة هذه العلوم، فوقف في سياق البحث على أهم الأعمال العلمية النظرية والتطبيقية التي قومتها الجماعة، فقدموا منظومة علمية ومعرفية هامة شغلت مكانًا رئيسيًا في تاريخ العلم بعامة، وتاريخ التكنولوجيا بخاصة، فأرانا كيف قدمت جماعة بني موسى من خلال مؤلفاتها إسهامات جليلة في العلوم التي بحثوا فيها، ومنها: نظرية ارتفاع المياه، واختراع الساعة النحاسية الدقيقة، وقياس محيط الأرض، وتأسيس علم طبقات الجو، إلى غير ذلك من الابتكارات والاختراعات التي ضمنوها كتبهم، فأسهموا في تطور العلوم التي ألفوا فيها.



ثم أوضحت الدراسة دور علماء آخرون مثل: الحسن بن الهيثم، والبيروني، والخازن، وبديع الزمان الجزري، وكمال الدين الفارسي، فبينت أن أعظم مآثر الحسن بن الهيثم تأثيرًا في العالم نظريته في الإبصار، ثم أوضحت كيف اعترف علماء الغرب بأن البيروني أول من فكر في علم الجاذبية، وليس نيوتن، وانتهت الدراسة إلى أن أبا الفتح عبدالرحمن الخازن بحث في كتابه «ميزان الحكمة» ظاهرة الضغط الجوي قبل توريتشلي بخمسمائة عام، فكان كتابه الركيزة الأساسية في قيام العلم الطبيعي الحديث، وكذلك فعل الجزري فجمع بين العلم والعمل، ولهذا حق لعلماء الغرب أن يصفوه بأعظم المهندسين في التاريخ، وفي كتابه «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر» درس كمال الدين الفارسي كيفية انعكاس الضوء والإبصار، ومظاهر الخداع البصري، وطور نظرية قوس قزح، فسبق ببحوثه ابن الهيثم وغيره من علماء الغرب والمسلمين، كما سبق بحوث ديكارت ونيوتن بقرون طويلة.

وفي الفصل العاشر والأخير زعم المؤلف أنه يؤصل لعلم جديد من العلوم الإبداعية المهملة في الحضارة الإسلامية، ألا وهو علم الطفيليات والأحياء المجهرية، مقدمًا من المبررات ما يعزز دعوته بأن أبا بكر الرازي يعد أول عالم في العالم يتطرق لبحث ودراسة واكتشاف مرض الجدري والحصبة، والذي يدخل في صميم علم الأحياء المجهرية الحديث، وفي القانون في الطب لابن سينا ولأول مرة في تاريخ الطب يكتشف ويعترف ويصف ابن سينا مرض الجمرة الخبيثة، والطفيل المسبب لها، وما ينتج عنها من حمى أطلق عليها الحمى الفارسية، والعجيب أن المصطلح المعبر عن الجمرة الخبيثة يعبر حرفيًا عن الاسم الذي أطلقه ابن سينا على هذه الجمرة وهو «الجمرة الفحمية»، كما قدم ابن سينا وصفًا لمرض السل ولأول مرة في تاريخ الطب في كتابه القانون، كذلك عد ابن زهر أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها «صؤابة» وهو اكتشاف مثير يأخذ به علم الطفيليات والأحياء المجهرية إلى اليوم.

خلاصة القول: إن العمل العلمي الذي قدم في هذا الكتاب يدل بصورة قوية على أن الحضارة الإسلامية تشغل مكانًا مرموقًا بين حضارات العالم المختلفة، وذلك بفضل ما قدمته للإنسانية من علوم أفادت منها، وكانت بمثابة الأساس القوي المتين الذي قامت عليه الحضارة الغربية الحديثة، وفي النهاية قدم المؤلف توصية للباحثين لكشف أسرار معظم هذه المؤلفات التي مازالت مخطوطة، فهي تستحق أن ننفض عنها غبار السنين بالدراسة والاستيعاب والفهم والتحقيق، لعلنا نكشف عما تحتويه من كنوز مازالت فاعلة حتى اليوم، وتلك هي النتيجة النهائية التي نبهت لها الدراسة، التي تستحق القراءة والتعمق لما قدمته من نتائج جديدة على المكتبة العربية.



دراسة توصي بتكوين هيئة عليا تضع خططه

الإسلام بين الخطاب المعاصر ونظرة الغرب الظالمة

القاهرة - دار الإعلام العربية

الأعداء قبل الأتباع يرون أنه بتطبيق الإسلام بصورته الصحيحة سيسود الخير والسلام والنماء الأمم جميعها في شتى مجالات الحياة، دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا، ويرى كثيرون أنه لا سبيل لذلك إلا بشيئين أساسيين، تجديد الخطاب الديني سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه، وتحسين صورة الإسلام بتحسين سلوكيات أتباعه.. والحقيقة أن الآخَر لن يلتفت إلى المسلمين ويدرك عظمة دينهم إلا بتغيير الخطابات التي تتعارض يوميًا وتظهر الإسلام بما ليس فيه.. هذا ما اتفق عليه عدد من العلماء التقتهم «الوعي الإسلامي»، وجاءتكم بالتفاصيل.

نبدأ أولا مع د.محمد أبوليلة، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الذي يرى أن النظرة الخاطئة عن الإسلام ليست عيبًا من الغرب، مبررًا ذلك بأن بعض المسلمين يتصرفون بطريقة خاطئة تسيء إلى الدين الحنيف، سواء بقصد أو عن غير قصد، مستشهدًا في ذلك بقضية النقاب، مشيرًا إلى أنه ليس ضرورة إسلامية، فإذا التزمت به المرأة تثاب عليه، وإن لم تلتزم به فلا ضرر في ذلك، لكن هناك من يختزل الإسلام في قضية النقاب وكأنه الركن الأساسي في الدين، وكأن ظهور وجه المرأة مرادف للفسق والفجور، وهذا يسيء إلى الإسلام أكثر مما يفيده.

وأشار إلى أن بعض المسلمين يتعاملون مع الإسلام دون فهم وتدبر، ويأخذون بالأمور دون تمحيص أو فهم صحيح، ويعطون بذلك صورة خاطئة عن الإسلام.. كما يوجد العديد من الأشخاص لا يخافون على الإسلام أو صورته، ولا يهمهم سوى مكاسبهم الشخصية، فيغذون التناحر المذهبي والطائفي، وفي ذلك إساءة بالغة للإسلام، ويتسبب في أن المواطن الغربي لا يصدق حقيقة الإسلام السمحة ولا يقتنع به كدين خاتم؛ لذلك علينا أن نسعى إلى وقف الخطابات التي تؤجج الفتن بين المسلمين والمسلمين، أو بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.



وأكد أن الخطاب الديني لا يحتاج إلى ابتكار أو استحداث شيء بعيدًا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لكن ينبغي العودة إلى الهدي الصحيح للرسالة المحمدية، وصياغتها بأسلوب عصري يقتنع به المسلم قبل غير المسلم، حتى يطبقه بالتزام داخلي يعكس حقيقة الإسلام.

هذا هو الإسلام

أما الشيخ د.ناصر الجابري، عميد كلية الدعوة بلبنان، فقال: أول خطوة لتجديد الخطاب الديني الإسلامي تعتمد على الإيمان بالله تعالى والتوجّه الصحيح إلى الله؛ لأننا يجب أن نكون أمة التوحيد ونؤمن بالله حق الإيمان، وتكون أرواحنا معلقة به، ثم علينا أن نفهم القرآن بحق ونفسره عن علم، فهذا الكتاب الخاتم هو الأساس في تربية الجيل المسلم على أسس إيمانية وعلمية صحيحة تجعله صورة متجسدة للإسلام، حتى تتغير النظرة الخاطئة المأخوذة عن المسلمين خاصة في الغرب.. فعلى سبيل المثال الكيفية التي تعامل بها بعض الليبيين مع جثمان «القذافي» تسيء إلى صورة المسلمين، وتصورهم كما لو كانوا همجًا، بينما الإسلام يحرم الإساءة إلى الموتى حتى ولو كان لجثمان كافر لا يدين بدين الإسلام.. ومثل هذه الأمور برغم أنها صادرة عن تصرفات وأهواء شخصية إلا أنها تنعكس على صورة الإسلام.

وأشار د.ناصر إلى أن اتهام الإسلام بالعنف والعنصرية لا يأتي إلا من حاقدين وجاهلين، فقد قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.. وقال ﷺ: «يَأَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى».. كما حرم الإسلام قتل الأنفس بغض النظر عن إسلامها أو عدم إسلامها إلا لسبب جوهري، فأي دين هذا إذن الذي يتهم بالعنف؟ وأنا أرى أن كل المؤسسات سواء



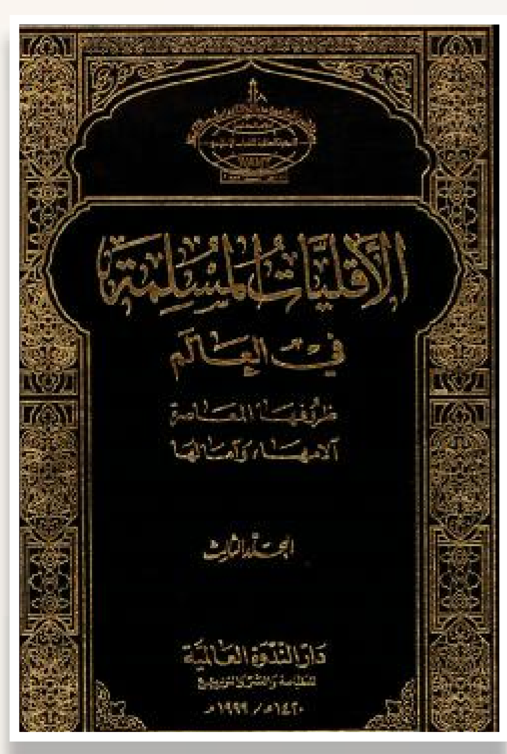
الدينية أوالإعلام العربي والإسلامي حتى المسلمين العاديين جميعهم مسئولون بشكل واضح وصريح عن صورة الإسلام وتحسينها.

لغة الآخَر

بدوره، أكد د.سعيد الصاوي، الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، أن الغرب يحكم على المسلمين من تصرفاتهم، فإلى جانب كون الغرب لديه نظرة سيئة بالفعل عن الإسلام، فإن هذه النظرة تكتمل وتزداد كراهية بمجرد النظر إلى أحوال بعض المسلمين غير الواعين بدينهم، كالجماعات التي تلجأ إلى العنف مثل تنظيم القاعدة، فهذه تسيء إلى صورة الإسلام ولا تفيده، وتعطي صورة سيئة عن الإسلام وكأنه دين عنف وإرهاب وقتل.. وهذا غير صحيح؛ لذلك علينا أن نعلم الشباب تعاليم الدين الأساسية، دون أن نجبرهم على ذات الأساليب التي تعودنا عليها، فيمكن أن يختاروا طرقًا أخرى ينشرون بها الإسلام ويغيروا بها الخطاب الإسلامي المتراجع حاليًا، ويجعلوا الغرب من خلال تواصلهم معه أكثر قدرة على استيعاب الدين الإسلامي العظيم.. وعلينا أن نفهم أن العالم لن يتلفت إلينا ما لم نغير من طريقة تواصلنا معه، ونحاول تطويع الخطاب ليناسب تعاليم ديننا وفي الوقت نفسه نحاول أن نصل إلى الآخَر باللغة التي يفهمها.

إسلاموفوبيا

في الاتجاه ذاته، قال د.يوسف جوفرن، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ستراسبورج الفرنسية: من واقع خبرتي بالعالم الغربي وفرنسا تحديدًا، أرى أن هناك حالة من الإسلاموفوبيا في الغرب لعدة أسباب، أولها -من وجهة نظري- أن الإسلام بدأ ينتشر حاليا في الغرب بصورة كبيرة- عكس ما يقول البعض -وبدأ الناس يجدون أرواحهم في هذا الدين، خاصة أن العالم الغربي لا يعرف شيئًا عن الروحانيات



ولا يفهمها، ولا يعرف كم يحتاجها إلا عندما يبدأ في دخول آخر طرق الضياع والانحلال والفساد الأخلاقي والنفسي، وفي تلك اللحظة يشعر كم يحتاج إلى الارتياح والسكينة فيجد هذا مع الدين الإسلامي، ما يجعل بعض الحاقدين يأخذون موقفًا مضادًا أكثر من الإسلام، أيضًا الإسلاموفوبيا قد يأتي بسبب تعامل المسلمين مع غيرهم سواء من الغرب أو غير ذلك بصورة لا تعكس حقيقة هذا الدين السمح.

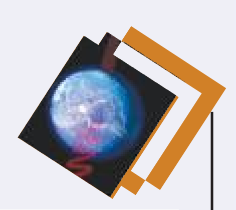
أضاف د.يوسف أن الطريقة المثلى برأيه لتجديد الخطاب الإسلامي ليغير نظرة الغرب هو عمل قنوات تواصل بين الجهتين، وتكون تلك الجهات على وعي كبير بأيديولوجية الإسلام والغرب حتى تستطيع توفير أرضية جيدة للحوار والحديث وتخفيف الضغط على الإسلام والغرب والتقريب بينهم.

مسؤولية العلماء

أخيرًا، أكد د.محمد مختار المهدي، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر، أن تغيير الخطاب الديني الحالي يقع بالأساس على عاتق العلماء باعتبارهم القدوة والأقدر على التغيير، موضحًا أن الأصل في تغيير الخطاب هو العمل بسنة سيد الأنبياء محمد ﷺ وبكتاب الله، وهذا من شأنه أن يحدث نهضة إسلامية مدعمة بخطاب معاصر بتعاليم الدين الحنيف.

آليات التجديد

في دراسة حديثة بعنوان «الخطاب الإسلامي المعاصر» نشرتها الباحثة نور كركذ تحدثت فيها عن آليات تجديد الخطاب الديني، وكيف يمكن الرقي به ليواكب مستجدات العصر، وضعت في الجزء الأخير من الدراسة عدة محاور أساسية يمكن الاعتماد عليها لتجديد الخطاب وتحسين صورته كخطاب إسلامي مستنير يفهمه الآخَر كما يفهمه من يدينون بالإسلام، ومن هذه المحاور تكوين هيئة إسلامية عليا من رجال الفكر والدعوة المشهود لهم بالعلم والجدية وإخلاص العمل لله؛ لتضع خططًا وبرامج علمية شاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بكل مستوياته وصوره وأساليبه، والتأكيد على مبدأ الوسطية والاعتدال كما يراه الإسلام، وذلك من خلال المقررات الدراسية والأنشطة الثقافية والاجتماعية الترفيهية، ومن خلال خطب الجمعة، وأيضًا الاهتمام بتعويد الناشئة على النقاش وآداب الحوار وحسن الاستماع وقبول الاختلاف، وغرس مبادئ السماحة والمرونة فيهم، وذلك عن طريق التربية الأسرية والمدرسية الإسلامية، كما أوصت الدراسة الحكومات العربية والإسلامية بإعادة النظر في الخطاب الموجّه إلى خارج الدول الإسلامية، وإعداد موسوعات إسلامية شاملة بكل لغات العالم لتوصيل الفكر الإسلام المستنير إلى كل مكان في العالم.



الأقليات المسلمة في الغرب ومأزق الحريات الفردية والدينية

بوعبيد الأزدهار

يستأثر سؤال الحريات الفردية والدينية بمساحة واسعة ضمن خريطة النقاش المعرفي والسياسي في البلدان الغربية منذ عصر النهضة ولا يزال، سواء على مستوى العلاقات البينية بين الأوروبيين أنفسهم، أو بين غيرهم من الأقليات أو الجاليات المسلمة، إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأت هذه الجاليات تشتكي جملة من الانحرافات السلوكية والتحيزات المعرفية على صورة الإسلام الحقيقية في الغرب وتشويه قيمه ومقدساته، وذلك من خلال شن حملات متكررة تستهدف رموزه الدينية، وقد أعطت فرنسا الانطلاقة الفعلية لهذا المشروع العدائي والمتحامل على المسلمين، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، مستغلة هذا الحدث الإرهابي الذي استنكره المسلمون أنفسهم لاستهدافه الأبرياء، لذوبان الأقلية المسلمة في المجتمعات العلمانية، والضغط عليها للتخلي عن دينها وقيمها الإسلامية، وذلك عبر آلية تضييق مساحة الحريات الفردية والدينية، وممارسة التضليل الإعلامي بإعلانها ضرورة دمج تلك الأقليات والجاليات، على اعتبار أن التمسك بما يدل على المعتقدات الدينية للمسلمين، مثل الحجاب واعتياد أماكن العبادة وغيره، من شأنه أن يحول دون هذا الدمج والانخراط في الحياة الاجتماعية الأوروبية بشكل فاعل وإيجابي، وهنا نتساءل: متى كانت الشعائر والمعتقدات الدينية للمسلمين تشكل عنصر قلق واضطراب أمني واجتماعي في الأوساط الغربية؟ ثم هل إلى التعايش والاندماج بين الجاليات المسلمة والمجتمعات الأوروبية بعد هذا التحامل من سبيل؟

إن منطق الحملات الاستعدائية التي ينهجها الغرب عمومًا وأوروبا خصوصًا على المشروع الإسلامي ورموزه الدينية في الفترة الأخيرة، تفضح وتعري زيف المبادئ المثالية التي علقت في مخيال العقل العربي والإسلامي من مقولة «النموذج الغربي» أو ما عرف عند الرحالة العرب بـ«الصدمة بالغرب» مما هو عليه من حقوق الإنسان والديموقراطية، حتى أصبح هذا الموضوع محل استئثار ونقاش بين المفكرين والباحثين في العلاقات الدولية، وقد كان الغرب موفقًا في الترويج لمقولاته وأفكاره التنويرية بالتضليل الإعلامي، في محاولة منه لترسيخ ذلك الفكر النمطي والعقلية الأحادية، بغية السيطرة على مواضع القرار، ومن ثمة العمل على استلاب الآخر الإسلامي والتشويش على فكره وثقافته المحلية، وقتل ملكته الإبداعية، وهنا تطرح مسألة حسن التعامل مع الأفكار الغربية المتداولة، والحرص على تبيئتها بما يتناسب والتربة الإسلامية، والنظر إلى الأمور كلها في سياق المدافعة الحضارية بمنظار واقعي دون تزييف أوتضليل.

وإذا استمرت السياسة الغربية على هذا المنوال في الترويج لإغراءاتها الفكرية والحضارية النمطية، فإن ذلك سيشكل دون شك، امتحانًا حقيقيًّا ومأزقًا عسيرًا لحرية التدين في الغرب، ويُظهر زيف ادعاءاتها فيما يخص «حقوق المرأة في العالم الغربي»، ومقولات «التعايش الديني والتقارب بين الشعوب والأديان»، وهي شعارات دسمة مدسوسة بسموم تضرب القيم الإسلامية في عقر دارها- التي تنادي بها المجتمعات الغربية، وإن كانت في حقيقتها هي نقيض لما يروج له اليوم من عداء للإسلام والخوف من المسلمين أو ما أصبح يسمى عند الأوساط المثقفة بـ«الإسلاموفوبيا».

على الغرب أن يتعرف على حقيقة الإسلام وقيمه ومبادئه السمحة من منابعه الصافية

إنه على المجتمع الغربي أن يقرأ التاريخ جيدًا، ويعي الدور الريادي للإسلام والمسلمين في ترسيخ قيم التعايش الديني وتأمين السلم الاجتماعي



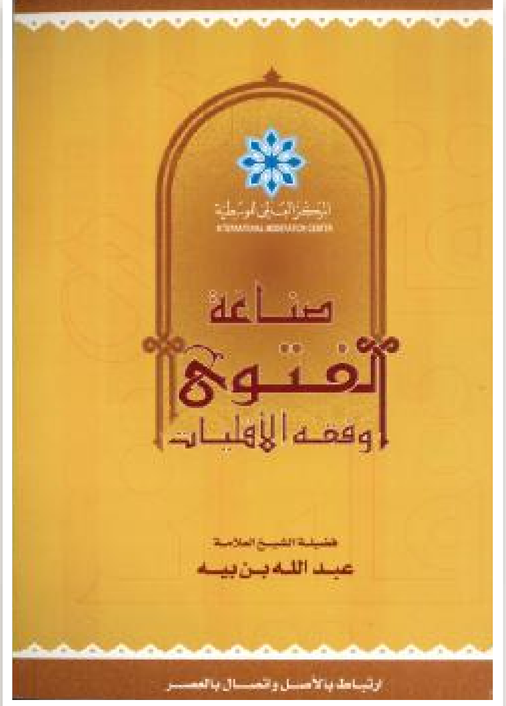
منذ بدأ الوحي، وأن يتعرف على حقيقة الإسلام وقيمه ومبادئه السمحة من منابعها الصافية لا مما يشاهده من خلال الاحتكاك اليومي بالمسلمين في بلدانهم، فكثيرًا من المسلمين مع الأسف الشديد يقدمون صورة معكوسة ومغلوطة عن الإسلام، وذلك من خلال تمردهم الأخلاقي والقيمي عما جاء به الإسلام، والحق أنه إذا كانت نساء الغرب يتجولن في البلاد الإسلامية كما يشأن بدعوى الحرية الشخصية، فألم يستح هؤلاء الأوروبيون من مضايقة المسلمات العفيفات في التمسك بدينهن من باب الحرية الشخصية أيضا؟

لا شك أن تنامي الحملة المسعورة ضد الشعائر الإسلامية في البلاد الغربية، يبرز حقيقة المستوى المتدني الذي وصلت إليه قيم الحريات الفردية داخل المجتمع الغربي، لأن عدم احترام حرية الإنسان المسلم ومعتقداته الدينية في دول تدّعي الريادة في مجال الحريات وحقوق الإنسان، ينبئ بتنامي ظاهرة التطرف والعنف في هذه البلدان سواء من قِبَل المتعصبين والمتحاملين على الإسلام والمسلمين، أو من قبل المسلمين تجاه هذه العقلية النمطية، وما حادثة قتل المصرية المسلمة مروى الشربيني في ألمانيا من قبل متعصب بغيض، لكونها ترتدي الحجاب، عنا ببعيد.

فأي تحرك مضاد للحجاب ولكل الرموز الدينية من شأنه أن يؤجج مشاعر الكراهية والانتقام بين الجاليات المسلمة والمجتمع الغربي، وهو ما قد ينذر بكوارث اجتماعية وخيمة، الغرب في غنى عنها في هذه المرحلة الحرجة، وهذا سيضر بالطرفين معًا، ما لم تتدخل الجمعيات الحقوقية وتراجع السلطات المحلة مواقفها لرفع الحرج والتضييق على النساء المسلمات في ارتداء الحجاب في الأماكن العمومية، والسماح للمسلمين بأداء المناسك التعبدية في أماكنها المعلومة وبدون ملاحقة قضائية أو تهم إرهابية، فَتَحذَر أن تعود العقلية الغربية إلى منطق التشريعات القانونية بحظر ارتداء ما يُظهر بشكل واضح، الانتماء الديني في المدارس والجامعات والأماكن العامة، كما فعل شيراك حينما أصدر قرار يوم ١٧/١٢/ ٢٠٠٣ بدعوى أن مشكلة الاندماج في المجتمع الفرنسي بدأت تتحول لمشكلة جاليات وجماعات إثنية، وهو أمر ليس في مصلحة فرنسا، وأن النظام العلماني القائم هو الضامن الوحيد للحرية الدينية، وحرية كل مواطن في ممارسة شعائره الدينية.. وفي هذا ضرب من الديماغوجية السياسية، فكيف يكون الحجاب أو غيره من الرموز الدينية عائقًا في وجه اندماج وتفاعل الجاليات المسلمة مع الواقع الأوروبي؟

إن التوجه نحو إصدار قانون بهذا الشكل ينافي حريتين أساسيتين من الحريات العامة من حقوق الإنسان، الحرية الشخصية والحرية الدينية، وقد أكدتهما الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان الدولية.

إن مدخل توسيع مساحة الحريات الدينية والحريات الفردية للجاليات المسلمة دون تميز وتحيز للأوروبيين من شأنه أن يحد من ظاهرة الإرهاب والتطرف في البلاد الأوروبية، وسيسهم في خلق قواسم مشتركة -وما أكثرها- بين مختلف الجاليات المسلمة وغيرها، وهذا سيكون دافعًا قويًّا لاندماج هذه الجاليات بشكل إيجابي يخدم هذه البلدان المستضيفة، دون ضرب أو مساس بـ«مبدأ العلمانية»، كما يعتقدون، ويساهم في دفع حركية النمو الاقتصادي والاجتماعي، والقضاء على الظواهر الشاذة من الجرائم والتعصب، مما سينعكس عنه العيش الكريم في أمن وأمان للمجتمع الأوروبي، على عكس ما إذا استمر التطرف الغربي في مواجهة المسلمين والمساس بمقدساتهم ورموزهم الدينية، فإن عملية الاندماج والتعايش بين المسلمين تكون أكثر تعقيدًا، ومن ثمَّ فعلى المسلمين أن يتعاملوا مع هذا الأمر -التضييق في الحريات- بنوع من الذكاء فيوجهوا النقاش إلى دعاة الحرية حتى يربحوا المعركة، ويقولوا للسياسات الأوروبية إن المسألة تدور حول الحريات ومدى مركزيتها عند العقلية الغربية، فيدخلوا المدخل الحقوقي في هذا التضييق، ويستغلوا وسائل الإعلام في التعريف بالقضية حتى يكسبوا تعاطف المنصفين من المنظمات الدولية والجمعيات الحقوقية التي تعنى بهذا الشأن، فيربحوا المعركة سياسيًّا ودبلوماسيًّا وحقوقيًّا.





تحديات الوجود الإسلامي في بلاد الغرب

د. مسعود صبري

تعرف الأقلية بأنها مجموعة بشرية في قطر من الأقطار، تتميز عن الأكثرية في الدين أو العرق أو اللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتمايز بها المجموعات البشرية بعضها من بعض» (١).

والذي يبدو أن الأقلية المعاصرة هي الأقلية التي انتقلت إلى بلد غير بلدها، حتى لو اكتسبت الانتماء إليها عن طريق الحصول على الجنسية، هذا بخلاف الأقلية المسلمة- مثلا- والتي تعتبر من السكان الأصليين، فهؤلاء لا يعدون من الأقلية، وعلى هذا، فالأقلية تنبني على معيار المواطنة الأصيلة، فكل من كان من أهل سكان بلد أصيل فلا يعتبر من الأقلية، أما من كان من غير السكان الأصليين، أو كان مواطنا ولم يحصل على الجنسية، فهؤلاء يعدون من الأقلية.

والأقلية من سنن الله تعالى في التاريخ البشري، فقد كان المسلمون الأوائل أقلية في المجتمع الجاهلي، ثم لما علا الإسلام واتسعت دولته أصبح غير المسلمين أقلية فيه، وعلى هذا فسنة الأقلية تدور على المجتمعات البشرية كلها، فليست الأقلية مسبة ولا فخرا، بل جزء من النسيج الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية.

واعتبار المسلمين أقلية يرجع إلى تاريخ ما قبل الهجرة، يوم كان المسلمون في مكة مستضعفين، وذكر الله تعالى امتنانه على المسلمين بتحولهم من الأقلية إلى الأكثرية، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٦).

وهذا الامتنان يبدو أنه كان سنة في الأمم السابقة ممن اتبعت الرسل، كما جاء على لسان شعيب -عليه السلام- وهو يخاطب قومه، كما قص القرآن ذلك قائلا: ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٨٦).

وهذه سنة الله تعالى في الصالحين، وأتباع الأنبياء والمرسلين، فيبدأون قلة مضطهدين، ثم يكثرون بعد ذلك.

العنصرية واختفاء المصداقية والجهل بفقه الواقع وتعطيل القواعد الفقهية .. عراقيل الدعوة في الغرب

خصائص الأقلية

وتتميز الأقلية عن غيرها بعدد من الصفات، من أهمها: أنها قلة عددية، وعدم هيمنتها على شؤون البلاد، واختلافها عن الأكثرية في الهوية الأثنية والقومية والثقافة، كما أنها تختلف عن الأغلبية في الديانة واللغة (٢).

الأقلية المسلمة في واقعنا المعاصر

يرجع تأريخ العمل الإسلامي الدعوي بالغرب إلى تاريخ هجرات عدد من الدعاة والمفكرين من بلاد المسلمين، جراء الاضطهاد الذي طال عددا غير قليل منهم، مما حدا بهم إلى الهجرة؛ طلبا للعيش في مأمن وحرية.

كما كانت هناك هجرات أخرى مقصودها طلب الرزق في بلاد إسلامية ضعف اقتصادها، وأخرى لم تقدر الكفاءات العلمية في بلادها، كما كان من أهم أسباب الهجرة طلب العلم والحصول على الشهادات الدراسية الجامعية والدراسات العليا من الغرب.

معوقات العمل الدعوي للأقليات المسلمة

ورغم المقومات التي يمتلكها المسلمون في بلاد الغرب، إلا أنهم- في الغالب الأعم- لم يستطيعوا أن يحققوا نجاحات بقدر ما يملكون من مقومات للنجاح والتأثير، لأسباب كثيرة منها:

العنصرية والمذهبية

فبناء المساجد يكون حسب العنصر والجنس والبلد، فهناك مسجد للمغاربة، ومسجد للمصريين، ومسجد للشوام، ومسجد للباكستانيين والأفغان، ومسجد للأتراك، بل تظهر العنصرية في المسجد الواحد، من خلال جماعات الصلاة، وجماعات الدعوة، وتختلط بالعنصرية المذهبية.

◆ باحث بالمركز العالمي للوسطية



عدم المصداقية

ومن أهم معوقات العمل الدعوي عدم المصداقية، وخاصة ما يمكن أن نطلق عليه «التدين المغشوش» خاصة فيما يخص العمل الخيري، والأقلية المسلمة في ذلك نوعان: نوع هو محل ثقة، يتقي الله تعالى في عمله ويراقبه فيه مجتهدا قدر طاقته، مستفيدا من أخطائه، مطورا لذاته، مكتسبا خبرات متراكمة من العمل الخيري، ونوع آخر استتر وراء العمل الإسلامي ليكون ثروة، ويحقق وجاهة اجتماعية، مستفيدا من تسهيلات الدولة من عدم فرض ضرائب، وما تدفعه من تبرعات للهيئات والجمعيات الخيرية، وكذلك ما يجود به المسلمون في بلاد الإسلام حكومات وشعوبا، فيترتب على ذلك تعميم الحكم على عدد كبير ممن يعملون في الحقل الدعوي بالغرب، مما يعطل مشاريع حيوية ومهمة للمسلمين هناك.

وإن مما يندى له الجبين أن بعضا ممن لا خلاق لهم ممن لبسوا زي العمل الإسلامي بالغرب كانوا يأخذون التبرعات باسم بناء جمعية خيرية أو تحت دعوى عون المسلمين في بلاد الإسلام، فإذا بهم يبنون لهم بيوتا في بلادهم الأصلية، أو يفتحون لهم مشاريع تجارية بأموال المسلمين!!

الجهل بفقه الواقع

ومن أهم معوقات العمل الإسلامي للأقليات المسلمة عدم إدراك واقع البلاد التي يعيشون بها، فهم عندما يهاجرون ينشئون أماكن كأنها قطعة من بلاد الشرق المسلم، زعما أن هذا هو الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وقد يكون فكرهم أقرب إلى تقاليد راكدة، هي بنت البيئة لا علاقة للتشريع بها، وهو منها براء، ومنها بعض الاختيارات الفقهية التي تناسب



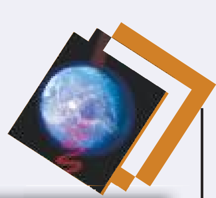
الشرق دون الغرب، بل أحيانا الفتاوى المتشددة التي تقف على ما هو مسطور في الكتب دون إدراك للواقع، كمعاملة أهل البلد على أنهم كفار يحل قتالهم وأخذ أموالهم.

وقد سأل طالب علم أحد المفتين -وقد كنت شاهدا الموقف- عن حكم سرقة أموال الأمريكيين عبر الإنترنت، لأنهم يسرقون أموال المسلمين، كما هو الحال بالعراق وغيره، وأن هذه الأموال ربما تستعمل للمجاهدين، فأفتى المفتي بجواز سرقة أموال الأمريكيين من باب المعاملة بالمثل!!

فمثل هذه الفتاوى لا تراعي الواقع فضلا عن خطئها في الاستدلال والمسلك الاجتهادي.

عدم تفعيل القواعد الفقهية

ومن أهم عوائق العمل الدعوي للأقليات عدم مراعاة القواعد الفقهية الحاكمة لفقه الأقليات، فالقواعد تضبط حركة الفكر الاجتهادي، وتساعد في تحقيق الأمن الاجتماعي للمجتمعات، ومن أهم تلك القواعد: «الإسلام يجبُّ ما قبله في حقوق الله تعالى»، مما يسهم في النظرة إلى الآخر، خاصة المسلمين الجدد، وقاعدة: «الأصل أن جواب السؤال يجري على حسب ما تعارف كل قوم في مكانهم»، فمراعاة الأعراف من أهم القواعد الحاكمة في الاجتهاد والتفكير والدعوة، ومنها: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة في حق آحاد الناس»، خاصة أن مفهوم الحاجة والضرورة والتحسين يختلف من بيئة لأخرى، فما يكون تحسينا في بيئة، قد يكون حاجة في بيئة أخرى، وقد تتحول الحاجة إلى الضرورة، ومنها: «الحاجة لا تحق لأحد أن يأخذ مال غيره»، وهذه من أهم القواعد الحاكمة لتصرفات المسلمين الأقلية، خاصة مع انتشار ما يفهمه البعض من إباحة أموال غير المسلمين، ومنها قاعدة: «الدماء والأموال لا تستحق بالدعاوى دون البينات»، وهي قاعدة مهمة في باب القضاء وما يتعلق بمسائل الاستحلال، ومنها: «الرخص تراعى فيها شرائطها التي وقعت لها الإباحة»، وذلك حتى لا يتوسع في باب الرخص دون تحقق الشرائط، ومنها: «الرخص لا تناط بالشك»، و«الرخص لا تناط بالمعاصي»، ومنها: «الضرر الأشد لا يزال بالضرر الأخف»، وهي قاعدة مهمة ونافعة في باب الموازنات التي تحتاج إليها الأقلية المسلمة، ومنها قاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»، و«الضرورة تقدر بقدرها»، وما يتعلق بهاتين القاعدتين من الاضطرار إلى المحظور أحيانا في بلاد غير المسلمين، ومنها قاعدة: «العادة محكمة»، وهي قاعدة عظيمة النفع، خاصة أن أعراف غير المسلمين ليست كلها شرا، ويجب التفريق بين العادة التي لم يرد فيها نص، وإنما تعود لما تعارف عليه الناس، وبين العادات





التي تصادم أحكام الشريعة، ومنها قاعدة: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني»، وذلك لأن البيئات غير الإسلامية لا تلتزم بالمصطلحات الشرعية، فقد تسمَّى الأشياء بغير اسمها، فكان من الواجب النظر إلى مقاصدها دون النظر إلى مجرد الشكل والقالب واللفظ، ومنها قاعدة: «كل دعوى يكذبها العرف وتنفيها العادة، فإنها مرفوضة غير مسموعة»، ويرجع فيها إلى تحكيم العادة في القضاء، ومنها قاعدة: «كل طاعة لا تصل إليها إلا بمعصية لا يجوز الإقدام عليها»، فقد يوجد في بلاد غير المسلمين اختلاط بين ما هو مباح وما هو محرم، فتأتي تلك القاعدة لتضبط مسالك ذلك الاختلاط بين الحلال والحرام، ومنها قاعدة: «لا مساغ للاجتهاد في مورد النص»، وهذا مما يتعلق بالحفاظ على هوية المسلم في غير بلاده، وأن الأمور المجمع عليها لا يجوز مساسها أو التساهل فيها، لأنها ليست مجالا للاجتهاد بما يترتب عليه من تغيير حكمها، وهي تتعلق بأصول العقائد والأحكام، ومنها قاعدة: «لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة»، وهي قاعدة مهمة في بيان تيسير الدين والأحكام، ومنها قاعدة: «لا يجوز أن تعدى بالرخصة موضعها»، ومنها قاعدة: «لا ينزع شيء من يد أحد إلا بحق ثابت معروف»، ومن مآلاتها الحفاظ على حقوق الناس وملكياتهم مهما كانت عقائدهم، مما يكون له أثر كبير في احترام غير المسلمين للمسلمين، ومنها قاعدة: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان»، وهي من ألصق القواعد بفقه الأقليات ودعوتهم، ومنها قاعدة: «للأكثر حكم الكل»، ومنها قاعدة: «ما أحل لضرورة أو حاجة يقدر بقدرها ويزال بزوالها»، وهي قاعدة ضابطة لفقه الضرورة وجودا وعدما للمسلمين خاصة في الغرب، ومنه قاعدة: «ما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة»، وفيها بيان لأنواع الحرام، فمنه ما هو محرم لذاته، ومنه ما هو محرم لغيره، وأن الحكم بالتحريم ليس قطعيا دوما، فمنه ما هو خاضع للاجتهاد وقابل للتغيير والتبديل، ومنها قاعدة: «الأصل في العادات الحل، وفي العبادات الحظر»، وهذه قاعدة تحل كثيرا من الإشكاليات الفكرية والفقهية خاصة للأقليات، فهناك عادات كثيرة عند غير المسلمين، منها ما لم يأت نص أو اجتهاد بتحريمه، فالأصل أن تبقى العادات على الحل، ما لم تأت قرينة تصرفه عن الإباحة، بخلاف العبادات فيحرم الابتداع فيها، ومنها قاعدة: «المبتلى في أمرين يختار أهونهما»، وهي من باب التيسير، ومنها قاعدة: «المجهول في الشريعة كالمعدوم والمعجوز عنه»، ذلك أن هناك طوائف من المسلمين الجدد وغيرهم ممن هم في بلاد الغرب لا يعرفون كثيرا من الأحكام، وقد يرتكبون أمورا لو وجدوا في بلاد المسلمين لكان الحكم فيهم مختلفا، ومنها قاعدة: «مراعاة المقاصد مقدمة على رعاية الوسائل أبدا»، وذلك لثبات المقاصد غالبا، وتغير الوسيلة، وأن الوسيلة تابعة للمقصد وليس العكس، ومنها قاعدة: «المشقة تجلب التيسير»، وفيها بيان لسماحة ويسر الدين، وأنه ليس دين عنت وتعب، ومنها قاعدة: «المعروف عرفا كالمشروط شرطا»، وفيها اعتبار للأعراف والعوائد والتقاليد، ومنها قاعدة عمر بن الخطاب ﵁: «مقاطع الحقوق عند الشروط»، فالوفاء بالشروط واجب، وهي قاعدة تدخل في كثير من مسائل الأحكام الشخصية والعقود المالية وغيرها، ومنها قاعدة: «النادر ملحق بالعدم»، فالنادر لا حكم له، ومنها قاعدة: «يتحمل الضرر الخاص لمنع الضرر العام»، وهي قاعدة مهمة في علاقة الأفراد بما يتعلق بالمصلحة العامة للمواطنين، ومنها قاعدة: «يجوز في الضرورة ما لا يجوز لغيرها»، ومنها قاعدة: «يغتفر في البقاء ما لا يغتفر في الابتداء»، وهي من أهم القواعد النافعة للإفتاء في الغرب، فالحكم على الشيء قبل وقوعه غير الحكم عليه بعد وقوعه، ومنها قاعدة: «يغتفر في التوابع ما لا يغتفر في غيرها»، لأن التابع غير الأصل، ومنها قاعدة: «اليقين مقدم على الظن، والظن مقدم على الشك، والمظنة لا يعتبر معها وجود الحقيقة»، وهي قاعدة تبين الأحكام حسب أنواع الإدراك، وتبين كيفية الترجيح في المسائل المختلف فيها بما يحفظ وحدة المسلمين، ومنها: «يختار أهون الشرين»، وما أكثر الشر الموجود في غير بلاد المسلمين، وقد يجد المسلم نفسه



الأقليات المسلمة بين سندان المواطنة ومطرقة الهوية

مضطرا لارتكاب أحد الشرين، فيجب عليه اختيار أهونهما.

الهوية والمواطنة

ومن عوائق العمل الدعوي للأقليات الصراع بين الهوية والمواطنة، فهناك طوائف من الأقليات المسلمة مازالت تعيش بين مطرقة الهوية وسندان المواطنة، ولم يستطيعوا حل المعضلة لا في دواخلهم ولا في تعاملهم مع المجتمع، فيرون في المجتمع غير المسلم الذين يعيشون فيه غير مجتمعهم الذي تربوا فيه، فالعادات والتقاليد والثقافات مختلفة، والبون بينها وبين ثقافتهم وحضارتهم المسلمة بون شاسع، وهم- في الوقت ذاته- مطالبون بالانتماء إلى هذا الوطن غير المسلم، مما يجعلهم في صراع دائم، وهذه الإشكالية من أخطر العوائق التي تهدد العمل الدعوي في الغرب، فالمسلم لا ينتمي إلى أرض بعينها، فالأرض كلها لله تعالى، ولما ضاقت على المسلمين الأوائل مكة وهي بلد الله الحرام، أنزل الله تعالى قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦)، بل وعد الله تعالى من هاجر من بلاده ليحافظ على دينه إلى بلد يأمن فيه على دينه ويقيم فيه شعائر الله تعالى أن يهبه الله تعالى الثواب العظيم، وقد قال الله تعالى في المهاجرين من مكة إلى المدينة قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

كما جعل الله تعالى من سننه في الكون أن يخرج الإنسان من أرضه طوعا، أو يُخرج منها كرها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)، فالمسلم ينتمي إلى دينه وقيمه وأخلاقه، وهذا قد يكون على أي أرض يعيش فيها، أو وطن يسكنه، فوطن المسلم هو المكان الذي يستقر فيه محافظا على أصول دينه وعقيدته.

إشكالية الاحتكام إلى القانون

ومن أهم إشكاليات العمل الدعوي للأقليات المسلمة النظر إلى المحاكم والقضاء والقوانين في بلاد غير المسلمين، والمسلمون إزاء ذلك أنواع:

النوع الأول: يرى أن كل القوانين والدساتير كفر يحرم على المسلمين اللجوء إليها والاحتكام لها فيما اختلفوا فيه أو تنازعوا، لأن من صنعها كفار، وكل صنيعة للكفار هي كفر، خاصة فيما يتعلق بالحكم والقضاء، لأنها حكم بغير ما أنزل الله.

النوع الثاني: يرى أنه لا مناص من الاحتكام إلى تلك القوانين مهما كانت، حتى لو خالفت أحكام الإسلام القطعية، بل يصل إلى الإيمان بها بالكلية.

النوع الثالث: يدعو إلى احترام تلك القوانين والاحتكام إليها، لكنه قد يتحفظ على الاحتكام فيما يملك من الأحكام التي تخالف أحكام الشريعة القطعية، بل يسعى قانونيا إلى وجود مخارج قانونية، كالمجالس العرفية التي يقبلها القانون، فذلك لا يجعله يخالف أحكام الشريعة القطعية، أما القوانين التي لا تصادم الشريعة، أو قد تتبنى بعض الآراء التي هي محل اجتهاد واختلاف، فيرى وجوب الاحتكام إليها واحترامها، وهو يجتهد في عدم الاحتكام إلى ما هو محرم شرعا، وإن فعله فمضطرا، مع سعيه الدائم لإيجاد الحلول والبدائل الشرعية والقانونية، وذلك النوع الثالث هو المختار الذي ننصح الأقلية المسلمة به.

عقلية النفع دون الدفع

ومن أهم إشكاليات العمل الدعوي للأقلية المسلمة ببلاد غير المسلمين أن من المسلمين من يتعامل بعقلية الانتفاع، فهو مع تلك البلاد مادام ينتفع بها، بل يتفنن ويبدع في كيفية أخذ أكبر المكاسب من تلك البلاد، فيجيء إلى البلد دون إقامة، ويطلب اللجوء السياسي، ويتقاضى راتبا من الدولة، وهي ما يعرف بـ«بدل البطالة»، وحين يعمل لا يبلغ السلطات حتى تستمر في صرف الراتب له، فيجمع بين راتب العمل وراتب البطالة، ولا يدفع الضرائب، ويتهرب من كل مسؤولية تجاه الدولة التي يقيم فيها، وهو يرفع شعار تعامله مع الدولة: «النفع دون الدفع».

ورغم تلك العوائق في العمل الدعوي وفي وضع المسلمين كأقلية مسلمة في بلاد غير المسلمين، فقد استطاع المسلمون أن يحققوا نجاحات كبيرة على المستويات كافة، فقد أصبح من المسلمين من هم أعضاء في المجالس النيابية، ومجالس البلديات، ومنهم من استطاع أن يوجد صلة قوية مع السلطات، وأن يبرز الوجه الحضاري للإسلام، لكن الأمل معقود أن يفيد المسلمون من معرفة تلك العوائق بما يصحح مسيرة العمل الإسلامي، ويرشد اتجاهها الجامع بين الحفاظ على الهوية، وتحقيق المواطنة الصالحة.

الهوامش

١- فقه الأقليات المسلمة، الشيخ الدكتور: يوسف القرضاوي، ص: ١٥، طبع دار الشروق، القاهرة.

٢- فقه الأقليات المسلمة بين النظرية والتطبيق، الشيخ: أشرف عبدالعاطي الميمي، ص: ١٢-١٣، دار الكلمة للنشر والتوزيع، طبعة ٢٠٠٨م.



«الوعي الإسلامي» تحاور الباحث الإسلامي د.ياسر غريب حول الأقليات الإسلامية

ضعف المسلمين وقلة حيلتهم وراء معاناة الأقليات الإسلامية في العالم

حوار: منير أديب

لاشك أن الإسلام حمى الأقليات الإسلامية وأعطاهم من الحقوق ما أعطاه لغيرهم طالما كان ولاؤهم للدولة التي يعيشون فيها دون غدر أو خيانة وطالما أنهم احترموا عقائد الآخرين على العكس من الصورة التي يتعامل فيها الغرب مع الأقليات الإسلامية في دوله.

فهل حمى التشريع الإسلامي الأقليات وهل هناك فقه يختص بالأقليات، وكيف تعامل الرسول ﷺ ودولته الناشئة مع الأقليات غير الإسلامية، كل هذه الأسئلة وغيرها نطرحها للنقاش مع الباحث الإسلامي الدكتور ياسر غريب في حوارنا معه فإلى نص الحوار:



في البداية، وضع الإسلام قواعد وأصول عامة للتعامل مع الأقليات، ما جوانب العظمة الإسلامية في احترام الأقليات؟

الإسلام هو دين الفطرة، ومن ثم فهو لا يخالفها، والله عز وجل عندما خلق خلقه امتن على خلقه جميعًا بالرزق والعدل، ونعمه التي لا تحصى لم تقتصر على المؤمن دون غيره، وقد جعل الله الحساب في الآخرة خاصا به سبحانه وتعالى، وطلب من عباده أن يكونوا دعاة لا قضاة، وجاء الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله للناس ليحفظ الحقوق لجميع خلقه، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، ولم يجعل من سلطان للمؤمن على غير المؤمن سوى المعاملة الحسنة، ووضع ضمانات للمخالفين في العقيدة، بل حب في الترابط بين الناس حتى لو لم يكونوا جميعًا من المؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة: ٨).

يعاني المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وبخاصة منهم الأقليات الإسلامية في الأقطار غير المسلمة.. كيف يتعامل المسلمون مع مشاكل الأقليات من هذا النوع، ولماذا لم تتدخل الدول الإسلامية لحماية هذه الأقليات؟

أنت في هذا السؤال تتحدث في شقين كلاهما يرتبط بما آل إليه واقع المسلمين من ضعف وهوان، وليس على الأقلية المسلمة إلا الاجتهاد في الثبات أمام ما تلاقيه من مشقة في سبيل الحفاظ على دينها وهويتها.

أما الحديث عن الحكومات التي تنتمي للدول ذات الأغلبية المسلمة، فإن أولوياتها تسير في اتجاه تثبيت واقعها غير الشرعي داخل بلادها، والحقيقة المؤلمة أن واقع الأكثرية المسلمة في بلادنا أكثر مأساوية من واقع الأقليات في كثير من البلاد غير المسلمة، خاصة الغربية منها. فمن باب أولى أن نطالب تلك الحكومات بحقوق الأكثرية التي تحكمها!

كيف حمى الإسلام الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية، وهل هناك أمثلة ضربها في هذا الشأن؟

مصطلح الأقليات مصطلح سياسي حديث لا يعرفه الإسلام، وقد ظهر هذا المصطلح في إطار البحث عن تعديل أوضاع أصحاب العرقيات والأديان ذات الحقوق السياسية المهضومة في بعض البلدان التي تقتات على الطبقية والاستعلاء وأكل حقوق الكادحين والضعفاء.

وهذا لم يحدث في المجتمع المسلم المثالي، فقد كان اليهود يعيشون في المدينة مع الرسول ﷺ، ولم يضطروا للخروج منها إلا بسبب الخيانة.

وكان الصحابة يودون أهليهم من الكفار الذين لم يسلموا، فالإيمان نعمة من الله بها على المسلم، لكن عدم الإيمان لا يسلب من غير المؤمن حقه الإنساني ويحرمه من



العدل والحقوق الاجتماعية العامة.

الأقليات الإسلامية هي أكثر الأقليات التي تعاني اضطهادا على مستوى العالم دون أن تجد من يمنع هذا الاضطهاد أو يردع من يقوم به ضد هذه الأقليات؟

لاشك أن اضطهاد الأقليات المسلمة وأحيانا الأكثرية يعود إلى شيء فطري في طبيعة هذا الدين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧). و﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦) فكون الإنسان مسلمًا يجعله عرضة للاضطهاد، وهي سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٨).

ترى ما السبب وراء تزايد معاناة الأقليات الإسلامية، غياب قوة المسلمين أم بطش الآخرين؟

كلاهما صحيح، لكن ضعف المسلمين هو الأساس.

هل هناك فقه يلزم الحاكم المسلم التعامل على أساسه فيما يتعلق بالأقليات وما هي حدود القبول والرفض بالنسبة لهذه الأقليات؟

الدين كله يلزم الحاكم والمحكوم بأن يتعامل بالعدل ويحثهم على الإحسان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). والأمر لا يحتاج لفقه مخصوص أو مخترع، واقرأ إن شئت سيرة النبي المصطفى ﷺ ستجد كيف كان يتعامل مع غير المسلمين، ولولا ذاك لما اتسعت دائرة الإسلام ولا دخل الناس في دين الله أفواجا، بل قال تعالى لنبيه مؤكدًا على صفة الرحمة التي حافظت على هذا الدين من الضياع: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) .

اليهود عاشوا كأقلية مع الرسول ﷺ ولم تتعرض لهم الدولة إلا عندما خانوا المواثيق

كيف تعامل النبي وصحابته مع الأقليات، وهل هناك ما يلزم الحاكم المسلم بالدفاع عن أي أقلية مسلمة تتعرض للاضطهاد؟

كانت الأقلية من غير المسلمين في مجتمع النبوة هم من أهل المدينة الأوائل من المشركين واليهود، وقصة الطفل اليهودي الذي كان يحتضر وإسلامه على يد النبي ﷺ، وقصة الشاة المسمومة تدل على أنه كان يدعى إلى مآدب اليهود، ودعوته لأن يبر الصحابة ذويهم من المشركين الذين لم يسلموا، ومنهم عمر بن الخطاب الذي كان يبر أخاه المشرك ويهديه، وبعض زوجات النبي اللاتي كن يبررن أقاربهن من المشركين.

من أين استقى علماؤنا الأجلاء فقه الأقليات الإسلامية؟

فقه الأقليات ليس فقهًا محدثًا، وكل ما في الأمر أنه كان بمثابة إعادة تصنيف للفقه الإسلامي الأصل، مثله مثل فقه النساء وفقه الأولويات. وثمة تحفظ على هذه التسمية إذا كان المصطلح يعني أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والظروف المحيطة؛ لأن في هذا السياق سيتم اتخاذ المبررات الأصولية للخروج عن تعاليم الإسلام بحجة فقه الأقليات، وقد ظهرت بعض الفتاوى التي تسير في هذا الاتجاه مثل تلك التي تبيح لمسلمي المهجر والأقليات بيع الخمور ولحم الخنزير والتعامل بالربا وغيرها من الفتاوى التي تبرر ذلك بأن فقه الأقليات يختلف عن فقه الأكثريات. وفي هذا بلاء مبين، وتلاعب بشرع الله. ويجب أن ننتبه أن الدعوة للإسلام بدأت في هيئة أقلية حافظت على دينها ودعت إليه حتى تحققت الغلبة للإسلام.

كيف تعامل المسلمون إبان قوتهم مع الأقليات؟

التجاوزات التي حصلت من بعض المسلمين المخطئين في التاريخ ضد الأقليات تعد على الأصابع، وهي التي يروج لها المغرضون دائمًا، مثلما فعل «ويل ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة» وهو يتحدث عن بعض انتهاكات المسلمين ضد الهندوس. وهي انتهاكات مرفوضة من جانب الإسلام إذا حدثت بالفعل وثبتت تاريخيًا وتدل على جهل القائمين بها بالإسلام ومبادئه.

بينما يشهد التاريخ كله أن المسلمين كانوا أرفق على الأقليات من ذويهم، فمصر المسيحية استقبلت الفاتحين المسلمين بقلوب مفتوحة بعد أن أقر لهم عمرو بن العاص حرية العقيدة، بعد أن كانت الصراعات الطائفية تضرب في جسد المسيحيين الأقباط. كذلك كان الأمر مع مسيحيي القدس ويهودها. بل الأغرب في التاريخ أن تذوب القوات الغازية مثل التتار في المجتمع المسلم وتصبح جزءًا منه، بعد أن كانت عدوه اللدود.

ما الحلول المقترحة لحل أزمة الأقليات الإسلامية في دول الغرب وكيفية حل مشكلة الأقليات غير الإسلامية في الدول العربية والإسلامية؟

الصراع من أجل الإسلام والصراع مع الإسلام جزء من سنة الله في الكون. لكن هذا المفهوم لا ينبغي أن يدعونا إلى التكاسل في نصرة إخواننا المستضعفين في كل مكان قدر الإمكان، بالنفس والمال والدعاء، لكن الواقع المأساوي والحالة التي يعيشها المسلمون اليوم تجعلنا نعول في الأساس على الأقليات ذاتها وندعوها إلى عدم الانصياع لمطالب الآخر في محو الهوية وضياع الإسلام من أجل العيش بسلام في أوساط من لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة!! لكن التعويل على الحكومات والأنظمة سيضيع القضية ويرمي بها في مجاهل النسيان أو التلكؤ أو المفاوضات الفارغة، كما هو معروف ومشهود!!

المشهد التعليمي في الغرب.. مشكلات وتحديات (٢/٢)

د. حسن عزوزي

تعرض الكاتب في الحلقة السابقة لجملة من المشكلات والتحديات التي تنتصب أمام المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب، وفي هذه الحلقة يستعرض مجموعة أخرى من المشكلات والمعوقات المؤثرة في العمل التربوي والتعليمي الإسلامي في الغرب.

المناهج الدراسية ذات الطابع العلماني

تشكل المناهج الدراسية والتربوية التي يتلقاها أبناء المهاجرين المسلمين في ديار المهجر جوهر المشكلة التربوية والتعليمية، فعندما يستوي الطفل أو الشاب المسلم مع غير المسلم في تلقي المنهج الدراسي الغربي المبني على ركائز علمانية وأسس لادينية، فإن الطفل المسلم بعد أن يكون قد نهل من مختلف المناهج التربوية لا يمكن إلا أن ينحو المنحى الذي يتوافق مع المنهج الدراسي المتبع، لذلك فإن أطفال وشباب المسلمين في الغرب يتعرضون لمسلسل ممنهج يرمي إلى ترسيخ القيم الغربية وزرع أنماط التفكير والسلوك والعادات والمرتبطة بها، ويبتدئ هذا المسلسل منذ مرحلة الروض، مرورًا بمراحل التنشئة التربوية بالمدارس، وتأثرًا بضغوط الشارع ووسائل الإعلام وغيرها من المؤثرات الخارجية في المحيط الاجتماعي.

إن جل المناهج الدراسية المعتمدة في الدول الغربية لم تسع إلى دمج المقاربة التي تنادي بأهمية التدخل الثقافي، كما أن هذه المناهج لا تترك أي مجال لتعليم اللغة الأصلية لأبناء المسلمين، وكل ما أنجز في هذا المجال عبارة عن تجارب محدودة جدًّا في الزمان والمكان.

وعلى الرغم مما تنصح به الدراسات النفسية التي تؤكد أهمية اللغة الأم ودورها أيضًا في تفادي الفشل الدراسي، فإن المدارس الغربية مستمرة في رفضها إدماج اللغات الأصلية ضمن مناهجها وحصصها التعليمية (١).

ضعف التأهيل التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب

لا شك أن أبرز معوقات ومشكلات المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب ضعف المستوى الثقافي والتعليمي لأبناء الأقليات الإسلامية التي تحولت إلى مجتمعات استهلاكية منشغلة بالجوانب المادية من حياتها، وفضلاً عن ذلك فقد كان للوضع الأسري أثره البالغ في رسم المسار التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب، وقد أشارت كثير من الدراسات إلى تأثير نوع السكن وعدد أفراد الأسرة وفشو الأمية بين الآباء والأمهات... إلى غير ذلك من العوامل (٢) التي جعلت أبناء الجيلين الثاني والثالث لا يستفيدون من وضعهم للدراسة في المدارس الغربية، ويمكن أن نذكر إلى جانب هذا غياب التأطير العام لاستراتيجية أسرية في عالم الاستثمار في الغرب الاجتماعي، وتعليم الأبناء وبناء مستقبلهم، ويمكن إرجاع ضعف التأهيل التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب إلى جملة من الأسباب منها:

- فشو الأمية في الوسط الذي ينحدر منه الأبناء المستهدفون في عملية التعليم، وهذا الأمر لا يساعد ولا يشجع على مواصلة التمدرس وارتياد المدارس ذات المستوى التعليمي الجيد.
- الرغبة في الكسب المادي السريع والمساهمة في الدخل الأسري، ما وجه أغلب الشباب نحو التكوين المهني والبحث عن وظائف محدودة الآفاق.
- سوء الأوضاع والظروف الاجتماعية والمادية التي يعيش فيها معظم أبناء الجاليات الإسلامية، ما ينعكس سلبًا على مستوى التأهيل التربوي والتعليمي.
- عدم اكتراث كثير من الآباء بدراسة أبنائهم وعجزهم عن مراقبتهم ومساعدتهم على إتمام دراستهم.
- شيوع التمييز العنصري في الأوساط التعليمية من خلال اعتبار أبناء المهاجرين أجانب لا يستوون مع أبناء البلد المضيف، مما يفرز نوعًا من الإحباط وخيبة الأمل المفضية إلى الإخفاق في الدراسة.
- عدم ملاءمة المقررات والمناهج الدراسية الغربية حاجيات ومتطلبات أبناء المهاجرين، ويؤكد ذلك ظهور اتجاه داخل أوساط الأساتذة والمربين يدعو إلى تغيير السياسة التعليمية تجاه أبناء المهاجرين واعتماد تعليم أكثر تنوعًا من الناحية الثقافية.
- عدم كفاية البنيات المدرسية الغربية لاستقبال الطفل المسلم وعجزها عن إحداث تغييرات في أنظمتها التربوية وفي بعض مناهجها لتلائم واقع أبناء المسلمين.

ونتيجة كل هذه العوامل يبدو أن ظاهرة ضعف التأهيل التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب وفشلهم وعدم قدرتهم على إتمام الدراسة سمة بارزة تطبع مجتمع أبناء المسلمين في الغرب، حتى إن نسبة عالية منهم لا تصل إلى التعليم الثانوي،

باحث مغربي

وغالبًا ما يتم توجيهها إلى التعليم المهني أو التقني القصير لسد احتياجات القطاعات الصناعية من اليد العاملة، ما يكرس مرة أخرى إعادة إنتاج مهن ووظائف الآباء من الجيل الأول، أما التعليم الجامعي فلا يرتاده سوى أقلية وأحيانًا تكون النسبة منعدمة في بعض التخصصات الجامعية (٣).

مشكل تعليم اللغة العربية

بالرغم من الجهود المحمودة التي تبذلها الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية في الغرب في سبيل وضع بنيات قوية لتعليم أسس اللغة العربية ومبادئ التربية الإسلامية، فإن ذلك لا يكاد يطول سوى فئة محدودة من أبناء الجالية الإسلامية في حين تبقى الفئة العريضة من الأطفال والشباب معرضة لتأثير المدرسة الغربية.

إن منشأ مبادرات الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية يرجع في واقع الأمر إلى إدراكها أن أبناء الجيلين الثاني والثالث فضلًا عن الرابع الذي هو في طور النشوء (٤) يعيشون وضعية ضياع وتناقض، والبعض يجهلها جهلًا تامًا، وكل ذلك نتيجة تراجع دور الأسرة وانعدام التواصل بين الأجيال داخل الأسرة ذاتها، بالإضافة إلى ضغوط المدرسة والشارع والبيئة الاجتماعية ووسائل الإعلام، ولسد الاحتياجات الكبيرة في المجال التعليمي تم تنظيم حصص للتعليم الموازي في المساجد والمراكز الثقافية بهدف تعليم الأطفال المسلمين أسس ومبادئ التربية الإسلامية واللغة العربية والثقافة الإسلامية عمومًا، وتنحصر أنظمة تعليم اللغة العربية في الدول الغربية فيما يلي:

١- التعليم الموازي المتمركز في المساجد والمراكز الثقافية خلال أوقات الفراغ (عطلة نهاية الأسبوع)، ويتم التركيز على تجربة التعليم الموازي، نظرًا لكونه يعد في الظروف الحالية الأهم، باعتباره يضم أكبر نسبة من التلاميذ الذين يستفيدون من تعليم اللغة العربية، ويعاني هذا النوع من النظام التعليمي من غياب إطار مؤسسي للتنسيق، كما أن الجهات المتداخلة في هذا النوع من التعليم تتنوع وتتعارض أهدافها وطرقها البيداغوجية، ويشكو هذا القطاع أيضا من ضعف الموارد المادية، فضلًا عن قلة الأطر التعليمية المناسبة، مما يعيق الاستجابة لكل الطلبات في المجال التربوي.

ومن عيوب هذا النظام التعليمي اعتماده على بعض المناهج الوطنية في البلدان الأصيلة، وهي في معظمها غير ملائمة لخصوصية الأقطار غير الإسلامية، كما أن هناك غيابًا تامًا لنظام التقويم الممنهج الذي يتيح تتبع مدى تقدم التلميذ في اكتساب المعرفة ومسايرة المناهج المقررة، ولا ينبغي إغفال ما يعانيه التلاميذ من إرهاق وتعب نظرًا لكون التعليم الموازي ينظم في أوقات راحتهم.

٢- التعليم في بعض المدارس الرسمية التي تسمح بتخصيص حصص لتعليم مبادئ اللغة العربية والتربية الإسلامية (فرنسا- بلجيكا- النمسا- هولندا...)، ومعلوم أن مسألة تعليم الأديان بالمؤسسات الغربية تثير كثيرًا من الأسئلة، وذلك بسبب الحساسيات المرتبطة بها، وهناك بعض الدول صدرت بها قوانين (فرنسا مثلًا) تمنع تعليم الأديان بالمدارس العامة، وذلك انسجامًا مع مبدأ العلمانية، غير أن هناك دولًا أخرى كبلجيكا مثلًا تسمح بتعليم الأديان المعترف بها، ولذلك كانت هناك بعض المبادرات التربوية الهادفة إلى إدخال ثقافة ولغة أبناء المسلمين إلى المدارس العامة، وذلك في إطار مشروع التداخل الثقافي الرامي إلى تحقيق أهداف التفتح على ثقافة الآخر (استراتيجيا العمل ص ١٠٤).

٣- التعليم في المدارس الخاصة التي تتمتع بوضعية قانونية معترف بها، وهي نادرة ومعدودة في بعض البلدان الغربية حيث يجري التعليم فيها طوال أيام الأسبوع ويخصص فيها جانب لا بأس به لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى جانب تدريس المقررات والبرامج الدراسية المتبعة في المدارس الحكومية باللغات المحلية.

ويعتبر التعليم في المدارس الإسلامية الخاصة الحل الأنجح للنهوض بمستوى أبناء المسلمين في الغرب، إذ أمام المشكلات التي تعترض سبيل تجربة التعليم الموازي تدعو الحاجة إلى التفكير في إقامة مزيد من المدارس الإسلامية الخاصة، تسعى إلى تكريس تعليم إسلامي متميز يأخذ بعين الاعتبار العناية بالتكوين الروحي والخلقي، إلى جانب التكوين العلمي والمعرفي.

وإذا كانت التجربة لا تزال جد محدودة، حتى إن بعض الدول الغربية لا يوجد فيها أي نموذج للمدرسة الإسلامية، فإن قادة العمل الإسلامي في الغرب من دعاة ورؤساء الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية يحدوهم جميعًا أمل النهوض بتحقيق هذا الهدف وتأسيس مدارس إسلامية معترف بها تعبر عن صيغة تربوية وتعليمية ملائمة من حيث وفاؤها بالحاجات التربوية والتعليمية لأبناء المسلمين في الغرب، ومن حيث قدرتها على ترجمة مبدأ التربية الإسلامية إلى واقع فعلي في المجتمع الغربي، إنه إذا كانت هنالك تحديات وصعوبات قائمة في طريق تفعيل ودعم المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب من أجل تحقيق طموحات وتطلعات الأقليات والجاليات المسلمة في الغرب، فإن معالجة ذلك وتسديده يحتاج إلى بذل مزيد من الجهد والعمل وتوفير الإمكانات البشرية والمادية اللازمة، وإذا كانت معظم الهياكل التعليمية الإسلامية في البلدان الغربية لا تزال تقليدية (مساجد ومراكز ثقافية) فإن تجربة إنشاء مدارس إسلامية قد أثبتت فاعليتها وجدواها، فضلًا عن أثرها البالغ في تطوير حقل التربية والتعليم الموجه لفائدة أطفال وشباب بلدان المهجر.

الأمية والرغبة في الكسب المادي السريع والظروف الاجتماعية والتمييز العنصري .. عقبات في وجه الأقليات

تطبيق العقوبات في التشريع الإسلامي وحركة التنمية

د. حسين حسين شحاتة

هناك العديد من الافتراءات التي توجه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في الوقت المعاصر، وبصفة أخص فيما يتعلق بتطبيق الحدود، وهذه الافتراءات مردود عليها ومدحوضة، ولقد رد عليها فقهاء وعلماء الإسلام فعلى سبيل المثال:

أ- يقول الأستاذ الدكتور على جريشة:

١- ليست الشريعة الإسلامية كلها حدودًا، كما يصورها أولئك، وإن أساسها عقيدة وخلق عمدتها شعائر ونسك، وآلياتها معاملات، وتعتبر الحدود جزءًا من المعاملات، والجميع نظام متكامل متجانس يمثل النظام الإسلامي.

٢ - إن هذه الحدود لا تطبق على إنسان سوي، ولا تطبق إلا في مجتمع نظيف قام على عقيدة وخلق وشعائر وشرائع، ومطهر من الإغراء بالجرائم والفواحش.

٣ - إن الدولة مسؤولة قبل تطبيق الحدود عن منع كل ما يغري بها.. فعلى سبيل المثال بالنسبة للسرقة، يجب على الدولة كفالة المأكل والمشرب والملبس والمأوى والانتقال والعلاج والتعليم.. فإن لم يتحقق للسارق كفالة ذلك كله، تحققت الشبهة التي تدرأ عنه الحد، وينتقل القاضي إلى تطبيق التعزيرات الأخرى حسب الأحوال.

ب - ويقول الشيخ مناع القطان:

إن إرخاء العنان للفرد يعيث في الأرض فسادًا يؤدي إلى تفاقم الشر، ويساعد على انتشار الجرائم، والاستهانة بأمرها، والاستهتار بحرمات الناس، ويهدد القيم الأخلاقية، ويقضي على الفضيلة، فيذهب الفرد، وتنهار الجماعة معه وليست الأمة سوى مجموعة من الأفراد فمن الخير للإنسانية أن تستأصل نواة الشر، في مهدها لتعيش الجماعة آمنة مطمئنة وهذه نهاية الرحمة.

ومن هذه الأقوال وغيرها يتبين لنا أن افتراءات أعداء الإسلام على تطبيق الحدود مردودة وواهية ولا تستند إلى منطق أو موضوع بل هي أهواء الحاقدين على الإسلام في كل زمان ومكان.

وسوف نبين في هذه الدراسة دور تطبيق العقوبات في التشريع الإسلامي في ضوء المفاهيم السابقة في استقرار النظام الاقتصادي.

حفظ ضروريات الإنسان

يجمع علماء الشريعة الإسلامية أن تطبيق العقوبات (الحدود والتعزيرات) ضد مرتكبي الجرائم يحمي المجتمع، ويحفظ الجماعة، ويردع المنحرفين والمجرمين.. وهذا كله من أجل الإنسان، الذي جاءت تلك الشريعة للمحافظة على ضرورياته التي توارثتها الملل وجاءت بها الشرائع، والتي تتمثل في حفظ الدين والعقل والعرض والمال.

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد حسين الذهبي، يرحمه الله، الحدود تقابل المقدسات الخمس وتترتب بحسبها على النحو التالي:

١- فإزاء حرمة الدين يكون: حد الردة.

٢- وإزاء حرمة النفس يكون: حد القتل أو القصاص.

٣ - وإزاء حرمة العقل يكون : حد الخمر.

٤ - وإزاء حرمة العرض يكون: حد الزنا وحد القذف.

٥- وإزاء حرمة المال يكون: حد السرقة.

أما الحرابة فهي انتهاك لحرمات المجتمع كلها ومن هنا كان التغليظ في حدها فوق كل ما عداها، وإذا أَمِنَ الفرد على دينه وعلى نفسه، وسلم له عقله وعرضه، وحفظ له ماله، فقد جمعت له أطراف الأمن كلها.

بالإضافة إلى الحدود، توجد العقوبات عند فعل كل محرم ولم يرد به نص محدد بعقوبة دنيوية، كما تشمل الجرائم التي قدرت عقوباتها بنص لكن لم تتوافر الشروط في هذه العقوبات ووجدت شبهة درء للحد.

وفي غياب تطبيق الحدود والتعازير الإسلامية، تتفاقم الجرائم ويصعب السيطرة عليها وتهدد النفس والأموال والثمرات ويحدث الفساد الشامل للمجتمع.

وسوف نتناول في البنود التالية تحليل العلاقة السببية بين بعض العقوبات في التشريع الإسلامي وبين حماية الأموال واستقرار المعاملات الاقتصادية.

حد السرقة

يطبق حد السرقة على من يعتدي على مال الغير ومن صور ذلك: الاختلاس والرشوة والتكسب من الوظيفة بغير حق، والتربح من المناصب السياسية والنيابية، والتهرب من أداء حقوق المجتمع المشروعة، والكسب غير المشروع... والغاية من هذا كله

تطبيق الحدود والتعزيرات ضد مرتكبي الجرائم يحمي المجتمع ويردع المنحرفين

حماية المال الذي هو قوام الحياة.

لقد انتشرت جرائم السطو على البنوك والمحـلات والخـزائـن والمخـازن، وتكونت عصابات متخصصة في هذا المجال.. ويؤدي بها الأمر في بعض الأحيان إلى سفك الدماء لسرقة مجوهرات طفلة صغيرة أو سيدة عجوز أو قتل ضيف على البلاد لنهب ماله.

ومما يؤسف له أن عقوبات التشريع الوضعي لا تردع هؤلاء، بل يدخلون السجن لفترات قصيرة ثم يخرجون، وقد حصلوا على دورات تدريبية متخصصة ممن هم أكثر خبرة وأعظم خطرًا في مجال السرقات.

وإن قطع يد السارق في المرة الأولى ورجله اليسرى إن عاد، لأقوى رادع لأمثاله، وهـذا يـؤدي إلـى المحـافظـة علـى الأمـوال واسـتـقـرار المعـامـلات الاقتـصادية وجلب الاستثمار لتأخذ طريقها إلى مشروعات تنموية فيها الخير لكل الناس.

وفي مجال سرقة الأموال العامة يقول الـدكـتـور الـذهـبـي (يـرحـمـه الـلـه): «هناك اعتداءات شتى على الأموال العامة، ولقد تعددت أجهزة الرقابة عليها، وهذا يكلف الدولة أموالًا باهظة.. إن قطع يد واحدة من هؤلاء الذين تقوم هذه الأجهزة لمراقبتهم كفيل بأن يختصر من حجم خزائنهم بما يحصرها في دائرة لا يمكن مقارنتها بما هو فاش الآن في كل المجتمعات التي تطبق الحد، إن جرائم الاختلاس، والرشاوى واستغلال النفوذ، والكسب غير المشروع.. تجد طريقًا للاختفاء فور تطبيق حد السرقة.

حد الحرابة

يطلق على قطع الطريق السرقة الكبرى، لأن قاطع الطريق يأخذ المال في مكان لا يلحق صاحبه الغوث، وعقوبته تطبيق حد الحرابة، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى:﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ (المائدة: ٣٣).

والعقوبات المقررة لقطع الطريق، هي حد الحـرابـة والـتـي تختلف باختلاف نوع الجريمة على النحو التالي:

- **القتل**: إذا قتل قاطع الطريق الآخرين، ولم يأخذ أموالهم.
- **القتل مع الصلب**: إذا قتل قاطع الطريق الآخرين، وأخذ أموالهم.
- **القطع**: إذا أخذ قاطع الطريق الأموال، ولم يقتل أحدًا.
- **النفي**: إذا أخاف قاطع الطريق الناس، ولم يأخذ مالًا ولم يقتل أحدًا.

ويوسم قطاع الطرق في الوقت المعاصر بالقرصنة والبلطجة، وتتم في البر والبحر والجو وتقوم بها عصابات مدربة ومجهزة، تقتل الأنفس عمدًا وإصرارًا، وتأخذ الأموال عـنـوة، وتـروع الآمـنـين، ويـتـرتـب عـلـى ذلك هروب الناس والأموال إلى الأماكن الآمنة.

وما تقوم به بعض الدول من الاعتداء علـى الـدعـم المـقـرر لـلاجـئـين والمشردين والمقدم من هيئات ولجـان الإغـاثـة العالمية والإسلامية ومن النماذج المعاصرة للقرصنة ما تقوم به تلك الدول، كما يدخل في نطاق القرصنة المعاصرة ما تقوم به بعض الدول بنظمها الظـالمة من الاعـتـداء عـلـى أموال بـعـض الـنـاس والاسـتـيـلاء عـلـى حاجياتهم وترويع أهلهم وذويهم.. تحت ستار قوانين وضعية جائرة.

ولـكـن بتطبيق الـعـقـوبـات الإسلامية السابقة حسب ضوابطها الشرعية تحفظ الأموال وتأخذ طريقها إلى الاستثمار ليتحقق للناس الأمن والاستقرار ويعم الخير.

حد الخمر

تؤثر الخمر على عقل الإنسـان، وعلى عمله، وعلى المجتمع، فإذا ذهب العقل ذهب كل شيء.. فهي أم الخبائث، وأساس محق البركات، وهلاك الأنفس والأموال.

- كم من الأمـوال تـذهـب إلـى مصانع الخمور والمخدرات؟
- كم من الأمـوال تنفق علـى مرضى الخمور والمخدرات؟
- كم من الأموال تنفق على أجهزة الأمن المهتمة بالمخدرات؟
- كم من الأمـوال تبدد بسبب حوادث المخدرات؟
- كم من الأنفس تزهق بسبب المخمورين المدمنين؟
- كم من الأشياء تهدر بسبب سلوكات المدمنين؟
- وكـم مـن الحــوادث تـرتـكـب بسبب تصرفات المدمنين؟

لقد ورد في كتاب الخمر الداء والدواء: اللواء الركن محمود شيت خطاب: أن وزارة الصحة الأميركية قدمت دراسة للكونجرس.. ذكرت فيها أن ميزانية الحكومة الأميركية تتكبد خسائر مالية سنوية كبيرة جدًا بسبب المسكرات وورد بالتقرير أن تناول المسكرات يؤدي إلى فاقد كبير جدًا في الإنتاج، وإلى نفقات باهظة لعلاج الأمـراض الناتجة عن تعاطي المـسـكـرات.. كما رد بـه كـذلك أن العديد من المواطنين الأميركيين يعانون من مشاكل شتى في العمل والعائلة والجرائم والصحة والنسل وغيـرهـا، ويـقـف وراءها تعاطي المسكرات.

إنـه بتطبيق حد الخـمـر (وهــو ثمانون جلدة)، يتحقق للمجتمع الأمن والاستقرار، وللعقل الحماية، وللمال البركة، وللاقتصاد الاستقرار والنمو.

ويقول الشيخ مناع القطان:

إن الشرب عدوان صارخ للعقل، والعقل خصيصته شرف الإنسان، ومناط تكليفه، ومن ذهب عقله لا يُـلام على شيء يفعله، ولا يبالي بانتهاك حرمات الدين والنفس والعرض والمال، فالعقوبة لازمة لحماية أمن المجتمع.

وخلاصه القول:

إن تـطـبـيـق الـعـقـوبـات فـي التشريع الإسلامي ضد الذين يفسدون في الأرض ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعتدون على المال العـام يحقق الخير للناس وللمجتمع وللدولة وللأمة بأسرها ويحتاج إلى السلطان الذي ينطبق عليه قول الله في الآية ٤١ من سورة الحج: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

التعليم العالي.. استثمار العقول بين الواقع والمأمول

شيرين حسن

يرتبط مفهوم الاستثمار بمفهوم التنمية الشاملة، فالتنمية الشاملة عملية ثقافية، تهدف إلى تحسين نوعية الحياة الإنسانية، وذلك من خلال تحسين قدرة الإنسان في التعامل مع العلم والمعرفة وتقنيات العصر، والتنمية بهذا المفهوم تتوقف على التعليم الجيد للإنسان، فالتعليم هو المحور الأساسي للتنمية والنهوض الحضاري، وهو القاطرة التي تقود الحياة الإنسانية بقوة واقتدار.

والاستثمار عملية إمداد وتزويد مؤسسات التنمية بالعقائد والأفكار والأموال والطاقات والإمكانات اللازمة عند الحاجة، وحسن إدارة كل هذه الموارد، من أجل ترقية القدرات البشرية لتحقيق أنسب استغلال للثروات والإمكانات المتاحة، وتحسين نوعية الحياة الإنسانية، عن طريق إقدار الإنسان على إعمار الأرض وفق منهج الله، وهو الهدف الأسمى للتنمية الإنسانية الشاملة في التصور الإسلامي.

والاستثمار في التعليم يختلف عن الاستثمار في رأس المال المادي، فإذا كان الاستثمار في رأس المال المادي يمكن التنبؤ بالعائد منه وقياسه في زمن محدد، فإن الاستثمار في رأس المال البشري لا تتحقق عوائده إلا على المدى البعيد، ولا يمكن قياس عائده بالمقياس ذاته لرأس المال المادي، ولا يمكن التحكم فيه بعامل الزمن، كما لا يمكن التنبؤ بعوائده بدقة، وذلك لتدخل عوامل كثيرة يصعب ضبطها.

لقد أصبح من شبه المؤكد أن هناك علاقة بين الاستثمار في العنصر البشري من ناحية الزمن والنوعية، وبين العائد من هذا الاستثمار، فمعظم الدراسات تؤكد أن المكاسب تزداد بزيادة التعليم والتدريب كمًا وكيفًا، وتنقص عند العكس من ذلك، فعائد العاملين بعد التعليم الثانوي أقل كمًا وكيفًا من عائد العاملين بعد التعليم العالي.

وقد أدى ذلك بدوره إلى إلقاء مزيد من الأعباء على حكومات الدول من أجل مزيد من الاستثمار في التعليم، وأخذت هذه المشكلة تتفاقم عامًا تلو الآخر، خاصة بالنسبة للدول النامية.

ويُعد التعليم العالي مطلبًا لتأسيس مجتمع متقدم قائم على اقتصاد المعرفة، وهذا الأمر يفرض الحاجة إلى توفير مواد مالية باهظة لتحقيق ذلك، ربما تعجز أمامها الموازنات العامة لكثير من الدول.

ومع أهمية التعليم العالي ودوره الحيوي في المجتمع فإنه يواجه في عصر العولمة والمعرفة عديدًا من المشكلات والتحديات التي تختلف باختلاف المجتمعات والمرحلة التاريخية التي تمر بها، فتجد في النامية منها على سبيل المثال الضغط الاجتماعي والشعبي المتزايد للالتحاق بالتعليم العالي، والزيادة في أعداد الطلاب مع ضعف الإمكانات المادية والحاجة الملحة لإيجاد مصادر متنوعة للتمويل.

> **إقدار الإنسان على إعمار الأرض وفق منهج الله .. الهدف الأسمى في التصور الإسلامي**

أما في العالم المتقدم الذي يصنع المعرفة ويطورها ويغيرها ويضيف إليها الجديد باستمرار وبسرعة كبيرة، فإن مشكلات التعليم العالي ترتبط بالمستقبل وتحدياته، والتنافس من أجل الحصول على التمويل، ومواجهة ما تفرضه آليات السوق من شروط ومواصفات للخريجين وغيرها من القضايا التي ترتبط بالمستقبل وصناعته.

ولم يعد التقدم في الوقت الحاضر مقصورًا على التقدم في النواحي العسكرية أو السياسية أو الثقافية فحسب، بل إن جوانبه أصبحت متعددة وشاملة، وهذا يعني أنه لابد من تخريج قوة بشرية لها القدرة على التطوير والتحديث، وذلك من خلال مؤسسات تربوية وبحثية متعددة، متمثلة في الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث، ويتحمل التعليم العالي رسالة بناء وتطوير الإنسان الذي يمثل الطاقة المتحركة والقوة الدافعة لعملية تطور المجتمع وتقدمه.

ولكن لكي تتحقق الأهداف المنشودة في ميدان التعليم العالي فهناك مجموعة من العلماء والمفكرين العرب اقترحوا مفهوم الشجرة التعليمية بدلًا من السلم التعليمي، حيث يختلف مفهوم الشجرة التعليمية عن مفهوم السلم التعليمي في أن مفهوم السلم له بداية محددة، وتسلسل محدد، ونهاية محددة، بينما مفهوم الشجرة التعليمية له بداية فقط، كما أنه مرن ومتنوع في تسلسله، وليس له سقف محدد، فنهايته مفتوحة، تسمح بالامتداد والنمو مع تشعب ونمو المعارف والعلوم والفنون.

ومؤسسات التعليم العالي تعتبر قيمة حضارية، فهي الأداة والقوة التي تحرك الأحداث، وتعطي الدفعة التي تسير حركة التاريخ، لذلك الجامعات والمعاهد العليا تعتبر عنوان الشعوب، فالتقدم العلمي والتكنولوجي نتاجها، والخبراء والفنيون صناعها، ومن ثم فالجامعات والمعاهد العليا تعتبر المصنع الذي يمد المجتمع بالقوى البشرية المحركة لكل مقدراته، بل المبتكرة لكل مستحدثاته.

لذلك حظي التعليم العالي في السنوات الأخيرة باهتمام رجال الفكر التربوي، ويأتي في مقدمة هذا الاهتمام تمويل واستثمار التعليم العالي، وهذا يعني الاهتمام بمصادر تمويلية تساعد على استثمار رأس المال البشري في مرحلة التعليم العالي من أجل مستقبل مشرق وتخطيط واع منظم.

استثمار العقول

يعد العنصر البشري من أهم العناصر الإنتاجية التي يمكن أن تسهم في تحقيق التنمية، لكن لن يؤدي هذا العنصر دوره دون تعليم، حيث يسهم التعليم في تراكم رأس المال البشري، وتشير نظريات النمو الاقتصادي إلى أن التقدم التقني يزيد من معدل النمو الاقتصادي الطويل الأجل، ويزداد التقدم التقني سرعة عندما تكون قوة العمل أحسن تعليمًا، من هنا فإن تراكم رأس المال البشري يساعد في التقدم التقني ويعد مصدرًا من مصادر النمو المستديمة.

ويمكن تقدير أثر التعليم في الإنتاجية من خلال المقارنة بين أجور الأشخاص المتعلمين وغير المتعلمين عبر الزمن، ويطلق على هذا المقياس العائد الاجتماعي للاستثمار في التعليم.

كما يؤثر التعليم بشكل غير مباشر على الإنتاجية من خلال التأثير على الصحة، وقد أثبتت الدراسات أن الأمية والجهل يؤثران تأثيرًا فعالًا على مستويات الصحة الفردية والعامة، وبشكل عام يسهم التعليم في تحسين الموارد البشرية وتطويرها من خلال رفع الكفاءة والمقدرة الذهنية وسعة الاستيعاب ورفع إنتاجية القطاعات المختلفة للاقتصاد.

ومساهمة التعليم الإيجابية في التنمية تعتمد على نوعية التعليم وملاءمته لاحتياجات المجتمع في المراحل التنموية المختلفة، يضاف إلى ذلك أن تعليم مهارات الإنتاج الحديثة لمن هم حاصلون على تعليم أساسي جيد أسهل وأقل تكلفة من تدريب غير المتعلمين أو الحاصلين على قدر ضئيل من التعليم، وفي عصر الصناعات المعتمدة على رأس المال البشري، أو ما يسمى بـ«صناعات العقل البشرى» يتطلب أن يكون العمال ذوي مهارات عالية ومتجددة، وهذه المهارات ليست عامل نجاح بمفردها، بل لابد أن تكون ضمن تنظيمات ناجحة تحسن استخدامها.

واختلف التعليم اليوم من التركيز على المهارات اليدوية إلى التركيز على المهارات العقلية، فالذي يملك العقل المتعلم المرن المتكامل هو الذي يملك الثروة.

وعالمنا اليوم تعتمد فيه التنمية الشاملة على المعرفة، بعد أن كانت تعتمد على الاستخدام الكثيف لرأس المال والعمالة، عالم يعيش ثروة المعلومات والاتصالات والثقافة المتعددة الوسائط.

وقد أكدت الدراسات أن هناك علاقة وثيقة بين التعليم والاقتصاد والنواحي الاجتماعية، إذ لم يعد ينظر إلى العملية التعليمية على أنها مجرد خدمة، بل أصبحت استثمارًا يستهدف تحسين مستوى الحياة للأفراد، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وإذا كان الاقتصاد هو شريان الحياة للمجتمعات الإنسانية المعاصرة فإن التعليم بمختلف أنماطه هو مادة هذا الشريان، وذلك لضمان استمرارية الازدهار الاقتصادي.

حيث أصبح المعيار الاقتصادي يأتي في مقدمة المعايير التي يقاس في ضوئها تقدم الأمم، ولما كان التعليم يعمل على تنمية القوى البشرية بتزويدها بالمهارات والمعارف اللازمة للقيام بعملها المنتج، صارت العملية التعليمية اقتصادية لها كلفتها ومعدلاتها ولها مدخلاتها ومخرجاتها، وبالتالي تؤثر على السياسة التعليمية.

ولم يعد التعليم ضرورة للتنمية الشاملة في المجتمع فقط، بل أصبح أحد حقوق الإنسان الأساسية، لأنه ضرورة لتنمية الشخصية الإنسانية، وهو أمر لابد منه لممارسة حقوق الإنسان الأخرى، لذلك فإن الفرص غير المتكافئة في التعليم يُنظر إليها على أنها ظلم اجتماعي كبير، وكثير من المشكلات الاجتماعية تظهر في التعليم، فقضايا مثل الفقر وزيادة السكان وتدني الخدمات التعليمية والصحية تظهر علاماتها بوضوح في التعليم، حيث الكثافة العالية من الطلاب داخل الفصول، وتعدد الفترات الدراسية في المدرسة الواحدة، وتداعي الأبنية التعليمية وضعف التحصيل الدراسي للطلاب، وضعف الإنفاق على التعليم، وتدني مستوى الخريجين.

وقد ظل رجال التعليم والاقتصاد زمنًا طويلًا يغفلون دور التعليم كعامل أساسي في التنمية الشاملة للمجتمع، وقد يرجع السبب في ذلك إلى صعوبة قياس الاستثمار في التعليم وقياس عائد هذا الاستثمار بنفس الدقة التي يقاس بها العائد من أي مشروع اقتصادي آخر، فلم تظهر الدراسات التحليلية للاستثمار في التعليم بشكل بارز خلال العقود الثلاثة الماضية.

وقد أجمعت الدراسات التحليلية لبعض الاقتصاديين مثل شولتز ودينسون وبيكر وغيرهم على أن التعليم يمثل إحدى الوسائل المهمة في تكوين رأس المال البشري وإعداده وتطويره، ورأس المال البشري بما يمتلكه من قدرات وإمكانات هو أكثر رؤوس الأموال عطاء وإنتاجية.

وحين يشير كثير من المعنيين بأمور التربية والتنمية بصورة حاسمة إلى العلاقة القائمة بين التنمية وبين

الاستثمارات في مجال التعليم، فإنهم يؤكدون ضرورة الحاجة إلى مزج السياسة التعليمية بالسياسة الاقتصادية، وخطط البناء الصناعي والتقني، ويصفونها بأنها السبيل الأمثل لتحقيق التنمية الشاملة، وأصبح الإنفاق على التعليم نوعًا من الإنفاق الاستثماري، وتظهر آثاره في زيادة مهارات وقدرات الأفراد، كما يؤدي بالتالي إلى ارتفاع مستوى الإنتاج.

وهناك عديد من الأنشطة تسهم بشكل مباشر في تطوير رأس المال البشري وهي التعليم والتدريب على رأس العمل، وتعليم الكبار، والخدمات الصحية، والهجرة، ويأتي التعليم على رأس العوامل التي تؤثر في رأس المال البشري، ولما كانت هناك صعوبات لقياس الاستثمار في رأس المال البشري (عن طريق التعليم)، اعتقد البعض أن ما يصعب قياسه يمكن إهماله.

وهناك طرق عديدة لقياس الاستثمار المطلوب في تنمية رأس المال البشري، وهي لا تختلف كثيرًا – من حيث المبدأ – عن تلك الطرق المستخدمة في قياس الاستثمار المطلوب في رأس المال الطبيعي عند الحاجة إلى اتخاذ قرار في هذا الشأن.

مما سبق يتضح أن الاستثمار البشري أصبح ضرورة ملحة للتقدم والتمية في المجتمع، ولكن هذا النوع من الاستثمار يحتاج إلى الدعم المالي والتمويل اللازم (الاستثمار المادي)، ونجد أن العالم المتقدم يعتمد اليوم على التمويل الأهلي كمصدر أساسي لتمويل التعليم العالي من أجل الاستثمار البشري، وعلى الرغم من أن مفهوم الوقف قد بدأ وانتشر في العالم الإسلامي منذ زمن بعيد، حتى إن مصطلح الوقف ذاته تعرفه اللغات الأجنبية نقلًا عن الأصل العربي، فالملاحظ اليوم هو انتشار الوقفيات التعليمية في الغرب أكثر بكثير مما تعرفه مجتمعاتنا.

التعليم العالي من الناحية الاستثمارية

نجد اختلافًا بين معايير أنظمة التعليم ببلادنا عما هو معمول به في الدول الحاصلة على الاعتماد الأكاديمي التي تحقق استثمارًا دوليًا معنويًا وماديًا، حيث نظام التعليم خلال ثلاثين عام ماضية لم تتطور على وتيرة معدل التطور الفكري والتقني السريع بجامعات العالم المتقدمة، فيجب أن نساعد على تحسين أوضاع التعليم العالي لتتواءم مع المستحدثات الدولية وتحدياتها، وذلك لرفع معدلات الاستثمار الداخلي والدولي.

ومن أهم الأسس التي تنهض بأنظمة التعليم العالي من الناحية الاستثمارية تعزيز مكارم الأخلاق من خلال وضع معايير قياس لمنهجية نشر ثقافة أخلاقية بين أفراد المجتمعات، وتنمية القدرات الطلابية وتوجيهها جهة الانتماء وخدمة المجتمع من النواحي الأخلاقية والتنموية، والبعد عن الماديات بقدر الإمكان، على أن يتم وضع مخططات استراتيجية شاملة لمواءمة مهن سوق العمل من مخرجات التعليم كميًا ونوعيًا.

– توحيد القيادة العامة للتعليم والتعلم وإعادة الهيكلة الإدارية والأكاديمية والتقنية والفنية لتيسير تطبيق وسائل تطوير الجهاز التعليمي بقطاعيه الخاص والعام عن طريق التحسين المستمر للوائح وأنظمة التعليم، لتصل للمعايير الدولية لمصلحة التنمية المستدامة، وبدون التأثير على الأسس الشرعية المواءمة لحياتنا الأخلاقية من منطلق تطبيق مبدأ مكارم الأخلاق في التعليم والتعلم.

– تثقيف الأكاديميين الذين يطلق عليهم أعضاء هيئة التدريس وتدريبهم على استعمال الأساليب الفكرية في وضع المناهج الحديثة.

– استقطاب الخبراء للتدريس للطلاب، ولتدريب الأكاديميين على تصميم المناهج المبنية على الفكر الثقافي وتدريبهم على كيفية استخدام النواحي التقنية في التعليم.

– تكملة تأسيس البنية التحتية التقنية في مختبرات الطلاب ومختبرات الأبحاث العلمية، وتوفير أغلب تقنية الأجهزة الحديثة، وتدريب الكوادر الوطنية عليها.

– تدريب الأكاديميين على أحدث تقنيات التعليم، وعلى كيفية استخدامها في طرق التدريس النظرية والعلمية والبحث العلمي على السواء.

– إنشاء وحدات ومراكز تقنية وفنية لمساندة تطوير البحث العلمي بمؤسساتنا التعليمية، والنقل المتقن للتقنيات الحديثة لمؤسساتنا التعليمية والاستفادة منها.

– إنشاء وحدات ومراكز لتدريب كوادر بشرية مؤهلة للعمل تحت مظلة الإدارة الفنية والإدارة التقنية

– تدريب الجهاز الإداري على وسائل التقنيات الحديثة في المعاملات الإدارية ومنها المعاملات الإلكترونية

– تدريب الأكاديميين وحثهم وتوجيههم لتنفيذ مشاريع بشرية تستغل الموارد الطبيعية للوصول للمعايير الدولية التي تقيس تميز البحث العلمي.

– فتح مجال برامج دراسات عليا تقنية وفنية لتغطية تشغيل وصيانة الأجهزة العلمية التقنية الحديثة.

– تذويب الفجوة بين المؤسسات التعليمية والقطاع الاستثماري بالتميز البحثي وتوفير الكوادر التقنية والفنية.

– إنشاء وحدات فكرية تربط رجال الأعمال والعلماء بهدف وضع آليات لاستقلال الموارد الطبيعية للاستثمار المستديم.

– مراعاة نوعيات المهن بالمجتمع ومواءمة مخرجات التعليم لمتطلبات مهن سوق العمل.

– مراعاة توفير ثقافة واعية لتنظيم التقويم المرحلي المستديم لجميع محاور الهيكلة العامة للتعليم والاستفادة منه لمواءمة معايير أنظمة التعليم مع المعايير

الدولية.

إن نظامنا التعليمي بما في ذلك التعليم العالي قد أصبح كالثوب المهترئ، فلابد من إعادة النظر فيه بحيث يكون على النحو الآتي:

١- التعليم العالي- بجميع أطيافه- يقبل الحاصلين على الشهادة الثانوية أو ما يعادلها، أو الثانوية+ شهادة المعاهد الفنية، وذلك وفق معايير ثلاثة:

أ - المجموع العام في الثانوية العامة، على أن يُوضع حد أدنى فقط للقبول في كل قطاع من قطاعات الدراسة في التعليم الجامعي والعالي.

ب - مجموع الدرجات في المادتين أو المواد المؤهلة في المرحلة الثانوية.

جـ- النجاح في الاختبارات المقننة التي تضعها كل كلية أو معهد والتي تقيس الاستعدادات والاتجاهات والقدرات التي لابد أن يتمتع بها الطالب المتقدم للدراسة في الكلية أو المعهد الذي يريد الالتحاق به.

٢- من حق كل كلية أو مؤسسة أن تقبل الأعداد التي تحددها لنفسها، والتي تستطيع أن تُعلّمَها وتدربها، وتحقق فيها معدلات الجودة والاعتماد المطلوبة.

٣- تكون مؤسسات التعليم العالي محكومة بأمرين:

أ - قانون تنظيم الجامعات.

ب - معايير الجودة والاعتماد الموضوعة على المستوى القومي.

٣-يتكون التعليم العالي من:

الجامعات والمعاهد والمؤسسات الحكومية، ويجب أن تُؤسَّس في كل محافظة جامعة حكومية واحدة على الأقل.

الجامعات والمعاهد الأهلية، معنى أنها أهلية أنها غير ربحية، وهي جامعات تسهم في ميزانياتها الحكومة والقطاع الخاص ومؤسسات الإنتاج والأوقاف الخيرية والتبرعات... إلخ، وهي تستثمر هذه الأموال في الإنفاق على طلابها.

ج- الجامعات والمعاهد الخاصة هذه جامعات ربحية بالطبع، يدخل إليها من الطلاب من لم يجد الفرصة التي يريدها في الجامعات الحكومية أو الأهلية.

٤- الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم العالي عامة، الحكومية والأهلية والخاصة لابد أن تخضع لمعايير الجودة والاعتماد ويجب أن تكون معاييرها مشتقة من:

أ- طبيعة المعرفة في هذا العصر.

ب- الأسس النفسية لطلاب التعليم العالي.

جـ- الأسس الاجتماعية للمجتمع المصري من حيث حاجاته ومطالبه وتطلعاته المستقبلية وعاداته وتقاليده وحاجات السوق فيه.

٥- مؤسسة الجودة والاعتماد لابد أن تكون مستقلة تمامًا عن وزير التربية والتعليم، يجوز للوزير أن يكون عضوًا فيها، لكنه لا يترأسها ولا يكون له سلطان عليها، ورئيسها يعين من قبل رئاسة الجمهورية.

التعليم والاستثمار في العقول

يأتي التعليم في مقدمة مفردات الاستثمار في العقول، ولهذا خصصت دول العالم ميزانيات هائلة للتعليم، وقد تغيرت النظرة إلى طبيعة الإنفاق التعليمي، وأصبح ينظر إليه على أنه استثمار ذو عائد اقتصادي مجز، وليس مجرد خدمة تقدمها الحكومات لشعوبها.

والإنفاق على التعليم استثمار في الأفراد، ويحكم هذا الإنفاق الظروف الاقتصادية للدول، لأن التعليم يحدد مستقبل الأجيال، ويحدد موقع الدولة على الرابطة الدولية، لذا يجب أن يأخذ التعليم موقع الصدارة في أولويات الدول، فإن الخسارة لا تكون على جيل واحد، وإنما تصيب أجيالًا متعاقبة، وذلك بسبب الآثار التراكمية للعملية التعليمية، والاحتياجات الاستثمارية في القطاعات الأخرى المختلفة، يمكن أن تنتظر، أما التعليم الذي يمثل استثمارًا في رأس المال البشري فلا ينتظر أبدًا.

وهناك دراسات كثيرة لفتت الاهتمام إلى الاستثمار في العقول، وأشارت إلى الجوانب الاستثمارية المتعلقة بالعنصر البشري في العملية الاقتصادية، باعتبار أن الاستثمار المعتمد على الآلات والمعدات والمصانع إنما يتجاوز ذلك كله إلى الإنسان نفسه، فهو أهم الاستثمارات على الإطلاق، ويأتي دور رأس المال الطبيعي في المرتبة الثانية بالنسبة للفرد.

ويحدد شولتز خمسة أنواع من الأنشطة التي تسهم بشكل مباشر في نمو رأس المال البشري للدولة، ويأتي على رأس تلك الأنشطة التعليمية التعليم، ثم يأتي التدريب على رأس العمل، وتعليم الكبار، والخدمات الصحية، والهجرة.

فالاستثمار المطلوب إذن هو الاستثمار في العلم، باعتباره ثقافة الحاضر والمستقبل، والاستثمار في الثقافة باعتبارها علم المستقبل الشامل، وهو الاستثمار الذي يتطلب توفير التعليم الأساسي الشامل للجميع، والذي ينبغي أن يمتد إلى نهاية المرحلة الثانوية، كما يتطلب توفير فرص التعليم مدى الحياة.

الاستثمار والإنفاق في التعليم العالي

هناك فرق بين الاستثمار والإنفاق على التعليم، حيث إن الاستثمار في التعليم هو إعانة الإنسان على إعمار الحياة وفق منهج الله، وبالتالي توفير نوعية الحياة الراقية له على الأرض.

والإنفاق على التعليم من وسائل الاستثمار، ويقصد به توفير الأصول المادية والعينية للعملية التعليمية من أجل بناء المدارس، وتزويدها باحتياجاتها المادية والفنية، وهذا يعني أن الاستثمار في التعليم مكلف جدًا، خاصة في هذا العصر، فهو يتطلب مصادر تمويل لا تنضب، وذلك لارتفاع أسعار المستلزمات المادية والفنية من ناحية، وتزايد الطلب على التعليم كحق من حقوق الإنسان من ناحية أخرى.

ويعتبر الإنفاق على التعليم أحد

الاستثمارات الأفضل، لأنه استثمار في تنمية الإنسان الذي من خلاله تتحقق ثمار التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتعليم يأخذ طابع الاستثمار البعيد المدى، مثله في ذلك مثل الأنشطة الاستثمارية الأخرى للتنمية، حيث إن ما يكتسبه البشر من دخل أو تكوين علمي يرتبط بعلاقة طردية وإيجابية مباشرة مع مخرجات هذا التكوين، وكل فرد من أفراد المجتمع يمكنه أن يتمتع بعائد مضاعف لما تم استثماره في تعليمه، بل إن الآثار الايجابية لهذا التعليم سوف تمتد وتتوسع دائرتها لتنعكس على المكتسبات المستقبلية لمختلف ميادين التنمية للمجتمع، وذلك نتيجة لما يعرف بمضاعف الاستثمار.

ويحتل الاستثمار في التعليم مكانة مهمة بين أولويات الاستثمار، ويجب أن يوجه إليه ما يكفي من مخصصات في ميزانية الدولة، ويجب مراعاة عدالة توزيع الاستثمار في التعليم بين مختلف فئات المجتمع، وكذلك بين مختلف مسارات وجهات ومستويات التعليم، لهذا يجب أن يكون التخطيط العلمي هو المنهاج الذي يهيمن على آليات تحقيق الأهداف المرجوة في حدود الإمكانات المتاحة من خلال تحديد الأولويات.

وأكدت تقارير اليونسكو أن هناك علاقة مهمة إيجابية بين الاستثمار في التعليم والنمو الاقتصادي في جميع دول العالم، ووفقًا لتقرير البنك الدولي فإن التعليم يحقق عائدات أكثر أهمية للمجتمعات الإنسانية، كما يؤكد البنك الدولي أن التعليم أحد العوامل الرئيسة لتحقيق النمو المستديم، والدراسات الحديثة تشير إلى أن سنة إضافية واحدة في التعليم تحقق نموًا في الناتج المحلي بنسبة ٧٪، وهذا يوضح أهمية الاستثمار في التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة.

لكن هذا مفهوم مبتسر للإنفاق على التعليم، لأن حساب التكلفة الكلية للتعليم أعلى من هذا بكثير، وما سبق يعني أن مفهوم الإنفاق على تعليم الأفراد يمكن أن يتسع ليشمل سلسلة طويلة من ألوان الإنفاق تتعدى حدود المدرسة وما ينفق على التعليم فيها، إلا أن هذه الألوان من الإنفاق لا يمكن قياسها أو معرفة حجمها بدقة، وذلك لتداخل المصادر التي تسهم في عملية الإنفاق.

التعليم العالي والتحديات

يواجه التعليم العالي نتيجة المتغيرات العالمية مجموعة من التحديات أهمها:

انحسار دور الحكومات في دعم الجامعات الحكومية، مع عدم قدرتها على زيادة الرسوم والأجور الدراسية لأسباب اقتصادية واجتماعية.

ضرورة تنوع أنماط التعليم العالي وظهور أنواع جديدة من الجامعات مثل التعليم المفتوح والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد، والجامعة الافتراضية التي تكون كلفتها أقل من الجامعات التقليدية.

جـ- ضرورة إنشاء الجامعات الأهلية ودخولها كمنافس للجامعات الحكومية، وعلى أسس غير ربحية.

ضرورة الحد من انتشار الجامعات الأجنبية ومن دخولها كمنافس قوي للجامعات الحكومية والأهلية والتفوق عليها أحيانًا.

وتعد توجهات اليونسكو الاستشرافية لمستقبل التعليم العالي تحديًا مهمًا لتأكيدها على أهمية التعلم لا للحصول على تأهيل فحسب، وإنما لإكساب كفاءة تؤهل لمواجهة المواقف والعمل الجماعي والتفاعل مع متغيرات سوق العمل، مما يوجب تعليمًا مستمرًا إضافيًا لتعويض النقص الذي يحدث في المهارات والمعارف، والذي يضيف تحديًا جديدًا لمؤسسات التعليم العالي.

ونتيجة لذلك تواجه مؤسسات التعليم العالي تحديات في توفير التمويل المطلوب يمكن إجمالها في الآتي:

ازدياد الضغط على الموازنة العامة للدولة.

شدة المنافسة بين مؤسسات التعليم العالي والمصالح الأخرى لجذب اهتمام المصادر العامة للتمويل

محاولة نقل العبء المترتب على التوسع في التعليم العالي من المصادر العامة إلى المصادر الخاصة.

وفي ظل العولمة ومجتمع المعرفة الحديثة والحاجات المتغيرة للسوق والأوضاع الاقتصادية التي نعيشها جميعًا، وتحقيقًا لرؤية عالمية تقوم على الإبداع في الوسائل والغايات لم يعد الهدف من التعليم في المرحلة الجامعية يقتصر على التدريس فقط، فالمتغيرات السريعة والمتلاحقة من المبتكرات العلمية والتكنولوجية والأفكار الاجتماعية تتطلب نظم تعلم وأولويات مختلفة تركز على سياسات وأهداف التعليم المطلوب الآن بصورة متزايدة، وبالأخص مهارات التواصل (القراءة، الكتابة، التحدث، الإصغاء)، والمهارات الاجتماعية التي تكسب المتعلم المسؤولية والمواقف الإيجابية، لذلك يوكل اليوم للجامعات والمعاهد مهمة إعداد الأجيال والنشء للتعامل مع التداخل القيمي والثقافي الذي يميز هذا العصر من خلال تنمية مهارات التفكير النقدي والابتكاري والقدرة على اتخاذ القرار الصائب وحل المشكلات ومهارات البحث المعرفي، أي كيفية الحصول على المعرفة وكيفية معالجتها، إضافة للعمل الجماعي والتعامل مع المهام وإنجازها.

إن إعداد جيل مثقف واع مؤمن بدوره وبقضايا أمته هو السبيل للنّجاح والبقاء والقدرة على التنافس في هذا العالم المتغير، فالانفتاح على الحضارات الأخرى والتعامل معها أصبح أمرًا لا مهرب منه، ولا جدوى من الانغلاق الفكري والثقافي، الشيء الذي يتطلب أن تشرع جامعات ومعاهد التعليم العالي في تحديد آليات التعامل مع التحديات من خلال رؤية جديدة تنسجم والدور المرتجى منها.

حقوق المرأة في ظل الدولة الإسلامية

أ.د. أحمد الحجي الكردي

حقوق المرأة عبر التاريخ كله «مالئة الدنيا وشاغلة الناس»، فما من أمة إلا وجرى الحديث فيها على ألسنة كتابها وباحثيها عن حقوق المرأة، وما من دور تاريخي إلا وجرى الحديث فيه من الكتاب والباحثين عن حقوق المرأة، سواء أكان الكاتب رجلا أو امرأة، ولم ترض المرأة مرة عن حقوقها التي أولتها إياها أمتها في الحقب كلها، وتظن أو تدعي أنها مغمورة ومضيعة الحقوق، وأن الرجل هو المعتدي عليها والآكل لحقوقها، ولم تنج المرأة المسلمة في عصور كثيرة من هذا اللغط الطويل، حيث يدعي الكثير من النساء المسلمات أنهن مغمورات، ومضيعات الحقوق، وربما أغراها بذلك أو ألهاها به أو ضيّعها به بعض الكتاب الغربيين، فضلّت طريقها ولم يعد يقنعها شيء.

في هذه الكلمات القليلة سوف أعرض لحال المرأة ومكانتها وحقها في المجتمع لدى الأمم القديمة، ثم أعقب على ذلك ببيان مكانتها وحقوقها في الشريعة الإسلامية، وفي ظل الدولة الإسلامية، لترى المرأة مكانتها عبر التاريخ لدى العديد من الأمم السابقة، وتقارن ذلك بمكانتها في ظل الدولة الإسلامية والتشريع الإسلامي، لعل الحسرة تزول من نفسها، وتفرح وترضى بمكانتها المرموقة التي أحلتها فيها الشريعة الإسلامية الغراء.

وإنني بادئ ذي بدء أُعرّض بمقولة تأتي على لسان كثير من الكاتبات والباحثات، وهي «المجتمع الذكوري»، ويقصدون به المجتمع الذي يفضل فيه الذكور على الإناث، وهنا لابد لي من أن أؤكد أن هذه المقولة مبنية على فكرة أن المرأة تساوي الرجل في الحقوق، فإذا أثبت المجتمع للرجل حقوقا لم يثبتها لها أسمته مجتمعا ذكوريًا، وانتقدته بأنه مجتمع جائر، دون نظر منها إلى ما إذا كان للمرأة في المجتمع حقوق ليست للرجل أصلا، فهي تريد أن يكون لها الحقوق التي للرجل كاملة، ولا يزعجها أن يكون لها فوق ذلك حقوق ليس للرجل مثلها.

وهنا لابد من أن نتساءل، هل الواجب في الأصل أن يكون للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل في المجتمع، من حيث الكم ومن حيث الكيف معا، وإلا كان مجتمعا ذكوريًا وجائرا أم أن للمرأة أن تساوي الرجل في مجمل ما له من الحقوق والواجبات، ولا بأس بأن تفترق عنه في الكيف، فتسمح أن يكون له بعض ما ليس لها، وبمقابله لها بعض ما ليس له، مادام مجموع ذلك متساويا؟

التشريع الإسلامي عامة كما سوف يأتي بيانه، أخذ بالمعنى الثاني، فجعل للمرأة مثل ما للرجل من الحقوق والواجبات من حيث الكم، وفارق بينهما من حيث الكيف، بالنظر لما بينهما من اختلاف جسدي وفكري وعاطفي، فجعل المرأة والرجل متكاملين، يقوم المجتمع بهما معا، ولو جعلهما متساويين في الكم والكيف معا لفسد المجتمع، مثل توزع المهن في المجتمع الناجح بين أفراده، مع تساويهم جميعا فيه في الحقوق والواجبات من حيث المجموع، فيساعد التاجر الزارع، ويساعد الزارع الصانع... وهكذا يتكامل الأمر في المجتمع، ولو كان الجميع زراعا أو تجارا أو صناعا أو أطباء أو مهندسين أو... لجاعوا جميعا.

أولًا: حال المرأة لدى الأمم القديمة السابقة على الإسلام

أ- المرأة لدى اليونان

لقد كانت المرأة لدى اليونان تسمى رجسًا من الشيطان، فهي بعيدة عن رحمة الله تعالى عندهم لحملها خطيئة حواء أمها العليا، وهي محرومة لذلك عندهم من كافة حقوقها المدنية، كالبيع، والإجارة، والشركة، وغير ذلك.. كما أنها محرومة من حق الإرث من أي من أقاربها، ذلك أن حق الإرث عندهم وقف على الذكور دون الإناث.. هذا حال المرأة لدى قدماء اليونان، وقد تحسن الأمر بعض الشيء في أواخر أيامهم، حيث منحت بعض الحقوق، وسمح لها بالاتصال بالرجال، إلا أن المرأة اليونانية لم تكن حسنة الحظ بذلك، فهي لم تكد تتمتع بهذه الحرية لبعض الوقت، حتى أفل نجم الحضارة اليونانية، وزالت شمسها.

ب- المرأة لدى الرومان

لم تكن المرأة الرومانية بأحسن حظًا من المرأة اليونانية، فالنظام الأبوي لدى الرومان شديد الوطأة على المرأة والرجل معًا، حيث السلطة على الأسرة كلها بيد الأب وحده، لا يشاركه فيها أحد، وهي سلطة مطلقة، لكن الابن الذكر سرعان ما يتحرر من هذه السلطة بوفاة أبيه، فيصبح بذلك رب أسرة جديدة، تضم أبناءه، وبناته، وأبناءهم، أما المرأة فهي حبيسة هذا الظلم إلى الأبد، لأنها إن مات أبوها انتقلت السلطة عليها

باحث بالموسوعة الفقهية

منه إلى أخيها، أو إلى زوجها إن هي تزوجت، وبذلك تبقى أسيرة مهضومة الحقوق طيلة حياتها.

جـ- المرأة في شريعة حمورابي

أما المرأة في شريعة حمورابي فهي كالماشية تمامًا من حيث المركز الاجتماعي، لا تفترق عنها في شيء، ولذلك فإن على من يقتلها أن يقدم بنتًا غيرها بدلا عنها إلى وليها، أو يقدم قيمتها، وفي ذلك نهاية الامتهان لها.

د- المرأة لدى الهنود

والمرأة لدى الهنود قاصرة طيلة عمرها، ولا تملك شيئًا من أمرها، وكل حقوقها وأموالها منوطة بزوجها، فإذا مات حكم عليها بالإعدام وأحرقت معه، وكأنها قطعة حقيقية منه، تابعة له.

هـ- المرأة لدى اليهود

أما المرأة لدى اليهود فهي لعنة ينبغي التحرز منها، والابتعاد عنها، وعدم ائتمانها على سر أو أمر عندهم، وقد جاء في التوراة تحذيرًا منها: «المرأة أشد من الموت».

و- المرأة لدى النصارى

والمرأة لدى النصارى حالها امتداد لحال المرأة لدى كثير من الأمم السابقة على النصرانية، فهي عندهم تحمل لعنة أمها العليا حواء إلى يوم القيامة، وقد جاء التحذير منها في نصوص دينية كثيرة لدى النصارى، أهمها:

١- قول القديس تونوليان: «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله».

٢- وقول القديس سوستام: «إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومصيبة مطلية مموهة».

٣- وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع «مجمع ماكون» للبحث في مسألة: «هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟» وبعد البحث قرر المجمع «أنها خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا أم المسيح».

٤- كما عقد الفرنسيّون عام ٥٨م مؤتمرًا قرروا فيه: «أنها إنسان خلق لخدمة الرجل فحسب».

٥- ثم إن القانون الإنجليزي المسيحي البروتستانتي حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح بيع الزوجات.

٦- أما الثورة الفرنسية التي تفخر بها أوروبا المسيحية، وتعتبرها منطلق التحرر في العصر الحديث، فإنها اعتبرت المرأة إنسانًا قاصرًا، وهذا أقصى ما وصلت إليه المرأة النصرانية من الحقوق.

ز- المرأة لدى العرب في الجاهلية

وأما المرأة لدى العرب في الجاهلية فإننا نستطيع أن نحدد مركزها من خلال الأحكام التالية التي كانت تحكم بها:

١- هي محرومة من حق الإرث مطلقًا، لأن الإرث قاصر على الرجال عندهم.

٢- يجوز للرجل طلاق زوجته في أي وقت من غير عدد معين للطلقات، وله أن يراجعها في أي وقت أيضًا، وليس لها هي هذا الحق.

٣- ليس للزوجات عدد معين، فيجوز للزوج أن يتزوج بعشرة أو عشرين أو أكثر من ذلك.

٤- الزوجة تعتبر جزءًا من تركة زوجها، فإذا مات ورثها أبناؤه من غيرها مع تركته، ثم إن لهم بعد ذلك أن يتزوجوها أو يزوجوها من يشاءون، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في معرض النهي عنه فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ...﴾ (النساء: ١٩).

٥- وأد البنات كان منتشرًا في كثير من قبائل الجزيرة العربية خشية الفقر أو خشية العار، وقد سجل القرآن الكريم على العرب ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).

٦- البنت شيء مكروه يستعاذ بالله تعالى منه عندهم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨-٥٩).

٧- شيوع نكاح الاستبضاع، وذلك بإرسال الزوج زوجته بعد استبرائها إلى أحد زعماء القبائل المعروفين بالشجاعة والقوة ومكارم الأخلاق، لتحمل منه، ثم تعود إلى زوجها بعد ذلك، وذلك طلبًا لنجابة الولد- على حد زعمهم.

٨- عموم نكاح الشّغار بينهم، وهو أن يزوج الرجل ابنته من آخر على أن يزوجه الآخر ابنته مقابلًا لذلك، أو أخته بأخته.. فتكون بذلك المرأة مهرًا لزوجة أبيها أوزوجة أخيها.. وتكون سلعة، مثلها مثل السلع الأخرى، لا فرق بينها وبينها.

ثانيًا: حال المرأة في الإسلام

أما موقف الإسلام من المرأة، فإنه لا يحتاج إلى تعليق، فيما أظن، لأنه واضح وضوح الشمس المشرقة في رابعة النهار، ولذلك فإنني سوف أكتفي بعرضه في نقاط محددة، وأترك المقارنة بينه وبين ما سبق من شرائع ونظم للقارئ، يستنتجها بنفسه..

١- من حيث بشريتها: فإنها بشر مثلها مثل الرجل تمامًا، لا فارق بينهما مطلقًا، خلافًا للنصرانية كما تقدم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ (النساء: ١)، وقول الرسول ﷺ فيما رواه أبوداود وأحمد عنه أنه قال: «إنما النساء شقائق الرجال» رواه الترمذي وأبوداود وأحمد والدارمي.

٢- من حيث علاقتها باللعنة الناشئة عن خطيئة أمها حواء، فإن الإسلام يقرر أن المرء ذكرًا كان أو أنثى مسؤول عن عمله هو لا غير، وليس مسؤولًا عن عمل غيره، وذلك مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ (الأنعام: ١٦٤).

هذا إلى جانب أنه يعتبر أنّ كلًّا من آدم وحواء مسؤولون مسؤولية مشتركة عن المخالفة لأمر الله تعالى بالأكل من الشجرة، وليس المسؤول حواء وحدها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...﴾ (البقرة: ٣٦).

٣- من حيث قبول الأعمال عند الله تعالى: فإن الإسلام يجعلها مساوية للرجل تمامًا فيقول سبحانه في تقرير ذلك:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٤- من حيث التشاؤم منها: فإن الإسلام يقف من ذلك موقف الناعي المؤنب، حيث يقول سبحانه يحكي حال العرب: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٥- من حيث الأمر بإكرامها: فإن الإسلام جاء بنصوص عدة توجب على الرجل إكرام المرأة واحترامها، سواء أكانت أمًّا، أم بنتًا، أم زوجة، أم... تمامًا كما جاء بنصوص توجب على المرأة احترام الرجل وإكرامه، فقال تعالى في حق الأبوين: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).

كما قال رسول الله ﷺ موصيًا بالمرأة عامة: «استوصوا بالنساء خيرًا» (متفق عليه).

أما البنت فقد حض النبي ﷺ على إكرامها أشد الحض فقال: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها... فله أجران» (رواه البخاري).

٦- من حيث حقها في الإرث من أقاربها: فقد منحها الإسلام حق الإرث من أقاربها، مثلها في ذلك مثل الرجل تمامًا من حيث أصل الحق فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

٧- من حيث مساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات: فقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، على خلاف ما كان معروفًا في الجاهلية كما تقدم، فأعطى المرأة من الحقوق مثل ما أعطى الرجل، وحملها من الواجبات مثل ما حمله، هذا مع مراعاة ما خلق له كل من الرجل والمرأة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ...﴾ (البقرة: ٢٢٨)، والدرجة هنا هي القوامة والإشراف على إدارة البيت، وهو أمر ضروري منحت المرأة مقابلًا له، هو الإعفاء من النفقة على نفسها وعلى أولادها.

هذا مركز المرأة في الإسلام جلي واضح، وهنالك بعض النقاط والأحكام تفارق فيها المرأة الرجل لضرورات خاصة اقتضتها طبيعة الحياة البشرية، يشتبه أمرها على بعض الناس، فيظنها ميلًا من الإسلام نحو الرجل دون المرأة أو العكس، والإسلام بريء من ذلك لما تقدم.

وإنني- توضيحًا لهذه الشبهات ومحاولة للكشف عن الحقيقة- سوف أورد بعض الأمثلة على هذه المفارقات مبينًا وجه الحق فيها، وأن الداعي إليها مصلحة عامة، لا حيف ولا جور..

أ- الاختلاف في مقدار الإرث: فإن مرده أن الرجل مكلف بالنفقة على نفسه، وعلى من يعول مادام غنيًا، أو فقيرًا قادرًا على العمل، زوجًا كان أم أبًا أم أخًا.. أما المرأة فإنها لا تكلف بالإنفاق على أحد، حتى نفسها إذا كانت زوجة، فإن الزوجة نفقتها على زوجها مطلقًا غنية كانت أم فقيرة.. هذا مع الانتباه إلى أن المفاضلة بين الرجل والمرأة ليست قاعدة عامة في المواريث، بل المساواة هي الأصل، والمفاضلة طارئة عليه أحيانًا، فلو كان للمتوفى أبوان وابن، فللأب مثل ما للأم من الإرث باتفاق الفقهاء، لقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ...﴾ (النساء: ١١).

ب- الاختلاف في الدِّية: فإن مرده إلى أن دية القتل الخطأ تعويض عن خسارة، وخسارة العائلة بفقد معيلها أكبر دون شك من خسارتها بفقد ربة البيت من حيث الحاجة إلى كل منهما، هذا مع الانتباه إلى أن القتل العمد مما يستوي فيه الرجل والمرأة من حيث العقوبة، فيقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل على حد سواء، وذلك لما في هذا القتل من اعتداء على الكرامة، وهي متساوية بين الرجل والمرأة، بخلاف القتل الخطأ، فإنه لا اعتداء فيه على الكرامة.

جـ- في الشهادة: الاختلاف فيها مرده إلى طبيعة العزلة الجزئية التي تقع فيها المرأة بنتيجة ممارستها أغلب أعمالها داخل المنزل، فإنها تعرضها للنسيان بعض الشيء في الأمور العامة، ولذلك أوجب القرآن أن يضم للشاهدة شاهدة أخرى تذكرها إذا نسيت، وليس في ذلك ما يمس الكرامة، بدليل أن شهادة المرأة مقبولة بمفردها في بعض الأمور الخاصة بها، كالولادة، والبكارة، وغير ذلك، ولو أن الإسلام يعتبر المرأة ناقصة الكرامة كما يُظن لرد شهادتها مطلقًا.

د- الإنفاق على الأسرة، فالإنفاق على الزوجة والأولاد من واجب الأب وحده، سواء كان غنيا أو فقيرا، وسواء كانت الأم غنية أوفقيرة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (البقرة: ٢٣٣).

هـ- الحضانة للأولاد الصغار بعد الطلاق هي للأم وحدها، لا يقدم عليها أحد، أبا كان أو غيره، بإجماع الفقهاء.

وعلى هذه الأمثلة يقاس غيرها مما تفارق المرأة فيه الرجل، أو الرجل المرأة من الأحكام الشرعية.

وبذلك نكون قد قدمنا عرضًا موجزًا لمركز المرأة لدى الأمم القديمة السابقة على الإسلام، ومركز المرأة في الإسلام، ومنه تتضح العدالة المطلقة التي تمتعت بها المرأة في الإسلام، خلافًا لما يروجه أعداء الإسلام المنبهرون ببهارج الحضارة المادية الحديثة، الجاهلون بأحكام الإسلام الحنيف، ولم لا؟ فالإنسان عدو ما يجهل، هدانا الله وإياهم إلى الصواب، وعلمنا من أحكام إسلامنا ما نجهل، إنه سميع مجيب.

الأخذ بقاعدة «جلب المصالح ودرء المفاسد»

د. صالح سالم النهام

لقد أنزل الله عز وجل شريعته رحمة للعالمين، ومما يدل على أهمية الرحمة وجليل مكانتها أنها صفة ربنا تبارك وتعالى، فالله هو الرحمن الرحيم، ورحمته وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾. (الأعراف: ١٥٦)، وهي أيضًا صفة نبي هذه الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومن رحمة الله بعباده أن جعل الدين الحنيف مبنيًا على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، بل أرجع الشيخ العز بن عبدالسلام الفقه كله إلى اعتبار المصالح ودرء المفاسد.

لا غرو أن مراعاة المصالح وجلبها، ودفع المفاسد ودرأها، منهج سار عليه المجتهدون على مر تاريخ الفقه الإسلامي، لأنه ما من حكم أتت به الشريعة الإسلامية إلا وفيه خير ومصلحة للناس في الدنيا والآخرة؛ ولا يتصور أن تأتي الشريعة بأحكام متعارضة مع مصالح العباد، أو بما هو ضرر عليهم، وفي ذلك يقول ابن القيم: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها»(١).

> **ما خرج عن العدل إلى الجور والحكمة إلى العبث ليس من الشريعة في شيء**

وللوقوف على حقيقة هذا الموضوع جعلته في ثلاث مسائل؛ بيانها على النحو التالي:

المسألة الأولى

معنى المصلحة والمفسدة

أولًا: معنى المصلحة لغة واصطلاحًا:

المصلحة لغةً(٢)

المصلحة كالمنفعة وزنًا ومعنى، فهي مصدر بمعنى الصلاح، كالمنفعة بمعنى النفع، أو هي اسم للواحدة من المصالح، وفي اللسان: «والمصلحة الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح»، وفي الصحاح: «المصلحة واحدة المصالح مأخوذة من الصلاح ضد الفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد».

فكل ما كان فيه نفع- سواء كان بالجلب والتحصيل كاستحصال الفوائد واللذائذ، أو بالدفع والاتقاء، كاستبعاد المضار والآلام- فهو جدير بأن يسمى مصلحة.

المصلحة اصطلاحًا(٣)

المصلحة كما قال الإمام الغزالي: «المحافظة على مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»(٤).

فهذه ولا ريب منفعة قصدها الشارع الحكيم لعباده من خلال حفظ هذه الأصول الخمسة، والمنفعة هي: اللذة أو ما كان وسيلة إليها، ودفع الألم أو ما

كان وسيلة إليه، أو كقول الرازي: «اللذة تحصيلًا، أو إبقاء»، فالمراد بالتحصيل: جلب اللذة مباشرة، والمراد بالإبقاء: الحفاظ عليها بدفع المضرة وأسبابها (٥).

ثانيًا: معنى المفسدة لغةً واصطلاحًا:

المفسدة لغةً(٦)

فساد الشيء واستحالته، يقال: فسد الشيء يفسُد ويفسِد، وفسُد فسادًا وفُسودًا وأفسدته. حكى سيبويه: رجلٌ مفسد ومِفساد. وقال طرفة:

أرى قبرَ نَحّامٍ بخيل بماله
كقبر غَويّ في البَطالة مُفسد

ويقال: قلب متعب وعمل مفسد؛ لأن أصول أفعالها أفعال رباعية، ومفعول الرباعي يبنى على مفعل، فكما يقال: أكرم فهو مكرم، وأضرم فهو مضرم، كذلك يقال أتعب فهو متعب وأفسد فهو مفسد.

المفسدة اصطلاحًا(٧)

المفسدة ما قابل المصلحة، وهي وصف للفعل يحصل به الفساد: أي الضرُّ دائمًا أو غالبًا، للجمهور أو للآحاد.

وعرفها ابن عاشور بقوله: «المفسدة ما في وجوده فساد وضرر، وليس في تركه نفع زائد على السلامة من ضرره».

ويفهم من التعريف السابق أن المصلحة نوعان:

النوع الأول: مصلحة عامة

ويقصد بها ما فيه صلاح عموم الأمة أو الجمهور، ولا التفاتَ منه إلى أحوال الأفراد إلَّا من حيث إنهم أجزاء من مجموع الأمة، مثل: حفظ المتمولات من الإحراق والإغراق؛ لأن في بقاء تلك المتمولات منافع ومصالح هي بحيث يستطيع كل من يتمكن من الانتفاع بها نوالها بالوجوه المعروفة شرعًا.

الشريعة لا تعارض مصالح العباد .. والمصلحة إما معتبرة أو ملغاة أو مرسلة

النوع الثاني: مصلحة خاصة

وهي ما فيه نفع الآحاد باعتبار صدور الأفعال من آحادهم؛ ليحصل بإصلاحهم صلاح المجتمع المركب منهم، فالالتفات فيه ابتداء يكون إلى الأفراد، وأما العموم فحاصل تبعًا، وهو بعض ما جاء به التشريع القرآني، ومعظم ما جاء في السنة من التشريع، مثل: حفظ المال من السرف بالحجر على السفيه مدة سفهه، وذلك نفع لصاحب المال ليجده عند رشده، أو يجده وارثه من بعده، وليس نفعًا للجمهور.

المسألة الثانية

أقسام المصلحة (٨)

الأول: المصلحة المعتبرة: وهي التي شهد الشارع لها بالاعتبار، وهي حجة لا إشكال في صحتها، وفي هذا يقول الغزالي: «هي حجة، ويرجع حاصلها إلى القياس، وهو اقتباس الحكم من معقول النص والإجماع: ومثاله: إن كل ما أسكر من مشروب أو مأكول يحرم قياسًا على الخمر، لأنها حُرمت لحفظ العقل الذي هو مناط التكليف وتحريم الشرع للخمر دليل على ملاحظته هذه المصلحة» (٩).

الثاني: المصلحة الملغاة: وهي التي شهد الشارع لها بالإلغاء: كحرمة الربا على الرغم مما يبدو من أنه باب للكسب، وكتسوية الذكر بالأنثى في الميراث، فهذه مصالح ألغاها الشارع ولم يعتبرها، فإجراء الحكم على وفقها مناقضة للشريعة، وتغيير لحدودها، وإبطال لنصوصها.

الثالث: المصلحة المرسلة(١٠) وهي التي لم يرد نص باعتبارها ولا بإلغائها (١١)، والتي بنيت عليها كثير من الأحكام الشرعية؛ لأنها تندرج تحت مقاصد الشريعة وإن لم يرد نص باعتبارها ولا بإلغائها. وهذه أيضًا تسمى بالمناسب المرسل، وسميت مرسلة: أي غير مقيدة، لأن الشريعة أرسلتها فلم تُنط بها حُكمًا معينًا، وليس لها نظير معين له حكم شرعي فتقاس عليه، وهي مطلقة؛ لعدم التنصيص عليها لا بالاعتبار ولا بالإلغاء: كجمع القرآن، واتفاق أصحاب النبي ﷺ على حد شارب الخمر ثمانين، وما إلى ذلك(١٢).

المسألة الثالثة

مراعاة المصالح ودرء المفاسد

لقد تقدم آنفًا أن المصلحة ثلاثة أقسام: مصلحة معتبرة من الشارع الحكيم، ومصلحة ملغاة من الشارع الحكيم، ومصلحة مرسلة لم يعتبرها الشارع ولم يلغها؛ وهذه التي يكون مدار الاجتهاد عليها؛ لما يحصل من ربط الحكم بها:

جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الناس، أو هي التي قصده الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، وقد ثبت أن السلف من الصحابة والتابعين حكموها في كثير من القضايا الجزئية، وإن الاطلاع على ما ذكره الأصوليون من النماذج يكشف عن ذلك كله، وقد جرى تقسيمها بالنظر إلى رتبتها في حفظ مقاصد الشريعة إلى ثلاث مراتب(١٣):

الأولى: مرتبة الضروريات: وهي المصالح التي يتوقف عليها قيام مصالح الناس في حياتهم الدينية والدنيوية، وإذا اختلت لم يستقم أمر هذه الحياة، والتي تنحصر في المحافظة على: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وهي أقوى المراتب.

الثانية: مرتبة الحاجيات: وهي المصالح التي يحتاجها العباد؛ لتسهيل حياتهم من حيث التوسعة ورفع الضيق؛ المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذ لم تراع؛ دخل على المكلفين - على الجملة- الحرج والمشقة؛ لكن بفواتها لا يضطرب حبل نظام الحياة.

الثالثة: مرتبة التحسينات أوالكماليات: وهي المصالح التي تكون من قبيل محاسن العادات، وسمو الأخلاق، وتجنب الأحوال التي تأنفها العقول الراجحة.

فهذه المراتب الثلاثة حجة في الفقه لا سيما في مذهب المالكية(١٤)، والشافعية(١٥)، والحنابلة(١٦)، مراعاة لتطورات الحياة وتجدد المصالح للعباد، ومعلوم أن من أعلى أهداف هذا الدين العظيم تحقيق السعادة الدنيوية وذلك بتعمير الدنيا، ومن أهم شروط تحقيق السعادة الأخروية توضيح السبيل إلى مرضاة الله، وقد بين الله سبحانه وتعالى لعباده أنه خلقهم لتعمير الدنيا، واتخاذه وسيلة للنجاة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾(البقرة: ٣٠)، ومن مقتضيات هذه الخلافة تعمير الأرض، وتطبيق شرع الله فيها، قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾(البقرة: ٢٩).

وتعمير الأرض وجلب السعادة يكون بالإصلاح ودفع المفسدة، لذا يبين الله سبحانه وتعالى إثم المفسدين، فيقول سبحانه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾(محمد: ٢٣-٢٤).

وختامًا أقول: إن قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد تعتبر من قواعد الفقه الإسلامي العظيمة المندرجة تحت القاعدة الأم المتفق عليها: «لا ضرر ولا ضرار»، والتي تكشف من خلال تطبيقاتها وما يندرج تحتها من فروع كثيرة عن مقصد عظيم من مقاصد شريعتنا الإسلامية وهو: منع الفعل الضار في جميع صوره قبل وقوعه احترازًا، ومعالجة أثره بعد وقوعه إزالة ورفعًا.

الهوامش

(١) انظر: إعلام الموقعين: (١٤/٣).
(٢) انظر: مادة: «ص ل ح» في كل من: الصحاح: (٣٨٣/١-٣٨٤)، القاموس المحيط: (٢٤٣/١).
(٣) انظر: المستصفى: (١٣٩/١-١٤٠)، حاشية التفتازاني على مختصر المنتهى لابن الحاجب: (٢٣٩/٢)، الموافقات: (٣٣٩/١)،(٣٦٥/٢)، قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام: (١١/١-١٢)، روضة الناظر: (٤١٢/١).
(٤) انظر: المستصفى: (١٣٩/١-١٤٠).
(٥) انظر: المحصول للرازي (٢ /٢١٨/٢).
(٦) انظر: الصحاح: (١٩٨/٢)، درة الغواص في أوهام الخواص: (١١/١).
(٧) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: (ص: ٢٧٩).
(٨) انظر: سد الذرائع في الشريعة الإسلامية لمحمد هشام البرهاني: (ص: ٤٣)، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للدكتور الباحسين: (ص: ٢٤٥-٢٥٧).
(٩) انظر: المستصفى: (٢٨٤/١-٢٨٥)، أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها: (ص: ١٩١-١٩٢).
(١٠) قال ابن دقيق العيد: «الذي لا شك فيه أن لمالك ترجيحًا على غيره من الفقهاء في هذا النوع- المصالح المرسلة- ويليه أحمد بن حنبل، ولا يخلو غيرهما من اعتباره في الجملة، ولكن لهذين ترجيحًا في الاستعمال لهما على غيرهما». انظر: البحر المحيط: (٧٧/٦)، أصول الإمام أحمد: (ص: ٤٢٢).
(١١) فهي مسكوت عنها وهي نوعان: المصالح التي قربت من الاعتبارات الشرعية والملائمة لتصرفات الشرع ولكن لا يوجد لها أصل معين- والمصالح التي لا تلائم بمعنى أنه لا يوجد ما يفيد أنها معتبرة شرعًا ولو كان ذلك اعتبارًا بعيدًا، وكل ما فيها هو أنها مسكوت عنها ليس هناك دليل يلغيها. انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: (ص: ٢٥٢).
(١٢) انظر: الاعتصام للشاطبي: (١٥٢/٢وما بعدها)، المحصول للرازي: (٢٣٠/٢/٢)، روضة الناظر: (٤١٣/١).
(١٣) انظر: الموافقات: (١٦/٢)، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للدكتور يعقوب الباحسين: (ص: ٢٦٤).
(١٤) انظر: الموافقات: (٢٠٠/٤).
(١٥) انظر: الرسالة: (ص: ٥١٥-٥١٦)، شفاء الغليل: (ص: ٢٠٩).
(١٦) انظر: إعلام الموقعين: (٣٧٧/٤).

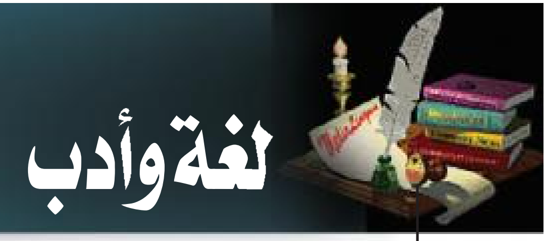


بلاغة الرسول ﷺ

وصف الجاحظ بلاغة الرسول ﷺ وبيانه في كلمات موجزة دقيقة الوصف والتعبير لأنها نابعة من أحد أساطيل البيان واللسان وقوله حجة ومنطقه بيان.. يقول الجاحظ عن بيان الرسول الكريم: هذا هو البيان الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، وبعد عن التكلف، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا بمحض الحكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، وأوزر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، ونماه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين الإفهام وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السمع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، وإنما بز الخطب الطوال بالكلام القصير، وهو لا يتلمس الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس قط بكلام أعم منه نفعا، ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ.

المصدر: البيان والتبيين للجاحظ





الناقد الإسلامي حسن الهويمل لـ«الوعي الإسلامي»:

إحلال العامية محل الفصحى يعني عزل لغة القرآن والقضاء عليها

حوار: محمد عبدالشافي

لا جرم أنَّ الثقافة العربية هي صاحبة الرصيد الضخم لنهضتنا الفكرية، بلْ هي وعاء الحضارة الإسلامية، وهذا يتطلب منا الدفاع عن اللغة العربية التي تهددها الأخطار من كل حدب وصوب، وعلى رأسها أخطار «العولمة» التي يبغون من ورائها مسخ هويتنا، وطمس معالمنا، بل واقتلاعنا من جذورنا- إن استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.. من هنا وجب على الأدباء الأصلاء والمثقفين العقلاء الغيورين على أمتهم وحضارتهم أن يتكاتفوا ويتعاونوا فيما بينهم للذود عن حياض الأدب العربي والثقافة الإسلامية، وصد التيارات الفكرية الوافدة والأيديولوجيات العفنة والمذاهب والفلسفات الشاذة والهجمات المغرضة التي يقودها بقايا الماركسيين وفلول العلمانيين ودعاة التغريب والحداثيون والأدعياء والمتسكعون على أرصفة الأدب، هذا ما أكده الأديب الإسلامي الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس نادي القصيم الأدبي، ورئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي بالرياض في حواره مع «الوعي الإسلامي».. فإلى التفاصيل.

• ثمة دعوة لا تزال آثارها باقية مؤداها إحلال العامية محل الفصحى في مجال الإبداع الشعري.. فما رأيكم في سريان هذه الدعوة؟ وهل يمكن أن يكتب لها النجاح؟

■ هذه الدعوة جاءت عندما تم الاتصال بالغرب والأخذ بمناهجه النقدية وأسلوب تعامله مع لغته، ونحن نعرف أن الغرب لا يهتم باللغة كأصل ثابت له قواعده وضوابطه، وإنما ينظر إليها كظاهرة اجتماعية تتطور كسائر الظواهر الاجتماعية وتتبدل لكي تكون قادرة على الاستجابة لكل المستجدات.

أما اللغة العربية فقد أعطاها الإسلام سماتها وخصائصها، فنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين منحها الثبات، فلم تعد كما يتصور البعض ظاهرة اجتماعية قابلة للتطوير والتبديل والاستبدال، إلا في حدود الاشتقاق والنحت والتعريب، وهي منافذ تمنحها مرونة واتساعًا وإثراء.

فاللغة العربية المعتبرة في مجال الفن هي لغة القرآن بكل ما تقتضيه من ضوابط نحوية وصرفية ولغوية، وأي محاولة لنسف هذه الضوابط تعد مواجهة للإسلام، وإحلال العامية محل الفصحى في مجال الإبداع الشعري يعني عزل لغة القرآن وتجميدها والقضاء على سلطانها.



• إذا كان الغموض سمة من سمات الإبداع مما يجعل القارئ يعمل عقله ويساعده على التفكير والبحث عما وراء الأشياء .. فلماذا نجد البعض يهاجم الغموض ويرفضه تمامًا؟

■ يجب أن نفرق بين غموض مرفوض قوامه الفوضى واللامعنى واللامنطق، وغموض له أصوله ومعقوليته ومعناه.. نحن نرفض الغموض الذي أفرزته موجة اللاعقلانية، تلك الموجة التي اجتاحت الفن الغربي في البدء وشحنته بالفوضى الانفعالية، مما أدى إلى ضغطه بالمشاعر الإنسانية وتوجيهها نحو الانحلال الشكلي في الأداء الفني وغياب المضمون العقلي.. هذا الارتباك أدى إلى التخلي عن البناء اللغوي المنطقي، وأدى إلى اللاوعي واللامعنى واللامنطق، وهذا التراكم الحتمي لمرحلة الضياع أفضى إلى الشق المرفوض من الغموض.. فلابد أن نعلم أننا أمة لها عقيدة ولها رسالة ولها جذور تاريخية تمتص نسغ الموروث لتغذي شجرة الفن!

• باعتبارك رئيسًا لمكتب رابطة الأدب الإسلامي بالرياض.. ماذا عن الدور الذي يمكن أن يضطلع به هذا المكتب من وجهة نظرك؟

■ مهمة هذا المكتب تنطلق من رسالة الأدب الإسلامي ودوره المنوط به في الحياة بصفة عامة، كما يقوم هذا المكتب- أيضًا- بدور التنسيق مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية ومكاتبها في الداخل والخارج، ومن ثم تفعيل نشاطاتها داخل المملكة،




وكذلك إقامة الفعاليات الثقافية كالأمسيات الشعرية والقصصية والروائية والأدبية.

● هناك من يتساءل عن سبب تكريس مصطلح «الأدب الإسلامي» باعتبار أن هذا المصطلح يحمل مفهومًا أيديولوجيًا!

■ كل الآداب تتسب إما إلى اللغة فيقال: الأدب العربي أو الإنجليزي أو الفرنسي، أوتتسب إلى الإقليم فيقال: الأدب المصري أو الأدب التونسي أو الأدب العراقي، أوتتسب إلى العصر: كالأدب الأموي أو العباسي أو السعودي، أو تتسب إلى الحقبة السياسية أو الفكرية مثل: الأدب الوجودي أو الأدب الماركسي أو الأدب العلماني، أو إلى العقيدة عندما تحمل همها فيقال: الأدب الإسلامي، فلا جرم في نسبة الأدب إلى العقيدة، أو إلى أي سمة أو مؤثر.

لكن هناك من يرفضون تكريس المذهبية في الأدب على هذا النحو.

- سبحان الله! لماذا تكون الحساسية فقط في وجه «الأدب الإسلامي» ولا تكون في وجه الآداب الحداثي أو الأدب الوجودي أو الماركسي أو التنويري...؟ فالمصطلح أطلق ليحدد المضمون الذي يخدم الفكر الإسلامي ويشيع القيم الإسلامية، خاصة في عصر الانبهار بالغربيات، والارتماء في أحضان الآخر.

● وماذا عن المثقفين المسيحيين والدور الذي قاموا به في خدمة اللغة العربية والثقافة الاسلامية منذ مطلع القرن العشرين؟

■ نعم.. إن المسيحيين خدموا الثقافة العربية، لكن إذا أردنا أن نبحث في الأدب الإسلامي فلا يمنع أن نقول: هذا المنتج أدب إسلامي أنتجه مسيحيون.

فالرسول ﷺ قال عن «أمية بن أبي الصلت»: «أسلم لسانه وكفر قلبه».. أما إذا أردنا أن نبحث عن المنتج (الفاعل) فإننا لا نعتبر الشاعر المسيحي مسلمًا، وهناك فرق بين البحث في ذات الأديب أو ذات الأدب.

«العولمة» ستقتلعنا من الجذور إذا لم نتحصن بهويتنا الحضارية

● ترى.. ما أخطار العولمة التي تهدد ثقافتنا وأدبنا العربي؟

■ العولمة التي يريدون فرضها علينا ليست وليدة اللحظة، ألم تكن الغزوات الاستعمارية الغربية بدءًا من حملة بونابرت على مصر وبلاد الشام عولمة سياسية وعسكرية وفكرية؟! فالعولمة يمكنها أن تقتلعنا من جذورنا ما لم نتحصن بتراثنا وهويتنا وشخصيتنا الحضارية.. أي أن يكون أدبنا نابعًا من وعينا، ومعبرًا عن حضارتنا، وأن يكون له رسالة وهدف، لا أن يكون الفن للفن، أو الأدب للأدب، خاصة أن الأدب لم يعد للمتعة فقط في هذا العصر، فالثورات التي غيرت ملامح التاريخ وصاغت الحياة من جديد، هيأ لها المبدعون، وأرهصت لها أطروحاتهم من قصص وروايات وشعر، فمثلًا صاحب رواية «مدام بوفري» يقول: «قرأت عشرة آلاف كتاب في مكتبة فرنسا الوطنية قبل أن أضع مقدمة الرواية»، وهذا توفيق الحكيم يقول: «لوْ علم رجل الفن خطر مهمته لفكر دهرًا قبل أن يكتب سطرًا»!

● من وجهة نظركم.. هل تعد بحور الخليل وأوزانه شرطًا أساسيًا أو محددة لموسيقى الشعر، أم أن الشاعر في حل من ذلك، ومن حقه أن يتخذ من الأشكال ما يعجبه؟

■ في رأيي أن قضية الشكل قضية ذوقية فنية تفرضها ذائقة الجماعة والمتلقين، والشاعر في حل من ذلك، فله أن يتخذ الشكل الذي يربطه بالفن الشعري، ويشد إصره بالمتلقي، وهذا لا يعني انه من السهل إدارة الظهر لهذا الشكل الموسيقي الذي اكتشفه الخليل، لأن هذا الشكل لم يأت اعتباطًا بل كان نتيجة تمحيص وتطوير.

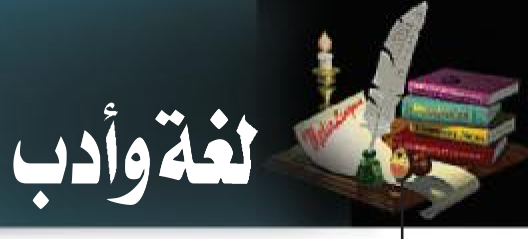
كما أن الإسلام لا يباشر التدخل في مثل هذه الظواهر ويدعها لتطور الذائقة وحاجة المتلقي، والحكم المطلق فيها للفن وأدواته ومميزاته، فالشعر غير النثر، ولا يمكن إزالة الفوارق بينهما، وصدق من قال: إن الشعر كالرقص، والنثر كالمشي، فالرقص له ضوابطه وله غايته الإمتاعية، بينما المشي أقل ضوابط وله غايته النفعية.

● ما التحولات الفكرية والنقدية التي مر بها الدكتور الهويمل؟

■ أعتقد أن المثقف الذي ينتمي يحمل همًّا إسلاميًا هو مثقف عالمي، لأنه يجد مساحات مشتركة مع كل التيارات والمبادئ، فالإسلام أقدم من كل هذه التيارات وكل هذه المبادئ يحمل بعدًا تربويًا وبعدًا اقتصاديًا وبعدًا سياسيًا وبعدًا للنقد الإسلامي، وعندما يتجه إلى الأدب الإسلامي فإنما يعمل في مساحة أوسع من أي تيار آخر كالوجودية أو الحداثة أو العلمانية، فهذه محدودة وتعمل في إطار مفهوم واحد، لأنه في الأصل أن كل الناس فيه ولدوا على الفطرة والذين يخالفون الرؤية الاسلامية قد خرجوا من إطاره، لذلك فالناقد الإسلامي يلتقي مع المذاهب النقدية في بعده الفني، إذ ليست للنقد الإسلامي مواصفات فيه إنما له مضمون معين، لأن الناقد الإسلامي يعمل بكل الآليات وعبر كل المناهج.

● الدكتور حسن الهويمل.. ما سر تحاملك على بعض الأدباء أحيانًا؟

■ ليس هناك عداوة شخصية بيني وبين أحد من الناس، لأنني أتعامل في النقد مع الأدب وليس الأديب، مع الإبداع وليس المبدع، وموقفي كما هو مع الشعر الذي رأيت أنه يخلو من العاطفة والوجدان، إنما يخاطب العقل فقط، والشعر الذي لغته عذبة، وخيالاته واسعة، وعاطفته جياشة، والرومانسية تكسو معانيه، وتجعله في دائرة الفن الجميل.. والحمد لله أن أدباء المملكة العربية السعودية قطعوا شوطًا كبيرًا في القصة والرواية.



المؤتمر الثالث للّغة العربية وآدابها بماليزيا:

الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية

محمد مصطفى إبراهيم

نظم قسم اللغة العربية وآدابها بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا المؤتمر الثالث للّغة العربية وآدابها تحت عنوان الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية، وقد نوقشت محاور عدة منها إعادة قراءة التراث اللغوي الإسلامي وإعادة صياغته لمواكبة متطلبات العصر، والاستفادة من الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة، وتنقية الدراسات العربية اللغوية من الشوائب، والإفادة من الجهود الغربية في دراسة اللغات والآداب، وتوظيف الترجمة والدراسات المقارنة لخدمة قضايا الأمة، وتسخير المعارف اللغوية والأدبية في خدمة قضايا الإنسان.

وهدف المؤتمر إلى بيان أن نتائج الدراسات اللغوية والأدبية لتلك الاتجاهات الحديثة ليست صناعة غربية بحتة، بل إن ثمة صلة وثيقة بين الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة والتراثية، حيث كان للتراث الإسلامي عبر التراث المعرفي أثر كبير في النظرة إلى الكون والحياة والإنسان، ومن الأهداف كذلك مواكبة المستجدات العالمية، وتتبع الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة، والاستفادة من معطيات الغربيين في مجال اللغة والأدب. شارك في المؤتمر ١٣٢ بحثًا.

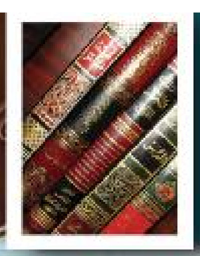
وكان من بين الأبحاث التي لفتت انتباه الحضور في المؤتمر وأثار كثيرًا من المناقشات لجدة موضوعه، وخصوبة فكرته، وتصدي الباحث لكل التساؤلات بالإجابة العلمية، البحث المقدم من الدكتور ماهر صالح من جمهورية مصر العربية الذي يؤكد أن «المنهج إنما هو العلم الضابط للعمل، وبقدر فرضية العمل تكون فرضية المنهج، فلا يقبل أحدهما إلا بالآخر، ولعل هذا المعنى يبدو لمن نظر في قول الله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾، فالشرعة هي العمل الذي كلف الله به العباد، والمنهاج هو الطريقة اليسرى التي لا يقبل العمل إلا بها، والبعد عنها إنما هو العنت والتكلف المنهي عنه، وأيما ضعف في العمل والشرع إنما هو من جراء التولي عن المنهج الشرعي، وبهذا ندرك أن الله تعالى قد فرض الاثنين معًا، بما لا يجيز لأحد أن يأخذ بعضًا دون بعض، ومن هنا تظهر أهمية المنهج في صلته بالعربية، فإن كانت شرعًا في صورة علم يمكن تعلمه، فلا يحق أن تفصل عن منهجها التعليمي الشرعي، كما أنه لا بد لكل منهج أن ينبثق من دين».

> **د. مـاهـر صـالـح: العربية من الدين.. صورة من صوره وسورة من سوره**

ويضيف: «لقد ارتبطت اللغة العربية في كل شيء بدين الله تعالى، واصطبغت بصبغته، والتصقت بسيرته، فكانت منه وله وبه، ودارت معه حيث دار، فلا تفارقه أبد الآبدين، فخصائصه خصائصها، وقوته قوتها، فهي صورة من صوره، وسورة من سوره، وآية من آياته، فهو أصلها وهي فرع من دوحته المباركة، خرجت من مشكاته النيّرة».

بدوره قال رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر الدكتور عبدالرحمن شيك في كلمة الاختتام التي قرأ فيها توصيات المؤتمر: «يثمن المؤتمرون الجهد الكبير الذي بذل من قبل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعقد هذا المؤتمر خدمة للغة العربية، ولغة القرآن الكريم، والتراث الإسلامي العريق، وتوصي هذه الجامعة أن تتواصل تلك الجهود في جنوب شرق آسيا، لأن تطوير الدراسات اللغوية والأدبية ضرورة وواجبًا ينبغي على الباحثين أن يولوه عنايتهم، بالاستفادة من المناهج الحديثة، فضلًا عن معطيات تراثنا العريق، وأن يسهموا فيه إسهامًا متواصلًا.

والتراث العربي الإسلامي تراث عريق جدير بأن ينال من الباحثين كل العناية والاهتمام، فيوصي المؤتمر بتوجيه الجهود المضاعفة لإحياء هذا التراث، وإعادة قراءته قراءة معاصرة تقربه إلى القارئ وتضيء جنباته».



وأضـاف: مـازال ميـدان تعليم اللغة العربية من الميادين البكر التي تتطلب مـزيـدًا مـن الجـهـد، ويـوصـى فـي ذلك بـالاسـتـفـادة مـن مـجـالات عـلـم اللغة التطبيقي، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والحاسوب وصناعة المعجم، والترجمة، والجغرافيا، والتعليم وغيرها، كما تجب الاستفادة من معطيات العصر وتقنياته في تعليم اللغة العربية وتعلّمها، وتوسيع دائرة المستفيدين منها من غير الناطقين بها، وتشجيع الدارسين والباحثين على الاستفادة القصوى من إمكانات التقنيات الحديثة، في مجالات اللغة العربية وآدابها بما يؤدي إلى تطوير الأبحاث، وتلاقح الأفكار بين الباحثين من مختلف البلاد.

وأضـاف: لا بد من الاهتمام بتعميق العلاقات العلمية والثقافية بين جامعات العالم العربي والإسلامي، وبين الباحثين في مجالات الدراسات اللغوية والأدبية العـربيـة فـي مـخـتـلف الجـامـعـات بما يرفع مستوى البحث العلمي، والتعاون المشترك في عقد المؤتمرات والندوات بين الجامعات في العالم العربي والإسلامي، ويـأمـل المـؤتـمـرون أن يـكـون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا دور رائد في هذا الأمر.

وزاد شيـك: أنـه ينبغي علـى النقاد والباحثين أن يضاعفوا الجهود ليخطّوا لـلأدب الإسلامي سبيلًا مميزًا وفريدًا، ليكون مدرسة أدبية مميزة واضحة المعالم، وتوجـه أنـظـار الباحثين والنـقـاد للعناية بـالأدبـاء ذوي الرؤية الإسلامية، وتقويم أعمالهم بما يحفز الإبداع لديهم، ويوجه الأنظار إليهم، بالإضافة إلـى الاهتمام بـالأعـمـال الـروائـيـة لـلأدبـاء الإسـلاميين المعاصرين، لأن الرواية لها أهمية خاصة وتأثير واسع في المتلقين، وتشجيع الباحثين في جامعات المشرق العربي وغيرها على دراسـة الإنـتـاج اللغوي والأدبـي في بلاد المغرب العربي، وحث أقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعات العربية الإسلامية على الحصول على الاعتماد من هيئات دولية للاعتماد الأكاديمي، والتعاون والتنسيق بـين أقـسـام الـلـغـة العـربـيـة وآدابـهـا فـي الجامعات العربية والإسلامية للارتقاء بالبحث العلمي واختيار المؤتمرات وتبادل الأفكار.

كما أشـار إلـى ضـرورة زيـادة الجهود في مـجـال الترجمة بـين لـغـات الشعوب الإسلامية، وإيـلاء عناية خاصة لترجمة أعمال الأدباء والمفكرين من كل بلد للغة البلد الآخر، وتوظيف ذلك لخدمة قضايا الأمة.

وفي الختام دعا المؤتمر لعقد مؤتمرات متخصصة عن التراث العربي القديم في مجالات التعليم واللغة والأدب لإحياء ما انـدرس، واسـتـكـشـاف مـا خـفـي، وإعادة تقديمه بصورة تلائم مستجدات العصر.

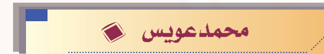
يذكر أن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا تنظم هذا المؤتمر للمرة الثالثة، حيث عقد المؤتمر الدولي الأول في نهاية عام ٢٠٠٧ وعقد المؤتمر الثاني في نهاية عام ٢٠٠٩.





أول عالم لغوي عربي أعاد سيرة علماء العربية الأوائل

رحيل أمير النحو.. تمام حسان



يُعد الدكتور تمام حسان أول عالم لغوي في العالم يُدرس المعجم باعتباره نظامًا لغويًا مُتكاملًا تربطه علاقات محددة وليس مجموعة مفردات أو كلمات كما كان المستقر عالميًا، إذ نبه إلى فكرة النظام اللغوي للمعجم وأن هناك كلمات تفرض الكلمات التي تستعمل معها، فهناك أفعال لابد لها من فاعل وأخرى لابد أن يكون فاعلها عاقلًا.

وهو اول عالم لغوي عربي يخالف البصريين والكوفيين في دراسة الاشتقاق حين اقترح «فاء الكلمة وعينها ولامها» كأصل للاشتقاق في حين كان أصل الاشتقاق عند البصرة «المصدر»، وأصله عند الكوفة«الفعل الماضي» .

وهو أول من أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المبنى والمعنى، رافضًا التقسيم الثلاثي (اسم- فعل- حرف)، وجعل التقسيم سباعيًا (اسم، فعل، صفة، ظرف، ضمير، خالفة، حرف) بحسب السلوك النحوي الخاص بكل قسم.

وكان أول من فرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي، فقال بالزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة المفردة من دون جملة (ماض، مضارع، أمر) والزمن النحوي الذي يختلف عنه وقد يخالفه، مثلما الحال في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة-١) فهو زمن مضارع صرفيًا لكنه ماض نحويًا .

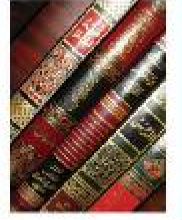
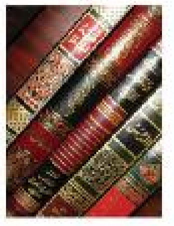
ولد الدكتور تمام حسان عمر سنة ١٩١٨ بالكرنك بمحافظة قنا، حفظ القرآن الكريم وجوده ثم التحق بمعهد القاهرة الديني الأزهري عام١٩٣٥، ثم التحق بمدرسة دار العلوم العليا عام١٩٣٩، عُين مُعلمًا للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية ١٩٤٥، وأُرسل في بعثة دراسية إلى جامعة لندن عام ١٩٤٦ كان لها عظيم الأثر في نقله للنظريات اللغوية الحديثة إلى العالم العربي والإسلامي وتطبيقها على دراسة اللغة العربية، حيث تلمذ لأهم اللغويين الغربيين مثل العالم البريطاني «فيرث» صاحب نظرية السياق، وكان أستاذه المباشر، وكانت أطروحته لنيل درجة الماجستير أول معالم مشروعه اللغوي في تطبيق المناهج الغربية في دراسة الصوتيات على بعض اللهجات العربية، فنال الماجستير في علم اللغة عن دراسته الصوتية للهجة أهل الكرنك، مسقط رأسه، أما أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة عام ١٩٥٢ عن لهجة أهل عدن، فقد أعاد فيها نهج سيرة علماء اللغة العربية الأوائل، حيث

أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المباني والمعني .. وفرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي

أمضى ستة أشهر في عدن يجمع ويدرس لهجة أهلها كما كان يفعل اللغويون القدامى في دراساتهم للغات البوادي والقبائل.

وعُين مُدرسًا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٥٢، وأستاذًا مساعدًا عام ١٩٥٩، فأستاذًا لكرسي النحو والصرف عام١٩٦٤ ثم رئيسًا للقسم، ووكيلًا للكلية، وانتدب حسان مستشارًا ثقافيًا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة في نيجيريا عام ١٩٦١، وأُعير لجامعة الخرطوم السودانية عام ١٩٦٧، حيث أنشأ قسمًا للدراسات اللغوية، وتولى رئاسته، وتولى عمادة كلية دار العلوم عام ١٩٧٢، بالإضافة إلى أمانة اللجنة الدائمة للغة العربية بالمجلس الأعلى للجامعات، وأسس الجمعية اللغوية المصرية عام١٩٧٢، وأُعير إلى جامعة محمد الخامس بالمغرب في الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٩، وانتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية عام١٩٨٠، ثم عمل بجامعة أم القرى، حيث أنشأ قسمًا جديدًا يُسمى قسم التخصص اللغوي والتربوي لتخريج مُعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها .

ويُعد تمام لغويًا فريدًا، حيث تمكن من التراث اللغوي تمكن القدماء من النحاة العظام، وأتقن المناهج اللغوية الحديثة وأحسن استخدامها، وزاد اتجاهًا لغويًا

يجمع بين التراث والمعاصرة، وله نظرية في النحو العربي دارت حولها بحوث ضافية في النحو واللغة، وله مدرسة لها عطاء ثري في مجال الحياة اللغوية الحديثة.

من مؤلفاته مناهج البحث في اللغة، اللغة بين المعيارية والوصفية، اللغة العربية معناها ومبناها، الأصول، التمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، مقالات في اللغة والأدب (جزءان)، البيان في روائع القرآن، الخلاصة النحوية، حصاد السنين.. من حقول العربية وهو الكتاب الذي صدر بعد وفاته بعدة أيام، ومن الكتب التي قام بترجمتها: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، الفكر العربي ومكانته في التاريخ، اللغة في المجتمع، أثر العلم في المجتمع، النص والخطاب والإجراء.

وقد حظي تمام بتقدير عديد من الهيئات الدولية المعنية باللغة والأدب، فنال الجائزة الأولى في مسابقة مكتب تنسيق التعريب بالرباط ١٩٧٢، وجائزة آل بصير الدولية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤، وجائزة صدام حسين في الدراسات اللغوية عام ١٩٨٧، وجائزة الملك فيصل في الأدب ٢٠٠٥، وكُرم في المؤتمر الدولي للغة العربية والتنمية البشرية الذي عُقد في مدينة وجدة بالمغرب عام ٢٠٠٨.

وقد أشرف الدكتور تمام حسان على عشرات الرسائل العلمية في عدد من الجامعات المصرية والعربية مثل جامعة القاهرة والإسكندرية والخرطوم ومحمد الخامس ومحمد بن عبدالله بفاس والكويت وأم القرى والإمام محمد بن سعود واليرموك والمستنصرية، وقد أودع معظم هذه الرسائل نظريته اللغوية المعروفة بتضافر القرائن التي يوجزها كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها»، وهو ما أوجد بين تلاميذه مدرسة فكرية خاصة في حقل الدراسات اللغوية العربية، توسعت عبر أجيال جديدة من الباحثين والطلاب في كثير من الدول العربية.

وبحسب تلاميذه فإنه يصعب التعريف بقيمة هذا الرجل وعطائه، نظرًا لطبيعة تخصصه، خاصة لمن هم بعيدون عن حقل الدراسات اللغوية، ويكفي قولهم: حين كنا طلابًا في قسم اللغة العربية كان يُذكر ثلاثة كُتب في غاية الأهمية في دراسة العربية، الكتاب لسيبويه وهو المؤسس للنحو العربي، ودلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني.. ثم كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ولولا طبيعة الزمان وأن المعاصرة حجاب لبويع تمام حسان أميرًا للنحو العربي وللدراسات اللغوية الحديثة في عالمنا العربي.

وعن الأسباب التي جعلت اللغة العربية ذات انتشار واحترام في عالمنا المعاصر يقول تمام:

إنها لغة الحضارة الإسلامية، وما خلفته الأجيال من تراث هذه الحضارة المهمة، لغة اثنتين وعشرين دولة عربية لكل منها أهميتها في مجال ما من مجالات الحياة، ولكل هذه الدول نوع اهتمام بهذه اللغة، إما لأسباب سياسية أو علمية أو اقتصادية أو غير ذلك، إنها لها واضحة المعالم نحويًا ومعجميًا، ومن ثم يقوم تعلمها على أسس مدروسة، وكان تعدد الدول العربية وأن لكل منها استقلالها وكيانها سببًا في كثرة وسائل الإعلام العربي مقروءًا ومسموعًا، تبعًا لكثرة هذه الدول، وفي تنوع اتجاهات هذا الإعلام، ما جعل الراغبين في الاطلاع على الوضع العربي تتضاعف أعدادهم، وفي ذلك انتشار للغة لعربية أيضًا، والأمة الإسلامية تبعث أبناءها للتعلم إلى الدول العربية، فتكون اللغة العربية لغة تعلمهم، فهي لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام والتراث الإسلامي، فإذا عاد هؤلاء الطلاب إلى بلادهم نقلوا ما تعلموه إلى أقوامهم بواسطة اللغة العربية أو الترجمة منها إلى لغاتهم ، فكان الفضل في الحالتين للعربية.

ويلفت تمام- رحمه الله- إلى أن هناك أسبابًا أخرى تدعو للإشفاق على مستقبل هذه اللغة، وإلى ضرورة العمل على خدمتها ووقايتها من عوامل التدهور، حفاظًا على صالح الشعوب العربية والإسلامية على حد سواء، يعود بعض هذه الأسباب إلى موقف الدولة من اللغة، وبعضها الآخر إلى موقف أفراد الشعب، ففيما يتصل بموقف الدولة، سوء حالة التعليم أولاً بمناهج المقررات الدراسية وثانيًا بالدروس الخصوصية، وثالثًا بترحيب الدولة بإنشاء دور التعليم الأجنبية كمدارس اللغات والجامعات المختلفة اللغات، مما يجعل العناية باللغة القومية شبه مفقودة في هذه المدارس والجامعات.

أما موقف أفراد الشعب فنجد نسبة الأميين بين أفراد الشعب تحول بين الجمهور واستعمال اللغة العربية، ومن ثم إلى اللجوء إلى استعمال اللهجات العامية في مناسبات الاستعمال الفصيح، ومحاولة بعض المثقفين أن يبرهنوا أثناء الكلام على وضعهم الثقافي بتطعيم كلامهم العربي بألفاظ أجنبية بقصد التعالي على سامعيهم فتنتشر العدوى منهم إلى غيرهم، وما يقع فيه رجال الأعمال من الإعلان عن منتجاتهم ومصطلحاتهم وعناوين منشآتهم باللغات الأجنبية، فيوحون بذلك دون قصد بأن قيمة اللغة العربية لا ترقى إلى مستوى نشاطهم، أو إلى عجز اللغة العربية عن تقديم ألفاظ تؤدي هذا المطلب.



الوجه مرآة الإنسان كما صوّره الشعراء

فوزي تاج الدين محمد

الوجه هو أشرف جزء في الإنسان، يواجه به الآخرون، ومن خلاله يتعرفون عليه، ويميزون به بين الأشخاص مهما تشابهت ملامحهم، فعليه ترتسم علامات الفرح والحزن والرضا والغضب والسكينة والقلق. ومما أشار إليه الرازي في كتابه «الفراسة» أن دلالة الوجه على الأحوال النفسية أتم من دلالة سائر الأعضاء عليها، فإن للخجالة لونا مخصوصًا في الوجه وللخوف لونًا ثانيًا وللغضب لونًا ثالثًا وللفرح لونًا رابعا... وهذه الألوان متى حصلت في الوجه فإنها تقوي دلالتها على الأخلاق والأحوال النفسانية.

قال أبوحيان التوحيدي في كتابه «البصائر والذخائر»: قلّ من يحاول أمرًا جليلًا إلا كان القلق يبدو من حركاته إلى أن يمضيه، وقلّ من يخفي في وجهه صفرة الفَرَق وحُمرة الخجل وإشراق السرور وكَمَد الحزن وسكون البراءة واضطراب الريبة.

ومن الطريف ما ذكره «كندرانوف» في كتابه «الأصوات والإشارات» من أن: تقطيب الجبين بحيث ترتسم عليه تجاعيد رأسية قد يعني الاستغراق في التفكير أو المباغتة، بينما لو ارتسمت عليه تجاعيد أفقية فإن هذا يعني الغضب أو التهديد، وفتح العينين واتساعهما يفيد الدهشة والفضول، والغمز بالعين قد يعني التآمر أو الشك أو المكر، ويتوقف هذا على حركة الشفتين.

إلى جانب هذا كله، ما يلحظ- كما يقول د. كمال عبدالعزيز- جامعة بروناي دار السلام- من تصعير الخد كبرًا وانفراج الشفتين ضحكًا أو بكاءً والعض على الشفتين ندمًا وقلقًا، وارتفاع الأنف شموخًا وعزًا وانكساره ذلًا وغمًا.

وقد اهتم بعض الشعراء في أشعارهم بإبراز دور الوجه في التعبير في مختلف المواقف.. فهاهو وجه سيف الدولة الحمداني وضاحٌ وثغره باسم.. ويتضح ذلك في قول المتنبي:

تمر بك الأبطال كَلْمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومن جانب آخر فالوجه يرد على المحبوب سلامه وتحيته وذلك في قول الشاعر:

سلام وإن كان السلام تحية
فوجهك دون الرد يكفي المسلّما

كما تظهر علامات الحب والهوى في وجوه المحبين ويتجلى ذلك في هذا البيت:

الحب يعرف في وجوه ذوي الهوى
باللحظ قبل تصافح الأجفان

وليس هذا فحسب، بل إن أسارير الوجه تتهلل وتضيء بالرضا والكرم..

حيث يقول الشاعر:

فإذا نظرت إلى أسرَّة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

ويؤكد الشاعر أن الوجه القَسيم هو الوجه الجميل الحسن.. حيث يقول:

فيوما توافينا بوجه مُقسَّم
كأن ظبية ترنو إلى وارق السلّم

ولم لا.. فالفرح إذا قوي انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف، ولاسيما إلى الوجه، لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فترى الوجه مشرقًا متلألئًا، وإذا قوي الغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوي في ظاهر الوجه، ويسْود ويصْفر ويظهر فيه أثر الأرضية- مثلما يقول أبوالحيان الأندلسي الغرناطي- وهذا التعليل للتعبير عن الوجه يقترب من التعليل العلمي الحديث.

ترى ماذا لو كانت هناك حركة تلتقي فيها اليد مع الوجه مثل الصك على الوجه؟

إنها حركة يعبر بها صاحبها عن دهشته وحزنه واستنكاره لأمر ما، وهو ما يحدث غالبًا عندما يتلقى الإنسان خبرًا مفاجئًا غير سار- الموت والكوارث- وهذه الحركة تنتشر بين النساء أكثر منها في الرجال، وتصاحب تلك الحركة عبارات تدل على الجزع والتعجب، ومن ثم تزيد الحركة من قوة الأداء اللغوي والتأثير يقول الشاعر:

تقول وصكت وجهها بيمينها
أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

والشاعر يجعل أشرف جوارحه- الوجه- وسيلة التوقي حيث يقول:

يلقى السيوف بوجهه وبنحره
ويقيم هامته مقام المغفر

وهكذا أبدع الشاعر العربي، حيث قدم لنا ألوانا من المشاعر والانفعالات التي تنتج عن الوجه.. ما أعظم صنيع الله عز وجل، وما أبدع كلمات الشعراء التي أكدت أن وجه الإنسان هو أشرف أجزاء جسمه.

تجاعيد رأسية للتفكير والمباغتة.. وأفقية للغضب والتهديد.. واتساع العين للدهشة والفضول

باحث لغوي



من جادَ سادَ!

محمد السعيد مصطفى

قِيَم تُصان كما اليقينْ ... مهما تقوَّل جاهل
تهْتاج عزم المحسنينْ ... فليخسأ المتقوِّلون
رِفْد النَّدَى صلة القرا ... في عرفهم عشق الندى
بـة نفحة المتعففينْ ... يستنزف الدخلَ الحصين
همهم تسابق سعيهم ... مقترين كمعدمين
شِيَم الأباة المؤمنين ... معوِّقين معوِّقين
هي بُغيتي هي غايتي ... أسروا بفتنة مالهم
هي مأملي في كل حين ... مضلَّلين مضلِّلين
أغشَى ديارا لليتا ... آراؤهم عبثيَّة
مَى أو ملاجئ معوزين ... في خوضهم يتلاعنون
آه.. لو انتقص العطا ... تكلست أرواحهم
أو خانني العزم المكين ... هم الشحاح الأرذلون
أبكي بدمع صامت ... أسرتهمو شهواتهمْ
ينتابني مَسّ الجنون ... عشق النساء مع البنين
هَمّ تخالج خاطري ... وللتفاخر بالمظاهر
والقلب يُفحمه الأنين ... مارقين مبذرين
يرف قلبي للندَى ... حب الظهور نقيصة
يزكو به غرس الحنين ... قسمت ظهورَ المسرفين
وا ويلتاه إذا اعترا ... قلوبهم حجريَّة
كفي جفاف المانحين ... هم القساة عبيد طين
ثارت براكين الأسى ... يا ويلهم من جرمهم
للصابرين المبتلين ... عصيان رب العالمين
يترقرق الدمع المُدمَّى ... يا ليتهم واسوا الفق
في انتحاب لا يبين ... يرَ بدمعهم لو يشعرون
قالوا الرجال قلوبهم ... ما منعهم إلا وعا
أقوى من الدمع الهتون ... د بمغنم ثَرٍّ ثمين
رمز انتقاص للرجو ... يقيه شر الموبقا
لة بئس رأي المخسرين ... ت مصارع المتخاذلين
ويلٌ لهم من جحدهم ... فالرفق مفتاح الجنا
في ريْبهم يتغامزون ... ن ونعم مثوى المحسنين

شاعر مصري

ثمرات المطابع

المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام (٤)

أصدرت اللجنة التربوية في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الجزء الرابع من سلسلة المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام، وقد اختص هذا الجزء المبارك بأسرة المصطفى محمد ﷺ وأهله وأزواجه وآل بيته الأطهار الطيبين.

وقد وزع الكتاب على ثلاثة أبواب، تناول المؤلفون في الباب الأول بيت النبوة في ضوء سورة الأحزاب، وفي الباب الثاني بيت النبوة في ضوء سورة النور، وفي الباب الثالث بيت النبوة في ضوء سورة التحريم.

الحكم الراشد والمواطنة الصالحة

في محاولة جادة لقراءة في مصالحة الانظمة والشعوب صدر هذا الكتاب في حوالي ١٤٠ صفحة من القطع الصغير لمؤلفه الاستاذ الدكتور محمد الطريقي الذي يحاول تفسير العلاقة المأزومة اليوم بين الأنظمة والشعوب ويؤكد أن هذه العلاقة ستبقى مادامت العقلية لا تستند إلى فكر الحقوق الذي يعتبر العنصر المفصلي في تحريك العلاقة بينهما.

التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد

التحرير

المؤلف: أبوالحسنات محمد بن عبدالحي اللكنوي
المحققان: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي
الأجزاء: أربعة مجلدات
سنة الطبع: ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

ترجمة المصنف

هو محمد عبدالحي بن محمد عبدالحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبوالحسنات (١٢٦٤ - ١٣٠٤هـ- الموافق: ١٨٤٨ - ١٨٨٧م) عالم بالحديث والتراجم، ومن فقهاء الحنفية.

من كتبه ومصنفاته

الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة- مطبوع.

الفوائد البهية في تراجم الحنفية- مطبوع.

التعليقات السنية على الفوائد البهية- مطبوع.

الإفادة الخطيرة- مطبوع.

التحقيق العجيب- مطبوع.

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل- مطبوع.

ظفر الأماني في مختصر الجرجاني- مطبوع.

مجموعة الفتاوى- مطبوع.

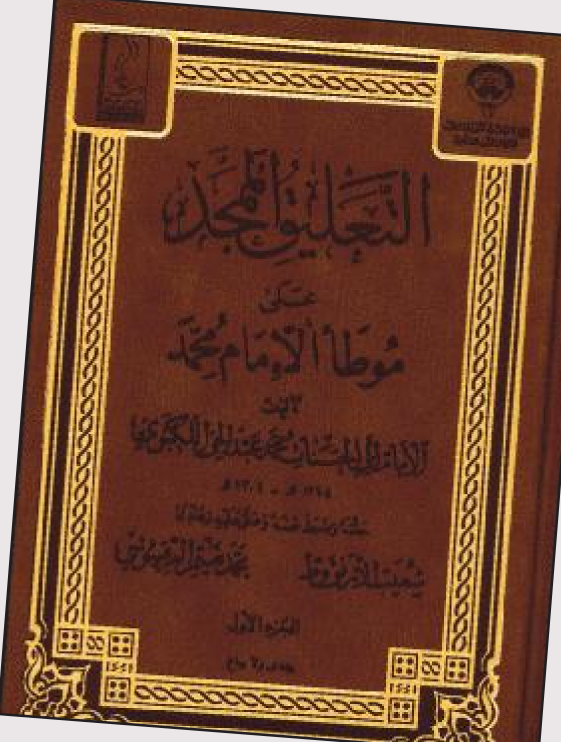
نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل- مخطوط.

أهمية كتاب التعليق الممجد: هذا الكتاب العظيم والشرح الجليل أحد الكتب الكبار التي ألفها الإمام عبدالحي اللكنوي من كتبه الكثيرة البالغة ١١٥ كتابًا، وقد بدأ تأليفه أواخر سنة ١٢٩٢ ، وكانت سنُّه ٢٧ سنة، ثم اعترضته أسفار وأعراض وأَشغال فأتمّ تأليفه في شعبان سنة ١٢٩٥، فهي موهبة عجيبة وقدرة غريبة أن يتسنّم كتاب الموطأ شابٌّ هندي اللغة والدار في هذه السن، وقد ضمّنه زاهي علمه وأرقى معرفته في الحديث الشريف وعلومه، وفي الفقه الحنفي والمذاهب الأخرى وسائر ما يتصل بذلك من العلوم من بعيد أو من قريب- فجاء هذا الكتاب درة فريدة من درر العلم وجوهرة نفيسة من أنفس الجواهر.

وسيجد القارئ المطالع فيه المزايا التي تميز بها الإمام اللكنوي، وسيدهش من قوة امتلاكه لناصية التحقيق والتدقيق والضبط والإتقان ومناقشة المذاهب والآراء والترجيح والتضعيف، مع التجرد والإنصاف دون ليٍّ للنصوص ولا اعتساف، هذا الكتاب النفيس طبع أكثر من خمس مرات في الهند وباكستان، الطباعة الهندية الحجرية ذات الحواشي الغواشي والسطور المنمنمة والعبارات المستديرة على جوانب الصفحة الثلاث والعبارات القصيرة المتداخلة بين السطور لضبط اسم أو كلمة أو بيان عطف على معطوف أو إعراب أو لغة أو رواية أو اختلاف فيها أو ما إلى ذلك.



وبعض هذه العبارات القصيرة كتبت تحت السطر على امتداده ومستواه، وبعضها كتبت فوق السطر مقلوبة عليه مع قرب السطور وتداخل الكلمات، كما يراه القارئ المتأمل في الصورة المأخوذة عن النسخة المطبوعة في هذه التقدمة، فصارت قراءته- مع نفاسة مضمونه في كل جملة شارحة أو تعليقة موضحة- عسيرة لا يصبر عليها إلا السادة والمشايخ العلماء الهنود والباكستانيون الذي ألفوا هذه الطريقة في الطباعة الحجرية، وفي



تداخل الكلمات في السطور، وإلا أفراد قليلون من العلماء العرب الذين يستهويهم التحقيق العلمي والفتوحات الربانية في المطبوعات الهندية النفيسة المضمون والعلم، وأما عامة القراء العرب فما أبعدهم عن الصبر على قراءة مثل هذا الكتاب وعن المطبوعات الهندية القديمة، فلذا حرم من هذا الكتاب وأمثاله كثيرون من إخواننا العلماء العرب وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

وقد كان الشيخ عبدالفتاح أبوغدة رحمه الله نوّه منذ عشرات السنين بفضل هذا الكتاب ومزاياه في بعض تعليقاته على كتاب «الرفع والتكميل»، وقال: إن خلو مكتبة العالم منه حرمان كبير، فأخذت هذه الكلمة مأخذها من عزائم كثير من العلماء، وها هو اليوم بفضل الله بعد أن طبع طبعات عدة، يطبع في إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت طبعة رائعة.

عمل المؤلف في كتابه

التزم ذكر مذاهب الفقهاء في المسائل الخلافية مع الإشارة إلى أدلتها، وتبيين الراجح منها.

أسند البلاغات والمراسيل والموقوفات.

ذَكر مذاهب الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ذَكر ترجم الرواة وأحوالهم، وما يتعلق بتوثيقهم وتضعيفهم.

ذَكر اختلاف نسخ الموطأ، وبين الصحيح وغير الصحيح منها.

نبّه على السهو والزلات التي صدرت من العلماء في شرحهم للموطأ، وخاصة الشيخ علي القاري رحمه الله.

صَوابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور»، وإذا كان المعيار هو الشهرة، فألم يأن للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟ في هذه الزاوية نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام، هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح، ليكون الصواب هو المشهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

الشدّة تصنع المصائب

الخطأ: روّاد وأكفّاء.

الصواب: روّاد وأكفاء.

أكفّاء (بتشديد الفاء) هي جمع لكلمة كفيف! ويبدو أن من كتب الإعلان تأثر بالشدّة الموجودة على واو كلمة روّاد، فنقلها إلى الكلمة المجاورة، ووقعت المصيبة. فوقانا الله وإياكم شر التشدد، وشر تشديد الكلمات في غير محلها.

الصحيح هو «أكفاء» دون تشديد، وهي جمع لكلمة كُفء وهو النظير أو القوي القادر على العمل. وللكلمة صيغة أخرى هي «كفؤ»، وقد خففت الهمزة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾. والكلمة تستخدم في العامية الكويتية للاستحسان، فنقول: «كَفُو!» أي حسنا فعلت، فقد فعلت فعل الشخص الكفؤ. أو نقول «فلان كفو»، أي ذو كفاءة. وقد تستخدم للاستهجان والتحقير، فيقال «كفوك» أي هذا قدرك.

حتى لا تموت المياه

الخطأ: المياة.

الصواب: المياه.

كلمة ماء تجمع على مياه وأمواه، وكلها تكتب بالهاء لا بالتاء. فلو كتبنا «مياة» و«أمواة» لَتبادر إلى ذهن القارئ الموت لا سمح الله.

وأفضل طريقة لمعرفة هل الحرف الأخير هاء أم تاء هو تنوينه (مياهٌ)، فإذا نطقناه بالهاء (ننطقها مياهن وليس مياتن)، نكتبه بالهاء. وإذا نطقناه بالتاء (مثلا فاطمتن وليس فاطمهن) نكتبه بتاء مربوطة.

ولعل أصل الهمزة في كلمة ماء هي هاء، وهذا ما يفسر أنها تتحول إلى هاء في الجمع. وجاء في لسان العرب: «وأصل الماء ماهٌ، والواحدة ماهةٌ وماءةٌ. قال الجوهري: الماءُ الذي يُشرَب والهمزة فيه مبدلة من الهاء».

خطاب القرآن لليهود والنصارى

بهيج بهجت سكيك

منذ أحداث ١١ سبتمبر المشؤومة وأجهزة الإعلام الغربية وأدواتها مجندة لاتهام الإسلام والمسلمين، والتعريض بهم، وأنهم وراء الإرهاب الدولي، والسبب التعصب الذي ينادي به الإسلام!

فرضت هذه الدول الغربية رقابة مشددة على الجمعيات والهيئات الخيرية الإسلامية الرسمية والأهلية في الدول العربية التي تقدم مساعدات للدول الإسلامية الفقيرة، وتتابع حركة كل دولة في العالم، وقامت بحروب تخدم مصالحها بحجة القضاء على الإرهاب، بينما تنشط حركات التنصير في أفريقيا الفقيرة وجنوب آسيا.. وكلنا يعرف ما جرى في تيمور الشرقية وما يجري في جنوب السودان ودارفور باسم حق تقرير المصير! بينما ليس من «حق» أهل فلسطين والشيشان وغيرهم تقرير المصير!! يطالبون «بالوسطية» و«التسامح» و«قبول الغير»!

لا يوجد في كل الأديان من يتعامل بالوسطية والتسامح مثل الإسلام، بماذا نفسر انتشار الإسلام في الغرب بين المتعلمين والمثقفين وأساتذة الجامعات والمعاهد العليا، وبدون دعاة ورجال دين؟

هذا الكتاب

خطاب القرآن لليهود والنصارى

طبع هذا الكتاب في «كندا» باللغة الإنجليزية، وصدر منه حتى الآن ست طبعات بولاية أونتاريو «Ontario» ليخاطب غير الناطقين باللغة العربية، مسلمين وغيرهم، ثم طبع باللغة العربية.

ومؤلف الكتاب باللغة الإنجليزية هو من ترجمه ونقله إلى العربية؛ خوفًا من الخطأ والتحريف فتأتي النتيجة المرجوة عكسية.

المؤلف هو: عرفات العشي، ولد بمدينة غزة بفلسطين عام ١٩٣٩م، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية فيها، ثم ذهب للقاهرة ودرس في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة الإنجليزية.. تخرج عام ١٩٦٢م، رحل إلى الكويت وعمل بها مدرسًا في مدارسها، وهناك حصل على الماجستير من جامعة البنجاب ١٩٨٤م، وتابع دراسته في جامعة البنجاب وحصل على الدكتوراه عام ١٩٩١م، في دراسة الأديان المقارنة كان له برنامج ناجح ومشهور في تلفزيون الكويت باللغة الإنجليزية عن الإسلام والحياة، رحل إلى كندا في الثمانينيات من القرن الماضي، واشترك في تأسيس الجمعية الإسلامية العالمية التي صار رئيسًا لها في «اونتاريو» وخطيبًا وإمامًا للعديد من المساجد في تورنتو وألف العديد من الكتب.

وغيرها... وقد تقاعد الآن.

كتاب «خطاب القرآن لليهود والنصارى» المترجم يقع في ٨٣ صفحة من القطع المتوسط، وهو كما كتب: هذا الكتاب عبارة عن مقتطفات من القرآن الكريم، تغطي معظم الآيات القرآنية الموجهة لليهود والنصارى باعتبارهم بني إسرائيل وأهل الكتاب، مبوبة تحت عناوين فرعية.

لذلك يرى الأستاذ عبدالله مبروك سعيد- من مركز اللغات بجامعة الكويت- في تقديمه لهذا الكتاب بعنوان «كلمة طيبة» أن هذه الرسالة القرآنية الهائلة والهادفة للدكتور عرفات العشي جاءت لتسد هذه الثغرة في دعوة أهل الكتاب- يهود ونصارى- إلى مراجعة موقفهم من الحق، ومن رسالة الحق الخاتمة قيامًا بواجب النصح والدعوة تجاههم لعلهم يتقون!

وهذا ما أكد عليه المؤلف من أن أنجح وسائل الدعوة بين اليهود والنصارى أن يوجه انتباههم إلى الآيات القرآنية التي تخاطبهم، فالقرآن ليس موجهًا فقط للمسلمين المؤمنين به، بل فيه خطاب لغيرهم، وخصوصا اليهود والنصارى، فهو دعوة الله للعالمين.

لقبان

يرى الكتاب أن القرآن الكريم حين يخاطب الفريقين معًا فإنه يخلع عليهم لقبين هما: يا بني إسرائيل ويا أهل الكتاب! وهما لقبا تشريف وتكليف معًا، فعندما يقول القرآن: يا بني إسرائيل، فإنه يذكرهم بأنهم أبناء النبي يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

فأي شرف أعظم لهم من كونهم أبناء النبي يعقوب عبدالله ورسوله الذي وصى نبيه ألا يموتوا إلا وهم مسلمون.

وهو لقب تكليف: لأنهم أبناء النبي يعقوب ابن النبي إسحق ابن أبي الأنبياء إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فإن من واجبهم اتباع دين هذا النبي.

أما اللقب الآخر: يا أهل الكتاب فهو تشريف للمخاطبين من اليهود والنصارى فهو يذكرهم على أنهم أهل كتاب سماوي منزل على موسى وعيسى عليهما السلام، وهما أهل الكتاب- حملة الوحي الإلهي المتقدم يتبع هذا التشريف تكليف أن يتبعوا الوحي الأخير والرسالة الخاتمة المنزلة على قلب محمد ﷺ.

القرآن وبنو إسرائيل

أكثر السور القرآنية التي تناولت سيرة بني إسرائيل كانت سورة البقرة، وسورة آل

عمران وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة القصص.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(البقرة: ٤٠).

﴿يا بني إسرائيل اذْكُرُوا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ (البقرة: ٤٧).

يذكرهم الله بأنه فضلهم على العالمين في زمانهم؛ لإيمانهم بالله، ثم يتابع القرآن استعراض تاريخ اليهود وكيف كانت أخلاقهم مع نبي الله موسى باتخاذهم العجل، وطلبهم رؤية الله جهرة! وتبديل طعامهم وأمرهم بذبح البقرة وقسوة قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

وتنكرهم للجميل، ومنحهم الله فرصة للأمل بالعودة إلى الله من عصيانهم، ورفضهم المتكرر لرسالة الحق!

وبالرغم من النعم الكثيرة التي لا تحصى، والتي أنعم الله بها على اليهود عبر تاريخهم الطويل مع أنبيائهم فإنهم قد قابلوا ذلك بالتنكر للجميل وبالجحود وبسوء الأدب في الآية (٦٤) من سورة المائدة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤)، وزعمهم أن الله فقير وهم الأغنياء في سورة آل عمران (١٨١-١٨٢)، ولذلك استحقوا اللعن على لسان أنبيائهم داود وعيسى ابن مريم في سورة المائدة (٧٨)، وزعمهم أن إبراهيم كان يهوديًا مثلهم كما زعم النصارى أنه واحد منهم، ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

خطاب القرآن للنصارى

تناول القرآن الكريم عدة قضايا خلافية مع النصارى، وشرحها في سور وآيات كثيرة- دون تجريح أو سب- بل باعتبارهم أهل كتاب، ومن أبرز هذه القضايا قصة آدم






والخطيئة الأولى والتي هي أساس العقيدة النصرانية.

وذلك في سورة البقرة الآيات (٣٠ -٣١ إلى ٣٦)، فآدم وزوجته لم يعمدا معصية الله، ولكن وقعا فيها بضعفهما، وتابا إلى الله فتاب عليهما وغفر لهما، ومكنهم في الأرض وجعل لهم فيها معايش، ورد ذلك في سورة الأعراف (١٠ - ١٨).

ومن القرآن أنه إذا كان أحد ملعون ومطرود من رحمة الله فهو إبليس، وليس آدم ولا حواء ولا الجنس البشري.

والمسألة الثانية: قصة السيدة مريم في سورة آل عمران وسورة مريم من نشأتها، ودعاء زكريا ربه، وبشارة الملائكة لمريم بكلمة منه اسمه عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين.. رسولاً إلى بني إسرائيل يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة.

هذه باختصار رسالة عيسى للنصارى كما يذكرها القرآن في سورة آل عمران، وبدلا من أن يؤمنوا بالله ورسالته حارب بنو إسرائيل رسالته الجديدة، وزعمهم قتل السيد المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. ورد ذلك في سورة النساء الآيات (١٥٦-١٥٧).

كما رد القرآن على مزاعم النصارى بأن المسيح إلهًا﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١)، كما ذكر القرآن بأن المسيح طلب من بني إسرائيل أن يعبدوا الله، وأن من يشرك بالله حرمت عليه الجنة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة : ٧٣).

ثم خاطبهم عن قصة الحواريين والمائدة، ودعاهم إلى التوبة، وذكرهم بالمشهد الأخير وحكم الله ومصير الصادقين منهم والكاذبين وذلك في الآية (١١٩ - ١٢٠) من سورة المائدة.

كانت أهم القضايا التي عالجها القرآن ألوهية عيسى والثالوث المقدس والحواريين، وقصة آدم وتوبته بعد الخطيئة، غير قضايا أخرى كثيرة كالأطعمة والأشربة والبيوع والزواج والطلاق وغيرها.

خاتمة

يسأل الكاتب: هل يفيق أهل الكتاب لدعوة القرآن الوحي الأخير المنزل من عند الله.. والذي يوضح لهم الطريق قبل فوات الأوان حيث لا ينفع الندم؟

هذا الكتاب- الخطاب - موجه بالدرجة الأولى لغير المسلمين من أهل الكتاب، وللمسلمين الذين يعيشون في بيئات ودول غير إسلامية حيث كتب باللغتين العربية والإنجليزية.

ويعود المؤلف فيسأل: هل هناك دين يدعو أتباعه مثلما يفعل الإسلام بالإحسان إلى مخالفيهم في الدين ماداموا لا يحاربونهم ولا يخرجونهم من ديارهم؟

إنها سماحة الإسلام التي لا مثيل لها.

مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية

د. رفيق حسن الحليمي

عقد مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية في الفترة ما بين ١٨ إلى ١٩ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق ١٦ إلى ١٧ أكتوبر ٢٠١١ بفندق جاليريا - بيروت - لبنان برعاية رئيس مجلس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي، وبدعوة وتنظيم من هيئة علماء فلسطين في الخارج بالتعاون مع دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية ومؤسسة القدس الدولية.

شارك في المؤتمر مؤسسات دولية وإسلامية وعربية وفلسطينية، وعدد من المختصين والباحثين في قضايا الأوقاف الفلسطينية، وقد كان المشاركون من لبنان ومصر وأميركا والمملكة المتحدة والسعودية والكويت وقطر والأردن وسورية وفلسطين والبحرين وماليزيا والمغرب والسودان وغيرها من الدول، فضلًا عن ممثلي المؤسسات الدولية والإسلامية والعربية والفلسطينية.

بدأ المؤتمر بتلاوة عطرة من الذكر الحكيم من سورة الإسراء، ثم تم افتتاح الحفل بكلمة من رئيس اللجنة التنظيمية العليا للمؤتمر د.محمد عثمان شبير، تناول فكرة المؤتمر وأهدافه، ثم كلمة ممثل دار الفتوى بلبنان الشيخ أمين الكردي، تبعتها كلمة مؤسسة القدس الدولية للدكتور محمد أكرم العدلوني، ثم كلمة د.عبدالغني التميمي رئيس هيئة علماء فلسطين بالخارج، واختتم الافتتاح بكلمة ممثل رئيس مجلس الوزاء اللبناني السفير عبدالمجيد قصير.

ثم استأنف المؤتمر جلساته العلمية، التي بلغت سبع جلسات متنوعة خصصت الجلسة الأولى لافتتاح المؤتمر، وباقي الجلسات لمناقشة الأوراق المقدمة من المشاركين، على امتداد يومين، حيث تمت مناقشة المحاور الأساسية الآتية وما تفرع عنها من موضوعات:

المحور الأول: مدخل نحو الأوقاف الإسلامية في فلسطين

١- المكانة الشرعية لأرض فلسطين ودور الأوقاف الإسلامية في دعمها (د.محمد يحيى فروانة).

٢- الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر الإسلامي ١٥-٩٢٢هـ/ ٦٣٦-١٥١٦م (عبدالحميد الفراني).

٣- هوية القدس الوقفية (د.سلامة الهرفي).

٤- الصحابي تميم بن أوس الداري وعلاقته بالأرض المقدسة (د.نادر التميمي).

المحور الثاني: أوقاف مدينة القدس

٥- وضع الأوقاف الإسلامية في مدينة القدس (د.عكرمة صبري).

٦- أوقاف المغاربة في أرض فلسطين الأسباب والتحديات والحلول (د.حسن يشو).

٧- أوقاف المسجد الأقصى الشريف حتى نهاية العهد العثماني لفلسطين (عبلة المهتدي).

٨- الوقف الإسلامي والصراع الدائر في فلسطين: مدينة القدس نموذجا (د.مايكل دنبر).

٩- الحماية القانونية للأوقاف الإسلامية بالقدس في القانون الدولي (د.السيد مصطفى أبوالخير).

المحور الثالث: واقع الأوقاف في فلسطين

١٠- واقع الأوقاف الإسلامية في مناطق ١٩٤٨م. (م.زكي محمد إغبارية).

١١- واقع الأوقاف في الضفة الغربية (الشيخ حامد البيتاوي).

١٢- الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الإبراهيمي الشريف (محمد ذياب أبوصالح).

١٣- الأوقاف الإسلامية في قطاع غزة (د.عبدالله أبوجربوع).

١٤- الوقف الذُّري في قطاع غزة (يوسف علي فرحات).

المحور الرابع: دور الأوقاف في التحرير ومواجهة التحديات الصهيونية

١٥- الأوقاف الإسلامية الفلسطينية، وأثرها في تعزيز هوية السكان والمدن (د.محمد عثمان شبير).

١٦- دور الأوقاف في خدمة مشروع التحرير لأرض فلسطين (د.سامي الصلاحات).

١٧- كيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين (شيرين مبارك).

١٨- منهجية الفكر الصهيوني في استهداف الأوقاف الإسلامية في فلسطين (د.إبراهيم عبدالباقي).

١٩- تفعيل الوقف الإسلامي في القدس الشريف في مواجهة التحديات

الصهيونية (د.رفيق الحليمي)

المحور الخامس: طرق المحافظة على الأوقاف وتنميتها واستثمارها

٢٠- طرق المحافظة على الملكيات الوقفية وتوثيقها (د.محمد قاسم الشوم).

٢١- تنمية موارد الوقف والحفاظ عليها (د.علي القره داغي).

٢٢- تمويل تنمية ممتلكات الأوقاف (د.منذر قحف).

٢٣- استثمار وتنمية الأوقاف الفلسطينية (د.هشام دفتردار).

٢٤- الأصول المحاسبية لأوقاف فلسطين (د.سمير الشاعر).

المحور السادس: دور المؤسسات الوقفية في دعم أوقاف فلسطين

٢٥- جهود التنسيق الدولي للأوقاف في رفد الأوقاف الفلسطينية (د.عبدالمحسن الخرافي).

٢٦- دور الأوقاف الماليزية في دعم الأوقاف الفلسطينية (علي محمد هاشم).

٢٧- إدارة وتحرير الأوقاف الفلسطينية في الدولة العثمانية (د.أحمد آق كوندوز).

٢٨- دور الأوقاف السودانية في دعم الأوقاف الفلسطينية (د.حمزة الشيخ).

٢٩- الأوقاف اللبنانية ودورها في رفد الأوقاف الفلسطينية (د.أمين الكردي).

وقد أعقبت كل موضوع من هذه الموضوعات مناقشة واستفسارات من جانب الحضور والمشاركين، كان لها أثرها في إثراء هذه البحوث، ثم انتهت أعمال المؤتمر بالجلسة الختامية، وقراءة التوصيات والنتائج التي تصب في مصلحة الأوقاف في فلسطين، وتعمل على المحافظة عليها، واستثمارها لتحقيق الغاية الأساسية التي جاءت شعيرة الوقف من أجلها، وفي ختام فعاليات المؤتمر ثمن المشاركون جهود الجمهورية اللبنانية في رعاية هذا المؤتمر، والإعداد له بالصور المثلى التي أدت إلى نجاحه وتفوقه بكل المقاييس، وتميزه المشرف، ووصوله إلى المستوى الحضاري المطلوب.



التوصيات

١- أرض فلسطين هي أرض إسلامية وقفية، لا يجوز التنازل عنها بأي حال من الأحوال، بل الدفاع عنها هو واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة.

٢- دعوة المؤسسات الوقفية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة للعمل على توثيق وتسجيل كافة الحجج الوقفية لممتلكات الأوقاف داخل فلسطين، أو تلك التي سجلت ووثقت من خارج فلسطين، كما هو الحال في دار الأرشفة العثمانية بتركيا، والعمل على حصر الأوقاف الضائعة والمغتصبة منذ الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨م.

٣- اعتماد أحدث النظم المحاسبية في ضبط واردات ومصروفات الأوقاف الإسلامية داخل فلسطين، واعتماد التقارير السنوية المحاسبية لغرض عرضها على الجمهور، وبيان دور الوقف الكبير في سد احتياجات المجتمع الفلسطيني في ظل الاحتلال الصهيوني.

٤- الاستفادة من جميع أنواع الوقف، سواء أكان وقفًا ماديًا أو وقفًا معنويًا مثل وقف الوقت ووقف الخبرات لصالح دعم المشاريع الوقفية داخل فلسطين.

٥- الدعوة إلى توفير منح دراسية لطلبة الدراسات العليا للكتابة عن واقع الأوقاف الإسلامية في فلسطين، ودعم الباحثين والباحثات المتخصصين بالأوقاف الفلسطينية لتسليط الضوء على واقع هذه الأوقاف ونشرها لتعميم أهمية دور الأوقاف في دعم صمود الشعب الفلسطيني.

٦- استخدام جميع الأساليب والأدوات الإعلامية والتسويقية الحديثة كالمعارض المتحركة والمواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات أو إصدار النشرات العلمية وغيرها لتعريف الجمهور بواقع الأوقاف الإسلامية بفلسطين، ودور المحتل الصهيوني في مصادرتها والاعتداء عليها.

٧- العمل على تأهيل وتطوير كفاءات موظفي مؤسسات الأوقاف في فلسطين المحتلة، من خلال عقد دورات تدريبية متخصصة في مجال إدارة واستثمار الأوقاف.

٨- دعوة وزارات ومؤسسات الأوقاف العربية والإسلامية إلى إقامة توأمة وشراكة حقيقية مع مؤسسات الأوقاف الإسلامية داخل فلسطين لتطوير وتنمية الأوقاف الفلسطينية، أو العمل على إنشاء وقفيات في بلدانهم لصالح تطوير المؤسسات الوقفية داخل فلسطين، وخاصة داخل مدينة القدس التي تشهد عمليات تهويد و«أسرلة» بصورة مسعورة.

٩- دعم المؤسسات الوقفية والخيرية العربية والإسلامية والدولية التي تعنى بدعم وإنشاء وقفيات وبرامج داخل فلسطين، وتأكيد دورها في تعزيز الهوية العربية والإسلامية.

١٠- دعوة المؤسسات العربية والإسلامية لإنشاء صناديق وقفية متخصصة لصالح التعليم والصحة والخدمات بصورة عامة، ودعم المشاريع الوقفية ذات الطابع الاستثماري داخل

الأراضي الفلسطينية أو خارجها.

١١- إثارة الرأي العام الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي بخصوص اغتصاب الأوقاف الإسلامية بفلسطين، وتجديد الطلب بضرورة استرداد حق المؤسسات الوقفية الفلسطينية لهذه الأملاك.

١٢- يطالب المؤتمرون بضرورة رفع دعوى لهيئة الأمم المتحدة باسم المؤتمر لتفعيل النصوص القانونية الأممية الخاصة بحفظ المقدسات والأوقاف التي تم الاعتداء عليها من قبل المحتل الصهيوني منذ احتلاله عام ١٩٤٨، واحتلاله الثاني عام ١٩٦٧، ومازال يمارس جميع الأساليب والطرق اللاشرعية في سرقة الأوقاف والتعدي عليها، والعمل على تخصيص محامين مختصين في إقامة دعاوى ضد المحتل الصهيوني أمام المحافل الدولية.

١٣- دعوة الحكومات العربية والإسلامية وأماكن تجمع الأقليات المسلمة في العالم إلى ضرورة إنشاء وقفيات متخصصة تعنى بدعم الشعب الفلسطيني في صموده ضد المحتل الصهيوني، وتكليف مؤسسة القدس الدولية بالتنسيق مع هذه الجهات لتعزيز وتوسيع الإطار الوقفي داخل فلسطين المحتلة.

١٤- دعوة الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت باعتبارها المسؤولة عن ملف الأوقاف في العالم الإسلامي، والعمل على إشراك جميع المؤسسات العربية والإسلامية لتخصيص صناديق وقفية تصب في صالح مشاريع التعليم والصحة والخدمات في القدس الشريف وعموم الأراضي الفلسطينية.

رثاء

رحيل د. محيي الدين عبدالحليم رائد الإعلام الإسلامي



فقدت الأمة الإسلامية يوم الجمعة ٩ سبتمبر ٢٠١١م أحد أعلامها د.محيي الدين عبدالحليم الذي يعد أحد رواد الفكر والمعرفة والإعلام في الوطن العربي والعالم الإسلامي.

ولد د.محيي الدين عبدالحليم- رحمه الله- في مركز الشهداء بمحافظة المنوفية بجمهورية مصر العربية في عام ١٩٤١م، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى حصل على الإجازة العالية (الليسانس) من قسم الصحافة بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٤م، ثم واصل مشواره العلمي فالتحق بالدراسات العليا حتى حصل على درجة التخصص (الماجستير) في الصحافة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، وهو أول متخصص يحصل على هذه الدرجة من جامعة القاهرة، ثم حصل على درجة العالمية في الإعلام من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٨م.

وقد أسهم هذا الرجل في نشر وتأصيل لغة حديثة فرضها التطور ومسايرة العصر هي: لغة الإعلام الديني، وله أكثر من عشرين بحثًا علميًا ارتقت إلى درجة المرجعية للهيئات الدولية والدارسين نشرت في مجلات علمية، وكذلك ناقش وأشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وهو خبير إعلامي في المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، وله نشاطات محلية ودولية، وهو أول من أنشأ قسما للصحافة والإعلام الإسلامي في جامعة الأزهر ثم بعد ذلك في الجامعات الإسلامية بالدول العربية، وقد تولى أيضا منصب المستشار الإعلامي لوزير الأوقاف الأسبق بمصر، وكان أيضا مستشارًا في منظمة اليونسكو وعضوًا في الجمعية المصرية لصحة المسنين غير القادرين على خدمة أنفسهم وعضوًا في منظمة اليونيسف وفي المجالس القومية المتخصصة.

قام الراحل بدور بارز في وضع الإعلام الإسلامي بصورته اللائقة به، حيث شمر عن ساعده وألف مصنفات بديعة وكتب بحوثًا قيمة أبدع فيها إبداعًا منقطع النظير، تعد من العُمد الأساسية للباحثين في مجالات الدعوة والإعلام حيث تميزت بالثراء والخصوبة والإبداع، ومنها: الاتصال بالجماهير والرأي العام- الأصول والفنون، وخطبة الجمعة والاتصال بالجماهير، والرأي العام في الإسلام، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، والدعوة الإسلامية والإعلام الدولي، وإشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، والدراما التليفزيونية، والعربية في الإعلام: الأصول والقواعد والأخطاء الشائعة، والمنافقون وأصول العمل الإعلامي، والرؤية الإسلامية لإعلام الطفل .. وله أيضا عشرات الأبحاث والدراسات المنشورة، وله مقالات دورية ثابتة في عدد من كبريات الصحف والمجلات العربية ومنها مجلة "الوعي الإسلامي".



الأسرة وعملية البناء

جاءت أحكام الأسرة في الإسلام لصيقة بالعقيدة، مرتبطة بها ارتباطًا عضويًا مما يدل على قداسة هذه الأحكام، كما أن الإسلام ارتكز في بناء العلاقات الأسرية على ثلاث قيم، أولاها المودة ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، وثانيتها التعاون المتبادل بالرعاية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وثالثتها: قيمة العدالة في الحقوق والواجبات، ويوم ابتعدت الأسرة المسلمة عن أحكام الإسلام ومرتكزاته الأساسية في عملية البناء اختلت الموازين وكثرت الخلافات الأسرية وامتلأت أروقة المحاكم بالقضايا بين الأزواج والزوجات والآباء والأبناء، ومن هنا تبدو الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى العودة إلى قيم الإسلام في عملية البناء الأسري واستخدام أسلوب الحوار الهادئ والأدب الرفيع، وصولًا إلى أسرة سعيدة مستقرة.

التحرير

اجتماع الأسرة على مائدة الطعام..عادة غابت ففقدت الأسرة توازنها

منير حسن

أصبح اجتماع الأسرة على مائدة الطعام- كما كان في الماضي - عادة غائبة أفقدت الأسرة توازنها لأهمية هذا اللقاء اليومي المتكرر؛ فبفقدان هذه العادات بدأت الأسرة تتهرب رويدا رويدا بدعوى الانشغال وضاع مع هذا الانشغال ما كان يخلفه هذا الاجتماع من الحديث الودي والسكينة التي كانت تحل على المكان وما كان يتركه أطراف الحديث بين أفرادها، حيث تتراكم الخبرات، فكانت هذه الجلسات فرصة كبيرة لحل الكثير من المشاكل ولتصحيح الكثير من المفاهيم وكانت فرصه أكبر كي يقترب أفراد الأسرة من بعضهم البعض، فمع التطور التكنولوجي ما عاد يجلس أفراد الأسرة مع بعضهم البعض وإذا جلسوا فإن التليفزيون يكاد يسرق هذه الجلسة.. حققنا في غياب هذه العادات وأثرها على الأسرة وعلى البناء الاجتماعي لها، فإلى نص التحقيق:

يقول وحيد صبري، مهندس، وأب لأسرة من ٥ أفراد: نادرا ما ألتقي أولادي على مائدة الطعام بسبب كثرة انشغالاتي، فغالبا ما أكون في العمل وإذا حانت فرصة فراغ أعود للبيت مبكرا وأقوم بتناول وجبة الغداء أيضا مبكرا كي أحصل على قسط من الراحة، وفي كل الحالات لا أتناول الغداء مع الأسرة والأمر يتكرر مع وجبة العشاء.

ويضيف: أحاول مرات كثيرة ترتيب مواعيدي، لتوافق مواعيد الأولاد والأسرة، فمن الصعب الاتفاق على موعد، فمع زحمة الحياة وارتباط كل فرد فيها بعمل سواء المدرسة أو استذكار الدروس يصعب التوافق على موعد واحد.

ولفت، إلى أن يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذي تتجمع فيه الأسرة بأكملها، لأنه بمثابة يوم عطلة.

وأكد، هناك جزء كبير من المشكلة يتركز عند كثير من الأسر ويتلخص في عدم احترامهم لهذا الإجتماع على الطعام، أو إن شئنا فإننا نقول: إن هذه الأسر غير مقتنعة تماما بأهمية هذا الاجتماع ولذلك فإنها لا تلقي له بالا ولا تهتم به.

وتقول، سهير عبدالكريم، مدرسة، وأم لأسرة من ٣ أفراد: أحاول جاهدة تجميع الأسرة ولكن ظروف عمل ومهام كل واحد تأبى ذلك، ولكنني أتحرى اختيار مواعيد تناول الوجبات في الأوقات التي تناسبنا جميعا.

وتضيف، أن وجبة العشاء وجبة رئيسية لابد أن تجتمع عليها كل الأسرة، وإذ لم تكتمل نضطر إلى تأجيل تناول الطعام حتى يجتمع الجميع وقد أرسينا مبادئ حازمة تتعلق باحترام مواعيد تناول الوجبات وهذا مدعاة لاجتماع الأسرة كثيرا على تناول أكثر من وجبة.

وتقول أنها تقوم بحل كثير من المشاكل عن طريق الاجتماع على مائدة السفرة، كما أن هذه المائدة تعد طريقة للتواصل بين أفراد الأسرة، بعدما كثرت المشاغل وطغت المادة والتكنولوجيا على كل شيء مما دفع أفراد الأسرة إلى الانشغال الدائم.. هذا منشغل بجهاز الكمبيوتر وهذا منشغل بالتلفاز والآخر مشغول





بأعمال أخرى.

تقول علا حسن، طالبة جامعية: أصبح التقاء الأسرة على مائدة واحدة أمرا يكاد يكون مستحيلا لأسباب كثيرة منها على سبيل المثال: أن أغلب أفراد الأسرة أصبحوا يميلون إلى وجبات الـ «تك واي»، وكثير من الأمهات تقوم بإعداد الطعام بهذه الطريقة المريحة بالنسبة لها ولانشغالها الدائم.

وتذكر، مهم للأسرة أن تلتقي على مائدة طعام واحدة وبالتالي تكون هناك فرصة للحديث مع الوالدين، بعدما أصبح الجميع مشغولا ولكن غالبا ما تكون مواعيد الطعام غير مناسبة لكل أفراد الأسرة وبالتالي يتناول أفراد الأسرة الطعام فرادى غير مجتمعين في مكان واحد.

وأكدت على أهمية أن تجتمع الأسرة على مائدة الطعام ولو ليوم واحد في الأسبوع، لأن ذلك يزيد التلاقي بين أفراد الأسرة، خاصة أنه لم يعد هناك وقت لتلاقي أفرادها، فأصبح لقاؤهم على الطعام هي الفرصة الوحيدة.

ويقول محمد علي شاهين، طبيب: غالبا ما تلتقي الأسرة على وجبة العشاء ولكن كل شهر، وعندما نلتقي ينشغل كل فرد من أفرادها بالأحاديث الجانبية وكثيرا ما ننشغل برؤية نشرة الأخبار بالتلفاز وبالتالي يحل علينا جميعا الصمت.

ويضيف: توجد مشكلة كبيرة في عدم تواصل أفراد الأسرة، سببها عدم اقتناع أفرادها بأهمية التقائهم على مائدة الطعام، وهو ما يدفع بقية الأسرة إلى الانشغال وعدم المواظبة على تناول الوجبات بشكل جماعي.

وأضاف: عندما أريد أن أفاتح والدي في موضوع مهم، أتحسس الوقت الذي يتناول فيه الطعام مع بقية أفراد الأسرة وأقوم بفتح الموضوع معه، لأنه وقت مناسب فتكون هناك فرصة أكبر للحوار والأخذ والرد على غير بقية الأوقات.

ترهل العلاقة وضعفها بين أفراد الأسرة يكون مبعثه غياب الأسرة عن التواصل.

وأكد على أهمية أن تلتقي الأسرة بشكل دوري، فلقاؤها من خلال تناول الطعام مهم للغاية، وأهميته تتحدد في إذابة الكثير من الخلافات التي قد تنشأ بين أفراد الأسرة.

ضرورة لبقاء الحياة الأسرية

ومن جانبها تقول د.سامية خضر، أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس: قوة العلاقة الأسرية ترتبط بقدرة أفرادها على الترابط والتلاحم، فاجتماع الأسرة يوميا على تناول الطعام يفتح الباب أمام المصافحة بين أفرادها كما يكون فرصة لحل الكثير من المشاكل ويمثل ضرورة لبقاء الحياة الأسرية.

وأضافت: لابد أن تبذل كل أسرة مجهودا كبيرا حتى يجتمع كل أفرادها على تناول الطعام لأن ذلك بمثابة الغذاء الروحي الذي تحتاجه الأسرة ولا يمكن أن تستغني عنه، كما لا يمكن التنازل عنه بدعوى الانشغال أو عدم الأهمية.

ولفتت إلى أن الانشغال الذي يفرض سياجا على بقية أفراد الأسرة من الاجتماع والالتقاء، فرصة قوية للأسرة تدفعها كي تبذل مجهودا أكبر كي تلتقي على الطعام، لأنها لن تستطيع أن تلتقي في غيره.

وأكدت أن غياب الاجتماع والالتقاء على مائدة الطعام ولو على وجبة العشاء أو الغداء قد يكون نتيجة كثرة المشاكل التي يعجز الوالدان عن معالجتها وربما يعجزان عن اكتشافها من الأساس، فكلما التقت الأسرة في جو من المرح والتسامح كان فرصة جيدة لحل هذه المشاكل.

وأنهت كلامها، بأنه لا توجد طريقة أو بديل يمكن أن يعوض الأسرة عن التقائها على مائدة الطعام وتجاذب أطراف الحديث.

أزمات نفسية

يقول الدكتور أحمد عكاشة، خبير علم النفس: تتولد أزمات نفسية لدى بعض أفراد الأسرة في حال غياب اللقاء اليومي سواء كان على الطعام أو اللقاء المنفرد والذي يبدو صعبا بالنسبة لحالات كثيرة من الأسر بسبب الارتباطات الخاصة بالعمل أو بعض المسؤوليات والمهام.

وأضاف: غياب هذه الاجتماعات يؤدي إلى أزمات نفسية، فالأبناء يحتاجون الوالدين أكثر مما يحتاجون الطعام، وكثيرا ما أنصحهما عندما تأتيني حالة مرضية بالاجتماع على الطعام بشكل يومي ومتكرر.

وأضاف أنه من فوائد الاجتماع اليومي على الطعام خلق التواصل بين أفراد الأسرة، فالأبناء يحتاجون لمترجم يفهمهم ويكون قريبا منهم، وهذا لا يتم إلا من خلال الأسرة، وغالبا لا يتم إلا على الطعام.

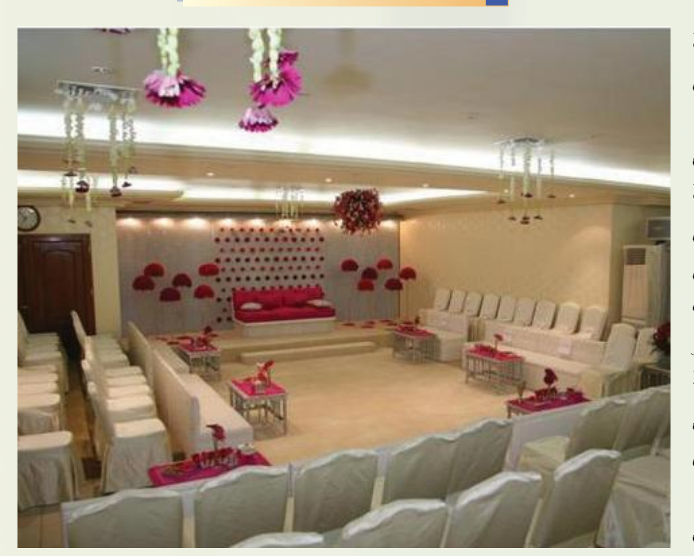
وأنهى كلامه، بأنّ ترهل العلاقة وضعفها بين أفراد الأسرة يكون مبعثه غياب الأسرة عن التواصل وبالتالي يخلف ذلك تأثيرا نفسيا ليس على الأبناء فقط، وإنما على كامل أفراد الأسرة.

هل نحن أمة إمعة؟

سمية الميمني

دعتني صديقة عزيزة لحضور حفل استقبال في منزلها بمناسبة المولود الجديد، حضرت الحفل وإذا به على غير عادة الحفلات المعروفة في أوساطنا هذه الأيام، والتي بدأت تكثر وتتكاثر بسبب ودون أي أسباب، وتتميز هذه الحفلات النسائية (لمن لا يعرفها) بعرض لأثمن الماركات العالمية بين الحاضرات، وسباق لارتداء أغلى وأحلى الفساتين وأكثرها ضيقا وعريا، وطبعا لتسريحات الشعر دور مهم فهي لأشهر الممثلات ويتم تصفيفها في أكبر الصالونات، ولا ننسى «للمكياج» والإكسسوارات حضورها الطاغي وإن لم يتم دعوتهم رسميا، حتى الهدايا التي تقدم لتلك الروح البريئة الطاهرة في مهادها أصبحت ذات مواصفات قد يصعب على البعض تفسيرها، كل هذا لأن امرأة أنجبت طفلا، وكأنها هزت نخلة تساقط عليها رطبا جنيا، ثم أحضرت المسيح بين ذراعيها بعد عناء وشقاء.

فلنرجع للحديث حول هذا الحفل الذي دعيت له.. ما الغريب والجديد فيه؟ دخلت المنزل ووجدت النساء انشغلن في تلاوة القرآن وفي يد كل واحدة جزء من كتاب الله، استغربت الحدث للوهلة الأولى، ولكن زالت علامات الاستفهام حين أعطتني والدة صديقتي مصحفا وطلبت مني القراءة لأجل البركة، وبعدها بدأت الداعية (أم إبراهيم) بدرس مليء بالعبر والعظات، تحدثت فيه عن مفاهيم صرنا نفتقدها



> **المرأة تمتلك من الدهاء والقدرات ما يمكنها من تغيير وجه العالم وإصلاح الأرض**

في عصر العولمة المتقدم، ووجهت حديثها للفتيات الصغيرات لتحدثهم عن الحياء والحشمة ومعاني الستر ودور البنات أمام السيدة «موضة» والسيد «فاشن»، فخاطبت العقول بعبارات ثقيلة في موازين الكلام عميقة في معانيها وثمينة في قيمتها الاستيعابية، ولفتت انتباهي هذه الداعية المتواضعة بأسلوبها المرن عبارة حفرت في ذهني وبقيت أفكر فيها لأيام حيث قالت: «نحن نتراجع عن دروب الحق لقلة السالكين فيه رغم صحته، ونتوجه لمسالك الباطل المكتظة رغم كثرة الهالكين فيها».

نعم صدقت يا أم إبراهيم، فمعظمنا للأسف صار يتبع الأكثرية ويتوجه نحو الأغلبية دون أن يتعب ما يسمى بالعقل الذي ميزه الله به عن باقي الكائنات، معظمنا يختار الطريق السهل اليسير وإن كان غير جائز شرعا وعرفا، معظمنا يخلع عباءة الحياء ليرتدي فستان التطور والتكنولوجيا دون مراعاة ضيقه وشفافيته مما يكشف أجساد غبائنا وبلادتنا بدلا من تغطيتها، معظمنا للأسف سعيد ببضع دنانيره وما يرمى له من فتات ولا يملك قوة

عضو اللجنة الصحافية النسائية



القرار ليحقق لمجتمعه الاستقرار .

انتهى الحفل بدعاء طويل لإصلاح أوضاع هذه الأمة الإمعة، ثم تلتها فقرة أناشيد على الدفوف التي تم انتقاء كلماتها بعناية وكأنها لآلئ ودرر من بحر لغتنا العربية، ثم دعاء من قلب كل الحضور للمولود الجديد «يوسف» ليكون من الذرية الصالحة التي تقود الأمة وليس ممن يجري خلف النقود كالإمعة، فهنيئا لأم يوسف التي تميزت عن الأخريات بحفل راقٍ يليق بمكانة المرأة المسلمة.

تذكرت حفل استقبال لمولود حضرته قبل شهور في إحدى فنادق خمس نجوم، بدأ الحفل وانتهى والجمهور لا يعلم أهو استقبال مولود أم حفلة عرس، لأنه منذ البدء وإلى المنتهى كان في الحفل موسيقى وأغانٍ ورقص وهرج ومرج، حتى أم الطفل الوليد ترقص وكأنها إحدى الحاضرات، لا شيء مفيد في تلك الساعات الطويلة.

دعوة من قلبي إلى قوارير عصري.. المرأة تمتلك من الدهاء والقدرات التي تمكنها من تغيير وجه العالم وإصلاح الأرض، فقط عليها أن تركز على جواهر الأمور وبواطنها، وسائل التواصل متاحة بجنون بين أيدينا والعالم يعيش حقبة لم يمر بها من قبل في مختلف المناحي، والفرصة مواتية فلنصنع التاريخ ولو بمحاولات صغيرة نبدأها من بيئتنا الداخلية، من منازلنا ومن بين أحبائنا، بأفكار صغيرة ذات تأثيرات كبيرة قد تحدث تغييرات عظيمة.

تشجيع الطفل على تكوين صداقات

مي علي إبراهيم

يعيش الطفل الصغير حياة الجماعة، منذ اللحظة التي يلتحق فيها بحضانة أو روضة.. بما فيها من علاقات صداقة وشجار وعدم اتفاق ومشاركة.. فكيف يمكن للأم أو مُدرسة الحضانة تشجيع الصغير على تكوين علاقات صداقة مع أقرانه تمهيدا له للاندماج في المجتمع بعد ذلك؟



تجيب عن هذا التساؤل د.راندا مدرس مناهج وطرق تدريس رياض أطفال بكلية التربية فتقول: إن الطفل قبل الالتحاق بالحضانة يكون متمركزا حول ذاته وبالتالي يكون من الصعب عليه تقبل مشاركة الآخرين لعبه أو اقتسام الطعام معه وهكذا.. وتبدأ مرحلة تكوين الصداقات عادة بالمشاركة ثم بالشجار أحيانا وبعدها المصالحة.. حيث يكتشف الطفل لأول مرة في حياته أنه يمتلك حق اتخاذ القرار، لذلك فإن مهمة الأم أو المعلمة هي محاولة تنمية مهاراته الاجتماعية بحيث تطلب منه إحضار إحدى لُعبه ومشاركته مع زميله لإيجاد نوع من التفاعل الاجتماعي بينهما.

كذلك تلعب أنشطة اللعب الجماعي دورا مهما في تنمية هذا الاتجاه، ويأتي بعدها الحوار ومناقشة الطفل بهدوء في حالة تشاجره مع زميل له، وعدم الإسراع بإدانته إذا شاهدناه يتصرف بعدوانية تجاه الآخر، قبل التحقق من السبب في تصرفه هذا، من خلال اتباع أسلوب الملاحظة بالمشاركة، والذي يتطلب وجود الأم أو المعلمة بالقرب من الصغير في أثناء لعبه، وفي حالة ملاحظة أي سلوك عدواني يجب تجنب العقاب البدني لأنه يسبب مشكلات نفسية للصغير ويزيد من عدوانيته.

وتنصح د.راندا باتباع أسلوب الاشادة بالايجابيات في تصرفات الآخرين لتحفيزه على اتباع مسلكهم وأسلوب المكافأة على التصرف السليم.. كل ذلك بالتدريج حتى يتكون الانضباط الداخلي لديه، وفي حالة الاضطرار إلى العقاب يفضل أن يكون بالحرمان من الأشياء التي يحبها، وتنصح الأمَّ بعدم فرض صداقات معينة على صغيرها، وتشجعيه على سرد ما يجري في الحضانة وسماع شكواه باهتمام، لأن في هذا السرد راحة كبيرة له، مع توضيح وجهة نظر الطفل الآخر في هذا التصرف تجاهه حتى يعيد الصغير حساباته وتصفى نفسه من جديد.. هكذا يجب معاملة الطفل في الروضة وفي الحضانة.

باحثة أسرية



أرسى الدين الإسلامي الحنيف أسس الحياة الاجتماعية والنفسية والروحية للمسلمين، ومن ذلك إرساء الدعائم المُثلى لمعاملة الجيران، وذلك لبسط أجواء من الأمن والطمأنينة والاحترام المتبادل بينهم.. جيران الأسرة من عوامل هنائها أو شقائها، وعلى قدر ما يكون بينها وبينهم من إلف أو خلف تحلو الحياة أو تسوء، وهم أقرب إليها وأسرع إلى نجدتها - حين يفاجئ مكروه في ليل أو نهار- من بعض الأهل الذين نأت بهم المنازل، وشطت الديار، وقديمًا تعوّذوا من جار السوء فقالوا «أعوذ بالله من جار السوء.. عينه تراني، وقلبه يرعاني.. إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها».

جيران الأسرة في الجاهلية والإسلام

جميل حسين الأحمد

في الجاهلية:

وما كان حاتم الطائي مثلًا شرودًا في الجود فحسب ولكنه كان كما قال الرسول ﷺ: «يحب مكارم الأخلاق»، فكان صورة عربية أصيلة للحفاظ على حرمة الجار، فهو يقول:

إذا ما بت أختل عرس جاري
ليخفيني الظلام، فلا خفيتُ
أأفضح جارتي، وأخون جاري
فلا- والله- أفعل، ما حييت

ويقول:

ولا تشتكيني جارتي، غير أنها
إذا غاب عنها بعلها، لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها
إليها، ولم تُقْصَر عليها ستورها!

ويقول حاتم: «والله ما خاتلت جارة لريبة قط، ولا ائتمنت على أمانة إلا أديتها، ولا أُتِيَ أحد من قِبَلي بسوء».

ومن شعر الجاهلية الذي ينسب لعنترة:

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها!!

أدب الإسلام والجيران

هذه اللبنات الصالحة من آداب الجاهلية، هي التي اعتبرها الرسول الأعظم وهو يقول «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (١).

ولقد وضع الله الجيران في مكانهم، من آية الحقوق العشرة فقال ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل...﴾ (النساء: ٣٦).

فأوجب سبحانه للجيران- من قرابتنا أو من غيرهم وإن تعددت بيننا وبينهم



خبير استشارات تربوية



المذاهب واختلفت الأديان- حق البر بهم والإحسان إليهم، فلقد عاد الرسول وَلَدَ جاره اليهودي من مرضه (٢)، وجعل- صلوات الله عليه- الجيران ثلاثة، فجار له ثلاثة حقوق وهو جارك ذو القرابة المسلم (له حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام)، وجار له حقان وهو جارك المسلم (له حق الجوار وحق الإسلام)، وجار له حق واحد وهو جارك غير المسلم (له حق الجوار).

واستنَّ أصحابه سنة البر بالجيران مسلمهم وغير مسلمهم، فهذا عبدالله بن عمر يأمر غلامه بذبح شاة وتفريقها على جيرانه ويقول: وابدأ بجارنا اليهودي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه» (٣).

إن أدنى حقوق الجيران في الإسلام أن نكف عنهم كل أذى، وألا نتحسس أخبارهم ونتتبع عوراتهم، وأجمع الأقوال في ذلك قول المعصوم صلوات الله عليه: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (غشمه وظلمه) أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك، فيغيظ بها ولده» (٤).

وكأنما كان ينظر محمد صلوات الله عليه إلى الحياة من ستر رقيق، فالمجتمع تضطرب أسره في مجال تتناكر فيه ولا تتعارف، وتستطيل في البنيان، وتقول كل أسرة: أنا، وبعدي الطوفان وتخلق

جاورناه وما منا من أحد إلا وتحل له الصدقة ومات عنا وما منا من أحد إلا وتجب عليه الزكاة

أسباب التعادي إن لم تجيء عفوًا، إلا من عصم الله! وسل في أقل القليل أولئك الذين يسيئون استعمال أجهزة الراديو والتلفزيون، هل حسبوا حساب المريض تزعجه الضوضاء؟ والدارس الذي يمنع الضجيج دراسته؟ والعامل الذي أوى إلى فراشه يستجم من عناء يوم مضى ويستعد لجهاد يوم يقبل فينفي النَّوم عن عينيه صوت هذه الأجهزة الذي يغشى منازل الناس على الرغم منهم؟!

لقد كان بعض بني عبد مناف يلقي الأذى على عتبات دار الرسول ﷺ، وفي طريقه فيقول: «يا بني عبد مناف أيُّ جوارٍ هذا»، وهو بذلك يعلمنا الرفق في العتاب حين يجاوز الناس حدودهم ويعصون الله ورسوله بأذى جيرانهم!

قال كعب: «إن رجلًا أتى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني نزلت محلة بني فلان وإن أشدهم لي أذى أقربهم لي جوارًا، فبعث الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا رضي الله عنهم يأتون المسجد فيقيمون على بابه، فيصيحون ألا أن أربعين دارًا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه» (٥).

إنها لمهمة جليلة، ينتدب لها الرسول من صحابته هؤلاء النفر الكرام، وبقي حق الجوار مرعيًّا حتى قال قائلهم:

ثنتان لا أدعو لوصلهما
عُرسُ الخليل، وجارة الجنْب

أما الخليل فلست غادره
والجار أوصاني به ربي

في الأدب العربي أمثلة لا نستوعبها لكثرتها في حسن الجوار والأخوة في الإنسانية، وهي علاقة أساسها الإيمان وحب الخير والتعاون على البر بين الناس ومن ذلك أقوالهم:

ونكرم جارنا مادام فينا
ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومن لم يصن حق الجوار فإنه
يلاقي من الأهوال ما ليس ينتهي

ولقد مات أحدهم فبكته إحدى جاراته أحر بكاء، فلما سئلت في ذلك قالت: «جاورناه وما منا من أحد إلا وتحل له الصدقة، ومات عنا وما منا من أحد إلا وتجب عليه الزكاة».

وكانوا يضربون المثل بجار أبِي داود وكان إذا مات لجاره بعير أو شاة أخلفه، وإذا مات له قريب وداه (دفع ديته)، وكان لأبي دلف جار ببغداد، أدركته حاجة، وركبه دين مبهظ، حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه فيها فسمَّى ألف دينار، فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة دينار، فقال: «أبيع داري بخمسمائة، وجوار أبي دلف بخمسمائة» فبلغ أبا دلف الخبرُ فأمر بقضاء دينه، ووصله، وقال: لا تنتقل أبدًا من جوارنا.

فهل ندرك من خلال ذلك ما يمكن أن يؤديه بر الجيران من رفاهية الأسرة وسعادتها وما يمكن أن يعقبهُ التطاول عليهم، والظلم لهم من فتن ومحن لا تطيب معها الحياة.

المراجع

١- الموطأ في رواية مالك.
٢- الطبراني في هامش الترغيب ج٣ ص٣٦١.
٣- الترغيب والترهيب ص ٣٦٢، أخرجه البخاري: (٦٠١٥) ومسلم: (٢٦٢٥).
٤- المصدر نفسه ص ٣٥٧.
٥- المصدر نفسه ص ٣٥٣.



اللعب مع الطفل أبلغ وسائل التربية

بشرى شاكر

تزيد حركة الطفل بين سن الرابعة والسابعة من عمره، والعديد من الآباء يواجهون هذه الحركة الزائدة، إما بعدم الاكتراث أو بتقييد حركة الأبناء لكونهم يشكلون مصدر إزعاج لهم ولضيوفهم في الكثير من الأحيان.

عدم الاكتراث يجعل الأطفال يكبرون بدون التمييز بين ما لهم وما عليهم، وبدون وعي بأية مسؤولية ولا إدراك لمعنى الحدود، أما تقييد حركتهم فقد يصيبهم بعقدة الاقتراب من الآخر والخجل المرضي، وقد يكون رد فعلهم عكسيا تماما، إذ يتحولون إلى أطفال «ديكتاتوريين» يميلون للعنف كتمرد على سجنهم داخل طاقتهم الهائلة التي تزداد بسبب نمو أجسامهم وبداية تكوين عضلاتهم في هذه المرحلة العمرية.

الطفل يجمع في سنه هذه بين نمو عضلات جسده وتقوية جسمه وبين انسجامه مع محيطه ذهنيا واجتماعيا، والوسيلة الوحيدة التي تجمع بين الحركية والتفكير هي اللعب، وهو الأسلوب الأنجع للتعامل مع أطفال هذا السن، ويؤكد العديد من علماء النفس هذا الأمر، إذ يؤكد «كارل بيولر» الألماني، أهمية اللعب في النمو العقلي السليم وتطوير النشاط اللغوي للطفل وتكوين شخصيته، وهذا ما أتت به أيضا الأخصائية «فرنسواز دولتو» وكذلك «ماكارينكو» العالم الروسي.

ولا يمكن أن نفرض لعبة معينة على الطفل، كما يفعل عادة الآباء بإحضار

تقييد حركة الطفل يصيبه بالخجل المرضي وقد يحوله إلى ديكتاتور



لعب لأبنائهم دون استشارتهم في الأمر، وإنما من الأجدى ترك الطفل يختار لعبته مع محاولة مساعدته في ذلك دون فرض الرأي، فاختيار الطفل لعبته بنفسه أول ما يظهر لك جانبا من جوانب شخصيته، فمن الأطفال من يختار لعبا عنيفة ومنهم من يختار لعبا فكرية وهناك أولاد يختارون لعب البنات وبنات يختارون لعب الأولاد.. فاختيار اللعبة نقطة مهمة للتعرف على بداية تكوين شخصية طفلك والتعرف على الخلل فيها، وقد تكون علامة على ذكائه أو علامة على شكواه من مشكلة نفسية مثلا، طبعا لا يجب أن نغفل عن الانتباه إلى أن تكون اللعبة التي يختارها الطفل مناسبة لسنه وأنها لن تتسبب له في الأذى، وقد تكون اللعبة هدية تمناها الطفل، نمنحها له حينما ينجح في عمل ما، وهذه وسيلة تربوية هادفة، فأن تطلب من الطفل بقسوة وجفاء أن يقوم بأمر ما، ليس بالأسلوب الصحيح لتعليمه، فحتى لو قام بعمله على أحسن وجه، فسيكون ذلك لخوفه من العقاب، وسوف ينسى فيما بعد كل ما تعلمه، وطبعا لن يقوم بالعمل ذاته من تلقاء نفسه أبدا، وإنما سينتظر كل مرة أن يحس بالخوف لكي يقوم به، ولكن إن كان يقوم به وهو يعلم أن هناك جزاء مقابل عمله، فسيقوم به بحب وشغف، وهكذا يتعلم وينمي فكره دون أن يحس أنه ملزم ومجبر على ما يتعلمه وإنما سيعي أنه في مصلحته.

فقد جاء في الأثر: إن من حق الطفل الصغير علينا، رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له.. بمعنى أن التعليم لا يكون بالعنف وإنما باللين وأنه إن أخطأ ما طلب منه وجب العفو وليس التأنيب الذي قد يتسبب له في عقد نفسية، مثل الخجل والابتعاد عن الآخرين إلى النزوح نحو العنف في سن متقدمة، فوجب إعطاؤه فرصة ثانية

باحثة مغربية



وثالثة إلى أن يعرف أخطاءه بنفسه، وفي الوقت نفسه يتعلم أنه ليست كل الأمور تنال بسهولة.

وأفضل طريقة لتعلم ابنك، هو أن تشاركه في عمله كما لو كنت طفلا مثله تلاعبه، فقد كان الرسول ﷺ يشارك الحسن والحسين لعبهما وكأنه طفل مثلهما، فقد كان عليه الصلاة والسلام يبرك للحسن والحسين ويخالف بين أيديهما وأرجلهما، ويقول: «نعم الجمل جملكما». وهذا يعني أن تجعل الأم والأب نفسهما في مستوى الطفل، فإذا كان يلعب مع إخوته لعبة «الغميضة» مثلا، لا مانع من أن يشارك أحد الأبوين في ذلك، وهذا ما أكده التربوي «موريس تي بش» حينما قال: «يجب أن تعملوا معهم، أن تشاركوهم في اللعب.. أن تتحدثوا معهم بعبارات الودّ والصداقة.. إنّ الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها». ولا ضرر في أن يخترع أحدهما لعبة فكرية مثلا، مع وعد الطفل بنزهة أو هدية بسيطة إذا ما نجح فيها، أو أن تسابقه في فك ألغاز اللعبة، كأن يجمع أجزاء قطعة مبعثرة أو يكون كلمات من أحرف عديدة، كأن تقول الأم مثلا: من كون أطول كلمة سوف يحوز على قطعة حلوى لذيذة، وهكذا تنمي فكر أطفالها وهي تشاركهم



في مرح لعبهم وضحكهم وسيكون ذلك بالتأكيد ممتعا لها أيضا، فليست هناك أم أو أب لا يسعدان برؤية ابتسامة صغيرهما.

وقد كان رسولنا الكريم كما جاء عن عبد الله بن الزبير، لا ينهر الحسن الذي كان يأتي ليلاعبه وهو يصلي إذ قال: «أنا أحدّثكم بأشبه أهله إليه وأحبهم إليه الحسن بن عليّ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع، فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر»، ذلك لأنه إن غضب منه وأنزله، لن يفهم الطفل الصغير أن ما قام به، كان فعلا خاطئا، وإنما سيجعله ذلك فقط ينفر منه وربما تزداد تصرفاته سوءا.

ومشاركة الطفل لعبه لا تعني مراقبته ولا الحد من حركته أو تفكيره وإنما المساهمة فيما يقوم به، مع ترك مساحة له للتعبير عن نفسه من خلال لعبه، ويمكنه هو ذاته أن يخترع لعبة كأن يرسمها مثلا أو يغير شكلها، وهذا أمر ليس بسيئ، بل بالعكس يظهر مدى نمو الذكاء عند الطفل، وهنا يمكن مراقبته ولكن بطريقة غير مباشرة، كما يمكن طبعا مراقبة برامج الكمبيوتر التي يميل لها أطفال هذا العصر، وذلك باستعمالها قبل إهدائها للطفل وبمشاركته فيها طبعا مع تذكيره بحد زمني لا يجب تجاوزه، حتى لا يصبح مدمنا على هذه الألعاب الالكترونية، وهنا أيضا يمكن فعل ذلك بلين ورفق دون تعنيف ومن الأفضل محاولة مساعدته على انتقاء برامج لعب تربوية والابتعاد عن برامج الحرب والعنف التي لا تفيد في شيء سوى في تشويش خيال الطفل.

كما أن الطفل في هذه السن يميل إلى الركض والقفز كثيرا، ولهذا فالهدية التي يمكن أن تعدوا أبناءكم بها حين انتهائهم من الدراسة، هي فسحة أسبوعية إلى حديقة ملاه مثلا، أو ملعب رياضي، فهذه الحركية الزائدة هي ما ستجعلك تعرف إن كان ابنك في حالة جيدة ولا يعاني من أي مشكلة عضوية أو تخلف عقلي أو نفسي.

اللعب بحرية حق من حقوق الطفل، فهو ما ينمي مهارات الطفل سواء العملية أو الذهنية ويجعله أكثر تركيزًا، ينصهر أكثر مع محيطه، يتعلم واجباته كما يعي حقوقه ويتعرف على حدوده ولا يتعدى على حدود الآخرين، فتعويضا لحرمانه من هذا الحق، وجب توجيه لعبه إلى الطريق الصحيح الذي يمنحه فرصة التعلم بطريقة سهلة وممتعة لا تنفره من أهله أو من المدارس التي ينفر منها الكثير من الأطفال، لعدم توافر جو تربوي ممتع، فمازالت العديد من المدارس العربية للأسف تعتمد النظام التقليدي ولا تعرف قيمة اللعب في التحصيل العلمي والتربوي.

من مفاتيح السعادة الغائبة.. الديكور المنزلي

سارة إسماعيل محمد

مازالت نظرة العامة إلى «الديكور المنزلي» نظرة البهرجة والزركشة، وكثرة الأموال المقصورة على طبقة الأغنياء فقط.. بمعنى أن طبقة العامة لا تستطيع محاكاة الأغنياء، ويعتبرون هذا النوع من السلوك من باب الكماليات الذين هم في غنى عنها.

ولكن بعد أن أصبح الديكور المنزلي علمًا وفنًّا وسلوكًا، صار يناسب كل طبقات المجتمع وشرائحه المختلفة بأقل التكاليف وأبسط الوسائل وأيسرها.

والمنزل يحتاج بين الحين والآخر شيئًا من التغيير والتعديل والتنظيم والتنسيق، مقاومة لرتابة الحياة والسأم والملل، وتلك مسؤولية الزوجين معًا، وحسب ما يتمتعان به من طموح وثقافة التغيير المستمر، وإن كان الأمر في حقيقته يقع على عاتق الزوجة؛ لأنها الأقرب إلى بيتها تعلقًا ودراية بما يحتاج من تنسيق يخضع للمسات جمالية مختلفة.

وأي منزل من حيث الحجم والإمكانات يقبل ويتقبل التغيير والتعديل، على أن الديكور المنزلي يتحقق فيما يلي:

–الأثاث.. ويشمل تغيير بعض قطع الأثاث، أو تغيير أمكنتها، فلا مانع من أن تستبدل إحدى غرف المنزل –كل فترة ليست بقصيرة– بغرفة أخرى تتماشى وحالة الأسرة المادية والعددية، وهذا في حد ذاته تجديد يقتل النظرة المملة إلى منظر دام وقتًا طويلًا، ويوقظ روح الانتعاش الأسري. أو أن تحاول الزوجة تغيير مكان الأثاث –حتى في الغرفة الواحدة– فمثلًا تعديل وضع الأنتريه ومكان التليفزيون كل فترة، والصالون كذلك أماكن مقاعده تستبدل بأمكنة أخرى بمشتملاته ولوازمه، ويمتد الأثاث إلى باب المنزل أو الشقة.. فلا مانع من إعادة طلائه ودهانه وزخرفته وتغيير ألوانه، بما يتماشى وروح العصر.



كل ذلك لا يكلف شيئًا سوى الاستعداد النفسي، وتدبير المال بطريقة سهلة ميسرة، لا تؤثر بأي حال على اقتصاديات الأسرة الأساسية.

ألوان الحوائط لها دور في الاستقرار النفسي وعلينا تغييرها كل بضع سنوات

–الألوان.. والأساس فيها ألا تكون متنافرة قاتلة للنظر، محيرة للعين، مثيرة للاضطراب، لكنها يجب أن تكون هادئة تبعث على التأمل وعمق التفكير.

والذي لا يعرفه عامة الناس أن الألوان لها دورها في الاستقرار النفسي وشيوع الراحة المعنوية داخل جدران المنزل، فألوان الحوائط يجب ألا تستمر أكثر من بضع سنوات قليلة، حتى لا تشمئز العين بتكرار المنظر، ومن هنا وجب طلاء الحوائط طلاء هادئًا له رونقه وجماله الذي يريح النفس والعين،





ما يضفي على أفراد الأسرة رومانسية السلوك والتعامل والتؤدة عند التصرف في الأمور الحياتية.

– المفروشات.. والمقصود بها ما يختص بأقمشة غرفة النوم والصالون أو المجلس العربي أو الأنتريه والستائر، كل حسب إمكاناته، ولابد أن تخضع تلك المفروشات للتغيير والتنسيق والملائمة بينها وبين الألوان المحيطة بها وطريقة استخدامها وأسلوب عرضها، ما يجعل استخدامها سببًا مؤكدًا للراحة النفسية، وفتح الشهية نحو ممارسات سلوكية ناجحة وصائبة.. مثل التفاؤل ونظرة الأمل في لذة الحاضر والرغبة في صناعة المستقبل.

على أن تنسيق المفروشات وحسن استخدامها يخضع لثقافة خاصة، أساسها حسن التصرف واستغلال الامكانات على حسب قدرها وقيمتها، والتطلع نحو مناخ أسري معنوي محبب إلى كل أفراد الأسرة.

–التحف والتابلوهات.. وهي ما تزين بها الحوائط والأركان، وهذا يخضع لأرقى درجات الذوق وحسن الانتقاء والاختيار، والغالب تفضيل الآيات القرآنية والحديث الشريف التي لها دلالتها وأثرها في حياتنا، أو الحكم المأثورة على لوحات بسيطة تحمل روعة الفن والإتقان في ابداعها.

على أن الفن والتذوق يتدخلان في كيفية وطريقة وضعها وتعليقها في أماكنها المختلفة، مما يعكس آثارها على المشاهد والمتأمل لها.

–مائدة الطعام .. وهذه مهمة الزوجة الذكية والمرأة التي تحمل الفطنة في حب التغيير، بأن تكون لماحة في رغبتها المستمرة التي تميل إلى التجديد في عالم «سفرة الطعام»، من حيث أدواتها وأساليب تقديم الطعام كلما سنحت الفرصة وظهرت الدواعي، فاختيار مفرش السفرة ولونه ولون الأطباق الهادئ وأوضاعها وطريقة تقديمها.. له أثره الواضح في تناول الطعام والتلذذ به، وفتح الشهية أمام الطعام مهما كانت نوعيته ومقداره.

–الإضاءة .. والمقصود بديكور الإضاءة حسن اختيار نوع الإضاءة حسب المكان المراد إضاءته، والأهم هو إضاءة المكان المراد استخدامه فقط؛ حتى لا تختلط صنوف الأنوار ببعضها ما يسبب التوتر والقلق والإزعاج، على أن كل مكان له إضاءته الخاصة به.. فغرفة المعيشة إضاءتها تختلف عن غرف النوم، عن المجلس عن المكتب عن الأنتريه عن الطرقات، إن اتباع الوسائل السليمة في الإضاءة ينعكس أثره في الهدوء النفسي وراحة الأعصاب ما يتيح للإنسان التروي والتمهل في التفكير واتخاذ القرار.

إن تطبيق وسائل وأساليب التنسيق والتنظيم والتعديل (الديكور المنزلي) أكبر دليل على طموحات أفراده ونضجهم الثقافي، ورقيهم السلوكي، وتطلعهم إلى آثار التغيير والتجديد للمسة الجمالية وتطورها، والتي قد لا تكلف كثيرًا، كما يتخوف البعض من هذا الأمر، فالزوجة صاحبة الفراسة والفطنة تستغل أبسط الإمكانات وأيسر القدرات في تنفيذ ما تريد، مما يجلب للنفس الراحة بعد العناء، والبشر بعد الكآبة، والهدوء والرزانة بعد صراعات العقل وتزاحم الأفكار.

لقد أصبح دور الزوجة يتخطى ويتعدى ما هي مكلفة به من أمور منزلية تقليدية، بل راح يتعداها لما هو أهم وما يفوق دورها اليومي، فلابد أن تدرك أنه إذا كان الطعام يملأ المعدة إشباعًا لغريزة الجوع فإن اللمسات الجمالية داخل المنزل طعام روحي معنوي تتوق إليه النفس حتمًا عندما تأمل في مناخ غير المناخ، وأن تعلم أن مفاتيح السعادة المنزلية ليست جاهًا أو سلطانًا، ولكن الديكور المنزلي من مفاتيح السعادة الغائبة التي يجب أن نبحث عنها.

الاقتصاد الأخضر.. تنمية مستدامة تراعي الصحة والبيئة

رضا عبدالودود

قد يبدو غريبًا للوهلة الأولى الحديث عن الاقتصاد الأخضر في الأوضاع غير المستقرة التي تمر بها المنطقة، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، لكن التحول إلى الاقتصاد الأخضر يمكن أن يساعد في نقل العالم العربي إلى اتجاه جديد في التنمية يؤمن الاستدامة والاستقرار في البيئة كما في الاقتصاد، حيث تتمحور المبادئ الأساسية للاقتصاد الأخضر حول إعطاء وزن متساو للتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية والاستدامة البيئية، وتلبية هذه الأهداف الثلاثة توفر أساسًا سليمًا لمعالجة نقاط الضعف في الاقتصادات العربية، من تخفيف الفقر والبطالة، إلى تحقيق أمن غذائي، إلى توزيع أكثر عدالة للدخل، ما يحقق استقرارًا مجتمعيًا وأمنيًا، كما أن الاستخدام الكفء للأصول الطبيعية من أجل تنويع الاقتصاد، الذي يمثل آلية وركيزة أساسية للاقتصاد الأخضر، يوفر مناعة في وجه تقلبات الاقتصاد العالمي ما يحقق الاستقرار الإقتصادي الغائب عن كثير من مجتمعاتنا.

مع ارتفاع معدلات التلوث البيئي التي باتت تهدد صحة الإنسانية بصورة عامة، وفي المنطقة العربية بصفة أساسية لانتشار الصناعات الكثيفة الاعتماد على الطاقة بجانب الصناعات الرديئة وعدم مراعاة قواعد السلامة البيئية، علاوة على غياب الثقافة البيئية لدى قطاعات واسعة من مجتمعاتنا العربية، ما يتسبب في تآكل نحو ٥٪ من الناتج القومي العربي، إزاء تلك الحالة، يقف صناع القرار ومحددو الاستراتيجيات الصناعية في مأزق كبير أمام ضرورات التطور والتنمية الصناعية والتجارية التي تستلزم التوسع الأفقي والرأسي، وأمام الحفاظ على السلامة البيئية التي تشير المؤشرات العالمية إلى خطورتها في معظم الدول العربية.

ولكن تلك الحيرة تتبدد أمام تجارب بعض الدول الغربية التي تنبهت للأمر مبكرًا ولجأت إلى التوسع في النشاطات الاقتصادية التي تراعي قواعد السلامة البيئية والصحية، وحققت المعادلة الأصعب بإنجاز التنمية والتطور التقني



والصناعي والتجاري مع الحفاظ على السلامة البيئية، أو ما يتعارف عليه بـ«الاقتصاد الأخضر» الذي يسعى لتحقيق تنمية اقتصادية عبر مشروعات صديقة للبيئة لا تضرها، معتمدة على التكنولوجيا الحديثة لتوليد الطاقة المتجددة بديلًا عن الطاقة التقليدية الملوثة للبيئة، ومصادر الطاقة المتجددة أهم ما فيها أنها من مصادر طبيعية لا تفنى كالشمس والرياح، وهي أيضًا لا تلوث البيئة.

وتبرز أهمية مشروعات الاقتصاد الأخضر في أن الطاقة المستخدمة في غالبية المشروعات حاليًا بشكل واسع متمثلة في البترول أو الغاز مصيرها للزوال إلى جانب ما تسببه من احتباس حراري يهدد العالم كله.

يحقق الأمن القومي

أما الشق السياسي المتعلق بتخضير الاقتصاد، فيتعلق بتحقيق الأمن القومي للدولة والذي كان مرتبطًا في الماضي بالأمن العسكري، ولذلك كان التركيز على بناء قوة قادرة على التعامل مع الأخطار الخارجية باستخدام الأعمال العسكرية، ولكن التفسير الشامل للأمن القومي في الوقت الراهن هو قدرة الدولة على تأمين استمرار مصادر قوتها في كل المجالات، بما فيها المجال الاقتصادي لمواجهة المخاطر التي تهددها، وتأمين متطلبات الحياة الأساسية لأبنائها في الحاضر والمستقبل، ويرتبط هذا التأمين بتلوث البيئة أو الاستخدام الجائر للموارد الذي قد يؤدي إلى خلل داخلي وانهيار عناصر قوة الدولة، ولذلك أصبح التحدي الذي يواجه العالم على المستوى



الوطني أو الإقليمي أو العالمي يتعلق بالتوفيق بين النمو الاقتصادي والسكاني من ناحية، وبين الحفاظ على العناصر الأساسية للحياة من خلال الحفاظ على البيئة من ناحية أخرى، ومن هنا أصبحت المشاكل البيئية من الممكن أن تهدد الأمن القومي من خلال التأثير على الانتعاش الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، بل إن تأثير مشاكل البيئة امتد إلى تغيير مفهوم الأمن العالمي الذي انتقل من توازن القوى والردع والتعايش السلمي والأمن الجماعي إلى مفهوم آخر هو الأمن المشترك الذي يقوم على أن الأمن الحقيقي لا يمكن توافره إلا من خلال التعاون والتنسيق بين جميع الدول حتى الأعداء، وذلك لأن تدمير البيئة من خلال النشاط الاقتصادي يؤدي إلى الضعف الاقتصادي والاجتماعي وتهديد نوعية الحياة للإنسان على المستوى الوطني والإقليمي والدولي، ومن ثم يصبح التنافس بين الدول أكثر ضراوة، ويؤدي إلى نشوب توترات سياسية، ولذلك أصبح هناك تداخل بين المشاكل الاقتصادية والسياسية من جانب، وبين المشاكل البيئية من جانب آخر، ولم يعد من الصواب أن نقول إن التنمية التي تتعدى الحدود الطبيعية تعتبر تلوثًا، وإنما الصحيح أن نقول إن تلوث البيئة يمنع التنمية أصلًا، فتلوث المياه يفسد الزراعة، كما لم يعد من الصواب أن نقول فقط إن النزاعات الداخلية أو فيما بين الدول تؤثر على البيئة، بل الصحيح أن نقول إن تدهور البيئة يؤدي إلى اشتعال الصراعات بين الدول.

الجدوى الاقتصادية

وعلى هذا الصعيد، أوضح تقرير «الاقتصاد الأخضر في عالم عربي متغيّر» الذي أطلق في افتتاح المؤتمر السنوي للمنتدى العربي للبيئة والتنمية (أفد) المنعقد في ٢٧ و٢٨ أكتوبر ٢٠١١ في فندق «الحبتور جراند» ببيروت، أن خفض دعم أسعار الطاقة في المنطقة العربية بنسبة ٢٥٪ سيوفر أكثر من ١٠٠ بليون دولار خلال ثلاث سنوات، وهذا مبلغ يمكن تحويله لتمويل الانتقال إلى مصادر الطاقة الخضراء، وبتخضير ٥٠٪ من قطاع النقل في البلدان العربية، نتيجة ارتفاع فعالية الطاقة وازدياد استعمال النقل العام والسيارات الهجينة (هايبريد) تتولد وفورات تقدر بنحو ٢٣ بليون دولار سنويًا، وبإنفاق ١٠٠ بليون دولار في تخضير ٢٠٪ من الأبنية القائمة خلال السنين العشر المقبلة، يُتوقَّع توفير أربعة ملايين فرصة عمل.

وفي سياق متصل دعا «افد» البلدان العربية إلى العمل لتعزيز كفاءة الري واستخدام المياه ومنع تلوثها، مع العمل على زيادة نسبة مياه الصرف المعالجة التي يعاد استخدامها من ٢٠٪ حاليًا إلى ١٠٠٪، مشيرًا إلى أن ذلك سيخفض كلفة التدهور البيئي في المنطقة العربية البالغة نحو ٩٥ بليون دولار سنويًا.

وأظهر التقرير نتائج مشابهة في مجالات متعددة، كمردود الاستثمار في تخضير قطاعات النفايات والصناعة والسياحة والزراعة، وهو يتضمن أكثر من ٦٠ دراسة حالة عن تجارب ومبادرات ناجحة في العالم العربي في مجال التحول إلى الاقتصاد الأخضر.

فرص واعدة يضيعها العرب

وفي الوقت الذي يشهد العالم فيه نموًا متسارعًا لتجارة الخدمات والسلع البيئية، مقارنة بالقطاعات التجارية العالمية الأخرى، يقف العالم العربي على هامش هذا القطاع، بنسبة أدنى من ١٪ من القيمة الإجمالية لهذه التجارة التي تبلغ نحو ٦١٨ بليون دولار أميركي.

كما أن نسبة الميزانية التراكمية التي تصرف على البيئة من الصناديق والمصارف العربية التنموية عبر قروض وهبات لا تتعدى ٦٪ من ميزانيتها الإجمالية.

ضمانات لإنجاز مشروعات الاقتصاد الأخضر

وهنا يأتي دور الحكومات المساند لمشروعات الاقتصاد الأخضر عبر تسهيل الإجراءات في تأسيس مثل تلك المشروعات، وإلغاء الجمارك عن مستلزمات هذه الصناعة، وصياغة القوانين المنظمة للنشاطات الاقتصادية النظيفة.

جانب آخر يتشارك فيه المجتمع والمؤسسات الحكومية، وهو الدعم

المعرفي وتعميق برامج التثقيف المجتمعي حول الأنشطة النظيفة بيئيًا، والمساندة المعرفية لمن يدخل هذا المجال، خاصة في النواحي البيروقراطية والتشريعية والقانونية، حتى لا يكون هناك ما يؤخر التقدم في هذا الاستثمار.

ويقف التمويل كعنصر أساس في تطوير مشروعات الاقتصاد الأخضر، عبر بنوك مختصة بتمويل هذا النوع من الاستثمارات، فترى التكلفة التي يحتاج إليها صاحب المصنع وتدرس قدراته المالية وتموله بالباقي.

ومن أهم الوسائل الداعمة للاقتصاد الأخضر في دول العالم المتقدم تحصيل الضرائب على أساس حجم التلوث وليس على أساس حجم الإنتاج.

خارطة طريق

وإزاء الفاقد العربي من الناتج القومي المترتب على الممارسات الاقتصادية الخاطئة يقدر خبراء التنمية العرب والعالميين معدل الكلفة السنوية للتدهور البيئي في البلدان العربية بنحو ٩٥ بليون دولار، أي ما يعادل ٥٪ من مجموع ناتجها المحلي الإجمالي عام ٢٠١٠.

وقد وضع تقرير «افد» حول الاقتصاد الأخضر الصادر عن منتدى بيروت (أكتوبر/٢٠١١) خارطة طريق للتوسع في التنمية الخضراء التي تعد الباب الأهم في تأمين مجتمعاتنا العربية من مخاطر الفقر والبطالة والتلوث وغيرها من التحديات البيئية والصحية والتنموية.

ويأتي في مقدمة تلك الخارطة تطوير قطاع الزراعة، فإذا ارتفعت نسبة العمال الزراعيين في المنطقة العربية إلى ٤٠٪ من القوة العاملة نتيجة التحول إلى الممارسات المستدامة، فسوف يولّد ذلك أكثر من ١٠ ملايين وظيفة في القطاع، بجانب وُفورات في البلدان العربية تتراوح بين ٥ و٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي، أي ما مقداره نحو ١٠٠ بليون دولار سنويًا، نتيجة ازدياد الإنتاجية المائية وتحسين الصحة العامة وحماية أفضل للموارد البيئية.

خفض الاستهلاك الفردي للكهرباء في العالم العربي إلى المعدل العالمي يوفر ٧٣ بليون دولار سنويًا

الأمر الثاني، ضبط السياسات المائية وتنظيم الوصول إليها، وتعزيز كفاءة الري واستخدام المياه، ومنع تلوث المياه، مع التوسع في إقامة مناطق محمية حيوية لموارد المياه، بجانب زيادة نسبة مياه الصرف المعالجة من ٦٠٪حاليًا إلى ما بين ٩٠ و١٠٠٪، وزيادة نسبة المياه المعالجة التي يعاد استخدامها من ٢٠٪ حاليًا إلى ١٠٠٪. وما يتطلبه ذلك من تطوير تكنولوجيات جديدة للتحلية محليًا، خاصة باستخدام الطاقة الشمسية.

وعلى صعيد استخدامات الطاقة رأى «افد» أن خفض معدل الاستهلاك الفردي السنوي للكهرباء في البلدان العربية إلى المعدل العالمي، من خلال إجراءات كفاءة الطاقة، سيحقق وفورات في استهلاك الكهرباء يقدَّر أن تصل إلى ٧٣ بليون دولار سنويًا، وإذا خفض دعم أسعار الطاقة بنسبة ٢٥٪، فسوف يحرر ذلك أكثر من ١٠٠ بليون دولار خلال ثلاث سنوات، ويمكن تحويل هذا المبلغ لتمويل الانتقال إلى مصادر الطاقة الخضراء.

وفي مجال الصناعة يبرز تحدي تخفيض انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون الذي يمكن تحقيقه من خلال اعتماد تكنولوجيات الإنتاج الأكثر كفاءة في المصانع الجديدة، وتجهيز المصانع القائمة بمعدات تكافئ الطاقة حيثما كان ذلك عمليًا من الناحية الاقتصادية.

ويقدَّر أن يؤدي تخفيض متطلبات الطاقة بنسبة ٣٠٪ نتيجة عمليات صناعية أكثر جدارة إلى وفورات سنوية مقدارها ١٥٠،٠٠٠ بليون كيلوواط/ ساعة، أو ١٢،٣ بليون دولار.

وتركز خارطة الطريق في مجال النقل على تخضير ٥٠٪ من قطاع النقل في البلدان العربية، نتيجة ارتفاع فعالية الطاقة وازدياد استعمال النقل العام والسيارات الهجينة (هايبريد)، تتولد وفورات تقدر بنحو ٢٣ بليون دولار سنويًا.

أما المباني فإن دمج اعتبارات فعالية الطاقة في تصميم الأبنية سيؤدي إلى انخفاض نحو ٢٩٪ في الانبعاثات الكربونية بحلول سنة ٢٠٢٠، ما يخفض الاستهلاك بمقدار ٢١٧ بليون كيلوواط/ ساعة ويولد وفورات بمقدار ١٧،٥ بليون دولار سنويًا، إلى ذلك، فإن إنفاق ١٠٠ بليون دولار في تخضير ٢٠٪ من الأبنية القائمة في البلدان العربية خلال السنين العشر المقبلة، باستثمار ما معدله ١٠،٠٠٠ دولار لكل مبنى لتركيب تجهيزات حديثة، يُتوقَّع أن يخلق أربعة ملايين فرصة عمل.

أما تخضير النفايات، فيؤمن للبلدان العربية ٥،٧ بليون دولار سنويًا، وتساهم الإدارة الخضراء للنفايات في خلق الوظائف، كما توفّر فرصًا استثمارية فريدة في إعادة التدوير وإنتاج السماد العضوي وتوليد الطاقة.

إذن فالإرادة هي أساس التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة، وهي كذلك ما تنقص العالم العربي في تحقيق المعادلة الأصعب بإنجاز التنمية مع الحفاظ على البيئة وتلبية مطالب الحياة الآمنة الكريمة، ومع الاقتصاد الأخضر فإن المنطقة العربية غير مضطرة إلى الاختيار بين التنمية الاقتصادية والمساواة الاجتماعية، إذ إن الاقتصاد الأخضر، في تصميمه، يسعى إلى تحقيق أهداف سياسية اقتصادية واجتماعية وبيئية.

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

مشروع «كلمة»

من المعروف أن الكتب ساهمت في إحداث نهضة فكرية ودفع عجلة التنمية المستديمة، حيث تجعل حياة الناس أكثر وعيا وثراء وتشجعهم على الحوار مع الآخر وتساعدهم في ردم الفجوات الثقافية بين شعوب العالم.

المتأمل في واقع عالمنا العربي والإسلامي اليوم لا يستغرب التراجع الثقافي والتسطيح الفكري والاستخفاف العقلي في مختلف المناشط والفعاليات، فعندما نستقرئ التاريخ نرى أن العلماء العرب والمسلمين خلال العصور المظلمة في أوروبا وحتى نهاية الألفية الأولى كانوا يقومون بدور ريادي في مجالات الترجمة والنشر والمحافظة على كنوز المعرفة العلمية والطبية والفلسفية والأدبية، حتى ازدهرت المعرفة بمختلف تخصصاتها ومشاربها بفضل ترجمة العديد من الأعمال المهمة إلى اللغة العربية.

وإحياء لهذا العصر الذهبي للترجمة والمعرفة وصناعة الكتاب بادرت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث في دولة الإمارات أخيرًا بإطلاق مشروع للترجمة تحت مسمى «كلمة للترجمة»، بهدف ربط الثقافة العربية بالعالمية من أجل تطوير الذات والبحث عن استلهامات إنسانية مثمرة لتحقيق التنمية والإبداع والتعرف على خصوصية المجتمعات الأخرى.

هذه المبادرة جاءت لإعادة توحيد جهود صناعة الكتاب في العالم العربي، من خلال جمع الناشرين والوكلاء والمؤلفين والمترجمين والموزعين في مبادرة واحدة لزيادة عدد وخيارات الكتب المتوافرة للقرّاء العرب، وسد النقص في المكتبة العربية، وإسهاما في تنشيط حركة الترجمة في العالم العربي.

وينطلق مشروع «كلمة» من إدراك حقيقي لما تمثله حركة الترجمة من دور في نهضة الشعوب، وتفاعلها مع الآخر، وتوفير نقاط التّماس المشتركة وردم الهوة الفاصلة بين الثقافات، ونشر التقارب الحضاري بين الذات والآخر.

ويقوم المشروع على تمويل ترجمة أبرز الكتب العالمية إلى اللغة العربية ومن ثمّ طباعتها وتوزيعها، كما يساند مبادرات التسويق والتوزيع للكتاب من خلال فتح قنوات جديدة للتوزيع وتحديث القنوات الحالية، بالإضافة إلى دعم صناعة الكتاب العربي والترويج له على المستوى العالمي، والاستثمار في الترجمة باعتبارها مهنة قائمة بذاتها لتشجيع المترجمين وزيادة عدد الأكفاء منهم.

ويختار المشروع كل عام مائة كتاب من أهم المؤلفات العالمية الحديثة في شتى مجالات المعرفة والعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية، مع مراعاة الجودة والدقة في نشر الكتب، مع تمويل دور النشر المتميزة في العالم العربي لتقوم بترجمة الكتب المختارة وطباعتها وتوزيعها.

لقد تمّ إطلاق مبادرة «كلمة» من أجل التصدي لمشكلة مزمنة عمرها ألف سنة تتمثل في ضعف حركة الترجمة في العالم العربي ما أدى إلى حرمان القرّاء العرب من الاستمتاع بأعمال أعظم المؤلفين والمفكرين على مرّ التاريخ، وحرمانهم من التعلم من هذه الأعمال، إلى جانب عدم توافر كثير من الأعمال الأدبية والعلمية العالمية البارزة في معظم الدول العربية إلا بلغاتها الأصلية، بحيث تقتصر الاستفادة منها على فئة محدودة من فئات المجتمع.

الغريب في الأمر أنه يوجد ما يقرب من ٣٠٠ مليون مواطن عربي في العالم، ولكن لا يتوافر لهذا العدد الضخم سوى عدد قليل جدًا من الكتب الأجنبية المترجمة للقراءة، وكذلك الجودة المتفاوتة للإنتاج وسوء التوزيع والقرصنة، فلا عجب أنّ الاهتمام بالكتب قد تضاءل إلى حدّ كبير في العالم العربي.

إن اللغة العربية تتميز بقدرتها التعبيرية وجمالياتها الفنية، لذلك فإنها تستحق منا المزيد من الاهتمام والتقدير من خلال منح القرّاء خيارات أكثر من الكتب المتميزة المترجمة، وقراءة أكبر مجموعة من المؤلفات العالمية البارزة بلغتهم الأم.. إنه بالفعل مشروع يستحق التقدير والاحترام.

أسست عام ١٥٨٣م في اسطنبول

مكتبة السليمانية للمخطوطات

السلطان «سليمان الأول» عاشر سلاطين الدولة العثمانية، وصاحب أطول فترة حكم استمرت لستة وأربعين عامًا ما بين (٩٢٦- ٩٧٤هـ)، الموافق (١٥٢٠- ١٥٦٦م) على قمة السلطة في دولة الخلافة العثمانية، عُرِفَ عند العرب بـ«سليمان العظيم»، وفي الشرق بـ«سليمان القانوني» لما قام بهِ من إصلاح في النظام القانوني العثماني.


تركي محمد النصر

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

بلغت الدولة العثمانية إبان حكمه أعلى درجات القوة والسلطان؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث، وامتدت هيبتها فشملت العالم كله، وصارت سيدة العالم تخطب ودها الدول والممالك، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تسيّر الحياة في دقة ونظام دون أن تخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم، وارتقت فيها الفنون والآداب، وازدهرت العمارة والبناء، وكان من أعظم ما أنشأه السلطان الأديب سليمان القانوني الكلية السلطانية التي أمر- رحمه الله- ببنائها بين عامي (١٥٥٠- ١٥٥٧م)، فكانت واحدة من أهم الآثار العثمانية، بل لعلها أهمها.

وتضم كلية السليمانية (أو المجمع السليماني)- التي تبلغ مساحتها ثلاثين ألف متر مربع: «جامع السليمانية، ودار القراء، ومدرسة الصبيان بمراحلها الابتدائية الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ومدرسة الطب، ودار الشفاء، ودار الضيافة، والمطبخ، ودار الحديث، ودار الملازمية، والحمام التركي، وقبر سنان المتواضع، وبيوت الحراس الموجودة فوق الأبواب، والمدفن الذي يضم مقبرتي السلطان سليمان القانوني، وزوجته.

تأسيسها ومحتوياتها

بعد عام (١٩١٨م) تم جمع المكتبات الموقوفة، والتي شيدت في مختلف أنحاء اسطنبول داخل المدرستين الأولى والثانية في الكلية السليمانية، ثم أخذت هذه المدارس في التحول إلى مكتبة.

أسست المكتبة السليمانية عام (١٥٨٣م) داخل قسم خاص من الجامع الذي استمدت اسمها منه، وقد تألفت


مدير المكتبة السليمانية السيد أمير آشي

من الكتب التي نُقلت إليها آنذاك.

وقد بلغ عدد المجموعات داخل المكتبة السليمانية- إلى الآن مع إضافة المجموعات المهداة إليها- (١٣١) مجموعة، منها (١١٧) مجموعة ترجع إلى العهد العثماني، وهي تشتمل على أعداد كبيرة من مكتبات كل من: «السلطان، وشيخ الإسلام، والوالدة سلطان، والآغا، والباشا، ورئيس الكتاب، والمدرسة، والتكية، والدركاة، والأوقاف، والجوامع، ومكتبات خاصة الناس».

وتحتل المكتبة السليمانية المرتبة الأولى في تركيا من حيث عدد المخطوطات حيث بلغ عددها نحو (٦٧٣٥٩) مخطوطة، إضافة إلى (٤٩٦٦٣) كتابًا مطبوعًا من الطبعات النادرة القديمة جدًا، ومن أهم محتوياتها أيضًا:

١- جزء من القرآن مكتوب بالخط الكوفي على رق الغزال، ويعود تاريخ نسخه إلى القرن الثالث الهجري، ويأتي في مقدمة مخطوطات المصاحف الشريفة، وهي مرتبة بحسب التسلسل

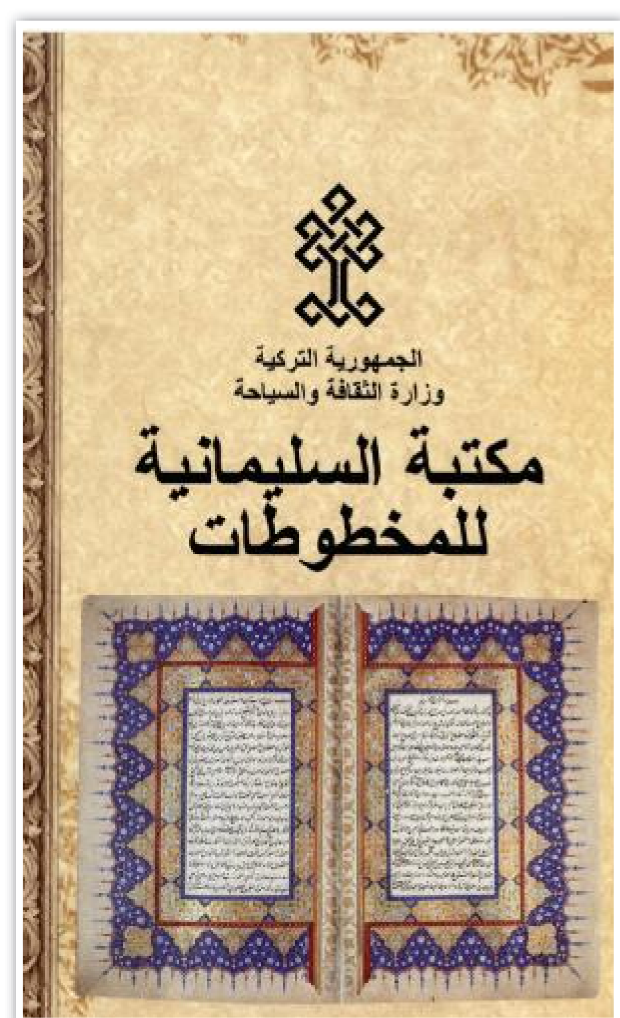
الزمني لتطوير فنون الخط العربي عبر القرون الماضية.

٢- مخطوطة كتاب البحرية لأميرال البحر العثماني بير رئيس، وفيه خرائط عالمية تصور قارات آسيا وإفريقيا والقطب الجنوبي.

٣- ومخطوطة عجائب المخلوقات للقزويني، وهي مخطوطة مصورة مزدانة بالروم المنمنمة.

٤- مخطوطة حديقة السعداء للشاعر فضولي، وهناك الكثير من دواوين الشعر المزدانة بالرسم.

٥- مخطوطة كتاب الحشائش، وهي مزدانة برسوم النباتات، ومؤلفها هو الطبيب اليوناني اللسان ديسقوريد الذي عاش في عين زربة، وكان جراحًا في الجيش الروماني زمن الإمبراطور نيرون الذي حكم من سنة (٥٤) حتى سنة (٦٨)م، وترجم الكتاب إلى اللغة العربية في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله من قبل اسطفان بن باسيل، وصحح الترجمة حنين بن إسحق، وللكتاب أسماء عدة منها: «الأعشاب»، و«كتاب الحشائش».



وتحتوي المكتبة السليمانية على المخطوطات والمطبوعات التي تعد المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية التركية، وهي تقدم خدماتها على مستوى دولي للباحثين الأتراك والأجانب.

وتفخر المكتبة السليمانية بامتلاكها لأكثر من خمسمائة مخطوطة بخطوط مؤلفيها، وآلاف المخطوطات المنسوخة من نسخ المؤلفين الأصلية، وآلاف المخطوطات التي دون عليها العلماء وقائع السماع، ومقابلة المخطوطات على أصولها، وإجازة العلماء عليها، وتشمل مخطوطات السليمانية معظم أنواع العلوم النقلية والعقلية المخطوطة والمطبوعة، وقد تم تصنيفها الموضوعي ابتداء بمخطوطات القرآن الكريم وعلومه، ثم الكتب السماوية الأخرى، ثم الحديث الشريف وعلومه، ثم الفقه وأصوله وما يلحق به من القواعد وعلم الكلام والجدل والخلاف، وكتب الفتاوى والفرائض، والتصوف والأدعية والخواص، والسياسة والأخلاق، وهنالك كتب الأدب والعروض والنحو، والتاريخ الطبيعي والبشري، والجغرافيا والفلسفة، والطب البشري، والبيطرة الخاصة بطب الحيوانات، والبيزرة الخاصة بطب الطيور، وكتب الرماية والفروسية، والفيزياء والكيمياء، والرياضيات والفلك، وغير ذلك.

وتتوافر في المكتبة أروع نماذج الفنون التقليدية، مثل: «التجليد، والتذهيب، والأبرو، واللوحات».

أقسام المكتبة وخدماتها

تحفل قاعة القراءة في المكتبة بالمصادر المطبوعة مثل الفهارس، والمعاجم، ودوائر المعارف، وتتوافر للباحث- إلى جانب الاستفادة من خدمات المكتبة التقليدية- إمكانية استخدام الحاسب الآلي الخاص بقواعد بيانات المكتبة للوصول إلى مواصفات الكتاب وصورته الرقمية، ومن أهم أقسامها:

١- قسم الفهرسة والتصنيف

تقوم المكتبة بتسجيل مواصفات الكتب والمواد الإلكترونية التي توافرت لديها من خلال الإهداءات، والمشتريات، ثم تقوم بفهرستها وترقيمها طبقًا لنظام تصنيف «ديوي العشري».

وأعدت المكتبة بطاقات فهرسة لنحو (١٢٥) ألف مصنف، وقد تم تزويد قاعدة البيانات الإلكترونية بهذه المواصفات المتوافرة على بطاقات الفهرسة.

وإذا ما كانت المصنفات المُهداة من

العدد والقيمة بحيث تشكل مجموعة وحدها، فإنه يخصص لها قسم جديد باسم المتبرع بها، وأغنى المجموعات التي ضُمت إلى المكتبة السليمانية هي مخطوطات مكتبة السلطان محمد الفاتح وعددها (٥٢١٩) مخطوطة، وتمتاز هذه المجموعات بمخطوطات كُتبت برسم مطالعة السلطان محمد الفاتح، ومخطوطات مكتبة آيا صوفيا وعددها (٥٠٥٣) مخطوطة، ومخطوطات مكتبة أسعد أفندي، وعددها (٣٦٩٦) مخطوطة وغيرها.

وأما إذا كانت الكتب المهداة قليلة العدد، فإنها تضم إلى قسم المخطوطات إذا كانت مخطوطة، وإلى قسم الإهداءات إذا كانت مهداة، وإلى قسم اللغة الأجنبية إذا كانت مكتوبة باللغة الأجنبية، وإلى قسم المؤلفات الحديثة إذا كانت مكتوبة باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية، وبعد ذلك تقدم لخدمة الباحثين.

ويقوم كذلك هذا القسم بالتسجيل المجاني للمتون الثقافية المتوافرة لدى المواطنين، ويمكن لطلاب مرحلة الليسانس المشتغلين بهذا التخصص الاستفادة من خدمات هذا القسم من خلال العمل داخل المكتبة على سبيل التطوع أو التدرب.

٢- قسم الشؤون الإدارية والمالية

تقوم وحدة الشؤون الإدارية والمالية بإدارة جميع مهام المكتبة السليمانية وما يتبعها من مكتبات، مثل الحسابات، وشؤون المكتبات، والتعليم، ووحدة المعلومات.

٣- قسم الخدمات الفنية

يقوم بتحويلها المخطوطات والمؤلفات النادرة إلى وسائط إلكترونية، ويتم تحويل المخطوطات والمؤلفات المطبوعة بالحروف العربية إلى وسائط إلكترونية من خلال تصويرها بالكاميرات



٨٥ ألف كتاب إلكتروني .. ولا يزال العطاء مستمرًا

الرقمية، وقد بدأ تنفيذ هذا المشروع عام (٢٠٠٢م)، ثم تسارعت خطواته في أوائل عام (٢٠٠٣م) وحتى يومنا هذا، فقد تم الانتهاء من تحويل (٨٥) ألف كتاب إلى إصدار إلكتروني، ولا يزال العمل مستمرًا في هذا القسم على قدم وساق.

٤- قسم الميكروفيلم

أسس هذا القسم داخل المكتبة السليمانية منذ عام (١٩٥٠م)، وقام بتحويل العديد من المؤلفات إلى نظام الميكروفيلم، وفي مقدمتها:

- المؤلفات التي كانت على وشك التلف.
- المؤلفات ذات النسخ الفريدة.
- المؤلفات المكتوبة بخط المؤلف ذاته.
- المؤلفات المتفردة في موضوعها.
- المؤلفات القيمة من حيث التذهيب، والمنياتور، والخطوط.

ويضم أرشيف هذا القسم أكثر من خمسة آلاف ميكروفيلم.

٥- مركز أبحاث وترميم المخطوطات والمؤلفات النادرة

تتعرض المخطوطات بمرور الوقت لتساقط في الأوراق، أو تخلل في أغلفتها الجلدية، أو طمس في التذهيب والجداول، أو تخلل في خيوط التجليد، أو تصاب الأوراق برطوبة، أو تعفن، أو تحمض، أو أن تقع فريسة لحشرات الأوراق، وقد أخذ «مركز أبحاث وترميم المخطوطات والمؤلفات النادرة» على عاتقه إعادة ترميم المجلدات والأوراق على نحو يتناسب وعراقة وأصالة وتاريخية هذه المخطوطات القيمة.

وكان قد أسس عام (١٩٥٦م) قسم التجليد والباثولوجي، ثم بقرار من وزارة الثقافة والسياحة عام (١٩٩٠م) تحول القسم إلى مركز أبحاث وترميم المخطوطات والمؤلفات النادرة.

ويواصل هذا المركز إلى الآن مباشرة مهمات الصيانة والترميم للمخطوطات الموجودة بالمكتبة السليمانية، وكذلك المخطوطات المتوافرة بمكتبات اسطنبول والمحافظات الأخرى.

ويمكن لطلاب مرحلة الليسانس

المشتغلين بهذا التخصص الاستفادة من خدمات هذا القسم من خلال العمل داخل المكتبة على سبيل التطوع أوالتدرب.

المكتبات الملحقة بالسليمانية

توجد مجموعة من مكتبات التراث الملحقة إداريًا بالمكتبة السليمانية في اسطنبول، ولها مقرات خاصة خارج المكتبة السليمانية، وهي:

١- مكتبة راغب باشا في «لاله لي» التي نقلت مخطوطاتها إلى السليمانية منذ الزلزال الأخير، وفيها (١٢٧٤) مخطوطة، و(١١٢٥٩) كتابًا مطبوعًا.

٢- مكتبة عاطف أفندي الموجودة في «محلة وفا»، وفيها (٣٢٢٨) مخطوطة، و(٢٤٩٦٨٣) كتابًا مطبوعًا.

٣- مكتبة كوبريلي الموجودة في شارع «ديوان» قرب جامع السلطان أحمد، وفيها (٢٧٧٥) مخطوطة، و(٨٥٩) كتابًا مطبوعًا.

٤- مكتبة نور عثمانية الموجودة بالقرب من منارة القسطنطينية، وسوق محمود باشا، وفيها (٥٠٥٢) مخطوطة، و(٢٦٣١) كتابًا مطبوعًا.

الخدمات

تفتح المكتبة قاعاتها للمطلعين والباحثين كل يوم فيما عدا العطلات الرسمية للبلاد، ومع أن خدمة استخراج المؤلفات من المخازن تتوقف في الساعة الخامسة مساء، إلا أنه يمكن للباحثين الاطلاع على المؤلفات في صورتها الرقمية من خلال الحاسب الآلي.

أضف إلى ذلك أنه يمكن الاطلاع على مواصفات المؤلفات من خلال موقع المكتبة على الإنترنت، أو من خلال التصفح المباشر للفهارس المطبوعة،



والبطاقات المفهرسة، وقواعد البيانات الإلكترونية.

وعند رغبة الباحث في الاطلاع على المخطوط مباشرة في أوقات العمل الصباحية، فإنه يتعين عليه ملأ استمارة طلب الكتاب، وعندها سيقوم الموظف المختص بإحضار المخطوط إلى قاعة الاطلاع.

أما إذا رغب الباحث في الحصول على نسخة إلكترونية من المؤلَّف، فإن عليه ملأ استمارة نسخ المؤلَّف ودفع قيمة النسخ، وبعدها يحصل على طلبه في الصورة التي يريدها، إما اسطوانة مدمجة، أو ميكروفيلم.

وتتوافر كذلك خدمة تلقي طلبات الباحثين من خلال البريد الإلكتروني، والرسائل، والفاكس، أو التلفون للحصول على نسخ من المؤلفات على اسطوانات مدمجة.

وتنظم المكتبة دورات في فن الأبرو، والخط، والتذهيب، خلال الفصول الدراسية تحت رعاية الخبراء، ويمكن للمواطنين الأتراك الاستفادة من مصادر المكتبة بعد إبراز تحقيق الشخصية، أما الباحثين الأجانب فيتعين عليهم ملأ طلب بذلك.

ومن يرغب في الاستمتاع بمشاهدة أروع ما لدى المكتبة من نماذج للثقافة المكتوبة فما عليه إلا زيارة الموقع الإلكتروني للمكتبة السليمانية على الشبكة العنكبوتية.

كما تقوم المكتبة بخدمة توفير المخطوطات الموجودة في المكتبات الأخرى داخل تركيا وخارجها في شكل اسطوانات مدمجة، وتوفر أيضًا- إسهامًا منها في المجال الثقافي- خدمة الترجمة والتحويل إلى الحروف اللاتينية لمختلف الوثائق والمتون المكتوبة بالعربية والعثمانية والفارسية من كتب، ولوحات، وفرمانات، وسندات، إضافة إلى أن المكتبة تقوم بتحويل هذه المتون إلى إصدارات رقمية مجانية، وتقدمها لأصحابها.

وتسجل المكتبة مختلف المواد الثقافية المتوافرة لدى المواطنين مجانًا، كما تقوم بأي ترميمات لازمة يمكن للقسم المختص القيام بها.

وهكذا، وعند نهاية الحديث عن نشأة المكتبة السليمانية العريقة والتعرف على أقسامها وفصولها وخدماتها، تكتمل لدى القارئ الكريم فكرة كاملة عن مؤسسة علمية دينية ثقافية حضارية، تقدِّم نموذجًا راقيًا للمكتبة العلمية الشاملة التي تساهم مساهمة فاعلة في نشر الثقافة والعلم، وترتقي بالجانب العلمي في المجتمع إلى أعلى مستوياته

المراجع:

١. الدولة العثمانية لعلي الصلابي.

٢. التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر.

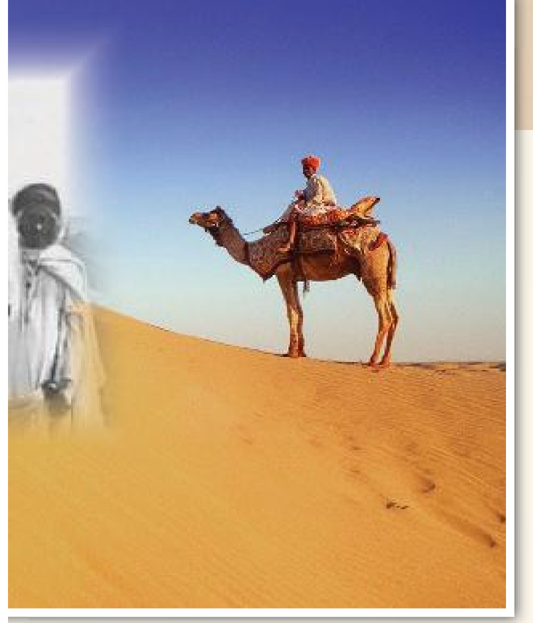
٣. النشرة التعريفية الصادرة عن المكتبة السليمانية.

٤. الموقع الإلكتروني للمكتبة السليمانية.

ولد في «بلنسية» ومات في «الإسكندرية»

أبوالحسن بن جبير.. عقود من الترحال (٣-٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية



مدينة «بلنسية» الأندلسية، فيها كانت البداية، بينما كُتبت النهاية في مدينة «الإسكندرية» المصرية، وما بين المدينتين رحلة طويلة قوامها ٧٥ عامًا، عاشها الرحالة العربي الأصل الأندلسي المولد محمد بن أحمد بن جبير، المكنَّى بـ«أبي الحسن»، والذي قام على مدى ٣٥ عامًا بثلاث رحلات طاف فيها كل بلاد المشرق العربي، ودوَّن كتابه «رحلة ابن جبير» الذي كان مصدرًا مهمًا للباحثين في مجالات التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرنين السادس والسابع الهجريين.. إلى التفاصيل.

ولد «ابن جبير» عام ٥٤٠هـ بمدينة «بلنسية» بالأندلس- أسبانيا حاليا- منحدرًا من أسرة عربية عريقة سكنت الأندلس عام ١٢٣هـ، قادمة من المشرق مع القائد المشهور بَلْج بن بشر بن عياض، وتذكر المراجع التاريخية أنه بعد أن أتم ابن جبير دراسته وحفظه للقرآن الكريم على يد الشيخ «أبي الحسن بن أبي العيش»، درس أيضا علوم الدين على يد أبيه، كما شغف أيضا بدراسة علم الحساب والعلوم اللغوية والأدبية، وأظهر مواهب شعرية ونثرية متقدمة رشحته للعمل كاتبًا لدى حاكم غرناطة وقتذاك أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن.

ثلاث رحلات

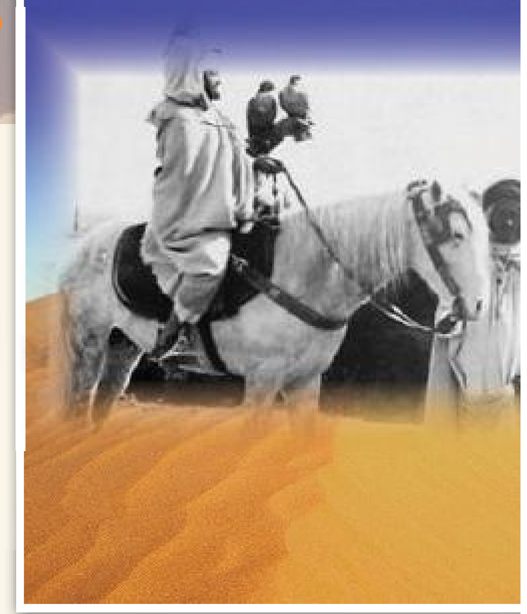
على مدى ٣٥ عامًا قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق، وكانت البداية في عام ٥٧٩هـ، وكان يبلغ من العمر وقتها ٣٩ عامًا، وقرر الخروج في رحلته الأولى منطلقا من غرناطة وسط الأندلس، التي ما تزال تسمى غرناطة ببعض من التحريف للاسم كما يلفظ لدى الأسبان Granada (جرانادا)، والتي تقع على بعد ٢٦٧ ميلًا جنوب مدينة مدريد عاصمة أسبانيا الحالية، وتتميز بمناخ غاية في اللطف والجمال، ومنه اشتق اسمها، حيث تعني كلمة «غرناطة» الحسن والجمال، واتجه من غرناطة إلى الجنوب على البحر الأبيض المتوسط وعبره بالقارب إلى الضفة الشمالية لإفريقيا، حيث مدينة «سبتة» الخاضعة للسيطرة الأسبانية رغم مطالبة المغرب بها طوال عقود من الزمن، ومن سبتة ركب البحر مرة أخرى إلى مصر عبر البحر الأبيض المتوسط، مرورًا بالمغرب العربي، إلى الإسكندرية، ومنها توجه إلى مكة عن طريق «عيذاب» «فجدة»، فحج وزار المدينة والكوفة وبغداد والموصل وحلب ودمشق، ثم ركب البحر إلى صقلية عائدا إلى غرناطة عام ٥٨١ هـ، وقد استغرقت رحلته سنتين سجل فيهما مشاهداته وملاحظاته بعين فاحصة في يومياته المعروفة «برحلة ابن جبير».

> **غرناطة والإسكندرية ومكة وبغداد ودمشق وصقلية.. في رحلته الأولى**

أما رحلته الثانية فدفعه إليها أنباء استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ، فشرع في هذه الرحلة إلى بيت المقدس سنة ٥٨٥هـ وانتهى منها في العام التالي، وكان عمره آنذاك ٤٥ عامًا.

بينما جاءت رحلته الثالثة إثر وفاة زوجته التي كان يُكِنُّ لها حبًّا شديدًا، فدفعه الحزن عليها إلى القيام برحلة ثالثة يروِّح بها عمَّا ألمَّ به من حزن، فخرج من «سبتة» إلى مكة، وبقي فيها فترة من الزمن، ثم غادرها إلى بيت

ثلاث رحلات .. تفقَّد فيها الآثار والمساجد والدواوين وأنتج «رحلة ابن جبير».. من روائع أدب الرحلات



المقدس، قبل أن ينطلق إلى القاهرة، ومنها إلى الإسكندرية، وفيها أسلم الروح إلى بارئها في عام ٦١٤هـ عن عمر بلغ ٧٥ عامًا.

رحلة ابن جبير

يعتبر كتاب «رحلة ابن جبير» من أهم المصنفات التي تركها ابن جبير حول رحلته الأولى، ويعد الكتاب من أهم مؤلفات العرب في أدب الرحلات، فقد تفقد في هذه الرحلة الآثار والمساجد والدواوين، ودرس أحوالها، وذكر ما شاهده وما كابده في أسفاره، ووصف حال مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي، كما وصف المسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق والساعة العجيبة التي كانت فيه، وهي من صنع رضوان بن الساعاتي، وانتقد كثيرًا من الأحوال، ومن أهم مشاهداته ما تحدث به عن صقلية وآثارها من مساجد ومدارس وقصور، وعن الحضارة التي خلفها العرب في الجزيرة.. لقد أبدع ابن جبير في رسم الحياة بكل تجلياتها في القرنين السابع والثامن الهجريين في المشرق والمغرب.

وقد لا يعرف كثيرون أن ابن جبير كان أديبًا شاعرًا، وله ديوان شعر يسمى «نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان»، كما له كتاب آخر بعنوان «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح».

وإذا تصفحنا يوميات رحلته وما احتوت من علم ومعرفة وتوثيق نجدها مصدرًا مهمًا للباحثين في مجال التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرنين السادس والسابع الهجريين، فقد تمكن من تكوين وتجميع مستلزمات مشروعه التوثيقي في بيئة خصبة وغنية بثروات من كنوز العلم والمعرفة والتشجيع..

وقد طبع كتاب «رحلة ابن جبير» كاملًا لأول مرة في لندن سنة ١٨٥٢م بعناية الإنجليزي رايت، ثم في ليدن سنة ١٩٠٧م، كما ترجم قديمًا إلى لغات كثيرة.

مقتطفات من رحلة ابن جبير

وصف ابن جبير المسجد الحرام، والأماكن المقدسة والمباركة في مكة، وقرر أن يبقى في المدينة المنورة حتى العام التالي لأداء الحج، حيث كان وصوله بعد موسم حج عام ٥٧٨هـ، وقام أثناء ذلك بأداء عمرة شهر رجب، ووصف زحام المعتمرين بـ«مرأى الحشر يوم القيامة» لكثرة الخلائق فيه، وكان قد حضر ليلة النصف من شعبان في مكة المكرمة ووصف قراءة القرآن والصلاة بالمسجد الحرام، وسجل في رحلته بداية شهر رمضان في الأراضي المباركة، إذ ذكر أنه وافق يوم الأحد، ولم يفته أن يلاحظ أن أهل مكة صاموا ولم يكونوا قد تمكنوا تماما من رؤية الهلال، لكن أمير مكة أمر بضرب «الدبادب» وهي آلات ذات أصوات عالية من أجل إعلان بدء الصوم.

ولاحظ ابن جبير أنه بمجرد بدء شهر رمضان تم تجديد الحصر الموجودة بالمسجد الحرام، والإكثار من إشعال الشموع والقناديل حتى تلألأ الحرم المكي نورًا وسطع ضياء، كما وصف صلاة التراويح بالحرم، فذكر اصطفاف العديد من المصلين خلف الأئمة من المذاهب الأربعة، ولأن ابن جبير كان مالكي المذهب فقد احتفى بذكر الأئمة والقراء المالكية، وما قدمه التجار المالكية من شموع عالية أمام المحراب.

ولم يفته ذكر مسألة السحور في ليالي رمضان في مكة المكرمة، فذكر أن أحد المؤذنين كان يتولى التسحير في الصومعة الموجودة في الركن الشرقي من المسجد الحرام بسبب قربها من دار أمير مكة، فيقوم المؤذن وقت السحور داعيًا ومذكرًا ومحرضًا على السحور، ونصبت في أعلى الصومعة خشبة طويلة في رأسها عود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان فوقهما قنديلان كبيران من الزجاج يضيئان طوال فترة السحور، فإذا اقتربت نهاية وقته قام المؤذن بإنزال القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ في الأذان، ونتيجة لاتساع مساحة مكة المكرمة وبُعد الكثير من منازلها عن المكان الموجود به قنديلا التسحير، يذكر ابن جبير ارتفاع منازل مكة، وهو الأمر الذي جعل الذين لم يسمعوا نداء السحور يشاهدون القنديلين يضيئان أعلى الصومعة فإذا لم يبصروهما عرفوا أن وقت السحور قد انتهى.





٣/١٣ع/٨٤ توبة الراشي في الانتخابات

إذا فاز المرشح نفسه في الانتخابات وأصبح نائبًا في المجلس وقلنا: إن شراء وبيع الأصوات حرام، وأراد أن يتوب، فماذا يفعل؟ هل يصارح الناس بالحقيقة؟ وهل يجوز له الاستمرار في المجلس أم عليه أن يستقيل؟

أجابت اللجنة بما يلي: عليه أن يتوب، والتوبة: الندم على ما فات، والإقلاع عن مثل هذه الأعمال، والعزم على ألا يعود إلى ما يشبهه، ثم ينظر صادقًا فيما بينه وبين الله في أهليته لمثل ذلك، فإن رأى نفسه غير أهل، أو كان أهلاً ولكن هناك من هو أولى منه وقد حال بالرشوة دون وصول ذلك الغير، فعليه أن يتنحى، وعليه أن يستعين في تقدير أهليته بأهل الرأي والمشورة. والله أعلم.

٣/١٣ع/٨٤ توبة المرتشي في الانتخابات

إذا أراد الناخب أن يتوب مما كسبه من مال للإدلاء بصوته، فماذا يفعل في حالة نجاح من انتخبه، أو في حالة فشله؟

أجابت اللجنة بما يلي: على الناخب سواء نجح من انتخبه أو فشل، عليه أن يتوب إلى الله، وأن يخرج هذا المال الخبيث الذي أخذه لبيع صوته إلى صاحبه، فإن لم يتمكن من ذلك فليضعه في شيء من وجوه الخير (سوى بناء المساجد وطبع المصاحف).

٣/١٤ع/٨٤ سقوط الحق بالتقادم

سأل سائل اللجنة في شأن سقوط الحق بالتقادم، وهل يسقط حق المسلم بمرور فترة زمنية معينة مثل القانون الوضعي؟

فأجابت اللجنة بما يلي: التقادم مهما طالت مدته لا يسقط الحق في الشريعة الإسلامية، لقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».

٢/٦/٨٣ شهادة غير المسلم

سأل سائل: بحكم وظيفتي نرسل العينات الغذائية إلى المختبر (المختبر الكيميائي) لمعرفة ما إذا كانت العينة الغذائية تحتوي على دهن خنزير أوكحوليات، وعندما تصل نتيجة المختبر الكيميائي نقوم إما بمنع دخول تلك المادة الغذائية أو السماح لها على ضوء تلك النتيجة، ولما كانت رئيسة المختبر امرأة غير مسلمة، ويوجد تحتها ثمانية محللين كيميائيين للأغذية؛ من بينهم كذلك اثنان من غير المسلمين، فما هو موقفي: هل أقبل النتيجة التي قام بتحليلها غير المسلمين، وقالوا لي: إن العينة تحتوي أو لا تحتوي على دهن خنزير أو كحول، وما موقفي بشكل عام أمام النتائج الصادرة بموافقة الرئيسة التي تساهم في إبداء رأيها في النتيجة النهائية للعينة الغذائية؟

وبسؤاله عن دور رئيسة المختبر الكيميائي في إعطاء النتيجة؛ أجاب بأنها هي وحدها التي تتلقى طلبات الاختبار، وتحيل العينات إلى المحللين، ثم تتسلم النتائج وتعطي النتيجة بتوقيعها.

..وسُئل المستفتي: هل لها دور في إبداء الرأي؟ قال: نعم.

أجابت اللجنة: بعدم جواز اعتماد النتيجة فيما يتعلق بدهن الخنزير أو الكحول وسائر ما يتصل بالأمور الشرعية، لأنه لا يقبل في هذه الأمور إلاّ خبر المسلم، ويتعين في ذلك أخذ رأي المحلل المسلم المؤتمن بتوقيع معروف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢/٤/٨٣ رد الحقوق لأصحابها

إذا سرق شخص مبلغًا من المال من شخص آخر، وتاب السارق الآن، إلاّ أن المسروق في بلد ثان وهو متوفى ولا يعرف أله ذرية أم لا، ولا يعرف كيف يبرئ ذمته من هذا المال، فماذا يفعل؟

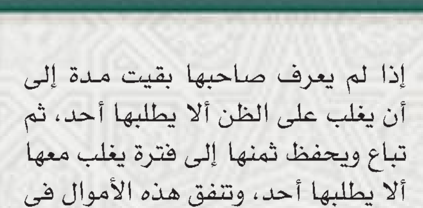
أجابت اللجنة: على السارق أن يحاول بكل وسيلة ممكنة رد هذا المبلغ إلى من سُرق منه، أو إلى ورثته، فإن عجز عن ذلك ويئس فليتصدق عنه، على أنه إن ظهر هو أو ورثته يكون ملزمًا برد المبلغ إليهم ما لم يجيزوا الصدقة. والله أعلم.

٥/٥٠/٧٨ بيع أموال المخالفين للقوانين

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات في المزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة بما يلي: إذا كان صاحبها معروفًا لا يجوز بيعها إلاّ برضاه، وترد إليه وتحصل منه الغرامة، أما إذا لم يعلم صاحبها فتجري عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها، أما





إذا لم يعرف صاحبها بقيت مدة إلى أن يغلب على الظن ألا يطلبها أحد، ثم تباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها ألا يطلبها أحد، وتتفق هذه الأموال في المصالح العامة. والله أعلم.

١/٢٣/٤٨١ الإجهاض للضرورة

سُئلت اللجنة: هل يجوز الإجهاض في الحالات التالية:

١- عندما يكون هناك خطر مرض وراثي مع دليل قوي على أن الجنين مصاب به.

٢- عندما تكون الأم في حالة خطر سواء من الناحية البدنية أو العقلية.

٣ - عندما يكون هناك احتمال وجود عيب خلقي بالجنين نتيجة لإصابة الأم بمرض أثناء الحمل، مثل الحصبة الألمانية.

٤ - إذا تم تشخيص عيب خِلْقي بالجنين أثناء الحمل.

٥- في حالات الحمل غير الشرعي.

٦- إذا لم تكن هناك رغبة في الحمل لسبب من الأسباب.

٧ - عندما تكون المرأة الحامل غير قادرة على رعاية طفلها بسبب خلل عقلي أو عجز عن الحركة.

فأجابت: يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل إلاَّ لإنقاذ حياتها، ومع ذلك فإذا لم يكن الحمل قد أتم أربعة أشهر يجوز الإجهاض في الحالتين الآتيتين:

(أ) إذا كان بقاء الحمل مضرًا بصحة الأم ضررًا جسيمًا.

(ب) إذا ثبت أن الجنين سيولد مصابًا على نحو جسيم بتشوه بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منهما، ووافق الزوجان على الإجهاض.

٢/٢٠/٤٨٤ التداوي بالكحول

هل يجوز استعمال الكحول في الأدوية التالية: شراب الكحة، المقويات، الأدوية المسكِّنة للآلام، علماً بأن الكحول يدخل في تركيب هذه الأدوية كمادة حافظة، كما أنه يساعد على ذوبان ما تحتويه من عقاقير؟

أجابت اللجنة بما يلي: لا يجوز استعمال المسكر في الدواء ولا يحل إلا إذا تعين دون غيره، ولا يوجد غيره مما يقوم مقامه وحصل الضرر بتركه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه﴾ (الأنعام: ١١٩)، وإذا حصل ضرر لعدم استعمال المسكر وجب استعماله بقدر ما يدفع الضرر.

٤/١٠٦/٨٠ إقامة الجمعة في البر

نحن جماعة خرجنا إلى البر للنزهة لمدة شهر بمكان يبعد عن مدينة الكويت بما يقرب من ٨٠ كيلومترًا. هل تجب علينا صلاة الجمعة؟ وهل يجوز أن نقيمها علمًا بأن عددنا يقارب ٤٠ شخصًا؟

أجابت اللجنة: على هذه الجماعة ألا تقيم صلاة الجمعة لأنها لا تجب عليهم، وإن رأوا أن يصلوها فليقصدوا بعض الجوامع القريبة من مكانهم.

٤/٦٧/٧٩ أصوات الساعات في المسجد

بعض الساعات في المساجد فيها أجراس؛ فما الحكم في ذلك؟

أجابت اللجنة: أن أصوات التنبيه التي في الساعة لا تعطى حكم الأجراس فلذلك لا تحرم. واللَّه أعلم.

قرار مجمع الفقه الإسلامي- منظمة المؤتمر الإسلامي رقم: ٤٦ (٥/٨) بشأن تحديد أرباح التجار

بعد اطلاع المجلس على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تحديد أرباح التجار، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولًا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارًا في بيعهم، وشرائهم، وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملاً بمطلق قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء: ٢٩).

ثانيًا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق، والقناعة، والسماحة، والتيسير.

ثالثًا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته كالغش، والخديعة، والتدليس، والاستغفال، وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة .

رابعًا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلاّ إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ من عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة المكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل والغلاء والغبن الفاحش.



إعداد: خالد خلاوي

تخير كلماتك بحرص

تكلم رجل بكلام لا يليق عن جاره، وعندما أدرك خطأه ذهب إلى حكيم كي يسأله عن كيفية إصلاح ما فعله، فطلب منه الحكيم أن يأخذ حقيبة من الريش ويرميها وسط المدينة، ففعل الرجل، ثم طلب منه الحكيم أن يذهب ويجمع الريش ويضعه مرة أخرى في الحقيبة، فحاول الرجل ولكنه لم يستطع لأن الريش تناثر في كل الأنحاء، فقال الحكيم: «نفس الشيء ينطبق على كلماتك فلقد ألقيت كلماتك بسهولة لكنك لا تستطيع استرجاعها، لابد أن تكون حريصًا في انتقاء كلماتك».

وصدق الحكيم، فالكلام الخارج من الفم ينطلق في الفضاء الواسع ولا يمكن استرداده، لذا يجب انتقاء الكلام بحرص قبل النطق به، فكلماتك تعبير عن شخصيتك، ووسيلة من وسائل الجاذبية الشخصية، والكلمة الطيبة خير وسيلة لاستمالة القلوب، والكلام الحسن ثمرة الخلق الحسن، وسبب لنجاح المرء في حياته، ومصدر لرقي المجتمع، وتعميق الصلات بين أبنائه.

يقول شيف كيرا في كتابه «يمكنك أن تفوز»: «الشخص الذي يقول ما يحب عادة ما ينتهي بسماع ما لا يحب، كن لبقًا.. تتكون اللباقة من اختيار المرء لكلماته بحرص ومعرفته بما ترمي إليه كلماته».

والإسلام لم يغفل هذا الجانب المهم في شخصية المؤمن، فأرشد المؤمنين إلى أن يحسنوا اختيار الكلام، قال الله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينا﴾ (الإسراء: ٥٣).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (متفق عليه).

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على ألا يؤذي شعور الآخرين في كلامه أيًّا كان فعل الآخرين وسلوكهم، فإذا أنكر فعلاً من إنسان لم يصرح باسمه، بل كان يقول «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» وهذا من قمة الذوق.

والكلام الطيب الحسن لون من ألوان البر يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين»، وقال وهب بن منبه رحمه الله: «ثلاث من كن فيه أصاب البر: سخاوة النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام».

وقال لقمان الحكيم: «القلوب مزارع، فازرع فيها الكلمة الطيبة، فإن لم تتمتع بثمرها تتمتع بخضرها»، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر»، وقال أيضًا لصاحبه ربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.





خطوات للتميز

كيف تتقن اللباقة في الكلام؟

الخطوات التالية ترشدك لتتميز في حديثك:

- إذا كنت ستتكلم في جمع من الناس، اختر الموضوع المثير والمفضل لدى الآخرين، فذلك يضمن لك إثارة انتباه المستمعين وجذبهم نحوك وتعاطفهم معك نظرًا لأنك تطرقت إلى ما يحبون.

- تكلم من قلبك واختر الكلمات التي تعبر عن أحاسيس ومشاعر صادقة بعيدة عن التصنع والتكلف، فالكلام النابع من القلب يصل للقلب ويكون تأثيره أقوى.

- ليكن استعمالك عبارات الدعاء للآخرين بدلا من عبارات الشكر، مثل وفقك الله، جُزيت خيرا.

- تكلم مع الناس بما يدخل السرور على أنفسهم، والطريق إلى ذلك تجنبك تذكير الناس بأحزانهم وهمومهم.

- تجنب الإفراط في التعبير عن الذاتية في حديثك مثل قول: أنا ذهبت.. أنا فعلت.. أنا قلت.. فذلك يشعر الناس بالضجر.

- وتجنب أيضًا كثرة الاعتذار أثناء الحديث مثل أعتذر لأني أطلت عليكم، أعتذر لـ...، وليكن التعبير عن ذلك بأسلوب لبق مثل: يبدو أننا أطلنا في...

- إذا كنت تتحدث أمام جمهور متنوع الثقافات فيفضل اختيار كلمات سهلة مفهومة للجميع والبعد عن الكلمات الأجنبية أو المصطلحات العلمية الدقيقة التي قد لا يفهمها كثير من المستمعين.

- من المهم أن يتضمن حديثك بعض المزاح لتقطع الملل عن المستمعين ولكن لا تفرط في إلقاء النكات؛ فهذا يجعلك تبدو خاويًا ضحلًا وتافها.

- تجنب أسلوب التشكيك المستمر في الأحداث من حولك أثناء حديثك في الكلام مع الآخرين، فهذه عادة سيئة تضايق من ينصت للحديث.

- لا تقل لأحد إنك مخطئ، ولا تستخدم عند الحديث مع الآخرين تعبيرات تقلل من شأن المستمع مثل: يبدو أنك لا تعلم شيئًا عن الموضوع، وبدلًا من ذلك قل: أنا واثق أنك على دراية بالموضوع ولكن أذكرك بـ...

- ذكرك أسماء من تخاطبهم أثناء الكلام ضروري لإشعار الناس باحترامك لهم لأن كل واحد منّا يعتز باسمه ويطرب لسماعه.

- تجنب الكلام عن المسائل الشخصية سواء كانت تخصك أو تخص الآخرين وتجنب الأسئلة الشخصية بقدر المستطاع وإذا تعرضت لسؤال شخصي لا تريد الإجابة عنه فالأفضل أن تتهرب من الإجابة بشكل لبق دون أن تشعر الطرف الآخر.

كلمات في التميز

الكلمة الطيبة

حكمة صينية:

لن يستطيع العلم الحديث اختراع مهدئ للأعصاب أفضل من الكلمة اللطيفة التي تقال في اللحظة المناسبة.

سقراط :

لا تدع لسانك يشارك عينيك عند انتقاد عيوب الآخرين، فلا تنس أنهم مثلك لهم عيون وألسن.

امبروس:

قبل أن يتكلم الرجل الحكيم عليه أن يفكر تمامًا فيما يقول، وفيمن يستمع إليه، وأين ومتى يتكلم.

عبد الله بن المقفع:

تحدثوا بأحسن ما تسمعون.

ايبكتيلو:

تعلم أولًا معنى ما تقول، ثم تكلم كيف تشاء.



إعداد: هيفاء حسن

الليل يشتد ظلمة

سوف تشتد ظلمة السماء أكثر فأكثر في الليل، وذلك نتيجة تخلخل الغاز اللازم لنشوء النجوم.

هذا ما حذر منه علماء فلك أستراليون، أشاروا من جهة أخرى إلى أن هذه الظاهرة لن تكون ملحوظة بارزة إلا بعد بضع مليارات السنين.

وأعلن العلماء أن ثلث الغاز الجزيئي الضروري لتكون النجوم قد استهلك وبدأت السماء تفقد بريقها شيئا فشيئا في الليل.

وقد وضع فريق روبرت براون خارطة للكثافات الضوئية الخاصة بالمجرات الواقعة على بعد حوالى خمسة مليارات سنة ضوئية من الأرض، وقارنها مع «الفضاء الكوني القريب»، بهدف دراسة مستويات الغاز فيها ونسبة تكوين النجوم.

وقال العلماء: تبين أن هذه المجرات (القديمة) كانت تستفيد من كميات أكبر بعشر مرات من غاز تشكل النجوم، مقارنة مع اليوم. ببساطة لا نجد اليوم كميات غاز مماثلة لتكون نجوم جديدة.



فقبل ثمانية مليارات سنة، تقدمت قوة غامضة أطلق عليها العلماء اسم «الطاقة المظلمة» على قوة الجاذبية، الأمر الذي أدى إلى توسع الفضاء الكوني. وأبعدت هذه الظاهرة المجرات عن المكان، حيث بإمكانها التزود بالغاز، بحسب ما يشرح العلماء. وأصبح الغاز اليوم بعيدا عن متناولها. بالتالي تنخفض نسبة تكون النجوم سريعا وسوف تستمر بالانخفاض مستقبلا، بحسب العلماء.

وأوضح علماء الفلك أنه إذا ما استمر الفضاء الكوني بالتوسع، فسوف يعرف سكان الأرض ليالي مظلمة جدا.. في المستقبل البعيد.

محطات فضائية للطاقة الشمسية

ذكرت دراسة أجرتها مجموعة علمية دولية أن الطاقة الشمسية الوفيرة إذا ما تم تجميعها في الفضاء قد توفر وسيلة اقتصادية للوفاء باحتياجات الطاقة العالمية في غضون ٢٠ عاما، على أن تقدم حكومات دول العالم التمويل الأساسي، وقالت الدراسة التي أجرتها الأكاديمية الدولية لعلوم الفضاء، ومقرها باريس، إن وضع محطات طاقة قادرة على تجميع الطاقة الشمسية وتحويلها إلى الأرض «ممكن من الناحية الفنية» خلال عشر سنوات أو عشرين عامًا، بأساليب تكنولوجية يجري اختبارها معمليًا حاليًا.



استحضار أخف مادة في العالم

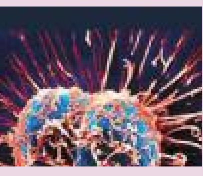
قام فريق من المهندسين الأميركيين باستحضار ما قالوا إنه أخف مادة في العالم.

ويقول الباحثون: إن المادة أخف بمائة مرة من مادة ستيروفوم، ولها قدرة غير عادية على امتصاص الطاقة.

ويمكن أن تستخدم المادة في الجيل القادم من البطاريات ولوحات امتصاص الصدمات.

وقد أجري البحث في مختبرات جامعة كاليفورنيا ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، ونشر في العدد الأخير من مجلة «ساينس» العلمية.

تبلغ كثافة المادة الجديدة ٠,٩ مليغرام لكل سنتيمتر مكعب،

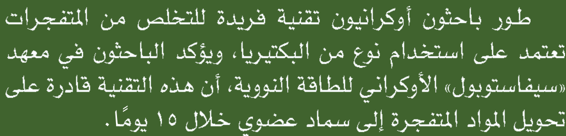


بينما تبلغ كثافة «إيروجيل»، وهي أخف مادة صلبة معروفة حتى الآن ١,٠ ميليغرام لكل سنتيمتر مكعب.

يذكر أن للمواد الخفيفة كالإيروجيل والرغوة المعدنية تركيبا خلويا عشوائيا، مما يجعلها أقل قساوة وأكثر قوة وقدرة على امتصاص الطاقة، وقدرة على التوصيل الحراري من معظم المواد الأولية الداخلة في تركيبها.

ويرى المهندسون القائمون على تحضير المادة الجديدة أن من بين الاستخدامات العملية المستقبلية لها العزل الحراري والصوتي وامتصاص الطاقة والذبذبات.

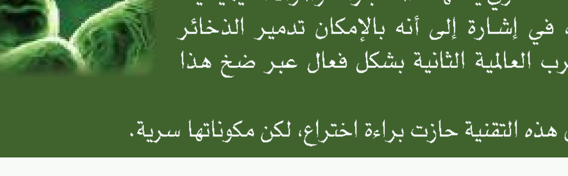
بكتيريا لإزالة الألغام



طور باحثون أوكرانيون تقنية فريدة للتخلص من المتفجرات تعتمد على استخدام نوع من البكتيريا، ويؤكد الباحثون في معهد «سيفاستوبول» الأوكراني للطاقة النووية، أن هذه التقنية قادرة على تحويل المواد المتفجرة إلى سماد عضوي خلال ١٥ يومًا.

وأضافوا أنه خليط عضوي يستهلك المتفجرات والمواد الكيميائية، لينتج سمادًا صافيًا، في إشارة إلى أنه بالإمكان تدمير الذخائر الحربية العائدة للحرب العالمية الثانية بشكل فعال عبر ضخ هذا الخليط عليها.

وذكر الباحثون أن هذه التقنية حازت براءة اختراع، لكن مكوناتها سرية.



قازان التترية تضم أكبر مصاحف العالم

استقبلت مدينة قازان عاصمة تتارستان أكبر مصاحف العالم، بعد طباعته في إيطاليا، ويبلغ طول المصحف مترين، أما عرضه فمتر ونصف المتر، ويصل عدد صفحاته إلى ٦٣٢ صفحة، ويزن حوالي ٨٠٠ كيلوغرام. واستخدمت الأحجار شبه الكريمة والذهب والفضة في زخرفة غطاء المصحف، وتولت شركة ريفيرا الإيطالية طباعة هذه النسخة من القرآن الكريم، بطلب من صندوق «الانبعاث (ياناريش)» لإحياء الآثار التاريخية والثقافية لجمهورية تتارستان، الذي يرأسه منتيمير شايمييف، رئيس الجمهورية السابق.

وقال مفتي الجمهورية (الدوس فائزوف)، إن النسخة الفريدة من القرآن الموجودة في أحد مساجد المدينة هدية لجميع المسلمين، لا في تتارستان وحدها، بل وفي روسيا ككل.





البحر يرتفع من ٤-٥ أمتار

تشير النماذج المناخية إلى أن انبعاث الغازات الدفيئة والتلوث الجوي سيرفع مستويات البحر خلال الـ ٥٠٠ سنة المقبلة، وقال الباحثون الدانمركيون في جامعة كوبنهاغن إنه بالاعتماد على الوضع الحالي فإننا معرّضون لتغييرات في مستوى البحر خلال السنوات الـ ٥٠٠ المقبلة.

وأشار الباحثون إلى أن هذا المستوى المرتفع للبحر الذي سيتسبب به الانحباس الحراري قد تنتج عنه تكاليف اقتصادية ضخمة، وتبعات اجتماعية وهجرات قسرية، وذكروا أنه في أسوأ سيناريو للنماذج المناخية، سيرتفع مستوى البحر مترا في عام ٢١٠٠، وفي عام ٢٥٠٠ سيرتفع ٤-٥ أمتار.

من هنا وهناك!

■ اكتشف فريق من الباحثين الألمان والإسرائيليين مجموعة من عيون الماء العذب وأشكالا جديدة للحياة في أدنى نقطة على سطح الأرض في قاع البحر الميت.

■ من المتوقع أن يصل عدد سكان العالم إلى ١٥ مليار إنسان مع حلول عام ٢١٠٠، وحذرت الأمم المتحدة أن ذلك سيشكل ضغطا هائلا على موارد كوكب الأرض ما لم يتم اتخاذ إجراء فوري للحد من النمو السكاني.

تتسبب أعمال التنقيب غير الشرعية عن المعادن في تداعي سور الصين العظيم الموجود منذ قرون عدة، والذي بني خلال عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤).

■ عثر صدفة إثر هدم بيت قديم في منطقة عين شمس على مقبرة تعود لعصر الأسرة ٢٦ التي حكمت مصر بين عامي ٦٦٣ و٥٢٥ قبل الميلاد، بحسب ما أكد رئيس قطاع الآثار الفرعونية في المجلس الأعلى للآثار المصرية.

■ للمرة الأولى استخدم علماء أميركيون تقنية للاستنساخ للحصول على خلايا جذعية جنينية بمواصفات معينة لتنمو في خلايا بويضات بشرية غير مخصبة وهو اكتشاف مهم وقد يكون مثار انتقادات محتملة من قبل معارضي أبحاث الخلايا الجذعية.

■ توفي أخيرًا مكتشف رادارات الرصد والدفاع الجوي «لي دافنبورت» وكان لي قد صمم أول رادار عندما كان يعمل في أحد مختبرات «ماسيتشوستس» الأميركية عام ١٩٤١ عشية الحرب العالمية الثانية.

■ أظهر استطلاع جديد للرأي أن المسلمين البريطانيين هم الأكثر وطنية بالمقارنة مع نظرائهم في المملكة المتحدة، ووجد الاستطلاع أن ٨٣٪ من المسلمين أكدوا أنهم يفتخرون بكونهم مواطنين بريطانيين، بالمقارنة مع ٧٩٪ من بقية سكان المملكة.



إعداد: التحرير

الأزهر والعالم

نحن على ثقة أن الأزهر يعلم جيدًا وضعه الخاص بالنسبة لمسلمي العالم أجمع، والأزهر يعلم أيضًا أن المتكلمين بالعربية من المسلمين لا يزيدون على ٢٥٪ من مسلمي العالم.

ويفد الطلاب من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية إلى مصر لتعلم الدين وتعلم اللغة العربية، ويعودون إلى بلادهم علماء وفقهاء ودعاة، ومدينة البعوث الإسلامية ومن بها من المبعوثين للدراسة في الأزهر وكثير منهم حاصل على منح دراسية من الأزهر الشريف،خير شاهد على نشاط الأزهر في هذا المجال، والأزهر الشريف يرسل الدعاة الذين يجيدون لغات أجنبية إلى بلاد العالم ليدرسوا لأبنائها معالم الإسلام الصحيح بلغاتهم.

ما نريد أن ندعو إليه هو أن يقوم الأزهر بخطوة أخرى تجاه مسلمي العالم غير المتكلمين بالعربية.. إننا ندعو الأزهر الشريف إلى أن يجعل تدريس اللغات الأجنبية شرقية وغربية وعلى مستوى رفيع جزءًا لا يتجزأ من منظومة التعليم في المدارس والمعاهد والكليات الأزهرية، بل وفي دراسة الماجستير والدكتوراه أو العالمية الأزهرية، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة انفتاح الأزهر الفكري على العالم وعلمه بأفكار العالم وأسلوب تفكيرهم، ويوفر للعالم علماء أزهريين مستنيرين يستطيعون أن يدرسوا للمسلمين في بلادهم أصول الإسلام الصحيحة وأن يكتبوا في المجلات ويتكلموا في الفضائيات فلا يسيطر عليها أشباه المتعلمين والمنتفعين.

إننا نرجو أن يتولى الأزهر هذه الفكرة، فإننا نعرف مدى احتياج هذه البلاد الأجنبية إلى دعاة فقهاء وعلماء مخلصين يستطيعون أن يخاطبوهم بلغتهم.. وفقنا الله وإياكم لما فيه خير ديننا.

محمد السيد عامر

تنويه

■ نُشر في العدد «٥٥٦» من المجلة مقال بعنوان «فضائل الحج والعمرة.. وكيفية أداء الرسول لمناسكهما»، وقد وقع خطأ فنيٌّ غير مقصود، وهو نسبة المقال للدكتور بليغ حمدي إسماعيل، والصواب أنه للدكتور محمد الحجوي.

وقد وردتنا على الموضوع ملاحظات، بعد الثناء على جماليته وأسلوبه وتسلسل أفكاره، وهذه الملاحظات كلها متعلقة بأحكام المناسك.

فقد ذكر في ص ٢٨ أن للحج فرائض لا تجبر بالدم، فمن ترك واحدًا منها أعاد الحج.

وهذا الكلام ليس على إطلاقه، بل إن جميع الأركان إن فاتت صاحبها فعليه المجيء بها، سوى الوقوف بعرفة، فإن من فاته وجب عليه الحج من قابل.

وقال في ص ٣٠: «ومن كان بمكة المشرفة سواء كان من أهلها أو مقيمًا بها، فإن إحرامه بالحج يكون من الحل وهو التنعيم».

وهذا ليس بصحيح؛ لأن إحرامهم بالحج يكون من مكانهم.

– وقال في ص ٣٠: «وطواف الوداع مستحب، ولا شيء على من تركه».

وهذا ليس صحيحًا؛ لأن الجمهور يوجبون طواف الوداع؛ خلافًا للمالكية القائلين بسنيته.

وفي ص ٣٠: «من ترك ركعتي طواف القدوم والإفاضة لغير نسيان وبعُد عن مكة فإنه يلزمه الهدي».

وهذا عند المالكية فحسب، وللجمهور تفصيل آخر، فالحنفية يوجبون صلاة الركعتين بعد كل طواف، سواء كان نفلًا أو فرضًا، وليستا شرطًا في الطواف، ومن تركهما أساء ولا دم عليه، والمذهبُ عند الشّافعية والحنابلة أنّ ركعتي الطّواف سنّةٌ، تصلى في أي مكان.

في ص ٣٢: «والفدية هي ما يقدمه الحاج ... لما قام به من محظورات الحج ... أو تعرّض للحيوان البري»

والصواب أن التعرض للحيوان البري يجب فيه جزاء مثل ما قتل من الصيد، وهو منصوص عليه في القرآن الكريم.

■ نسب خطأ للدكتور بركات مراد مقال (مآثر العرب والمسلمين في الفلاحة) المنشور بالعدد (٥٥٦) وهو للكاتب صلاح الشهاوي.



وصف مصر.. لعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

تولى عمرو بن العاص مصر أميرًا عليها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ منذ فتحها سنة ٢١هـ أو سنة ٢٠هـ على اختلاف في الأقوال، وحرر المقريزي ذلك بأول المحرم سنة عشرين.

وظل أميرًا عليها طوال حياة عمر رضي الله عنه ثم أمره عليها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مدة من الزمن ثم عزله عنها سنة سبع وعشرين من الهجرة، وكان عمرو في ولايته مثالًا للنزاهة والعدل بين الناس، وكان نعم الأمير المصلح والمعمر، فقد عَمَّرَ ما خربه الرومان وأصلح ما أفسدوه، وقد أصلح طرقها وجسورها وأقام مقياسين على النيل ليعرف موسم الفيضان وموسم الجفاف، كما أنشأ مدينة الفسطاط التي أصبحت عاصمة لمصر قبل أن تنشأ القطائع في عهد ابن طولون ثم مدينة القاهرة سنة ٣٦٠هـ في العصر الفاطمي وأنشئ مع القاهرة الجامع الأزهر الذي نافس جامع الفسطاط.

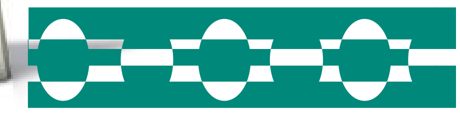
طلب الخليفة عمر منه أن يصف له مصرًا فكتب له يقول «مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر، يكتنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخط وسطها نهر ميمون الغدوات، مبارك الروحات، يجري بالزيادة والنقصان كجري الشمس، له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا عجّ عجاجه، وعظمت أمواجه لم يكن وصول بعض القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبه كأول ما بدأ في شدته، وطما في حدته، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه، يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا أشرق وأشرف، سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته الثرى، فعند ذلك يدر حلابه، ويغني ذبابه، فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، وإذا هي زبرجدة خضراء، فتعالى الله الفعال لما يشاء».

أحمد عبدالقادر

ونعم الصحبة هو!

اندهش جميع المسلمين من تبرع بيل جيتس بجزء كبير من ماله للأعمال الخيرية، وهم بهذا تناسوا تاريخهم وفعل الصديق أبي بكر رضي الله عنه رفيق هجرة المصطفى ﷺ فلقد هجر كل شيء إلا الحبيب المصطفى فوصل بهذا الحب إلى المصطفين الأخيار وآثر أن يهجر الأهل والأحباب والأموال ويودع الديار ليكون في رفقة الأعز من روحه والأحب إليه من نفسه ليقول له الصحبة الصحبة يا سيد الأطهار، وهنا جاد بالنفس وهي أغلى ما يملك الإنسان وعرّضها للهجرة وما فيها من أخطار، وكان الكفر يومها عالي الراية، كثير الأشرار، وحشي الوسائل، أهله من الفجار، ومع هذا فالصديق رضي الله عنه لم يُقم لهذا أي اعتبار، وأنّى له ذلك والرسول ﷺ معه بنوره أضاء له المسار، والله عز وجل معهما في كل لحظة، وفي ظلمة الغار، وانتقل الصديق من وهْب نفسه وحياته للإسلام ورسوله إلى بزل ماله كله، ويوم أن سأله المصطفى ﷺ ماذا أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فُسطرت قولته في التاريخ مُحاطة بالإجلال والإكبار، ولو تذكر أثرياء المسلمين اليوم عمومًا وفي هجرة المصطفى ﷺ خصوصًا هذه المواقف لأنفقوا في سبيل الله باليمين واليسار، ولسارعوا للبر ينشرونه بالليل والنهار، ولكن أنّى لهم الذكرى وهم في لهو وعبث، وشغلتهم أموالهم وأهلوهم عن جنات عاليات الأقدار، بل وراحوا يجمعون المال من حرام وشبهات وينفقونه في الشهوات الحرام.

الحسين محمد حميد



إعداد: التحرير

سليطة اللسان

حكي عن بعض الصالحين أنه كان له زوجة، وكانت سليطة اللسان عليه، وكانت تبتليه بأشد البلاء، فلما ماتت وقف على قبرها وقال: اشهدوا عليّ رحمكم الله أنها طالق مني ثلاثاً! فقالوا: ويحك إنها بانت منك، فما يحتاج إلى ذكر ذلك؟ فقال: خيفة أن تكون زوجتي في الجنة، فإني لقيت منها في الدنيا بلاءً شديداً، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يعذبني بها في الدنيا والآخرة.

(روائع الدرر)

وبأمثالها تعرف الأشياء

المثل: لا يخفى على ذي ميز ولا يشتبه على ذي لب ما جعل الله تعالى فيه من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة؛ فإن ضرب المثل يوضح المبهم، ويفتح المغلق، وبه يصور المعنى في الذهن ويكشف المعمى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حسن موقع، وتقبله فضل قبول، وتطمئن به اطمئناناً، وبه يقع إقناع الخصم وقطع تشوف المعترض.

وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام، ومتداول في العلوم كلها منقولها ومعقولها، وفي المحاورات والمخاطبات، حتى شاع من كلام عامة المتعلمين والمعلمين قولهم: «بأمثالها تعرف أو تتبين الأشياء»

(زهر الأكم في الأمثال والحكم لنور الدين اليوسي).

لا تصاحب إلا مؤمناً

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

أرى كُلَّ مَنْ أَضْفَيْتُهُ الودَّ مُقبلاً.. عليَّ بوجهٍ وهو بالقلب مُعْرِضُ

حَذَارِ مِنْ الإخوان إنْ شئتَ راحةً.. فقُرْبُ ذَوِي الدُّنيا لمن صحَّ ممرضُ

بُليتُ كثيراً مِنْ أُناسٍ صَحِبْتُهُمْ.. فما منْهُمُ إلاّ حَسودٌ ومُبْغِضُ

فقلبي على ما يحسُنُ الطرفُ مُنْطَوٍ.. وطَرْفِي على ما يُحسِنُ القلبُ مُغْمِضُ

(ديوان الإمام الشّافعي)

أوَّلُ مَنْ ضربَ العُملة في الإسلام

«زياد بن أبيه» الطائفي ولادةً ونشأةً، العراقي إقامةً، الكوفيّ وفاةً، أبوالمغيرة، الملقب بالبُرَك.

هو أوَّل مَنْ جُمِعَ له بالبصرة والكوفة، وهو أوَّل من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها اسم «الله» ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم.

(الأعلام للزركلي معجم الأوائل)

خمس خصال محمودة

سبَّ رجلٌ عليَّ بن الحسين رحمه الله تعالى، فرمى إليه عليٌّ بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: «جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير».

(موعظة المؤمنين للقاسمي)

من درر الإمام الشافعي

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

- ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة: الحماقة، والطاعون، والهرم.
- ثلاث خصال من كتمها ظلم نفسه: العلة من الطبيب، والفاقة من الصديق، والنصيحة للإمام. (الانتقاء لابن عبدالبر).
- جوهر المرء في خصال ثلاث: كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غني، وكتمان الغضب حتى يظن الناس أنك راضٍ، وكتمان الشدّة حتى يظن الناس أنك متنعم.

(مناقب الشافعي للبيهقي).

النَّصيحة مرتان

«النَّصيحة مرتان: فالأولى: فرض وديانة، والثانية: تنبيه وتذكير، وأَمَّا الثالثة: فتوبيخ وتقريع، وليس وراء ذلك إلا التركّل واللّطام، اللهم إلا في معاني الديانة، فواجب على المرء ترداد النصح فيها رضي المنصوح أو سخط، وتأذى النَّاصح بذلك أو لم يتأذَّ. وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً، وبتعريض لا تصريح، إلا ألا يفهم المنصوح تعريضك، فلابد من التصريح».

(مداواة النفوس)



المُؤمنُ المُقْتَصد

«ما مِنَ النَّاس أَحدٌ إلا له محاسن ومساوئ. فمَنْ ظَهَرَتْ مَحَاسنه فَغَلَبَتْ مَسَاوئَهُ فَهُوَ المؤمن المُقْتَصد. فالأَخُ الشَّفيق الكَريِم يَذْكُر أَحْسَن مَا يَعْلَم في أَخيْه، والمُنَافقُ اللَّئيم يَذْكُر أَسْوَأَ مَا يَعلم فيه. وَمِنْ هَذَا جَاءَ الخَبَرُ: «اسْتَعِيْذوا بالله مِنْ جَارِ السُّوْءِ الذي إِنْ رَأى خَيْرَاً سَتَرَهُ، وإِنْ رَأى شَرَّاً أَظْهَرَهُ» (البخاري).

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

لا تعادوا نعَم الله

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك!!. فقال: تركت الحسد فبقيت!.

وقالوا: لا يخلو السيد من ودود يمدح، وحسود يقدح.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ألا لا تعادوا نعم الله» قيل: ومن يعادي نعم الله؟. قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

وقيل لعبدالله بن عروة: لم لزمت البدو وتركت قومك؟. فقال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة.

وقال الشاعر:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة ... رغـداً بلا قتـر صفـوا بـلا رنق

خلص فـؤادك من غل ومن حسد ... فالغل في القلب مثل الغل في العنق

(المستطرف للأبشيهي)

هذا محض الكرم

حُكِيَ عن بنت عبدالله بن مطيع، أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري: ما رأيت قوماً أَلْأَمَ من إخْوانِك!.

قال: مَهْ، وَلِمَ ذلكَ؟.

قالت: أَراهم إذا أَيسرتَ لزمُوك، وإذا أعسرتَ تركُوك.

قال: هذا والله من كَرَمِهمْ، يأتُونا في حال القوَّةِ: (بِنَا عليهم)، ويتركونا في حال الضَّعف: (بِنَا عنهُم).

فانظر كيف تأَوَّل بكرمه هذا التأويل، حتى جعلَ قبيح فِعلهم حسناً، وظاهر غَدْرِهم وَفَاءً، وهذا محضُ الكرم، ولبابُ الفضلِ، وبمثلِ هذا يلزمُ ذوي الفضلِ أن يتأوَّلوا الهفوات من إخْوانهم.

(أدب الدنيا والدين للماوردي).

يا مَنْ عَثَرَ مراراً

قال ابنُ الجوزي: «رأيتُ كلَّ من يعْثُر بشيءٍ أو ينْزلقُ في مطر يلتفتُ إلى مَا عثر به فينظر إليه، طبعاً موضُوعاً في الخلق، إمَّا ليحذَر منهُ إنْ جَازَ عليه مرَّة أُخرَى أو لينظر كيفَ فاتَه التَّحرُّز من مثل هذا؟ فأخذتُ من ذلك إشارَة، وقلتُ: يا مَن عثر مراراً، هلَّا أَبصَرت ما الَّذي عثَّركَ؟ أَو هلَّا قبَّحْتَ تلْكَ الوَاقعَة»

(موسوعة أقوال الحكماء).

المثقفون والوعي بمصالح الأمة



إبراهيم نويري

إن سؤالا من قبيل: ما المطلوب على وجه التحديد من المثقفين الآن في المجتمعات العربية والإسلامية؟ من الأهمية بمكان في هذه الانعطافة التاريخية التي تمر بها أمتنا وشعوبنا العربية.. أجل فهذا السؤال يهمنا كثيرا في هذه المرحلة، إذ أثبت الواقع والتجربة أن توسيع الهوة وتعميق الفجوة بين المثقفين وأهل الرأي والقرار ما هو إلا صورة من صور الاستنزاف الذاتي الذي من شأنه تعطيل الحراك الصحيح المرتبط برغبة النهوض والتغيير الإيجابي على كافة الأصعدة.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال غلق أبواب الحوار أو مصادرة حق الاختلاف، فهذا ما لا يقول به عاقل أبدا؛ وإنما المقصود أن تتوفر إرادة قوية مدعمة بعوامل النجاح، تعمل على رصد العلامات والقواسم المشتركة بين التيارات الفكرية واستثمارها بمنهجية في دعم البناء الداخلي للأمة. وأيضا استثمارها على مستوى كلّ قطر لتعزيز الوحدة الوطنية وتفعيل مكوّنات الوئام والسلم الاجتماعي.

إنني أعتقد مخلصا أنه بعد تراجع بريق أيديولوجيات القهر والتغلب، وتعرية الكثير من المذاهب والأفكار الغربية المعاصرة، ثم ظهور العولمة مبشرّة بمجموعة من (النهايات) ومنها نهاية التاريخ التي قال بها المؤرخ الياباني المتأمرك (فوكوياما)، إلى جانب بروز نزعة التحالف والتكتل على أساس مصلحي يروم حفظ مصالح ورغائب الإنسان الغربي ومكتسبات الحضارة الغربية كأولوية عاجلة وثابتة.. فإنه بالمقابل من الواجب على مثقفي العالم العربي والإسلامي تقديم مصلحة المنطقة وشعوبها ومستقبلها وطموحاتها وتطلعاتها، وهذا يقتضي فتح المزيد من قنوات الحوار وتبادل الآراء بين النخب المثقفة الواعية المستوعبة للمتغيرات الدولية والتفاعلات الحضارية والفكرية والسياسية من أجل تفعيل العمل لتقريب الآراء ووجهات النظر، ووضع قواعد موضوعية ومناخ ملائم يسمح للنخبة التي تعيش حالة من حالات الاغتراب الثقافي والإلحاق الفكري بالآخر الحضاري بالتراجع عن تلك التوجهات ومراجعة تلك المنطلقات، والعمل على ترسيخ القناعات المفيدة المؤدية إلى وضوح الرؤية وتصحيح المسار والمحافظة على مكاسب ومصالح أمتنا، لأن واجب أهل الأدب والفكر كما يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري، في مقال له بعنوان «أين يقف فكرنا وأين وصل واقعنا» قائم على «الحقائق الثابتة والقيم الراسخة والنظرات البعيدة والمواقف المبدئية.. ومسؤولية الأديب والمفكر الأخلاقية والمعنوية أكبر و بما لا يُقاس من مسؤولية السياسي. فالناس أحيانا يتفهمون انحناءة السياسي للظروف الوقتية من أجل تغيير الأمر الواقع مستقبلا، لكنهم ينظرون للأديب والمفكر على أنه موقف أخلاقي وضميري وفكري وتاريخي قبل كل شيء...»، فمقتضى هذا الكلام أن النخب أو الأنتلجنسيا في العالم العربي والإسلامي عليها أن تبلور رؤية جديدة للتقارب والتفاهم وتقليص مساحات الاختلاف والتنافر والتباغض، ولاشك أن رسم هذا الإطار والالتزام بقواعده ومقرراته يتيح الحرية ولا يحجر على الرأي والنظر.. لكنه لا يجعل حرية التعبير والإبداع بابًا للصراع واستنزاف الطاقة الذاتية للأمة و قواها المذخورة في إهابها أو داخل كيانها الكبير.

وبطبيعة الحال فإن هذا لا يعني بحال إقرار المواقف أو الجوانب السلبية سواء في تراثنا الفكري، أو في واقعنا الماثل المعيش، فهذا مما لا ينبغي أن يخطر على البال، إنما المقصود وضع إطار عام أو خطة منهجية لتخفيف الفجوة والاختلاف بين التيارات الفكرية في الساحة الثقافية العربية والإسلامية.. إنّ عملا كهذا بات ملحا اليوم في عصر التكتلات والتقاربات المصلحية أو المبدئية على حد سواء، وأضحى يفرض نفسه في واقعنا بكلّ آفاقه الثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية ونحوها. إن كل محاولة أو مبادرة جادة تستهدف إنهاض الأمة وتطوير واقعها إلى ما هو أفضل وأجدى لابد أن تنبثق من تاريخ هذه الأمة ومن مرجعيتها الثقافية المتنوعة المكوّنة لهويتها وأصالتها، لأن ترابط وحدات الزمن في حياة الأمم يشترط في كل محاولة نهوض أن يمتلك آصرة أصيلة فاعلة و قادرة على ربط الحاضر بالماضي، ووصل الراهن بالسابق ببصيرة ووعي، لكنه وعي استثنائي مناسب للّحظة الحضارية والزمنية الاستثنائية. ولعله من حسن الطالع والحظ أن الواعين الحقيقيين من أبناء أمتنا الكبيرة يدركون تماما قيمة ووزن هذه الخطوة الحضارية لأنهم على دراية بمراميها ومقاصدها البعيدة؛ إن الحق ليس الشمعة التي تضيئك من الداخل فحسب، بل هو أيضا الشعاع الذي تبصر عليه مسارك في الحياة.. وليس هناك أولى من المثقف بالاهتداء إلى الحق والرشد من أجل الارتقاء بالأمة إلى المكانة والعزة التي تستحقها.



هذا الكتاب له أهمية خاصة في بابه، لما تضمنه من عرض وتوثيق لتاريخ علم أصول الفقه في صدر الإسلام، أيام الصحابة رضي الله عنهم، وتكمن أهميته البالغة في أن هذا الرعيل المبارك من أصحاب النبي ﷺ هم أعلم الأمة بعد نبيها، فلذا كانت آراؤهم واجتهاداتهم في أبواب أصول الفقه معتبرة. وبين دفتي الكتاب عَرَضَ مؤلفه الكريم د. عبدالعزيز العويد تفصيلا للمباحث الأصولية من مقدماته التعريفية إلى خواتيمه الجامعة، وكل ذلك معزوًّا إلى الصحابة رضي الله عنهم.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com
العدد (٥٥٩) ربيع الأول ١٤٣٣هـ - يناير/ فبراير ٢٠١٢م

الفرماوي: هيئة لـ «أهل الحل والعقد» تربط المسلم بصناع القرار

المنطق والخطاب والاستدلال الشرعي في القرآن

حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال

■ الحيل في الشريعة الإسلامية

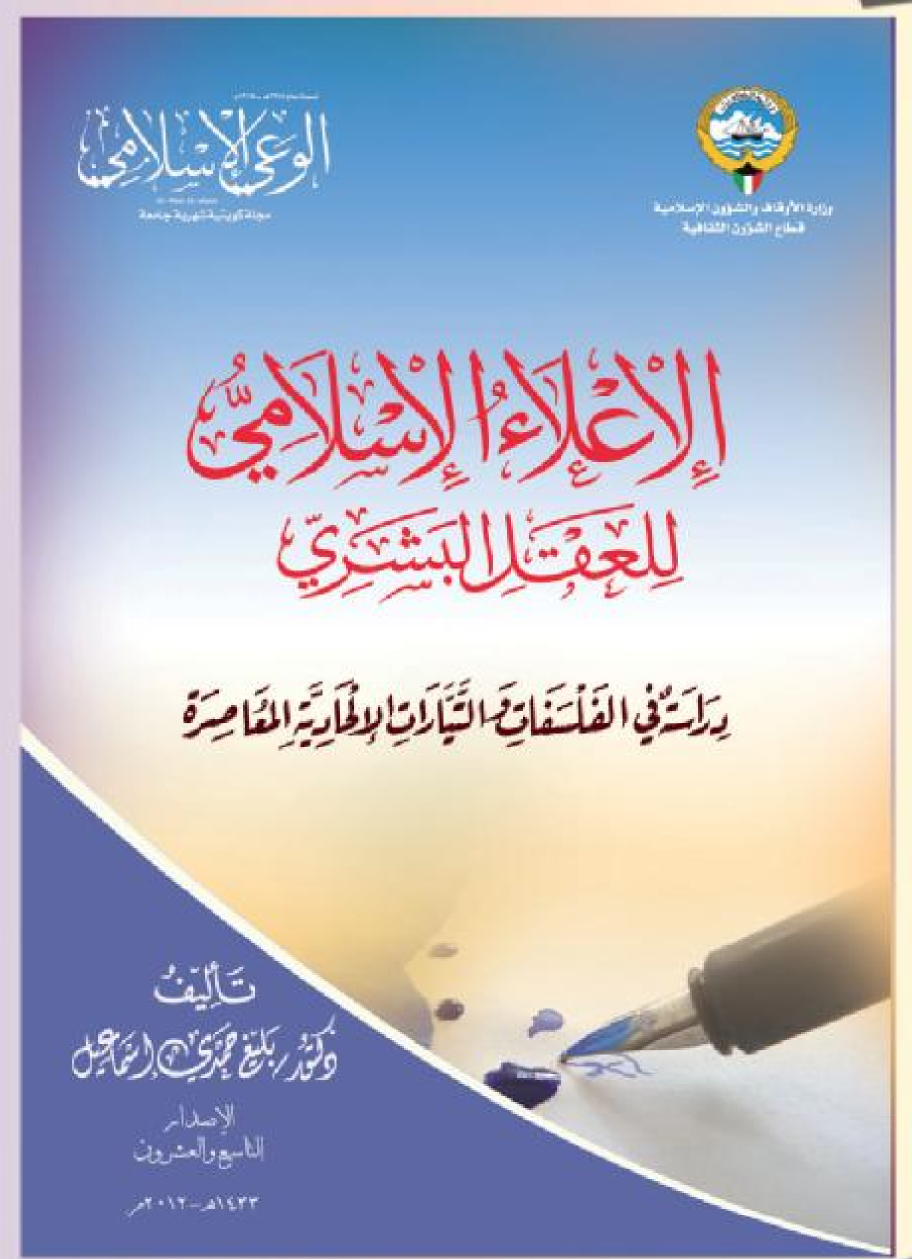
■ الأدب الإسلامي.. إشكالية المصطلح

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

الهدي الإسلامي في تنمية الضمير الأخلاقي

الوعي الإسلامي

جديد



هذه الرسالة وإن كانت متوسطة الحجم، فإن منفعتها فوق حجمها بكثير، وهي في مجملها تتناول الفلسفات والتيارات الإلحادية بالدراسة التحليلية والنقدية، محاولة مقارنتها بالثوابت العقائدية في الإسلام بما يرجع على القارئ بالفائدة العظيمة.

وهي لمؤلفها الدكتور بليغ حمدي الذي أجاد وأفاد وأبان مع عمق تحليل ودقة منهج وسلاسة أسلوب.



حقوق النبي ﷺ

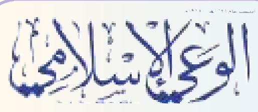
إن الاشتغال بهدي النبي ﷺ، ودراسة سيرته، ونشر محاسنه، من أفضل القربات، وأعظم الطاعات، وهو خير ما أفنيت فيه الأعمار، وبذلت فيه الأوقات، واستنفرت له الطاقات، حيث اصطفى الله رسوله من أشرف الخليقة، وجعله معنى الكمال على الحقيقة، فنقله في أكرم الأصلاب وأعظمها، وأودعه في أشرف البطون وأكرمها، أبرزه الله في أحسن خَلق وخُلق، لا يفي بوصفه بحث، وليس عند الخلق ما يضيفونه في الثناء عليه بعد ثناء رب السموات والأرض، معروف بالصدق والأمانة، والعفاف والصيانة، كما قالت خديجة رضي الله عنها: «كلا والله، ما يحزنك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»، وقد أدى الأمانة، ونصح الأمة، أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل، والناس في كفر بواح، وشرك صراح، وفساد عام، فجاء بالهدى المبين، فأزاح تلك العلل، وصدع بما جاء به من الحق، فكان أول ما صدع به، الأمر بعبادة الديان، والكفر بالطواغيت والأوثان، لتكون العبودية لله، والأنفس محررة من عبودية من سواه، بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، ويبين لهم ما أنزل الله من الكتاب، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأمرهم بالاتباع، ونهاهم عن الابتداع، فهو أصل الإيمان وحلاوته، ومن لوازم محبته واتباعه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)، ومهما ذكرنا من موجبات محبته وعظمته، فلن نوفيه حقه.

لقد بين القرآن الكريم هذه الحقوق، ولقد تجلت روائع المحبة والتعظيم، حقًا، عند من عرفوا قدره حق المعرفة، أهل السبق بالإيمان، صحابته الكرام، ولاشك أن هذا النموذج كان أثرًا من آثار عظمته، بيد أنه عندما ضعف نور النبوة في حياة الأمة، وقل تمسكها بالكتاب والسنة، ضعف الاتباع والتعظيم، وعوض ببعض المظاهر الزائفة، والغلو في اتخاذ الوسائل الترويحية.. وإن أعظم فتنة خشيها عليه الصلاة والسلام على أمته، هي أن تنصرف عن عبادة الله إلى عبادته؛ لأنه جاء بنور التوحيد، والانقياد إلى الملك المجيد، داعيًا إلى الله بحاله ومقاله، دالًا عليه بحسن دعوته وجميل أفعاله، وقد تمثل التطبيق العملي لهذا الفهم الصحيح، في كلمة الصديق: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، فلابد من توضيح منهج المحبة والتعظيم،كما أن الجفاء مذموم ومرفوض.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٩

ربيع الأول ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

يناير - فبراير ٢٠١٢ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

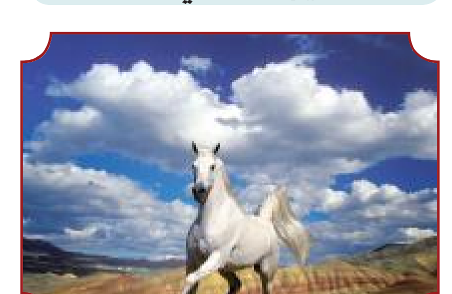
في هذا العدد



موضوع الغلاف

مهما حاول خصوم الإسلام الطعن في الرسالة التي نزلت على الرسول ﷺ من مولاه وإلصاق التهم بها زورًا وبهتانًا فإن الوقائع والأحداث وتصريحات المنصفين من غير المسلمين أثبتت عظمة الرسالة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان.







التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ -٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)

• اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)

• لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣

• مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.

• ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية: ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • ماليزيا : الرنجت..... • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

نحن وأمننا العلمي

المتتبع للفئة المتعلمة في عالمنا العربي والإسلامي والتي حازت على الشهادات العليا في العلوم كافة، في الطب والهندسة والتقنيات وغيرها، يجد أنهم بعد أن يتخرجوا من المعاهد والجامعات العليا يتحولون في عالمنا العربي والإسلامي إلى موظفين جالسين وراء المكاتب يوقعون الأوراق، ويلقون المحاضرات النظرية، وقد يتقلدون مناصب لا تتناسب وتخصصاتهم ومؤهلاتهم العلمية.. هذا الواقع المؤلم لكوادرنا العلمية يطرح جملة من التساؤلات في مقدمتها: أين معاهد البحث العلمي التي تستوعب هذه الكوادر؟ وأين الميزانيات التي توضع تحت تصرف هذه المعاهد لمتابعة الدراسات العلمية والتقنية؟

إن الأمن العلمي لأي أمة من الأمم لا يقل أهمية وخطورة عن أمنها في مناحي الحياة الأخرى، ولابد من وضع الخطط والإستراتيجيات التي تبني أوطاننا علميًا حتى لا نظل ندور في فلك الدول المتقدمة خاصة أننا نملك من الإمكانيات والقدرات المادية والبشرية التي تؤهلنا لاستعادة دورنا العلمي الرائد في المسيرة الحضارية المعاصرة.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥,٧دنانير.للمؤسسات١٥ دينارًاكويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المنطقُ والخِطابُ والاستدلالُ الشرعيُّ في القرآن

بشار بكور

كثيرًا ما يستشهد المسلمون بآيات من القرآن الكريم لدعم رأي ما في الفقه أو العقيدة أو في مجالات أخرى شرعية كانت أم غير ذلك. لكن السؤال: هل فكر المسلمون في الطريقة التي يعرض فيها القرآن الكريم مبادئه وقضاياه بوصفها نتائجَ صادرة عن حجج محكمة ومنطقية؟ هل كان منهم اهتمامٌ بالوقوف على المنطق والجدل في القرآن الكريم؟ نعم، كان هناك اهتمام وعناية بهذا الموضوع، لكنه- مقارنة مع العديد من الموضوعات في الدراسات القرآنية- لم يحظ بالقدر الذي كان يستحقه، ومن أشهر الكتب التي تناولت موضوع الجدل في القرآن، كتاب حجة الإسلام، الإمام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ) «القسطاس المستقيم: الموازين الخمسة للمعرفة» (١)، وكتاب «استخراج الجدال من القرآن الكريم» لعبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب، المعروف بابن الحنبلي (توفي ٦٣٤هـ) (٢).

وقد أشار بدرالدين الزركشي إلى جدل القرآن في «البرهان في علوم القرآن» (٣) وكذلك السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» (٤).

ومن الكتب المتميزة التي عُنيت بجدل القرآن كتابُ «المنطقُ والخطابُ والاستدلال الشرعيُّ في القرآن».
Logic، Rhetoric، and Legal Reasoning in the Qur'an: God's Arguments Rosalind Gwynne Ward، للباحثة روزاليند وارد غوين، نشر روتلج: لندن- نيويورك، عام ٢٠٠٤، ٢٥١ صحيفة.

والمؤلفة أستاذ مساعد في الدراسات الإسلامية في قسم الدراسات الدينية في جامعة تينيسي The University of Tennessee وقد اتخذت من كتاب الغزالي المذكور آنفًا قاعدة انطلاق ثم بنت عليها تفصيلات وفروعًا ينظمها ناظم المنطق والجدل القرآني.

وجدت أن القرآن قد استعمل أكثر من ثلاثين نوعًا من البراهين والحجج الصريحة والضمنية، بعناصرها وطرائقها: حجج ذات مقدمات ونتائج، الأوامر التي تدعمها التسويغات، السوابق واللواحق، النتائج المأخوذة من الاستدلال المبني على الحكم، المقارنات والاختلافات، وغيرها.

تقول المؤلفة عند حديثها عن آيات الله (أي: علاماته) إن الآية ليست في حد ذاتها جدلًا، إنما هي نوع من الأدلة التي تدعم أنواعًا مختلفة من الجدل، صريحًا كان أم ضمنيًا. فـ«آيات الله» في القرآن هي أجزاء من الأقيسة، والسنن التاريخية، والقصص، وأصناف أخرى من البراهين.

وقسمت المؤلفة الكتاب إلى أحد عشر فصلًا: يحلل الفصل الأول عناصرَ العهد بين الله والبشرية، والعلاقة التي تعد المفتاح المنطقي للبرهان المستعمل في النصوص المقدسة في الشرائع الإبراهيمية.

ثلاثون نوعًا من البراهين والحجج الصريحة والغنيمة في القرآن

ويشرح الفصل الثاني طريقتين يستعملهما القرآن لإثبات صحة مقدمات العهد: الأولى هي تقديمٍ الكثير من الآيات الإلهية بوصفها دليلًا على القدرة المطلقة لله تعالى. والثانية عرض أحداث من الماضي، مثل إرسال الكتب السماوية والأنبياء، بوصفها سننًا إلهية، ولذا هي ملزِمة للبشرية.

ويتناول الفصل الثالث مبدأ السنة الإلهية أو سنة الله.

وفي الفصل الرابع، يرى القارئ كيف يستعمل القرآن العهدَ وآيات الله والسنة الإلهية بوصفها حقائق معروفة لبناء حجج مركبة، ضمنية وصريحة.

ويميز الفصل الخامس بين القواعد والقوانين، ويظهر كيف أن القرآن يترجم القواعد والأوامر الإلهية إلى قوانين تطبق على البشر.

أما الفصل السادس فيحلل حججًا تعتمد قوةُ دليلها على المقارنة، بمظهريها الإيجابي والسلبي. ويتناول السابع موضوعَ الاختلاف، مثل الاختلاف بين الله ومخلوقاته.

أما الفصلان الثامن والتاسع فيلجان

◆ باحث شرعي

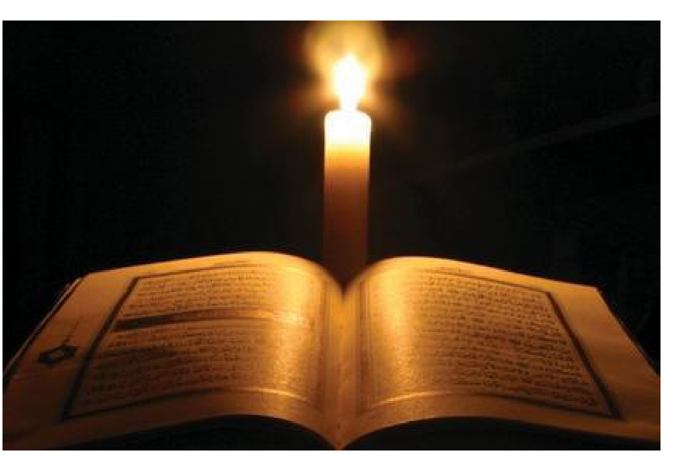
حقلَ المنطق الكلاسيكي؛ إذ يتناولان تحليلات للحجج التي قام بها الغزالي ونجم الدين الطوفي، وتطبيقاتها على مجموعة من الآيات القرآنية، مع عرض أمثلة من القياس الشرطي والمنفصل.

ويشير الفصل العاشر إلى أمثلة متنوعة من النقاشات والحوارات التي دارت بين الأنبياء وقومهم ليثبت أن القرآن يجمع بين أشكال متنوعة من الحجج لدعم تعاليمه، وتوضيح وسيلة النقاش وأدبه، ولدحض حجج الخصم.

أما الفصل الحادي عشر فيقدم نتائج دراسة الكتاب.

أمثلة

من الأساليب المنطقية التي يستعملها القرآن، الجدل بطريق الأولى أو الأحرى، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧) وقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧) الله تعالى قادر على خلق السموات والأرض، وخلق السموات والأرض أكبر من خلق البشر، إذن الله تعالى قادر على خلق الناس، وإذا كان الله قادرًا على خلق الناس فلأن يكون قادرًا على إحيائهم بعد موتهم أولى. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السموات وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف: ٣٣). ﴿وقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾. (الإسراء: ٤٩-٥١).



قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السموات وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: ١٨) لو كانت اليهود والنصارى أبناء الله كما يزعمون فلم يعذبهم الله إذن؟ فالبنون لا يعذّبون، وأنتم معذبون؛ إذن أنتم لستم أبناء الله كما تدّعون.

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٦-٧) ادّعى اليهود أنهم أولياء الله. ومعلوم أن الولي إنما يتمنى لقاء وليّه، واليهود لا يتمنون الموت الذي سوف يتيح لهم لقاء الله، إذن هم ليسوا أولياء الله.

- قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١) إن قولهم بنفي إنزال الوحي على البشر باطل.. (١)لأن موسى إنما هو بشر، وهذا أمر متفق عليه. (٢) وقد أُنزل عليه كتابٌ باعترافهم، لأنهم كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه. فيلزم من هذين الأصلين أن بعض البشر قد أنزل عليه الكتاب، فبطلت دعواهم.

- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٨٠) يا مَن تدّعون بأن مَسَّ النار لكم إنْ هو إلا أيام معدودة، إمّا أن لديكم عهدًا من الله بهذا أو أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون. أما وإنّه ليس لديكم عهدٌ من الله بهذا فأنتم تقولون على الله تعالى ما لا تعلمون.

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥) إما أن الله يهدي إلى الحق أو آلهتكم تهدي إلى الحق. والله هو الذي يهدي إلى الحق، إذن آلهتكم لا تهدي إلى الحق.

الحواشي

(١) قرأه و علق عليه محمود بيجو- المطبعة العلمية: دمشق ١٩٩٣.

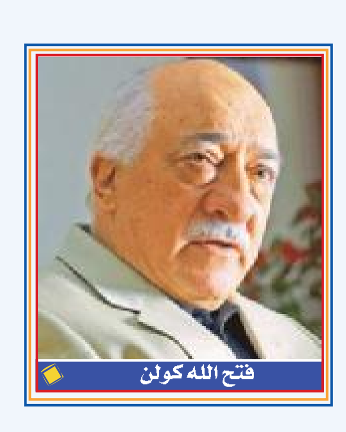
(٢) حقق الكتاب زاهر بن عواص الألمعي، مؤسسة الرسالة: بيروت ١٩٨٠.

(٣) النوع الثالث والثلاثون ٢/ ٢٤- تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم- دار المعرفة: بيروت ط٢-١٩٧٢.

(٤) النوع الثامن والستون ٢/ ١٠٥٤- تحقيق مصطفى البغا. دار ابن كثير: دمشق- بيروت- ١٩٨٧.

بُعد آخر وأفق آخر

إن الإنسان المسكين في هذا العصر، الذي فقد الكثير من مقاييس القيم، انقلبت نظرته وسلوكه وفكره تجاه رسولنا محمد ﷺ رأسًا على عقب. هذا، علمًا بأنه من الخطأ الجسيم القيام بتقييمه ﷺ بأي مقياس أو ميزان بشري. فهذا أمر مستحيل، ذلك لأنه كان شخصًا لا مثيل له، ولا نظير له، إذ زُوّد بروح وبقابليات متميزة فريدة، وأرسل إلى الدنيا لكي ينظمها من جديد، وليفتح للإنسانية آفاقاً جديدة مشرقة. لذا، فإن تقييمه أمر يخرج عن نطاق قدرتنا، وعن نطاق مقاييسنا وموازيننا، لذا فمهما وصفه الواصفون فلن يوفوه حقه، ومن هذا المنطلق أنشد حَسّان بن ثابت رضي الله عنه -وهو من أعرف الناس به- قائلاً:


فتح الله كولن

وما مدحت محمدًا بمقالتي
ولكن مُدحت مقالتي بمحمد

فذكره السنيّ هو الذي يكسب الجمال للكلامَ الجميل وللكلمات الجميلة، وإلا فما من شيء في تعابيرنا يمكن أن يكسبه شيئاً. ويكرر الفرزدق المعنى نفسه، ولكن بتصرف قليل. ويستعمل مفكر العصر الكبير بديع الزمان النورسي المعنى نفسه عندما يتكلم عن القرآن الكريم:

وما مدحت القرآن بكلماتي
ولكن مدحت كلماتي بالقرآن (٢)

كل هذا نتيجة الاشتراك في الشعور نفسه وفي الفكر نفسه، فكلهم استقوا إلهامهم من نفس المنبع، ومن نفس المصدر، فأشاروا إلى الأشياء نفسها بتعابير مختلفة، فما أجمله البعض فصّله البعض الآخر، بينما عبّر الآخرُ عنه بأبيات الشعر.. ولكنهم كانوا يحومون حول المحور نفسه، ويطوفون حول المركز نفسه.

والأمر نفسه وارد بالنسبة إلينا، فنحن نريد أن نتحدث، وأن نعبر عن النعمة الكبرى المتميزة المهداة إلينا عندما أصبحنا من أمته، وأن نهتف من أعماق قلوبنا بالحمد لله رب العالمين والشكر له، لأنه رآنا أهلًا لإسباغ نعمته الكبرى علينا بأن جعلنا من أمة المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم. فهذا فضل إلهي، وهو يسبغ فضله ونعمته على من يشاء وبالمقدار الذي يشاء، إلا أن هذا الفضل لا يمكن أن يزنه ميزان أو يحدّه قياس.. فهو بحر واسع لا يحده ساحل، ولا ينتهي بشاطئ. إلا أن للمسألة وجهة أخرى لا أستطيع إهمالها ولا الهرب من السؤال الذي تطرحه: أنملك قلبًا لائقًا بسلطان القلوب هذا؟ هل هذا السلطان مستريح في مجلسه من القلوب؟ هل قلوبنا مفتوحة له على الدوام؟ أنلاحظه في قيامنا وقعودنا، في أكلنا وشربنا؟ أنلاحظ محمداً ﷺ بقلوبنا في جميع حركاتنا وسكناتنا؟ أنسير في جميع شؤون حياتنا على الخط الذي رسمه لنا؟ فإن كان جوابنا بالإيجاب فما أسعدنا! لأن هذا يعني أن خيالنا وأحلامنا مزيّنة بجمال صورته.. وإننا بذلك نكون جماعة محمدية، نتخلق بأخلاقه ونتأدب بآدابه.. وإن أيّ جماعة تتزين بمثل زينة أخلاقه، تكون عنصر توازن في هذا العالم. وأنا أعتقد أن هناك سببًا واحدًا فقط في عدم وصولنا إلى مثل هذا التوازن، وهو أننا لم نرتق بعد إلى المستوى اللائق للروح المحمدية.

هل نملك قلبًا لائقًا بسلطان القلوب؟ وللأسف لم نرتق بعد إلى مستوى يناسب الروح المحمدية!

إنه الإنسان المصنوع على عين الله.. وإن مجرد مجيئه إلينا كإنسان يعد أكبر سعادة لنا، ذلك لأن الجنّات نفسها، والفردوس نفسه يتشرف بقدومه. وإن وصفه بما هو أهل له لهو من أكبر مهماتنا، وأشرف وظائفنا؛ فالإنسانية لا تبلغ مرتبة الكمال الحقة إلا بعد أن تفهمه بحق، وتتبع خطاه. وقد عقدتُ نيتي على تنفيذ هذا، إلا أنني سبق أن ذكرت أنني لست فارس هذا الميدان، ولكن أملي الوحيد هو محاولة إفهامه وشرح آفاقه.. وكل ما أملكه في هذا الخصوص هو نيتي الخالصة.

◆ مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب



كنت قد وضعت نفسي منه منذ مدة طويلة موضع «قطمير»، وأسرّي عن نفسي بهذا، غير أنني بدأت أفقد هذا الأمل بمرور الزمن. ثم تمنيت لو أنني خُلقت شعرة ببدنه، فأكون بهذا القرب من مثل هذا الشخص الذي كان مظهراً لمثل هذه الدرجة من اللطف الإلهي الخاص. ومرّ زمن عليّ وأنا في مثل هذه الأمنية، إلا أنني كلما ازددت معرفة به، تأكدت أكثر بأنني لست أهلاً لتحقق هذه الأمنية، لذا فقد انحصرتْ كل رغبتي وأملي في أن أكون فرداً من أمته، ذلك لأنني آمل ألا يحرم الله تعالى فرداً من أمته من شفاعته، فيقول وهو يدخلني بينهم: «هم القوم لا يَشْقَى بهم جَليسُهم» (٣).

أجل، فقد عقدت نيتي على محاولة القيام بمعرفة هذه الذات السامية، فما أسعدني إن استطعت قدح شرارة واحدة من حبه في قلب هذا الجيل! ولكن ما حيلتي، فمثلي في هذا مثل نملة نَوَت الحج، فهي تعلم أن أرجلها الضعيفة لا تقوى على قطع تلك المسافة الطويلة، ولكنها مسرورة لكونها ستموت وهي في الطريق إلى الحج.. فكل أملي أن أموت في هذا الدرب.

إن الوظيفة الملقاة على عاتقنا هي تعبير أنفسنا حسب تردد موجات ذلك العالم. وعندما يتم هذا، يبدأ التخاطب الصريح، والتخاطب بالشفرات، وتصدر الأوامر من قِبله هو، إذ يتولّى القيادة والإدارة بنفسه. أما الجماعة التي يقودها، والمجتمع الذي يديره فمجتمع عميق المعاني، سامي الأغراض، تغبطه الملائكة، ويقصر عنه كل وصف وتعبير.

قد يبدو للبعض أن ما نقوله بعيد عن الموضوعية. وهذا أمر يؤسَف له، أيقال هذا، وكل يوم يَتلقّى بعض الشباب من ذوي الوجوه النيرة البشارات المعنوية من رسول الله ﷺ؟ وبعد قيام البعض بالاتصال به مباشرة دون أستار ولا حجب وفي عالم الشهادة نفسه؟

الهوامش

١- المثل السائر لابن الأثير، ٢/٣٥٧؛ صبح الأعشى للقلقشندي، ٢/٢٣١.
٢- «المكتوبات» لبديع الزمان سعيد النورسي ص٤٧٧.
٣- البخاري- الدعوات، ٦٦ــ مسلم، الذكر، ٢٥ــ الترمذي، الدعوات، ١٢٩ــ «المسند» للإمام أحمد ٢/٢٥٢-٢٥٣.

الدكتور عبدالحي الفرماوي أستاذ التفسير والعقيدة بجامعة الأزهر:

هيئة لـ «أهل الحل والعقد» تربط المسلم بصانع القرار

القاهرة - دار الإعلام العربية - الشريف أبو الوفا

ثلاثة مطالب أساسية تعيد الإحساس المفقود بالأمان لدى المواطن المسلم، خاصة في العديد من الدول التي اجتاحها ربيع الثورات العربية.. هذا ما أكد عليه د.عبدالحي الفرماوي أستاذ التفسير والعقيدة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، كاشفاً عن الداء وواصفاً الدواء للعديد من القضايا المختلفة الألوان والاتجاهات.. وفند الفرماوي كذلك في لقائه مع «الوعي الإسلامي» أسباب جمود الثقافة الفقهية، وما أحدثته العلمانية في عقول المسلمين.. فإلى تفاصيل الحوار.

• افتقد المواطن المسلم نعمة الأمان خاصة في المجتمعات التي اجتاحتها اضطرابات.. فكيف يتحقق الأمان برأيك في المجتمعات الإسلامية؟

لكي يصل المجتمع المسلم إلى الأمان لابد من تحقيق مطالب إلهية ثلاثة ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥). أما المطالب الثلاثة فتتمثل في «الإيمان» و«العمل الصالح» و«العبادة» هذه هي العناصر الأساسية لتحقيق الأمان المفتقد، فالمجتمع المؤمن مجتمع آمن يسلم كل أفراده من الأذى ولا يوجد بداخله فوضويون، وإذا وجد بعض الانفلات فإنه ينبغي أن يعالج على بساط ونور وهدى الإسلام، والذي يبقى تأثيره أكثر قوة من أي قانون عقوبات ومن أي حبس وزجر، فإن لم يرتدع الخارج تفرض عليه العقوبة المذكورة في الشرع، إن كان سارقًا يحد بقطع يده، وإن كان قاتلا يقتل حدًا، ولمثل هذا شرعت الحدود والتعزيرات.

• وفي ظل اختلاف الرؤى التي تبعث على الفوضى.. ما أقوى كفالة لاحترام القانون؟



الاختلاف سُنّة إلهية، لكنّ له ضوابط وآدابًا، فإذا التزم الإنسان بهذه الآداب والضوابط مع من يخالفه فلن تحدث فوضى ولن يحدث أبدًا ما يعكر صفو المجتمع واستقراره، ومن شيم العلماء وما تعلمناه من السلف الصالح قولهم: «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب»، وكان أحدهم يقول: «كنت أتمنى أن يظهر الحق على لسان من يناظرني»؛ لأنه يبحث عن الحق لذاته لا عن انتصار لشخصه، وهذه هي علة الفوضى الموجودة الآن في عالمنا العربي، أن معظم المتخالفين كل منهم يبحث عن انتصار ذاته على من يخالفه دون أن يرنو إلى الحق.

• ولماذا برأيك أصيبت ثقافتنا الإسلامية في العصر الحالي بالجفاف والجمود؟

أسباب ذلك ترجع إلى التيارات الوافدة من الثقافات غير الإسلامية، وكذا أجهزة الإعلام الملهية، وتسيد كوكبة من الإعلاميين البعيدين عن الثقافة الإسلامية على منابر الثقافة والإعلام في وطننا العربي والإسلامي، كل هذا صرف الناس عن ثقافتهم وهويتهم الإسلامية.

هذه أسباب الفوضى.. وهكذا يتحقق الأمن

• هل يمكن رسم خريطة طريق أو دعوة لإحياء علوم الدين بعد أن وقفت مؤلفات كثيرة عند أمور شكلية؟

الناس على دين ملوكهم، والتاريخ يشهد على ذلك، فمثلاً في العصور السابقة مثل العصرين الأموي والعباسي كان الحكام والأمراء يولون اهتمامًا لا يدانيه اهتمام آخر بشؤون الدين وعلومه، لذلك كانت الدعوة مزدهرة ومنتشرة.. بينما فيها الفترات التي كان الحاكم أو نظام الحكم فيهامشغولا بشيء آخر غير الدعوة كان الشعب أيضًا بعيدًا عن الدين وعلومه، لذلك تعيش الأمة الإسلامية الآن في غيبوبة لا يبددها سوى مجهودات قلة من المؤسسات الإسلامية مثل الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والهيئة

العالمية لتحفيظ القرآن الكريم.

• وماذا عن مواصفات الرابطة التي تربط المسلم بصانع القرار في مجتمعه؟

حتى يرتبط المسلم بصانع القرار يجب أن تكون هناك هيئة تسمى «الحل والعقد» يختارها الشعب دون ضغوط، تلتزم بالضوابط وترضى بالأدلة القطعية حتى وإن اختلفت في الفرعيات، هذه هي مواصفات الهيئة أو الرابطة التي تربط بين عموم الناس وصناع القرار في المجتمع المسلم.

• في ظل تيارات معادية للإسلام مثل «العلمانية» و«الحداثة».. هل يساورك قلق على الإسلام وشريعته من هذه التيارات؟

منذ ظهور الإسلام ظهرت التيارات المعادية له، وعلى مر الأيام تموت هذه التيارات الشاذة عن المجتمعات الإسلامية والمناهضة للفكر الإسلامي ويبقى دين الحق، لذلك لا قلق من هذه التيارات ولا خوف من ضررها إلا على أهلها، وقد ظهر من قبل الباطنية والقرامطة والغلاة وكلهم ذهبوا، وستذهب خلفهم تيارات العلمانية والحداثة وما سيستحدث لاحقًا من تيارات تعادي الإسلام.

• تستخدم هذه التيارات سلاح الكلمة في حربها مع دين الحق.. فهل استطاعت الصحافة الإسلامية مواجهة هذه التيارات بقوة؟

حتى هذه اللحظة مازالت العلمانية والحداثة وغيرهما تسيطر على الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، على عكس الإسلاميين الذين يفتقدون كثيرًا أدوات الرد الإعلامي على هذه التيارات.. ومن الأهمية أن تبحث الصحافة الإسلامية عن أدوات ومفردات تواجه بها أفكار العلمانية والحداثة.

• هناك رأي يقول إن شروح بعض المثقفين العرب لمفاهيم الحضارة الغربية أسهمت في ترسيخ هذه التيارات في عقول المسلمين وأحدثت ضعفًا في العقيدة.. فهل تتفق مع هذا الرأي؟

بالفعل أسهم كثير من المثقفين العرب في الترويج لمفاهيم الحضارة الغربية والمناداة بأدواتها، ولأن الضعيف ينبهر بالقوي والفقير ينبهر بالغني، انبهرنا بالغرب وبإنتاجه، ومن ثم انبهرنا بأفكاره، وهذا اتجاه قديم منذ رفاعة الطهطاوي وطه حسين وغيرهما ممن ذهبوا إلى أوروبا وعادوا ينادون بآراء لا تتفق مع الإسلام.

• وما تفسيرك لانتشار الأزمات النفسية بين أبناء المسلمين اليوم؟ وهل هي مشكلة اقتصادية أم بعد عن الدين؟

الاثنان معًا.. أولًا الابتعاد عن الدين يفقد الإنسان الثقة واليقين في رحمة الله وفي عدله وفي رحمته بعباده، ومن ثم يصاب بالتأزم النفسي.. أيضًا الجانب الاقتصادي له نسبة كبيرة في نشر الأزمات النفسية، وهذا ما جعل علي بن أبي طالب يقول كلمته الشهيرة «لو كان الفقر رجلًا لقتلته»، والله سبحانه وتعالى ذكر آيتين عالج فيهما التأزم فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١) وقال أيضا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)، فهذا علاج للأزمات الاقتصادية بجانب أن كثيرًا من الدول الإسلامية لا تسهم في حل مشكلات الشباب ظنًا منها بأنها لو فعلت ذلك فسيتفرغ الشباب لانتقاد نظم الحكم.

• إذا عدنا إلى مسألة الفوضى نجد ما يسمى «فتاوى الفضائيات» التي برغم التشكيك في كفاءة القائمين عليها فإنها تحظى بقبول كبير من العامة.. فما السر؟

فتاوى الفضائيات اختلط فيها الحابل بالنابل وغاب عن القائمين عليها أن للفتوى شروطًا وضوابط وثقافة، ولها أهلها الموثوقون، وينبغي ألا يتصدر للفتوى إلا أهلها.. أما السر في انجذاب العامة إلى الاستفتاء عن طريق الفضائيات فسببه طريقة الإبهار التي تقدمها هذه الوسيلة الإعلامية في عرض المسألة الدينية، ما يسهم في جذب المسلم البسيط ومنح شرعية الإفتاء لأشخاص بعينهم يلقون القبول لدى المشاهد.. وهذا لا يعني أن كل القائمين على الفتوى في هذه الفضائيات ليسوا أهلًا لها.

• وهل من علاج لهذا الإشكال؟

لابد من تحديد هيئة للإفتاء في كل بلد إسلامي تعلن وتنشر في أجهزة الإعلام وتلزم غير المتخصصين بعدم الجرأة على الإفتاء، كما ينبغي إلزام وسائل الإعلام بعدم الاستعانة إلا بمن هو مجاز في مجال الفتوى.

• أنجزت إحدى الجمعيات الإسلامية تفسيرًا للقرآن الكريم بلغة الإشارة للصم..فماذا يحمل هذا المشروع من دلالات وما هي عوامل نجاحه؟

دلالاته أن هناك علماء لديهم حس ديني رفيع المستوى حريصون على ثقافة هذه الفئة في المجتمع لتزويدهم بتعاليم الإسلام الصحيحة حتى لا يحرم الصم والبكم من فهم كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما.. وندعو الله أن يجازي القائمين خيرًا على هذا العمل وكل عمل يصب في خدمة رسالة الإسلام.

• ما السر في عدم جواز ترجمة النص القرآني والسماح بترجمة تفسيره فقط؟

لا يجوز ترجمة النص القرآني؛ لأن الخطأ فيه سينسب إلى الله تعالى (حاشا لله)، إنما إن حدث خطأ في ترجمة التفسير فسينسب إلى صاحبه.

• أخيرًا.. هل تحتاج الثقافة الإسلامية إلى حركة تجديد وتنشيط أم تصحيح مفاهيم؟

الثقافة الإسلامية تحتاج حاليًا إلى الاثنين معًا، وتنشيطها يبدأ من خلال لقاءات عملية وتيسير المؤلفات للباحثين والباحثات، وتصحيح مناهجها من الأهمية بمكان لكل إنسان مسلم.

سلسلة النهضة التعليمية ١-٤

ركائز وقيم النهضة التعليمية

دار الإعلام العربية

«بناء الفرد ومحو أميته»..هكذا باختصار شديد يُعرَّف التعليم، الذي يعتبر المحرك الأساسي لتطور الحضارات ومحور نماء المجتمعات، حيث تقيّم نهضة المجتمعات وفق نسب المتعلمين فيها..وقد اتفق الخبراء على وجود نوعين من التعليم: نظامي وهو الذي يتلقاه المتعلمون في المدرسة والمعاهد والجامعات، وغير نظامي وهو التعليم الحر وله برامج مخططة ومنظمة لكن إجراءاته أقل انضباطا من النظامي.. وعندما تتساوى قيم البحث والاستفادة والنقل عند الإنسان لإنتاج شيء جديد يتقدم به خطوة على الآخرين، أو يسعى إلى تطوير ذاته بخبرات لم تكن موجودة من قبل، يكون بذلك على أولى درجات النهضة.. وهذا ما نتناوله عبر هذه السلسلة.. تعالوا نتعرف واقعها وركائزها الأساسية.

«العملية التعليمية في بدايتها ونهايتها عملية تربوية لها سبعة أعمدة رئيسة تتمثل في: المعلم، المنهج، الطالب، المبنى المدرسي، الإشراف التربوي، أسلوب التدريس، والأنشطة المصاحبة للعملية التعليمية؛ ليكتمل بناء الجسم مع العقل».. بهذه الكلمات بدأ د.محمود متولي، عميد كلية التربية السابق بجامعة بورسعيد، حديثه عن ركائز النهضة التعليمية في أي بلد، موضحًا أنها تستند إلى إخراج دارسين ودارسات قادرين على استيعاب ما درسوه من علوم ومعارف وخبرات، ومن ثم تلبية حاجات سوق العمل في ترجمة عملية للتعايش مع الحياة، ويساعد كُل ذلكَ على إحداث تناغم بين منظومة العلاقات التي تربط أفراد المجتمع والدولة بعضهم ببعض.

قيم أخلاقية

وتابع د.محمود موضحًا: إن النهضة التعليمية لا تتوافر إلا بوجود المعلم الكفء، الذي يلمّ بجميع عناصر المادة التي يُدرِّسها، وبجانب العلوم النظرية والعملية، ينبغي أن يتسم بالسمات الأخلاقية المثالية التي تقود بدورها إلى تنشئة طالب سوي لديه القدرة على الاعتماد على النفس، يتصف بالعطاء، والوفاء، والأمانة، وصلة الأرحام، والأخوة، والمواطنة، والإحساس بالمشاركة، وكلها قيم



د.محمود متولي

أخلاقية يجب غرسها في نفوس الأبناء؛ لتحقيق نهضة تعليمية، وذلك باعتبارها مكملًا لعملية التلقين والتنظيم.

وفسَّر سبب النهضة التعليمية التي تحققت في مصر في القرن الثامن عشر في عهد محمد علي باشا، قائلًا: ترجع إلى مجموعة عناصر، فقبل عصر محمد علي كان الجهل سائدًا، والخرافات مسيطرة، والمجتمع غير قادر على استيعاب الثقافة الخارجية، وعندما تولى محمد علي باشا الحكم في عام ١٨٠٥، وعلى الرغم من أنه لم يكن متعلمًا، فإنه كان واعيًا، وأدرك أهمية التعليم في بناء الدولة الحديثة، وآمن بضرورة أن يكون هناك تعليم ديني وآخر مدني، فأرسل العديد من البعثات التعليمية إلى الخارج، وأنشأ المزيد من الكتاتيب، ورصد كثيرًا من الموارد لبناء ثقافة تعليمية للمجتمع، ومن حسن حظه أنه استعان بمجموعة من العلماء لمساندته في تحقيق هذه النهضة، كان من ضمنهم الشيخ الأزهري حسن العطار الذي مزج في تعليمه بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وآمن بضرورة التلاحم بين الثقافات وليس تصادمها، فكان الجمع بين التعليم المدني والديني كفيلًا ببناء مجتمع جديد.

وأضاف: إن البعثات لم تكن لدراسة العلوم النظرية فقط، بل تفرعت في مختلف المجالات من الهندسة والصناعة والفنون إلى جانب تسخير مجموعة من الخبراء لتعليم المصريين كثيرًا من الصناعات لتوفير الكفاءات والأيدي الماهرة، كل ذلك دون إغفال لافتتاح المدارس ووضع المناهج التي تتسم بالذكاء والاستنارة وتحفز على العلم وتشجع العلماء، ووصل الأمر إلى أنه كان يتم عزل كل من يأتي من البعثات الخارجية عن الاختلاط بالناس حتى ينتهي من تدوين كل ما تلقاه من علوم ومعارف؛ كي يستفيد منها غيره.

مواجهة فعلية

أما د.محمود كمال الناقة، رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، فأوضح أن النهضة التعليمية تعبير إنشائي وعام، معناه الحرفي

د. حمدي عبدالعظيم

العملية التعليمية في بدايتها ونهايتها تعتمد على سبعة أعمدة رئيسة

التحرك، كأن يقوم شخص من جلسته على اعتبار أنه كان ملتصقًا بالأرض، فهو في حالته الأولى كسلان وغير متجدد، ونحن نريد تحريكه لتغيير وضعه وحالته.

وأشار إلى أن المعنى الذي نريد تحقيقه للنهضة التعليمية هو المعنى الذي يعمل على رقي العلم وتحضر مكونات العملية التعليمية، والتي على رأسها المعلم؛ لذلك ينبغي أن نعرف جيدًا كيفية إعداده وتدريبه، والعمل على رعايته الأدبية والمادية، والرفع من شأنه في المجتمع، وهو أيضًا عليه دور أن يرتقي بشأن ذاته وتلاميذه.

وتابع: إن المناهج أيضًا مكون أساسي من مكونات العملية التعليمية، ولابد أن تكون معاصرة وحديثة بحيث لا يتعداها التاريخ ويتخطاها العلم، ونحولها من نظرية الحفظ والاستسهال إلى النشاط والممارسة والتجريب والتطوير، إلى جانب «المدرسة» بيت العلم الأول، وأساس تربية أبنائنا، فلابد أن تكون مدعمة بأحدث الأساليب العلمية والتقنية الحديثة من أنشطة وإلكترونيات جديدة ومكتبات رقمية حديثة، ووسائط متعددة وأسطوانات مدمجة وشبكة دولية متصلة، ومعاونين إلكترونيين، إضافة إلى توفير سبل الراحة كافة، وإن كانت الممارسة بالمواجهة الفعلية هي أساس النهضة التعليمية الحقيقية وليس عبر وسائل تكميلية.

ورأى «الناقة» أنه قبل كل ذلك لابد أن يشمل التعليم تطوير القوانين حتى تواكب السياسة التعليمية المعاصرة، أيضًا تغيير الامتحانات ونظمها ومقاييسها، وتطوير فكرة المجتمع عن التعليم.. وضرورة تفاعل كل هذه المكونات مع بعضها البعض حتى تساعد على تجويد العملية التعليمية لينعكس ذلك على الطالب ذاته، فالنهضة تتحقق بشكل واقعي عندما يتعلم الطالب شيئًا جديدًا يحتفظ به ويستدعيه، ويستخدمه ويوظفه ويتباهى به أيضًا، وليس مجرد الحصول على درجات وهو من الداخل كالصندوق الفارغ.

وعما إذا كانت «ميكنة التعليم» دليلا على نهضته قال: إن ميكنة التعليم ليس هي الأساس، إنما هي ضرورة تقتضيها التغيرات العلمية والحياتية والتكنولوجية، فنحن الآن في حاجة إلى التعلم عن بعد وعن قرب، ومعامل افتراضية كما لو كانت حقًا أمامنا، ووسائط تثري العملية التعليمية، وتحدث المعرفة الإنسانية بشكل يجعلها مشوقة وجاذبة.

وأضاف أنه على الرغم من أن الإمارات لديها نهضة تعليمية حقيقة، وتتمثل أبرز علاماتها في المناهج المتطورة، وجودة التعليم وخاصة الجامعي في مختلف جامعاتها كالشارقة و«أبوظبي»، فإنه يُؤخذ على هذه النهضة أن التعليم الجامعي باللغة الأجنبية، وفي هذه الحالة تكون النهضة مجرد تقليد وليس استفادة.

حالات فردية

بدوره، أكد د.حمدي عبدالعظيم، الرئيس السابق لأكاديمية السادات للعلوم الإدارية، أن النهضة تعني تطوير العملية التعليمة لخروجها من الأسلوب التقليدي النمطي إلى الحديث، ومن عباءة الأسلوب التلقائي المعتمد على الحفظ والتلقين، إلى الاستيعاب والفهم، وذلك من خلال تطوير المناهج وطرق التدريس ذاتها، والمراجع المستخدمة في النظم التعليمية بحيث تعتمد على وسائل إيضاحية فعالة، مشيرًا إلى أن التطور التكنولوجي لابد أن يواكب التطورات التعليمية ليتغير بتغير الأحداث.


د. محمود الناقة

وأضاف: إن المعلم له دور مهم في إحداث النهضة من خلال تجنب الأشياء التقليدية المتوارثة التي لا تضيف جديدًا، فهو المسؤول الأول عن تلك النهضة التي تتحقق بإخلاصه في العلم، وتدريس واكتساب المعارف الجديدة، وقدرته على التدرب والتدريب، والسفر للخارج من خلال البعثات الخارجية والاحتكاك مع الأجانب والاطلاع على تجارب الدول المتقدمة، ونقلها على مستوى أوسع، وأن يمتلك طرقًا تتناسب مع جميع العقول في كل المراحل التعليمية، وعلى صعيد آخر الاهتمام بالظروف الاجتماعية والمادية للمعلم حتى يعطي بضمير وحب، ففاقد الشيء لا يعطيه، فماذا يمنح إذا كان لا يملك؟!

ورأى عبدالعظيم أن النهضة في الوطن العربي مجرد حالات فردية وليست نهضة شاملة، بل تحدث في بعض الدول والجامعات كالكويت والإمارات وقطر من خلال اتباع أساليب التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، والسير على النهج الغربي في المناهج.

في التعريف العلمي للضمير الأخلاقي (conscience) كان يعتقد قديمًا في الإطار اللاهوتي أن الضمير الأخلاقي عبارة عن ملكة فطرية أو موروثة أو ملكة يغرسها الله في الإنسان (facuulty)، وتساعد هذه الملكة الفطرية صاحبها في الحكم الصائب في المسائل أو الأمور أو القضايا الأخلاقية (moral issues) كفكرة الحق والصواب والعدل والحلال والحرام وما إلى ذلك.

الهدي الإسلامي في تنمية الضمير الأخلاقي

د.عبدالرحمن العيسوي

في إطار مدرسة التحليل النفسي تعبر الذات العليا في الإنسان (Superego) عن الضمير الأخلاقي والذات العليا- وفقا لمفاهيم التحليل النفسي- هي أحد العناصر المكونة للشخصية إلى جانب عنصر الذات الدنيا (id) والذات الوسطى (ego)وتختص الذات العليا هذه بالأمور الأخلاقية والروحية والمثالية، فهي مستودع القيم والمثل العليا والمعايير الأخلاقية.

ولكن يلاحظ أن الذات العليا هذه مكتسبة من خلال خبرات الطفولة الباكرة، بمعنى أنها تتكون لدى الطفل من خلال ما يلقاه من الأوامر والنواهي وما يلقاه من الثواب والعقاب على أفعاله، أي عن طريق التعلم أو عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية.

وبذلك يلعب الوالدان دورًا حاسمًا في تكوين الضمير الأخلاقي لدرجة القول بأن الذات العليا هي «البديل» عن الأم وعن الأب «لأنهما المسؤولان عن غرسها أو زرعها في حس الطفل وفي وجدانه أو شعوره، وعلى ذلك فإن الذات العليا تقوم بذات الوظائف التي يقوم بها الضمير الأخلاقي في الإنسان، والذات العليا هي مستودع القيم والمثل والمبادئ والقواعد والمعايير الأخلاقية كالفضيلة والعفة والشرف والأمانة والصدق (moral valuues) (١)، حيث تساعد الفرد على قبول أو رفض سلوكاته أو تصرفاته.

في ضمير الإنسان تتكون مجموعة متماسكة أو مترابطة من المبادئ الأخلاقية الداخلية أو الذاتية أو المستدخلة (internalized moral principles). تلك المبادئ التي تمكن الإنسان من تقدير أو معرفة الصواب من الخطأ أو الحق من الضلال والفساد أو الحلال من الحرام، وذلك بالنسبة للأفعال أو التصرفات أو السلوكات التي يقوم بها الفرد أو التي يفكر فيها، وكأن الضمير يحمل صوت الله فينا، ولذلك يعد الضمير من هذا المنطلق قدرة فطرية (Innaate).

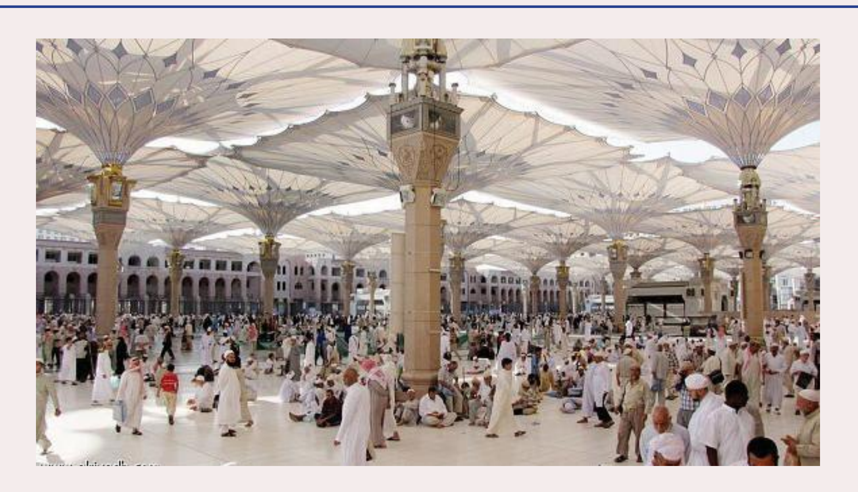
وفي إطار علم النفس الحديث، فإن مجموعة النواهي ومجموعة الواجبات أو الممنوعات والمباحات هي أمور متعلمة أي مكتسبة من خلال البيئة التي يعيش في كنفها الفرد.

فالضمير هو الذي يحدد لصاحبه الممنوعات (prohibition) والواجبات التي يتعين عليه القيام بها (٢) (obligations)، والضمير هو مستودع ما لدى الفرد من المعايير الأخلاقية والمثالية التي تجعله يرضى عما يقوم به من أعمال أو تصرفات أو سلوكات أو أفعال أو ما يود أو ينوي القيام به قبل القيام به، تجعله يرضى أو يرفض هذه السلوكات وينكرها، والضمير هو القدرة على إصدار الأحكام على ما يقوم به الفرد أو ما ينوي القيام به قبل القيام به (٣). فالضمير يحكم على السلوك سواء قبل القيام به أو بعد القيام به.



وظيفة الضمير الأخلاقي

يشبه ضمير الإنسان بأنه «السلطة الذاتية الداخلية» الكامنة في الإنسان، سلطة الردع والمحاسبة وإنزال العقاب بصاحبه إذا ما اقترف إثماً أو قام بعمل محرم أو غير أخلاقي، ينزل الضمير العقاب بصاحبه على شكل لوم الذات أو الشعور بالذنب (feelling of guilt)، والإثم والندم أو تأنيب الذات، وهو ما يعرف باسم تأنيب الضمير، والضمير بذلك يقوم بعمل



الضمير الأخلاقي هو سلطة الردع والمحاسبة وإنزال العقاب لصاحبه إذا ما اقترف إثمًا

«القاضي» الذي يحاكم ويحاسب ويردع ويعاقب، ومن هنا يوصف ضمير الفرد بأنه ذلك «القاضي الصغير» الذي يكمن داخل كل منا، وهذا القاضي قد يكون حاسمًا وحادًا ويقظًا وقد يكون فاترًا ومتساهلًا وضعيفًا.

والغريب في أمر هذا «القاضي الصغير» أنه يحاسب صاحبه حتى في غيبة السلطات الخارجية كالشرطة أو القضاء، بل إنه يحاسب صاحبه حتى عندما يكون واثقًا من أن أمره لن ينكشف، ذلك لأن الضمير قوة داخلية تكمن في داخل كل منا.

وإلى جانب وظيفة الردع والعقاب هذه، فإن الضمير يقوم بوظيفة أخرى تشبه وظيفة «رجل الشرطة»، فكأن الضمير رجل شرطة صغير يكمن داخل كل منا، مهمته منع وقوع الخطأ قبل وقوعه أو منع السلوكات المحرمة أو المجرمة أخلاقيًا أو الممنوعة بالضبط، كما يمنع رجل الشرطة الجريمة قبل وقوعها، وهنا يمنع الضمير الحي صاحبه من الإتيان بالأعمال المحرمة أو المؤثمة قبل حدوثها، وكأنه يقوم بعمل «الشرطي الصغير» داخل الإنسان، ويشبه عمل الضمير هنا أيضا عمل رجل الجمارك الذي يمنع دخول المواد الممنوعة أو الخطرة أو الخطيرة إلى داخل البلاد، وهنا يقوم الضمير مقام الرقيب الذي يمنع حدوث المخالفات الأخلاقية قبل وقوعها حتى وإن كان الإنسان متأكدًا من أن أمره لن ينكشف للسلطات الخارجية، ففي الإنسان سلطة ذاتية هي الضمير.

وعلى ذلك نتوقع أن الضمير الحي الوخاز يعمل على منع تفشي مظاهر الفساد والرشوة والوساطة والمحسوبية والتربح والغش والضلال والظلم والقهر والاستبداد والعنف وما إلى ذلك من المفاسد. تلك الظواهر التي أصبحت تهدد كثيرًا من مجتمعات العالم، إلى جانب جرائم استغلال النفوذ والإضرار بالمال العام وهدره واستغلال السلطة، وخصوصا عندما تجتمع الثروة والسلطة في يد شخص واحد ضعيف الضمير، الضمير هو الحامي الحقيقي والحارس الحقيقي لبسط العدالة والقضاء على الفساد.

ولذلك كم نحن في حاجة ماسة الى إحياء ضمائر الناس وخاصة تلك «الضمائر الغائبة» أو الميتة أو الضعيفة والتي أصبح من ثمارها ظواهر سلبية مثل الدروس الخصوصية والارتشاء والغش والغلاء والثراء الفاحش، والفساد المالي والإداري والسياسي والاجتماعي تستطيع الدولة أن تضع شرطيًا على رأس كل مواطن، ولكنها تستطيع أن تنمي ضمائر الناس وتوقظها وتغرسها في عقول الناس وفي وجدانهم ومشاعرهم.

كيف يتكون الضمير؟

إذا كان للضمير كل هذه الأهمية فمن الجدير البحث في نشأته أو تكوينه، وكيف يصبح حيًا ويقظًا وحارسًا أمينا لسلوك صاحبه في السر والعلن، إننا اليوم في مسيس الحاجة لإحياء الضمائر وإيقاظها وتنميتها وتقويتها وتدعيمها في الإنسان، وذلك يبدأ منذ الطفولة الباكرة، حيث يتكون ضمير الطفل عن طريق ما يتلقاه الطفل من الأوامر والنواهي والنصائح والتوجيهات والارشادات والتوعية من الوالدين في أول الأمر، ثم من الكبار عامة كرجل التعليم ورجال الدعوة والوعظ والإرشاد ورجال الإعلام والكتاب والمصلحين في المجتمع والقادة والزعماء، حيث يتقبل الطفل أولا هذه الأوامر على أنها صادرة من خارجه وأن عليه أن ينفذها، وبمرور الوقت يمتص الطفل هذه القيم ويكتسبها ويهضمها ويستوعبها أو يستدمجها في ذاته أو يستدخلها في كيانه، وتصبح بمرور الوقت قيمه هو ومعاييره هو، بمعنى أنها تصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانه الشخصي.

وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية الصالحة دورًا رئيسًا في غرس هذه القيم وترسيخها وزرعها في كيان الطفل، ذلك لأن عملية التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تكسب الإنسان إنسانيته، وتجعله مواطنًا صالحًا، حيث يكتسب عن طريقها القيم والمثل والعادات والتقاليد والمعايير والقواعد والنظم والأعراف السائدة في المجتمع، وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية (socialization) صالحة شب الطفل مواطنًا صالحًا، ومعظم

حالات الإنحراف والحالات المرضية نفسيًا ترجع إلى حدوث خلل في عملية التنشئة الاجتماعية.

والضمير يتكون من خلال جهود المسجد ورجال الدعوة والوعظ والإرشاد ورجال الدين عامة، وتسهم في تكوينه مؤسسات اجتماعية من أهمها مؤسسة الأسرة والمدرسة والجامعة والقرآن والزملاء والأنداد.

وعلى الجملة يتكون الضمير من خلال توافر القدوة الحسنة والمثال الطيب أو النموذج الطيب الذي يقتدى به، ويتكون الضمير وينمو من خلال الهدي الإسلامي المبارك وما فيه من قيم يتم غرسها في الطفل وترسيخها مثل القيم الآتية:

١- الحق
٢- العدل
٣- المساواة
٤- الرحمة
٥- الشفقة
٦- البر
٧- الإحسان.
٨- الصدق.
٩- الولاء.
١٠- الوفاء.
١١- الإخلاص.
١٢- الطهر والطهارة.
١٣- العفة.
١٤- الشرف.
١٥- الأمانة.
١٦- الولاء
١٧- الإخاء
١٨- الكرم
١٩- الجود
٢٠- الرجولة
٢١ - الشهامة
٢٢- إغاثة الملهوف.
٢٣- نصرة المظلوم.
٢٤- النبل.
٢٥- التضحية والفداء.
٢٦- الجهاد.



٢٧- الكفاح.
٢٨- النضال.
٢٩- الحب في الله.
٣٠- الرفق والأناة.

وإسلامنا الحنيف حافل بكل هذه القيم والمثل والمعايير، ولذلك يحيط الهدي الإسلامي المبارك بالمسلم منذ نعومة أظفاره حتى حماه بالرعاية والحماية والتوجيه والنصح والإرشاد والتعليم والتربية.

ويوفر إسلامنا الخالد لنا معشر المسلمين القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به وهو رسولنا الكريم والذي وصفه رب العزة والجلالة بالقول ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: ٤)، وما أحوجنا نحن المسلمون في هذه الأيام إلى القدوة الحسنة التي يقتدي بها الشباب والتي تربيهم على خلق الإسلام وعلى أساس من الهدي الإسلامي المبارك.

يربط القرآن الكريم بين فضيلة الإحسان والتقوى ويدعونا إليهما كما في قوله عز وجل: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير﴾ (النحل: ٣٠)، كما في قوله تعالى: ﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

ورسولنا العظيم يمثل القدوة الحسنة والمثال الطيب فهو المعلم والمرشد والموجه لأمته، وللمسلمين فيه أسوة حسنة كما في قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١).

وفلسفة الحساب والعقاب والثواب في الهدى الإسلامي توفر أعظم دافع للإنسان المسلم كي يخاف الله وكي يوقظ ضميره ويبتعد عن الرذائل والفواحش والخبائث ما ظهر منها وما بطن. ذلك لأن المسألة ليست فوضى وليست عماء، وإنما كل شيء بقدر وسلوك الإنسان محسوب عليه وسوف يلقى حسابه في الدار الآخرة، وكذلك يشجع الإسلام ويحث ويحض أبناءه على التحلي بالسلوك القويم والأخلاق الحسنة ويحثهم على التمسك بالفضائل الإسلامية وأداء العبادات وكلها تقود إلى تقوية الضمير وتقوية الشعور بالمسؤولية والخوف من الحساب والعقاب.

ومن سمات الإنسان صاحب الضمير الحي توخي العدل والعدالة في كافة مناحي سلوكه وتصرفاته. وإسلامنا الحنيف يهدي إلى الالتزام بالعدل في تربية الأبناء وعدم تفضيل واحد منهم على سائر أشقائه، وبذلك يتربى الطفل، منذ الصغر، على خلق العدل والمساواة لأنه تربى عليها ولم يلحقه الظلم من الوالدين.

وعن هذا الهدي البليغ يقول الحديث النبوي الشريف الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فارجعه».

كذلك ينهى الإسلام المسلمين عن الهجران أو الخصام بين المسلمين. ولعل من يشعلان نار الحرب بين المسلمين أن

من سمات الإنسان صاحب الضمير الحي توخي العدل والعدالة في كل مناحي سلوكه وتصرفاته

يتذكروا قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات: ١٠) ونهى القرآن الكريم عن الإثم والعدوان كما في قوله تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢).

والمسلم الحق منهي عن المقاطعة والخصام مع أشقائه في الإسلام لقول رسولنا الكريم «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» (متفق عليه).

وينهانا إسلامنا العظيم عن كل المفاسد والرذائل والفواحش والجرائم، ومن ذلك النهي عن الحسد وعن التجسس وعن سوء الظن أو الاحتقار أو إظهار الشماتة بالمسلمين وعن الغش والخداع والغيبة والنميمة والغدر، والظلم والطغيان، والبغي إلى جانب تحريم الربا وأكل مال اليتيم وتحريم الزنا، وكذلك سائر الجرائم والآثام كالقتل وسفك الدماء والسرقة والضرب والاعتداء وأكل حقوق الآخرين أو استغلالهم وابتزازهم وهدر حقوقهم.

وصاحب الضمير الحي يكره التعذيب أو الإيذاء. وإسلامنا الحنيف ينهانا عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد. وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم ﴿وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (متفق عليه)، أي تأكل من الهوام والحشرات في الأرض.

ويربي الإسلام المسلم على الإيمان بأن المؤمنين إخوة، وبذلك يزرع مشاعر الإخاء في قلوب المسلمين وكذلك التراحم والتواد والشفقة بينهم كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠).

وكم نحن في حاجة في هذه الأيام إلى تنمية روح الإخاء بين المسلمين والذين يدب الخلاف بينهم للأسف الشديد لأتفه الأسباب، فلا ينبغي أن يشهر المسلم سيفه في وجه أخيه المسلم، قال تعالى ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة: ٥٤)، ويربي الإسلام أبناءه على الشعور بالعزة والكرامة والافتخار بأنهم سلالة أمة كانت بحق خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاء رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩).

ويربي الإسلام أبناءه على التعاون على البر والإحسان وعلى التقوى وخشية الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة: ٢).

وهناك دعوة جماعية إلى تكاتف وتضامن وتساند وتعاون المسلمين بشكل جماعي كما في قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤).

فالمسلم ليس مطالبًا فقط بأن يصنع المعروف وإنما عليه أن يدعو إلى ذلك، وإلى كراهية المنكر والبغي والظلم والفساد. وهنا تبدو إيجابية الشخصية الإسلامية، فعلى المسلم تقع مسؤولية نشر العدل والرحمة والتعاون والإخاء.

والمفروض أن تسود المودة بين المسلمين كما في قوله تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (التوبة: ٧٦).

والمسلم ليس مطالبًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسب ولكن أعماله يجب ألا تخالف أقواله مما يدل على غياب ضميره الأخلاقي، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة: ٤٤) وهنا يربط القرآن الكريم بين قوة الضمير والتفكير أو التعقل.

ويحض الإسلام المسلمين على أن يتحلوا بالأمانة وبأداء الأمانات كما في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨).

والإنسان صاحب الضمير الحي يتصف بالأمانة والعدل والعفة والنزاهة.

والإنسان إذا غاب ضميره أصبح ظالمًا معتديًا وإسلامنا ينهانا عن الظلم كما في قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ (غافر: ١٨)، وقوله أيضًا: ﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ (الشورى: ٨).

فالإسلام يربي ضمائر الناس ويظل يوقظها ويحرك دوافع الخير في الإنسان.

المراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- بدوي أحمد زكي، (١٩٨٦)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
٣- محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.
٥- English، H.B.and English، A.C، (١٩٥٨)، A comprehensive dictonary of psychological and psychoanalytical terms، Longmans، London.



ملف العدد

حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال

السنة النبوية الشريفة جزء من الوحي كما أخبرنا سبحانه وتعالى ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾(النجم: ٣-٤) ومن هنا كانت السنة ركنًا أساسيًا في فهم أمور الدين وأحكامه بعد القرآن الكريم، كما كان لها أثر كبير في نشر الثقافة الإسلامية وبناء العقل المسلم بناءً سليمًا استطاع من خلاله معالجة قضايا الناس ومتطلبات حياتهم ضمن الثوابت والأصول التي لا يمكن التشكيك في مصداقيتها، وإذا كان أعداء الإسلام قد وقفوا عاجزين مبهورين أمام القرآن الكريم، فإن منهم من حاول الالتفات إلى سنة النبي ﷺ ونصب المكائد والدسائس حولها لهدم الإسلام من خلالها بالتشكيك في صحتها، ولكن أنى لهم ذلك والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ دينه ورد كيد العابثين والحاقدين إلى نحورهم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا الكرام التركيز على سيرته ﷺ في مختلف جوانب الحياة للاسترشاد بها واستلهام سماتها وتنسم نفحاتها، فقد كان ﷺ المثل الأعلى والنموذج الإنساني الكامل، والاقتداء به يؤهلنا بإذن الله لاستعادة دورنا الايجابي الرائد في المسيرة الحضارية المعاصرة.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

وقائع من سيرة الرسول ﷺ

د. بليغ حمدي إسماعيل

قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم:٤) هكذا تحدث الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات عن رجل يسكن الأرض، سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، مخبرًا عن أخلاقه الكريمة الراقية، ويأتي شهر ربيع الأول من كل عام ليذكرنا بمولد الحبيب محمد ﷺ. والحديث عن البدايات حديث ذو شجن وسحر خاص، فلقد ولد النبي ﷺ في فجر الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول الموافق العشرين من شهر أغسطس سنة ٧٥٠ ميلادية، ولأربعين سنة خلت من حكم كسرى أنوشروان خسرو، وذلك في المكان المعروف بسوق الليل في الدار التي صارت تدعى بدار محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف.

وقد أدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران أم الهادي والرشيد فجعلته مسجدًا يصلي فيه الناس وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب. وتذكر كتب التاريخ المعروفة أنه ﷺ نزل على يد الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف، فهي قابلته، رافعًا بصره إلى السماء، وكانت أمه ﷺ تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده النساء الحوامل من ثقل وألم.

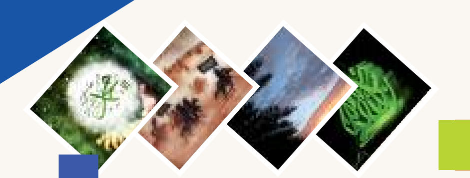
ولأن الله سبحانه وتعالى يرعى عباده المصطفين الأخيار، وينظر إليهم نظرة عطف ومودة ورحمة نقف عند واقعة جليلة نعتز بها نحن المسلمين في شتى بقاع الأرض، ونحرص أن نسردها لصغارنا وكبارنا على السواء، وهي واقعة مرضعة النبي ﷺ حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية وتكنى أم كبشة.

وتحدث حليمة السعدية أنها خرجت من بلدها مع زوجها الحارث بن عبدالعزى، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء. وتروي حليمة بنفسها أنها حين قدمت مكة تلتمس الصغار لرضاعتهم فما من امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك إنما كانت النساء المرضعات يرجون المعروف من أبي الصبي، فكانت النسوة تقول: يتيم!! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكره ذلك.

وهكذا كان حال الطفل الرضيع محمد ﷺ، وما أشق هذه الحال، تأبى المرضعات أن تأخذه، كونه يتيمًا، واليتم كما نعلم ونعي ونفطن ضعف ومذلة وقصور حيلة، ولكن يؤكد علماء نفس الطفل المعاصرين أن تعرض الطفل لمثل هذه الأحوال من شأنه أن يجعله أكثر صلابة وتحملا لما يتعرض له من محن في المستقبل. وما أشبه الليلة بالبارحة في المقدمات والنتائج، إن حال تقلب النبي ﷺ بين العرض والرفض أشبه بحاله حينما عرض نفسه على القبائل بالطائف.

ونجد الله دائمًا مع حبيبه محمد ﷺ، فنجد حليمة السعدية تقول في بلاغة موجزة لزوجها الحارث: والله

رئيس قسم اللغة العربية - صندوق تطوير التعليم برئاسة مجلس الوزراء بمصر



إنـي لأكـره أن أرجـع مـن بين صـواحـبي ولـم آخـذ رضيعًا، والـله لأذهـبن إلـى ذلـك اليتيم فـلآخـذنـه، فـقـال زوجـهـا: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. وهكذا كان، بركة في الناقة الشارفة المسنة، والمطعم والمشرب والحال للطفل والمرضعة وابنها وزوجها حتى قـال لـزوجـتـه: أصبـنـا نسمة مباركة، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمن.

ما يهمنا في هذه الواقعة أن يدرك الناظر لها كم هو أسعد حالا ومقامًا هو وأولاده وذووه، ولعله يدرك النعمة التي من الله عليه بها، وهي نعمة الأمومة والرضاعة من صدر أمه، فهذا هو حبيبنا محمد ﷺ تقول عنه مرضعته مقالتها تلك: وإني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، وكيف بحال أبنائك وأنت تطمئن عليهم كل مساء، وترى ابتسامة أمهم وهي تحتضن صغارها، وكيف تنظر لحال صغارك وأنت تقرأ قول حليمة: فما من امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وكلمة تأبى تعني الرفض الشديد، ألا يجعلنا ما سيق ذكره أن نـزداد عشقًا وولعًا ومحبة برسولها الجميل ﷺ.

وتعد حادثة شق الصدر للرسول أثناء وجوده بمضارب بني سعد من إرهاصات الـنـبـوة الأولـى، ونـذير خير لـما سيحدث لهذا الصبي الصغير من اصطفاء واختيار له. وعود على بدء لحليمة السعدية التي تخبرنا عن القصة كاملة.

فـتـقـول: عـنـدمـا رجـعـنـا بـعـد مقدمنا بأشهر مع أخيه إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبـيـه ذاك أخـي القـرشـي قـد أخذه رجـلان عليهما ثـيـاب بـيـض فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوطانه، فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائمًا ممتقعا وجهه، فالتزمته والتزمه زوجي، فقلنا له: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئًا لا أدري ما هو، فقالت حليمة: فرجعنا به إلى خبائنا، وقال أبوه الحارث: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.



شق الصدر نوع من أنواع الابتلاء .. والمستشرقون ادعوا أنه صرع وهو قمة التكريم

والناظر لسياق الحدث السابق يتبين أن حليمة وزوجها قد أحبا الصغير حبًا جمًا، ويظهر ذلك بوضوح في قولها «أبوه» مرتين، وهذا خير دليل على تعلقهما بهذا الصغير.

والرسول ﷺ يخبرنا عن حادثة شق الصدر وما تحملها من دلائل ذات معنى، حينما سأله نفر من أصحابه فقالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا فأخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه».

وكـعـادة المـسـتـشـرقـين من أعـداء الإسـلام وخصومه، يتناولون هذه الحادثة بمنظور أكـثـر غـرابـة، فالمستشرق فنيكولسون في كتابه «تاريخ أدب الـعـرب»، وميور في كتابه «حياة محمد» وغيرهما يرون أن هـذه نـوبـة صـرعـيـة، وهذا بالطبع مردود عليه، فلم تشاهد عـلامـات الـصـرع عـلى حبيبنا محمد ﷺ طول عمره، وإذا كان الـصـرع كـحـالـة مـرضـيـة يـصـيـب صاحبه بحالات عصبية موتورة وقلق وتوتر دائـم، فكيف هـذا والنبي ﷺ هـو النبي، والزوج، والقائد، والمصلح، والأب، والمربي، والمرشد، والنذير، وكل هذه الأدوار قام بها النبي ﷺ في وعي وجلد شديدين؟

إن المستشرقين، يبذلون جهدًا بشريًا مقصورًا غير عـادي للنيل من النبي ﷺ، وأظن أنـي قد وفقت اللفظ في (بشريًا) لأن قدرة الله وقوته أبقى وأعز وأجل. كل هذا ولابد أن نعي حال هذا الصبي، الذي يتعرض لمثل هذه المواقف العصيبة، وغيرها مما ورد في كتب السيرة النبوية، مثل وفاة أمـه صغيرًا، كل هـذا أيضًا من شأنه أن يقوي ساعد الصبي على ما ستخبره الأيام اللاحقة من عـوارض، وهـو ما أشـار إليه جده عبدالمطلب بقوله: «دعوا ابني فوالله إن له شأنا».

والحـكـمـة مـن هـذا الـشـق هـو الـزيادة في إكرامه وإمداده ﷺ وتقويته وإعداده، ليتلقى ما سيوحى إليه بقلب قـوي سليم متين في أكمل الأحوال. وشق الصدر لأنه حادث جلل غيبي يلزمنا التصديق به أولا، والـوقـوف عنده طويلا بـالـدرس والتحليل لاسـتـنـبـاط الـفـوائـد والحـكـم مـنـه، فشق الصدر من جنس ما ابتلى الله به الذبيح وصبر عليه، بل هذا أشق وأجل، لأن تلك



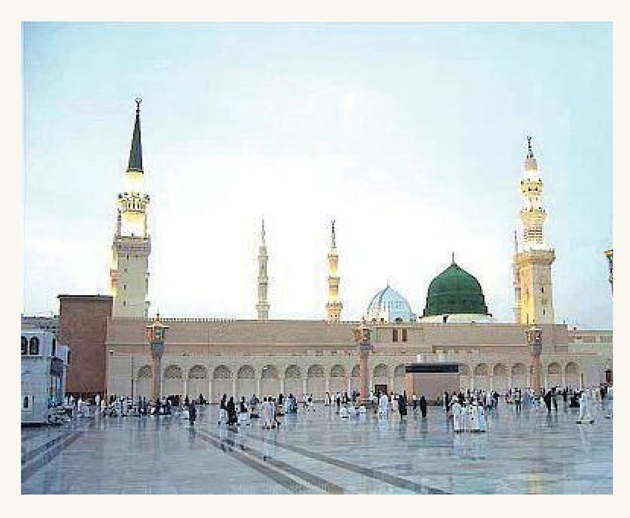
معاريض وهذه حقيقة، وما أحوجنا هذه الأيام أن تحدث لنا حادثة ولو معنوية لشق صدورنا المعتمة، إن حظ الشيطان منا عظيم في الآونة الأخيرة، في ظل الفتن والمغريات التي تنخر بنا ليل نهار، ولا راد لها سوى عصمة من الله.

وتتجلى الحكمة أيضًا من شق الصدر في القدرة على أن يمتلئ قلب الصبي الصغير إيمانا وحكمة وزيادة في قوة اليقين، لأنه أعطي برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، ولذلك كان رسولنا ﷺ أشجع الناس حالا ومقامًا، ولذلك وصف النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ (النجم: ١٧).

وهناك واقعة مهمة من وقائع السيرة النبوية ينبغي لنا جميعًا أن نسترجعها لأهميتها وجللها في سياق السيرة النبوية، فلما لجأ رسول الله ﷺ إلى حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة، رقّا له، فدعوا له غلامًا نصرانيًا يدعى «عداسًا»، وأمراه أن يقطف عنبًا ويذهب به إلى رسول الله ﷺ. ففعل عداس ما أمر به، ولما وضع العنب أمام رسول الله ﷺ قال له: كل. فلما وضع رسول الله يده فيه، قال: «بسم الله»، ثم أكل.

فنظر الغلام في وجهه وقال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال عداس: نصراني، وأنا من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»، فقال عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي»، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه.

وحينما علم عتبة بن ربيعة ورأى ما رأى من تقبيل الغلام لوجه ويد رسول الله قال لأخيه: أما غلامك فقد أفسده عليك، ودعوا عداسًا فقالا له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي. قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.



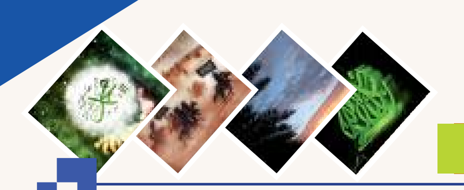
الجن تلقوا دعوة الرسول ﷺ وبلغوها قومهم دون أن يعلم بهم

والقصة السابقة وردت في أكثر من نص سابق، ومعظم النصوص التي سردت الواقعة السابقة، تحدثت عن صبر رسول الله ﷺ على الشدائد، وتحمله الصعاب التي واجهها وهو يدعو القبائل للإسلام، وبعضها تحدث عن فضائل الإسلام في الطعام، كالتسمية قبل تناول الطعام والشراب. والذي يمكن أن نستخلصه من هذه الواقعة الطيبة أن الذي لفت انتباه الغلام الصغير في حديث رسول الله ﷺ هو ذكره للفظ الجلالة «الله»، وهو أمر مستغرب على أهل هذه البلاد، التي لا تعرف سوى اللات، والعزى، وهبل، ومناة، وغيرها من الأصنام التي لا تفيد ولا تنفع، ولا تسمن من جوع، ولاشك أن نطق رسول الله ﷺ للفظ الجلالة «الله» قد هز كيان الغلام، وهدهد مشاعره، الأمر الذي جعله متقبلا ومستعدًا للدخول في الإسلام، لاسيما وأنه من أهل الكتاب.

ومن أبرز معالم رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف واقعة إسلام الجن. حقًا، إنه اليقين بالتوحيد لرب العالمين، لقد انفرد الله سبحانه وتعالى بعبادة الإنس والجن له، بل لقد انحصرت مهمتنا على الأرض في عبادة الله وحده، لا نشرك به شيئًا.

والواقعة تفيد أنه لما انصرف النبي ﷺ من الطائف راجعًا إلى مكة، قام بجوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، فاستمعوا لتلاوة الرسول ﷺ، فلما فرغ من صلاته، ولوا إلى قومهم مدبرين منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما استمعوا إليه من تلاوة الرسول ﷺ. وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم على النبي في سورة الأحقاف، يقول الله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا انزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (الأحقاف: ٢٩، ٣٠).

هؤلاء النفر من الجن يتلقون دعوة الرسول ﷺ في صلاته ودعائه دون أن يعلم بوجودهم، وأصبح اسم محمد تهفو به قلوب الجن، وليس الإنس فقط، حملوا راية التوحيد، ووطنوا أنفسهم دعاة إلى الله. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ (الجن: ١-٣).



النبي محمد ﷺ صاحب الذوق السليم

رشيد ناجي الحسن

قد يرى الإنسان منا من البشر من يُعجب بخلقه، ولا يملُّ من الحديث عن حسن أخلاقه وأدبه، ويتمنى أن يرزقه الله شيئاً مما رزقه الله من حسن الخلق والأدب. ولكن في الحقيقة البشر الذين يُضرب بهمُ المثل في حسن الخلق قد اشتهروا في باب أو ميدان واحد من الميادين، فلا يكاد يُعرف عنهم غيرُه، أما النبي عليه الصلاة والسلام فقد جمع الله تبارك وتعالى فيه كمال الخلق في كل مجال وفي كل باب، تحدّث عما شئت، وائت بالشواهد من هنا وهناك، فلن ترى أصدق شاهداً مما روي عن هذا النبي العظيم.

إنه إن ذُكِر أهلُ الحلم فهو أحلمُ الناس، وإن ذُكِر أهلُ الغيرة فهو أغيرُ الناس، وإن ذُكر أهلُ الشجاعة فهو أشجعُ الناس، وإن ذكر أهلُ الجود فهو أجودُ الناس، فقد حاز صفات الأخلاق كلِّها، وزاد عليها زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر.

هذا وإنَّ ما نراه من نماذجَ أخلاقية سيئة في المجتمع يدفعنا للحديث عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام وشمائله وأدبه وذوقه.

وقد رأيت أن أسوق في هذا المقال شواهدَ على كمال خلقه وأدبه ﷺ مع ربه عز وجل، ومع الناس، لعلنا نستضيء بهديها ونقتدي بها.

أدب النبي ﷺ مع الله

وأبدأ بأدبه ﷺ مع ربه، وهو أمر نرى فيه الشواهد الكثيرة عنده عليه الصلاة والسلام؛ فالمتأمل في سيرته ﷺ يجده في كل أحواله مُتوجهًا إلى الله- عزّ وجَلّ- بالدعاء والثناء والحمد والشكر، ناسباً له كل فضل، ملتجئاً إليه، راجياً رحمته، ومستجيراً من عذابه، ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه لا يوجد أحدٌ تأدب مع خالقه تبارك وتعالى بمثل أدب نبينا عليه الصلاة والسلام مع ربه، وهو القائل: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له». وقد جاء هذا من أسباب كثيرة مَنّها الله عليه جعلته أعظمَ النبيين وأكملَ الخلق صلوات الله وسلامه عليه.

فقد كان من أدبه ﷺ أنه جعل نقشَ خاتمه كلمة محمد أسفلَ وكلمةَ رسول في الوسط، وكلمة الله التي هي لفظُ الجلالة في الأعلى، فأصبح يُقرأ من الأدنى: محمد رسول الله، سبحان الله... حتى في نقش خاتمه تأدب عليه الصلاة والسلام مع ربه جل وعلا.

- ولمَّا عُرج به إلى سدرة المنتهى لم يلتفت يميناً ولا شمالاً ولم ينظر في أي شيء إلا وفق ما يريه اللهُ، فما أراه اللهُ رآه، وما لم يرِه الله لم تتحرك منه جارحة واحدة من غير أن يُؤذَن له، ولذلك زكى الله بصرَه في القرآن فقال الله في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: لم يتجاوز حدوده.

وهذا غاية الكمال والأدب مع الله الذي لا يلحقه فيه سواه، فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام عال رفيع: أن تتطلعَ إلى ما هو أعلى منه وفوقه، ألا ترى إلى موسى لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسُه الرؤية، ونبيُّنا لما أقيم في ذلك المقام وفَّاه حقَّه: فلم يلتفت بصرُه ولا قلبُه إلى غير ما أقيمَ فيه البتة. يقول ابنُ القيم رحمه الله: ولأجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مرادٌ حتى جاوز السموات السبعَ حتى عاتبَ موسى فيه وقال: يقول بنو إسرائيل: إني كريم الخَلْق على الله وهذا قد جاوزني وخلفني علوا، فلو أنه وحده ولكن معه كلَّ أمته.

وفي رواية للبخاري: فلما جاوزتُه بكى قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أن غلاما بُعث بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخلها من أمتي، ثم جاوزه علوا فلم تُعقه إرادةٌ ولم تقف به دون كمال العبودية همة، ولهذا كان مركوبُه في مسراه يسبق خَطوُه الطرف فيضعُ قدمَه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبُعد شأوه الذي سبق به العالمَ أجمعَ في سيره، فكان قدمُ البراق لا يختلف عن موضع نظره كما كان قدمُه لا يتأخر عن محل معرفته، فلم يزل في خفارة كمالِ أدبه مع الله سبحانه وتكميل مراتبَ عبوديته له حتى خرق حجبَ السموات وجاوزَ السبعَ الطباقَ وجاوز سدرةَ المنتهى ووصل إلى محل من القرب سبقَ به الأولين والآخرين فانصبَّت إليه هناك أقسامُ القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائبُ الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا وأُقيم مقاما غَبطَه به الأنبياءُ والمرسلون فإذا كان في المعاد أقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الأولون والآخرون.

أدب النبي ﷺ مع الناس

وأما أدبه ﷺ مع الناس وذوقه السليم فقد استفاض حتى اشتهر، فمنه:

مراعاته ﷺ لمشاعر الناس: وهو جانب دقيق في معاملته، وشواهدُه في السيرة كثيرة، منها ما يرويه أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثرُ صُفرة وكان النبيُّ ﷺ قلما يواجه رجلا في وجهه بشيء يكرهه، فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه». (أحمد وأبوداود).

فهو ﷺ لما رأى منه ما يكره لم يواجهه بذلك أدبا وذوقا، بل وجَّه الصحابة بعد

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية



خروج الرجل ليأمروه بإصلاح حاله.

وفي الصحيحين أنه ﷺ أهدى إليه رجل صيدًا وهو محرم فردَّه فلما رأى ما في وجهه قال: «إنّا لم نردَّه عليك إلا أنَّا حُرم».

وحين جاء مالكُ بن الحويرث رضي الله عنه وأصحابُه إلى النبي ﷺ فبقوا عنده أيامًا، قال مالك: وكان رسول الله رحيما رفيقا فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلنا فسألنا عمن تركناه من أهلنا فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا عندهم وعلموهم ومروهم، إذا حضرت الصلاة فليؤذِّن لكم أحدُكم وليؤمّكم أكبرُكم». (البخاري).

ومن خلقه وأدبه وذوقه الرفيع اهتمامه بالناس فها هو عليه الصلاة والسلام حين ماتت امرأة كانت تقمُّ المسجد، وحقَّر الناس من شأنها وصلوا عليها ودفنوها بليل، قال ﷺ : «هلا آذنتموني؟» فيذهبُ إلى قبرها ويصلي عليها. (البخاري).

فهو ﷺ يهتم بشأن خاصة أصحابه، بل يبلغُ هذا الأمرُ عنده شأناً عجيباً، فقد كان النبي ﷺ يوما جالساً فدخل أبوبكر فلم يعدِّل جَلسته فلما دخل عمرُ كان كذلك، فلما دخل عثمانُ تهيأ النبيُّ عليه الصلاة والسلام وعدَّل جَلسته فيقال له في ذلك فقال: «إنَّ عثمانَ رجل حييٌّ».

ومنها مراعاتُه عليه الصلاة والسلام حالة الملل والسآمة فإنَّ للنفس إقبالاً وإدباراً، ونشاطاً واسترواحاً، وقد كان ﷺ يباسط أصحابه ويمازحهم، ويتخولهم بالموعظة، ولم يطغَ جانبٌ على آخر.

ومن الشواهد مراعاتُه ﷺ حالة السرور عند أصحابه: فالنفس ترغب بمن يشاركها فرحتَها، ولمَّا أنزلَ اللهُ توبةَ كعب بن مالك رضي الله عنه استقبله النبي ﷺ ووجهُه يبرُق بالسرور، وبشّره بتوبة الله عليه.

ومنها مراعاتُه حالة الحزن: فالمصاب محتاج إلى تسليته، وتخفيف لوعته، وعدم مؤاخذته على ما يبدر منه لغلبة الحزن عليه، ولذا لم يعاتب النبيُّ ﷺ المرأةَ التي كانت تبكي عند قبر ابنها.

. ومن الشواهد أيضا مراعاته ﷺ حالة الغضب، فمن الغضب ما يُفقِد الإنسانَ فيه سيطرتَه على تصرفاته، فالتعاملُ معه يحتاج إلى حكمة ورَوية، ومجانبة ما يهيجُ الغضب، ولما كان أبومسعود يضربُ غلامه وهو مغضَب، تعامل معه النبي ﷺ بالرفق واللين، مما كان سببا في جعله يكف عن ضربه.

ومنها مراعاتُه حالة المشقة والنَصَب: فاللحظات التي تتلو تعبَ النفس ونصبَها، لحظاتٌ يحتاج فيها العاملُ إلى عبارات تخفف عنه آلامَه وتزيحُ عنه همومَه، ولذا كان ﷺ يستقبل المسافر بعبارات تنسيه وعثاء سفره وتزيلُ عنه نصبَه، فقد قال لوفد عبد القيس: «مرحباً بالوفد غيرَ خزايا ولا ندامى».

جملة نبوية من ست كلمات كتبت فيها عشرات الدراسات .. يا أباعمير ما فعل النغير

أدب النبي ﷺ مع النساء

أما عن أدبه ﷺ وذوقه الرفيع مع النساء، فلا أبالغ إن قلت: إن زوجات نبينا الكريم ﷺ كنَّ يتمتعنَ بسعادة زوجية تغبطهن عليها كل بنات حواء.

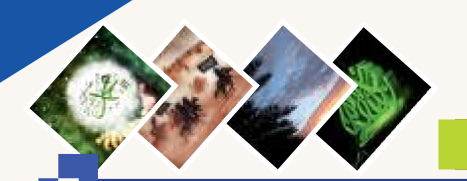
لمَ لا وقد ورد في سنن النسائي حديث الحميراء، وفيه تقول عائشةُ رضي الله عنها دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي النبي ﷺ: يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت نعم، فقام بالباب وجئتُه، فوضعتُ ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده، فقال رسول الله: حسبُكِ! فقلت يا رسول الله، لا تعجل، فقام لي ثم قال: حسبك. فقلت لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما لي حبُّ النظر إليهم ولكني أحببت أن يبلغ النساءَ مقامَه لي ومكاني منه. وكان يراعي فيهن حالَهن والسنَّ التي كان عليها بعضُهن: فعن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات (وهو ما نسميه اليوم بلُعَب العرائس) فربما دخل علي رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأينَ رسول الله ﷺ فررنَ فيقولُ رسول الله ﷺ كما أنت وكما أنتّن. وهذا حديثٌ يفسر لنا أن ما في قلب رسول الله من رحمة هي من كنوز الله الرحيم الكريم، ويفسرُ لنا أنَّ أدبَ النبي إنما هو أدب رباني تتجلى فيه السلوكيات الراقية في الرحمة وفي تقدير ظروف البشر، فوصفها بصفة محببة ومصطلحة (الحميراء)، ثم رعاها حتى حملها على كتفه لتفرحَ بالعيد مثلما راعى مشاعرها حيث تركها تلعبُ بعرائسها إحساساً منه بحاجاتها الصغيرة.

– بل بلغَ من ذوقه الرفيع ﷺ أنه لما تزوج جميعَ زوجاته أسكنهن بجوار المسجد النبوي، ولما تزوج مارية القبطية المصرية وهي آتية من أرض النيل الخضراء على عكس باقي زوجاته اللاتي نشأنَ في البيئة الصحراوية أسكنها في مكان في المدينة يسمى العوالي يتميز بالخضرة الدائمة والزرع.

– وعن أنس رضي الله عنه قال: خرجنا إلى المدينة قادمين من خيبر فرأيت النبي ﷺ يجلس عند بعيره، فيضعُ ركبته وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب» (البخاري) . فالرسول الله ﷺ وضع لصفية فخذه لتركب لكنها أجلَّت رسولَ الله ﷺ أن تضعَ رجلها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه وركبت.

ومن ذوقه الرفيع مع النساء أنه كان للنبي ﷺ حاد يحدو بأمهات المؤمنين ونسائهم يقال له: أنجشة وكان حسنَ الصوت، فقال له النبيُ ﷺ: «رويدَك يا أنجشةُ لا تكسر القوارير». (متفق عليه). قال قتادة: يعني ضعفة النساء، قال ابن حجر رحمه الله: والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة فشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية.

ثم إنه ﷺ ولمراعاته حال النساء وضعفهن أمرَ رجلا أن يدعَ الخروجَ للجهاد ليصحبَ زوجتَه في رحلة الحج، فعن ابن



عباس رضي الله عنهما ما قال:
قال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج، فقال رسول الله اخرج معها. (البخاري ومسلم).

أدب النبي ﷺ مع الأطفال

وأما عن علاقته ﷺ بالأطفال فقد جعل لهم من وقته وقتاً لتربيتهم وتعليمهم الأدبَ والذوقَ في كل شيء، بدءا من الطعام والشراب مرورا بآداب المجالس، وهذا الوقت المستقطع منه ﷺ لتأديب الأطفال بحد ذاته كان مكسبا تربوياً عظيما.

ولأن الطفولة لها ميزاتها الخاصة التي تتطلب فهمها بطريقة تتناسب مع هذه المرحلة الخاصة، فقد تناول رسول الله ﷺ كثيرًا من الأمور التي تخص قضاياهم.

فعن أنس رضي الله عنه قال: انتهى إلينا رسول الله ﷺ وأنا غلام في الغلمان، فسلم علينا، ثم أخذ بيدي فأرسلني برسالة وقعد في ظل جدار، أو قال إلى جدار حتى رجعت إليه (أبوداود).

بل إن جملة واحدة قالها ﷺ لطفل صغير ألف فيها المربون وأهل الذوق المقالات الكثيرة، وهاك عزيزي القارئ مثالا على ذلك:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلقاً وكان لي أخ، يُقال له أبوعُمير- وهو فطيم- كان إذا جاءنا ﷺ قال: «يا أبا عُمير ما فعل النُّغير»، والنغير: تصغير لكلمة نغر وهو طائر كان يلعب به.(البخاري).

يقول علماء التربية والذوق وغيرُهم:
- تمتعت الجملة التي قالها- عليه الصلاة والسلام- بصفات تربوية عظيمة: فالجملة كانت قصيرة من حيث عدد الكلمات؛ وهي ستّ، وعددُ أحرفها عشرون حرفا، وهي كلمات مناسبة لسن الصغير.
والجملة سهلة النطق، وخالية من



الكلمات الصعبة، فمن السهل أن ينطق الصغير بها، يا / أبا/ عُمير/ ما/ فعل/ النُّغير.

والجملة سهلة الحفظ، لوجود السجع، والسجعُ محببٌ لنفس الطفل، ويستجيبُ له استجابةً نفسية يعبر عنها بابتسامة وضحكة.

وهذا مما يدخل السرور في نفس الطفل وأهله، ويعتبر ذلك سلوكًا تربويًا، ودعويا حيث تزداد محبة أهل الطفل لرسول الله ﷺ، وأيضا يثمر التفاعل بين الرَّسُول ﷺ والطفل، ولعل من الأمراض النفسية التي تصيب الشباب ما لها أبعاد طفولية، نتيجة حرمانهم العطفَ من والديهم فيصابون بتلك الأمراض كالانطواء، والتوحد، والغيرة، والتبرير، وغيرها.

أرأيتَ أيها الأخ القارئ؛ جملة نبوية صغيرة مؤلفة من ست كلمات ألفَ فيها عشرات المقالات.

- ويرى كثير من الأطفال أن الكبار يسلمون على بعضهم البعض، ويتبادلون التحية فيما بينهم، غير أنهم يرون أن بعض الكبار يتجاهلونهم. أما نبينا ﷺ فقد مرَّ يوما على أطفال يلعبون.. فقال لهم: «السلام عليكم يا صبيان».

ولأن الطفل لبنة أساسية في بناء المجتمع، فلا ينبغي أن نتجاهله عندما يكون بين عالم الكبار، بل إن إعطاء الولد حقه يشعره بقيمته في الحياة، ويؤهله إلى أن يراعي حقوق الآخرين في المستقبل. فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا، والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال: فتله (وضعه) رسول الله ﷺ في يده. (البخاري ومسلم).

وأخيرا فلكمال أدبه وذوقه ﷺ علمنا ما يجب أن يقال، وما لا يجب أن يقال، حيث أوصى ﷺ في مجموعة أحاديث فقال:

لا يقولن أحدكم: زرعت ولكن ليقل: حرثت.

لا يقولن أحدكم: نَسيت آية كيت وكيت فإنه ليس هو نَسي ولكنه نُسِّي.

لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ولا وجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته.

لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له .

لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر! فإن الله هو الدهر.

لا يقولن أحدكم: الكرم فإن الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الأعناب.

لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك ربي وربتي، وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل.

ومع أن حديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ضعيف إلا أن معناه بغير شك صحيح.

والحديثُ عن شمائله عليه الصلاة والسلام حديثٌ يطول، لا تتسعُ له المجلدات، ولا خطبٌ في سنوات، ولكن الله جلَّ في علاه لخصها بكلمات، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).



الحنكة النبوية في علاج كبوات النفس البشرية

د.خالد النجار

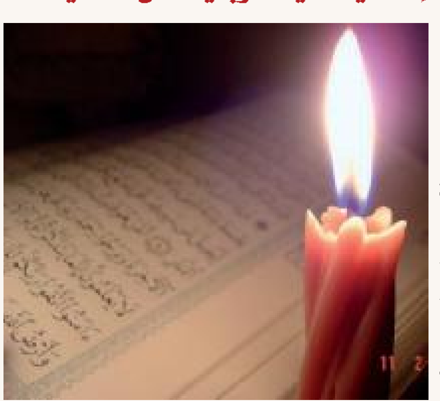
علم إدارة الذات يتميز برعايته للفرد والمجتمع، وتحقيق التوازن في المصالح والعلاقات، بما يؤدي إلى إيجاد المجتمع الفاعل، المتماسك، المتكافل، وإقامة ذلك على تصور محكم وشامل للإنسان، والكون، والحياة..إنه علم في غاية الأهمية من جهة علاج الواقع الذي نعيش فيه، فإننا في حال هزيمة على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، والعودة بالنفس والمجتمع من حال الهزيمة إلى حال الانتصار تحتاج إلى مزيد الاهتمام بهذا العلم، وتقديمه للكبير والصغير في صورة مبسطة وسهلة، وفق عقيدة إسلامية سليمة، وبعيدا عن التعقيدات الفلسفية والشطحات الفكرية.

ورغم أن لعلماء الغرب جهودًا واضحة في هذا العلم، فإنه يعاب عليهم تلك المادية المفرطة في تناول جزئياته، والتي تدور دوما حول تكوين الرجل الجبار الذي يقهر الأقدار، وعلى تسلسل الأحداث وفق مقدمات ونتائج حتمية أشبه بالمعادلات الرياضية الصماء، حتى غابت الحقيقة التي لا ريب فيها من أن أساس النجاح في أي عمل يرجع إلى توفيق الله سبحانه وتعالى.

أما علماؤنا المسلمون فلهم القدر الأعلى والحظ الأوفر في خدمة هذا العلم الشريف، لكن في أجواء روحانية سامية، ولمسات إيمانية راقية، وتناغم مع الفطرة البشرية بما فيها من قوة في مجالات وضعف في مجالات أخرى، وبما فيها من إقدام وإحجام، وحزن وفرح، وعلم في أمور وجهل بأمور أخرى.. بما فيها من تناقضات، وإيجابيات وسلبيات.

ويرجع السبب الأعظم في هذا التميز الإسلامي، وهذا المذاق الخاص عند علمائنا الأخيار، إلى النهل من النبع الكريم، نبع القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والاسترشاد بالسنة النبوية المطهرة التي نزلت على أطهر قلب، قلب الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

ولا ريب أن الاغتراف من معين الكتاب الكريم وأقوال رسولنا الأمين لهما أبعد الأثر في الوقوف الحقيقي على طبيعة النفس البشرية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) وكيفية التعامل معها، فضلًا عن النظرة الشمولية لحياة الفرد، بداية من أخذ الله الميثاق عليه في الأزل ثم وجوده على الأرض في الحياة الدنيوية، ثم ما يتبعها من حياة برزخية، وأحداث يوم القيامة، ثم دار القرار جنة الخلد أو النار أعاذنا منها الكريم الجبار.. ولاشك أن هذه النظرة الشمولية تختلف كثيرا عن النظرة القاصرة لحياة الإنسان الدنيوية فقط، والتي تكرس المادية المفرطة، والدوران في فلك اللذات والشهوات دون رقيب أو حسيب.



هذا التناغم بين المصادر الإلهية والتجارب الحياتية في إطار سلامة المعتقد وشمولية النظرة للكون والحياة، جعل من علم إدارة الذات رائعة من روائع الحضارة الإسلامية لا تجد لها مثيلا في الأمم الأخرى، حتى صار هذا العلم فنًّا إسلاميًّا باقتدار، ويكفي أن تتابع كتابات الأفذاذ من أمثال ابن القيم وابن الجوزي وابن حبان.. وغيرهم من المتأخرين، فضلا عن كتابات مشايخنا المعاصرين حتى تدرك هذه اللمسات الإيمانية الفريدة التي تدلل على براعة علمائنا.. ومن ذاق عرف.

أيضا مما يمتاز به علم إدارة الذات الإسلامي التطرق إلى أمور تغيب تماما عن الفكر الغربي المادي، رغم شدة حاجة كل ذي فطرة سوية إليها، ومنها: عقيدة القضاء والقدر، وقيم الصبر على أقدار الله، والرضا بالقسم الرباني، وأمراض القلوب من غل وحقد وحسد... وغيرها، والهوى والشيطان وكيف يستعيذ منهما الإنسان، وإستراتيجية العمل لما ينفع بعد الموت، وقيم الصدقة الجارية، وفقه من تجاوزت أعمالهم أعمارهم.. وغيرها الكثير، ودور الإيمان بالغيبيات في إيجابية حياة الفرد في الدنيا والآخرة، علما بأن قيم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر كلها قيم دافعة لصلاح الذات.. وهذا غيض من فيض، فالمقام لا يسمح باستقصاء كل مميزات علم إدارة الذات الإسلامي، لكن لا يغيب على كل فطن أهمية هذه المميزات في حياة الإنسان، وفي تفاعله المثمر مع خالقه وبارئه، بل مع الكون كله.

إن الإيمان الحق بالله سبحانه وتعالى، أي الإيمان الراسخ في القلب رسوخ الجبال الشامخات، والذي يصدقه العمل الصالح،

باحث في الفكر الإسلامي



وليس الإيمان الذي يردده اللسان فقط- هذا الإيمان يجعل الإنسان المؤمن قويًا في إرادته، لا تعجزه ولا توقفه العقبات والمشاكل التي تعترض طريقه في الحياة، بل ينظر إليها ويضعها في حجمها الطبيعي، ويوقن أنه سيتغلب عليها أو يتأقلم معها طالما التزم التوكل على الله سبحانه حق التوكل، وهذا التوكل- وليس التواكل- هو الدافع الحقيقي للفرد المؤمن نحو الشجاعة والإقدام واقتحام المشاكل وعدم التسويف الذي يورث في النفس الخوف من المجهول، والخوف من المستقبل.

إن التوكل على الله تعالى يولد الثقة بالنفس، والثقة بالقدرات الهائلة التي وضعها الله سبحانه فينا... فلا مجال إذن إلّا للإرادة القوية المقرونة بالتوكل الحق على الله سبحانه خالق ومالك كل شيء، وأن تنطلق هذه الإرادة من يقين راسخ بأن الله سبحانه هو المتصرف في ملكه، وهو القادر عليه، وهو المعطي والمانع، وهو الرافع والخافض.. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٢٦ – ٢٧).

من هذا المنطلق نستطيع أن نقول إن النبي ﷺ كان رائد علم إدارة الذات باقتدار، وتنوعت مهاراته- بأبي هو وأمي- في معالجة كبوات النفس البشرية تنوعا يناسب طبيعة الكبوة، سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي.

فعن أبي أمامة قال: أتى رسول الله ﷺ غلام شاب، فقال: يا رسول الله أئذن لي في الزنا. فصاح به الناس، وقالوا: مه. فقال النبي ﷺ: «ذروه، ادن» فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا. قال: «فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟» قال: لا. قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟» قال: لا. قال: «فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. أتحبه لعمتك؟ قال: لا. قال: «فكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم. أتحبه لخالتك؟» قال: لا. قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم، فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك». فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يطهر قلبي. فوضع النبي ﷺ يده على صدره، فقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه». قال: فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء. (الطبراني).

وهنا تكمن براعة المصطفى ﷺ في التعامل بفردية بحتة مع هذه القضية الفردية، ذاك أنها مشكلة تخص هذا الشخص وحده، ولا تخص غيره، حيث لا يختلف عاقلان على قبح الزنا وبشاعته، ولكنها حالة خاصة من تشوش الفكرة وانقلاب الفطرة. فكانت السياسة النبوية قائمة على الإقناع أكثر منها بالمواجهة لحكم الله تعالى في هذا الأمر، ذاك لأن العقول لو تفهمت مراد الله عز وجل لسهل عليها الانقياد لشرعه والإذعان لحكمه.

التناغم بين المصادر الإلهية والتجارب الحياتية مع سلامة المعتقد جعل علم إدارة الذات في مقدمة روائع الحضارة الإسلامية

لم نجد النبي ﷺ يسرد على الفتى آيات القرآن الكريم التي قبحت الزنا وتوعدت فاعله، بل إنه عليه الصلاة والسلام قابل تشوش الفكرة بعين الحكمة والإقناع، ثم بجميل الدعاء، مما سهل عليها الانصياع لحكم الله الذي لا يجهله مسلم.

لكن في موقف آخر نجد أن الطريقة النبوية تختلف تماما في تناول معالجتها، ذلك لأنها قضية عامة تمس الأمة قاطبة لا فردا بعينه، فكان لابد من الجهار والاستنكار دون تجريح أو تفضيح.

فعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد- يقال له ابن اللتبية- على الصدقة، فلما قدم، قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ!! قال: فقام رسول الله على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاءٌ أو بقرة ً لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، يقول: اللهم هل بلغت» (الجمع بين الصحيحين: ٧٥٦).

ولما كانت النصيحة على الملأ فضيحة نجد الأدب النبوي أعرض عن ذكر اسم الرجل على المنبر، فالتشهير بذوات الناس لا يحقق المراد ويوغر الصدور، ولكن المقصود أن يعلم القاصي والداني عاقبة الرشوة، لأنها ثمرة فساد الأمم، حيث تستجلب بها الرغبات بغير حق، فيتحول المجتمع إلى غابة موحشة، الحق كله فيها للغني دون الفقير، وهذا نذير شؤم وعاقبة هلاك.

لذلك قال شراح الحديث:

– وفيه أنَّ مَن رأى متأوِّلًا أخطأ في تأويل يَضرُّ مَن أخَذ به، أن يُشهِر القول للناس، ويُبيِّن خطأه؛ ليحذَّر من الاغترار به.

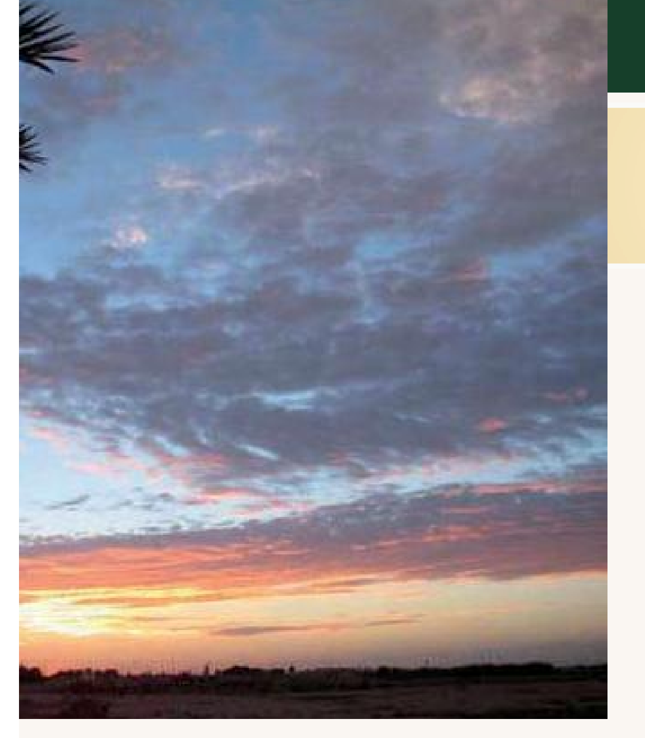
– وفيه جواز توبيخ المخطئ وجواز تقريعه تقريعا يتوجَّع منه كل ذي شعور، ويستحقه مثل هذا العامل الذي أراد أنْ يَخدع نفسه، ويخدع الناس، ويُفتيهم بحل ما أخذ من المزكِّين بدعوى أنه هَديَّة.

إننا في أشد الحاجة لتلمس تلك الحنكة النبوية في تعاملها مع الأحداث، وأن نقدمها لشبابنا وبناتنا خاصة، لتتسع نظرتهم للحياة، ولتحسن إدارة ذواتهم في رحلة الحياة بما يضمن لهم الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، نريد أن نسترشد بهدي سيد المرسلين لنخرج من متعة اللحظة إلى آفاق المتعة الرحبة في الدنيا والآخرة، ونديرحياتنا بشكل نموذجي نشكر في السراء ونصبر على الضراء، ونرضى بقضاء الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



ميلاد جديد للإنسان والمكان والزمان

لمحات إيمانية من مولد المصطفى



د. وصفي عاشور أبو زيد *

الاحتفال بمولد النبي ﷺ له خصوصية، وله مذاق خاص؛ وذلك لما يمثله النبي ﷺ للمسلمين من قيمة ثابتة، ومكانة كبرى؛ إذ كان السبب في هداية البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ولما تعرض ويتعرض له النبي ﷺ من حملات غريبة ظالمة جائرة، هيجت مشاعر المسلمين ووحدت صفهم وجددت الإيمان به عندهم وزادت حبه ﷺ في قلوبهم. وبقدر ما تُظهر أحداث الإساءة للنبي ﷺ من جوانب سلبية عند المسلمين فقد كان لها آثار إيجابية عديدة ومتنوعة.

ومن المعتاد في الاحتفال بمولد النبي ﷺ أن يتكلم الدعاة والخطباء عن محاسن هذا النبي، وعن مكانه ومكانته عند الله، وعن أخلاقه وسيرته العطرة، وربما كان الحديث عن مكانته ومحاسنه أكبر مساحة من الحديث عن أخلاقه وشمائله وإبراز مواضع القدوة وجوانب الأسوة في حياة هذا النبي العظيم.

بيد أن هناك جانبا من الأهمية بمكان يمكن أن نلمحه وسط هذه المحفلة الإسلامية الكبرى التي تعم أرجاء العالم الإسلامي بهذا النبي الكريم، وهو الجانب الإيماني الذي يجدد الإيمان به والحب له ﷺ.

والجانب الإيماني ليس مقصورا على ما ينعكس على القلب وينمي فيه الحب له والإيمان به فقط، بل يتخطى ذلك ليشمل تجديد السلوك والقيم الإنسانية والأخلاق العظيمة التي هي ثمرة لهذه القيم وتلك الأخلاق.

تجديد الإيمان به

ومن أهم اللمحات الإيمانية التي يمكن أن يلمسها المسلم في الاحتفال بمولد النبي الكريم أنه يجدد الإيمان به، ويجدد البيعة له أن يظل على العهد معه والاتباع له والاقتداء به والعمل بما جاء به وتبليغ رسالته في العالمين، وهو يستشعر .

ابتداء . خطورة هذا الحكم الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (١).

هذا الحكم يدع القلب وجلا مذعورا، ويتركه مدعوًا لمراجعة حقيقة إيمانه في هذه المناسبة، ويحمله على تجديد هذا الأمر، واستكمال مكملاته وتحسينياته؛ لأنه يعتبر شطر الإيمان.

تجديد وزيادة الحب له

ومن الملامح المهمة في هذه المناسبة أن الحب له يزداد رصيده في قلوب المؤمنين؛ ذلك أن بعض العلماء والدعاة والمسلمين الواعين يقضون هذه المناسبة في قراءة سيرته والحديث عنها والاستماع لها مستعرضا ما حدث في الفترة المكية وما لاقاه النبي هناك حتى سالت منه الدماء، ثم إخراجه من أحب البلاد إلى قلبه التي ودعها في مشهد حزين يبعث على الإشفاق والحزن، وما كابده ﷺ في هجرته إلى المدينة، ثم ما جاهد وكابد في مواقعه ومعاركه المختلفة التي بلغ فيها الجهد منه منتهاه.

كل هذا من أجل من؟ لا شك أن الإجابة واضحة كالشمس، وهي من أجل أمته التي حرص على هدايتها وإنقاذها من النار، وإخراجها من الظلمات إلى

* باحث بالمركز العالمي للوسطية



الغزالي: ما أرخص الحب إذا كان كلامًا وأغلاه عندما يكون قدوة وذمامًا

النور: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

ماذا يكون شعورنا نحو من يعز عليه تعبُنا وعنتُنا، ودائما حريص علينا، رءوف رحيم بنا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ماذا نستشعر تجاه من لا هم له إلا نحن، حتى في الآخرة يوم العرض ويوم الاستشفاع، يوم ينشغل كل نبي بنفسه حيث يذهب الناس إلى الأنبياء فيقولون: «نفسي نفسي»، ثم يأتي الناس إليه فيقوم ويقول: «أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجدا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي، فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل» (٢).

في هذا اليوم الذي ينشغل فيه خيرة خلق الله بأنفسهم يجرد هو نفسه تماما من الانشغال بها، ويوجه كل همه إلى أمته وأحبابه وأتباعه، وليس هذا بالطبع انتقاصا من مكانة الأنبياء، بل إبراز لقيمة هذا النبي الكريم، وبيان منزلة أمته منه، وحبه لها، وخوفه عليها عليه الصلاة والسلام.

أيُّ حبٍّ يُسكب في نفوس أمته وهي تطالع سيرته الشريفة التي جَهِدَ فيها من أجلنا، وإلى كم يبلغ مقدار هذا الحب وهم يسمعون عن يوم الفزع الأكبر، وكل هم النبي ﷺ ألا يبقى واحد من أمته في النار؟!

ولذلك لم يكن مستغربا ولا مستبعدا أن يُنفى الإيمان عمن لا يقدم حب النبي ﷺ على حب نفسه وولده والناس جميعا. فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (٣).

ميلاد جديد للإنسان

ومع ميلاد النبي ﷺ نلمح ميلادا جديدا للإنسان. مطلق الإنسان. وهو ملمح يرتبط بالقيمة، حينما رفع الإسلام مكانته، وشرَّفه الله وكرمه وكلفه، وخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في الكون جميعا. حين جعل له حرمة، وجعل له ذمة، وحرره من العبودية لغير الله، وحرم الرق والظلم والقهر، وأن يسام الخسف، فحقق فيه معاني الإنسانية العظيمة.

فحل العدل محل الظلم، والنور محل الظلام، والهداية محل الضلالة، والوحدة محل الفرقة، والبناء محل الهدم، والحرية محل الرق والعبودية، والتسامح محل العصبية، والانتصار للمبدأ والحق محل الانتصار لفرد أو قبيلة.

ومن هنا نقول إن بعث النبي. عليه الصلاة والسلام. بهذه الرسالة العظيمة كان بمثابة ميلاد جديد لبني الإنسان، مطلق الإنسان، الذي يعتبر تكريمه والإعلاء من شأنه وقيمته لا ينقصه الوضوح والبروز في الإسلام وشريعته.

ميلاد جديد للمكان

ومع ميلاد النبي ﷺ يولد المكان الذي وطئته قدماه الشريفتان ميلادا جديدا، فمكة والمدينة ليستا كأي بلاد على وجه الأرض لأنهما بلدتان عاش فيهما ومشى عليهما خير خلق الله، فلا غرابة أن يكون لهما خصوصية ومكانة في قلوب المسلمين، ولهما علاقة وجدانية تجعل القلوب تهوي إليهما شوقا وحبا وتحنانا. فالمكان بذاته لا ميزة له إلا بمن يمشي



فيه، ولا شرف له إلا بالقيم المحمودة الموجودة فيه والتي تدب عليه، ولولا ذلك لم يكن للحبشة في التاريخ هذا الشأن، إذ دلهم الرسول ﷺ على الهجرة إليها، لأن هناك قيمة عظيمة، بينها النبي ﷺ عندما قال للمسلمين: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا» (٤).

وبهذه القيم كان ميلاد جديد لأرض الحبشة خلدها في التاريخ، وشرفها بذكر النبي لها وهجرة المسلمين إليها لما تتمتع به هذه البقعة من قيم العدل والصدق والحرية.

ميلاد جديد للزمان

ومع ميلاد النبي ﷺ نلمح ملمحا قيميًا آخر، وهو ميلاد جديد للزمان، إذ شَرُف شهر ميلاده بميلاده ﷺ والزمان المجرد لا شرف له ولا ميزة تميزه عن غيره إلا لما احتضنه هذا الزمان واحتواه من أحداث كبار غيرت وجه التاريخ، فشهر رمضان لم تكن له قيمة حتى نزل فيه القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥). وكذلك ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١).

ولا أعظم في الأحداث على الإطلاق من ميلاد المصطفى الذي غير وجه البشرية، وقاد البشرية من قيم الجهالة والضلالة والغواية، إلى قيم العلم والنور والهداية، ومن هنا كانت قيمة الزمن في الأحداث التي تلت ذلك الحدث، حيث الهجرة والغزوات والمعارك التي خاضها النبي ﷺ، وبالتالي فإن ميلاده مثَّل ميلادا جديدا للزمان الذي ولد فيه، وشرفه وكرمه، وجعل له ميزة ليست لباقي الأزمان.

وأخيرا أريد أن أقرر أنه من الظلم لنبينا - صلوات الله عليه - أن نجعل الاحتفال به - وقد تحقق فيه كل هذه المعاني الإيمانية والقيمية - مقصورا على يوم من الأيام أو شهرا من الشهور.

إن سيرته يجب أن تكون حية بيننا، ليتجدد إيماننا به دائما، ويزداد حبنا له أبدا، ونستشعر الميلاد الجديد للإنسان والمكان والزمان، ونتمثل أخلاقه التي لابد أن تكون موضع القدوة والأسوة، وما أكثر جوانب القدوة ومواطن الأسوة في حياة هذا النبي العظيم، لتستقيم حياتنا الفردية والأسرية والعالمية؛ حيث بلغ - عليه السلام - في كل جانب مداه وأدرك منتهاه.

ويحسن بي أن أختم هذه اللمحات بكلمة لداعيتنا الكبير الشيخ محمد الغزالي إذ يقول - يرحمه الله - في كتابه الماتع «فقه السيرة» (٥): «إن المسلم الذي لا يعيش الرسول في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغني عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة... ألا ما أرخص الحب إذا كان كلاما، وأغلاه عندما يكون قدوة وذماما».

الهوامش

١- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.
٢- رواه مسلم بسنده عن أنس، كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
٣ - رواه مسلم، كتاب الإيمان. باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة.
٤ - سيرة ابن هشام، ١٦٤/٢. دار الجيل. بيروت. ط أولى. ١٤١١هـ.
٥ - فقه السيرة، محمد الغزالي، ٩، ١٢. دار الدعوة. بتخريج الشيخ الألباني. ط. ثانية.

خطبة مؤثرة

د.محمد حسان الطيان

ما قرأت خطبة الرسول ﷺ في الأنصار مرة أو سمعتها في مناسبة إلا رأيتني أشارك الأنصار بكاهم، إذ لا يملك الانسان نفسه أمام هذا المشهد المؤثر، والإنصاف الموضوعي، والبيان المتدفق، إلا أن تتحرك محاجر عينيه.

وكي يكون القارئ على ذكر منها لابد أولا من إيرادها كاملة، وإردافها بما عنَّ لي من تعليق عليها:

قال ﷺ يخاطب الأنصار بعدما بلغه من وجدهم لعدم إصابتهم من فيء حنين:

يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدَةٌ (١) وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله، وعالة (٢) فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!

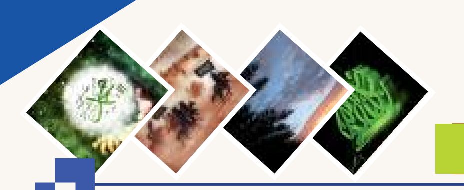
قالوا: بلى، الله ورسوله أمَنُّ وأفضل.

ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟، لله ولرسوله المَنُّ والفضل، قال رسول الله ﷺ:

أما والله لو شئتم لقلتم ولصُدِّقتُم: أتيتنا مكذَّبا فصدَّقناك، ومخذولًا(٣) فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك (٤)، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من لُعاعَة (٥) من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟

ألا ترضون يا معشر الأنصار أن

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة
عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق





يذهب الناس بالشاء (٦) والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم!

فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلكت الناس شِعْبًا (٧) وسلكت الأنصار شِعْبًا لسلكت شِعْبَ الأنصار.

اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا (٨) لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْمًا وحظًّا (٩).

التعليق:

جمعت هذه الخطبة البينة من فنون القول المؤثر ما لا ينقضي منه العجب، وقد بدا فيها مقدار محبة رسول الله ﷺ لأنصاره، وحرصه عليهم، وإيثارهم، واختيارهم، ودعائه لهم.

كيف لا وقد بدأ الرسول ﷺ بعتاب رقيق لما بلغه عنهم من سخطهم وغضبهم لإيثاره بالغنائم أقوامًا عليهم، مذكرًا إياهم بفضل الإسلام عليهم هداية وغنىً وتأليفا بين القلوب.

ثم أردفه بذكر فضل الأنصار وما لهم من التصديق والنصرة والإيواء والمواساة التي يحق لمثلهم بها أن يمنَّ ويتفضل، ولكنه يتبع ذلك بكلمة لا يمكن أن تدع في قلب واحد منهم موضعًا لسخط أو غضب أو عتب: ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء (١٠) والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم!

هل يمكن لعاقل بعدها أن تتحرك نفسه بغير البكاء والرضا والقبول؟!

ثم يؤكد ذلك بحبه للأنصار وإيثاره العيش بينهم وسلوك واديهم، ليختم بأجمل دعاء وأرجاه وأحلاه: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

والحق أن كل ما في هذه الخطبة بليغ فصيح، بل هو في الغاية من البيان والفصاحة والجمال، بدءًا من مفرداتها، ومرورًا بتراكيبها، وانتهاء بضروب الحسنات فيها.

ولعل أول ما يلفت نظر القارئ المتذوق هذه المفردات الدقيقة الموحية التي اختيرت بعناية بالغة لتناسب المقام، من نحو: جِدة.. عالة... واسيناك..لُعاعة...

ثم إنها صيغت بجمل قصيرة يغلب عليها الأسلوب الإنشائي الاستفهامي، فغدت أقرب للقبول وأرجى للقبول، بل هي لامست شغاف القلوب بما اشتملت عليه من حجة وإقناع وتذكير وتحبب وموازنة.

وقد تخللتها محسنات بديعية زادتها بهاءً وجمالًا، أهمها الطباق الذي تبدى في كثير من مقاطعها: الضلالة والهدى، التكذيب والتصديق، الشعار والدثار... والسجع في مثل قوله: فصدقناك، ونصرناك، وآويناك، وواسيناك... والجناس الناقص في جِدة وجدتموها...

وما أحسن ما عبَّر به الأستاذ الدكتور محمد رجب بيومي بعد إيراده هذه الخطبة في كتابه البيان النبوي، حيث قال: «هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامئ، فأخضبت الجديب، وأنعشت الذاوي، بل إن تيارها القوي قد دفع بالدمع إلى العيون، ففاضت المحاجر ندمًا واستسلامًا، ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاء والبعير، ورجوع الأنصار برسول الله ﷺ .. وهي إحدى وثبات العبقرية في خطابة الرسول ﷺ.. وكم لها من أمثال» (١١).

الهوامش

(١) الجدة: الغضب، من وجد عليه في الغضب يجُد ويَجِد وجْدًا وجِدةً وموجِدَةً ووِجْدانًا: غضب.
(٢) جمع عائِل أي فقير.
(٣) هو من تُركت نصرِته وإعانته.
(٤) آسى مواسَاةً الرجل في ماله أي جعله أسوته فيه، والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق.
(٥) اللُعاعَة: البقية اليسيرة من كل شيء.
(٦) جمع شاة.
(٧) هو الطريق في الجبل، جمعه شِعاب.
(٨) خَضَّل وأخضل الشيء: ندَّاه وبلَّه.
(٩) أخرجه أحمد ٣/٦٧ (١١٦٥٩) عن أبي سعيد الخدري بسند حسن، وهو في مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي ١/ ٣٢-٣٣.
(١٠) جمع شاة.
(١١) البيان النبوي ص٨٩.





الرسول الأعظم ﷺ قدوتنا في التحاور

د.مصطفى عطية جمعة

عند النظر إلى منهج الحوار في السيرة النبوية وأشكاله وقضاياه ندرك كيف كان الحوار هو الأساس الذي اعتمده الرسول ﷺ في الدعوة ونشر أحكام الإسلام وتعميقه في الأفئدة، وفي صناعة القرار وتشكيله مع صحابته الأبرار، وفي طريقة تنفيذ القرار، وهنا لا ندرس الحوار بوصفه حوارًا صادرًا عن عالم أو أديب، وإنما صادر عن رسول مرسل من الله جلّ وعلا، تهيأ في شخصيته كثير من العوامل المميزة التي جعلته يتبوأ مكانة سامية شهد له بها الكافر قبل المسلم، الحكيم قبل البسيط، المرأة والرجل والطفل، هذه المميزات في شخصية الرسول ﷺ جعلت حوارياته تتسم بالصدق والبلاغة والحكمة والهدى، ولا يمكن أن نجمل هذه المميزات إلا أننا نذكر منها ما يلي :

باحث أكاديمي



لقد كانت شخصية الرسولﷺ شديدة التميز على المستوى الإنساني والعقلي والقيادي ثم تمت المنة الكبرى بالرسالة الإلهية المنزلة، وهذا ما يؤكده الشيخ محمد أبوزهرة في وصفه لشخصية الرسول بقوله: «لم يتوافر العقل في إنسان كما توافر في محمد بن عبدالله، ولو لم ينزل عليه الوحي، ويُخاطب من السماء، لكان عقله وحده كافيًا لأن ينشئ دولة، ويقيم مجتمعًا طيبًا فاضلًا، ولكن أتم الله عليه نعمته فجعله نبيًّا مرسلًا، فاجتمع له الكسب الذاتي بالإدراك بالفطرة الإنسانية العالية المكتملة، بالتكوين الإنساني، والرسالة الإلهية الهادية المرشدة، وما كانت إحداها لتغني عن الأخرى»(١).

فالسمات السابقة تجلي كيف كان الرسول متميزًا إنسانًا وقائدًا وبليغًا قبل الدعوة، وهذا من إعداد الله تعالى له، حتى يكون أهلًا لحمل الرسالة، وهو ما يؤهله لقيادة العرب بالحكمة، وتكوين مجتمع فاضل معهم، ولكنه مجتمع إنساني فحسب، أما وقد نال منة الله بالهداية والقرآن، فقد جمع ما بين القوة الإنسانية، والإرشاد الرباني.

ويرى البعض أن الرسول محمدﷺ لم يكن متميزًا وسط قومه في مكة بشيء ذي بال في عرف العرب في الجاهلية، «فلم يكن بالشاعر الذي يرنز أوتار القلوب ولا بالخطيب الذي اختلب أهواء النفوس، ولا بالعالم الذي يستهوي شهوات العقول، ولا بالفارس الذي يلجأ إليه في حماية الحوزة في حرب، فلم يُعرف بشيء مما كان العرب يعولون عليه في منازعاتهم ومكاثراتهم ومماتناتهم (مبارياتهم) ومنافراتهم (٢).

ولكن الميزة التي تميز بها عن جيله ميله الواضح إلى السكينة والوقار والتفكير كلما تقدمت به السن، وهي مظهر لما استتر في نفسيته من نزوع إلى أفق الروح، والاتصال بعالم الملأ الأعلى، وما لازمت هذه الصفة نفسًا بشرية إلا وجهتها هذا التوجيه الروحي على قدر ما فيه من قوة (٣).

ربما يكون الرأي السابق مقبولًا

ميل النبي ﷺ إلى السكينة ميزه عن أبناء جيله .. ودلل على ما في نفسه من نزوع إلى أفق الروح والاتصال بالملأ الأعلى

بشكل أولي، ولكن هناك مجموعة كبيرة من المؤشرات في شخصية الرسولﷺ الدالة على أنه متميز في أعماقه، ثم جاءت البعثة والتكليف الإلهي لتظهر هذه المواهب، ومن هذه المؤشرات تصرفه الحكيم في حادثة وضع الحجر الأسود في الجاهلية، فلما تهدم البيت الحرام بفعل سيل شديد، واجتمع أهل مكة على بناء الكعبة بنفقة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا حتى تم البناء ثماني عشرة ذراعًا، اختلف أشراف قريش عندما أرادوا وضع الحجر الأسود، فيمن يضعه، وتنافسوا في ذلك ورفعوا السيوف ودام الخصام أربع ليال، وكان أسن رجل في قريش إذ ذاك أبوأمية بن المغيرة المخزومي، عم خالد بن الوليد، جاء فقال لهم: يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه، فقالوا نكل الأمر لأول داخل، فكان هذا الداخل هو محمد بن عبدالله، فاطمأن الجميع له، لما يعهدون فيه من الأمانة وصدق الحديث فلما أخبروه بالخبر بسط رداءه، وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه أخذه ووضعه فيه (٤).

فهذا الموقف يشير إلى المكانة الطيبة التي احتلها الرسولﷺ في الجاهلية، وهي ليست بمكانة زعيم قبيلة ولا خطيب ولا شاعر وإنما هي مكانة أخلاقية، فهو الصادق الأمين، ومكانة عقلية، فقد كانوا يحتكمون إليه في أمورهم، ومكانة نسبه الطيب في القبيلة، وقد جاء تصرفه في حل هذه المشكلة ليضع حدًّا لفتنة بين بطون مكة، كان يمكن أن تكون نارًا تحرق أبناءها وتفنيهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنه من المنطقي أن يكون الرسول غير ذي زعامة ومنصب في هذا المجتمع، حتى لا يكون منغمسًا في حياتهم بمثالبها ومآخذها، حتى إذا جاءته البعثة من الله تعالى، ظهرت المعجزة الربانية في شخصه الكريم، فهو ليس بشاعر فيُتَهم بتأليفه آيات القرآن، وهو أمي ولم يطلع على كتب الأمم السابقة حتى يوردها فيما يقول قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، وصدق الله تعالى وهو يقول عن المبعوث رحمة للعالمين مبرئًا إياه من الاطلاع على الكتب السابقة، فقد تلقى العلم كاملًا من الله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾(الاعراف: ١٥٧-١٥٨).

وقد جاء في تفسير الآيتين الكريمتين تفرد الرسول بهذه الصفة «لأَنَّهُ لَا يُعْلَم للَّه رَسُول وُصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَة- أَعْنِي الأُمِّيّ- غَيْر نَبِيّنَا مُحَمَّد ﷺ»(٥).

وهو ﷺ صادق أمين لا يتوقع منه الكذب ولا الاحتيال، وليس بخطيب معروف لأنه غير مشارك في الجاهلية وتجمعاتها بما فيها من ملذات ومنهيات، وليس زعيم قبيلة أو بطن لأن الزعامة تأتي لشخص يتم التوافق عليه من رجال قبيلته أو بطنه، وهذا يعني أنه يوافقهم في معتقداتهم ويقر أخلاقهم وإن ساءت، وهذا لم يحدث من شخص الرسول الذي كان يُدين معتقداتهم وأصنامهم التي لا تنفع ولا



تضر، ولا يشرب الخمر ولا يعرف طريق الغانيات ﷺ، فابتعاثه كان عنوانًا على الإعجاز الإلهي في ظهور مواهبه الخاصة، الأدبية والحوارية، وقدرته على الإقناع، وكونه نموذجًا في الخلق والهدي الكريم، وعنوانًا لزعامة وقيادة نبوية تخالف ما درج عليه الناس من زعامات قبلية، أساسها التعصب القبلي والثروة والجاه.

«وقد دون من شمائله أنه كان متواضعًا، هينا لينا، يلقى أصحابه هاشًا باشًا لا يترفع عنهم بل يؤثرهم على نفسه، ولا يسمح لهم بتعظيمه ولا تقبيل يده» (٦)وهذه الصفات لا تجتمع لزعيم قبيلة جاهلية ولا لشريف من أشرافهم، فهي صفات الخلق المتكامل، والنبوة الصادقة.

وفور عقل الرسول

لم يكن الرسول ﷺ فيلسوفًا ولا أديبًا، ولا مؤلفا، إنه صانع أمة، ومكون شعب، ونبي مرسل، يحمل ما تنوء الجبال بحمله، وهو رسالة القرآن، فلا يمكن أن نتعامل مع الرسول– في حوارياته– بكونه مفكرًا أو فيلسوفًا، وإنما نتعامل معه بوصفه نبيًا مرسلا، مربيًا أمة كانت خير أمة أخرجت للناس، وهذا ما يفارق به الرسول ﷺ الفلاسفة والمفكرين وقادة الشعوب، فالعقل الإنساني يضل ويصيب، مهما توافرت له المعلومات والقيم، أما لو تسلح بالهداية الإلهية، فلا مجال للخطأ ولا سبيل للزيغ، «إنما العقل يدبر ما يحيط به وهو من غير هداية الوحي لا يفكر إلا فيما بين يديه، ولا يخترق الحجب والأستار إلى ما وراء ما لديه، فلابد من علم الله يمده بعلم القابل وهو عالم الغيب والشهادة» (٧).

وقد فطن الفقهاء القدامى إلى تميز شخصية النبي ﷺ، كما أوجزه القاضي عياض في نعته للرسول: «أما وفور عقله وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره...» (٨)، فمثل هذه

لم يكن الرسول ﷺ فيلسوفًا ولا أديبًا ولا مؤلفًا ... إنه صانع أمة ومربٍ للرجال

الشمائل لا تتوافر لشخص عادي، وإنما لشخص مميز ملهم موحى إليه، فدومًا نجد في عباقرة البشر أنهم متميزون في أمور ولديهم قصور في أمور أخرى، أما هذا التكامل الخلقي والجسدي والروحي والعقلي واللساني، فلا يتحقق إلا في شخصية أعدت وربيت بيد الله تعالى.

ولنتوقف عند سمة العقل لدى المبعوث ﷺ يقول القاضي عياض: «.. فضلًا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم مسبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب لم يمتر منه في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة» (٩).

لا نجد فيما سبق تميزًا بشريًا، بل المنة الإلهية، فكيف تأتت هذه القدرات العقلية للرسول وهو الأمي، الذي لم يمتلك قدرة القراءة، حتى يطالع الكتب الدينية السابقة والمعارف والعلوم والحكم، فهذا أدل على إلهام الله تعالى لرسوله الكريم، وقد قال وهب بن منبه «قرأت في واحد وسبعين كتابًا فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلًا، وأفضلهم رأيًا، وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا» (١٠).

إن هذا الإجماع على التميز العقلي للرسول ﷺ يجعل محبتنا له وإيماننا به تشمل التعلق الروحي إلى التأمل والدرس في شخصية خاتم الأنبياء، فهي جامعة للكمال البشري في المنظور الفلسفي والنفسي والعقلي، والوحي الرباني.

ويضاف إلى هذه السمة ثقته ﷺ بالله تعالى، وهي منعكسة على تمسكه بالدعوة إلى أن يهلك دونها، «فقد كان جامعًا للمحبة والثقة كأفضل ما تجتمعان، وكان مشهورًا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه» (١١).

إن هذه السمة تعطي ثباتًا لمن حول الرسول الذين يتعرضون للمحن والتعذيب، وعندما تضاف إليها المحبة لمن حوله من الصحابة الأبرار وكل من يدخل الدعوة جديدًا، تصبح مزيجًا من الثبات والاطمئنان والارتباط في طريق واحد.

بيئة الرسول اللغوية وتكوينه الأدبي

كان الرسول ﷺ ذا لسان عربي فصيح، ولا عجب في ذلك، فقد نشأ في قريش وهي من أفصح اللهجات العربية، وكان يحضر أسواق مكة، ويتذوق ما ينشد فيها من أشعار، وعاش رضاعته في بني سعد بهوازن وهوازن من أفصح قبائل العرب وكما يقول إسماعيل بن عبدالله: «أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة محمدًا ﷺ فجعل قريشًا قُطّانَ (ساكني) حَرَمِه، وجيران بيته الحرام، وولاته» (١٢) فقد تميزت قريش مكانة برعايتها بيت الله الحرام، ولغة باستواء لسانها، وهذا ما جعل لغتها العربية منتشرة بين عموم قبائل الجزيرة العربية، بحكم المكانة الروحية لقريش، وقد كانوا يسمون قريشا «أهل الله؛ لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، ولم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة» (١٣).

والنصوص الشعرية الواردة من الشعر الجاهلي تدل دلالة قاطعة على أن القبائل العربية الشمالية اصطلحت فيما بينها على لهجة أدبية فصحى، كان الشعراء على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاربها ينظمون فيها شعرهم، رغم أن المستشرقين شككوا في هذه اللهجة وفي أصلها، وسعوا إلى نفي لهجة قريش



وادعوا ادعاءات مختلفة في هذه اللهجة الفصيحة المستقرة في الشعر الجاهلي، وبها نزل القرآن الكريم، ولكن الواضح أن هذه الآراء تعتمد على الفرض والحدس وقد أراد بها أصحابها أن يناقضوا أشد المناقضة ما استقر في نفوس أسلافنا من أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم (١٤)، وقد رفض المستشرقون أيضًا نظرية العرب في كون الفصحى عن اللهجة القرشية، فقد ذهبوا يطلبونها في لهجات القبائل النجدية، متناسين أن شيوع لهجة ما يقترن بحالة سياسية أو روحية أو حضارية، بحيث تصبح لغة الفكر والشعور للجماعة الكبرى، وهذا ما تحقق في لهجة قريش، فقد كانت مكة مهوى أفئدة العرب في الجاهلية، وكان لها نفوذ واسع بسبب مركزها الروحي ونفوذها الاقتصادي لكونها مركز التجارة وملتقى القوافل والأسواق (١٥) وهذا من السنن اللغوية أن تتفوق لهجة أو لغة ما لعوامل عدة، وقد توافرت هذه العوامل لقريش بجلاء، وهي عوامل خارجية أي تتصل بظروف جغرافية (موقع مكة)، وتجارية (ملتقى الأسواق)، وروحية (وجود الكعبة)، وهناك عوامل لغوية تتصل بمسلك قريش اللغوي، فقد كانت «مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس»(١٦).

فليس بمستغرب أن تكون لغة قريش هي الفصحى التي عمت في الجاهلية لتشمل كل القبائل العربية شمالاً وغربًا وشرقًا وفي اليمامة والبحرين، وسقطت إلى الجنوب في اليمن لتكون في لغة حمير، وعندما قدمت الوفود إلى الرسولﷺ كان يحاورها وهم يفهمونه دون مشقة، وسرعان ما فهموا القرآن الكريم بمجرد سماعه، وحتى اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم كانت لهجات القبائل الأقرب إلى قريش، ومن هنا جاءت فصاحتها وحجية الاستشهاد بها، وقيل إن لغة قريش نفسها تستوعب اللهجات السبع للقرآن (١٧)، ومن المنطقي أن تعدد القراءات القرآنية، واللهجات التي نزل بها القرآن الكريم، ليدل على أن القرآن كان مفهومًا لدى القبائل العربية، وتناقلوه فيما بينهم، قبل أن يغدوا إلى الرسول ويسلموا، فقد كانوا يتناقلون الأشعار، وهي مصاغة على لغة قريش، وأيضًا تناقلوا السور القرآنية، وتذوقوا بلاغتها وهداها، لأنهم يعرفون لغة قريش جيدًا، فلما قابلوا الرسول، وسمعوا بلاغته في حواراته، دخلوا في الإسلام أفواجًا، خاصة أنهم وجدوا في شخصية الرسولﷺ تكاملاً في التكوين اللغوي والبيئي والعربي، فقد جمع ما بين الحضارة النسبية (التمدين) في مكة، وفصاحة وبساطة أهل البادية، بجانب فهمه عاداتهم وتقاليدهم، وطريقة تفكيرهم، وسبل تلقيهم المفاهيم والتصورات والمدركات، كما أنهﷺ علم كثيرًا عن لهجات القبائل العربية واختلافها.

وقد كان محمدﷺ «خبيرًا بالنفوس ومعادنها، والدنيا وأطوارها، والزمان وتقلبه، والأديان الأولى وما عانت وعانى رجالها، وهم يشقون طريقهم في الحياة، وعقول الأنبياء من ورائها فطر مجلوة وإلهام لمّاح، فكيف بشيخ الأنبياء الذي تعهده القدر من نشأته ليحمل رسالة معجزة في أسلوبها، وأسلوبها يقوم على الفطر وتفتيق الألباب» (١٨).

فإذا كانت هذه سماته التي بانت في سيرته العطرة، وأقواله النضرة، وأحاديثه الشريفة، فكيف أوتيها؟ إنها من تأديب الله تعالى له، وهذا سر الإعجاز الرباني في شخصية النبي، وكما قال المصطفىﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ليكون في شخصيته نموذجًا للنبوة الحقة التي لم تلوثها التقاليد والعادات الحضرية أو البدوية، فهو: «لم يتلق علمًا على راهب أو كاهن أو فيلسوف ممن ظهروا على عهده، ولكنه بعقله الخصب وفطرته الصافية، طالع صحائف الحياة، وشؤون الناس، وأحوال الجماعات، فعاف منها ما ساءه من خرافة، ونأى عنها، ثم عاش بين الناس على بصيرة من أمره وأمرهم» (١٩).

الهوامش

١- خاتم النبيين، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ج١، ص٢٣١.
٢- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة، محمد فريد وجدي، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٨٦.
٣-السابق، ص٨٧
٤- جاءت قصة تجديد الكعبة الشريفة في مصادر عدة منها: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، دار الجيل ببيروت ودار عمار بعمّان، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٧م، ص٢١-٢٣ وقد حقق روايات عدة عن الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك، والطبراني، وراجع أيضًا: صحيح البخاري، الحديث رقم (٣٨٢٩) رواية جابر بن عبدالله.
٥- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، سورة الأعراف، الآية (١٥٧).
٦- السيرة المحمدية في ضوء العلم والفلسفة، ص٨٧، ٨٨.
٧-خاتم النبيين، ص ٢٣١.
٨-الشفاء، القاضي عياض، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ، ج١، ص٤٣.
٩- الشفاء، ص٤٣.
١٠-نفسه، ص٤٣.
١١- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م، ص٣٣.
١٢-الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، أبوالحسين أحمد بن فرسي بن زكريا، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يوليو، ٢٠٠٣م، ص٣٣.
٣١- نفسه، ص٣٣.
١٤- انظر: العصر الجاهلي، د شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠، ص١٣١، ص١٣٢.
١٥-العصر الجاهلي، ص١٣٣.
١٦-الصاحبي في فقه اللغة، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ١٩٩٩، ص٣٣، ٣٤.
١٧-راجع: العصر الجاهلي، ص١٣٤- ١٣٥.
١٨- فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، راجع أحاديثها الشيخ محمد ناصر الألباني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٧، ص١٩٧٦م، ص٥٤.
١٩-السابق، ص٧٣.



عبقرية مُحمّد ﷺ العسكرية

محمد عبدالشافي القُوصِي

كثير من العظماء والعباقرة الذين أنصفوا الإسلام ونبيه الكريم، ليسوا من العرب أو المسلمين.. بلْ من الغربيين أنفسهم (غير المسلمين) وبعضهم من الغلاة والمتطرفين المعروفين بكراهيتهم للحضارة الإسلامية، والمشهورين بعداوتهم للإسلام وأهله! أمثال: عالم اللغات الشرقية، المستشرق الإنجليزي البروفيسور هامفري بريدو H.prideaux (١٦٤٨-١٧٢٤) الذي اعترف - رغم أنفه- في كتابه «حياة مُحمّد» باريس ١٦٩٩- بالصفات السامية لمحمّد وعظمة أعماله، إنه يؤكد أن مُحمّدًا طوال فترة بعثته «امتاز بشجاعة وفطنة عقله، وبدرجة عالية من المجد، مما جعله أعظم القادة الذين عرفهم التاريخ، وقد أنشأ إمبراطورية في أربعة وعشرين عامًا امتدت لتشمل المناطق التي تحتلها الإمبراطورية الرومانية لمدة خمسمائة عام بلْ وأكثر منها، وقد رأينا تلك المملكة الواسعة استمرت لقرون عديدة وهي في أوج عظمتها، وقد رأينا كثيرًا من الإمبراطوريات والممالك الإسلامية التي لا تُقارن بغيرها في الامتداد والسيطرة لمدة طويلة».

كذلك، المفكر الأيرلندي «المتطرف» أدمـونـد بـيـرك Edmund Burke (١٧٢٩-١٧٩٧) الـذي أكـد: «أن القانون المُحَّمديّ قانونٌ ضابطٌ للجميع من الملك إلى أقل رعاياه، وهو قانونٌ نُسِجَ بأحكَم نظام حقوقيّ، وأعظم قضاء علميّ، وأعلم تشريع عادلٍ، لم يسبق قط للعالَم إيجاد مثله».

ويعد المستشرق الإنجليزي مارجليوث Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠) الأكثر عداءً للإسلام ونبيه، ومع ذلك نراه يقول في كتابه «مُحمّد ونهضة الإسـلام»: «إذا نحن قارنّا بين الوحي القرآني، وبين ما في أيدينا من كتب مقدسة، سندرك على الفور أن الإسلام وحده هو الدين الحقيقي». ومعـاصره المستـشرق الـيـهودي المجري جولد زيهر joldziher (١٨٥٠-١٩٢١) إذْ يقول في كتابه «العقيدة والشريعة في الإسـلام»: «كان مُحمّدٌ يريد إقامة دين الله الواحد كما جاء به إبراهيم، كما أنه بوجه عام كان مُصدّقًا لما سبق أن أوحاه الله لمن تقدّمه من الـرسل والأنبياء.. فمُحمّد كان بلا شك أول نـبيّ مصلح حقيقي من الوجهة التاريخية». كذلك

أول من أوجد مفهوم الأمَّة لتحلّ محل الولاءات القبلية والعائلية

المستشرق اليهودي المعاصر برنارد لويس L.pernard نصير الحركة الصهيونية، وشـديد العـداء والافـتـراء على المسلمين ودينهم وقضاياهم الوطنية والقومية.. وشديد الاستعداء لصانع القرار الأميركي ضد الإسـلام وأُمتـه.. إلا أن ذلك كله لم يمنعه من أن يعترف للإسلام بالتميز كدين ودولة، وبالسماحة في الانتشار السلمي، وبالعدل الذي تميز به الحكم الإسلامي مـع الـشـعـوب غـيـر المـسـلـمـة، فيشهد L.pernard أن: «مؤسّس المسيحية نادى أتباعه: أن أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، أمّا مؤسّس الإسـلام فقد جعل من نفسه «قسطنطين» (٢٧٤-٣٣٧) ففي حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينـيـة، كـان الـرسـول سيدهـا المطلق، يحكم أرضًا وشعبًا، ويقضي بين الناس، ويجمع الضرائب، ويقود الجيوش، ويسيّر الدبلوماسية، ويخوض الحـرب... وبينما كان شيخ القبيلة يحتل منصب الرئاسة على أساس الموافقة الطوعية للقبيلة، وهي موافقة يمكن إلغاؤها، فـإنّ مُحمّدًا جاء إلى الحكم على أساس من الامتياز الديني المطلق، واستمد سلطته ليس من الطرف المحكوم، بلْ من الله».

عظمة نبيّ الإسلام

الملاحظ في شهادة الغربيين، أنهم كثيرًا ما يركّزون على أزماتهم الاجتماعية والنفسية، ومشاكل الحضارة الغربية، لذلك لجأوا إلى سيرة «نَبيّ الإسلام» للبحث عن حلول لمعاناتهم وإنْقاذ مجتمعاتهم من الضياع والانهيار. وبالفعل فقد وجدوا أن «الإسـلام» وحده هو القادر على حل معضلات حضارتهم، واكتشفوا أن الخروج من مشاكلهم المستعصية يكمن في قوانين الإسلام وشريعته العالمية، وأيقنوا أن سيرة «مُحمّد» وأقواله وأفعاله هي الملاذ الآمِن، وشاطئ النجاة، ومرفأ السلامة.

هذا، وقد شَهِد كبار الزعماء والقادة ورجـال السياسةِ الغربيين على عظمة

باحث إسلامي



نبيّ الإسلام، ويأتي على رأس هؤلاء القادة: نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte (١٧٦٩- ١٨٢١) فقد أفصح في مذكراته عن إعجابه بعبقرية نبيّ الإسلام، ووصفه بأنه أعظم قائد عرفه التاريخ، كما أشاد بونابرت بالتشريع الإسلامي، فكتب في الباب الرابع من رسائله، يقول «أرجو ألا يكون قد فات الوقت الذي أستطيع فيه أن أوحّد جميع الرجال العاقلين والمثقفين في الدولة، وأن أنشئ نظام حكم متناسق، مؤسس على مبادئ القرآن، التي هي وحدها الصادقة، والتي يمكنها أن تقود الناس إلى السعادة. بعيدًا عن «المسيحية» التي تبشّر فقط بالعبودية والتبعية».

بطولات الرسول

هذه المذكرات الشخصية لبونابرت -التي أُفرج عنها أخيرًا، والتي تقع في حوالي ٣٠٠ صفحة- كشفت عن إيمانه بالدين الإسلامي، بل إنه دعا الناس إلى فهمه والاستفادة من توجيهاته الإلهية. ونحن لسنا بصدد مناقشة موضوع إسلام بونابرت الذي مازال يشهد جدلاً بين الغربيين أنفسهم، لكن نحب أن نتناول جانبًا مما سجّله هذا القائد العسكري التاريخي عن بطولات الرسول وعبقريته العسكرية.. يقول بونابرت: «إن الرسول مُحمّدا هو أول من أحدث تغييرا ثوريا في العقيدة العسكرية، فجعل أتباعه يقاتلون تحت راية الدين، وإنه أول من أوجد مفهوم «الأمّة» Nation لتحلّ محل الولاءات القبلية والعائلية الصغيرة!

ويرى بونابرت أنه «بدون عبقرية ورؤية الرسول مُحمّد العسكرية الفذة ما كان ليبقى الإسلام ويصمد وينتشر بعد وفاته. ويصفه - أيضًا- بأنه أول جنرال عسكري محنّك first insurgent في الإسلام. وأنه لولا نجاح الرسول مُحمّد كقائد عسكري، ما كان للمسلمين أن يغزوا الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية».



«بونابرت» كان ينوي تأسيس نظام حكم مؤسس على مبادئ القرآن

تغيير العقيدة العسكرية

يعزو «بونابرت» نجاح الرسول في إحداث تغيير ثوري في العقيدة العسكرية لما كان معروفًا وسائدًا في جزيرة العرب، لإيمانه بأنه مُرسَل من عند الله. ويشير إلى أنه وبفضل ذلك نجح في إيجاد أول جيش نظامي عربي قائم على الإيمان بنظام متكامل للعقيدة الإيديولوجية (الدين الإسلامي). وبمفاهيم مثل «الحرب المقدسة» و«الجهاد» و«الشهادة» من أجل الدين قدمها أولا واستخدمها الرسول مُحمّد قبل أي شخص آخر».

ويقول بونابرت: «إنّ مُحمّدا الرسول كان نموذجًا ناجحًا لما تقوم عليه إستراتيجيات القادة في العصر الحديث. وتوفرت لتلك الإستراتيجيات ظروف مكّنت من نجاح الرسول في نشر الإسلام في الجزيرة العربية».

مفهوم «الأُمة المؤمنة»

يرى «بونابرت» في الدين الإسلامي نظامًا متكاملًا حل بنجاح مذهل محل ما كان موجودًا من نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية متخلفة في جزيرة العرب، فأوجد الرسول مفهوم الأمة، «الأمة المؤمنة» Gods community of believers لتحلّ محل الولاءات القبلية والعائلية الصغيرة.

ويذهب إلى أن الرسول نجح في بناء منظومة عسكرية للقيادة والسيطرة للمرة الأولى في التاريخ العربي.. وأن مُحمّدًا الرسول أوجد للمرة الأولى في التاريخ مفهوم «الحرب النفسية» التي لم تكن معهودة من قبل! ويؤكد أن الرسول نجح في خلق منظومة عسكرية متطورة كان هو شخصيًا محورها الأساسي، إضافة إلى خلق هوية جديدة لا تفرّق بين المواطن والمقاتل في إطار مفهوم «المساواة».

تنفيذ أوامر الله

يشير «بونابرت» إلى أن الرسول مُحمّدا نجح في إقناع أتباعه أنهم ينفّذون أوامر الله في الأرض وأنهم جند الله، وكانت تلك المرة الأولى في التاريخ التي يعتقد ويؤمن فيها جيش نظامي أنه ينفذ أوامر الله في الأرض، ومن هنا تطور مفهوم «الحروب المقدسة». وترى الدراسة أن الرسول نجح في جعل «الدين Religion» أهم مصدر للوحدة بين جنوده.

كما يرى «بونابرت» أن نجاح الرسول في إقناع المقاتلين بالتضحية بحياتهم من أجل نصرة هذا الدين جعل المقاتل المسلم لا يهاب الموت إيمانًا منه بتمتعه بالجنة بعد وفاته - كما تقول تعاليم الدين الإسلامي- مشيرًا إلى أن «الجهاد» في الإسلام جوهره الكفاح والتغلب على المصاعب من أجل تحقيق السعادة».

الحيل في الشريعة الإسلامية

د. صالح سالم النهام

لقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بموضوع الحيل، فمنهم من أفرد «الحيل» بمؤلف مستقل، ومنهم من جعله فصلًا أو بابًا في تأليفه، فهذا الإمام البخاري قد أفرد كتابًا في صحيحه وترجم له باسم «كتاب الحيل»، وهذا كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أوسع وأجمع ما كتب في الحيل، وقد يفهم من عنوانه أنه خاص بالكلام عن بطلان التحليل، إلا أن ابن تيمية جعل هذه المسألة مدخلًا للكلام على الحيل، وربما اختارها لأنها أشهر الحيل، وكذلك كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيم، الذي أفرد في كتابه الفريد قسمًا كبيرًا في الكلام عن الحيل، ثم كتاب الموافقات للإمام الشاطبي، الذي أفرد قسمًا من كتابه للكلام عن الحيل، وغيرها كثير.

وفي المقابل هناك كتب جمعت الحيل والمخارج من المآزق التي يقع فيها الإنسان، وهذه الكتب كانت موضع نقد كبير من العلماء، منها: كتاب المخارج في الحيل للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي، وقد حصل خلاف في نسبة الكتاب لمحمد بن الحسن، فقد روى الذهبي في ترجمته لمحمد بن الحسن من طريق الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران عن محمد بن سماعة أنه قال: سمعت محمد بن الحسن يقول: هذا الكتاب (يعني كتاب الحيل) ليس من كتبنا، إنما ألقي فيها، كذلك لم يذكر أحد من أصحابه أو رواة مؤلفاته كتابًا له من هذا القبيل.

المسألة الأولى: تعريف الحيل لغة واصطلاحًا

أولًا، الحيل لغةً(١): هي جمع حيلة من التحول؛ تقول: حال يحول، فهي من ذوات الواو، وإنما انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، ومعناها في الأصل: الحذق، وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور، والتخلص من المعضلات(٢).

طرق خفية يتوصل بها صاحبها إلى حصول غرضه ولا تعرف إلا بذكاء ودهاء

ثانيًا، الحيل اصطلاحًا(٣):

لقد استعمل العلماء الحيلة بمعنى أخص من معناها في اللغة، ومن ذلك ما يلي: قال ابن القيم: «الحيلة هي نوع مخصوص من التصرف والعمل، الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة؛ فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرًا جائزًا أو محرمًا، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعًا، أو عقلًا، أو عادة، فهذا هو الغالب عليها في عرف الناس؛ فإنهم يقولون: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل، وفلان يعلم الناس الحيل، وهذا من استعمال المطلق في بعض أنواعه كالدابة والحيوان وغيرهما»(٤).

ويندرج في هذا المعنى للحيل صور مأذون فيها، لكنها اختصت بأسماء أخرى تمييزًا لها عن الحيل الممنوعة كالتدبير، ومثاله: من هوى امرأة فسعى لتزوجها لتحل له مخالطتها، والحرص، ومثاله: ركوع أبي بكرة رضي الله عنه لما دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ راكعًا، وخشي فوّت الركعة، وأحب أن يكون في الصف الأول تحصيلًا لفضله، ركع ودب راكعًا حتى وصل الصف الأول، فقال له رسول الله ﷺ: «زادك الله حرصًا، ولا تعد»(٥). والورع، ومثاله: أن يتخذ من يوقظه إلى صلاة الصبح إذا خشي أن يغلبه النوم، كما فعله رسول الله ﷺ في إحدى الغزوات في قضية بلال حين غلبته عيناه، كما في حديث الموطأ(٦).

وقد عبَّر الإمام الشاطبي عن الحيلة بقوله: «إن حقيقتها المشهورة: تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم

شرعي، وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر»(٧)، ثم قال: «فمآل العمل فيها خرم قواعد الشريعة في الواقع»(٨)، وقد ذكر في المسألة العاشرة من مقاصد المكلف- قبل ذلك- أن الحيل بهذا المعنى مشتملة على مقدمتين(٩):

الأولى: قلب أحكام الأفعال بعضها إلى بعض في ظاهر الأمر.

والثانية: جعل الأفعال المقصود بها في الشرع معاني وسائل إلى قلب تلك الأحكام.

وقريب من هذا ما قاله الطاهر بن عاشور حين عرَّف الحيل بأنها: «إبراز عمل ممنوع شرعًا في صورة عمل جائز»(١٠).

إلا أن نظرة الفقهاء إلى معنى الحيل قد تعددت بناء على مقصد كل مكلف من فعلها، ولأهمية ذلك أسوق إليك أهم المعاني التي احتوت التعريف بالحيل وهي على النحو التالي(١١):

المعنى الأول: الوصول إلى المقاصد الشرعية بالوسائل المشروعة، مثل: النكاح والبيع والرخص الفقهية، والحنفية تُرجح هذا المعنى، وهو قريب من المعنى اللغوي، وهذا يتضمن معنى الخروج من المضايق بوجه شرعي؛ ليكون مخلصًا شرعيًا لمن ابتلي بحادثة دينية على اعتبارها نوعًا من الحذق وجودة النظر.

المعنى الثاني: الوصول إلى المقاصد غير المشروعة بالوسائل غير المشروعة، مثل: عدم تأدية الصلوات المكتوبة بشرب الخمر قبل أوقاتها.

المعنى الثالث: الوصول إلى المقاصد المشروعة بالوسائل غير المشروعة، مثل: سرقة أو غصب سكين الغير واستعماله لذبح الأضحية.

المعنى الرابع: الوصول إلى المقاصد غير المشروعة بالوسائل المشروعة، مثل: بيع العينة، والتحليل، والسفر أيام رمضان؛ للهروب من الصيام.

فإذا لاحظنا المعاني السابقة للحيل يتبين أنها واضحةٌ معانيها، بينةٌ أحكامها؛ فالمعنى الأول: جائز، والمعنى الثاني: لا يجوز، والمعنى الثالث: قسم منه يجوز، والآخر خلافه، بينما المعنى الرابع: وقع فيه خلاف بين الفقهاء، من جهة النفاذ قضاء باعتبار الوقوف على ظاهر الأمر الذي يطابق الشرع من حيث الشكل والمعاملة، أو عدمه، على اعتبار نية الشخص الذي يريد أن يصل إلى مقاصده غير الشرعية، مستخدمًا المعاملات الفقهية، إذ نلتمس فيها نية مضمرة مختفية تحت ستار المعاملة الشرعية والمراوغة بغطاء القواعد الفقهية، مثل: بيع العينة وما شابهها من الحيل(١٢).

الحيل تأخذ أحكام مقاصدها ووسائلها

ويفهم من ذلك أن الحيل وسائل تتخذ لتحقيق غرض ما، قد تؤول هذه الوسائل إلى أمر محرَّم، وقد تؤول إلى أمر جائز، يحقق مقصدًا أو يهدمه.

وحكم الحيلة يأخذ حكم مقصدها ووسيلتها، لكون الأحكام الشرعية مقترنة بمصالح العباد في العاجل والآجل اقتران الوسيلة بالمقصد، ويؤكد ذلك ما قرره الشاطبي بقوله: «لما ثبت أن الأحكام شُرعت لمصالح العباد كانت الأعمال معتبرة بذلك؛ لأنه مقصود الشارع فيها كما تبين، فإذا كان الأمر في ظاهره وباطنه على أصل المشروعية فلا إشكال، وإن كان الظاهر موافقًا والمصلحة مخالفة؛ فالفعل غير صحيح وغير مشروع؛ لأن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لنفسها، وإنما قُصد بها أمورٌ أُخر هي معانيها؛ وهي المصالح التي شرعت لأجلها؛ فالذي عُمِل من ذلك على غير هذا الوضع فليس على وضع المشروعات»(١٣).

ومن هنا يتضح أن الحيل غير الشرعية هي إحدى الوسائل التي تؤدي إلى المناقضة بين مقاصد المكلف ومقاصد الشارع؛ لأن باعث المكلف أو قصده يخالف به مقاصد الشرع، أما إذا كان فعله لا يناقض الشريعة ويحقق مقاصدها فهو لاشك جائز؛ لعدم وجود خلاف بين مقاصد المكلف ومقاصد الشارع.. ومما يشهد لذلك ما ذكره القرطبي عندما علَّق على قصة نبي الله سليمان - عليه السلام- مع المرأتين المتنازعتين في الولد؛ وكيف اهتدى إلى معرفة المحقة منهما، وأصل هذه القصة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود - عليهما السلام- فأخبرتاه؛ فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما؛ فقالت الصغرى: لا، -يرحمك الله - هو ابنها! فقضى به للصغرى»(١٤)، حيث علق القرطبي فقال: «وفيه من الفقه استعمال الحكام الحيل التي تستخرج بها الحقوق؛ وذلك يكون عن قوة الذكاء والفطنة وممارسة أحوال الخلق»(١٥).

المسألة الثانية: ظهور الحيل وأسبابها

أما عن وقت ظهور الحيل وأسبابها، فإليك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية

أولًا، ثم قول تلميذه ابن القيم، وذلك فيما يلي(١٦).

أما عن وقت ظهورها، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الإفتاء بها وتعليمها للناس، وإنفاذها في الحكم، واعتقاد جوازها؛ فأول ما حدث في الإسلام في أواخر عصر صغار التابعين بعد المائة الأولى بسنين كثيرة، وليس فيها ولله الحمد حيلة واحدة تؤثر عن أصحاب رسول الله ﷺ، بل المستفيض عن الصحابة أنهم كانوا إذا سئلوا عن فعل شيء من ذلك أعظموه وزجروا عنه»(١٧)، ثم ذكر سببين للوقوع في الحيل(١٨)، فقال: إما ذنوب وقعوا فيها فجوزوا عليها بتضييق أمورهم، فلا يستطيع دفع هذا الضيق إلا بالحيل، كما جرى لأصحاب السبت من اليهود، وإما مبالغة في التشدد؛ حيث ضيقوا على أنفسهم أمورًا وسعها الشرع فاضطرهم هذا إلى الاستحلال بالحيل.

وأما ابن القيم فقد ذكر: «أن أكثرها من وضع ورَّاقي بغداد، وقد سبقه لهذا الحكم الجوزجاني عندما أنكر نسبة كتاب الحيل لمحمد بن الحسن حيث قال: «من قال إن محمدًا -رحمه الله- صنف كتابًا في الحيل فلا تصدقه، وما في أيدي الناس فإنما جمعه وراقو بغداد»(١٩).

وقد قيل: إن الذي يظهر في هذا الموضوع: أن بعض علماء الحنفية هم أول من تكلم بالحيل(٢٠)، ولكن في البدايات لم يكن فيها التوسع الذي عرف لدى المتأخرين(٢١)، مع العلم أن الحنفية كانوا يستعملون الحيل على أنها مخارج من الضيق والحرج بوجه شرعي لا أكثر(٢٢).

المسألة الثالثة: أدلة الحيل الجائزة

أولا: القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾(النساء: ٩٨)، ووجه الشاهد أنه أراد بالحيلة التحيل على التخلص من الكفار، وهذه حيلة محمودة يثاب عليها من عملها.

هذه هي أدلة مشروعية الحيل الجائزة

ثانيًا: السنة النبوية

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن لي جارًا يؤذيني، فقال: «انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ، فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم أخزه، فبلغه، فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك » (٢٣). وفي الحديث دلالة على جواز التحيل لمن كان مظلومًا بحمل الناس على مسبة ظالمه والدعاء عليه؛ لعل ذلك يروعه ويمنعه من الإقامة على ظلمه.

فالمقصود أن صالح الوسيلة مباح، وفي إفضائها إليه نوع خفاء لعدم التفات الذهن إليها، فانطبق عليها حد الحيلة، وليس فيها ضياع حق لله أو للعبد، فالحيل من هذا القبيل مباحة شرعًا بخلاف التي يستحل بها محارم الله من إبطال الحقوق فلا تجوز.

ثالثًا: فعل الصحابة

كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أعلم الناس بالشر والفتن، وكان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكان هو يسأله عن الشر مخافة أن يدركه(٢٤).

فحذيفة بن اليمان رضي الله عنه تعلم طرق الشر الظاهرة والخفية، التي يُتوصَل بها إلى خدَاعه والمكر به، فيحترز منها، ولا يفعلها، ولا يدل عليها(٢٥).

رابعًا: القياس

إن الحيل الممنوعة شرعًا هي التي تؤول إلى كل ما يهدم الأصول الشرعية، ويناقض المصالح الشرعية، كالتي تقوم على المخادعة والتلبيس والتدليس، وما دام أن هناك حيلًا لا تهدم الأصول الشرعية، ولا تناقض المصالح الشرعية، كإجازة الشريعة للمكره على الكفر أن يتلفظ بكلمة الكفر إحرازًا لدمه، فهو نطق بكلمة من غير اعتقاد معناها توصلًا إلى غرض دنيوي، وهو إحراز الدم، فأجريت عليه أحكام الإسلام في الظاهر، وهذا أمر جائز شرعًا.

المسألة الرابعة: أدلة الحيل المحرمة

أولًا: القرآن الكريم

قال الله تعالى لما ذم اليهود على تحايلهم على الحرام: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(البقرة: ٦٥).

ووجه الشاهد أن الله سبحانه حرم على اليهود العمل يوم السبت شيئًا، فكان بعضهم يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهرًا إلى البحر فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فإذا كان يوم الأحد، جاءوا فأخذوا ما تجمع في الحفيرة من حيتان وقالوا: إنما صدناه يوم الأحد، فعوقبوا بالمسخ قردة؛ لأنهم استحلوا الحرام بالحيلة(٢٦).

ثانيًا: السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها»(٢٧)، ووجه الدلالة أنهم

احتالوا على تحريم أكل الشحوم بأكل أثمانها(٢٨).

ولقد حذر النبي ﷺ من ارتكاب الحيل، كما فعلته بنو إسرائيل فقال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»(٢٩).

ثالثًا: فتاوى الصحابة

عن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس- رضي الله عنهم- أنهما سئلا عن العينة، فقالا: إن الله لا يخدع، هذا مما حرم الله ورسوله، فسميا ذلك خداعًا (٣٠)، وفي قول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، دلالة واضحة على أن الأعمال تابعة لمقاصدها ونياتها، وأنه ليس للعبد من ظاهر قوله وعمله إلا ما نواه وأبطنه، لا ما أعلنه وأظهره، وحينئذ من نوى الربا بعقد البيع في الربويات وأدى إلى الربا كان مرابيًا، وكل عمل قصد به التوصل إلى تفويت حق كان محرمًا (٣١).

المسألة الخامسة: الضابط العام للحيل

لا ريب أن الضابط العام للحيل هو الذي يميز الحيل الجائزة من غير الجائزة؛ لأن كل طريق مشروع يترتب على سلوكه تحقيق مقاصد الشارع من فعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، وإحياء الحقوق، ونصر المظلوم، فهو حلال، وكل طريق يترتب عليه العبث بمقاصد الشارع من إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، فهو محظور شرعًا، ومن الحيل أيضًا ما تتعارض فيه الأدلة ظاهرًا ولا يتضح فيها مقاصد الشارع ومن ثم يختلف العلماء، فيلحقها بعضهم بالقسم الجائز، ويلحقها الآخرون بالقسم المحظور، كل بحسب ما ظهر له واطمأن إليه، فلا يقال لمن أجازها قد خالفت قصد الشارع؛ لأنه تحرى قصد الشارع ومن ثم ترجحت عنده أدلة الإباحة فألحقها بالقسم الجائز، وأما من منعها فترجحت عنده أدلة الحظر، ومن ثم عدها مخالفة لقصد الشارع فردها إلى القسم المحظور.

ويمكن القول: إن الخلاف الواقع في الحيل يكمن في المقاصد، وهي معتبرة في التصرفات؛ لقول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، ومن تأمل الشريعة وتعرف أحكامها وحكمها رآها قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم، وقابلتهم بنقيضها، وسدت عليهم المقاصد التي فتحوها للتحيل الباطل، ومن ذلك أن الله تعالى عاقب من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجذاذ بتحريق بستانهم عليهم وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾(القلم: ١٧).

وكذلك أبطلَ تدبير المدبر إذا قتل سيده ليُعجِّل العتق، ومن هنا جاء تشنيع بعض العلماء على هذه الطرق المخالفة لشرع الله، فمنعوها وأغلظوا القول عليها.. ورأيهم في ذلك صواب.

أما من كان قصده في استعمال الحيل مشروعًا كنصرة المظلوم، وإحياء الحقوق، فهذا لا يخدش في أحكام الشريعة، وإن كان ظاهر هذه الطرق يخالف باطنها، فمثلًا من تلفظ بكلمة الكفر حال الإكراه وكان قلبه مطمئنا بالإيمان، فإنه استعمل الطريق الظاهر الممنوع المخالف لباطنه؛ حتى ينقذ حياته من هلاك محقق أو متوقع، وهذا مقصد سليم وشرعي، وهذه حيلة، فالفرق بين الطريقين واضح وجلي، ولا يخفى على ذي لب؛ لأن المجوز لها أجازها لمقصد ومطلب شرعي، والمانع لها منعها حماية لأحكام الشريعة من العبث والتضليل، فحينئذ يرتفع الخلاف.

الهوامش

(١)انظر: لسان العرب: (١٠٥٥/٢)، القاموس المحيط: (ص: ١٢٧٨)، المصباح المنير: (٧٣/١)، المعجم الوجيز: (ص: ١٨٢).
(٢) انظر: القاموس المحيط: (ص: ١٢٧٨)، المصباح المنير: (٧٣/١)، مقتبس الأثر: (٩٤/١٧).
(٣) انظر: مقدمة كتاب: جنة الحكام وجنة الخصام في الحيل والمخارج للشيخ الإمام سعيد بن علي السمرقندي الحنفي: (ص: ٥)، الموافقات: (٢٠٢/٤)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (١٦٨/٣)، إعلام الموقعين: (١٨٨/٥)، كشاف القناع: (٣٠٧/٦).
(٤) انظر: إعلام الموقعين: (١٨٨/٥).
(٥) البخاري، برقم: (٧٨٣)، وأبو داود، برقم: (٦٨٣-٦٨٤).
(٦)الموطأ برقم: (٢٤- ٢٥).
(٧) انظر: الموافقات: (٢٠١/٤).
(٨) انظر: الموافقات: (٢٠١/٤).
(٩) انظر: المرجع السابق: (٣٧٨/٢-٣٧٩).
(١٠) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: (ص: ١١٠).
(١١) انظر: مقدمة كتاب: جنة الحكام وجنة الخصام في الحيل والمخارج: (ص: ٥).
(١٢) انظر: الحيل الشرعية في الفقه الإسلامي للدكتور صفوة كوسة.
(١٣) انظر: الموافقات: (٣٨٥/٢).
(١٤) مسلم، برقم: (١٧٢٠).
(١٥) انظر: تفسير القرطبي: (٢٢١/٦).
(١٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٥/٢٩)، المخارج في الحيل: (ص: ٩٣).
(١٧) انظر: بيان الدليل: (ص: ١٢١).
(١٨) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٥/٢٩).
(١٩) انظر: المخارج في الحيل: (ص: ٩٣).
(٢٠) انظر: تاريخ التشريع للخضري: (ص: ٢٨٠).
(٢١) انظر: الحيل الفقهية لمحمد إبراهيم: (ص: ٢٩).
(٢٢) انظر: أبو حنيفة للشيخ أبي زهرة: (ص: ٤٢٧-٤٢٨).
(٢٣) الأدب المفرد، برقم:(١٢٤)، البزار، برقم:(٨٣٤٤).
(٢٤) البخاري، برقم: (٧٠٨٤).
(٢٥) انظر: إعلام الموقعين:(١٨٩/٣).
(٢٦) انظر: الموافقات: (٣٨١/٢)، إعلام الموقعين: (١٦٣/٣).
(٢٧) البخاري، برقم: (٢٢٢٣) والنسائي، برقم: (٤٢٦١).
(٢٨) انظر: الموافقات: (٣٨٠/٢)، إعلام الموقعين: (١٦١/٣).
(٢٩) ابن بطة العكبري في جزء إبطال الحيل: (ص:٢٤).
(٣٠) انظر: إعلام الموقعين: (١٦٠/٣-١٦١).
(٣١) انظر: فتح الباري: (٣٢٨/١٢).

الأدب الإسلامي .. إشكالية المصطلح

د. كمال سعد محمد خليفة ◆

في الآونة الأخيرة زاد الاهتمام بما يسمى بـ« الأدب الإسلامي» وتدافعت الدراسات الأدبية في مجموعة من الدوريات التي تصدر في العالم العربي والإسلامي في الاستئثار بإبداعات ودراسات لأقلام كثير من المبدعين، وفكر كثير من النقاد، لفت انتباههم انتشار هذه الظاهرة فأعملوا فيها أقلامهم وخبراتهم، مما أوغر صدور بعض المبدعين والنقاد، ومن ثم انقسموا إلى فريقين: أولهما: رحب بالإبداع الأدبي الصادر عن تصور هذه الظاهرة، وعد ذلك مظهرًا صحيحًا من مظاهر الثقافة والإبداع. سيما ومنتصف هذا القرن شهد صحوة إسلامية مباركة، حاولت إسقاط الإسلام فكرًا وعقيدة على جميع إفرازات العقل البشري ومظاهر تفوقه خاصة الإبداع الأدبي. وثانيهما: جاهدوا في مواجهتها، وتخذيل كوادرها الناهضة، فهمشوا كل ما يصدر عن أدبائها من إبداع، وشككوا في كل ما أفرزته من نتاج في ساحة النقد في ضوء هذه الرؤية الإسلامية، متهمين دعاتها بالظلامية والتراجع الحضاري المحطم للتقدمية والتغريب.

احتدم العراك بين هؤلاء وأولئك من فوق منابر الرأي ومدارس الفكر، وآلة الإعلام الرافضة للجهود المخلصة، التي استطاعت أن تتبوأ مكانا لم يكن ضيقا في عالم الإبداع الأدبي خاصة، حتى غدت هذه النظرية منهجا إبداعيا أفرز أدبا استطاع نقاده مع مبدعيه أن يضعوا اللبنات الأولى لنظرية إبداعية، تصدر في إبداعها عن عقيدة الإسلام، بوصفه دينا شاملا ودستورًا؛ لتنظيم علاقات الحياة، سواء الإنسان بالإنسان أو الإنسان بالكون أو الإنسان وعلاقته مع الله.

انتشر النتاج الإبداعي لما يسمى «بالأدب الإسلامي»، وحاول النقاد الذين تناولوا هذه الأعمال بحس نقدي منبثق عن عقيدة الإسلام. واتسع نشاط هؤلاء الناس حتى فاضت صفحات الدوريات التي تصدر في العالم العربي والإسلامي بهذا اللون الإسلامي الجديد، الذي تهيأت له تربة خصبة متسعة اتساع الكون والحياة والإنسان؛ «العقيدة الإسلامية» بشمولها وثرائها الديني والفكري والسلوكي.

في غمرة هذا التراكم الإبداعي تنبه بعض المخلصين لمحاولة استخلاص بعض المقومات الفنية والإبداعية التي تشكل ملامح ما يمكن تسميته بنظرية «الأدب الإسلامي» حتى يستلهمها المبدع عند إبداعه لأدب تشكل في ضوء التصور الإسلامي، فعندما يتعامل الناقد المسلم مع أي نص إبداعي من نصوص هذا الأدب تكون لديه مقومات جمالية خاصة تحكم تصوره في مناقشته لهذا العمل، وثوابت منهجية قائمة على ثوابت الإبداع الفني في تشكيله العالمي، وثوابت فكرية مستمدة من العقيدة الإسلامية.. وليس هذا معناه أن نفرغ النص من محتواه الفكري ونطوعه لمقاييسنا النقدية الصارمة، ولكن نبحث ونناقش النص في هذه المعارف أو المقاييس

من غايات الفن بناء مجتمع أفضل ومن غايات الدين سيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر

الجمالية التي يرتضيها الذوق الإسلامي، ولاسيما إذا عرفنا أن الأدب أي أدب لا يمكن أن يتخلى عن العقيدة أي عقيدة!! حتى الأدب الذي أبدعه بعض المعتنقين لمذاهب فكرية وضعية أو أيديولوجيات بشرية، إذا بحثنا في جوهره وجدناه ملتزمًا بهذه العقيدة أو الأيديولوجية أيًا ما كان منبعها!! حتى الأدب الجاهلي كان يصدر في كثير من نصوصه إن لم تكن كلها، عن عقائدهم السائدة آنئذ، بخلاف أن الأدب يشارك الدين في وظيفة من أسمى وظائفه وهي كونه يسمو بالنفس الإنسانية إلى إنسانيتها الحقيقية «فالفن والدين صنوان في أعماق النفس، وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال...» (١).

كما أن الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن، والأدب جزء منه- فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما ثورة على آلية الحياة (٢).

◆ أستاذ الأدب والنقد المساعد- جامعة الأزهر

الأدب في ظل هذا التصور الديني، وجد في مجال الدرس النقدي جدلاً مازالت معركته قائمة، ولن تهدأ على الرغم من أن النظرية- إذا جاز لنا أن نسميها كذلك- قد استوى عودها وتجاوزت الفكرة طفولتها وأصبحت شابة فتية تبهر العين وتدهش النفس بعدما انتشر عبقها في عالم الإبداع الأدبي، وأصبحت لها مؤسسات ودوريات تتحدث باسمها، وتناقش أعمال مبدعيها في ضوء معطياتها الفنية والفكرية.

على الرغم من كل ذلك فإن الموتورين من دعاة التنوير والعلمانيين يحْثُون دائمًا التراب في وجه دعاة القيم الإنسانية، والتزام الثوابت الدينية!! إلا أن الأدب الإسلامي شق طريقه بثبات نحو عالم الإبداع فولد شامخًا شموخ العقيدة التي ينتمي إليها، ويترجم عن قيمها وثوابتها العريقة.. بمقدار وعيه بالذات التي ينتمي إليها (الله- الكون- الإنسان)، بحيث يتفاعل معها وينفعل بها، فتنعكس في ذاته وتطفو في إبداعه تجارب إنسانية وحياتية قادرة على التعامل مع مفردات الكون وطبيعة الحضارة التي تشكل توجهات الحياة التي يحياها المجتمع في واقعه، يومه وغده..

بدأت الدعوة إلى «الأدب الإسلامي» في العصر الحديث، منذ التفكير في محاولة أسلمة منظومة الحياة في شتى مناحيها.. لاسيما الثقافية والفكرية، عندما حاول المخلصون من مثقفي الأمة ومفكريها رد الأمة نفسها إلى الإسلام ردًا جميلا، بعد أن لفت انتباههم سيطرة الفكر التغريبي على الحياة، هذا التيار الذي أفرزه الاستعمار الغربي في ربى الوطن العربي الإسلامي، فحملهم على التفكير في الواقع الثقافي للأمة- فضلا عن القضايا الأخرى سياسية وعسكرية واجتماعية- ومحاولة تمزيق هذه الشرنقة التي كادت أن تخنق حالة التواصل الفكري مع العقيدة الإسلامية في ذلك الوقت.

فكان أول من فكر في ذلك المفكر الإسلامي «سيد قطب» في دراسته «منهج الأدب» التي نشرت ضمن بحوث كتابه: «في التاريخ.. فكرة ومنهاج»(٣).

فوضع خلالها مصطلحًا للأدب الإسلامي فقال: «الأدب- كسائر الفنون- تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان.. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض...».

ثم يشرح هذه الرؤية في مواطن مختلفة من هذا المبحث... والإسلام تصور معين للحياة تنبثق منه قيم خاصة لها، فمن الطبيعي أن يكون التعبير عن هذه القيم، أو عن وقعها في نفس الفنان ذا لون خاص «وحين يتم التكيف الشعوري في النفس البشرية بالتصور الإسلامي الإبداعي للحياة، فإن أثر هذا التكيف يبدو في كل ما يصدر عن هذه النفس، لا على وجه الإلزام والإرغام، ولكن على وجه التعبير الذاتي عن حقيقة هذه النفس، يستوي في هذا التعبير أن يكون صلاة في المحراب أو سلوكًا مع الناس أو عملًا فنيًا وجهته تصور الجمال وتصور الحياة بما فيها من القبح والجمال».

وحينما أقول «إن الأدب موجه، وإن له منهجًا يلتزمه، فلا أعني بذلك التوجيه الإجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ، إنما أعني تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة وهو وحده سيلهمها صورًا من الفنون غير التي يلهمها إياها التصور المادي أو أي تصور آخر، لأن التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيرًا عن النفس، والإسلام يرسم صورة للحياة في النفس، ويكيف النفس بهذه الصورة فتندفع في حركة واعية مبدعة إلى تحقيقها في عالم الواقع بتطوير الحياة كلها في هذا الاتجاه» (٤).

والمفكر الإسلامي يقدم في بحثه «التصور الإسلامي» لفكرة الأدب في عمومه فهو تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان» (٥) وخصوصًا «تنبثق من تصور معين للحياة»، «والإسلام تصور معين للحياة، تنبثق منه قيم خاصة لها» أي لهذه الحياة.

وهنا يقدم الناقد في مصطلحه ما يطمئن المتخوفين من أن «الأدب الإسلامي» لا يكون إلا أدب وعظ وإرشاد- في تعبير مباشر فيكون ضعيفًا مملًا، لا تميل إليه النفس، لفقدانه مقومات الإبداع وحيويته فأحيوا ادعاء قديمًا: بأن «الأدب عندما ولج باب الإسلام ضعف ولان»، «إن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر، فإذا أدخلته في باب الخير لان» (٦) فلذا قدم الناقد قطبي المعادلة في نجاح العمل الأدبي: «تعبير موح، وقيم حية ينفعل بها ضمير الفنان تنبثق من تصور الإسلام».

وبهذا يكون قد اكتمل طرفا المعادلة التي تصنع أدبًا خالدًا، قادرًا على التواصل مع المتلقين في حياة الأحياء من البشر، فإن المضمون الإنساني الإسلامي لابد له من مقومات إبداعية تستطيع تقديم هذا الفكر، ولو انعدم أحد جناحي العمل الإبداعي لتحطم العمل كله، ولا يستطيع أن يكتب النص الأدبي شهادة ميلاده، مهما كان أحدهما موفقًا على حساب الآخر، فلابد أن يتوازنا معًا «فكل منهما مؤثر في الآخر كما يقول الناقد جيروم سولينتز» (٧). ومن ثم فإن «كلمات الصدق والورع والإيمان والتقوى والشجاعة إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية التي يشعها البناء الفني أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء» (٨).

إذن، فالأدب الإسلامي في إبداعه (شكله ومضمونه) يراعي إلى جانب الفكرة (المضمون) مقومات الشكل الفني، للوعاء الإبداعي.. الذي تتشكل التجربة داخله، من ثم يحرص الأدب الإسلامي على القيم الفنية الجمالية في إبداعاته، وينميها، ويضيف إليها بوصفها، تراثًا جماليًا عالميًا متاحًا لكل من لديه موهبة على الرغم من اختلاف اللغات والصيغ الفنية

وخصوصيات التعبير.

يأتي بعد ذلك المفكر الإسلامي «محمد قطب» ولعله طالع ما كتبه سابقه المرحوم «سيد قطب» فأفاد منه، وأيًّا كانت الإفادة فالأخوان يصدران معًا عن ثقافة واحدة وفكر واحد ورؤية واحدة في الأعم الأغلب إلا أن المفكر محمد قطب أراد أن يضع مفهوم «الإسلامية» ليشمل كل الفنون كالرسم والتصوير الفني التشكيلي والموسيقى، فأبدل لفظة الفن بالأدب- والأدب جزء من الفن- فقال في تعريفه «للفن الإسلامي» في كتابه «منهج الفن الإسلامي» (٩): إنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.

ثم راح يقدم شرحًا لهذا المفهوم- كما فعل سابقه- فقال: الفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام، وهو على وجه اليقين الوعظ،المباشر والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صور فلسفية، إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود...»، هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود (١٠).

وإذا تصفحنا كتابه هذا عثرنا على مجموعة من الأفكار وإن اختلفت صياغاتها اختلافًا ما، إلا أنها ترتكز على أسس النشاط الإبداعي ومقوماته فيقول: «الفن- في أشكاله المختلفة- هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، في صورة جميلة موحية مؤثرة، والفنان شخص موهوب ذو حساسية خاصة تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات- التي يتلقاها حسه مكبرة مضخمة- إلى لون من الأداء الجميل يثير في النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال...» (١١).

والفن ليس «فكرة ولا فلسفة»، ولا «مفاهيم مجردة» كالتي تعنى بها البحوث الفكرية في شتى الميادين، وإنما هو: الانفعال الذاتي الخاص بالأشياء والأشخاص من الأحداث، الانفعال الذي تتلقاه كل نفس مفردة، على طريقتها الخاصة في التلقي، وتنفعل به في أعماقها، وتعانيه معاناة كاملة بكل جزئياته وتفصيلاته، ثم تخرج من هذه المعاناة المشتبكة بوشائج النفس النافذة إلى حناياها ودروبها المختلطة، برصيدها الخاص من المشاعر والتجارب والاتجاهات والميول.. تخرج منها بتجربة شعرية معينة أو بإفراز معين يحمل السمات الذاتية لصاحبه في صورة جميلة يتوافر لها التأثير والإمتاع (١٢).

والمدقق في هذه المقتطفات للأستاذ «محمد قطب» يجد أنه لا يخرج كثيرًا عن مفهوم «الأدب الإسلامي» لأخيه «سيد قطب»، إلا أنه أسرف في توضيح مفهومه؛ وله العذر في ذلك؛ لأنه يعد من أوائل الذين نادوا بهذه الفكرة، فالتقط الخيط من أخيه الذي أوجز مفاهيمه عن صورة الأدب، أو منهج الأدب الإسلامي في مبحث بسيط قليل الصفحات، أما هو فأراد أن يرسم الملامح العامة لهذا «الفن الإسلامي»، الذي أراد له أن يكون شاملاً شمول العقيدة الإسلامية، التي ينبثق عنها، في قيمه وأفكاره وتصوراته. «فالتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو أشمل تصور عرفته البشرية.. يأخذ الوجود كله بمادياته وروحانياته ومعنوياته بكل كائناته.. تصور لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثقة في أعمال الكون، بل يطلق الحس ليتمثل الحياة في كل شيء في هذا الكون، ويتصل بها اتصال المودة والقربى والإخاء...» (١٣).

من هنا ندرك أن «التصور الفني الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو تصور كوني إنساني.. مفتوح للبشرية كلها؛ لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويتلقى منه كذلك من حيث هو كائن تتلاطم داخله الأمواج، ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي، وذلك التجاوب» (١٤).

في ظل هذه الشمولية الرائدة يحفزنا هذا الناقد الإسلامي أن ندفع بهذا المفهوم إلى حلبة الإبداع ونحن مطمئنون تمامًا أن الرؤية المستغرقة للخير المكاني (الكوني) والحياتي (الواقع) والنمطي (الإنسان)، باستطاعتها إذا ما توافرت لدى مبدعينا مقومات الإبداع، والتي لم يغفل عنها المصطلح في ترسيمه الأول، أن تقدم إبداعًا- أدبًا، فنًّا- رائعًا، قادرًا في الوقت نفسه على تصحيح المسار الاجتماعي في الحياة بكل جوانبها الحضارية التي تفرز مجتمعًا حقيقيا، باستطاعته أن يكون نموذجًا للخلافة في الأرض، فيحقق إرادة الله تعالى في خلقه، ووجودهم في هذه الحياة.

وبعد أن وضع الأخوان (سيد ومحمد قطب) البدايات الأولى لمصطلح «الأدب الإسلامي» ومقومات إبداعه، في ضوء هذا التصور الإسلامي الشامل شمول الحياة الإنسانية ذاتها، بدأت الجهود تترى، وتتدافع بعد ذلك لوضع التخطيط الدقيق لنظرية «الأدب الإسلامي»؛ لتكون نظرية كونية باستطاعتها أن تحتوي الإبداع في شتى مجالاته، الإنسانية والحياتية، إلا أن المفاهيم التي قدمها هؤلاء النقاد لم تخرج عن البدايات الأولى، ولذا في عجالة سنقدم هذه المفاهيم لنقف على الأسس الفنية لهذا الأدب الحضاري..

من هؤلاء الذين عنوا بـ«الأدب الإسلامي» نظرية وإبداعًا:

١- د.نجيب الكيلاني (١٥):

لاشك أن «نجيب الكيلاني» طالع وأفاد مما كتبه الأخوان (سيد ومحمد قطب).

بل توافرت لديه بعض المشاريع الأخرى التي حاولت أن تتحدث حول موضوع أثر الإسلام في العلوم والفنون، واعتماده «الإسلامية» منهجًا في مطالعاته وإبداعه الأدبي، ودراساته النقدية، والاجتماعية... وغيرها، فنجده- مثلًا في دراسته المبكرة وهو ما يزال طالبًا في كلية الطب «إقبال الشاعر الثائر»- يقدم تصورًا عن ماهية الفن، فيقول:

«إنه ذلك «النتاج» الفذ، أو العمل الرائع، الذي تخرجه عقول ذات مميزة واستعداد خاص، والذي ينبع من صميم الوجدان النابض والشعور الواعي، والذي يصور مكنونات الصدور، ومخزون الأفكار في براعة وإبداع، والذي يرسم للحياة صورًا ناطقة صادقة...» (١٦).

ولسنا هنا بصدد الحكم على فنية الصياغة، ولكن يحمد له مراعاته- وهو حديث عهد بالتأليف، فهذا أول كتبه- لمقومات الإبداع في الفن: نتاج فذ رائع (فني)، تخرجه عقول ذات ميزة واستعداد خاص (الموهبة)، نابع من الوجدان النابض والشعور الواعي (تجربة شعورية واعية)، وأخيرًا يرسم للحياة صورًا صادقة (فنية في شكلها ومضمونها).

وهذا مفهوم عام للفن، أما كونه ينبثق عن الإسلام في تصوره ومعناه، فذلك ما قال به عند الحديث عن «غايات الفن» فقال: «الفن باعث للنور في دياجي الحياة، مرسل للبهجة في آفاقها، حامل لمشعل الأمل والهداية في جنباتها، جاعل من مادتها الثرية الفريدة متعة للنفس، وسعادة للروح، وتسلية لها في حياتها الصاخبة، ويسمو بالإنسانية نحو القمة المرموقة والآفاق الروحية التي تموج بما يسعد الحياة ويجعلها جديرة بالاحترام والحب، وهنا يلتقي الفن بالدين» (١٧).

بعد ذلك يلتحم «نجيب الكيلاني» بالإسلامية، لاسيما بعدما انتظم في سلك جماعة الإخوان المسلمين وتغلغلت العقيدة في ذاته إلى درجة تصل إلى حد الإفراز

ظل الأدب في العالم أجمع مرتبطًا بالعقيدة الدينية على مدى عصور طويلة

الفكري والأدبي الخاص بها، فأصدر كتابه «الإسلامية والمذاهب الأدبية» في عام ١٩٦٢م، وكان الكتاب في جوهره بمنزلة استدراك على ما قدمه «محمد قطب» حيث تناول فيه الموضوعات التي كان «نجيب الكيلاني» وغيره من المهتمين «بالأدب الإسلامي»، يرون أن كتاب «منهج الفن الإسلامي» جاء ناقصًا منها، فأراد بكتابه هذا أن يتم البناء، ويقيم الصرح الذي نذر له نفسه فكرًا وإبداعًا... فقدم في هذا الكتاب أيضًا مفهومًا لا يبعد كثيرًا عن مفهومه الذي ذكرناه آنفا.. حاولنا صياغته في أنه: «تعبير رائع ممتع عن النفس والحياة.. يتميز بالأصالة والصدق.. تعبير عن التجارب الإنسانية في شكل «فني» متعارف عليه، سواء أكان هذا الشكل قصة أو قصيدة أو مسرحية أو قطعة موسيقى» (١٨).

وحاول أن يفصل ما قدمه في عبارة أخرى تكشف ما أجمله من مفردات الفن فقال: «إن مادة الفن هي الحياة والنفس الإنسانية، ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة، ومادة الدين هي الحياة والنفس البشرية، ومقومات الدين الصادق هي الصدق والأصالة والمثل العليا التي تتواءم مع واقع الحياة وتتطور معها وتشبعها بالسعادة والحب والإخاء والعدالة والحرية» (١٩).

وغاية الفن الإمتاع، والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل، وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها، وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر، والتهيؤ لعالم آخر.. عالم أفضل» (٢٠).

وكأن الأديب «الكيلاني» هنا يحاول التأكيد على علاقة الدين بالأدب، لاسيما إذا كان هذا الدين هو دين الإسلام، الذي جاء لهدف إسعاد البشر كافة، فلابد أن يكون الأدب الذي ينبثق عنه قائمًا على أسس جمالية مستمدة من الإسلام نفسه، وإذا انتفت عنه هذه المقومات أصبح عبثًا لا قيمة له، مثل أشياء كثيرة ولدت شائهة في حياتنا، فشوهت الصور الجميلة التي أبدع الله تعالى عليها الخلق والحياة..

ونجده في كتابه «مدخل إلى الأدب الإسلامي» ربما تحرر من القيود السياسية التي كانت تفرض عليه آنئذ، فينطلق ليحدد مفهومه الخاص عن «الأدب الإسلامي» (٢١)، الأدب المرتبط بالإسلام بوصفه عقيدة ربانية مميزة، فطرح فكرته عن هذا المنهج الإبداعي لـ«الأدب الإسلامي» أوضح فيه كل ما يتعلق بمفردات هذا المصطلح، وناقش من خلاله بعض الهواجس التي تطن في آذان بعض المتخوفين من سيطرة «الأدب الإسلامي» فيتفاداهم قطار الشهرة الذي يركبونه الآن، ثم لخص كل هذه الأفكار وبيّن مفهوم الأدب الإسلامي الشامل عنده فهو:

«تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة.. مترجم عن الحياة والإنسان والكون.. وفق الأسس العقائدية للمسلم.. وباعث للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر.. ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما» (٢٢).

ولاشك أن نجيب الكيلاني في مفهومه للأدب الإسلامي، يعرض خبرته بعملية الإبداع الأدبي، إذ لا يفوته منها ما ينال من التجربة الإبداعية، فهو على وعي تام بمتطلباتها الفنية والموضوعية، فالتعبير الذي يراد به الشكل في مجمله لابد أن يكون فنيًّا وجميلًا ومؤثرًا في الوقت نفسه، ولابد له أن يولد عن تفاعل بين الذات المبدعة والنص المبدع نفسه (التجربة).

وهذه الذات محكومة بتصور إيماني فاعل له خاصية المشاركة في الحياة واحتوائها لكل مفردات الإنسانية والكونية وفق التنظيم العلائقي للعقيدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يبعث في تشكيله على المتعة والمصالحة غير المباشرة للمشكلات التي تعترض طريق الإنسان في هذه الحياة، فيحرك الوجدان الإسلامي والفكر العقدي ليتخذ موقفًا لما يعرض له من هذه المشكلات الحياتية فلا يخضع للواقع المعاش، أو يستسلم لمقولاته، وإنما ينشط ويتحفز دائمًا ليسمو فوق هذا الواقع، ويتخطاه إلى حيث تهدأ نفسه وتسكن جوانحه، وتتبدل الحياة من كآباتها إلى النشوة الإنسانية العاقلة التي تمخض عن واقعية الإسلام الذي لا ينفصل فيها الواقع الأرضي عن الواقع السماوي بحقيقته العليا، وروحانيته وإعجازه وقدره.. ومن ثم يشمل هذا الواقع كل عناصر الواقع القائم واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة، فالواقعية الإسلامية تتجاوز البصر إلى البصيرة فترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لا يمكن بأرقامه وقوانينه الأرضية أن يراه (٢٣)، فهي إفراز للعقيدة الإسلامية التي تحمي الإنسان من الذوبان أو التهدم والسقوط في غياب الوضعيات الفكرية المتطاحنة والملتصقة بالأرض بوصفها واقعًا صلبًا تجتاحه أرجلهم من القفز الأعلى، ولكنه قفز الجراد ذو الأرجل المقيدة!! لكن الواقع الإسلامي لا يعدو كونه «فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء» (٢٤) باستطاعة رؤيته الإسلامية أن تضفي عليها شيئًا من مقوماتها ومعطياتها، لتصبح واقعًا ملائمًا للمجتمعات التي تحتمي بالعقيدة، وتؤمن بها، وتبحث من خلالها كل شؤونها حتى يبدو انفعال العقيدة بالواقع انفعالاً حقيقيًّا، من ثم يصبح الأدب أو الفن عمومًا، من وجهة نظر التصور الإسلامي، تعبيرًا عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور الديني، حتى يبدو الفن وكأنه جزء من الدين أو نبض من نبضاته ومعبر عن روحه من أجل سعادة حقيقية خالدة وممتدة، ولاسيما إذا اتضح لنا أن الدين لم يأت إلا لتنظيم حياة البشر وإقامتها على أصول ثابتة واقعية، ومنتظمة، تحمي ذلك الكيان العام وتفتح الطريق لنمو المستمر، وتخلق فيه الحوافز البناءة، وتمده بالأمل والشوق إلى الاكتشاف وارتياد المجهول (٢٥).

> **الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي ولا يزاحمه في مقاعده ولكن بينهما علاقة الرحم والقرابة**

٢- د.عماد الدين خليل:

حاول الناقد «... عماد خليل»، من خلال التحامه بعملية الإبداع الأدبي في ضوء الرؤية الإسلامية المفعم بمقوماتها الفكرية في التاريخ الإسلامي وتصوره الفكري، فأفرز تجاربه الإبداعية المتنوعة التي تنطلق في رؤاها من العقيدة الإسلامية، وشحذ فكره كي يسهم بدوره في الكشف عن ملامح المصطلح الفنية والفكرية لهذا الأدب المنبثق عن الإسلام، بوصفه عقيدة تحتوي وتنظم كل سلوكيات البشر في تعاملاته مع الآخرين في كتبه المتعددة التي اختصت بهذه المهمة.

هل الأدب الإسلامي يتصادم أو يتضاد مع الأدب العربي؟

عندما قامت الدعوة للأدب الإسلامي، أو «أسلمة الأدب»، رأينا كثيرًا من الاحتجاجات المتضادة مع هذه الدعوة، وكيف يحدث ذلك ولدينا أدب عربي؟ وهل سيصبح لدينا مصطلحان فنقع في تحديد المصطلحات، وتماهي المفاهيم النقدية لهذا الأدب؟ وهل هذان المصطلحان سيتقابلان أم يمتزجان في تعانق وتواد يفرز تجارب ذات خصوصية مختلفة و فريدة؟

هذا ما واجهه الأخوان «محمد قطب والشهيد سيد قطب» ومن بعدهما أديبنا «نجيب الكيلاني» عندما دعوا لما يسمى بـ«الأدب أو الفن الإسلامي» فلاقوا من السخرية والاستنكار ما لا يليق إلا بمن يأتون بدعة منكرة، أو بهتانًا من القول وزورا!

يقول الكيلاني (٢٧): «حينما قمنا ندعو إلى «الأدب الإسلامي» في أوائل الستينات من هذا القرن، فكان الأمر مدعاة للدهشة، إن لم نقل الاستنكار من غالبية المهتمين بالأدب والفن، وقال بعضهم: إننا لم نعرف إلا ما يسمى بالأدب العربي، في لغتنا العربية، ظنًا منهم أن «الأدب الإسلامي» سيكون بديلًا عن الأدب العربي.. ولم يَجُل بخاطرهم أن الأدب العربي جزء من الأدب الإسلامي، وأن مصطلح الأدب الإسلامي، يتضمن الأساس العقائدي للأدب العربي، وذلك ليس في الأدب، فلقد ظل الأدب في العالم أجمع مرتبطا بالعقيدة الدينية، على مدى عصور طويلة حتى إذا كنا في العصور الحديثة، ولم يعد للسلطة الدينية وجهها الجماعي القديم، وراح الإنسان يبحث عن عقيدة أخرى، وظل هكذا ينتقل من عقيدة إلى عقيدة، ومن ثم لم تخلُ أعماله الفنية في أي وقت، أن تكون تعبيرًا عن عقيدة أيًا كانت هذه العقيدة» (٢٨).

فالأدب الإسلامي، لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، ولكن بينهما علاقة الرحم والقرابة.. فالأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية أيًا كانت مضموناتها واتجاهاتها، وعصورها، أما الأدب الإسلامي فمصطلح يطلق على الأعمال التي تعالج قضية ما، برؤية إسلامية صافية، سواء كتبت باللغة العربية أو بغيرها من اللغات المختلفة، ومن ثم فالأدب الإسلامي كلٌ، بعضه ما يسمى بالأدب العربي، فبين الأدب العربي، والإسلامي إذن أمومة، وقرابة، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي» (٢٩).

ولهذا يقول الناقد . إقبال عروي (٣٠): عندما أعلن النقاد مصطلح الأدب الإسلامي، لم يجر في خلدهم أنهم

يخرجون على الناس ببدعة جديدة، وإنما كانوا يأملون، ويعملون على تصحيح مسار الأدب العربي، ومن ثم، فهم يعلنون بأن الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، لأن بينهما علاقة حميمة، وكل ما في الأمر أن الأدب العربي- قديمًا- عاش في أحضان العقيدة الإسلامية، وتنفس مبادئ الدين وقيمه، حتى أضحى إطاره العام، من أجل ذلك فقد اكتفى النقاد، وفي مرحلة لاحقة بمصطلح الأدب العربي.

أما في العصر الحديث، فقد ظهرت مذاهب وأفكار مخالفة للإسلام عمل أصحابها على تجسيدها في آدابهم وفنونهم، ولم يعد الإسلام الإطار الأوحد، ولم تعد قيمه الحد الفاصل، لأجل ذلك فقد ظهر لأولئك النقاد، أن التركيز على مصطلح «الأدب الإسلامي»، أمر مشروع يفرضه الواقع والعقل معًا.

وعلى ذلك، فالأدب الإسلامي، لا يرفض الأدب العربي، أو يلغي شيئًا منه، فلا ينكر ما يعرف بالأدب الجاهلي، أو صدر الإسلام، أو الأموي، أو العباسي، بما فيهم من شعر ونثر، يوافق الأدب الإسلامي، أو يخالفه، بل يرى في الأدب العربي ميدانًا رحبًا، يضم تيارات شتى منها ما هو جزء من جسد الأدب الإسلامي ذاته» (٣١).

ومن خلال هذا العرض السريع نرى: أنه لا تصادم بين ما يسمى اصطلاحًا بالأدب العربي، أو الأدب الإسلامي، كما أن الأخير منهما لا يزاحم الأول، ولا يلغيه، كما يظن البعض، إلا أنه بمنزلة إضاءة للأعمال الأدبية التي تصدر عن تصور إسلامي راق، وكان من الممكن أن يسمى كما هو شائع بين الدارسين بالتيار الإسلامي أو الاتجاه الإسلامي في الأدب العربي، لتذوب تخوفات المتخوفين على الأدب العربي، غير أن الرؤية الإسلامية الشاملة، التي لا تقتصر على الجنس العربي وأدبه أو الرغبة في إيجاد صلة عملية، تجمع بين آداب الشعوب الإسلامية قاطبة، وفي مقدمتها الأدب العربي (٣٢).

الهوامش

١- التصوير الفني في القرآن ص: ١٤٣، ١٤٤- سيد قطب- دار الشروق- عاشرة- ١٩٨٨م- القاهرة.

٢- منهج الفن الإسلامي ص: ٥- محمد قطب- دار الشروق- سادسة- ١٩٨٣- القاهرة.

٣- ص: ١١١- دار الشروق- سابعة- ١٩٨٧م- القاهرة، وكذلك النقد الأدبي أصوله

ومناهجه ص: ٩٩- دار الشروق- ثالثة- ١٩٨٠م. القاهرة.

٤- ما ورد بين الأقواس من كتاب «في التاريخ.. فكرة ومنهاج»، مواطن مختلفة من ص: ١١- ٢٩

٥- قدم الأديب نفسه تعريفًا للأدب في كتابه النقد الأدبي فقال: «هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية».

٦-حسان بن ثابت ص: ٧٧، د. محمد طاهر درويش. دار المعارف- د ت- مصر.

٧- النقد الفني. دراسة جمالية وفلسفية، ت د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ثانية- ١٩٨٥- مصر.

٨- الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ٢٥، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة- رابعة- ١٩٨٥م- بيروت.

٩- محمد قطب- ص: ٦- دار الشروق- ١- سادسة ١٩٨٣م- مصر.

١٠- منهج الفن الإسلامي- ص: ١١.

١١- منهج الفن الإسلامي- ص: ١١.

١٢- منهج الفن الإسلامي- ص: ١٨٢.

١٣- منهج الفن الإسلامي- ص: ١٣.

١٤- منهج الفن الإسلامي- ص: ١٨٣ بتصرف.

١٥- للأديب د.نجيب الكيلاني (١٩٣١م- ١٩٩٥م) أكثر من ثمانين مؤلفًا في «الأدب الإسلامي «نقدًا وإبداعًا، يتخذ «التصور الإسلامي» منهجًا لمعالجاته الفنية في هذه المؤلفات. راجع الكيلاني أديبًا. رسالة ماجستير للمؤلف في كلية اللغة العربية بأسيوط ١٩٩٢م.

١٦- إقبال الشاعر الثائر ص: ٣٨ مؤسسة الرسالة- رابعة- ١٩٨٨م- بيروت.

١٧- راجع إقبال الشاعر الثائر ص: ٧٨ بتصرف.

١٨- الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١٣. مؤسسة الرسالة - الرابعة. ١٩٨٥م. بيروت، ونلفت النظر أن هذا المؤلف كان بصدد إتمام لكتاب «محمد قطب»، لذا نرى أن الكيلاني في مقدمته لهذا الكتاب في ص: ٩ ارتضى مفهوم «محمد قطب» للفن الإسلامي ولم يناقشه فيه.

١٩- مع الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١٣، ١٤.

٢٠- مع الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١٣، ١٤.

٢١- يلاحظ على الكاتب في كتبه السابقة برغم أنها تتخذ الإسلامية منهجًا فكريًا في معالجاتها إلا أنه يقدم مصطلحًا مباشرًا عن «الأدب الإسلامي» فقد كان يطرح سؤالا على نفسه ما الفن؟ ويجيب عنه بمفهوم عام، ثم يحدد بعد ذلك علاقته بالدين، أي دين!!

٢٢- مدخل إلى الأدب الإسلامي ص: ٢٦. سلسلة كتاب الأمة رقم ١٤ الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية- جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ. قطر.

٢٣-الواقعية الإسلامية ص: ١٧، و ٣٣. د. أحمد بسام ساعي- دار المنارة- أولى- ١٩٨٥م- جدة.

٢٤- الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١١١- نجيب الكيلاني.

٢٥- حول الدين والدولة ص ٥٣، ٥٤، بتصرف نجيب الكيلاني- دار النفائس- ثالثة- بيروت

٢٦- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ص:٦٩ مؤسسة الرسالة- أولى- ١٩٨٧ بيروت.

٢٧- آفاق الأدب الإسلامي ص ٥. نجيب الكيلاني. الرسالة- أولى- ١٩٨٥م- بيروت.

٢٨- الشعر في إطار الثورة ص ١٩. د / عز الدين إسماعيل. دار العودة- ١٩٧٦م- بيروت.

٢٩- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص: ٨١. د / عبد الباسط بدر- دار المنارة- أولى- ١٩٨٥- جدة.

٣٠- مصطلح الأدب الإسلامي المعاصر- مقال برسالة الجهاد عدد ٩٥ السنة التاسعة يناير ١٩٩١م.

٣١- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص: ٨٣. د. عبد الباسط بدر.

٣٢- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص: ٩١. د. عبد الباسط بدر. بتصرف.

عناية البلدانيين بجزيرة العرب.. أبعادها وغاياتها

د.خالد فهمي

كان للارتباط بين الإسلام والعرب في أكثر من ملمح أثر ظاهر في الحفاوة بكل عوائق هذه المفردة المركزية في الاتجاهات كافة، وطالت مناطق متعددة أنتجت معرفة شديدة الثراء لسانيًا، وحضاريًا، وجغرافيًا، وتاريخيًا، على الأقل، حتى غدا العلم بخصائص العرب، والإحاطة بما يتعلق بهم أمرًا ضروريًا لتمام المعرفة بالإسلام.

ولعل أجلى مظاهر هذه الحفاوة هو ما يواجهنا في ميدان الدرس اللساني أو اللغوي، إذ كان إعلان الذكر الحكيم في مواضع كثيرة أنه نزل بلسان عربي مبين إيذانًا بنشاط جبار وغير مسبوق في تاريخ العلم الإنساني بالعناية بجمع اللغة العربية والتصنيف فيها ودراستها، والتقعيد لنظامها، والجد في استنباط خصائصها على المستويات المختلفة.

وهذا الذي حدث في ذلك المجال على هامش قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ٢/١٢) وأمثال له كثيرة، (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م ص ٥٥٩)، غير فريد في بابه، ولكنه معروف في الميادين العلمية كلها، بحيث نستطيع أن نقرر أن واحدًا من أسباب نهضة العلم باللسان العربي كان هو إرادة خدمة الكتاب العزيز، إن بطريق مباشرة، وإن بطريق غير مباشرة.

(١) أبعاد عناية البُلْدانيين بجزيرة العرب

لقد افتتحت أدبيات كثيرة باب القول في خدمة أغراضها العلمية بسؤال يستمد وجاهته من الارتباط بخدمة فهم الإسلام، كان هذا السؤال يبحث عن أسرار الاختيار الرباني لجزيرة العرب وللسان العرب ولرجل من العرب محضنًا أول لانطلاق الدين الخاتم، وهو الأمر الذي أسهم في تفجير ثورة معرفية بكل المقاييس، ومن دون مبالغة في استعمال هذا التعبير، وهو بعض الذي أسهم كذلك في ظهور عناية الجغرافيين العرب بتحديد جزيرة العرب تحديدًا جغرافيًا يقيس أبعادها، ويعين طرقها، ويسمي مواضعها، وهو ما انعكس في أشكال متنوعة يأتي في مقدمتها ما يلي:

بيان حدودها الجغرافية إجمالًا

وهو ما ظهر في المعاجم البلدانية المختلفة، بحيث تعاملت هذه المعاجم مع جزيرة العرب بحسبانها مدخلًا معجميًا، وازدادت تحته المعلومات المختلفة الكافية في بيان حدودها ومعالمها، وهو ما تجد أمثلة له في صنيع أبي عبيد البكري الأندلسي ٤٨٧هـ، حيث افتتح معجمه الجغرافي «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» بالحديث عن جغرافية جزيرة العرب، يقول ٥/١: «وأنا أبتدئ الآن بذكر جزيرة العرب»، ثم عاد فصنع لها مدخلًا بحسب ترتيب مداخله مرة أخرى، أحال فيه على الموضع الأول.

وهذا الافتتاح ربما يعكس بعضًا مما لمسناه في افتتاح مقالتنا هذه.

وهو الأمر الذي صنعه ياقوت الحموي ٦٢٦هـ في معجم البلدان الذي هو أشهر المعاجم البلدانية إطلاقًا، حيث صنع لها مدخلًا ١٣٧/٢ (طبعة صادر ١٩٩٥م) أحاط فيه بحدودها وتقاسيمها.

ولم تقف عناية هذه المعاجم البلدانية عند بيان الحدود والتقاسيم الإجمالية فقط، وإنما عنيت بكل موضع وبقعة ومحلة مفردة، وصنعت لكل منها مدخلًا بحسب ترتيب هذه المعاجم، مما يصح معه القول إن هذه المعاجم رصدت بلدان جزيرة العرب تفصيلًا في توزيعها على مداخل مختلفة متنوعة.

ب- التأليف المستقل في جغرافية جزيرة العرب

وقد كان طبيعيًّا أن يستقل التصنيف في جغرافية الجزيرة العربية لغايات سوف يأتي المقال إليها بعد قليل، وفي هذا المجال يرد كتاب الهمداني «صفة جزيرة العرب» ليمثل القمة في العناية المستقلة بهذه البقعة المتميزة من أرض الله، وهذا الكتاب بتقدمه وبما حواه من معرفة جغرافية عن جزيرة العرب يمثل عمدة الأدبيات الجغرافية التي عنيت بجزيرة العرب، على ما شهد بذلك شكيب أرسلان، وعلامة الجزيرة حمد الجاسر رحمهما الله، وغيرهما.

ج- التصنيف في طريق الحج

وقد كان للغاية الدينية أثرها في ظهور أدبيات جغرافية فريدة ونادرة عند المسلمين هي المصنفات التي اهتمت ببيان طرق الحج ومسالكه ومواضعه وخططه، ومن أدبيات هذا الفرع كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لأبي إسحق الحربي ٢٥٨هـ، والمتأمل لهذه الأفرع الثلاثة لعناية البلدانيين أو الجغرافيين

* أستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية

العرب المسلمين يلحظ شيئًا مهمًا جدًا، وهو أنه لابد أن تكون ثمة أهمية بالغة لهذه الأرض التي خدمت هذه الخدمة المتفردة من الناحية الجغرافية، وهي بعض الذي توضحه الفقرة التالية.

(٢) غايات عناية البلدانيين بجزيرة العرب

ظهرت عناية الأدبيات الجغرافية في تجليات مختلفة رصدناها إجمالاً فيما مر مما يفتح الباب أمام سؤال الغايات التي أظهرت هذه العناية بأشكالها المختلفة، وبالإمكان أن نرصد الغايات التالية لنرى فيها حواكم أساسية حكمت عناية الجغرافيين المسلمين بها:

الغاية الدينية.

وهي الغاية الأم في تصورنا، التي حركت همة البلدانيين نحو العناية بحدود الجزيرة ومواضع بلدانها، وطرقها المختلفة، وهذه الغاية هي بعض ما التفت إليه كراتشكوفسكي في كتابه الأدب الجغرافي في تلميحه عن ريادة العرب جغرافيًا، وهو بعض ما ألح إليه أيضًا مصطفى الشهابي في كتابه «الجغرافيون العرب» (ص ٢٣).

وبالإمكان أن نرصد من أشكال هذه الغاية الدينية تنوعات عديدة تشكل أبوابًا متمايزة في هذا الميدان كما يلي:

غاية فهم النص القرآني

إذ تمثل الجغرافيا وسيلة لازمة لفهم كثير من الآي القرآني، ولاسيما في باب القصص القرآني، وفي باب الإعجاز القرآني في أبعاده الجغرافية.

غاية تشريعية

تتعلق بعدد من التكاليف الشرعية المرتبطة بمواقيت مكانية، ولاسيما على ما ظهر في فرع التأليف الجغرافي في طرق الحج، وهو الذي أعلنه الدكتور عبدالعزيز كامل رحمه الله في كتابه «طريق الهجرة».

غاية جهادية

وهذه الغاية من أسبق الغايات ظهورًا من وراء هذه العناية البلدانية والجغرافية بجزيرة العرب، في ارتباطها بالغزوات، وتطورها فيما بعد لتظهر خلف العناية الإسلامية بعلم الجغرافيا عمومًا لخدمة أغراض الفتوحات الإسلامية.

غاية دعوية

وهذه الغاية كانت بعض اللوازم التي فهمها المسلمون من وراء قوله تعالى ﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾ (سورة الأنعام)، بحيث صارت المعرفة البلدانية أمرًا لازمًا لتتميم نشاطات الدعوة الإسلامية، وتبليغ الرسالة، وهو غاية غير مفصولة عن الغاية الإيمانية الباعثة على تقدير بديع صنع الله في أرضه.

الغاية العلمية

هذه الغاية هي الغاية المركزية الثانية التي حكمت عناية البلدانيين بجزيرة العرب، على اعتبار أن تحصيل هذه المعرفة واجب بما هو علم ومعرفة لازمة التحصيل.

ج-الغاية الحضارية العمرانية

وهذه الغاية واحدة من أعلى الغايات التي نهضت بالحفاوة بجزيرة العرب جغرافيًا، بما أن الضرب في الأرض وتذليلها، وتعبيدها لله تعالى أوامر إلهية متعانقة مع التكاليف الشرعية والمقاصد الكلية للدين.

لقد كان النص العزيز في حرصه على الدفع بالإنسانية إلى ارتياد آفاق الأرض وإعمارها، انطلاقًا من البقعة التي شهدت ميلاد الرسالة الخاتمة سببًا مباشرًا في هذه العناية بجغرافية هذه الأرض التي شهدت مولد النور.

وهذا الذي يقتضيه قوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض﴾، وما على شاكلته، وهو كثير جدًا بحيث صارت العناية بجغرافية الجزيرة العربية، ثم بجغرافية الأرض كلها، مطلبًا قرآنيًا لازمًا تقف في خلفية إرادة تحقيق أغراض إعمار الأرض وتقدمها وإسعاد الإنسان، وتوفير حاجاته منها، فضلًا عن إرادة تحقيق الإيمان بالله تعالى وترسيخه بما يظهر من آثار هذه الدراسة لجغرافية الأرض.

د- الغاية الاقتصادية

وتأتي هذه الغاية لتحقق التعاطي مع المطالب الاقتصادية في انعكاساتها المختلفة في ميادين الزراعة والمياه والرعي وطرق التجارة الداخلية والخارجية.

لقد اعتنى البلدانيون بجزيرة العرب للارتقاء بحياة المسلم على هذه الأرض، ولتحقيق الكفاية اللازمة لبناء الأبدان، بما هو حصاد لاستثمار الأرض الذلول، وتتبع عيون الماء، ومواطن انتشار الكلأ، وإقامة التجمعات السكانية... إلى غير ذلك من ملامح النشاط الاقتصادي.

لقد تحركت همم البلدانيين المسلمين العرب إلى العناية المتنوعة بالفحص الجغرافي لجزيرة العرب إجمالًا، ولذرعها وقياسها وملاحظتها تفصيلًا في تتبع المواضع والمياه، والمراعي، والطرق والمسالك، وفي الضمير منهم جميعًا خدمة الإسلام في ميادين الحياة المتشعبة.

وبالإمكان أن نقرر أن ثمة غايات أخرى غير هذه التي تقدم الحديث عنها، من مثل الغاية الأدبية واللغوية، بمعنى أن كتب جغرافية الجزيرة العربية، وجغرافية منازلها، وديارها، كانت دواوين جامعة للمعرفة الأدبية عامة والشعرية خاصة، بحيث تمثل هذه الأدبيات البلدانية مصادر أصيلة للشعر العربي في كثير من الأحيان- قادرة على تصحيح عدد ضخم من الأشعار، واستكمال عدد ضخم من شعر الشعراء، بالإضافة إلى حجم المعلومات التاريخية والأثرية والاجتماعية والثقافية عن العرب قبل الإسلام وبعده.

إن الضمير العلمي ليقرر وهو مطمئن أن مناطق من ميادين المنجز المعرفي المتعاطي مع جزيرة العرب ما تزال إلى اليوم بكرًا تحتاج إلى الفحص وإلى مزيد من الدرس والتتبع، ويوم يكون ذلك سنكتشف عظمة التأثير الذي أحدثه الإسلام في العقل العربي.

عمائر ومنشآت الرفق بالحيوان من شواهد عظمة الحضارة الإسلامية

أحمد أبوزيد

لم تهتم حضارة من حضارات العالم عبر التاريخ بالحيوان، أو تحرص على رعايته والرفق به، كما اهتمت حضارة الإسلام، فقد تعددت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الشأن، وبنى عليها الفقهاء أحكامًا شرعية وآدابًا التزم بها المسلمون في الحواضر والبوادي، ونشأت لها عمائر ومنشآت لرعاية الحيوان والرفق به، صارت عبر العصور من شواهد العظمة والريادة والتحضر في الحضارة الإسلامية.

وضع الإسلام، منذ أربعة عشر قرنًا، مبدأ الرفق بالحيوان، خلافًا لما يظنه البعض من أنه مبدأ أوروبي النشأة حديث الظهور، وبنى المسلمون لذلك عمائر لرعاية الحيوان، انتشرت على طرق الحج والقوافل في القرون الوسطى، ومازال بعضها قائمًا حتى اليوم في عديد من المدن العربية والإسلامية، وخاصة ما بني منها في العصرين المملوكي والعثماني، وهي عمائر تهتم بشؤون الحيوانات، من حيث سقايتها وإيوائها وإطعامها، وتمثلت في أحواض سقي الدواب والاسطبلات، وما كانت تضمه الوكالات والخانات التجارية من أماكن مخصصة لإيواء الحيوانات وإطعامها.

الإسلام والرفق بالحيوان

فالحضارة الإسلامية كان لها السبق في الرفق بالحيوان، باعتبار ذلك تعبدًا لله وطاعة بما أمر واجتنابًا لما نهى، فالرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة، والقسوة عليه قد تدخله النار، والنبي محمد ﷺ أول من دعا إلى الشفقة بالحيوان والرفق به ومساعدته في مطعمه ومشربه وفي صحته ومرضه، بل وأثناء ذبحه.

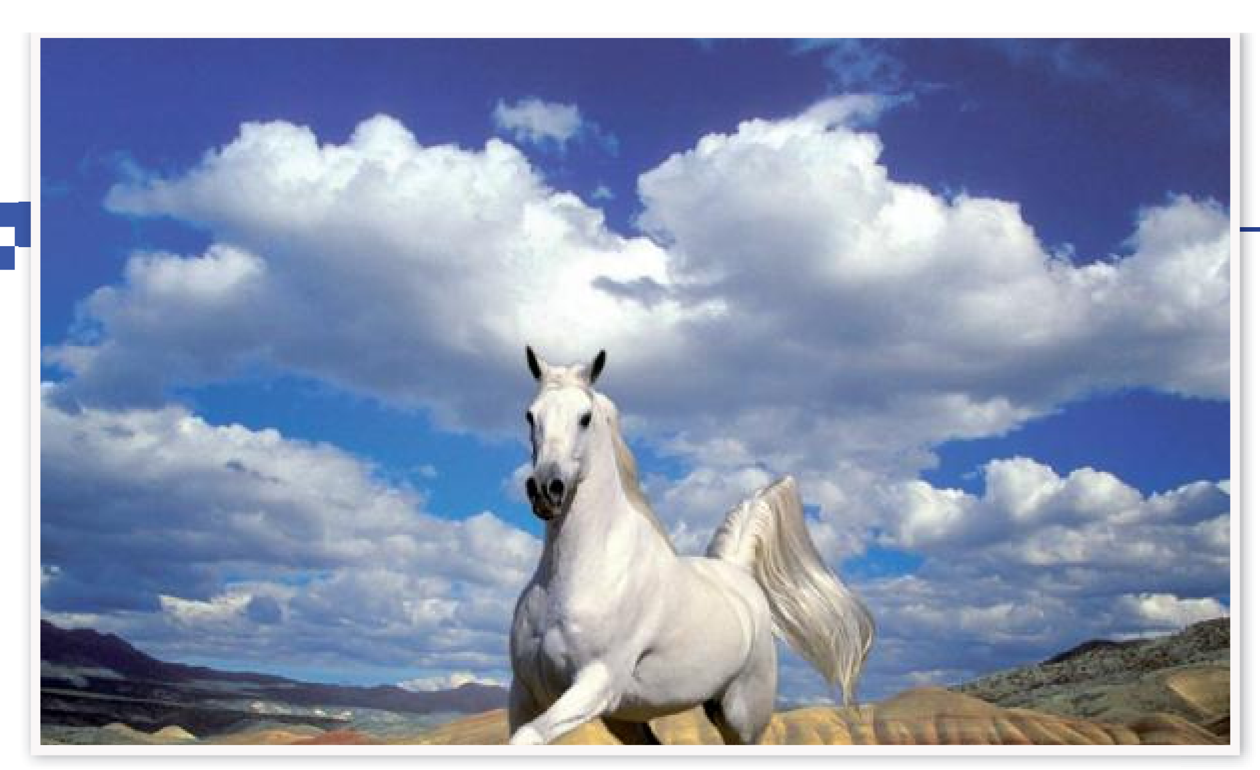
وهذا الدين الحنيف هو الذي ضرب للعالمين المثل الأعلى في الرحمة والرفق بالحيوان، فحرم القسوة عليه وإرهاقه بالأثقال والأعمال الشاقة، وحرّم التلهي بقتل الحيوان، كالصيد للتسلية لا للمنفعة، ونهى عن كي الحيوانات بالنار في وجوهها للوسم، أو تحريش بعضها على بعض بقصد اللهو أو التربُّح المالي، وأنكر العبث بأعشاش الطيور وإحراق قرى النمل.

ولعلّ القرآن الكريم حين يصف أصنافًا من الحيوانات بالنعم والأنعام، فإنه يكرّم هذه المخلوقات، كما تسمّت سور عديدة بأسماء عدد من الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام والنحل والنمل والفيل، وذكر القرآن الكريم عديدًا من الحيوانات والطيور وربطها بالإنسان عامة، وبكثير من الأنبياء والصالحين خاصة، واستعملها القرآن الكريم كمضرب للأمثال، مثل: ناقة صالح وحوت يونس وغنم داود وهدهد ونمل سليمان وطير إبراهيم، كما ضُرب بالحمار مع الرجل الصالح دليلًا على «البعث»، وضُرب المثل بالكلب في مواقف، وبالذباب في مواقف، وبالطير في مواقف أخرى.

ولما قرره علماء الأمة وفقهاؤها من أحكام كفيلة برعاية الحيوان تبين وجوه الرحمة بذلك المخلوق، بدءًا من حرمة إجاعته وتعريضه للهزال والضعف، والتلهي



* باحث دراسات إسلامية



به في الصيد، وطول المكوث على ظهره، وتحميله أكثر من طاقته، إلى رحمته قبل ذبحه إن كان مما يؤكل لحمه.

حقوق الحيوان

فالإسلام اهتم بالحيوانات ونظم لها حقوقًا قبل أن تقرها أو تعرفها الشعوب الأخرى، وقرر علماء المسلمين أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أجبر على بيعه، أو الإنفاق عليه، أو تركه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إن كان مما يؤكل.

وقرر بعض الفقهاء أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه، حيث لم تقدر على الانصراف، بل كانت الدولة الإسلامية ترى أن من واجبها متابعة رفق الناس بالحيوانات

فقد ورد عن فضائل عمر بن عبدالعزيز، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كتب إلى صاحب السكك (أي رئيس أو مدير إدارة المرور والسير) ألا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل، ولا ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة، وكتب أيضا إلى عامله بمصر: «بلغني أن بمصر إبلًا نقّالات يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفن أنه يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل»، وأمر المحتسب (الشرطي) أن يمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق، أو تعذيبها وضربها

أحواض سقاية الدواب انفرد بها المجتمع الإسلامي وعبرت عن معاني الرحمة في أوسع صورها

أثناء السير، ولديه الصلاحية لتأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك.

ونقل الدكتور مصطفى السباعي طرفًا مما قرّره الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال ومنها ما رتبه الفقهاء من نتائج حقوقية في حق من يستأجر حيوانًا للحمل أو الركوب فحمّله أكثر مما يستطيع، وألزموه بضمان ثمنه لمالكه إذا نفق، ولم يعاقبوا الحيوان بما جنى على غيره، وإنما عاقبوا صاحبه إذا فرّط في حفظه وربطه، ومنعوا أن يؤجّر حيوان لشخص عرف بقسوته على الحيوان، خشية أن يجور بقسوته وغلظته على هذا المخلوق.

عمائر الحيوانات

وإذا نظرنا إلى العمائر والمنشآت الخاصة برعاية الحيوان والرفق به في الحضارة الإسلامية نجد أن هذه الحضارة كان لها السبق في إنشاء عديد من العمائر التي تأوي الحيوانات، وتوفر لها مياه الشرب في السفر والحضر، وأروع الأمثلة على هذه العمائر أحواض سقي الدواب.

فإلى جانب الأسبلة التي توفر مياه الشرب للإنسان، اشتهرت الحضارة الإسلامية بهذه العمائر المائية التي أطلق عليها اسم «أحواض المياه»، والتي قصد بها توفير ماء الشرب للدواب والأنعام، وذلك تطبيقًا لآداب الإسلام التي تحض على الرحمة بالحيوان والرأفة به، ومعروف أن الرحلات والأسفار في العصور الوسطى وما قبلها كانت تعتمد على الدواب، وكان لابد من توافر مثل هذه المنشآت التي توفر ماء الشرب لها.

وهذه الأحواض خصصت لها أوقاف حبسها الخيرون طلبا لحسن الثواب، وكان يراعى فيها أن تكون قرب أطراف المدن وأبوابها، حيث تكثر حركة الخارجين والداخلين من المسافرين والتجار.

وقد عرفت أحواض سقي الدواب بطرزها المختلفة في مصر وبلاد الشام، وفي مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وتحتفظ بعض المدن الأناضولية بنماذج من الأحواض السلجوقية التي مازالت قائمة حتى اليوم، وفي المغرب كانت

الأحواض تلحق بالمساجد، وتكون منفصلة عنها، وكان يصل إليها الماء الذي يفور من أحواض الأسبلة أو السقايات عن طريق أقصاب من الفخار، حيث يصب في أحواض سقاية الدواب، التي تشكلت معماريًا من دخلات عميقة صغيرة تقع في أسفل صدر حائط السقاية، وفي أسفل تلك الدخلات تقع أحواض عميقة في أرضية السقاية ليسهل الشرب منها.

أحواض القاهرة

وكما يؤكد الباحث الأثري الدكتور خالد عزب فإن أحواض سقي الدواب انتشرت في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي والمملوكي والعثماني انتشارًا كبيرًا، وكانت تقام على الطرق الرئيسة للمدن، وفي الأسواق المزدحمة، وعلى طرق الحج وطرق القوافل إلى الشام والمغرب، وكانت تقام بمفردها أو ملحقة بالخانات التجارية.

وداخل القاهرة وجدت الأحواض، إما منفردة أو ملحقة بالعمائر الدينية والمدنية والتجارية والحربية، حيث اتخذت موضعًا متميزًا في العمائر بالواجهات الرئيسة لها، ليسهل شرب الدواب منها، ويمكن تشبيه أحواض إرواء الدواب اليوم بمحطات الوقود التي تزود السيارات بالوقود وانتشارها في المدن وعلى الطرق، مما يبين مدى أهميتها.

ومن هذه الأحواض حوض قجماس الإسحاقي الملحق بمجموعته بشارع الدرب الأحمر، وحوض السلطان قايتباي بقرافة صحراء المماليك، ويوجد حوضان من العصر العثماني بنيا بالأحجار الرملية هما حوض إبراهيم آغا بباب الوزير، وحوض عبدالرحمن كتخدا بالحطابة.

عمارة الأحواض

ويتضح من الأحواض القائمة الآن في القاهرة، ومن الوصف الوثائقي للأحواض المندرسة، أن التكوين المعماري لها لا يخرج عن مساحة مستطيلة أو مربعة الشكل، وهي عبارة عن حجرة إيوان أو دخلة ذات ثلاثة جدران (صدر وجانبان)، والجانب الرابع مفتوح على الطريق، بأشكال وطرز مختلفة لتسهيل دخول الدواب للشرب من الأحواض.

> **أقيمت الأحواض إما منفردة أو ملحقة بالخانات التجارية والعمائر الدينية والمدنية والحربية**

وكان صدر الحوض والضلعان الجانبيان يحتويان في أحيان كثيرة على عدد من الدخلات، ويختلف عدد هذه الدخلات من حوض إلى آخر حسب مساحته، فهي على سبيل المثال، خمس دخلات بصدر حوض قايتباي بالأزهر، وهي أربع دخلات بحوض عبدالرحمن كتخدا بالحطابة، وهي ثلاث في حوض قجماس.

وكان يوجد على جانبي هذه الدخلات أعمدة بنيت من نوع أحجار بناء الدخلات، وأحيانًا كان يعلو الحوض سواء بالصدر أو الضلعين الجانبيين، شريط كتابي، تتخلله أحيانًا رنوك تحوي نصوصًا إنشائية ودعائية، مثل حوض أم السلطان شعبان، وقد نص كتاب وقف الأمير عبدالرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ المحفوظ في وزارة الأوقاف المصرية رقم ٩٤٠ على أن حوضه في الأزبكية كان بصدره أربعة ألواح من الرخام مكتوب عليها تاريخ محلى بالذهب، وكانت هذه الأحواض حجرية في غالبيتها، والقليل منها كان رخاميًّا، وكانت في معظمها مستطيلة الشكل، والقليل منها بيضاوي أو دائري.

تعدد الأحواض

ويختلف عدد هذه الأحواض من حوض لآخر، فمثلًا يوجد حوض واحد في حوض شرف الدين يحيى، وحوضان في حوض خجا بردي في ميدان الرميلة، وثلاثة في حوض دولات باي، وأربعة في حوض الوزير مصطفى في سوق السلاح، وخمسة في حوض الأمير رجب ببركة الحاج.

ومعظم أحواض الدواب كانت مغطاة بأسقف خشبية والقليل بقباب وأقبية، ولا يوجد في الوثائق ما يشير بوضوح إلى أن بعض الأحواض كانت بلا سقف، وقد زينت بعض الأسقف بنقوش ذات ألوان زيتية مختلفة، وذهبت وحليت باللازورد، مثل أسقف الإيوانات في المدارس وغيرها، وبعضها مغشاة من باطنها بحشوات خشبية مجمعة على هيئة أشكال هندسية ونباتية رائعة التكوين، كما في سقف حوض أم سلطان شعبان، وحوض السلطان قايتباي وحوض أزبك اليوسفي.

تزويد الأحواض بالماء

وكل أحواض سقاية الدواب كانت تستمد ماءها عن طريق السواقي الموضوعة على الآبار، وكانت الساقية ترفع الماء إلى حامل في مستوى علوي، وتتفرع منه مجاري مائية، سواء أكانت حجرًا أو أقصابًا فخارية أو رصاصًا، تنقل الماء إلى أحواض سقي الدواب، ومن أمثلتها الباقية ساقية السلطان قايتباي بالصحراء ومجاريها المائية المتفرعة منها، ومنها مجرى يصل إلى الحوض.

وقد عمل الخيرون ممن أنشأوا هذه الأحواض على تعيين خادم للحوض أو قيم أو فراش، لتمكين الدواب من الشرب بسهولة، ومساعدة الناس للاستفادة من ماء الحوض، كما أوكل إليه تنظيف الحوض وكنسه وغسله، وتجفيف أرضيته، والرش أمامه، والعمل على ملء الحوض بالماء بصفة دائمة، وكان العمل يبدأ من مشرق الشمس إلى آخر النهار أو أذان العشاء.

أما الفقراء فكانوا يضعون أمام بيوتهم ما يسمى «ميلغة الكلب»، وهو عبارة عن حجر صغير مجوف يُمْلأ بالماء، حتى تشرب منه الكلاب التي لا تستطيع الشرب من أحواض الدواب الكبيرة، ومازالت هذه الأحجار موجودة أمام بيوت البعض خاصة في الأحياء الشعبية بالقاهرة.



التوازن بين الشخصية والحدث في القصص القرآني

العمل القصصي الأدبي يقوم على محورين رئيسين هما الشخصية والحدث ، وفي القصص التاريخي تتغلب الشخصية على الحدث ، وقد تصل الشخصية لمرحلة القداسة ، وكذلك في القصص الخيالي حيث تدور أحداث القصة حول بطل خارق له مواصفات لا تنطبق على واقع البشر ، بينما القصص القرآني قصص واقعي لا يقدس الشخصية ولا يحلق بالإنسان في عالم الخيال واللاواقعية ، فلا نجد في القصص القرآني موقفًا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها أو الحدث وحده ، إنما تلتقي الشخصية مع الحدث أو الحدث مع الشخصية في توازن محكم ، فالشخصية في القصة القرآنية تؤدي دورها كشاهد من شواهد الإنسانية في هداها ورشدها ، وكذلك الحدث إنما هو موطن اختبار للشخصية حيث تظهر فيه معادن الرجال ، والحدث هو المقصد الأول من قصص القرآن ، فمن خلال الحدث تتكشف وجوه العبر والعظات مصداقا لقوله تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف : ١٧٦)

التحرير





وظيفة الحلم والسخرية في القصة العربية القصيرة

«الكابوس» نموذج (١)

عبداللطيف خروبة

القصة القصيرة جنس أدبي قائم بذاته، مكتمل في تكوينه وتصوراته، تقوم بنيتها على الاختزال والتكثيف والترميز. و«الكابوس» هو عنوان المجموعة القصصية للكاتب نجيب الكيلاني. في هذه المجموعة تتداخل موضوعتان أساسيتان، هما الحلم والسخرية، وتدلان على أن صاحبها قد أدرك الاختلالات الحاصلة في القيم الإنسانية، والصراعات التي تعج بها الحياة، والتوترات المختلفة التي يعاني منها الإنسان المعاصر. فإلى أي حد ساهم الحلم والسخرية في تشكيل العوالم القصصية عند الكاتب؟.

١- تكثيف المضامين:

تتمحور هذه المجموعة حول قضايا إنسانية واجتماعية، فالمؤلف يكثف واقعا متكلسا، يسود فيه الظلم والقمع، والتشبث بالتقاليد البالية، وانهيار القيم الإنسانية الفاضلة. إنه يفضح الحياة المؤلمة ويدعو ضمنيا إلى جعلها إنسانية. ومن ذلك واقع المرأة في المجتمع العربي، فهي تعاني من القهر بكل أشكاله، لا مجال لها للاختيار، كل شيء يفرضه عليها الآباء فرضا، والشيء الذي يؤخذ بالاعتبار هو منفعة الأسرة ومصالحها المادية. وهذا ما نلمسه في قصص: «العار، ليلة الزفاف، الجو البارد، الجبابرة». ففي «ليلة الزفاف» فتاة يزوجها أبوها من رجل عجوز رغما عنها لأنه غني. كما تعرض لاستغلال الأزواج زوجاتهم من أجل ربح المال ولو على حساب الشرف، كما في قصة «الجو البارد» وتحكي قصة «الجبابرة» عن واقع فتاة فرضت عليها الأسرة الزواج من رجل مسن في الوقت الذي كانت تأمل أن تتزوج ابنه «سلطان» وفي قصة «العار» تتهم امرأة بحمل غير شرعي، فيقرر العم والأب قتلها محوا للعار، لكنها أصرت على براءتها، وعلى أن يفحصها طبيب مختص قبل أن يصدق كلام الناس. وكان ذلك سببا في نجاتها من موت محقق، ونجاة الأب من جريمة نكراء.


نجيب الكيلاني

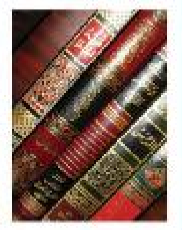
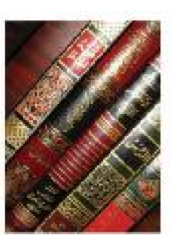
كما تعالج قضية الهجرة السرية من الدول الفقيرة إلى دول الخليج العربي الغنية كما في قصة «ساحل الذهب»، وتحكي بعضها عن معاناة المخلصين في العمل من حسد وكيد الوشاة، وهذا ما نلمسه في قصة «الطريق الشاق» أما قصة «الدليل التائه» فتتحدث عن الهوس بالشهرة الذي ينتهي بإفلاس صاحبه كما تعالج قضية القمع السياسي، كما في قصة «رجل في الزحام».

٢- الحلم:

الحلم وسيلة يتخلص بها الإنسان من الفضاءات الضيقة، لينطلق نحو الفضاء الشاسع الحر، فعندما لا تسمح ظروف الواقع بالانفلات والتحرر من الوضعية الراهنة، حينها تغرق الذات في الحلم. فيكون عزاء ونجاة، فيه تتداعى الأفكار والآمال والذكريات، فالحلم يشكل أساسا لتجاوز أو خلخلة سؤال الواقعية في الكتابة القصصية (٢). والقصة لا تسمى قصة إلا بتوظيفها الحلم والخيال والتحرر من الواقع. (٣). فكيف استطاعت قصص «الكابوس» أن تعكس هذه الإستراتيجية؟.

إن موضوعة الحلم تهيمن على الكثير من أجزائها، ذلك أن الواقع القاهر والمؤلم هو الذي يدفع بالشخصيات إلى الحلم. ففي قصة «الرجل والأرنب» ظل عبدالله السروجي الفقير المريض يحلم بأن يُطعَم يوما ما أرنبا كي يشفى من مرضه: منذ شهرين وأنا أحلم بالأرنب، يخيل إلي أن فيه الشفاء.. يقولون إن لحم الأرنب سهل الهضم، خفيف على المعدة، ويعجل بالشفاء. (٤). تصوري يا نجية.. لقد حلمت بالأمس أنني أكلت أرنبا بكامله.. كان لذيذ الطعم.. الغريب

♦ ناقد أدبي مغربي

في الأمر أن الحلم بدا لي حقيقة.. إني صحوت من النوم وأنا أشعر بالشبع (٥).

إن الحلم انتقاد للواقع، ودعوة إلى جعل الحياة أكثر إنسانية، وأكثر حرية من القيود، ففي قصة «رجل في الزحام» السيد عبدالباري الرجل البدوي البسيط اعتقل بتهمة الانتماء إلى تيار معارض، يسجن، ويعذب بشدة، وظل يحلم دائما بأنه سيفرج عنه، وسيُكتشف أنه اعتقل خطأ: بالتأكيد سيكتشفون أني مظلوم، ولا دخل لي بشيء. (٦) إنه يحلم دائما بالحرية ولا شيء غيرها، فهو لا يعرف للسياسة وجها، ولا عن الجماعات الدينية وغيرها شيئا: فسوف يأتي العسكري ذات مساء وقد أظلمت الدنيا، ويقول له: تعال يا سيد.. أنت حر.. اذهب لامرأتك فاطمة وأولادك.

إن العالم الحُلمِي التخيلي يكاد يصير عالما واقعيا ممكنا، خاصة عندما تشتد الأزمة، ويكبر الأمل في الفرج القريب: ويظل هذا الحلم الجميل يراوده في اليقظة وفي المنام، وعندما يستيقظ في الفجر ويجلس مع المعتقلين من أهل بلده، ويروي لهم الرؤية التي رآها وكلها تؤكد أنه سيفرج عنه لا محالة، فأصبحت الرؤيا كأنها جزء من الواقع والحقيقة (٧). وأحيانا ينقلب الحلم إلى تعاسة وشقاء، فيجني على صاحبه، خصوصا إذا كان لا يرضى بالقضاء والقدر، ويملأه الغرور. ففي قصة «الدليل التائه» يحلم محمد البكري بالشهرة التي لا يحققها إلا في القاهرة حيث دور النشر كثيرة.. كانت القاهرة تبدو لخياله كالجنة الموعودة، ففيها ستتألق مقدرته الفنية، وتشرق عبقريته الخلاقة، ويصبح أديبا من ألمع الأدباء، تتهافت الصحف إلى نشر قصصه، وتتسابق إليه دور النشر (٨). لا يصح أن يظل رجل عظيم مثلي مجهولا.. إن ما أكتبه أروع بكثير مما يكتبه عشرات الكتاب في الصحف والمجلات.. ليس هذا غرورا (٩). ويحلم بحياة أفضل في وسط القاهرة في شقة فاخرة مجهزة بأحدث التجهيزات ويمني زوجته بذلك: لن يمر عام واحد حتى تجدي نفسك تعيشين في شقة فاخرة، مفروشة بغالي الرياش، وإلى جوارك تلفون وخادم وعلى جسدك ملابس ثمينة.. وسيكون اسم محمد البكري على كل لسان.. سترينه مكتوبا على الأفلام السينمائية، وستسمعينه في الإذاعة (١٠). وفي القاهرة ظل حلمه بالشهرة والعبقرية يراوده ويزداد حدة يوما بعد يوم ويكتشف في الأخير أن حلمه ما كان إلا وهما قضى عليه: إن كتابي الأول عن حياتي التافهة الحقيرة.. عن قصة حب سخيفة لا معنى لها.. إن الوهم قضى علي.. لم أكن صاحب مبدأ (١١).

وأحيانا يتحول الحلم إلى كوابيس مزعجة تؤرق صاحبها خلال الليل، حيث تتداعى الأحداث والأفكار بشكل مرعب مخيف، ففي قصة «الكابوس» زعيم أوقع ظلمه على العباد وسخر في قمع الناس أعوانه، يحلم بأنه في يوم الصراط والحساب، حيث تحتشد الخلائق كلها، ويشتد الزحام، جال الزعيم ببصره هنا وهناك، ملايين الرؤوس والعيون والأيدي الملوحة، وأصوات متداخلة صاخبة تستغيث، الحر شديد، والغبار يكاد يزهق الأرواح وبرك سوداء تطمر

للسخرية أفضل أسلوب لانتقاد الواقع وتعمل على إعادة توازنه

الأقدام الحافية، وهدير صاخب الماء.. الماء.. ووجد الزعيم نفسه يصرخ معهم: الماء.. الماء (١٢). ويحلم بأن أصحاب الحقوق المهضومة يطوقونه، والمظلومون يمسكون بتلابيبه، وأرواح الذين قتلهم تتعلق بأكتافه، انهمرت دموعه في نوبة تشنجية وصرخ: أنا مسكين (١٣). ويستيقظ من حلمه وهو يهذي بكلام مبهم ويجد زوجته تنظر إليه في دهشة، لم تره من قبل كذلك، فهتفت: ماذا بك؟ تمالك نفسه وقال: كابوس، يا له من كابوس (١٤).

٣- السخرية:

إنها أسلوب يتخذه الكاتب ليتبنى موقفه من الواقع والعالم من حوله، وهي طريق سهل للنقد، والوصول إلى القارئ، فالكاتب عندما يواجه واقعا متصلبا، لا يسمع ولا يفهم ولا يبالي، يكون مضطرا إلى مواجهته بأساليب مختلفة، وعلى رأسها السخرية، فهي أفضل أسلوب لانتقاد الواقع، فإلى أي حد استطاع المؤلف أن يستثمر طريق السخرية في مجموعته القصصية هذه؟ وبناء موقفه من ذاته ومن العالم؟

إن السخرية في «الكابوس» عنصر مهم في الكشف عن مواطن الخلل في الواقع الاجتماعي، وتأتي في كثير من الأحيان مصبوغة بروح القوة والقسوة، ومن النماذج والأمثلة على ذلك ما جاء في قصة «الكابوس» حيث يسخر السجان من زعيمه: ابتسم السجان الصغير، وقال: عرفتك.. لشد ما تغيرت سحنتك.. كان اسمك بالأمس يهز القلوب.. لكنك اليوم أسود الوجه منظرك منفر، ويبعث القرف (١٥). صرخ الزعيم: أغلق فمك وإلا.. وإلا ماذا؟؟ أنت لا تساوي اليوم بعرة على الطريق..(١٦). إنها سخرية قاسية لاذعة تعيد الأمر إلى صوابه. كما أنها تكشف عن العالم الوحشي الذي لا مجال



فيه للضعيف: وأخذت السفينة تتمايل.. ونحن نتخبط ونصرخ.. والربان يصيح من وقت لآخر: اثبتوا في أماكنكم.. أيتها الكلاب النجسة.. (١٧). لم أكترث، لكن رجلا مسنا همس في أذني: الربان يريد أن يخفف العبء عن السفينة.. كيف؟؟ يقذف ببعض المسافرين إلى الأسماك.. هذا حيوان.. هذا وحش. ساد الصمت.. بينما صاح الربان: إن كثيرين يموتون ليحيا الآخرون.. أنتم تسمونها قسوة.. وأنا أسميها ضرورة.. أنا المسؤول وأعرف ما ينفعكم أيها الحمقى (١٨).

إن السخرية تحمل في طياتها رموزا دالة على الأنانية، والغطرسة والطمع، وتسلب الغير حريتهم في الاختيار. ففي قصة «ليلة زفاف»، نجد السارد يسخر من الشيوخ الذين يعانون من مراهقة متأخرة فيتزوجون النساء في سن بناتهم، ويتباهون بذلك، ويظنون أنهم أحسنوا صنعا: مثله لم يكن يحتاج لزوجة في ريعان الشباب، وإنما يحتاج إلى ممرضة مدربة، لتدلك له ظهره المنحني، وساقيه الضامرتين المريضتين ولتسقيه الدواء في المواعيد التي يحددها الطبيب.. لكن للأسف.. الناس هنا لا يفرقون بين وظائف الأنثى.. كزوجة.. أو خادمة.. أو ممرضة.. الأنثى تستعمل في أي شيء.. تصرفاتك هذه لا تحرك في شعرة واحدة.. أنا أعرف النساء جيدا.. ذات مرة.. (وكان ذلك منذ ثلاثين عاما) لم أرتح لتصرفات إحدى زوجاتي.. قتلتها على الفور.. (١٩).

وفي قصة «الجو البارد» الزوجة تسخر من تصرف زوجها الذي يبيعها بأرخص ثمن، ويأكل من لحمها، ولا يبالي بكلام الناس ولو كان صادقا: لم أصدق ما يجري نظرت إليه في دهشة لكنه ابتسم وقال: لو شهد أهل الأرض كلهم ضدك لما صدقتهم.. تمنيت أن يثور لشرفه وكبريائه، لكنه أحنى رأسه في أسف، واعتذر لي.. وعدنا إلى المسكن الحزين.. لم يكف عن الثرثرة عن الشرف وعفة أخلاقي، وكانت هذه الكلمات تنصب في أذني كالرصاص، وتملأني بالاشمئزاز (٢٠). فالسخرية تفصح عن موت الغيرة، وموت القلب حين يوظف زوج زوجته لكسب المال على حساب الشرف، فيسمي الرذيلة شرفا وطيب معدن.

إن السخرية تكشف عن موقف الكاتب الرافض للواقع الذي يسود فيه الظلم الاجتماعي بأنواعه والاستغلال بكل أشكاله البشعة، وعن الاختلال الحاصل في القيم الإنسانية الرفيعة، إنه يريد أن يقول: كفى ظلما للمرأة، وللناس الضعفاء، كفى استغلالا للنفوذ، كفى أنانية وغطرسة في اتخاذ القرار، ويدعو إلى ضرورة تجاوز التوترات والاختلالات الحاصلة، من أجل بناء مجتمع تسوده المودة والمحبة والأخوة الصادقة والسلام.

هكذا يتضح أن الحلم والسخرية شكلان من أشكال إعادة التوازن للواقع وللذات تجاه هذا الواقع، فيتحول العجز والتخلف والانكسار إلى قوة وعزة وانتصار، وسمو وتقدم على الواقع المأزوم، وتعال على الألم والضعف.

الهوامش

١- الكابوس وقصص أخرى، نجيب الكيلاني ط٣، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٧.
٢- شهوة القص، أحمد أمنصور، ص٨٧، ط١، دار الحرف المغرب، ٢٠٠٧.
٣- نفسه، ص ٨٨.
٤- الكابوس، ص ١١٧.
٥- نفسه، ص ١١٨.
٦- ٧- نفسه، ص٩٢-٩٣.
٨- نفسه، ص ١٠٩.
٩- ١٠- نفسه، ص ١٣٩ -١٤٠.
١١- نفسه، ص ١٥٤.
١٢- نفسه، ص ١٠.
١٣- نفسه، ص ٢٨.
١٤- نفسه، ص ٣٥.
١٥- نفسه، ص ٩.
١٦- نفسه، ص ٢٦-٢٧.
١٧- ١٨- نفسه، ص ٥٢.
١٩- نفسه، ص ٧٧-٧٨.
٢٠- نفسه، ص ٧٧-٧٨.



صَوابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

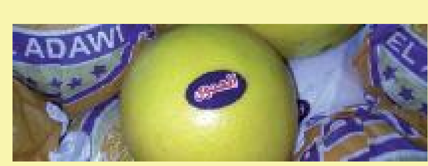
قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟
في هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

العدو نحو العدوى

الخطأ: العدوى.

الصواب: العدوي.

«لا تحقرن كيد الضعيف» كما قال الشاعر، ولا كيد هاتين النقطتين الصغيرتين، فهاتان النقطتان حولتا العَدَوِيّ إلى العَدْوَى، وقاكم الله شرها! ولولا كتابة الاسم باللغة الإنجليزية



لما استدل البعض على الاسم الصحيح.
النقطتان عجيبتان تحولان الاسم إلى حرف جر: عليّ وعلى، وتحولان المؤنث إلى مذكر والعكس: يسري ويسرى! وتحولان الفعل إلى اسم: سلّمي وسلمى.

شواء الأتراك

الخطأ: سندويش التركي.

الصواب: شطيرة الديك الرومي.

يبدو أن العرب صاروا من أكلة لحوم البشر، والأتراك تحديدا! وحتى إذا أحسنا الظن وقلنا: إن المقصود أن الشطيرة هذه من ابتكار شخص تركي، وسميت باسمه، فهل هذا المخترع مدخَّن ومكسو بالجبنة؟ حسنا، التخريجة اللغوية (والإنسانية) الوحيدة التي يمكنني ابتكارها لهذه الورطة هي أن نفترض أن مخترع هذه الشطيرة تركي، وهو مدخّن للسجائر، لكنه غريب الأطوار ولا يدخن إلا في وجود جبنة في جواره!

طبعا أظنكم عرفتم أن «التركي» ما هي إلا نقل كسول للكلمة الإنجليزية «تيركي» وليتهم نقلوها بكتابة ياء بعد التاء، لكانوا وفروا علينا حرجا كبيرا، وماء وجه مراقا أمام الأعزاء الأتراك.

وللديك الرومي قصة عجيبة في اللغة العربية، فالبعض يسميه ديكا روميا، والبعض الآخر يدعوه ديكا حبشيا، رغم أن موطنه هو القارة الأمريكية، ولا علاقة له بالحبشة ولا بإمبراطورية الرومان.

Healthy & Tasty
ساندويش التركي المدخن مع الجبنة
Smoked Turkey &
Yellow Cheese

ويسمى باللغة الإنجليزية باسمه هذا لكون نقله من أميركا إلى وسط أوروبا كان يمر عبر الأراضي التركية.

تبقى كلمة «سندويش»، وأعلم أن البعض لا يستسيغ استخدام كلمة شطيرة، ولن أجبرهم على هذا.. لكن إذا كانوا مصرين على استخدام الكلمة الإنجليزية «تيركي» بدلا من «ديك رومي»، كان الأجدر أن يكتبوا «ساندويتش» وليس «سندويش» القريبة من النطق الفرنسي من الكلمة.

ثلاث لغات في عبارة واحدة تصف شيئا بسيطا كشطيرة، يبدو أن العرب مهووسون بزركشة كل ما يتعلق بالطعام؟ على فكرة، كانت الشطيرة لذيذة جدا على مستوى الطعم، وأيضا على مستوى إثارة قضايا لغوية لذيذ نقاشها.



المدرس والتنين

علي عفيفي علي غازي

منذ أن وضعت الحرب الكونية الثانية أوزارها بهزيمة المريخيين في معركة المقاتلات الفضائية، ومن ثم جلاؤهم عن كوكب الأرض، ومحمود يسكن بجوار أطلال القاهرة القديمة التي هجرها جميع البشر، منذ أن استوطنها المريخيون وفجروا مفاعلها النووي.

منذ أن انتقل محمود لمقره الجديد على إثر عمله كمدرس بالقاهرة الجديدة من قريته الريفية، وهو يشعر بالخوف والرهبة من تلك البقايا الصامتة، خاصة بعدما سمع الكثير من الحكايات والروايات التي يرويها أهالي المنطقة عن الخفافيش والحرباوات التي تخرج في الليالي القمرية الصافية لخطف البشر وأكلهم، وعن الأفعى الكبرى التي خرجت في إحدى الليالي المطيرة البهيمة، وأخذت تفح فحيحًا عظيمًا وتنفث نارًا من فمها في وجوه كل من تراه فتحرقه، إلا أنه كان مضطرًا للإقامة في هذه الشقة؛ فالحصول على مسكن بالقاهرة الجديدة أصبح صعبًا للغاية بعدما هجر كثير من سكان القاهرة القديمة مساكنهم إليها خوفًا مما يسمعون عنه من المخلوقات الأسطورية التي يرسلها المريخيون بين الحين والآخر لتعيث في الأرض فسادًا، فترهب أهلها وتدمر مساكنهم، حيث نشطت مخابراتهم في محاولة للقضاء على الجنس البشري ليتمكنوا بعد ذلك من استيطان الأرض لحاجتهم الشديدة للمياه التي تردد وكالاتهم الكونية عن قرب نضوبها من على الكوكب الأحمر.

الليلة يشعر بتوتر غريب وخوف شديد على إثر إشاعة يرددها الجميع عن تنين أرسله المريخيون يقوم بابتلاع الإنسان فيمتص دمه ويهشم عظامه ثم يقذف بها، وكل يوم يقرأ في الجرائد الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية عن ضحايا ذلك الكائن الغريب الذي يجنده المريخيون بهدف القضاء على بني الإنسان، ومن ثم يتمكنون من احتلال الأرض بلا مقاومة ولا قتال.

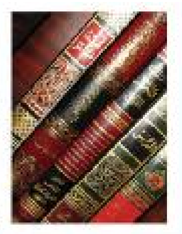
محمود خلّص الأرض من غزوة «مريخية» محققة وأصبح بطلاً سيخلده التاريخ

أحكم غلق أبواب شقته ونوافذها الإلكترونية، ثم استلقى على سريره ليذهب في نوم مليء بالأحلام والكوابيس المفزعة، فتارة يرى التنين الأسطوري يدق زجاج نافذته، وتارة يجد نفسه مستقرًا في ظلمة باطنه، إلى أن تنفس الصباح بالضياء على الكون ليتسرب إلى داخل غرفته سني من نسيمه، فاستيقظ مسرعًا إلى ارتداء ملابسه وسترته الواقية خوفًا من الإشعاعات النووية التي ملأت كوكب الأرض على إثر تفجير المحتلين المريخيين للمفاعلات النووية الكبرى الموجودة بها، وأدار محرك سيارته الصاروخية لينطلق بأقصى سرعة، وهو يتصفح الجرائد الإلكترونية اليومية عبر جهاز الحاسب الآلي الموجود بها ليستقر بصره على خبر بثته وكالة الأنباء الفضائية الكونية عن انتقال التنين الأسطوري المجند من قبل المريخيين من قارة أوروبا إلى قارة أفريقيا عبر البحر المتوسط سابحًا، مؤكدين أنه لا يتأثر ببرودة الجو ولا بحرارته، وتشير آخر الأنباء إلى أنه سيستقر في أطلال القاهرة القديمة حيث إنها أصبحت مركزًا للتحكم في تلك الكائنات الآلية الأسطورية التي يرسلها المريخيون إلى الأرض.

ما إن قرأ الخبر إلا وشعر برعشة اهتز لها جسده، ونبض لها قلبه، وارتجفت أنامله، وأوشك أن يفقد زمام السيطرة على سيارته التي كادت تصطدم بسيارة أخرى لولا القدر الذي نجاه من اصطدام مؤكد، ليتوقف أمام بوابة المدرسة، ويشاهد الذعر على وجه الجميع من أثر الخبر الذي بثته الوكالة الفضائية الكونية للأخبار.

لكنه رغم ذلك دلف إلى داخل الفصل، وبدأ يشرح درسه في مادة التاريخ عن بداية ظهور عصر العولمة والإنترنت في القرن العشرين، وعصر الحداثة والسوبر حداثة وما بعد الحداثة والعدمية في القرن الحادي والعشرين، ثم انتقل إلى عصر الفضاء والعصر المريخي الأول الذي شهد الغزوة المريخية الأولى للأرض، والتي انتهت بجلائهم بفضل المناضل العربي ماجد بن راشد المخزوم، وما تبعها من الحرب الكونية الأولى في محاولة من المريخيين لاستعادة سيطرتهم على الأرض ونشاط المخابرات المريخية وكيف تصدت لها المخابرات البشرية دفاعًا عن الأرض، إلى أن نجح المريخيون في استعادة سيطرتهم على الأرض بواسطة الأفعى الأسطورية التي تلفح وجه كل من تراه بنار تنفثها من

◆ صحفي وأكاديمي مصري





فمها، وترتب على ذلك بدء حرب التحرير الأرضية وما تبعها من الحرب الكونية الثانية التي شهدت دخول أحياء من كواكب أخرى إلى جوار البشريين الذين تمكنوا من إعادة تحرير الأرض مرة أخرى.

فجأة.. وبينما هو مسترسل في شرح الدرس، إذ هشم التنين الأسطوري زجاج الفصل الإلكتروني، وأطلقت أجهزة الإنذار صرخة محذرة منذرة بصوت شديد، فعم الهرج والضوضاء المدرسة، وذلك التنين يلتهم الواحد تلو الآخر ليعصره ويلقي بعظامه مهشمة، وكثير من التلاميذ يلقون بأنفسهم من نوافذ المدرسة التي انفتحت جميعها آليًا في أعقاب انطلاق صافرة الإنذار، ومحمود يعدو وذلك التنين يلاحقه ويطلق بين برهة وأخرى زئيرًا شديدًا أشبه بزئير مائتي أسد في صوت واحد ليبث في داخل الجميع الرعب والفزع، وعم الخبر القاهرة فخرجت الأسر مغادرة منازلها إلى الصحراء المجاورة وبعضهم استقل سيارته الصاروخية مهاجرًا إلى الصعيد لدى أقاربه حتى تزول الغمامة.

ملأ الذعر والفزع قلب محمود وجسده الذي أطلق لقدميه العنان في العدو إلى أي جهة شاءت، ليصطدم فجأة بطرقة المدرسة المغلقة آليًا ويصبح وجهًا لوجه أمام التنين الذي وقف أمامه وراح ينظر إليه بعينيه الواسعتين المشقوقتين طوليًا كأعين الثعابين، وأذرعه تتحرك في حركة سريعة دون توقف، وذيله الطويل يمتد خلفه لأكثر من مائة متر، وجسده المليء بالأشواك السامة، وهو يحدق فيه بعينيه، والرعب يسري في جسد محمود، وقلبه كاد أن يمزق قفصه الصدري ليخرج إلى خارج جسده، لدرجة أنه أغمض عينيه وراح يترقب لحظة النهاية مستسلمًا منتظرًا أن يلتهمه التنين الذي يقف منتصبًا أمامه ويفح فحيحًا ينم عن غضبه الشديد منه.

التنين يقف غاضبًا، والمدرس يقف مستسلمًا، وامتلأ فناء المدرسة من جديد في لحظة ترقب، ولكن التنين لا يقترب منه، لابد أن معه شيئًا يخيفه ويمنع اقترابه منه، تحسس جيوبه فعثر بداخلها على القرآن الكريم، تأكد أن ذلك الكتاب الخالد هو الذي يمنع اقتراب التنين منه فسارع لإخراجه، وأخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم، وذلك التنين يزأر زئيرًا عظيمًا يزداد شدة كلما ازداد قراءة، وشعر أنه يختنق فراح يتلو بصوت شديد يطغى على صوت زئير التنين وهو يختنق ويختنق.

فجأة انفجر التنين إلى قطع صغيرة تناثرت في كافة الأرجاء إلا أن قلبه أمام الخوف الشديد والرعب المنقطع النظير توقف عن النبض ليخر على الأرض فاقدا للوعي.

يفيق محمود على سرير المستشفى، وحوله الكثير من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء الفضائية والكونية يرغبون في معرفة السلاح الذي نجح بواسطته في القضاء على ذلك الوحش الذي أرسله المريخيون بعدما طوروه ليواجه كافة أنواع الأسلحة، وهو ينظر حوله في دهشة وشعور بالنصر، وراح يتحسس جسده وهو غير مصدق أنه نجا من بين فكي ذلك التنين المفترس، ولكنه انتبه إلى حقيقة انتصاره وأنه خلص الأرض من غزوة مريخية مؤكدة، وأنه أصبح بطلًا سيخلده التاريخ مثلما خلد أخاه المناضل العربي ماجد بن راشد المخزوم؛ فهب واقفًا أمام كاميرات التليفزيونات الليزرية، وأخذ يتحدث بثقة عن انتصاره العظيم الخالد محتفظًا بسر سلاحه لنفسه ليخلده التاريخ.

إحلال العامية محل الفصحى.. مخاطر وآثار

سالم بن عميران

تعد اللغة العامية من أبرز التحديات التي تواجه لغة الضاد في العصر الحديث، وتعرّف العامية بأنها: اللغة التي يتخاطب بها الناس في كل ما يعرض لهم من شؤون حياتهم(١)، واللغة العامية خليط من الألفاظ، بعضها فصيح الأصل عربي النسب ولكن تغيرت مخارج حروفه أو لعبت به ألسن العوام فحرفته، وبعضها غريب دخيل، ولج إلى العربية من رواسب لغات امتزج أهلها بالعرب فترة من فترات التاريخ، وهي لغة فوضوية لأنها لا قاعدة لها وليس من منطقها ولا طبيعتها أن تكون لها قاعدة..فهي تشوه ولا تخلق ونشأت من خلال فساد طرأ على الفصحى، وهي ليست صفة من صفات العربية كاللهجة؛ ولكنها لغة ثانية تعيش على حساب الفصحى وتزاحمها، واحتلت مكانها على ألسن الكثيرين ويراد لها أن تحتل مكانها على الأقلام. (٢).

الدعوة إلى العامية ومحاولة إحلالها محل الفصحى هي أكبر محنة تعرضت لها اللغة الفصحى في تاريخها، فقد تبناها بعض المستشرقين ومن تأثر بهم من العرب بحجة أنها لغة الشعب كله وتعبر عن مشاعرهم وأفكارهم، وهو شعار مدرسة ضالة في أميركا: «إن اللغة الحقيقية هي اللغة التي يستخدمها الناس فعلا، لا التي يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها...»(٣)

مظاهر تبني الدعوة إلى العامية في هذا العصر

- الاهتمام بالشعر العامي، وانتشار ما يسمى بالفكر الفلكلوري (التراثي) من خلال نشر الكتابات العامية في وسائل الإعلام.

- التساهل في استعمال العامية في وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء مثل البرامج الحوارية، والإعلانات، وبرامج الأطفال.

- استعمال العامية في مجال التعليم، وأخطر من ذلك التحدث بالعامية في تعليم النحو وسائر علوم العربية. وقد وجد أحد الباحثين أن من أسباب ضعف الطلاب في اللغة العربية؛ استخدام العامية في التدريس(٤). ومازالت هذه المشكلة موجودة في مختلف أنحاء العالم العربي يفضحها التحصيل اللغوي المتدني للطالب في مراحل التعليم المتوالية.

الاهتمام بالشعر العامي وتجاوزات لغة الإعلام واستعمال العامية في التعليم..أبرز التحديات

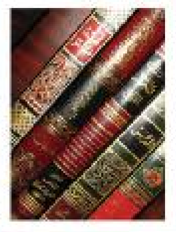
آثار إحلال العامية محل الفصحى

- قطع أوجه الاتصال بين المسلمين، والسعي إلى عزل الدول العربية، وتدمير أهم مقومات وحدتها، فقد كاد الغرب للمسلمين فطُبق التقسيم السياسي، وحاولوا الآن تطبيق التقسيم اللغوي والتاريخي، فروَّجوا لهذه الدعوة لينعزل كل جزءٍ في محيطهم بلغتهم العامية(٥).

- صعوبة فهم التراث العربي والإسلامي؛ فاللغة العربية الفصحى تجعلنا نفهم القرآن والسنة وكتب التراث العربي من شعر ونثر، أما العامية فلا تستطيع أن تحل مكان الفصحى بحال، فحركة المجتمع العربي هي في غير صالح العامية، ولا حيلة لنا في ذلك على الرغم من أن العامية هي اليوم أقرب إلى حياة الناس العاملين وألصق بوجودهم الاجتماعي من الفصحى(٦).

- في الازدواجية بين الفصحى والعامية عبء مادي وزمني ونفسي؛ ذلك أننا ننفق في تعلم الفصحى وتعليمها مادة ووقتًا أكثر من المطلوب، وتسبب أيضًا في ازدراء الطالب للفصحى فما يبنيه مدرس اللغة العربية معرض للهدم بسبب استشراء العامية في مرافق

* باحث لغوي.




الحياة العامة وتجعل بعض المتعلمين يتلمس الفصحى بصعوبة بالغة(٧).

كيف نواجه خطر العامية؟

نواجه هذا الخطر من خلال عدة أمور أهمها

- الاعتزاز بالفصحى والاعتصام بها في التدوين والإذاعة والنشر، واتخاذها أداة للتفاهم؛ لأنها اللغة الجامعة بين جميع العرب والمسلمين.
- التوعية الإعلامية حول مخاطر العامية على وحدة العالم العربي، وعقد الندوات والمؤتمرات حولها، وإشاعة اللغة الفصحى في الفنون المسرحية والتمثيلية في الإذاعة والتلفاز والخطابة المدرسية وتوجيه الأغاني توجيهًا أدبيا رفيعًا وإخضاعها لخدمة قومية مثمرة تجعلها تعتمد على المختار من فصيح الكلام الذي تتذوقه النفوس ويسمو بالأخلاق.
- أن تكون اللغة العربية الفصحى الميسرة لغة التعليم النظامي من مرحلة الحضانة، وإلزام المعلمين بها في كل ممارساتهم التربوية والتعليمية المتعلقة بالطالب في المدرسة، فلا نجد عذرا لمن يستخدم العامية من المدرسين في لغة تدريسهم وإذا كان السبب عجزهم عن الفصحى فهناك أكثر من طريقة للعلاج(٨).
- التسامح في التخفف من الحركات الإعرابية بالتسكين على أواخر الكلمات في لغة الحديث اليومي ما لم يتسبب ذلك في تغيير دلالي أو تشويه صوتي وهو ما يلقى قبولا وتأييدا من المثقفين كافة. وكذلك عدم التحرج من استعمال الألفاظ الفصيحة التي تجري على ألسنة العوام. ولا يعني ذلك الدعوة إلى الفصعمية التي نادى بها بعض المفكرين في هذا العصر. أي: خليط من الفصحى والعامية وهي دعوة منبوذة لم تلق قبولاً.

الهوامش

١ - انظر: د.حسين نصار، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٢، ج١ص٥.

٢ - انظر: د.مازن المبارك، نحو وعي لغوي، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٩، ص ٤٠-٤١.

٣ -د.رمضان عبدالتواب، بحوث ومقالات في اللغة،القاهرة، مكتبة الخانجي ط١٩٨٢،١،ص١٧٤.

٤- ينظر: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٨ هـ ج١، ص٨٤.

٥- د. عبدالصبور شاهين، «التحديات التي تواجه اللغة العربية»، منشورات منظمة الإيسيسكو.

٦- محمد مبارك، مواقف في اللغة والأدب والفكر، بغداد، مكتبة النهضة، بيروت، دار الفارابي، ١٩٧٤، ص ١٧٤ - ١٧٦.

٧ - ينظر: سميح أبومغلي، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس، عمان، دار الفكر، ط١٩٩٧،١، ص٤٤.

٨- ينظر: تجربة د.عبدالله الدنان في تعليم الفصحى في عدد من المواقع على شبكة الانترنت.



حب الكتاب

ليلى محمد محمد

الكتاب كنز لا نفرط فيه، وعلينا الاهتمام به، والاحترام له، لأن فيه سر عظمة أجدادنا، لدرجة أنه أنشئت مكتبات كبرى في كل العواصم الإسلامية، مثل الإسكندرية والحكمة.. بغية حفظ الكتب. وقد شغف علماء ورجال بحب الكتب والحرص على توفيرها واقتنائها، وباتت تلازمهم حتى في أسفارهم ورحلاتهم، إذْ روى «الأصمعي» أنه لقي «إسحق الموصلي» فسأله: هل حملت معك شيئا من كتبك؟ قال: حملت ما خف، فقال له: كم؟ قال: ثمانية عشر صندوقا، فعجبت وقلت له: إذا كان هذا ما خف، فكم يكون ما ثقل؟ قال: أضعاف ذلك.

أما الصاحب بن عباد فقد فضل أن يبقى بجانب مكتبته العامرة على أن يتولى أعظم المناصب في بلاط نوح بن منصور الساماني واعتذر بأنه ليس من اليسر حملها معه لكثرتها.

ويروي صاحب كتاب «بيان العلم وفضله» عن الحسن اللؤلؤي، أنَّه قال معبرًا عن حبه للكتب: لقد غبرت لي أربعون عامًا، ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري. وهذا الأمير «أسامة بن منقذ» يعبر عن حزنه على فقد كتبه: ولكن خسارتي لمكتبتي آلمتني ألما شديدًا. وقد ترك خالد بن يزيد الأموي عاشق العلم، الخلافة بعدما استلمها بثلاثة أشهر، لأنها شغلته عن كتبه.

وبلغ حب البعض للكتاب، أن فضلوه على زوجاتهم، أمثال: «ابن فاتك» و«عمر بن سهلان الساوي» و«أبوالحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني» والشاعر «محمود عماد» و«الفراهيدي» و«تولستوي».. حيث يروي د.المقالح في هذا الصدد: لقد تزوج أحد عشاق الكتب، فصممت زوجته أن تقلعه عن مطالعة الكتب وعن شرائها فدخل في أحد الأيام متأبطا حزمة من الكتب الجديدة، فثارت ثائرتها، وصاحت به: لا كتب بعد اليوم. فأجابها على الفور: إذن لا زوجة بعد الآن. وقيل لزوجة «الزبير بن بكار».. وكان محبًا للكتب: هنيئًا لك، إذ ليست لك ضرة. فقالت: والله لهذه الكتب أضرُّ عليَّ من عدة ضرائر.

أجدادنا فضلوا الكتب على أرفع المناصب وحذروا من حبسها!

ولنتذكر معًا قول د.زكي مبارك، راويا: إن حب الكتاب والحصول عليه كان لدى البعض يفوق حرصه على أداء فرض من فروض العقيدة، لدرجة قد علق أحمد علي المبارك على مكتبته الخاصة قصيدة، عنوانها «مكتبتي»، يقول في مطلعها:

أيا دار كتبي ويا خلوتي
وسلوة قلبي متى أضجر
وقرّة عيني ومحبوبتي
وفخري العميق إذا أفخر

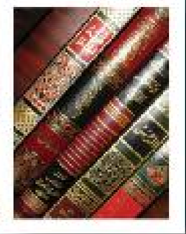
وبلغ الأمر ببعضهم من شدة حبهم للكتب، وعدم قدرتهم على فراقها، أن كان شغلهم الشاغل: كيف تتم المفارقة بعد الممات، فهاهو الشاعر عيسى إسكندر، يوصي بأن تصاحبه كتبه في مماته وفي قبره، في وصيته التي يقول فيها:

اجعلوا إن مت يومًا كفني
ورق الكتب وقبري المكتبة
ادفنوني وادفنوا الكتب معي
وانشروا الأوراق حول المرتبة

وآخرون.. عرفوا هذه القيمة والحب، لدرجة أنهم ما بدلوه - الكتاب- بكنوز الدنيا ولا بالتيجان، وهذا هو أبوطاهر بن أبي الصقر يقول: هذه كتبي أحب إليَّ من وزنها ذهبًا، وفي حين يقول «فينيلون»: لو وضعت كل تيجان أوروبا تحت تصرفي على أن أتخلى عن كتبي ودراساتي، لركلت التيجان، ووقفت بجوار كتبي.. والكتب هي الإرث الذي يتركه العبقري العظيم للإنسانية.

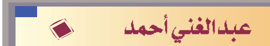
وبقي أن نضم صوتنا إلى «الزهري»، عندما قال ليونس بن يزيد: إياك وغلول الكتب؟ قال: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أهلها.

كاتبة صحافية




في ذكرى المولد النبوي الشريف

النور والميلاد



النـور والميـلاد يلتقيان
ليسير هدي الله في الأكوان
فالنور أشرق يوم مولد أحمد
ليزيل رجس الشرك والبهتان
سطع الهدى يمحو الضلال من الدنا
وينير درب الخلق بالإيمان
ولد اليتيم فكان أكرم مرسل
جاء الوجود متمم البنيان
ليعيد للدنيا تناسق سعيها
نحو الإله الحق لا الأوثان
بعد ارتكاس الناس في إشراكهم
جاء الهدى بكرامة الإنسان
جاء الوجود سراجه من ربه
فسراجه نور من القرآن
من ثم قد شهد الوجود خوارقًا
آيًا من الإرهاص والإيذان
النار تخمد بعد طول عبادة
كسرى يشاهد صدعة الإيوان
هذي الخوارق آذنت ببزوغ شمـ
ـس الحق والتوحيد والإيمان

دين يؤلف بين أفئدة الورى
بالحب والإيثار لا الشنآن
ذكرى رسول الله تهتف علنا
نحيي تليد المجد عبر زمان
فالأمة الكبرى تحقق مجدها
يوم اتحاد الصف كالبنيان
لم تشهد الدنيا تآخي مثلنا
فمهاجر ونصيره أخوان
إيثارهم فاق الخيال فليتنا
ندع الكلام وزائف التبيان
ونعود للعمل الجليل بهمة
ما حقق الآمال مثل تفاني
فعلى الرسول المصطفى صلوا لعـ
ـل الله ينظر نظرة الرضوان
صلى عليك الله يا خير الورى
إن الصلاة عليك في الميزان
فاشفع لنا يوم الحساب شفاعة
ننجو بها من لاهب النيران
لَاهُمَّ خيرك نبتغي فامنن به
دنيا وأخرى في نعيم جنان

◆ شاعر إسلامي

ثمرات المطابع

الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي



يعد كتاب «الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي» لأكمل الدين إحسان أوغلو، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي ثمرة جهود ودراسة تجاوزت الأربعين عامًا، ويبحث المؤلف في هذا الكتاب الذي صدرت طبعة جديدة له عن دار الشروق بالقاهرة، كيف تشكل الوجه أو النموذج المصري العثماني نتيجة لتطور القاهرة الذي كان يحاكي اسطنبول في البداية ويستعرض الكيفية التي وصل بها إلينا نتاج تلك الثقافة وتأثيراتها المختلفة، ففي ظل المدارس الحديثة التي أقيمت، والكتب التركية العديدة التي طبعت حظيت الثقافة التركية العثمانية، في مصر بإعجاب الصفوة الناشئة من أهالي البلاد المتحدثين بالعربية فضلًا عن القادمين من خارج مصر، ممن كانوا يتحدثون التركية، وهو ما أدى إلى ظهور الوجه الثقافي المصري العثماني إلى جانب الوجه الثقافي التركي - العثماني في مصر، ويتصدر الكتاب مقدمة كتبها رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان.

«بعدما أصبح الكلام واجبًا»

هذا الكتاب يضم بين دفتيه مجموعة من المقالات التي هي خلاصة تجربة المؤلف البروفيسور محمد بن حمود الطريفي، يقع الكتاب في حوالي ١٣٠ صفحة من القطع الصغير، وعن هذه التجربة يقول المؤلف:

تجربتي التي كلما تكبر عمرًا تزداد حبًا إلى نفسي التي كانت ترى في الكتابة راحة فإذا بها أشد ألمًا من الصمت.. إلى كل من قرأ «بعدما أصبح الكلام واجبًا».

جامع الآثار في السير ومولد المختار

التحرير

عنوان الكتاب: جامع الآثار في السير ومولد المختار
المؤلف: ابن ناصر الدين الدمشقي
الأجزاء: ثمانية
تحقيق: نشأت كمال
إصدار: وزارة الشؤون الإسلامية بقطر

التعريف بالمصنِّف

هو الإمام محمد بن عبدالله أبي بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين: حافظ للحديث، مؤرخ؛ أصله من حماة، ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية (سنة ٨٣٧)، وقتل شهيدا في إحدى قرى دمشق.

من كتبه:

افتتاح القاري لصحيح البخاري.
عقود الدرر في علوم الأثر.
الرد الوافر في الانتصار لابن تيمية.
برد الأكباد عن فقد الأولاد.
شرح منظومة الاصطلاح في مصطلح الحديث.
بديعة البيان، أرجوزة في التراجم (على طريقة مبتكرة في تواريخ الوفيات)
السراق والمتكلم فيهم من الرواة
كشف القناع عن حال من ادعى الصحبة أو له اتباع
الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام
سلوة الكئيب بوفاة الحبيب

من موارد المصنف في كتابه:

الناظر في هذا الكتاب يلحظ بوضوح وجلاء سعة اطلاع مصنفه وغزارة حفظه، فلعله كان ممن يهتمون بجمع مصنفات أهل العلم الشاردة والواردة، فإنه ينقل من عدة مصادر (بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها مطبوع)، ترهق من أراد حصرها، نذكر طرفا منها؛ فضلًا عن الكتب الأصول المشاهير كالصحاح والسنن والمسانيد والتفاسير وعلل الحديث، والجرح والتعديل والتواريخ، فمن ذلك:

الغرر في الطوالات للروياني.
دلائل النبوة للبيهقي.
دلائل النبوة لابن صاعد.
مختصر العين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب.
إبانة براءة ساحة الصديق مما نسبه إليه الرافضي الزنديق، لأبي موسى المديني.
مدح لابسي الصوف على الديانة والصفاء وذم لابسها على الخيانة والجفاء لأبي نعيم.
مختصر العين للزبيدي.
اللباء واللبن لأبي زيد الأنصاري.
المجمل لابن فارس.
طوال الأحاديث والأخبار لأبي موسى المديني.
الأفعال لابن القطاع.

أهمية الكتاب

يعتبر «جامع الآثار في السير ومولد المختار» موسوعة حديثية وتاريخية، فالمصنف رحمه الله قد صنف كتابه هذا تصنيفًا بديعًا؛ لعله لم يسبق إليه، فقد جمع بين طريقة من سبقه من المصنفين في السيرة؛ من حيث عرْض وقائعها وأحداثها وهو الجانب التاريخي، وبين طريقة المحدّثين من حيث نقد الروايات وبيان صحيحها من سقيمها، وهو الجانب الحديثي، وهو يسوق كثيرًا من الشواهد والروايات والأخبار للمسألة الواحدة، وفي خلال ذلك يتكلم في أسانيد هذه الروايات والأخبار مبينًا أحوال رجالها جرحًا وتعديلًا، كما يبين علل الحديث الواردة في بعض هذه الأخبار، بل إنه تعرض لبيان أوهام من سبقه ممن صنف في السيرة والشمائل والخصائص وشرح الغريب والجرح والتعديل وعلل الحديث؛ كابن الجوزي والقاضي عياض وابن القيم وابن حزم واللالكائي، وابن كثير، وابن عساكر، وابن حبان، وابن عدي، وأبي نعيم، وأبي موسى المديني، وابن سيد الناس، وابن عبدالبر، وغيرهم، حتى إنه رحمه الله له عدة استدراكات على أهل الغريب واللغة كابن فارس والأصمعي وابن سيده وأبي عبيد القاسم بن سلام والخليل الفراهيدي والخطابي وابن قتيبة وغيرهم.

وهذا لا يعني أن كل الأحاديث والآثار التي ساقها المصنف في كتابه صحيحة، ولا أنه قد استوعب الكلام عليها نقدًا ودراسة، فإن هذا أمر صعب، وأصعب

منه وأعسر أن يتكلم على كل الروايات من حيث الصحة والضعف، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية مع جلالته وسعة علمه فإن كتبه لا تخلو من الأحاديث الضعيفة، وهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني ومثله ابن رجب الحنبلي وغيرهما لا تخلو مصنفاتهم من الأحاديث الضعيفة، ولكن بعض الناس يظن أن هذا مما يقدح في علم من صنع هذا، وما هذا إلا لقلة الخبرة والحداثة في العلم، فإن وجود الروايات الضعيفة في بعض المصنفات والكتب لا يقدح أبدًا في علم صاحب هذا الكتاب، لاسيما إن كان من المتخصصين في علم الحديث.

ولكن مما يحمد عليه ابن ناصر الدين الدمشقي ههنا أنه أحيانًا يسوق الروايات الضعيفة الواهية، وينبه على ذلك؛ كما قال مرة: «وإنما ذكرت هذا لئلا يغتر به من ليس الحديث من شأنه».

منهج العمل في تحقيق الكتاب:

بدأ المحقق نشأت كمال العمل أولا بنسخة دار الكتب المصرية، التي تشكل تقريبا النصف الثاني من الكتاب، فقام بنسخها، ومقابلتها، وتصحيح ما وقع بها من خلل، ثم قام بتخريج الأحاديث الواردة في الكتاب.

ثم وقف على نسخة مصورة جامعة الإمام محمد بن سعود من الرياض، ثم حصل على النسخ الأخرى، وهي نسخة الظاهرية؛ فلما توافر عنده هاتان النسختان الجديدتان قام بتكميل الكتاب، فصار بحمد الله كاملًا ولكن ليس من نسخة واحدة، وإنما ما نقص من نسخة أكملته من نسخة أخرى.

عمل المحقق في الكتاب:

- نسخ الكتاب ومقابلته على أصوله، وإثبات فروق النسخ.
- تصحيح الأخطاء الواقعة في الأصل وذلك على نوعين:

أ- إذا كان الخطأ صريحًا واضحًا (عنده) أصلحه في المتن، ونبه عليه بالهامش.

ب- إذا كان الخطأ محتملًا، تركه كما هو، ونبه عليه بالهامش.

ومما يفيد بدرجة كبيرة جدًا مقابلة النصوص التي ينقلها المصنف من كتب أصحابها، إذ به يتضح فرق في أسم راو من الرواة أو كلمة من الكلمات، وهذا يساعد على ضبط النص وإتقانه وتخليصه من التصحيف أو التحريف، وهذا هو المطلوب.

استدرك بعض الكلمات الساقطة سندًا ومتنًا، وذلك بالرجوع إلى المصدر الذي ينقل منه المصنف إذا كان متيسرا، وقد ذكر أنه رجع إلى بعض المصادر الخطية.

تخريج الأحاديث والآثار الواردة تخريجًا وسطًا، ونَقَل كلام أهل العلم عليها.

عزو الأقوال إلى أصحابها من الكتب المطبوعة والمخطوطة حسبما توفر لديه من مصادر ومراجع.

شرح الغريب وبيان معانيه.

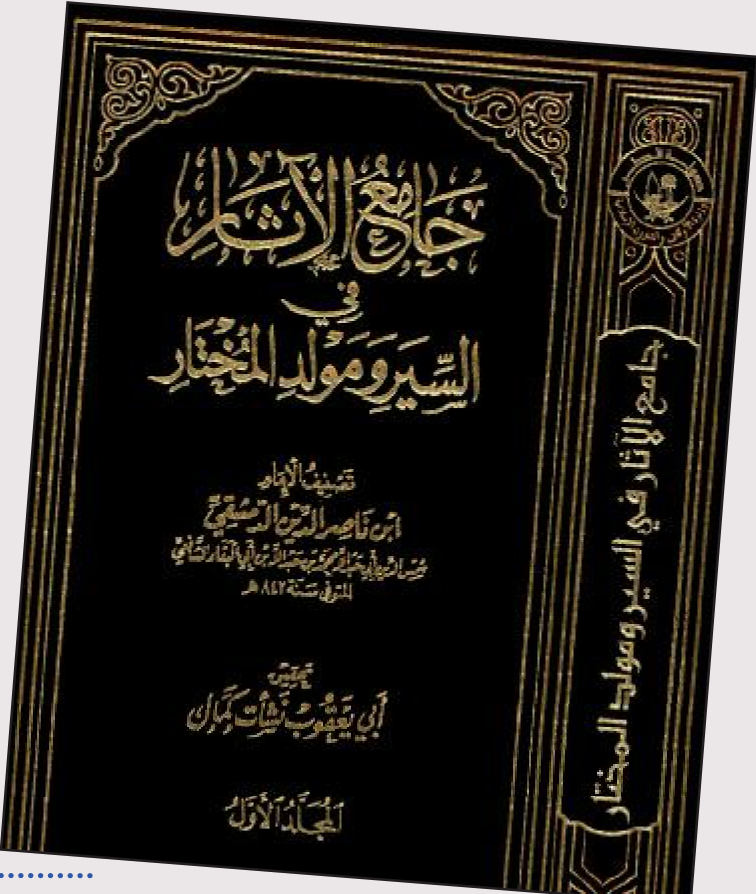
تعزيز كلام المصنف بنقل حديث أو أثر لم يذكره يتعلق بما يكتب.

ضبط ما يحتاج إلى ضبط للتوضيح وإزالة اللبس.

وضع عناوين جانبية ورئيسية لحسن تنظيم الكتاب.

كَتَب مقدمة تحتوي على منهج المصنِّف وترجمته والفرق بين كتابه والكتب الأخرى المصنفة في السيرة.

عمل فهارس وافية للكتاب.



إسماعيل راجي الفاروقي.. رائد مشروع إسلامية المعرفة

شيرين حسن

ولد إسماعيل الفاروقي في يافا بفلسطين في يناير: (١٩٢١) لأسرة فلسطينية، حصل على تعليمه الأولي بالمسجد، كما تلمس العلوم الشرعية على يدي والده الذي كان يعمل قاضيًا شرعيًا، ومع نكبة الاحتلال عام: (١٩٤٨) هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وسخر حياته للدرس والبحث العلمي.

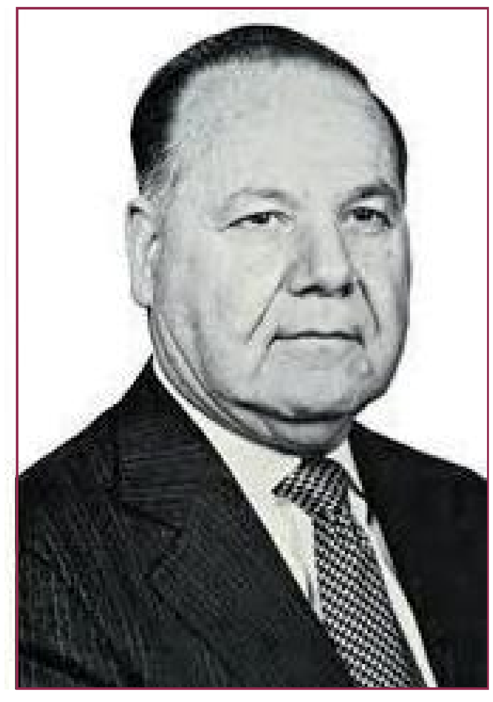
جمع الفاروقي في تكوينه العقلي بين بعدين رئيسين الأول: البعد الفلسفي حيث حصل على درجة البكالوريوس في الفلسفة عام ١٩٤١ من كلية الآداب والعلوم بالجامعة الأمريكية ببيروت ثم حصل على ماجستير «الفلسفة» عام ١٩٤٩ من جامعة إنديانا ثم درجة الماجستير في «الفلسفة» أيضًا من جامعة هارفارد عام ١٩٥١. أما رسالته للدكتوراه فكانت بعنوان «نظرية الخير، الجوانب الميتافيزيقية والقيم الإبستمولوجية للقيم» حيث حصل بها على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٢ من جامعة إنديانا.

أما المكون الثاني لعقل الفاروقي فهو: البعد الشرعي والذي تمتد جذوره إلى نشأته العائلية (المسجد ووالده)، ثم أراد أن يكون هذا التكوين الشرعي على علم ودراسة، فاتجه إلى مصر للحصول على دراسات ما بعد الدكتوراه في الأزهر لمدة أربع سنوات (١٩٥٤- ١٩٥٨) حيث قام بدراسة العلوم الشرعية بطريقة مكثفة خلال هذه الفترة والتي ساهمت بشكل أساسي في تحديد رؤيته الفكرية التي جمعت بين ثلاثة مناهج أساسية استوعبها الفاروقي ورسم من خلالها تصوره الفكري الحضاري.

هذه المناهج الثلاثة هي: المنهج الغربي، المنهج الفلسفي التحليلي التأملي، منهج الدراسات الشرعية الإسلامية، هذا بالإضافة إلى تمرسه في علم مقارنة الأديان ودراسته وتدريسه للعلوم اللاهوتية المسيحية. كل هذه العناصر شكلت ما يمكن أن نطلق عليه في لفظه ومعناه «العقل الفاروقي» الذي انشغل بالهم الإسلامي من خلال أفق يتسم بالرحابة والتأمل الصادق والإنجاز الإيجابي الملموس والبصيرة الحضارية.

تصور إسماعيل الفاروقي:

ينطلق الفاروقي في تصوره لإسلامية المعرفة من إدراك حالة التأزم التي أصابت العقل المسلم، فجعلته عاجزا عن الابتكار والإبداع والتوليد للمعرفة، حيث نجد الأمة الإسلامية اليوم في مؤخرة ركب الأمم.. ولم يشهد هذا القرن أمة تعرضت لمثل ما تعرضت له الأمة الإسلامية من هزيمة وإذلال. لقد هزم المسلمين وقتلوا وسلبت منهم أوطانهم وثرواتهم، بل وأرواحهم وآمالهم.



لقد خدعوا فاستعمروا واستغلوا. كل هذا حدث في كل دولة وكل ركن في العالم الإسلامي، ورغم أن المسلمين كانوا ضحايا الظلم والعدوان في كل ناحية، فقد ساهمت كل الأمم في تشويه صورتهم وتلطيخ سمعتهم، ولا يعرفون عن العالم الإسلامي إلا ما فيه من صراعات وانقسامات واضطرابات وتناقضات وحروب تهدد السلام العالمي، وإلا ما فيه من ثراء فاحش وفقر مدقع، ومجاعات وأمراض وبائية، إن «العالم الإسلامي» في نظر الناس اليوم هو «الرجل المريض» (المنتظر موته)، ويريد الأعداء أن يجعلوا العالم يقتنع بأن «دين الإسلام» يقف وراء كل هذه الشرور.. والأمر الذي يجعل هذه الهزيمة وهذا الإذلال والتشويه

باحثة في التراث

أمورا لا تطاق أبدًا أن تعداد هذه الأمة يفوق المليار، وأنها أوسع رقعة من الأرض المتصلة وأغناها، وأن إمكاناتها من الموارد البشرية والمادية والاستراتيجية أعظم من غيرها، وأن عقيدتها «الإسلام» دين متكامل وصالح، وإيجابي وواقعي، وفي إطار محاولة بعث وتأسيس النظام المعرفي الإسلامي من جديد بغرض تفعيله ليكون أكثر تعبيرا وانسجاما مع حاجات الإنسان المعاصر في ظل الثورات المعرفية التي هزت كيان الإنسان وأفقدته القدرة على التعاطي السليم مع مشكلات الواقع الراهن ومعالجتها من منظور النسق المعرفي الصحيح.. من هنا جاءت محاولته الرامية إلى ربط منظومة المعرفة بمنظومة الاعتقاد ومنظومة القيم، بحيث يكون فيها التوحيد ناظما معرفيا وضابطا منهجيا ونموذجا نقيس إليه تصوراتنا وأفكارنا ومفاهيمنا وسلوكاتنا وممارساتنا.

فعلة الأمة الإسلامية تكمن في اعتلال الفكر ومنهجيته وما يترتب على ذلك من اعتلال نظام التعليم السائد فيها مما يشكل تربة خصبة للداء، فالفاروقي يحلل هذه الأزمة بالرجوع إلى حالة التعليم في العالم الإسلامي في الظرف الراهن، ليقف على حقيقة مرة تتمثل في افتقار أصحابها إلى الرؤية الصحيحة الواضحة، رؤية كلية للإنسان والكون والحياة رؤية تنبع من العقيدة في الأساس، ولن تجد الأمة حلا لأزمتها إلا بإيجاد حلول لأزمة الفكر والمعرفة الإسلامية عن طريق إيجاد حل لمشكلة التعليم، بمعنى إعادة تشكيل نظامها التعليمي من جديد، وذلك من خلال دمج نظامي التعليم: نظام التعليم الديني مع نظام التعليم العام، ثم غرس الرؤية الإسلامية، وفرض دراسة الحضارة الإسلامية مع إسلامية المعرفة الحديثة حتى تعاد صياغة الحياة بحيث تتجسد فيها السنن الإلهية وقيم الإسلام في بناء الثقافة والحضارة.

النظام التعليمي منبع الداء في أمتنا.. تربة خصبة لتغريب النفس عن الإسلام

ولن يتحقق ذلك إلا إذا اتبعنا منهجية نتجاوز فيها المنهجية التقليدية، فنتجاوز وهم تعارض الوحي مع العقل، ونربط الفكر بالعمل ونقضي على الازدواجية الثقافية والدينية ونزيل الفصام النكد بين المثال والواقع، بين القيادة الفكرية والأيديولوجية وبين القيادات السياسية والاجتماعية.

تصور «الفاروقي» لأزمتنا الحضارية

يقسم الفاروقي الأزمة الحضارية إلى جانبين، الأول: عَرَض هذه الأزمة أوالمرض – كما يسميه – وهو على ثلاثة أصعدة:

الأول: الصعيد السياسي والذي لعب فيه الاستعمار دورًا أساسيًا من خلال تفتيت «الأمة» إلى دول وحدود وتقسيمات كانت أساسًا في الخلافات الدائمة بين هذه الدول. ثم ماخلفه «الاستعمار» من إدارات وحكومات تابعة له، وتكريس «التبعية السياسية» للاستعمار. ثم خلقه – كيانًا معاديًا للأمة في وجوده الفكري والأيديولوجي وهو الكيان الصهيوني.

والثاني: على الصعيد الاقتصادي، فإن الأمة الإسلامية متخلفة اقتصاديا لا تستطيع أن تحصل متطلبات الحياة الأساسية بل تقوم باستيرادها. كما كان هناك – أيضًا – تفريغٌ لقدرات الأمة الزراعية والصناعية.

والثالث: الصعيد الثقافي والديني، وقد رآه الفاروقي متمثلًا في: انتشار الأمية والجهل والخرافة في الأمة الإسلامية، ثم فرض عملية «التغريب» فرضًا والذي أدى إلى تعريض الثقافة الإسلامية للخطر.

وضع الفاروقي يده على ما اعتبره مكمن الداء للأزمة (المرض) التي تعانيها «الأمة» الإسلامية حيث جاء تشخيصه كالتالي: «...إن مركز الداء ومنبعه في هذه الأمة إنما هو النظام التعليمي السائد. إنه التربة الخصبة لتربية العلل. في المدارس والجامعات تولد وتؤيد عملية تغريب النفس عن الإسلام».

لقد كان «تغريب» العقل المسلم وتحوله إلى صورة «ممسوخة للغرب» والانفصال عن منهج الإسلام المعرفي والثقافي دافعًا للفاروقي لمشروعه الفكري والحضاري. حيث رأى أن التعليم في العالم الإسلامي في أسوأ حالاته من عدة وجوه، أبرزها «التغريب» الذي أوجد بدوره إشكالية الازدواجية الثقافية والمعرفية التي يعاني منها العقل المسلم والمتمثلة في شكل التعليم الديني (والذي يمثله النموذج التقليدي للدراسات الإسلامية متمثلة في الأزهر) والتعليم المدني والذي جاء تحت مظلة «التقدم والحداثة» ويتمثل في شكل «الجامعة».

وقد أدى هذا– كما يقول الفاروقي– إلى «انعدام الرؤية» في العقل الإسلامي وإنتاج شخصية مهزوزة. ولهذا فإن المسلمين خلال قرنين من النظام التربوي التعليمي العلماني لم ينتجوا شيئًا يوازي في الإبداع ما في الغرب: مدرسة كلية أوجامعة، أو جيلًا من العلماء المتميزين.

فإسلامية المعرفة تأخذ في الاعتبار عددا من المبادئ الأساسية التي تكون جوهر الإسلام وهي: وحدانية الله، وحدة الحقيقة، وحدة المعرفة، وحدة الحياة، وحدة الإنسانية، تكامل الوحي والعقل، الشمولية في المنهج والوسائل. حتى تقضي على الخلل الواقع في مجالين: مجال الفكر الغربي المتأزم العاجز عن تجاوز مآزقه، وخلل في مجال تعاملنا

مع التراث الإسلامي، ولإيجاد حل لهذه الازدواجية المرضية، يقترح الفاروقي ما يسمى بإسلامية المعرفة، فتأخذ هذه الإسلامية وجهين: وجه داخلي ينصب على دراسة تراثنا وديننا، ووجه خارجي ينصب على استيعاب ونقد الفكر الغربي.

وإعادة إحياء النظام المعرفي الإسلامي، وبنائه من جديد وفق منهجية معرفية تتوافق ومعطيات العصر والعلم والمعرفة والواقع فتجدد مفهومه، وطبيعته وخصائصه وأسسه ومجالاته، ويكون بالمراجعة النقدية للأسس المعرفية للفكر الغربي والإسهام في تطوير منهجية عملية بديلة قائمة على المنظور التوحيدي كمركز تنتظم حوله كل المعارف والعلوم. إقامة نظام معرفي شامل ومتكامل يؤلف بين معرفة الخالق ومعرفة: ما خلق؟ ومن خلق؟ وكيف خلق؟

والحديث عن العلاقات البينية بين العلوم، والعلم بالخلل، الموجود في المنظومة المعرفية الغربية، الذي يكشف عن مواطن القصور في نظامها المعرفي وفي الآن ذاته يكشف عن نقاط الضعف في التراث الإسلامي. وهو ما يستوجب عملية النقد الداخلي للتراث والنقد الخارجي للمعارف الإنسانية. إسلامية المعرفة إذن تأخذ منحيين أساسيين: أحدهما يتجه إلى التجديد الداخلي من داخل البنية المعرفية الإسلامية والآخر يتجه إلى بناء منهجية تعامل قويم مع أفكار وحضارات وتجارب الأفراد والمجتمعات الواقعة خارج دائرة النسق المعرفي الإسلامي وحضارته. وهو ما يبعدها عن مزالق الأيديولوجيا باعتبارها نسقا معرفيا مغلقا.

بدأ الفاروقي حركته الإصلاحية في جانبها العملي بتأسيس «جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين» بالولايات المتحدة الأميركية هو ومجموعة من المتحمسين لحمل الهم الإسلامي في الميدان الفكري

دراسة التراث واستيعاب الفكر الغربي ونقده .. طريق النجاة

وتولى رئاسة الجمعية في الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٨، قبل أن يسهم مع نخبة إسلامية علمية في الإعداد للمؤتمر الدولي الأول للتربية الإسلامية في مكة المكرمة في مارس عام ١٩٧٧، وقدم في هذا المؤتمر الذي كان بمثابة الخطوة الأولى الملموسة لمشروع «إسلامية المعرفة» بحثا بعنوان «إعادة صياغة العلوم الاجتماعية في ضوء الإسلام» والذي نقد فيه الأسس الفلسفية للنموذج المعرفي الغربي، ودعا من ناحية أخرى إلى ضرورة فتح باب النقاش والدرس لإعادة صياغة العلوم الاجتماعية بمنظور إسلامي.

ثم كانت ندوة لوجانو «بسويسرا» في يوليو ١٩٧٧ والتي خرجت بتوصية إنشاء مؤسسة عالمية تتولى تنسيق الجهود الفكرية الإسلامية لتحقيق الإصلاح الفكري المنشود، والذي تمخض عن إنشاء «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالولايات المتحدة الأميركية وهو مؤسسة فكرية، ثقافية، مستقلة، تهدف إلى خدمة الفكر والثقافة الإسلامية.

تبنى «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» مشروع إسلامية المعرفة. وحدد أهدافه في هذا الإطار فيما يلي:

أ- توعية الأمة بالأزمة الفكرية والثقافية.

ب- تحديد معالم العلاقة بين قصور مناهج الفكر الإسلامي من ناحية، وبين غياب الأمة ومؤسساتها ونظمها، وتخلفها العلمي والثقافي والحضاري من ناحية أخرى.

ج- تفهم طبيعة أزمة الفكر الإسلامي المعاصر وأسبابها والسبل المؤدية إلى معالجتها، والوسائل المطلوبة لمواجهتها والتغلب عليها وعلى آثارها.

د- العمل على تجديد فكر الأمة، وتحديث طاقاته، وتطوير مناهجه، وبلورة منطلقاته، وربطه بالمقاصد والغايات والكليات الإسلامية الأصيلة النابعة من الكتاب والسنة.

هـ- العمل على تأصيل شمولية المنهج الإسلامي في ميدان الدراسات الإنسانية، وتأصيل الدراسات العلمية الإسلامية في ميدان الواقع الحياتي، والفطرة الإنسانية والاجتماعية.

و- البدء بأعمال تُمَكّن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية المعاصرة من استيعاب الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي مع العلوم والمعارف الحديثة وتيسيرها للدارسين المسلمين والعلماء والباحثين.

ز- العمل على تقديم الأبحاث والدراسات والكتب المنهجية المؤدية إلى بلورة المفاهيم والمنطلقات الإسلامية الأصيلة. وإرساء أسس العلوم الاجتماعية والإنسانية الإسلامية التي تسهم في بناء الثقافة الإسلامية المنشودة.

ح- إعداد الكوادر البشرية العلمية اللازمة لريادة مجالات «إسلامية المعرفة» وبناء النسق الثقافي الإسلامي للأمة على أسس سليمة وذلك من خلال برامج القروض والمنح الدراسية، والإشراف العلمي، والبرامج الدراسية الإسلامية في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة كافة.

ولقد كان تغريب العقل المسلم ومسخه دافعًا للفاروقي في بناء مشروعه الفكري والحضاري.

رحم الله الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي فقد كان رائد مشروع إسلامية المعرفة.



عمل المرأة بين الإجازة والمنع

يؤكد الواقع العملي في جميع أنحاء العالم وعلى مر العصور أن الرجل هو رب الأسرة والمسؤول عن إعالتها وأن الأعمال الشاقة هي من اختصاص الرجل وحده ، والانخراط في السعي والعمل بالنسبة للمرأة هو بمقدار ما تستوعب طاقاتها ويتوافق مع ظروفها وأولويات حياتها الخاصة ، وفي الإسلام خلد المولى عز وجل صورة هاجر أم المؤمنين ووليدها إسماعيل عندما تركهما نبي الله إبراهيم عليه السلام في صحراء مكة ، استجابة للوحي الإلهي إذ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم : ٣٧) لم تيأس هاجر ولم تستسلم بل سعت بين الصفا والمروة ، ولم تقل وما قيمة السعي بين جبلين في صحراء مقفرة بل كررت السعي (سبعة أشواط) وهي تلهج بالدعاء وفي يقينها أن الله لن يضيعها ووليدها حتى تفجر الماء تحت قدمي الطفل واستجاب الله الدعاء ، فالعمل الصالح فريضة على كل مسلم ومسلمة حتى المرأة التي مازالت تحمل وليدها على كتفها ، فالبطالة السافرة أو المقنعة مرفوضة في المجتمع الإسلامي الفاعل .

موسوعة الأسرة

حسِّني مزاجك بالغذاء

أمال عبدالرحمن محمد

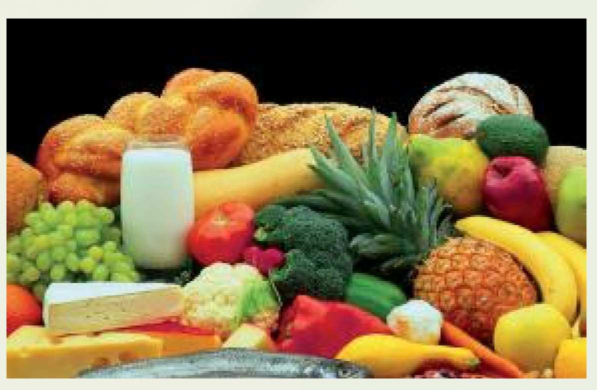
قاومي الأرق بالموز والزبادي، اعدلي مزاجك بشرب الماء، تغلبي على الخمول والإحباط بأكل الأسماك والطيور، قللي من نرفزتك وقلقك بتناول عسل النحل.. هذه النصائح قدمها د .خالد المنياوي استاذ طب الأطفال واستشاري اعصاب الأطفال بالمركز القومي للبحوث خلال محاضرته التي القاها تحت عنوان «الغذاء والمزاج» والتي تناولت علاقة التغذية بالحالة المزاجية للإنسان، وذلك ضمن فعاليات المؤتمر السنوي التاسع لشعبة البحوث الطبية بالمركز الذي عقد أخيرا.

في البداية يعرف د.خالد المنياوي المزاج بأنه حالة خاصة من الشعور او الانفعال العاطفي التي يمر بها الانسان كبيرا وصغيرا، وهذه الحالة المزاجية تبدأ او تنتهي خلال فترة زمنية قصيرة قد تصل الى ساعات معدودة او بضعة أيام قليلة، وأشار الى ان العلم الحديث اثبت امكانية تحفيز المزاج من خلال منبهات معينة، حيث بينت الدراسات البحثية أن تناول بعض الأغذية أو المشروبات يمكن أن يحسن من الحالة المزاجية في اكثر من ٨٨٪ من الحالات، كما ان ٢٦٪ من عينات هذه الدراسات حدث لهم تحسن ملحوظ في تقلبات مزاجهم، وكذلك حسنت بنسبة ٢٤٪ من حالات الاكتئاب التي كانت تعترضهم، وأيضا لوحظ تحسن في ٢٦٪ من حالات الذين يعانون التوتر و الفزع.

وقد يتساءل البعض: ما أهم الأغذية والمشروبات التي تؤثر فعليا على الحالة المزاجية؟

والإجابة كما قال د .خالد في محاضرته أن الماء يعتبر من أهم ما نتناوله ويؤثر ايجابيا على المزاج، وكذلك السكر والكافيين والشيكولاتة إلى جانب الخضراوات والفواكه، وذلك بالإضافة الى المأكولات البحرية الغنية بالزيتون والأحماض الدهنية المفيدة، وعن أفضل الأغذية والمشروبات التي تؤثر ايجابيا على الحالة المزاجية لمن يعاني من الاضطرابات العصبية وحالات الرعب والفزع بدون سبب فقد لخصها كالآتي:

ينبغي عليهم الاهتمام بزيادة تناول ما يحتوي منها على الكالسيوم والماغنسيوم والبوتاسيوم لأن هذه العناصر تقل في حالات القلق والضغوط النفسية، وهي توجد في الموز والبروكلي والأرز الغامق والأسماك والخميرة والزبادي ومنتجات الصويا والفواكه المجففة بالإضافة الى الأغذية الغنية بفيتامين ج والتي توجد



في الكريز والتوت والعنب الأحمر والموالح.

وأشار الى ضرورة أن يتناول هؤلاء الذين يعانون من الاضطرابات العصبية والرعب والقلق كميات مناسبة من الكربوهيدرات المختلفة والحليب والفواكه المجففة لاحتوائها على الأحماض الأمينية وعلى رأسها حمض التريبتوفان الأساسي والحيوي لتكوين وتصنيع هرمون السعادة الذي يخفف من القلق والنرفزة ويعتبر من المهدئات كما يمكن لعسل النحل أيضا أن يؤدي هذا الدور، فهو مهدئ طبيعي للحالة العصبية للإنسان.

كما ينصح بالإقلال من تناول الدهون المشبعة لتحسين حالة هؤلاء الذين يعانون من تلك الاضطرابات العصبية والرعب والقلق بدون سبب والامتناع أيضا عن تناول الأغذية التي تحتوي على كميات من الكافيين مثل القهوة، الشاي الثقيل، الشيكولاتة، الكولا، وأيضا المشروبات الغازية والمعلبات بصفة عامة وذلك للحد من تلك الأعراض السابقة.

وفي حالات الأرق التي قد يعاني منها البعض فإن تناول الأغذية الغنية بفيتامين ب يساعد على النوم والاسترخاء وتوجد



في الموز والزبادي واللبن والتونة. بالإضافة الي الامتناع عن التدخين وعدم الإفراط في تناول الشيكولاتة، الطماطم، السبانخ، البطاطس والسكريات لاحتوائها على عنصر التيرامين والذي ينشط خلايا المخ.

أما الاحباط والخمول الذي قد ينتاب البعض فينصح د .خالد أصحابه بتناول الأغذية الغنية بالبروتينات والدهون الأساسية، بالإضافة الى أغذية غنية بحامض الفوليك مثل السلمون والأسماك بصفة عامة وتناول الطيور وعلى رأسها الدجاج والرومي والألبان المجففة الخالية من الدسم والأجبان والبيض وأيضا المكسرات.

أسأل: هل تأثير الأغذية والمشروبات السابق ذكرها على الحالة المزاجية يمتد الى الاطفال مثل الكبار؟

فكانت الإجابة بالطبع يمتد تأثيرها على الحالة المزاجية للأطفال مثل الكبار تماما ولكن بصورة مختلفة، فهذه النصائح والإرشادات التغذوية مبنية على أسس علمية تتلخص في كون المزاج هو إحدى الخصائص التي تحكمها عملية فسيولوجية ربانية وتلعب فيها الموصلات العصبية دورا كبيرا في التحكم في حالة المزاج عند الصغار والكبار، وبالنسبة للصغار فهو يفيد في رفع كفاءة قدراتهم الذهنية وقدرتهم على التعلم خاصة أيام الامتحانات، أما الكبار فهو يفيدهم في زيادة التركيز ويقوي الذاكرة بنوعيها قصيرة المدى وبعيدة المدى، ولذلك فلابد أن نتذكر دائما أن ما نتاوله من أغذية ومشروبات ما هو إلا مواد أولية لتحفيز أو تثبيط بعض المواد الكيماوية والهرمونات داخل أجسامنا والتي تؤثر على معدلات الموصلات العصبية لدينا كبارا وصغارا فتحدث التغيرات المزاجية والصحية.. متعنا الله بالصحة والعافية ومتع صغارنا بالسعادة والنجاح.

دائمًا هناك أمل !

شعبان ناجي

أمل طفلة جميلة وبريئة وذكية لكنها فقدت قدرتها على المشي والنطق، وذلك بعد الحادث الأليم الذي تعرضت له هي وأفراد أسرتها، وذلك عندما انقلبت بهم السيارة على الطريق الصحراوي فتوفي والدها ووالدتها لتجد أمل نفسها فجأة يتيمة وحيدة في الدنيا الواسعة إلا من جدتها، تلك السيدة العجوز التي لا تستطيع أن تخدمها وترعاها، ولذا فقد تم إيداع أمل في معهد لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة وهو الأمر الذي آلم أمل كثيرًا ولكن ما عساها أن تفعل وليس في مقدورها شيء.

بعد أن دخلت أمل المعهد كانت مكتئبة جدًا وقررت ألا تتعامل مع أحد وتنزوي بعيدًا عن الآخرين، وبالفعل ظلت على هذا المنوال لفترة طويلة من دون أن يكون لها أصدقاء أو صديقات إلى أن جاء اليوم الذي ظهرت فيه معلمة جديدة بالمعهد اسمها «مريم» والتي راحت تتعامل مع أمل ليس من منطلق الشفقة والإحسان، وإنما عاملتها على أنها إنسانة طبيعية كغيرها.

وذات يوم قالت المعلمة لأمل: لماذا أراك منطوية؟ شاركينا الحوار عن طريق الكتابة أو الإشارة.. لكن أمل لم تستجب لكلام معلمتها، فقالت إحدى الفتيات في الفصل بسخرية: إنها لا تعرف الكتابة أو الإشارة، وضحكت وضحك معها كل الفصل، فحزنت أمل وأخذت تبكي بشدة، فغضبت المعلمة ونهرت الأولاد والبنات على سخريتهم من زميلتهم، فأحبت أمل معلمتها بعد هذا الموقف، وبدأت تسمع كلامها وبدأت تستجيب لتوجيهاتها ومن ثم أصبحت تتعامل مع الجميع بسعادة وفرحة غامرة.

وفي أثناء حصة اللغة العربية طلبت المعلمة من أمل أن تكتب ما تشعر به على السبورة، فاستجابت أمل وخرجت إلى السبورة وأمسكت بقطعة الطباشير الخضراء، وكانت المفاجأة أنها كتبت وبخط جميل: «دائمًا هناك.. أمل!».



باحث أسري

مساوئ الدلال على سلوك الأطفال

عبدالحميد غزي بن حسن

تؤكد الأبحاث التربوية أن ما يحصل عليه الطفل من زيادة في جرعات الاهتمام والرعاية والتدليل عن الحد المألوف، قد ينقلب الى ضده، مما يكوّن خصالاً سيئة ضارة لديه، ويعزى الى كونه - الطفل - ليس كائناً محايداً في الأسرة، وإنما يتحدد انطلاقاً من المقام الذي يعطى إياه من قبل الأسرة عموماً ومن قبل الوالدين على وجه الخصوص، وعلى ذلك فقد يختلف الإخوة فيما بينهم تبعاً للمكانة الخاصة التي يعطى إياها كل منهم.. لدرجة أن كثرة التدليل والرعاية الزائدة تولد لدى الطفل خصالاً سيئة ضارة، ومنها:

١- الاعتماد على الأبوين.

٢- تولد الأنانية في شخصية الطفل.

٣- زرع الضغينة بين الأطفال.

٤- ترك الأهل حبل الولد على غاربه.

عندما يكبر الطفل قليلاً، لا يستطيع أن يعمل أي عمل إلا بمساعدة أبويه، فلا يأكل إلا بيد أمه، مما يؤدي الأمر الى الالتصاق بأمه حتى لا يطيق مفارقتها.. ولا يطيق الالتحاق بالمدرسة بسبب الارتباط العضوي والنفسي بأمه وأبيه وبيته.. كما ان الاستجابة لكافة رغبات الطفل، يولد عنده الأنانية وحب الذات، لدرجة قد تدفعه الى حب التملك والرغبة في الحصول على كل شيء وبشتى الوسائل والسبل، حتى ولو كان عن طريق العنف والنزاع.

وأيضاً من مساوئ الدلال على سلوك الطفل، قلة المناعة عند الطفل، وتدهور صحته، نظراً للرعاية الزائدة للطفل والقلق الزائد عن الحد الطبيعي بشأنه، مما يستدعي الطبيب حتى ولو عطس أو سعل، والضار في بعض الأحيان، تلك الآثار السيئة لبعض الأدوية، لذلك نكون قد نزعنا من الطفل أهم نعمة رزقها الله له.

وإضافة لما تقدم، وبدافع الحرص الشديد والحب الزائد للطفل، ننظر الى اطفالنا دون اطفال الآخرين، بحجة ألا يصيبهم أي مكروه، فيكون سبباً في زرع نوع من الضغينة بين الأطفال أنفسهم وبيننا وبين الأهل (أهل الأطفال الآخرين). والأخطر في ذلك، انتقال هذه الظاهرة السيئة الى المدرسة، عند ممارسة المعلم دوره التربوي مع الأطفال المدللين، سيما عند تعرضهم للتوبيخ واللوم، حيث يسارع الأهل الى الوقوف مع طفلهم المدلل، ناسين حال طفلهم ومستواه العلمي، واللجوء الى المعالجة بحكمة وروية.. ناهيك ان الآباء والأمهات لا يسألون عما يفعل أطفالهم، ومن يصادقون، ناسين واجباته الاجتماعية والدينية، وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ (الأنفال: ٢٧-٢٨).

ولعل من جملة الأسباب التي تكمن





خلف ظاهرة الدلال للطفل، ولاسيما الرعاية، يمثله الطفل بالنسبة للأم، انه يمثل لها معنى أو أكثر في الوقت نفسه، انه توكيد لأنوثتها ودليل نضج وتقدم عن طريق الأمومة، وهو نتاج وجودها... وهو موضع اعتزازها بنفسها أو قلقها الوجودي، وهو ضمانة استمرار الحياة الزوجية، ومجسد آمالها ورغباتها التي لم تستطع تحقيقها.

وقد تحب الأم أحد الأبناء وتدلله وتعطيه مكانة مفرطة على حساب الآخرين والعالم الخارجي على حد سواء، لأنه ولد بعد طول انتظار، أو بعد موت عدة اطفال أو اجهاض متكرر، أو يعزى الى قدوم ولد بعض عدة بنات.. وقد تدلل الأم الطفل لأنها ترى فيه مرآة ذاتها.. ترى الطفلة التي كانت والتي مازالت تعيش في لا وعيها.. أو لأنه يثير فيها قلق الموت، نظراً الى اعتلال صحته واصابته بالأمراض... وقد يكون وراء هذا الدلال المفرط، تعويضاً ونفياً لميول عدوانية تجاهه.. وربما تدلل الأم أحد أطفالها كي تنافس والدتها على الأمومة.. وقد تجد الأم في ممارستها الدلال المفرط والعناية الزائدة لطفلها، تعويضاً نرجسياً عن فشلها العلائقي، أو محاولتها للتدليل كأسلوب في الرشوة العاطفية كي تستقطبه الى جانبها في حالة تحويل الاحباط الزوجي الى تنازع على حب الأطفال من خلال محاولة كل من الزوجين تقديم الرشوة الى الأبناء.

وبغض النظر عن تلك الأسباب، سواء باستخدام تدليل الطفل الأصغر عادة لحل الكثير من الصراعات العلائقية الصغيرة، مما يؤدي الى

الاستجابة لكل رغبات الطفل تولد الأنانية وتفقده الثقة بالنفس وتزرع الضغينة بين الأطفال

افلات الطفل في أي قانون أو سلطة تضبط نزواته، أو تفضيل الولد الأكبر على الآخرين من دون سبب مقنع، مما يولد الكراهية والغيرة في قلوب الإخوة.. ومن حيث النتائج إذ تترك آثارا سلبية ضارة لدى الطفل وهي تدخل في الجور، يقول ﷺ: «اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم»، والعدل بين الأبناء يجب أن يكون في كل شيء ما استطعنا الى ذلك سبيلاً، حتى في القبل، إذ ورد عن أنس بن مالك أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بُني له فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنية فأخذها، فأجلسها الى جنبه، فقال النبي ﷺ: «ما عدلت بينهما»..وقد بشر رسول الله ﷺ من يعدل بين أولاده ببشرى عظيمة: «فهم على منابر من نور يوم القيامة».

- ولكن ما المطلوب في هذا الصدد، لما للدلال الزائد من آثار سلبية على الطفل؟

- إن الأولاد أمانة.. ولا يجوز التفريط فيها، وإن في ربط التقوى بالعدل في الأولاد، إشارة واضحة الى أهمية العدل بين الأولاد، مما يناسب تقوى الله، والتفريط فيه تفريط في التقوى، قال تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨).

وألا نكون سبباً في زرع تلك الخصال السيئة الضارة على الطفل والأسرة والمجتمع من خلال الدلال والعناية الزائدة بالطفل، وعلينا أن نتبع الشريعة الإسلامية في تربية أولادنا، وتنشئتهم على البر والتقوى، وصدق الله العظيم: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة: ١٤٣).





الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة

بشرى شاكر

الإعاقة: تعني لغويا الحبس والتثبيط، بمعنى أن الإعاقة هي شيء يثبط عملا ما أو يحبس الإنسان عن تصرف ما، ولكن لا يعني انه يجعله عاجزا مثلما كان يطلق قديما على من كانت لديه إعاقة ما، فقد لقب هؤلاء من قبل بذوي العاهات والعاجزين، وتطورت المسميات إلى ذوي الاحتياجات الخاصة والمعاقين، وهناك من لقبهم بالأسوياء ولربما في ذلك إنصاف لهم، إذ إن الله وحده يعلم الخير فيما يهبه أو يمنعه، قال سبحانه وتعالى في سورة الحجرات: ﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾، بمعنى أن حتى الإيمان لا يقاس بدرجة صحة المرء أو علته وإنما فقط بالتقوى، فكما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (مسلم).

تعريف الإعاقة علميا هو: مرض عضوي يصيب الأطفال في سن الطفولة أو المراهقة، وقد تنجم عن عامل وراثي أو تنجم عن حادث مثلا وقد يكون سببها بعض الفيروسات مثل حالة شلل الأطفال، والإعاقة تكون إما بدنية بحيث تعيق عمل أحد الأطراف أو كلها، أو إعاقة ذهنية تتمثل في تخلف عقلي أو خلل تفكيري أو انخفاض مستوى الذكاء وعدم القدرة على التركيز مثل حالة الأطفال الذين يعانون من فرط الحركة أو المصابين بالتوحد. وفي كل أحوال الإعاقة، فإن العلاج الجسدي والترويض لا يكون كافيا ويحتاج إلى علاج نفسي أو حتى متابعة نفسية بطريقة سليمة من قبل الآباء والمدرسين، وفي بعض الحالات أو في بعض الإعاقات يكون هذا العلاج نوعا من المعاملة الخاصة اتجاه الطفل لا يكون هو في حاجة إليها، بل يحتاج إلى أن يعامل معاملة طبيعية، وهذا طبعا في حالات الإعاقات التي يمكن معالجتها دون



على الآباء أن يبحثوا عن إيجابيات طفلهم ولا يتوقفوا عند إعاقته

الحاجة إلى سلوك خاص.

أول ما يواجهه الطفل المعاق عضويا (أي بطرف مبتور مثلا) هو الخجل من مظهره الخارجي ولجوؤه للانطواء والانعزال بعيدا عن العيون.

أولى الخطوات التي يتوجب علينا القيام بها، هي أن نتقبل نحن أولا كونه هكذا حتى لا نظهر المزيد من الشفقة أو إفراطا في الاهتمام، قد لا يفيده بل يبعده أكثر عن المجتمع، إذ على الآباء أن يتجاوزوا ما يشعرون به من إحباط حينما يولد لديهم طفل معاق، ذلك الإحباط الذي يجعلهم في حالة نفسية سيئة تجعل الطفل حديث الولادة لا يستمتع بمرحلة الطفولة كأي طفل عادي ويتكون هناك حاجز بينه وبين علاقته بأمه الذي يكون في أمس الحاجة لها...

لا ينبغي للآباء أن يستبقوا الأحداث ويفكروا في معاناة لاحقة وسابقة لوقتها، إذ إنهم بذلك لا يستطيعون منح الطفل حياة مستقرة ولا يستطيع هذا الأخير التأقلم مع صدمة الميلاد، فهو منذ البداية يحس بتوتر محيطه لأنه لا يرغب فيه. والسلوك حيال هذا الابتلاء يختلف من أسرة إلى أخرى، بحيث إنه هناك من الآباء من يعتريهم الإحباط والألم ويخفون طفلهم عن العيون ويفكرون في كيفية التعامل مع المجتمع وينسون تعليمه هو كيف يتعامل مع هذا المجتمع، وهناك أسر تتقبل الوضع ولكن ظاهريا فقط فتكون على حافة الانهيار عند أول مشكلة قد تحدث حتى لأبنائهم الآخرين الذين لا يعانون من أي مشكلة، وهناك من يحاول أن يثبت أن طفله سليم فيحمله ما لا طاقة له به، ويحاول تعليمه بأساليب غير صحيحة أشياء اكبر لا يطيقها، ولا يلجأون إلى أخصائي نفسي ولا إلى أي علاج آخر خوفا من أن يكتشف الآخرون أن لديهم طفلا يعاني من إعاقة ما، وهناك آخرون أكثر إيمانا يتقبلون الأمر ويسعون إلى تنمية مهارات طفلهم بأساليب علمية، ويتعلمون كيفية التأقلم مع الوضع الجديد ويغدو الأمر فيما بعد طبيعيا.

والأساس في تقبل الطفل على حالته هاته، هو مدى الترابط الأسري الذي يسود بين الوالدين عموما، بحيث إنهما يتقبلان الأمر ويتفاعلان معه بحب وود ويتعاونان فيما بينهما ولا يلوم احدهما الآخر على أمر الهي مقدر.

يلجأ بعض الآباء إلى إهمال الطفل المعاق ومعاملته على انه إنسان عادي، ولا يهتمون بتنمية مهاراته ولا بمساعدته على تجاوز إعاقته، وهناك من يشدد وسائل الحماية أكثر فأكثر فيجعل من الطفل معاقا أكثر من الأول...

وبين هذا وذاك فقد أبان ديننا الحنيف عن وسائل التعامل مع هذه الفئة من المجتمع بدعوته أولا إلى عدم الإقصاء، وبإقراره انه لا احد أفضل من احد إلا بالتقوى، وبمنحه الفرصة للعديد من هؤلاء لإثبات ذاتهم، كما أن علم النفس الحديث جاء بحلول تربوية إدماجية مهمة أيضا.

ذكرنا أن أول وأهم شيء، هو تقبل الطفل كما هو من قبل الوالدين ليتمكنا من جعله يتقبل نفسه ويعيش حياة مستقرة، فمهم جدا أن يعلم الآباء انه طفل أولا ولديه إعاقة ثانيا، خلافا عن باقي الأطفال، قد يبدو بسيطا إذا تقبلنا الأمر نحن أولا وقد يصبح مشكلا كبيرا إن نحن لم نستطع تقبل الطفل كما هو.. فعلى الآباء إذن أن يبحثوا عن إيجابيات الطفل ولا يتوقفوا عند الإعاقة، فلا احد يمكنه أن يكون بدون نقائص وإنما الكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

إذن فتقبل إرادة الله تعالى.. واستقبال الطفل كطفل أولا، هي أهم مرحلة تمهد لمرحلة مرافقة الطفل في اقتحامه لمحيطه ومحاولة إدماجه كطفل عادي ولكن دون أن نطلب منه ما لا يستطيع القيام به. ومن المهم جدا أن نبدي احتراما لأبنائنا وألا نتذمر عند أول مشكلة تعترضنا، وأن نتحلى بالحلم ولا نغضب من أبسط الأشياء ونحاول استيعاب انفعالاتهم الزائدة، فأحيانا تكون هاته الانفعالات فقط ردة فعل على

عدم اهتمامنا بهم أو لعدم قدرتهم القيام بشيء ما مثل الآخرين وهذا أمر صحي عكس ما نظن، لأنه يبين أنهم يسعون للقيام بأمور حياتية عادية، بمعنى آخر أنهم يفكرون بطريقة سليمة ويحاولون التأقلم مع مجتمعهم...

فعلينا أن نعامل الطفل المعاق على انه طفل عادي مع محاولة جعله يتأقلم مع إعاقته ولا ضير من مساعدته أيضا، دون أن نسبب له إحراجا أمام الباقين كما أن الحديث معه ومحاولة جعله يمرن حواسه في أوقات معينة وخلال مدة زمنية تتصاعد مع اكتساب الطفل مهارات جديدة من انسب الوسائل العلاجية والإدماجية، وقد كانت الأخصائية النفسانية «مونتسوري» تقوم بذلك، إذ إنها اعتبرت مشكل الإعاقة مشكلا تربويا أكثر منه مشكلا مرضيا، لذلك وضعت برنامجا خاصا تمكن هؤلاء الأطفال من خلاله من الربط بين خبراتهم بالبيت والمدرسة، فهي بذلك تعطيهم فرصة التعبير عن رغباتهم والقيام بتعليم أنفسهم بأنفسهم، وقد سعت في ذلك إلى جعل الطفل يكتسب مهارات تدريبية لحواسه، فعن طريق سمك الورق مثلا وملمسه تدرب حاسة اللمس، وبتمييز الأصوات كتمييز صوت حيوان ما عن آخر استطاعت أن تنمي حاسة السمع، أما حاسة الذوق فقد كانت تنميها عن طريق التذوق فيحاول الطفل أن يفرق بين ما هو مالح ومسكر وحامض إلى غير ذلك...

وفي ديننا الحنيف مواقف عدة تبين كيفية التعامل مع هاته الفئة من الناس، فإذا كان اكبر الفلاسفة والعلماء يرون أن المعاق شخص لا يمكنه المساهمة في بناء المجتمع مثل أرسطو وأفلاطون الذي كان يطردهم مما اسماها المدينة الفاضلة لأنهم لا يؤدون وفقا له واجباتهم فيها،

علينا معاملة الطفل المعاق على أنه طفل عادي والعمل على جعله يتأقلم مع إعاقته

بل إن القانون الإنجليزي كان يعتبرهم فئة شاذة ويحرمهم من حقوقهم، فإن الله سبحانه وتعالى عاتب نبي الرحمة محمدًا ﷺ من اجل ابن أم مكتوم، الرجل البصير، الذي جاءه وهو منشغل بدعوة كفار مكة إلى توحيد الله فأدار وجهه والتفت إليهم، وبالرغم من أن ابن أم مكتوم لم ير ما حدث إلا أن الله رأى ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى﴾ (عبس: ١-٢) فأصبح الرسول ﷺ كلما قابل هذا الأعمى يقول له: «أهلا بمن عاتبني فيه ربي». ونذكر أن هناك العديد من الأطفال الذين أصيبوا بعاهة أو إعاقة في صغرهم ولكنهم أصبحوا من العلماء بل أيضا من الرسل والأنبياء، فعالم تفسير الرؤى وراوي الحديث ابن سيرين: كان يعاني من ضعف شديد في السمع، وحاتم بن عنوان أو أبوعبدالرحمن، لقب بحاتم الأصم لإصابته بالصمم ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون مدونا في الزهد، حكيما بليغا، حتى لقب بلقمان هذه الأمة، والأمثلة متعددة بل إن من الأنبياء أيضا من أصيبوا بإعاقة، مثل: يعقوب عليه السلام الذي ابيضت عيناه من الحزن، ورغم ذلك لم ينقص ذلك من علمه ولا من حكمته، واستمر يترجى الشفاء من الله إلى أن شفي تماما، إذ جاء في سورة يوسف ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ (يوسف: ٩٣)، وموسى عليه السلام الذي أصيب بعقدة في لسانه منعته من الكلام السليم إلى حين استجابة الله له حينما دعاه ليحلل عقدة من لسانه فقال سبحانه وتعالى: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ (طه: ٣٦)، وللإشارة فقط فإن إعاقة الأنبياء ليست أبدية وإنما عارضة مهما طالت مدتها .

وعموما كخلاصة، يمكن أن نورد بعض النصائح للتعامل مع هذه الفئات وهي:

- على الوالدين أن يتقبلا طفلهما كما هو وأن يتحليا بالصبر والحلم وأن يكونا رفيقين معه.
- عدم ترقب أي سلوك سيئ من قبله ما دام لم يحدث بعد، وبالعكس مراقبة سلوكياته الجيدة والإشادة بها...
- ممارسة الحديث والحوار مع الطفل حتى في حالة عدم قدرته على الرد أو رده بشكل متلعثم كما يجب أن يمنح هو أيضا الفرصة للرد أو للتعبير بالطريقة التي يقدر عليها.
- عدم التمييز بينه وبين باقي إخوته ممن لا يعانون إعاقة.
- محاولة تنمية مهاراته الحسية والفكرية باتباع طريقة «مونتسوري» لأنها ايجابية جدا .
- الابتعاد عن التعليقات السلبية التي تحبط الطفل.
- الثقة بقدراته لكي يستطيع هو أيضا أن يثق بنفسه لأنه أمر انعكاسي.
- من الأنسب أن نجعل الطفل يختار في بعض الأمور لكي يتعلم الاعتماد على النفس طبعا حسب قدراته.
- الاهتمام الزائد أيضا يسيء لهذا الطفل، فمساعدته واجبة ولكن التخفيف منها حينما نرى انه هو يريد أن يتعلم شيئا ما أمر واجب أيضا.
- أيضا لا ضير من أن نكافئ هذا الطفل حينما يحرز نجاحا أو تقدما ما.
- محاولة إدماج الطفل في اللعب مع إخوته ومساعدته على ولوج المجتمع.



سامحتك!

محمد الشحات أبوعبيد

أمّ في عمر الزهور مات زوجها، وترك ابن السادسة من عمره، ترملت الأم وعزمت على الانكفاء على ابنها كي تصنع منه رجلًا نافعًا لنفسه ووطنه، وفي أثناء اتخاذها لقرار عدم الزواج طرق بابها الخاطبون، فقد كانت على قدر واف من الجمال، إلا أنها عزمت العزم الأكيد وعدم الرجعة عما قررته.

وعاشت مع صغيرها وأدخلته المدرسة، وصارت له أما ومعلمة ومرشدة، وتدرج الابن في سنوات الدراسة حتى كبر ودخل كلية التجارة وتخرج محاسبًا، ثم سعت للبحث عن واسطة- فقد كانت لغة ذلك الزمان- وعمل في شركة خاصة وبمرتب مجز، وكانت فرحة الأم عظيمة لأنها رعت وربت حتى نمت الزرعة وكبرت، وأوشكت على قطف ثمرة جهد السنين وعذابات الوحدة وألم الفراق. أرادت لابنها أن ينشأ الرجل رقم واحد في الدنيا، ذلك هو القطف الأول. أما القطف الثاني عندما أرادت له الزواج، فمضى نحوه وفرحت الأم.. ذلك هو القطف الثاني. أما القطف الثالث فهو عندما بدأت الوحدة تعود للأم المضحية من جديد، وآلمها عندما بدأت معاملات ابنها تأخذ منحنى القسوة المؤلمة لأم ترملت من أجل وحيدها، كانت تنتظر ساعة تسمع فيها كلمة ثناء أو حب أو شكر، لكنها فوجئت بسوء في المعاملة. فقد طلبت منه أن يعطيها مما معه من طعام، فلم تعد تقدر على تلبية طلباتها، لكنه بدأ يملها.. فانزوت الأم وأخذت تبكي بكاء الحسرة، تبكي على ابنها، لأن مصيره إلى النار مهما عمل من أعمال صالحة؛ فالجنة تحت أقدام الأمهات.

وأما القطف الرابع عندما قررت الأم الرحيل من البيت ولكنها لا تعلم.. إلى أين؟ فحملتها قدماها إلى محطة للسيارات، وأخذت تبكي فعطف عليها أحد المارة وسمع قصتها فلم يدر ما يفعل، لكنه تذكر أن هناك دارا للمسنين قريبة، فأخذ تلك الأم وسلمها لهم.

وأما القطف الخامس عندما عاد الابن وسأل عن أمه، ولكن إرادة الله كان لها موقف آخر، وهو أن يتكبد المشاق، وفي ليلة من الليالي وهو يناجي ربه سمع هاتفًا يناجيه يشبه صوت أمه تقول له: ابني الغالي العزيز: هل هنت عليك؟ ألم تذكر تربيتي لك، وجوعي لتشبع، وعطشي لتشرب، ومرضي لتشفى؟ أما تذكر حناني وعطفي؟ ألم تشعر بحبي لك؟ هان عليك كل شيء؟!

لقد خرجت من البيت باكية حزينة عليك؛ لأن عقابك عند الله في الدنيا عظيم، وستعيش حتى تراه، وأعلم أنك تبحث عني، فاذهب إلى دار المسنين القريبة من المحطة، فأنا في انتظارك وفي شوق لرؤياك.

وفزع الابن من النوم يبحث عن حذائه، وأخذ يعدل من هندامه، وركب السيارة وذهب إلى هناك..

وسأل عن اسم والدته، وصدم من الإجابة حين أخبروه أنها فارقت الحياة منذ لحظات.. رحلت الأم طريق الابن إلى الجنة، تاركة هذا المسكين يواجه عواصف الحياة، ثم جلس المسكين على مقعد قريب منه حتى يتسلم جسمان والدته، وعندما قابل مديرة الدار سلمته رسالة مكتوبة على لسان والدته، وطلبت من المديرة أن تعطيها لابنها، وكأنها كانت مع موعد مع القدر.

أخذ الابن يقرأ ما فيها وهي تقول له: ابني الغالي، كم كنت في انتظارك حتى تأخذني من هذا المكان، ولكنك تأخرت. ابني العزيز، أحبك.. فأنت دنياي وجنتي وثمرة فؤادي، فقلبي لا يطاوعني أن تكون شقيًّا لقد سامحتك.. سامحتك.. سامحتك.. وإلى لقاء يا أعز حبيب ويا أغلى وليد.





دع الوساوس.. قبل أن تتلاعب بك!

منى السعيد الشريف

الوساوس من المشكلات العصيبة التي يتعرض لها عدد كبير من الناس، وهي متفاوتة في خطورتها، فقد تبدأ بأمور بسيطة عارضة حتى تصل بصاحبها إلى قضايا خطيرة، كالوساوس القهرية وما تسببه من شكوك قد تتصل بمسلمات دينية وثوابت عقدية، مثل الشك في وجود الله تعالى، وفي عقيدة القضاء والقدر، وفي أداء العبادات كالطهارة والصلاة وغيرها من العبادات.

الشيطان له مداخل عدة، وطرق شتى على بني آدم، تختلف باختلافهم، ومن أخطر هذه المداخل وأعظمها ضررًا، وأقواها تأثيرًا، وأعمها فسادًا، هي «الوسوسة»، التي هي طريقه لفريق من المسلمين الذين عجز عن إغوائهم بالطرق الأخرى، ولم تصدهم حبائله المختلفة، فعمد إليهم بهذه الوسيلة، وخدعهم بخدعة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب.

لهذا أمر الله تعالى أن نستعيذ منه ومن وسوسته على وجه الخصوص، وأنزل سورة خاصة بذلك وهي «سورة الناس».

إلقاء الشبهات على القلب

على الرغم من أن العباد نهوا عن أن يتفكروا في ذات الله، وفي حقيقة صفاته وكيفيتها، وأمروا أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على قدرته، فإننا نجد الشيطان يوسوس لبعضهم ويورد عليهم أسئلة تضيق منها صدورهم ويتحرجون منها، مصداقًا لما أخبر به رسول الله ﷺ عندما حدث ذلك لبعض أصحابه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» (البخاري: ٢٥٦٠).

اليقين لا يزال بالشك والجهل آمن طريق لإبليس

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه» (صحيح الجامع: ١٥٤٢).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه يُعَرِض بالشيء لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» (صحيح أبي داود: ٥١١٢).

وعن أبي زُميل قال: سألت ابن عباس، فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به؛ قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فإن كنتَ في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ (يونس: ٩٤)، قال لي: إذا وجدتَ في نفسك شيئًا فقل: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ (الحديد: ٣).

وسوسة الشيطان في العبادات.. كالطهارة والصلاة وغيرهما قال ابن الجوزي: اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبَّس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم، لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم، وقد قال الربيع بن خثيم: تفقه ثم اعتزل.

ثم أخذ- رحمه الله تعالى- يمثل لذلك بقوله: ومن ذلك أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء، ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قدمًا ويحط أخرى، وعنده أنه يستنقي بهذا من البول، وكلما زاد في هذا نزل البول. ومنهم من يلبس عليه في النية، فتراه يقول: أرفع الحدث؛ ثم يقول: أستبيح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع



الحدث، وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع؛ لأن النية بالقلب لا باللفظ.

ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به، فيقول: من أين لك أنه طاهر؟ ويقدر له فيه كل احتمال بعيد، وفتوى الشرع: يكفيه بأن أصل الماء الطهارة، فلا يترك الأصل بالاحتمال. ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء.. وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فات أوله وهو فضيلة، أو فاتته الجماعة (تلبيس إبليس ص: ١٣١-١٣٢).

من أسباب العلاج لوساوس الشيطان المتعلقة بالطهارة والصلاة والتشاغل عنها بجانب ما سبق ما يأتي:

● التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف: ٢٠٠): أي اطلب النجاة من ذلك بالله، فأمر تعالى أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه، والاستعاذة به، ولله المثل الأعلى، فقد حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيتَ لو مررتَ بغنم فنبحك كلبها ومنع من العبور، ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك. (تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٨٦٣).

ولما أتى عثمان بن أبي العاص النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا». قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (مسلم ٤٠٨٣).

● استصحاب القاعدة الفقهية العظيمة: «اليقين لا يزال بالشك»، فما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين. ودليل ذلك ما صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا.. فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا» (مسلم ٣٦٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا شك أحدكم في الصلاة فلم يدر كم صلى ثلاثا أم أربعا، فليطرح الشك، وليبن على ما استيقن، ثم ليسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسا شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماما لأربع كانتا ترغيما للشيطان» (مسلم: ٨٨٨).

● عدم البول في المستحم، والمراد به الماء الراكض، فقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: «لا يبولن أحدُكم في مستحمه ثم يغتسل فيه (قال أحمد: ثم يتوضأ فيه) فإن عامة الوسواس منه» (أبو داود: ٢٥)

● الاقتداء والتأسي بمسلك السلف الصالح في هذا الجانب، حيث كانوا يتشددون ويحذرون مما يدخل في بطونهم، وما كانوا يغالون في مسائل الطهارة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا:

فروى أبو داود في سننه عن امرأة من بني عبد الأشهل قالت: قلت يا رسول الله، إن لنا طريقًا إلى المسجد منتنة، فكيف نفعل إذا تطهرنا؟ قال: «أوليس بعدها طريق أطيب منها؟ قالت: قلت: بلى؛ قال: فهذه بهذه».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا لا نتوضأ من موطئ.. أي موطوء، يعني إذا وطئ على المكان القذر الجاف لا يجب عليه غسل القدم.

وسئل ابن عباس- رضي الله عنهما- عن الرجل يطأ العذرة؟ قال: إن كانت يابسة فليس بشيء، وإن كانت رطبة غسل ما أصابه.

وقال حفص: أقبلتُ مع عبدالله بن عمر عامدين إلى المسجد، فلما انتهيتُ عدلتُ إلى المطهرة لأغسل قدمي من شيء أصابهما، فقال عبدالله: لا تفعل، فإنك تطأ الموطئ الرديء، ثم تطأ بعده الموطئ الطيب- أو قال: النظيف- فيكون ذلك طهورًا، فدخلنا المسجد فصلينا جميعًا.

وقال عاصم الأحول: أتينا أبا العالية فدعونا بوضوء، فقال: مالكم، ألستم متوضئين؟ قلنا: بلى، ولكن هذه الأقذار التي مررنا بها، قال: وهل وطئتم على شيء رطب تعلق بأرجلكم؟ قلنا: لا، فقال: فكيف بأشد من هذه الأقذار يجف، فينسفها الريح في رؤوسكم ولحاكم؟ (إغاثة اللهفان لابن القيم: ج١ ص: ١٥٢).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملًا، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني ورقم الحساب البنكي ، واسم الفرع .

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.

ملاحظة : المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها .

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

الذهب والفضة

يتذكر المرء مرارا وتكرارا مقولة سيدنا عمر بن الخطاب الشهيرة «إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة» عندما يجد الحراك والتدافع الاجتماعي بات يستهوي كثيرا من الآفات الدخيلة على طبيعة حياتنا من تواكل وتغافل وتكاسل وقعود.. في الوقت الذي يكون فيه المجتمع أحوج إلى القيم والصفات التي تحث على البناء والتنمية.

ومن اليقين أن باب الخيرات ومفتاح النعمات، ودرب النعيم لن ينال إلا بالعمل والعطاء، فلا يمكن نجاح التغيير إلا بإحداث هبة عملية في كل مشارب المجتمع على الثقافات السلبية والعادات المقيتة والطباع المنغصة والتقاليد المشوهة.

ولعل تجربة الألمان بعد الحرب العالمية الثانية أبلغ دليل على أهمية العمل، فحينما رفعوا شعار «العمل أو الموت» تحوّلت ألمانيا إلى ورشة عمل، وصارت دولة صناعية عملاقة بعد سنوات قليلة، وبات المستوى المعيشي للفرد أكثر من رائع، لذا نجدهم اليوم أصحاب صنعة ورواد مهنة في كثير من المنتجات التي نستهلكها.

إن المسلمين من خيرة العاملين في أي زمان ومكان، ولكن دائمًا ما ينقصهم الحافز والإرادة والتحدي لتحقيق ما يريدون، فحينما تصيح بأعلى صوتك وتقول «الأمة في خطر» يلبي أبناؤها النداء ويهرعون إلى العمل، حبًّا وولاء لتراب وطنهم، واستشعارًا بأن كل قطرة عرق ستكون في سبيل الله.

المسلم اليوم مطالب بالحرص على أن تكون جميع أعماله وجهوده منصبة في خدمة دينه، بلا خمول أو كسل، ولا تخاذل أو حرمان، فيؤدي المطلوب منه على أكمل وجه، بل يتفنن في خدمة شعبه، فلا يمكن لنا النعاس والسبات في الوقت الذي تكون فيه أمتنا أحوج إلى الجهاد والعمل والجد والتضحية بالغالي والنفيس من أجل رفعة الأوطان.

إننا نعيش فترة عصيبة تستدعي من الجميع العمل والعمل والعمل، لأنه جوهر إحياء مجتمعاتنا بعد عقود من الانحطاط والتخلف، فعزة أوطاننا من عزة شعوبها، وهوانها من هوان أبنائها، فالأمة التي لا تعمل لا تستحق البقاء، وإذا استمررنا على هذا التواكل فلنقل «علينا السلام».



إن التغييرات التي تطول مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة جاءت لتعيد للمواطن إنسانيته التي افتقدها في عصر الفساد والإفساد، ولكن يأبى بعض أبناء هذا الوطن إلا الذل والعيش بلا عزة ولا كرامة، فتجدهم يمنون النفوس بآلاف الدراهم دون عمل أو أخذ بالأسباب، حتى كشفت دراسة أخيرا عن وجود ما يقرب من مليوني متسول في أحد الأقطار العربية، مؤكدة أن العدد في تزايد باستمرار.. فإلى متى هذا الهوان؟

الإسلام جاء بالعلم والعمل، وقد أعطى الرسول ﷺ رجلًا فأسًا وأمره أن يحتطب ويبيع لئلا يبقى عالة على المجتمع، وقد كان نبي الله إدريس خيّاطًا وزكريّا نجارًا وداود حدادًا، ورعى موسى الغنم، والسابقون لم يبنوا حضاراتهم الإنسانية إلا بإخلاصهم في العمل.

رسالتنا لكل موظف ومسؤول وطبيب ومهندس وأستاذ وعامل وفلاح وجندي مفادها: إذا عملنا واجتهدنا فسوف تتقلّص مشكلاتنا وفقرنا وأمراضنا، ولنرفع شعار «من جد وجد ومن زرع حصد ومن سار على الدرب وصل».. فهل نصل إلى بر الأمان بسواعدنا الطاهرة القوية؟ والله ولي التوفيق.

طرق الاستفادة من القمامة والمخلفات الصلبة

تدوير القمامة (إعادة استخدام المخلفات الصلبة)

محيي الدين الظاهر

لقد بادرت دول متقدمة عديدة في اتخاذ الإجراءات العاجلة من أجل حل مشكلة القمامة والنفايات الصلبة عمومًا والتخلص منها، ونشأ عن هذا الاهتمام قيام عديد من الشركات على مستوى العالم المتقدم لإنشاء المصانع للتخلص من القمامة وتدوير محتوياتها وتحويلها إلى مواد غذائية، أو تحويلها إلى مواد علف للحيوان أو أسمدة عضوية، أو تحويلها إلى وقود وطاقة، ووجهت معظم البحوث من أجل حماية البيئة من التلوث.

وعمليات التدوير للقمامة والمخلفات لإزالة الملوثات ليست بالعمليات المستحدثة، بل هي من العمليات التي تتم في الطبيعة وتعتبر عاملًا أساسيًا في استمرار الحياة على الكرة الأرضية، فهي تعمل على عدم نفاد عناصر الكون، وتقوم قوى الحياة على الأرض بعمليات التدوير لمكونات النظام البيئي.

حيث يتكون النظام البيئي ECO SYStem، وهو عبارة عما تحتويه أي منطقة طبيعية، من كائنات حية ومواد غير حية بحيث يتفاعل بعضها مع بعض في إطار الظروف البيئية، وما ينتج عن التفاعل بين كل المكونات الحية وغير الحية ثلاثة عناصر رئيسة هي:

<u>أ- عناصر الإنتاج</u>

وتتكون من النباتات الخضراء بكل أنواعها من الطحالب الخضراء إلى الأشجار الضخمة المختلفة، ولهذه النباتات القدرة على إنتاج غذائها بنفسها، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء وتمتص الماء والأملاح المعدنية من التربة عن طريق جذورها، وتصنع منهما معًا في وجود مادة الكلوروفيل الخضراء وبتأثير أشعة الشمس جميع أنواع المركبات العضوية التي تحتاج إليها، والتي تبني منها أجسامها مثل المواد الكربوهيدراتية والدهون والبروتينات، وتعطى هذه الخاصية لهذه النباتات نوعًا من الاستقلال عن كل ما حولها من كائنات، ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تستغني عن اعتمادها على العناصر الطبيعية غير الحية.

<u>ب – عناصر الاستهلاك (المستهلكون)</u>

وتتكون من الحيوانات بأنواعها المختلفة (بالإضافة إلى الإنسان)، ولا تستطيع هذه الحيوانات أن تعد غذائها بنفسها، ولكنها تعتمد على غيرها في إعداد هذا الغذاء، وعناصر الاستهلاك درجات، منها الأولي والثانوي والثالث، فيتغذى بعضها بالنباتات والأعشاب، ويتغذى بعضها الآخر من آكلات اللحوم بغيره من الحيوانات، وفي كلتا الحالتين تقوم هذه الحيوانات باستهلاك ما تنتجه عناصر الإنتاج.

<u>ج – عناصر التحلل</u>

وتشمل كل ما يتسبب في تحلل مكونات البيئة الطبيعية المحيطة بها، ومن أمثلة هذه العناصر البكتيريا والفطريات وبعض أنواع الحشرات التي تشترك في تحلل أجسام النباتات والحيوانات الميتة، وتساعد عناصر التحلل في إعادة جزء من المادة إلى التربة لتستفيد منها عناصر الإنتاج وتستخدمها مرة أخرى في تكوين الغذاء، وبذلك تتكرر الدورة مرة أخرى.

ومن أهم ما يميز البيئة الطبيعية هو ذلك التوازن القائم بين عناصرها المختلفة، فلو أن ظروفًا ما أدت إلى إحداث تغيير من نوع ما في أحد هذه العناصر فإنه بعد فترة قصيرة قد تؤدي بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلافي آثار هذه التغيير، بالمثل تقوم قوى الحياة في الأرض بعمليات التدوير، فبقايا ومخلفات الأحياء من حيوانات ونباتات ما هي إلا أغذية مناسبة لكائنات أخرى، إما مباشرة وإما بعد تحللها إلى مكوناتها الأصلية، وغاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في الجو تتغذى عليه النباتات الخضراء بجانب الماء وعناصر أخرى تستمدها من التربة، وتطلق النباتات غاز الأكسوجين للجو لكي تستخدمه الحيوانات في تنفسها، ثم تطلق الحيوانات غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الجو ثانية لتتمو به النباتات وهكذا تستمر الدورة.

كما يحدث التدوير أيضًا لغاز الأزوت الموجود بكثرة في الجو، حيث تستفيد منه بعض النباتات مباشرة بالاستعانة ببعض الكائنات الدقيقة مكونة مواد بروتينية.

وما نقوم به من عمليات لتدوير القمامة يمكن لقوى الطبيعة أن تقوم بها، ولكنها تحتاج في ذلك إلى زمن طويل، ولأن إيقاع الحياة في وقتنا الحالي قد زاد بدرجة

كبيرة وأن كمية ما يخلفه الفرد وراءه من قمامة ومخلفات قد فاق كثيرًا ما كان يخلفه في الماضي، ولتزاحم السكان في مدن كبيرة لم تكن موجودة بهذه الكثافة في العصور السابقة، بالإضافة إلى اختراع مخلفات تقاوم بشدة فوق التحليل، مثل البلاستيك، وكل هذا جعل من المحتم توجيه عناية كبيرة وبذل جهود مكثفة في التعامل مع القمامة للتخلص منها ومساعدة قوى الطبيعة في تدويرها والاستفادة منها.

مكونات القمامة

في الدول المتقدمة يستفاد من القمامة في تنمية بعض الصناعات، وبذلك تقل كثيرًا الكميات التي سوف تتراكم من القمامة والتي ينبغي التخلص منها في المقالب، فضلًا عن الفوائد التي سوف تعود على الاقتصاد القومي من نواتج استخدام وتدوير تلك المخلفات، وقد أصبحت عملية تدوير النفايات المنزلية وإعادة استخدامها من الممارسات المقبولة في عديد من الدول، والمخلفات الناتجة من المنازل ليست بالقليلة، فقد قدر ما يجمع من قمامة في الولايات المتحدة الأميركية بما يعادل نصف كيلو جرام من المخلفات المنزلية لكل فرد يوميًا، ومعظم تلك المخلفات يمكن الاستفادة منها بعد فصل مكونات القمامة إلى نوعياتها المختلفة والتي تتضمن:

١ – المخلفات الورقية: تحول إلى مصانع الورق حيث يصنع منها أنواع من الورق الخشن أوراق الكرتون وصناديق التغليف، كما يمكن الاستفادة من تلك الأوراق بتحويلها بيولوجيا باستخدام بعض الكائنات الدقيقة التي يمكننا التغذية والنمو عليها، محولة إياها إلى كحول، ويتم ذلك في مرحلتين هما:

أ – المرحلة الأولى: يحول سليلوز الأوراق إلى سكر السلوبيور وسكر الجلوكوز باستخدام فطر ترايكودرما فيرديدي



ب – المرحلة الثانية: ينشط عقب ذلك فطر الخميرة الذي يقوم بتخمير السكر الناتج (سلوبيور وجلوكوز) ويحوله إلى كحول.

ولقد قدر أحد الأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية كمية الكحول الممكن إنتاجها من سليلوز الأوراق، فوجد أن الطاقة الناتجة تعادل ١.٠٪ من الإنتاج السنوي للولايات المتحدة الأمريكية من وقود البنزين.

ويمكن استخدام السكر من المرحلة الأولى في إنتاج بروتين رخيص باستخدام أنواع أخرى من الكائنات الدقيقة، ويستخدم البروتين الناتج في تغذية الحيوانات.

٢ – المخلفات الزجاجية: تحول المخلفات الزجاجية إلى مصانع الزجاج، حيث تصنع منها أنواع من الزجاج البني أو الأخضر أو تستخدم في صناعة الأسفلت الزجاجي الذي يستخدم في رصف الطرقات، وقد يخلط الزجاج مع الخرسانة لاستخدامه في أعمال التشييد.

٣– المخلفات المعدنية: تحول المخلفات المعدنية إلى مصانع المعادن لصهرها وإعادة تصنيعها مرة أخرى، ومن المظاهر العادية في المدن الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية رؤية أشخاص يجمعون المعلبات المعدنية الفارغة من سلال المهملات في الشوارع والحدائق العامة، حيث كانت تشتري مصانع الألمنيوم تلك المعلبات، وقدر ما تم جمعه من معلبات فارغة خلال عام ١٩٧. م ١١٥ مليون علبة، حيث تشترى كل مائة علبة فارغة بدولار واحد في ذلك الوقت، ومن الطريف أن بعض العلماء الآن يبحثون عن طريق الهندسة الوراثية اكتشاف بكتيريا تحلل المواد الصلبة مثل السيارات القديمة وخلافه، وذلك كمحاولة للتخلص من تلك المخلفات بدون تلوث للبيئة.

٤– المخلفات البلاستيكية: يصعب تدويرها ميكروبيًا لشدة مقاومتها للكائنات الدقيقة، ولكن يمكن تحويلها إلى مصانع البلاستيك، حيث تحول إلى مركباتها الأصلية، كما يحدث مع مخلفات كلوريد عديد الفينيل، كما يحول بعضها إلى مركبات جديدة يمكن استخدامها في صناعة نعال الأحذية أو بعض صناعة مواد مائلة للعبوات ومواد تغليف غير قابلة للتحلل تستعمل في تغليف المخلفات النووية.

٥ – المخلفات العضوية: وهي عبارة عن بقايا الأطعمة وبقايا تجهيزات الطعام وتمثل جزءًا كبيرًا من القمامة المنزلية، وهذه يمكن تحويلها إلى مواد نافعة، إما إلى أعلاف للدواجن، وإما لإنتاج الكحول في عملية التخمير، وإما لإنتاج غاز الميثان، حيث تتبع طريق التخمير اللاهوائي للمخلفات العضوية المنزلية والزراعية لإنتاج غاز البيوجاز الذي يتكون من نسبة كبيرة من غاز الميثان تصل إلى نسبة ٧.٪ والباقي غاز ثاني أكسيد الكربون وكميات قليلة من كبريتيد الأيدروجين وأول أكسيد الكربون، وينتج من كل كيلو جرام من القمامة والمخلفات العضوية عمومًا حوالي متر مكعب من غاز البيوجاز، ويمكن البدء في الحصول على البيوجاز بعد حوالي أسبوع من بدء التخمر، ويستمر لمدة

عشرين يومًا تقريبًا، والمتبقي بعد تمام التخمر يعرف بالدوبال ويستخدم كسماد عضوي يحسن من خواص التربة الزراعية لأنه غني بالعناصر المعدنية التي يحتاج إليها النبات.

طرق الاستفادة من مخلفات صناعة الحديد:

ينجم عن صناعة الحديدة والصلب عديد من المخلفات بكميات كبيرة ومن أهم هذه المخلفات ما يلي:

١ - خبث الأفران

- طرق الاستفادة من الخبث

يستخدم خبث الأفران العالية المحبب كمادة أساسية في صناعة الأسمنت، حيث يحول عادة نحو ٨٢ -٨٧٪ من الخبث الناتج من الأفران العالية إلى جلخ محبب، وينتج الجلخ المحبب عند تبريد خبث الأفران العالية بكميات كبيرة من الماء، بحيث يتفتت تحت ضغط اندفاع المياه المتدفقة على هيئة رشاش قوي موجه لتيار الجلخ المنصهر المتساقط من البوتقة أثناء صبه، ويكون مادة شبيهة إلى حد بعيد بالرمال، لها خواص هيدروليكية قوية،

ويستخدم خبث الأفران العالية المبرد هوائيًا الذي ينتج عندما يترك ليبرد في الهواء فيصلد، ويكون تركيبه مشابهًا لتركيب الصخور النارية، وبتكسيره تنتج قطع بازلتية الشكل تشبه الصخور الزلط في أحجامها، ولكنها غير منتظمة الشكل في عديد من المجالات منها:

أ - في مجال رصف الطرق: وقد أكدت نتائج الأبحاث صلاحية استخدام أنواع الجلخ (أفران ومحولات) كركام في مجالات رصف الطريق وصلاحيته الكاملة من ناحية خواصه الطبيعية والكيميائية والميكانيكية لذلك.

ب - في مجال استخدام الجلخ كركام للخرسانة المسلحة وطوب المباني، وقد أظهرت الأبحاث صلاحية ذلك.

ج - في مجال تغطية جوانب السكك الحديدية: أظهرت الاختبارات الطبيعية والميكانيكية صلاحية الخبث لتغطية جوانب خطوط السكك الحديدية بفرشة لمنع الرمال والأتربة أثناء هبوب الرياح على هذه الخطوط وتعرض حركة القطارات للتوقف.

د- إنتاج سيراميك الخبث: وجد أن الخبث عندما يترك ليبرد في الهواء فإنه يتصلد ويكون تركيبًا مشابهًا للصخور النارية من حيث التركيب البلوري، وأن النسيج التكويني له مكون من حبيبات خشنة شبه كروية، وقد وجد أنه بتحويل هذا النسيج إلى نسيج حبيبي دقيق جدًا بإضافة عوامل محفزة لتكوين نويات الحبيبات الدقيقة مثل رمال الكوارتز وأكاسيد الكروم، فإن الخبث الناتج يتمتع بخواص ميكانيكية تفوق خواص الصلب، ويطلق عليه اسم slag cerom يصلح للاستخدامات الإنشائية وصناعة الآلات.

هـ - يمكن استخدام الأحجام الصغيرة من الخبث في مرشحات المياه والمجاري (بدلا من الرمل والحصى) وذلك في مرشحات المياه ومعالجتها.

و - كما يمكن استخدام الجلخ أيضًا في صناعة الزجاج العسلي وأنواع الخزف، وكذا في صناعة السيراميك.

إنتاج الخبث المنفوش

وينتج عن تبريد الخبث بمعدل سريع برشاشات المياه، فيسبب تصاعد الغازات المفاجئ وأهمها بخار الماء الناجم عن غليان الماء الذي يعمل على نفخ الجلخ المتصلد فيصبح في الوقت نفسه مساميًا وصلبًا، ويمكن استخدام الجلخ المنفوش الذي يتميز بخفة وزنه وارتفاع صلابته في صناعة الطوب الخفاف بعد كبس مع الأسمنت أو في إنتاج البلاطات الخراسانية الكبيرة التي تستخدم في المباني السابقة التجهيز حيث إن هذه البلاطات تعادل نصف وزن مثيلتها المنتجة من الخرسانة العادية، كما يمكن عمل أجزاء متكاملة للمباني السابقة التجهيز، مثل الحوائط والكمرات أو السقوف والأرضيات وغيرها من الجلخ المنفوش، ولقد أوضحت التجارب أن الطوب الخفاف، وكذا البلاطات الخرسانية الناتجة من الجلخ المنفوش لها ميزات اقتصادية عالية، حيث إنها تمتاز بخفة الوزن والصلابة، وتوفر في تكلفة النقل وكميات الأسمنت وحديد التسليح، بالإضافة إلى الخواص الممتازة لها من حيث العزل الحراري وخفض مستوى الضوضاء.

إنتاج الصوف الخبثي: slag wooll

ينتج الصوف من خلال صهر الخبث في أفران خاصة مع إضافات بسيطة من الحجر الجيري والسيليكا.

استخدام خبث المحولات في التسميد الزراعي للأراضي

يحتوي خبث المحولات على بعض العناصر، ولاسيما الفوسفور والكالسيوم، ويمكن معالجته وتحويله إلى سماد فوسفاتي بزيادة محتوى الفوسفور فيه، واستغلاله في تسميد الأراضي الزراعية، وهو ما تقوم به كثير من دول العالم الصناعية للاستفادة من هذا الخبث.

٢ - طرق الاستفادة من تراب غازات الأفران العالية

يمكن تسويق كميات كبيرة من غازات الأفران العالية إلى شركات الأسمنت، حيث تستخدم في صناعة الأسمنت كمادة منصهرة، كما يمكن استغلال باقي الكميات بتدويرها وإضافتها إلى وحدات تلبيد الخام في مصانع الحديد والصلب للاستفادة من وحدات الحديد والكوك التي تحتوي عليها.

٣ - الاستفادة من المرسبات المتجمعة بوحدات تلبيد خام الحديد

وهي مواد يتم تجميعها من مخلفات عمليات تكسير وطحن وتجهيز خامات الحديد بوحدات تلبيد الخام في مراحل عمليات التلبيد وحيث يتجمع في أحواض الترسيب الخاصة بها بهدف تنقية أجواء وحدات التلبيد من الأتربة الكثيفة، ويتم الاستفادة من هذه المرسبات بإعادة تدويرها، وإضافتها إلى شحنة تلبيد الخام بعد تجميعها في أحواض الترسيب

للاستفادة من وحدات الحديد التي تحتوي عليها.

٤ – الاستفادة من كبريتات الحديدوز المائية

وتنتج من عمليات تخليل لفائف الصلب في محلول حامض الكبريتيك لتخليص لفائف الصلب المدرفلة على الساخن من أكاسيد الحديد السطحية، وتجهيز سطحها لعمليات الدرفلة على البارد، وتستخدم كبريتات الحديدوز في المجلات الآتية:

أ – صناعة البويات والمواد الملونة.

ب – في مجال استصلاح الأراضي الزراعية لمعالجة النقص في عنصر الحديد.

ج – في عمليات ترويق المياه الصناعية ومياه الشرب كبديل للشبة.

د – في صناعة الأحبار.

٥ – الاستفادة من الخردة المعدنية

تصنف هذه الخردة ويحدد ثمنها تبعًا لنسبة عنصر الحديد ونسبة الشوائب فيها، وقد يباع جزء منها والجزء الآخر يعاد استخدامه في الشركة لإنتاج وحدات الصلب فيها، سواء من محولات أكسوجينية تراوح نسبة خردة الصلب فيها لتصل إلى ١٥ -٢٠٪، أو في أفران القوى الكهربائية، حيث نسبة الخردل فيها تصل إلى ١٠٠٪.

٦ – الاستفادة من قشور الدرفلة

تنتج قشور الدرفلة من عمليات الدرفلة المختلفة، وكنتائج للأكاسيد التي تغطي المدرفلات نتيجة للأكسدة السطحية لدى تعرضها لدرجات الحرارة العالية في الأفران الغاطسة في مراحل الدرفلة المختلفة.

المراجع

– أحياء وبيئة منشورات– جامعة دمشق
– التعليم المفتوح
–د. سليمان الخطيب– د. يحيى العماربن
– طرق الاستفادة من القمامة– الأهرام–
د. محمد أرنؤوط

وترجل فارس من فرسان الفكر الإسلامي

الدكتور عبدالحليم عويس.. إلى رحمة الله

محمد عويس

فقدت الأمة الإسلامية في الأيام القليلة الماضية علمًا بارزًا من أعلام الفكر الإسلامي، وقلمًا حرًّا بليغًا طالما أثرى المكتبة الإسلامية والصحف والمجلات الإسلامية والعربية، وعلى رأسها مجلة «الوعي الإسلامي»، والمواقع الإلكترونية بمستنير الأفكار وروائع الحكم، إنه المفكر الإسلامي د.عبدالحليم عويس، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ورضوانه.

ولد د.عبدالحليم عبدالفتاح محمد عويس فى١٢ يوليو عام ١٩٤٣ في قرية سندسيس بمركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر، وحصل على ليسانس الدراسات العربية والإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم درجة الماجستير عام ١٩٧٧ عن أطروحته: «دولة بني حماد في الجزائر»، ثم نال درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨ عن بحث: «ابن حزم الأندلسي مؤرخًا»، وحاز درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الدولية بأميركا اللاتينية عام٢٠٠٩م، وعمل محاضرًا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لمدة خمسة عشر عامًا، وكان مستشارًا لرئيس الجامعة ومتعاونًا في تسيير أعمال رابطة الجامعات الإسلامية، وأوفدته الجامعة أستاذًا زائرًا لعدد كبير من الجامعات في الهند وباكستان وماليزيا والجزائر وتونس والسودان وتركيا، وعمل بالكويت باحثًا بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية في الفترة ما بين ١٩٧١ . ١٩٧٥م.

وشغل كذلك وظيفة أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الزقازيق، وعمل نائبًا لرئيس جامعة روتردام الإسلامية سابقًا، ورئيس تحرير مجلة التبيان بمصر، وعضو اتحاد الكتاب بها، وعضو نقابة الصحفيين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب، وعضو المجالس القومية المتخصصة.

كما أشرف على عمل موسوعة في نحو عشرة آلاف صفحة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأسهم فيها بمواد متعددة، إلى جانب قيامه بالإشراف العلمي عليها وإنجازها.

ومن مؤلفاته تفسير القرآن للناشئين (في ثلاثين جزءًا)، بالاشتراك مع علي عبدالمحسن جبر، وموسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، وابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري.. وغير ذلك.

ضمَّ بين جدرانه الإمام محمد عبده والعقاد وطه حسين

مَجمع الخالدين.. ملتقى حماة العربية

القاهرة - دار الإعلام العربية

قبل ١١٩ عامًا ولدت الفكرة، كانت مجرد حلم يختلج في صدور نفر من عشّاق لغة الضاد، اجتمعت أفئدتهم على إيجاد كيان يذود عن لغة القرآن من أي دخل أو وهن.. وتخلقت هذه الفكرة لتتمخض عن مجمع أنشئ بدار البكري عام ١٨٩٢، بجهود فردية للشيخ محمد توفيق البكري، والإمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، إلا أن الحلم الوليد لم يطل عمره إلا بضعة أشهر.. لكن من قال إن الأحلام تموت؟

الإمام محمد عبده، أحمد لطفي السيد، عباس محمود العقاد، طه حسين، الشيخ سليم البشري.. أسماء لقامات فكرية لم تتجمع في فترة تاريخية واحدة، لكنها اجتمعت في مجمع الخالدين والعمالقة «مجمع اللغة العربية» الذي بدأ بفكرة واحدة سرعان ما تلاقت حولها العقول، ولأن الجديد لا يستمر إلا بطول الصبر، أجهض حلم تأسيس أول مجمع للغة الضاد في القاهرة، إلا أن الأمنية ظلت قائمة وظلت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي حية، فأخذت تنمو ويشتد عودها، وأخذت الجهود تتصاعد وتتكاتف ويشد بعضها أزر بعض، وكان لنادي دار العلوم دورٌ كبير في تحقيق الحلم ووضعه على أرض الواقع عن طريق الندوة الثقافية التي عقدها عام ١٩٠٨، وتتابعت جلساتها وألقيت فيها أبحاث ودراسات للأساتذة حفني ناصف وحمزة فتح الله ومحمد الخضري وفتحي زغلول، وتناولت عديدًا من قضايا الفصحى والعامية والمعرب والدخيل.

مجمع دار الكتب

ولم يمض على هذه الندوة سنوات حتى دعا أحمد لطفي السيد مع بعض العلماء والأدباء إلى إنشاء مجمع لغوي أطلقوا عليه مجمع دار الكتب، واختير الإمام سليم البشري شيخ الجامع الأزهر آنذاك رئيسًا للمجمع، وأحمد لطفي السيد كاتب سره، وكان من أعضائه الشيخ حمزة فتح الله والأستاذ حفني ناصف، واستمر المجمع الوليد في عمله فترة قصيرة فعقد ٢٤ جلسة ثم توقف عن العمل بعد اشتعال ثورة ١٩١٩م.

> **إعداد المعاجم وبحث قضايا اللغة وتحقيق التراث ووضع المصطلحات العلمية.. أبرز أهدافه**



وعندما تولى أحمد لطفي السيد وزارة المعارف تضاعف اهتمامه بمشروع إنشاء المجمع اللغوي وجعله تحت إشراف وزارته، حتى لا يكون نصيبه بعد ذلك مثل نصيب سابقيه، وبالفعل أُسس مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م في عهد الملك فؤاد، وبدأ العمل فيه سنة ١٩٣٤م، وكان أول من ترأسه الأستاذ محمد توفيق رفعت (١٩٣٤-١٩٤٤)، ثم الأستاذ أحمد لطفي السيد (١٩٤٥-١٩٦٣م)، ثم الأستاذ الدكتور طه حسين (١٩٦٣-١٩٧٣)، ثم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور (١٩٧٤-١٩٩٥)، ثم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف (١٩٩٦-٢٠٠٥)، ثم الأستاذ الدكتور محمود حافظ (٢٠٠٥ وحتى وفاته مؤخرًا).

ونص مرسوم إنشاء المجمع الذي أصدره الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٢م على أن يتكون من ٢٠ عضوًا من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية، نصفهم من المصريين، ونصفهم من العرب والمستشرقين، وهو ما يعني أن المجمع عالمي التكوين، لا يتقيد بجنسية معينة ولا بدين معين، وأن معيار الاختيار هو



القدرة والكفاءة.. ويقع مقر المجمع حاليًا في ١٥ شارع عزيز أباظة بحي الزمالك بالقاهرة.

اتحاد المجامع

وعلى الرغم من أن الأهداف الرئيسية للمجمع تقوم على إعداد المعاجم اللغوية، وبحث قضايا اللغة، ووضع المصطلحات العلمية واللغوية، وتحقيق التراث العربي، فإن الدور الذي يلعبه المجمع حاليًا اختلفت حوله الآراء، فالبعض يرى أنه يتصدى لاضمحلال المعاني الثقافية وتنامي النظرة المادية، وهناك من يرون أن المجمع لا يقدم شيئًا ملموسًا في وقتنا الحالي، واعتبره أصحاب هذا الرأي كيانًا روتينيًا ليس له إضافات جديدة، فالمجمع- على حد زعمهم- لم يستطع أن يوقف انتشار مدارس اللغات التي جعلت من اللغة العربية لغة ثانية، وأنه أصبح أسيرًا للسياسات الحكومية التي حدت من حريته، وأن الهيمنة والبيروقراطية المتحكمة في أدائه منعت عنه كفاءات علمية وقامات أدبية كثيرة.. وبالطبع هذا ما يعارضه كثيرون، مؤكدين أن المجمع يؤدي عمله بحياد وإخلاص وتجرد، ويسعى دومًا لتحقيق التكامل مع المجامع الأخرى، وهذا ما تجسد في تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية، ففي عام ١٩٧١ تم تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بموجب مقترح لتشكيل لجنة تتألف من عضوية كل من المجمع اللغوي في القاهرة ودمشق وبغداد لوضع نظام لهذا الاتحاد، واجتمعت اللجنة بالدكتور طه حسين في أبريل ١٩٧١م، وتم في ذلك الاجتماع وضع النظام الأساسي والداخلي للاتحاد، وانتخب الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة في ذلك الوقت رئيسًا للاتحاد، والدكتور إبراهيم مدكور أمينًا عامًا له، والدكتور أحمد عبدالستار الجواري عن مجمع بغداد، والدكتور عدنان الخطيب عن مجمع دمشق أمينين عامين مساعدين.

ويدير الاتحاد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والذي يتألف من عضوين من كل مجمع يختارهما مجمعاهما لمدة أربع سنوات، وينتخبون من بينهم رئيسًا وأمينًا عامًا وأمينين عامين مساعدين لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، ويجتمع مجلس الاتحاد في دورة عادية مرة على الأقل في كل سنة، ويمكن أن يجتمع في دورة غير عادية عند الضرورة، وتصدر قرارات المجلس بأغلبية الحاضرين، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي ينضم إليه رئيس المجمع.

كما انضمت إلى الاتحاد مجامع اللغة العربية التي أنشئت في الأردن وفلسطين والسودان وليبيا والجزائر، وكذا أكاديمية المملكة المغربية في الرباط، والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).

لجان مجمع الخالدين

يضم المجمع عددًا من اللجان بلغت خمسًا وعشرين لجنة على النحو التالي:

لجنة المعجم الكبير (معجم اللغة العربية بالقاهرة)، لجنة أصول اللغة، لجنة الألفاظ والأساليب، لجنة اللهجات والبحوث اللغوية، لجنة الأدب، لجنة إحياء التراث العربي، لجنة المعجم الوسيط، لجنة علم النفس والفلسفة، لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية، لجنة التاريخ، لجنة الجغرافيا، لجنة القانون، لجنة المصطلحات الطبية، لجنة الكيمياء والصيدلة، لجنة علوم الأحياء والزراعة، لجنة الاقتصاد، لجنة الجيولوجيا، لجنة النفط، لجنة الهيدرولوجيا (علم المياه)، لجنة الفيزياء، لجنة الهندسة، لجنة الرياضيات، لجنة المعالجة الإلكترونية، لجنة ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، لجنة الشريعة، لجنة «معجم لغة الشعر».

وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ

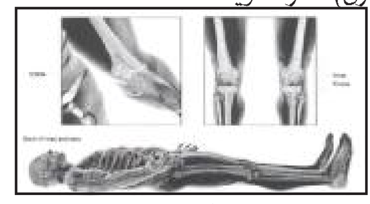
د. هشام الخطيب

لقد ذكر الله تعالى قصة أهل الكهف.. هؤلاء الشباب الذين فروا من ظلم الملك الطاغية ديقيانوس الذي ادعى الألوهية. قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف: ١٨).

في هذه الآية أكثر من معجزة وسأتكلم هنا عن معجزة طبية وهي الوقاية من قرح الفراش.

قرح الفراش

قرح الفراش عبارة عن إصابة تحدث في الجلد نتيجة عدم تدفق الدم بشكل سليم، والحك المستمر في الجلد من منطقة عظمية في الجسم، وذلك لأن الجلد يكون تحت ضغط من الفراش (كرسي متحرك أو أي سطح آخر غير مرن) لفترة طويلة



الأسباب

- يكون الجلد غنيًّا بالدم الذي يقوم بإرسال الأكسوجين لباقي الطبقات، فإذا حدث توقف لإمدادات الدم للجلد لأكثر من ٢ إلى ٣ ساعات سيموت الجلد بداية من الطبقة الخارجية له..
- السبب الرئيسي لقلة عملية تدفق الدم في الجلد هو الضغط عليه، أما بالنسبة لتحركات الجسم العادية فهي لا تسبب ضغطا على الجلد، وذلك بسبب تغيير وضع الجسم بشكل مستمر، وبالتالي فإن تدفق الدم لا يتوقف لفترة طويلة.
- وجود طبقة دهنية تحت الجلد، خاصة على منطقة العظام تساعد على عدم إغلاق الأوعية الدموية.
- الأشخاص الذين يعانون من الشلل أو عدم القدرة على الحركة هم أكثر عرضة للإصابة بقرح الفراش، أيضًا الذين لا يشعرون بالتعب أو الألم هم أكثر عرضة للإصابة، وذلك لأن هذا الشعور هو الحافز التلقائي على الحركة.
- بعض الأمراض التي تؤثر على الأعصاب مثل إصابات الرأس، أو السكتة الدماغية، أو مرض السكر، وبعض الأمراض الأخرى تقلل الشعور الطبيعي بالتعب والألم.
- الغيبوبة أيضًا من الأعراض التي تساعد على عدم الشعور بالتعب.
- هناك بعض الأشخاص الآخرين عرضة للإصابة بقرح الفراش وهم الأشخاص شديدو النحافة، وذلك لأنهم ليس لديهم طبقة دهنية تحت سطح الجلد، وعليه فإن الجلد يحك بشكل مباشر وكبير مع العظام، وأيضًا يصعب شفاء جروح هؤلاء الأشخاص بشكل طبيعي وذلك لقلة مستوى التغذية في الجسم.

احمرار الجلد أولى علامات قرحة الفراش .. وهكذا تكون الوقاية

- عندما يحدث توقف في تدفق الدم في منطقة معينة نتيجة ضغط الجلد، يحتاج الجلد للأكسوجين بشكل كبير، ثم يتحول إلى اللون الأحمر ويلتهب ثم تحدث القرحة.
- إذا حدث خلل في تدفق الدم في الجلد، أو أي خلل في الطبقة الخارجية للجلد يمكن أن يسبب ظهور قرح.
- بعض أنواع الملابس غير المريحة، والأسرَّة الخشنة أو الأحذية التي تحك بالجلد يمكن أن تسبب إصابات بالجلد.
- تعرض الجلد للبلل لفترة طويلة نتيجة العرق أو البول يمكن أن يتسبب في حدوث التهاب في سطح الجلد.

الأعراض

في أغلب الأحوال تسبب قرح الفراش ألما شديدا وحكًّا في الجلد، ولكن هناك بعض الأشخاص لا يشعرون بشدة الألم، أو إذا كانت القرحة شديدة قد تكون غير مؤلمة.

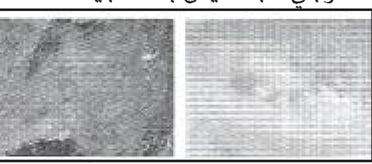
وتنقسم قرحة الفراش إلى مستويات مختلفة:

المستوى الأول: قبل بداية تكون القرحة بشكل كامل، فقط يكون الجلد أحمر اللون.

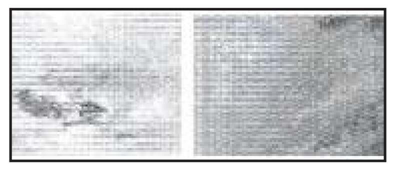


احمرار الجلد قبل تكون قرح الفراش

المستوى الثاني: يبدأ الجلد في الاحمرار الشديد والتضخم وغالبًا توجد بثور على سطح الجلد، ويكون السطح الخارجي للجلد ليس بحالة جيدة.



المستوى الثالث: تظهر القرحة على



الجلد وتخترق مستوى أعمق من طبقات الجلد.

تكون القرح

المستوى الرابع: تخترق القرحة طبقات الجلد بشكل أعمق وطبقة الدهون والعضلات.

المستوى الخامس: يحدث خلل في العضلات.

المستوى السادس: وهو أعمق مستوى للقرحة في الجلد ويحدث خلل وإصابة بالغة في العظام.

الوقاية

تكون قرح الفراش مؤلمة جدًا، وتتسبب في طول مدة إقامة المريض بالمستشفى أو في الرعاية الصحية بالمنزل.

- الوقاية من الإصابة هي أهم الأولويات، حيث إن الرعاية الصحية السليمة تمنع حدوث إصابات كبيرة، تحتاج الوقاية من حدوثها لمشاركة أهل المريض ورعايتهم بجانب الممرضة أو الطبيب، حيث إن فحص جلد وجسم المريض بشكل دوري يساعد على إدراك حدوث المرض مبكرًا، ومحاولة العلاج.

- علامات احمرار الجلد هي أولى العلامات التي تنبه بضرورة عمل الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث القرحة.

- بالنسبة للمناطق العظمية في جسم الإنسان، يمكن استخدام الأشياء الناعمة علي الجسم مثل القطن وذلك لمنع حدوث احتكاك مع الجلد.

الأسرة المتحركة في المستشفيات



للوقاية من قرح الفراش

- يمكن أيضًا حشو الأسرّة والكراسي المتحركة بالقطن، أو وضع الوسائد الناعمة وذلك للتقليل من الضغط.

وبالنسبة للأشخاص الذين لا يستطيعون الحركة فيجب أن يغيروا اتجاه النوم كل فترة وبشكل منتظم، وأفضل الاقتراحات هو تغيير الاتجاه كل ساعتين علي الأقل وبقاء سطح الجلد نظيفا وجافا دائمًا.

يمكن أيضًا استخدام المراتب الهوائية الخاصة لتجنب الإصابة.

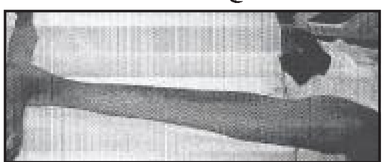
أما بالنسبة للأشخاص الذين يعانون بالفعل من قرح الفراش في أماكن مختلفة من الجسم فيمكن استخدام المراتب الهوائية والمصنوعة من المطاط الإسفنجي وذلك لتخفيف حدة الضغط وشدة الآلام.

العلاج

علاج قرح الفراش أصعب بكثير من منع حدوثها، ففي بداية مرحلة حدوث القرح يمكن الشفاء منها بسهولة بمجرد تغيير الضغط على الجسم، وأيضًا عن طريق تحسين المستوى العام للصحة والتغذية وتناول البروتينات والسعرات الحرارية الزائدة.

- إذا حدث جرح في الجلد، فيمكن تغطيته بالشاش وحمايته فذلك يساعد علي شفائه سريعًا.

- هناك أنواع شاش خاصة تمنع الالتصاق بالجرح.



- إذا حدثت إصابة بالقرحة فيمكن شطفها برفق شديد بالصابون أو بمضادات الالتهاب حيث يمكن التخلص من المواد الميتة والمصابة بالجرح.

- تنظيف الجرح بشكل شديد يزيد من فترة التئام الجرح.

الوسائد الناعمة لمنع تكون قرح الفراش

من وسائل العلاج

أما بالنسبة لأنواع قرح الفراش الشديدة



(العميقة) فيكون من الصعب علاجها.

- يتطلب العلاج في بعض الأحيان زرع قطعة جلدية سليمة مكان المنطقة المصابة (في حالة الإصابة البالغة) ولكن هذا النوع من العلاج الجراحي لا يمكن استخدامه في أحوال كثيرة، خاصة إذا كان المريض شخصا كبيرا في السن وضعيفا من ناحية التغذية الصحية، ويمكن أيضًا العلاج بالمضادات الحيوية.

- إذا حدثت إصابة للعظام تحت القرحة (في الحالات المتأخرة للإصابة) فيكون من الصعب جدًا العلاج وقد تحتاج الحالة إلى أسابيع طويلة وعلاج بالمضادات الحيوية.

هذه الآية الكريمة معجزة من معجزات القرآن الكريم العلمية وهي ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ وهي تتحدث عن الفتية الذين لبثوا في كهفهم ٣٠٩ سنة دون أي تغيير في حالة أجسامهم ودون أية مضاعفات، وهذه حقيقة طبية مكتشفة

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٣/١٣ع/٨٤ توبة الراشي في الانتخابات

إذا فاز مرشح في الانتخابات وأصبح نائبًا في المجلس وقلنا: إن شراء وبيع الأصوات حرام، وأراد أن يتوب، فماذا يفعل؟ هل يصارح الناس بالحقيقة؟ وهل يجوز له الاستمرار في المجلس أم عليه أن يستقيل؟

أجابت اللجنة بما يلي: عليه أن يتوب، والتوبة: الندم على ما فات، والإقلاع عن مثل هذه الأعمال، والعزم على ألا يعود إلى ما يشبهه، ثم ينظر صادقًا فيما بينه وبين الله في أهليته لمثل ذلك، فإن رأى نفسه غير أهل، أو كان أهلاً ولكن هناك من هو أولى منه وقد حال بالرشوة دون وصول ذلك الغير، فعليه أن يتنحى، وعليه أن يستعين في تقدير أهليته بأهل الرأي والمشورة. والله أعلم.

٣/١٣ع/٨٤ توبة المرتشي في الانتخابات

إذا أراد الناخب أن يتوب مما كسبه من مال للإدلاء بصوته، فماذا يفعل في حالة نجاح من انتخبه، أو في حالة فشله؟

أجابت اللجنة بما يلي: على الناخب سواء نجح من انتخبه أو فشل، عليه أن يتوب إلى الله، وأن يخرج هذا المال الخبيث الذي أخذه لبيع صوته إلى صاحبه، فإن لم يتمكن من ذلك فليضعه في شيء من وجوه الخير (سوى بناء المساجد وطبع المصاحف).

٣/١٤ع/٨٤ سقوط الحق بالتقادم

سأل سائل اللجنة في شأن سقوط الحق بالتقادم، وهل يسقط حق المسلم بمرور فترة زمنية معينة مثل القانون الوضعي؟

فأجابت اللجنة بما يلي: التقادم مهما طالت مدته لا يسقط الحق في الشريعة الإسلامية، لقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».

٢/٦/٨٣... شهادة غير المسلم

سأل سائل: بحكم وظيفتي نرسل العينات الغذائية إلى المختبر (المختبر الكيميائي) لمعرفة ما إذا كانت العينة الغذائية تحتوي على دهن خنزير أو كحوليات، وعندما تصل نتيجة المختبر الكيميائي نقوم إما بمنع دخول تلك المادة الغذائية أو السماح لها على ضوء تلك النتيجة، ولما كانت رئيسة المختبر هي امرأة غير مسلمة، ويوجد تحتها ثمانية محللين كيميائيين للأغذية؛ من بينهم كذلك اثنان من غير المسلمين، فما هو موقفي: هل أقبل النتيجة التي قام بتحليلها غير المسلمين، وقالوا لي: إن العينة تحتوي أو لا تحتوي على دهن خنزير أو كحول، وما موقفي بشكل عام أمام النتائج الصادرة بموافقة الرئيسة التي تساهم في إبداء رأيها في النتيجة النهائية للعينة الغذائية؟

وبسؤاله عن دور رئيسة المختبر الكيميائي في إعطاء النتيجة؛ أجاب بأنها هي وحدها التي تتلقى طلبات الاختبار، وتحيل العينات إلى المحللين، ثم تستلم النتائج وتعطي النتيجة بتوقيعها.

...وسُئل المستفتي: هل لها دور في إبداء الرأي؟ قال: نعم.

أجابت اللجنة: بعدم جواز اعتماد النتيجة فيما يتعلق بدهن الخنزير أو الكحول وسائر ما يتصل بالأمور الشرعية، لأنه لا يقبل في هذه الأمور إلاّ خبر المسلم، ويتعين في ذلك أخذ رأي المحلل المسلم المؤتمن بتوقيع معروف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢/٤/٨٣ رد الحقوق لأصحابها

إذا سرق شخص مبلغًا من المال من شخص آخر، وتاب السارق الآن، إلاّ أن المسروق في بلد ثان وهو متوفى ولا يعرف أله ذرية أم لا، ولا يعرف كيف يبرئ ذمته من هذا المال، فماذا يفعل؟

أجابت اللجنة: على السارق أن يحاول بكل وسيلة ممكنة رد هذا المبلغ إلى من سُرق منه، أو إلى ورثته، فإن عجز عن ذلك ويئس فليتصدق عنه، على أنه إن ظهر هو أو ورثته يكون ملزمًا برد المبلغ إليهم ما لم يجيزوا الصدقة. والله أعلم.

٥/٥٠/٧٨ بيع أموال المخالفين للقوانين

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات في المزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة بما يلي: إذا كان صاحبها معروفًا لا يجوز بيعها إلاّ برضاه، وترد إليه وتحصل منه الغرامة، أما إذا لم يعلم صاحبها فتجري عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها، أما



إذا لم يعرف صاحبها بقيت مدة إلى أن يغلب على الظن ألا يطلبها أحد، ثم تباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها ألا يطلبها أحد، وتتفق هذه الأموال في المصالح العامة. والله أعلم.

١٨٤/٢٣/١ع الإجهاض للضرورة

سُئلت اللجنة: هل يجوز الإجهاض في الحالات التالية:

١- عندما يكون هناك خطر مرض وراثي مع دليل قوي على أن الجنين مصاب به.

٢- عندما تكون الأم في حالة خطر سواء من الناحية البدنية أو العقلية.

٣ - عندما يكون هناك احتمال وجود عيب خلقي بالجنين نتيجة لإصابة الأم بمرض أثناء الحمل، مثل الحصبة الألمانية.

٤ - إذا تم تشخيص عيب خِلْقي بالجنين أثناء الحمل.

٥- في حالات الحمل غير الشرعي.

٦- إذا لم تكن هناك رغبة في الحمل لسبب من الأسباب.

٧ - عندما تكون المرأة الحامل غير قادرة على رعاية طفلها بسبب خلل عقلي أو عجز عن الحركة.

فأجابت: يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل إلاَّ لإنقاذ حياتها، ومع ذلك فإذا لم يكن الحمل قد أتم أربعة أشهر يجوز الإجهاض في الحالتين الآتيتين:

(أ) إذا كان بقاء الحمل مضرًا بصحة الأم ضررًا جسيمًا.

(ب) إذا ثبت أن الجنين سيولد مصابًا على نحو جسيم بتشوه بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منهما، ووافق الزوجان على الإجهاض.

٢/٢٠ع/٨٤ التداوي بالكحول

هل يجوز استعمال الكحول في الأدوية التالية: شراب الكحة، المقويات، الأدوية المسكِّنة للآلام، علماً بأن الكحول يدخل في تركيب هذه الأدوية كمادة حافظة، كما أنه يساعد على ذوبان ما تحتويه من عقاقير؟

أجابت اللجنة بما يلي: لا يجوز استعمال المسكر في الدواء ولا يحل إلا إذا تعين دون غيره، ولا يوجد غيره مما يقوم مقامه وحصل الضرر بتركه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه﴾ (الأنعام: ١١٩). وإذا حصل ضرر لعدم استعمال المسكر وجب استعماله بقدر ما يدفع الضرر.

٨٠/١٠٦/٤ إقامة الجمعة في البر

نحن جماعة خرجنا إلى البر للنزهة لمدة شهر بمكان يبعد عن مدينة الكويت بما يقرب من ٨٠ كيلومترًا. هل تجب علينا صلاة الجمعة؟ وهل يجوز أن نقيمها علمًا بأن عددنا يقارب ٤٠ شخصًا؟

أجابت اللجنة: على هذه الجماعة ألا تقيم صلاة الجمعة لأنها لا تجب عليهم، وإن رأوا أن يصلوها فليقصدوا بعض الجوامع القريبة من مكانهم.

٤/٦٧/٧٩ أصوات الساعات في المسجد

بعض الساعات في المساجد فيها أجراس؛ فما الحكم في ذلك؟

أجابت اللجنة: أن أصوات التنبيه التي في الساعة لا تعطى حكم الأجراس فلذلك لا تحرم. واللَّه أعلم.

قرار مجمع الفقه الإسلامي - منظمة المؤتمر الإسلامي رقم: ٤٦ (٥/٨) بشأن تحديد أرباح التجار

بعد اطلاع المجلس على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تحديد أرباح التجار، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولًا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارًا في بيعهم، وشرائهم، وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملاً بمطلق قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء: ٢٩).

ثانيًا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق، والقناعة، والسماحة، والتيسير.

ثالثًا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته كالغش، والخديعة، والتدليس، والاستغفال، وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة .

رابعًا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلاّ إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ من عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل والغلاء والغبن الفاحش.



إعداد: خالد خلاوي

قوة التركيز

ذات يوم جمع حكيم طلابه وأراد أن يعلمهم فن الرماية فوضع طائرًا خشبًا كهدف وطلب من أتباعه أن يصوبوا على عين الطائر، وسأل الحكيم أحد طلابه وهو يستعد للتصويب: ماذا ترى؟ فقال: أرى الأشجار، والفروع، والأوراق، والطائر وعينه.

وسأل الحكيم السؤال نفسه للطالب التالي، فأجاب: أرى فقط عين الطائر، فقال الحكيم: جيد جدًا.. الآن صوب، فذهب السهم مباشرة وأصاب عين الطائر.

ونتعلم من هذه القصة أهمية تحديد الأهداف، ولكنها لن تتجسد على أرض الواقع إن لم ندعمها بقوة التركيز، إن لم نركز بؤرة اهتمامنا فلن نستطيع تحقيق أهدافنا، يقول شيف كيرا: في يوم مشمس لن تستطيع أقوى عدسة مكبرة إشعال قطعة من الورق إذا ظللت تحرك العدسة، لكن إذا جعلت الضوء في بؤرة وركزته على موضع واحد، فستحترق الورقة.. إنها قوة التركيز.

إن تحديد الأهداف بدقة يعين على التركيز، على سبيل المثال عندما تشتري تذكرة طيران، ما المعلومات التي تحتوي عليها هذه التذكرة؟ إنها معلومات محددة عن: نقطة البداية – مكان الوصول – درجة السفر – السعر – وقت الإقلاع – وقت الوصول.

إذا سألت معظم الناس عن هدفهم الأساسي في الحياة، ربما يمنحونك إجابات عامة غير محددة مثل أريد أن أكون ناجحًا، سعيدًا، ميسور الحال، وتلك أمنيات وليس فيها هدف محدد، والبعض يخرج من الأمنيات إلى تحديد أهداف كثيرة يتشتت معها تركيزه أو قد يحدد مجالاً أو هدفًا لا يتناسب مع قدراته وإمكاناته ومواهبه.

يُروى أن الإمام البخاري حاول في أول أمره تعلم الفقه والتبحر فيه، فقال له محمد بن الحسن: اذهب واشتغل بعلم الحديث، عندما رآه مناسبًا لقدراته وأليق به وأقرب إليه، وقد أطاعه البخاري ومن ثم صار على رأس المحدثين بل وإمامهم.

وبينما ترك الإمام البخاري الفقه وتفوق في الحديث اختار الإمام أبوحنيفة النعمان الفقه وتفوق فيه حتى قال عنه الإمام الشافعي: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة».

فاختيار الهدف المناسب يعين على التركيز ويؤدي إلى النجاح في تحقيقه، وذلك ليس في مجال طلب العلم وحسب بل في كل مجالات الحياة.

في عالم التجارة والمال، حاولت شركة (٣M) عمل كل شيء، فأدركت أن الفرص الكبيرة تضيع وسط الزحام، فطالبت كل فرع للشركة بالتركيز على منتجين يملكان أفضل فرص للنجاح، فلما فعلت ذلك انقلبت الخسائر إلى أرباح.

لقد أصبح التركيز هنا شرطًا من شروط النجاح بتفوق، ولكن كيف نتدرب على التركيز؟ في الإجابة على هذا السؤال يعتبر جون كيهو مؤلف كتاب «قوة العقل في القرن الحادي والعشرين» أن القدرة على تركيز ذهنك وتوجيهه إلى فكرة وحيدة أو مشروع محدد يعد شرطًا أساسيًا لاستخدام قوة العقل، فإننا لو لم ندرب عقلنا على هذه القوة فسنجد صعوبة وعناء بالغين في الانتقال من فكرة إلى أخرى، ويؤكد كيهو أن عدم التركيز سيجعل العقل في حالة اضطراب وسيتطلب الأمر منا الجهد والقوة كي يمكننا توجيهه، وتوجيه العقل هو بالضبط ما ينبغي علينا أن نتعلمه، فلتوجه عقلك بحيث يفكر في الأفكار التي تتخيرها، واطرد منه كل الأفكار التي ترغب في إبعادها عن ذهنك، ذلك أننا حين نستسلم أمام كل فكرة تراود أذهاننا وندعها أخذنا معها في الاتجاه الذي تسير فيه، نبقى حبيسي أوهامنا وهمومنا، لأن كل فكرة تسيطر علينا وتخضعنا لقوتها، وبتعلمك التركيز فإنك تعيد إلى نفسك هذه السيطرة، فتثبيت عقلك من خلال مجموعة متنوعة من أساليب التركيز ينظم العقل ويقويه.

ويرى كيهو ان أسلوب التأمل من أفضل أساليب تطوير قوى التركيز الخاصة بك، فهو لا يشحذ العقل ويقويه فقط، بل يتيح رؤية أشمل لما تقوم بسبر أغواره من خلال ممارسة التأمل.

خطوات للتميز

كيف تركز في عملك؟

فيما يلي بعض الوسائل المساعدة على التركيز في العمل لزيادة الإنتاجية:

حدد كافة الأعمال التي يجب عليك أن تقوم بها في بداية يوم العمل وسجلها في ورقة وضعها أمامك.

رتب المهام المطلوبة من المهم إلى الأقل أهمية، وإذا كانت جميعها مهمة رتبها من الأصعب إلى الأسهل وابدأ التنفيذ.

رتب مكان عملك ترتيبا جيدًا واستبعد كل ما يشتت فكرك ويشغل ذهنك.

تعامل مع كل ورقة على مكتبك مرة واحدة فقط، ويساعدك على ذلك تصنيف الأوراق حسب أهميتها. ضع الأوراق المهمة في حاوية مؤقتًا. سلّم الأوراق التي لا تخصك لصاحبها. تخلّص من الأوراق التي انتهيت منها أو التي لا تحتاجها.

أول ساعات العمل تكون فيها الطاقة الاستيعابية عالية، لذا من الأفضل أن تقوم بمباشرة أصعب المهام وأعقدها في بداية اليوم.

تجنَّب عناصرَ التَّشتيت التي تصدر منكَ لا من الآخرين، كالنظرِ إلى الساعة مثلًا، أو الانشغالِ بالهاتف الجوال... إلخ.

أثناء العمل إذا شعرت بالإجهاد توقف بعض الوقت وخذ لحظات من الاسترخاء في مكان جيد للتهوية.

عند تذكرك بأن هناك مكالمة هاتفيّة أو عمل يجب عليك متابعته فقم فورًا بتدوينه في ورقة خارجيّة لتقوم بعمله لاحقًا.

حافظ على النظام الذي قمت بوضعه لعملك وعدم السماح بتركه بأي حال من الأحوال.

حدد أولويات واجبات اليوم التالي حتى تستعد للعمل بصفاء ذهن.

كلمات في التميز

التركيز

واشنطن إيرفينج

إن العقول العظيمة لديها أهداف والآخرون لديهم أمنيات.

جين جوردن

الحياة صعبة إذا أخذتها باردة باردة، ولكن إذا أخذتها بوصة بوصة تصبح في متناول الجميع.

فليبيس بروكسل

إن حصر الاهتمام هو أول مقومات العبقرية.

هلفتيوس

لا شك أن القدرة على التركيز صارت من أهم مقومات النجاح.

أ.ج. جريس

إن صب الاهتمام فى العمل أو المشكلة التى قيد البحث ثم نسيان الأمر بتاتا بمجرد حسمه والوصول إلى قرار فيه، بحيث تستعيد قوة تركيز ذهنك كاملة غير منقوصة من أهم الأسباب المؤدية إلى النجاح في الحياة.

إعداد: هيفاء حسن

النوم والجينات الوراثية

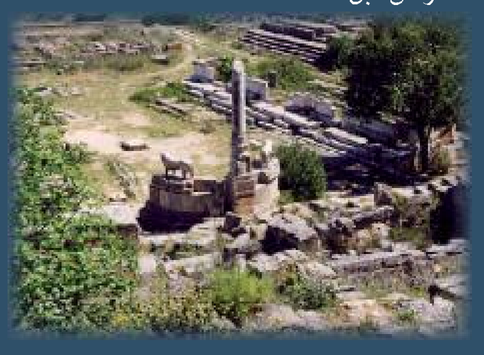


اكتشف فريق من العلماء الألمان والبريطانيين أن اختلاف حاجات الناس إلى فترات أطول أو أقصر من النوم مرتبط بجيناتهم الوراثية أكثر من تأثرهم بعوامل أخرى بيئية أو اجتماعية، واكتشف العلماء أيضًا أن من يحمل موروثًا جينيًا يعرف بالرمز «ABCC٩» يحتاج إلى ما معدله ٣٠ دقيقة من النوم في الليلة أكثر من غيره، وقال الباحثون إن هذه الحاجة الجينية لا تتأثر بتغيرات الفصول أو طول أو قصر النهار.

وأوضحت الدراسة التي ركزت على أوروبا وشملت نحو ١٠ آلاف متطوع أوروبي أن نحو خمس الأوروبيين يحملون هذا الجين الوراثي، ويقول علماء بريطانيون وألمان إن تلك النتائج لها صلة بالعديد من المشكلات الصحية مثل السمنة المفرطة، وأمراض القلب، ويرى هؤلاء أن الكشف عن هذه الحقيقة الجديدة سيلقي مزيدًا من الضوء على سلوكات النوم عند الإنسان، وأن حاجات الناس إلى النوم يمكن أن تتباين بشكل ملموس يشار إلى أن رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر تحتاج مثلًا إلى ما معدله أربع ساعات من النوم يوميًا، في حين احتاج عالم الذرة وصاحب النظرية النسبية ألبرت آينشتاين إلى نحو ١١ ساعة يوميًا، ويتوقع الباحثون أن تفتح المعلومات الجديدة الباب أمام نوع جديد من البحوث المتعلقة بسلوكات النوم، وبالتالي التحديد الدقيق لكيفية تنظيم هذا الجين الوراثي لتلك السلوكات، وقالوا إن ميول النوم لفترات أطول أو أقصر موجود ومتوارث بين الأقارب والعائلات رغم الحقيقة القائلة إن فترة النوم يمكن أن تتأثر بالعمر والموقع من سطح الأرض والفصول أو الساعة البيولوجية.

مدينة أثرية جديدة في مصر

أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية عن نجاح بعثة تابعة له في العثور على مدينة أثرية سكنية تعود للقرن الرابع الميلادي (العصر القبطي) في منطقة عين السبيل في واحة الداخلة في محافظة الوادي الجديد بالصحراء الغربية، وتشمل الآثار مباني سكنية يتوسطها كنيسة، ومن المتوقع اكتشاف مدن أثرية جديدة في المنطقة نظرًا لأنها لم تشهد أعمال حفائر من قبل.



اكتشاف كوكب شبيه بالأرض

أعلن علماء فلك أميركيون عن اكتشاف كوكب شبيه بكوكب الأرض خارج النظام الشمسي يتميز بدرجة حرارة عند سطحه تقدر بـ٧٢ درجة فهرنهايت.

وقال العلماء من مركز «آيمس» للأبحاث التابع لوكالة الفضاء الأميركية «ناسا» في كاليفورنيا: إن الكوكب الذي اكتشفه تلسكوب «كيبلر» الفضائي يدور حول نجم يبعد حوالي ٦٠٠ سنة ضوئية أي إنه قريب بحسب المعايير الفلكية.

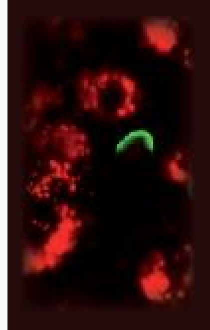
وأضافوا: إن الكوكب المكتشف «يقع في وسط المنطقة المأهولة تمامًا».

وأطلق اسم «كيبلر ٢٢ب»، وجاء اكتشافه بعد سنوات من الأبحاث عن كوكب ليس شديد الحرارة ولا شديد البرودة يمكنه أن يحتوي على محيطات على سطحه مثل «الأرض» لأن السوائل حيوية بالنسبة إلى تطور الحياة، وقال الباحث عن الكواكب جيف مارسي من جامعة كاليفورنيا، بيركلي: «هذا اكتشاف استثنائي في تاريخ البشرية».

وأشار إلى أن هذا الكوكب: «هو أصغر كوكب، يتميز بحجم أكثر شبها بحجم الأرض، والذي يوجد في منطقة دافئة حول شمس أخرى يمكن أن تسمح بالحياة».

وأضاف: «نحن نبحث في الفضاء عن كواكب تذكرنا بكوكبنا، ونكاد نصل إلى هذه المرحلة».

اكتشاف مادة مضادة للسرطان



اكتشف باحثون أوروبيون بصورة عفوية مادة قادرة على منع تكوين أوعية دموية جديدة لتغذية كتلة الورم الخبيثة، كما تتمكن هذه المادة من الوقوف في وجه الخلايا السرطانية التي تهاجر من موضع السرطان الرئيسي لاستيطان مناطق أخرى بالجسم، تدعى هذه المادة «هيثيرو تاكسين»، ويقول اختصاصيو الأورام الخبيثة في سويسرا إن هذا الاكتشاف مفيد جدًا لإنجاز دراسات إضافية عليه، وسلسلة من التجارب التي يتم تنفيذها عبر ثلاث مراحل قبل تسويقه عالميًا.

دليل الكواكب الصالحة للسكن

أصدر علماء الفلك دليلًا كونيًا يحصر الكواكب والأقمار الملائمة لإقامة حياة عليها.

وقد شكل العلماء هذا الجدول الإلكتروني على الإنترنت لسبر غور عدد العوالم المتزايدة التي رصدها الباحثون بالمناظير الفضائية الحديثة.

ويعتقدون أن قاعدة البيانات تلك ستساعد علماء الفلك وغيرهم من المهتمين في مقارنة العوالم النائية ومراقب الأصلح للسكنى أثناء اكتشافهم لها.

ويصنف هذا الجدول صلاحية الكواكب والأقمار للسكن حسب معايير ثلاثة: درجة حرارة سطوحها، ومشابهتها للأرض، وقابليتها لاستيعاب الكائنات الحية التي في أسفل السلسلة الغذائية.

ويشير الجدول إلى وجود نسبة بسيطة من العوالم الغريبة الملائمة للحياة لا يتجاوز عددها ١٥ كوكبًا أو أكثر و٣٠ قمرًا من بين المئات المرشحة لاحتمال أن تكون صالحة للسكن.

ويأمل العلماء أن تساعد قاعدة البيانات هذه في زيادة الاهتمام ببناء منظار متمركز في الفضاء لمراقبة الكواكب الخارجية مباشرة والبحث عن أدلة محتملة للحياة عليها.

قطن يقتل البكتيريا



طور باحثون أميركيون نوعًا جديدًا من القطن قادر على تنظيف نفسه وقتل البكتيريا، ويحتوي القطن المطور على مركب كيميائي يمنحه قدرة تنظيف نفسه، وقتل الجراثيم وتفكيك المواد السامة، ويمكن استخدام النسيج القطني الجديد في تصنيع الغذاء، أما عن طريقة قتل القطن الجديد للبكتيريا فقال الباحثون: إنه ينتج لدى تعرضه للضوء جزيئات الهيدروكسيل وأوكسيد الهيدروجين التي بإمكانها القضاء على البكتيريا وتفكيك المركبات العضوية السامة.

من هنا وهناك!

- أظهرت دراسة سويدية أن الرجال السويديين الذين سجلوا معدل ذكاء منخفض في عمر الثامنة عشرة يعانون من زيادة وزن في محيط الخصر في عمر الأربعين أكثر من الذين سجلوا معدل ذكاء مرتفع، والغاية من الدراسة وضع إستراتيجية جديدة تهدف إلى وقف وباء السمنة في السويد.
- كشفت دراسة بريطانية جديدة عن أن عدد المعمرين في بريطانيا وصل إلى ١٢٦٤٠رجلًا وامرأة بالمقارنة مع ٢٥٠٠ عام ١٩٨٠م و١٠٠ معمر عام ١٩١١ وهذا يعني تجذر الشيخوخة في المجتمع البريطاني.
- نجح باحثون بريطانيون في ابتكار بساط سحري مصنوع من البلاستيك بطول عشرة سنتيمترات يتحرك بفعل موجات من التيار الكهربائي تدفع جيوبًا صغيرة جدًا من الهواء من الأمام إلى الخلف، ومن تحت البساط.
- قال علماء وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) إنهم طبقوا «نانونية» جديدة لصقل الأجسام قادرة على امتصاص أكثر من ٩٩٪ من الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية، ومن شأن هذه المادة أن تمهد الطريق لتطوير العديد من الإمكانات في عالم تقنيات الفضاء، وذلك في ظل ضرورة أن تكون العديد من الأدوات المستخدمة في الأقمار الصناعية ذات حماية -قدر الإمكان- ضد الضوء المتناثر.
- قال باحثون استراليون: إن صغار السلاحف تتواصل مع بعضها البعض وقت وجودها داخل البيض حتى تفقس جميعها في آن واحد، وهذا التواصل يتم عن طريق إشارات خاصة تدفع بالسلاحف الأقل نموًا على تسريع وتيرة نموها!



إعداد: التحرير

آية وغاية

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ (الدخان: ٢٥-٢٩).

هذه الآيات البينات التي نحيا معها ونقف أمامها نأخذ من معانيها مواعظ وعبرات ولمحات لما حدث لفرعون وجنوده وهي تقص علينا ما حدث لهم، لكننا أمام عظمة ودقة النداء القرآني وأسلوبه البياني وهو يخاطب الماضي والحاضر والمستقبل.

وهؤلاء القوم لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم.

قال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، وسئل: أتبكي الأرض؟ فقال أتعجب، وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل.

ونحن عندما نستدعي أحداث الماضي بالأندلس نجد ملوك الطوائف وهم مترفون في الفردوس المفقود وكيف فرطوا في هذا النعيم وانشغلوا بالخلافات والصراعات وانغمسوا في الملذات وأضاعوا الانتصارات، فلم يستطيعوا أن يحافظوا على ما هم فيه من رغد العيش فاستباح العدو كرامتهم ورويدًا رويدًا سقطت الأندلس وزال النعيم وذل المترفون.

ويحكي لنا التاريخ أن آخر ملوك الأندلس (عبدالله) خرج يجر أذيال الهزيمة وهو يركب حصانه منكسا رأسه باكيا منكسر الإرادة مسلوب القيادة وأمه (المرأة الأبية) تقول له «ابك مثل النساء ملكًا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال». ومازال بعض الحكام العرب لا يتعظ لما حدث فأضاعوا ممتلكات الشعوب وارتكبوا الذنوب وفرطوا في مكتسبات المجتمعات لأنهم استأثروا بالنعم وبددوا الثروات، وزمرتهم وبطانتهم زينوا لهم سوء أعمالهم فأذلوا العباد وعاثوا فسادًا في البلاد فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كسبوا، وهذا ما حدث ويحدث أمام أعيننا وما تتناقله وكالات الأنباء وعلى القنوات الفضائية من دمار لبلد كان من أغنى الدول في الوطن العربي دخلا وأجمل موقعًا، فالأنهار تجري فيه وأرضه تعطي الخير وتجود بأطيب الثمر.

وكما تحولت النعمة على فرعون وقومه إلى نقمة أيضًا تحولت عن أناس آخرين بدلوا نعمة الله كفرا، وسيورث المولى تبارك وتعالى النعم التي أزالها عنهم إلى أقوام آخرين يؤدون حق النعم ويشكرون ويعبدون المنعم، لأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، لأن هذا وعد الله الحق في كتابه الصدق ﴿كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ نسأل الله عز وجل ان نكون من الموحدين الذاكرين الذين يحافظون على النعم بشكرها وحق المنعم بعبادته لنرثها ونؤدي حقها.

محمد السعيد مصطفى الشيخ

السماحة في السُّنَّة النبوية

السنة النبوية المطهرة مليئة بالدروس المستفادة، ومن خلالها يمكن تربية أطفالنا على كثير من المبادئ، خاصة في عصرنا هذا الذي انتشر فيه العنف بسبب وبغير سبب.

ومن المبادئ التي نحتاج اليها الآن بشكل ملح «السماحة»؛ فهي منهج قائم بين السهولة والشدة، وهي أمر وسط بين الإفراط والتفريط. وديننا الحنيف يهتم بالسماحة أيما اهتمام، فمن سماحته الزواج من الكتابيات (من النصارى واليهود)، وكذلك إيثار الغير على النفس، وأيضًا في اتباع مبدأ الشورى.

وانطلاقًا من أن لنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فمن الضرورة بمكان أن تشهد السنوات الأولى في حياة الطفل، وكذلك في بدايات المرحلة التعليمية الأولى، أن يوضح له وبأسلوب مبسط كيف كان رسولنا الكريم سمحًا حتى مع أعداء الدين، ويمكن الاستشهاد بذكر بعض الأمثلة مثل قوله ﷺ يوم فتح مكة: «ما تظنون أني صانع بكم؟ قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وقوله أيضًا: «من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة». فالسماحة في التعامل مع الناس ومشاركتهم أقرانهم وتقديم يد العون مظهر من مظاهر السماحة التي تثقل ميزان الإنسان يوم القيامة. ولا ننسى أيضًا ذكر حديثه الشريف: «ليس الشديد بالصرعة؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، فالعفو عند المقدرة له أثر جميل في انتشار التسامح بين الناس.

مجمل القول أن يدرك أطفالنا قيمة السماحة، وكيف لعبت دورًا مهمًا في انتشار الدين الإسلامي.

فوزي تاج الدين



«محمد..الرسول القدوة»

المتأمل لسيرة النبي محمد ﷺ يجد أنه كان يعيش في حقيقة عبوديته لله عز وجل بكل ما تحمل هذه الحقيقة من معاني الذل والانكسار لله عز وجل، مع أنه لو جاز لأحد أن يفتخر ويعتز بمكانته لكان هو الأولى بذلك، أليس هو خير البشر وأفضل الرسل وصاحب الشفاعة؟ أليس هو من أمَّ الرسل والأنبياء في المسجد الأقصى في رحلة الإسراء؟ أليس هو الذي قال الله له: ﴿فإنك بأعيننا﴾ وأقسم بحياته قائلًا: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ (الحجر:٧٢) ومع هذا كله لم نجده ﷺ إلا عبدًا متواضعًا منكسرًا لله عز وجل لم يكن جلوسه في مكان مميز عن الآخرين بل كان يجلس بين أصحابه مختلطًا بهم حيثما انتهى به المكان جلس، لم يتعامل مع نفسه ولا مع الناس على أساس تلك المنزلة التي اكرمه الله بها، وكان ينهى أصحابه عن القيام له، وكان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

ومن صور تواضعه ﷺ أنه كان يمر بالصبيان فيسلم عليهم وكان يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه. فإن كان هذا هو حال افضل البشر وأعلاهم مرتبة عند الله عز وجل فماذا ينبغي لنا أن نكون؟ إن العزة الحقيقية هي عزة العبودية لله عز وجل وذلك حين يضع المرء نفسه في مكانه الطبيعي أمام ربه كعبد ذليل لرب جليل فيحدث له تبعًا لذلك الاتصال الحقيق به، ومن ثم يدخل في دائرة معيته وكفايته التي وعد بها عبادة ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ (الزمر: ٣٦).

وعندما تغيب هذه الحقيقة (حقيقة العبودية لله عز وجل) فإن المرء يفقد عزته الحقيقية ليزداد تخبطه وشعوره بأن هناك شيئًا ينقصه فيجتهد في البحث عنه من خلال تحصيل أسباب العزة الزائفة، وفي الوقت ذاته لا يصل إلى مبتغاه في تحصيل السعادة والسلام الداخلي ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ (التوبة: ٥٥).

وكيف لا.. وقد قال سبحانه في حديثه القدسي: «العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار» (أبوداود).

فتأمل معي قول الله تعالى ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣).

إن الحقيقة التي لا ينبغي أن تفارقنا لحظة واحدة أنه لا يوجد شيء ذاتي يمكن للواحد منا أن يعتز به ويشعر أنه أرفع أو مميز عمن حوله بسبب امتلاكه له كالعزة بالشكل أو النسب أو السبق أو الثراء او المركبة أو الأولاد أو الشهادة أو المسكن أو الملبس.

إن العزة الحقيقية هي عزة الانتساب لله عز وجل وذلك حين نرتدي رداء العبودية له، ومن مظاهر هذه العزة الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين والمتكبرين، ومن مظاهرها كذلك الرغبة الدائمة في الجلوس مع الفقراء والمساكين وإعزازهم، وكذلك عدم المباهاة أو الافتخار بشيء من أعراض الدنيا وحب السجود على التراب وكراهية التصدر للقيام بالأعمال وغير ذلك من مظاهر التواضع.

محمد السيد عامر

يأكلون كما تأكل الأنعام

أترك للقارئ الكريم ان يجول بفكره ويتدبر آية ربه ويصل للمقصود ويعرف المردود من قوله تعالى ﴿يأكلون كما تأكل الأنعام﴾ حيث نجيت أمة الحبيب ﷺ من شبه الانعام إن هي امرت بمعروف ونهت عن منكر وآمنت بالله.

ولكن انظر حال هذه الأمة اليوم وهي في شر مستطير حيث الفساد الخطير من جاكارتا الى طنجة ومن دول الديموقراطية الى الديكتاتورية. حيث الفساد بصور شتى وصنوف عدة وبدلا من ان تكون جموع من الشعوب العربية من المخترعين وللحضارة نافعون وفي الرفاهية مشاركون اذا بالفساد العربي «ماركة مسجلة» في العالمين في تحد صارخ لمبادئ الدين.

يقول تعالى ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ و﴿لا يصلح عمل المفسدين﴾ ﴿ولا تبغ الفساد في الارض﴾.

وانظر الى اليابان التي ضاقت بها الأرض بما رحبت من كثرة الزلازل والبراكين والظواهر الطبيعية السيئة ولكنها ابادت الفساد بأرضها فتبوأت المكان اللائق بها مع ان بوذا يعبد بأركانها.

أمة محمد ﷺ كفرت بأنعم ربها من ثروات هائلة وطبيعة رائعة ومواقع نادرة وعقول عبقرية وهجرت الرسالة الخالدة حيث دستورها الرباني الخالد الذى لانجاة بغيره.

فمتى العودة إليه؟

عصام الحسين حميد



ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

بين الانقباض والاسترسال

«ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأمَّا ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنَّه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصرَّ على المعصية، فلابدَّ من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفَّتها».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت٧٤٢)

السَّفيه

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إذا نَطقَ السَّفيه فلا تُجبهُ
فخيرٌ من إجابته السُّكوتُ
فإنْ كلَّمتهُ فَرَّجتَ عنهُ
وإنْ خلَّيتهُ كمَدًا يَموتُ
سَكتُّ عَنِ السَّفيه فَظَنَّ أنِّي
عَيِيْتُ عَنِ الجوابِ وما عييتُ

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

حدُ الجود

حد الجود وغايته أن تبذل الفضل كله في وجوه البر، وأفضل ذلك في الجار المحتاج، وذي الرحم الفقير، وذي النعمة الذاهبة، والأحضر فاقة. ومنع الفضل من هذه الوجوه داخل في البخل، وعلى قدر التقصير والتوسع في ذلك يكون المدح والذم، وما وضع في غير هذه الوجوه فهو تبذير وهو مذموم، وما بذلت من قوتك لمن هو أمس حاجة منك فهو فضل وإيثار، وهو خير من الجود، وما منع من هذا فهو لا حمد ولا ذم، وهو انتصاف.

(مداواة النفوس)

مات خُزَّان المال وهم أحياء

قال علي رضي الله عنه: «مات خُزَّان المالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بقي الدَّهرُ».

وقال رضي الله عنه: «البُخلُ جامعٌ لمساوئ العيوب».

وقال رضي الله عنه: «البخيل يستعجل الفقرَ، يعيش في الدنيا عيشَ الفقراء، ويُحاسَبُ في الآخرة حسابَ الأغنياء».

وقال رضي الله عنه: «الغنيُّ مَنْ استَغنى بالله لا بالمال».

(القول العلي للسَّفَّاريني)

العباس يوصي ابنه

قال الشعبي قال لي عبد الله بن عباس: قال لي العباس: «يا بني إني أرى هذا الرجل- يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه- يقدِّمك على كثير من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أوصيك بكلمات أربع: لا تفشين لهم سرًّا، ولا تحدثهم كذبًا، ولا تطرين عندهم نصيحة، ولا تغتابن إليهم أحدًا». قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة منهن خير من ألف. قال: إي والله من عشرة آلاف.

(حياة الحيوان الكبرى للدميري ١/١٠١).

عوَّضه الله خيرًا

يذكر من أدب الإمام المازني- رحمه الله- مع القرآن والحديث أنَّ يهوديًا بذل له مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع من ذلك؛ فقيل له: لمَ امتنعت مع حاجتك وعائلتك؟ فقال: إنّ في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن، فكرهتُ أن أقرأ القرآن لأهل الذِّمة، فعوضه الله خيرًا، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فلم يمض عليه إلا مُديدة، حتى طلبه الواثق، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله.

(نوادر الفوائد: ١/ ١٥)

أوَّل الأمراء على المدينة المنورة

سهل بن حنيف بن وَهْب الأنصاري، الأوسي، المدني ولادةً ونشأةً والكوفي وفاةً، أبوسعيد رضي الله عنه، صحابي من السابقين، شهد بدرًا، وثبت يوم أحد، وشهد المشاهد كلها، وآخى النبي ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولاه علي رضي الله عنه على المدينة، فكان أول الأمراء عليها، ثم استخلفه علي البصرة بعد وقعة الجمل، فشهد معه صفين، وتوفي بالكوفة، فصلَّى عليه عليّ، له في كتب الأحاديث ٤٠ حديثًا.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري- معجم الأوائل).

لم يسجد لله مرة..ودخل الجنة

الأصيرم بن عمرو بن ثابت رضي الله عنه صحابي جليل لم يسجد لله سجدة قط؛ إذ أسلم وقت غزوة أحد واشترك في المعركة مباشرة واستشهد، كما أن الأسود الراعي أسلم يوم خيبر واشترك في القتال وقتل وما سجد لله سجدة، فقال عنه النبي ﷺ: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين» (الترمذي).



حُسن الاستماع

قال أحد الحُكَماء لابنه: «يا بني، تعلَّم حُسنَ الاستماع كمَا تتعلم حُسنَ الحديث، وليعلَم النَّاسُ أنَّك أحرَص على أنْ تستمع منكَ على أنْ تقُول، فاحذَر أنْ تُسرع في القَول فيمَا يَجبُ عَنهُ الرُّجوع بالفعل، حتى يَعلم النَّاس أنَّك علَى فعل ما لمْ تقُل أقرب منكَ إلى قَولِ مَا تفعل».

(موسوعة أقوال الحكماء)

احفظ مفتاح سرِّك

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «ما أفشيت سري لأحد قط فأفشاه فلمته، إذ كان صدري به أضيق». وقال الأحنف بن قيس: «يضيق صدر الرجل بسره فإذا حدث به أحدا قال اكتمه علي!!».

وقال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله: «القلوب أوعية، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره».

ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها، وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها، وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتمه أمن سطواته.

(المستطرف للأبشيهي)

قَطَعتْ «جُهَيْزَة» قولَ كلِّ خطيب

قتل رجلٌ رجلًا من قبيلة أُخرى، فاجتمع زعماءُ ووجهاءُ القبيلتين للتشاور فيما بينهم من أجلِ الصلح ومنع الثأر.

وقف الخطباء يحثّون أهل القتيل على قبول الدِّيَة حَقْنًا للدِّماء ومنعًا للشَّرِّ، وبينما هم كذلك؛ دخلت فتاة تدعى «جُهَيْزَة» فقالت: إنَّ أَولياء المقتول قد ظفروا بالقاتل وقتلوه، عندها سكت الخطباء وقالوا: «قطعت جهيزة قول كل خطيب».

(نوادر عربية)

من درر الإمام الشافعي

- إن الله خلقك حرًا فكن كما خلقك.
- أنفع الذخائر التقوى، وأضرها العدوان.
- إنك لا تقدر أن ترضي الناس كلهم، فأصلح ما بينك وبين الله، ثم لا تبالِ بالناس.
- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.
- بئس الزادُ إلى المعاد العدوان على العباد.
- التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

(مناقب الشافعي)



مسك الختام

تشريعات الإعلام وأخلاقياته

د. ناصر أحمد سنة

كنت أقوم بأعمال الإشراف والمراقبة على لجنة اختبار مادة «الكتابة للإذاعة والتلفزيون»، ضمن برنامج الإعلام في التعليم المفتوح. بدأت اللجنة بداية طبيعية، ولكن لم تكد تمر ساعتها الأولى (ضمن ثلاث ساعات هو زمنها) وإذ بثلاثة من الدارسين (طالبان، وطالبة يمثلون عُشر هذه اللجنة) يضبطون (على التوالي) وبحوزتهم وريقات خاصة بالمادة، ويقومون بالغش منها، وقد قام أحدهم - سريعًا بإلقاء «مضبوطاته» من النافذة التي كانت بجواره، محاولاً تبديد ومحو هذا «الحِرز المضبوط» حُررت ثلاثة محاضر للغش، وأخرجوا من القاعة، وحولوا للجنة التحقيق.

بعد يومين من هذه الواقعة.. وفي نفس برنامج الإعلام، وبعد مرور نصف زمن الاختبار (ساعة ونصف) تكرر الأمر ذاته. فقامت ثلاث من الطالبات (أيضا يمثلن عُشر هذه اللجنة) بالغش من وريقات صغيرة أخفينها في «أكياس مناديل ورقية»، وحقيبة أقلام صغيرة أمامهن. تبقى المفارقة أن هذه المادة هي «تشريعات الإعلام وأخلاقياته». فقلت في نفسي: هل هذا يشكل «أنموذجاً» لما ستكون عليه أخلاقيات العاملين في حقل الإعلام والمنتسبين له. وأين ذلك من قول رسولنا محمد ﷺ عندما مرّ على صُبْرَة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟»، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مني». وفي رواية أخرى عند مسلم : «من غشنا فليس منا» (رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه).

فهل يصير نحو عشرة بالمائة من مجموع العاملين في حقل الإعـلام، وللإعلام أهميته وخطورته في آن، «ليسوا منا»؟. وأين أمثال تلكم المواقف من أخلاقيات العمل الإعلامي المنضوي تحت مظلة الأخلاق في حياتنا الإسلامية بمرجعيتها الإلهية.. لا الوضعية أو العُرفية أو النفعية البراجماتية.

إن أخلاقنا النابعة من إسلامنا الحنيف تترجم على أرض الواقع معاملات نابعة من صدق، وأمانة، ونزاهة، وشرف، وموضوعية، وحيادية، ومسؤولية، وبحث عن الحقيقة، وإتقان، واجتهاد، وتقوى، ومراقبة ذاتية.. فردية وجماعية، واحترام أخلاقيات وقيم وكرامة ووحدة نسيج الأسرة والمجتمع والوطن... إلخ. ثم على الجانب الآخر، تتجسد في تشريعات وقوانين ومواثيق وتنظيمات تخضع للمحاسبة والعقاب، تشريعات عادلة تسائل كل من يخالف ما سبق، ويتعمد الإساءة، أو التخوين، أو التجريح أو توجيه الحملات ذات الطابع الشخصي أو التمييز العنصري، أو إذكاء التعصب والعصبيات بأنواعها وأشكالها، أو تهديد أمن المجتمع أو الوطن أو الأمة.

إننا بحاجة - وقد بلغ السيل الزبى، واختلط الحابل «الإعلامي» بالنابل، وتحولت بعض مظاهر الحرية إلى فوضى إعلامية، إلى تفعيل كلا الجانبين. والتأكيد على رسالة وآداب ومواثيق معايير مهنية لوسائل الاتصال جميعها.. من صحافة وكتب وإذاعة وسينما ومسرح ونشر ورقي وإلكتروني. كذلك تلكم المتعلقة بحق التعبير والاطلاع، وبجوانب المضمون الاتصالي (الإعلامي، الإخباري، التعليمي، الترفيهي، الإعلاني... الخ).

فالمسؤولية تعني حسن استخدام الحرية، و الحرية تعني روح العمل الصحفي، والمسؤولية هي حالة وعي الصحافة برسالتها ومعيار الرشد للمارسة المهنية، وإن الضمير المهني يعني البوصلة الذاتية التي تقود خطى الصحافة والصحفيين الى غايات الممارسة.

قد يقول قائل: إن ما ذكرت من حالات «غش إعلامي» إنما هي حالات فردية لا ينبغي أن تُعمم، فمازال الدارسون في حقل الإعلام بكل الخير، نعم، ليس في ذلك شك، بيد أنه إن كانت ثمة فائدة ترجى من مثل تلكم المواقف «اللاأخلاقية» فهي تلك الخواطر التي استدعتها هذه الأحداث وأراها مهمة في ضوء ما نعيش من أحداث عامة، وتحديات طامة، ومنعطفات مُلمة، ليست بحاجة لمزيد بسط أو شرح.



رسالتان لطيفتان تعالجان مسألتين من المسائل المهمة .. يحتاج إليهما المتأمل في القرآن الكريم .. إحداهما عن الإظهار في مقام الإضمار.. والأخرى عن تكرار النزول في القرآن، والرسالتان ماتعتان لقارئهما، مفيدتان في بابيهما ..

وكلتاهما من تأليف الدكتور عبدالرزاق حسين أحمد الذي بذل جهدًا كبيرًا في تتبع مادة الرسالتين وربط عناصرهما بمقررات المفسرين القدامى والمحدثين .. فتمت له الغاية منهما والفائدة من تأليفهما.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com


إدارة الإعلام الديني
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية


دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



العدد (٥٦٠) ربيع الآخر ١٤٣٣هـ - فبراير-مارس ٢٠١٢م

AL-waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

www.alwaei.com

د. عبدالستار فتح الله: رؤية عصرية لإعجاز القرآن الكريم

هل الإصلاح الاجتماعي ضرورة المرحلة؟

جماليات المكان في القرآن الكريم

الفقه المستقبلي.. تأصيل وآفاق

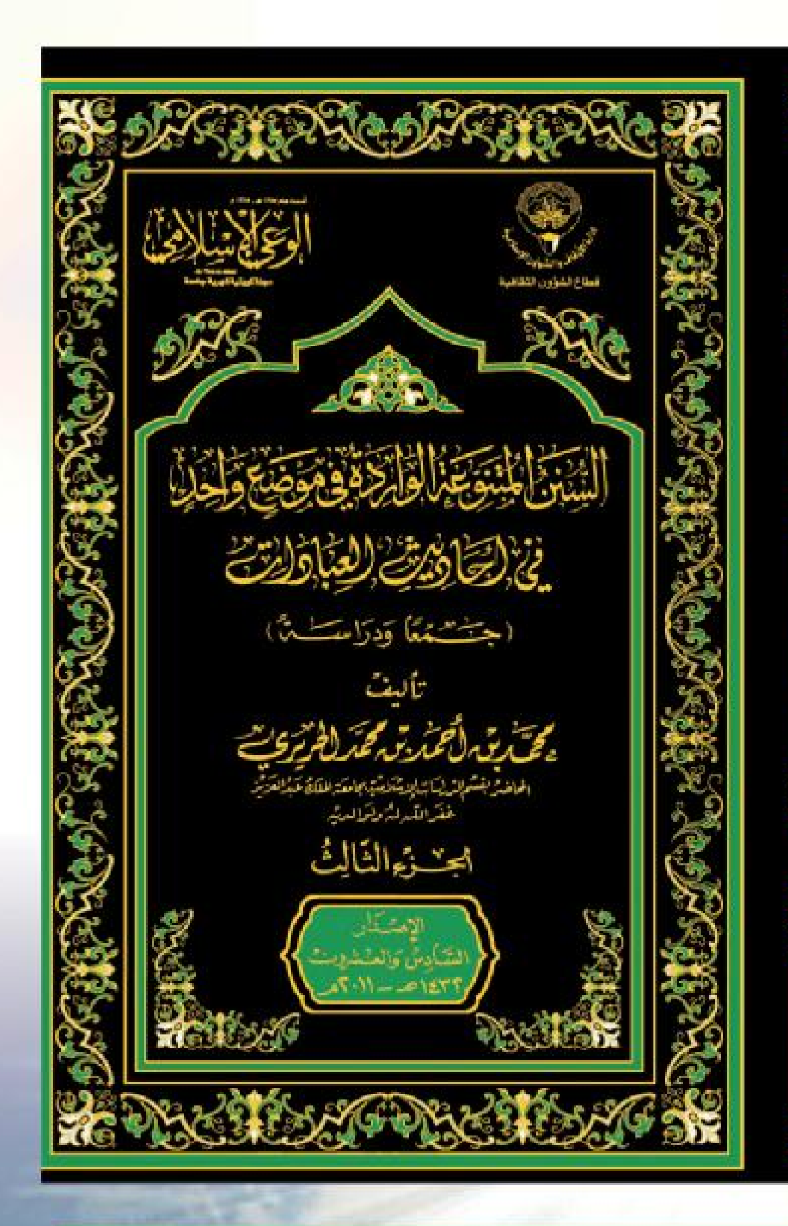
ركائز وقيم النهضة التعليمية

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»





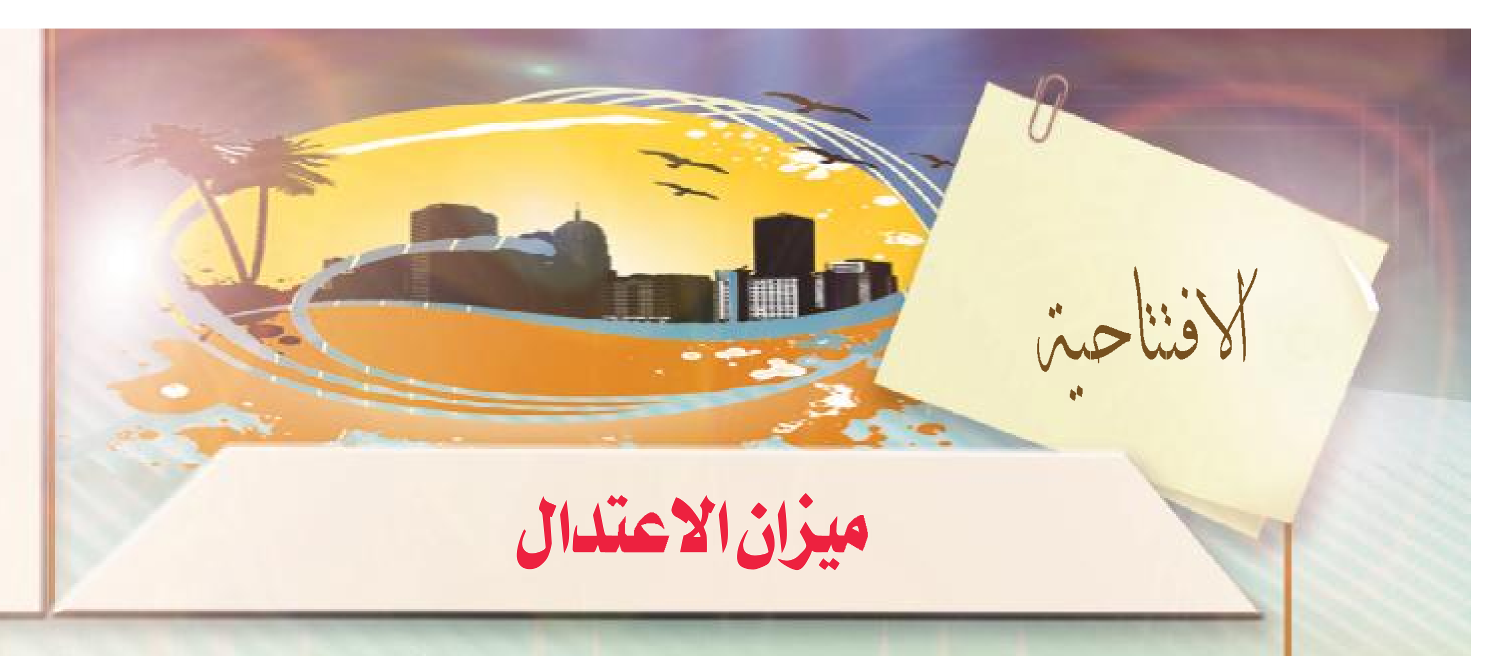
إصدارات







هذا الكتاب يسهم في تقريب السنة بين يدي الأمة، كما يسهم في القضاء على التعصب المقيت الضارب بأطنابه في بلاد مختلفة، ويبرز جانبًا مهمًا من جوانب تعبّد النبي ﷺ، وذلك من خلال إبراز جميع السنن المتنوعة الواردة في موضوع واحد.



ميزان الاعتدال

العدل نظام كل شيء، والإنصاف عزّ في هذه الأيام، وسيطر مكانه الخلاف، فصارت الحاجة ماسّةً إلى المنهج السليم، والقسطاط المستقيم، لنزن الأمور، ونبتعد عن الجور، ولا يزال الناس على طريقة الغلو والطعن فيمن يخالفهم، والمبالغة في نقدهم، بلغة شديدة، وعصبية عجيبة، لا يبالون بتصدير الأحكام، عدوانًا وجهلًا، وكأننا لن نجتمع عند الواحد القهار، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧)، ما سلك هؤلاء سبيلًا مستقيمًا، ولا تحروا منهجًا قويمًا، بل منهجًا بعيدًا عن الإنصاف، لهجته بالغة الاستخفاف، ما سلم منه الصحابة الكرام، ولا الأئمة الأعلام ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ما يضر البحر أمسى زاخرًا
أن رمى فيه غلام بحجر

وقالوا في الأمثال: من لم يحسن إلى الناس قبحت إساءته، ومن حسنت مساعيه، طابت مراعيه، ومن كرم خلقه وجب حقه، ومن ساء خلقه ضاق مَذْقه، فالقواعد والأصول اللازمة للوصول للحق والصواب في المجادلات والحوارات العدلُ والوفاءُ، والبذلُ والعطاءُ، وإنزال الناس منازلهم، ودفع الظلم عنهم، وليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، وارحم من دونك يرحمْك مَنْ فوقك، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى، ومن طال تعديه كثرت أعاديه، فالتعصب المذموم والغلو المشؤوم كم جلبا للإنسان من شر، وأوقعا صاحبهما في خُسْر، وكم يعقب صاحبهما من ضير، ويحرم بسببهما من خير، وبناء على ما جاء في الآيات وقواعد التعامل البينات، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

فاحرص مع الآخرين على الإنصاف، ولا تضخم مسائل الخلاف، واحذر آفة الانحراف.. الحسد، من اتصف به ضاق صدره، وغاب وعيه، وجانبه الصواب، وليس من الإنصاف ازدراء الناس، فلا تجحد ما للإنسان من فضل، ولا تفرح بذنبه، ولا تبحث عن هفواته وتصيدها، فمن مال إلى الحق مال إليه الخلق، ومن حفر بئرًا لأخيه كان حتفه فيها، واستعن على العدل بقلة الطمع، وشدة الورع، فإن في حفظ المودّات ورعاية الحرمات حسنَ الوفاء، وطيبَ الثناء، والرسوخ في الإنصاف بحاجة إلى قدر كبير من خلق رفيع، ودين متين، فاحذر قلة الإنصاف، فالإنصاف طريق الائتلاف.

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

نسأل الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٠

ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

فبراير - مارس ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ -٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة .رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠ دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ● تونس: نصف دينار تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

والفضل.. ما شهدت به الأعداء

في افتتاحية مجلة «يديعوت احرنوت» الصهيونية: قالت مؤخرًا تحت عنوان «مستقبل الإسلام في أوروبا».. «إنه إذا ما استمر نمو المظاهر الإسلامية في أوروبا بالدرجة المشاهدة ذاتها.. فإن من المتوقع أن تتحول أوروبا بأكملها للإسلام بحلول نهاية القرن الحالي».

إنه مما لاشك فيه أن نشر مثل هذا المقال يرمي إلى بعث رسالة واضحة لدول أوروبا؛ يحذرها فيه من التقدم السريع للإسلام في صفوف الأوروبيين، الأمر الذي يتطلب منهم اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقفه.. على حد تعبير المجلة الصهيونية!

وفي المقابل فإن زيادة تلك التحذيرات تتطلب من الأقلية المسلمة في أوروبا مواجهتها بمزيد من التمسك بحقيقة المواطنة والتعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، إضافة إلى انتهاج قيم الإسلام ومبادئه النبيلة الداعية إلى الوسطية والاعتدال، وتطبيقها سلوكًا عمليًا على أرض الواقع.. خاصة وأن الوقائع قد أثبتت أن الهجوم الشديد على الإسلام والتخويف منه قد أعطى نتائج عكسية جعلت كثيرًا من الأوروبيين يتجهون بشكل غير مباشر إلى محاولة فهم الإسلام، والقراءة عنه، والوقوف على حقيقته التي تجمع مقومات التكامل بين ما هو مادي، وما هو روحي.. عكس الأديان الأخرى تمامًا.

التحرير

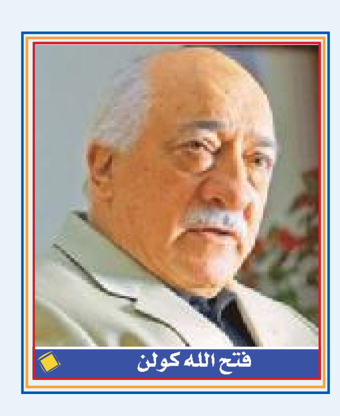
الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥,٧ دنانير.للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الفجر المرتقب

دنيا يسودها ظلام دامس.. ظلام يحمل في طيّاته نورًا مرتقبًا.. وأصداءً تحمل بشرى ظهور نبي جديد.. وتتسرب أصداء هذه البشرى، وتطرق الأسماع والقلوب حتى بدأ الكثير من أهل مكة يتحدثون عن هذا النبي المرتقب ويوصي بعضهم بعضا: «عليكم أن تسرعوا إلى هذا النبي حالما يظهر.. أسرعوا إليه وآمنوا به!» (١).


فتح الله كولن

كل القلوب واجفة.. فالآمال جميعها معقودة عليه.. على خاتم المنقذين.. والأمهات والآباء يطمعون أن يكون هذا النبي ﷺ من نسلهم، لذا يسمي العديد منهم أبناءهم «محمدا» (٢)، ولكن النبي المرتقب يجب أن يكون من سلسلة نسب ذهبية، تبدأ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وتنتهي بعبدالمطلب فعبدالله.. كانت القلوب ترتقب هذا النور من هذا الطريق، وكانت الأحداث تشير إلى قرب قدومه، ودنو مجيئه.. فحلكة الظلام تؤذن بقدوم الفجر.

لم يكن إنسان ذلك العصر يحمل قيمةً تعطي للحياة معنى، أي تعطي للحياة غاية وهدفًا يستحق العيش من أجله، بل كانت أعمال الناس آنذاك مثلما قال القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩).

ولم تكن المشاعر والأفكار والتصرفات تتباين عن هذا كثيرًا: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ (النور: ٤٠).

كان اسم هذا العهد «عهد الجاهلية»، غير أن الجاهلية هنا لم تكن تأتي كنقيض للعلم، بل كمرادف للكفر الذي هو نقيض الإيمان والاعتقاد، ولا أريد هنا أن أعرض - ولو بشكل موجز- مَعالم هذا القبح في ذلك العهد، لأنني لا أريد أن أعرض أمامكم- ولو لوقت قصير- لوحة سوداء مقززة، كما أن تصوير الباطل قد يفسد الأذهان ويضلها، وأنا أرى أن هذا يشكل جريمة، بيد أنه يلزم لفهم ذلك العهد أن نشير إلى بعض عاداته وتقاليده ليتسنى لنا أن نعي فضل الله على العالمين، ورحمة الرحمن الرحيم، في إرسال فخر الكائنات وسيد المرسلين.

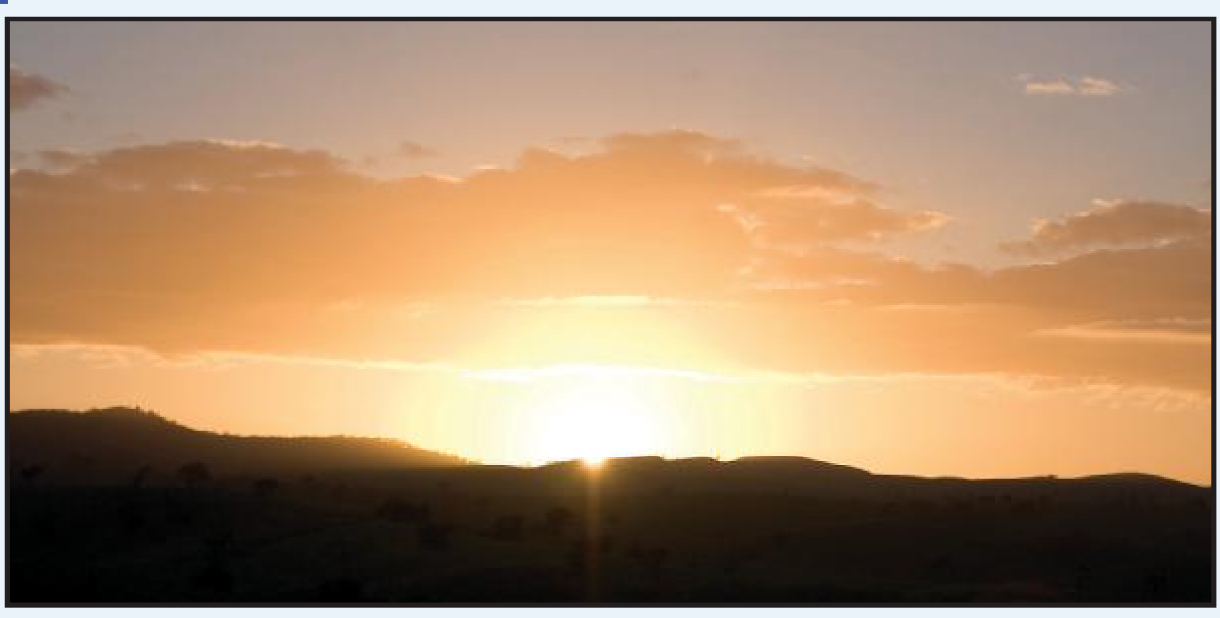
للقلب لسانٌ لم تسمع الآذان بيانًا كبيانه.. فاقطعوا المسافات في قلوبكم للوصول إلى الله

إن مجيئه ﷺ كان من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى للعالمين، وأفضل إحسانه، وهذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم إذ يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

إذن، فانظروا إلى مدى رحمة الله ولطفه وإحسانه عندما يرسل إلى الناس رسولًا من عند أنفسهم، يحس بما يحسون، ويفكر كما يفكرون، ويكون لهم مرشدًا وهاديا في الطريق الموصل إلى الله تعالى.. فإن احتاجوا إلى إمام تقدمهم وأصبح لهم إمامًا، وإن احتاجوا إلى خطيب اعتلى المنبر فكان خطيبًا مفوّها، وإن احتاجوا إلى أمير كان لهم أميرًا يرسل الرسائل للملوك ويختم المعاهدات، وإن احتاجوا إلى قائد تقدم صفوفهم في الحرب، وأصبح لهم قائدًا أفضل من جميع القواد المتمرسين..

هناك عقيدة خاطئة لدى النصارى، فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد ضحّى بعيسى عليه السلام ليفتدي به الخطيئة الأولى للإنسانية، أي يؤمنون بأن الله- سبحانه وتعالى عما يقولون- قد ضحّى بابنه المسيح لكي يصفح عن الإنسانية كلها، لذا فقد صلب المسيح على الصليب حسب هذه العقيدة الخاطئة، وهكذا تم الصفح عن الخطيئة الأولى التي بدأت مع آدم عليه السلام وانتقلت إلى كل إنسان، فكل إنسان يحمل هذه الخطيئة منذ

◈ مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب



مجيئه إلى الدنيا، ومنذ ولادته، وهذه عقيدة خاطئة من جهة، وضالة من جهة أخرى لكونها قابلة لتأويلات عديدة إلا أن لها تلميحًا صحيحًا، وهو أن الله تعالى أرسل أفضل خلقه محمدًا ﷺ وأحبهم إليه رسولًا إلى الناس مع علمه بما سيتعرض له من أذى وآلام، وذلك لكي يخلصهم من الضلالة والانحراف والطغيان حتى لا يضيعوا في الطرق والمتاهات، بل يرتقوا إلى المستوى اللائق بالإنسان الكامل.

أجل، للقلب لسان لم تسمع الآذان بيانًا مثل بيانه، وبلاغة مثل بلاغته.. إذن، فعلى الإنسان أن يقطع المسافات في قلبه، وأن يبحث فيه عما يبحث، فيصل إلى ربه هناك، ويفنى في حبه، علمًا بأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ إلينا من أجل هذا.

أجل، فقد أرسل إلى الإنسانية لكي يتلو عليها آيات ربها، ويعرض أمام عينيها معجزاته، ولكي يعلّم الإنسانية ماهيتها الحقيقية، وبفضله تستطيع البشرية أن تتطهر من أرجاس الطبيعة، فتصبح نقية صافية، وتسمو من المرتبة الدنيا للجسم إلى المرتبة العليا لحياة القلب والروح، وقد سمت فعلا.

أجل، إنه سيعلّم الناس الكتاب والحكمة، وفي نور الكتاب وضوء الحكمة ستجد الإنسانية نفسها، وتتنبه إلى الآخرة وتلتفت إليها، فتسلك الطريق إلى الحياة الأبدية، وقد سلكت هذا الطريق فعلا.

هناك أيام مباركة وأيام مهمة وكريمة عندنا، وبعضها يعدّ عيدًا للمؤمنين، ففي كل أسبوع يعيش المؤمنون فرحة يوم الجمعة، ونعيش هذه الفرحة بمقياس أكبر في عيد الفطر وفي عيد الأضحى، ففي أيام عيد الأضحى يتذكر المسلمون التضحية التي قدّمها النبي إبراهيم عليه السلام، ويبتهلون فيها، ويدعون الله من قلوبهم وبكل إخلاص أن يغفر لهم ذنوبهم، ومن أجل ذلك يهرع بعضهم إلى بيت الله ليتمسحوا بأستاره، وعندما يقفون في عرفات يتوجهون بقلوبهم إلى الله، ويبتهلون إليه بروح محمدية ليغفر لهم.

وأما عيد الفطر فهو عيد مبارك غنيّ بمعانيه، إذ هو تعبير عن الفرحة التي يشعر بها المسلم وهو يعيش فرحة الاقتراب من الرضا الإلهي بعد شهر كامل من الصوم، ولكن هناك عيد آخر يعد عيدًا للإنسانية، بل لعالم الوجود كله؛ وهو يوم تشريف الدنيا بمجيء رسول الله ﷺ، أي يوم الميلاد الأحمدي (٣)، أي هو اليوم الذي علّق الله سبحانه وتعالى النور الأحمدي، والسراج المحمدي في سماء الإنسانية مثل شمس مضيئة.. أجل، فبهذا النور تبدد ظلام الجاهلية، وغمر النور العالم بأسره، فكان هذا أفضل وأكبر وأعظم نعمة لله سبحانه وتعالى على الإنس والجن.

الهوامش

(١) انظر إلى: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢٠٣/١-٢٠٤.

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ١٦٩/١.

(٣) اليوم هو يوم الأربعاء الموافق لـ ١٣ تشرين الأول لسنة ١٩٨٩. من التوافقات -ولا نقول الصدف- الجميلة أن تصحيح هذه الأسطر وافق يوم الميلاد الأحمدي.

د. عبدالستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر:

التفسير الموضوعي.. رؤية عصرية لإعجاز القرآن الكريم

شريف أبوالوفا - دار الإعلام العربية



مؤلفات عديدة ومتنوعة تستجلي المنهاج القرآني في التشريع، وأسس التفسير الموضوعي للتنزيل الحكيم، وكذا معركة الوجود بين القرآن والتلمود، والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.. تلك هي خلاصة وعصارة فكر د.عبدالستار فتح الله سعيد، أستاذ التفسير بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقًا.. والذي يكشف في حواره مع «الوعي الإسلامي» النقاب عن الأسس السليمة التي يجب أن ينطلق منها التفسير العلمي الدقيق للقرآن الكريم، إضافة إلى العديد من القضايا الإسلامية نتعرف عليها عبر السطور التالية.

أحذر من تفريق الأمة بالأفهام الضالة والمعاني الشاذة

مع تنامي ما يسمى بـ«العلوم الحديثة» ظهر مصطلح «التفسير العلمي للقرآن الكريم».. فهل استطاع هذا النوع من التفاسير الوقوف على الإشارات العلمية في القرآن الكريم وما تتضمنه من معان؟

القرآن الكريم كتابُ الله تعالي، وهو الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ولذلك ضمَّن الله تعالى هذا القرآن ما لا يحصى من الحقائق والعلوم والمعاني والأخبار، وقد أوجز الرسول ﷺ هذا المعنى في الحديث الذي رواه الحارث الأعور قال: «مررت بالمسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فأخبرته فقال: أَوَقَدْ فعلوها؟ قلت نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه».

ومن ذلك، الإشارات العلمية عن حقائق الخلق والأحياء والنبات والكواكب والنجوم وغيرها من العلوم والمعارف ذكرها الله تعالى من خلال دعوته إلى الإيمان به، وقد جاء كل هذا بأسلوب عربي بيِّن يناسب العرب في زمن النزول، ويتسع لكل المعاني التي تناسب زمانهم، وينطبق عليها النص القرآني في إيجاز وإعجاز يدل على أن هذا القرآن هو كلام الله حقًّا، وأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لا يستطيعون.. ومن هذا أيضًا حقائق العلوم المادية التي توصل إليها العلم البشري في هذا الزمان، والتي نجد لها إشارات ودلالات واضحة في القرآن الكريم رغم أنها لم تعرف إلا في زمننا هذا، مثل الأجنة وأحوالها وأطوارها، وغير هذا مما لم يكن معروفًا في العالم كله إلا بعد اختراع المجهر الذي يكبر الأشياء الدقيقة مئات المرات، ومثل قابلية الذرة للانشطار كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

وقد ألف د.موريس بوكاي وهو طبيب فرنسي كتابًا يقارن فيه بين أخبار القرآن وحقائق العلم الحديث، وأثبت بالدليل القاطع أن القرآن الكريم لم يخطئ في حرف واحد مما قررته العلوم الحديثة، والتي كانت مجهولة تمامًا في زمن نزول القرآن على النبي الأمي محمد ﷺ، وهو

شعب أساسية تحدد مواصفات الداعية على منهاج النبوة

كتاب مترجم إلى اللغة العربية ومتداول حاليًا.

لكننا نجد الفكر الإسلامي هذه الأيام مثقلًا بمصطلحات عديدة مثل «الأيديولوجية» و«التصور الإسلامي» و«الإسلام هو الحل».. فما قراءتك لهذه المصطلحات؟

الإسلام دين الله تعالى، أنزله شاملًا لكل شؤون الحياة، وكاملًا في كل جزئيات التشريع، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ومن هنا اتسع الإسلام لكل العصور، وتكلم فيه العلماء والدعاة في كل زمن بما يناسب أحوال زمنهم، ولذلك ظهرت مصطلحات وأفهام كثيرة كلها مأخوذة من هذا البحر الواسع لمعاني الإسلام الصحيح، منها ما يتفق مع القرآن والسنة النبوية والفهوم التي فهمها أصحاب الرسول ﷺ حين نزل القرآن، وحين خاطبهم ﷺ بالشرح والبيان، وكل ما عدا ذلك مردود على أصحابه كما روت أم المؤمنين أم عبدالله عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».. أما مصطلح «الإسلام هو الحل» فهو شعار دعوي لبيان فضل الإسلام وما فيه من حلول لجميع المشكلات التي جاءت بها الحضارة المادية المعاصرة.

وبماذا يمكن تفسير غياب هديه ﷺ في تبليغ القواعد الصحيحة للإسلام لدى بعض الدعاة؟

ليس صحيحًا أن هذه القواعد مفتقدة عند جميع الدعاة المعاصرين، بل هي مطبقة في الدعوة الإسلامية المعاصرة، فالغالبية تأخذ الإسلام بمأخذه الشمولي الجامع فيظهر ذلك في أسلوب دعوتها للإسلام، بينما هناك فرق شذّت عن الإسلام وخالفت قواعده الأصولية وثوابته الدائمة مثل البهائية، فهي فرق شاذة تقوم على الباطل.

إذن.. ما مواصفات الداعية تأسيًا برسول الله ﷺ في دعوته وهديه؟

بُعث رسول الله ﷺ بالحق الإلهي الدائم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركها على المحجة البيضاء كما جاء في الحديث (الواضحة الغراء)، وهي تتمثل في أربع شعب أساسية هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتخلق بالأخلاق العليا التي جاء بها الإسلام أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر، والشعائر والعبادات التي هي حق الله على عباده، والمعاملات التي تتم بين الناس والتي ينبغي أن تقوم على أساس الحق والعدل الذي شرعه الله تعالى.. ومن خلال هذه الشعب الأربعة قامت قواعد الدعوة المتمثلة في المبادئ والوسائل المناسبة لها، بأسلوب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة والصدق والأمانة، والصبر على تبليغ الرسالة، وقد أدّت الرسائل العلمية الجامعية التي ازدهرت في الجامعات الإسلامية دورًا عظيمًا في بيان حقائق الإسلام، وتجلية المعاني التي أراد الله للبشرية أن تقوم بها فهمًا وتطبيقًا.

تتبنى -وأنت أستاذ في علوم تفسير القرآن- «التفسير الموضوعي».. فما السر؟

هو لون جديد من تفسير القرآن الكريم موضوعيًا، انتقل من مدارج التكوين والاستحكام ليأخذ طورًا جديدًا في وجهته، وطريقة عرضه وبحثه، وفي نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، وفي النتائج والآثار التي يتوخاها.. فللتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ضرورة بالغة في هذا العصر الذي تقاربت فيه الأقطار والأمصار، واختلطت فيه المذاهب والأفكار، وصار كل حزب بما لديهم فرحون، وكل فريق يصارع من أجل اكتساب عقول الشعوب والأمم، وقلوب الأفراد والجماعات؛ لذلك تبدو الحاجة ماسة إلى هذا اللون من التفاسير، لما يحققه من قواعد أساسية أهمها إبراز إعجاز القرآن الكريم على وجه يلائم العصر، والوفاء بحاجاته.

وبماذا تفسر كثرة وتعدد الخلافات حاليًا بين المسلمين؟

الخلافات بين المسلمين نوعان، الأول تنوع في فهم النصوص ومعرفة مقاصد الشريعة، وهذا خلاف محمود يقوم على الاجتهاد واختيار الأنسب للمسلمين مادامت النية خالصة لله تعالى.. أما النوع الثاني فهو اختلاف تضاد، وهو مذموم يؤدي إلى الفُرقة وتمزق الأمة، ولذلك ذمَّ اللهُ هذا النوع في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.. ونصيحتي لهؤلاء تحري الحقائق وتوثيق الفهم، وتبني الاجتهاد القائم على الإخلاص، وهذا يكون فيه للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، أما تفريق الأمة بالأفهام الضالة والمعاني الشاذة فهو ملعون، ولذلك يجب أن ينتهي أصحابه عنه.. والإسلام طوال تاريخه بين خطرين؛ أعداء من داخله ومن خارجه، أما أعداء الخارج فهم أمر طبيعي منطقي؛ لأن الباطل عدو الحق دائمًا، لكن اللوم على أبنائه الذين خالفوا الدين وجادلوا بالباطل ليصرفوا الناس عن حقائقه العظمى، فهؤلاء لهم الويل من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

رسالة التلميذ

لعبدالقادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠-١٠٩٣)

هذه الرسالة من كتاب نوادر المخطوطات (٢١٧/١) تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون (ت ١٤٠٨ هـ) رحمه الله تعالى، فقد ترجم للمؤلف وقدم لها بمقدمة جميلة، وبين أصول الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ، فإني لم أجد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة، المدونة (لبيان) الجليل والحقير، وذكر النقير والقطمير، كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني، والقاموس لمجدالدين الفيروزابادي، وغيرها، إلا في لسان العرب لابن مكرَّم، فإنه أورده في مادة (تلمذ)

أغلب المعاجم لم يورد مادة تلمذ .. وهذه أصولها في الأدب العربي

وقال: «التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ»، مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص، وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام.

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب مغني اللبيب، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس «حُكي لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيتَ المفصَّل (١)» رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملا الحلبي (٢) قال: «التلميذ: القارئ على الشيخ. ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما» أ.هـ.

فحينئذ تتبعت بطون الدفاتر، من مصنفات الأوائل والأواخر، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، فإنه ساق (٣) فيه شعرًا للبيد بن ربيعة العامري الصحابي وفيه هذا البيت:

فالماء يجلو متونهنّ كما
يجلو التلاميذُ لؤلؤًا قَشبا (٤)

وقال بعد إنشاد الأبيات: «التلاميذ غلمان الصنَّاع. والقشب والقشيب: الجديد، والجمَع القُشب».

ورأيته أيضًا في شعر أمية بن أبي الصلت، وهو شاعر أدرك النبي ﷺ ولم يوفَّق للإيمان به، وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء، وهو ما لا يكاد يُقضى العجب منه، قال في قصيدة:

والأرض معقلُنا وكانت أمَّنا
فيها مقامتُنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قُذفاتها
حبسوا قيامًا فالفرائص تُرعد (٥)

قال شارح ديوانه: «التلاميذ الخدم، يعني الملائكة».

وقال أيضًا في قصيدة أخرى:

صاغ السماء فلم يخفض مواضعَها
لم ينتقص علمَه جهلٌ ولا هَرَمُ
لا كشفت مـرةً عنا ولا بليت
فيها تلاميذ في أقفائهم دَغَم(٦)

وقال شارحه هنا أيضا كذلك.

ورأيـت فـي المقـامـة الأولـى من المقامات الحريرية قوله: «فوجدته محـاذيًا لتلميذ، علـى خبز سميد، وجدي حنيذ، وقبالتهما خابيةُ نبيذ (٧)»، قال شارحه الشريشي: «التلميذ متعلم الصـنعة، والتلـميذ الخـادم، والجميع التلاميذ»، وأنشد بيت لبيد المتقدم، ثم قال: «وطلبة العلم تلاميذ شيخهم» أ.هـ.

وإهمال داله لغة فيه، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها:

فمَضى وأصعـد واسـتبـدَّ إقامةً
بـأولـي قـوًى فمبتّل ومُتلمذُ

قال شارحه: «يريد متلمذ، أي خادم من التلاميذ، وتُلمذ: جُعل للخدمة. «متلمِذ» بكسر الميم، وأراد بأولي قـوًى: المـلائكة الـذين يحملون العرش، وقوله: «فمضى» يعني الله عز وجل، واستبدّ، يعني لا يـستشير أحـدًا، يقال استبدَّ فـلان بـرأيـه»، إذا لم يستعن أحدًا على ما يـريـد، والمبـتـل: المفرد. أ.هـ.

ويـؤخـذ منـه أن تـاءه أصلية، ووزن تلميذ فعليل، وأن له فعلًا متصرفًا هو تلمذه كدحرجه، بمعنى خدمه، يتلمذه كيدحرجه، تلمذة وتلماذا، كدحرجة ودحـراجًـا، فهـو متلمذ كمُدحـرج بمعنى خادم، وذلـك متـلمَذ أي جعل خادمًا (٨).

وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قــراءة، لأنــه فـي الـغـالـب يخدم أستاذه.

وقـول النـاس: «تلمَّذ لـه» و«تلمَّذ منـه» بتشديـد الـميـم، خـطـأ، لأنهم توهموا أن التاء زائدة، وليس كذلك وصـوابـه «تلمَّظ لـه» و «تلمَّظ منه» (٩).

بالظاء المشالة المعجمة، ولمَّظه أي أطعمه وأذاقه، والتلمظ: تتبُّع اللسان بقية الطعام في الفم، وقد يكنى به عن الأكل، استعير للتعليم شيئًا فشيئًا.

والتلميذ يجمع على تلاميذ، فإن فعليلا يجمع على فعاليل، كبرطيل وبراطيل، وعفريت وعفاريت، وقنديل وقناديل، وإصليت وإصاليت، وإبريق وأباريق، ومنديل ومناديل. وأما قولهم في جمعه «تـلامـذة» فعلى توهم أنه اسـم أعجمي (١٠)، فـإن الـهـاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع: (أحـدهـا) الاسـم الأعـجمـي المعرب، سـواء كانت للتعويض عن مَـدَّة نحو أسـتـاذ وأسـاتـذة، أم لا نـحـوً موزج وموازجة، وكيلجة وكيالجة. (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد، نحو أشعثي وأشاعثة، ومهلبي ومهالبة، وأزرقـي وأزارقـة، (ثالثها) للتعويض (إمـا) عن ألـف خامسة جـوازًا نحو حبنطى وحبانطة، وعقرنى وعقارنة، وإما عن (عين) (١١) مضاعفة نحو جبار وجبابرة، وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة.

قـيـل: وقـد يـرخـم الـتـلامـيـذ في الشعر على تَلَام، كقول الطرِمَّاح:

تتقى الشمس بمدريَّة
كالحماليجِ بأيدى التلام

والـحـمـالـيـج: مـنـافـخ الصاغة الطوال، واحدها حملوج، شبه قرن البقرة الوحشية بها.

قال الجواليقي في المعرّبات (١٢): «الـتـلام أعجمي معـرب، قيل هم الصاغة، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ». وأنشد هذا البيت.

وأنـشـد ابـن بـري في حاشية الصحاح قول غيلان بن سلمة الثقفي (١٣) أيضًا:

وسربال مضاعفة دلاص
قد أحرزَ شكَّها صُنعُ التّلام

وروَي: «الـتـلام» في الـبـيـتـين بـفـتـح الـتـاء وكـسـرهـا. أمـا الفتح فعلى أنه مرَخَّم التلاميذ ضــرورة، وقـد اقتصر عليه صاحب الصحاح، وقـال: «الـتـلام التلاميذ سقطت منه الدال».



وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي، قال في المسائل العسكرية (١٤):

ومن قبيح الضرورة قول الشاعر:

مثل الحماليج بأيدي التلامْ

قالوا: يريد التلامذة، فحذف. وقد أعلمتك أن ذلك يكون على الترخيم فيما تقدم، إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم كقوله (١٥):

دَرَس المَنَا بمُتالع فأبانِ

قالوا: يريد: المنَازل. ومثل ذلك ما أنشده لأبي دؤاد (١٦) الإيادي:

فكأنما تذكيً سنابكها حُبَا (١٧)

قيل يريد الحباحب، أي نار الحباحب، وفي التنزيل: ﴿فالموريات قدحا﴾. انتهى كلامه.

وأما الكسر فعلى أنه جمع «تِلْم» بكسر فسكون، بمعنى الغلام، قال ابن مكرَّم (١٨): فمن (١٩) رواه: التلامي، بفتح التاء وإثبات الياء، أراد التلميذ، يعني التلاميذ الصاغة. هكذا رواه أبوعمرو، وقال: حذف الذال من آخرها (٢٠)، ومن رواه: التلام، بكسر التاء، فإن أبا سعيد قال: التِلم الغلام. قال: وكل غلام تِلم، تلميذًا كان أو غير تلميذ، والجمع التلام، وقال ابن الأعرابي: التلام: الصاغة، والتلام: الأكرة» أ.هـ.

وأقول: «الصاغة» تصحيف من الصناع (٢١) لوقوعه في صحبة الحماليج.

ويدفعه البيت الثاني (٢٢).

وقال صاحب القاموس: «التِلم، بالكسر: الغلام، والأكّار، والصائغ أو منفخه الطويل، وكسحاب: التلاميذ، حذفت ذاله. ولم يذكر الجوهري غيرها، وليس من هذه المادة (و) إنما هو من باب الذال» أ.هـ.

أقول: أما قوله: «الأكّار والصائغ» فأخذه من قول ابن الأعرابي، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار.

وأما قوله: «أو منفخه» فقد أخذه من قول بعضهم، وقد غُلِّط فيه.

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال: التلام الحماليج التي ينفخ بها. قال: وهذا باطل (٢٣).

والعجب من صاحب القاموس أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب الميم، مع أنه أثبته مثله، ولم يذكره في باب الذال.

الهوامش

١- المفصل للزمخشري في النحو، انظر ابن يعيش ٢: ٩٤، والبيت هو:

لا يبعد الله التلبب والغا
رات إذ قال الخميس: نعم

٢- هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩. ذكره في كشف الظنون وفي أ، حـ: «حلبي» موضع. «الحلبي» تحريف.

٣- أ، حـ: «سابق» والصواب في ب.

٤- ديوانه ١٤١ بشرح الطوسي، وفيه: «التلاميذ غلمان الصاغة.. التلاميذ فارسي».

٥- القذفات بضم الذل وفتحها: جمع قذفة، بالضم، وهي الناحية. وقذفات الجبال وقذفها: ما أشرف منها.

٦- الدغم: السواد.

٧- هذا سهو من البغدادي، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا: «تلميذ، متعلم الصنعة.»، انظر الشريشي ١: ٢٩ س١. وأما الكلام الذي نقله البغدادي بعد فهو تعليق على قول ابن الحريري: فالتفت إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرني من ذا.». انظر الشريشي ١: ٣٠ .

٨- الأولى من تلمذه بمعنى خدمه، والأخيرة من تلمذه أي جعله خادمًا.

٩- هذه فتوى لغوية للبغدادي، ولما يستعمل هذا التعبير، ولا أظنه سائغًا.

١٠- كأن البغدادي، يذهب إلى أنه عربي.

١١- كتبت كلمة عين في أ، حـ لكن جعل فوقها خط، والصواب إثباتها.

١٢- المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص٩١ .

١٣- شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢: ٤٣-٤٧.

١٤- المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٣٧، نقل منها البغدادي نصوصًا جليلة في مواضع شتى من الخزانة. انظر ١: ٩، ١٤/ ٢: ٦٢، ٢٧٥، ٤٠٢، ٥٢٢/ ٣: ٤٦/ ٤: ٦٧، ٧٣، ٥٨٢، أ، حـ «مسائل العسكرية» تحريف.

١٥- هو لبيد بن ربيعة، والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه: «وتقادمت بالحبس فالسوبان».

١٦- أ، حـ: لأبي دؤاد» بالهمز.

١٧- روى البيت في اللسان ١: ٢٨٨ هكذا:

يذرين جندل حائر لجنوبها
فكأنها تذكي سنابكها الحبا

١٨- في لسان العرب مادة تلم.

١٩- في الأصل: «ومن»، وصواب النص من اللسان.

٢٠- أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور: «كقول الآخر:

لها أشارير من لحم تتمره
من الثعالي ووخز من أرانيها

أراد من الثعالب ومن أرانبها» وهذا البيت لأبي كاهل اليشكري كما في اللسان ٥. ١٦١.

٢١- حـ فقط: «في الصناع».

٢٢- يشير إلى بيت غيلان بن سلمة.

٢٣- في اللسان: «قال أبومنصور- وهو الزهري- قال الليث: إن بعضهم قال: التلاميذ الحماليج التي ينفخ فيها. قال: وهذا باطل ما قاله أحد.».

الاختلاف في الرأي.. سداد أم فساد؟



بشرى شاكر

غالبا ما نسمع الجملة الاعتيادية «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية»، ولكن في الواقع، اختلاف الرأي بحد ذاته لا يفسد للود قضية فعلا إن قابلناه بنقاش عقلاني ورحابة صدر، ولكن إن واجهنا الرأي الآخر بتعنت وتمسك برأينا وأردنا أن نثبت دائما أننا على حق، فإن ذلك بالتأكيد سوف يفسد الود بل والأواصر والعلاقات أيضا.

كم من نقاش احتدم فيه الجدال إلى أن تحول إلى خصام ثم سباب ولعان ثم نزاع وشقاق وفرقة وشتات. فلماذا لا نتقن نحن العرب فن الحوار ونحن أولى بذلك كمسلمين، ولماذا لا نتقبل رأي الآخر ونستفيد منه عوض أن نعاديه؟

كان رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يقطع حديث أحد، صغر أو علا شأنه حتى لو كان طفلا صغيرا ينصت له ويحاوره، إعلاء لثقافة الحوار وعدم التشدد في التمسك بالرأي وأيضا ليكون قدوة لهذا الصبي الصغير ويعلمه كيف يستمع للآخر قبل أن يدلي برأيه.

إن أردنا أن يسمعنا الآخر، علينا أن نسمعه أيضا ولعل من مقولات حكيم إفريقي قديم: إن لاحظت أن الذي أمامك لا يريد سماعك، فاصمت وأنصت له، ربما تعلم حينها، لماذا لم يكن يستمع لك؟

إن كل الأمور الكونية مبنية على أمرين «إرسال واستقبال» وكذلك الحياة الاجتماعية، تأسس على هذين المفهومين، فأنت ترسل آراءك لغيرك وتستقبل أيضا آراءهم، وإن لم يكن هناك توازن بين الإرسال أي حديثك معهم والاستقبال أي إنصاتك لهم، فلا يمكن أن نسمي ما يجري بينكم حوارا ولا يمكن أن تكون نتيجته ايجابية، فلا يمكن للطرفين أن يستفيدا من بعض ولكن ربما يتنافران أكثر.

أساس المحاورة هو اللين أولا حتى وإن اختلفتما، إن بنيت حوارك على اللين والرفق فلن تجد صدا من الطرف الآخر وإن أبديت عنفا في اللفظ والحركة أو إشارة بعدم تقبل الآخر أو قابلت رأيه بالسخرية، فبالتأكيد ستضطره ليكون في حالة دفاع عن النفس وكما نعلم أفضل وسيلة للدفاع هو الهجوم، فلا تستغرب إن هاجم آراءك بآراء مضادة فهو لن يفعل أكثر من أن يعكس لك صورتك على مرآته هو، فكلاكما لا يتقن الحوار وكلاكما يحس بالحاجة للدفاع عن رأيه.

قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا موسى وهارون سلام الله عليهما ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه: ٤٣-٤٤)

لقد طغى فرعون ومع ذلك، فاللين يمكنه أن يكسر حتى لغة الطغاة ولكن إن قابلنا جورا وظلما بمعارضة قوية وتجبر اكبر، فقد نبتر للأبد قنطرة التواصل بيننا ونجعل الطاغية أكثر تمسكا بجوره وظلمه لنا.

قد يكون الماء أرق من الصخر ولكنه الأقدر على التسلل بين ثغراته وفي الأخير هو من يفتته لا الصخر من يقضي عليه.

إن التسرع وعدم تفهم مغزى ما يقوله الآخر، قد يكون سبب كل المشاكل مع محيطنا سواء في العمل أو في الوسط الاجتماعي والأسري، ولكن يمكننا تجنب حدوث ذلك في حال ما اتبعنا بعض الطرق السليمة التي وان كان يصعب علينا التقيد بها في بداية الأمر، إلا انه يمكننا أن ندرب أنفسنا عليها وبرمجة حياتنا وفقا لأسسها، أولا علينا ألا نقاطع حديث الآخر وان كنا نعتبره خصما أو ندا، فبمقاطعته، أولا، لا نتمكن من معرفة ما يضمره لنا ونبين له نقط ضعفنا، وثانيا نؤجج نار الخصومة بيننا، فلنترك له مجالا للحديث وبالمثل سيتعلم هو كيف يترك لنا مجالا للرد.

حينما ترد على احدهم، فلتتريث في الجواب وليكن جوابك دقيقا أو مختصرا واضحا، فكم من ردود طويلة تفقد معانيها لأنك تتحى بها من موضوع لآخر، حينما تحس أن المغزى من حديثك وصل للآخر، فلا داعي للإطالة أكثر.

تجنب الردود الغاضبة واكظم غيظك أفضل لك ولمن أمامك.

الصمت أيضا وسيلة تعبيرية استعملها ولا تبخسها حقها، فان أحسست أن صمتك ابلغ من الكلام فاصمت.

حاول أن تفهم وجهة نظر الآخر لكي تشرح له وجهة نظرك إن اختلفت معه في رأيه، أو تثمنها إن كان لك نفس رأيه ولتتعلم منه إن أفحمك بوجهة نظره.

لا ضير أن تتخلى عن رأيك إن لم يكن صوابا، فلا تتمسك بآرائك حتى وان كانت خاطئة ، وحينما تخطئ اعتذر ولا تبحث للآخر عن أخطاء جديدة حتى تتهرب من الاعتذار، فتصيدك أخطاء الآخر وأنت ذاتك مخطئا، سيسد الطريق أمام النقاش وينمي العداء بينكما.

الاختلاف في الرأي يغني ويثري الطرفين ولكن التعنت والانفعال والعصبية والتمسك برأينا، رغم انه يقبل الصواب والخطأ، سيحول السداد إلى كساد وفساد ويحيل الود ضغينة بالتأكيد.

صحافية مغربية

مؤتمر عالمي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية

نقل وتوطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي

تقرير: محمد عويس

يُعد نقل التكنولوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في الآونة الحالية، لاسيما أن التكنولوجيا هي أساس التقدم الذي تشهده معظم الدول المعاصرة، فبقدر ما تكون الدولة بها درجة عالية من العلم والتكنولوجيا تزداد أهميتها الدولية، وليس الأمر يتصل بالمكانة الدولية التي تحتلها دولة التكنولوجيا في عالمنا المعاصر، ولكن الأمر بالنسبة لعالمنا الإسلامي يفوق ذلك كثيرا، فالتكنولوجيا تهتم بالتطبيقات العلمية للعلوم في مجال الاقتصاد بكل فروعه (الزراعي، والصناعي، والتجاري، والبرمجي، ومجال الفضائيات) وجميع صور التقدم الصناعي والعلمي الذي جعل الكثير من الدول دولا متقدمة رغم أن إمكاناتها تبدو محدودة في كثير من الأحيان، ومثال ذلك الهند التي تقدمت في صناعة البرمجيات، وأصبح أبرز المبرمجين في العالم من الهنود.

وفي إطار ذلك عقدت رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع كلية الدراسات الإسلامية في قطر مؤخرًا مؤتمرا عالميا تحت عنوان «نقل وتوطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي»، وتولى رئاسة شرف المؤتمر د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية، ورئاسة المؤتمر د.جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والمقرر العام للمؤتمر د.حاتم القرنشاوي عميد كلية الدراسات الإسلامية- قطر، بمشاركة نُخبة من رجال الفكر ورؤساء جامعات: الأمير عبدالقادر بالجزائر، و الأزهر، وجامعة القاهرة، وعين شمس، وجامعة القدس، و قطر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و نايف، و الإمام محمد بن سعود، وأم درمان، وكلية الدعوة الإسلامية بليبيا، وجامعة قطر، و دار السلام كونتور الإسلامية.

وقد أوصى المشاركون في ختام المؤتمر باستخدام اللغة العربية في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، تأليفًا ونشرًا وترجمة في المجالات كافة من خلال مشروع إسلامي للترجمة بما يفتح المجال للاطلاع على أحدث نتائج البحوث العلمية، وبما يسمح بالإضافة والتجديد من خلال تفعيل مشروع معمل اللغة العربية باعتباره مدخلا حاكما لتطوير مناهج اللغة العربية، وتعزيز حركة تعريب العلوم ونقل نظرياتها وتطبيقاتها، وتحقيق التكامل بين دول العالم الإسلامي، والاستفادة من التجارب الدولية والإقليمية التي حققت قدرًا من السبق العلمي والتقني، وإبرام اتفاقيات تسهل نقل الخبرات وتبادل المصالح بين دوله، وإقرار حوافز تشجع على عودة العقول المهاجرة إلى العالم الإسلامي، وتقلل من استنزاف طاقات الأمة ومقدراتها،

العالم العربي يخلط بين التكنولوجيا ومنجزاتها.. التقدم العلمي ليس نقل المعدات الحديثة ولكن اختراعها وصنعها

وزيادة الإنفاق على التعليم، وتخصيص نسبة ملائمة من دخل الدول الإسلامية للإنفاق على البحث العلمي، وترشيد الإنفاق لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الموارد، والانتقال بالعالم الإسلامي إلى مرحلة الإسهام والإبداع التقني، وإيجاد بيئة علمية واجتماعية تساعد على استيعاب التكنولوجيا وتسهل توطينها في العالم الإسلامي، ووضع الأنظمة التي تشجع الاستثمار في هذا المجال، وتزيد القوة التفاوضية مع الشركات الكبرى في العالم المتقدم، وتلزمها بتعليم الكفايات الإسلامية وتدريبها على التكنولوجيا الجديدة بموجب عقود البيع والاستثمار.

ومن الدراسات التي نوقشت في المؤتمر «القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي» للدكتور عبدالله التطاوي من جامعة القاهرة دعا فيها الى الانفتاح على الآخر تأثرًا وتأثيرًا، أخذًا وعطاءً من باب استكمال مسيرة التقدم التي ميزت عصر النهضة منذ أسَّس الرشيد «قلم الترجمة» إلى جوار «علوم الأوائل» مما أدى إلى تدفق المعلومات وثراء مصادر المعرفة لعلماء الأمة على اختلاف مجالاتهم ممن ألفوا أو



صنفوا أو شرحوا أو جمعوا أو حللوا، إلى جانب ما ترجموه من مختلف اللغات عن اليونانية والسريانية والهندية والتركية مما أثرى الفكر العربي بهذه التبادلية، ومما أسهم- بدوره- في تعميق المفهوم الإنساني والموسوعي للثقافة العربية الإسلامية، وأحسبنا في حاجة إلى استدعاء مثل ذلك النمط من التفاعل والتلاقي مع فكر الآخر وإبداعه بدلًا من الاقتصار على مجرد التماهي معه، أو الاكتفاء بموقف الدهشة والانبهار أمام منجزه العلمي دون السعي الدؤوب إلى نقل التكنولوجيا أو توطين المعرفة في عالمنا العربي والإسلامي على النحو المأمول.

ولفت د.محمد إبراهيم منصور مدير مركز الدراسات المستقبلية- مصر- في دراسته «نحو ترتيبات مستقبلية مقترحة لنقل وتوطين وإبداع التكنولوجيا في العالم الإسلامي» إلى أن الدراسات والتقارير التي قامت بتقييم الوضع الراهن لحالة العلوم والتكنولوجيا في العالم الإسلامي أشارت إلى وجود العديد من العوامل أهمها: غياب استراتيجيات واضحة للعلوم والتكنولوجيا، وعدم وجود آلية لربط العلوم والتكنولوجيا باحتياجات الصناعة والاقتصاد الوطني، إلى جانب تدني مستوى الإنفاق على العلوم



والتكنولوجيا وضعف رأس المال البشري وهجرة العقول والكفاءات، بالإضافة إلى الافتقار لوجود إدارة مجتمعية حازمة ضمن جوانب هذه المنظومة، وعلى الدول الإسلامية المتطلعة إلى تبني التكنولوجيات الجديدة أن تبني ثروة فكرية هائلة على طريقتها الخاصة ووفقًا لظروفها ولن يتأتى هذا إلا من خلال:

(أ) توافر موارد مالية ضخمة.

(ب) تعزيز الروابط بين العلوم والتكنولوجيا والقطاع الصناعي.

(ج) توافر مجموعات كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين المؤهلين لأن معظم الدول الإسلامية تعاني نقصًا في هذه المجالات.

وتناول د.يوسف إبراهيم يوسف مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر «مشكلة بناء التكنولوجيا وتوطينها في العالم العربي»، لافتا إلى أن الرأي الشائع في العالم العربي والذي يسير عليه التطبيق يعتبر أن التكنولوجيا هي العدد والآلات المتقدمة التي ترد من الغرب أو الشرق المتقدم، وهم يخلطون بهذا الفهم بين التكنولوجيا ومنجزات التكنولوجيا، إنهم بالتالي يشترون تلك العدد والآلات ويحسبون أنفسهم يدخلون التكنولوجيا إلى الوطن العربي، وإن هذا الطريق لنقل التكنولوجيا طريق ليست لها نهاية، ويترتب عليه ما يلي: بقاء العالم العربي في وضعه التكنولوجي المتخلف يلهث وراء كل جديد من ثمرات التكنولوجيا، والقضاء على التكنولوجيا، وعدم إتاحة الفرصة لبناء تكنولوجيا حديثة، ويستنزف بند الحصول على المعدات التكنولوجية العسكرية والمدنية الجانب الأكبر من موارد العالم العربي، وهي لا تلبث بعد حصوله عليها أن يصيبها البلى المعنوي أو التقادم الفني. لذلك يرى الباحث أنه لابد من أن يغير العالم العربي تفكيره، ويعيد حساباته ويسلك الطريق الذي يمكن أن يصل به إلى بناء تكنولوجيا خاصة به، يشارك بها العالم جهوده التكنولوجية، وتحقيق ذلك لا يتم إلا من خلال عملية التنمية الاقتصادية فهي التي تخلق التكنولوجيا، وليست التكنولوجيا هي التي تحقق التنمية الاقتصادية، وبناء التكنولوجيا المستقلة لا يعني الانعزال عن التقدم العلمي العالمي، بل إن الاستفادة منه هي إحدى القنوات التي نبني من خلالها التكنولوجيا الخاصة بنا، وإن المنهج الإسلامي هو المؤهل لتحقيق ذلك بامتلاكه القدرة على تحقيق التنمية الاقتصادية التي من خلالها تبنى وتستنبت التكنولوجيا الذاتية للوطن العربي.



شعب الله المختار.. أكذوبة أم حقيقة؟

بهيج بهجت سكيك

كثيرة هي الكتب التي تناولت أسطورة - أكذوبة - خديعة «شعب الله المختار» وأكثر منها من كتبوا عن هذه الأسطورة، وبجميع لغات العالم: فلسطينيون وعرب، وأوروبيون، ويهود، وغيرهم.

وكان بعض اليهود الأكثر وضوحًا في فضح هذه الأسطورة والتوظيف السياسي لها لتحقيق أطماع اليهود في السيطرة على العالم واستعباد شعوبه ونهب موارده.

وربما لا تكون هناك أسطورة في تاريخ البشرية تركت أثرًا في العالم أجمع مثل أسطورة «الشعب المختار» والتي صاغها صانعوها وكاتبوها على أنها تفضيل إلهي لصاحبها بصرف النظر عما يقول ويفعل- وينظر إلى الآخر (الغير) من علٍ - فهو «المرفوض» أو «المستبعد».

وقد سببت تلك الأسطورة عند اليهود تكبرًا على الآخر واحتقارًا له واستهانة بحقوقه ومصادرة أمواله، بل حتى وصلت إلى حد إزهاق الأرواح.

إن فكرة شعب الله المختار مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات اليهود لحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم، وهذا المفهوم أحد الأسس الدينية التلمودية التي يعتبرها اليهود دستورًا لهم في الحياة.

ولعل من أكثر الكتب شهرة والتي تناولت هذه الأسطورة، الأكذوبة كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» للفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي» والذي قيل في وقت من الأوقات أنه أعلن إسلامه بعد زيارته لعدد من الدول العربية وتعاطفه مع القضايا العربية وعلى الأخص القضية الفلسطينية، وقد لاحقه اليهود بعد صدور الكتاب وكاد أن يكلفه حياته مع صديقه القس الذي هرب إلى النمسا، وتأتي شهرة هذا الكتاب من أن جارودي تناول هذه الأسطورة مع أساطير أخرى تقوم عليها السياسة الإسرائيلية الحالية، منها: الأرض الموعودة لليهود في فلسطين، واليهود شعب الله المختار، وأسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، ثم أسطورة الهولوكوست: المحرقة النازية لليهود في زمن هتلر، ترجم هذا الكتاب إلى لغات عدة ومنها اللغة العربية وقدم له الكاتب المصري الشهير محمد حسنين هيكل، وامتنعت دور النشر في فرنسا ومعظم دول أوروبا عن نشر أي كتاب له عقابًا له على تطاوله على «شعب الله المختار» وبعد أن كانت أقواله ومقالاته تملأ الصحف والمجلات أصبح نسيًا منسيًا.

القبيلة الثالثة عشرة

في إشارة إلى أبناء يعقوب بن إسحق - المعروف أيضا باسم إسرائيل- وعددهم اثنا عشر، وقد أصبح كل واحد منهم أبًا ورأسًا لقبيلة من قبائل إسرائيل، والذي أعطاهم الله - كما يدعون - «الوعد الأبدي بالأرض» واختارهم من بين شعوب الأرض.

◆ كاتب فلسطيني

آرثر كوستلر - وهو يهودي هنغاري - مجري - ولد عام (١٩٠٥م) ثم رحل إلى بريطانيا ١٩٤١م ألف كتابه الشهير «إمبراطورية الخزر وميراثها» - القبيلة الثالثة عشرة - ومنه قدم بالدليل والبحث الميداني رؤية جديدة للقضية الصهيونية وفيه ينقض مقولة أن اليهود الحاليين ساميون أو أنهم من نسل بني إسرائيل القدامى، وشاركه في هذا البحث الأستاذ «بولياك» مدرس التاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب، وفيه ينقض مقولة أن اليهود جنس نقي متميز ويثبت أنهم هجين أجناس لا سمة خاصة له، واعتمد في ذلك على دراسات أصدرتها اليونسكو، ونفت فيها الاستقلال الجنسي لليهود، كما أنه ينفي تمامًا أن لليهود اليوم تراثهم الحضاري المشترك ويؤكد أن ما يصدر عنهم اليوم ليس يهوديًا بالمعنى المحدد وإنما هو جزء من تراث لثقافات وحضارات الشعوب التي يعيشون بينها!

القبيلة الثالثة عشرة، إشارة إلى أن يهود الخزر- وهم شعب قوقازي من أصل تركي سكنوا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود وشمالها، وقد كونوا إمبراطورية مزدهرة مابين القرنين السابع الميلادي والحادي عشر، وهم لا يمتون بصلة إلى نسل يعقوب وإسحق وإبراهيم، ولا علاقة لهم بفلسطين، ولا بـ «وعد الرب» ولا «اختيارهم» ليعمروا الأرض - من الفرات إلى النيل- بل إنهم شعب تركي قد «تهود» في القرن الحادي عشر هروبًا من الضغط المسيحي في الغرب - الإمبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة، والضغط الشرقي للمسلمين في آسيا الوسطى وفي الجنوب، لقد تهود هؤلاء الخزر بعد كتابة التوراة اليهودية بعدة قرون.

يقول «كوستلر» إن التباين الواسع المدى بين الميزات الجسدية للجماعة اليهودية والتفاوت بين تكرار الجينات في فصائل دمهم يشكفان عن التناقض في أي تصنيف جنسي لهم، «أنهم طائفة دينية مكونة من

مفهوم تلمودي يعتبره اليهود دستورًا.. ابتكره الحاخامات لحض اليهود على السيطرة على العالم

عناصر سلالية اكتسبتها من عمليات اعتناق الدين، ويستند إلى الكتاب المقدس لهم فيقول: لقد صاهر اليهود العبريون القدامى العموريين، وهم شعب طويل القامة شقر طوال الرؤوس، والحيثيين وهم مغول سود البشرة، والكوشيين جنس زنجي وآخرين غيرهم...

مملكة الصعاليك

جورجي كنعان مؤلف هذا الكتاب وصاحب مؤلفات قبله، لها علاقة بالموضوع منها «تاريخ يهوه» و«الأصولية المسيحية» و«محمد واليهودية» و «تاريخ الله» يقول في كتابه: إن موضوع «أرض فلسطين» هو الهم الذي يملأ حياتي ويغمس في صحني وأنه يقصد من كتابه هذا العمل على إحياء الحق الموءود، أو على الأقل إجلاء وجهه المطموس.

ويعني ذلك تحرير تاريخ فلسطين من شبكة الدراسات التوراتية والتي شحنت الغربيين بالأيدلوجيا اليهودية، ومنهم طوائف الإنجيليين والمعمدانيين والدهريين والمتجددين والسبتيين وشهود يهوه وجميعهم منشقون عن البروتستانتية، وهم الذين يقدمون الدعم بكافة أشكاله إلى هؤلاء «الصعاليك» ويعني بهم أولئك المشردين الذين قدموا من أركان المعمورة الأربعة واحتلوا فلسطين تحقيقًا لدعاوى توراتية مزعومة، ويستعرض في أبواب كتابه «الذهنية اليهودية» مجلدات من المزاعم: أرض الميعاد، شعب الله المختار، الوعد الإلهي، بالأسانيد والشهادات من سياسيين ورجال دين وأكاديميين، وقد أفرد بابًا خاصا عن: لماذا الإصرار على المزاعم؟ والإلحاح على ترديدها!

ويصر على إلصاق صفة «الصعلكة» باليهود من عهد داود وإلى اليوم لأن اليهود دخلوا فلسطين أول مرة متسللين ببطء رعاة، متغربين ينتجعون الكلأ والماء في أرض وفَّر أصحابها الأمان لهؤلاء الرعاة.

يخلص الكاتب إلى أن اليهود اختلفوا أو ابتدعوا أو اخترعوا مملكة قديمة وركّبوا تاريخًا لتلك المملكة على اعتبار أن الدولة المختلفة والتاريخ المركب لها هما وحدهما اللذان يبرران الحق في امتلاك أرض فلسطين وإعادة بناء دولة يهودية تكون امتدادًا واستمرارًا للدولة اليهودية.

الشعب المختار

«الشعب المختار»، الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأميركا: عنوان ألفه الإنجليزي «كليفورد لونجلي» وصدر في يناير ٢٠٠٢م من ثلاثة أجزاء وقام بترجمته إلى العربية د.قاسم عبده قاسم. «لونجلي» المؤلف والصحافي والإذاعي الذي يكتب في جريدتي التايمز والديلي تلجراف، يرى أن أسطورة الشعب المختار التي اختلقها اليهود من أجل السيطرة على فلسطين انتقلت عدواها إلى ثقافة الإنجلو ساكسون- (إنجلترا أولًا ثم أميركا بعدها) وشكلت الثقافة والدعامة في هجرة البيوريتاتز لأميركا وما تلاها من حرب أهلية في أميركا.. قادت إلى الاستقلال.

كما أنها بررت للرجل الأبيض استعمار أجزاء واسعة من العالم في آسيا وإفريقيا بحجة التمدين واستعباد الزنوج بحضارة الرجل الأبيض.

انتقلت عدوى وامتياز «الشعب المختار» بأجزائه الثلاثة مصداقية أو كذب هذه الأسطورة، فقد أقر بكذبها حين أسماها أسطورة Chosen People: The big idea that shaped England and America بل كتب أن هذه الفكرة- الكذبة- ولدت كذبة أخرى شكلت سياسة إنجلترا أولًا ثم أميركا بعدها التي حاولت-

وما تزال - أن تفرض قيمها ونمط الحياة الأميركية على الشعوب الأخرى خصوصًا في الشرق الأوسط لتأمين مصالحها، مدعومة بالصهيونية (المسيحية واليهودية) العالمية.

حائط البراق.. (المبكى)

إن أسطورة الشعب المختار، عززت أسطورة أخرى هي: «أرض الميعاد» وهذه بدورها خلقت أكذوبة ثالثة هي «حائط المبكى» وهو في الواقع الحائط الغربي للمسجد الأقصى في القدس والذي يرتبط بقصة الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم، وهو المكان الذي ربط فيه رسول الله ﷺ دابة «البراق» التي صعدت به إلى السماء، فقد كان اليهود يؤدون صلواتهم في عدة أماكن - بعيدًا عن أعين المسلمين- فأمر السلطان العثماني سليمان القانوني المهندس المعماري الشهير «سنان باشا» ببناء سور لليهود في الناحية الغربية من المسجد ليؤدوا صلواتهم خلفه! وفي مطلع القرن العشرين تم توظيف هذه الأسطورة لأغراض سياسية اخترعتها الصهيونية - وهي تثبيت الحق اليهودي في فلسطين بادعاء أن الحائط الغربي - البراق- هو من بقايا معبد سليمان مما دعا أبناء فلسطين إلى ثورة عارمة عرفت بثورة البراق، و قد قامت سلطات الاحتلال البريطاني بقمعها بوحشية- ومنذ عام ١٩٤٨م - عام قيام دولة إسرائيل، وحتى عام ١٩٦٧م بقي حائط المبكى (البراق) شبه مهجور لوقوعه في الجزء الشرقي من القدس والذي أشرفت على إدارته المملكة الأردنية الهاشمية مع باقي ما عرف بالضفة الغربية للأردن.

وبعد عام ١٩٦٧م وسقوط الضفة الغربية ومعها القدس بيد الاحتلال الإسرائيلي قامت إسرائيل بإزالة حي «المغاربة» المحاذي للسور وتوسعة الساحة ورصفها الجهة المواجهة للحائط، ومنعت المسلمين من الاقتراب منها.

بل وصلت بهم الجرأة، بعد هزائم العرب



أمامهم وتخاذلهم، وتعاظم قوتهم العسكرية ووقوف المعسكر الغربي- الولايات المتحدة وأوروبا- معهم إلى إظهار «مجسم» لهيكل سليمان في القنوات الفضائية والصحف والمجلات- بل أظهروا حجر الأساس، الذي سيقوم عليه هذا الهيكل..! محمولاً على عربة، وهم يحتفظون به في مكان قريب من المسجد الأقصى، علما بأنه قد حكمت لجنة دولية من عصبة الأمم بملكية المسلمين لهذا الحائط.

المسيح الأميركي الصهيوني

يقول «رضا هلال» في دراسته «المسيح الأميركي الصهيوني» والتي نشرت في مجلة العصور الجديدة ١٩٩٩م أن المستعمرين البروتستانت وصلوا إلى «العالم الجديد» تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى فأطلقوا على أميركا اسم «أرض الميعاد» و«إسرائيل الجديدة»، وأنهم «الشعب المختار الجديد»، وزادت هذه النزعة المسيحية المتهودة مع «البيوريتان» المتطهرين (مذهب جون كالفن) وهي أشد الطوائف المسيحية تطرفًا من ناحية الاعتقاد في حرفية الكتاب المقدس ونبوءات العهد القديم، وهكذا فإن الانتماء الصهيوني لدى الأميركيين قد تغلغل في روحهم قبل الظهور (اللوبي اليهودي)!

وخلص في دراسته إلى عدة حقائق أهمها:

١- المسيحيون البروتستانت جاءوا إلى العالم الجديد بروح إسرائيلية.

٢- الأميركيون أصبحوا «شعب الله المختار» الجديد.

٣- الحركة المسيحية الصهيونية سبقت الحركة الصهيونية اليهودية!

٤- الأميركي الحقيقي لابد أن يكون صهيونيًا.

٥- حرب عام ١٩٦٧م أعطت روحًا جديدة للمسيحية الصهيونية.

٦- احتلال القدس أهم من قيام إسرائيل!

خاتمة

وبعد! هل نعي نحن الفلسطينيين خاصة والعرب والمسلمين عامة هذه العلاقة الحيوية التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل! وهل نعرف عدد وأهداف الجمعيات والمؤسسات الأميركية التي تؤازر وتساعد إسرائيل؟

ومنها مؤسسة «جيل المعبد» التي تهدف إلى إقامة الهيكل مكان المسجد الأقصى ومؤسسة السفارة المسيحية الدولية التي تهدف إلى تهويد القدس.. - العاصمة الأبدية لإسرائيل بزعمهم - والمصرف المسيحي الأميركي لأجل إسرائيل وغيرها كثير! وهل نعرف عدد المرات التي اتخذت فيها أميركا حق النقض (الفيتو) لمشروعات قرارات لصالح القضية الفلسطينية تأييدًا لإسرائيل! وآخرها الفيتو المعلن قبل صدوره بحق انضمام دولة فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة.

وهل ندرك ضخامة تأثير اللوبي اليهودي الصهيوني، في أميركا؟ وآخرها مشروع القرار الذي تقدم به ٣٠ نائبًا في الكونغرس الأميركي من الحزبين معًا- الجمهوري والديمقراطي «باعتبار الأسرى الفلسطينيين الذين تحرروا الفترة الماضية من سجون إسرائيل مقابل الجندي الإسرائيلي، «شاليط» اعتبارهم خطرين على أمن إسرائيل وأميركا واعتبارهم إرهابيين، وأخيرًا لماذا كتب أميركيان هما «ويريل دين ديفيز» و«ضياء الدين سرداد» كتابهما «لماذا يكره العالم أميركا؟» Why do people hate America والذي سجلا فيه كل جرائم الولايات المتحدة الأميركية في القارات الست باعتبارها شعب الله المختار الجديد.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة و الالكترونيه.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

الفقه المستقبلي.. تأصيل وآفاق

عبدالفتاح همام

فقه المستقبل.. الفقه الاستئنافي.. الفقه الارتيادي.. فقه التوقع.. كلها مفردات عرفت طريقها إلى الخطاب الفقهي المعاصر، اختلفت ألفاظها وتقاربت معانيها، دالة على فقه قديم متجدد، أصيل الموضوع جديد المصطلح، سرى في رياض كتب الفقه وفروعه ومسائله، وإن لم يأخذ حقه من التأصيل والانفصال والتميز، وهو يلتقي مع ما يسمى قديمًا «الفقه الافتراضي»، ويتصالح مع ما يسمى حديثًا باستشراف المستقبل أو الدراسات المستقبلية. فهو الفقه المستشرف للنوازل والأحداث المتوقعة وأبعادها وآثارها ومحاولة تكييفها وتنزيلها على نصوص الشرع، أو هو الفقه الذي يراعي عنصر المستقبل وأحداثه ومتغيراته عند الحكم على قضية من القضايا الواقعة أو المتوقعة، ويمكن تحديد أهم عناصر هذا الفقه في محاور عدة:

المحور الأول: ضرورة استحضار البعد المستقبلي والنظر المآلي عند دراسة أي قضية، إذ يجب على الفقيه أن ينظر في عواقب فتواه ومآلاتها وآثارها السلبية والإيجابية من خلال تحقيقها للمصلحة أو المفسدة، أو بمعنى آخر لابد من أن يستدعي عنصر المستقبل عند محل التنزيل وتكييف المسائل.

المحور الثاني: معالجة الآثار الناجمة عن بعض الفتاوى التي غيبت النظر المآلي الاستقبالي، ومعالجة الغياب الفقهي وأثره في حياة الأمة، ويمكن أن نسمي هذا النوع من الفقه «فقه المراجعات» لإعادة النظر في كثير من القضايا، وخصوصًا التي تهم مستقبل الأمة، وإحياء هذه الفقه مهم جدًا، لاسيما بعد انتشار ظاهرة التفاتي في الفضائيات، وإفتاء بعض الناس على الهواء مباشرة دون نظر لبعدي المكان والزمان لدى المستفتين، فضلاً عن دراسة أحوالهم وظروفهم.

المحور الثالث: أن الفقه الافتراضي توقع حدوث أمر من الأمور ثم تصويره تصويرًا سليمًا ثم محاولة تنزيله وتكييفه، ويتجلى العنصر المستقبلي في هذا النوع من الفقه من ناحيتين، الأولى أنه يعالج ما يتوقع حدوثه مستقبلاً، والثانية أنه يجب النظر إلى البعد المستقبلي للمتوقعات عند إعطائها الحكم الشرعي.

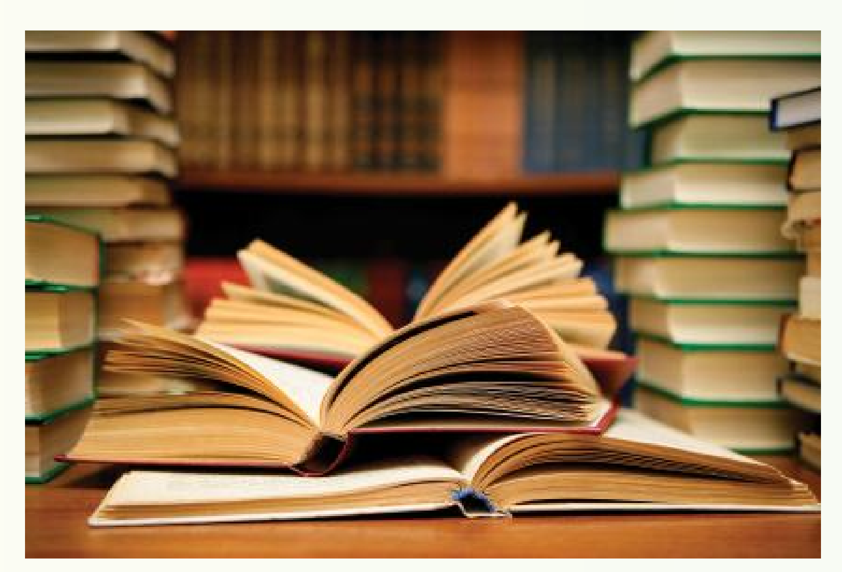
المحور الرابع: تقديم بدائل حضارية ورؤى إسلامية لكل جوانب الحياة، انطلاقًا من عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، لا سيما بعد أن جربت البشرية أغلب النظم الوضعية سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا لتخرجها من التيه فلم تفلح.

والمتأمل في مصادر التلقي الشرعي، وكذلك في تراثنا الفقهي يجد أن أصول هذا الفقه ومناهجه مبثوثة في أرجائه وأنحائه، ولكنها تحتاج إلى من يخلصها ويرصدها ويسبكها في حبل فقهي متين، فقد راعى القرآن الكريم عنصر المستقبل، وحثنا على العمل لهذا المستقبل والاستعداد له، كما حذرنا من التقاعس والتكاسل عنه، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩).

وقد كان النظر إلى المستقبل وما يحدث فيه عاملاً مخففًا لبعض التكاليف على المسلمين، هذا ما قصه القرآن في سورة المزمل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠).

ولقد راعت السنة هذا البعد المآلي

* ماجستير في الفقه الإسلامي - كلية دار العلوم جامعة القاهرة



والنظر المستقبلي، فمن ذلك مثلا امتناع رسول الله ﷺ عن قتل المنافقين وقال: «أخاف أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

فقد امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين– مع مشروعيته– لما يترتب عليه من آثار وعواقب في المستقبل تتنافى مع مقاصد الدين نفسه، إذ تحدث نفرة من هذا الدين وتشويهًا وصدًا عن سبيل الله، فضلًا عن الاستغلال الإعلامي المغرض لهذا الحدث، ومنه أيضًا قول رسول الله ﷺ لعائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم»، فامتنع النبي ﷺ عن إعادة بنيان البيت الذي هو لب ركن من أركان الحج نظرًا إلى مآلاته المستقبلية وعواقبه وما يترتب على ذلك من مفاسد.

والمنظومة المعرفية الأصولية قد اعتبرت الرؤية المستقبلية في خطتها، فقد قرر العلماء أن الأصل العام في الشريعة جاء لمصالح الناس في العاجل والآجل (الحاضر والمستقبل)، قال الشاطبي: «إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا»

ومن أهم الأصول التي تشهد لاعتبار المستقبل اعتبار المآل «وهو أصل كلي

هو الفقه المستشرف للنوازل والأحداث المتوقعة و تكييفها مع نصوص الشرع

يقتضي اعتباره تنزيل الحكم على الفعلٍ بما يناسب عاقبته المتوقعة استقبالاً»

وللشاطبي كلام جيد في تأصيل هذا الأصل إذ يقول: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل».

وسد الذرائع أيضًا مبناه على النظر المستقبلي، ولذلك بناه الشاطبي على قاعدة اعتبار المآلات، وحقيقة سد الذرائع تحريم أمر مباح يتوصل به إلى محظور.

وهناك عدة قواعد فقهية متناثرة ناقشها الأصوليون متعلقة بفقه التوقع منها: الأشياء تحرم وتحل بمآلاتها، والأمور بعواقبها، والعبر للمآل لا للحال، والمتوقع كالواقع، ولا يبطل التصرف إلا إذا ظهر قصده إلى المآل الممنوع، والضرر في المآل ينزل منزلة الضرر الحال، والزواجر لدرء المفاسد المتوقعة، وهل العبرة بالحال أو بالمآل؟ وما قارب الشيء.. هل يعطى حكمه؟ والمشرف على الزوال.. هل يعطى حكمه؟...إلخ.

وفي تراثنا الفقهي تجربة عملية لهذا الفقه بحاجة إلى تأمل وتأصيل، وهي تجربة السادة الأحناف، فلقد كان لأبي حنيفة وأصحابه تميز ظاهر في فرض المسائل وكثرة التفريع، قال الشيخ محمد الخضري: «إن فقهاء العراق اعتمدوا كثيرًا على قوة التخيل، فأدى ذلك بهم إلى أن أخرجوا للناس ألوفًا من المسائل، منها ما يمكن وجوده ومنها ما تقتضي الأجيال ولا يحس الإنسان بوجوده».

وروى الخطيب البغدادي أن قتادة بن دعامة دخل الكوفة فاجتمع إليه خلق كثير فقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقال له أبوحنيفة: يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعوامًا فظنت امرأته أنه مات فتزوجت ثم رجع زوجها الأول، فقال قتادة: أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا، قال: فلم تسألني عما لم يقع فقال أبوحنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

وثمة تساؤلات ملحة حول طبيعة العلاقة بين الفقه وهذه الدراسات المستقبلية أعتقد أن محاولة الإجابة عنها ومعالجتها ستفضي بنا إلى مرحلة الاستثمار والتفعيل لهذه العلوم، وهذا هو المقصود، من هذه التساؤلات: أهي علاقة تكاملية أم تأثيرية أم تبادلية؟ وما نقاط الالتقاء بينهما؟ وما أبرز وجوه الاختلاف؟ وهل يمكن للفقه الإسلامي استيعاب هذه الدراسات ليفيد منها؟ وكيف يمكنه أن يقدم طروحاته لهذا الدراسات المستقبلية، ليسهم في توجيهها وتقديم مناهج استشرافية مضبوطة متفق عليها، ومصوغة صياغة تتماشى مع ثوابتنا وتراعي متغيراتنا؟



العمل أساس الإصلاح الاجتماعي

أمراض أمتنا الاجتماعية متعددة ومتنوعة وهي بلا شك أكثر من أن تعد وتحصى، لكن من اهم هذه الأمراض الاجتماعية وربما يكون أخطرها كثرة الأقوال وقلة الأعمال.. هذه حقيقة يلمسها القاصي والداني، وهي أن الأعمال لا تتناسب مع الأقوال بل وأن الأعمال أيضا دون المستوى المطلوب من حيث الجودة والإتقان والإخلاص!

لقد كان النبي ﷺ من أقل الناس كلامًا ولكنه كان أكثرهم عملًا، فقد كان إذا قال أوجز ولكن قوله كان فصل الخطاب، وكانت أقواله بالنسبة إلى أعماله - نسبيًا- يسيرة، إذ إن أعماله تفوق أقواله.

إن إسلامنا يدعونا إلى العمل والبذل والعطاء، والمسلم بلا عمل شجرة بلا ثمر ترتوي من ماء الأرض دون أن تعطي أي شيء وهذا ليس من خلق المسلم ولا يحقق غرض إعمار الأرض، كما يريده الله عز وجل.

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من القول بلا عمل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

إن المسلم إذا اقترن قوله بعمله تحول إلى طاقة وقوة بناء إيجابية تستطيع أن تقضي على معظم أمراضنا الاجتماعية، التي نعاني منها اليوم والتي أدت إلى تخلفنا في جميع مناحي الحياة وبتنا مستهلكين لإنتاج الآخرين، نأكل ونلبس ونركب مما صنع غيرنا!

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قارئنا الكريم تسليط الضوء على بعض الأمراض الاجتماعية وسبل الخلاص منها، لعل أمتنا تتلمس الطريق الصحيح المؤدي إلى نهضة شاملة، والله الهادي إلى

التحرير

إحياء خلق المسؤولية

عبدالمجيد إبراهيم

عندما جاء الإسلام أراد أن يبني مجتمعًا متكاملًا، يقوم كل فرد فيه بدوره وعمله على أكمل وجه، ومن ثم جعل من أسسه أن يربي أبناءه على خلق تحمل المسؤولية، فخاطب رسول الله ﷺ الأمة جميعًا خطابًا عامًا يشمل الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والرجال والنساء، بأن يلتزم كل واحد بصلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه، فقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، ولكن لما كانت هذه المسؤولية في حاجة إلى وعاء يشملها ومكان تنبت وتنمو فيه، خص من هذا العموم والشمول: الأسرة، بما اشتملت عليه من أب وأم وخادم، إذ هي نواة المجتمع، يولد الفرد في ضوئها، ويعيش في كنفها، ويتغذى من أخلاقها، ويرتوي برعايتها وتوجيهها، ويحيطه أمنها واستقرارها، إذ ليس الأمر فيها مقصورًا على توفير الطعام والشراب والملبس، فقال ﷺ: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»، وبناء على هذه المسؤولية العامة المطلقة، التي أكدها رسول الله ﷺ مرة ثانية، ينبغي ألا ينسحب أي فرد في المجتمع من ميدان عمله، مادام مؤهلًا له، تحت أي ادعاء، أو يهرب منه خوفًا من المسؤولية، وإنما عليه أن يعلم أن الذي أوجبها عليه وهو الله ضمن له الإعانة والتيسير، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى﴾ (الليل: ٥-٧)، وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

ثم أراد الإسلام أن يضع بعض الضوابط التي تحقق هذه المسؤولية، وتجعلها تؤتي ثمارها وارفة على المجتمع، وذلك بدعوته إلى إتقان العمل، فقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»، فهو يشمل كل أحد وكل عمل، وبذلك يسود الإتقان في المجتمع كله، فيصبح متكاملًا متعاونًا يقوم كل فرد فيه بما عليه حق القيام، وهو يشير- أيضًا- إلى أنه ليس على كل أحد أن ينشغل بعمله فقط، وإنما يطلب منه كذلك كيفية تجويده وتحسينه والارتقاء به، حتى يكون العمل جادًا ومثمرًا، وقد تكفل الله سبحانه وضمن الأجر العظيم على ذلك فقال: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾ (الكهف: ٣٠)، كما جعل من ضوابطه المراقبة، فقال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: ١٠٥)، فأول المراقبين هو الله، مما

- باحث في الدراسات الإسلامية





يعني أنه ينبغي أن يكون المؤمن ملتزما في عمله من أعماق قلبه وقالبه، لأنه يستحيل عليه أن يجعل الله أهون الناظرين إليه، وإلا كان إيمانه ناقصا، ثم عطف المؤمنين على الله ورسوله، ليكون بمنزلة دعوة إلى إقامة الرقابة بعضنا على بعض في حدود الإسلام وضوابطه، وقبل الإتقان والمراقبة لابد من شرط الكفاءة، أي ليس فقط وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإنما ينبغي أن يختار المتخصص الكفء، الذي سيساعد على الإبداع في الإنجاز، وعلى الوفرة والجودة في الإنتاج، ويجب أن تكون هذه الشروط جميعا محاطة بسياج العدل، لأنه أساس الملك، وهو الذي يوجب تأييد الله وتوفيقه.

وفي ضوء هذا الهدي الإسلامي الرفيع من تحمل المسؤولية، عاش الأولون من المسلمين، فهذا أبوبكر الصديق الخليفة الأول رضي الله عنه يقول في خطبته بعد البيعة: «يأيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، أطيعوني ما أطعت

الكفاءة .. الإتقان.. المراقبة.. عناصر المسؤولية في التصور الإسلامي

الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني قد وليت أموركم أيها الناس، واعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا ويتعدى عليه، حتى أضع خده علىالأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك، وإذا غبتم في البعث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم».

وهذا عمر بن عبدالعزيز، الذي ملأ الأرض عدلًا وكان للرعية أمنا وأمانًا وعلى من خالفه حجة وبرهانًا، قال مولاه له حين رجع من جنازة سليمان، مالي أراك مغتمًّا؟ قال: لمثل ما أنا فيه يغتم له، ليس من أمة محمد ﷺ أحد في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه غير كاتب إلي فيه، ولا طالبه مني.

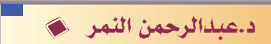
ومما كتبه إلي ولي العهد من بعده يزيد بن عبدالملك: وقد علمت أني مسؤول عما وليت، يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئًا، فعليك بتقوى الله، والرعية.. الرعية فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلًا حتى تلحق باللطيف الخبير.

فكل واحد منهم كان يبين مسؤوليته والتزامه بها تجاه رعيته، وحرصه على تحقيق مصالحهم جميعًا، الضعيف منهم والقوي، الكبير والصغير، بما يضمن لهم الأمن والاستقرار، ويحقق لهم العدل والمساواة، وفي الوقت نفسه كان يحمّل رعيته مسؤوليتها نحوه، طاعة أو تقويمًا، ونصحًا وإعانة، إذ ينبغي أن يكون من الشعب والرعية من تحمل المسؤولية مثل ما يكون من الراعي، سواء بسواء، وبهذا طالب عبدالملك بن مروان رعيته قائلًا لهم: أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر، نسأل الله أن يعين كلًا على كل.

أيها القارئ، هذا عن المسؤولية مطلقًا باعتبارها صفة أساسية وخلقًا ملازما للمؤمن، فلاشك أننا في وقت الشدائد والأزمات أشد احتياجا إلى إحياء خلق المسؤولية



الجوانب الخفية لمشكلة البطالة



د.عبدالرحمن النمر

إلى زمن غير بعيد، لم تكن كلمةُ «البطالة» شائعةَ الاستعمال. ولكنها في السنوات الأخيرة صارت صُلْبَ أيِّ حديث عن الاقتصاد، ولبَّ أي كلام في السياسة، ومادةَ الصحف اليومية ونشرات الأخبار، في كثير من بلاد العالم.

سبب ذلك أن البطالة ليست مجرد مشكلة اقتصادية- كما تبدو للوهلة الأولى، ولكنها ظاهرة اجتماعية ذاتُ أبعاد خطيرة علي مستوى الفرد، وعلي مستوى الأسرة، وعلي مستوى المجتمع ككل، وحتى علي المستوى الدولي! وتتداخل أبعاد البطالة وتتشابك آثارها على كل المستويات، واستكشاف تلك الأبعاد والآثار يعطي فكرة عن الحجم الحقيقي لواحدةٍ من أضخم مشكلات المجتمع الإنساني في العصر الحاضر.

الأبعاد الفردية

في الأسابيع الأولى من البطالة قد يشعر العاطل عن العمل بشيء من الراحة، نتيجة عدم التقيد بالروتين الذي يفرضه الارتباط بعمل. إلا أن هذا الشعور بالراحة يختفي تدريجيًا ليحل محله شعور بالملل والرتابة، وتدريجيًا تتحول مشاعر الرتابة والملل إلى شعور بالخُوَاء، تفقد الحياة معه معناها! هنا يولد الاكتئاب- أكثر العلل النفسية ارتباطًا بالبطالة.

في محاولة للتسرية عن النفس وتزجية الوقت- أو بالدقة قتله- يبحث العاطل عن العمل عن شيء أو وسيلة تنسية همومه وأحزانه، غالبا ما تكون الوسيلة هي تعاطي العقاقير المخدرة والمُسَكِّرة، وهنا تولد مشكلة الإدمان- أخطر المَشكلات الفردية والاجتماعية والصحية المرتبطة بالبطالة.

من النادر أن ينصرف العاطل عن العمل إلي استثمار الوقت في مزاولة رياضة بدنية، أو اكتساب مهارة حرفية جديدة، بسبب الاكتئاب، فمع الاكتئاب تضمحل الطاقة وينخفض النشاط، وتقل القدرة علي التركيز، فضلًا عن فقدان الدافع للانخراط في أي عمل مثمر، هذا علاوة على أن العاطل عن العمل شخص محدود الدخل أو ليس له دخل مالي بالمرة، والأغلب والحال كذلك أن يتجه العاطل إلي تسكين همومه، وليس إلي استثمار وقته.

على أن تسكين الهموم له ثمن، فالعقاقير المخدرة والمسكرة لا توزع مجانًا للمنكوبين والمحزونين، وإنما تباع بثمن باهظ! ولكي يحصل العاطل عن العمل على ثمن المسكن، فإنه لا يجد إلا أن يخرج على القانون. وهنا تولد الجريمة- الوليد البشع للبطالة.

مما يشجع العاطل عن العمل على ارتكاب الجريمة إحساسُه أنه منبوذٌ من المجتمع، وهو إحساس مرير يدفع إلي التمرد علي المجتمع وإلحاقِ الأذى به.

على أي حال، فإن هذا الكلام لا ينسحب على جميع العاطلين عن العمل، ولكنه سياق الأحداث الطبيعي للكثير منهم، خصوصًا مَنْ هم في طور الشباب. وسواء انتهى تسلسل الأحداث في حياة العاطل عن العمل بارتكاب الجريمة أم لا، فالمؤكد أنه إنسان مصاب بالإحباط، وعنده إحساس بالنبذ أو الرفض من المجتمع- أو في القليل شعور بأنه «مختلف عن الآخرين»! وهذه المحصلة لها بدورها انعكاسات وآثار سلبية.

الأبعاد الأسرية

أسرة العاطل عن العمل محدودة الدخل بطبيعة الحال. وهذا له تأثيره على الأطفال في الأسرة في المقام الأول، فالدخل المحدود لا يوفر للأطفال مستوى جيدًا من الغذاء، وبالتالي فإن أمراض سوء التغذية وملحقاتها- مثل الكساح وفقر الدم وضعف البنية وغيرها- ثمن مدفوع رغم أنف الجميع!

وتنعكس الحالة الصحية المتدهورة للطفل في أسرة العاطل عن العمل، في تدهور المستوى التعليمي والتحصيل الدراسي، إذ كثيرًا ما يتغيب الطفل عن الدراسة بسبب تدهور صحته.

في السنوات الأولى من العمر قد لا يعي الطفل من الأمور شيئًا. لكن مع تقدمه في العمر وتفتح ذهنه ينمو مع الطفل شعور بالحرمان والظلم، وأنه- مثل أبيه- مختلف عن الآخرين ومنبوذ من المجتمع! ولا عجب، والحال كذلك، أن ينخرط هذا الطفل في سلك المشاغبين والساخطين على المجتمع. ومثل هذا الطفل يكون تربة خصبة لغرس بذور الجريمة.

من جهة أخرى فإن انخفاض مستوى دخل أسرة العاطل عن العمل يؤدي إلى ظروف معيشية صعبة وقاسية بوجه عام، ففضلًا عن الحرمان من كثير من مباهج الحياة، فإن أسرة في تلك الظروف يتعين عليها أن تتكيف مع البرد القارس دون دِثار، وأن تصبر علي الجوع، وأن تتعايش مع الإضاءة الخافتة، وأن تقبل مستوى النظافة المنخفض، وأن تحتمل ازدحام



البيت الصغير بساكنيه!

في هـذه الظـروف المعيشية السيئة تتهيأ الفرصة للإصابة بالأمراض العضوية والنفسية، كما يكون الجو مهيأ لنشأة مشاحنات أسرية تقود إلى تقويض دعائم الأسرة أحيانا، وإلى القسوة على الأطفال أحيانا أخرى، ونتيجة لذلك تتفكك عشرات الأسر كنتيجة مباشرة للبطالة، كما يعاني كثير من الأطفال من مختلف الإصابات نتيجة قسوة آبائهم عليهم، كرد فعل للشعور بالإحباط من ظروف قاسية.

وإذا تحول رب الأسـرة إلـى الإدمان، زادت الأمور سـوءًا! فتحت تأثير العقار يمكن أن يؤذي الأب أطفاله وزوجه، كما أن موارد الأسرة المحدودة سوف توجه لشراء العقار، فتزداد الأسرة فقرًا على فقر. وتبلغ المأساة أَوْجَها إذا وقع رب الأسرة العاطل عن العمل في حبائل الجريمة، فيضاف إلى معاناة الأسـرة وحرمانها الشعورُ بالخزي الاجتماعي، مع مزيد من النبذ من المجتمع، ومزيد من المشاعر المناهضة للمجتمع، في حلقة مفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها!

الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية

البطالة لا تعني فحسب خسارة طاقة منتجة، ولكنها تعني خسارةً مركبة علىً أكثر من صعيد. ففي كثير من البلدان تنفق الحكومات ما يصل أحيانا إلى ثلث الدخل القومي على هيئة منح مالية شهرية للعاطلين عن العمل.

وهناك خسارة أخرى تتمثل في الأموال الطائلة التي تنفق كل عام لعلاج الأمراض التـي نـشأت في ظـروف الـبطـالـة، ففي بريطانيا- على سبيل المثال- ثلاثون في المائة (٣٠ ٪) من الاستشارات الطبية في أيّ يوم تخص العاطلين عن العمل، وخمسة وخمسون في المائة (٥٥ ٪) من الأطفال الذين يترددون على عيادات الأطباء ينتمون إلى أسر العاطلين عن العمل!

وفي حقل الإدمـان (تعاطي العقاقير المخدرة والمسكرة) فإن أربعة من كل خمسة مدمنين (أي بنسبة ٨٠ ٪) يأتون من قطاع العاطلين عن العمل، (هذا الإحصاء كذلك من بريطانيا)، وعلاج الإدمان، علاوة على أنه عملية عقيمة تستغرق زمنًا طويلا يصل إلى شهور وأحيانًا إلى سنوات، فإنه يستنزف أموالًا طائلة.

على مستوى المجتمع تتضح فداحة الخسـارة بالنظر إلـى معـدلات الجريمة، فأكثر من ثلاثة وستين في المائة (٦٣ ٪) من مرتكبي جرائم السطو المسلح هم من العاطلين عن العمل! أما عصابات تهريب وتسويق المخدرات، فأكثر من تسعين في المائة (٩٠ ٪) من أفرادها ينتمون إلى فئة العاطلين عن العمل، الباحثين عن حل سريع لمحنتهم المالية.

معنى ذلك أن المجتمع لا يخسر فحسب أيديًا عاملةً وطاقة منتجة، ولكنه يخسر كذلك بتحول بعض أفـراد المجتمع إلى عناصر هدامة، أضف إلى ذلك النفقات البـاهـظـة التي تصرف كل عـام لمكافحة معدلات الجريمة المتزايدة، وللإنفاق على السجون التي ينمو أعداد نزلائها يوما بعد يوم!

وعـلى المـدى البـعـيد تـتمثل خسارة المجتمع في فقدان أطفال الأسـر العاطلة عن العمل، فهؤلاء الأطفال إما مصابون بـأمـراض عضوية مـزمـنـة، مثل التهاب القصـبة الـهـوائيـة المـزمـن الـذي ينشأ نتيجة الظـروف المعيشية المتدنية، وإما مـصـابـون بـأمـراض نـفسـيـة، تـتمثل في الشعور بالاضطهاد والحقد على النظام الاجتماعي القائم، وفي الحالتين فإن تلك الأمـراض لا تهيئ الطفل لأن يكون لَبِنَةً صالحة منتجة في مجتمعه، فإذا أضيفت إلى تلك العوامل حقيقة أن أولئك الأطفال يتدهور مستواهم التعليمي بسبب تدهور صحتهم وسوء ظروف أسرهم، أدركنا نوع الأجيال المتوقعة في مستقبل يتطلب مزيدًا من الكفاءة العلمية والدراية المهنية.

الأقليات المهاجرة والأبعاد الدولية

في كثير من البلدان تستوطن أقليات مهاجرة، طلبًا للمعاش وسعيًا وراء الرزق، وفـي أغـلـب الأحـيـان تـحـتـفـظ الأقليات المهاجرة بتراثها وثقافتها وعـاداتها، فلا تـذوب تمـامًا فـي الموطن الجديـد، إلا أن الاحتفاظ بالهوية الأم قد يكون فادح الثمن في المجتمعات المعـاصـرة! ففي كثير من الأحيان تعامل الأقليات المهاجرة في الوطن الجديد معاملة إنسان من الدرجة الثانية إلـى الـدرجـة العاشـرة- تبعًا للبلد الذي يتخذه المهاجر موطنا جديدًا له!

وعندما تصل الأمور إلى حد البطالة، فإن الأقليات المهاجرة ينظر إليها- من قِبَل المواطنين الأصليين- على أنها سبب رئيسي من أسباب البطالة، إذ زاحمت في سوق العمل وقبلت أجورًا متدنية، فكانت سببًا في زيادة أعداد العاطلين عن العمل.

قـد يـكـون فـي هـذا الـكـلام شـيء من الـصـدق، لكن حتى في حالة صدق هذا الكلام، فإن الأقليات المهاجرة لا ينبغي أن تنال اللوم كله، ومع ذلك فإن واقع الحال يشهد بأن المواطنين- وأحيانا الحكومات- يلقون تبعة البطالة كلها على الأقليات المهـاجـرة، وعـنـدئـذ تعامل تلك الأقليات معاملة «أجـسـام طفيلية يجب التخلص منها»!

هــذه الـتـصـرفـات، ســواء مــن قبل الحكومات أم من قبل المواطنين الأصليين، تثير حـزازات بين الـدول، وتثير درجة من التوتر في العلاقات الدولية، كذلك فإن المـهـاجـرين العـاطـلين عـن العـمـل الذين ينخرطون في تجارة المخدرات وفي أعمال القرصنة الدولية قد يثيرون توترًا وحزازاتٍ في العلاقات الدولية.

وخلاصة ما تقدم أن البطالة تنخر في جذر المجتمع وصلبه مثلما ينخر السوس في العظام! وإنْ تكن بعضُ آثار البطالة ظاهـرة وملموسة فـي المجتمع، فـإن أكثر آثارها خفيٌّ يظهر في المدى البعيد، لهذا فإن البطالة تستحق التسمية «سرطان المجتمعات الحديثة»!



الإصلاح الاجتماعي بين سفينتين

رمضان فوزي بديني *

إن الحياة التي نعيشها أشبه ما تكون بالسفينة التي تمخر عباب البحر محملة بكل الأصناف من المخلوقات، التي يختلف تعامل كل منها تجاه السفينة التي تحمله وتحميه، فمنهم من يدرك قيمتها ويحافظ عليها ليصل بسلام، ومنهم من يتعامل معها باستهتار دون اكتراث بحياة من عليها، غير مدرك أن الخطر سيلحق به كما يلحق بآخرين معه، ليس لهم ذنب في سفاهته واستهزائه إلا سكوتهم عما اقترفت يداه في حق نفسه ومن معه.

ولقد تمثلت العلاقة بين المجتمع والسفينة واضحة جلية في حديث القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها حديثه عن سفينة نبي الله نوح عليه السلام، حيث قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾. فكانت هذه السفينة بمثابة النشأة الثانية للحياة البشرية على وجه البسيطة، حيث تجمع فيها كل الناجين من الطوفان من الأحياء في لحظة فاصلة من لحظات البشرية، حتى يعمروا الأرض كما عمرها أول مرة آدم عليه السلام وأبناؤه بعد خروجه هو وزوجته من الجنة.

ولقد كان الصلاح والإصلاح المبنيان على الإيمان هما تذكرة الركوب في سفينة النجاة التي كان قائدُها نبي الله نوحا عليه السلام.

تعريف الإصلاح

عرفت المعاجم العربية الإصلاح بأنه ضد الإفساد، وهو من الصلاح المقابل للفساد.. وفي القرآن الكريم: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة: ١٠٢)، ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦).

فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل؛ فالحركات الإصلاحية -سواء كانت فردية أم جماعية- هي الدعوات التي تُحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد، في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني.

لابد للإصلاح من أناس ذوي بصيرة يكونون مشاعل هداية وأدلاء على الخير

إذن فكل فساد وإفساد متعد على المجتمع وما فيه، لابد أن يقابله «إصلاح» متعد أيضا يزيل آثار الفساد، ويمحو مخاطره حتى لا تغرق السفينة بمن فيها.

وقد ورد في تراثنا الإسلامي الحديث عن سفينتين؛ إحداهما صينت والأخرى خُرقت، وكان في الفعلين -رغم تناقضهما- سبيل للإصلاح!!

صيانة السفينة نجاة للمجتمع

السفينة التي حرص الإسلام على صيانتها والأخذ على يد المتعدي عليها هي تلكم السفينة التي مثّل بها رسول الله ﷺ العلاقة بين المصلح والمفسد، حيث يقول في الحديث الذي رواه النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا».

في هذا الحديث النبوي الشريف يمثل الرسول ﷺ للمصلح (يمثله في الحديث القائم على حدود الله)، والمفسد (يمثله الواقع في حدود الله) بقوم في سفينة جاء حظ بعضهم أعلاها وحظ البعض الآخر أسفلها، ومن خلال التفاعل الحياتي بين الفريقين تبدأ المواجهة بين الإصلاح والإفساد، وتتجلى معالم الإصلاح في هذا الحديث النبوي فيما يلي:

أولا- أخذ كل من الفريقين مكانه في السفينة من خلال «الاستهام»، وهو ما يوحي بتساوي الفريقين في نقاط القوة والضعف، وإلا لحسم الفريق القوي المكان الأعلى دون استهام، أو ربما يوحي هذا بدرجة من قيم المساواة والعدالة عند الفريقين -أو على الأقل عند الفريق القوي- جعلت الحل في الاستهام، وليس التفرد بناءً على القوة.

ثانيا- يُستنتج مما سبق أن قوى الإصلاح

* باحث بالمركز العالمي للوسطية.



والإفساد في المجتمع ربما تتبادل المواقع والأماكن بناء على فرص القوة والضعف التي يملكها كل فريق.

ثالثا- غالبا ما تكون قوى الفساد مخفية في المجتمع غير ظاهرة للعيان، حيث تنخر في جسد المجتمع من أسفل لأعلى دون أن يدري بها أحد إلا في مرحلة متأخرة، ما لم يكن المصلحون يقظين ومنتبهين لها.

رابعا- النية الصالحة وحدها لا تُصلح العمل الفاسد: فنية القوم الذين أرادوا خرق السفينة كانت الاستسقاء دون المرور على مَن فوقهم وإيذائهم، فهي نية صالحة في نفسها لكن عواقبها وخيمة.

خامسا- آثار الفساد ممتدة ومتشعبة ولا تحدها حدود: فالقوم الذين في أسفل السفينة سيخرقون في نصيبهم هم فقط دون التعدي على نصيب الآخرين، لكن الآثار ستمتد لتغرق السفينة بكل من فيها.

سادسا- كما أن التهاون في الأخذ على يد الظالم فيه هلاك للجميع؛ فإن الأخذ على يديه ومنعه من ظلمه فيه نجاة للجميع بمن فيهم الظالم نفسه.

حينما يكون خرق السفينة إصلاحا!!

من الطبيعي أن يكون الإصلاح في الحفاظ على السفينة والأخذ على يد المفسد فيها، كما مر فيما سبق، لكن الأعجب والأغرب أن يكون الإصلاح في خرق السفينة!!

هذا ما ورد في قصة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام، في قول الله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، وردّ الخضر عليه قائلا: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

لقد فوجئ نبي الله موسى عليه السلام بهذا التصرف من الخضر الذي يبدو في ظاهره إفسادا يؤدي إلى إغراق السفينة ومن عليها،



كما فوجئ أيضا بقتله الغلام الذي كان أبواه مؤمنين، لكن جاء تفسير الخضر له موضحا وكاشفا عن بعض الحقائق التي لا يراها إلا أولو العلم اللدني من أن خرق السفينة للحفاظ عليها لأصحابها المساكين من الملك المغتصب الظالم:

ويمكن أن نقف مع هذه القصة الإصلاحية بعض الوقفات:

أولا- يُعد الحفاظ على الحقوق وردها لأهلها، ومواجهة المغتصبين للحقوق من أعلى مراتب الإصلاح؛ فلا يخلو زمان من حكام متسلطين مغتصبين لحقوق شعوبهم ومقدرات أمتهم.

ثانيا- لابد للإصلاح من أناس ذوي بصيرة وعلم ببواطن الأمور، حتى يكونوا مشاعل هداية وأدلاء على الخير للمجتمع حولهم. فالخضر لم يخرق السفينة إلا بعلم بمآلات الأمور، وهذا يختلف عن خرقها المنهي عنه فيما سبق في الحديث النبوي، لأنه كان خرقا مبنيا على جهل يهدف فقط لراحة النفس دون النظر في عواقب الأمر.

ثالثا- يمكن التحايل على الظلم وأهله إذا كان في موقع قوة؛ فقد لجأ الخضر لخرق السفينة تحاشيا لمواجهة الملك الظالم.

رابعا- على المصلحين الموازنة بين الأضرار المتوقعة في حال تعسر العلاج الجذري، وعليهم حينها اللجوء لأخف الأضرار حفاظا على الصالح العام؛ فخرق السفينة هنا للحفاظ عليها أخف ضررا من أخذ الملك لها بالكلية.

خامسا- الإصلاح يحتاج للوقاية قبل العلاج: فالخضر لم ينتظر حتى يأتي الملك فيرى السفينة ويأخذها، ثم يبحثوا عن علاج للمشكلة التي وقع فيها المساكين أصحاب السفينة، بل سارع بخرق السفينة قطعا للطريق على الملك أن يأخذها. وهكذا يجب على المصلحين أن تكون لديهم روح المبادرة والمبادأة والاستعداد لمواجهة الباطل قبل أن يستفحل ويتمكن من مفاصل المجتمع.

وفي النهاية.

فما أحوج سفينة مجتمعنا لقادة مصلحين ينظرون بعين البصيرة، فيقدرون الأمور حق قدرها، ويستطيعون التحكم في شراع السفينة وتوجيهه حسب وجهة رياح التغيير والتطوير، وفي الوقت نفسه يتنبؤون بجبال الفساد التي تعيق حركة السفينة، فيتعاملون معها بما تقتضيه طبيعة كل منها، فيحطمون ما يسهل تحطيمه ويتجاوزون بمرونة ومهارة ما يكون في مواجهته خطر عليهم؛ حتى ترسو السفينة بأمن وسلام على شواطئ الرقي والاستقرار.





الفقر.. رؤية واقعية

(المشكلة والأسباب والعلاج ١-٢)

رشيد ناجي الحسن

لم تبلغ البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام هذا المبلغ من التطور والتقدم والرخاء، ولم يعرف العالم هذا الكم العجيب من الأغنياء مثلما يعرفه اليوم؛ فثروة ثلاثة من أغنى أغنياء العالم تعادل الناتج المحلي لأفقر ٤٨ دولة في العالم، كما أن ثروة ٢٠٠ من أغنى أغنياء العالم تتجاوز نسبتها دخل ٤١٪ من سكان العالم مجتمعين.

وتوضح الدراسات أنهم لو ساهموا بـ ١٪ من هذه الثروات لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي! لكن رغم ذلك كله مازال فقراء الأرض يعانون الفقر والحاجة والعوز، بل إن عددهم يتزايد بصورة جنونية لم تعهدها البشرية منذ الأزل.

هذا وإن من أعظم المصائب التي لحقت بأمة الإسلام في هذا العصر ما حل بأبنائها من فقر واحتياج، وعوز لم تشهد مثله من قبل، رغم ما تعجّ به بلادها من ثروات وخيرات هائلة، منها الزراعية، ومنها المائية، ومنها الظاهر، ومنها الدفين كالطاقة التي هي عصب الحياة الصناعية وروحها، ومنها ما يتعلق بعمقها الجغرافي، ومنها ما يتعلق بعمقها البشري. أضف إلى ذلك أنها تحيا في عصر التقنية، والتطور المادي وسرعة الاتصال ويسر المواصلات. رغم كل هذا تجدها - أي الأمة الإسلامية- تصنف في عداد الأمم الفقيرة.

وبينما يموت ٣٥ ألف طفل يوميا بسبب الجوع والمرض، ويقضي خمس سكان البلدان النامية بقية اليوم وهم يتضورون جوعا، تقلُّ المساعدات المخصصة للدول الفقيرة عن طريق منظمة الأمم المتحدة عما تنفقه تسعة من البلدان المتقدمة على غذاء القطط والكلاب في ستة أيام فقط! ومن الطريف أن ميزانية إطعام القطط والكلاب في الولايات المتحدة الأميركية تعادل خمسة أضعاف ميزانية الأمم المتحدة في نيويورك، ففي عام ١٩٧٩م صرف على القطط والكلاب الأميركية ٣٫٢ مليار دولار، بينما كانت ميزانية الأمم المتحدة لعام ١٩٨١م ٦٨٣ مليون دولار فقط!

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هو: لماذا وصل الفقراء في العالم إلى هذا الحد من الخطورة؟ وما الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلة؟ وهل يبذل الأغنياء والدول الغنية في العالم الجهد الكافي لمعالجتها؟ وهل هنالك نتائج خفية لهذه الظاهرة غير الجوع والمرض والموت؟ وما هو علاج هذه المشكلة في نظر الإسلام؟

ودون الدخول في الكلام عن خطر الفقر على حياة الإنسان والتي لا أدل على خطره من أن بعض المسلمين ارتدَّ عن دينه لأجل الدرهم والدينار، كما رأينا في بعض الدول ومنها الكونغو، والتي يقول الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فيها الشيخ موديلو واماليما: إن المنظمات التنصيرية في القارة الإفريقية تقف وراء تناقص أعداد المسلمين من ٢٠ مليون

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



المشكلة لا تتعلق بوجود الموارد الطبيعية بل قدرة العقل البشري على اكتشافها وتسخيرها

نسمة غداة استقلال الكونغو في حقبة الستينيات إلى ٥ ملايين مسلم في الوقت الحالي!! مستفيدة من معاناة المسلمين لعقود من الفقر الشديد والتهميش السياسي والاقتصادي على يد حكومات الكونغو المتعاقبة!

ودون الدخول في تفاصيل طويلة سأتناول في هذا المقال مشكلة الفقر وأسبابها، على أن أذكر في المقال القادم، بإذن الله العلاج، مستدلا ببعض التجارب العملية الناجحة في بعض الدول الإسلامية في معالجة الفقر.

مفهوم الفقر وتعريفه

الفقر-كما في لسان العرب-: هو الحاجة، والفقير هو الذي نزعت فقره من ظهره فانقطع صلبه من شدة فقره، أو الفقير المكسور الفقار، يضرب مثلا لكل ضعيف.

وذلك بأن يصبح الإنسان محتاجًا وليس له ما يكفيه.

ولا يمكننا أن نجمل معاني الفقر في تعريف واحد فقط، وذلك لأن الفقر يحمل معاني مختلفة باختلاف رؤى الباحثين؛ منها ما هو مادي ومنها ما هو اجتماعي وثقافي، ولذلك فالفقر ظاهرة مركبة تجمع بين أبعادها ما هو موضوعي (كالدخل والملكية والمهنة والوضع الطبقي)، وما هو ذاتي (أسلوب الحياة ونمط الإنفاق والاستهلاك وأشكال الوعي والثقافة).

ويمكن القول بأن الفقر لا يعبر فقط عن عجز الإنسان عن إشباع حاجاته البيولوجية كما يقرر رجال الفكر الاقتصادي، بل يعني كذلك عجز البناء الاجتماعي عن توفير مستلزمات الإنسان المادية والمعنوية، وتأثير ذلك على عمليات الاندماج والعلاقات الاجتماعية وتكوين شخصية الفرد في المجتمع وتشكيل قيمته وثقافته؛ بل تحديد دوره ووزنه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وباختصار يمكن اعتبار الفقر حالة يعجز فيها الإنسان بسبب مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية عن تلبية حاجاتها المادية والمعنوية.

وقد عرف البنك الدولي الدول منخفضة الدخل أي: الفقيرة بأنها: تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن ٦٠٠ دولار، وعددها ٤٥ دولة معظمها في إفريقيا، منها ١٥ دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد عن ٣٠٠ دولار سنويا.

وقد عرف جمهور فقهاء الإسلام الفقير بأنه: من لا يملك شيئا من المال أو الكسب إلا يسيرا لا يكفي لحاجته وحاجة من يعولهم.

أنــــواع الفــــقر:

الفقر المطلق وهو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الأساسية المتمثلة بالغذاء، والمسكن، والملبس، والتعلم، والصحة. وحينها يعتبر فقيرا فقرا مطلقا.

وهذا النوع من الفقر يمكن القضاء عليه وهو أحد أهم واجبات الحكومة والمجتمعات، ليس فقط لأنه واجب ديني وإنساني، ولكن لأنه أيضا ضمان للاستقرار والسلم الاجتماعي.

الفقر النسبي

وهو عدم قدرة الإنسان على أن يعيش بنفس المستوى المعيشي الذي يعيشه غالبية من حوله في المجتمع، وهذا النوع من الفقر لا يمكن القضاء عليه لأنه وبكل بساطة نسبي. والفقر المدقع هو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان، عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الغذائية لتأمين عدد معين من السعرات الحرارية التي تمكنه من مواصلة حياته عند حدود معينة.

أسباب مشكلة الفقر

لاشك أن هناك أسبابًا بشرية وسّعت دائرة الفقر، وسحقتْ كثيرين إلى حضيضه، وعملت على جعل المال دُولة بين الأغنياء، واستنزفت المال العام، وابتزت الأموال بالاحتكار وبصور كثيرة من أكل أموال الناس بالباطل.

وإذا جاز لنا أن نقول لفقير ضعفت حيلته، وضرب عليه الفقر بأطنابه: اصبرْ وارض بقضاء الله وقدره، فليس لنا أن نقول لمؤسسات المجتمع وأجهزة الدولة: الفقر في مجتمعنا قَدَرٌ سابق، وسنة ماضية، وليس عليكم تبعة ولا مسؤولية في أن تكافحوه وتعالجوا أسبابه.

هذا وينظر الإسلام إلى مشكلة الفقر نظرة مختلفة عن الأنظمة الوضعية الرأسمالية، والاشتراكية.

فمشكلة الفقر من المنظور الوضعي هي اقتصادية تتمثل أساسا في الندرة؛ ندرة الموارد، وتعدد الحاجات، أو سوء التوزيع، وقد تعود ندرة الموارد إلى العوامل الطبيعية السيئة؛ ومنها السيول والأوبئة والرياح الشديدة العاصفة، أو العوارض السماوية التي تذهب بالزرع أو الماشية أو التجارة أو المساكن وغيرها من أصناف المال. وقد تعود ندرة الموارد إلى الفقير نفسه؛ نظرًا لعجزه عن الحصول على الدخل اللازم لإشباع احتياجاته وضعف قدراته أو المواهب البدنية والفكرية لديه.

والأمم الفقيرة هي تلك الأمم التي ليس بإمكانها الحصول على السلع والخدمات، حيث إن الفقر ينشأ أساسا نتيجة الفجوة القائمة بين الحاجات الإنسانية المتزايدة ومحدودية الموارد الطبيعية، وفي هذا الصدد يرى مالتوس أن السكان يتزايدون بمتتالية هندسية وتتزايد الموارد بمتتالية



حسابية وفي النهاية يعجز الإنسان عن ملاحقة الموارد الطبيعية وتزداد فجوة الفقر في العالم.

أما أسباب مشكلة الفقر من الناحية الإسلامية، فالإسلام يتفق مع الأنظمة الوضعية في الإقرار بمشكلة الفقر، إلا أنه يختلف عن الأنظمة الوضعية في تحليله لأسباب المشكلة؛ فهو ينظر إلى المشكلة من جهة عدم العدالة وسوء توزيع الدخل، حيث يلعب الإنسان دورًا مهما في المشكلة، وعليه فالمشكلة في الإنسان نفسه لا في الندرة أو الوفرة، فنجد دولة غنية بالموارد ولكن فيها نسبة مرتفعة من الفقراء، وبذلك فالنظرة الإسلامية تعترض على فكرة الندرة مصداقا لقوله عز وجل:﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا أَنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

وعليه فلا يمكن القول بوجود مشكلة فقر لأنها انطلقت من مبدأ أن الأصل في الموارد هو الوفرة وليس الندرة، ذلك لأن الخطاب الوارد في الآيات السابقة هو خطاب عام يتناول جميع الناس، كما إن وفرة الرزق وما يستتبعه من حاجات أخرى هو للبشر جميعاً، بل إن هذه الوفرة في الموارد أو الرزق تغطي حاجات البشر.

والمشكلة لا تتعلّق بوجود الموارد الطبيعية، فهي موجودة في هذه الأرض منذ أن خلقها اللّه سبحانه، لكنها تتعلق بمدى قدرة العقل البشري على اكتشافها، لأن اللّه سبحانه خلق تلك الأرض، وجعلها مذللة لبني البشر، وخلق الإنسان ليعيش عليها، وزوده بالعقل الذي يستطيع من خلاله اكتشاف تلك الموارد وتسخيرها لصالحه بالشكل الذي يكفي حاجاته.

وقد يكون سبب مشكلة الفقر راجعا إلى الإنسان نفسه من خلال ابتعاده عن منهج الله، وعدم تعظيمه لحرمات الله.

ومن هذه الأسباب:

- الابتعاد عن منهج الله، إذ لا تستقيم حياة يذهب فيها كل فرد إلى الاستمتاع بحريته المطلقة إلى غير حد ولا مدى، يغذيها شعور بالتحرر الوجداني المطلق من كل ضغط وبالمساواة المطلقة التي لا يحدها قيد ولا شرط، ومن ثم فإن الشعور على هذا النحو يحطم المجتمع كما يحطم الفرد ذاته.

- غياب الحكم بما أنزل الله في شؤون الأمة عامة، وفي الحياة الاقتصادية خاصة، إذ استبدل الكفر جميعاً بأحكام الإسلام كافة، فغدت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها تخضع لأحكام الكفر التي جرّت عليها ويلات تتلوها ويلات، ومصائب تعقبها مصائب، وكانت مصيبة الفقر أبرزها.

- البعد عن أدب الإسلام في حفظ النعمة، والاعتدال في الإنفاق من غير إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١). فالمسلم مطالب بالكسب الحلال الطيب، وصرفه في مصارفه المشروعة (الواجبة والمندوبة والمباحة)، ولا يجوز له أن ينفقه فيما فيه ضرر عليه أو على مجتمعه، بل عليه أن يتصرف فيه بالحكمة، وفقاً لمراد الشارع، وعندئذ يكون معتدلا في نفقته، قائمًا بالقسط. فإن تجاوز الحد المشروع فقد دخل في دائرة الإسراف والتبذير.

وهما – الإسراف والتبذير– من الأمراض الاجتماعية والاقتصادية التي تهدد الأمم والشعوب بالوقوع في الترف والبذخ، والأشر والبطر، ومن ثم تعرضها للهلاك العاجل والعاجل. والإسلام وهو يحارب هذه الآفة (الإسراف والترف) فإنه يحارب كذلك ما يقابلها من الآفات، من البخل والشح والتقتير ومنع الزكاة ونحو ذلك.

والمجتمعات المسلمة في عمومها قديمها وحديثها لا تخلو من وجود هذه المشكلات المتناقضة، وتفشيها أحياناً، حتى تكون ظاهرة عامة. ولئن كانت تختلف تلك المشكلات من زمان إلى زمان ومن بيئة إلى أخرى، فإن المعاناة والشكوى قاسم مشترك بينهما ومجتمعنا المعاصر سرت فيه ظاهرة السرف حتى تحولت إلى مشكلة تستحق الدراسة والمعالجة.

ومن أسباب مشكلة الفقر أيضًا آثار وتبعات عهود الاستعمار: الاستعمار الذي مازال يجثو على صدر هذه الأمة، ويلقي بظلاله على جميع جوانب حياتها، ولاسيما الجانب الاقتصادي، حيث أصبحت بلاد المسلمين إحدى مصالحه الحيوية التي يستعد للدفاع عنها والتشبث بها حتى ولو كلفه ذلك الغالي والنفيس.

ويشير المهتمون بظاهرة الفقر في العالم إلى أن السبب الذي جعل كل ما سبق يصل بالشعوب إلى حافة الهاوية هو أن هذه الشعوب كانت قد استنزفت خيراتها خلال عقود من الاستعمار تعرضت فيها لنهب جل ممتلكاتها. ورغم مناداة الدول الغربية بالعدالة واحترام حقوق الإنسان التي من أهمها احترام الممتلكات، فلم يسمع صوت واحد يطالب بدفع تعويضات لهذه الدول التي تحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى لما هو لها، ويعيدون السبب إلى شدة ضعف الضعيف وقوة القوي، ومن أبرز معالم هذا الاستعمارفي هذه الدول :

- نهب المواد الخام وموارد الطاقة.
- استخدامها أسواقاً لسلعه ومنتجاته.
- وضعها في قفص المديونية، فلا توجد دولة من هذه الدول إلا وقد وقعت في المديونية.
- تطبيق أحكام النظام الاقتصادي الرأسمالي عليها، فاستباحت الربا، والاحتكار، والتسعير والشركات المساهمة، والتأمين، وتغير مفهوم الملكية لديها واختلفت أسبابها وطرق تنميتها، ومفهوم التجارة الخارجية.
- اشغالها بالأزمات التي تستدعي تمويلاً يستنزف خيرات البلاد دون أن تحقق نتيجة ترجى.

-جعل وجهة نظر المستعمر في الحياة وفي الاقتصاد قِبْلَةَ المسلمين في حل مشاكلهم الاقتصادية، والتي تتلخص في القروض والضرائب وتقليص دور الدولة في رعاية شؤون الناس.

- الحروب والنزاعات والصراعات الدولية التي تحرم البلدان فرصة التنمية والتطوير، وسيطرة الاستعمار والتدخل في شؤون الدول الفقيرة استغلالاً ونهبا لثرواتها، ويزداد الأمر تعقيداً إذا كان الاحتلال استيطانياً كما في فلسطين حيث تدهور حالة الشعب الفلسطيني يوماً بعد يوم وتتسع فيه رقعة الفقر نتيجة إرهاب الدولة الصهيونية وتدميرها المتواصل للبنية التحتية، وهدم المنازل وتجريف الأراضي الفلاحية، فتتحول مئات العائلات بين يوم وليلة من حد الكفاف إلى حالة الفقر المدقع.

ومن أسباب مشكلة الفقر أيضًا سيطرة القطب الواحد: إذ إن السعي إلى السيطرة على العالم، وبسط النفوذ أديا في أكثر الأحيان إلى إفقار الدول أثناء ترويضها.

فالعقوبات الاقتصادية، وغزو واحتلال الدول بحجج واهية، وتأييد سياسة الاحتلال سعيا وراء السيطرة على المواقع الإستراتيجية في العالم، كلها أمور أدت إلى تفاقم مشكلة الفقر وحولت شعوبا كانت في الأصل غنية إلى حالة من الفقر الشديد.

ظاهرة العولمة: ففي الوقت الذي رفعت الدول الغربية شعار العولمة مبشرة بعهد جديد يخفف من معاناة الفقراء، ارتفعت الأصوات منذرة بدور هذه الظاهرة في نشر الفقر وتدمير اقتصاد الدول النامية.

يقول أحد أقطاب الاقتصاد العالمي الجديد في مقابلة معه: «لقد أدت العولمة إلى انتقال رؤوس الأموال من الأطراف (يعني: البلدان النامية) إلى المركز أي الدول الغربية»، وهذا يعني باختصار أن العولمة حوَّلت فتات ما كان يقتات عليه الفقراء إلى موائد المتخمين.

ويقول جون ستجلتيز الخبير الاقتصادي السابق في البنك الدولي: «إن الدول الآسيوية القليلة التي انتفعت من العولمة هي تلك التي أدارت العولمة بطريقتها، أما البلدان التي تضررت وهي الغالبية فهي التي أخضعت نفسها لأحكام الشركات الكبرى والمنظمات الاقتصادية الدولية وهي المؤسسات المؤيدة للعولمة».

وهناك أسباب أخرى لمعضلة الفقر منها:

- الربا وهو من المهلكات الواضحة للأموال، حيث قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

- الظلم والبغي والإفساد في الأرض على مستوى الحكومات والأفراد والمجتمعات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠).

- غياب مفهوم رعاية الشؤون عن الدولة وعن الأمة، إذ إن الدولة في الإسلام تعني رعاية شؤون الناس داخلياً وخارجياً أفراداً وجماعة، وهذا أمر كان مفهوماً عند الحكام ومن ناب عنهم، فاستقاموا وجهدوا في تحقيقه على أحسن وجه، وكان أيضاً مفهوماً عند الأمة التي ما تواتت في محاسبتهم كلما رأت منهم تقصيراً أو تجاهلاً لشأن من شؤونها، إلا أن الأمر قد انقلب رأساً على عقب.

- انخفاض مستوى التعليم، وقلة الخبرات الفنية في كثير من الأقطار مع قلة السعي للتنمية وتحسين الإنتاج، والتشرد الذي يعانيه كثير من المسلمين الذين تركوا أوطانهم لاضطراب الأوضاع ولفقدان الأمن، والأوضاع السياسية غير المستقرة في بعض الأقطار مما يضيع كثيراً من الطاقات والثروات، والتبعية الاقتصادية للدول الغربية الكبرى التي تستغل ثروات العالم الإسلامي.

- إهمال عمليات الإصلاح الاقتصادي مما أدى إلى تفاقم ظاهرة الفقر والجوع والبطالة وغيرها.

- الفساد الإداري: وتمثل هذه الظاهرة القوة الخفية التي تستنزف الموارد المالية بطريقة عجيبة، وعدم الرغبة في مكافحتها بالرغم من خطورتها.

- تدمير القطاع الزراعي لهذه الدول ومنعها من تصدير منتجاتها بسبب السياسات التي تطبقها الدول المتقدمة.

المراجع

- الكسب محمد بن الحسن الشيباني، ، تحقيق: د.سهيل زكار، عبدالهادي حرصوني للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- الإحكام للآمدي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٤، ت: سيد الجميلي.
الأحكام السلطاني والولايات الدينية أبوالحسن الماوردي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م
- المجموع للنووي، ط: دار الفكر، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، ط: دار صادر، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠
- المصباح المنير للفيومي، ط: المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٠
- مبادئ الاقتصاد السياسي، الاقتصاد الجزئي، د.رضا عبدالسلام، دار الإسلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٢
- مشكلة الفقر مع بيان أسبابها من المنظور الإسلامي. د.شعبان عبده أبوالعز المحلاوي.
- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، د.محمد شوقي الفنجري، الطبعة الثانية. سلسلة قضايا إسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف، العدد ١٤٨، يونيو ٢٠٠٧ .
- واجب الدولة في توفير حد الكفاية، د.حسين حامد حسان:، مجلة الاقتصاد الإسلامي، الصادرة عن بنك دبي الإسلامي، العدد ٣١٧ سبتمبر ٢٠٠٧
- أسباب وآثار الفقر، د.محمد حسن العزازي: بحث منشور بمجلة البحوث الإدارية، الصادرة عن أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، عدد يوليو ٢٠٠١ .
- الاقتصاد الإسلامي، د.محمد منذر قحف، دار القلم، بدون سنة نشر.
- الإسلام والفقر حلول عملية لكل زمان ومكان، د.زيد بن محمد الرماني.
- التنمية الاقتصادية، د.علي لطفي، دراسات في النظرية، مكتبة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠م
- التنمية الاقتصادية، د.محمد زكي شافعي، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م
- فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، د.حمدي عبدالعظيم، الناشر: المؤلف، القاهرة، ١٩٩٩م



الخضر عليه السلام والإصلاح الاجتماعي

المنشاوي الورداني

يتوالى المشهد القرآني في سورة الكهف في جملة من الأسرار التي تتكشف رويدًا رويدًا مع نهاية كل قصة كطبيعة الحال في مسمى السورة، ذلك الكهف المليء بالأسرار دائمًا والذي آوى إليه ﴿فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾. والكهف وإن كان في حياة الناس رمزًا للسر، فإنه كسورة قرآنية قدم صورة نموذجية لما ينبغي أن تكون عليه الحقيقة... فكانت السورة بحق ﴿رحمة من عندنا﴾.. نستعين بها على فهم حقائق الحياة النموذجية من خلال كهوف وأسرار.. اختلف فيها علم الأرض عن علم السماء.

التباين بين علم الأرض وعلم السماء ظهر جليًا في موضوعنا بيت القصيد.. وهي رحلة العبد الصالح الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام، حيث كان رمزًا لعلم السماء.. وموسى رمزًا لعلم الأرض.

لقد كانت جملة المشاهد التي مررنا عليها كثيرًا في ثنايا القصة هي ثلاثية السفينة والغلام والجدار.. وقد جاء العبد الصالح لينطلق في حركة الحياة ومعه موسى عليه السلام يراقب ويشاهد كما كان كذلك يعترض ويعاتب ولا يستطيع مع أفعال العبد الصالح صبرًا بل كان يعترض وفقًا للعلم الظاهر الذي خفي عليه العلم الباطن، وما أرسل الله العبد الصالح لموسى إلا ليكشف له عن كهوف الحياة وما ينطوي فيها من أسرار..لا يعرفها إلا من ﴿لا تدركه الأبصار﴾.

لقد كشف حادث السفينة عن فساد الملك أو الحاكم، وكشف حادث الغلام عن فساد النشء أو الأسرة.. كما كشف حادث الجدار عن فساد المجتمع أو الرعية.. أي أن ثلاثية السفينة والغلام والجدار.. كانت رموزًا لفساد عمّ وطمّ.. فكان العبد الصالح ﴿رحمة من ربك﴾ ليصلح هذا الفساد.. وإن كان أهل الأرض من تعودهم حسبوا أنه وضع طبيعي فألفوا معه حركة تلك الحياة دون أن يحركوا ساكنا.

السفينة كانت لقوم ضعفاء شرفاء.. كذلك الغلام كان أبواه من هؤلاء الضعفاء الشرفاء.. الذين سيصطدمون يومًا مع عتاة

وراء الأشياء حقائق مخفية وعلينا ألا نغتر بظواهر الأشياء.. وثلاثية السفينة والجدار والغلام كانت رموزًا للفساد

جبارين أقوياء.. هم أهل القرية البخلاء. والغلام الذي قتله الخضر كان يحمل في طبيعته خبث فئة الظالمين الأقوياء.. كحال ذلك الملك الظالم: الرمز الأكبر لكل جبار عنيد.. فكانت الثلاثية اصطدامًا بين فئتين.. فئة ضعيفة مسكينة.. وفئة قوية متجبرة.. وجاء العبد الصالح ﴿رحمة من عندنا﴾ ليكشف سر الله إلى الأرض بضرورة العض على كل ظالم والضرب بيد من حديد على كل متكبر جبار.

إن الإصلاح الاجتماعي الذي قدمه لنا العبد الصالح، كان مراد الله في الأرض.. ولقد ختم القصة وأوضح الهدف في أن كل شيء تم.. كان بمراد الله ﴿وما فعلته عن أمري﴾.

ولكننا نستطيع أن نخرج بثلاث وسائل ناجعة يمكن الاستعانة بها عند تنفيذ أي مشروع اصلاحي:

استعمال الكيد للوصول

إلى الهدف المشروع

إننا نؤكد أن الهدف المنشود يجب أن يكون مشروعا أولا قبل اللجوء إلى الحيلة واستعمال الكيد.. والكيد هو التدبير في خفاء وقد عرفنا ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾.. ولكن كيد الله فوق كل كيد: ﴿إنهم يكيدون كيدا. وأكيد كيدا. فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ (الطارق: ١٥-١٧)، وما كان كيد العبد الصالح واستخدامه الحيلة في خرق السفينة إلا ليفر هؤلاء النفر المساكين الذين يعملون في البحر من ذلك الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا.

وتأمل معي- أيها القارئ- أليس هذا الكيد الذي هو من تدبير الله في القصة كلها - أليس مشابهًا لمرحلة مبكرة في قصة سيدنا موسى عليه السلام في طفولته والذي غفل عن إدراك المغزى بطبيعته البشرية مع العبد الصالح عندما قام بخرق السفينة.. ففي مرحلة الطفولة لجأت أم موسى إلى الكيد واستعمال الحيلة بوحي من الله ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾ (طه: ٣٩).. ما أجمل كيد الله والوضع مشابه وموسى وهو طفل.. حيث كان في عرض البحر ضعيفًا كهؤلاء المساكين الذين يعملون في البحر - وقد ألقته أمه كيدًا في البحر خوفًا من الفرعون الظالم.. وكذلك قام العبد الصالح بخرق

* عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - مترجم بالتلفزيون المصري



السفينة لينجو المساكين من الملك الظالم.. وكل ذلك بكيد الله.. وعلم الله.. وتقدير الله.. ليشرح الخضر عليه السلام في القصة.. الفرق الشاسع بين علم الأرض.. وعلم الكون.

كذلك تأمل معي - أيها القارئ - الكيد الذي لجأ إليه سيدنا يوسف عليه السلام.. ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ (يوسف: ٧٦).. ويوسف هنا.. ألهمه الله ذلك الكيد ليصل إلى الهدف المشروع بأن يؤي إليه أخاه في مصر.. حتى تتكشف أسرار قصته (الرؤيا التي رآها) وتتضح خيوطها عند نهاية الأحداث، حيث يسدل الستار في مصر.. يسجد ليوسف إخوته.. والأبوان على سرير الملك بجوار يوسف: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا﴾ (يوسف:١٠٠). ولتعلم قارئي الكريم إن هي إلا الأسباب الظاهرة للغاية المضمرة، والستار الذي تراه العيون لليد التي لا تراها الأنظار ولا تدركها الأبصار.. هي يد المدبر المهيمن العزيز الغفار.

المبادرة في درء المفاسد

والمفسدة هنا.. كانت هذا الغلام الذي ﴿كان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ (الكهف:٨٠) وحكمة الله فسرها العبد الصالح بأن الله سيعوض الأبوين ولدًا آخر ﴿خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا﴾ (الكهف:٨١) وتأمل معي - عزيزي القارئ - الوضع المشابه لموسى عندما دخل مدينة في مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾.. وسارت القصة.. وانتهت بقتل موسى واحدًا من أهل مصر.. ليأتي الناصح الأمين الذي يطلب من موسى الخروج قائلا له: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ (القصص: ٢٠) وخرج موسى عليه السلام بالفعل وبدأ مرحلة جديدة في حياته في أهل مدين. وعوضه الله خيرًا في المكان الجديد.. وفي زمن آخر جديد.

إن موسى لم يستطع صبرًا مع حادثة قتل الغلام، وهذا الأمر إذا رآه أي منا يرفضه كذلك، لأنه ببساطة: قتل نفس زكية بغير نفس، ولكن.. تقرير العبد الصالح أن هناك تدبيرا خفيًا من الله.. ودرء المفسدة هذه والمتمثلة في الغلام هي إصلاح اجتماعي لحال الأبوين لتبرز الحقيقة بعد هذا الظاهر الذي لا يفهمه البشر في صورة تعويض إلهي بغلام آخر يخفض لأبويه جناح الذل من الرحمة.. ليتغير حال النشء والأسرة عما قريب بتدبير الله المطلوب.

المبادرة في جلب المصلحة والعمل الصالح

وهنا ننتقل إلى الدرس الثالث في الإصلاح الاجتماعي.. وخلاصته أن العمل الصالح لا يذهب.. ولا يضيع، ففي القرية التي استطعما موسى والخضر أهلها فأبوا أن يضيفوهما.. كان الاثنان بمثابة غريبين دخلا إلى قرية وهما في حالة جوع شديد.. أبسط الأشياء أن القوم كرام.. إذا دخل غريب القرية أطعموه ولو لم يكن جائعًا أو على الأقل عرضوا عليه الطعام.. فإذا كان جائعًا وجب عليهم إطعامه.. ولكن أهل هذه القرية التي دخلها موسى والعبد الصالح قابلوهما بلؤم ونذالة.. ذلك أن موسى والعبد الصالح كانا جائعين وغريبين طلبا الطعام من أهل القرية.. ولم يطلبا طعامًا فاخرًا.. أو مائدة تحوي عشرات الأصناف.. ولكنهما طلبا لقمة تقيم أودهما وتسكت جوعهما.. فماذا فعل أهل القرية.. أبوا.. رفضوا أن يطعموهما حتى هذه اللقمة الصغيرة.. وإذا بالعبد الصالح يجد جدارًا متهدمًا في القرية فيبنيه ويجمله ويجدده.. ولم يطق موسى صبرًا - هؤلاء الناس رفضوا إعطاءنا لقمة ونحن جائعان.. وأنت تقوم بهذا العمل لهم مجانًا تقدم لهم خدمة.. تبني لهم جدارًا متهدمًا.. جزاء على هذا اللؤم وهذه النذالة.. وتأتي الحقيقة المستورة لتبين لموسى عليه السلام الحكمة في بناء الجدار.. فهذا الجدار لم يكن خيرًا لأهل القرية الذين تخلوا عن مبادئ الشهامة.. بل كان خيرًا لأبناء رجل صالح يخشى عليهم من أهل القرية الذين لا يرعون عهدًا ولا يطعمون جائعًا.. ولأنهم يفعلون ذلك لا يطعمون الجائع.. ولا ينفقون شيئًا في سبيل الله.. فقد منع الله سبحانه وتعالى عنهم الخير.. وأبقاه لأولاد رجل كان صالحا وتوفاه الله.. ذلك أن العمل الصالح للأب يبقى لأولاده في الدنيا وينفعهم.

وتأمل قارئي الكريم.. أليس في حياة موسى السابقة موقف مشابه قدم فيه عمل الخير وجلب المصلحة للناس ولم يفكر في الأجر الذي عاتب عليه العبد الصالح عندما بنى الجدار ولم يتخذ عليه أجرًا.. لقد رفع موسى - وكان معروفًا بالقوة والمنعة - الحجر عن بئر مدين وسقى الغنم لابنتي العبد الصالح في سورة (القصص) وأغلب المفسرين يقولون إنهما ابنتا سيدنا شعيب عليه السلام.. ولكن اتضح فيما بعد.. وبعد فترة ليست بالطويلة أن في عمل الخير هذا.. الخير العميم لسيدنا موسى حيث تقاضى أجره الذي لم يطلبه من تقرير كلام سيدنا شعيب بالزواج من إحدى ابنتيه على أن يأجره ثماني حجج، فسبحان مقدر الأقدار، وعالم الأسرار.. وما نحن إلا كالواقفين وراء الأستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار - وكأننا نردد ما قاله النبي المختار: «لو صبر أخي موسى»، نعم.. لو صبر.. لعلمنا الكثير مما تخفيه كهوف الحياة.. التي تواري الحقائق عنا.

ولقد تعلمنا من هذه القصة تلك الخلاصة: أن على الإنسان ألا يغتر بظواهر الأشياء.. وأن يعلم أن هناك حقائق مخفية.. وليعلم كل إنسان أن كل قدر قد يقع عليه ليس له فيه اختيار.. فيه حكمة.

والحكمة ليست دائمًا ظاهرة.. ولقد حاول العبد الصالح (الخضر عليه السلام) الإصلاح وفق علم الله.. وتقديره..﴿وما فعلته عن أمري﴾.. ونحن هنا.. نتأمل ونتعلم.

فساد الهواء وإصلاحه في التراث الطبي العربي القديم

د. محمود مهدي محمود

في الوقت الذي تتسابق فيه الدول الصناعية على مضاعفة الإنفاق على البحث العلمي بهدف التوصل إلى مبتكرات حديثة، ومخترعات جديدة تلبي لإنسان هذا العصر حاجاته، وتحقق له طموحاته، فإنها في الوقت ذاته تنفق بقدْر مساو أو يزيد على معالجة الآثار السلبية لهذا التقدم بيئيًا وصحيًا، فالمحركات وآلات المصانع ومحطات توليد الطاقة تخلّف ملوثات سائلة وصلبة وغازية، وانبعاث مركبات الكلوروفلوركربون المستخدمة في أجهزة التبريد، كالثلاجات والمكيفات، وبخاخات مزيل العَرَق والمبيدات، والهليوم، وأكاسيد النيتروجين، والتجارب النووية، وعوادم المركَبات، وحرق القمامة والمخلَّفات الزراعية، كل ذلك وغيره أدَّى إلى تلوث الهواء وحدوث ثقب في طبقة الأوزون، مما يمكن أن يترتب عليه نفاذ كمية أكبر من الأشعة فوق البنفسجية، وبالتالي تَزداد الإصابة بأمراض سرطان الجلد، وتسمم الدم، والشيخوخة المبكرة، وضعف الجهاز المناعي، ونقص المحاصيل الزراعية، وإصابة الثروة الحيوانية بالأمراض، والتهديد بغرق اليابسة عند ذوبان الجليد نتيجة زيادة الاحتباس الحراري.

وقد يظن البعض أن تلوث الهواء أحدُ الآثار السلبية للثورة الصناعية الحديثة، لكنه في حقيقة الأمر شيء قديم يضرب بجذوره في أعماق الماضي، بل يمكن القول إنه وُجِد مع الإنسان، وإن اختلفت أسبابه ومظاهره ونتائجه كمًّا وكيفًا عن حاضرنا.

ولما كان الهواء أحدَ أهم عناصر حياة جميع الكائنات البشرية والحيوانية والنباتية في كوكبنا هذا، فقد أوْلاه العلماء على مر العصور أهمية بالغة، وتناولوا بالدرس والبحث أسباب فساده (تلوثه) وآثاره، ووسائل إصلاح هذا الفساد؛ لما له من أثر فاعل في حفظ الصحة الموجودة، وجلب المفقودة.

والعلماء العرب ورثوا عن اليونان نظرية العناصر الأربعة، والتي تفيد أن جميع الأشياء بما في ذلك جسم الإنسان مكوَّنة من عناصر أربعة هي: الماء والهواء والتراب والنار، وبما أن الإنسان قد خُلق من هذه العناصر، فهو في حاجة إليها في بقائه على قيد الحياة، وسلامته من الأمراض. وأدرك العلماء أن المخاطرَ الناجمة عن تلوث الهواء أشدُّ فتكًا بالإنسان من مخاطر فساد الغذاء والماء؛ لأن الإنسان لا يستطيع الامتناع عن التنفس إلا لدقائق معدودة، ويمكنه الاستغناء عن الطعام لأيام، ولأن الهواء الفاسد إذا وصل للرئتين يصعب تخليص الجسم من آثاره، بعكس الطعام الفاسد الذي يمكن تدارك خطره بالاستفراغ وتنظيف المعدة. وأَوْلَى العلماء التجمعات

> **علماؤنا القدامى قسموا الهواء وفقا لصفاته الفيزيائية .. ولا يزال العلم الحديث يستخدم تقسيمهم هذا**

السكانية عنايتهم من حيث مراعاة الشروط البيئية الصحيحة عند إنشاء تجمعات جديدة، والتي من أهمها جودة الهواء، فالرازي كان في جملة من حضروا اجتماعا مع عضد الدولة ليستشيرهم في موضع بناء بيمارستان (١)، وحدد كل واحد من الحاضرين موضعا، إلا الرازي فإنه لم يتعجل الرأي، لكنه أمر بعض غلمانه أن يعلّق في كل ناحية من جانبي بغداد قطعة من اللحم، ثم اختار الجهة الصالحة بيئيًّا وهي التي لم يسرع فيها الفساد إلى اللحم؛ لأنها أنقى هواءً وأعدل حرارةً (٢).

وابن سينا يحدد معايير البيئة الصحية الصالحة للإقامة فيقول: «وينبغي لمن يختار المساكن أن يعرف تربة الأرض وحالها في الارتفاع والانخفاض، والانكشاف والاستتار، وماءها وجوهر مائها، وحاله في البروز والانكشاف، أو في الارتفاع والانخفاض، وهل هي معرَّضة للرياح أو غائرة(٣) في الأرض،



ابن سينا أدرك أن التربة والبحار والبطائح والجبال ومناجم المعادن تؤثر في الهواء سلبا أو إيجابا

ويعرف رياحهم. هل هي الصحيحة الباردة، وما الذي يجاورها من البحار والبطائح(٤) والجبال والمعادن، ويتعرف حال أهل البلد في الصحة والأمراض، وأي الأمراض يعتادهم؟، ويتعرف قوام هضمهم وجنس أغذيتهم، ويتعرف حال مائها، وهل هو واسع منفتح أو ضيق المداخل مخنوق المنافس تميج(٥)؟ بأن يجعل الكوَى(٦) والأبواب شرقية شمالية، ويكون العمدة على تمكين الرياح المشرقية من مداخلة الأبنية، وتمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها، فإنها هي المصلحة للهواء»(٧).

فابن سينا أدرك أن التربة والبحار والبطائح والجبال ومناجم المعادن تؤثر في الهواء سلبا أو إيجابا، وحثَّ على أن تكون نوافذ البيوت وأبوابها إلى جهتي الشرق والشمال لما في الأولى من استقبال للشمس في شروقها ونفوذ أشعتها إلى داخل البيوت فتعمل على إصلاح الهواء، ولما في الثانية من قدوم الهواء المعتدل، وهي ملاحظا ت أقر بها العلم الحديث.

وقد قسم العلماء القدامى الهواء قسمين:

١ - «الهواء النقي»: وعرَّفوه بأنه ما كان نقيًّا صافيًا لطيفًا لذيذَ الرائحة، لا يخالطه بخار، وليس ببارد يقشعر منه البدن، ولا حار يعرق منه، سريع التغيير إلى الحر عند طلوع الشمس عليه، ويعود إلى حاله الأُولى عند غروبها عنه. ويضيف ابن سينا إلى صفات الهواء النقي: «وهو مكشوف للسماء، غير محقون(٨) للجدران والسقوف، اللهم إلا في حال ما يصيب الهواء فساد عام فيكون المكشوف أقبل له من المغموم والمحجوب، وفي غير ذلك فإن المكشوف أفضل»(٩). فابن سينا يرى أن الهواء الطلق أفضل من هواء الأماكن المغلقة، إلا إذا صار الهواء الطلق مُلوَّثًا وَبَائيًّا فيكون هواء الغُرَف المغلقة أفضل.

٢- «الهواء الفاسد» الملوَّث: وهو ما خرج أحد عناصره عن حد الاعتدال إلى حر أو برد أو رطوبة أو يبس، أو خرج في جملة طبعه عن هذا الحد فصار وبائيًّا، أو كان وَمِدًا راكدًا محتقنًا(١٠)، أو كان كَدِرًا مخالطا للأجسام الغليظة كالأبخرة والأدخنة(١١).

ويرى الرازي أن النقي هو أصلح أنواع الهواء، وأن الفاسد شرها لغِلَظه(١٢)، ولشدة حره واحتقانه ولعدم قدرة الرياح على اختراقه، فصار كأنه يقبض على الفؤاد ويمسك النفس، وعَدَّ هذا الهواء وبائيًّا(١٣). وواضح أنهم قسموا الهواء الفاسد قسمين: فاسد غير وبائي، وفاسد وبائي.

وهذان التعريفان للهواء قريبا الدلالة من المفهوم الحديث للهواء النقي والملوَّث؛ فهما يعتمدان على وصف للصفات الفيزيائية للهواء، فإن كانت سويَّة فالهواء نقي، وإن كانت غير سويَّة فالهواء ملوث. ولايزال العلم الحديث يستعمل هذا التفريق حتى الآن اعتمادا على وصف التغيرات الفيزيائية للهواء، حيث عرفت المواد الملوثة للهواء بأنها المواد التي تؤدي إلى تبدُّل مَا في خواصه الفيزيائية والكيميائية، أو هي كل مادة إذا وجدت بتركيز معين في الهواء نتج عنه أثر ضار على الكائنات البشرية أو الحيوانية أو الأجسام الأخرى(١٤).

أسباب فساد الهواء:

نظر العلماء إلى البيئة حولهم وربطوا بينها وبين ما فيها من تغيرات، وَأَثَر هذه التغيرات في الهواء، واستطاعوا الوَقوف على عدة أسباب لها دور رئيس في فساد الهواء، وهي:

١ - الانقلابات الفصلية، وتغيير فصول السنة عن مناخها الأصلي إلى كيفية غير محتملة حتى يفسد بسببها الزرع والنسل، كارتفاع الحرارة الشديد في الشتاء، وشدة البرودة ونزول المطر صيفًا، وزيادة الحرارة والرطوبة خريفًا.

٢ - تلوث الهواء بالأبخرة الرديئة المنبعثة عن الثمار أو البقول العفنة، كالكُرنب والجرجير، والأشجار الخبيثة الجوهر كالجوز والشوحط(١٥)والتين.

٣ - الأبخرة المنبعثة عن الزبول، والأقذار والروائح العفنة كرائحة جثث الموتى والقتلى، وجثث الحيوانات النافقة.

٤ - الأنهار الطويلة المجاورة للمدن، والمستنقعات، ومجاري المياه المستعملة والحمَّامات والآجام(١٦).

٥ - ارتفاع البلدان وانخفاضها، ومجاورتها للجبال والبحار، والجهات الأربع التي يأتي منها الهواء، ونوع تربة الأرض.

٦ - التنفس في جو مغلق دون تغيير الهواء.

وبتأمل ما ذكره العلماء من أسباب لفساد الهواء اتضح أنها صحيحة بنسبة كبيرة؛ فالتغير الفصلي، والتغيير الشديد المفاجئ في المناخ كحرارة ورطوبة شديدتين في الشتاء أو مطر وبرد قارس في الصيف، كل ذلك يمثل بيئة صالحة لنمو الجراثيم. والبقول الرديئة تنبعث عنها روائح كريهة وغازات فاسدة يتأثر الهواء بها ويفسد، وليس بخاف على أحد ما ينتج عن الزبول والأقذارَ المتراكمة وجيف الحيوانات النافقة من روائح وغازات تُفْسِدُ الهواء وتنشر الأمراض، وكثيرًا ما تتسبب الأنهار بفيضاناتها في فساد الهواء من جراء ارتفاع نسبة الرطوبة، ومن تحلل المواد العضوية التي يجرفها الفيضان معه، كما أن قرب البلدان من المستنقعات والآجام التي تنبت بها نباتات مائية كثيفة يصعب على الهواء أن يتخللها تنبعث عنها غازات وأبخرة فاسدة. وعدم تجديد هواء الغرف يؤدي إلى ارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون القاتل. فهذه بالفعل أسباب ذات أثر جلي في فساد الهواء.

أثر الهواء الفاسد -غير الوبائي- في الصحة وكيفية إصلاحه

وجد العلماء أن خروج الهواء عن معدَّله الطبيعي إلى حر شديد: يحلِّل ويرخي البدن، ويكثر العَرَق، ويقلل إفراز البول، ويضعف الهضم، ويعطِّش ويحدر الغذاء فجأة. وهذا يصلحه التعرض للهواء الشمالي البارد، واستعمال الخيوش المضاعفة(١٧) التي قد رشت بماء الورد والأراييح الباردة، والمياه العذبة، والبَخور.

وإن خرج إلى البرد بإفراط أضعف الحرارة الغريزية(١٨). وهذا يصلحه الاستحمام، وتدفئة البيوت بفحم الغضا(١٩) والأخشاب الخالية من الأدخنة الرديئة، ويضوع(٢٠) فيها البخورات الحارة كالنّد الذي يقوِّي القلب وينفع من السموم.

وإن خرج إلى رطوبة مفرطة عفَّن الأخلاط(٢١)، وكدَّر الأرواح، وأحدث رهلا(٢٢). وقد يصلحه البخور بالصندل والكافور، وشم ماء الورد، ورش الأماكن بماء الورد والخل، واستعمال الرُّبوب(٢٣) الحامضة.

وإن خرج إلى اليبس المفرط جفف الأبدان، وولَّد فيها المِرَار(٢٤)، وأحدث الحميَّات الحارة، وغير ذلك من الأمراض اليابسة، وقد يصلحه البقاء في المواضع العذبة المياه.

الهواء الوبائي

عُرِّف الهواء الوبائي بأنه ما خرج عن حد الاعتدال في جملة طبعه.أي إن جميع صفاته قد نالها الفساد، فصار وبائيا ناقلا للأمراض كالجدري والطواعين والحمى الوبائية(٢٥). وقد تنبه العلماء لحقيقة مهمة وهي أن الغذاء والشراب لا يمكن أن يكونا سببا في الأمراض الوبائية العامة، وإنما يستطيع الهواء أن يفعل ذلك لعمومه ودوام استنشاقه. يقول التميمي(٢٦): والأمراض العامية أكثرها حدوثًا إنما يكون من أجل الهواء المحيط بالأبدان، وذلك أن المرض العام على أهل مدينة معًا أو على أهل بلد من طعام عام ليس هو مما يتفق كثيرا، وكذلك لا يكاد يكون المرض العام من شراب عام، ولا من تعب عام، فأما الهواء المحيط بالأبدان فإنه متى أفرطت فيه الحرارة أو البرودة أو اليبس أو الرطوبة فإنه يكدر ويفسُد فيُفْسِد اعتدال أمزجة الأبدان التي هي عماد الصحة، فأما الأسباب الأخر فإنها ليست تستولي على جميع الناس كاستيلاء الهواء على أبدانهم، ولا هي مما يدوم ملاقاة الأبدان ليلا ونهارا، فأما الهواء فإنه وحده دون سائر تلك يحيط بجميع الأبدان، ولسنا ننفك من اجتذابه بالاستنشاق في حال التنفس(٢٧).

إصلاح الهواء الوبائي

رأى الأطباء أن هناك مجموعة من التدابير العلاجية والوقائية الواجب اتباعها عند حدوث الأوبئة العامة والتي يساهم الهواء في انتشارها ونقلها، وأهم هذه التدابير الحَجْرُ وعدم الاختلاط، وذلك بإنشاء السراديب اليابسة، والتي تُطَهَّر بالخَلّ ويطيب هواؤها بالبخور باللُّبَان وورق الآس والُسعْد والصَّنْدَل والكافُور، ورشِّ الأماكن بالخلاف والآسَ وماء الورد. ويجعل فيها الأُتْرُجُّ. وحرصوا على وصف الغذاء المناسب لهذه المرحلة، وهو أن يكون غذاءً سهل الانهضام، خاليًا من الشحوم كلحوم الفراريج والطياهيج

(٢٨) وما شاكل ذلك، ولتكن متَّخَذَةً بماء السُّمَّاق أو ماء الرُّمَّان أو ماء الأَنْبرباريس أو الحُمَّاض أو الحِصْرِم (٢٩) أو اللَّيْمُون.

وتشرب رُبوب الفواكه المُزة، كرُبِّ الحِصْرِم والسَّفَرْجَل واللَّيْمُون والأُتْرُج. ويؤكل من الفاكهة ما كان مزًّا، ليس بسريع الفساد، كالرُّمَّان والتُّفَّاح والكُمَّثْرَى والسَّفَرْجَل والإجَّاص. الحامض من ذلك والمُز. كما حذروا من التعرضِّ للحركة المتعبة، والجماع والامتلاء والأغذية الغليظةَ والرديئة كلحوم المواشي الكبيرة السنِّ. وضرورة اجتنَاب لحوم الماشية التي قد أصابها الوباء. كما أكدوا على اجتناب الفاكهة الحلوة والسريعة الفساد. والحلواء والأنبذة. وكلِ ما يزيد الأخلاط رداءةً، ويُحدث لها سرعة استحالة(٣٠).

كيفية تبريد الهواء وتطييبه

ولما كان الحر الشديد مقلقا مضجرا، يغير المزاج، ويثير الانفعالات، ويسرع بالمرء إلى الغضب والحِدَّة، وأن تبريد الهواء وتطييبه يُصْلِحَان كثيرا مما يعتري الإنسان من سيئ الصفات، فقد اتخذ العرب مراوح لتبريد الهواء وتطييبه صنعوها من خيوش الكتان، وذلك بأن تؤخذ خيشة مزدوجة على قدر الطنفسة(٣١)، حسب ضيقِ البيت وسعته، وتحشى بنبات فيه وقوفٌ وقلة انثناء كالحلفاء وشبهها، وتعلَّق في وسط البيت، ويُوكَل عليها مَن يجذبها من أعلى البيت ويرسلها بتوافق وتتابع، فتحمل ريحا كثيرة فتبرِّد هواء البيت، وربما أُنقعت بماء الورد فتطيِّب الهواء مع التبريد (٣٢).

وأخيرا فهاهو جهد علمائنا القدامى الذين أدركوا خطورة تلوث الهواء، وتعرفوا على مسبباته، ووقفوا على وسائل إصلاحه، ووقفوا على دور الهواء في نقل الأمراض للإنسان والحيوان، وساهموا وبفاعلية في تجنيب الناس كثيرا من مضاره، وجاء العلم الحديث ليقر بصحة كثير مما توصلوا إليه.

الهوامش

١ – مستشفى.
٢ – عيون الأنباء: ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د.عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢/ ١٣.
٣ – منخفضة عن وجه الأرض.
٤ – البطائح جمع بطيحة، وهي مكان متسع به حصى وتراب لين جرته السيول إليه.
٥ – الثميج: هو الذي اختلط بما يغير طبيعته.
٦ – جمع كُوَّة، ويقصد بها فتحات «نوافذ» التهوية والإضاءة.
٧– القانون ابن سينا، تحقيق: إدوار القش، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨/١٩٨٧: ١/ ٩٨.
٨ – المحقون هو المحبوس في المكان: ويقصد به هواء الأماكن المغلقة.
٩ – القانون:١/٨٨.
١٠ – المنصوري في الطب: الرازي، تحقيق: د.حازم البكري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ١٦٢. والهواء الومد هو هواء شديد الحرارة، عالي الرطوبة، ساكن لا يتحرك فيتجدد ويتلطف.
١١ – القانون: ١/٨٩. الهواء الكدر هو هواء غير شفاف يحجب أشعة الشمس لكثرة الشوائب الترابية والغازية والأدخنة العالقة به.
١٢ – يستعمل الرازي وغيره من العلماء الأوصاف الحسية عند وصف الهواء صلاحا وفسادا، فلما كان الهواء يصعب استنشاقه ودخوله للرئتين فوصفه بالغلظ.
١٣ – المنصوري في الطب: ١٦٢.
١٤ – حماية البيئة: رستم محمود، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٩: ١٢٦، ١٢٧.
١٥ – نبات ينبت بحضيض الجبال تتخذ منه القسي.
١٦ – الآجام جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف.
١٧ – الخيوش المضاعفة هي التي تركبت من أكثر من طبقة لتحتفظ بالبلل فترة طويلة، وتساعد ببلها على تخفيض درجة حرارة الهواء.
١٨ – الحرارة الغريزية: هي حرارة الجسم الطبيعية.
١٩ – الغضا نوع من النبات صلبة الأخشاب، ذات نار حارة، ضرب المثل بجمره لذكائه وخلوه من الدخان والروائح الكريهة.
٢٠ – يضوع: تفوح رائحته وتنتشر.
٢١ – المراد الأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والصفراء والسوداء التي يمثل اعتدالها في الجسد حالة الصحة التامة، واختلال نسبتها في الجسم تؤدي إلى حدوث الأمراض.
٢٢ – أي استرخاء وضعفا.
٢٣ – الربوب: جمع رُبّ، و هي هلام الفواكه الذي قد يخلط ببعض المواد الدوائية، أغلبها يمسك الطبع، وينفع الحميات وغيرها من الأمراض.
٢٤ – المرار جمع مِرَّة، وهي مواد تفرزها بعض أعضاء الجَسم كالكبد والطحال، وزيادتها أو نقصها يؤثر في الجسم سلبا.
٢٥ – بغية المحتاج في المجرب من العلاج: داود الأنطاكي، تحقيق: محمد رضوان مهنا، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، بدون تاريخ: ٣٥٦.
٢٦ – هو محمد بن أحمد بن الخليل التميمي المقدسي، عالم بالطب ومؤلف فيه ومبتكر العديد من الأدوية، ومصلح كثير منها، توفي في نهاية القرن الرابع تقريبا. نهاية الأرب: النويري، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥: ١٢/١.
٢٧ – مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء: التميمي المقدسي، تحقيق: يحيى شعار، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩: ١٢٠.
٢٨ – جمع طيهوج، وهو طائر من رتبة الدجاج، معتدل الحر، يعقل الطبع، ينفع الناقهين.
٢٩ – السماق: شجر من الفصيلة البطمية ينبت في المرتفعات والجبال، تستعمل أوراقه دباغا، وبذوره تابلا، والأنبر باريس: حب حامض منه مدور أحمر سهل، ومنه مستطيل، والحمّاض نبت جبلي من عشب الربيع ورقه عريض شديد الحمض يأكله الناس، والحصرم الثمر قبل النضج وأول العنب مادام أخضر.
٣٠ – منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان: ابن جزلة، تحقيق د. محمود مهدي، معهد المخطوطات العربية، ٢٠١٠: ٨١٢.
٣١ – الطنفسة: بساط له مُخْمَل يقعد الناس عليه، وتشبه السجادة في وقتنا هذا.
٣٢ – مفيد العلوم ومبيد الهموم: ابن الحشاء، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب،١٩٤١: ٤٢.



القرآن الكريم والمشترك اللفظي

د. أحمد عزوز

المشترك اللفظي يطلق على تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، أو بتعبير الإمام السيوطي هو: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثرِ دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة. مثلا كلمة «الخال» تطلق على أخ الأم وعلى الشامة. وكلمة «النوى» على البعد وعلى جمع النواة. وكلمة «العين» على العين الباصرة، وعلى عين الماء، وعلى رئيس أو وجيه القوم، وعلى الجاسوس، وعلى النقد والذهب، وعلى الشيء نفسه، وعلى معان أخرى غيرها.

ويقع المشترك اللفظي في الأسماء كلفظة «النكاح» تطلق على العقد كقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ (الأحزاب: ٤٩). وتطلق على الوطء كقوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ (البقرة: ٢٣٠). وفي الفعل كلفظ «عسعس» في قوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ (التكوير: ١٧) تطلق على الإقبال والإدبار. وفي الحروف، كحرف «من»، فإنه قد يأتي للابتداء كما في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ (الإسراء: ١)، وقد يأتي للتبعيض نحو قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ (البقرة: ٨)، وقد يأتي لبيان الجنس كما في قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ (الحج: ٣٠).

وقد اختلف أهل اللغة في أمره، فمنهم من قال بوقوعه في اللغة كالأصمعي والخليل بن أحمد وسيبويه وابن فارس وابن قتيبة وأبي عبيدة وغيرهم، وأفردوا مؤلفات خاصة سردوا له فيها أمثلة كثيرة، وهو عندهم سمة إيجابية ودليل على ثراء اللغة وطواعيتها ومرونتها واتساعها في التعبير. ومنهم من أنكر وجوده ووقوعه، لأنه عندهم طريق للإيهام والتعمية والغموض، ولذلك عملوا على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب، كأن يجعلوا إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة وفي المعاني الأخرى مجازا، وفي مقدمة هؤلاء المنكرين -وهم قلة- ابن درستويه. وفي هذا السياق قال السيوطي: «واختلف الناس فيه فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع ...».

ومن خلال دراسة ظاهرة المشترك اللفظي، تمكن العلماء من تحديد الأسباب التي تؤدي إلى نشأة المشترك اللفظي في اللغة العربية، وقد كان من أهم الأسباب التي ذكروها:

- تداخل اللغات واختلاف القبائل العربية، فقد يوضع اللفظ في قبيلة لمعنى، ويوضع لمعنى آخر في قبيلة أخرى، وعندما جمعت اللغة، أغفلت الإشارة إلى أن ذلك اللفظ بمعان متعددة عند كل قبيلة، وإن كان بعض المتقدمين قد تنبه إلى هذا الأمر، ومنهم أبوزيد الأنصاري حين قال: «الألفت في كلام قيس: الأحمق، والألفت في كلام تميم: الأعسر»، وقال الأصمعي: «السليط عند عامة العرب: الزيت، وعند أهل اليمن: دهن السمسم».
- ويرى آخرون أن المجاز والاستعارة سبب من أسباب نشوء المشترك، وليس هذا في العربية فقط، بل يشبه العربية في هذا الشأن كثير من اللغات الحية، لأن من الاستعارة كما يرى أولمان. إلحاق مدلول جديد بمدلول قديم، عن طريق العلاقة المباشرة بين المدلولين، وخاصة المشابهة، فكلمة «سيارة» في اللغة العربية . على سبيل المثال . تعني في الأصل القافلة، ثم

أكاديمي مغربي

استعيرت واستعملت بمعنى العربة الآلية التي تستخدم في نقل الناس والبضائع، وقد شاع استعمال الكلمة بهذا المعنى في عصرنا الحاضر حتى أصبح بمنزلة المعنى الأصلي لها، وهكذا كلمة «مبلغ» التي تعني في الأصل منتهى الشيء أو غايته، ثم استعملت بمعنى مقدار من المال. وقد غلب استعمال هذا المعنى لها في العصر الحاضر كما نرى حتى صار بمنزلة الأصل.

– اقتراض الألفاظ من اللغات الأخرى، فقد تكون اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، كلفظة «الحب» بمعنى الوداد وهو حب الشيء، وكذلك «الحب» الجرة التي يوضع فيها الماء. وهذا المعنى مستعار من الفارسية.

–التطور اللغوي جعل أحيانا لفظا يتفق مع لفظ آخر في النطق ولكنهما يختلفان في المعنى، وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «فكما تتطور أصوات الكلمات وتتغير، فقد تتطور معانيها وتتغير، مع احتفاظها بأصواتها. وتطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات، هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى.

ولنشوء المشترك اللفظي أسباب وتبريرات أخرى كثيرة ذكرها اللغويون العرب وغيرهم، يمكن الرجوع إليها في مظانها، وتفاديًا للإطالة والتكرار تجنبنا تعدادها والحديث عنها. كما أنه لا يعنينا في هذا المجال ذكر أسباب نشوء المشترك اللفظي بقدر ما يعنينا وجوده، وتهمنا وفرته وفاعليته في واقعنا اللغوي، ثم استغلاله كوسيلة من وسائل ثراء المعنى في القرآن الكريم.

وبالإضافة إلى هذه الأسباب، فإن الاشتراك اللفظي ضرورة لا تستغني عنها أي لغة من لغات العالم، لأن ألفاظ اللغة مهما كثرت تبقى محدودة من حيث الكم، في حين أن الأفكار والمعاني والأفعال والحركات والأعراض.. متجددة متطورة متنامية لا حدود لاتساعها.

إذن فالألفاظ والكلمات متناهية، والأفعال والحركات والأحوال والأعراض والهيئات التي يعبر عنها باللغة غير متناهية ولا تعد ولا تحصى، وما يتناهى لا يمكن أن يستوعب ما لا يتناهى، وبذلك فلا غنى للإنسان في تواصله ونشاطه اللغوي بمختلف أشكاله عن المشترك اللفظي، لأنه يتعذر وجود كلمة مستقلة خاصة بكل شيء يتداوله الناس.

وهذه حقيقة كشف عنها قديما الراغب الأصفهاني عندما قال: «الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني، لكن ذلك لم يكن في الإمكان، إذ كانت المعاني بلا نهاية، والألفاظ مع اختلاف تركيبها ذات نهاية، وغير المتناهي لا يحويه المتناهي، فلم يكن بد من وقوع الاشتراك في الألفاظ»، ولقد عبر عن هذه الحقيقة التي كشف عنها الراغب الأصفهاني أحد الدارسين المحدثين عندما رد قدرة الكلمة الواحدة إلى التعبير عن مدلولات متعددة إلى أن ذلك «خاصية من الخواص الأساسية للكلام الإنساني»، لأن اللغة «في استطاعتها أن تعبر عن الفكر المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة».

لكن إذا قال قائل: إن لغة من اللغات غنية عن الاشتراك، فيلزم من قوله هذا أن يكون لكل معنى من المعاني غير المتناهية كلمة دالة عليه، وحينئذ يلزم أن تكون الكلمات والألفاظ غير متناهية، وهذا أمر صعب ومستحيل ولا يمكن لأحد أن ينكره. ثم إن لغة من اللغات بتلك الألفاظ والكلمات التي تتسع لجميع أمور الحياة إنما تكون. كما قال أحد الباحثين . لقوم انتشروا في جميع أرجاء العالم و زاولوا جميع الأعمال والأحداث وأنى ذلك القوم؟

وعلى هذا الأساس لابد من الاشتراك ولا غنى عنه لمستعملي اللغة، ولا ينكر ذلك إلا معاند أو مكابر، واللغة العربية كغيرها من اللغات لا غنى لها عن الاشتراك اللفظي الذي شغل فيها حيزا كبيرا.

والقرآن الكريم باعتباره كتاب الله عز وجل المنزل باللغة العربية، وعلى عادة العرب وطرائقهم في التعبير.. قد ورد فيه طائفة من الألفاظ المشتركة عني بجمعها وتصنيفها مجموعة من العلماء. وكان ذلك سببا من أسباب اختلاف المفسرين والفقهاء وعلماء الأصول في تأويل كثير من النصوص القرآنية، وقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف في الاستنباط وتقرير كثير من الأحكام الفقهية. لذلك حظيت هذه الظاهرة، أي ظاهرة وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم بعناية كبيرة من لدن المتقدمين، وعرفت باسم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، قال الزركشي: «فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ «الأمَّة»، والنظائر كالألفاظ المتواطئة».

بل الأكثر من ذلك أن الإمام السيوطي عد وجود الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم من أعظم مظاهر إعجازه «حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر».

وكأنه يشير بذلك إلى قابلية اللفظ القرآني وقدرته على تحمل معاني متعددة. فهو إذن وسيلة من وسائل التوسع في التعبير عند العرب، وسبب من أسباب توفير معاني القرآن الكريم، وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى تعامل بعض العلماء مع هذه القضية.

ابن جرير الطبري: يذهب الطبري إلى وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم، ويعتبره وسيلة من وسائل التوسع في التعبير، وظاهرة لغوية مطردة في كلام العرب فيقول: «فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا

الدلالة على معان كثيرة مختلفة؟ قيل: كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، نحو قولهم للجماعة من الناس: أمة، وللحين من الزمان: أمة، وللرجل المتعبد المطيع لله: أمة، وللدين والملة: أمة».

ولكن الطبري يرجح معنى معينا على معنى آخر إذا دل السياق على ذلك، وفي هذا السياق يقول في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة: ٤)، والدين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال... وللدين معان في كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء، سنذكرها في أماكنها إن شاء الله.

الشريف المرتضى: ويذهب الشريف المرتضى أيضا إلى القول بوجود معاني متعددة للفظ الواحد، وفي هذا الصدد يقول: «ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب، لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني».

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ومن المعاصرين انتبه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى هذا الأمر وأصله وخصص له المقدمة التاسعة من مقدمات تفسيره، وذلك ليكون قانونا يسار عليه في الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون، أو ترجيح بعضها على بعض، وفي هذا السياق يقول: «وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا الأصل، فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن يجعل غير ذلك المعنى ملغى. ونحن لا نتابعهم على ذلك، بل نرى المعاني المتعددة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع الكلام العربي البليغ، معاني في تفسير الآية».

فعند ابن عاشور إذا ذكر في تفسير آية من الآيات معنيان فأكثر، فذلك على هذا القانون، وإذا ترك معنى من المعاني فليس تركه دالا على إبطاله، ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره، وقد يكون اكتفاء بذكره في تفاسير أخرى تجنبا للإطالة.

تطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات أنتج كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى

الأستاذ محمد خليل جيجك: ويقسم الأستاذ محمد خليل جيجك المشترك الذي يستعمل في القرآن الكريم إلى قسمين اثنين:

أحدهما: ما لا يتبادر إلى الذهن ولا يصح بحسب المقام إلا واحد فقط وهو الغالبية العظمى في مشترك القرآن.

ثانيهما: ذلك اللفظ الذي فيه حسب وضعه اللغوي اشتراك بين المعاني المتعددة، والمقام لا يأبى عن أن يحمل على أحد تلك المعاني.

وبتعبير آخر فإن المشترك في القرآن الكريم قسم منه يوجد معه القرينة المعينة لأحد المعاني فيحمل عليه لا غير، وهذا القسم ليس من مجال بحثنا. وقسم منه لا توجد معه قرينة تدل على معنى الكلمة، فيحمل على ما يساعده المقام من وجوه المعاني، وهذا القسم هو الذي نحاول أن نعالجه في هذا الموضوع.

لقد دفع وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم بهؤلاء العلماء إلى المزيد من الاهتمام به، والتوجه إلى الخوض في مناقشة ما يتعلق منه بألفاظ القرآن. وإتماما للفائدة لابد من الإشارة إلى بعض الأمثلة من القرآن الكريم لتكون نموذجا نستنبط به ونقيس عليه حكم سائر المواطن التي يسبب فيها الاشتراك اللفظي تعدد المعاني.

المثال الأول قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد: ٢٠).

يجوز أن يراد بالكفار الزراع، جمع كافر، لأنه يكفر الزريعة بتراب الأرض، والكفر بفتح الكاف: الستر، أي ستر الزريعة. قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «وإنما أوثر هذا الاسم في الآية، وقد قال تعالى في سورة الفتح ﴿يعجب الزراع﴾ قصدا هنا للتورية بالكفار الذين هم الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابا بمتاع الدنيا إذ لا أمل لهم في شيء بعده».

ويجوز أن يراد بالكفار في الآية الكافرون بالله لأنهم قصروا إعجابهم على الأعمال ذات الغايات الدنيا دون الأعمال الدينية.

فكلمة «الكفار» مشترك لفظي، وذكر في الآية وهو صالح لأن يراد به المعنيين معا: الزراع والكفار الذين هم الكافرون بالله.

المثال الثاني قوله تعالى: ﴿فأصبحت كالصريم﴾ (القلم: ٢٠) قيل الصريم الليل، وقيل النهار لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر، وقيل الصريم الرماد الأسود بلغة خزيمة، وقيل اسم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا.

يتجلى لنا من خلال هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أتى بكلمة «الصريم» هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية.

المثال الثالث قوله تعالى: ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ (البقرة: ٦١).

يجوز تفسير كلمة الفوم في الآية

بالخبز، ويجوز أن تفسر بالحنطة، وهي المشهورة، فقد سئل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن قوله عز وجل «وفومها» فقال: الحنطة، وأنشد قول الشاعر

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا

ورد المدينة عن زراعة فوم

يعني الحنطة. ويجوز أن يراد بها الثوم، والشاهد هو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وأنتم أناس لئام الأصول

طعامكم الفوم والحوقل

أي الثوم والبصل، وقيل: الفوم السنبلة، وقيل: الفوم جميع الحبوب التي يمكن أن تخبز كالحنطة والفول والعدس ونحوه.

فإيثار كلمة الفوم في الآية كان لكثرة معانيها، ولو أتى الله عز وجل بدلها بكلمة أخرى كالثوم أو الحنطة مثلا، لما جاز حملها على كل تلك الوجوه.

المثال الرابع قوله تعالى: ﴿وسيدا وحصورا﴾ (آل عمران: ٣٩) قال جمع من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم: الحصور الذي لا يأتي النساء. وقيل: الحصور الذي لا يولد له ولا ماء له. وقيل: الحصور المعصوم من الذنوب، أي لا يأتيها كأنه حصور عنها. وقيل: الحصور هو الذي يمنع نفسه من الشهوات. وقيل: الحصور هو الذي ليس له شهوة النساء.

يتضح لنا أيضا أن الله عز وجل لو أتى بكلمة أخرى بدل كلمة حصورا لما تأتى الإتيان بكل هذه الوجوه أو بعضها، فإيثار كلمة «حصورا» في الآية الكريمة جاء لكثرة معانيها وصلاحية كل تلك المعاني لأن تراد في الآية.

المثال الخامس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ونهر﴾، فكلمة «نَهَر» لها دلالات متعددة، منها السَعة في الرزق والمعيشة. ومنها أيضاً الضياء، لأن الجنة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلألأ. ومن معاني النَهَر في اللغة أيضاً مجرى الماء.

الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعنى لكن ذلك عسير .. فالمعاني كثيرة والألفاظ محدودة

فالآية تحتمل كل هذه المعاني وهي كلها مرادة. فالذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه في ضياء وماء وسعة في العيش والرزق وكل ما تقتضيه السعادة.

فكلمة «نهر» إذن مشترك لفظي، وقد ذكر في الآية، لأنه صالح لأن تراد به كل المعاني المذكورة. وهذا من التوسع في المعنى.

نكتفي بهذه الأمثلة لتكون نموذجا لنا ونبراسا نهتدي به إلى سائر المواطن الأخرى التي يسبب فيها الاشتراك اللفظي كثرة المعاني وتعددها.

والخلاصة، فإن كل ما قررناه في هذا الموضوع إنما هو أن يحمل المشترك في القرآن الكريم على ما يحتمله من المعاني سواء في ذلك اللفظ المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية، محضة أو مختلفة. ونعتقد أن هذا لا يتأتى إلا للأفذاذ من أهل البلاغة والفصاحة الذين لهم باع طويل في البيان والمعاني.

وإذا نظرنا إلى كتاب الله عز وجل من هذه الناحية، فإننا نراه يستعمل أشمل الكلمات في لغة العرب لمعان عديدة مقصودة، وبذلك تكثر معاني القرآن الكريم مع الإيجاز، وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر، ودلالة على أنه كلام ربنا العليم الذي يعلم السر وأخفى وخلق اللفظ والمعنى، فلا يخفى عليه من أمرهما شيء.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط ٣/ ١٤٠٤ هـ. ١٩٨٤ م.
٣ - تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢ / ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.
٤- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس.
٥ - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع الدكتور عبد السند حسن يمامة، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر، ط ١ / ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م.
٦ - تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢/ ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
٧- ثراء المعنى في القرآن الكريم للدكتور محمد خليل جيجك، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط ١/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٨- دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط ٤ / ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧م.
١٠- فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٦ / ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩م.
١١- في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.
١٢- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
١٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. القاهرة. ط ١.
١٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ١ / ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م.
١٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨م.
١٦- مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، المطبعة الجمالية، مصر، ط ١/ ١٣٢٩هـ.

جماليات المكان في القرآن الكريم

محمد أحمد عبدالجواد



إن المكان بوصفه حقيقة كونيةٍ يدركها الإنسان خلال حياته اليومية لم يقف عند كونه مدركا بصريًا ساكنًا، بل شغل المفكرين والفلاسفة، وعلى الرغم من غلبة صفة السكون والاستاتيكية على المكان عند هؤلاء في قديم الزمان؛ إلا أن الفن عمومًا والسردي منه بخاصة منح المكان فعالية واضحة، وخاصة في عصرنا الحاضر..

فرحلة المكان في درب الفن السردي متطورة نامية منذ القديم؛ حيث إن المكان في النص القديم ليس موصوفًا ولا مطروحًا على الوعي، وهو محايد حسيًا، مراد لغيره، وقد بدأ يحتل مساحة فنية، بوأته البطولة المطلقة في بعض الأعمال الفنية، وكان من أهم سماته أنه مطروح على الوعي، فدلالته دلالة حدث، مراد لذاته، مرشح للمعالجة الحسية بصريًا أو سمعيًا، وهذا الدور المتنامي جعل النقاد يعتبرونه قديمًا مجرد خلفية للحوادث والشخصيات(١).

ولكن، هل هناك علاقة متبادلة بين جماليات المكان في العمل الأدبي السردي وبين جماليات المكان في القرآن؟ وهل المكان كتقنية في العمل الأدبي هو هو المكان الذي عني القرآن بوصفه كمحددات مكانية وجغرافية أو فضائية، أم أن حدود المكان في القرآن تختلف عن الرواية في أنها وصفت بصورة أشمل وأوسع لكي تصل إلى أغوار الأرض وأجواز السماء، وإلى ما وراء الطبيعة؟

وبعد النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته لقيت من أمري عجبًا، فالقرآن يحوي كثيرًا من الآيات التي تتحدث عن الأماكن، سواء ما ينطبق عليه مصطلح الحيز الجغرافي في العمل السردي الذي يعني إعطاء المكان حدودًا جغرافية بعينها، فلا ينطلق الكاتب خارج هذا الحيز، بل يتقيد بعاداته وتقاليده وظلاله التي يرسمها له منذ البداية، وعلى غراره وجدت في القرآن، ولا أدل على ذلك من تسمية بعض سور القرآن بأسماء أمكنة تاريخية بعينها، مثل: الكهف، الطور، الأحقاف، الحجر، الحجرات، سبأ.

أو ما ينطبق عليه مسمى الحيز المفتوح، الغير محصور بحدود، والذي يتم عرضه من خلال اللغة ومفرداتها كالحديث عن السماء والأرض والجبال والجنة.

إذن فجماليات المكان في القرآن ربما تتفق في كثير من الأحيان مع جماليات المكان في النصوص الأدبية في تقنياتها وما فيها من تراكيب وحرص على إبراز الصورة البارعة والتعبير الأدبي، بل يمكن القول إن جماليات المكان في القرآن الكريم أقدر على السبق والمنافسة في الدراسات الأدبية؛ لا باعتبار القرآن كلام الله فحسب، بل بجانب المشاركة في تقنيات العمل السردي الأدبي اعتبار الإعجاز البياني أبرز صفات وسمات جمالية المكان في القرآن؛ فمنهج القرآن في عرض آيات المكان يأتي متمايزا من ناحية البناء البياني الذي يعد المدخل الرئيس للتذوق الجمالي والإحساس بالجمال الذي يعمل على استجاشة بواعث الاستمتاع بالمظاهر الكونية التي تصورها آيات الجمال.

ومصطلح الجمالية يعني تقديم أو دراسة أوجه الجمال في الشيء، وهو مصدر صناعي من «جَمُل».

أما في القرآن فالجمالية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه من خلال الموضوعات القرآنية المتعددة، والتي تشمل المفردة المنتقاة الصافية والتركيب الجزل والصورة البارعة والحكمة البليغة والمثل الثائر والقصة الواعظة والحوار الفني والتشريع السامي والتصور الكامل والتهذيب المربي.

وأبرز ما يميز الجمالية في القرآن عناصر الأداء التعبيري المناسب والذي يشمل التعبير الفني بألوانه وأنواعه وفق الدواعي النفسية والاجتماعية

● باحث إسلامي



والإعجازية وما يحويه من إيجاز وتصوير بالكلمة المعبرة والتركيب الموحي والآية أو الآيات المصورة في مشاهد حية ولوحات شاخصة وأحوال نفسية وذهنية(٢).

وعلى هذا المنهج سار القرآن في عرض آيات المكان، فجاء متمايزًا من ناحية:

١- البناء البياني الذي يعد مدخلا رئيسيا للتذوق الجمالي والإحساس بالجمال.

٢- من ناحية التركيب الفكري الذي يقصد به فيما يقصد إحياء العقل بتربية التفكير الحر، وبهذا يكتسب العقل ملكة التمييز النقدي أو التذوق النقدي.

٣- ومن ناحية الجانب الوجداني، حيث يعمل كل من المدخل البياني والتركيب الفكري على استجاشة بواعث الحب للجمال والاستمتاع الجمالي بالمظاهر الكونية التي صورتها آيات الكتاب الكريم(٣).

وقد يتساءل البعض: هل المكان في القرآن له خصوصية بحيث يعد هدفا بعينه عمل القرآن على إيضاحه وإبرازه كلما استلزم السياق ذلك؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

أولا: إن المكان في القرآن الكريم لم يمثل عنصرًا أساسيًا من عناصر السرد القرآني؛ وذلك لأن القرآن لا يهدف إلى تقديم عمل فني، بقدر ما يهدف إلى بيان العقائد والشرائع وسوق العبر والتذكرة...

ثانيًا: ينبني على ذلك أن المكان أو أحد تفاصيله عندما يأتي ذكره في القرآن يفسح المجال أمام الخيال لكي يكمل بقية التفاصيل والعناصر المتعلقة بالمكان..

ثالثًا: ومع ذلك فإن المكان في القرآن الكريم قد أتى على هذا النحو إلا أنه لم يغفله تماما، بل هناك إشارات تحفز المتأمل وتدفعه دفعًا نحو الالتفات إليها وتدبرها، فهناك أماكن بعينها أقسم الله سبحانه وتعالى بها، مثل قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد﴾.

قال أبوحيان في البحر: «أقسم بها لما جمعت من الشرفين؛ شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله ﷺ فيها وإقامته بها، فصارت أهلا لأن يقسم بها»(٤).

وهناك سور حملت أسماء أماكن مدن (الحجر، سبأ) وجبال (الطور) وأماكن خاصة (كالحجرات).

رابعًا: وأيضًا فإن القرآن الكريم لم يقف عند هذا الحد فإنه في كثير من المواضع ذكر المكان بمفهومه العام (المطلق)، فذكر سموات وأراضين وجنان وحدائق ذات بهجة، وألحق هذه الأماكن بأوصاف تلفت عين انتباه القارئ إلى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق هذه الأماكن وتحويلها من حالة إلى حالة، فاقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ (النمل: ٦٠).

وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر: ٢٧).

ففي الآية الأولى نجد أن التعبير القرآني (حدائق ذات بهجة) قد رسم لوحة فنية أدبية يعجز أي أديب أو فنان أن يصورها أو يرسمها.

وإذا عرفنا ما معنى كلمة بهجة في كتب المعاجم عرفنا سر الجمال في هذه الكلمة التي وصف بها القرآن هذه الحدائق التي تنبت على أثر نزول الماء من السماء.

فقد جاء في لسان العرب: البهجة: الحسن، يقال: رجل ذو بهجة، والبهجة: حسن لون الشيء ونضارته، وقيل: هو في النبات النضارة، وفي الإنسان: ضحك أسارير الوجه أو ظهور الفرح(٥).

واللفتة القرآنية الجمالية بلاشك لفتة حضارية ذات مضمون جمالي تنبه الوجدان إلى اهتمام القرآن بها في أزمنة متقادمة وبلد قاحل غير ذي زرع.

وهي بالتعبير القرآني ذات (بهجة)، أي أنها: نضرة بهيجة فرحة حية، تبهج العين برؤيتها والأذن بتغريد طيرها، والأنف بعبير أزهارها، واليد بلمس ثمارها، فيها من الألوان والأحجام والأنواع ما لا تبدعها لوحة واحدة جميلة تحس بها الوجدان والمشاعر، هي أقرب أن تكون طبيعية تروى بماء الأمطار.. (٦).

وفي الآية الثانية لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب تطوف بنا في الأرض جميعها، تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل

عوالمها؛ في الثمرات وفي الجبال وفي الناس وفي الدواب والأنعام، لفتة ربانية تجمع في كلمات قلائل بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا، تدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الذي يشمل الأرض ومفرداتها جميعًا.

وتبدأ اللفتة بإنزال المطر من السماء وإخراج الثمرات المختلفة الألوان في الأرض؛ لأن المعرض في ظاهره معرض أصباغ وشيات؛ فإنه لا يذكر هنا من الثمار إلا ألوانها؛ فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال(٧).

ثم ينتقل نقلة سريعة من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال فيقول: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾، والنقلة من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها لكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، بل إن فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك(٨).

«ومن»، أي ومما خلقنا من الجبال جدد، ولعله عبر عنها بذلك دون طرق إشارة إلى أن من غرابتها أنها لا تخلق ولا تضمحل ألوانها على طول الأزمان، والجدد جمع جدة –بالضم: الطريقة والعلامة، ولما كانت الطرق في أنفسها غير متساوية في المواضع في ذلك اللون الذي تلونت به قال سبحانه دالا على أن كلا من هذين اللونين لما يبلغ الغاية في الخلوص: (مختلف ألوانها)، وهي من الأرض، وهي واحدة(٩).

ولما قدم ما كان مستغربا في ألوان الأرض وهو الأبيض والأحمر أتبعه بما هو أقرب إلى الغبرة التي هي أصل ألوانها وهو الأسود، وأكده بغرابيب للمبالغة في سواده قال: (وغرابيب) أي من الجبال

جماليات المكان في القرآن الكريم أقدر على السبق والمنافسة في الدراسات الأدبية

الجدد أيضا سود، فقدم التأكيد لدلالة السياق، على أن أصل العبارة (وسود غرابيب سود) فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع ودل عليه بالثاني ليكون مبالغا في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار؛ لأن السواد الخالص في الأرض مستغرب.

ولم يقتصر اختلاف الألوان على الثمار والجبال، بل تعداه إلى الناس والدواب والأنعام، قال تعالى: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾؛ لما يربط بين هذه الكائنات من عرى وثيقة، ويبدو الارتباط واضحا بين إنزال الماء من السماء وبين الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات؛ ذلك لأن حياة جميع الكائنات مرتبطة بالماء ارتباط الروح بالجسد؛ إذ لا حياة لأي كائن إلا بالماء، ولكن الارتباط والعلاقة بين الماء والجبال من جهة وبين الجبال والثمرات والإنسان من جهة أخرى يكتنفه شيء من الغموض(١٠).

وذكر الجبال في الآية دون ذكر الأرض كما قال في موضع آخر ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ مع أن هذا الدليل مثل ذلك؛ لأن الله سبحانه لما ذكر في الأول ﴿فأخرجنا به ثمرات﴾ كان نفس إخراج الثمار دليل القدرة والإرادة؛ لأن كون الجبال في بعض نواحي الأرض دون بعضها، والاختلاف الذي في هيئة الجبال كون بعضها أعلى من بعض دليل القدرة والاختيار، ثم زاده بيانا وقال: ﴿جدد بيض﴾ أي مع دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها، كما أن إخراج الثمرات في نفسها دلائل، واختلاف ألوانها كذلك دلائل، والظاهر أن الاختلاف راجع إلى كل لون، أي بيض مختلف ألوانها، وحمر مختلف ألوانها؛ لأن الأبيض قد يكون شديد البياض، وقد يكون دون ذلك، وكذلك الأحمر، ولو كان المراد بالأبيض والأحمر اختلاف الألوان لكان ذلك مجرد تأكيد، ولذلك لم يذكر مختلف ألوانها بعد البيض والحمر والسود، وإنما ذكره بعد البيض والحمر وأخر السود الغرابيب لأن الأسود لما ذكر مع المؤكد وهو الغرابيب يكون بالغًا في السواد، فلا يكون فيه اختلاف(١١).

الهوامش

(١) انظر: استراتيجية المكان في السرد العربي، د/مصطفى الضبع، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر، ١٩٩٨م، عدد(٧٩)، ص٦٨.
(٢) انظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة، جدة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م، ص: ٤٣١، ٤٣٢، بتصرف.
(٣) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص: ٤٣٧-٤٤٠، بتصرف.
(٤) تفسير البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد العوضي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، ٨/ ٤٧٠.
(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٢/٢١٦، مادة (بهج).
(٦) انظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص ٣٤٨، ٣٤٩.
(٧) في ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ٥/٢٩٤٢.
(٨) السابق.
(٩) نظم الدرر، برهان الدين أبوالحسن البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م، ١٦/٤٥.
(١٠) الكون والإعجاز العلمي في القرآن، منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص١٧٩.
(١١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٢٦/ ٢٠، ٢١.

التراث التربوي العربي.. رؤية حضارية

د. بركات مراد

المنهجية القرآنية تغوص في أعماق النفس الإنسانية لتزيل الجهالات التي تعوق الإنسان عن معرفتها فطرة سليمة يمكن أن تعلق بها أوضار الخرافة والوراثة والتقليد والبيئة أحيانًا، فتكون حينئذ بأمس الحاجة إلى القوة المعينة والإشراقة الهادية لتتخلص من تلك الأوضار فتسلم بصيرتها وذكاؤها وتمتلئ بأحاسيس وإلهامات التوحيد القرآني عقيدة تسع الوجود الإنساني كله.

ومنهج المعرفة يسمو به القرآن أن يكون مجرد علم أو اطلاع، ولكن نواميس الكون طوع الإنسان بالتسخير الطبيعي وبسيادته على أسرار الخلق والإبداع، ويستوي في ذلك التأمل الفكري المحض وإخضاع الكائنات إلى تجربة الإنسان والإفادة منها إلى أقصى حدودها، وهي معرفة مستطاعة لكل مستويات العقل والإفهام- وبخاصة حين تبلغ الإنسانية رشدها وإشادتها بالعلم مقومًا هامًا في بناء الحضارة، ومن العجيب أن يغلب القرآن الكريم مفهوم العلمية إلى المنهج الواقعي في عالم الحس ويثمر منهجه حضارة علمية عبقرية خاضعة إلى منشئ القوانين الطبيعية وخالق النواميس الكونية، وفي تحرير العقل وثورته على المعبودات والتقاليد ودفعه إلى التأمل والتفكير، وربط العقل بالحس والتجربة، وآيات الكون ومصائر الأمم، وحقه في الاجتهاد، ما يعطي النفس الإنسانية أبعادًا تربوية بناءة.

والمناخ التربوي الذي أشاعه القرآن الكريم يقوم على العبادة وثمراتها في الخلق والسلوك، فمفهوم الحق والإيمان والثبات تؤصل التربية وتعمق جذورها في الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية، وتوسع قيم العبادة لتجعل منها علاجًا لانحرافات طارئة، وإنارة للحياة، ويقظة فكرية وعاطفية مستمرة، وتطورًا متعاظمًا نحو الأفضل، وتربية على القوة والعزة، وتحررًا من عبودية الأشياء والشهوات وتربية فردية وجماعية، مادية وروحية وعقلية متوازنة.

تنوعت وسائل النبوة في مخاطبة الناس على قدر عقولهم.. وهكذا نظر مفكرو الإسلام إلى التربية

لقد زخرت حياة الرسول الكريم ﷺ بالمثل القرآنية الحية التي تتجسد في حياته الشريفة وفي توجيهاته التربوية المتعددة الألوان والمعالم، ولا يغيب عن ذهن المثقف حثه على العلم وتفضيله، ووصاياه القولية وسننه العملية في فداء أسرى بدر بتعليم الأسير عشرة من أبناء الصحابة القراءة والكتابة، وأمره زيد بن ثابت تعلم السريانية وغيرها، وإيفاده البعثات التعليمية والوفود التربوية مثل قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وبن نويرة، وسعيد بن العاص، ومعاذ بن جبل... إلخ.

وتبعًا لذلك قال الشافعي: بعث في دهر واحد اثنا عشر رسولًا إلى اثني عشر ملكًا يدعوهم إلى الإسلام، وقد تحرى فيهم ما تحرى في أمرائه من أن يكونوا معروفين.. أضف إلى ذلك تنوع الأسلوب النبوي التربوي في القول الذي يشمل الحكمة القصيرة، والحوار الحيوي، والتمثيل المادي، والقصص الهادف، وفي الوسائل الحسية من رسوم وخطوط لإيضاح الأمور، وخط الرسول ﷺ في الرمل يمثل الأمل والأجل، وقريب منه استعمال يديه بالتشبيك وأنامله بالتقارب والتدوير في مواقف عديدة.

فقد تنوعت وسائل النبوة في مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وأخذهم باللين والتدرج، وعدم الغضب إلا في موضعه المناسب، وصبره على إيذاء الآخرين بالقول والعمل، وإقناع الآخرين بالمنطق والواقع، واهتماماته الخاصة بالصبية والفتيان والشباب، والإفادة من المناسبات والوقائع والحوادث، وسبقه إلى العمل وحماسته له، وتميز شخصيته عن الآخرين بالفضائل الإنسانية والخبرات

الطابع العام للتربية الإسلامية ليس دينيًا محضًا ولا دنيويًا محضًا.. إنما يلائم بينهما

الشخصية.. كل ذلك وغيره يشد المسلمين إليه ويحببهم بأحواله، ويصنع منهم خير أمة أخرجت للناس.

طابع التربية الإسلامية

تأثرت التربية في الحضارة الإسلامية بالتقاليد والمبادئ الإسلامية تأثرًا واضحًا، فالدولة الإسلامية ظلت محتفظة بطابعها الديني حتى عندما خرجت عن حدود الجزيرة العربية، وقد نتج عن هذا التأثر فقدان الاختلاف في نظم التربية في الأمصار الإسلامية، مما ساعد على تماسك الإمبراطورية الإسلامية سياسيًا وعقليًا زمنًا طويلًا، ثم استمرار الوحدة الروحية والعقلية بعد ذلك، وساند ذلك نمو حركة النشاط العقلي حين أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والتخاطب، وأيضًا انتفاع المسلمين بالنقل والترجمة.

وحين تطور المجتمع بعد ذلك تأثرت التربية بهذا التطور، الذي تمثل في اتساع الأفق الفكري، ووفرة المحصول العلمي، واختلاف المذاهب والآراء، وما نجم عن البذخ والثراء من إغراق في الملذات، واضطراب الحياة الاجتماعية واتساع المناهج، وتعدد المذاهب الفلسفية والدينية.

ويمكن تلخيص الطابع العام للتربية الإسلامية في أن عنايتها تجلت في نزعتها المثالية في تقديم العلم والحث على طلبه، وفي الاهتمام بالفضائل الخلقية، ثم في مرونتها في طرق التحصيل، واصطباغها بروح الديموقراطية التي قضت على الفروق بين الشعوب والأجناس والطبقات في مجال التعليم والدين، وإعطاء الأفراد فرصًا متساوية في التحصيل لما تكتمل في كثير من الأمم الحديثة.

أغراض التربية

اشتملت التربية الإسلامية على عديد من الأغراض تلخصها عبارة النحوي في «جامع بيان العلم» حين يقول: «اطلب العلم، فإنه عون في الدين، ومذك للقريحة، وصاحب لدى المحنة، ومقيد للمجالس، وجالب للمال»، فأول هذه الأغراض هو الغرض الديني، فمنذ أن نزل القرآن الكريم، وهو مرجع المسلمين في أمور العبادة والتشريع والحياة الاجتماعية، بشتى مظاهرها، وإليه يعود الفضل في انتشار القراءة والكتابة، وتأسيس المدارس، ونشأة العلوم المختلفة لخدمته وتفسيره وفهمه.

على أن الطابع العام للتربية عند المسلمين لم يكن دينيًا محضًا، كما كان عند الإسرائيليين في الصدر الأول من تاريخهم، ولم يكن دنيويًا محضًا كما هو الشأن عند الرومان مثلًا، وإنما كان يلائم الدين والدنيا، فكانت التربية تهدف إلى إعداد النشء للحياة وللآخرة معًا في إطار الآية الكريمة ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾، كما يقول الرسول الكريمﷺ: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه».

وقد هدفت التربية بجانب الدين والأخلاق إلى معان اجتماعية عبرت عنها مأثوراتهم، قال مصعب بن الزبير لابنه: «تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالًا، وإن لم يكن لك مال كان لك مالًا»، ويقول عبدالملك بن مروان لبنيه: «يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطًا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم»، ونجد أنه حينما بدأ العلماء يكثرون ويتميزون في علومهم تبعًا لنمو الحركة العلمية، وازدهارها ظهرت طبقة جديدة في المجتمع هي طبقة العلماء التي نالت مكانة رفيعة عند الخلفاء والأمراء، مما دعا الناس إلى الإقبال على التعلم لينالوا هذه الحظوة.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: «إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذًا في نفسه فيكون مطلوبًا لذاته، ووجدته وسيلة إلى الدار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلى القرب من الله تعالى، ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذن أفضل الأعمال».

ولقد وهب كثير من العلماء حياتهم للعلم تحصيلًا وتدوينًا لا لشيء سوى الإيمان بتحصيل العلم واستشعار اللذة في تدوينه، كما عبر عن ذلك بقولهم «كفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيًا وباعثًا للعامل على تحصيله»، وقول بعضهم: «من تعلم علمًا للاحتراف لم يأت عالمًا، وإنما جاء شبيهًا بالعلماء».

ومن أجل ذلك كان احتمالهم للمشقات وارتحالهم في طلب العلم ليطفئوا ظمأهم إلى المعرفة.

ولم يكن مبدأ أخذ أجر موضع نقاش بين علماء المسلمين، فكان من

زيادة التدين أن ظهر التحرج من الأجر في العلوم الدينية المباشرة كتحفيظ القرآن، وإن كان النبي ﷺ قبل أن يفدي بعض الأسرى نظير قيامهم بتعليم بعض أطفال المسلمين القراءة والكتابة، مما يوضح أن المبدأ صحيح في ذاته.

هذا وقد كانت وظائف القضاء والتعليم غايات سعى إليها كثير من الناس وأعدوا أنفسهم لها، وكان ابن سينا من أنصار الغرض الكسبي في التربية: «إذا فرغ الصبي من تعليم القرآن وحفظ أصول اللغة، انظر عند ذلك إلى ما يُراد أن تكون صناعته، فوجهه لطريقه، بعد أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يروحها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه».

ظهور المؤلفات التربوية

ويظهر أن أقدم مؤلف تربوي للإمام أبي حنيفة النعمان (٨٠ . ١٥هـ) «العالم والمتعلم»، وقد اتخذ هذا الكتاب أسلوب الحوار والمناقشة بين المعلم وبين الطالب في قضايا الدين عقيدة وفقهًا، وكان لشخصية الجاحظ أبي عثمان(١٦٣هـ/٢٥٥م) تلك الشخصية الموسوعية جانب تربوي يتندر فيه على فئة من المعلمين الذين ليسوا أهلًا للقيام بأعباء تلك المسؤولية، والمعوقات الأدبية والاجتماعية والفنية التي تقف حائلًا بين المعلم ونجاحاته التربوية، وقد جمع ذلك في كتابه «المعلمين»، وبعد الجاحظ بقليل يبرز فقيه محدث هو أبوبكر بن عمر البلخي (٢٨٠هـ) وينحو في مؤلفه «العالم والمتعلم» منحى الموضوعات في العقيدة والفقه والأدب، من غير أن يعرض إلى آداب العالم والمتعلم.

أما الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٢هـ) الحافظ والمؤرخ صاحب الفكر المنظم والإنتاج المتنوع، فله في المجال التربوي كتابان «الفقيه والمتفقه» في اثني عشر مجلدًا جمعها وعلق عليها، وكان لابن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣هـ) وهو الفقيه الباحث والأديب الأريب مؤلف مهم احتفل به العلماء من بعد وهو «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»، أما حجة الإسلام الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) الفيلسوف والمتكلم والصوفي، فمن أهم مؤلفاته التربوية كتابه «أيها الولد» وكثير من الرسائل التربوية الأخرى، فضلًا عن جوانب تعليمية وتربوية في مؤلفاته الصوفية والكلامية الكثيرة، مثل ميزان العمل، ومعيار العلم، وبقية رسائله الصوفية الكبيرة والصغيرة.

ثم تعاقب أعلام في التربية كان لهم دورهم في تركيز المفاهيم التربوية وتفصيلها، فقد أخذ السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ) وهو المؤرخ والحافظ وصاحب كتاب «الأنساب» المشهور جانبًا تربويًّا في بيان أهمية الكتابة، وتصنيف العلوم وآداب المملي والمستملي، وكتابه «أدب الإملاء والاستملاء»، كما اهتم الإمام والمحدث النووي بآداب العلم والعالم والمتعلم، وعلى الرغم من غلبة الفقه والحديث وعلم الرجال على تآليفه، فقد شغل أكثر من أربعين صفحة مقدمة للكتابة، اعتمد عليها كثير من العلماء الذين اشتغلوا بالعلم والتربية فيما بعد.

وكان عبدالله بن محمد البلخي (٦١١-٦٩٨هـ) في كتابه «العالم والمتعلم» على نسق الرسائل والكتب التربوية السابقة، ثم توالى العلماء المسلمون المهتمون بالجوانب التربوية، إضافة إلى النواحي العلمية والأكاديمية في كتبهم ومؤلفاتهم، وعلى رأس هؤلاء ابن حجر الفقيه والباحث شيخ الإسلام في مصر، خاصة في رسالته «تحرير المقال في تربية الأطفال»، وبدر الدين الغزي (٩٠٤-٩٨٤هـ) الدمشقي، خاصة في مؤلفه «الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد»، وهو من أوعب المؤلفات التربوية في التراث، وقد اختصره عبدالباسط بن موسى بن محمد العلموي (٩٨١هـ) في مؤلف سماه «المعيد في أدب المفيد والمستفيد».

وفي القرن العاشر الهجري قدم طاش كبرى زاده المؤرخ والعالم رسالة جامعة في وصف العلوم النافعة، ومفتاح السعادة، ونوادر الأخبار في مناقب الأخيار... وغيرها. أما ابن خلدون فإن الظواهر التربوية احتلت مكانًا مهمًّا في كتابه الشهير«المقدمة»، فهو لم يهمل الكلام عن ضروراتها وأسسها ومشكلاتها، بل أكد على أن العلم والتعليم من ضرورات العمران البشري ووجودها فيه أمر طبيعي، وأن تعلم العلم صناعة تختلف طرق المعلمين فيها باختلاف زمنهم وبلادهم.

والظاهر أن تأكيده على أن تربية الأطفال والكبار في الأمصار الإسلامية خلال عصره تختلف باختلاف كل مصر منها، يجعل من هذه الظواهر التربوية، أعرافًا تتخذ بشكل أنظمة قائمة ومحددة بذاتها، ولعل هذا التأكيد جاء نتيجة لمشاهداته في البلدان التي عرفها وعاش فيها، كما استعان في كل ما كتب عن النواحي التربوية بضرب أمثلة حية ملموسة عن واقعها مما لا يجعل لآرائه أن تتخذ أسلوب نظرية مبنية على الخيال، بل نتيجة سعيه وتجاربه، وهي على وجه العموم سليمة ومعقولة وخصوصًا فيما يتعلق بالربط الذي أحكمه بين التربية والحضارة، فهذا يدل على شدة ملاحظاته وعمق تفكيره.

وجود الأعداء سنة كونية أودعها الله عز وجل في خلقه، وهذه العداوة موجودة بين البشر والشيطان، وبين البشر بعضهم البعض، وبين البشر وبعض الكائنات الضارة، وبين الكائنات المختلفة، وعندما نتأمل ونتفكر ونتدبر نجد أن وجود الأعداء نعمة من الله عز وجل لا تستقيم الحياة من دونها.. فهذه محاولة للتفكر والتدبر في هذه النعمة.

العداء سنة كونية

د. زياد موسى

أول عداء في تاريخ البشرية كان مع إبليس اللعين، حيث أخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم أن إبليس اللعين رفض واستكبر السجود لآدم، ورفض طاعة أمر الله عز وجل، فطرده الله من رحمته، وحقدًا على آدم وذريته فإنه أخذ عهدًا على نفسه بأن يضل آدم وذريته ليتبعوه، ونجح الشيطان في تحقيق أول أهدافه وأغوى أبوينا آدم وحواء فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، وكان العقاب الخروج من الجنة، والنزول إلى الأرض ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)، أي أن الله عز وجل قدر العداء بين بني آدم لكي تستقر الحياة.

وفي غواية إبليس لأبوينا درس لذرية آدم إلى يوم القيامة، نتعلم من هذا الدرس أن من يطيع الشيطان لن يدخل الجنة، والعداوة والبغضاء بين البشر تكون بفعل عدونا الأول الشيطان اللعين ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٠)، و ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(فاطر: ٦).

الأعداء من البشر

بل إن من سنن الله سبحانه وتعالى أنه جعل لكل نبي عدوا، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وجعل الله لنبيه محمد ﷺ أعداء من الكفار واليهود، وطلب الله سبحانه وتعالى منه ﷺ الصبر والاقتداء بأولي العزم من الرسل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، فوجود الأعداء والصبر عليهم ومحاولة التغلب عليهم يزيد أجر الأنبياء والمؤمنين، ويرفع درجاتهم يوم الدين.

وكذلك قال الله تعالى في قرآنه: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا﴾ (الحج: ٤٠)، فتدافع الناس بعضهم لبعض ومقاومة الظالمين والمستبدين، ووجود صراع بين القوى المختلفة من السنن الإلهية التي تصلح بها الحياة على الأرض، ويجعل هناك توازنًا بين القوى، فلولا خوف الناس والدول من بعضها البعض لما حدث التوازن في الدنيا ولما صلحت الحياة.

الإسلام دين محبة وسلام

الإسلام دين محبة وسلام، لا يحض

◆ كاتب أردني

على العداء، الإسلام دين سلام تحيته السلام، يدعو المسلمين إلى الوحدة ونبذ الخلاف والعداء، حيث يقول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا ... ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ومع الأعداء يأمرنا الله أن نقاتلهم إذا اعتدوا علينا ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (البقرة: ١٩٤)، وأن نأخذ حذرنا ونتخذ العدة، وإذا كانت هناك نية صادقة من الأعداء للسلام فيجب أن نتجه للسلام ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ.وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦٠-٦١)، فالإسلام دين سلام لا يدعو للعداء، بل يدعو للمحبة وللخير.

ومقاومة الأعداء لها أجر كبير عند الله، يصل بالمسلم لدرجة الشهادة، حيث قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون دينه فهو شهيد،ومن قتل دون أهله فهو شهيد» (صحيح الجامع)، وعن ثواب الشهيد قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج

وجود الأعداء كان سببًا للتقدم العلمي في مجالات الفضاء والطاقة والاتصالات



اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

العداء والتقدم العلمي

وجود الأعداء كان سببًا للتقدم العلمي في مجالات عدة ، مثل مجالات الفضاء، والطاقة والاتصالات... وغيرها، ففي مجال علوم الفضاء كان للصواريخ بعيدة المدى فضل في تقدم علم الفلك، حيث إن هذه الصواريخ تحمل سفن الفضاء التي يتم إطلاقها لتصل لسطح القمر، بل كان العداء، أثناء الحرب الباردة في القرن الماضي بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي السابق، سببًا في احتدام السباق بينهما في برامج الفضاء واستكشاف القمر، وتقدم علم الفلك.

وكذلك لعبت هذه الصواريخ دورًا في إطلاق الأقمار الصناعية لتدور في مداراتها حول الأرض، والأقمار الصناعية كما هو معلوم لها مجالات عديدة مثل: الإعلام وبث القنوات والإذاعات الفضائية، والاستشعار عن بُعد لكشف ثروات الأرض في باطن التربة وغير ذلك.. فهل تخيلنا لو لم توجد الصواريخ التي تستخدم في الحروب هل كان علم الفضاء يستطيع التقدم؟ وهل كنا نستطيع التمتع بمزايا الأقمار الصناعية؟

والتقنيات التي تستخدمها الجيوش أيضًا كانت دافعًا للتقدم في علوم أخرى، فمثلًا علوم الذرة تقدمت بسرعة بعد الحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي في اليابان من جانب الولايات المتحدة الأميركية، فشرعت الدول الكبرى في العالم في عمل برنامج نووي لإنتاج قنابل نووية، ونشط هذا المجال من العلوم ونشطت استخدامات أخرى وفروع أخرى لهذه العلوم مثل انتاج الطاقة النووية، وغيرها من مجالات الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

بل إن أجهزة الرادار التي تستخدمها الجيوش كأحد أهم أسلحة الدفاع الجوي لرصد الصواريخ المعادية مستوحاة من الخفافيش التي تمثل أعداء البشرية، فالخفاش مصاص الدماء الذي يمص دماء الحيوانات الأليفة في أميركا الجنوبية، هذه الأجهزة تستخدمها أجهزة المرور في مراقبة السيارات

في مختلف أنحاء العالم، والأعداء من الكائنات الحية التي تسبب أضرارًا للبشرية هي الدافع الرئيسي لتقدم العديد من العلوم التجريبية مثل الطب والزراعة وغيرها.

ترويض الأعداء من الكائنات

ويمكننا بالعلم أن نروض الأعداء من الكائنات، بالعلم نستطيع أن نحول الأعداء من الكائنات إلى أصدقاء، فهناك أمثلة كثيرة على ذلك عبر تاريخ البشرية التي استفاد فيها الإنسان من الأعداء الطبيعية التي تسبب له إزعاجًا، سواء كان ذلك إزعاجًا مباشرًا له، أو لنباتات الحقول التي يزرعها أو الحيوانات الأليفة التي يربيها.

فمثلًا النجيلة التي تسبب مشكلة كبيرة للمزارعين عندما تنمو في الحقول وتأخذ منهم وقتًا وجهدًا لمقاومتها، استطاع الإنسان أن يستفيد منها ويزرعها في ملاعب كرة القدم، فملاعب النجيلة الطبيعية هي أساس كرة القدم حاليًا في العالم على المستوى الاحترافي.

المكافحة الحيوية

يمكننا أن نستخدم الكائنات الصديقة لنا أو بعضًا من منتجاتها في مقاومة أعدائها من الآفات الضارة لنا فيما يعرف بـ«المكافحة الحيوية»، فمثلًا استغل العلماء علاقات التطفل والافتراس والكائنات الممرضة في مكافحة الحشرات التي تصيب النباتات.

الافتراس هو مهاجمة كائن حي (المفترس) لكائن حي آخر (الفريسة) والتهامه جزئيًا أو كليًا تاركًا إياه ميتًا أو مشرفًا على الموت، ومن أهم المفترسات حشرات أبوالعيد وأسد المنّ وغيرهما، والتي تفترس العديد من الحشرات الضارة، أما التطفل فهو

بالعلم يمكن ترويض الأعداء من الكائنات وتحويلها إلى أصدقاء

مهاجمة كائن حي (المتطفل) لكائن حي آخر (العائل) في أحد أطواره، واعتماده عليه في غذائه وتطوره مسببًا له الموت في النهاية، مثل طفيل التريكو جراما Trichogramma الذي يتطفل على بيض حشرات حرشفيات الأجنحة مثل: ديدان اللوز على القطن، ودودة ثمار التفاح، ودودة ثمار العنب، وكذلك تستخدم الميكروبات التي تسبب أمراضًا للحشرات الضارة في القضاء على هذه الحشرات، والميكروب هو أحد الكائنات الدقيقة التي تسبب المرض (فطر أو بكتيريا أو فيروس... إلخ) مثل بكتريا (Bacillus thuringiensis) التي تهاجم حشرات تنتمي إلى رتب تصنيفية مختلفة، وأفضل أنواع هذه البكتيريا تهاجم اليسروعات (رتبة حرشفيات الأجنحة).

وكذلك يقوم العلماء بالاستفادة من علاقة العداء في القضاء على الحشائش، حيث تستخدم بعض الميكروبات التي تصيب الحشائش ولا تؤثر في نباتات المحاصيل الحقلية أو البستانية في مكافحة هذه الحشائش.

وفي المقاومة الحيوية أيضًا يتم ترويض الأعداء، حيث إن البكتيريا المسببة للعفن البني للبطاطس (رالستونيا سولاناسيرم) من أخطر أنواع البكتيريا على الاقتصاد العالمي، هذه البكتيريا تصيب أكثر من ٢٠٠ نبات تنتمي لأكثر من ٥٠ عائلة نباتية، تمكن العلماء في استراليا من استخدامها لمقاومة الحشائش التي تنمو في الغابات حيث إنها لا تصيب أشجار هذه الغابات وتصيب الحشائش فقط.

بل تستخدم فيروسات تصيب البكتيريا في مكافحة الأمراض البكتيرية التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات، فهناك فيروسات تستطيع أن تصيب البكتيريا وتقضي عليها، ويعرف هذا الأسلوب بـ«العلاج بالفيروسات».

كذلك يمكن استخدام بعض الزيوت العطرية وبعض المركبات التي يتم استخلاصها من بعض النباتات الطبية مثل الينسون والزعتر والشمر وحبة البركة في مكافحة الميكروبات الممرضة للنبات والحيوان والإنسان، وتستخدم هذه المركبات في صناعة الأدوية والمبيدات في جميع أنحاء العالم لمكافحة الميكروبات الضارة.

كذلك استغل الإنسان الأسلحة التي تستخدمها الميكروبات ضد بعضها أثناء تنافسها في البيئة، فالمضادات الحيوية تعتبر أسلحة تستخدمها هذه الميكروبات للقضاء على غيرها من الميكروبات الأخرى، فمثلًا يستطيع فطر البنيسيليوم أن ينتج المضاد الحيوي «البنسيلين» الذي يقضي على ميكروبات أخرى، واستغل العلماء هذا المضاد الحيوي بعد استخلاصه وتنقيته في علاج الكثير من الأمراض، والقضاء على كثير من الميكروبات الممرضة.

هذه محاولة للتفكر في نعمة وجود الأعداء، والسنة الكونية لوجود العداء، ومحاولة لذكر البعض القليل من أفضال هذه النعمة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨).

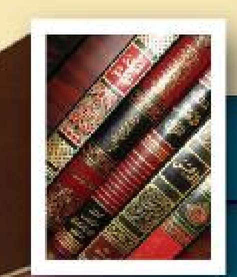


الأديب والكلمة الطيبة

في معرض الدلالة على أن الكلمة الطيبة لها أثرها وموقعها الحسن في النفوس ، ضرب الله المثل بها في قرآنه العظيم فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم : ٢٤ – ٢٥) ، وإذا كان هذا واردًا في حق الكلمة من أي إنسان . . فإن كلمة الأديب أحق بالمؤاخذة ؛ لأنها صادرة عن إنسان يعرف قيمة الكلمة ويقدرها حق قدرها ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله : «إن من البيان لسحرًا ، وإن من الشعر لحكمة» .

فالقيمة الحقيقية للأدب تكمن إذن في مضمون الكلمة التي يقولها الأديب ويوجهها لجمهوره ، هل تستثير فيهم الهمة؟ وهل تعالج قضاياهم؟ وهل ترسخ فيهم بذور الخير والفضيلة؟ أم أنها مجرد كلمات لا تقدم ولا تؤخر ، دونما هدف أو مضمون ، ومعظمها لا يخرج عن نطاق المرأة والتغني بها ، تجامل على حساب الحق والدين ، وتستثير الغرائز والشهوات ، وتمجد الرذيلة وتمشي في ركاب الهوى . . لمثل هؤلاء الأدباء الذين حادوا عن جادة الصواب نقول : اتقوا الله في دينكم وأمتكم ، وكونوا مشاعل خير في طريق نهضة الأمة ، واعلموا أن الآثار الأدبية إنما تستمد خلودها من مضمونها لا من بريقها الخادع الذي سرعان ما يخبو بعد وفاة صاحبها .

التحرير





الحرية والتحرر في شعر بدوي الجبل

عبدالهادي صافي

لئن كان المتنبي شاعر المجد والبطولة في التراث العربي القديم، فإن بدوي الجبل الشاعر السوري هو شاعر الحرية والدعوة إلى التحرر من كل غاصب محتل، وليس هناك شاعر تغنى بالحرية كما تغنى بها بدوي الجبل ودعا إليها وإلى التحرر من ربقة الاستعمار والظلم، ففي ديوانه الكبير مقطوعات كثيرة في الحرية والتحرر حتى إننا نستطيع أن نفرد لها دراسة خاصة بها، وأن نجعلها غرضًا من أغراض الشعرية له معانيه وآراؤه فيها وصوره الفنية اللافتة، ولغته الشعرية الخاصة به.

ليس هناك قضية شغلت شاعرنا واحتلت مكانًا واسعًا من تفكيره مثل قضية الحرية والتحرر، فقد اضطهد من أجلها والدفاع عنها، وعرف الظلم بأنواعه، وذاق ظلم الطغاة بأنواعه وأشكاله، عذب وطورد ودخل السجن، وعاش في الظلام، ونفي من بلاده من أجل الدعوة إلى التحرر والخلاص من المستعمر.

لذلك كانت دعوته نابعة من تجربته الذاتية، عندما كانت سورية ترزح تحت الاحتلال الفرنسي، حيث أدخل السجن وكانت أشعاره في هذه المرحلة صرخات في وجه المستعمر، تعبر عن غضبه وآلامه، يجأر بالحرية ويصدع بها وينادي إليها، ولكنه مع ذلك كان أبيًا في سجنه، لا يرضخ للذل والهوان، وإننا نلاحظ في هذا الشعر سماته الخاصة به تحمل فلسفته في الحياة، وتصور شخصيته، وخصائصه الفكرية، يتحدى الظلم والظلام، ويحيا في الحياة عزيزًا شامخًا، يستوي العيش في السجن عنده أو في القصور:

أطل على الدنيا عزيزًا: أضمني
إليه ظلام السجن أم ضمني القصر

دعوته للحرية نبعت من تجاربه الذاتية .. والعزة والنزعة الصوفية أبرز محاور شخصيته

ويمضي بهذه الفلسفة الخاصة عن الحرية التي كونها لنفسه من تجاربه في الحياة، وخبرته في السياسة، لأن مثل هذه المعاني في شعر الحرية لا تصدر إلا عن فيلسوف متصوف زهد بالحياة، وآثر حياة العزلة في السجن عما يراه في الحياة من فساد واضطهاد وصلف وغرور.

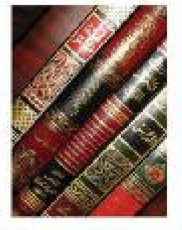
يروي زهير المارديني في كتابه عن البدوي «حكاية شاعر» على لسان الشاعر:

«وقت سجن «كسب» الطويل المضني الممل، وكأن لا نهاية له، قطعته من دون أنيس ولا جليس ولا زائر ولا كتاب، أحاول التغلب على ما أنا فيه بالتفكير وتلاوة ما حفظته من آيات القرآن الكريم، وتخيلي اخواني ورفاق دربي وهم بين معتقل ومبعد وهائم، وأحمد الله على أنه أنعم علي بالصبر والطمأنينة...» .

ويبدو لنا من خلال شعره أنه عارف بأسرار الحياة، تعمق في فهمها وإدراكها، فخرج إلينا بهذه الحكمة الفلسفية، اضطهد في بلاده في مرحلة الاحتلال الفرنسي، ودخل السجون، وعانى قسوة الحياة من تشرد ونفي واغتراب، فلما عاد من نفيه أبدع أجمل القصائد:

جلاني الظلم أشلاء ممزقة
واحتز أكرمهن: القلب والولدا

والدعوة إلى الحرية والتحرر نراها في أكثر قصائده مبثوثة في قصائد الغربة والحنين وفي قصائد الرثاء، نلمس فيها حالته النفسية، وقد جابه هذه الحياة بعزيمة لا تقهر وصدر لا يتزعزع، فالإنسان الذي يدافع عن مبدأ سام ويجأر بكلمة الحق تهون عليه السجون، وكذلك كان الشاعر البدوي يعلن مبادئه بكل جرأة وهو يخوض العمل السياسي، ومعترك الحياة الوطنية، دون خوف من مستعمر أو ظالم، مهما تكن قوته ومهما يكن جبروته، بل نراه يسخر من الظالم الجبار ويشمت به، وهناك




كثيـرمن الأبيـات يمكن الاستشهاد بها على هيامه بالحرية وتغنيه بها، فعلى طريقة البدوي في صياغة الشعر وفي جعله القصيدة الشعرية عنده تتسع لأكثر من غرض أو موضوع، يبكي دائمًا الحرية الضائعة التي تعاني الشعوب من فقدانها ويحن إلى موطن الحرية والأحرار بلاد الشام.

وتقوم فلسفة الحرية في شعر بدوي الجبل على مرتكزات فكرية ووجدانية أهمها أنه غير آبه بالحياة، ولا يخاف ظلام السجن، فنفسه تضيء وهو بين جدرانه، بأسطع الأنوار، وتبقى حرة طليقة داخل السجن:

وما ضرني أسرٌ ونفسي طليقةٌ
مجنحةٌ ما كفَّ من شأوها أسرُ

هذه النزعة الصوفية المتحررة من قيود الدنيا، وحب الانعزال عن العالم، وخلق كون آخر تعيش فيه وامتزاجه بالكون، ومناجاته المستمرة وابتهالاته المتكررة كلها من عناصر الفكر الصوفي الذي نجد أمثلة كثيرة له في ديوانه:

إذا ملكوا الدنيا على الحرّ عنوة
ففي نفسه دنيا هي العزُّ والكبْرُ
وإن حجبوا عن عينه الكون ضاحكًا
أضاء له كون بعيدُ هو الفكرُ

وإن العزة والكبر هما محور شخصية الشاعر الإنسانية، يدافع عن كرامته، إذا شعر بأنها تهان، وعن عزته إذا أحس بالاعتداء عليها، وكبرياؤه يشيد به في كل مناسبة ويعتز بها ويثني عليها، ونحن حين نقرأ شعره نحس بروح المتنبي تحوم فوقه، والمتنبي المعروف عنه والمشهور أنه يعرف نفسه ويوقرها ويمتدح خصائصها، وكذلك نحن عندما نقرأ شعر البدوي نحس بتقديره نفسه وصونها عن الابتذال، وتجد في الأبيات التي يدعو فيها إلى الحرية أنه لا يشكو من قهر السجن والسجان بقدر ما يعتز بحالة السجن التي هو فيها:

وعقود من السنين نظمناها
سجونًا وكبرياءً وضيقًا

ونراه يشمخ علي الطغاة ويهزأ بهم، ففي قصيدة «إني لأشمت بالجبار» سخرية واضحة من المستعمر الفرنسي الذي احتل الألمان بلاده، ولم يرعه الظالم في يوم من الأيام، بل كان يقوي القهر عزيمته ويشد السجن من أزره، يعلن غضبه:

وكنتُ إذا الطاغي رماني رميتُه
فلا نصرتي همس ولا غضبي سرُّ

يندد البدوي في شعر الحرية والتحرر بالاستبداد والطغيان، ولا يحصرهما في بلد معين ولكنه يندد بهما وهما مخيمان على أنحاء العالم، ويقف إلى المدافعين عن الحرية والأحرار في العالم كله، وكل من لقي ظلمًا ووقع عليه أذى، وهذه نزعة إنسانية في أدب الحرية والتحرر عند بدوي الجبل، وقد وقف إلى جانب الحق ودافع عنه، يروي زهير المارديني في كتابه وهو يحاور بدوي الجبل قائلًا: «قال لي مرّة ونحن في طريقنا إلى اللاذقية، اسمي محمد سليمان الأحمد، نشرت الشعر العربي في الرابعة عشرة من عمري في جريدة «ألف باء» الدمشقية للمرحوم يوسف العيسى، في تلك الأثناء مات حاكم (كيرك) في (أيرلندا) حبسه الإنجليز فأضرب عن الطعام ومات، وكان قبل مماته كتب قطعة جميلة دعيت (صلاة) فنظمتها شعرًا فنشرها صاحب الجريدة باسم بدوي الجبل، وكانت حجته أن القصيدة (الصلاة) جيدة وأنها من الجودة بحيث لا يجوز نشرها باسمي الحقيقي وقال لي لا أحد يعرفك، ، فحوّل بدوي الجبل قصيدة (كيرك) ومعانيها (الصلاة) إلى قصيدة نظمها، منها هذه الأبيات:

أمنوّلَ الأمم الضعيفة حقَّها
ومديلها القهار من ظُلاّمها
اسمحْ لنصرك أن يرفرف فوقها
ويطاولَ الجوزاءَ في أعلامها
إنْ لم تُرجَ الفوزَ قبل حمامها
فاسْمح به ياربُ بعد حمامها
فتراه بعد الموت في أرواحها
إنْ لم تكن شهدته في أجسامها

ويلفتنا في شعر هذا الشاعر السوري الحديث (١٩٠٣ -١٩٨١) لغته الشعرية التي تمتح من الأصالة والتراث وترق بالمفردات العذبة الرقيقة وصوره الفنية التي تأخذ من الماضي بقدر ما تجدد من الحاضر، وتراكيب بدوية أصيلة لا تخرج على قواعد الشعر العربي ممتزجة بتراكيب حضارية حديثة مترفة، فهو شاعر طرح في شعره إشكالية القديم والجديد في موسيقى قوية تناسب المضمون تصخب أحيانًا وترق وتشف أحيانًا أخرى، وليس مخطئًا من أطلق عليه لقب «عملاق الكلاسيكية المعاصرة».

شخصية الطبيب المسلم في أدب نجيب الكيلاني

أحمد حسن الخميسي

اهتم المؤرخون وكتّاب السير بسيرة النبلاء من القادة والعلماء وغيرهم، ولقد حظي مشاهير الأطباء بقسط وافر من هذا الاهتمام، فكتب عن حياتهم ومكانتهم وبحوثهم وتجاربهم عديد من الكتب قديمًا وحديثًا.

وكان من أجمل وأروع ما كتب عن حياة الأطباء تلك المؤلفات التي سطرها الأدباء الأطباء الذين نبغوا خارج تخصصهم العلمي، حيث توجهوا للأدب فكتبوا في فنونه كثيرًا وصوروا من خلاله حياتهم ومذكراتهم.

من هؤلاء الأديب الدكتور عبدالسلام العجيلي في مجموعته القصصية «حكايات طبية»، وكذلك فعل الأديب الطبيب «نجيب الكيلاني».

» الذي سرد لنا نجيب الكيلانيجانبًا من حياته الطبية مع المرضى بطريقة غير مباشرة دون أن يذكر اسمه في حكايات وقصص مجموعته القصصية «حكايات طبيب»، وقد جاء في تقديمها: «الواقع أن هذه المجموعة من القصص تتميز عن غيرها بميزة مهمة، ألا وهي أنها مذكرات لكنها كتبت بأسلوب القصة الفنية القصيرة، حيث يتجلى الإطار الفني الكلاسيكي بصورة ناجحة، وحيث الشخصيات المتنوعة الثرية والحوار الحي المتدفق والفكرة الأصيلة المتميزة والسرد السلس الأخاذ.

هي إذن تجمع بين القصة والمذكرات، في ظل المفاهيم الإنسانية الراقية التي بعث الله بها أنبياءه ورسله.

لقد تحدثت هذه المجموعة بشكل عام عن الطبيب والمرضى.

وربما عرض «نجيب الكيلاني» في رواياته وقصصه الأخرى لمشاهد طبية إنسانية، وسنعرض صورة هذا الطبيب المسلم التي قدمها الأديب نجيب الكيلاني في مجموعته «حكايات طبيب».

إيمان الطبيب وعبادته

في قصة «قدرة الله» الموجودة في مجموعة «حكايات طبيب» يبدأ بقوله: «إن للحظة الميلاد قدسيتها وروعتها، فالطفل الذي يولد ويندفع الهواء إلى رئتيه فينبعث صراخ من نوع عجيب محبب إلى النفوس، هذا الطفل الصغير الجميل يثير في النفس عديدًا من المشاعر والمعاني.. فالقدرة الإلهية تصنع المعجزة الخالدة ببساطة مذهلة في كل ثانية من الثواني، هذه الأفكار تراود الطبيب الجديد».

وفي إجراء جراحة عاجلة لثدي امرأة أصيب بخرّاج في قصة «ليلة غاب عنها القمر» يقول: «كانت عناية الله ترعانا.. وما إن وضعت المبضع وشققت الثدي حتى تدفقت كمية كبيرة من مخلفات الالتهاب..».

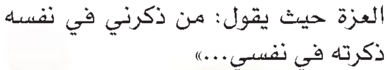
هذا الإيمان العميق والثقة بالله كان يبثها في نفوس مرضاه، ففي حوار مع مريضته في قصة «ليل الحيارى» يقول: «الإنسان وطاقاته الهائلة لا يحتاج إلا إلى الثقة بنفسه والإيمان بربه، عندئذ يستطيع أن يحقق نجاحات خرافية»..

ثم يقول لها عن الأرق ومعالجته: «دوسي على العقاقير المنومة بحذائك، لا ترهبي الأرق.. في البداية لن تكوني وحدك.. اذكري ذلك الحديث القدسي العظيم عن رب



* كاتب سوري



العزة حيث يقول: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...»

والكون ليس فوضى، كل شيء يسير فيه بحساب.

وفي قصة «ليل الحيارى» التي تدور أحداثها حول فتاة تقع في براثن المرض بسبب انحراف أمها، وقد حاول الطبيب اقناع أبيها بما تفعله الأم، لكنه لم يفلح بسبب ثقة الأب بموظفه الذي كان يتردد على المنزل في غيابه بحجة قضاء الحاجيات، وبعد أيام يذهب الطبيب إلى ذلك الموظف «ماهر» عله يقنعه بالابتعاد عن طريق الزوجة التي سبب انحرافها مرض ابنتها، إلا أن ماهرًا رد عليه بوقاحة وعنف، فخرج الطبيب من عندها هائمًا على وجهه، والسماء سوداء قاتمة، والأضواء الكهربائية الملونة تتوالى في جنون، معلنة عن المحلات التجارية وأنواع البضائع المختلفة.

وانطلق مكبر الصوت يؤذن للعشاء، ووجد الطبيب نفسه يدلف إلى داخل المسجد القريب، خلع سترته وتوضأ، شعر بأن الماء البارد يهدئ من ثورته، وانخرط في سلك المصلين، شعر بأنه يقترب من الله أكثر، ضوء المسجد خفت، والإمام يردد بضع آيات من القرآن الكريم ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة...﴾ كان يحلق مع الآيات في آفاق عليا، وادعة، تشع باليقين والأمل والرجاء.

المؤمن إذن يتلقى العون من الله حتى ينجو من الخوف والحزن، يا إلهي، الخوف والحزن، هما أهم سمتين يشاهدهما في الأمراض النفسية، والعلاج واضح هنا، لماذا لم يدرس ذلك من قبل؟

وخرج من الصلاة وهو أفضل كثيرًا من ذي قبل، لقد شعر براحة كبرى،

«حكايات طبيب» للكيلاني تجمع بين القصة والمذكرات في ظل مفاهيم إنسانية راقية

تــوارى اليأس والضيق، عندما دخل على «رشيدة» وجدها تنتظر على أحر من الجمر قالت: أين كنت ؟ قال: كنت أبحث لك عن علاج جديد، وقد وجدته، بدا على وجهها الفرح وقالت: يبدو أنك نسيت تحضر لي كتابًا جديدًا، ابتسم ثم فتح حقيبته وأخرج لها مصحفًا.

وفي قصة «ظلال الحب» يصور لنا كيف كان يطوف بالكعبة وهو يؤدي فريضة الحج.

ثقافته وخبرته

يصور لنا الأديب نجيب الكيلاني في قصصه الطبيب مثقفًا يتابع دراساته، ملمًا بمهنته تشخيصيًا وعلاجًا، يقول في قصة «ليل الحيارى» إنه دائمًا يبحث في الكتب، ويقرأ أحدث الدراسات، ويطلع على مختلف مدارس العلاج.

وفي قصة «محاكمة العقل الباطني» يعرف الحالة التي تعاني منها مريضته، «وذات مساء أصيبت هنا بنزيف، وعندما أتت إلي يصحبها زوجها وشكت لي الآلام التي تعاني منها، وبعد إجراء الفحص الدقيق تأكد لي أنني أمام إجهاض محتم».

من هذه الحالة وحالات أخرى وردت في القصص نجد أن الطبيب كان ممتاز التشخيص والعلاج، يضع الدواء المناسب للمرضى، بحيث يتم الشفاء بإذنه تعالى.

مبادئه وأخلاقه

إلى جانب هذه المهارة في العمل وعلاج المرضى يُبرز لنا القاص نجيب الكيلاني طبيبه ملتزمًا بمبادئ يستقيها

من الإسلام، متحليًا بالأخلاق الحميدة التي تربى عليها.

فهو بار بقسم الطب الذي أداه والذي يتضمن الإخلاص والاستقامة والعناية بالمرضى وحفظ أسرارهم.

ففي قصة «قصيدة حب» يصر الطبيب على التزامه بالمبادئ والقانون والقسم إذ يطالبه «حسن» بأن يجهض أجنة، فيقول له الطبيب: أنت تعلم يا حسن مبادئي، ليس من عملي إجهاض الأجنة وقتلهم وخصوصًا أنه لا يوجد سبب طبي لذلك.

وفي قصة «في ظلال الحب» ورد ما يلي: «من ضمن قسم أبقراط الذي يقسمه الطبيب عبارة خاصة بالمحافظة على أسرار المرضى، وعدم إذاعتها إلا تحت ظروف وشروط معينة.

وبعد أن قصت المريضة للطبيب قصتها قالت: أرجو ألا تخبر فريدًا عن مرضي فقال لها بثقة وتأكيد «حاشا لله، نحن الأطباء لا يصح أن نفشي سرًا لأحد»، هكذا يبدو لنا الطبيب، يتحلى بصفات إنسانية سامية، يزيدها سموًا ونبلًا ذلك التواضع الجم الذي تيجلى في حواره مع مرضاه واعترافه بتقصيره أحيانًا عن فهم بعض الحالات المرضية، وهذا نوع من التواضع، إذ يقول في قصة «ضد مجهول» «أعترف أنني في بعض الأحيان لا أستطيع أن أجد تفسيرًا مقنعًا لبعض انحرافات السلوك الإنساني، هناك تناقضات لا يستطيع المرء مهما أوتي من البراعة والعلم أن يفك طلاسمها».

إن هذا الكلام يذكرنا بأخلاق علمائنا الذين أجمعوا على مقولة: نصف العلم كلمة لا أدري إذ لا يمكن للإنسان أن يحيط بكل شيء.

إن هذا الطبيب متعاون مع من حوله من ممرضين وفراشين وغيرهم، ففي قصة «ليلة غاب عنها القمر»، بعد أن

قرر الطبيب أن يذهب لقرية خصومه لمعالجة مريضهم، ورد فيها «وفي وقت قصير تجمع كل العاملين بالوحدة الصحية من ممرضين وممرضات وفراشين، وحدث لغط شديد وأجمعوا على ألا أذهب، لكنني قلت في هدوء، بل سأذهب! من سيأتي معي؟ قالت صفاء: لن أتركك، قال رضوان في المختبر: وأنا أيضا، وصاح عبدالواحد الحارس: رجلي على رجلك، أنا هنا ممثل الحكومة، ولن أفارقك.

كما أن الطبيب في هذه المجموعة القصصية «حكايات طبيب» من يستفيد من تجاربه ولا ينسى ما يحصل له في عمله من دروس.

ففي قصة «الجريمة» استطاع أحد العمال الحصول على رخصة مرضية لمدة ثلاثة أيام، لم يكن يستحقها لكنه أثر على الطبيب عاطفيًا بتوسلاته، وحصل عليها. وفي هذه الإجازة وقعت جريمة قتل كان لعبدالحميد علاقة مباشرة فيها، عندما قال الطبيب: «أما أنا فمنذ ذلك التاريخ وأنا أحاول أن أنحي عواطفي جانبًا، وأن أحكم منطق العلم دائمًا في كل ما أرى، إنه درس لا ينسى».

وثمة أحداث في قصص أخرى تظهر المبادئ السامية التي يؤمن بها هذا الطبيب والأخلاق الحسنة التي يتحلى بها ولو تتبعناها لطال بنا المقال.

شخصية الطبيب

لقد نجح الأديب نجيب الكيلاني في تصوير شخصية الطبيب من خلال أقواله عندما تحدث عن أفكاره وآرائه وأفعاله، أو عندما تحدث عن الآخرين في بدايات القصص أو في الحوار أو السرد المباشر أو في نهايات القصص، عندما يظهر دور الطبيب جليًا فعالًا له أثره وتأثيره الطيب في المجتمع.



شخصية الطبيب هي محور قصص الكيلاني وذات محورين: المريض والإنسان الذي يداويه

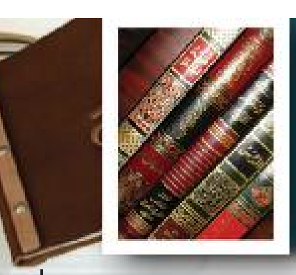
وتظهر شخصية الطبيب فاعلة في جميع القصص، فهي محور القصص تقريبًا لأنها ذات محورين على الأغلب، المحور الأول يدور حول المريض الذي يطرح نفسه بين يدي معالجه، والمحور الثاني هو الإنسان الذي وهب حياته باسمًا يداوي جراح المرضى، ويمسح عنهم الحزن وسحب الهموم والآلام.

لقد قدمه الكاتب، ولعله قدم نفسه، ناجحًا في كل مواقفه العلاجية، لم يفشل أبدًا، لأنه كان ذا صبر وأناة وروية ورفق وحكمة مرتكزة على ثقافة وتجربة مشفوعة بعقيدة راسخة تنبع عنها أخلاق حميدة أبرز ما فيها الرحمة والشفقة على مرضاه والتعاون مع من حوله.

كما أنه قدم لنا مواقفه الطبية بلغة سليمة عذبة وأسلوب قصصي سلس همه من ذلك أن يوصل الفكرة النبيلة الناضجة إلى قارئه من خلال قصص قصيرة متماسكة تتمتع بفنية متقنة، وهذا ما جعلنا نلمح أن كل حركة من حركات الطبيب، وكل تصرف من تصرفاته تؤدي دورها وتعطي نتائجها، كما نلحظ أن القصص اهتمت بالطبيب وهو في عمله مع مرضاه، ولم تعر مظهره الخارجي أو الحياتي أي انتباه، فلم ترسم لنا هيئة ومظهر عيادته، ولم تحدثنا عن سيارته وعائلته وعمارته وأوقات فراغه أو عن أي جوانب جزئية من حياته، وكأن الكاتب أراد أن يبقينا في جوهر عمل الطبيب الإنساني المسلم دون أن يضيع أوقاتنا بهوامش تزيينية، وهذا الأمر يجعل للقصص خلودًا أكثر عندما تجرد من الزمان والمكان وتقتصر على العمل النبيل الطيب.

بعد هذا كله نستطيع أن نستشف من بين السطور الجهد الذي بذله الأديب الكيلاني حتى يصور لنا طبيبه المسلم النموذج الذي يمكن أن يُحتذى من قبل الأطباء الآخرين.

وبذلك يكون قد كتب جزءًا من مذكراته بأسلوب قصصي ممتع، وخدم مهنته كطبيب، وأسهم في دعم فنه كأديب نبغ فيه.



أولى القبلتين

أ.د. أبوفراس النطافي

إذا مـا أُغـلـق الـمـنـظـورُ بابا
فـتـحـتَ أمـامـنـا يـا رب بابا
نـعـيـمُـك دائــمٌ دنـيـا وأخـرى
حَــوت مــن كـل غـالـيـة لبابا
وآيــك فــي يــد الــهــادي سـراج
أنــار بــه الـنـهـى وهـدى الرقابا
وهــجــرتــهُ لـطـيـبـة نــورُ فجر
أضــاءَ بـطـاح مـكـة والشعابا
ومــدَّ سـنـاهُ فـي الآفــاق هَديًا
طوىَ الغبراء، وافترش السّحابا
ومـا مـن حـاكـم فـي الأرض إلا
أطـاع مـحـمـدا ولــه استجابا
فـتـوح صـيَّـرت وجـهَ الدياجي
صباحًا ضاحكًا وضُحًى عِذابا
أبـا الـزهـراء يـا خـيـر البرايا
وأكــرمــهــم مُـقـامـا وانتسابا
دُعــاؤك لـلـسَّـلام غـدا مُـكـاءً
لمن جـحـدوا الـرسـالـة والكتابا
وأولــى الـقـبـلـتَين تُـسـام خَسفًا
وتُغتصبُ الحُقوقُ بها اغتصابا
حَـنـانـكَ يـا رســول الـلـه إني
أرى فـي عـصـرنـا عجبا عُجابا
أرى فـي كـلِّ نـاحـيَـة صـفـاحًا
تـصـبُّ على الـبـلادِ دمـا وصابا
تَجـوسُ خِـلالـهـا، وتـعـيـثُ فيها
وتـنـزعُ عـن مـحـارمـهـا النقابا
أرى الـنـدمـاء فـي حـرم المعالي
مــع الــبــاغــي يـعـبـون الحبابا
قـد انـخـدعـوا بـغـانـيـة وظنوا
كـؤوس الـسُـمِّ فـي يـدهـا شرابا
ومــا كـانـت لأمَّـتـنـا صَـديـقًـا
يُــريــدُ لـهـا الـسِّـيـادةَ والغلابا
ولا سلكت طـريـقَ الحـقِّ يَومًا
ولا اتـخـذت مـبـادئـهـا صَوابا
أنجـعـلـهـا عـلـى وطـنـي وصيا
ونطمعُ أن تـصـون لنا الرحابا
ونـحـن بـنـو المُـنـاجـد مـن قديم
أبـيـنـا أن نُـــذلّ وأن نُعابا
كفاكم يـا أبـاة الـضـيـم صمتٌ
عـلـى دمـنـا فـقـد بـلـغ الركابا
إلام عـيـونُـكـم لـلـغـرب ترنو
وتـنـتـظـرُ الـعـقـوبـة والـثـوابـا
أمـا فـي شـرْعـةِ الإسـلام نـورٌ
تَـرونَ بـه الحـقـيـقـة والسرَّابا
فـإنّ مـحـمـدًا بـالـبـرِّ أولـى
وأمـتـهُ أعــزُ بــه طـلابـا

شاعر أردني

في الكنية والكنى (١)



أحمد السعيدي ◆

«سمعت الحسن بن سفيان يقول لما قدمت على علي بن حجر وكان من آدب الناس، وكان لا يرضى قراءة أصحاب الحديث فغاب القارئ عنه يومًا، فقال: هاتوا من يقرأ. فقمت فقلت أنا.. فقرأت ذلك المجلس، وهو ذا يتأمل ويجهد أن يأخذ علي شيئًا في النحو واللغة فلم يقدر عليه، فلما فرغت قال لي: يا فتى ما اسمك؟ قلت: الحسن، قال: ما كنيتك؟ قلت: لم أبلغ رتبة الكنية. فاستحسن قولي، قال: كنَّيتُك أبا العباس، قال: وكان الحسن بن سفيان يفتخر أن علي بن حجر كناه» (٢).

إن الابتداء بهذا النص مقصود لما يكتنفه من تبجيل العرب والمسلمين للكنية واحتفائهم بها مقومًا رئيسًا للشخصية المتكاملة إذ تعتبر الكنية خصيصة تميز الشخص مضيفة عليه طابعًا تشريفيًّا يعتز به مثل الحسن بن سفيان وغيره، فما الكنية؟

يشير لسان العرب إلى أن «الكنية على ثلاثة أوجه أحدها: أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيمًا، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه» (٣)، أما معجم التعريفات فهي عنده «ما صدر بأب أو أم أو ابن أو ابنة» (٤).

وكيفما كان التعريف فإن للكنية في العصر الإسلامي وما قبله دلالات عدة تحتفي بالإنسان عبر تأصيل هويته وتعميقها وربطه بالذاكرة الجمعية والتراثية من خلال خصيصات أربع اتسم بها، هي الاسم والكنية والنسبة واللقب.

الكنية عن العرب والمسلمين

ظهرت الكنية عند العرب والمسلمين من أجل تعريف الإنسان بمناداته بـ «أبو» متبوعة باسم ابنه أو ابنته، أما إذا كان لا يزال صغيرًا فإنها تعد رجاء أن يُرزق الشخص بذرية تخلفه وتحيي ذكره.

لها دلالات عدة تحتفي بالإنسان عبر تأصيل هويته وربطه بالذاكرة الجمعية والتراثية

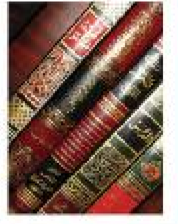
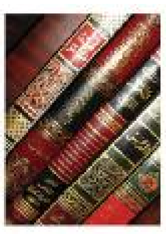
وإن انسحاب اسم الأب الشخصي من الواجهة إنما يُرام من خلاله تكريس قيم البذل والإيثار والتضحية والاستخلاف، حيث يكون الأب سعيدًا بحمله للكنية مفتخرًا بها» ونحن نعلم أن العرب كانت تقدر الرجل إذ تناديه بكنيته، وتحتقره إذا استعملت الاسم دون كنية» (٥).

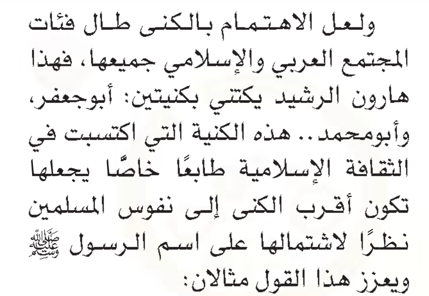
وبانتشار الإسلام في بقاع الأرض حمل معه منظومة من القيم والثقافات من بينها ثقافة الكنية، وتذكر المستشرقة أنماري شيمل (٦)، أنه في بعض بلدان العالم الإسلامي مثل باكستان، لا يتنادى الزوجان بأسمائهما الخاصة بتاتا، بل يفضلان استعمال الكنية، فينادي كل منهما الآخر بأبي فلان وأم فلان، ولا تقتصر الكنية على الذكر فقط بل تسحب على الأنثى أيضا مثل: سلمى بنت أبي سلمى، ويكنى الرجل بكنية أنثى مثل: أبورقية تميم الداري، أبوليلى، أبوريحانة.

وبهذا يكون المسلم سعيدا بحمله لهذه الكنية التي تشرف الأنثى وتسمو عن عقلية الوأد والحرمان من حق الحياة، وفي جنوب الجزيرة العربية تتحول الكنية وتتغير بنيتها من «أبو» إلى «با»، فتصبر أبويزيد مثلا إلى بايزيد، وأبوذر إلى باذر.. أما في شمال إفريقيا فتتحول إلى بليزيد وأبوالحسن إلى بلحسن (٧)، ويعزى هذا إلى طبيعة نسق اللهجات المتداولة، واختلافها من منطقة إلى أخرى.

ولم تقتصر الكنى على أسماء الأولاد بل تجاوزتها إلى كنى ذات دلالة رمزية تحيل على الخير والبركة وحسن الطالع، مثل: أبوالخير، أبوالفتوح، أبوالصبر، أبوالفرج، أبواليمن... إننا نلفيها بكثرة في كتب التراث وتآليفه بكل أنواعها، وتقتصر هذه الكنى على أهل المدن بينما تندر في البوادي.

◆ باحث لغوي



ولعل الاهتمام بالكنى طال فئات المجتمع العربي والإسلامي جميعها، فهذا هارون الرشيد يكتني بكنيتين: أبوجعفر، وأبومحمد.. هذه الكنية التي اكتسبت في الثقافة الإسلامية طابعًا خاصًا يجعلها تكون أقرب الكنى إلى نفوس المسلمين نظرًا لاشتمالها على اسم الرسول ﷺ ويعزز هذا القول مثالان:

- الأول: عبدالله بن المقفع «ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو فلما أسلم تكنى بأبي محمد» (٨).
- الثاني: الحافظ بن نعيم الذي قال: «إنه لما قدم على عبدالملك بن مروان، قال له غيِّر اسمك وكنيتك، قال أما الاسم فلا، وأما الكنية فأكتني بأبي محمد فغير كنيته» (٩).

وتنتشر في كتب التراث أدبيات الكنية التي أفاضت في سير هذه الثقافة المتميزة، ومن بين ذلك «إن العرب يكنون بأبي الحسن من اسمه علي وبأبي يوسف من اسمه يعقوب» (١٠).

كنية الرسول وكنى خلفائه

وردت للرسول ﷺ في القرآن كنى متعددة «وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا داود.. وقال مخاطبًا محمداً: يأيها النبي، يأيها المزمل، يأيها المدثر. وذلك قائم مقام الكنية» (١١).

وقد اختار الرسول ﷺ لنفسه من الكنى أبا القاسم كما سار على هديه صحابته الأجلاء ويخبرنا «عبدالوهاب بن عطاء قال: سئل سعيد بن أبي عروبة عن الرجل يكتني بأبي القاسم، فأخبرنا عن قتادة عن سليمان اليشكري عن جابر بن عبدالله أن رجلا من الأنصار اكتنى بأبي القاسم، فقالت له الأنصار: ما كنا لنكنيك بها حتى نسأل رسول الله عن ذلك، فذكروا ذلك لرسول الله فقال: تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي» (١٢).

وهكذا، تكنى الخلفاء الراشدون، فكانت كنية أبي بكر هي أبوقحافة، وكنية عمر بن الخطاب أو حفص، وكنية عثمان أبوعمرو، أما علي فله كنيتان: واحدة في السلم وهي أبوالحسن، وأخرى في الحرب وهي أبوالقصم، وقد تنادى بها يوم أحد، وقد سارع الصحابة إلى هذه المكرمة، فتكنوا بكنى متعددة ومختلفة.

استخدامها دليل على تفرد المتخيل العربي وغناه في نظرته للحياة

كنى أخرى

امتدت الكنى عند العرب والمسلمين لتشمل الحيوانات التي تدور في فلكهم وتعيش في بيئاتهم كالذئب والثعلب والأسد والضبع، فاختلفت كنى هذه الحيوانات وتعددت ناهلة من المتخيل الشعبي الجمعي الذي بوأها مكانة في خانة الكنى: فمثلًا كنوا الذئب «أبوجعدة»، والثعلب «أبوالحصين»، والأسد «أبوفراس»، والضبع «أم عامر»، والديك «أبوبرائل»، والقرد «أبوزنة، والجراد «أم عوف»، والحرباء «أم حذر».. كما أنهم كنوا بعض المعنويات التي يحتك بها الإنسان في ممارساته اليومية، فكنوا الدنيا أم شملة، والموت أم اللهيم، والحمى أم ملذم، والهرم (الشيخوخة) أبومالك، وهي كلها كنى رمزية تؤكد من وجه قدرة الإنسان العربي على تطويع لغته العربية لتشمل كل مناحي الحياة، ومن وجه آخر تبين فرادة المتخيل العربي والإسلامي وغناه في نظرته إلى خصيصات الحياة وتفاصيلها.

إن التعرض لمثل هذه المكونات التي يحفل بها المنجز التراثي العربي والإسلامي لتجعل الباحث يندهش لطبيعة هذا المنجز، وفاعليته وقدرته على جمع منظومة من تفاصيل الشخصية العربية والإسلامية في جملة مؤلفاته، وعدم إغفال بعضها بدعوى عدم أهليتها للوصف والمناقشة، هكذا تكون الكتابة عند القدماء فعلا مؤسسا، به يستطيع الفرد التأريخ خدمة للأجيال القادمة دون معرفة بمنهج علمي مسبق يتقيد بقواعده وتوجهاته، لقد بات العلم الذي كتب فيه علماء المسلمين بالأمس يعرف اليوم باسم «الطربونوميا» أي دراسة أسماء الأماكن والأشخاص، يكفيهم فخرًا خطوا كتبا عديدة في هذا الباب.

الهوامش

١- للاستزادة ينظر: «الأسامي والكنى» لابن حنبل، «وأسماء من يعرف بكنيته» لمحمد بن الحسن الأزدي، و«الكنى والأسماء» لمسلم القشيري، و«تهذيب الأسماء» لأبي زكريا محيي الدين، و«المقتنى في سرد الكنى» لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.
٢- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أبي جرادة، تحقيق: د سهيل زكار، ج ٥، ص ٢٣٦٩، دار الفكر، ط١، بيروت ١٩٨٨.
٣- لسان العرب ج ١٥ ص ٢٣٣ دار صادر، بيروت ط١.
٤- التعريفات، الجرجاني، ج١ ص ٢٤١.
٥- أبوحيان التوحيدي، هل كان صوفيًا أو فيلسوفًا؟ يوسف زيدان، موقع يوسف زيدان للتراث www ziedan.com
٦- ينظر كتاب noms de personne en Islam الصادر عن المنشورات الجامعية بفرنسا ١٩٩٨.
٧- noms de personne en Islam .p :١٦
٨- الفهرست، ص ١٧٢.
٩- تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ج١ ص ٣٠٧، ط: ١ مصر ١٩٥٢.
١٠- تعريفات أساسية، يوسف زيدان.. موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات.
١١- البداية والنهاية، ابن كثير، ج٦ ص ٢٦٥، مكتبة المعارف بيروت.
١٢- الطبقات الكبرى، ج ١ ص ١٠٧.



التكثيف والتركيز في القصة القرآنية

محمد محمد الشحات

نقرأ في كتاب ربنا قصصا ومشاهد تحكي قصة الإنسان في الحياة؛ فحياة الإنسان قصة صراع وتدافع بين مقومات الفطرة النقية وبين الملوثات الدخيلة على الفطرة السليمة، والنموذج الواضح في هذا الإطار هو الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، والشخصية البارزة في هذا الجانب هو النبي أوالرسول المبعوث من قبل العناية الإلهية لتطهير الأرض من ملوثاتها، فكانت القصة القرآنية المثال الواضح لذلك.

وللقصة القرآنية سمات واضحة المعالم، ومن ذلك التكثيف والتركيز واختفاء تفاصيل الإنشاء.

ما التكثيف؟

القصة القصيرة هي الفن الأدبي الشديد التكثيف والتركيز والموضوعية؛ فاللفظة في القصة تحمل شحنات دلالية عالية الدقة وكاتب القصة يختار لفظة لا تحتمل التعدد في الدلالة، أو المفهوم فالقصة تعالج موضوعًا واحدًا، أو فكرة أو موقفًا محددًا أو جزئية من جزئيات الحياة لشخصية ما.

لذا يتلقى القارئ أثرها ككل وفي الحال وبسرعة لذا كان التكثيف عنصرًا ضروريًا ومقومًا من مقوماتها الإيجابية الخاصة بها.

والتكثيف في القصة يناسب روح العصر السريعة أحداثه والمتلاحقة مشاهده، والقارئ للقصة صار يتمتع بها لقصرها وموضوعية الحدث فيها.

ومن هنا كان من الضروري أن تختفي تفاصيل الإنشاء حرصًا على تأكيد مبدأ الوحدة أولًا، ومبدأ التكثيف ثانيًا ولكي يتم ضبط الأحكام الفنية لابد أن تختفي تلك التفصيلات التي تناسب العمل الروائي الذي يتسم بالطول والزيادة في السرد وكثرة الدلالات.

والقرآن الكريم استخدم في عرضه لقصصه، ومشاهده لغة الرمز والتكثيف والتركيز.

والقرآن الكريم يعرض القصة بطرق متعددة فمنها ما تأتي على حلقات، وفي سور متعددة كما هو الحال في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وهذا شكل من الأشكال، وشكل آخر هو أن تعرض في حلقة واحدة كما هو الحال مع لقمان، وابنه وأصحاب الكهف.

وهناك نوع آخر تتعدد فيه الشخصيات مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام وسيدنا موسى عليه السلام، وهناك نوع آخر تقل فيه الشخصيات وتتلاشى التفصيلات من باب إحكام الصياغة والضبط مثل قصة سيدنا عيسى عليه السلام.

ونوع آخر من القصص القرآني يتم فيه الحدث بشخص واحد، قال تعالى: ﴿..وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى...﴾ فهذا مشهدُ البطل فيه شخصٌ واحد.

ومن السمات المميزة للقصص القرآني وجود الفجوات بين المشاهد والأحداث، وهذا دليل على اختفاء التفصيلات والفجوات، وهذه تترك مساحة للعقل البشري أن يتصور ويتخيل الجزئيات التي بين السطور وتعطيه فرصًا لأن يعيش الأحداث.

والقرآن الكريم يعطي عطاء لا ينفد لذا تتعدد التفسيرات، وكلها في الميدان تقترب من الصواب، ولا تحيد عنه، المهم أن القرآن صار مدرسة عطاء وتربية وتهذيب وتعليم.

والقصة القرآنية فيها مجموعة من الرسائل والشحنات المعنوية والوجدانية التي تمثل دفعة إلى الأمام في سبيل البناء مع الاستفادة من رصيد السابقين من الأنبياء والمرسلين في صراعهم الطويل.

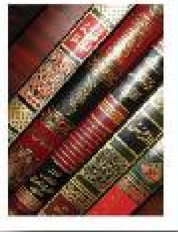
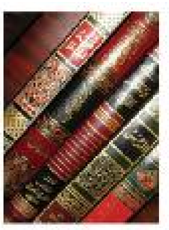
والقصة الفنية تعتمد على مشهد واحد في حياة الشخصية لأنه لو تعددت المشاهد لكان هناك تناقض بين التعدد والتركيز..

الخاتمة في القصة

إن الخاتمة في القصة قد تكون مفتوحة، أو مقفولة فالمفتوحة هي التي يترك فيها المؤلف الحرية للقارئ، أن يختم بها القصة من وجهة نظره، أما المقفولة فهي التي ينهي فيها المؤلف الحدث وفق رؤيته، وأعتقد أن الخاتمة المفتوحة مهمة لتنمية المشاعر الوجدانية والتواصل بين المؤلف والقارئ.

والقصة القرآنية قد تبدو لأول وهلة أن فيها إسهابًا وإطنابًا ولكن بالتأمل والتركيز في النظرة نجدها تعتمد على التكثيف والموضوعية والبعد عن المترادفات، ولنا في قصة أصحاب الكهف المثل والنموذج فقد سكت القرآن عن مجموعة من التفصيلات الخاصة بطبيعة حياتهم وآبائهم وبلدهم وطبيعة المجتمع والظروف المحيطة، كل ذلك سكت عنه القرآن وهذا من الدقة البلاغية والفنية العالية وعليها قام البناء الفني للقصة الحديثة.

باحث لغوي

استفحال ظاهرة الضعف في الخط والقواعد الإملائية



تزداد في الجيل الأخير ظاهرة خطيرة، وهي الضعف في الكتابة والإملاء، وهذا الضعف ليس مقصورًا – كما كان في الجيل القديم- على البراعم الصغيرة من أبنائنا في مراحلهم التعليمية الأولى، بل وصل الأمر حتى إلى المعلم، والمؤسف حقًّا أن يكون معلم لغة عربية! فلا بد من وجود دراسة لأسباب هذه الظاهرة، ووضع السبل العملية لتلافي هذا الضعف.

وهذه الظاهرة لها آثار كثيرة على الخط العربي منها رداءة الخط وتحوله إلى قدر من كبير العجمة والألغاز، وربما وقف المعلم أمام خط الطالب حينًا من الزمن ليستبين كلمة! ويأسف المرء لما وصلت إليه خطوط طلاب الثانوية العامة والجامعات، وقد دلت بعض الدراسات على أن شكل الكتابة، وجمال الخط عامل مؤثر على تقويم المدرس وتقدير درجة الأعمال، ووجد أحد الباحثين أن الضعف العام من وجهة نظر مديري المدارس والوكلاء والمدرسين في الإملاء عند التلاميذ يعود إلى ضعفهم في الصفوف الأولى، وقد يصل الطالب إلى مستويات عليا ولا يستطيع أن يفرق بين أنواع الهمزة، أو ما يتعلَّق بالمدِّ والقصر وما يجوز فيه الحذف.

ويمكن مواجهة هذا التحدي من خلال كتابة الكلمات التي يكثر فيها الخطأ وتصحيحها بخط عريض على مجموعة من اللوافت، وتعلق على جدران الفصول المدرسية وفي الممرات وفي كل مكان يجتمع فيه التلاميذ، وتنتهي بقاعدة سهلة يمكن تطبيقها عليها، والاستفادة من بعض الرخص في كتابة بعض الكلمات، ووضع أسس ومناهج مبسطة لتدريس الإملاء والخط العربي واختيار المدرس الأكفأ لتدريسه في مراحل التعليم الأولى، فالإملاء العربي ليس صعبًا ولا معقدًا و يتميز بالاختزال وعدم التشابه بين حروفه، فكل حرف مميز عن الأحرف الأخرى، فالذي يكتب بالعربية في سطر يكتب بالإنجليزية في سطرين أو ثلاثة.

فالحقيقة أنه لا خلل في الخط العربي الذي نكتب به لغتنا الجميلة منذ مئات السنين، فلا شك في أنه خط مبرأ من العيوب، والدليل على ذلك عدم وجود هذه الظاهرة في الأجيال القديمة، وإن كانت هناك بعض الصعوبات، فالخط العربي ليس بدعًا بين الخطوط في مشاكله، إذا قوبل بلغات أخرى كالصينية التي تصل حروف إحدى كلماتها إلى أربعين حرفًا، والفرنسية يصل عدد حروف إحدى كلماتها إلى عشرة أحرف، ولا ينطق منها إلا حرفان أو ثلاثة.

باحث لغوي من اليمن

ثمرات المطابع

هدى الإسلام في بناء المجتمعات

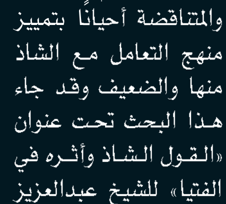
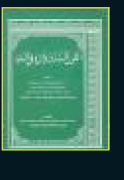
الإنسانية اليوم في أمس الحاجة إلى من يعمل للسلم والأمن حتى تعي المجتمعات دورها في الحياة وتتضافر جهودها في كل ما من شأنه أن يعلي من القيم النبيلة الهادفة



وقد جاء هذا الكتاب (هدى الإسلام في بناء المجتمعات) لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبدالله بن حسين الموجان في ٢٢٥ صفحة من القطع المتوسط ليحدثنا عن توحيد الله عز وجل وأهمية دور القرآن في بناء عقيدة المسلم الصحيحة ودور مسألة التفكير والتأمل في تثبيت العقيدة ودور الإسلام وحرية الإنسان في اختيار عقيدته.

القول الشاذ وأثره في الفتيا

في هذا العصر الذي شهد سرعة انتقال المعلومة نتيجة لتطوير وسائل الاتصال المرئية والمسموعة وكثر فيه المفتون عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية لابد للناس ممن ينيرهم طريقهم ويبصرهم بما يلقى إليهم من تلك الفتاوى المختلفة والمتناقضة أحيانًا بتمييز منهج التعامل مع الشاذ منها والضعيف وقد جاء هذا البحث تحت عنوان «القول الشاذ وأثره في الفتيا» للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ في ٢٠٤ صفحات من القطع المتوسط لينفض الرماد عن بعض الأقوال المهجورة والآراء الشاذة فيفتي بها ويحيد عن منهج السلف في التعامل معها فيميع الدين ويضل العامة، وقد اجتهد صاحب البحث في الاستدلال بالكتاب والسنة على ما أورده عن المسائل راجعًا في دلالتها إلى سلف هذه الأمة ناقلًا نصوصًا من كلامهم على ذلك.

التبصرة

التحرير

الفن: الفقه المالكي
سنة النشر: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
رقم الطبعة: الأولى
عدد المجلدات: ١٥
إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

التعريف بالمصنِّف

هو الإمام أبوالحسن علي بن محمد الربعي القيرواني المالكي؛ المعروف باللخمي، نزيل صفاقس التونسية، وكان فقيهًا فاضلًا ديّنًا مفتيًا متفننًا، ذا حظ من الأدب والحديث، جيد النظر، حسن الفقه، جيد الفهم، وكان فقيه وقته، أبعد الناس صيتًا في بلده، وبقي بعد أصحابه، فحاز رئاسة بلاد إفريقية جملة، وكان حسن الخلق مشهور المذهب، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (٤٧٨هـ) رحمه الله.

أهمية الكتاب

ذكر محقق الكتاب د. أحمد نجيب أنه لا تخفى على طالب علم مكانةُ «مختصر خليل» عند فقهاء المالكية المتأخرين، حيث صار عامة أتباع المذهب معتمدين على المختصر، وليس الباعث على ذلك مكانةَ مؤلِّفه وحسب، بل ثمة أسبابٌ كثيرةٌ تُعلي من قدره وتزيد من شأنه؛ أجلُّها أصالة المصادر التي استَخرج منها مسائله، وهي تلك التي أشار إليها في مقدمته التي أجاب فيها سائلَه، حيث قال رحمه الله ما ملخَّصُه: «...سألني جماعةٌ مختصرًا على مذهب الإمام مالك بن أنس، مبينًا لما به الفتوى، فأجبتُ سؤالهم مشيرًا بـ«فيها» للمدونة، وبـ«الاختيار» للخمي، وبـ«الترجيح» لابن يونس، وبـ«الظهور» لابن رشد، وبـ«القول» للمازري»، فاختيارات اللخمي في «التبصرة» عمادٌ من عمُد المختصر الخليلي، وهي مهمة جدا حتى لو خالف اللخمي فيها غيره من الشيوخ، وقد رمز له خليل في مختصره برمزَين لتمييز ما أورد فيه من أقوال اللخمي فهو يشير إلى اختياره هو في نفسه بصيغة الفعل، وإلى اختياره من الخلاف بصيغة الاسم.

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب المالكية الذين جاءوا بعد اللخمي من نقل كلامه واختياراته في «تبصرته»، فهي من أهم ما يُرجَع إليه في تحرير رواية المتقدمين، وتقريب أحكامها.

نعم؛ وقعت في «التبصرة» اختيارات خرجت عن المذهب، وأيَّ غضاضة في ذلك مادام المصدرُ كتابَ الله وسنَّة رسوله ﷺ، واللخميّ أقلها مجتهد في المذهب، ومع ما في «التبصرة» من اختيارات خارجة عن المذهب فقد تلقاها العلماء بالقبول، ولم يعترض عليها بشيء سوى ما قيل من أنَّه لا يفتى بها في المذهب.

والقول بعدم اعتماد «التبصرة» في الفتوى قولٌ مقبول من حيث قانون أئمة المذهب فيما يعتمد وما لا يعتمد؛ فللإفتاء قواعد تختلف من مذهب إلى مذهب، فلكلِّ مذهب طريقة مختلفة في تعيين الصَّحيح والرَّاجح أو ما عليه الفتوى، جَرَّ إلى ذلك اختلافُهم في الأصول، فإن الحنفية لا يَذكُرونَ مشهورًا أو تصحيح روايـةٍ؛ لأن مناطَ النَّظر عندهم ليس على صحةِ نسبة القول للإمام وحسب، فيعبرون بـ«المُفتَى به»؛ لأن في مذهبهم جَمْعًا ممن سَلَّمُوا لَهُم الإمامةَ غيرَ أبي حنيفة، كأبي يوسف ومحمد بن الحسن وزُفر، فلهم مسلكٌ في الإفتاء حينًا برأي هذا وحينًا برأي ذاك، وكذا الشَّافعية عندهم وجوه وقديمٌ وجديد، والحنابلة لهم رواياتٌ؛ معتمدٌ منها وغير معتمد. فإذا صَحَّ هذا، لَزِمَ منه ألَّا تَصِحَّ قاعدةٌ في التقليد والفتوى إلا من ذات المذهب؛ لاختلافهم في الحقائق والمعاني.

أما المالكية فالعبرةُ عندهم إنَّما هي بقول الإمام لا غير، فلا يُعدل عنه البتة لقول أحد من نُظَّار أصحابه، بلا خلاف صحيح يُعتدُّ به؛ لأنه تقرَّر في الأصول عندهم أنه لا يجوز إلاّ تقليد المجتهد المطلق، ثم قُيِّد بالأئمة الأربعة، وعلماءُ المذهبِ ليسوا من أهل الاجتهاد المطلق. وقرَّر المحقِّقون من أهل المذهب أنه لا ابنُ القاسم ولا غيره أهل اجتهاد مُطلق. فإن كان خلافٌ في النَّقل عن الإمام فلهم فيه تفصيلٌ دقيقٌ قائمٌ على قواعدَ مَتينة، من تقليد الأطول صُحبة وآخر النَّاس عهدًا بالإمام، فإن كان الأمرُ بعدَ عهد تلاميذ الإمام؛ فالقولُ قول المُعتنين

بالمدونة من المغاربة لا العراقيين؛ لأنهم ألصق بفروع الإمام وحافظوه، وأولئك ألصقُ بما ينصُره من دليل، والحافظ متقيِّد، والنَّاصر ربَّما نصرَ بدليل في تضاعيفه ما لا يقبلُه الإمام، خاصَّة أن أولئك المنتصرين لا ينتصرون في الغالب بدليل جُزئي نَصَّ عليه الإمام، وإنما ينتصرون بأدلَّة جزئيَّة مُستمدة من الأدلة الكُلِّيَّة التي يقول بها الإمام، وهذه الطَّريقة وإن كانت صحيحةً في نفسها إلاّ أنه يتطرَّقُ إليها الاحتمال.

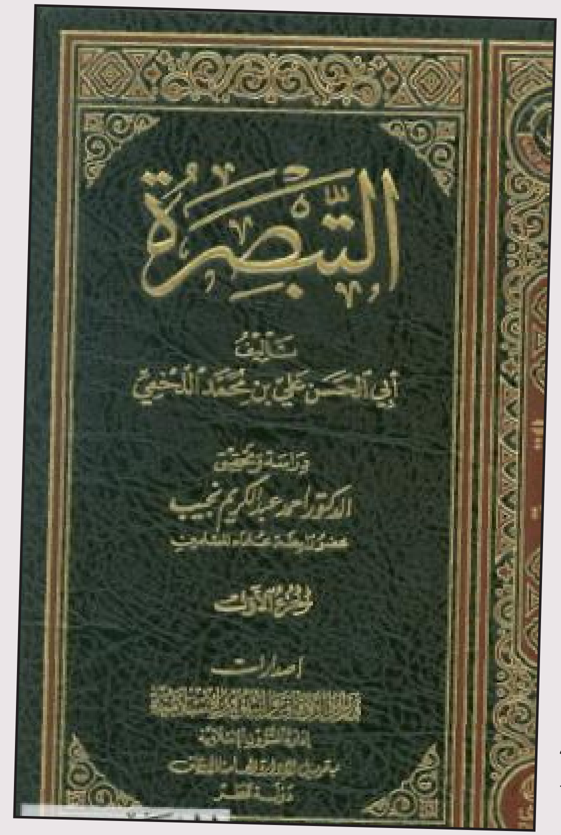
فإذا تقرَّر هذا فكل ما يُنقل من خلاف عن أصحاب مالك؛ إن كان في مقابل قولٍ الإمام طُرحَ من جانب المقلد؛ لأنهم ليسوا بمجتهدين، وإنما ساغ لمثلهم خلاف مالك وهم مُقلدوه للمسألة المرسومة في كتب الأصوليين بتجزُّؤ الاجتهاد. أمَّا المقلِّد الذي ليس هو بأهل لطُرق التَّرجيح والتَّشهير فلا يعمل بغير نصِّ الإمام.

أما إذا اختلف المنقول عن الإمام وتعارض، فتأتي مسألة تعيين الرَّاجح والمشهور.

قالوا: والرَّاجح: ما قَويَ دليلُه. والمشهور: ما كَثُرَ قائله. وقيل بعكسهما، أي الرَّاجح ما كثر قائله والمشهور ما قوي دليله.

ثم إن قيل: الرَّاجحُ ما قويَ دليلُه، بمعنى أن الدَّليل بحَدِّ ذاته قويٌّ ناهضٌ بالحُجَّة. إن عمل به لأنه مذهب مالك فقد تَقَوَّلَ على مالك، لأنه لا يصح في العقل أن مَن ظَنَّ رُجحانَ دليل، صار ما ظَنَّهُ دالًّا عليه الدليل- حسب فهمه- مذهبَ مالك، ويلزم منه أن يكون مذهب مالك مذاهب لا مذهب، فلا يَختبئ هذا المُرجِّح خلف مالك، وليُصرح بأنه يرجِّح لذات الدَّليل بلا التفات لمالك، وإن قال إنما آخُذ بما قوي دليلُه من قول مالك، هذا أيضًا أخذٌ بالرَّأي المُقوَّى عندَهُ هو لا رأي مالك، لأنه ليس من طرق معرفة نسبة القول لقائله أن يكون هذا القول قويًّا دليلُه عند النَّاظر، إنما النَّظر في النَّاقل عن الإمام والقرائن لا مُطلق قوَّة الدَّليل، وتقدَّمَ أن الرُّجحان في الدَّليل عن فلان وفلان من نُظَّار المذهب لا يلزم منه أن يكون راجحًا عند الإمام.

أما إذا اختُلف في فهم نصِّ الإمام بين الأصحاب، فالمَهْيَع هنا أن تورد تأويلات وتفسيرات عبارة الإمام التي حرَّرها أصحابه ونظار مذهبه، فينظر في قوتها من جهة دلالة عبارة الإمام، وتوافقها مع قواعده وأصوله وهو أمرٌ ليس بالهين.



فإذا تقرر هذا فليعلم أنَّ عدم الإفتاء بما في «كتاب التبصرة»؛ فمردُّه إلى كونها ليست من كتب هذا الفنِّ، وكون مصنِّفها رحمه الله غير ملتزم منهجَ المالكية في الإفتاء.

بقي أن نشير إلى أمرين متعلقين بفتاوى اللخمي على الخصوص، بعيدًا عن الكلام على تبييض «التبصرة» وتصحيحها وما أثير حوله.

الأمر الأول، أن فتاوى اللخمي كثيرة ظاهرة في دواوين المفتين والمصنفين في النوازل الفقهية، وقد سعى إلى جمعها وترتيبها الدكتور حميد لحمر فأثمر سعيه- مشكورًا- إلى إخراج مائة واثنتين وثمانين فتوى نشرها في كتاب بعنوان «فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي القيرواني»، وهي خلاصة فتاوى اللخمي في نوازل البرزلي، ومعيار الونشريسي، وما يعنينا من ذلك هو اعتماد المالكية هذه الفتاوى على الرغم من أن كثيرًا منها- إن لم يكن أكثرها- موجود في «التبصرة» أو منقول منها بفوارق طفيفة.

والأمر الثاني أن متأخري المالكية أجمعوا على تلقي مختصر الشيخ خليل- وما أودعه بين دفتيه- بالقبول، وهو الكتاب الجامع لما به الفتوى في المذهب، فلزم من اعتماده اختيارات اللخمي ونصِّه عليها صراحةً، بل تقديم التبصرة في ترتيب مصادره الأربعة التي هي لبُّ لباب الكتاب- رفع الخلاف الواقع في اعتمادها في الفتوى أو الإفتاء بما فيها.

بل إن الشيخ خليل رحمه الله ذهب أبعد من ذلك فأورد في مختصره اختيارات اللخمي التي خالف فيها من سبقه من أئمة المذهب وفقهائه، مع أنَّ هذا هو عين ما اعتبره غيره تمزيقًا للمذهب، وخروجًا عليه، رحمة الله عليهما.

سلسلة النهضة التعليمية ٢-٤

ركائز وقيم النهضة التعليمية

هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

الاعتراف بوجود مشكلة هو أولى خطوات الإصلاح الذي يحقق النهضة.. ولا سبيل لنا لإنكار أن حالة التعليم في غالبية الدول العربية لا ترقى إلى مستوى الآمال والأحلام ولا تتناسب مع التاريخ، وتفتقد إلى مقومات النهضة الحقيقية، سيّما أن الرؤى وحدها لا تصنع حضارة، فلابد من إجراءات تتم لتحويلها إلى واقع، وهي مهمة القيادة التي تلهم الناس وتحدد الطريق وتسير عليه وصولاً إلى النتائج.. وإذا كانت الأمة الإسلامية والعربية حملت مشاعل النهضة في عصور سابقة إلى العالم أجمع، إلا أن الحال لم يدم طويلاً، ربما لقيام غير الأمناء على المناهج العربية وربما لأسباب أخرى.. تعالوا نتعرف على أسباب غياب النهضة التعليمية.

نتوقف أولاً مع مقولة للأكاديمي المصري د.حسام بدراوي ذكرها في كتابه «التعليم.. الفرصة للإنقاذ» أوضح خلالها أن: «من يقرأ التاريخ المصري يكتشف بدون جهد أننا نناقش نفس الموضوعات بنفس الطريقة وبشكل متكرر عبر السنين، وكأن الزمان قد توقف عند مربع تدني مستوى تدريس اللغات وارتباط الهوية باللغة العربية، فمازال الجدل متواصلاً حول تطبيق أولوية التعليم في مجتمع ليس له سوى طريق واحد للتقدم، وهو العلم والمعرفة ليجعل مستقبله مضيئًا».. فلعل «بدراوي» استشعر مدى التراجع الذي لحق بالتعليم المصري خاصة والعربي عامة، ما دعاه إلى تأليف هذا الكتاب الصادر عن الدار المصرية اللبنانية كشعاع على طريق النهضة.

انحدار

وليس خافيًا أن النهضة التعليمية خرجت في وطننا العربي لتعبر عن خصوصيته متمثلة في نظام تعليمي يعكس طبيعة النظام الاجتماعي السائد مهما اختلفت أسماء أماكن تطبيق هذا النظام، ما بين بيوت الحكمة، والكتاتيب، والأروقة، وأخيرًا المدارس والمعاهد، غير أن نجم هذه النهضة انخفض شيئًا فشيئًا معلنًا وجود مشكلة تتشابك مع مرور الوقت وإن كانت غير مستحيلة الحل، مشكلة لم تسفر فقط عمّا يقرب من وقوع ٢٠٪ من سكان الوطن العربي البالغ ما يقرب من ٣٥٠ مليون نسمة ضحايا للجهل والأمية، بل أيضًا تهدد الهوية العربية.

أمين أبوبكر: الأسرة والمدرسة والمجتمع شركاء أساسيون في المسؤولية

وفي هذا الإطار صدرت العديد من التقارير والدراسات التي تحذّر من انحدار المستوى التعليمي في الوطن العربي منها تقرير للبنك الدولي صدر عام ٢٠١٠ حول التعليم في الوطن العربي، وحذّر من وصوله إلى مرحلة التخلف، واستند في ذلك إلى مؤشرات كثيرة منها تخصيص الدول العربية ٥٪ فقط من إجمالي الناتج المحلي و٢٠٪ من إجمالي الإنفاق الحكومي على التعليم، وذلك طوال الأربعين سنة الماضية، وأن هناك فجوة كبيرة بين ما تحققه الأنظمة التعليمية في العالم العربي وما تحتاجه في التنمية الاقتصادية، الأمر الذي أدى إلى ضعف العلاقة بين التعليم والنمو الاقتصادي كنتيجة أساسية لانخفاض مستوى التعليم.

مخرجات فاشلة

وترجع أسباب افتقاد أو غياب النهضة التعليمية في العالم العربي بحسب أمين أبوبكر، وكيل وزارة التربية والتعليم المصرية، إلى وجود معوقات اجتماعية واقتصادية، حيث قال: هناك معادلة بسيطة تعتمد على توافر المعايير التأهيلية في المعلم، وأن يكون هناك مخرجات للعملية التعليمة يكافأ عليها المعلم، لكن الواقع أنه لا توجد مخرجات، وإن وجدت فأغلبها فاشلة، وعدم مكافأة المعلم شيء طبيعي في ظل تدهور حال التعليم وفقدان النهضة التعليمية.

وأوضح أن فقدان العملية التعليمة لريادتها يرجع إلى فقدان ثلاثة أعمدة رئيسية وهي الأسرة، والمدرسة، والمجتمع، إضافة إلى أعمدة فرعية مثل

الوسائل التعليمية والمواد والمناهج والتي لا تكفي وحدها بلا معلم كفء، وهذا ما نفتقده الآن، وتفتقده النهضة المفقودة!

وأكد أن المجتمع والأسرة والمدرسة الآن يعتقدون أنه يوجد تعليم ونهضة، ومن ثم فإن المخرجات الناتجة عن العملية التعليمية باعتقادهم طبيعية، باعتبارها جزءًا من المجتمع.. وأضاف قائلًا: «لو أن هناك مخرجات جيدة للعملية التعليمية، ما أقدم شاب على قتل نفسه نتيجة البطالة، وما أقدم آخرون على حرق المجمع العلمي بالقاهرة بكل ما يحتويه من أمهات الكتب والتراث العلمي، وهو الأمر الذي يؤكد أن هذا الجيل لم يتعلم أهمية الهوية الثقافية، والتراث العظيم وكيفية المحافظة عليه».

وحول تأثير التعددية الثقافية في مناهج المدارس الأجنبية التي انتشرت في مجتمعاتنا على المهارات الأساسية والهوية الثقافية لأبناء الأمة العربية كلها، رأى أبوبكر أن المدارس والجامعات الأجنبية نالت من نهضتنا بشكل كبير، وأخذت من ولاء وانتماء أبنائنا، ما ساهم بدرجة كبيرة في طمس الهوية الثقافية تدريجيًا، وصولًا إلى مرحلة التغريب.. محذرًا الآباء ألا يسعدوا بتعليم أولادهم في هذه المدارس والجامعات؛ لأنها- وفق رأيه- أحد الأسباب الرئيسة التي أضاعت النهضة التعليمية العربية.

تشتت الثقافات

«إن كانت قلوب المسلمين تهفو إلى الكعبة، فعقولهم تهفو إلى الأزهر»..

فرحات المنجي: لو اقتبسنا نهضتنا وعلمنا من كتاب اللّه ما ضللنا أبدًا

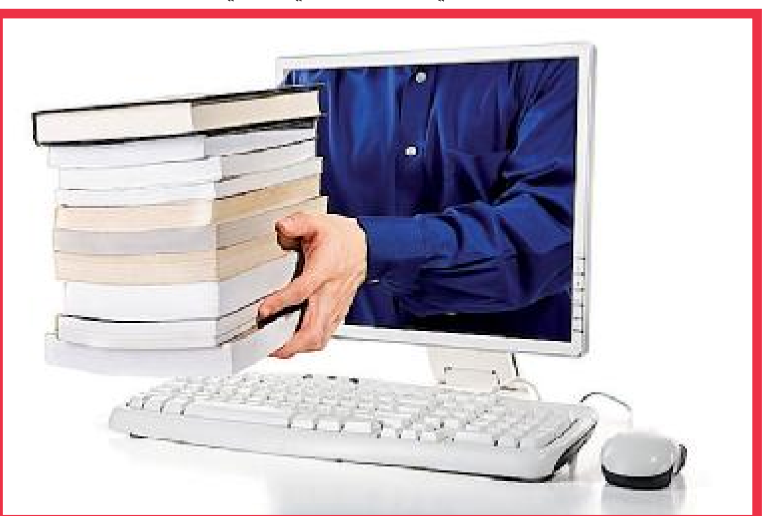
بهذه الكلمات عبّر الشيخ فرحات المنجي، مستشار شيخ الأزهر السابق، عن حال النهضة التعليمية التي صاحبت الأزهر منذ تأسيسه قبل ١٠٠٠ عام، حين التزم الأزهر الشريف بإرسال واستقبال الوفود التعليمية من وإلى شتى البلدان لتدريس المواد الشرعية والعربية، وهو الأمر الذي يعتبره الأزهر واجبًا عليه نحو الأمة الإسلامية والعربية، لكنه يوضح أن ميزانية الأزهر قد تقف عائقًا أمام التوسع في هذا الأمر.

وأوضح «المنجي» أنه وعلى الرغم من محاولات الأزهر المستمرة عدم التخلي عن دوره التنويري، فإنه يصطدم أيضًا بالثقافات الواردة والمخترعة وأفكار الملحدين.. والتي وجدت إطارًا واسعًا لها من خلال المدارس والجامعات الأجنبية في الوطن العربي، والتي باتت أداة للاستعمار الحديث عن طريق العلم، مؤكدًا في هذا الصدد أنه لا يطالب بإلغاء هذه المدارس والجامعات، لكنه يدعو إلى إخضاعها للهوية الثقافية الإسلامية والعربية بحيث تكون أداة بناء للنهضة التعليمية العربية، وليست معول هدم، مؤكدًا: «لو أننا اقتبسنا نهضتنا وعلمنا من كتاب الله ما ضللنا أبدًا؛ لأن القرآن الكريم أُنزل لكي يكون دستورًا للمسلمين، يسيرون عليه إلى أبد الآبدين».

واستنكر المنجي فقدان نهضتنا التعليمية التي بسطت نفوذها على العالم كله حتى أصبحت دولة الإسلام هي الوحيدة التي يشار إليها أنها دولة علوم الطب والفلك والهندسة، حيث كان مؤسسوها من العرب المسلمين، وأقام الغرب على أكتاف هذه العلوم حضارتهم ونهضتهم، فكيف لهم أن يأتوا وتسيطر ثقافتهم وتطغى على علمنا؟!

تلميذ متلق

بينما لم ينكر د.فاروق إسماعيل، رئيس جامعة الأهرام الكندية، حدوث خلل كبير في عملية النهضة التعليمية، الأمر الذي أبعد الوطن العربي عن المسيرة العالمية، وأسلوب التعليم التفاعلي،وطرق التعليم الحديث، موضحًا أن أكبر تأثير في مسار النهضة في الوطن العربي كله أن التلميذ أصبح متلقيًا وغير مشارك في العملية التعليمية، إضافة إلى الكثافة الطلابية في الفصول، وعدم الاهتمام من جانب التلميذ والمعلم، وغياب التأهيل والتدريب الجيد للمعلم، وغياب





الرعاية الاجتماعية للمعلم والتلميذ، إضافة إلى التأمينات الصحية، مؤكدًا أن كل ذلك قام بدوره في إحداث خلل بكيان النهضة.

وعن المدارس والجامعات الأجنبية، وإلى أي مدى أفادت أو أضرت النهضة التعليمية أكد إسماعيل أنها تنقل من الخارج طرق التعليم الجيد والتجارب الأخرى، ضمن عناصر وفرق مختلفة، فهي نماذج تعليمية متطورة لا مجال للشك في إضافتها الكبيرة، وتعد نماذج تعليمية مختلفة لدول متقدمة تنعكس بشكل إيجابي، وتؤثر في الشكل المرحلي.

إلا أنه انتقد نقص الحس الوطني من حيث الاهتمام باللغة العربية والتربية الدينية على الرغم من الدور الذي تلعبه هذه المدارس والجامعات في التنشئة العلمية للتلاميذ العرب، مشيرًا إلى إهمال المجتمع بشكل عام لغته وتربيته الدينية، حتى أصبحت قدرة طلاب الجامعة وليس فقط تلاميذ المراحل الأولية على الكتابة والقراءة باللغة العربية ضعيفة جدًا، ويظهر ذلك بشكل واضح في خطوط وكتابات الصيادلة والأطباء- على حد قوله.

انطباعات شخصية

من جانبها، قالت نادية جمال الدين، المدير السابق لتحسين التعليم بوزارة التربية والتعليم المصرية: إن ما يُقال بشأن افتقاد النهضة التعليمية أمر طبيعي، على الرغم من أن ذلك لم يتم تأكيده من خلال البحث العلمي، إنما هي انطباعات شخصية تفتقد الحقائق العلمية المجردة، مؤكدة أن القول بأن النهضة التعليمية العربية تراجعت يجب أن يستند إلى أبحاث علمية مقننة، تعطي نتائج واضحة حول قصور المخرجات التعليمية، وتوضح ما نحتاج إلى تحسينه، ومعرفة متطلبات المرحلة، إلا أن كل ذلك- وفق رأيها- لم يحدث.

وأكدت أن النظر إلى تحسين التعليم وتطويره دون الاعتماد على نتائج علمية حقيقية يعد إساءة للتعليم وإهدارًا له، قائلة: نحن لدينا حقًّا طاقات هائلة لكنها معطلة، وذلك ليس لسوء التعليم، إنما لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وتدني ميزانية التعليم؛ لذلك يجب أن نسعى إلى استرداد العلم واللغة والهوية الثقافية والدينية.

ووصفت وجود الجامعات والمدارس الأجنبية في المجتمعات العربية بأنه تتسبب في مصائب عديدة على النهضة والثقافة العربية؛ لأن هذه المدارس والجامعات تتبنى ثقافات تؤدي إلى التفكك وعدم التجانس على الرغم من أنها من الناحية التعليمية متميزة ومتقدمة بفعل ما تمتلكه من إمكانات لا تتوافر في المدارس العامة.

وختمت حديثها بمقولة للدكتور طه حسين عن الجامعات كنواة للحضارة قال فيها: «إن الجامعة لا يتكون فيها العالم وحده، إنما يتكون فيها الرجل المثقف المتحضر الذي لا يكفيه أن يكون متحضرًا، بل يعنيه أن يكون مُنَمِّيا للحضارة، فإذا قصرت الجامعة في تحقيق خصلة من هاتين الخصلتين فليست خليقة بأن تكون جامعة، إنما هي مدرسة متواضعة من المدارس المتواضعة وما أكثرها، وليست خليقة أن تكون مشرق النور للوطن الذي تقوم فيه، والإنسانية التي تعمل لها، إنما هي مصنع من المصانع يعد للإنسانية طائفة من رجال العمل محدودة آمالهم.. محدودة قدرتهم على الخير والإصلاح».

تحديات أساسية في طريق النهضة

١- تحدي عدم ملائمة التمويل لسياسات التطوير وهو الركيزة الأولى التي تعبر عن الإدارة السياسية.

٢- تحدي تنمية مهنة التدريس باعتبار أن المدرس هو محور التطوير.

٣- تحدي اعتبار المدرسة وحدة التطوير الأولى كما أظهرت تجارب العالم.

٤- تحدي الانتقال إلى نمط لا مركزي في إدارة العملية التعليمية.



سلامة المجتمع من سلامة الأسرة

سلامة المجتمع عمل يتعاون عليه أفراد المجتمع رجالًا ونساءً وإذا ما أخل فرد بواجبه فينبغي على سائر الأفراد إرشاده ونصحه وتذكيره بواجبه الذي أخل به وفي أثناء فترة العلاج هذه التي قد تطول يؤمر أفراد المجتمع جميعًا بغض البصر عن المحرمات التي تعرض والتي حمل على وجودها الجرأة على الله تعالى كما نرى ذلك في قول الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور : ٣٠) ، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور : ٣١) ، وإذا ما وقع البصر على شيء من المحرمات من غير قصد فليصرفوا أبصارهم عنه سريعًا ، ولا يديموا النظر ، فإن الله رقيب عليهم مطلع على أعمالهم . . من هنا فإن الالتزام بهذه الآداب الاجتماعية الإسلامية فيه صيانة لكرامة الأسرة وحفظ للمجتمع من التردي في مهاوي الرذيلة والانحراف عن الخط السوي الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لعباده .

التحرير



مسؤولية التربية الإيمانية

د. محمد عمر الحاجي

ما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تركز على المسؤوليات التي يحملها المربون تجاه أولادهم، وبخاصة الآباء والأمهات، لأن تلك المسؤوليات تشمل فترة زمنية طويلة، تعود إلى ما قبل الزواج، وتمتد إلى أن يصبح الإنسان مكلفًا يتحمل مسؤولياته بنفسه.

فمن ذلك قوله تعالى في معرض الحديث عن المسؤولية تجاه الأهل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، وقوله سبحانه في سياق النصائح الموجهة للمسؤولين، وذلك من خلال التوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢)

وفي هذا الصدد تركز الشريعة الإسلامية على فكرة مهمة مفادها: تعويد الطفل منذ الصغر على فهم أصول الإيمان وأركان الإسلام، بحيث يفهم حقائق الإيمان بالغيبيات كالإيمان بالله سبحانه، وبالملائكة، وبالكتب السابقة، وبالرسل والأنبياء عليهم السلام، وبالبعث والحساب، والجنة والنار، إضافة إلى التركيز على التمسك بالعبادات وأمور العقيدة والسلوك والآداب والأحكام والأخلاق.

وثمة إرشادات وتوجيهات ووصايا عدة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح، تحض على التربية الإيمانية المبكرة، فمن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله»، وذلك حتى تكون بدايات معرفته كلمة التوحيد.

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما أن النبي صلوات الله عليه قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»، وذلك حتى يعتاد الولد على أداء بالعبادات التي تهذب جسمه وروحه وعقله.

وروى الطبراني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أدّبوا أولاكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حَمَلَة القرآن في ظل عرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»، وذلك حتى يأخذ الأولاد من سيرة الرسول القدوة دروسًا وعبرا ومواعظ يستفيدون منها وهم يسيرون في طرقات هذه الحياة، كذلك من أجل الاستفادة من سير الصحابة والتابعين والعظماء والمجاهدين والعلماء والعاملين إلى يوم الدين.

فولتير للملاحدة: لِمَ تشككون في الله؟! لولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي

ولهذا كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: كنّا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّمهم السورة من القرآن الكريم.

كل هذا ليكون للأولاد حصون منيعة ستكون كالصخرة الصمّاء التي تتكسّر عليها كل موجات الإلحاد، وكل الزيف العلماني، وأقوال أهل الدعايات والضلال.

وكما هو معروف فإن كل طفل يولد على الفطرة، حيث التوحيد والعقيدة الصافية الطاهرة، وهذا ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه».

وما أكثر أقوال علماء التربية فيما يدور في فلك تعويد الطفل خصال الخير، وتحذيره من كل ما له علاقة بالشر، مثال ذلك ما قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «والصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عُوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك...





وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق».

وبالتالي، فالمنهج التربوي له مقدمات توصل إلى نتائج، وهي كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه.
وما دان الفتى بحجىً ولكن
يعوده التديّن أقربوه.

وكم نرى على أرض الواقع المعيش الفرق بين من يدرس في معاهد تبشيرية وبين من يدرس في معاهد شرعية!

وليس النبت ينبت في جنان
كمثل النبت ينبت في الفلاة.
وهل يرجى لأطفال كمال
إذا ارتضعوا ثديَ الناقصات

ولهذا فعلى المربّين أن يرتبوا مسألة التعامل التربوي مع الأولاد على الشكل التالي:

أ- أن يرشدوهم إلى الإيمان بالله: وذلك من خلال التفكر في آلائه ونعمه، وما بثّ في هذا الكون الفسيح من محسوسات، تجعل العاقل يسجد بين يدي الخالق سبحانه، معترفًا بتقصيره وعجزه.

وفي القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة ما فيه الأدلة على ذلك، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٠-١١)

إلى نهاية الآيات من سورة النحل.

ب- أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين:

وذلك من خلال اتباع الوسائل التي تقوي في النفس الخشوع والتقوى، مثل: الخشوع في الصلاة، والتعوّد على التباكي عند سماع القرآن الكريم، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)

جـ- أن يربّوا فيهم روح المراقبة لله سبحانه، في كل تصرفاتهم وأحوالهم:

وذلك من خلال ترويضهم على أن الله سبحانه يعلم السرّ وأخفى، ويعلم ما تخفيه الصدور، وأنه مراقب لكل تصرفاتنا ومطّلع عليها.

ففي العمل يجب أن يراقب الإنسان ربه، ويكون مخلصًا فيه، قاصدًا من خلاله وجه الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥).

وهذا ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، ورحم الله الغزالي عندما أشار في كتابه «الإحياء» إلى ذلك بقوله: قال سهل بن عبدالله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار)، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟

قال: قل بقلبك عند تقلّبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. قال: فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرّي. ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل! من كان الله معه، وناظرًا إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية...

ودار الزمن دورته، وأصبح سهل من كبار العارفين، ومن الصالحين، وذلك بفضل خاله الذي أدّبه وعلمّه ورباه على الإيمان والمراقبة.

وبعد أن جرّب الغربيون كل النظم الوضعية، معلنين الإلحاد والكفر والإباحية، عادوا إلى عقولهم، فوجد المنصفون منهم أنهم أخطأوا الطريق، بحيث نجحوا وتفوقوا في مجالات العلوم البحتة، لكنهم يعيشون في فراغ قاتل من الناحية الروحية، ولذلك صدر عن بعضهم صيحات التحذير مما آلوا إليه، مثال ذلك قول الأديب الفرنسي «فولتير»، وذلك في معرض سخريته من الملاحدة الماديين:

«لم تشككون في الله؟!، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي».

فعلى المربّين ألا يدعو فرصة سانحة تمر إلا ويغرسوا في قلوب وصدور الأطفال الإيمان مصحوبًا بالمراقبة، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة الراسخة، وإذا لم يُحصّن الطفل منذ صغره بالتوجيه الديني، وبالعقيدة الإسلامية، وبالفضائل والأخلاق الحميدة، فإنه لا شك سيترعرع على الفسوق والانحلال، وسيتبع الهوى والنفس الأمارة بالسوء.

كيف تكون صديقًا لأولادك؟

محمد فتحي النادي

للعلماء تعريفات طريفة للصداقة تدل على مدى أهميتها، يقول أبوهلال العسكري: «الصداقة: اتفاق الضمائر على المودة، فإذا أضمر كل واحد من الرجلين مودة صاحبه فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين».

وقال أيضًا: «الصداقة قوة المودة، مأخوذة من الشيء الصدق، وهو الصلب القوي، وقال أبـو علي- رحمـه اللـه-: الـصـداقـة: اتفاق القلوب على المودة».

فمحـور الـصـداقـة ومـا يـقـوم عليه هو المودة المتبادلة، وهي أمر غير متكلَّف، لأنه أمر قلبي، فإن اكتفيتَ باللسان عن التعبير عن الصداقة فهي صداقة واهية لا تصمد أمام الأحداث.

قال عمر اليافي:

ليس الصداقة باللسان وإنّما
بالوفق والتأليف والتوفيق

والصديق هو من صدق المودة والنصيحة للصديق، فالصداقة ليست مودة فحسب، ولكنها مـودة ونصيحة، فبالنصيحة تقوم العيوب التي قد توجد في الصديق، ولكنها نصيحة مغلفة بغلاف من المودة والرفق، وليست نصيحة غليظة جافية تنفِّر القلوب وتباعد بين الأبدان.

تربية الأبناء بين الإفراط والتفريط

تقع تربية الأبناء على الوالدين أولا، ثم على المربين والمؤدبين، وليست التربية أن تطعم ولدك وتكسوه فقط، فالتربية أعظم من ذلك وأجلّ، يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة، خاليةٌ عن كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل ما نُقش، ومائلٍ إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدِّب، وإن عوِّد الشر وأُهمل إهمال البَهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له».

أما الأب الـذي يكدح في الدنيا وكل همّه أن يوفر لولده المآكل والمشرب الحسن، والملبس الجميل لا غير، مهملًا تربية ولده على الأخـلاق الحميدة، فـإن ولـده يعتبر يتيمًا، وصدق أحمد شوقي حين قال:

ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من
همِّ الحياة وخلَّفاه ذليلا



> إن اليتيم هو الذي تلقى له .. أمًّا تخلَّت أو أبًا مشغولًا

إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّا تخلَّت أو أبًا مشغولًا

وقد يقع من الآباء والمربين أثناء تربية أولادهـم إفـراط أو تفريط، فمثلًا يربي أحدهم ولده على الجبن، وذلك بكثرة تخويفه من الغيلان أو أمثالها، أو يقوم الآخر بتربية ولده على التهور، بل والاعتداء على الآخرين بدعوى أن تلك هي الشجاعة، والأمر على عكس ذلك.

أو يربي أحدهم ولده على الترفه والتنعم فلا يرد له طلبًا، ويقتّر الآخر على ولده أشد التقتير، حتى يشعر ولده بالنقص من الآخرين.. أو يربي أحدهم ولده بالقسوة والشدة والغلظة، والآخر بالتساهل الشديد، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ولكن التوسط في الأمور هو الصواب، فلا إفراط أو تفريط، وكما قيل: «خير الأمور أوساطها».

أثر صداقة الأبناء في التربية السليمة

كل مرحلة سنية لها مـا يناسبها من مراحل التربية، وقد فطن لهذا عبدالملك بن مروان فقال: «لاعب ولدك سبعًا، وأدبه سبعًا، واستصحبه سبعًا، فإن أفلح فألق حبله على غاربه».

فآخر مرحلة من مراحل التربية هي الصحبة أو الصداقة، وتكون بعد أن كبر الولد ونما عقله، وأصبحت له شخصيته المستقلة التي يحاول إبرازها وإظهارها بين الناس، وتلك هي مرحلة المراهقة، وهي مرحلة حرجة وحساسة في حياة الأولاد،



لأنه يكون متقلب المزاج، حاد الطباع، ويكون التمرد والعناد سمة ملازمة له، ففي هذه المرحلة لا يكون النصح والتوجيه بطريقة الأمر والإلزام؛ لأن الولد قد لا يستجيب، ولكن الصداقة هاهنا هي التي تحل المشكلة، وتجعلك قريبًا من ولدك، يُسر إليك بمشاكله، يرجو أن يكون عندك الحل لها، فإنك إن لم تقترب منه آنذاك فإنه يبحث عمن يفضفض معه، ويتجاذب معه أطراف الحديث، وقد يكون من يفضي إليه ليس هو الاختيار المناسب، فتقع المشاكل وتزداد.

كيف تصبح صديقًا لابنك؟

يقول أبو الفضل الوليد:

أراني ضعيفًا في الصداقة والهوى
إذا ضنَّ أحبابي أجودُ وأسمَح
وإن بعدوا عنّي دَنوتُ مُصافحًا
وإن أذنبوا عمدًا فأعفو وأصفح

لقد عرف هذا الشاعر مفاتيح الصداقة، فإن لكل شيء مفتاحًا ينفتح به، فإذا أخطأت المفتاح ظل الباب مغلقًا عليك، وإذا قسوت انكسر المفتاح أو الباب، وعندئذ تكون الخسارة، لأنه من الصعوبة أن يعودَ الأمر كما كان.

وقلنا: إن مرحلة الصداقة تكون في طور مرحلة المراهقة، وهي مرحلة التمييز لدى الأولاد التي يشعرون فيها بذواتهم، ويريدون أن يظهروا بين زملائهم بأحسن لباس وأجوده، فهنا على الوالد الصديق ألا يبخل على ولده، أو يظنه طفلًا فيختار له ما لا يرغب ولده فيه.. وهذه بعض الأمور التي نرى أنها تجعل الآباء أصدقاء لأولادهم.

١- اترك له مساحة من الحرية، فالطفل في مراحله المتقدمة مثلًا يلبس ما يُلبسه إياه أبواه، وما يشتريانه له، ولكن هاهنا اترك لولدك حرية الاختيار، مع التوجيه غير المباشر، إن وجدتَ سوءًا في الاختيار.

٢- اجعل الحوار سمة الحديث بينكما، فالولد في هذه المرحلة يحتاج إلى من يتجاذب معه أطراف الحديث، فكن أنت أيها الوالد وأيتها الوالدة هذا الطرف، وابدأ أنت مع ولدك فكلّمه عن أخبارك وأحوالك، ومشاكلك في العمل، ورؤيتك للتعامل مع المستقبل، وكيفية تدبيرك للبيت، فلا تكن كأنك محقق مع ولدك، وتريد أن يكتب لك تقريرًا عن حياته ومشاكله، ولكن ببدئك بالحكاية تجد ولدك تلقائيًا يبدأ في الحديث عن نفسه وعن مشاغله واهتماماته ومشاكله.



٣- لا تسفّه آراءه.. فإذا تكلم ولدك معك فلا تسفه رأيه دائمًا، وتظهره دائمًا بمظهر من لا يفهم الأمور ولا يدركها، ولكن وضّح له الأمور، وأظهر له ما كان غافلًا عنه.

٤- لا تهوّن من إمكاناته، فولدك في هذه المرحلة يمكن الاعتماد عليه إلى حد ما، فوسّد إليه بعض الأعمال، وشجعه على أدائها، ولكن لا تظهره بمظهر العاجز الذي لا يستطيع فعل شيء بدونك.

٥- شجّعه على تصرفاته الحسنة، فالكلمة لها مفعول السحر، والكلمة الطيبة والثناء الحسن يدفعان ولدك لبذل ما في وسعه لأداء ما طلب منه، والكلمة المحبطة تقعده عن العمل، وتسبب له جرحًا في نفسه قد لا تداويه الأيام، لذا وسّد له بعض الأفعال التي يقدر على فعلها، ثم شجعه إن أحسن، ولا تعنفه إن أخطأ.

٦- إياك والضرب، يخطئ كثير من الآباء الذين لا يزالون يضربون أبناءهم في هذه المرحلة، فالطفل قد تضربه في صغره للتأديب، ثم إن أحسنت إليه وأرضيته نسي ما قد ضرب عليه، ولكن الضرب في هذه المرحلة يترك جرحًا غائرًا قد يدفع الولد للرد على أبيه بغلظة، أو يترك له البيت، أو يزداد في عناده فلا ينتهي عما أمره أبوه بالانتهاء عنه.

ثم هل يضرب الصديق صديقه؟ فهذا غير معقول.

٧- أشركه في قرارات البيت.. في تلك المرحلة حمّل ولدك المسؤولية، فمثلًا أشركه في قرارات البيت المصيرية كزواج أخته، فتسأله عن رأيه في المتقدم لخطبة أخته، أو تشركه في ميزانية البيت، فيعرف مقدار الدخل فيحاول أن يصرف على قدر الطاقة.

٨- لا تحرجه أمام زملائه، فكثيرًا ما يخطئ الآباء بتجريح أبنائهم بالسب والشتم أو الضرب أمام زملائهم، وهذا يجعل الولد ساخطًا على أبيه أو أمه، وعليه.. إذا أخطأ ولدك فعاتبه بنظرة أو بكلمة أو ما شاكل ذلك فإنه يعي الأمر.

٩- عامله كما تعامل أصحابه، من المفارقات العجيبة أن الآباء يكونون قريبين من أصحاب أبنائهم، فيشكون إليهم ويفيضون في الحديث معهم، ويترفقون في الكلام معهم، على العكس مما يفعلون مع أبنائهم، لذا فإن ابنك أولى برفق الحديث ولينه من صاحبه.

المراجع

- صحيح البخاري
- مسند أحمد
- الفروق اللغوية - أبوالهلال العسكري
- إحياء علوم الدين - الغزالي
- التمثيل والمحاضرة- أبو منصور الثعالبي

زواج الأقارب.. بين الطب والحضارة



د. مصطفى محمد طه

بداية، يمكن القول بأن الزواج هو: شرع الله عزّ وجلّ الذي شرّعه؛ لكي يتم اللقاء البيولوجي الحيوي والوجداني (العاطفي) بين جناحي البشرية الوحيدين، ألا وهما الذكر والأنثى، وليس ثمة إطار شرعي غير الزواج يحقق مثل هذا اللقاء الفريد، الذي يُعتبر تلبية لنداء الفطرة لدى الإنسان السويّ.

ومن هنا نرى أن الزواج قبل أن يكون ضرورة بيولوجية (حيوية)، وضرورة اجتماعية تحفظ النوع البشري، ومن ثم ضمان لاستمرارية نشر العمران الحضاري في الأرض، تحقيقًا لمبدأ الخلافة عن الله- إلى أن يأذن عزّ وجلّ بزوال الحياة- إنما هو أمر تعبّدي.. وفي هذا يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين. وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكُلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ (البقرة:٣٠-٣٦)، ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

إن المنطلقات الإيمانية والحضارية لهذه الآيات الكريمة تدلّ بأن الزواج يمثل على الحقيقة ضرورة بيولوجية وإيمانية من أجل إشباع غريزة الجنس لدى الإنسان، فضلًا عن حفظ النوع البشري حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. ولهذا أصبح للطب رأي في تحقيق الزواج المثالي، ومن ثم فإنه لابد لأي باحث، يتصدّى لمعالجة إشكالية الزواج، من استلهام رأي الطب، الذي يمثل في هذا السياق وجهة نظر العلم في القضية موضوع البحث، وعندما يدلي العلم بدلوه، وخصوصًا العلم المعملي التجريبي، في قضية ما، فلابد لنا من أن نستفيد من هذه المعطيات العلمية البحتة، خصوصًا ونحن الآن نعيش في عصر العلم بكل تجلياته.

وفي هذا الإطار، يقرر الطب الوقائي بأن زواج الأقارب يحمل في طياته الأمراض الوراثية التي وصل عددها وفقًا لمعطيات بعض الأبحاث الطبية الأكاديمية إلى حوالي مائتي مرض، وليس هنا مجال تناول هذه الأمراض بالدراسة والتحليل فذاك شأن الأطباء.

وإذا كان هذا هو الموقف الطبي من زواج الأقارب، فيا ترى ما موقف علماء الحضارة من هذا الزواج؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول: إن الاستقراء التاريخي للمسار الحضاري البشري، يشي بأن زواج الأقارب هو ظاهرة اجتماعية، عرفتها بعض المجتمعات البشرية عبر التاريخ، وهي ظاهرة أفرزت بعض اللمسات المرضية، ولهذا السبب جاءت كراهية شيوعها من الوجهة الدينية.

وكما يؤكد الواقع التاريخي للإنسان، فإن الوجهة الحضارية لم تكن في حالة انفصام مع الدين، فنحن نعرف أن التاريخ- التعبير الحي عن الحضارة- هو صناعة إنسانية، والحضارة هي تفاعل البشر- ذكرًا وأنثى- ومن ثم فإنه لا يمكن لهذا التفاعل أن يكون ناجحًا إلا إذا أسهم في تكوينه وصناعته بشر أقوياء، وهؤلاء البشر الأقوياء، يأتون بطبيعة الحال كنتاج للعلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة (الزواج)، وكلما كانت هذه العلاقة بينهما متباعدة كان النسل قويًا.

والتاريخ خير شاهد على ذلك، فعندما انفتح العرب المسلمون في أول عهدهم بصنع الحضارة الإسلامية على الأجناس الأخرى، مثل الفرس والروم والمصريين والأسبان والأتراك والزنوج والهنود.. وما إلى هنالك من أجناس، وحدث بينهم التزاوج، نتج عن ذلك جيل قوي، عُرف في التاريخ باسم «المولدون»،

باحث علمي في الحضارة الإسلامية



وقد أتت قوة وحيوية هذا الجيل الجديد من كونه جيلًا حاملًا للصفات الوراثية الديناميكية التي جاءت كانعكاس طبيعي لهذا التلاقح الحضاري، فكان هذا الخليط البشري المتنوع هو الزيت الصافي الذي غذّى مصباح الإبداع الإسلامي، ونتج عنه بالتالي ذلك الإفراز الشهي، ألا وهو الحضارة الإسلامية اليانعة التي أسهمت إسهامًا حيويًّا في الارتقاء البشري، وذلك باعتراف الكثيرين من مؤرّخي الحضارة على المستوى الكوني.

إن هذا الذي حدث يمكن لنا أن نسمّيه بالانفتاح البيولوجي في التاريخ، إذا صحّ التعبير، قبل اكتشاف قوانين الوراثة على يد العالم الغربي مندل. والزواج من غير الأقارب، فيه أيضًا دلالات للانفتاح الحضاري ذي الأبعاد الاجتماعية، وذلك لأنه يساعد على التواصل بين العائلات المتصاهرة، وذلك حتى يصبح المجتمع في نهاية الأمر كأنه قطعة نسيج واحدة، لحمتها المودّة، وسداها الرحمة، مصداقًا لقول الحق، وهو أصدق القائلين: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾ (الروم: ٢١).

إن الأمة الإسلامية في واقعها الراهن، إذا كانت تريد العودة إلى عصورها المتألقة فينبغي عليها عدم تشجيع زواج الأقارب، وذلك حتى يحدث التلاحم الحيوي بين أفراد مجتمعاتها المتباينة شرقًا وغربًا، تطبيقًا لقول الحق عزّ وجل: ﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣). ومن أصدق من الله قيلًا؟! ومن أصدق من الله حديثًا؟!.

بيوتنا مرحة

محمود القلعاوي

يظن بعض الرجال أن السيطرة والقمع والعبوس والتوجيهات الحادة واللوم والتقريع بكل قوة.. من وسائل السيطرة على بيته، وهي وسيلة ناجحة في إدارته، متناسيًا حال النبي ﷺ في بيته، فقد كانت الدعابة والمرح والانبساط الصادق هو النهج الذي يحرك الأمور، تراه في أحد أسفاره يداعب أمنا عائشة- رضي الله عنها- يسابقها لكنها سبقته، ومرت الأيام وكبرت في السن، وكثر اللحم في جسدها وتكررت الملاعبة، ولكن الفوز كان من نصيبه ﷺ وقتها. فقال لها بروح الزوج المحب لزوجته: «هذه بتلك السبقة».

نتمنى أن ترجع بيوتنا سعيدة لا تخلو من دعابة ومرح، ألم يكن النبي ﷺ بسامًا طوال وقته، بل من أبش الناس وأطيبهم نفسًا ﷺ.

ليس عذرًا أن الواحد منا يحمل ما يحمل، ووقته مشغول، وضغوط عمله صعبة عسيرة، فهذا خير البشر ﷺ يحمل أكبر دعوة في تاريخ البشرية، ومع هذا.. كان إذا دخل بيته بسامًا بشوشا، فهو واحد من أهل البيت، يكنس داره، ويخصف نعله، ويرفل ثوبه .. فقد كان في مهنة أهله ﷺ.

بل كان له شأن مع صغار البيت.. فكان الحسن والحسين- رضي الله عنهما- يركبان على ظهره، وفي مرة كان يَصُفّ عبدالله وعبيدالله وكثيرًا من بني العباس- رضي الله عنهم- ثم يقول: «من سبق إلى فله كذا وكذا»، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم.. وهكذا كان ﷺ في بيته.

الحياة فن يا سادة..

يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه الرائع فيض الخاطر: «ليس المتبسمون للحياة أسعد حالًا لأنفسهم فقط.. بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالًا للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور.. وهناك نفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء شقاء.. ونفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء سعادة.. فهناك المرأة في بيتها كل شيء أسود في يومها؛ لأن طبقًا كسر؛ ولأن نوعًا من الطعام زاد الملح فيه ولأن... وهناك رجل يُنغص على نفسه حياته، وكذلك على كل من حوله، من كلمة يسمعها أو يؤولها تأويلًا سيئًا، أو من عمل تافه حدث له».

ويقول: «الحياة فن.. وفنٌ يتعلم.. فاجتهد أن تتعلم هذا الفن، والنفس الباسمة هي التي تجيد أن تقوم بهذا الفن، فترى الصعاب مذللة يمكن التغلب عليها، ترى الجبال الشاهقة وديانًا سهلة يمكنها المشي عليها.. أما هذه النفس العابسة فترى الصغائر عظائم يصعب تجاوزها، ودائمًا تتعلل بلو وإذا وإن.. إن صاحب هذه النفس يود أن ينجح في حياته.. أن يحقق أحلامه وطموحه، ولا يريد أن يدفع الثمن، إنه ينتظر السماء حتى تمطر ذهبًا وفضة أو تنشق الأرض فتخرج له كنزًا».

فهيا نتعلم فن الحياة، ونملأ بيوتنا مرحًا وسعادة وحبًّا.

مدير تحرير موقع منارات ويب للعلوم الشرعية.



كذب الأطفال

هبة محمد أبوالفتوح

الكذب سلوك خاطئ، وداء خطير إذا استشرى في المجتمع، ترك أثرًا مدمرًا عليه. والكذب عرض ظاهري، وقوة نفسية تجيش في نفس الفرد سواء كان طفلا أو بالغا، والكذب ليس وراثيا، وإنما هو مكتسب من البيئة خاصة عند الأطفال.

يخطئ من يعتقد أن الأطفال الصغار لا يفرقون بين الكذب والصدق، والطفل في مقدوره تماما أن يفرق بين من هو صادق ومن هو كاذب خصوصا فيما يتعلق بالأمور والرغبات الخاصة به، ومع ذلك كثيرا ما يجانب الأطفال قول الصدق في سنواتهم الأولى، فالطفل في سن الرابعة لا يحسن التمييز بين الحقيقة والخيال، ويستطيع ذلك فقط في سن الخامسة من عمره، وحتى سن السادسة نجد أن أغلب الأطفال يكونون بعيدين عن قول الكذب، وفي سن السابعة يخف كذب الأطفال، وفي الثامنة يكونون صادقين في الأمور التي يعتبرونها مهمة.

وكثيرا ما يشكو الوالدان من اقتراف الأطفال السرقة أو الكذب في فترات الطفولة، خاصة في المراحل الأولى من الدراسة دون أي أسباب واضحة أو عوامل مهيئة لهذه العادات، وقد تتكرر هذه الأخطاء بالرغم من العقاب الذي يلجأ إليه الوالدان والتهديد المستمر (١).

الكذب لدى الأطفال يبدأ في سن الرابعة ويدل على الخيال وخصوبته عند الأطفال ويكون نتيجة اختلاط الخيال بالواقع، بالتالي فإن الكذب ظاهرة كثيرة الحدوث في الأطفال وسببها النفسي كثرة الخيال الذي يعيش فيه الطفل، ومحاولات التأمل المستمرة منه ونسج القصص الخيالية والأوهام والأحلام غير الواقعية ليشرح ويفسر لنفسه بعض الحقائق والوقائع التي يريد حلها أو تفسيرها لنفسه، حتى إننا نجد علماء النفس يصفون هذه الظاهرة عند الأطفال بـ «التلاعب بالخيال»، ويسميها الكبار بالكذب.

> **الكذب الوقائي هو أسوأ أنواع الكذب وأضرها لارتباطه بالخوف**

والكذب عند الأطفال يتخذ أشكالا مختلفة تخدم أغراضا مختلفة، وتختلف باختلاف الأساليب الدافعة إليها، ويمكننا التمييز بين أنواع الكذب التالية:

الكذب الادعائي: ويحدث عادة عندما يبالغ الطفل في وصف تجاربه الخاصة، فيجعل من نفسه بطلا ينتزع الإعجاب، ومركزا يجذب انتباه من حوله من الكبار، ويهدف هذا النوع من الكذب إلى إدخال السرور في نفوس السامعين، ويتحقق للطفل عن طريقه إشباع ميله إلى السيطرة وتأكيد الذات. ويلجأ الطفل إلى هذا النوع من الكذب لتغطية الشعور بالنقص أو لتعظيم الذات والحصول على الشعور بالتقدير من الكبار والصغار، وقد يكون سببه استدرار العطف وذلك عندما يتهم الطفل أحدا ما بتعذيبه أو اضطهاده، أو عندما يدعي المرض، وهذا نوع من الكذب يجب الإسراع في علاجه بتفهم الحاجات النفسية التي يخدمها الكذب ومحاولة إشباعها بالطرق الواقعية.

الكذب الخيالي: ويحدث نتيجة لقفزات خيالية في تصورات الأطفال وهذا الكذب لا يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي.

ومن ثم فإننا نظلم الأطفال الذين يغلب عليهم هذا النوع عندما نصفهم بالكذب.. وهذا النوع عبارة عن قصص خيالية ينسجها الطفل للتسلية، وأحيانا للتعبير عن أحلام اليقظة التي يفصح فيها الطفل عن رغباته.

الكذب الوقائي: وهو أسوأ أنواع الكذب وأضرها لارتباطه بالخوف، ويظهر عندما يكذب الطفل خوفا مما يقع عليه من عقوبة. وينتشر بين أطفال الأسر التي ينتشر فيها نوع من النظام الصارم والعقوبة الشديدة، فيلجأ الطفل إلى الكذب تهربا من العقاب. كما يسود هذا النوع من الأسر التي يختلف الآباء والأمهات في طريقة معالجة الأبناء.

الكذب الأناني: يلجأ الطفل إلى هذا الكذب من أجل الاستحواذ على الأشياء. والدافع إلى الكذب هنا هو عدم توفر الثقة في الكبار، وتأكد الطفل أن مطالبه





لن تجد استجابة إن هو سلك لتحقيقها الطريق العادي.. والطفل عندما يفقد الثقة في البيئة يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء، وهو يكذب لتحقيق ذلك.

الكذب الانتقامي: ويكذب الطفل في هذه الحالة لإسقاط اللوم على شخص ما يكرهه أو يغار منه. وهو أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل وعلى كيان المجتمع ومثله ومبادئه. ذلك لأن الكذب الناجم عن كراهية وحقد هو كذب مع سبق الإصرار ويحتاج إلى تدبير مسبق لإلحاق الضرر والأذى بالغير. وهذا النوع من الكذب يحدث نتيجة للانفعالات الحادة التي يتعرض لها الطفل، وذلك عندما تهتز ثقته في المحيطين به. ويغلب هذا النوع من الكذب عند الأطفال الذين يشعرون بالغيرة وعدم المساواة في المعاملة. وقد يحدث بين الإخوة في الأسرة الواحدة بسبب التفرقة في المعاملة بين الإخوة، فالطفل الذي يشعر بأنه منبوذ أو أقل من أخيه قبولا عند والديه يلجأ إلى الكذب للانتقام منه فيتهمه اتهامات يترتب عليها عقابه أو سوء سمعته (٢).

العلاج: إذا أردنا أن نعالج كذب الأطفال، فيجب دراسة أسباب الكذب ومعرفة الدافع إليه ، ومن الأهمية أن يكون عمر الطفل موضوعا في الاعتبار، فإذا كان عمره أقل من أربع سنوات، فعلى الأم ألا تنزعج مما يصوره له خياله، وتسارع إلى مساعدته ليدرك الفرق بين الواقع والخيال.

ويجب علي الأم أن تكون قدوة يحتذي بها الطفل، فلا تقول إلا الصدق، ولا تكذب عليه حتى لا يتعلم الكذب فيكون كذابًا. ويجب أن تدرك الأم أنه لا فائدة من علاج الكذب بالتهديد والسخرية والعقاب، لأن ذلك لن يجدي مع الطفل، ويجب على الأم وأفراد الأسرة إشباع حاجات الطفل النفسية، وتوعيته بأهمية الأمانة والصدق فيما نقوله ونفعله، ونشجعه على ذلك. لأن من أكثر الأسباب مدعاة لغضب الأب أو الأم أن ينظر الصغير إليهما بكل ثبات ويتفوه أمامهما بكذبة صغيرة أو كبيرة دون أن يطرف له جفن. إذ إن الوالدين اللذين يواجهان بوضع كهذا يشعران بأن الصغير أو الصغيرة لم يحترماهما. وفضلا عن ذلك فإن كذب الأبناء يوجد شكوكا في نفس الأب أو الأم حول طريقة تربيتهما لأطفالهما. إن الأطفال جميعا أحيانا يلجأون إلى سرد أمور لا تمت إلى الحقيقة بصلة وهناك أكاذيب تدل على أن الصغير يعاني مشكلة ما. والوالدان الحساسان يستطيعان معاونة الطفل على حل مشكلته، وذلك باستخدام الحوار والتفاهم، وإشعاره بالأمان، فالشخص المطمئن لا يكذب أما الشخص الخائف فيلجأ إلى الكذب كوسيلة للهروب من العقاب بالإضافة إلى القيام بتشجيع الطفل على قول الصدق (٣).

كما أن العدالة والمساواة بين الإخوة، وتنمية ثقة الطفل بنفسه، والمعالجة النفسية للأطفال المصابين بالعقد النفسية وإشباع حاجات الطفل بقدر المستطاع يعد من أهم علاج أسباب الكذب عند الأطفال. وهناك بعض الآراء التربوية في هذا المجال تشير إلى أنه من القواعد المتبعة في مكافحة الكذب ألا نترك الطفل يمرر كذبته على الأهل والمدرسة، لأن ذلك يشجعه على ممارسة الكذب دائما.

الهوامش

١-التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، بلقيس إسماعيل داغستاني، مكتبة العبيكان، ص ١٥٧،١٥٨.

٢-الطفل والحياة، لوسي يعقوب، ط. الدار اللبنانية بالقاهرة. ص ٧٩،٨٠.

٣-التربية الاجتماعية للطفل، عكاشة عبدالمنان الطيبي، ط. دار الجيل (بيروت) ص ١٠٠.



ماذا يريدون من المرأة المسلمة؟!

أحمد محمد عبدالعظيم

كثيرًا ما يحاول أصحاب الهوى أن يتهموا الإسلام بأنه هضم حقوق المرأة في المجتمع وفي الحياة، ولكنها محاولات تبوء كلها بالفشل الذريع، لأن الإسلام هو التشريع الوحيد الذي رفع من شأن المرأة وأعطاها من الحقوق والمكانة ما ليس لمثيلاتها في سائر الحضارات الأخرى، فالإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في العمل الصالح، فهما على قدم المساواة عند الله فيما يقدمان من صالح الأعمال ولا يزيد حظ الرجل في هذا عن حظ المرأة مثقال ذرة، ولا ينقص حظ المرأة في هذا المجال عن حظ الرجل نقيرًا ولا قطميرًا، فترى القرآن الكريم يقول: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾.

وهكذا نرى أن الإسلام جعل الرجل والمرأة صنوين وفرسي رهان في كل عمل طيب ونافع، ولم يختص الرجل بفضل على المرأة في ميادين العمل الصالح والتمسك بالعقيدة، ولكن ما أدخله بعض المسلمين على الإسلام من بدع ليس من الإسلام في شيء والإسلام منها بريء، إن الإسلام لم يجعل المرأة قعيدة بيت أو حبيسة جدران، إنه يبيح لها أن تخرج لتقضي حوائجها إذا لم يكن لها من يعولها، كما أنه لم يحرمهامن العلم فقد كانت السيدة زينب بنت السيدة أم سلمة أفقه امرأة بالمدينة في زمانها، وكانت بعض فضليات المؤمنات يتصدرن مجالس العلم للتدريس والتثقيف أمثال السيدة خضرة الحجازية ومجالس علمها بجامع عمرو بن العاص، وكانت النساء يبايعن الرسول ﷺ كما بايعه الرجال لكن بلا مصافحة، واشتهر نساء الأنصار بالتفقه في الدين حتى قال عنهن رسول الله ﷺ: «رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين».

إن أعداء الإسلام يغمزون من ناحية تعدد الزوجات، ولو علموا ما في التعدد من خير وحل لمشكلات جسام، لكانوا من أوائل المطالبين بتعدد الزوجات، فلم يشرع التعدد

تعدد الزوجات رخصة شرعية .. والمخالة خسة طينية.. ولا يرضى الضعة إلا وضيع

في الإسلام للمتعة الجنسية، فقد أنكر الرسول ﷺ على الرجل الذواقة، وإليك بعض منافع التعدد:

– أيهما أكرم للمرأة وأحفظ لشخصيتها أن تكون حليلة؟ أم أن تكون خليلة؟

– لمن ينسب الأبناء في حالة المخاللة؟ أتجهض الخليلة؟ أم يرسل المولود إلى الملجأ فينشأ وهو لا يعرف له أبًا أوَ أمًّا؟

– أيهما أشرف للرجل إذا أعجبته امرأة، هل يواصلها وراء ظهر أهلها، أم يذهب إلى أهلها في وضح النهار خاطبًا؟

– أيهما أحفظ لمال الرجل؟ إنفاقه على الخليلة لإرضائها والاستمتاع بها وهي تكلفه نفقات طائلة؟ أم وجودها في بيته، ينفق عليها كما ينفق على الزوجة الأخرى؟ هذه الخليلة التي فرطت في عرضها وأهدرت شرفها، وخانت طهارتها وابتذلت، من الذي يضمن لها الخليل؟ إنها تفعل مع غيره ما تفعله معه، والأعذار جمة، والمبررات وفيرة فتخونه كما يخون زوجته ودينه.

أيَّة ثقة معنوية أو مادية يمكن أن يجدها الرجل عند هذا الصنف من النساء؟ مع أن الثقة الزوجية من أعظم أسباب الهناءة في البيوت العائلية.

إن تعدد الزوجات رخصة شرعية، أما المخاللة فإنها خسة طينية وضيعة، ولا يرضى الضعة لنفسه إلا وضيع.

إن الخليلة قد تتاجر بأسرار زوجها، أما الحليلة فلا.. لأن أسراره أسرارها، والمحافظة عليها فيها خيرها وخير بنيها منه.

إن انتشار هذا النوع من المعاشرة الجنسية المحرمة، مدعاة إلى شيوع الفاحشة بين الناس، في حين أن تعدد الزوجات يقي الأمم من أن تشيع الفاحشة المزرية المؤدية إلى دمار المجتمعات وبالتالي انهيار الأمة نفسها.

وغير ذلك من الأضرار التي لا يحصيها عد ولا يحيط بها حصر.

ومع كل ما تقدم فالإسلام يشترط أمرًا





في حالة تعدد الزوجات، أن يكون الرجل عادلاً مع زوجاته في كل شيء، وألا يذر إحداهن معلقة، لا هي متزوجة ولا هي مطلقة، فإن لم يجد الرجل في نفسه القدرة على العدل بين نسائه، فمن الخير أن يكتفي بواحدة ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ وهكذا نرى أن الذين يغمزون الإسلام في هذه الناحية، إن هم إلا جاهلون، أو متجاهلون.

إن المرأة في الإسلام لم تكن كمًّا مهملاً ولا سلعة رخيصة، إنها كاملة الحرية في اختيار الزوج الذي تروقها عشرته، ولها أن تشترط على الخاطب ما تشاء مما يكفل لها راحتها وسعادتها، وقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عائلة بنت زيد القرشية، فاشترطت عليه ألا يمنعها المسجد ولا يمنعها من التفقه في دينها.

وهكذا نرى امرأة مسلمة لا يزدهيها أن تكون السيدة الأولى في دولتها، ولكنها تشترط لنفسها حتى ولو كان الخاطب أمير المؤمنين.. فهل تعقل فتيات اليوم شيئًا من هذا؟ أم يبهرها المظهر وتغريها الأوصاف حتى لو عاشت في قصر الرياسة حاسرة النفس كاسفة البال؟

وخطب عمر وطلحة والزبير وعلي- رضوان الله عليهم- أم أبان بنت عتبة، فاختارت عليهم طلحة في غير ما حرج، ولم يغضب واحد من الثلاثة الآخرين لأن إسلامهم يعلمهم أن هذا من حقها المطلق، وقد منع الإسلام الرجل من مضايقة امرأته لتفتدي نفسها ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ وهي إلى جانب ذلك موفورة الكرامة تراعى مشاعرها حتى لو كانت حادة الطباع سيئة العشرة، شكى رجل إلى رسول الله ﷺ امرأته لأن في لسانها شيئًا من البذاءة فقال له: «طلقها»، قال إنَّ لي منها ولدًا ولها صحبة، قال: «فمرها فإن كان فيها خير فستفعل» أيّ عظها، ولم يأمره بأن يسيء إليها، ولما نهى ﷺ عن ضرب النساء والقسوة عليهن، قيل له: إنهن نشزن، فقال «اضربوهن ولا يضرب إلاّ شراركم». وإذا كان رسول الله قدوتنا فلم يؤثر عنه أنه ضرب إحدى زوجاته أو شتمها، ولما غاضبته زوجاته لجأ إلى المسجد في صمت وهدوء!

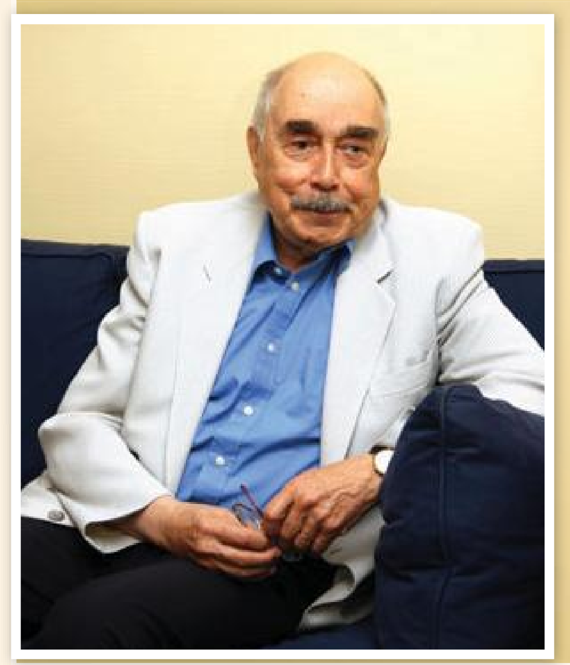
تدبر في المكانة السامية التي بلغتها المرأة في الإسلام .. فسترى عجبًا، إن أول من أسلم امرأة: هي السيدة خديجة بنت خويلد، وأول من استشهد في الإسلام امرأة هي «سمية»، وكان رسول الله ﷺ يعين زوجاته في أعمالهن المنزلية فكان ينظم البيت، ويرقع الثياب ويعجن العجين، وكان رسول الله ﷺ يعين المرأة على العمل ولا يرى فيه تعارضًا مع واجباتها المنزلية.

وليست المرأة المسلمة مرغمة على تحمل شظف العيش في منزل الزوجية إلا إذا رضيت هذا التحمل عن طواعية ومشاركة، وقد أمر الله سبحانه، رسوله ﷺ أن يخير أزواجه فاخترنه، والمرأة المسلمة لم تكن أقل شجاعة من الرجل في مواقف الردع والجد والنضال فقد شهدت فريعة بنت مالك بن سنان بيعة الرضوان، وكانت بيعة عدم الفرار عند اللقاء، وعانت نسيبة إلى جنب رسول الله في غزوة أُحد تمسح جراحه وتعينه على الخروج من الحفير، وكانت ليلى الغفارية تخرج مع المجاهدين تداوي الجرحى وتقوم على تمريض المرضى، وكانت قيلة الأنمارية تاجرة تبيع وتشتري، وقد قتلت أسماء بنت يزيد يوم اليرموك تسعة من الروم بعامود فسطاطها.

ويجوز للمرأة الصالحة أن يزورها الجماعة من الرجال ويسمعوا كلامها، وكانت أم رملة تزين النساء وتجملهن، وكانت النساء تقوم على الرجال في العرس وتخدمهم بنفسها كما كانت تفعل أم أسيد الأنصارية حين دعا زوجها رسول الله ﷺ وصحبته للطعام وقربته إليهم، ولقد بلغ من علم بعض الصحابيات أن بعض الصحابة كانوا يقرأون على أم سعد بنت الربيع فتصحح لهم أغلاطهم، وكانت أم شريك الدوسية تدخل على نساء قريش فتدعوهن سرًّا وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها في مكة فأخرجها المشركون من مكة، ويرى ابن حزم جواز أن تلي المرأة الحكم، ولو شئنا أن نسترسل في هذا الجانب لما وسعتنا المجلدات من الكتب، فهذا هو الإسلام وهذه هي مكانة المرأة في الإسلام.

حقيقة أن يكون الشاب المسلم سعيدًا

عبدالرحمن حمادي



الإسلام دين سعادة في الدنيا والآخرة.. فلماذا لا يكون الشاب المسلم سعيدا في المجتمع المسلم؟ في حوار أجريته مع الفنان العالمي لوسيان بيترلان بعد أن أشهر إسلامه واستقر في مدينة حلب السورية تحدث عن رحلة بحثه عن السعادة، فشرح لي كيف أن الشهرة الفنية العالمية التي أصابها في الغرب لم تعطه السعادة، بل كان يزداد إحساسه بالحزن والخواء النفسي كلما ازدادت شهرته، حتى انه كثيرا ما فكر في الانتحار ليتخلص من ذلك الخواء النفسي، وفي زيارة له إلى مصر ضمن رحلة فنية قام بها لفت نظره ملامح السعادة التي كانت ترتسم على وجوه الرجال والشباب وهم يتجهون للمسجد لأداء الصلاة، وكيف أنهم كانوا أكثر سعادة وهم خارجون من المسجد، وهو ما دعاه إلى سؤال بعض الشباب الخارجين من المسجد عن سبب سعادتهم هذه، فأجاب أحدهم بعفوية وبديهية: «أنا مسلم.. عندما اتجه للمسجد وأدخله لأؤدي الصلاة يجب أن أكون سعيدا، وعندما أخرج من المسجد بعد أن أديت صلاتي أشعر بالسعادة أكثر».

كلمات قليلة قالها الشاب جعلت «بيترلان» يبقى في مصر طويلا باحثا عن أسرار السعادة التي يشعر بها المسلمون، ومن مصر انتقل إلى بلاد عربية وإسلامية عدة معايشًا الناس ودارسا سعادتهم وصحتهم النفسية التي يتمتعون بها، واقتنع بعد رحلة البحث الطويلة أن الإسلام هو فعلا دين سعادة، وهو الدين الوحيد الذي يمنح أتباعه الفرح والسعادة والامتلاء الروحي بالمشاعر النبيلة السامية، فأعلن إسلامه واستقر في حلب ناعما بالسعادة وإحساس الفرح الذي حصل عليه بعد اعتناقه الإسلام.

«بيترلان» هذا واحد من عدد كبير من كبار مشاهير الغرب الذين هداهم الله للإسلام بعد أن لمسوا أنه دين يعطي المسلمين السعادة الدائمة والفرح المستمر، وأنه بخلاف ما صوّره المستشرقون وأعداء الإسلام للغرب دين يفرض على أتباعه العبوس والزهد في الدنيا والحزن الدائم، ولا داعي لأن نعقب على كلام هؤلاء، فهم أعداء للإسلام ومغرضون، ولكننا نستغرب إصرار بعض دعاتنا وعلمائنا في خطبهم الدعوية وخطب أيام الجمعة عندما يكررون من حيث لا يدرون ما يتقول به أعداء الإسلام، فيخاطبون مستمعيهم مشددين على ترك الدنيا ومتاعها لأن الآخرة خير وأبقى، فما ينتهي الواحد منهم من خطبته إلا بعد أن يصور الإسلام دينا لا يقبل من المسلم أن يكون سعيدا، ولا يمكن للمسلم أن يعيش إلا ناقما على الدنيا متجهم الوجه، وويل للشاب المسلم إذا فكر في ملذات الدنيا، فالملذات ممنوعة حتى التي حللها الله، وعلى المسلم أن يبني سدًّا متينا بينه وبين كل أسباب الفرح والسعادة!!

بصدق لا أعرف من أين جاء هؤلاء -سامحهم الله- بهذا الحكم، وكيف أجازوا لأنفسهم إقرار أن المسلم يجب أن يكون عبوسا زاهدا في الدنيا لا يعرف الفرح إلى نفسه سبيلا ولا تجد السعادة إلى



باحث سوري

قلبه طريقا، بينما حقيقة ديننا الحنيف أنه دين سعادة وفرح، بمعنى أنه يمنح للمسلم الصحة النفسية بما تحتويه من سعادة وفرح، بل لا نخرج عن نطاق الحقيقة عندما نقول إن الإسلام طلب من المسلمين أن يبحثوا دائما عن السعادة والفرح في الدنيا، وأن يرجوا الله أن يمنحهم السعادة في الآخرة، فالله سبحانه يقول: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

لهذا كن سعيدا أيها الشاب

هذا الكلام استعدته وقد استنكرت على زواري من الشباب ما بدا على بعضهم من قنوط وعبوس، وقلت لهم إن مشاهير أهل الغرب التجأوا للإسلام ليحصلوا على السعادة تحت ظلاله، وأنتم شباب مسلم، السعادة بين أيديكم بعد أن أتاحها لكم الإسلام وترفضونها!

انبرى أكثرهم تجهما وحاورني عن مقولة أن التفكير في الآخرة والعمل من أجلها أفضل من البحث عن السعادة الدنيوية، فقلت محاورا: أترى يا بني أن الإسلام هو دين للآخرة فقط أم هو دين للدنيا والآخرة معا؟ قال: بل هو للاثنين كما تعلمنا، قلت: إذن يجب أن تمارس كشاب حياتك في ظل المجتمع المسلم وبما تتطلبه مرحلة الشباب من مرح وتفاؤل بالمستقبل، ولو تابعت أعمالك منذ استيقاظك صباحا وحتى ساعة نومك مساء ستجد أنك قد عشت سلسلة من الأعمال والأحداث والوقائع التي كل واحدة منها مدعاة لإدخال السعادة إلى نفسك، وإليك أمثلة:

- تستيقظ من نومك معافى الجسم صحيحه، وهذا سبب للسعادة.
- تصل إلى مدرستك سليما معافى حيث تلتقي أصحابك ومعلميك وهذا سبب آخر للسعادة.
- تخرج من مدرستك وقد حملت علما جديدا، وهذا سبب ثالث لتكون سعيدا.
- يأتي وقت الصلاة فتتجه وتتوضأ وتصلي، فتكون بذلك قد أديت واجبا دينيا يمنحك السعادة والإحساس بالرضا والفرح.
- تجد وقتا من فراغ فتذهب وتمارس رياضة ما، وهذا أيضا سبب جديد للسعادة.
- تلتقي أهلك وأبويك مساء على مائدة العشاء في جوّ أسري إسلامي متين، وهذا سبب أيضا لتكون سعيدا.
- تستلقي على فراشك وتفكر في يومك فتجد أنك لم ترتكب ما يغضب الله من أعمال، وهو سبب آخر لراحة النفس والسعادة والفرح.

إذن هذه وقائع من يوم الشاب المسلم، وكل واقعة مدعاة لأن تدخل السعادة والفرح على قلب ونفس هذا الشاب، وبالتالي يجب أن يكون هذا الشاب منطلقا متفائلا سعيدا فرحا.

صمت الشاب قليلا مفكرا ثم سأل: ولكن ماذا إذا كنت قد ارتكبت معصية في يومي، أتراني يجب أن أكون سعيدا؟

تبسمت وقلت: ما من ابن أنثى معصوم عن الخطأ والمعصية، والمعصية مدعاة لطرد إحساس السعادة، ولكن الله سبحانه وتعالى عفوّ غفور كريم، وما عليك في هذه الحالة إلا الاستغفار، وستجد أن الاستغفار قد أعاد إلى نفسك إحساس السعادة، والله سبحانه قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) وقوله سبحانه: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: ١٣٥).

«بيترلان» واحد من كبار مشاهير الغرب الذين هداهم الله للإسلام لأنهم عرفوا أنه دين يعطي السعادة الدائمة للمسلمين

سعادة فعل الخير

وتابعت لزواري الشباب محاورا: نتفق على أن فعل الخير يعطي إحساسا بالارتياح النفسي والسعادة، وعلم النفس الحديث يتفق على أنه كلما كانت النفس مستقرة على فعل الخير ولا صراع في داخلها كان ذلك استحضارا للسعادة، والمسلم من صفاته أنه ميال لفعل الخير، فافعلوا الخير حيثما استطعتم وستشعرون بمزيد من السعادة ومزيد من الفرح، وفعل الخير بالنسبة للشباب له محاوره، إنه يبدأ بالتمسك بتعاليم الدين الحنيف، والدراسة، والعمل، وتقديم العون والاحترام للكبار، واحترام الوالدين، وتمضية أوقات الفراغ في الرياضات المباحة المفيدة للجسم، وألا يؤخر عمل اليوم لغد، وأن يفرغ من واجباته أولا بأول، فالإنسان عادة إذا واجهه عمل صعب أو غير محبب أخره لغد، لأن النفس عادة تخلد إلى الراحة، ولكن تأخير ما لابد منه يزيد من مشكلاته ومصاعبه، خاصة إذا ظهرت له أعمال أخرى تحتاج إلى وقت وجهد كبير، فعليه بالصبر والمجاهدة حتى ينجز ما ينبغي عليه.

الصبر من أبواب السعادة

وفي حواري الطيب مع زواري الشباب سألني أحدهم: لكن إذا أصابت الواحد منا مصيبة أو رسب في صفه أو أصيب بمرض، فهل يجب أيضا أن يكون سعيدا؟

أجبت: بل يجب أن يكون راضيا بحكم الله، والرضا مدخل للسعادة، فالله سبحانه يقول: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

في هذا المقام أذكر أن الإسلام انفرد

عن الأديان الأخرى بأن جعل المسلم يؤمن بقضاء الله وقدره، وجعل حمد الله على الخير والمصائب واجبًا على المسلم، وما من شيء يمنح السكينة والهدوء النفسي للمسلم إذا أصابه شر أو مصيبة أو سوء مثل أن يحمد الله الذي لا يحمد على خير أو شر سواه، وقناعتنا نحن المسلمين أنه ما من شيء يصيب المسلم إلا كتب الله له أجرا عليه، يقول صلى الله عليه وسلم: «ما من شئ يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله بها حسنة أو حطت عنه خطيئة» (رواه مسلم)، وقال ﷺ «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته» (رواه مسلم).

وبعد يتفق علماء النفس المعاصرون على أن تحقيق السعادة يعتمد على تحقيق أسبابها، ومن أهم أسباب السعادة استعداد الفرد وما يملك من قدرات لنيل السعادة، والظروف الخارجية التي تؤثر في نيل السعادة، والسعادة تتحقق بأمور متنوعة، كالأمور المادية أو النفسية أو الروحية أو العقلية أو الذوقية أوالسلوكية، والشباب المسلم في المجتمع الإسلامي توافرت له كل هذه الأمور التي جهد علم النفس في التوصل إليها، فالشباب طاقة كبيرة يوجهها أصحابها الى فعل الخير في المجتمع كما أمر الإسلام، ويوجهها أصحابها إلى خير أنفسهم ومستقبلهم، وهو أيضا مما أمر به الإسلام، كما أن الإسلام قد وفّر بتكامله كل الظروف الروحية والنفسية والعقلية والمادية والسلوكية وغيرها للشباب كي يحققوا السعادة لأنفسهم ولغيرهم، وإزاء هذا كله من غير المقبول أن نرى شبابنا عابسين مقطبي الجبين، بل سعداء متفائلين، يعملون بسعادة وانطلاق لاكتساب المزيد من السعادة في حياتهم، ويرجون أن يكون عملهم مما يجعلهم سعداء في الآخرة.

خاطرة

طيبة الطيب

د.محمد حسان الطيان

عندما يوفق المسلم لزيارة مدينة رسول الله ﷺ فيحيا في كنفها أيامًا، يحلو له أن يسجل مشاعره، ويكتب خواطره.

وليس من العدل أن يستأثر بها وحده، بل لابد أن يشْرِكَهُ القارئ بشيء منها، ليحياها كتابةً وقـراءةً، إن فاته أن يحياها حقيقةً وعملًا.. من أجل ذلك كانت هذه الخاطرة.

سيدي رسول الله ﷺ

طبت حيًّا.. وطبت مَيّتا

وطابت رسالتك.. وشريعتك

وطابت علانيتك.. وسريرتك

فطابت الدنيا بطيبك.. فكيف لا تطيب مدينتك؟!

وأنت الذي سميتها طيبة فكانت طابة الخير.. وتبوأت أعلى مقام.. وكانت مثابة للمحبة والسلام.

وأنت الذي نوَّرتها وأضأتها فكانت المدينة المنورة.

ألم يقل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما توفي رسول الله ﷺ أظلم منها كل شيء».

من أجل ذلك هفت إليها القلوب، وسمت إليها النفوس، وهامت بحبها الأرواح، فما إن يذكرها مسلم حتى تطيب نفسه، وتتحرك محاجر عينيه، وتترقرق الدمعة على خديه، وتختلج كوامن الخير فيه، وتعتلج نوازع البر في صدره، وتتاجي روحه ساكن طيبة الطيبة ولسان حاله يردد:

إذا لم تطب في طيبة عند طيِّب
به طابت الدُّنيــا فأين تطيــبُ؟

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

أجل والله فبطيبة الطيبة تطيب النفوس.. وتزكو الأرواح.. وتعطر المجالس.. وتحسن القصائد.. ويحلو الكلام.. ويسمو كل إنسان.

ولعمري لئن كانت الأماكن تزداد جمالًا وبهاءً بما يكتب عنها وفيها، وبما ينظم في وصفها ومدحها، إن الكلمات لتشرف، وإن البيان ليعلو ويطيب إذا ما ذكرت طيبة الطيبة، فنحن وربِّي بها نتجمَّل، وبحب ساكنها نتعبَّد، وبالصلاة والسلام عليه نتقرَّب.

جمالك غير محتاج لشعري
مدحتك كي أزيدَ أنا جمالا

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة وعضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

البراء العويد: الفن رسالة لا تجارة

حوار: حسنى نديم

منذ القدم يعد الحداء لونا من ألوان الفنون الجميلة التي اتخذها الإنسان للتسلية والترويح، وكثيرًا ما كانت تلك الأناشيد تستخدم لبث روح الحماسة في نفوس المجاهدين، وحتى يومنا لازالت تحمس الإنسان لبذل الروح في سبيل الله ولإبقاء كلمة الله هي العليا، وفي الآونة الأخيرة تطورت الأناشيد من كونها لمناسبات الأعراس إلى كونها وسيلة دعوية مهمة، ولعل إضافة الصورة للصوت صار أمرًا لا بد منه، فانتشرت الفيديو كليبات الدعوية بشكل كبير، حول هذا الموضوع التقت مجلتنا المنشد الشاب البراء محمد رشيد العويد، فكان هذا اللقاء:

• كيف كانت البداية؟

■ كانت بدايتي في المدرسة والمسجد معًا، وذلك عندما أعلنت مدرستي إقامة مسابقة انشادية، فذهبت أنا وابن خالتي وقدمنا رغبتنا في المشاركة، فاختبروا أصواتنا، ووقع الاختيار علينا معًا، وتم تدريبنا على الأنشودة التي أديناها للمدرسة، وكنا حينها في الثانية عشرة تقريبًا، وتلك كانت المرة الأولى التي أدخل فيها الاستوديو، وكانت الأنشودة بعنوان «نحن طلاب النجاة» وللآن تذاع في إذاعة المدرسة.

أما في المسجد فقد كان الفضل بعد الله للمعلم الفاضل محمد غنيم، فقد كان له دور كبير في صقل موهبتي وتشجيعي، وعندما كانت توجد أي مناسبة في المسجد كان اسمي يطرح كأول المشاركين فيها، ودائمًا كنت ألبي الدعوة.

• هل كانت لك أنشطة دعوية؟

■ نعم، بفضل الله كنت ولازلت أعمل في تحفيظ القرآن الكريم، شاركت أيام الجامعة في عدد من الأنشطة الدعوية من انشاد و تمثيل مسرحيات هادفة.

• حدثنا عن مشاركاتك الأناشيدية؟

■ في غير المدرسة والمسجد، كنت أشارك في أي حفل أدعى إليه، وحتى بعض الديوانيات وحفلات التخرج ثم الأعراس، ودخلت مجال الاعراس منذ أن كنت في الثانوية، لكنه لم يستهوني، وفي مرحلة الجامعة انضممت لفرقة اليرموك، وكذلك الروابي، ثم فرقة البراء خلال سنوات الدراسة في الجامعة.

وتركت المشاركة في الأعراس حيث لم يرق لي الجو الذي يغلف تلك الأعراس، وشعرت بأنها تستنفد جلّ وقتي، ففضلت الابتعاد عن المشاركات في الأفراح، حيث إن خامة صوتي لم أجدها في تلك الألوان من الأناشيد للأعراس.

وفي الأردن كنت قد سجلت ألبوما يحتوي على ١٠ أناشيد وذلك في عام ٢٠٠٤، ولكنني أشعر بأن هذا الألبوم لا يمثلني حيث لم تكن لدي خبرات صوتية كافية، وكذلك لم يكن به أية مؤثرات صوتية.

في عام ٢٠٠٣ شاركت في مجموعة أناشيد للجامعات تخص الانتخابات في جامعات أردنية، مثلا في الجامعة المدنية نشيد كلية العلوم، وكذلك كلية العلوم التطبيقية، ثم كنت أشارك في كل مهرجان في الجامعة.

شاركت بعد ذلك في أناشيد للجاليات خاصة أنها كانت تقام احتفالات لإشهار إسلام البعض، وأذكر أنني أنشدت للجاليات من ألمانيا ومن كوسوفا والبوسنة.

ثم عكفت على ألبوم منذ ٢٠٠٧ وانتهيت أخيرًا من تسجيله هذا العام ٢٠١١م، ولازلت انتظر فرصة جيدة لطرحه، لأن السوق حاليًا أوضاعها لا تسمح بأن تطرح ألبومات من انتاج المنشد نفسه فذلك مكلف جدًا.

• ماذا يتمنى البراء العويد؟

– أتمنى تحقيق نفسي في الإنشاد بصورة أكبر ترضي طموحي.

– أتمنى دراسة علم الأصوات بصورة أوسع لأن خبراتي الآن من واقع تجربة، لكن عندما تصقل لتكون موهبة ودراسة وتجربة، فذلك يكون أفضل وأقوى في الأداء والطرح.

– أتمنى أن أمتلك استوديو خاصا للإنتاج.

– أتمنى أن يبقى الفن رسالة وليس تجارة.

• ماذا سيقول البراء لو أن أحدهم طلب نصيحتك قبل خوض مجال الإنشاد؟

■ أن يكون على يقين أن ظهوره في الاعلام جعل منه قدوة، وسيحذو حذوه كثر، فعليه أن يدرك ثقل تلك الأمانة وأن الفن رسالة، ثم إن لم يجد في نفسه القدرة على التحلي بصفات القدوة، فأعتقد أنه إن ترك المجال لغيره فذلك خير له.

• ما رسالتك الفنية التي تسعى لإيصالها؟

■ الإعلام سلاح ذو حدين، فعلينا استثماره على الوجه الأمثل، وذلك بنشر أشياء راقية تحترم عقل المتابع، والناس تتأثر كثيرًا بالإعلام، فبرأيي أننا بإمكاننا التربية من خلال الفن الراقي، وهذا ما أتمنى أن يبارك الله لي فيه، ويوفقني لتقديمه من خلال اعمالي.

د.شوقي السيد: الوضع الحالي يستلزم بعض القوانين الوضعية

الإسلام.. مصدر التشريع الرئيس أم الوحيد؟

دعاء الفولي - دار الإعلام العربية

مع رياح التغيير التي طالت عددًا من الدول العربية، وما يتطلبه ذلك من إعداد دساتير جديدة تكفل تحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية.. ثار الجدل حول مصادر التشريع التي تستند إليها هذه الدساتير، وهل يصبح الإسلام المصدر الوحيد لهذه التشريعات، أم أنه مصدر رئيس مع وجود مصادر أخرى من القوانين الوضعية.. «الوعي الإسلامي» ناقشت عددًا من علماء الشريعة وفقهاء القانون حول هذا الموضوع وجاءتكم بالتفاصيل.

«كون الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع يعني أن أكثر من ٧٠٪ من القوانين والتشريعات يجب أن تكون مستقاة من الإسلام، والنسبة الباقية من القوانين الوضعية.. أما كون الشريعة المصدر الأوحد فيجعلها هي القوانين نفسها، ومن ثم لا يمكن تعديل بعض من هذه القوانين أو تغييرها».. بهذه الكلمات بدأ الفقيه القانوني د.شوقي السيد، أستاذ القانون الدولي، حديثه، موضحًا أن متغيرات العصر تستلزم قيام علماء الشريعة بأخذ الراجح من القول الذي يتناسب مع المصلحة العامة للدولة.

الحل القائم حاليًا

ولفت د.شوقي إلى أن مبادئ الشريعة تختلف عن الأحكام، وبحسب رأيه فإن الأحكام أكثر إلزامًا وأقل مرونة من المبادئ؛ لذلك فإن الدستور المصري يستقي القوانين من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، ويتوقف عند الأحكام التي يصعب تطبيقها حاليًا على أرض الواقع كالحدود، والتي تستدعي وجود دولة دينية وليست مدنية كما هو الحال حاليًا- على حد وصفه- لذلك فإن الاجتهاد سواء في تطبيق المبادئ أو الأحكام يجب أن يكون الأساس في إعداد التشريعات والقوانين؛ لأن العلماء هم الذين يجعلون مبادئ وأحكام الشريعة سهلة قابلة للتنفيذ، أو يجعلونها صعبة، طبقًا لمدى الاجتهاد، فمثلاً بالنسبة للمعاملات البنكية يرى بعض العلماء أن الاقتراض من البنوك ربا، ومن ثم فهو محرم؛ لأن الإسلام حرّم الربا، لكن على الجانب الآخر اختلف العلماء في معنى الربا الموجود في البنوك، وهل الاقتراض البنكي تتحقق فيه مواصفات وشروط الربا، فقال بعضهم إن الربا هو الاستغلال المادي لبعض الأشخاص، ومن ثم فإن الاقتراض والفوائد ليس فيهما استغلال، بل يحل بالمنفعة على صاحبه، ومن ثم قالوا بإباحته.. بينما حرمه آخرون.

د. محمد أبوليلة: لم يحدث أن تعارضت الشريعة الإسلامية مع بناء الدولة الحديثة

وانتهى د.شوقي إلى القول بأن فكرة أن تكون الشريعة المصدر الوحيد للتشريع في مصر على سبيل المثال ستستدعي تغيير جميع القوانين الوضعية وإعادة صياغتها بشكل جديد، ومن ثم يجب أن تتغير بنية المجتمع وثقافته وحتى اقتصاده، باعتبار أن جزءًا كبيرًا منه قائم على السياحة التي قد لا تتفق كثير من أنماطها مع الشريعة الإسلامية، وبناء عليه فإن الحل القائم حاليًا هو اتخاذ الشريعة مصدرًا رئيسًا للتشريع، مع وجود بعض القوانين الوضعية الأخرى.

المصدر الوحيد

من جانبها، أكدت د.فايزة خاطر، أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر، أن فكرة أن تكون الشريعة المصدر الوحيد أو الرئيس للتشريع مفروغ منها بالقول إن الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع؛ لأن القرآن والسنة هما وحي من عند الله لرسوله ﷺ، ومن ثم فلا يصح لنا أن نعدل على هذا الوحي بقوانين وضعية ستكون في الغالب ضد صالح الإنسان، لذلك ينبغي أن يحتكم المسلمون إلى شريعتهم في كل كبيرة وصغيرة.

وأشارت إلى أن هناك الكثير من الأدلة التي تؤكد ضرورة احتكام المسلمين إلى شريعتهم، فمثلاً في عهد سيدنا محمد ﷺ تم تعليق صحيفة بها دستورنا الإسلامي في المدينة المنورة أكدت أن القرآن الكريم هو دستور الدولة المدنية الذي يجمع كل مقاصد وغايات ومبادئ وروح الإسلام، وأن الالتزام به وبسنة الرسول ﷺ هو الذي أخرج العرب قديمًا من ظلمات الجاهلية وجعلهم يتقدمون ويقودون الأمم، لكن عندما ارتضينا غيرهما من قوانين وضعية ضعنا، كما هو حاصل الآن، وصدق سيدنا محمد ﷺ حينما قال في خطبة الوداع: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا



أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

العدد (٥٦٠) ربيع الآخر ١٤٣٣هـ - فبراير - مارس ٢٠١٢م



مجلة كويتية شهرية جامعة

www.alwaei.com

د. عبدالستار فتح الله: رؤية عصرية لإعجاز القرآن الكريم

هل الإصلاح الاجتماعي ضرورة المرحلة؟

جماليات المكان في القرآن الكريم

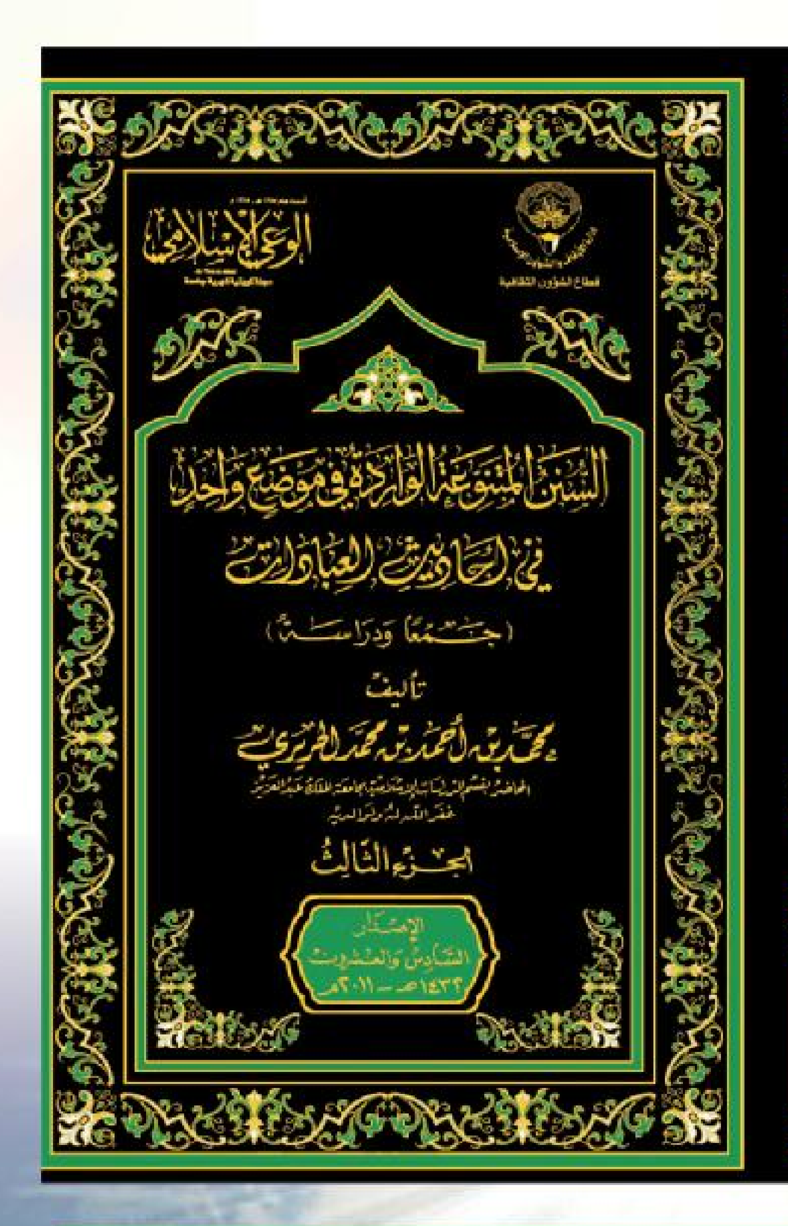
الفقه المستقبلي.. تأصيل وآفاق

ركائز وقيم النهضة التعليمية



إصدارات

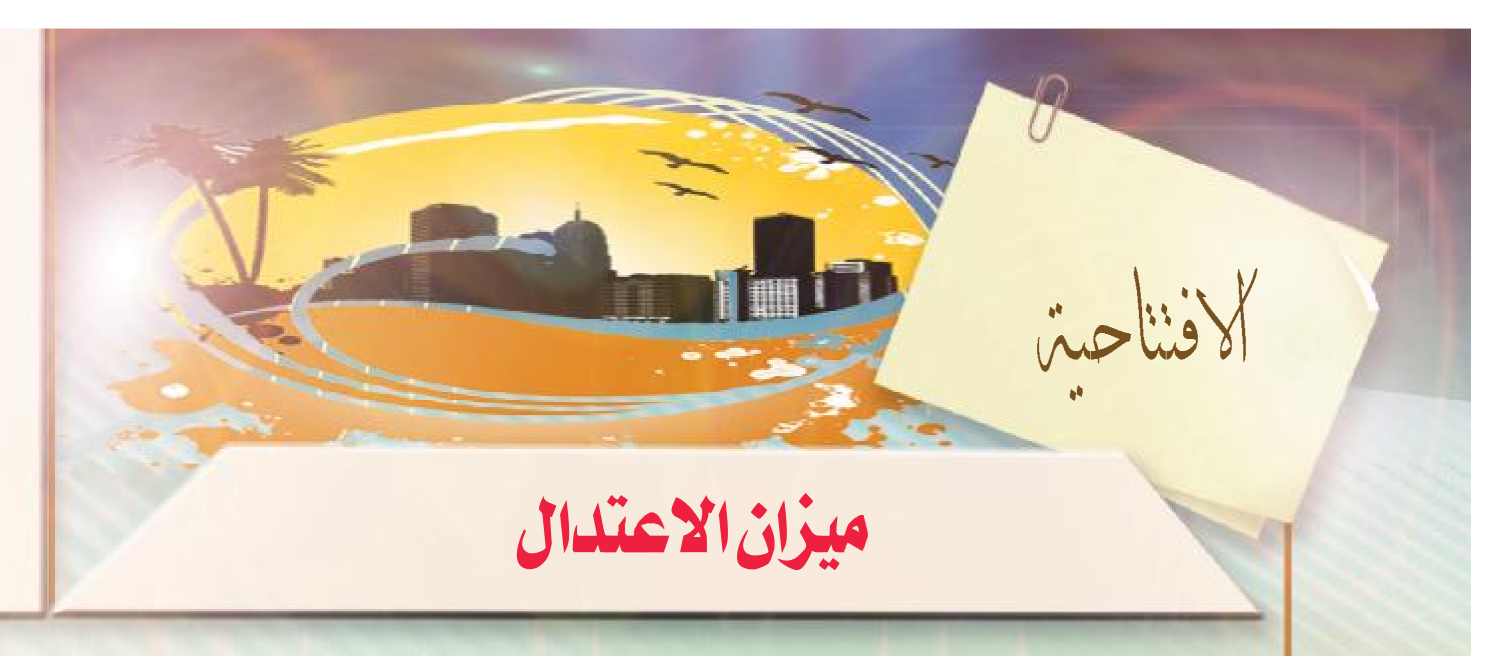








هذا الكتاب يسهم في تقريب السنة بين يدي الأمة، كما يسهم في القضاء على التعصب المقيت الضارب بأطنابه في بلاد مختلفة، ويبرز جانبًا مهمًا من جوانب تعبُّد النبي ﷺ، وذلك من خلال إبراز جميع السنن المتنوعة الواردة في موضوع واحد.



ميزان الاعتدال

العدل نظام كل شيء، والإنصاف عزّ في هذه الأيام، وسيطر مكانه الخلاف، فصارت الحاجة ماسّةً إلى المنهج السليم، والقسطاط المستقيم، لنزن الأمور، ونبتعد عن الجور، ولا يزال الناس على طريقة الغلو والطعن فيمن يخالفهم، والمبالغة في نقدهم، بلغة شديدة، وعصبية عجيبة، لا يبالون بتصدير الأحكام، عدوانًا وجهلًا، وكأننا لن نجتمع عند الواحد القهار، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧)، ما سلك هؤلاء سبيلًا مستقيمًا، ولا تحروا منهجًا قويمًا، بل منهجًا بعيدًا عن الإنصاف، لهجته بالغة الاستخفاف، ما سلم منه الصحابة الكرام، ولا الأئمة الأعلام ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ما يضر البحر أمسى زاخرًا
أن رمى فيه غلام بحجر

وقالوا في الأمثال: من لم يحسن إلى الناس قبحت إساءته، ومن حسنت مساعيه، طابت مراعيه، ومن كرم خلقه وجب حقه، ومن ساء خلقه ضاق مَذْقه، فالقواعد والأصول اللازمة للوصول للحق والصواب في المجادلات والحوارات العدلُ والوفاءُ، والبذلُ والعطاءُ، وإنزال الناس منازلهم، ودفع الظلم عنهم، وليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، وارحم من دونك يرحمْك مَنْ فوقك، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى، ومن طال تعديه كثرت أعاديه، فالتعصب المذموم والغلو المشؤوم كم جلبا للإنسان من شر، وأوقعا صاحبهما في خُسْر، وكم يعقب صاحبهما من ضير، ويحرم بسببهما من خير، وبناء على ما جاء في الآيات وقواعد التعامل البينات، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

فاحرص مع الآخرين على الإنصاف، ولا تضخم مسائل الخلاف، واحذر آفة الانحراف.. الحسد، من اتصف به ضاق صدره، وغاب وعيه، وجانبه الصواب، وليس من الإنصاف ازدراء الناس، فلا تجحد ما للإنسان من فضل، ولا تفرح بذنبه، ولا تبحث عن هفواته وتصيدها، فمن مال إلى الحق مال إليه الخلق، ومن حفر بئرًا لأخيه كان حتفه فيها، واستعن على العدل بقلة الطمع، وشدة الورع، فإن في حفظ المودّات ورعاية الحرمات حسنَ الوفاء، وطيبَ الثناء، والرسوخ في الإنصاف بحاجة إلى قدر كبير من خلق رفيع، ودين متين، فاحذر قلة الإنصاف، فالإنصاف طريق الائتلاف.

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

نسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٠

ربيع الأخر ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

فبراير - مارس ٢٠١٢ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ -٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة .رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤دينار جزائري ● تونس: نصف دينار تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

والفضل..ما شهدت به الأعداء

في افتتاحية مجلة «يديعوت احرنوت» الصهيونية: قالت مؤخرًا تحت عنوان «مستقبل الإسلام في أوروبا».. «إنه إذا ما استمر نمو المظاهر الإسلامية في أوروبا بالدرجة المشاهدة ذاتها.. فإن من المتوقع أن تتحول أوروبا بأكملها للإسلام بحلول نهاية القرن الحالي».

إنه مما لاشك فيه أن نشر مثل هذا المقال يرمي إلى بعث رسالة واضحة لدول أوروبا؛ يحذرها فيه من التقدم السريع للإسلام في صفوف الأوروبيين، الأمر الذي يتطلب منهم اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقفه.. على حد تعبير المجلة الصهيونية!

وفي المقابل فإن زيادة تلك التحذيرات تتطلب من الأقلية المسلمة في أوروبا مواجهتها بمزيد من التمسك بحقيقة المواطنة والتعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، إضافة إلى انتهاج قيم الإسلام ومبادئه النبيلة الداعية إلى الوسطية والاعتدال، وتطبيقها سلوكًا عمليًا على أرض الواقع.. خاصة وأن الوقائع قد أثبتت أن الهجوم الشديد على الإسلام والتخويف منه قد أعطى نتائج عكسية جعلت كثيرًا من الأوروبيين يتجهون بشكل غير مباشر إلى محاولة فهم الإسلام، والقراءة عنه، والوقوف على حقيقته التي تجمع مقومات التكامل بين ما هو مادي، وما هو روحي.. عكس الأديان الأخرى تمامًا.

التحرير

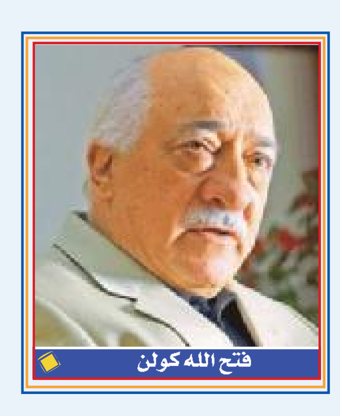
الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥,٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

الفجر المرتقب

دنيا يسودها ظلام دامس.. ظلام يحمل في طيّاته نورًا مرتقبًا.. وأصداءً تحمل بشرى ظهور نبي جديد.. وتتسرب أصداء هذه البشرى، وتطرق الأسماع والقلوب حتى بدأ الكثير من أهل مكة يتحدثون عن هذا النبي المرتقب ويوصي بعضهم بعضا: «عليكم أن تسرعوا إلى هذا النبي حالما يظهر.. أسرعوا إليه وآمنوا به!» (١).


فتح الله كولن

كل القلوب واجفة.. فالآمال جميعها معقودة عليه.. على خاتم المنقذين.. والأمهات والآباء يطمعون أن يكون هذا النبي ﷺ من نسلهم، لذا يسمي العديد منهم أبناءهم «محمدا» (٢)، ولكن النبي المرتقب يجب أن يكون من سلسلة نسب ذهبية، تبدأ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وتنتهي بعبدالمطلب فعبدالله.. كانت القلوب ترتقب هذا النور من هذا الطريق، وكانت الأحداث تشير إلى قرب قدومه، ودنو مجيئه.. فحلكة الظلام تؤذن بقدوم الفجر.

لم يكن إنسان ذلك العصر يحمل قيمةً تعطي للحياة معنى، أي تعطي للحياة غاية وهدفًا يستحق العيش من أجله، بل كانت أعمال الناس آنذاك مثلما قال القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩).

ولم تكن المشاعر والأفكار والتصرفات تتباين عن هذا كثيرًا: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ (النور: ٤٠).

كان اسم هذا العهد «عهد الجاهلية»، غير أن الجاهلية هنا لم تكن تأتي كنقيض للعلم، بل كمرادف للكفر الذي

> **للقلب لسانٌ لم تسمع الآذان بيانًا كبيانه.. فاقطعوا المسافات في قلوبكم للوصول إلى الله**

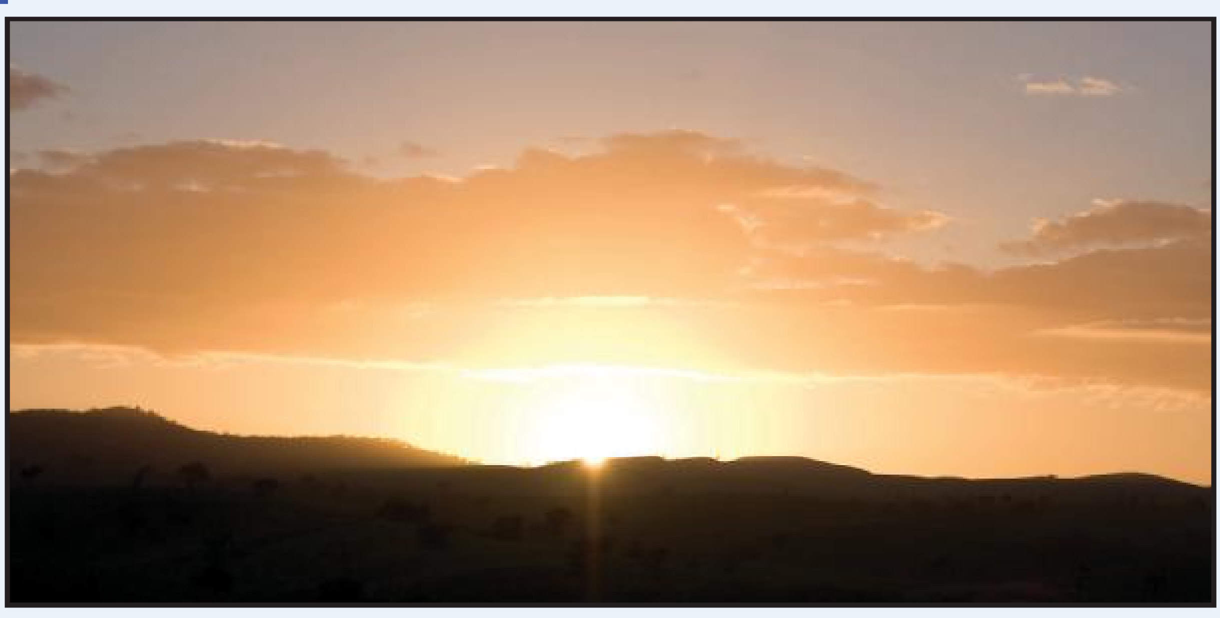
هو نقيض الإيمان والاعتقاد، ولا أريد هنا أن أعرض -ولو بشكل موجز- مَعالم هذا القبح في ذلك العهد، لأنني لا أريد أن أعرض أمامكم -ولو لوقت قصير- لوحة سوداء مقززة، كما أن تصوير الباطل قد يفسد الأذهان ويضلها، وأنا أرى أن هذا يشكل جريمة، بيد أنه يلزم لفهم ذلك العهد أن نشير إلى بعض عاداته وتقاليده ليتسنى لنا أن نعي فضل الله على العالمين، ورحمة الرحمن الرحيم، في إرسال فخر الكائنات وسيد المرسلين.

إن مجيئه ﷺ كان من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى للعالمين، وأفضل إحسانه، وهذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم إذ يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

إذن، فانظروا إلى مدى رحمة الله ولطفه وإحسانه عندما يرسل إلى الناس رسولًا من عند أنفسهم، يحس بما يحسون، ويفكر كما يفكرون، ويكون لهم مرشدًا وهاديا في الطريق الموصل إلى الله تعالى.. فإن احتاجوا إلى إمام تقدمهم وأصبح لهم إمامًا، وإن احتاجوا إلى خطيب اعتلى المنبر فكان خطيبًا مفوّها، وإن احتاجوا إلى أمير كان لهم أميرًا يرسل الرسائل للملوك ويختم المعاهدات، وإن احتاجوا إلى قائد تقدم صفوفهم في الحرب، وأصبح لهم قائدًا أفضل من جميع القواد المتمرسين..

هناك عقيدة خاطئة لدى النصارى، فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد ضحّى بعيسى عليه السلام ليفتدي به الخطيئة الأولى للإنسانية، أي يؤمنون بأن الله -سبحانه وتعالى عما يقولون- قد ضحّى بابنه المسيح لكي يصفح عن الإنسانية كلها، لذا فقد صلب المسيح على الصليب حسب هذه العقيدة الخاطئة، وهكذا تم الصفح عن الخطيئة الأولى التي بدأت مع آدم عليه السلام وانتقلت إلى كل إنسان، فكل إنسان يحمل هذه الخطيئة منذ

◈ مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب



مجيئه إلى الدنيا، ومنذ ولادته، وهذه عقيدة خاطئة من جهة، وضالة من جهة أخرى لكونها قابلة لتأويلات عديدة إلا أن لها تلميحًا صحيحًا، وهو أن الله تعالى أرسل أفضل خلقه محمدًا ﷺ وأحبهم إليه رسولًا إلى الناس مع علمه بما سيتعرض له من أذى وآلام، وذلك لكي يخلصهم من الضلالة والانحراف والطغيان حتى لا يضيعوا في الطرق والمتاهات، بل يرتقوا إلى المستوى اللائق بالإنسان الكامل.

أجل، للقلب لسان لم تسمع الآذان بيانًا مثل بيانه، وبلاغة مثل بلاغته.. إذن، فعلى الإنسان أن يقطع المسافات في قلبه، وأن يبحث فيه عما يبحث، فيصل إلى ربه هناك، ويفنى في حبه، علمًا بأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ إلينا من أجل هذا.

أجل، فقد أرسل إلى الإنسانية لكي يتلو عليها آيات ربها، ويعرض أمام عينيها معجزاته، ولكي يعلّم الإنسانية ماهيتها الحقيقية، وبفضله تستطيع البشرية أن تتطهر من أرجاس الطبيعة، فتصبح نقية صافية، وتسمو من المرتبة الدنيا للجسم إلى المرتبة العليا لحياة القلب والروح، وقد سمت فعلا.

أجل، إنه سيعلّم الناس الكتاب والحكمة، وفي نور الكتاب وضوء الحكمة ستجد الإنسانية نفسها، وتنتبه إلى الآخرة وتلتفت إليها، فتسلك الطريق إلى الحياة الأبدية، وقد سلكت هذا الطريق فعلا.

هناك أيام مباركة وأيام مهمة وكريمة عندنا، وبعضها يعدّ عيدًا للمؤمنين، ففي كل أسبوع يعيش المؤمنون فرحة يوم الجمعة، ونعيش هذه الفرحة بمقياس أكبر في عيد الفطر وفي عيد الأضحى، ففي أيام عيد الأضحى يتذكر المسلمون التضحية التي قدّمها النبي إبراهيم عليه السلام، ويبتهلون فيها، ويدعون الله من قلوبهم وبكل إخلاص أن يغفر لهم ذنوبهم، ومن أجل ذلك يهرع بعضهم إلى بيت الله ليتمسحوا بأستاره، وعندما يقفون في عرفات يتوجهون بقلوبهم إلى الله، ويبتهلون إليه بروح محمدية ليغفر لهم.

وأما عيد الفطر فهو عيد مبارك غنيّ بمعانيه، إذ هو تعبير عن الفرحة التي يشعر بها المسلم وهو يعيش فرحة الاقتراب من الرضا الإلهي بعد شهر كامل من الصوم، ولكن هناك عيد آخر يعد عيدًا للإنسانية، بل لعالم الوجود كله؛ وهو يوم تشريف الدنيا بمجيء رسول الله ﷺ، أي يوم الميلاد الأحمدي (٣)، أي هو اليوم الذي علّق الله سبحانه وتعالى النور الأحمدي، والسراج المحمدي في سماء الإنسانية مثل شمس مضيئة.. أجل، فبهذا النور تبدد ظلام الجاهلية، وغمر النور العالم بأسره، فكان هذا أفضل وأكبر وأعظم نعمة لله سبحانه وتعالى على الإنس والجن.

الهوامش

(١) انظر إلى: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ١/١٦٩.

(٣) اليوم هو يوم الأربعاء الموافق لـ ١٣ تشرين الأول لسنة ١٩٨٩. من التواقفات -ولا نقول الصدف- الجميلة أن تصحيح هذه الأسطر وافق يوم الميلاد الأحمدي.

د. عبدالستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر:

التفسير الموضوعي.. رؤية عصرية لإعجاز القرآن الكريم



شريف أبوالوفا - دار الإعلام العربية

مؤلفات عديدة ومتنوعة تستجلي المنهاج القرآني في التشريع، وأسس التفسير الموضوعي للتنزيل الحكيم، وكذا معركة الوجود بين القرآن والتلمود، والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.. تلك هي خلاصة وعصارة فكر د.عبدالستار فتح الله سعيد، أستاذ التفسير بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقًا.. والذي يكشف في حواره مع «الوعي الإسلامي» النقاب عن الأسس السليمة التي يجب أن ينطلق منها التفسير العلمي الدقيق للقرآن الكريم، إضافة إلى العديد من القضايا الإسلامية نتعرف عليها عبر السطور التالية.

أحذر من تفريق الأمة بالأفهام الضالة والمعاني الشاذة

مع تنامي ما يسمى بـ«العلوم الحديثة» ظهر مصطلح «التفسير العلمي للقرآن الكريم».. فهل استطاع هذا النوع من التفاسير الوقوف على الإشارات العلمية في القرآن الكريم وما تتضمنه من معان؟

القرآن الكريم كتاب الله تعالى، وهو الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ولذلك ضمَّن الله تعالى هذا القرآن ما لا يحصى من الحقائق والعلوم والمعاني والأخبار، وقد أوجز الرسول ﷺ هذا المعنى في الحديث الذي رواه الحارث الأعور قال: «مررت بالمسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فأخبرته فقال: أوَقَدْ فعلوها؟ قلت نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه».

ومن ذلك، الإشارات العلمية عن حقائق الخلق والأحياء والنبات والكواكب والنجوم وغيرها من العلوم والمعارف ذكرها الله تعالى من خلال دعوته إلى الإيمان به، وقد جاء كل هذا بأسلوب عربي بيِّن يناسب العرب في زمن النزول، ويتسع لكل المعاني التي تناسب زمانهم، وينطبق عليها النص القرآني في إيجاز وإعجاز يدل على أن هذا القرآن هو كلام الله حقًّا، وأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لا يستطيعون.. ومن هذا أيضًا حقائق العلوم المادية التي توصل إليها العلم البشري في هذا الزمان، والتي نجد لها إشارات ودلالات واضحة في القرآن الكريم رغم أنها لم تعرف إلا في زمننا هذا، مثل الأجنة وأحوالها وأطوارها، وغير هذا مما لم يكن معروفًا في العالم كله إلا بعد اختراع المجهر الذي يكبر الأشياء الدقيقة مئات المرات، ومثل قابلية الذرة للانشطار كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

وقد ألف د.موريس بوكاي وهو طبيب فرنسي كتابًا يقارن فيه بين أخبار القرآن وحقائق العلم الحديث، وأثبت بالدليل القاطع أن القرآن الكريم لم يخطئ في حرف واحد مما قررته العلوم الحديثة، والتي كانت مجهولة تمامًا في زمن نزول القرآن على النبي الأمي محمد ﷺ، وهو

شعب أساسية تحدد مواصفات الداعية على منهاج النبوة

كتاب مترجم إلى اللغة العربية ومتداول حاليًا.

لكننا نجد الفكر الإسلامي هذه الأيام مثقلًا بمصطلحات عديدة مثل «الأيديولوجية» و«التصور الإسلامي» و«الإسلام هو الحل».. فما قراءتك لهذه المصطلحات؟

الإسلام دين الله تعالى، أنزله شاملًا لكل شؤون الحياة، وكاملًا في كل جزئيات التشريع، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ومن هنا اتسع الإسلامَ لكل العصور، وتكلم فيه العلماء والدعاة في كل زمن بما يناسب أحوال زمنهم، ولذلك ظهرت مصطلحات وأفهام كثيرة كلها مأخوذة من هذا البحر الواسع لمعاني الإسلام الصحيح، منها ما يتفق مع القرآن والسنة النبوية والفهوم التي فهمها أصحاب الرسول ﷺ حين نزل القرآن، وحين خاطبهم ﷺ بالشرح والبيان، وكل ما عدا ذلك مردود على أصحابه كما روت أم المؤمنين أم عبدالله عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».. أما مصطلح «الإسلام هو الحل» فهو شعار دعوي لبيان فضل الإسلام وما فيه من حلول لجميع المشكلات التي جاءت بها الحضارة المادية المعاصرة.

وبماذا يمكن تفسير غياب هديه ﷺ في تبليغ القواعد الصحيحة للإسلام لدى بعض الدعاة؟

ليس صحيحًا أن هذه القواعد مفتقدة عند جميع الدعاة المعاصرين، بل هي مطبقة في الدعوة الإسلامية المعاصرة، فالغالبية تأخذ الإسلام بمأخذه الشمولي الجامع فيظهر ذلك في أسلوب دعوتها للإسلام، بينما هناك فرق شذّت عن الإسلام وخالفت قواعده الأصولية وثوابته الدائمة مثل البهائية، فهي فرق شاذة تقوم على الباطل.

إذن.. ما مواصفات الداعية تأسيًا برسول الله ﷺ في دعوته وهديه؟

بُعث رسول الله ﷺ بالحق الإلهي الدائم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركها على المحجة البيضاء كما جاء في الحديث (الواضحة الغراء)، وهي تتمثل في أربع شعب أساسية هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتخلق بالأخلاق العليا التي جاء بها الإسلام أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر، والشعائر والعبادات التي هي حق الله على عباده، والمعاملات التي تتم بين الناس والتي ينبغي أن تقوم على أساس الحق والعدل الذي شرعه الله تعالى.. ومن خلال هذه الشعب الأربعة قامت قواعد الدعوة المتمثلة في المبادئ والوسائل المناسبة لها، بأسلوب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة والصدق والأمانة، والصبر على تبليغ الرسالة، وقد أدّت الرسائل العلمية الجامعية التي ازدهرت في الجامعات الإسلامية دورًا عظيمًا في بيان حقائق الإسلام، وتجلية المعاني التي أراد الله للبشرية أن تقوم بها فهمًا وتطبيقًا.

تتبنى -وأنت أستاذ في علوم تفسير القرآن- «التفسير الموضوعي».. فما السر؟

هو لون جديد من تفسير القرآن الكريم موضوعيًا، انتقل من مدارج التكوين والاستحكام ليأخذ طورًا جديدًا في وجهته، وطريقة عرضه وبحثه، وفي نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، وفي النتائج والآثار التي يتوخاها.. فللتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ضرورة بالغة في هذا العصر الذي تقاربت فيه الأقطار والأمصار، واختلطت فيه المذاهب والأفكار، وصار كل حزب بما لديهم فرحون، وكل فريق يصارع من أجل اكتساب عقول الشعوب والأمم، وقلوب الأفراد والجماعات؛ لذلك تبدو الحاجة ماسة إلى هذا اللون من التفاسير، لما يحققه من قواعد أساسية أهمها إبراز إعجاز القرآن الكريم على وجه يلائم العصر، والوفاء بحاجاته.

وبماذا تفسر كثرة وتعدد الخلافات حاليًا بين المسلمين؟

الخلافات بين المسلمين نوعان، الأول تنوع في فهم النصوص ومعرفة مقاصد الشريعة، وهذا خلاف محمود يقوم على الاجتهاد واختيار الأنسب للمسلمين مادامت النية خالصة لله تعالى.. أما النوع الثاني فهو اختلاف تضاد، وهو مذموم يؤدي إلى الفُرقة وتمزق الأمة، ولذلك ذمَّ اللهُ هذا النوع في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.. ونصيحتي لهؤلاء تحري الحقائق وتوثيق الفهم، وتبني الاجتهاد القائم على الإخلاص، وهذا يكون فيه للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، أما تفريق الأمة بالأفهام الضالة والمعاني الشاذة فهو ملعون، ولذلك يجب أن ينتهي أصحابه عنه.. والإسلام طوال تاريخه بين خطرين؛ أعداء من داخله ومن خارجه، أما أعداء الخارج فهم أمر طبيعي منطقي؛ لأن الباطل عدو الحق دائمًا، لكن اللوم على أبنائه الذين خالفوا الدين وجادلوا بالباطل ليصرفوا الناس عن حقائقه العظمى، فهؤلاء لهم الويل من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

رسالة التلميذ

لعبدالقادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠-١٠٩٣)

هذه الرسالة من كتاب نوادر المخطوطات (٢١٧/١) تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون (ت ١٤٠٨ هـ) رحمه الله تعالى، فقد ترجم للمؤلف وقدم لها بمقدمة جميلة، وبين أصول الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ، فإني لم أجد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة، المدونة (لبيان) الجليل والحقير، وذكر النقير والقطمير، كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني، والقاموس لمجدالدين الفيروزابادي، وغيرها، إلا في لسان العرب لابن مكرَّم، فإنه أورده في مادة (تلمذ)

أغلب المعاجم لم يورد مادة تلمذ .. وهذه أصولها في الأدب العربي

وقال: «التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ»، مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص، وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام.

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب مغني اللبيب، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس «حُكي لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيتَ المفصَّل (١)» رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملا الحلبي (٢) قال: «التلميذ: القارئ على الشيخ. ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما» أ.هـ.

فحينئذ تتبعت بطون الدفاتر، من مصنفات الأوائل والأواخر، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، فإنه ساق (٣) فيه شعرًا للبيد بن ربيعة العامري الصحابي وفيه هذا البيت:

فـالماء يـجلـو متـونهـنّ كما
يجلو التلاميذُ لؤلؤًا قَشبا (٤)

وقال بعد إنشاد الأبيات: «التلاميذ غلمان الصنَّاع. والقشب والقشيب: الجديد، والجمع القُشب».

ورأيته أيضًا في شعر أمية بن أبي الصلت، وهو شاعر أدرك النبي ﷺ ولم يوفَّق للإيمان به، وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء، وهو ما لا يكاد يُقضى العجب منه، قال في قصيدة:

والأرض معقلنا وكانت أمَّنا
فيها مقامتُنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قُذفاتها
حبسوا قيامًا فالفرائص تُرعد (٥)

قال شارح ديوانه: «التلاميذ الخدم، يعني الملائكة».

وقال أيضًا في قصيدة أخرى:

صاغ السماء فلم يخفض مواضعَها
لم ينتقص علمَه جهلٌ ولا هَرَمُ
لا كشفت مـرةً عنا ولا بليت
فيها تلاميذ في أقفائهم دَغَم (٦)

وقال شارحه هنا أيضا كذلك.

ورأيـت فـي المقـامـة الأولـى من المقامات الحريرية قوله: «فوجدته محـاذيًا لتلميذ، على خبز سميد، وجدي حنيد، وقبالتهما خابيةُ نبيذ (٧)»، قال شارحه الشريشي: «التلميذ متعلم الصنعة، والتلميذ الخادم، والجميع التلاميذ»، وأنشد بيت لبيد المتقدم، ثم قال: «وطلبة العلم تلاميذ شيخهم» أ.هـ.

وإهمال داله لغة فيه، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها:

فمَضى وأصعد واستبدَّ إقامةً
بـأولـي قـوًى فمبتَّل ومُتلمدُ

قال شارحه: «يريد متلمذ، أي خادم من التلاميذ، وتُلمذ: جُعل للخدمة. «متلمِذ» بكسر الميم، وأراد بأولي قوًى: الملائكة الذين يحملون العرش، وقوله: «فمضى» يعني الله عز وجل، واستبدّ، يعني لا يستشير أحـدًا، يقال استبدَّ فـلان بـرأيـه»، إذا لم يستعن أحدًا على ما يـريـد، والمبتـل: المفرد. أ.هـ.

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية، ووزن تلميذ فعليل، وأن له فعلًا متصرفًا هو تلمذه كدحرجه، بمعنى خدمه، يتلمذه كيدحرجه، تلمذة وتلماذا، كدحرجة ودحـراجًا، فهو متلمذ كمُدحرج بمعنى خادم، وذلـك متلمَذ أي جعل خادمًا (٨).

وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قـراءة، لأنـه فـي الـغـالـب يخدم أستاذه.

وقـول الـنـاس: «تلمَّذ لـه» و«تلمَّذ منـه» بتشـديـد المـيـم، خـطـأ، لأنهم توهموا أن التاء زائدة، وليس كذلك وصوابه «تلمَّظ لـه» و «تلمَّظ منه» (٩).

بالظاء المشالة المعجمة، ولمَّظه أي أطعمه وأذاقه، والتلمظ: تتبُّع اللسان بقية الطعام في الفم، وقد يكنى به عن الأكل، استعير للتعليم شيئًا فشيئًا.

والتلميذ يجمع على تلاميذ، فإن فعليلا يجمع على فعاليل، كبرطيل وبراطيل، وعفريت وعفاريت، وقنديل وقناديل، وإصليت وإصاليت، وإبريق وأباريق، ومنديل ومناديل. وأما قولهم في جمعه «تلامذة» فعلى توهم أنه اسـم أعجمي (١٠)، فـإن الهاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع: (أحدها) الاسم الأعجمي المعرب، سواء كانت للتعويض عن مَدَّة نحو أستاذ وأساتذة، أم لا نحوَ موزج وموازجة، وكيلجة وكيالجة. (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد، نحو أشعثي وأشاعثة، ومهلبي ومهالبة، وأزرقي وأزارقة، (ثالثها) للتعويض (إما) عن ألف خامسة جوازًا نحو حبنطى وحبانطة، وعقرنى وعقارنة، وإما عن (عين) (١١) مضاعفة نحو جبار وجبابرة، وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة.

قيل: وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تَلَام، كقول الطرِمَّاح:

تتقى الشمس بمدريَّة
كالحماليجِ بأيدى التلام

والحماليج: منافخ الصاغة الطوال، واحدها حملوج، شبه قرن البقرة الوحشية بها.

قال الجواليقي في المعرّبات (١٢): «التلام أعجمي معرب، قيل هم الصاغة، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ». وأنشد هذا البيت.

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول غيلان بن سلمة الثقفي (١٣) أيضًا:

وسربال مضاعفة دلاص
قد أحرزَ شكَّها صُنعُ التّلام

ورَوِي: «التـلام» في البيتين بفتح التاء وكسرها. أما الفتح فعلى أنه مرَخَّم التلاميذ ضرورة، وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح، وقال: «التلام التلاميذ سقطت منه الدال».



وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي، قال في المسائل العسكرية (١٤):

ومن قبيح الضرورة قول الشاعر:

مثل الحماليج بأيدي التلامْ

قالوا: يريد التلامذة، فحذف. وقد أعلمتك أن ذلك يكون على الترخيم فيما تقدم، إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم كقوله (١٥):

دَرَس المَنَا بمُتالع فأبانِ

قالوا: يريد: المنَازل. ومثل ذلك ما أنشده لأبي دؤاد (١٦) الإيادي:

فكأنما تذكيً سنابكها حُبَا (١٧)

قيل يريد الحباحب، أي نار الحباحب، وفي التنزيل: ﴿فالموريات قدحا﴾. انتهى كلامه.

وأما الكسر فعلى أنه جمع «تِلْم» بكسر فسكون، بمعنى الغلام، قال ابن مكرَّم (١٨): فمن (١٩) رواه: التلامي، بفتح التاء وإثبات الياء، أراد التلميذ، يعني التلاميذ الصاغة. هكذا رواه أبوعمرو، وقال: حذف الذال من آخرها (٢٠)، ومن رواه: التلام، بكسر التاء، فإن أبا سعيد قال: التِلم الغلام. قال: وكل غلام تِلم، تلميذًا كان أو غير تلميذ، والجِمع التلام، وقال ابن الأعرابي: التلام: الصاغة، والتلام: الأكرة» أ.هـ.

وأقول: «الصاغة» تصحيف من الصناع (٢١) لوقوعه في صحبة الحماليج.

ويدفعه البيت الثاني (٢٢).

وقال صاحب القاموس: «التلِم، بالكسر: الغلام، والأكّار، والصائغ أو منفخه الطويل، وكسحاب: التلاميذ، حذفت ذاله. ولم يذكر الجوهري غيرها، وليس من هذه المادة (و) إنما هو من باب الذال» أ.هـ.

أقول: أما قوله: «الأكّار والصائغ» فأخذه من قول ابن الأعرابي، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار.

وأما قوله: «أو منفخه» فقد أخذه من قول بعضهم، وقد غُلِّط فيه.

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال: التلام الحماليج التي ينفخ بها. قال: وهذا باطل (٢٣).

والعجب من صاحب القاموس أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب الميم، مع أنه أثبته مثله، ولم يذكره في باب الذال.

الهوامش

١- المفصل للزمخشري في النحو، انظر ابن يعيش ٢: ٩٤، والبيت هو:
لا يبعد الله التلبب والغا
رات إذ قال الخميس: نعم

٢- هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩. ذكره في كشف الظنون وفي أ، حـ: «حلبي» موضع. «الحلبي» تحريف.

٣- أ، حـ: «سابق» والصواب في ب.

٤- ديوانه ١٤١ بشرح الطوسي، وفيه: «التلاميذ غلمان الصاغة.. التلاميذ فارسي».

٥- القذفات بضم الذل وفتحها: جمع قذفة، بالضم، وهي الناحية. وقذفات الجبال وقذفها: ما أشرف منها.

٦- الدغم: السواد.

٧- هذا سهو من البغدادي، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا: «تلميذ، متعلم الصنعة». انظر الشريشي ١: ٢٩ س١. وأما الكلام الذي نقله البغدادي بعد فهو تعليق على قول ابن الحريري: فالتفت إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرني من ذا». انظر الشريشي ١: ٣٠ .

٨- الأولى من تلمذه بمعنى خدمه، والأخيرة من تلمذه أي جعله خادمًا.

٩- هذه فتوى لغوية للبغدادي، ولما يستعمل هذا التعبير، ولا أظنه سائغًا.

١٠- كأن البغدادي، يذهب إلى أنه عربي.

١١- كتبت كلمة عين في أ، حـ لكن جعل فوقها خط، والصواب إثباتها.

١٢- المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص٩١ .

١٣- شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢: ٤٣-٤٧.

١٤- المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٣٧، نقل منها البغدادي نصوصًا جليلة في مواضع شتى من الخزانة. انظر ١: ٩، ١٤/ ٢: ٦٢، ٢٧٥، ٤٠٢، ٥٢٢/ ٣: ٤٦/ ٤: ٦٧، ٧٣، ٥٨٢، أ، حـ «مسائل العسكرية» تحريف.

١٥- هو لبيد بن ربيعة، والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه: «وتقادمت بالحبس فالسوبان».

١٦- أ، حـ: لأبي دؤاد» بالهمز.

١٧- روى البيت في اللسان ١: ٢٨٨ هكذا:
يذرين جندل حائر لجنوبها
فكأنها تذكي سنابكها الحبا

١٨- في لسان العرب مادة تلم.

١٩- في الأصل: «ومن»، وصواب النص من اللسان.

٢٠- أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور: «كقول الآخر:
لها أشارير من لحم تتمره
من الثعالي ووخز من أرانيها
أراد من الثعالب ومن أرانبها» وهذا البيت لأبي كاهل اليشكري كما في اللسان ٥. ١٦١.

٢١- حـ فقط: «في الصناع».

٢٢- يشير إلى بيت غيلان بن سلمة.

٢٣- في اللسان: «قال أبومنصور- وهو الزهري- قال الليث: إن بعضهم قال: التلاميذ الحماليج التي ينفخ فيها. قال: وهذا باطل ما قاله أحد».

الاختلاف في الرأي.. سداد أم فساد؟



بشرى شاكر

غالبا ما نسمع الجملة الاعتيادية «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية»، ولكن في الواقع، اختلاف الرأي بحد ذاته لا يفسد للود قضية فعلا إن قابلناه بنقاش عقلاني ورحابة صدر، ولكن إن واجهنا الرأي الآخر بتعنت وتمسك برأينا وأردنا أن نثبت دائما أننا على حق، فإن ذلك بالتأكيد سوف يفسد الود بل والأواصر والعلاقات أيضا.

كم من نقاش احتدم فيه الجدال إلى أن تحول إلى خصام ثم سباب ولعان ثم نزاع وشقاق وفرقة وشتات. فلماذا لا نتقن نحن العرب فن الحوار ونحن أولى بذلك كمسلمين، ولماذا لا نتقبل رأي الآخر ونستفيد منه عوض أن نعاديه؟

كان رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يقطع حديث أحد، صغر أو علا شأنه حتى لو كان طفلا صغيرا ينصت له ويحاوره، إعلاء لثقافة الحوار وعدم التشدد في التمسك بالرأي وأيضا ليكون قدوة لهذا الصبي الصغير ويعلمه كيف يستمع للآخر قبل أن يدلي برأيه.

إن أردنا أن يسمعنا الآخر، علينا أن نسمعه أيضا ولعل من مقولات حكيم إفريقي قديم: إن لاحظت أن الذي أمامك لا يريد سماعك، فاصمت وأنصت له، ربما تعلم حينها، لماذا لم يكن يستمع لك؟

إن كل الأمور الكونية مبنية على أمرين «إرسال واستقبال» وكذلك الحياة الاجتماعية، تأسس على هذين المفهومين، فأنت ترسل آراءك لغيرك وتستقبل أيضا آراءهم، وإن لم يكن هناك توازن بين الإرسال أي حديثك معهم والاستقبال أي إنصاتك لهم، فلا يمكن أن نسمي ما يجري بينكم حوارا ولا يمكن أن تكون نتيجته ايجابية، فلا يمكن للطرفين أن يستفيدا من بعض ولكن ربما يتنافران أكثر.

أساس المحاورة هو اللين أولا حتى وإن اختلفتما، إن بنيت حوارك على اللين والرفق فلن تجد صدا من الطرف الآخر وإن أبديت عنفا في اللفظ والحركة أو إشارة بعدم تقبل الآخر أو قابلت رأيه بالسخرية، فبالتأكيد ستضطره ليكون في حالة دفاع عن النفس وكما نعلم أفضل وسيلة للدفاع هو الهجوم، فلا تستغرب إن هاجم آراءك بآراء مضادة فهو لن يفعل أكثر من أن يعكس لك صورتك على مرآته هو، فكلاكما لا يتقن الحوار وكلاكما يحس بالحاجة للدفاع عن رأيه.

قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا موسى وهارون سلام الله عليهما ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه: ٤٣-٤٤)

لقد طغى فرعون ومع ذلك، فاللين يمكنه أن يكسر حتى لغة الطغاة ولكن إن قابلنا جورا وظلما بمعارضة قوية وتجبر اكبر، فقد نبتر للأبد قنطرة التواصل بيننا ونجعل الطاغية أكثر تمسكا بجوره وظلمه لنا.

قد يكون الماء أرق من الصخر ولكنه الأقدر على التسلل بين ثغراته وفي الأخير هو من يفتته لا الصخر من يقضي عليه.

إن التسرع وعدم تفهم مغزى ما يقوله الآخر، قد يكون سبب كل المشاكل مع محيطنا سواء في العمل أو في الوسط الاجتماعي والأسري، ولكن يمكننا تجنب حدوث ذلك في حال ما اتبعنا بعض الطرق السليمة التي وان كان يصعب علينا التقيد بها في بداية الأمر، إلا انه يمكننا أن ندرب أنفسنا عليها وبرمجة حياتنا وفقا لأسسها، أولا علينا ألا نقاطع حديث الآخر وان كنا نعتبره خصما أو ندا، فبمقاطعته، أولا، لا نتمكن من معرفة ما يضمره لنا ونبين له نقط ضعفنا، وثانيا نؤجج نار الخصومة بيننا، فلنترك له مجالا للحديث وبالمثل سيتعلم هو كيف يترك لنا مجالا للرد.

حينما ترد على احدهم، فلتتريث في الجواب وليكن جوابك دقيقا أو مختصرا واضحا، فكم من ردود طويلة تفقد معانيها لأنك تتحى بها من موضوع لآخر، حينما تحس أن المغزى من حديثك وصل للآخر، فلا داعي للإطالة أكثر.

تجنب الردود الغاضبة واكظم غيظك أفضل لك ولمن أمامك.

الصمت أيضا وسيلة تعبيرية استعملها ولا تبخسها حقها، فان أحسست أن صمتك ابلغ من الكلام فاصمت.

حاول أن تفهم وجهة نظر الآخر لكي تشرح له وجهة نظرك إن اختلفت معه في رأيه، أو تثمنها إن كان لك نفس رأيه ولتتعلم منه إن أفحمك بوجهة نظره.

لا ضير أن تتخلى عن رأيك إن لم يكن صوابا، فلا تتمسك بآرائك حتى وان كانت خاطئة ، وحينما تخطئ اعتذر ولا تبحث للآخر عن أخطاء جديدة حتى تتهرب من الاعتذار، فتصيدك أخطاء الآخر وأنت ذاتك مخطئا، سيسد الطريق أمام النقاش وينمي العداء بينكما.

الاختلاف في الرأي يغني ويثري الطرفين ولكن التعنت والانفعال والعصبية والتمسك برأينا، رغم انه يقبل الصواب والخطأ، سيحول السداد إلى كساد وفساد ويحيل الود ضغينة بالتأكيد.

صحافية مغربية

مؤتمر عالمي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية

نقل وتوطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي

تقرير: محمد عويس

يُعد نقل التكنولوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في الآونة الحالية، لاسيما أن التكنولوجيا هي أساس التقدم الذي تشهده معظم الدول المعاصرة، فبقدر ما تكون الدولة بها درجة عالية من العلم والتكنولوجيا تزداد أهميتها الدولية، وليس الأمر يتصل بالمكانة الدولية التي تحتلها دولة التكنولوجيا في عالمنا المعاصر، ولكن الأمر بالنسبة لعالمنا الإسلامي يفوق ذلك كثيرا، فالتكنولوجيا تهتم بالتطبيقات العلمية للعلوم في مجال الاقتصاد بكل فروعه (الزراعي، والصناعي، والتجاري، والبرمجي، ومجال الفضائيات) وجميع صور التقدم الصناعي والعلمي الذي جعل الكثير من الدول دولا متقدمة رغم أن إمكاناتها تبدو محدودة في كثير من الأحيان، ومثال ذلك الهند التي تقدمت في صناعة البرمجيات، وأصبح أبرز المبرمجين في العالم من الهنود.

وفي إطار ذلك عقدت رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع كلية الدراسات الإسلامية في قطر مؤخرًا مؤتمرا عالميا تحت عنوان «نقل وتوطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي»، وتولى رئاسة شرف المؤتمر د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية، ورئاسة المؤتمر د.جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والمقرر العام للمؤتمر د.حاتم القرنشاوي عميد كلية الدراسات الإسلامية- قطر، بمشاركة نُخبة من رجال الفكر ورؤساء جامعات: الأمير عبدالقادر بالجزائر، و الأزهر، وجامعة القاهرة، وعين شمس، وجامعة القدس، و قطر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و نايف، و الإمام محمد بن سعود، وأم درمان، وكلية الدعوة الإسلامية بليبيا، وجامعة قطر، و دار السلام كونتور الإسلامية.

وقد أوصى المشاركون في ختام المؤتمر باستخدام اللغة العربية في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، تأليفًا ونشرًا وترجمة في المجالات كافة من خلال مشروع إسلامي للترجمة بما يفتح المجال للاطلاع على أحدث نتائج البحوث العلمية، وبما يسمح بالإضافة والتجديد من خلال تفعيل مشروع معمل اللغة العربية باعتباره مدخلا حاكما لتطوير مناهج اللغة العربية، وتعزيز حركة تعريب العلوم ونقل نظرياتها وتطبيقاتها، وتحقيق التكامل بين دول العالم الإسلامي، والاستفادة من التجارب الدولية والإقليمية التي حققت قدرًا من السبق العلمي والتقني، وإبرام اتفاقيات تسهل نقل الخبرات وتبادل المصالح بين دوله، وإقرار حوافز تشجع على عودة العقول المهاجرة إلى العالم الإسلامي، وتقلل من استنزاف طاقات الأمة ومقدراتها، وزيادة الإنفاق على التعليم، وتخصيص نسبة ملائمة من دخل الدول الإسلامية للإنفاق على البحث العلمي، وترشيد الإنفاق لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الموارد، والانتقال بالعالم الإسلامي إلى مرحلة الإسهام والإبداع التقني، وإيجاد بيئة علمية واجتماعية تساعد على استيعاب التكنولوجيا وتسهل توطينها في العالم الإسلامي، ووضع الأنظمة التي تشجع الاستثمار في هذا المجال، وتزيد القوة التفاوضية مع الشركات الكبرى في العالم المتقدم، وتلزمها بتعليم الكفايات الإسلامية وتدريبها على التكنولوجيا الجديدة بموجب عقود البيع والاستثمار.

العالم العربي يخلط بين التكنولوجيا ومنجزاتها.. التقدم العلمي ليس نقل المعدات الحديثة ولكن اختراعها وصنعها

ومن الدراسات التي نوقشت في المؤتمر «القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي» للدكتور عبدالله التطاوي من جامعة القاهرة دعا فيها الى الانفتاح على الآخر تأثرًا وتأثيرًا، أخذًا وعطاءً من باب استكمال مسيرة التقدم التي ميزت عصر النهضة منذ أسَّس الرشيد «قلم الترجمة» إلى جوار «علوم الأوائل» مما أدى إلى تدفق المعلومات وثراء مصادر المعرفة لعلماء الأمة على اختلاف مجالاتهم ممن ألفوا أو





صنفوا أو شرحوا أو جمعوا أو حللوا، إلى جانب ما ترجموه من مختلف اللغات عن اليونانية والسريانية والهندية والتركية مما أثرى الفكر العربي بهذه التبادلية، ومما أسهم- بدوره- في تعميق المفهوم الإنساني والموسوعي للثقافة العربية الإسلامية، وأحسبنا في حاجة إلى استدعاء مثل ذلك النمط من التفاعل والتلاقي مع فكر الآخر وإبداعه بدلًا من الاقتصار على مجرد التماهي معه، أو الاكتفاء بموقف الدهشة والانبهار أمام منجزه العلمي دون السعي الدؤوب إلى نقل التكنولوجيا أو توطين المعرفة في عالمنا العربي والإسلامي على النحو المأمول.

ولفت د.محمد إبراهيم منصور مدير مركز الدراسات المستقبلية- مصر- في دراسته «نحو ترتيبات مستقبلية مقترحة لنقل وتوطين وإبداع التكنولوجيا في العالم الإسلامي» إلى أن الدراسات والتقارير التي قامت بتقييم الوضع الراهن لحالة العلوم والتكنولوجيا في العالم الإسلامي أشارت إلى وجود العديد من العوامل أهمها: غياب استراتيجيات واضحة للعلوم والتكنولوجيا، وعدم وجود آلية لربط العلوم والتكنولوجيا باحتياجات الصناعة والاقتصاد الوطني، إلى جانب تدني مستوى الإنفاق على العلوم والتكنولوجيا وضعف رأس المال البشري وهجرة العقول والكفاءات، بالإضافة إلى الافتقار لوجود إدارة مجتمعية حازمة ضمن جوانب هذه المنظومة، وعلى الدول الإسلامية المتطلعة إلى تبني التكنولوجيات الجديدة أن تبني ثروة فكرية هائلة على طريقتها الخاصة ووفقًا لظروفها ولن يتأتى هذا إلا من خلال:

(أ) توافر موارد مالية ضخمة.

(ب) تعزيز الروابط بين العلوم والتكنولوجيا والقطاع الصناعي.

(ج) توافر مجموعات كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين المؤهلين لأن معظم الدول الإسلامية تعاني نقصًا في هذه المجالات.

وتناول د.يوسف إبراهيم يوسف مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر «مشكلة بناء التكنولوجيا وتوطينها في العالم العربي»، لافتا إلى أن الرأي الشائع في العالم العربي والذي يسير عليه التطبيق يعتبر أن التكنولوجيا هي العدد والآلات المتقدمة التي ترد من الغرب أو الشرق المتقدم، وهم يخلطون بهذا الفهم بين التكنولوجيا ومنجزات التكنولوجيا، إنهم بالتالي يشترون تلك العدد والآلات ويحسبون أنفسهم يدخلون التكنولوجيا إلى الوطن العربي، وإن هذا الطريق لنقل التكنولوجيا طريق ليست لها نهاية، ويترتب عليه ما يلي: بقاء العالم العربي في وضعه التكنولوجي المتخلف يلهث وراء كل جديد من ثمرات التكنولوجيا، والقضاء على التكنولوجيا، وعدم إتاحة الفرصة لبناء تكنولوجيا حديثة، ويستنزف بند الحصول على المعدات التكنولوجية العسكرية والمدنية الجانب الأكبر من موارد العالم العربي، وهي لا تلبث بعد حصوله عليها أن يصيبها البلى المعنوي أو التقادم الفني. لذلك يرى الباحث أنه لابد من أن يغير العالم العربي تفكيره، ويعيد حساباته ويسلك الطريق الذي يمكن أن يصل به إلى بناء تكنولوجيا خاصة به، يشارك بها العالم جهوده التكنولوجية، وتحقيق ذلك لا يتم إلا من خلال عملية التنمية الاقتصادية فهي التي تخلق التكنولوجيا، وليست التكنولوجيا هي التي تحقق التنمية الاقتصادية، وبناء التكنولوجيا المستقلة لا يعني الانعزال عن التقدم العلمي العالمي، بل إن الاستفادة منه هي إحدى القنوات التي نبني من خلالها التكنولوجيا الخاصة بنا، وإن المنهج الإسلامي هو المؤهل لتحقيق ذلك بامتلاكه القدرة على تحقيق التنمية الاقتصادية التي من خلالها تبنى وتستنبت التكنولوجيا الذاتية للوطن العربي.



شعب الله المختار.. أكذوبة أم حقيقة؟

بهيج بهجت سكيك

كثيرة هي الكتب التي تناولت أسطورة – أكذوبة – خديعة «شعب الله المختار» وأكثر منها من كتبوا عن هذه الأسطورة، وبجميع لغات العالم: فلسطينيون وعرب، وأوروبيون، ويهود، وغيرهم.

وكان بعض اليهود الأكثر وضوحًا في فضح هذه الأسطورة والتوظيف السياسي لها لتحقيق أطماع اليهود في السيطرة على العالم واستعباد شعوبه ونهب موارده.

وربما لا تكون هناك أسطورة في تاريخ البشرية تركت أثرًا في العالم أجمع مثل أسطورة «الشعب المختار» والتي صاغها صانعوها وكاتبوها على أنها تفضيل إلهي لصاحبها بصرف النظر عما يقول ويفعل– وينظر إلى الآخر (الغير) من علٍ – فهو «المرفوض» أو «المستبعد».

وقد سببت تلك الأسطورة عند اليهود تكبرًا على الآخر واحتقارًا له واستهانة بحقوقه ومصادرة أمواله، بل حتى وصلت إلى حد إزهاق الأرواح.

إن فكرة شعب الله المختار مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات اليهود لحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم، وهذا المفهوم أحد الأسس الدينية التلمودية التي يعتبرها اليهود دستورًا لهم في الحياة.

ولعل من أكثر الكتب شهرة والتي تناولت هذه الأسطورة، الأكذوبة كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» للفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي» والذي قيل في وقت من الأوقات أنه أعلن إسلامه بعد زيارته لعدد من الدول العربية وتعاطفه مع القضايا العربية وعلى الأخص القضية الفلسطينية، وقد لاحقه اليهود بعد صدور الكتاب وكاد أن يكلفه حياته مع صديقه القس الذي هرب إلى النمسا، وتأتي شهرة هذا الكتاب من أن جارودي تناول هذه الأسطورة مع أساطير أخرى تقوم عليها السياسة الإسرائيلية الحالية، منها: الأرض الموعودة لليهود في فلسطين، واليهود شعب الله المختار، وأسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، ثم أسطورة الهولوكوست: المحرقة النازية لليهود في زمن هتلر، ترجم هذا الكتاب إلى لغات عدة ومنها اللغة العربية وقدم له الكاتب المصري الشهير محمد حسنين هيكل، وامتنعت دور النشر في فرنسا ومعظم دول أوروبا عن نشر أي كتاب له عقابًا له على تطاوله على «شعب الله المختار» وبعد أن كانت أقواله ومقالاته تملأ الصحف والمجلات أصبح نسيًا منسيًا.

القبيلة الثالثة عشرة

في إشارة إلى أبناء يعقوب بن إسحق – المعروف أيضا باسم إسرائيل– وعددهم اثنا عشر، وقد أصبح كل واحد منهم أبًا ورأسًا لقبيلة من قبائل إسرائيل، والذي أعطاهم الله – كما يدعون – «الوعد الأبدي بالأرض» واختارهم من بين شعوب الأرض.

* كاتب فلسطيني

آرثر كوستلر - وهو يهودي هنغاري - مجري - ولد عام (١٩٠٥م) ثم رحل إلى بريطانيا ١٩٤١م ألف كتابه الشهير «إمبراطورية الخزر وميراثها» - القبيلة الثالثة عشرة - ومنه قدم بالدليل والبحث الميداني رؤية جديدة للقضية الصهيونية وفيه ينقض مقولة أن اليهود الحاليين ساميون أو أنهم من نسل بني إسرائيل القدامى، وشاركه في هذا البحث الأستاذ «بولياك» مدرس التاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب، وفيه ينقض مقولة أن اليهود جنس نقي متميز ويثبت أنهم هجين أجناس لا سمة خاصة له، واعتمد في ذلك على دراسات أصدرتها اليونسكو، ونفت فيها الاستقلال الجنسي لليهود، كما أنه ينفي تمامًا أن لليهود اليوم تراثهم الحضاري المشترك ويؤكد أن ما يصدر عنهم اليوم ليس يهوديًا بالمعنى المحدد وإنما هو جزء من تراث لثقافات وحضارات الشعوب التي يعيشون بينها!

القبيلة الثالثة عشرة، إشارة إلى أن يهود الخزر- وهم شعب قوقازي من أصل تركي سكنوا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود وشمالها، وقد كونوا إمبراطورية مزدهرة مابين القرنين السابع الميلادي والحادي عشر، وهم لا يمتون بصلة إلى نسل يعقوب وإسحق وإبراهيم، ولا علاقة لهم بفلسطين، ولا بـ «وعد الرب» ولا «اختيارهم» ليعمروا الأرض - من الفرات إلى النيل- بل إنهم شعب تركي قد «تهود» في القرن الحادي عشر هروبًا من الضغط المسيحي في الغرب - الإمبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة، والضغط الشرقي للمسلمين في آسيا الوسطى وفي الجنوب، لقد تهود هؤلاء الخزر بعد كتابة التوراة اليهودية بعدة قرون.

يقول «كوستلر» إن التباين الواسع المدى بين الميزات الجسدية للجماعة اليهودية والتفاوت بين تكرار الجينات في فصائل دمهم يشكفان عن التناقض في أي تصنيف جنسي لهم، «أنهم طائفة دينية مكونة من

مفهوم تلمودي يعتبره اليهود دستورًا.. ابتكره الحاخامات لحض اليهود على السيطرة على العالم

عناصر سلالية اكتسبتها من عمليات اعتناق الدين، ويستند إلى الكتاب المقدس لهم فيقول: لقد صاهر اليهود العبريون القدامى العموريين، وهم شعب طويل القامة شقر طوال الرؤوس، والحيثيين وهم مغول سود البشرة، والكوشيين جنس زنجي وآخرين غيرهم...

مملكة الصعاليك

جورجي كنعان مؤلف هذا الكتاب وصاحب مؤلفات قبله، لها علاقة بالموضوع منها «تاريخ يهوه» و«الأصولية المسيحية» و«محمد واليهودية» و «تاريخ الله» يقول في كتابه: إن موضوع «أرض فلسطين» هو الهم الذي يملأ حياتي ويغمس في صحني وأنه يقصد من كتابه هذا العمل على إحياء الحق الموءود، أو على الأقل إجلاء وجهه المطموس.

ويعني ذلك تحرير تاريخ فلسطين من شبكة الدراسات التوراتية والتي شحنت الغربيين بالأيدلوجيا اليهودية، ومنهم طوائف الإنجيليين والمعمدانيين والدهريين والمتجددين والسبتيين وشهود يهوه وجميعهم منشقون عن البروتستانتية، وهم الذين يقدمون الدعم بكافة أشكاله إلى هؤلاء «الصعاليك» ويعني بهم أولئك المشردين الذين قدموا من أركان المعمورة الأربعة واحتلوا فلسطين تحقيقًا لدعاوى توراتية مزعومة، ويستعرض في أبواب كتابه «الذهنية اليهودية» مجلدات من المزاعم: أرض الميعاد، شعب الله المختار، الوعد الإلهي، بالأسانيد والشهادات من سياسيين ورجال دين وأكاديميين، وقد أفرد بابًا خاصا عن: لماذا الإصرار على المزاعم؟ والإلحاح على ترديدها!

ويصر على إلصاق صفة «الصعلكة» باليهود من عهد داود وإلى اليوم لأن اليهود دخلوا فلسطين أول مرة متسللين ببطء رعاة، متغربين ينتجعون الكلأ والماء في أرض وفَّر أصحابها الأمان لهؤلاء الرعاة.

يخلص الكاتب إلى أن اليهود اختلفوا أو ابتدعوا أو اخترعوا مملكة قديمة وركّبوا تاريخًا لتلك المملكة على اعتبار أن الدولة المختلفة والتاريخ المركب لها هما وحدهما اللذان يبرران الحق في امتلاك أرض فلسطين وإعادة بناء دولة يهودية تكون امتدادًا واستمرارًا للدولة اليهودية.

الشعب المختار

«الشعب المختار»، الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأميركا: عنوان ألفه الإنجليزي «كليفورد لونجلي» وصدر في يناير ٢٠٠٢م من ثلاثة أجزاء وقام بترجمته إلى العربية د.قاسم عبده قاسم. «لونجلي» المؤلف والصحافي والإذاعي الذي يكتب في جريدتي التايمز والديلي تلجراف، يرى أن أسطورة الشعب المختار التي اختلقها اليهود من أجل السيطرة على فلسطين انتقلت عدواها إلى ثقافة الإنجلو ساكسون- (إنجلترا أولًا ثم أميركا بعدها) وشكلت الثقافة والدعامة في هجرة البيوريتانز لأميركا وما تلاها من حرب أهلية في أميركا.. قادت إلى الاستقلال.

كما أنها بررت للرجل الأبيض استعمار أجزاء واسعة من العالم في آسيا وإفريقيا بحجة التمدين واستعباد الزنوج بحضارة الرجل الأبيض.

انتقلت عدوى وامتياز «الشعب المختار» بأجزائه الثلاثة مصداقية أو كذب هذه الأسطورة، فقد أقر بكذبها حين أسماها أسطورة Chosen People: The big idea that shaped England and America بل كتب أن هذه الفكرة- الكذبة- ولدت كذبة أخرى شكلت سياسة إنجلترا أولًا ثم أميركا بعدها التي حاولت-

وما تزال - أن تفرض قيمها ونمط الحياة الأميركية على الشعوب الأخرى خصوصًا في الشرق الأوسط لتأمين مصالحها، مدعومة بالصهيونية (المسيحية واليهودية) العالمية.

حائط البراق.. (المبكى)

إن أسطورة الشعب المختار، عززت أسطورة أخرى هي: «أرض الميعاد» وهذه بدورها خلقت أكذوبة ثالثة هي «حائط المبكى» وهو في الواقع الحائط الغربي للمسجد الأقصى في القدس والذي يرتبط بقصة الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم، وهو المكان الذي ربط فيه رسول الله ﷺ دابة «البراق» التي صعدت به إلى السماء، فقد كان اليهود يؤدون صلواتهم في عدة أماكن - بعيدًا عن أعين المسلمين- فأمر السلطان العثماني سليمان القانوني المهندس المعماري الشهير «سنان باشا» ببناء سور لليهود في الناحية الغربية من المسجد ليؤدوا صلواتهم خلفه! وفي مطلع القرن العشرين تم توظيف هذه الأسطورة لأغراض سياسية اخترعتها الصهيونية - وهي تثبيت الحق اليهودي في فلسطين بادعاء أن الحائط الغربي - البراق- هو من بقايا معبد سليمان مما دعا أبناء فلسطين إلى ثورة عارمة عرفت بثورة البراق، و قد قامت سلطات الاحتلال البريطاني بقمعها بوحشية- ومنذ عام ١٩٤٨م - عام قيام دولة إسرائيل، وحتى عام ١٩٦٧م بقي حائط المبكى (البراق) شبه مهجور لوقوعه في الجزء الشرقي من القدس والذي أشرفت على إدارته المملكة الأردنية الهاشمية مع باقي ما عرف بالضفة الغربية للأردن.

وبعد عام ١٩٦٧م وسقوط الضفة الغربية ومعها القدس بيد الاحتلال الإسرائيلي قامت إسرائيل بإزالة حي «المغاربة» المحاذي للسور وتوسعة الساحة ورصفها الجهة المواجهة للحائط، ومنعت المسلمين من الاقتراب منها.

بل وصلت بهم الجرأة، بعد هزائم العرب



أمامهم وتخاذلهم، وتعاظم قوتهم العسكرية ووقوف المعسكر الغربي- الولايات المتحدة وأوروبا- معهم إلى إظهار «مجسم» لهيكل سليمان في القنوات الفضائية والصحف والمجلات- بل أظهروا حجر الأساس، الذي سيقوم عليه هذا الهيكل..! محمولاً على عربة، وهم يحتفظون به في مكان قريب من المسجد الأقصى، علما بأنه قد حكمت لجنة دولية من عصبة الأمم بملكية المسلمين لهذا الحائط.

المسيح الأميركي الصهيوني

يقول «رضا هلال» في دراسته «المسيح الأميركي الصهيوني» والتي نشرت في مجلة العصور الجديدة ١٩٩٩م أن المستعمرين البروتستانت وصلوا إلى «العالم الجديد» تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى فأطلقوا على أميركا اسم «أرض الميعاد» و«إسرائيل الجديدة»، وأنهم «الشعب المختار الجديد»، وزادت هذه النزعة المسيحية المتهودة مع «البيوريتيان» المتطهرين (مذهب جون كالفن) وهي أشد الطوائف المسيحية تطرفًا من ناحية الاعتقاد في حرفية الكتاب المقدس ونبوءات العهد القديم، وهكذا فإن الانتماء الصهيوني لدى الأميركيين قد تغلغل في روحهم قبل الظهور (اللوبي اليهودي)!

وخلص في دراسته إلى عدة حقائق أهمها:

١- المسيحيون البروتستانت جاءوا إلى العالم الجديد بروح إسرائيلية.

٢- الأميركيون أصبحوا «شعب الله المختار» الجديد.

٣- الحركة المسيحية الصهيونية سبقت الحركة الصهيونية اليهودية!

٤- الأميركي الحقيقي لابد أن يكون صهيونيًا.

٥- حرب عام ١٩٦٧م أعطت روحًا جديدة للمسيحية الصهيونية.

٦- احتلال القدس أهم من قيام إسرائيل!

خاتمة

وبعد! هل نعي نحن الفلسطينيين خاصة والعرب والمسلمين عامة هذه العلاقة الحيوية التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل! وهل نعرف عدد وأهداف الجمعيات والمؤسسات الأميركية التي تؤازر وتساعد إسرائيل؟

ومنها مؤسسة «جبل المعبد» التي تهدف إلى إقامة الهيكل مكان المسجد الأقصى ومؤسسة السفارة المسيحية الدولية التي تهدف إلى تهويد القدس.. - العاصمة الأبدية لإسرائيل بزعمهم - والمصرف المسيحي الأميركي لأجل إسرائيل وغيرها كثير! وهل نعرف عدد المرات التي اتخذت فيها أميركا حق النقض (الفيتو) لمشروعات قرارات لصالح القضية الفلسطينية تأييدًا لإسرائيل! وآخرها الفيتو المعلن قبل صدوره بحق انضمام دولة فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة.

وهل ندرك ضخامة تأثير اللوبي اليهودي الصهيوني، في أميركا؟ وآخرها مشروع القرار الذي تقدم به ٣٠ نائبًا في الكونغرس الأميركي من الحزبين معًا- الجمهوري والديمقراطي «باعتبار الأسرى الفلسطينيين الذين تحرروا الفترة الماضية من سجون إسرائيل مقابل الجندي الإسرائيلي، «شاليط» اعتبارهم خطرين على أمن إسرائيل وأميركا واعتبارهم إرهابيين، وأخيرًا لماذا كتب أميركيان هما «ويريل دين ديفيز» و«ضياء الدين سرداد» كتابهما «لماذا يكره العالم أميركا؟» Why do people hate America والذي سجلا فيه كل جرائم الولايات المتحدة الأميركية في القارات الست باعتبارها شعب الله المختار الجديد.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة و الالكترونيه.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

الفقه المستقبلي.. تأصيل وآفاق

عبدالفتاح همام

فقه المستقبل.. الفقه الاستئنافي.. الفقه الارتيادي.. فقه التوقع.. كلها مفردات عرفت طريقها إلى الخطاب الفقهي المعاصر، اختلفت ألفاظها وتقاربت معانيها، دالة على فقه قديم متجدد، أصيل الموضوع جديد المصطلح، سرى في رياض كتب الفقه وفروعه ومسائله، وإن لم يأخذ حقه من التأصيل والانفصال والتميز، وهو يلتقي مع ما يسمى قديمًا «الفقه الافتراضي»، ويتصالح مع ما يسمى حديثًا باستشراف المستقبل أو الدراسات المستقبلية. فهو الفقه المستشرف للنوازل والأحداث المتوقعة وأبعادها وآثارها ومحاولة تكييفها وتنزيلها على نصوص الشرع، أو هو الفقه الذي يراعي عنصر المستقبل وأحداثه ومتغيراته عند الحكم على قضية من القضايا الواقعة أو المتوقعة، ويمكن تحديد أهم عناصر هذا الفقه في محاور عدة:

المحور الأول: ضرورة استحضار البعد المستقبلي والنظر المآلي عند دراسة أي قضية، إذ يجب على الفقيه أن ينظر في عواقب فتواه ومآلاتها وآثارها السلبية والإيجابية من خلال تحقيقها للمصلحة أو المفسدة، أو بمعنى آخر لابد من أن يستدعي عنصر المستقبل عند محل التنزيل وتكييف المسائل.

المحور الثاني: معالجة الآثار الناجمة عن بعض الفتاوى التي غيبت النظر المآلي الاستقبالي، ومعالجة الغياب الفقهي وأثره في حياة الأمة، ويمكن أن نسمي هذا النوع من الفقه «فقه المراجعات» لإعادة النظر في كثير من القضايا، وخصوصًا التي تهم مستقبل الأمة، وإحياء هذه الفقه مهم جدًّا، لاسيما بعد انتشار ظاهرة التفاتي في الفضائيات، وإفتاء بعض الناس على الهواء مباشرة دون نظر لبعدي المكان والزمان لدى المستفتين، فضلًا عن دراسة أحوالهم وظروفهم.

المحور الثالث: أن الفقه الافتراضي توقع حدوث أمر من الأمور ثم تصويره تصويرًا سليمًا ثم محاولة تنزيله وتكييفه، ويتجلى العنصر المستقبلي في هذا النوع من الفقه من ناحيتين، الأولى أنه يعالج ما يتوقع حدوثه مستقبلًا، والثانية أنه يجب النظر إلى البعد المستقبلي للمتوقعات عند إعطائها الحكم الشرعي.

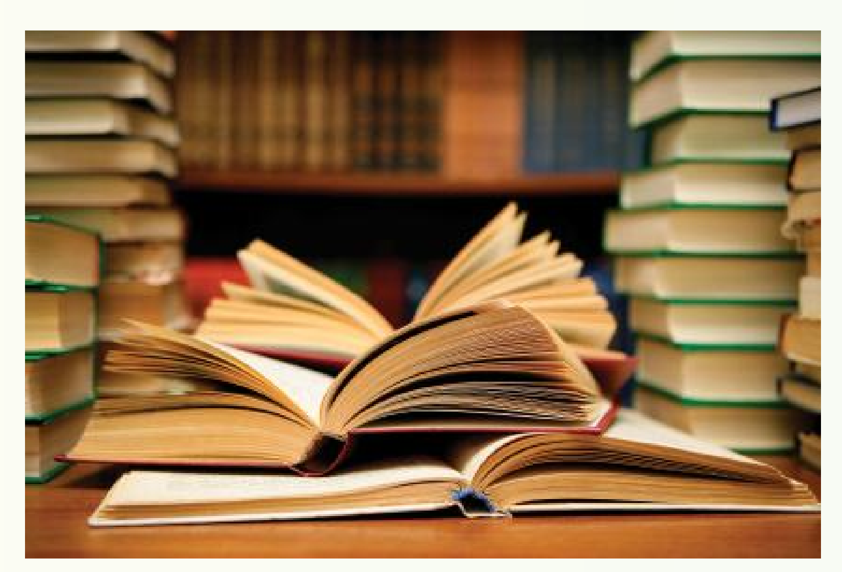
المحور الرابع: تقديم بدائل حضارية ورؤى إسلامية لكل جوانب الحياة، انطلاقًا من عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، لا سيما بعد أن جربت البشرية أغلب النظم الوضعية سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا لتخرجها من التيه فلم تفلح.

والمتأمل في مصادر التلقي الشرعي، وكذلك في تراثنا الفقهي يجد أن أصول هذا الفقه ومناهجه مبثوثة في أرجائه وأنحائه، ولكنها تحتاج إلى من يخلصها ويرصدها ويسبكها في حبل فقهي متين، فقد راعى القرآن الكريم عنصر المستقبل، وحثنا على العمل لهذا المستقبل والاستعداد له، كما حذرنا من التقاعس والتكاسل عنه، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩).

وقد كان النظر إلى المستقبل وما يحدث فيه عاملًا مخففًا لبعض التكاليف على المسلمين، هذا ما قصه القرآن في سورة المزمل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠).

ولقد راعت السنة هذا البعد المآلي

ماجستير في الفقه الإسلامي - كلية دار العلوم جامعة القاهرة



والنظر المستقبلي، فمن ذلك مثلا امتناع رسول الله ﷺ عن قتل المنافقين وقال: «أخاف أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

فقد امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين- مع مشروعيته- لما يترتب عليه من آثار وعواقب في المستقبل تتنافى مع مقاصد الدين نفسه، إذ تحدث نفرة من هذا الدين وتشويهًا وصدًا عن سبيل الله، فضلًا عن الاستغلال الإعلامي المغرض لهذا الحدث، ومنه أيضًا قول رسول الله ﷺ لعائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم»، فامتنع النبي ﷺ عن إعادة بنيان البيت الذي هو لب ركن من أركان الحج نظرًا إلى مآلاته المستقبلية وعواقبه وما يترتب على ذلك من مفاسد.

والمنظومة المعرفية الأصولية قد اعتبرت الرؤية المستقبلية في خطتها، فقد قرر العلماء أن الأصل العام في الشريعة جاء لمصالح الناس في العاجل والآجل (الحاضر والمستقبل)، قال الشاطبي: «إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا»

ومن أهم الأصول التي تشهد لاعتبار المستقبل اعتبار المآل «وهو أصل كلي

هو الفقه المستشرف للنوازل والأحداث المتوقعة و تكييفها مع نصوص الشرع

يقتضي اعتباره تنزيل الحكم على الفعل بما يناسب عاقبته المتوقعة استقبالًا»

وللشاطبي كلام جيد في تأصيل هذا الأصل إذ يقول: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل».

وسد الذرائع أيضًا مبناه على النظر المستقبلي، ولذلك بناه الشاطبي على قاعدة اعتبار المآلات، وحقيقة سد الذرائع تحريم أمر مباح يتوصل به إلى محظور.

وهناك عدة قواعد فقهية متناثرة ناقشها الأصوليون متعلقة بفقه التوقع منها: الأشياء تحرم وتحل بمآلاتها، والأمور بعواقبها، والعبر للمآل لا للحال، والمتوقع كالواقع، ولا يبطل التصرف إلا إذا ظهر قصده إلى المآل الممنوع، والضرر في المآل ينزل منزلة الضرر الحال، والزواجر لدرء المفاسد المتوقعة، وهل العبرة بالحال أو بالمآل؟ وما قارب الشيء.. هل يعطى حكمه؟ والمشرف على الزوال.. هل يعطى حكمه؟...إلخ.

وفي تراثنا الفقهي تجربة عملية لهذا الفقه بحاجة إلى تأمل وتأصيل، وهي تجربة السادة الأحناف، فلقد كان لأبي حنيفة وأصحابه تميز ظاهر في فرض المسائل وكثرة التفريع، قال الشيخ محمد الخضري: «إن فقهاء العراق اعتمدوا كثيرًا على قوة التخيل، فأدى ذلك بهم إلى أن أخرجوا للناس ألوفًا من المسائل، منها ما يمكن وجوده ومنها ما تقضي الأجيال ولا يحس الإنسان بوجوده».

وروى الخطيب البغدادي أن قتادة بن دعامة دخل الكوفة فاجتمع إليه خلق كثير فقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقال له أبوحنيفة: يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعوامًا فظنت امرأته أنه مات فتزوجت ثم رجع زوجها الأول، فقال قتادة: أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا، قال: فلم تسألني عما لم يقع فقال أبوحنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

وثمة تساؤلات ملحة حول طبيعة العلاقة بين الفقه وهذه الدراسات المستقبلية أعتقد أن محاولة الإجابة عنها ومعالجتها ستفضي بنا إلى مرحلة الاستثمار والتفعيل لهذه العلوم، وهذا هو المقصود، من هذه التساؤلات: أهي علاقة تكاملية أم تأثيرية أم تبادلية؟ وما نقاط الالتقاء بينهما؟ وما أبرز وجوه الاختلاف؟ وهل يمكن للفقه الإسلامي استيعاب هذه الدراسات ليفيد منها؟ وكيف يمكنه أن يقدم طروحاته لهذا الدراسات المستقبلية، ليسهم في توجيهها وتقديم مناهج استشرافية مضبوطة متفق عليها، ومصوغة صياغة تتماشى مع ثوابتنا وتراعي متغيراتنا؟



العمل أساس الإصلاح الاجتماعي

أمراض أمتنا الاجتماعية متعددة ومتنوعة وهي بلا شك أكثر من أن تعد وتحصى، لكن من اهم هذه الأمراض الاجتماعية وربما يكون أخطرها كثرة الأقوال وقلة الأعمال.. هذه حقيقة يلمسها القاصي والداني، وهي أن الأعمال لا تتناسب مع الأقوال بل وأن الأعمال أيضا دون المستوى المطلوب من حيث الجودة والإتقان والإخلاص!

لقد كان النبي ﷺ من أقل الناس كلامًا ولكنه كان أكثرهم عملًا، فقد كان إذا قال أوجز ولكن قوله كان فصل الخطاب، وكانت أقواله بالنسبة إلى أعماله - نسبيًا- يسيرة، إذ إن أعماله تفوق أقواله.

إن إسلامنا يدعونا إلى العمل والبذل والعطاء، والمسلم بلا عمل شجرة بلا ثمر ترتوي من ماء الأرض دون أن تعطي أي شيء وهذا ليس من خلق المسلم ولا يحقق غرض إعمار الأرض، كما يريده الله عز وجل.

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من القول بلا عمل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

إن المسلم إذا اقترن قوله بعمله تحول إلى طاقة وقوة بناء إيجابية تستطيع أن تقضي على معظم أمراضنا الاجتماعية، التي نعاني منها اليوم والتي أدت إلى تخلفنا في جميع مناحي الحياة وبتنا مستهلكين لإنتاج الآخرين، نأكل ونلبس ونركب مما صنع غيرنا!

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قارئنا الكريم تسليط الضوء على بعض الأمراض الاجتماعية وسبل الخلاص منها، لعل أمتنا تتلمس الطريق الصحيح المؤدي إلى نهضة شاملة، والله الهادي إلى

التحرير

إحياء خلق المسؤولية

عبدالمجيد إبراهيم

عندما جاء الإسلام أراد أن يبني مجتمعًا متكاملًا، يقوم كل فرد فيه بدوره وعمله على أكمل وجه، ومن ثم جعل من أسسه أن يربي أبناءه على خلق تحمل المسؤولية، فخاطب رسول الله ﷺ الأمة جميعًا خطابًا عامًا يشمل الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والرجال والنساء، بأن يلتزم كل واحد بصلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه، فقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، ولكن لما كانت هذه المسؤولية في حاجة إلى وعاء يشملها ومكان تنبت وتنمو فيه، خص من هذا العموم والشمول: الأسرة، بما اشتملت عليه من أب وأم وخادم، إذ هي نواة المجتمع، يولد الفرد في ضوئها، ويعيش في كنفها، ويتغذى من أخلاقها، ويرتوي برعايتها وتوجيهها، ويحيطه أمنها واستقرارها، إذ ليس الأمر فيها مقصورًا على توفير الطعام والشراب والملبس، فقال ﷺ: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»، وبناء على هذه المسؤولية العامة المطلقة، التي أكدها رسول الله ﷺ مرة ثانية، ينبغي ألا ينسحب أي فرد في المجتمع من ميدان عمله، مادام مؤهلاً له، تحت أي ادعاء، أو يهرب منه خوفًا من المسؤولية، وإنما عليه أن يعلم أن الذي أوجبها عليه وهو الله ضمن له الإعانة والتيسير، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى﴾ (الليل: ٥-٧)، وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

ثم أراد الإسلام أن يضع بعض الضوابط التي تحقق هذه المسؤولية، وتجعلها تؤتي ثمارها وارفة على المجتمع، وذلك بدعوته إلى إتقان العمل، فقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»، فهو يشمل كل أحد وكل عمل، وبذلك يسود الإتقان في المجتمع كله، فيصبح متكاملًا متعاونًا يقوم كل فرد فيه بما عليه حق القيام، وهو يشير- أيضًا- إلى أنه ليس على كل أحد أن ينشغل بعمله فقط، وإنما يطلب منه كذلك كيفية تجويده وتحسينه والارتقاء به، حتى يكون العمل جادًا ومثمرًا، وقد تكفل الله سبحانه وضمن الأجر العظيم على ذلك فقال: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾ (الكهف: ٣٠)، كما جعل من ضوابطه المراقبة، فقال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: ١٠٥)، فأول المراقبين هو الله، مما

باحث في الدراسات الإسلامية





يعني أنه ينبغي أن يكون المؤمن ملتزما في عمله من أعماق قلبه وقالبه، لأنه يستحيل عليه أن يجعل الله أهون الناظرين إليه، وإلا كان إيمانه ناقصا، ثم عطف المؤمنين على الله ورسوله، ليكون بمنزلة دعوة إلى إقامة الرقابة بعضنا على بعض في حدود الإسلام وضوابطه، وقبل الإتقان والمراقبة لابد من شرط الكفاءة، أي ليس فقط وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإنما ينبغي أن يختار المتخصص الكفء، الذي سيساعد على الإبداع في الإنجاز، وعلى الوفرة والجودة في الإنتاج، ويجب أن تكون هذه الشروط جميعا محاطة بسياج العدل، لأنه أساس الملك، وهو الذي يوجب تأييد الله وتوفيقه.

وفي ضوء هذا الهدي الإسلامي الرفيع من تحمل المسؤولية، عاش الأولون من المسلمين، فهذا أبوبكر الصديق الخليفة الأول رضي الله عنه يقول في خطبته بعد البيعة: «يأيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، أطيعوني ما أطعت

الكفاءة .. الإتقان.. المراقبة.. عناصر المسؤولية في التصور الإسلامي

الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني قد وليت أموركم أيها الناس، واعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا ويتعدى عليه، حتى أضع خده علىالأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك، وإذا غبتم في البعث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم».

وهذا عمر بن عبدالعزيز، الذي ملأ الأرض عدلًا وكان للرعية أمنا وأمانًا وعلى من خالفه حجة وبرهانًا، قال مولاه له حين رجع من جنازة سليمان، مالي أراك مغتمًّا؟ قال: لمثل ما أنا فيه يغتم له، ليس من أمة محمد ﷺ أحد في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه غير كاتب إلي فيه، ولا طالبه مني.

ومما كتبه إلي ولي العهد من بعده يزيد بن عبدالملك: وقد علمت أني مسؤول عما وليت، يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئًا، فعليك بتقوى الله، والرعية.. الرعية فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلًا حتى تلحق باللطيف الخبير.

فكل واحد منهم كان يبين مسؤوليته والتزامه بها تجاه رعيته، وحرصه على تحقيق مصالحهم جميعًا، الضعيف منهم والقوي، الكبير والصغير، بما يضمن لهم الأمن والاستقرار، ويحقق لهم العدل والمساواة، وفي الوقت نفسه كان يحمّل رعيته مسؤوليتها نحوه، طاعة أو تقويمًا، ونصحًا وإعانة، إذ ينبغي أن يكون من الشعب والرعية من تحمل المسؤولية مثل ما يكون من الراعي، سواء بسواء، وبهذا طالب عبدالملك بن مروان رعيته قائلًا لهم: أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر، نسأل الله أن يعين كلًا على كل.

أيها القارئ، هذا عن المسؤولية مطلقًا باعتبارها صفة أساسية وخلقًا ملازما للمؤمن، فلاشك أننا في وقت الشدائد والأزمات أشد احتياجا إلى إحياء خلق المسؤولية



الجوانب الخفية لمشكلة البطالة



د.عبدالرحمن النمر

إلى زمن غير بعيد، لم تكن كلمةُ «البطالة» شائعةَ الاستعمال. ولكنها في السنوات الأخيرة صارت صُلْبَ أيِّ حديث عن الاقتصاد، ولبَّ أي كلام في السياسة، ومادةَ الصحف اليومية ونشرات الأخبار، في كثير من بلاد العالم.

سبب ذلك أن البطالة ليست مجرد مشكلة اقتصادية- كما تبدو للوهلَة الأولى، ولكنها ظاهرةٌ اجتماعية ذاتُ أبعاد خطيرة علي مستوى الفرد، وعلي مستوى الأسرة، وعلي مستوى المجتمع ككل، وحتى علي المستوى الدولي! وتتداخل أبعاد البطالة وتتشابك آثارها على كل المستويات، واستكشاف تلك الأبعاد والآثار يعطي فكرة عن الحجم الحقيقي لواحدةٍ من أضخم مشكلات المجتمع الإنساني في العصر الحاضر.

الأبعاد الفردية

في الأسابيع الأولى من البطالة قد يشعر العاطل عن العمل بشيء من الراحة، نتيجة عدم التقيد بالروتين الذي يفرضه الارتباط بعمل. إلا أن هذا الشعور بالراحة يختفي تدريجيًا ليحل محله شعور بالملل والرتابة، وتدريجيًا تتحول مشاعر الرتابة والملل إلى شعور بالخُوَاء، تفقد الحياة معه معناها! هنا يولد الاكتئاب- أكثر العلل النفسية ارتباطًا بالبطالة.

في محاولة للتسرية عن النفس وتزجية الوقت- أو بالدقة قتله- يبحث العاطل عن العمل عن شيء أو وسيلة تنسيه همومه وأحزانه، غالبا ما تكون الوسيلة هي تعاطي العقاقير المخدرة والمُسَكِّرة، وهنا تولد مشكلة الإدمان- أخطر المَشكلات الفردية والاجتماعية والصحية المرتبطة بالبطالة.

من النادر أن ينصرف العاطل عن العمل إلي استثمار الوقت في مزاولة رياضة بدنية، أو اكتساب مهارة حرفية جديدة، بسبب الاكتئاب، فمع الاكتئاب تضمحل الطاقة وينخفض النشاط، وتقل القدرة علي التركيز، فضلًا عن فقدان الدافع للانخراط في أي عمل مثمر، هذا علاوة على أن العاطل عن العمل شخص محدود الدخل أو ليس له دخل مالي بالمرة، والأغلب والحال كذلك أن يتجه العاطل إلي تسكين همومه، وليس إلي استثمار وقته.

على أن تسكين الهموم له ثمن، فالعقاقير المخدرة والمسكرة لا توزع مجانًا للمنكوبين والمحزونين، وإنما تباع بثمن باهظ! ولكي يحصل العاطل عن العمل على ثمن المسكن، فإنه لا يجد إلا أن يخرج على القانون. وهنا تولد الجريمة- الوليد البشع للبطالة.

مما يشجع العاطل عن العمل على ارتكاب الجريمة إحساسُه أنه منبوذٌ من المجتمع، وهو إحساس مرير يدفع إلي التمرد علي المجتمع وإلحاقِ الأذى به.

على أي حال، فإن هذا الكلام لا ينسحب على جميع العاطلين عن العمل، ولكنه سياق الأحداث الطبيعي للكثير منهم، خصوصًا مَنْ هم في طور الشباب. وسواء انتهى تسلسل الأحداث في حياة العاطل عن العمل بارتكاب الجريمة أم لا، فالمؤكد أنه إنسان مصاب بالإحباط، وعنده إحساس بالنبذ أو الرفض من المجتمع- أو في القليل شعور بأنه «مختلف عن الآخرين»! وهذه المحصلة لها بدورها انعكاسات وآثار سلبية.

الأبعاد الأسرية

أسرة العاطل عن العمل محدودة الدخل بطبيعة الحال. وهذا له تأثيره على الأطفال في الأسرة في المقام الأول، فالدخل المحدود لا يوفر للأطفال مستوى جيدًا من الغذاء، وبالتالي فإن أمراض سوء التغذية وملحقاتها- مثل الكساح وفقر الدم وضعف البنية وغيرها- ثمن مدفوع رغم أنف الجميع!

وتنعكس الحالة الصحية المتدهورة للطفل في أسرة العاطل عن العمل، في تدهور المستوى التعليمي والتحصيل الدراسي، إذ كثيرًا ما يتغيب الطفل عن الدراسة بسبب تدهور صحته.

في السنوات الأولى من العمر قد لا يعي الطفل من الأمور شيئًا. لكن مع تقدمه في العمر وتفتح ذهنه ينمو مع الطفل شعور بالحرمان والظلم، وأنه- مثل أبيه- مختلف عن الآخرين ومنبوذ من المجتمع! ولا عجب، والحال كذلك، أن ينخرط هذا الطفل في سلك المشاغبين والساخطين على المجتمع. ومثل هذا الطفل يكون تربة خصبة لغرس بذور الجريمة.

من جهة أخرى فإن انخفاض مستوى دخل أسرة العاطل عن العمل يؤدي إلى ظروف معيشية صعبة وقاسية بوجه عام، ففضلًا عن الحرمان من كثير من مباهج الحياة، فإن أسرة في تلك الظروف يتعين عليها أن تتكيف مع البرد القارس دون دِثار، وأن تصبر علي الجوع، وأن تتعايش مع الإضاءة الخافتة، وأن تقبل مستوى النظافة المنخفض، وأن تحتمل ازدحام



البيت الصغير بساكنيه!

في هذه الظروف المعيشية السيئة تتهيأ الفرصة للإصابة بالأمراض العضوية والنفسية، كما يكون الجو مهيأ لنشأة مشاحنات أسرية تقود إلى تقويض دعائم الأسرة أحيانا، وإلى القسوة على الأطفال أحيانا أخرى، ونتيجة لذلك تتفكك عشرات الأسر كنتيجة مباشرة للبطالة، كما يعاني كثير من الأطفال من مختلف الإصابات نتيجة قسوة آبائهم عليهم، كرد فعل للشعور بالإحباط من ظروف قاسية.

وإذا تحول رب الأسرة إلى الإدمان، زادت الأمور سوءًا! فتحت تأثير العقار يمكن أن يؤذي الأب أطفاله وزوجه، كما أن موارد الأسرة المحدودة سوف توجه لشراء العقار، فتزداد الأسرة فقرًا على فقر. وتبلغ المأساة أَوْجَها إذا وقع رب الأسرة العاطل عن العمل في حبائل الجريمة، فيضاف إلى معاناة الأسرة وحرمانها الشعورُ بالخزي الاجتماعي، مع مزيد من النبذ من المجتمع، ومزيد من المشاعر المناهضة للمجتمع، في حلقة مفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها!

الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية

البطالة لا تعني فحسب خسارة طاقة منتجة، ولكنها تعني خسارةً مركبة على أكثر من صعيد. ففي كثير من البلدان تنفق الحكومات ما يصل أحيانا إلى ثلث الدخل القومي على هيئة منح مالية شهرية للعاطلين عن العمل.

وهناك خسارة أخرى تتمثل في الأموال الطائلة التي تنفق كل عام لعلاج الأمراض التي نشأت في ظروف البطالة، ففي بريطانيا- على سبيل المثال- ثلاثون في المائة (٣٠ ٪) من الاستشارات الطبية في أيّ يوم تخص العاطلين عن العمل، وخمسة وخمسون في المائة (٥٥ ٪) من الأطفال الذين يترددون على عيادات الأطباء ينتمون إلى أسر العاطلين عن العمل!

وفي حقل الإدمان (تعاطي العقاقير المخدرة والمسكرة) فإن أربعة من كل خمسة مدمنين (أي بنسبة ٨٠ ٪) يأتون من قطاع العاطلين عن العمل، (هذا الإحصاء كذلك من بريطانيا)، وعلاج الإدمان، علاوة على أنه عملية عقيمة تستغرق زمنًا طويلا يصل إلى شهور وأحيانًا إلى سنوات، فإنه يستنزف أموالا طائلة.

على مستوى المجتمع تتضح فداحة الخسارة بالنظر إلى معدلات الجريمة، فأكثر من ثلاثة وستين في المائة (٦٣ ٪) من مرتكبي جرائم السطو المسلح هم من العاطلين عن العمل! أما عصابات تهريب وتسويق المخدرات، فأكثر من تسعين في المائة (٩٠ ٪) من أفرادها ينتمون إلى فئة العاطلين عن العمل، الباحثين عن حل سريع لمحنتهم المالية.

معنى ذلك أن المجتمع لا يخسر فحسب أيديًا عاملةً وطاقة منتجة، ولكنه يخسر كذلك بتحول بعض أفراد المجتمع إلى عناصر هدامة، أضف إلى ذلك النفقات الباهظة التي تصرف كل عام لمكافحة معدلات الجريمة المتزايدة، وللإنفاق على السجون التي ينمو أعداد نزلائها يوما بعد يوم!

وعلى المدى البعيد تتمثل خسارة المجتمع في فقدان أطفال الأسر العاطلة عن العمل، فهؤلاء الأطفال إما مصابون بأمراض عضوية مزمنة، مثل التهاب القصبة الهوائية المزمن الذي ينشأ نتيجة الظروف المعيشية المتدنية، وإما مصابون بأمراض نفسية، تتمثل في الشعور بالاضطهاد والحقد على النظام الاجتماعي القائم، وفي الحالتين فإن تلك الأمراض لا تهيئ الطفل لأن يكون لَبِنَةً صالحة منتجة في مجتمعه، فإذا أضيفت إلى تلك العوامل حقيقة أن أولئك الأطفال يتدهور مستواهم التعليمي بسبب تدهور صحتهم وسوء ظروف أسرهم، أدركنا نوع الأجيال المتوقعة في مستقبل يتطلب مزيدًا من الكفاءة العلمية والدراية المهنية.

الأقليات المهاجرة والأبعاد الدولية

في كثير من البلدان تستوطن أقليات مهاجرة، طلبًا للمعاش وسعيًا وراء الرزق، وفي أغلب الأحيان تحتفظ الأقليات المهاجرة بتراثها وثقافتها وعاداتها، فلا تذوب تمامًا في الموطن الجديد، إلا أن الاحتفاظ بالهوية الأم قد يكون فادح الثمن في المجتمعات المعاصرة! ففي كثير من الأحيان تعامل الأقليات المهاجرة في الوطن الجديد معاملة إنسان من الدرجة الثانية إلى الدرجة العاشرة- تبعًا للبلد الذي يتخذه المهاجر موطنا جديدًا له!

وعندما تصل الأمور إلى حد البطالة، فإن الأقليات المهاجرة ينظر إليها- من قِبَل المواطنين الأصليين- على أنها سبب رئيسي من أسباب البطالة، إذ زاحمت في سوق العمل وقبلت أجورًا متدنية، فكانت سببًا في زيادة أعداد العاطلين عن العمل.

قد يكون في هذا الكلام شيء من الصدق، لكن حتى في حالة صدق هذا الكلام، فإن الأقليات المهاجرة لا ينبغي أن تنال اللوم كله، ومع ذلك فإن واقع الحال يشهد بأن المواطنين- وأحيانا الحكومات- يلقون تبعة البطالة كلها على الأقليات المهاجرة، وعندئذ تعامل تلك الأقليات معاملة «أجسام طفيلية يجب التخلص منها»!

هذه التصرفات، سواء من قبل الحكومات أم من قبل المواطنين الأصليين، تثير حزازات بين الدول، وتثير درجة من التوتر في العلاقات الدولية، كذلك فإن المهاجرين العاطلين عن العمل الذين ينخرطون في تجارة المخدرات وفي أعمال القرصنة الدولية قد يثيرون توترًا وحزازاتٍ في العلاقات الدولية.

وخلاصة ما تقدم أن البطالة تنخر في جذر المجتمع وصلبه مثلما ينخر السوس في العظام! وإنْ تكن بعضُ آثار البطالة ظاهرة وملموسة في المجتمع، فإن أكثر آثارها خفيٌّ يظهر في المدى البعيد، لهذا فإن البطالة تستحق التسمية «سرطان المجتمعات الحديثة»!



أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com
العدد (٥٦١) جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - مارس- أبريل ٢٠١٢م



وزارة الأوقاف تزور المركز الإسلامي في مدريد

ملف العدد..
المقاصد الشرعية.. ضرورة حياتية

ما أحوجنا إلى تصحيح المسار في تدريس علوم الحديث!

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

الافتتاحية

والله يحكم لا معقب لحكمه

جاءت الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها بمقاصد تشريعية عظمى تنظم الحياة الإنسانية في جميع مجالاتها، والأصل أن لكل حكم شرعي غاية ومصلحة قد شُرعَ من أجلها، ومن قواعد التشريع المهمة؛ قاعدة اعتبار مآلات الأفعال، التي تهدف إلى تحقيق موافقة الأفعال في الظاهر والباطن والحال والمآل للمقاصد والغايات التي قصدها الشارع، فعند تنزيل الأحكام على الواقع وتطبيقها على الوقائع والمكلفين؛ لابد من النظر إلى المآلات والعواقب التي يفضي إليها ذلك التطبيق لمعرفة التداعيات المستقبلية لتنزيل الحكم الشرعي على الواقعة.

على أنّ هذه الأهمية للمقاصد الشرعية وقيمة النظر إلى مآلات الأفعال، لا تعني معاندة النصوص، والتهربَ من التسليم لأحكام الشريعة حين لا تظهر لنا في بعض الأحكام حكمةٌ أو علة، فإن المسلم الحق كما أنه مأمور بإعمال عقله في فهم النصوص ومواردها وعللها، فإنه كذلك مأمور بالإذعان والتسليم حين لا تظهر له العلل والمقاصد، قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء:٦٥).

وهذه الآية كما ذكر ابن القيم- رحمه الله- في شرح المنازل؛ شملت مراتب الدين الثلاثة، ففيها: مقام الإسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان، فالتحكيم في مقام الإسلام ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾، والإيمان في مقام نفي الحرج ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾، وأعلى من ذلك وأجلّ: تحقيق مرتبة الإحسان وهي التسليم المطلق ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

ولاشك أن من تمام الإيمان وكمال الإسلام إقامة حكم الله وحكم رسوله ﷺ، والالتزام بذلك، فهكذا كان حال المؤمنين من السلف الكرام والصحابة الأعلام رضي الله عنهم أجمعين؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (النور:٥١)؛ فلا اعتراض، ولا تردّد، ولهذا قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور:٥١)؛ فلا يكون الفلاح إلا لهؤلاء الذين سلّموا لله تعالى ولرسوله ﷺ في جميع أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، ولم تكن لهم الخيرة فيما يقضي به الله سبحانه ولا رسوله ﷺ.

وقد يكون اختلاف في وجهات النظر، وتدافع في فهم أمر من الأمور، فعند حصول ذلك أمر الله تعالى بالرّد إلى الله وإلى الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء:٥٩)، والرّدّ إلى الله هو: الردّ إلى كتابه عز وجل، والردّ إلى الرسول ﷺ هو: الرجوع إليه، بأن يُسأل في حياته، ويُرْجَع بعد مماته إلى سنته، فلا يكون لأحدٍ إيمانٌ تام صادقٌ إلاّ بذلك.

التحرير

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦١

جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

مارس - أبريل ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبوروأش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:
info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية- ٤ ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ -٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت: ٥٠٠ فلس
- السعودية: ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سوريا: ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- الجزائر: ٤دينار جزائري
- تونس: نصف دينار تونسي
- المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني
- باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

همسة

الأمانة كلمة عظيمة ومسؤولية جسيمة، فهي ينبوع السعادة ومصدر الفلاح، من اتصف بها، قولا وعملًا، فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ومن فرط فيها خسر خسرانًا مبينًا في دنياه وآخرته.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

والأمانة كلمة واسعة الدلالة شاملة لكل جوانب الحياة ومن طبيعة المؤمن أنه صادق أمين في عبادته وسلوكه وأخلاقه وفي تعامله مع الناس وفي أدائه لوظيفته وعمله وفي أقواله وأفعاله، وفي كل ما اؤتمن عليه.

لقد كانت الصفة المثلى واللقب الأول الذي عرف به النبي الكريم ﷺ قبل بعثته «الصادق الأمين»، والأمة لا تزال بخير ما لم تر الأمانة التي تؤتمن عليها غنيمة لها قال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنمًا والصدقة مغرمًا».

إن التعدي على حقوق الآخرين المادية أو المعنوية أو الفكرية بقصد كسب المال لا يعد شطارة كما يظن بعضهم بل هو خيانة للأمانة، حري بالمؤمن أن ينأى بنفسه عنها حتى لا يخرج من فئة المؤمنين الصادقين الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والله الهادي إلى سواء السبيل.

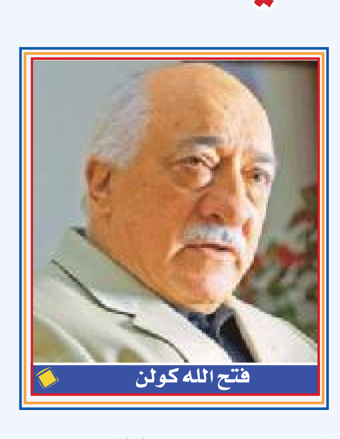
التحرير

الاشتراكات

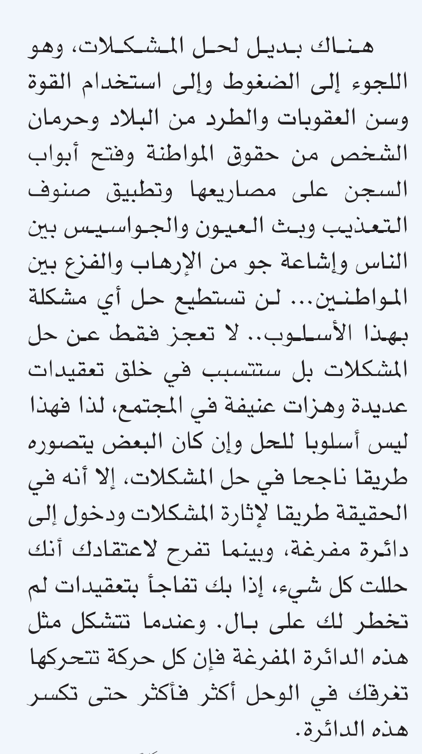
- **داخل الكويت**: للأفراد ٧,٥ دنانير، للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية**: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم**: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات**: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

صاحب الفراسة المتنورة بالوحي (١-٢)


فتح الله كولن

إن حصول أي قائد على ثقة جماعته وأتباعه مرتبط بحصوله على قبولهم له ورضاهم عنه من كل جانب من جوانبه ونظرهم إليه كشخص موثوق يمكن الاعتماد عليه. وهذا متعلق بقدرته على حل جميع مشاكل هؤلاء الأتباع سواء أكانت فردية أم عائلية، اجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية. وكلما كان هذا القائد موفقًا في حله لهذه المشاكل كلما زاد قبوله من قِبل أتباعه وزادت محبتهم وتقديرهم وتوقيرهم له، وأصبح لهم رمزًا أبديًا، وكان رسولنا محمد ﷺ قائدًا للإنسانية لا شبيه له في حل مشاكلها ومعضلاتها.



هناك بديل لحل المشكلات، وهو اللجوء إلى الضغوط وإلى استخدام القوة وسن العقوبات والطرد من البلاد وحرمان الشخص من حقوق المواطنة وفتح أبواب السجن على مصاريعها وتطبيق صنوف التعذيب وبث العيون والجواسيس بين الناس وإشاعة جو من الإرهاب والفزع بين المواطنين... لن تستطيع حل أي مشكلة بهذا الأسلوب.. لا تعجز فقط عن حل المشكلات بل ستتسبب في خلق تعقيدات عديدة وهزات عنيفة في المجتمع، لذا فهذا ليس أسلوبا للحل وإن كان البعض يتصوره طريقا ناجحا في حل المشكلات، إلا أنه في الحقيقة طريقا لإثارة المشكلات ودخول إلى دائرة مفرغة، وبينما تفرح لاعتقادك أنك حللت كل شيء، إذا بك تفاجأ بتعقيدات لم تخطر لك على بال. وعندما تتشكل مثل هذه الدائرة المفرغة فإن كل حركة تتحركها تغرقك في الوحل أكثر فأكثر حتى تكسر هذه الدائرة.

بينما قام رسول الله ﷺ بحل جميع المشكلات والمعضلات بكل سهولة ويسر دون أن يدخل داخل هذه الدائرة المفرغة ودون أن يستعمل الضغوط والإرهاب والقوة، بل أخذ الإرادة الإنسانية الحرة بنظر الاعتبار واحترمها. ولو أخذت هذه الناحية فقط بنظر الاعتبار دون النظر إلى حالاته الخارقة للعادة ودون النظر إلى معجزاته العديدة لآمنت بأنه رسول من عند الله.. أجل، إنه رسول الله لا غير.. وإلا كيف يمكنه حل كل هذه المشكلات؟ كيف كان يمكنه هذا مع أنه نشأ في مجتمع كان يثير المشكلات لأتفه الأسباب، وتنشأ بينهم الخصومات الدموية لأحقر الأمور وتشتعل الفتن لأهون الأشياء.. مجتمع غارق في البداوة والضلالة والطغيان والظلام، لقد وضع الله تعالى عبء إرشاد مثل هذا المجتمع على كاهل النبي ﷺ. يقول القرآن الكريم:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ (الحشر: ٢١). فهذه الآية تشرح كيف أن هذه المهمة التي أعطيت للرسول ﷺ لو أعطيت للجبال لتصدعت من جرائها.. أجل، لقد كانت المهمة شاقة وصعبة إلى هذه الدرجة، ولاسيما في ذلك المجتمع البدوي والبدائي الغارق في الضلالة، فتناول الرسول ﷺ مشاكل هذا المجتمع مشكلة مشكلة ومعضلة معضلة وبدأ بفك عقدها وحل مصاعبها، فأوصل هذا المجتمع إلى شاطئ الاطمئنان وإلى ساحل السلامة.

لقد صنع من هذا المجتمع مجتمع أمن وطمأنينة إلى درجة أنك لن تستطيع رؤية مثل ذلك المجتمع إلا في الكتب التي تصف المدن الفاضلة ككتاب أفلاطون (Platon) «الجمهورية»، وكتاب «توماس مور» (Thomas More) «يوتوبيا» وكتاب كامبانللا (Campanella) «مدينة الشمس»، لقد كتبت كل هذه الكتب بأمل البحث أو بدافع الشوق إلى مجتمع مثل المجتمع الذي أنشأه الرسول ﷺ.. لندع هؤلاء يتجولون في أودية الخيال ولننظر إلى الرسول ﷺ الذي أنشأ قبل قرون مجتمعًا أزال منه الجوانب السلبية الموجودة حتى في هذه المجتمعات المثالية والخيالية، وجعله مجتمعًا مثاليًا يبرق في السماء بريق النجوم ليهتدي به من يأتي من بعده، فمن اهتدى بهذا النجم اهتدى إلى الحق وملأ الاطمئنان قلبه، ونحن نرى هذه الحقيقة في أيامنا الحالية بكل وضوح، ونفهم أن مجتمع الصحابة كان مجتمعًا حقيقيًا وواقعيا، ونطمح في أيامنا القادمة السير نحو ذلك المجتمع النوراني.

لو لم يقم الرسول ﷺ بحل جميع مشاكل ومعضلات إنسان ذلك العصر، أكان من الممكن ظهور الصحابة الذين هم

مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب



القوة والعقوبات لا تعجز فقط عن حل المشكلات بل تعقد الأمور وتزعزع المجتمع

فخر الإنسانية؟ كلا بالطبع. ولكن هل كان الرسول ﷺ يحل كل هذه المشاكل بعقله الخاص فقط؟ كلا بالطبع. ونضيف فنقول إن الله تعالى وهب له فطنة نبوية، أي فطنة ينورها الوحي بحيث استطاع بهذه الفطنة أن يحل جميع المشاكل بكل يسر، وهذا من أدلة نبوته وهي منطلق بحثنا هذا. والآن لنتعرض لبعض الأمثلة في هذا الخصوص:

أ- التحكيم حول الحجر الأسود

كان الناس في ذلك العهد يراجعونه ليحل لهم مشاكلهم المتعددة، وعندما بدئ بترميم الكعبة -الذي شارك فيه شخصيًا- كان وضع الحجر الأسود في مكانه مشكلة قابلة للانفجار بين القبائل العربية قد تؤدي إلى إراقة الدماء، وكان من الواضح أن المشكلة إن لم يتم حلها في ظرف يوم أو يومين فإن الحرب آتية دون ريب، وكما قلنا سابقًا إن الرسول ﷺ إن لم يحل هذه المشكلة بوضع الحجر الأسود في مكانه بطريقة يرضى عنها الجميع؛ لنشب نزاع دموي، وكما هو معلوم فقد وضع الحجر الأسود في ثوب ودعا زعماء القبائل إلى الإمساك من أطرافه وحمل الحجر الأسود جماعيًا، وعندما اقتربوا من مكان الحجر الأسود رفعه بيديه ووضعه في مكانه.

هذه الحادثة -التي لا ندخل في تفاصيلها- تبين لنا كيف أن الرسول ﷺ كان حتى قبل نبوته صاحب فطنة كبيرة.

عندما قام بهذا التحكيم كان عمره يتراوح بين العشرين وخمس وعشرين، أي قبل أن يتشرف بالنبوة ويتأيد بها، وقبل اكتسابه أعماقًا أخرى وقبل انفتاح أبواب اللانهاية أمامه وقبل بدء تلقيه الدروس من ربه. ولكن حتى قبل أن يأتيه الوحي، كان قد احتلّ - بالإلهامات التي كانت ترد إلى قلبه - مكانة في القلوب إلى درجة أن كفار قريش ما أن رأوه داخلًا من باب المسجد حتى هتفوا فرحين: هذا الأمين.. رضينا.. هذا محمد» (١) جاء وحلّ تلك المشكلة.

أجل، حل تلك المشكلة دون أن يفكر طويلًا أو ينتظر أو يأخذ رأي فلان أو علان أو يبحث في الأمر مليا.. حلها ببساطة وكمن يسل شعرة من عجين، كان ذلك أمرًا بسيطًا بالنسبة إليه، ولم يعترض أحد عليه، وما كان بإمكانه أن يعترض، ذلك لأنهم عينوه حَكَمًا لهم، وقام هو بوظيفة الحكم خير قيام، دون خطأ أو تعثر أو تردد، وأرضى الجميع.

لم يخط في حياته خطوة إلى الوراء أبدًا، لأنه كان صاحب فطنة كبيرة يفهم ما يُلقى إليه من ربه حق الفهم.. كانت فطنته هذه مثل برعم زهرة تفتحت، وكلما تفتحت تلونت وابتسمت في الوجه العابس للإنسان.. هذا الإنسان المليئة حياته بالمشاكل وبالرغبات غير المشبعة.

وقد تتصور أن أبعاد عظمته قد انتهت، أو أنك أحطتَ بها، ولكن هيهات.. فعلى قول الشاعر المتصوف «يونس أمره» إنه برعم في داخله براعم أخرى.

أجل، لقد راجعه الآخرون طوال حياته السنية، ولم يَرُدّ هو أحدًا راجعه حزينًا أو مهموما، بل قام بحل مشاكله. فمنذ البداية قام بحل مشاكل قومه الذين كانوا مهيئين لإثارة المشاكل والفتن على الدوام.. كانوا يثيرون المشاكل، وكان يقوم بحل تلك المشاكل واحدة تلو الأخرى.

كانت الهجرة مشكلة قائمة بحد ذاتها.. مشاكل الحرب والنزاع والسلام، مشاكل المنافع والمصالح المادية مشاكل الغنيمة. ولو لم يستطع الخروج من بين هذه المشاكل، لكان من المحتم دخول قومه المحبين للجدل والنزاع والخصام في نزاعات دموية فيما بينهم.

ب- تقسيم غنائم حُنين

وأشرنا إلى هذه الحادثة أيضًا وإلى حكمته البالغة وبُعد نظره وفراسته المرهفة في منع وقوع فتنة بين المسلمين وأوردنا خطابه الرائع الذي شرح لهم فيه كيف أنه تألف بهذه الغنائم قلوب زعماء قريش وأنه وكلهم إلى إسلامهم، وأن هذه الغنائم ليست إلا لعاعة من لعاعات الدنيا الفانية وأنهم الرابحون حقًا لأنهم سيرجعون برسول الله ﷺ معهم، ثم دعا لهم ولأولادهم ولأحفادهم. ففتح ببيانه الرائع قلوبهم حتى بكوا واخضلت لحاهم بالدموع. (٢) وهذا مثال من أمثلة فراسته وفطنته وسرعة بديهته. ولا نفصل هنا هذا الموضوع فقد سبق وأن شرحناه ببعض الإسهاب.

ج- مشكلة الهجرة

تعد الهجرة مشكلة على الدوام، وهي تقع في أيامنا الحالية أيضًا، (٣) ونرى كيف أن دولتنا بدأت تقاسي الأمرين من جراء هذه الهجرة، وقد أظهرتُ قلقي في عدة خطب، وقلت إن هذه نتيجة مؤامرات تحاك في الخارج وتوضع كتمثيلية على مسرح تركيا.. وغدًا سيفتحون بابًا للنفاق في الشرق وبابًا للشقاق في الغرب، وفتنة في الشمال وأخرى في الجنوب، يستطيعون فتح هذه الأبواب، ذلك لأن الكفار والظالمين ومنافقي آسيا متهيئون على الدوام لفتح أبواب الغوائل أمامنا. وكانوا قد انتهزوا فرصة ضعفنا في السابق فأزالوا الدولة العثمانية التي كانت عنصر توازن دولي آنذاك، ولو لم تلتجئ الأمة في النهاية إلى معاني روحها وإلى جذور عقيدتها في معركة «شنق قلعة» وفي «حروب الاستقلال» لما كانت هذه الأمة قائمة وموجودة اليوم، بل لتضرر العالم الإسلامي كله من هذا الأمر. ولكن فدائيي «شنق قلعة» و«حرب الاستقلال» استطاعوا تسخير القوى الديناميكية الموجودة في روح هذه الأمة والتي تنبع من عقيدتها ومعنوياتها واستعانوا بالله تعالى فأنقذوا هذه الأمة من أن يكون مصيرها مثل مصير بلغاريا أو مصير تُرْكِسْتان أو أوزبكستان أو مُنغوليا (Mongolia)... وندعو الله تعالى أن يمكن هذه البلدان أيضًا من كسر سلسلة العبودية التي تطوق أعناقها (٤) وأن يمكنهم من محاسبة خصومهم ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠). فإذا كانت الأيام متوجهة نحو أعدائها اليوم، فقد تدبر عنهم غدا، وقد تغشى الابتسامة والانشراح في المستقبل هذه البلدان المظلومة البائسة.

أجل، إن الهجرة مشكلة قائمة بذاتها وما ذكرناه باختصار عن الهجرة الحالية التي وضعت أمة تعدادها ٥٥ مليون نسمة وحكومتها في وضع حرج وصعب مثال واضح، غير أن الهجرة التي حدثت آنذاك كان عدد أفرادها يكاد يقترب من عدد أهل المدينة ولكن النبي ﷺ استطاع بفطنته أن يجنب الذين هاجروا سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة من الضوائق المادية. وإضافة إلى تخطي المتاعب الدنيوية فقد تحققت نتائج جيدة، والحقيقة أنه لا توجد هجرة في تاريخ العالم تحققت بهذا النجاح الذي تم على يد رسول الله ﷺ فكيف حل الرسول ﷺ هذه المعضلة الكبيرة؟ لنشرح هذا بعض الشيء دون الدخول في تفاصيل كثيرة:

كانت يثرب مدينة صغيرة يعمل أهلها في الزراعة، لذا فقد كانت سوقها في يد اليهود، صحيح أن المهاجرين من أهل مكة كانوا يجيدون التجارة إلا أنه لم يكن عندهم الرأسمال اللازم للتجارة؛ ومن ثم فما كان يمكنهم منافسة اليهود، فكيف كان بإمكانهم التعامل بالتجارة وقد تركوا كل أموالهم وأملاكهم في مكة؟ ثم إن أعداد المهاجرين كانت في تزايد مستمر، وكانت نفوس أهل المدينة في تصاعد سريع، فأين يستقر هؤلاء ومن أين يأكلون ولاسيما أن أهل المدينة فقراء.. كانت المشاكل تتراكم وتزداد وتنتظر كلها الحلول من الرسول ﷺ. كان الجميع يتطلعون إليه ويثقون بقدرته على حل هذه المشكلات جميعها، وفعلًا قام بحلها بضربة واحدة.

ما أن حل الرسول ﷺ في المدينة حتى آخى بين المهاجرين والأنصار، فقد نفخ في أرواحهم روح آصرة أخوة أقوى من أخوة النسب وأبعد منها مدى، إلى درجة أنهم توارثوا لفترة من الزمن. (٥) كانت هذه الأخوة قوية إلى درجة أن الأنصار قسموا أموالهم قسمين وأعطوا قسمًا منها إلى المهاجرين، حتى لقد بلغت هذه الأخوة مرتبة جرت فيها هذه الحادثة التي تذهل العقول:

جاء في رواية ينقلها البخاري أن المهاجرين عندما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع،الذي قال لعبدالرحمن: إني أكثر الأنصار مالًا فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط (٦) وسَمْن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ: «مَهْيَم» (٧) قال: تزوجت، قال: «كم سقتَ إليها؟» قال: نواة من ذهب. (٨).

أي أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أسرع بالزواج حالما توفرت له فرصة إعالة بيته، وهذا نوع من الاحترام لمشاعر الذين كان يتردد على بيوتهم، ومثال على رهافة الحس ورقة الروح والذوق.

لاشك أن أعظم المشكلات تذوب أمام هذه الأخوة؛ فهؤلاء المضحون الذين ارتبطوا ببعضهم بمثل هذه الرابطة القوية كانوا هم المرشحين لفتح العالم: وروح الأخوة التي كانت ترفرف في سماء المدينة سيأتي يوم تحلق فيه على أرجاء العالم كله.

١. نزاع بين الاستغناء والكرم

كان رسول الله ﷺ جالسًا وحده فدخل عليه بعض زعماء المهاجرين بعد الاستئذان منه.. لم يكن بينهم أحد من الأنصار، وكان هذا جالبًا للانتباه، فلماذا أتى المهاجرون ولم يدعوا معهم أحدًا من الأنصار؟

وبعد الاستئذان من الرسول ﷺ عرضوا عليه ما جاءوا من أجله فقالوا: «يا

رسول الله! ما رأينا قومًا أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة (٩) وأشركونا في المهنأ (١٠) حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله». فقال النبي ﷺ: «لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم» (١١).

كانت هذه هي الأخوة التي نفثها رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه، وهذه هي الأخوة التي جعلت منهم جسدًا واحدًا، فالأنصار كانوا يحبون أن يبقى المهاجرون في بيوتهم، لأن فراق هؤلاء الإخوة كان شيئًا مؤلمًا ألم الموت، فمع أنهم كانوا يلتقون بهم خمس مرات في اليوم في المسجد إلا أن فقدانهم لهم في غرف بيوتهم وفي وجبات الطعام التي تقاسموها معهم كان يحزّ في نفوسهم..

أجل، كان هناك استغناء من طرف وكرم ومروءة وتضحية في الطرف الآخر وكان كلا الطرفين يصرّ على موقفه، وأخيرا توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بأن يقوم المهاجرون بالعمل في مزارع الأنصار مقابل أجرة، وهكذا يستطيعون إعالة أنفسهم ويسكنون في مساكن مستقلة بهم ولا يبقون تحت منة أحد، وهكذا ساعد الأنصار المهاجرين باستخدامهم في العمل وهكذا حل الرسول ﷺ مشكلة الهجرة على نطاق كبير بشعور الأخوة الذي أسسه في المدينة (١٢).

وكانت المشكلة الثانية التي حلها هي التجارة، فقد رأى الرسول ﷺ أن اليهود هم المسيطرون على الحياة التجارية في المدينة، فأصدر أمره بتأسيس سوق للمسلمين في مكان آخر (١٣) لكي يتعاطى المسلمون عمليات البيع والشراء فيما بينهم في سوقهم الخاصة بهم من أجل أن يدخل المسلمون إلى عالم التجارة ويزدادوا قدرة وقوة ويؤسسوا محالهم التجارية الخاصة بهم ويقضوا على هيمنة غير المسلمين على السوق.

أسست سوق جديدة وبدأ المسلمون يتعاطون البيع والشراء فيما بينهم فنرى كتاب المغازي ينقلون بأنه لم يمر وقت طويل حتى عجز اليهود عن مواصلة التجارة في المدينة المنورة. أجل، فلم يعد باستطاعة أحد منافسة المسلمين تجاريًا في سوق المسلمين. وهذا ما كان الله تعالى يريده.. فالله تعالى لا يريد من المسلمين أن يكونوا تابعين لأحد.. إن الله لا يرضى لنا أن ننتظر الأوامر الصادرة من الآخرين ولا أن نلتجئ للآخرين ونرجو منهم أن يحلوا لنا مشاكلنا ونستعطفهم قائلين: نرجو ونتوسل منكم أن تحلوا لنا المشكلة الفلانية.. هذا لا يرضاه لنا، يجب أن يكون المؤمن عزيز الجانب واقفًا على قدميه ينجز أعماله بيده ويحل بنفسه مشاكله، ويرى بعينه لا بعيون الآخرين ويعيش حسب معتقداته ويحافظ على أصالته.. وهذا ما أسسه الرسول ﷺ في المدينة.

٢. أول دستور

ما إن وصل الرسول ﷺ المدينة حتى نشر بيانًا (١٤). ويطلق المتخصصون في القانون اسم «دستور رسول الله ﷺ» على هذا البيان الذي أعلنه بعد وصوله إلى المدينة بوقت قصير. ففي هذا البيان أو هذه المعاهدة نرى وجود أسس معظم ما جاء في بيان حقوق الإنسان وفي «فرمان التنظيمات» عندنا. فالحقوق التي تعهد بها للمسيحيين واليهود ساعدت على إرساء وحدة بين أهل المدينة وقربهم إليه وأبعدهم عن خصومه من البيزنطيين والساسانيين والقرشيين. لذا، عاش اليهود مدة تحت جناح المسلمين بكل اطمئنان وراحة وأمن. وقد عبر المنافق المعروف عبدالله بن أُبَيّ بن سَلول عن قلقه أمام قريش فقال إنه لا يخشى قيام الرسول ﷺ بنشر دينه في المدينة. ولكن الخطر هو قيامه بجذب اليهود والنصارى إلى جانبه وضد المشركين.

وقد أصبحت هذه المعاهدة أو هذا البيان أو الدستور مدة طويلة سببًا في إرساء الصلح والأمن بين المسلمين واليهود حتى نقضها اليهود. وكان اليهود يراجعون الرسول ﷺ ويرضون به حكمًا.

أجل، إن كتب الحديث تبين لنا أنهم راجعوه في قضايا السرقة والقصاص والزنا، ونعلم من هذا أن المسلمين وإن أوكلوا شؤون اليهود إليهم وجعلوهم أحرارًا فيها إلا أن اليهود كانوا يرون في المسلم ولاسيما إن كان هذا رسول الله ﷺ عدالة أكثر وقابلية أكثر، لذا كانوا يراجعونه ويجعلونه حكمًا في كل مسألة. وهذا المصدر والنبع القدسي الذي سيصبح في المستقبل مرجع الإنسانية كلها كان قد أثبت مرجعيته بدءًا من تلك الأيام.

وهكذا حل الرسول ﷺ مشكلة الهجرة بضربة واحدة ليتفرغ المسلمون للتوجه نحو العالم أجمع باطمئنان قلب.

الهوامش

١- المسند، للإمام أحمد ٤٢٥/٣؛ السيرة النبوية، لابن هشام ٢٠٩/١
٢- البخاري، المغازي، ٥٦؛ مسلم، الزكاة، ١٣٢-١٣٥؛ السيرة النبوية، لابن هشام ١٤١/٤-١٤٢
٣- فقد سيق مثلا (٣٠٠) ألف أخ من إخواننا في الدين والقومية إلى الهجرة من بلغاريا إلى تركيا في سنة ١٩٨٩ ووقعت في أثناء هذه الهجرة مآسٍ وفواجع عديدة.
٤- قال المؤلف هذا قبل انهيار الاتحاد السوفييتي. (المترجم)
٥- انظر إلى تفسير هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٥) من تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٢/٤-٤٣ والدر المنثور، للسيوطي ١١٧/٤-١١٨
٦- أقط: نوع من الجبن. (المترجم)
٧- مَهْيَم: أي ما حالك؟ أو: ما شأنك؟ (المترجم)
٨- البخاري، مناقب الأنصار، ٣
٩- أي تحملوا عنا مؤنة الخدمة في عمارة الدور والنخيل وغيرهما. (المترجم)
١٠- المهنأ: ما أتاك بغير تعب، والمعنى: أشركونا في ثمار نخلهم. (المترجم)
١١- الترمذي، القيامة، ٤٤؛ المسند، للإمام أحمد ٢٠٠/٣، ٢٠٤
١٢- البخاري، مناقب الأنصار، ٣
١٣- ابن ماجه، التجارات، ٤٠؛ مجمع الزوائد، للهيثمي ٧٦/٤
١٤- السيرة النبوية، لابن هشام ١٤٧/٢

من كتاب النور الخالد للكاتب.

مَد الإلحاد وجزر فقه الشهود!

أحمد عبدالجواد زايدة

مُنذ ما يزيد عن ثلاث سنوات تعرفت عليه، وكانت معرفتي به معرفة جيدة لأنه نوعية ليست كالمعتادة من الأصدقاء.. كان حديث البعض عنه أنه متمرد بشدة وأنه حاد في نقده! ولم يكن لدي بأس في هذا.. بدأت العلاقة به تتوطد، وكان حريصًا على السؤال والمناقشة وكان العقلان متطلعين إلى أسئلة بعيدة.. لكن في حدود! كان يحمل في قلبه همًا أحسب أنه هم صادق ونبض وهاج؛ ولطالما تحدثنا في الهموم العامة لساعات! وكان يُرسل إليّ برسائل في بعضها فلسفة عميقة! بعد فترة بدأت ألمس في كلامه نفسًا تشكيكيًا أو قل مُتحيرًا في الإجابة أو استنطاق الأسئلة الوجودية البديهية- والتي لها في القُرآن خير جواب.

في فترات مُتلاحقة بدأنا ندخل في أسئلة جدية عن الآخرة والقبر.. وأحيانًا نذهب إلى ما هو أبعد.. وأبعد.. كثيرا! كان يهتم بكتابات من عُرفوا بالتمرد الشديد الذي يتجاوز الحد الحسن! ولم يكن بناؤه المنهجي التكويني يسمح له باختراق مساحات كتلك! لكن نداء العقل والوجدان كان يذهب إلى هناك، وهذا نداء لا يستأذن ولابد له من مُجيب! والله هو العاصم سُبحانه! مع ذلك.. كان يقرأ لبعض من عُرف من المُفكرين ذوي الخلفية الإسلامية أصحاب الرؤى الناضجة ويُثني وينتقد! ثم تطور الأمر إلى «أنهم جيدون.. لكن أنا خارجهم»، لكنهُم شيء وأنا شيء! إذن.. ماذا تُريد؟! «الإجابة: لا شيء.. عدمية وتفكك وتفسخ» ويزداد الأمر سوءاً كلما انضم واجتمع مع غيره من أصحاب الهوى! مررنا بمراحل صدام تتخلل مراحل حوار وتوافق واختلاف! كُنا حين نتحدث أنه «مُنكر للسنة»! أتعجب! ما مفهومك عن السنة؟ وماذا تقصد بأحاديث الآحاد! فلا يكون هناك جواب! لكن كُنت أتفهم جزءاً لا بأس به مما يحدث له عبر تجارب عديدة مرت بها هذه النوعية من خلال معايشتها لتجارب فاشلة فكريا وتجريبيًا وأخلاقيا! وكُلهم يدعي وصلًا بليلى.. وليلى تندب حظها ليلًا ونهارا! لكن أمثال هؤلاء كانوا يحملون في نفوسهم هما صادقا نحو إصلاح أحوال البلاد! سألته مرة عن الآخرة والقبر؟ فقال انا مهتم بشؤون بلادي وموجه كل طاقتي لإصلاح أحوالها! فقلت له: بل استعن بهذه على تلك! فهذه فلسفة وجود! كان يُجيبني: معركتي في الدُنيا وليست في الآخرة! فأُجيب: بل نستعين بالآخرة وبالروح وبالإيمان على هدم طاغوت الشيطان وصنم الاستبداد! لربما كانت مشكلة أمثال هذه النوعية أنهم افتقدوا مثالًا مُتزنا (إنسانا) لا يحمل في عقله جمودا وفي روحه خمودة وفي أخلاقه مواتا وفي مروءته نقصا! فلم يجدوا من يمسح على وجدانهم ويُبرئ بحكمته عقولهم! فحادوا عن الجادة ذات اليمين وذات الشمال! وأشهد أنهم مرارا أرادوا أن يتعلموا ويسألوا! أذكر أنني ذهبت في زيارة لدولة مجاورة وفتحت الحوار مع أحد المفكرين فقال لي «هؤلاء يهربون من معركتهم مع الاستبداد ويخلقون لأنفسهم ساحة معركة بديلة.. أسهل»!! كانت حُجة مُتكررة من حُججهم أنهم يقولون: لو كان الله موجودًا وقدرته نافذة لمحا الاستبداد والظلم الذي يقهر هؤلاء المظلومين! فنتحدث عن سُنن الله وأنها لا تُحابي أحدًا! وأن الحق لو قام له رجال لمحقوا الباطل ولأيد الله لهم قوته ونصرهم! لكن طالما الجميع أمواتا فسنة الله أنه لا يُساعد إلا من يسعى ويجتهد ويبذل

> **تحصين الأمة من الأفكار الهدامة والنفوس المريضة لا يكون إلا بالتنزيل المقاصدي للشريعة وبتداول الفقه السنني القرآني ونشره**

باحث في الأزهر الشريف



كل ما في وسعه للوصول الى هدفه! إن أمثال هؤلاء عاشوا بين نيران! نار الجهل التي اتسم بها عدد غير قليل (من الوعاظ) – لذا فإن كثيرا منهم لم يكن يُصلي الجُمعة أساسا سخطاً على خطبة الجمعة!– ونار الظلم المُجتمعي الذي عايشوه ورأوه! ونار عدم وجود– أو على الأقل اطلاعهم على الفقه العُمراني والحضاري المُحقق لشهود هذه الأمة– فأنتج هذا النتائج! إن تحصين الأمة من مثل هذه الأفكار بل «هذه النفوس» لن يكون إلا بالتنزيل «المنهجي» «المقاصدي» للشريعة؛ وبالنشر المنهجي للفقه بمعنى الصناعة الكلية! وبتنزيل وتداول الفقه السُنني القُرآني في الأمم والأفراد وأُسس صناعة الحضارة وإقامتها وبنائها! حين ننتج خطابا وإن كان وعظياً لكنه يحمل في طياته نفساً حضاريًا رساليًا يهتم ببناء الإنسان والعمران والسلطان! يضع الإنسان في مكانته بين الجماعة، والجماعة في مكانتها ودورها في الكون! هو خطاب يخاطب هذا الإنسان.. يُعلمه.. «من أنت.. أيها الإنسان.. الإنسان»!! إن نفرًا من أصحابنا يتجهون لليسار وأفكار اليسار والتشكيك في بعض «الثوابت» الحقيقية ولا أعني هُنا الثوابت «بالمعنى التنظيمي اللامنهجي الذي يصل في بعض الأحوال للاعلمية»! وللأسف الشديد أن عددا غير قليل منهم قد خرج من عباءة التنظيمات الإسلامية كردة فعل على تواضع خطابهم ومواقفهم وبرامجهم وتطبيقاتهم! والآخر كذلك يتجه لليمين.. وينظرون إليه على أنه هو.. الحل! ولو يعلم أصحابنا ما لدى أهل الحق من كنوز ودُرر مُخبئة لا تتداول على المنابر والمقاهي فتصوغ وجدان المُجتمع.. وهو شريعة وعقيدة لم تصل إليها العقول بعد تركيبها وعبقريتها، لا أحسب أن الوقت ومروره في صالح من يحملون الهم لمدافعة هذا.. على المستوى التكويني الخاص وعلى المستوى التداولي العام لهذه الأفكار في المُجتمع لصياغته وبنائه وتحصينه! إن جيلاً من المُنهجين علميًا المدعومين روحيًا المُلهمين بنور الحق وشعاع الحكمة واجب تكوينه وجوبًا عينيًا– هو جيل تخرج على موائد القرآن والسنة ودرس الفقه وتشربه وتأمله وتربى على نظريات المصالح فدرس ابن تيمية في الفتاوى ومر على ابن عبدالسلام في «قواعد الأحكام» وعرَّج على الشاطبي في «موافقاته» فتشرب المقاصد من منابعها؛ ودخل في أعماق القرافي وفروقه وإحكامه فتحصن عقله؛ ومرَ على الفقه السُنني والعُمراني عبر بوابة ابن خلدون وابن نبي وإقبال وعبدالكريم زيدان! ودخل في بحار ابن عاشور عبر مقاصده وتحريره وتنويره.. فأضاء واستضاء! هذا جيل ينهض ويقود.. ولو كان من الأخفياء الأتقياء! هذا جيل يُبني ليبني أُمةً! يا أُمة الشهود.. عارٌ أن تُؤتى الأمة من هذا الجانب! فنُضيع ما أُنيط بهامتنا! ونحن أمة لن تُستبدل ولكن إن تأخرنا سُنؤدب ونُعذب! فالله الله في ما به كُلفنا! هذا واجب أهم من السياسة والمناكفات والصراعات! هذا من واجب الوقت.. والأصوليون– رضي الله عنهم وطيب ثراهم– قالوا قديمًا «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة»! فهل من مُجيب وهل من مُلب وهل من دافع ناشر! ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.. فاشهد.. فاشهد! اللهم أحيينا مُسلمين وأمتنا شُهداء صادقين واحشرنا في زُمرة النبيين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا.. والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وإنما الموفق من وفقه الله.. فستذكرون ما أقول لكم وأُفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

موضحة الطريق إلى صوى[1] مناهج التحقيق

الأستاذ: هلال ناجي -رحمه الله-

هذه منظومة رائعة سابقة في بابها، نظم فيها صاحبها الأستاذ هلال ناجي رحمه الله «أصول تحقيق النصوص التراثية» وهي جامعة لكثير من المباحث التي يحتاج إليها المشتغلون بتحقيق الكتب والمخطوطات التراثية، وقد نُشرت في مجلة «المورد»، المجلد الخامس عشر، في العدد الثالث سنة ١٩٨٦م.

اعتاد العلماء منذ القدم على تصنيف متون في شتى العلوم والفنون، اعتُبرت السبيل الأمثل لتقييد تلك العلوم وحفظها، وقد سلك المصنفون سبيلين لهذا الغرض.. الشعر والنثر.

ولقد امتازت المتون الشعرية بسهولة الحفظ، ومنها هذه المنظومة الرائعة التي اهتمت بوضع قواعد لتحقيق النصوص التراثية يسهل حفظها والاستشهاد بها.

المدخل

لما أتى لأوروبا أن تنهضا ... ونشرت شراعها المفضّضا
أقامت النهضة في قرنين ... على جليل لاح في أُسَّين
أس به صنّعت الترابا ... وآخر أحيت به الآدابا
وكان لليونان واللاتين ... إرث من الآداب مذ قرون
ظلَّ دفينا بعدهم أحقابا ... والجهل غولٌ ضاربٌ أطنابا
فكانت النهضة في تأصيله ... وبعثه حيًّا وفي تسهيله
ووضعوا قواعدًا في النشر ... هي المنارُ لقيام الحشر
لكنها إن أنصف النقاد ... بعض الذي جاء به الأجداد
وأقبل المستشرقون الفضلا ... يحيون من تراثنا ما أهملا
فطبقوا قواعد الإحياء ... وأصّلوا النصوص في رواء
«لبودة» و«ريتر» الألماني ... فضلٌ على تراثنا الإنساني
إذ طبَّقا في قرننا القواعدا ... تطبيق من قد أتقن الفوائدا
وكانت النشْرات في نهجين ... نهْج فرنسي بدون مَيْن
وآخر أبدعه الألمانُ ... وهم به الحداة والفرسان
كانت لهم ريادة التحقيق ... في عصرنا ورائع التدقيق
وشان بعضًا منهم التعصبُ ... وذاك داء للنُهَى مخرِّب
لكنهم في الأغلب الأعم ... الرادة الذادة في المهم
قد طبقوا الأصول والدقائقا ... وجدّدوا من أجلها الطرائقا
و«كارل» مبتدع التخطيط ... في رصد كلِّ أثَر مخطوط
أول من دلّ على الدفين ... في العلم والآداب والفنون
حتى غدا كتابه المفهرسُ ... دليل بحث قبله لا يُنبَسُ
فإن تشأ أن تعرف الدفينا ... من أثر قد جاوز القرونا
فلتقرأ الكتاب في إمعان ... بحثا عن المخطوط في المظان
ففيه تلقى الأصل والمختصرا ... وشرحه ورقمه المبتكرا
وجاء بعد جهده المُخلَّدِ ... «سزكين» في تصنيفه المجوَّدِ
فاستكمل الصورة والأطبارا ... فنحن في الحق له أسارى
لكنَّ ما جاء به الإثنان ... مازال دون مطمح الفنَّان

---

(١) صُوَى ج: صُوَّة، وهي حجر يكون علامة في الطريق، وقيل: الصوى الأعلام المنصوبة المرتفعة في غَلَظ، وفي الحديث: «إن للإسلام صُوىً ومنارًا كمنار الطريق». لسان العرب- مادة: (صَوي)

«ففهرس الفهارس» المطلوبْ
هذا الذي ترنو له القلوبُ
مازال بعدُ مطلبًا عسيرًا
وهدفا يستشرف المصيرا

المصنفون في قواعد التحقيق والنشر

«لراشر» كان بلا اختلاف
ريادة للركب في المطاف
وبعده «هارون» في الذي وَضَعْ
وخلفه «مُنَجِّد» بما ابتدع
ولابنة الشاطئ فضلٌ طائل
ومثلها «شوقيُّ» وهو الفاضل
وللأديب مصطفى الجواد
أماليا تقصر عن مراد
وصنَّفَ العانيُّ والقيسيُّ
سِفرًا به الأصيل والطَّليُّ
فيه الأصول والفروع في رتب
فعُجْ عليه دون ريث في الطَّلَبْ
فإنه من أقرب الموارد
لفهم هذا الفن بالشواهد
ولا تكن مُرَدِّدَ المعاد
مطربة الحيّ بلا إطراب
فالعلم بحرٌ ما له حدود
ولا زمان لا ولا مهود
فَخَلِّ عنك آفة المعاصرة
فإنها لكل فضل ساترة

حصر النسخ لجمعها والسبيل الأمثل للفهرسة

وإن يَقُلْ فردٌ بلا إمعان
القول للفذ بَرَوْكَلْمان
فهْوالذي أحصى الأصول وحَصَر
وكشف الغابر في أجلى صور
فقل له من دوننا تثريب
ودوننا زهو ولا تأنيب
كارلُ قد جُرَّ إلى أخطاء
وخلط الترياق بالغثاء
واعتمد الفهارس المطبوعة
وهي بألْف خطأ مشفوعة
وإنما كتابه البديعُ
المدخل البكر الذي يضوعُ
وقد أتت من بعده فهارسُ
لم يرها وجُليت حنادسُ
وكشف الزمان عن دفين
ورائع كالجوهر المكنون
كان خبيئًا في مدى قرون
لم تره عينٌ من العيون
فلا يفُتْك فحصها في تؤدة
فبينها جواهر منضدة
وبعض من فَهْرَسَ جاء بالشطط
والمضحك المبكي وألوان الغَلَطْ
وإنما السبيل للصواب
أن ينظر الواضعُ في الكتاب
وأن يرى المخطوط بالعيان
من دوننا سَهْو ولا نسيان
ودوننا نَقْل عن الأغيار
فذاك دَرْب آمن العثار
والرأي عندي فحصه المخطوطا
من داخل ليأمن التخليطا
فذلك السبيل للمُفَهْرِس
لا صنعةٌ جاءت بلا تمرُّس
وبعضهم عدا على الأموات
وانتحل الجهود في ساعات
«فطَلَسٌ» قد أبدع الكشافا
وبذل الجهد به أضعافا
ثم أتى من بعده «الجبوري»
فَنَحَلَ الكتابَ بالميسور
أضاف للفهرس دون ثُمْنِه
ولَصَّهُ بشرحه ومَتْنِه

ترتيب النسخ

أولى النصوص نسخةُ المصنِّف
فهي إذا ما سلمت به تفي
لكن تَثَبَّتْ أنها المُزَيَّدة
ولا تقع في نسخة مُسوَّدة
فبعضهم زاد على تأليفه
وصوَّبَ الكثير في تصنيفه
فخذ يقينا أنها الأخيرة
وأنها بجهدكم جديرة
وأقوم الفروع بعد الأمّ
ما اثبت الواضعُ عند التمّ
بخطِّه المعروف في آخرها:
«قد قُرئت عليه أو قرأها»
وبعدها ناقلةٌ عن أصله
معارَضًا بضبطه وشكله
وبعدها ما كتبت في عصره
قد زانها سماعٌ من في مصره
وبعدهنَّ نسخةٌ معاصرة
ليس عليها لسماع آصرة
وبعدها الحديثةُ المكتوبة
من عالم فإنها مرغوبة
وجملة القول على الترتيب
ما اصطلح الأثبات في التبويب
وإن فقدنا النُسَخَ المطلوبة
مُسنَدَةً مَرْوِيَّةً مَنْسُوبة
فالأصل أن تقدِّم القديما
معارَضًا مقابَلًا قويما
وقد تلاقي نسخة جديدة
لكنها قويمة سديدة
قد نقلت عن نسخة قديمة
مضبوطة دقيقة سليمة

فللأصح السبق والتفضيلُ
وذاك ما نحن به نقولُ
إذ غاية التحقيق فيما عُرفا
أن تبعد التصحيف والمُحرَّفا
وأن يكون النص في الإخراج
كصورة الأصل السليم الناجي

خطر الاعتماد على النسخة الواحدة

ولا يجوز نشرُك الكتابا
عن نسخة وتهملَ الأترابا
فذاك من مقاتل التحقيق
فكن عميقَ الفهم يا صديقي
فإن أردت مَثلا معاصرا
جئنا «بقُطْب للسرور» سائرا
جاء به «الجنديُّ» رغم فضله
كالغُصْن المجذوذ دون أصله
أو خطبة بتراء في صلاة
وكانت النشرة كالشتات
وذاك لاعتداده بواحدة
رغم وجود نُسَخ مساعدة
ونُسَخ أخرى لها تُكَمِّل
تسد نقصا أو بها تُوَصِّلُ

خطر نشر المختصرات مع وجود الأصل الكامل

وبعضهم قد نشر المختصرا
رغم وجود الأصل ما بين الورى
وبعضهم أُولع بالمختار
والمنتقى من دونما اصطبار
والرأي عندي جعلك المختصرا
مساعدًا في رَمِّ خَرْم قد جرى
وليس أصلا تُهدر الجهودُ
في نشره وأصلُه موجودُ

الفئات

صنِّفْ جميعَ نسخ الكتابِ
لِزُمَرٍ كصنعة الأنسابِ
تجمع كلَّ زمرة أشياءُ
زيادةٌ والنقصُ والأخطاءُ
ثم انتخبْ من كل صنف واحدة
أكملها أجودها في الفائدة
حتى إذا استوت لكم بضْع نُسَخْ
قَيِّمَةً صحيحة بلا مَسَخْ
تَولَّها مقارنا لفهمها
متخذًا أَصَحَّها كأمِّها
فليست العبرة بالقديمة
وإنما العبرة بالقويمة
وثَبِّتِ الخلاف في الأصولِ
في هامش وابعد عن الفضولِ

غاية التحقيق والقصد منه

هذا الذي أبدأُ أو أعيدُ
علمٌ به التأصيل والتجويدُ
علم به تُوَثَّق الأصولُ
وتُعرف الفضولُ والنقولُ
ويُفرَزُ المقحَمُ والمدخولُ
ويُشرَحُ الغامضُ والمجهولُ
حتى يجيء النص في النهاية
في غاية الوضوح والكفاية
مطابقًا لصنعة المصنِّف
مُنَزَّهًا عن سقطات السلف
والقصد إحياء تراث السلف
من خَلَف أدرك معنى الخلف
فليس في الأرض بناءٌ شامخُ
إلا له في الأرض جذرٌ راسخُ
وحينما تنقطع الجذور
فالويل للمُنْبَتِّ والثبورُ

تحقيق النص

أول ما يوجبه التعريف
معرفةٌ بمن له التصنيف
ودقِّق الفهْرَسْتَ والمعاجما
وكن بعنوان الكتاب عالما
فربما زُيِّف في العنوان
تزييف نُسَّاخ بلا إمعان
وربَّما ضلَّلك النُسَّاخُ
حتى لَقيل إنهم مُسَّاخُ
فَدَقِّق المنهج والأسلوبا
وحَقِّق الأحداث والغيوبا
فإنها تنبئ عن مخروم
من أول، أو كاتب مكتوم
وبعضهم ينقل من فصول
فَلْتَعْرِض النقل على الأصول
وبعضهم يشير عند النقل
لمصدر النقل بدون دَغْل
وبعضهم يُوغل في الكتمان
وذاك من كتمانه نعاني
فإن هداك البحثُ للمصادر
فعُدْ لها وَثَبِّتَنْ في الآخر
وجهًا اختلاف النص في الإثنين
فإنه المذهب في النهجين
إن كان ما قد كَتَبَ المصنِّفُ
بخطه كان عليك الرصفُ
من دونما مسّ بنصّ قد كَتَبْ
فإنه دليل علم قد كسبْ
وبعضهم أجاز أن نُصَحِّحا
في هامش من وهمه ما وَضُحا
وحينما تزدحم الأصولُ
وتنتقى الأمُّ التي نطولُ
يقارنُ النصُّ بلا جناف
ويُبسَطُ الهامش للخلاف

في المتن دوما ثبّت الصحيحة
وأدرجَنْ في الهامش المرجوحة
وعندما يكون في بعض النُّسَخ
زيادة عن أمّها لم تُنْتَسَخْ
تضاف للمتن بالاتفاق
وحولها العُضاد كالصِّفاق
وجوَّزوا في المتن أن تزيدا
لفظًا وأن تُقوِّس المزيدا
وجوَّزوا أن تستضيف خبرا
ضاع من الأصل بخرم قدرا
إذا وجدت النص في مطبوع
أو كان مخطوطا بلا ذيوع
واشترطوا التقويس للزيادة
وذاك أمرٌ واضح الإفادة
وإن وجدتَ أنها قد عُورضتْ
بنسخة في هامش قد لوحظت
فَثَبِّت الهامش في الحواشي
كيلا يؤول الأمرُ لارتهاش
وإن وجدتَ أنها قد صُحِّحَتْ
من عالم فَثَبِّتَنْ ما أُوضِحَتْ
وفي العموم ثبّت الهوامشا
ولا تكن في حصرهن رائشا
وإن تجد مزالقًا في الضبط
أووَهَما في الشَّكل أو في النقط
عليك بالمعجم «كاللسان»
و«التاج» و«الصحاح» كالميزان
و«للمحيط» الفصل في المعاني
وبعده «تكملة» الصاغاني
بها تردُّ الكلمة المُحَرَّفَةْ
لأصلها ومثلها المُصَحَّفَةْ

تقسيم النص وترقيمه

حافظ على ما بوَّب المصنِّفُ
فهو الذي عن مثله لا يُجنَفُ
والنصُّ إنْ كان على أقسام
فرقّم الأبواب بانتظام
وجوَّزوا الترقيم في النصوص
وأوجبوا الترقيم في الشخوص
واشترطوا أن تضع الأعلاما
في جانب أو وَسَط تماما
ووجبوا الترقيم للأشعار
وللأحاديث بلا اختيار
ورقّموا السطور خمسًا خمسا
وما أرى للأمر وجهًا يُرسَى
سوى انتفاع منه في الفهارس
لقارئٍ أو باحث أو دارس
وبعضهم حاد عن الطريق
وخلَّط التأليف بالتحقيق
فابتكر العنوان للفصول
وجزّأ النص بلا مثيل
وهو لعمري مذهبٌ مرجوحٌ
وما ذكرت المنهجُ الصحيحْ

الرسم والشكل

وإنْ تجدْ في الخط رسما داثرا
مخالفًا لخطنا مغايرا
مما نأتْ عن مثله الإصابة
فاخترْ لك الأحدثَ في الكتابة
فالرسم والخطوط لا تدومُ
لكنه تطوُّرٌ محتومُ
فاعتمد الطريقة الجديدة
في رسمك الأحرف والمفيدة
وثبّت الهمزة في ابتداء
ونقطتي ياء بلا مراء
كي لا يقال إنها مقصورة
ويقع التخليط في الأخيرة
وأثبت الشدة في الكتابة
فإنها من أوجه الإصابة
والشكل أوجبناه في أمور
في آية أو مَثَلٍ مأثور
وفي الحديث والذي يلتبس
من عَلَم أو لفظة قد تُلْبِسُ
والشكل في الشعر من الضروري
من دونه تسقطُ في المحظور
وَلْتضبط الأعلامَ يا صديقي
بشكلها في غاية التدقيق

الحديث.. درجاته وتخريجه ومختصر ألفاظه

وحَسَنٌ بعد الصحيح فاتَّبِعْ
فمُرسَل فمعضل فمنقطعْ
فَخَرِّج الحديث في المصادر
وثَبِّتَنْ رتبته في الآخر
واختصر الألفاظ في الإسناد
(أنا ونا) تَشفُ عن مراد
ورمزوا (بالنون) للنَّسائي
وللبخاريِّ بحرف (خاء)
ومسلم (بالميم) وهو عَلَمُ
ولأبي داود (دالٌ) تُعلمُ
ورمزوا (بالقاف) للقزويني
والترمذيُّ (تاؤه) تغنيني
و(تع) تعالى الله وهو الأوحدُ
و(صلعمُ) نبيُّه محمدُ
و(رَضَهُ) ترمزُ للترضي
و(رَحَهُ) تَرَحُّمٌ لبعض
و(إلخ) تعني: إلى آخره
ولانتهى (اهـ) ببعض سطره
وبعضهم فضَّل في الإسناد
صغير حرف جنبَ ذي المراد

العلامات

ونقطةٌ عند انتهاء الجُمَل
ونقطتان بعد قول القائل
وللخروم النُّقَطُ المعلَّمة
كلُّ ثلاث نقطٍ لكلمة

واستعملوا إشارة التعجُّب
في موضع الهزء وللمستغرب
واستعملوا إشارة استفهام
لسائل يبحث عن مرام
واستعملوا الفواصل المعروفة
في السَّجْع والمواضع المعطوفة
واستعملوا علامة اعتراض
في موضع الحاجة لاعتراض

الأقواس والرموز والخطوط

مُزَهَّرُ الأقواس للآيات
وللحديث القوسُ في الإثبات
وبعده المعقوف كالعضادة
علامة التكملة المُزَادة
وبعده علامة التنصيص
وهي لما استُجْلِبَ من نصوص
ممّا أتى بأصله المؤلف
أو كان عنوان كتابٍ يُعرفُ
مُمَوَّجُ الأقواس للمضاف
مما اقتضى حذفًا بلا خلاف
علامة الزائد للمضطرب
في أوَّلٍ وآخرٍ فاحتسب
وبعضُهم خصَّ عمودًا قائما
في أول وآخر كما هما
لما تُضيفُ النُّسَخُ الثواني
للأمّ مما ضاع في المكان
وبعضهم يستعمل العضادة
لكل ما جاء من الزيادة
وأنت بالخيار في الإثنين
فهو صوابٌ في كلا النهجين
واستعملوا قوسًا بالاتفاق
للفظة تضاف للسِّياق
وهي زوايا باصطلاح العِلْم
وقيل قوسٌ كُسرت بعلم

واستعملوا الأقواس في حَصْر الورقْ
ما بينها الأرقام في خير نَسَقْ
ورمزوا للوجه حرف (واو)
و(الظاء) للظهر الذي يساوي
وبعضهم أجاز حرف الألف
للوجه والباء لظهر مختف
و(لا-إلى) قد جعلوها في الوَسَطْ
رمزًا لما كان من المتن سَقَطْ
ووحَّد الإفرنجُ في الأنماط
وجعلوا العضاد للأسقاط
وألحقوا الغامضَ لما نُبذا
قوسين ما بينهما لفظ (كذا)
وارمز لكل نسخة برمز
فإنه أضمن عند الفرز
وعندما تُقارَنُ الأصولُ
فهو لها مختصَرٌ مقبولُ

الحواشي

وخُصِّصَ الهامشُ للتخريج
ولاختلاف النصِّ في الوشيج
ومقصد التخريج بادٍ للملا
تأكيد أن النصَّ صَحَّ وانجلى
تُخَرَّجُ الآياتُ بالأرقام
وتُذكَرُ النُّقول في إحكام
ويُعرضُ الشعرُ على الديوان
أو كتب الآداب في الأوان
وكتب الأمثال للأمثال
وتُضبَطُ الأعلامُ كاللآلي
واختلفوا في الشرح والتراجم
على طريقين بلا تعالم
بعض رأى أن يُفرِدَ الملاحقا
إذا شأى أن يُوضِحَ المغالقا
خشية أن يَطُول متنُ الحاشية
ويثقل النصَّ بأمر الغاشية

وبعضُهم أوصى بالاختصار
في ذكرها في هامش الأخبار
الاسمُ ثُمَّ سنة الوفاة
ومصدر الترجمة المزجاة
وعَرِّف المجهول من أعلام
واعزف عن المشهور في المقام
وذَيِّل التعريف بالمصادر
حتى تكون مدخلًا لآخر

طرق التحمل والأداء

إن أثبت الناسخُ للنصوص
طريقة الأداء بالشخوص
أفاد في دراسة الرجال
وعصرهم ما لم يكن ببال
وطرق الأداء والتحمُّل
جليلة القدر بلا تخيُّل
واجبة الإثبات عند النَّشْر
لما لها من كشف أهل العَصْر
وطُرُق التحمُّل الثمانية
هي المدار فانتبه لما هيه
أولها (السماع) (فالإقراء)
عُلُوُّهُ كان به الإفتاءُ
وبعده (إجازة) المُعَيَّن
في مطلب او شاء لم يُعَيِّن
وبعده فيما نرى (المناولة)
وهي إذا أجاز شيخٌ حاصلة
وبعده طريقة (المكاتبة)
واشترطوا لتعرفنَّ كاتبه
وأن يكون خطه معلوما
لمرسل إليه بل مفهوما
وبعدها (الإعلام) و(الوجادة)
وفيهما تكتمل الإفادة
وبعضهم عدَّ بها (الوصية)
وإنها عن أمرنا قَصِيَّة

وهاك ما قد قيل في الإجازة
وهو الذي أوضح في وجازة
احفظ لها تفرُّد السطور
فهو بيانُ القائلِ المشهورِ
ورقّم السطور للرواة
وقوّس الأرقام في أناة
وقدّم السماع في إيجاز
بموجز أصغر في إعجاز

الفهارس

لِفهْرَس الأعلام والأماكن
ما يرشد الباحث عن بواطن
وفهْرسُ الأشعار والأمثال
كفهرس الحديث في المآل
وفهرس الكُتْب التي قد وردتْ
وفهرس الآيات أنَّى ذُكرَت
كُلٌّ له ضرورة وواجبُ
ومطلبٌ تعنو له المطالبُ
وابتكروا فهارس الحضارة
حيث رأوا لمثلها الإشارة
مِمَّا سَهَتْ عن ضَمِّها المعاجم
وهي لها ذيلٌ جليلٌ قائمُ
عن مثلها ستستقى اللغاتُ
وتغتني الألفاظُ والحياةُ
وفهرسٌ آخر للمَراجع
مما به النفع على المتابع
حتى غدا ميدانُ علم الفهرسَة
مدرسةً كبرى وأيّ مدرسة!
وعندنا برزَ في الميدان
فذّان عملاقان «عوَّادان»
أبو سُهَيْل (١) واحدٌ والثاني
أبو هلال (٢) فهما صنوان

المقدمة

تقديمُك الكتابَ فنٌّ قائم
على ثلاث سنَّها العيالمُ
موضوعه وما الذي قد أُلِّفا
في فنّه وما الذي قد عُرِفا
وما الذي قدّم من جديد
في بابه فكان كالفريد
وبابةٌ تُعقد للمؤلف
تبحثُ عن حياته بما يفي
وبابةٌ تُعقدُ للمخطوط
وحبَّذا أنموذج الخطوطِ
النَسْخُ والناسخُ والزمانُ
والخطُ والمِداد والمكانُ
وعدد الأوراق والقياسُ
وعدد السطور والمقاسُ
وما على النسخة من تعقيب
أو هامش يجدر بالتقريب
وما على النسخة من تمليك
واسم الكتاب صِينَ عن شكوك
وما بها من صور الإجازة
وصفحة العنوان في وجازة
جميعه تذكره بدقّة
محتملاً من أجله المشقة
وثبّتِ النماذج المصورة
من أول وآخر كالتذكرة
فإنها الناطقُ عن مجهود
وما به من عَنَتٍ شديد
وإنني موصيك بالرموز
لا تنسها في الوصف والتبريز
فقد سها عن ذكرها أعلامُ
ونالهم من سهوهم مَلامُ
وبعضهم أضاف نوعَ الورق
وأحسب القول بلا تعمق
بل أحسبُ الأمر من المحال
ما أوغل المخطوط في المجال
أنَّى لنا أن نصف الأوراقا
وهي التي ما طالعت أحداقا
وجيلُنا معتمِدٌ بأَخَرهْ
على رقوق النُسَخِ المصورة

الختام

سميتها «مُوضِحَةُ الطريقِ
إلى صُوى مناهج التحقيق»
ولي بها سبقٌ على الأقران
ليس لها فيما علمتُ ثانِ
أستغفر اللهَ العليَّ القادرا
من الهوى ومن غرور خامَرا
قصدتُ فيها خدمة النصوص
ووضع دستور بلا تعويص
ونُجِّزَتْ من بعد ألفٍ قد مضتْ
وأربع من المئات أَوْمَضَتْ
من هجرة الهادي وخير البشر
ومَن أتى بمعجزات السورِ
والحمد لله على ما سدَّدا
حمدًا كثيرًا ليس يُحصَى عددا

الهوامش

١- كوركيس عواد.
٢- ميخائيل عواد.

ترجمة الناظم ١٩٢٩-٢٠١١

هو الشاعر الأديب هلال ناجي ابن زين الدين الشقاقي العلوي، من أدباء العراق، تخرج من كلية الحقوق بجامعة بغداد سنة ١٩٥١، كان رئيسا لاتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين، له دواوين شعرية وكتب أدبية، فاز بجوائز عدة، منها: جائزة التحقيق من مكتب تنسيق التعريب سنة ١٩٧٠، وجائزة التقدير الذهبية من جمهورية مصر العربية سنة ١٩٨٢.

الخطاط علي بن حامد الراوي

(١٣٦٤-١٤٣٣هـ/ ١٩٤٤-٢٠١٢م)

فيصل يوسف العلي



هذه كلمات في حق أحد مبدعي الخط العربي جمعتنا معه محبة وود رغم أنه لم يتيسر لنا اللقاء به وجهًا لوجه، فكانت مشاعرنا ينقلها مداد الأقلام وعبر الهاتف والأثير، وقد دعوناه إلى الكويت، لكن حبسه المرض، ثم ما لبث أن غيبّه الموت- رحمه الله تعالى- قبل اللقاء؛ ذلكم هو الخطاط الشيخ الأستاذ علي بن حامد الراوي الرفاعي، يتصل نسبُه بسيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، ومن مواليد الموصل عام ١٩٤٤م، اعتنى بالخط واهتم به حتى نال شهرة وعرف اسمه في بلده، وأسهم في أنشطة وأعمال الخط وتحسينه محليًا وإقليميًا.

مؤهلاته

حصل على معهد إعداد المعلمين بالموصل عام ١٩٦٥، كما أنه مارس الخط ودَرَّسه، كما قام بتدريس علوم متعددة، ثم نسب لتدريس الخط في معهد الفنون الجميلة وحتى إحالته على التقاعد سنة ١٩٩٠. والشيخ علي متعدد المواهب.. فقد درس العلوم النقلية والعقلية، ونبغ في أصول الفقه، ودرس عروض الشعر، ودرس القراءات، فهو خطاط متفنن، وشيخ في القراءات، وأصولي، وخطيب مفوه، وشاعر مبدع.

العلماء الذين أخذ عنهم

انتفع بوالده الذي علمه ووجهه وأحسن تربيته، ثم إنه استفاد من إمام الخط في الزمن المعاصر الأستاذ حامد الآمدي الغني عن التعريف، الذي توفي عام ١٩٨٢م، والذي من أشهر تلامذته الأستاذ الخطاط حسن جلبي، كما أخذ عن الأستاذ يوسف ذنون وحصل منه على الإجازة سنة ١٩٧٨م، كما استفاد أيضًا من الخطاط المبدع محمد طاهر الكردي وحصل منه على الإجازة ، والخطاط هاشم محمد البغدادي الذي رأى فيه نبوغًا وتوقع له مستقبلًا باهرًا.

مشاركاته وإنجازاته

شارك الشيخ علي الراوي في مسابقات عديدة في اسطنبول وبغداد وأربيل، ونال جوائز تقديرية، منها جائزة مهرجان بغداد، ومهرجان أربيل، وكان آخر المسابقات التي شارك فيها مسابقة ملتقى مجمع الملك فهد لأشهر خطاطي المصحف الشريف في العالم في جمادى ١٤٣٢هـ (مايو ٢٠١١م) في السعودية.

كما أنجز أعمالًا تتصل بالخط وتيسير تعليمه وتعلّمه، من ذلك أنه أنجز كراسات لتعليم الخط، وكتب آيات كريمة في المساجد، كما كتب صفحات من المصحف الشريف.

والمتأمل للوحاته وقلمه يعرف مقدار مكانته وإبداعه في الخط.

زيارته للكويت

أثناء الحديث (١) إلى الأستاذ علي الراوي، ذكر- رحمه الله تعالى- أنه زار الكويت عام ١٩٧٩م في طريقه إلى الحج عن طريق مدينة الجهراء، التي تقع غرب مدينة الكويت، حيث كانت مُلتقى الحجاج العابرين لاستكمال طريقهم إلى مكة بعد تسهيل أمورهم في مدينة الحجاج هناك.

دعوته إلى الكويت

عرضنا عليه زيارة الكويت للاستفادة من علمه وخبراته، لكنه اعتذر بأدب، وذلك لشدة مرضه بالقلب، وكذلك لضعف بصره، حتى إنه قال: إن أيامي قليلة- رحمه الله، ثم في اتصال آخر أخبرني أنه ذاهب إلى اسطنبول لعلاج بصره، وقال في ذلك أبياتًا معبرة نختار منها قوله:

ذهبت إلى اسطنبول لإصلاح البصر
لأرى بهما أحبة بفؤادي والنظر

(١) كان ذلك في ٧ شوال ١٤٣٢هـ (٢٠١١/٩/٦م) حيث تحدث معه رئيس التحرير

مساجلاته الشعرية

كان الشيخ علي الراوي يعرف قيمة الصداقة، ويجعل لها اعتبارًا في نفسه، يتضح ذلك من الحديث معه عن طريق الهاتف، فقد كان رحمه الله يبث مشاعره ومحبته في المناسبات بأبيات من الشعر تدل على صدق مشاعره، وكنت أبادله القريض بأبيات مماثلة زادت من أواصر المحبة والصداقة معه، فمن الأبيات التي أرسلها –رحمه الله– وربما كانت آخر أبياته في ٢٠١١/١١/٥م بمناسبة عيد الأضحى:

الكون ينشد والقلوب تردد
والعيد أقبل والفؤاد يغرد
أزكى تهانينا لكم يا فيصلا
دامت سعادتكم وعيش أرغد
لكم المودة والعناية والهدى
والفضل يسري والإله يسدد

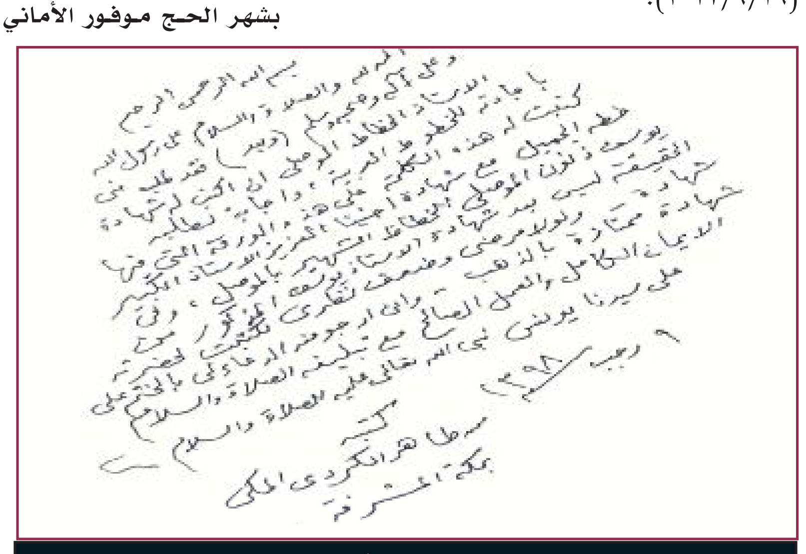
وأجبته بهذه الأبيات وهي مرسلة من الأديب د.يعقوب الغنيم في (٢٠١١/٩/١٩).


لوحة بقلمه بخط الثلث الجلي

يا شاعرًا في شعره نثر الدُّرَرْ
وأثارَ في القول السديد لنا الفكَرْ
ما أعذب الشعر الذي يَعْلو به
معنًى تجلّى في تهاويل الصُّوَرْ
وعلا به لَفْظ يفيض عذوبة
كالمسك في الدنيا تَضَوَّعَ وانتشرْ
لله أنت فقد كتبتَ فريدةً
أُثنى عليك بها الثناءَ المُنْتَظَرْ
ولئن ذكرتَ أخاكَ فيها إنما
قد كُنْتَ تذكر من أَحَبَّكَ وادَّكَرْ

وأرسل بمناسبة الحج هذه الأبيات في ٢٠١١/١١/٢٧م.

عبير القلب أظهره لساني
وشوقي أن أراك وأن تراني
فذا شهر به الأضحى مثال
يسطره الخليل مدى الزمان
تهاني القلب نرسلها إليكم
بشهر الحج موفور الأماني


بسم الله الرحمن الرحيم

كتبه محمد طاهر الكردي المكي بمكة المشرفة

إجازة الشيخ الخطاط طاهر الكردي له بشهادة الأستاذ الخطاط يوسف ذنون

وأجبته بهذه الأبيات وهي مرسلة من الأديب د.يعقوب الغنيم في (٢٠١١/١١/٢٩):

خليلي أي شعر قد أتاني
أشبهه بأنوار المغاني
تعبر فيه إذْ وافى بشيرًا
بشهر الحج رائعة الزمانِ
وترسل من تهاني الود صفوًا
يقدمه الهوى قبل اللسانِ
إليك تحيتي وإليك شكري
أزفهما على طول الزمان

ومن أبياته وردوده وكلماته أيضًا أجاب بقوله:

«... أخي فيصل أنا في لحظة لا أملك إلا أن أقول بحقكم:

أنتم عيون للفؤاد إذا نظر
وقريضكم شبه اللآلئ والدرر
لكم السماحة والمهابة والتقى
وسناء وجه مستنير كالقمر
أدعو لكم رب العباد إذا قضى
ليقيك من نار الجحيم ومن سقر
فيعيش في نبض الفؤاد ودادكم
حيًّا ويسري كالنسائم في السحر
يا فيصلًا في شعره متفضلا
وأراه شهمًا ذا مآثر تدخر

وفاته رحمه الله

أثناء زيارتي إلى دولة قطر في يناير ٢٠١٢ لحضور دورة خاصة بالعناية بالمخطوطات نظمها المعهد العربي بالتعاون مع الجهات المعنية في وزارة الأوقاف في قطر، التقيت شيخه الأستاذ يوسف ذنون الذي أخبرني أن الأستاذ علي الراوي قد وافته المنية بتاريخ (٤ محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١١/١١/٢٩) وكان وقع هذا الخبر شديدًا على نفسي فترحمت عليه واسترجعت.

فرحم الله الشيخ الأستاذ الراوي وتقبله بواسع رحمته.. آمين.

مدير المركز الثقافي الإسلامي بمدريد د.سعود عبدالله الغديان في حوار لـ «الوعي الإسلامي»:

مسلمو أوروبا حريصون على ترسيخ مفاهيم الحوار والتعايش

حوار: د.صالح النهام - مدريد

أكد د.سعود عبدالله الغديان مدير المركز الثقافي بمدريد أن كثيرا من المراكز والجمعيات الإسلامية في الغرب تعاني من قلة الدعم المقدم والتمويل، بل وانعدامه في كثير من الأعمال، حتى بات الخوف هاجسا من عدم دعم المراكز، وكذلك انعدام الثقة في كثير من الجمعيات الإسلامية، ما ساهم في عجز الكثير من المراكز عن القيام برسالتها.

وقال في حوار خاص لـ «الوعي الإسلامي» أثناء زيارة وفد وزارة الأوقاف إلى أسبانيا أخيرًا برئاسة وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية خليف الأذينة لحضور ملتقى ثقافي للجالية المسلمة هناك قال إن المركز يسعى إلى نشر الثقافة الإسلامية في إسبانيا، وبناء جسور التعاون مع المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية المختصة والمهتمة، وتوحيد الجهود من أجل وجود عربي إسلامي أفضل في هذه البلاد، وتعزيز الحوار مع المؤسسات الإسبانية العاملة في المجال الثقافي والعلمي والاجتماعي، بُغية تحقيق مستوى أفضل من التعاون المتبادل، ونشر صورة ناصعة وواضحة عن الإسلام.

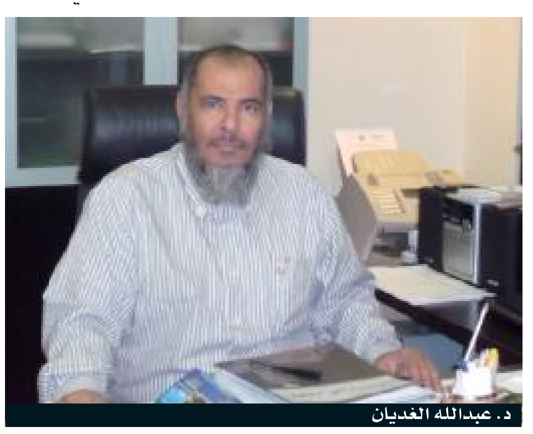
وتطرق الحوار إلى أسئلة كثيرة عن أوضاع الجالية المسلمة في إسبانيا والتحديات التي تواجههم والعلاقة مع الحكومة الإسبانية والدور البارز للمراكز الإسلامية في أوروبا.. فإلى التفاصيل:

● حبذا لو تقدمون للقراء نبذة تعريفية عن شخصكم الكريم؟

- سعود بن عبدالله بن عبدالرحمن الغديان، المدير العام لإدارة الدعوة بالخارج بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ومعار لرابطة العالم الإسلامي لإدارة المركز الثقافي الإسلامي بمدريد، خريج كلية الشريعة، ماجستير ودكتوراه من المعهد العالي للقضاء في الفقه وقواعده من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض، أمارس العمل الدعوي منذ أكثر من ٣٠ عامًا بحمد الله تعالى في الداخل والخارج.

● متى أسس المركز؟ وما الهدف من وراء ذلك؟

- المركز الثقافي الإسلامي بمدريد مؤسسة إسلامية تابعة لرابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية، وقد أنشئ هذا المركز على أرض مساحتها ما يقارب ١٣ ألف متر، تنازلت عنها بلدية مدريد لصالح رابطة العالم الإسلامي، وتبرع بإنشائه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - وافتتح هذا المركز في ٢١ سبتمبر من عام ١٩٩٢م تحت رعاية الملك الإسباني خوان كارلوس، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - وزير الدفاع - نيابة عن الملك فهد -رحمه الله-، وللمركز سياسته الخاصة وتعامله الخاص بحكم استقلاليته.


د. عبدالله الغديان

وأما أهداف المركز فتتمثل في توفير الاحتياجات الدينية والاجتماعية والثقافية للجالية الإسلامية المقيمة والزائرة، ونشر الثقافة الإسلامية، وبناء جسور التعاون مع المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية المختصة والمهتمة، مع فتح طرق التواصل وتوحيد الجهود من أجل وجود عربي إسلامي أفضل في هذه البلاد، من خلال التنسيق مع كل الهيئات والمنظمات والمعاهد الرامية إلى تحقيق هذه الأهداف السامية، وتعزيز الحوار مع المؤسسات الإسبانية العاملة في المجال الثقافي والعلمي والاجتماعي، بُغية تحقيق مستوى أفضل من التعاون



وكيل الوزارة المساعد الأذينة يكرم الغديان بحضور د. النهام

التصرفات السيئة من بعض أبناء الجاليات المسلمة .. أبرز الصعوبات

المتبادل، ونشر صورة ناصعة وواضحة عن الإسلام.

● ما أنواع الأنشطة التي يقوم بها المركز؟

– أنشطة المركز متنوعة، فبعضها دائم، وبعضها بحسب المناسبات، فمنها النشاط الديني والثقافي ونشاط العلاقات الخارجية والإعلام، والنشاط الاجتماعي، والنشاط التعليمي، وإشهار الإسلام، وهذه الأنشطة هي أهم أنشطة المركز، وقد ذكرنا بعضها إجمالاً واختصارًا.

● المراكز في الغرب كثيرًا ما تعقد مؤتمرات ثقافية ودعوية لأبناء الجالية المسلمة، ويدعى لها مفكرون ودعاة من العالم العربي، فما دوركم في هذا المجال؟

– المركز له دور كبير في التحضير والمشاركة في مؤتمرات ولقاءات الحوار، وقد كان للمركز الشرف في المشاركة في تنظيم المؤتمر العالمي للحوار، الذي افتتحه الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، وملك مملكة إسبانيا خوان كارلوس، كما أن المركز يشارك في الندوات واللقاءات التي تتعلق بهذا الموضوع ويساهم في ترسية مفاهيم الحوار والتعايش، وقد سبق أن نظم المركز ندوة عن الحوار والتعايش وحظيت بحضور كبير.

● كيف تقيمون العلاقة بينكم وبين الجهات الحكومية الإسبانية؟

– العلاقة بين المركز والجهات الرسمية في إسبانيا علاقة جيدة جدا، تصل إلى حد الصداقة، حيث بدأت بتنازل بلدية مدريد عن أرض المركز لصالح رابطة العالم الإسلامي مرورا بالعلاقات الجيدة مع الوزارات والجامعات والمكتبات والمؤسسات الحكومية، فالعلاقة جيدة جدًا والحمد الله، وهذا انعكس على عمل المركز وعلى بقائه شامخًا يؤدي عمله بحرية واقتدار طيلة العشرين سنة الماضية.

● ما مدى تنسيقكم مع باقي المراكز في أوروبا وأميركا؟

– هناك تنسيق منظم مع الجمعيات والمراكز الإسلامية داخل إسبانيا عموما وفي مدريد وضواحيها خصوصا، والتنسيق يتم عن طريق إقامة الأنشطة والمساعدة في تجهيز المساجد بالمصاحف والكتب، والإسهام في توزيع التمور والإمساكيات لشهر رمضان المبارك، وكذلك إفادة المراكز من الإمكانات الضخمة للمركز في إقامة المسابقات والاحتفالات والمهرجانات.

● أوضاع الجالية المسلمة في إسبانيا هل تأثرت بالأزمة الاقتصادية العالمية؟

– نعم، فالوضع حاليا صعب في ظل الأزمة الاقتصادية المنتشرة في أوروبا كلها، وأوضاع المسلمين عموما صعبة لغلاء المعيشة وفقد كثير من العاملين لوظائفهم وعدم توفر العمل الذي يدر دخلا جيدا للأسرة المقيمة هنا، حتى إن كثيرًا من أبناء الجالية عادوا إلى أوطانهم بسبب هذه الأزمة، وهذا ينعكس سلبا على المراكز الصغيرة لغلاء الإيجارات وشحة تمويل مناشطها وتشغيلها، وكذلك العجز عن الوفاء بالديون التي عليها لأصحابها.

● ما أبرز العقبات والتحديات التي تواجه المسلمين في إسبانيا؟

– المسلمون في إسبانيا يؤدون عباداتهم وواجباتهم الشرعية بكل يسر وسهولة ودون مضايقات في المراكز والمصليات والجمعيات، إلا فيما يتعلق بفئة تعمل في المؤسسات والشركات، ولكن من أبرز الصعوبات التي نعانيها

بلدية مدريد قدمت الأرض .. والملك فهد تبرع بالإنشاء على ٢٣ ألف متر مربع في عام ١٩٩٢

التصرفات السيئة من بعض أبناء الجالية المسلمة مع الأسف والتي تسيء إلى الإسلام وتفسد أكثر مما تصلح.

ويمكن تقسيم المعوقات التي نعانيها إلى قسمين، الأول: معوقات مرتبطة بطبيعة العمل الدعوي والظروف المحيطة بالمنطقة، والثاني: معوقات مرتبطة بأحداث يمر بها العالم وتؤثر على مسيرة العمل الإسلامي.

أما بالنسبة للقسم الأول فالمعوقات كثيرة، منها على سبيل المثال:

الظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها الجالية المسلمة في إسبانيا وتحميل المراكز الإسلامية المشاكل والصعوبات التي تمر بها الجالية المسلمة، وبالتالي تحمّلت المراكز أعباء كثيرة لا علاقة لها بظروف الجالية، حيث إن هذه المشاكل إما بسبب الأزمة الاقتصادية التي تمر بها أوروبا، أو بسبب التدبير السيئ لشؤون الجالية من قبل أفراد الجالية أنفسهم.

قلة الوعي والثقافة لدى كثير من أفراد الجالية، وبالتالي تسيء إلى المسلمين وهذا ينعكس سلبًا على الإسلام ونظرة الإسبان إليه.

ضعف المراكز والجمعيات الإسلامية العاملة في إسبانيا، للظروف الاقتصادية الصعبة.

السلبية المنتشرة في الجالية وحب الأنا وتغليب مصلحتها الفردية على مصلحة الأمة والجماعة، وضعف إسهاماتها في شتى الأمور.

أما المعوقات المرتبطة بالأحداث فلاشك أن العمل الإسلامي في أوروبا على وجه الخصوص، وفي العالم على وجه العموم يتأثر بالأحداث العالمية، فقد تضرر العمل الدعوي كثيرًا من أحداث ١١ سبتمبر، وكذلك من أحداث ١١ مارس في إسبانيا المتمثلة بتفجير القطارات بمدريد.

فقد عانت المراكز والجمعيات الإسلامية كثيرًا من صعوبات ومعوقات في العمل الإسلامي تمثلت في قلة الدعم المقدم للمراكز والجمعيات الإسلامية بل وانعدامه في كثير من الأعمال، حيث أصبح الخوف هاجسا في دعم المراكز، وكذلك انعدام الثقة في كثير من المراكز والجمعيات الإسلامية حيث عجز الكثير من المراكز عن القيام برسالته في ظل قلة الدعم والتمويل، ولابد من إعادة النظر في ذلك فهي مسؤولية شرعية تتطلب من الجميع حكومات وأفرادا دعم العمل الإسلامي من خلال المؤسسات والمراكز العاملة في الخارج حتى تؤدي دورها على أكمل وجه وبكل حرية ووضوح.

● هل من كلمة أخيرة توجهونها لجموع المسلمين في العالم؟

– أشكر قراء المجلة على اقتطاع جزء من وقتهم لقراءة هذه المقابلة بُغية الإفادة من تجارب الآخرين، وما نحن إلا ضمن قافلة تسير في هذا العمل الدعوي، نبدأ من حيث انتهى الآخرون، ونوصي الإخوان والأخوات القراء بأن يكونوا قدوة في سلوكياتهم وأعمالهم، فإن القدوة الحسنة والمثال الطيب أعطى ويعطي ما عجز عنه المُنَظّرون، فالرسول ﷺ هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فيجب علينا أن نقتدي به ﷺ في جميع أمور الحياة، لنبلغ هذا الدين بالدعوة إليه؛ إذ الدعوة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ولابد لكل فرد من أفراد المسلمين ذكورا وإناثا أن يساهموا في نصرة هذا الدين ورفعته كلٌّ بحسبه، فصاحب المال بماله، وصاحب العلم بعلمه، وصاحب الجاه بجاهه، فلا يبخلوا بأنفسهم عن نصرة دينهم، والله تعالى ناصر دينه ومعل كلمته.



عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

يبغونها عوجًا!

المتمعن في الساحة المجتمعية اليوم يجد أن نفرًا من الناس يتصدرون المشهد العام،ويسيطرون على المنابر الإعلامية، وخطابهم استفزازي إقصائي للمخالفين لآرائهم وأهوائهم وشهواتهم، متشدقين بضرورة فصل الدين عن الحياة باعتبار أن تجربة الغرب الحضارية خير دليل على صحة هذه الرؤية القاصرة.

وهؤلاء يرون الأشياء مقلوبة، كأن يرى أحدهم مثلًا مسألة شرب الخمر من الأمور التي يشدد فيها العلماء ويحجرون فيها على الحرية الشخصية، بل تراه يرى أن مثل هذه الأطروحات تؤثر على اقتصاد البلاد، وأن مثل هذه الآراء قد طواها الزمن وعلاها الغبار.. هؤلاء المفلسون موجودون في كل مجتمع من مجتمعاتنا.

وقد صدق المصطفى ﷺ عندما قال: «سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن ويُخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة» قيل وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة».

أصحاب الأهواء دائمًا يمكرون بالليل والنهار من أجل إشباع بطونهم وفروجهم، لا يعنيهم الناس، ولا يتلمسون احتياجاتهم، ولا يفكرون في مشاكلهم، ولا ينظرون إلى من هو أدنى منهم، نظرتهم دائما قاصرة على من يحيط بهم أو من ينفعهم أو ينتفع منهم.. ولكن الله دائمًا يفضحهم ويخزيهم ويثبت لدى الناس فساد منطقهم وبطلان منهجهم.

هؤلاء يبغونها عوجًا في نفوسنا وبيوتنا ومجتمعاتنا وأمتنا، حتى نسير بلا منهج أو طريق، ونكون غثاء كغثاء السيل.. لا فائدة ولا هدف في الحياة، نعيش كالأنعام.. لنا قلوب لا نفقه بها، ولنا أعين لا نبصر بها، ولنا آذان لا نسمع بها.



ينتسبون إلى الإسلام ويتكلمون بألسنتنا، ويعيشون معنا، ومع ذلك نجد أن همهم الأول ألا يروا للإسلام راية، يرون أن «الدين لله والوطن للجميع»، و«نحن أعلم بأمور دنيانا»، دائمًا يقولون «إن الحكم إلا لنا».. معاذ الله.

وهم متخوفون من إغلاق المواخير والخمارات، ومتوجسون من القضاء على بيوت العهر والبغاء، ولا يخافون من الله وهو معهم، مطلع عليهم، وكأنهم يعلمون لأول مرة أن هذه من المحرمات، وأنها تسهم في التفسخ الأخلاقي للمجتمعات والانحدار نحو الهاوية.

لا يعلمون أن الإسلام جاء لإخراج البشر من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، جاء ليؤلف بين القلوب ويقرب بين العقول، جاء لينشر العدل والخير والفضيلة بين الناس، ولعل الأمم السابقة خير شاهد على تطور ورقي المجتمعات التي ساسها المسلمون بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبالرغم من أن الإسلام عاش في غربة قد طالت منذ سقوط الخلافة العثمانية، فإنها توشك أن تنتهي ويعود الأصل لأصحابه الربانيين المتطهرين المتوضئين ليقودوا دفة السفينة بروح العدل والفضيلة والخير والإحسان.



المقاصد الشرعية

مقصود الشرع من الخلق خمسة- كما قرره الإمام أبوحامد الغزالي- وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوّتها فهو مفسدة، وشريعة الإسلام إنما شرعت الأحكام للحفاظ على هذه الأصول التي اصطلح العلماء على تسميتها بالضروريات الخمس.

فالحفاظ على الدين ثابت بالنص؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ولأجل الحفاظ عليه شُرِع الجهاد ونُهي عن الردة وعوقب عليها، كما نُهي عن الابتداع في الدين ما ليس منه.

وللحفاظ على النفس شُرع تكريمها وتكثير النسْل بالزواج، وفُرض القصاص والدية دفاعا عن حرمتها، كما حرم كل ما يلقي بها إلى التهلكة.

وللحفاظ على العقل؛ حُرم المسكر وإن قلّ، وعوقب من يتعاطاه.

وللحفاظ على النسل أوجب الشرع حفظ العرض بتحريم الزنا ومعاقبة الزاني، وفُرض حدّ القذف.

وللحفاظ على المال وجب شرعًا السعي في طلب الرزق، وأبيحت المعاملات التجارية وغيرها، كما حُرِّمت السرقة والغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وعوقب على جميع هذه الجرائم بعقوبات صارمة.

وبهذه الأصول والوسائل الواضحة كانت مقاصد الشريعة في مأمن من الضياع وفي حراسة من الاعتداء عليها أو تجاوزها، على أنه من الواجب «على العالم المتشبع بالاطلاع على مقاصد الشريعة وتصاريفها أن يفرق بين مقامات خطابها، فإن منها مقام موعظة وترغيب وترهيب وتبشير وتحذير، ومنها مقام تعليم وتحقيق؛ فيردّ كل وارد من نصوص الشريعة إلى مورده اللائق، ولا تتجاذبه المتعارضات مجاذبة المماذق».

من أجل هذا كانت فكرة الملف ملحّة، وكان طرقها ببعض الدراسات مُهمّا، والله وحده الهادي..

التحرير

كيف تستفيد من المقاصد في حياتك؟

المقاصد.. من الفقه إلى الحياة

د.مسعود صبري

مقصود هذا المقال بيان درجة التجديد في مقاصد الشريعة، والوقوف- بلمحة سريعة- حول محطات التجديد، وبيان كيفية تطوير الإفادة من مقاصد الشريعة بشكل أوسع، وانتقال النظر إليها من النظر الفقهي إلى مجال الحياة العامة، وكيف تكون المقاصد مادة عامة للأفراد والمؤسسات، بما يحقق الإفادة منها في الدين والدنيا.

مراحل تطور المقاصد

لقد تطورت مقاصد الشريعة، ومر هذا التطور بمراحل عدة:

المرحلة الأولى: اعتبار المقاصد جزءا من علم أصول الفقه، على مدى مراحل الاهتمام بها المتنوعة قلة وكثرة.

المرحلة الثانية: المناداة باعتبار المقاصد علما مستقلا على يد الطاهر بن عاشور (عالم وفقيه تونسي، ١٢٩٦هـ/١٨٧٩-١٣٩٣هـ/١٩٧٢)، وتوسع الاهتمام بها في مجال استقلالها عن علم أصول الفقه.

المرحلة الثالثة: الوصول إلى إنشاء قسم للدراسات العليا خاص بها في بلاد المغرب العربي، وقيام عشرات الباحثين بالكتابة فيها على مستوى درجتي الماجستير والدكتوراه، وبحوث الترقية، ثم إنشاء مركز خاص للدراسات المقاصدية، وهو مركز دراسات مقاصد الشريعة بلندن (أسسه أحمد زكي يماني وآخرون).

المرحلة الرابعة: انتهى المطاف- في مجال التجديد في مقاصد الشريعة- باعتبارها كلية ورتبة أعلى من علم أصول الفقه، الذي كان المحضن الأول لها من حيث التعريف والتصنيف.

ومراحل التجديد في مقاصد الشريعة السالف ذكرها ليست محل اتفاق بين علماء الشريعة حتى اليوم، فمازال هناك من يرى تبعية مقاصد الشريعة لعلم أصول الفقه، ومن باب أولى ألا تكون رتبة أعلى من أصول الفقه، لكن هذا لا يمنع من الدعوات والرؤى التجديدية التي تتعلق بمقاصد الشريعة.

ورغم تلك الرؤى التجديدية لمقاصد الشريعة فإن مساحة الحديث عن المقاصد لا يتعدى النظر والاستدلال الفقهي اللصيق بمساحة الاجتهاد، وفهم علوم الشريعة على نحو أوفق.

المقاصد في حياة الأشخاص

لكننا بحاجة أن نعيد النظر في مجال التجديد الخاص بمقاصد الشريعة، برؤية كلية لا تقف عند حدود التوليد في مجال الفقه والأصول، بل باعتبار مقاصد الشريعة ميزانا للنظر المنهجي فيما يتعلق بدين ودنيا الفرد والجماعة، وعدم حبس المقاصد في مجال التشريع، لنُخرج منها منهجا ينبع عنه استقامة الحياة بكل مجالاتها.

باحث في المركز العالمي للوسطية





فعلى المستوى الشخصي يحتاج الإنسان الإفادة من المقاصد بما يحقق له التوازن والشمول في حياته، وتقديم الجوهر على المظهر، وإدراك فقه الأولويات في دينه ودنياه، حتى تمثل المقاصد بوصلة التوجيه العقلي والفكري والروحي والتشريعي، فبعد استخراج منهج النظر والاستدلال من المقاصد يمكن تطبيقه بشكل ناجح وناجع في فروع حياته كما يستعمله الفقيه في الاستدلال، والنظر في الفروع الفقهية التي تتعلق بالحلال والحرام.

ولعل التدليل للمقاصد في الفقه والأصول كثير مشتهر، لكن التدليل له في حياة الناس أمر جديد من حيث التنظير والتطبيق.

مجالات الإفادة من المقاصد

ولنضرب أمثلة على الإفادة من المقاصد في حياة الإنسان..

في مجال الإنفاق، فيما يتعلق بالأفراد والمؤسسات، فإنه يمكن اعتماد رتب المقاصد من الضروريات (هي التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، بحيث إذا فقدت اختلت الحياة الدنيا وحل العقاب في الآخرة)، والحاجيات (هي التي يحتاج الناس إليها لرفع الحرج عنهم فقط، بحيث إذا فقدت وقع الناس في الضيق الحرج

رتب المقاصد تقدم للمؤسسات والأفراد خطة تشغيلية لتنظيم إجراءات الحياة

دون أن تختل الحياة)، والتحسينيات (هي المصالح التي يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق)، مع الإفادة من دلالات تلك المصطلحات الثلاث دون التقيد بدلالاتها داخل الدرس المقاصدي، فكم من الأموال تهدر على مستوى الأفراد والمؤسسات وهي في رتبة التحسين! في حين يغيب الاهتمام بأهداف وطموحات هي من باب الضرورة أو الحاجة، مما يمثل عائقا كبيرا في حياة الفرد وفي مسيرة المؤسسات الرسمية والشعبية، وتتعطل خطط الإنتاج الطموحة لغياب فكر المقاصد فيها. والعمل بمنظومة رتب المقاصد سيوفر للفرد والمؤسسات أموالا طائلة، وسيرشد الإنفاق بشكل كبير، مما يمكن به الانتفاع بالموفور المالي في مجالات أكثر أهمية.

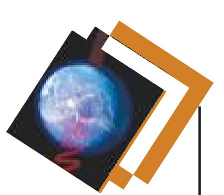
فإذا كان لدى الفرد مثلا تفكير في رحلة ترفيهية خارج البلاد، ودورة تدريبية تخص تنمية مهاراته المهنية، وليس معه مال إلا لإحداهما، فإنه بناء على منهج المقاصد يقدم الدورة التدريبية على الرحلة، وتؤجل الرحلة لحين توفير السيولة لها إن كانت مهمة، أو إلغائها والبحث عن بدائل أوفر وأسهل لتحقق مقاصد الرحلة الترفيهية.

وإذا كان للفرد أهداف مالية ويلح عليه شراء بيت أو شقة، كما أنه بحاجة إلى شراء سيارة، وهو يسكن بالإيجار، فإنه يقدم شراء السكن على شراء السيارة، لأنه يمكن أن يتحمل التنقل بوسائل المواصلات، ويقدم شراء السكن ليوقف نزيف ثمن الإيجار، وينتقل إلى التمليك، وما يملكه يكون له رصيدا ماليا قد يستفيد به فيما بعد.

هذا بخلاف من يريد بعض المشاريع، ويحتاج إلى سيولة، ويفكر في شراء سكن أو يكوّن به مشروعا استثماريا، فإنه يقدم المشروع على السكن، ويستعيض عن شراء السكن بسكنى بالإيجار.

وإذا كان عند الإنسان أكثر من أمر يريد فعله، ولا وقت كافيا إلا لأحدهما، كأن يريد القيام بالكشف الطبي أو المشاركة في ندوة علمية، فإنه يقدم الكشف الطبي، لأن الحفاظ على النفس مقدم على الحفاظ على رتبة التحسين في الحفاظ على العقل.

إن جملة من مقاصد الشريعة لكفيلة بتنظيم الحياة سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا واجتماعيًا، فرتب المقاصد من الضروري والحاجي والتحسيني، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وترتيب فقه الأولويات (وهو العلم بالأحكام الشرعية التي لها الحق في التقدم على غيرها بناء على العلم بمراتبها، وبحسب الواقع الذي يتطلبها)، والتنبه إلى مقصود الأعمال.. ليعطي للأفراد والمؤسسات خطة تشغيلية يساعدها في تنظيم الإجراءات التي تسهم في البناء الإيجابي بما يدفع للعيش في حياة كريمة، وتحقيق أمنيات وغايات في وقت يغلب عليه الترشيد لتحقيق ما نصبو إليه.



عندما طرح أئمة المقاصد نظريات للمقاصد منذ الترمذي الحكيم (ت ٢٩٦هـ) والقفال الكبير (ت ٣٦٥هـ) والعامري الفيلسوف (ت ٣٨١هـ)، مرورًا بالجويني (ت ٤٧٨هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ) والشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، وانتهاء بابن عاشور (ت ١٣٧٩هـ/ ١٩٧٣م) (١) والفاسي (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٧٤م)، كانت نظرياتهم تصنيفات لنصوص الشريعة حسبما تصوروا من غاياتها والمعاني التي شرعت من أجلها، ولكن قبل الشروع فيما يلي من محاولة لتحليل هذه التصنيفات حسب مفهوم رؤية العالم، وجب القول إن هدف هذا التحليل هو فهم آليات التجديد والإبداع في هذا العلم- علم المقاصد الشرعية- والاستفادة منها في البحث المعاصر، وليس الهدف من هذا التحليل الدعوة إلى نبذ نظريات المقاصد بدعوى عدم مناسبتها للعصر كما قد يتسنى لبعض «التفكيكين» المعاصرين ممن يتبنون فلسفات ما بعد الحداثة، مما سيأتي ذكره في مبحث لاحق، فقناعتي أن المقاصد والمقاصديين أمل كبير من آمال هذه الأمة في تجديد أصيل ومبدع ليس في علومها الشرعية فقط وإنما في علومها الاجتماعية والإنسانية على حد سواء، ولكن هذا التجديد لابد له- فيما يبدو لي- من فهم لقابليات التجديد في نظريات المقاصد نفسها حتى تفعل هذه القابليات التفعيل الصحيح دون إفراط تضيع معه الثوابت الإسلامية أو جمود تتحول فيه المعاني الاجتهادية إلى ثوابت مقدسة.

مقاصد الشريعة.. المفهوم والدلالة

د. جاسر عودة

وقد يسأل: كيف يكون المعنى الواحد نتيجة لرؤية العالم عند المجتهد وفي الوقت نفسه مقصودًا للشارع تعالى؟ والجواب هو أنه لا تناقض بين هذا وذاك، فالمقصد من النصوص الشرعية إما أن ينص الشارع عليه صراحة- كالعدل مثلًا- وإما أن يستقرأ مثل حفظ النسل، فأما المعنى المنصوص عليه صراحة فليس لرؤية العالم دخل في تصور معناه المجرد، ولكن في تصور تطبيقه في الواقع الاجتماعي، فقد تختلف الإجراءات المطلوبة لتحقيق مقصد العدل مثلًا من مجتمع لمجتمع، وهذا مثل ما يسمى عند الفقهاء بمراعاة العرف في تحقيق المناط.

وأما المعنى الذي يستقرأ فلا يتناقض استقراؤه مع كونه مقصودًا للشارع تعالى حسب غلبة الظن عند المجتهد، فإنما الأعمال بالنيات ولا يكلف الله تعالى العباد إلا بما تصل إليه عقولهم بعد بذل الوسع ويغلب على ظنهم الصواب، والله أعلم بمراده في جميع الأحوال، من ذا الذي يدعي أنه أصاب باستقراء أو استنباط قصد الله تعالى على القطع؟ إنما هو الظن والتكلف، ولكنه ظن كلما بني على باع في العلم واستقصاء في البحث اقترب من يقين واستحق به التكليف، فإذا غلب على ظن المجتهد أن معنى معينًا مقصودًا للشارع وجب عليه مراعاته ولزمه ذلك.

والمباحث التالية تضرب أمثلة على الاجتهاد الذي حدث عبر أجيال المقاصديين في مصطلحات الضرورات من المقاصد، وتحاول تحليل رؤية العالم على تطور هذه المصطلحات.

من حفظ النسل إلى بناء الأسرة

ذكر أبوالحسن العامري الفيلسوف «مزجرة هتك الستر» التي شرع لها حد الزنا في سياق إرهاصاته المبكرة بالضرورات الخمس في كتابه «الإعلام بمناقب الإسلام»، ثم ورد التعبير الذي اختاره إمام الحرمين الجويني في برهانه وهو «عصمة الفروج»، ثم استخدم تلميذ الجويني أبوحامد الغزالي في مستصفاه تعبير «حفظ النسل»، وهو التعبير الذي تبناه الشاطبي- معلم المقاصد الأول- في موافقاته، أما المعلم الثاني- الطاهر بن عاشور- فقد قدم إبداعًا نوعيًّا حين كتب عن النظام الاجتماعي في الإسلام في إطار غايات الشريعة وأهدافها وكان رائدًا في هذا المقام للمعاصرين من أمثال الشيخ محمد الغزالي ود.يوسف القرضاوي وغيرهم.

وهذا التطور الذي دخل على هذا المصطلح عبر الأجيال كان موازيًا للتطور الذي حدث لثقافة التصورات في مجتمع المسلمين ورؤية العالم عند هؤلاء الأئمة الذين تفاعلوا مع الواقع فيما طرحوه من أطروحات. فـ«مزجرة هتك الستر» اقتصرت على بيان حكمة الحدود الشرعية في هذا الباب، كما ذكر العامري، وهو تعبير يصور مجتمعًا يسعى لسلامته وأمنه بردع المجرمين

◆ نائب مدير مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق بمؤسسة قطر



وهاتكي الأستار فيه، ولكن «عصمة الفروج»– وهو تعبير الجويني– لا يتعلق فقط بردع الجريمة في هذا الباب وإنما يعبر أيضًا عن مبدأ يمتد ليشمل خلقًا منشودًا وحقًّا من حقوق الفرد والمجتمع في عصمة فروجهم، أما «حفظ النسل» فهو أوسع من المفهومين السابقين لأنه يشمل درء المفاسد ودعم المبادئ المذكورة بالإضافة إلى مصلحة الفرد في حفظ فلذة كبده، بل يلقي تعبير حفظ النسل ظلالًا على مصلحة الأمة في حفظ الأجيال الناشئة، وهو مفهوم حضاري أوسع من قضية الزجر عن هتك الستر أو الحفاظ على عصمة الفروج.

ثم لما أدرج الشيخ القرضاوي «تكوين الأسرة الصالحة» (٢) في مقاصد الشريعة الإسلامية بشكل مباشر، عكس ذلك المصطلح رؤية للمجتمع تظهر فيها الأسرة كوحدة بنائه الأساسية، وهي رؤية تختلف عن الرؤية التقليدية، وهذا لا يعني أن تلغى «مزجرة هتك الستر» أو تسقط «عصمة الفروج» أو يتناسى «حفظ النسل» وإنما يعني أن يكون تحقيق هذه المصالح الفردية والجماعية جزءًا ونتيجة لبناء الأسرة وفي إطارها، وهو أولى، ولا يخفى أن إعطاء هذه الأولوية لمصلحة الأسرة يعزز من حقوق المرأة– التي تحتاج إلى دعم إذا ما استقرأنا الواقع المعاصر– وحقوق الأولاد الذين هم عماد مستقبل المجتمع والأمة، وحمايتهم جميعًا من التعسف والبخس، وبهذه المرونة في تطوير المصطلح المقاصدي توظف الشريعة الإسلامية في خدمة قضايا الأمة ومصالحها المعاصرة.

من حفظ المال إلى التنمية الاقتصادية

تكلم العامري الفيلسوف عن مقصد سماه «مزجرة أخذ المال» التي شرعت لها حدود السرقة والحرابة، وذلك أيضا في سياق إرهاصته المبكرة بالضرورات الخمس، ثم كان تعبير إمام الحرمين في نفس المعنى عن مفهوم آخر من مفاهيم العصمة، وهو «عصمة الأموال» ثم طور أبوحامد الغزالي ذلك المعنى في مستصفاه إلى جزء من نظرية الحفظ عنده وسماه «حفظ المال»، وأصل الشاطبي لنفس المعنى في موافقاته، والمال مذكور في مواضع كثيرة من القرآن، وهو قوام حياة الناس، وأهمية كون المال من طيب الكسب ومكرمة الجود به وعار البخل به كلها مفاهيم أصيلة في ثقافة العرب وتصوراتهم. قال حاتم الطائي مثلا:

إذا كان بعض المال ربا لأهله
فإني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويؤكل طيبًا
ويعطى إذا منّ البخيل المطرد

أما في العصر الحديث، فقد توسع مفهوم المال ليشمل مفهوم الثروة والقيمة التي ترتبط بالاقتصاد المحلي والدولي، وعبرت عن هذا التطور نظريات «الاقتصاد الإسلامي» التي زاد البحث العلمي الجاد فيها خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة بعد ظهور مشاريع البنوك الإسلامية، ثم حدث تطور نوعي في تناول مقصد حفظ المال عند بعض المعاصرين، وأصبح مفهومًا اقتصاديًّا استقرأ السيد هادي خسروشاهي– مثلا– من أجله من نصوص الكتاب والسنة ما يلزم الدولة بتحقيق التكافل والتعادل والتقريب بين الطبقات بالإضافة إلى ما يحفظ أموال الأفراد من الاعتداء والغصب– وهو المفهوم الأساس (٣).

وقد فسر بعض الباحثين المعاصرين حفظ المال بالازدهار الاقتصادي بل والتنمية، فمثلًا، كتب د. أبويعرب المرزوقي (٤) (على الرغم من نقده لعلم المقاصد نفسه على أساس «عدم قطعيته»– ويناقش ذلك مبحث قادم): «إنما حفظه (أي المال) يكون بتحقيق شروط تكوينه السوي وأولها الدولة العادلة وشروط توزيعه المناسب للجهد والعدل بحسب ما فرضه الإسلام من معايير، فيكون الحفظ هنا تحقيق شروط المكافأة العادلة التي هي شرط شروط الازدهار الاقتصادي»، وكتب د. سيف عبدالفتاح: «المقاصد الكلية ليست إلا صياغة لمفهوم متكامل للتنمية من منظور حضاري» (٥).

وهذه الإضافات القيمة بحاجة إلى بحث وتأصيل حتى تربط بالنصوص الشرعية وتفسر من خلالها مصطلحات المقاصد تفسيرًا جديدًا أو لعلها تكون سبيلًا لتقديم مصطلحات مقاصدية جديدة في هذا الباب أقرب لرؤية العالم اليوم فيما يصلح الناس، وهذه آلية لتفعيل المقاصد تفعيلًا يمس مشكلات الناس ويتعامل مع واقعهم، فحسب تقارير الأمم المتحدة في الأعوام الأخيرة، تقع غالبية الدول الإسلامية (وتحتوي على نحو ٩٠٪ من المسلمين) في مستوى أقل من المتوسط في مقياس التنمية البشرية، والذي هو مفهوم أوسع من التنمية الاقتصادية،

مقياس التنمية البشرية: مستوى الدول الإسلامية أقل من المتوسط





تقيسه لجنة التنمية بالأمم المتحدة بناء على عدة مقاييس لمستويات الصحة ومحو الأمية والمشاركة السياسية وتفعيل دور المرأة وسلامة البيئة، بالإضافة إلى مستوى المعيشة».

وبناء على هذه المرونة التي يتمتع بها مصطلح المقاصد، فإنه يمكن صياغة مقصد «للتنمية البشرية» يكون له تميزه بإضافة مقاييس إسلامية تعبر عن قيم الإسلام الأصيلة، فمثلًا، محو الأمية واجب إسلامي، ولكن الإسلام لا يكتفي بمحو الأمية أو التعليم الأساسي لقياس مستوى التعليم في المجتمع كما هو الحال في مقياس التنمية البشرية الحالي، إذ يجعل الإسلام من طلب العلم فريضة دون تحديد حد أعلى لذلك ويجعل من التفوق في كل علم أيا كان فرضًا كفائيًّا إسلاميًّا، والمشاركة السياسية في مفهوم الإسلام لا تقاس فقط بنسبة التصويت في الانتخابات أو عدد الوزراء من طائفة أو أقلية ما، كما هو الحال في مقياس التنمية البشرية الحالي، وإنما المشاركة في صنع القرار السياسي على كل المستويات مسؤولية إسلامية على كل مسلم، سماها الرسول ﷺ «النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم» (٦).

من حفظ النفس والعرض إلى حفظ حقوق الإنسان

وحفظ النفس، وحفظ العرض أيضًا من المصطلحات التي عبرت عن تصور لقيم أساسية عبرت عنها كل أجيال المقاصديين، والمصطلحات التي استخدمت في هذا الباب هي: «حفظ النفس» و«مزجرة قتل النفس» و«حفظ العرض» و«مزجرة ثلب العرض» و«حفظ النسل» عند من ضم حفظ العرض إلى حفظ النسل في التقسيم مثل الجويني والغزالي والشاطبي، وتعبير النفس قد ورد بوضوح في القرآن الكريم، ولكن لم يرد فيه تعبير العرض، إلا أنه ورد في حديث رسول الله ﷺ مثل: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»، و«إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم» (٧)، والعرض مكون أساسي من تصور الإنسان وعلاقاته الاجتماعية عند العرب– شاع في أشعارهم وأدبياتهم على مدار العصور، لعل من أشهرها الأمثلة التالية:

قال عنترة:

ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدر
للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما
والناذرين إذا لم ألقهما دَمي

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

سأمنح مالي كل من جاء طالبًا
وأجعله وقفًا على القرض والفرض
فإما كريم صنت بالمال عرضه
وإما لئيم صنت عن لؤمه عرضي

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في المعنى نفسه:

أصون عرضي بمالي لا أدنسهُ
لا بارك الله بعد العرض في المال

وأما المعاصرون فقد شاع بينهم– في معرض الحديث عن حفظ النفس والعرض– مصطلح «حفظ الكرامة» أو «حفظ الكرامة البشرية» كنوع من التجديد أو التفسير لهذين المصطلحين (٨)، ومفهوم الكرامة البشرية لصيق بمفهوم «حقوق الإنسان» الذي تصوره أيضا كثير من المعاصرين في تنظيرهم للمقاصد الشرعية في السياق نفسه (٩)، وهذه آلية أخرى لتفعيل المقاصد تفعيلًا يمس مشكلات الناس ويتعامل مع واقعهم.

إلا أنني أرى أنه من الضروري أن تبحث مسألة حقوق الإنسان بشكل مفصل قبل إدماجها بالمقاصد الشرعية حتى يفرق بين ما يدعو إليه الإسلام من حقوق للإنسان تتفق فعلًا مع المبادئ (الأساسية) لحقوق الإنسان العالمية، وبين بعض التفسيرات والإلحاقات لهذه الحقوق في بعض المجتمعات والتي قد تختلف جذريًّا مع ثوابت الرؤية الإسلامية، فمفهوم الحرية التي اعتبرها الطاهر ابن عاشور وعدد من المعاصرين من مقاصد الشريعة الإسلامية– واستدلوا على ذلك باستقراء الكتاب والسنة– يختلف عن مفهوم الحرية عند كثير من الأوروبيين مثلًا، والذي قد تتعدى فيه حرية التعبير إلى حرية الإهانة والسخرية، وحرية اختيار الأزواج إلى حرية الشذوذ أو الخيانة، وحرية التصرف في البدن إلى حرية قتل المرء نفسه أو تعاطي المخدرات، وعليه فالأمر يحتاج إلى تحقيق حتى لا تفسر مفاهيم حقوق الإنسان بما يتناقض مع معايير الإسلام وثوابته، وحتى لا يطلق «مقصد حفظ حقوق الإنسان» على عواهنه ويساء استغلاله.

من حفظ العقل إلى نماء الملكات العقلية والفكرية

مر حفظ العقل بتطور مماثل على مدار الأجيال من التركيز على حد الخمر فقط لكونها مذهبة للعقل إلى توسيع ذلك المفهوم حتى يشمل كل ما يتصل بالعقل من علم وفكر، فمثلًا، كتب د.يوسف القرضاوي: «أرى أن حفظ العقل يتم في الإسلام بوسائل وأمور كثيرة، منها: فرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، والرحلة في طلب العلم، والاستمرار في طلب العلم من المهد إلى اللحد، وفرض كل علم تحتاج إليه الأمة في دينها أو دنياها فرض كفاية، وإنشاء العقلية العلمية التي تلتمس اليقين وترفض اتباع الظن أو اتباع الهوى، كما ترفض التقليد للآباء وللسادة الكبراء، أو لعوام الناس، شأن «الإمعة»، والدعوة إلى النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء إلى آخر



ما فصلناه في كتابنا «العقل والعلم في القرآن الكريم» (١٠).

ومن الجيل الجديد من المقاصديين، كتب د.سيف عبدالفتاح: «حفظ العقل ضرورة من ضرورات العمران- إن نسل كثير ونفوس لا تتمتع بالرشد والعقل إنما يعبر عن كم مهمل أو هو في أحسن الأحوال إضافة سلبية تتحرك ضد مقصود العمران- حفظ العقل باعتباره مناط التكليف وقاعدة حمل الأمانة وأساس لقيمة الاختيار، إن حفظ العقل من كل ما يسلبه من أفكار وتسميم وغسل مخ، وحفظه من كل ما يذهبه لهو تعبير عن الحفظ الأساسي اللازم لأن يمارس العقل وظيفته وفاعليته في تحرك إمكانات تسكين عناصر متعددة ضمن حياتنا المعاصرة (هجرة العقول- عقلية القطيع والعوام- غزو العقول- استلاب العقول...) (١١). و«كتب د.أبويعرب المرزوقي: «القصد بحفظ العقل إن قلنا بنظرية المقاصد وسلمنا بوظيفة الحفظ لا التنمية ليس هو ما فهم الفقهاء كتحريم الخمر أو المخدرات، فمفسدات العقل من حيث هو ملكة طبيعية حرمت نصًا ولا يحتاج فيها الناس إلى تعليل بمقصد حفظ العقل، إنما المقصود إن صحت نظرية المقاصد تحقيق شروط نماء الملكات العقلية بتحقيق شروط عملها بحرية» (١٢).

فمن هذه الأمثلة- وغيرها- يظهر التطور الذي يحدث لمصطلح حفظ العقل تبعًا لتغير رؤية العالم لدى المقاصديين، فظهر مثلا تأثير السياسة والاقتصاد في مفهوم «هجرة العقول» الذي ذكره د.سيف، وتأثير الأعراف الاجتماعية والعلمية على مفهوم «العقلية العلمية» الذي ذكره الشيخ القرضاوي، وقس على ذلك.

وهذا التطور في المقاصد سواء وقع من باب إعادة التفسير مع الإبقاء على المصطلح الأصلي (حفظ العقل)- وإعادة



التفسير على أي حال سمة عامة في الاتجاهات الفكرية الإسلامية المعاصرة- أو وقع من باب إعادة نحت المصطلح نفسه مثل «مقصد نماء الملكات العقلية والفكرية»، فتوظيف مصطلح المقاصد في التنمية الفكرية والعلمية لا تخفى فوائده.

من حفظ الدين إلى كفالة الحريات الدينية

والمثال الأخير الذي يوضح أثر رؤية العالم على المصطلح المقاصدي هو مفهوم حفظ الدين، الذي بدأ بدوره معبرًا، عن «مزجرة خلع البيضة» بتعبير العامري الذي ارتبط بما يسمى بحد الردة، وانتهى بمصطلح «حفظ الدين» عند كل العلماء الذين كتبوا عن المقاصد من بعد، ليس فقط مستندين إلى ما يسمى بحد الردة ولكن بناء على حفظ العقائد والعبادات وغيرها من شرائع الإسلام.

ثم حدث تطور نوعيٍ مشابه لما مر في تفسير هذا المفهوم، أمثل عليه مرة أخرى مما كتب د.سيف عبدالفتاح «لا إكراه في الدين: حفظ الدين في إطار يشمل حركة من الفرد إلى الجماعة إلى الأمة ومن الذات إلى الغير حتى مع اختلاف الأديان» (١٣). أي إن حفظ الدين يشمل كل الديانات بناء على مبدأ لا إكراه في الدين، وهذا مثال على مدى التغير الذي قد يحدث في مصطلح شرعي حين يعاد تأويله في ضوء رؤية عالم مختلفة، فقد تحول حفظ الدين من مبدأ يقوم عليه «حد الردة» إلى مبدأ يضمن كفالة الحريات الدينية بالمعنى المعاصر.

هل للمقاصد المتصورة حد معلوم أو هيكل نمطي محدود؟

الإجابة المطروحة على هذا السؤال تتعلق أيضًا بقضية الطبيعة التصورية للمقاصد، فإذا اتفقنا على أن المقاصد تصورات نظرية في أذهان المجتهدين، فكذلك المسمى والهيكل- اللذان يمثلان جزءًا من ذلك التصور- قد يتغيران حسب العقول ويتغير الزمان والمكان، ولا يعني ذلك أن الشارع- عز وجل- لم يرتب المقاصد ترتيبًا معينا تنظم فيه، فالترتيب والتنظيم والإبداع في خلق كل شيء وفي تشريع كل شيء نؤمن به عقيدة، ولكن إدراك هذا الترتيب المنتظم- الذي قد يكون أعقد بكثير من أنساقنا الأولية البسيطة- ليس بلازم، ومثلا ذلك الكون المرئي وقد خلقه الباري تعالى بإبداع ونظام وإحكام وتوازن وما له من فطور، وكل مسلم يؤمن بذلك، ولكن محاولاتنا- نحن البشر- لاكتشاف هذا النظام وسبر أغواره كلها ناقصة، وهذا ما تثبته الأيام، فعلى مدار التاريخ كلما تصور علماء الطبية نظامًا في مجال ما نتيجة اكتشاف ما، جاء بعد ذلك بزمن- طال أو قصر- اكتشاف آخر ليعلمنا أن ما سبق كان صحيحًا جزئيًا فقط وأن درجة أكبر من التعقيد قد تقترب بنا من «حقيقة» النظام الكوني، ولكن ما أدراك ما حقيقة النظام الكوني؟! ويبدو لي أن



المقاصد لا تخرج عن هذا المثال، نعم، لابد للمقاصد من حصر وهيكل ونسق، ولكن ما تصل إليه عقول المقاصديين هو اجتهاد يقبل التطور دائما ولا يلزم أن يكون هو الحقيقة كلها.

فمثلاً، قسم العلماء المعاصرون المقاصد إلى مستويات ثلاثة: عامة وخاصة وجزئية (١٤)، فالمقاصد العامة هي المعاني التي لوحظت في جميع أحوال التشريع أو أنواع كثيرة منها، كمقاصد السماحة والتيسير والعدل والحرية (١٥).

وتشمل المقاصد العامة الضرورات المعروفة التي استهدفتها الشريعة بما يعود على العباد بالخير في دنياهم وأخراهم، مثل حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال والعرض، والمقاصد الشرعية الخاصة هي المعاني التي لوحظت في باب من أبواب التشريع المخصوصة، مثل مقصد عدم الإضرار بالمرأة في باب الأسرة، ومقصد الردع في باب العقوبات، ومقصد منع الغرر في باب المعاملات المالية، وهكذا... والمقاصد الجزئية عرفت بمعنى الحكم والأسرار التي راعاها الشارع في حكم بعينه متعلق بالجزئيات (١٦)، كمقصد توخي الصدق والضبط في مسألة عدد الشهود وأوصافهم، أو مقصد رفع المشقة والحرج في الترخيص بالفطر لمن لا يطيق الصوم، أو مقصد التكافل بين المسلمين أي عدم إمساك لحوم الأضاحي، وهكذا.

وهناك نسق آخر لتصنيف المقاصد في هرم منتظم من الأهداف في قاعدته الضرورات ثم تتلوها الحاجيات ثم التحسينيات (وهو الهرم الذي يدرس الآن- بحذافيره- في علوم الإدارة الحديثة تحت مسميات مثل هرم الحوافز البشرية وغيرها من دون ذكر ولا إشارة لأي من علماء المقاصد المسلمين الذين استحدثوه استحداثا).

ولكن يبدو لي أنه رغم أهمية مسألة الأولويات نظريًا وعمليًا إلا أنه يصعب استقراء مقاصد الشريعة كلها واستقصائها في مستويات هرمية صارمة، فضلا عن أن يُبنى على هذه الهرمية نتائج فقهية بشكل آلي، وهو ما حاوله بعض العلماء الأعلام، فأبوحامد الغزالي مثلا قد رتب الضرورات الشرعية ترتيبا اشتهر بعد ذلك وتابعه عليه كثير من الفقهاء، وهو حفظ الدين ثم النفس ثم العقل ثم النسل ثم المال (١٧)، ثم بنى على ذلك الترتيب نتائج فقهية فقال: «عند تعارض مصلحتين ومقصودين، يجب ترجيح الأقوى»، ومثل لذلك بإباحة شرب الخمر تحت الإكراه، وهو متوافق مع تقديم حفظ النفس على حفظ العقل (١٨)، ولكن أبا حامد ناقض الترتيب حين لم يفت بإباحة الزنا تحت الإكراه، رغم أن النسل متأخر عن النفس في ترتيبه المذكور، والآمدي قد وضع بعض الأولويات الفقهية العملية مثل تقديمه لحفظ الدين على النفس، رغم أن هذا مناقض -مثلا- لإباحة النطق بكلمة الكفر تحت الإكراه، وتأخيره لمقصد حفظ المال عما سواه رغم أن «من قتل دون ماله فهو شهيد»، ولعل هذه الإشكالات هي التي أدت إلى عدم تصريح كثير من العلماء بترتيب محدد في مسألة المقاصد الضرورية مثل الشاطبي، والرازي والقرافي وابن تيمية.

الهوامش

١- تعريف ابن عاشور: المعاني التي قصد الشارع إلى تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه، محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة: محمد الميساوي، دار الفجر (كوالا لامبور)، ودار النفائس (عَمان)، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص: ١٨٣، التفكيك (deconstruction) هو مصطلح استحدثه جاك دريدا (وهو فيلسوف فرنسي يهودي من أصل جزائري) في الستينيات من القرن العشرين لتفكيك والتخلص- حسب رأيه- من كل تمحور أو مركز حول أي سلطة كانت سواء كانت لنص أو لدين أو لجنس. ﴿إن الله يأمر بالعدل...﴾ (النحل: ٩٠)، ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد: ٢٥)، وإدخالي للعدل ضمن منظومة المقاصد أنقله عن كثير من العلماء المعاصرين مثل الطاهر بن عاشور ومحمد الغزالي- رحمهما الله، راجع: جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالي للفكر الإسلامي بفرجينيا ودار الفكر بدمشق، ٢٠٠١م.

٢- في ورقته التي قدمها تحت عنوان «بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، دراسة في فقه مقاصد الشريعة» للندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية- مقاصد الشريعة الإسلامية، دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق، تحرير: محمد سليم العوا، لندن، ٢٠٠٦، وقد ذكره من قبل في كتابه: كيف نتعامل مع القرآن الكريم- طبعة دار الشروق.

٣- في ورقته التي قدمها تحت عنوان «حول علم المقاصد الشرعية، وبعض أمثلتها التطبيقية» في الندوة المذكورة أعلاه.

٤- من بحث «محاولة فهم مآزق أصول الفقه بعد بلوغ تأسيسه الأول الغاية»- أبويعرب المرزوقي- أرسله لي مشكورًا عن طريق البريد الإلكتروني- وهو على حد علمي تحت الطبع في سلسلة حوارات لقرن جديد- دار الفكر.

٥- ورقة قدمها تحت عنوان «نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي» للندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية- مقاصد الشريعة الإسلامية دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق. تحرير: محمد سليم العوا، لندن ٢٠٠٦، وقصد بها التنمية البشرية بمفهومها الشامل.

٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ج: ١، ص: ٧٥.

٧- صحيح مسلم ج: ٤، ص: ١٩٨٦، وصحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ١٤٠٧- ١٩٨٧، الطبعة الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ج: ١، ص: ٣٧.

٨- يوسف القرضاوي، مدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، ١٩٩٦م، ص: ٧٥، أيضًا: ورقة د.عبدالرحمن الكيلاني «القواعد الأصولية والفقهية، وعلاقتها بمقاصد الشريعة الإسلامية» قدمها للندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية- مقاصد الشريعة الإسلامية: دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق تحرير: محمد العوا، لندن ٢٠٠٦.

٩- مثلا: ورقة «بين مقاصد الكلية والنصوص الجزئية» يوسف القرضاوي- مرجع سابق.

١٠- نفسه.

١١- ورقة «نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي»- سيف عبدالفتاح- مرجع سابق.

١٢- ورقة «محاولة في فهم مآزق أصول الفقه بعد بلوغ تأسيسه الأول الغاية»- أبويعرب المرزوقي- مرجع سابق.

١٣- ورقة «نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي»- سيف عبدالفتاح- مرجع سابق.

١٤- انظر: نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص: ٢٦- ٣٥، وفيه تقسيمات متعددة تبعًا لاعتبارات مختلفة.

١٥- مقاصد الشريعة الإسلامية- محمد الطاهر بن عاشور ص ١٨٣- مرجع سابق.

١٦- طرق الكشف عن مقاصد الشارع - نعمان جغيم ص: ٢٨ - مرجع سابق.

١٧- محمد بن محمد الغزالي أبوحامد، المستصفى، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ج:١، ص: ٢٥٨.

١٨- نفسه ص: ٢٦٥.



المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي



عامر أحمد عامر

ثمة صحوة ملحوظة في دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية توازي الصحوة الإسلامية أو تقاربها، حيث أضحى للمقاصد مناهج دراسية، ورسائل علمية أكاديمية، ودراسات وأبحاث، وندوات ومؤتمرات، وأصبح للمقاصد أعلام ومتخصصون كما لكل فن وعلم، وهذا تطور طبيعي لعل من أسبابه ما نحياه من نهضة علمية وتطور على كل الأنحاء.

والحق أن الحادثات والمستجدات تحتاج إلى إعمال لآليات الاجتهاد المستقرة عندنا، التي أرسى دعائمها وشيَّد عمارتها من هيأهم الله تعالى لهذه المهمة، كما تحتاج إلى توسيع لهذه الأوعية لتكون الشريعة أكثر قدرة -بفعل المجتهدين فيها- على الاستيعاب والاحتضان، فمن مقاصد وضع الشريعة دخول المستجدات تحت مظلتها، وهذا ما يمكن أن تساهم فيه المقاصد الجزئية بشكل أو بآخر.

«المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي.. دراسة تأصيلية تطبيقية» كان عنوان رسالة لنيل درجة الدكتوراه تقدم بها الباحث وصفي عاشور أبوزيد ونوقشت أخيرًا في قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وتكونت لجنة المناقشة والحكم من د.محمد قاسم المنسي مشرفا، ود.محمد كمال الدين إمام مناقشا، ود.إبراهيم محمد عبدالرحيم مناقشًا.

وقد جاء البحث في مقدمة وستة فصول وملحق وخاتمة، فأما المقدمة فقد احتوت على الحديث عن أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة حوله، وصعوباته، ومنهجه، ومنهج الباحث فيه، ومصادره، وخطته.

وأما الفصل الأول فحمل عنوان «ماهية المقاصد الجزئية وطبيعتها، واحتوى على مبحثين، الأول: تعريف المقاصد الجزئية والأثر والاستدلال الفقهي والألفاظ ذات الصلة، والثاني: طبيعة المقاصد الجزئية، وجاء في خمسة مطالب: المطلب الأول: مقصد الحكم الجزئي بين الانفراد والتعدد، والمطلب الثاني: مقصد الحكم الجزئي بين الجزئية والكلية، والمطلب الثالث: المقصد الجزئي بين القطعية والظنية والوهمية، والمطلب الرابع: المقصد الجزئي بين الأصلية والتبعية، والمطلب الخامس: طبيعة العلاقة بين مقصد الحكم وعلته.

وأما الفصل الثاني فكان عنوانه: تأصيل العمل بالمقاصد الجزئية، وكان في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: المقاصد الجزئية في القرآن الكريم، والمبحث الثاني: المقاصد الجزئية في السنة النبوية، والمبحث الثالث: العمل بالمقاصد الجزئية عند الصحابة.

وتحدث الفصل الثالث عن نطاق المقاصد الجزئية، وجاء في ثلاثة مباحث أيضًا، المبحث الأول: كلام الأصوليين في مقاصد الأحكام الجزئية جملة وتفصيلاً، والمبحث الثاني: المقاصد الجزئية في العبادات جملة وتفصيلاً، والمبحث الثالث المقاصد الجزئية في غير العبادات جملة وتفصيلاً كذلك.

وجاء الفصل الرابع بعنوان: مسالك الكشف عن المقاصد الجزئية، وكان في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: طرق الكشف عن المقصد الجزئي، والمبحث الثاني: مقارنة بين مسالك الكشف عن العلة والمقصد الجزئي، والمبحث الثالث: المقصد الجزئي: خطورة إثباته وصعوبة تحديده.

وأما الفصل الخامس فكان بعنوان: ضوابط اعتبار المقاصد الجزئية ومدى حجيتها، وجاء في مبحثين: المبحث الأول: ضوابط اعتبار المقاصد الجزئية، والمبحث الثاني: مدى حجية المقاصد الجزئية، وكل من المبحثين تحته مطالب.

وتحت عنوان: وظائف المقاصد الجزئية، كان الفصل السادس في مبحثين: المبحث الأول: الوظائف العامة للمقاصد الجزئية، والمبحث الثاني: الوظائف الخاصة للمقاصد الجزئية، واحتوى الملحق على أمثلة تطبيقية مستقلة تؤكد أهمية المقاصد الجزئية مع أحكامها، شملت كل أبواب الفقه.

ومن أهم النتائج التي انتهتْ إليها الدراسة فيما يتصل بماهية المقاصد الجزئية وطبيعتها أن المقاصد الجزئية هي ما قصده الشرع من مصلحة تُجلب أو مفسدة تُدفع في كل حكم من الأحكام

باحث لغوي وشرعي





الشرعية الجزئية العملية، ويكون له تأثير في توجيه ذلك الحكم، وأن هناك فروقًا بين المقاصد والمصطلحات الأخرى من ناحية، مثل الحكم والعلل والأسرار والمحاسن والأثر، وأن تراثنا الفقهي والأصولي شاع فيه التداخل بين هذه المصطلحات بما لا يدع مجالاً للتمييز بينها، كما أن العلاقة بين العلة والمقصد تكاملية، وطبيعة مقاصد الأحكام الجزئية ليست واحدة، فقد يكون للحكم الفقهي العملي مقصدٌ واحد، وقد يتعدد، قد يكون مقصدًا جزئيًا، وقد يكون كليًا، قد يكون مقصدًا قطعيًا أو ظنيًا أو وهميًا، قد يكون مقصدًا أصليًا وقد يكون تبعيًا، كل هذا تبين من خلال الأمثلة العملية التي ذُكرت في مواضعها.

وفيما يخص تأصيل العمل بالمقاصد الجزئية انتهت إلى أن للقرآن الكريم طبيعة خاصة في المقاصد الجزئية، ليست كما يستخدمها الفقهاء والأصوليون، بل هي في القرآن مقاصد كونية، ومقاصد خَلْقيَّة، ومقاصد عمرانية، ومقاصد حضارية، ومقاصد للحاضر والمستقبل، ومقاصد للأمم والشعوب والجماعات كما هي للأفراد والآحاد سواء، وأن السنة النبوية أصلت لمنهج العمل بالمقاصد الجزئية، فطبقه النبي ﷺ وهو منهج القرآن الكريم، إذ السنة مبينة وشارحة له.

الفقه الإسلامي يحتاج إلى صياغة جديدة .. والمقاصد لم تنل حظها في مجالات الحياة

وفيما يتصل بنطاق المقاصد الجزئية انتهت إلى أن الأصل في الأحكام الشرعية أنها ذات مقاصد وعلل، سواء من ناحية الإجمال أو من ناحية التفصيل، في العبادات أو المعاملات سواء، رغم وجود أحكام كثيرة في العبادات لا نعرف لها مقصدًا، بما لا يقارن بغير العبادات، ولكن ذلك لا ينفي وجود المقصد، وأنه لا تعارض بين تعبدية الأحكام وتوقيفيتها من ناحية، وبين أن تكون ذات مقاصد وعلل من ناحية أخرى، وأن أداء العبادات ليس موقوفًا على معرفة المقصد، لكن له مع العبادات وظائف أخرى، بخلاف غير العبادات؛ فإن الوقوف على مقصدها- أي غير العبادات- قبل التلبس بها أمر مشروع ومحبوب.

وبينت الدراسة أن المقاصد الجزئية تعتمد الاستنباط طريقًا للكشف عن مقصد الحكم الجزئي باعتباره يهتم بالأحكام الشرعية العملية، كلٌّ على حدته، وأن معظم مسالك الكشف عن العلة تصلح آليات للكشف عن المقصد الجزئي، وبعضها أحيانًا يصلح في الدلالة على المقصد، وأحيانًا لا يصلح مثل مسلك النص، وبعضها لا يصلح مطلقًا مثل مسلك الإجماع، سواء في الدلالة أو المسلكية، ولا يلزم من ذلك - بالضرورة - أن يكون ما يتوصل إليه من مناط أو علة من خلال مسالك الكشف عن العلة صالحًا لأن يكون مقصدًا، بل الغالب أن يكون علة لا مقصدًا، إلا في مسلك المناسبة التي هي المصلحة الصالحة - غالبًا - لأنْ تكون مقصدًا للحكم الشرعي الجزئي العملي، وتحديد المقصد الجزئي أمر له خطره، إذ الخطأ فيه يعود على الفقه بالانحراف، وعلى الشريعة بالإبطال، لأن أدلة وأحكامًا كثيرة ستتفرع عنه في الاستنباط، وما بني على خطأ فهو خطأ، كما أن تحديد المقصد الجزئي أمر بالغ الصعوبة، إذ يحتاج إلى متمرس بالشرع الإسلامي، ذي احتكاك بالنصوص ودربة معها.

وذكرت أن المقصد الجزئي لا يكون معتبرًا إلا بضوابط، هي: أن يكون مستقًى من مسالك الكشف عنه، وأن يكون ظاهرًا، وأن يكون منضبطًا، وأن يكون مطردًا، وألا يتعارض مع مقصد مثله أو أعلى منه، وألا يعود الجزئي على الكلي بالإبطال ولا العكس.

وضبط المقصد الجزئي ينتج عنه عدد من الآثار هي إخراج المكلف من داعية هواه، وأن يصبح المقصد مؤثرًا، وحماية المقاصد من التشويه والانحراف، وأن العمل بضوابط المقاصد هو العمل بالمقاصد نفسها، ووضع ميزان للتعامل مع تزاحم المقاصد، وأن العمل بالضوابط يقود إلى التوسط والوسطية.

وقررت أن المقصد الجزئي لا يعتبر حجة إلا إذا ثبت ثبوتًا معتبرًا، على نحو ما يثبت به غيره من القضايا الشرعية، والعبرة بقوة الثبوت ودرجتها في القطع والانضباط والوضوح؛ فإذا ثبت المقصد وسُلِّم به، فإن اعتباره - أي حجيته وتأثيره - يكون شرعًا لازمًا، بل هو العنصر الأساس في كل خطاب شرعي، وفي كل حكم شرعي، وأن شروط العلة لا تعتبر كلها ضوابط لاعتبار المقصد؛ فالمضمون مختلف، والوظيفة مختلفة، ومن ثم لابد أن تختلف الضوابط أو الشروط في العلة عنها في المقاصد الجزئية، والقول بحجية المقصد الجزئي بضوابطه ينتج عنه عدد من الآثار، هي: أن يكون له دوره في التحليل والتحريم، ويكون له أثره في الصحة والفساد والبطلان، ويكون له قوته في حسم الجدل وتقليل الخلاف.

وذكرت أن للمقاصد الجزئية وظائف وآثارًا عامة، منها العمل على بيان خلود الشريعة وعمومها وصلاحيتها، والتسديد في الفقه والفتوى، وتوسيع أوعية الاجتهاد، والتوسط في الاجتهاد والأحكام، والعمل على شرعية المصالح واعتبارها، والعمل على اعتبار الاجتهاد المآلي، وأن للمقاصد الجزئية وظائف وآثارًا خاصة، منها نوط الحكم به، وإجراء القياس به، وإبطال الحيل، وتعيين دلالة النص أو توسيعها، والترجيح عند الاختلاف، والتحكم في سد الذريعة وفتحها، وإزالة التعارض الظاهر بين النصوص، وتقييد إطلاق النص، وإبطال كثير من دعاوى النسخ، وتكوين مقاصد خاصة وكلية وعالية، وتخصيص عموم النص.

وأوصت الدراسة بتناول القرآن الكريم تفسيرًا وتحليلاً في ضوء المقاصد الجزئية، لأنه يحتاج إلى دراسة مفصلة عن المقاصد الجزئية فيه.. طبيعتها، علاماتها، نطاقها، أهميتها، وبيان أثر ذلك كله على الدراسات الفقهية والأصولية، وأن نصوص السنة النبوية في حاجة إلى شرح يهتم بهذا الجانب، ويسلط الأضواء عليه، ويتناول الأحاديث في ضوئه وتحت ظله، وسوف يكون لهذه الدراسة آثار أصولية وفقهية ربما تُحْدث نهضة في مجال الفقه والأصول.

كما أوضحت الرسالة أن الفقه الإسلامي يحتاج بأبوابه جميعًا إلى صياغة جديدة، وتناول بلغة العصر يبين الدليل، ويذكر خلاصة مختصرة للآراء، ثم يجعل المقاصد الجزئية شغله الشاغل وهمه الأكبر في التناول والصياغة، جامعًا بين القيم الحضارية والأخلاقية والمقاصدية وبين الأحكام الفقهية، مبينًا آثار ذلك من ناحية التأصيل والتطبيق، فلا تصح أن تنفصل الأحكام الشرعية عن القيم الإيمانية والمقاصدية، وهذا منهج قرآني فريد.

وتنادي الدراسة بتفعيل الفكر المقاصدي في الحياة العامة، وفي المجالات الحياتية المتعددة، فإذا كانت المقاصد حظيت بقدر لا بأس به من التفعيل في مجالات البحث العلمي، فإنها لم تأخذ مجالها - بعدُ - في مجالات الحياة العامة، وسوف يكون لذلك آثار راقية وحضارية من جهات كثيرة.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الرؤية

الريادة عالميا في العمل الإسلامي

الرسالة

ترسيخ قيام الوسيطية والأخلاق الإسلامية، ونشر الوعي الديني الثقافي، والعناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ورعاية المساجد، وتعزيز الوحدة الوطنية من خلال تنمية الموارد البشرية وفقًا لأفضل الممارسات

القيم

١- الشفافية والمسؤولية
٢- الشراكة
٣- الوسطية
٤- التميز
٥- العمل المؤسسي

الفقر رؤية واقعية .. (العلاج) (٢)

رشيد ناجي الحسن

يعدّ النظام الاقتصادي المعاصر اليوم أحد عناصر العولمة المعاصرة التي فُرضت على العالم منذ تسعينيات القرن العشرين، والتي أوجدت صورة جديدة للفقر. هذا النظام يتبنى نظرية (٢٠-٨٠) وتعني أن ٢٠٪ من سكان العالم يجب أن يكونوا أغنياء بالقوة، و٨٠٪ وهم الباقون يفرض عليهم الفقر. وهذه مع الأسف آخر صورة للفقر تواجهها المجتمعات البشرية، وهي صورة شديدة التعقيد، صعبة العلاج.

المال أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها، وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، والعبد يحتاج المال في شؤون حياته كافة؛ ولذا جعل الشرع للمال حُرمة عظيمة، وأولاه عناية واهتمامًا، لأن الناس مجبُولون على حبه، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾. وجلُّ المال في الاقتصاديات الوضعية قائم على الربا، والجشع والاحتكار، فهو هدف بحد ذاته، والنتيجة: اتساع دائرة الفقر والبطالة، فتكثر الجرائم ويكثر القتل والنهب، وترتفع معدلات الانتحار. أما الإسلام فينظر إلى المال نظرة واقعية على أساس أنه خير وزينة وقوة؛ إذا أخذ بحق وأُنفق بحق، ولم ينقلب إلى فتنة بين أيدينا؛ إذ به قوامنا، وهو مال الله، استخلف عباده فيه لينفقوه فيما أمرهم، بعد أن جعلهم مسؤولين عنه، ومحاسبين على طرق كسبه وطرق إنفاقه. والمال ليس غاية لذاته، وإنما وسيلة من وسائل تبادل قضاء الحوائج.

وقد حث الإسلام على تحصيل المال من الطرق الشرعية كالتجارة والفلاحة والصناعة والحرف والصيد والوظائف، وحرّم بعض الطرق غير الشرعية، كالغش، والرشوة، والربا. كما دعا الإسلام إلى إنفاق المال في طرق الخير، دون إفراط ولا تفريط، ولتحقيق عبادة الإنفاق ذم الإسلام البخل، والإسراف، ودعا إلى الاعتدال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. (الإسراء: ٢٦).

النظرة الإسلامية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي

لا ينظر الإسلام لأفراد المجتمع الإنساني على أنهم وحدات مستقلة بعضها عن بعض، وإنما هم بطبيعة معيشتهم في هذه الحياة وظروف حياتهم فيها وحدات تتبادل المنافع، وتتعاون على قضاء المصالح. من أجل ذلك جاء الإسلام بتشريعات لتحقيق المعيشة الكريمة للفئات المحتاجة، وتلك التشريعات تنقسم إلى قسمين:

- تشريعات تنصّ على الفئات التي تستحق هذا التكافل، وعلى أحكامها.
- تشريعات تصون الموارد المالية التي توفر تحقيق التكافل المعيشي لكل هذه الفئات.

مبدأ الاستخلاف ومعالجة الفقر

مبدأ الاستخلاف يجعل الملكية في الإسلام سواء كانت ملكية خاصة أو عامة تستمد مشروعيتها من تشريعات اللَّه سبحانه وتعالى. وهذا يعطي الغطاء الرقابي لتنفيذ هذه التشريعات، وذلك لأن المخاطب بهذه التشريعات مستخلف على ما في يده، وهذا يوجد نوعًا من الرقابة.

موقف الإسلام من الفقر

يذمُّ الإسلام الفقر ولا يعتبره ظاهرة إيجابية، بل هو مرض اجتماعي يجب معالجته، وقد كان ﷺ يقول دبر كل صلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»، لكن الإسلام في المقابل لا يذم الفقراء ولا يتنكر لهم، بل يمتدحهم في كثير من المواضع والآيات، كما ينظر الإسلام للفقر على أنه ابتلاء من الله عز وجل لعبده المؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

منهج الإسلام في القضاء على الفقر

لا يمكن حصر المنهج الذي يقضي به الإسلام على الفقر في العنصر الاقتصادي وحده، وإنما الإسلام ككل فاعلٌ في ذلك، بعقائده وعباداته وأخلاقه... ، في نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وإذا كان الإسلام يتحدث عن مشكلة الفقر وطرق معالجتها وحلّها، فإنه أيضًا يتقصّى أسبابها ومنشأها ليتجنبها المجتمع، وفي ذلك تحقيق للعلاج الجذري والأساسي.. وقد كان أول ما حاربه الإسلام منذ ولادته المشرقة هي الطبقية والتمييز بين أبناء المجتمع الواحد.

هذا وإن منهج الإسلام في القضاء على

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



الفقر مبنيٌّ على قاعدة: «الوقاية خير من العلاج»، ويكون ذلك بعدة أساليب: صحة العقيدة الاقتصادية، والتخصيص الصحيح للموارد الاقتصادية، وإدارة الاقتصاد بأسلوب التخطيط، ومنهج الأولويات الاقتصادية. هذه الأساليب يوفر الإسلام من خلالها دخلًا لكل قادر على العمل بعمله، وبهذا فإنها تعتبر من الإجراءات التي تمنع ظهور الفقر في المجتمع. وصحة العقيدة الاقتصادية تعتبر الأسلوب الأول لمواجهة الفقر في منهج الإسلام، فبعض الفقراء يرى أن الفقر الواقع عليهم هو قضاء وقدر من الله سبحانه وتعالى لا ينفكُّ عنهم، ويلازمهم طوال حياتهم وهذا الاعتقاد إذا وجد فإنه قد يؤدي بالفقير إلى الاستسلام للفقر الواقع عليه، وعدم معالجته، ولذا لابدّ أولا من إبطال تعلق الفقير بالقضاء والقدر بالمفهوم السلبي عنده، وبالتالي إبطال استسلامه للحالة التي هو عليها من الفقر. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٣٠). قال ابن كثير – رحمه الله: في هذه الآية إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض، الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيُغني من يشاء، ويُفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى، ومن يستحق الفقر... وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا والفقر عقوبة، عياذًا بالله من هذا وهذا، (تفسير ابن كثير، ٥ /٧١).

ولأن خيرات الأرض كثيرة، لذا يجب العمل والسعي والكسب، ولا عذر لأحد في تركه كسلا وإهمالا وخمولا بحجة أن الله كتب عليه الفقر، أو أنه بلا حظّ، فالعمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر وجلب الثروة. وقد شجع رسول الله ﷺ على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات، كما رعى رسول الله ﷺ الغنم، وزاول التجارة قبل بعثته. واشتغل صحابته الكرام بذلك.

كما رهب الإسلام من التسول والاحتيال على الآخرين، ونهى عن التصدق على غير المحتاج.

أمّا إذا ضاقت الدنيا بالمسلم، ولم يجد عملًا، وغدا فقيرًا محتاجًا، فيجب على الأغنياء الموسرين من أقاربه أن يَكْفُلوه، وذلك لما بينهم من الرّحم والقرابة، وقد وصفه الله بأنه حقٌّ من الحقوق الواجبة بين الأقارب، فقال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (الروم: ٣٨)، فإذا عجز الأقارب الأغنياء عن سدِّ حاجة الفقراء؛ جاء دَوْرُ المجتمع ككل، متمَثِّلًا في الزكاة التي فرضها الله للفقراء من أموال الأغنياء. والذين شُرعت الزكاة من أجلهم. وفريضة الزكاة كفيلة – لو نظمت– بأن تحل كثيرا من المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الفقر، وأن تسهم في الحد منه، ومن ثم كان لها تأثيرها الحيوي في إشاعة التكافل. هذا فضلا عن آثارها المعنوية حيث تنفي من المجتمع الأحقاد والبغضاء الناتجة عن انقسام الناس إلى مالكين لا يعبأون بغيرهم، ومحرومين لا يعبأ بهم.

ولسائل أن يسأل: هل شرعت فريضة الزكاة أو روعي في مشروعيتها ألا يبقى في المجتمع المسلم فقير؟ وهل هذه النسبة القليلة كافية لسد حاجات الفقراء في كل الأحوال؟ يجيب عن هذا التساؤل د.عبدالكريم بكار حيث يقول: لا أعرف آية أو حديثًا فهم منه أئمتنا أن الزكاة إذا أديت على أكمل وجه في مجتمع أو إقليم تم القضاء على الفقر فيه. ولا أعتقد أن من يملك درجة متوسطة من الفقه يُقدم على القول بذلك. إن أفضل عصر أديت فيه الزكاة، وكانت الرغبة فيما عند الله في أوجها هو عصر النبي ﷺ، ثم عصر الخلفاء الراشدين. ولم يتم القضاء على الفقر لا في مركز الدولة (المدينة المنورة) ولا في غيرها. وفي أميركا أو أوروبا يدفع المواطن أحيانًا ما يصل إلى ٦٠ أو ٧٠٪ من دخله ضرائب للدولة، أي عشرات أضعاف الزكاة، ومع هذا فإن في تلك المجتمعات فقراء وبائسين كثر. إنني أعتقد أن شعيرة الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي وهذه الشعيرة لا تحقق أغراضها بكفاءة إلا إذا اشتغلت باقي أجزاء النظام مثل: القرض الحسن، والكفارات، وتوفير فرص العمل، و... على نحو جيد. والنظام الاقتصادي هو الآخر جزء من النظام الإسلامي العام، فإذا كان هناك فساد إداري أو سياسي،

أو كان هناك ظلم اجتماعي فادح، أو تحلل أخلاقي؛ فإن النظام الاقتصادي لا يعمل بالكفاءة المنشودة. ومع كل هذا فإن الأعمال الخيرية لا تشكل متن الكفاية المعيشية لأحد، وإنما هي عبارة عن كرّة أخرى من أجل تلافي قصور النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في توزيع العدالة. إنها تساعد النظم المعمول بها، وتسد فجواتها لكنها لا تكون أبدًا بديلة عنها. وإذا ما عجزت الزكاة عن سدِّ حاجة الفقراء والمحتاجين فإن الخزانة العامّة للدولة المسلمة بمواردها كافّة تكون هي الحلّ لمعالجة مشكلة الفقر والبطالة، وخير شاهد على ذلك من سيرة رسول الله ﷺ ما كان يفعله مع أهل الصُّفّة. ذلك أن الشرع قد جعل للدولة سلطة جباية أموال دائمة حتى تقوم بما أوجبه الله عليها، كالخراج والجزية. أما إن لم يوجد في بيت المال مال، سواء في قسم الزكاة أو الأقسام الأخرى، فيجب على الدولة أن تفرض- بالشروط المعتبرة الشرعية- ضريبة على أموال الأغنياء وتحصلها لتنفق على الفقراء والمساكين منها، قال عمر رضي الله عنه: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقرائهم»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «في مالك حقٌ سوى الزكاة». (سنده صحيح). وأما حديث: «إن في المال حقا سوى الزكاة» فهو حديث ضعيف. فإن خشيت الدولة حدوث ضرر استدانت، لأن كفاية الفقراء والمساكين واجب على الأمة. وإذا بقي في المجتمع محتاج لا يستطيع العمل؛ وجب على المجتمع كله أن يُخرِج الصدقات ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وهذه مزيّة تميّز بها الإسلام عن غيره من المعالَجات البشريّة للمشكلة.

مسؤولية الدولة في معالجة الفقر

إذا كان الإسلام قد أولى عناية كبيرة لوسائل التكافل الفردية، فإنه لم يكتف بها، بل أقام إلى جانبها الوسائل العامة التي جعلها من مسؤولية الدولة وواجباتها الاجتماعية، وإضافة لما ذكر فإن من واجبات الدولة في معالجة الفقر:

تأمين موارد المال العام وذلك باستثمار المحيط الطبيعي للدولة، وما ينطوي عليه من ثروات باستخراج معادن الأرض وكنوز البحار، وكافة الثروات التي أودعها الله في الكون.

إيجاد فرص عمل للقادرين عليه وذلك بالبحث عن أفضل الحلول لمواجهة البطالة، وإقامة المشاريع البناءة التي تساهم في النهضة العامة، وتوفر في ذات الوقت فرص العمل للأيدي العاطلة بعدالة تامة.

تنظيم وسائل التكافل الفردي فالدولة مسؤولة عن تنظيم الوسائل الفردية للتكافل، وخاصة الزكاة والوقف، وذلك بإقامة السياسات اللازمة لتحقيق أهداف تلك الوسائل المتمثلة في القضاء على الفقر وتقريب الهوة الاجتماعية بين الموسرين والمحرومين، وإيجاد الضمانات اللازمة لتحقيق ذلك.

التعاون بين الأقطار الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

وفي هذا الخصوص أود أن أشير إلى أن الكويت ومن خلال الصندوق الكويتي تقدم مساعداتها للدول العربية والدول النامية الأخرى للإسهام في تمويل استثماراتهم في قطاعات مختلفة، وقد أقام الصندوق الكويتي في ٢٢/٠٢/٢٠١٢ احتفالية بمناسبة مرور نصف قرن على إنشائه، عكست مسيرة الصندوق واستعرضت إنجازاته على مدى خمسة العقود الماضية، فحتى نهاية ديسمبر ٢٠١١ قدم الصندوق قروضا ميسرة بقيمة نحو ١٥. ٥ مليار دولار استفادت منها ١٠٢ دولة، من بينها ١٦ دولة عربية، و٤٠ دولة إفريقية، ١٩ في منطقة شرق وجنوب آسيا والمحيط الهادي، و١٦ في آسيا الوسطى وأوروبا، و١١ دولة في أميركا اللاتينية والبحر الكاريبي. إلى ذلك قدم الصندوق الكويتي مساعدات فنية ومنحًا وهبات يزيد إجماليها على ٢٢٨ مليون دولار، وجهت لتمويل أنشطة مهمة تدعم جهود التنمية بصفة عامة. وقد كان الهدف من كل ذلك تخفيض نسبة الفقر إلى الحد الممكن.

مسؤولية ولي الأمر في معالجة الفقر

اتفق الفقهاء على أن وظيفة ولي الأمر في المال العام وظيفة النائب، وهي فرع وظيفته العامة على شؤون المسلمين، قال ابن تيمية في السياسة الشرعية (ص ٤٠): وليس لولاة الأمور أن يقسموها (أموال بيت المال) بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما هم أمناء ونواب.. ليسوا ملاكًا. وهذا يعني أن ولي الأمر حين يتصرف في المال العام فإنه لا يتصرف فيه بالأصالة، وإنما بالنيابة، أو الوكالة. ولأن الزراعة والتجارة والصناعة هي عماد الاقتصاد لكل أمة فقد كان من الضروري العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للأمة هدفها الذي يوجبه الإسلام عليها والذي يجب أن تحصل عليه وتحتفظ به، وتنميه، صونا لكيانها واستقلالها. وقد علّمنا تاريخ الاحتلال أن أهم أسبابه وأول نافذة يتسلل منها إلى الأمة هو نقص الأجهزة التي تحقق للأمة كفايتها من هذه العُمُد الثلاثة. من هنا كانت المسؤولية على ولي الأمر أن يعمل جهده ليحقق للأمة المسلمة الانتفاع بها كلها، وأن يعمل على تنسيقها بحيث لا يترك الأموال تتجه إلى تركيز عنصر واحد دون سواه. ولو اضطره الأمر مثلا إلى تحويل بعض الأراضي الزراعية إلى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد. ولا يعتبر هذا التنسيق تقييدا للحرية في الملكية وإنما

هو توجيه تستدعيه حاجة البلاد يمكنها من حريتها الحقة الكاملة.

من هنا أجمع الفقهاء على أنه لولي الأمر أن ينتزع أية ملكية لتوسيع مسجد مثلا مع أن الأرض كلها مسجد، كما أن له ذلك لتوسيع شارع أو نحوه من المصالح العامة، وذلك لإتاحة فرصة الحياة الكريمة للأفراد والجماعة على حد سواء. ومن بلادة الحسِّ أن بعض الأغنياء يسمع هذا الكلام فلا يظن نفسه المخاطب به، فيشارك في النقد، ويسرف في الإنكار، ويلح في الطلب، لأن الحكومة في رأيه يجب أن تلبي كل نداء، وأن تؤدي كل واجب. والحكومة لو درى هذا المتواكل الفدم لا تتسع مواردها لكل رغبة، فإنها لم تجبِ منه ومن أمثاله إلا حق العمارة والأمن، أما حق الله عنده فقد وكلت أداءه إلى ضميره، يعطيه متى يشاء وكيف يشاء، ولكن الضمائر نامت على هدهدة الشهوات، والعواطف قست على جفاف المادة، وبين غفوة الضمير وقسوة العاطفة ذهب وازع الدين فلم يبق إلا وازع السلطان. «فهل يفكر أولو الأمر أن يعالجوا الفقر بما عالجه الله به فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان؟ إنهم إن فعلوا ذلك فلن يجدوا في البيوت عائلًا، ولا في الطريق سائلًا، ولا في السجون قاتلًا، ولا في المواخير ساقطة».

وفيما يلي علاجات أخرى للحد من ظاهرة الفقر

– تصحيح الخلل الفظيع في توزيع الثروة الوطنية، وتحمل النخبة الثرية مسؤوليتها في تنمية مجتمعاتها، بتشغيل رؤوس الأموال في بلدانها عوض توظيفها في الخارج.

– الاستثمار في قطاعات مختلفة كالتعليم والصحة والمياه والصرف الصحي والزراعة، من الأهمية بمكان وضع آليات لجذب الاستثمارات العربية الموجودة في الخارج لإعادة توطينها داخل العالم العربي والإسلامي، وإذا نجحنا في ذلك

تأمين الموارد وفرص العمل وتنظيم وسائل التكافل الفردي والتعاون بين الأقطار الإسلامية... بعض الوسائل

فسوف نجد داخل البلدان الإسلامية وفرة مالية كبيرة ستسمح بإيجاد فرص عمل متعددة، ستسهم في حل أزمة الفقر بإذن الله. وخسائر الأموال العربية في الخارج من جراء الأزمة المالية العالمية بلغت طبقًا لتقدير جامعة الدول العربية ٢٤٠٠ مليار دولار.

– محاولة القضاء على التبعية الاقتصادية من طرف الدول العربية والإسلامية، للدول المتقدمة.

– تطوير منتجات إسلامية متوافقة مع أحكام الشريعة، كي تلبي احتياجات طالبي القروض لإقامة المشروعات الصغيرة والكبيرة، ولتمكنهم من إيجاد فرص عمل لهم ولغيرهم، ومن ثم تحسين مستوى معيشتهم، والحد من الفقر والبطالة. خاصة في صفوف الشباب، وتساعدهم على الاعتماد على الذات من خلال العمليات المصرفية، وتقديم القروض والتسهيلات والخدمات للفقراء، وطالبي العمل.

– فتح الأسواق العربية المشتركة وزيادة التبادل التجاري، والبدء بإنتاج السلع الإنتاجية ونصف المصنعة والسلع الصناعية، أو إنتاج البدائل الصناعية بالتعاون مع بقية الأقطار لغرض ترصين الاقتصاد العربي والتعاون العربي المشترك.

– تشجيع الصادرات العربية والإسلامية، الأمر الذي يساهم في زيادة حجم العمالة والعوائد النقدية.

– دعم وتفعيل دور الصناديق الاجتماعية المتخصصة، التي تهدف إلى معالجة الفقر بين الأفراد وتأهيل الأسر الفقيرة بتمهيد السبل أمامها للمساهمة في العملية الإنتاجية، بالاعتماد على قوتها الذاتية، من خلال توفير التمويل للمشاريع الإنتاجية الصغيرة الكثيفة العمال، والمدرة للدخل وتحويل طالبي الوظائف إلى أصحاب العمل.

– التوسع في برامج التدريب المهني الهادفة إلى تأهيل القوى العاملة، وتمكينها من إشغال فرص العمل المتاحة، وخاصة في الأنشطة الاقتصادية التي يمكن أن تستقطب المزيد من القوى العاملة، وتعزيز دور مؤسسات التدريب المهني، وزيادة عدد مراكزها لرفع قدرتها على تأهيل القوى العاملة، وزيادة كفاءتها وإنتاجيتها لتتلاءم مع متطلبات سوق العمل، وتمكنها من إشغال فرص العمل المتاحة.

– تنمية الأنشطة الزراعية: باستصلاح الأراضي، والري، والمواشي، إضافة إلى توزيع الأراضي ذات الملكية العامة على الكفاءات المحلية، بنظام التأجير الميسر.

– ضرورة توفير قاعدة معلومات وبيانات وافية عن سوق العمل، وعن حجم مشكلتي الفقر والبطالة، وتوزيعهما، وخصائص الفقراء والعاطلين عن العمل بما يخفف وطأة المعضلة الاجتماعية والاقتصادية.

– جعل النظام الضرائبي أكثر رفقة بالعمالة، من خلال تقليل عبء الضريبة على العمال، وإصدار تشريعات منصفة للفقراء.

– ضرورة وضع قيود على الاستثمارات الأجنبية المسموح لها في الأقطار العربية، وهي أسواق الأسهم، والسندات والعملات، ولاسيما في حالة تقديم جهد فعلي، أو تحقيق استثمار حقيقي داخل الأقطار العربية.

- إحياء ثقافة الوقف داخل المجتمعات الإسلامية، مع تشجيع وتحفيز رجال الأعمال على عمل وقفيات يعود ريعها على الفقراء. ووضع تصورات منهجية لإدارة الأوقاف من أجل تحقيق الاستفادة المثلى في الأعمال الخيرية، والإنفاق على الفقراء.
- العمل على إدماج الفقراء في سوق العمل، لتحويلهم من مجرد متلقِّين للمساعدة إلى ساعين على الرزق بالعمل، وهذا يمكن تيسيره عن طريق القروض الحسنة التي تقدمها المؤسسات الخيرية لمشروعات اقتصادية.

وفيما يلي بعض التوصيات المهمة للحد من ظاهرة الفقر.

- لأن أسباب الفقر ليست متشابهة في كل قطر، لذا يجب التطرق في المرحلة الأولى لكل قطر على حدة، ثم بعد ذلك يتم تبنّي أفكار موحدة من خلال استخلاص النتائج.
- توفير المناخ المناسب من أجل الاستثمار، وتخصيص بعض الاستثمارات للمشروعات التي تهم الفقراء مثل مشروعات الضروريات والحاجيات، حتى تحقق الأمن الغذائي لهم. وتنظيم الدور الاجتماعي لرجال الأعمال، وتعميق مفهوم التوازن بين المصلحة العامة والخاصة.
- تطبيق سياسات تحقيق الأمن والأمان للعامل ولصاحب المال؛ لأن اليد الخائفة لا تعمل.
- تدعيم المشاريع الصغيرة، وما يترتب عنها من وسائل مرتبطة.
- توفير الخدمات الأساسية مثل الصحة والتغذية والتعليم والسكن، وذلك لتنمية مستوى حياة الأفراد.
- توفير القروض الصغيرة، وتسهيل الإجراءات الخاصة بالحصول على هذه القروض.
- الاستفادة من التجارب الرائدة في مجال مكافحة الفقر.
- تنفيذ سياسات للمساءلة، والاستجابة للمنتفعين، والمراقبة ومكافحة الفساد.
- الدعم السياسي للعمل العام الموجه نحو مكافحة الفقر، وتيسير إنشاء جمعيات الفقراء.
- إعفاء المشروعات ذات العلاقة بضروريات وحاجات الفقراء من بعض الضرائب والرسوم، وذلك لتخفيض أسعارها عليهم.
- دعم مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة بنظم التكافل الاجتماعي، وتشغيل العاطلين، ومن وسائل ذلك: الدعم المالي والعيني والإعلامي لها.
- التوسع في نظام تمويل المشروعات الصغيرة والمتناهية في الصغر ليس بنظام الفوائد الربوية، ولكن بنظام: المشاركة المنتهية بالتمليك، ونظام الإجارة المنتهية بالتمليك، ونظام البيع الآجل بهامش ربح قليل، وذلك بهدف خلق فرص عمل للفقراء.
- أشار الفقيه الكبير أبويوسف - رحمه الله - إلى جواز إقراض المحتاج من بيت المال كما نقل عنه الفقيه ابن عابدين، حيث قال: «يدفع للعاجز - أي العاجز عن زراعة أرضه الخراجية لفقره - كفايته من بيت المال قرضا ليعمل ويستغل أرضه».

وختاما فإن القضاء على الفقر ضرورة عقائدية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية لسلامة المجتمعات والأمم. وهي مهمة لا تقع على عاتق الدولة وحدها، بل لابدّ أن تكون هناك نية وعزيمة من طرف المجتمع نفسه. والفقر - رغم توافر الموارد- سيبقى، وتلك سنة الله في خلقه، لأن الله- تعالى- جعل الحاجة والعوز ونقص الأموال أداة ابتلاء واختبار لعباده، وسوف تستمر هذه الأداة إلى أن تنتهي حياة البشر على هذه الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥). هذا وإن عقيدة المسلم يجب أن تقوم على أساس أن الموارد التي خلقها الله تعالى في الأرض تكفي للبشر، ولكن سوء الاستغلال والإنتاج وسوء التوزيع، والظلم بمعناه الشامل هو السبب في وجود مشكلة الفقر، الإفراط والتفريط، القصور والتقصير.

بين الفقر وبين الكفر
جناسٌ في المبنى والمعنى
وجناسٌ في قتل الإحساسْ

يا فقراء العالم:

الأرض حَنونٌ كالأمّ
ومثقلةٌ بالخيرات
ولكن العيبَ هنا
في سوء القسمة
في جشع الناسِ

أهم المراجع

- المحلى، ابن حزم.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور.
- عالم بلا فقر، رفعت السيد العوضي، مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف، قطر.
- التأصيل الإسلامي لعلاج الفقر، عبدالرحمن الجبرين.
- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د.يوسف القرضاوي.
- الإسلام والتكافل الاجتماعي، محمود شلتوت.
- اشتراكية الإسلام، الدكتور مصطفى السباعي.
- مشكلة الفقر وكيفية علاجها من منظور إسلامي، د.علي محيي الدين القره داغي.
- علاج رسول الله ﷺ لمشكلة الفقر والبطالة، د.راغب السرجاني.
- منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج مشكلة الفقر، د.حسين حسين شحاتة.
- الفقر.. أسبابه وعلاجه، سعد بن محمد العبيد.
- خمسة وعشرون مقترحًا للحد من ظاهرة الفقر في العالم الإسلامي، الهيثم زعفان.
- التخلص من الفقر.. نصائح وتجارب، زيد بن محمد الرماني.
- العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، عبدالحميد براهيمي.

معالم المنهج الإسلامي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

د. ماهر رمضان صالح

لا يغيب عن وعي المنشغلين بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الحال التي وصلت إليها اليوم من إعراض عنها، وضعف شأنها بين الأمم، حتى تجرأ عدوها ينادي لإسقاطها من قائمة اللغات العالمية بحجة عدم استعمالها في المنتديات والمؤتمرات الدولية، وقلة جدوى الانشغال بها، حتى في أمتها، فصار حالها قوة لغيرها، وقد انحسر وجودها الفاعل عالميًا! ومما يزيد في العجب أنهم لم ينسبوا حالها إلا إليها هي، ومن ثم فهي، في نظرهم، لغة صعبة التعلم، مستحيلة التعليم، لا ترقى إلى مستوى عالمي، ولولا أن تاريخ الحضارة العالمية يحوج إليها لما نظر إليها أحد، وبناء عليه فقد وجب التخلص منها.

هذه هي الحال الواقعة والظاهرة التي تستدعي من كل منصف القيام لرد اعتبار هذه اللغة التي تعيش غربة قطع من الليل مظلمًا، حتى بين حملة عرشها، وحماة صرحها، ولله أمرها، يتولى إصلاحها، وإن هذا لفساد نكير، قد لزم إصلاحه، وأول الإصلاح إنما يكون بالنظر إلى ثلاثية لا تنفك عن حال أية لغة.. خصائص علم، ومتعلم، ومعلم، وهي أهم عناصر المنهج التعليمي.

إن التخبط والاضطراب والتعجل والعشوائية والقصور والإفراط والتفريط والنقص والسطحية والترقيع، وفقدان عوامل القوة..كل ذلك ونحوه مما يعتور تعليم العربية اليوم، ويدل على أن تعليمها ليس بمنهج مستقيم، والأثر يدل على المسير.

نعم إنني لا أنكر عسر العربية بسبب قوتها وصرامتها واتساعها ومحكمها ومتشابهها، وتداخل أبوابها، وتصرفاتها الأسلوبية كالحذف والتقديم والتأخير، وتمسكها بالفروق اللغوية، وتشعب مسائلها، وكثرة مؤلفاتها، واختلاف علمائها، وكونها فريضة للدين، مما يصرف الناس عن أثقالها، ويلجئهم لترجمتها. لكن عسرها أمر أراده الله، لتكون ميدان عبادة وجهاد وصبر، كالتكاليف الشرعية.

وبالنظر إلى خارطة تعليمها في العالم، يتحتم عليَّ تشخيص الداء، ووصفه بالوبيل، جاعلًا همي صنعة الدواء، ونعته بالمنهج الأصيل، أحببه وأزينه للاتجاهات التعليمية الحديثة أن تفكر فيه، وتسعى إليه في تجارب صادقة فستجني منه خيرًا كثيرًا.

والمنهج هو العلم الضابط للعمل، وبقدر فرضية العمل تكون فرضية المنهج، فلا يقبل أحدهما إلا بالآخر، ولعل هذا المعنى يبدو من قوله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾، فالشرعة هي العمل، والمنهاج هو تيسيره، والبعد عنه عنت وتكلف، فالله فرض الاثنين معًا، وبهذا تظهر أهمية المنهج في صلته بالعربية، فلا يحق أن تفصل عن منهجها الشرعي الذي ينبثق من المصدر الذي خرجت منه العربية، الخبير بمداخلها ومخارجها وشعابها، فلا تخفى عليه منها ذرة في المجرة، جمع مادتها وفحصها ورتبها واستنبط قواعدها، حتى صارت علمًا مستقيمًا، لا يعزب عنه شاردة ولا واردة، لايضل السبيل، ولا التعليل ولا الدليل ولا التأويل.

فهو الطريق البين الذي انتهجه دين الله للعجم في الفتوحات وحقق به نتائج واقعية فائقة النجاح في الكفايات اللغوية، واقتصادية التعليم، ومتعة التعلم، ونفع الإنسانية.

إن هذا المنهج يتغيا تيسير تعليم العربية ملتزمًا بالوفاء التام حتى تكون ملكة قادرة على الفهم والتفهيم متخذًا التيسير عدته دون أن ينكر العسر، ودون أن يهرب من التبعة، انطلاقًا من قاعدة ﴿فإن مع العسر يسرًا﴾.

ولقد ارتبطت اللغة العربية في كل شيء بدين الله، واصطبغت بصبغته، والتصقت بسيرته، فكانت منه وله وبه، ودارت معه حيث دار، فلا تفارقه أبد الآبدين، فخصائصه خصائصها، وقوته قوتها، فهي صورة من صوره، وسورة من سوره، وآية من آياته، وسلاح من أسلحته، فنجاحه نجاحها، فلا يفهمها إلا من فهمه، ولايفهمه إلا من فهمها، فهو أصلها وهي فرع من دوحته، خرجت من مشكاته النيّرة، فلا تصلح إلا لمن أخذها بقوة من جميع جوانبها، بصبر جميل، ولا يسلس قيادها إلا لمن صفت مشاربه، وزكت نفسه، وصحت عزيمته، وكبرت همته، وعلت بصيرته.

ولما كانت اللغة أداة التواصل الأمثل بين الناس، في الدين والدنيا والآخرة، ولما كان للعربية الجواذب الدافعة لتعلمها، ولما كان تعلمها كثيرًا ما يسبقه تعلم غيرها لأسباب تمثل صعوبات بالغة تزهد أو تقلل أوتعرقل تعلمها، عندئذ يكون الحمل ثقيلًا، والعسر شديدًا، وهذا ما يقوم المنهج الإسلامي بتيسيره، وتذليل صعابه، فإن نجح مع هذا النوع من المتعلمين كان مع غيره أنجح.

فليس عجبًا أن يصبح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها علمًا تكثر شعابه، وتتداخل فيه علوم، تقوم على متابعة ميدانه الفسيح لتحدد قضاياه، وتحصي مسائله، وتبين مساره، وتعلن عن أهدافه، وتجلي مقاصده،

دكتوراه في تعليم اللغة العربية للعجم

وتخط وسائله، وتظهر معالمه، وتكشف غاياته، وتحلل نتائجه، وتفسر غوامضه، وتزيل مبهمه، وتؤرخ لأعلامه، وتحقق أموره، وتكتب مستوياته، وتعلي صرحه، وتباهي بخصائصه، وتحمي حقيقته، وتجاهد أعداءه، وترصد حربهم، وتدفع زحفهم، فصار له مقاصد علمية في التأليف.

ومن اللازم هنا ذكر جملة من خصائص هذا العلم، للإيمان به وله، وتحديد المقاصد والأهداف والغايات والوسائل العلمية، لأن المنهج يمثل حجر الزاوية، حراسة للعربية من مناهج مضللة.

ولا بد أن يكون لهذا الدين منهجه القيّم، في إعداد هذه اللغة للتعليم، ودفع المعلم والمتعلم، وتوجيه الأمة لرعاية مقاصده من تعليمها، والقيام على خدمة هذا الميدان لتلبية حاجاته، والاستعداد لحل مشكلاته إلى يوم الدين، ولا يتسع المقام إلا لموجز عن معالم هذا الطريق، ومنهجه في حل مشكلاته، وأسلوبه في اقتحام عقباته الميدانية في البيئات العجمية:

١- العربية الحقة وحي وتوقيف

ليضمن لغة نقية قوية، فوجب أن تكون دينًا في مادتها العلمية والتعليمية، وفي هذا يقول ابن القيم: «إن القرآن نقل إعرابه كما نقلت ألفاظه ومعانيه، لا فرق في ذلك كله فألفاظه متواترة، وإعرابه متواتر، ونقل معانيه أظهر من نقل ألفاظه، وإعرابه فإن القرآن لغته ونحوه وتصريفه ومعانيه، كلها منقول بالتواتر، لا يحتاج في ذلك إلى نقل غيره، بل نقل ذلك كله بالتواتر أصح من نقل كل لغة نقلها ناقل على وجه الأرض، وقواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها، فهو الحجة لها والشاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد من غيره حتى إن فيه من قواعد الإعراب وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابط النحاة وأهل علم المعاني إلى الآن» (والشوكاني يقول مؤكدًا: «والحق أن جميعها منقول بطريق التواتر».

٢- العربية آلة الدين

لأنها أقدر وسائل البيان تعبيرًا، ومن ثم فهي ملكة مكتسبة، لاستعمال الطاقة التي خلقت في الإنسان، فقام علماء العربية بتوفير أمهات الكتب التعليمية الزاخرة، التي تمثل تجارب تعليمية حقيقية في بيئات عجمية نجحت لتكون مثالًا يحتذى، وأسوة تقتدى، حتى كأن كل بيئة في الشرق الإسلامي أو الغرب تحملت أن تثبت قدرتها في تعليم العربية، مع الاتصال بأخواتها، بل ومنافستها، واعتبروا قواعد العلوم الثلاثة في مجملها هي النحو بمفهومه الشامل عند الكلام معنى ومبنى، فالنحو هو النهج العلمي الذي يقابله اللحن.

قال الرافعي: «واللغة لا تخلق على لسان أحد، بل لابد من التقليد والمحاكاة» .

ويحل ابن خلدون عقدة كبرى في الميدان فيقول: «إذا سبقت العجمة إلى اللسان قعدت بصاحبها عن تحصيل العلوم باللسان العربي، والسر أن مباحث العلوم إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية، فالعلوم الشرعية أكثر مباحثها في الألفاظ، وموادها الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ولغاتها المؤدية لها، وكلها في الخيال، والعلوم العقلية كلها في الذهن».

ثم يتوجه بالنصح إلى المعلم: «وينبغي ألا يطول التعليم في الفن الواحد بتفريق المجالس، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن، فيعسر حصول الملكة، لأن الملكات تحصل بتتابع العمل وتكرار» .

فابن خلدون يصطفي الكتاب التعليمي الأنسب ليخفف عبء كثرة المؤلفات، ويضع خطة دقيقة لمراحل تعليم اللغة: «وقبل تعلم المنطق لابد من تعلم دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة، ثم دلالة الألفاظ على المعاني المطلوبة، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال بقوالبها المعروفة في صناعة المنطق، ثم تلك المعاني مجردة في الفكر وهي أشراك يقتنص بها المطلوب، وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة، بل ربما وقف الذهن في حجب الألفاظ أو عثر في أشراك الأدلة، وقعد عن تحصل المطلوب، فإذا حصل المطلوب فليراجَع إلى قوالب الأدلة لإفراغه فيها، وتوفيته حقه من القانون الصناعي، ثم كسوته بالألفاظ وإبرازه إلى عالم الخطاب» .

٣- شبهة ترجمة لسان الدين مسلك غير شرعي

للأسف، قد ساد مسلك الترجمة، على أنها قضية قضي فيها الأمر، وليست محل خلاف، فكتب المفسرين تصرح بأن ترجمة القرآن إلى الألسنة المختلفة هي الحل الذي يفهم من كلام الله، وهي الحل الذي يستطيعه العجم، ويستطيعه العرب، ويحقق التعارف بين الناس على اختلاف ألسنتهم، ومن ثم فليس لأحد من الباحثين أن يفتح ملف ترجمة الدين، لأنه ليس بحثًا علميًّا يخضع لإعادة النظر، فقد قال الدين فيه قولته، وسار عليها جمهور العلماء، وكأنه إنما صار مسلمة دينية وأمرًا مستقرًّا نفض منه الباحثون أيديهم! لكن لا بد من إعادة النظر فيها إنصافًا للحق.

٤- تعلمها فريضة واجبة.. بلا إكراه

قال ياقوت الحموي: «روى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: «لعلم العربية هو الدين بعينه»، فبلغ ذلك عبدالله بن المبارك، فقال: صدق لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك، قال الله تعالى: «أنا ولَدتُّك من مريم، وأنت نَبيي»، فحسبوه يقول: «أنا ولَّدْتُك وأنت بُنَيِّي»، فبتخفيف اللام وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة كفروا» .

ومما يدل على الحرية في تعلمها ما أورده «دوزى» في كتابه عن الإسلام الأندلسي رسالة للكاتب الأسباني «الفارو» الذي حزن أشد الحزن لما أصاب لغة اللاتين والإغريق من إهمال وازدراء بسبب الإقبال على لغة المسلمين، وهو دليل يشهد أيضًا بنجاح المنهج الإسلامي في تعليمها الناطقين بغيرها.

٥- ربط كيان الأمة الواحدة بلسان واحد

لم يكن الإسلام بدعًا من غيره عندما، قرر أن يكون له لسان واحد مصطفى على غيره ليجمع عليه أمته الواحدة لتوحيد لسانها في تاريخها كله في الدنيا والآخرة، وقد رأينا أممًا كبرى لا تنفك عن محاولة ربط كيان الأمة الواحدة بلسان واحد كالاتحاد السوفيتي، والاتحاد الأوروبي، ولقد

اصطفى الله للناس دينًا واحدًا، ليكونوا أمة واحدة في عبادته، ولزم لتوحيدهم لسان مصطفى يمكن جمعهم عليه، فلزم كونه علمًا ذا منهج مصطفى، لتيسير تعلمه وتعليمه للتواصل والترابط مع ربهم وكتابهم وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، ولاصطفائه الدين اصطفى له رسوله، واصطفى لرسوله اللسان العربي المبين، وأراد الله، تعالى أن يجعل عباده الصالحين أمة واحدة، على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم، وتعدد أماكنهم.

٦- دراسة المعنى

على اعتبار أنه الأصل، والمبنى وسيلته والفرع الدال عليه، فحيثما استهدف بيان المعنى فثم وجه المنهج الإسلامي.

٧- دراسة اللغة أفقيًا ورأسيًا

بجمع الأشباه والنظائر، ولايصلح البدء بكتب الرأسي قبل الأفقي، حتى لا يحدث خلل في العملية التعليمية.

٨- المحكم والمتشابه في مقابل المعرب والمبني

رغبة في صبغ هذا اللسان بصبغة دينه الذي يقوم به، وجعل مساحة عقلية ومباراة فقهية للتنافس الشريف.

٩- علم منضبط

في أسسه، وقواعده، وأصوله، ووقف موقفًا علميًا من الشواذ.

١٠- يسر تعليمها بتخفيف الثقيل بوسائل شرعية

كالإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف، مع أمن اللبس، ووضوح المعنى، حتى صار في ذلك مضمار تنافس في الإدراك العقلي للأصل والفرع، وإعلامًا بفضل التيسير بعد العلم بصعوبة وثقل العسير، أي إن دراسة المفردات يصحبها تيسير ما يبدو من ثقل أولاً بأول، بما يحدث للمتعلم، وإن حرصه على التيسير لا يقف عند حد، ومن ثم فبغيته «أيسر التيسير إلى يوم الدين» .

١١- تعليم المفردات

ببيان تقارب الجذور معنى ومبنى نحو «علم» و«عمل»، والترادف والتضاد ليكون استعمال اللغة دقيق الدلالة .

التخبط والاضطرابات.. التعجل والعشوائية.. القصور والإفراط .. السطحية والترقيع .. هذه هي الأدواء وهكذا يكون العلاج!

١٢-أغنى الميدان بحوائجه

باجتهاد الرأي، واستخارات الله، وبيان الدليل، وكشف التعليل، وتأويل التشابه، وفض النزاع، وترجيح الصحيح، والإنصاف والانتصاف، والإعلان عن الفصيح والأفصح، والمستعمل والمهمل، وضمان حرية الرأي، وهذا يؤلف القلوب ولا ينفرها من تعليم اللغة، دون أن يخل بشيء من ثوابتها، أو يعطل شيئًا من قدرات العقل. ثم الوصول إلى خبايا اللغة والوقوف على أسرارها، فكانت الحركة قصيرة وطويلة، وكان للعلامة الإعرابية خصائص اليسر والبساطة، قصدًا لبيان المعنى، فكان للرفع دلالة القوة واليقين، وللنصب الشرط والتعليق، وللجر التبعية والترابط، وللسكون النفي والجزم.

١٣- تعليم العربية ثلاثة مستويات

لا يتقدم ولا يتأخر ولا يحذف منها شيء، هي الحروف والتصريف والتأليف، وربطها في نسيج تعليمي واحد.. تعليم الحروف وأصواتها: كتابة وقراءة، وصلا ووقفًا، أصلًا وفرعًا، إفرادًا وتركيبًا، حقًا ومستحقًا، المفردات الدالة على معنى مستقل يصلح بناؤه في شيء مفيد، ببيان المعنى والمبنى لمقتضى الحال، تعليم قواعد الكلمة والكلم والكلام المفيد إنشاء ونقدًا، بمقاييس علمية تربط الكلام بمقتضاه لتظهر بلاغة المعنى، وفصاحة المبنى، وتجمع بين الإقناع والامتاع.

١٤- مكانة معلم ومتعلم العربية

لأنهما عابدان، مجاهدان، مأجوران، مقدمان، حافظان لحقائق الدين.

١٥- حرس الميدان من الفشل الإداري وإفساده.

١٦- الحث على التخصص والتواصل الحضاري والإفادة من المناهج التعليمية.

١٧-اتخاذ النصوص اللغوية الشرعية المعتبرة دليلًا

لتكون قياسًا لغيرها، وحكمًا على ما سواها، ومثالًا يحتذى، وحصنًا من عاديات تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وبهذا قد توافرت حراسته لتمييز العربية الحقة من الزيف الدخيل.

١٨- قواعد العربية استنباطية اجتهادية

قال أبوالقاسم الزجاجي: «وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد- رحمه الله- سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعلت هذا هكذا لعلة كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها» .

قلت: وقرأت في رواية أخرى مخاطبًا غيره: «فأنت خليل نفسك»، فنفهم أن علم العربية قائم على صحة استنباط العقل، وأن التعليل علم لا تهاون فيه لأن العقل مضطر إليه.

الطب النبوي بين الوحي والاجتهاد

د. محمود مهدي محمود

الأنبياء معصومون من الكذب قبل النبوة وبعدها، ورسول الله ﷺ كان يلقَّب قبل مبعثه بالصادق الأمين، فقد عُصم من كل ما يحطُّ من قدْره، فنشأ متحليًا بمكارم الأخلاق، وحين أمره ربه أن يَصْدعَ بالدعوة ويُنْذرَ عشيرتَه الأقربين خرج حتى صعدَ الصفا فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا؟. فاجتمعوا إليه، فقال لهم: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من صفح هذا الجبل (١) أكنتم مصدقيّ؟». قالوا: ما جربنا عليك كذبًا قطّ(٢). وإذا كان هذا حاله r قبل البعثة، فقد كان بعدها الأسوةَ الحسنةَ، والهادي الذي بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ما نقص منها ولا زاد فيها شيئا عما جاءه عن ربه.

وحديث رسول الله ﷺ الذي تحدث به في حياته يمكن تقسيمه قسمين:

١ – قسم موحىً به يتعلق بالعقيدة والشريعة وضبط العبادات، وتبليغ ما أُنْزِلَ إليه من ربه وغيرها من أمور الدين. وهذا لم ينطق النبي ﷺ فيه عن هَوًى، فلا يجوز أن يَتَطَرَّق إليه شك أو طعنٌ.

٢ – قسم اجتهادي ليس من باب تبليغ الرسالة، وهذا القسم يتعلق بالكثير من أحوال الناس والحياة ومستجداتها اليومية(٣). وأغلب هذا القسم يعتمد على الرأي والظنّ الذي يمكن أن يطابق الواقع كما يمكن أن يخالفه، والمخالفة هنا لا تقدح(٤) في عصمة النبي ﷺ، ولا تقلل من مكانته، ولا تُنقص من منزلته ﷺ؛ لأنها وقعت عن اجتهاد في أمر غير موحىً به، ولا تعمُّد في المخالفة فيه. ومن أمثلة هذا القسم حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يؤبِّرون النخل، يقولون: يلقِّحون النخل، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه. قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا». فتركوه، فنقصت. قال: فذكروا ذلك له، فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رَأيٍ فإنما أنا بشر»(٥). وفي رواية أَنَسٍ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، وفي رواية طلحة: «إنْ كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكني إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لا أكذب على الله «عز وجل (٦). وعَنْ جُدَامَةَ الأَسَدِيَّة أنها سمعتْ رسول اللَّه ﷺ يقول: «لقد هَمَمْتُ أَنْ أنهى عن الغَيْلَة حتى ذُكِّرْتُ أَنَّ الروم وفارس يفعلون (٧) ذلك فلا يضرُّ أَولادهم»(٨). إن النبي ﷺ يقول في حديث التأبير: «إنما أنا بشر»(٩) وكررها مرتين للتوكيد، ولم يقل: إنما أنا نبي أو رسول؛ ليلفت نظرنا إلى الجانب البشري في شخصيته الخالي من عصمة الوحي، والذي يحتمل الصواب وغيره. والإمام مسلم حين بوَّب للحديث قال: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره

> **لا يمكن الاستغناء عن الطب الحديث في طلب الشفاء لأنه لا يتنافى مع الشرع**

من معايش الدنيا على سبيل الرأي، وهذا معناه أن النبي ﷺ كان يتحدث عن كثير من أمور معايش الحياة برأيه، والتي لا يجب فيها الامتثال والطاعة؛ لأن الامتثال التام والإذعان الكلِّي إنما يكون للأمور الشرعية، وكاد ينهى النبي ﷺ عن الغيلة لظنه أنها تضر بلبن الأم فيؤثر ذلك سلبًا على الأطفال الرضّع، وحين بُيِّن له عدم ضررها بالتجربة من خلال قوم يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم أمسك عن النهي الذي لو كان تكليفا إلهيًا ما تراجع عنه رسول الله ﷺ، فدلَّ ذلك على أن رسول الله ﷺ كان يقول في بعض الأمور برأيه.

ومنه ما حكاه ابن إسحق: أنه ﷺ لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحُباب بن المنذر: أهذا منزل أنْزَلَكَه الله ليس لنا أن نتقدمه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «لا، بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: فإنه ليس بمنزل، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب، فنشرب ولا يشربون، فقال: «أشرت بالرأي»(١٠)، وفعل ما قاله.

إن النبي ﷺ في هذه الأحاديث قد فصل الوحيَ عن الاجتهاد الشخصيِّ، والعلم الظنيِّ، فقوله: «أنتم أعلم بأمر دنياكَم» وقوله: «فإني إنما ظننت ظنًّا

فلا تؤاخذوني بالظن» وجوابه على سؤال الحباب بالنفي «لا»، وقوله «حتى ذُكِّرت» يشير إلى أن هناك مساحةَ اجتهاد شخصية لا علاقة للوحي بها، يمكن فيها وقوع الصواب وعدمه.

ومن حديث رسول الله ﷺ أحاديث ذكر فيها العديد من الأدوية المفردة، والأمراض التي تُدَاوَى بها كَبَوْلِ الإبل(١١) الذي يُعَالِج الاستسقاء، وإلية الشاة الأعرابية التي تعالج عرق النَّسا(١٢)، والقُسْط(١٣) الذي يداوي ذاتَ الجَنْب(١٤)، والحنَّاء التي تشفي الشقيقة(١٥) وغيرها، وقد جمع العديد من «علماء الحديث» هذه الأحاديث الشريفة في مصنفات أطلق عليها الطب النبوي(١٦). وقد اتخذ كثير من المتربحين بتجارة النباتات الطبية، والمشتغلين بتحرير الوصفات الشعبية، هذه الأحاديث وسيلة تيسر لهم تحقيق مآربهم، فتمحَّلوا(١٧) تفسيرات وتعليلات ونتائجَ لم تقصد منه ﷺ، ووضعت أحاديثُ كثيرة في هذا المجال، حتى جعلوا لكل داء مفرد أو مركَّب دواءً نبويًّا مؤكَّدَ الشفاء، وضُلِّل الناسُ بعبارات رنانة، وإعلانات جذابة، تستنزف أموالهم، وتقضي في النهاية على آمالهم في الشفاء. فهل هذه الأحاديث تنتمي إلى الوحي الذي لا يأتيه الباطل، ولا يتطرق إليه الشك، فنبني عليها استشفاءنا، أم هي من باب اجتهاد النبي ﷺ الشخصي الذي يحتمل الصواب وغيره، فيؤخذ منه ويرد؟.

إن هذا السؤال شغل بال العلماء من زمن بعيد، فانقسموا إزاءه فرَقًا وأدْلَى كل فريق منهم بدلوه، وباستقصاء آرائهم يمكن القول إن هناك ثلاثة آراء رئيسة تشمل تفريعات وتفصيلات لا داعي للتطرق إليها هنا، وهذه الآراء هي:

الرأي الأول: على رأس القائلين به ابن القيِّم القائل بأن طب النبي ﷺ متيقنٌ قطعي إلهي صادرٌ عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل. ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة: لأن الانتفاع به إنَّما يقع لمن تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان. فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة، والقلوب الحية(١٨). فابن القيم جعل القرآن وأحاديث الرسول ﷺ الطبية علاجين شافيين للأبدان الطيبة التي تتلقاهما بالإيمان والإذعان فقط.



الرأي الثاني: وهو على النقيض من الأول، وبه جهر ابن خلدون حيث قال: وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارَثًا عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة(١٩) لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، اللهم إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني فيكون له أثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية(٢٠).

الرأي الثالث: وهو رأي جمهرة من العلماء الذين وقفوا موقفا وسطا، فقالوا: إن بعض هذه الأحاديث مصدره الوحي لاشتمالها على أحكام بالحل والحرمة، أو لإخبارها بخبر معجز كالأحاديث التي عُنِيَتْ ببيان حكم التداوي والرُّقَى، وكحديثه ﷺ عن جناحَي الذبابة. وبعضها اجتهاد محض من النبي ﷺ بُنِيَ على معرفة شخصية وثقافة طبية خلّفتها الملاحظة والمشاهدة، كحديثه عن العلاج ببول الإبل والقُسط والحنَّاء وغيرها. وفيها يقول القاضي عياض: فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه وقوع الخطأ، وليس في هذا نقيصة ولا محطة؛ لأنها أمور اعتيادية يتقنها من جربها وجعلها همه، وشغل نفسه بها، والنبي ﷺ كان مشغول البال بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة(٢١).

وبعد استعراض هذه الآراء تبقى هناك عدة تساؤلات تحتاج لإجابة، فلعل في الإجابة عنها ما يشفي الغليل، ويبل الصدى، هل كان ﷺ طبيبا؟، وإذا لم يكن طبيبا فمن أين استمد معلوماته الطبية؟، وهل عرف العرب قبل الإسلام هذه الأدوية واستعملوها في علاجاتهم؟، وهل ما ورد ذكره من أدوية في حديث رسول الله ﷺ يصلح التداوي بها في كل زمان ومكان؟، وما موقف الأطباء والصيادلة القدامى من الطب النبوي؟.

إن رسول الله ﷺ لم يكن طبيبا، ولم يكن ملمًّا بكل ما يعرفه أطباء عصره(٢٢)، بدليل أنه كان يحض الناس على الذهاب إلى الأطباء المتخصصين ذوي المعرفة الشاملة والخبرة الكافية. رُوِيَ عن سعد،

قال: مَرِضتُ مرضا، فأتاني رسولُ الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثَديَيَّ حَتَّى وَجَدتُ بَرْدَها على فؤادي، وقال لي: «إنَّكَ رجُلٌ مَفؤُود(٢٣) فأْتِ الحارِثَ بنَ كَلدَةَ من ثقيف، فإنَّه رجلٌ يَتطبَّبُ، فليأخُذ سبعَ تَمرات من عجوة المدينة، فليَجأْهُنَّ بنَواهنَّ، ثم لِيَلُدَّك بهن(٢٤)» لو كانت وصية الرسول ﷺ لسعد كافية ما حمَّله في مرضه مشقة لقاء الحارث طلبا للعلاج. والعلاج بالعجوة في الحديث علاج تكميلي لا أساسي، وإلا لاكتُفي به. كما كان رسول الله ﷺ نفسه يؤتى له بالأطباء إذا مرض، ولو كان طبيبا أو كانت معرفته الطبية عامة وشاملة لوصف الدواء لنفسه، وما جيء له بهم. فعن عروة بن الزبير قَالَ: قلتُ لعائشة: يا أُمَّ المؤمنين، لستُ أَتَعَجَّبُ من بصرك بالشِّعْر، أقول: زَوْجَةُ رسول اللَّه ﷺ، وابنة عَلاَّمَةَ الناس، ولكن أَتَعَجَّبُ مِنْ بَصَرك بالطب، فقالت: يابنَ أُختي، إنَّ رسول اللَّه ﷺ لما طعن في السنِّ سقم، فَوَرَدَت الوفود فنُعِتَ له، فمن ثَمَّ (٢٥).

وكما طُلِبت الأطباء لرسول الله ﷺ طَلَبها لصحابته، فعن زيد بن أسلم أنَّ رَجُلا أصابه جرح، فاحتقن الدم، وإن رسول الله ﷺ دعا له رجلين من بني أنمار فقال: «أيكما أطبّ؟» فَقَال رجل: يا رسولَ الله، أَوَفي الطب خير؟ فقال: «إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء(٢٦)».

أما بالنسبة لمصادر معلومات رسول الله ﷺ الطبية فمعلوم أن رسول الله ﷺ لم يكن بمعزل عن الحياة الاجتماعية العامة منذ نشأته، فقد كان يخالط الناس في العمل والسفر للتجارة وفي أفراحهم وأتراحهم، كما كان يعود المرضى، ويسمع ويشاهد المتطببين وهم يصفون أو يعدُّون لهم الأدوية، وكم من صديق وجار وقريب مر بوعكة صحية اقتضت طلب العلاج فعولج أمامه، ورأى وسمع بما أفاد منها وما لم يفد، ولعله جرب بعضها فكانت ذات فائدة. هذه المعلومات الطبية التي سمعها وشاهدها ﷺ اختزنتها ذاكرته، وصقلتها تجاربه الشخصية ثم صاغها نصحًا وإرشادا لصحابته بأسلوبه النبوي البليغ الجامع للكَلِم.

أما بخصوص معرفة العرب بهذه الأدوية فقد عرف العرب الأدوية النباتية والحيوانية التي توفرت ببيئتهم واستخدموها في علاجاتهم، وهذا شاعرهم لبيد يقول في التداوي ببول الإبل:

يَهْوي إلى قَصَب كَأَنَّ جِمَامَهُ
سَمَلاتُ بَوْلٍ أُغْليَتْ لسَقيْم(٢٧)

وما لم يكن موجوداً عندهم جلبوه من خارج الجزيرة أثناء سفرهم للتجارة، كما أن هذه الأدوية التي ذكرها النبي ﷺ لم يقتصر استعمالها على البيئة العربية وحدها، بل عرفها اليونان والهنود وتكلموا عنها كلاما علميا كبيان مزاجها وفوائدها ومضارها، وصحيح أن الرسول ﷺ لم يطلع على ما كتبه ديسقوريدوس وجالينوس وغيرهما، وأن الطب عند العرب لم يبلغ رتبة العلم المتقن، بل اقتصر على بعض المعلومات المكتسبة بالاختبار. إلا إن الأمم المجاورة للعرب كانت على درجة من التمدن والتقدم لاسيما في علوم الطب، وهناك من أطباء العرب من سافر ووقف على علوم هذه الأمم وأفاد منها في طبه ومعالجاته، كالحارث بن كلدة، وشاهده الناس يداوي بها، كما أن قليلين من العرب أفادوا من هذه المعلومات الطبية وأتوا بها إلى بلادهم، رغبهم في هذا أحاديث الرسول في تعاطي بعض العلاجات.

وإذا كان النبي ﷺ قد حض صحابته على التداوي بالقسط وبول الإبل والحجامة وغيرها من الأدوية التي كانت معروفة مستعملة في بيئته، فلا يلزم من نفعها في بيئته أن يعم نفعها كل البيئات، وفي كل الأزمنة، وبهذا قال القرطبي: إن النبي إنما خَصَّ المذكورات لأنها أغلب أدويتهم وأنفع لهم من غيرها بحكم العادة، ولا يلزم كونها كذلك في حق غيرهم ممن يخالفهم في البلد والعادة والهوى، والمشاهدة قاضية باختلاف العلاج والأدوية باختلاف البلاد والعادة. وحديث رسول الله «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه طيب مبارك» الأمر فيه إرشادي للإباحة والندب لمن قدر على استعماله ووافق مزاجه؛ فالدهن في البلاد الحارة كالحجاز من أسباب حفظ الصحة وإصلاح البدن، وهو كالضروري لهم، وأما في البلاد الباردة فضارّ وكثرة دهن الرأس به فيها خطر بالبصر(٢٨). وحديث الرسول ﷺ في الحجامة: «إن في الحجم شفاء» قال شارحه: أي من غالب الأمراض لغالب الناس في قطر مخصوص في زمن مخصوص، هكذا فافهم كلام الرسول، ولا عليك من ضعفاء العقول، فإن هذا وأشباهه يخرج جوابًا لسؤال معين يكون الحجم له من أنفع الأدوية ولا يلزم من ذلك الاطراد(٢٩). وقوله ﷺ: «عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها» قال ابن العربي: لا يمتنع أن تكون ألبان الإبل وأبوالها دواء في بعض الأحوال لبعض الأمراض لبعض الأشخاص في بعض البلدان(٣٠). والعلماء القدامى قصروا العلاج على بول الجمل الأعرابي النجيب الذي يرعى نباتات صحراوية تكون ذات تأثير في بوله كالشيح والقيصوم، وعليه فبول الجمل الذي يرعى في المزارع، أو الذي يعيش في بيئة غير صحراوية، أو الذي لا يرعى مثل هذه النباتات لا يدخل في الحكم(٣١). إننا لو افترضنا أن النبي ﷺ ذكر حديثا في فضل السيف أو القوس أو الرمح فهل معنى ذلك أن نتخلى عن البندقية أو الصاروخ أو المدفع أو المخترعات الحربية الحديثة؟، كلا، لا يجوز التخلي عنها، مع الإقرار بوجود فائدة محدودة لتلك الآلات القديمة، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الآلة الحديثة، ولكن يبقى لها أثرها الفاعل في البيئة المشابهة لبيئتها الأولى، وهكذا الأدوية.

أما بخصوص موقف الأطباء والصيادلة القدامى من الطب النبوي،

فالعجيب أن كل كتب الطب والصيدلة التي طالعتها كالحاوي للرازي، والقانون لابن سينا، والمنهاج لابن جزلة، والجامع لابن البيطار، والشامل لابن النفيس، والمعتمد لابن رسول لم يرد بها ذكر مصطلح «الطب النبوي» الذي هو صناعة علماء الحديث قديما، ولم يتضمن أيٌّ من هذه الكتب فصلا أو موضوعا عن الطب النبوي، كما أنهم لم يعتمدوا على كتب الطب النبوي كمصدر من مصادرهم. ودلالة هذا أن هـؤلاء الأطباء وهم مسلمون ويحبون الرسول ﷺ وقرأوا أحاديثه، لم يروا فيها ما رآه علماء الحديث كابن القيم وبعض شراح الحديث من إعجاز طبي، وأنهم رأوا أنها وصايا طبية عامة في أغلبها، وأنها اجتهاد شخصي من رسول ﷺ لا يقلل من مكانته، بل يضيف إليها ﷺ بخبراته الشخصية وببلاغته إجلالا وتقديرا.

وختاما فلابد من الجزم بأنه لا يمكن الاستغناء مطلقا عن الطب الحديث في طلب الشفاء، بل له الأولوية في التوجه والقصد، وهذا لا يتنافى مع الشرع ولا يتعارض مع السُّنة التي تحض على التماس العلاج عند الأطباء ذوي الخبرة العامة والكفاءة التامة، كما يجب أن نعلم أن وصايا الرسول ﷺ الطبية لا تخلو من فوائد، لكن الأخذ بها ليس واجبا.

الهوامش

١- صفح الحبل: وجهه أو جانبه.

٢- الأنوار في شمائل النبي المختار: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: إبراهيم اليعقوبي، دار الضياء للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٠٩/١٩٨٩: ١٢/١.

٣ - حجة الله البالغة: شاه ولي الله دهلوي، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦/٢٠٠٥: ١/٢٢٤ (بتصرف).

٤ - أي لا تعيب في عصمته ولا تقلل من شأنها.

٥ - أخرجه مسلم: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي.

٦ - أخرجه الشاشي في مسنده: باب من روى عنه ابنه موسى بن طلحة.

٧ - الغيلة: أن يمس الرجل امرأته وهي تُرضع.

٨ - سنن أبي داود: كتاب الطب، باب في الغيل.

٩ - تلقيح النخل.

١٠ - الروض الأنف: السهيلي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، ١٤١٠/١٩٩٠: ٥/٩٨.

١١ - يقول ابن جزلة: أجوده بول الجمل الأعرابي، وهو النجيب، وينفع الاستسقاء والطحال مع لبن النوق. منهاج البيان: ابن جزلة، تحقيق: د. محمود مهدي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٤١٣/٢٠١٠: ٢٢٤.

١٢- الاستسقاء: تجمع السائل بداخل جوف الصفاق من البطن. وعرق النسا: عرق يصل من الورك إلى الكعب، أو هو ألم عصبي ذي صلة بالعصب الوركي.

١٣ - القسط ويسمى قسطس وكشط، وهو قطع خشبية تؤخذ من أشجار شبيهة بأشجار العود، منه ما ينبت ببلاد العرب وهو الأبيض البحري، ومنه ما يجلب من الهند وهو الأسود الخفيف. وذكر ابن جزلة أنه ينفع من عرق النسا ضمادا.: منهاج البيان: ٦٦٢.

١٤ - ذات الجنب: مرض له حالتان: الأولى منهما تسمى بُرسام، وهو ذات الجنب الجاف الناتج عن التعرض للبرد أو الإصابة بالأنفلونزا، وأعراضه: وجع ناخس بالصدر، سعال مختلف الشدة، صداع، ارتفاع في درجة الحرارة، وغالبا ما تزول هذه الحالة بعد أيام. الثانية: وتسمى ذات الجنب الانصبابي، ويحدث غالبا عقب البُرسام إن لم يشف ويزول في حينه، حيث يتكون سائل مصلي بين ورقتي غشاء الجنب، وتتفاوت كمية السائل حسب شدة الالتهاب، ويبدو على المريض ضيق النفس والسعال الجاف والحمى العالية. وربما يرتشح بعض الدم إلى السائل المصلي فيسمى المرض حينئذ ذات الجنب النزفي. المنصوري في الطب: الرازي، تحقيق: د.حازم البكري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت: ١٤٠٨/١٩٨٧. تعليقات المحقق: ٦٥٦.

١٥ - الشقيقة: هي الصداع النصفي.

١٦ - عرف الطب النبوي بأنه هو علم باحث عن الأحاديث النبوية الواردة في طب المرضى، وممن ألف فيه: عبدالملك بن حبيب الأندلسي المالكي (ت: ٢٣٨هـ)، وأبوبكر أحمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الدينوري المعروف بابن السني (: ٣٦٣ه)، وأبونعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٢هـ)، وأبوالعباس جعفر بن محمد المستغفري (ت: ٤٣٢هـ)، أبوالحسن علي بن عبدالكريم الحموي علاء الدين الكحال (ت:٧٢٠هـ)، الحافظ شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١ هـ)، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

١٧ - أي تكلفوا في طلبها.

١٨ - الطب النبوي: ابن القيم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ٢٨.

١٩ - ما طبع عليه الإنسان.

٢٠ - مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون، دار العودة، بيروت، ١٩٨١: ٣٩١.

٢١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبوالفضل عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤/١٩٨٤: ٢/١٨٥.

٢٢ - من الأطباء المشهورين الذين عاصروا النبي ﷺ الحارث بن كلدة وأبورمثة التميمي، ضِماد الأزدي، وشمردل بن قباب الكعبي، وابن خزيم وغيرهم.

٢٣ - المفؤود: الذي أصيب فؤاده فهو يشتكيه.

٢٤ - أي فليدقهن. واللد: أن يؤخذ بلسانه فيمد إلى أحد شقيه، ويصب في الأخر الدواء. الحديث أخرجه أبوداود: باب في تمرة العجوة.

٢٥ - المعجم الكبير للطبراني:١٧ / ٢١.

٢٦ - مصنف ابن أبي شيبة:٧ / ٣٦١.

٢٧ - ومعنى سملات بول أغليت لسقيم: أي بقايا بول من أبوال الإبل التي يشربها المرضى. انظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: د.إحسان عباس، وزارة الإرشاد الكويتية، ١٩٦٢: ١١٦.

٢٨- فيض القدير: المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥/١٩٩٤: ١/٩٠

٢٩ - السابق: ٢/٥٩٧.

٣٠ - السابق: ٤/٤٥٧.

٣١ - السابق:٤/٤٤٧.

ما أحوجنا إلى تصحيح المسار في تدريس علوم الحديث!


أ.د.حمزة عبدالله المليباري

نظرًا لأهمية المؤتمر الدولي لخدمة السنة النبوية الذي عقده أخيرًا جمعية المكنز بالقاهرة برعاية شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، فإني أود أن أجعل موضوعي يثير اهتمامَ أهل التخصص في الحديث الشريف وعلومه، ويشدُّ انتباهَهَم نحوَ القضايا المنهجيّة التي تمخَّضت عنها جهودُ المحدثين النقاد في العصور الماضية، وبَرْهَنوا جيلاً بعد جيل على دقتها وواقعيَّتها وفاعليَّتها في حفظ السنة النبوية.. بعيدًا عن التصحيف والتحريف والانتحال والكذب والافتراء، وحتى عن الأوهام النادرة والغامضة التي وقعت من كبار الأئمة.

وذلك لتطوير طريقة التدريس لمقررات الحديث الشريف، وتحصين أجيالنا من الغزو الفكري المُمَنْهَج ضدَّ السنَّة النبويّة، وعدم ضَياع طاقات الأمَّة الإسلامية الهائلة فيما لا يُلَبِّي حاجة العصر، ولا يَسُدُّ الفراغَ الذي يُعاني منه مجالُ السنَّة النبويَّة عمومًا، ولا يُقَاوِم التحدِّيات مُقاوَمةً حَضاريَّةً وهادفة، تنطلق من قوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ الذي يأمر المسلمين أن يَتميَّزوا ويتفوَّقوا على الآخرين بكونهم أحسنَ منهجًا، وأعمقَ تأثيرًا، وأكثرَ إقناعًا، وأعظم صبرًا، إن أرادوا الإصلاح والتجديد.

هذا، وقد أصبحت خدمةُ السنَّة النبويَّة وعلومها بشتَّى وَسَائلها -التقليديَّة والتقنيّة- محلَّ اهتمام بالغ لدى كثير من الباحثين المعاصرين.. تعليمًا أو تأليفًا أو تحقيقًا، على اختلاف المستويات، وشهدت الأقطارُ الإسلاميَّة تنافسًا شديدًا في تأسيس المراكز الثقافية، والمؤسسات التعليمية، والجمعيات الخيرية التي تُعنى بتكريس إمكاناتها الماديَّةِ والمعنويَّة في تعليم الحديث وعلومه.

ومما لاشك فيه أن هذه الجهود العظيمة تتوسَّعُ دائرتُها يومًا بعد يوم، وتُطَمْئِنُ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ بأنَّ أفرادَها يملكون طاقات هائلة تُمَكِّنُهم من مُواكبة التطورات، واقْتحام العقبات، ومواجهة التحدِّيات، من أجل أن تبقى السنَّة النبويَّة محفوظةً ومحصَّنَةً وقويَّةً.. تتحطَّم عليها محاولاتُ التشكيك، وإثارة الشبهات، لكنها مازالت تفتقر إلى ترشيد أكاديمي، وتوجيه منهجي مُحْكَم؛ لتحقيق ذلك بصورة أكمل.

وهذا ما نفهمه من تقييم الواقع الذي نعيشه، ونوعيّة المُخْرَجَات في المؤسَّسات التعليميَّة، إذ نرى كثيرا من الباحثين يدافعون عن السنَّة النبويَّة بأسلوب تغلبُ عليه- في بعض الأحيان- حالةُ انفعال أو غضب أو تعصُّب، بعيدًا عن الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونرى الأعمال العلمية السائدة اليوم- سواء في مجال التدريس أو في تحقيق التراث أو في الدراسات والبحوث- لا يَعْكس أكثرُها الدِّقَّةَ العلميَّةَ المَعْهودةَ عن المُحَدِّثين، سواء أكانوا في العصور الأولى (عصور الرواية) أم في العصور المتأخرة (عصور ما بعد الرواية)، الأمرُ الذي استغلَّتْهُ بعضُ المجموعات والطوائف داخلَ الأُمَّة وخارجَها، لا سيَّما المستشرقين غير المنصِفين، لتوجيه تُهَمٍ



نَحْوَ المحدِّثين، وإثارة شُبهات حول مصادر الحديث ومِصداقيَّتِها، كما استغلوا ذلك للإملاء علينا منهجًا يزعمون أنه متكاملٌ بجميع عناصر النقد، بحجة أن النظرة السطحية المتمثلة في الجرح والتعديل هي التي تُشَكِّلُ أهمَّ معاييرِ النقدِ لدى المُحَدِّثين.

فهل الجرحُ والتعديلُ وأحوالُ الرواة- فعلاً- تُشَكِّلُ أهمَّ معايير النقد لدى المحدِّثين النقَّاد؟

هل كان المحَدِّثون شكليِّين وسطحيِّين إلى هذه الدرجة؟

هل كانت أعمالُهم وأقوالُهم في مجالِ النقدِ تدُلُّ على ذلك؟

هل هذا هو الذي تضمنته كتبُ المصطلح؟ أم أنَّ الجرح والتعديل من النتائج التي تمخَّضت عنها جهودُ المُحَدِّثين في النقد، ثم استثمروه حتى صار علمًا ليفيد عند الحاجة إليه؟

أليس منهجُهم في النقد قائمًا على الجمع والمقارنة والترجيح في ضوء القرائن العلمية الواسعة؟

ألا يدلُّ على ذلك عملهم في نقد المرويات وتحقيق النصوص؟

ذلك ما أود إثارته تمهيدًا لمداخلتي.

هل علوم الحديث مجرد مصطلحات وتعريفات؟

مما لاشك فيه أن علوم الحديث ليست مجرد مصطلحات تطلق وتردد، وتعريفات تحفظ عن ظهر قلب، بل إنها أوعية تحمل في داخلها قضايا منهجية مهمة، تمخضت عنها جهود المحدثين في حفظ السنة النبوية، سواء أكانت في عصر الرواية أم في عصر ما بعد الرواية. فمن هذه القضايا المنهجية ما يتعلق بنقد المعلومات ونقدِ أصحابِها، ومنها ما يتصل بتحليل النصوص وفقهها، ومنها ما يعنى بتوثيق الأخبار وتحقيق مصادرها المخطوطة وتقييم محتواها.

وبما أن هذه القضايا المنهجية هي التي كانت تشكل خلفية علمية لنقاد الحديث لاستخدام مصطلحاتهم النقدية، مثل صحيح وحسن وضعيف ومنكر وغير ذلك من مصطلحات علوم الحديث، فإن شرحها لا ينبغي أن يكون شكليًّا يقتصر على إملاء ما ورد في تعريفاتها من أقوال، ويشجع الطلبة على حفظها عن ظهر قلب بدافع النجاح في الامتحان، بل يجب أن يكون شرحها تحليلًا علميًّا وتطبيقيًّا يعينهم على فهم ما تنطوي عليه هذه المصطلحات من قضايا منهجية، وينمي فيهم مهارات ذهنية في التفكير والمناقشة، والجمع والمقارنة والترجيح في ضوء الأدلة، بعيدًا عن التعصب والتقديس والاستفزاز والتعالي.

والمتتبع لما يصدر اليوم من الأبحاث والدراسات والتحقيقات يتبين أن أكثرها بعيد عن تلك القضايا المنهجية؛ إذ درج أكثر الباحثين على الحكم على الأحاديث حسب مراتب الرواة في الجرح والتعديل، بحيث يوهم أن الحكم على الأحاديث تابع لأحوال الرواة، وأن تحقيق المخطوطات لم يكن سوى مقارنة بين النسخ وتسجيل الفروقات بينها، مع تخريج الأحاديث وتوثيق النصوص وترجمة الرواة والأعلام.

ومن العجب العجاب أن نرى بعض الباحثين يزاحم صفوف النقاد، ويعترض عليهم بقضايا سطحية لا تخفى على المبتدئين، كأن حالهم ينطق: نحن رجال وهم رجال، وكم ترك الأوائل للأواخر، حتى قال أحد الباحثين المتخصصين – وهو في غمرة غضبه وانفعاله -: لو درس أبوحاتم وغيره من الأئمة- حتى البخاري- دراسة وافية لما تجاوزوا النتائج التي توصلت إليها، لأني بحمد الله طبقت قواعد المحدثين. ثم وجدت الرجل يدافع عما قال، متهمًا من خالفه بأنه يقدس الأشخاص ويجعلهم آلهة!!

فما هذه القواعد التي طبقها هو وغفل عنها جهابذة المحدثين؟ هي أن يحكم على الحديث وفق أحوال الرواة، ومراتبهم في الجرح والتعديل.. فينظر في الإسناد ثم يترجم راويًا راويًا، مع تلخيص مراتبهم في الجرح والتعديل حسب تقريب التهذيب، فإذا وجدالرواة كلهم ثقات صحح الرواية، وإذا كان فيهم صدوق حكم على الإسناد بأنه حسن لذاته، وإذا توبع هذا الصدوق حكم عليه بأنه صحيح لغيره، وإذا كان في الإسناد ضعيف غير متهم أصبح الإسناد ضعيفًا، وإذا توبع قال إنه حسن لغيره، وإن كان متهمًا أصبح الحديث متروكًا ولا يتقوى، وإذا اعترضت طريق هذا الباحث «مطبات» وحفر جاوزها بقفزة جريئة.. فيقول: قد وجدت له متابعًا أو شاهدًا، ولا يهمه أن هذا المتابع أو الشاهد قد ذكر في كتب الضعفاء لبيان خطئه ونكارته!!

هل هذه هي قواعد المحدثين؟

كلا، ليست هي القضايا المنهجية التي تكمن وراء المصطلحات، ولو كان



منهج المحدثين النقاد وعملهم في حفظ السنة قائما على هذه النظرية السطحية ما ظهرت مصطلحات: مثل المنكر والمعلول والمقلوب والمصحف والمدرج والشاذ والمضطرب، وما ظهرت أصلا أنواع الانقطاع الخفي، التدليس وتدليس التسوية وتدليس القطع وتدليس الشيوخ وتدليس العطف!! وإن دلت هذه المصطلحات على شيْءٍ فإنما تدل على أن المحدثين كانوا يعتمدون على الجمع والمقارنة، ودقة الترجيح في ضوء خلفياتهم العلمية الواسعة، حتى اكتشفوا ما وقع فيه كبار الأئمة من أخطاء وأوهام نادرة، كما اكتشفوا ما بين راويين من انقطاع خفي مع كونهما متعاصرين يكون أحدهما شيخا والآخر تلميذا.

ولذلك قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: لهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه(١)، يعني قاعدة مطردة تطبق في جميع الأحاديث.

وأكد ذلك الحافظ ابن حجر بقوله: صحة الحديث وحسنه ليس تابعًا لحال الراوي فقط، بل لأمور تنضم إلى ذلك من المتابعات والشواهد وعدم الشذوذ والنكارة(٢).

ومن المعلوم أن الحافظ ابن حجر من أبرز العلماء الذين خدموا علم الجرح والتعديل، ولخصوا مراتب الرواة فيهما بدقة متناهية، ومع ذلك قال: صحة الحديث وحسنه ليس تابعا لحال الراوي.

هذه هي القضايا المنهجية التي تتسم بدقة وشمولية وإنصاف، وهي التي يجب أن نفهمها من خلال مصطلحات الحديث ونبرزها وننتصر لها -نشرا وتعليما وتطبيقا- إن أردنا أن نخدم السنة النبوية في هذا العصر.

أما موضوع تحقيق المخطوطات فكأنه باب مفتوح أمام الجميع! والمتأمل في الكتب المحققة يرى أن كثيرا من الباحثين يظنون أن التحقيق هو مجرد مقارنة بين النسخ التي جمعها، وتسجيل الفروقات بينها، مع تخريج النصوص وتوثيقها، وترجمة كل من ورد فيها من الرواة والأعلام! ولذا نجد بينهم تنافسا ساخنا في تحقيق التراث، وحرصا شديدا على إخراجه قبل الآخر، وظهرت مئات الكتب المحققة على هذا الشكل الذي لم يحترم قواعد التحقيق بل أبجدياته، وتبوأت مقاعدها في رفوف المكتبات!!

علوم الحديث ليست مجرد مصطلحات تحفظ .. بل أوعية تحوي قضايا منهجية أثمرتها جهود المحدثين

كما يؤسفنا أن نقول: إن كثيرا من التحقيقات التي ينجزها الطلبة في إطار الدراسات العليا في المؤسسات التعليمية لا يختلف حالها كثيرا عما ذكرت.

كيف يتم تصحيح المسار في تدريس علوم الحديث؟

المتتبع لكتب المصطلح مع المقارنة بينها، يتبين له أنها لم تكن على أسلوب واحد في العرض والترتيب والمعالجة، بل تعرضت لتطور مستمر وفق مقتضيات العصور، فقبل ابن الصلاح لم تكن أنواع علوم الحديث مجموعة ومنسقة في كتاب واحد، ومع ذلك فكتب المصطلح غلب عليها أسلوب الرواية، ولم تكن المصطلحات فيها مصحوبة بتعاريفها المنطقية.. فجاء ابن الصلاح فألف مقدمته بأسلوب جديد يختلف عن أساليب الكتب السابقة، ويعد ذلك نقطة تحول كبير في تأليف علوم الحديث، إذ قام بجمع معظم أنواع علوم الحديث من مصادر متنوعة، ووضع لكل نوع منها تعريفا خاصا وفق شروط علم المنطق.

ثم جاءت خطوة أخرى تجديدية لترتيب الأنواع حسب الإسناد والمتن، والمقبول والمردود، ومازالت الكتب محل تجديد وتلخيص وشرح واختصار.

ومهما كان الأمر في التأليف، فإن مستجدات عصرنا تفرض علينا أن نركز على إبراز القضايا المنهجية التي تكمن وراء المصطلحات، وننمي في الطلبة مهارات ذهنية في التفكير والتحليل والاستنتاج، بدل أن ننمي فيهم مهارات الحفظ من أجل الامتحان، وذلك من أجل إعداد جيل قادر على الدفاع عن السنة النبوية دفاعا منهجيا وحضاريا، بعيدا كل البعد عن الانفعال والغضب والتعصب، وحتى نبرهن على أننا خير خلف لخير سلف، وأننا أصحاب منهج دقيق، وأصحاب إبداع.

ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا قمنا بتغيير طريقة التدريس التقليدية التي تشجع الطلبة على حفظ ما يمليه الأستاذ عليهم، وبتغيير المنهج الدراسي الموروث، وفق ما يقتضيه منا عصرنا.

ومن أجل لفت الانتباه إلى ذلك يُقترح في هذا الصدد ما يلي:

علينا أن نقوم بترتيب أنواع علوم الحديث ومصطلحاتها ترتيبا يعين الطالب على استيعابه أكثر للقضايا المنهجية التي تضمنتها المصطلحات، ويكون التركيز في التدريس على إبراز تلك الجوانب المنهجية، ليس فقط في علوم الحديث، بل في جميع المقررات الحديثية؛ لكونها مصادر ثرة لتنمية المهارات الذهنية لدى الأجيال، ليكونوا أصحاب منهج وعقل وإنصاف وحيطة وسلوك.

ولذلك يكون من الأفضل ترتيب أنواع علوم الحديث على الوحدات الموضوعية، وبالتالي فإن كل مصطلح يشترك في

موضوع ما يكون مذكورا في موضع واحد، دون أن يتفرق في أماكن مختلفة، وعلى الأستاذ أن ينطلق دائما من الموضوع إلى المصطلحات التي تطلق فيه.. وهذا الأسلوب يكون أقرب إلى فهم المصطلح وما يتضمنه من قضايا منهجية، كما نلمس ما يشبه ذلك في نخبة الفكر.

وعلى هذا يمكن تقسيم علوم الحديث على أربع وحدات موضوعية، وهي:

ما يتعلق بطرق التحمل والأداء.

ما يتعلق بالنقد (نقد المرويات).

ما يتعلق بالجرح والتعديل (نقد الرواة).

ما يتعلق بفقه الحديث.

أما ما يتعلق بالنقد فينقسم إلى ثلاثة أقسام حسب الموضوع وهي:

ما تبين للناقد صوابه.

ما تبين للناقد خطؤه.

ما لم يتبين له صوابه ولا خطؤه.

إن هذا التقسيم- فيما أرى- واقعي وفاعلي أيضا؛ إذ يدعو الدارس إلى الانطلاق من الموضوع إلى ما يستعمل فيه من مصطلحات، وبالتالي تصبح المصطلحات جلية واضحة، وما تنطوي عليه المصطلحات من قضايا منهجية يكون واضحا أيضا.

وعلى سبيل المثال: مصطلح الصحيح، يمكن أن نبدأ في هذا المصطلح ببيان الموضوع الذي يتعلق به من خلال الأمثلة الواقعية المألوفة لدى الطالب، وهو أن الخبر لما تبين صوابه للمخاطب عبر عنه بلغة واضحة.. وكذلك حين تبين للناقد صواب نقل الحديث عن مصدره، وأن الراوي لم يكن مخطئا حين رواه عن شيخه فإنه يعبر عنه بما يدل على ذلك، وأشهره هو لفظ «صحيح».

وهنا تأتي مناسبة لطرح تساؤل: كيف يتبين للناقد أنه صواب، وأن الراوي قد نقل ما سمعه من شيخه دون خطأ ولا وهم؟ وهل ذلك مجرد تخمين؟ أم إلهام؟ أم أن ذلك كان في ضوء منهج متكامل لا ينقصه أي عنصر من عناصر النقد؟

وهذا بلاشك يمهد لنا إلى الدخول في تعريف الصحيح، لنحلل ما ورد فيه من التعريف، وبذلك نكون قد حققنا نتائج عدة، منها التعرف على منهج النقاد في التصحيح، ودقة هذا المنهج وشموليته، مع وضوح معنى مصطلح الصحيح، وإن لم يحفظ الطالب تعريفه المصاغ حسب المنطق فإن المهم هو فهم ما يتضمنه هذا المصطلح الذي استعمله النقاد من قضية منهجية.

وبهذا الشكل أعددنا محاضرات في مقررات الحديث على «باوربوينت»، والغاية من ذلك هو شد الانتباه إلى ضرورة التطوير وتصحيح المسار، حتى وإن كنت مخطئا في ذلك فإنه يكفيني أن أثير الموضوع للمناقشة، عسى أن نهتدي إلى منهج أدق، فإن عقولا مجتمعة أقوى وأنفع من عقل مفرد.

أما مقرر الحديث التحليلي فلابد أن نسعى لتطوير طريقة تدريسه؛ ليتم لنا تكوين الطلبة تكوينا منهجيا وأخلاقيا في التعامل مع النصوص الحديثية، بل مع جميع النصوص.

ومن الجدير بالذكر أن شروح الكتب لأئمتنا قائمة على قواعد التحليل، ومع ذلك فإننا حين نؤلف كتابا في الحديث أو الحديث التحليلي نسعى دائما للاستفادة منها فيما يتعلق بمعاني الكلمات الغريبة، والمعنى العام، والمسائل المستنبطة، ولا نستفيد ما يتعلق بمنهجهم في الشرح والمناقشة والترجيح.

الهوامش

١- شرح العلل ص: ٢٠٨، تحقيق صبحي السامرائي، ط: ٢.

٢- النكت ٤٠٤/١.

◆ أ. د. حمزة عبدالله المليباري الهندي

ولد عام ١٩٥٢م بولاية كيرلا بالهند

حصل على الماجستير في الحديث النبوي الشريف وعلومه من جامعة الأزهر عام ١٩٨١م بعنوان «تخريج أحاديث عبدالله بن عمر من مسند الإمام أحمد»، والدكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه من جامعة أم القرى عام ١٩٨٧م، بعنوان «غاية المقصد في زوائد المسند- القسم الثاني.. تحقيق ودراسة».

رئيس الندوة العالمية الدولية للسنة النبوية وأستاذ الحديث بكلية الدراسات الإسلامية بدبي.

شارك في عديد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية.

وله عديد من المؤلفات والدراسات، منها:

الحديث المعلول.. قواعد وضوابط.

نظرات جديدة في علوم الحديث.

الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها.

تصحيح الحديث عند ابن الصلاح.

عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح.

كيف ندرس علم تخريج الحديث.

علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين.

ما هكذا تورد يا سعد الإبل- حوار علمي.

سؤالات حديثية.

استخدام المسك كمضاد حيوي

آمنة علي ناصر صديق

في هذه الدراسة تم استخدام المسك مصدرا للعلاج كمضاد حيوي طبيعي من الطب النبوي، حيث ظهرت فعاليته في علاج بعض الأمراض الجلدية والتناسلية للإنسان والحيوان المتسببة عن الأحياء الدقيقة المرضة مثل: الفطر المرض Trichophyton rubrum، الذي يصيب الجلد والشعر والأظافر، والفطر المرض niger Aspergillus. حيث أظهر المسك فعالية عالية في مقاومته، وأيضا ظهر له تأثير تضادي كبير تجاه الخمائر مثل خميرة Candida albicans.

كما يمكن استخدام المسك في القضاء على بعض الكائنات الدقيقة الممرضة للعديد من النباتات مثل فطر الفيوزاريوم Fusarium oxysporum .

كما تم تحضير مرهم من المسك يستخدم في علاج الأمراض الجلدية التي تصيب الإنسان، وقد ظهرت له نتائج إيجابية كبيرة.

المسك في السنة النبوية

المسك منه ما يتكون داخل بعض الأنعام: كالغزال، السلحفاة، قط الزباد، الثور، والفأر، بالإضافة إلى وجوده في بعض النباتات مثل المسك الاميركي، ويعتبر المسك ملك أنواع الطيب وأشرفها وهو كثبان الجنة، وقد ذكر الله تعالى عن صفة الرحيق الذي يشربه الأبرار في الجنة ﴿يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين ٢٥ – ٢٦).

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أطيب الطيب المسك» (١) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها «كنت اطيب النبي ﷺ قبل أن يحرم، ويوم النحر، وقبل ان يطوف بالبيت بطيب فيه مسك»(٢).

ويرتبط المسك بالطب النبوي ويظهر ذلك من سياق الحديث النبوي الشريف الموجه باستخدام المسك للتطهر بعد الحيض كما ذكر مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: ان اسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟ فقال تأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر، فتحسن التطهر، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها بها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها، فقالت اسماء: كيف أتطهر بها؟ فقال: «سبحان الله، تطهرين بها فقالت عائشة (كأنها تخفي ذلك) تتبعين اثر الدم» (٣) ومعنى قوله ﷺ «فرصة ممسكة» الفرصة هي القطعة، والمسك، نوع من الطيب، والمراد قطعة من قطن أو قماش أو نحوهما مطيبة بالمسك، وقيل فرصة ممسكة: أي أمسكت كثيرًا كأنه أراد ألا يستعمل الجديد والراجح الأول لأن المراد التطيب.

يحتوي على مواد فعالة لها قدرة تثبيطية لمدى واسع من الفطريات

مصادر المسك

وقد وضحت مصادر المسك، استعمالاته وتركيبه الكيميائي كما وضحه موقع الحواج على شبكة المعلومات حيث قسمت مصادر المسك إلى:

أ- المسك الحيواني

١- غزال المسك Moschus moschi ferus

وهو غزال طوله حوالي متر وارتفاعه من عند الأكتاف نصف المتر وشعره رمادي طويل وخشن وسهل الكسر ويسعى لطلب طعامه ليلاً وهو سريع الهرب، ويسكن غابات الهيمالايا ويفضل أعاليها وتمتد مساكنه الى التبت وإلى سيبيريا، والشمال الغربي من الصين وأواسط آسيا عامة.

● كيف يحصلون على المسك من غزال المسك؟

هناك طريقتان للحصول عليه

الطريقة الأولى: يقوم الصياد بقتل غزال المسك الذكر حيث يتكون المسك في غدة كيسية يبلغ حجمها حجم البرتقالة في بطنه وتوجد هذه الغدة بقرب الفتحة القلفية للذكر، وفي هذه الأكياس يفرز الغزال مسكه وبعد قتل الغزال يتم فصل هذا الكيس أو الغدة فصلا كاملا ثم تجفيفها في الشمس، أو على الصخور، أو تغطس في زيت ساخن جدًا.

الطريقة الثانية: يمكن الحصول عليه

البحث قدم في مؤتمر الإعجاز العلمي بالكويت عام ٢٠٠٦

دون صيد غزال المسك وقتله حيث يقوم الغزال عند نضج الكيس الذي يحتوي على المسك بحكه على صخور خشنة، لأن الغزال يشعر بحكة شديدة في الكيس عند امتلائه فيقوم بحك الكيس على الصخور فينقشع الكيس بما فيه من مسك ويلصق بالصخور، ويقوم خبراء المسك بجمعه من على الصخور ويسمى الكيس الجلدي بما فيه من مسك «فأرة المسك» ولون المسك داخل هذا الكيس أسود، ويقوم تجار العطور بإدخال بعض المواد عليه وخلطه بها.

٢ – ثور المسك Muskox

يعرف علميا باسم Ovibos moschatus

يعيش في شمال كندا وقد نقل إلى منطقة ألاسكا وهو عبارة عن ثور قصير القامة ولكنه قوي عضليا يصل ارتفاعه إلى متر ونصف المتر، ووزنه ٤٠٠ كجم. له رأس كبير مدلى إلى أسفل وله قرنان منحنيان إلى الداخل ويحمي ثور المسك شعر كثيف يغطي جميع اجزاء جسمه إلى الأرض، وذلك لحمايته من البرودة الشديدة ولون شعره بني إلى البني المسود له رائحة المسك، ولا يوجد في ثيران المسك غدد او أكياس كما هو في غزلان المسك وإنما يوجد المسك في دم الثيران ذكورا وإناثا.

٣- مسك السلحفاة Musk turtle :

يوجد حوالي ثلاثة الى اربعة انواع من السلاحف الحاملة للمسك والتي تعيش في جنوب اونتاريو بكندا ويمتد وجودها الى السواحل الأميركية. توجد غدة أو غدد في الجزء الأسفل من جسم السلحفاة قرب الذيل.

٤- قط الزباد Civet cat :

قط الزباد يتراوح طوله ما بين ٤١ – ٨١ سم وله ذيل طويل يصل طوله إلى ٧٦ سم، وله وجه يشبه وجه القط وهو صنفان إفريقي وآسيوي، ويتميز عن القط العادي بأن له جسما أطول وكذلك وجها أطول وأرجلا أقصر، وبكل رجل خمسة أصابع بها خمسة مخالب يمكن طيها، والفرو طويل وخشن رمادي اللون به نقط أو خطوط سوداء، يتميز قط الزباد بنمو غدد عطرية في البطن وهي تنمو في الذكر والأنثى على السواء، ويحصلون على الزباد من هذه الغدد بكشطه بملعقة من الغدد من الحيوانات الحية من حين لآخر وهي عملية غاية في القسوة، والقط يحجز في اقفاص بعد صيده ويغذى باللحم النيئ ولكنه لا يستأنس ابدا، ويقال انهم يهيجون القط ليزيد من إنتاج الزباد، وأكثر مصادر الزباد بلاد الحبشة وتشبه رائحة الزباد رائحة المسك تماما.

٥-فأر المسك Muskrat

يعيش هذا الفأر في المستنقعات وفي المياه الراكدة وينتشر في أميركا الشمالية وهو يتغذى على أي نبات ينبت في الماء، ويأكل الحيوانات اللينة من حيوانات الماء، له فروة بنية اللون تميل الى الحمرة وهو دافئ ولا يتبلل بالماء، طول جسم الفأر قدم واحد وطول ذيله عشر بوصات وهو ذيل عجيب فهو ليس ذا شعر وانما ذو قشور وهو مفلطح وهو بسبب ذلك يعمل في الماء كمجداف.

والمسك يظهر في التجارة على هيئة:

١- الغدد الكاملة (فأرة المسك) ويسمى عالميًا Musk in pods.

٢- مستخلصا على هيئة حبيبات تسمى Musk in grain.

ب- المسك النباتي Mimulus cardinlis

يوجد نبات له رائحة المسك يعرف علميًا باسم Mimulus cardinlis ويسمى بالمسك الأميركي.

ج-المسك الكيميائي المصنع:

لقد صنع العالم (Baur) المسك في عام ١٨٨٠م وله رائحة المسك الا انه يختلف عن المسك الطبيعي في الصيغة الكيميائية، ويستخدم هذا المسك الكيميائي على نطاق واسع في تحضير العطور، كما توجد عدة انواع من المسك المصنع والتي لها خاصية رائحة المسك وتشمل هذه الأنواع Musk xylol، Ketone musk، Musk ambrette.

ما أجود أنواع المسك؟

أحسن أنواع المسك هو الوارد من الصين أو التبت ويليه من آسام أو نيبال وأقلها الوارد من سيبيريا، وأجود أنواع المسك عن ابن سينا:

١- من ناحية معدنه، الثبتي وقيل بل الصيني ثم الجرجيري ثم الهندي البحري.

٢- من جهة الرعي: ما يرعى البهمنين والسنبل ثم المر.

٣- من جهة لونه ورائحته: الفقاحي الأصفر.

استعمالات المسك

يستعمل المسك من جهتين

١- استعماله في الأطياب

وهو أشرفها وأطيبها يسر النفس ويقويها ولطيب رائحة المسك فقد شبهت رائحة كفه ﷺ برائحة المسك، روى البخاري ومسلم عن انس رضي الله عنه «ولا شممت مسكا ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ».

و يستخدم المسك في تثبيت أغلى العطور ليبقى رائحتها فواحة سنين طويلة ولذلك يستفاد منه كمثبت للروائح.

٢-استعمالاته الدوائية:

يعتبر المسك مقويا للقلب نافعا للخفقان والأرياح الغليظة في الأمعاء وسمومها، ويستعمل كذلك في الأدوية المقوية للعين ويجلو بياضها الرقيق وينشف رطوبتها ويزيل من الرياح، وهو منشط للباءة وينفع من العلل الباردة في الرأس، وكذلك يكون نفعه في حالات الزكام، ومن أفضل الترياقات لنهش الأفاعي، ويقطع رائحة العرق، وتؤكد الأبحاث الحديثة فائدة المسك لتنشيط القوى الحيوية والجنسية، كما يفيد لمعالجة تشنجات الأطفال العصبية المنشأ وعسر الهضم ويقوي المعدة (الطب النبوي، والاعجاز الطبي في القرآن).

لذا تهدف هذه الدراسة للتعرف على تأثير المسك كمصدر طبيعي من الطب

النبوي يستعمل كمضاد حيوي للفطريات والخمائر المسببة لبعض الأمراض في الإنسان، الحيوان ، والنبات، واشتملت على مجموعة الفطريات Tridchophytonnand microspovvium المسببة للسعفة (التينيا) التي تصيب الإبط axillaries الذقن أو اللحية (burbae)، الرأس (capitis)، الجسد (corporis)، الفم (pedi)، حلقية (circinat)، هدبية (ciliorum) والظفر (unguium) بالاضافة إلى السعفة الفرعية(favosa)، الوجه (faciei)، الأربية (inguinalis)، واليد (manus).

كما تم دراسة كل من فطر الاسبرجلليس Aspergillus aaiger المسبب للعديد من الأمراض في أنسجة الإنسان والحيوان تعرف بـ Aspergillosis وتتميز بوجود التهاب تحببي في الجلد والأذن الخارجية والجيوب الأنفية ومحجر العين، العين، الرئتين، المهبل والرحم، الحلق، الجلد، فروة الرأس، الأصابع، الأظافر، شعبتي القصبة الهوائية والرئة أو تظهر بصورة جهازية كعفونة الدم، التهاب السحايا، والتهاب الشناف لبطانة القلب. (Suhonen er al ١٩٩٩).

كما تهدف هذه الدراسة الى بيان شمولية الإعجاز العلمي في السنة النبوية باستخدام المسك كمضاد حيوي لبعض الفطريات المسببة للأمراض النباتية، والمسببة لأمراض الذبول، أعفان الجذور ومسقوط البادرات مما يؤدي إلى موت النباتات وحدوث خسائر اقتصادية كبيرة، ويعتبر ذلك من بعض المشاكل الزراعية الرئيسية والتي تتعرض لها زراعة الخضراوات خاصة في البيوت المحمية كإصابة البادرات الصغيرة ببعض الفطريات من ساكنات التربة.

النتائج والمناقشة

يتضمن هذا البحث دراسة لفاعلية المسك كمضاد حيوي للفطريات والخمائر المسببة لبعض الأمـراض للإنسان والحيـوان والنبـات والمسـجل كبراءة اختراع بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، (١٤٢٥ هـ)، فعلى الرغم من الفعالية العالية للمضادات الحيوية التي تستخدم في علاج العديد من الأمراض المتسببة عن الكائنات الحية الدقيقة فهـي بـالاضافـة إلـى ذلـك قـد تسبب مضادات الفطريات آثارا جانبية مختلفة عند استخدامها في العلاج أو قد تنتج سـلالات مقـاومة للمضادات الحيوية، لذا فقد ظهرت دعوة نشطة لاستخدام المصادر الطبيعية في علاج العديد من الأمـراض ومن بينها ما ذكر في الطب النبوي ومنه المسك الذي تم استخدامه كمضاد حيوي للتعرف على تأثيره الضد فطري على كل من الفطريات المرضة للإنسان، والفطريات المرضة للنبات، بالاضافة الى معرفة تأثيره على الخمائر الضارة أو المرضة حيث ظهرت فعاليته في عـلاج بعض الأمــراض الجـلدية والتناسلية للإنســان والحيوان المتسببة عن الأحـياء الدقيـقة المرضـة مثـل: الفطـر الممـرض الـذي يصـيب الجلد والشعر والأظافر، كما تم تحضير مرهم من المسك يستخدم في علاج الأمراض الجلدية التي تصيب الإنسان وقد ظهرت له نتائج إيجابية كبيرة.

من النتائج التي تم الحصول عليها في هذه الدراسة يمكن القول بأن المسك يحتوي على بعض المواد الفعالة التي لها قـدرة تثبيطية لمـدى واسـع من الأحياء الدقيقة المرضة كالفطريات المرضة لكل مـن الإنسـان والنـبـات بالإضافة للخمائر بدليل حدوث التثبيط الواضح في النمو الفطري، خاصة وأنه قد أثبت الفحص المجهري للمسك خلوه تماما من الكائنات الدقيقة، فمن الممكن أن تكون هذه المـواد الفعالة الموجودة به شبيهة بمضادات الحيوية أو بعض المواد الأخرى التي بها قـدرة تضادية على الميكروبات مثل القـلويـدات حيث أثبتـت الأبحاث مقدرة القلويدات على تثبيط نمو كثير من الأحياء الدقيقة الممرضة، وأيضًا بعض المواد السامة.

وقد اتفقت هذه النتائج مع ما توصل إليه آخرون من وجود تأثير مثبط لبعض المركبات الفينولية المعزولة من النباتات الراقية على أنواع مختلفة من الفطريات والخمائر.

كما تم ايضا تثبيط للنمو عن طريق تداخل بعض مكونات المسك مع الإنزيمات البنائية في داخل الفطر فتؤثر على نشاطها.

ومن الممكن أيضا أن يكون التأثير المثبط للمسك راجعا إلى الزيوت الطيارة المتواجدة فيه حيث إن لها القدرة على إيقاف نمو العديد من الكائنات الدقيقة، وقد تتكون مركبات معقدة مع مكونات المسك والبيئة الغذائية بحيث تجعل من الصعوبة امتصاص المواد الغذائية من البيئة مما يؤثر على نمو الكائنات الدقيقة المرضة، من هنا تظهر أهمية استمرار الباحثين في اكتشاف مضادات فطرية جلدية تقل فيها الآثار الجانبية بالإضافة إلى فعاليتها العالية في العلاج وذات تـأثيـر علـى السـلالات الفطرية الجديدة المقاومة لمضادات الفطريات المستخدمة في الوقت الحالي.

وقد وضح عبداللطيف (١٩٩٦م) في دراسة حديثة أن الطهر (انقطاع الدم) في فترة الحيض والتطهر بالمسك لاقتفاء أثر الدم يزيل الجراثيم الضارة بالإضافة إلى أنه يهيئ الظروف الطبيعية لتواجد عصوبات دودرلين التي تكبل نمو الجراثيم الضارة ويقف نشاطها ويحول دون تكاثرها علاوة على أنها تحول السكر إلى حمض اللبنيك وهـو القـاتل للجراثيم الضارة خاصة إذا ما اتبعت السنة النبوية الشريفة في التطهر بالمسك فهو فضلا عن طيب رائحته قاتل للجراثيم، وعليه فإنه يمكن استخدامه كمضاد حيوي من مصادر طبيعية لقلة الآثار الجانبية على الإنسان والبيئة وسهولة استعماله وتأثيره الفعال

للأمراض الجلدية والتناسلية للإنسان والحيوان وعلاج الأمراض المتسببة عن الخمائر، وقد سبق استخدامه من قبل الإنسان في التطهر كما ذكر مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها في قوله ﷺ بعد الغسل من الحيض (تأخذ ممسكة فتطهر بها) (سبق تخريجه).

ومن جهة أخرى يمكن استخدام المسك في معاملة البذور قبل زراعتها حتى نتجنب المشاكل الزراعية الرئيسية التي تتعرض لها زراعة الخضراوات خاصة في البيوت المحمية، ومنها إصابة البادرات الصغيرة ببعض الفطريات من ساكنات التربة التي تسبب لها أمراض الذبول، أعفان الجذور، وسقوط البادرات مما يؤدي إلى موت وحدوث خسائر اقتصادية كبيرة.

وبالمقارنة بالسلبيات الناتجة عن استخدام المبيدات الكيميائية والتي على الرغم من فائدتها في زيادة انتاجية المحاصيل الزراعية فإن لها أخطارًا قد تؤثر على صحة الإنسان، وذلك بتراكم هذه المواد في أنسجة النباتات، وبالتالي انتقالها للكائنات الحية التي تتغذى على تلك النباتات بطريق مباشر أو غير مباشر عن طريق السلسلة الغذائية، وأيضًا ما ينتج عن المواد الكيميائية من خطر على البيئة علاوة على ذلك تكلفتها المادية، لذا بدأ الاهتمام يتزايد بإدخال طرق أخرى جديدة للمكافحة مثل طرق المكافحة الحيوية كوسائل آمنة ومضمونة وغير مكلفة وذلك للقضاء والحد من انتشار بعض الأمراض، وعليه تم استخدام المسك لمعرفة تأثيره على هذه الفطريات المرضة كمادة طبيعية وخالية من أي مواد كيميائية مصنعة وقلة تكلفتها الاقتصادية.

وحول طبيعة وإجراءات الدراسة تقول الدكتورة آمنة: لتبسيط الموضوع للقارئ الكريم فقد تم وضع طبقين لكل تجربة ووضع في أحد الأطباق مسك وبقي الطبق الآخر بدون مسك ووضع في كل منهما الفطر المرض للإنسان، فظهرت هالة رائقة خالية من النمو الفطري حول المسك مقارنة بالعينة الخالية من المسك والتي ظهر فيها النمو كاملا حول الثقب الخالي من المسك السائل وهذا يعتبر مؤشرًا على قوته في إيقاف ومنع نمو الفطر وكذلك إمكانية استخدامه لعلاج الإصابات الفطرية الجلدية والناشئة عن تلك الفطريات، ومثل ذلك يقال في اختبار الخمائر والفطريات النباتية وبالإضافة إلى فعالية المسك ضد الكائنات الحية الدقيقة الممرضة للإنسان ظهر تأثيره كذلك في القضاء على بعض الفطريات الممرضة للنبات حيث يتضح تأثير المسك كمضاد حيوي ضد الفطريات المسببة للأمراض النباتية، كما يتضح التأثير الفعال للمسك ومنعه لنمو الخميرة الضارة لمسافة كبيرة حول المسك فيما يظهر فيها النمو للخميرة منتشرًا في الطبق الخالي من المسك بشكل تام. النتائج تؤكد فعالية المسك وتضيف الدكتور آمنة قائلة: ومن خلال نتائج الدراسة يمكن القول بأن المسك يحتوي على بعض المواد الفعالة التي لها قدرة تثبيطية لمدى واسع من الأحياء الدقيقة المرضة كالفطريات المرضة لكل من الإنسان والنبات بالإضافة للخمائر بدليل حدوث التثبيط الواضح وإيقاف النمو الفطري لكثير من الأحياء الدقيقة المرضة وعليه تم استخدام المسك لمعرفة تأثيره على هذه الفطريات الممرضة كمادة طبيعية وخالية من أي مواد كيميائية مصنعة وقلة تكلفته من الناحية الاقتصادية.

ويعتبر استخدام المسك كمضاد حيوي من الإضافات العلمية الجديدة التي تنطلق منها أبحاث تزيد في ميزان تلك الكنوز العلمية من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وتوضح مدى كفاءة المسك كمضاد للحيوية وهي المرة الأولى التي يتم تطبيقها في المجال الزراعي خاصة أن المسك سبق استخدامه في التطهر بعد الحيض من قبل النساء من رسول الله ﷺ وبالتالي تتم المحافظة على البيئة من التلوث.

ومن هنا يظهر لنا بعض أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة اللذين يتضح فيهما أن خلق الله وإبداعه يفوق كل صنع، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان:١٠).

أوجه الإعجاز العلمي في السنة النبوية للمسك

١- يرتبط استخدام المسك بالتوجيه النبوي لاستخدام المسك في التطهر بعد الحيض كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض؟ فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر، فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدًا، حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسّكة فتطهر بها، فقالت أسماء: كيف تطهر بها؟ فقال «سبحان الله تطهرين بها» فقالت عائشة: (كأنها تخفي ذلك): تتبعين أثر الدم»، (سبق تخريجه)، يتضح من هذا الحديث مدى الإعجاز العلمي في قول الرسول ﷺ باستخدام المسك بعد الحيض، حيث اتضح أن الأحياء المجهرية الممرضة تكثر أعدادها في فترة الحيض وقد أظهرت هذه الدراسة تأثير المسك في القضاء على هذه الميكروبات الممرضة وكانت النتيجة ايجابية بدرجة كبيرة.

الهوامش

١- أخرجه مسلم في الألفاظ (جـ٤/١٩،١٨/ح/٢٥٢٢/ص/١٧٦٥) من حديث ابي سعيد الخدري والترمذي (جـ٢/ح/١٩٩)،

٢- أخرجه مسلم (جـ٢/ح/٨٤٩/ حديث رقم ٤٦- ١١٩١)(جـ١/٣٢:٣١/ح/١١٨٩/ص/٨٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٣- صحيح مسلم ج١ ص ١٧٩، ١٨٠

استخدام آيات القرآن في العمران

أ.د. يحيى حسن وزيري

تدل كل الشواهد التاريخية والعملية على أنه لم توجد أمة على وجه الأرض قد احتفت بكتابها المقدس مثلما فعل المسلمون، فالأمة الاسلامية احتفت بالقرآن الكريم، قراءة وحفظا، تدبرا وتفسيرا وتطبيقا، كما لم تفعل أي أمة مع كتابها المقدس.

ويتجلى ذلك في حرص المسلمين على تحفيظ أبنائهم كتاب الله منذ نعومة أظفارهم، وفي حرص العلماء على تدبره وفهم معانيه، فتعددت التفاسير القرآنية على مر تاريخ الأمة الاسلامية.

أما من الناحية الفنية، فلقد انعكس ذلك أيضا في الاهتمام بالمصحف نفسه، كتابة وزخرفة وتلوينا، ويقرر عالم الآثار الفرنسي «أوليج جرابار» والذي تخصص في دراسة الآثار الاسلامية، أنه وجد اتجاهين لتزيين وتجميل المصحف نفسه، وهما(١):

١- تنوع أساليب الكتابة.

٢-اضافة زخارف صغيرة عادة تجريدية أو نباتية، داخل النص الأساسي أو الهوامش.

ففي بعض النماذج عناوين كبيرة توضع بين السور، وبعضا منها اكتسب تصميمات زخرفية، كما أنه في نموذج آخر مجموعة من الصفحات استعملت عقودا وأخرى لمحات معمارية، ربما تشير لأماكن صلاة الى جانب التصميمات الهندسية والنباتية.

وفي عصر المماليك والإلخانيين أو النصوص المتأخرة، فإن الخراطيش cartouches وعنوان كل سورة فصلت بطريقة درامية عن النص، بينما في النصوص الأولى كانت أكثر تراكبا وقربًا من بعضها، كما أن التزيين كان عن طريق الاختلافات في الحجم أيضا.

كما وجدت نسخ قليلة ولكنها ضخمة من المصاحف كما في العصر التيموري، والتي كانت تحتاج لكراسي مصاحف خاصة لكي يمكن استعمالها، وكانت صفحاتها لا يمكن أن تقرأ وتقلب في آن واحد.



أما عن استخدام الآيات القرآنية في العمران والبنيان، فقد لاحظ المتخصصون في مجال الآثار والعمارة الاسلامية أن معظم الكتابات الزخرفية في تلك العمائر، عبارة عن اقتباسات من القرآن والتي غالبا ما تحمل دلالة على وظيفة المباني التي استخدمت في تزيينها وزخرفتها.

وفي دراسة هامة للباحثتين «اريكا دود» بالاشتراك مع شيرين خيرالله، نشرت عام ١٩٦٩م تحت عنوان: «صورة الكلمة»، تم توضيح المقدمات التاريخية والنفسية خلف وجود الكتابات القرآنية في العمائر الاسلامية، والتي تركزت أساسا لمنع أو الحد من الصور الدينية المسيحية أو الوثنية، فالتيار الأساسي للحضارة الاسلامية استبدل الصور بالكلمات بغرض التزيين والتذكير بكلمات الله سبحانه وتعالى في آن واحد.

ان الكتابات المزخرفة للقرآن استعملت مبكرا في العهد الأموي، مرتبطة بعهد الخليفة عبدالملك بن مروان والذي جعل اللغة العربية هي لغة الادارة، واستعملت كنقش في سك العملة، وكانت الآية الأساسية التي استعملت كصيغة قياسية لآلاف وآلاف العملات هي قوله تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة: ٣٣) ويطلق عليها آية الرسالة، وفي الحقيقة يلاحظ أن استخدام آيات أخرى غير هذه الآية كان نادرا في هذا الصدد.





إن تأكيد الحقيقة السياسية والدينية للآية التي اختيرت كنقش على العملات، يمكن توضيحه بسهولة على أساس أن سك العملة استخدم على مستوى العالم وقتها، ومنافسا للنقوشات الفضية أو الذهبية للبيزنطيين.

كما أنه بالنسبة للموازين والأختام التي استعملت داخل الدولة الاسلامية، استخدمت الآية القرآنية التالية كزخرفة: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ (الشعراء: ١٨١) وذلك تبعا لدراسة «ميلز».

ان من أوائل نماذج استخدام الاقتباسات القرآنية في المباني يظهر في قبة الصخرة بالقدس (٧٢ هجرية)، حيث يمتد ٢٤٠ مترا من النقوش الكتابية الأموية في جانبي الجزء المثمن تحت القبة من الداخل والخارج، ويعطي أمثلة من تلك الكتابات القرآنية ومن أهمها تلك الآيات التي تتحدث عن المسيحية، والتي تتناسب مع مدينة كانت في ذلك الوقت مركزا تعبديا رئيسيا للمسيحية، ومن أمثلة تلك الكتابات قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته...﴾ (النساء: من الآية ١٧١).

اقتباسات أخرى بقبة الصخرة استخدمت تجميعات مختلفة من بعض الآيات القرآنية والتي تتناسب مع الغرض الأخروي (الديني) والتبشيري للمبنى، مثل آية الكرسي (الآية ٢٥٥ من سورة البقرة)، وسورة الاسراء وغيرها(٢).

لقد تم استخدام الآيات القرآنية بعد ذلك على نطاق واسع في المساجد الاسلامية، بحيث لا يكاد يخلو أي مسجد منها، وبخاصة في محاريب وقباب المساجد أو على أماكن مختارة من حوائطها، كما احتوت العديد من مداخل وقاعات المنازل الاسلامية على بعض الآيات القرآنية أيضا، حيث أصبحت تلك الاقتباسات القرآنية جزءا لا يتجزأ من تلك العمائر وأسلوبا أساسيا لتزيينها وزخرفتها.

وفي العصر الحديث ومع تطور الفكر المعماري، رصدت محاولات معمارية لاستخدام شكل المصحف نفسه أو بعض صفحاته في مقترحات لتصميم بعض مباني المساجد نفسها، وكنموذج شهير لذلك المقترح التصميمي المقدم من المعماري المسلم «باسل البياتي» لتصميم واجهة مسجد على هيئة عقود ضخمة على شكل كتب مفتوحة تمثل القرآن، على الطريق السريع لمدينة الرياض(٣).

ونموذج تصميمي آخر يتمثل في محراب مسجد الملك فيصل، في «اسلام أباد» العاصمة الباكستانية، حيث قام النحات الباكستاني «جلجي» بتصميم محراب المسجد بفكرة جديدة ومبتكرة على هيئة قرآن مفتوح.

وسواء كانت تلك الأفكار السابقة ناجحة أم لا من الناحية الفنية، فهذه التطويرات تحدد بوضوح أن المستقبل سوف يشهد تجارب أكثر، لاستعمال القرآن ككتاب أو مصدر للاقتباس، لتعزيز العمارة وخاصة عمارة المساجد لإرسال رسائل دينية وايديولوجية.

ومن المحاولات الهامة في مجال استخدام الآيات القرآنية في الأبراج السكنية المعاصرة، ما قام به كاتب المقال من استخدام العديد من الآيات القرآنية في مداخل برج أرابيسك بمنطقة مصر الجديدة بالقاهرة، وكذلك كتابة الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى على حوائط سلم هذا البرج بكامل طوابقه الاثني عشر، وكل ذلك تذكير بكلمات الوحي الإلهي المقدس، وتجميل وزخرفة لهذا البرج السكني من الداخل.

الهوامش:

1-Oleg Grabar (1995). Art Architecture and The Qur'an (Chapter V), in: Construction the study of Islamic Art. pp.650- 1100.

2-For more details see: Marguerite Van Berchem (1982). Muslim Jerusalem. Foundation Max Van Berchem. Geneve.

www.Basil albaiaty.com

النصح والنصيحة في كتب الأدب

د. محمد المشطاوي ◆

لا يعيش المسلم فردا وحيدا في مجتمعه، بل يعيش وسط هذا المجتمع الذي مار ويمور بأصناف من العقائد والأخلاق والمعتقدات، منها ما يتوافق مع صحيح معتقد المسلم، ومنها ما ينحرف يمينا أو يسارا، ومنها ما لا يمت إلى صحيح المعتقد بسبيل. وأقول «المعتقد» لأن المعتقد من أهم الدوافع للفعل والسلوك، وما بعده تابع له، أو هكذا ينبغي أن يكون، فمعتقدنا هو ما وقر في قلوبنا وصدقه عملنا أو كذبه، ووسط هذا المجتمع المائر الفائر يحتاج المرء إلى الناصح الرفيق الداعي إلى الخير وإلى سواء الصراط، سواء كان هذا الداعي نفسَه التي بين جنبيه، أم أحد أفراد المجتمع ممن حوله، أم ممن ندبهم الشرع والشارع أو أولو الأمر إلى ذلك، وفي تحقيق هذا النصح والانتصاح أمان للفرد وللمجتمع.

الدين النصيحة

ولهذه الأهمية الكبرى للنصيحة والانتصاح، عني القرآن الكريم بهذه القضية أشد العناية، وذكر النبي ﷺ أن الدين النصيحة (١)، بدءا من النصح لله وانتهاء لخلقه جميعا، بحيث تتحقق مرادات الشارع من الاستقامة والصلاح والسعادة للفرد والمجتمع.

وقد اهتم الفقهاء كثيرا بالحديث عن النصيحة وأهميتها وكونها فرضا على سبيل العين أو الكفاية باختلاف بينهم، مما لا مزيد عليه، ويمكن الرجوع في هذا الصدد إلى ما كتبوه، سواء في باب النصيحة، أم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الاحتساب في كتب الفقه والآداب.

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا قبل أن نتحدث في عجالة عن العلاقة بين الأدب والنصيحة:

أولا: من الملاحظ أن مادة «نصح» بلفظها المباشر- ودلالتها المباشرة أيضا- كانت أكثر ورودا وحضورا في سورة الأعراف ٦ مرات من عدد ١٢ مرة بالقرآن كله (٢)، وهذه السورة ذكرت قصة غواية الشيطان لآدم وزوجه، وقصة عدد من الأنبياء كنوح وهود وصالح وشعيب ونصحهم لقومهم، كما عنيت بقصص بني إسرائيل من عبادتهم العجل وتعاملهم مع يوم سبتهم وغيرها من القصص، وكان دور النصح في هذه القصص حاضرا بما لا يخفى: فنصح الشيطان الكاذب أردى آدم وزوجه، ونصح بني إسرائيل ذهب أدراج الرياح في عبادة العجل ويوم السبت، إلا أن الله نجّى من نصحوا أو انتصحوا، كما أن اسم السورة نفسه يوحي بالمفاصلة والمفارقة بين من نصح وانتصح فكان جزاؤه الجنة وغيره ممن لم ينصحوا أو ينتصحوا... إلخ، المهم أنها توحي أيضا بحضور ما لمعنى النصح والانتصاح لدى الفرد والمجتمع، كما أشارت إلى أن العلاقة بين الناصح والمنصوح علاقة حرص وحب من الناصح، وأحيانا إعراض واتهام من المنصوح له.. وهذه إشارات ربما تحتاج إلى مزيد إيضاح ودراسة وعناية، ليس هذا البحث موضعها.

ثانيا: توزع الحديث في شأن النصح والنصيحة بين كتب الفقه وكتب التزكية وكتب الأدب، وفي هذا إشارة إلى مدى حضور هذه القضية في التراث الإسلامي، وإلى أن للنصح شقين مهمين: شق قانوني تشريعي يضبط في هذا سلوك الناصح وعملية النصح، وشق نفسي إيماني دافع إلى الاقتناع الشخصي بضرورة قبول النصح والانتصاح... إلخ.

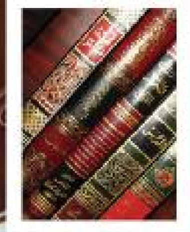
ثالثا: تنوعت مصطلحات النصح في هذا التراث، فمرة هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، ومرة نصح، ومرة توجيه وإرشاد، فضلا عن حضوره في مصطلحات أخرى كالاحتساب والدعوة والرفق والإحسان إلى المخالف والستر... إلخ.

رابعا: بلاغة النبي ﷺ في حصر الدين في النصيحة، وهو ما يشير إلى أن النصيحة هي عماد الدين وقوامه وأساسه، وأنها تشتمل على «خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل، سمى ذلك كله دينا، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة» (٣).

خامسا: توجيه الشارع إلى أن النصيحة واجبة «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» (٤)، كما أوضح النبي ﷺ حينما سئل عن قوله «الدين النصيحة» لمن هذه النصيحة؟ فأجاب بالسابق. ومن أفضل ما جُمع في شرح هذا الحديث ما نقله النووي في شرحه لمسلم عن الخطابي، فليُرجع إليه (٥).

سادسا: كثر في كتب التزكية والفقه،

◆ دكتوراه في اللغة من دار العلوم - جامعة القاهرة




الحديث عن آداب النصح والتوجيه والإرشاد، واحتوت هذه الكتب العديد من القصص التي تبين كيف تعامل السلف مع قضية النصح وعاشوها واقعا وممارسة، وما ينبغي على الناصح والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر... إلخ. (كإحياء علوم الدين للغزالي، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي).

وكما اهتمت كتب الفقه والتزكية وغيرها بالنصح، فقد اهتم بهذا أيضا كتب الأدب، وهو موضع حديثنا فيما يأتي:

الأدب نصح وتوجيه وإمتاع

إذا تصفحنا بعض المعاجم اللغوية باحثين عن معنى كلمة «أدب» ودلالتها فسنجد أن مفهوم كلمة الأدب في المعجم يدل على الاهتمام بالتربية، والتربية تعني التوجيه والإرشاد، وهما يعنيان بالضرورة النصح والمتابعة والمراقبة.

فالأدب (محرّكة) الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي به لأنه يأدب (يدعو) الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، بل قيل إن الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه، ونقل أيضا أن الأدب هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. وقال أبوزيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل. وقيل: الأدب في اللغة: حسن الأخلاق وفعل المكارم.

وأدّبه أي (علمه، فتأدب) تعلم. وأدبته أدبا، من باب ضرب: علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، وأدبته تأديبا مبالغة وتكثير، ومنه قيل: أدبته تأديبا، إذا عاقبته على إساءته، لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب. وجمل أديب، إذا ريض وذلل، وكذا مؤدب (٦).

فكل هذه المعاني دائرة حول التوجيه والتهذيب والتعليم الخلقي وما يتطلبه ذلك من أدوات ومنها الإلزام و العقاب. أما إطلاق لفظ الأدب وكونه اصطلاحا على بعض علوم العربية، فهذا مما كان بعد ظهور الإسلام واستقرار حضارته. والتأديب هنا ربما أخذ ملمح الوظيفة الرسمية، والإلزام، ولذلك وجدنا قديما وظيفة المحتسب الذي يؤدب ويهذب ويوجه ويعاقب بما يأمره به الوالي.

وقد اهتمت كتب الأدب برسم ملامح عمل المحتسب، وهو في أصله ناصح ومتابع لأحوال الناس ومعاشهم، فهذا ابن الأثير يذكر في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» (٧) «تقليدا» لمحتسب- وهو ما يمكن أن يماثل خطاب التكليف في عصرنا، إذ كانت وظيفة المحتسب ذات دور كبير ومهام ضخمة ومكانة عظمى في التاريخ الإسلامي، وكان يمارس أدواره بعد تكليف من ولي الأمر وبخطاب موجه يسمى «التقليد». وقد كان يتولى كتابة- أو صياغة بلغة أخرى- كتاب التقليد (التكليف) صاحب الإنشاء الذي يتمتع بالضرورة بثقافة إسلامية بشقيها اللغوي والشرعي، وهو منها بمكان رصين. ويحسن هنا أن نذكر أن هذه الوظيفة تولاها كثير من غير المسلمين- المثقفين بالثقافة الإسلامية، كأبي إسحاق الصابئ مثلا- لولاة أمر مسلمين.

وقد ارتبطت كلمة الأدب والآداب أيضا لدى الفقهاء بما ينبغي أن يكون، سواء كان على سبيل الوجوب أم غيره، فتحدثوا عن آداب الطعام والشراب واللباس والنكاح، والفتيا، والحرب، وآداب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل هذه آداب، بما تحمله الكلمة من معنى توجيهي تهذيبي تأديبي، ولهم العديد من الكتب التي تحمل كلمة «آداب» أو «أدب»، ولا يخفى حضور مصطلح «الآداب الشرعية» وبروزه في الفقه الإسلامي.

أما ميزة كتب الأدب في حديثها عن النصح والتوجيه، فهي أنه يأتي مقرونا بالمتعة الناتجة عن القص والحكي والتمثيل والأشعار والرقائق التي تحفل بها كتب الأدب، ومن ثم يكون نصحا غير جاف أو مباشر، فتأنس له النفس، ويتغلغل داخل الروح، فيتأثر السلوك.

بقي أن نشير إلى بعض ملامح كلمة النصح في معاجمنا أيضا، فقد نقل الزبيدي في تاج العروس أن: الأكثر من أئمة الاشتقاق على أن النصح تصفية العسل وخياطة الثوب، ثم استعمل في ضد الغش، وفي الإخلاص والصدق كالتوبة النصوح. وقيل: النصح والنصيحة والمناصحة: إرادة الخير للغير وإرشاده له، وهي كلمة جامعة لإرادة الخير.

وفي النهاية: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها. وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له. قال: ويقال هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وأنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح. ثم يعقب الزبيدي أن النصح يعني: الخلوص مطلقا، ولا يتقيد بالعسل ولا بغيره (٨).

الهوامش

(١) صحيح مسلم: ٥٣/١ (باب بيان أن الدين النصيحة).
(٢) الأعراف: ٦ مرات (آية: ٢١، ٦٢، ٦٨، ٧٩، ٧٩، ٩٣)، التوبة: مرة واحدة (آية: ٩١)، يوسف: مرة واحدة (آية: ١١)، هود: مرتان (آية: ٣٤، ٣٤)، القصص: مرتان (آية: ١٢، ٢٠).
(٣) جامع العلوم والحكم: ٧٨.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): ٣٨/٢-٣٩.
(٦) ينظر: مادة (أدب) في تاج العروس.
(٧) قدمه وعلق عليه: الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، دون تاريخ، والتقليد في الجزء الثاني ص ٣٧٠-٣٨٢.
(٨) ينظر: مادة (نصح) في تاج العروس.

قمة المروءة

محمد السعيد الشيخ

«والله لو كنت أخي لقتلتك..»!

جملة نارية يطلقها بلال في وجه «الأستاذ أنور» .. يندهش الحاضرون ظانين به ظن السوء، وفي مزيد من استنكار، يسترسل بلال منفعلا:

– كيف تهدر مالك للراعي «محروس» وأنت غريب ؟! هذا الرجل «نصّاب»، ويقطن قرية نائية ويسيح في البادية بغنماته.

أنور هذا مدرس معار من مصر إلى سورية أيام الوحدة عام ١٩٥٨م، في أواخر العام الدراسي يستقرضه محروس– والذي يراه للمرة الأولى– مبلغًا من المال بدعوى اجراء عملية جراحية لزوجته، فتمنعه أريحيته أن يرده خائبًا، ويقرضه أكثر ما ادخره طيلة العام.

في معرض حديث بلال– بغية المقارنة، ولمزا لخيبة أنور يذكر خبرا، مفاده.. أن زميله «صلاح» المدرس المصري كسب من اليانصيب عشرة آلاف ليرة سورية.

بإشفاق ينظر أنور إلى بلال، تندّ منه آهة ارتياح بالرغم مما أحسه من استهانة واستنكار بين، ويستطرد في أنس رفيق: لقد أفضت في اللوم يا أخي بلال، استرسلت بلا أدنى ترو وبثقة مطلقة في احتكار الصواب، والثقة المطلقة غرور.

يفيض حديث الاستاذ أنور على الحضور بكلمات فيها سكينة من مسالمة وسلام، لقد وصفتني يا أخي بلال بأني غريب، والغريب.. من لا أدب له.



ثم ما يدريك أن في إقراضي لهذا الراعي غاما لا غنما؟! لقد أقرضته بنية تفريج كربة عبد من عباد الله، محتسبًا هذا العمل لوجه الله، ومن لم ينقذ نفسًا استغاثت به فقد قتلها.

لقد استعاد كلامك هذا شريط الذكريات، حيث مرضت أمي دون أن تذهب إلى طبيب لضيق ذات اليد، وتوفاها الله، وكان قد سبقها والدي إلى مثواه، فخشع قلبي للذكرى.

أما عن كسب زميلي صلاح لليانصيب، هذا يا أخي بلال مقامرة محرمة شرعًا ولا يبارك الله فيه، حيث يحمل في باطنه مفاسد شتى، كالبطالة والكسل، فما ينال بلا جهد مبذول يكون مآله الخسار والندم الموصول.

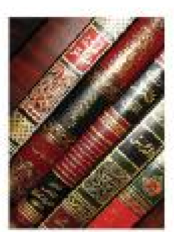
ويأبى الله أن تغدو الرغبة في الأخذ دون مقابل من جهد، شرعة ومنهاجًا.

وبتوارد الخواطر تطوف حكاية فلاح من إحدى قرى مصر، الذي كسب ابنه سيارة في إحدى المسابقات، فانتابه دهش مباغت وعرته غاشية انبهار، حتى باع بقرته وحماره، على أمل أن يؤجر أرضه ويتعلم القيادة ويسترزق من العمل على السيارة بديلا عن مشقة ونصب الفلاحة، ويذهب لاستلام سيارته مصطحبًا معه أحد السائقين، وبعد ضياع جهد ووقت ونفقات بحثًا عن العنوان، إذا به يفاجأ– ويا للأسى– صحيح أنها سيارة وبها محرك وتسيير، ولكنها (لعبة أطفال)، أذهلته المفاجأة، وأصابته لوثة من خبال أطاحت باتزانه، وأضحى أضحوكة بين أهل القرية.

بعد أن أنهى أنور حديثه، ينفعل مختار القرية (العمدة) مقسماً أنه على استعداد للتنازل عن كل ثروته على أن يملك مثل هذه الملكة البلاغية وتلك الاشراقات الروحانية، وحقًا ما قال..! فقد كنت كلمات أنور نواقيس هادرة تدق مفرداتها الآسية في قلوب الحضور، وتعبيرًا صادقًا عن عبقرية الحياة التي لا تتوقف عند الحرص المادي، ولكنها تؤثر الجوهر على المظهر.

لقد كان أنور كالغيث، أينما وقع نفع، كانت سلوكاته تنم عن تدين موغل في العمق، تكشف عن نفس سمحة خيرة، ظاهرها كباطنها، يميل إلى الأعمال الصالحة كما يميل الطفل إلى ثدي أمه، قارئًا عاشقًا ومحدثا بليغا، كان يأنس جليسه بحديثه، كلماته قناديل زاهرة، يوقن أن الإحساس بلذة العطاء منة من الله، حتى إن الأطباء قد أعدوها من عوامل

* شاعر وكاتب

تقوية الجهاز المناعي في جسم الإنسان.

وما أشاع خبر هذا القرض الذي كان حريصًا على كتمانه حتى لا يتعرض لشبهة الرياء أن «الراعي محروس» أخذ يشيد بمروءته، ويحكي أنور لجلسائه تعليقًا على سلوكه السامي الذي يشي بأفكار في قمة التوهج الإيماني، أنه قرأ قصة عن فارسين يتبارزان، لدى أحدهما سيف ولدى الآخر سيفان، ينكسر سيف الفارس الأول أثناء المبارزة، فيطلب بتلقائية من غريمه وهو في ذروة حميته أن يهبه سيفه الثاني، فيناوله إياه بلا أدنى تردد.

يستفسر زميله في دهشة...

– أتعطني سيفك الذي قد أقتلك به؟!

فيجيبه في شموخ الفرسان وإباء الفروسية:

– لو كنت فارسًا حقًا ما أدهشك هذا السلوك.. إن القتل أهون على ذوي المروءة من ردّ كلمة هات!

قذف الله حب الأستاذ أنور في قلوب أهل القرية– وخاصة العم محروس وأسرته– وردًا للجميل راحوا يتنافسون في إكرامه، زيارات وخدمات وهدايا مما لذ وطاب.

يقبل أنور هذا التكريم بإصرارهم الذي لا يقاوم، جبرًا لخواطرهم، وبنية ألا يسترد القرض، ويضحي دافعه لقبول تلك الهدايا استجابة للحديث الشريف: «تهادوا تحابوا»، لأنه لو كان ينوي استرداده، ما قبل تلك العطايا على سبيل أن «كل قرض جر نفعًا فهو حرام».

يتنامى هذا الود الحميم، ويسافر أنور إلى مصر لقضاء أجازته السنوية، ويعود أول العام الدراسي من مصر، فيستقبله أهل القرية بحفاوة بالغة، تعرض سيرة زميله صلاح الذي كسب اليانصيب، ويصدق حدس أنور، فقد ذهب هذا الرابع الى السينما نفس المساء الذي قبض فيه المبلغ، وإذا بنظره يقع على فتاة يجذبه جمالها، فيسير خلفها متتبعًا دربها منتويا الدخول إلى أهلها طالبًا يدها، وبعد أخذ وردٍّ يوافقون بشرط، مفاده.. أنه إذا لم تعجبها الإقامة في مصر، وتعذر تكيفها مع الحياة هناك يعودان للإقامة في سورية، ويوافق على الشرط، وبلا أدنى تردد، فقد كان في حالة خدر عقلي بما اكتسب من مال، واشتعال عاطفي بما شاهد من جمال، سلباه أدنى قدرة على التروي.

يعقد القران ويصطحبها معه لقضاء الاجازة السنوية في مصر، فتستاء من أسلوب حياته، ويتعذر تكيفها مع سلوكاته، يعودان في العام التالي بنية استيطان الإقليم الشمالي (سورية) تنفيذا للميثاق الذي واثقهم به، ويحدث الانفصال بين مصر وسورية، فيضطر للعودة وحيدًا في ابتئاس، حيث حملت زوجته، وقد نسي أو تناسى أنه كان سيعود إلى مصر بعد انقضاء الإعارة.

لقد شتت حياته في تشرذم وجداني اجتماعي، خسر معه المال والاستقرار، وطفله الذي سيولد كاليتيم.

تستأنف أسرة الراعي صلتها الحميمة بالاستاذ أنور، من بدء العام الدراسي التالي كأقوى ما تكون الصلة، وإذا برسالة تلغرافية من القاهرة قبيل إجازة نصف العام تطلب منه العودة إلى مصر فورًا لأداء الخدمة العسكرية، ويستعد للسفر، ويصل النبأ إلى الراعي محروس، فيهرول إليه قبيل سفره، بعد أن حمل خزين قمح أسرته السنوي في إحدى الشاحنات إلى سوق الحبوب بعاصمة الإقليم حرصًا على تسديد القرض.

يفاجأ الأستاذ أنور بحضوره وتصميمه على رد القرض مشفوعاً بأسمى آيات العرفان!

أخبار ثقافية

● يفتح معرض أبوظبي الدولي للكتاب أبوابه اعتبارًا من٢٦ مارس هذا العام ويشهد المعرض مبادرة جديدة بعنوان «تواقيع» يتيح للقراء فرصة التقاء المؤلفين المفضلين لديهم بهدف الجمع بين أطراف النشر الثلاثة (الناشر والكتاب والقارئ).

● بعد انتظار وترقب لـ ٨ سنوات صدر أخيرًا كتاب د.مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأسبق الذي حمل عنوان «طبيب في البيت» وضم بين دفتيه ٦٢ فصلًا، غطت تفاصيل سيرته الذاتية وأحداث عقود من السياسة والفعل والإنجاز، هي بعمر ماليزيا الحديثة.

● فاز العالمان المصريان د.علي حلمي أحمد موسى ود.نبيل علي محمد بجائزة الملك فيصل في مجال اللغة العربية والأدب لعام ٢٠١٢م عن بحوثهما في مجال المعالجة الحاسوبية للغة العربية وتحويل النظريات إلى برامج عملية تفيد مستخدمي الكمبيوتر واللغة العربية، كما فاز من السعودية الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي بجائزة خدمة الإسلام، كما فاز من السعودية أيضا د.عدنان بن محمد الرزاق بجائزة خدمة الإسلام عن كتابه «موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام».

● تدافع د.ماجدة حمود في كتاب صدر حديثًا عن الدار العربية للعلوم بعنوان «صورة الآخر في التراث العربي» عن عروبة كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي يرى آخرون أنه مجرد ترجمة لكتاب «هزار اللسان» الفارسي الأصل الذي فقد فيما بعد وبقيت ترجمته العربية.



«الأسواق الشعرية».. طقوس ومعارك ساخنة!

صلاح حسن رشيد

تبوّأت الأسواق الشعرية مكانة عظيمة في نفوس العرب في العصر الجاهلي، فقد نظروا للشاعر نظرتهم للمَلِك والأمير، وكانت القبيلة تُفاخر كل القبائل بميلاد شاعرها، وتزهو به على الملأ.. بل إنه احتلّ منزلة أرفع مَن منزلة المُقاتل، وذلك للدفاع عنها ضد أعدائها بشعره. وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر احتفلت به احتفالًا عظيمًا، فأخذ الرجال والنساء يُهنِّئ بعضهم بعضًا، فأقاموا الحفلات الغنائية، وقدّموا فيها الطعام والشراب؛ لأن في نبوغ هذا الشاعر حماية لأعراضهم، وذبًّا عن أحسابهم، وتخليدًا لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، كما يقول ابن رشيق في كتابه العمدة.

وكانت تُعقد المجالس لسماع الشعر وإنشاده، وتُقام الأسواق من أجل المفاخرة والمباراة بين القبائل عن طريق سلاح الشعر.. بل إن القبائل التي لا ينبغ فيها الشعراء كانت تشعر بالنقص والضّعة، وخمول الذكر والهوان!

يقول د.حسين نصار في كتابه «في الشعر العربي»: إن الأسواق الشعرية كانت كثيرة، فمنها سوق عكاظ، التي كانت تعقد في وادٍ بين مكة والطائف، في شهر ذي القعدة.. ثم توارت أهمية عكاظ في الإسلام، وبرز سوق المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة، يُضاف إليهما المساجد التي كانت فيها المجالس الشعرية أيضًا، فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع حسّان بن ثابت، واقتدى به المسلمون بعد ذلك، كما تذكر أخبار جرير والفرزدق.

وكان للاحتفالات الشعرية، التي أقيمت في الأسواق العربية، آثارها الخطيرة في الشعر العربي، بل في اللغة العربية كلها؛ فقد كان سوق عكاظ البقعة التي تتلاقى فيها القبائل العربية من شتى الأرجاء، ومع اختلاف اللهجات، وكانت القبائل تحاول أن توجِد لها لغة أدبية رسمية، فاختارت لغة الحجاز (قريش). فكانت عكاظ الموطن الذي وحّد اللهجات العربية، ومهّد لتوحيد العرب أنفسهم في أمة واحدة.

> **النابغة والخنساء والأعشى.. رفعوا رايات الفخر في عكاظ**

طقوس الاحتفالات الشعرية

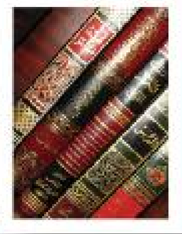
ويبدو أن هذه الاحتفالات الشعرية كانت لها رسومها وطقوسها وآدابها، فقد روي أن عمرو بن كلثوم عندما نظم معلقته الشهيرة، وأراد إشاعتها ونشرها بين العرب، ذهب إلى سوق عكاظ، وأنشدها هناك، فنالت إعجاب السامعين واعترافهم بجودتها، فطار صيتها بين الناس!

ورووا كذلك أن الأعشى عندما مدح المُحلّق الكلابي، وأثنى على بناته؛ ليجد لهنّ الأزواج الأكْفاء، فعل ذلك في عكاظ، وكان يُنشد الناس تحت سَرحة (شجرة عظيمة ذات ظل)، وقد حقّقت قصيدته غرضها سريعًا، فتهافت الأشراف على بنات الرجل طلبًا للزواج!

كما ذكر أصحاب الأخبار أن بعض الشعراء الذين اعترف لهم أهل عكاظ بميزة أو فضل كانوا يهتمون بهذا الاعتراف، ويُبرزونه إبرازًا واضحًا، فيُعلِّمون أنفسهم بعلامات خاصة، لا يحل لغيرهم استخدامها، فكان النابغة الذبياني- الذي اتخذ منه أهل عكاظ حَكَمًا يفصل بين الشعراء ويبين منزلتهم- يضرب لنفسه قُبّةً حمراء من الجِلد!

بين الخنساء وهند!

ولمّا أُصيبت الخنساء بأبيها عمرو بن الشريد، وأخوَيها: صخر ومعاوية، ورثتهم بالقصائد التي شاعت في الأرجاء العربية، واعترف لها الناس بعِظَم مصيبتها، كانت تشهد عكاظ، وقد أعلمت هودجها براية. قال أبو الفرج في الأغاني عنها: «لما كانت وقعة بدر، قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، وبلغها تسويم (اتخاذ علامة) الخنساء هودجها في الموسم، ومعاظمتها العرب بمصيبتها، وأن العرب قد عرفت لها ذلك. فلمّا أُصيبت هند بما أُصيبت به، قالت: إني أعظم من الخنساء مصيبة، وأمرت بهودجها فسُوِّم براية، وشهدت الموسم بعكاظ. فقالت: اقرنوا جَمَلي بجمل الخنساء، ففعلوا، فلما أن دنت منها، قالت لها الخنساء:




من أنت يا أُخَيَّة؟ قالت: أنا هند بنت عتبة، أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنك تُعاظمين العرب بمصيبتك، فبمَ تعاظمينهم؟ قالت الخنساء: بعمرو بن الشريد، وصخر، ومعاوية ابنَي عمرو. وبم تعاظمينهم أنتِ؟ قالت هند: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة بن ربيعة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أو سواءٌ عندك؟ ثم أنشدت تقول:

أُبَكِّي أبي عمرًا بعينٍ غزيرةٍ قليلٍ إذا نام الخليُّ هُجودُها
وصنوَيس لا أنسى معاويةَ الذي له من سراة الحَرَّتَين وُفودُها
وصخرًا، ومن ذا مثل صخرٍ إذا غدا بساهمة الآطال قُبًا يقودها
فذلكِ يا هندُ الرزيةُ فاعلمي ونيرانُ حربٍ حين شبَّ وَقودها

فقالت هند تجيبها:

أُبَكِّي عميد الأبطحَين كليهما وحاميها من كل باغٍ يريدها
أبي عتبةُ الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمارَ وليدها
أولئك آل المجد من آل غالبٍ وفي العزِّ منها حين ينمى عديدها

تزيُّن الشعراء!

ويؤكد د.نصار: أن أول ما كان يلجأ إليه الشاعر ليعد نفسه للشِّعر، هو التَّزَيُّن.. وكان التزين أمرًا جوهريًّا وضروريًّا، يفعله كل شاعر، ولا سيما الفحول؛ فيقال إن الفرزدق حين أراد أن ينشد في المدينة قصيدته:

عزفتَ بأعشاش وما كنتَ تعزفُ
وأنكرتَ من حوراءَ ما كنتَ تعرفُ

طلع الفرزدق على القوم في حُلَّة يمانية موشّاة، وقد أرخى غديرته، كما كان خصمه الذي تحداه يلبس ثوبين مصبوغين بصُفرة!

وحينما أراد جرير أن ينشد قصيدته التي هجا فيها الراعي النميري وقومه، وقال فيها:

فغُضَّ الطرف إنك من نُمير
فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

يُقال: إنه ادَّهن بدهن، وجمع شَعره- وكان حَسَن الشّعر- وضمّ أطرافه!

وكان من تمام الاحتفال، أن يُزَيِّن الشاعر جَمَله الذي يركبه، فيضع عليه أجمل الأردية. وقد وصف واصف ما لجأ إليه جميل بثينة من تجمُّل، حين هاجى جوّاس بن قطبة، فقال: «قدمتُ من عند عبدالملك بن مروان، وقد أجازني، وكساني بُردًا، وكان ذلك البُرد أفضل جائزتي، فنزلت وادي القرى، فلقيني جميل، وكان صديقًا لي، فسلَّم بعضنا على بعض..فلما أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رحلي، فقال: البُرد الذي رأيته عليك تُعيرنيه حتى أتجمَّل به، فإن بيني وبين جوّاس مراجزة، قلتُ: لا، بل هو لك كسوة، فكسوته إياه، فلما أصبحنا جعل الأعاريب يأتون أرسالًا، حتى اجتمع منهم بشرٌ كثير. وحضرتُ وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان، ما رأيت مثلهما قط، وإذا بُردي الذي كسوته إياه قد جعله جُلا لجمله، فتراجزا..».

وكانت النتيجة أن كسب جميل المُراجَزة، وارتفعت مكانته بين الناس!

وأغرب من ذلك وأعجب، ما كان يفعله حسان بن ثابت وهو يستعد لإنشاد إحدى قصائده الحماسية، فقد كان حسان يُخَضِّب شاربه والشعرات التي بين الشفة السفلى والذقن بالحنّاء، ولا يُخضب سائر اللحية، ليكون كالأسد الوالغ في الدماء، كما فسّر هو نفسه هيئته، وينشد حماسيته، ويتغنّى بشجاعته وغنائه في الحروب!





قراءة موضوعية في ديوان الشاعر محمود محمد كلزي

إسراء لوادٍ غير ذي زرع

أحمد حسن الخميسي

يحلق الشعراء المؤمنون- الذين ينتصرون لدينهم- في إبداع قصائد ذات موضوعات إسلامية، فيصدرون دواوين شعرية عن الجهاد والحماسة، أو الأخلاق الحميدة، أو محاسن الإسلام المجيدة، أو عن السيرة النبوية، أو عن أركان الإسلام.

من الشعراء الذين كتبوا شعرًا إسلاميًا الشاعر «محمود محمد كلزي» الذي صدر له عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ديوان شعر بعنوان: «إسراء لواد غير ذي زرع» عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، نشر وتوزيع (العبيكان) في الرياض، وقد ضم بين دفتيه ثلاثًا وأربعين قصيدة، نصفها تقريبًا عن الإسلام والمسلم، وعن الجهاد والشهادة، وعن النبي ﷺ الرحمة المهداة، وعن نور القرآن.. وتسع قصائد عن الحج وعواطف الشاعر فيه، وثماني قصائد عن شهر رمضان المبارك وفضائل الصوم فيه، وختم ديوانه بسبع قصائد عن بناته وابنه الوحيد محمد.

ومن شعر محمود كلزي الذي قاله في موسم الحج، وقد اختار عنوان القصيدة الرابعة «إسراء.. لواد غير ذي زرع» ليكون عنوانًا لديوانه الذي نُتحدث عنه.

إن «الوادي غير ذي زرع» هو المكان الذي أودع سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأمه هاجر عند بيت الله الحرام، ودعا لهم بأن يرزقهم الله من الثمرات، ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وتسكن عندهم.

كما في قول الله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم: ٣٧).

بهذه المعاني والدلالات استهل الشاعر محمود محمد كلزي قصيدة (إسراء.. لواد غير ذي زرع):

بـواد غـيـر ذي زرع فـؤادي
هوى حبًا.. وقد لبى المنادي
كأن من «الخليل» أتى صداه
يـنـادي: يـا رؤوفًـا بالعباد
لعـل الـلـه يـرزقـهـم غـلالًا
من الثمرات تعمر كلَّ واد(١)

مناسك الحج في قصائد الشاعر

وبما أن فؤاده هوى حبًا بواد غير زرع، فقد لبى النداء، فجاء يؤدي فريضة الحج عام ١٩٩٠م.

وأثناء حجه وصف لنا رحلته إلى بيت الله الحرام في أم القرى، وعبّر عن مشاعره وشوقه ووجده نحوها.

لقد أقبل إلى مكة وقد هجر الأهل والوطن مقبلًا على الله بقلب أبيض وثياب بيضاء:

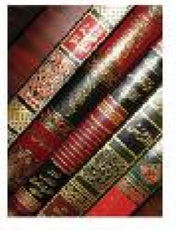
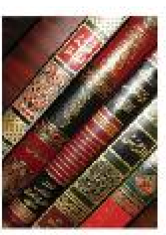
شوقًا إليها هجرت الأهل والوطن
وعفتُ خلفي الندامى ترشف الحزنا
شوقًا إليها سكبت الدمع فاندلعت
حرائق الوجد تكوي الروح والبدنا
وجئت فوق براق بالحنين سرى
أسرى به الله يطوي البيد والمدنا
في حضن أم القرى ألقيت راحلتي
وقد نضوت ثيابًا مجّت الدرنا

وعندما حط رحاله في مكة ورأى الكعبة تملأ القلب والعين، طاف بها وراح يلثم الحجر الأسود بوجد وتلهف:

هنا تركت فؤادي حول كعبتها
مسربلًا ببياض خلته الكفنا
ورحت ألثم من وجد لها حجرًا
سواده في عيون الطائفين سنا
ورحت أقطف من بستانها ثمرًا
طابت قطافًا لمعمود وطاب جنى

وبعد أن طاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر بشفتيه، اتجه إلى ماء زمزم الطاهرة، وعبَّ منه وروى ظمأه، يقول في قصيدة «في ظل الكعبة»:

فمضيت أستبق الفؤاد إلى ثرى
عطر.. يتيه به المحل الأرفع
وأتيت أنهل جرعة من زمزم
وتركت روحي من جناها ترضع
وقبست من فيض الأماني جذوة
ثمل الفؤاد بها فتاهت أضلع

ومضى بعد ذلك يسعى بين الصفا والمروة، كما سعت أم إسماعيل، وهي تبحث عن ماء بيل الصدى، وعن فرج قريب ينهي وحدتها في هذا الوادي القفر، وسعى الشاعر كذلك اقتداء برسول الله ﷺ الذي سعى أكرم سعي في تاريخ البشرية.

سعى الشاعر الحاج وقد هجر الفتن والمحن والشهوات، وأقبل على الله بقلبه تغمره نفحات إيمانية ورحمات ربانية:

خلفت ما عشق الورى من فتنة.. من شهوة
وسبحت في دنيا من النغمات.. فوق اللذة
وتركت قلبي ساعيًا بين الصفا والمروة

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة انطلق مع قوافل الحجيج ليقف في عرفات، وعندما وقفوا على صعيد واحد يدعون ويلبون، حلَّق الشاعر بخياله وتصور أن هذه الزحوف تتجمع هنا لتؤدي مناسك الحج، ولتشكل معسكر الإيمان الذي سينطلق جيشه لينصر الحق وأهله، ويدحر الباطل وأعوانه من أصحاب الشهوات والنزوات والافتراءات:

من هنا.. من معسكر الإيمان
سنقود الجيوش للمعمعات
من هنا.. من كتائب الحق والـ
قوة من كل مؤمن متفان
من هنا .. من بوارق العزة القعْـ
ساء من كل باتر هندواني
من هنا.. من خيامنا من نفوس
عافت السحر والهوى والمغاني
تركت لذة الحياة لقوم
ذوّبوا العمر في ظلال الدنان
وتلاقت من كل فج عميق
وعلى كل ضامر في جنان

لقد توحد المسلمون في صعيد عرفات بلباسهم، وعبادتهم وقلوبهم وهتافهم الذي ملأ الآفاق مما يعلن عبودية الحجاج لله

رحلته إلى الحج ألهبت مشاعره وأثارت عواطفه.. فكان هذا الديوان

تعالى، وحمدهم له على نعمه:

وتنادت «لبيك» في عرفات
ولك الحمد فوق كل لسان

وكانت الرحمات تنزل كالغمام على هؤلاء الملبين التائبين المخبتين الداعين:

وما «لبيك» في الأفواه تندى
سوى ودق الغمام لكل صاد
همى شلال ضوء من سناها
وأيقظ جمرة بين الرماد

عواطف الشاعر وأحاسيسه

لقد أحس الشاعر– وهو يقف في عرفات– أن روحه تحلق في عالم سماوي طاهر، في جنة غناء قد توفرت فيها عناصر الجمال والسعادة والسمو، وكأنه في جنة عدن،يقول في قصيدة «الوقوف في عرفات»:

وتعطَّرْتُ.. لم أحس بنفسي
أيّ روح مرفرف نشوان
أي دنيا أعيش بين مجالـ
ـها وفي أي عالم فينان؟!
أي سحر.. يحف بي أي إلهـا
م .. ووحي يجوس عبر كياني؟
أنا في جنة الخلود أغني
أم على أيكة القطوف الدواني؟
أم من الكوثر المعنبر قد عبَّـ
ـتُ شفاهي.. أم سلسبيل الجنان؟
أنا في أي عالم باسم مز
دحم بالكواعب الولدان؟!

بالإضافة إلى هذه المشاعر السامية التي أحسَّ بها الشاعر، أفصح عن حبه لربه وعبادته وشغفه بهذه الأماكن التي يعبد الله فيها، فهو يعلن عن شوقه وصبابته لتلك الديار فيقول:

ما بال قلبي بالشجون ملفع
شوقا.. وجسمي بالصبابة موجع

كما أنه شبه محبته بالخيول الجامحة التي انطلقت تعدو وهي تحمل قلبًا مضمخا بعطر المحبة والهوى:

بين الصفا والمروة
جمحت خيول محبتي
هرولت أستبق الفؤاد مضمخًا باللهفة

ولئن قصَّر قلمه عن وصف ما به من عواطف تجاه البيت الحرام وما حوله، فإن قلبه وجسمه قد فاضا حبًا وتتيُّمًا بمكة وأجوائها الإيمانية النورانية المشرقة، يقول في ختام قصيدة الوقوف في عرفات:

أنا إن قصَّر اليراع بيانًا
ففؤادي مسربل بالبيان
أي ذكرى عزيزة خطها الـ
ـقلب بحبر مضمخ أرجواني
هي ذكرى أحسها في دمي تسـ
ـري وفي أضلعي وفي أجفاني

لقد أجاد الشاعر محمود محمد كلزي في وصف الكعبة، والسعي والوقوف في عرفات، وعبَّر عن خلجات فؤاده في ديوانه «إسراء .. لواد غير ذي زرع» وقدم لنا أنموذجًا للشعر الإسلامي الرائع الذي يمتح من لغة القرآن ومعانيه، وبيان الأحاديث النبوية وكنوزها.

وسبح الشاعر مع خياله المجنح الذي نقلنا إلى عالم الحج الفسيح، وكأننا نشاركه في عبادته ومشاعره، فجزاه الله خيرًا.

الهوامش

١- إسراء.. لواد غير ذي زرع. محمود محمد كلزي- رابطة الأدب الإسلامي- العبيكان - الرياض- ص ٣٦، صدر عام ١٤٣١- ٢٠١٠م.

حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات

التحرير

الفن: فقه حنبلي.
تحقيق: سامي بن محمد بن عبدالله الصقير
محمد بن عبدالله بن صالح اللحيدان
الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دولة قطر.
سنة النشر: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م رقم الطبعة: الأولى

إن العلم الشرعي من أفضل ما شُغلت به الأوقات، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن حفظ هذا الدين برجاله المخلصين، وهم العلماء العاملون، الذين كانوا أعلامًا يُهتدَى بهم، وأئمة يُقتدَى بهم، ومن هؤلاء الأئمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فإنه ملأ الأرض علمًا وحديثًا، وانتفعت به الأمة، وصار إمامًا وقدوة لأهل السنة.

ثم جاء من بعده أتباعه، فجمعوا مسائله ورواياته، وقعَّدوا لها القواعد، وفَـرَّعـوا عليها المسائل، وأكثروا من التصنيف والتأليف، ولاسيما المتأخرون منهم، فإنهم سلكوا مسلك التصحيح والترجيح بين الروايات والأقوال، فحرروا المذهب ونقَّحوه، وبيَّنوا ما أُجمل ووضحوه.

ومن هؤلاء علاء الدين علي بن سليمان المرداوي في كتابه: «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»، فهو تصحيح لما نقل عن الإمام أحمد في المسألة من روايات، وما نقل عن الأصحاب فيها من أقوال، ثم اختصره في كتابه: «التنقيح المشبع» حيث صحّح فيه ما أطلقه الموفق في: «المقنع» من الروايات والأوجه، وقيَّد ما أخَلّ فيه من الشروط، أو ما فيه إطلاق، واستثنى من عمومه ما هو مستثنى على المذهب حتى خصائص النبي ﷺ، فصار تصحيحًا لغالب كتب المذهب، فبين في: «إنصافه» و«تنقيحه» رحمه الله الصحيح من الضعيف.

ثم نحا نحوه مقلدًا له: موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي في كتابه: «الإقناع لطالب الانتفاع»، فقد جرد فيه الصحيح من مذهب الإمام أحمد.

ونحا نحوه أيضًا: العلاَّمة محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي الشهير بابن النجار في كتابه: «منتهى الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح، وزيادات»، ويعتبر هذان الكتابان (الإقناع والمنتهى) العمدة عند المتأخرين، ومدار الفتوى عليهما، إذ فيهما البغية المنشودة والضالة المفقودة؛ فإن اختلفا فالمرجع والمعتمد على ما في: «المنتهى»، لأنه أكثر تحريرًا وتصحيحًا من «الإقناع» وإن كان الإقناع أكثر وضوحًا ومسائل، ولما كان لكتاب: «المنتهى» هذه المنزلة عند المتأخرين من الأصحاب أَوْلَوه عناية فائقة من جميع جوانبه؛ فتارة: بالحفظ والتدريس واعتماده في القضاء والفُتيا، وتارة: بالشرح والاستدلال، وتارة: بالتحشية والتحرير والتدقيق، وتارة: بالاختصار، وتارة: بالجمع بينه وبين «الإقناع».

وممن خدم هذا الكتاب واهتم به . بالتحشية والتحرير . الشيخ محمد الخلوتي -رحمه الله- في: «حاشيته على المنتهى»، فحَلَّل وحرر كثيرًا من ألفاظ «المنتهى» ومسائله، واعتنى بالفروق الفقهية، وتصوير المسائل، وتلخيص الشروط.

أسباب أهمية حاشية الخلوتي

١- شهرة المنتهى ومنزلته الرفيعة بين أهل المذهب، وتقديمه على غيره عند المتأخرين في الفتوى والقضاء، ولاشك أن هذه الحاشية ستستمد هذه القوة من ذلك إضافة إلى ما أطبق عليه الحنابلة من مكانتها المميزة بين شروح المنتهى وحواشيه.

٢ -مكانة مصنف الحاشية بين علماء المذهب وشهرته وتميزه بالتحرير والتحقيق والتدقيق.

٣ - ما لهذه الحاشية من ميزات كالعناية بنقل الأقوال ونسبتها، وكثرة مصادرها، واشتمالها على فوائد وزيادات كثيرة في فنون متنوعة، وظهور شخصية مؤلفها، ووضوح رأيه.

٤ - توفر النسخ الخطية الكافية لهذه الحاشية؛ مما يعني خروجها نصًّا على أحسن صورة.

٥ - استشهاد المصنف في الحاشية بأحاديث وآثار كثيرة مما يقوي الكتاب ويثري مادته.

التعريف بحاشية منتهى الإرادات

اسم «الحاشية»: لم يرد ما يدل على أن الخَلوتي- رحمه الله- ذكر لـ«حاشيته» اسمًا معيَّنًا، إذ إن هذه «الحاشية» عبارة عن تحريرات وتقريرات، كتبها على نسخته على «المنتهى»، وبأوراق بداخل هذه النسخة، ولم يؤلفها ككتاب مستقل، وإنما جردها بعض تلاميذه بعد وفاته- رحمه الله.

وقد جاء كلام مجَرِّدها في أولها نصًّا حيث قال: «أما بعد: فهذه حواش لشيخنا، الشيخ الإمام، العالم العلاَّمةً، والحبر الفهامة، ذي الدين المتين، والورع واليقين، محمد بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي الشهير بالخَلوتي- أسكنه الله بحبوحة جنته، وتغمده برضوانه ورحمته-، على كتاب «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح، وزيــــادات»، للإمام العلاَّمة شيخ الإسلام محمد تقي الدين، ابن قاضي القضاة أحمد شهاب الدين ابن النجار المصري الفتوحي الحنبلي- تغمدهما الله تعالى برحمته، وأدام النفع بعلومهما-، أحببت تجريدها عنه في كتاب مستقل ليكثر النفع بها، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا لكل فعل جميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

وقد اتفقت عبارات من ترجم للخَلوتي- رحمه الله- على ذكر اسم لهذه «الحاشية» سوى كونها «حاشية على المنتهى».

القيمة العلمية لحاشية الخلوتي

تعتبر «حاشية الخَلوتي على المنتهى» مكمِّلة لما سبقها من الشروح؛ فإن الشرح؛ وإن فاق «الحاشية» بتناوله جميع ألفاظ المتن بالشرح والتحليل، لكن «الحاشية» تفوق الشرح بأن المحشي يتناول من ألفاظ المتن ما يرى أن بحثه مهم، ولهذا تجد في «حاشية الخَلوتي على المنتهى» من العمق، والتحرير، والتدقيق، ما لا يكاد يوجد في الشروح.

وتظهر قيمة «حاشية الخَلوتي على المنتهى» بنقله كثيرًا من عبارات شروح «المنتهى»، والاستدراك عليها، أو تقييد وتبيين ما أُطلق وأُجمل من تلك العبارات، وتحريرها، وتصويرها بأسهل عبارة، وأيضًا فإن في هذه «الحاشية» من النقولات ما لا يوجد في الشروح، ولا سيما ما ينقله عن الشيخ منصور البَهوتي أثناء قراءته عليه في الدرس.

وقد أثنى علماء الحنابلة على هذه الحاشية، واعتمدوها مرجعًا في المذهب لما لها من قيمة علمية.

منهج المؤلف في «حاشيته»

لم يذكر الخَلوتي- رحمه الله – في «حاشيته» المنهج الذي سار عليه، وذلك أنه- رحمه الله- لم يؤلفها ككتاب مستقل، وإنما جردها بعض تلاميذه من نسخته بعد وفاته، ولكن من خلال قراءة «الحاشية» يتضح منهجه فيها، وهو كما يلي:

١-المقارنة بين كتابَي: «الإقناع» و«المنتهى».

٢-حَل وشرح جملة من ألفاظ المتن.

٣- يصدر المسألة بذكر الكلمة أو العبارة التي يريد شرحها او التعليق عليها من «المنتهى» قائلا: «قوله:...» ثم يعلق عليها.

٤- كثيرًا ما يربط بين الأبواب والمسائل، فيذكر المناسبة بين الكتاب وما قبله، والباب وما قبله، والعلاقة بين المسألة ومسألة سابقة أو لاحقة.

٥-تحليل المسائل وتصويرها، وذكر الفروق الفقهية، وأقوال الأصحاب أحيانًا، مع ذكر ما يظهر له في المسألة، وما يختاره من تلك الأقوال.

٦- العناية بشرح الكلمات الغريبة التي يخفى معناها من مصادرها المعتمدة.

٧- إذا لم يجد مسألة،

أو لم يترجح له فيها شيء، أو لم يجد فيها نقلا وما أشبه ذلك، فإنه يختمها بقوله: «فليحرَّر» ، أو «فلينظَر»، او «فتدبر» ونحو ذلك.

٨- كثيرًا ما ترد عبارة: «وبخطه»، أو «وكتب على قوله» «وهذا من تلميذه الذي جرَّد الحاشية، قاصدًا بذلك شيخه الخَلوتي»، وذلك حينما يجد ورقة او تعليقًا بخطه على هذه العبارة او المسألة.

٩- الغالب أنه إذا أطلق كلمة: «الشرح» أو «شرح»، فالمراد به شرح المصنف- رحمه الله- وقد يريد به أحيانًا شرح شيخه الشيخ منصور البَهوتي- رحمه الله-، ويعرَف ذلك بالرجوع إلى عبارة الشرحين ومقارنتها مع عبارة «الحاشية».

كما أنه إذا أطلق كلمة «حاشية» فالمراد: «حاشية المنتهى» للشيخ منصور، وقد يريد بها أحيانًا: «حاشية الإقناع» للشيخ منصور، ولكن هذا قليل.

١٠-استعمل في «الحاشية» بعض الرموز كقوله: «المص» والمراد به المصنف، أو «م ص» والمراد به الشيخ منصور، أو «ح ف» والمراد «حواشي الفارضي على المنتهى»، ونحو ذلك مما بينت المراد به في محله.

محاسن «الحاشية» وميزاتها

أثنى علماء الحنابلة على «حاشية الخَلوتي»، وتسابقوا إلى اقتنائها، والاستفادة منها، واعتمادها مرجعًا في المذهب، لما لها من المحاسن، والمزايا، والتي منها:

١-المقارنة بين كتابي: «الإقناع» و «المنتهى»، وذلك من خلال:

أ- بيان مواضع الاتفاق والاختلاف في المسائل بين الكتابين.

ب- إيضاح الفروق بين عبارة الكتابين.

علماء الحنابلة أثنوا عليها واعتمدوها مرجعًا في مذهبهم

ج- تقييد ما أطلق، وتبيين ما أجمل من عبارة «المنتهى» بما ورد مقيدًا في عبارة «الإقناع»، وهذه ميزة بيِّنة وفائدة علمية، لأن «الإقناع» و«المنتهى» هما العمدة عند المتأخرين ، وعليهما مدار الفتوى.

٢- أن الخلوتي نقل في حاشيته كثيرًا من تقريرات وتحريرات الشيخ منصور البهوتي مما ليس موجودًا في كتبه، كما نقل ايضًا في «حاشيته» تحريرات وتعليقات ممن سبقوه في الكتابة على «المنتهى»، وتتبعها إما بإقرارها والسكوت عنها، أو الاعتراض عليها ونقدها وإيضاح الصواب من غيره.

٣-قسم كثيرًا من المسائل، وصورها، وفصَّل فيها، وأجمل كثيرًا من الشروط ولخصها، وهذا يفيد حصر العلوم، وتقريبها إلى الذهن، وسهولة حفظها لطالب العلم.

٤- نقل كثيرًا من المسائل، والتحريرات، والغرائب، والفوائد من علماء الحنابلة وغيرهم، وأودعها «حاشيته»، فجاءت نفيسة، فيها من العلوم، والفوائد، ما لا يكاد يوجد في كتاب.

٥- حل كثيرًا من غوامض متن «المنتهى»، وشرح عباراته، وحل ألفاظه، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة في هذا الباب.

٦- كثرة مصادر «الحاشية»، وتنوعها، وتميزها، مما كان له أثر ظاهر في تميزها.

٧- عناية المؤلف- رحمه الله - بذكر الفروق بين المسائل.

٨- الربط بين المسائل المتشابهة، وبيان أوجه بناء بعضها على بعض، ومواضع الاتفاق والاختلاف بينها.

٩- قوة المؤلف- رحمه الله- العلمية، وسعة علومه، وتنوعها، مما جعل هذه «الحاشية» مميزة عن غيرها.

المآخذ على الحاشية

كل عمل بشري لابد أن يكون فيه نقص، وعليه مآخذ، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، ومن المآخذ على الحاشية:

١- إيراد الأحاديث والآثار الضعيفة من غير حكم عليها أو تعقيب.

٢- إيراد بعض القصص الضعيفة التي ينكرها الشرع والعقل من غير تعقيب عليها.

٣- تابع صاحب المتن في إيراد بعض البدع، والتساهل في مشروعيتها، وعدم نقدها.

٤- إيراد الاحتمالات الكثيرة على العبارة من غير ترجيح لأحد هذه الاحتمالات، مما يضع القارئ في حيرة.

٥- أغفل من الفاظ المتن ومسائله بعضا منها، فلم يتعرض لها بالشرح والتعليق، مع حاجتها لذلك، وتناول ما هو أوضح منها.

الهوامش:

١-أكثر ما في هذا التقرير مستفاد من مقدمة المحققين الفاضلين للكتاب، وهو في أول الجزء الأول للحاشية.



المرأة.. حينما تكون دعاية!

لا أصدق أن تكون المرأة سلعة تباع وتشترى ، ولا أصدق أن تكون مهانة من قريب أو بعيد ، ولا أرضى أن تستغل لتحقيق مصالح الآخرين .

والعالم في الشرق والغرب يتنادى للثأر للمرأة ، وتتعالى صيحات الانتصار لها ، وقد تحقق للمرأة في عصرنا مطالب عديدة ، وحققت إنجازات كبيرة ، واستفاد العالم من تجاربه في مجال المرأة . . وقرأنا وسمعنا ما نادت به نساء أميركا وأوروبا من دعوات جادة للعودة للبيت والعمل فيه وفصل النساء عن الرجال في المصانع والمدارس وغيرها بعد تجارب طويلة ودراسات واسعة للآثار العميقة للمشكلات التي تورطت فيها النساء من أعمالهن ودراستهن بجانب الرجال .

أقول هذا افتخاراً بنساء بلادي ، وحبا لهن وحرصًا على مستقبلهن ، وقد أكد ذلك ولاة الأمر في بلادنا مراراً وفي كل مناسبة . . حيث قالوا :

إن النساء في بلادنا يتمتعن بكامل حقوقهن ، ويعاملن أفضل معاملة ، ومجتمعنا مجتمع مسلم محافظ لا يرضى بما يخالف تعاليم الإسلام .

أما بعد : فماذا يعني أن تكون المرأة دعاية لسلعة من السلع بغض النظر عن السلعة؟ ! ولا يختلف الأمر عندي أن تكون السلعة من مستلزمات تجميل النساء أو إعلانا لسلعة غذائية أو عصيرا أو أكياس نفاية ! !

والسؤال هنا :

لماذا تكون المرأة دعاية؟ أليست المرأة مسلمة أو غير مسلمة أسمى من أن تكون دعاية؟

عبدالعزيز العسكر

مسابقات في فهم القرآن الكريم



دعاء حاتم

من اللافت للنظر أن يرى المرء في جميع أنحاء العالم الاسلامي مسابقات تقام في حفظ القرآن الكريم والتفنن في استظهار ملكات الحفظ والاسترجاع وترصد لذلك الجوائز والعطايا، ولا تجد من بين كل هذه المسابقات مسابقة واحدة في فهم وتدبر هذا الكتاب الكريم، لذلك نحن ننبه الى ضرورة ان تقام بالمثل مسابقات في فهم القرآن العظيم تعميقا لهذه القيمة ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ (محمد: ٢٤).

ولأن فهم القرآن وتدبره هو المقصود الأهم والمطلب الأعظم لأن الفهم وحسن الفهم هو الموصل لحسن العمل بهذا الكتاب العظيم الذي لو أصبح واقعا عمليا معاشا لأسعد البشرية لأن به مفاتيح الهداية لسعادة الدارين.

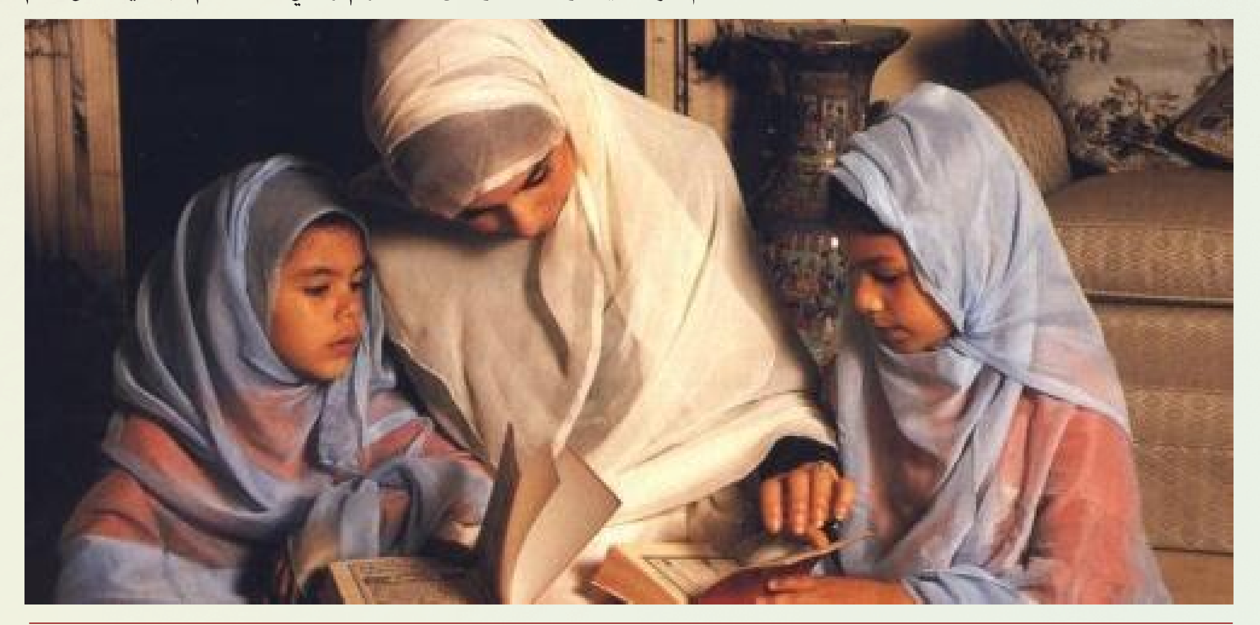
نزل القرآن ليكون كتاب هداية ودستور حياة ومنهاج عمل، والسؤال المطروح هنا كيف يعمل الناس بما لا يفهمون؟ كيف يعملون به ان كانوا لا يفهمون مراميه و مقاصده؟

لابد من فهم عميق للقرآن يربط الكلي بالجزئي ومقاصده العامة بقضاياه الكبرى .

لذلك كان الحديث عن اقامة مسابقات في فهم القرآن ضرورة ملحة. وقراءة القرآن وحفظه واستظهاره لا تغني عن فهمه اذ الفهم هو الغاية والمقصد وليس مجرد الحفظ والاستظهار.

وعلم القرآن لا ينتزع الا بترك الفهم و التدبر فعن أبى الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره الى السماء ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء. فقال زياد بن لبيد الانصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: ثكلتك أمك يا زياد ان كنت اعدك من فقهاء المدينة.. هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟ (جزء من حديث رواه الترمذي وابن ماجة والامام أحمد في مسنده).

ولذلك كان النبي ﷺ يحض صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين على تعلم



كاتبة صحافية



القرآن فعن عقبة بن عامر الجهني قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو الى بطحان او العقيق (اسماء مواضع) فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين بغير اثم بالله عزوجل ولا قطع رحم. قالوا: كلنا يا رسول الله. قال: فلأن يغدو أحدكم كل يوم الى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عزوجل خير له من ناقتين وان ثلاث فثلاث مثل اعدادهن من الابل) (رواه مسلم).

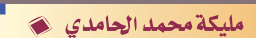
وفي هذا الحديث دلالة واضحة على ما اسلفنا من ضرورة الحض على تعلم القرآن وفهمه وتوجيه الطاقات والقدرات لهذا الأمر العظيم.

بعد كل ما سبق. ماذا نريد؟ نريد من السادة القائمين على مسابقات حفظ القرآن الكريم والمهتمين بها ان ينظموا ايضا مسابقات في فهم القرآن وتدبره وعلمه بما يرونه مناسبا لاختبار ذلك وفي هذا حض للناس على تعلم القرآن وفهمه.

ولا يظن ظان اننا حين نطالب بذلك نقلل من قيمة الحفظ والاستظهار وندعو الناس الى عدم الاهتمام به، وإنما ما نقصده ونريده وندعو اليه هو ان يكون كل شيء في نصابه وفي مكانه ومعرفة أن القراءة وتحسينها بالتجويد وضبطها بأحكام التلاوة والحفظ ما هي الا خطوات على طريق الفهم، والفهم لا يتحصل الا بالتعلم والتدبر وإدامة النظر في هذا الكتاب العظيم ومن ثم يكون العمل والانفعال بالقرآن والتأثر به والسعي به بين الناس ننشر خيره ونسعد ونكون بذلك قد حققنا مقصد التنزيل الاسمى ﴿وان تطيعوه تهتدوا﴾ (النور: ٥٤).

● تمت الاستفادة من محاضرة للشيخ عبدالسلام الحصين عن موقع صيد الفوائد.

اعترافات خجولة



مليكة محمد الحامدي

عذرًا منك أيتها الدنيا.. ففي سرد طفيف يغوص ببحر أناته عتبي المجبولُ بعشقكِ دوما.. أقدم لَكِ اعترافًا تستحقينه.

عذرًا... فلستُ أبغيك قبسًا من وحي نبوة.. ولستُ أبغي اليوم من مصارحتك اللّوم، لكني أدعوك إلى مناظرة ودية، استرعي فيها ذمتك لعلك ترفديني بتراتيل حب أصيلة.. أهشم بها قساوة الأفئدة وكتن طفلة فتحت عينيها على غبار الحرمان وهو يكتسي كأس ترفي، يُداعب كنهي بوحشية طفولية في لحظة ضعف ولحظة قوة، ثم سرعان ما ينجلي حين تتساوى كفتا ميزان الحياة فوق ضميري لتشكلا معادلة ربانية عادلة، تنحني لها نفسي راضية مرضية مطمئنة.

فانبثق منك نور ألهمني معناك.

كبرت قليلا... تكاثف غبار الحرمان حتى غطى كأس حياتي، لكن ترفي مازال محتفظًا بمقامه الجليل داخله، طالت أناملي فرحتُ أجلو عن كأسي طواغيت الشقاء كيما تشعري بأني مقصرة في حقك، فأعطيتني قليلا من كرامة اتزود بها مدى الحياة.. وكثيرا من حب لا يعرف المراوغة، وأطنانًا من سماحة تجهل أضدادها، ورواسي من تواضع لا يرضى بالذل، وحياء يعاتبني كل ساعة على تواطئي مع ذنب غير معد له، وفضولا مغوارًا ينازع الجهل بسيبل جايل المعرفة.

فعشقتك، حتى انبثق من فكري نور ألهمني معناك.

كبرت أكثر، ولربما كان لابد من تلك الكائنات التساؤلية أن تخلق الآن لتعبر عن ذاتها باختيال غير محبب، مجسدة لوحة التحولات وهي تراقص ألوانها بانصهار مثير للاشمئزاز.

كيف تحول الورد شوكا عند أول لمسة غادر؟

كيف صار الحب ذئباً ما أن قويت أنيابه حتى بدأ الفتك بأهله؟

كيف قفلت أبواب الاستقبال البريئة بأقفال مغذاة بتنافس أحمق؟

كيف حبس الاعتراف بالذنب في زنزانة التعجرف العتوب؟

كيف تهمش التواضع سخرية وإذلالا.. إلى أن انفض من مجالس الألباب والقلوب؟

كيف ربط لسان الحق بين الخلق.. برباط النفاق المستور بضرورة المجاملة؟

كيف توغل السكوت عن الفحش صرخات الضمير.. حتى بات الحياء رذيلة منعت من قائمة الاستهلاك؟

كيف استقت البشرية من غدائر السماح.. حتى تصبغت نفوسها بخليط لا لون له ولا معنى؟

كيف ولدت أمهات المسلمين أبناءها.. حتى اكترت من عدوها مهاترة أفكاره؟

كيف أفشى العلمُ سره.. حتى انتصبت رايات المعرفة عند غير أهلها؟

كيف غيّب الإنسانُ الإنسانَ على طاولة حوار الأنا المطلق؟

كيف.. وكيف.. وكيف؟

عذرًا سيدة أعجبتي..

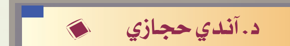
عذرًا فقد أغرتنا المقامات الشريفة فيك حتى ظننا بأن تيجان الملوك صنعت لنا، عذراً فقد أغرتنا ثناءاتك القديرة.. فرحنا نؤطر أفعالنا بخوارق مفتعلة.. عذرًا إن اغرتنا محاكمتك السمحة.. حتى سار فضول الشر فينا بأفعال أضلت طريقها فما عادت تتوقف عند حد.

عذرًا .. أطفولتي أعطتك معنى آخر.

أم إن العبث فيك..أضلني الطريق إليك فما عُدتُ ألهم معناك.

باحثة أسرية

كيف ينمو طفلك معرفيًا؟



كثيرا ما تتساءل الأم عن كيفية نمو المعارف لدى طفلها الصغير؟ وكيف تنمو قدرات طفلها العقلية؟ وكيف ينمو تفكير الأطفال؟ وكيف تستطيع الأم مساعدة طفلها على تسريع وتحسين ذلك التطور الفكري لديه؟

إن من أوائل العلماء الباحثين الذين حاولوا الإجابة عن هذه الأسئلة كان عالم النفس والأحياء السويسري جان بياجيه والذي استخدم منهجية الملاحظة والمقابلة مع الأطفال من أجل التوصل إلى كيفية حدوث تطور التفكير لدى الأطفال، فقد كان يلاحظ الأطفال بشكل تتابعي منذ ولادتهم وحتى بلوغهم سن الرشد ويدوّن ملاحظاته ويجري مقابلاته معهم لفهم كيف يفكرون، ومن خلال ذلك توصل لنظريته الشهيرة في النمو المعرفي للطفل والتي تعد أهم نظرية على الإطلاق في مجال النمو المعرفي والتفكير لدى الأطفال والتي أجابت عن الكثير من تلك التساؤلات وفتحت الباب للكثير من الأبحاث والدراسات، وقد قيل إن من يعرف نظرية بياجيه لا يعود ينظر إلى الأطفال كما كان ينظر إليهم سابقا.

إن النمو المعرفي للطفل وفق بياجيه يمر عبر سلسلة من المراحل المنتظمة والمتسلسلة منذ الميلاد حتى الرشد، وعلى الأم معرفة أن هذه المراحل الأربع أساسية لكل طفل، وكل مرحلة منها تعتبر مهمة للمرحلة التي تليها، ولا يمكن تخطي أي مرحلة منها ولكن يمكن تسريعها أو إبطاؤها، وهي عالمية يمر بها جميع الأطفال في العالم، وتاليا توضيح لهذه المراحل الأربع مع تقديم بعض النصائح للأم لكل مرحلة منها:

أولا: المرحلة الحسية الحركية: تبدأ هذه المرحلة من الميلاد حتى سن الثانية من العمر تقريبا كما وجد بياجيه، وفي هذه المرحلة يستخدم الطفل حواسه وحركاته وأفعاله والتجريب من أجل تعرف العالم واكتشاف الأشياء من حوله فيستخدم حاسة البصر وحاسة السمع واللمس والشم والتذوق من أجل فهم العالم من حوله واكتشافه، كأن يحدق في أمه واشتمام رائحتها لتعرفها وهو يلتفت إلى مصدر صوتها.. ويحاول الطفل في بدايات هذه المرحلة أن يتابع الأشياء بصريا وأن يمسك الأشياء بيديه ويتحسسها ويقلّبها ليتعرف ماهي، كما يفعل عندما تقدم له لعبة فيتأملها ويضعها في فمه ليتذوقها ويضعها قرب أنفه ليشتم رائحتها، أو عندما تقدم له قطعة حلوى مغلفة فيحاول الإمساك بها وتحسسها وفتحها، أو عند إخفاء لعبة أمامه فإنه يحاول البحث عنها وخاصة عند الشهر الثامن، وعندما يصل الشهر العاشر أو العام فإنه يذهب إلى المطبخ ويفتح أدراجه لاكتشاف ما بها، وهذا أمر طبيعي في هذه المرحلة لرغبة الاكتشاف لديه وعلى الأم السماح له بذلك مع مراقبته، وعلى أسرة الطفل خلال هذين العامين تقديم الكثير من المثيرات الحسية المناسبة للطفل كألعاب متنوعة وبألوان وأحجام وأشكال مختلفة ووضع بعضها على سريره وفي غرفته.

وفي هذه المرحلة أيضا وبعد الشهر السادس يبدأ الطفل في التفاعل في اللعب مع الآخرين والابتسام لهم دون الاهتمام لجنسهم ذكرا كان أم أنثى، وعلى الوالدين إيلاء الطفل اهتماما خاصا من خلال اللعب معه لأنه يتعلم التفاعل الاجتماعي من خلال اللعب.. ومن الضروري في هذه المرحلة تحدث الوالدين مع الطفل وتكرار الكلمة أمامه من أجل تعلمها وخاصة بعد الشهر الثامن مثل كلمة «خذ، هات، تعال، ماء، بابا، ماما، سيارة...» حيث يبدأ الطفل ما بين الشهر الثامن وحتى السنة الأولى من عمره بتعلم بعض الكلمات ونطقها وخاصة من والديه، ويتوقع في نهاية العامين أن يصبح الطفل قادرا على لفظ كلمتين معا قاصدا بهما جملة كاملة مثل «بابا سيارة» أي بابا ذهب بالسيارة أو أريد الذهاب بالسيارة، فهذان العامان مهمان للطفل لتعزيز الثقة بنفسه وبقدرته على التجريب والاكتشاف والكلام ولابد من تشجيعه من خلال الابتسامة له أو التصفيق أو تقبيله عند نجاحه في كل مهمة جديدة.

ثانيا: مرحلة ما قبل العمليات المنطقية أو المحسوسة: هذه المرحلة تبدأ من سن عامين حتى سن السابعة وفي هذه المرحلة تزداد القدرات العقلية للطفل على تكوين صور ذهنية عن الواقع الخارجي وتخزين أسماء الأشياء المحسوسة أمامه، فهو يبقى مرتبطا بالأشياء والموضوعات المحسوسة في عالمه كالصور والمجسمات أكثر من المجردة ولذلك يكون تفكيره غير منطقي في هذه المرحلة وخاصة في سنواتها الأولى لأنه غير قادر على التخيل لأشياء لم يرها. ويبدأ الطفل في هذه المرحلة

باحثة أردنية



معرفة الأشياء وتصنيفها وفقا للأحجام أو الألوان أو المستويات، ولذلك يمكن للأم أن تسمح لطفلها أو طفلتها بطي الملابس معها وتصنيفها وفق أحجامها أو أنواعها لترتيبها داخل الخزانة، وكذلك تقديم ألعاب تركيب مختلفة الألوان والأحجام والأشكال للطفل مع اللعب معه من أجل تنمية قدرات التصنيف لديه.

ويواجه بعض الأطفال في هذه المرحلة صعوبة في إدراك بعض المفاهيم الكمية مثل أن صب نفس كمية الماء في أكواب مختلفة الأشكال لا يغير من كمية الماء، ولذلك على الأسرة محاولة تعليم طفلها تلك المفاهيم المنطقية والعلمية من خلال المحسوسات والتجريب أمامه، وقد أصبح دخول الطفل الروضة مهما في تعليم الطفل تلك المهام والمفاهيم كتصنيف الأشياء وإدراكها والمفاهيم الكمية.. وإن أهم ما يميز هذه المرحلة كما وجد بياجيه هو تمركز الطفل حول الذات حيث يعتقد الطفل أن كل ما في العالم خُلِق لأجله، فمثلا أمه هي خلقت لأجله فقط.. فهي سمة تشبه الأنانية، ولكنها مفيدة لتطور عقله، ولذلك على الأسرة التحدث مع الطفل والإجابة عن تساؤلاته وتعريضه للمواقف الاجتماعية المثيرة حتى لا يبقى منعزلا وتتسع مداركه وتفكيره، مع أهمية اصطحابه في رحلات جماعية. ويزداد في هذه المرحلة اللعب الإيهامي فهو يلعب بالوسادة على أنها حصان مثلا.. وهذا شيء إيجابي لأنه ينمي لديه قدرات التخيل العقلي، ومن إيجابيات تلك المرحلة أنه يتعلم أن يستخدم اللغة بطريقة كبيرة وصحيحة وخاصة عند بلوغ سن الرابعة والخامسة ويصبح بمرور الوقت يتحدث بلغة تشبه لغة الكبار تقريبا ولكن دون فهم التشبيهات والمجاز من القول.

ثالثاً: مرحلة العمليات المحسوسة: تمتد هذه المرحلة من سن السابعة وحتى بداية الثانية عشرة وهي تشمل الأطفال في مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة، هذا، ويشير اصطلاح العمليات المحسوسة إلى العمليات

معرفية الطفل تمر بمراحل أربع.. الحسية الحركية.. ما قبل العمليات المنطقية ..العمليات المحسوسة .. العمليات المجردة

العقلية التي يستطيع الطفل أن يقوم بها والتي تبقى ضمن أشياء محسوسة أو شبه محسوسة كالصور، حيث يستطيع الطفل في هذه المرحلة أن يفكر تفكيرا منطقيا ولكنه لا يرقى إلى التفكير المنطقي المجرد لدى الكبار، فقدرته على التفكير المنطقي المقنع تظل محدودة إلى حد مّا حتى يصل الطفل إلى مرحلة العمليات المجِردة كما وجد بياجيه، ويمكن في هذه المرحلة تقديم مهام عقلية أكثر تعقيدا للطفل لتنمية قدراته العقلية كالتصنيف للأشياء بناء على عدد من المتغيرات معا كاللون والحجم والشكل معا، وطلب تقديم تفسيراته للأشياء والوقائع المحسوسة، وعمل المقارنات والمتشابهات، وطلب تقديم أمثلة لما يطرح وافتراضات، وإدماج الطفل في مهام تتضمن حب الاستطلاع والمغامرة والتجريب كما في المختبرات والرحلات والزيارات الميدانية.

مع ضرورة استمرار الوالدين والمعلمين في هذه المرحلة في تقديم الرسوم التوضيحية والوسائل العينية لتوضيح الأفكار والنماذج المعقدة والجديدة على الطفل كأجهزة الجسم مثلا، وضرورة السماح للطفل ذكرًا كان أو أنثى باللعب الحركي لحاجته إليه لنموه العقلي، ومع ملاحظة زيادة اهتمام الطفل هنا بالصداقات وبالتخلص من سمة التمركز حول الذات التي كان يعاني منها في المرحلة السابقة. ولابد من الاستمرار في تنمية لغة الطفل في هذه المرحلة أيضا كتشجيعه على التعبير عن نفسه شفويا وكتابيا وبوسائل متعددة كالكتابة والتأليف والرسم لتنمية مهاراته المتعددة.

رابعاً: مرحلة العمليات المجردة: تمتد هذه المرحلة من سن ١٢ فما فوق حتى نهاية العمر وهي تشمل مرحلة المراهقة ومراحل الرشد وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل الراقية في نظرية النمو المعرفي عند بياجيه، فهي مرحلة مهمة للنمو العقلي لدى معظم المراهقين وخاصة الذين يستكملون تعليمهم المدرسي، وهي مرحلة إعلان استقلال عقل الإنسان وتفتحه، فالمراهق يصبح قادرا على إدراك معنى الحياة والموت ومعنى العبودية للخالق (الله) وهو قادرعلى أن يدرك معنى وجوده في الحياة، وفي هذه المرحلة يستطيع المراهق التعامل مع عمليات التفكير المجرد والمصطلحات المعقدة، والدخول في المناقشات والمناظرات، ويستطيع أن يكتشف المبادئ أو القواعد العامة من خلال عدد من الوقائع والأحداث النوعية والعمليات التجريدية، ويستطيع الفرد في هذه المرحلة التخيل، والتفكير الاستدلالي الاستنباطي، والتفكير الاستقرائي، والتفكير المنطقي، والتفكير العلمي، وتفكير حل المشكلات، واتخاذ القرارات، ويزداد اهتمامه المتعلق بالمشاكل الاجتماعية والمجتمعية والعالمية، ويصبح فردا فاعلا ومسؤولا في مجتمعه وأسرته وبيئته، ويستمر في هذا النوع من القدرات العقلية حتى نهاية حياته مع تطورها أكثر بمرور الوقت، ما لم يصب بمرض يؤثر على قدراته العقلية.

وأخيرا؛ ومما هو جدير بالذكر أن الأطفال يختلفون في كفاءتهم العقلية تبعا للسن ومرحلة النمو العقلي التي وصلوا إليها، وأن وصول الطفل إلى المراحل المتقدمة من النمو المعرفي يعتمد اعتمادا كبيرا على الفرص التربوية التي أتيحت لهم خلال سنوات نموهم، وتبعا للخلفية الثقافية التي ينتمون إليها، وتبعا للمثيرات التي يتعرضون لها، مع تفاعل العوامل الوراثية مع كل ذلك.



قهر الحرمان

أحمد عبداللطيف النجار

آه من الحرمان ولهفي على المحرومين، فمن الصعب على النفس الإنسانية أن تواجه الحرمان من العطف والحنان من أقرب الناس إليها، ومن الصعب أيضا ان تقهر ذلك الحرمان وتقاومه فلا تستسلم له استسلام العاجزين، والأكثر صعوبة أن ترد الإساءة بالإحسان!

صاحبي عبدالغفار عاش كثيرًا من ويلات الحرمان لكنه لم يستسلم له، جاءني ذات ليلة باسمًا، قرير العين مرتاح الضمير يقول:

نشأت في أسرة مفككة لانفصال الأبوين وسرعان ما فقدت حنان أمي التي كنت أعيش في كنفها بعيدًا عن أبي، والتي لقيت ربها بعد عناء طويل مع المرض الذي أصابها بسبب جحود أبي لنا وتقتيره علينا، وفي المقابل يعيش حياة مترفة مع زوجته الثانية وابنه المدلل منها، هكذا وجدت نفسي وأنا صغير السن بلا عائل ولا راع ولا سند، فاضطررت إلى استعطاف أبي كي يضمني إلى بيته وأسرته أعيش مع زوجته وأبنائه، وضمني أبي بالفعل إلى اسرته كارهًا، ووجدتني أعيش في بيت أبي مواطنًا من الدرجة العاشرة، بل كانت منزلتي أقل من منزلة الخدم وشعرت بالقهر والهوان وعشت في عزلة تامة وسط أهلي، وتحملت أقداري راضيًا بقضاء الله وقدره لكي استطيع مواصلة تعليمي، وسألت نفسي ذات ليلة هل كنت أتوقع من زوجة الأب أن تكون أما حقيقية لي أو أن تكون لي منزلة الابن المدلل لديها؟!، وكانت الإجابة على تساؤلي معروفة، بالطبع لا!

إذن يجب علي أن أنسجم مع أقداري التي فرضت علي ولأحاول أن أتكيف مع عالمي الذي أعيش فيه حتى تهون علي مرارة الحياة، وهكذا تحملت ظروفي وتعايشت مع هؤلاء الغرباء مقابل لقمة العيش، وبحثت حولي عن أصدقاء من أبناء الجيران وزملاء الدراسة، ووضعت همي في دراستي بالحيلة، فقد كنت أتحايل لأجد الوقت الكافي لمذاكرة دروسي وأداء واجبات الخادم المنزلية دون أي تقصير، وتحاشيت بقدر الإمكان أن أعطي زوجة أبي أي سبب للشكوى مني أو الزعم بأنني لا أقوم بما هو مطلوب من أعمال الخدمة المنزلية بكل أشكالها، ووفقني المولى عز وجل إلى النجاح في الدراسة بلا أي تعثر ولا دروس خصوصية، وكنت حريصا على أن أعمل أي عمل إضافي خارج المنزل في اجازة صيف السنة الأولى الإعدادية وأدخر ما أتقاضاه من أجر لأنفق منه على دراستي ومصروفي الشخصي في العام الدراسي التالي، وكلما نجحت في امتحان آخر السنة شعرت أنني اقتربت خطوة نحو الخلاص، وكلما تفوقت في دراستي ازداد سوء معاملة زوجة أبي لي وحقدها عليّ خاصة كلما رسب أحد أبنائها أو تعثر!

حتى إنها فقدت السيطرة على نفسها ذات مرة قبل امتحان الإعدادية وثارت ثورة عارمة عليّ ومزقت كل كتبي المدرسية وألقتها في المجاري بدعوى تقصيري في واجباتي كخادم للأسرة!

تحملت كل تلك القسوة واستعرت كتب زملائي في المدرسة واحدًا بعد الآخر لكي استعد لدخول الامتحان، ونجحت بحمد الله والتحقت بالمدرسة الثانوية وواصلت الكفاح والتحمل والصبر حتى بلغت الثانوية العامة وبدأت امتحانها فلم تحتمل زوجة أبي أكثر من ذلك، وبدأت تتصيد لي الأخطاء وأصرت على طردي من البيت لكي أعجز عن مواصلة الامتحان، والله يا أخي



بكيت يومها بالدموع الغزيرة لأبي ولها كي ترحمني وتتركني أؤدي بقية الامتحان وطلب مني أبي أن استرضيها وأن أقبل قدميها حتى رضيت في النهاية وتركتني! وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت بفضل الله وفعلت المستحيل كي يوافق أبي على أن ألتحق بالجامعة، ولم يستطع أبي الوقوف في طريقي خاصة أنني أعمل في الصيف ولا أكلفه أي مصاريف فوق طاقته، وواصلت العمل أثناء دراستي الجامعية حتى تخرجت وحصلت على شهادتي الجامعية، وساعدني بعض الأشخاص الطيبين على العمل فعملت وبذلت كل طاقتي في عملي وأنا أشعر بأنني أخيرًا قد تحررت من ذل العبودية والخدمة في بيت زوجة أبي، ومضت أيام عمري بخيرها وشرها وتقدمت في عملي حتى وصلت إلى مركز مرموق، ورغم كل ما حدث لم أقطع صلتي بأسرة أبي ولا بإخوتي منه، لكني فقط أتعجب لفشلهم جميعًا في استكمال دراستهم العالية رغم كل ما توفر لهم من رعاية وتدليل وإمكانات!

وفجأة رحلت زوجي أبي عن الحياة (سامحها الله) وابتعد أبي عن أبنائه منها وشغل بدنياه الخاصة، وتفرق الأبناء في شتى البلاد يسعون وراء الرزق في مدن بعيدة، ولكني والحمد لله لم أشعر تجاه أحدهم بالشماتة أو بالحقد لأنني أراهم ضحايا تدليل الأبوين وجهلهما وبعدهما عن روح الدين الإسلامي الرحيم، بينما كنت أنا ضحية القسوة وعدم العدل، لكل ذلك لم أقطع رحمي بأحد منهم ولم أتردد في مساعدة من يحتاج منهم للمساعدة.

–آه يا صديقي على الحرمان ولهفي على المحرومين وما أكثرهم في ديار الإسلام العظيم دين المحبة والتسامح والرحمة، لقد قاسى حبيبي رسول الله ﷺ أشد مما قاسيت، لكنه توكل على خالقه بفطرته السليمة النقية وواجه الحياة يتيمًا وحيدًا ترعاه عناية الله، تمامًا كما فعلت أنت واقتديت به فاعتدت التفكير العقلاني الواقعي منذ الصغر، منذ أرغمت نفسك على قبول واقعك المؤلم في بيت أبيك والرضا به، وقد فسرت أنت نفسك ذلك بالحوار الداخلي تفسيرًا عقلانيًا بأنه من غير المنتظر أن تكون زوجة أبيك أما حقيقية لك وأن تكون لديها الابن المدلل! مع أنه هناك الكثيرات من زوجات الآباء المحترمات الرحيمات اللاتي يرعين حدود ربهن في معاملة أبناء أزواجهن خاصة إذا كانوا يتامى مثلك، وأنا أعرف منهن شخصيًا الكثيرات، لكن بكل أسف لكل قاعدة شواذ، على كل حال كان تفكيرك العقلاني خير عون لك على احتمال أوضاعك القاسية ومحاولة النجاة منها باجتهادك في دراستك واتخاذ الأصدقاء المخلصين خارج دائرة الأهل.

انسجمت مع الأقدار التي فرضت عليَّ فهانت مرارة الحياة .. وكانت هذه هي النتيجة

في الواقع كانت فلسفة صاحبي عبدالغفار رائعة في انتقامه ممن ظلموه بنجاحه في دراسته واستقلاله بنفسه بالعمل ثم بصلة رحمه لإخوانه الذين لا ذنب لهم جنوه غير انهم أبناء زوجة أب قاسية القلب، فأنت بذلك يا عزيزي طبقت بغير وعي منك وأنت حدث صغير أحدث ما ينصح به علماء النفس والتربية لمن يواجهون ظروفًا حياتية ظالمة تهدد بتعثرهم وحرمانهم من فرصهم العادلة في حياة كريمة، فخير وسيلة للانتقام ممن ظلمونا وأساءوا إلينا هي أن نتحدى ظروفنا ونستمد من عنت الآخرين معنا قوة حقيقية لتحقيق نجاحنا الشخصي في الحياة، والأعجب من ذلك أن من ينتقمون لأنفسهم بالنجاح ممن حاولوا زرع الفشل في طريقهم يجدون أنفسهم غالبًا بعد أن يصلوا إلى بر الأمان أكثر استعدادًا للتسامح مع من ظلموهم، وتفسير ذلك هو أنهم ربما يكونوا قد اعتادوا خلال رحلة الكفاح ألا يتوقفوا أمام صغائر الأمور وأحقاد النفس البشرية وألا يستسلموا للمشاعر السلبية العاجزة، إنهم يفضلون استخدام طاقتهم النفسية والروحية فيما يحقق لهم ولغيرهم الخير والسلام، تلك هي النفوس النورانية الشفافة المملوءة بنور الإيمان والحب والخير لكل البشر.

أتمّ عامه المائة..

الشيخ المعمر معوض إبراهيم يفتح قلبه للوعي الإسلامي

حوار: دار الإعلام العربية: هالة عبد الحافظ - إشراق أحمد

قامة دينية وثقافية فريدة من نوعها، عشق الكلمة منذ طفولته، فأحب الشعر والأدب وأبدع فيهما، ولأن خير الكلمات ما سطرها خالق العباد وأوحاها إلى خير خلقه محمد ﷺ، فقد حرص على حفظ القرآن الكريم صغيرًا، وعلى أن يسخر ذاته للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كتابةً وقولًا وعملًا، فقضى أكثر من ٧٠ عامًا يدقّ أبواب العلم وقلوب الراغبين في الصراط المستقيم، وعلى امتداد مائة عام هي عمره حاليًا ظل مرشدًا ومعلمًا داخل مصر وخارجها في العديد من البلاد العربية والإسلامية.. إنه الشيخ المعمر معوض عوض إبراهيم، الذي تعتبر حياته رحلة طويلة من الجهاد العلمي.. التقته «الوعي الإسلامي» في حوار طويل نتابع تفاصيله عبر السطور التالية:

● من الصعب أن نحصي الحديث عن رحلة نورانية امتدت على مدى سنوات عمرك المائة.. لذلك نقتطف منها بعض المحطات البارزة ولنبدأ بعلاقتك بمجلة «الوعي الإسلامي»؟

■ كنت من أكثر الناس حرصًا على متابعة المجلة منذ صدور عددها الأول، عندما كان يقوم على تحريرها في الكويت زميل الدراسة د.عبدالمنعم النمر -رحمه الله، الذي تخرّج معي في كلية أصول الدين عام ١٩٣٩، لكنه ذهب إلى التدريس، بينما ذهبت إلى تخصص الدعوة، وبدأت أكتب في المجلة منذ العدد ١٦، وظللت أكتب إليها دون انقطاع إلا في السنوات الأخيرة بعدما داهمني المرض، فقد كنت أكتب إليها من كل بلد أذهب إليه، ففي الأردن كتبت مقالات عديدة بإمضاء «فلان الفلاني مبعوث الأزهر في الأردن مدينة العقبة»، وكذا من لبنان واليمن والسعودية، حتى ذهبت إلى الكويت سنة ١٩٧٩ بعد أن قابلت وزير الأوقاف آنذاك أبويعقوب الشيخ يوسف الحجي، ووكيلها على باب مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وقتها كانت مدة عملي كأستاذ في الجامعة الإسلامية انتهت، وكنت أُمني نفسي أن ألقى الله سبحانه في البقيع قرب الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن الأمور تجري على قدر، وليس كل ما يأمله الإنسان يناله، حيث قال لي الوزير «مادمت قد أنهيت عملك في المدينة فنحن نريدك في الكويت»، وأخذ رقم جواز السفر وبعد عودتي إلى القاهرة، أرسل لي، وحينما ذهبت إلى الكويت وجدت المسؤولين فيها أنشأوا قسمًا للدعوة وأوكلوا لي مهمة الإشراف عليه.. وأثناء ذلك واصلت الكتابة في «الوعي الإسلامي»، وكنت حريصًا على قراءة مقالات الشيخ أبوزهرة، وعبدالمنعم النمر، والغزالي وكرام الكتاب الذين كانوا يكتبون في المجلة.

● وما أحب المقالات إلى قلب فضيلتك التي كتبتها لـ«الوعي الإسلامي»؟

■ من الصعب جدًا أن يتم سؤالي عمن أحبه أكثر من بين أولادي، تيسير أم راوية أم أماني أم طارق أم صلاح، وكذلك الحال بالنسبة إلى المقالات فهؤلاء بضعة منّي لا أكاد أجد فضلًا لهذا على ذاك، وكل ما وفقني الله إليه كان موضع إعزاز وتقدير وتكريم.

● مرّت بحياتك شخصيات عديدة مثل العقاد والشيخ محمد رفعت وحسن البنا.. فهل تحدثنا عنهم؟

■ من حسن حظي أني ولدت في هذا القرن، قابلت العقاد مرة واحدة في العام الذي جئت فيه إلى القاهرة، وقد نشر لي قصيدة في جريدة «الجهاد» سنة ١٩٣٣ وأنا طالب بالصف الثالث الثانوي تحت عنوان «استعذاب العذاب»، كنت أقول فيها:

يا ماخرًا في عباب الهموم أي عباب
وضاربا في فيافي الآلام والأوصاب
والسحب تجري بسح من دمعها الوهاب
أقصر غناك رويدًا لم تلق بعض عذاب

وقد عرفت العقاد مبكرًا، وعزمت بيني وبين الله وأنا طالب في المرحلة الثانوية إن أتيت إلى القاهرة أن أزور ثلاثة: العقاد، والشيخ رفعت، وحسن البنا، فلما شاء الله أن حضرت إلى القاهرة طالبًا بكلية أصول الدين، ذهبت إلى مجلة الدستور التي كان يصدرها الحزب السعدي، وقابلت العقاد وقال لي «أنت معوض الذي كنت أنشر له قصائد الشعر»، وكان أمرًا عجيبًا أنه كان جالسًا على كرسيه لكنه أطول مني وأنا واقف، وسألني عن الكلية التي التحقت بها، فقلت له إنني منتسب لكلية أصول الدين، وعندي فراغ أريد أن أشغله في الصحافة، لعل عائدًا منها يعود عليّ وأشتري منها كتبًا تزيدني فهمًا وعقلًا وعلمًا ومعرفةً، فقال لي «أنت في كلية أصول الدين وهي كلية تربي العقل، وأطلب منك أن تصرّ على البقاء فيها، ولا يبهرك بريق الصحافة»، واعتبرت هذا الكلام خيرًا لي من كنوز قارون، فازددت حرصًا على طلب العلم.

أما الشيخ محمد رفعت فقابلته بعد أسبوع من المجيء إلى القاهرة، أردت أن أزوره، لأني سمعت عنه الكثير، فلما ذهبت إلى صلاة الجمعة، وجلست وراء الشيخ،

كتبت قصيدة مدح في محمد حسين هيكل بعد أيام من نشر كتابه «حياة محمد»



العقاد قال لي لا تنبهر ببريق الصحافة.. والشيخ محمد رفعت دعا لي بفتح الله

وجدت الناس يستقبلون قراءته بالتكبير والتهليل، فقلت لهم: يأيها الناس إن الشيخ رفعت جدير بهذا التهليل والتقدير، لكن الله يقول ﴿وإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾، فإذا بالشيخ يلتفت ببصره نحوي، ويدعو لي دعوة كأني أسمعها الآن قائلا «فتح الله عليك»، فظللت وفيًا لهذا الشيخ، الذي سمعه رجل في كندا لا يعلم اللغة العربية إلا في الإذاعات الموجهة، فدخل القرآن الكريم إلى قلبه، وإذا به يأتي إلى القاهرة، ويقابل مدير الإذاعة ويخبره عن استماعه للشيخ محمد رفعت قيثارة السماء، وظل هذا الكندي في مصر إلى أن تعلّم اللغة العربية وتذوّق القرآن الكريم، ثم اعتنق الإسلام، وأبى أن يعود إلى بلده إلا وقد أصبح داعيًا إلى الله.

● وماذا عن حسن البنا؟

■ قابلت الشيخ البنا مرة وأنا في معهد طنطا، ثم قابلته بعد ذلك في لقاءات سريعة، وكثرت مقابلاتي له بعد أن عينت واعظًا، وكنت سعيدًا بذلك العالم الجليل والمرشد العام، ولن أنسى ليلة من الليالي أتى فيها البنا إلى الفيوم، وكان لي زميلان، زميل دراسة، الشيخ خلف محمد علي، والشيخ أحمد عبدالرحيم الذي سبقني إلى الفيوم بعام، كنت قد أتيت من أسوان إلى الفيوم ١٩٤٥، وقد أعدا لي سكنًا، وفي يوم ذهبنا معًا إلى مؤتمر كان المتحدث فيه الشيخ حسن البنا، فحرصنا أن نجلس بعيدًا عن نظره، في أبعد مكان على يمينه، وكنا نظن أنه لن يرانا، فإذا به يتكلم وفتح الله عزّ وجل وأنار بصره وأراه ثلاث عمائم، وقال مشيرًا إلينا «تفضلوا»، كأنه يريد أن يقول للناس اسمعوا كلام هؤلاء، انتفعوا بتوجيههم، فقد كان –رحمه الله– رقيِّقا متواضعًا إلى أبعد الحدود.

● ارتبطت بالشعر والأدب في سن صغيرة جدًا.. فماذا عن القصائد التي نشرت لك وأنت مازلت طالبًا؟

■ في العام التالي الذي نُشرت فيه قصيدة «استعذاب العذاب»، نشرت لي جريدة السياسة الأسبوعية قصيدة بعد صدور كتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل –رحمه الله، وكنت وقتها طالبًا بالصف الرابع الثانوي بمعهد الدراسات الإسلامية بطنطا، وقد أرسلت القصيدة كنوع من الإشادة بالدكتور هيكل عن هذا الكتاب، وظننت أنها لن تنشر لأنني مازلت ناشئًا، وهيكل كان قمة من قمم السياسة والأدب، لكن ذات يوم فوجئت بمدرس البلاغة محمد فهمي وكان ضعيف البصر طويل الجسم يناديني قائلًا: «يا واد يا معوض يا داهية، أنا شوفتلك يا واد»، فظننت أنه رأى لي رؤية، ولأننا كنا نعيش حالة من الخوف من الله والبعد عن المعاصي، كنا نؤمن بالرؤية التي نراها لأنفسنا أو نراها لغيرنا، أو يراها آخرون لنا، فقلت له بلهفة «خيرًا يا أستاذ»، فقال «رأيت لك قصيدة في مجلة السياسة الأسبوعية»، ولأنه كان بيني وبين زملائي تنافس في الأدب فقد أخذوا جميعهم يسألونني كيف فعلت ذلك؟.

● قلت إن الوعظ والدعوة كانا أهم بالنسبة إليك وأبناء جيلك من الوظائف.. فما أبرز ملامح تجربة فضيلتك الدعوية؟

■ أحمد الله الذي كان ينير لي الطريق أثناء الدعوة في مصر ومختلف البلدان العربية، فقد قضيت ست سنوات في لبنان، ومثلها في السعودية، وأربع سنوات في الأردن، وبهذه المناسبة أترحم على الدكتور عبدالرحيم محمود شيخ الأزهر الذي ذهب إلى فرنسا وجمع بين علوم الدنيا، وعلوم الإسلام، وجاء بسلوكه القويم، ليرأس الأزهر في آخر عمره، وقد قال لي يومًا: «تسافر إلى الرياض؟»، فقلت: له إن كان لابد فسأسافر إلى مدينة الرسول ﷺ، فطلب من مدير مكتبه أن يُلحقني ببعثة جامعة بن سعود بالرياض، وبالفعل ذهبت إلى الرياض بصحبة أحد أساتذة كلية الشريعة، وقضيت فيها سنتين، وكان يتولى رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد الشيخ محمد إبراهيم محمد الذي قال لي: «جئنا بك لتشترك في التوعية بموسم الحج»، وكان ذلك بمرسوم ملكي.

● كيف ترى شبابنا اليوم؟

■ برغم ما نراه من انحراف بعضهم، وهم قلة لا يخلو منهم زمان ولا مكان، فإن هناك من يقول في مثلهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق».. وقد رأينا ذلك في الشباب الذين قادوا ثورة مصر وغيرها من البلدان التي انتصرت على الظلم والفساد، وهذا يؤكد أن الخير موجود في شبابنا، وإن كانوا بحاجة إلى القدوة الحسنة.

الشيخ معوض في سطور

ولد الشيخ معوض عوض إبراهيم الأزهري الحنفي – حفظه الله– وأطال في عمره عام ١٣٣٠هـ – ١٩١٢م بقرية كفر الترعة الجديد بمركز شربين بمحافظة الدقهلية، والتحق الشيخ بالأزهر الشريف عام ١٣٤٤هـ –١٩٢٦م، بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية، وحصل على الابتدائية عام ١٣٤٨هـ – ١٩٣٠م وكان شيخ المعهد الأزهري حينئذ الشيخ الكبير عبدالله دراز والد الدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز رحمهما الله، وبعدها حصل الشيخ على الكفاءة عام ١٩٣٣م وعلى الثانوية من معهد طنطا عام ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٥م.

أولع الشيخ منذ نعومة أظفاره بحب اللغة العربية ودراسة الأدب والاهتمام به، ولقد بلغ من تفوقه في فن الأدب أن أستاذ الأدب أهداه كتاب مقامات بديع الزمان وكتب عليه إهداء له، وذلك لنبوغه في فن الأدب إثر محاورة بينه وبين زميل من زملائه، وفي نفس العام نشر له الأستاذ عباس محمود العقاد الكاتب الجبار كما كان يسميه سعد زغلول قصيدة تحت عنوان (استعذاب العذاب) التي استهلها بقوله:

يا ماخرًا في عباب الهموم أي عباب
وضارباً في فيافي الآلام والأوصاب

وقد نشرت هذه القصيدة في عدد مجلة السياسة الأسبوعية الممتاز التي كان يصدرها محمد حسين هيكل وزير المعارف –رحمه الله– وكان ذلك عام ١٩٣٤م بمناسبة مرور عام على صدور كتاب حياة محمد ﷺ، وكان الشيخ حينئذ بالصف الثاني الثانوي الأزهري.

التحق الشيخ بكلية أصول الدين بالقاهرة بالخازندارا، بعد إنهاء المرحلة الثانوية في المعهد الديني الأزهري بطنطا، وكان عميد الكلية آنذاك الشيخ الإمام الكبير الشيخ عبدالمجيد اللبان رحمه الله.

أكمل الشيخ سنتين في تخصص الدعوة عام ١٣٦٣هـ – ١٩٤١م، ثم بعد ذلك عين واعظا في أسوان عام ١٩٤٢م – إلى عام ١٩٤٥م، ثم في الفيوم من عام ١٩٤٥ إلى ١٩٤٨م، ثم في مدينة بورسعيد من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٦م، وفي عام ١٩٥٢م حصل فضيلته على تخصص التدريس والتربية من كلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، لأنه لا يعين في التدريس إلا من حصل على تخصص التربية والتدريس من جامعة اللغة العربية وهي لمدة سنتين، وكان الشيخ واعظ بورسعيد في ذلك الوقت حينما نال هذه الشهادة.

رحلاته

سافر الشيخ إلى لبنان مبعوثًا للأزهر الشريف للوعظ والتدريس من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٢ – في الكلية الشرعية ببيروت، ثم زار اليمن ست مرات متقطعة بعد عودته من لبنان، والتقى فيها هناك بمفتي اليمن الشيخ عبدالله زبارة، رحمه الله، واشترك معه في عدة حلقات من البرنامج «في نور الإسلام» في التلفزيون الكويتي.

عاد الشيخ بعدها إلى مصر فأنشأ المعهد الديني الأزهري في بورسعيد عام ١٩٦٤م، ثم توجه بعدها إلى الأردن عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٦٩م، وكان مقره ميناء العقبة الميناء الوحيد بالأردن، وبعدها عاد الشيخ إلى مصر وعمل مفتشًا ومراقبا للوعظ في القوات المسلحة، ومحاضرًا في الدراسات العليا بقسم الحديث في كلية أصول الدين حتى عام ١٩٧٣م، ثم مدرساً في كليه الشريعة بالرياض عام ١٩٧٣م ثم باحثًا علميًّا في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء إلى عام ١٩٧٦م، ثم عمل بعدها مدرسًا في كليتي أصول الدين والحديث النبوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم عمل رئيساً لقسم الدعوة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت بداية من عام ١٩٧٩ الذي أنشأ فور تعاقده في الوزارة حتى عام ١٩٨٥م.

زار الشيخ بعد ذلك باكستان وزار الكليات العلمية الشرعية في كراتشي وبيشاور ولاهور وقابل هناك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد العسال رحمه الله الذي كان نائبا لمدير الجامعة الإسلامية العالمية، وزار الشيخ عدة دول أخرى كالبحرين وقطر، وسافر إلى سورية فزار دمشق مرتين وحلب وحمص وحماة أثناء عمله في الكلية الشرعية ببيروت.

وبعد عودة الشيخ من باكستان عمل عضوًا في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في عهد الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله، متفرغا للكتابة في الصحف والمجلات داعيا إلى



الله بكلمة هادية بانية حريصًا على النصح للآخرين.

مـــن زمـــلائــــه وأصدقائه

فـضـيـلـة الشيخ العـلامة محمد خاطر مفتي الديار المصرية، وفضيلة الشيخ العلامة المحقق أحـمـد صقر، وفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد أبوشهبة، وفضيلة الشيخ الدكتور محمود غرابة، وفضيلة الإمــام الأكـبـر شيخ الأزهـر الـدكـتـور عبدالرحـمـن بيصار، وفضيلة الشيخ الدكتور عبدالمنعم النمر، وفضيلة الشيخ محمد خليفة الأباصيري، وفضيلة الشيخ محمد الطيب النجار، وفـضـيـلـة الـعـالـم الجليل شـيـخ الدعاة العلامة محمد الغزالي رحمهم الله رحمة واسعة، وغيرهم ممن يصعب حصرهما.

شيوخه

تتلمذ الشيخ على كوكبة نيرة من أكابر علماء الأزهر الشريف، أخذوا العلم كابرًا عن كابر، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: فضيلة العالم الرباني العلامة الشيخ محمد الأودن رحمه الله، والشيخ الـعـالـم الجليل الـعـلامـة محمد سلامة صاحب كتاب مباحث في علوم القرآن، وفضيلة الشيخ الـعـلامـة الجليل محمد عبدالعظيم الـزرقـانـي، صـاحـب كتاب مناهل العرفان، وفضيلة العالم الجليل العلامة الحجة المسند الشيخ علي سرور الزنكلوني، وعنه يـروي فضيلة الشيخ معوض بأسانيده المتصلة، وفضيلة الشيخ الجليل العلامة الفقيه محمد أبوزهرة، وفضيلة الشيخ الجليل محمد يوسف مـوسـى، وغيرهـم ممن لا يتسع المجال لذكرهم، رحم الله الجميع، وكان الشيخ محمد أبوزهرة يقول: الشيخ معوض ابني البكر والشيخ محمد الغزالي ابني الثاني.

ومن الأعلام الذين عاصرهم وكانت بينه وبينهم مواقف وذكريات يتجلى فيها ارتباط الشيخ بالأكابر من العلماء فضيلة الشيخ الإمــام الفقيه العـلامة الشيخ عبدالله المشد، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد الخضر حسين وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عبدالرحمن تاج، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر محمود شلتوت، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر العالم الجليل الدكتور عبدالحليم محمود، وغيرهم من السادة أهل العلم الأكابر أمثال الإمام العلامة فقيه الشام الشيخ الصيدلاني أبي اليسر عابدين حفيد الإمام العلامة الكبير صاحب الحاشية المعروفة بحاشية ابن عابدين، الذي استمع إلى محاضرة في الفقه المقارن لفضيلة الشيخ معوض التي ألقاها على طلاب كلية الشريعة، وقد كان الشيخ معوض حينئذ أستاذًا في الكلية الشرعية بلبنان، وفرح الإمام الفقيه الصيدلاني علامة الشام الشيخ أبواليسر بما قاله الشيخ وبما قاله طلابه، وربت على الكتف اليسرى للشيخ معوض ودعا له بالخير.


رئيس التحرير برفقة الشيخ المعمر

مؤلفاته

أسهم فضيلة الشيخ معـوض بمجموعة من المؤلفات النافعة الماتعة منها على سبيل المثال: كتاب «الإسلام والأسرة السعيدة» طبع في بيروت ١٩٦٠م، و«قبس من الإسلام» طبع في بيروت ١٩٦٢م وطبع مرة اخرى بعنوان «عناصر الإسلام وطرق هديه»، وكتاب «إنسانية العبادات في الإسلام» في القاهرة ١٩٧٠م، و «ملامح من هذا الدين» طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة ١٩٧٠م. وكتاب «مع البخاري في كتاب العلم من صحيحه»، طبع بالكويت ١٩٨٢م وسيطبع مرة أخرى مع تنقيح وزيادات يضيفها الآن فضيلة الشيخ، وكتاب «الرسول والرسالة في شعر أبي طالب» طبع بالكويت ١٩٨٣م، و«عنصر الهداية في القرآن الكريم» طبع بالكويت ١٩٨٣م، و«ركائز المجتمع المسلم في سورة الحجرات» طبع بالكويت ١٩٨٣م، وطبع مرة أخرى في القاهرة، و«ذلك الدين القيم» طبع بالاسكندرية ١٩٩٦م. و«الأولاد ودائع الله عندنا» طبع بالقاهرة ٢٠٠٢م، ومن الكتب أيضا كتاب «مشاهد الوجود وشواهد التوحيد»، وكتاب «نفحات القرآن» وكلايهما طبع في دار الدعوة بالإسكندرية عام ٢٠٠٨، وغيرها من الكتب الأخرى التي طبعت والتي لم تطبع، ومازال الشيخ حتى الآن يعكف على كتابة المقالات في الجرائد والمجلات مع مراجعة كتبه ومؤلفاته ومحاولة إخراج مخطوطاته التي لم تطبع بعد.

تم الاستعانة بتلميذ الشيخ الأستاذ محمد عبداللطيف في الحصول على ترجمة الشيخ

خزانة من نوادر كنوز التراث العربي والإسلامي

مكتبة التراث العربي والإسلامي في قطر


تركي محمد النصر

تعد خريطة «بطليموس» -المحفوظة في المكتبة التراثية- من أقدم الخرائط المطبوعة التي ورد فيها اسم «قطر» باللغة اللاتينية (Catara)، وهو اسم لأهم القبائل التي كانت تقطن الجزيرة العربية وقت حياة «بطليموس».

إن اسم «قطر» من الأسماء القليلة جدًا التي بقيت برسمها ولم يتغير منطوقها – كمعظم باقي الأسماء في الخليج– كما أن الخريطة التي رسمها «نيبور» عن الخليج العربي قبل نهاية القرن الثامن عشر– والتي نشرت ضمن الكتاب الذي اشتمل على أخبار الرحلة التي قام بها للمنطقة عام ١٧٧٢م تحت عنوان: وصف لبلاد العرب– تظهر أسماء أهم المدن القطرية آنذاك، وهي: «قطر، فريحة، اليوسفية، الحويلة» مع الإشارة إلى مناطق أخرى.

أما دولة قطر اليوم فهي درة الخليج التي باتت محط أنظار العلماء والمبدعين وطلاب العلم، لما يظهر فيها من نهضة واسعة، وخاصة في الجانب العلمي والثقافي، ولاسيما ما تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر من إقامة الملتقيات العلمية والثقافية التي تؤكد على حرص البلاد على نشر الثقافة الإسلامية، وكان من أبرز هذه الدورات العلمية ما أقامته إدارة الدعوة والإرشاد الديني في دولة قطر بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية في القاهرة تحت عنوان «ثقافة المحقق» في الفترة من (١/١– ٢٠١٢/١/٥م) في الدوحة، وتشرفت بحضورها برفقة رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي الاستاذ فيصل يوسف العلي، وكانت ناجحة ومفيدة.

وهذا الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي ليس غريبًا على دولة قطر حيث كان لها السبق في تأسيس الكثير من المشاريع والمؤسسات العلمية، والمراكز الثقافية والمكتبات التراثية الضخمة، ومن أشهرها: «مكتبة التراث العربي والإسلامي» في الدوحة، هذه المكتبة التي كانت من أهم المنارات التي تشرفنا بزيارتها خلال رحلتنا الأخيرة إلى الدوحة حيث استمعنا لشرح مفصل عنها من مديرها الأستاذ محمد همام فكري، تحدث خلاله عن أهم مقتنيات هذه المكتبة التراثية.

المكتبة التراثية

إذا كان الشيخ الدكتور حسن بن محمد بن علي آل ثاني– هو من أبرز المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها– قد تحمل عبء ومسؤولية تأسيس هذه المكتبة، فإن توجهه في الأساس كان يهدف إلى توفير مصادر لتاريخ قطر في كتابات الرحّالة والمستكشفين الذين زاروا المنطقة، ثم تطور اهتمامه ليشمل اقتناء كل ما يتصل بالحضارة العربية والإسلامية من نفائس ونوادر التراث.

وخلال عشرين عامًا استطاع أن يجمع حوالي: (٨٥٠٠٠) عنوانًا في مختلف المباحث والفنون التي يرجع تاريخ بعضها إلى أواخر القرن الخامس عشر مع بدايات اختراع الطباعة في أوروبا.

وهذه المجموعة من مقتنيات المكتبة في أوعيتها المختلفة من مخطوطات ومطبوعات عربية وأجنبية، وصحف ومجلات، وخرائط وأجهزة علمية، هي في حقيقتها مختارات من كنوز التراث التي تزين أقسام هذه المكتبة.

النشأة والتطوير

تعد المكتبة التراثية التابعة لمؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع– أحد أهم المعالم الثقافية في دولة قطر، فهي تحتوي على مجموعات نادرة من مخطوطات ومطبوعات وخرائط وجرائد ومجلات قديمة تشكل كنوزًا من المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في التراث العربي والإسلامي فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، ولاسيما المخطوطات والكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



الإنساني.

ترجع بداية التكوين إلى عام ١٩٧٩م، وبعد ذلك تعمق الاهتمام بالدراسات التاريخية التي قادت إلى مرحلة جديدة من التوجيه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية.

ومع بدايات عام ١٩٨٩م تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي، والتي تعد الآن من أهم مكتبات الشرق الأوسط، ومن المكتبات المعدودة في موضوعها عالميًا.

أقسام المكتبة التراثية ومحتوياتها

تنقسم المكتبة التراثية إلى ثلاثة أقسام أساسية، وهي:

أولا: قسم الكتب والدوريات العربية والأجنبية

يحتوي هذا القسم على أكثر من ٨٥ ألفًا من الكتب والدوريات العربية والأجنبية القيمة.

حيث اهتمت المكتبة بكل ما هو مفيد ونافع من الكتب القيمة، ومنها:

المكتبة تقدم للباحث فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها

- أوائل المطبوعات: اقتنت المكتبة أوائل المطبوعات العربية والإسلامية في العالم العربي، فجمعت:

- أوائل المطبوعات التي ظهرت في لبنان ١٦١٠م على يد رهبان «دير قزحيا»، وكان أول مطبوع عندهم هو «المزامير» الذي طبع بالسريانية والكرشونية.

- وأوائل المطبوعات التي ظهرت في حلب على يد عبدالله بن زاخر.

- وأوائل مطبوعات المطبعة الحجرية في العراق التي أسسها الرهبان الدومينيكان في الموصل سنة ١٨٣٠م.

- وأوائل المطبوعات للمطبعة الفلسطينية التي أسست سنة ١٨٣٠م، والمطبعة اليمنية التي أسست سنة ١٨٧٧م، وبالمطبعة الحجازية التي أسست سنة ١٨٨٢م، والمطبعة الأردنية التي أسست سنة ١٩٢٢م.

- الصحف والمجلات والدوريات: كما يتضمن هذا القسم حوالي (٢٠٠) عنوانًا لصحف ومجلات ودوريات نادرة بدأ صدورها في نهاية القرن التاسع عشر، وتعد من الناحية التاريخية تجسيدًا حيًا لتاريخ الصحافة العربية، لاسيما أن منها جرائد ومجلات يتيمة (صدر منها عدد واحد أو اثنان أو أكثر قليلا) بالإضافة إلى أوائل المجلات التي صدرت في منطقة الخليج العربي مثل مجلات وجرائد: «الفلاح، أم القرى، نشرة أنباء أم القرى، صوت الحجاز، بريد الحجاز، القبلة، البلاد السعودية، المدينة المنورة، النهضة، صوت البحرين، لغة العرب، فتاة الشرق، الرائد، البعثة الكويتية، والعالم العربي» وغيرها.

ومن المجلات والجرائد النادرة «الأخبار، المقتطف، الهلال، الرسالة، الأديب، أبولو، اللطائف، الثقافة، العروس، الكلية، الفنون، النحلة، نهج الإسلام، ومجلات مراكز البحوث والمؤسسات العلمية العربية المختلفة»، وغيرها، ومعظمها في حالة جيدة.

- الرسومات الفنية: كما ينبهر الزائر لهذا القسم بما يراه من رسومات المحترفين الذين قاموا بتجسيد معالم وآثار المنطقة، وجوانب من الحياة الاجتماعية، وهي تمثل في مجملها وضخامتها تراثًا فنيًا تاريخيًا هامًا نذكر منها كتب كل من: «دنون، ديفيد، روبرست، بريس دافن، لويس كاساس، ريتشارد تيمبل، وإيتيان دينيه»، وغيرهم من العلماء والفنانين.

- المجاميع والأعمال التاريخية: هذا بالإضافة إلى المجموعة الكاملة للورنس العرب، والرحالة جون فيلبي، وكذلك الرحالة البريطاني وليم بلجريف، وهو

أول أوروبي يأتي إلى قطر في عام ١٨٦٢م، وبير كهارت وجيارود، وغيرهم.

بالإضافة إلى أعمال القناصل السياسيين والعسكريين الذين عملوا في شركة الهند الشرقية، كأعمال المقيم السياسي البريطاني لويس بيلي، وسادر الذي يعد أول من عبر الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب، وشكسبير، وغيرهم من الرحالة المستكشفين.

– ترجمة معاني القرآن الكريم: لعل من أهم مجموعات هذا القسم تلك التي تشتمل على الترجمات الأولى والنادرة لمعاني القرآن الكريم بكافة اللغات الأجنبية «اللاتينية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الهولندية، الإيطالية...» وغيرها.

كما تضم المكتبة ترجمة محمد مرمدوك بيكثول، وكان أول من ترجم معاني القرآن الكريم بعد اعتناقه الإسلام، هذا إلى جانب العديد من ترجمات غيرهم من الباحثين.

– ترجمة التراث العربي: في هذه المجموعة من كتب التراث العلمي العربي والإسلامي مترجمًا إلى اللاتينية وغيرها من اللغات، والمطبوعة في أوروبا مع بدايات اختراع الطباعة، تبرز قيمة ما قدمه علماء العرب والمسلمين للبشرية، فقد حملوا بذور الحضارة لينشروها في أرجاء العالم بعد أن قاموا بتحقيقها وتنقيحها وتصنيفها وفقًا للمنهج العلمي التجريبي الذي أدهش العالم بموضوعيته، حيث انكب عليه علماء الغرب لنقله إلى جامعات أوروبا، ومن أهم علماء العرب في هذه المرحلة: «أبوالقاسم الزهراوي ت: ١٠١٣م، ومحمد ترغاوي ت: ١٤٤٩م، وأبومعشر البلخي ت: ٨٨٦»، وغيرهم كثير.



مدير المكتبة محمد همام فكري يشرح للزوار محتويات المكتبة

– كتب التاريخ الأندلسي: تؤرخ هذه المجموعة من الكتب النادرة لتاريخ الأندلس، وهي في تنوعها المعرفي تغطي جوانب هامة من تاريخ الحضارة الإسلامية في إسبانيا في مجالات الأدب والمعمار والطب والسياسة، وتظهر في مجملها موقف الغرب من المد الإسلامي ونهاية الوجود العربي في إسبانيا.

هذا، بالإضافة إلى مجاميع العلوم، والتراجم، والكتب الأجنبية، وكتب القصص الشعبي، وغيرها.

ثانيًا: قسم الخرائط

ويحتوي هذا القسم على أكثر من ٦٠٠ خريطة مخطوطة ومطبوعة، تشكل مجموعة متميزة من الخرائط القديمة التي أصبحت شاهدًا على حركة تطور فن رسم الخرائط من جهة، والتطور الكارتوجرافي من جهة اخرى، كما تتميز هذه المجموعة بأنها تؤرخ للتحولات السياسية والجغرافية في منطقة الخليج العربي، سواء تلك التي لا تزال قائمة، أو التي وردت في كتابات رسامي الخرائط والرحالة والمستشرقين والمؤرخين الأوائل أمثال:

– بطليموس الذي صدرت له أول خريطة مطبوعة لشبه الجزيرة العربية في عام ١٤٧٧م.

– والخريطة التي وضعها العثمانيون عن الخليج.

– والخريطة المخطوطة النادرة لطريق الحج من إسطنبول إلى مكة المكرمة، وتعد هذه الخريطة من أقدم الخرائط الطبوغرافية لمنطقة الخليج العربي وبلاد ما بين النهرين، حيث ترجع إلى الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وهي عبارة عن لفافة يزيد طولها عن ثلاثة أمتار.

– وخريطة البحر الأحمر التي وضعها القنصل الفرنسي في الاسكندرية دو جلاتيني، وغيرها من الخرائط غير المنشورة التي تمثل أعمالا نادرة وقيمة للغاية.

كما تضم هذه المجموعة نماذج عدة للكرة الأرضية تم تصنيعها في القرون الثلاثة الماضية، وهي تصور الأرض كاملة بتفاصيل المعلومات الجغرافية المتوفرة في هذه الفترة والتي سبقتها، بالاضافة إلى مجموعة من الأطالس القديمة التي تشكل في مجملها قسما متكاملا للخرائط القديمة المتعلقة بالعالم وقاراته والمنطقة العربية على وجه الخصوص، وكذلك أعمال رسامي القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر لكل من كورونلي ودي لاهاي، وغيرهم، بالاضافة إلى الخرائط البانورامية لبعض الأماكن الهامة في مسقط وهرمز وطنجة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وعدن وممباسا.

ولابد لهذه المكتبة أن تفخر باقتنائها

لهذه المجموعة النفيسة والنادرة التي اكتملت بوجود الكرات الأرضية والسماوية المتنوعة.

ثالثًا: قسم المخطوطات

ويحتوي هذا القسم على حوالي ٢٠٠٠ مخطوط أصلي، وهي من أندر وأنفس المخطوطات في شتى المجالات كالرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والنبات والحيوان، بالإضافة إلى العلوم التطبيقية: كالطب والهندسة والزراعة والصناعة والفنون، والعلوم الإنسانية، وغيرها.

كما يحتوي هذا القسم على مجموعة من المصاحف النادرة التي تعطي فكرة عن التطور الحاصل في فنون المخطوطات سواء في الزخارف النباتية والهندسية والتوريقية (الأرابيسك)، والتذهيب بالذهب الخالص، والخطوط العربية التي تسر الناظرين وأهمها: «الكوفي بأنواعه، والثلث وتفرعاته، والنسخ، والديواني»، وغيرها.

وكذلك الصور والرسوم والخرائط، والمنمنمات والتخطيطات وغيرها.

ومن أروع المخطوطات «المخطوطات الخزائنية» التي حظيت بعناية فائقة، ولاسيما أن قسمًا منها بخطوط مؤلفيها، مع عرض تاريخي للتسلسل الزمني الذي يعطي فكرة عن تطور المخطوطات المفرد والمجاميع بلغات مختلفة، ومن أماكن مختلفة تغطي العالم الإسلامي، ومن أقاصي الصين ومن جنوب شرق آسيا إلى أقاصي المغرب العربي وبلاد الأندلس، وبعضها باللغات التركية والفارسية والسريانية والحبشية.

هذا بالاضافة إلى عرض لأشكالها وأحجامها وجلودها، وتنوع ذلك وجمالياته المبهرة.



مشروع الرقمية وخدمات المكتبة

بما أن مكتبة التراث العربي والإسلامي هي إحدى المكونات الأساسية المهمة لمركز التطوير الثقافي بمؤسسة قطر، فقد استخدم العاملون القائمون عليها أحدث التقنيات الجديدة للحفاظ على مقتنياتها، فجاء مشروع الرقمية في المكتبة التراثية بهدف تحويل المعرفة من الورق إلى الرقمية، بغية تيسير الوصول إلى المعلومة لتحقيق مستوى أفضل نحو إجراء البحوث، وإتاحة مقتنيات المكتبة للاطلاع عليها عن طريق الإنترنت من جميع أنحاء العالم ليلا ونهارًا، إضافة إلى الحفاظ على الكتب والمخطوطات التراثية من خلال تقليل نسبة الاستهلاك مستقبلا.

وقام مركز التطوير الثقافي في دولة قطر بإعداده بحيث يستغرق تنفيذه عامًا كاملا، ويغطي هذا المشروع (٥٠٠٠) كتاب، و (٣٠٠) مخطوطة، و(٤٠٠) خارطة، وكلها منتجة طبقًا لأعلى مستويات الجودة العالمية.

إن المكتبة التراثية إذ تبدأ العمل في هذا المشروع الرقمي الرائد، فإنها تهدف إلى توفير خدماتها للباحثين وطلاب العلم على مستوى العالم، وذلك من خلال:

- إمكانية الوصول إلى المادة أو المعلومة عن طريق الانترنت.
- إمكانية مقارنة المعلومات والتحقق من صحتها من عدة مصادر في وقت وجيز.
- إمكانية البحث داخل النصوص في اللغات الأوروبية من خلال تقنيات (OCR).
- وضع الأساس لاستخدام تقنيات بحث داخل النصوص العربية واللغات الأخرى.
- تيسير إمكانية الوصول إلى المعلومات والموضوعات للمعلمين وطلاب العلم.
- توفير مصادر تعليمية غنية لطلاب مختلف المراحل التعليمية.

الخاتمة

وهكذا فإن المكتبة التراثية بما تحتويه من ثروة ضخمة من التراث العالمي والعربي والإسلامي، وبما أقامت من المشاريع الرقمية والإلكترونية لخدمة هذا التراث، لتسير في طريقها الرائد في العالم العربي والإسلامي لتكون منارة من منارات العلم يشع نورها من دولة قطر- حرسها الله- لتضيء دروب الباحثين وطلاب العلم في أرجاء المعمورة.

المصادر

١- النشرة التعريفية الصادرة عن إدارة المكتبة التراثية.

٢- كتاب «قطر في القلب والتاريخ» صادر عن مركز التطوير الثقافي للمكتبة التراثية.

٣- كنوز من التراث العلمي العربي في أوروبا لمحمد همام.

سلسلة النهضة التعليمية ٣ - ٤

نماذج تعليمية حققت النهضة

هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد

يظل التعليم هو المحرك الأساسي لتطور الحضارات ومحور نماء المجتمعات.. وفي سلسلتنا حول النهضة التعليمية تطرقنا في الحلقة الأولى إلى ركائز وقيم هذه النهضة، ومن ثم تناولنا في الحلقة الثانية الأسباب التي أدت إلى تراجع التعليم العربي وتخلّفه، وأكدنا أنه لا سبيل لإنكار تدني مستواه في غالبية الدول العربية، وأنه لا يرقى إلى مستوى آمال وأحلام المواطن العربي.. وها نحن نمضي في الحلقة الثالثة إلى نماذج لبعض الدول التي حققت نهضة تعليمية، فإليها..

تحت عنوان «التعليم.. التعليم.. التعليم» كتب المفكر المصري طارق حجي في صفحته الإلكترونية مقالاً أوضح فيه أن الأنظمة والمؤسسات التعليمية تنقسم إلى مدرستين، الأولى تتبع نظم القرن الـ١٩ وأوائل القرن الـ٢٠ وتهتم بفلسفة التلقين واختبارات الذاكرة، بينما تهتم المدرسة الثانية ببث قيم الإبداع وحرية البحث والإيمان بتعددية المعرفة وعالمية العلم والعمل الجماعي والقدرات الخلاقة للموارد البشرية، فالإبداع لديها عوضًا عن التلقين.

قيم الإبداع

وأشار حجي إلى عدد من الدول التي حققت طفرة تعليمية مشهودة، ومنها اليابان وعدد من دول شمال أوروبا وأبرزها فنلندا ودول أخرى مثل سنغافورة، وأكد أن هذه الدول سبقت الجميع في الانتقال الواسع من فلسفة التعليم المرتبطة بالتلقين واختبارات الذاكرة إلى فلسفة التعليم المعنية بالإبداع وبث قيم التقدم، مؤكدًا أنه يمكن إجمال أهم هذه القيم في:

• زرع قيم السماحة الفكرية والدينية في عقول ونفوس وضمائر أبناء وبنات المجتمع.

• زرع الرغبة في التعرف إلى الآخر في برامج التعليم.

• تأسيس مفهوم إنسانية التقدم والعلم والمعرفة.

• تفعيل الإيمان بالموارد البشرية كمصدر الثروة والقيمة الأولى في المجتمع مع ما يحتمه ذلك من النهوض بوضع ومكانة المرأة.

• تأسيس ثقافة التعايش المشترك.

• استئصال ثقافة الملكية المطلقة للحقيقة من أذهان وضمائر أبناء وبنات المجتمع.

• استئصال التعصب والتزمت من البنية الفكرية لأبناء وبنات المجتمع.

• إيجاد صلات وثيقة بين التعليم والأنشطة الاقتصادية في كل مجتمع.

فنلندا واليابان وسنغافورة قدّمت أفضل ٣ تجارب نهضوية على مستوى العالم

أرقى ثلاثة أنظمة

وتابع حجي أن حقيقة التعليم في بلد مثل فنلندا التي يعتبر نظام التعليم فيها أحد أهم وأرقى ثلاثة نظم للتعليم في العالم إلى جانب سنغافورة واليابان هي أنه تعليمٌ مجاني من بدايته إلى نهايته، ليس بحكم قرارٍ سياسيٍ، ولا توجهٍ حكومي، إنما بنصٍ الدستور الفنلندي، مشيرًا إلى أن علاج التوسع الكمي في التعليم الجامعي بفنلندا وسنغافورة واليابان لم يكن عن طريق إلغاء المجانية، وإنما بإيجاد توازن عملي ورقمي وكمي بين أعداد من يتوجهون إلى التعليم الجامعي ومن يتوجهون إلى التعليم المهني. وأكد أنه بهذا التوازن وحده يمكن تجاوز أثر التوسع الكمي على نوعية التعليم الجامعي.

وتساءل عن وجود الإرادة السياسية والوعي الإداري لأهمية العمل على أعمدة التعليم الأساسية التي في رأيه تتمثل في الفلسفة التعليمية، والمقررات والبرامج الدراسية، والمدرس، والتلميذ وأخيرًا المكان الذي تتم فيه العملية التعليمية، وكذلك إدراك أنه ليست هناك حاجة إلى عمليات تجميل

وتحسين لصورة هذه الأعمدة، إنما هناك حاجة إلى عملية إحلال شاملة وكاملة لشيء آخر مختلف عما هو لدينا.

التجربة التركية

وإذا كانت النماذج الثلاثة لفنلندا وسنغافورة واليابان بعيدة عن الواقع العربي، فهناك نماذج أخرى يمكن محاكاتها عربيا، ومنها النموذج التركي الذي ظهر أخيرًا معلنا عن انطلاقه في تجربة تعليمية جديدة عرفت باسم «مشروع الفاتح» للانتقال إلى عالم التعليم الرقمي، وهذا ما قررته تركيا وأعلن عنه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان عام ٢٠١١ استكمالاً لحالة التدرج النهضوي في التعليم، والذي كانت مرحلته الأخيرة قبل إعلان هذا المشروع قيام الحكومة التركية بتوزيع الكتب المدرسية مجانًا على الطلاب.

حتى إن اختيار الاسم لم يبتعد عن ثقافة البلد التي من المفترض أن يعمل التعليم على ترسيخها بالأجيال فكان «مشروع الفاتح» نسبة إلى القائد «محمد الفاتح» أو محمد الثاني السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان، وهو فاتح القسطنطينية الذي حكم قرابة ٣٠ عامًا شهدت توسعًا كبيرًا للخلافة الإسلامية والمدارس والمعاهد التعليمية ونهضة في الشعر والأدب والترجمة والعمارة والبناء والجيش من الناحية العسكرية.

يقوم مشروع النهضة التعليمية التركية على فكرة

تجربتا تركيا وماليزيا هما الأقرب إلى التطبيق عربيًا

تقليل حمل الطالبِ الكتبَ من ناحية والانتقال إلى عالمِ التقنية من ناحية أخرى، حيث تقوم الحكومة بتوزيع حاسوب لوحي I Pad، متضمنًا برنامج الفاتح على ١٥ مليون طالب؛ ليتمكنوا من الحصول على جميع الكتب المدرسية من خلاله، إلى جانب تركيب ألواح ذكية بدلًا من السوداء في ٢٦٠ ألف صف مدرسي، ومن المتوقع أن يشمل المشروع ما يقرب من ٨١ ولاية تركية خلال الأربع سنوات المقبلة؛ ليكون بذلك أكبر مشروع استثماري في مجال التربية والتعليم التركية تقدر تكلفته بسبعة مليارات دولار.. ومن بين أهداف المشروع تعليم الطالب باستعمال التركيبات الإلكترونية والصوت والصورة والخرائط والرسوم البيانية والرسوم واللوحات من خلال ما أطلق عليه «كتاب – ز» الذي يحتوي على جميع احتياجات الطلاب من معلومات وأسئلة.

التجربة الماليزية

وإلى ماليزيا،التي إذا ذكر اسمها ذكر مهاتير محمد، رئيس الوزراء الأسبق، الذي وجعل هدفه النهوض بالدولة وتغيير وجهها بالتركيز على ثلاثة محاور أساسية، هي: التعليم والتصنيع ويخدمهما المحور الاجتماعي.

وبحسب مقال نشره موقع «قصة الإسلام» بتاريخ ٣١ أكتوبر ٢٠١٠ بعنوان «مهاتير محمد.. صانع النهضة الماليزية» أكد أن اهتمام مهاتير بالتعليم تركز بشكل كبير على مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية، حيث جعلها جزءًا من النظام الاتحادي للتعليم، واشترط على جميع دور رياض الأطفال الالتزام بمنهج تعليمي مقرر من الوزارة يتضمن موادّ تُنمي المعاني الوطنية، وتعزّز روح الانتماء مع الوصول إلى المرحلة الابتدائية؛ لتصبح العملية التعليمية في المرحلة الثانوية شاملة يدرس فيها إلى جانب العلوم والآداب المجالات المهنية والفنية، مع الحرص على إنشاء كثير من معاهد التدريب المهني لاستيعاب طلاب المدارس الثانوية وتأهيلهم لدخول سوق العمل، خاصة في مجالات الهندسة الميكانيكية والكهربائية وتقنية البلاستيك ليواكب مرحلة التصنيع التي سارت جنبا إلى جنب مع المرحلة التعليمية.

كما قامت الحكومة الماليزية بوضع خطة شاملة في مجال التعليم كان من بين أهدافها إدخال الحاسب الآلي





وشبكة الإنترنت في كل مدرسة، وفي كل فصل دراسي حتى بلغت نسبة المدارس المرتبطة بالإنترنت عام ١٩٩٩ أكثر من ٩٠٪ وفي الفصول الدراسية بلغت ٤٥٪، كما قامت الحكومة بإنشاء «المدارس الذكية» التي تتوافر بها موادّ دراسية تساعد الطلاب على تطوير مهاراتهم من خلال موادّ متخصصة عن أنظمة التصنيع المتطورة وشبكات الاتصال ونظم استخدام الطاقة التي لا تحدث تلوثًا بالبيئة.

واعتمدت العملية التعليمية في ماليزيا على حاجات الطلاب وقدراتهم وهذا يحتم أن يكون مدير المدرسة من القيادات التربوية البارزة، ويعاونه فريق من الأساتذة ذوي القدرات المهنية الممتازة، على أن يكون للطلاب حق المشاركة في اختيار البرامج الدراسية، وفيه تحرص المدارس على التنويع والتطوير في أساليب التدريس ما بين رحلات علمية وترفيهية...

ويرجع نجاح التجربة الماليزية إلى تحديد الدولة الدقيق لأولوياتها، حيث وضعت التعليم والبحث العلمي على رأس أولوياتها، ومن ثم خصصت أكبر قسم من الميزانية لتدريب وتأهيل الحرفيين، والتربية والتعليم ومحو الأمية وتعليم اللغات والبحوث العلمية وإرسال عشرات الآلاف كبعثات للدراسة في أفضل الجامعات الأجنبية.

إلى جانب هذا، ابتدعت ماليزيا مشروعًا يتكامل مع أهداف النهضة التعليمية يعرف باسم «جي قاف» J-QAF، يهدف إلى بناء الشخصية الماليزية وصياغتها على هدى التعاليم الإسلامية ويقوم على أربعة أركان أساسية يرمز كل حرف من حروف البرنامج إلى أحد هذه الأركان: فحرف J يرمز إلى كتابة اللغة الملايوية وهي لغة ماليزيا الأصلية، وحرف Q يرمز إلى الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وإحسان الصلة به وجعله منهجًا للحياة، بينما يرمز الحرف A إلى الاهتمام باللغة العربية؛ لأنها الوسيلة الأساسية لفهم القرآن الكريم، وأخيرًا يرمز الحرف F إلى الاهتمام بالعلوم الإسلامية الواجب معرفتها، على أن يبدأ هذا البرنامج من مرحلة التعليم الابتدائي وحتى نهاية التعليم الجامعي.

التجربة الأوروبية

ولا تختلف التجربة الأوروبية كثيرًا من حيث وضع الأهداف الأساسية من التعليم، خاصة في الربط بين العلم والحياة، حيث يستعرض د.حسام بدراوي في كتابه «التعليم.. الفرصة للإنقاذ» التجربة التعليمية في أوروبا خاصة في التعليم العالي، موضحًا أن دول أوروبا حددت أربعة أغراض للتعليم العالي، وهي إعداد الطلبة لسوق العمل، وإعدادهم لتبوؤ مواقعهم في الحياة كمواطنين نشطاء داخل مجتمع ديمقراطي، والتأكيد على أهمية التنمية الشخصية، وتأسيس قاعدة عريضة من المعرفة المتطورة والحفاظ عليها.

وأوضح بدراوي الملامح الرئيسية لإطار عمل مؤهلات التعليم العالي في إنجلترا وويلز وأيرلندا الشمالية وتتمثل في اكتساب ثقة الجماهير في المعايير الأكاديمية، وتحقيق فهم جماهيري للإنجازات التي تمثلها مؤهلات التعليم العالي، وهو الأمر الذي تشارك فيه المملكة المتحدة باقي دول أوروبا، وهو التحدي الذي يواجه الدول العربية، خاصة في مصر -على حد قوله.

وتابع: إن أغراض إطار عمل مؤهلات التعليم في المملكة المتحدة تتحدد في تزويد جهات تقديم التعليم العالي، ومختبريها للخارجين بمرجعيات مهمة لوضع المعايير الأكاديمية وتقييمها، والمساعدة على تبين مسارات التقدم المحتملة، خاصة في سياق التعليم مدى الحياة، وترويج فهم مشارك ومشترك للمتطلبات المقترنة بالمؤهلات التقليدية عن طريق تيسير استخدام مناسب لمسميات المؤهلات على مستوى قطاع التعليم العالي بأكمله.

الأطباء ليسوا ملائكة!

د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر

في رأي «أبقراط» (أبو الطب الحديث) أن الطب أشرف مهنة يمتهنها الإنسان. وهذا الشرف لا يرجع إلى أن الطب «مهنة راقية» (بتعبير الوقت الحالي) ولكن مرجعه إلى أن الطب أقرب المهن إلى نفس الإنسان، وألصقها بتخفيف آلامه وتسكين أوجاعه، وإعادة السلامة إلى نفسه والعافية إلى بدنه. وفي «جمهورية أفلاطون»، ليس يسبق الاشتغالَ بطبابة الناس إلا الحكمُ بين الناس بالعدل. والمتعمق في هذا التعبير البليغ - على بساطته - يجده صحيح المنطق. فبالعدل تصلح أحوال الناس، وبالطب تستقيم أبدانهم!

فهل طب اليوم هو ما عناه «أبقراط» وما ذهب إليه «أفلاطون»؟! الحق لا. وليس أدلَّ على ذلك من أن جمهور الناس- في شتى بقاع الأرض- لم يعد راضيا عن الخدمات الطبية المقدمة إليه، وأسلوب تقديمها إليه.

لماذا سخط الناس على الطب والأطباء؟! و لماذا تحول الطب من «مهنة شريفة» لها نبلها وقداستها إلى «مهنة راقية»؟! وأين الحق في هذه القضية؟ هل هو في جانب الجمهور أم في جانب الأطباء؟!

هذا ما نستعرضه في السطور التالية.

عميل أم عبء

لا يجب أن ينخدع الإنسان بجبروت الماكينات والآلات التي يملأ طنينُها الآذان، والتي تملأ الإنسان زهْوًا بنفسه وإعجابا بقوته! ذلك أن الإنسان بحكم تكوينه «مخلوق ضعيف». وليس هذا الجبروت الزائف إلا قناعا يواري وراءه الإنسانُ ضعفَه وقلةَ حيلته!

يكفي أن تنغرز شوكة من سمكة في حلق إنسان، حتى يصرخ ويولول في ذعر وألم. ويكفي أن ينسكب قدح من ماء يغلي على جلد إنسان ليذوق ألما مضنيا ولذعا، قد يسكب الدمع من مآقي أكثر الرجال شجاعة وجَلَدًا واحتمالا. ويكفي أن يصاب الإنسان بنزلة برد تلزمه الفراش، حتى يشعر بالضعف والهزال، وينهار قناع الجبروت الذي يتوارى خلفه!

هذا الضعف الطبيعي الموجود في الإنسان بحكم تكوينه، يزداد ويتضاعف عندما يمرض الإنسان. والضعيف يحتاج إلى رحمة وعطف، ويحتاج إلى من يحنو عليه ويسكب السكينة في أنحاء نفسه الموجعة. وهذا ما يدفع الإنسان إلى طلب معونة الطبيب - فإنه يأمل أن يجد ملاكا يعيد إلى نفسه مفقود العافية والسكينة.

فهل تتحقق دائما توقعات المريض؟

بعض الأطباء، إذا كان في عيادة خاصة، فإنه يستقبل «عميلا» (أو زبونا) ولا يستقبل «مريضا»! وبعض الأطباء عندما يكون في مستشفى، ويستقبل مريضا، فإنه يستقبل «عبئا» ولا يستقبل «مريضا»! وهذا التناقض الظاهر بين توقعات المريض، وبين الطريقة أو الأسلوب الذي يعامله به الطبيب، هو لب القضية وقلب المشكلة.



والمريض في هذا الموقف هو المحق. وهل يمكن أن يلام من يهاجمه لصٌ فيستنجدُ بالشرطة؟ أو هل يمكن أن يلام من يستنجد برجال الإطفاء عندما يشب في بيته حريق؟! ولكن الشرطة تلام إذا لم تنجد الملهوف، وكذا يلام رجال الإطفاء إذا لم يسعفوا المنكوب. كذلك لا يلام مريض لا يجد عند طبيبه من الرفق وسعة الصدر ما هو متوقع منه و مأمول.

على أن الأمور لا تقف عند حد صدام توقعات كل من المريض والطبيب. ولكنها تمضي خطوة أخرى، لتهدم جانبا جميلا آخر من جوانب هذه المهنة العظيمة. وهذه الخطوة الأخرى تنبع كذلك من ضعف المريض وحاجته إلى فهم طبيعة مرضه، وطريقة علاجه. ولكي يطمئن المريض فإنه

طبيب وكاتب علمي من مصر

سهام النقد تتجه نحو الخدمات الطبية ولكن الطبيب بشر يجتهد فيصيب أو يخونه التوفيق

دائما يسأل: لماذا اختار الطبيب نوعا بعينه من العلاج؟

وطبيعي أن هذه الإيضاحات تحتاج إلى وقت وجهد من جانب الطبيب. وربما يتضاعف الوقت والجهد لطمأنة المريض، إذا كان المريض من أصحاب الهاجس وكثيري الشكوك. فإذا كان الطبيب في عيادته الخاصة، فقد يكون ملهوفا لاستقبال أكبر عدد من «العملاء»، فلا ينفق مع المريض الوقتَ الكافي للإيضاح وبث الطمأنينة. وقد يكون الطبيب من أصحاب «الفطنة التجارية» فينفق مع المريض ما شاء من وقت، ثم يحصل على أجر ذلك بطرق ملتوية!

أما إذا كان الطبيب في مستشفى، فالوقت أضيق من أن يتسع لرفاهية توضيح الأمور للمريض. والجهد أكبر من أن ينفق في القيام بدور الملاك. ونتيجة لذلك ينصرف الطبيب عن المريض، بعد أن يؤكد للمسكين في كلمات قليلة أنه «يعرف عمله»! والمؤكد أن المريض يعرف يقينا أن الطبيب يعرف عمله، وإلا ما أسلم نفسه له. ولكن هذه المعرفة من جانب المريض بأهلية الطبيب، لا تكفي لبعث الطمأنينة في نفس المريض- وهي جزء لا يتجزأ من العلاج.

ومرة ثانية، فلا لوم على المريض. ولا عجب- والحال كذلك- أن يوصف بعض أطباء المستشفيات ب «الغرور»، وأن يوصف بعض أطباء العيادة الخاصة بأنه «تاجر»!

حيوانات تجارب

على صعيد آخر، ينبع سخط الناس على الطب والأطباء من الأوضاع القائمة في بعض المستشفيات. وأول بوادر السخط اضطرار المريض إلى الانتظار- إما إلى أن يحضر الطبيب المسؤول، أو إلى أن يحين دور المريض في الفحص. والانتظار عقيم في كل الأحوال. فكيف إذا كان الإنسان في حالة الضعف التي وصفنا سلفا؟!

فإذا استراح المريض من عناء الانتظار وقابل الطبيب، فإن المقابلة تسفر عن نتيجة من ثلاث: إما أن تكون حالة المريض هينة، ويفلح الطبيب في إقناعه بذلك، فينصرف المريض مستريحا. وإما أن تكون حالة المريض هينة ويخفق الطبيب في إقناع مريضه بذلك، فينصرف المريض ساخطا. وإما أن تستدعي حالةُ المريض الإقامةَ في المستشفى لبعض الوقت، فيتم إدخاله إلى أحد الأقسام. وهنا قد تبدأ رحلة جديدة للمريض، يتاح له من خلالها أن يتعرف بنفسه على غرور بعض الأطباء وتوانيهم، وإهمال نفر من هيئة التمريض وتراخيهم! وقد يكون المريض سعيد الطالع فلا يطول به المقام في هذه «الغربة النفسية».

أما إذا كان المريض عاثِرَ الحظ، فوقع في براثن مرض خطير يستلزم طول المقام في المستشفى، فغالبا ما يُعْتَبَرُ المريض من «أصحاب البيت»! وبذلك تسقط عنه «حقوق الضيافة». أي أنه- بتعبير آخر- قد لا يلقى سوى حظ يسير من الاهتمام أو الرعاية.

وهؤلاء الضحايا المساكين الذين يطول بهم المقام في المستشفى، يتجرعون غالبا أصنافا عديدة من الدواء، ويخضعون لأنواع عديدة من الفحص الطبي. وغني عن الذكر أن علة ذلك- من وجهة نظر الأطباء- هو التعجيل بشفاء المريض، وإعفائه من آلام المرض. ولكن الظن يذهب بالمريض إلى أنه أصبح حقلا لإجراء التجارب، سيما وأنه كثيرا ما يسمع عبارات مثل «هذا الدواء جديد»، أو «هذا العقار يستخدم لأول مرة»! وأحيانا يُطلب إلى المريض أن يوقع على وثيقة يُقِرُّ فيها أنه «بمحض اختياره الحر الكامل يقبل نوع العلاج الذى يعطى له، ويتحمل- دون أي مسؤولية قضائية تجاه الطبيب المعالج- أيَّ نتائجَ سلبيةٍ أو عكسية للعلاج»!

وطبيعي أن المريض ليس في موقف يسمح له بحرية الاختيار! وهل يختار الغريق نوع الخشب الذي يطفو به على سطح الماء، أو اسم الزورق الذي يحمله إلى الشاطئ؟! أليس المريض محقا في الاعتقاد أنه- رغم أنفه- حقل تجارب؟!

وفي بعض المستشفيات التعليمية الملحقة بكليات الطب، يحدث للمريض ما هو أدهى من ذلك. فهناك قد يتحول المريض إلى «لوحة إيضاح» ! ولا بأس أن يكون المرض الذي يعاني منه مريضٌ بعينه، موضوعَ محاضرة علمية. ولكن تطبيق ذلك عمليا على المريض (خصوصا إذا كان المريض سيدة) مسألةٌ قد تنطوي على نوع من الاعتداء على آدمية المريض! أما إذا تعرض المريض قسرا لأن يكون «وسيلة إيضاح»، فليس وراء ذلك انتهاك لكرامة الإنسان!

وقد يقال إن الطلبة في كليات الطب لن يتعلموا شيئا، إذا لم يروا المرض على الطبيعة، ويفحصوا المريض بأنفسهم. وهذا قول صائب لا خلاف عليه. وإنما الخلاف على أسلوب تطبيق ذلك. وما لم يكن المريض



راضي النفس بأن يسهم بذلك القسط في تعليم أطباء جدد، فلا يجب أن ترغمه قوة في الأرض على ذلك. وحتى عندما يتطوع المريض بذلك عن نفس راضية، فيجب أن تكون الاستفادة من تطوعه محوطة بكثير من الرفق واحترام آدميته.

الرأي الآخر

قد يوجد بين ضباط الشرطة من يتعاون مع مروجي المخدرات (كما في كولومبيا مثلا)، وقد يوجد بين القضاة من يرتشي ليبطل حقا أو ينصر باطلا، وقد يوجد بين الكتاب من يسرق مؤلفات الآخرين وينسبها إلى نفسه، وقد يوجد بين الصحفيين من يزيف الأنباء ويقلب الوقائع... باختصار يوجد في كل مهنة من يسيء إليها.

والمؤكد أن بين أطباء اليوم نفرًا يتاجر بآلام الناس، ومن يستخدم المهنة لبناء مجد شخصي أو تحقيق مكاسب فردية، ومن يسيء معاملة المرضى إلى حد لا يستحق معه أن يحمل اسم «طبيب» أو «حكيم».

والمؤكد كذلك أن هناك ممارسات كثيرة في بعض المستشفيات، تندرج تحت عنوان «عدم اللياقة» و «الخروج على أخلاقيات المهنة».

لكن- للإنصاف- فإن الأمور لا تصل إلى هذا الحد من السوء في كل الأحوال، ومع كل الأطباء، وفي سائر المستشفيات. ومعلوم يقينا أن مراعاة آداب مهنة بعينها مسألة شخصية بحتة، قبل أن تكون قضية «لوائح تنظيمية»، وقبل أن تكون مسألة يمين أو قسم أو خلافه. بمعنى أن الطبيب الذي يحترم مهنته، مثله مثل صاحب أي مهنة أخرى يوليها احترامه، إنما يفعل ذلك من منطلق معايير أخلاقية رفيعة يضعها لنفسه ويلتزم بها. وليس معنى ذلك أن يُتْرَكَ المريضُ تحت رحمة صدفة تقوده إلى طبيب «صاحب معايير أخلاقية»! وإنما معنى ذلك أن مهنة الطب- وربما غيرها من المهن كذلك- باتت في حاجة إلى نوع جديد من الإشراف والتوجيه لتصحيح المسار.

وكما يطالب البرلمان البريطاني هذه الأيام بوجود لجنة محايدة لبحث شكاوى الجمهور ضد الشرطة، فيجب أن تكون هناك لجنة مماثلة لبحث انتهاكات الأطباء، والاطلاع على أسلوب عملهم. وعلى الرغم من صعوبة تحقيق ذلك، نظرا لاختلاف طبيعة مهنة الطب عن مهنة الشرطة، ونظرا لأن لجان فحص الأعمال الطبية يجب أن تكون على إلمام بالمعارف الطبية وطرق تطبيقها، إلا أن ذلك لا يمنع بالمرة إعادة النظر فيما يجري اليوم باسم الطب.

وإلى أن يتم ذلك، وحتى لا يكون في إنصاف الجمهور غَـبْنٌ لأطباء ما زالوا يحملون وسام المهنة على صدورهم في نبل ووقار، فلابد من إيضاح بعض الأمور.

في كثير من بقاع الأرض، يعمل الأطباء في ظل ظروف شاقة، وتحت ضغوط كبيرة، سواء في ذلك البلاد المتخلفة والمتقدمة. ففي مناطق كثيرة من العالم، يخصص طبيب واحد لكل ثلاثين ألف نسمة! وفي الهند- على سبيل المثال- حيث يوجد جيش من الأطباء، لا يزال يخصص طبيب واحد لكل ثلاثة آلاف نسمة! ومعنى ذلك أنه قد يطلب من الطبيب أن يفحص ما بين مائتين إلى ثلاثمائة حالة يوميا! وغني عن الذكر أن هذا وراء وُسْع البشر. ولا ينبغي أن يتوقع المريضُ «المثاليَّة» من الطبيب في ظل تلك الظروف.

وفي البلاد المتقدمة، هناك ضغوط من نوع آخر. فهناك يلهث الطبيب وراء الماكينات والآلات والأجهزة التي يتم استحداثها كل يوم في حقل الطب. ويلهث الطبيب بين رفوف المكتبات وفي قاعات المؤتمرات، ليلم بالقدر اللازم من المعرفة الذي يمكنه من العمل فيما يسمى «الطب الآلي الحديث».

من جهة أخرى، فإن طبيعة عمل الطبيب تتطلب منه يقظة كاملة طول الوقت. فأدنى خطأ في تقرير جرعة دواء، قد يكون فيه حتف المريض. وهذه اليقظة الكاملة إنما تتحقق على حساب أعصاب الطبيب. وربما يكون مثيرا لدهشة القارئ أن يعلم أن أكثر ضحايا نزيف المخ هم من الأطباء!

وحين لا يتحقق الشفاء بدواء وصفه طبيب بعينه، فليس معنى ذلك أن الطبيب يجهل عمله، أو أنه لم يكن أمينا في اختيار الدواء. وإنما علة ذلك أن كيمياء الجسم البشري بالغة التعقيد. والدواء الذى شفى مريضا قد يكون وبالا على مريض آخر! فمثلا، قد تؤدي الأقراص المهدئة إلى زيادة الأرق والتوتر. وبينما يفيد «البنسلين» بعض المرضى، فقد يضر مريضا آخر! وهذه النتائج العكسية تعرف باسم «الاستجابة غير المتوقعة» «Idiosyncrasy» (أو الاستجابة الشاذة أو الاستجابة غير السوية) ولا دخل للطبيب فيها.

وتعقُّد كيمياء الجسم البشري هو السبب في وجود وابتكار بدائل دوائية كثيرة. وقد يكون الطبيب مضطرا إلى أن «يجرب» أكثر من دواء مع نفس المريض، قبل أن يصل كلاهما إلى النتيجة المطلوبة- وهي الشفاء. ولو مرض الطبيب نفسه، فقد يتعرض لذات التجربة بمحاولة أكثر من دواء.

ثم، قبل كل هذا وبعده، فإن الطبيب بشر مثله مثل سائر البشر، عنده أفراحه وأحزانه، متاعبه وآلامه. وكما يقضي نهاره- وربما ليله كذلك- يواسي المرضى ويأسو جراحهم، فإنه يحتاج إلى المواساة والعطف. وعبارة شكر رقيقة من المريض لطبيبه، هي كل ما يطمح اليه أي طبيب. لكن المؤسف أن بعض المرضى يتهاون في إبداء الشكر، وإظهار الامتنان. وبدلا من ذلك، قد يتطاول على طبيبه ويحتدُّ عليه، وقد يسيء إليه بالقول أو بالفعل.

ليس الطبيب ساحرا يشفي الناس بعصا سحرية، ولا هو «بهلوانا» يضحك الناس ويدخل في قلوبهم المسرة، ولكنه بشر يجتهد فيصيب مرة، و قد يخونه التوفيق- عن غير عمد أو جهل- مرة. ولكي يستريح المريض ويريح، فيجب عليه عندما يذهب لمقابلة طبيب أن يتوقع أن يقابل «بشرا» وليس «ملاكا».

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٨٤/٤٤٢/٦... الوقت الذي تشرع فيه العقيقة

يوجد أب لعدد خمسة من الأولاد وخمس من البنات، ولم يذبح لهم عند الولادة، وقد حصل خلاف في ذلك، لأن البعض قال: يجوز أن يذبح عنهم الآن بعيرًا يجمعهم فيه، والبعض قال: لابد من أن يذبح عقيقة لكل مولود، فما هو الصواب في ذلك وفقكم اللّه؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن أكثر العلماء على استحباب العقيقة وعدم وجوبها، وإن الوقت الذي تشرع فيه هو اليوم السابع، أو الرابع عشر، أو الحادي والعشرون من ولادة المولود، أما فعل العقيقة عن الكبير إن لم يعق عنه صغيرًا فلم يرد فيه شيء ولو فعل فهو حسن، لما فيه من التوسعة، ولكن لا يكون عقيقة. واللّه أعلم.

٨٠/١١٤/٤... الأضحية عن الميت

هل تجوز الأضحية عن الميت؟ وعلى من تجب؟

● أجابت اللجنة:

إن الأضحية غير واجبة، وهي عن الحي لا عن الميت إلاّ إذا أوصى أن تضحى عنه في حدود ثلث تركته، أو اشترطها في وقفه، ومن ضحى عن الميت من غير وصية جاز. واللّه أعلم.

٧٩/٦٩/٣... القسم العسكري

عرض على اللجنة كتاب جمعية خيرية وكتاب رئاسة الأركان العامة للجيش، والذي يطلب كل منهما إجابة اللجنة عن القسم العسكري الذي يؤديه الملتحقون بالتجنيد الإلزامي حيث يتضمن القسم عبارة «وبذمتي وبشرفي».

وقد أرفق بكتاب رئاسة الأركان العامة صيغة القسم المقترح لأخذ رأي اللجنة فيه ونصه:

«أقسم باللّه العظيم. أقسم باللّه العظيم. أقسم باللّه العظيم. باعتباري عسكريًا في الجيش الكويتي، أن أكون وفيًا لدولة الكويت، أمينًا على حقوقها، مخلصًا لأميرها، مطيعًا لجميع الأوامر الحقة التي تصدر إلي من رؤسائي، منفذًا لها في البر والبحر والجو داخل وخارج البلاد، وأن أضع نفسي ومواهبي في خدمة الكويت، وأن أحمي علمها، وأحفظ استقلالها وسلامة أراضيها، معاديًا من يعاديها، مسالمًا من يسالمها، محافظًا على شرفي وسلاحي، لا أتركه قط حتى أذوق الموت، واللّه على ما أقول شهيد».

● وبعد الاطلاع على الموضوع أجابت اللجنة بما يلي:

إن العبارة التي يتضمنها القسم وهي «وبذمتي وشرفي» مخالفة للوارد شرعًا، وهو ما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «ألا من كان حالفًا فلا يحلف إلاّ باللّه» وما ورد في سنن الترمذي وأحمد أن النبي ﷺ قال: «إذا حلف أحدكم فليحلف باللّه أو ليصمت».

كما ترى اللجنة اعتماد صيغة القسم العسكري المقترح. واللّه أعلم.

٧٨/٢٢/٣... تعمد الكذب في اليمين

يسأل سائل عن امرأتين بين زوجيهما أمر يخفيانه عن الناس، فعرفت إحداهما بما بينهما، فأخبرت الأخرى، فشك زوجها أنها تعلم فاستحلفها هل قالت لها الأخرى شيئًا يتعلق بصديقه فلان؟ وكانت تعلم أنها إذا أخبرت بالحق فإنها تطلق هي والأخرى، وكان حلفها باللّه وعلى المصحف، فماذا عليها؟

● أجابت اللجنة:

إن هذه المرأة آثمة بحلف هذه اليمين الكاذبة، ولا يلزمها كفارة بل تستغفر اللّه وتتوب إليه. واللّه أعلم.

٧٩/٦٥/٣... كفارة اليمين

سائل أخبر بأنه أوصل زوجته إلى سكن صديقاتها للزيارة وطلب منها أن لا تتأخر عليه لأنه ينتظرها خارج السكن، إلاّ أنها تأخرت في الخروج، فغضب الزوج عليها فقال لها: واللّه العظيم إنك لن تأتي إلى هذا المسكن مرة أخرى، وبعد مرور عدة أيام علم الزوج أنها ذهبت لنفس السكن دون علمه ويسأل إن كان يلحقه شيء؟

● أجابت اللجنة:

إن عليه كفارة اليمين، وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، وتختار اللجنة جواز إخراج القيمة، وهي خمسة دنانير، لكل مسكين نصف دينار. واللّه أعلم.

٨١/١٧٣/٥... العجز عن أداء النذر

نذرت أن أصوم للّه سنة كاملة متتابعة، إن شفى الله ولدي، والحمد للّه شفي الولد، ولكني الآن لا أستطيع الصيام فماذا أفعل؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن على السائلة أن تشرع في صيام سنتها، فإذا شق عليها مشقة زائدة أفطرت الأيام التي تزول بها المشقة، ثم تستأنف الصيام وهكذا حتى تتم السنة وهي: ٣٥٥ يومًا فإذا انتهت السنة قضت الأيام التي أفطرتها، فلو بدأت في أول محرم، فإذا جاء أول محرم التالي قضت كل ما أفطرته في تلك السنة، فإن فات التتابع وجب عليها كفارة يمين واحدة، لأنها اشترطت في يمينها التتابع وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم. واللّه أعلم.

٨٤/٤٤٦/٢... العجز عن أداء النذر

رجل يقول: إني نذرت إن قضى اللّه كذا وكذا، وحقق ذلك؛ فنذر عليّ أن أكسو الكعبة.

وراتبه لا يزيد عن ٢٠٠ دينار كويتي وهو لا يعرف قيمة مصاريف كسوة الكعبة، فإن كان لا يستطيع بسبب عدم القدرة ماليًا فماذا يفعل؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن المستفتي قد نذر ما لا يقدر على الوفاء به كما تعرف حالته المادية من سؤاله، ولذا عليه كفارة يمين وهي إطعام عشرة مساكين



من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم، فإن كان غير مستطيع فعليه صيام ثلاثة أيام، واللجنة تنصح المستفتي عدم تكرار مثل هذا النذر. والله أعلم.

١/٤١٦/٨٤... العجز عن أداء النذر

سائل قال: إذا وفقني الله وحصلت على عمل لأذبحن بعيرًا ورأسين من الغنم مختلفة الألوان وعلى رأس كل شهر ذبيحة، وقد وفقني الله بعمل ولم أستطع أن أوفي بالنذر بسبب الدين الذي عليّ، فما يلزمني شرعًا؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن على السائل أولًا سداد الدين الذي عليه، ثم بعد ذلك يوفي نذره متى قدر إذا كان عجزه لعارض يرجى زواله، أما إذا عجز عجزًا لا يرجى زواله فعليه أن يكفر كفارة يمين، علمًا بأنه يأثم بتأخير وفاء النذر حال استطاعته. والله أعلم.

٢/٣٨/٧٨... العجز عن الصوم المنذور

نَذَر إن يسّر الله له عملًا أن يصوم يوم الخميس من كل أسبوع، وقد يسر الله له العمل وبدأ يصوم منذ ستة أشهر تقريبًا، ويقول: إن ظروف الجو الآن في الصيف ومشقة العمل تجعل الصيام صعبًا عليه، فهل يجوز أن يؤجل الصيام إلى وقت آخر؟

● أجابت اللجنة:

إن الصيام إذا كان يضره ضررًا بالغًا جاز له أن يفطر ويقضي هذه الأيام في وقت آخر، وإن لم يكن الضرر بالغًا فلا يجوز له الإخلال بنذره، فإن أخل وأفطر ارتكب إثمًا، عليه أن يتوب منه، وعليه القضاء أيضا. والله أعلم.

٤/٣١/٨٣... اليمين الغموس

ذكر سائل أنه طُلب للشهادة في واقعة اعتداء على أحد المسلمين، قال: وكنت حاضرًا هذه الواقعة، وقد دافعت عن ذلك الرجل، حيث لم يصب بأي إصابات إلاّ أن زجاج سيارته الخلفي قد تهشم. ولكن نظرًا لظروف معينة طلبت منه أن يعفو عن استدعائي لهذه الشهادة لظروف أخبرته بها ولكن أصر على ذلك. وكنت أعتقد في ذلك الوقت بأنني لو قلت الذي حدث أمام النيابة أن الشاب الذي اعتدى على هذا الرجل سيسجن، وبالتالي سوف أتضرر وأسرتي من ذلك الموضوع، فحلفت أمام النيابة بأنني لم أكن موجودًا ولم أرَ أحدًا، فما موقف هذا اليمين وجزاكم الله خيرًا؟.

● أجابت اللجنة:

إن هذا إثم كبير ويمين غموس، وعلى السائل أن يستغفر اللّه عز وجل كثيرًا ويتصدق ويدعو لهذا الشخص بالخير، ولا تجب عليه الكفارة، فإن أخرجها فلا بأس. واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

٢/١٧/٨٤... دفع الكفارة لنشر الدعوة الإسلامية

هل يجوز دفع مال كفارة الإفطار في رمضان أو غيره وفوائد الربا لشخص دون معرفته بحرمة الربا، وذلك لتمويل الدعوة الإسلامية؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز دفع مال الكفارات أو الفدية عن الإفطار في رمضان أو غيره في تمويل الدعوة الإسلامية إذا كان المنتفعون من هذه الأموال من الفقراء والمسلمين مع مراعاة إيصال مبلغ الكفارة الواحدة إلى العدد المطلوب في النصوص الشرعية.

أما أموال الفوائد الربوية فإن الأولوية في صرفها هي لمن هم في حالات الاضطرار والمجاعات كالمناطق المشار إليها في السؤال. واللّه أعلم.

قرار مجمع فقهاء الشريعة بأميركا بشأن القروض الطلابية

في الفترة من ٩ – ١٣ من شهر ذي القعدة ١٤٣٠ الموافق ٢٨ – ٣١ من شهر أكتوبر ٢٠٠٩ في مونتريال بكندا

● الأصل هو تحريم القروض الربوية، سواء أكانت قروضًا للطلاب أم لغيرهم، لدخولها في الربا الجلي الذي أجمع أهل العلم سلفًا وخلفًا على تحريمه، وينبغي استفراغ الوسع في طلب البدائل المشروعة قبل القفز إلى التعلل بالضرورات والحاجات.

● وفي عالم الجامعات في الغرب توجد منح دراسية للنابغين، ولغير القادرين، بالإضافة إلى فرص عمل جزئية تمكن من الجمع بين الدراسة والعمل، وتقي من الوقوع في هذه القروض، كما قد توجد قروض حسنة تتكفل الدولة بدفع فوائدها إذا تمكن الطالب من سداد كل ما عليه خلال ستّة أشهر من تخرجه، أو منح من بعض الشركات والهيئات مقابل عقود ٍللعمل معها بعد التخرج، فينبغي استفراغ الوسع في ذلك كله.

● إذا انعدمت كل هذه البدائل، وتعينت القروض الربوية سبيلًا وحيدًا لتيسير التعليم الجامعي دوامًا أو ابتداءً، أو سبيلا لتأمين حاجة الجاليات المسلمة مما لا غنى عنه من الحرف والصناعات، عد ذلك ضرورة ترفع إثم الربا وإن بقي حكم التحريم، شريطة أن يكون المضطر غير باغ ولا عاد، وذلك بأن تقدر الضرورة بقدرها، مع دوام الحرص على التماس البدائل المشروعة، والخروج من هذه القروض الربوية عند أول القدرة على ذلك تخفيفًا للفائدة الربوية ما أمكن، ونؤكد على ضرورة الرجوع إلى أهل الفتوى في تقدير هذه الحاجات والضرورات، وأنه لا ينبغي لأحد أن يعول على نفسه في ذلك، أو أن يقيس حاجاته على حاجات الآخرين.

إعداد: هيفاء حسن

أجسام غامضة تحت مياه بحر البلطيق

عثر عدد من الباحثين عن الكنوز في البحار على تكوين غريب ظهر عبر شاشات الرادار خلال مسح مياه البلطيق بحثًا عن حطام السفن القديمة، ويظهر التكوين على شكل أسطواني يشبه القرص بقطر يصل إلى ستين مترًا، ويتبعه ذيل بطول يتجاوز ٤٠٠ متر، غير أن الأمر الأغرب تمثل في اكتشاف جسم آخر مماثل على بعد ٢٠٠ متر.

وقال أفراد الفريق الذي أنجز الاكتشاف إنهم على ثقة بأنهم حققوا «اكتشاف العمر»، ولم يبق أمامهم إلا معرفة حقيقة ما أظهرته الشاشات من خلال القيام برحلة استكشافية تحت المياه خلال الأشهر القليلة المقبلة.

وذكر قائد الفريق والغواص المتخصص أن الاكتشاف جرى في نقطة تقع بين فنلندا والسويد، وتم من خلال مسح كانت تجريه كاميرات الفريق لقاع البحر بحثا عن حطام المراكب القديمة.

وأضاف ليندبرغ: «أعمل في هذا المجال منذ عقدين ولم يسبق لي رؤية شيء مثل هذا... ولدى مشاهدتي لهذه الأشكال تحت المياه قلت لفريقي إننا قد عثرنا على سفن فضائية».



تطبيقات عملية لأشعة الشمس

يحاول العلماء الاستفادة من الطاقة الشمسية في عدة تطبيقات عملية، فقد أفاد باحثون في جامعة لندن أن جدري الماء أقل انتشارًا في المناطق التي ترتفع فيها معدلات الأشعة ما فوق البنفسجية وأضاف الباحثون أن الأشعة الشمسية قد تعطل نشاط الفيروسات على الجلد ما يصعب عملية انتقالها، ومن جانب آخر احتفلت أخيرًا قرية تينا في سويسرا بتدشين أول مصعد معلق (تليفريك) في العالم يعمل بالطاقة الشمسية على مسافة ٤٥٠ مترًا وسيكون مخصصًا لنقل هواة التزلج إلى مرتفعات وادي «سافيان» وإمداد القرية بالطاقة.



الذكاء والجينات

اكتشف الباحثون في جامعة «ادينبورغ»، عبر استخدام تحليل جيني واختبارات ذكاء لدى أشخاص بمرحلة الطفولة ولاحقًا بمرحلة الشيخوخة، أن العوامل الجينية والبيئية معًا تلعب دورًا في ما إن كان الشخص سيحافظ على معدل ذكائه خلال حياته.

وقال الباحثون، قدرنا أن قرابة ربع التغييرات في اختبارات الذكاء خلال فترة الحياة قد تكون بسبب عوامل جينية، وقد استخدم العلماء خلال الدراسة بيانات جينية تتعلق بـ ١٩٤٠ شخصًا غير أقارب من أسكتلندا، بالإضافة إلى معلومات بشأن اختبارات ذكاء أجريت لمن شملتهم الدراسة عندما كانوا في سن الطفولة، وبعدها في سن الـ ٥٤ و٦٨ و٧٠ و٧٩.

ونظر الباحثون بشكل خاص باختلافات في جزء من الحمض النووي يدعى SNP، ارتبطت بتراجع ذكاء الأشخاص أو الحفاظ على مستواه مدى الحياة.

واستطاعوا تقييم المساهمة الجينية بالاختلافات المتعلقة بالذكاء بين فترة الطفولة والشيخوخة، لدى نفس الأشخاص.

وفي الوقت نفسه وجدت دراسة هولندية جديدة أن بعض الخلل الجيني في كروموزومات الرجال قد يكون مرتبطًا بالإعاقات الفكرية في ذريتهم خصوصًا إن أصبح الرجل أبًا في وقت متأخر من حياته.

البحر الميت ٤٢٦م تحت منسوب سطح البحر

قال فريق دولي من العلماء إن البحر الميت جف تقريبا قبل نحو ١٢٥ ألف سنة بسبب فترة من الجدب.

ووفق العينات التي حصل عليها فريق من العلماء من أكثر من دولة، من خلال المثاقيب المتخصصة تأكد ذلك. ويساور العلماء قلق شديد إزاء تراجع منسوب البحر الميت، أكثر بحار العالم انخفاضا عن سطح الأرض.

وعثر الباحثون على عمق نحو ٢٥٠ مترا تحت سطح البحر على تكلسات ملحية صلبة، رأوا أنها دليل على عصر اختفى فيه البحر تقريبا. كما عثر الباحثون على طبقات أرضية طينية تدل على عصر تلا هذه الفترة، وكان أكثر مياها.

وقال الباحثون إن منسوب مياه البحر الميت يبلغ حاليا ٤٢٦ مترا تحت منسوب سطح البحر العادي. يشار إلى أن البحر الميت يحصل على مياهه من نهر الأردن، وأنه ليس متصلا ببحار أخرى، وأنه يفقد مياهه بالتبخر فقط.

ذاكرة عملاقة!!

نجح علماء من أميركا وألمانيا في صناعة أصغر ذاكرة بيانات مغناطيسية عرفها العالم حتى الآن.

ولا تزيد مساحة البايت الواحد على هذه الذاكرة على ١٢ ذرة حديد وبذلك تصل كثافة التخزين إلى نحو ١٠٠ ضعف الأقراص الصلبة المعروفة حاليا، حسبما أكدت جمعية ماكس بلانك الألمانية أمس في هامبورغ، التي أوضحت أن السعة التخزينية لهذا النوع الجديد من الذاكرة المغناطيسية تصل لكثافة تخزين البيانات نفسها التي يمتلكها الحمض النووي للإنسان.

ومشيرا لهذا الإنجاز، قال سيباستيان لوت، الباحث في جمعية ماكس بلانك: «في ضوء التوجه للتصغير في الصناعات الإلكترونية فقد أردنا أن نعرف ما إذا كان من الممكن الوصول بهذا التصغير إلى حجم بعض الذرات».

وأشار لوت إلى أن السر الذي بنى عليه العلماء هذه الفكرة الجديدة هو اعتمادهم على ما يعرف بالمغناطيسية الحديدية المضادة التي كان العلماء يعتقدون أنها غير صالحة لحفظ البيانات.

غير أن هذه الذاكرة العملاقة لا تصنع إلا تحت ظروف خاصة وفي درجة حرارة ٢٦٨ درجة مئوية، بالإضافة إلى أن هيكله يصنع ذرة ذرة وهو شيء غير ممكن إلا باستخدام ما يعرف بمجهر مسح نفقي حسبما أوضح لوت.

سرقة الأنهار الجليدية

تواجه الأنهار الجليدية خطرًا كبيرًا بفعل التغيرات المناخية، لكن تهديدًا جديدًا بات يواجهها حاليًا وهو السّرقة!

فقد أظهر تقرير للأمم المتحدة أن عصابات إجرامية باتت تهدد الأنهار الجليدية في العالم، وأعطى مثالًا على ذلك بالموجودة في تشيلي، حيث تحقق الشرطة بسرقة خمسة أطنان ونصف الطن من الثلج البالغ عمره آلاف السنين من نهر جورج مونت الجليدي، وقالت هيئة الإستراتيجية الدولية من مخاطر الكوارث التابعة للأمم المتحدة، في بيان إن الإستخراج غير الشرعي للثلج، قد يسبب تهديدًا كبيرًا إضافيًا لنهر جليدي مساحته ١٧٥ ميلًا مربعًا، وهو جزء من حقل جليد جنوب باتاغونيا البالغة مساحته ٥ آلاف ميل مربع، وهو ثالث أكبر نهر جليدي في العالم، وأشار البيان إلى أن نهر جورج مونت الجليدي ينصهر بمعدل كيلومتر واحد في السنة، ما يجعله أكثر المؤشرات تعبيرًا عن الاحتباس الحراري

من هنا وهناك!

■ توصل اللبناني عمر خالد المصري، إلى اختراع يتيح استعمال المياه وقودًا مساعدًا للسيارات، وطبق اختراعه على سيارته وهي من نوع «شيفروليه».

■ عرضت سيارة كهربائية صغيرة قابلة للطي أنتجتها مجموعة شركات في منطقة الباسك الإسبانية على المفوضية الأوروبية لتكون نموذج سيارة معتمدة للمدينة غير ملوثة بتاتًا.

■ قال الممثل البريطاني «ليام نيسون» إنه يفكر في اعتناق الدين الإسلامي بعد أن تأثر بصوت الأذان خلال تصويره لفيلم في إسطنبول.

■ ظل خطاط أفغاني يعمل طوال خمسة أعوام، لينتهي من خط أكبر مصحف في العالم، حيث يبلغ طول أوراقه ٢,٢٨م، وعرضها ١,٥٥م، ويبلغ وزنه ٥٠٠ كيلوغرام، وعدد صفحاته ٢١٨ صفحة، وهي مكونة من الورق والقماش، أما الغلاف فهو مصنوع من جلد الماعز، ومزخرف بنقوش بارزة، وبلغت تكلفته نصف مليون دولار.

■ لم يعد التحكم بالتلفاز صوتيًا أو بحركة يد أو حتى تحديث صفحة إنترنت بنظرة، من ضروب الخيال، إذ يبزغ مستقبل جديد مع واجهات إلكترونية جديدة لا تحتاج إلى مفاتيح ولا إلى لوحة مفاتيح ولا إلى فأرة كمبيوتر.



إعداد: التحرير

خطر مجلات العنف والعدوانية على الطفولة العربية

«الغاية تبرر الوسيلة».. مبدأ لا أخلاقي غير مقنع: إن العديد من المسؤولين عن مجلات الأطفال العربية يتبعون أساليب ووسائل ملتوية وغير أخلاقية من أجل الترويج لمطبوعاتهم وبيعها للأطفال.

فهم يلجأون إلى تقديم ونشر العنف (أقوال- صور- رسوم) عن سبق إصرار وترصد قصد جذب الأطفال والناشئة لقراءة ومطالعة مطبوعاتهم ومجلاتهم ونشراتهم وتحقيق أكبر قدر ممكن من المبيعات والأرباح المادية، وبالتالي فإنهم لا يعيرون أي اهتمام للتأثيرات السلبية النفسية الخطيرة الناجمة عن تقديم العنف بكل صوره وأشكاله ماداموا يؤمنون بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة والتي تتمثل في نشر مواضيع وقضايا وقصص وصور ورسوم العدوانية والعنف بمجلاتهم لتحقيق أهداف وغايات غير نبيلة كالشهرة والنجومية والربح المالي السريع والاغتناء الفاحش.

وأمام هذه المبررات والأعذار الواهية وغير الأخلاقية التي يتذرع بها المسؤولون والمشرفون على مجلات الأطفال فإنهم يتحملون المسؤولية الكاملة في الدفع بالناشئة إلى عالم الانحراف والضياع الديني والأخلاقي والفكري والسلوكي وخاصة الجنوح نحو ممارسة كل أصناف العدوانية والعنف والاعتداء بالبيت والمدرسة والشارع تجاه إخوانهم وأصدقائهم وزملائهم الصغار وبفضل التأثير السلبي والمحاكاة والتقليد الأعمى لمضامين ومحتويات القصص والحكايات الدرامية والمضللة ومحاكاتهم للأحداث الدامية والوقائع الخطيرة التي يقرأونها ويتابعونها بحب وشغف كبيرين واهتمام وإعجاب شديد.

الصندوق الأسود

لاشك أن جل من سيطالعون العنوان، سينصرف تفكيرهم إلى حوادث الطائرات المؤلمة وما ينجم عنها من خسائر بشرية، فهناك تلازم بين المعنى والمبنى لا يفارق الأذهان لكن لم لا نوجد تلاقحًا للمعاني المترادفة لذات الألفاظ ومن ثم نخرجها من دائرة الاستعمال المحدود، وهو من البلاغة في شيء.

فإن كان الصندوق الأسود هو خزينة الأسرار الضرورية والبالغة الأهمية فإن حياة البشر، كل البشر، لا تخلو من العديد من الأسرار التي ينبغي أن تطويها الصدور حينا من الدهر، بل منها ما يجب قبره مع صاحبه، ولله در من قال:

ومستودعي سرًا تضمنت سره
فأودعته في مستقر الحشا قبرا
وما السر في قلبي كميت بحفرة
لأني أرى المدفون ينتظر النشرا

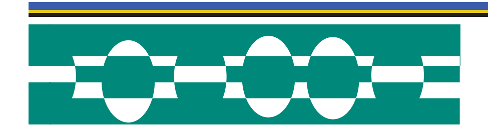
وبعيدا عن الأسرار الحياتية الخاصة، فهناك الأسرار الحربية، والتي تتعلق بعتاد الجيوش وخططها الحربية، والتي يجب حفظها في صدور الرجال الأكفاء، حتى ليعد إفشاؤها خيانة كبرى تصل العقوبة فيها إلى الإعدام، إذ أن تلكم الأسرار من الأهمية بمكان للإخفاء والتمويه عن الأعداء، ومن ثم فإفشاؤها ينجم عنه أخطار جسام تضر بالمصالح العليا للبلاد، وهنا تبدو أهمية فضيلة كتمان السر في تحقيق النصر والظفر في الحروب.

والكتمان والستر من الفضائل التي حثت عليها السنة النبوية الشريفة، ففي حديث أبي هريرة «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» (رواه مسلم)، وفي حديث آخر «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» (متفق عليه).

ومن مطويات الصندوق الأسود البشري والتي يجب عدم إفشائها البتة، ما يرتبط بالعلاقة الزوجية وأسرارها يقول المصطفى ﷺ «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» (رواه مسلم)، والسعي لقضاء حوائج البشر يتطلب قدرًا من الكتمان فهو خليق بالنجاح وفي الأثر «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».

ويقول الإمام علي: «سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره»، وقد يكون أمناء الأسرار أقل وجودًا من أمناء الأموال، فحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار كما أن حمل الأسرار أثقل من حمل الأموال.

وهناك فصيل من البشر لا يعرف شيئًا اسمه الكتمان،



إن الدور الخطير الذي تقوم به المجلات العربية الخاصة بالأطفال الذي يتمثل في تعليم وتلقين الأبناء والناشئة كل مظاهر العنف والعدوانية ونشر القصص والحكايات والصور والرسم واللقطات الدرامية والكاريكاتير وغيرها يحتم على القائمين والمشرفين والمسؤولين على هذه المنابر الإعلامية المكتوبة والمقروءة مع بقية المسؤولين عنها من إداريين ومحررين وكتاب ومصورين ورسامين وغيرهم الرجوع إلى الحق وجادة الصواب والتوبة إلى الله وذلك بالكف والتوقف عن الأفعال غير الأخلاقية الخطيرة التي يرتكبونها في حق الأطفال الصغار وفي المقابل يجب عليهم إعطاء وتقديم بدائل حقيقية وواقعية وكتابة حكايات وقصص ووقائع ورسوم وصور حية من الواقع تنفعهم في دينهم ودراستهم ودنياهم وأخراهم.

إن مسؤولية المجتمع الإسلامي المعاصر تجاه الأطفال جسيمة خصوصًا المسؤولين عن البيت والمدرسة والمكتبات ودور الثقافة ووسائل الإعلام المختلفة، فمن واجب هؤلاء جميعًا نصح وتوجيه الأطفال نحو القراءات الجادة الهادفة التي تفيدهم وتنفعهم في كل شيء خاصة تلك التي تتميز بالأصالة والجدة والموضوعية ثم الانفتاح على الواقع والمعاصرة.

إن قضية تعليم وتربية الطفولة العربية مسؤولية جسيمة وخطيرة في نظر الشرع الإسلامي الحنيف، والتفريط في هذا الواجب تترتب عليه عواقب وخيمة في حياة الأطفال من جميع النواحي الاجتماعية والأخلاقية والتربوية والنفسية والصحية وغيرها، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف يقول الرسول ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (رواه ابن حبان)

عمر بن إدريس الرماش

فإذا تكلم أفشى سره وسر غيره، وألقى في أفواه الرجال، وأفاض بما ينبغي أن يكون خفيًا لا يألو بالًا لعواقب، فكل شيء في جعبته مذاع، وهذا الصنف قد يمتد ضرره للآخرين ولو بحسن نية.

ومن العجيب أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها وأحفظ وأما إن كثرت خزائن الأسرار كان ذلك لها أضيع، وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مأربه.

والثرثرة والحديث عن الآخرين هما أحد أسباب إفشاء الأسرار، ناهيك عما ينجم عنها من معاص كالغيبة والنميمة وهما من أشد الذنوب التي نهى المولى سبحانه وتعالى عنها، وتؤكد إحدى الدراسات الأمريكية أن ٥٠ في المائة من الأحاديث بين الناس تتعلق بالآخرين، كما أن المرأة أكثر قابلية لإفشاء الأسرار من الرجل حيث إن المرأة تتكلم يوميًا بمعدل يصل لضعف كلام الرجال ويزيد، ويعد إفشاء الأسرار جريمة في مختلف الثقافات الشعبية في العالم، ففي بريطانيا يعد من أعظم الخطايا، ويعتبر كقتل الوالد في فرنسا، أما في ألمانيا فيعد كقتل الأطفال بالاستغلال الجسدي.

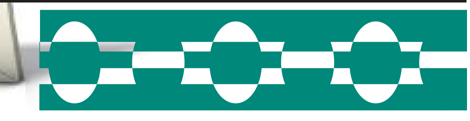
لكن هناك من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق أو استشارة ناصح أمين، وهنا يجب تحري الدقة في اختيار من يودع السر لكتمانه، فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار مؤتمنًا، والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار، فالرجل قد يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم الأسرار، وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب فإن أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره كأنما ألقى عن نفسه حملًا ثقيلًا، كما قال الإمام علي رضي الله عنه.

ومما لاشك فيه أن كتمان الأسرار من أهم عوامل زرع الثقة بين الناس، كما أنها تكسب صاحبها احترام الآخرين له، وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها لا خير في إنسان لا يمسك سره ولله در من قال:

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا
فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال
وكتمان السرائر في الفؤاد

فما أحوجنا إلى فضيلة حفظ السر، حتى نرتقي ونحوز ثقة الآخرين وما أحوجنا إلى تعليم الناشئة تلك الفضيلة حتى يشبوا رجالًا وقد جبلوا على حفظ السر، ومن هنا تكون مجتمعاتنا أكثر رقيًا بضميمة تلك الفضيلة إلى فضائل أخرى، كالصدق والعدل والأمانة والإخلاص والإيثار والتراحم وغيرها.

محمود علي محمد







ورفعنا لك ذكرك

جعل الله عز وجل ذكره دائما في كل وقت، وعلى كل حال، وجعل كل ما يحيط بنا يذكرنا بعظمته وجلال قدرته سبحانه وتعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ (البقرة: ١١٧)، وجعل الله تعالى شيئا من هذا الذكر لأنبيائه ورسله الدعاة إلى سبيله، وجعل أعظمهم ذكرًا هو أعظمهم قدرًا نبيه الخاتم محمدا ﷺ فقال عز وجل: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (الشرح: ٤)، في آية من سورة الشرح تتلى إلى يوم الدين، ورفع الله ذكر نبيه ليبين أنه لا سبيل إليه إلا عن طريق واحد هو طريق محمد ﷺ فمن أراد الوصول إلى رضاه وتحقيق تقواه فعليه أن يتبع صراط محمد وسنته قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١). ولهذا كان المدخل إلى الإسلام يتضمن إقرارين: إقرار بأن لا إله إلا الله وإقرار بأن محمدا رسول الله، بل جعل الله ذكر محمد ﷺ مقرونا بذكره في كل أذان يشق كل سماء في كل بقاع الأرض ليس مرة في اليوم وإنما خمس مرات في اليوم والليلة، قال شاعر الرسول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال - في الخمس - المؤذنُ أشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد رفع الله ذكر نبيه فجعله معروفًا مذكورًا عند جميع الأنبياء السابقين قبل أن يأتي زمانه وقبل أن تشرق شمس نبوته ورسالته بل أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به ويصدقوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ١١)، وقد نطقت كل الكتب السماوية بذكره والتبشير به فكان ذكره مرفوعا عند كل الأمم السابقة ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٦) ففي التوراة يروي البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «وجدت في التوراة في صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه وتعالى: «يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، ويفتح عيونا عُميا، وآذانا صُما، وقلوبا غلفا بأن يقولوا: لا إله إلا الله» (البخاري).

وفي الإنجيل جاء فيه: «أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم «البارقليط» فأما إن انطلقت أرسلته أليكم فإذا جاء، ذاك الذي يوبخ العالم على خطي» فهذه بشارة متكاملة بالنبي وقد قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى عليهما السلام».

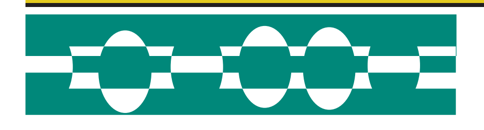
وقبل بعثته ﷺ رفع الله ذكره فكانت جميع الكائنات تعرفه كان السحاب يظله بإذن الله وهو صبي في رحلته مع عمه في الشام، وكان بمكة حجر يسلم عليه (صحيح مسلم)، وكان مشهورًا بمكة بأعظم وصفين: الصادق الأمين، ولما جاءت الرسالة ونزل الوحي صار أبخل البخلاء من ذكر عنده الرسول ﷺ ولم يصل عليه (مسند أحمد)، وجاء الأمر بالصلاة على النبي ﷺ في كتاب الله بسياق مختلف عن كل أمر أمر الله به، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦)، فبدأ الله تعالى بنفسه مصليًا ثم ملائكته ثم أمر بذلك عباده المؤمنين ليكون ذكره ﷺ عاليا في الملأ الأعلى ثم في الملأ الأدنى، كما جعل الله تعالى هذا الذكر المرفوع منوعًا بين صلاة الله وهي ثناء حسن، وبين صلاة الملائكة وهي دعاء واستغفار، وبين صلاة عباد الله المؤمنين وهي تعظيم وذكر (تفسير ابن كثير)، فشمل ذكره ﷺ العالمين لأنه خير من أخلص لله العبادة والقربى.

ورفع الله تعالى ذكر نبيه ﷺ في الآخرة فهو صاحب الشفاعة العظمى ليقضي الله بين الخلائق بعدما طال الموقف وشق الأمر على الناس حين يذهبون إليه بعد اعتذار جميع الأنبياء أن يشفعوا عند الله أن يقام الحساب فيأتون محمدا ﷺ ليشفع عند الله تعالى فيقول: «أنا لها أنا لها» فيكون هو وأمته أول من يقضى لهم قبل جميع الخلائق: قال ﷺ: «نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق» (رواه مسلم).

ويكون محمد ﷺ أول بشر يدخل الجنة، قال ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» ورفع الله أجر ذكره ﷺ، فجعل من صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى عليه عشرا صلى الله عليه بها مائة.

وجعل الله عز وجل لكل من سلك طريق محمد ﷺ ذكرا في الدنيا والآخرة: لهم البشرى في الحياة الدنيا ونصرتهم لشريعته، ودعوتهم إلى طريقته، وكذلك الحال مع التابعين وتابعيهم بإحسان نترحم عليهم ونحبهم ونذكرهم بخير لأنهم ساروا مخلصين على طريق النبوة المحمدية.

وعلى الجانب الآخر عاقب الله كل من خالف نهج محمد بأن



قطع ذكره، ومحا أثره في الآخرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)، وإن تبقى لبعض هؤلاء الأراذل ذكر في الدنيا فإنما يكون ذكرهم بين من هم على شاكلتهم؛ أسافل البشر وأخبات الخلق، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣)، أي إن مبغضك يا محمد هو المقطوع ذكره عن كل خير، وبغضه لك وذكره لك بما أنت بريء منه يبغضه جميع الخلق، ولهذا تبوء جميع محاولات المسيئين للنبي ﷺ بالفشل الذريع ويعود السباب الباطل وبالا على صاحبه فلا يضر السحاب نباح الكلاب.

وأختم هذا الكلام المعطر بذكر خير البشر بكلام أحد أصحاب العقول المنصفة من بلاد طالما أساءت وتعصبت ضد نبي الإسلام، يقول الكاتب البريطاني المعروف «توماس كارلايل» في كتابه «الأبطال» : «من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة أو خديعة مخادع؟ لو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج لأصبحت الحياة سخفًا وعبثًا وكان الأجدر بها ألا توجد».

أشرف المنسي محمد

تيه أم خلل في الذاكرة؟

ينبغي أن يعرف أن مشارب الناس متنوعة وعقولهم مختلفة وأفكارهم متعددة وهذه هي الحياة بحلوها ومرها، وقديمًا قال أحدهم:

تعشقتها شمطاء شاب وليدُها
وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل ميسر لما خلق له وهذه هي إرادة الله الذي أراد أن تحمل الحياة بين جنبيها التنوع والتعدد ويكون على ظهرها الخبيث والطيب والحق والباطل والحلال والحرام والإنسان بعد ذلك مختار والبشر لهم الحرية في أي طريق يسيرون وأي وجه يقصدون فالبعض يريدها هادئة كريمة وآخر يحبها فتنة وصراعات وثالث يعشقها صحة وقوة وآخر يحب الفخر والتعالي والآخر يحب التواضع وخفض الجناح، وقد يكون هذا التنوع وهذا التوجه ناتج عن أمزجة وميول فيذهب كل فصيل إلى إلفه أو إلى طبعه والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف، وقد يكون الاختلاف ناتج عن انفصام في الشخصية أو انحراف في النفسية ويتعدى إلى الغير فهذا هو الأخطر الذي يحتاج إلى الالتفات والتقويم أو المقاومة والدفع في الحياة، وقد خلق الله لنا العقول والأفهام لتميز الخبيث من الطيب ونعرف الصالح من الطالح ونكتشف الطريق المستقيم من المعوج حتى لا تنحرف البوصلة وتضيع الجادة ويتحطم المجداف، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: الميل إلى الأقوال الباطلة ليس من شأن أهل الحق الذين لهم إدراك وقوة فهم وفضل دراية وصحة رواية بل ذلك دأب من ليس له بصيرة نافذة ولا معرفة نافعة ويتحتم مقاومة ذلك إذا تحققت في الباطل أمور منها:

١- إذا عادى الباطل أهل الحق وحاربهم والمعروف أن أهل الباطل على اختلاف ألوانهم وفئاتهم يحاربون الحق وأهله ويكيدون لهم، وصدق القائل:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

وقد يلبس الباطل جلود الحق بتزيين الألفاظ وزخرفة الأقوال، وتنميق العبارات.

في زخرف القول تزيين لباطله
والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحًا وقدحًا وما جاوزت وصفهما
والحق قد يعتريه سوء تعبير

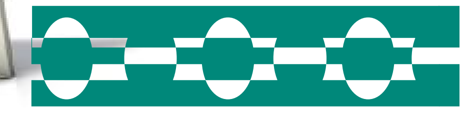
٢- إذا تسلح الباطل وتغول وتمرس بعدة وعتاد وقهر الناس واستحل بيضتهم وأجبرهم على ما يريد.

٣- إذا حارب الهوية وعادى الإسلام وأهله وقتل دعاته وصادق أعداءه.. ومقاومة الحق للباطل لابد لها من رجل وعدة وعزم ومن ذلك قول العرب في أمثالهم:

تعوي الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستنفر الحامي

وقولهم: ذل من لا سيف له وقد يتوقى السيف وهو في غمده وقد يجبن الشجاع بلا سلام، واستكمال العدة آكد في النصر وأبلغ في الفوز، هذا وغيره من الأمثال العربية في تراثنا العظيم الذي تكبناه ولم نلتفت إليه وصرنا أضحوكة ومتاعًا وطعاما للآكلين ومرتعًا للظالمين حتى من بني جلدتنا.

محمد السيد عامر



إعداد: التحرير

خير ما يرزق العبد

قال ملك لأحد وزرائه يمتحنه: ما خير ما يرزق العبد؟

قال: عقل يعيش به، قال: فإن عدمه؟، قال: فأدب يتحلى به، قال: فإن عدمه؟، قال: فمال يستره، قال: فإن عدمه؟، قال: فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد.

«**كشكول ابن عقيل، ص:٨٨**»

الأرواح جنود مجندة

قال علي رضي الله عنه: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف».

عن مجاهد رحمه الله: رأى ابن عباس رجلًا فقال: «إن هذا ليحبني، قالوا: وما علمك؟ قال: إني لأحبه، والأرواح جنود مجندة...».

قال أبوحاتم: إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكونه: هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده، ولأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع.

وقال ابن جعفر بن سليمان الضبعي: سمعت أبي يقول: الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط،... وكل إنسان مع شكله.

«**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ٩٩**».

نصيحة من ذهب

عندما خرج أسد بن الفرات في عشرة آلاف مقاتل إلى ثغر سوسة ليغزو جزيرة صقلية، خرج الأمير وأهل العلم وأعيان الأمَّة لتوديعه، فقال بأعلى صوته من فوق السفينة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له. يا معشر المسلمين، ما وُلِّيَ لي أَبٌ ولا جَدٌّ ولاية قَط، وما رأى أحدٌ من سلفي هذا قط، وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام، فأجهدوا أنفسكم في طلب العلم، وتدوينه، وكابدوا عليه، واصبروا على شدته، فإنَّكم تنالون به الدنيا والآخرة».

فقيه على فراش الموت

دخل إبراهيم بن الجراح على القاضي أبي يوسف في مرضه الذي مات فيه، ففتح عينيه وقال: الرَّمي راكبًا أفضل أم ماشيًا؟.

قلت: ماشيًا، فقال: أخطأت. فقلت: راكبًا، قال: أخطأت، ثم قال: كل رمي بعده وقوف؛ فالرَّمي فيه ماشيًا أفضل، وما ليس فيه وقوف؛ فالرمي فيه راكبًا أفضل.

فقمت من عنده، فما انتهيت إلى باب الدار حتى سمعت الصراخ في بيته، فعجبت من حرصه على العلم في مثل تلك الحالة.

«**الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات ص:١٢٥**»

وصية الخليفة الفاروق لابنه

أوصى عمر t ابنه عبدالله عند الموت فقال: يا بني عليك بخصال الإيمان. فقال: وما هنَّ يا أبتِ؟ قال: الصوم في شدة أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال، فقال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر.

«**ابن سعد ١/٢٦١٩**».

أوَّل مَنْ أحدث الوزارة في الإسلام

«أبوالعباس السَّفَّاح» عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، العباسي، الهاشمي، القرشي.

هو أول من أحدث منصب الوزارة في الإسلام، فاتخذ حفص بن سليمان وزيره. وكان الأمويون - في أيام دولتهم - يتخذون رجالاً من الخاصَّة يستشيرونهم في بعض شؤونهم، لكنهم لم يصطلحوا على تسمية أي واحد من هؤلاء وزيرًا بشكل رسمي.

«**مروج الذهب للمسعودي. معجم الأوائل**»

ميتة أبي خارجة

قال الأصمعي: رأيت أعرابيًا ماسكًا بستار الكعبة، وهو يقول: اللهم أمتني ميتة أبي خارجة! فقلت له: يرحمك الله، وكيف مات أبوخارجه؟؟ قال: أكل حتى امتلأ، وشرب حتى ارتوى، ونام في الشمس، فمات شبعان ريان.

«**الأمثال العربية**».



حكمة بالغة

قال بعض الحكماء: من طلب أربعًا بغير أربع لم يجد:

- من طلب علمًا بغير عمل بقي بلا علم.
- ومن طلب أخًا بلا عيب بقي بلا أخ.
- ومن طلب طعاما بلا شبهة بقي بلا طعام.
- ومن طلب طاعة بغير رياء بقي بلا طاعة.

«**الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات ص١٢٠**»

صفة الجواد

روى اللخمي أن الحَجَّاج سأل ابن القرية عن صفة الجواد، فقال: نعم، أصلح الله الأمير، هو الطويل الثلاث، القصير الثلاث، الرحب الثلاث، الصافي الثلاث، فقال الحجاج: صفهنَّ وبيِّن لفظك، فقال: أما الطويل الثلاث: فالأذن، والعنق، والذراع. وأما القصير الثلاث: فالعسيب، والرسغ، والظهر، وأما الرحب الثلاث: فالجوف، والمنخر، والجبهة. وأما الصافي الثلاث: فالأديم، والعين، والحافر، وقد جمعها بعضهم بقوله:

وقد أغتدي قبل ضوء الصباح
وورد القطا في الفلاة الحثاث
بصافي الثلاث عريض الثلاث
قصير الثلاث طويل الثلاث

«**إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص:٣٤**»

الاستشارة والسر

استشار أحد الملوك وزراءه فقال أحدهم: «ولا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدًا إلا خاليًا به، فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين وإفشائه إلى ثلاثة وإفشائه إلى العامة، لأن الواحد رهن بما أفشى إليه. والثاني يطلق عنه ذلك الرهن، والثالث علاوة فيه، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يظهره رهبةً منه ورغبة إليه، وإذا كان عند اثنين دخلتْ على الملك الشبهة، واتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئًا بجناية مجرم، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له عن الآخر ولا حجة معه.

«**عيون الأخبار لابن قتيبة**»

مصاحبة الأحمق

قال المعتمر بن سليمان: سمعت أبي يقول: كان يُقال: «تنكبوا عن مجاراة الأحمق فإنكم إن جاريتموه كنتم مثله، واجتنبوا صحبته فإنها الدَّاء العضال الذي لا دواء له».

وقال الحسن البصري: «إياكم وصحبة الأحمق، فإنَّ مصادقته جالبة العداوة، وعليكم بأهل التقى والعلم فإنكم لن تعدموا منهم رشدًا».

«**عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب**»



مسك الختام

التخطيط الإعلامي

تمام الصباغ

علماء الأمة وفقهاؤها أصَّلوا وفصَّلوا في علم مقاصد الشريعة الإسلامية، وبينوا بكل جلاء ووضوح الغاية المثلى والهدف الأساس من ورائه، ألا وهو السعي الجاد لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد وصولًا إلى السعادة الدنيوية والأخروية لكل أفراد المجتمع.

ومقاصد الشريعة كما بيَّن الفقهاء لا تقتصر على جانب من جوانب الحياة دون آخر، بل تشمل مناحي الحياة كافة، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والإعلامية وغيرها، بحيث يوجد الاجتهاد المقاصدي نقلة معرفية تستطيع أن تساهم في الإقلاع الاجتماعي للفكر الإسلامي، بما يسمح لهذه الأفكار بالاستمرارية والتوالد، عبر قراءات جديدة تعكس روح العصر، وتندرج في المسار التكاملي للمعارف والعلوم الإسلامية، ولاشك أن الجانب الإعلامي مهم جدًا، لم يتنبَّه له كثيرًا علماء الشريعة الأقدمون، بقدر ما أولوا الجوانب الحياتية الأخرى من اهتمام في مقاصد الشريعة، ولكن ومع تنوع وتقدم وسائل الإعلام في أعقاب الثورة المعلوماتية، ظهرت أهمية هذا الجانب، الأمر الذي يفرض على علماء الأمة الاجتهاد والتأصيل الشرعي فيه بالتعاون والتنسيق مع رجال الإعلام المخلصين، بحيث يضعون هيكلية إعلامية سليمة، تتوافق كلية مع مقاصد الشريعة، على أن تشمل هذه الهيكلية كل فروع الإعلام، بدءًا من إيجاد الكادر الإعلامي المؤهل للدفاع عن الإسلام وأحكامه في كل أعماله الإعلامية مرورًا بإصدار الصحف والمجلات الهادفة، وإنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية والمسرحية، التي ترضي الجماهير حسب المعايير الإسلامية.

إن الإعلام الذي يقيم بناءه الهيكلي على سياسة تخالف مقاصد الشريعة- وهو ما نراه في عصرنا الحاضر- ويسعى لتزييف الحقائق جريًا وراء كسب مادي أو معنوي، إنما يُعتبر شاهد زور في ميزان الشرع، وهو من أكبر الكبائر في حق الأمة، يقول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يقولها حتى قلت (الراوي) ليته سكت» (صحيح البخاري).

إنها دعوة مخلصة لعلماء الأمة ورجال الإعلام لتخطيط إعلامي سليم وحرٍّ وصادق يعيد للأمة ريادتها، ويسهم في استعادة دورها الإيجابي الفاعل في المسيرة الحضارية والإنسانية.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

تنويه

السادة الكُتّاب الكرام:

تَرِدُنا بين الحين والآخر مقالات، وبعد التدقيق فيها يتبين لنا أمران أساسيان يتعارضان مع ضوابط النشر المعلنة في ثنايا المجلة، وهذان الأمران هما:

١- المقالات منشورة في كتب أو مجلات أخرى، أو في بعض الصحف، أو موجودة على شبكة الإنترنت، وهذا يدفعنا إلى عدم نشرها، التزامًا بضوابط النشر.

٢- المقالات مسروقه من كُتّاب آخرين، أو منقولة من شبكة الإنترنت، وهذا يعد تعدّيًا على الملكية الفكرية لهذا نأمل من الكُتّاب الالتزام التام بضوابط النشر، علمًا بأن مجلة الوعي الإسلامي ترحب بكل كاتب أو باحث يلتزم بأصول الكتابة والبحث والنشر، والله الموفق.

الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩
info@alwaei.com - www.alwaei.com

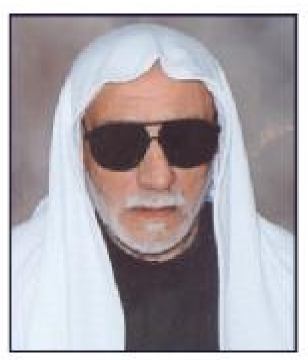
أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٦٢) جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل-مايو ٢٠١٢م



ورحل أحد أئمة الكويت
القدامى.. الشيخ الغانم

السَّقَّاطَة.. إبداع معماري

◂ لعبة الاستعمار في تغيير التركيبة الماليزية

◂ الجامع العمري في غزة.. آثار وأمجاد

ملف العدد:

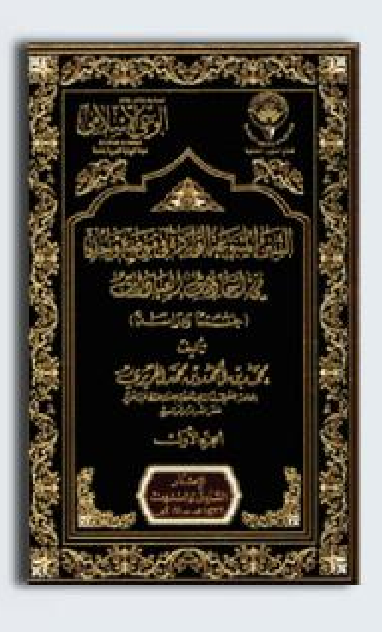
من يصنع الأزمة.. القادة أم الشعوب؟!

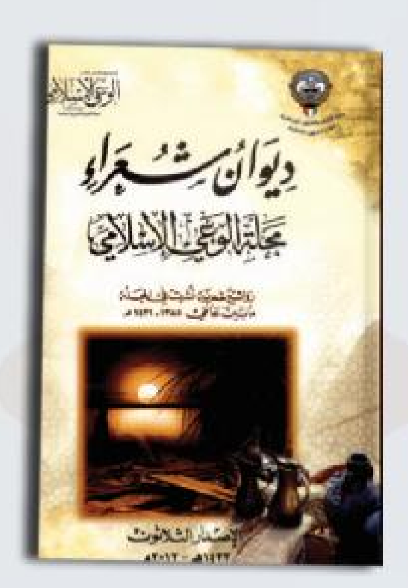
مجاناً
مع العدد
«براعم الإ

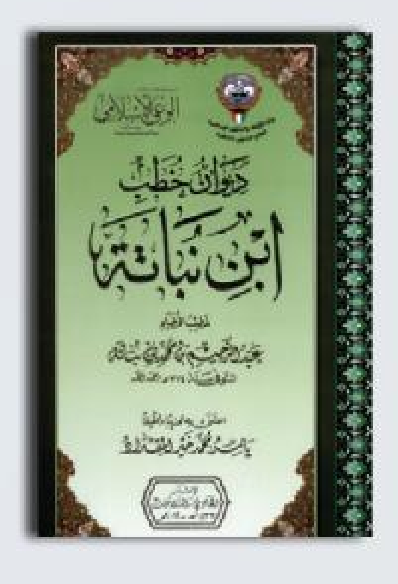


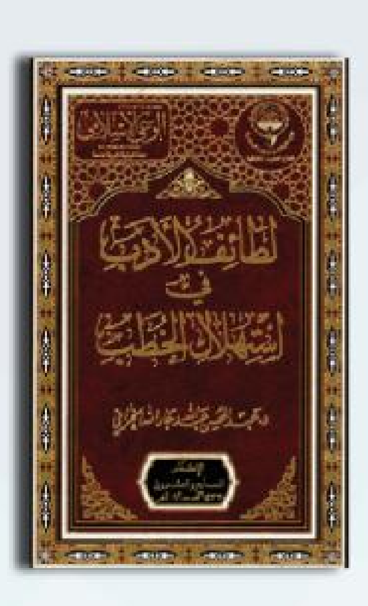


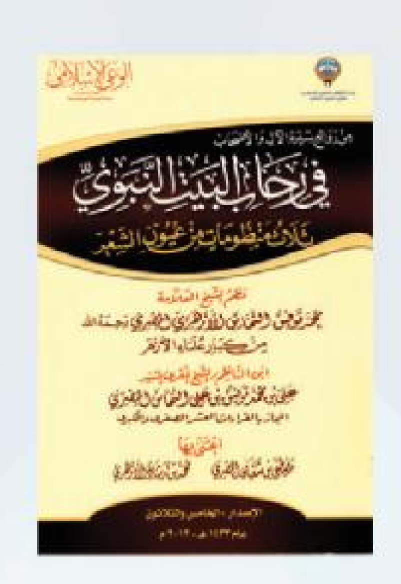


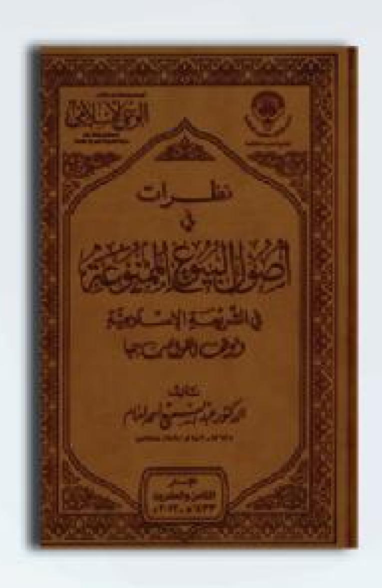












صندوق البريد: 23667 الصفاة 13097 - الكويت هاتف: 22467132 - 22470156 فاكس: 22473709



التجربة العُمَرية

ركائز القائد القوة والأمانة، ومنها تتفرع جذور القيادة، والقيادة الحقيقية ليست أوامر ونواهي، ولا وسيلة بناء مجد شخصي، وإنما هي مسؤولية منوطة بمصلحة الرعية، وفي سورة القصص ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

القيادة هي تلك الصفات التي اتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٠٧)، وهي التي مدح الله المؤمنين ووصفهم بها فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)، وهذه لا تنال إلا بالضمير اليقظ الذي تصان به حقوق الخالق والمخلوق. هذا وقد عظّم الله شأن الأمانة فقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(الأحزاب: ٧٢).

ومن أجلِّ مظاهر الأمانة التحلي بصدق الحديث والمعاملة ، فلا يغش ولا يخدع ، ومن مظاهرها الوضوح والدقة، والتعاون والمشورة، وهذه الصفات من قوة وأمانة تتجلى واضحة في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ يقول «أيها الناس إني وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم ما توليت ذلك منكم، ولن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله» .

تلك هي الأسس والقيم التي قامت عليها خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه، القوة والتقوى والعدالة، والرحمة والشفقة ، والأمانة والمسؤولية.

فهو يجمع بين أقصى درجات الحزم وبين الإنسانية الراقية، قوة في غير عنف، ولين في غير ضعف، ولذا قاد الأمة رغم شدته إلى السعة وقبول الآخر والعدالة، فلمَ لا نستفيد من تلك التجارب والمعارف؟

والقائد الناجح يحتاج إلى فهم للدين والدنيا، وفراسة يسترشد بها.

هذا، وللقائد صفات، منها الفطري، ومنها المكتسب، فمنها أن يكون قويًا، فهذا أبوذر قال فيه الرسول ﷺ «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»، ومع هذا نهى أبا ذر عن الولاية والإمارة، لأنه رآه ضعيفًا.

ومنها أن يكون عادلًا «إن المقسطين عند الله على منابر من نور»، وأن يكون رفيقًا لقوله ﷺ «اللهم من ولي من أمر أمتي أمرًا فرفق بهم فارفق به»، وأن يكون أمينًا، وهي مرتبطة بالتقوى والصلاح.

فما أحوجنا إلى التجربة العمرية في القيادة، لنتعلم كيف رسَّخ عمر رضي الله عنه وأسَّس دعائم الحرية والعدل «حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر»!

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت
مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٦٢
جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
أبريل - مايو ٢٠١٢ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية- ٤ ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ -٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم.- ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● اليمن : ١٠٠ ريال ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠ دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ● تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

محن كقطع الليل المظلم

ما أكثر المحن التي تعرض لها المسلمون قديمًا وحديثًا، وما أكثر المؤامرات التي يحيكها أعداء هذا الدين للإسلام وأهله، وإن صفحات التاريخ الإسلامي مليئة بمثل تلك الاعتداءات المتكررة، ومتخمة بمثل تلك الجرائم المنكرة. كما أنها حافلة ببطولات أبنائها النجباء، وتضحيات رجالاتها النبلاء، وإن كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، ورغم أنوف الحاقدين.

وإن من المذابح الوحشية التي تعرض لها بعض إخواننا في الدين: تلك الإبادة الجماعية التي مورست على مرأى ومسمع من العالم المتحضر في مدينة «خوجالي»، من بلاد آذربيجان، ففي السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٩٢م نفذت قوات المعتدين مذبحة مأساوية، حينما اقتحموا المدينة المذكورة، وكان حصادها ثلاث عشرة وستمائة ضحية، منهم الأطفال والنساء والشيوخ. كما تم إبادة أكثر من سبعين عائلة، وتم تدمير مدينة آذربيجان القديمة في خوجالي، وتسويتها بالأرض.

وليس عنا ببعيد تلك المجازر التي ارتكبت في البوسنة وكوسوفا على يد الصرب المعتدين وتلك الجرائم البشعة التي حصلت ولاتزال تحصل ضد أهلنا في فلسطين وفي بلاد الشام عمومًا.

نسأل الله تعالى أن يعز المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأن يرد كيد المعتدين إلى نحورهم ويجعل تدبيرهم تدميرهم ويجعلهم عبرة للمعتبرين.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت: للأفراد ٥,٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا**
- **الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).**
- **دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).**
- **للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).**

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المؤتمر الذكي في الحكم على الأحاديث

د. إيمان بنت محمد عزام

نقد الذات ومراجعة الجهود وقفة لابد منها لكل ناجح، بعدها يتابع مسيرته وفق خطى ثابتة مضيئة، وهذا المعنى المهم خبأه مؤتمر السنّة الأوّل بالقاهرة بين حروف عنوانه «السنّة النبوية بين الواقع والمأمول» الذي عقدته جمعية المكنز بالقاهرة مؤخرًا، وبوحي من هذا المعنى انطلقتْ إحدى الدراسات التي قدّمت في المؤتمر لبحث ظاهرة مزعجة منتشرة بين بعض المشتغلين بالحديث النبوي وهي أنّ أحكام المعاصرين على الحديث التي استخدموا فيها قواعد وضعها المحدّثون كثيرًا ما عادت على أحكام المحدّثين الأوائل بالبطلان.

أسفر البحث عن الوقوف على مجموعة أخطاء وقعنا فيها –للأسف الشديد– حيث قد نشرنا حديث رسول الله ﷺ في طبعات متكاثرة لم يعرف التاريخ مثلها مرقّمة ميسّرة، محوسبة– إن صحّ التعبير – ولكن نشرنا معها ما يلي:

اقتناعًا فكريًّا ونفسيًّا بالتقليل من شأن الحديث النبوي كلّه غير حديث الصحيحين، وهذا فيه فقد حقيقي لمعظم السنّة، ولو نشرناها.

لقد حكمنا على أحاديث بالضعف ترك المحدّثون قصدًا بيانها، لئلا يصرفوا الناس عن العمل بها.

لقد حكمنا على أحاديث بأنها ضعيفة بل موضوعة، وقد أخرجها كبار المحدّثين في مصنّفات قصدوا منها جمع أدلّة الأحكام للاحتجاج بها، فهل غفل هؤلاء الكبار عما تنبّهنا إليه؟ أم عرفوه، ورووه ليضلّوا به؟ نزّههم الله عن الأمرين جميعًا.

لقد خالفنا المحدّثين في حكمهم الذي وصلوا إليه مستخدمين قواعدهم التي أسسوها لنا، فنظرنا في كتب التراجم، ورأينا تضعيف الإمام لفلان من الرواة، فرحنا إلى حديث في كتاب حكم عليه بالصحّة أو الحسن، وفي رواته ذلك الضعيف، فخالفناه في حكمه، وشرعنا نبيّن أسبابنا من كتب الرجال فرحين بالإنجاز الذي وصلنا إليه بمخالفة هذا الإمام العلَم.

وفي حين أننا نعتمد في الحكم على الحديث على ظاهر الإسناد في معظم الأحوال، فإنّ من أخطر ما وقعنا فيه أننا اعتمدنا في تضعيف الأحاديث بل حتى الحكم بالوضع عليها أحيانًا على النظر في متن الحديث مجرّدًا، فحكمنا بالوضع على أحاديث ظهر لنا أنها تخالف العقل أو الذّوق أو الحسّ، أو القطعي، بالرغم من أن المحدّثين الكبار رووا أحاديث الصفات التي رواها الثقات، والتي ظاهرها يخالف القطعي من القرآن الكريم، ثمّ قالوا: أمرّوها كما جاءت.

وباختصار شديد: لقد نشرنا حديث رسول الله ﷺ وأوقفنا– ولو بدون قصد– العمل به، فكأننا ما نشرناه، بل هو أشدّ.

وقد وصلت الدراسة إلى أنّ الخطأ يكمن في ستة أسباب:

أوّلها: أن المعاصرين عملوا بالقواعد الجزئية، وتركوا التقيّد بالإطار العام، فإنّ القواعد التي وضعها المحدّثون إنما تعمل أو تُعمَل ضمن إطار عام مكوّن من عدّة ثوابت معرفية غابت عن ذهن كثير من المعاصرين.

الثاني: غياب القواعد الأصولية عن ذهن المشتغلين بنقد الأحاديث، إذ ناقد الأحاديث بوصفه مجتهدًا عليه أن يتبع منهجًا منضبطًا وآلية محكمة، تحصيل معرفتها محلّه كتب أصول الفقه، فلمّا غاب هذا الجزء الأصولي عن ذهن كثير من النّاس أثناء الاشتغال بالحكم على الحديث، وقعوا في خطأ مخالفة الأوائل.

الثالث: هو اعتماد المعاصرين على كتب المصطلح في تكوين ملكتهم في نقد الأحاديث، وكتب المصطلح موضوعة لبيان الاصطلاحات، وإعطاء بعض المعلومات لا لبيان طريقة الوصول إلى الحكم، ولا لإكساب القدرة على ذلك.

الرابع: الاعتماد الكلّي في الحكم على ظاهر حال الإسناد.

الخامس: الحكم على الحديث بالنظر إلى متنه مجرّدًا وكلاهما ليس منهج المحدّثين أبدا.

السادس: أننا خضنا في أمر التصحيح والتضعيف والحكم على الحديث عامة بما لم يخض فيه أحد مثلنا ممن سبق رغم أننا لسنا مثلهم

> **إذا نشرنا حديث رسول اللّه ﷺ وأوقفنا –ولو بدون قصد– العمل به فكأننا ما نشرناه.. بل هو أشدّ**



في علمهم بل إننا حتى لا ندانيهم.

والبحث يقدّم عدّة ضوابط يساعد التقيّد بها على الوقاية من الوقوع في أسباب الخطأ:

كان الضابط الأهمّ والرئيس: أن إعمال قواعد المحدّثين يكون داخل إطار من ثوابتهم المعرفية لا خارجًا عنه، حيث إن عدّة ثوابت- وهي سبعة- كانت واضحة في ذهن المشتغل بالحكم على الحديث قديمًا، ولم تكن بالوضوح عندنا بحيث نتصرّف تلقائيًا وفقًا لها أثناء الاشتغال بالحكم على الحديث، وهذه الثوابت لو كانت واضحة كما يكفي في ذهن المشتغل بالحديث النّبوي، فالظنّ أنه يكون أكثر حذرًا وحيطة وأدبًا مع حديث رسول الله ﷺ ومع المحدّثين الأوائل.

أما الضابط الثاني: أن يكون المشتغل بتبيين درجة الحديث الشريف مؤهّلا لذلك.

الضابط الثالث: أن يكون دقيقًا في استعمال الألفاظ متقيّدًا بمدلولاتها حسبما استقرّ عليه اصطلاح المحدّثين.

الضابط الرابع: إذا كان الحديث مرويًّا في دواوين الإسلام المقصود بها حفظ السنّة فعلى المشتغل بتبيين درجة الحديث أن يتبّع المحدّثين فيما رووه على وجه البيان.

وعليه أن يلاحظ قصدهم من التصنيف فيما لم يجد عليه حكمًا منقولا، فإن ما رواه المحدّثون في المصنّفات التي بوّبوها على أبواب الفقه وسكتوا عنه في أقل الأحوال معمول به، وباختصار: على المعاصر ألا يخالف المحدّثين في أحكامهم التي ذكروها صراحة أو حكمًا، فتطبيق قواعد المحدّثين شرطه ألا يعود على أحكامهم بالبطلان.

الضابط الخامس: أن يكون عمله في الحديث الذي ذكر المحدّثون حكمه صراحة أو حكمًا، واختلف معهم أقرانهم في حكمه هو الترجيح بين الأقوال.

الضابط السادس: ألا يكون معتمدًا في حكمه على ظاهر حال الإسناد.

الضابط السابع: ألا يكون ردّه لحديث لأجل متنه مجرّدًا حتى تظهر قرينة في الإسناد تشهد للرّد.

الضابط الثامن: يتعيّن على المعاصر أن يصف بحكمه الذي يذكره الإسناد لا الحديث.

الضابط التاسع: أن يعرف مقتضى الحكم على الحديث فيكون واضحًا في ذهنه أن حكمه لا يتجاوز بيان درجة الحديث إلى معرفة الحكم المستنبط منه، أو الاحتجاج به على ما يدلّ عليه متنه، فإنّ هذا الأخير هو مهمّة الفقيه.

والبحث يستشهد على ما سبق بنصوص المحدّثين والفقهاء.

هذا اختصار ملخص البحث، الذي آمل أن يكون متاحًا للقراء قريبًا إن شاء الله في موقع «إحسان» على شبكة النت.

السُّقّاطة

إبداع معماري حربي

عبدالغني محمد عبدالله

كان التطور الإسلامي في العناصر المعمارية والإنشاءات في النواحي الحربية الدفاعية والهجومية فعالا وحاسمًا، في سبيل الدفاع أو عند الهجوم، ومن تلك الوسائل الباشورة، وقد كان لها الدور الدفاعي في الحرب وحراسة الأسوار والحصون وتفوقها على هجوم العدو عند اختراقه للأسوار والحصون، كما كان لها دورها المدني في مداخل البيوت والدور في منع الأعين من النظر والتلصص داخل الدار بسبب انحراف المدخل الأول والثاني؛ الأول للرائي من الخارج والداخل للمتواجدين داخل الدار، بحيث يكوِّن رحبة متسعة، وبها دكة يجلس عليها قارئ القرآن في البيت، يوميا أو أسبوعيا حسب المتفق عليه، ودون أن يختلط بأهل الدار أو يراهم أو يرونه.. كما أن هذه الرحبة استخدمت للقاء الضيوف العابرين دون دخولهم للدار بحيث يقابلهم صاحب الدار في تلك الرحبة وينهي مصالحه معهم.

السقاطة فوق مدخل باب قصر

اليوم سنتعرف على عنصر دفاعي جديد. وُضِعَ على الأبواب والأسوار وكان عنصرا حربيا دفاعيا بالغ الأثر والتأثير..

هو «السُّقَّاطة» وهي التي تعرف باسم machicoulis وإن كنا قد أشرنا أن الدكتور أحمد فكري قد أطلق على الباشورة هذا الاسم «الإنجليزي» أما العربي فقد سماه المشربية. ولا نعرف في حقيقة الأمر أسباب ذلك عند الدكتور أحمد فكري وإن كنا لا نقلل من آرائه بسبب أنه عالم مدقق ومحقق من الطراز الأول. أما المشربيات فيقال لها في الإنجليزية وبصراحة واضحة mashrabeyas. وللعلم فإن معظم العناصر المعمارية تنقل بحروف لاتينية بنفس الاسم فيقال صحن (sahn) ويقال مسجد (masged) بمعنى (mosque) ونسخي (Naskhi) وشيخ (sheikh) أما الاسم الصحيح للباشورة فهو Bentzntrance أو نقول Bachawrah مباشرة ونجد ذلك في الكثير من المراجع والمصادر.

والسقاطة أطلق عليها هذا الاسم بسبب أنها تستخدم كعنصر معماري معد لإسقاط مواد الهلاك والموت على المهاجمين في مناطق أعدت لذلك على أبواب الحصون والأسوار والمدن والبيوت.

وهي عنصر دفاعي في غاية القوة،

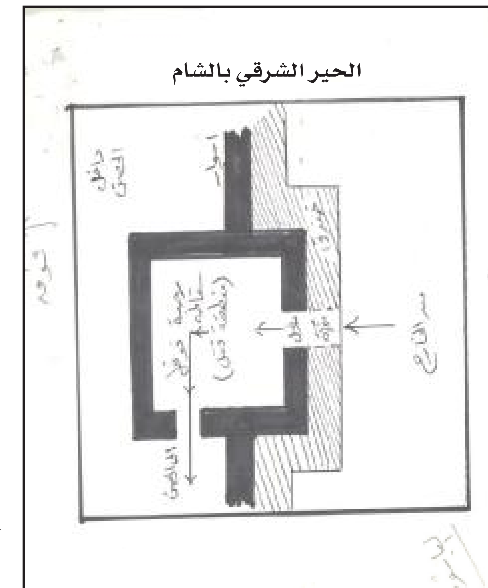
◈ كاتب صحفي مصري

وهي عبارة عن غرف مغلقة أرضيتها مفتوحة، فتحات من أسفل.

حيث يمكن للمدافعين القابعين بداخلها إسقاط مواد مهلكة كالزيت المغلي والأحجار والقار الحار والسهام على المهاجمين أسفلهم.. حيث صمم المدخل دائما بشكل يدفع المهاجم للانحراف إلى اليسار للخروج من رحبة المدخل إلى داخل الحصن ويكون المهاجم في هذا الوقت في أضعف حالاته وفي أضعف سرعة له. وإلا فإنه سوف يتناطح مع الحائط المقابل. وهو أمر قاتل لكل من يفكر في اقتحام الأبواب أو السوار، حيث تتكدس الجثث وتتراكم وتسد المدخل ويصبح أمر اجتيازه مستحيلا، ويزيد من الصعوبة بمكان على المهاجمين اجتياز ذلك المكان.

وأفضل الأماكن التي نجد فيها هذه السقاطات فوق الباشورات وعلى الأبواب وعلى الأسوار إلا أن الباشورات تزيد من فعالية هذا العنصر المعماري الحربي ولذا فهو عنصر دفاعي حربي من الدرجة الأولى، ومن الملاحظ تأكيدا أن الجيوش المهاجمة كانت تعمل لهذه السقاطات ألف حساب وكانت تفضل نقب الأسوار والدخول منها إلى داخل الحصن أو القلعة دون التعرض للباشورات وفوقها هذه السقاطات القاتلة. وليس هناك من شك في أن هذه السقاطات إنما هي تطوير إسلامي دفاعي بحت.. وإن كان قد قيل إنه ابتكار إسلامي خالص ونقل بعد ذلك إلى أوروبا بعد الحروب الصليبية.

وكأن المهاجم كان يواجه عدة صعاب إذا أراد مهاجمة الحصن أو المدينة، فعليه أولا اجتياز الخندق الذي غالبا ما كان يملأ بالمياه.. وعليه جسر



متحرك غالبا ما كان مرفوعا، حيث لا يستخدمه إلا أهل الحصن فقط، ثم عليه اجتياز الباب ذي الجنازير المحكم الإغلاق ثم عليه دخول الباشورة بعد ذلك؛ متعرضا للهلاك من السقاطة، الموجودة فوق الرحبة الخاصة بها.. كما أنه كان في أغلب الأحوال توجد سقاطة سابقة على الباب الخارجي أي قبل سقاطة الباشورة مما يجعل الأمر في منتهى الصعوبة، ويجعل الهجوم مستحيلا إلا بتكلفة عالية جدا في الرجال الذين هم غالبا كانوا الصفوة التي ينتقيها العدو لمهاجمة الحصون والأسوار.

والسقاطة بضم السين مع التشديد وفتح القاف مع التشديد أيضا وفتح الطاء وجمعها (السقاطات).

ويقال إنها ليست من ابتكار المسلمين كما أنهم ليس من شادها في أول الأمر كما سبق في السطور السابقة إلا أن بعض العلماء يعطون تأكيدات لكون المسلمين هم أول من ابتكرها، ولكن المؤكد أنهم طوروها بشكل يجعلها عنصرا دفاعيا راقيا ومهما. وهذا هو قول أعداء المسلمين أنفسهم إذ إنهم لا قوا منها الأمرين عند مهاجمتهم للمدن أو الحصون الإسلامية، حيث وضعت فوق المداخل كما ذكرنا سواء كانت مداخل رئيسية أو فرعية.

وقد كان يظل الزيت مغليا في هذه الغرف التي يوجد فيها بكميات كبيرة في قدور ضخمة وموضوعة فوق نيران دائمة الاشتعال عند الدفاع.. ويغلي الزيت فوقها وباستمرار، كما توجد مغارف ضخمة ذات أيدي طويلة لملء هذه المغارف بالزيت المغلي من القدور، وإلقائه على المهاجمين من هذه الشقوق في أرضية السقاطة كما أن هذه السقاطات كانت تشحن بالأحجار الثقيلة والكثير من السهام لاستخدامها ضد المهاجمين وإلقائها عليهم من خلال الفتحات، ولابد أن يكون السقف بين الدور الأرضي الذي يدخله المهاجم والدور العلوي الذي يقف فيه المدافع مثقوبا أو مشقوقا وهو الذي يطلق عليه اسم السقاطة.

ولاشك أن الجندي المدافع يكون في مأمن تام حيث يختفي داخل الغرفة المغلقة فوق الرحبة ولا يظهر (بالنسبة للسقاطات فوق رحبة المدخل) .. أما السقاطات التي فوق الأبواب فإنه يحتمي بجدران السقاطة نفسها وهو في هذه الحالة لا يظهر بجسده.

وقد ظهرت هذه السقاطات على أبواب ومداخل مدينة بغداد المدورة.. وقبل ذلك في العصر الأموي ظهرت على أبواب قصر الحير الشرقي في بادية الشام وظهرت على أبواب قصر الأخيضر وأسواره (عباسي).

وعلى أسوار مدينة القاهرة الفاطمية التي بناها جوهر الصقلي للخليفة المعز لدين الله. ومازالت هذه السقاطات الأخيرة شاهدة على عظمة وبراعة المعمار المسلم والمحارب المسلم مدافعا يقظا جسورا بالغ الجرأة والشجاعة.

نائب رئيس جمعية العلماء الجزائريين د. عمار الطالبي لـ«الوعي الإسلامي»:

استعادة أصالتنا الفكرية.. طريق المشروع النهضوي

حوار: محمد خليل

مع كثرة الحديث عن مشروعات الإصلاح والنهضة وتعدد الأطروحات التي تناقش حالة التخلف والانحطاط العربي والإسلامي، والسعي لتقديم صورة متكاملة عن مفهوم الإصلاح والفكرة الإصلاحية، التقت «الوعي الإسلامي» المفكر الإسلامي المعروف د. عمار الطالبي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر والرئيس السابق لجامعة الأمير عبد القادر بالجزائر على هامش زيارته للقاهرة مؤخرا، والذي أكد أن الإصلاح التربوي وإعادة النظر في المنظومة التربوية والتعليمية، وتغيير مناهجنا في التفكير يمثل ركيزة أساسية ومعلما من معالم «المشروع النهضوي الإسلامي» ومقدمة عملية للإصلاح الشامل في العالم الإسلامي.

وقال د. الطالبي: إن العلوم الإسلامية اليوم تعاني من الضعف، وان الفصل بين العلوم الإسلامية والأخرى الكونية أدى إلى الازدواجية الثقافية وإشعال الخلافات الفكرية، والسبيل للخروج من الأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية إنما يكون باستعادة أصالتنا الفكرية، والبدء في إصلاح منظومة التربية والتعليم لتكوين العقلية العلمية النقدية التي تستطيع تكوين رؤية صحيحة إزاء الأحداث الجارية، وإليكم نص الحوار

- تعددت مشاريع الإصلاح في العالم الإسلامي التي نادى بها علماء وفلاسفة ومصلحون في العالم الإسلامي مثل جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا ومالك بن نبي وغيرهم كثيرون.. برأيك ما أسباب تراجع هذه المشاريع وإخفاقها في العالم الإسلامي؟

- لاشك أن الاستعمار وقف أمام أي محاولات للنهوض والإصلاح في العالم الإسلامي، فالاستعمار لا يفتأ يخطط من أجل القضاء على ما يظهر في البلاد الإسلامية من أفكار، من الممكن أن تحول المجتمع الإسلامي إلى طريق الحضارة، وتصرفه عن طريق التخلف، كما يهدف إلى الحيلولة بين الفكرِ والعمل السياسي، حتى يبقى الفكر مشلولاً غير مثمر، ويبقى العمل السياسي أعمى غير مبصر، يسير بغير هدى، وذلك لأن الذي يهم الاستعمار بالدرجة الأولى هو فاعلية الفكر في المجال السياسي، وبطبيعة الحال فإن للأفكار الإسلامية فاعلية كبيرة في هذا المجال، بالإضافة إلى العوامل التي تنبع من العالم الإسلامي ذاته والتي أدت إلى إعاقة أية محاولات للنهوض، مثل التخلف الثقافي والاقتصادي والعلمي والافتقاد إلى المنهجية العلمية الصحيحة التي تتعلق بالمعرفة والعلم بسنن الله القرآنية والكونية، التي أهملناها لمدة طويلة، في حين أن قوة الأمم اليوم إنما هي قوة المعرفة والعلم، التي بها يقوى الاقتصاد، وتُبنى الجيوش، كما تقوى سياساتها، فضلًا عن فشل منظومة التربية والتعليم في كثير من بلدان العالم الإسلامي في تكوين عقلية علمية صحيحة قادرة على استيعاب المتغيرات وفهم الواقع بصورة جيدة.

- برأيك ما هو السبيل لخروج العالم الإسلامي من كبوته وتفعيل دور المشروع النهضوي الإسلامي في القضاء على كل أسباب ومظاهر التخلف الذي يعاني منه المسلمون؟

- إن السبيل للخروج من الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي إنما يكون باستعادة أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار، والبدء في إصلاح منظومة التربية والتعليم لتكوين العقلية العلمية النقدية التي تستطيع تكوين رؤية صحيحة إزاء الأحداث الجارية للمحافظة على استقلالنا السياسي والاقتصادي، فالمجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولا يمكن لمجتمع يبني نهضة أن يبنيها بالأفكار المستوردة، أو المسلطة عليه من الخارج.

والعالم الإسلامي اليوم في حاجة ماسة إلى أن ينهض من كبوته، ويتخلص من ضعفه، وفي حاجة إلى أن يدخل التاريخ من جديد، ودخول التاريخ له شروط يجب اتباعها، ولذلك كتب المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي- رحمه الله- كتابًا أسماه «شروط النهضة»، عقد فيه فصلًا مهمّا عن أثر الدين في الحضارة وفي التاريخ في كل الحضارات، وليس في حضارة دون حضارة أخرى، ولذلك فنحن في حاجة إلى أن نتأمل شروط هذه النهضة، وأن نهيئ لأمتنا هذه الشروط، ومنها: البحث العلمي، وتفعيل دور الجامعات التي تصنع مجد الأمم.

- لاشك أن نجاح المشروع النهضوي والإصلاحي في العالم الإسلامي يتوقف على إصلاح منظومة التربية والتعليم، وإصلاح التربية يتوقف على جودة المنهج الذي يكون العقلية العلمية النقدية، وهذا يستلزم أن نؤكد على أهمية تدريس علوم الرياضيات والطبيعيات في المرحلة الأولى



الفصل بين العلوم الإسلامية والكونية أدى إلى الازدواجية الثقافية وإشعال الخلافات الفكرية

من مراحل التعليم، لأن الرياضيات لها تأثير كبير في استقامة الذهن والتفكير السليم، فإذا ما تعود الإنسان على هذا النوع من التفكير فإن المقدمات تؤدي إلى نتائج سليمة، كما أنه لابد من تلافي التلقين والحفظ في مراحل التعليم المختلفة، ولابد أن نشجع على الاجتهاد والإبداع والابتكار، وأن ندرب أطفالنا منذ الصغر على مشاهدة الأشياء وخصائصها، وبالتالي يجب إعادة النظر في المنظومة التربوية والتعليمية، والعمل على تغيير مناهجنا في التفكير كمقدمة عملية للإصلاح الشامل في العالم الإسلامي، لأن التربية الإسلامية مبنية على الجمع بين النظر والعمل، وربما تفوق غير المسلمين بسبب إصلاح مناهج التربية والتعليم وتعويد الطلاب على البحث الذاتي فيكون محور الدراسة هو التلميذ أو الطالب ولا يكون هذا المحور هو حفظ الكتاب، فالأمة الإسلامية والعربية بحاجة إلى أن تنهض من كبوتها، وتتخلص من ضعفها وتخلفها لتكون لها كلمة مسموعة في أحداث العالم وما يجري فيه، فالعالم الإسلامي اليوم يعيش على هامش التاريخ، بالرغم من كثرة عدد سكانه، وكثرة ثرواته وتنوعها، واتساع أرضه، وبالتالي فالحاجة تدعونا إلى أن نتأمل شروط هذه النهضة، وأن نهيئ لأمتنا هذه الشروط، وهي: إصلاح منظومة التربية والتعليم والبحث العلمي.

- بالنسبة للإصلاح في مجال التعليم هناك طرحان مختلفان، الأول: العلماني الذي يرى أن إصلاح التعليم يجب أن يركز على الفصل بين العلوم الإسلامية والأخرى الكونية حتى يمكن بناء عقلية علمية قادرة على التفكير بعيدًا عن أية قيود دينية.. والطرح الآخر الإسلامي الذي يذهب إلى عكس ذلك، برأيك كيف يمكن التوفيق بين هذين الطرحين؟

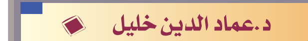
- لا يمكن التوفيق، لأن الطرح الذي يقول بطريقة الفصل بين العلوم سواء الإسلامية والكونية غير واقعي، فهذه الأمة أمة إسلامية، والمكون الرئيس والأساسي لوجدان وثقافة هذه الأمة هو الإسلام كدين وحضارة وثقافة، وبالتالي فإن شرط النجاح الأول لأي مشروع هو إسلاميته، كما أن مشكلة الفصل بين العلوم الإسلامية والأخرى الكونية يؤدي لتكوين عقليتين متنافرتين كل واحدة تتهم الأخرى، فالأولى تتهم الثانية بأنها علمانية، والثانية تتهم الأولى بأنها جامدة، لكن لابد من أن يدرس طالب الكليات الشرعية مدخلا للعلوم الكونية كما أن طالب الجامعات العلمية لابد أن يدرس مدخلا للعلوم الشرعية فيما يسمى بالجزء المشترك، فالعالم الإسلامي يعيش في الوقت الراهن مشكلة حقيقية فيما يتعلق بالمعرفة والعلم بسنن الله القرآنية والكونية، التي أهملناها لمدة طويلة، في حين أن قوة الأمم اليوم إنما هي قوة المعرفة والعلم التي بها يقوى الاقتصاد، وتُبنى الجيوش، كما تقوى بها سياسات الدول.

- ما تعليقك على ما حدث من أعمال شغب أثناء مباريات كرة القدم التي أقيمت بين الفرق الكروية المصرية والجزائرية العام الماضي، وما ترتب على ذلك من آثار سلبية كادت أن تضر بالعلاقات بين البلدين الشقيقين؟

- لاشك أن ممارسة الرياضة شيء مشروع في الإسلام، أيضا الإسلام دعا إلى تعلم الرياضة والفروسية وركوب الخيل لكن نهى عن استغلال الرياضة في إحداث المشكلات والخلافات بين الناس، لأنه في الوقت نفسه أكد على أن قوة المسلمين ووحدتهم تكمن في القضاء على أسباب الخلاف والشقاق بينهم، وما حدث بين مصر والجزائر من خلاف تُغلب عليه أمر يؤسف له، وهذا يؤكد لنا فشل منظومة التربية والتعليم في بلدان العالم الإسلامي في تكوين عقلية علمية صحيحة، وبالتالي فإن العواطف الهوجاء تصبح هي المسيطرة مما يؤدي في الغالب إلى فقدان التعقل وفقدان الشعور بالتاريخ المشترك والدين واللغة والهوية.

بالإضافة لما سبق نجد أن الإعلام في هذه البلدان غالبا لا يؤدي رسالته كما ينبغي أن تكون، حيث نجد للأسف كثيرًا من الإعلاميين الذين لا يملكون رؤية صحيحة ولا يخشون من عواقب ما يفعلون من قيامهم من شحن للنفوس وخاصة فئة المراهقين وعامة الناس الذين يتأثرون بسرعة جدا وليس لديهم عقلية نقدية ويؤثرون الكراهية ويتأثرون بها.

الهوى والميزان


د.عماد الدين خليل

للوهلة الأولى، ومن خلال الألغاز والمعميات التي تعتمدها الفلسفات الغربية الوضعية، وتحيط نفسها بها، من خال حملات الإكبار والتقرير التي انصبت على شخصيات الفلاسفة من كل مكان، من خلال مركب نقصنا الحضاري الذي خيل إلينا كما لو كان الفيلسوف الغربي إنسانا غير عادي، إنسانا ذا قامة مرتفعة، وفكر خلاق يجتاز المغاليق، ورؤية للكون والحياة لا تقبل خطأ على الإطلاق.

للوهلة الأولى تتبدى الفلسفات الغربية للمرء بحجم أكبر بكثير من حجمها الحقيقي وبريق يكاد يسلب العين القدرة على الإبصار.

وكلنا نذكر ما كان يفعله مدرسونا في الإعداديات وهم يحكون لنا عن هذا الفيلسوف الغربي أو ذاك من خلال مادة «التاريخ الأوروبي»، بوجل وانكماش وبتقدير مبالغ فيه يصل حدّ التضاؤل والصغار، ونذكر كذلك طبقة من الأساتذة الجامعيين أعمق ثقافة من المدرسين وأكثر تخصصًا، كانت هي الأخرى تحدثنا عن الفلسفة الغربية كما لو كانت حقًا مطلقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وما زلت أذكر مدرس التاريخ في الإعدادية، وهو يخطو بحذر وتريث خلال شرحه لفقرات في الكتاب خصصت للفيلسوف الألماني «هيغل» والفلسفة المثالية، وكنا نحن نقول في أنفسنا: إذا كان مدرس المادة غير قدير على اقتحام بحر «هيغل» العميق فأنى لنا أن نجتازه بعقلياتنا الساذجة وثقافاتنا المتواضعة؟

ومازلت أذكر كذلك أستاذ الفلسفة في كلية التربية وهو يحدثنا عن الفلسفة المثالية لهيغل، كيف أنه أراد أن يعطينا جانبًا من فلسفته كما لو كانت مسلمات مطلقة، ولكنها مسلمات غامضة، معماة، ما كانت تزيد الرجل وفلسفته في نفوسنا إلا إجلالا وإكبارا!

لو كانت الفلسفة الوضعية حقًّا مطلقا لما نفى بعضها بعضًا ..ومواقفها متميعة إزاء الحقائق

وما كان الأمر بهذا الذي تصورناه أو صوِّر لنا، وما هكذا يجب أن يكون.. فإن المثقف المسلم على وجه التحديد، ناهيك عن المتخصصين منهم، يتحتم أن يملك ابتداء.. نعم «ابتداء».. ما يمكن تسميته بالنظرة الفوقية المستقلة الواثقة التي ينظر بها ويقيس ويزن كل ما يقوله العقل البشري شرقيًا كان أم غربيا، ولا يسلم به بسهولة حتى لو طرحه أعظم الفلاسفة والمفكرين.

كما أنه يتحتم ألا يشعر إزاءه بأي قدر من النقص أو الإعجاب المفرط الذي قد يجنح به بعيدًا عن الموقف العلمي الذي يتطلبه منه هذا الدين.

إن المسلم ينظر بنور الله، ويعاين الأشياء بتعاليم الله ورسوله ﷺ، ويزن بموازين الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف تسوغ له نفسه أن ينزل عن موقعه العالي هذا، عن استشرافه من الآفاق المفتوحة، إلى الحفر الضيقة والمسالك المتداخلة والشعاب المسدودة لفكر هذا الرجل أو ذاك مما قد يتضمن الكثير من الخطأ والانحراف والفساد؟

وثمة بداهة قد نغفل عنها لوضوحها في كثير من الأحيان، فإن الفلسفة الوضعية لو كانت حقا مطلقًا كما صور لنا وخيل إلينا، لما نقض بعضها بعضًا، ونفى بعضها بعضًا.. ولما شهدت ساحات الفكر والثقافة عشرات، بل مئات وألوف، من الفلاسفة كان يحلو لكل واحد منهم أن يطرح ادعاءً تقليديًا أصبح بمثابة القاعدة التي يحذو حذوها الجميع: إن ما تقوله فلسفته هو الحق المطلق، وأن ما وراءها من فلسفات لا يعدو أن يكون خدعة وضلالًا، أو هو- على أحسن الأحوال- محاولات تتضمن الكثير من الشروخ والأخطاء.

في كتاب الأديب الفرنسي «اندريه موروا» عن حياة الروائي الروسي الشهير «إيفان تورجنيف» نقرأ هذا المقطع: «في غضون السنوات التي أمضاها تورجنيف في ألمانيا كان هيغل الفيلسوف الذي يلتف حوله المثقفون الروس لأنه كان يقول بأن كل ما هو حقيقي نابع من العقل في الوقت الذي كان فيه هؤلاء يقبلون المجتمع كما وضعه التاريخ، ذلك أن الناس يطلبون دائما من كل مذهب أن يكون دليلًا عقليًا على مشاعرهم وأعمالهم! فالشباب الروسي الذي كان يخضع في سنة ١٨٤٠م

مفكر عراقي

للقيصر كان يعرف أنه مستبد، ولكنه كان يعبده على الرغم منه، وهذا الشباب كان يتوهم بأنه واجد في «فلسفة الحق» لهيغل حججًا وأسانيد لتعليل خضوعه، كانوا يقولون له، إن الدولة كائن حي وهي هي كما أوجدها التاريخ، ولا يستطيع فرد أو مجموعة أن يغيرها تبعًا لأهوائه».

وهكذا لا يوجد مجال للمناقشة في ضرورة الطاعة المطلقة للقيصر فذلك أمر واضح جلي في حد ذاته!

ويمضي مورروا إلى القول بأن: «تلك كانت نظرية هيغل كما رأتها جماعة اليمين، على أن هرزن- الذي يمثل جماعة اليسار- كان يتبين أنه يمكن أن يستمد من هيغل بالذات الدليل على شرعية كل مقاومة للأوتوقراطية إذ إنه لو صح أن كل ما هو حقيقي نابع من العقل، فالثوري- إذ يوجد - يعتبر جزءا من التاريخ «إذا كان العقل يعزز النظام الاجتماعي القائم، فإن كل مقاومة له مادامت موجودة تعد معززة كذلك»، وهكذا تشكلت من فلسفة هيغل صورة أخرى أخذت بها جماعة اليسار».

وهكذا استعملت فلسفة هيغل لتبرير موقف اليمين الخاضع للقيصر ولتبرير موقف اليسار الثائر على القيصر.

وهذه الميوعة الفكرية التي نجدها هنا تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال لا تقتصر على الفلسفة المثالية التي وصفها ماركس وإنغلز بأنها تمشي على رأسها «فحسب»، ولكنها تنسحب على الفلسفة المادية نفسها التي صاغها ماركس وإنغلز، فإنك واجد فيها ما يسوق الشيوعيين لمساندة وضع ما، وواجد فيها - كذلك - ما يدفعهم إلى الثورة عليه والإطاحة به.. وهم يبررون هذا وذاك بأنه «التكتيك» الذي يخدم الاستراتيجية في نهاية المطاف.

اقرأ - على سبيل المثال - ما يقوله الأديب المجري المعروف «آرثر كوستلر» الذي خبر التجربة الماركسية بانتمائه إليها السنين الطوال، ثم ما لبث أن ارتد عنها بسبب ما وجده فيها من عيوب وتناقضات، إنه يقول فيما نحن بصدده «كانوا يلجأون، أحيانًا إلى نبذ الحقائق وإغفالها لحيلة بسيطة تتلخص في وضع الكلمة بين قوسين وإعطائها جوًّا من السخرية والمرارة «ماضي تروتسكي الثوري»، «الهذيان الإنساني للصحافة الحرة» إلى آخره وكان هذا الأسلوب لشدة إملاله يفعل في النفس فعل التنويم المغناطيسي، إن ساعة من هذا الهذيان المنطقي الجدلي كانت تدع الإنسان لا يدري أفتى هو أم فتاة، وتجعله مستعدًا لاعتناق أي منهما بمجرد ظهور الأخرى بين قوسين.

لقد كنا على استعداد لأن نؤمن بأن الاشتراكيين هم (أ) أعداؤنا الحقيقيون، (ب) حلفاؤنا الطبيعيون، وأن الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية (أ)، يمكنها أن تعيش مع بعضها بسلام (ب) لا يمكنها أن تعيش مع بعضها بسلام، وأن إنغلز عندما قال إنه لا يمكن قيام الاشتراكية في دولة بمفردها كان يعني عكس ذلك تمامًا، بل لقد تعلم الواحد منا أن يبرهن بالاستدلال المنطقي على أن كل من يخالفه في الرأي هو عميل للفاشية لأنه (أ) لمخالفته لك في الرأي يساعد على تفتيت وحدة الحزب (ب) بعمله على تفتيت وحدة الحزب يساعد على انتصار الفاشية فهو إذن (جـ) من الناحية الموضوعية عميل للفاشية ولو كان من الناحية الشخصية قد تعرضت للتعذيب في معسكرات الاعتقال على أيدي الفاشيين، إن كلمات «عميل» أو «الديمقراطية» أو «الحرية» الخ... كانت تعني عندنا في الحزب شيئًا آخر يختلف تمامًا عن معناه في الاستعمال العام، بل كان معناه عندنا يتغير بعد كل تحول في سياسة الحزب، فكان موقفنا من هذه التغييرات كموقف اللاعبين في لعبة الكروكي «التي يقوم اللاعبون فيها بضربة كرات من خشب بمضارب في أيديهم لكي تمر من أطواق خشبية ثابتة»، بين الملكة وأتباعها حيث كانت الأطواق تنتقل عبر الملعب، والكرات قنافذ حية، مع اختلاف واحد هو أن اللاعب عندنا إذا أخطأ وأضاع دوره وقالت «اقطعوا رأسه» كان الأمر ينفذ بكل جد.

(الصنم الذي هوى، ترجمة فؤاد حمودة، ص ٥٨-٥٩، دمشق، ١٩٦٠)

إن هذا التمييع في الموقف إزاء الحقائق، واتخاذ زوايا نظر مختلفة، بل متضادة يذكرنا بموقف القادة الماركسيين من مسألة الجنس والزواج، فيما تناولناه بشيء من التفصيل في مكان آخر، فقد اعتبروه في البدء رذيلة بورجوازية تصديقًا لما قاله ماركس وإنغلز، ثم لما شاع الزنا في الاتحاد السوفييتي عبر سني تأسيسه الأولى، وفاض الكأس وأعلن لينين تصريحه الشهير الذي هاجم فيه هذا التصور وحث على العودة إلى الزواج كأفضل صيغة للعلاقات الجنسية، عاد الماركسيون فأكدوا ضرورة «الزواج» كمؤسسة محتومة في العلاقات الاجتماعية.

فإذا تساءلت، يقول كوستلر، «أليست هذه هي الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل؟» قيل لك «إن هذا التساؤل يدل على أنك مازلت تفكر بالطريقة الآلية لا بالطريقة المنطقية الجدلية، إذ ما هو الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية؟ إن الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية، هو أن رجل الشرطة من أعوان الطبقة الحاكمة وبندقيته أداة للعدوان، بينما هذه البندقية نفسها في يد عضو الطبقة العاملة الثورية أداة لتحرير الجماهير المضطهدة، وهذا القول يصدق عن الفرق بين ما يسمونه «الفضيلة» البورجوازية والفضيلة العمالية، إن نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول «منطقيًا» إلى عكس ذلك في المجتمع العمالي السليم، فهل فهمت أم تحب أن أعيد جوابي بطريقة محكمة أكثر من هذه؟ (المرجع السابق ص:٥٧-٥٨).

ويذكر المرء الآية القرآنية الكريمة ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (النجم: ٢٣)، فكأنها قد نزلت لكي تدمغ هذه الظنون والأهواء البشرية.. فما يلبث إلا أن يزداد اعتدادًا بموقفه الإيماني واعتزازًا بعلمه الإلهي وموقعه الفوقي الذي يمنحه - بالتصور العقدي المتكامل - السيادة على العالمين!

المشروع الإسلامي من الحركة إلى الدولة

د. محمد سعيد باه

نستهل الحديث عن هذه الإشكالية بتأملات سريعة حول بعض المعاني الكامنة في قول الله، جل شأنه: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج: ٤١). تجلي الآية بوضوح أن تحقيق وظائف الدين الكبرى في واقع الأمة المؤمنة بصلاحية هذا الدين منهجا لإدارة دفة الحياة الواثقة باستعلائه، معلق بشرط التمكن في الأرض، بمعنى وجود سلطان منتظم يتحاكم إلى شرع الله، وهو ما يجعل هذا التمكين مطلبا قرآنيا متحتم الوقوع يجب السعي إليه باستمرار مهما بعدت الشقة، بمعنى تحويل الحركة إلى دولة.

ثم يأتي، بعد إقامة شعيرة الشعائر، تنفيذ برنامج طموح وشامل للإصلاح العمراني، يحوّل سواد الأمة، من حالة من يشحذون، فرادى وجماعات ودولا، إلى منتجين كما ونوعا قياما بالوظيفة الأولى لسكنى الأرض باستعمارها، حين يحققون الفائض فتمتد أيديهم، وهي عليا.

لكن التاريخ يحتوي على فصول تقول لنا إنه منذ تلك اللحظة التي خُلِع فيها السلطان عبدالحميد (٢١ صفر ١٣٢٧هـ) وغادر سراي الحكومة منفيا إلى قصر «بيلربي»، لم يتيسر للأمة أن تقترب من تحويل رؤيتها في مجال إقامة السلطان وتحقق وعد التمكين، كما هي اليوم (١).

في هذه الأجواء المليئة بالمبشرات علينا إعادة قراءة مواطن الانزلاق في مسيرة الأمة انطلاقا من الدرس القاسي الذي تلقاه أصحاب رسول الله ﷺ رغم مدد السماء (حدد القرآن عددهم بخمسة آلاف من الملائكة المسومين)، وحين عاندوا

علينا إعادة قراءة مواطن الانزلاق في مسيرة الأمة والاتعاظ بها

سنن الله في التحوط والسير وراء القائد جاءتهم الضربة حتى إذا تساءلوا في ذهول جاءهم الجواب المسكت: ﴿أَوَلَمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ (آل عمران: ١٦٥).

لهذا فإن بعض الغيورين من الأمة الواعين للمكر السيئَ الذي يحاك في الظلام، لم يكفوا لحظة، منذ أن بدأت تباشير فجر النصر تبزغ في الآفاق وفي الأنفس وانبعاث حالة الحبور الدافق، عن الشعور بقلق ينتابهم عن مدى قدرتنا على إدارة معركة البناء والإصلاح على مستوى الممارسة لشؤون الدولة بما فيها من تعقيدات وعقد صفقات في منتهى الخطورة إلى جانب التماسك لأطول فترة ممكنة على سدة السلطان الكلي أو الجزئي دون أن تتراخى قبضاتنا عن المشكاة التي طالما بشرنا الأمم بأنها التي ستبدد لها الديجور الذي تتخبط فيه.

هنا ملاحظات عدة نسجلها على عجل:

لا يزال السلطان الذي تم تحصيله، في كل المواقع التي تم فيها كسب جولة قد تقربنا إلى إعادة إقامة الدولة على منهاج النبوة، جزئيا، أي مشاطرة الجلوس على السدة مع من هم مغايرون، بكل مفاهيم التباين البنيوي في الفكر والخيارات المصيرية.

كون القوى التي عملت على نفي آخر سلاطين آل عثمان وكسر كرسي سلطان الأمة لم تندحر بعد، فلنحذر أن يصيبنا ما أصابها فيخيل إلينا أن المعركة بيننا قد حسمت ولم يبق إلا كتابة نعي الخصم ومن ثم إدراجه في أكفانه، وذلك حين نعيد زلة يوم أُحُد فننشغل بجمع الغنائم عن مواصلة الزحف إلى «مكة» حتى إذا كرت علينا كرتها لم نملك إلا ترديد التساؤل: أنى هذا؟

لم ترتق الشعوب- التي نسعى إلى صناعة هذا المجد باسمها ولصالحها- بعدُ إلى مستوى الحد

أستاذ جامعي- السنغال




الأدنى من مطالب وشروط هذا المشروع الكلية، ما يعني تواصل عمل البناء الداخلي والقيام بمزيد من التحصينات الفكرية والروحية بما يجعل حصوننا تستعصي على التسلق من الخارج والاختراق من الداخل.

وحري بحملة المشروع الإسلامي، الذين أخذوا يسرعون الخطى باتجاه قصر السلطان (قرطاج...) بعد تطهير أرجائه من تلك الأرجاس التي طالما زكمت الأنوف وإخراج خبئها من الكنوز لتقسم على مستحقيها من كل من يحمل صفة «مواطن»، ألا يغيب عن بالهم لحظة بأنهم في الشوط الأول نحو القمة، وأن يعتبروا ما كتب الله من النصر، رغم دويه الهائل، مجرد زاد للانتقال بمهمة البلاغ العام إلى المدارات العليا حيث يزعوا بالسلطان ما لم يقدروا على وزعه بالقرآن خلال هذه القرون العجاف التي عاش فيها السلطان في المنفى والأمة تترقب عودته بصبر نافد.

ثم، إن العراك الطويل، والمميت في بعض مراحله، الذي جعل الشيخ الغزالي يسمي بعض حلقاته بالكفاح الدامي، مر بمنعطفات ومراحل يحسن أن نتوقف عند أبرزها هنا ولو على عجل:

مرحلة الشعارات: حين انطلق هذا الموكب المبارك كان السواد الأعظم للأمة يعيش حالة البيات بل كان البعض يغط في نوم عميق والقسط الآخر صاح لكنه في ضحى اللعب يسدر، نتيجةً مفعول الخدر الذي كان قد أصاب كامل الإرادة للطائفتين، وكانت هذه الوضعية شبه الميؤوس منها تستدعي من الحداة إطلاق صيحات تحذير عالية على حد قول الشاعر المهموم بجنوح الأمة وميلان ميزانها:

صيحوا على كل قوم غافلين فمن
صوت الهدى يختفي صوت الضلالات (٢)

مرحلة نقد النموذج المصادم: لما تحرك حملة المشروع الإسلامي التجديدي كان فضاؤنا الفكري محتلا بكامله حيث كان كل شبر فيه كظيظا بأطروحات تتغاير مع مقومات أمتنا الأصيلة التي تحدد هويتها وترسم مسار علاقاتها مع بقية الأسرة البشرية؛ ونظرا للأثر السيئ الذي كانت تلك الأطروحات تتركه على واقعنا، كان الواجب يحتم ردم هذه الهوة على عجل بدءًا بكشف عوار المستند الفكري لتلك الدعوات التي كادت تورد الأمة المهاوي.

مرحلة إعادة صوغ المفاهيم: بما يتطلبه ذلك من معالجة الأمة من داء الانبهار وتحطيم الأساطير وما يلمع وهو مزيف، في هذا السياق يندرج النهج الذي اختطه الشيخ محمد قطب حين جهر بالدعوة إلى إعادة ضبط المفاهيم التي كانت قد انفلتت كثيرا وحرف بعضها فكان أن عنون: «مفاهيم ينبغي أن تصحح».

وهذا ما فرض على الرواد تخصيص عناية مركزة لإعادة ضبط تلك المفاهيم الإسلامية التي كانت قد زاغت كثيرا وداخلها قدر هائل من الغبش الكثيف الذي يغلفها إلى درجة حجب الرؤية.

مرحلة بناء البدائل: فقه رواد الموكب الذي كان مهموما بتسويق المشروع الإسلامي، أن مبدأ: «خذ هذه» أنجع من «دع تلك»، وهو ما دفع نحو ذلك الجهد المركز الذي بذل للانتقال من مرحلة «الإسلام هو الحل» إلى أخرى ركيزتها الأساس: «هذا هو الحل الإسلامي»، توصيفا وتنزيلا وتخصيبا.

نعم، لا جدال في أن الصف الإسلامي قد يضم بعض العناصر

الناشزة، لكن الجمهور يتمسك بمطلبه الكلي إلى حد الاستماتة، ألا وهو: «نريد أن نَحكم بالإسلام»، وهو خيار يباين كثيرا ما يتهمهم به كثيرون من خصومهم بأنهم طلاب سلطة مثل بقية خلق الله ليس إلا، وهو ما فطن إليه بعض من نادى بتعديل الشعار لغرض التخفيف من غلواء السلطان العاض، الحريص على الكرسي الدوار حتى ولو أحاطه بسياج من جماجم خيرة أبناء الشعب، ليصبح الشعار: «نريد أن نُحكَم بالإسلام».

من الشبهات القول بأن الإسلاميين لم يستطيعوا استمالة قلوب الآخرين وفرض نموذجهم، وإنما الديموقراطية، بمعناها النموذج الغربي المتفوق، هي التي انتصرت حين قبل الإسلاميون، مرغمين أو مناورة، بقواعدها وآلياتها لتمرير الكرة بين الفاعلين.

في هذه المقولة كثير من التهافت، لأن التيار الإسلامي لم يرفض الديموقراطية- باعتبارها آليات أثبتت التجارب فاعليتها في مجال خلق أجواء ملطفة تمكن من التبادل السلس والسلمي للسلطة وفق عقد شرعي بين الأمة وبين من ترتضيه للتفويض- وإنما ظلت تقول بأن ما عندها «الشورى الملزمة» (٣) أصلح وأقرب إلى منطق وعواطف الأمم التي يعملون لحسابها ويضحون لإسعادها.

على حَمَلة المشروع الإسلامي، وهم يجتازون القنطرة الفاصلة أو الرابطة بين الحركة والدولة، أن يفقهوا التبدل العميق والهائل الذي طرأ في مفهوم ووظائف الدولة وفي جملة المتغيرات الكثيرة في التنظيم والعمران والمطالب الاجتماعية والعقلية الناشئة لدى الشعوب الإسلامية جراء انفتاحها على الغير وهم في حالة بين الصحوة والسبات، ويعملوا على إنتاج منظومة فقهية حية مرنة وواقعية تستجيب لتلك المطالب المشروعة وخاصة على خلفية وجود مؤشرات تؤكد بأن «الآخرين» قد لا يلبثون أن يقصدوا ديارنا بحثا عن النموذج الأوسط الصالح لتلقيح نموذجهم المهترئ بعد أن جرينا وراء سرابهم ردحا من الزمن قبل أن نثوب إلى رشدنا.

من المسائل الجوهرية التي يجب الاهتمام بها، التفريق بين التوفيق الإلهي في تحقيق مكاسب في مجال المدافعة، والذي يستند إلى معايير الصلاح الداخلي والتأهل للإسناد واستنزال رحمات السماء بالأسباب، وبين تفويض من جمهور الأمة الذي يشترط لنفسه بيبع يبايع به من يرتضيه توثيقا وتزكية، حتى إذا تكشف له خلاف ذلك حقّ له سحب الثقة كما كان قد حجبها عن غيرنا.

وفي هذا المقام نستعير ما قلناه في مناسبة سابقة:

«أولا، أذكرهم (القيادة الإسلامية الجديدة) بأن النجاح صعب، لما يتطلبه من جهد ومعاناة وتضحية بالمال والجاه والأنفس، لكن الأصعب منه الحفاظ على المكاسب وحسن إدارة معركة النصر مع الذات ومع الأعوان والأنصار ومع الخصم المتربص الذي لن يسلم بهزيمته وإنما سيعيد الكرة؛ وأن يستحضروا بأن المسيرة لا تزال طويلة لأن الهدف ليس مجرد إقامة أنظمة تحت لافتات «إسلامية»، وإنما استئناف المسيرة الحضارية للأمة، وأن يقدموا نموذجا عمليا رائعا يجتذب الأنظار كما أحسنوا فن التسويق والعرض» (٤).

ختاما، بعد أن ظل الإسلاميون يوصفون بأنهم ينتمون إلى الطراز النادر من القيادات الصالحة والذي يقل عند الطمع ويكثر عند الفزع، يبدو لي أن اللحظة التاريخية قد أزفت لاختبار قدر مصداقيتهم في تمثيل هذه المقولة عن بناة الحضارة الحقيقيين.

نعم إن تحقيق النصر مسألة تحتاج إلى جهد وجهاد ومعاناة وصبر ومثابرة ومرابطة وربما التضحية بكل شيء، لكن الأصعب من ذلك أن نستحق النصر حين نرتفع إلى مستواه ثم نستوفي شروط إدامته على النهج الذي يرسمه كتاب الله وهو يتحدث عن بعض قواعد بناء الحضارة الإنسانية من حيث البقاء والزوال:

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

الهوامش

١- من أوضح المواقع التي ورد فيها هذا الوعد الإلهي الجازم في كتاب الله ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا﴾ (النور: ٥٥).

٢- البيت للعالم والأديب الموريتاني د.محمد الحافظ ولد السالك.

٣- للتوسع في الموضوع يراجع: «الشورى في معركة البناء» للشيخ د.أحمد الريسوني، و«الشورى والاستشارة» د.توفيق الشاوي.

٤- انظر مقابلة مع الكاتب أجراها رجب الدمنهوري مدير تحرير مجلة العالمية ونشرتها جريدة الحرية والعدالة في مصر في ٢٢/٢/٢٠١٢م.

الأوقاف تودع الشيخ أحمد جلباية

التحرير

فقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت أحد أبنائها البررة المرحوم- بإذن الله تعالى- الشيخ الجليل أحمد أحمد محمد جلباية، عن عمر يناهز الـ ٩٠ عامًا تقريبًا، وذلك يوم الخميس غرة ربيع الآخر عام ١٤٣٣هـ، الموافق الثالث والعشرين من فبراير ٢٠١٢م في بلده الثاني الكويت.

إن أقل ما توصف به مسيرته.. أنها رحلة علمية دعوية، بدأها منذ نعومة أظفاره بحفظه للقرآن الكريم، ثم بدأ الدراسة في الأزهر الشريف حتى حصل على شهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد في الأول من يناير عام ١٩٤٩م، وكان في ذاك الوقت قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره، وبعد تخرجه بأشهر بدأت رحلته تأخذ منعطفا جديدا بدخوله حقل الوعظ والإرشاد والعمل بالدعوة، حيث عين في شهر أغسطس عام ١٩٤٩ إماما وخطيبا في جمهورية مصر العربية، واستمر الشيخ في هذا العمل حتى عام ١٩٥٥م، ولأنه كان خطيبا مفوهًا وداعية مخلصا ذاع صيته، مما كان سببا في اختياره للسفر إلى لبنان- ضمن بعثة الأزهر الشريف- ليعمل به داعية وإماما وخطيبا من ١٩٥٦/٧/٢٣ إلى ١٩٦١/٦/١٤، ثم عاد إلى مصر ليواصل عمله في حقل الدعوة حتى عام ١٩٦٤، عندما تم اختياره ضمن جماعة من الدعاة والوعاظ للسفر إلى دولة الكويت التي بدأ العمل بها كإمام وخطيب في١٩٦٤/٣/١١، واستمر بها إلى أن وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه ملبيا نداء الحق.. بعد رحلة طويلة مع الدعوة قضى منها في الكويت ٤٤ عامًا، أي ما يقرب من نصف عمره، عمل خلالها في أماكن عدة ومهام متنوعة، فقد عمل في لجنة الفتوى، وتولى الفتوى الهاتفية بوزارة الأوقاف، وعمل في دور القرآن الكريم، وانتهى به المطاف موجها فنيا عاما بمكتب الشؤون الفنية التابع لقطاع المساجد، وخلال هذه الرحلة ألف العديد من الكتب والأبحاث، وشارك في مؤتمرات وندوات ودورات، وتتلمذ على يديه



كثير من الشيوخ وطلبة العلم الذين يعملون في حقل الدعوة الآن ويدينون له- بعد الله- بالفضل.

رحم الله الشيخ جلباية، العالم العامل رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، جزاء ما قدم للدعوة الإسلامية من جهد مخلص شهد به كل من عرفه من أصدقائه ورفقاء دربه وتلاميذه ومحبيه.

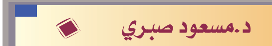
رفيق الدرب المستشار الشرعي لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الشيخ حسن مراد مناع يقول عن الفقيد: بالأمس القريب ودّعنا وودعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، رائدًا من رواد الدعوة الإسلامية، وعلمًا من أعلامها البارزين، وهو العالم التقي النقي فضيلة الشيخ احمد جلباية.. عاش على أرض الكويت قرابة نصف قرن واعظًا يأسر قلوب سامعيه بأسلوب سهل، وفكر مستنير، وعمق في التناول، حرص على منهج الوسطية، سار في ظلالها طوال حياته، سواء في محاضراته، أو دروسه، أو خطب الجمعة أسبوعيا.. وهذا من فضل الله وتوفيقه له.

فقيدنا الغالي.. حرقة الفراق تعصر قلوبنا ألما ومعاناة، وعزاؤنا في رحيلك أنك قدمت طول حياتك خير زاد وأنبل عطاء، وظلت رايتك طول عمرك بيضاء، وسيرتك تعطر الأجواء.

ومن فضل الله أن وهبك قوة الحفظ والاستيعاب، فكنت تحفظ القرآن الكريم حفظًا مميزًا مع فهمه وتجويده، وأسندت لك وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وظيفة «رئيس المكتب الفني» سنين عديدة، فكنت صادقًا أمينًا، ما غضبت من أحد، وما غضب منك أحد، شهد لك بالفضل كل من تعامل معك.. نحسبك كذلك ولا نزكي على الله أحدا.

رفيق الدرب وصديق العمر، أسأل الله أن يجعلك ممن منّ عليهم، فغفر لهم، وأدخلهم رياض جنته، فأخبرنا الله عن حالهم بقوله: ﴿يا ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ آمين.. آمين.

إصلاح التعليم الديني



د.مسعود صبري

كانت الأمة قديما تمتلك ثقافة شرعية، ولم تكن تلك الثقافة للخاصة، بل للعامة أيضا، ولا يعني هذا أن الأمة كانت كلها متخصصة في علوم الشريعة، فقد كان لأهل التخصص ما يجعلهم مرجعا للعوام والمقلدين، ولكن كان للمتخصصين علم، وللعوام ثقافة، وشتان ما بين الأمرين، بل إن ثقافتهم- قديما- ربما وازت علم كثير من العلماء والباحثين المعاصرين، ذلك أن المجتمع كان عنده إدراك لقيمة العلم، ليس في العلوم الشرعية فحسب، ولكن في جميع العلوم، فرأينا المبرز منهم اتسم بالموسوعية، فتراه طبيبا، وفلكيا، وفقيها، ومحدثا، وعالما باللغة والبلاغة، وعالما بالحساب وغير ذلك من العلوم.

إن ساد التقليد قرونا في حياة المسلمين، فإن هذا لا يعني انعدام العلم عندهم، أو أن يكون خلا عصر من العصور، أو مجتمع من المجتمعات من مجتهدين عظام؛ إذ تخيل خلو عصر أو مجتمع من المجتهدين يستحيل شرعا، كما أنه ممنوع عقلا، ولكن ربما تقل رتبة الاجتهاد، كما الحال مثلا في عصورنا، فرغم وجود عدد من المجتهدين- ولو بشكل من الأشكال- فإن هذا لا يعني أن علماء العصر حصلوا علوم السابقين.

ومن هنا: فإن الحملة على المذهبية الفقهية، واتهامها بأنها كانت سببا من أسباب تخلف المسلمين ضرب من الظلم والحيدة عن الحق، ذلك أن المذهبية كانت خيرا على الأمة، فجعلت مئات وآلافا في كل مجتمع في عداد العلماء الثقات، وطلبة العلم المتميزين، مما كان له أثر في انتشار الشريعة علما وثقافة عند الخاصة والعامة بقدر معين، وإن كان هذا لا يعني أن هناك ملاحظات نقدية على عصور التقليد، وعلى المذهبية أيضا.

وإن كان عصرنا قد اتسم بتوافر وسائل العلم، فقد كان للطباعة أثر كبير في انتشار الكتب العلمية بعد أن كان يجلس العالم أو الناسخ ينسخ الكتاب بيده شهورا، وربما لم يكن هناك من بعض الكتب إلا أعدادا قليلة في العالم الإسلامي كله، فانتشرت – بعد الطباعة- المكتبات ودور النشر ليجد القارئ والمطالع بغيته فيما يريد من كتب، ثم جاءت ثورة الاتصالات لتساعد أيضا في نشر الكتب على نطاق أوسع، فبدلا من الذهاب إلى المكتبة، أو التواصل معها إن كانت في غير بلد المشتري؛ أضحى من السهل أن يحصل الإنسان على نسخة الكترونية من الكتاب وهو في بيته، كما أنها أتاحت انتشار عدد كبير من الكتب النادرة، التي كان من الصعب الحصول عليها.

ثقافة القدماء توازي علم المتخصصين اليوم وربما تفوقها.. والجمع بين العلم والأدب والتربية طريق النهضة

ورغم انتشار الكتب والطباعة، فإنه حصل تراجع في العلم والتعلم، وانطبع هذا على قادة الفكر الديني في المجتمعات المسلمة، فبعد أن كان طالب العلم يربى على يد العلماء والشيوخ، فيحصل علما حقيقيا من خلال متابعة الشيخ ومدارسته، واطمئنانه على ما حصله طلابه، أضحى تحصيل العلم من باب الثقافة، فاهتمت بعض المدارس الحديثة بالمنهجية دون تحصيل الفروع، رغم الاختلاف حول القواعد المنهجية ذاتها، كما أن هناك الدراسة النظامية في الجامعات، وهي أيضا نحت نحو مفاتيح العلم وليس تحصيل العلم، وأضحى هم الأستاذ- تحت ضغط المعيشة والترزق- أن يؤلف كتابا؛ ليتحصل من ورائه على لقمة عيش، لا أن يختار من الكتب التي رزقت شهرة، وتعد كتبا معتمدة في التعلم والتحصيل، فأضحى خريجو الجامعات لا يتخرجون بعلم، وإنما يتخرجون بثقافة أو مفاتيح علم، ربما كان العوام قديما يتحصلون على هذا القدر الذي يتحصل عليه الآن طبقة من الدكاترة في الجامعات.

وخلافا لهذا، فإن طريقة السلف الصالح في تعلم العلوم الشرعية كان

باحث مصري

يصحبها منهج تربوي، إذ يصاحب الطالب شيخه، فينهل من أدبه وسلوكه وأخلاقه، فكان القائم بالتدريس ليس مدرسا فحسب، ولكنه كان معلما ومربيا ومؤدبا، وانتهينا في نظم الدراسة الآن إلى تحصيل قشور من العلم ليس إلا.

واستغل هذا الوضع بعض من الدعاة، فاتهموا التدريس النظامي بالقصور وأنه مجرد قشور -وهو اتهام فيه بعض الشيء من الصحة-، لكنهم أخذوا شكل تحصيل العلوم الشرعية وتدريسها على طريقة السلف، دون السير على المنهج نفسه، فظهر فيهم من مدرسة السلف المظهر دون الجوهر، فيكفي إسناد الأقوال إلى ابن فلان أو ابن فلان، مع نقد المدرسة الأكاديمية لتضخيم حجم المدرسة التي ظاهرها منهج السلف ونصرته، وحقيقتها أنها تندرج تحت مدرسة القشور لا الأصول.

وهناك بقية من العلماء الذين تلقوا العلم على يد شيوخهم، ومازالوا يسندون العلم إلى أهله، بالتسلسل الذي اشتهرت به الأمة وتميزت، وهم بقية صالحة، كأنه أشير إليهم في حديث رسول الله ﷺ فيما ورد عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء. قلنا: وما الغرباء؟ قال: قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» (١). فغالب العلماء الذين يسيرون على نهج السلف في تعليم الأمة مغمورون، وقليل من اشتهر منهم.

وتكمن من جراء ذلك مشكلة أيضا، وهي تعصب كثير من الطلاب الذي يحضرون عند هؤلاء العلماء، خاصة إذا قارنوا أنفسهم بزملائهم في المعاهد والكليات أو في محيط الدعوة، فيتولد عند البعض داء الكبر، لما يجد عنده من بعض العلم دون غيره.



أما عامة المسلمين، فقد اكتفوا بمشاهدة البرامج الدينية على الفضائيات، فهي زادهم، وربما كان مجرد ظهور شخص على التلفاز دليلا عندهم على أنه من العلماء، ولو كان غير متخصص، وهو- كما عند البعض- قد يرتقي في أحسن تقدير إلى طالب علم مبتدئ، فضلا عن تصدر البعض في غير تخصصه، ناهيك عن عدم تمكن عدد من المتخصصين في تخصصهم، مما نتجت عنه مجرد ثقافة عامة، وليس علما، ولو لاحظت كثيرا من الدعاة حين الحديث عن موضوع بعينه؛ لترى أن المادة متقاربة جدا، وأن كثيرا من الكلام مكرور، وذلك أن مصادر المعرفة والنقل تقاربت وكادت أن تكون واحدة في الغالب، وليس هناك من يتعب نفسه في البحث عن مصادر تأتي بجديد وعلم للناس، وكانت النتيجة أن كثيرا من الخاصة عندهم ثقافة وليس علما، أما العوام فعندهم مستوى أقل من تلك الثقافة، مما يعني تدهور مستوى تعلم العلوم الشرعية، ناهيك عن اضمحلال المستوى في المعاهد الدينية والجامعات الدينية المنوط بها تخريج العلماء الشرعيين.

وما أطرحه ليس نوعا من التشاؤم، بل هو نصح لهذه الأمة، والناصح يجب أن يكون أمينا، وإن كنا ندعو الأمة أن يكون عندها علم بدينها وعلومها، فإن هذا يتأتى من خلال تشجيع التجارب العلمية التي يقودها عدد من علماء الأمة من خلال الأخذ من علوم السلف دون تقديس أو تبخيس، مع تيسير تلك العلوم بما يتناسب مع لغة العصر، بالإضافة إلى اجتهاد الفقهاء المعاصرين في النوازل العصرية والمستجدات الحياتية، وإن من الحكمة أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون، لا أن نبدأ من حيث ابتدأوا.

إن الأمة بحاجة إلى الدراسة المذهبية في العلوم الشرعية، ولكنها مذهبية معاصرة، تسهل الصعب، وتقرب البعيد، وتهتم بالجوهر دون المظهر، وتقدم الفهم على الحفظ، وتربي جيلا من طلاب العلم على أمل أن يكون علماء المستقبل في الأمة، فإذا كون هذا الجيل على أسس علمية أصيلة؛ كانت البداية لانتشار العلم بين عوام الناس، وكما فتحت علوم تجريبية كثيرة أبوابها للعوام، من خلال المتخصصين عبر نوافذ متعددة، فما أحوجنا إلى هذا المنهج في العلوم التي تتعلق بدين الناس،



مراعين مستويات الناس واهتمامهم، فليكن عندنا ثقافة شرعية لعوام الناس، وعلم أصيل عند المتخصصين من العلماء وطلاب العلم، فهذا أول الطريق إلى النهضة الحقيقية للأمة، إذا جمعت بين العلم والأدب والتربية، وامتزج كل هذا في شيء واحد، اهتماما بالعقل والوجدان، وتقويما للسلوك، ونشرا للأخلاق، ومن عجيب أنا رأينا أن بعض خريجي الكليات التجريبية، كالطب والهندسة وغيرهما فرغوا من أوقاتهم، وتتلمذوا على يد شيوخ ثقات، فأضحوا يعرفون من الشرع أكثر من المتخصصين، وهو أمر حسن، إذ الدين وعلومه ليست حصرا على فئة دون فئة، ولكنه سباق، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦)، وقد كان العلماء من السلف -رضوان الله عليهم- لكل منهم مهنة وتجارة يتكسب منها بجوار انشغاله بالعلم، وقد أحرزوا السبق في هذا، أما الآن، فعندنا متخصصون لقمة عيشهم من تخصصهم، ولكن شتان بين الفريقين؛ إذ كان تعلم السلف العلم خالصا، فلما أخلصوا؛ فتح الله تعالى لهم من خزائن علمه ورحمته، كما قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)، على أن هذا لا يعني أن ينفر الناس كلهم لتعلم العلوم الشرعية، بل المقصود أننا بحاجة إلى منهج السلف في تعلم كل العلوم الدينية والدنيوية، وأن تهتم الأمة كلها بالعلم في جميع التخصصات، لكن ليس على مستوى القشور والشهادات، وإنما على مستوى التمكن والقوة فيه: على أن يكون علما يقرب إلى الله تعالى، وينفع الأمة والبشرية، أما تلك الثقافات التافهة التي تنتشر في ساحات الفضائيات والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال، فلن تقيم أمة، ولن تصنع مجدا، ولن تنهض راقدا من ثباته، والإسراف في استعمال الترف لا يقود إلى خير، بل يقود إلى هلاك الأمم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦)، فقبل الحديث عن الترويح على النفس والتخفيف والتيسير المدَّعى، يجب أن نقدم بين يديه عزما وقوة وعلما وعملا، كما قال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، فقدم طلب الآخرة من العمل الصالح أولا، ومعه لا ينسى نصيبه من الدنيا، إذ التوازن من صفات هذا الدين، وإنما جعلت الدنيا مزرعة للآخرة، والعلم طريقا إلى نهضة كل أمة تسعى إليه.

إننا اليوم مع شيوع تلك الثقافة الواسعة نحتاج إلى منهج سديد لإصلاح التعليم الديني، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، كما يجمع بين العمق والتيسير، ويراعي مقاصد العلوم دون الانشغال بحشو العقول بمعلومات، وأن يكون تعليما قادرا على إخراج متخصصين في مجالات الخطاب الديني بكافة أشكاله وأنواعه، مما يعني الحاجة إلى الاهتمام بالمناهج، والاهتمام بتكوين المعلم، والإفادة من الوسائل الحديثة في طرق التدريس مع الحفاظ على أصالة الطريقة القديمة، وتلك إشكاليات لا تحل في كلمات، بل تحتاج إلى جهد أكبر حتى نحقق ما نسميه (تجديد الخطاب الديني)، وآثاره الكبرى ليست فقط على المعاهد والجامعات الشرعية بل على المجتمع كله، لما لتأثير الدعاة والعلماء وخريجي المدارس والجامعات الشرعية على المجتمع كله.

الهوامش

١- المعجم الأوسط:ج٩/ص١٤ ح٨٩٨٦

الشيخ محمد غانم الجاسم الغانم إلى رحمة الله

كامل محمود محمد أبوزيد

انتقل إلى رحمة الله تعالى عالم من علماء الكويت فضيلة الشيخ محمد غانم الجاسم الغانم في يوم السبت ٣ من ربيع الآخر ١٤٣٣هـ الموافق ٢٥ من فبراير سنة ٢٠١٢م امام وخطيب مسجد أبي هريرة رضي الله عنه، والشيخ الغانم ولد في حي الشرق بجوار مسجد سعد أخو ناهض في عام ١٩٣٦م بدولة الكويت وحفظ القرآن الكريم وهو في باكورة عمره ثم التحق بالمعهد الديني الكائن بسكة النفيسي آنذاك في بداية افتتاحه بعمادة شيخه الفاضل فضيلة الشيخ علي البولاقي وشيوخ أجلاء قاموا بالتدريس في هذا المعهد منهم الشيخ عبدالفتاح المنوفي رحمه الله وفضيلة الشيخ حسن مراد مناع أطال الله في عمره وفضيلة الشيخ عبدالوهاب الفارس وفضيلة الشيخ عطية الأثري وفضيلة الشيخ عبدالعزيز حمادة رحمهم الله تعالى وغيرهم من العلماء الأجلاء الفضلاء الذين تتلمذ عليهم فضيلة الشيخ الغانم حينما التحق بطلب العلم في المعهد الديني، وفي عام ١٩٥٠ عين إماما وخطيبا في دولة الكويت في أول مسجد عمل به مسجد رأس السالمية ثم عاد للعمل في مساجد شرق الكويت مسجد ابن خميس ومسجد سعد أخو ناهض ومسجد المطبة ومسجد الرومي والذي عمل فيه اكثر من ست وثلاثين سنة، ثم انتقل الى مسجد العوضي في بداية افتتاحه ثم عاد الى مسجد الرومي واستقر به المقام في مسجد ابي هريرة بعد مسجد الرومي إلى أن لقي ربه.

لقد تميز الشيخ الغانم رحمه الله بالحفظ والذكاء وسرعة البديهة وحبه للوعظ والخطابة في هذه المساجد وغيرها بل لم يقتصر وعظه وخطبه على مساجد الكويت بل امتد وعظه في اشهر مساجد القاهرة ومن هذه المساجد مسجد الإمام الشافعي ومسجد الإمام الليث بن سعد رضي الله عنهما



وغيرهما من المساجد الكثيرة والتي كان يخطب فيها الشيخ دائما كلما كان يتردد على القاهرة ولم يقتصر عمل الشيخ على القاء الخطب والوعظ بل قام بجمع الخطب والدروس مع فضيلة الشيخ/ كامل محمود محمد ابوزيد امام وخطيب اول بمسجد قصر دسمان العامر، حيث يقول الشيخ في مقدمة الجزء الثامن من الجوهر المفيد في خطب الجمع والعيد:

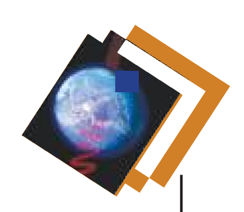
«فلما من الله سبحانه علي من فضله بحفظ كتابه المبين وبعض من احاديث سيد المرسلين وعينت اماما وخطيبا في مساجد كثيرة من مساجد الكويت وتعرفت على فضيلة الشيخ/ كامل محمود محمد ابوزيد امام وخطيب اول منذ عام ١٩٨٢ وهو يقوم على تسجيل الخطب وقراءة الكتب الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وغير ذلك من الكتب النافعة والتي تساعدني على تحضير الخطب والدروس التي القيتها في مساجد الكويت.

لذا قمت مع الشيخ كامل بطبع سبعة اجزاء من الجوهر المفيد في خطب الجمع والعيد، والمختصر في فقه العبادات، ودروس اسلامية منوعة، ودروس ايمانية لشهر رمضان المبارك، وبعون من الله تعالى تم طبع هذا الجزء الثامن من كتاب الجوهر المفيد في خطب الجمع والعيد مع الشيخ كامل محمود ابوزيد».

رحم الله تعالى الشيخ محمد الغانم وأسكنه فسيح جناته فلقد ترك تراثا ومكتبة علمية نادرة مقروءة ومسموعة لعلماء فضلاء، لذا كرمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كثيرا بواسطة ادارة مساجد محافظة العاصمة في كل تكريم يكرم فيه العلماء.

رحم الله سبحانه وتعالى من مات منهم وأسكنهم فسيح رضوانه وجناته إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

إمام وخطيب أول بمسجد قصر دسمان العامر (الكويت)



القيادة المثالية والمصالح العامة



إبراهيم نويري

لعل من نافلة القول التذكير بأن مصطلح القيادة من المصطلحات التي لا تحوز على إجماع أو اتفاق تام في التعريف والتحديد والضبط المفهومي والدلالي، في كتابات المنظرين الاستراتيجيين أو السياسيين أو مفكري التنمية البشرية.. أو غيرهم من الكتاب والباحثين. ومن أسباب ذلك تداخل مفهوم القيادة مع مفاهيم أخرى قريبة أو مجاورة، بل هي من مكونات الشخصية القيادية، مثل الكفاءة في التسيير، والسيطرة أو التحكّم الجيد في العمل الموكل لقائد بعينه.. إضافة إلى تباين الأطر والمجالات والظروف التي تظهر فيها الشخصيات القيادية المؤثرة، وأنواع القادة والصفات التي تؤهلهم لهذا اللقب أو الموقع.. إلخ.

من أهم تعريفات هذا المصطلح:

■ القيادة هي مجموعة المبادئ والقواعد والأصول والنظريات والإجراءات والتصرفات والتوجيهات التي تصدر عن القائد أو المدير العام لمؤسسة من المؤسسات، أو تنظيم من التنظيمات، أو هيئة من الهيئات.

■ القيادة هي فن اختيار مجموعة من الناس بهدف تحريكهم أو توجيههم أو صياغتهم، قصد تحقيق هدف محدد، أو جملة من الأهداف.

■ القيادة هي فن التأثير في الآخرين، من أجل نشر فكرة أو أفكار معيّنة.

■ القيادة عبارة عن علاقة أو عملية متشعبة مؤسسة على التفاعل بين القائد والأشخاص المحيطين به، المتعاونين معه.

ومن خلال هذه النماذج ندرك أن الكلمات «المفتاحية» لمفهوم القيادة تتمثل في: التأثير- التنظيم- التأهيل- التخطيط- البرنامج أو الهدف- تحقيق المنجزات المعلنة أو المسطرة.. إلخ.

صفات الشخصية القيادية

لاشك أن الشخصية القائدة أو القيادية، تتمتع أو تتوفر على سمات تأهيلية نادرًا ما نجدها لدى غيرها، أو ربما جاز القول بأن الشخصية القيادية شخصية تجمّعت أو تجاورت فيها صفات ومكوّنات ومهارات غالبًا ما نلاحظ أنها تكون موزّعة- أي غير متجاورة- في الشخصيات غير القيادية.

ومن أهمّ الصفات التي ينبغي توفرها في الشخصية القيادية:

١- الاعتماد على الله والثقة بتوفيقه وسداده ونصره.

٢ - شحذ الهمّة والإصرار على ضرورة تحقيق الأهداف المرسومة.

٣ - تنمية عوامل القوة في النفوس، والقدرة على تحويل عوامل الضعف إلى قوة.

٤ - الاستعداد لتقبّل أفضل ما لدى الآخرين.

٥ - التحكم الصارم في الوقت وحسن استثماره.

٦ - الاهتمام بالنتائج، والتركيز على المنجزات الملموسة في الواقع، أو تلك القابلة للتجسّد.

٧ - حسن تحديد الأولويات، دفعًا لتشتت الجهد المبذول.

٨ - الاعتماد على المشاورة والحوار وتبادل الآراء، خاصة مع ذوي الخبرة والعلم والاطلاع الواسع، والعمق في التفكير.

٩- القدرة على تجاوز السلبيات حال ظهورها.

١٠- التواضع في الأفعال والتصرفات، وتوفير الأجواء والأساليب التنظيمية المناسبة التي تضفي المزيد من الفعالية على الأدوار المنوطة بكلّ شخص داخل الجماعة أو المؤسسة.

الرسول ﷺ أنموذج للقيادة المثالية

مما لا ريب فيه- في مقياس ومعيار التصور الإسلامي- أن رسول الله ﷺ، هو الأنموذج الفذ الكامل، الذي لا يتقدم عليه أي أنموذج آخر في كلّ مجالات وأنشطة الحياة، وقد كان- وهو يمارس القيادة الأنموذج والمثال- يعمل بالشورى، ويحاور أصحابه الكرام، ويستمع إلى نصحهم ووجهات نظرهم.

وإذا نحن أردنا أن نأتي بأمثلة، تُجلّي مبدأ الشورى في واقع القيادة النبوية، فإن السيرة العطرة مترعة بتلك الأمثلة البديعة المدهشة.

وبما أن الحياة متشعبة المناشط، فإننا سنكتفي بمجال قتال أعداء الإسلام الذين استكثروا عليه الحياة والامتداد الطبيعي، أثناء تلك الفترة المبكرة من ظهوره في شبه الجزيرة العربية. ومن أبرز المصطلحات المستعملة في هذا اللون من النشاط نجد: الغزوة، وتتضمن كلّ المعارك التي قادها النبي ﷺ وأشرف عليها بنفسه. والسرية، وهي عبارة عن مجموعة من الفرسان الأشاوس يقودها أحد أصحاب رسول الله ﷺ، حين يعزو له الأمر النبوي تنفيذ هذا العمل. وهناك أيضا الدورية، وهي مجموعة أقل من السرية، مهمتها جمع المعلومات الضرورية عن العدو، ورصد تحركاته،





ودراسة طبيعة الأرض المؤهلة لقيام المعركة أو الغزوة.. وهي قسمان: دورية الاستطلاع، عددها محدود جدا، ودورها -كما أشرنا- يتمحور حول جمع المعلومات وتقديمها للقائد. ودورية القتال، وعددها أكبر، وبما أنها تتوقع المباغتة من العدو فإنها تكون على أهبة للقتال عند الضرورة، ولهذا السبب تحديدًا فإن جاهزيتها، من حيث السلاح والاستعداد لمنازلة العدو، تفوق بكثير دورية الاستطلاع.

وفي هذا المجال الذي تمّ تحديده نجد أن مفهوم القيادة في المنظور النبوي أو المنظور الإسلامي الحق لا يقوم على المفهوم الكاريزمي/الفردي.. بل هو مفهوم جماعي مؤطر ومؤسس على قاعدة الشورى والجماعة.

فالمتأمل في أحداث وفصول السيرة النبوية الشريفة يلحظ بيسر مدى بسط قيمة الشورى وتماشيها مع موقع القيادة، فقد كان نبي الهدى ﷺ وهو في موضع القيادة، وقبل ذلك والأهم من ذلك في مقام النبوة أنه يفسح المجال لأصحابه لإبداء آرائهم وبسط وجهات نظرهم، ما دامت المسائل المطروحة ذات طبيعة مفتوحة للاجتهاد، أي لم يحسمها الوحي بنص قطعي الدلالة. ففي غزوة بدر الكبرى رأينا كيف أن رسول الله ﷺ يستشير أصحابه في الخروج أو عدم الخروج، ونرى الصحابي الحباب بن المنذر يغيّر الوضع القتالي في هذه الغزوة (بدر) بعد أن علم أن الرسول الكريم لم يُنزلهم المكان الذي نزلوا به بادئ الأمر بنص من الوحي.

ونرى الصحابي الجليل سعد بن معاذ يمزّق ورقة المعاهدة التي عقدها النبي ﷺ مع أهل الطائف في غزوة الأحزاب، بعد مفاوضات طويلة وشاقة بين الرسول وبينهم.. وذلك لأن الحصار اشتد على المسلمين، وزلزلوا زلزالًا شديدًا، فرأى ﷺ أن يبادر إلى شيء يخفف به متاعبهم ويفرّق جمع الأعداء، فدخل في مفاوضات مع أهل الطائف، واتفقوا على أن يرجع الطائفيون ولهم ثلث ثمار المدينة، فسأل سعد رسول الله ﷺ عن ذلك، وهل للوحي دخل أو توجيه فيه؟ فقال ﷺ: «إنما هو أمر صنعته لكم رجوتُ من ورائه الخير»، فأخذ سعد المعاهدة ومزّقها -وقد كانت معدّة للتوقيع- قائلا: إنهم لم ينالوا منا ثمرةً إلا قرى، أفبعد أن أعزّنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة؟ لا والله لا يكون!!(١).

وتشير كتب السيرة إلى أن رسول الهدى ﷺ لم يغضب من تصرف سعد رضي الله عنه، وأن المسلمين اغتبطوا وسروا كثيرًا بهذا الموقف، على الرغم من أنه في ظاهره اعتراض على القيادة.

إنها قيادة من نوع خاص، تجعل الشورى ركنًا ركينًا في كلّ ما تزاوله من أعمال أو ما تخطط له من مشروعات وبرامج، ومعنى ذلك أن القيادة في المنظور والتصور الإسلامي قائمة على ركيزة الشورى «التي يُسمح بموجبها لكلّ فرد في الجماعة أو المجتمع بأن يُسهم بالرأي والمشورة التي يمكن أن تخدم الصالح العام. كما أن التعاون والعمل بروح الفريق الواحد هما السبيل الناجع لبقاء الجماعة وتماسكها وتحقيق ما تصبو إليه من سعادة ورفاهية»(٢).

فوائد القيادة الجماعية

مما تقدّم نستنتج أن الإسلام يرحب ببروز المواهب والمهارات القيادية في الأفراد، باعتبار أن الأمة المسلمة هي المستفيد من تلك النماذج الإنسانية القيادية الصالحة، بيد أنه -عند الموازنة- يفضّل القيادة الجماعية، سواء في المجال السياسي أو العسكري أو الإداري، بل حتى بالنسبة للاجتهاد الشرعي- خاصة في النوازل والمسائل الطارئة- فإنه يقدّم الاجتهاد الجماعي على الاجتهاد الفردي.

إن هذا التفضيل نابع من قيمة الشورى وبركتها وخيريتها، باعتبارها إطارًا تنظيميًّا ضامنًا لسلامة التصرّف، والإحاطة المستبصرة بكلّ أبعاد وتداعيات القرارات والمواقف والإيعازات والإسنادات ونحوها.

وقد أكّد القرآن الكريم ذلك في قول الله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨). كما أكّده بصيغة الأمر الدال على التحتيم والوجوب في قوله جل شأنه: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ومن أبرز إيجابيات القيادة الجماعية:

١- أنها أسلم وأقرب إلى إدراك المصالح العامة والخاصة على السواء.

٢- القرارات فيها لا تكون متسرعة، مثلما هو شأن القيادة الفردية.

٣- استعراض كافة الآراء وتمحيصها، مما يسلب المعترضين حجّتهم، وبذلك تكون النفوس أقرب إلى الرضا والقبول.

٤- شعور الفرد بقيمته داخل الجماعة أو المجتمع، الأمر الذي يجعله أكثر عطاءً وأكثر فاعلية فيما يُنسب له من أدوار وأعمال.

الهوامش

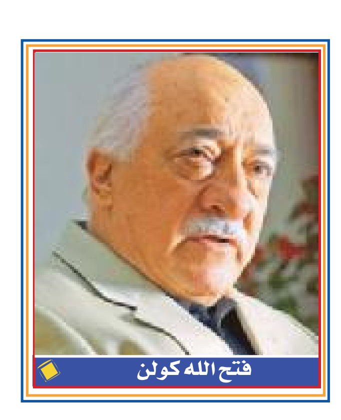
١- محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٩٨٠م، ص٥٦٢.

٢- أحمد العجارمة، التحديات التي يواجهها مفهوم القيادة في القرن الحادي والعشرين، مجلة القافلة، العدد ٢، المجلد ٥٠، صفر ١٤٢٢هـ / أبريل - مايو ٢٠٠١م، ص ٨.



عبقرية القيادة النبوية في غزوة أحد

إن بيان القدرة النبوية في صنع مجتمع أمن وطمأنينة لدرجة أنك لن تستطيع رؤية مثل ذلك المجتمع إلا في الكتب التي تصف المدن الفاضلة.



فتح الله كولن

لقد شهد رسول الله ﷺ الحروب أيضًا.. أولًا مع قومه وقبيلته ثم مع اليهود في المدينة وحواليها، ثم دخل حربًا مع الإمبراطورية البيزنطية، فقد كان محاطًا بالأعداء، وكان هؤلاء الأعداء مصدر مشاكل عديدة له. ولكنه كان يستطيع في كل مرة أن يستل نفسه من هذه المشاكل مثل استلال الشعرة من العجين.

١. التكتيك في معركة أُحد

لن أتناول هنا الانتصار في معركة بدر، ولا التعبئة في معركة الخندق ولا المفاخر التي سطرها الأبطال في مؤتة، ولا البطولات النادرة في معركة اليرموك بل سأتناول بإيجاز المسائل التي نتجت عن معركة أحد التي تعد - في جانب منها - معركة كان للهزيمة فيها نصيب، والإشارة إلى تعامله مع هذه المسائل والقرارات الصائبة التي اتخذها في شأنها.

تُعد معركة أحد أول معركة ظهرت فيها بوادر الهزيمة في صفوف المسلمين، وأنا أعوذ بالله من إسناد الهزيمة إلى أي مسلم حقيقي، ذلك لأنه كان لله تعالى تقدير خاص في ذلك أولا، إذ كان هناك أمام المسلمين أشخاص أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من الدهاة العسكريين والسياسيين، وهؤلاء سيردون جيوشًا عديدة للأعداء على أعقابهم في المستقبل. صحيح أنهم كانوا آنذاك لسوء حظهم في صفوف المشركين، إلا أنهم كانوا صحابة المستقبل.

أجل، لقد غلب صحابة المستقبل صحابة اليوم، والمسألة الثانية هي أن الرماة - عين لهم الرسول ﷺ موضعًا خاصًا وأعطى لهم أوامر معينة - لم يلتزموا بتوجيهات الرسول ﷺ بل ظهر عند بعضهم حب جمع الغنائم، ولكنهم وجدوا عكس ما أملوا. والحقيقة أننا لا نرى في أنفسنا صلاحية وحق نقد هؤلاء الصحابة الأجلاء، فهم أولًا قد شرفوا برتبة المقربين، والمقربون لهم مستوى خاص من التعامل. ما أريد قوله هو أن هؤلاء الناس الشبيهين بالملائكة كانوا يعاملون معاملة خاصة، وإلا فإن حسناتنا تعد سيئات بالنسبة إليهم.

أجل، لو أننا فعلنا ما فعلوه آنذاك لاكتسبنا الثواب دون شك لكون باب الاجتهاد مفتوحًا على الثواب دائما. أما هم فقد كانوا من الرجال المخلصين المضحين الذين صافحوا يد الرسول ﷺ، والذين عاهدوا على نبذ الدنيا وهجرها لحساب الآخرة والذين سبقوا الملائكة المقربين، ولكون هؤلاء قد أسقطوا ظلًا على مرتبة «المقربين» عندهم فقد ظهروا بمظهر المغلوبين.. فماذا حدث؟ الذي حدث هو سقوط سبعين شهيدًا من الذين نعرف أسماءهم من بين بضع مئات من الصحابة (١).

وجرح مثل هذا العدد منهم جرحًا بليغًا حتى أنهم عجزوا عن الحركة، وقد كان بإمكان المشركين إنزال ضربة أخرى بالمسلمين لولا أن المسلمين التجأوا إلى جبل أُحد، ورأى المشركون أن أصواتهم قوية وليست واهنة، فلم يرغبوا في الدخول إلى مخاطرة أخرى، لذا تركوا ساحة القتال فورا، إذ داخل الخوف قلوب المشركين، وكان عذر المشركين لهذا الخوف ولما يشبه الهزيمة هو: لقد آذيناهم إلى درجة أنهم لن يستطيعوا التخلص سريعًا من أثر هذه الهزيمة، إذن، فلنذهب، فمن يدري ما الذي سيحصل إن هجمنا عليهم مرة أخرى، فانسحبوا على هذا الأساس وتركوا ساحة القتال، ثم حين حرض أحدهم قريشًا (أصبح هذا فيما بعد صحابيًّا وقدم خدمات جليلة) على مواصلة القتال، والذي جاء وصفه في القرآن بأن الشيطان حرض قريشًا، وقال لهم أن اذهبوا إلى المدينة مادام الوضع مساعدًا. كان من الواضح أنه يريد منهم التوجه إلى المدينة لهدمها على رؤوس أهاليها مثلما فعل الرومان بمدينة قرطاجة، ولا يبقوا فيها فردًا واحدًا، لأنه إن بقي منهم أحد تكاثروا بسرعة وأصبحوا مشكلة لهم (٢).

ما أن سمع الرسول ﷺ هذا حتى أصدر أمره بأن من كان معه يوم أُحد من الأصحاب أو الجرحى فليجتمعوا في المكان الفلاني لأنه سيذهب لملاقاة العدو (٣).

فهؤلاء الجرحى والمصابون الذين التجأوا قبل يوم إلى سفح جبل أُحد كانوا يستعدون لحملة أخرى، ذلك لأنه كان من الضروري إبداء قوة معنوية كبيرة تقوم بجبر معنوياتهم وإزالة مظاهر خيبة الأمل التي أصابت المسلمين والتي سنذكرها هنا:

أول مظهر من مظاهر خيبة الأمل هو انكسار القوة المعنوية للمسلمين، ثانيًا تزايد شهية الكفار، ثالثًا تزايد شماتة المنافقين

* مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب





الرسول ﷺ قلب هزيمة أحد إلى نصر .. وهذا عين الحكمة

من حال المسلمين مما كان يؤثر على معنوياتهم. لذا، فإن الفكرة التي طرحها ذلك المشرك من وجوب التداعي والهجوم الجماعي على المسلمين لاستئصال شأفتهم بدأت تنتشر هنا وهناك وتتداولها الألسن، فكان هذا الأمر نذير خطر كبير على المسلمين، ولولا فطنة الرسول ﷺ وسرعة تداركه للأمر لكان من الممكن ظهور مشكلة كبيرة وخطر عظيم يصعب على المسلمين مواجهته.. أجل، لقد أصابت المسلمين آنذاك أضرار فادحة - مثلما أصاب الجندي التركي في معركة شنق قلعة - ولكنهم استطاعوا أن يلموا شعثهم ويقلبوا الهزيمة التي كانت تلوح قريبة منهم إلى نصر بعون من الله تعالى.

أجل، فما أن أصدر الرسول ﷺ أمره إلى هذه الجماعة بالتهيؤ والتجمع حتى تهيأوا وتجمعوا وانتقلوا إلى حالة الاستعداد للهجوم.. كان بعضهم مصابا في يده أو في رجله، وبعضهم لا يستطيع المشي إلا بمشقة، ومع ذلك فما أن سمعوا دعوة الرسول ﷺ حتى تجمعوا في المكان المعين، فكأن أنفاس الرسول ﷺ قد أحيتهم ونفخت فيهم القوة والعزيمة؛ فبدأوا يتسابقون في الاستجابة إليه. وكما قال الشاعر البوصيري:

لو ناسبتْ قدرَه آياتُه عِظما أحيا اسمُه حين يُدْعى دارسَ الرِّمم

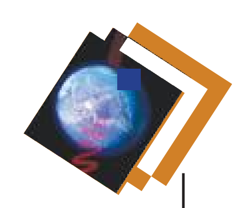
أي لو كانت معجزاته على قدر قيمته ﷺ لأحيا ذكر اسمه الرمم الدارسة في القبور.. لقد أحيت دعوته الجميع في أحد فتسابقوا إلى إجابة دعوته.

والآن لنستمع إلى شرح هذه الحادثة من أحد الصحابة حيث يقول ما معناه:

«كان لي صديق لا يستطيع المشي فكنا نحمله على أكتافنا لأنه قال لنا أن نحمله إلى موضع القتال فإن لم يستطع رمي السهام فهو يستطيع استعمال الرمح. كان أحدنا يحمل الآخر، وربما سقط أحدنا وأغمي عليه، وهكذا حتى وصلنا إلى وادي حمراء الأسد. وهو موضع يستطيع فيه المشركون رؤية دخان مواقد المسلمين. فما أن رأى المشركون تجمع المسلمين الذين ظنوا أنهم أصابوهم إصابة بالغة لا يرجون منها شفاء حتى ذهلوا واحتاروا. وإذا بأبي سفيان الذي أصابه الفزع يصرخ فيهم: «الرحيل! الرحيل!» ذلك لأنه بدأ يخشى أن تدور الدائرة عليهم بعد أن فكروا في الإغارة على المدينة. أما الآن فإن همهم الوحيد كان هو الإسراع إلى مكة»(٤).

فلو تأملتم لرأيتم كيف قام الرسول ﷺ بحل جميع مشاكل الحرب بنفحة واحدة وبضربة واحدة ودون أن يخلف أي مضاعفات ولا أي مشاكل. والقرآن الكريم يشير إلى هذا الموقف الحرج فيقول: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣).(٥).

أجل، لقد تركت قريش كل شيء وهربت، أما المسلمون فقد تخلصوا من أثر الهزة التي أصابتهم أمس، ثم رجعوا إلى المدينة دون أن يصيبهم أي ضرر بنعمة من الله وفضل (٦). هناك بعض من كتاب السير والمغازي يذكرون أن معركة أُحد كانت هزيمة بالنسبة للمسلمين.. أجل، إن كان هناك جانب من الهزيمة في معركة أُحد فهو يرجع إلى بعض الصحابة الذين لم يستمعوا إلى تعاليم النبي ﷺ واستشهدوا في تلك المعركة فرحلوا إلى الآخرة طاهرين مطهرين. ولكن هناك جانب نصر في أُحد، وأنا أرى الوقوف عند هذا الجانب الذي حققه الرسول



ﷺ.. أجل، فإن المهم هو القيام بقلب الهزيمة إلى نصر وهو ما فعله الرسول ﷺ.

هناك مقولة للغرب تقال في حق الأمة التركية وهي: «هناك أوقات تنتهي فيها مقاومة كل أمة، في هذا الوقت تبدأ هذه الأمة بالهجوم».

والحقيقة أن هذه المقولة يجب أن تُقال في حق المسلمين الصادقين حيث تصبح صحيحة على الدوام، أي في الأوقات وفي الظروف التي تنتهي فيها مقاومة الأمم وتبدأ بالاستسلام يقوم المسلمون الصادقون كما قام الرسول محمد ﷺ ببدء الهجوم. وهذا الهجوم يقوم بحل المشاكل المتراكمة الواحدة فوق الأخرى، ويهبُّ الأمل والإيمان إلى قلوب المؤمنين واليأس والقنوط إلى قلوب المنافقين، ويجعل أمنية المشركين حسرة في قلوبهم. فماذا يمكن أن يقال هنا بعد أن حول الرسول ﷺ الهزيمة إلى نصر وأعاد المسلمين إلى المدينة فرحين غالبين، وحل بحكمته هذه المشكلة المعقدة.. سوى الشهادة بأن محمدًا ﷺ رسول الله حقا وصدقا؟

٢- الشورى

كان الرسول ﷺ يقوم بحل بعض المشكلات التي تعرض له عن طريق التشاور، وهو مع عدم حاجته إلى المشورة إلا أنه كان يريد إرساء قضية الشورى كقاعدة مهمة لأن الذين سيأتون من بعده كممثلين للأمة الإسلامية سيكونون في حاجة للشورى. أجل، فقد كان شخصًا وهب له التأييد الإلهي، فلم يتركه الله تعالى وحده في أي مسألة من المسائل، فلو ألم به مرض لتلقى الإلهام الإلهي بطريقة العلاج والشفاء؛ فقد كان على ارتباط وثيق بعالم الملكوت، ولكنه كان يعطي أهمية كبيرة لموضوع الشورى، وكان هذا بُعدا آخر من أبعاد فطنته وجانبًا آخر من جوانب فراسته.

لقد أصبحت الشورى بعده بعدة عصور نظامًا لا يستغنى عنه في إدارة الدولة. ولكون الإدارة في الإسلام مفتوحة على الشورى ولكونها مرنة وواسعة وتستطيع أن تحتضن العصور بعالميتها فقد تخطت العصور عصرًا عصرًا حتى وصلت إلى أيامنا الحالية.

إليكم بعض الأمثلة:

١- كان ﷺ يشاور الجميع ويأخذ وجهة نظر الكل لأنه كان يريد إشاعة فكرة الشورى في حياة المجتمع وجعلها سائدة فيه. استشار عليًا رضي الله عنه، وهو الإنسان الذي قال: «لو رُفع الغطاء ما ازددتُ يقينًا» (٧) ولكنه كان مع هذا تلميذًا في مدرسة الرسول ﷺ، وقد استشاره الرسول ﷺ مع أنه كان شابًا يافعًا (٨).

كان المنافقون قد افتروا على أمنا عائشة، رضي الله عنها، فيما اشتهر بحادثة «الإفك» التي برأ الله تعالى فيها أمنا عائشة، رضي الله عنها، ومع أن الرسول ﷺ كان موقنا بأن الوحي سيقول القول الفصل في هذا الأمر، ورغم كونه غير قلق من ناحية عائشة، رضي الله عنها، فإنه قام مع هذا باستشارة أصحابه عدة مرات لأنه كانت هناك مصلحة في مثل هذه الاستشارات؛ لأن الاستشارة دائما مغانم وليس لها خسائر، وما بعث النبي ﷺ إلا لهدايتنا لما فيه الخير لنا.

وهناك رواية ضعيفة عن حادثة جاء فيها أن الرسول ﷺ دعا عمر رضي الله عنه وسأله عن رأيه في عائشة، رضي الله عنها، فقال عمر: يا رسول الله، إن عائشة بريئة وإنها طاهرة ونقية. فسأله الرسول ﷺ كيف عرف ذلك فأجاب عمر: «لقد عرفنا فيما بعد أنك كنت تصلي مرة دون أن تعرف أن نجاسة صغيرة قد مست نعلك فنزل جبريل عليه السلام وأخبرك بالأمر. وقال لك بأن تخلع نعلك.. فإذا كان الله تعالى يخبرك عن مثل هذه النجاسة الصغيرة فكيف يرضى لك أن تكون لك زوجة تقترف – حاشاها – مثل هذا الإثم؟ لاشك أن جبريل سيأتيك ليخبرك عن مدى عفة عائشة، رضي الله عنها».

أجل، لقد قال الرسول ﷺ: «ما ندم من استشار» (٩). لذا، فقد استشار عمر. فمثل هذه الاستشارة لا تفقده شيئًا، بل ربما كسب قلب عمر رضي الله عنه مرة أخرى. أجل، لقد كان الرسول ﷺ يتشاور مع طلابه ويأخذ آراءهم. ولاشك أن الرابح في هذه الاستشارات كان هؤلاء الطلاب، ذلك لأن الرسول ﷺ كان يلقن طلابه درسًا أخلاقيًا في هذا الخصوص، ثم أليس هو القائل: «ما ندم من استشار».

٢- عندما خرج ﷺ لمعركة بدر استشار المهاجرين والأنصار وأخذ بآرائهم، فتكلم المقداد بن عمرو باسم المهاجرين فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك. والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له. ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليّ أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعَقَبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أجل» قال: فقد آمنّا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نَكْرَهُ أن تلقى



بنا عدونا غدا. إنّا لصُبُر في الحرب صُدُق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينُك فسرْ على بركة الله (١٠).

كان الرسولُ ﷺ يقوم بالاستشارة لإظهار روح الاتفاق بين المسلمين. كان الأنصار والمهاجرون متفقين على شيء واحد.. عزمهم على القتال وعلى الاستشهاد.. أجل، لقد كان هذا هو الشيء الوحيد الذي كان عليهم أن يعملوه تجاه الجمع الحاشد لأعدائهم المملوئين حقدًا وغيظًا والمتهيئين بسيوفهم ورماحهم وسهامهم للقضاء عليهم، أما رسول الله ﷺ فقد كان متهيئًا للدفاع عن الحق وعن الحقيقة وعن شرف الإسلام وعن كرامة الأمة الإسلامية، وكان يقوم باستشارة أصحابه ويبدي رأيه السامي على أوسع نطاق ويرسيه على أصلب أساس ويدع رأيه هذا يسري في مشاعر الصحابة وفي أحاسيسهم جميعًا دون استثناء، كما كانت الاستشارة غاية من غاياته. لقد رسم الله تعالى له الطريق وبين له ما يعمله، ولكنه إضافة إلى إرشاد ربه فقد كان يستشير أصحابه ليشاركهم وليشاركوه أفكاره ومشاعره في ذلك الموقف المهم. وما كان لأحد من أصحابه المخالفة في اتباعه والانقياد له أبدا، ذلك لأنهم أعطوه على ذلك عهدًا وميثاقًا. وسيأتي يوم يقول لكعب بن مالك رضي الله عنه معاتبًا: «ما خلّفك، ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟» كان كعب رضي الله عنه قد أعطاه عهدًا في العَقَبة على أن يكون مع الرسول ﷺ في اليسر والعسر ما تعاقب الليل والنهار (١١)، لقد أعطوه عهدا، وألقوا بأنفسهم إلى الموت بملء إرادتهم.

كان الرسول ﷺ يقوم باستشارته هذه ليتبنى المسلمون جميعًا دعوته، فكان الجميع يهرعون لمساعدته على قدر طاقتهم ويرون حمل هذه الدعوة غاية لهم وهدفا لحياتهم، ويرون في الشهادة أحلى أمانيهم.

٣- عندما خرج الرسول ﷺ يوم بدر كان عليه أن يعين المكان الذي ينزل فيه والآبار الموجودة هناك والتل الذي يجب أن يحتله، وكان عليه أن يشاور أصحابه في هذا الأمر.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به، فحُدّثتُ عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن حُباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القُلُب ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» (١٢).

٤. كان سلمان رضي الله عنه عبدًا فارسيا، كان مجوسيًا في أول الأمر ثم تنصر ثم أسلم وهو عبد، وعندما أسلم لم يكن يملك مالا أو أهلا، وهو يدين بكل شيء إلى الإسلام، وقد عبر سلمان رضي الله عنه عن هذا الأمر بجملة وجيزة، فعندما سألوه مرة عن نسبه، قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

أجل، لقد وجد نسبه الحقيقي، فهو ابن الإسلام.

وفي معركة الخندق أو معركة الأحزاب استشار الرسول ﷺ أصحابه كما هي عادته، فأدلى كل برأيه وعندما جاء دور سلمان رضي الله عنه قال للرسول ﷺ بأنهم اعتادوا في بلادهم على حفر خندق حول المدينة إن هاجمهم عدو، لذا فقد اقترح حفر خندق حول المدينة، وأعجب الرسول ﷺ بهذا الرأي فأمر بحفر الخندق وشارك بنفسه في أعمال الحفر وشجع العاملين هناك (١٣).

٥- لم يكن يستشير الرجال فقط، بل يستشير النساء أيضا، ففي الحديبية استشار زوجته أم سلمة، رضي الله عنها، ولم ير بأسًا في تنفيذ ما اقترحت عليه (١٤).

لقد سلك هذا المسلك طوال حياته، واستطاع عن طريق الاستشارة تخطي مشاكل صعبة. وقد بدأنا نفهم أخيرًا مدى ضرورة الشورى وأهميتها في إدارة الدولة، أما المستبدون فقد تركوا وراءهم مئات المشاكل قبل أن يرحلوا.

لقد علّم وجوب احترام الفكر والعقل، فهناك حكمة في وجود العقل، أي حكمة في التفكير وإجراء المحاكمات العقلية، وهناك حكمة من وجود الفكر البشري بحيث تتم مراجعة هذا الفكر حتى من قبل الدعوات المؤسسة على الوحي، وحتى من قبل الأشخاص المتصلين بالوحي، حيث يتم تفسيرها بهذا الفكر، لذا، فمن لا عقل له لا يعد مكلفا في شرعنا، وهذا أساس من أسس ديننا.

الهوامش

١- البخاري، المغازي، ٢٦
٢- السيرة النبوية، لابن هشام ١٢٨/٣
٣- البداية والنهاية، لابن كثير ٥٦/٤
٤- البخاري، المغازي، ٢٥، السيرة النبوية، لابن هشام ٩٩/٣-١١١، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٤٢/٢-٤٩
٥- السيرة النبوية، لابن هشام ١٢٨/٣
٦- البخاري، المغازي، ٢٥، السيرة النبوية، لابن هشام ٩٩/٣-١١١، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٤٢/٢-٤٩
٧- الأسرار المرفوعة، لعلي القاري ص١٩٣
٨ البخاري، المغازي، ٣٤، السيرة النبوية، لابن هشام ٣١٣/٣
٩ مجمع الزوائد، للهيثمي ٢٨٠/٢
١٠- مسلم، الجهاد، ٨٣، المسند، للإمام أحمد ٢٥٧/٣، السيرة النبوية، لابن هشام ٢٦٦/٢-٢٦٧؛ البداية والنهاية، لابن كثير ٣٢٠/٣-٣٢٢
١١- البخاري، المغازي، ٧٩؛ مسلم، التوبة، ٥٣
١٢- السيرة النبوية، لابن هشام ٢٧٢/٢، البداية والنهاية، لابن كثير ٣٢٦/٣
١٣- السيرة النبوية، لابن هشام ٢٣٥/٣، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٦٦/٢، البداية والنهاية، لابن كثير ١٠٩/٤
١٤- انظر: البخاري، الشروط، ١٥

×من كتاب النور الخالد للكاتب.



«الوعي الإسلامي» تسأل وأكاديميون يجيبون

من يصنع الأزمة.. القادة أم الشعوب؟!

تحقيق: هالة عبدالحافظ

لماذا تكثر الأزمات في عالمنا العربي، ولماذا افتقر عالمنا إلى المقومات التي تعصمه من المصير الذي آلت إليه الأمور في الفترة الماضية.. هل جور هؤلاء القادة هو الذي أدى إلى ما عليه الحال الآن.. أم أن الشعوب هي سبب هذه الأزمات؟

«الوعي الإسلامي» التقت عددًا من المختصين والأكاديميين وإليكم ما قالوا..

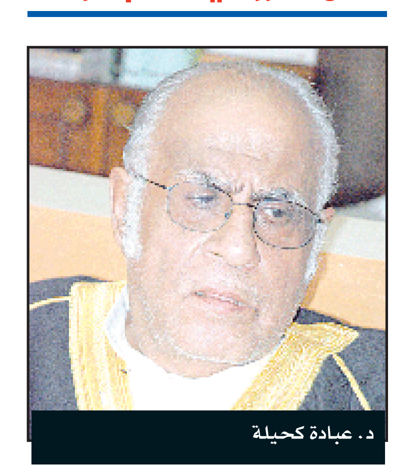
«أزمة شعوب بالدرجة الأولى».. بهذه العبارة أوجز الأكاديمي المصري د.عُبادة كُحيلة، الوضع المتأزم موضحًا: الأزمة الراهنة على مستوى الوطن العربي بأسره هي أزمة شعوب؛ لأن القيادة أو النظام ليس سوى إفراز لهذه الشعوب، فالشعوب المتحضرة الساهرة على حقوقها لا يمكن أن تفرز مثل هذه القيادات، وهناك مقولة لـ«تشرشل» تلخص هذا الأمر وهي «كل شعب يستحق حكومته».

الأخذ بأسباب الرقي

أضاف عُبادة: إننا أمام أزمة مجتمعية يتطلب الخروج منها الأخذ بأسباب الرقي، التي يدعونا إليها ديننا الحنيف، فالإسلام لا يترك شيئًا، وكذلك البدء بالديموقراطية، وتعني إمكانية تداول السلطة سلميًا، والاعتراف بالآخر وعدم إقصائه، وإتاحة حرية التعبير، إلى غير ذلك من الأمور التي تصحح الأخطاء التي وقعنا فيها خلال الفترة الماضية.

وأشار إلى أن مواصفات القيادة الناجحة تختلف من شخص إلى

كحيلة: الشعوب المتحضرة الساهرة على حقوقها لا يمكن أن تفرز قيادات جائرة



د. عبادة كحيلة

آخر، وبتقدير كل إنسان، لكن هناك مواصفات أساسية يجب توافرها لأي قائد يتولى شؤون البلاد العربية، فعلى من يتولى القيادة أن يهتم بالقضايا التي تعوق تقدم بلده، ويجب على القيادات العربية أن يكون لديها وعي واضح بمسألة المواطنة؛ لأنها صمام الأمان ضد أي نعرات طائفية أو عرقية.

وقال: لابد أن يتسم القائد بالموهبة بشكل فطري أو وراثي، وهذا لا يغني عن العنصر البيئي من تنشئة وتعليم، إضافة إلى أهمية القدوة، فإذا كانت قيادة سيئة فإنها تفرز قدوة مثلها، وإذا كانت حسنة تثمر قدوة عظيمة، وهذا وفقًا لمأثورنا الإسلامي الذي قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.. فلابد للقيادة الحسنة أن يكون لها مردود إيجابي.

استغلال الشعوب

على النقيض من الرأي السابق، يرى د.عمار علي حسن، الباحث في علم الاجتماع السياسي، أن القيادة هي السبب الرئيسي لأزمات مجتمعاتنا، لأن القيادة هي التي تستغل الشعوب وليس العكس، مشددًا ضرورة أن يتميز القائد بالذكاء والحكمة والرشد، فكلما زاد بقاؤه في المسؤولية قلت إنجازاته وزادت مفاسده.

مسؤولية مشتركة

من جانبه، أوضح نائب رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب حلمي النمنم أن الأزمة التي تمر بها المنطقة العربية أزمة مشتركة بين القيادات والشعوب معًا، فالمجتمعات العربية في حالة أزمة، القيادة تساق بشتى





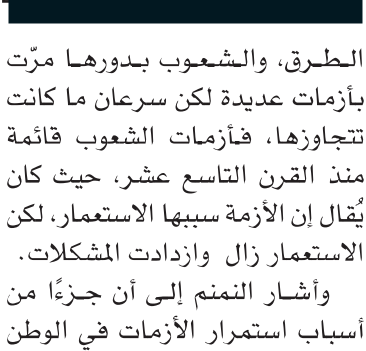
د.فوزي الزفزاف



عمار علي حسن



حلمي النمنم



الطرق، والشعوب بدورها مرّت بأزمات عديدة لكن سرعان ما كانت تتجاوزها، فأزمات الشعوب قائمة منذ القرن التاسع عشر، حيث كان يُقال إن الأزمة سببها الاستعمار، لكن الاستعمار زال وازدادت المشكلات.

وأشار النمنم إلى أن جزءًا من أسباب استمرار الأزمات في الوطن العربي ثقافي وحضاري، مستنكرًا فكرة وجود قائد ملهم، واعتبرها تؤدي إلى كوارث أكثر من إيجابيات، لافتا إلى أن هذه الفكرة هي إعادة صياغة لمقولة الإمام محمد عبده في نهاية القرن الـ١٩: «إنما ينهض بالشرق مستبد عادل».

ورأى النمنم أن سبيل الخروج من الأزمة يعتمد على أن يكون الشعب حيًّا يقظًا لا ينصاع لقرارات القيادات التي تقوده دون تفكير، مشيرًا إلى الاحتياج إلى طرق الإدارة الحديثة التي تُنفذ بأمانة وذمة، مبينا أن مواصفات القيادة الناجحة تتمثل في معرفة احتياجات ومتطلبات الشعوب، والعمل مع الشعب وبالشعب، ولا يجب أن تتصور تلك القيادات يومًا أنها أذكى من مواطنيها أو أنها أكثر وطنية منهم، أيضًا لابد أن يكون متعلمًا؛ بمعنى أن يكون على قدر جيد من المعرفة بعلم السياسة والقيادة وعلم الإدارة.

أزمة ثقة

على الجانب الديني، أوضح د.فوزي الزفزاف، وكيل الأزهر السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية، أن الأزمة الحقيقية هي أزمة قيادة وعدم ثقة بين الشعوب والقيادات؛ لأن الشعوب تشعر بأن القيادات لا تعمل لصالحها؛ لذلك يجب إعادة بناء الثقة بين الشعوب والقيادات حتى تتمكن الأمة العربية من السير على الطريق السليم لبنائها، ومكانتها في المجتمعات العالمية.

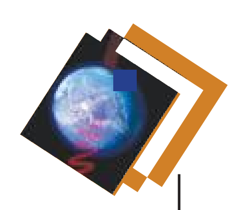
وأضاف: إن على القيادات- إن أرادت أن تتجاوز الأزمات التي تعانيها بلدانها- أن تمتلك الإحساس باحتياجات شعوبها في جميع المجالات سواء الصحية أو الاجتماعية أو الإسكانية أو الاقتصادية والمعيشية بصفة عامة، وأن تلبي احتياجاتهم الحقيقية، وتعمل على سد الفجوة بين الوعود والأفعال بالتنفيذ الفعلي والبدء الفوري في عمليات الإصلاح، ويجب أن يكون مصدر وحي القيادة هو التمسّك بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، واستشارة العلماء المخلصين في كل ما يقيل العثرات ويعلي الهمم ويعضد عزة وكرامة الأمة.

الزفزاف: استشارة العلماء تقيل العثرات وتعلي الهمم وتعضد كرامة الأمة وعزتها

بطاقة القائد

أخيرا، لفت د.أحمد السايح، أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، إلى قول الفاروق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه: «لو تعثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر»، مؤكدًا أن هذه العبارة تبرهن على أن أزمة الأمة العربية في القيادة قبل أن تكون في الشعوب، موضحا أن الشعوب العربية بحاجة إلى القيادة التي تقتدي بشخصية الفاروق عمر بن الخطاب في عدله ونزاهته وخشيته لله.

وأكد «السايح» على أهمية وجود قائد يتمتع بالقوة والأمانة ويتحمل عظم وثقل الأمانة التي تولاها ويؤدي حقها، وأن يعلم جيدًا أن الحكم في الدنيا أمانة شاقة وفي الآخرة مذلة، فمن هذا المنطلق يدرك الحاكم مسؤولية الشعب، ومن ثم يدرك الشعب مسؤوليته أمام الحاكم، ولا ينافقه.



وصايا الخلفاء إلى قادة الجيوش

أحمد حسن الخميسي

إن امتثال قادة الجيوش لأوامر الخلفاء والأمراء، يعد سببًا رئيسيًا من أسباب النصر، وقد وجهت هذه الأوامر أحيانًا على شكل وصايا، يقدمها الخليفة أو الأمير لطلائع جيشه مشافهة أو مكتوبة قبل المعركة أو في أثنائها؛ لكي يكونوا على بينة من أمرهم، وترشدهم هذه الوصايا إلى الطريق الأقوم.



نذكر من هذه الوصايا الحربية التي وردت في التراث العربي:

– وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسامة بن زيد حين سيره لقتال الروم.

– وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد لما جهزه لقتال المرتدين.

– وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص لما وجهه لقتال الفرس.

– وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى معقل بن قيس الرياضي، حين أرسله إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل.

– وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عسكره قبيل معركة صفين.

– وصية جعفر المنصور إلى عيسى بن موسى لما وجهه لحرب بني عبدالله بن الحسن.

– وصية أبجر بن جابر لبنيه إذا لاقوا عدوهم.

– وصية أثر بن صيفي إلى بني تميم حين سارت إليهم بنو مذحج لقتالهم.

إن هذه الوصايا الحربية تحدثت عن الإعداد الجيد للمعركة، وعن أسباب النصر، وتضمنت تحذيرات وتنبيهات إلى القادة العسكريين، وسنتعرف فيما يلي على مضامين هذه الوصايا، وما دعت إليه من الإعداد المادي والمعنوي؛ لإحراز النصر في المعركة.

الإعداد للمعركة

لقد أمر الله تعالى المسلمين بإعداد العدة للحرب، والاستعداد لها عند ملاقاة العدو فقال سبحانه: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ (الأنفال:٦٠). ومن الإعداد للحرب: التهيئة لها باختيار القادة الأكفاء، ومعرفة أخبار العدو، وأخبار تحركاته، ومقدار قوته ونقاط ضعفه، وتهيئة أمراء الجند، ورفع الروح المعنوية لدى الجنود، وتزويدهم بالثقافة القتالية، وتحديد الظروف المناسبة للتحرك وبدء ساعة القتال.

وعن معظم هذه المعاني أوصى الخليفة مروان بن محمد ابنه عبدالله عندما وجهه لقتال الضحاك في الجزيرة فقال له:

«تقدم في طلائعك، فإنها أول مكيدتك، ورأس حربك، ودعامة أمرك، فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالًا ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة، حماة كفاة، قد صُلوا بالحرب، وتذاوقوا سجالها، وشربوا مرارًا كؤوسها.

ثم أذْكِ عيونك على عدوك متطلعًا لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قد مدوا أعناقهم نحوها، ومن أي الوجوه مأتاهم، أمِنْ قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد؟ أو الترغيب والإطماع؟

مبينًا في أمرك، متخيرًا في رؤيتك، مستمكنًا في رأيك، مستشيرًا لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم السن، وخطبتهم التجربة.

وليكن في عسكرك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة، وقوم موقوفون يحضونهم على القتال، ويحرضونهم على عدوهم، ويصفون لهم منازل

كاتب سوري



الشهداء وثوابهم، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها، ونعيم أهلها وسكانها ويقولون: اذكروا الله يذكركم، واستنصروه ينصركم، والتجئوا إليه يمنعكم.

وإن استطعت أن تكون أنت المباشر لتهيئة جندك، ووضعهم مواضعهم من راياتك، ومعك رجال من ثقات فرسانك ذوو سن وتجربة ونجدة على التهيئة التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه، فافعل إن شاء الله تعالى»(١).

ومن الأمور الهامة في سير المعارك وانتصار الجيوش: الثبات في ساحات القتال، وأثناء مواجهة العدو، وعدم الفرار يوم الزحف، وهذا ما أوصى به أبجر بن جابر أبناءه بقوله: «يا بني، إن سركم طول البقاء، وحسن الثناء، والنكاية في الأعداء، فإذا استقبلتم الخميس (الجيش) فاستقبلوهم بوجوهكم، وإياكم أن تمنحوهم أكتافكم، فتطعنوا بالرماح في أدباركم، فإن أمثل القوم بُغْيةً: الصابر عند نزول الحقائق»(٢).

أما عن بدء القتال، فقد أكد الإمام علي بن أبي طالب-كرم الله وجهه- لأكثر من قائد: ألا يبدأ بالقتال مع العدو، لأن العدو قد يستسلم أو يميل إلى الصلح، أو يدخل في التفاوض، وقد تكون الحجة على الذي يبدأ بالعدوان.

قال الإمام علي- كرم الله وجهه- لعسكره قبيل معركة صفين: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم»(٣).

وقال الإمام علي رضي الله عنه لمعقل بن قيس الرياحي حين أرسله إلى الشام: «ولا تقاتلن إلا من قاتلك»(٤).

وحدد بعضهم للجيش وقت المسير والتحرك، فإن لوقت التحرك أهمية كبيرة في الإعداد للمعركة وسيرها، وحبذوا التحرك في النهار والإقامة في الليل، ولاسيما أنهم في زمن لم تكن فيه إضاءة وكواشف ليلية، وقد جعل الله الليل للسكن والراحة.

فقد أشار علي رضي الله عنه على معقل قائلًا: «ولا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكنًا وقدره مقامًا لا ظعنًا، فأرح فيه بدنك، وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة الله»(٥).

وحدد علي لقائده العسكري معقل مكان وقوفه من العدو قبل المعركة فقال: «فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطًا، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد ممن يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم»(٦).

أغلب الخلفاء والزعماء لديهم خبرة عسكرية لذلك عظمت وصاياهم

أسباب النصر أثناء المعركة

إن أغلب الخلفاء وزعماء الأمم لديهم خبرة عسكرية، وقد يكون بعضهم قد خاض حروبًا عديدة قبل أن يتقلد منصبه في قيادة الأمة، لذلك تعد وصاياهم نابعة عن خبرة وتجربة قبل أن تكون تقديرية تصورية، فقد أوصى الخلفاء والأمراء قادة جيوشهم والجنود بتقوى الله والصبر والثبات، وذكر الله والتوكل عليه في أثناء المعركة، فقد أمر الإمام علي رضي الله عنه معقل بتقوى الله عند لقاء العدو فقال له: «اتق الله الذي لابدَّ لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه»(٧).

وحث سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد على تقوى الله مخاطبًا إياه: «يا خالد، عليك بتقوى الله والرفق بمن معك من رعيتك»(٨).

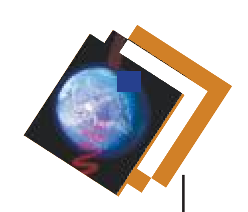
وأكد مروان بن محمد الحرص على التقوى عندما أوصى ابنه بقوله: «فإذا قضيت نحو عدوك، واعتزمت على لقائهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل دعامتك التي تلجأ إليها، وثقتك التي تأمل النجاة بها، وركنك الذي ترتجي به منالة الظفر: تقوى الله- عز وجل- مستشعرًا لها بمراقبته والاعتصام بطاعته، متبعًا لأمره، مجتنبًا لسخطه، محتذيًا سننه، والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده، وتعدي شرائعه، متوكلًا عليه، واثقًا بنصره، فيما توجهت نحوه، متبرئًا من الحول والقوة فيما نالك من ظفر، وتلقاك من عز»(٦).

وإلى جانب التقوى يعدُّ الصبر سلاحًا قويًا في ثبات الجنود، فالجيش الذي لا يصبر جنوده على المحن والجراح ينهزم، لذلك نجد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عندما وجهه إلى قتال الفرس بالصبر قائلًا: «.. الصبرَ الصبرَ على ما أصابك، تجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين، في طاعته واجتناب معصيته»(١٠).

والصبر يحتاج إلى استعانة الجند بالله تعالى على قتال العدو، وعليهم أن يلجأوا إليه بالدعاء، ويتوكلوا عليه كي ينصرهم، وقد بيَّن ذلك أبوبكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه عندما قاتل مسيلمة الكذاب وأهل الردة: «استعن بالله على قتالهم، فإنه قد بلغني أنهم رجعوا بأسرهم، فإن كفاك الله الضاحية، فامض إلى أهل اليمامة، سرّ على بركة الله»(١١).

ومما يُثَبِّتُ الجنود في أرض المعركة، ويبعث الطمأنينة في نفوسهم ذكر الله تعالى، لذلك حضت الوصايا قادة الجيش والجنود على الإكثار من التكبير والتسبيح والدعاء؛ لكي يزداد ثباتهم، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله كثيرًا بضراعة قبل المعركة وأثناءها.

وقد مضى الخلفاء وغيرهم من الأمراء على هذه السنة، فتجدهم



يوصون قادة الجيوش بذكر الله والدعاء، لما لهما من أهمية في صمود المقاتلين، فاتصالهم بالله تعالى في أرض المعركة يقوي عزيمتهم، ويزيد من إيمانهم وثباتهم.

ومن الوصايا التي جاء فيها الأمر بذكر الله والدعاء وصية مروان بن محمد إلى ابنه، إذ طلب منه أن يأمر جنده بالتكبير والتسبيح والدعاء برسالته التي وجهها إليه: «مُرْ جندك بالصمت وقلة التلفت عند المصاولة، وكثرة التكبير في نفوسهم، والتسبيح بضمائرهم، وألا يظهروا تكبيرًا إلا في الكرات والحملات، وعند كل زلفة يزدلفونها، وأما وهم وقوف فإن ذلك من الفشل والجبن، وليذكروا الله في أنفسهم، ويسألوه نصره، وإعزازهم، وليكثروا من: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي، واكفنا شوكتهم المستجدة، وأيدنا بملائكتك الغالبين، واعصمنا بقوتك من الفشل والعجز، إنك أرحم الراحمين»(١٢).

ومن أسباب النصر: حسن معاملة القائد لجنوده وتعاونه معهم، واستشارتهم، فكلما كان القائد قريبًا من جنده، يرفق بهم، ويسأل عن أحوالهم، ويستشيرهم داخل المعركة وخارجها، كانوا أقوياء يقاتلون صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص، ويلتفون حول قائدهم يأتمرون بأمره، ويكونون رهن إشارته.

ولقد فطن لهذا الأمر سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه، فأوصى خالد بن الوليد رضي الله عنه بذلك عندما أرسله إلى المعركة قائلًا: «يا خالد، عليك بتقوى الله والرفق بمن معك من رعيتك، فإن أصحاب رسول الله ﷺ أهل السابقة من المهاجرين والأنصار، فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم»(١٣).

تحذيرات ونواهٍ للجيوش

إن الجيوش التي تدافع عن الحق وتحمي أرضها وتدفع العدو الظالم، عليها أن تتمسك بأخلاق المقاتلين البواسل، فإذا كان الهدف هو دحر العدو وقتال جنوده، والوقوف في وجهه، فليس هنالك من حاجة للتدمير والقتال غير المشروع.

المسلمون حرصوا على أن تبقى حروبهم شريفة .. لم يقتلوا طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا أما غيرهم فأهلكوا الأخضر واليابس

ولقد حرص المسلمون على أن تكون حروبهم شريفة بحيث يقفون للعدو بالمرصاد، ويكبدونه خسائر فادحة، ويدحرونه في أرض المعركة، إلا أنهم لا يقتلون طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا، ولا يهلكون الحرث والنسل، ولا يحرقون المزروعات، ولا يقتلون الحيوانات.

أما غير المسلمين كالصهاينة والمستعمرين، فإنهم في حربهم يحرقون الأخضر واليابس، ويقتلون كل من يجدونه بآلتهم الحربية الفتاكة.

وقد تعلَّم المسلمون هذه الأخلاق الرفيعة من الرسول الكريم ﷺ، ومن الخلفاء الراشدين الذين كانوا ينهون الجيوش الإسلامية عن ارتكاب مثل هذه الجرائم الشنيعة.

فعندما وجه خليفة رسول الله الصديق أسامة بن زيد لقتال الروم قال له ولمن معه: «يأيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تقعروا (تقتلعوا) نخلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»(١٤).

لذلك نجد كثيرًا من البلاد التي فتحها المسلمون، رحب أهلها بالفاتحين لما وجدوا عندهم من رحمة ورأفة وحسن معاملة، لذلك صدق من قال: «ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب»(١٥).

وفي الختام نؤكد أن هذه الوصايا التي أوصى بها الخلفاء قادة الجيوش، تصلح لأن تكون قوانين لجيوش العالم على مدار التاريخ؛ لما فيها من دقة وصواب وحكمة، وهي تصلح لكل زمان ومكان، وفيها من الدروس ما يُعْتَمد في الإعداد والاستعداد، وما يفيد المقاتلين في ساحة المعركة، مما يدل على عبقرية قائليها، ونظرتهم الصائبة، وخبرتهم العميقة في فنون الحرب وإدارة المعارك.

المراجع

١- جمهرة رسائل العرب: تأليف أحمد زكي صفوت، ج٢، ط١، ١٩٣٧م، ص٤٧٣.

٢- المعمرون والوصايا، لأبي حاتم السجستاني، ص١٣٩.

٣- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ١٤/٣.

٤- المرجع نفسه.

٥- المرجع نفسه.

٦- المرجع نفسه.

٧- المرجع نفسه.

٨- جمهرة وصايا العرب، لمحمد نايف الدليمي، ١٥١/١.

٩- جمهرة رسائل العرب، ج٢.

١٠- جمهرة خطب العرب: لأحمد زكي صفوت، ٢٢٥/١.

١١- جمهرة وصايا العرب، ١٥١/١ مرجع سابق.

١٢- جمهرة رسائل العرب، ج٢ مرجع سابق.

١٣- جمهرة وصايا العرب، مرجع سابق.

١٤- جمهرة خطب العرب، ١٨٧/١ مرجع سابق.

١٥- قول للمؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون.



المنهج القرآني في صناعة القائد

محمد نور سويد

المسلم يعتقد أن ما يخص تربية الإنسان يأخذه من القرآن الكريم والمنهج النبوي القويم، لأن شعار القرآن الكريم هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور: كل شيء لنقل الناس من الظلمات إلى نور الهداية: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ..﴾ (الأنعام: ٣٨).

ونخلص إلى أن المسلم يبحث في حل لمشاكله الإنسانية في القرآن والسنة ليعرف الحلول الإيمانية لمشكلته، وبغير هذا المنهج فلا تتكون الشخصية الإسلامية نهائيًا.

ما هي صفات القائد الناجح في القرآن الكريم:

١- القوة والأمانة: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

٢- الحفظ والعلم: فالقائد بحاجة إلى ذاكرة ونباهة حاضرة، وبحاجة للعلم العصري: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

٣- زيادة النشاط الجسمي والعلمي: فأصحاب الأجسام الهزيلة والمريضة لا يصلحون للقيادة، وكذلك الذين لا يزدادون من علوم عصرهم لا يصلحون للقيادة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

٤- التواضع في طلب العلم مع حفظ مكانته العالية والصبر على طلبه: فالرسول موسى عليه السلام من أولي العزم، تعلم من الولي الخضر مع بقاء صفة كليهما، واستمرارية مكانة كليهما، فالرسول رسول والولي ولي: ﴿وتعلم النبي سليمان عليه السلام من الهدهد الحيوان: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: ٢٠-٢٢).

٥- الفهم الجيد والسماع الواعي: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا..﴾ (الأنبياء: ٧٨-٧٩)، وقوله تعالى في حسن السماع والإصغاء الجيد ووعي ما يقال: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٢).

٦- اتخاذ المستشار الأمين: فالقائد الناجح لابد له من مستشار يثق به، ذي خبرة عالية وحكمة سديدة، ورأي ثاقب حتى يقلب وجهات النظر معه، وإذا طلب من كلف بعمل قيادي تعيين مستشار له، فعلى القائد أن يوفر له ذلك المستشار: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٢٩-٣٦).

٧- اتخاذ مجلس شورى مخلص وخاصة في إدارة الأزمات، ورحمته بهم ولين جانبه والعفو عن أخطائهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وبمجرد حصول الاستشارة وتقليب وجهات النظر يعزم القائد أمره ولا يتردد ولا يتراجع، ولو تراجع بعض مستشاريه، حتى يتعودوا الجدية في الاستشارة، وينالوا نتيجة إخلاصهم من عدمه، وعلى القائد أن يتخذ لمجلسه الشوري من هو مؤمن بمبادئه مخلص لها، ليس ممن هو كافر به، فيضله في رأيه، ويخدعه بالمعلومة: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨)، وعندما تحصل أزمة ما تزداد أهمية الشورى كسبيل للحل، وليحذر القائد من الذين يتملقون وينافقون القائد: ﴿

٨- عدم الاستخفاف بالرعية لأنه سبب للاستبداد: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤).

٩- تعويد الرعية والجند على الطاعة في المعروف، وتدريبهم على تنفيذ الأوامر، ومتابعتهم على تنفيذها: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (١٧).

باحث سوري تربوي

العولمة والقراءة

عبدالله آيت الأعشير

مـن الحـتـم المَـقـضـيِّ فـي هذا الابتسار، الإشارة إلى أن التغيير قد تَنَفَّسَ صبحه، وأنارت أضواؤه، وتجلت بداياته المتبرعمة، فإذا كان هناك من عمي عن إبصار هذه الأمور الثابتة التي ليس لها ردّ، فذلك من عمى العقول.. وعلى العموم فإن الزمان يقوم بجهاز التنقية، يبقي المفيد، ويذهب البهرج والغثاء، الذي يطوي الناس كَشْحَهُم عنه، ثم يسقطونه في سَفط السَّقط، بعد أن انطفأت الرغبة في الإقبال عليه.

ذلـك هـو قـانـون الحيـاة فـي أثناء الـهـزات الـمـرجـرجـة الـتـي تحدثها التغييرات المتوقعة، فماذا نحن فاعلون إزاء هذا التدافع الدولي الذي لم تحلق أجنحتنا صوبه، ولم تكن لنا فيه غاية حق نرجو بلوغها؟ أيحق لنا أن نظهر الريبة والدهشة نتيجة لوقع الصدمة المربكة، فنهوي في دَرَكـات الرفض غير المسوَّغ؟ تماما كما فعل السابقون مـنـذ عـهـد أفـلاطـون، الـذي أظهر تبرمه وانزعاجه من الكتابة في قولته المشهورة التي دافع فيها عن الثقافة الشـفـهـيـة: «الـكـتـابـة تـدمـر الذاكرة، فأولئك الذين سيستخدمونها سوف يصبحون كثيري النسيان»(١)، أم علينا أن نكتفي بإطلاق الأماني المعجزة، كما فعل آخرون في أمانيهم التي لا تَعدُ بِسوى بَرْق خُلَّب؟

أَمَـا آنَ لـهـذا الـليـل الألـيـل أن يـنـجـلـي؟! لـنـنْـتـبـه إلـى مـا اقترفته غفلتنا فـي التحصُّن بغير قليل من المعارف الخاوية مثل مُومَات النَّحل، حتى اضطررنا إلى التسول، واقتناء أشيـائنـا، صغيـرهـا وكبيـرهـا هينها وعظيمها، وكثير من أفكارنا من سفط السقط الذي زهد فيه الآخرون الذين مـدُّوا بعقولهم أسبابا إلـى السماء حتى ملكوا بسلطان العلم والمعرفة كل المجرات؟ لماذا أضحى الاستعجال(٢) عنوانا لمشروعاتنا التي لم نخمرها بما يلـزم مـن الجهد والـوقـت، فبقي عجين معلوماتنا فطيرا لا يصلح أن يكون مادة للمعارف الرُّطب الضامنة لتقوية العقول القادرة على التعامل مع المعارف والمناهل الدقيقة المتدفقة التي يوفرها مجتمع المعرفة المعولم؟ ما هي الحذاقة والمتَرَهيَّة المطلوبتان لتنقية طوفان العولَمة من المعايب، وتخليصها من الحبائل الشيطانية الليطانية التي تغري المتعجلين بركوب غمار يَمِّها الذي لا يُنْكش؛ فتقذف بهم ريحُها القاصف إلى الزوايا المُهيِّجة والمحادثات المُلهيَّة عن تَمتُّك واستقطار رحيق المعارف الشائقة التي لا تـدرك إلا بالمكابدة الـتـي تـبـيـد الأظـلام المـركـومـة، عن الأيمان والشمائل؟

هـذه مـجـرد الـمـاحـة ابـتـسـرت بها الحديث عن العولمة والقراءة، وبما أن العولمة عولِمات، والقراءة قراءات، فإنه كان من وَكدي وسَدَمي في هذا البحث أن أنظر إليهما كشفرتَي المقص، لا يمكن أن تحدثا أثرهما المرغوب إلا إذا اجتمعتا، كما تجتمع حبَّات الجُلبان في سَنيفها، بل قُل كما تُجمع النِّبال في الكنانة. العولمة بوسائلها التقنية التي هَتكت أستار الخبايا والزوايا المغطشة، والقراءة والقراء باعتبارهما أنجع السبل لاصطناع المعرفة والتقدم لامتلاك المجرات لأجل قيادة الجنس البشري؛ لأن الذين سيقودون المواكب الإنسانية هـم الـذيـن يـعـرفون كيف يقرأون، وماذا يقرأون؟ وكيف يفتحون الميادين الموصدة بمقاليد جديدة لا قِبل لنا بها، لأنها من مواليد العصر الرقمي المعولم، الذي تعد الشابكة (الإنترنت)بمثابة حياة متجددة تمدها المدونات والمواقع بالأفكار التي تقول كل شيء بحرية لا ضفاف لها؟

قال عباس محمود العقاد:«لست أهوى القراءة لأكتب، ولا لأزداد عمرا في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن لي في هذه الدنيا حياة واحدة، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة، القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة، لأنها تزيد هذه الحياة عمقا، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب.. فكرتك أنت فكرة واحد، شعورك أنت شعور واحد، خيالك أنت خيال فرد واحد إذا قصرته عليك، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، ولاقيت بشعورك شعورا آخر، ولاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، وأن الشعور يصبح شعورين، وأن الخيال يصبح

أكاديمي مغربي

خيالين..كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة والعمق والامتداد»(٣).

ولهذا حرَص الكاتب الأرجنتيني ألبرتو مانويل على التحريض على القراءة؛ لأنها الأداة المثلى التي تمدنا بمعارف جديدة لصيانة وجودنا الناقص، لأن عصر العولمة أصبح يتطلب استراتيجية محكمة في فن القراءة، وفي غيرها من المهارات اللغوية المرتبطة بالسماع والحوار والكتابة، أملا في تجنيب حواراتنا خطل الكلمة التي لا تصيب المَحَزّ؛ إذ كلما كانت اللغة سليمة كان ذلك أدعى لسلامة الفكر الذي تقوله تلك الكلمات، لهذا يجب أن نحرص على فهم الكلمات وما تقوله قبل استخدامها، إذ لو أنزلنا كل لفظة المنزلة التي ترضاها وتقتضيها لما سمحنا لأنفسنا أن نقبل استخدام كلمات وعبارات من مثل: عملية السلام والمستعمرات ودول الطوق والمفاوضات غير المباشرة ودول الاعتدال ... وغيرها من العبارات التي حقنها الآخرون حقنا منكرا حتى خفي عنا ما تستره من معان لا تخطر على قلب عربي. حيث إن عبارة «عملية السلام» تشير إلى أن السلام المرجو سيرورة ليست لها نهاية، فهو يبتدئ بعملية تتلوها عمليات أخَر لا أول لها ولا آخر، أما المستعمرات ودلالاتها فتعني الأماكن العامرة المشيدة، بخلاف ما نظنه نحن -العرب- حين نجعلها مرادفة للخراب والدمار.. وغيرها من العبارات التي أخذتْ على غرِّها فلم يُدرك غَوْرُها، ولم نَسْتَوْش حقيقتها بما يلزم من اللَّوْذَعِيَّة والحذاقة التي تضع اليد على أنواع الحيل التي يُسَوِّغ بها الغرب المُعَوْلَم كل جرائره، لذا أصبح من اللازم على القراء المُتَرهيِّين النُّبهاء تجاوز القشرة اللغوية البارِدة لما تقوله الكلمات، بحثا عن غور المعنى الذي يصر المبدعون على إخفائه عن القراء المتعجِّلين الذين يكتفون من الغنيمة بالإياب.. فهل دخلنا غَمَرات العولمة من دون تعلم العَوْم الذي يُنَجينا من الغَرَق؟

العقاد: القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة

ماذا حدث لنا في أثناء طوفان العولمة؟

الحديث عن العولمة طويل الذيل قليل النيل، ما فتئَ يتوالد بعديد الترجيحات، كل ترجيحة تسعى أن تَنَشِّم في الموضوع شيئا يسيرا، من دون أن تستوفي شرائط القبض على هذا المارد الذي أبدى للناظرين رؤوس شياطين، بعضها لَيّن مثل العُسْلوج الأمْلود يَسْهُل لَيُّه في كل اتجاه لتُكَوِّن تلك الأغصان الأماليد شبكة القوى اللينة، وبعضها الآخر رؤوس شائكة؛ لا يقدر عليها إلا الجهابذة المُبَرِّزون الذين أتوا حظا عظيما من العلم والمعرفة، فما هي إذن نماذج الرؤوس التي دخلت إلى ساحاتنا العربية من غير إذن؟

لا ريب أن الرؤوس اللينة التي تخاطب الحواس هي أكثر الأصناف التي تفاعلنا معها، متمثلة في عولمة (الماكدونالد)، وعولمة (السّمورْف)، و(الهيب هوب)، وعولمة الأجساد الرشيقة الناعمة، وأدوية إزالة التجاعيد، وأدوات امتصاص الشحوم الزائدة في الخصور البدينة. ومن ثمة غدا حلم بناتنا ونسائنا متجليا في كيفية انتقار الطريقة التي تبدي زينتهن على الشاكلة الباريزية، أما أولادنا فإن قَصَّ الشعر على الطريقة القَزَعِيَّة(٤) أعمت بصائرهم، فأصبح كل مرغوب لديهم أن يتشبَّهوا بالمُغنيِّ الفلانيِّ، أو اللاعب العلاّني، الذي يبدو كأنه وضع حُماضة ديك على قُنَّة رأسه. هذه الأنماط العولَمية وغيرها من أصناف أكبر طبق للكسكس؛ وهلم على ذلك جرا وسحبا هي السبيل اللاحبة التي وضعنا فيها صوى تهدي الآخرين إلى جولة سياحية تريح عقولهم من أشهر الكدّ والبحث والتجديد التي يكابدونها في مُعْتَمَلاتهم، تلك بنظرة الطائر هي الأنماط التي تعلقنا بها حتى ألهتنا عن إبصار قَحَم الطريق التي وُضِعَتْ لنا لكي لا نسلك السبيل الجُدد التي تُوصلنَا إلى ثقافة مجتمع المعرفة. وهي خطة بزلاء دبّرها الغرب لتكون مجتمعاتنا العربية مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ودَخَلا بيننا حتى زَلَّت أقدامنا عن طريق العلم، فما كان لنا من سند ينصرنا وما كنا من المنتصرين، فأصبح الذين تمنوا مكانتنا بالأمس، عالين في الأرض ملوِّحين بمنطقهم الفرعَوْنيِّ الاستكباريِّ: ما نريكم إلا ما نرى، وما نهديكم إلا هذه السبيل، ومن يزغ منكم عن أمرنا نُصلِه سعير قنابلنا الذكية، وهو في كل الأحوال من الخاسرين. يا لَهُ من ضياع جعلنا لا نستفيد من هذا الإلغاء، بالحضِّ على القراءة التي تُعَدُّ فاتحة الإعداد المستطاع لمواجهة هذه الإملاءات المنكرة التي على المحو والإهانة!

وقبل أن تُولِّد العولمة صعوبات أخَر ليست في حساباتنا؛ علينا نحن- العرب- أن نتعلم ولو بطريقة تحليق ابن فرناس آخر، عسانا نصنع مغامرة مبهرة!!

من تأثيرات العولمة على القراءة

أشرنا آنفا أن العولمة فلوج متحدِّرة من هنا وهناك، (عولمة الاقتصاد، وعولمة التجارة، وعولمة الصناعة، وعولمة السياحة، وعولمة الثقافة وعولمة السياسة...) لكن هذه الروافد تلتقي عند المصب لتكون سيلا جُرافًا قحافًا

لا يُبْقي ولا يذرُ إلا ما يبقيه الوشم في ظاهر اليد، غير أن الناظر لا يعدم أن يبصر في صُوَرِيّ هذا السَّيْل مياها شبه هادئة هي بمثابة القوى اللينة التي تحدث في منظومة الثقافة ما يحدثه الماء في الصخرة الصماء، حيث إن تكنولوجيا المعلومات مست القراءة مسّا زوبعيا لم يكتف بتحريك الظاهر فقط، بل أحدثت ريحها رجّة أسقطت من شجرة المعرفة البدايات المُتَحَصْرِمة التي لا تقوى على الاستمرار في رحلة التبدل والتغيير، لكنها أبقت على البدايات المُتَبَرْعِمة والمُتَحَصْرِمة التي يُؤمل لهلالها أن يصير بَدْرًا في أثناء قانون النشوء والارتقاء. ولا ريب أن هذا التأثير ذا المخلفات المتباينة هو الذي دعانا إلى الحديث عن محمدات العولمة ومضارها بالنسبة إلى القراءة.

أ- مَحْمدات ومَرْحَمات العولمة بالنسبة إلى القراءة:

في إيمان لا يساوره رسيسٌ من الريب أؤكد أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال أسهمت في زيادة نسبة القراءة والقراء في المجتمعات العربية، كما أتاحت هذه التكنولوجيا الفرصة لانتشار المعرفة عبر التخصصية التي لم تعد تعترف بإفراد الوجهة، وبالحدود الصارمة التي تحرص عليها بعض العلوم. لأجل هذا التلاقي أصبح ضروريا أن يعاد النظر في الجُزر المُنْعزلة التي تسعى بعض التخصصات إلى الإبقاء عليها، ناهيك عن التصنيفات التي تجعل لغة ما علمية خالصة، وأخرى أدبية براء من العلم.. لا تمتلك أي شعاع من شمس المعرفة العلمية المحفزة للعقول.

ولقد أوجدت الشبكة العنكبوتية شكلا من أشكال القراءة المُتشذرة المُتَشظية «ويقصد بالتشظي أن النص الرقمي لم يعد تلك الوحدة الرمزية المتماسكة المتكاملة كما هي الحال بالنسبة إلى النص المطبوع، بل غدا حزمة من شذرات (شظايا) معلوماتية متناثرة ومتباينة تجمع من مواقع منتشرة عبر الشبكة، أما التشعب النصي فيقصد به أن تتشعب الوثيقة الإلكترونية إلى وثائق أخرى عبر حلقات الربط التي تتضمنها كل وثيقة يتم الوصول إليها، في سلسلة لا متناهية لاقتناء مسارات التشعب، عبر مسالك إبحار لا حصر لها في الفضاء المعلوماتي»(٥). وهو ما يتطلب أن يكون القارئ حاذقا لوذعيا مزوّدا بما يكفي من العدّة والنباهة لانتقار واعتيام النص المطلوب من وسط كم هائل من النصوص التي تند عن الحصر.

وقد أقامت الوسائط التكنولوجية الدليل على إحداث نقلات مهمة على القراءة وأنواعها من خلال الحرص على اجتذاب القراء للبحث عن المعلومة، حتى أفضى الإبحار بالقراء- ولاسيما القراء الإخصائيون الذين أوتوا حظا عظيما من الحذاقة والمترهية في استكناه أسرار النصوص- إلى التفاعل الذي أضحى ميسما من مَيَاسم القراءة في عصر المعلومات، لأن هذه الناحية من القراءة لم تكن متاحة من قبل؛ بالسهولة واليسر الذي أضحت عليه الآن، حيث ازداد نهم الكلام وشرهه حتى سال في كل اتجاه سواء قصد لذة الفائدة أولم يقصدها.

كما أقامت الشبكة العنكبوتية الشاهد القاطع على «تربع القارئ على عرش منظومة القراءة، لا ينازعه فيه كاتب أو نص. فقد منحه تشظي الوثائق الإلكترونية وتشعبها النصي القدرة على التعامل في الوقت نفسه مع كم هائل من النصوص ومن المؤلفين بالتبعية، وهو وحده صاحب القرار النهائي في انتقاء شظايا النصوص التي يتراءى له إدراجها في صنع وثيقته الإلكترونية»(٦). فعلى الرغم من أن هذه الفئة من القراء بقيت محصورة في دوائر جد ضيقة، فإن التوسع الذي تشهده نصوص الشذرات ينبئ أن الاهتمام بالقارئ في ازدياد والانشغال بالكاتب في تقلص وإدبار.

ولعله ليس في البيان أوضح من القول بأن تجربة الكتاب الإلكتروني سهّلت حَزْنَ كثير من العوائق، وفتحت آفاقا بكرا لم تكن معروفة لأحد من قبل، ولاسيما من حيث السرعة والقدرة على الحيل البصرية والصوتية التي تصاحب النص في أثناء إذاعته صوتيا على القارئ وهو مستلق أو في أثناء قيادة سيارته، وبمواصفات قرائية تراعي ضوابط التلاوة المتموجة التي تساير العواطف المبثوثة في طبقات النص، ناهيك عن طاقته الهائلة في التخزين والتحويل من مكان إلى آخر وبمجهود أقل.

ولكي أعيد السَّهْم إلى النَّزْعَة أؤكد أن استغلال إمكانات الحاسوب في تعرف الحروف الأبجدية والكلمات وكيفية نطقها نطقا سليما، كفيل بأن يخرج طرقنا في تعليم وتعلم القراءة للصغار من التيه والتشتت الذي تتخبط فيه من خلال اعتماد «ثقافة المعرفة بالوسائل الرقمية المسموعة» التي فتق موقع (الوراق) http:// www.alwaraq.net كمها، حيث طلع علينا بتجربة نشر الكتب التراثية المسموعة إلكترونيا، الأمر الذي يبشر بطرق فعالة أكثر جاذبية يشتار الشداة عسلها الذي يبرئ الأسقام التي رانت عليها أمدا طويلا، ناهيك عما يوفره الحاسوب من إمكانية تنمية الذخيرة اللغوية بالنسبة إلى الشداة صغارا كانوا أو كبارا، بَلْهَ قدرته التي تعجز الطوق بالنسبة إلى زيادة سرعة القراءة، ولاسيما القراءة الصامتة التي أعاد لها الحاسوب الوهج الذي ضاع منها في أثناء الفصول الدراسية التي طوى الأساتيذ كشحهم عنها في الغالب الأعم، حيث إن القراءة الصامتة قراءة خاطفة تتيح أن يرمق النص وأن ينظر إلى نتوءاته لأجل الإحاطة بالمعنى العام بنظرة الطائر من خلال ما تقوم به العينان من حركات سريعة لماحة.

ومن الإضاءات التي يؤمل لهلالها أن يصير بدرا مع توالي الأَجَدَّان.. توظيف الحاسوب لأجل تكوين نماذج لغوية مثل: المعجم الحاسوبي والنحو الحاسوبي والصرف الحاسوبي.

تلكم في إيماضة بارقة نُبَذٌ من القول ونُتَفٌ لا تبلغ كنه الخدَمات الباهرة التي ما فتئت تَعدُ بَنِينَ وَحَفَدَة لا ينقطع نسلهم، وهي خدَمات أحْج بناً وأَحْرِ، إنْ نحن أحسنا استغلالها، أن تمكننا من أن نقتعد مكانة تليق بنا بين الأمم، فماذا إذن عن مظلمات ومضار هذه الآلة الحديدية التي أرشدنا الله في إنزال مادتها إلى ما فيها لنا من مصالح تبسط بين أيدينا الأمل وتحفزنا نحو العمل؛ ومفاسد تدعونا إلى تنكب سبل الخطل التي تحطم الأمل في تَوَقل القمَم؟ كما في قوله جلّ شأنه: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾.

ب- مظلمات ومضار العولمة على القراءة:

إذا كان لي من صدر أوطئ به الكلام في هذه الناحية من المفاسد والمضار، فإنني أبادر إلى القول بأن الذي صحّ بعد البحث والتنقير وإنضاج الرؤية، أنه على رغم إغراء وجاذبية الوسائط الإلكترونية، فإن سوء استغلال هذه الأدوات ترك ومازال يترك جروحا عميقة على جسد لغات المستضعفين الذين ركبوا خيول العجز في حلبة السباق العولمي، ورَضُوْا أن تكون فرسُهم مُفَسْكِلةً متأخرة، واستمرأوا أن يكونوا مع الخَوالف في حلبة الصراع اللغوي الذي يسلّم فيه المنهزم القياد للغالب يتحكم فيه وفيما تقوله كلماته؛ حتى ينتهي به إلى الانهزام النفسي الذي يجعله يهوّن من أمر اللغة، وبذلك يستغني الغالب عن خوض معارك أشد إيلاما، بعد أن انتصر في معركة اللغة، ومن ثمة يتسلم المقاليد التي تفتح باقي الثغور من دون مقاومة تذكر.

ومن نافلة القول التذكير بأن اللغة العربية ليست بنَجْوة من هذه الآفة التي تفعل في لغَتنا العربية الفصحى ما يفعل السوس في الخشب، والسّرف في المال، إذ ألحقتنا العولمة بالأخسرين أعمالا في صيانة العربية الفصحى من كَدَر اللهجات المارقة من طاعة القواعد. ولكي أثبت أن الفصحى من أكبر ضحايا العولمة أجتزئ بذكر حَثْرٍ قليل من الأمثلة التي تجلو المراد.

الرسائل الإلكترونية القصيرة التي مرقت مروق السَّهْم من أنظمة الصرف والنحو والإملاء، فهي تكتب في الغالب بالأحرف اللاتينية، وتعبّر باللهجة، ناهيك أن أصوات بعض الكلمات أضحت مجرد أرقام، لأنها أصوات لا توجد في الفرنسية والإنجليزية مثل(الغين والعين والحاء والقاف والصاد...) فالعين هو رقم ٣ والقاف هو رقم ٩. وغيرها من الافتراءات التي لا نرى لها ظلالا ولا مسحب أذيال، وإنما العجز والهوان والكسل هو الذي جعلنا نستسهل هذه التغيرات التي أدخلت الشطط على الكتابة العربية.

الإقبال على أنواع محددة من المدونات والمواقع التي انتقلت إلينا انتقال العدوى، وهي في الغالب مدونات ومواقع ذات موضوعات تافهة وعبثية والتي تعرض للرغبات النفسية والعاطفية، والأغاني السَّاقطة، وهلم على ذلك جرا وسحبا من ثقافة التسطيح والخداع التي ترمي بحبالها الشيطانية لتصفد عقول المقبلين عليها، وتعمي بصائرهم في أثناء الإقبال على تصفح تلك المواقع ذات الألوان المعرفية الضحلة التي لم تخمرها العقول النيرة، ومن ثمة لا يزيدهم الاطلاع على هذه المواقع إلا تشويشا وضياعا واغترابا ونقمة على المجتمع وعلى مؤسساته. ولقد أسهمت تلك المواقع والمدونات في انتشار الثرثرة والفضفضة وسقوط أسوار الحياء والأخلاق، بدلا من أن تفضي إلى القراءة والمعرفة الماتعتيْن.

وقد أفضت الحرية المتاحة على الشبكة بغير قليل من القراء، الذين يبحثون عن الحكمة في تدبيج الألفاظ المعذوذبة والتعابير الشائقة، أن ينظروا بعين الشانئ الكاشح إلى هذا الأدب الرقمي الذي يعرضه زوامل النثر والشعر من المنشئين الذين لم يستكملوا أدوات الفن، فأضحت عباراتهم مأكلا للركاكة ومشربا للكزازة، لأنهم لم يحصلوا تِبْر التأليف البلاغي والأسلوبي.. فكانَت الإجادة لديهم قليلة مثل بارح الأرْوَى، متعللين في ذلك بالوصول إلى فئة عريضة من القراء، متناسين أن الاكتفاء باجتناء ثمرات المعاني السطحية أذهب عن نصوصهم الإثارة والبهجة اللتين تأخذان بشغاف العقول والقلوب إلى مزيد من القراءة.

وعلى الرغم من الدور المحوري لوسائل الاتصال والتواصل في نشر العربية الفصيحة، نظرا للوسائل الإغرائية الجذابة التي تتوفر عليها، فإن العولمة افترت قضية السماوات المفتوحة لإضعاف الفصحى من خلال افتراء الحقوق اللغوية للأقليات، ومن ثمة ضرورة امتلاك الوسائل المُرَوِّجة لتلك اللهجات.. الأمر الذي أفضى إلى ظهور جماعات تَجْهَرُ- وتجد من يساندها في الداخل والخارج- بهجر الفصحى والانسلال منها كما تنسلّ الأفعى من خِرْشائها، كأن العربية الفصحى مجرد شَعَر أشعَث أغْبَر يجب حلقه من فوق الرأس للإقبال على اللهجات، واللغات الأجنبية باعتبارها مائدة المنّ والسلوى التي تتقوَّى بها تلك الكيانات؛ التي- ويا للأسف- أصبحت تكبر في بلداننا العربية مثل كرة الثلج المتدحرجة منْ عَل. ويُعَدُّ العدد الهَيْضل للقنوات التي تستعمل العامية والأمازيغية كليا في أرجاء وطننا العربي خير شاهد على الخطط الشيطانية التي تدبرها

العولمة لإنهاك العربية إن استطاعت إلى ذلك سبيلا.

وعلى الرغم من أن العولمة أشاعت القراءة المتعددة تبعا لاختلاف أنواع القراء (القارئ العالم، والقارئ المثالي، والقارئ العادي، والقارئ المهووس، والقارئ الانتقائي...) فإن القراءة العادية المتعجلة التي تكتفي بخطية النص والبحث عن المعنى الحَرْفيِّ البارد، ظلت على الدوام هي القراءة الأثيرة.. أما الإصغاء المدبر إلى قوانين النصوص، واستثمار العناصر الصوتية والإيقاعية والدلالية للغة: فتلك بُغْيَة لم تحلق أجنحة هؤلاء القراء لإدراكها، مكتفية بإيراد حفنة من المعارف المخسولة الساذجة، لأن المعرفة والقراءة المدبَّرتيْن من عواصي المعارف التي تقتضي جَلَدًا وهمَّة وجمع الجراميز لاستفراه الطرق الماتعة والأدوات الشائقة والألفاظ الرائقة للظفر بكل الصيد في جوف الفرا، وتلك مزية لم تَرْبُ على جهود بعض الآحاد الموصوفين بأنهم أبَيْناء الكلام.

ولقد أقامت العولمة الشاهد القاطع على أن شبكة الاتصال أضحت «بمنزلة الجهاز العصبي للمجتمع، ومن دونها تتفكك أوصاله، ومن ثم تتعذر عملية توجيهه وحشد قدراته.. وأصبح مدى كفاءتها أهم مؤشر لقياس مدى جاهزية المجتمع لدخول عصر اقتصاد المعرفة»(٧).

وبما أن عصر اقتصاد المعرفة ينهض على اللغة ويعدها أساسا في اتصاله وتماسكه، فإن التهاون والتساهل في ترك الوضع اللغوي العربي هَمَلًا تتقاذفه أمواج العولمة، ضيع على العرب فرص التكامل الاقتصادي، والتماسك الديني، والتلاحم الاجتماعي، والتقدم العلمي، والتشاور السياسي لصالح فئة من الأغتام التي تَعْلك العربية الفصحى علك اللّجام، ومن ثمة تنزل من قدْرها، وتدافع عن اللغة الأجنبية وثقافتها باعتبارها واجب الوجود للدخول إلى نادي العولمة. وقد كان من نتائج هذا الوضع احتكار هذه الفئة لكثير من وسائل الاتصال التي أشاعت اللّحْن في العربية، وأدخلت الشطط في كثير من تعابيرها. ومعلوم أن فساد اللغة وعدم استقامتها يؤدي إلى فساد المعاملات واضطراب الأحوال، بل إن الفكر الذي لا يعتني بالألفاظ الصحيحة السليمة مدعاة للانحسار والنكوص. ولهذا دعا «هوشي منه» الفيتناميين إلى التمسك باللغة الوطنية لدحر الأجنبي المحتل في قولته المشهورة: «حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء أعينكم، حذار من أن تستعملوا لفظة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية»(٨).

فعلى الرغم من أن العربية الفصحى لغة مُنْتقرة مُجْتباة لها ربٌّ يحميها من فوق سبع سماوات: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجْر: ٩) فإن الأطمار المعيبة، والأغلاطَ الكثيرة التي تَعْثر بها ألسنة المذيعين وصغار المفنّين، تجعل المرء يتساءل عمّا بقي لنا من وسائل نرمُّ بها ما فسد وتقطع أشلاءً بالنسبة إلى العربية الفصحى التي يجب أن تجرَّ أذيال الفخر والاعتزاز على باقي اللغات.

هذه مجرد إلماحات وقفت بها عند هذا الحدّ، والكلام عن تأثيرات العولمة ووسائل اتصالها على العربية الفصحى عديد الرّمل، لا يني يشره به الطوفان الذي ترمي به الوسائط العديدة ساحتنا العربية، فنمضي في حقن لغتنا الفصحى حقنًا مُنْكرًا يسري سُمُّها الزّعاف في أوصالها، حتى كاد أن يتركها على مثل مَقرف الصَّمْغة، ولا سيما أنّ العولمة فتحت أبواب السماوات، وخلّأتنا من الدخول منها، استكبارا في الأرض ومَكْرَ السيئ. لذا علينا نحن- العرب- إحكام خطة بَزْلاء تَقلب مَظْلَمات العولمة إلى مَرْحَمَات تنزل بردا وسلاما على لغتنا الفصحى التي تمتلك الحقوق المدنية والعلمية والدينية والسياسية والاقتصادية والأدبية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

فَلَزام لَزام بالقراءة، لأن الذين يعرفون ماذا يقرَأون وكيف يقرأون هم الذين سيقودون المواكب الإنسانية في هذا العالم الفاغر فاه لابتلاع الشعوب التي لا تسعى إلى بناء المنار في سبيل العلم والمعرفة؛ وبلغتها الوطنية؛ لأن الذي لا يتعلم بلغته الوطنية يبقى على الدوام تابعا متسوِّلا مُكتفيا بالإقبال على خُشارة موائد الآخرين التي لا تزيده إلا ضَعفا وصَغارا.

المراجع

١ - مستقبل الثورة الرقمية (العرب والتحدي القادم)، كتاب العربي نخبة من الكتاب، رقم ٥٥، ص ١٢٥ يناير ٢٠٠٤ مطبعة الكويت.

٢-الاستعجال: المفهوم غير المفهوم (بحث) غير منشور لصاحبه عبد الله ايت الاعشير.

٣- القراءة.. أولا، محمد عدنان سالم، ٣٨و٣٩، ط٢. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

٤- القَزَعُ: من طُرُق قَصِّ الشَّعَر، وقد نهى الرسول ﷺ عن هذه الطريقة، حيث يُقَصُّ شعر الرأس من الفودَيْن والقَفَا، ويترك شعر قُنَّة الرأس.

٥- العقل العربي ومجتمع المعرفة، مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، د.نبيل علي، الجزء الثاني ٥٣و٥٤، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣٧، ديسمبر ٢٠٠٩م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٦- المرجع نفسه ص٦١.

الأجدان : الليل والنهار، ويعرب إعراب المقصور، وليس إعراب المثنى.

٧- الفجوة الرقمية، رؤية عربية لمجتمع المعرفة، د.نبيل علي ود.نادية حجازي، عالم المعرفة عدد ٣١٨، ص١٦٣، جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٨- أهمية اللغات وعناية الأمم بها، د.محمد بلاسي (المجلة العربية) عدد ٣٩٣- ص ١٠٥، المملكة العربية السعودية.

تجارب دولية ومحلية ناجحة في معالجة الفقر



رشيد ناجي الحسن*

ظهرت في إطار مكافحة الفقر نماذج وتجارب مختلفة في العالم، ولكن التسليم بحتمية نجاح هذه الجهود ضرب من ضروب المبالغة والخيال، بدليل فشل برامج التسوية التي يضعها صندوق النقد الدولي، والتي إذا ما طبقت خربت الاقتصاد، وخلعت المجتمع المدني للدول المدينة، وسارت بالعالم في اتجاه الهلاك. وهذه البرامج مطبقة في أكثر من ١٠٠ بلد من العالم الثالث، وأوروبا الشرقية، ولا يمكن ذكر أي حالة للنجاح البارز، ومع ذلك فقد قامت تجارب كثيرة ناجحة في مجال مكافحة الفقر، ظهرت فيها كثير من النتائج الإيجابية، ومنها:

التجربة الماليزية:

ماليزيا دولة تقع في جنوب شرق آسيا، بمساحة كلية تبلغ ٣٢٩،٨٤٥ كم٢. وعاصمتها هي كوالالمبور، يصل تعداد سكانها إلى أكثر من ٢٨ مليون نسمة. وإذا كانت الدولة قد دخلت العولمة من بابها الواسع، وإذا كانت العولمة قد ساهمت في عولمة الفقر فكيف نجحت ماليزيا في مكافحة الفقر؟ رغم تعرضها للأزمة المالية الآسيوية ١٩٩٧، والتي كادت تعصف بالبلاد؟ وما هي الفلسفة المتبعة في ذلك؟

تعتبر تجربة مكافحة الفقر في ماليزيا من أبرز التجارب التي كُللت بالنجاح على مستوى العالم الإسلامي الذي يعيش ٣٧٪ من سكانه تحت خط الفقر، فقد استطاعت ماليزيا خلال ثلاثة عقود (١٩٧٠-٢٠٠٠م) تخفيض معدل الفقر من ٥٢،٤٪ إلى ٥،٥٪؛ وهو ما يعني أن عدد الأسر الفقيرة تناقص بنهاية عقد التسعينيات إلى أكثر من ثلاثة أضعاف عما كان عليه الحال في عقد السبعينيات. ونجاح النموذج الماليزي أدى إلى ارتفاع متوسط دخل الفرد لأكثر من ستة عشر

ماليزيا استطاعت تخفيض معدل الفقر من ٥٢،٤٪ إلى ٥،٥٪ في ثلاثة عقود فقط

ضعفًا خلال العشرين سنة الأخيرة، حيث قفز متوسط دخل الفرد من ٦٠٠ رنجت عام ١٩٨٠م إلى ١٣٠٠رنجت عام ٢٠٠٢م، كما ارتفعت قيمة الصادرات من أقل من خمسة مليارات دولار عام ١٩٨٠م إلى ٩٢،٢ مليار دولار بحلول عام ٢٠٠٢م، وانخفضت نسبة البطالة إلى ٣. ٥٪ عام ٢٠٠٠م، وانخفضت كذلك في نفس السنة نسبة الواقعين تحت خط الفقر إلى أقل من ٦٪. ومن المؤشرات الرسمية ذات الدلالة أن ٩٤٪ من الفقراء في ماليزيا يتاح لأطفالهم التعليم الأساسي مجانًا، ويستفيد ٧٢٪ من الفقراء من خدمات الكهرباء، و ٦٥٪ منهم يحصل على مياه نقية، وهذه النسب جميعها تشير إلى نجاحات كبيرة مقارنة بالدول النامية. وعندما

ضربت الأزمة المالية الاقتصادية شرق آسيا في ١٩٩٨، رفضت ماليزيا اقتراح البنك الدولي، وقامت بعملية إصلاح شبه مضادة لما اقترحه البنك، فكانت أول الدول خروجًا وشفاءً من الأزمة. هذه الإنجازات لم تأت من فراغ، وإنما من خطط تنموية قامت بها الحكومة التي أخذت على عاتقها عملية تشكيل وقيام النهضة في ضوء التعاليم الإسلامية، ومنها:

- تقديم قروض بدون فوائد للفقراء من السكان الأصليين (البوميبترا)، وبفترات سماح تصل إلى أربع سنوات.
- منح إعفاء ضريبي لمدة عشر سنوات للمشروعات الصناعية.
- تقديم إعانة شهرية تتراوح بين ١٣٠-٢٦٠ دولارا أميركيا لمن يعول أسرة وهو معوق، أو غير قادر على العمل بسبب الشيخوخة.
- (سياحيا) قامت باستغلال طبيعة كل موقع، سواء كان زراعيا أو حيوانيا أو طبيعيا (شلالات، بحيرات، مرتفعات جبلية، مزارع... إلخ، من خلال توفير عدد من الأنشطة والفعاليات.

تجربة بنك جرامين في بنغلاديش

ينظر بنك جرامين (Grameen

* إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت

Bank) أو مصرف القرية؛ باللغة البنغالية، إلى الإنسان الفقير كإنسان كامل الأهلية، يستطيع أن يكافح ليخرج من دائرة الفقر بكده وعرقه، ويتعامل معه بإنسانية ويسعى لتنميته وتحسين إمكاناته وقدراته ونوعية حياته سعيا لإخراجه من دائرة الفقر من خلال مسيرة كفاح طويلة يشارك فيها برأيه وجهده، بل وماله. وهي تجربة تعود منافعها ليس فقط على أعضائها بل على مجمل الاقتصاد، والمجتمع البنغالي، كما هي في نفس الوقت مدرسة تتعلم منها الإنسانية، لذلك استحقت النجاح الذي منحها ٧ جوائز محلية وعالمية سابقة، ومنح صاحبها ٦٠ جائزة محلية وعالمية، إضافة إلى ٢٧ دكتوراه فخرية، و١٥ تكريما خاصًا من بلدان العالم المختلفة قبل أن يتوج ذلك بجائزة نوبل للسلام، في أكتوبر عام ٢٠٠٦م؛ نظير جهوده في خلق تنمية اقتصادية واجتماعية. ووفق لجنة الجائزة: فيونس وبنك جرامين أثبتا للعالم أن أفقر الفقراء بوسعهم العمل لتحقيق التنمية.

فما الذي فعله الاقتصادي البنغالي محمد يونس حتى نال ما نال، لنترك الكلام له ليوضح لنا ما فعله، يقول يونس: «في عام ١٩٧٢ وهو العام التالي لحصول بنغلاديش على استقلالها بدأتُ بتدريس الاقتصاد في إحدى الجامعات.. وبعد عامين أصيبت البلاد بمجاعة قاسية، وكنت أقوم في الجامعة بتدريس نظريات التنمية المعقدة، بينما كان الناس في الخارج يموتون بالمئات، فانتقلت إلى قرى بنغلاديش أكلم الناس الذين كانت حياتهم صراعًا من أجل البقاء، فقابلت امرأة تعمل في صنع مقاعد من البامبو، وكانت تحصل في نهاية كل يوم على ما يكاد فقط يكفي للحصول على وجبتين، واكتشفت أنه كان عليها أن تقترض من تاجر كان يأخذ أغلب ما معها من نقود، وقد تكلمت مع اثنين وأربعين شخصًا آخرين في القرية ممن كانوا واقعين في فخ الفقر، لأنهم يعتمدون على قروض التجار المرابين، وكان كل ما يحتاجونه من ائتمان هو ثلاثون دولارًا فقط، فأقرضتهم هذا المبلغ من مالي الخاص، وفكرت في أنه إذا قامت المؤسسات المصرفية العادية بالشيء نفسه؛ فإن هؤلاء الناس يمكن أن يتخلصوا من الفقر.. إلا أن تلك المؤسسات لا تقرض الفقراء، وبخاصة النساء الريفيات». وفي عام ١٩٧٦ بدأ يونس مشروعًا بحثيًا عمليًا لاستكشاف إمكانات تصميم نظام مصرفي يصلح للفقراء من أهل الريف. وقد توصل إلى أنه إذا توافرت الموارد المالية للفقراء بأساليب وشروط مناسبة فإنّ ذلك يمكن أن يحقق نهضة تنموية كبيرة. وقد حقق المشروع بالفعل نجاحًا في محافظات كثيرة، كـ شيتاجونج Chittagong و تانجيل Tangail، ودكا Dhaka... وفي أيلول ١٩٨٣ تحول المشروع إلى مصرف مستقل باسم مصرف جرامين (Grameen Bank) ساهمت الحكومة فيه بنسبة ٦٠٪ من رأس المال المدفوع بينما كانت الـ ٤٠ ٪ الباقية مملوكة للفقراء من المقترضين. وفي عام ١٩٨٦ صارت النسبة ٢٥٪ للحكومة و٧٥ ٪ للمقترضين.

وعن نتيجة المشروع يتحدث يونس فيقول: «وبعكس التوقعات، فقد استطاعت بنغلاديش أن تحقق إنجازا ملموسا في معركتها مع الفقر، فمعدل الفقر قد تراجع من ٧٤٪ عام ١٩٧٣ إلى ٥٧٪ عام ١٩٩١، ثم إلى ٤٠٪ عام ٢٠٠٥، ومازال هذا المعدل يتراجع بنسبة ١٪ سنويا. كما استطاع بنك جرامين تحقيق عدة إنجازات؛ منها تحقيقه لأرباح كبيرة منذ تأسيسه، باستثناء ثلاثة أعوام، حيث بلغ إجمالي أعمال البنك خلال عام ٢٠٠٥م حوالى ١١٢,٤٠ مليون دولار، وإجمالي النفقات ٩٧,١٧ مليون دولار، وبلغ صافي الأرباح ١٥,٢١ مليون دولار، وذلك على الرغم من أن فوائد بنك جرامين هي الأدنى في بنجلاديش؛ حيث تصل إلى ١٠٪ على قروض المشروعات المدرة للدخل، أي ١,٥ دولار على قرض يصل إلى ١٥ دولار طوال العام، ونسبة ٨٪ على قروض الإسكان، ونسبة ٥٪ على قروض الطلاب، أما قروض الأعضاء المكافحين أو المتسولين فلا فوائد عليها. ومما لاشك فيه أن أهم ما يلفت انتباه المتابع لهذه التجربة هو أنها تجربة قامت على الثقة بالفقراء، وتقديم القروض لهم من غير ضمانات ورهون، وهذا أدى بدوره إلى إطلاق طاقات هؤلاء الفقراء لينتقلوا من أفراد على هامش الحياة إلى بشر ينتجون ويعملون ويحفظون كرامتهم.

ما أحوجنا إلى أمثال محمد يونس عربا ومسلمين ينظرون إلى فقراء أمتهم وأحوالهم، لعلهم يستطيعون وقف عددهم المتزايد كل يوم، بل كل لحظة.. وما أحوج المخلصين القائمين على المصارف الإسلامية التي ظلت تراوح في مكانها إلى أن تستوعب أمثال هذه التجارب، وتبدأ بتوجيه الموارد إلى كافة فئات المجتمع حتى يتحقق تكافؤ الفرص، بدل أن تقدم الأموال للأغنياء فقط، ويحرم منها ملايين الفقراء الذين لديهم مخزون من الطاقة والإبداع والجدية، ولكن حرمانهم من التمويل ضيّع عليهم مواهبهم، وحوّلهم إلى عبء على مجتمعاتهم، بدل أن يكونوا سواعد لبنائه.

تجربة قرية «تَفَهْنَا الأشراف» في مصر

قرية «تفهنا الأشراف» هي إحدى قرى مركز ميت غَمر محافظة الدقهلية في مصر، وعدد سكانها في حدود أربعة آلاف نسمة ومساحتها ٦٠٠

فدان. وهي قرية تعاني من انخفاض مستوى المعيشة، وحاجة القرية إلى الكثير من الخدمات كالكهرباء والمياه النقية والطرق المرصوفة، إضافة إلى المشكلات الاجتماعية والثقافية مثل انتشار الأمية، وحتى بداية السبعينيات من القرن المنصرم لم يكن في القرية متعلم واحد، كما تنتشر فيها البطالة الموسمية والدائمة لدى خريجي الجامعة من أبنائها، والمشكلات والمنازعات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد بعضهم البعض، وكذا الخلافات الأسرية التي يُلجأ فيها إلى القضاء، وغير ذلك من صور التحزب والتعصب العائلي. أبناء القرية الذين يحكي كبارهم أن سائقي سيارات الأجرة على طريق ميت غمر/ الزقازيق منذ ٣٠ عاما كانوا لا يتوقفون أمامها، وكأنها ليست موجودة على خريطة الدلتا، فكل ما كان معروفا عنها أنها قرية يخرج الناس فيها مع شروق شمس كل صباح للعمل في حقول القرى الكبيرة المجاورة سعيا وراء الرزق.

شرارة التجربة.. أترك الحديث لرئيس مجلس إدارة المركز الإسلامي في قرية «تفهنا الأشراف» والأب الروحي للتجربة، المهندس صلاح عطية، يقول: كانت القرية تعاني من مشكلة الفقر المدقع، وكانت مصدرًا لعمال التراحيل في جميع القرى المجاورة، وعندما اجتمع عدد من أبناء القرية لوضع حد لعلاج مشكلة الفقر قمنا بحصر أصحاب الأملاك من الأغنياء، وكل من يستطيع أن يؤدي زكاة، وركزنا على أهمية جمع الزكاة كخطوة أولى لمعالجة الفقر، وفي يوم الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ، ٦ يناير ١٩٨٤ حدث اجتماع عام لأبناء القرية، وأعلنا عن فكرة إنشاء مركز إسلامي متكامل بالبلدة، يشارك في إنشائه كل أبناء قرية تفهنا الأشراف، وتم الاتفاق على الآتي:

● أن تكون القرية عائلة واحدة لها قيادة جماعية واحدة وتسمى بعائلة الأشراف.

● اختيار ٢٠رجلا يمثلون قيادة القرية تحت قيادة عمدة القرية برضا الجميع، على أن يكون هؤلاء القادة من الفلاحين فقط وليس من المثقفين.

● يتولى المركز الإسلامي تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه من مشروعات خيرية، وذلك من خلال لجان عمل، إحداها للتعليم، والأخرى للزراعة، ولجنة للشباب، ولجنة للصحة، ولجنة للمصالحات، ولجنة للزكاة. المرحلة التالية: مرحلة التنفيذ: في هذه المرحلة أخذت آليات العمل في التبلور، وكانت صورتها كالآتي:

– تم تشكيل مجلس إدارة للمركز الإسلامي. – تم البدء في جمع التبرعات، وكان مستوى التبرع عاليا جدا؛ فالفلاح البسيط كان يجود بمعظم ما عنده بدءًا من الأنعام وحتى بيضة الدجاجة.

– تم شراء قطعة أرض مساحتها ٢٧٥٠ م٢ في مدخل القرية؛ وذلك لإنشاءات المركز. وكان المقرر اشتراك عشرة أفراد لتجميع المبلغ المطلوب بواقع مائتي جنيه مصري لكل شخص، ووصل عدد المشاركين إلى تسعة، ومر وقتٌ غير قصير دون استطاعة الاتفاق مع الشريك العاشر: بسبب حالة الفقر في القرية.

وبدأت مرحلة التنفيذ، ونظرًا لأنّ بعض هؤلاء الخريجين الشباب قد تخرج في كلية الزراعة فقد قاموا بإنشاء مزرعة للدواجن بطاقة ٥٠٠٠ فرخ، وخلال كتابة عقد الشركة قرروا تخصيص نسبة١٠ ٪ من الربح لإنفاقها في وجوه الخير، وسمّي «سهم الشريك الأعظم» وعندما وجدوا أن حصيلة الربح كبيرة جدًا وأكثر مما كانوا يتوقعون، قرروا زيادة نسبة «سهم الشريك الأعظم» إلى أن أصبحت ١٠٠٪ من إجمالي عشر مزارع. وزادت بعد ذلك لتصل إلى وقف بعض المشروعات بالكامل للقضاء على الفقر الذي ينخر في عظام أبناء قريتهم، والمزرعة الواحدة تحولت خلال عدة سنوات إلى عشر مزارع، ومع كل زيادة كانت تزيد الأموال المخصصة للعمل الخيري، إلى أن زادت المشروعات، فتمّ إنشاء مصنع للأعلاف، وآخر للمركزات، ومصنع لعلف الماشية. وتم استخدام أموال الزكاة في شراء مواش وآلات خاصة بالحرف المهنية، وتوزيعها على المستحقين. أما الفتيات والسيدات غير المتعلمات، فقد تم تدريبهن على الخياطة بعد محو أميتهن وتسليمهن ماكينات خياطة، ولوازم إعداد الملابس المدرسية وشرائها منهم بتوزيعها على التلاميذ المستحقين مجانا، حتى تمكن فقراء القرية من توديع الفقر والمشاركة في مسيرتها الاقتصادية. كما تمّ حصر الأرامل والمطلقات لتدبير وسيلة كسب لكل منهن، من خلال إعطائها غنمة وكمية من الأعلاف، وكذلك تم حصر أصحاب الحرف بحيث تم شراء أدوات الحرفة لكل منهم، حتى الطبيب تم شراء أدوات الطب له، أما غير أصحاب الحرف فقد تم الاتفاق مع متاجر جملة على إمدادهم بالبضائع لعمل منافذ بيع للسلع، كما تم زراعة ألف نخلة على السواقي الموجودة بالبلدة بحيث تعطي إنتاجها بعد ست سنوات على الأقل، وتجمع في وقت واحد ليتم توزيعها على أبناء القرية جميعًا.

الإنجازات

بانتهاء عام ١٩٨٨م كانت الخطة الخمسية المقترحة قد تحققت بفضل الله، وبلغ حجم الإنفاق فيها ١,٢١٥,٣٢٨ جنيها مصريًا بزيادة قدرها ١٥,٣٢٨ ، وتحققت الإنجازات

التالية:

١- القضاء على مشكلة البطالة تماما داخل القرية.

٢- الحد من الأمية بصورة شبه تامة.

٣- إنشاء معهد ثانوي أزهري للبنين،وآخر للبنات.

٤- إنشاء محطة للسكة الحديد بتكلفة ١٥٠ ألف جنيه.

٥- مجمع خدمات المركز ويضم: المسجد الجامع على مساحة كبيرة، وورش صيانة لكافة معدات وأثاثات المركز الإسلامي، وقاعة مؤتمرات، ومكتبة متطورة.

٦- فرع لجامعة الأزهر للبنين، وآخر للبنات.

كما تلا إنشاء جامعة الشريعة والقانون إنشاء كلية للتجارة للبنات، ثم كلية لأصول الدين، ثم كلية رابعة للتربية.

٧- إقامة مدينتين جامعيتين للطلاب والطالبات المغتربين والمغتربات.

٨- مستشفى طبي متكامل.

٩- إقامة بيت مال للمسلمين يخدم القرية والقرى المجاورة.

١٠- ترتب على وجود لجنة فض المنازعات عدم لجوء الناس إلى المحاكم أو أجهزة الأمن، ولم يعد الناس بحاجة إلى مكاتب المحامين بالقرية، مما أدى إلى إغلاق مكتبين للمحاماة كانا قد أنشئا من قبل.

١١- القضاء على أماكن اللهو بالقرية، فقد حان وقت الجد. وبسبب وجود أربع كليات جامعية في القرية حدث رواج تجاري، وحركة نشطة للنقل والمواصلات، والنتيجة أنه لم يعُدْ في القرية عاطل ولا فقير، وأصبحت القرية منذ سنوات تدفع زكاة أموالها إلى القرى المجاورة. وحتى الطلاب من أبناء القرية ومن خارجها وجدوا عملا في مزارع الدواجن والمصانع المقامة فيها، وأما أصحاب المنازل فقد تمكنوا من الحصول على دخل إضافي من خلال تأجير بعض شققها للطلاب المغتربين، وأصبح من المعتاد أن تشاهد طلبة من محافظات أخرى أو من دول إفريقية وآسيوية يسيرون في شوارع القرية. كل ذلك تم بالجهود الذاتية لأبناء القرية دون أن يكلفوا الدولة فلسا واحدا.

المركز الإسلامي لمكافحة الفقر في تفهنا الأشراف .. تجربة تحتذى

تقييم التجربة

كتب الكثير من المحللين عن هذه التجربة، وأثنوا عليها، ودعوا إلى تكرارها في بلاد إسلامية أخرى. يقول الدكتور وجيه المرسي: إن هذه التجربة تأتي بعيدًا عن أي فكر نظري «مسبق» يتمثل في الارتباط بإحدى نظريات «التغيير الاجتماعي» الجاهزة والمعدة سلفًا للمجتمعات النامية من قبل المجتمعات الغربية المتقدمة. كما إنها غير مرتبطة بجهاز الدولة، بل هي بعيدة عن القيود البيروقراطية، متحررة من التبعية الإدارية والسياسية، التي أجهضت الكثير من الجهود التنموية. وهي تنمية لا تتم في فلك أي تخصص مهني، ولا تحكمها النظرة المهنية الضيقة. كما إن هذه التجربة تنطلق من واقع المجتمع الإسلامي، الذي يتصف بالكثير من سمات التخلف والتبعية، ويتعرض لمحاولات التغريب والعلمنة من الداخل والخارج. وأهم ما يقال: إن الفكر الذي قامت عليه هذه التجربة، والهدف الذي سعت إليه، إنما مرده إلى الإسلام العظيم ببساطته ويسره. إن حجم الإنجازات المادية الذي تحقق في تجربة قرية «تفهنا الأشراف» يفوق أي تجربة على المستوى المحلي أو العالمي، في مجال تنمية المجتمع المحلي. وإن تأثير التجربة في حياة القرية لم يقف عند المشروعات الإنتاجية والتعليمية. فالتجربة قد ساعدت على تنمية الكثير من القيم الإيجابية مثل قيم التعاون والتآخي، والتوكل على الله، لا التواكل، لتحلّ محلّ القيم السلبية التي كانت موجودة.

تجربة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) «فلسطين» (٢٠٠٧)

يعيش سكان الأراضي الفلسطينية في أوضاع اقتصادية ومعيشية متردية، حيث تشير التقديرات إلى أن نحو ٤٣ في المائة من السكان الفلسطينيين يعيشون تحت خط الفقر بأقل من ٢,٣٠ دولار في اليوم، ويعيش حوالى ١٥ في المائة منهم في فقر مدقع. وفي النصف الثاني من عام ٢٠٠٧، وصل معدل البطالة بين الشباب إلى ٣٦ في المائة. إن واحدًا وستين عامًا من الاحتلال قد وضعت الفلسطينيين تحت ضغط يكاد لا يطاق، فاضطر أغلبهم إلى إنفاق مدخراتهم وبيع ممتلكاتهم وخفض استهلاكهم الغذائي. وقد ذكر أفراد الأسر المستفيدة بأنه على الرغم من أنهم يتلقون المساعدات الغذائية والنقدية منذ سنوات، فإنهم يشعرون بامتهان لإنسانيتهم في كل مرة يصطفون فيها لتلقي تلك المساعدات.

ما هو برنامج (UNDP)؟ هو برنامج استطلاعي مدته ٣٠ شهرًا، مموّل من البنك الإسلامي للتنمية، هدفه العمل على التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية التي تُعاني من الفقر، ومساعدتها على الخروج من تلقي المساعدات، لتصبح قادرة على توفير الدخل بشكل مستقل.

عمل البرنامج

تم البدء بتنفيذ البرنامج في نهاية عام ٢٠٠٧ من خلال المؤسسات الأهلية الوطنية (١٧ مؤسسة)، ومؤسسات التمويل الصغير(٦ مؤسسات)، والتي تستهدف ١٢،٠٠٠عائلة فقيرة شديدة الفقر في الأراضي الفلسطينية وتلبي احتياجاتها. وتشير السجلات إلى أن عدد التدخلات التي تم تنفيذها وصلت إلى ٤،٤٠٠ تدخل في تشرين أول ٢٠١٠. ويزيد هذا المستوى على الهدف المعلن وهو ٤،٠٠٠ تدخل. وفي تموز ٢٠١٠، تمّ تحقيق الهدف بل تجاوزه إلى حد أعلى. وتتوزع هذه الأسر على ٣٢٣ تجمعًا في قطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس. وحتى تموز ٢٠١٠، كانت المؤسسات قد أقرضت ما مجموعه ١،٨٤١ قرضًا لزبائنها بغرض توسيع مشاريع قائمة أو إقامة مشاريع جديدة.

ويكمن تفرُّد برنامج «ديب» في أنه يمنح الأسر المشاركة فيه الفرصة للاختيار من بين عدد من بدائل العمل، منها الزراعة والتجارة والصناعة والخدمات والتوظيف والتدريب. ويُقدّم كل تدخل للأسرة في صورة منحة لمرة واحدة، بسقوف مالية مختلفة تتراوح بين ٤٠٠٠ دولار و٨٠٠٠ دولار، تتحدد على أساس حجم الأسرة ونوع التدخل. ويتلقى العمال الميدانيون من المنظمات غير الحكومية الشريكة تدريبًا على نهج سبل العيش المستدامة، مع التركيز بشكل خاص على أهمية إشراك الأسر المستفيدة في تصميم وتنفيذ وتقييم جميع التدخلات.

وتشير الوثائق إلى أن البرنامج خطّط لتمويل نشاطات المنح بما مقداره ١٦ مليون دولار، ولتمويل نشاطات القروض بما مقداره ١٤ مليون دولار. ولكن الواقع يشير إلى أن ما تمّ تمويله لنشاطات المنح وصل إلى ٢٤ مليون دولار. بمعنى أنه تمّ صرف مبالغ أكثر على المنح مما كان قد خطط له، وأنه تمّ صرف مبالغ أقل على القروض مما كان قد خطط له. وهذا إنجاز عظيم للبرنامج، حيث إن المبالغ الإضافية التي يتم حشدها ستزيد من كفاءة البرنامج واتساع شموليته.

ويتمُّ جمع المعلومات عن موارد الأسر وسبل عيشها وجهودها لتطوير أعمالها التجارية من خلال زيارات ميدانية واسعة تجريها المنظمات غير الحكومية الشريكة، وذلك للتأكد من الالتزام بأهداف البرنامج.

نموذج حالة

في أحد الأمثلة – وهو مشروع لتربية الأغنام – يحصل المستفيدون على عدد من النعاج الحوامل من سلالة معروفة بارتفاع إنتاجيتها، جنبًا إلى جنب مع خدمات التطعيم والخدمات البيطرية لمدة ستة أشهر، وكذلك الأدوية والأعلاف الحيوانية. وتتضمن الحزمة كافة الدعم اللازم لمساعدة الأسرة على الحصول على دخل فوري، وفي الوقت نفسه عدم تحميلها أعباء مالية. وبعد انقضاء فترة ستة أشهر، يجب أن تكون الأسرة قادرة على مواصلة المشروع من دخلها الخاص.

تقييم البرنامج: يعد البرنامج بشكل عام من البرامج المؤثرة والفاعلة في ميدان محاربة الفقر؛ إذ قدم البرنامج علاجًا حقيقيًا لظاهرة الفقر لدى عدد من الأسر المستفيدة التي جعلت من البرنامج رافعة حقيقية ينقذها من براثن الفقر، وينقلها من دائرة الاتكال على الآخرين والمساعدات الدورية إلى دائرة الاعتماد على الذات، والدخول في خضمّ النشاط الاقتصادي، ويمكن القول أنه تمّ نجاح أكثر من ٨٥٪ من التدخلات في الاستمرار بإدرار الدخل للأسر الفقيرة. وقد بدأ التحضير لمرحلة ثانية تستهدف ١٢٠٠٠ أسرة فقيرة.

ختاما

فالفقراء لا يحتاجون إلى الصدقة فقط، بل يحتاجون لمن يساعدهم على الخروج من هوّة الفقر. والعالم الإسلامي في أشد الحاجة إلى مثل هذه التجارب الاقتصادية الناجحة، وذلك لمواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتعددة التي تواجه البلدان العربية والإسلامية في القرن الحادي والعشرين، والتي تمسّ حاضرها ومستقبلها، والتي تقف عائقًا في وجه التنمية المنشودة.

وإذا كانت الاستفادة من التجارب الرائدة في مجال مكافحة الفقر ضرورة لابد منها، فإن عرض التجارب الفاشلة ومحاولة معرفة أسباب الفشل كذلك لا يقل أهمية.

المراجع

- نحو مجتمع المعرفة، مكافحة الفقر، سلسلة دراسات مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، الإصدار الثالث عشر، جدة ١٤٢٧هـ. – في تنمية المجتمع، د.وجيه المرسي، تجربة قرية تفهنا الأشراف.
- برنامج الأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥.
- التنمية الاقتصادية، محمد زكي الشافعي.
- العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، عبدالحميد براهيمي.
- عالم إسلامي بلا فقر، رفعت السيد العوضي، كتاب الأمة التاسع والسبعون.
- التخلص من الفقر نصائح وتجارب، زيد بن محمد الرماني، ٢٠٠٥.
- دور المشاريع الصغيرة في الحد من الفقر والبطالة، وتحديدا قراءة في التجارب المحلية والدولية للحد من الفقر والبطالة في الأردن، إعداد: د.حسين شخاترة.
- الفقر، أسبابه وعلاجه، سعد بن محمد العبيد.
- الفقر والغنى في الوطن العربي، مجموعة باحثين، بغداد ٢٠٠٢.
- الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، د.عبدالرزاق الفارس.
- إشكالية محاربة الفقر في العالمين العربي والإسلامي، د.رابح كشاد.



شَدُّ رِحَالِ الخَيالِ إلى مَحالِّ الرِّجالِ

في مدح مجالس سماع الحديث وأهله وتضمين مصطلحاته

شعر وتعليق: أسامة يوسف عبدالوهاب العميري ◆

إني كنت قد حضرت فيمن حضر من الطلاب مجالس سماع الجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في المسجد الجامع الكبير بدولة الكويت حرسها الله، وقبل مجلس الختم بليلتين شرعت في نظم قصيدة أمدح بها من حضر المجالس من أهل العلم والفضل، حتى تمت في عشرين بيتًا ثم بعد فترة زدتها أربعة عشر بيتًا وهي في جملتها ثلاثة أقسام: قسم وقفت فيه على الآثار وركبت متون الأكوار، سنة الشعراء الغابرين، وذكرت فيه من الغريب ما ينبه ذهن السامع ويشغل قلب البليد القانع ولو أردت السهل القريب لذكرته، وأبدلت لاحبًا بواضح ودأدأت بأسرعَتْ.

وقسم مدحت فيه أهل الحديث وذكرت فضل مجالسهم.

وقسم تخلصت فيه بمديحهم إلى وصف السحاب والمطر، ضمنته ما ورد في البيقونية من مصطلحات علم الحديث وعلقت الشروح من القاموس وشرح الزرقاني وحاشة الأجهوري عليه، كل ذلك باختصار شديد وبتصرف من غير إخلال ولا تبديل فالحمد لله على ما أسبغ وأنعم.

◆ باحث كويتي

أَلا حَيِّ رَسْمًا[1] عَفَاهُ[2] القِدَمْ بِكَاظِمَةٍ مِثْلَ خَطِّ القَلَمْ
تَعَاوَرَهُ[3] شَمْأَلٌ والجَنُوبُ وَسَارِيَةٌ قَطْرُهَا مُخْتَضِمْ[4]
أَلا حَيِّهِ وَأْتِهِ بَاكِيًا وَسَلْهُ وَكَيفَ جَوَابُ الأَصَمّ
فَلَوْ أَنَّ رَسْمًا شَفَا سائِلًا لَكَانَ حُمَيْدٌ[5] كَلِيمَ الرَّشَمْ[6]
وَلَوْ أَنَّ رَسْمًا شَفَا بَاكِيًا بَكَيْنَاهُ حَتَّى خَضَبْنَاهُ دَمّ
فَدَعْ ذَا وَبَادِرْ لِعَيْرَانَةٍ[7] لَهَا شَرَفٌ[8] مُشْرِفٌ كَالْعَلَمْ
إِذَا مَا عَلَوْتُ بِهَا لَاحِبًا[9] قَرَادِيدُهُ[10] نَابِيَاتٌ أَمَمْ
تَحِنُّ لِعِرْفَانِهَا مَا اسْتَوَتْ[11] حَنِينَ عَطُوفٍ إِذَا تَرْتَئِمْ
إِذَا صِحْتُ فِي مَشْيِهَا دَأْدَأَتْ[12] تَدَأْدَأَ صَعْبٌ أَبَى أَنْ يُزَمْ
تُرَاعِي سُهَيْلًا إِذَا مَا بَدَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ لَهُ كَالغَنَمْ[13]
عَلَى مِثْلِهَا أَرْتَجِي فِي الصَّبَاحِ شُمُوسَ الحَدِيثِ رُعَاةَ الذِّمَمْ
يَذُودُونَ عَنْ سُنَّةِ المُصْطَفَى حِمَى المُصْطَفَى عِنْدَهُم كَالحَرَمْ
مُلُوكٌ عَلَتْ فَوْقَ هَامِ المُلُوكِ وَصَارَ المُلُوكُ لَهُمْ كَالحَشَمْ
إِذَا مَا تَقَطَّعَ بَيْنُ العِبَادِ فَإِسْنَادُهُمْ بَيْنَهُمْ كَالرَّحِمْ

١- الرسم: بقية الأثر.
٢- عفاه: محاه.
٣- تعاوره: تداوله وتناوب عليه.
٤- مختضم: يأكل ويقطع ما يقع عليه.
٥- ابن ثور حين قال: وهل عادة للربع أن يتكلما.
٦- الرشم: الرسم والأثر.
٧- عيرانة: ناقة نشيطة.
٨- شرف: سنام.
٩- لاحب: طريق واضح.
١٠- قراديده: فقار الطريق.
١١- أي متى استوت على ظهر الطريق حنت لمعرفتها إياه كما تحن عندما تعطف على صغيرها.
١٢- دأدأت: أسرعت.
١٣- العرب تشبه نجم سهيل بالراعي، والنجوم بين يديه بالغنم.

هُـمُ الـقَـومُ يـا صَـاحِ إنْ تَـأْتِـهِـمْ ... فَـمَـا مِـنْ عَـيـيٍّ وَمَـا مِـنْ بَـرِمْ
وَيَــرْوونَ عَـنْ بَـهـزٍ عَـنْ وُهَـيْـبٍ ... حَـدِيـثَ سُـهَـيْـلٍ(١٤) حَـدِيـثَ الـكَـرَمْ
تَـطُـوفُ المَـلائِـكُ بَـيـنَ الـعِـبَـادِ ... يُـجِـيـرُونَ عَـبْـدًا بِـهِ يَـعْـتَـصِـمْ
يَـقُـولُـونَ يـا رَبُّ فِـيـهِـمْ فُـلانٌ ... وَمَـا هُـوَ مِـنْـهُـمْ بِـهِـمْ قَـدْ أَلَـمّ(١٥)
عَـصَـاكَ وقَـارَفَ ذَنْـبًـا وَمَـنْ ... عَـصَـى رَبَّـهُ نَـفْـسَـهُ قَـدْ ظَـلَـمْ
فَـيُـخْـبِـرُهُـمْ أَنَّـهُ غَـافِـرٌ ... هُـمُ الـقَـوْمُ مَـنْ يَـأْتِـهِـمْ يَـغْـتَـنِـمْ
تَـدَارَكْـتُ مَـا (صَـحَّ)(١٦) في وِدِّهِـمْ ... بِمَدْحِ (ضَعِيفٍ)(١٧) إِذِ (الحُسْنُ)(١٨) جَمّ(١٩)
وَ (أَسْنَدْتُ)(٢٠) (مَوْصُولَهُ)(٢١) (رَافِعًا)(٢٢) ... وَ(سَلْسَلْتُ)(٢٣) (مَقْطُوعَهُ)(٢٤) فَالْتَأَمْ
فَكَمْ مِنْ (غَرِيبٍ)(٢٥) عَشَى(٢٦) نَارَهُمْ ... تَـقَـرَّى(٢٧) بِـإِحْـسَـانِـهِـمْ وَالـكَـرَمْ
وَ(عَـزَّ)(٢٨) (بِمَشْـهُـورِ)(٢٩) أَفْعَالِهِمْ ... فَمَنْ (يُبْـهِـمِ)(٣٠) الْفَضْلَ أَوْ يَتَّهِم
وَمَا (مُرْسَلٌ)(٣١) قد (عَلا)(٣٢) رَجْزُهُ(٣٣) ... بِـكَـلْـكَـلِـهِ(٣٤) (نَـازِلٌ)(٣٥) مُـحْـتَـدِمْ

١٤- إشارة الى حديث النبي ﷺ: هم القوم لا يشقى بهم جليس، الوارد في صحيح مسلم، وفتح هاء بَهْزٍ للضرورة.
١٥- ألمَّ: نزل.
١٦-الذي يتصل إسناده برواية العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة.
١٧- هو ما فقد شرطا من شروط القبول الشامل للصحيح والحسن.
١٨- الذي رجاله دون رجال الصحيح شهرة.
١٩- جم: كثير.
٢٠- إشارة إلى المسند وهو الذي اتصل إسناده إلى النبي ﷺ ولم ينقطع.
٢١-إشارة إلى الموصول ويسمى أيضا المتصل وهو ما اتصل إسناده إلى منتهاه أي النبي ﷺ أووقف على أصحابه.
٢٢- هو ما أضيف الى النبي ﷺ من صحابي أو تابعي أو غيرهما.
٢٣- المسلسل من صفات الإسناد ويتسلسل الفعل أو القول فيه إلى النبي ﷺ.
٢٤- المقطوع صفة عموم يندرج تحته المرسل والمعضل والمعلق.
٢٥- هو ما انفرد بكله أو بعضه راوٍ واحد.
٢٦- عشى: أبصر بليل.
٢٧- تقرى: من القرى وهو الضيافة.
٢٨- العزيز الذي يرويه اثنان أو ثلاثة في طبقة.
٢٩- المشهور ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم تصل إلى حد التواتر.
٣٠- الإبهام عدم التعيين ويلحق المتن والسند.
٣١- مرسل: السحاب، وهو إشارة إلى الحديث المرسل ومن قول الناظم: وما مرسل إلى آخر القصيدة هو في وصف السحاب والمطر. والمرسل ما سقط الصحابي منه.
٣٢- العالي هو ما قل رجال إسناده.
٣٣- رجزه: صوته وهو صوت الرعد.
٣٤- كلكله: صدره.
٣٥- النازل ماكثر رجال إسناده.

بِأَرْحَائِهِ[٣٦] (دَلَسٌ)[٣٧] أَينَمَا ... (تَوَقَّفَ)[٣٨] مِنْ (عَضَلٍ)[٣٩] يَبْتَسِمْ

(تَقَلُّبَ)[٤٠] (فَرْدًا)[٤١] (فَأَنْكَرْتُهُ)[٤٢] ... بَدا (كَالْمُدَبَّجِ)[٤٣] شَيْخٌ هَرِمْ

وَ(مُضْطَرِبٌ)[٤٤] مَا بِهِ (عِلَّةٌ)[٤٥] ... وَلكِنَّهُ (مُدْرَجٌ)[٤٦] مُنْكَظِمْ

(يُؤَلِّفُ)[٤٧] أَذْيَالَهُ كُلَّمَا ... (تَفَرَّقَ)[٤٨] أَوْ (شَذَّ)[٤٩] مَا يَنْصَرِمْ

فَلَمْ أَرَ (مُخْتَلِفًا)[٥٠] مِثْلَهُ ... تَرَاكَمَ (مُتَّفِقًا)[٥١] فَالْتَزَمْ[٥٢]

تَضَحْضَحَ (مَوْضُوعٌ)[٥٣] مِنْ وَبْلِهِ ... وَغَمَّسَ[٥٤] آكَامَهُ إِذْ سَجَمْ

وَ(مَتْرُوكُ)[٥٥] سَيْلٍ عظيمٍ طَمَى ... وَأَتْرَعَ[٥٦] حتَّى ظَنَنَّاهُ يَمّ[٥٧]

بِأَجْوَدَ مِنْهُمْ إذا (عَنْعَنُوا)[٥٨] ... وَأَنْدَى كُفُوفاً وَأَرْسَى قَدَمْ

وَأَخْتِمُ بِالْحَمْدِ فى قَوْلِ ذا ... وَحُقَّ لَهُ الحَمْدُ رَبِّي وَتَمّ

٣٦- أرحاؤه: وسطه.
٣٧- دلس: ظلام. وفي الحديث إسقاط الشيخ أو إيهام سماعه.
٣٨- الموقوف ما قصرته على أصحابه ﷺ.
٣٩- عضل: ضيق وحرج وهو إشارة إلى الحديث المعضل الذي سقط منه راويان.
٤٠- المقلوب أن يبدل راو لحديث معروف بغيره وقد يقع في المتن.
٤١- الفرد قسمان أن ينفرد به راو عن كل أحد وهو المطلق أو أن يقيد بثقة.
٤٢- المنكر الحديث الذي يتفرد به من لا يحتمل تفرده لكونه لم يبلغ مرتبة في الإتقان تؤهله للتفرد.
٤٣- المدبج: القبيح المنظر وهو إشارة إلى الحديث المدبج وهو رواية الأقران.
٤٤- المضطرب نوع من المعل لم يظهر فيه ترجيح.
٤٥- المعلل حديث ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح.
٤٦- مدرج: بالماء مثقل به وهو إشارة إلى الحديث المدرج بكلام من راويه.
٤٧- المؤتلف والمختلف قسم واحد وهو متفق الخط دون اللفظ.
٤٨- المتفق والمفترق هما نوع واحد لما اتفق لفظه وافترق في المسمى.
٤٩- الشاذ ما انفرد به ثقة بزيادة أو نقص في متن أو سند عن جماعة.
٥٠- التزم: أقام مكانه.
٥١- موضوع: اسم موضوع وهو إشارة إلى الحديث الموضوع المكذوب المختلق.
٥٢- غمس: غطى.
٥٣- متروك السيل ما يبقى من ماء السيل وهو إشارة إلى الحديث المتروك وهو ما انفرد به الضعيف وهو أخف من الموضوع.
٥٤- أترع: ملأ.
٥٥- اليم: البحر.
٥٦- المعنعن ما روي بلفظ عن دون بيان للتحديث.

أثر الهدي الإسلامي في الحفاظ على الصحة النفسية

د. عبدالرحمن العيسوي

الصحة النفسية الجيدة من بين النعم التي ينعم الله بها على عباده الصالحين، وليست الصحة النفسية الجيدة أو التوافق النفسي مجرد الخلو من الأمراض والاضطرابات والعلل، ولكنها إلى جانب ذلك حالة إيجابية يستطيع الفرد معها القيام بأعماله وأدواره ورسالته المنوطة به في هذه الحياة، فالانسان المسلم عليه ان يعبد الله وان يسعى لاكتساب مرضاته ورضاه وأن يسعى للجنة والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

إسلامنا العظيم مدرسة عظيمة في التربية النفسية الجيدة والصالحة، تلك التربية التي تقوم على أساس الفطرة السوية التي فطر الله الإنسان عليها ليكون خليفة الله في الأرض يسعى لتعميرها وتحسينها والمحافظة عليها، بما في ذلك المحافظة على نفسه وعلى نسله ليحفظ أبناء أمة الإسلام والسلالة الإسلامية العظيمة والعريقة والتي قال فيها رب العزة والجلالة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١١٠).

والإسلام الحنيف يربي أبناءه على البعد عن كل ما يؤذي أبدانهم وأرواحهم ونفوسهم ويحضهم على العمل الصالح الطيب، وأن يبتعدوا عن مشاعر السخط والغيظ والكراهية والبغض والغيرة والحسد والانتقام والثأر، ويدعو الى الاستقرار وراحة البال والاعتماد على الله العلي القدير الذي يقف بجانب العبد في الشدائد والمصائب والنوائب ويحميه ويحفظه، إنه خير الحافظين.

أثر الحماية من العوز

لاشك أن العوز والحرمان من العوامل التي تسهم في نشأة الاضطرابات النفسية والعقلية، وإسلامنا الحنيف حريص كل الحرص على رعاية الأبناء وحمايتهم من الفقر والجوع والعوز، ولذلك جاء الهدي الإسلامي المبارك يفرض على الوالد رعاية أبنائه وحمايتهم كما في قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٣٣)، حتى لا يتعرض أبناء المسلم للتشرد، وما نلاحظه اليوم من ظاهرة «أطفال الشوارع» وهي ظاهرة تعد عارًا على جبين الأمة العربية والإسلامية، ومن بين أسبابها البعد عن الهدي الإسلامي المبارك في التضامن والتكافل والتساند والتعاون والبر والإحسان والتصدق.

ويدعو إسلامنا الحنيف للإنفاق والتوسعة على عباد الله كما في قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق: ٧).

والإنفاق على الأسرة فيه تدعيم لوحدة الأسرة وتماسكها وتضامنها، وفيه شعور بالأمن والأمان لجميع أعضائها، والوالدان عندما يحرصان على تربية أبنائهما تربية إسلامية صحيحة، فإن الأولاد بدورهم يكفلون الآباء والأمهات في سن الشيخوخة والكبر ويرعونهم ويعطفون عليهم ويعاملونهم بالحسنى ويدعون لهم بالصحة والبركة، هكذا يوفر إسلامنا العظيم شبكة من الرعاية والحماية والإعالة والحب والعطف والحنان قلما توجد في ظل ديانة أخرى أو في إطار أنظمة أخرى مهما ادعت الديموقراطية والإنسانية.

حماية الإسلام الحنيف أبناءه من الطمع والجشع والأنانية

وإسلامنا الحنيف يربى أبناءه على التعفف والقناعة والزهد، وبذلك يُبعد عن الشخصية الإسلامية مشاعر الطمع والجشع والأنانية والشره والحقد والغيرة والحسد، ويحمي الشخص من الإصابة بالسمنة أو البدانة الزائدة التي أصبحت من سمات العصر ومن أمراضه الشائعة.

وأثر السمنة obesity على الصحة الجسمية والعقلية معروف وليس في حاجة إلى بيان، فهي ترتبط بأمراض السكر وضغط الدم وأمراض القلب والشرايين وآلام المفاصل وغيرها.

فضلًا عن أنها تؤدي إلى ثقل الحركة وسهولة الشعور بالتعب والإرهاق.

والمسلم يتربى على الشعور بالأمن والأمان وعدم الخوف كما جاء في الهدي القرآني الكريم ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ (هود: ٦)، وذلك على عكس الفلسفة المادية الشائعة في بلاد الغرب والتي تبث في الفرد الشعور بالخوف والضياع والتعرض للجوع والتشرد والهلاك، حيث يشعر بالفردية والوحدة والعزلة، ولكن المسلم يعتمد على الله الخالق العظيم، فهو يضمن له ولغيره من الكائنات الحية رزقه، وهو أقرب إليه

أستاذ علم النفس في جامعة الإسكندرية

من حبل الوريد، يناديه في الأزمات والكوارث، ويشعر أن الله تعالى يقف بجانبه.. يسانده ويحميه ويشد من أزره.

الدعوة للحلم والرفق والأناة

والمسلم مدعو للحلم والأناة والرفق والعفو والصفح والتسامح، ومثل هذه القيم تحرر المسلم من مشاعر الحقد والانتقام والثأر والإيذاء، وبذلك يتم تطهير نفسه catharsis أو تحريرها أو تخليصها أو ابرائها من مشاعر العدوان والغيظ والغضب والانتقام والثأر والثورة وسائر الانفعالات السلبية الأخرى، وبذلك تركن نفس الإنسان الى الهدوء والسكينة والاستقرار وراحة البال وصفاء الذهن وخلوه من الشوائب والأضغان والأحقاد والغيظ.

وهكذا يعيش المسلم الحق في سلام مع نفسه ومع إخوانه من أبناء المجتمع المسلم، بل مع أبناء المجتمع العالمي، ومن هنا كان الإسلام دعوة عالمية، وفي هذا المعنى البليغ يقول القرآن الكريم ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وهنا يأتي الربط بين التحكم في الغيظ وضبطه وبين العفو والإحسان إلى الناس حتى تتطهر نفس المسلم من تلك المشاعر السلبية المدمرة، ويأمرنا الله عز وجل بالأخذ بسياسة العفو كما في قوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فمن شيم المسلم الحق العفو والصفح والتسامح والمغفرة ونسيان الأحقاد والبعد عن الكراهية والغيرة والحسد والطمع والجشع وكلها مشاعر مدمرة لنفس الإنسان. فالإسلام دين ودواء ووقاية وتوجيه وإرشاد ونصح وهداية كريمة تأتي من رب العباد.



الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن أبلغ النصح الإسلامي أن يأمرنا رب العزة والجلالة بالعفو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبغي والظلم والضلال، كما في قوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩). فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات المسلم الحق، وبذلك يصبح المسلم شخصًا إيجابيًا وليس سلبيًا.. يصبح فاعلًا ومؤثرًا في المجتمع الذي يعيش فيه.

وقوله تعالى في الدعوة للحسنى ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، وفي ذلك تحرير لنفسية المسلم من مشاعر العداوة والكراهية، وهي مشاعر قاتلة في عرف علماء النفس المحدثين، لا يدفع الإنسان بالحسن من الأمور بل بالتي هي أحسن وأفضل وأقوم، ويوضح القرآن الكريم الفرق بين الحسنة والسيئة حتى يتحاشى المسلم السيئات، وتلك قمة الإنسانية التي يربي الإسلام أبناءه عليها.

تربية الإسلام للمسلم تربية إنسانية متكاملة وشاملة قوامها الأخلاق الحميدة والسلوك الطيب والعلاقات الاجتماعية الجيدة والأخذ والعطاء، والحياة الحديثة مليئة بمظاهر التصارع والتطاحن والتنافس، أما إسلامنا الخالد فيأمرنا بالتحلي بالصبر والغفران، حتى تتطهر نفس الإنسان من كل مشاعر السلبية، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى: ٤٣)، فعندما يصبر الإنسان لا يعبر ذلك عن ضعفه وإنما عن قوته وعزمه وصحة آرائه وسلامة مسلكه.

ويدعونا الإسلام ليس للصفح وحسب، ولكن الصفح الجميل ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥) وذلك حتى يُحَبِّب إسلامنا العظيم إلى أبنائه الصفح، ويرشدهم إلى كيفية التمتع بالحالة النفسية التي تسود الإنسان عندما يصفح عن غيره وعندما يحسن إلى غيره. وفي ذلك أبلغ رد على من يقول كذبًا إن الإسلام انتشر بالغزو وبحد السيف، ولكن الحقيقة الساطعة أن الإسلام انتشر عن طريق جمال مبادئه، في الخير والحق والجمال والعدل والإحسان والرحمة والشفقة والبر والصدق والتعاون والأخذ والعطاء، تلك المبادئ الساطعة هي التي جذبت أهالي الأمصار الأخرى الى اعتناق الإسلام عن حب ورضا واقتناع، ولو كان الإسلام لا ينتشر إلا بحد السيف لما شاهدنا اليوم حتى في البلاد الغربية الناس يدخلون في دين الإسلام حبًا وطواعية حتى في ظل الدعايات المغرضة التي ينشرها أعداء الإسلام ضده بأنه دين عنف ودماء وإرهاب ويروجون لفكرة «الإسلاموفوبيا» أي ظاهرة الخوف المرضي غير المبرر من الإسلام.

القيمة الصحية للنوم الهادئ المريح

الهدى الإسلامي الكريم يحيط بالإنسان المسلم ليشمل كل جوانب حياته الأسرية العملية أو المهنية والاجتماعية والنفسية والعقلية والأخلاقية والروحية والإيمانية، ويرعى الإسلام صحة الإنسان ويحافظ عليها، وفي هذا العصر ازداد انتشار ما يعرف باسم اضطرابات النوم sleep disorders وهي كثيرة ومتعددة ومنها الأرق أو السهاد insomnia أو الحرمان من النوم والأحلام المزعجة والكوابيس dreams and nightmares والفزع أثناء النوم، وكذلك المشي أثناء النوم sleep walking ولقد جاء في الهدى الإسلامي ما يحفظ للإنسان نومًا هادئًا مريحًا مستقرًا، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن، ثم قال «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت». (رواه الإمام البخاري)، والنوم الهادئ المستقر يؤدي إلى راحة العقل والجسم وإلى النشاط والحيوية والانتباه واليقظة، ولذلك قيل فيه بحق: «إن النوم سلطان».

الحماية من أخطار التلوث المائي والهوائي والأرضي

يئن العالم كله الآن، وإن كان بدرجات متفاوتة، من آفة التلوث المائي والهوائي والأرضي water، air، and underground water pollutions. ويؤدي التلوث إلى اصابة الإنسان بكثير من الأمراض الجسمية والصدرية والكلوية والقلبية والعقلية، كما يحدث عند تسمم الأطفال بمادة الرصاص lead poisoning التي تؤدي الى اصابة الطفل بالتخلف العقلي.

ويدفع إسلامنا الخالد عن الإنسان خطر التلوث بكل أنواعه وأشكاله بالحض على عدم التبول في الماء الراكد أو التغوط في طريق الناس أو في ظلهم وفي موارد المياه العذبة اهتداء بقوله تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨)، فالإسلام ينهى الإنسان عن إيذاء نفسه وغيره، ومعروف أن التغوط في مجاري المياه العذبة يؤدي الى انتقال العدوى، وذلك حتى يحيا المسلم في بيئة نظيفة صالحة لا تهاجمه فيها الأمراض والجراثيم والأوبئة، ولا تنتشر فيها الحشرات والقوارض والأفاعي.

فالإنسان يحمي نفسه وغيره بالمحافظة على نظافة البيئة، بل إنه مدعو لأن يعمل على تجميلها وتحسينها وتنميتها واستغلالها واستزراعها ونشر الخير والرخاء فيها ذلك لأن الإنسان، كما يقول علماء النفس المحدثون هو ابن البيئة والوراثة، بمعنى أن شخصيته تتشكل من عوامل الوراثة التي تأتيه من الآباء والأجداد والأمهات، ومن الظروف البيئية التي ينبغي أن تكون حسنة وصالحة وفيها تربية على الفطرة السوية.. فطرة الإسلام العظيم.

القيمة النفسية للشعور بالعدل والمساواة

والشعور بالعدل من المشاعر الإيجابية التي تؤدي الى تمتع المسلم بالصحة النفسية الجيدة، وتبث فيه الشعور بالرضا والراحة، ومن الأمور الشائعة، للأسف الشديد، في أيامنا هذه، عدم توخي الآباء والأمهات العدالة في التعامل مع الأبناء الذكور والإناث، ويدعو إسلامنا العظيم الى كراهية تفضيل الوالد لبعض أولاده على بعض في الهبة أو العطايا أو المصروف اليومي، وفي هذا الهدي الإسلامي الكريم جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: «إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال لا، فقال رسول الله ﷺ «فارجعه».

فالعدل في تربية الأطفال من فضائل الإسلام، ذلك لأن الطفل إذا تربى على الشعور بالعدل، شب عليه واتخذه منهجًا وطريقًا له في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأسرية، الى جانب مبادئ إسلامنا العظيم الأخرى في البر والإحسان والتقوى والرحمة والورع والخشوع والمساواة وتكافؤ الفرص والحرية والتعاون والأخذ والعطاء ونبذ الظلم والطغيان والبطش والاستبداد والعنف والتطرف والاستقواء بالقوى الأجنبية للبطش بالشعوب.

الصحة النفسية هي حالة إيجابية يستطيع الفرد معها القيام برسالته في الحياة

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- محمد فؤاد عبدالباقي (١٩٨١)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣- الامام النووي، تعليق إبراهيم محمد الجمل (١٤١٢هـ)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار القلم للتراث، القاهرة، مصر.

٤- الجزائري، أبوبكر جابر، (١٩٦٤)، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، مكتبة دار التراث، القاهرة.



وغيرك يهدم!

عبر سنين طويلة من القرن الماضي شُغِلت الساحة اللغوية بحرب ضروس عمل مشعلوها على هدم بنيان اللغة العربية من القواعد ، وتولى كبرها شرذمة من المستشرقين الذين اندسوا بين العرب واتخذوا لأنفسهم أبواقًا- من هؤلاء العرب- تنعق بما لا تفهم ، أو ربما فهمت لكنها آثرت المصالح الدنيا ، وغلَّبت التضحية بمصير أمة بكاملها لتعيش أيامًا تبدو لها هانئة !

فصول هذه الرواية المريرة مسطورة فيما أنتجته قريحة الجيل الذي عاصرها ، ولعل من أخلصها كتاب «أباطيل وأسمار» لشيخ العربية أبي فهر محمود محمد شاكر . . وتفصيل هذه الفصول في كتاب «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» للدكتورة نفوسة زكريا سعيد الذي أثنى عليه أبوفهر في كتابه هذا ، مؤكدًا أنه لو كان قرأه من قبل لأعرض عن الكتابة في هذا الموضوع لكفايته فيه . . ولهذا الثناء ما له من الدلالة ، لاسيما أنه يصدر من رجل بحجم شيخ العربية !

أما اليوم ، فيبدو للرائي أن القطار على قضبانه منطلق في صمت ، غير عابئ ولا ملتفت لمصير من اعترضه أو صاح لإيقافه ، توطئ له الطريق معاول هدم جمة ، لا مجال لذكر شيء منها هنا ، فضلًا عن حصرها ، والعجيب في الأمر أن الأبواق التي كانت مأجورة من قبل اضطلعت بالمهمة حتى بدت وكأنها هي صاحبة القضية ، فغطت على رجالها الأصليين ، فآثر كثير منهم الصمت لَمَّا رأوا ما يَصْبون إليه يقع بأيدي غيرهم ! وأما دفاع اللغة فلسان حاله يقول :

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

عامر أحمد



القيم التربوية في قصص عبدالتواب يوسف

محمد عباس عرابي

عبدالتواب يوسف كاتب نذر حياته لأدب الأطفال، مبدعًا ودارسًا، وقدم لهم بالإضافة إلى كتبه الكثيرة بضع مئات من البرامج الإذاعية وهو كاتب يمتلك أدواته؛ فكرا وإبداعا، لغة وأسلوبا، يدرك تأثير أعماله على الأطفال، ويعرف عن يقين أنه يشارك في تثقيف الأطفال، وفي تربيتهم على قيم ومثل آمن بها وعمل من أجلها.

ولقد قدم أعماله بأسلوبه السهل البسيط في مخاطبة الأطفال، فهو يختار مفرداته ببراعة ودقة ليكون لديهم ثروة لغوية كبيرة، ومن ثمّ فلم يهتم فقط بالمضمون، ولكنه اهتم بالعناصر الفنية كافة في أعماله التي ستظل كنزا ثمينا لأجيالنا القادمة. ولقد اهتم كاتبنا بقضايا الطفولة والوطن، واهتم اهتماما خاصا بالموضوعات التاريخية لتقديم صفحة من صفحات تاريخنا المشرق، وإلقاء الضوء على قصص وأبطال من التاريخ لتكون قدوة للأطفال والناشئين، وتأكيدا لقيم الوطنية والانتماء وحب السلام ونبذ الحرب والدمار، إلى جانب اهتمامه بالموضوعات الدينية، وتقديم قصص دينية للأطفال من أجل إثراء وجدانهم الديني وثقافتهم الروحية.

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على القيم التربوية في قصص عبدالتواب يوسف: وذلك لأن عبدالتواب يوسف أدرك أهمية هذه القيم في حياة الطفل، وأدرك الأنواع المختلفة من القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية، وأنها ضرورة تربوية، لذلك كان لها دور مهم في ثنايا أعماله القصصية حيث يقول في كتابه «حول أدب الأطفال وكتبهم»:

القيم الدينية والأخلاقية تعتبر المحور الأساسي لجميع ما أقدمه للأطفال في جميع المجالات العلمية والثقافية والفنية، وأنا لا أجذب الطفل من أذنه بعنف إلى مجالات التربية والأخلاق، بل اعتمد على القصص التي قد تكون حقيقية مستمدة من التجربة الذاتية أو مما قرأت أو سمعت.

وتعددت القيم التربوية التي دارت حولها قصص عبدالتواب يوسف منها: قيمة الاستقلال وتحمل المسؤولية، قيمة الطموح، وقيمة حب القراءة والاطلاع، قيمة التعاون، وقيمة حب الاستطلاع، قيمة النظام، قيمة التواضع، قيمة الشجاعة، قيمة الصداقة، قيمة الثواب والعقاب، قيمة الحب والسلام، قيمة التسامح، قيمة النجاح، قيمة التفاؤل.



قيمة الاستقلال وتحمل المسؤولية

ويقصد بهذه القيمة: الاعتماد على الذات (تحمل المسؤولية)- حرية التصرف دون الاعتماد على الآخرين- نقد الأفكار الأخرى- اتخاذ القرار، وقد ظهرت هذه القيمة في قصص: عم نعناع، المعلم النبيل، ليلى عروستي آخر شقاوة، السندباد يقابل «كينج كونج»، أشبال ٦ أكتوبر، بامبي، خيال الحقل، صديقي فوق الشجرة، سيف الله خالد بن الوليد.

ففي قصة «المعلم النبيل» بدأ يوسف مشوار التعلم والعمل معا، واعتمد اعتمادًا كاملًا على نفسه، فكان يعمل وينفق على دراسته في الأزهر، وفي قصة «صديقي فوق الشجرة» تقول الأم: يجب أن نعتمد على أنفسنا، وبدأ كل واحد من أفراد الأسرة يقوم بعمله.. وتؤكد الأم على قيمة هذا العمل فتعود وتقول: إن هذا العمل هو متعتنا.. العمل ليس شيئًا مملًا أو واجبا يقوم به الفرد ولكن لابد أن يؤدي هذا العمل بحب وسعادة.

ومن خلال قيمة الاستقلال وتحمل المسؤولية يحاول عبدالتواب يوسف أن يبث الشعور لدى الأطفال بالقدرة على تحمل المسؤولية ومواجهة العقبات والصمود في المواقف الصعبة حتى يستطيع أن يواجه الحياة بما فيها من مشاكل.

كاتب صحفي مصري



الاستقلال .. الطموح.. حب القراءة .. التعاون..النظام التواضع .. قيم غرسها عبدالتواب يوسف في قرائه

قيمة الطموح

وهي تشير إلى المستوى الذي يطمح الفرد إلى أن يصل إليه أو يتوقعه لنفسه سواء في تحصيله الدراسي أو في إنجازه العلمي أو في مهنته، وهي قيمة تربوية مهمة ظهرت في معظم قصص عبدالتواب يوسف منها قصة «المعلم النبيل»، وقصة «الشجرة المنتصرة»، ففي قصة «المعلم النبيل» نجد أن «يوسف» كان إنسانًا طموحًا يسعى إلى أن يصل إلى كل ما يتمناه.. فكان يحلم بأن يتعلم ويكون له شأن عظيم واستطاع بالجهد والإصرار أن يتعلم وأن يعمل معلما وأن يعلم الأطفال قيما مهمة في الحياة.. وأن يكون له دور في الدفاع عن وطنه.

قيمة حب القراءة والاطلاع

وهي تعبر عن أهمية القراءة والاطلاع على أنواع الكتب، والبحث عن الكتاب سواء في مكتبة المدرسة أو في مكتبة عامة، ولهذه القيمة اهتمام خاص لدى عبدالتواب يوسف حيث تناولها في قصة «عم نعناع» و«السندباد يقابل كينج كونج» و«المعلم النبيل» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«حكايات توشكى» و«أشبال ٦ أكتوبر» ففي رواية «ليلى عروستي آخر شقاوة» تقول الأم: إن الصغيرة ريم تحب الناس، وتحب أن تعيش بينهم ومعهم ولهم، وهي قارئة ممتازة، تتردد على المكتبات، ويطيب لها الجلوس حول الموائد فيها بين زميلاتها، وهن جميعا صامتات، فهنا لا يعلم الكاتب الطفل حب القراءة والتردد على المكتبات فقط، ولكنه يعلمه أيضا آداب القراءة في المكتبة حيث الهدوء والصمت للاستمتاع الجيد بما يقرأه.

قيمة التعاون

وهي قيمة تشمل تقديم المساعدة للمحتاجين إليها والعطف عليهم، وتشمل العمل الجماعي والاتحاد لإنقاذ عمل ما أو لدفع الخطر وتجنب الاختلاف في الرأي للمحافظة على وحدة الجماعة، وقد ظهرت قيمة التعاون في قصة «عم نعناع» و«أشبال ٦ أكتوبر» و«سيف الله خالد بن الوليد» و«المعلم النبيل» و«السندباد يقابل كينج كونج» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«خيال الحقل»، ففي قصة «سيف الله خالد بن الوليد» تظهر قيمة التعاون عندما تحمس المؤمنون للحفر، وكان الرسول ﷺ يعمل مثلهم، وفي رواية «عم نعناع» تعاون الأطفال معًا في فتح مكتبة عم نعناع، وتم تقسيم الأدوار بينهم، كما تعاون الأطفال في عمل فريق كرة ليلعبوا على كأس العم نعناع، وعملوا فريق تمثيل ومسرحية، وكان دخل كل من الكأس والمسرحية لصالح العم نعناع حتى يستطيع إجراء العملية في عينيه، وبالفعل نجحوا في ذلك، وعاد العم نعناع إلى مكتبته مرة ثانية نتيجة تعاون الأطفال معًا وإصرارهم على عودة عم نعناع.

قيمة حب الاستطلاع

للقصة دور كبير في تنمية حب الاستطلاع والفضول المعرفي لدى الطفل وتشجيعه على التساؤل والاستفهام عما لا يعرفه، وقد اهتم عبدالتواب يوسف بهذه القيمة من خلال بعض قصصه مثل قصة «بامبي» و«المعلم النبيل» و«السندباد يقابل كينج كونج» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«خيال الحقل» و«رحلات سندباد الجديدة» و«الربان الجريء»، ففي قصة «الربان الجريء» كان «رحمة» يحاول في دأب شديد أن يعرف كل شيء وأن يلم بما يجري حوله.. فقد كان شغوفًا ومهتمًا بالبحر والسفن فلم يكن «رحمة» يكف عن السؤال عن حكايات كل من (العثمانيين- الفرس- الهنود- أوروبا ممثلة في البرتغال وفرنسا وهولندا وإنجلترا).

قيمة النظام

ويقصد بها الاهتمام بالترتيب والنظام في كل أمور الحياة، وقد ظهرت هذه القيمة في قصة «عم نعناع» و«المعلم النبيل» و«الشجرة المنتصرة» و«صديقي فوق الشجرة»، ففي قصة «الشجرة المنتصرة» يُظهر الكاتب أهمية النظام في تحقيق الهدف، فعندما تجمع تلاميذ المدرسة وقفوا بنظام متشابكي الأيدي ليكونوا سورًا حول الحديقة.. وارتفعت الأصوات تهتف وتنشد.. ساد النظام، وأقبل الناس يشهدون المنظر وانضم بعضهم إليهم.

قيمة التواضع

ويقصد بها عدم التمادي في تقدير الذات (البعد عن الغرور)، وعدم الميل إلى فرض الشخصية، وظهرت هذه القيمة في حكايات «توشكى» و«المعلم النبيل» و«الربان الجريء» و«سيف الله خالد بن الوليد» وفيها رأينا كيف كان رسول الله ﷺ يعمل بنفسه مع الصحابة في حفر الخندق، وينقل التراب معهم، وفي هذا دلالة على تواضع الرسول ﷺ، فالإسلام يدعو إلى المساواة بين الناس وهم كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

قيمة النجاح

وهي تشمل التفوق في الدراسة والعمل ومختلف مجالات الحياة الأخرى، وتحقيق الأهداف المرسومة في الحياة، ولقد ظهرت في قصة «أشبال ٦ أكتوبر» و«خيال الحقل» و«عم نعناع» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«المعلم النبيل» و«سيف الله خالد بن الوليد»، ففي قصة «ليلى عروستي آخر شقاوة» نجحت «ريم» في تحويل الفشل إلى نجاح، فقد انشغلت بعض الشيء عن دراستها وعن دروس الكمبيوتر، ولكنها قررت ألا تفشل واستكملت دراستها المتأخرة حتى تنجح.

قصة العدد

أحسن الخروج يا عمرو!

عاصم الأدفوي

كان ذلك في صبح الإسلام.. وقد انتهى المسلمون من فتح شبه الجزيرة العربية ودانت لهم من أدناها إلى أقصاها.. واتجهت أنظار المسلمين نحو الشام ومصر وفارس لنشر دين الوحدانية بين هذه الدول والأمم التي كانت تخضع للإمبراطوريتين الرومانية والفارسية.

وفي يوم خالد من تلك الأيام، وحين انتهى عمرو بن العاص من فتح قيسارية واتجه ناحية غزة يبتغي فتحها أيضا.. ووصل إلى مقربة من سهولها.. وحالما توقفت رواحل المسلمين، وأخذوا يدقون أوتار الخيام...ويطعمون الإبل.. ويأخذون حظهم من الراحة بعد التعب والكفاح.. وصل رسول حاكمها المسمى «العلج» كما كان العرب يطلقون على حكام المدن، وبالقرب من خيمة عمرو بن العاص أوقف أحد المسلمين رسول حاكم غزة ونادى على عمرو.

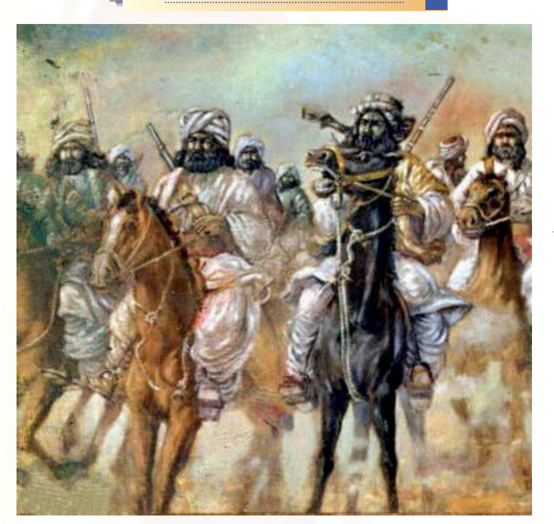
يا عمرو.. إن هنا رسولا من حاكم غزة يطلبك.

وخرج عمرو بن العاص وحيا الرسول ثم سأله:

ما حاجتك؟

قال الرسول: إن مولاي حاكم غزة يرجو منك يا سيدي أن ترسل رجلا من أصحابك أو جندك إليه ليكلمه.

قال عمرو بن العاص في نفسه: «ما لهذا أحد غيري» ثم توجه بحديثه بعد سكتة قصيرة وقال لرسول الحاكم: اسمع يا هذا.. اذهب وقل لمولاك إن



عمرو بن العاص سوف يرسل لك واحدا من رجاله وأصحابه.

وبعد قليل خرج عمرو وقد غير من ثيابه، وخفف من لحيته، وشد غطاء رأسه على جبينه قليلا، ولقيه أحد أصحابه وسأله:

هل اخترت الرجل يا عمرو؟

قال عمرو: نعم وقعت على اختياره.

سأل الصاحب: ومن هذا الذي سيقوم بالسفارة إلى علج غزة وحاكمها.

قال عمرو، وهو يبتسم ليخفف وقع الصدمة:

هو أنا يا صاحبي.

رد الصاحب:

إن هذا لا يمكن أن يكون يا عمرو إننا لا نأمن عليك مكرهم خصوصا وأنهم أناس لا ذمة لهم ولا ميثاق.

وهون عمرو بن العاص عليه الأمر وقال له:

إن إرادة الله نافذة علي سواء كنت داخل خيمتي في يثرب.. أو كنت جالسا على بساط حاكم غزة... ولدينا من الإيمان ما يدفعنا.. ويدفع كل مسلم لأن يضع روحه على كفه.. ولقد وعدنا الله حقا.

لم يحدث شيء غريب بالنسبة لعمرو بن العاص، فقد جلس مع حاكم غزة، ومع كبير حراسه، وذوي المهابة الذين كانوا خليطا من الرومان ومن أبناء البلاد... ثم دارت عليهم أقداح شراب التمر والزبيب.

واستعمل كل منهما وسائله للتأثير في الآخر، عمرو بن العاص في جانب وبمفرده والحاكم وحاشيته في جانب آخر، وواجههم عمرو جميعا أعزل إلا من لسان ذرب وحكمة سديدة صائبة المرمى.

وكبر عمرو بن العاص في نظر حاكم غزة، وما كان الحاكم بالشخص الهين حتى يفوته أن هذا العربي الذي بين يديه إنما هو رجل عزيز الجانب عظيم المكانة في قومه المسلمين.

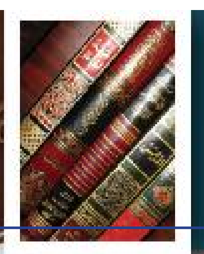
وعندما انتهى المجلس، وقف الحاكم الروماني إيذانا بانتهاء الجلسة فوقف عمرو بن العاص على الفور، واستعد للانصراف وتوجه الحاكم بسؤال أخير إليه:

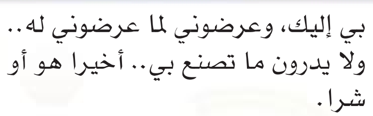
أيها العربي أود أن أسألك هل في أصحابك أحد مثلك.

فقال عمرو وكأنه أعد الجواب سلفا:

لا تسأل عن هذا إني هين إذ بعثوا

كاتب و قاص





بي إليك، وعرضوني لما عرضوني له.. ولا يدرون ما تصنع بي.. أخيرا هو أو شرا.

فتمتم الروماني:

حسنا.. حسنا.. تصحبك السلامة أيها العربي الأريب.

ثم نادى أحد رجاله بصوت عال، وقال له وهو يودع عمرو بن العاص.

أمرنا للعربي بجائزة وكسوة.

وبعد أن انصرف عمرو بن العاص أمر الحاكم اليوناني بإبلاغ حرس باب المدينة أن يقتل العربي الذي سيصله بعد قليل وأن يأخذ الهدايا التي معه هدية له.

أما عمرو بن العاص فكان مبتسما من أعماق القلب لما حققه من تأثير في نفوس أعدائه.. غير أن هذه الفرصة كان يخالطها شك لا يدرك كنهه تجاه الحاكم الروماني... لكن لم يظهر لعمرو أي إيماءة ولو صغيرة منه.

كان عمرو بن العاص يسير متوثبا، وهو يدرس ويدرس ويخطط كل دروب المدينة وطرقها.. وكأنه يحضرها ويحضر تفاصيلها.. وأنواع الأبنية والحجارة المستخدمة فيها.. وكل ما يمكن أن يعين المسلمين على اقتحام المدينة بعد ذلك.

– أهلا بك يابن العاص.

وصافح عمرو الرجل الذي عارض طريقه:

– أهلا بك.. كيف أحوالك يابن شرحبيل.. كيف الحال عندكم؟ وكيف حال نصارى غسان.. لقد عرفتني يا غساني.

– وهل يتوه عنى ذكاؤك يا عمرو.. لكن دعك من كل هذا.. وإني ألحظ رجالا من رجال الروماني حاكم المدينة.. أود أن أقول لك يا عمرو «لقد أحسنت الدخول فأحسن الخروج».. وسلام لأن العيون ترصدنا.

ولمست هذه العبارة عقل عمرو في الصميم.. وترك التفكير في رسم خطة دخول المدينة، وابتدأ يعمل عقله بسرعة، للنجاة من المصير الذي يكاد أن يقع له.. وتوقف في منتصف الطريق ثم عاد أدراجه إلى قصر الحاكم وسرعان ما عرف الرومي أن صاحب السفارة العربي، قد عاد مرة ثانية، فنزل وجلس في مجلسه المختار.

وعندما وقف عمرو بن العاص بالقرب منه قال له الحاكم الروماني:

– ما ردك إلينا أيها العربي

فتبسم عمرو وهو يقول:

– نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسعني وبني عمي فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم مثل هذه العطايا فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد.

– حسن أيها العربي.. اذهب وأعجل بهم.

وقبل أن يصل عمرو بن العاص إلى باب الحصن بوقت طويل، وصل جندي من حرس الحاكم إلى حرس باب المدينة وأبلغهم أن خلوا سبيل العربي.. ولا تقتلوه.. ولا تلمسوه بشيء.

بعد أن عبر عمرو بن العاص من باب الحصن، وتأمل عيون حرس باب المدينة، ظل يردد في نفسه «لا عدت إلى مثلها أبدا.. لا عدت إلى مثلها أبدا».

لكل قصة خاتمة.. فهذه سنة الكون.. ولما انتصر المسلمون بعد ذلك بقليل على مدينة غزة.. ودخلها عمرو بن العاص فجلس في أحد بيوتها، وانتظر عمرو مقدم حاكمها الرومي.. وأدخل عليه الحاكم.. وعندما تعرف الحاكم على عمرو بن العاص اتسعت عيناه وظن أن ما رآه إنما هو أضغاث أحلام.. ثم قال بعد أن تماسك قليلا لعمرو:

– أنت هو؟

فأجاب عمرو:

– نعم يا رومي.. على ما كان من غدرك وخبث نفسك.

أخبار ثقافية

■ بتمويل هولندي افتتحت دار الآثار المصرية سبيل وكتّاب السلطان العثماني مصطفى الثالث، اللذين بناهما في حي السيدة زينب في القاهرة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وقد دعمت هولندا مشروع ترميم السبيل والكتاب؛ نظراً لأن التراث المصري والهولندي متجذران في هذا المبنى الأثري، حيث يحتوي على ٢٠٠٠ بلاطة خزفية من جنوب هولندا تشتمل على صور ومناظر من الحياة اليومية في ذلك البلد إبان القرن الثامن عشر.

■ دخلت جمهورية تتارستان الروسية (حكم ذاتي) ذات الأغلبية المسلمة موسوعة «جينيس» للأرقام القياسية، بعدما عرضت أكبر مصحف في العالم، وقد تم إعداد المصحف في ايطاليا بطلب من تتارستان، ويبلغ عرضه متراً ونصف المتر، وطوله متران، ويحتوي على ٦٣٢ صفحة، ويزن ٨٠٠ كج، ورصع غلاف هذا القرآن بأحجار كريمة.

■ أكثر من مائتي كاتب على مستوى العالم يتنافسون على جائزة نوبل للآداب للعام الحالي ٢٠١٢م، ومن المنتظر أن تعلن النتائج في شهر أكتوبر القادم، وكان قد فاز بالجائزة العام الماضي ٢٠١١م الشاعر السويدي توماس ترانسترومر.

■ عن جمعية المحامين الكويتية وضمن سلسلة «المحامي» صدرت مجموعة التشريعات الكويتية التي تمكن من معرفة تفاصيل العديد من القوانين، وتتيح المزيد من الثقافة القانونية، سواء لدى الاختصاصيين والدارسين أو المواطنين.



القراء: نشعر بالقديم.. ومن عيوب الجديد مشكلات الحفظ والصيانة

مستقبل الكتاب الورقي بعد مزاحمة الإلكتروني.. إلى أين؟

تحقيق: منير أديب

منافسة الكتاب الإلكتروني للكتب الورقية جعلت الناشرين يشعرون بخطر شديد على الكتاب الورقي؛ خشية أن يهبط من عرشه الذي تربع عليه طوال عقود طويلة، فوجدنا هؤلاء الناشرين قاموا بتجويد الكتاب الورقي، سواء من خلال الورق الذي يريح العينين مهما كان ضعفهما، أو باختراق الكتاب الورقي لعالم الحدود والحواجز، والذي لم يكن قادرا فيما مضى على اختراقها؛ حتى يسد الدافع وراء بحث الناس عن الكتاب الإلكتروني. ولكن- وبعد هذه المحاولات- هل يظل الكتاب الورقي متربعا، أم أن الكتاب الإلكتروني سوف ينزله من فوق هذا العرش.. مما يدفع الناشرين للبحث عن النشر الإلكتروني؟

في البداية، يقول عزت مصطفى: إنني أفضل الكتاب الورقي بطبيعة الحال، فأنا أشعر بروح ربما أفتقدها عند تصفح الكتاب نفسه على الكمبيوتر، ولا يمكن للكتاب الإلكتروني أن يحل محل الكتاب الورقي مهما تطورت التكنولوجيا.

وأضاف، ربما يحتاج الباحث أو القارئ إلى كتاب، ويفتقد نسخته الورقية فيضطر للبحث عنها عبر التسوق الإلكتروني، ليس حبا في قراءة الكتاب بهذا الشكل، ولكن لأنه يفتقد النسخة الورقية، وهناك من يقوم بطباعته بعد شرائه؛ حتى يتمكن من تصفحه على الورق.

ولفت مصطفى إلى أن التكنولوجيا أتاحت بشكل كبير الانتشار للكتاب الإلكتروني، ولكن هذا ليس معناه انتهاء عصر الكتاب الورقي، ولك أن تتخيل أنك تقرأ رواية أو قصة عبر الكمبيوتر، هل ستشعر بها كما تقرأها وهي بين دفتي كتاب؟!

وأكد أن الكتاب الورقي مثل الإنسان.. لحم ودم وروح أيضا، ويصعب ألا يشعر الإنسان بما يقرأه، وإذا حدث فلا طعم ولا إحساس للمادة المقروءة، لذلك سوف يظل الكتاب الورقي متربعا على عرش الكتب بشكل عام، ومتفوقا على الكتاب الإلكتروني.

يقول الشاعر سلامة عبدالسميع: لا أشعر بما أقرأ إلا إذا كان ما أقرأه من كتاب، وكثير من مثقفينا مازالوا يجهلون وسائل التكنولوجيا الحديثة. وتبدو أهمية الكتاب الإلكتروني في أضيق الحدود، ليس أكثر أو أقل، فإذا تعذر الحصول على الكتاب الورقي ففي هذه الحالة يكون الإنسان مضطرا لغيره.

ويضيف، توقع البعض أن ترتفع مبيعات الكتاب الإلكتروني إلى الثلث أو النصف في المستقبل، مقارنة بالورقي، ويبدو تطبيق هذا الأمر صعبا من الناحية العملية؛ لأن الكتاب الورقي ينشر على قطاع كبير، فضلا عن أن فكرة التوزيع تعادل الانتشار، فيصل إلى قطاعات كبيرة من الناس في كل أنحاء العالم.

> **الورقي يتربع على عرش القراءة.. والإلكتروني يخترق الحدود والحواجز**

وذكر عبدالسميع أن انتشار الكتاب الإلكتروني مرتبط فقط بنوعية محددة من الكتب، وهي الأكاديمية، والتي يزيد إقبال الطلاب عليها، والذين يعدون أبحاثا يقبلون على استخدامها لسهولة البحث والاسترجاع منها مقارنة بالكتب الورقية.

وربما، وحسب تأكيد الشاعر المصري، يكون الانتشار الالكتروني والتقدم الهائل في الحاسوب وراء فكرة انتشار الكتب الإلكترونية، خاصة وأنه يمكن أن تحول مادة الكتاب الورقية إلى نسخة مسموعة فتسهل عليك الاستفادة والاطلاع على غير الكتاب الورقي.

وأنهى كلامه بأن هناك طرحا، والناشرون قد استغلوه، حتى يحققوا أعلى نسبة مبيعات، ينشر الكتاب ورقيا، وبجوار النشر الورقي ينشر الكتاب إلكترونيا، فمن لا يتمكن من الاطلاع عليه في نسخته الورقية يمكن أن يطلع عليه في نسخته الإلكترونية.

يقول محمود المصري: أظن أن المستقبل للكتاب الإلكتروني، فأي نسخة لكتاب إلكتروني تخترق الحدود مباشرة، وبالتالي يقرأها أضعاف أضعاف من يقرأون النسخة الورقية لسبب بسيط، هو أن النشر الإلكتروني



أسهل ومتاح، فأنت يمكنك البحث عن المعلومة والوصول إليها في التو والحال، وهذا لا يتوافر للكتاب الورقي.

ويستطرد، العبرة ليست في الحصول على المعلومة.. وإنما في الحصول عليها في الوقت المناسب، فيمكنك- بقليل من البحث وفي وقت قليل جدا- الحصول على ما أردت من كتاب وأنت جالس في مكانك دون أدنى مشكلة، ودون تضييع للوقت، فهو يدعم من فكرة الثقافة، ويخلق مساحة كبيرة للمعرفة المشتركة. أتوقع مع الوقت ألا يكون هناك مكان للكتاب الورقي! وأن يتعود القارئ على الكتاب الإلكتروني، فكما أن بعض الناس يشعرون أن الكتاب الورقي له روح، سوف يشعر غيرهم من الأجيال الأخرى بعكس ما يرونه، لأنهم سوف يتربون على مفهوم جديد في النشر اخترق العالم بأكمله.. وسوف يستمر.

ومن مميزات الكتاب الإلكتروني، كما يقول المصري: انه يمكن إتاحة قراءته بصور شتى لتناسب مختلف أنواع القراءة، كفاقدي البصر وكبار السن، كما أن متصفحي الكتاب الإلكتروني يمكن لهم أن يبحثوا في كل أجزاء النص بكلمة أو معلومة، وتظهر نتيجة البحث في التو والحال، كما أن الكتاب الإلكتروني يمكن دعمه بوسائل ووسائط أخرى كثيرة.. منها الصوت والصورة الساكنة والمتحركة أيضا، هذا فضلا عن تخفيض الزمن المستغرق في النشر، وكذلك التكلفة، حيث لا تتم الطباعة على الورق.

يقول المذيع عبدالحميد عوض: للكتاب الإلكتروني عيوب كثيرة، منها ارتفاع أسعاره، وهو ما يدفع الناس للزهد في القراءة عموما، فضلا عن مشكلات الحفظ والصيانة، وهو ما



يهدد الكتاب بالزوال في لحظة واحدة من على الجهاز.

ويضيف، تبدو السرقة أكثر في الكتاب الإلكتروني، فهناك متخصصون في السطو على حقوق المؤلف والناشر معا، ونسخ مادته كثيرا، فضلا عن أن النسخ الإلكترونية تقل فيها العناوين عن الكتاب الورقي.

الإلكتروني وسيلة لانتشار المطبوع

ويقول صاحب شركة للنشر والتوزيع هشام أبوالمكارم: مع تزايد المستخدمين لشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) تتجدد المخاوف من تأثير ذلك سلبا على مستقبل الكتاب المطبوع، خاصة مع انتشار فكرة الكتاب الإلكتروني.. ويضيف، أرى أن السنوات الماضية أثبتت- بما لا يدع مجالا للشك- أن تلك المخاوف ليس لها أساس من الواقع، بل على العكس، ربما يكون هذا الفضاء الواسع عاملا إيجابيا يضيف إلى أهمية وانتشار الكتاب المطبوع، ويسهم في وصوله إلى قطاعات لم يكن الناشرون يحلمون بالوصول إليها في الأساس.

ومن أهم النتائج التي خلفتها مواقع الإنترنت- وفي المقدمة منها مواقع التواصل الاجتماعي- أنها أسهمت في خلق جيل جديد من الكُتاب يضم مواهب حقيقية لم تكن لتجد طريقها للنشر من قبل، ووجدت طوق النجاة لإبداعاتها عبر المدونات والمنتديات ومواقع التواصل مثل فيس بوك وتويتر.. ليس هذا فحسب لكننا وجدنا أيضا جيلا جديدا من القراء، حيث أصبح الشاب حريصا على اقتناء الكتاب ومتابعة ما يكتبه أبناء جيله، سواء عبر الكتب المطبوعة أو النشر الإلكتروني.

وتابع: ومن واقع تجربتي كناشر أعتقد أن شركتي استفادت كثيرا من الإنترنت، حيث تواصل معي شباب كثيرون، ومبدعون في أقاليم مصر المختلفة ومن دول عربية أيضا.. إلى جانب أن مواقع التواصل التي يستخدمها ملايين المشتركين وفرت لنا وسيلة مجانية للدعاية لم تكن متاحة من قبل.. ويكفي أننا نكتب على صفحتنا على فيس بوك خبرا عن صدور كتاب جديد فيقرأه في نفس اللحظة خمسة آلاف شخص على أقل تقدير، ونحصل منهم على تعليقاتهم وانطباعاتهم عن الجزء الفني المتعلق بأغلفة الكتب التي نصدرها.

ولفت إلى أن ما صدر أخيرا من مواقع الكترونية متخصصة في تسويق نسخ الكترونية سوف يسهم في تعويض دور النشر عن أي خسائر تحققها النسخة المطبوعة من الكتاب، ويضمن وصول كتبها إلى أي قارئ في أي منطقة من العالم.

أما الخطورة الحقيقية في هذا المجال فهي عمليات القرصنة التي تقوم بها بعض المواقع على كتب المشاهير، حيث يحولونها إلى نسخ الكترونية، ويتيحون تحميلها مجانا لرواد مواقعهم، وهو ما يتعارض مع قانون حقوق الملكية الفكرية، ويكبد الناشر الحقيقي لهذه الكتب خسائر فادحة.

وينهي كلامه، بأن حل هذه المشكلة يكمن في نشر الوعي بحقوق الملكية الفكرية عبر وسائل الإعلام، وتفعيل مواد القانون التي تجرم السطو على إبداعات الغير.



«ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان»

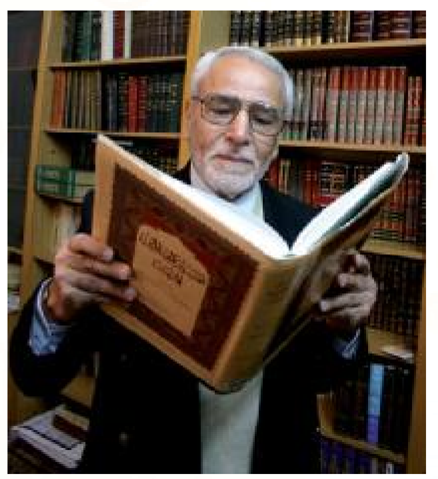
أنس عزت أغا

ذكر مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا أنه خلاصة تجربة له خلال نصف قرن من الزمان، في جميع مراحل التعليم وكثير من الأقطار العربية والإسلامية، تفتح أعين العرب والمسلمين على ما وصلنا إليه في ميادين التعليم والبحث العلمي ولغة القرآن الكريم، بعد أن استسلمنا للعدو الغاشم، ونحن نوهم أنفسنا أنه صديق مخلص من الناصحين.

المحورُ الأول في الكتاب تناول موضوع التعليم: كيف خطّط لمسيرته رجالُ التنصير والاستعمار، بالغزو الثقافي لميادين التربية في المدارس والمعاهد والجامعات والنشر والإعلام، وفي مناصب التوجيه والتنسيق والبرمجة، ليُخرِّجوا لنا شبابًا لا يصلح للأبوة والرعاية والعمل، وفتيات لا يصلُحن للزوجية والأمومة والبناء، فقد وضعت مناهج التعليم في صور هزيلة قاصرة مشوّهة، من مهازل التاريخ الحاضر، ومن المعلومات المسطحة المستهلكة.

وأما المحور الثاني فيتناول واقع البحث العلمي، في بلاد المسلمين عامةً والعرب خاصة، بعد أن تسلم أزمّته أنصار الغزو الثقافي، ورجالات السياسة الشرقية والغربية، وجعلوه في حيّز محدود لا يكون منه تفتح أو بناء أو استقلال، وفي مقابل ذلك يتضح ما وضعه الإسلام في أصول البحث والعرفان، وأسّسه علماء العرب والمسلمين من مناهجَ موضوعية تطبيقية، وأساليبَ تحقق خلافةَ الإنسان لله في الأرض.

ثم رأينا ما أحدثه الاتحاديون والأوروبيون والإنجليز، باسم الأخوة



والصداقة والمستشارية والحماية والاستعمار، من تضليل في ميادين العلم، وتزويد للموفدين بالأباطيل والترهات والأبحاث المتهافتة، وفرض للعلمانية المقيتة، وتشويه لحقائق الحياة الإنسانية، وتكريس للمفاهيم الاجتماعية المضللة، وحصرلنا مسلمين ونصارى في مستوًى دنيءٍ من البحث والإنتاج العلمي، وإلزام بتدريس العلوم باللغات الأجنبية، واتّهامات للعلوم العربية بالعسر والجمود، وتغذيةٍ للدراسات الأدبية بالمفاهيم الباطلة، ونشرٍ لسلبيات التاريخ وظُلُمات رجاله، وحصرٍ للقرآن الكريم والسنة الشريفة في زوايا هامشية، وغرسٍ لأباطيلَ إنسانية واجتماعية باسمِ الحقائق المسَلَّمة.

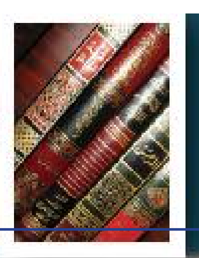
أما المحور الثالث فيتعرض للغة العربية، وما سُلط عليها من الغزو والإرهاب، فيبسط خفايا العولمة العدوانية، وما تقتضيه دعوات الإصلاح من الحكمة والموعظة الحسنة، واستسلام بعضِ المسلمين والعرب لمزاعم رؤوس البطش والفتك والتدمير.

وفي خلال هذا المحور تكلم على تاريخ العربية، وما تمتلكه من قدرات عجيبة على التوليد والاشتقاق.

وقد تخللت هذه المحاورَ الثلاثةَ ضروبٌ من التفسير والبيان، ونماذجُ من الوقائع والأمثلة الموضّحة للمقال، وخُتِم كُلٌّ منها برسم السبيل السوي لعلاج القصور العربي، وما يعانيه في حياته التعليمية والمنهجية واللغوية، لتكون المعالجة إيجابية فعالة ناصحة، لا سلبية تبكي الديار والأطلال، وتنعي الأوطان والرجال.

يقع الكتاب في مائة وثلاث وثلاثين صفحة، أصدرته دار الملتقى في حلب، وصدرت منه الطبعة الثانية عام ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

كاتب سوري



وهج السنابك

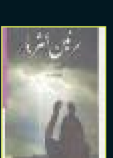
محمد منير

أَعدْ يا زماني عُهودَ الأَماني ... فَأَيْنَ جُـدودِي وَأيْـنَ نداهُمْ
وَدَعـنـي أراهـا بعيني ثـوانِ ... وَأَيْنَ زَمَانُ الهُدى مِنْ زَماني
أُمَتعُ روحي بِصَرْحِ عُلَاهَا ... فَـهَـذاَ زمـانٌ يَـئن ويبكي
وَأُطْلِقُ لَسْنا فَصيحَ البيَانِ ... وَرانُ الـظَّـلام جَثَا فَوْقَ رانِ
أتوقُ لفجرِ يُبيْدُ اللَّيالي ... وَأضْحَى الحليم يَحارُ وَيُخْفي
يَفُوْقُ سَنَاهُ بُرَيْقَ الجُمانِ ... زَفِيرًا وَيَحْبسُ فَيضَ المَعَاني
له مِنْ شُعاعِ الإبَاءِ مَضَاءٌ ... أيَا رَب هَذي العَوالُم حَيْرَى
كَسيفٍ أُعِدَّ ليوم الطِّعانِ ... وَلَاْ مَنْ يَقُوْدُ لِبَرِّ الأَمانِ
أيَا فجرُ إِني أُرِيْدُ رِجَالًا ... يَسِيرونَ نَحوَ السَّرَاب سكارى
سَعوا في بلادي لأعلى مَكانِ ... وَيُصْغُوَن لَهوًا لِعَزْفِ القيَانِ
فكانُوا أُسُوْدًا وصانُوا حُدودًا ... وَأَعْداءُ قَوْمي يُعدُون جيشًا
فَعزَّتْ بِلادي بُعَيْدَ الهَوانِ ... لِحرق الديار وكَسْب الرِّهَان
فَلَحْظُ هَوَاها يَطِّوقُ جِيدِي ... إذاَ ما اسْتطَاعُوا إزَالَةَ فِكْرِ
وَسَهْمُ رِضاهَا بِحُبٍّ رَمَاني ... وَجَعْلِ القُلْوبِ فِدَىً للغوَاني
وَصْوتُ حُدَاهَا كَلَحْنِ هَزَار ... فإِنَّ البلادَ سَتُضْحي يَبَابًا
يُرَتّلُ مَجْدًا عظيمًا شَجَاني ... وَتُرْمَى العُقُوْلُ بحْربٍ عَوَانِ
أَشُم عَبيرَ المَلاحم حَتّى ... وَنَحْنُ الّذيْنَ مَلَكنا كِتَابًا
أُحس كَأَنَّ الجهادَ دَعَاني ... وَحِصْنًا تَفَوَّقَ عَبْرَ الزّمَانِ
فَأرَفعُ نَفْسي أُطَاوِلُ نَجْمًا ... أَعيْدُوا لِسَمْعِ الزَّمانِ هُدَاهُ
وَأَشْعُرُ أَنّي طَلِيقُ العِنَانِ ... فَعِزَ الجُدُودِ سَمَا بِاقْتِرَانِ
تُظَلِّلُ رَأْسي سُيوفُ جُدودي ... لَئِنْ عَادَ مَجْدُ الدُّنى في يَدَيْنا
تُصَاوِلُ بَاغٍ كبرقٍ يَماني ... فَإنَّ الوِئَامَ يُرى في ثَوانِ
وَأَسَمعُ طَرْقًا لبابِ دِمَشق ... وَذَاكَ لأَنَّ الشُّعُوبَ سَتَصْحُو
بَسُمْرِ الزُّنُودِ وَنَصْلِ السّنَانِ ... مِنَ التيه عند فَوَاقِ الجَنَانِ
فَيُقْبلُ يُصْغي وَيَفْتحُ قَلْبًا ... وَتَنْفُضُ عَنْها العَمَى بِاْزدراء
وَلَا مِنْ صُدودٍ لَهُ أَوْ تَوَانِ ... فَعَيْنُ الضّياءِ لَهَا مُقْلَتَانِ
عَبِيْرُ الهُدَاة يَطُوفُ وَيُغري ... تُصَافي النَّدى في ارتيادِ المَعَالي
بَأَنَّ السَّلامَ لَهُ شُعْبَتَانِ ... وَتَسْكُب حُبًا لِعَيْنِ الحِسَانِ
إقَامَةُ عَدْلِ الحياة مليًّا ... أَيَرْضَى الزَّمَانُ يَعُوْدُ إلينا
وَفَيْضُ الحَنانِ بِكُلِّ اتِّزانِ ... أمِ الشَّوقُ يفْنَى وَتفْنَى الأَمَانِي؟

* شاعر إسلامي

ثمرات المطابع

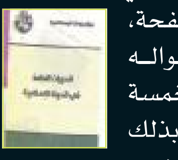
■ «الحريات العامة في الدولة الإسلامية»



كتاب جديد صدر مؤخراً عن مركز دراسات الوحدة العربية لمؤلفه د.راشد الغنوشي، وهذا الكتاب يتناول مجموعة قضايا كبرى في الفكر الإسلامي خاصة والإنسان عمومًا.. ومن أبرزها قضية حقوق الإنسان، ومفهوم الدولة في الإسلام، والأبعاد السياسية والاقتصادية والتربوية للشورى. ويؤكد الكاتب أن الإسلام إنما جاء لمصلحة البشرية، وأنه يستوعب كل إنجازاتها.

■ «رنين الثريا» كتاب جديد صدر عن مشروع «كلمة» للترجمة، التابع لهيئة «أبوظبي للثقافة والتراث»، وقد قام بترجمته الشاعر والمترجم الإماراتي المعروف د.شهاب غانم، الذي حصل على جائزة أفضل عمل مترجم من جائزة العويس للابتكارات والتقدم العلمي.

■ «هذا محمد» كتاب يحكي سيرة الرسول ﷺ يبلغ وزنه ١٠٠٠ كج، ويحتوي على ٤٢٠ صفحة، وتتراوح أطواله بين أربعة وخمسة أمتار ليدخل بذلك موسوعة جينيس للأرقام القياسية، وقد أمر نائب حاكم دبي الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم بطباعة ٥٠ ألف نسخة من الكتاب على نفقته الخاصة.



التجارب الإلكترونية نقلتها خطوات إلى الأمام

الصحافة الإسلامية.. محلك سر!

تحقيق: منى الموجي

«البيان»، «قناديل الخير»، «العروة الوثقى»، «المنار»، «الوعي الإسلامي»، «الأزهر»، «صوت الأزهر»، «منار الإسلام»، «الحج والعمرة»، «المسلمون»، «منبر الإسلام»، «عقيدتي»، «اللواء الإسلامي»، «المختار الإسلامي»، «الهدى»، «الدعوة الإسلامية»، «السبيل»، «الرحمة».. هذه بعض أسماء الصحف والمجلات الإسلامية الأكثر تداولًا في العالم الإسلامي والتي لاشك في أنها تقدّم رسالة سامية بتقديم المفاهيم والمواضيع التي تهم المسلم.. لكن على الرغم من هذا الدور المحوري فإن هناك من يرون أن الصحافة الإسلامية فشلت في التعبير عن الواقع الحياتي الحالي للمسلم، وتوقف دورها على قضايا الحلال والحرام.

«الصحافة الإسلامية تحظى بمكانة متميزة لدى الجميع، خاصة في العالم العربي الذي يميل أبناؤه إلى التدين بفطرتهم».. بهذه الكلمات بدأ ممدوح العشري، نائب رئيس تحرير صحيفة «عقيدتي» المصرية، موضحًا أنه على الرغم من هذه المكانة التي تحظى بها الصحافة الإسلامية فإن هناك العديد من العوائق التي تقابلها، فعلى سبيل المثال بالنسبة إلى الصحافة الإسلامية المصرية فقد عانت خلال النظام السابق من كبت شديد للحريات، فلم يكن مسموحًا التطرق إلى مواضيع معينة، لاسيّما التي تتعلق بواقع المسلمين المعاصر، كما كانت هناك توجيهات بغض الطرف عن القرارات والتشريعات التي يتخذها النظام وتتضمن مخالفات للشريعة الإسلامية، وانعكس هذا الأمر على ثقة الناس في الصحيفة.

كما انتقد العشري الصحف الإسلامية التي تهتم فقط بأمور الشريعة دون الربط بينها وبين مشكلات المجتمع، مشيرا إلى ضرورة رد كل قضايا المجتمع سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية إلى صحيح الدين لمعرفة كيف يعالج الإسلام هذه القضايا، مؤكدًا أن غالبية المطبوعات الإسلامية تنأى بنفسها عن الدخول في هذه القضايا الحياتية، ومن ثم ينصرف عنها القرّاء.

وتابع: إن على هذه المطبوعات ألا تكتفيَ على الداخل فقط، بل عليها الاهتمام بقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم، وهذا من صميم رسالة الإسلام التي أوضحت أن «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».. ولفت أخيرًا إلى أن بعض هذه المطبوعات أحسنت صنعًا حين استعانت بالتكنولوجيا في بسط رقعة انتشارها، فلجأت إلى تدشين مواقع إلكترونية، وهذه خطوة أعتبرها تصب في صالح هذه المطبوعات، والتي من شأنها جذب جيل الشباب الأكثر تعاملًا مع التقنية، وهو في الوقت ذاته أكثر بعدًا عن قراءة المطبوعات.

متأخرة

أما د.عبدالفتاح إدريس، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، فيؤكد أن الصحافة الإسلامية مازالت في المؤخرة بالنسبة إلى وسائل الإعلام المقروءة الأخرى، وذلك لتقاعس القائمين عليها عن الارتقاء بها وتفعيل دورها.. وأشار إلى أن العديد من هذه المطبوعات تلعب دورًا في الترويج لأفكار المؤسسة القائمة على إصدارها وتلميع رموزها، دون أن تضع الرسالة الإسلامية وربط المسلم بدينه على رأس أهدافها.

وعن عدم وجود تناغم بين المطبوعات الإسلامية فيما تنشر، أكد إدريس أن هذا التضاد أثّر بالفعل على المسار الفكري، وأدى أيضا إلى تشتت القارئ، وهذا بالطبع ليس في صالح الإسلام ولا في صالح المسلمين، حيث نجد صحيفة تبيح الربا، وأخرى تحرّمه، الأمر الذي يؤدي إلى بلبلة فكرية ويجعل الناس تعرض عن الدين كله، ولهم الحق في ذلك؛ لأنهم لا يستطيعون الوقوف على الحقيقة.. ولحل هذه المشكلة وهذا التضاد ينبغي أن تكون هناك هيئة عليا شرعية تتولى الإشراف على هذه الصحف وتتابع ما ينشر فيها حتى لا يكون بينها هذا القدر المريع من التضارب.

آفة المذهبية

بينما يؤكد د.أحمد محمود كريمة، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر، أن من المقرر شرعًا أن إبلاغ الدعوة الإسلامية واجب على من يملك القدرة على ذلك، سواء بالكلمة المقروءة أو المسموعة أو المرئية من خلال استخدام الآلية السليمة للدعوة كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقول





الرسول ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، مشيرًا إلى أن للصحافة الإسلامية إسهامات طيبة في نشر الوعي الإسلامي الصحيح، لكن يؤخذ على بعضها المذهبية والدعوة العصبية، وهذا يتضح في بعض الإصدارات لتيارات فكرية بعينها وتستخدم الإصدارات الإعلامية الخاصة بها لتخدم مذهبها وليس لتخدم الإسلام وإن زعمت بصانعيها أنها تخدم الإسلام.. كما أن الموضوعية والواقعية لم تصل إلى الصحف الإسلامية بالدرجة المأمولة والغاية المرجوة من نشر صحيح الإسلام بتأصيل وتنظير علميين، ولعل من مرد هذا ومما يعد أيضا من العقبات التي تواجه هذه الصحافة أن معظم القائمين عليها ينتمون إلى العمل الصحفي وكان يجب تشكيل مجلس أمناء من علماء أكاديميين وتربويين وإعلاميين يرسمون التوصيف الإعلامي الشامل لتكون الصحيفة الإسلامية وجبة ثقافية متكاملة تعنى بأصول الدين وبالشريعة والأخلاق والقضايا المعاصرة وفقه الأولويات والمصالح وفقه المقاصد، وأغلبها أمور غائبة في المطبوعات الإسلامية.

مفهوم خاطئ

أكاديميًا، يرى د.سليمان صالح، أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن هناك مفهومًا خاطئًا ساد فترة طويلة من الزمن هو أن الإعلام الإسلامي مقصور على أمور الدين ويتعرض لتفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقط، وإن كان هذا الجزء من الإعلام هدفه الأساسي زيادة المعرفة بأمور الدين إلا أن الإعلام الإسلامي لابد أن يتسع لأمور أخرى تربط واقع المسلم ومجتمعه بأمور دينه، بأسلوب سلس ومتيسر وبأسلوب عصري، مشيرا إلى أن الذين يأخذون الإعلام الإسلامي على أنه دين فقط ليتحدثوا عن الشريعة لا يفهمون حقيقة الإسلام، الذي هو في جوهره مجتمع ودولة وعقيدة وسلوكات.وعن عدم وجود صحافة إسلامية تهتم بشؤون وأخبار المسلمين في العالم كله، يقول د.سليمان أرى أننا لابد أن نتعامل مع العالم كله كوحدة واحدة وأن يتم الاهتمام بالمسلمين كصناع حضارة يقوموا بإنجازات عظيمة في مجتمعاتهم.

ولا يرى د.سليمان مشكلة في وجود تنوع وتباين بين المطبوعات والفضائيات الإسلامية، مؤكدا أن ذلك من شأنه أن يزيد الثراء والتنوع الفكري الذي يتناسب والحضارة الإسلامية ويخدم المذاهب الفقهية والجوانب المختلفة في الحياة، وعلى القارئ أن يختار ما يشبع احتياجاته ويتوافق مع أفكاره.

تجارب إلكترونية

وبعيدًا عن الصحافة المطبوعة أو الفضائية، نجد العديد من التجارب الإلكترونية التي تهتم بالشؤون الإسلامية المختلفة من قضايا الشريعة والقضايا الشائكة والقضايا المجتمعية المختلفة التي يهم العالم الإسلامي معرفة رأي الدين فيها والتعرف على صحيح الدين ليس فقط تفسير القرآن والأحاديث النبوية، وتهتم أيضًا هذه المواقع بأخبار المسلمين ليس في العالم الإسلامي فقط وإنما تهتم بالأقليات المسلمة في الدول الغربية كمحاولة منها لسد هذا العجز أو هذه الفجوة التي لا يهتم الإعلام الإسلامي التقليدي الورقي بسدها، وعلى رأسها المواقع الدعوية لكبار العلماء والشيوخ سواء في المملكة العربية السعودية أو في مصر أو في مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وكثير من هذه المواقع تُخصص أقسامًا كاملة لنشر أخبار المسلمين في أنحاء العالم، كما تقدم أبوابًا للفتوى، وأخرى تكشف عن جديد المطبوعات والإصدارات الإسلامية، وأيضا تروج وتعلن عن مواعيد وأماكن لندوات وملتقيات إسلامية، فضلا عن مساحات للقضايا الأسرية وتربية النشء، وهي محاولات جادة للدفع بالصحافة الإسلامية خطوات نحو الأمام.

مجموع فتاوى القرآن الكريم من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري

التحرير

التعريف بالكتاب
الفن: علوم القرآن
المؤلف: محمد موسى الشريف
سنة النشر: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م
رقم الطبعة: الثانية
عدد المجلدات: (٣ مجلدات)
إصدار: دار الأندلس الخضراء

حرص علماء الأمة الإسلامية على تدبر هذا الكتاب العظيم، واستفراغ الوسع في فهمه والعناية به، وأقبلوا على استنباط الأحكام منه وجعلوه إمامًا لهم، فما أحله الله تعالى أحلوه، وما حرمه الله تعالى حرموه، واتبعهم على ذلك السواد الأعظم من المسلمين فكانوا خير أمة لخير كتاب، فحفظهم الله تعالى بحفظهم لكتابه، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وشرفهم ورفعهم وجعلهم سادة قادة للعالمين.

هذا وإن جهود علماء الأمة في العناية بالقرآن لا يمكن إحصاؤها ولا تقديرها، إذ كل من اشتغل بعلم من العلوم الإسلامية فهو معتن بالقرآن عامل به، فالمحدث معتن بآيات من كتاب الله تعالى منها: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فهو مهتم بالبحث عما آتانا إياه الرسول ﷺ وتحقيقه والاعتناء به، والفقيه مهتم بكتاب الله تعالى، محقق قوله جل جلاله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، والمؤرخ معتن بكتاب الله تعالى، محقق قوله جل جلاله: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة الذين من قبل﴾، والشيء نفسه يقال على كل عالم مقبل على علمه وهو في الوقت نفسه معتن بكتاب الله تعالى محقق لآياته، هذا عدا عن العلماء الذين انصبت جهودهم على كتاب الله تعالى وعكفوا عليه كالمفسرين والقراء.

هذا وإن طائفة من العلماء فرغت نفسها للتفقه في دين الله تعالى والغوص في كتابه الكريم فأخرجت لآلئ من الفهم والعلم هي حقًا كنوز ثمينة وعلوم شريفة، ولعل من أهم هذه اللآلئ الفتاوى التي ازدانت بها مجالس العلماء وكتبهم، وتناقلها الخلف عن السلف، وأضافوا عليها من الإضافات المهمة ما جعلها كحبات العقد المنظوم.

وهذه الفتاوى تنوعت في مجالات شتى، فسائل يسأل عن نزول القرآن الكريم، وآخر يسأل عن جمعه، وثالث عن قراءته، ورابع عن فقهه، وخامس عن مسائل العقائد المتصلة به، وسادس عن تجويده، وهكذا...

وقد تفرقت هذه الفتاوى على مدار القرون في كتب ورسائل، وتناثرت فلم يعد يجمعها كتاب جامع لتلك الفتاوى المنثورة في نظام واحد، فعقد مؤلف الكتاب العزم مستعينًا بالله على جمعها في كتابنا هذا، وكان منهجه في هذا الجمع على النحو التالي:

أولًا: جمع جميع الفتاوى المطبوعة التي وقف عليها في ثنايا الكتب القديمة والجديدة على سواء، وذلك من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر، وكذلك المجلات الشرعية والدعوية والثقافية، فكل من مات قبل انقضاء القرن الرابع عشر ففتاواه مندرجة في هذا الكتاب، واستثنى القرن الخامس عشر - وقد انقضت منه عشرون سنة تقريبًا - للأسباب التالية:

أ- سهولة الحصول على فتاوى هذا القرن مقارنة بما سبقه من قرون.

ب- اختصار حجم الكتاب، إذ قد نشطت حركة الإفتاء في هذا القرن وتعددد المفتون وكثروا حتى صار من الصعب حصرهم، ولو أراد حصرهم واستقصاءهم لجاء هذا الكتاب في حجم مضاعف مرات عديدة.

جـ- أكثر من أفتى في هذا القرن الخامس عشر مازال حيًّا، ولعله أن يرجع عن فتواه.

ثانيًا: استثنى الفتاوى المخطوطة، وذلك مراعاة لحجم الكتاب.

ثالثًا: اعتمد على فتاوى أهل السنة والجماعة، فلم يورد فتاوى الفرق الضالة، ولم يعرج عليها.

رابعًا: اعتمد منهج الاستقصاء في هذا الجمع، فلم يترك- فيما وقف عليه من الفتاوى- إلا ما لم يَعُد صالحًا لهذا العصر بحال، ولم يعد أحد يحتاج إليه، وذلك نحو فتاوى رهن المصحف، والفتاوى من هذا النوع المتروك قليلة جدًّا.

ولقد ترك الفتاوى الخاصة بالتفسير لسببين:

- لكثرتها جدًّا بحيث تكون كتبًا كاملة في بعض الأحيان.

- والسبب الآخر: سهولة الحصول عليها، فلذلك لم ير إثباتها في هذا المجموع.

لكنه أورد في القسم السادس- قسم التفسير وترجمة القرآن- الفتاوى العامة التي يسأل المستفتون فيها عن كتب التفسير مثلًا وعن أنواعه... إلخ. ولم يتطرق إلى الفتاوى الخاصة بتفسير معاني القرآن وجهله للسببين آنفي الذكر.

خامسًا: أورد الفتاوى بنصها كاملة إلا النزر القليل الذي تصرف فيه لطوله المفرط، أو لغير ذلك، كخطأ طباعي في الأصل ونحوه مما يقتضي نوعًا من التصرف.

سادسًا: صنَّف الفتاوى أصنافًا، وألحق كل نظير بنظيره، واجتهد في ترتيبها على القرون؛ فيورد مثلا فتوى المتقدم أولًا في كل قسم من الأقسام التي أوردها في هذا الكتاب، وقد جاءت هذه الأقسام على النحو التالي:

١- الحكمة من إنزال القرآن العظيم وبلاغته والتحاكم إليه.
٢- خواص القرآن.
٣- فضائل القرآن.
٤- آداب القرآن.
٥- العقيدة.
٦- التفسير وترجمة القرآن.
٧- قراءة القرآن العظيم.
٨- القراءات.
٩- الرسم والتجويد.
١٠- قراءة القرآن بالألحان.
١١- قراءة القرآن على الميت.
١٢- الطهارة لقراءة القرآن الكريم ومسه.
١٣- مسائل متفرقة.

سابعًا: لم يثبت المؤلف في كتابه من الفتاوى إلا ما نُص في سياقه على أنها فتوى، نحو: سئل الشيخ الفلاني عن كذا فأجاب بكذا، أو أن الفتوى قد انتزعت من كتاب خاص بالفتاوى مثل الفتاوى الهندية، إذ بعض الفتاوى الواردة فيه ليس فيها نص على السؤال، بل فيها إجابات على أسئلة قد حذفت، أما ما عدا ذلك فلا يورده لاحتمال ألا يكون فتوى، وإنما هو تقرير أو ما شابه.

ثامنًا: حاول المؤلف أن يبين في كل طائفة من الفتاوى ذوات الموضوع المتماثل أو المتقارب الراجحَ منها، وقد يعلق على ما يرى التعليق عليه، منتقدًا بعض ما أورده بعض السادة العلماء الأجلاء مما يرى أنه خالف الحق أو المنهج الصحيح في ظنه.

تاسعًا: جرى المؤلف على المنهج العلمي في وضع مادة هذا الكتاب، وذلك على النحو التالي:

أ- بين مواضع الآيات الكريمة من سورها.

ب- خرج الأحاديث الشريفة بعزوها إلى كتبها المخرجة فيها، فما كان منها في صحيح البخاري فقد اكتفى ببيان موضعها منه، وما كان في غيره تخير منه ما وسعه الاختيار، واكتفى من التحقيق الواسع ببيان درجة الحديث، واستعان في هذا بتخريج علماء الحديث وتحقيقهم، وما لم يجد فيه لأحد كلاما اجتهد فيه برأيه.

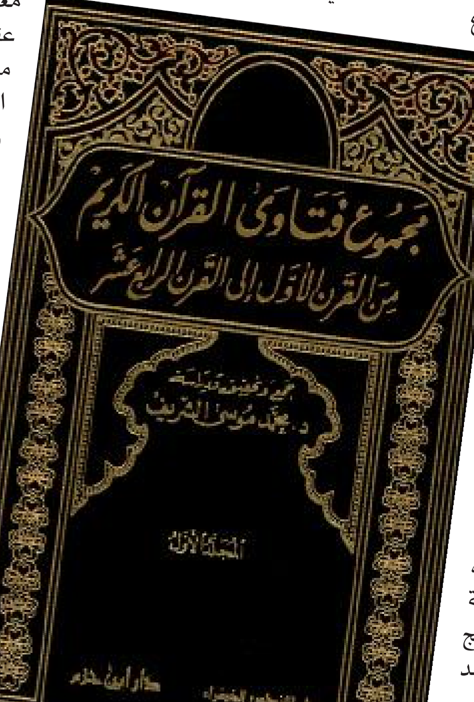
جـ- التزم تخريج الآثار بعزوها إلى كتبها، وربما بين درجة بعضها وفق المنهج الذي ذُكر في الفقرة السابقة.

د- ترجم للأعلام الواردة ترجمة مختصرة، وقد استعان في كثير من التراجم بـ«التقريب»، وما كان من التراجم خارجا عن ذلك الكتاب فإن كان طويلا اختصره، وإلا تصرف في إثباته بعض التصرف، وأشار إلى الكتاب الذي استقى الترجمة منه جزءا وصفحة.

هـ- ألجأت المؤلف بعضُ نصوص الفتاوى إلى عمل شيء من التحقيق العلمي، وذلك لسوء الطباعة أو السقط ونحو ذلك، فعمد إلى مقارنة بعض النصوص الواردة في كتب مختلفة وخرج بنص مختار، لكن نسبة هذا قليلة بالنظر إلى مجموع فتاوى الكتاب، التي اكتفى منها بالنص الوارد في الكتاب المطبوع إن غلب على ظنه صحة ما فيه، والأمن من السقط.

و- شرح بعض الكلمات والمصطلحات التي قد يعزب معناها عن بعض القراء الكرام.

ز- وضع فهارس شاملة متنوعة تخدم الناظر في الكتاب.



أهمية هذا الكتاب

لهذا الكتاب فوائد عدة مهمة تتلخص في الآتي:

أولا: جمع ما تفرق في بطون الكتب والمجلات في موضع واحد، وفي هذا فائدة للباحث المتتبع الذي قد تحول مشاغله الكثيرة دون الوقوف على ما يريد.

ثانيا: ترتيب الفتاوى على أقسام مما يسهل على الباحث جمع آراء العلماء في مسألة معينة.

ثالثا: رتبت الفتاوى في كل قسم على القرون، وهذا يساعد المتتبع لتغير الفتاوى بحسب الزمان والمكان، ومعرفة منهج العلماء المختلفة في الفتوى.

رابعا: في هذا الترتيب والتقسيم فرصة للاطلاع على تغير الأحوال الاجتماعية للعالم الإسلامي عبر القرون، وتدرجها من القوة إلى الضعف ومن الاتباع إلى الابتداع.

خامسا: معرفة مدى اهتمام العلماء بالقرآن الكريم وكيف صرفوا أعمارهم في دراسة كتاب الله تعالى والتنقيب عن جواهره ودرره.

سادسا: هذا الجمع قد يفيد في معرفة مكانة عدد من كبار العلماء، وذلك عندما تقارن فتاواهم بفتاوى الآخرين من العلماء، ويعرف منهجهم في الاستدلال والترجيح، وسعة إحاطتهم، وقوة مأخذهم.

سابعا: إثراء المكتبة القرآنية التي لم تنل حظها بعد كما نالت علوم العقيدة والحديث والفقه حظوظها الوافية، فإن الناظر في المكتبة القرآنية يدرك عند مقارنتها بغيرها من العلوم أنها لم تؤت حظًا وافيًا.

والأهمية العظمى لهذا العمل هي جمع تراث العلماء السابقين فقد تأكدت أهمية أن يجمع التراث على وجه يحفظ تلك اللآلئ المنثورة والدرر المبعثرة المتروكة، فإن هذا الجيل قد قعدت همته أن يطلع على آثار الأولين على وجه حسن مُرض، فكان لزامًا أن تُقرّب له مصّنفات السلف ويُختار له منها.

سلسلة النهضة التعليمية ٤ - ٤

مقترحات للنهضة

كتب: هالة عبد الحافظ - إشراق أحمد

تحديد خطوات العمل هو المرحلة الفاصلة لتعبيد الطريق نحو تحقيق النهضة، ولأن بناء الفرد ومحو أميته ومن ثم بناء المجتمع هو الهدف الرئيس للنهضة، ولأن الاعتراف بوجود المشكلة هو بداية طريق الإصلاح، فإننا نستعرض عبر السطور التالية عددًا من المقترحات التي تحقق النهضة.. ومن بينها رد الاعتبار للمعلم، وتعزيز فلسفة الإبداع سواء لدى الطالب أو في المناهج، وكذا تحقيق التوازن بين أعداد الملتحقين بالتعليم الجامعي والمهني، مع زيادة الميزانية المخصصة للتعليم والبحث العلمي.. ونفصل ذلك فيما يلي.

«التعليم فرصة للإنقاذ».. تحت هذا العنوان جاء كتاب الأكاديمي المصري د.حسام بدراوي مؤكدًا على أهمية كليات التربية في إعداد وتدريب المعلمين في إطار متشابك ومتكامل، وضرورة العمل على مواجهة التحديات التي تواجه كليات التربية، وكذا التنسيق بين أساتذة المواد التخصصية والمواد التربوية، في ضوء وحدة هدف إعداد المعلم الكفء القادر على تحقيق المعايير القومية، إلى جانب التواصل بين الطلاب والأساتذة، والالتزام بالساعات المكتبية، والاهتمام بالإرشاد الأكاديمي.

ونظرًا لخصوصيتها، شدّد د.بدراوي على ضرورة وضع سياسات محددة لتطوير كليات التربية، تشمل وضع رسالة محددة وواضحة، في ضوء طبيعة واحتياجات المجتمع الذي تخدمه، هذا إلى جانب تطويع برامج وممارسات العمل بهذه الكليات حسب نظام الساعات المعتمدة، بما يعمل على توحيد النظامين التكاملي والتتابعي، مع فتح مسارات بين كليات التربية والكليات الأخرى، وكذلك تطوير نظم القبول بها من خلال وضع وتطبيق اختبارات قبول موضوعية لاختيار الطلاب، على غرار اختبارات القدرات الخاصة.

إعداد المعلم الكفء.. وزيادة استثمارات البحث.. وتدعيم البحوث التربوية.. أهم محاورها

ونوه بأنه من الضروري تحفيز الشباب– من طالبي العلم والمعرفة– على الدخول في مهنة التدريس، وهذا في المقام الأول مسؤولية الدولة في أن تجعل هذه المهنة جذابة، وتجعل لها، بالإضافة إلى عائدها المادي المناسب المحفز، عائدًا اجتماعيًا يلبي الاحتياج إليها، ويسوق لقيمتها.

ونادى بدراوي بضرورة وجود شراكة مؤسسية بين كليات التربية ووزارات التربية والتعليم في تكوين المعلم وتنميته المهنية أثناء الخدمة، وإيجاد توازن بين متطلبات سوق العمل في الداخل والخارج، وبين أعداد المقبولين فيها، الأمر الذي يتطلب العديد من الدراسات الديموغرافية حول النمو السكاني، والاحتياجات النوعية للمدارس الواجب إنشاؤها أو تطويرها لتلائم هذا النمو، مع تدعيم البحوث التربوية وربطها بالقضايا التعليمية الحقيقية التي يعانيها المجتمع.

البحث العلمي

وعن الركن الأساسي الذي طالما اهتم به خبراء التعليم وهو البحث العلمي، قال بدراوي إن التوجّه نحو مجتمع المعرفة يتطلب تطوير استراتيجية قومية شاملة، تحدد الأولويات، وتعمل على زيادة الاستثمارات في مجال البحث والتكنولوجيا، وتشجيع قيام المشروعات البحثية المشتركة بين الجهات المتعددة، بهدف ربط مخرجات البحث باحتياجات المجتمع والصناعة وخدمة أهداف التنمية.

وأوضح أن تحقيق الطفرة المرجوة يرتبط بتقييم مخرجات البحث العلمي موضوعيًا، باستخدام معايير عالمية تهتم بقيمة الرسائل العلمية والبحوث المنشورة، والمشروعات التعاقدية، وعدد براءات الاختراع، والعائد المباشر والاجتماعي للبحث العلمي، وأثره في الإنتاجية العامة للدولة، أيضًا تعظيم الاستفادة من الموارد البشرية المتاحة في مؤسسات البحث العلمي، والتطوير عن طريق

زيادة البعثات الخارجية والإشراف المشترك، وإنشاء مراكز التميز العلمي داخل الجامعات، وجذب الباحثين للعمل في وحدات البحوث بالقطاعات الإنتاجية.

بعثات خارجية

ورأى خبراء التعليم أن الاهتمام بإرسال البعثات عامل مهم في السعي نحو النهضة، ولهذا شواهد على مختلف الأزمنة وفي أماكن عديدة على المستويين العربي والعالمي، وعن هذا قال محمد عمر في كتابه «حاضر المصريين أو سر تأخرهم» إن التاريخ الحديث لمصر يؤكد أن النهضة والتنوير في العهود المختلفة كانا يتوافقان بشكل أو بآخر مع الانفتاح على العالم، وإرسال المبعوثين للتعليم، والحصول على المعرفة والتبادل الثقافي.

وأضاف أن نظام التعليم المصري الحديث بدأ من عهد محمد علي باشا، الذي أنشأ الكثير من مدارس الهندسة والطب والقانون واللغات، وكان في ذلك الوقت يتم إرسال الطلبة المتميزين إلى غربي أوروبا، وخاصة فرنسا، ليتلقوا تعليمهم العالي ويحصلوا على شهادات ودرجات

ثلاثة مجالات رئيسة ينبغي توافرها في التلاميذ ليكونوا قادرين على التفاعل مع بيئتهم

علمية تساعد في تطوير نظام التعليم في مصر، وفي عام ١٩٠٨ تم إنشاء أول جامعة وطنية سميت بعد ذلك بجامعة فؤاد الأول، واستمر إرسال الطلبة ليتموا تعليمهم العالي في الخارج وخاصة في إنجلترا، وفي عام ١٩٥٣ بعد قيام الثورة سميت بجامعة القاهرة، ومنذ ذلك الحين تشجع مصر إرسال الطلبة وأعضاء هيئة التدريس إلى الجامعات ومراكز البحوث في الخارج، وخاصة إلى الولايات المتحدة للمساهمة في تطوير التعليم والبحث العلمي.

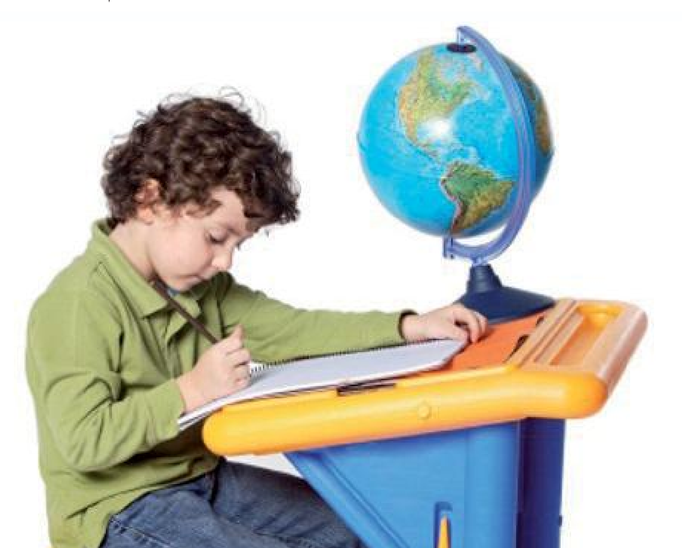
الجودة والتخصص

ووجد البعض أن النهضة تحدث عند مراعاة تحديد هدف التعليم وفقًا للفترة والزمن والمجتمع الذي نعيش فيه، وأن يكون التعليم من أجل أهداف اقتصادية أو أهداف مرتبطة بالعمل، وعن ذلك يؤكد، العميد السابق لكلية التربية جامعة بورسعيد، د.محمود متولي أهمية أن يكون التعليم من ضمن أهدافه الرئيسية القدرة على الإسهام في التجارة العالمية، وأن يستجيب لاحتياجات الاقتصاد التي تشتمل على المهارات الفنية، والمهارات الخاصة بالعمل ضمن فريق العمل الجماعي، وهذا يحتاج إلى طلاب يعرفون كيف يتفاوضون مع الناس.. وكيف يصبحون متخصصين.

وباعتبارها أحد معايير تقييم العملية التعليمية، يؤكد د.متولي أن الجودة تتمثل في التعليم الذي يُمكِّن المتعلمين من تخطي المحددات المفروضة.. وحدد عناصرها في: القيم، السلوك العملي، الاتجاهات، وأكد أنها عناصر ضرورية في العملية التعليمية إلى جانب مهارات ما بعد المعرفية، التي تسهم في نقل المعارف وتقديم حلول غير مألوفة للمشكلات الجديدة.

كما أكد على ضرورة امتلاك التلاميذ- منذ دارستهم الأساسية وحتى مرحلة البلوغ- كفاءة في ثلاثة مجالات رئيسية، أولها: أن يكونوا قادرين على استخدام أدوات التعامل بفاعلية مع البيئة، مثل تكنولوجيا المعلومات، وأيضا الأدوات الاجتماعية والثقافية مثل استخدام اللغة، وثانيها: الاشتراك مع غيرهم على اختلاف خلفياتهم في مجموعات غير متجانسة، وأخيرًا تحمل المسؤولية الخاصة بإدارة حياتهم الخاصة، وشغلها لموقع ما في البيئة الاجتماعية الأكبر، والعمل باستقلالية.

كما أكد د.متولي على ضرورة تواصل الأجيال، وأن نعطي المعلم وعقل الإنسان قيمتها، وضرورة توفر الإمكانات التعليمية والترفيهية من مسارح وملاعب وأنشطة، بجانب العلوم النظرية، كما يطبق في كل





الدول المتقدمة.. أيضًا ضرورة وجود مشرفين اجتماعيين وتربويين، مبررًا ذلك بأن الأسرة العربية لم تعد قادرة على التواصل مع المدرسة، بعدما كانت شريكًا أساسيًا في العملية التعليمية لأبنائها.

وأكد على ضرورة توظيف الوسائل التعليمية القائمة على الخيال كجزء من العملية التعليمية إلى جانب الوسائل الآلية، فـ«نحن في حاجة إلى ثورة الحداثة، والفلسفة الخاصة بالنظام التعليمي، وخلق مواطن مشارك، يكون حارسًا للمجتمع دون تعصب أو إرهاب».

بداية جديدة

«أن نبدأ من جديد في عالم التربية».. تلك كانت الخطوة الأولى التي وضعها المستشار الاقتصادي د.محمد رضا طلبة، ضمن مقترحاته بشأن النهضة التعليمية، معتبرًا أن قضية التربية أصبحت تكتسب آفاقًا جديدة، مشيرًا إلى أن النهضة التعليمية يجب أن تتمركز حول أربعة محاور رئيسية وهي: «أن تعرف، أن تكون، أن تعمل، وأن تتواصل».

وأوضح د. طلبة أن المحور الأول يعني أن نربي الجيل على اكتساب المعرفة، وهذه تختلف بصورة جذرية في عصر المعلومات عما سبقه من عصور، وذلك وفقًا لستة جوانب رئيسية وهي: التحول من ماذا نعرف إلى كيف نعرف، ومن تراكم المعلومات إلى زيادة المعارف، ومن التخصص إلى الاندماج المعرفي، ومن سلبية الاستقبال إلى إيجابية البحث والاكتشاف، ومن الظاهر البسيط إلى الأكثر تعقيدًا.. وأخيرًا من التفكير الخطي إلى المنظومات المعرفية.

بينما المحور الثاني يعني أن نمكن الجيل ليعمل من خلال تأهيله لمطالب المجتمع، وتزويده بالمهارات المطلوبة في مجتمع المعلومات، واكتسابه لكل مهارات التعامل مع الوسيط الإلكتروني، والحوار عن بعد، ومهارات التفاعل مع المنظومات، بالإضافة إلى مهارات العمل الجماعي، والعمل أثناء الحركة، وفي المنزل، لأن في عصر المعلومات تنهار السدود بين المدرسة ومؤسسات الإنتاج، ويصبح التعليم هو القدرة على اكتساب المهارات والخبرات من المهد إلى اللحد.

وتابع: المحور الثالث للنهضة التعليمية أن نعاون الفرد على إنجاز ذاته، وهذا يقتضي أن نقوم بتحولات مهمة في مجال التربية، والعمل على تنوع الأنشطة التربوية ما بين فنية وأدبية ورياضية وثقافية واجتماعية، حتى نواجه الاهتمامات المتباينة للمتلقي.

وأكد د. طلبة على ضرورة أن يبدأ النشاط التربوي من حيث يريد الطفل، وذلك من خلال عمل يأتيه بنفسه أو بمشاركة غيره، ومن ثم تضيف ثورة المعلومات للتربية أبعادًا جديدة، وتتحوّل بمقتضاها العملية التربوية من العام إلى الخاص، بحيث يرتكز الجهد على احتياجات كل متعلم.. مبينًا أن الطفل أصبح بلا جدال هو مركز العملية التربوية في إنجاز الذات، لذلك لابد من تقوية ملَكة الحكم على الأمور لديه، وهذا يتحقق من خلال النظم الخبيرة وتنمية الشعور بالمسؤولية.

والخطوة الأخيرة عند طلبة هي تخليص المتعلم من نزعات التعصب، خاصة أن التربية في عصر المعلومات تعتمد على التواصل مع الآخر، والتعرف إلى حضارات الآخر، لذلك لابد من تشجيع مهارات الحوار، والتصدي لظاهرة العنف، وتقوية المهارات في اكتشاف الآخرين، ومعرفة القواسم المشتركة بين البشر، وبذلك يمكن استعادة النهضة التعليمة، وتتحول إلى مشروع وطني حضاري ينبع من خصوصية وطننا العربي، ودوره التاريخي في حياة العالم.

إن الأخلاق جزء أساسي من الشريعة الإسلامية، وقد رفع الإسلام مكانتها واعتبرها من مقاصد التشريع، فقد جاء في الحديث: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ومن المعلوم أن أسس الأخلاق التي جاء بها الإسلام منها ما هو مأخوذ بالاعتبار في الفكر الإنساني أيضا، ومنها ما انفردت به الشرائع السماوية وخاصة الإسلام الذي ختمت به الشرائع، ومن أهم الأسس الشرعية لأخلاقيات الموظف:

الأسس الشرعية لأخلاقيات الموظف

د. سلطان السهو

الأمانة

إن الإسلام دين يقدر «الأمانة» حق قدرها ويجعلها تحكم جميع التصرفات، كما يقدر «القوة» على أداء المهمات، مما يوجب على الموظف وغيره ممن يتحملون المسؤولية، الاتصاف بالكفاية والأهلية، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(القصص: ٢٦)، وفي قول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وقوله: «أد الأمانة إلى من ائتمنك»، ومن تعظيم شأن الأمانة اعتبار الإسلام نفسه أمانة في أعناق متبعيه، ويقتضي ذلك أن يكونوا أمناء مع الله، ومع أنفسهم ومع مجتمعاتهم، وقد جاء ذلك مبينا في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

الإخلاص

وهو أن يقصد الموظف بعمله طاعة الله تعالى، ولا يستهدف الرياء أو السمعة أو تلقي المدح من الآخرين، أو التفاخر والتباهي، وفي الحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، وينتج عن مراعاة الإخلاص ألا يخضع الموظف للمؤثرات أو الضغوط الخارجية، بل يقوم بعمله امتثالا للالتزام الديني، وأداء للواجب المهني، وبذلك يتحول عمله الوظيفي والمهني الاعتيادي إلى صورة من صور العبادة، لأن من المبادئ الشرعية المقررة أن النية الصالحة تجعل العادة عبادة، وبذلك يستحق الموظف الثواب من الله تعالى، مضافا إليه ما يحصل عليه من مقابل مادي عن جهده، وما يقع من ثناء تلقائي عليه دون أن يجعل ذلك هدفاً يقتصر على الوصول إليه.. قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾(البينة: ٥).

التقوى

وهي مخافة الله في السر والعلن، ويترتب عليها حماية الإنسان نفسه مما يعود عليه من العواقب السيئة نتيجة انحرافه عن الالتزام بالشريعة، ولاسيما في مجال المال الذي هو فتنة للإنسان، وتتحقق التقوى بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومن مقتضى ذلك العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحمي الإنسان نفسه من الانحراف والرضا به والانسياق فيه، وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾(آل عمران: ١٠٢) وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢-٣) وقوله: ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: ١-٣)، وقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(آل عمران: ١٠٤) وفي الحديث: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وعلى المحاسب أن يتقي الله تعالى في مزاولته المهنة.

الإحسان وإتقان العمل

ينبغي للموظف ألا يقتصر على أداء واجباته الوظيفية والمهنية، بل عليه أن يعمل لبلوغ مرتبة الإحسان وإتقان العمل، وذلك بأدائه المهمات المنوطة به على أحسن وجه ممكن، ولا يتحقق ذلك إلا بالتأهيل العلمي والتفقه الديني للموظف وهو مطلب ديني في مكان عمله، قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل:٩٠). وقال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾(البقرة: ١٩٥) وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، وقال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

العلم بمراقبة الله تعالى

وهي اعتقاد رقابة الله تعالى على جميع أفعال عباده وأخذ ذلك في الاعتبار في الكف عما لا يرضاه، وهذا يتطلب قيام الموظف بما يجب عليه أو يطلب منه دون مراعاة رقابة الناس أو رؤسائه عليه في تصرفاته، وهذه رقابة ذاتية لا يختلف أثرها بين وقت وآخر وشخص وغيره، سواء كان قادر على استيفاء حقوقه أم غير قادر. قال الله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾(النساء:١) وقال أيضا: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ (الرعد:٣٣)، ومهما وجدت الرقابة الذاتية بباعث نفسي- كما هو مفترض في مواثيق الأخلاق المعاصرة للموظف - فإنها قد تضعف إلا إذا ارتبطت بالعقيدة والشعور برقابة من لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض، ويعلم السر وأخفى.

◆ دكتوراه في المحاسبة

وصية الرشيد في تربية الأبناء

د. علاء عبد المنعم إبراهيم

على الرغم من السنين الطويلة التي تفصل بيننا وبين هارون الرشيد وزمنه، فإن هذه الشخصية تظل حاضرة في الوعي الجمعي للذات العربية بوصفها معادلاً للنضج الحضاري الذي وصلت إليه الأمة والقائمون عليها، وكما كان الرشيد ناجحًا بامتياز في قيادة الدولة، فقد كان كذلك على وعي كامل بدور المؤدب- المعادل للمعلم المعاصر- في إعداد ابنيه وتربيتهما وتأهيلهما لتولي منصب الخليفة في المستقبل، وهو ما يتبدى بوضوح في هذه الوصية- التي حفظتها لنا متون كتب التاريخ وخاصة كتاب «المحاسن والمساوئ» لإبراهيم البيهقي- التي يطرح عبرها الرشيد عددًا من المعايير التربوية التي يرى حتمية توافرها في المادة العلمية والتربوية المقدمة لأبنائه، وكأننا هنا بإزاء مستشار تربوي خبير، يحدد الإستراتيجيات العامة للبرامج الدراسية المقدمة للطلبة، وهي أمور يفرض علينا نجاح تجربة صاحبها أخذها بعين الاعتبار واستيعابها في إطار من المرونة الاستقبالية.

أرسل الرشيد إلى الأحمر النحوي فلما دخل عليه قال: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه وصيّر يدك عليه مبسوطة ومقالتك فيه مصدقة وطاعتك عليه واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعلمه الآثار والأخبار والسنن وروّه الأشعار وبصّره مواقع الكلام ومره بالرزانة في مجلسه والاقتصاد في نظره وسمعه، فلا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها وكلمة نافعة يعيها ويحفظها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه وتملّه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه بالتقريب والملاينة، فإن أبى فالشدة.

علينا ونحن نقارب هذه المعايير التربوية التي وضعها هارون الرشيد لمعلم ولده، مراعاة السياق الذي أُنتِج فيه النص، وهو سياق إعداد طفل ذي خصوصية اجتماعية وسياسية، ومن ثم جاء النص بوصفه بنية تمثيلية للعلوم الدينية متصدرًا مشهد الوصية، وهو تصدر يبدو مبررًا من جانب شديد الخصوصية في نموذج الحضارة الإسلامية، ونقصد بها نموذج الخليفة، أو بالأحرى أمير المؤمنين وخليفة رسول الله، ومن ثم فالمنصب السياسي واستتباعاته السلطوية يمتاج بالأساس من مرجعية دينية يعيها القائم على السلطة آنذاك (هارون الرشيد) ويقدر قيمتها الباذخة في تحديد الدور المستقبلي لولي العهد، إن الهارون هنا يضعنا أمام مبدأ تربوي بالغ الأهمية وهو حتمية التوازن بين الهدف التعليمي ومفردات العملية التعليمية، وهو ما يكتمل عبر تتابع الخطوط العريضة التي يفرضها الهارون الخبير بأمور الملك، فننتقل من العلوم الدينية إلى العلوم الدنيوية التي يفيض في تحديدها الهارون على العكس من اختزاله السابق

قد يسرق الطفل لشعوره بالنقص أو بالحرمان

للثقافة الدينية في النص القرآني المقدس، وهارون في هذا لا ينسى الهدف الرئيس من عملية التأديب وهي التهيئة والإعداد للمستقبل على المستويين الشخصي والعملي.

العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية

يوجه الرشيد بعد ذلك إلى أهمية عناية المؤدبين بعلمي التاريخ والأدب، فوعي ولي العهد بالتاريخ ومفرداته سيجنبه الوقوع في العديد من الأخطاء التي وقع فيها سابقوه، كما سيجعله يستثمر التجارب الناجحة للملوك من الأمم المختلفة في إثراء ملكه، أما الأدب فهو مما لا غنى للملوك آنذاك عنه، وهنا تنبلج قضية مهمة للغاية، تجاوز مساحة النص وإطاره وصولاً إلى عصرنا الحال، ونقصد بها القيمة الوظيفية للعلوم الإنسانية، وهنا نستدعي تساؤلاً طالما أثير على ألسنة الكثيرين، وهو: ما القيمة التي يمكن أن تضيفها العلوم الإنسانية للمرء؟ ولمَ لا يتم الاكتفاء بالعلوم التطبيقية كالطب والهندسة بوصفها العلوم القادرة على الارتقاء

* باحث في الشؤون الأسرية





بمستوى الدولة؟ والحقيقة أن التجربة المصرية مع الإرهاب في التسعينيات تقدم تفسيرًا مهمًا في هذا السياق، حيث كشفت الإحصائيات أن الغالبية العظمى ممن أُلقي القبض عليهم كانوا ينتمون لكليات ذات صبغة تطبيقية، بينما كانت النسبة الأقل منتمية للعلوم الإنسانية، وعلى الرغم من أن هذا الأمر لا يطرح إجابة حاسمة، وإنما يقدم لنا مؤشرًا دالًا على قيمة العلوم الإنسانية التي تسهم بفاعلية في تنمية قدرة متلقيها على قراءة الأحداث بشكل متعمق يجاوز الظاهر المباشر، ولهذا ظلت أعرق الجامعات العالمية تحافظ على التوازن في برامجها التعليمية بين الجانبين التطبيقي والإنساني.

احترام الأسرة والكبار والوقت

يعنى الجزء التالي من وصية هارون الرشيد بترسيخ مبدأ الاحترام، وذلك باستدعاء تجلياته المتعددة، وأولها احترام الرابطة الأسرية وحتمية أخذها بعين الاعتبار في أثناء إعداد برامج تأهيل ولي العهد، ويتسع هذا المبدأ ليشمل القواد الكبار في الجيش، وما يعادلهم من أصحاب القامات في الدولة، ويمثل الوقت التجلي الثالث لقيمة الاحترام، ونلاحظ بلاغة الرشيد في تعبيره عن ضرورة الإفادة من عنصر الوقت، لما يمثله من قيمة ذات شأن عظيم ينبغي اغتنامها بما هو جاد ومفيد، ونتوقف قليلًا عند لفظ «يميت ذهنه» الواردة في هذا الإطار، فالموصي يتعامل هنا مع الذهن بوصفه كائنًا تمددت الحياة في شرايينه بما يكتسبه من علوم ومعارف على مدار عمره، ويدب العجز والشيخوخة في أواصره إذا لم يتم تغذيته بهذه المعارف واستبدال اللهو وإضاعة الوقت بها.

الثواب والعقاب

تختم الوصية بالتأكيد على مبدأ بالغ الأهمية في التربية وهو مبدأ الثواب والعقاب، ونلاحظ أن الرشيد كان يعي أن الأصل هو الإثابة والمكافأة بوصفها أداة مهمة في الترسيخ لمبدأ الحافزية التعليمية، أما العقاب فهو البديل السلبي لمبدأ الإثابة، وربما يظن ظان أن المؤدبين لم يعيروا مبدأ العقاب بالًا، واكتفوا بمبدأ الثواب لإدراكهم أنهم يؤدبون خليفة المستقبل، إلا أن التاريخ يثبت أن هذا لم يكن صحيحًا، وأن المؤدبين اتبعوا هذه الوصية بحذافيرها وقوّموا أبناء الرشيد مراعين ما طلبه منهم والدهم والدليل على هذا هذه الحكاية التي تعكس اتباعهم مبدأ الثواب والعقاب الذي دعاهم الرشيد لاتباعه، «فعن أبي محمد اليزيدي قال: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري، فأتيته يومًا وهو داخل فوجّهت إليه بعض غلمانه يعلمه بموضعي فأبطأ عليّ ثم وجهت إليه آخر فأبطأ، فقلت لسعيد: إن هذا الفتى ربما تأخر وتشاغل بالبطالة. قال: أجل ومع هذا إذا تأخر تعرّم على خدمه ولقوا منه أذىً فقوّمه بالأدب. فلما خرج أمرت بحمله وضربته تسع درر، قال: فإنه ليدلك عينه من أثر البكاء، إذ أقبل جعفر بن يحيى، فاستأذن وأخذ منديلًا فمسح عينيه وجمع ثيابه وقام إلى فراشه وقعد عليه متربعًا ثم قال: يدخل. فدخل وقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره. قال: فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحكه وضحك. فلما همّ بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت فقال: خذ ما بقي من حزني. فقلت: أيها الأمير لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر ولو فعلت ذلك لتنكر لي. قال: إنا لله، أتراني يا أبا محمد كنت أُطلع الرشيد في هذه فكيف جعفرًا أُطلعه على أني أحتاج إلى أدب؟ يغفر الله لك، خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبدًا ولو عدت في كل يوم مرة».

إن المأمون هنا كان مثل أبيه على وعي كامل بدور العملية التعليمية في إعداده للمرحلة القادمة، ولهذا نلفيه يقدر قيمة معلمه وإن أبكاه، ويحترمه وإن قسى عليه.



أبناؤنا بين الضبط والإدمان على الأجهزة الإلكترونية

د. آندي حجازي

استطاع الإنسان العيش ولآلاف السنين بلا استخدام للأجهزة الحديثة الكهربائية والإلكترونية، وكانت حياته سائرة بلاشك، بل وكان ينعم في أحيان كثيرة بالسعادة وراحة البال على الرغم من عدم توفر تلك الأجهزة، ومع هذا فقد يكون الإنسان شعر في وقت من الأوقات بنقص في القدرة على التواصل مع الآخرين، خاصة الذين تفصلهم عنه المسافات الكبيرة والبلدان الشاسعة؛ مما جعله يفكر في اختراع واكتشاف أدوات وأجهزة تعينه في سرعة التواصل؛ فاستخدم الحمام الزاجل وركوب الخيل السريع، ومن ثم العربات والقطارات والطائرات لنقل الرسائل والحاجيّات المهمة، وقد عملت تلك الأدوات بلا ريب على إيجاد حل لجزء كبير من مشكلة التواصل مع الآخرين، ولكن ولأن الإنسان بطبعه يحب العجلة كما وصفه الله تعالى في سورة الإسراء (آية١١): ﴿وكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً﴾، فقد شعر أنه بحاجة لما هو أسرع ويقلل الوقت والجهد، فظل يحاول إلى أن اخترع في العصر الحديث القريب الأجهزة الإلكترونية ومنها الأجهزة المحمولة والهواتف الذكية.. واخترع الشبكة العنكبوتية، مما وفر على الإنسان الوقت والجهد وعناء السفر، ونذكر مارثون على سبيل المثال، الذي اضطر للجري ٤٢ ميلاً من أجل نقل رسالة مهمة لقومه لإنقاذهم.. أما اليوم فقد أصبح بالإمكان إرسال رسالة إلكترونية في غضون ثوان بلا جهد يذكر، وأصبح بالإمكان إجراء المحادثات بالصوت والصورة مع الآخرين من الأصدقاء والأقارب والأهل الذين يقطنون في أقاصي الأرض وذلك بكل سهولة ويسر، وأصبح ممكنا الوصول لأية معلومة وأحدثها بأسهل وأسرع طريقة دون الحاجة للخوض بين رفوف المكتبات، وأصبح ممكنا طباعة الأوراق والملفات وتخزينها بسهولة والتعديل فيها والعودة لها في أي وقت، كل هذا من نعم الله تعالى على الإنسان والتي تستحق حمد الله، فلولا إرادة الله تعالى لما توصل الإنسان إلى اختراع تلك الأجهزة والأدوات، والتي هي نتاج جهد بشري مشترك بتوفيق من الله تعالى.



لقد استطاعت تلك الاختراعات والأدوات حل مشكلات كان يعاني منها الإنسان لقرون طويلة، ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه هل يمكن أن تتحول هذه النعمة إلى نقمة؟ إن تلك الأجهزة والأدوات قد تكون سلاحا ذا حدّين إن لم يحسن الإنسان استغلالها وخاصة بين أبناء الجيل الناشئ، فكثيرا ما نشاهد أبناءنا وهم يصرفون جزءا كبيرا من وقتهم قد يصل إلى الساعات في كل يوم مع تلك الأجهزة متنقلين بين الأجهزة المحمولة والهواتف الذكية، وبين مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت كالفيس بوك والتويتر واليوتيوب.. من أجل مشاهدة ما ينشر عليها من فيديوهات وأفلام وأخبار وأحاديث وآراء ونكات.. دونما طائل يذكر في كثير من الأحيان؛ وإنما لمجرد إضاعة الوقت ومتابعة أحدث ما ينشر، فهذا الجيل اليافع يشعر بالدونية في حالة تقصيره في عدم معرفة الأحدث والأكثر تطورًا في العالم من أحداث وأخبار واختراعات ووسائل ترفيه.. فأصبح وكأنه من الفرائض عليه المعرفة بتلك المواقع والآلات وكيفية استخدامها والتعامل معها، وكأن لا شغل له غير تصفح تلك المواقع وإجراء المحادثات من خلالها مع من يعرف ومن لا يعرف، فهل وصل أبناؤنا إلى حد الإدمان على تلك الأجهزة بطريقة لم يعودوا قادرين على الاستغناء عنها أو التقليل منها؟

أستاذة جامعية أردنية



إننا دائما نخاف إدمان أبنائنا على التدخين والمخدرات وغيرها من المضرات، ولكن هل يقل خطر إدمان تلك الأجهزة عن خطر تلك الممنوعات؟ لابد من طرح تلك التساؤلات على أنفسنا، وقد يكون في الإجابة وجهات نظر مختلفة، ولكن ما يمكن الاتفاق عليه أن لهذه الأجهزة سحرا يجذب المتعاملين معها لقضاء الساعات الكثيرة في التكبيس على أزرارها ولمس شاشاتها، والتنقل بين مواقعها واستخداماتها.. وإننا لا ننكر أهمية تلك المواقع وفائدتها في نشر بعض المعلومات الطبية والصحية والعلمية والثقافية والمجتمعية المفيدة للإنسان.. ولكن لا أحد ينكر أيضا أنّ الشيء الذي لا يُحسَن استخدامه يؤدي إلى مشاكل قد لا تحمد عقباها، وقد لا يُرى أثرها إلا بعد حين، فكثرة استخدام تلك الأجهزة أصبح على حساب صحة أبنائنا كسمعهم وبصرهم وذاكرتهم ونشاطهم وحركتهم، وعلى حساب أنشطة كثيرة كان يمارسها الأبناء فيما سبق، كزيارة الأهل والأقرباء، وممارسة الهوايات المفيدة والأنشطة الخلاقة المبدعة والفنون الجميلة، وتلاوة القرآن الكريم وحفظ آياته، وقراءة الكتب المفيدة، ومساعدة الآخرين والجلوس مع العائلة وتبادل الأحاديث معهم، وعلى حساب أوقات دراستهم وأعمالهم.. هذا بالإضافة إلى إضاعة المال للإنفاق على تلك الأجهزة.

فهلا تابعنا حال أبنائنا وبحثنا عن حلول تعيد إليهم الروح الحقيقية للإنسان من أجل قضاء أوقاتهم فيما هو مفيد، دونما حرمان من تلك الأجهزة ولكن بتنظيم وضبط لاستخدامها، والأفضل دائما تنمية الضبط الذاتي والوازع الداخلي وتقوى الله تعالى لدى الفرد، فلا أفضل من الجلوس والحوار مع الأبناء وفي جلسات عدة من أجل إقناعهم بأهمية استغلال وقتهم بشكل أكثر إنتاجا وإبداعا وفائدة لأنفسهم وصحتهم ولمجتمعاتهم، فالوقت كنزٌ ثمينٌ لابد من الحفاظ عليه لا التفريط فيه وإضاعته بلا طائل، خاصة أن الله تعالى محاسِب لنا على كل لحظة من أعمارنا، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (رواه الترمذي والطبراني). ومن هنا لابد من تشجيع الأبناء على الانخراط في أنشطة بناءة مثمرة، من خلال التقليل من الوقت والجهد والمال المصروف على تلك الأجهزة والأدوات تدريجيًا، وتشجيعهم على استغلال طاقاتهم فيما يحبون ويتميزون به، وممارسة أنشطة متنوعة كالخروج مع العائلة والسفر وزيارة الأقارب لتنمية صلة الرحم، ومساعدة الأهل في أعمال البيت، وقراءة الكتب والمجلات، ومتابعة البرامج الدينية والتثقيفية المفيدة، مع التشجيع على التسبيح وتلاوة صفحات من القرآن الكريم لجزء من الوقت بدلا من صرفه كله على تلك الأجهزة لأن في تلاوة كل حرف عشر حسنات لا حسنة واحدة، وكذلك الدخول في إنتاجات إبداعية وفنية وثقافية وعلمية تعزز الإنتاجية والانتماء للوطن والدين والثقة بالذات، ولابد للوالدين من تخصيص وقت كاف للأبناء للاستماع لهم ومشاركتهم فيما يحبون ويمارسون، مع مشاركتهم في أفكارهم ومشاعرهم وخططهم وأنشطتهم وطموحاتهم حتى يعود دور الأسرة العربية المسلمة كما كان. مع ضرورة أخذ مؤسسات التنشئة الأخرى كالمدرسة والمسجد دورها في نشر التوعية بأهمية استغلال الوقت فيما هو مفيد ويعود على المجتمع بالخير والإنتاجية والمستقبل المزهر لتكون أمة منتجة مبدعة لا تابعة ومستهلكة لإنتاج الآخرين.

النظرية التربوية عند لقمان الحكيم

أحمد مصطفى القضاة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: ١٢). لقد اشتملت نصائح لقمان الحكيم لابنه على أصول التربية القويمة، ولا أعتقد أن نظريات التربية القديمة والحديثة قد فاقت أو ساوت تلك الأصول التي أوردها الله سبحانه على لسان رجل وصف بالحكمة، وقد خبر الحياة وخبرته، وتأمل كثيرًا في متقلبات الدهر وتجارب الناس، فكانت وصاياه نابعة من قناعة وصدق، ومبنية على تجربة ومعرفة.

أصول عشرة تضمنتها وصايا لقمان لابنه فاقت نظريات التربية القديمة والحديثة

لاشك أن نصيحة لقمان التربوية لابنه كانت صورة صادقة، خالية من الشبهة، بعيدة عن الأعراض المصلحية، تحمل في طياتها كل معاني الإصلاح، ومرتكزات التربية السليمة، وهي تدل على العمق التربوي عند قائلها، كما تدل على المعرفة العميقة للنفس البشرية، وما يدور فيها من خواطر وأحاسيس، وما ينازعها من قضايا ونوازع.

وأما الأصول التربوية التي اشتملت عليها وصية لقمان لابنه فهي:

الأصل الأول:

حمل المبدأ، والاقتناع بالفكر، والدفاع عن التصور، والاعتزاز به، وخير المبادئ وأفضلها في الحياة وللأجيال، تلك التي تقوم على توحيد الله سبحانه ونبذ الشرك بكل صوره وألوانه، ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

ولم يقل لقمان كلامه جزافا في الهواء ليسير مع أدراج الرياح، ولم يوجه توجيهه دون برهان أو تدليل، حتى ولو كان التوجيه والإرشاد لابنه المستمع المطيع لأن المبدأ لا يؤخذ إلا بالتدليل، والتصور لا يحمل إلا بالاقتناع، وبالاقتناع المبني على دليل، وإلا فستمحي المبادئ، وتزول التصورات، وتتبخر الأفكار من أول وهلة تتعرض فيها للضغط والمواجهة، أو للنبذ والاستهزاء.

ويعد هذا المسلك سمة بارزة من سمات التربية الإسلامية المبنية على الإقناع والوعي، ونبذ الإكراه المشين، والتلقين المبهم، لأن الفرد الموجه الذي يقع تحت سيطرة الإكراه الفكري أو التلقينات الضاغطة هو فرد ضائع مشتت لا يحمل من العقل إلا اسمه.

ونلاحظ صورة هذا الأصل التربوي العظيم في ثنايا كلام لقمان لابنه وهو يعرض عليه قضايا الوجود، وسلوكات الحياة، بما يتناسب مع شخصية الابن الموجَّه، وثقافة زمانه، وبأمثلة فكرية من واقع الحياة تتلاءم مع مستوى الابن الذهني.

لقد عرض القضية الأساسية، قضية توحيد الله الخالص، ثم دلل عليها ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وعرض صورة الحياة القويمة الصالحة المبنية على التقوى والمراقبة ثم برهن عليها، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦)، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧) وعرض صورة حياة الفرد في تعامله ومشيته ومخاطبته ثم عقب على كل قضية بما يستأصل شرها ويغرس خيرها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨)، ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩).

الأصل الثاني:

مراقبة الله سبحانه في الأفعال والأقوال، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

إن الإنسان بطبعه يميل إلى الخوف والمراقبة، وفي حالة غيابهما يفقد معنى إنسانيته ليكون مجرما في حياته، وهذه الفطرة الربانية لابد

المقال ورد إلى المجلة عام ١٩٩٠م ولم ينشر من قبل



لها من أن تسير في مسارها الصحيح لتحقق الحياة معناها المطلوب.

واعتقاد الفرد المربي الموجه أن الله يراقبه في قوله وفعله، لا يعزب عنه مثال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم الحسنات والسيئات، ويسجل الكبائر والصغائر هو الضابط الوحيد والأكيد لكل السلوكات والتصرفات، حيث تستوي حالة الفرد هذا ليعيش في الحياة مستقيم التصرف، معتدل السلوك، صالح الضمير، مهذب النفس، هو الضابط أيضا للفرد في كل أوقاته وحالاته، في السر والعلن، وفي الليل والنهار وفي الخلوة والخلطة، وفي الكبر والصغر، وفي البيت والمجتمع.

هذه ركيزة أساسية من ركائز التربية الصالحة، تأتي بعد قاعدة التوحيد التربوي، أكد عليها لقمان لترسخ في نفس الابن المربى رسوخ الجبال في الأرض، ولتكون في أعماق وجدانه عمق النجم في السماء، ولتصلب قاعدة التوحيد في قلبه صلابة الصخرة الصماء.

وكان يربي لقمان ابنه عند قاعدة التوحيد على أسسها الصحيحة السليمة، ومن أبرز أسسها، الاعتقاد أيضا بأن الله صاحب السلطان والقدرة، ومالك الأمر كله، وقيوم السموات والأرض، يأتي بأصغر شيء في الوجود كما يأتي بأكبره، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

وهذا معلم بارز عظيم من معالم التربية القويمة، التربية التي تربي في نفس الفرد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن لقمة العيش التي من أجلها تكد وتكدح هي بيد الله خالقها، وستأتيك عندما تكتب لك، ولو كانت مثقال حبة خردل في صخرة أو في السموات أو في الأرض.

والواقع التربوي من كل هذا أن يعيش الفرد قرير النفس، هادئ البال، مستريح الضمير يعمل في حياته دون ضنك وعناء، ودون قلق وشقاء، يقنع بالقليل ولا يطمع بالكثير، يوازن حياته ضمن قاعدة - اعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا.

فإذن، هذه قاعدة تربوية أصَّلها لقمان في توجيهاته لابنه، في الوقت الذي تكثر فيه النظريات التربوية الحديثة، متخبطة بين نظرية ونظرية، أو بين تجربة وتجربة، لأنها لم تؤصل التربية، ولم تبنها على أسسها الأولية السليم، ولذا نراها تكثر المراقبة على الأجساد دون غرس الرقابة في الضمائر، ومن هنا تضخم جهاز الرقابة لفساد الوجدان، واختلال الشعور، وتضخمت العقوبات لتضخم الجرائم، وتلونت المشاكل لغياب المراقب الفعلي.

الأصل الثالث:

إقامة الصلاة ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وهذه تربية متكاملة، تربية روحية جسدية، وتربية أخلاقية اجتماعية، وتربية علمية ثقافية، ولا يستغني عنها الصغير ولا الكبير، ولا الغني ولا الفقير، فالصلاة تهذب الروح، وتقوي الجسد، وتنمي الفكر، وتزيل الفوارق، وتعلم الصبر، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتمحو الذنوب، وتغسل الخطايا، وتزيد الصلة بالله، وتؤكد العبودية، وتغذي الولاء، وتغرس الخشوع، وتثبت التقوى، وتنير البصائر.

الأصل الرابع:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

وهذا يعني مخالطة الناس، والصبر على أذاهم، وتبني قضاياهم، وتقديم الحلول الصالحة لمشاكلهم، والقيام بحركات إصلاحية، شعارها الأمر بالمعروف، والدعوة إلى الخير، والنهي عن المنكر، والتحذير من أضراره.

والتربية التي تعنى بنقل الفرد من واقعه المحدود إلى واقع الآخرين ليعيش حياتهم وقضاياهم غير التربية التي تعنى بذات الفرد للفرد ذاته، فتلك تربية قويمة أصيلة، وهذه تربية ناقصة عرجاء.

وكأن لقمان يشير غالب أن التربية السليمة للفرد تلك التي تنقل الفرد من العيش لنفسه إلى العيش للآخرين، والتضحية بنفسه لا لنفسه وإنما لأنفس الآخرين، وشتان بين فرد يتعب المجتمع ليحيا هو، وبين فرد يتعب نفسه ليريح الآخرين، مع أن القيام بالإصلاح بين الناس، وتحمل تكاليف ذلك الإصلاح، فيه حفظ للفرد من الانجراف في تيارات المنكر، ورياح الخراب، وفيه ثبات لشخصيته على معتقده المتبنى.

الأصل الخامس:

المجالدة والصبر، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

القيام بالدعوة إلى الله مهمة عظيمة، وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شاقة صعبة، لا يتحملها إلا الصابرون، ولا يلقاها إلا أصحاب العزائم، ذلك أن الحياة بطبيعتها مليئة بالمشاق والمصاعب، وأن تبني قضايا الناس والإصلاح بينهم على اختلاف أمزجتهم أمر شاق وصعب وخاصة عند الرجال الذين يقيسون الحياة بميزان الرجولة، ويوصلون الحقوق إلى أهلها بطرائق أهل الرجولة، ولذلك لابد لكل هذا من التحمل والصبر، ومن التضحية والجلد.

ويصور لقمان لابنه الأذى أو الابتلاء أنه واقع قد أصابه لأنه عبر عنه بالفعل الماضي «أصابك» ولم يقل: واصبر على ما يصيبك، فليس له خيار في ذلك إلا الصبر والعزيمة، وهو بهذا الأسلوب يلزم نفس المخاطب بالقبول في قضية تتردد النفس فيها، بل وقد يصيبها الخور، أو يحل فيها الوهن.

الأصل السادس:

العزة والتواضع، ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

والصعر معناه الميل، والمعنى ولا تمل خدك للناس احتقارا لهم، وكبرا عليهم، وإعجابا بنفسك، وإعراضا عنهم، وإنما أقبل عليهم متواضعا، هينا لينا، ومؤنسا لهم، مستأنسا بهم، كما قيل في المعنى: ولا تذل نفسك للناس من غير حاجة.

وليس بعد هذه التربية تربية.. التربية التي تربي الفرد على العزة والاستعلاء على الدنايا مع التواضع والإيناس، وهي توازن بين كل جوانب الحياة، وتنشئ الفرد ليعيش متواضعا في حياته من غير مذلة، وعزيزا فيها من غير كبر.

ولا ريب أن التواضع من غير مسكنة ولا مذلة عنوان الشخصية المتينة، ورمز الرجولة الصلبة، وشعار الأخوة الإنسانية، ولغة التعامل مع بني البشر، من حيث هم بشر، وأن التكبر وخاصة المقترن بالجهل علامة طيش عند الإنسان، وإشارة غرور في الحياة، ولون من ألوان مرض الأنفس، ودليل على خفة صاحبه، وبرهان على استهتاره بحياة الناس وقيمهم.

الأصل السابع:

الاعتدال في المشية والحركة، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.

بعد أن بين المشية المشينة، والحالة الطائشة التي ترفضها مبادئ التربية السليمة، أتى بالصورة الصادقة لحركة الشخصية المثالية، وهي إشارة إلى لون من ألوان التربية المستقيمة التي تعتني بحركات الجسد كما تعتني بخواطر النفس، إذ لا قيمة لأفكار قيمة، وتصورات سليمة، ومبادئ مثالية لا تترجم على حركات الجسد، والعيب كل العيب في تربية تعتني بخواطر الإنسان وأحاسيسه لكنها عاجزة عن معالجة أمره في مشيته وحركته.

وقد قيل: إن الحركة تعبير عن الشخصية، فصاحب الحركة الطائشة إنسان طائش مخدوع مغرور متكبر، وصاحب الحركة المتماوتة إنسان ذليل متماوت أبله، وصاحب الحركة المعتدلة إنسان معتدل متزن رصين، قد ترجم كل معاني الاعتدال والاتزان المحتفظ في نفسه إلى واقعه المنظور.

الأصل الثامن:

أدب المحادثة، ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩).

وهي صورة لا يستغني عنها من أعد نفسه ليكون في مصاف الرجال، وعلى مستوى الدخول في مجالسهم، والتخاطب بلغتهم، والتعامل بطرائقهم، بعيدا عن الفوضى والضوضاء، أو الانعزال والانكماش، كما أنها صفة ملازمة لمن نصب نفسه داعيا إلى الله، بأسلوب رضي، وكلام خير، وحديث طيب.

والاعتدال في المحادثة لا يقل أهمية عن الاعتدال في الحركة، فالصوت العالي الجهوري إيذاء للسامع ورعونة عند المتكلم، والصوت الخفيف الميت مهانة للمتكلم وتهاون بالسامع، وخير الأصوات أعدلها نطقا، وأخفضها سماعا، وأكثرها ارتياحا، وأقلها صياحا.

الأصل التاسع:

التربية بالموعظة ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

وهي لون من ألوان التربية الإسلامية، ولعلها من أنسب أنواع التربية، وخاصة في مثل هذا الموضع الذي يكون فيه المربي أو الموجه هو المسؤول عن الفرد المربى، وتربطه به علاقة دم أو صلة محب، لافتراض أنه يحترم الأقوال، ويقبل النصائح، دون عناء تفكير.

الأصل العاشر:

المخاطبة والنصيحة بالعطف واللين، ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِال﴾، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ﴾.

وهذه الطريقة أيضا من أنجح الطرق في التربية، حيث العطف على الموجه والمحبة لهدايته، والتفاؤل في استجابته، ولقد أثبتت تجارب الحياة أن النفس البشرية ميالة إلى من يعطف عليها، ونرى من حولنا أن الآباء الذين يهينون أبناءهم في أثناء تربيتهم يقابلون بالرفض ويصابون بالفشل، وأن الآباء الذين يرحمون أبناءهم، ويعطفون عليهم في أثناء تربيتهم يلاقون المحبة والاحترام.

والمخاطبة بالبنوة في التربية هي طريقة الأنبياء في تربيتهم لأبنائهم، وفي تعاملهم معهم، فإبراهيم لما أراد ذبح ابنه إسماعيل ناداه ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢)، ونوح لما صعد السفينة نادى ابنه ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود: ٤٢)، ويعقوب مع أبنائه ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧).



أعلنت مجموعة من رجال الأعمال المسلمين في عدد من الدول الاسلامية تأسيسَ موقع إلكتروني للتواصل الاجتماعي خاص بالمسلمين، منافسًا لشبكات التواصل الاجتماعي، كالفيس بوك وتويتر وغيرهما، ويقول القائمون على الموقع الجديد إنَّه سيكون بديلًا شاملًا لشبكات التواصل الاجتماعي التقليدية، ومنبرًا للمجتمع الإسلامي الحديث، شعاره «لا محرمات، لا حواجز، لا سياسة». ويهدف مؤسسو «الفيسبوك الإسلامي» إلى الوصول إلى خمسين مليون مستخدم في السنوات الثلاث الأولى من انطلاق المشروع.. الذي سيبدأ في شهر رمضان المقبل، وذلك من بين حوالي ثلاثمائة مليون مسلم يستخدمون شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

هل تنافس المواقع الإسلامية الـ «فيسبوك»؟

د. عبدالصبور فاضل

أعلن عدد من الناشطين- من اثنتي عشرة دولة إسلامية وغير إسلامية- عن إنشاء الموقع بمدينة اسطنبول التركية؛ لأنَّها تربط الشرقَ بالغرب، كما أنَّها إحدى أكبر المدن الاسلامية ومحور لوجستي، ولأنَّها فتحت أبوابها لجميع المسلمين وغير المسلمين، وقدمت تسهيلات كبيرة لدخول أراضيها من خلال إلغاء تأشيرات الدخول مع عدد كبير من الدول، مما يُسَهِّل على أعضاء موقع «سلام وورلد» التواصل واللقاء على أراضيها وقتما أرادوا.

ويقول القائمون على المشروع: إنَّ الموقع الاجتماعي الجديد سيعمل على كسر الحواجز الأيدلوجية واللغوية والجغرافية بين المسلمين، وسيتيحُ الفرصةَ للشباب المسلم ليتعرَّفَ على هويته ويكتشف ذاته، وسيثري الثقافة العالمية بتراث وانجازات الحضارة الاسلامية، ويُسْهِمُ في دعم وتنمية السُّوق الحلال.

ومن بين أهداف الموقع استقطاب أكبر عدد ممكن من علماء المسلمين المعاصرينَ، منهم الداعيةُ الاسلامي الكويتي المعروف د.طارق السويدان، الذي يرى أنَّه قد آن الأوان لنا كمسلمين ألا ننتظر وننتقد، وإنما أنْ نقدم البديل، ونقدم البديل القوي الفعال.

وبالرغم من أنَّ الموقع تم تأسيسه من أجل المسلمين فإنَّه سيكون منفتحًا على غير المسلمين الباحثين عن حقيقة الإسلام أيضًا حسب ما أكده مسئولو الموقع.

ولدت فكرة أول موقع تواصل اجتماعي إسلامي في جمهورية داغستان، ذات الأغلبية المسلمة في روسيا، على يد الناشط والسياسي الروسي عبدالواحد نيازوف، الذي كان أحد أصغر أعضاء مجلس الدوما- البرلمان الروسي- في دورة سابقة، ويقوم على المشروع فريق من المحترفين الدوليين من ألمانيا وأذربيجان والإمارات والهند وانجلترا واسبانيا وقازاقستان وماليزيا ومصر وباكستان وروسيا وتركيا.

ملتفيسبوك.كوم

وفي بداية عام ٢٠١٠ دشّن باكستانيون موقعًا إسلاميًّا للتواصل الاجتماعي لمنافسة موقع «فيسبوك»، وسط آمال في أنْ يشترك فيه نحو ١,٦ مليار مسلم، وذلك بعد الغضب العارم الذي سببته مسابقة أطلقها أحد مستخدمي «فيسبوك» الغربيين لرسم صور

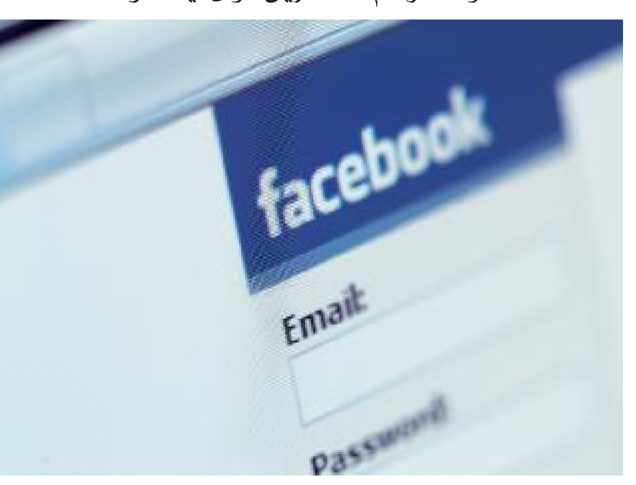
◆ عميد كلية الإعلام - جامعة الأزهر

تمثل النبي محمدا ﷺ، حيث قام ستة من العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات من لاهور -العاصمة الثقافية لباكستان- بإطلاق موقع «مللتفيسبوك.كوم» ورابطه http:// www.millatfacebook.com لتواصل المسلمين عبر الإنترنت، والاحتجاج على الإساءة للإسلام، وذلك بعد أنْ أمرت محكمة باكستانية بحجب موقع فيسبوك حتى ٣١ مايو من العام نفسه على خلفية المسابقة المسيئة للإسلام.

ويعد موقع «مللتف يسبوك.كوم» أول موقع باكستاني للتواصل الاجتماعي، وهو من المسلمين وإلى المسلمين، ويرحب كذلك بكلِّ شخص دمث الخلق من دين آخر، وقال أحدُ مصممي الموقع: محترفون في مجال تكنولوجيا المعلومات يعملون على مدار الساعة لتوفير مزايا في الموقع مشابهة لتلك التي يقدمها «فيسبوك» الأصلي، ويضم الموقع الجديد صفحة «آخر الأخبار» لوضع تعليقات الأصدقاء عليها، ويتيح إمكانية إرسال الرسائل، ووضع الصور والفيديو والدردشة وغيرها، وقد استقطب الموقع الجديد ٤٣٠٠ عضو خلال الأيام الثلاثة الأولى، معظمهم من الباكستانيين الذين يتحدثون الإنجليزية ممن هم في العشرينيات من العمر.

ويمكن القول إنَّه بالنسبة للمواقع التي تعتمد على توظيف خدمات بناء شبكات اجتماعية أو ما يُعرف بـ Social networking sites فهي تقوم على فكرة أنَّ مستخدمي الإنترنت عادةً ما يسعون للبحث عن أصدقاء جدد، أو التواصل مع أصدقائهم بقدر المستطاع، لذا فمن المألوف أنْ يستقبل البعض دعوات للتعارف من قِبل آخرين لا يعرفونهم، وذلك من خلال تلك المواقع التي تقدم خدمات تكوين شبكات اجتماعية، وتعتمد تلك المواقع بشكل رئيسي على الاستفادة من تفاعلية شبكة الإنترنت كوسيلة اتصال، وهي المواقع التي تقوم على إنشاء شبكات اجتماعية من المترددين عليها من أنحاء العالم المختلفة. ويطلق عليها SNS Social networking sites حيث تسمح هذه المواقع لأعضائها أنْ يقدموا أنفسهم، ويعبروا عن آرائهم وأفكارهم للآخرين، وأنْ ينضموا لجماعات وشبكات اجتماعية تربطهم بمن يتفقون معهم في ميولهم.. وما إلى ذلك.

فكرة المواقع الإسلاميه جيدة .. لكن لابد من المنهجية والتخطيط والابتعاد عن دائرة ردة الفعل كحال التجربة الباكستانية



التخطيط أولا

وعمومًا فإنَّ فكرة المواقع الاسلامية جيدة، ونرحب بها وندعمها، ولكي تُحقِّق أهدافها فينبغي أنْ تكونَ مُخطَّطة ومُمنْهجة، ولا تأتي كرد فعل فحسب، كما في حالة الموقع الباكستاني الذي بدا وكأنه نسخة من «الفيسبوك» المعروف، حيث وضع هدفه باللغة الإنجليزية في صفحته الرئيسية هكذا:

Millatfacebook – MFB – Meet Over ١,٦ Billion Muslims and Peaceful people helps you connect and share with the people in your life.

وهي عبارة شديدة التشابه مع ما هو مكتوب في الصفحة الرئيسية للفيسبوك الأصلي والتي تقول:

Facebook helps you connect and share with the people in your life.

مع اختلاف بسيط يكمنُ في توفير الموقع الاسلامي لتواصل ١,٦ بليون مسلم، ورغم ذلك فإنَّه ينبغي أنْ يكون هدف أي موقع إسلامي هو الوصول لجميع الفئات في العالم؛ لتحقيق التواصل الإسلامي والانفتاح على العالم، وتصحيح صورة المسلمين في المعمورة بأسرها، في وقت تتكالب فيه الأمم علىً مقدرات البلاد والعباد.

ويُلاحظ أنَّ جميع مواقع التواصل

الاجتماعي الأجنبية لم تتوجه علنًا لجنس أو دين بعينه، وإنَّما توجَّهت للبشريَّة كلها، بصرف النظر عن أهدافها الخفية.. إنْ كانت لها أهداف غير معلنة فعلًا.

والقضية لا تنحصرُ في مجرد إنشاء موقع إسلامي هنا أو هناك، بقدر ما تنحصر في إمكانات هذا الموقع أو ذاك، ومدى تميزه عن غيره من مواقع التواصل الاجتماعي الشهيرة والعالمية.. التي بلغت أكثر من ٢٥ موقعًا، والتي تحفل بها شبكة المعلومات الدولية، سواء من الناحية الموضوعية أو التقنية على حد سواء، ولو كانت هذه المواقع القائمة نسخةً مكررةً من بعضها لما كان لها وجود مؤثر محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا، بل طالت تأثيراتها سياسات أكثر الدول تقدمًا.

فلو نظرنا مثلًا إلى «فيسبوك» لوجدناه مختلفًا تمام الاختلاف عن «تويتر» الذي يعتمد على «تغريدات»، في الوقت الذي يختلفان فيه عن «يوتيوب» الذي يسمح للمستخدمين برفع ومشاهدة ومشاركة مقاطع الفيديو بشكل مجاني.

مقومات الموقع الإسلامي

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية إنشاء موقع إسلامي متميز يختلف اختلافًا كليًّا وجزئيًّا عن المواقع القائمة في شبكة المعلومات الدولية من حيث المضمون والتقنية، وحتى يلقى قبولًا وإقبالا من مستخدمي الإنترنت فلابد أنْ تتوفر فيه مقومات عدة أهمها:

الجاذبية: بمعنى أنْ تكون لديه القدرة على جذب أكبر عدد ممكن من المشتركين فيه، ومن مختلف الفئات والأعمار والبلدان، ولن يتحقق ذلك إلا بانفراده وتميزه موضوعيًّا وتقنيًّا عن المواقع الأخرى.

الفلترة: وهي تعني قدرة الموقع التقنية على منع وحجب جميع المواد والصور الهابطة من الوصول إلى المشتركين، وإلا فإنَّ وصولها سوف يسيء للإسلام والمسلمين مادام مسمى الموقع إسلاميا. وأمام هذه المعادلة الصعبة فلابد أنْ يكون البديل الترفيهي جذابًا وجاذبًا ومشوقًا لقطاعات كبيرة من الناس، خاصة إذا عرفنا أنَّ نسبةً كبيرةً من مستخدمي الإنترنت- في العالم العربي تحديدًا- تستخدم مواقع إباحية ومواقع التواصل الاجتماعي في مجرد الصداقات والعلاقات الشخصية فحسب.

منع الأسماء الوهمية: وهي مشكلة كبيرة ومعقدة في الوقت نفسه، فكثير من الصفحات الموجودة في مواقع التواصل الاجتماعي هي لأشخاص وهميين ينشئونها بأسماء مستعارة لأسباب أخلاقية تتعلق بهم وبسلوكاتهم، أو لأسباب اجتماعية أو شخصية أو غير ذلك.. الأمر الذي يمثل خطورةً على أي موقع إسلامي.

تعدد اللغات: وهو أنْ يصدر الموقع في البداية على الأقل باللغات الحية وفقًا لنطاقها الجغرافي، ثم يتوسع في استخدام اللغات المهمة المتداولة لدى شعوب العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية.

السماح بتداول معلومات المشترك وضع الخصوصية على المحك وعرض الفيس بوك لانتقادات واسعة

سياسة الخصوصية: بحيث تكون تحت السيطرة التامة، خاصة وأنَّ العالم الإسلامي مستهدف لأسباب يطول شرحها فقد تعرض موقع «فيسبوك» للكثير من الانتقادات على مدار السنوات القليلة الفائتة، ففي الأول من يناير عام ٢٠٠٨، قامت إحدى المجموعات على «فيسبوك» بالإفصاح عن هوية «ستيفاني رينجيل» تلك الفتاة التي قُتلت في ولاية «تورونتو»، والتي لم تكن أسرتها قد أعطت تصريحًا للشرطة بنشر اسمها أو أسماء المتهمين في القضية إلى وسائل الإعلام، وذلك رغم أنَّه يحظر نشر أسماء القصر الذين تتم إدانتهم في إحدى القضايا، بموجب قانون العدالة الجنائية للأحداث، ورغم محاولات الشرطة والقائمين على الموقع الالتزام بقواعد الخصوصية عن طريق حذف اسم الفتاة، فإنَّهم قد لاحظوا صعوبة القيام بذلك حيث تتم إعادة نشر البيانات مرةً أخرى كلما تم حذفها.

وفي ضوء القصة السابقة فإنَّ أحد أهم الانتقادات الموجهة للموقع هي السماح بتداول معلومات المشترك، وهو ما يضع «الخصوصية» على المحك، إذْ إنَّ أحد شروط استخدام هذا الموقع الاجتماعي ألا يعارض المشترك في استخدام صوره ومعلوماته، وفي السياق نفسه فقد كشف المسؤول الأمني الجزائري عبدالقادر مصطفاوي- في تصريح لوكالة الأنباء الكويتية- عن استغلالً بعض الجهات الخارجية للمعلومات الخاصة بالجزائريين في أنشطة تجسسية واستخباراتية تحت مظلة الصداقة والتعاون والتضامن عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

رحلة في إدراك طرف من إعجاز القرآن

أيمن بن أحمد ذوالغنى

لا يختلفُ اثنان من أهل الإسلام أن القرآنَ الكريم هو كلامُ الله المعجِز، كيف لا وقد تحدّى المولى سبحانه جميعَ خلقه أن يأتوا بسورة مثله؟! قال تعالى: ﴿أم يقولونَ افتَراهُ قُل فَأتوا بسُورَةٍ مثلِه وَادْعُوا مَنِ استَطَعتُم مِنْ دُونِ اللهِ إن كنتُم صادقِين﴾ (يونس: ٣٨).

لقد كانت أهمّتني قضيّة الإعجاز البيانيّ في بواكير صباي، وأرّقني شأنُها زمنًا، ومضيت أتلمّس صراطًا لاحبًا يبلّغني مَقصدي، ويوقفُني على ما ترنو إليه نفسي؛ من إدراك جوهر الإعجاز وتذوّقه، ومعرفة كُنهه وحقيقته.

كنت أقرأ القرآن الكريم وأرتّل آياته فأستشعر - كما يستشعر سواي - أنه نمطٌ خاصٌّ من الكلام متفرّد في نظمه ونسَقه وأسلوبه، غير أنّي كنت أُجيل النظرَ في مسألة الإعجاز خاصّة، وفي آيات التحدّي عن الإتيان بمثل هذا القرآن، أو نظم عشر سور من مثله، بل إنشاء سورة واحدة ولوْ كانت في مقدار أقصر سُوَره، تحاكي بناءه وبيانه وبلاغته! فيحوك في رَوْعي سؤالٌ محيّر: كيف لي أن أتيقّنَ بقلبي حقيقةَ الإعجاز وأتحسّسَها بمشاعري وكياني؟!

زاحم بعَوْدٍ أو دَعْ(١)

وما زلت أبحثُ عن جواب شاف حتى ساقه الله إليّ في توجيه عالمٍ ناقد خبير، سألتُه فأجابني، وعرضتُ عليه حَيرتي فأرشدني. ذلك الرجل هو أستاذي الكبير المتبحّر، الأستاذ الدكتور عبدالكريم حسين الذي عرفتُه من بعيد قبل أن أسعدَ بالاتصال به؛ إذ كنتُ - بعد دخولي قسم اللغة العربيّة بجامعة دمشق - لا أزور قاعةَ البحث في المكتبة الوطنيّة بدمشق(٢) إلا وأراه ثَمّة مُنكبًّا على أسفارها، يقضي فيها سحابةَ نهاره وطرفًا من ليله، حتى لكأنه عمودٌ من أعمدتها لا يكاد يبرَحُها؛ يسبق الموظّفين في الحضور صباحًا، ويكون آخرَ الخارجين منها مساءً، ولو أُتيح له أن يبقى بين الكتب الليلَ كلّه لفعل مغتبطًا سعيدًا! لم أكن أعرفه يومئذ غير أنه لفتَ نظري بانقطاعه التامِّ للكتاب الساعات الطّوال، وبهيئته وحليَتِه الغريبة! فقد كان زاهدًا في لباسه أشعثَ أغبرَ تقتحمُه العين، أشبه بأعرابيّ ضلّ طريقَ البادية فحلّ بيننا، ولكنّه أبَى أن ينخلعَ من مظاهر البَداوة والأصالة في صورة الظاهر وطبيعة الباطن، وصدقَ أبوالطيّب حين قال: وفي البَداوة حُسنٌ غيرُ مَجلوب!

ويشاء الله أن أحضُرَ مناقشته لرسالة الدكتوراه فكانت معركةً لا مناقشة، وغدَت القاعة مَيدانَ نزال بطلُها المجلّي وفارسُها الكميُّ هو هو صاحبنا!

ومن صُنع الله بي ونِعمه عليّ أن عُهِدَ إليه تدريسُنا النقد العربيّ القديم في السنة الثانية عام (١٩٩٢- ١٩٩٣م)، فكان معلّمًا حاذقًا ألمعيًّا، راويةً للشعر والأدب، يُبحر بطلابه في بطون كتب العربيّة، ويقتنصُ من أعماقها اللآلئ والفرائد وما لا يعرفُ قدرَه إلا الجادّون من الطلاب، وقليلٌ ما هم، ويا للأسف!

وإذا كان المعلّمون عادةً يدخلون قاعات المحاضرة وبين أيديهم كتابٌ يقرأون منه أو كُرّاسةٌ ينظرون فيها، فإن أستاذنا كان في كلّ محاضرة يقدمُ ومعه مكتبةٌ كاملة تنوء بثِقَلها يداه القويتان، لا ليقرأَ منها أو يعتمدَ عليها؛ إذ إنّ علمه مسطّرٌ في صدره يغرِفُ من مَعينه غرفًا، ولكنّه كان إذا ما روى نصًّا من «الشعر والشعراء» لابن قتيبة مثلاً رفع الكتابَ أمام أعيُننا لننظرَه، وإذا ذكر قولاً للجاحظ في «البيان والتبيُّن»(٣) أخرج الكتابَ إلينا لنبصرَه... وهكذا في عشرات المصادر والمراجع من أمّات كتب الأدب واللغة يحرصُ أن نراها عيانًا بدلَ أن تبقى أسماءً تُرَدّد على أسماعنا فحسب.

واستحكمَت صلتي به حينئذ وعاملني معاملةَ الأخ الصغير لا الطالب، وحَدبَ عليّ حَدَبَ الأب على ولده، ومَحَضَني من نُصحه، وحبّبَ إليّ كتبَ الأدب والنقد، وحثّني على قراءة «العُمدة» لابن رشيق القَيروانيّ وتلخيص فصول منه، فأفدتُّ بذلك أيّمَا فائدة، وهداني إلى الطبَعات الجيّدة والمعتمَدة من كتب تراثنا العربيّ الغنيّ، ورغّبني في اقتناء المراجع النافعة والمجلّات الأدبيّة والثقافيّة الرّصينة..

ولكنّ أعظم ما قدّمه لي - جزاه الله عنّي خيرًا - هو ما وجّهني إليه ودلّني عليه من سبيل تكشفُ عن بصري عَشا الرِّيبَة، وتهدي جَناني إلى طُمأنينة اليقين..

شكوتُ إليه يومًا تحيُّري - وكنت أُماشيه من كليّة الآداب في المزّة إلى المكتبة الوطنيّة في ساحة الأمويّين - سائلاً:

إنني أقرأ القرآنَ وأستمتع بترداد آياته، وأستشعر مباينة نظمه وأسلوبه للمعهود من الكلام والأساليب، غيرَ أنني لا أدري كيف أتحقّقُ بأحاسيسي من أن هذا القرآن مُعجِز، وأنه فوق كلام البشَر، وأن الثقلَين جميعًا عاجزون عن المجيء بمثله ولو تظاهَروا عليه: مصداق قول الحقّ سبحانه: ﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَت

◈ مدير تحرير موقع الألوكة

الإنسُ والجنُّ على أن يأتُوا بمثل هذا القُرآنِ لا يأتُونَ بمثله ولو كانَ بعضُهُم لبَعضٍ ظَهيرًا. ولقَد صَرّفنا للنّاس في هذا القُرآنِ من كُلِّ مَثَلٍ فأبَى أكثرُ النّاسِ إلا كُفُورًا﴾ (الإسراء: ٨٨- ٨٩)؟!

فأجابني بكلمات قليلة المباني جليلة المعاني، قال:

لا يمكن أن تُدركَ إعجازَ القرآن حتى تنالَ حظًّا وافرًا من تذوُّق كلام الفُصَحاء الأَبْيناء(٤)، وتتمرّسَ ببلاغتهم، و(تتشبّعَ) نفسُك بأساليب قولهم. عليك بأبي عثمانَ الجاحظ وأبي حيّانَ التوحيديِّ ومصطفى صادق الرافعيِّ... فإذا أكثرتَ من القراءة لهم ولأمثالهم وأحطتَ بفصاحتهم وبيانهم.. أدركتَ البونَ البعيدَ البعيد بين بلاغة هؤلاء البلغاء من البشَر وبيان خالق البشَر وفاطر الجَنان واللسان!

رحلة إدراك اليقين

تلكم الكلماتُ على قلّتها أضاءت لي الطريقَ ومهّدته أمامي، فمضَيتُ فيه غيرَ متوان ولا هيّاب، عسى أن أحقّقَ طَلِبَتي وأفوزَ بثمرة سعيي ودأبي..

مضَيتُ مع شيخ أدباء العربيّة الرافعيّ في رحلة من التأمُّل والتذوّق لأعظم كتبه وأذكرها «وحي القلم»، فكانت رحلة ما أمتعَها وما أحلاها! قرأت مقالاته جملةً جملة، وكلمةً كلمة، وحرفًا حرفًا.. أبذل وُكدي في الوقوف على مواطن العبقرية والإبداع فيها، أكرّر عباراته مرّات ومرّات، أدقّقُ في طريقة بنائه جملَه وصوغه تراكيبَه، وأنعم في أسلوبه في التعبير عن رؤاه وأفكاره، وأُمعن في صُوَره وابتكاراته... عشتُ مع الرافعيّ بحقٍّ في فضاء الرّفعة، فارتقى بي إلى أفقه العالي، لأحلّقَ معه في سماء التفرُّد والتميُّز...

وطالما أطربَني قلمُه وأرقصَني، وأدار رأسيَ لذّةً ونشوة!

أجل والله، لقد أخذ الرافعيُّ بلبّي، حتى إنني كنت أقفُ مبهورًا أمام كثير من عباراته وحِكَمه وتصاويره فلا أملك إلا أن أقول: سبحانَ من وهبَك وأعطاك، وصدقَ رسولنا ﷺ القائل: «إنّ من البيان لسحرًا»، نعم إن هذا لبيانٌ يكاد يكون ضربًا من الإعجاز، والذي فطرَ النيّرات ما قائله بشَرٌ كسائر البشَر!! وتمثُل بين عينيّ تلك العبارة المُحكَمة التي أصاب فيها صاحبُها(٥) كبدَ الحقيقة وعبّر أصدقَ تعبير في وصف أدب الرافعيّ بقوله: «بيان كأنّه تنزيلٌ من التنزيل أوَ قبَسٌ من نور الذّكر الحكيم»!

لا والله ما هذا بوحي قلم، ولا وحي عقل، ولا وحي فؤاد.. ما هذا إلا إلهامُ ربِّ الأنام، الذي خلق الإنسانَ علّمَه البيان!

قضَيتُ في صحبة أمير الأَبْيناء زمنًا لا يُحسَب في ساعات العمُر؛ إذ الساعةُ في ذَرا الرافعيّ وذُرَاه ساعات(٦)، والدّهر في صُحبَته ورفقته دهور.. كيف لا وقد اشتمل كتابه على كلّ ضروب العبقرية؛ فكرةً سامية، وأسلوبًا راقيًا، وبلاغة أخّاذة، وألفاظًا متخيّرة، وموسيقى عذبة تلذُّ لها الأذن وتطرَب!

وحين بلغتُ أواخرَ الكتاب وقد ارتوَت نفسي من هذا الأدب الأصيل الجامع بين الحلاوة والجزالة، وبين الرشاقة والفخامة.. بأسلوب تُستَمال به القلوب، وتُستجلَب به العقولُ، وتُزيّن به المعاني... وأنا في تلك الحال من فيض المشاعر، وتوهّج الأحاسيس، واستشعار سموّ التعبير وقد صِيغ في قالَب من البيان لا يتأتّى إلا لقلّة قليلة من الموهوبين في تاريخ البشرية!

أقول: وأنا في تلك الحال من النشوة والتحليق... حملتُ المصحف بين يديّ أريد أن أقرأ فيه.. فتحتُه دون قصد سورة بعينها.. فخرجت لي سورةٌ لا أذكرُها الآن، بيدَ أن ما أذكرُه تمامًا هو أنني لم أشرَع في قراءتها حتى قَفّ شعرُ بدني!

إي وربّي، لقد غشيَني إحساسٌ عجيب لم أُحسّه من قبل بتاتًا، وتوهّجت في رُوحي مشاعرُ لم أعرفها سابقًا قطُّ! ملكت عليّ عقلي وقلبي وجوارحي... فلم أقدر أن أتجاوزَ الآيةَ الأولى إلى تاليتها!

ورُحت أكرّر الآية مرّة بعد مرّة... أتغلغل في عُمق معناها، وأنغلُ في جَذر مبناها، أتذوّق من جمالها وجلالها ما لم أتذوّقه يومًا على كثرة ما قرأتُ من كلام الله وردّدت! ولكنّ لها اليوم طعمًا غير الطعم، ومَذاقًا غير المذاق!

وتالله الذي لا إله غيرُه، لم أملك إلا أن أفغَرَ فمي دهشةً وعجبًا، وعيناي تَهْميان بالعَبَرات، ولساني يتلجلَجُ في فمي مردّدًا في استكانة وتسليم وإقرار: هذا هو الإعجاز حقًّا، هذا هو الإعجاز صدقًا، هذا هو الإعجاز!! هذا هو الكلام الذي لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله، لا يأتونَ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا!

المراجع

(١) العَود: الجمل المسنّ. وهذا مَثَلٌ من أمثال العرب، يُضرَب للحثّ على الاستعانة في الأمور بذوي السنّ والتجربة والخبرة. وفي هذا المعنَى تقول العامّة في الشام: من ليس له كبير ليس له تدبير!

(٢) المسمّاة (مكتبة الأسد)!

(٣) هو أجلُّ كتب الجاحظ وأسيَرُها، اشتهر بعنوان: «البيان والتبيين» في طبعاته المتداوَلة، والصواب فيه: «البيان والتبيّن»، وهو المثبَت في صدر أصوله الخطيّة، وهو ما انتهى إليه محقّقُه الكبير الأستاذ عبد السلام هارون، ووعد أن يعيدَ العنوان الصحيح للكتاب في طبعة جديدة، ولكنّ الأجل وافاه قبل تحقيق أمنيّته رحمه الله.

(٤) الأَبْيناء: جمع (بيِن)، والبيّنُ من الرجال: الطلقُ اللسان الفصيح.

(٥) هو سعد زُغلول، وكلمتُه الذائعة السيّارة هذه كان كتبها في تقريظ كتاب الرافعيّ «إعجاز القرآن» الذي لقي قَبولا كبيرًا من الأدباء والنقاد، ونال به صاحبه مكانة سامية بينهم، فكتب سعد: «وأيّدَ (أي: كتابُ الرافعيّ) بلاغةَ القرآن وإعجازَه بأدلّة مُشتَقّة من أسرارها، في بيانٍ يستمدُّ من رُوحها، بيان كأنه تنزيلٌ من التنزيل، أو قبَسٌ من نور الذّكر الحكيم». ولقد صدقت في الرافعيّ نبوءة الزعيم المصريّ الكبير مُصطفى كامل، فيما كتب إليه مقرّظا ديوانه: «سيأتي يومٌ إذا ذُكر فيه الرافعيّ قال الناس: هو الحكمة العالية مَصوغة في أجمل قالب من البيان».

(٦) الذّرا (بالفتح): الكنَف، يُقال: أنا في ذرا فلان؛ أي: في كنَفه ودفئه. والذُّرا (بالضم): جمع ذُروَة (بالضم والكسر)، والذروة من الشيء: أعلاه.

على مساحة ٤٠٧٧ مترًا مربعًا

الجامع العمري الكبير بمدينة غزة.. آثار وأمجاد

بهيج بهجت سكيك

ينسب الجامع العمري الكبير إلى الخليفة الراشدي الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي فتحت غزة في عهده، وهي من أوائل مدن فلسطين التي فتحت بعد معركة (داثن – الدميثة) عام ١٣هـ، ويسمى الكبير لأنه من الجوامع العظمى في فلسطين، وأقدم جامع في مدينة غزة على الإطلاق. كما أن كثيرًا من المساجد والجوامع تحمل اسم «العمري» في كل أرجاء العالم الإسلامي تيمنًا باسم هذا الخليفة العادل، عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لأن غزة أو غَزّة– وهو اسمها الكنعاني الأول– قديمة قدم التاريخ فقد تعاقب عليها الغزاة والطامعين والمحتلين فعرفت البابليين والآشوريين والحيثيين والفراعنة والهكسوس والفرس والروم والإغريق والبيزنطيين، وذلك لأنها بوابة آسيا إلى إفريقيا الشمالية وبوابة إفريقيا إلى آسيا.

وفي الأصل كان هذا المكان معبدًا هيكلًا وثنيًا للآلة (مارنا مارينوس) لعبادة الشمس والكواكب والأصنام ويتصدره «مذبح كبير» تقدم فيه القرابين لهذه الآلة، مكان المنبر والمحراب الحاليين في مواجهة الباب الوحيد للمعبد جهة الغرب المطلة على البحر.

ومع ظهور المسيحية في وبلاد فلسطين والشام، اضطهد الوثنين أصحاب البلاد المسيحيين ودياناتهم، وقد رسمت على أحد أعمدة الباب الغربي الوحيد للمعبد تاج الملك، وعليه الأبواق والسكاكين رمزًا لانتصار الإمبراطور «طيطوس» الروماني في سنة ٧٠ ميلادي على اليهود وطردهم من القدس وهدم الهيكل، وهذا الباب موجود إلى الآن لم يتغير فيه شيء وفوقه كوّة– طاقة– كبيرة مدورة ترمز للشمس التي يعبدونها.

تحفة معمارية على الطراز القوطي المنتشر في العصرين الروماني والبيزنطي

بعد انتشار المسيحية في غزة هدم هذا المعبد مع معابد أخرى كثيرة وتم تطهيره بالنار وبنيت مكانه كنيسة على نفقة الملكة افيدوكسيا زوجة الإمبراطور اركاديوس جلبت لها اثنين وأربعين عامودًا من الرخام من روما عن طريق البحر مازالت موجودة إلى الآن.

غزة تحت المظلة الإسلامية

عندما استظلت غزة بمظلة الإسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوجد بها كنيستان هذه الكنيسة، وكنيسة أخرى باقية إلى اليوم تعرف بدير اللاتين في حي الزيتون.

انتشر الإسلام بسرعة في غزة لما وجده أهلها من تسامح المسلمين وعدلهم ومعاملتهم الحسنة لأهل الذمة، لأن الإسلام لا يقوم على الإكراه والإرهاق، اتخذ أهل غزة هذه الكنيسة مسجدًا، وبقيت الأخرى كنيسة إلى اليوم، لمن بقي من النصارى على دينه، وعرف من ذلك الوقت بالجامع العمري، وبالمناسبة فإن الخليفة عمر رضي الله عنه ليس غريبًا على غزة، ولا غزة غريبة عنه، فقد عمل بالتجارة وكان يقوم بتخليص البضائع «مبرطسًا» أو مخلصًا جمركيًا، في ميناء غزة «ميوما» أو «ميمونيا» لأهل مكة، وزارها قبل الإسلام عدة مرات.

الموقع والمساحة

يقع الجامع العمري الكبير وسط مدينة غزة (قصبة المدينة)، في حي الدرج ولا يفصله عن حي الزيتون من جهة الجنوب إلا شارع عمر المختار، بينما حي التفاح يقع في الجهة الشمالية من الجامع، وأبعدها عنه حي الشجاعية الذي يقع في الجهة الشرقية منه، ويفصله خط السكة الحديد عن باقي الأحياء، هذه أحياء غزة القديمة، وقد اتسعت الآن ونمت واتصلت الأحياء الجديدة ببعضها حتى البحر غربًا، منها

♦ باحث فلسطيني

أحياء الرمال، والصبرا، والنصر، والكرامة، وتل الهوى وغيرها.

يحيط بالجامع العمري أسواق المدينة القديمة، وقد اندثر معظمها، وكان أقربها إلى الجامع «خان الزيت» الذي كان «فندقًا» (INN) ومركزًا تجاريًا لبيع زيت الزيتون، وكان وقفًا ذريًا لآل رضوان حكام غزة في العصر العثماني، اشتراه أحد أبناء غزة وقامت مكانه عمارة حديثة تعرف اليوم بعمارة أبورحمة بمحلاتها على شارع عمر المختار، يقابلها سوق السراجين أو باللهجة الغزية «سوق السروجية»، حيث تضع سروج الخيل وتحدى الخيل فيه، وليس بعيدًا عنه في الجهة الغربية سوق الغلال، القمح والشعير والدقيق وغيرها، بينما يمتد سوق الخضار والفاكهة من بابه الغربي حتى ميدان فلسطين والساحة الرئيسية للمدينة، وفيها مواقف السيارات والحافلات إلى مختلف أحياء المدينة، إن أصحاب هذه المحلات والمتاجر هم مرتادو الجامع في صلاة الظهر والعصر والمغرب.

تبلغ مساحة المسجد العمري الأصلية حوالي ١١٩٠ مترًا مربعًا زادت على مر العصور الإسلامية حتى بات يشغل اليوم ٤٠٧٧ مترًا مربعًا.

البناء الأصلي تحفة معمارية على الطراز «القوطي» المنتشر في العصر الروماني والبيرنطي! وتمت توسعة الجامع في عدة عصور إسلامية «الإيوان» الشرقي بأقواسه وأعمدته في العصر الأموي، أما الصحن الخارجي وهو يحتل أكبر مساحة مكشوفة من المسجد ويتسع لأكثر من ٥٠٠٠ مصل، فقد أضيف في العصر المملوكي أيام حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون٧٣٠هـ (١٣٣٠م) وأجمل ما فيه الباب الشمالي الذي تنزل منه بدرجات عديدة لتصل إلى الصحن الخارجي.



أضيفت إلى المسجد العمري في العهدين المملوكي والعثماني إضافات كثيرة مازالت قائمة إلى اليوم.

المنارة – المئذنة

بقي الجامع العمري الكبير بدون منارة أو مئذنة حتى القرن السابع للهجرة حين أمر السلطان المملوكي أبوالفتح المنصوري ببناء منارة كبيرة جلبت حجارتها من محاجر الخليل، وجعلت فوق موضع الناقوس الذي كان للهيكل، وفتح باب في الجهة الشرقية مقابل تمامًا للباب الغربي.

ومازال منقوشًا على «رنوك» الباب الشرقي وأعمدته الرخام ما يلي:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان: ١٠)

«أمر بإنشاء هذا الباب والمئذنة المباركة مولانا وسيدنا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين- أبوالفتح لاجين المنصوري، أدام الله أيامه- ونشر في الخافقين بالنصر ألويته وأعلامه، وأعز أنصاره وأعوانه ووزراءه وحكامه، وحكم في منحر المشركين سهامه وحسامه، كان الفراغ من بناء المنارة والواجهة في شعبان ٦٩٧هـ».

كما أن «سنجر الجاولي» نائب السلطنة المملوكية اعتنى عناية كبيرة بالجامع العمري وأضاف له إضافات عديدة منها إيوانات كبيرة متعددة تصل الصحن الخارجي الشمالي بالصالة الرئيسية أثناء حكمه لغزة.

أما «موسى باشا آل رضوان» من أمراء غزة في العهد العثماني فقد أقام صهريجًا كبيرًا يتجمع فيه ماء المطر للشراب والوضوء عند الحاجة، وأضاف للمسجد إيوانات جديدة في الناحية القبلية المواجهة للباب الشمالي.

وأثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) احتمت كتيبة من الأتراك بداخل الجامع ومعها ذخيرتها فقام الإنجليز بضرب الجامع من البحر والبر، وأصيب بأضرار جسيمة وتهدمت منارته (المئذنة) حتى منتصفها، فقام

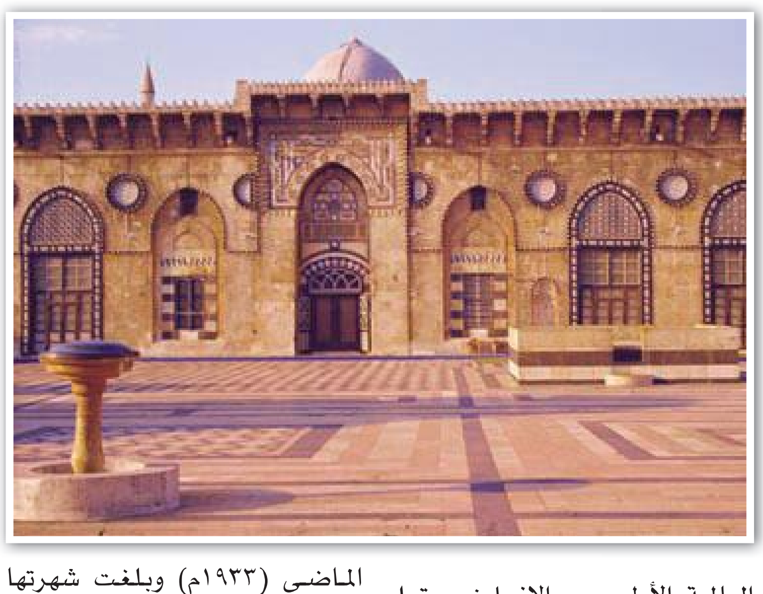
المجلس الإسلامي الأعلى وبهمة رجاله المخلصين بإعادة إعماره وترميمه وأزيلت الأنقاض والأتربة وجيء بنفس نوع الحجارة وأعيدت المنارة كما كانت، ويوم الاحتفال بانتهاء أعمال الترميم عام (١٣٤٩هـ - ١٩٢٦م) حضر مؤذن الجامع الحاج محمود رشاد البرقوني لينصب الهلال ويثبته في أعلى المنارة، صعد إلى المنارة ومعه كفنه من القماش الأبيض وصعد الدرج حتى منصة الأذان، ثم صعد إلى قمة ورأس المئذنة، بدون سلالم ولا أدراج وثبت ٣ كرات نحاسية يعلوها الهلال في أعلى قمة المئذنة وقد حبس الحضور أنفاسهم في صحن الجامع ولما انتهى من عمله بنجاح ووصل إلى منصة الأذان في المنارة عزفت الموسيقى الأناشيد والتراتيل الدينية وهلل الحضور وكبروا ابتهاجًا بهذا النجاح (المئذنة وهلالها باقيان إلى اليوم يصدحان بشموخ كل يوم خمس مرات (الله أكبر.. الله أكبر).

القيسارية

القيسارية اسم يطلق على الجهة الجنوبية للجامع والمطلة على شارع عمر المختار الشارع الرئيسي في غزة، وقام آل رضوان بحماية جدران الجامع من مياه الأمطار التي كانت تنحدر من الجهة الشرقية والشمالية وتتجمع أمام الباب القبلي الجنوبي، كما قاموا ببناء دكاكين وقف للجامع- وفوقها عقود منقوشة فوق الدكاكين وهي ما عرف على اليوم بسوق الذهب، حيث استأجرها الصاغة لبيع مصوغاتهم، وتم تجديد المحال والدكاكين المطلة على شارع عمر المختار التي كان يشغلها بعض الأفغان الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى مع الإنجليز، وبقوا في غزة بعد انتهاء الحرب، لقد احترفوا عدة حرف أهمها صناعة المفاتيح والأقفال وسن السكاكين وتجليخها وبيع المسابح وسجاجيد الصلاة وغيرها.

باب الجنائز

للجامع العمري الكبير «أربعة أبواب» مفتوحة على الجهات الأربع، الباب الشرقي الذي استحدث في العصر المملوكي، ولابد للنزول عدة درجات للوصول إلى الباب، لأن الشارع منسوبه أعلى من صحن الجامع، وكذلك النزول عدة درجات للوصول للصحن حيث المنبر والمحراب في هذه الناحية، يقابل الباب الشرقي مباشرة «مطبعة العلمي»، وهي أول مطبعة حديثة تقام في غزة في الثلاثينيات من القرن



الماضي (١٩٣٣م) وبلغت شهرتها في غزة شهرة مطبعة «بولاق» في القاهرة حيث كان يطبع فيها «دفاتر إيصالات مالية» و«دعوات الأفراح» وكتيبات وكانت تعمل بطريقة «صف ورص الحروف المعدنية القديمة»!

الباب الثاني- (الجنوبي القبلي) يقع وسط محلات القيسارية بسوق الذهب وتعلوه قنطرة متصلة بجدران الجامع.

الباب الثالث- الشمالي- يفضي مباشرة إلى الصحن الخارجي الكبير المكشوف وتتصل به إيوانات من الجهات الشرقية والجنوبية والغربية ومنه يدخل إلى الجامع سكان أحياء الدرج- التفاح- بني عامر للصلاة فيه.

أما الباب الرابع- الباب الغربي- وهو الباب الرئيسي والوحيد للمعبد القديم فيواجه أسواق المدينة ويسمى «باب الجنائز» لأن الغزيين يأتون بموتاهم للصلاة عليهم ويخرجون بهم من نفس الباب متجهين إلى المقبرة الكبيرة التي صارت وسط المدينة، وقد

مكتبته كانت ثالث أكبر مكتبة في فلسطين بعد مكتبتي الأقصى ومسجد أحمد باشا الجزار



أغلقتها السلطة الفلسطينية بعد عام ١٩٩٦م.

لقد حرص علماء غزة وعائلاتها الثرية والمتنفذة على أن يكونوا قريبين من الجامع، فإلى اليوم ما تزال بيوت الشيخ عثمان الطباع والشيخ محمد سكيك من أئمة الجامع يتوارثها أحفادهم وحتى اليوم- ولا يزال آل الغصن وآل رضوان يدفنون موتاهم في المقابر الخاصة بهم في الجهة الشرقية وكذلك وقف آل الريس في الجهة الغربية حيث يمتلكون «حاكورة» بستان» للفواكه موقوفة على الجامع مع حمام السوق الذي اندثر في ستينيات القرن الماضي.

مكتبة الجامع العمري

أنشأ هذه المكتبة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وعين عليها خيرة العلماء للعناية بها، ويذكر أكثر من مصدر أنه كان بها أكثر من عشرين ألف كتاب ومخطوط، إلا أنه للأسف تعرضت هذه المكتبة للسرقة والتدمير والعبث خصوصًا أثناء الغزو الصليبي وأثناء الحملة الفرنسية على مصر وعلى غزة وعكا، وحتى الحرب العالمية الأولى، وانحصرت الآن في غرفة قريبة من الباب الغربي.

لقد كانت مكتبة الجامع العمري بغزة ثالث مكتبة في فلسطين بعد مكتبة المسجد الأقصى ومكتبة مسجد أحمد باشا الجزار في عكا.

لقد تناوب على إمامة المسجد العمري وسدانته كثير من أبناء غزة وأعلامها خصوصًا في القرنين الماضيين سجلت المراجع منهم:

- السيد محمد كمال الدين البكري ت ١١٩٦هـ
- العلامه الشيخ عبدالمجيد البورنو مفتي الأحناف وشيخ علماء عصره ت ١٣١٠هـ
- الشيخ محمد نجيب النحال ت في صفر ١٢٩٦هـ
- الشيخ سليم شعشاعة ت ١٣٢٠هـ
- العلامة الشيخ التقي الفقيه الفاضل محمد سكيك الحنفي ت (١٢٤٦هـ- ١٨٣١م)، تتلمذ على الشيخ مرتضى الزبيدي في الأزهر الشريف.
- الشيخ حسين العلمي
- الشيخ محمود بن الشيخ محمد سكيك السابق ذكره الحنفي الشاذلي درس في الأزهر سبعًا وعشرين سنة ثم عاد لغزة وعرف قدره وظهر فضله، ت ١٣١٠هـ
- الشيخ عبداللطيف الخازندار ت في رجب ١٣٢٠هـ
- الشيخ عثمان مصطفى الطباع الدمشقي الغزي ت ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م الذي قام بجهد كبير في كتابة مخطوطته الشهيرة «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة» الذي جمع في المجلد الرابع تراجم لأعيان علماء غزة حتى وصل عددهم ٢١٤ عالمًا.

وقام بتحقيق هذه الموسوعة الشاب الأديب عبداللطيف زكي أبوهاشم، مدير أوقاف غزة حاليًا.

إن الكتابات المنقوشة على أبواب وجدران ورنوك وتيجان الأعمدة تشهد للجامع العمري الكبير بأمجاد هذا الجامع الذي يحمل اسم الخليفة العادل الفاروق «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه والذي وضعه أحد المؤلفين الأجانب غير المسلمين من «أعظم مائة خالدون في التاريخ» وعلى رأسهم الرسول الكريم ﷺ.

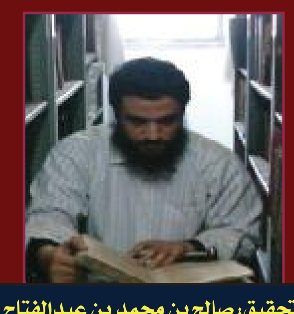
لقد قامت السلطة الفلسطينية بتجديد عمارة المسجد وترميمه وفرشه وأعادت إليه بعض رونقه بعد أن هجرت جيرته العائلات الغزية العريقة،وصارت البيوت المجاورة مخازن للبضائع للمحلات الكبيرة في شارع عمر المختار القريب.

المراجع

- تاريخ غزة.. عارف العارف سنة ١٩٤٦م
- «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة» الشيخ عثمان مصطفى الطباع سنة ٢٠٠٠م، تحقيق عبداللطيف أبوهاشم.
- «مساجد غزة ومزاراتها» إبراهيم خليل سكيك، سلسلة تاريخ غزة.
- «الجامع العمري الكبير» تحقيق عبداللطيف أبوهاشم مدير أوقاف غزة.

ترجمة الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي

بقلم تلميذه أحمد تيمور باشا


تحقيق: صالح بن محمد بن عبد الفتاح

دار الكتب المصرية العامرة- حرسها الله- من أكبر المكتبات في العالم التي تحوي بين جدرانها عشرات الآلاف من النسخ الخطية لمؤلفات أسلافنا العظام وفي زاوية من زوايا تلك المكتبة تجد كما هائلًا من الأوراق المتناثرة معدومة الهوية تراكمت فوق بعضها البعض قد غطتها أكوام من الأتربة وواراها عن أعين الباحثين طوال الأعوام السابقة جهلُ كثير من القائمين على أمر الدار بقيمتها وأهميتها ثم منَّ الله سبحانه وتعالى علينا- أنا وبعض الزملاء- منذ عامين تقريبًا بأن كلفنا بالنظر في تلك الأوراق وإعادة ترتيبها واستخراج ما بها من كنوز ونوادر فلفت انتباهي وأنا أقلب في تلك الأوراق وريقات كتبت بقلم سعادة الأستاذ أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا الباحث والمؤرخ المصري المعروف وصاحب المكتبة التيمورية الشهيرة (ت ١٣٤٨هـ) تناول فيها ترجمة شيخه العلامة محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي رحمه الله تعالى (ت١٣٢٢هـ) (١) وتظهر أهمية تلك الترجمة في كون كاتبها كان من أخص تلاميذ المترجَم له، وقد أخذ بعض ما فيها من معلومات عن المترجَم مشافهة وقد جلى فيها -على وجازتها- كثيرًا من جوانب حياته الشخصية والعلمية، فأحببت أن أطلع القراء الكرام عليها.

هو الأستاذ، العلامة، الحجة، الثقة، إمام اللغويين في عصره، شيخنا محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي.

اشتهر والده بالتلاميد –بالدال المهملة–، وسبب ذلك على ما أخبرني به أنه كان يقرئ تلاميذه في خيمة انفرد بها، فكان كل من يسأل عنه يقول: أين خيمة التلاميد؟ ثم أطلق هذا اللقب عليه كما يقال: السادات الواحد من السادات الوفائية بمصر.

وتركز، بضم فسكون فضم: اسم قبيلته (٢) وهو في الأصل أموي النسب ولهذا كان يكتب في توقيعه العبشمي نسبة إلى عبدشمس ثم ترك كتابته لما أقام بمصر.

قرأ على أبيه، وبعض أقاربه كما أشار إلى ذلك في ميميته التي نظمها لمؤتمر العلوم الشرقية باستكهلم فقال(٣):

غذاني بـدَرِّ العلم أرأفُ والـد
وأرحم أمٍّ، لم (٤) تُبتْنى على غمِّ
ولم يَفْطماني(٥) عنه حتى رويته
عن الأبِ ثم الأخِ والخالِ والأُمِّ
وعن غيرهم من كل حبر سَمَيْدَع(٦)
تقيٍّ نَقِيٍّ لا عييٍّ ولا فَدمِ (٧).

أهمية هذه الترجمة تكمن في كون كاتبها من أخص تلاميذ المترجم له

ولازم أيضًا الشيخ عبدالوهاب الملقب بإجدُود (٨)، وعليه تخَرَّج، ثم تلقى الحديث عن ابن بلعمش الجكني، واستظهر من المتون وأشعار العرب شيئًا كثيرًا لم يذهب من حفظه حتى مات، واشتهر باللغة والأنساب وانفرد بهما.

ثم رحل إلى المشرق وحجَّ واجتمع بأمير مكة الشريف عبدالله بن محمد بن عون فأكرمه وطلب منه البقاء عنده فأجاب.

وكانت تقع بينه وبين علماء مكة والواردين عليها مناظرات ومحاورات علمية في مجلس الأمير.

ثم صار يتردد في الإقامة بين مكة والمدينة إلى أن قصد القسطنطينية فأكرمه السلطان عبدالحميد وعرف قدره وأوفده سنة (١٣٠٤هـ) إلى باريس

الباحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

ولندن والأندلس للاطلاع على ما في خزائنها من الكتب العربية النادرة وتقييد أسماء ما لا يوجد بخزائن القسطنطينية لتستنسخ، فسافر على باخرة خاصة وكان ينزل حيثما حل بدور السفارات العثمانية ولكن المشروع أهمل بعد عودته ثم لما شرع الملك اسكار الثاني ملك السويد والنرويج في عقد المؤتمر الثامن للعلوم الشرقية باستكلهم سنة (١٣٠٦هـ) طلب من السلطان عبدالحميد أن ينتدب الشيخ إليه فانتدبه مع مدحت أفندي الكاتب التركي الشهير ونظم الشيخ قصيدته الميمية ليقدمها للمؤتمر وأولها:

ألا طرقت مَيٌّ فتًى مَطْلع النَّجم
غريبًا عن الأوطان في أمم العُجم

ذكر بها سبب هذه الرحلة، وابتداء تحصيله للعلوم بالمغرب، ورحلته إلى المشرق، وضمنها مسائل علمية، ورثى نفسه فيها، وختمها بذكر القبائل المشهورة، ولكنه لم يسافر لاشتراطه شروطًا أغضبت السلطان، فأمر بسفره إلى المدينة، ومنها قدم إلى القاهرة وألقى بها عصى التسيار، واستحضر أهله وكتبه من المدينة، وأقبل على المطالعة والإفادة إلى أن توفي بدار سكنه القريبة من الأزهر قُبيل الغروب في يوم الجمعة (٢٣ شوال سنة ١٣٢٢هـ) عن سنٍّ عالية ولم يمرض إلا أيامًا قليلة.

وكان رحمه الله نحيفًا أسمر اللون شديد التمسك بالسنة قوالًا للحق ولو على نفسه، مع حِدَّةِ طبع زائدة، ولهذا لم ينتفع به إلا القليلون.

وكان لا يمل المطالعة ليلًا ونهارًا حتى أضنته كثرة الجلوس، وسببت له أمراضًا وآلامًا ولاسيما لما اشتغل بتصحيح «المُخَصَّص»، فإنه كان يقابله مع شخص آخر بمكان رطب في الطبقة



أحمد تيمور باشا

السفلى من داره، فاشتد به مرض الصدر وألم الرثية في أطرافه، وكثيرًا ما كان يقول: «أنا قتيل المخصص، أنا قتيل الكتب» ولم يترك من الآثار إلا «الحماسة السَّنية، الكاملة المَزِيَّة، في الرحلة العلميّة الشنقيطية التُّرْكُزِيَّة» ضمَّنَها شيئًا من أخباره وقصائده وردوده على من خالفه في بعض المسائل العلمية وطبعت بالقاهرة في مطبعة الموسوعات سنة (١٣١٩هـ) وله أرجوزة سمَّاها «عذب المنهل والمَعَل المسمى صرف ثُعَل» (٩) لم تطبع، و«إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب» وهي حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني(١٠) وكان وَفد على الشريف عبدالله بن محمد بن عون بمكة وقدَّم له هذا الشرح فطلب الشريفُ من الشيخ أن يكتب عليه فكتب هذه الحاشية وبين فيها أغلاطه وهي مخطوطة لم تطبع (١١)، وكان شرع في تأليف كتاب سماه «بنيان العلم المرصص، في أوهام المخصص» لم يكتب منه إلا ما طبع على حواشي المخصص، وكان



محمد محمود التركزي الشنقيطي
من مخطوطة الجزء الرابع من شرح المفصل في دار الكتب المصرية ١٩ نحو

صحح بعض الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني، ولم يستوعب كل ما فيه، فجرَّدها من حواشي نسخته الشيخ الفاضل محمد عبدالجواد الأصمعي وطبعها بالمطبعة الجمالية بالقاهرة سنة (١٣٣٤هـ) بعنوان «تصحيح الأغاني» أ.هـ.

الهوامش

١- تبين لي أن لجنة نشر المؤلفات التيمورية قد وقفت عليها وضمنتها كتابه: «أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث».

٢- قبيلة تُركز قبيلة موريتانية مشهورة تتوزع بين منطقتي البراكنة وتكانت بموريتانيا ومنها ما هو بالمملكة المغربية، انظر مقالة سيدي أحمد بن أحمد سالم عنه، مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة الثالثة، العدد العاشر، ص ٧٨ .

٣- الحماسة السنية للمُترَجم (القسم الأول/٢).

٤- في الأصل «لمن» وهو تصحيف من الناسخ.

٥- في الأصل «يعظماني» وهو تصحيف من الناسخ.

٦- السميدع: السيد الكريم السخي، والشجاع، والخفيف السريع.

٧- الفدم من الرجال: كأنه مشدود على فيه ما يمنعه الكلام لفهاهته.

٨- هو عبدالوهاب بن أكتوش بن السيد العلوي (ت ١٢٨٩ هـ) انظر ترجمته في الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط المطبعة الجمالية (ص ٨٠- ٨١).

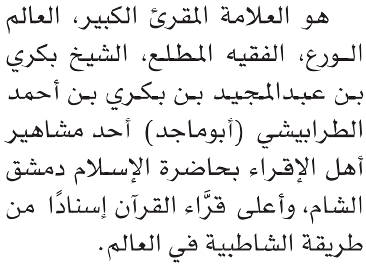
٩- موضوع هذه الرسالة يتعلق بما ورد في لفظ ثعَل من الصرف وعدمه مع بيان مذهبه في ذلك، وقد أشار الشنقيطي رحمه الله تعالى إلى هذه الرسالة في قصيدته الميمية في أكثر من ستين بيتًا منها.. انظر: قطف العناقيد في ترجمة الشنقيطي بن التلاميد لرائد الشلاحي ص ٦٥، والرسالة موجودة بخطه محفوظة ضمن مكتبته الملحقة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٨ / نحو ش).

١٠- هو الحسن بن أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الضمديّ المعروف بعاكش (ت: ١٢٩٠ هـ) انظر ترجمته في الأعلام (١٨٣/٢).

١١- طبعت بتحقيق الأستاذ رائد الشلاحي وقدم لها بمقدمة نفيسة ترجم فيها للشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى أسماها: «قطف العناقيد في ترجمة الشنقيطي بن التلاميد» وهي أوعب ما صنف في ترجمته فجزاه الله خيرًا.

العلامة المقرئ بكري ابن العلامة عبدالمجيد الطرابيشي.. في ذمة الله

التحرير



هو العلامة المقرئ الكبير، العالم الـورع، الفقيه المطلع، الشيخ بكري بن عبدالمجيد بن بكري بن أحمد الطرابيشي (أبوماجد) أحد مشاهير أهل الإقراء بحاضرة الإسلام دمشق الشام، وأعلى قرَّاء القرآن إسنادًا من طريقة الشاطبية في العالم.

مولده ونشأته

ولـد الشـيخ بـكري الطرابيشي في باب سـريجة بدمشـق في سنة (١٣٣٨)هـ، الموافق سنة (١٩٢١م) فـي بيـت علـم وديـن، وكـان والـده الشـيخ عبـدالمجيد الطرابيشي (ت ١٩٤٣م) من فـقـهـاء دمشق في المذهب الحنفي، وممَّن اختارهم الملك فيصل بن الحسين إلى خاصَّته حينما كان ملكًا على بلاد الشام بعد سقوط حكم السلطنة العثمانية عام (١٩١٨م).

دخـل مـدرسـة الملـك الظاهر (الابتدائية) في حي العمارة، وتخرج فيها بتفوق باهـر، وتابـع دراسته الإعـداديـة فالثانوية، ونـال شهادة الثانوية التجارية.

ونشأ الشيخ بكري- رحمه الله- فـي أحضـان العلـماء من أصحاب أبيه، وقد غذَّاه والده بالعلوم الدينية والأدبية والقرآن الكريم.

بدأ الشيخ العمل بالتجارة بعد الثانوية، فكان شريكًا مع أخيه في محل كبير في العصرونية لبيع الأدوات المنزلية، كما عمل على إعمار أراض كثيرة معظمها في مدينة دمشق وريفها، أخذ ذلك قسطًا وافرًا من جهده.

حفظه للقرآن الكريم

حفظ الشيخ بكري القرآن وهو



الشيخ بكري الطرابيشي

في الثانية عشرة من عمره، وأجاده حفظًا وتـلاوة فـي عـمـر الخامسة عشرة، وحينما كان في الثانية عشرة أخذه والده إلى الشيخ عبدالوهاب الحافظ (دبس وزيت)، ولما وجد لدى الشيخ عبدالوهاب مشقة وتشديدًا في الإقـراء، انتقل إلى التتلمذ على يد الشيخ عزالدين العرقسوسي، وكان من قراء دمشق جامعًا للقراءات من طـريق الشـاطـبـيـة، وعـنـدمـا بلغ العشرين من عمره قرأ الشيخ بكري على الشيخ عبدالقادر الصبّاغ الذي أخـذ الـقـراءة عـلى الشـيخ أحمد الحلواني الكبير، وقد شجعه شيخه الصبـاغ عـلى تلقي علم القراءات، فأكرمه بأخذه إلى الشيخ المقرئ المتقن محمد سليم الحلواني، الذي قرأ على والده الشيخ أحمد الحلواني، وهو على الشيخ أحمد المرزوقي في مكة المكرّمة.

قراءته على الشيخ محمد سليم الحلواني

في نحو عام ١٣٦٠هـ أخذه شيخه عبدالقادر الصبَّاغ- كما تقدم- للشيخ محمد سليم الحلواني لأخذ القراءات عليه من طريق الشاطبية. فاستقبله الشيخ محمد سليم الحلواني استقبالًا حسنًا، وأخـذ عنه الـقـراءات السبع ختمة كاملة، وكـان الختـام في سنة ١٣٦٢ أو ١٣٦٣هـ وكان ذلك بحضور الشيخ محمود فايز الديرعطاني.

وقـد أجـازه الشيـخ محمد سليم الحلـواني سنة ١٩٤٢ في القراءات السبع من طريق الشاطبية.

وكان الشيخ بكري يحمل أعلى سند على وجه الأرض من طريق الشاطبية، بينه وبين رسول الله ﷺ ستة وعشرون قارئًا، وتوفي آخر قرين له منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وهـو فضيلة الشيخ عبدالعزيز عيون السود- رحمه الله تعالى.

ثـم بـعـد أن أجـازه الحلواني بالقراءات السبع، تـردَّد على الشيخ محمود فايز الديرعطاني، وأفرد عنده بعض الروايات ختمات كاملة، ثم جمع القراءات العشر ختمة كاملة من طريق الشاطبية والـدرة، ولما انتهى أجازه بذلك.

تلاميذه

جعل- رحمه الله تعالى- من جامع الخيـر فـي «المهـاجـريـن» قـرب بيته، مكانًا لإقراء الطلبة والحفظة، إذ كانوا يتوافدون عليه من كل حَدَب وصوب، فقرأ عليه أكثر من مائتي طالب للقرآن الكريم كاملًا، وأما عدد الذين قرأوا العشر عليه فهم بضع وعشرون قارئًا.

وقد نفع الله تعالى بالشيخ بكري في دمشق والآفاق وتوافد عليه الطلبة، وأقرأ العشرات من حفظة كتاب الله، وحصل على الإجـازة منه خلق كثير، ومنهم عدد من شيوخ وأئمة القراءات في عصرنا.

أخلاقه وشمائله

بوفاته نزلت الأسانيد المتصلة برواية القرآن الكريم درجة!

عُمّر الشيخ بكري خمسًا وتسعين سنة قضاها في الطاعات والخيرات، وتعليم القرآن الكريم والقراءات، والجهاد بالنفس والمال لرفع راية الإسلام، وعُرف بكرمه ولطفه وعاطفته وتأثره الشديد بأحوال المسلمين، واهتمامه بالشؤون العامة، وخدمته للناس في كل أحواله.

واشتهر الشيخ بعدم قَبوله للهدايا من طلابه مطلقًا، وإنْ ألحَّ عليه الطالب كثيرًا فكان يرد الهدية بأخرى في اليوم نفسه، ولسان حاله: «لا تُفسد عليَّ أجري».

وتميَّز الشيخ بنسج علاقة أبوية مع طلابه، إضافة إلى افتخاره بهم في لقاءاته ومجالسه، بل طلبه الدعاء منهم.

أسرته

قد اشتهر اثنان من أولاد الشيخ على مستوى العالم في مجال الطب، أحدهما سُجلت باسمه براءة اختراع «الركبة الصناعية»، والثاني أحد طبيبين على مستوى العالم يجري عملية في اختصاص الأنف والأذن والحنجرة بالمنظار، وأجاز الشيخ أحد أبنائه بالقرآن الكريم.

وفاته

قدم الشيخ الطرابيشي من دمشق إلى دبي للعلاج وزيارة أبنائه، وتوفي فيها يوم الخميس غرة ربيع الآخر عام ١٤٣٣هـ، الموافق يوم ٢٣ شباط/فبراير ٢٠١٢م، وصُلي عليه في مسجد حسن الشيخ في منطقة الطوار بدبي بعد صلاة الجمعة.

وبموته نزلت الأسانيد المتصلة برواية القرآن الكريم درجة، فقد كان- كما تقدم- أعلى الناس إسنادًا في القراءات السبع للقرآن الكريم من طريق الشاطبية بالأخذ والتلقي عن شيخ القراء في عصره الشيخ محمد سليم الحلواني، وبينه وبين النبي ﷺ ستة وعشرون قارئًا من الأعلام، وهو أعلى إسناد في القراءات يعرف إلى النبي ﷺ.

وبوفاته فقدنا عمدة في قراءات القرآن الكريم، وجبلًا في التاريخ والجهاد والورع، نسأل الله عز وجل أن يتغمد فقيدنا الجليل بواسع الرحمة والرضوان.

• انظر ترجمة الشيخ الطرابيشي للأستاذ مجد مكي.

الشيخ زهير الشاويش يرثي الطرابيشي


الشيخ زهير الشاويش

رحمك الله يا شيخنا، العزيز في جوارنا. المنتقل إلى رحمة الله- جل شأنه- في منطقة إمارة دبي، في الخليج العربي العامر.

وقد ولد في ربيع الثاني سنة (١٣٣٨هـ) وكانت وفاته في (١) ربيع الآخر سنة (١٤٣٣هـ)، ويكون بذلك قد أتم الخامسة والتسعين من عمره، ولله سبحانه ما أعطى وما أخذ، وكل شيء عنده بأجر وثواب ومغفرة.

والشيخ بكري تلقى القرآن الكريم بالقراءات السبعة من طريق الشاطبية عن شيخ القراء العلامة محمد سليم الحلواني، ثم تلقى العشرة من طريق الشاطبية مع الدرة، عن تلميذه الشيخ محمود فائز الديرعطاني عن العلامة محمد سليم الحلواني، والذي قرأ على والده، تغمدهم الله برحمته، وأنزل عليهم الرضوان.

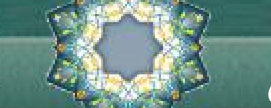
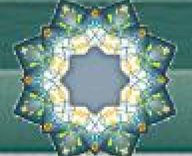
وكان الشيخ بكري فقيهًا عالمًا متقنًا، وقد انفرد بعلو السند للقرآن الكريم، وسبق له أن كان عضوًا إداريًا في الشبان المسلمين، ثم في جماعة الإخوان المسلمين في دمشق سنوات عدة.

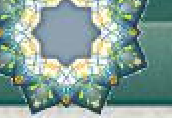
وكان رحمه الله سليم المعتقد، يهتم بالشؤون العامة، وخادمًا للناس في كل أحواله.

وقد بقي شيخَ القراء بعد انتقال مشايخه وإخوانه القراء؛ حيث أصبح حامل السند الأعلى للقراء في العالم، وذلك سجل في كتاب: «السَّنَدان الأعليان».

وأسأل الله أن يتغمده برحمته، وأحر التعازي إلى الأهل، والأولاد، والإخوان، وإلى الأخ الفاضل والأستاذ الجليل عصام العطار، وسماحة شيخ قراء الشام محمد كريم راجح، وإلى إخوانه الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.




إعداد: محمود محمد الكبش •

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

رفض المريض التّداوي (٩٦/ع٤٦٨/٣)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

والدي مريض بالسّرطان في البنكرياس والمعدة، وحالته تسوءُ يومًا بعد يوم، وقال الأطباء: إنّه لا أمَلَ له، وهو يحتاج إلى عناية ومتابعة، وأخذ للمسكّنات والمغذّيات، إلّا أنه يرفض الذّهاب إلى المستشفى، ويقول إنّه يريد أن يموت بين أهله، والسّؤال هو: إذا استمرّت حالتُه بالتّدهور يومًا بعد يوم، ووصل إلى الغيبوبة؛ فهل لنا أن نأخذه إلى المستشفى، علمًا بأن ذلك مخالفٌ لرغبته؟

أجابت اللّجنة بما يلي:

إذا كان في ذهابه إلى المستشفى فائدةٌ محقّقةٌ فلا بأس من ذلك، ولو بغير إرادته، وإلّا.. فلا يُؤخَذُ رَغمًا عنه، والله أعلم. (٣٩٣٥/٤٨٥/١٢)

استحالة الكحول وشحوم الخنزير إلى مواد أخرى للتداوي (٨٨/ع٤٥٨/٢)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

هل يجوز تعاطي الأدوية الّتي تحتوي على منتجات خنزيريّة أو كحوليّة؟

أجابت اللّجنة بما يلي:

إذا تحولت المنتجات الكحوليّة أو الخنزيريّة، وصارت مادّة أخرى في صورة الدواء فإنّها تطهُر، ويحلُّ الانتفاع بها، أمّا إذا لم تتحوّل إلى مادّة أخرى؛ فإنّها تبقى نجسةً، إلّا في حالِ الاضطرار؛ بألا يقوم مقامَها شيءٌ من الأدوية الحلالِ، والله أعلم.

(١٧٠٧/٤٢٦/٥)

التّداوي بدواء مخلوط بالكحول (٩٩/ع١٢/٢)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

نرجو إفادتنا برأيكم حول مشروعية استخدام الكحول (الإيثانول) في التّركيبات الدّوائيّة، علمًا بأن نسبة الكحول (الإيثانول) قد تتراوح ما بين ٢ إلى ٦٪، ونرجو إفادتنا إذا وجد حرج شرعي على مَن يصفُ هذه النّوعيّة من الأدوية من الأطباء، وعلى مَن يصرفُهُ من الصيادلة.

تنبيه: علمًا بأن نسبة الكحول (الإيثانول) في البيرة المسكرة ما بين ٢,٥ إلى ٤,٥٪.

أجابت اللّجنة بما يلي:

الأدوية الّتي اختلط بها الكحولُ بالنسبة المذكورة: ٢ إلى ٦٪ يحلُّ التّداوي بها إذا تعيّنت علاجًا، بأن لم يكن هناك دواء يحلّ محلها مما ليس فيه كحول، فإنْ وُجِدَ لزم العلاج به دون ما اختلط به الكحول، بُعدًا عن الشبهات، وعلى الطبيب والصيدلاني مراعاة ذلك، والله أعلم.

(٤٨٥٠/٤٣٥/١٥)

التّداوي بالرُّقية الشّرعيّة وأخذ الأجرة عليها (٩٩/ع٥١٥/٢)

عُرِضَ على الهيئة الاستفتاءُ التّالي:

تردّدَ في الآونة الأخيرة موضوعُ مزاولة بعض الإخوة للرّقية الشّرعيّة، من حيث تخصيصُ مكان لعلاج النّاس بالرقيّة الشّرعيّة، وأخذ الأجر مقابلها، وكذلك أخذ الأجر مقابل الماء والزّيت والعسل المقروء عليه بالقرآن الكريم، فهل هذا العمل جائزٌ شرعًا؟

أجابتِ الهيئةُ بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الرّقيّة من كل داءٍ يصيب الإنسان بشروط أربعة هي:

١- أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، أوَ بالمأثور عن النّبي ﷺ، وبذكر الله مطلقًا.

٢- أن تكون بكلام مفهوم المعنى؛ ليس فيه طلاسم ورموزٌ لا يُفهم معناها.

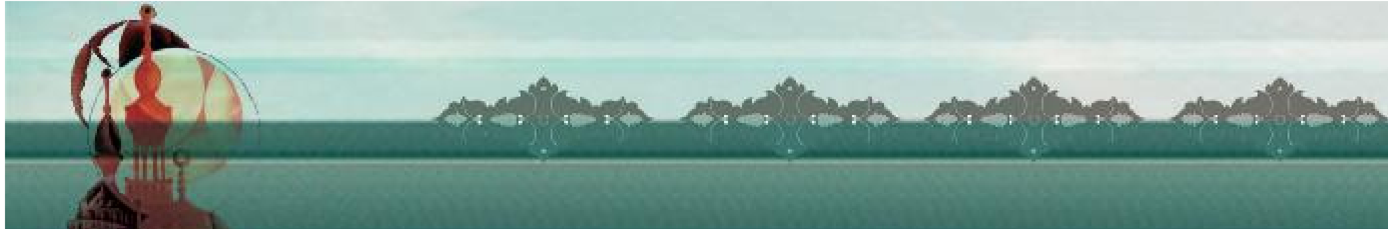
٣- أن يعتقد الرّاقي والمرقي أنّ الرُّقية لا تؤثر بذاتها، بل بإذنِ الله تعالى وقدرته.

٤- ألا تشتملَ الرقية على شركٍ بالله تعالى أو معصيةٍ له.

وذلك لما رواه عوفُ بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرّقى ما لم يكن فيه شرك» (أخرجه مسلم).

وقد روي جوازُ القراءة على الماء عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، ومجاهد وأبي قلابة وابن تيمية والقاضي عياض رحمهم الله تعالى.. وعليه، فإنّ الهيئة ترى جواز الرّقية بالشروط السابقة، وجواز

• باحث لبناني في إدارة الإفتاء



القراءة على الماء لشربه أو الاغتسال أو التمسح به، وكذلك الزيت أو غيره من المواد الطاهرة للادّهان بها؛ ما لم يكن في ذلك ضررٌ على المريض.

أمّا أخذُ الأجرة على ذلك، فقد اختلف الفقهاءُ فيه، والهيئةُ ترى ألا يُفتى بجوازه، وألا يجعل مهنة يتفرغ لها بعض الناس؛ وذلك سدًّا لذريعة الشعوذة وابتزاز الأموال، والتّشكيك بتأثير الرقية الشرعية في الشفاء بإذن الله تعالى، وادعاء كثير من المستهترين مِن النّاس الصلاحَ والتّقوى زورًا وبهتانًا، وفي ذلك من المفاسد ما فيه، وقد اتّفق الفقهاء على أنّ لوليِّ الأمر أن يمنعَ مِن المباح أو يقيده إذا ترتب عليه مفاسدُ، واللهُ أعلم.

(٤٥٥٨/٤٣٨/١٥)

منع الحمل للعمل (٨٤/ع٢٣/١)

عُرِض على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

هل يجوزُ منعَ الحمل لأسباب مهنيّة؛ حتّى تستطيعَ الزّوجة (الأم) التّفرّغَ لوظيفتها؟

أجابت اللّجنة بما يلي:

يجوزُ اللّجوءُ إلى منع الحمل على النِّطاق الفردي لأيِّ سببٍ مِنَ الأسباب، ما لم يكن مؤدِّيًا إلى العقم، ومنع الإنجاب نهائيًا. ومع ذلك يجوز منعُ الحمل نهائيًا بالتّعقيم الجراحيّ- على النّطاقِ الفرديِّ- في حالات الضّرورةِ الّتي يقدّرُها الطّبيبُ المسلمُ الثقةُ، إذا استنفدت كلُّ الوسائل الأخرى، والله أعلم.

قرار «مجمع الفقه الإسلاميّ» التابع لـ«منظّمة المؤتمر الإسلاميّ» رقم: (١٤٢، ١٥/٨).. بشأنِ ضمانِ الطّبيب:

إنّ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدّولي المنبثق عن «منظمة المؤتمر الإسلامي» المنعقد في دورته الخامسة عشرة بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع «ضمان الطبيب»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرّر ما يأتي:

أوّلًا: ضمانُ الطّبيب:

(١) الطّب علم وفنٌّ متطوّر لنفع البشرية، وعلى الطبيب أن يستشعر مراقبةَ الله تعالى في أداء عمله، وأن يؤديَ واجبَهُ بإخلاصٍ حسب الأصول الفنيَّة والعلميّة.

(٢) يكون الطبيب ضامنًا إذا ترتب ضَرَرٌ بالمريض في الحالات الآتية:

أ – إذا تعمّد إحداثَ الضَّرر.

ب – إذا كان جاهلًا بالطِّبِّ، أو بالفرع الذي أقدم على العمل الطبيِّ فيه.

ج – إذا كان غيرَ مأذونٍ له من قبل الجهة الرسميّة المختصّة.

د – إذا أقدم على العَمَلِ دون إذن المريض، أو مَن يقوم مقامه؛ كما ورد في قرار المجمَّع رقم: (٦٧، ٧/٥).

هـ – إذا غرَّرَ بالمريض.

و – إذا ارتكب خطأ لا يقع فيه أمثالُهُ ولا تقره أصولُ المهنة، أو وقع منه إهمالٌ أو تقصيرٌ.

ز – إذا أفشى سرَّ المريض بدون مقتضى معتبرٍ؛ حسب قرار المجمع رقم: (٧٩، ٨/١٠).

ح – إذا امتنع عن أداء الواجبِ الطّبيِّ في الحالات الإسعافيَّة (حالات الضّرورة).

(٣) يكون الطّبيب- ومَن في حكمه- مسؤولًا جزائيًّا في الحالات السّابق ذكرها إذا توافرت شروط المسؤوليّة الجزائيّة فيما عدا حالة الخطأ (فقرة و)؛ فلا يُسأل جزائيًّا إلّا إذا كان الخطأ جسيمًا.

(٤) إذا قام بالعمل الطبي الواحد فريقٌ طبيٌّ متكامل، فيُسأل كلُّ واحد منهم عن خطئه تطبيقًا للقاعدة «إذا اجتمعت مباشرة الضرر مع التّسبب فيه، فالمسؤولُ هو المباشر، ما لم يكن المتسبِّب أولى بالمسؤولية منه». ويكون رئيسُ الفريق مسؤولًا مسؤوليّة تضامنية عن فعل معاونيه إذا أخطأ في توجيههم أو قصّر في الرّقابة عليهم.

(٥) تكون المؤسّسة الصِّحية (عامّة أو خاصّة) مسؤولةً عن الأضرار إذا قصّرت في التزاماتها، أو صَدَرَت عنها تعليماتٌ ترتّب عليها ضررٌ بالمرضى دون مسوِّغ.

إعداد: هيفاء حسن

هل ينفجر نجم «إتا كاريناي»؟

توقع علماء في معهد الفضاء للعلوم، انفجار النجم «إتا كاريناي» الذي يبعد مسافة ٧,٥ آلاف سنة ضوئية عن الأرض، وفي حال انفجر النجم الذي يزن أكثر من مائة ضعف وزن شمسنا، سيطلق أشعة ساطعة جدًّا تفوق الضوء الصادر عن مجرة درب التبانة بشكل كامل، محدثا تغييرات كبيرة في دائرة قطرها قرابة المليوني سنة ضوئية.

وقال العلماء إنه لا توجد ساعة زمنية محددة لمثل هذا الانفجار، غير أن كل العلامات تشير إلى أنه جاهز في أي لحظة لإحداث تفاعلات نووية في غاية القوة تؤدي إلى انفجاره، وقد يكون هذا الحادث بعد ألف سنة أو في غضون ساعات.

ويستمر العلماء بمراقبة الفضاء، وإجراء دراسات وتحاليل، لتوقع أي حوادث من الممكن أن تؤثر في كوكب الأرض، واتخاذ أي إجراءات ممكنة مثل حادث اصطدام أحد النيازك الهائلة بالأرض قبل أكثر من ٦٥ مليون سنة، مما أدى إلى إبادة الديناصورات وأنواع أخرى من المخلوقات، كانت تعيش في مناطق قريبة من موقع الاصطدام.



ووفق تلك النظرية، فإن النيزك سقط على الأرض بسرعة ٢٤ ألف ميل في الثانية، ليصطدم بخليج المكسيك، مسببًا حفرة عمقها ٢٤ ميلًا، وعرضها ١٢٥ ميلًا، ويعتقد العلماء أيضًا أن قوة الانفجار تسببت في القضاء على جميع المخلوقات في محيط مقداره ١٥٠٠ كيلومتر تقريبا بسبب الحرارة والزلزال وموجات تسونامي الناتجة عن ارتطام النيزك بالأرض.

نسبة مسلمي العالم ٢٣,٤٪

يبلغ عدد المسيحيين في العالم ٢,١٨ مليار شخص، أي ثلث سكان العالم ليشكلوا بذلك أكبر جماعة دينية، متقدمين على المسلمين، البالغ عددهم ١,٦ مليار شخص أي ٢٣,٤٪ من سكان العالم، وأظهرت دراسة لمركز الأبحاث الأميري «بيو» أن نسبة السكان المسيحيين بقيت مستقرة منذ قرن من الزمن، إلا أنها تفاوتت كثيرا على مستوى توزعها في العالم. فقبل قرن كان ٩٣٪ من المسيحيين يقيمون في أوروبا والقارة الأمريكية في مقابل ٦٣٪ اليوم في هاتين المنطقتين، وتراجعت نسبة الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم مسيحيين في أوروبا من ٩٥٪ إلى ٧٦٪ وفي القارة الأمريكية من ٩٦٪ إلى ٨٦٪، وزاد عدد المسيحيين بشكل كبير في إفريقيا جنوب الصحراء من ٩٪ إلى ٦٣٪، وفي آسيا المحيط الهادئ من ٣٪ إلى ٧٪ وهما منطقتان كان عدد المسيحيين فيهما قليلا نسبيا في مطلع القرن العشرين.

أما على مستوى المذاهب، فإن نصف المسيحيين هم من الكاثوليك و٣٧٪ من البروتستانت و١٢٪ من الأرثوذكس و١٪ هم من المرمون أو شهود يهوه.

البريطانيون يشعرون بالحرج لضعف مهاراتهم الحسابية

حذّرت جمعية خيرية بريطانية جديدة من أن ضعف المهارات الحسابية يتلف الاقتصاد ويدمر الحياة، وقالت: إن هناك الملايين من البريطانيين يكافحون من أجل فهم قسيمة الدفع، أو الجداول الزمنية لمواعيد رحلات القطارات، أو دفع الفواتير المنزلية. وأضافت: إن ضعف المهارات في مادة الرياضيات يرتبط مع مجموعة من النتائج السيئة في الحياة، مثل السجن، والبطالة، والإبعاد عن المدرسة، والفقر، والإصابة بأمراض طويلة الأجل.

وأشارت الجمعية إلى أن ٤ من كل ٥ بريطانيين يشعرون بالحرج عند الاعتراف بضعف مهارات القراءة والكتابة عندهم، فيما يحمل أكثر من نصفهم الشعور نفسه عند الاعتراف بأنهم يعانون من ضعف في مهارات الرياضيات.



وتقول أرقام الحكومة البريطانية: إن ما يقرب من نصف العاملين من سكّان إنجلترا يمتلكون فقط مهارات الرياضيات من مرحلة المدارس الابتدائية.

كل أجناس العالم أصولها عربية!

اكتشف علماء بريطانيون وبرتغاليون في علوم الوراثة بجامعة ليدز البريطانية أن جميع أجناس العالم، سواء كانوا أوروبيين أو أميركيين أو صينيين أو هنودا، وحتى الإسكيمو، يتحدرون من أصول عربية.

واستند العلماء في الدراسة لتأكيد اكتشافهم أن خلايا أجسام كل أجناس العالم لديها «الميتوشندريال» الموجودة في خلايا جسم العربي نفسها، وهي المادة المسؤولة عن تكوين الطاقة في الخلايا.

وأشارت مجلة لوبوان الفرنسية إلى أن هذا الاكتشاف أوضح تطابق مادة الميتوشندريال الموجودة في خلايا أجسام كل أجناس العالم مع الميتوشندريال الموجودة في جسم العربي، مما يعني أن كل هذه الأجناس أمضوا مئات الآلاف من السنين في بلاد العرب قبل أن يهاجروا.

آفاق جديدة أمام مستخدمي لغة الإشارة

طور علماء بريطانيون برنامج كمبيوتر جديدا قادرا على قراءة إشارات الصم والبكم وتحويلها إلى نص مكتوب يمكن الأشخاص العاديين من قراءته بسهولة.

وذكر باحثون في المعلوماتية من جامعة ابردين الاسكتلندية أن هذه التقنية تسمى بالمترجم المحمول للغة الإشارة ويمكن تحميله على أجهزة الكمبيوتر العادية والمحمولة واللوحية إذ يجري تطوير البرنامج ليمكن تشغيله أيضا في الهواتف الذكية.

وقال أحد المشاركين في تطوير هذه التكنولوجيا د.ارنيستو كومبتنجيلو إن التقنية تعمل عبر استخدام لغة الإشارة أمام الكاميرا المثبتة على جهاز الكمبيوتر ليبدأ النص المكتوب بالظهور على الشاشة مباشرة مما يجعل الاتصال لدى الصم والبكم مع الأشخاص العاديين أمرا بسيطا وسريعا.

وأضاف: إنه بإمكان أي مستخدم لهذا البرنامج تطوير وتحديث قاموسه الشخصي بإعطاء دلالات خاصة لإشارات معينة ليتمكن الناس من فهمها بالطريقة التي يريدونها.
وأوضح كومبتجيلو أن التكنولوجيا المتوقع طرحها في الأسواق قبل نهاية العام المقبل تعمل على فتح آفاق جديدة أمام مستخدمي لغة الإشارة لتجاوز عقبات الدراسة والحصول على وظائف.

زراعة فك صنعته ناسخة ثلاثية الأبعاد

استطاع أطباء تثبيت فك صنعته ناسخة ثلاثية الأبعاد في وجه امرأة ثمانينية في هولندا، في عملية قالوا إنها الأولى من نوعها.

وقال باحثون إن نجاح العملية يفتح الطريق أمام استخدام مزيد من الأجزاء الخاصة بالمريض، عبر الناسخات الثلاثية الأبعاد.

وجاءت الجراحة نتيجة بحث نفذه معهد أبحاث الطب الحيوي في جامعة هاسلت البلجيكية، وصنع الفك من قبل شركة لاير وايز في البلد نفسه.

يشمل العضو المزروع أجزاء معقدة، لكنه عند تصميمه يأخذ بضع ساعات فقط لنسخه.

وقال المصممون إنه «لدى تلقينا التصميم الرقمي الثلاثي الأبعاد، يتشعّب أوتوماتيكيًا إلى طبقات ثنائية الأبعاد، وبعدها نرسل الطبقات إلى آلة النسخ، حيث تستخدم إشعاعات ليزر لصهرها معًا، وبناء ما مجموعه لاحقًا ٣٣ طبقة لكل ميليمتر واحد من الفك، وبالتالي فإن الفك بحاجة لآلاف الطبقات». وبعدها يغطى الجزء المصنع بغطاء من السيراميك الحيوي.

وتمكنت المرأة بعد يوم واحد من الجراحة من استخدام الفك والبلع بشكل طبيعي.

من هنا وهناك!

■ أعلنت إدارة علوم الفلك والفضاء في النادي العلمي الكويتي أن كوكب المريخ اقترب من الأرض على مسافة (٠٦٧٣٦٨) وحدة فلكية وذلك يوم ٢٠١٢/٣/٥م.

■ قال باحثون أميركيون إن العقارب تتمتع بقدرة طبيعية نادرة تتمثل في استطاعتها الرؤية بجسدها إلى جانب العيون أيضا حيث تستطيع خلايا ظهر هذا الحيوان امتصاص الضوء فوق البنفسجي.

■ أعلن فريق طبي تركي فشل أول عملية في العالم لزرع أربعة أطراف لشاب كان قد فقد أطرافه الأربعة العام ١٩٩٨م واستغرقت العملية ٢٠ ساعة وعزا الأطباء أسباب الفشل لعدم تطابق الأنسجة.

■ توصل علماء أميركيون إلى اكتشاف مفاجئ يتعلق بمصدر مرض السكري فوجدوا أنه ينطلق من الأمعاء وهذا الاكتشاف قد ينهي جدلًا طويلًا جدًا حول أسباب المرض.

■ تصدرت المملكة العربية السعودية المرتبة الأولى عربيًا بتسجيل ١٤٧ براءة اختراع العام الماضي تلتها الإمارات ب ٣٩ اختراعا.





إعداد: التحرير

تعال نؤمن ساعة

قال تعالى ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾(الشمس: ٧-٨) هكذا خلق الله سبحانه النفس البشرية، يقول صاحب الإحياء رحمه الله: لا يخلو قلب من القلوب من الأسقام التي لو أهملت لتراكمت وترادفت، والعبد يحتاج الى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها، وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وإهمالها هو المراد بقوله تعالى ﴿وقد خاب من دساها﴾.

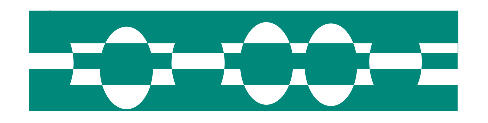
والنفس البشرية تعتريها -أحيانًا- بعض التقلبات آخذة بها مدًا وجزرًا، فتسمو بها تارة وتدنو بها تارة أخرى، ولأن النفس بطبيعتها تجنح دومًا الى الركون وتميل الى التنعم بملذاتها الدنيوية، لذا يؤثر فيها سلبًا ما تموج به الحياة في هذه الآونة من أفكار وافدة، ووسائل هدامة، وإعلاء لقيمة المال مقابل تهميش لبعض القيم والمثل العليا التي كانت سائدة لعهد قريب.

ولاشك أن القلوب تموت وتحيا، ويزيد إيمانها وينقص، فالقلب أسرع تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا، ويا له من تقلب في زمن طغت فيه فتن كقطع الليل المظلم، والإغراءات والفتن سبيلها مع القلوب التدرج ثم التصاعد حتى تأخذ بلبابها وتغرقها في بحر المعاصي، فمبدأ

عبدالسلام هارون وتحقيقاته النادرة

يمثل أستاذنا عبدالسلام هارون (١٩٠٩ - ١٩٨٨) أهمية كبرى في ميدان تحقيق المخطوطات في مختلف مجالات التراث واللغة والنحو والأدب بمعناه الخاص المتمثل في النصوص الإبداعية، وبمعناه العام الذي يتضمن كل ما أنتجته قرائح عقول أبناء الأمة الإسلامية والعربية في كثير من ميادين الفكر والثقافة، وقد استفاد أستاذنا الجليل من مناهج المستشرقين الخاصة بتحقيق كتب التراث وإتاحتها لجمهور الدارسين، ويقوم منهجه في التحقيق على عدة أسس منها قراءته للنص المحقق قراءة صحيحة والاعتماد على نسخ متعددة للنص، وتفسير غوامض اللغة وتوثيق مادته، والتعريف بالكتاب وصاحبه وعصره وحياته ومكانته العلمية، ومكان الرسالة أو الكتاب بين مؤلفاته، وتزويد النص المحقق بالفهارس الخاصة بالأعلام والشعر والنثر والأماكن، وقد تجلى هذا المنهج العلمي الرصين في تحقيقاته لكتب الجاحظ وابن قتيبة والأصفهاني والمبرد وغيرهم من فحول الأدب العربي، وفي تحقيقاته لمجموعة نادرة من المخطوطات الفريدة من أبرزها «الرسالة المصرية» لأبي الصلت أمية بن أبي الصلت الأندلسي المتوفى عام ٢٥٨ هجرية، والتي استعرض فيها المؤلف أحوال مصر والمصريين في العصر الفاطمي، وتناول فيها الوصف البلداني للديار المصرية ونيلها وجمال ربوعها ومغانيها وسكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم وعقائدهم منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام، كما تحدث أيضا عن الآثار المصرية العجيبة كالأهرام والبرابي، وعن عواصم مصر القديمة والحديثة.

كما أشار المؤلف إلى دور جهود علماء مصر في مجالات الطب والفلك والهندسة، وولوع المصريين بالتنجيم وأثره في حياتهم الخاصة والعامة، كما حقق أيضا كتاب «الاستشهاد» لأحمد بن فارس المتوفى عام ٣٩٥ هجرية، وهو إمام لغوي جليل، وأديب ذو زعامة أدبية، كما أنه شاعر رقيق المشاعر، وموضوع كتابه الأمثال العربية مع ذكر مضاربها، وأصل الكتاب نسخة فريدة فذة في العالم مودعة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية، وهي رديئة الخط، وتقع في اثنتي عشرة صفحة، ومن تحقيقاته النادرة أيضا «رسالة التلميذ» لعبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفى عام ١٠٩٨ هجرية، وهي رسالة فريدة في اسمها حيث يرى صاحبها أن لفظة تلميذ غير عربية الأصل لأنه لم يجدها في كتب اللغة المتداولة كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادي وغيرها، وقد وقف على معناها



الخطوة خطوة من صنع الشيطان أحيانًا ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ (البقرة: ٢٠٨) وفي الحديث «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء» (رواه مسلم).

فهل إلى معين من سبيل؟ إن الصدق مع النفس ومعرفة حقيقتها هما السبيل، فأقرب ما يكون الإنسان إلى الفهم الصحيح لحقائق الحياة وإلى العدل والحق والرحمة حينما يكون صادقًا مع نفسه يماريها ولا يجاريها، بل يكون لها بالمرصاد ويعاندها، مع العلم بأن حياة القلوب الهدى وموتها الضلالة، والعاقل لا يشغله شاغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه ويقف بينها وبين لذاتها بما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخرى، فإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل كما قال ابن المقفع في الأدب الصغير.

تعال نؤمن ساعة..

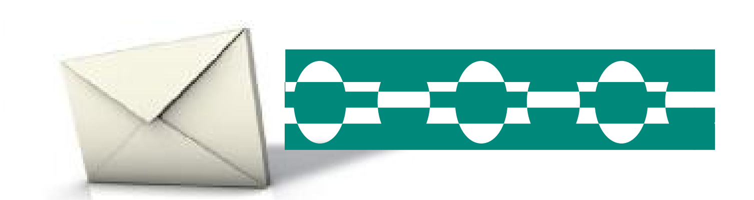
أطلقها الصحابي الجليل معاذ بن جبل، وقال عبدالله بن رواحة لأبي الدرداء رضي الله عنهما «اجلس نؤمن ساعة»، هكذا كان نهج الرعيل الأول من الصحابة، لسان حال أعظم جيل عرفته البشرية فماذا عسانا فاعلين الآن؟

إن التمسك بتعاليم الإسلام الحنيف وإعلاء قيمه ومبادئه لهما السياج المتين والحصن الحصين وبهما يمكن كبح جماح النفس انحيازًا لباعث الدين وقهرًا لباعث الهوى، وإنه لخليق وجدير بكل مسلم أن يطلق هذه الصيحة تزكية للنفوس وإحياء للقلوب... «تعال نؤمن ساعة».

محمود علي محمد

في كتاب لسان العرب حيث أوردها في مادة تلمذ وقال التلاميذ هم الخدم والأتباع واحدهم تلميذ ويتضح مما سبق أن المؤلف يحاول البرهان على صحة أصل الكلمة متخذا لذلك مختلف السبل للبرهان وأدلته، وقد اعتمد استاذنا هارون في تحقيقه لهذه الرسالة على ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية، كما حقق للفيروزابادي رسالة فريدة تتحدث عن الأقلام وأنواعها ومواد تصنيعها ودورها في حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، كما حقق أيضا كتابا عن جبال وهضاب الحجاز ونجد، ومن تحقيقاته الطيبة تحقيقه لرسالتين عن الرق والرقيق، الأولى «رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد» لابن بطلان، وهو من نصارى العراق في القرن الخامس الهجري، أخذ علمه في العراق عن أبي الفرج عبدالله بن الطيب المتوفى عام ٤٣٥ هجرية، كما انتفع أيضا من الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون في صناعة الطب وفي مزاولة أعماله، ويبين المؤلف في مستهل رسالته أن لفظة الرقيق مأخوذة من الرق وهي الملك والعبودية، والرقيق من الألفاظ التي تقال للواحد وللجميع، فالعبد رقيق، والعبيد رقيق أيضا، وقد استعرض ابن بطلان في رسالته تاريخ الرق والرقيق بدءا من الفراعنة وانتهاء بالعرب، وأكد أن الرق في الإسلام نظام اختياري يقابله نظام الجزية، كما ناقشت الرسالة في مجموعها الأساليب والحيل التي يلجأ إليها النخاسين لإخفاء عيوب الرقيق الجسدية والنفسية والمزاجية، وهي تبرز خبرة ابن بطلان ومهارته في شراء الرقيق، بينما تتحدث الرسالة الثانية «هداية المريد في شراء العبيد» لمؤلفها محمد الغزالي وهو من علماء العصر العثماني المتأخرين عن المواصفات الجسدية والنفسية والمزاجية التي يجب أن تتوافر في العبد المشترى حتى لا يقع الشاري في المحظور وتكتشف الخدعة بعد ضياع المال في بضاعة فاسدة كعبد السوء الذي يجلب لصاحبه الندم والحسرة، أو الأمة التي يتستر قبحها تحت قناع مصنوع فتصبح علة لشاريها بعد أن أمل فيها متعة وخيرا، ومن تحقيقاته القيمة تحقيقه لكتاب صنعه محمد بن حبيب المتوفى عام ٢٤٥ هجرية الموسوم «من نسب الى أمه من الشعراء» وفيه يستعرض مؤلفه مجموعة من الشعراء العرب الذين اشتهروا بنسبتهم إلى أمهاتهم، وهو واحد منهم لأن «حبيب» أمه ولا يعرف أباه على وجه التحديد، وهو ضرب من التأليف طريف.

محمد فؤاد محمد علي





الندم بعد الفوت

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: يُنزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين.

فلما نزل آدم عليه السلام على الأرض طاف بالبيت العتيق سبعًا ثم صلى ركعتين ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي والرضا بما قضيت!

فأوحى الله تعالى: يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعو بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه وكشفت عنه ضيقه وجعلت الغنى بين عينيه ورزقته من حيث لا يحتسب.

فيا ابن آدم: أما آن لك يا مسكين أن تقلع عن هواك، أما آن لك أن ترجع الى باب مولاك، أنسيت ما خولك وأعطاك، أما خلقك فسواك، أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك، أما ألهمك إلى الاسلام وهداك، أما قربك بفضله وأدناك، أما بره في طرفة عين يغشاك، فقابلت ذلك بالغفلة والمبادرة بالخطايا والزلات، فنقضت عهده وعصيت أمره ودُمت على إصرار وأطعت هواك!

أما آن لك أن تستحي ممن شاهدك على المعصية ورآك، وإن عُدت اليه قبلك وارتضاك وإن لزمت خدمته قربك وأدناك!

فانظروا إلى من غيبهم الموت كيف يتأسون على الفوت ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت فاستدرك ما بقي من عمرك واعلم أنك كما تدين تدان، أما تمدون على قبورهم الدوارس وتعتبروا، أما ترونهم في قبورهم قد أسروا يتمنون العود إليكم وهيهات، ويسألون التدارك وقد فات، وكم وعظ الزمان من ألباب، وكم أنذر المشيب من شباب وكم أباد الموت من أتراب وكم فرق بين أحباب.

أما لك سمع للمواعظ يسمع؟ أما لك عين على فراق الأحباب تدمع؟

أما لك قلب من الخوف يخشع؟ أما لك في التوبة إلى الله مطمع؟

فقد آن الآوان يا بني الإنسان فإذا ما تمكن الخوف من أرض القلوب

والضلوع جَرت سَواقي الدموع فسقت بستان الخشية فأزهر بالندم وأثمر بالتوبة.

رضا إبراهيم عبدالله

لماذا الزهد؟

لابد من الزهد مع تصحيح النية فإن الشيء الذي لا تزهد فيه يملكك.. مثلًا إذا أردت أن تعود مريضًا فلابد من زهد في بعض الوقت تبذله في الذهاب لعيادته والعودة من عنده.

فلابد للعبد من زهد في أجزاء الدنيا ليحصل على خيرات الآخرة شريطة أن يكون الزهد لله ولا زهد إلا بعد التملك والامتلاك يقول تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠) وكما يقول العلماء: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وزدناهم هدى﴾ (الكهف: ١٣) فعليك أن تزهد في العاجلة لتسلك حقيقة الطريق للباقية وعليك أن تجدد النية لتحقيق الخيرات.. ولنسأل أنفسنا جميعًا: هل من ملك مالا ولم يزهد فيه يستطيع أن يؤدي الصدقات؟

هل من لم يزهد في إعجابه بنفسه واستعلائه بها يستطيع أن يقبل النصيحة؟

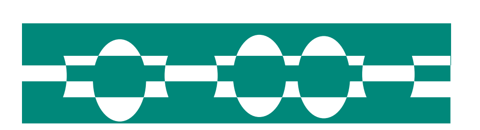
هل من أدرك جهله ولم يزهد فيه وأصر عليه يستطيع أن يتعلم؟

هل من لم يزهد في المعاصي وفساد الشهوات يسارع إلى طاعات؟

هل من امتلك وقتًا يلهو فيه ويلعب بما تحب نفسه ولم يزهد في هذا الوقت ليقدمه طاعة لله في عبادة أو طلب علم يستطيع أن يفعل ذلك؟

اعلم أن الزهد يكون في كل شيء إلا في «لا إله إلا الله» وما يعين عليها وما تأمر به.. فدوام ذكرك لله هو عين الزهد فيما عداه وطاعتك لله هي حقيقة الزهد في معصيته وقيامك بما أمرك الله به زهد فيما نهاك، سئل أحد الصالحين: إن فلانًا يسبك.. ألا ترد عليه؟ فقال: لساني جعلته لطاعة الله فلا أشغله بما عداه.

محمد السيد عامر





القراءة

قـراءة الكتب متعة وهـواية غايتها الحكمة والتقوى والفائدة. يقول أحد الفلاسفة الغربيين: «إن صداقة الكتب أفضل من صداقة الناس، فهي لا تتكلم إلا عندما نريد نحن، وتسكت عندما يكون هناك ما يشغلنا. إنها تعطي دائمًا ولا تطلب أبدًا».

إذا تأملت في هذه المقولة تستخلص أن الكتاب دائما وأبدا ذلك المعطاء الذي لا يكل ولا يمل في منحك العطايا الأدبية والهدايا العلمية والمنح الفكرية، إنه إذن، الصديق الوفي والحبيب المخلص، الصامت المتكلم، الجامد حركةً والحي حركية، فحركته لا تتم في الرفوف بل تتجلى آثارها في العقول، وإذا لم تعرضه للاستفزاز فلن ينطق ولن يرد عليك، وإذا سألته أجابك وإذا لم تسأله ظل صامتا طول الدهر، وإذا حملته بين يديك حملك هو بدوره وحام بك بين عوالم الفكر والعلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من العلوم.

هو إذن المعلم الذي يعلمك بلا عصا ويدرسك بلا غضب، ويربيك بلا مقابل، وإن دنوت منه لا تجده نائما، وإن قصدته لا يختبئ منك، إن أخطأت لا يوبخك، وإن أظهرت جهلك لا يسخر منك. وإذا اشتغلت به اشتغل هو بك وبعقلك، فكان خير من يتملك عقلك بعد أن تتملك أنت صفحاته وأوراقه، فهـو الـصـديـق فـي الوحشة والأنيس في الـوحـدة، والمعنى هنا ليس بكمية ما تملك من الكتب ولا بكم قرأت منها، بل العبرة بما أخذته من علم نافع منها وعصارة ما فيها، وقديما قال أحدهم إن من يملك كتبًا كثيرة، ولـم يقـرأ منها شيئًا، شأنه شأن البخيل والكنز الذي جمعـه، فالكتاب الـواحـد قد يعطيك من العطايا ما لا تعطيك عشرات الكتب التي تكتنز دون أن تتصفح واحدة منها.

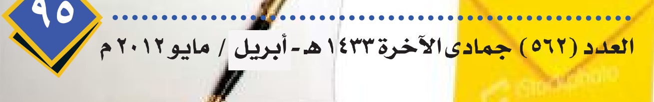
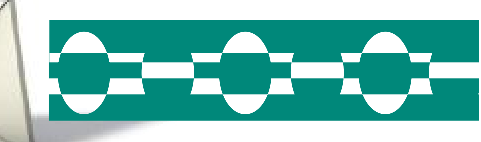


سئل فولتير يوما عمن سيقودون الجنس البشري مستقبلا فأجاب قائلا: «الذين يعرفون كيف يقرأون» هذه المقولة كافية لمن تمعن فيها ليعرف كيف أن القراءة والكتاب تصنع الحضارات وتقود العالم، فالذين يقرأون هم الأحرار فقط في هذه الحياة، أما غيرهم فهم عبيد لشهواتهم البطنية ونزواتهم الجسدية وسهراتهم الباذخة، فأي قيادة يمكن أن تمنح لهؤلاء؟

ونحن ننتمي لعالم نزل عليه أعظم كتاب عرفته البشرية، ونزل أول ما نزل فيه كلمة «اقرأ»، التي تداعى لها قصر كسرى وانطفأت لها أنوار الظلام واشتعلت معها أضواء النورانية الربانية بهدي خير البشرية، وبعدها بثلاثين سنة أو تقل قادت العالم نحو الريادة والسيادة والتقدم والتطور الحضاري النقي التقي، فقط بـ«انقلاب» فكري وعقدي أحدثته كلمة «اقرأ» في عالم الضلالة الدينية والجهالة الدنيوية.

واليوم مازالت هذه الكلمة الإلهية تحدث ما تحدث من خلخلة لموازين القوة العالمية، فمن امتلك مفاتيحها كان أهلا للقيادة والريادة.

البشير ايت سليمان

إعداد: تركي النصر

كلمات من ذهب

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

زينة العلماء: التقوى، وحليتهم: حسن الخلق، وجمالهم: كرم النفس.

الشفاعات: زكاة المروءات.

صحبة مَنْ لا يخاف الله عار.

لا تبذل وجهك إلى مَنْ يهون عليه ردّك.

ثُوَيبة

«ثُوَيْبَة» المكِّيَّة إقامةً ووفاةً. هي أوَّل مرضعة أرضعت النبي ﷺ بلبن ابنها «مسروح»، كما أرضعت مع النبي ﷺ عمه حمزة بن عبدالمطلب، وأبا سلمة بن عبدالأسد المخزومي، فهم إخوة رسول الله ﷺ من الرضاعة.

كانت تدخل على النبي ﷺ بعد أن تزوج خديجة بنت خويلد الأسدية، وكانت خديجة تكرمها.

أعتقها أبولهب لَمَّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وحلَّة حتى ماتت بعد فتح خيبر.

(البداية والنهاية لابن كثير)

تماوت في إظهار النسك

يُظهرُ النُسك

نظر عمر رضي الله عنه إلى رجل مُظْهِر للنُسك مُتَماوت، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّة، وقال: «لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك اللَّهُ».

ونظرت عائشة رضي الله عنها إلى رجل يظهر النُسك بتماوت، فقالت: «ما هذا؟ فقالوا: أحدُ القرَّاء. فقالت: قد كان عمر بن الخطاب قارئًا، فكان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد).

● سُئل الشافعي: أي الأشياء أوضع للرجال؟ فقال: كثرة الكلام، وإذاعة السر، والثقة بكل أحد.

(الانتقاء لابن عبد البر، توالي التأسيس لابن حجر، مناقب الشافعي للبيهقي)

النَّاس داءٌ

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

لَمَّا عَفوتُ ولَمْ أَحقد على أَحَدٍ ... أَرحتُ نَفسيَ مِنْ غَمِّ العداوات

إِنِّي أُحَيِّي عَدوِّي، عند رُؤْيَتِهِ ... لأَدفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بالتَّحيَّات

وأُحسنُ البشر للإنسان أُبغضُهُ ... كأَنَّهُ قَدْ حَشَى قلبي مَحَبَّات

النَّاسُ داءٌ وداءُ النَّاسِ قُربُهُم ... وفي اعتزالهُمُ قَطْعُ المَوَدَّات

ولستُ أَسْلَمُ مِنْ خِلٍّ يُخَالِطُني ... فكيف أَسلَمُ مِنْ أَهلِ العَدَاوات؟

(ديوان الإمام الشَّافعي)

درجات المحبَّة

«درج المحبة خمسة: أَولها الاستحسان، وهو أَن يتمثل النَّاظر صورة المنظور إليه حسنة. ثم الإعجاب وهو رغبة النَّاظر في المنظور إليه، وفي قربه. ثم الأُلفة، وهي الوَحشة إليه إذا غاب. ثم الكَلَف، وهو غَلَبة شغل البال به، وهذا النَّوع يسمَّى في باب الغَزل بالعشق. ثم الشغف، وهو امتناع النَّوم والأكل والشرب (إلا اليسير) وربما أدَّى ذلك إلى المرض، أو إلى الموت، وليس وراء هذا منزلة في تناهي المحبة أصلًا».

(مداواة النفوس)

العاقل مُعذَّب في الدنيا

«صَـدَقَ مَـنْ قـال: العاقل مُعَذّب في الدنيا. وصَـدَقَ مَنْ قـال إنَّـه فيها مستريح. فأمَّا تعذيبه، ففيما يرى من انتشار الباطل وغلبة دولته، وبما يُحال بينه وبينه من إظهار الحقّ؛ وأمَّا راحته فمن كلّ ما يهتمّ به سائر النَّاسِ من فضول الدنْيا».

(مداواة النفوس)

ثمرات الخوف

من ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سمًّا، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال.

(كشكول ابن عقيل ص:١٠٣)

طالب حاجة

قـال حكيم بـن حــزام: «مَـا أَصبَـحتُ صَبَـاحًـا قَـطّ فَـرَأَيْـتُ بِفِنَائي طَالِبَ حَاجَة قَدْ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا فَقَضَيْتُها إلَّا كَانَتْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَحْمَدُ اللهَ عَليهَا، ولا أَصبَحتُ صَبَاحًا لَمْ أَرَ بِفِنائي طَالِبَ حَاجَةٍ، إلَّا كَانَ ذَلكَ اليوم مِنَ المَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللهَ تَعَالى الأَجْرَ عَلَيْهَا»

(موسوعة أقوال الحكماء)

عدالة الحسد

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «ليس في خصال الشَّرِّ أعدلُ من الحسد، يقتل الحاسدَ قبل أن يصلَ إلى المحسودِ».

وقال بعضهم: يكفيك من الحاسد أنَّه يغتمُّ في وقت سرورك.

وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت.

قال بعض الحكماء: مَنْ رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحدٌ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسدٌ.

وقال بعضُ البُلغاءِ: النَّاس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسودٌ.

وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ مِنَ الحسودِ: نَفَسٌ دائمٌ، وهمٌّ لازمٌ، وقلبٌ هائمٌ.

(أدب الدنيا والدين للماوردي).

الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن

الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من غيره، ألا ترى ما رواه أبوداود عن أبي عقبة وكان مولى من أهل فـارس، قـال: شهدت مع رسول الله ﷺ أحدًا فضربت رجلًا من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إليَّ النبيُّ ﷺ فقـال: «هـلَّا قلت خذهـا وأنا الغلام الأنصاري».

(مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم لابن عثيمين ص:١٧)

فراسة المؤمن

يروى أن رجلًا ادعى على الحسين بن علي مالًا وقدمه إلى القاضي، فقال الحسين: ليحلف على ما ادعى ويأخذه، فقال الرجل: والله الذي لا إله إلا هو، فقال الحسين للرجل: قل: والله والله والله إن هذا الذي تدعيه قِبلي، ففعل الرجل، وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتًا، فقيل للحسن في ذلك، فقال: كرهت أن يمجِّد الله فيحلم عنه.

(أخبار الأذكياء لابن الجوزي ص:٢٥)

أربعة

- أربعة ينبغي للعاقل أن يمنع نفسه منها: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني.
- أربعة لا بقاء لها: مودة الأشرار، والبيت الذي ليس فيه تقدير، والمال الحرام، والكسب الذي ليس معه تدبير.
- أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصد عند الجدة، والعفو عند المقدرة، والحلم عند الغضب، والرفق بعباد الله في كل حال.



مسك الختام

لعبة الاستعمار في تغيير التركيبة الماليزية

منير عبدالستار

هناك من يحاول تغيير وجه ماليزيا الإسلامي، بدأت هذه المحاولات منذ الاحتلال الإنجليزي والذي قام باستقدام الصينيين لماليزيا حتى لا تبقى ماليزيا إسلامية، فالمحاولات كانت ومازالت حتى يصبح الصينيون أغلبية بعدما كانوا أقلية في الماضي، ووقتها يصبح المسلمون مجرد أقلية في أوطانهم الأصلية بعدما كانوا أغلبية؛ وربما نجح الاستعمار الإنجليزي في ذلك بعدما أصبح الصينيون أخيرًا، يسيطرون بشكل كبير على الاقتصاد في ماليزيا، سيطرة خططوا لها منذ وطئت أقدامهم أرض ماليزيا وخطط لها أعداء ماليزيا من الاستعمار وأذنابه.

ومقابل هذه السيطرة على الاقتصاد فقد بدأوا أخيرًا ومجددًا في التفكير في شكل جديد من السيطرة ليست اقتصادية وإنما سيطرة سياسية حتى تبقى لهم السيطرة الكاملة على ماليزيا، اقتصاديا وسياسيًا، فالمحاولات دءوبة في ذلك منذ سنوات طويلة، وإن كانت نسبة المسلمين حتى هذه اللحظة هي الأكبر في ماليزيا، فضلا عن تأييد غير المسلمين للمسلمين على الأقل في السياسية فمازال يحكم المسلمون، وأعداد المسلمين من أصل ماليزي ليست قليلة بسبب سياساتهم وأدائهم الجيد في الاقتصاد والسياسة، فضلا عن النهضة التي حققوها على مر السنين.

هذا الخطر الصيني الزاحف ليس هدفه مجرد السيطرة السياسية بعدما سيطروا اقتصاديا، فهناك أهداف أخرى في الخفاء ربما لا يتم الإعلان عنها ولكنها تبقى ملموسة، في مقدمة هذه الأهداف طمس هوية الماليزيين من على هذه الأرض بعدما غير المسلمون وجهها إلى الأفضل فاكتسبوا مصداقية وحب أغلب الماليزيين من أصول مختلفة، وكانوا سببا في نهضة ماليزية جبارة فوضعوا اسم ماليزيا في مصاف أكبر الدول الصناعية الكبرى في العالم، فخطورة الصينيين ليست على الماليزيين أنفسهم وإنما على الإسلام، فهم يريدون إزالة الإسلام وبصمته من هذه المنطقة في آسيا، ولذلك يقوم الكثير منهم بعمليات تبشير كثيرة تستهدف الفقراء من أجل أن يغيروا ملتهم فتكون الغلبة إذًا للصينيين.

كما يحاول الصينيون والهنود من غير المسلمين السيطرة السياسية على ماليزيا، بعدما تمكنوا منها اقتصاديًا، خاصة وأن المسلمين حققوا تقدمًا كبيرًا وبقيت شعبيتهم الأكبر حتى بين غير المسلمين؛ فهم يحاولون السيطرة على ماليزيا كما فعلوا في سنغافورة فأصبحت أعدادهم أكبر بكثير من المسلمين بعدما كان العكس منذ عشرات السنين من خلال خطة للسيطرة السياسية ومن قبلها كانت السيطرة الاقتصادية.





وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

صدر حديثا- 3

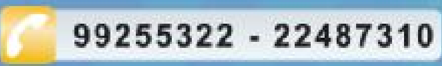


















مسابقة .. بلا أسئلة

فقط سجل اسمك .. واربح

سجل بموقعنا

Nafaess.com







مع تحيات إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٦٣) رجب ١٤٣٣هـ - مايو-يونيو ٢٠١٢م



«الوعي الإسلامي» تشارك
في معرض الكتاب الإسلامي الـ٣٧

الانتحار و صناعة الأمل

عبقرية اللغة العربية
الفصحى وكمالها

الإسلام والحرية السياسية

الإعلام الفضائي في مرمى الإنفلات!

دار المخطوطات باليمن..
كنز تراثي

مجاناً
مع العدد
«براعم الإيمان»

أنشودة المواسم
الوعي والبراعم

للوعي والبراعم
بهية التناغم

أنشودة المواسم
ندية المعالم

زاهية الألوان
ومنهل الظمآن

بأبدع المعاني
من شرعة القرآن

في كل شهر عزني
زاخرة بالأدب

تجيء مثل الكوكب
من هدي ميراث النبي

أكرم بمن تحرر
فاحفظهم يا قادر

ومن لها يقرر
إن هم بقوا أو غادروا

فالوعي والبراعم
ففيهما مكارم

هما لنا المغانم
يزكو بها البراعم

الاستاذ / أمين حميد عبد الجبار



حفظ النفس

حفظ النفس من الضروريات الخمس للدين الإسلامي، والتي جاءت الشريعة لحفظها،ولهذا قال النبي ﷺ في حديث رواه البخاري وغيره: «من قُتل دون نفسه فهو شهيد»، فمن حق الإنسان أن يدافع عن نفسه ضد من أراد قتله، أو حتى من أراد إصابته بجراح أو غيرها، ولأجل هذا حَمَى الإسلام النفوس أيما حماية، وصانها بسياج متين، وحصن حصين، وأكد حرمتها في الكتاب والسنة، وحرم الاعتداء عليها، والتعرض لها بسوء، وجعله من أكبر المحرمات، وأعظم الموبقات، وقرن قتل النفس بالشرك بالله، فقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الفرقان: ٦٨)، وفي الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات -وذَكَر منها-: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق».

وهكذا تعمل الشريعة على حفظ النفس بكل الوسائل، وشتى الطرق المُحْكمة؛ فالإسلام يربي هذه النفس على طاعة الخالق وامتثال أوامره، فالذي خلقها وأكرمها هو الذي حرّم إزهاقها.

ومن أجل حفظ النفس شرع الإسلام من الأحكام ما يحقّق لها المصالح ويدرأ عنها المفاسد، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها ودرء الاعتداء عليها.

كما سدّت الطرقَ المفضية إلى إزهاقها أو إتلافها أو الاعتداء عليها، تحريم الانتحار والوعيد الشديد لمن قتل نفسه مهما تكن الظروف والأسباب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلّدا فيها أبدا، ومن شرب سُمّا فقتل نفسه فهو يتحسّاه في نار جهنم خالدا مخلّدا فيها أبدا، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردّى في نار جهنم».

ومن الوسائل للحفاظ على النفس: النهي عن الإشارة بالسلاح ونحوه من حديدة وغيرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبوالقاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».ومن ذلك أيضًا: نَهْيُهُ عن السبّ والشتم المفضي للعداوة ثم التقاتل، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء:٥٣). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

التحرير



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت
مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٦٣
رجب ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
مايو - يونيو ٢٠١٢ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية- ٤ ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ -٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية .رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت: ٥٠٠ فلس
- السعودية: ٥ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٥ ريالات
- الإمارات : ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- اليمن : ١٠٠ ريال
- لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- سوريا: ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- الجزائر: ٤ دينار جزائري
- تونس: دينار واحد تونسي
- المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني
- باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

وشهد شاهد منهم!

صيحات متعددة تنطلق بين الحين والآخر من مجتمعات الشرق والغرب تنادي بتحديد النسل بحجة أن الأرض ستعجز في السنين القادمة عن إطعام سكانها الذين سيصلون إلى أكثر من تسعة مليارات نسمة عام ٢٠٥٠م، مثل هذه المزاعم لاقت رواجًا عند كثير من المجتمعات وخاصة المجتمعات المصنفة بأنها (متقدمة). وعلى سبيل المثال لا الحصر تراجع عدد سكان اليابان عام ٢٠١١م إلى ١٢٧ مليون نسمة أي بنسبة ٠٫٢٪ عن عام ٢٠١٠م وهو أكبر تراجع سنوي يسجل في البلاد منذ عام ١٩٥٠م، وإذا كان المسلمون لا يؤمنون بمثل هذه المزاعم لأن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الأرض ومن عليها قدرَ فيها أرزاقها وأقواتها لكل أجيالها القادمة ولا خوف البتة من حدوث أي خلل أو نقص في ذلك وأن ما يحصل أحيانًا من مشكلات غذائية إنما سببه الإنسان نفسه الذي أساء استغلاله للأرض واستحوذ على نصيب أخيه الإنسان وهذا ما أكده أخيرًا العالم الفرنسي (ايرفيه لوبرا) الذي أصدر كتابه أخيرًا تحت عنوان (حياة سكان العالم وموتهم) وضمنه الحقيقة الدامغة وهي أن ما يثار من خوف حول تلبية احتياجات الـ ٩ مليارات المتوقعة سنة ٢٠٥٠م لا صحة له، مؤكدًا أن هذا الخوف هو جزء من جدال إيديولوجي أطلقته البلدان الغنية لتجاهل المشاكل التي تعاني منها ورميها على الفقراء.. فهل تدرك البشرية جمعاء سر الخلل الحاصل اليوم في الأرزاق والأقوات؟

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت: للأفراد ٥٫٧ دنانير- للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا**
- **الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).**
- **دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).**
- **للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).**

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



في ندوة «النظرية الفقهية والنظام الفقهي» بسلطنة عمان

الوسطية أداة ضبط التجديد

فيصل يوسف العلي

عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان ندوة تطور العلوم الفقهية تحت عنوان «النظرية الفقهية والنظام الفقهي» خلال الفترة من ٧-١٠ ابريل الماضي برعاية وزير العدل الشيخ عبدالملك الخليلي وبحضور ثلة من العلماء والمشايخ من مختلف الأقطار الإسلامية، وأعضاء المجامع الفقهية والخبراء والباحثين، وتأتي هذه الندوة لتبرز جهود العلماء في مفهوم النظرية الفقهية وتوحيد أطرها نظرًا لكثرة الجدل حول جدوى الفقه الإسلامي ومدى قوته وشموليته لمقتضيات حاجة المجتمع وتطوره.

وناقشت الندوة ٦٠ ورقة عمل تبحث عددًا من المحاور منها نشأة الفقه الإسلامي وظهور النظرية والنظام، وفقه النظرية في المجال العام، وفقه التنظير في المجال الخاص، والفقه والتاريخ، وتاريخ الفقه وأصوله عند المستشرقين والدارسين المسلمين، وكتابة التنظير في التراث الفقهي الإسلامي المبكر.

وأكد المحاضرون أن الوسطية مظهر من مظاهر الشريعة في جميع الجوانب، وهي أداة ضبط التجديد حذرًا من الإفراط والتفريط لافتين إلى أن التجديد لابد أن يشمل القضايا العامة، لأن الفقه يعالج كل القضايا لاسيما السياسية.

من جهته قال مفتي السلطنة الشيخ أحمد الخليلي: «إن العناية بالشريعة الإسلامية والبحث عما في طوايا كنوزها من حلول لمشكلات الأمة والإنسانية مطلب البشرية، وعليها ان تقوم بهذا الدور، وعلى علماء الشريعة أن يحرصوا على توجيه هذا الخير».

ضرورة إبراز جهود العلماء في مفهوم النظرية الفقهية وتوحيد أطرها

بدوره طالب رئيس رابطة علماء الشام د. وهبة الزحيلي العلماء بضرورة التباحث فيما يحقق الخير والتقدم والحاكمية، لأن هذا المعنى مفقود في حياتنا، حيث تغلبت القوانين الوضعية على الفقه الإسلامي فأقصى الفقه بدرجات متفاوتة بين قطر وقطر، وهذه النصوص الكريمة التي نعتز بها تحتاج إلى دفاع مستميت عن بقاء حيوية الشريعة وتطلعاتها لأن في ذلك إعمالاً لعالمية القرآن الكريم.

من جانبه أكد مفتي الديار

رئيس التحرير - مسقط

المصرية د. علي جمعة أن الفهم ينبغي أن يكون لمصادر الشريعة الغراء، ويكون للواقع المعاش الذي يتغير من لحظة إلى لحظة، هذا الواقع بعوالمه المختلفة.. عالم الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، والنظم، داعيًا الفقيه أن يدرك الواقع إدراكا واعيًا لتحقيق مقاصد الشريعة ومصالح العباد والبلاد.

بدوره قال د. أحمد أبوالوفا إن من المزايا الكبرى للفقه الإسلامي وضع نظريات عامة وشاملة للموضوعات التي تناولها يمكن استخلاصها من كتابات كبار الفقهاء. وتعد نظرية العلاقات الدولية، والتي تتعلق بما يجب على الدولة الإسلامية وممثليها مراعاته عند التعامل مع الدول وأشخاص القانون الدولي الآخرين، إحدى هذه النظريات التي تبين، عمقًا في الفكر وشمولية في العرض وتكاملا في الأركان والبنيان، لاسيما أن القانون الدولي المعاصر لا يستند إلى الدين كأساس لقواعده ونظمه، وهو أمر يختلف عن النظام الإسلامي والذي يجعل الشريعة الإسلامية في بؤرة اهتماماته حتى على الصعيد الدولي وفي إطار العلاقات مع الدول الأخرى.

من جانب آخر أوضح د. محمد كمال الدين إمام أن التدرج من أكثر المفاهيم- على الساحتين الفقهية والفكرية- التباسًا، لأنه جرى التعامل معه- حديثًا- في سياق تداولي لم يفصل بدقة بين التدرج، والنسخ، والتغيير والتأجيل، ولم يفصل بدقة أيضًا بين التدرج بقصد التفهيم والتعليم، والتدرج في إطار «المأسسة» والتنظيم، ولا التدرج من أجل الإعلام، والتدرج القائم على الإلزام، ولم يفصل أخيرًا بين التدرج في الخطاب والتدرج في التطبيق والتنزيل، وهو ما أُطلق عليه التدرج في التشريع.

من جهة أخرى أكد د.خالد بابكر أن فهم أحكام الشريعة على وجهها التام، لا يكفي وحده في إيجاد الحكم المناسب للمسألة المجتهَد فيها، ما لم يصاحبه فهمٌ لواقع المسألة، ونظرٌ سديد للظروف المحاطة بها، وكلّ ما تحمل من تطورات وتغيرات، بقصد حُسن تنزيل النصوص والأحكام على الوقائعَ والمستجدات، وإلا اختلت عملية الاجتهاد بين الفهم المجرد للنصوص والأحكام، وبين تنزيل تلك النصوص والأحكام في الاجتهاد التنزيلي التطبيقي.





د. قاسم سعد

إن كل أمة تعتز بتكريم رجالها، الذين حققوا لها اكتفاء، أو أبلَوْا في سبيلها بلاءً، أو حرّكوا من أجلها لواءً، وإن أمة الإسلام لن ترى سيدًا أكرمَ وأعظم وأرحم وأحلم وأعلم وأحكم من مُقدَّم الخلق محمد بن عبدالله، فهو عميدها ورشيدها وحميدها، وهو إمامها وقِوامها ونظامها:

وأعظمَ منك لم تر قطّ عيني
وأجملَ منك لم تلد النساء
وُلدت مبرءًا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

ولست متصديًا في هذه العجالة لذكر فضائل سيد الورى محمد بن عبدالله ﷺ لأنها بحر لا ساحل له، وفضاء لا آخر له، وحسبي أن أشير إلى طرف من وجوب محبته ﷺ، ومما أثر من محبة أصحابه له.

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على الناس حُبه سبحانه وحب نبيه ﷺ أكثر من حبهم لآبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)، ولن تجد أيها المسلم طعم الإيمان ولذته وحلاوته حتى يدخل في قلبك هذا الحبُّ الأمثل لله ولرسوله ﷺ، وفي ذلك يقول ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجَد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحب المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَف في النار». وأكّد النبي ﷺ هذا المعنى السامي في حديث آخر فقال: «لا يؤمنُ أحدكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

ومرة كان النبي ﷺ آخذًا بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: «يا رسول الله، لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكونَ أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر».

فنبينا ﷺ حقيق وخليق بهذا الحب الأسمى، لأننا به أُنقذنا من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة، وبه أُخرجنا من العمى إلى الهدى، وبه تحولنا من الذلة إلى العزة، ومن الظلام إلى النور: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

النبي ﷺ حري وجدير بهذا الحب

باحث دراسات إسلامية لبناني

الأمثل، لأنه أولى بكل مؤمن من نفسه، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب :٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته». هكذا تكون القيادة الرشيدة الرحيمة تدفع الغُرم عن الناس، وتترك لهم الغُنْم.

ولو استعرضنا مدى حب الصحابة للنبي ﷺ لوجدنا نماذج فريدة، وروائع نفيسة، لا يجد التاريخ مثلها، ولا ما يقاربها: فلما أسر المسلمون سيدَ أهل اليمامة ثُمامةَ بنَ أُثال جيء به إلى النبي ﷺ، ثم أمر النبي ﷺ بإطلاق سراحه، فانطلق ثُمامة إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغضَ إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك فأصبح دينك أحبَّ الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدك فأصبح بلدكَ أحبَّ البلاد إليّ. ثم أراد أن يعتمر، فلما قدم مكة وأهلها على الكفر، قال له قائل: صَبَوت؟! قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتب أهل مكة إلى النبي ﷺ وهم على الكفر: إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثُمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم.

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان بن حرب وهي التي لاكت بفمها كَبِد سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب في غزوة أحد، لما وقر الإيمان في قلب هذه المرأة قالت للنبي ﷺ: «يا رسول الله، ما كان مما على ظهر الأرض أهل خِباء –(أي بيت)– أحبَّ إليّ أن يذلُّوا من أهل خِبائك، ثم ما أصبح اليوم أهلُ خباء أحبَّ إليَّ أن يعزوا من أهل خِبائك».

هكذا تكون القيادة الرشيدة .. تدفع الغرم عن الناس وتترك لهم المغنم

لقد بلغ من حب الصحابة وتعظيمهم للنبي ﷺ ما حكاه عروة بن مسعود الثقفي كبير قومه قبل إسلامه لما تفاوض مع النبي ﷺ عام الحديبية، قال عروة لأصحابه كفار مكة: «أيْ قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصَر وكسرى والنجاشيِّ، والله إنْ رأيتُ ملكًا قطُّ يعظمُهُ أصحابه ما يعظمُ أصحاب محمد محمدًا، والله إن يتنخم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجِلْدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيمًا له».

وعندما أراد النبي ﷺ فتح مكة، أرسلت قريش سيدها أبا سفيان بنَ حرب ليطيل أمد الصلح بينهم وبين المسلمين، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس عندها على فِراش رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنَيَّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فِراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نَجس، فلم أحبَّ أن تجلسَ على فِراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بُنية بعدي شرٌّ.

وهذا زيد بن الدَّثِنَّة رضي الله عنه أسره المشركون وقدموه للقَتل، فقال له أبوسفيان بن حرب لما قُدم للقتل: أنشُدُكَ الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي، قال أبوسفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا، ثم قُتل زيد بن الدثنة بالسيف رضي الله عنه.

وحادثة أخرى وهو أنه كان للعباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبح للعباس فَرْخان، فلما وافى الميزاب صُبّ فيه ماء، فيه من دم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمرُ بقلعه، ثم رجع عمرُ فطرح ثيابه ولبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما أصعدتَ على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس.

وهذا أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهو ابن عم النبي ﷺ كان يبغض النبي ﷺ بغضًا شديدًا، فلما أسلم صار النبي ﷺ أحب الناس إليه، ولما قُبض رسول الله ﷺ رثاه أبوسفيان بن الحارث بأبيات منها:

أَرِقْتُ فباتَ ليلي لا يزولُ
وليلُ أخي المصيبة فيه طولُ
فقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشيةَ قيل قد قُبض الرسول
فلم نرَ مثله في الناس حيًّا
وليس له من الموتى عديل
أفاطم إن جزعت فذاك عُذْرٌ
وإن لم تجزعي فهو السبيل
وقُولي في أبيكِ ولا تَملّي
وهل يجزي بفضل أبيك قيلُ
فقبرُ أبيك سيدُ كلِّ قبر
وفيه سيدُ الناس الرسولُ

فصلوات الله وتسليماته وبركاته على هذا الرسول الكريم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوية الوطنية الجزائرية في الخطاب الباديسي

د. أحمد عيساوي

تعتبر معالم الهوية في الخطاب الذي تميز به الإمام عبدالحميد بن باديس شيخ النهضة ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم ما يجب أن يطلع عليه القارئ، لعظيم أهميتها في فهم طريقة تأثير ابن باديس في الجزائر المسلمة، وأبرز هذه المعالم:

١- شخصية متميزة:

لا يمكن أن تبرز هوية فرد ولا أمة إلى سلم الحضارة، إلاّ إذا وضحت معالم الفرد فيها والجماعة، وابن باديس مصلح حاول استعادة قسمات الأمة الجزائرية الغائبة في عالم الشهود الحضاري، وما كان ليتأتى له ذلك لولا وضوح معالمه وقسماته وبصماته الحضارية المميزة له.

٢- وطنية سليمة:

تختلط عند بعض المصلحين وتتداخل مفاهيم كثيرة، يعجزون أحيانا في حسمها بين أنفسهم، وتجدهم يميلون بعض الشيء لإحداها على الأخرى، فيتمزقون بين الوطنية والعالمية، والمحلية والإقليمية، والدينية والعلمانية.. إلاّ من وهبه الله صفاء التصور وسلامة المعتقد، ووضوح الرؤية، وكان ابن باديس من هذا الطراز الرفيع.

٣ - منهج إصلاحي بصير:

الدارس لتاريخ الإصلاح ورجاله المصلحين، يتبين صورا شتى من جهود المصلحين، فمنهم من يبدأ داعيا وإماما وينتهي سياسيا، منهم من يبدأ فقيها متمذهبا وينتهي صوفيًا صاحب طريقة، ومنهم من يبدأ صوفيًا سنيًا وينتهي طرقيًا بدعيًا، ومنهم من يبدأ وطنيًا غيورا ثم يصبح عميلا للاستعمار، ومنهم من يبدأ عميلا ويغدو بفضل الله وطنيًا، وهكذا ينبئنا تاريخ الإصلاح والمصلحين، إلا ابن باديس وصحبه فقد عرفوا- يرحمهم الله- من أين ومتى ولماذا يبدأون؟ وكيف يسيرون وينهجون؟ وماذا يفعلون؟ وإلى أين ينتهون؟

الرأي الإصلاحي لابن باديس تبلور على ضرورة العمل الجمعي وتأسيس جمعية دينية قوية

وقد وصف مالك بن نبي- رحمه الله- منهج الشيخ عبدالحميد بن باديس الإصلاحي؛ فقال: «...إنه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم كما كانت في عصر ابن تومرت بإفريقيا الشمالية، فقد كان المغرب يعيش على صورة ما حياة فترة العصر الذي وضعت له حدا نهائيا دعوة مهدي الأطلس المغربي، وسيف عبدالمؤمن.. نحن نعلم أن عصر المرابطين شهد انزلاق الضمير الإسلامي نحو النزعة الفقهية، فجاء ابن تومرت ارتكاسا لروح الفقهاء الضيقة، ووضعت دعوته الضمير الإسلامي في شريعة القرآن وطريق السنة، أما ابن باديس فقد جاء في فترة جددت فيها النزعة الصوفية «المرابطية أو الطرقية» دورة المرابطين، وهنا موضع الخطورة، ذلك أن الحلقة لم تستأنف بالفقه والرباط، بل بالتميمة والزاوية، ولم يستطع المصلح الجزائري أن يطمح إلى تأسيس إمبراطورية تحرر الضمير...».

٤ - معالم المنهج البصير:

درس ابن باديس واقعه وعلمه جيدا، وخبر أمراض القاعدة والنخبة، ولاسيما علماء الدين كرواد للإصلاح وقيادة الناس، فرأى أن الأمة مريضة بنخبها المنحرفة وبقاعدتها التي هي تعبير صادق وواقعي عن تيه وضلال النخبة العمية، وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: «...لقد تغير الزمان، فالاستعمار والقابلية للاستعمار غيّرا كل المعطيات في الجزائر كما فعلا ذلك في سائر العالم الإسلامي. كل الظروف تقتضي الرجوع في الإصلاح إلى السلف أدراجا، إذ لم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي أو الاجتماعي ممكنا قبل تحرير الضمائر، وكل مذهب الإصلاح الجزائري الذي تجده في ابن باديس كان لابد أن يصدر عن هذه الضرورة أو عن هذه المقتضيات الخاصة، والمبدأ الأساسي القائل ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ الذي كان أول خطوة في الإصلاح، يمكن أن يُعتبر- من زاوية ما- ترجمة لهذه الضرورة في صيغة مذهبية، ومن هنا نرى التقلبات التي كان يمكن أن يتعرض لها مبدأ كهذا المبدأ لدى وضعه موضع التطبيق، عندما يجد المرء نفسه- أو يظن- أنه مضطر إلى أن يتنازل للسياسة على حساب كمال المذهب ومتانته، ونقد الحركة الإصلاحية الجزائرية كله يمكن أن يوجه نحو هذه النقطة...».

٥ - معالم الهوية الجزائرية:

١- الدين:

أستاذ الدعوة والإعلام والفكر الإسلامي المعاصر- الجزائر

انطلق الشيخ عبدالحميد بن باديس ينافح عن الأمة الجزائرية المسحوقة من قبل قوانين الردع والزجر والقمع الاستعماري الفرنسي، منطلقا من مبادئ وغايات واضحة، باحثا فيها عما تبقى- يومها- من رسوم وأطلال الأمة الجزائرية الدارسة تحت جبروت وقهر الاستعمار، فكتب في «المنتقد» سلسلة افتتاحيات تحت عنوان: «مبادؤنا وغاياتنا وشعارنا»، يبين فيها هذا المعنى ويحض عليه.

٢- الوطن:

كانت فكرة القومية والوطنية واضحة المعالم في الفكر والخطاب الباديسي، بيّنة المعالم والقسمات، فهو في سلسلة افتتاحياته تلك يقول عن الوطن والوطنية الجزائرية: «...ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية، وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع، والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة، والانتفاع في العالم، وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية، وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا، ونحب من يحبه، كما نحب الإنسانية ونحب أن نخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، وتحبيب بنيه فيه، ونخلص لكل من يُخلص له، ونناوئ كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه».

٣- التاريخ وراهن الأمة:

كانت فكرة القومية والوطنية واضحة المعالم في الفكر وفي الخطاب الباديسي، وكان يرى أن تاريخ الجزائر تشكل عبر حقب الماضي، يبرز ذلك في مقاله الشهير بعد المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٣٦م «هل آن أوان اليأس من فرنسا» الذي عرض فيه مقومات الأمة الجزائرية بتاريخها الثري والطويل الضارب في أعماق الحضارة.

ففي محاضرة له بعنوان «لمن أعيش؟» أجاب فيها قائلا: «أعيش للإسلام وللجزائر»، ومما جاء في محاضرته القيمة تلك قوله: «...أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض علي تلك الروابط لأجله فروضا خاصة. وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة...».

٤ - اللغة:

وقف ابن باديس حياته كلها في خدمة العربية ودينها في الجزائر، ووضع الخطط والبرامج وأسس المدارس وعلّم وكوّن ودرّس من أجل بناء جيل ناطق بالعربية، ووقف موقفا صلبا من أعداء اللغة العربية في الجزائر، وجاء رده صريحا وقويا ضد قانون الثامن من مارس المشؤوم الذي أهان العربية في عقر دارها، وعدّها لغة غريبة بين أهلها ودارها، وفي هذا الصدد نشر ابن باديس مقالا له عنوانه: «يالله للإسلام والعربية في الجزائر».

٥ - القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع:

كان ابن باديس يرى أن قيم الأمة الثقافية والدينية والاجتماعية تشكل ركنا مهما من أركان الهوية الوطنية، ولا يمكن أن تفعل فعلها في الأمة إلاّ إذا صلح العلم والتعليم والمعلم، ولذا فقد كتب سلسلة من المقالات في مجلة الشهاب تحت عنوان «صلاح التعليم أساس الإصلاح» يبين فيها خطة إحياء معالم الهوية الاجتماعية الدينية والثقافية والسياسية للأمة الجزائرية المندرسة فقال: «لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته.. فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم، ونعنى بالتعليم.. التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه. ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه وفي مادته وصورته...».

نشاطه الدعوي والإصلاحي

بعد عودة العالمين الجليلين من الحجاز قطبا الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر الحديثة الشيخ محمد الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م تبلور الرأي الإصلاحي أخيرا لدى الشيخ ابن باديس على ضرورة توحيد الجهود في إطار العمل الجمعي وتأسيس جمعية دينية قوية، تضطلع بالعمل الإصلاحي الإسلامي في الجزائر، لمواجهة المخططات الاستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل، وأهم هذه المخاطر:

١- فساد الطرق الصوفية المنحرفة ونشرها وترويجها للبدع والخرافات والأوهام والأباطيل الطرقية بين صفوف الشعب الجزائري الجاهل، وتواطئها البشع مع الإدارة الاستعمارية لاستغفال الشعب الجزائري.

٢- محاولة إيقاف مد حركة التبشير والتنصير المستمرة بين الشعب الجزائري، التي تستغل ظروفه الصعبة لتنصيره، أو لتحويله عن دينه الإسلامي.

٣- إيقاف زحف الفرنسة، وإنقاذ اللغة العربية المحاربة من قبل الاستعمار الفرنسي.

٤- إيقاف المد التغريبي بين صفوف الشعب الجزائري، الذي يسعى لإيجاد النخب الجزائرية الطامحة للاندماج في فرنسا.

٥- مقاومة سياسة المسخ والتشويه التي تمارسها الإدارة الاستعمارية تجاه قيم ودين الشعب الجزائري.

٦- الإعداد الصحيح لبناء الفرد الجزائري العربي المسلم، الواعي والمتسلح بدينه وقيمه ولغته.

٧- الحفاظ على آخر حصون الممانعة العربية والإسلامية في الجزائر السليبة.

أعمالي تجليات لا تنتهي.. والرواية لها جذور في الأدب العربي

يوسف زيدان: يجب ألا ننشغل بتجليات تفصيلية عن وحدة الجوهر الإنساني

حوار: مريم عبدالحميد



يرفض بشدة مقولة «الأمة العربية لا تقرأ» ويعتبرها أكذوبة، أو شماعة يعلق عليها المتكاسلون إخفاقهم في التواصل مع القراء، ولا يحفل بـ«قرصنة» أعماله، مؤكدا أن كل ما يعنيه هو أن يقرأ الناس كتاباته، كما أنه دائم البحث عن «الجوهر الإنساني» المتخفي وراء النزاعات والصراعات العقدية المريرة في الماضي والحاضر.. هذا هو الكاتب والمفكر د.يوسف زيدان، المتخصص في التراث العربي المخطوط وعلومه، وصاحب العديد من المؤلفات والأبحاث العلمية في الفكر الإسلامي، والذي التقيناه عبر سطور الحوار التالي.

● «محال».. هذا هو اسم أحدث أعمالك الروائية، حدثنا عنها، وهل يمكن القول بأنها تفسر أسباب اتجاه الشباب في إحدى الفترات إلى العنف الديني السياسي؟

– وجود العنف الديني في المجتمع وكيف يتطور، كان إحدى الصيغ التي أدعو إلى النظر إليها بعمق، من خلال الخطاب الروائي في «محال»؛ لأن مسألة العنف الديني ترتبط بآليات موجودة في الزمن القديم وفي الزمن الوسيط، وموجودة أيضًا في الزمن المعاصر، وطبيعة هذا الفعل العنيف واحدة.. فما جرى في الإسكندرية القديمة من تدمير للتراث القديم جريمة ضد التراث الإنساني، وهو نفس ما جرى من ويلات في غرب أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت، والمذابح الهائلة التي جرت في قلب آسيا خلال القرون باسم الإله، هذه القضية لا يمكن الاستخفاف بها أو صرف الأنظار عنها؛ لأنها ملحة، وتمس وجودنا الاجتماعي المعاصر والتاريخي، وتمس وعينا. لكن الخطاب الروائي في «محال» لم يتوقف عند هذه المسألة، إنما تعدى ذلك إلى بحث كيفية الانتقال من حياة عادية جدًا للشخصية الرئيسية في الرواية، إلى معتقل في جوانتانامو، ما بين البداية والنهاية مسار من الممكن أن يجد أي شاب عربي نفسه فيه، ولا أقصد تحديدًا من اعتقلوا في جوانتانامو، لكن من اعتقلوا في السجون والمعتقلات العربية، وهو كثيرة.. كانت في حياتهم نفس الأقدار التي عصفت بهم في سنوات قليلة من شباب صغار في المراحل الجامعية إلى معتقلين ومصنفين في خانة الإرهابيين؛ كيف يتم هذا التحول؟ كان هذا هدفًا آخر من أهداف الخطاب الروائي في «محال».. إضافة إلى مسألة أخرى هي أن الإنسان– فيما أرى– واحد، الطبيعة الإنسانية في الزمن السكندري القديم الذي كتبت عنه رواية «عزازيل» هي نفس الطبيعة الإنسانية في زمن الفتح الإسلامي لمصر في رواية «النبطي»، وهو ما سيكون في سنة ٢٠٢٠ كما عرضته في روايتي الأولى «ظل الأفعى»؛ هنا تنويعات على جوهر واحد هو الجوهر الإنساني، لكننا ننشغل بالتجليات التفصيلية فلا ننتبه إلى وحدة الجوهر الإنساني.

● إذن نرى ملامح مشروع روائي معين في خط متصل الحلقات على امتداد أعمالك الأدبية؟

– هذا الخط المتصل أو العامل المشترك هو البحث عن هذا الجوهر الإنساني بتجلياته المختلفة، وهذا البحث يحتاج إلى جهد تأملي واسع؛ حتى يحدث التماس مع الإنسان بكل متناقضاته بأحلامه، بآماله، برغباته، بأخطائه التي تجعل منه إنسانًا، هذا الـ«كل» المركب بالغ التعقيد، وهو جوهر الإنسان.. رجلًا كان أو امرأة. ذلك هو الشغل الشاغل الرئيسي في أعمالي الروائية، وهي على كل حال تجليات لا تنتهي، ولا يحيط بها عمل روائي واحد، أو حتى مجموعة روايات؛ لأن الجوهر الإنساني يصل أحيانًا بالتنوع إلى درجة التناقض داخل التجربة الإنسانية الواحدة، فالإنسان بداخله عوالم فسيحة جدًا، وآفاق خفية

كـنـتُ أظـن أن كـتـابـاتـي لا تـصـلـح إلا لـصفـوة الـصـفـوة.. ثـم فـوجـئـت بـأن هــذا غـيـر صـحـيـح!

ورؤى شديدة الذاتية، ولكي يتعايش مع المجتمع يضطر إلى إخفاء كثير من الوجوه، وأحيانًا يضطر إلى ارتداء أقنعة كثيرة؛ ليتحرك من خلالها حركة آمنة بين الجماعة، لكن يظل هذا الوجه الإنساني كامنًا فيه.

● يغلب على أعمالك الطابع التاريخي باستثناء «ظل الأفعى».. فهل تضع حدودًا معينة للفصل بين الكتابة الأدبية والتاريخ؟

لا أرى التاريخ منفصلًا عن الواقع، إنما أرى الواقع هو امتداد لحركة التاريخ والزمن الممتد بين الماضي والمستقبل، وما الحاضر إلا بوابة عبور متوالية ومتتالية، فنحن لا نستطيع الإمساك باللحظة الحاضرة، ولذلك في أحد معاني عنوان رواية «محال» إشارة إلى استحالة الإمساك باللحظة الحاضرة.

تجليات

● كثير من الأدباء يرددون مقولة «السياسة تدخل في خبزنا اليومي».. فهل يمكن النظر إلى أعمالك من منظور سياسي؟

بالتأكيد، السياسة بتعريفها العام تدخل في أدق تفاصيل حياة الناس، على نحو قد يبدو أحيانًا واضحًا ومباشرًا، لكن في معظم الأحيان يكون تدخلا خفيًّا وغير معلن.. فالسياسة والمجتمع والاقتصاد والإبداع والفلسفة هذه كلها تجليات لما يسمى «الجماعة الإنسانية»، وإذا تمعنا جيدًا نجد أنه من الصعب جدًّا فصل هذه العناصر عن بعضها، وإلا فهل تنفصل السياسة عن العقيدة أو الاقتصاد؟ لا يمكن، ومن ثم الإبداع الأدبي أيضًا لا ينفصل.. كل قصيدة، كل رواية، كل قصة قصيرة، وكل شكل من أشكال الإبداع الأدبي يرتبط بالواقع السياسي، إما ارتباطا معلنًا ومباشرًا أو ضمنيًّا.. فنجد مثلًا في سنوات القهر في بعض البلاد يلجأ الكتاب إلى الرمز، أو الانصراف المبالغ فيه لمسائل قد تبدو اجتماعية، ففي زمن عبدالناصر كتب ثروت أباظة «شيء من الخوف»، و«جواز عتريس من فؤادة باطل» التي اشتهرت بعد تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي هذا مدلول سياسي طبعًا؛ فما بالك بالكتابات المباشرة؟! لكن القضية هي كيف يتم التعبير عن الهاجس السياسي إبداعيًّا؟

بعض الكتاب يكتبون ذلك بسطحية وبشكل مباشر فيتحول النص الإبداعي إلى «زعيق»، ويفقد السمة الأولى للأدب وهي «نصوع اللغة»؛ فلا يوجد أدب جيد في أي لغة من اللغات بعيدًا عن هذا النصوع الذي يعيد للغة الألق المميز لها.

اللغة الشعرية

● عند الحديث عن اللغة في أدبك نراها تميل إلى «الشعرية».. فهل خضت تجارب مع الشعر؟

أنا أضع الشعر داخل النص الروائي، وكثير من الذين قرأوا «ظل الأفعى» مثلًا تصوّروا أن الترانيم الموجودة فيها منقولة بنصها من كتب قديمة، والواقع أن المعنى موجود في لغات مندثرة لكن الصياغة هي جزء من عمل الرواية.. أيضًا اللغة الشعرية في «عزازيل»، والأبيات الشعرية الصريحة في «النبطي»، وأشعار الشخصية الرئيسية في «محال»؛ هذه كلها تجليات للروح الشعرية التي لا يجب أن تغيب عن النص الروائي أو القصصي؛ فالرواية عمل معقد، والشعر أداة من الأدوات المستخدمة فيه.

● أعمالك من أشهر الأعمال المقرصنة على الإنترنت، فكل ما كتبت تقريبًا متاح على الشبكة، بعض الأدباء يرون أن هذا يحقق لهم الانتشار، بينما آخرون يعتبرونه سرقة.. ما رأيك؟

– سُئلت هذا السؤال قبل عامين في حفل توقيع في إحدى الدول العربية، حيث فجاءني بعض القراء بنسخ مزورة من أعمالي؛ لأقوم بالتوقيع عليها، وأشار أحد الصحفيين إلى ذلك فقلت له «وما ذنب من اشتراها؟!».

أنا أكتب كي يقرأ الناس، ولا أهتم بأي شكل سواء في نسخة أصلية أو في مكتبة عامة، أو من خلال استعارة من شخص لآخر، أو حتى على الإنترنت، رواية «عزازيل» مثلًا تجاوزت المليون نسخة محملة من على النت.. ما يعنيني هو أن تُقرأ الكتب.

الناشرون يدفعون

هل تحرص على أن تترجم أعمالك إلى اللغات الأجنبية؟ أم أنك تتوجه فقط إلى القارئ العربي؟

الذي يكتب أدبًا في لغة لابد أن يركز في هذه اللغة، وإلا لن ينتج شيئًا ذا قيمة، وقد لا يصح التصريح بأن الناشرين الكبار في العالم يهتمون بترجمة أعمالي وتكون بمبادرات منهم، وعلى مستوى المقابل المادي، لم يحدث في تاريخ الأدب العربي أن دفع كبار الناشرين الغربيين لمؤلف مثلما يجري في أعمالي.. لكن مثلًا عندما صدرت «محال» وهي لها ثلاث قراءات في العنوان، فهي تقرأ (مُحال) بضم الميم وتعني استحالة الإمساك باللحظة الحاضرة، ويجوز قراءتها (مَحال) بفتح الميم، لتعني أماكن جمع محل، ويمكن قراءتها ثالثًا بكسر الميم (مِحال) لتعني القوة الشديدة، وهي لفظة قرآنية ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، فلما صدرت الرواية أرسل لي الوكيل الأدبي من لندن يسألني: كيف يتعامل المترجمون مع العنوان، فقلت «هذه مشكلتهم، أنا مشكلتي في لغتي، وأعمل داخل إطارها».

من متابعتك للرواية الغربية.. أمازالت هناك فجوة كبيرة بينها وبين الرواية العربية؟

- الآداب بنكهات ومذاقات مختلفة حتى داخل اللغة الواحدة، فالأدب الإسباني مثلًا منذ دون كيشوت حتى موجد الواقعية السحرية كأنه يمثل عالمين مستقلين تمامًا، وهناك مذاق مختلف لكل روائي على حدة. الشيء نفسه في الأدب العربي، ما كان يكتب في النصف الأول من القرن العشرين من نصوص أدبية يختلف تمامًا عما قدّمه روائيون كبار من أمثال نجيب محفوظ، أو قصاصون من أمثال يوسف إدريس.

وأرى من زاويتي أن الرواية العربية لها تاريخ ضارب في القدم، ولدينا في التراث العربي نصوص روائية منها «حي بن يقظان» التي كُتبت أربع مرات على أيدي «ابن طفيل، وابن سينا، والسهروردي، وابن النفيس»، وكلها تنويعات روائية على لحن أدبي واحد، أيضًا ابن سينا كتب «رسالة العشق» وهي عمل قصصي، والسهروردي كتب «الغربة الغربية»، وعندنا «المقامات» وهي شكل من أشكال التأليف الروائي في الأدب العربي.. ومن ثم غير صحيح أن الرواية العربية بدأت منذ رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل، إنها أقدم من ذلك كثيرًا.

● وبماذا تعلق على التصنيف الذي بات شائعًا للأدب بين أدب نسوي وآخر ذكوري؟

لا أوافق عليه، فليكتب الرجل عن المرأة، ولتكتب المرأة عن الرجل، وفي النهاية الحكم هو «النص» وليس نوع من كتبه. ونجد كثيرًا من الكاتبات «يزعقن» في نصوصهن ظنًّا منهن أنهن بذلك يعبّرن عن المرأة، وهذا غير صحيح.

● تشير رواية «ظل الأفعى» بأن لديك تصورًا مميزًا عن المرأة، فما صورتها في أعمالك؟

صورة المرأة هي صورة الإنسان، وهي نصف الجوهر الإنساني، والنصفان متداخلان، ولو دققنا النظر بشيء من التأمل سنجد أن بداخل كل امرأة رجلًا، وبداخل كل رجل امرأة، فهناك تداخل بين النوعين على المستوى الفسيولوجي (الجسماني) والنفسي أيضًا، ونسبة التشابه بينهما أكبر كثيرًا من الاختلاف، فالجوهر الإنساني واحد.

صورتنا عن القارئ كانت مشوهة واتهامه بعدم القراءة غير صحيح

حدود الحرية

● كيف ترى الحدود الفاصلة بين الالتزام الاجتماعي للأديب والحرية الإبداعية؟

التزام الأديب يجب أن يكون تجاه لغته، وضميره، وقارئه.. فالأدب هو التقاء بحرين، بحر الإبداع ببحر التلقي (القراءة)، والحرية الإبداعية ليست مطلقة بالطبع؛ لأنه لا وجود للمطلقات إلا في أذهاننا.

هل تتابع ما يوجّه إلى كتاباتك من نقد؟

- بالطبع، لكني أهتم أكثر بآراء القراء؛ لأنهم المرآة الحقيقية بعيدًا عن الكلام المحفوظ والمناهج التقليدية، والأساليب المعروفة للنقاد، وأولي آراء القراء ومناقشاتهم اهتمامًا كبيرًا، وعندي يقين بأنه لولا ذلك لما استطاع الكاتب أن يواصل الكتابة.

● وماذا تستخلص من متابعاتك لآراء القراء؟

- هم مرآتي، رأيت نصي وذاتي منعكسة عليهم؛ وكنت أتصور أن ما أكتبه هو نصوص أدبية لا تصلح إلا لصفوة الصفوة، وحتى الدراسات مثل كتاب «اللاهوت العربي» ظننته ليس للقارئ الكسول، ثم فوجئت بأن جمهور القراء العريض يبدأ من سن مبكرة، ربما من العشرين ودون ذلك، وهم مهتمون ومتابعون، إذن تقديراتنا والصورة التي كانت في أذهاننا نحو القارئ العربي كانت صورة مشوهة، والاتهامات التي كانت تطلق على العرب بأنهم لا يقرأون، وأن الكتب لا تغني عن صاحبها شيئًا، ولا تحقق أي حضور.. كلها كانت حججًا لكتاب لا يستطيعون الكتابة أصلًا فيتهمون القارئ بأنه لا يتواصل معهم.

التأثر الإبداعي

● رغم مرور السنوات تظل رواية «عزازيل» مثار جدل لا ينتهي.. بماذا تعلق على رأي البعض بأنك تأثرت برواية إنجليزية (هايبشيا) لتشارلز كنجزلي؟

- هذا كلام شديد السذاجة، ولا يستحق حتى الرد عليه؛ لأن من قاله لم يقرأ «عزازيل»، ولم يقرأ رواية القس الإنجليزي التي ليست برواية أصلًا، فهو يحكي عن راهب ترك الدير وذهب إلى الإسكندرية.. فقط. هل هذا يعني أن هناك تشابهًا أو تأثرًا؟! كلتا الروايتين موجودتان، ولا أظن أن هناك عاقلًا سينظر في هذه وتلك ويقول إن هناك صلة بينهما.

● يوسف زيدان من الكتاب الحاضرين في الإعلام بشكل قوي.. كيف يؤثر كل من الإعلام والأدب في بعضهما من وجهة نظرك؟

حضوري في الإعلام يمثل شكلًا من أشكال التفاعل مع القارئ، ومقالي الأسبوعي هو نافذة معرفية: فبالإضافة إلى الدور الأدبي الذي أقوم به من خلال الكتابة الأدبية هناك دور معرفي أشعر بالمسؤولية تجاهه، ولا أحب التقصير فيه؛ فهو حق للقارئ عليّ، فوجه التماس بين الإعلام والأدب هو أن الأديب عليه مسؤولية تجاه القارئ من خلال الإعلام، ولكن بشرط ألا يسرف في هذه المسألة فيفرغ من المضمون من أجل الظهور الدائم.

في غمار ما نحياه من واقع اختلطت فيه الأمور وتعددت الفتن وأصبحت كقطع الليل المظلم، وفي ظل غياب وتغييب لأدوات التربية ومؤسساتها، وانتشار الأفكار والرؤى الحاملة للفيروسات الدخيلة علينا وعلى ثقافتنا، نجد القنوات والأفلام لم تخل من الجدال والنقاش رفضا وعدم قبول ومحاولة لإثبات الذات على حساب الآخر، وكأننا خلقنا كي نحيا في قالب واحد.

ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك

أحمد الشلقامي

هكذا قدر الله للبشر أن يكونوا مختلفين.. نعم فالاختلاف سنة كونية وهذه حقيقة قد تغيب عن الكثيرين، رغم وضوحها وتأكيد ربنا عز وجل عليها في مواضع قرآنية عديدة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وكما يقول المفسرون: «فللاختلاف خلقهم»! ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

لماذا التعصب؟

من طبيعة البشر الميل لذاته وحبه لنصرة نفسه وهو هوى في نفوسنا إن لم نضبطه سيتحول إلى كارثة تسمى «التعصب»، فهو خطر إن أصبح توجهًا في الفكر والسلوك والحياة عامة لأنه يقف في وجه التفاهم ويمنع الحوار والتسامح والتعايش، فرفض فكرة الاختلاف وقابلية أن نختلف يدفع للتعصب على المستويين المعرفي والسوسيولوجي، حيث يتجه العقل إلى المطلق الفكري والديني والاجتماعي وغيره، ونحو إقصاء الآخر ورفض فطرة التباين وسنة التغيير والنقد.

التعصب جمود

إن المتتبع لسيرة ومسيرة حضارتنا الإسلامية يجد أن ازدهارها لم يتوقف ونموها لم يندثر إلا عندما تجمدت العقول وتعصبت للأفكار والآراء دون بحث عن تطوير وتكيف مقبول مع الواقع المتغير، تكيف يحفظ للناس دينهم بقدرته على مواكبة النقلات الرهيبة في حياتهم بصوره ومجالاته وتكويناته الجديدة.

ولعل من المفارقات التي تؤكد على قولنا أن الحضارة الغربية ذاتها انهارت عندما خضعت لتعصب رجال الدين لآرائهم دون احترام للتطور، وما فعلته الكنيسة بجاليليو وعلماء التنوير شاهد على ذلك.

الاختلاف والبناء الحضاري

الحضارة لم تكن يومًا حكرًا على أحد فهي مسار دفع فيه أغلب البشر وساهموا في تشييده، والقول بغير ذلك تعصب وعدم إنصاف، والاختلاف باب من أبواب التطور والتجديد، فصلاحية الفعل الحضاري تختل عند الركون إلى التعصب بسائر درجاته وأنماطه ومجالاته، ولا يمكن لها أن تؤدي خلق بعث حضاري في حالة سيطرة فكرة أو منهج أو منظور على الفعل دون احترام الاختلاف بين البشر، وليس أدل على ذلك من حالة الكون الحالية في ظل التحيز المادي الغربي غير الأخلاقي لحضارته وأفكاره مع إنكاره لباقي مكونات العالم، فالتأسي والتدافع هو ضمان للعمران ومحط قيام الحضارات السليمة الفطرة كالتي قام عليها الإسلام كرسالة.

الإسلام رسالة

إن ما يميز الإسلام كتشريع حضاري أنه استوعب هذه السنة في طرحه وقيامه، فهو أسس لرؤية الكون المحكوم بإله واحد دون فرض الانتماء للإسلام على الناس ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦)، كما أنه جعل المسلمين إخوة في الإيمان وجعل الناس إخوة في الإنسانية «أيها الناس» ومن هديه ﷺ ما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: مرت بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ وقمنا به فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال إذا رأيتم الجنازة فقوموا»، وفي البخاري أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام ، فقيل له: إنها جنازة يهودي! فقال: «أليس نفسًا».

فالإسلام جاء رسالة لا انتقائية فيها، لا يرتبط بزمان أو مكان صالح لكي يحيا بين البشر على اختلافهم ويستوعب وجود غير المسلم في دولته وتحت تشريعه دون ظلم له أو افتئات مع ضمان الاحترام الكامل للاختلاف بين المسلم وغيره.

توصية

- من أروع ما كتب في هذا الشأن: «ولا يزالون مختلفين» المؤلف: د.سلمان بن فهد العودة، التقديم: د.عبدالوهاب بن ناصر الطريري- الناشر: مؤسسة الإسلام اليوم: ٢٠٠٨م

كاتب مصري

الإعلام الفضائي في مرمى الانفلات!

إنجي الطوخي

في إطار المنافسة المحتدمة بين أكثر من ٦٠٠ فضائية عربية مجانية تبثها أقمار «عرب، نايل، نور» سات؛ لجذب المشاهد والاستحواذ على حواسه، تقع كثير من هذه الفضائيات في أخطاء مهنية فادحة أهمها التغاضي عن المصداقية والتثبت من المعلومات لصالح أسبقية البث، ما أفضى إلى سقوط كثير من هذه الفضائيات في مرمى الانفلات الإعلامي.. واتفق عدد من الإعلاميين على أن تفضيل السبق وغلبة الإثارة على الحقيقة، وعدم التمييز بين الآراء والحقائق من أهم العوامل التي أسهمت في انتشار هذا الانفلات الذي خلق حالة من الجدل العقيم. «الوعي الإسلامي» سألت المعنيين بهذه الظاهرة وجاءتكم بالتفاصيل.

«الإعلام العربي عامة والفضائي على وجه الخصوص يعاني حالة انفلات غير مسبوقة».. بهذه الكلمات بدأ د. سامي الشريف، الرئيس السابق لاتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري والأستاذ بكلية الإعلام بجامعة القاهرة، مشيرًا إلى تعدد أسباب هذا الانفلات قائلًا: السبب الرئيس هو تحكم رأس المال في إنشاء العديد من القنوات الفضائية دون ضوابط، إضافة إلى إطلاق منابر إعلامية خاصة تخدم مصالح أصحاب رؤوس الأموال بعيدًا عن المهنية والشفافية. وفي ظل غياب القوانين التي تحكم الإعلام العربي- خصوصًا المصري- حدثت البلبلة في الشارع الذي شهد انقسامًا حادًا في الرأي حول أسلوب التعامل مع ما يحدث في الوطن.

ميثاق الشرف

وأشار إلى أن ضبط إيقاع الأداء الإعلامي ليس صعبًا، مؤكدًا أن العالم المتحضر سبقنا في معالجة الانفلات من خلال منظمات المجتمع المدني، ومن خلال التزام الإعلاميين بأداء دورهم بشكل مهني يخدم مصالح الجمهور أكثر مما يخدم مصالح الجهات التي يعملون لصالحها؛ لذلك ينبغي خضوع الوسائل الإعلامية لمواثيق شرف تحرص على ما يخدم صالح الجمهور والدولة دون أن تمس مناخ الحرية.

سامي الشريف: رؤوس الأموال أبعدت الإعلام عن المهنية والشفافية

وطالب الشريف أن تكون هناك مواثيق شرف أكثر تفصيلاً من الصياغات الإنشائية العامة، وأن يكون من يقوم بوضعها إعلاميون يتميزون بالخبرة والنزاهة والموضوعية، ولا يكون هناك أي تدخل من جانب الحكومات حتى يتم التطبيق وضمان الاستقلالية، وتلك المواثيق يتم الاحتكام إليها في حالة خروج أحد المنابر الإعلامية عن الالتزام بالمسؤولية المهنية.

مجلس وطني

بدورها، أكدت الإعلامية سميحة دحروج، رئيسة قناة النيل للأخبار، أن الإعلام المصري يعتبر أبرز مثال على حالة الانفلات الإعلامي التي انتشرت في الشهور الأخيرة وسادت أيضًا الفضاء العربي، مشيرة إلى أن الإعلام المصري تجسد فيه الانفلات الإعلامي ليس فقط في المجال السياسي بل في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والرياضية والإخبارية، فيكفي ما فعله التأجيج الذي مارسه الإعلام الرياضي قبل مباراة الناديين الأهلي والمصري في مدينة بورسعيد، والذي انتهى بكارثة دامية راح ضحيتها أكثر من ٧٠ شابًا مصريًا، كل ذلك بسبب بعض الإعلاميين الرياضيين الذين نفثوا سمومهم في عقول



الشباب المتحمسين، وأججوا عواطفهم، وبعد وقوع الكارثة نصبوا أنفسهم قضاة وبدأوا في إلقاء الاتهامات على الجميع؛ لدرجة أنهم صنعوا حالة من الغضب الشعبي تجاه محافظة كاملة وهي بورسعيد.

وتضيف: هؤلاء الإعلاميون رفعوا درجات الغضب الكروي بدرجات غير مسبوقة دون وعي منهم أن السبب الحقيقي هو وجود عناصر مشاغبة بين المشاهدين، مؤكدة أن الإعلام لم يكن منصفًا خلال تلك الحادثة، حيث استمر عدد كبير من الإعلاميين في اتهام الشعب البورسعيدي بأنه المتسبب في تلك الحادثة، حتى انفجرت جماهير المدينة في النهاية وخرجوا في مظاهرات عنيفة نتيجة العزل الشعبي الذي كان السبب الرئيسي فيه هو الإعلاميين الذي حادوا بتغطيتهم عن الحقيقة ووقعوا في فخ التأجيج والانفلات.

وطالبت بأن يكون هناك مجلس وطني للإعلام في كل دولة عربية وبإشراف جامعة الدول العربية يطلق ميثاق شرف لا يقيد حرية التعبير، إنما يكون إحدى الأدوات المساهمة في تنظيمه وتصحيح مساره.. موضحة أن من ضمن الحلول المطروحة وجود جهة محايدة تحكم أداء وسائل الإعلام بعيدًا عن البرلمان والحكومة، مشيرة إلى الضرورة القصوى لوجود ميثاق شرف مفعَّل يتم الاحتكام إليه في حال خروج أحد الإعلاميين عن قواعد ومعايير الأداء المهني والمتمثل في الموضوعية وعدم التحيز.

انفلات فضائي

أما الإعلامي أمين بسيوني، فشرح مصطلح الانفلات قائلًا: قبل أن نتحدث عن ظهور الانفلات الإعلامي في العالم العربي كظاهرة يجب أن نعود إلى الوراء، إلى الوضع السائد قبل ظهور الإعلام الخاص، حيث كان الإعلام الأرضي الحكومي هو الأوحد والمسيطر على المشهد، فكانت كل دولة تمتلك مجموعة من القنوات التلفزيونية والإذاعية يقتصر بثها على حدود الدولة ذاتها؛ أي إن تلفزيون المملكة يقتصر بثه على المملكة، وتلفزيون مصر يقتصر تغطيته على حدود مصر، وهكذا في تونس كان موجّهًا للشعب التونسي ولبنان والكويت وبقية الدول العربية، وكانت عملية الإرسال مقيدة بأوامر الحكومات، ولم يكن هناك مجال للانفلات الإعلامي في ظل هيمنة جهة واحدة على البث، لكن وبعد ركوب الإعلام للفضاء أصبح الإرسال لكافة القنوات الفضائية سواء كانت خاصة أو حكومية للعالم العربي كله، وأصبح العرب قادرين على رؤية بعضهم البعض في نفس التوقيت، وبلا حدود أو موانع أو رقابة.

ويشير بسيوني إلى أن كل الأسباب السابقة كانت السبب الرئيسي في انتشار القنوات الخاصة التي تخطت مستويات الرقابة في القنوات الحكومية، ومن هنا بدأ مصطلح الانفلات الإعلامي في التبلور؛ لأن الإعلام الخاص هو إعلام استثماري في



المقام الأول يريد تحقيق الربح والمكسب العالي من خلال الإعلانات التي تأتي للقناة التي لديها جمهور كبير، بعيدًا عن المصداقية أو المعايير التي يدرسها الإعلاميون في كلياتهم، فلجأت غالبية القنوات الخاصة إلى الإثارة في المحتوى المقدم وخاصة المجال السياسي، وافتقاد حديث البعض في هذه القنوات للمسؤولية، إضافة إلى طرح أفكار حادة ساهمت بشكل غير مباشر في نشر الفتنة السياسية.

ويؤكد أن التهافت الكبير بين القنوات الخاصة على جذب الإعلان هو السبب الأكبر في ظهور مصطلح الانفلات الإعلامي، حيث صار الاعتراض على الخطاب الإعلامي الذي تعرضه تلك القنوات من حيث الشكل أو المضمون دون تأثير أو فائدة.

واعتبر بسيوني أن أفضل الحلول في الوقت الحالي لتلك الظاهرة هو الرجوع مجددًا إلى مبادئ تنظيم البث الفضائي قائلًا: كان يدرس في جامعة الدول العربية منذ ٥ سنوات مبادئ تنظيم البث الفضائي والتي اتفق عليها مجلس وزراء الإعلام العربي، وتلك المبادئ سارية على كل المنطقة العربية بلا استثناء.

وحول عدم تفعيل تلك المبادئ يقول: بعض الإعلاميين لديهم حساسيات من أي شيء يكون صادرًا عن الحكومات والذي يتم وصفه سريعًا بأنه نوع من الوصاية والرغبة في السيطرة من قبل الحكومات على الإعلام، وهو نفس ما حدث مع مبادئ تنظيم البث الفضائي التي اعتبرها البعض نوعًا من فرض الحماية وتكميم الأفواه، فتمت مهاجمتها بشكل منعها من الظهور أو التفعيل.

الإسلام والحرية السياسية

د. الشبراوي الجهوري

من أشهر القضايا المثارة على الساحة الآن قضية الإصلاح السياسي، هذه القضية التي يلح عليها الإعلام العربي ويتبناها الساسة الغربيون ويحاولون بشتى الوسائل تصديرها إلينا أو قل فرضها على العالم الإسلامي لحاجة في النفس قد يكون الغرض منها إثارة الشعب على الحكام للضغط عليهم. وقد يكون الغرض منها تمزيق الكيان الاجتماعي للدول الإسلامية وخلق كيانات موالية لها داخل هذه الدول تحت شعار الإصلاح السياسي أو الحرية السياسية.

نحن بالنظر في التشريع الإسلامي نجد أنه وضع الضوابط السليمة للحرية السياسية ونظم العلاقة بين الحكام والمحكومين فكفل للفرد حرية التعبير عن رأيه وأتاح للشعب فرصة توجيه النقد للحكام وتقبل الحكام لهذا النقد ومناقشة الأمور بصدر رحب، حيث إن في إبداء الرأي من الشعب وتقبله من الحكام تتحقق الفوائد التالية:

١- تدعيم الثقة المتبادلة بين الراعي والرعية (الحكام والمحكومين) وفي هذا تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨).

٢- تنبيه الحكام إلى مواطن الخلل وفي هذا صيانة للأمة من الزلل حيث ينهض الحاكم إلى اصلاح اي خلل يصيب الكيان الاجتماعي ويضر بمصالح الدولة وفي هذا محافظة على قوة الدولة وسلامتها، ولكي يتحقق ذلك كفل الإسلام للفرد حرية إبداء الرأي والمشاركة السياسية وذلك عن طريق ترسيخ المبادئ التالية:

أولاً: إقرار مبدأ الشورى: فقد جعل الإسلام أمر المسلمين شورى فيما بينهم حتى في اختيار الحاكم - كما تم في اختيار أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وغيرهما من الخلفاء الراشدين - وتفعيل هذا المبدأ يجعل أفراد الأمة شركاء في الحكم يتحملون نتيجة اختيارهم فيستمتعون بحسن اختيارهم إن هم أحسنوا ويذوقون مرارته وسوءته إن كان هناك سوء اختيار، وعليهم حينئذ أن يعالجوا جماعتهم بالتناصح والتشاور وتبادل الرأي والعمل لصالح الجماعة، فالنصيحة مكفولة لكل فئات الأمة كما هو واضح في قول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»، قيل لمن يا رسول الله قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١).

ثانياً: إقرار مبدأ التسوية بين

الخلق جميعاً. فليس لأحد منهم الانفراد بالحكم والرأي لميزة اختصه الله بها أو قدسية انفرد بها، وبناء عليه فليس في الإسلام ذات بعيدة عن النقد حتى وإن كان الخليفة، بل الجميع أمام الشرع سواء الكل يصيب ويخطئ، ومادام الكل يصيب ويخطئ فالكل محتاج إلى النصيحة والمشورة، وفي هذا إشارة إلى تلاحم نسيج الأمة (الحكام والمحكومين) لتدارك الأخطاء وتصويب الآراء لأن «كل ابن آدم خطاء»(٢) كما قال رسول الله ﷺ، ومن هنا لابد من المشاركة وتوجيه مسيرة الحكام لما فيه خير الأمة وذلك عن طريق عرض الآراء من الرعية وتقبلها من الراعي للأخذ بأحسنها وتصويب ما ابتعد عن الصواب.

ثالثاً: تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- فعن طريق هذا المبدأ أتاح الإسلام للناس أن يعلنوا عن آرائهم في أعمال الحكام من غير فتنة ولا تحريض على فساد اهتداء بقول الله عز وجل ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

أكاديمي مصري



وحتى تبلغ الأمة درجة الخيرية لابد من تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتحقق فيها قول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ولا ينبغي أن تكون هناك أدنى غضاضة لدى الحكام إذا ما وجهت إليهم النصيحة والنقد، فقد كان بعض الناس يعترضون على بعض ما يقوم به رسول الله ﷺ من أعمال، ومع ما انطوت عليه بعض النفوس من مرض النفاق كان رسول الله ﷺ لا يلومهم على قولهم حتى لا يتخذه بعض الأمراء من بعده مسوغا لمنع الناس من إبداء آرائهم (٣)، فقد كان ﷺ يتقبل ذلك مع مرارته ويأخذهم بالرفق خشية أن يفتح الباب لمن يجيء بعده فيعمل على مصادرة الآراء وكبت الأفكار، ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فأشار إلى ما كان يقوله المنافقون لرسول الله ﷺ فقال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة: ٥٨) ولقد كان الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ يفسحون المجال لإبداء الرأي وتبني ما فيه مصلحة الأمة بل ويدعون الناس إلى نقدهم وتوجيه مسيرتهم إن هم حادوا عن الصواب، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه يقول مخاطبا الرعية «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم» ومازال التاريخ يردد قوله رضي الله عنه عندما تولى الخلافة حيث صعد المنبر وخاطب الناس قائلا «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فسددوني»، لقد وضع أبوبكر رضي الله عنه بهذه الكلمات مبدأ سياسيًّا ينظم العلاقة بكل وضوح بين الراعي والرعية، فإذا أحسن الراعي فعلى الرعية السمع والطاعة وإن زاغ وأخطأ فمن واجب الرعية أن يوجهوا له النقد وأن يقوموا اعوجاجه وأن يصححوا أخطاءه حرصًا على مصلحة الأمة.

الإسلام كان له السبق في إقرار الرأي والمشاركة السياسية لجميع أفراد الشعب

ولقد سار عمر بن الخطاب على نفس النهج الذي سار عليه أبوبكر الصديق.. فعمر هو القائل مخاطبا أفراد الرعية «من رأى منكم في اعوجاجًا فليقومه» فرد عليه أحد الحاضرين قائلا: والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا، فوافقه عمر رضي الله عنه وأيده وسار الإمامان العادلان الشهيدان عثمان وعلي على نفس النهج، فما استخدما سطوة السلطان ولا غلبة السلطة في إسكات الناس أو مصادرة آرائهم.

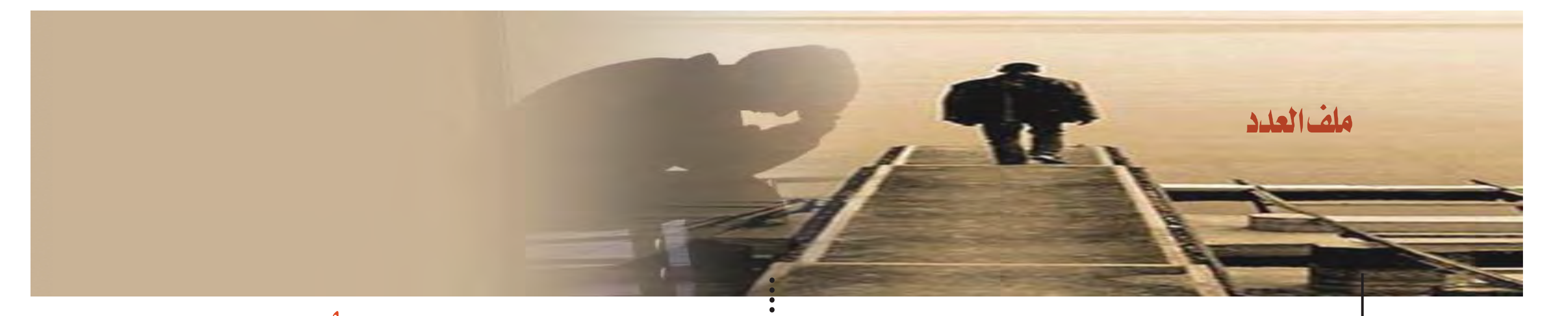
وهكذا ندرك عظمة الإسلام في تشريعاته وسبقه الدنيا كلها في ضمان حرية إبداء الرأي والمشاركة السياسية لجميع الأفراد، وإذا كان الغرب يتشدق بالحرية السياسية ويحاول أن يتظاهر بسبقه وتقدمه في هذا المجال فعلينا أن نبين للناس جميعا أسبقية الإسلام في إقراره حرية إبداء الرأي والمشاركة السياسية وأن نوضح لدعاة الحرية السياسية أنهم لم يصلوا بعد إلى عظمة الإسلام في إتاحته الحرية السياسية لجميع أفراد الشعب، وإذا كانت الصحافة الغربية تحمل بعض النقد للحكام فإن الحكام المسلمين أنفسهم قبل أن تظهر الصحافة وقبل أن يعرف الغربيون النقد السياسي قد دعوا أفراد المجتمع إلى نقدهم وتقديم النصيحة لهم وفتح صدورهم لجميع الآراء والأخذ بما فيه خير البلاد والعباد ملتمسين في رسول الله ﷺ القدوة والأسوة الحسنة فقد كان ﷺ يشاور أصحابه في الأمور كلها إلا ما نزل به الوحي فلا مشورة فيه، وقد صدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

الهوامش

١- رواه مسلم في صحيحه من طريق أبي رقية تميم بن أوس الداري.

٢- من حديث لرسول الله ﷺ «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» الحديث رواه أحمد والترمذي عن أنس بن مالك – انظر فيض القدير للمناوي (١٦/٥).

٣- انظر كتاب المجتمع الإنساني في ظل الإسلام للشيخ محمد أبوزهرة ص١١٢ طبعة مجلة الأزهر- المحرم ١٤٢٦ هجرية.



الانتحار.. أعراضُه ومسبباتُه وسبل الحد منه

د. آندي حجازي

الانتحار هو قرار يأخذه الشخص من أجل إنهاء حياته بقتل نفسه بإرادته واختياره لأسباب يعتقدها بأنّ مماته أصبح أفضل من حياته. وفي التعريف السيكولوجي: هو شكل متطرف من سلوك إيذاء الذات الذي يحدث لدى الأفراد المكتئبين بدرجة كبيرة. وفي تعريف آخر: هو نوع من العقاب الذاتي، والانتقام من الذات، وإلحاق الأذى بالنفس من خلال التخلّص منها. والاكتئاب الشديد قد يؤدي إلى تطور فكرة الانتحار لدى الشخص، والتي غالبا ما تترجم إلى ممارسة عملية. والانتحار ظاهرة قديمة قدم البشرية نفسها، عرفتها شعوب شتّى دخلت في طقوسها ومعتقداتها الدينية والفلسفية؛ فالإغريق مثلًا، عَرَفوا مفهوم الانتحار، ونظروا إليه نظرة فلسفية، وانقسموا حوله بين مؤيد ومعارض. واعتبر أرسطو الانتحار عملًا موجهًا ضدّ قوانين المجتمع والدولة والأعراف الإنسانية المتداولة، ودعا إلى معاقبة كل من يقدم عليه. وممّا لا شك فيه أن الأديان السماوية جميعها كانت ضد ظاهرة الانتحار البشري، وخصوصًا الإسلام الذي حرّم قتل النفس. قال تعالى: ﴿ولا تَقْتلوا أَنْفُسَكم إنّ اللهَ كانَ بِكُمْ رحيمًا. ومنْ يَفْعلْ ذلكَ عُدوانًا وظُلمًا فسوفَ نُصْليه نارًا وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسيرًا﴾ (النساء:٢٩-٣٠). وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الذي يخنق نفسَه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار» (رواه البخاري) وعن جابر بن سمرة أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ أصابته جراح فآلمت به، فدبّ إلى قرن له في سيف فقتل نفسه؛ فلم يصلّ عليه النبي ﷺ. (رواه الطبراني).

أستاذة جامعية أردنية

الانتحار وصناعة الأمل

أن تفقد حياتك ودنياك المحدودة فهذا أمر قد تحتمله وتتحمل ألمه العابر بقدر سرعة وسيلة التخلص، لكن هل تتحمل عقابًا سماويًا في عالم الخلود؟ إن من يقرر التخلص من الحياة التي تنبض في جسده يقرر التخلص من شيء لا يملكه أصلا، ويفرط في أمانة أودعها الله لديه حتى ميعاد محتوم، والمجتمع الذي لا يتحرك لبيان ذلك وبنيان جدار صد أمام الأفكار الخاطئة والمشاعر الخادعة المبالغ فيها وحتى الأمراض التي تتطلب مد الجسم بمواد كيميائية يحتاجها المخ لضبط وظائفه، هذا المجتمع يفرط في أبنائه ويفقد وظيفته فينهار شيئًا فشيئًا.

ملف «الوعي الإسلامي» يعرض فضلا عن الاحصاءات الحديثة التي تكشف زيادة متصاعدة في عدد المنتحرين عربيا وعالميًا، أحد عشر عاملا تؤدي إلى قيام الشخص بالانتحار أو التفكير فيه كما يقترح ستة تدابير لازمة للتقليل من حالات الانتحار، كما يلفت الملف النظر إلى خمس أفكار سائدة يجب تصحيحها لأنها تسهم في تسرب اليأس إلى نفوس الشباب، وهنا يطالب أحد الأكاديميين الأفاضل بضرورة إقرار وتفعيل ميثاق شرف إعلامي إسلامي، يضمن عدم تطرق المواد الإعلامية التي تدس السم في العسل- كما في بعض المسلسلات التلفزيونية- إلى أي تشجيع على الانتحار أو ما شابه من الظواهر السلبية.

إن الأمر في النهاية كما تقول- إحدى الكاتبات المسلمات- يتوقف على عمق الإيمان بالله والرضا بعطائه والتيقن من أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن علمنا البشري دائما محدود وربنا يدبر لنا أمرنا لأننا لا نحسن التدبير ولذلك علينا في كل أمر نعتزمه اللجوء للاستشارة والاستخارة. وإذا لم نحصل على ما نتمنى فإن حصننا الأخير هو «قدر الله وما شاء فعل».

علاء الدين عبدالفتاح





في ظل الواقع وما يعيشه العالم اليوم من أحداث وتغيّرات وأزمات اقتصادية واجتماعية وسياسيةً ومجتمعية، لابد من الإشارة إلى خطورة هذه الظاهرة التي بدأنا نسمع عنها كثيرًا في مجتمعاتنا العربية بانتقال العدوى من المجتمعات الغربيّة، حيث تشير إحصائيات عام ٢٠١٠ لمنظمة الصحة العالمية أن نحو مليون شخص في العالم ينتحرون سنويًا، أى بما يعادل حالة انتحار واحدة كل٤٠ دقيقة! ما يرفع معدلات الانتحار بنسبة ٦٠٪ في جميع أنحاء العالم عن الخمسين سنة الماضية، وأن لكل حالة انتحار٢٠ محاولة انتحار فاشلة تسبقها! وبيّنت منظمة الصحة العالمية أن الانتحار هو من بين الأسباب الثلاثة الرئيسيّة للوفاة لدى الفئة العمرية ١٥-٤٤عامًا، والسبب الثاني للوفاة لدى الفئة العمرية١٠- ٢٤عامًا، وعلى الرغم من أن معدلات الانتحار كانت أعلى بين كبار السن من الذكور ممّن هم فوق ٦٥ عاما، إلّا أنّ نسبة الانتحار في فئة الشباب والمراهقة في تزايد مستمر، وتحتل كوريا الجنوبية أعلى نسبة انتحار في العالم، بمعدل١٣ ألف كوري خلال العام بحد أدنى٣٣ حالة في اليوم، وتحتل اليابان المركز الثالث في العالم!

وفي الوطن العربي وفق ما نشرته «مؤسسة الفكر العربي للدراسات والبحوث» عام ٢٠١٠ فقد تزايدت نسبة المنتحرين حيث وصلت إلى ٤ أشخاص لكل ١٠٠ ألف بعد أن كانت ٢ لكل١٠٠ ألف قبل سنوات، ففي تونس مثلًا، تشير الإحصاءات ذاتها إلى أنّ عدد حالات الانتحار كبير، ووصل (١٣٥٤) حالة في العام٢٠١٠ مقارنة بـ(٩٠٥) حالات في العام ٢٠٠٨، وفي الأردن سُجّلت (٥٦) حالة انتحاريّة ناجحة بين العامين ٢٠٠٩-٢٠١٠، و(٣١٤) محاولة انتحاريّة فاشلة، أمّا في اليمن فقد وصلت حالات الانتحار نسبة هائلة (٣٦٥١) حالة ناجحة في الأعوام الثلاثة الأخيرة. وعلى مستوى دول مجلس التعاون الخليجيّ، شهدت دولة الكويت في الأعوام الأربعة الأخيرة رقما مرتفعًا حوالي (٦١٤) حادثة انتحار، بينما شهدت دولة الإمارات(٢٤) حالة، وسلطنة عُمان (٢٣) حالة، والبحرين (٤٥) حالة، وقطر(٨) حالات. وفي مصر أعلن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أرقامًا مقلقة، حيث إن هناك (١٠٤) آلاف محاولة انتحار في مصر خلال عام ٢٠٠٩، وأغلبهم من الشباب في المرحلة العمرية من ١٥ - ٢٥ وتمكّنَ منهم ما يقارب (٥٠٠٠) حالة من الانتحار، لدواعي ضيق فرص العمل أمامهم، وصعوبة التخلّص من الديون، وارتفاع نفقات الزواج.. والأغرب في المغرب حيث ذكرت معلومات إحصائية أكاديمية أن أكثر من مليونين و٩٠٠ ألف مغربيّ لا يُخفُون رغبتَهم في وضع حدّ لحياتهم، نتيجة للفقر والبطالة وانسداد آفاق العمل المُجدي!

وتشير الدراسات إلى أنّ المراهقين هم الأكثر إقدامًا في فئة الطفولة (أقل من ١٨عامًا) على الانتحار ويعزون ذلك إلى التفكك الأسريّ، والفشل فى الدراسة، والاكتئاب، والانفصام العقلي. وتبيّن التقارير أن الانتحار يمثل ثلث المسببات المؤدية إلى وفاة المراهقين، بينما يندر الانتحار في السنوات الثمانية الأولى من الطفولة، ويتزايد بشكل كبير في مرحلتي المراهقة والرشد.

ومن المرجّح ان يُقْدم الذكور على انجاز الانتحار على نحو أعلى من الإناث، مع أن الإناث يحاولن الانتحار بشكل يوازي ضعفي محاولات الذكور، فكلاهما يحاول ولكنّ عدد المحاولات الناجحة في الانتحار لدى الذكور أكبر، بينما عدد المحاولات الفاشلة لدى الإناث أكبر. وقد يُعزى ذلك إلى أن الذكور يستخدمون أساليب أكثر شدة كالقتل بالأسلحة أو السقوط من أماكن مرتفعة، بينما تستخدم الإناث طرقًا أقل قسوة كتناول الدواء أو السموم، فيتم إنقاذهنّ في مرات كثيرة. وقد يعود ذلك إلى الطبيعة الاندفاعية عند الذكور أكثر مما لدى الإناث، بالإضافة إلى قدرة الإناث على طلب العون والدعم النفسي من الآخرين، والحصول عليه بسهولة أكثر من الذكور الذين يجدون صعوبةً في التعبير عن أنفسهم وطلب المساعدة من الاختصاصيين أو المقربين، ومثلاً، أظهرت إحصائية عام ١٩٩٥حول الانتحار في استراليا أن (١٨٧٢) رجلا قاموا بالانتحار في مقابل (٤٩٥) امرأة انتحرن، وأنّ الانتحار في استراليا يعتبر السبب الأول للموت بالنسبة للرجال، والسبب الثالث للنساء.

أعراض الانتحار

إن أهمّ ما يُظهره الشخص الذي يفكر في الإقدام على الانتحار هو الاكتئاب والذي يعني (الشعور بالحزن



الشديد والتعاسة، والإحباط، والعجز وعدم القيمة، واليأس من الحياة ومن تغيّر الواقع).

ومع أن لكل حالة انتحار خصوصيتها، إلا انه يوجد عدد من إشارات التنبيه والأعراض التي يُظهرها المُقْدِمون على الانتحار ومنها: التغيرات المفاجئة في السلوك، التغير في نمط النوم أو نمط الطعام، والإهمال في الدراسة أو العمل، إهمال الشخص لعلاقاته الاجتماعية ولمظهره الخارجي، التحدث عن الانتحار والموت بصورة غريبة، فقد الاهتمام بالأنشطة المعتادة والانسحاب منها، فقد المتعة في الأمور المحببة له، التحدث عن فقد الأمل والشعور بالذنب أو اليأس، نقد الذات، القلق النفسيّ، الخمول، السوداوية، الانعزال والانطواء، الحقد على المجتمع، الشكوى من الصداع، قلة التركيز، التخلّص من المقتنيات الشخصيّة الثمينة (مؤشر مهم)، أحيانًا تعاطي المخدرات والمسكرات، بالإضافة إلى محاولة فاشلة أو أكثر في تجربة الانتحار. إن وجود أيٍّ من هذه المؤشرات يستحق الاهتمام منْ قبل الآخرين كالوالدين أو المقربين، وإن وجود عدد منها يعتبر مؤشرًا واضحًا على أن الشخص في خطر وعلينا إدراكه.

إن بعض الأطفال عدوانيّون نحو ذاتهم ويتعمّدون إيذاء أنفسهم، ويُهدّدون بذلك أو يقومون به فعلا، ومن السلوكات التي يظهرها هؤلاء: الامتناع عن أخذ دواء ضروري كالأنسولين، والقيام بأعمال المخاطرة المبالغ بها كالقفز من مكان مرتفع، أو عبور الطريق وسط سير كثيف أو مسرع، أو تناول السموم. والذين يعانون من اضطرابات انفعالية يؤذون أنفسهم بشكل أكبر وأشدّ قسوة. فلا يجب على الوالدين التهاون بأي من حالات إيذاء النفس لأنها قد تتطور إلى تفكير جديٍّ في الانتحار.



العوامل المسببة للانتحار

هناك مجموعة من العوامل التي قد تؤدي إلى قيام الشخص بالانتحار أو التفكير فيه، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- الأمراض النفسية والعقلية: والتي منها المرض النفسي الناشئ عن خلل عضوي في الدماغ ينشأ غالبا منذ الولادة، كالشلل الجنوني العام، والتخلّف العقلي، والصرع.. ومنها الاضطرابات النفسية والعقلية وهي تنشأ عن خلل وظيفي، وتشمل:

أولاً: الاضطرابات النفسية، والتي تظهر غالبًا عبر سنوات العمر نتيجة التعرض لصدمات ومشاكل ومنها: القلق، وتوهم المرض، والهستيريا، والخواف (الفوبيا)، والوسواس القهري، والاكتئاب.

ثانيًا: الاضطرابات العقلية (الذهنية) وقد تكون وراثية ومنها: الفصام، وذُهان الهوس الاكتئابيّ. وتلعب الأمراض النفسية والاضطرابات النفسية والعقلية دورًا مهمًا في الكثير من حالات الانتحار لدى المراهقين والراشدين، تقريبا ٤٠٪ من حالات الانتحار المسجلة.

٢- اضطراب الشخصية: وهي ليست أمراضًا نفسية أو عضوية.. وإنما سمات متطرفة تجعل تلك الشخصيات مختلفة عن بقية الناس، وهم لا يشعرون بأنهم يعانون من اضطراب، ولهذا يعاني من يعيشون معهم، ويعانون هم أيضًا من أنفسِهم وتصرفاتهم، وهم لا يستجيبون للعلاجات بشكل جيد لأنهم لا يقتنعون بحاجتهم إليها، ومنهم: الشخصية الهستيرية، والشخصية غير الناضجة انفعاليًا، والشخصية العاجزة، والشخصية الانطوائية، والمدمنون على الكحول أو المخدرات.. وكل هؤلاء يفكرون في الانتحار.

٣- المشاكل الأسرية واحترام الذات: قد تؤدي الصراعات الأسرية المتكررة أو الشديدة بين أفراد الأسرة وبالأخص الوالدين، وكذلك عيش الطفل أو المراهق مع زوجة أب قاسية او زوج أمّ قاسٍ، أو تعرض الطفل للضرب والإيذاء أو الحرمان العاطفي بشكل متكرر، أو الإهمال للطفل وحاجته النفسية والجسدية، أو تعرّض المراهق للنقد المستمر أو الاستهزاء وعدم احترام ذاته ومشاعره، وتعليم الوالدين المتدني، وحالات الاغتصاب للنساء.. قد تؤدي جميعها إلى الوصول إلى حالة اكتئاب شديدة ومن ثم التفكير في الانتحار والتخلّص من الحياة.

٤- المشاكل الاقتصادية: كالفقر، والبطالة وعدم الحصول على المهن اللازمة على الرغم من الشهادات والمؤهلات، أو فقدان المهنة أو المنزل..وقد بينت الدراسات حول الراشدين في هونج كونج مثلاً أن ٥٥٪ من حالات الانتحار يقوم بها عاطلون عن العمل. وأعربت منظمة الصحة العالمية عن خشيتها من أن تؤدي الأزمة الاقتصادية العالمية إلى ارتفاع حالات الانتحار خاصة بعد إقدام بعض رجال الأعمال على الانتحار.

٥- الفشل: يعد الفشل المالي كالفشل في سداد الالتزامات المالية أو التعرض للخسائر، أو الفشل العاطفي، أو الفشل الدراسي، أو الفشل الاجتماعيّ، أو الفشل المهني كتأمين وظيفة كريمة والمحافظة عليها، أحد الأسباب الرئيسيّة المؤدية للانتحار، وقد أظهرت الدراسات



لهذا يفكر هؤلاء في التخلص من الحياة!

الدولية أن ٦٠ ٪ من حالات الانتحار كانت بسبب الفشل.

٦- الشعور بالذنب أو الوحدة: ويُعتبر هذا سببًا رئيسيًا في الانتحار وهو الشعور بالذنب والرغبة في عقاب الذات، أو الشعور بالوحدة والاعتقاد بأن العالم لا يفهمه ولا أحد يشعر به، وبسبب عدم القدرة على توجيه العقاب للآخرين فيوجه العقوبة لذاته، وتكثر هذه الحالة عند المراهقين وغير الناضجين فكريًا أو المضطربين نفسيًا.

٧- المشاكل الصحية الخطيرة: فالحالة الصحية لها علاقة مباشرة بالاكتئاب والانتحار، فالمرضى المصابون بأمراض مستعصية الشفاء كالإيدز والسرطان، أكثر إقبالا على الانتحار، وتتراوح نسبتهم بين ١٥- ١٨٪ من بين المنتحرين، أما المدمنون على الكحول والمخدرات فتصل نسبة انتحارهم إلى ١٥٪ وفق إحصائيات في المجتمع المصري.

٨- أسباب بيولوجية: كاختلالات في التوازن الهرموني وخاصة لدى الفتيات أثناء البلوغ، أو فقر الدم الناتج عن نقص الحديد، أو اضطرابات في الغدة الدرقية أو في سكر الدم، أو عدم التوازن الكيميائي في المرسلات العصبية.. قد تسبب الاكتئاب أو الانتحار.

٩- ضعف الوازع الديني: البُعد عن الدين القويم وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، وقلة التوكل على الله، وسوء الظن بالله، وعدم الخوف من الله تعالى.

١٠- توفّر النماذج وإساءة وسائل الإعلام في التعامل مع القضية: كطرح قصص لشخصيات شهيرة قامت بالانتحار، يشجع بعض من يعانون من المشاكل النفسية والاجتماعية والاقتصادية على الانتحار.

١١- سهولة الوصول إلى المواد المميتة: كالأدوية والسموم والقفز من الأماكن المرتفعة..

التقليل من حالات الانتحار

وفقا لمنظمة الصحة العالمية فإنه: «لا يمكن منع جميع أشكال الانتحار، ولكن يمكن منع غالبيتها، باتخاذ بعض التدابير اللازمة». ولعلاج هذه الظاهرة لابد من تحديد السبب المباشر وراء كل حالة على حدة من الأسباب المذكورة أعلاه، لأنّ معرفة السبب هي الخطوة الأولى للحل، كالطبيب لكي يعالج المريض وتقديم العلاج المناسب لابد أن يعرف السبب، والذين يُعين على ذلك هو التقاط الإشارات التي يرسلها الشخص (أعراض الانتحار)، والتي تعتبر ضوءًا أحمرَ يدل على نية الفرد بالانتحار، ويمكن اقتراح ما يلي للتقليل من الحالات:

١- إيلاء الاهتمام الكافي لجميع التهديدات التي يطلقها الفرد والمتعلقة بإيذاء الذات أو نية الانتحار، فالحالات التي تحدث بدون إنذار قليلة، ومتابعة من سبق لهم القيام بمحاولات انتحارية، من خلال إعطائهم العناية النفسية الكافية، والاستماع لمشاكلهم ومعاناتهم، وتقديم الحلول لهم والدعم المعنوي والرعاية والعطف، وخاصة المراهقين والمرضى.

٢- الإنصات للأشخاص المقربين والأصدقاء والأبناء ومن يمرون بظروف صعبة، والتواصل العاطفي معهم، وعدم الضغط على الأبناء بخصوص التحصيل الدراسي، وعدم مقارنتهم بآخرين أو انتقادهم المستمر أو إحراجهم والاستهزاء بهم.

٣- معالجة الأمراض النفسية والاضطرابات لدى الفرد كالاكتئاب والفُصام والإدمان .. فلا يجب إخفاء أو إهمال ما يَظهر على الفرد من اضطرابات سلوكية غير مألوفة، فيجدر بعائلة المريض التوجه إلى الطبيب النفسي أو الأخصائي لعلاجه وإدخاله المصحة النفسيّة إن لزم الأمر، وعدم الخجل أو انتظار تفاقم الحالة.

٤- عمل برامج تأهيلية علاجية تتشارك فيها الأسرة والمدرسة مع المعالِج النفسي، للنهوض بشخصية المصاب والتركيز على الجوانب الإيجابية لديه، ومساعدته على القيام بدوره في المجتمع، ومتابعته وتحسين ما يمكن تحسينه في محيطه الاجتماعي كتقليل الصراعات الأُسريّة.

٥- تعاون الجهات المسؤولة للتقييد الصحفي والإعلامي في نشر قصص المنتحرين وطرقهم المستخدمة، وخاصة المشهورين منهم، والتعامل مع قضاياهم بحذر وعدم إثارتها بطرق محفّزة، فالانفتاح الإعلامي غير المنضبط الذي نعيشه اليوم يدعو ضعاف النفوس أو صغار السن والمرضى النفسيين إلى تقليد الآخرين والتأثر بهم، وقد يعتبرون الانتحار حلا سريعًا لمشكلاتهم .

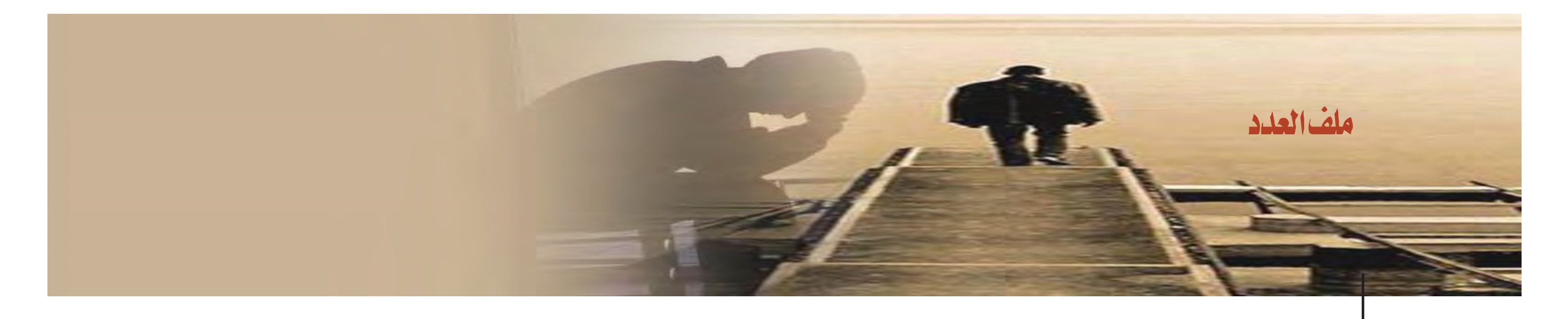
٦- تعريف الفرد عاقبة الانتحار وحكمه في الاسلام، قال ﷺ: «تداووْا، ولا تداوَوْا بحرام» (رواه أبوداود). فالانتحار دليل ضعف الإيمان، وقلة التوكل على الله تعالى. ولا أفضل من التربية على الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره، والخوف من الله تعالى، والالتزام بما أمر، والمداومة على قراءة القرآن فهو مُطهر للنفوس، وأداء الصلاة فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبَغي، وذكر الله تعالى: ﴿...ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب﴾ (الرعد:٢٨).

المراجع:

١- سيكولوجية المراهقة، رغدة شريم، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٩.

٢- الصحة النفسية والإرشاد النفسي، سيد محمود طواب، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٨.

٣- تقرير منظمة الصحة العالمية حول الانتحار عام٢٠١٠.



خطر الانتحار يضرب المجتمعات العربية

تحقيق: هالة عبدالحافظ

حتى سنوات قليلة كنّا نقرأ عن حالات الانتحار في دول العالم الغربية والأسيوية، ونحمد الله أن هذه الظاهرة بعيدة عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لكن يبدو أن الانفتاح على العالم الآخر أفقد العالم الإسلامي جزءًا من ترابطه، فشاهدنا حالات كثيرة لأناس يحرقون أنفسهم احتجاجًا على أمور معيشية، أو يقتلون أنفسهم لعدم القدرة على الإنفاق على أسرهم، أو نتيجة الدخول في حالات اكتئاب، أو ليأس من تحقق الشفاء.. وقد أكد خبراء التقتهم «الوعي الإسلامي» على أهمية الوازع الديني في الوقاية من مخاطر الانزلاق إلى هاوية الانتحار، كما تطرقوا إلى العوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤدي إلى شيوع هذه الظاهرة.. فإلى التفاصيل.

«فتاة في العشرين، تغافل أسرتها وتشنق نفسها بحبل، في سقف المنزل».. كان هذا هو العنوان الذي نشرته العديد من الصحف المصرية أخيرا لفتاة أوضحت تحقيقات الشرطة أنها كانت تعاني من حالة نفسية سيئة، إثر إصابتها بمرض شلل الأطفال، وأنها حاولت الانتحار مرات عدة سابقا، وكان يتم إنقاذها في اللحظات الأخيرة، لكنها أفلحت في آخر محاولاتها، بعد أن غافلت أسرتها -التي تقيم بحي الساحة الشعبية بمدينة الفيوم- وتم تحرير محضر بالواقعة، وأخطرت النيابة التي أمرت بدفن الجثة، بعد توقيع الكشف الطبي عليها.

وفي الجزائر، فجع أهالي عدد من القرى التابعة لولاية «تيزي وزو» بانتحار ١٥ حدثًا لا يتجاوز عمر أكبرهم ١٤ عامًا، وذلك خلال ثلاثة أسابيع فقط، وتبين من التحقيقات أن السبب الرئيس في إقدامهم على الانتحار هو التأثر بالمسلسل الكرتوني «المحقق كونان»، الذي يبرز كيف يمكن لشخص أن ينتحر أو يقتل نفسه بطريقة يمكنه بعدها العودة إلى الحياة!! ولم يدرك هؤلاء الأطفال أن الواقع يختلف عن عالم القصص الخيالية، وفي الوقت نفسه لم تنتبه الأسر إلى خطر ما يشاهده أطفالهم.

ومن الاكتئاب والمحاكاة، إلى الانتحار لسبب آخر وهو: الاتهام بالفساد، وفي حالة من مئات الحالات المشابهة أعلنت مديرية الأمن في محافظة السليمانية العراقية أن القائم مقام قضاء مركز المحافظة أقدم على الانتحار في زنزانته، بعد أيام من اعتقاله بتهمة تلقي رشاوى، فيما أصدر نائب رئيس الإقليم قرارًا بتشكيل لجنة تحقيق في ملابسات الحادث.

وكان المنتحر قد اعتقل على خلفية دعاوى قضائية رفعت ضده؛ لتورطه في تلقي رشاوى، مقابل تقديم تسهيلات في بيع أراض أضيفت إلى التصميم الأساسي لمدينة السليمانية.

ونتجه إلى المملكة العربية السعودية، وتحديدا إلى محافظة القريات، حيث دخل شاب في غيبوبة تامة بعدما أقدم على الانتحار، بتعليق نفسه بسلك كهربائي داخل منزل والده، وأوضح الناطق الإعلامي لشرطة منطقة الجوف ورود بلاغ عن محاولة انتحار شاب في العقد الثاني من عمره، من خلال تعليق نفسه بواسطة سلك كهربائي داخل منزل والده. وأضاف أنه تم إسعاف الشاب، الذي أقر والده بأنه يعاني من اضطرابات نفسية، ولديه ملف بمستشفى الصحة النفسية.

مليون منتحر سنويًا!

نشرت مجلة «ذي لانست» البريطانية الطبية، دراسة أكدت أن مليون شخص على الأقل ينتحرون سنويًا في العالم، أي ما يعادل حالة انتحار كل ٤٠ ثانية، ويشكل الانتحار عاشر سبب للوفاة حول العالم.

المدن أكثر انتحارًا!!

على الرغم من اعتقاد كثيرين أن المعيشة في المدن توفر حياة كريمة ومثالية للإنسان.. فإن تقريرًا صادرًا عن المركز القومي المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية في عام ٢٠٠٧، أكد أن حالات الانتحار تتزايد في المدن الكبرى، حيث جاءت محافظة القاهرة في المركز الأول في عدد من يحاولون الإقدام على الانتحار، بنسبة ٢٤٪، تلتها محافظة القليوبية بنسبة ١٩,٥٪، واحتلت محافظة الجيزة المركز الثالث بنسبة ١٢٪، وتساوت معها محافظة



الابتعاد عن الدين والضغوط الاجتماعية.. أبرز الأسباب



د.عبدالمعطي بيومي: ضعفٌ في الوازع الديني.. وقنوطٌ من رحمة الله



د.أحمد شوقي العقباوي: الاكتئاب والفصام والاحتجاج.. أبرز العوامل النفسية للظاهرة

السويس. بينما كانت محافظتا أسيوط وسوهاج الأقل في حوادث الانتحار، على الرغم من أنهما من أفقر محافظات مصر. كما أوضح التقرير أن الرجال أكثر من النساء إقبالًا على الانتحار، حيث بلغت نسبتهم ٥٤٪ مقابل ٤٦٪ من النساء، وأن معظم المنتحرات من ربات البيوت؛ بسبب الخلافات الزوجية والأوضاع الاقتصادية الصعبة. أما الرجال فقد جاء العاطلون عن العمل في مقدمة المنتحرين، واتضح أن الشباب هم الأكثر إقبالًا على الانتحار بنسبة ٦٠٪، في حين جاء في المرتبة الثانية الفئة العمرية من ٣٥ إلى ٥٠ ٪.

لكن ومن خلال الرصد المجتمعي.. ليس كل فقير أو معوز يُقدم على الانتحار، فكم من مستثمري البورصة الذين يمتلكون الملايين يقدمون على الانتحار؛ لمجرد خسارتهم بضعة ملايين، في حين أن لديهم أرصدة أخرى بالملايين تكفيهم للعيش الرغد أعوامًا مديدة، لكن العديد من المستثمرين أقدموا بالفعل على الانتحار، بل وقتل أسرهم لمجرد انخفاض المستوى المعيشي؛ نتيجة المضاربة في البورصة.

وقبل أيام قامت فتاة مصرية بإلقاء نفسها في النيل، ولم تفلح محاولات إنقاذها؛ بسبب خوفها من شبح العنوسة، بعد أن رفض أهلها ارتباطها بالعديد من الخطاب الذين تقدّموا لها.

والعنوسة– كما يؤكد علماء النفس والاجتماع– من أخطر ما تشعر به الفتاة طوال حياتها، حيث ترى معظم صديقاتها قد ارتدين الفستان الأبيض واحدة تلو الأخرى، فيصيبها نوع من اليأس والتشاؤم، ما قد يدفعها إلى تفضيل الموت عن وصمة العنوسة، وقد أظهرت دراسة، أجراها المركز القومي للسموم التابع لجامعة القاهرة في عام ٢٠٠٨، أن هناك ٢٧٠٨ حالات انتحار سنويًا، معظمها في العاصمة القاهرة، وكشفت أن الإناث ينتحرن في سن صغيرة؛ ليثبتن حرمانهن وشكواهن، خلافًا للذكور الذين عادة ما ينتحرون لأسباب مهمة، كما أن هناك اختلافًا جذريًا في كيفية الانتحار، فالإناث يتناولن حبوبًا مهدئة، أو يأخذن كمية بسيطة من بعض المواد السامة، أو بالغرق، بخلاف الرجال الذين ينتحرون بطريقة جادة ونهائية بهدف الموت. ووفقًا للدراسة فإن المنتحرات يعانين من اضطراب ما، كالخلل الأسري والتفكك، وهناك سبب قوي منتشر جدًا في الدول العربية وهو العنوسة، التي أصبحت شبحًا كبيرًا يهدّد معظم الإناث.

أما أحدث دراسة أعدها مركز المعلومات بمجلس الوزراء المصري في عام ٢٠١٠ فأكدت حدوث ١٠٤ آلاف حالة انتحار في عام ٢٠٠٩، نجح منها ٥ آلاف في إتمام الانتحار، بينما تم إنقاذ الباقين، وتطرقت الدراسة إلى الأدوات المستخدمة في التخلص من الحياة، ومنها المبيدات الحشرية، أو الأدوية والأقراص المخدرة، فضلا عن الآلات الحادة، والأسلحة النارية، والشنق باستخدام حبل، أو القفز من مكان مرتفع.

ضعف الإيمان

بذلك، بدأ عضو مجمع البحوث الإسلامية د.عبدالمعطي بيومي حديثه، وبما رواه جندب بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينًا فحزّ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة».. موضحًا أن في هذا الحديث إشارة إلى أن قيام البعض بقتل أنفسهم بأي وسيلة تعني إنهاء حياة الإنسان بنفسه، وعدم الصبر على احتمال امتحانات الخالق له في الدنيا، ومن ثم نفاد صبره، ويأسه من رحمة الله، وهو الأمر الذي قد يدخل في دائرة الكفر بقدرة الخالق على حل ما يواجهه الإنسان من أزمات.

وأشار أيضًا إلى قول النبي ﷺ: «مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا



فيها أبدًا ، ومَن تحسّى سمًّا فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»، وهكذا يتوعد الله سبحانه وتعالى المنتحرين بتمثيل الجرائم التي ارتكبوها في حق أنفسهم يوم القيامة، كما فعلوها في دنياهم.

والسبب الرئيسي في هذه الظاهرة هو ضعف الوازع الديني، وقلة الإيمان بقضاء الله وقدره، وهذا يفسر تزايدها خلال السنوات الأخيرة في بلادنا العربية والإسلامية، إلا أنها، مقارنة بالدول الأوروبية وخاصة السويد والدنمارك والولايات المتحدة، تعد قليلة.. نظرًا لاهتمام مواطني هذه الدول بالماديات، وحرصهم على الحياة، وعدم إيمانهم بالله.

وتابع د.بيومي: برغم تزايد معدلات الانتحار في الدول العربية والإسلامية، فإنها لم تصل إلى حد الظاهرة، كما هو الحال في الدول غير الإسلامية.. لذلك يجب على أئمة المساجد وعلى أولي الأمر في كل مؤسسة، سواء تعليمية أو إعلامية أو خدمية أو حكومية، أن يبينوا أن المؤمن القوي أفضل عند ربه من المؤمن الضعيف، فلابد أن يرضى بقضاء الله وقدره، عملًا بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ففي هذه الآية سلاح يتحصن به المسلم ضد أي مخاوف داخلية، أو أي وساوس شيطانية.

ويواصل: لذلك على المسلم أن يرضى بقضاء الله وقدره، ويتوضأ، ويبدأ في التقرب إلى الله في الصلاة والعبادة والدعاء.. والإكثار من الاستغفار، كل هذا يساعده على التحلي بالصبر والسلوان، وكل تلك الروحانيات تقوم بدورها في ضخ طاقة إيمانية تصد العبد عن التفكير في الانتحار، أو غيرها من الأفكار السيئة.

انتقام ذاتي

أما أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر د.أحمد شوقي العقباوي فيوضح أن الانتحار ظاهرة مَرضية، يدرسها العلماء وأساتذة الطب النفسي، موضحًا وجود نظريات عديدة تشرح: لماذا يُقدم فرد على قتل نفسه؟! ويضعه تحت عنوان أكبر وهو «إيذاء النفس»، وأقصى درجاته قتل النفس، وهو نتيجة لمرض أكثر شراسة هو الاكتئاب، مبينًا أنه أنواع، مشيرًا إلى أن ١٥٪ من مرضى الاكتئاب الجسيم ينتحرون.

ويواصل: ومن ١٠ إلى ١٥٪ من مرضى انفصام الشخصية يقدمون أيضًا على الانتحار، في محاولة منهم للانتقام أو إيذاء الذات، وقد يكون الهدف من بعضها «لي الذراع»، وهي محاولات غير جادة، وفي معظم الأحيان لا تؤدي إلى الموت، وقد يقع الموت مصادفة عند المحاولة، ظنًّا بأنه من الممكن أن تخيب، لكنها أفلحت، والبعض الآخر يقوم بمحاولات شبه جادة، وتؤدي إلى الموت.

وعن الإحصاءات والدراسات، أكد العقباوي أنه لا توجد بحوث معتمدة لتسجيل عدد المنتحرين في مصر، ولا المناطق العربية، وكل البحوث التي أصدرتها جهات معينة مشكوك فيها لأسباب عدة منها: أن بعض الأهالي يعتبرون أن انتحار فقيدهم وصمة عار عليهم، ولا أحد يسجل أنه مات منتحرًا.. غير أن هناك نسبة كبيرة من المنتحرين يتم إنقاذهم، فلاشك من وجود شكوك حول الإحصاءات، لأنها مغلفة بضباب تسجيلي.

وأشار إلى أسباب هذه الظاهرة، موضحًا أن هناك حالة عامة تعيشها المجتمعات العربية- خاصة مصر- من الإحساس بقهر الذات، وقلة الحيلة، وفقد الأمل، ما أوصل الناس إلى مرحلة «فقد الإحساس»، مع الاكتئاب وقلة الحيلة، وكذا الإحساس بالمهانة البشرية، إضافة بالطبع إلى الفقر.

ويشير العقباوي إلى أن الاكتئاب الجسيم يفقد القدرة على الاستمتاع بأي شيء في الحياة، كالأكل والجنس والعمل والحب، أو أي أفعال اعتاد المريض ممارستها، ومن ثم يدخل الفرد في حالة عزلة وانزواء عن محيطه، ويضرب نفسيًّا عن الطعام، ويصل إلى مرحلة الاكتئاب التي قد تقوده إلى الانتحار، وخاصة مع ضعف الوازع الديني وانشغال المحيطين عنه.. وذلك عكس الأفراد الذين يعيشون حياة طبيعية.



السمنة القاتلة

تعددت الأسباب والموت واحد، صدق هذا المثل على فتاة عشرينية تنتمي إلى محافظة الأقصر بصعيد مصر، والتي تخلصت من حياتها احتجاجًا على منعها من اتباع حمية غذائية لإنقاص وزنها، بسبب معاناتها من السمنة المفرطة، حيث تناولت كمية كبيرة من صبغة الشعر أودت بحياتها بعد فشل جهود الأطباء في إسعافها.





ضغوط حياتية

بينما أوضح أستاذ الاجتماع بجامعة حلوان د.رشاد عبداللطيف عددًا من الأسباب الرئيسية التي تقود إلى الانتحار، أولها البعد عن الدين، وعدم الثقة في أن الله قادر على أن يصرف عنهم مشاكلهم المستعصية!! وكذلك كثرة الديون وعدم القدرة على سدادها، وافتقاد الأمن في الحياة؛ نتيجة التعرّض لمشكلات اجتماعية.. وكذا الإصابة باضطرابات نفسية شديدة نتيجة ظروف الحياة، أيضًا الشعور بالوحدة، وعدم وجود الفرد القادر على مساعدته للخروج من هذه الحالة.. إضافة إلى المشكلات الأسرية والمعاملة السيئة سواء من الزوج لزوجته وأولاده، أو من الزوجة لزوجها وأولادها.

ويؤكد أن الرجال أكثر إقدامًا على الانتحار من النساء، نظرًا لتعرّضهم بدرجة أكبر لضغوط ومسؤوليات والتزامات أكثر من المرأة، كما أن الرجل يتأثر بالنكد الأسري بشكل كبير، وذلك مع عدم ثقة المرأة بالرجال، وعدم وجود رباط إيماني مع الله، وفي المقابل نجد المرأة أقل إقدامًا على الانتحار، على الرغم من أنها أكثر عرضة للاكتئاب، على عكس الرجل.

ويتابع: المرأة جهازها العصبي ضعيف إلا أنها أكثر ميلًا إلى الحياة، وعند خوض تجربة الانتحار تفكّر وتضعف وتتراجع، أما الرجل فجهازه العصبي قوي، عندما يتخذ قرار الانتحار غالبًا ما ينفذه.

ويقدم د.عبداللطيف عددًا من الحلول للحد من هذه الظاهرة، موضحًا أنه على الأفراد أن يثقوا برحمة الله، وألا يقنطوا أبدًا مهما كانت الضغوط التي يتعرّضون لها في حياتهم، وأن يدركوا أن أكثر الناس ابتلاء هم الصالحون، وعليهم أن يدققوا في قول الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند حسن ظن عبدي بي»، ومن ثم يحاولون أن يجدوا بدائل لحل مشكلاتهم دون التخلص من حياتهم.

أيضًا على المسؤولين في كل الدول العربية أن يوفروا لمواطنيهم جميع الاحتياجات الأساسية من تعليم وصحة ومسكن، وأن يعاملوهم معاملة كريمة، وألا يكونوا سببًا في تزايد أعباء المواطنين المعيشية، وهو الأمر الذي يدخلهم في دوامة لا تتوقف من المشكلات.. قد تنتهي بهم إلى الانتحار.

الانتحار.. والثورة

لم يجد الشاب التونسي البسيط «محمد البوعزيزي» وسيلة للاحتجاج على سوء الأوضاع المعيشية، والتعنت من جانب الإدارة المحلية سوى الإقدام على الانتحار حرقا، وكانت هذه هي الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورة التونسية، ثم تلتها الثورة المصرية، حيث بادر مواطن من محافظة الإسماعيلية إلى حرق نفسه أمام مجلس الوزراء المصري احتجاجا أيضا على تعنت الإدارة المحلية معه.. وتبعه العديد من حالات الانتحار تم إنقاذ معظمها.

قنوط

وأخيرًا، يوضح استشاري القلب والحالات الحرجة د.حاتم غازي أنه عندما نتحدث عن الانتحار كظاهرة فإننا نتحدث عن ثلاثة أشياء وهي: صور الانتحار، مدى تداخله مع أمراض أخرى، نتائجه، مشيرا إلى أن جميع حالات الانتحار التي تعرض علينا قبل تحقق الوفاة تحتاج إلى علاج فوري، فمثلًا جاءتنا إحدى الحالات لسيدة تناولت مادة سامة، وعلى الفور تم إجراء غسيل معوي لها مع بعض الإسعافات الأساسية العاجلة، أيضًا هناك حالات ترد إلينا لأناس ألقوا بأنفسهم في الماء، وغالبًا ما يكون لديهم حالة اسفكسيا، وهناك أيضًا حالات قطع الشرايين، وكلها حالات من هذا القبيل، ويتم التعامل معها جراحيًّا وعلاجيًّا، ويتم الإنقاذ بطرق شتى وفق كل حالة، وبالطبع هناك حالات تلفظ أنفاسها الأخيرة قبل محاولة إسعافها، خاصة في حالات الحروق والسموم والانتحار من الأماكن الشاهقة.

وعن تداخل الانتحار مع أمراض أخرى، أوضح د.غازي أن الإنسان إذا تعرّض إلى الإصابة بأمراض مستعصية، كالسرطان أو جلطات في القلب، أو الالتهاب الكبدي الوبائي، تحدث له صدمة نفسية، وتصبح إرادته غير قادرة على التحمل، إذا كان قليل الإيمان، وقد صادفتنا حالات كثيرة من هذا النوع الذي لم يتحمل الإصابة بهذا المرض، فترفض الحالة العلاج ومن ثم تنتحر، وهذا الأمر يختلف من فرد لآخر.. حسب هشاشة الشخصية وقدرتها على التحمل.

وأشار إلى أن الطبيب في هذه الحالة يبدأ علاجه بإعطاء المريض أدوية مضادة للاكتئاب، أو يشرك معه في العلاج طبيبًا نفسيًّا، وغالبًا ما يسهم هذا التعاون في رفع الحالة المعنوية للمريض، وإبعاده عن التفكير في الانتحار.



انتحار الشباب.. ثقوب في ثوب البراءة

إيمان القدوسي

تخيل نفسك روحًا هائمة ترى العالم من فوق، تهل نسمات الفجر الندية مع إشعاعات النور الذي يغمر الدنيا فتتبدى البحار الهادرة والأنهار العذبة المنسابة والمزارع الخضراء اليانعة وتبدأ الطيور رحلتها الصباحية وهي تغرد وتشقشق، وتتنافس الفراشات البديعة مع النحل في لثم أوراق الورد التي تتمايل على أغصانها، أينما وليت نظرك ترى «سيمفونية» من السحر والجمال تعزفها الطبيعة التي خلقها المولى عز وجل وسخرها لنا، وقتها سوف تتمنى تلك الروح الهائمة أن تصبح إنسانا يسعى في ملكوت الله، يكد ويعمل ويعبد ربه ويستمتع بكل ما حباه الله به من نعم لا يمكنه عدها وحصرها.

فما بال البشر مستغرقين في الحزن والسخط وقد أداروا ظهورهم لكل جمال الدنيا ومتعتها، إن أجمل ما في الحياة هو الحياة نفسها، هو أن الله سبحانه وتعالى قد أعطاك الفرصة كاملة لتحيا وتمارس دورك الفعال والمؤثر في المسيرة البشرية ثم تدخر حسناتك وعباداتك للآخرة ليجزيك الله بها الجنة، فأي تكريم للبشر أكثر من هذا، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠) ويقول تبارك وتعالى في سورة التين: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

وتعد مرحلة الصبا والشباب هي أجمل مراحل الحياة ففيها القوة والفتوة والعنفوان والجمال والرشاقة وهي الفترة الزمنية الملائمة للحب والزواج والعمل والعبادة، في تلك الفترة أنجز كثير من البشر إبداعاتهم وحقق الكثيرون منهم مخترعات واكتشافات أدت لتطور هائل وحضارة متقدمة، ولذلك يبدو غريبا



ومحزنا أن يتخلى شابٌ عن كل هذه المزايا التي يختص بها ويسكب بنفسه كأس حياته المترع بالأمل والشباب، ينفطر كبدي حزنا عندما أقرأ خبر انتحار شاب أو فتاة، كيف هانت عليه نفسه؟ ولماذا تخلى عن فرصته الرائعة في الحياة؟

نقرأ أخبارا مؤسفة تقول:

«انتحار طالبة في الثانوية العامة لسوء أدائها في الامتحان»

«انتحار شاب نابغ تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية لأنه تقدم للعمل في السلك الدبلوماسي ورفض طلبه بسبب تواضع عائلته وفقرها»

«انتحار صبي في المرحلة الإعدادية لأن والده عجز عن شراء ملابس جديدة له في العيد»

«انتحار فتاة لتخلي حبيبها عنها»

«انتحار شاب لفشله في تدبير نفقات الزواج»

تتكرر هذه الأخبار كثيرا، صحيح أن الرسوب في الامتحان حدث سيئ ولكن يمكن تعويضه بالاجتهاد ويمكن بالعزيمة والإرادة التحول من الفشل الدراسي إلى النجاح والتفوق، وحتى لو لم يمكن ذلك فإن الدراسة ليست هي نهاية الحياة فكم ممن مارسوا العمل اليدوي وبرعوا فيه وحققوا نجاحا وسعادة أكثر من غيرهم، وكلٌ ميسر لما خلق له.

أيضا الملابس الجديدة قد تكون جميلة ولكن جسدك الشاب هو من

باحثة مصرية



يمنحها هذا الجمال فحافظ عليه حتى تحصل على ما تتوق إليه نفسك بالعمل والجهد، أما الحب والزواج فرغم أنها عاطفة فطرية راقية إلا أنها أيضا قابلة للتعويض وربما بفرصة أفضل مما ظننا أن فيها سعادتنا.

مدار الأمر على عمق الإيمان بالله والرضا بعطائه والتيقن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، علمُنا البشري دائمًا محدود وربنا يدبر لنا أمرنا لأننا لا نحسن التدبير ولذلك علينا في كل أمر نعتزمه اللجوء للاستشارة والاستخارة وإذا لم نحصل على ما نتمنى فإن حصننا الأخير هو «قدر الله وما شاء فعل».

ربما يبدو النصح سهلًا، ولكن ماذا نفعل حيال تأجج المشاعر الشابة وتوالي إحباطاتها في مواجهة واقع قاس يكاد يسد منافذ الأمل أمامها؟ ومن يتحمل المسؤولية؟

١- مسؤولية المجتمع

إن الشباب هم مشكلة المجتمعات الحديثة، فالمجتمع الناجح هو الذي يستطيع توفير فرص العمل وتحقيق الذات والزواج والسكن، والمجتمعات الفاشلة هي من تخفق في تحقيق ذلك فتؤدي إلى كبح قوة الشباب وحبسها مما يتسبب في الكثير من الاضطراب في المجتمع وفي الأسرة، وقد يفضي ذلك في أسوأ احتمالاته لأن تهون حياة الشاب عليه ويقدم على الانتحار.

٢. مسؤولية الأسرة

من أسباب معاناة الشباب أيضا طريقة التفكير السائدة في المجتمع والتي تضع حملًا ضخمًا على كاهلهم، من حق الأسرة أن تطمح لتفوق الأبناء وتحثهم على ذلك وتوفر لهم الأجواء المناسبة، ولكن ليس لدرجة أن يستقر في ضمير الشاب أن الدرجات النهائية هي الهدف الوحيد وأنها بالنسبة له مسألة حياة أو موت، الحياة نعمة من المولى عز وجل

الحب غذاء النفس فغذّوا أطفالكم به

وستظل كذلك سواء دخلت كلية الطب أو لا، والأهم من الدرجات أن تحافظ على سلامك النفسي واتزانك وعلاقتك بربك، وأن تنجح في الكلية التي التحقت بها وفي مجال العمل الذي يسره الله لك.

٣ - مسؤولية الوالدين

مسؤولية الوالدين أكثر خصوصية من مسؤولية الأسرة الكبيرة إذ إن الوالدين هما منبع الحنان والحب، والحب قوة لا يستهان بها فهي أساس الثقة بالنفس والقدرة على العطاء، إن نجاح الأب والأم في توصيل معاني الحب غير المشروط للأبناء هو الركيزة الأساسية التي تبني شخصية واثقة متوكلة على ربها، لا تتكسر أمام المحن والصعاب، بل تعتبرها حافزا ودافعا لتحقيق النجاح. الشاب الذي يحيا في بيئة محبة داعمة لا يمكن أن يفكر يوما في الانتحار.

٤. مسؤولية الشاب نفسه

مهما تحدثنا عن البيئة والظروف تظل المسؤولية الفردية هي الأهم والأقوى، وكم من الشباب تعرضوا لمحن وخرجوا منها سالمين بفضل إيمانهم بربهم وثقتهم بأن بعد العسر يسرا وتحفيزهم الدائم لقدرتهم الذاتية على النجاح ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

الأفكار السائدة

هناك بعض الأفكار السائدة والتي يجب تصحيحها لأنها تسهم في تسرب اليأس والاكتئاب كمقدمة للتفكير في الانتحار لدى الشباب وهي:

١- «النجاح المادي فقط هو المطلوب في الحياة»

هذه الفكرة تؤدي لتآكل الجانب الروحي المهم والضروري للتوازن النفسي، وتؤدي لجمود المفاهيم وبُعدها عن الإنسانية، نحن بشر نتعامل بمشاعرنا قبل كل شيء وتحتاج أرواحنا للشعور بالراحة والسكينة، وذلك كله لا يشترى بالمال، بل يمكن لكل شخص أن يحصل عليه بالإيمان والعمل الصالح والعطاء للغير.

٢- «هناك مهن محددة ودرجات علمية هي السبيل الوحيد للسعادة في الدنيا»

لا يمكن أن يكون الناس جميعا أطباء ومهندسين وعلماء، بل لابد من التنوع ومادام العمل شريفا ومناسبا لقدرات المرء فهو سينجح به ويحقق ذاته من خلاله، ولذلك فإننا نمهد طريق التعاسة لأبنائنا حين نصر على نوعية معينة من التعليم أو العمل، إذا كنا نريد لهم السعادة فلنترك لكل منهم اختيار ما يوافقه ويناسبه ويرضيه.

٣- «إذا جربت الفشل مرة فقد كتب عليك للنهاية»

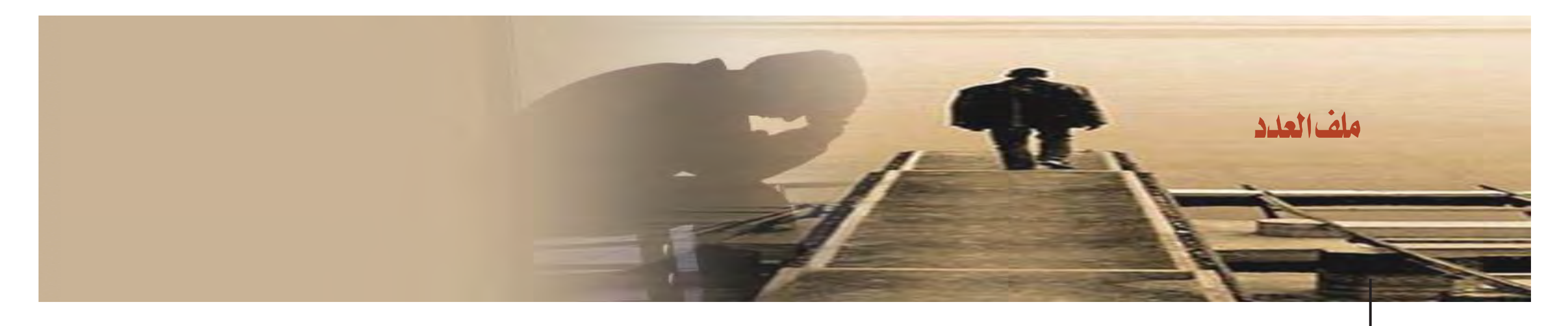
كل الناجحين والعظماء ذاقوا مرارة الفشل وتعلموا من أخطائهم وحققوا النجاح.

٤- «عندما نحب ونفقد المحبوب فقد كتب علينا الشقاء»

الحب رزق والزواج الناجح توفيق من الله وقد لا يحدث التوفيق في المحاولة الأولى.

٥- «الإنجاز المادي هو سمة الأسر الناجحة أما المحبة والترابط فهي أمور يمكن الاستغناء عنها»

يقول العلماء: إن العمل والحب هما مقياس النجاح والنفسية السوية، الحب غذاء للنفس فغذوا أولادكم به فهو لا يقل عن غذاء الجسد أو التعليم المدرسي، العمل والحب هما جناحا طائر السعادة الذي يحلق بالإنسان بعيدا في سماء الرضا ويحقق له جودة الحياة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة.



ظاهرة الانتحار ومسؤولية وسائل الإعلام

أ.د. عبدالصبور فاضل

ثقافة الانتحار مصطلح جديد لم يعرف طريقه إلى عالمنا العربي والإسلامي إلاّ بعد أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١ وما تلاها من تطوّرات حيث بدأ من منطلق «افتعالي» لا طبيعي، في إطار سياسي آني يستعجل التخديم الإعلامي على الآلة العسكرية على جبهات القتال التي اندلعت في عدد من البلاد العربية والإسلامية، وذلك خلافا لطريقة التعاطي الغربي مع الظاهرة منذ دخولها الفضاء السيسولوجي على يد (إميل دوركايم ١٨٥٨-١٩١٧) في كتابه «الانتحار» عام ١٨٩٥م والتي فرضتها شروط عفوية وموضوعية تتعلق بحراك اجتماعي عنيف ومتسارع، ترك تداعياته على انفعالات الإنسان الغربي ومزاجه بوجه عام حتى بلغ حد قيام شركات سياحية في السويد بالترويج عبر الإعلام لـ «سياحة الانتحار» عبر العديد من الطرق التي توفرها للمنتحرين، تتضمن توفير تأشيرة الدخول والإشراف على الانتحار وتسهيله، مع خدمة التخلص من الجثة وفق رغبة المنتحر.. مما دفع برلمانيون للمطالبة بمنع هذه الظاهرة الجديدة ورفض إعطاء تأشيرات دخول للمنتحرين.!(١)

وخلال المؤتمر الدولي للتدخل ضد الانتحار الذي عُقد في (مونتريال) عام ٢٠٠٥، قارنت الخبيرة (دانيال سانت لوران) بين ما يحدث في مجتمعاتهم ومجتماعتنا وأرجعت الفرق إلى أنّ شبابَ العرب والمسلمين ربما يكونون مُحَصّنين بنظام مناعة عائلي مستقر، وبـروادعَ دينية وأخلاقية واجتماعية تجعلهم بمنأى عن التفكير في الانتحار. (٢)

الترف العربي

والـواقـع أنّ «ثقافة الانتحار» لم يعرفها العالم العربي- على سبيل المثال- إلاّ في أوساط الجماعات «المترفة ثقافيًا»، وفي هذا السّياق نشرت صحيفةُ النهار اللبنانية في أوّل ديسمبر عام ٢٠٠٧م تحقيقًا صحفيًا عنوانه: «ثقافة الانتحار.. لماذا ينتحر المثقفون؟!» أحصت فيه انتحار ثمانية من كبار المثقفين والشعراء والأدباء العرب مثل: الأديب والشاعر الأردني «تيسير سبول» عام ١٩٧٣ وهو في الثلاثين من عمره، والقاص المصري «محمد رجائي عليش» عام ١٩٧٩، والفنان التشكيلي السوري «لـؤي كيالـي» عـام ١٩٨٩، والكاتبة المصرية اليسارية الشهيرة «أروى صالح» عام ١٩٩٧، والشاعر الكردي «مصطفى محمد» الـذي انتحر في حلب عام ١٩٧٩، وهو في عمر لا يتجاوز السابعة والعشرين، والشاعر اللبناني «خليل حاوي» عام ١٩٨٢، والشاعر المصري «صالح الشرنوبي» عام ١٩٥١، والشاعر السوري «عبدالباسط الصوفي».!(٣)

ومـع ذلـك تـظل هـذه الحـالات استثناء وليست قاعدة تنسحب على المشهد الثقافي العربي إجمالاً، أو توظيفها دعائيًا للإساءة للمثقف العربي واعتباره «داعية موت» يؤسس لـ «ثقافة الانتحار»، ومن ثم فإن صناعة الموت أو ثقافة الانتحار لا يمكن أن تكون سليلة الثقافة الإسلامية، التي تدين الانتحار، وتجعله في منزلة الكفر، وتعلي من قيمة الحياة، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذلكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة: ٣٢).

غَيـر أنّـه فـي الـسّنـوات الأخيرة تسلّل هذا المصطلح بلفظه ومعناه إلى العالم العربي والإسلامي، وأصبح في دائرة الضوء بفعل الانـزلاق الإعلامي الذي عمل على تضخيمه وأنزله منزلة «الـظـاهـرة»، وهـو الاتجـاه الـذي كان متزامنًا مع حروب الغرب في أفغانستان والعـراق والشيشان، والانتفاضة في الأراضي الفلسطينية المحتلة مع عدم التفريق بين العمليات الانتحارية والاستشهادية لأبعاد سياسية بحتة.

وتـزايـدت نسب الانتحـار في العالم العربي خلال الفترة الأخيرة بشكل يدعو إلى القلق بعد أنْ كانت هذه الظاهرة متفشية أكثر في الدول الغربية وفقًا لبحث أجـراه الدكتور «جوس مانويل» والباحثة «أليساندرا فليشمان» عام ٢٠٠٢م وهو جزء من الدراسة المتعلقة بتأثير التعاليم الدينية على الانتحار، وموثق بمراجع الأمم المتحدة (A global perspective in theepidemiology of suicide): يقولان فيه «إنّ نسبة الانتحار في الدول

عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر - مصر



أعلى نسبة انتحار بين الملحدين ثم البوذيين ثم النصارى ثم الهندوس وأخيرًا المسلمين



الإسلامية تكاد تقترب من الصفر، وسبب ذلك أنّ الدين الإسلامي يحرم الانتحار بشدة. كما ذكروا في بحثهما أنّ أعلى نسبة للانتحار على الإطلاق كانت بين الملحدين واللادينيين، ثم البوذيين ثم النصارى ثم الهندوس وأخيرًا المسلمين (٤).

المؤشر البياني

ولكن المؤشر البياني لعدد المنتحرين في العالم العربي يدل على ارتفاع النسبة في السنوات الأخيرة، ففي الأردن مثلا نجد ٤٠ حالة انتحار و٤٠٠ محاولة سنويا، وفي المغرب ٣ ملايين مغربي يريدون الموت.. أغلب الحالات مصابة بالاكتئاب وفصام الشخصية، وفي مصر تشير الأرقام إلى ما بين ٧٥٠ إلى ١٢٠٠ حادثة انتحار تقع كل عام نسبتها العظمى من الشباب، وفي اليمن بلغت حالات ومحاولات الانتحار ٨٢٥ حالة بينها ٦٥٥ حالة انتحار عام ٢٠٠٢م، وفي السعودية حسب بلاغ وزارة الداخلية فقد وصلت حالات ومحاولة الانتحار إلى ٧٠٠ حالة، وفي الكويت ارتفعت حالات ومحاولات الانتحار من ٢٧ حالة عام ١٩٩١ إلى المئات بعد عام ٢٠٠٢م، وفي الجزائر وصل العدد الإجمالي عام ٢٠٠٨ إلى ٣٣ حالة انتحار و٤٨ محاولة وفق إحصاءات للشرطة الجزائرية، وفي تونس حسب دراسة- فإنّ نسب الانتحار ارتفعت بشكل مهول إذْ تُقدّر بواحد في الألف سنويًا أي حوالي عشرة آلاف تونسي يحاولون الانتحار كل عام..(٥)

والواقع أنّ وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية دأبت على نشر أخبار الجريمة بمختلف أنواعها والترويج لها بل تخصّصت وسائل بعينها في هذا المجال فأسهمت بشكل كبير في تفتيح عقول الناس على خبايا الإجرام وتعليمهم المخفي من فنونه دون الشعور بأدنى مسؤولية بحجم ما تقترفه من خطورة على الأسرة والمجتمع، متناسية تحذير المولى تبارك وتعالى من هذا السبيل غير مبالية بعقابه في الدنيا والآخرة حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (النور: ١٧).

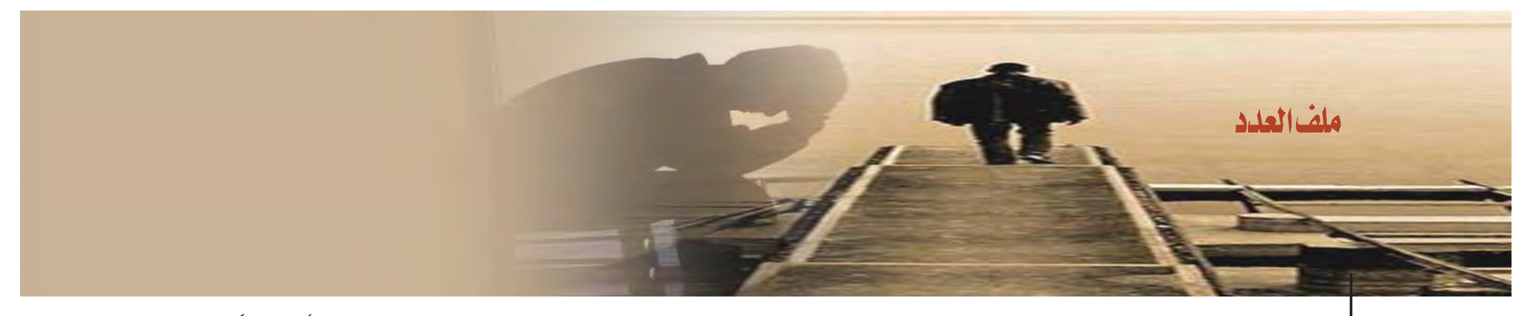
ويمكن القول إنّ وسائل الإعلام أسهمت في انتشار ظاهرة الانتحار من خلال مسارين هما:

المسارُ الأوّل: مباشر، ويتمثل في الشحن الإعلامي من خلال التغطية الإعلامية غير المسؤولة لكثير من حالات الانتحار وتسليط الضوء عليها ناقلًا ومروجًا دون تقديم أية حلول أو طرح المحاذير الدينية والأخلاقية لهذا العمل البغيض فحوّلها إلى مشكلة مستعصية مما أدّى إلى تعزيز هذا السلوك الاستعراضي، بل إنّ بعض هذه التغطيات كانت متعاطفة مع محاولي الانتحار فسعت إلى تحقيق مطالب البعض منهم بإجراء المقابلات معهم وكأنهم أبطال وإنْ كان الأمر فقط لمجرد الظهور فقط، بينما أضفت على بعض المنتحرين صفات الزعامة ومنقذي الأوطان والشعوب فدعمت لدى الآخرين سلوك هذا الطريق.

البوعزيزي

ومن أمثلة ذلك حالة البائع المتجول محمد البوعزيزي الذي أضرم النار في نفسه يوم ١٧ ديسمبر٢٠١٠ أمام مقرّ محافظة سيدي بوزيد وسط تونس بعد أنْ رفض مسؤولون بالمحافظة مقابلته حيث وصفته وسائل الإعلام بأنّه رمز الانتفاضة التونسية ومفجر ثورات الربيع العربي، وأكثر من ذلك هلّل الإعلام للفنانة التونسية لطيفة العرفاوي التي قررت تسمية ابن شقيقها «البوعزيزي» لأسباب شخصية بحتة ردًا على اتهامها بعدم تأييد الثورة رغم أنّ ذلك يُعدُّ تخليدًا وتشجيعًا للانتحار، مما أدى إلى ظهور حالات انتحار كثيرة في الوطن العربي وبخاصة في المغرب والجزائر وموريتانيا ومصر وغيرها تقليدًا لـ «البوعزيزي»!

كما أصبحت الشبكة العنكبوتية فضاءً خطيرًا لتكريس الانتحار بين الناس وبخاصة قطاع الشباب فهم يدخلون إلى عالمهم من نافذة الإنترنت، يقنعونهم بـ «أن الموت آت لا محالة، فما الضرر إنْ قررت أنْ تقتل نفسك بنفسك فتنهي حياة ستنتهي بكل الأحوال»، وقد شكّل اكتشاف مواقع إليكترونية أميركية



ويابانية وهولندية وغيرها تدعوا للانتحار هزةً في الوسط الإعلامي العالمي نظرًا لانتشار هذه المواقع في وسط المراهقين المشوشين ولتجاوب البعض مع هذه الدعوات بإنهاء حياتهم عبر اتباع النصائح المنشورة في الموقع، وأعلنت حملة بريطانية لإغلاق مواقع ذات رسالة انتحارية عن إغلاق ٢٩ موقعًا منذ عام ٢٠٠١ راح ضحيتها العديد من الشباب(٦). ويتم هذا من خلال هيئات وجماعات تشكل ميثاقًا مع الموت وتكثر عادة في الولايات المتحدة الأميركية ومنها: طائفة الوصايا العشر، جماعة القس «جيم جونز» وطائفة معبد الشمس وغيرها(٧).

المسلسلات المدبلجة

المسار الآخر: غير مباشر، ويكمن في الشحن الإعلامي الذي يقوم على تكريس العنف بمختلف صوره وأشكاله، وتمجيد الإباحية والعري تحت ستار الحرية المزيفة بجانب حالات الاحتقان السّياسي في الوطن العربي والتي سبقتها حروب عسكرية نقل الإعلام مشاهدها دون تفريق فتركت آثارها النفسية على قطاعات كبيرة من شعوب المنطقة. كما أنّ كثيرًا من وسائل الإعلام تتعرض للمشكلات التي يعاني منها الناس بمعالجة غير مسؤولة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحوّلتها إلى غول يدمر اليابس والأخضر وجعلتها مشكلات مستعصية على الحل دون تقديم أية حلول بديلة وما أكثرها.

لقد أدت تأثيرات العولمة والضخ الإعلامي للوسائل التقليدية والجديدة إلى ضغوط جبارة على الناس وبخاصة الذين يعانون من ضعف الوازع الديني وبالتالي انتشار مثل هذه الظاهرة السلبية وغيرها متمثلة في الأفلام والمسلسلات الأجنبية، فعلى سبيل المثال نجد أنّ أبطال المسلسلات التركية المدبلجة أصبحوا الشغل الشاغل أخيرًا للكثير من متابعي الشاشة الصغيرة، لاسيما من الشباب، لمعرفة ما سيحدث لأبطالها على شاشات الفضائيات العربية، وتحولت شخصيات مثل نور إلى مهند إلى ميرنا وبانه وخليل وعاصي، والعشق الممنوع ودموع الورد وسنوات الضياع ويبقى الحب وتمضي الأيام وغيرها من الأعمال الدرامية ذات جاذبية كبيرة بالنسبة لهم، وهو أمر أدى إلى ارتفاع غير مسبوق في حالات الانتحار (٨).

إنّ المسؤولية الاجتماعية للإعلام إنما تعني: ذلك الدور المتكامل الذي يقوم به في مواجهة المشكلات الاجتماعية والمساعدة على التغلب عليها في المجالات المختلفة من منطلق التزام اجتماعي وأخلاقي نحو المجتمع في إطار الصالح العام، بحيث لا تُسبِّبُ مخرجات العملية الإعلامية ضررًا يمس بناء المجتمع أو عقيدته أو قيمه الأصيلة. فقد جاءت الشريعة لحفظ الضرورات الخمس: العقل والنفس والدين والعرض والمال، وحرستها بمجموعة من القواعد والحدود، ولم تغفل كل مستويات الأمن اجتماعيًا وقوميًا ووطنيًا وفرديًا وجعلت مقومات الأمن القومي الأساس لإقامة الدين فرتبت على صلاح الدنيا بالأمن صلاح الدين وليس العكس وذلك لإقرار الأمن الذي به تصلح الأرض ويحيا الناس(٩).

تحريم الانتحار

فالله سبحانه وتعالى حرم الانتحار أو المساس بالنفس بالنفس أيًا كانت درجته قال تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما. ومن يفعل ذلك عدوانًا وظلمًا فسوف نصليه نارًا وكان ذلك على الله يسيرًا﴾ (النساء: ٢٩-٣٠) ، وقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا، فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا» (رواه مسلم) ومن ثم يجب المراقبة الفاعلة لوسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية والفضائيات التي تطلق مسلسلات وبرامج تشجع على الانتحار ومحاولات تطويقها قضائيًا وإعلاميًا وضرورة متابعة الأسرة لأبنائها وما يشاهدون من مواد إعلامية دفعت في كثير من الأحيان المراهقين لقتل أنفسهم تقليدًا لما يرونه في الأفلام مع أهمية وضع ميثاق شرف للإعلام في العالم العربي والإسلامي يقوم على أسس دينية وليست سياسية لحماية المجتمع.

الهوامش

(١)- محمود سلطان، الانتحار في العالم الإسلامي.. ثقافة أم خرافة؟ متوفر في:
http://islamtoday.-١٢٩٥٤٣-٤٣-htm
net/nawafeth/artshow
(الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٣١ الموافق ١٩ مارس ٢٠١٠).

(٢) – المرجع السابق.

(٣) – جريدة النهار اللبنانية، أوّل ديسمبر عام ٢٠٠٧م.

(٤)- رجع الباحث إلى
http://www.med.uio.no/iasp/files/
-papers/Bertolote.pd
منتديات حراس العقيدة: ١٠-٢٢-٢٠١٠
http://www.iasp.info/pdf/papers/
Bertolote.pdf

(٥) – عادل غاسق، لماذا ارتفعت نسبة الانتحار في العالم العربي!؟، موقع نبأ نيوز، الأربعاء، ١٤أكتوبر٢٠٠٩ متوفر:
http://www./٢٠٠٩/٢١٥٠٠html
nabanews.net

(٦)- الانتحار عبر الانترنت.. مقبرة الأبناء وكابوس الآباء، تاريخ النشر: ٢٠١١/١٢/٢٥ متوفر:
http://www.algamal.net/ =٢٦٠٣
articles/details.aspx؟id

(٧) – أوزجان يشار، طقوس وتنوع الانتحار عبر التاريخ، منشور في موقع عشتار، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، متوفر:
٨ar٢to__lak//http://hayatnafs.com
suicideinhistory.htm

(٨) – تقرير منشور في موقع (حياتنا النفسية)، متوفر:
http://www.hayatnafs.com/kadaya__
nafsia__ijtema٣ia/on-suicide.htm

(٩) المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية لوسائل الإعلام جدار منيع ضد الفتن والتفكك والفساد وتحقق الأمن الاجتماعي والازدهار، موقع جريدة السياسة الكويتية:
http://www.al-seyassah.com/
/٤٣٨ /smid /٥٩ /AtricleView/tabid
Default.aspx/٧٤٦٩٢/ArticleID



الانتحار.. والأمن النفسي

د. وصفي عاشور أبوزيد

لا يحتاج حكم الانتحار من الناحية الشرعية إلى كثير كلام، فحسبنا أن الله تعالى حرم ذلك مباشرة في القرآن الكريم فقال: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (النساء: ٢٩).

ولأن في قتل الإنسان نفسه كفرًا بقضاء الله؛ لأن الله هو الذي يحدد ميعاد ولادة كل شخص وميعاد وفاته، فبذلك يكون المنتحر وكأنه يريد تحديد ميعاد وفاته، وهذا ليس من حق المخلوق، ولكن من حق الخالق وحده.

وعن ثابت بن الضحاك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة» (رواه البخاري ومسلم).

وعن جندب بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينًا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة» (رواه البخاري ومسلم).

فهذه نصوص شرعية شريفة من القرآن والسنة لا تترك احتمالا أو وجهًا لرأي آخر يقضي بجواز هذا التصرف العجيب تحت أي ظرف ولأي سبب كان.

المؤمن الحق لا ينتحر أبدًا

إن المؤمن الذي آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، لا يمكن أبدًا أن يقدم على إنهاء حياته لسبب دنيوي مثل ضيق ذات اليد، أو ضائقة يمر بها، أو ظرف صعب يتلبس به، أو ظلم وقع عليه ونحو ذلك، وإنما يستطيع المؤمن أن يذكر أن له ربًا فوق الأسباب؛ يستريح إلى معونته، أما غير المؤمن فليس أمامه سوى اليأس؛ ولذلك نجد انتشار الانتحار بين غير المؤمنين؛ لأن هناك أحداثًا فوق أسبابهم، ولا يستطيعون دفعها، وليس لهم إيمان بربٍّ يرجعون إليه.

يقول العلامة محمد رشيد رضا: «ولذلك نرى بخع النفس (الانتحار) يكثر حيث يقل الإيمان، ويفشو الكفر والإلحاد، ومن فوائد الإيمان مدافعة المصائب والأكدار، فالمؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر، فليس من شأنه أن يبخع نفسه حتى يُنهى عن ذلك نهيًا صريحًا».

الحضارات المادية ونصيبها من الروح

إن هناك بلادًا وصلت لأقصى ما يمكن أن تصل اليه الحضارة المادية، ولكنها فقيرة إلى الروح والنفس والأمن النفسي الداخلي الذي ينبعث من الإيمان الحق، والإسلام الصدق لله الكبير المتعال!

انظر مثلًا إلى بلد مثل السويد، وهي من أغنى دول العالم، ومع ذلك يكثر بها الجنون والشذوذ والعقد النفسية، ويكثر بها الانتحار نتيجة الضيق الذي يعانونه، مع أنهم أغنى وأعلى في مستوى دخل الفرد؛ فالمسألة -إذن- ليست حالة اقتصادية، إنما مسألة منهج لله تعالى غير مُطبق وغير معمول به، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤)؛ ولذلك لو عشنا بمنهج الله لوجدنا لذة العيش ولو مع الفقر.

يقول صاحب الظلال: «وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوروبي من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد». حيث الرخاء المادي والحضاري العجيب.. ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان بالله؟ إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب.. ثم الانتحار.. والحال كهذا في أميركا.. والحال أشنع من هذا في روسيا.. إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة؛ فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة، ولينعموا فيه بالأمن والظل والراحة والقرار».

ويقول العلامة محمد أبوزهرة: «ولذا تجده يكثُر الانتحار وبخع النفس عند المسرفين في المعاصي، والمسرفين على أنفسهم بقلقهم، وعدم اطمئنانهم، ومع ذلك يكون إحساسهم بسد الطرق في وجوههم».

الإيمان.. والأمن النفسي

إن المؤمن الذي يوقن بأن الله تعالى هو القوي، وهو الوهاب، وهو القادر، والقاهر فوق عباده، وهو المهيمن، وهو الذي يكفل للإنسان رزقه، ويضمن له مستقبله، تترسخ في نفسه عقيدة واضحة قوية متماسكة راسخة تحول بينه وبين أن يقدم على ما يغضب الله، أو يستعجل ما قسمه الله بمعصية الله، وإنما يطلب الأمور بقدر، ولا يتعجل ما عند الله بمعصيته؛ ولهذا فهو مطمئن دائمًا، هادئ البال أبدًا، واثق في قوة الله وقدرته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

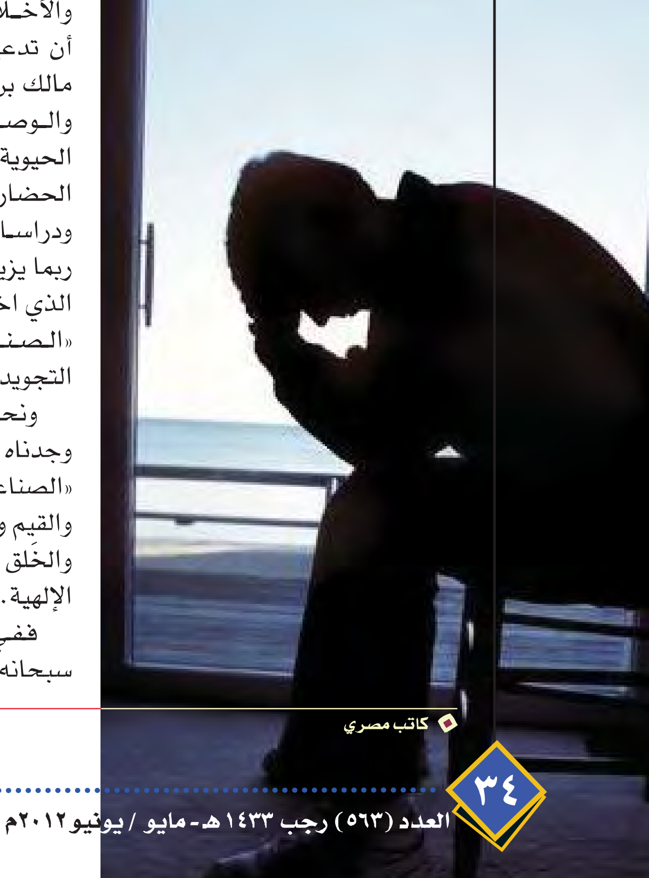
??????



صناعة الأمل.. ضمانُ فاعليةِ الأمة

السنوسي محمد السنوسي

اعتدنا فيما يتعلق بالأمور المادية وظواهر الكون أن نسمع كلمة «الصناعة»، وأن نتحدث كثيرًا عن أهمية الصناعة في التطور الحضاري وتوفير مستوى الرفاهية الذي يطمح إليه الكثيرون، بالإضافة إلى تقسيم الصناعات إلى صناعات ثقيلة، وأخرى متوسطة، وثالثة خفيفة.



كما درجت بعض الكتابات على تقسيم مراحل التاريخ التي مرت بها البشرية، من حيث العمران والتطور المادي، إلى المرحلة البدائية، ثم الزراعية، ثم الصناعية، ثم الدخول في عصر الذرة والفضاء والتكنولوجيا والتطور اللانهائي والمتسارع مما تشهده البشرية تقريبًا كل لحظة!

هذا كله نعرفه عن «الصناعة» في عالم المادة والأشياء.. لكننا على العكس من ذلك، قلّما نستخدم كلمة «الصناعة» في عالم القيم والمفاهيم والأخلاق والتربية؛ على الرغم من أن تدعيمَ هذا العالَم- الذي يسميه مالك بن نبي «عالم الأفكار»- وتفعيله والوصول به إلى درجة عالية من الحيوية والفاعلية للخروج من المأزق الحضاري، يحتاج إلى جهد وتخطيط ودراسات وبذل بما لا يقل أبدًا- بل ربما يزيد!- عماً يحتاجه عالم الماديات الذي اختُص بالنصيب الأوفر من كلمة «الصناعة» بما تحويه من معاني التجويد والإتقان والتخطيط والمتابعة.

ونحن إذا تدبرنا القرآن الكريم، وجدناه يستخدم في دقة بالغة كلمة «الصناعة» في العالَمَين، عالم الأفكار والقيم والمفاهيم، وعالم الأشياء والمادة والخَلق الذي تتجلى فيه بدائع القدرة الإلهية.

ففي المقام الأول، يخاطب ربنا سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام ممتنًا عليه، ومذكّرًا إياه بنعمه واصطفائه، بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩) وقوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١). فنحن هنا أمام حديث قرآني عن «صناعة» للإنسان، مع ملاحظة أن تلك «الصناعة» لم ترد عند الحديث عن الإنسان، مجرد إنسان، بل وردت فقط عند الحديث عن واحد من أولي العزم من الرسل والأنبياء، وهم الذين جعلهم الله سبحانه «النموذج الكامل» للإنسانية.. مما يدل على ارتباط «الصناعة» بالإنسانية في أفضل صورها وأجلّ صفاتها.

أما المقامَ الثاني، وهو عالم الخَلق والإبداع مما نشاهده كل لحظة، وننعم بخيراته وظلاله في نعم الله التي لا تعدّ ولا تحصى، فقد وردت فيه آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، وقوله تعالى مخاطبًا نبيه نوحًا عليه السلام: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧).

ولاشك أن وُرود كلمة «صناعة» في معرض الامتنان ومخاطبة نبي كريم من أنبياء الله، وأيضًا عند الحديث عن آثار قدرة الله سبحانه في الكون؛ هو أمر له دلالته ومغزاه مما يحتاج

كاتب مصري



الأمل قاطرة تجر خلفها الجسد المثخن بالجراح.. واليأس قرين الكفر والضلال

لوقفة مفصلة ليس هذا موضعها، فقد أردت مجرد الإشارة إلى ارتباط لفظة «الصناعة» بعالم الأفكار والقيم والمفاهيم تمامًا كما ترتبط بعالم الأشياء والمادة والخَلق.

ونحن في هذا الظرف الدقيق من تاريخنا، ومحاولات استئناف الشهود الحضاري، واستعادة الفاعلية لأمتنا صاحبة الرسالة الخاتمة، وأمام تلك التحديات المتراكمة التي تواجهنا، لا نحتاج فحسب إلى الأمل، بل إلى أن يتحول الأمل- مع مجموعة أخرى من القيم والمفاهيم والأفكار- إلى «صناعة» راسخة وعميقة في حياتنا وتصوراتنا وسلوكاتنا، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، بحيث نستطيع الصمود أمام العقبات ونتخطاها، وبحيث نصنع من المحن منَحًا، ومن الألم أملًا، ومن دواعي التثبيط والهزيمة والتخذيل أسبابًا ودوافعَ للبقاء والصمود والنهوض والإبداع، واستئناف دورنا الحضاري والإنساني من جديد..

فـ«الأمل» هو من «الصناعات الثقيلة» المطلوب توافرها لمشروع النهضة، وهو بمنزلة «القاطرة» التي تجرُّ خلفها هذا الجسد المثخَن بالجراح، وتدفعه دفعًا لليقظة واستئناف المسيرة.

لماذا الأمل؟

إن الإنسان بلا أمل هو ريشة في مهب الريح، لا إرادة له ولا اختيار، يتحول إلى «شيء» ليس له من سبيل إلا ردة الفعل، ينتظر فعل الآخرين حتى يحدد لنفسه ما يمكن أن يتخذه من قرارات، وربما لا يقدر على اتخاذ أي قرار!!

هو- دون أمل- غير قادر على أخذ زمام المبادرة، وإثبات الذات، وتلبية طموحات النفس؛ فضلًا عن تحقيق حاجاتها الضرورية.

وبالتالي فإن أمةً دون أمل راسخ عند أبنائها، هي «قطيع» من البشر، يساق إلى هَلَكَته وحتفه ولا يملك دفعًا ولا نصرًا!! وهي حينئذ- كما جاء في الحديث الشريف- «غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ» (رواه أحمد).

ولن تتحول الأمة- أي أمة- إلى «غثاء» رغم كثرتها، إلا إذا فقدت فاعليتها، وأصبحت مجموعة أصفار مضافة إلى أصفار.. وهل ثمة شيء يستطيع أن يشلّ فاعلية الإنسان مثل أن يحيا بلا أمل؟!

إن استحضار الأمل «الغائب»، كأنما هو «واقع» تراه العين وتلمسه اليد! واستئناس النفس بالفرج القريب، وبالفجر القادم خلف ظلمات الليل البهيم، هو طوق النجاة لها من تتابع الأزمات، وانسداد الأبواب، وتعقد المشكلات.. وهو كفيل- حين يبعث على استنفاد الأسباب- بأن يجعل الإنسان من داخله في طمأنينة ورضا وسكينة، وبأن تنفسح ذاته حتى تجد في تلك الطمأنينة والرضا والسكينة عوضًا عن ضنك الحياة وبؤس الواقع.

وهذا الأمل الذي ينبغي على المسلم أن يستحضره، لا ينبني فقط على الإمكانات المادية التي يملكها بالفعل أو يتوقع حدوثها بالظن، بل يتأسس بالدرجة الأولى على الإيمان بالله سبحانه والثقة التامة في قضائه وقدره الذي هو دائمًا- أيًّا كانت صورته الظاهرة- خير للإنسان.

لذلك لم يكن عجيبًا أن تقترن الصفة التي تضاد الأمل، وهي اليأس، بالضلال والكفر، والعياذ بالله، كما جاء في قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦) وفي قول نبي الله يعقوب عليه السلام وهو يخاطب أبناءه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

وفي المقابل، جاء في السنة النبوية ما يؤكد الارتباط الوثيق بين التحلي بالأمل وإحسان الظن وبين الإيمان بالله والثقة في قدره، ففي الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (رواه البخاري ومسلم) وفي بعض الروايات: «فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» (رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح)، وجاء أيضًا: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم). وقد ورد في الحكمة: تفاءلوا بالخير تجدوه.

تاريخنا.. يفيض بالأمل

قد يحلو للبعض ألا يرى في



مسيرة تاريخنا الإسلامي إلا متواليات من النكبات والعدوان والمؤامرات علينا من أعدائنا بشتى الوسائل ومختلف الطرق، بدءًا منذ أن جهر النبي ﷺ في مكة بالدعوة، إلى إسقاط الخلافة الإسلامية في أوائل القرن العشرين سنة ١٩٢٤م، ذلك الإسقاط الذي يعد الحدث الأبرز والأسوأ في تاريخنا المعاصر.. ليدلل بذلك على مدى الظلم الذي تعرض له الإسلام، وعلى قسوة التحديات التي عاناها المسلمون.



وقد أتفق مع وجهة النظر هذه، غير أني أستدرك وأقول: إنها لا تمثل إلا نصف الحقيقة على أحسن الأحوال! أما النصف الآخر- وربما الأهم- فهو أن أمتنا لم تستسلم أبدًا لتلك المؤامرات والنكبات، ولم ترفع الراية البيضاء قط، ولم تنسَ أنها صاحبة رسالة وإيمان ومبادئ كفيلة بأن تحرك طاقاتها من جديد.. يحدوها في ذلك إيمان وثيق بالله سبحانه، وأمل ثابت لا يتزحزح في وعده ونصره للعاملين.. فهو سبحانه القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، والقائل أيضًا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحشر: ٢١).

ومن أراد أن يقلب صفحات التاريخ، فليسأل «القرامطة» وما فعلوه سنة ٣١٧هـ بانتزاعهم الحجر الأسود ليبقى عندهم اثنتين وعشرين سنة.. أو ليسأل «الصليبيين» وما فعلوه من قتل وتخريب ببيت المقدس سنة ٤٩٢هـ، حتى غاصت الخيول في الدماء.. أو ليسأل «التتار» حين دمروا بغداد بقيادة السفاح هولاكو سنة ٦٥٦هـ، وقتلوا خليفة المسلمين وآلاف الرجال والنساء والأطفال، ودمروا الكتب حتى تألف منها جسر في نهر دجلة يمرّ الناس عليه، وتغير لون الماء إلى السواد!!

ليسألْ كلَّ هؤلاء وغيرَهم: هل استكان المسلمون لنكبة حلّت بهم؟! هل يئسوا أمام تحدٍّ مهما كانت قسوته وعنفوانه؟! هل عرِف قاموسهم الفكري والثقافي والسلوكي معنى «اليأس» يومًا ما؟!

إن نجاح المسلمين في تخطي تلك العقبات، واحدة تلو الأخرى، لهو شاهد صدق على ما تحلّوا به من إيمان بالله، منحَهم الثقة فيما بين أيديهم من منهج سماوي، وفتحَ لهم أبوابًا واسعة من الأمل الدافع للعمل، وليس المفضي إلى التواكل والاستخفاف بالأسباب.

ومن هنا، فتجارب التاريخ تدلنا على أن أمتنا قد تمرض لكن لا تموت.. وقد تُهزم لكن لا تُسحق.. وقد يصيبها ما أصاب الأمم السابقة من الضعف والانكسار، غير أنها تظل الأقدر من غيرها على حشد الصفوف من جديد، وطيّ صفحة الهزيمة بسرعة لا نظير لها في تاريخ الأمم والحضارات الأخرى.

الأمل والفاعلية

إن ترسيخ «صناعة الأمل» بحيث تصبح جزءًا من كيان الفرد والمجتمع والأمة، ينعكس إيجابيًّا على الأفكار والسلوكات وجميع مناشط الحياة.. هذا الترسيخ يتطلب تكاتف جهود المفكرين والدعاة والعلماء والتربويين ومناهج التعليم ووسائل الإعلام، حتى يمكن إعادة صياغة الإنسان صياغة جديدة فاعلة، بعيدًا عن أجواء الهزيمة المكبّلة التي حاصرت الأجيال في القرون الأخيرة، وأشاعت ثقافة الفردية والأنانية واليأس والقنوط، والهروب من المسؤوليات وتحدي العقبات!!

وكما سبق فإن «صناعة الأمل» ترتبط بمجموعة من الأفكار والقيم، التي يتحول الإنسان بها ومعها إلى طاقة فاعلة إيجابية، تصنع التغيير وتتجاوز المثبطات، وتطمح إلى استكشاف المستقبل ولا تقع في إسَار الواقع، مهما كان ضاغطًا وثقيلًا ومكبلًا؛ فضلًا عن قدرة هذا الإنسان حينئذ على تجاوز الماضي بأخطائه وأحزانه.

• فصناعة الأمل تتأسس عند المسلم أول ما تتأسس، على الإيمان بالله سبحانه والرضا بقضائه وقدره، فهو سبحانه مالك الكون وما فيه ومَن فيه، وبيده مقاليد كل شيء، لا يشذ صغير أو كبير عن حكمه وسلطانه، كل الأمور

تبدأ من عنده وتنتهي إليه، وهي ما بين البداية والنهاية تجري على قدَره وإرادته ووفق مشيئته وحكمته.

فإذا اعتقد المسلم ذلك اعتقادًا جازمًا، وأدركه إدراكًا لا يخالطه شك ولا ريبة، فهل يمكن أن يتسرب إليه يأس أو قنوط؟! وهل يفارقه الأمل لحظة واحدة؟!

• ومن ثم، فإن «صناعة الأمل» يؤدي التحققُ بها إلى بناء النفس السوية غير المتشائمة اليائسة المحبطة، وإلى تكوين الشخصية الفاعلة في الحياة، التي تأخذ بزمام المبادرة ولا تستكين.

• و«الأمل» هو الذي يدفع إلى توظيف الإمكانات المتاحة- مهما قلّت- لتخطي العقبات وتجاوز المحن، فلولا الأمل، لما وُجد الدافع الذي يحدو الإنسان على الطريق، رغم أنه قد يبدأ من الصفر.. فالإمكانات المادية لم تكن أبدًا هي العائق أمام الإنسان صاحب الأمل والإرادة، وكما قيل: لا يَعدم صاحبُ الغاية وسيلةً. المهم أن يتوافر الإنسانُ صاحب الإرادة القوية، والهدف الواضح، والأمل الثابت، ثم بعد ذلك يبقى إدراك الهدف مسألة وقت لا غير!

• وبإيجاز، نستطيع أن نقول: إن «صناعة الأمل» هي «كلمة السر» في ضمان استمرارية فاعلية الأمة الإسلامية- بل وأي أمة- وعدم انزلاقها إلى مستنقع «الانتحار الحضاري»، أو الركون والموات.

وإن «صناعة الأمل» يحتاجها الفرد كما تحتاجها الأمة، وهي ضرورية حال الهزيمة لنصحو وننهض، مثلما هي ضرورية حال الانتصار لنحافظ على مواقعنا، ونصنع مزيدًا من الفرص والنجاحات، ولا نصاب بالغرور والانكماش والجمود.

وفاة خطيب الأقصى.. الشيخ حامد البيتاوي

التحرير



فقدت الأمة الاسلامية خطيب الاقصى رئيس رابطة علماء فلسطين الشيخ حامد البيتاوي (٦٨ عاما) إثر تدهور في وضعه الصحي.

وكان الشيخ حامد البيتاوي قد نقل قبل فترة إلى مستشفى المقاصد بالقدس إثر تدهور حالته الصحية واحتياجه لعملية قلب مفتوح، حيث حاول السفر للخارج لتلقي العلاج لكن سلطات الاحتلال الصهيوني رفضت ذلك ومنعته من الخروج، كما رفض الشيخ نفسه تلقي العلاج بالمستشفيات الصهيونية، مما اضطرهم لإجراء العملية له بالمستشفى المذكور بالقدس وفق موقع الجزيرة نت.

وينحدر الشيخ حامد من قرية بيتا جنوب شرق نابلس شمال الضفة الغربية، ودرس فيها مراحله الدراسية الأولى عام ١٩٤٦، وتخرج في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية عام ١٩٦٨، ثم حصل على درجة الماجستير في الفقه والتشريع، في كلية الشريعة بجامعة النجاح بنابلس عام ١٩٩١.

ثم عمل الشيخ في المحاكم الشرعية الفلسطينية، وتدرج بالعمل فيها إلى أن عُيّن قاضيا شرعيا لمحكمة الاستئناف الشرعية بالضفة الغربية، ثم عضوا بمجلس القضاء الأعلى.

ويسكن البيتاوي مدينة نابلس منذ عشرات السنين، ويُعتبر من كبار الدعاة الإسلاميين في فلسطين، لاسيما أنه عمل خطيبا للمسجد الأقصى لعدة سنوات، ورئيسا لرابطة علماء فلسطين.

غير أن سلطات الاحتلال كانت له بالمرصاد دوما، حيث أقدمت السلطات الصهيونية على فرض الإقامة الجبرية عليه عام ١٩٧٩، ومنعه من مغادرة مكان سكنه في نابلس لعدة سنوات ومنعته من السفر خارج الوطن.

كما اعتقلته عام ١٩٩٠ لمدة عام كامل قضاه في مختلف سجون الاحتلال، وأبعدته عام ١٩٩٢ إلى مرج الزهور في جنوب لبنان، مع ٤١٥ فلسطينيا بتهمة الانتماء لحركة حماس.

وأعاد الاحتلال اعتقاله عام ٢٠٠٧ إثر انتخابه عضوا في المجلس التشريعي عن كتلة التغيير والإصلاح عام ٢٠٠٦، وذلك ضمن حملة استهدفت غالبية نواب ووزراء ورؤساء البلديات والمجالس المحلية التابعة لقائمة التغيير والإصلاح في الضفة الغربية، حيث لا يزال يقبع إلى الآن قرابة ٢٧ نائبا تشريعيا في سجون الاحتلال.

كما اعتقلته السلطة الفلسطينية لعدة أشهر عام ١٩٩٨ لمعارضته المفاوضات مع الكيان الصهيوني.

وأصدر الشيخ البيتاوي عدة مؤلفات في حياته، منها الدينية ومنها السياسية، كان أهمها «سلسلة خطب داعية» و«ذكريات الإبعاد في مرج الزهور» و«رجال عرفتهم» و«اليهود»، و«المنافقون في القرآن الكريم» و«انتفاضة الأقصى».

حقائب طالب العلم

(منهج التأصيل الشرعي لطالب العلم)

أ.د. محمد بن علي باجابر

الحقائب العلمية هي حقائب تحتوي على منهج مقترح لطلاب العلم والراغبين فيه في هذا الزمان الذي شحت فيه المعاهد العلمية، وكثر فيه التخبط والعشوائية، وهي محاولة لإرشاد طلاب العلم إلى طريقة صحيحة لتحصيل العلم الشرعي، وتجنب الطرق الخاطئة في التحصيل، وهو جهد بشري قابل للتصويب والتحسين، نضعه بين أيدي الراغبين في طلب علوم الشريعة، ليكون لهم هاديًا ومرشدًا ودليلا.

أولًا: أسباب إخراج الحقائب العلمية

إن الباعث على إخراج هذه الحقائب هو واقع حال كثير من طلاب العلم، وما يعانونه من عدم وجود منهجية وخطة علمية يسيرون عليها، وما ترتب على ذلك من آثار غير محمودة، فجاءت هذه الحقيبة كعلاج مقترح لحل هذه المشكلة أو الحد منها.

أ- واقع طلاب العلم

إن المتأمل في واقع طلاب العلم اليوم يلحظ بجلاء الواقع التالي:

١- عدم وجود المدارس الشرعية التي تقوم ببناء وتأسيس طالب العلم المتأصل في علوم الشريعة، وأما ما يوجد من معاهد علمية ونحوها فهي ليست متاحة لكل أحد، بل هي محصورة في عدد محدود ممن تنطبق عليهم شروط القبول في هذه المعاهد.

٢- وجود طلاب علم كثر راغبين في العلم الشرعي وحريصين على تحصيله، وتكوين أنفسهم تكوينًا علميًا صحيحًا، ويظهر ذلك جليًا من خلال أمور عدة:

منها: حرص الكثير من الطلاب على حضور الدروس والدورات الشرعية المقامة في المدن المختلفة، وسفر بعضهم إلى مدن بعيدة لحضور درس علمي أو دورة شرعية.

ومنها: إبداء كثير منهم الرغبة في طلب العلم الشرعي، وطلب إقامة بعض الدوس الشرعية في مناطقهم المختلفة.

ومنها: الإقبال الكبير على المكتبات التجارية لشراء الكتب الشرعية.

وهذا الإقبال ظاهر لكل من مارس تدريس علوم الشريعة في المساجد وغيرها.

الإخلال بالتدرج في الطلب أثمر عشوائية في المنهج وانتقائية مزاجية للدروس

٣- عدم وجود منهج علمي شامل متدرج، فقد نتج عن هذا الإقبال الشديد على طلب العلم مع عدم وجود المعاهد الشرعية التي تستوعب الجميع، وجود عشوائية في منهج الطلب عند هؤلاء الطلاب، وانتقائية في حضور الدروس وفي اختيار المشايخ، لعدم وجود منهج علمي متدرج يسير عليه الطالب الراغب في التحصيل.

ولذا فقد أصبح كثير من الطلاب يحضرون دروسًا علمية وغيرُها أولى منها، أو يدرسون علومًا مبنية على معرفة علوم أخرى قبلها، أو يشرعون في دراسة بعض الكتب المطولة قبل الكتب المختصرة، وكل ذلك مبني على الرغبة الشخصية عند الطالب، أو الإعجاب بالشيخ المدرس، أو غير ذلك من أسباب.

ومثال ذلك: حضور بعض الطلاب دروسًا في كتب الحديث الستة، قبل أن يقرأ قبلها مختصرًا في الحديث وشيئًا في النحو أو الفقه.

أو يحضر درسًا في كتاب «كشاف القناع» في مذهب الإمام أحمد، أو «شرح المجموع» للإمام النووي الشافعي، قبل أن يدرس مختصرًا «كدليل الطالب» أو «متن أبي شجاع».

◆ جامعة الملك عبدالعزيز - جدة.

أو يشرع في دراسة «ألفية ابن مالك» في النحو قبل أن يعرف «الآجرومية» ونحوها، ويقاس على هذا.

خلاصة القضية

وتتلخص القضية في ثلاث مشكلات كبرى، يقع فيها الدارسون لعلوم الشريعة في طريقة الطلب، وهي:

١- الإخلال بالتدرج في اختيار العلم المطلوب درسه وإتقانه، وذلك بالبدء بعلوم المقاصد قبل علوم الآلة.

٢- الإخلال بالتدرج في اختيار الكتاب المقرر، وذلك بالبدء بالكتاب المطول قبل الكتاب المختصر.

٣- الإخلال بالتدرج في اختيار طريقة الشرح للكتاب المقرر، وذلك بحضور الدروس العلمية المشروحة من قبل المشايخ بطريقة مطولة، تناسب كبار طلاب العلم، ولا تناسبه لحاجته للشروح المختصرة.

٤- الإخلال بالشمولية لعلوم الآلة وعلوم المقاصد، والاقتصار على بعض العلوم مع الإهمال الكلي لعلوم أخرى.

ب- الآثار المترتبة

وقد نتج عن فقد المنهج العلمي للتحصيل عند كثير من الطلاب، والفوضى في اختيار الدروس والعلوم والكتب التي يدرسونها وهم غير مؤهلين لذلك، عدد من العيوب والسلبيات منها:

١- انقطاع كثير من الطلاب الراغبين في طلب العلم عن طلبه، بسبب فقد المنهجية وعدم التدرج في الطلب، وذلك حين يشرع الطالب من عند نفسه في دراسة الكتب المطولة قبل المختصرات، فيصعب عليه العلم، وينقطع عن طلبه، بعد أن يغلب عليه اليأس والإحباط، واعتقاد أن العلم صعب المنال، وحقيقة الأمر تكمن في عدم التدرج في الطلب.

٢- طول الزمن الذي يمكنه الطالب، وعظم الجهد الذي يبذله في التحصيل مع قلة الثمرة المجنية في مقابل هذا الزمن الطويل والجهد الكبير، وذلك بسبب فقد المنهجية، حيث يمضي الطالب وقتًا طويلًا، ويبذل جهدًا عظيمًا في دراسة كتاب مطول لم يحن أوانه بعد، ولو قرأ مختصرًا لكان أنفع له، أو يبذل ذلك في تعلم علم من علوم المقاصد كالفقه مثلًا، قبل علوم الآلة كالنحو، فتقل الاستفادة بسبب ترك التدرج، مع عظم الجهد المبذول في تعلم شيء وغيره أولى منه.

٣- ضعف التكوين العلمي عند طلاب العلم الذين يدرسون بغير منهجية، وذلك بسبب عدم معرفة الطالب بالعلوم المهمة التي يجب تقديمها وإتقانها، والاشغال بغيرها، بل قد يصل الأمر إلى إهمال بعض المواد المهمة بالكلية وعدم معرفتها، فضلًا عن إتقانها.

ومن صور ذلك الانشغال بعلم الفقه والتوسع في الخلاف والترجيح بين المذاهب والأقوال دون دراسة وإتقان لعلم أصول الفقه، الذي بقواعده يمكن الترجيح، أو معرفة بعلم الجرح والتعديل الذي به يتميز الصحيح من الضعيف، ويعرف المحفوظ من الشاذ، أو إدراك لعلوم اللغة العربية التي بها تفهم النصوص.

ولاشك أن هذا الحال ينبئ عن ضعف علمي، فإن العلوم مترابطة، يكمل بعضها بعضًا، والإخلال ببعضها يؤدي غالبًا إلى الإخلال بالبعض الآخر، ولذا يحتاج من هذا حاله إلى استكمال هذا النقص، لينتفع بهذا العلم وينفع الآخرين.

٤- ظهور فئة من أنصاف المتعلمين وتصدرهم للتعليم والإفتاء والتوجيه والأحكام في النوازل وعلى الأشخاص، واعتقاد أهليتهم للاجتهاد، وصدور بعض الفتاوى الشاذة والأقوال الباطلة، التي يترتب عليها خرق الإجماع، والجرأة على العلماء بتخطئتهم أو تفسيقهم أو تكفيرهم، وإثارة الفتن في المجتمعات، والتحريض عليها، ما قد يفضي إلى انتهاك الأعراض، ونهب الأموال، وسفك الدماء المعصومة، كل ذلك بسبب الجهل وقلة التحصيل مع اعتقاد الأهلية للاجتهاد، وكم سمعنا عجبًا: حين يتكلم الصغار في قضايا كبار لو عرضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر رضي الله عنهم أجمعين.

ولو اشتغل هؤلاء بطلب العلم على وجهه لعلموا سوء البضاعة وقلتها، ولهابوا الكلام في العلم والجرأة على الفتوى.

٥- الخوف من انتقال المشكلة وسريان العدوى إلى الأجيال القادمة، فإن الإناء ينضح بما فيه، ويخشى أن تعم هذه الفوضى وتنتشر، ويظن الناس أنها هي الطريقة المثلى في التحصيل، وتصبح سنة متبعة في مستقبل الأيام، ما لم تعالج وتصحح في مهدها.

ج- العلاج المقترح

يمكن علاج هذه المشكلات بطرق عدة، ومن هذه الطرق:

١- الدروس الشرعية المنهجية

وذلك بإقامة دروس علمية منهجية لمدة سنوات، على غرار المعاهد الشرعية النظامية، تقام في كل مدينة في بعض مساجدها، يضع العلماء مناهجها، ويقررون كتبها، ويحددون مدرسيها، وينتظم طلابها، وتصرف لهم الشهادات العلمية من الجهة المنظمة (كوزارة الشؤون الإسلامية مثلًا).

وهو مقترح كبير يحتاج إلى دراسة وافية، وإعداد جيد، وميزانية مناسبة، ولذا جاء الاقتراح الأسهل والأقرب للتنفيذ والأقل كلفة وهو المقترح الآتي:

٢- المنهج العلمي المقترح (الحقائب العلمية)

وذلك بوضع مقترح لطلاب العلم يسيرون عليه، أو عدة مناهج علمية متقاربة تؤدي الغرض وتفي بالمقصود، بحيث يراعي هذا المنهج التدرج في طلب العلم، والشمول في دراسة العلوم، من خلال دراسة المتون العلمية في عدد من العلوم المهمة، التي تعين على تكوين طالب علم متأصل.

والمنهج العلمي المقترح هو منهج تقريبي، يُحددُ العلوم التي يجب دراستها ولا ويقبل إهمالها، ويقترح عددًا من الكتب المناسبة لكل علم، ولكل مستوى تعليمي، بحيث يعرف الطالب ما هي العلوم التي ينبغي عليه معرفتها، ولا يترك له الاجتهاد في تحديد منهجه العلمي بنفسه، أو بواسطة أقرانه، ويمكن تطبيق هذا المنهج من خلال ما يلي:

أ- أن يتردد الطالب على أهل العلم ليقرأ عليهم هذه العلوم، وفق هذا المنهج المقترح.

ب- كما يمكن تبني بعض أهل العلم لهذا المنهج أو نحوه، والقيام بتدريسه لطلابهم في المساجد وغيرها.

ومن المهم نشر هذا المفهوم بين الطلاب، وإشاعة هذه الثقافة المنهجية في طلب العلم بين طلابه، بحيث يعرف كل من أراد سبيل التعلم أنه ينبغي عليه أن يسير وفق منهج علمي وخطة مدروسة محكمة، توصله بإذن الله إلى مراده ومطلوبه، والبعد بهؤلاء المقبلين على العلم عن الفوضى الحاصلة في طريقة التلقي والطلب، وترك الاجتهاد في تحديد منهج التحصيل العلمي الذي لا يوصل إلى المطلوب، بل يوقع غالبًا في نقيضه.

ومن المعلوم أنه لا حرج في تعدد المناهج واختلاف الكتب المقررة ما دامت متقاربة، يحصل بها المطلوب ويؤدي من خلالها الغرض، حيث إنها وسائل اجتهادية وليست قطعية ملزمة.

ثانيًا: التعريف بالحقائب العلمية

فكرة الحقائب العلمية جاءت لاستكمال بعض النقص في الساحة العلمية، وليست هي الحل الأفضل والأكمل، لكنها إحدى الحلول الممكنة.

وتتلخص فكرة هذه الحقائب في عمل ثلاثة برامج علمية، لتكون على مستويات متدرجة، بحيث يوضع كل برنامج علمي في حقيبة مستقلة، تحتوي كل حقيبة على ما يلي:

١- بيان المستويات والمراحل العلمية.

٢- الخطة الدراسية لهذا المستوى.

٣- الكتب المقررة في هذا المستوى (في ملفات بصورة) «وورد» أو «pdf».

٤- قراءة المتون العلمية صوتيًا.

٥- الشروح الصوتية للكتب المقررة.

٦- طريقة الدراسة والمراجعة لكل مادة في هذا المستوى.

٧- الأسئلة والتدريبات لبعض المواد بحسب الحاجة.

٨- المراجع العلمية لبعض المواد بحسب الحاجة.

وتفصيل ذلك في الآتي:

أ- محتويات الحقائب:

١- بيان المستويات والمراحل العلمية

تحتوي الحقائب على ثلاثة مستويات علمية، كل مستوى في حقيبة مستقلة، بحيث يتدرج الطالب من خلالها، فيبدأ بالمستوى الأول، ويدرس جميع موادها، ثم ينتقل إلى المستوى الثاني فيدرس جميع موادها، ثم ينتقل إلى المستوى الثالث كذلك، ولا ينتقل إلى مستوى قبل إتمام الذي قبله.

٢- الخطة الدراسية لهذا المستوى

تحتوي الحقيبة على منهج علمي وخطة دراسية متكاملة لكل مستوى، لكي يسير الطالب وفقها، بحيث لا يترك له الاجتهاد في اختيار المواد، والكتب التي يدرسها، والطريقة التي يدرس بها، وما يقدم من تلك المواد وما يؤخر منها.

وسيأتي تفصيل ذلك في المنهج العلمي والمقررات الدراسية.

٣- الكتب المقررة في هذا المستوى

تحتوي الحقيبة أيضًا على الكتب المقررة في الخطة الدراسية على صورة ملف «وورد» أو «pdf»، تيسيرًا على الطالب، وخشية من عدم توفر الكتاب في بلد الطالب.

وسيأتي بيان أسماء الكتب المقررة في المنهج العلمي والمقررات الدراسية.

٤- قراءة المتون العلمية صوتيًا

تحتوي الحقيبة على ملفات صوتية للمتون المقررة في الخطة الدراسية بحسب الاستطاعة والحاجة، ليتعلم الطالب القراءة الصحيحة للمتون، ولتيسير حفظها على الطلاب.

٥- الشروح الصوتية للكتب المقررة

تحتوي الحقيبة على شروح صوتية مقترحة للكتب المقررة في الخطة الدراسية، ماعدا الكتب التي وضعت

فقد منهج التحصيل أساس ضعف التكوين العلمي لطلاب العلم

للاطلاع، والتي يطلب من الطالب قراءتها فقط، ولا تحتاج إلى شروح كالسيرة النبوية وغيرها.

٦- طريقة الدراسة والمراجعة لكل مادة في هذا المستوى

تحتوي الحقيبة على ملف لكل مادة يتضمن طريقة دراسة هذه المادة، وطريقة التحضير المسبق، والمراجعة.

٧- الأسئلة والتدريبات لبعض المواد بحسب الحاجة

تحتوي الحقيبة على ملف لكل مادة يتضمن اسئلة وتدريبات لبعض المواد، لحلها والتدريب عليها، لتعينه على فهم المادة والتمكن منها.

٨- المراجع العلمية لبعض المواد بحسب الحاجة

تحتوي الحقيبة على مراجع علمية للاستزادة والتوسع في بعض المواد، وهي على سبيل الاختيار لا الإلزام، وهي على صورة ملف «وورد» أو «pdf»، وهذه المراجع في بعض المواد وليس في جميعها، وذلك بحسب الحاجة.

ب- طريقة تنفيذ البرنامج العلمي بمستوياته:

١- التدرج في المستويات

يجب على الطالب مراعاة ترتيب المراحل الثلاث، فيبدأ بالمستوى الأول ويدرس جميع مواده مرتبة بحسب ترتيب الخطة العلمية، ثم ينتقل إلى المستوى الثاني فيدرس جميع مواده، ثم ينتقل إلى المستوى الثالث كذلك، ولا ينتقل إلى مستوى قبل إتمام الذي قبله.

٢- التدرج في المواد

يجب على الطالب مراعاة ترتيب المواد في كل مستوى بحسب ترتيبها في الخطة، فيبدأ بالمادة الأولى في الخطة ويدرسها كاملة، بحيث يتقنها جيدًا، ثم ينتقل إلى المادة الثانية فيدرسها كاملة بحيث يتقنها أيضًا، ثم ينتقل إلى المادة الثالثة كذلك، وهكذا حتى يأتي على جميع المواد، ولا ينتقل إلى مادة قبل إتقان المادة التي قبلها.

٣- عدم الجمع بين أكثر من مادة

لا يجمع الطالب بين مادتين سوى القرآن الكريم فقط، فيمكن الاستمرار فيه حفظًا ومراجعة مع دراسة بقية المواد بالترتيب الموجود في الخطة.

٤- المدة الزمنية لكل مادة ومستوى

١ مدة كل مادة أو مستوى يختلف بحسب قدرة الطالب وفراغه، فالعبرة بالفراغ من المادة وإتقانها في أي مدة كانت، ثم الفراغ من المستوى الأول كاملًا مع إتقانه في أي مدة كانت، وهكذا الأمر في المستوى الثاني والثالث، فالأصل في المدة الزمنية أنها مفتوحة وغير مقيدة بزمن معين، بل هي مقيدة بالفهم والإتقان للمادة العلمية.

٢- ومع ذلك فقد اقترحنا مدة زمنية لتنفيذ كل مادة ومستوى، وهو اقتراح يستأنس به الطالب وليس ملزمًا، بحيث يمكن أن ينفذ هذا البرنامج في هذه المدة المقترحة أو قريبًا منها.

وقد وضعنا هذه المدة المقترحة أمام كل مادة في الخطة العلمية، فلتراجع في مكانها.

ج- تنبيهات:

١- البرنامج هو وسيلة مقترحة

هذا البرنامج هو مجرد وسيلة لتحصيل العلم، وليس هو الوسيلة الوحيدة لذلك، بل هو إحدى الوسائل الاجتهادية المقترحة.

٢- كتب البرامج المقترحة

- الكتب المذكورة في البرنامج هي مجرد كتب مقترحة يمكن الاستعاضة عنها بكتب تقوم مقامها من قبل الشيخ المدرس.

٣- إمكان التنفيذ عبر المشايخ

- يمكن للطالب أن يسير على هذا المنهج من خلال التردد على المشايخ، والدراسة عليهم وفق هذا البرنامج أو ما شابهه من البرامج، ومع ملاحظة عدم التوسع في الشرح.

د- طريقة دراسة المادة

١- تحديد الجزء المقروء خلال فهرس المحتويات.

٢- قراءة الجزء المقرر من المتن.

٣- سماع هذا الجزء صوتيًا (إن وجد).

٤- حفظ هذا الجزء من المقرر (إن كان ضمن مقرر الحفظ).

٥- سماع الشرح الصوتي للمادة.

٦- كتابة التعليقات أثناء الشرح.

٧- مراجعة الدرس المشروح.

٨- حل الأسئلة والتمارين المتعلقة بالجزء المشروح.

٩- الاطلاع على مراجع المادة إن وجدت، وذلك بحسب الرغبة في الاستزادة.

هـ- حفظ المتون

وقد اقترحنا في هذا البرنامج متونًا للحفظ في عدد من المواد العلمية بحسب الحاجة، وهو اقتراح يستأنس به الطالب ويمكنه الزيادة عليه بحفظ مزيد من المتون الأخرى التي لم تقترح في البرنامج.

وقد وضعنا هذه المتون المقترح حفظها أمام كل مادة في الخطة العلمية، فلتراجع في مكانها.

ثمار ورد ذكرها في القرآن الكريم

درويش الشافعي

جاء في القرآن الكريم ذكر لعدد كبير من الأطعمة والثمار أمثال «التين، الزيتون، الأعناب، الرطب، الرمان، الموز (الطلح)، الثوم، البصل، القثاء، القرع، الزنجبيل...» وغيرها، وإذا كان القرآن الكريم قد خص بعض الأطعمة والثمار بالذكر المباشر أو غير المباشر ولم يذكر جميع الثمار المعروفة كلها، فإن ذلك يشير والله تعالى أعلم إلى وجود أسرار وحكم عظيمة فيها وإلى كثرة منافعها وفوائدها واستعمالاتها، ولما كان الله العليم قد كلف الإنسان بالتفكر والتأمل والتدبر في جميع مخلوقاته- من أصغر نملة إلى أكبر جبل وأكبر كوكب بدليل قول الله تعالى (أفلا يتفكرون، أفلا ينظرون، أفلا يعقلون...)، فعلى الإنسان تنفيذ أمر الله، والعمل بجد وإخلاص لاكتشاف أسرار هذا الكون الشاسع ومخلوقاته الحية وغير الحية، لما ينجم عن ذلك من ترسيخ للإيمان بالله وحكمته وقدرته، ثم من فوائد تعود عليه في حياته وتدبير معاشه، ولله في خلقه شؤون وهو يعلم وأنتم لا تعلمون.

وفي هذا المقال سنلقي الضوء على بعض الثمار التي خصها القرآن العظيم بالذكر المباشر لا من أجل الحث على تناولها فحسب، بل من اجل تشجيع الباحثين والمختصين على إجراء الأبحاث والدراسات لاكتشاف المزيد من فوائدها الطبية والغذائية.

١-الزنجبيل:

الزنجبيل Ginger نبات عشبي طبي له ريزومات ضخمة تحتوي على العديد من المواد الفاعلة من أهمها: السينول، اليلاندرين، السيترول، واليورنيول، والأصماغ، والراتنجات الدهنية، وزيت طيار يسمى الجنجرول المسؤول عن رائحة الزنجبيل العطرية، كما يحتوي على راتنج غير طيار يسمى الجنجرين المسؤول عن الطعم الحاد اللاذع للزنجبيل.

جاء ذكر للزنجبيل في القرآن الكريم في سورة الإنسان، يقول الله تعالى ﴿ويسقون فيها كأسًا كان مزاجها زنجبيلا﴾ وقوله تعالى ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا﴾.

وفي الحديث النبوي الشريف، فقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ملك الروم أهدى رسول الله ﷺ جرة زنجبيل فأطعم كل إنسان قطعة وأطعمني قطعة.

المنافع العلاجية والوقائية للزنجبيل

الجهاز الهضمي:

يخفف الزنجبيل تشنجات القولون ويفتح انسداد القناة المرارية ويمنع الغثيان والتقيؤ ويحفز إفراز اللعاب ويساعد في عملية هضم الأطعمة الدسمة ويلين البطن تلينًا لطيفًا، ويفتح الشهية لتناول الطعام ويقاوم جراثيم تسوس الأسنان ويقوي اللثة، ولهذا جرى تركيب معاجين أسنان تحتوي على خلاصة الزنجبيل.

الجهاز الدوري (القلب والأوعية الدموية):

يقلل الزنجبيل مستوى الكولسترول في الدم ويمنع أكسدة وترسب الكولسترول منخفض الكثافة (LDL) على جدران الأوعية الدموية مما يسهم في منع تصلب الشرايين.

الجهاز التنفسي:

يعمل الزنجبيل على طرد البلغم ويخفف حدة السعال ويقاوم نزلات البرد والتهابات الجهاز التنفسي.

الجهاز التناسلي:

تستعمل السيدات في الصين واليابان منقوع الزنجبيل لتخفيف الآلام التي تسبق الدورة الشهرية وذلك لأن الزنجبيل ينشط إفراز هرمونات المبايض ويزيل الرطوبات من الرحم كما يعمل على زيادة الرغبة الجنسية لدى الجنسين.

البواسير ودوالي الساقين:

يكثر الصينيون من تناول منقوع الزنجبيل مع الحليب كعادة متوارثة، وقد تبين بأن هذا المزيج يمنع ظهور البواسير ودوالي الساقين، أما إكثار الصينيين من تناول الزنجبيل مع الثوم فإن ذلك يشجع على تصنيع وإفراز الكورتيزون الضروري للعديد من العمليات الحيوية خصوصًا منع انفلات واندفاع جهاز المناعة، مما ينتج عنه الإصابة ببعض الأمراض الروماتزمية، كما يُسهم الكورتيزون في تأخير ظهور أعراض الشيخوخة.

طرق استعمال الزنجبيل:

يوجد الزنجبيل في الأسواق بثلاثة أشكال

١-الجذور الغضة:

باحث أردني

تقطع الجذور إلى قطع صغيرة بمقدار (٥-١٠) جرام وتوضع في ربع لتر من الماء المغلي ويترك مدة ثلاثين دقيقة.

٢- مسحوق الزنجبيل(بودرة):

توضع ملعقتان صغيرتان في كوب من الماء حتى درجة الغليان ويترك مدة عشرين دقيقة.

٣- الزنجبيل المجفف:

يصعب التعامل مع قطع الزنجبيل الجافة حيث يتطلب استخلاص المواد الفاعلة الموجودة فيها إلى غلي مدة ربع ساعة على الأقل، ومن المعروف أن الأعشاب الطبية تفقد الكثير من مكوناتها بفعل الحرارة، ولكن في حالة عدم توفر الزنجبيل الغض أو الزنجبيل المسحوق فيتم وضع ١٥ جرام من قطع الزنجبيل المجفف للماء المغلي ويترك ليغلي في إناء مغلق مدة عشرين دقيقة ويصبح جاهزاً للاستعمال بعد مضي ساعة.

كبسولات الزنجبيل:

نظراً لأهمية ودور الزنجبيل في الوقاية من العديد من الأمراض وقدرته على وقف دوار البحر وتقيؤ السيدات الحوامل في الأشهر الأولى من الحمل، فقد قامت بعض مصانع الأدوية بتعبئة مسحوق الزنجبيل في كبسولات سعة (٦٠٠) مليجرام تؤخذ بواقع ثلاث كبسولات يوميًا.

ومن الطبيعي أن يستعمل الزنجبيل في تجهيز العديد من أطباق الطعام مثله في ذلك مثل البهارات المختلفة، فمذاقه اللاذع ورائحته الطيبة تجعله مناسبًا مع البيض المقلي والبندورة المقلية مع الثوم واللحم والدجاج المشوي وغيرها من المأكولات.



كما يستعمل مسحوق الزنجبيل لإزالة النمش حيث يخلط مسحوق الزنجبيل مع مسحوق المحلب ويضاف إليهما زيت الزيتون فينتج مرهم يُدهن به مكان تواجد النمش عدة مرات في اليوم.

٢ - القرع الأصفر: pumpkin

نبات زاحف له ساق ضعيفة وأوراق عريضة وثمار صفراء ضخمة ينتمي إلى عائلة القرعيات cucurbitaceae التي تضم حوالي ٦٤٠ نوعًا، ومن أمثلتها اليقطين والبطيخ والشمام والخيار والكوسى والقثاء وغيرها، كما تنتمي إلى هذه العائلة أنواع سامة مثل الحنضل التي تستعمل بحذر لعلاج بعض الأمراض تحت إشراف المختصين، وقد جاء ذكر للقرع واليقطين في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففي الآية ١٤٦من سورة الصافات قال تعالى ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾، واليقطين في اللغة هو الدباء والقرع والبطيخ وكل نبات لا يقوم على ساق، وسنرى فيما بعد الحكمة الإلهية من إنبات اليقطين على سيدنا يونس عليه السلام بعد أن قذفه الحوت إلى شاطئ البحر.

أما رسول الله ﷺ فقد أوصى بتناول القرع بقوله «عليكم بتناول القرع فإنه يقوي العقل».

القيمة الغذائية للقرع:

تتميز ثمار القرع باحتوائها على معظم العناصر المغذية بكميات جيدة مثل الفيتامينات (ب١، ب٢، ب٣، ج) والكاروتين الذي يتحول في الكبد إلى فيتامين (أ)، كما يحتوي على السكريات بنسبة ١١٪ وأحماض أمينية ومقادير قليلة من الدهون.

وتعد الثمار مصدراً مهماً للعناصر المعدنية مثل الكالسيوم والبوتاسيوم، أما البذور فهي غنية بالدهون والأحماض الدهنية غير المشبعة مثل حمض الأوليك وحمض اللينوليك كما تحتوي على الزنك والكالسيوم والفلور والبوتاسيوم. وتستخلص مصانع الأدوية فيتامين (هـ) المتوفر بكميات كبيرة في البذور لتصنيعه وتعبئته على شكل أقراص وكبسولات دوائية. وتحتوي البذور أيضاً على بروتينات وأحماض أمينية لها خواص طبية فريدة.

أهمية القرع الطبية: يكاد لا يخلو جزء من النبات من الفوائد العلاجية التي عرفها الناس بغريزتهم تارة، وبخبرتهم تارة أخرى، ومع تطور وسائل العلم والبحث تبينت فوائد طبية جديدة للقرع لعل من أهمها ما يلي:

أولاً: البذور

تحتوي البذور على حمض أميني يسمى الكوكوربيتين cucurbitin المسمى كيميائيا :-

٣-amino

٣-carboxypyrrolidine (-) الذي يحدث شللا كاملا للديدان الطفيلية خصوصاً الدودة الشريطية.

ويفيد مستحلب بذور القرع أيضاً

في معالجة أمراض واضطرابات الجهاز البولي، فقد ذكرت المجلة البريطانية لأمراض الجهاز البولي الصادرة في كانون أول عام ١٩٩٠ أن إحدى الدراسات تناولت ثلاثة وخمسين مريضا يعانون من تضخم البروستات والسلس البولي وعدم تفريغ المثانة وقد تمت معالجتهم بمستحلب بذور القرع. و لم تظهر لدى هؤلاء المرضى أية أعراض جانبية، كما تفيد بذور القرع في إخراج البلغم من الجهاز التنفسي ووقف السعال ونزف البواسير ومعالجة الأمراض الناتجة عن نقص الزنك والسلنيوم وفقر الدم الناشئ عن سوء التغذية.

وبعد أن تزايد اهتمام الأوساط الطبية ببذور القرع سارع معهد العلوم الزراعية في مقاطعة قانيو شمال غربي الصين إلى زراعة صنف من القرع الأصفر له بذور بلا قشور دون أن يحدث ذلك أي تغيير في قيمتها الغذائية أو الطبية، مما سهل استخلاص الزيوت والمواد الفاعلة منها لتعبئتها في كبسولات صيدلانية سهلة الاستعمال.

ثانياً: الثمار (لب القرع)

تحتوي ثمرة القرع على كمية كبيرة من البيتاكاروتين، والفيتوسترول المضادة للأكسدة Antioxidant وعلى عدد من المواد الفاعلة مثل البيوتيزيد والكوربيبسين واللوسين والسترولين والتيروزين، ومع أن الثمار والبذور تشترك في بعض الخواص الطبية إلا أن الثمار تمتلك ميزات إضافية من أهمها ما يلي:

تخفيف آلام الروماتيزم ومقاومة التهاب الأمعاء والمعدة وتسكين آلام المثانة والمغص المعوي ومعالجة تضخم البروستات وتخفيض حرارة الجسم الناتجة عن الحميات، وإزالة التوتر والأرق، وقد اكتشف أخيراً أن احتواء لب القرع على أنزيمات البيتيدات والأملاح القلوية يمنع ترسب الرمال وتشكل الحصى في الكلية وطرح الموجود منها، كما وجد أن لب القرع يمنع تصلب الشرايين وتراكم الكولسترول في الأوعية الدموية، ويدر البول ويطرد الماء المتجمع تحت الجلد(الاوديما)، وهذا من شأنه تخفيف الأعباء عن القلب، ويفيد تناول القرع صيفا في إطفاء العطش وتبريد المعدة والأمعاء.

وورد في مجلة ارشف للأبحاث العلمية الصادرة في بريطانيا خلال خريف عام ١٩٩٢ أن لب القرع يساعد في تخفيف مستوى سكر الدم لدى الأرانب من خلال تنشيط إفراز الأنسولين، وجاء في مجلة ناجاتا Nagata العلمية أن لب القرع يستعمل في هاواي بنجاح تام لمعالجة الطفح الجلدي. ويقول الدكتور إبراهيم الراوي أخصائي الجراحة أن العلماء الألمان قد اكتشفوا مواد ومركبات في القرع تعمل على تنشيط الخلايا الدماغية، وتنمي التلافيف المخية المسؤولة عن الاستيعاب والحفظ، وعلى ضوء هذه الاكتشافات قرر المسؤولون التغذويون إضافة القرع إلى أغذية طلاب المدارس والعاملين في المجالات التي تتطلب مجهودًا ذهنيًا.

ثالثًا

أوراق القرع: تحتوي أوراق القرع على كميات كبيرة من الكالسيوم والنحاس والسكريات الدهنية والحديد والمغنيسيوم والفوسفولبيدات والبروتين والزنك، وهي بذلك تصلح علفا للحيوانات، وتحتوي الأوراق أيضا على مواد ملطفة ومطهرة للجروح والحروق والرضوض كما تحتوي على مواد طاردة للذباب والحشرات المترممة، وهنا نستذكر قصة سيدنا يونس ﷺ عندما لفظه الحوت إلى الشاطئ وكان جلده متقرحا ومتحللا بفعل الإنزيمات الهاضمة في بطن الحوت، فأنبت الله تعالى عليه شجرة اليقطين لتظله بأوراقها العريضة وتبعد عنه الحشرات، والله تعالى أعلم.

اللائي يعتمدن على زيت الزيتون في طعامهم أقل إصابة بسرطان الثدي

٣-زيت الزيتون:

ذكر الله تعالى الزيتون والزيت المستخلص منه في عدة سور مباركة مثل سورة النور، والنحل، والأنعام والتين وعبس وغيرها، وكان رسول الله ﷺ قد أوصى بتناول زيت الزيتون واستعماله لقوله «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

وعلى ضوء ما كشفته الأبحاث والدراسات عن فوائد زيت الزيتون نذكر ما يلي:

- تدعيم نمو الأطفال:

بين التحليل الكيميائي أن زيت الزيتون يعادل حليب الأم من حيث احتوائه على نسب متوازنة من حمض الليمنوليك وحمض ألفا لينولنيك، ولهذين الحمضين أدوار حيوية على درجة عالية من الأهمية، إذ يؤدي نقصهما إلى تأخير النمو والعقم، وانحطاط في وظائف الكبد وتخلف عقلي وخمول في عمليات التحول والتمثيل الغذائي وزيادة القابلية للإصابة بالأمراض الالتهابية وغيرها، ولأن حليب البقر يحتوي على نسبة قليلة من هذين الحمضين لا تزيد عن ٢٪ فقد اقترح العلماء تغذية الأبقار بأوراق وثمار الزيتون لتعزيز محتوى الحليب من هذين الحمضين وسد حاجة الأطفال الرضع المعتمدين عليه في غذائهم.

- نمو العظام

وجـد الـبـاحـثـون أن أفضل نمو للعظام ومعدنتها يتم بوجود جلسيريدات الأليبك المضاف إليها نسبة قليلة من الأحماض قليلة التشبع Poly-Unsaturated faty acids وهذا المزيج المتوازن لا يوجد إلا في حليب الأم وزيت الزيتون، وبالإضافة إلـى ذلـك يحتوي زيـت الـزيتـون على كـميـات مـتـوازنـة مـن الفيتامينات المضادة للتأكسد وكذلك الفيتامينات الضرورية لنمو العظام وهي فيتامينات (A،D،E،C).

– منع هشاشة العظام:

كثيرًا ما يتعرض كبار السن خصوصًا السيدات إلـى ظـاهـرة تـرقـق العظام وهـشـاشـتـهـا بـسـبـب نـقـص الـهـرمـونـات الجنسية (الإسـتـروجـين عند الإنـاث والتستسترون عند الـرجـال)، ويذكر الباحث (لا بال) بهذا الخصوص ان زيادة وتحسن تكلس العظام تتناسب طردا مع كمية زيت الزيتون المتناول، وذلك بسبب احتواء زيت الزيتون على كميات وافرة من المواد الأولية اللازمة لبناء أنسجة العظام مثل الكالسيوم، كما يوفر زيت الزيتون مقادير مناسبة من فيتامين (D) الضروري لبناء هيكل العظام.

– الـوقـايـة مـن أمـراض الجهاز الدوري:

كـانـت أمــراض الـقـلـب وتـصـلـب الـشـرايـين Atherosclersosis في الماضي القريب اقل بكثير مما هي عليه الآن، ومقتصرة في معظم الأحـيـان على كبار الـسـن، أما اليوم فقد أصبحت هـذه الأمـراض شائعة عند كافة الأعمار، وتعتقد الأوسـاط الطبية بـأن أسـبـاب هـذه الأمـراض كثيرة ومعقدة أساسها القابلية الوراثية وتوفر عوامل أخـرى مثل التدخين، وارتفاع ضغط الدم الشرياني ومرض السكري، وحبوب منع الحمل، والخمول والبدانة وارتفاع نسبة الدهون الثلاثية Tri-glyceride والكولسترول منخفض الكثافة Low density lipoprotein الـذي يمـيـل إلى التأكسد والترسب على بطانة الأوعية الدموية مسبباً تضيقها، وقد بينت الأبحاث أن أمراض الشرايين والقلب تزداد عند الشعوب التي تكثر من تناول الدهون الحيوانية والـزيـوت النباتية المهدرجة، بينما تنخفض نسبة حدوث هـذه الأمــراض عند الـشـعـوب التي تعتمد على زيت الزيتون في غذائها، ويفسر الطبيب الباحث كيز في بحث المسمى Seven countries study آلية عمل زيت الزيتون على أساس أن حمض الأوليك الموجود بكميات كبيرة في زيت الزيتون يُخفض كولسترول الدم ويمنع تراكم الصفيحات الدموية وتجمعها ويحافظ على ميوعة الدم، مما يمنع حدوث الجلطات الدموية، كما يلعب حمض ألـفـا – لينولنيك الدور ذاته.

وتتواجد في لب ثمار الزيتون مادة تسمى السكوالين Squalene التي تترسب مع مواد عديدة في قاع إنـاء الـزيـت، وهـذه المـادة تعمل على توسيع شرايين القلب مما يمنع حدوث جلطات دموية بإذن الله.

– الوقاية من السرطان

توجد في زيت الزيتون مواد أخرى لم يتم الكشف عن هويتها ودورها بشكل كامل حتى الآن إلا أنها تفيد في الوقاية من بعض الأمـراض مثل سرطان الثدي، وقد بينت الدراسات الأولية والإحصائيات أن السيدات اللواتي يعتمدن على زيـت الزيتون في غذائهن هن أقل إصابة بسرطان الثدي، وبهذا الخصوص يقول الدكتور ديمتريوس ترشوبولس الباحث في كلية هارفارد للصحة العامة أنه توجد عناصر أخرى في زيت الزيتون تعمل على تثبيط نمو سرطان الثدي.

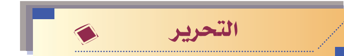
ولـكـن بـعـض الـبـاحـثـين يعتقدون بـأن أحـمـاض زيـت الـزيـتـون (حمض الأوليك وحمض اللينوليك وحمض ألفا – لينولنيك) هي المسؤولة عن حماية المادة الوراثية الـ (D N A) من تأثير المواد المسرطنة.

بقي القول أنه إذا كنا قد تناولنا سالفًا عـددًا من الثمار والأطعمة، ولم نتناول ثمارا وأطعمة أخرى جاء ذكرها في القرآن الكريم أيضًا، مثل الطلح (الموز)، التين، النخيل، الرمان، الأعناب، الحب، وكل الثمرات... فإن ذلـك لا يعني قطعاً عـدم احتوائها عـلـى فـوائـد عظيمة لصحة البشر وتـغـذيـتـهـم، وإنمـا كـان ذلـك تجنباً للإطالة، وسنتعرض لهذه الثمار في مقالة أخرى إن بقي في العمر بقية.

المراجع:

١–أعمدة الصحة السبعة د .أيمن الحسيني(١٩٩٨م). مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٢–أغذية في مواجهة التلوث(٢٠٠٧) درويش مصطفى الشافعي. المجلة الثقافية. العـدد (٧٠) أيـار٢٠٠٧ الجامعة الأردنية– عمان – الأردن .
٣–الطب النبوي، ابن قيم الجوزية. إعداد المكتب العالمي للبحوث(١٩٩٨م). منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.
٤– التغذية الصحية للإنسان ر.ف. مـوتـرام. ترجمة د.آمـــال السيد الشامي، د.منى عبدالقادر. ١٩٨٥. الــدار العربية للنشر والتوزيع– القاهرة.
٥–الـعـلـوم الطبيعية فـي القرآن الـكـريم. يـوسـف مـروة (١٩٦٨). منشورات مروة العلمية.
٦– شـفـاء العـلـيـل فـي عجائب الزنجبيل. أبي الفدا محمد عارف. (١٩٩٧م). دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير. القاهرة.
٧– مضادات الأكـسـدة: اكتشاف جديد في مواجهة المرض. درويش مصطفى الشافعي.(٢٠٠٠م) مجلة القافلة، العدد الأول المجلد:التاسع والأربعون. بيروت.
٨–Global Herb Manual. Zeke Fortiseven (١٩٩٠). Global Health Ltd., Canada
٩– Internet Sites

المناظرات


التحرير

أول مناظرة جرت في العالم بين الملائكة- عليهم السلام- وإبليس- لعنه الله، لما طرده الله عن بابه.. ، فأمره مع جملة الملائكة بالسجود لآدم: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس...﴾.
فجمع اللعين ثلاث قواعد، قاعدتين لأهل العصيان والمخالفات، وقاعدة لأهل الكفر والضلالات، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، فالإباء والاستكبار هما قاعدتا أهل العصيان، تبعَ فيهما هواه بغير هداية، وكفر في الثالثة، حيث قام في مقام الاعتراض مجاهرًا، ولم يعقل الحقيقة في الأمر.

وخصَّ الله سبحانه الملائكة بالعلم، فعلموا أن المجد الذاتي والجمال ليسا إلا صفتين لذي العزة والجلال، وأن ذلك في حق المخلوق محال، وتحققوا أن العلم الأزلي والخبر الرباني لا تتطرق إليهما الأضداد، فلا يتصف القديم بصفة الحوادث، ولا الحوادث بصفة القديم، فافترق الحكمان عندهم لعلمهم، فخرُّوا له ساجدين كلهم، والتبس الأمر على اللعين لجهله، فبقي قائمًا وحده، منازعًا في صفة الربوبية، فعوقب بنقيض قصده، فطرد طرد الأبد، وسجل عليه بالشقوة الدائمة.

وتشعبت ضلالته إلى سبع في العقد، هي أصل أصناف الكفر والضلالات في سائر فرق الخلق في العالم إلى قيام الساعة، وإلى سبع في المعاملات، هي أصول المعاصي والمخالفات في الخلق أيضًا إلى قيام الساعة.

فالسبع التي في العقد هي:

الأولى: اعتقاد صفة الكمال الذاتي للمخلوق، حيث افتخر بأصله الذي خلق منه وهو النار على أصل آدم الذي خلق منه وهو الطين، ولم يعلم أن الفضل للمخلوق إنما يحصل بفضل الخالق، بحكم الخالق، فوصف المخلوق بصفة الخالق فأشرك.

> **الإنحرافات البشرية مردها أمور ثلاثة.. أبى واستكبر وكان من الكافرين**

الثانية: اعتراض العلم الأزلي والحكمة الإلهية، فوصف الخالق بصفة المخلوق فشبه.

الثالث: تعرضه للقسمة الربانية.

الرابعة: تغليب حكم العقل بالتحسين والتقبيح على حكم الشرع.

الخامسة: طلب العلة في حكم العزيز وهو تحيير.

السادسة: تعطيل فضل الله عن أن يتناول آدم بالتفضيل، وهو تنقيص.

السابعة: قصّر حكمة الله تعالى على فهمه، ومن حكم الله تعالى ما لم تصل الأفكار إليه، والإيمان والإسلام يناقضان جميع ما تقدم؛ لأنهما تصديق وانقياد واستسلام.

وأما السبع التي في المعاملات:

فالأولى: الحسد لآدم.

الثانية: البخل عليه بالسجود.

الثالثة: عدم الرضا بالقضاء.

الرابعة: البغي على آدم.

الخامسة: الكذب والقسم عليه حانثا، فالكذب ﴿هل أدلك على شجرة الخلد﴾ (طه: ١٢٠).

السادسة: الخديعة.

السابعة: اتباع الهوى لغير هداية.

هذا والمجوس قد طلبوا العلة في أفعال العزيز، وهي الآلام والعاهات الصادرة في العالم، وقالوا لا ننقاد إلا لما نفهم علته، فلما حجبوا عن فهم الحقيقة في صدورها أشركوا بسبب ذلك فاتخذوا إلهين.

وألحد بسبب النكتة أيضًا البراهمة والتناسخية والدهرية والطبائعيون، وتبعهم في ذلك القدرية، وتفرقت بهم الطرق في أحكام الآلام والتعديل والتجويز والتحسين والتقبيح والأغراض، والصلاح والأصلح.

ووصف المجوس القديم- سبحانه وتعالى- بصفة الحوادث فيما ذهبوا به في السبب في خلق إبليس لعنه الله، وما وجب للرب تعالى من وصف الكمال والقدم يقضي باستحالة ما قالوه.

فهؤلاء اليهود قد شبهوا، فوصفوا القديم تعالى بصفة الحوادث، وكذبوا

◆ عيون المناظرات لأبي علي السكوني



الرسول ﷺ؛ حسداً وتعطيلًا لفضل الله تعالى أن يتناول ذرية إسماعيل بالنبوة، وقصرها على بني إسرائيل كما قصرها إبليس عن أن تتناول آدم عليه السلام.

أما النصارى فقد وصفوا المخلوق بصفة الخالق، والخالق بصفة المخلوق، فنظروا إلى ما ظهر على يدي عيسى عليه السلام فاعتقدوه له، ولم ينظروا إلى المظهر لذلك عليه، كما أن اللعين كذلك نظر إلى نفسه وإلى آدم عليه السلام، ولم ينظر إلى الآمر والحاكم بالفضل لمن شاء على ما شاء ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه..﴾ (الرعد: ٤١).

أما المشركون من قريش فقد وصفوا الحوادث بصفة الربوبية فأشركوا، وحسدوا الرسول ﷺ وحجروا فضل الله سبحانه وتعالى، فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، واتهموا الحكم الأزلي بذلك تبعًا لإبليس لعنه الله تعالى.

والفلاسفة حكموا «العقل»، وأبطلوا الشرائع وأشركوا، حيث أثبتوا معه تعالى عقلًا وسموه فعالًا من غير برهان، ولا فعال إلا الله. وكذبوا الرسل عليهم الصلاة والسلام فأعملوا الرأي الفاسد في مقابلة النص والبرهان القاطع، ووصفوا الخالق بصفة المخلوق حيث قالوا: لا يعلم الجزئيات، تعالى عن قولهم، فاتهموا العلم الأزلي كما فعل إبليس لعنه الله، ووصفوا المخلوق بصفة الخالق، فاعتقدوا قدم الحوادث، وأن بعضها يؤثر في بعض، ورأوا لبعض جواهر العالم فضلًا ذاتيًا كما اعتقد اللعين ذلك.

هذا، وكل من جادلوا المرسلين قالوا ﴿أبشر يهدوننا﴾ (التغابن: ٦)، ولا فرق بين هذا وبين قول اللعين ﴿أأسجد لمن خلقت طينا﴾ (الإسراء: ٦١)، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (البقرة: ١١٨)، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ (الأعراف: ١٠١).

هذه فرق أمتنا، افترقت أولا إلى أربع فرق، ثم وصلت إلى اثنتين وسبعين فرقة كما أخبر الصادق ﷺ.

فمنهم من وصف المخلوق بصفة الخالق في قولهم بالحلول، والخالق بصفة المخلوق حيث جوزوا في حقه تعالى ذلك.

ومنهم من قال في قصة التحكيم: لا حكم إلا لله ولا يحكم الرجال، ولا فرق بين هذا وبين قول اللعين: لا أسجد إلا لك! ﴿لم أكن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ (الحجر: ٣٣).

ومنهم من طلب العلة، وحكّم العقل على الرب، وعطّل الفضل، وأوجب المصلحة على من لا يجب عليه شيء.

وأخرى تدعي لنفسها الاختراع، فتصف المخلوق بصفة الخالق تعالى، وتعترض على الحكم، وتنفي القدر فرارًا من أن يكون له تعالى حكم في الأزل بسعادة من يشاء، وأن يكون فعالًا لما يريد.. وهذه كلها قواعد إبليس لعنه الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرًا.

ومنهم من أخّر العمل، وقالوا لا يضر تركه، كما أخّر اللعين السجود.

ومنهم من قال: لا نعقل معنى للأوامر والنواهي مع أنّا لا نفعل، فعطلوا الشرائع، وأبدوا الاعتراض في مقابلة النص، ولم يلتزموا العبودية كما فعل اللعين في قوله: لا أعقل معنى لأمر السجود مع أني أفضل.

ومنهم من قال بنوع من الحلول، فتبعوا النصارى في ذلك، وزاد عليهم الكفر، والكل منهم تبع لإبليس لعنه الله.

وبالجملة.. إذا تأملت كل ملة ونحلة مخالفة لدين الله تعالى، وكذلك كل مخالفة ومعصية وجدتها مبنية على ما قدمه اللعين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ١٦٨).

هل تجوز قراءة كتب الحديث كالأمهات في المساجد؟

وجواب العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله

التحرير

ورد إلى العلامة محمد بن علي الشوكاني سؤال حول قراءة كتب الحديث الأمهات في المساجد فكانت إجابته ماتعة وإليكم السؤال والجواب.

ورد إلي سؤال في شهر القعدة سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف، حاصله: هل تجوز قراءة كتب الحديث الأمهات في المساجد، مع استماع العوام الذين لا فطنة لهم؟

ثم أطال السائل الكلام، وذكر ما يلزم من ذلك من اعتقاد العوام للظواهر.

فإني كنت في هذه الأيام أملي في صحيح البخاري، وسنن أبي داود، ويحضر القراءة جماعة من العلماء، ويحضر للاستماع جماعة من العامة.

فأجبت بما حاصله:

الجواب عن هذا السؤال يستدعي بسطا طويلًا، لأنه يتشعب الكلام فيه إلى شعب كثيرة لا تفي بها إلا رسالة مستقلة، ولكني هاهنا أقتصر على ذكر أبحاث تتسع لها بياضة السؤال.

فأقول: اعلم أن التدريس في كتب السنة المطهرة في جوامع المسلمين مازال مستحسنًا عند جميع أهل الإسلام، منذ زمن الصحابة إلى الزمن الذي نحن فيه، معدودًا باتفاقهم من أعظم أنواع القرب، وأعلى مراتب التعليم والتعلم.

أما في سائر أقطار المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وتباين آرائهم فأمر لا ينكره أحد، وأما في كتب المحدثين فمازال الأمر كذلك أيضا، منذ خروجها إلى اليمن إلى الآن، يأخذها أهل كل قرن عمن قبلهم، ويروونها لمن بعدهم على مرور العصور، وكرور الدهور.

ومن لم يعرف حقيقة الحال أو داخله رَيْبٌ فيما ذكرنا فليطالع تواريخ هؤلاء الأئمة، وينظر في مسموعاتهم وأسانيدهم ومؤلفاتهم، فإنه عند ذلك يعلم صحة ما حكيناه.

وإذْ نقرّ بالإجماع على هذه الصحة التي ذكرناها: فكون العامة يحضرون إملاء الحديث لا يصلح أن يكون مانعًا من قراءة كتب الحديث في المساجد والمشاهد والمحافل لأمور:

> **الأدلة الموجبة للتبليغ مطلقة لا تفرق بين عامة المسلمين وخاصتهم**

الأول: أن حضورهم في مجالس إملاء الحديث مازال منذ قديم الزمان، فكان الإجماع على قراءة كتب السنة في المساجد أو غيرها إجماعًا على جواز حضورهم وعدم صلاحية كونه مانعا.

الثاني: أنا نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يلقي هذه الأحاديث التي تجدونها في كتب الحديث إلى الصاحبة معهم الخاصة والعامة، والعالم والجاهل، ولو كان مجرد سماعهم لإملاء الأحاديث في المساجد وغيرها مانعا من التدريس في كتب الحديث لكان أيضًا مانعًا من إلقائه ﷺ هذه الأحاديث إلى عوام الصحابة، لأن العلة واحدة، واللازم باطل والملزوم مثله.

أما الملازمة فللاشتراك في تلك العلة، وأما بطلان اللازم فبالإجماع.

فإن قلت: إن النبي ﷺ كان يبين متشابه الأحاديث لعوام الصحابة، لأنه لا يجوز عليه أن يقررهم على اعتقاد الباطل.

الفتح الرباني (٢٨٧٣/٦)



قلت: ونحن نقول: كذلك ينبغي للمحدث أن يعرف العامة الذين يحضرون قراءة ما كان مرادا به خلاف ظاهره، وما كان مؤولا، أو منسوخًا، أو ضعيفًا، أو مخصصًا، أو مقيدًا، أو لا يدعهم يتمسكون بما لا يحل التمسك به، لأن المفروض أن المحدث المذكور متأهل لذلك، وأنه قد بلغ إلى رتبة يصلح عندها للتحديث، وأما إذا كان غير متأهل لبيان ما ذكرنا فإنما هو وهم كما قال الشاعر:

كبهيمة عمياء قاد زمامها
أعمى على عوج الطريق الجائر

الأمر الثالث: من الأدلة على جواز إملاء الحديث بمحضر من العامة هو: أنا نعلم قطعا أن القرآن الكريم مشتمل على آيات في الصفات، وأحكام متشابهات، مثل ما اشتملت عليه السنة من ذلك أو أكثر، فلو كان استماعهم للحديث لا يجوز لتلك العلة لكان استماعهم للقرآن وتعليمهم إياه لا يجوز، لأن العلة واحدة، وهو خرق لإجماع المسلمين، فإنهم مازالوا يعلمون صبيانهم كتاب الله العزيز، وهم مع كونهم في سن الصبا خالين عن المعارف العلمية، وهم أيضا خالون عن كمال العقل الذي له مدخل في الفهم والتمييز، فهل يلتزم السائل - أرشده الله - مثل هذا اللازم الباطل بإجماع المسلمين.

الأمر الرابع: أن جعل سماع العامة مانعا من قراءة كتب السنة في المساجد يلزم منه تعطيل المساجد عن كثير من العلوم.

منها القرآن وعلومه لما تقدم.

ومنها علم الفقه الذي هو عمدة المسلمين في جميع الأقطار، وذلك لأن فيه الرخص التي تلحق المتتبع لها بالمتزندقين، فقراءته في المساجد مع حضور العامة مظنة لعملهم بتلك الرخص.

كما أن قراءة كتب السنة مظنة لعملهم بما يسمعونه مما لا يجوز العمل به، ولا فرق بين المظنتين، ولا بين ما يستلزمان من اعتقاد العامي مما لا يجوز.

ومنها علم الكلام، فإن فيه من الشبه والأقوال الباطلة ما لم يكن في غيره من العلوم، حتى إن أهله يحكون فيه أقوال اليهود والنصارى، ومذاهب المعطلة والملحدة، والزنادقة، وقراءتها في المساجد مكانَة لحضور العامة المستلزم لاعتقاده مذهبا كفريا، فالتحرج من قراءتها في المساجد أولى من التحرج من قراءة السنة فيها، التي هي أقوال المصطفى ﷺ، وبيان أفعاله.

وهكذا علم أصول الفقه، فإنه لا يخلو من مباحث إذا سمعها العامي واعتقدها وقع فيما لا يحل، كما يقع بين علمائه من المراجعات في علل القياس، وما فيها من الأمثلة التي لا يراد منها حقيقتها، وإيراد مبطلاتها من المنع، والنقض، والكسر، والقدح، والمعارضة، وغيرها، وكذلك ما في مقدماته من المسائل التي هي أمهات علم الكلام.

ومنها علم المنطق، وعلم الإلهيات، وعلم الطبيعيات، فإن المفسدة في سماع العامي لهذه العلوم أشد من المفسدة في سماع ما تقدم من غيرها.

الأمر الخامس: أن الأدلة الدالة على وجوب تبليغ الأحكام على علماء هذه الأمة قاضية بوجوب مطلق التبليغ من غير فرق بين عامة المسلمين وخاصتهم، ولاسيما وقد ثبت عنه ﷺ مدح «من بلغ مقالة كما سمعها»، فمن ادعى اختصاص ذلك بالخاصة فعليه الدليل، ولا يقال إن هذه المصلحة قد عارضتها مفسدة، وهي ما يعتقده العامي مما لا يجوز، لأنا نقول: المفروض أن العالم المتصدر للتحديث يقوم ببيان كل ما يحتاج إلى البيان؛ فلا مفسدة.

وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وسلم.

الشيخ عبد الرزاق الحلبي في ذمة الله

التحرير

فقدت دمشق قبيل فجر يوم السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ، الموافق ٤ فبراير ٢٠١٢م أحد علمائها الأجلاء فضيلة العلامة الشيخ عبد الرزاق الحلبي، الفقيه الحنفي، والمقرئ، وصدر المدرسين في جامع بني أمية الكبير بدمشق، وفي معهد الفتح الإسلامي، وأحد كبار علماء الشام، عن نحو تسعين سنة، رحمه الله تعالى، وغفر له. هو العلاَّمة المربِّي الكبير الفقيه المقرئ الشيخ عبد الرزاق بن محمد حسن بن رشيد بن حَسَن بن أحمد الحلَبي أصلاً وشهرة، الدمشقي الحنَفي.

وُلِد الشيخ عبد الرزاق الحلبي بدمشق في شعبان سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ونشأ بين أَبَوَين صالحين، فوالده طالبُ علم جَمَع بين التِّجارة وحُضور مجالس العلماء، ووالدته هي السيدة «وسيلة» ابنة مفتي الشام العلامة الشيخ محمد عطاء الله الكسم رحمه الله.

تُوفي والده سنة ١٣٥٢هـ فَنَشَأَ يتيمًا في تربية وتوجيه عمِّه الشيخ محمد عيد الحلبي، فَدَخَلَ الابتدائية في مدرسة الرَّشيد بدمشق سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، وتَخَرَّج منها سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

دَخل بعدَها «التجهيز» فمَكَث فيها نحو سنتين، ثم ترك الدراسة والتحق بالعَمَل في صنعة النسيج.

شيوخه في تحصيل العلوم

ثم تَعَرَّف على العلاَّمة الشيخ محمد صالح الفرفور، فبدأ بملازمة حَلَقاته منذ ناهز البلوغ سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، وبقي مُلازمًا له إلى وفاته سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

لازَمَه في حَلَقَاته في المسجد الأموي، وفي المدرسة الفتحية، وفي منزله، وفي سائر نشاطاته التدريسية، وهو شيخ تحصيله وتخريجه، قرأ عليه جُلَّ العُلوم الشرعية والعربية قراءة بحث وتحقيق ومُدارسة وإتقان، وأسَّس معه ومع نُخبة من تلاميذ الشيخ وتُجَّار دمشق الأبرار جمعيةَ الفتح الإسلامي، ثم معهد الفتح الإسلامي، ورَافقه طوال مسيرته العلمية والتربوية، وكان- مع زُملائه في الطَّلب- ساعِدَه الأيمنَ في إدارة معهده وجمعيته



ونهضته، وأجازه إجازةً عامةً بالمعقول والمنقول.

أما القرآن الكريم وعُلُوم القراءات، فأخذها عن الشيخ محمود فايز الديرعطاني، والشيخ د.محمد سعيد الحلواني والشيخ حسين خطَّاب، وذلك أنه بدأ بحفظ الشاطبية على الشيخ محمود فايز الديرعطاني، ثم تُوفي فأتمها على د.سعيد الحلواني، وحفظ عليه الدرة أيضًا، وقرأ عليه عدة ختمات بالروايات المتنوعة إفرادًا، ثم بدأ عليه بالجمع الكبير، فتُوفي إلى رحمة الله، فتحوَّل بعده إلى الشيخ حسين خطاب، فقرأ عليه خَتمًا كاملاً بالقراءات العَشر، وأتمَّ عليه في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩١هـ، وأجازه أن يَقرأ ويُقرئ بشرطه المعتَبر عند أهل العلم.

شيوخه في الإجازة

حصل الشيخ- رحمه الله- على عدد من الإجازات سوى ما ذُكر، فأجازه:

١- العلامة الشيخ محمد أبواليسر عابدين مفتي الشام.

٢- العلامة الشيخ محمد العربي العزوزي أمين الفتوى ببيروت.

٣- العالم المُعمَّر الشيخ أحمد بن محمد القاسمي بإجازته من الشيخ محمد عطاء الله الكسم، كما أجازه الشيخ مُلا رمضان البوطي.

٤- وتبادل الإجازة مع الشيخ محمد أديب الكلاس.

والتقى في الحجاز بعدد من مشاهير عُلمائه، منهم الشيخ محمد إبراهيم الفضلي الختني، وأهداه عددًا من الكُتُب والرسائل بطريق المناولة الحديثية، منها رسالة «نشر الغوالي من الأسانيد العَوَالي» ورسالة «الإسعاد بالإسناد»، كلاهما للشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري اللكنوي ثم المدني.

عنايته بالتعليم والإرشاد

قضى الشيخ- رحمه الله- جميع عُمُره في التدريس وإقراء الكُتُب ليلا ونهارًا، لا يَكِلّ ولا يَمَلّ، فأقرأ العَشَرات من الكُتُب الأمهات في مُختلف العُلوم. بدأ الدرس الأول سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م تحت قُبَّة النَّسر في الجامع الأموي، حيث ألقَى دَرسًا عامًا حَضَره- تشجيعًا- العلامةُ الشيخ محمد هاشم الخطيب، وكان أكثر تدريسه في المسجد الأموي، أقرأ فيه بعد الفجر، وبين المغرب والعشاء، في كل يوم أكثر من ستين سنة، كما درَّس في مساجد أخرى

كالباذرائية، ومسجد القطاط، ومسجد فتحي القلانسي في القيمرية، ومسجد الياغوشية في الشاغور، وغيرها من المساجد، بالإضافة إلى تدريسه في معهد الفتح الإسلامي منذ تأسيسه حتى قبيل وفاته.

أما الكُتُب التي أقرأها خلال مسيرته العلمية فلا تكادُ تُحصى، وكان يهتم في إقرائه للكُتُب بأمورٍ مهمة:

أولها: يختار الكُتُبَ الأمهات، ولاسيما المطوَّلات منها في مختلف العُلُوم.

ثانيها: يقرأ هذه الكُتُب بطريقة السَّرد بحيث يقف عند المُشكِلات، ولا يُسهِبُ في شرح ما سواها.

ثالثها: يحرِصُ على المواظبة وإتمام الكتاب إلى آخره ضمن برنامجه المحدَّد له.

رابعها: يُعيدُ قراءة الكُتُب المهمة مرَّتين أو ثلاثًا أو أكثر.

فمن الكُتُب التي أقرأها (لا على سبيل الحصر): تفسير النسفي، والخازن، والقُرطبي، والإتقان في علوم القرآن، الكُتُب الستة في الحديث، وموطأ مالك، وشرح النووي على مُسلم، وبذل المجهود شرح سنن أبي داود، وجامع الأصول، مراقي الفلاح، وحاشية الطحطاوي، والاختيار، وحاشية ابن عابدين، والهدية العلائية، وكشف الحقائق شرح كنز الدقائق، والأشباه والنظائر لابن نجيم، والهداية للمرغيناني... وغيرها من الكُتُب في مختلف العُلُوم.

إقراؤه للقرآن الكريم

تصدَّر الشيخ للإقراء، فَحَفظَ القرآنَ عليه مئاتٌ من طلبة العلم، ونالوا منه الإجازة برواية حفص عن عاصم، ولا يُمكن إحصاؤهم لكثرتهم.

أما الوقت الذي يُقرئُ فيه الشيخ فغالب يومه، بعد صلاة الفجر، ومن فترة الضُّحى إلى ما بعد العِشاء، لا يردُّ قارئًا، ولا يكلُّ ولا يَمَلّ.

وفي سنة ١٤٢٧هـ اختير الشيخ- رحمه الله- مع مجموعة من كِبَار المُقرئين في دمشق للتكريم من قِبَل وزارة الأوقاف ومركز زيد بن ثابت لخدمة الأنشطة القرآنية.

تَضلُّعُهُ بالعُلُوم

الشيخ- رحمه الله- عالمٌ مُتمكِّنٌ في جميع العلوم الشرعية والعربية، واسع الاطِّلاع، قوي الحافظة، حادُّ الذاكرة، يستحضر الكثير من المتون وعبارات العلماء، ويستشهد بها عند الحاجة إليها وكأنَّه يقرأها من الكتاب، يُحِبُّ الاطِّلاع على معارف عصره، فقد تعلَّم اللغتين الفرنسية والتركية، وكان يتحدث بهما مع الطلاب أحيانًا.

وهو إلى ذلك مُولَعٌ بالقراءة والمطالعة كُلَّما سَنَحَت له الفرصة، ولمَّا تقدَّمت به السِّنُّ صار يُكلِّفُ مَن حولَه بأن يَقرأ له.

وظائفه التي تقلَّدها

أولًا: وظيفة الإمامة والخَطابة في عدد من مساجد دمشق، ففي سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م وُجِّهت إليه وظيفة الخطابة في المدرسة الفتحية جامع فتحي وكالةً ثم أصالةً سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م.

وفي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م كُلِّف بوظيفة الخطابة في جامع الجوزة وَكَالة.

وفي سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م نُقل من وظيفة إمامة جامع القطاط الموكلة إليه سابقًا، إلى إمامة المحراب الحنفي في المسجد الأموي.

وأخيرًا تولَّى الخطابة في جامع بلال الحبشي.

ثانيًا: وظيفة التدريس الديني في دار الفتوى.

ثالثًا: وظيفة إدارة المسجد الأموي منذ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

رابعًا: سُمِّيَ شيخَ الجامع الأموي بقرار من وزير الأوقاف عام ٢٠٠٥م.

خامسًا: عضوية جمعية الفتح الإسلامي منذ تأسيسها سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ثم نائبًا للرئيس، ثم رئيسًا لها سنة ١٩٨٦م، بالإضافة إلى إدارة معهدها منذ تأسيسه إلى سنة ١٩٨٤ .

سادسًا: رئاسة جمعية النداء الخيري في القيمرية.

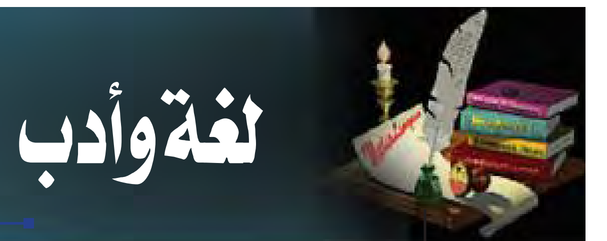
سابعًا: كما حضر الكثير من المؤتمرات في العديد من البلدان الإسلامية وغيرها.

صِفاتُه الخُلُقية وهمَّتُه في العبادة

الشيخ- رحمه الله- من العُلماء الكُمَّل المخلصين (ولا نُزكِّي على الله أحدًا) جمع صفات الرِّجال الكِبار من الهمة العالية في الطاعة والعبادة والعلم والتعليم، مع حُسن الأخلاق وطِيب العِشرة، والتواضع والزهد في الدنيا، والكَرَم والجود، يبذل الصدقات ويقضي حوائج الناس، ملتزمٌ بالسنة المطهَّرة، يُحبُّه كلُّ من حوله، ويهابه كلُّ من يراه، يحفظ وقته كلَّه بين الطاعة والعبادة والعلم والتعليم والإقراء، مواظبٌ على برنامجه اليومي منذ نشأته، لا يخرمُه ولا يبدِّله، يُحافظ على صلاة الجماعة في المسجد الأموي بلا انقطاع إلا في مَرَض أو سَفر، مواظبٌ على الحجِّ في كلِّ عام منذ سنة ١٣٧٠هـ تقريبًا، فزادت حجاته على خمسين حجة، كان في الكثير منها مُشرفًا على البعثة السُّورية.

وفاته

توفي- رحمه الله- قبيل فجر يوم السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ، الموافق ٤ فبراير ٢٠١٢م، وصلى عليه جمهور كبير من العلماء وطلبة العلم بمسجد الثناء بدمشق، وكان من بين المشيعين رفيقه وصديقه شيخ قراء بلاد الشام العلامة محمد كريم راجح، الذي ذكر بعض مناقب الشيخ «الحلبي» بالقول: «رافقت الشيخ لسنين طويلة جدًا، وأستطيع أن أقول لكم إن علماءنا عرفوا فضل الشيخ «الحلبي» وهو ما يزال شابًا يطلب العلم، وأذكر مرات عديدة أن الشيخ «حسن حبنكه الميداني» والذي كان شيخ الشام في عصره كان يطلب رأي طالبه «عبدالرزاق الحلبي» عندما ترده مسائل تخص المذهب الحنفي، وكان من أدب الشيخ «عبدالرزاق» أن يقول له: «كيف أفتي بحضرتك يا سيدي»، فيقول له الشيخ «حبنكه»: «أحب أن أستأنس برأيك» فيقوم الشيخ «الحلبي» بإحضار الكتب التي تحتوي الفتوى ويفتحها بحضرة الشيخ «حبنكه» ويقرأ العبارة المطلوبة».



نظرة طائر إلى العناية بها بين الحالي والخالي

عبقرية اللغة العربية الفصحى وكمالها (١-٢)

عبد الله آيت الأعشير

في زمن يضج ويعج بغير قليل من الآراء الفطيرة التي لم يخمرها البحث والتنقر والاعتيام، أضع بين أيدي القراء الرصفاء هذه المائدة اللغوية العربية النجار، جاعلا سأوي وسدمي الهدْي إلى السبل المرشدة التي تبصر عقلاء الأمة بالدسائس التي تحاك في السر وفي العلن لإخماد جذوة الفصحى، من خلال الإصرار على تضييق منافسها، والأخذ بخناقها، وتمزيق أحشائها، أملا في إنهاكها لتخرج من معترك اللغات الأجنبية، وسوق اللهجات، بأكبر الخسائر التي تجعلها منزوية في حدود ضيقة، لا تظفر في التأثير في مجالات العلم والمعرفة بسوى حسو الطائر.

ولقد أنهضني إلى الخوض في هذا الموضوع الذي لا ينكش، استصغار كثير ممن عميت عليهم الأنباء لموضوع العربية الفصحى، التي تمتلك في مغربنا الحقوق العلمية والفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، فهي أولا لغة موحّدة وموحِّدة، وثانيا لغة الدين والدنيا، بينما غيرها من اللهجات يشيع الفرقة، ويلقي عصا الشتات بين أبناء الإقليم الواحد، ويهدد السِّلم اللغوي الذي ننعم به في مغربنا العزيز، لأنها لهجات مفرّقة ومفرِّقة. فلينظر عقلاء الأمة، بم يأخذون ويعضّون عليه النواجذ، أبلهجات مفرّقة ومفرِّقة أم بلغة فصحى موحّدة وموحِّدة؟!

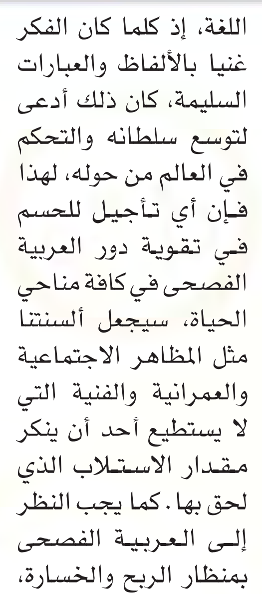
اللغة مسكن الهوية والوطن الذي لا تجمعه لغة لا يمكن أن يجمعه شيء آخر

وإذ قرّ في الأذهان أن الناس في أطوار حياتهم، ليسوا سوى لغاتهم، فإن الشعب الذي لا يبذل أقصى طاقاته للحفاظ على لغته من الويلات المهلكة التي تُصرُّ اللهجات العامية واللغات الأجنبية على إلحاقها بالعربية الفصحى، أملا في إبعادها من مصادرها، وحرمانها من ماضيها المجيد، وتاريخها الأقعس، وحضارتها الفاتنة، وأدبها الماتع، وأنظمتها المعيّرة، شعب لابد سينتهي به الحال إلى ضروب من الانهزام النفسي، والاستسلام المُذل المذعن لهجر سيل جُراف قُحاف من الكلمات الأجنبية الشعثاء الغبراء التي يرتق بها نقيصته لغير علّة ولا حكمة مدركة، لأن تلك النقيصة لا توجد في سوى فكره الذي لم يكابد مشاق البحث والتنطس.

والحق أن اللهجات العامية، وشوب الألفاظ والعبارات الفرنسية، قد أحرزت نصرا مبينا في مجالات الحياة المغربية، ناشرة جيوشا غازية من الكلام الغريب عن المحتد العربي، حتى أوقع الروع في نفوس الغيورين الحذاق، ولاسيما أن التدفق المعلوماتي والمعرفي الذي يشهده العصر، يوحي بأن فرص التحصين اللغوي الذي يبقي على عربية فصحى سليمة، قد تداعت – أو كادت – أمام موجات التلهيج والتمزيغ والتغريب، التي تنشر أظلالها بحرًا وبرًا وجوًا، لأن العولمة الكونية أحكمت إعداد خططها، حتى أضحت العربية من أكبر ضحاياها، حيث تهاوت السلطة اللغوية المعيّرة أمام سيل الرسائل البرقية التي تقول أي شيء من دون الالتزام بالقواعد اللغوية التي يعد أمرها أشهر من القمر، إذ أضحت الكلمات مختصرة إلى أبعد الاختصار، كما أضحت بعض الأحرف العربية مجرد أرقام. وهكذا أسقطت ريح العولمة العاصفة والقاصفة من شجرة اللغة العربية الفصحى جميع الأكمام والأزاهير، سواء منها التي بدا عليها الشحوب والإنهاك، أو التي تمتلك عناصر القوة والنجاح في أن تصبح ثمرة ناضجة تزود المتكلمين بالغدد المقوية القادرة على الاشتعال في أثناء استعمال العربية الفصحى.

وقبل أن تتكسر الإرادة أمام هذا الشيطان الليطان العولمي الذي يغري فئة الأغتام، ويعدهم ويمنيهم، وما يعدهم إلا غرورا، لابد من التذكير بأن اللغة مسكن الهُوية، وأن طلب المعرفة والسلطة والسيادة يبدأ من التحكم في

كاتب مغربي





اللغة، إذ كلما كان الفكر غنيا بالألفاظ والعبارات السليمة، كان ذلك أدعى لتوسع سلطانه والتحكم في العالم من حوله، لهذا فإن أي تأجيل للحسم في تقوية دور العربية الفصحى في كافة مناحي الحياة، سيجعل ألسنتنا مثل المظاهر الاجتماعية والعمرانية والفنية التي لا يستطيع أحد أن ينكر مقدار الاستلاب الذي لحق بها. كما يجب النظر إلى العربية الفصحى بمنظار الربح والخسارة، ومن ثمة توزيع الأدوار اللغوية بكيفية واضحة ومعقولة، وبتخطيط أجدى وأنفع، يجعل الفصحى مقتعدة الصدارة في القيام بوظائف الدين والعلم والمعرفة والاقتصاد والسياسة والتجارة والصناعة والخدمات والآداب، بينما تقوم اللغات الأجنبية بوظائف تعميق البحث والإفادة من كل جديد مُجْد، لتزويد الفصحى بالخميرة اللازمة لضمان النضج والجودة. أما اللهجات العامية والأمازيغية، فتقتصر وظائفها على الإشباع التواصلي الوجداني والإمتاع الفني الذوقي. وبهذا نضمن الوحدة والاتحاد، لأن الوطن الذي لا تجمعه اللغة الرسمية، لا يمكن أن يجمعه شيء آخر، سوى جمع تبديد، حيث يسعى كل فرد أو جماعة إلى تغليب مصلحته من دون أن يقوى على بلوغها، ومن ثمة تُطلّ رؤوس الفتنة، التي تبدأ لغوية شكلية، ثم يزداد فتيلها رويدًا رويدًا، حتى تنتهي إلى حرب شعواء يقتتل فيها على كلمات أسيء استعمالها من لدن المجتمع اللغوي. وقانا الله شرّ هذه النازلة.

هذا هو حال العربية الفصحى اليوم، فهل بقي لنا ما نَرمّ به ما فسد وأضحى بعرات نحسبها جواهر نقلدها جيد الفصحى، أما آن لهذا الليل البهيم الأليل أن ينجلي؟ أسئلة تجد جوابها البليغ في الاستفادة من دروس الأجداد الذين أحيوًا للعربية الفصحى ذكرها، وبنوا لها منارات وصوى وأمجادًا سافًا من فوق ساف، حتى جرّت الفصحى على غيرها من اللغات ذيول العزّ والمباهاة، وأخرست شقاشقها، لم تَدَعْ شعاعا من الريب يتسلّل إلى كمالها وجمالها وقدرتها على التكيف مع الوقائع، بعجائب لا تحصى، ولطائف لا تستقصى على هذه الشاكلة.

عناية الأسلاف بالعربية الفصحى

لقد حَبّر الجهابذة الذابرون في العلم بالعربية الفصحى مُصنّفات، رفعت لها منارات وأصواءً، وأحْيَوا لها آثارا، وسبروا غورها، وعجموا عودها، ورازوا ألفاظها ومعانيها، ورَمَوا الرميات فأصابوا المحز والمفصل الذي لا يستطيعه إلا خَبير محكم. وليس يخفى على من شدا قليلا من هذه الفرائد والنفائس التراثية، أن أغلب هؤلاء الحذاقين لم يتَصَعّدهم البحث في يم العربية الذي لا يُنكش، حيث تَقَفّوْا البحث في رياضها الأرجة، يتوكّفون ويسألون عن عجائبها التي لا تنتهي، حيث إن العربية الفصحى لغة مجتباة، انتقرت من بين لغات الدنيا أفضل الأصوات وأجملها، مع الحرص على الباعث الفني الخالص في أثناء انتجات واصطفاء أبهى وأحلى الأصوات، أملا في بلوغ أقصى مراتب الجمال الصوتي الفتان، الذي هيأ لها أسباب البسطة في الأرض، وعلى القلوب، حيث حرَصت على التوفر على الدرر المستفرهة من الألفاظ الحلوة الشائقة، ناهيك عن جمال حروفها، حتى إن الروم كانوا يعلقون بعض رسائل الخليفة المأمون بخط أحمد بن أبي خالد على أبواب كنائسهم لاستحسانهم لخطوطها.

وقد ألفيت هؤلاء المفنين الخناذيذ قد طبقوا المفصل في صيانة اللغة العربية الفصحى من أن يندس إلى خدرها ما لا ترضى عنه أساليبها، فعقدوا لكل جانب من جوانبها فصولا أتَوا فيها بالمتخير اللباب. فمنهم من رأى أن للعربية أسرارا، ثم صرفوا سأوهم وسدَمَهم إلى الغوص عن جواهرها النيّرات، وأودعوا المهارق لفتات فنية دخلت جنان البلاغة، آوت من حسن تصرفها إلى ركن عجيب، من خلال إشباع الكلام عن أسرار البلاغة العربية وفصاحتها. ومنهم من هدَتْه شاكلته وجديلته إلى أن للعربية خصائص فدبّجوا كتبا لتعليل أسباب إجادتها ويفاعها، وبسطوا للمتلقي خصائص تمكينها، لم تفتهم سوابقها ولواحقها، وأزاحوا الأستار عن عجائب هذه الخصائص، واقتحموا عليها مكامنها، وفتقوا كمّها. ومنهم الذين أنعموا النظر في فقّهها، فوضعوا على صخر الثبات الأساس الذي بواسطته تتميز الفروق الدقيقة بين الألفاظ

والمعاني، فبلغوا الأرب في تحديد الخيوط الدقيقة التي لا يدركها إلا من أعرق في البحث، وضرب أكباد الإبل في التنقية والانتقار لكل شاردة وآبدة. ومنهم من أحسن التبريز والإجادة في الجمع بين اللفظ النقي وروعة التحديد لدلائل الإعجاز، ودخلوا جنان البلاغة فاجتنوا من أشجار العربية الموسقة كل ما طاب من الأثمار المشتهاة، ثم رفعوا في الخافقين قدرها، عندما انتهوا إلى اجتلاب كل عين وغُرّة، في حلل مُنشّرة تري الناظرين الباحثين منظرا بديعا أخمل ذكر سائر اللغات وفتّد.

جمال الفصحى

يؤكد الراسخون في علم اللغات، الذين ينظرون بعين الحق، أن اللغة العربية الفصحى تستمد حجتها من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وكلام الشعراء المُفلقين، والخطباء المصاقعة، والأدباء البلغاء. وقد ظلت هذه المصادر نماذجها الباهرة في القدرة والاقتدار على الإحاطة بالأطراف والقواصي فضلا عن الأقطاب والموارد، إحاطة جمعت أطايب المدنيّتَين العربية والغربية في زيّ يبهر بيانه ولا يشق غباره. وقد انبَرى هؤلاء المنصفون إلى الذود عن حياضها، والإشادة بطاقاتها الهائلة. يقول ابن جني: «العرب إنما تحلّي ألفاظها وتدبجها وتشيها، وتزخرفها، عناية بالمعاني التي وراءها، وتوصلا بها الى إدراك مطالبها، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا». ألا ترى إلى قول بعضهم وقد سأل آخر حاجة، فقال المسؤول: إن عليّ يمينا ألا أفعل هذا، فقال له السائل: إن كنت – أيدك الله– لم تحلف يمينا قط على أمر فرأيت غيره خيرا منه فكفرت عنها له، وأمضيته، فما أحب أن أحنثك، وإن كان ذلك قد كان منك فلا تجعلني أدْوَن الرجلين عندك، فقال له: سحرْتَني، وقضى حاجته (١). أما ابن سنان الخفاجي فيؤكد جمال العربية وأفضليتها في اختيار ما احلولى واعذوذب من الألفاظ، واطّراح ما امْلولح وخبُث قائلا: «وقد أخبرني أبوداود المطران – وهوعارف باللغتين: العربية والسريانية – أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبُحت وخست، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طُلاوة وحُسنا، وهذا الذي ذكره صحيح، يخبر به أهلُ كل لغة عن لغتهم مع العربية» (٢). أما ابن الأثير فيروي حكاية يهودي ذكرت عنده العربية وما تمتاز به من جمال قائلا: «فجرى ذكر اللغات، وأن اللغة العربية هي سيدة اللغات، وأنها أشرفهن مكانا، وأحسنهن وضعا، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك. وقد جاءت آخرا. فنفت القبيح من اللغات قبلها، وأخذت الحسَن، ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة، فاختصر ما اختصر، وخفف ما خفف، فمن ذلك اسم الجمل، فإنه عندنا في اللسان العبراني «كوميل» مُمالا على وزن «فوعيل» فجاء واضع اللغة العربية، وحذف منها الثقيل المستبشع، وقال: «جمل» فصار خفيفا حسنا، وكذلك فعل في كذا وكذا، وذكر أشياء كثيرة. ولقد صدق في الذي ذكره، وهو كلام عالم به» (٣). من أجل ذلك كرهت العرب تجاور بعض الأصوات في كلامهم طلبا للخفة وتجنبا للثقل مثل: القاف والكاف والجيم، والصاد والسين، والزاي، وهلم جرا. وقد تكفلت كتب الأسرار والفقه والخصائص والإعجاز المشار إليها آنفا ببسط البراهين والأدلة التي تنبئ أن جمال العربية أشهر من القمر كما يؤكد السيوطي قائلا: «إنها أفضل اللغات وأوسعها. قال ابن فارس في فقه اللغة: لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فوصفه– سبحانه – بأبلغ ما يُوصَفُ به الكلام، وهو البيان. وقال تعالى ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فقدم – سبحانه – ذكر البيان على جميع ما توحّد بخلقه، وتفرد بإنشائه... فلما خص – سبحانه – اللسان العربي بالبيان، عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

فإن قال قائل: إن سائر اللغات تُبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأنّا لو احتجنا إلى أن نعبر بالسيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسميات بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟» (٤). وقد استمدت العربية هذا الجمال وذاك السموق من ارتباطها بلغة القرآن الكريم، ولذلك قال الراغب الأصفهاني: «ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب، وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتاد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمتهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها، وماعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمنتقاة منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنّور بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لَبوب الحنطة». (٥).

الهوامش

١- الخصائص. أبوالفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي البجاوي، الجزء الأول، ص ٢٢٠ و٢٢١. دار الكتاب العربي بيروت، لبنان.

٢- سر الفصاحة، أبومحمد بن عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ص ٥٠. ط ١. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتعليق: د- أحمد الحوفي ود- بدوي طبانة، القسم الأول، ص٢٠٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الجزء الأول، ص٣٢١ و٣٢٢، ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، المكتبة العصرية صيدا- بيروت.

٥- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الجزء الثاني، ص٢٥٥. ط- ٨، ١٩٧٤م شركة الطباعة الفنية المتحدة.



عويل

جيكر خورشيد

عويلٌ... عويلْ
دماءٌ تراقُ.. دموعٌ تسيلْ
وأشلاءُ ناسٍ تطيرُ شظايا
وفي كلِّ يومٍ مئاتُ الضحايا
مطارقُ في مسمعي تدقّ
مساميرَ في خافقي
وتطاردُ روحي وحوشٌ
كوابيسُ رعبٍ تحاصرني
تقتلُ النومَ في مقلتيّ
فأهتزُّ خوفًا
أذوبُ على جمرِ همٍّ ثقيل
ألوذُ بحضنِ العويلْ!

عويلٌ... عويلْ
يضجُّ الفضاءُ الرحيبْ
وأينَ تسيرُ هناكَ النحيبْ
سوادٌ يلفُّ البسيطةَ تغدو
كثكلى عليها ثيابُ الحدادْ
سوادٌ رهيب...
كخيمةِ حزنٍ تغطي بلادي
سوادٌ... كقلبِ الطغاةِ
أحالَ النهارَ قتامًا
وهذي الحياةَ جحيمًا
فبتنا نقاسي عذابًا وويلْ!

عويلٌ... عويلْ
دماءٌ تراقُ... ودمعٌ يسيلْ
يُضامُ شيوخٌ.. وتسبى صبايا
بأرضي تدارُ كؤوسُ المنايا
يُدنّسُ عرضٌ.... ويقتلُ طفلٌ وزهرٌ
وما من بصيصٍ لهذا العويلْ!
عويلٌ... يجوبُ الفضاءَ
ويعلو تجاهَ السّماءِ
لعلَّ الإلهَ العظيمَ
يطيحُ بكلِّ الطغاةِ
لعلَّ البهاءَ
يعودُ لوجهِ الحياةِ

شاعر سوري

ثمرات المطابع

«ذكرى مرور مائة عام على إنشاء المدرسة المباركية»

هذا عنوان كتاب يقع في حوالي ٥٢٠ صفحة من القطع المتوسط قام بإعداده الأستاذ بدر عبدالله حمد الزوير وهو يؤرخ لأول مدرسة ثقافية في تاريخ الكويت والخليج بأسره، تلك النبتة التي نمت حتى غدت شجرة كبيرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وباتت نافذة العالم على دولة الكويت بالعلم والأدب والثقافة.



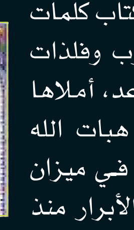
كتاب «الدعوة والداعية إلى الإسلام»

وذلك في حوالي ١٩٢ صفحة من القطع الصغير، وهذا الكتاب تأصيل علمي لعمل الدعوة يرشد الدعاة إلى السبيل الأقوم ولا يترك أمر دعوة الخلق إلى الخلق على سجية النفوس واندفاع كثير منها بغير هدى ولا حكمة، وإن أثار ذلك عواطف العامة ونال إعجابهم، وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى مهمة جليلة اصطفى الله تعالى لها خيرة خلقه من الأنبياء والرسل يبلغون رسالات الله ويدعون الخلق إلى الله ووفق لها صفوة هذه الأمة من العلماء والدعاة، صحابة وتابعين ومن بعدهم.



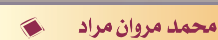
«الأولاد ودائع الله عندنا»

يقع الكتاب في حوالي ١٥٦ صفحة من القطع الصغير، ويتضمن الكتاب كلمات إلى أشطار القلوب وفلذات الأكباد والجيل الصاعد، أملاها عرفان بأنهم أجمل هبات الله للآباء، وهو كذلك في ميزان الفطرة وفي اعتبار الأبرار منذ خلق الله آدم وحوَّى وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء.





همس الدموع!



محمد مروان مراد

كانت الساعة تدق معلنة الخامسة صباحًا، أفاق «الأستاذ خيري» على ضيق في تنفسه، وألم مبرح في صدره، وخدر شامل في ذراعه اليسرى، تقدم من نافذة الحجرة المفتوحة، وراح يعب من الهواء البارد، ويمسح حبات عرق تجمعت على جبينه، ثم عاد ليجلس على حافة سريره، فوقعت نظرته على التقرير الطبي، فرفعه ليقرأه ربما للمرة الخمسين خلال الشهرين الماضيين، وهو يستعيد عبارة الطبيب الملحة:

- لابد من العمل الجراحي لتبديل الشرايين الثلاثة المسدودة، وخلال ثلاثة أشهر لا أكثر.

- ثلاثة أشهر.. وها قد مرّ شهران، وأنا أنتظر فرج الله تعالى، إن كلفة العملية الجراحية مئتا ألف ليرة بالكامل، مئتا ألف تعادلان ما قبضت من رواتب عملي في التعليم طوال عشرين سنة، راتبي التقاعدي اليوم ألف ليرة لا غير.

الحمد لله، لقد عشت بهذا الراتب سنوات مع زوجتي وابنتي، ثم توفيت المرحومة، وتزوجت «سعاد»، وبتُّ وحيدًا أدبر أمور حياتي بتقتير شديد، ومداراة كبيرة للألف ليرة، حتى لا أضطر لمدّ كفي إلى الآخرين.

نعم.. لقد واجهت أمراضًا عابرة، وصرفتها بوسائلي الخاصة، فلم أحتج إلى الطبيب والعلاج، ولكن انسداد الشرايين الثلاثة لم يكن في الحسبان، وحين داهمتني الجلطة اللعينة منذ شهرين، وأسعفت للمشفى الحكومي في اللحظة الأخيرة، أكد لي الطبيب وهو يهنئني بالسلامة:

- هذه المرة كتب لك عمر جديد، ولكن لابد من العمل الجراحي قبل فوات الأوان.



شهران و«الأستاذ خيري» يجتر التفاصيل والآلام نفسها، في الصباح حين يفيق، وفي النهار، وهو يجرّ خطاه إلى البقال روحة وإيابًا، وفي الليل الطويل الذي يمضيه ساهرًا قلقًا متقلبًا بثقله الضيق والوهن والتفكير:

- مئتا ألف ليرة، وليس في جيبي غير خمسين ليرة لا غير يجب أن تكفيني إلى آخر الشهر، أليس أرخص لي وأسلم أن تداهمني «جلطة» جديدة، فتخلصني دفعة واحدة من هذه الجبال الرابضة على صدري لا تبرح؟

وعاوده الألم الجارح، كما لو أن سكينًا حادة تنشر ضلوعه، وتزايد إحساسه بالاختناق حتى لم يعد يطيق الاحتمال، فمد يدا مرتجفة إلى الهاتف، ونفث بهمسة واهنة:

- سعاد.. ثم سقطت السماعة من قبضته.

سمع «الأستاذ خيري» تمتمات خافتة تتردد:

- ها هو يصحو..

وشعر بكف حانية تمسح جبينه:

- أنا سعاد يا أبي.

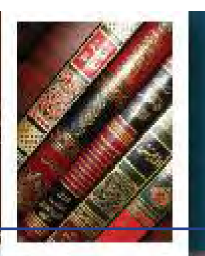
ففتح عينيه بجهد واضح، ورأى من خلال غشاوة رقيقة وجه ابنته وعينيها الدامعتين، وقبل أن يفتح شفتيه الجافتين بكلمة، قالت:

- الحمد لله على سلامتك.

- أين أنا؟ خرجت العبارة ضعيفة كما لو كانت صادرة من بئر عميقة، وتفرس فيما حوله، فإذا الأهل ملتفون حول سريره، وقد ارتسمت على الوجوه أمارات القلق والخوف، اقترب الطبيب يجس نبض المريض ويقول:

- الحمد لله.. كل شيء على ما يرام، وستولى الآلام إلى غير رجعة، وتغادرنا بعد أيام بصحة وسلام، وخرج الجميع بإشارة من الطبيب، وبقي «الأستاذ

قاص سوري



خيري» وحيدًا، ولم يدر بعدها كم ساعة مرت حتى صحا من جديد، وكانت ابنته «سعاد» إلى جواره.

– لقد أجرى الطبيب العمل الجراحي بمهارة فائقة، وتم تبديل الشرايين الثلاثة في ساعتين وحسب، (أخبرته سعاد).

نظر الأستاذ إلى جسده، فألفى صدره مغلفًا بالضماد، ومع شعوره بوخز ضعيف، فإن نشاطًا جديدًا دب فيه، وزايله الضيق من ثقل الجبال على ضلوعه.

– الحمد لله .. (هتف من الأعماق).

– ولكن التكاليف، مئتا ألف ليرة، فمن أين لي بهذا المبلغ الجسيم يا سعاد؟

– لا يهمنك الأمر، العائلة كلها تجهد لتدبيره، وحين تخرج بالسلامة سيكون كل قرش مسددًا بإذن الله.

مرت ثلاثة أيام، انهمكت العائلة خلالها بتأمين تكاليف العملية، وهبّ الأهل والأصدقاء كبيرهم وصغيرهم، ليشارك كل واحد بما يستطيعه، وتحول الأمر إلى عرس من المحبة والإيثار.

قدمت العمة «أم عصام» عشرين ألف ليرة أعدتها لشراء قبر لها – بعد طول عمر– ورهنت الخالة «دعاء» عقدها الذهبي مقابل خمس عشرة ألف ليرة، وقدم الصهر «برهان» زوج «سعاد» ثمانية آلاف ليرة حصيلة مشاركته في الجمعية الشهرية مع أصدقاء العمل، وأسهمت الجارة «أم سليم» بثلاثين ألفًا كانت وفرتها لتكاليف الحج إلى بيت الله الحرام، وشارك «ياسر» ابنها بألفي ليرة ثمن دراجة هوائية كان يزمع اقتناءها، وفيما كانت الابنة سعاد تعد المال وتضعه في كيس قماش، وتتساءل بعينين كاسفتين:

– إن الحصيلة لم تصل بعد إلى نصف التكاليف المطلوبة، فما العمل يا رب؟

وجاء الرد سريعًا، دخل «أبونعمان» تاجر القماش، وصديق عمر «الأستاذ خيري» فناول الابنة، ستين ألف ليرة، وأخبر بأنها زكاة تجارته السنوية، والأستاذ خيري أحق الناس بها.

لقد واجهت أمراضًا كثيرة عابرة وحرفتها بوسائلي الخاصة .. أما هذا فلا قبل لي به!

انطلقت سعاد بالمبلغ إلى المشفى، وكان الأب قد دخل لتوه إلى مكتب المحاسبة، مشتت الذهن تتنابه الأفكار، فلما أقبلت سعاد وقدمت الكيس القماشي للمحاسب، قالت بلعثمة حزينة:

– هذا كل ما جمعناه، ولعل إدارة المشفى تتكرم وتسامحنا بباقي التكاليف؟

رفع المحاسب رأسه ، وقال:

– ما اسم المريض من فضلك؟

– هذا أبي الأستاذ خيري الشريف.

مشى المحاسب بقلمه على صفحة السجل أمامه وهو يكرر:

– خيري الشريف، خيري.. وتوقف، ثم أردف مبتسمًا بلطف:

– الحمد لله على السلامة يا أستاذ، الحساب مدفوع منذ يومين.

شهقت «سعاد» – عفوًا، هنالك خطأ بالتأكيد.

– صدقيني، قائمة التكاليف مسددة بالكامل، وذمتكم بريئة تمامًا.

حملق «الأستاذ خيري» غير مصدق، وأدار بصره بين المحاسب وبين ابنته:

– ولكن من؟.. من الذي دفع المبلغ؟

.. هتف الأستاذ من أعماقه..

أجاب المحاسب:

– فاعل خير.. وقد أصر ألا نبوح باسمه أبدًا، ليبقى عمله خالصًا لوجه الله تعالى.. لم يستسلم الأستاذ، وعاد يردد بإلحاح وتوسل:

– أستحلفك بالله أن تخبرني، ولك وعد الحر الصادق أن يظل اسمه سرًا في صدري إلى الأبد.

نهض المحاسب من وراء مكتبه، وأسر في أذن الأستاذ:

– إنه الطبيب أيمن راجي، وهو الذي أجرى لك العمل الجراحي بنفسه!

تسمر الأستاذ خيري في مقعده، حين سمع بالاسم، وأغمض عينيه وهو يفرك جبينه، مستعيدًا في ذهنه أسماء طلابه القدامى، ويكرر مرّات:

– أيمن راجي؟ وما لبثت شاشة ذاكرته أن أضاءت لتشع في صفحتها ملامح تلميذ صغير في المرحلة الإعدادية، بلى هو أيمن اليتيم الفقير، ذو القميص المرقع الذي شغفه بهدوئه ولطفه وخطه الجميل، أيمن راجي الذي احتضنه الأستاذ برعايته وخصه بعطفه وأمّن له مقعدًا مجانيًا في القسم الداخلي بالمعهد، وتوسط له للعمل صيفًا في متجر صديقه «أبي نعمان»، ثم تقاعد هو بعد سنين الخدمة الطويلة وابتعد عن المعهد، وغابت عنه أخبار طلابه، وشغله هم مرضه عن كل شيء، يا الله، أممكن أين يكون ذلك الفتى الضعيف هو نفسه الطبيب الإنسان الذي بدل له في ساعتين شرايينه الثلاثة المسدودة، وأعاد إلى قلبه نبض الحياة الدفاق، ثم سدد عنه تكاليف العمل الجراحي بالكامل؟ حمدًا وشكرًا يا الله..إن عهد المعجزات لم ينقض بعد .

نهض الأستاذ خيري مستندًا إلى ذراع ابنته، التي احتضنت كيس المال إلى صدرها، وما سار غير خطوة واحدة حتى وجد نفسه وجهًا لوجه أمام طبيبه المنقذ، ففتح ساعديه عن آخرهما، وضمه بكل محبة وسعادة، وهمس بدموعه الحارة ما عجزت عن البوح به شفتاه.

القصة القرآنية وسيلة بناء ونهضة

محمد الشحات

إن التطلع لمستقبل مشرق وباهر لا يتأتى بنظرة انفصالية عن تجارب السابقين من الأمم الأخرى، وحري بمن يحاول البعث والنهوض وإعادة الكيان للأمة من جديد أن ينظر بعين الاعتبار لحال الأمم السابقة في بعثها ونهوضها، في محاولة جادة وواضحة للاعتبار والاستفادة من مواقف الرجال والدول، وأخذ العبرة. وليس هناك في الوجود كله كتاب يحوي عبر قصصه الفريد تلك النماذج والخبرات والمواقف غير القرآن الكريم، وصدق الحق سبحانه إذ يقول: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (يوسف: ٣). ولقد شغلت القصة التاريخية القرآنية حيزا غير قليل في الكتاب الخالد، ومع نهاية العرض- سواء كان مفصلاً أو مجملاً- يأتي الختام الهام والضروري بالتركيز على العبرة، فليست القصة الواردة في القرآن للتسلية والتلهي والسرد، وإنما وردت في سياق آيات القرآن لتقرر واقعا جديدا، وترسم للإنسان معالم جديدة، إذ المقصود هو استخلاص العبر والدروس.

والقصة في القرآن إحدى وسائل البناء والتشييد في معالم البعث الحضاري الجديد الذي تنشده الأمة حتى وهي في كبوتها، إذا حاولت استنهاض الهمة، والعودة للقرآن، والنظر للتاريخ. إن الفوائد الجمة التي تجنيها البشرية من القصة القرآنية إنما تعطي فعالية وحيوية، وتمنح الحياة الجديدة معنى هامًا، ألا وهو إمكانية استعادة الدور من جديد، وهو أمر ليس بالمستحيل ولا الصعب.



والقصص في السياق القرآني أداة تربية وتوجيه للفرد وللجماعة، والقرآن عندما يقص عن الماضين يعطي دروسًا من العبر ليرشد بها أتباع خاتم الرسل(١).

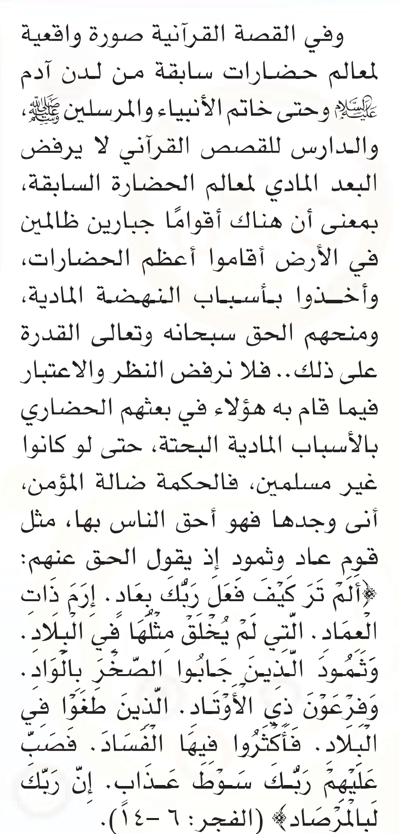
قال تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾(طه: ٩٩)، والقصة في كتاب الله تمثل محورًا هادفًا جاء ليؤدي دورًا، وليصنع واقعًا ومثالاً يحتذى في الترغيب والترهيب.

فالأمراض التي تحياها البشرية على مر الزمان تكاد تكون متشابهة، حتى وإن تعددت العلل والأمراض، لكن العلاج واحد يتمثل في اتباع المنهج. والقصة هي استدعاء من ذاكرة القرون السالفة؛ لنعرف التاريخ والواقع، وقصة حياة البشرية في حقبة من الحقب السالفة، والشيخ الجليل محمد الغزالي يرى أن دراسة قصص القرآن الكريم فريضة دينية، وفريضة إنسانية، وضرورة بقاء(٢).

والساعي للنهضة الآن يختلف عن سابقه، لماذا؟ فالسابق كان ينهض وينشئ ويعمر ويقيم حضارة على غير مثال سابق، فلم تسبقه أحداث وتجارب يستفيد منها، ويستخلص الفائدة من مراحلها، أما الآن فرصيد الماضي وحضارة السابقين وتجارب الأمم عبر أحداث التاريخ والقصص القرآنية.. خير مثال سابق، لابد أن ننظر إليه نظرة عميقة تعطي أبعادًا في عمق الحدث؛ حتى نستجلي ما فيها من فوائد جمة وخطيرة في سعينا الآن، إذ لابد أن نستجمع خيوط الأحداث، ونمسك بأطرافها، ونعطيها الاعتبار والتقدير، وندرس ونحلل وننحي الأخطاء جانبًا، ونسعى بالفوائد نحيلها واقعًا ملموسًا في مستقبلنا، مع الأخذ في الاعتبار اختلاف الزمان والمكان والبيئة العامة وطبائع الناس، فما علينا إلا أن نغوص في عمق الحدث.

ناقد أدبي مصري





الغزالي: دراسة قصص القرآن فريضة دينية وإنسانية وضرورة بقاء

وفي القصة القرآنية صورة واقعية لمعالم حضارات سابقة من لدن آدم عليه السلام وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، والدارس للقصص القرآني لا يرفض البعد المادي لمعالم الحضارة السابقة، بمعنى أن هناك أقوامًا جبارين ظالمين في الأرض أقاموا أعظم الحضارات، وأخذوا بأسباب النهضة المادية، ومنحهم الحق سبحانه وتعالى القدرة على ذلك.. فلا نرفض النظر والاعتبار فيما قام به هؤلاء في بعثهم الحضاري بالأسباب المادية البحتة، حتى لو كانوا غير مسلمين، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها، مثل قوم عاد وثمود إذ يقول الحق عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ٦ –١٤).

نعم، صدق الله سبحانه وتعالى، فأرض الجزيرة في جنوبها أظهرت الأقمار الصناعية أن في صحراء الربع الخالي معالم تحت الأرض لقصور ذات أعمدة، وأبنية ضخمة تدل على أن القوم كانوا في قمة النضج الحضاري المادي، فهل نرفض هذا الرصيد من إشارات القصة القرآنية بزعم أنهم غير مسلمين؟

إن من السخف الكبير ألا نستفيد من تجربة النشأة وتجربة السقوط، ونعلم أن السقوط كان بسبب البعد عن وحي السماء ومنهج الله– تبارك وتعالى– ومن سننه أنه يمنح التقدم، وأسباب التفوق لأمة ولو كانت كافرة طالما أخذت بأسبابه.

ومهما تدعي الإنسانية البعيدة عن القرآن العلمية والدراسة المنهجية في التاريخ والمجتمع فإنها لن تصل إلى ما يطمح إليه عقلاء البشر، وأسوياء الإنسانية من سعادة، إلا في ظل الوحي القرآني، باعتباره أسلم كتاب من الانحراف(٣)، مصداقًا لقول الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

ومن الأمثلة الشهيرة في القصة القرآنية ما أشار إليه النص القرآني من تقدم الفراعنة الباهر والمحير للعلماء في جميع مجالات الحياة حتى الآن، بعد سبعة آلاف سنة، خاصة في التشييد والبناء والطب، فالأمة التي تسعى للنهضة لابد أن تستفيد من تجاربهم وأحوالهم، وأن تحسن قراءة التاريخ قراءة منهجية بنظرات عميقة فيها الفائدة، وفيها خلاصة التجارب البشرية المفيدة النافعة، فالقصة القرآنية هي استدعاء من الذاكرة للأحداث التي تمت في سابق الزمان.

والكتاب العظيم دعا الحق سبحانه وتعالى في صفحاته المشرقة البشرية إلى السير والنظر في عواقب الأمم الغابرة.. فهل يسرد روايات السابقين فيه للتسلي والتلهي؟ لا، وحاشا أن تكون الإيماءات النيرات مجرد حكايات كحكايات ألف ليلة وليلة، ولكنها نظرات في عمق التاريخ، نظرات فيها القيم والمبادئ ومعالم النهضة، أنزلها الحق سبحانه وتعالى في كتابه تربية وإعدادًا للجيل الناهض، أيا كان زمانه ومكانه؛ حتى يظل القرآن يخدم البشرية أيا كان موقعها وزمانها، فهو عطاء لا ينفد.. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (غافر: ٢١). ولقد علم الله أن الإنسان عادة ما يعتبر بمن هو أكثر منه، وأشد منه قوة وأعظم شأنا، ولعل في هذا إشارة إلى عاد وثمود، والآثار هي قصور السابقين وحصونهم وعددهم، وكل ما يوصف بالشدة من الآثار(٤).

والقصة القرآنية وحي السماء فيها مجموعة من القيم يجب الإشارة إليها، والوقوف عندها بعض الوقت؛ لندرك تمامًا أهميتها في البناء النفسي للإنسان الذي يسعى لإقامة جسور التواصل بين الحضارات، وأهميتها في البناء المادي كأسباب حسية أخذ بها السابقون فتقدموا، وأهم هذه المبادئ:

– أن القصة القرآنية وحي من الله، دراستها والاعتبار بها عبادة لله، فكثيرًا ما قال القرآن: أفلم، أولم؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار.
– إنها وسيلة استئناس ومعايشة، تمنح الدفء والمعية للإنسان، بل والأمة.
– إنها استدعاء من ذاكرة التاريخ.
– والقصة قرآن خالد على مر الزمان للبشرية، نأخذ منها تجارب الأمم السابقة.
– فيها الدرس والعبرة والفائدة العامة في مجالات كثيرة.

الفهرس

١– مقال «الشيخ محمد الغزالي والقصص القرآني» للدكتور محمد سيد أحمد فرج ص ١٩٣٠، عدد ذي الحجة عام ١٤٣٠ هـ/ ديسمبر، الجزء ١٢، سنة ٨٢ .
٢– المصدر السابق.
٣– توفيق محمد سبع: قيم حضارية في القرآن الكريم، ص ١٥٣.
٤– تفسير الكشاف، سورة غافر، الآية ٢١ .

صحيح ابن حبان

التحرير

الفن: الحديث النبوي.
سنة النشر: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م
رقم الطبعة: الأولى.
عدد المجلدات: (٨ مجلدات)
تحقيق: د. محمد علي سونمز، ود. خالص آي دمير.
إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
اسم الكتاب: «المسنَد الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جَرْح في ناقليها».

سبب تألِيف الكتاب: بيّن الإمام سبب تأليفه لصحيحه بقوله: «لما رأيت الأخبار طرقها كثرت، ومعرفة الناس بالصحيح منها قلّت».

فعزم على جمع الصحيح الثابت حتى يسهل على المتعلمين الوصول إليه، فتدبّر الصحيح من السنة فوجده ينقسم كما قال: أقسام متساوية متفقة التقسيم غير متنافية:

فأولها: الأوامر التي أمر الله عباده بها.

والثاني: النواهي التي نهى الله عباده عنها.

والثالث: إخباره عما احتيج إلى معرفته.

والرابع: الإباحات التي أبيح ارتكابها.

والخامس: أفعال النبي ﷺ التي انفرد بفعلها.

ثم رأيت كل قسم منها يتنوع أنواعا كثيرة، ومن كل نوع تتنوع علوم خطيرة...».

إلى أن قال: «وإنا نملي كل قسم بما فيه من الأنواع، وكل نوع بما فيه...».

ثم شرع يذكر هذه الأقسام والأنواع حتى انتهى منها فقال: «فجميع أنواع السنن أربعمائة».

ومن هذا التقسيم يظهر سبب تسمية المؤلف كتابه هذا والذي عرف بصحيح ابن حبان باسم «التقاسيم والأنواع».

أهمية صحيح ابن حبان:

قال الشيخ أحمد شاكر، رحمه الله، في بيان أهمية الكتاب: «صحيح ابن حبان» كتاب نفيس، جليل القدر، عظيم الفائدة. حرَّرَهُ مؤلفه أدق تحرير، وجوَّده أحسن تجويد، وحقق أسانيده ورجاله، وعلل ما احتاج إلى تعليل من نصوص الأحاديث وأسانيدها، وتوثق من صحبة كل حديث اختاره على شرطه، ما أظنه أخل بشيء مما التزم، إلا ما يخطئُ فيه البشر، وما لا يخلو منه عالم محقق.

وقد رتب علماء هذا الفن ونقاده هذه الكتب الثلاثة –التي التزم مؤلفوها رواية الصحيح من الحديث وحده– أعني: الصحيح المجرد؛ بعد «الصحيحين»: البخاري ومسلم– على الترتيب الآتي: صحيح ابن خزيمة، صحيح ابن حبان، المستدرك للحاكم؛ ترجيحًا منهم لكل كتاب منها على ما بعده، في التزام الصحيح المجرد، وإن وافق هذا – مصادفة – ترتيبهم الزمني، عن غير قصد إليه.

وأستطيع أن أجزم – أو أرجح – أن لابن حبان في كتابه شروطا دقيقة واضحة بينة لتصحيح الحديث، وأنه وَفَّى بما اشترط –كما قال الحافظ ابن حجر– إلا ما لا يخلو منه عالم أو كتاب، من السهو والغلط، أو من اختلاف الرأي في الجرح والتعديل، والتوثيق والتضعيف، والتعليل والترجيح.

وهو – فيما رأينا من كتابه – قد أخرج كتابه مستقلًا، لم يبنه على «الصحيحين» ولا على غيرهما، إنما أخرج كتابا كاملا.

وفي «الشذرات» – في ترجمة ابن حبان –: «وأكثر نُقَّاد الحديث على أن «صحيحه» أصحُّ من «سنن ابن ماجه».

التعريف بالإمام

هو الإمام الحافظ العلامة أبوحاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي البستي صاحب التصانيف.

ولد سنة بضع وسبعين ومائتين.

من أشهر شيوخه:

الحسين بن إدريس الهروي، وأبوخليفة الجمحي، وأبوعبدالرحمن النسائي، وعمران بن موسى بن مجاشع، والحسن ابن سفيان، وأبويعلى الموصلي، وأحمد بن الحسن الصوفي، وجعفر بن أحمد الدمشقي، وأبوبكر بن خزيمة، وغيرهم.

من أشهر تلاميذه:

أبوعبدالله الحاكم، ومنصور بن عبدالله الخالدي، وأبومعاذ عبدالرحمن بن محمد بن رزق الله، وأبوالحسن محمد بن أحمد بن هارون الزوزني، ومحمد بن أحمد بن منصور النوقاتي، وغيرهم.

مصنفاته: صنف –رحمه الله– الكثير من التصانيف، منها:

كتاب تفسير القرآن، كتاب التقاسيم والأنواع، وهو المشهور بالصحيح. كتاب

التمييز بين حديث النصر الحداني ونصر الحراز، كتاب ثواب الأعمال، كتاب الجرح والتعديل، كتاب الجمع بين الأخبار المتضادة، كتاب روضة العقلاء، كتاب السنن في الحديث، كتاب شعب الإيمان، كتاب صفة الصلاة، كتاب طبقات الأصبهانية، كتاب علل أوهام أصحاب التواريخ، كتاب علل حديث الزهري، كتاب علل حديث مالك، كتاب ما أسند إلى أبي حنيفة، كتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه، كتاب غرائب الأخبار، كتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا، كتاب الفصل بين حديث أشعث ابن مالك وأشعث بن سوار، كتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الأزدي، كتاب الفصل بين منصور ابن المعتمر ومنصور بن زاذان، كتاب الفصل بين النقلة، كتاب الفصل بين نور بن يزيد ونور بن زيد، كتاب الفصل والوصل، كتاب الأبواب المتفرقة، كتاب الأسامي من يعرف بالكنى، كتاب التابعين، كتاب تبع الأتباع، كتاب الثقات، كتاب الضعفاء، كتاب الصحابة، كتاب كنى من يعرف بالأسامي، كتاب ما أسند جنادة من عيادة، كتاب ما انفرد به أهل المدينة من السنن، كتاب ما انفرد به أهل مكة، كتاب ما خالف الثوري شعبة، كتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان، كتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيدالله بن عمر، كتاب المسند في الحديث، كتاب المعجم على المدن، كتاب المقلِّين من الحجازيين، كتاب المقلين من العراقيين، كتاب موقوف ما رفع، كتاب وصايا الأتباع وبيان الابتداع في الحديث، كتاب وصف العلوم وأنواعها، كتاب الهداية إلى علم السنن، كتاب مناقب الشافعي، كتاب مناقب مالك، وغيرها.

من ثناء العلماء عليه:

قال أبوسعد الإدريسي: كان من فقهاء الدِّين وحفّاظ الآثار عالما بالطب والنجوم وفنون العلم، وفقَّه الناس بسمرقند.

وقال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال.

وقال الخطيب: كان ثقة نبيلًا فهمًا.

ووصفه الذهبي بقوله: الإمام العلامة، الحافظ المجوِّد، شيخ خراسان. بعض ما أُنكر عليه، وجواب الذهبي عنه:

وقال أبوإسماعيل الهروي: سألت يحيى بن عمار عنه فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علمٌ ولم يكن له كبير دين، قدم علينا فأنكرَ الحدَّ لله فأخرجناه.

قال ابن الذهبي: كلاهما مخطئ؛ إذ لم يأت نصٌّ بإثبات الحدِّ ولا بنفيه ومن حسن إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه.

قال أبوإسماعيل: سمعت عبدالصمد بن محمد بن محمد سمعت أبي يقول: أنكروا على ابن حبان قوله «النبوة: العلم والعمل»، فحكموا عليه بالزندقة وهُجر، وكُتِبَ فيه إلى الخليفة فكَتَبَ بقتله.

قلتُ (الذهبي): وهذا أيضًا له محمل حسنٌ، ولم يُرِد حصر المبتدأ في الخبر ومثاله: الحجُّ عرفةَ. فمعلومٌ أن الرجل لا يصير حاجًا بمجرّد الوقوف بعرفة وإنما ذكرَ مهمَّ الحجِّ ومهمَّ النبوّة؛ إذ أكمل صفات النبيِّ العلمُ والعمل، ولا يكون أحدٌ نبيًا إلا أن يكون عالما عاملًا. نعم؛ النبوّة موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولى العلم والعمل، لا حيلة للبشر في اكتسابها أبدًا، وبها يتولّد العلم النافع والعمل الصالح، ولا ريب أن إطلاق ما نُقل عن أبي حاتم لا يسوغ، وذلك نَفَسٌ فلسفيٌّ؟!.

وفاته: مات الإمام أبوحاتم بن حبان -رحمه الله- في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مائة (٣٥٤)، وهو في عشر الثمانين.

شرط ابن حبان في هذا الصحيح:

قال رحمه الله: وأما شرطنا في نقله ما أودعناه كتابنا هذا من السنن، فإنا لم نحتج فيه إلا بحديث اجتمع في كل شيخ من رواته خمسة أشياء:

الأول: العدالة في الدين بالستر الجميل.

والثاني: الصدق في الحديث بالشهرة فيه.

والثالث: العقل بما يحدث من الحديث.

والرابع: العلم بما يحيل من معاني ما يروي.

والخامس: المتعري خبره عن التدليس.

فكل من اجتمع فيه هذه الخصال الخمس احتججنا بحديثه وبنينا الكتاب على روايته وكل من تعرّى عن خصلة من هذه الخصال الخمس لم نحتج به.







للعلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢)

صالح بن محمد بن عبدالفتاح بن عبدالخالق

تنوعت المصنفات في سيرة النبي ﷺ فمنها المطول والمختصر منثورًا ومنظومًا، ومن بين المنظوم المختصر أرجوزة مفيدة أشارت إلى كثيرٍ من أمهات أحداث السيرة قبل الهجرة وبعدها وضعها مؤلفها العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢) رحمه الله تعالى في مائة بيت .

قال العلامة شمس الدين بن طولون الحنفي: ... أخبرنا أبوالعباس أحمد بن أبي الصدق العمري من لفظه، أخبرتنا أم أحمد أمة اللطيف ابنة المسند شمس الدين محمد بن محمد بن المحب سماعًا عليها بمنزلها بجِسر البطِّ، أخبرنا والدي من لفظه، أخبرنا قاضي المسلمين الصدر علي بن علي بن أبي العز بن عطاء سماعًا من لفظه بمسجد «ابن العفيف فخر الدين» بالقرب من «اليغمورية» بسفح «قاسيون» لنفسه في مختصر السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام فقال مرتجزًا:

باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيمِ الْبَارِي ... ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ
وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ... مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ
مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ... رَبِيعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ
لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ
وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ... وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا
وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ... جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ سَلِيمَا
حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ... بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ
فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ ... وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ
وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَائِي ... وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الأَبْوَاءِ
وَجَدُّهُ لِلأَبِ عَبْدُالْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبْ
ثُمَّ أَبُوطَالِبُ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ
وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنِي عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَحِيرَا مَا اشْتَهَرْ
وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا
لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا
فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ... وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا
وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلَا إِبْرَاهِيمْ ... فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ
وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَهْ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَهْ
وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُاللهْ ... وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي(١)
وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ(٢) ... وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ
وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرْ ... بُنْيَانَ بَيْتِ اللهِ لَمَّا أَنْ دَثَرْ
وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمْ ... فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ ثَمّ

١- أراد: أن «الطاهر» و«الطيب» لقبان لعبدالله وليسا ابنين آخرين للنبي ﷺ، ثم حكى قولًا آخر مصدِّرًا له بـ«قيل» للإشارة إلى تضعيفه، وهو أن هذه الأسماء لثلاثة أفراد فيكون أولاده الذكور منها أربعة.
٢- الحِمامُ: الموت.

وَبَـعْـدَ عَـامِ أَرْبَـعِـينَ أُرْسِـلاَ … فِـي يَـوْمِ الاثْـنَـيْنِ يَقِينًا فَانْقُلاَ
فِـي رَمَـضَـانَ أَوْ رَبِـيـعِ الْأَوَّلِ … وَسُــورَةُ اقْــرَأْ أَوَّلُ الْمُـنَـزَّلِ
ثُـمَّ الْـوُضُـوءَ وَالـصَّـلاَةَ عَلَّمَهُ … جِبْرِيلُ وَهْـيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةْ
ثُـمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ … فَـرَمَـتِ الْجِـنَّ نُجُـومٌ هَـائِلَـةْ
ثُـمَّ دَعَـا فِـي أَرْبَـعِ(٣) الْأَعْـوَامِ … بِـالْأَمْـرِ جَـهْـرَةً إِلَـى الْإِسْـلاَمِ
وَرابِـعِ(٤) مِـنَ النِّسَا وَاثْـنَـا عَشَرْ … مِنَ الـرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ
إِلَـى بِـلاَدِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ … وَفِيهِ(٥) عَـادُوا(٦) ثُمَّ عَادُوا(٧) لاَ مَلاَمْ
ثَـلاَثَـةٌ هُـمْ وَثَـمَـانُـونَ رَجُـلْ … وَمَـعْـهُـمْ جَـمَـاعَـةٌ حَـتَّـى كَمُـلْ
وَهُـنَّ(٨) عَشْرٌ وَثَـمَـانٍ ثُـمَّ قَدْ … أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَدْ
وَبَـعْـدَ تِسْعٍ مِـنْ سِنِي رِسَالَتِهْ … مَـاتَ أَبُـوطَـالِـبٍ ذُو كَـفَالَتِهْ
وَبَـعْـدَهُ خَـدِيـجَـةٌ تُـوُفِّـيَتْ … مِـنْ بَـعْـدِ أَيَّـامٍ ثَـلاَثَـةٍ مَضَتْ
وَبَـعْـدَ خَمْسِينَ وَرُبْـعٍ(٩) أَسْلَمَا … جِـنُّ نَصِيبِينَ وَعَـادُوا فَاعْلَمَا
ثُـمَّ عَلَـى سَـوْدَةَ أَمْـضَـى عَقْدَهُ … فِـي رَمَـضَـانَ ثُـمَّ كَـانَ بَـعْـدَهُ
عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ … وَبَـعْـدَ خَـمْـسِينَ وَعَـامٍ تَـالِ
أُسْـرِيَ بِـهِ وَالـصَّـلَوَاتُ فُرِضَتْ … خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ
وَالْبَيْعَةُ الْأُولَـى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا … مِـنْ أَهْـلِ طَـيْـبَـةَ كَمَا قَدْ ذُكِـرَا
وَبَـعْـدَ ثِـنْـتَـيْنِ وَخَـمْـسِينَ أَتَـى … سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَـذَا ثَبَتَا
مِـنْ طَـيْـبَـةٍ فَـبَـايَـعُوا ثُـمَّ هَجَرْ … مَكَّةَ يَـوْمَ اثْـنَـيْنِ مِـنْ شَهْرِ صَفَرْ
فَـجَـاءَ طَـيْـبَـةَ الـرِّضَـا يَقِينَا … إِذْ كَـمَّـلَ الـثَّـلاَثَ وَالْخَمْسِينَا

٣- كذا في الأصل وأظن المراد «رابع».
٤- كذا في الأصل ولعل الصواب وأربع.
٥- أي في العام الخامس.
٦- عادوا إلى مكة.
٧- عادوا إلى بلاد الحبشة.
٨- أي النساء ثماني عشرة امرأة.
٩- أي وربع عام وهو ثلاثة أشهر.

فِـي يَـوْمِ الاثْـنَـيْنِ وَدَامَ فِـيهَا ... عَـشْـرَ سِـنِـينَ كُـمَّـلاً نَـحْـكِـيهَا
أَكْمَلَ فِي الأُولَى صَلاةَ الْحَضَرِ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ[10] فَاسْمَعْ خَبَرِي
ثُـمَّ بَـنَـى الْمَـسْـجِـدَ فِـي قُـبَـاءِ ... وَمَـسْـجِـدَ الْمَـدِيـنَـةِ الْـغَـرَّاءِ
ثُـمَّ بَـنَـى مِـنْ حَـوْلِـهِ مَـسَاكِـنَـهْ ... ثُـمَّ أَتَـى مِـنْ بَـعْـدُ فِـي هَـذِي السَّنَةْ
أَقَـلَّ مِـنْ نِـصْـفِ الَّـذِيـنَ سَـافَـرُوا ... إِلَـى بِـلادِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا[11]
وَفِـيـهِ آخَـى أَشْـرَفُ الأَخْـيَـارِ ... بَـيْـنَ الْمُـهَـاجِـرِيـنَ وَالأَنْـصَـارِ
ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ[12] ... وَشَـرَعَ الأَذَانَ فَـاقْـتُـدِي بِـهِ
وَغَـزْوَةُ الأَبْـوَاءِ[13] بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَـذَا وَفِـي الثَّانِيَةِ الْـغَـزْوُ اشْـتَـهَرْ
إِلَـى بُـوَاطٍ ثُـمَّ بَـدْرٍ وَوَجَـبْ ... تَحَـوُّلُ الْـقِـبْـلَـةِ فِـي نِـصْـفِ رَجَبْ
مِـنْ بَـعْـدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي ... وَفَـرْضُ شَـهْرِ الـصَّـوْمِ فِـي شَعْبَانِ
وَالْـغَـزْوَةِ الْـكُـبْـرَى الَّـتِـي بِـبَـدْرِ ... فِي الـصَّـوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ
وَوَجَـبَـتْ فِـيـهِ زَكَـاةُ الْـفِـطْـرِ ... مِـنْ بَـعْـدِ بَـدْرٍ بِـلَـيَـالٍ عَـشْـرِ
وَفِـي زَكَـاةِ الْمَـالِ خُـلْـفٌ فَـادْرِ ... وَمَـاتَـتِ ابْـنَـةُ الـنَّـبِـيِّ الْـبَـرِّ
رُقَـيَّـةٌ قَـبْـلَ رُجُـوعِ الـسَّـفْـرِ ... زَوْجَـةُ عُـثْـمَـانَ وعُـرْسُ الطُّـهْـرِ
فَـاطِـمَـةَ عَـلَـى عَـلِـيِّ الْـقَـدْرِ ... وَأَسْـلَـمَ الْـعَـبَّـاسُ بَـعْـدَ الأَسْـرِ
وَقَـيْـنُـقَـاعُ غَـزْوُهُـمْ فِـي الإِثْـرِ ... وَبَـعْـدُ ضَـحَّـى يَـوْمَ عِـيـدِ الـنَّـحْرِ
وَغَـزْوَةُ الـسَّـوِيـقِ ثُـمَّ قَـرْقَـرَةْ ... وَالْـغَـزْوُ فِـي الـثَّـالِـثَـةِ الْمُـشْـتَـهِـرَةْ
فِـي غَـطَـفَـانَ وَبَـنِـي سُـلَـيْـمِ ... وَأُمُّ كُـلْـثُـومَ ابْـنَـةُ الْـكَـرِيـمِ
زَوَّجَ عُـثْـمَـانَ بِـهَـا وَخَـصَّـهْ ... ثُـمَّ تَـزَوَّجَ الـنَّـبِـيُّ حَـفْـصَـهْ
وَزَيْـنَـبَـا[14] ثُـمَّ غَـزَا إِلَـى أُحُـدْ ... فِـي شَـهْـرِ شَـوَّالٍ وَحَـمْـرَاءِ الأَسَـدْ

١٠- يعني: صلاة الجمعة.
١١- وهم ثلاثة وثلاثون من الرجال، وثمانية من النساء.
١٢- عائشة رضي الله عنها.
١٣- وتسمى أيضاً غزوة (ودّان) والأبواء وودّان موضعان متجاوران.
١٤- بنت خزيمة الهلالية.

وَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ ... هَذَا وَفِيهَا[15] وُلِدَ السِّبْطُ الْحَسَنْ
وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى ... بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ أَوَّلا
وبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ ... وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةْ
وَبِنْتِ جَحْش ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ[16] ... وَبَعْدَهَا الأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ
ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةٍ وَفِيهِمَا ... خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِّمَا
كَيْفَ صَلاةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي[17] ... وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ
قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنْ ... وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنْ
وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعْ وَثِقِ ... الإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ وَحَصَلْ ... عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ[18] بَعْدُ وَاتَّصَلْ
وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ[19] فِي ذِي الْخَامِسَةْ ... ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةْ
وَبَعْدَهُ اسْتِسْقَاؤُهُ وَذُو قَرَدْ ... وَصُدَّ عَنْ عُمْرَتِهِ لَمَّا قَصَدْ
وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَوَّلَ وَبَنَى ... فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بَيِّنَا
وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ ... وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَةْ
وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّهْ ... فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّدِيَّهْ
ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةٍ عَقَدْ ... وَمَهْرَهَا[20] عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ
وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّةْ ... ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّهْ
ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرَا ... وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا
وَقَبْلُ إِسْلامُ أَبِي هُرَيْرَةْ ... وَبَعْدُ[21] عُمْرَةُ الْقَضَا الشَّهِيرَةْ
وَالرُّسْلَ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ ... أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمِ
وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّهْ ... فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةْ

١٥- أي في السنة الثالثة.
١٦- وتسمى «بدر الآخرة» فإن الغزوات التي تتعلق ببدر ثلاث: الأولى، والكبرى، والآخرة (الموعد).
١٧- أي: رفع ونقل عنه ﷺ.
١٨- يعني: جويرية بنت الحارث وكانت من سبي بني المصطلق.
١٩- يعني: ريحانة بنت زيد وهي من سبي بني قريظة. وقيل هي من إمائه ولم تكن زوجة له.
٢٠- ضبطت في الأصل بضم الراء.
٢١- أي: بعد غزوة خيبر.

لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ وَفِي الصِّيَامِ   قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ
وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي   يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ
وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهْ   مِنَ الْجِعِرَّانَةِ وَاسْتِقْرَارُهْ
وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا   مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمَا
وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَهْ   سَوْدَةُ مَادَامَتْ زَمَانًا عَائِشَهْ
وَعُمِلَ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِي   وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ
ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَهْ   وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ(٢٢)
وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُوبَكْرٍ وَثَمّ   تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ
أَنْ لَا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلاَ   يَطُوفَ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فَعَلا (٢٣)
وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرَى   هَذَا وَمِنْ نِسَاهُ آلَى(٢٤) شَهْرَا
ثُمَّ النَّجَاشِيَّ نَعَى وَصَلَّى   عَلَيْهِ مِنْ طَيْبَةَ نَالَ الْفَضْلا
وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرْ   وَالْبَجَلِيُّ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ
وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنَا   وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا
وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ   (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ)
وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهْ   وَالتِّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهْ
وَيَوْمَ الاثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا   إِذْ أَكْمَلَ الثَّلاثَ وَالسِّتِّينَا
وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ   فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ
وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خُمْسَا شَهْرِ (٢٥)   وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ(٢٦) فَادْرِ
وَتَمَّتِ الْأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّهْ   فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّهْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى   أَصْحَابِهِ وَآلِهِ وَمَنْ تَلا

٢٢- أي: رافعًا الضِّرار الذي بُني هذا المسجد لأجله.
٢٣- أي: أبوبكر وعلي.
٢٤- أي: حلف عليه الصلاة والسلام ألّا يدخل عليهن شهرًا كاملًا.
٢٥- يعني: اثني عشر شهرًا.
٢٦- الخمس ستة أيام والثلث عشرة فالمجموع ستة عشر يومًا.

الصورة النمطيّة للعربيّ في الإعلام الغربيّ

أنور الجمعاوي

أدمنت وسائل إعلاميّة عدّة خلال العشريّة الأخيرة الحديث عن التطرّف الدّيني، وبدت ميّالة إلى وصل ظاهرة الغلوّ في الدّين بالإسلام والمسلمين دون غيرهم. وتأكّد هذا النّهج في التّوصيف إبّان أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. فقد سعى كثيرون إلى إجراء مقولة صراع الحضارات التي أخبر بها «صاموئيل هتنجتون» مجرى التّطبيق، فطفقوا يُحَبِّرون، وينظّرون، ويصرّحون على الملأ بأنّ الإسلام الموسوم بالمارد الأخضر هو العدوّ القادم الذي حلّ محلّ الشيوعيّة، وأصبح خطرا حقيقيًا يهدّد السّلم الأهليّ في العالم، وينذر بتقويض مبادئ الحداثة الأوروبيّة ونسف قيم المجتمع الدّيموقراطيّ في الغرب.

الواقع أنّ هذا الموقف محكوم بخلفيّة أيديولوجيّة ونزعة عنصريّة، قوامها التّشريع لكراهيّة المسلمين وتأليب النّاس عليهم، وذلك بإشاعة مغالطات شتّى لعلّ أهمّها جمع المسلمين كافّة في سلّة واحدة اسمها سلّة التطرّف. وهذا الموقف المتحامل من العرب والمسلمين موقف معياريّ، غير موضوعيّ ولا يسلم لأصحابه من جوانب عدّة ، لعلّ أهمّها أنّ التّعميم في ظاهر الحال غير منطقيّ، ففي كلّ مجتمع وبين أتباع كلّ ديانة، نجد قراءات مختلفة للنصّ المقدّس تتراوح بين اللّين والشدّة وبين الاعتدال والتطرّف، والأمر ملحوظ في أدبيّات أتباع اليهوديّة أو المسيحيّة أو البوذيّة أو غير ذلك من الدّيانات. ولا سبيل إلى نعت هؤلاء جميعا بالمتطرّفين بل يقتضي العقل التّمييز بين المواقف وتفكيك الآراء، وكشف آليّات انتظامها ومواضع تهافتها، بدل إصدار الأحكام القبليّة والمواقف الانفعاليّة من الآخر.

وقد تابعت، مثلا، عبر وسائل الإعلام الأجنبيّة والعربيّة أحداث التّفجيرات الإرهابيّة في النرويج، وقد هالني الأمر لمّا رأيت الفضائيّات، على اختلافها، تتسابق أوّل الأمر في نسبة تلك الفعلة النّكراء إلى العرب والمسلمين، فمنهم من ردّ ذلك إلى السلفيّة الجهاديّة، ومنهم من نسب الحادث إلى تنظيم القاعدة، وسواهم اعتبروه رغبة من العرب في الانتقام ممّا آل إليه الوضع في العراق، وغيرهم قالوا إن الواقعة أقدم عليها عرب للاحتجاج على حملة حلف شمال الأطلسي على ليبيا، ولم يتوان آخرون في اعتبار ذلك ردًا فلسطينيًا على تعثّر مشاورات السّلام في الشّرق الأوسط، واستمرار إسرائيل في عنتها واستخفافها بإرادة الشّعوب العربيّة وإمعانها في التّنكيل بالفلسطينيين. وبذلك فقد وقع الجميع في فخّ إصدار الأحكام المسبقة، وإدانة العرب والمسلمين بغير وجه حقّ، واتهامهم بصفة استعجاليّة مجانيّة ودون استحضار أيّ حجّة أو دليل على ما يدّعون.

> **لوبيات مشبوهة استأثرت بتوجيه المادة الإعلامية واحترفت صناعة الإسلاموفوبيا**

وقد تبيّن للعيان أنّ أحد أنصار اليمين المسيحيّ المتطرّف قد أقدم على ذلك العمل الإرهابي ليعبّر عن رفضه لنهج التعدديّة الثقافيّة في بلده، وليعبّر عن كراهيّته للمسلمين ودعوته الصريحة إلى تهجيرهم والقضاء عليهم حماية لأوروبّا من خطر الإسلام الدّاهم في نظره، فتجلّى بذلك أنّ مصدر التطرّف هذه المرّة هو معسكر الماسونيّة ودعاة الصّليبيّة الجديدة لا العرب أو المسلمون.

وبدا بذلك أنّ نهج عدد من القنوات الإعلاميّة في وصف الحدث قد تأسّس على الارتجال والتّهافت القائم على اعتبار أنّ العرب والمسلمين مسؤولون عن كلّ عمل مشين أو عن كلّ فعل إرهابيّ. والحقيقة أنّ هذا الموقف يرجع في جانب مّا إلى ارتهان الإعلام الغربيّ والإعلام العربيّ إلى مصادر المعلومة ووكالات الأنباء التي تهيمن عليها لوبيّات مشبوهة استأثرت بتوجيه المادّة الإعلاميّة، واحترفت صناعة الإسلاموفوبيا، وانتهجت نهج شيطنة العرب، وهي بذلك تساهم في تغذية ظاهرة العنصريّة والنّزعة القوميّة المتعصّبة في المحضن الأوروبي خصوصا والغربيّ عموما. وبدا جليًا أنّ علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا، والمشرفين على مخابر الدّراسات التحليليّة ومخابر استشراف المستقبل

باحث جامعي تونسي

في الغرب، غير مواكبين لحركة الشّارع في بلاد العم سام، وغير مكترثين بصعود اليمين المتطرّف في المنطقة، وإلاّ كان بإمكانهم التنبيه إلى مخاطر انتشار هذا التيّار ومعاداته الصّريحة للآخر، وحرصه على نسف مشروع التعدديّة الحضاريّة والثقافيّة الذي أنتجه عصر التنوير وفكر الحداثة.

يُضاف إلى ذلك أنّ الصّورة النمطيّة البغيضة التي صنعتها آلة الإعلام الغربيّ واستوديوهات السّينما الهوليوديّة عن العربيّ والمسلم، ما فتئت تسكن عقول الكثير من النّخب المثقّفة في الغرب فما بالك بعامة النّاس، فقد درج الكثيرون منهم على تصوير المهاجر إلى ديارهم من العرب والمسلمين بصورة الإرهابيّ، المتعطّش إلى الدّماء، أمّا من كان خارج الفضاء الغربيّ، فما انفكّوا يعدّونه بدويّا يعيش حياة الرّعاة ويتلهّف على ممارسة الجنس، وتعدّد النّساء، وينتظر السّماء أن تمطر له ذهبا أو أن ترفع عنه بأسا. وغاب عن أذهانهم أنّ العرب والمسلمين قد قدّموا عبر حقب تاريخيّة مختلفة أمثلة رائعة في التّعايش مع الآخر وفي القبول بواقع التعدّد الثقافيّ والتنوّع الحضاريّ، ومجالس العلم وحلقات الجدل في القيروان وبغداد وإشبيليّة وقرطبة ودمشق، تشهد بما كان يعرفه المشهد الاجتماعيّ والعمرانيّ الإسلاميّ من تعدّد وانفتاح على الغيريّة الثقافيّة.

ولا ينكر الدّارس الموضوعيّ أنّ النظرة الدونيّة للعرب والمسلمين عند بعضهم قد أورثتها مقولات النّفخ في أيديولوجيا الصراع الحضاريّ بين الشّرق والغرب، والممارسات الفرديّة لعدد من الأشخاص المحسوبين على العرب والمسلمين، والذين قد يحدث أن يرتكبوا بعض الأفعال المتعارضة مع سماحة الإسلام، لكن لا يمكن بحال اعتبار تلك الأفعال قاعدة مركزيّة ومقياسا نهائيّا يتمّ- بالاستناد إليه- الحكم على كلّ العرب والمسلمين بالرّعونة والتطرّف.



والثّابت أنّ الخطاب الإعلاميّ يبدو في كثير من الأحيان خطابا غير بريء، محكوما بأجندة مسبقة، تروم التّهوين من العربيّ والمسلم، وتشويه حضوره في المشهد الحضاريّ الكونيّ.

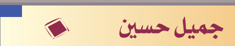
والرّأي عندي أن العرب اليوم في حاجة أكيدة إلى إبداع آلة إعلاميّة موازية، قادرة على تقديم الصورة الحقيقيّة للعربي والمسلم باعتباره كائنا مدنيّا إيجابيّا، قادرا على التعايش مع الآخر، والتحاور معه والإفادة منه، وقادرا أيضا على تقديم الإضافة، وعلى المساهمة، على نحو مّا، في صياغة ملامح مجتمع ثقافيّ تعدّدي بامتياز.

ومعلوم أنّ للنّخب العربيّة المثقّفة الدّور الرياديّ في هذا المضمار، فالمبادرة بإنتاج أعمال إبداعيّة وأشكال تعبيريّة جديدة، وبلغات مختلفة في مجالات السّينما، والغناء، والأدب، والرّسم، والمسرح وغير ذلك... وتوظيفها لتقديم الوجه الحقيقيّ للعربيّ المسلم باعتباره ذلك الكائن البشريّ الكريم، المضياف، المتسامح، المسالم والتوّاق إلى الحرّية والعدالة والسّلام يمكن أن يساهم في تكسير الصّورة النمطيّة النّكراء للعربيّ والمسلم في عدد من وسائل الإعلام الغربيّ، ويمكن أن يغيّر رؤية جمهور النّاس من الفرنجة للعالم الإسلاميّ في منعطف الألفيّة الثالثة وبالتّزامن مع انتشار ألواح الرّبيع الثوريّ العربيّ.

وفي السّياق نفسه، فإنّ الدّور موكول إلى المراكز الثقافيّة والجمعيّات المدنيّة العربيّة والإسلاميّة في الخارج التي يُفتَرَض أن تكثّف من نشاطاتها التوعويّة فتُصْدِرَ نشريّات، وتعقد ندوات مفتوحة، وتبثّ ومضات إعلانيّة مختصرة، واضحة ومُعَبّرَة تساهم في الترويج لصورة العربيّ المسلم المستنير والفاعل في التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا. كما أنّ الجالية العربيّة والإسلاميّة في الغرب وفي مختلف أصقاع الكون مدعوّة إلى تقديم النموذج المثاليّ في القبول بالتعدديّة الثقافيّة داخل المجتمعات التي تهاجر إليها، فمن المفيد الانخراط داخل منظومة قيم الحداثة، والتفاعل مع مبادئ مجتمع الديموقراطيّة قصد الانفتاح على الغير، والتّعبير عن القابليّة للتّعايش معه، ونبذ كلّ أشكال التطرّف والإقصاء، إن بدافع الانتماء الطبقيّ أو العرقيّ أو الدينيّ أو غير ذلك. ومن ثمّة يكون لنا أن نرفع اللّبس عن الأذهان، ونجلو الحقيقة للعيان ونبرز للناس كافّة مواكبة العرب والمسلمين للعصر، وقدرتهم على تقديم الإضافة الإيجابية للعالم، وبذلك يبين للنّاس الوجه المستنير لحضارة لغة الضّاد، ويتبيّن لعلماء الاجتماع في الغرب أنّ خطرا حقيقيّا آخر جدير بالدّراسة وبالتحليل وبالاهتمام، ويُعدّ خطرا على أوروبا وعلى العالم وعلى التعدديّة الثقافيّة في مجتمع الحداثة وهو خطر صعود اليمين المتطرّف المتلبّس بلبوس الكهنوت وبرداء الصليبيّة الجديدة.



صلة الرحم سبيل هناء الأسرة



صلة الرحم شعبة من شعب الإيمان، أوصى بها رسول الله ﷺ فكانت أشبه ما تكون بأركان الإسلام كالصلاة أو الصيام، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل القيام بحقها سببًا من أسباب دخول الجنة، وجعل التهاون بها وتركها سببًا من أسباب دخول النار، قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة قاطع رحم» (١)

دعم الإسلام هناءة الأسرة، فأحكم وثاقها بمن تربطها بهم قربى، وشد أزرها بما أوجب من تراحم الإخوة والأخوات، وبني العمومة والعمات ومن يليهم، فليس أرضى لله من صلة الرحم التي امر أن توصل، وبر الأهل والعشيرة، الذين يزكو عندهم إسداء المعروف، وليس اجلب لسخط الله من إهدار هذه الحقوق التي يوغر إهدارها الصدور، ويثير العداوة، ويورث الأحقاد، ويجعل الأسرة متعاطفة متدبرة متخالفة.

ورعاية أولي الأرحام،والتوسعة عليهم، بما لا يشق إسداؤه إليهم، هوعصام هذه الأسرة من التفكك، وزمامها من الانحلال والزوال، وهو دواء أنفس أن غفلت عن مغزى قول طرفة بن العبد الجاهلي:

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

فما ينبغي أن نغفل عن صورة الرحم الفذة في قول المعصوم صلوات الله عليه (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم، فقالت:هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال نعم. اما ترضين أن اصل من وصلك، واقطع من قطعك؟قالت:بلى قال:فذاك لك.ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. اقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم)(٢)

لقد شق الله للرحم اسماً من اسميه الرحمن الرحيم، ومن رحمته التي وسعت كل شيء في هذه الحياة، وجعلها خالصة للمؤمنين يوم نلقاه، ليعظم حقها على العقلاء، الذين يفهمون أن الحياة لا يمكن أن تصفو بغير تراحم الأقرباء، وتعاون الأحياء.ذلك وحي الحياة، وحديث الواقع قبل أن يكون وحي السماء وحديث النبوة، ووصايا الآباء للأبناء!!



أقاربنا أعضاء في جسم المجتمع وأن في أفراد كل أسرة من الجفوة، والشطط عن صراط الله، قدراً مما شكا منه احد صحابة الرسول فيما روى أبو هريرة (أن رجلاً قال:يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، واحلم عليهم ويجهلون علي، فقال:إن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل – الرماد الحار- ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)(٣)

ومن معاني هذا التوجيه النبوي، أن لهؤلاء الجاحدين حقوقاً على ذوي القلوب الكبيرة، فالإحسان إلى المسيء من أدب الإسلام الذي يقول رسوله لعقبه بن عامر- وقد سأله: يا رسول الله أخبرني بفواصل الأعمال – فقال يا عقبة. (صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك)(٤) ثم أليس هؤلاء أعضاء في جسم المجتمع الذي يمنى بتشويه فادح إن نحن بترناهم من قبل أن نبلوا عذراً بمحاولة إصلاحهم.والعربي يقول:

وامنحه مالي، وودي، ونصرتي
وإن كان مطوي الضلوع على بغضي

ويقول المقنع الكندي:

وأن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني أمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي، وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا!!

ومن قبل هؤلاء قال حاتم:

شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى
وما منهما إلا سقانا به الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة
غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر!

وأين من هؤلاء الأمجاد، ذلك الذي قيل فيه:

سريعا إلى ابن العم يلطم خده وليس
إلى داعي الندى بسريع!

صلة الرحم في كتاب الله

قال الله تعالى (أنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر

كاتب صحفي سوري



الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب...)(٥)

وقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)(٦)

فانظر في أي سياق وضع الله الذين يصلون أرحامهم؟ومع من سلك الجفاة القاطعين؟! ولا أراك تود أن تذكر بين الذين يفسدون في الأرض، فيستجلبون لأنفسهم لعنة الدنيا والآخرة، و أنما تسارع لتكون بين أولي العقول الراجحة والقلوب المبصرة...

(فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم) (٧)

وقال الله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...)(٨)

وقال الإمام النسفي (كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة، ثم نسخ ذلك، وجعل التوارث بحق القرابة)(٩)

الرسول المثل الأعلى في صلة الرحم

إن القول في صلة الرحم ذو سعة.. ولكن نجتزئ منه ببعض أطراف من تاريخ رسول الله وآله في ذلك، فهي قبس يضيء جوانب البحث، ويجمع القلوب والعقول على الأسوة الحسنة بالرسول في بره بأهله وحدبه على مؤمنهم وكافرهم على السواء، ولعل في ذلك ذكرى للذاكرين..

كان العباس عم رسول الله بين أسرى بدر، مع عقيل بن أبي طالب، وغيره من أبناء أخوته وحلفائهم، فلما أمسى الأسرى في الوثاق، بات النبي ليلته مسهداً فقال أصحابه، مالك يا رسول الله؟قال سمعت أنين العباس من وثاقه، فقاموا إليه فأطلقوه، فنام النبي بعدئذ، ثم لم يلبث أن اقتضاه فداءه، وفداء بني أخويه، وحليف بني هاشم- عقبة بن عمرو- فالفداء حق المسلمين، وما كان صلوات الله عليه ليحابي في شيء منه أحداً، وان كان عمه الذي توجع لأنينه.!!

ولقد كان إسلام حمزة براً منه بابن أخيه، يوم أن عاد من الصيد، فقالت له امرأة:أن أبا جهل آذى ابن أخيك وسب أباه، فذهب حمزة إلى أبي جهل فشجه وأنّبه وقال (أتسب محمداً وأنا على دينه أقول ما يقول) وبهت عدو الله وعدو رسوله عند ذلك، وكان إسلام حمزة أوجع لقلبه و أنكى من هذا الأذى المادي الذي أصاب جسمه، وبقي الرسول يذكر هذه المنة لعمه، حتى وقف على جثمانه حين استشهد في أُحد، وقال (يرحمك الله يا عم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات).

وكان فتح خيبر عيدا من أعياد الإسلام – وعاد يومئذ جعفر من الحبشة – فقال النبي (ما ادري بأيهما أنا اشد فرحاً بفتح خيبر أم برجوع جعفر) وتوالت الأيام، ونعم جعفر بالشهادة في غزوة مؤتة، وضجت المدينة ببكاء الشهداء، وسمع الناس إلى النبي وهو يقول (لكن جعفر لا بواكي له) ثم يلتفت إلي أهله ويقول (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد نزل بهم ما يشغلهم)!!

يقول عبد الله بن جعفر (جاءنا النبي بعد ثلاث، من موت جعفر، فقال) لا تبكوا على أخي بعد اليوم، وادعوا إليّ بني أخي) فجيء بنا، كأننا أفراخ، فأمر الحالق فأصلح من شعرنا ثم داعبنا!!!

صلة الرحم مثمرة في الدنيا والآخرة

إن الرحم وشيجة إلهية، نافعة في الدنيا والآخرة، فالنبي يقول (من أحب أن ينسأ له في عمره وان يوسع عليه في رزقه، فليصل رحمه)(١٠) وهي- بعد الإيمان بالله – أبر ما يرجى يوم القيامة، قال تعالى مؤيساً الكافرين من رحمته: (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم..)(١١) فليس عجباً أن يكثر الرسول الوصاة بهذه الفضيلة فيقول: (بلوا أرحامكم ولو بالسلام)(١٢)

يقول البلوى: (صلوا أرحامكم بما أمكن، فإن عدمتم، فأقل شيء يكون بالسلام، وهو بأن تزور ذا رحمك، فتسلم عليه، وتؤنسه بالقول، وتلين له الحديث وبمثل هذا يستمال الغريب، فكيف بالقريب، و النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم؟أفشو السلام بينكم)(١٣)

فهل نرعى الرحم- أفرادا وجماعات وشعوبا- فنرغم غمرات الحياة التي تحيق بأممنا على التبدد والزوال إنما يهتم بأمر المسلمين بكل مكان ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم (وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) ولله الفضل و المنه (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)(١٤)

وأخيراً فإن صلة الرحم تزيد في العمر والرزق وهي سبب في التوفيق لطاعة الله، والابتعاد عن معصيته وتشعر بالسعادة والطمأنينة في الحياة، وتكشف الكروب، وتدفع البلاء، وتقضي الحوائج، لأن من وصل رحمه وأعان أقرباءه كان عونه لهم سبباً في عون الله تعالى له.لهذا فإن محافظة الأسر على صلة الرحم حلقة من حلقات اتحاد الأمة وتعاضدها وتساندها .

المراجع

١- صحيح البخاري ح (٥٦٣٨)
٢- المنذري ج٣ص ٣٣٨-٣٣٩. والأية من سورة محمد ٢٢-٢٣.
٣- المصدر السابق ص ٣٤١.
٤- المصدر السابق ص٣٤٢.
٥- سورة الرعد(١٩-٢١)
٦- سورة الرعد:٢٦.
٧- محمد:٢٢-٢٣.
٨- الأحزاب:٦.
٩- تفسير النسفي ج ٣ ص ٢٢٦.
١٠- متفق عليه وفي رياض الصالحين ص ١٤٥.
١١- الممتحنة:٣.
١٢- المجازات النبوية للشريف الرضى ص٨٤.
١٣- ألف باء ج١ص٤١١.
١٤- صدر سورة النساء.

كيف تعالجين عادة السرقة عند طفلك؟

د. نجيب محمد الجباري

لماذا يلجأ بعض الأطفال إلى سرقة أشياء من منازلهم أو سرقة نقود من والديهم أو سرقة أدوات مدرسية من رفاقهم رغم أن أسرتهم تكون قد وفرت لهم كل شيء من لعب وملابس ونزهات وأدوات... الخ؟

لماذا يسرق الأطفال ؟ ما أسباب ودوافع ذلك؟ وهل يمكن اعتبار هذا الفعل سرقة فعلاً؟ وكيف يتصرف الآباء عندما يعلمون أن طفلهم ارتكب هذا الفعل؟

يقول أرسطو: «لا يمكن اعتبار إنسان ما سارقا لمجرد أنه سرق» معنى ذلك أن الطفل الذي لم يتمثل بعد معنى الملكية الفردية ليميز بين ماله أو حاجته ومال وحاجة الآخرين، ولم يفهم بعد معنى الخير والشر والصالح والطالح.. لا يمكن اعتباره سارقا، بما للكلمة من دلالة وفظاعة، إذا ما قام بهذا الفعل. لذلك ذهب بعض علماء النفس إلى أن الطفل يدرك معنى السرقة ابتداء من السنة السادسة أو السابعة، وهي السنة التي يدخل فيها المدرسة حيث يبدأ يتكون لديه ما يمكن تسميته بالحس الاجتماعي Sens social الذي يساعده على التعامل مع الآخرين على أساس الحقوق والواجبات.

وتنتشر السرقة في هذه المرحلة بين الأطفال الذكور، وتبدأ بالظهور لأتفه الأسباب، إما لشراء أشياء يرغبون في اقتنائها، وإما لكسب صداقة رفاقهم، أو يسرقون من والديهم بدافع الرغبة في معاقبتهم، حتى إن بعض الأطفال يسرقون بدافع لاشعوري للاستمتاع بتلك القشعريرة التي تتابعهم أثناء عملية السرقة، أو ليثبتوا لأنفسهم أنهم يتمتعون بالشجاعة والحيلة أو ليتأكدوا بأن الحظ إلى جانبهم... إلى غير ذلك من الدوافع اللاشعورية التي قد تكون السبب الرئيسي في ميل الطفل إلى السرقة(١).

والطفل الذي يجمع ممتلكات الغير ويخفيها، ربما يعود ذلك إلى افتقاره للقدر المناسب من الزخم العاطفي المتمثل في الحب والحنان، وربما يحاول الحصول على الشيء الذي يحس أنه لا يملكه أو يمنع عنه، أو عندما يغار أو يحسد طفلا آخر. وقد يسرق الطفل لشعوره بالنقص أو لإحساسه بالحرمان، أو تقليدا لبعض الزملاء في المدرسة، أو بهدف الشعور بنوع من القوة والانتصار وتقدير الذات، وقد يسرق الطفل بسبب وجود مرض نفسي أو عقلي أو بسبب معاناة من الضعف العقلي وانخفاض الذكاء، مما يجعله فريسة سهلة تحت سيطرة أطفال أكبر منه قد يوجهونه إلى السرقة.

وعندما يعلم الآباء بإقدام الطفل على السرقة ينتابهم شعور بالغضب أو الخوف وأحيانا الخجل والحرج، خاصة إذا كان ضحية السرقة أحد الأقارب أو الأصدقاء أو زملاء المدرسة وتزداد حدة هذه المشاعر إذا لاحظ الآباء أن طفلهم يستمر في هذا السلوك ويكرره متحديا سلطتهم وسلطة القيم الأخلاقية والاجتماعية السائدة.

والأدهى من ذلك والأمر هو أن يجد الطفل من أحد أبويه من



أكاديمي مغربي







يدفعه أو يشجعه على السرقة، فإن الطفل، لا محالة، سيكون متماديا في الإجرام عريقا في الانحراف والسرقة.

وهل يرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثُديَّ الناقصات

يحكى أن إحدى المحاكم الشرعية حكمت على سارق بقطع يده، فلما حانت لحظة التنفيذ صرخ بأعلى صوته قائلا: «قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي، فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني، ولم تطلب إليّ إرجاعها إلى الجيران، بل زغردت وقالت: الحمد لله، لقد أصبح ابني رجلا، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقا»(٢).

لهذا وجب على الآباء والأمهات وأولي الأمر جميعا، أن يعطوا لأطفالهم القدوة الحسنة والنموذج الصالح في التربية والتعليم، ويجنبوهم لعب الشارع وأصحاب السوء والشر حتى لا يتأثروا بانحرافهم ويكتسبوا من عاداتهم، ويلقنوهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وسير الخلفاء الراشدين والصحابة والتي تحذر

قد يسرق الطفل لشعوره بالنقص أو الإحساس بالحرمان

من هذه العادة وتبيّن ما أعد الله للسارقين والسارقات من إثم كبير وعذاب أليم. قال عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة.. فانحدر بنا راع من الجبل، فقال له عمر ممتحنا: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إني مملوك، فقال عمر: قل لسيّدك أكلها الذئب، فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك، فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

يوجه خبراء التربية وعلم النفس عدة نصائح للأهل والأسرة حتى لا تتفاقم هذه الآفة، منها ضرورة وقوفهم ضد فعل السرقة من بدايتها مهما كان حجمها ومستواها عن طريق إخبار الطفل بأن السرقة سلوك خاطئ، وأنه لا يستفيد منها بأي شكل من الأشكال، كما أن مواجهة الآباء لهذا الموقف ينبغي أن تكون مواجهة عقلانية بعيدة عن الغضب والانفعال والتعصب والتهديد لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى نتائج وخيمة وخصوصا على المدى البعيد مادام الطفل لم يقتنع بعدم جدوى السرقة، بل يجب علينا نحن الكبار أن نشعر الطفل بأننا نتفهم الإغراء الذي تعرض له، مع حثه على مقاومة هذا الإغراء وعدم الاستسلام والرضوخ له بسهولة، وبذلك فإننا نعبد طريق الحوار والتفاهم بيننا وبين الطفل، يتعهد فيه بعدم تكرار ذلك مرة أخرى، محافظا في الوقت نفسه على كرامته وتقديره لذاته، وعدم شعوره بالإحباط والهزيمة وبالتالي نقوي لديه قيم الصدق والأمانة، وفي نفس الوقت يشعر الطفل باستمرار حبنا وحمايتنا له، ويحتفظ بصورة إيجابية عن ذاته(٣).

الهوامش

(١) راجع: Bettelhein (Bruno): pour etre des parents acceptables- Collection Reponses. Ed: Robert Laffont Paris ١٩٨٨-p١٣٢- ١٣٣.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي ص١٦٢ نقلا عن: عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام: المجلد ١ ص١٤٠- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط٣٢- ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣) انظر: hijazi (Med): delinquance juvenile et realisation de soi. ED. Massou. Paris ١٩٦٦

فكرنا مرتع خصب للخرافات!

مليكة محمد الحامدي

لما كانت قوة الإنسان تكمن في الجنوح نحو الخيال لابتكار كل ما يخدم مصالح الإنسان، ويسد حاجته، ويُرضي فضوله، كان لابد من وضع أسس منطقية عقلية تحد من شططه، وتنظم تلك القدرة الكامنة فيه تنظيمًا يُحقق له التوازن والأمان والرقي، ولأن الإنسان يؤثر ويتأثر بمحيطه، فقد عني الإسلام منذ بزوغ فجره عناية فائقة بتربية الطفل تربية صحيحة سليمة لتأسيس فكر إسلامي علمي واعٍ موّحد، يكون المثل الأسمى في الصرح الحضاري التربوي الإنساني.

يتبدى لي في خضم هذا الزخم الهائل من وسائل التثقيف المرئية والمسموعة والمقروءة والمتعارف عليها في أوساط مجتمعاتنا من محاضرات تربوية ومنتديات إرشادية وخطب دينية ومجالس فكرية، تسلل وهن اللاتوعية إلى هيكل العقلانية الإسلامية عبر حلقة مفرغة تنخر بأسس منهجها التربوي المتزن، وذلك بإدراج معلومات خرافية وخاطئة إلى بنية الفكر الإسلامي من خلال الأمثال الشعبية، وقصص الأطفال، وبعض الأفلام الخيالية الخاصة بشرائح معينة، إما عن قصد لتكبيل قواها العقلية، أو عن تبعية وتقليد أعمى لمروجيها، وبالتالي صياغة هيكل فكري إسلامي مشوش يعزز الخرافة وشطحات الخيال ويعتمد الاحتمالات في أموره المهمة وحتى الهامشية منها.

فالمعلومة الخاطئة والخرافية ظاهرة تكاد تكون منتشرة في جميع الأسر والمجتمعات والطوائف والشعوب والأمم، وقد شاع ذلك منذ زمن بعيد وفي مجالات عديدة.

لكن هالني ما سمعته من موقف خرافي في عصر يتسم بالعولمة والسرعة والانفتاح، فقادتني الدهشة من هذا التلوث الفكري المجتمع إلى جمع بعض المعتقدات الخرافية السائدة، لتكشف لي عن أسرار وخبايا تلك التصورات الخيالية وربطها بالواقع، والدوافع الكامنة وراء تعزيزها رغم أنها لا تمت إلى الحقيقة بصلة، لكنها وللأسف مازالت تطبق وتمارس عند كثير من الأسر في مجتمعاتنا الإسلامية المنوعة.

ويدرجونها تحت بند التفاؤل أو التشاؤم إما عن إيمان متوارث بها يورثونها لأبنائهم، أو على اعتبارها اسلوبًا من أساليب التخويف والترهيب والاخضاع والردع، أو اتخاذها ضربًا من ضروب الفكاهة لإنماء ذاكرة الطفل بحسب زعمهم.. أو التذرع بها هروبًا من واقعهم.

هذا نزر يسير ومبسط مما جمعته من معتقدات وممارسات خرافية متأصلة ومنتشرة بشكل يدعونا إلى وقفة تأملية عميقة، وإلى مراجعة ذاتية الطريقة حياتنا وتربيتنا ومعتقداتنا لمعالجة هذه الظاهرة.

الخرافات في حياة أبنائنا

تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الأطفال من خلالها خبرات متنوعة تضبط سلوكهم باتجاه إيجابي أو سلبي في ضوء تلك المكتسبات.

ومن المعروف أن التفاعل الأمومي يجعل الطفل في شهوره الأولى شديد الالتصاق والتأثر بوالدته، فتعتبر هي المحطة الأولى التي تتم من خلالها عملية الاكتساب، ثم فيما بعد يصبح شديد التعلق بوالده، فيشكل له هذا الثنائي محور الحياة، وتبدأ عنده عملية تقمص شخصيتهما منذ السنوات الأولى من عمره، فيقلدهما فيما يفعلانه، ويصدقهما في كل ما يقولانه، ويخزن في ذاكرته صورًا ومواقف كثيرة لهما ويطبقهما في سلوكه، حتى وإن أبدى في إحدى مراحل حياته تمردًا عليهما واستقلالية عنهما، إلا أنه لا إراديًا ينصاع لنمط تربيتهما.

ومن الأسهل على الأطفال أن يتقمصوا نماذج أبوية عديدة، ثم نماذج من الراشدين، ثم نماذج من أترابهم وخاصة عند دخولهم المدرسة، ولأن الأطفال لا يميزون ولا يقدرون الفروقات التربوية فيتم من خلال النماذج الثلاثة (الآباء- الراشدون- الأتراب) إدخال معايير وأنماط سلوكية مختلفة، إيجابية أو سلبية، واقعية أو خيالية إلى مخزون الذاكرة وساحة اللاشعور، فيتأثرون بها تأثرًا بالغًا ويمارسونها بقناعة كبيرة إذا لم يتلقوا الإرشادات السليمة والمستمرة من أولياء أمورهم.

فإن تم اكتساب أصول من التربية الصحيحة المعتمدة على الأفكار العلمية الدقيقة فإن ذلك من فضل الله تعالى،

باحثة سورية



وإن تم العكس فتلك الطامة الكبرى، حيث تعمل المعلومات المشوشة والخرافية في نفوس الأطفال عملها السلبي في أوانها وعلى المدى البعيد من حياتهم، وربما تستمر حتى كهولتهم، إذ يتشربون عقيدة دينية خاطئة، ويتبنون ثقافة اجتماعية وسياسية واقتصادية مهشمة ومهمشة، ويتصرفون إزاء المواقف المهمة من حياتهم بكثير من الاستهتار المبطن بالقلق والشكوى والضياع، وهناك الكثير من المشكلات النفسية والجسدية والذهنية التي يعانيها أبناؤنا قد تعزى إلى الخرافات والمعلومات الخاطئة التي ندخلها إلى عالمهم الفطري من دون أن نلقي لها بالًا، ومنها:

السلوك العدواني إزاء شخص ما أو إزاء مقتنياته، وكره الذات والانفلات الاجتماعي، وقد يصاحب ذلك السلوك تشنجات عصبية واضطرابات في النوم وسوء الهضم والقلق والخوف من أبسط الأمور كالظلام والأصوات المرتفعة والتجول على انفراد حتى في الأماكن الآمنة، فضلًا عن التأثير السلبي على الأداء الدراسي والإدراكي والحركي.

وإن استمرت المعلومات الخرافية في أخذ مجال أوسع وصولًا إلى سن الرشد دون تصحيح أو تنبيه إلى عدم مصداقيتها، فإنها قد تأخذ بسلوك الراشد إلى منحى أسوء، حيث تؤدي به إلى الانعزال الاجتماعي التام، وربما إلى الجنوح والشذوذ، وممارسة نشاطات غير إنسانية كالسرقة والاحتيال والخيانة ونشر الأكاذيب وبث الإشاعات و... الخ.

وقد يتخذ أحيانًا الوجه الآخر، فينحو نحو الدين ويتشبث به في كل صغيرة وكبيرة، إلى أن يصل إلى حد التصوف اللامعقول والتعصب له، والزهد في الحياة، كل ذلك مرده إلى التناقضات التي يعايشها بشكل مباشر وغير مباشر، وتنمو استجابة للإحباطات والمعاناة في الطفولة.

وتلك السلوكات تتم بدافع الانتقام من ذلك العالم الذي حرمه العيش بأحضان الحياة بصدق وشفافية وعلاقات مباشرة مع ذاته ومحيطه ومدارك حواسه بشكل طبيعي.

فعلينا أن ندرك إذن أن المناداة بأصول التربية الإسلامية الصحيحة وضرورة الاقتداء برسول الله محمد ﷺ، وجميع الأنبياء والرسل من قبله في المنهج العلمي التربوي ستتبخر أصداؤها إلى الفضاء الخارجي إن لم نحطم أصنام فكرنا التي نجعلها شركاء لله جل وعلا دون دراية منا، قال العزيز الجليل: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف -١٠٦).

خلاصة

إن التربية السليمة تهدف إلى جعل السلوك القويم للفرد هو منطلق النجاح والتميز والسمو بالمجتمع من خلال الانفتاح الفكري المرتكز على أسس علمية دينية أخلاقية، والمربي.. سواء كان الأب أو الأم أو الأخ أو المعلم، هو العنصر الفاعل في العملية التربوية، ويكون أثره مرهونًا بما يحمل في رأسه من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان وصبر، وحتى يحصد ثمرة نجاحه في التربية، عليه أولًا إزالة كل الشوائب المعلوماتية من فكره، ثم يسعى جديًا بالقضاء عليها بالتوعية الإرشادية الدائمة للأسرة والمجتمع والمدرسة، وزرع المعلومات العلمية الدقيقة في عقول ونفوس أبنائه، مع مراعاة بث روح التفاؤل والرضا، وتجنب الحديث عن الأشياء المخيفة، كالموت والجرائم وما شابه ذلك.

وهنا أُذكّر أنه على المربي أن يسرد لأبنائه قصصًا من الخيال الواقعي يحثهم من خلالها على القيم الأخلاقية والعلمية والدينية الاجتماعية، ويبتعد عن السرد الخيالي اللاواقعي وينبههم دومًا إلى أن معظم ما يشاهدونه اليوم من أفلام الرسوم المتحركة، وأفلام «الأكشن» الخيالية إنما هو عالم لا وجود له، وليضبط مدة زمن متابعتهم لها، ويسد حاجتهم إليها بشيء مفيد ونافع لهم، كممارسة الرياضات والهوايات التي يحبذونها، وتعليمهم بعض المهارات الفكرية واليدوية، ومن الأهم أن يقتطع ولي الأمر جزءًا من وقته بشكل يومي ولو بضع دقائق للجلوس مع ابنائه، والغوص إلى عالمهم الفكري ليكتشف جوانب خفية من مكنوناتهم تساعده على إرشادهم وتوجيههم للأصوب، مما يزيدهم إحساسا بالأمان ورفع مستوى الفاعلية الفكرية والإبداعية في جميع مجالات حياتهم.

صحيح أن هناك الكثير من المشكلات التي يعانيها أبناؤنا وتنعكس سلبًا على مجتمعاتنا.

لكن هناك أيضًا الكثير من الحلول غير المستعصية تتطلب منا صبرًا وحكمة وحبًا حقيقيًا.

وهنا أذكر ببعض الحلول التي تحتاج إلىخطوة واعية، مؤمنة وأمينة وهي:

أولًا: أن يكون التوجيه التربوي الأسري موحّدًا: أي أن يتنازل أحد الأبوين عن وجهة نظره في فكرة أو موقف معين للطرف الآخر أمام أبنائهم، حتى يكون مثالًا يحتذى به في الاتزان الفكري والقوة العقلية، لأن الأبناء الذين يواجهون نظامًا غير ثابت وموحد في التوجيه ينزعون إلى استنتاج أن أبويهم أناس لا يعتمد عليهم ولا يوثق بهم.

ثانيا: أن يكون الكادر المدرسي ذا نظام توجيهي تربوي علمي متفق عليه، لتخريج تلاميذ أسوياء تربويًا وعلميًا وفكريًا، واجتماعيًا.

ثالثا: أن تكون الجبهة الاجتماعية متعاونة ومخلصة لدينها ووطنها ومسؤولياتها.

وذلك بتبني أصول وإيجابيات التربية الحديثة، ومحاربة كل ما هو سلبي منها من أجل الارتقاء بمجتمع يستحق أن يطلق عليه المجتمع الإسلامي الأرقى.

هل تمنع الإعاقة العلم والعمل؟

أحمد محمد القزعل



الإعاقة هي الحالة التي تعمل على الحد من قدرة الشخص على القيام بوظيفة أو أكثر من وظائف حياته اليومية، وتنشأ عن إصابة بدنية أو نفسية أو عقلية، ولا تقتصر كلمة «معوق» على المعوقين عن الكسب والعمل والإنتاج فحسب، بل تشمل المعوقين عن التكيف اجتماعيًا ونفسيًا مع البيئة المحيطة بهم، وكان يسمى أصحاب الإعاقة- قديمًا- بالمكفوفين، والصم، والمشلولين... وهذه تسميات سلبية تؤثر سلبًا في علاقة الفرد بمجتمعه؛ لذلك تم استبدال مصطلح «ذوي الاحتياجات الخاصة»- حديثًا- بهذه التسميات، وهذه تسميات إيجابية تمنح الفرد انطباعًا جيدًا وتفاعلاً مثمرًا مع مجتمعه.

وأذكر أمثلة من نماذج حية من رحب فضائنا الإنساني المبدع قاموا بتفعيل إمكاناتهم، وتوظيف طاقاتهم الكامنة في خدمة الإسلام والإنسانية جمعاء، ومنهم:

١- عبدالرحمن بن عوف: هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، كان رضي الله عنه ساقط الثنيتين، أَهْتَم، أعسر، أعرج، حيث أصيب يوم أحد فهتم، وجرح عشرين جراحة بعضها في رجله، فعرج، وكان يزرع بالجُرُف على عشرين ناضحًا، ويمتهن التجارة، وخلف ألف بعير، ومائة فرس.

من أفضل أعماله: عزل نفسه من الأمر وقت الشورى واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض بذلك وجمع الأمة على عثمان رضي الله عنه، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص (١).

٢- عبدالله بن مسعود: شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وهو من النجباء العالمين السابقين الأولين، روى علمًا كثيرًا، وقد انفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله في مسند بقي بن مخلد بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا.

كان خفيف اللحم قصير القامة شديد الأدمة، وفي ذات يوم أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود فصعد شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله حين صعد الشجرة، فضحكوا من حُمُوشَة ساقيه، فقال ﷺ: «ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبدالله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد» (٢).(٣).

٣- سعيد بن المسيب: هو سيد فقهاء التابعين، كان طويل القامة أبيض الرأس واللحية، أعور، عُرف بسعة العلم والفقه، وهو سيد علماء المدينة السبعة المشهورين وأفضلهم بشهادة العلماء، ولذلك لُقّب بـ «فقيه الفقهاء» (٤).

٤- عطاء بن أبي رباح: كان ثقة فقيهًا عالمًا كثير الحديث وقُطِع يده مع ابن الزبير، وكان عطاء أسود اللون، أعور، أفطس، أشل، أعرج، لكن ذلك لم ينل من علمه وعمله شيئًا، ويقول ابن جريج: لزمت عطاء ثماني عشرة سنة، وكان بعدها قد ضعف يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك، وكان المسجد فراش عطاء عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاة.

ويقول عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه قال: ما أدركت أحدًا أعلم بالحج من عطاء بن أبي رباح (٥).

٥- محمد بن يعقوب بن مَعْقِل بن سِنَان الأموي: إمام محدث، مُسند العَصر، كان أصم، وقد لحقه الصمم وهو شاب له بضع وعشرون سنة، ولم يختلف أحد في صدقه وصحة سماعه، وكان يأكل من كسب يده، حدّث عنه الحسين القباني والحافظ أبوعلي النيسابوري والفقيه أبونصر محمد بن علي الشيرازي وآخرون (٦).

باحث دراسات إسلامية سوري



٦- عمرو بن الجموح بن زيد الأنصاري: لم يشهد بدرًا وكان أعرج، ولما خرج المسلمون يوم أحد منعه بنوه وقالوا: عذرك الله، فأتى رسول الله ﷺ يشكوهم، فقال: "لا عليكم ألا تمنعوه لعلّ الله يرزقه الشهادة" (٧). (٨).

٧- الترمذي: من أصحاب السنن وعلماء الحديث الأفذاذ، وكان ضريرًا قوي الحافظة يُضرب به المثل في الحفظ والضبط (٩).

٨- أبوالأسود الدؤلي: اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، واشتهر بأبي الأسود الدؤلي، لسواد لونه، وهو أول من وضع النحو، وقد وصل في عهد علي رضي الله عنه إلى أعلى المراتب، إذ أصبح قاضيا للبصرة أميرا عليها، وجُعل وسيطا بين عليّ ومعاوية في معركة الجمل، وشارك في معركة صفين (١٠).

٩- بشار بن برد: أبومعاذ، الشاعر الضرير المشهور، جاحظ الحدقتين، قد تغشاهما لحم أحمر، وهو من أشهر الشعراء في العصر الأموي والعباسي، ولد أعمى، فما رأى الدنيا بعينيه، وكان يقول:

عميت جنينًا والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن للعلم موئلًا
(١١)

هؤلاء معاقون صنعوا التاريخ

١٠- فرانكلين روزفلت: أصيب روزفلت بمرض شلل الأطفال في صيف ١٩٢١م، فنتج عنه عجز روزفلت التام عن استخدام ساقيه، لكن روزفلت تذرع بالشجاعة والمثابرة للسيطرة على حالته الجديدة.. وفي عام ١٩٣٢م أصبح روزفلت الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأميركية (١٢).

أخيرًا ما أحوج شعوب العالم الإسلامي للاستفادة من دروس وعبر الإعاقة التي تحول المحنة إلى منحة، والأمل إلى واقع، فتشحذ الهمم، وتذكر الإنسان بنعمة الصحة والعافية.

الهوامش

١- انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد، الذهبي، عمل: حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط١٤٢٤،١هـ-٢٠٠٤م، الجزء: ٢، الصفحة: ٢٢٠٩.

٢- أبوعبدالله، أحمد بن حنبل، المسند، عمل: أحمد محمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة،١٤١٦هـ-١٩٩٥م، رقم الحديث: ٩٢٠، الجزء: ١، الصفحة: ٥٥٩.

٣- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة: ٢٥٢٣.

٤- انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، عمل: إحسان عباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، الجزء ٢، الصفحة: ٣٧٥.

٥- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة: ٢٦٨٧.

٦- المصدر السابق نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٣٧٧٦.

٧- أبوعبدالله، محمد بن محمد، الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الجزء ٢، الصفحة ٣٧٥.

٨- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة ٢٨٤٢.

٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء ٤، الصفحة: ٢٧٨.

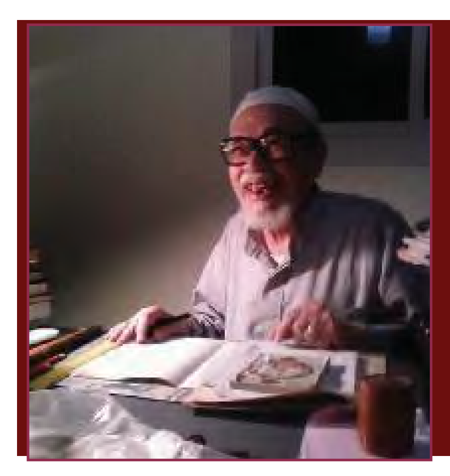
١٠- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة ٥٣٥.

١١- المصدر السابق نفسه، الجزء ١، الصفحة ٢٧٢.

١٢- موقع إنسانيات، الرابط الإلكتروني:
http://ejabat.google.com/ejabat/ ٣٣٤f١b٩٦٠٤٣fed٥e=thread؟tid



العالم البحاثة المدقق المسند .. الشيخ أحمد مختار رمزي



محمد عبداللطيف رمضان

ولد في بيت علم وصلاح سنة ١٣٤٢هـ- ١٩٢٤م ونشأ في كنف والده الذي كان سببا في عشق ابنه للعلم، وبعد حصوله على الابتدائية التحق الشيخ بالمدرسة الخديوية الثانوية، ولازم الأستاذ حسن البنا وهو مازال بالسنة الأولى الثانوية، وحضر له دروس الثلاثاء، وعيّن الشيخ بدار المحفوظات العمومية سنة ١٩٤٧م، وظل يترقى بها إلى أن صار وكيل دار المحفوظات العمومية.

تردد الشيخ أحمد مختار رمزي على كوكبة من أكابر العلماء الفضلاء النبلاء، نذكر منهم:

فضيلة العلامة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين- شيخ الأزهر، وفضيلة العلامة الإمام الشيخ الرباني محمد الأودن، وفضيلة الشيخ منصور علي ناصف، صاحب كتاب «التاج الجامع للأصول»، وكان الشيخ منصور ناصف يقرأ كتابه المذكور في مسجد السيدة زينب- رضي الله عنها- يوميا من المغرب إلى العشاء، وفضيلة الشيخ مصطفى أبوسيف الحمامي، خطيب الجامع الزينبي، وكان يلقي درس التفسير فيه أيضا بعد صلاة العصر، وفضيلة الشيخ عبدالسلام المنير، وفضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكي، وفضيلة الشيخ عمر وجدي الكردي، شيخ رواق الأكراد والأتراك بالأزهر الشريف وتلميذ الإمام الكوثري، والسيد الأستاذ أحمد خيري، تلميذ الإمام الكوثري أيضا، والأستاذ علي داود تلميذ العلامة يوسف الدجوي- رحمهم الله- وغيرهم.

شيوخه في الرواية

لم يكن الشيخ أحمد مختار رمزي أثناء تردده على هذه الكوكبة من السادة أهل العلم معتنيا بالرواية، فلم يستجز أحدا من المذكورين الذين يعنون بالرواية ويقصدون للاستجازة، لكنه اعتنى بعد ذلك بالرواية، واستجاز عددا من أهل العلم من الأئمة الأعلام الحجج الأثبات- ذكر أسماءهم في إجازته، وفي طليعتهم: العالم الرباني عبدالقادر كرامة الله البخاري، إمام وخطيب الجامع السنوسي برابع، والعلامة محمد عبدالرشيد النعماني- بركة الديار الباكستانية، وإمام العصر فضيلة العلامة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، وكانت بينهما مكاتبات ومراسلات علمية، والمحدث الكبير فضيلة الشيخ عبدالفتاح حسين راوه، المدرس بالحرم المكي الشريف وصاحب كتاب «المصاعد الراوية إلى الأسانيد والكتب والمتون المرضية»، والعلامة المبارك صاحب الفضيلة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم، رائد العشيرة المحمدية بالقاهرة، وأصحاب الفضيلة الشيخ المسند مالك بن العربي بن أحمد الشريف السنوسي، ومحمد علي المراد الحموي المدني، ومحمد بن أحمد عمر الشاطري، وعبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف، ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن محمد بن حسين الحبشي العلوي، ومحمد أبوبكر أحمد الحبشي، وأبوعبدالله محمد تيسير بن توفيق المخزومي

أبوغدة كان يقول له : سيدي المحدث العلامة.. والنعماني : مولانا المحدث

باحث من الأزهر الشريف



الشافعي المكي أصلا، الدمشقي مولدا، وعبدالرحمن بن أبي بكر الملا، وأبوالحسن علي الحسني الندوي الداعية الإسلامي الكبير، وفضيلة الدكتور سعد سعد جاويش، وعبدالغني الدقر، وكريم راجح شيخ القراء في دمشق، وغيرهم.

أخلاقه وعلمه

تميز الشيخ- رحمه الله- بدماثة خلقه وبشاشة وجهه وتواضعه مع الصغير والكبير، فكان- رحمه الله- لا يكل ولا يمل من استقبال طلاب العلم والمعرفة في بيته الكريم، حيث كان يقصده الكثيرون من المتعطشين إلى المعرفة والاستفادة من أخلاقه وحلمه وعلمه، برزت أخلاق الشيخ في معاملته مع الجميع حتى أصبحت سجية له حتى في حواره مع الآخرين، ويتضح لنا هذا المعنى جليا أثناء قراءتنا لمؤلفات الشيخ وطريقة مناقشته لأفكار وعقائد المخالفين، يقول- رحمه الله- في مقدمة كتابه «عقائد أهل الكتاب، دراسة في نصوص العهدين»: «أما بعد: فهذا مختصر في عقائد أهل الكتاب، كتبت فصوله في أوقات متفرقة وأحيان متباعدة، استقيته مباشرة من نصوص أسفار كتابهم المقدس، ورسائل رسلهم، وقراءات مجامعهم، وأقوال أحبارهم ورهبانهم، حتى يكون القارئ على بصيرة من أمره وتستبين له الحقيقة، وعلم الله أني لم أرد به غلبة في جدال، أو تفوقا في مناظرة، أو تهجمًا على اعتقاد، وما قصدت به إحراجًا ولا إيلامًا، بل كان قصدي إظهار الحقيقة لتصل الهداية إلى القلوب، وتشرق النفوس بنور اليقين».

فتأمل أخي القارئ هذه الكلمات النيرات الطيبات الباسقات المشرقات التي يبرز لنا فيها صدق النية وإخلاص الطوية، ويتجلى لنا فيها قوة الفكر ودماثة الخلق وجمال الأداء في بيان غرض الحوار والنقاش مع الآخر في وقت نحن أحوج ما نكون إلى مثل هذا المستوى من الرقي في الفكر والنقاش والحوار مع الآخرين، أما عن علمه فقد كان- رحمه الله- مولعا بالعلم عاشقا له، كثير الاطلاع، محبا للكتب، حتى بلغ به ولعه بالكتب وعشقه لها أن يعلق على جدران مكتبته بيتين من الشعر في هذا المعنى:

ألا يا مستعير الكتب دعني
فإن إعــارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتابي
وهل أبصرت محبوبا يعار

ومع حبه للكتب وولعه بها يتكلم الشيخ عن الرحلة في طلب العلم، مشيرا إلى أن الأصل في العلم التلقي، وأن العلماء جابوا الفيافي ورحلوا في البلاد لطلب الحديث، وينشد قول الشاعر:

وما العلم بمخزون كتب
لــديــك منــهــا الكثير
فـلـلـذ جـاجـة ريـش
لـكـنـهـا لا تـطـيـر

وقد كتب صديقنا الأستاذ حمدالله الصفتي كلمات في رثاء الشيخ أحمد



مختار أسماها: «رجل فقدناه» قال فيها: «وكان- رحمه الله تعالى- عالي الهمة، كثير البحث، ذا نشاط في العمل، وجلَد على مطالعة المطوّلات، وشغَف بمقارنة الآراء والكتابات، وقدرة على حفظ ما يقرأ وما يسمع، ملمًا بعلوم الحديث، يكتب إليه العلامة عبدالفتاح أبوغدة- رحمه الله- مفتتحاً بقوله: «سيدي المحدّث العلامة»! ويخاطبه العلامة عبدالرشيد النعماني بقوله: «مولانا المحدّث»! ثم هو فوق كلّ ذلك عارفٌ بالفقه الحنفي، متقنٌ للعَربية، جميل الخط متفنّن فيه، يتكلّم الإنجليزية، ويعرف شيئًا من الفرنسية». أ.هـ.

من نصائحه

ينصح الشيخ مذكرا فيقول: «تفرغ فيما بينك وبين الله سبحانه وتعالى»، ويقول منبها: «أحيانا يكون العلم مدخلا من مداخل الشيطان، فعلى الإنسان أن ينشغل بإصلاح نفسه»، ويقول: «إذا أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه» ثم قال متسائلا: كيف أعطيه كلي؟ فقال: «حتى الآن لا تقل قراءتي من ست إلى سبع ساعات» وكان هذا أثناء زيارتي للشيخ سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ثم يذكر ويقول: العلم لا ساحل له فلابد من تنظيم شيء من الوقت.

مؤلفاته

عكف الشيخ رحمه الله على البحث والتأليف مسارعا إلى التقاط الفوائد وقيد الشوارد، وتتميز مؤلفاته- رحمه الله- بسهولة العبارة، وجودة الترتيب وقوة الأداء.

ترك الشيخ- رحمه الله- تراثا

قيمًا ماتعًا ينتفع به طلاب العلم والعلماء والأجيال المتعاقبة، وعلى رأس هذه المؤلفات:

١- موسوعة الإمام أبوحنيفة ومدرسته الفقهية، وتخرج في حوالي سبعة مجلدات (غير مطبوع) وعسى أن تخرج إلى النور قريبا بإذن الله تعالى، وتتميز هذه الموسوعة بأنها جامعة لشتات الأقوال المنثورة التي قيلت في شأن أبي حنيفة، وأنها ردت على كل المطاعن التي وجهت إلى الإمام في حوالي مجلدين.

٢- سير أعلام المحدثين (مطبوع) وفيه جزء لم ينشر عسى أن يضم إليه أو ينشر مستقلا.

٣- التركة والميراث في الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة وغيرها، مع مدخل في الميراث عند الشرائع القديمة والحديثة (مطبوع).

٤- المرجع الحديث في علوم السنة ومصطلح الحديث.

٥- الجدول الحديث في علم مصطلح الحديث (مطبوع).

٦- الجداول المختارة في علوم النحو والصرف والبلاغة.

٧- أحكام الحج والعمرة، وآداب زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

٨- الإسلام والسلام.

٩- حدائق الريحان في فضائل القرآن(مطبوع).

١٠- الجزية ومعاملة أهل الذمة.

١١- ميلاد الخلود في الجهاد في سبيل الله، طبع منه جزء صغير سنة ١٩٤٨، وقدم له الشيخ حسن البنا- رحمه الله.

١٢- مختارات من مثنوي جلال الدين الرومي.

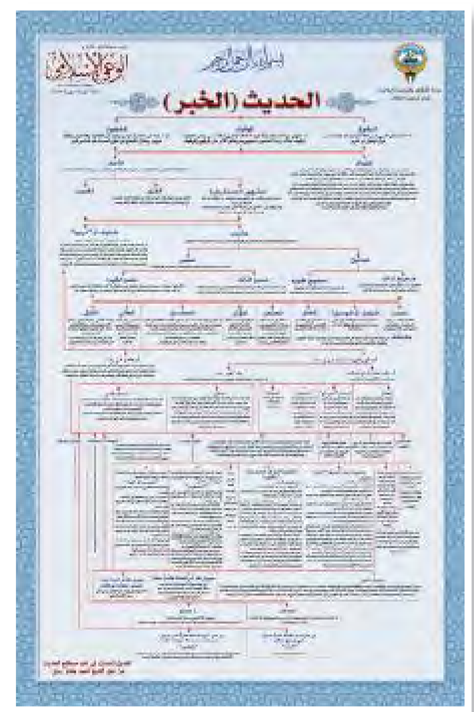
١٣- عقائد أهل الكتاب، دراسة في نصوص العهدين (مطبوع).

١٤- دار المحفوظات المصرية في

قد يكون العلم مدخلًا من مداخل الشيطان .. فعلى الإنسان الانشغال بإصلاح نفسه

ماضيها وحاضرها ونظم الحفظ بها.

وبعد، هذه لمحة يسيرة عن مسيرة الشيخ، ومهما كتبت فلن أوفي حق الشيخ الفاضل رحمه الله، ولكن امتثالا لأمر سيدنا رسول الله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم» وعسى أن تسعدنا هذه الكلمات في الدنيا والآخرة، فقد جاء في كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»: إن الاشتغال بنشر أخبار فضلاء العصر- ولو بتواريخهم- من علامات سعادة الدنيا والآخرة، إذ هم شهود الله في أرضه، وبذكر الله ينزل الرضوان، وبذكر رسوله تنزل المحبة، وبذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهم في السعادة جلساء من ذكرهم، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره، ويرجى لمن أرخ لجماعة أن يشفع السعيد منهم للشقي، وفي الخبر الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».



وفاته

عانى الشيخ من المرض في سنواته الأخيرة، حتى أدركه الأجل، وتوفي- رحمه الله وطيب الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، يوم الأربعاء الموافق ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٢ من فبراير سنة ٢٠١٢م، اللهم انفعنا بعلومه في الدارين، اللهم ارحمه رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناتك، اللهم ارزقه الروح والريحان، وأسكنه فراديس الجنان، واحشره مع سيد ولد عدنان ﷺ (آمين)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر الترجمة

١- إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبدالفتاح. تخريج تلميذه فضيلة الشيخ محمد عبدالله آل رشيد، ط مكتبة الإمام الشافعي، ص ٧٠، ٧١- بتصرف.

٢- معجم الشيوخ، تأليف الشيخ الدكتور أسامة السيد محمود الأزهري، ط١- صفا فرودقشين (sofa production)- نجري سمبيلان ماليزيا، ص٢٣- بتصرف يسير.

٣- عقائد أهل الكتاب، دراسة في نصوص العهدين، تأليف العالم البحاثة الأستاذ أحمد مختار رمزي، ص ٥، ٦.

٤- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، تأليف العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي. ط دار النوادر- ص ٣٦.

٥- مقال بعنوان: «رجل فقدناه» بقلم الأستاذ حمدالله الصفتي.موقع رابطة العلماء السوريين.

من قواعد السلوك الإسلامي.. في علم المحاسبة

د. سلطان السهو

تقدم المحاسبة المالية معلومات هامة تساعد إدارة المؤسسة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوجيه الموارد الاقتصادية المتاحة لها، ومن ثم تسهل مهمتها في تخطيط نشاط المؤسسة وتوجيهه، والإشراف عليه، كما تسهل مهمة الهيئات الحكومية المسؤولة عن الرقابة والإشراف على الاقتصاد القومي وجبايته للضريبة والزكاة، من خلال المعلومات المالية التي تنتجها.

تهدف المحاسبة المالية إلى مساعدة مستخدميها- فيما تنتجه من معلومات- في اتخاذ قراراتهم تجاه علاقاتهم بالمؤسسة، وذلك عن طريق إصدار تقارير مالية دورية عن مركزها المالي ونتائج أعمالها.

إن مجال المحاسبة في الإسلام يتعلق بتوثيق المعاملات، وتعيين الحقوق ومستحقيها بمراعاة العدل، لإعطاء كل ذي حق حقه، وذلك مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥).

المحاسبة من منظور إسلامي

والمحاسبة المالية في المنظور الإسلامي تشمل- بالإضافة إلى تعيين الحقوق- الكشف عن النتائج والوضع المالي بكيفية خاصة، يُراعى فيها التمييز بين الحلال والحرام، إذ يجب على المحاسب المالي أن يؤدي واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية بأعلى مستوى من الثقة والنزاهة والصدق والأمانة والاستقامة.. لذا يجب أن يعرض ويقدم المعلومات والأحكام والآراء المهنية بشفافية تامة، سواء كان المضمون إيجابيًّا أم سلبيًّا.

وكذلك المحافظة على حرمة المعلومات التي يباح له الاطلاع عليها في أثناء تأديته واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية، وعدم الكشف عن هذه المعلومات إلا في حدود متطلبات الإفصاح، وفقًا لمعايير المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية، أو تنفيذًا لمتطلبات قانونية، والامتناع عن أي سلوك أو تصرفات تهدد- بشكل صريح أو مستتر- حقيقة الأهداف الشرعية والأخلاقية للمؤسسة التي يعمل بها، وتجنب استغلال المعلومات الخاصة بالمؤسسة، فيما يتاح له الاطلاع عليه في أثناء تأديته واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية، من أجل نفع لشخص أو مصلحة الغير.

السلوك الأخلاقي للمحاسبة

من قواعد السلوك الأخلاقي لمهنة المحاسبة في الإسلام التحقق من مشروعية كل ما يتعلق بأداء واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية، وعلى المحاسب أن يفي بمسؤوليته أمام الله تعالى على الوجه الأكمل، مقدمًا ذلك على أية مسؤوليات، موقنًا أن الوفاء بمسؤوليته أمام الله تعالى كفيل بتحقيق مسؤولياته الأخرى في الوقت ذاته.

لذا فإن المحاسب مسؤول عن حماية استقلاليته في الظاهر والباطن، فلا يضع نفسه في مواقف تؤثر على حياده، أو تدفعه إلى التحيز أو البعد عن العدل، أو الوقوع تحت تأثير الغير، وعدم قبول أية عطايا أو هبات تُقدم له، وتجنب ما يضعه في مواقف تعارض مصالحه ومصالح من يقدم لهم الخدمة، مثل وجود علاقات عائلية أو شخصية، متمثلًا بذلك قول النبي ﷺ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» (رواه أحمد).

من هذا العرض يتبين لنا بعض الأخلاق الإسلامية لهذه المهنة الحساسة، ولعلنا نتعرض لها بشيء من التفصيل في سلسلة المقالات القادمة إن شاء الله.

◈ دكتوراه في المحاسبة - الكويت

اليمن - صنعاء

دار المخطوطات باليمن.. كنز تراثي

تركي محمد النصر

قال ياقوت الحموي:
«صنعاءُ قصبة اليمن وأحسن بلادها»..
«وتعد من أقدم مدن التاريخ، وتزينها مساجدها القديمة، ومسجدها الجامع الذي بُني بوحي من الله، وأمر من النبي ﷺ هو أقدمها عمرانًا، وأتقنها بنيانًا، وأوسعها مساحة، وأهمها شأنًا».
عُرفت اليمن منذ القدم بأنها بلد العلم والحضارة، وتمثل المخطوطات شاهدًا حاضرًا بين أيدينا على النهضة الفكرية والثقافية على مرّ العصور الإسلامية المتعاقبة في هذا البلد. ويُصنف المخطوط بأنه كل ما خُطّ باليد أيًّا كانت لغته ونوع كتابته، ويبلغ من القِدم خمسين أو مائة عام أو أكثر.

لقد كان الجامع الكبير بصنعاء منذ نشأته جامعة إسلامية عريقة تحتوي في خزائنها على العديد من المراجع في مختلف العلوم، ولغرض حفظ هذه المراجع أسست فيها مكتبة تعد أول مكتبة عامة في اليمن، وذُكر تأسيسها على جدار المكتبة، ونصه: «تاريخها: ١٢٥٦هـ الموافق ١٩٢٦م»، وأصدر لها فهرس بعنوان: «كتب الخزانة المتوكلية العامرة»، وطبع هذا الفهرس عام ١٢٦٢هـ بوزارة المعارف، وعند قيام الثورة اليمنية عام ١٢٨٢هـ - ١٢٦٢م.

تم جمع الكتب من خزائن وقصور الإمام يحيى بن حميد الدين، وابنه أحمد والأسرة المالكة، فضلًا عن مكتبة قصر حجة، ونقلت جميعها إلى مكتبة الجامع الكبير، وسُميت بالمكتبة الغربية، نسبة لمكتبة الأوقاف (المكتبة الشرقية)، الموجودة سابقًا.

وفي خلال تلك الفترة خرَّ سقف الجامع نتيجة هطول أمطار غزيرة، مما أدى إلى ظهور

> **تضم حوالي ١٣ ألف مخطوط و١٥٠ ألف رق و٢٠ ألف مطبوع**

تصدعات كشفت عن مجموعة من الرقوق التي لم تكن قد اكتُشفت من قبل، تم نقلها إلى مكتبة الأوقاف، وفي أثناء إعادة بناء الواجهة الغربية للجامع عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٦م، تمت إزالة خزانة كانت تقع في سطح الجامع الغربي، وحينما رفع سقف الخزانة عثر على عدد كبير من قطع المصاحف القديمة، والتي ضمت إلى مكتبة الجامع.

وفي العام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م بدأت فكرة تأسيس وإنشاء دار المخطوطات كحاجة ملحة لخدمة التراث العربي والإسلامي.

الأمانة العامة لدار المخطوطات في صنعاء

أنشئت الدار عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، بجوار الجهة الجنوبية من الجامع الكبير في صنعاء، في عهد القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، وكانت تتبع الهيئة العامة للآثار ودور الكتب التابعة لمجلس القيادة، وفي عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م صدر قرار جمهوري رقم ٣٨٦ باللائحة التنظيمية لوزارة الثقافة التي تضمنت إنشاء قطاع للمخطوطات ودور الكتب، وفيه تم ضم دار المخطوطات بصنعاء وجميع دور المخطوطات في الجمهورية اليمنية.

وفي عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، تم نقل جميع محتويات المكتبة الغربية في الجامع الكبير إلى دار المخطوطات.

أهداف الدار

تهدف دار المخطوطات في صنعاء إلى:

١- إحياء التراث التاريخي والحضاري، وخدمة الثقافة الإسلامية والإنسانية، ونشر رسالة وقيم الحضارة اليمنية الأصيلة عن طريق جمع وتوثيق وتصوير المخطوطات.

٢- تمكين المراكز الثقافية

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

والمؤسسات العلمية في الداخل والخارج من معرفة التراث الفكري والثقافي لليمن.

٣- خدمة الباحثين والدارسين بالاطلاع على المخطوطات لأغراض الدراسة والبحث والتحقيق.

٤- إصدار فهرس شامل لمحتويات المكتبات في الدار، ويحتوي على كشف تفصيلي للمخطوطات النادرة والقيمة في كل فن.

٥- إعطاء التراث الفكري والثقافي اليمني موقعه اللائق ضمن خريطة الفكر الثقافي والإنساني العالمي، من خلال إبرازه عبر عوالم التقنيات الحديثة كمًّا ونوعًا.

٦- ترميم وتجليد وصيانة المخطوطات بالطرق العلمية الحديثة.

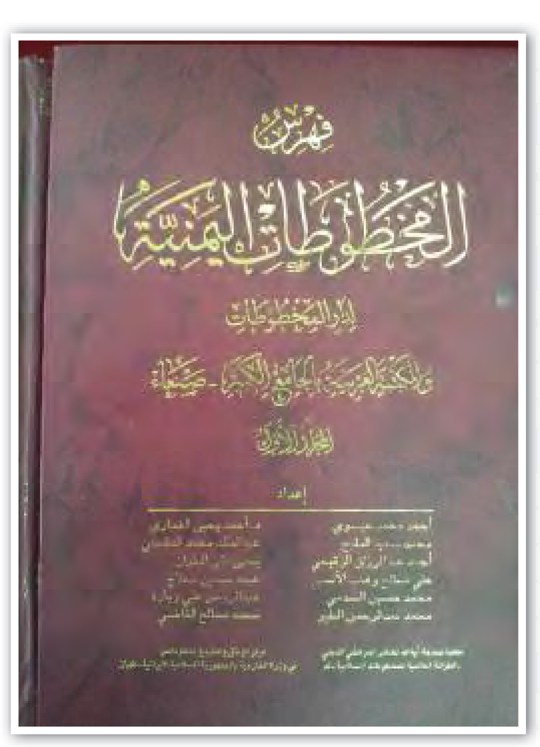
أقسام الدار ومحتوياتها

أولًا: إدارة المكتبات

١- مكتبة المخطوطات، وهي قسمان:

- المكتبة الغربية: وتحتوي على ٢٩٢٥ مخطوطًا.
- مكتبة الدار: والتي تملك ما يزيد على ١٠,٠٠٠ مخطوط، حيث يتم الحصول على هذه المخطوطات عن طريق الاقتناء أو الإهداء أو المصادرة، وهي متنوعة المعارف والفنون، وفيها مجموعة من النوادر والنفائس، مثل مخطوط الأحكام للإمام الهادي، ويعود لعام ٣٦٦هـ.

٢- مكتبة الرقوق: كانت الاكتشافات المبكرة لمكتبة الرقوق عام ١٢٩٢هـ - ١٩٧٢م، أثناء ترميم الواجهة الغربية للجامع الكبير، وهناك اكتشافات أخرى للرقوق تمت في العقدين الماضيين، وآخر الاكتشافات كان في عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ويبلغ العدد الكلي لهذه الرقوق أكثر من ١٥٠,٠٠٠ رق، ينتمي معظمها إلى حوالي ١١٠٠ مصحف، يوجد منها ما خط خلال القرن الأول للهجرة، والرق: هو جلد الضأن أو الماعز أو الغزال، وهو جلد رقيق صالح للكتابة عليه.



٣- مكتبة المطبوعات: تضم مجموعة من الكتب المطبوعة النفيسة، والتي يرقى بعضها إلى مصاف المخطوطات النادرة في أهميتها وموضوعها، ويبلغ عدد المطبوعات ما يقارب ٢٠,٠٠٠ مطبوع.

٤- المعرض الدائم: ويعد الواجهة الحقيقية لدار المخطوطات؛ حيث يعكس للزائرين والباحثين القيمة الحقيقية والمكانة العلمية التي تحظى بها الدار، ويحتوي على نماذج متعددة، منها نماذج للرقوق القرآنية، ونماذج من المخطوطات النادرة.

ثانيًا: إدارة الصيانة والترميم

وتتم فيها عمليتان رئيسيتان:

الأولى: وهي إجراءات وقائية، وعمليات معالجة، ومراقبة ظروف الحفظ للمخطوطات؛ من أجل إيقاف تلفها بغرض ترميمها.

الثانية: الترميم، وهدفها إصلاح ما تضرر من جسم المخطوطات من الأضرار والخروم والتآكل الناتج عن العوامل البيولوجية والكيميائية والفيزيائية، ويقتضي الترميم إجراء عمليات تعويضية على المخطوط مباشرة، فلا يجوز البدء في عملية الترميم إذا لم يكن الوصول إلى النتيجة الإيجابية أمرًا مؤكدًا.

مسلسل الترميم

ويقصد به تنسيق مجموعة من العمليات هدفها إنقاذ المخطوط وإصلاح ما فسد فيه أو فقد منه، وهي مراحل لا تقبل الارتجال، أهمها:

- التعرف على المخطوط، وتشخيص حالته.
- تصويره وتنظيفه.
- إزالة التعفن والحموضة.
- إضافة المواد المقوية والتدعيم.
- إصلاح التمزقات.
- الخياطة والحباكة والتجليد.

ثالثًا: إدارة التصوير

وتقوم بتصوير المخطوطات من أجل إتاحة الصور للباحثين والدارسين، ومن ثم المحافظة على النسخ الأصلية، وهناك طريقتان للتصوير في هذه الإدارة، وهي:

١- التصوير الرقمي: ويتم التوثيق الرقمي من خلال تصوير المخطوطات بأحدث الكاميرات، وتخزينها على الوسائط الرقمية.

٢- التصوير الميكروفيلمي: وهو التصوير المصغر للمخطوطات في لفة أو أكثر من فيلم شفاف، تحوي صورًا مرتبة في تتابع، تقرأ عن طريق جهاز خاص (قارئ)، وتكمن ميزة هذه اللفائف في أنها متوقع استمرارها قرونًا عدة.

ويتم في هذه الإدارة تسجيل وتوثيق مقتنيات المكتبة في سجلات واستمارات رسمية، ذات حقول معرفية متعلقة بطبيعة المخطوطات، ابتداءً بعنوان المخطوط ومؤلفه وموضوعه وإضافة الرقم الوطني له، وتسجيل بداية المخطوط ونهايته، والتأكد من البيانات في المصادر المنشورة، إلى ذكر جميع الملاحظات الخاصة عن المخطوط، كل ذلك من أجل إعداد القوائم البيولوجية التي من شأنها التعريف بما تملكه الدار من مخطوطات في مختلف المجالات، وكذا إتاحة الفرصة للباحثين والدارسين لاختيار المخطوطات لأغراض الدراسة والبحث والتحقيق.

خامسًا: إدارة التوثيق الإلكتروني

عمد قطاع المخطوطات إلى تصميم برنامج آلي خاص بتوثيق وفهرسة المخطوطات والرقوق، بما يتلاءم مع البيانات البيليوجغرافية الخاصة بالمخطوطات وما تحويه من معلومات، وذلك من أجل تيسير عملية الوصول للمخطوطات، ولإتاحة هذه المخطوطات عبر التقنيات الحديثة للباحثين والدارسين والمستفيدين منها، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي.

أما قسم السكرتارية في الدار؛ فهو الواجهة الرئيسية للدار، ويعمل على متابعة أعمال الإدارات الأخر؛ حيث يقوم بأرشفة الملفات وحفظها آليًا. كذلك يعمل القسم على أرشفة سجلات الدار، واستمارات التوثيق والفهرسة اليدوية، بالإضافة إلى استقبال الباحثين الوافدين إلى الدار لتسهيل معاملاتهم في الحصول على المعلومات المطلوبة.



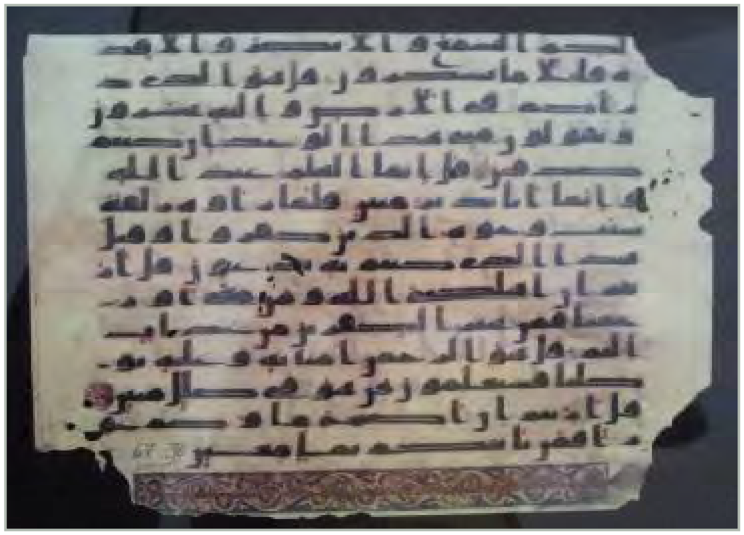
مشاريع دار المخطوطات

١- المشروع الألماني: وهو مشروع لترميم وأرشفة المخطوطات الإسلامية المبكرة في اليمن، تم توقيع الاتفاقية من قبل وزارة الخارجية الألمانية واليمن عام ١٩٨٠م، وبدأ العمل في عام ١٩٨١م واستمر حتى عام ١٩٨٩م، مع توريد المواد الضرورية للترميم والتجليد، ثم المرحلة النهائية للمشروع من العام ١٩٩٦. ١٩٩٧م، وهي تصوير جميع الرقوق على ميكروفيلم، وقد تم في المشروع معالجة وتصنيف ١٢,٥٠٧ رقوق قرآنية.

٢- مشروع اليونسكو: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتنفيذ من الهيئة العامة للآثار ودور الكتب ودار المخطوطات، وكان الهدف من هذا المشروع هو تزويد الهيئة بالمساعدة الفنية الضرورية في جهودها المبذولة لتحسين وتطوير هيكل وبنية مكتبة المخطوطات بالجمهورية اليمنية، وقد بدأ العمل الفعلي للمشروع عام ١٩٩٠- ١٩٩٤م.

٣- مشروع حصر وتوثيق المخطوطات: بدأ مشروع حصر وتوثيق وفهرسة المخطوطات والرقوق القرآنية بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٢م، وذلك لإعادة بناء فهرس مخطوطات الدار: تلافيًا للأخطاء التي وردت





فـي الـفـهـارس الـسـابـقـة، وتكملة للنقص، وتتمة للجهود التي سبقت فـي هـذا المـجـال، ومـازالـت فرق التوثيق والفهرسة تواصل جهودها الملموسة في إعداد الفهرس الشامل الخاص بمخطوطات المكتبة.

فعاليات الدار ونشاطها

أقـامـت الـدار معرضها الأول للمخطوطات خـلال فترة المشروع سابق الـذكـر، والـذي عـرضـت فيه مجموعة من المخطوطات والرقوق النادرة.

كما قـام قطـاع المخطوطات– بالتعاون مع الصندوق الاجتماعي للتنمية– بتدريب عدد من الطلاب الخريجين على أعمال التوثيق في ٢٠٠٩/٧/٤م، على أعمـال توثيق المـخـطـوطـات، وتـدريـب الطلاب المتميـزين علـى صيانـة وترميم المخطوطات، كما تم تدريب عدد آخـر مـن الطـلاب علـى أعمال التصوير الرقمي والميكروفيلمي، وتوثيق الرقوق، وتحديد الفترات الزمنية للمخطوطات.

وتمــت كــل هــذه الأعمال تحت إشراف أسـاتـذة مـن جامعة صـنـعـاء، مـع التعاون والاستعانة بالخبرات الإدارية والفنية الموجودة فـي دار المخطوطات. وقــد حــرص قـطـاع المخطوطات على عقد اتفاقية مع الصندوق الاجـتـمـاعـي للتنمية لـلاستعـانـة بالخبير الدولي في مجال الترميم الأسـتـاذ عبدالواحد الـشـامـي، الــذي قام بتدريب الطـلاب على إعـداد استـمـارات توصيف مادي خاصة لأغراض الترميم، عن طريق تشخيص حالة المخطوط، ابتداء بالغلاف والزخارف وحالة الورق، ونسبة حموضتها، والأضـرار التي تعرضت لها، والحبر والزينة، وكل ما يتعلق بالوصف المادي مع تحديد أولوية الترميم لكل مخطوط، ومن ثم عمل صناديق خاصة ذات مواصفات عالمية لحفظ المخطوطات، والبدء في ترميمها حسب الأولوية.

ومن الأعمـال المطـروحة ضمن المشـروع: إعـداد فهـرس العلامات المائية، وقد تم استخراج ما يقارب ٨٠٠ عـلامـة مائيـة مختلفة حتى الآن.

كما أقيمت الدورة التدريبية في مجال فهرسة الرقوق، والتي قام بها الخبير الفرنسي فرانسوا درويش.

ومن الفعاليات التي قامت بها الـدار: محـاضـرة القـاضـي أحمد بـن عـبـدالـرزاق الـرقـيـحـي حول المخطوطات، وتصنيف العلوم، وطرق المحـافظـة علـى الـتـراث الإنساني الإسـلامـي.

بـالإضـافـة إلـى إقـامـة العـديد من الفلاشات التوعوية في وسائل الإعــلام بـأهـمـيـة المخطوطات والمحافظة على التراث.

هـذا، ومازالت دار المخطوطات في صنعاء تقوم بدورها الذي يسعى دائمًا ليكون رائدًا في مجال العناية بالتراث العربي والإسلامي.

المراجع

١– رحلة ابن بطوطة.

٢– معـجـم الـبـلـدان، لياقوت الحموي.

٣– النشرة الرسمية الصادرة عن دار المخطوطات اليمنية.

النوم صحة للجسم

بشرى شاكر

قد يستغرب البعض عبارة «النوم صحة للجسم»، فنحن دائما نسمع أن العقل السليم في الجسم السليم، ونربط سلامة الجسم بالرياضة والحركة، وهو أمر صحيح إلى درجة بعيدة، غير أن صحة البدن والجسم ونفسية الإنسان لا تستقيم فقط بالرياضة والحركة ومراعاته لمأكله ومشربه، فقد ورد في صحيح البخاري أن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: دخل علي رسول الله ﷺ فقال: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار»، قلت: بلي، قال: «فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا... إلى آخر الحديث.

يشكل النوم ثلث حياة الشخص، ويحتاج البالغ إلى حوالي سبع ساعات ونصف ساعة من النوم، والإقلال من ساعات النوم في يوم أو يومين لا يؤثر سلبا إلا في ظهور بعض حالات الإعياء والاسترخاء صباحا، ولكن عدم بلوغ الساعات المحددة للنوم بشكل مستمر قد يؤدي إلى إجهاد خلال اليوم، وبالتالي نقص في إنتاجية الفرد، وقد يؤدي أيضا إلى فترات غفوة لا نستطيع التحكم فيها، ويؤثر أيضا على جهازنا الهضمي وجهازنا المناعي ككل.

حينما يتقدم الإنسان في العمر، فإنه يحتاج لساعات نوم أقل، أما لدى الأطفال، فيختلف ذلك حسب المراحل العمرية، فالطفل الرضيع يحتاج ما بين ١٦ إلى ١٧ ساعة نوم، وبين سن الثالثة والسادسة يحتاج جسمه إلى ١٢ ساعة نوم، وتتقلص الساعات لتصل إلى عشر ساعات بين سن السادسة والثانية عشر لتستقر في تسع ساعات عند المراهق إلى أن تصل إلى ثماني ساعات أو تحديدًا سبع ساعات ونصف لدى الإنسان البالغ.

وإذا كان النوم مهمًا لراحة البدن والحفاظ عليه، فإنه مهم أيضا لنموه الجسدي والنفسي، فهو يساعد على استعادة القوى والجهد العضلي والفكري المبذول صباحا، ويساعد على تقوية الذاكرة وتنشيطها، فنحن بحاجة للأحلام التي تمدد النوم، والتي لا تشكل فقط تجسيدا لما نراه في حياتنا الواقعية أو ما نرغب في تحقيقه في دواخلنا وإنما أيضا تعتبر محفزا لعمل الدماغ وتنشيط الذاكرة.

النوم السليم يحسن ترميم العظام.. والبالغ يحتاج إلى سبع ساعات ونصف

أما جسديا، فإن النوم السليم يحسن ترميم العظام والعضلات لدى الإنسان البالغ كما يقوي جهاز مناعته، ولدى الطفل، فإن النوم العميق والمريح يساعد على نمو الدماغ وعلى نمو الجسد ككل، لأن هرمون النمو ينشط أكثر أثناء النوم، كما أن الطفل الذي ينام ساعاته كاملة بدون أرق يسهل عليه التعلم والحفظ أكثر من غيره.

ويعتبر النوم مراحل مقسمة على أربع، تحدد هذه المراحل بدراسة الموجات الدماغية، المرحلة الأولى هي مرحلة النوم الخفيف وبعد عشرات الدقائق تبدأ مرحلته الثانية حينما يدخل الإنسان في النوم العميق تدريجيا، وحينما يتباطأ أكثر النشاط الدماغي فإننا ندخل في المرحلة الثالثة وهي النوم العميق الذي يستمر طوال الساعات الأولى من النوم، وهذه المرحلة تعد أطول مرحلة في دورة النوم، ولكنها تتقلص مع التقدم في العمر.

المرحلة الرابعة تسمى بالنوم التناقضي sommeil paradoxal حيث تتحرك مقلتا العينين في كل الاتجاهات، ونصفها بالتناقض لأن الإنسان يكون في حالة نوم عميق غير أن دماغه يكون في مرحلة الغفوة فقط!

وأثناء النوم تتعاقب كل هذه المراحل في أربع إلى ست دورات خلال الليل وتكون الدورة الأولى أطولها ومع تعاقبها يمكننا أن نستيقظ مرات عديدة ليلا لفترات وجيزة جدا ولكن لا نتذكرها في الغالب.

ورغم أن النوم مفيد كما رأينا لصحة البدن والنفس، فإنه ليس كل واحد فينا يمكن أن ينام بشكل صحي، فهناك أمراض بعضها شائع وبعضها نادر تؤثر على جودة النوم، وأكثرها شيوعا هو ما نسميه بالأرق

إعلامية وباحثة مغربية



وهو اضطراب في النوم واستيقاظ بشكل مستمر وصعوبة في الإغفاء وهو مرض شائع بكثرة في أيامنا هذه وقد يكون عارضا فقط حينما نغير مكان نومنا أو ننتقل من سكن إلى آخر أو من وضعية حياتية إلى أخرى أو نمر بمشكل مؤقت، وقد يصبح حادًا ومزمنا، وبالتالي تكون له دواعٍ نفسية ويستدعي تدخل مختص.

علاج الأرق بواسطة حبوب منومة وأدوية أمر شائع جدا، إلا أن الأطباء ورغم اعترافهم بنجاعتها، يحذرون من الإفراط في استعمالها، لأن المريض إذا تعاطاها لفترات طويلة فسيصبح عليه بعد مدة، الرفع من الجرعات الأولى لكي يكون لها التأثير نفسه وتساعده على النوم، أما على المدى البعيد، فلا تؤثر فيه بالمطلق، ولذلك ينصح باستبدالها بنظام حياتي صحي من حيث الغذاء وساعات العمل وأيضا ممارسة الرياضة.

ومن الأمراض الشائعة أيضا متلازمة انقطاع التنفس خلال النوم sleep apnea syndrome، وهو مرض قد يكون خطيرا جدا إذا ما استمر لمدة طويلة، إذ يؤثر على عمل الشرايين والأوعية وقد يؤدي إلى سكتة قلبية مفاجئة، وتتسبب هذه المتلازمة في توقف التنفس عدة مرات خلال النوم قد يستمر لثوان عدة بحيث تتقلص عضلات جدار البلعوم فتمنع مرور الهواء.

هناك أيضا مرض شائع وقد يكون غالبا بسبب الإعياء المفرط أو كثرة الحركة والتوتر والقلق أيضا وهو متلازمة الأرجل غير المستريحة أو ما يعرف restless leg syndrome وهو الشعور بالرغبة المفرطة في تحريك الأعضاء السفلى أثناء النوم، وهي حركات دورية قد تؤدي إلى إضرابات في النوم.

وأقل الأمراض شيوعا ولكنه أغربها، لأن العديد من الأطباء مازال يحتار في أمرها، هو مرض الخدار Narcolepsy، وهو الشعور بالإعياء طوال اليوم والرغبة في الإغفاء والشعور بارتخاء العضلات، وبطبيعة الحال فإن كل مراحل النوم العادية تصبح مضطربة لكون الشخص ينام فترات عدة خلال اليوم، وهنا تستعمل بعض الفيتامينات والأدوية التي تذهب الإجهاد والتعب، وقد يتناولها أيضا بعض الأشخاص العاديين في حال إجهاد أنفسهم بالعمل مثلا إلى درجة كبيرة.

وعموما لو حاولنا أن نفهم حديث نبينا الكريم ونعي أن الله خلقنا ووهبنا العديد من النعم، وجعل لكل شيء فينا حقًّا علينا بدون تقتير ولا إفراط، فإننا سندرك قيمة ما منحنا ونعمل على تنظيم حياتنا بشكل أفضل لننام بشكل صحي ونستيقظ بكامل حيويتنا ونشاطنا.





إعداد: محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

حكمُ المنتحر في الإسلام

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

هل قاتلُ نفسه خالد مخلّدٌ في النار؟ لأنّه ورد في الحديث: «خالدا مخلدا فيها أبدا».. وهل يخرج منها، وإن كان يخرج فما توجيه كلمة «أبدًا» في الحديث؟

فأجابت بما يلي:

صاحبُ الكبيرةِ متوَعَّد بالعذاب كقاتل نفسه، إلا أنّه لا يخلّد في النّار خلودَ الكافر، كغيره من أصحاب الكبائر، وما ذكر في الحديث من الخلود فهو خلودٌ مؤقّت؛ جمعًا بين الأدلة الشرعية..

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبيِّنا محمّد وآله وصحبه وسلم.

المجموعة الأولى: (٢٢/٢٥٣)

قَتْلُ الإنسانِ نفسَه ليس سبيلًا إلى النّجاة

الموضوع (٤٦٩) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر» السؤال التالي:

شابٌ مسلمٌ فَشَلَ في دراسته، فأخذ في البحث عن عمل يبعدُهُ عن الأفكار الأثيمة التي تراوده فلم ينفع، ووجد نفسه قد صار في طريق المعصية بعد طاعة اللّه، وأخذ يحاسب نفسه في يوم ما، ووجد ما ينتظره من عذاب في الآخرة، ففكر في قتل نفسه لعل اللّه يغفر له، ولكنه قرأ قول اللّه تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب اللّه عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، وإزاء حيرته طلب بيان الحكم الشرعي في ذلك.

فأجابت اللجنة بما يلي:

اطلعنا على كتابكم هذا، ونفيد أنّ السبيل إلى نجاتك من عذاب اللّه أن تتوب إلى اللّه توبةً صادقةً؛ خشيةً منه سبحانه وتعالى وخوفًا من عقابه.. بأن تندم ندمًا صادقًا من قلبك على ما اقترفت.

فإذا وُجِد الندم والعزم الصادقان، وانكسر قلبُك ذلًّا لله وخوفًا من عقابه، كانت توبتك حينئذ صادقة، ونجّاك اللّه من عذاب ما اقترفتَ من سيئات، وفرح اللّه بهذه التوبة أكمل فرح وأتمَّه، كما يدل على ذلك الحديث الصّحيح عن رسول اللّه ﷺ، وقد تكون بهذه التوبة أكرم عند اللّه وأفضل منك قبل حصول الذنب الذي تبتَ منه.

أمّا قتلُك نفسَك فليس سبيلًا إلى نجاتك من عذاب اللّه، بل هو مما يزيد في آثامك وذنوبك، فإنّه كبيرة من أعظم الكبائر، وربما كانت شرًّا أكبر ممّا اقترفت من سيئات وذنوب.. فقاتل نفسه أشدُّ وزرًا من قاتل غيره.

وإنّما السبيل إلى نجاتك ما هديناك ودللناك عليه، واللّه أسأل أن يوفقك إلى ما يحبه ويرضاه، ويجنبك الزّلَل في القول والعمل، والسلام، واللّه أعلم.

الصّلاة على المنتحر

الموضوع(٤) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر» السؤال التالي: **ما حكمُ الصّلاة على المنتحر؟**

فأجابت بما يلي:

صلاةُ الجنازة فرضُ كفاية على كلّ من مات مسلمًا حتى لو كان عاصيًا، ولا تجوز على الكافر ولا على المرتد، ومن الردة استحلال ما حرمه الله تحريمًا قاطعًا، والانتحار محرمٌ قطعًا بالقرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (النساء:٢٩)، وبيَّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن من قتل نفسه بحديدة أو سمٍّ أو إلقاء من مكان عال؛ فهو يعذّب في النار خالدًا فيها أبدًا على الطريقة التي قَتَلَ بها نفسَه.

وإذا علمنا من المنتحر بكلامه أو بورقة مكتوبة بخطِّه مثلًا أنّه يستحلُّ الانتحارَ كان مرتدًا، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

وإن لم نعلم، فنَحْمِل أمرَه على الظاهر وهو الإسلام، ونصلي عليه وندفنه في مقابر المسلمين.

والحديث المذكور محمولٌ على من استحل الانتحار، فهو مخلد في النار، أو محمول على التغليظ والتنفير كما جاء فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، وممّا يدلّ على أن المنتحر الذي لم يستحلّ الانتحار مؤمنٌ، وإن كان عاصيًا، ما رواه مسلم أنّ رجلًا هاجر إلى المدينة فمرض لعدم ملاءمة جوِّها له، فجزع فقطع مفاصلَ أصابعِه؛ فسال دمُه بقوة، ومات، فرآه الطفيل الدوسي في المنام في هيئة حسنة مغطّيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربُّك؟ قال: غفر لي

بهجرتي إلى نبيه، فقال: ما لي أراك مغطّيًا يديك؟ قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت، فقصَّ الرؤيا على الرسول ﷺ فدعا له، وقال: «اللهم وَلِيَدَيْه فاغفر».

يقول النّووي في التعليق على هذا الحديث: «فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السّنّة: أنّ مَن قَتَلَ نفسه، أو ارتكب معصيةً غيرَها، ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنّار، بل هو في حكم المشيئة، أي في حكم قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء: ٤٨).

يؤخذ من هذا: أنّ المنتحرَ الذي لم يُعلم استحلالُه للانتحار مؤمنٌ، فيصلى عليه صلاةَ الجنازة.

لكن ورد نص يمنع الصلاة عليه، ففي مسلم عن جابر بن سمرة قال: أُتِيَ النبي ﷺ برجل قتل نفسَه بمشاقص (سهام عريضة)، فلم يصلِّ عليه، قال العلماء: «هذا الحديث محمول على التنفير من الانتحار، كعدم صلاته الجنازة على من عليه دَيْنٌ، وقد صلّت الصحابة على المَدين بأمر النبي ﷺ، وذلك للتنفير من الدَّيْن، وليس لأنّه كافر، وتكره عند مالك الصلاة على المرجوم بحدٍّ، والفسّاق، وذلك زجرًا لهم» (صحيح مسلم شرح النووى ٧/٧).

تقديم العزاء في المنتحر

الموضوع (٨١) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر»

السؤال التالي: هل يجوز تقديم العزاء في المنتحر؟

فأجابت بما يلي:

المنتحر إن لم يُعلم أنّه استحل الانتحار فهو مؤمن غيرُ كافر، ومن هنا يجوز تقديم العزاء فيه، ولو علم أنّه كَفَرَ، فلا مانع أيضًا من عزاء أهله فيه، فالمراد من التعزية تسليتهم، وذلك من حقّ المسلم على المسلم، وفيه حديث رواه ابن ماجة والبيهقي بسند حسن: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عزّ وجلّ من حُلَلِ الكرامة يوم القيامة»، وقال العلماء في هذا الصدد: إن عزّي مسلمٌ بكافر قال: أعظم الله أجرَك وأحسنَ عزاءَك، ولا يقول: غَفَر لميّتك أو رحمه الله.

حكم المجاهد الأسير إذا انتحر حتّى لا يفشيَ أسراره للعدوّ

الموضوع (٢) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر»

السؤال التالي:

ماذا يفعل المجاهد الحريص على الجنّة حينما يحيط به العدوُّ، ويخشى أن يقع أسيرًا في أيديهم، وربما تكون معه أسرار تجعلُه حريصًا على عدم حصول العدوّ على شيء منها بوسائل التّعذيب الشّديدة؟

فأجابت بما يلي:

يجب على الجندي أن يبذل أقصى جهده في الدّفاع عن نفسه حتّى لا يقع أسيرًا، إلا بعد نفاذ كل وسيلة للخلاص من العدوّ، فإن أُسِر كان عليه أن يحافظ على الأسرار الخطرة التي يضرُّ إفشاؤها بمصلحة المسلمين، والكذب في هذه الأحوال جائز، فإنّ الحرب خدعةٌ كما ثبت في الحديث، والإكراه يرفع المسؤولية كما قال سبحانه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ (النحل: ١٠٦).

فلْيَبْذُلْ غاية جهدِه في الدّفاع عن النّفس وحفظ السرّ، والضرورات تبيح المحظورات، ولا يجوز أن يفكر فيما يفكر فيه بعض الناس من الالتجاء إلى الانتحار خوفَ التّعذيب لاستخراج الأسرار، فإن ذلك محرم أشدَّ التّحريم، وتعذيبهم للأسير لإفشاء الأسرار أمرٌ مظنونٌ غيرُ محقّق، فربما لا يلجأ العدوُّ إلى ذلك، فالانتحار من أجل ضررٍ مظنونٍ غيرُ محقّقٍ لا يجوزُ.

الإضرابُ عن الطّعام

الموضوع (٥٧) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر»

السؤال التالي:

ما حكم الدِّين فيمن يُضرب عن الطّعام إذا وقع عليه ظلمٌ؟ وكيف يكون التّصرف معه؟

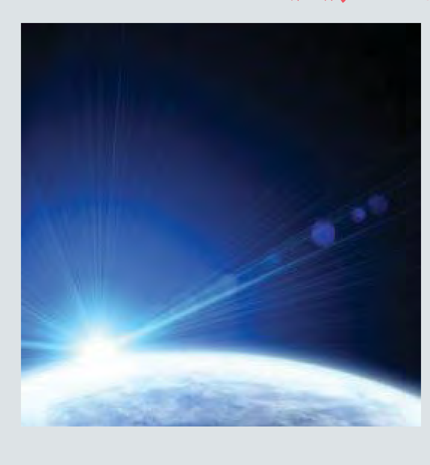
فأجابت بما يلي:

ليس في الدين شيء اسمه الإضراب عن الطعام أو الشراب؛ لتحقيق غرض من الأغراض، فهو وسيلة سلبية يجب ألا يأخذ بها أحدٌ، والوسائل المشروعة كثيرة.

ومن سَلَكَ هذا المسلكَ فقد أضرّ نفسَه بالجوع والعطش في غير طاعة، والحديث معروف «لا ضرر ولا ضرار»، وفي الوقت نفسه عرّض نفسه للموت، والله يقول ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، ومن مات بهذا الإضراب يكون منتحرًا، والانتحار من كبائر الذنوب، فإنِ استحلّه كان كافرًا، لا يُغسّل ولا يُصلّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

إعداد: هيفاء حسن

طبقة الأوزون تستعيد حالتها الطبيعية



أظهرت نتائج دراسة حديثة أن طبقة الأوزون بدأت تستعيد حالتها الطبيعية ببطء منذ فترة، مشيرة إلى أنه ربما تم التوصل إلى منعطف جديد بشأن مستويات الأشعة فوق البنفسجية التي تصل إلى سطح الأرض.

ويقول ماركوس ريكس وهو فيزيائي بمعهد «ألفريد فيجنر» الألماني للأبحاث القطبية والبحرية: «لقد توقفت موجة الارتفاع في مستوى الأشعة فوق البنفسجية.. إنه حقا أمر يستحق الإشادة».

ويشير ريكس إلى أنه عند النظر إلى سماء أوروبا يتبين أن هذا المنعطف الجديد في مستوى الأشعة فوق البنفسجية التي تصل إلى الأرض قد تم بلوغه منذ خمسة أعوام.

ويضيف: بالنسبة لطبقة الأوزون بدأنا نلاحظ نزعة إيجابية منذ فترة طويلة فقد بدأت الطبقة تزداد كثافة منذ نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي تقريبا.

لا مشكلة من تزايد عدد سكان العالم



يؤكد العالم الفرنسي «إيرفيه لوبرا» الذي صدر له كتاب أخيرًا تحت عنوان «حياة سكان العالم وموتهم» أن ما يثار من خوف حول تلبية احتياجات الـ ٩ مليارات نسمة المتوقعة سنة ٢٠٥٠م أمر لا صحة له مؤكدًا أن هذا الخوف هو جزء من جدال ايديولوجي أطلقته البلدان الغنية لتجاهل المشاكل التي تعاني منها ورميها على الفقراء، ومن المتوقع أن يستمر عدد سكان الأرض في التزايد حتى منتصف القرن الحادي والعشرين ليصل إلى ٩.٣ مليارات نسمة بحلول العام ٢٠٥٠م، لكن «ايرفيه» يشير إلى فرضية مثيرة للاهتمام تحدد عدد سكان العالم بـ ٨ مليارات نسمة مع سقف معين، ما يعني أن عددهم قد يصل الى أقصاه في مهلة غير بعيدة، ويختم العالم الفرنسي رؤيته أن ما يجب عمله في السنوات المقبلة ليس عدد سكان العالم بل آلية العمل الداخلية وتوزيع الأسعار.

أوعية دموية اصطناعية من البلاستيك

تمكن باحثون ألمان بمدينة شتوتغارت بعد ٣ سنوات من التجارب من تصميم وإنتاج وعاء دموي اصطناعي من البلاستيك، وذلك في خطوة اعتبرت بالغة الأهمية على طريق تصنيع أوعية دموية بهدف استبدالها مستقبلًا بأوعية بشرية تالفة والتغلب على العقبات التي مازالت تحول دون تحقيق ذلك إلى الآن، ويتركز البحث الآن على تصنيع أوعية دموية من أنسجة حيوية حتى يتقبلها الجسم البشري الذي يرفض تلك المصنوعة من البلاستيك على الرغم من أنها قريبة جدًا من الأوعية الدموية الدقيقة، ويأمل العلماء مستقبلًا بزراعة أوعية حيوية في جسم الانسان بينما زراعتها تقتصر حاليًا على الجلد الاصطناعي نظرًا لأن الأبحاث مازالت في مراحلها الأولية وإن كان ما تم إنجازه يعتبر بالغ الأهمية.



المبيدات تفقد النحل إحساسه بالاتجاهات

كشفت دراستان فرنسية واسكتلندية نشرتا في مجلة «ساينس» أن الجيل الجديد من المبيدات الحشرية المنتشرة عالميا، والذي يؤثر على الجهاز العصبي المركزي للحشرات تفقد النحل إحساسه بالاتجاهات.

وأوضحت الدراسة الفرنسية التي أجراها مايكل- هنري في المعهد الوطني للأبحاث الزراعية الفرنسي أن المبيد الذي يحتوي على «تياميتوزام» تجعل النحل غير قادر على الذهاب إلى منحله.



وكان الباحث الفرنسي قد أجرى أبحاثه على ٦٥٣ نحلة لصق على ظهرها شريحة صغيرة لنقل الإشعاع في تجويف صدر النحلة لمعرفة مدى تأثير هذه المبيدات فيها.

أما الدراسة الثانية التي قام بها كل من عالم البيولوجيا الاسكتلندي (بونلوب- ويتهورن، ودافيد- جولسون، فركزت على ذكر النحل الذي يلعب دورا أساسيا في عملية التلقيح، فقد تأثر بهذه المبيدات من نقص عدد ملكات النحل بنسبة ٥٨٪.

تجربة زراعية فريدة في البحرين

أعلن د. أحمد فيصل العلوي المتخصص في علم البكتيريا والأمـراض الوراثية عن تطوير اختراع هولندي- بحريني يساهم في الزراعة بالصحراء دون ماء واعتماد خصائص بيولوجية للنباتات للبحث عن الماء من أعماق الأرض وهو النظام الذي ستعتمد عليه قطر كأحد البدائل لزراعة المناطق الشاسعة من أراضيها.

وستساهم التقنية الجديدة في انحسار المناطق الصحراوية بنسبة كبيرة بأموال أقل وبمساحة خضراء أكبر، وحسب التقنية الجديدة فإن المساحة الزراعية التي تحتاج إلى ٥٠ لترًا من الماء في اليوم لا تحتاج مع التقنية الجديدة الى أكثر من ٥٠ لترًا من الماء في السنة وبتكلفة ١٠٪ فقط من النظام العادي المعتمد، وتستفيد التقنية الجديدة من الماء قبل خروجه من الأعماق بتوجيه جذور الزراعة عموديًا الى أسفل الأرض بدلًا من التوجيه الأفقي وجعلها تبحث عن المياه الجوفية بدلًا من اعتمادها على نظام الري.

القدس ليست أورشليم

قال الباحث العراقي فاضل الربيعي إن النص العبري للتوراة لا يحمل إشارة إلى أن القدس التاريخية تسمى «أورشليم» مذكرًا بأن القدس هو اسم حديث للمدينة وليس قديمًا، وأضاف إنه حتى مع بدء الفتوحات الإسلامية لم تعرف المدينة بهذا الاسم.

وإن العهدة العمرية سمتها «إيليا»، وإن تسمية المدينة باسم بيت المقدس جاءت بعد فترة من الفتوحات الإسلامية، وأكد الربيعي أن نظريته في نقد الرواية التوراتية لا تستند إلى تشابه أسماء، بل إلى أن الرواية التوراتية تستند إلى مسرح مختلف عن الجغرافيا الموجودة في فلسطين التاريخية عمومًا وفي مدينة القدس على وجه الخصوص، مشيرًا إلى قناعته بأن النص التوراتي لا يتحدث عن أماكن في فلسطين.

من هنا وهناك!

■ من المتوقع أن تتضاعف مرتين حالات الخرف الذي يعتبر متلازمة يتسبب بغالبيتها مرض الزهايمر، بحلول عام ٢٠١٣، على أن تتضاعف ثلاث مرات بحلول عام ٢٠٥٠ لتصيب ١١٥,٤ مليون شخص حول العالم. هذا ما جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية، ثمانية بلدان فقط تملك برنامجا وطنيا لمكافحة الخرف.

■ ذكرت محطة (سي. إن. إن) أن عشرة من أروع شعوب الأرض (حسب زعمها) تمتلك سمات خاصة مميزة وهي كالتالي بالترتيب: البرازيليون- السنغافوريون- الجمايكيون- المنغوليون- الأميركيون- الكوريون الجنوبيون- الإسبان- اليابانيون- البنسوانيون- الصينيون.

■ أعلن علماء أميركيون أن معرفة المجموع الوراثي للإنسان لا يساعد كثيرًا في التنبؤ بالأمراض التي يمكن أن تصيبه وأن تكاليف قراءة المجموع الجيني للإنسان تراجعت منذ أن نجح العلماء في فك الشفرة الجينية للبشر.

■ اكتشف باحثون أميركيون أن تمساح النيل الذي اكتشفه المصريون القدماء هو بالفعل نوعان يطلق عليهما الاسم عينه.



الصواعق
ظاهرتا البرق والرعد

البرق شرارة كهربائية عملاقة.. وأغلب البرق الذي يراه الناس يكون بين السحابة وسطح الأرض، ولكن من الممكن حدوث البرق أيضًا داخل سحابة أو بين السحابة والهواء أو بين سحابتين، وعندما يحدث البرق في الغلاف الجوي تنتشر الطاقة الكهربائية في الهواء وقد تصيب هذه الطاقة الطائرات المتحركة في المنطقة ببعض الضرر ولكنها لا تسبب أضرارًا على الأرض.

وقد يصل الجهد الذي يسبب الوميض إلى حدود (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) فولت، بينما قد يصل التيار الناتج عنه إلى (٢٠٠,٠٠٠) أمبير، وإذا حاولنا أخذ فكرة عن الطاقة المتمثلة في وميض شديد، وضربنا الرقمين السابقين، فإننا نحصل على رقم هائل هو (٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) كيلو وات، وعلى أننا إذا تذكرنا أن الوميض يستمر جزءًا من مائة من الثانية أو أقل فإن الطاقة الكلية تبلغ نحو (١١,٠٠٠) كيلو وات ساعي، وهو رقم يبدو أكثر تماشيا مع العقل، وومضة البرق شبيهة بانفجار مادة (T.N.T) التي لا تتوقف قدرتها التدميرية على كمية الطاقة التي تطلقها، بل استخدام قوة هائلة لجزء صغير من الثانية.

ويتكون البرق الذي يصيب الأرض من واحدة أو أكثر من تفريغ الشحنات الكهربائية التي تسمى «الضربات» ويسمى الضوء الساطع الذي يراه الناس في ومضة البرق «الضربة المرتجعة» وتتحرك الضربات المرتجعة بسرعة تقترب من سرعة الضوء، وهي ٢٩٩,٧٩٢ كم/ ثانية، وتقوم بتفريغ حوالي ١٠٠ مليون فولت من الكهرباء كما ترتفع درجة

هل يمكن للذبابة أن تحجب بجناحيها ضوء الشمس؟!

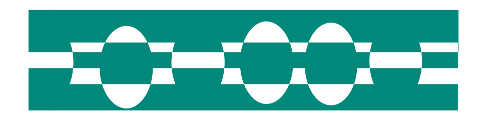
ذلك مستحيل ولو على سبيل الخيال، كذبة كبرى عشناها جميعًا طوال عقود مضت وهي أن الشريعة من الصعب تطبيقها في العصر الحديث.

كذبة كبرى عشناها تقول: إن العلمانية هي باب التقدم والرفاهية ولا غرابة في ذلك فهذا هو الصراع بين الحق والباطل وهذا هو صراع الأيدلوجيات بين الإسلام والغرب، حيث رصدت المؤسسات الغربية المليارات لهذا الغرض واعتبرته أهم وأولى من الحروب المسلحة حيث يدخل ذلك في مصطلح الحروب الناعمة كما يذكر الساسة.

لقد أكدت معظم الشعوب المسلمة رغبتها في تطبيق الشريعة، وهنا ازداد سعار المرجفين في المدينة فباتوا يكيدون بليل للشريعة فسمعنا من يقول ماذا ستفعل الشريعة في أهل البكيني؟ وكيف ستحل الشريعة مشكلة الأقليات؟ وكيف ستحل الشريعة مشكلة السياحة والتماثيل؟ وكيف بنا نعيش في جو بعيد عن الفن والموسيقى؟ أسئلة كثيرة آثارها المرجفون في المدينة لا أرى فيها إلا إثارة الفتن ومحاولة تعطيل مسيرة الديموقراطية ثم الوقوف أمام إرادة الشعب الهادرة التي قالت وبأعلى صوتها نحن نريد الإسلام، هؤلاء المرجفون في المدينة الذين تربوا على كراهية الفكر الإسلامي ورضعوا من ثدي العلمانية وعاشوا على الدولارات والعطاء السخي فباعوا دينهم وتلك هي أجندتهم.

أقول لهؤلاء وأمثالهم إن الإسلام منهج حياة جاء ليصلح الناس والمجتمع في كل مناحي الحياة صغيرها وكبيرها، بداية من كيفية الطعام وانتهاء بالحكم ومؤهلات الحاكم، نقول وبكل ثقة وفخر نعم لتطبيق الشريعة ونعم لتطبيق الحدود، لأن كل من يفهم ويدرك فقه التطبيق ومآلات الحدود ومقاصدها يقول ذلك لأن الأصل في الشريعة ليس تطبيق الحدود وفرض ذاتها وإنما الإصلاح وردع الفاسدين والمفسدين والمجرمين الذين يصرون على إجرامهم، ولا أدل على ذلك من منهج النبي ﷺ في إرجاع الزاني الذي جاء للنبي ﷺ يقول له هلا ضاجعت هلا قبلت هلا كذا هلا كذا في محاولة لإثناء النبي ﷺ له عن قوله، وكأن النبي ﷺ يبحث له عن مخرج ليستره ولا يقيم عليه الحد.

إن القرون الثلاثة الأولى لم يقم فيها حد السرقة إلا ست مرات.. أمثلة كثيرة تؤكد أن الأصل في الشريعة هو الإصلاح العام وشيوع الرحمة والتشجيع على التوبة وستر المعاصي وليس كما يدعي المرجفون في المدينة أن الشريعة سوف تقتحم البيوت وتكشف الأستار وتفتش عن كل مذنب



حرارة الهواء في مسارها لأكثر من ٣٣,٠٠٠ درجة مئوية ومن ثم يتمدد هذا الهواء الساخن بسرعة لتنتج عنه موجة من الضغط تسمى الرعد.

في كل ثانية يضرب البرق أرضنا مائة مرة، وفي كل سنة تقتل الطاقة الكهربائية الناتجة عن تسعين مليون صاعقة عملاقة في الولايات المتحدة الأميركية وحدها أكثر مما تقتله الأعاصير.

والصواعق تدمر نحو ثمانية عشر منزلاً كل عام وتلحق أضرارًا مادية تعادل مائة مليون دولار.

ويحدث البرق قرابة مائتي مليون ضربة في الغابات والأراضي الخضراء من عالمنا كل سنة، وهي تؤدي إلى نشوب حرائق تبلغ كلفة إخمادها مائة مليون دولار، ولا تقتصر الأضرار الناجمة عن البرق على اليابسة، بل إن السفن كثيرًا ما تتعرض لضرباته قبل وصولها اليابسة، كذلك تتعرض لها الطائرات التجارية بمعدل ساعة من كل خمسة آلاف ساعة طيران.

كافية محل الكبش

لتقيم عليه الحد.. هيهات هيهات وأنى لمنهج الإسلام أن يكون كذلك؟

لم تعرف مصر عبر تاريخها الطويل ما أسماه المرجفون بالفتنة الطائفية، فقد عاش المسلمون والنصارى إخوانًا متحابين في الوطن، ولا غرابة في ذلك فإن بر المسيحي في الإسلام عبادة قبل أن يكون عادة فقد أوصانا الله تعالى بهم خيرًا يقول تعالى: ﴿أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ (الممتحنة: ٨) فحقوق النصارى مكفولة في الدين ومحفورة في الفطرة المصرية.

ويقول المرجفون في المدينة إن السلفيين سيجعلون من مصر طالبان جديدة خاصة في تحطيم التماثيل والقضاء على السياحة، ويرد عليهم السلفيون بقولهم: إن الصحابة حين دخلوا مصر لم يحطموا التماثيل ولكن المرجفين في المدينة لم يصدقوا وأصروا على التضليل.

إن المرجفين في المدينة لن يرضيهم إلا وقف مسيرة الديموقراطية لأن ذلك ببساطة سيكشفهم ويفضح خططهم ويبين حقيقتهم وفشلهم، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.. أشعلوا فتنة وأخمدتها رحمة السماء، نراهم مع ذلك لا يكفوا عن ابتداع كل ما من شأنه تعطيل مسيرة الخير وبعد أن فشلت هذه المحاولات وأخمدت بفضل الله كل هذه النيران نراهم يحاولون- يائسين- النيل من الشريعة الإسلامية والمنهج الإسلامي فأنى للذبابة أن تحجب بجناحيها ضوء الشمس؟



رسالة قارئ

مجلة الوعي الإسلامي من المجلات الإسلامية الكبرى الواسعة الانتشار التي تؤدي دورها الإيماني في سبيل نشر الدعوة للإسلام ولما لها من دور بارز من خلال كتابها الإسلاميين من مختلف الأقطار العربية والإسلامية الذين لهم رؤى ثاقبة وجهود مستمرة في العمل الدائم بهدي سيد الأنام محمد ﷺ ودراسة سيرته ومحاسنه وأفضاله على العالم أجمع.

لقد كانت مجلتنا الإسلامية العالمية «الوعي الإسلامي» سباقة في كل المناسبات والأعياد الإسلامية في إهداء هدايا اسلامية قيمة تليق بكل مناسبة، كما أنها تؤدي دورها الكبير في وقوف القارئ المسلم على ما يهم كل قارئ مسلم من تاريخ البطولات الإسلامية والفتوحات.. حيث قدمت للقارئ الهدايا الآتية على سبيل المثال لا الحصر «عصر الخلفاء الأمويين» عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م و«المسلمون في الأندلس» ٩٢- ٨٩٧ هـ/ ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م» و«الدولة العثمانية -١٢٩٩م-١٩٢٤م/ ٦٩٩هـ- ١٣٤٢هـ».

لذا يسعدنا نحن قراء مجلة الوعي الإسلامي أن نرى مع أعداد مجلات الوعي الإسلامي المزيد من تلك الهدايا القيمة التي تنير العقول وتزيد من الثقافات الإسلامية وتعمر المكتبات الشخصية لكل قارئ وتزيد القارئ ثقافة ومعرفة إسلامية.

سدد الله خطاكم وأيدكم بتوفيقه في جميع خطواتكم واقبلوا فائق تقديري وإعزازي

القارئ- طه محمود عمر فضالي

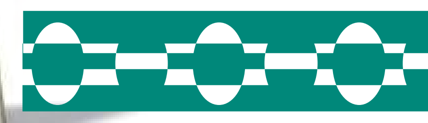
■ المحرر: شكرًا على إطرائك المجلة ونحن بصدد الانتهاء من إعداد بعض الإصدارات التي ستهدى للإخوة القراء تباعًا.

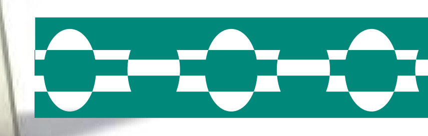
تنويه

- نشر في العدد (٥٥٩) في موضوع «وقائع في سيرة الرسول» أن تاريخ مولد الرسول ﷺ سنة ٧٥٠ ميلادي، والصحيح هو ٥٧٠ ميلادي، ونشكر الأخت إيناس الأطرش من تونس.

- نشر في العدد (٥٦٠) مقال «العداء سنة كونية» للكاتب زياد موسى باعتبار أنه أردني، والصحيح أنه مصري الجنسية.

- نشر في العدد (٥٦١) مقال «مسابقات في فهم القرآن» للكاتبة دعاء حاتم، والصحيح أنه للكاتب محمد نبيل بهي من مصر.



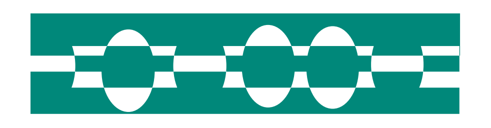




الفكر الإداري في صبح الأعشى

أبوالعباس القلقشندي من أبرز وأشهر كتاب العصر المملوكي، ولد الرجل في سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة في بلدة قلقشندة من أعمال مدينة طوخ بمحافظة القليوبية بمصر، وينحدر أبوالعباس من أصل عربي، فهو من بني بدر من فزارة الذين وفدوا على مصر مع من وفد من العرب منذ الفتح الإسلامي، ونزلوا بإقليم القليوبية، واستولوا على معظم أراضي هذا الإقليم، وأصبحت لهم الرياسة والغلبة على جيرانهم بمن فيهم بنو عمومتهم بنو مازن بن فزارة، وقد نشأ القلقشندي نشأة علمية صحيحة، وتربى تربية سليمة في بلدته، ثم توجه إلى الإسكندرية وأقام بها مدة من عمره في طلب العلم على مشاهير العلماء في زمانه، واشتغل في أثناء ذلك بفنون اللغة العربية والأدب حتى اجتمع له من ذلك مقدار وافر، وبعدما ظهر جده ونبوغه جلس شيخنا للتدريس، فانتفع به كثيرون، وبدا للناس فقيها يميل إلى الاجتهاد، ويحاول أن يضع لعلم الفقه أصولا وقواعد، ولم يكتف شيخنا بعلم الفقه، بل أخذ نفسه كذلك بالتمرس بفن الأدب، ويدلنا على ذلك أنه ألف طائفة من الكتب والرسائل منها «حلية الفضل والكرم في المفاضلة بين السيف والقلم، وشرح على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وصبح الأعشى»، ويعتبر كتابه «صبح الأعشى» أخطر كتبه ويذكر به دائمًا بين المؤلفين في سائر الدهور، ويمثل معرضا جميلا لآثار الكتابة الديوانية منذ عرف المسلمون ديوان الإنشاء إلى زمان المؤلف،، وقد جاء الكتاب في مقدمة وعشر مقالات وخاتمة، جاءت المقدمة في خمسة أبواب، تحدث في الباب الأول عن صفات الكتاب وآداب مهنة الكتابة، وانتهى فيه إلى القول بأن الكتابة وإن كثرت أنواعها وتعددت أشكالها لا تخرج عن أصلين هما كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال، والأولى أفضل وأجمل لتأسيسها على البلاغة والبيان، وتحدث في الباب الثاني عن صفات الكاتب ومن أبرزها صفات الإسلام والذكورة والتكليف والاستقامة والبلاغة والعقل والهمة وشرف النفس والعمل والكفاءة، وصفات أخرى يجب أن يتحلى بها الكاتب منها: قوة النفس وحضور البديهة وجودة الحدس والجرأة والنزاهة وكرم الخلق وأناقة الزي وعطر الرائحة، وتناول في الباب الثالث آداب الكتابة فقال: إنها على ضربين هما حسن السيرة وحسن المعاشرة، ويقصد بالأول مجموعة الأخلاق الكريمة كالإخلاص والنصيحة وكتمان السر والشكر والوفاء وحسن اختيار الوقت للعرض والطلب وحسن الوساطة، أما الضرب الثاني فيقصد به معاشرة الملوك والعظماء والأكفاء والنظراء والأتباع والمرؤوسين والرعية، ومعاشرة من يمت للكاتب بصلة أو بحرمة مهما كان نوعها كحرمات الجوار والصداقة والقرابة والمطاعمة، كما ينبه إلى أنه يجب على الكاتب أن يوفيهم حقوقهم ويعينهم على نوائب زمانهم، ويساعدهم في بلوغ مطالبهم من سلطانهم، ويعرفنا في الباب الرابع باختصاصات كاتب الديوان، ودرجات كتابه السبعة وأدوارهم الوظيفية، وفي الباب الخامس يحدد ثقافة كاتب الديوان والتي يقسمها إلى نوعين هما الثقافة العلمية والثقافة العملية، الثقافة العلمية تتألف من عدة عناصر أهمها الإلمام باللغة العربية وآدابها، ومعرفة أنساب العرب والعجم، وأيام هؤلاء وهؤلاء ووقائعهم ومفاخرهم، والوقوف على عادات العرب في الجاهلية وما بقي من هذه العادات في الإسلام، والاهتمام بتاريخ الخلافة ونظمها ووظائفها وأحكامها، والإلمام بالثقافة الجغرافية وباللغات الأعجمية كالفارسية والرومية والسريانية والعبرية وغيرها من لغات الأمم التي لها صلة بدولة الإسلام، فضلًا عن الاهتمام بفن الوصف، والمقصود بهذا كل ما يحتاج إليه الكاتب من أوصاف الرجال والنساء والحيوان والدواب والطير وآلات السفر والركوب والسلاح والحصار، وأوصاف الأحجار الكريمة كاللؤلؤ والياقوت والزمرد والمرجان، فضلا عن معرفة الكاتب بجميع أنواع الطيب كالمسك والعنبر والعود والصندل، والوقوف على أوصاف هذه الأنواع والجهات التي ترد منها، أما الثقافة العملية فقوامها معرفة فن الخط وآلاته ومبادئه وصوره وأشكاله وما يتصل بالخط من النقط والضبط والشكل، فضلا عن ثقافة الكاتب الديوانية والتي تتمثل في معرفته الأسماء والكنى ونظام الألقاب في الدولة، ومقادير قطع الورق وما يناسب كل قطع منها من الأقلام والطريقة التي تكتب بها ملخصات القصص والمظالم ونحو ذلك وفواتح وخواتيم الرسائل والمكاتبات، ويتناول في المقالات العشر أنواع الرسائل وأساليب كتابتها، وفي الخاتمة يتحدث عن البريد ومطارات الحمام وأبراجه ومراكب الثلج والمحرقات والمناور، وقد استقى القلقشندي مادة كتابه من أكثر من مائة مصدر منها على سبيل المثال ذخيرة الكاتب لابن حاجب النعمان، العلم والدواة لمحمد بن علي، كاتب قوانين الدواوين لابن مماتي، صناعة الكتابة لأبي جعفر النحاس، كنز الكتاب لكشاجم، معالم الكتابة لابن شيث.

محمد فؤاد علي





أي الإيمان إيمانك؟

أخي الحبيب أي الإيمان إيمانك؟ وأي الآلهة إلهك؟ هل إلهك هواك؟ ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣)، هل إلهك مالك؟ «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة .....» (البخاري)، هل إلهك شيطانك؟ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...﴾ (يس: ٦٠)، هل إلهك رئيسك أو شيخك؟ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾ (التوبة: ٣١) هل إلهك أهلك أو عشيرتك أو عملك أو منصبك؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ (البقرة:١٦٥)، أم إنك إله من الآلهة؟ ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ (القصص: ٣٨)، أم إنك متعدد الآلهة «يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة: ستة في الأرض وواحدًا في السماء» (الترمذي)، أم إنك عزيز الوجود ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ (الفرقان: ٦٨)، وأي الإيمان إيمانك؟ إيمان الأنبياء؟ أم الأصفياء؟ أم الشهداء؟ أم الأتقياء؟ أم السفهاء؟ أم الأشقياء؟

إن كان إيمانك مجرد قول فإنه لا ينفع، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ (الحجرات:١٤)، وإن كان بعض شعب الإيمان فلا يكفي، «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» (البخاري) بل لابد أن تجد طعم الإيمان «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً» (مسلم) وأن تجد حلاوة الإيمان «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (البخاري)، وأن تكون أهلًا لحب الإيمان ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧)، لتكون من المؤمنين حقًا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...﴾ (الأنفال: ٢-٤).

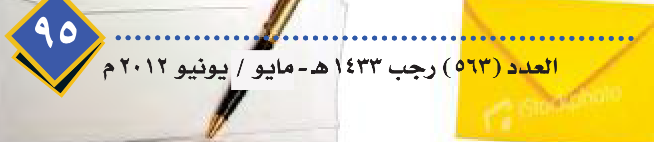
أي هذا الإيمان إيمانك؟ وأي هذه الآلهة إلهك؟ هل وصلت إلى درجة المؤمنين حقًا؟ وهل بعدما وصلت إليها واقشعر جلدك ودمعت عينك وارتجف قلبك واستكانت نفسك وخلعت بصيرة القلب على العقل حلل الفكر، هل واصلت بعدما وصلت؟ أم توقفت وفصلت؟ ورجعت وانقلبت؟ فلا ثبات ولا استقامة، والله إني لأرى في نفسي التلون والتلوي كلما دعاها إله من تلك الآلهة تبعته فلا تستقيم مع الإيمان ولا تثبت على التوحيد، وأجاهد قلبي أن أكون حاضرًا كل ركعة عند قولي ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: ٦) حتى يستقيم، ولكن تغلب عليه القواطع وتصرفه الشواغل، قال ابن تيمية «والعبد مضطر دائمًا إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم» وقال: «بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم» وقال: «ولهذا كان هذا الدعاء هو المفروض» (مجموع الفتاوى ج ١٤) قلت سبحان الله مفروض وأدعو به كل يوم في أكثر من خمس وعشرين ركعة ومع ذلك كثيرًا ما أرى نقص الإيمان وتشتت الوجدان.

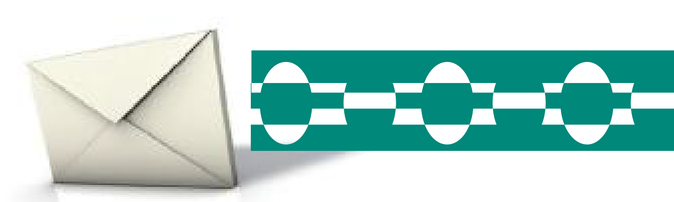
أخي الحبيب.. لا أحدثك عن الإيمان النظري الذي ألفت فيه آلاف المجلدات واختلفت فيه عشرات الفرق، إنما أحدثك عن الإيمان العملي الذي إن استكملت شعبه وذقت حلاوته وتحققت في القلب محبته واستقامته خرج نوره من القلب إلى الوجه والبصر والسمع واللسان والجوارح، به ترتدى حلل الهيبة وتكشف حجب الظلمة، سئل ﷺ أي العمل أفضل فقال: «إيمان بالله ورسوله...» (البخاري).. أخي الحبيب تدبر معي هذه الآيات من أول سورة الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الحديد: ١-٦).

قد يبدو أن هذه الآيات ليس لها موضوع واحد ويصعب الربط بينها حتى عند من يراجعها ولكن تأتي أول كلمة بعد الآيات السابقة ﴿آمنوا بالله﴾ لتربط وتوضح. فالآيات جمعت حقيقة الإيمان وتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتصب على هذا المطلب وتشرحه، وضع هذه الكلمة قبل كل آية من الآيات الست وتأمل ﴿آمنوا بالله الذي سبح له ما في السموات والأرض﴾، سبحه الشجر والحجر والبشر، سبحه الرعد والبرق والمطر، سبحه النمل في الجحر، والدود في الصخر، والوحش في الوكر، سبحه طير الهواء، وفلك السماء، وحوت الماء، وأصوات الكون المتواصلة بالتسبيح لو سمعتها لانتظم قلبك في فلكها وما انقطع، وأبى رسول الله ﷺ إلا أن يزاحم الكون بالتسبيح فكان يقول: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» (مسلم)، ووالله كم يزيد الإيمان عند الفكر في تسبيح الكون والتأمل في كيفية سجوده، ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ (النور: ٤١).

(آمنوا بالله الذي) ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ قال ابن كثير: «وهذه الآية هي المشار إليها في حديث العرباض بن سارية: أنها أفضل من ألف آية» وفيه «أن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية خير من ألف آية» (رواه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي).

عبدالحميد محمد طنطاوي





من غرر الحكم

إعداد : بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

- الرافعي: «إذا لم تزد شيئًا على الدنيا كنْتَ أنتَ زائدًا على الدنيا».
- الرافعي: «أنت عجزت أيها الإنسان فأيقنت أنك لا تستطيع أن تغير أطوار الدنيا، ولكن كيف نسيت الذي يستطيع أن يغيرها، وهو يغيرها كل طرفة عين» (٢).
- الرافعي: «يأتي الغرور من ضعف النظر إلى الحقيقة، لو أن للنملة عينًا وسئلت عن الذبابة كيف تراها لقالت: هذا فيل عظيم» (٣).
- الرافعي: «إن الباطل لا يجد أبدًا قوته في طبيعته، بل تأتيه القوة من جهة أخرى فتمسكه أن يزول، فإذا هي تراخت وقع، وإذا زالت عنه اضمحل، أما الحق فثابت بطبيعته قوي بنفسه» (٤).
- ابن المعتز: «الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة: من صواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وتعريف بقدر النعمة، ومُرُون على مقارعة الدهر» (٥).
- الشدائد تصلح من النفس بمقدار ما تفسد من العيش، والترف يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش.
- عقول الرجال في أطراف أقلامها (٦).
- لا يزال المرء مستورًا، وفي مندوحة ما لم يصنع شعرًا أو يؤلف كتابًا، لأن شعره ترجمان علمه، وتأليفه عنوان عقله (٧).
- حق على العاقل أن يتخذ مرآتين، فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحلِيهم بها، ويأخذ ما استطاع منها (٨).
- الحكيم لا يخوض نهرًا حتى يعلم مقدار غوره.
- حين يكون المرء شريفًا في مجتمع تسوده السرقة فإن شرفه يصبح عقوبة له، وقليل أولئك الذين يتحملون تلك العقوبة الى ما لا نهاية (٩).
- ابن المقفع: «الدّيْنُ رقٌ فانظر عند من تضع نفسك» (١٠).
- ابن الجوزي: «ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض» (١١).
- ابن مالك النحوي: «وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، أعاذنا الله من حسد يسد باب الإنصاف ويصد عن جميل الأوصاف» (١٢).
- مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.
- من لاح له حال الآخرة هان عليه فراق الدنيا، تذكر حلاوة الوصال يهن عليك مر المجاهدة.
- خير المعروف ما لم يتقدمه مطلٌ، ولم يتبعه مَنٌّ (١٣).
- أرضى الناس بالخسارة بائع الدين بالدينار.
- اسحق نيوتن: «إذا كنتُ أستطيع أن أرى أبعد من الآخرين فلأني إنما أقف على أكتاف العمالقة».
- إذا كان الرأي عند مَنْ لا يقبله،

والسلاح عند من لا يستعمله، والمالُ عند من لا ينفقه ضاعت الأمور.

- إذا كان لِلمُحْسن مِنَ الثّواب ما ينفعه، وللمُسيء مِن العقاب ما يقمعه، بذل المحسن ما عنده رغبة، وانقاد المسيء للحقّ رَهْبة (١٤).

- أجمل فيَ الطلَب تكفك المقادير ما هو كائن، فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك (١٥).

- الابتسامة أقلُّ كلفةً من الكهرباء وأكثر إشراقًا منها (١٦).

- إذا حلت المقادير ضلت التدابير.

- إنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته لا لقدمه وحدوثه.

- لو لا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب في القلوب (١٧).

- الزهور لا تحتاج إلى ألوان تزينها.

- إذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل.

- على المرء أن يتذكر أن كل فشل يمكن أن يكون خطوة نحو تحقيق شيء أفضل.

- السعيد من زادت مجاري القدر في استبصاره، ووقعت حوادث الغير موقعها من اعتباره (١٨).

- أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان (١٩).

- لا تجعل غاية همتك ومنتهى قصدك أن تمر على الماء، أو تطير في الهواء، يصنع الطير والحوت ما أردت، طر بجناح همتك إلى ما لا غاية له (٢٠).

- احذر من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره.

- أحمد الناس عقلًا من إذا نزلت به النازلة كان لنفسه أشد ضبطًا، وأكثرهم استماعًا من أهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة (٢١).

- بارقة الحقيقة تظهر من مصادمة الأفكار.

- رُبَّ بعيد لا يُفْقَدُ بِرُّه، وقريب لا يُؤْمَنُ شَرُّهُ (٢٢).

- تعلّم درْسًا من البعوضة، فإنها لا تنتظر أبدًا فتحة تنفذ منها بل تصنع واحدة.

- ابن هُرمُز: «ينبغي للعالم أن يُورث جُلَسَاءَه قَوْلَ «لا أدري» حتى يكونَ ذلك أصلًا يفزعون إليه» (٢٣).

- إن مَنْ عرف فضل قوته على الضعفاء، فاغترّ بذلك في شأن الأقوياء، قياسًا لهم على الضعفاء، كانت قوتُه وَبالًا عليه (٢٤).

- إذا طُعنتَ من الخلف فاعلمْ أنك في المقدمة.

- إن مَنْ لم يفكر في العواقب لم يأمَنْ من المصائب، وحقيقٌ ألا يسلمَ من المعاطب (٢٥).

- إن مَنْ يخوّفك حتى تلقى الأمنَ أشفقُ عليك مّمن يؤمّنك حتى تلقى الخوف.

- العلمُ يستطيع أن يفسر الأشياء، ولكنه لا يستطيع أن يقول: لماذا وجدت الأشياءُ، أو ما هي الغاية من الكون.

- لا تكن رطبًا فَتُعْصَرَ، ولا يَابسًا فتُكْسَرَ، ولا تَكُنْ حُلْوًا فتُسترط (٢٦)، لا مُرًّا فَتُلْفَظَ.

- سهل بن هارون: «إذا كان الحب يعمي عن المساوئ فالبغض أيضًا يعمي عن المحاسن، وليس يَعرف حقائق مقادير المعاني، ومحصول حدود لطائف الأمور إلا عالم حكيم، ومعتدل الأخلاط عليم، وإلا القويُّ المُنَّة، الوثيقُ العقدة، والذي لا يميل مع ما يستميل الجُمهور الأعظم، والسواد الأكبر» (٢٧).

- إن العاقل يدبر الأشياء ويقيسها قبل مباشرتها، فما رجا أن يتمّ له منها أقدم عليه، وما خاف أن يتعذر عليه انحرف عنه، ولم يلتفت إليه (٢٨).

- ابن الجوزي: «مَنْ عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها، نال خيرها، ونجا من شرها، ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة (٢٩).

الهوامش:

١- البيان والتبيين ١/ ٨٣ .

٢- كلمة وكليمة، ص ٦١ .

٣- كلمة وكليمة، ص ٤٢ .

٤- تحت راية القرآن، ص ٣١٤ .

٥- زهر الآداب ١/ ٥٩٩ .

٦- عيون الأخبار ١/ ١٠٧.

٧- العمدة في صناعة الشعر ونقده ١/ ١٨١.

٨- الأدب الصغير، ص ٥٠ .

٩- عصرنا والعيش في زمانه الصعب، ص ٧٥.

١٠- البيان والتبين ٣/ ٢٦٧.

١١- صيد الخاطر، ص ١٦٣- ١٦٤.

١٢- مقدمة كتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٢.

١٣- البصائر والذخائر ١/ ١٧٠.

١٤- التذكرة الحمدونية ١/ ٢٩٧.

١٥- البصائر والذخائر ٢/ ١٢٨.

١٦- المتحدث الجيد، ص ١٨.

١٧- البصائر والذخائر ٤/ ١٦٩.

١٨- البصائر والذخائر ٦/ ١٧٠.

١٩- مجموعة الفتاوى ٥/ ٧٧.

٢٠- البرهان المؤيد، ص ٤٧.

٢١- كليلة ودمنة. ص ٣٠٦.

٢٢- البصائر والذخائر ٥/ ٢٠.

٢٣- سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٧.

طريق الإسراء والمعراج

عفوًا يا رسول الله . . عفوًا يا خاتم الأنبياء والمرسلين . . عفوًا يا من صلى عليك الله وهو الذي أحبك واختارك واصطفاك رسولًا ونبيًا ومبشرًا ونذيرًا إلى يوم تقوم الخلائق لرب العالمين . . يا رسول الله يا من يصلي عليك الملائكة والمؤمنون في كل وقت وحين .

عفوًا يا رسول الله . . إن كانت ذكرى إسرائك ومعراجك تحل علينا ، ونحن فيما فيه من غفلة من أنفسنا . . نسينا ضمائرنا . . هجرنا هويتنا . . ولينا ظهرنا لما يسعدنا في حياتنا فكانت الحياة الضنك . . وهذا الهم والحزن الذي استعذت منه يا رسول الله .

عفوًا يا رسول الله . . أن تحل علينا تلك الذكرى والأمة تئن وتتوجع . . تتضور ألمًا وآهات . . تريد من ينقذها . . يأخذ بيدها . . ينتشلها مما هي فيه . . رحماك يا الله .

رأيتك يا رسول الله في كتاب الله قد أنزل وقد رتل ، رأيتك حقًا في نداء الحق قد هلل وقد كبر ، رأيتك يا رسول الله في ضمير الكون قد بشر وقد أنذر . . رأيتك في كل شيء أحبه وأعشقه لأني لا أحب ولا أعشق إلا اثنين قلت عنهما في حديثك الشريف «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» .

أراك يا رسول الله في شوقي إليك وحبي لك ، وشوقنا إليك وحبنا لك هو أن نسير على منهجك ونلتمس خطواتك لم لا . . وقد جعلك الله واختارك دون بشر الكون وأنبيائه ورسله قدوة وأسوة لنا؟ . . . وشاء الله لك أن تكون هكذا .

وأفضل منكٍ لم ترَقطُ عيني وأجملُ منك لم تلد النساء
خلقت مبرَّأً من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

ونحن في ذكرى الإسراء والمعراج ليلة أن تشرفت السموات وأهلها بلقائك وفتحت لك الحجب فاخترقت لأنك أنت المطلوب ، فأراد ربك أن يُسري عنك رحمة بما لقيت من خصومك وأعدائك ، ورحمة بما تحمل فؤادك من حزن وهم ، فلم تجد بدًا من أن ترفع الأكف خاشعة خاضعة لرب السماء ، تدعوه في ضعف وقلة حيلة ، فاستجابت لك السماء ومنحتك تكريمًا وتشريفًا وحنانًا خاصًا لك وبك ، تقدمت تصلي بالأنبياء إمامًا . . رأيت في السموات السبع الطباق ما جعلك تحوز كل فخار وتكريم إلى أن وصلت إلى سدرة المنتهى فرأيت ما رأيت من آيات ربك الكبرى ، وكان جبريل عليه السلام دليلًا لك وصاحبًا في هذه الرحلة فما أعظم الرحلة وما أروع الصاحب !

الآن يا رسول الله نحنُّ إليك . . نحنُّ إلى مرائيك ومشاهداتك في إسرائك ومعراجك . . وما هي إلا ثمار يانعة شاء الله لك أن تقطفها وتتذوقها وتهديها لأمتك طيبة شهية حلالًا تعشقه فطرة النفس وتهواه غريزة البشر في كل زمان ومكان فقد حان الوقت أن نعيد قطفها والتلذذ بها ابتغاء مرضاة الله وأملًا في سعادة الدارين .

الآن يا رسول الله . . نحنُّ إليك . . نحنُّ إلى مواثيق السماء وقوانين دولتك الخالدة التي أرادها الله أن تكون وما ينبغي عليه أن تكون . . نحنُّ إلى منهجك الذي مقصده سعادة البشر وراحة القلب وطمأنينة الروح وصفاء النفس وسلامة الدنيا والبشرى بالآخرة معك والنبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا .

طريق الإسراء والمعراج . . ما أحلى الرجوع إليك ! وما أروع المسير فيك ! كي ننقذ أنفسنا مما يحيط بنا من آثام وشرور تكاد تفرض نفسها علينا لولا رحمة الله بنا وإيماننا بالله عز وجل . . ولأن الرجوع إليك هو الحياة التي أرادها رب العباد الذي يجيب المضطر إذا دعاه . . الذي يأمر الحجب فتفتح لدعوة المظلوم كي تخترقها لأنه ليس بينها وبين الله حجاب . . نحنُّ إلى المسير في هذا الطريق لنحيا حياة آدمية تتفق وقوانين السماء وتكريم الله لنا خلقًا ورعاية . . أمنًا وطمأنينة . . رحمة وعدلًا .

طريق الإسراء والمعراج . . ما أحلى الرجوع إليك . . ! وما أروع المسير فيك !

عثمان حسين





دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
فيديو كليب
يحلو الوصال
Keep Me True
حمود الخضر
HumoodAlkhudher
DVD
عربي / انجليزي
باكورة الإنتاج العالمي لإدارة الإعلام الديني
ضمن مشروع حملة نفائس (خلك متصل)
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
Iphone 4S
Ipad 2
Galaxy note
لأول مرة
مسابقة .. بلا أسئلة
فقط شاهد الكليب
وسجل اسمك ..واربح
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
سجل بموقعنا
Nafaess.com



الوعي الشبابي

مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن "الوعي الإسلامي"

رئيس التحرير فيصل يوسف العلي

www.shabab.alwaei.com

مجلة شبابية تصدر عن الوعي الإسلامي

تمنحك فرصة لتطوير ذاتك..

إبراز موهبتك..

طرح أفكارك بجرأة

لا تتردد.. نحن معًا..

أصالة ومعاصرة



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



العدد (٥٦٤) شعبان ١٤٣٣ هـ - يونيو / يوليو ٢٠١٢ م



نكبة فلسطين في ذاكرة شعراء الكويت

مجاناً مع العدد براعم الإيمان

- الخطاب الإسلامي والمستقبل
- السراج النبوي ينير درب البشرية الحائرة
- الإعلام العربي.. الانكشاف والتحول
- من أعظم منك يا محمد ؟!



الحروب الإلكترونية والوعي المفقود

الافتتاحية



النفس مجبولة على الشيم، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب، لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة.

ويمر العالم الإسلامي اليوم بمحن عظيمة، ونوازل شديدة، ساهم فيها بشدة تعرّضها لخيانات متعددة، تارة من أعدائها، وتارات –وهو أشد– من أبنائها، وصدق الشاعر:

يُخادعني العدو فلا أبالي وأبكي حين يخدعني الصديق

والخيانة مذمومة في شريعة الله، وتنكرها الفطرة، وهي كلمة جامعة لكل معاني السوء، فهي نقضٌ لكل ميثاق، أو عقد بين إنسان وخالقه، أو إنسان وإنسان، أو بين الفرد والجماعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨)، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢)، وقرن الله جل وعلا بين الخيانة والكفر في قوله جلّ وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨).

والخيانة من سمات النفاق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (متفق عليه)، وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون للحديث: «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غَدْرَة فلان» (متفق عليه)، وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الخيانة كما روى أبوداود أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»، ومن شؤم الخيانة أنها مذمومة حتى مع الكفار، والخونة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»، وهي ظاهرة موجودة على كل الميادين، تقلّ في ميدان وتكثر في آخر.

فخيانة العقيدة من أشنأ أنواع الخيانات، وخيانة الشريعة بعزلها عن حياة المسلمين، وخيانة الأعراض بانتهاكها، وخيانة الكسب بعدم الحرص على الحلال في المطعم والمشرب وغير ذلك، من عدم رد الأمانة، وإفشاء سر المؤمن، والتقصير في قضاء حاجة الناس، ومن معاني الخيانة أيضًا أن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته، ومن الخيانة أن يُسنَد عمل إلى غير أهله، ومن الخيانة خيانة العالم لعلمه، فالعلم أمانة في عنق العلماء، إن بيّنوه للناس وصانوه من التحريف والتلاعب كانوا أوفياء لأقدس أمانة، وإن لم يفعلوا كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، ومن معانيها خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)، ويدخل في ذلك أداء الديون، فالمماطلة بها خيانة.

وأما علاجها، فأن تُربى القلوب على مخافة الله وخشيته، بالعودة إلى الشريعة وأحكامها أولا، وبمجاهدة النفس وحملها على الاستقامة ثانيا.

إذا لم تتسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد
إذا ما المرء لم يخلق لبيبا فليس اللب عن قدم الولاد

فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٤

شعبان ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

يونيو – يوليو ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ .

الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية– ٤ش الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو– الطابق ٦– مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

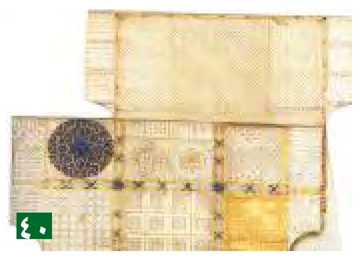


موضوع الغلاف

صار بوسع من يمتلك الفضاء الإلكتروني أن يحجبه عنا أو يحجبنا عنه، وبات بوسعه أن يكشف كل أوراقنا ويتدخل لإفساد حياتنا.



الخطاب الإسلامي والمستقبل



المسلمون.. صناع حضارة وأمراء صناعة



مقامات الحريري.. درة أدبية



مركز البحوث الإسلامية

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

• اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
• لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
• سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
• الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
• مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم . – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
• المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
• مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
• الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
• المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
• سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
• قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
• ماليزيا – شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
• الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
• تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
• المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار •الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها .

المحتويات

كلمة العدد

التطاول على قدوتنا

لوحظ في الآونة الأخيرة بالفضاء الإلكتروني، وفي ظل الحراك المجتمعي بالعالم العربي قيام بعض الشباب من بني جلدتنا بالتطاول على الرسول ﷺ وصحابته الكرام دون مراعاة لخطورة مثل هذه الممارسات على نسيج المجتمع الإسلامي، وما قد تسببه من فتن داخلية تأكل الأخضر واليابس.

ومن المعروف أن محبّةَ محمد ﷺ أصل من أصول الإسلام، وأحد شروط صحة الإيمان، وأن المسلمَ لا يبلغُ كمالَ الإيمان حتى يحبّ محمدًا أكثر من أي شيء آخر، وعندما سُئل علي بن أبي طالب ﷺ يومًا عن حبه لمحمد ﷺ قال «كان والله أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظّمأ».

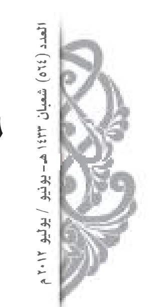
والإسلام يعتبر الاحتكامَ إلى الرسول ﷺ والرضا بحكمه شرطًا للإيمان، وقد أجمع المسلمون على حرمة أذيّته، وأنه إنسان كامل من كلّ النواحي، منزّه عن كلّ عيب أو نقص، وأنه أُعطي الحسن والجمالَ كلّه..

نقول لكل من تسول له نفسه بالطعن في شخص رسولنا المصطفى أو صحابته الكرام، اتقوا الله، وحققوا محبتكم بالاتباع لسنته، والامتثال لأوامره، وأظهروا ذلك في أعمالكم وأموالكم، واحفظوا لرسولنا الكريم مقامه، واسترشدوا بهديه، وكما قال الجنيد: «الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على مَن اقتفى أثر الرسول ﷺ واتّبع سُنّته ولزم طريقته؛ فإن طُرُقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه».

• ارتأت إدارة التحرير مواكبة التطورات الحديثة في مجال الصحافة المطبوعة، فأدخلت بعض التغييرات على المجلة شكلا وموضوعا، آملين أن يصبح هذا العدد متميزا عن سابقيه، وأن يكون مضمونه الموضوعي ملتحما بالقضايا والأحداث المعاصرة في الوطن العربي، خاصة أن الساحة الإسلامية تشهد العديد من التغيرات الاجتماعية والفكرية والثقافية، في ظل حراك حيوي تعيشه الأمة الآن.

التحرير

الاشتراكات • داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)





غازي عين تاب (تركيا) - فيصل يوسف العلي

عقدت مجلة «حراء» ومجلة «يني أميد» مؤتمرًا دوليًا تحت عنوان «السراج النبوي ينير درب البشرية الحائرة» بحضور نخبة من العلماء والمفكرين والمثقفين عن تركيا والعالم العربي والإسلامي، وذلك خلال يومي ٥-٦ مايو الماضي في مدينة غازي عين تاب بتركيا.

وقد وجه العالم الفاضل فتح الله كولن رسالة للحاضرين في المؤتمر قائلًا: إن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى درب الأنبياء وسبيلهم الذي يراعي العقل والمنطق والفكر والحس والقلب والوجدان والحوائج الفطرية والبشرية جميعها لبني الإنسان.

وقال كولن إن كل حركة نبوية تعد طريقًا مشتركًا في القضايا الأساسية منذ الإنسان الأول، والتي نبهت إلى الأساسيات كالتوحيد والبعث والنشور والنبوة والعبودية والعدل، وأدامت الإرشاد والتنبيه وأنواع التحذير بشأن المسائل التبعية حسب الزمان والشروط العامة ودرجة النضج الإنساني.

وأوضح أن القرآن الكريم هو مرجع أساسي لحل معضلات الإنسانية التي بلغت أشدها مبينًا أن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى «بعث ما بعد الموت» وإصلاح جاد في ملكاته العقلية والروحية والفكرية، وبإفادة دافئة إلى إحياء متطلبات أصناف البشر كلهم ويحتضن الحياة كلها.

من جهته أكد مفتي المملكة الأردنية الشيخ عبدالكريم الخصاونة أن المجتمعات على اختلاف أنواعها وتعدد مشاربها لا تقوم على جادة الحياة الصحيحة إلا إذا تآلفت قلوبها وزكت نفوسها واستمسكت بسنة نبيها ﷺ وإلا فسيظل الناس يجرون وراء الميول الدنيوية والمطامع الشخصية، ويلهثون وراء الملهيات والشهوات.

وبين الخصاونة أن الإسلام سعى إلى تنمية الجانب الروحي لأنه يقود الإنسان إلى العواطف النبيلة والمشاعر الإنسانية الجميلة، ويعرج به إلى عالم الروح ويخفف من شدة الغرائز والشهوات والمتطلبات المادية.

من جانب آخر أوضح رئيس تحرير مجلة «حراء» نوزاد صواش أن الرسول الأعظم ﷺ منذ أقام سرادقه على وجه الأرض توجه إلى فتح القلوب وسعى إلى رسم حقيقة الإيمان في كل وجدان وعلمنا بذلك حكمة كبرى وهي أن الإيمان كلما كان متجذراً في القلوب كانت إشراقاته في مجالات الحياة المختلفة ساطعة متألقة، فهو الجوهر الأساس في بناء الذات وفي بناء العمران.

بدوره قال مدير معهد المناهج في الجزائر د.محمد بابا عمي إن البشرية تسير مهرولة نحو حتفها، وتستعجل عنوة خرابها ودمارها، وتأكدت ألا شيء من محاولاتها البائسة يستطيع انتشالها من براثن الشقاء والهلال

الطرف الوحيد الذي يملك مفاتيح الحل ويضع يده على فتيل السراج هم العلماء الصالحون المصلحون



جانب من جلسات المؤتمر

والدمار، لافتا إلى أن أصدق وصف يليق بحال البشرية اليوم هو وصف «الحيرة» بعدما عرفت قرونًا من «الوهم» و«الغرور» و«الادعاء»، وجربت شتى «النظريات» والأيدولوجيات» و«الفلسفات».

وطالب العالم المسلم المستنير بالوحي والسراج المنير أن يحمل على عاتقه مهمة تصحيح الرؤية الكونية، من خلال إحلال «الرؤية الكونية التوحيدية» بديلا عن «الرؤية الكونية المادية الإلحادية» وفي الدوائر العلمية المختلفة مشيرًا إلى أننا مدعوون إلى أن نكون أرفع من الأرض مستوى وأعلى منها قدرًا وأكثر منها نفعًا وأزكى منها صدقًا وإلا اعتبر خطابنا مجرد «ادعاء فارغ» وكلام لا يصدقه العمل.

وأضاف: الأعاصير الهوجاء تعصف بجميع بلاد المسلمين، وهم في جميع الأحوال الضحية الأولى والمتهم الأول، فلا ينتظر الكثير من مدخل السياسة ولا من باب حقوق الإنسان، ولا من أي جهة مهما كان شأنها، وإنما الطرف الوحيد الذي يملك مفاتيح الحل ويضع يده على فتيل السراج هم العلماء الصالحون المصلحون من كل تخصص وفن.

من جهة أخرى اعتبر أستاذ اللغة العربية في جامعة الأزهر د.فتحي حجازي أن علاقة الوحي بالنبي ﷺ



رئيس التحرير يلقي كلمته بجوار نوزاد صواش

هي علاقة استمداد واستمرار، أي استمداد الأنوار من الوحي بإلقاء أنوار الوحي في قلبه ﷺ، ثم تستمر الأنوار فيه وتسري، وتبقى بعد انتهاء حالة الوحي في جسده المشتمل على قلبه وروحه ونفسه.

وقال حجازي إن النبي ﷺ كان في شخصيته الذاتية مقومات الدعوة ومنهجها، وكان مثالا يحتذي به الدعاة في كل زمان ممن وفقهم الله إلى استمداد أنوار هدايته ﷺ، وهذا جانب من جوانب عظمته ومكانته التي نطق بها القرآن.

جدير بالذكر أن المؤتمر شهد حضورًا جماهيريًا كبيرًا من مختلف أطياف المجتمع الإسلامي لاسيما أن محاور نقاشات المتحاورين كانت حول عالمية المنهاج النبوي وربانيته، والمشاكل الاجتماعية وحلولها من المنهاج النبوي، والمنهاج النبوي والحياة الاجتماعية، وأفق العلم وفلسفة التربية والتعليم في المنهاج النبوي، وسعادة الإنسان وأمنه، وتوقير السلف الصالح.



في منتداه الـ «١١» بدبي بحضور ٣ آلاف إعلامي

الإعلام العربي.. الانكشاف والتحول

دبي: عبادة نوح

أوصى المحاضرون في منتدى الإعلام العربي الـ ١١ بضرورة توطين المفاهيم الإعلامية وإيجاد صياغة جديدة تكون مجتمعية إعلامية شاملة، لضبط إيقاع المجتمع العربي، حيث يرون أن مسؤولية النهوض بالإعلام تقع على عاتق عدة أطراف، بدءًا من الإعلاميين المهنيين مرورًا بالمجتمع والحكومة وانتهاء بالمؤسسات التعليمية، إلى جانب ضرورة وضع التشريعات المتلائمة مع مرحلة التغيير والنهوض.

ودعا المشاركون إلى أهمية استشراف مستقبل صناعة الإعلام في العالم العربي في ظل الحراك المجتمعي الواسع، ابتداء من اللغة المستخدمة في التعبير عن الرأي والحوار، مرورا بدور الخطاب الديني في الإعلام الفضائي والشبكي، إلى نظرة في المنتج التلفزيوني وتحديات الابتكار أمام المنابر الفردية الإلكترونية، مع أهمية استحضار الضمير الإعلامي ومواثيق الشرف الإعلامية لضبط نزوع الإعلام إلى الفوضوية في المجتمع.

جاء ذلك في منتدى الإعلام العربي بدورته الحادية عشرة الذي عقد بفندق جراند حياة في دبي خلال يومي ٨ و ٩ مايو الماضي وبتنظيم من نادي دبي للصحافة تحت عنوان «الإعلام العربي: الانكشاف والتحول»، بحضور أكثر من ٣٠٠٠ إعلامي من المنطقة العربية ومختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى نخبة من صناع القرار، وقادة الرأي، ورواد الأعمال، وقد شمل برنامج



المنتدى ثماني جلسات وأربع ورش عمل سلطت الضوء على آراء وأفكار أكثر من ٦٥ متحدثًا من الأوساط الأكاديمية والإعلامية والبحثية في المنطقة العربية.

ولعل جديد المنتدى هذا العام هو إصدار تقرير استرشادي بعنوان «نظرة على الإعلام العربي ٢٠١١-٢٠١٥» والذي يسلط الضوء على التطورات الإعلامية في ١٧ دولة عربية، موضحا أنماط الاستهلاك الإعلامي في عدة دول.

واعتبر المشاركون في المنتدى أن المشهد الإعلامي في الآونة الأخيرة يتطلب واقعا جديدا لشكل وطريقة سريان المعلومة والتأثير في الرأي العام، لاسيما أن بعض وسائل الإعلام مازالت تسير أعمالها وتخاطب الجمهور بالطريقة التي كانت عليها في فترة ما قبل الربيع العربي، وكأن القائمين لم يستفيدوا من دروس مرحلة الحراك والتغيير.

وقالوا إن الصورة تزداد تعقيدا في المجتمع العربي الذي يمثل الشباب النسبة الأكبر بين سكانه، حيث بينت دراسات عدة أن الأسلوب النقدي الحاد الذي يستخدمه الإعلاميون الجدد له أسباب كثيرة منها نقص في معرفة أساليب العمل الصحفي وتقاليده، خاصة أننا أمام جيل جديد سوف يكون صحافيا بالفطرة الإلكترونية.

وأشاروا إلى أن الخطاب الإعلامي الديني العربي يحتاج إلى تجديده ومقابلة الفكر بالفكر، والحجة بالحجة في التعاطي مع الاضطرابات والمتغيرات المتلاحقة في المنطقة العربية، ومواجهة الفتن والحد من انتشارها وتقريب وجهات النظر، خاصة أن الاحصائيات تؤكد بأن المحتوى الديني بات يحتل مراتب متقدمة في المتابعة، إلى جانب المحتوى الترفيهي والسياسي، في ظل وجود ٥١ فضائية دينية عربية في العام ٢٠١١.

بدوره قال الشيخ محمد بن راشد نائب رئيس الإمارات وراعي المنتدى: إن عنصر الشباب مؤشر على التجديد، وإن منطقتنا تمر بتحولات عميقة، والإعلام جزء رئيسي من هذه التحولات، ومن سينجح في قيادة التغيير في قطاع الإعلام سيحجز له مكانا مهما في المستقبل" مهما كان حجم التغييرات في الإعلام، مبينا أن الحقيقة الثابتة هي أن ما ينفع المجتمع فكريا وثقافيا وتنمويا سيبقى



استحضار الضمير المهني ومواثيق الشرف الإعلامية لضبط نزوع الإعلام إلى الفوضوية

لابد من وضع تشريعات تتلاءم مع مرحلة التغيير والنهوض في العالم العربي

والباقي ستطاله رياح التغيير.

وطالب المسؤولين والقيادات الإعلامية والصحافية بضرورة التمسك بالعادات والتقاليد واللهجات العربية المحلية حتى يتسنى للمواطن العربي الاحتفاظ والمحافظة على هويته الوطنية والقومية معتبرا أن اللغة العربية هي رمز الانتماء للعروبة وللوطن العربي الكبير وهي لغة القرآن الكريم.

من جهتها أكدت المديرة التنفيذية لنادي دبي للصحافة مريم بن فهد أن المنطقة العربية شهدت تغيرات جذرية خلال ال ١٨ شهرا الماضية، الأمر الذي أثر بشكل كبير في الإعلام في المنطقة، كون الإعلام العربي ليسَ مرآةً للواقع والأحداث فقط، وإنما هو في قلبها دائمًا وشريكٌ في صُنعها أحيانًا بخاصةً في زمن تكاثر الفضائيات، ومواقع الأخبار، والشبكات الاجتماعية، وصحافةَ المواطن، لذلكَ لم تكن دورةُ المنتدى لهذا العام لتَخرُجَ عن السياق العام في العالمِ العربيّ، سياق التغيير والانكشاف.

من جانبه أكد د.فاروق الباز مدير مركز أبحاث الفضاء في وكالة ناسا، أن ١٢٠ مليون عربي، أي ما نسبته ٣٦٪ من العرب لا يعرفون القراءة والكتابة، داعيا إلى ضرورة أن يأخذ التعليم حيزًا أكبر لدى وسائل الإعلام العربية، التي أفردت الصفحات والساعات الطويلة، لامتداح الحكام وتجاهل الطبقة الفقيرة المطحونة وتدني مستوى التعليم في المنطقة، كما تجاهل الإعلام العربي مشكلات البحث العلمي.

وقال الباز: الشباب العربي متميز قادر على تغيير الخريطة العربية، كما أن باستطاعته التغلب على المشكلات التي تواجهها المنطقة، على عكس الجيل الذي أنتمي إليه، وأسميه الجيل الفاشل، نتيجة فشله في تحقيق تطلعات العرب، وأنا أقول لجيل الشباب: نحن أخطأنا في عملنا ونترك العمل لكم في الوقت الحالي، لذلك يجب أن تتحلوا بالعزيمة والصبر لتحقيق ما عجزنا عن تحقيقه نحن.

من جانب آخر قال وزير الإعلام الكويتي الأسبق سعد بن طفلة: إنه في الآونة الأخيرة ارتفعت المشاهد الإنسانية المؤثرة على

الخطاب الإعلامي الديني يحتاج إلى تجديد ومقابلة الفكر بالفكر والحجة بالحجة

جديد المنتدى: تقرير استرشادي حول الإعلام في ١٧ دولة عربية خلال الأعوام ٢٠١١-٢٠١٥

القنوات الإخبارية الناجمة عن الحروب والنزاعات والعنف، ومن الطبيعي أن ينقل الإعلام بمختلف مكوناته صورة الواقع المعيش، إلا أن الخارج عن سياق المألوف أن تنتقل فوضى الشوارع لتصل إلى أقلام بعض الكتاب والنُخب، فنقرأ آراء لا تخلو من العنف اللفظي، ونشاهد مشادات وتراشقًا إلكترونيًا تسوده روح الحقد والكراهية ولغة الشتم والتجريح والتشهير والتهديد، وامتد المشهد إلى البرامج الحوارية في الفضائيات والقنوات العربية، وشاهدنا المتحاورين يستخدمون الكراسي لأكثر من أغراض الجلوس عليها فقط! ليتحول الحوار على الهواء إلى مصارعة حرة!

في المقابل قال الإعلامي وائل الإبراشي إن الإعلام أصبح في السنوات الأخيرة هو المشكل الأساسي لوعي الناس سواء المهني أو الإلكتروني، كما أن الإعلام أصبح هو الملاذ الوحيد لحل المشاكل، قائلًا إنه لا مانع أن يتحول الإعلام إلى حلبة مصارعة تتصارع فيها الحجج والأفكار بشرط أن يفوز المشاهد مع الالتزام بالقواعد الأخلاقية والمهنية وألا يكون الصراع بالكلمات لكن بالكلمات، مشيرًا إلى أنه لا يوجد حتى الآن ميثاق شرف إعلامي يضعه أصحاب المهنة.

بدوره أوضح المذيع في إذاعة بي بي سي، سمير فرح، أن ما تشهده حالة الحوار الإعلامي ربما يكون عدم نضج للاستماع إلى الآخر، أو ربما هي مرحلة مؤقتة يمر بها الإعلام العربي، لافتا إلى أن الصراع ناتج عن أن هناك أشخاصًا غير معتادين على المساءلة، وأشار إلى أن المذيع وفريق الإعداد عادة ما يريدون حوارًا ساخنًا يجذب الجمهور إلا أن بإمكان مدير الحوار تهدئة الأوضاع إذا خرجت عن الإطار.

وفي ضوء نتائج الإصدار الرابع من تقرير «نظرة على الإعلام العربي ٢٠١٢-٢٠١٥»، قام نادي دبي للصحافة وأبكو العالمية بإجراء مسح لرصد دور وتأثير الناطقين الرسميين باسم الحكومات الأجنبية. وشمل المسح استطلاع آراء نخبة من قادة الرأي في منطقة الشرق الأوسط لقياس أداء الناطقين الرسميين، ومدى تقبل الجمهور لبياناتهم باعتبارها ذات مصداقية وموثوقية.

وقال مأمون صبيح، المدير العام لشركة أبكو العالمية في المنطقة العربية: «تظهر الدراسات والإحصاءات أن النسخ العربية من الفضائيات الأجنبية لا تستحوذ على نسب عالية من المشاهدة، مما دفعنا للبحث في كيفية مساهمة المتحدثين باسم الحكومات الأجنبية في هذا الاتجاه. وتشير أبحاثنا إلى أن الناطقين باسم حكومات أجنبية يمثلون جزءًا من المشهد الإعلامي العربي، فهم كثيرا ما يظهرون على وسائل الإعلام العربية، في البرامج الحوارية والقنوات الإخبارية».

وأظهرت الدراسة أن ٤٧٪ من عينة قادة الرأي العام العربي يفضلون أن يتقن المتحدث الرسمي غير العربي اللغة العربية، في حين أن ٤٤٪ يفضلون أن يستخدم المتحدثون الرسميون لغتهم الأصلية مع ترجمة باللغة العربية. وقال ٩٪ فقط أنه لا فرق لديهم.

ويوضح صبيح في هذا الإطار: «تشير هذه النتائج إلى أن الناطقين الرسميين ينبغي أن تكون لديهم القدرة على تقديم المعلومة باللغتين. وبينما نهتم بمعرفة تفضيلات اللغة في إيصال المعلومة، فمن الأهم أن نفهم كيف يقيم قادة الرأي العام العربي مصداقية المعلومة التي يتم تقديمها».

وتطرقت الدراسة إلى العلاقة بين عدد المرات التي يُذكر فيها بلد ما في وسائل الإعلام العربية ومصداقية تلك المعلومات، حيث أظهرت النتائج أن الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة تظهر بشكل متكرر في وسائل الإعلام العربية. وبالنسبة لمعظم البلدان، فإن هناك علاقة خطية بين عدد المرات التي تُذكر فيها البلدان ومستوى انتشارها بين الجمهور. وعلى الرغم من الظهور المتكرر للولايات المتحدة والمملكة المتحدة في وسائل الإعلام العربية، فإن المعلومات بشأنها أقل مصداقية من تركيا وفرنسا. ويوضح صبيح بالقول: «إن هيمنة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لا يمكن إنكارها، ومع ذلك، فإن العرب لا يولون نفس القدر من الاهتمام، وبالتالي فإن هذه الدول تواجه خطر أن تصبح مصادر غير موثوقة للمعلومات. من ناحية أخرى، تتمتع تركيا وفرنسا بوضع جيد يؤهلها للاستفادة من مصداقيتها».

وعلى هامش فعاليات المنتدى اتفق المتحدثون في ورشة عمل «نجوم تويتر وصدى التغريدات!!» أنه لا يمكن اعتبار تويتر معيارًا للتأثير، كما أن تويتر قد يكون سبق العالم العربي في الحوار، مؤكدين في الوقت ذاته أن المستقبل لمواقع التواصل الاجتماعي، حيث إن جذب مستخدمين إلى «تويتر» لتتبع ما يتم كتابته، يتوقف على تقديم ما هو مفيد، خاصة في ظل التضليل الإعلامي، الذي تعرض له جمهور بعض البلدان العربية، إلا أن تأثيره في الوطن العربي يبقى محصورًا على مستخدمي شبكة الإنترنت، كما يتوجب على المستخدمين النشطين الكتابة حسب لغة واهتمامات المتابعين لهم.

بينما تحولت ورشة العمل الثانية التي حملت عنوان «الشباب العربي.. أما آن أوان ربيعهم الإعلامي؟» إلى جلسة مقارنة بين الإعلام التقليدي والحديث، ومدى ملاءمة كل منهما لمواكبة التغييرات النفسية التي طرأت على المواطن العربي في ظل التطور التكنولوجي لأساليب الإعلام وأدواته، وضرورة الاستفادة من الشكلين من أجل الحصول على صيغة إعلامية تحافظ على الرزانة والدقة الموجودة في الإعلام التقليدي من جهة، وتستفيد من تطور التكنولوجيا واعتماد الشباب على الإنترنت في استقاء المعلومات من جهة أخرى.

بين الفقه والحركة

أحمد عبدالجواد زايدة
باحث في الأزهر الشريف

«ينبغي علينا أن نسترشد بالواقع في فهم النص؛ وأن نضيء الواقع بنور الوحي؛ لا أن نلوي أعناق النصوص من أجل خدمة الواقع؛ فيكون النص محكوما لا حاكما!». جُملة قالها لي أحد الأساتذة الكرام منذ ما يزيد على خمس سنوات ولا يزال صداها يتردد في أذني حتى الآن، ويثبت الواقع وتثبت الأحداث مدى حاجتنا إلى تأملها وتدبرها!

يقودنا هذا إلى سؤال: أيهما يكون أولا: الفقه أم الحركة؟ حركة الفكر أم فكر الحركة؟ بتعبير أستاذنا العلامة د.أحمد الريسوني- فأيهما سبق سبق! ومن كان له السبق حاز التوجيه! وهذه معضلة ينبغي على العاملين في العمل الإسلامي بمختلف مؤسساته وشتى مجالاته أن يتدبروها ويَصدموا أفكارهم وعقولهم بها! من أين ننطلَق وكيف نُحدد بوصلتنا؟ ومن أين نبدأ وما هي وجهتنا؟

أعني بالفقه (هُنا): الفقه بمعنى الصياغة الكلية وليس بمعناه الجزئي، إذ إن الأخير ما هو إلا أحد نواتج الأول الذي يتضمن «فقه الواقع- بمختلف علومه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وشتى العلوم الإنسانية» بالإضافة إلى «الفقه السنني» الذي يحتوي على سنن الله في قيام الأمم وسقوطها وقيام الحضارات وهبوطها وسنن الله في الأنفس والآفاق وسنن العمران بمختلف مستوياته «إذ إن هذه صناعة أخرى تبذل في تعلمها الأعمار وتؤلف فيها الأسفار»؛ ومن تدبر كتاب الله لمس ذلك وأدرك ماذا يعني ويقصد بالسير والتدبر والنظر في عواقب الأمم والأمر بذلك، وذكرُ قصص بادَ وهلكَ أصحابها لأنهم خالفوا سنن العمران بالظلم والاستبداد في الحكم والطغيان «والظلم مؤذن بخراب العمران- بتعبير العلامة ابن خلدون- وهدمٌ لمقاصد الإصلاح المدني وأساسيات التمدن الإسلامي؛ كما حدث في قصة فرعون وهامان وقارون» استبداد في السلطة ونفاق في المشورة وكنز للثروة، بالإضافة إلى شعب استخفه حاكمه فرضخ! فكانوا «قوما فاسقين»؛ فعلمنا أن هذا هو مثلث الاستبداد «فرعون أشِر؛ وهامان أبطر؛ وشعب رضخ للاستبداد وقبل بالذل»؛ .

وأضف إلى ما سبق من أصناف الفقه «فقه المقاصد، والمصالح والمفاسد، والمآلات»؛ وكذلك الفقه الجزئي الذي يهدف إلى تحقيق مصالح الناس والحفاظ على منظومة العدالة في حياتهم وتحقيق التوازن المجتمعي بين الطبقات وحفظ حقوق الناس ودفع المضار عنهم؛ لذا قلت في البدء إني أعني بالفقه هنا «الفقه» بمعنى الصناعة الكلية الذي يدخل تحته صنوف عديدة من الفقه بما يمكنه من صناعة الواقع؛ بل تغيير العالم!

أما ما عنيته بـ«الحركة» فأقصد بها مؤسسات العمل الإسلامي جميعها من شتى التيارات ومختلف الانتماءات وكل من يعمل من أجل تنزيل مقاصد هذا الدين في المجتمع وترشيد السلوك المجتمعي بما يحقق إخراج أمة الشهود عبر إخراج إنسانها المسلم بالمقام الأول!

ولا يقف «مدلول الحركة» ها هنا على مؤسسات المجتمع المدني والحركات الإصلاحية المجتمعية ولاسيما أن بعضًا منها قد أفضى به الحال إلى سُدة الحكم وموضع القيادة: فأصبحت المسؤولية جد خطيرة بحيث يصير الخطأ فيها.. خطيئة!

انطلاقا من هذا الهمّ ومن الشعور بخطورة هذه المسؤولية وإحسَاسا بغياب ملاحظة كارثية «هذه الفجوة الموجودة بين الفكر والفقه من جانب والحركة من جانب آخر» كانت هذه الكلمات.

هل تنطلق هذه الحركات- التي أصبح بعضها حكومات! وبعضها الآخر.. ينتظر! هل تنطلق من رؤى استراتيجية ناتجة عن عقول علمية يتم إعدادها لهذا ولديها مكنة الصناعة الفقهية الكلية- كما سبق توضيحه؟! .

أم أن الحركة تأتي أولا ويأتي الفقه والفكر ثانيا أو ثالثا؟! يأتي لا ليؤسس بل ليُبرر ويكيّف ويضرب الأعذار ويلتمس الحجج! ولا أدري لعمرُ الله أي فقه هذا الذي تصنعه الحركات ويدشنه الواقع؟!

هذا كلام ليس من محض خيال بل هو كلام من الميدان! من ميدان التجربة وواقع المعاناة وأمثلة حاضرة في الأذهان وواقعة في الأعيان ويكفي فقط تقليب النظرِ لرؤيتها!

لقد كنا ننتقد مرارا وتكرارا من يُسمّون بـ«فقهاء وعلماء السلطان» الذين يبحثون عمّا يريد الحاكم فيريدوا ما أراد؛ وينظرون أين يميل المستبد فيميلوا حيث مال! أمَا وقد بدأت الأمة تتخلص شيئا فشيئا من مثل هذه الظاهرة؛ فلا يليق ولا يصح أن ينشأ فقه جديد يأتي ليُطعم الصورة والمشهد من الخارج دون أن يؤسسه من الداخل ويقيم بنيانه من الجذور!

وما أرغب في ترشيده هنا أن يكون الفقه- كما سبق ذكره- والفكر- بمفهومه الشامل المتخصص في كل مجال- صاحب الأثر في صياغة الرؤية وصناعة الاستراتيجية وبلورة السياسات العامة.

إن حركة الفكر إذا سبقت فكر الحركة- وانعتقت من قيوده وأغلاله- استطاع أن يكون حاكما وموجها وحدث تقدمٌ بيِّنٌ واختفى- بشكل كبير- الاضطراب والتخبط الحادث؛ وكان العاملون عاملين على بصيرة! أمّا إذا سبق فكر الحركة حركة الفكر لن تبرح الأهداف مكانها؛ وسنجد أنه مات الفقه وخمِل الفكر وأصبحت الحركة مُستنزفةً للفكرة ساحبةً من رصيدها بل دمائها حتى تُجهز على حياتها!

ما أبدع توصيف العلامة الفقيد الشيخ د.فريد الأنصاري- رحمه الله- حينما تحدث عن بعض آفات حركات العمل الإسلامي فقال بأننا أصبحنا ننطلق من «العمران إلى القرآن» وليس من «القرآن إلى العمران»! فبعد أن نؤسس العمران نأتي لنُحليه بنكهة إسلامية وبنصوص قرآنية وحديثية؛ لكن أساس العمران بعيد عن ذلك تمام البعد! .. فهل من مُتدبر؟!

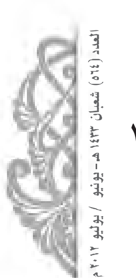


أول رئيس أزهري منتخب لمجمع اللغة العربية د.حسن الشافعي:

الثقافة المحلية هي تراث للإنسانية

حوار: بدر محمد بدر (صحفي)
مريم عبدالحميد (دار الإعلام العربية)

في فبراير الماضي اختار أعضاء مجمع اللغة العربية الدكتور حسن الشافعي رئيسًا جديدًا خلفًا لرئيسه السابق الأستاذ محمود حافظ؛ ليكون أول رئيس أزهري منتخب للمجمع، ما يعد سابقة استثنائية في تاريخه؛ وسبق للشافعي تولي مناصب عدة منها عضوية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وعضوية مركز الدراسات الإسلامية بجامعة القاهرة، عضوية المجلس العلمي لكلية الدراسات العليا بمانشستر إنجلترا، عضوية مجلس أمناء الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، عميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بإسلام أباد عام 1983م، نائب رئيس الجامعة الإسلامية للشؤون الأكاديمية عام1985، ثم رئيس الجامعة الإسلامية، ورئيس المكتب الفني لشيخ الأزهر.. وللشافعي إنتاج علمي غزير.. وقد التقته «الوعي الإسلامي» وكان لنا هذا الحوار:





● ما طموحاتكم لتطوير مجمع اللغة العربية، بعد فوزكم برئاسته؟

– طموحاتي تكمن في إنجاز أعمال ثلاثة: المعجم الكبير، والمعجم التاريخي، وتكثيف الخدمات اللغوية الموجهة إلى الشبيبة العربية، أطفالاً وشبابًا؛ فإن الكهول قد تم تكوينهم، والشيوخ قد أدوا ما عليهم، والفئة الأولى هي صاحبة المستقبل، وهي المطلوبة في الأوضاع الثقافية والتعليمية الراهنة؛ وينبغي تسريع إصدار المعجم المصور، وإتباعه بمعجم الصورة والصوت، وتشجيع تأليف الكتب «المقررة» في فروع العلوم اللغوية (النحو والصرف والبلاغة والأدب) حسب المواصفات التي انتهت إليها لجان المجمع، عندما درست «العربية في التعليم ودور المجامع».

● وصفتم العولمة في تصريح لكم بأنها جائرة، فما الذي دعاكم إلى ذلك؟ وما رؤيتكم لمفهومها؟

– العولمة بالمفهوم الموضوعي هي ثمرة من ثمرات التواصل وثورة المعلومات وثورة الاتصالات، فأصبح العالم كما يقال قرية واحدة، فالأمور التي تثور في منطقة من المناطق لا تعني أصحابها فقط؛ لسببين: الأول، أنها تنتقل فور حدوثها، فلا يمكن الآن التكتم على أحداث محلية، السبب الثاني، أنها تؤثر في الآخرين، فعلى سبيل المثال الأزمة المالية العالمية، بدأت في الولايات المتحدة وانتقلت إلى مختلف أقطار العالم، فالعولمة بمعنى وحدة الاهتمامات العالمية وتحول المشاكل فور وقوعها إلى قضايا تهم أطراف أخرى حول العالم؛ هذا مفهوم إيجابي وتقدمي ويعتبر طفرةً في الفكر البشري.

أما العولمة التي نصفها بأنها جائرة فهي ليست بهذا المعنى المنشود، لكن باعتبار المفهوم الغربي الذي يعني تغليب ثقافة معينة ولغة معينة ومصالح معينة في أنحاء العالم، بحيث إن بعض اللغات المحلية تختفي، وبعض الثقافات تتأثر أو تضعف لحساب الثقافة الغربية، وبحيث إن شعبًا واحدًا هو الذي يتحكم في مصائر باقي شعوب العالم.

هذا هو المفهوم الجائر للعولمة.

ولاشك في أنه على المستوى العلمي والأكاديمي هناك تشارك وتواصل بين مختلف الثقافات على مستوى العالم، لكن على مستوى الحرب والسلام وعلى المستويات العسكرية والإستراتيجية لها معنى آخر، هو تغليب مصالح الغرب وحلفائه على حساب الآخرين جميعًا؛ فأي ثقافة محلية في أي ركن من أركان العالم هي تراث للإنسانية ينبغي الحفاظ عليه وتنميته، وليس إضعافه.

هذا هو الجانب الفاسد من العولمة الواقعية وليس العولمة المنشودة.

● وما أبرز ملامح خطتك للارتقاء بالمجمع؟

– الحقيقة يجب أن أبدأ بشكر السابقين؛ لأن المجمع يعمل بإخلاص طوال ١٢٠ عامًا وفق الإمكانات المتاحة له، وكانت مشكلته ضعف العلاقة بينه وبين المثقفين والجامعيين العرب والإعلام بوجه عام، لست أريد أن ألقي الكرة في ملعبكم؛ لأننا لا نملك الاتصال بالرأي العام، فقد كانت هناك نظرة جائرة إلى المجمع في فترة سابقة، وأعترف بأن المَجمع مقصر في عقد الصلة مع مجتمعنا الثقافي ومع الرأي العام والإعلام بوجه عام، لكن في هذه الأيام أصبح الإعلام جزءًا من المنظومة الثقافية، ويسهم بشكل أو بآخر في القضايا الثقافية واللغوية والحضارية بوجه عام، لذلك نحن نريد عقد الصلة بين المجمع والمثقف العربي؛ لإعادة إنتاج المجمع بشكل مختلف.. ونحن لدينا عشرون لجنة علمية: واحدة في الأدب وثانية في الشريعة والعلوم الشرعية، وثالثة في الفلسفة وعلم الاجتماع وسائر العلوم الإنسانية ثم العلوم البحتة كالرياضيات والاقتصاد القياسي وهو استخدام الرياضة في علم الاقتصاد، والغرض من هذه اللجان كلها إحياء التراث، فاللغة ليست وعاءً فحسب لكن وعاءً ومحتوًى، كلمةً ومعنًى، ولا يمكن فصل المعنى عن الكلمات،



نحن نريد إحياء اللغة وتراثها القديم لخدمة اللغة المعاصرة. وكل يوم تُخلق مصطلحات جديدة لا يكاد يحصيها أي متخصص، فضلًا على مثقف عام، فهذه اللجان تتابع حركة العلم العالمية وتترجم المصطلحات الأجنبية شرقية أو غربية إلى اللغة العربية لكي يتعرب التعليم.

• وما دور المجمع في التصدي لظاهرة كتابة العربية بحروف إنجليزية؟

– فكرة قديمة عرضها أحد أعضاء المجمع وكان رجلا فاضلا، لكن لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة، فقد نادى بكتابة العربية بحروف أجنبية وشابهه طه حسين في بعض اقتراحاته، وأن اللغة العربية تكتب سماعية حسب السماع، لكن لا توجد لغة في العالم تكتب حسب النطق، فالكتابة تخضع لاعتبارات معينة وليس لمحاكاة ما ينطقه العامي في الشوارع، أميركا الآن تدرس في جامعاتها اللغة العامية والإنجليزية سماعية ويكتبون العربية كما تنطق، وهذه الطريقة تفسد اللغة وتقطع ما بين الدارس العربي وتراثه.

• يُعنَى المجمع بتحقيق كتب التراث.. فما الفائدة العلمية التي تعود على اللغة من ذلك؟

– الفائدة ضرورية وحيوية؛ لأن القرآن يفهم بالمعاني التي كانت زمن نزوله؛ لذلك المفسر والفقيه لابد أن يعرف الشعر الجاهلي، فهناك كلمات لا تفهم إلا في اللغة التراثية، واللغة العربية لغة محافظة ممتدة ليست كالإنجليزية واللاتينية التي ينشق عنها لغات أخرى وتحدث قطيعة بينها وبين التاريخ القديم للغة، ليست العربية كذلك إنما هي لغة واحدة وممتدة.

• قضية تعريب العلوم، وقضية تعليم الناشئة في مدارسنا للغة العربية، بعد مزاحمة اللغات الأجنبية لها، هل هناك اتجاه من مجمع اللغة لتعزيز تعلم العربية؟

– في الحقيقة سبق للمجمع في سنواته الثلاث الماضية أن درس ثلاث قضايا: اللغة العربية في التعليم، واللغة العربية في الإعلام، واللغة العربية ومنظمات المجتمع المدني، وما أشرت إليه من التعريب وغيره، فالواقع أن المقترحات والمشاكل التي نعاني منها قد دُرست في المؤتمرات الثلاثة، وخاصة التعليم الأجنبي الخالص، نحن لسنا ضد تعلم اللغات الأخرى، بل إن العربية في أعز أيامها وأقوى أوقاتها كانت وثيقة الصلة باللغات الأخرى، خصوصا في أيام الخليفة المأمون، ومن بعده منذ القرن الرابع الهجري، وكانت تُعد اللغة العلمية الأولى في العالم، إلى الحد الذي كان باباوات روما، إذا أرادوا أن يتصلوا بالفكر العالمي فإنهم يتعلمون العربية، وحتى الآن ما تزال إمضاءات بعض الباباوات على هوامش الكتب العربية القديمة مخطوطة وباقية.

فالعربية كما قلتُ كانت لغة العلم والثقافة والفكر في العالم، لكن الآن كما نعلم لا يقتصر الأمر على تعلم اللغات الأخرى واعتبارها نوافذ لتخصيب وإغناء العربية، وإنما هي احتلال للعقول العربية.

وأذكر شكوى قدمها أحد أعلام الفكر في مصر قبل الخمسينيات، واسمه الأستاذ محمد علي علوبة باشا، وكان رئيس لجنة فلسطين مرتين، هذا الرجل يقول في مذكراته: «إنني فوجئت أن حفيدتي لا تعرف شيئًا عن اللغة العربية، وهي تحفظ أناشيد ترددها في طابور الصباح بلغات أخرى، وبعض هذه الأناشيد ذات طابع ديني غير إسلامي، ولا تعرف من سور القرآن الكريم شيئًا»، ثم قال: «هذا ليس تعليمًا وإنما هو احتلال للعقلية العربية»، هذا الرجل ليس شيخًا ولا من الظلاميين أو الرجعيين؛ وإنما هو رجل مشهود له بالاستقلالية، وهو أحد زعماء الفكر والتنوير العرب.

• هل تطالبون بإلغاء هذه المدارس الأجنبية، التي تعلم الناشئة اللغات الأخرى، بينما تهمل اللغة الأم؟

– لا، نحن نحذر من هذه المدارس الأجنبية، ليس لإغلاقها وإنما لإعادة ما صنعته الدولة المصرية عام ١٩٥٧م

بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، عندما ألزمت المدارس الأجنبية أن تدرس اللغة العربية، وأن يكون هناك قسم خاص للغة العربية، وليس كما هو معلوم أن تكون حصة اللغة العربية ومادة الخط العربي هي الحصة الأخيرة في اليوم السابع؛ وأعتقد أن هذه القرارات لم تُنسخ، ولكنها ككثير من قراراتنا تُتجاهل، والقانون لا قيمة له ما لم يُنَفَّذ، فنحن نعتقد أننا يجب أن نؤكد على تعلم اللغات الأخرى لإغناء لغتنا وخدمتها، كما كان هو الحال أيام قوتها وعزها.

هذه العقيدة أو الخلفية هي التي ينطلق منها المجمع في موقفه من هذه المدارس، وينبه إلى خطرها على الوجدان القومي وعلى الشعور الديني وعلى اللسان العربي لدى هذه الطائفة الكبيرة من شبابنا وبناتنا الذين سيحكموننا في المستقبل؛ فلابد أن يحس الجميع بالأخطار الحقيقية التي تتهدد لغتهم ولسانهم وتراثهم؛ ليس هذا فحسب، وإنما وحدة النسيج الاجتماعي في مصر.

● الحوار من جانب الأزهر الشريف متوقف مع «الفاتيكان»، هل هناك محاولات لتقريب وجهات النظر، أم أن قرار الأزهر نهائي لا رجعة فيه؟

- وقف الحوار الرسمي كانت له أسبابه التي لم تتغير، وليس السبب فيها راجعًا إلى الأزهر، بل إلى الطرف الآخر، إلا أن الحوار مستمر على مستويات كثيرة غير قيادة الفاتيكان، مع كل الطوائف المسيحية في الداخل والخارج، وقد شاركت شخصيًا خلال العام الماضي في مؤتمرات بألمانيا وإيطاليا مع قوى وجمعيات كاثوليكية باسم الأزهر، وأوضحت الدواعي التي أدت إلى موقف الأزهر تعبيرًا عن مشاعر المسلمين، لما كان من مواقف الفاتيكان، ولا يمكن للأزهر أن ينعزل عن الحوار والحراك الدولي الذي يؤثر على مصائرنا ضمن الجماعة البشرية.

مجمع اللغة العربية في سطور

أسس مجمع اللغة العربية في القاهرة في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م، وذلك في عهد الملك فؤاد، وبدأ العمل فيه سنة١٩٣٤م.. وترأسه لأول مرة الأستاذ محمد توفيق رفعت، ثم الأستاذ أحمد لطفي السيد، ثم الأستاذ الدكتور طه حسين، ثم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور، ثم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، ثم الأستاذ الدكتور محمود حافظ، ثم تولى الدكتور حسن عبداللطيف الشافعي رئاسة المجمع في فبراير ٢٠١٢؛ ليصبح أول أزهري يعتلي ذلك المنصب.

وقد نص مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية الذي أصدره الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٢م على أن يتكون المجمع من ٢٠ عضوًا من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية، نصفهم من المصريين، ونصفهم الآخر من العرب والمستشرقين؛ وهو ما يعني أن المجمع عالمي التكوين، لا يتقيد بجنسية معينة ولا بدين معين، وأن معيار الاختيار هو القدرة والكفاءة، عشرةً من المصريين، وعشرةً من العرب والمستعربين. ويقع مقر المجمع في ١٥ شارع عزيز أباظة بالزمالك.

وحددت أهدافه في المادة الثانية ببذل الجهود للحفاظ على اللغة العربية وجعلها وافية بحاجات العلوم والفنون وشؤون الحياة في العصر الحاضر، والعناية بدراسة اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها من أقطار العرب وبلدانهم، واتخاذ كل الأسباب لتقدم العربية.

وقد ورد في المادة الرابعة من المرسوم أن المجمع يتكون من عشرين عضوًا عاملًا من بين العلماء المعروفين بتعمقهم في اللغة العربية أو ببحوثهم في فقهها ولهجاتها دون تقيد بالجنسية كما صنعت الأكاديمية الفرنسية، وكما صنعت المجامع العربية السالفة إذ قصرت العضوية العاملة على أبناء أوطانها.

ولقد كانت أسماء الأعضاء العشرين الذين بحثوا آنذاك هي: محمد توفيق رفعت، ود. منصور فهمي، والشيخ حسين والي والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ أحمد الإسكندري وعلي الجارم وأحمد العوامري ود.فارس نمر وحاييم ناحوم، والمستشرق الإنجليزي جب والألماني د.فيشر، ونلينو الإيطالي، وماسينيون الفرنسي، وفنسنك الهولندي، ومحمد كرد علي والشيخ عبدالقادر المغزي، والأب أنستاس ماري الكرملي، وعيسى إسكندر المعلوف، وحسن عبدالوهاب.

وقد أصدر المجمع العديد من البحوث والمحاضرات والمذكرات والقرارات في تبسيط قواعد التصريف والاشتقاق وأحكام مقاييس التعريب والنحت والتوليد.

كذلك أصدر المعجم الكبير، والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز، ووضع معاجم علمية متنوعة للجيولوجيا وللفيزياء النووية والإلكترونيات، وللجغرافيا، والفلسفة، ووضع معجم لألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون.

وشارك المجمع في إحياء بعض ذخائر التراث اللغوية ليتخذ منها عونا على مهمته من وضع المعاجم الكبرى والصغرى، وقد نصت المادة الثالثة من مرسوم إنشائه على أن: «ينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازما لأعمال المعجم ودراسات فقه اللغة».

وهو ما جعله يعنى في سنة ١٩٥٧ بتكوين لجنة لإحياء التراث القديم بالتعاون مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في وزارة الثقافة.

وأخذت اللجنة تعد العدة لتحقيقها مرتبة أولويتها على هذا النمط:

١- «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي» للحازمي.

٢- «التكملة والذيل والصلة» للصغاني.

٣- «ديوان الأدب» للفارابي.

٤- «كتاب الجيم» لأبي عمرو الشيباني.

٥- «كتاب الأفعال» للسرقسطي.

٦- «كتاب فيما تفرد به بعض أئمة اللغة» للصغاني.

٧- «كتاب الإبدال» لابن السكيت.

٨- «التنبيه والإيضاح» المشهور باسم حواشي ابن بري على معجم الصحاح للجوهري.

٩- «غريب الحديث» للقاسم بن سلام.



فض الاشتباك بين مفهومي البدعة والإبداع

أ.د. أمان قحيف

باحث أكاديمي مصري

يظن بعض الناس أن ثقافتنا الإسلامية المعاصرة تعاني من وجود التباسات في معاني ودلالات بعض المفاهيم والمصطلحات المتداولة بين المتحدثين والكتاب المتخصصين في الفكر الإسلامي المعاصر، والمثير للدهشة أن ذلك يحدث في الوقت الذي لم تعان فيه ثقافتنا قديمًا من وجود مثل ذلك الغموض أو الالتباس في تعاملها مع تلك المفاهيم والمصطلحات. ولعل ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى وعي المتقدمين بدلالات الألفاظ ومعاني الكلمات أكثر من وعينا بها في عصرنا الحديث الذي يتسم جوه الثقافي العام بالسطحية إذا قسنا درجة عمقه الثقافي بما كان سائدًا في عصور الأولين.

يتصور كاتب هذه السطور أن الغموض القائم والمتحقق في أذهان بعض الناس بين مفهومي «البدعة والإبداع» يأتي في صدارة تلك الالتباسات التي تعاني ثقافتنا المعاصرة من شيوعها في أذهان بعض العامة والخاصة على السواء، لأن هناك من المتحدثين من يختلط عليه الأمر في التفرقة والتمييز بين الدلالات والمعاني التي يشير إليها كل مفهوم من المفهومين المشار إليهما سابقًا، فتكون النتيجة أن يسارع إلى التعامل مع أي نوع من أنواع الإبداع باعتباره من البدع والمحدثات المستهجنة والمستغربة التي لا يمكن قبولها -من الوجهة الإسلامية- أو التعامل معها، ويتخذ بعضهم هذا الموقف من دون تدقيق أو فحص وتمحيص لطبيعة هذا الإبداع ومجاله والرسالة التي يحاول الاضطلاع بها أو تأديتها، وهناك بالمقابل من يأتي بالبدعة ويطرحها على الناس ثم لا يقبل من أحد أن يناقشه أو يحاوره بشأن شرعيتها، بل إن بعضهم لا يتوقف عند حدود عدم قبوله لمناقشة الآخرين إياه بل يسارع من دون تردد إلى اتهام مخالفيه بالحجر على العقل البشري ومنعه من التفكير والإبداع، تلك الأمور التي أقرها الدين الحنيف من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية حيث أكد الإسلام من خلالهما على ضرورة حض الرؤوس الباحثة والمفكرة على ممارسة التفكير والإقدام عليه.

ويرجع شيوع وانتشار تلك الظاهرة إلى العديد من الأسباب التي نشير إليها فيما يلي:

أولًا: إن بعض الباحثين لم يعط الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية ما تستحقه من اهتمام بالدراسة والتعلم قبل أن يسارع بإصدار أحكامه المتعجلة على موقف الإسلام من بعض القضايا والفعاليات ومنها موقفه من الإبداع الإنساني.

ثانيًا: إن بعض من يتحدثون في الدين اعتمدوا على أنفسهم وعقولهم في تحديد معنى البدعة والإبداع من دون اللجوء إلى المراجع والمصادر المتخصصة التي تساعد على توضيح المبهم من المعاني وتكشف المتضمن من الدلالات في كل مصطلح من المصطلحات أو مفهوم من المفاهيم المتداولة بين الناس.

ثالثًا: هناك من العاملين في الحقول الإبداعية من استخف بالقيم وهان عليه التطاول على الثوابت، الأمر الذي جعل بعض المسلمين يرتاب منهم ويحذر من توجهاتهم.

المعنى الحقيقي للبدعة

ولفض هذا الاشتباك لابد أن ندرك أن البدعة لغة هي: «ما استحدث في الدين وغيره» (١) بهذا المعنى تكون البدعة في الدين هي: الأمر الذي يستحدث فيه على غير مثال سابق، أي أنها تكون بمثابة الأمر المدخول على الدين من غير سند شرعي، أما «الإبداع عند الفلاسفة فيعني: إيجاد الشيء من العدم» (٢)، والمبدع هو: البديع، والبديع في البلاغة هو: علم يعرف به وجوه تحسين الألفاظ في الكلام» (٣).

والبديع اسم من أسماء الله الحسنى، وفي القرآن الكريم: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧)، قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: «فالله عز وجل بديع السموات والأرض أي منشئهما وموجدهما ومبدعهما ومخترعهما على غير حد ولا مثال» (٤).

بهذا المعنى ندرك أن البدعة هي ما استحدث في الدين من عبادات لم يشرعها الله تعالى، والبدعة في الدين لا يجوز قولها أو العمل بها على الإطلاق استنادًا إلى حديث الرسول ﷺ القائل: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» (٥).

وإذا كان هناك من يتحدث عن البدعة الحسنة في الإسلام فإننا نود الإشارة إلى أنه لا توجد بدعة حسنة وأخرى سيئة لأن النبي ﷺ قال: «كل بدعة ضلالة»، إذن لا توجد بدعة حسنة وأخرى سيئة.. وإذا كان الإمام البخاري رحمه الله تعالى- وبعض الثقات- قد قال: «ونعمت البدعة هذه» فلابد أن ندرك أن ذلك قيل في إطار الحديث عن «قيام الليل في رمضان» (٦)، فالأمر يفهم هنا على أنه يشير إلى تأدية صلاة القيام في جماعة، ومعلوم أن قيام ليل رمضان أداه رسول الله ﷺ وأوصى المسلمين به في قوله: «إن الله فرض عليكم صيامه وسننت لكم قيامه» (٧)، وبهذا يكون للمسألة أصل في التشريع الإسلامي وليست غريبة عن شرع الله تعالى، فصلاة القيام سنها رسول الله وأداها لكن الجديد كان في تأديتها في جماعة حتى لا يتكاسل

الناس عنها، فليس في الأمر إيجاد لها على غير مثال سابق.

ولذلك فإن كاتب السطور يميل إلى تقسيم البدعة إلى قسمين: دينية ودنيوية، والبدعة في الدين مرفوضة لأنها تعد زيادة في الدين من دون أصل شرعي، أما البدعة الدنيوية فهي مقبولة إذا كانت تهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ولا تتعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهذا هو الإبداع المسموح به شرعًا والذي يقبله الدين، ويدخل في بابه الإبداع العلمي والإبداع الفكري والإبداع الأدبي والإبداع الفني الذي يهدف إلى معالجة بعض قضايا المجتمع.

من هنا كانت «البدعة هي اختراع شيء يضاف إلى الثوابت الدينية التي لا تستدعي اضافات لها، أما الإبداع في كل ما يتعلق بالشؤون الدنيوية والدولة والمشروع الحضاري، فهذا وارد».

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يرددون فيه حديث رسول الله ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يردد هذا الحديث يقول للناس: «لا تقفوا بأبنائكم عند علومكم، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم!، وكان يقول في المال، لقد كان لأبي بكر رأي في هذا المال، ولي فيه رأي آخر، ولما قال له الناس طبق السنة العملية لرسول الله ﷺ في قسمة أرض خيبر على أرض الشام والعراق ومصر، قال: إننا نحن الآن أمام واقع جديد ولابد أن يكون لنا اجتهاد جديد، إذا كان هناك تمييز واضح بين الإبداع في شؤون الدنيا، وكان هذا مطلوبًا وفريضة على المسلمين، وأمرًا مسموحًا به، وبين البدعة في الثوابت الدينية في الوضع الإلهي، الذي ليس هناك إمكانية لاستقلال العقل البشري بإدراك كنهه، إذن الفارق ما بين الإبداع والبدعة في التصور الإسلامي فارق واضح» (٨).

الإسلام والإبداع

من ثم نستطيع أن نخلص إلى أن الإسلام الحنيف قد فتح باب الإبداع على مصراعيه إذا كان الأمر يتعلق بأمور الدنيا والمشروع النهضوي للأمم والشعوب، وإذا كان يرتبط بتطوير حياة

البدعة الممنوعة هي اختراع شيء يضاف إلى الثوابت الدينية أما الإبداع في الشؤون الدنيوية فهذا وارد

البشرية أو تحسينها، بل إن ديننا قد جعل ثوابًا كبيرًا وأجرًا عظيمًا لمن ييسر على الناس أمور حياتهم بأي سبيل من سبل التيسير كمن يقدم للبشرية دواء جديدًا لمرض معين أو من يصل إلى كشف علمي مفيد أو عمل فني يواجه به الانحرافات أو عمل أدبي ترتقي به الأذواق وتستمتع به النفوس.

ولقد أكد الإسلام الحنيف كل تلك المعاني والقيم لأنه يريد للبشرية أن تنمو وتتطور مجتمعاتها طبقًا لسنن الله في تطوير هذا الكون، ولأنه يريد أيضًا للمجتمعات البشرية أن تحيا حياة هانئة مطمئنة سواء على المستوى الجمعي العام أم على مستوى الذوات الإنسانية المفردة التي يتكون المجتمع الإسلامي من مجموعها، «ومن هنا عني الإسلام عناية كاملة بالإرشاد إلى الوسائل التي تطهر المجتمع من الجهل، والتي تطهره من المرض، فهو قد حارب الجهل وتتبعه في كل وكر من أوكاره وفي كل لون من ألوانه.. حارب جهل الشرك بالتوحيد، وبث في النفس والآفاق دلائله، ولفت الإنسان إليها وحث على النظر والتفكير فيها، وحارب جهالة التقليد وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره، وأن يقف في عقائده ومعارفه، ووسائل الحياة عندما خلقه الآباء والأجداد من الأوهام والخرافات» (٩).

وننتهي في هذا السياق إلى أن الذين يعارضون المشروع الحضاري الإسلامي يفتقدون الدقة عندما تذهب أدبياتهم إلى الزعم بأن الإسلام يقف حجر عثرة أمام الإبداع الإنساني، منطلقين في زعمهم هذا من رفض الدين الإسلامي الحنيف للبدع، تلك القضية التي قد يلتبس فهمها على كثير ممن لم يدرسوا الفكر والثقافة الإسلامية دراسة واعية متعمقة.

الخلاصة

والحق أنه إذا جاز الزعم على بعض تيارات الفكر والثقافات الدينية المغايرة بأنها تقف في وجه الإبداع بنسب مختلفة ومتباينة فإن ذلك لا ينطبق بشكل من الأشكال على المنظومة الفكرية الإسلامية التي فتحت باب التفكير والاجتهاد والإبداع على مصراعيه عندما أقرت بأن من اجتهد وأصاب يحصل على أجرين ومن اجتهد وأخطأ يحصل على أجر واحد، خلافًا للمنظومات الفكرية التي تعاقب من ينتج فكرًا أو ثقافة أو إبداعًا ترى فيه مخالفة لأطروحاتها وتوجهاتها الأيديولوجية، وما موقف الرأسماليين في الولايات المتحدة الأميركية من مواطنيهم الاشتراكيين ببعيد، وكذلك فإن موقف الشيوعيين من مواطنيهم الذين يميلون إلى الرأسمالية هو موقف عدائي بالدرجة الأولى، حدث كل هذا في العصر الحديث في الوقت الذي أعلن فيه الإسلام منذ خمسة عشر قرنًا قوله للمخالفين: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون: ٦).

ولعل أسهل الردود على من يتصور أن الإسلام يقف حجر عثرة أمام الإبداع هو: لو كان الأمر على هذا النحو ما أنجز المسلمون الأوائل حضارتهم التي أدهشت الدنيا وعلمت الناس.

الهوامش

١- المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية- القاهرة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ص ٤٠.

٢- الموضع نفسه.

٣- الموضع نفسه.

٤- القرطبي- تفسير القرآن- دار الريان للتراث- القاهرة- ج١- ص ٤٧٤- وينظر في ذلك ابن كثير- دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- ج١- ص ١٦١.

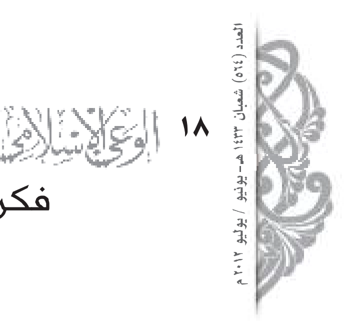
٥- النسائي.

٦- القرطبي- تفسير القرآن- ج١- ص ٤٧٤.

٧- رواه النسائي وحسنه الألباني.

٨- د. محمد عمارة- حوار الإسلامية والعلمانية- الأزهر- القاهرة- صفر ١٤٣٣ هـ/ يناير ٢٠١٢م- ص ١٣٥.

٩- محمود شلتوت (الإمام الأكبر)- من توجيهات الإسلام- دار الشروق القاهرة- الطبعة الثامنة- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م- ص ١٢١ .



الخطاب الإسلامي والمستقبل.. ضرورة لا ترف!

حين نتأمل مسيرة العقل المسلم، وتجربته الحضارية الفريدة؛ نجد أنه قد توالت عليه عبر عقود عدة أزماتٌ جسيمة، وتآمرت عليه قوى مختلفة من الشرق والغرب، وحروب بوسائل متنوعة: ما بين سياسية، وثقافية، واجتماعية، واقتصادية.. حتى فَقَد بعضًا من مناعته الذاتية، وتأثر - إلى حد كبير - بمحاولات التشكيك في ثوابته وجذوره، وانغلق على ذاته بعد أن كان يمدّ جسور الحوار مع سائر الحضارات، ويتفاعل معها دون ذوبان أو جمود..

السنوسي محمد
كاتب صحفي مصري

لقد انشغل العقل المسلم بحاضره وتاه فيه: حتى استغرقته همومه ومشاكله، وصار عاجزًا عن استشراف آفاق المستقبل، والتطلع إلى الغد المجهول، بل في بعض الأحيان لم يكن قادرًا على الإحاطة بحاضره، واستيعاب خرائطه وملامحه، ومعرفة جزئياته وتفاصيله.. فبدا حال المسلم المعاصر - للأسف - كمن يعيش في برج عاجي بعيدًا عن واقع الناس واهتماماتهم!

ولا يظنن أحد أن الحديث عن ضرورة استشراف المستقبل، وإعداد العدة له، هو مما يمكن التسامح فيه، والتغافل عنه.. فإن تجارب التاريخ تؤكد لنا أن من لا يحسن التخطيط لما هو آت، ولا يحتاط لكافة الاحتمالات وتقلّبِ الأمور.. يكون معرّضًا دائمًا لردّة الفعل العشوائية، وبالتالي يكون مُعرضًا للتأثر بمخططات الآخرين ومؤامراتهم، ولن يستطيع الأخذ بزمام الأمور، وامتلاك المبادأة التي تمكنه من تجنب تكرار أخطائه، ومن الإفلات مما يُراد به ويُحاك ضده.

وللمرء أن يندهش حين يعلم أن الدراسات التي تُعنى باستشراف المستقبل، واستكناه حقائقه، قد تطورت في الدول الغربية، وصارت علمًا مكتمل الأركان والشروط والأدوات، يسمى «علم المستقبليات»، تقوم عليه مراكز أبحاث وجامعات تضم في تشكيلاتها تخصصات علمية مختلفة، بما يحقق تكامل المعارف وتساندها، ويوفر رؤية كلية واعية.. في حين أن الاهتمام بهذا العلم لم يعرف طريقه بعد إلى جامعاتنا

التجارب تؤكد أن من لا يحسن التخطيط لما هو آت يكون معرضًا لردة الفعل العشوائية

العربية.. وتلك مفارقة لها رمزيتها، ودلالتها، وأيضا تبعاتها!

لا تكن أسير الزمن والجغرافيا!

إن المتتبع للخطاب الإسلامي - قرآنًا وسنةً - يتأكد له أن هذا الخطاب منذ بدايته لم يُعْنَ فقط باللحظة الراهنة، وكيفية التعامل معها، بل عُني - إضافة إلى هذا - بتوجيه الأنظار نحو المستقبل، وحثّ الهمم لاستشراف الغد المجهول.. فمع تنزّل القرآن الكريم كان الحديث المتكرر، والتنبيه الدائم إلى الدار الآخرة، وما بعد الموت من جنة أو نار، وتأثير ذلك على حاضر الإنسان في الحياة الدنيا.

ليس هذا فحسب، بل تحدث القرآن عن الصراع بين الفرس والروم وطبيعة المواجهة بينهما، وأخبر عن انتصار الروم في بضع سنين، قال تعالى: ﴿الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: ١-٥). وفي هذا توجيه للمسلمين لمدّ أبصارهم خارج حدودهم الجغرافية - وكذلك الزمنية - ومتابعة ما يجري فيها من تطورات وانعكاسات على علاقة المسلمين مع الآخرين، وعلى سير الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج.

وجاءت قصة يوسف عليه السلام، حين تولى خزانة مصر ووضع الخطط لمواجهة المجاعة والقحط.. تدريبًا عمليًا على مواجهة الأخطار التي تلوح في الأفق، وكيفية التصدي للأزمات الاقتصادية والمجاعات، وتنفيذ الخطط الخمسية والعشرية.. وضرورة الاعتماد في ذلك على الحقائق والأرقام، والعمل الجاد المتواصل، دون تقاعس أو تواكل، وأيضًا دون تهويل أو تهوين..

وهذا يؤكد - من ناحية أخرى - أن الخطاب الإسلامي لا ينعزل عن هموم الناس ومشاكلهم، ولا يُعنى فقط بالجانب التعبدي، ولا يرضى أن يعتكف المسلم في زاوية من المسجد تاركا حياته ومعاشه؛ بل الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، يتفاعل مع الحياة ولا يخاصمها، ويتقاطع معها ولا ينعزل عنها، يأمر المسلم بعمارة الأرض ويجعل من ذلك دينًا يتعبد به المسلم لربه.

وقد تأكد هذا المعنى - شمولية الإسلام - في مواضع كثيرة من القرآن؛ يكفي أن نذكر في هذا المقام أن الله سبحانه قَرَنَ في آية واحدة بين عبادته والاستغفار والتوبة وبين عمارة الأرض، فقال: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).





كما جاءت أحاديث النبي ﷺ، التي تُبشِّر بانتصار الإسلام، وأنه سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وما من بيت مدر ولا وبر – أي: بيوت المدن، وبيوت البادية– إلا وسيدخله الإسلام، وأن المسلمين سينتصرون على اليهود في آخر الزمان، بعد قتال شديد يختبئ فيه اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله.. وكذلك أحاديث أمارات اقتراب يوم القيامة، والنذر الدّالة عليه؛ مثل: تبدل الأحوال، وانقلاب الموازين، وولادة الأَمَة ربتها، وشيوع الفواحش، وانتشار الظلم، وضياع الأمانة.. جاءت هذه الأحاديث لتجعل أمام العقل المسلم صورة حاضرة لاحتمالات المستقبل، ومآلات الأحوال، ولتحثه على اجتناب ما يمكن أن يتسبب له في أزمات وعثرات، وتدفعه أيضًا لما يتعين عليه فعله لمواجهتها ودفع ضررها.

العقلية «الاتكالية» حبيسةُ الماضي

لقد مرّت أمتنا الإسلامية بالكثير من الأزمات المتلاحقة والمتشابهة؛ بدءًا من الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، والصراع الحاد بين الأمويين والعباسيين، وما تأسس عليه من الاختلاف المذهبي البغيض، مرورًا بسقوط الخلافة الإسلامية في بغداد، ثم زوال دولة الأندلس بعد صراع الطوائف، ودسائس الملك العضوض، حتى سقطت الخلافة العثمانية، وتحولت الدولة الإسلامية إلى دويلات مفككة، تتناحر فيما بينها ولا تقوى أمام الأخطار الخارجية المتربصة، التي تستهدفهم جميعًا دون استثناء.. وغير خافٍ على أحد أن السقوط الثاني للخلافة الإسلامية كان مقدمة لما نعانيه اليوم؛ من تفرّق الكلمة، وتشتت الصّف، وضياع الهوية، والاستجابة لمحاولات التغريب والعَلمَنة، وذوبان الشخصية المسلمة في موجات الحداثة والعولمة.

ومع كل هذه الأزمات، التي أخذ بعضها بأيدي بعض، ونقلتنا من سيئ إلى أسوأ، لم نجد مَنْ يحسن دراستها، والوقوف على أسبابها، واستخلاص العبرة منها، بل غفلنا عن إدراك سنن الله الثابتة في نهوض الأمم وسقوطها، وسادت «العقلية الاتكالية»، العاجزة عن رؤية الأزمة في جذورها وأصولها، وانتشرت نظرية «المؤامرة»، التي ترمي بالمسؤولية الكاملة على الآخرين دون توجيه النقد إلى الذات، مع أن الضعف الذاتي– أو القابلية للاستعمار كما يسميه مالك بن نبي– يشكل العامل الأساسي لقبول التأثير من الآخرين، والتجاوب مع مؤامراتهم ومخططاتهم..

ولهذا كان القرآن حريصًا على لفت الأنظار إلى أهمية «العامل الذاتي»، سواء في تحقيق النصر أو حدوث الهزيمة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

ولم يكن بمقدور هذه «العقلية الاتكالية» أن تتعاطى بفهم وعمق مع ما يعتورها من نكبات، وما يصيبها من أزمات، حتى تطمئن إلى عدم الوقوع مرة ثانية في نفس الحفرة، ولا تُلدغ من جحر واحد مرتين (١)، بل عميت عن عبرة الأحداث، وتغافلت عن قراءة التاريخ، الذي من الممكن أن يتكرر إذا ما توافرت الدواعي والأسباب التي كانت من وراء حدوثه أول مرة.. وبذلك فقدَ العقلُ المسلم أولَ شرط لازم لاستشراف المستقبل ألا وهو «حسن قراءة التاريخ»، واستيعاب أحداثه، بما فيها من انتصارات وانكسارات، واستصحاب العبرة منهما للحاضر والمستقبل.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إننا لم نحسن دراسة ما أصابنا من هزائم فادحة، وما أقمنا حواجز ضد تكرارها، ولا يزال ناس منا مشغولين بأنواع من المعرفة لا تضر عدوًا ولا تنفع صديقًا، وتيار الأحداث الزاخر يلطم الوجوه، ويطوي جماهير بعد أخرى، ونحن لا نربط النتائج بأسبابها، وما فكرنا في دراسات ذكية جريئة لمعاصينا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا أدري: لماذا الخشية أو لماذا الجمود؟ هل مستقبل أمة من مليار إنسان شيء هيّن؟ هل النكسات التي عرت رسالتها غير جديرة بالتأمل؟!» (٢).

ولذا كان من أعظم آفات المسلم الخطاب الإسلامي المعاصر، لأنه يستنفد طاقاته في التغني بأمجاد المسلمين، وحضارتهم، التي سادت الدنيا لعدة قرون، ونشرت العلم والمعرفة، وأرست قواعد المنهج التجريبي، الذي مهّد لقيام الحضارة الغربية الحديثة بعد عصورها المتتابعة من الظلام



والتخلف.. ولا يحاول أن يتخذ من أمجاد الماضي نقطة انطلاق، وعلامة يهتدي بها وسط أزماته الحالكة؛ فهو عاجز عن مواجهة الحاضر بمشكلاته، فضلا عن التطلع للمستقبل بآماله، كما أنه غير قادر على مدّ البصر خارج حدود الزمان والمكان.. فالزمان والمكان يستوعبانه بدلاً من أن يستوعبهما هو، ويسخرهما للغاية التي من أجلها خلقه الله، واستخلفه في الأرض.

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: «من إصابات العقل المسلم: عدم استشراف آفاق المستقبل على ضوء الماضي والحاضر، وفهم الحركة التاريخية، ومراقبة مجراها، ومن ثم معرفة مصبها مستقبلاً. وأعتقد أنه لا يجوز الهروب من النظر إلى المستقبل تحت عنوان «المستقبل بيد الله».. فتعطيل النظر إلى المستقبل، بعد أن أصبحت له دراساته، وعلومه، تحت شتى الاعتذارات، ليس من الدين، بل هو إصابة للعقل، ومجافاة للدين» (٣).

ثمة سبب آخر يكبّل العقل المسلم، ويقف دون قراءة «استطلاعية» لحركة التاريخ، هو أنه توجد عشرات القضايا «المعلقة»، التي لم يتم حسمها، أو تقريب وجهات النظر حولها، ولا تزيدها الأيام إلا تعقيدًا وتشابكًا؛ الأمر الذي يهدد العقل المسلم بأن يظل دائرًا في دائرة مفرغة، وألا يواكب تجدد الحياة وتطورها.. ولا مفرّ في هذا الصدد من الاعتراف بأن الطرح الإسلامي حول هذه القضايا لم يكن على مستوى التحدي الحضاري، بل إن بعض وجهات النظر الإسلامية حول قضية ما قد يصل إلى حدّ التناقض!

خذ مثلا، الموقف من المرأة ودورها السياسي والاجتماعي، أو قضية الديموقراطية ونظم الحكم المعاصرة، أو التعددية في الفكر والممارسة، أو حقوق الإنسان وضوابط الحرية والإبداع، أو الأقليات والتعدد الطائفي والعرقي، ودور ذلك في النسيج الاجتماعي للمجتمع المسلم، أو حوار الحضارات وكيفية التعامل مع العولمة وتجنب مخاطرها.. ستجد أن هذه القضايا وغيرها، برغم ما قُدِّم فيها من دراسات واجتهادات متميزة، فإن إيجاد ما يقارب الإجماع حولها، وتقديم مبادئ حاكمة في التعامل معها، لم يتبلور بعد بصورة مناسبة، تمكّن من الانطلاق إلى مرحلة أخرى من قضايا الفكر الإسلامي وهموم الواقع المتجدد.

عقارب الساعة لا تتوقف!

إننا إذا كنا مَعنيين في «تجديد الخطاب الإسلامي» بتنقية التراث، وتهذيب ما به من آراء واجتهادات «بشرية» لا تتفق والخصائص العامة للإسلام، فإننا معنيون- كذلك- بمواجهة التحديات، واستشراف المستقبل؛ حتى لا نقع في أسر اللحظة الراهنة، ونغرق في دوامة الحياة التي لا تتوقف.

أدري أن محاولة الحديث عن المستقبل، واستكشاف خرائطه، تعدّ نوعًا من «الترف الفكري» في ظل الواقع الذي يعجّ بمشاكل لا حصر لها، ولا حل لها يبدو قريبًا في الأفق.. وفي ظل العقليات التي ذهلت عن حاضرها، وفقدت الوعي بذاتها وإمكاناتها.. وفي أجواء الفتاوى التي تكبّل العقل المسلم، وتحاصره في دائرة ضيقة بعيدًا عن الفكر الإسلامي الرحب، وتعزله عن تيار الحياة المتدفق.. غير أنه لا مندوحة عن توجيه الأنظار نحو الغد، وانتزاع العقل المسلم مما يعكر عليه صفاءه ونقاءه، ولا بديل عن فتح آفاق جديدة أمامه من الفهم والفكر، وحثه دائمًا على التجديد والإبداع مع المحافظة على الأصول والثوابت، ودفعه للتواصل مع سائر الثقافات والحضارات مع التمسك بالخصائص الذاتية والهوية الإسلامية.. وما ذلك على المؤمنين ببعيد.

إن أعظم ما في الحديث عن المستقبل، ولفت النظر إليه، أنه انتزاع للإنسان من وهدة اليأس والإحباط، مهما كان الواقع مشبعًا بالمثبطات.. كما أنه إيقاظ للهمم، وتفجير للطاقات الكامنة، وتحريك للنفوس الخاملة..

فهو ينادي هذه النفوس ويلحّ عليها: أن أسرعي الخطو.. وغذّي السير.. فعهد النوم قد مضى.. والشمس تتحرك لا تنتظر القاعدين.. والكون لا يكفّ عن الدوران.. وعقارب الساعة أبدًا في حركة وانتظام.. وزمن البدائية والعشوائية لا محلّ له من النجاح و«الإعراب»!

الهوامش

١-روى أبوهريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» (متفق عليه).

٢- مجلة «الأمة» القطرية، ص١٢، عدد ٦٩، رمضان ١٤٠٦هـ.

٣- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص١٠٧، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ.

الحروب الإلكترونية والوعي المفقود

علاء الدين عبدالفتاح

هل نحن بمنأى عنها، تلك المعدات المستخدمة في الحروب الإلكترونية التي لا تشغل بالنا كثيرا رغم ضراوتها وتأثيرها البالغ على كل قطاعات حياتنا؟ لماذا إذن لا نهتم حتى بمعرفة ماذا يستخدم الآن أعداء الأمة؟! ماذا يبتكرون ؟ وكيف يطورون؟ وإلى أي مدى يمكنهم أن يغيروا علينا وعلى معلوماتنا وأمننا وخصوصياتنا؟ صار بوسع من يمتلك الفضاء الإلكتروني أن يحجبه عنا أو يحجبنا عنه، وصار بوسعه أن يكشف كل أوراقنا ويعد لنا عدته في لحظات للتدخل بإفساد حياتنا في الوقت الذي يراه مناسبا، وفي المقابل صرنا من أبرع المستهلكين والمستمتعين بالمنتج الإلكتروني دون ذرة ألم أو همسة عتاب من نفس لائمة لأننا لا نشارك في الإبداع التقني أو الصناعة التكنولوجية!

«الوعي الإسلامي» تفتح ملف الحروب الإلكترونية على الأمة الإسلامية لافتة إلى دور العلماء والتربويين في دعم خطوط دفاعنا من جهة وإعداد الوسائل نفسها- إن لم يكن أحدث- لردع المتلصصين والمهاجمين الذين يرون المسلمين لقمة سائغة في هذا المجال الذي يشهد كل يوم تطورا ملحوظا.

بدأنا بتعريف وتاريخ يحكي القصة من بدايتها: كيف نشأت الحروب الإلكترونية؟ وكيف تطورت منذ عام ١٨٣٧م وقت اختراع البرق الصوتي؟ وكيف تنوعت وسائلها مع الحرب العالمية الأولى على يد الألمان إلى أن حذر وزير (سكرتير) الدفاع الأميركي قبل أسابيع قليلة من ضرورة تفادي حرب إلكترونية بين الصين وأميركا عبر الانترنت.

كما أفردت «الوعي» مكانًا لقانون المعاملات التقنية الجديد الذي أقرته اللجنة التشريعية في مجلس الأمة الكويتي ليطلع القارئ على ملخص لمواده والعقوبات التي أقرت بحق مخترقي النظم الالكترونية ومخربي البرامج ، وقد ربطنا بين الإعلام الإلكتروني والهوية الثقافية ، في الوقت نفسه من بنود الاتفاقيات التي نوقع عليها إلكترونيا دون أن ندري، بما يعني أننا نوافق على أن محرك البحث «جوجل»- على سبيل المثال- له الحق في فحص محتويات الملفات الخاصة بك واختصارها وتعديلها ورفضها وإزالتها إن رأى القائمين عليه هذا (بند: ٨- ٣) من الاتفاقية التي أشرنا إليها قبل استخدام خدمات العم الكريم «جوجل».

وقد بات من الضروري تربية الأبناء من الصغر على القيم الإسلامية التي تمنع المرء مستقبلا من التلصص أو الإفساد في الأرض، وفي الوقت نفسه تحميه من أن يخدعه «الخب» مصداقا لقول الفاروق: «لست بالخب ولا الخب يخدعني».



قصة الحرب الإلكترونية

محمد شعبان أيوب
صاحب مدونة ابن أيوب

يكفي أن تضع في محرك البحث «جوجل» مصطلح «الحرب الإلكترونية» لتجد أمامك «الويكيبديا» تُعرف هذا المصطلح الجديد بما يلي: «هو استعمال الطيف الكهرومغناطيسي لمنع استعمال هذه الوسيلة من قبل الخصم، في حين يتم استخدامها من جانب القوات الصديقة بأكثر الطرق فعالية. للحرب الإلكترونية ثلاثة عناصر رئيسية: الدعم الإلكتروني، والهجوم الإلكتروني، والحماية الإلكترونية»؛ ولا تزيد أكثر من ذلك.

على أن ما ذكره الباحث في الشؤون الاستراتيجية والحربية عبدالكريم المحسن يجلي لنا بوضوح تعريف هذا المصطلح بقوله: «هو مجموعة الإجراءات التي تُنفذ بهدف الاستطلاع الإلكتروني للنظم والوسائل الإلكترونية المعادية، وإخلال عمل هذه النظم والوسائل الإلكترونية، ومقاومة الاستطلاع الإلكتروني المعادي، وتحقيق استقرار عمل النظم الإلكترونية الصديقة تحت ظروف استخدام العدو أعمال الاستطلاع، والإعاقة الإلكترونية». وهو يضيف بعدًا أكثر عمقًا من مجرد التصارع في إطار الفضاء اللاسلكي أو المجال الكهرومغناطيسي.

النشأة والتطور.. منذ بداية القرن العشرين.

ولمعرفة أصل هذا المصطلح علينا أن نبحث في تاريخ نشأته الأولى، وهو ما ظهر قبل الحرب العالمية الأولى، إذ بدأت الاتصالات بين أرجاء العالم المختلفة باستخدام الموصلات السلكية عن طريق جهاز البرق الصوتي «المورس» سنة ١٨٣٧م، ومنذ اندلاع الحرب الأهلية في الولايات المتحدة في إبريل سنة ١٨٦١م كانت خطوط التلغراف هدفًا مهمًا للقوات المتحاربة.. إذ كان عمال الإشارة



يتداخلون على خطوط الموصلات السلكية من طريق توصيل هاتف على التوازي مع كل خط من هذه الخطوط؛ للتنصت على هذه المحادثات، ولهذا السبب كان كل جانب يقطع الموصلات الخطية عند عدم الحاجة إليها؛ حتى لا يدخل عليها الطرف الآخر. ثم كانت بداية الاتصال اللاسلكي الحقيقي في عام ١٨٨٨م على يد الألماني هرتز، وفي منتصف عام ١٨٩٧م استطاع المهندس والمخترع الإيطالي ماركوني تطوير جهاز لاسلكي يناسب الاستخدام في البحر، وكان من الطبيعي أن تظهر «الشوشرة» على الاتصالات اللاسلكية لتزايد الاستخدام في مساحة محددة، مما يعني التداخل البيني للموجات الكهرومغناطيسية عند إشعاعها بكثافة عالية في تلك المساحة المحددة، ومن هنا بدأ التدريب على العمل في ظل «الشوشرة» نتيجة الاستخدام اللاسلكي المكثف، ثم بدأ بعد ذلك الاستخدام المتعمد للشوشرة لإعاقة الاتصالات اللاسلكية بين الوحدات العسكرية المعادية؛ وذلك لإرباكها وشل سيطرتها على قواتها وأسلحتها، وتجلت هذه الحرب منذ الحرب اليابانية الروسية في بداية القرن العشرين، وبدأت في الانتشار في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م).

ومع بداية الحرب العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤م- قبل أن تدخل بريطانيا الحرب إلى جانب بلجيكا وفرنسا ضد ألمانيا والنمسا- مرت سفينتان حربيتان بريطانيتان بجوار السفن الألمانية في بحر «المانش» ولم تحاولا الاشتباك مع السفن الألمانية، إلا أن أدميرال الأسطول الألماني كشف أن هاتين السفينتين البريطانيتين نفذتا عمليات التنصت اللاسلكي على الاتصالات اللاسلكية للسفن الألمانية، وذلك عندما حاولتا التشويش على الاتصالات اللاسلكية الألمانية بهدف اختبار كفاءة أعمال الحرب الالكترونية لديها في التداخل والشوشرة اللاسلكية على الشبكات اللاسلكية الألمانية، وأثناء العمليات البحرية التالية في الحرب العالمية الأولى كان التشويش على الاتصالات اللاسلكية يستخدم من حين إلى آخر.. ولكن وجد أنه لكي تُنفذ الشوشرة على أي اتصال لاسلكي كان لابد أن تسبق عملية التنصت، الأمر الذي تبين منه في أحيان كثيرة أهمية المعلومات التي يتبادلها الجانب المعادي ومعرفة نواياه المستقبلية.. من هنا ظهرت أهمية أعمال الاستطلاع اللاسلكي على شبكات العدو اللاسلكية بهدف الحصول على المعلومات.

اختراع الرادار

وفي ثلاثينيات القرن العشرين تطورت أجهزة الإرسال بدرجة كبيرة، وأنتجت أجهزة استقبال ذات حساسية عالية وهوائيات دقيقه التوجيه.. وهو ما أدى إلى التفكير في التداخل اللاسلكي لإفشال أعمال التوجيه، وفي هذا الوقت بدأت التطبيقات العملية للظواهر المكتشفة في عام ١٩٠٠م، كصدى الصوت، فعندما يرفع الصوت ويسمع صدى في الإجابة يعرف أن الصوت وصل حائطًا بعيدًا، أو حاجزًا ولابد أنه انعكس من المكان نفسه، وهكذا بدأ تطبيق تحديد المكان لأي جسم متحرك، مثل سفينة في البحر، إذ يمكن تحديد مساحة تحركها في زمن محدد وحساب سرعتها.

ففي البداية يحدد مكان الهدف المتحرك وتوقيته في موقع ما، ثم بعد فترة زمنية محددة يعاد تحديد مكان الهدف وتوقيته في موقع أخر، وبحساب المسافة التي تحركها الهدف بين الموقعين الأول والثاني والزمن الذي استغرقه في قطع هذه المسافة تُحدد سُرعة الهدف، وقد طبق العاملون في معمل أبحاث البحرية الأميركية ذلك خلال تجارب اكتشاف الرادار عام ١٩٢٢م. وفي عام ١٩٣٤م كان جهاز الرادار الأميركي قادرًا على اكتشاف الطائرات على مسافة ٥٠ ميلًا.

حرب مستقبلية؟!

لكن أعظم اكتشاف ظهر في مسار الحرب الإلكترونية كان ظهور «الإنترنت» وانتشاره في العقد الأخير من القرن الماضي، فلقد توقع الخبراء في مجال الإنترنت أن أي اعتداء عسكري أو إرهابي قد يحدث ضد الولايات المتحدة الأميركية في حال وقوعه، لن يكون باستخدام طائرات أو متفجرات كما حدث في ١١ سبتمبر أو حتى بانتهاك الحدود الأميركية.. بل سيكون هجومًا في الفضاء الإلكتروني يشنه قراصنة الكمبيوتر، بحيث يكون قادرًا على تدمير الاقتصاد والبنية التحتية الأميركية بنفس القوة التي قد يتسبب بها تفجير مدمر.

ورغم صعوبة هذا التصور للوهلة الأولى فإن الولايات المتحدة بدأت بالفعل في استخدام هذا السلاح للهجوم والحماية، وفي نفس الوقت يعكف الخبراء في وزارة الدفاع الأميركية (البنتاجون) حاليًا على تطوير قدرات الإنترنت؛ لشن هجوم على أنظمة الحاسبات التابعة للدول الأخرى، وذكرت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» أن بعض المسؤولين العسكريين رفيعي المستوى يدفعون البنتاجون للمضي في الهجوم الإلكتروني، عبر تطوير قدرات الإنترنت لشن هجوم على أنظمة الدول الأخرى الإلكترونية، بدلا من التركيز على الدفاع عن الأمن الإلكتروني الأميركي فقط.

حرب يومية!

لم تعد عمليات القرصنة الإلكترونية مجرد عمليات عشوائية تتم بدافع الفضول، بل أصبحت جريمة منظمة ومتخصصة، تعتمد على أحدث الوسائل والبرامج للدخول إلى الأنظمة الإلكترونية وسرقة محتوياتها، مثلما حدث في الولايات المتحدة عندما تعطلت أجهزة الكمبيوتر بمكتب وزير الدفاع الأميركي، والأعوام القادمة ستشهد مزيدًا من عمليات القرصنة الإلكترونية التي تمهد لاشتعال سباق حربي إلكترونية حول: من يتزعم هذا المجال ومن يكون الرائد فيه، وكل المعطيات تشير إلى بداية حرب باردة إلكترونية بين الولايات المتحدة والصين، بل إن وزير الدفاع الأميركي قد صرح يوم ٧ مايو الماضي بضرورة تفادي «حرب عبر الإنترنت» بين الصين وأميركا!

وإنه لمن دواعي الأسى ألا تقارن معظم الدول العربية والإسلامية في هذا المجال- منذ النشأة وإلى اليوم- مع تلك الدول، اللهم إلا بأقل القليل، بل الأصل الاعتماد المفرط على ما يُصدره العالم التقني المتقدم إلينا!



صراع الهوية الإسلامية

د.عبدالله بدران
محاضر في جامعة الكويت

مع انتشار وسائل الإعلام في كل ركن وزاوية، وفي المنازل والسيارات وأماكن العمل، وانتقال مضمونها ومحتوياتها مع الإنسان أينما حل وارتحل عبر وجودها على الهواتف النقالة والحواسيب المحمولة، صارت تلك الوسائل أحد المؤثرات القوية في حياة الأمم والمجتمعات، وفي تغيير الأفكار والمعتقدات، وتوجيه الرأي العام نحو القضايا التي تركز عليها وتدعو بشدة إلى تبنيها.

وازداد تأثير الإعلام ودوره الفاعل مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي، وازدياد عدد المسجلين فيها يوماً بعد يوم، أو على الأقل في إحدى شبكاتها، ووصولها إلى شتى شرائح المجتمع، إضافة إلى سهولة استخدامها والمميزات الكبيرة التي تتمتع بها، وهو ما تلمسنا آثاره ونتائجه في الآونة الأخيرة.

وقد شهد العالم في العقود الثلاثة الأخيرة ما عرف باسم ثورة المعلومات، وازداد انتشار أدوات المعرفة والأجهزة التكنولوجية بصورة لم يسبق لها مثيل، وبصورة خاصة الإنترنت والهواتف المحمولة والأجهزة الحاسوبية المتنوعة. وانتشرت معها وسائل الإعلام الحديثة وما عرف فيما بعد بالإعلام الإلكتروني أو الإعلام الجديد، وفي مقدمة ذلك شبكات التواصل الاجتماعي كـ(فيسبوك وتويتر وسكايبي)، والرسائل النصية والمصورة على الهواتف المحمولة.

ومن وجهة النظر الإسلامية ينبغي النظر إلى هذه الثورة الجديدة في وسائل الإعلام من زاوية واسعة حتى تتبين حقائق الأمور أمام أعيننا، لأن ثقافة العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية بكل خصائصها، تنطوي على أخطار عديدة تتهدّد الهوية والثقافة الوطنيتين في آن واحد، مما يؤكد قوة





الترابط والتلازم بين الهوية والثقافة أيا كانتا، وهو الأمر الذي يستدعي تقوية العلاقة بين العنصرين الرئيسيين من عناصر الكيان الوطني للأمم والشعوب الإسلامية: الهوية والثقافة؛ لأن في الحفاظ على الهوية والثقافة وقاية من السقوط الحضاري، وصيانة ً للذات، وتعزيزًا للقدرات التي يمكن التصدّي بها لضغوط التحدّيات مهما تكن، كما يقول التويجري.

إن وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية تواجه العديد من التحديات التي تفرضها العولمة الإعلامية، التي أدت إلى زيادة هيمنة وسائل إعلام الدول المتقدمة، كوكالات الأنباء والقنوات الفضائية والصحف والمجلات وشبكات الاتصال الإلكترونية، وتسهم في القضاء على الخصوصية الثقافية والأخلاقية والدينية، وتعيد إحياء نزعات التعصب المغلقة، والخصوصيات الضيقة، وتراجع قيم الانتماء والولاء، وبالتالي يفرغ مفهوم الهوية العربية والإسلامية من أركانه الرئيسية، الدين، اللغة، القيم، التراث، التاريخ.

ويفرض التحدي الذي نعيشه اليوم على أمتنا بلورة رؤية خاصة نستطيع من خلالها أن نحقق طرفي المعادلة وهما: كيفية الحفاظ على هويتنا من ناحية، وكيفية الانفتاح في الوقت نفسه على العالم من حولنا لنستفيد من ثمرات المعرفة الإنسانية من دون أن نغامر بفقد هويتنا.

والولوج في المجتمع المعلوماتي مرتبط بالعولمة الإعلامية التي تهيمن فيها وسائل الإعلام التقليدية والإلكترونية للدول المتقدمة، ولا يمكن مواجهة أخطارها عن طريق الانغلاق أو منع التدفق الإعلامي الخارجي، وإنما من خلال تحصين المتلقي أينما كان في مواجهة سيل المعلومات والإعلام المتدفق، وتعزيز دور الإعلامين العام والخاص، وفتح الحرية المسؤولة أمامهما للانطلاق في كل اتجاه مع تعزيز التمويل الكبير لهما، والتركيز على الأهداف الأساسية المنوطة بهما من حيث التثقيف والتوعية والتوجيه والإرشاد، إضافة إلى الرد على ما يكال من اتهامات وأباطيل على الأمتين العربية والإسلامية، وإبراز سماحة الدين الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان، وترسيخ الهوية العربية الإسلامية في نفوس أبناء الأمة.

وعلى الإعلام الإلكتروني المنطلق من المجتمعات العربية والإسلامية العمل على تأصيل القيم والمهارات والمعارف والمعلومات في المجتمع، وتحصين أبنائه ضد ثقافة الاستهلاك والتغريب، مع الإقرار بضرورة وجود أخلاقيات عالمية، وبنى تحليلية ورؤية إنسانية شاملة، وبناء نموذج جديد للعلاقات العالمية يقوم على أساس نظام عالمي للسلوكات والعادات والقيم والأخلاق لتوجيه العولمة وما بعد الحداثة.

وفي الوقت نفسه فإن من مميزات الإعلام الإلكتروني المساعدة في الحفاظ على الهوية حيث يتاح للجاليات الإسلامية في الدول الغربية الحفاظ على هويتها وتقويتها عبر شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت الإسلامية، بل والتفاعل معها، وكذلك مع الفضائيات الإسلامية، وهو ما يتيح التواصل الفعال بين أبناء الأمة الواحدة، وزيادة انتفاع بعضهم من خبرات الآخرين، وإتاحة كل المعلومات عنهم، والتبادل وجهًا لوجه عبر هذه الشبكات الإعلامية التفاعلية الحديثة.

إن الإعلام الإلكتروني المتمثل حديثا في شبكات التواصل الاجتماعي وما يمكن أن تحدثه من تأثير يدعو المجتمعات العربية والإسلامية إلى البحث عن مخرج وحلول للاستفادة من المزايا الكثيرة لها والحفاظ في نفس الوقت على هويتها. ولن يتم ذلك من دون المشاركة كفاعلين في هذه الشبكات، وذلك بإقامة تكتلات عربية إسلامية، وزيادة التدفق المعلوماتي البيني، والتنسيق من خلال مواقع الانترنت بين المؤسسات الدينية والإعلامية والفكرية والثقافية العربية والإسلامية، وإنشاء شبكات اجتماعية خاصة، أو إنشاء مجموعات عربية أو إسلامية.



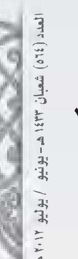
الفضاء والبنى المعلوماتية

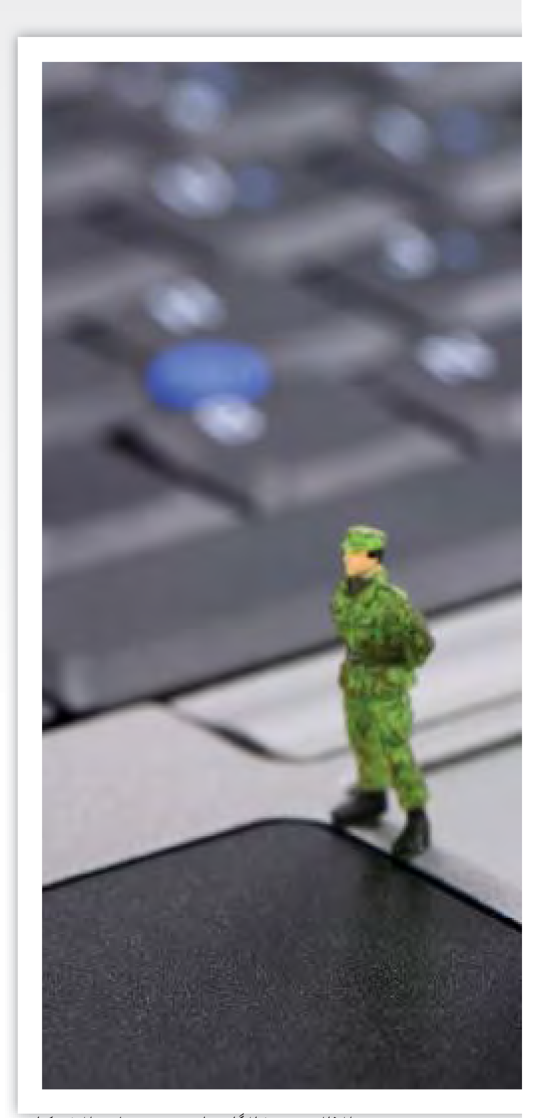
د.إسماعيل عبدالمجيد
باحث في الإعجاز العلمي بإنجلترا

من المتوقع أن تكون الحرب الإلكترونية (Cyberwar) السمة الغالبة، إن لم تكن الرئيسة، للحروب المستقبلية في القرن الواحد والعشرين، وتكمن خطورة حروب الشبكة العنكبوتية في كون العالم أصبح يعتمد أكثر وأكثر على الفضاء الإلكتروني (Cyberspace)، لا سيما في البنى التحتية المعلوماتية.. العسكرية والمصرفية والحكومية، إضافة إلى المؤسسات والشركات العامة والخاصة. ولاشك أنّ ازدياد الهجمات الإلكترونية، والتي نشهد جزءًا بسيطًا منها اليوم، يرتبط أيضًا بازدياد هذا الاعتماد على شبكات الحاسوب والإنترنت في البنية التحتية الوطنية الأساسية، وهو ما يعني إمكانية تطوّر الهجمات الإلكترونية اليوم؛ لتصبح سلاحًا حاسمًا في النزاعات بين الدول في المستقبل، علمًا بأنّ أبعاد مفهوم الحرب الإلكترونية لا تزال غير مفهومة لدى شريحة واسعة من المراقبين.. وحتى العامة، ولكن المتفق عليه أنها على مستويات هي:

القرصنة الإلكترونية أو التخريب الإلكتروني، وتقع في المستوى الأول من النزاع في الفضاء الإلكتروني، وتتضمن هذه العمليات القيام بتعديل أو تخريب أو إلغاء المحتوى، ومن أمثلته القيام بعمليات قرصنة المواقع الإلكترونية، أو بتعطيل الحواسيب الخادمة أو ما يعرف باسم الملقّمات (Servers) من خلال إغراقها بالبيانات.

الجريمة الإلكترونية والتجسس الإلكتروني، ويقعان في المستوى الثاني





والثالث، وغالبًا ما يستهدفان الشركات والمؤسسات، وفي حالات نادرة بعض المؤسسات الحكومية.

الإرهاب الإلكتروني، ويقع في المستوى الرابع من النزاع في الفضاء الإلكتروني، ويستخدم هذا المصطلح لوصف الهجمات غير الشرعية التي تنفذها مجموعات أو فاعلون غير حكوميين (Non-State Actors) ضد أجهزة الكمبيوتر والشبكات والمعلومات المخزّنة.

نشر الفيروسات

تعتبر من أهم جرائم الحاسوب وأكثرها انتشارًا في الوقت الحاضر، وقد ظهرت الفيروسات في نهاية الأربعينيات، وكان أول من فكر فيها هو اختصاصي الكمبيوتر «جون فون تيونان» حيث نشر مقالًا حولها، وظهرت بعد ذلك آثار الفيروس في عام ١٩٥٠ إلا أنها بقيت محدودة الانتشار حتى عام ١٩٨٣ عندما تفشت الفيروسات في برنامج UNIX وأثار ذلك ضجة على الساحة العلمية والعملية، ثم ظهرت بعض الحوادث الفردية لصغار المبرمجين الذين قاموا بزرع الفيروسات في شبكات الكمبيوتر، فقد قام موريس الذي كان طالبًا في جامعة كورنيل بإعداد برنامج مدمر أسهم في تعطيل آلاف من الحواسيب، مما كلف الشركات الأمريكية ١٠٠ مليون دولار.

أما كيفية اكتشاف الفيروس فكان عن طريق مبرمج هندي، حيث قام بعمل برنامج خفي من أجل المحافظة على برنامجه الذي كان أحدث برنامج للطباعة، حيث قام بحمايته من النسخ من خلال دخوله على الملفات التشغيلية وهي في حالة النسخ ثم يقوم بتكبير حجم الملفات ومن ثم تخريبها (أي الملفات المستنسخة).. واستمر مع التطورات الحاصلة في مجال تكنولوجيا الحاسوب والبرمجيات تطور لبرامج الحماية، مقابل ازدياد حالات ابتكار وإعداد برامج فيروسية.

الحرب الإعلامية

أصبح الإنترنت وسيلة مهمة للتأثير على الرأي العام، ومخاطبة ملايين المستخدمين من خلال النص والصوت والصورة.. فيمكن للأفراد والمنظمات تأسيس مواقع على الإنترنت لتكون منابر إعلامية تساعد في إيصال صوتهم للعالم، ووضع كل ما يساند قضيتهم أمام المهتمين. ومن ذلك ما فعله الشيشانيون عندما أسسوا مواقع بلغات عدة لشرح قضيتهم، وفضح الممارسات الروسية في القوقاز ضد الشعب الشيشاني، وعززوا ذلك بنشر صور وأفلام للمذابح والانتهاكات التي لا تبثها وسائل الإعلام التقليدية (الصحافة والتلفزيون)، أو تعتم عليها، أو تخضعها لمقص الرقيب. وقد نجحت هذه المواقع في أن تكون مصدرًا مهمًّا لمعرفة مستجدات الجهاد في الشيشان، بدليل أن وكالات الأنباء العالمية كانت تتناقل بعض الأخبار والتصريحات الموجودة في المواقع الشيشانية على شبكة الإنترنت.. ونظرًا للدور المهم الذي قامت به هذه المواقع في نشر حقيقة ما يجري على أرض الواقع في الشيشان، فإنها لم تسلم بدورها من عمليات الاختراق من قبل المنظمات الروسية التي حاولت إسكاتها وتعطيلها عن أداء دورها كأداة حرب إلكترونية، وهذا دليل آخر على نجاحها.

ومن أشكال الحرب الإعلامية على الإنترنت أيضا تلك المعارك التي تشهدها المنتديات وساحات الحوار، ولا سيما أثناء الأحداث الدولية الساخنة.

وتنقسم العلوم إلى ثلاثة أقسام: علوم نافعة، وعلوم ضارة، وعلوم يمكن استعمالها فيما يفيد، ويمكن استعمالها فيما يضر. فالعلوم النافعة كعلوم الشريعة، والطب، والزراعة والصناعات والحرف التي ينتفع بها الناس في دنياهم.. فهذه العلوم لا إشكال في جواز تعليمها للناس، بل قد يكون ذلك واجبًا في بعض الحالات. والعلوم الضارة: كعلوم السحر، والموسيقى والرقص ونحت وصناعة التماثيل، فهذه علوم محرمة، يحرم تعلمها وتعليمها. والقسم الثالث من العلوم، وهو الذي يمكن استعماله والاستفادة منه في أشياء مباحة أو مفيدة، ويمكن استعماله في أشياء محرمة تضر الناس.. فله أمثلة كثيرة، كصناعة الأسلحة، وتعلم فنون القتال، فهذا القسم من العلوم لا يجوز تعليمه لمن علمنا أو غلب على ظننا أنه سيستعمله استعمالًا محرمًا يضر الناس، ولا مانع من أن يُشترط على المتعلم ألا يستعمله فيما حرم الله.

وقد أجاز الفقهاء التجسس على اللصوص وقطاع الطريق، وطلبهم بطريق التجسس عليهم وتتبع أخبارهم، وكذلك يجوز التجسس في حال الحرب بين المسلمين وغيرهم لمعرفة أخبار جيش الكفار وعددهم وعتادهم ومحل إقامتهم وما إلى ذلك.

وكذلك يجوز اختراق البريد الإلكتروني للمجرمين المفسدين في الأرض واللصوص وقطاع الطريق، لتتبعهم، ومعرفة خططهم وأماكن وجودهم، لقطع شرهم ودفع ضررهم عن المسلمين، وهذا موافق لمقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت بحفظ الدين والعرض والمال والنفس والعقل.

وعلى هذا، فإن عُلم أو غلب على الظن أنه سيستعمل هذا العلم في أشياء محرمة، فلا يجوز تعليمه.

الخداع الممنهج!

محمد إلهامي
ناشط في مواقع التواصل الاجتماعي

الحروب الإلكترونية ظهرت مع ظهور الانترنت الذي صنع عالما موازيا للعالم الطبيعي، حتى لقد كان الوسيلة الأهم في ثورات الربيع العربي!

ويتبادر إلى الذهن عند الحديث عن حروب الإنترنت موضوعات القرصنة وسرقة الحسابات البنكية وتخريب المواقع وقواعد البيانات، وسرقة المعلومات المهمة، ونشر الفيروسات... إلى آخر هذه الجرائم التي يحفل بها عالم الانترنت، على أننا آثرنا في هذه السطور أن نتحدث عن جانب آخر من الحروب الإلكترونية، وهو الحرب التي



تجري في العلن وأطرافها هم نجوم هذا العالم وعمالقته، كما أن الضحايا فيه مستمتعون بأنهم تحت الهيمنة والاحتلال، والمنتبه فيهم مغلوب على أمره مضطر، لا يجد بديلا.. فهو كما قال تميم البرغوثي:

ويحملني كالنسر يحمل صيده.. ويعلو به فوق السحاب يطاوله
فإن فرّ من مخلابه طاح هالكا.. وإن ظل في مخلابه فهو آكله

«جوجل» وأخواتها!

بعد أقل من أربع سنوات (٢٠٠٦ – ٢٠١٠م) من عمل شركة «جوجل» في الصين، استطاعت أن تمثل مشكلة للحكومة الصينية جعلت التصريحات النارية تخرج على السطح بين الصين وأميركا (يناير ٢٠١٢م)، وهي المشكلة التي هددت «جوجل» بأنها قد تنسحب من الصين على إثرها، وهو التهديد الذي يعني كثيرا، لاسيما وقد استطاعت «جوجل» في هذه الأعوام البسيطة أن تجتذب ثلث عمليات البحث على الانترنت في الصين، وصار يرتادها نحو أربعمائة مليون صيني.

وحين يتم مثل هذا في دولة كالصين فينبغي على الدول العربية والإسلامية أن تضع يدها على قلبها، فالصين التي تضايقها «جوجل» هي العملاق الاقتصادي الثاني على مستوى العالم، وهي تفرض قيودا على حركة الانترنت، وتوفر لمواطنيها مواقع صينية بديلة عن المواقع العالمية مثل محرك البحث «بايدو» الذي تهددت مكانته بعد دخول «جوجل»!

وفيما استغرق «جوجل» نحو أربع سنوات حتى اشتبك مع الحكومة الصينية لم يستغرق «الفيس بوك» أكثر من أسبوعين حتى بدأت مشكلاته (يوليو ٢٠٠٨م)، رغم أنه منفصل في الصين عن الشبكة العالمية لـ«الفيس بوك»! وما تزال السلطات الصينية تحجب كليا أو جزئيا أو أحيانا مواقع «يوتيوب» و«تويتر» وأمثالها من مواقع التواصل الاجتماعي!

وبالتأكيد لم يكن موضوع النزاع بين أميركا والصين حول «جوجل» هو مجرد اهتمام أميركا بحرية الانترنت، فالأمر أعمق من ذلك بكثير.. ذلك أن «جوجل» هو ببساطة أحد أهم الأذرع الأميركية في اختراق منظومات المعلومات حول العالم!

وإذا كان غير المكتوب دائما أهم من المكتوب، وكانت الأسرار أهم من المُعْلَن، فنحن أمام «جوجل» سنجد أنه حتى المكتوب والمعلن يمثل خطرا كبيرا واختراقا كاملا لمستخدميه، وهو الاختراق الذي يتم بسلاسة ونعومة وانسيابية تجعل منه «العدو الرائع».

خذ مثلا اتفاقية استعمال «جوجل» التي يتوجب عليك الموافقة عليها قبل استعمال الخدمات التي تقدمها الشركة العملاقة، وبعبارة أخرى: فإن استعمالك لخدمات جوجل يعني أنك قد اطلعت على بنود الاتفاقية ووافقت عليها بالفعل (نص البند ٢– ٢ من اتفاقية شروط الخدمة). هذه الاتفاقية صدرت أولا في لهجة قاسية صارمة في (١٦ إبريل ٢٠٠٧م) ومازالت تتعدل ويضاف إليها ويحذف منها حتى صدر التعديل الأخير (١ مارس ٢٠١٢م) يحمل المعنى نفسه ولكن بصياغات لطيفة رقيقة تغطي على المعنى الذي يجعل منها اتفاقية إذعان! حين تتعامل مع «جوجل» فأنت تقر وتوافق على أن كل خدمة قد تفرض عليك قيودا بخلاف ما فرضته الخدمات العامة لجوجل (بند: ١– ٢)، وأن الخدمات قد تتغير أو تتوقف جزئيا أو كليا– مؤقتا أو دائما– بدون أن يتم التنبيه عليك (بند: ٤– ٢،٣) وأن جوجل إن أوقفت حسابك فليس من حقك الحصول على أي ملفات أو محتويات فيه (بند ٤– ٤) وأن جوجل قد تحدد بعض المتغيرات في أي وقت تراه مناسبا (بند ٤– ٥)، وأنك ملتزم بأن المعلومات الشخصية التي تقدمها لـ«جوجل» تكون صحيحة ودقيقة ومحدثة (بند: ٥– ١)، وأن جوجل لها الحق في فحص محتويات الملفات الخاصة بك واختصارها وتعديلها ورفضها وإزالتها إن رأت هذا (بند: ٨– ٣)، وأن جوجل لا تتحمل أي خسارة تقع بك نتيجة استعمال خدماتها حتى لو كانت الخدمة هي المتسببة في هذا (بنود ١٤، ١٥)، وفيما لا يمكنك مقاضاة «جوجل» إلا في محاكم مقاطعة سانتا كلارا بـ«كاليفورنيا» وفي ظل قوانينها فإن «جوجل» لديها الحق في مقاضاتك في أي محكمة مختصة أخرى (بند ٢٠– ٧).

ولا يفوت المرء أن يشيد بجمال المناورات في الصياغات الحديثة لهذه الاتفاقية بملحقاتها كافة، مما يجعل الاقتباس منها عسيرا، ولولا وجود الاتفاقيات السابقة في أرشيف «جوجل» لكان توضيح هذه الأمور عسيرا!

إن «جوجل» تجعل من تجسسها عليك عملا مشروعًا إذا كنت تستعمل المتصفح «جوجل كروم» فعليك أن تعلم أن كل النشاطات التي تجريها من عليه مخزنة في مكان ما على نظام جوجل، لا تقلق– هكذا يقول جوجل– «إنها خدمة رائعة» لأنك في أي مكان في العالم وعبر أي جهاز كمبيوتر يمكنك أن تدخل الاسم وكلمة السر لحسابك على «جوجل» لتجد أن متصفحك وسائر المعلومات المخزنة على جهازك قد انتقل إلى هذا الجهاز الذي تعمل عليه!

المؤسف في كل هذا أن الخدمات المقدمة سهلة ومجانية ومهمة، فـ«جوجل» على سبيل المثال يوفر هذه الخدمات: أفضل بحث على الانترنت في النصوص والصور والفيديو، والترجمة، بريد إلكتروني، خدمة إنشاء وتخزين الوثائق، تنظيم الأعمال، إدارة الشركات، شبكة تواصل اجتماعي (جوجل بلس)، القوائم البريدية، الإجابات، بالإضافة إلى مواقع جوجل البحثية في: الكتب، الصحافة، الخرائط، الأبحاث العلمية، وغيرها مما لا يكاد يستغني عنه أحد!!

خدمات تجسسية

المؤسف أكثر أن الإبداع في تقديمها يجعلها بمنزلة خدمات تجسسية «ممتعة»!!

ثم تزيد هذه «المتعة» في الشبكات الاجتماعية مثل «الفيس بوك» و«تويتر» وغيرها من الشبكات التي تدخل فيها بنفسك ما تشاء من المعلومات والصور والأفلام عن نفسك وأسرتك ودراستك ومدينتك وعملك وسائر حياتك، وتتفاعل مع الأصدقاء والأقارب والزملاء والجيران حول العالم، وتعطي المواعيد وتكتب جدول أعمالك اليومية ويستطيع المتابعون لك معرفة أين تكون ونوع الجهاز الذي تكتب منه سواء كان جوالا أو حاسبا محمولا أو لوحة حاسوبية أو غير ذلك!

إن كل هذا يجعل الملفات متاحة ومفتوحة أمام الجميع بما فيها أجهزة الأمن والاستخبارات حول دول العالم، ومثل هذه الشبكات الاجتماعية هي التي أيقظت السلطات الإسرائيلية ذات يوم مفزوعة بعد أن اكتشفت تسرب صور قواعدها الجوية وغرف العمليات والمناورات من خلال الصفحات الشخصية للجنود الذين لم يظنوا أن

نشر صورهم في الخدمة على صفحاتهم يمكن أن يسبب خطرا أمنيا، وعليه فقد أحالت السلطات ١٠٠ من مجنديها إلى التحقيق وفرضت حظرا جزئيا على موقع «الفيس بوك».

ولأن البنية الصلبة والأسرار العميقة لهذه التقنيات الجديدة إنما هي حصريا لدول المنشأ فإن الدول الأخرى لا تجد إلا أن تمارس الحظر بنفسها على هذه المواقع جزئيا أو كليا، أو تتقدم إلى المواقع ذاتها بطلبات الحظر على صفحات بعينها ترى أنها تمثل تهديدا لها، وفي الدول الاستبدادية يكون هذا الحظر منصرفا إلى المطالبين بالحريات وحقوق الإنسان والمقاومين للظلم والاستبداد والفساد، مما يجعل عالمنا العربي والإسلامي مبتلى مرتين: مرة بافتقاده التقنية، ومرة بأن السلطات في بلاده إن سمحت بها استخدمتها في التجسس عليه وقمع إرادته!



دبابة وجسد أعزل!

لا ريب في أن العالم العربي والإسلامي لم يزل متأخرا في استعمال الانترنت، لكن الطليعة الشبابية التي استعملته إنما قامت بجهد كبير وأفضل من المتوقع في الاستفادة من هذا العالم الجديد في سائر المجالات، ولعل ثورات الربيع العربي تكون الحدث الأبرز الذي أثبت قدرة الشباب على استعمال هذه الوسائل بأفضل طريقة في التعامل مع واقعهم!

لكن المجهودات الفردية مهما كانت مخلصة، ومهما بذل أصحابها من طاقتهم، لا تكفي مطلقا للدفاع عن الأمة في هذه الحرب الإلكترونية الطاحنة، إن آخر ما يُتوقع منهم أن يكونوا كالذي وقف بجسده النحيل شاهرا سيفه أمام الدبابة التي تقتحم الدار، يستطيع أن يضايقها ويؤخرها قليلا ثم يضع نفسه تحتها ليعطل تقدمها، لكنها في النهاية تدهسه ثم تقتحم الدار!

لابد من أن تتصدى الدولة بإمكاناتها كافة لمثل هذه الحرب، وهي وحدها القادرة على أن تنظم حركة الشباب الفردية في كيان كبير ينتج بدائل خاصة أو يتعامل مع التقنية المطروحة بما يستخلص منها فوائدها ويتجنب اختراقاتها الخطيرة لمنظومة الأمن الداخلي للدولة العربية!

والحق أن عالمنا العربي والإسلامي لن يمكنه تحقيق نتائج ذات بال في هذا المضمار إلا إذا تخلص من عقدة الاستبداد التي تعيقه عن النهوض في كل المجالات وتجعل إمكاناته كافة رهينة بالرؤية الفردية والتوجهات الخاصة للفرد أو المجموعة الحاكمة، إذ ما لم تكن ثمة خطة موضوعة عبر المؤسسات المحترفة الوطنية لا تتغير بتغير الأهواء والنزعات الفردية لا يمكن لشيء كبير أن يكتمل أصلا!

ستأتي لحظة ما وتكشر كل تلك الأذرع الإلكترونية عن أنيابها، ونفاجأ بأنفسنا وقد سُلب منا كل شيء لأن كل شيء صار تحت سيطرتهم فعليا، حينها لن يتمكن أحد من تحريك دولار فضلا عن تحريك طائرة دون أن يُسمح له بهذا..

فالواجب الأول واقع على عاتق الدولة ومسؤوليها!

وأما الواجب الثاني فهو واقع على عاتق العلماء والفقهاء، ومن المؤسف غاية الأسف أن الإنترنت تطور هذا التطور الهائل في زمن قليل ووصل إلى كل مكان لكنه لم يصل بعد إلى أروقة المعاهد العلمية الدينية والمؤسسات الفقهية التي مازالت تعاني فتاواها حول الاستعمال وحده ضعفا واضطرابا وارتباكا ظاهرا، فكيف والحال قد تعدى الاستعمال إلى التفاعل والتواصل، ليس على المستوى الأخلاقي والفكري وحده، بل على مستوى المقاومة والجهاد كذلك..

إن تأخر العلماء عن ركب العلم لا يوقف العلم ولا طلابه ولا يؤخرهم، بل يجعلهم يطلبون العلم من غيرهم ممن كان أسرع وأسبق، بل العلماء لا معنى لهم إن لم يكن لديهم علم الواقع الذي ينزلون عليه علم الشرائع..

وبعد..

فهل نتمنى أن يكون المصطلح القادم بعد الحرب الإلكترونية من نصيب المسلمين بعد أن كانوا هم المقهورين بالغزو الفكري والاستعمار الاقتصادي والحرب الإلكترونية؟! أم سنكون ضحية الحرب الجديدة كذلك؟!

أخلاق الحروب الإلكترونية

د. مسعود صبري
باحث في المركز العالمي للوسطية

إن كان الإسلام قد وضع دستورًا لحرب المسلمين وجهادهم ضد المعتدين عليهم في أرض الواقع، فإنه ينبغي وضع دستور أيضًا في الحروب الالكترونية التي تحدث بين المسلمين وغيرهم. ومن أهم تلك المبادئ التي يجب مراعاتها:

أولًا: عدم الاعتداء لأجل الخلاف في الدين

فقد جعل الله تعالى الاعتداء على الغير مما حرم على الأمة أن تقترفه أو تقترب منه، وذلك مبدأ عام حاكم على علاقة المسلمين بغيرهم.

وإذا كان هذا في الاعتداء على أرض الواقع؛ فهو عام في كل اعتداء، سواء أكان معنويًا أو أدبيًا، سواء تعلق بالنفس أو بالمال، سواء تعلق بالعرض أو الشرف أو المكانة، سواء كان مواجهة مباشرة أو في عالم الالكترونيات.

فالاختلاف بيننا وبين غيرنا من أهل الملل والنحل لا يكون مسوغًا للاعتداء عليهم، وجمهور الفقهاء يرون أن علة الجهاد هي الاعتداء على المسلمين وليس الكفر، لأن أهل الأرض لن يكونوا مؤمنين كلهم، بل سيكون منهم المؤمن ومنهم الكافر، وهذه سنة الله تعالى في كونه وخلقه، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(التغابن:٢).

ثانيًا: النهي عن التجاوز في الرد على الاعتداء

ومن أهم المبادئ التي يجب مراعاتها في الحروب الالكترونية عدم التجاوز في رد الاعتداء الالكتروني على المسلمين، وهو





مبدأ أصيل رسخه القرآن في طبيعة الحرب والجهاد بين المسلمين وأعدائهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وذلك أن هناك من يستحل أموال من يقيم في بلاد غير المسلمين باعتبار أننا في حرب معهم، وأنهم أخذوا ثروات بلادنا واستولوا عليها، فيجب علينا أن نأخذ منهم أموالهم أيضا، متناسيًا أن هناك نسبة غير قليلة من المسلمين بالغرب، وهم جزء من نسيج تلك المجتمعات، وربما تكون الأموال التي أخذت هي أموال إخوانهم المسلمين دون أن يدري، وهو في ذات الوقت يتغافل حرمة أموال غيره المصونة، فيستولي عليها، ويأخذها – غالبا – لنفسه، وليس دفاعًا ولا جهادًا ضد أعداء الإسلام.

كما أنه يتناسى أنه يجر بفعلته ويلات على إخوانه المسلمين؛ إذ تقوم مجموعات «الهاكر» في الغرب بالدخول على ممتلكات المسلمين أفرادًا وحكومات، ويحاولون الاعتداء عليها؛ من باب المعاملة بالمثل، فكان من الواجب الانتباه إلى مآلات مثل هذه الأفعال.

ثالثًا: النصح قبل الهدم

ومن المبادئ التي يجب مراعاتها في الحروب الالكترونية أنه على المسلم أن يقدم النصح والنصيحة لمن يرى أنه جانبه الصواب من المسلمين وغيرهم، وألا يسارع في إسقاط المواقع والاعتداء عليها مهما كان مختلفا معها في المبادئ والأفكار، وقد أرشدنا ربنا إلى طريقة دعوة الناس فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

وهو بهذا النصح يقيم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدور الداعية هو التبليغ والنصح أولا، وليس عليه هداية الناس.

فالآية تخاطب الرسول ﷺ أن ادع– أيها الرسول– أنت ومَن اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخاطب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصحًا حسنًا، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر، وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين. فما عليك إلا البلاغ، وقد بلّغتَ، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين.

رابعًا: الدقة في تحديد العدو الحقيقي

فلا يجعل المسلم غير المسلمين كلهم في سلة واحدة، وقد أقر القرآن الكريم اختلاف الناس حتى في المعتقد الواحد، فقال سبحانه: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران:١١٣)، فلم يتعامل الرسول ﷺ مع الكفار على أنهم نوع واحد، فهادن أقوامًا، وأعطى العهد والذمة لأقوام آخرين، وجاهد أقوامًا آخرين، فلا يتسرع المسلم في شن حرب الكترونية على غير المسلمين كافة، بل لابد أن تكون هناك معايير تدفع إلى الحرب الالكترونية حتى تكون حربًا عادلة يؤجر عليها المسلم ولا يأثم، ولا يكن البغض وحده دافعا لشن حرب على المخالفين، ويرشد الله تعالى الجماعة المؤمنة إلى الميزان القسط في التعامل مع المخالف بقوله جل في علاه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

خامسًا: اعتبار فقه المآلات

فلابد للإنسان أن يبصر ما يترتب على فعله من مآل، فربما يكون الفعل من حيث النظر صحيحًا، لكن يترتب على إتيانه أضرارا جسيمة، وقد يندم الإنسان على فعله عند رؤية العاقبة، فليس كل فكرة تطرأ على الذهن يسرع الإنسان في فعلها، والعاقل من تبصر عواقب فعله.

نصائح خبراء الحماية التقنية لتجنب مخاطر التجسس الإلكتروني

تحقيق : محمد سعد
القاهرة - دار الإعلام العربية



حرب القراصنة.. الكارثة عند أطراف أصابعك

«الدنيا عند أطراف أصابعك».. عبارة رددناها كثيرًا، لكنها أصبحت حقيقة ملموسة بفضل تكنولوجيا المعلومات التي اختزلت كل شيء، وجعلت البعيد قريبًا، والصعب سهلاً.. لكن، ومثلما سهلت التكنولوجيا على الناس الصعاب، وحلت لهم أعقد المشكلات، أوقعتهم أيضًا في مشكلات أخرى تكاد نتائجها تكون أكثر كارثية، وذلك من خلال حروب القرصنة والسرقة الإلكترونية والتعرّض لهجمات «الهاكرز» التي قد تدمر جهد العمر كله ما لم يكن منسوخًا في مكان آخر.. «الوعي الإسلامي» التقت عددًا من خبراء تكنولوجيا المعلومات للكشف عن عالم القرصنة وكيف يمكن للمستخدم أن يحمي نفسه من خطر يتسلل من أي مكان في العالم..

يؤكد خبراء الحماية التقنية أن عمليات القرصنة و«الهاكرز» أصبحت الخطر الأكبر أمام التقدم التكنولوجي، ما أجبر الشركات الكبرى على تدريب العاملين فيها على مواجهة أساليب القرصنة، بل التعرف على أساليب القرصنة ذاتها، وآخر ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في هذا المجال ما يعرف بـ«القرصنة الأخلاقية» التي تهدف إلى حماية بيانات ومعلومات مستخدمي الإنترنت من عمليات الاختراق.. وبحسب خبير تكنولوجيا المعلومات

المهندس زكريا عيسى: جرائم القرصنة تؤدي إلى خسائر بالمليارات

د.هشام المهدي: كبرى الشركات تدرب العاملين فيها على القرصنة الأخلاقية!

علاء العجماوي: احفظ معلوماتك المهمة على جهاز آخر غير متصل بالإنترنت



المهندس زكريا عيسى، فإن وبحسب خبير تكنولوجيا المعلومات المهندس زكريا عيسى عن أن جرائم القرصنة تؤدي إلى خسائر بالمليارات، وبحسب آخر الإحصاءات السنوية فإن جرائم القرصنة والاحتيال تكلف العالم ٢٥٠ مليار دولار سنويًا، يصل نصيب منطقة الشرق الأوسط منها نحو ٥٠ مليار دولار- وفقًا لآخر المؤشرات.

قرصنة أخلاقية

بدوره، ينصح أستاذ تكنولوجيا المعلومات واستشاري نظم المعلومات وعلوم الحاسب بجامعة القاهرة د.هشام نبيه المهدي.

مستخدمي الإنترنت بعدم الانسياق وراء الرسائل الإلكترونية مجهولة المصدر من أجل حماية ملفاتهم وبياناتهم من الاختراق، كما يطالب الحكومات بوضع التشريعات والقوانين التي تهدف إلى حماية الملكية الفكرية، مؤكدًا أنه من غير المعقول أن يبذل المتخصصون جهدهم ووقتهم وعلمهم وأموالهم من أجل تطوير فكرة أو منتج ليتم سرقته بواسطة «الهاكرز» وبرامج القرصنة بكل سهولة ودون محاسبة، وشدّد على أن تساهل الدول العربية في مواجهة الجرائم الإلكترونية يعني تدمير دورة الأبحاث والتطوير بما يؤدي إلى وأد الاستثمار في الأفكار الجديدة.

البقرة الميتة!

في الاتجاه ذاته، شدّد علاء العجماوي، رئيس اتحاد البرمجيات المصري، على أهمية البيانات، واعتبرها مصدر الثروة الحقيقي؛ لذلك شدد على ضرورة أن يتعامل مستخدم البيانات معها على أنها ثروة حقيقية يجب الحفاظ عليها، إما عن طريق حمايتها بمجموعة من البرامج المتخصصة التي يصعب اختراقها، أو حفظها في خزانات بنوك متخصصة لحفظ المعلومات.

العجماوي أكد أن أشهر برامج القرصنة التي تُستخدم في عمليات «الهاكرز» واختراق بيانات مستخدمي الإنترنت برنامج Back office الذي طوّره مجموعة من القراصنة أطلقوا على أنفسهم «مجموعة البقرة الميتة»، ويهدف هذا البرنامج إلى كشف ثغرات أنظمة التشغيل الخاصة بالنوافذ، ويقوم «الهاكرز» بإرسال ملف إلى جهاز المستخدم ومن ثم يصبح بإمكانه الدخول إلى الحساب الشخصي للمستخدم والتصرف الكامل به واستغلاله.

وتابع: إن القرصنة تتم من خلال برنامج أو «فيروس» صغير جدًا يكون مصدره الإيميل وبمجرد فتحه يكون الجهاز ملحقًا بجهاز «الهاكرز» ويتم السيطرة عليه، مضيفًا: إن أسباب زيادة عمليات القرصنة ترجع إلى حفظ الملفات على الجهاز المستخدم على شبكة الإنترنت، ما يسهل على المقرصن الحصول على البيانات بكل سهولة، ولذلك على المستخدم حفظ كل البيانات والمعلومات المهمة على جهاز آخر غير متصل بشبكة الإنترنت لتجنب عمليات القرصنة.

أما المستخدم العادي الذي لا يستخدم الإنترنت فعليه القيام بشراء برنامج

د.مجدي قاسم: برامج دراسية لتوعية الطلاب بالآثار النفسية والقانونية للقرصنة

د.إيمان سرور: إحساس «الهاكر» بالغباء والضعف يدفعه لإثبات عكس ذلك للآخرين



مضاد للفيروسات وتحميله على الجهاز، أما إذا كان من مستخدمي شبكة الإنترنت فيجب عليه استخدام Fire Wall الذي يقوم بإخباره عن كل من يحاول أن يدخل إلى الجهاز.

توعية

أما د.مجدي قاسم، رئيس الهيئة القومية لضمان جودة التعليم، فأكد أن الخسائر التعليمية من عمليات القرصنة كبيرة ومتنوعة، ومنها العمليات التي تتم لسرقة البرامج التعليمية وحقوق الملكية، ولذلك يرى أهمية أن تتضمن المواد الدراسية فصولاً عن خطورة عمليات القرصنة، وتوعية الطلاب بآثارها النفسية والقانونية، مؤكدًا أن هناك العديد من الشباب من مستخدمي الحاسبات الآلية يستخدمون برامج القرصنة دون معرفتهم بخطورتها وعقوبتها القانونية والجنائية.

المقرصن مجرم أو مريض

أخيرًا، حاولنا الوصول إلى تفسير حول الدوافع النفسية التي تدفع المقرصن إلى اختراق أجهزة الآخرين والتلصص عليهم، وهذا ما أوضحته د.إيمان سرور استشاري الطب النفسي، مشيرة إلى أن الشخص المقرصن الذي يرتكب مثل هذه الجرائم هو مجرم في المقام الأول، لكن هناك بعض الدوافع النفسية التي تدفعه إلى الاستمرار في مثل هذه الأعمال، ومنها إحساسه بالغباء والضعف، ولذلك يحاول أن يثبت للآخرين عكس ذلك وتحقيق نوع من النجاح أمام الآخرين واكتساب ميزات غير موجودة عند أقرانه، وهذا بالطبع ينطبق على فئة الهواة، أما القراصنة المحترفون فعادة ما يفعلون ذلك لأسباب مالية أو تجسسية.

ويحذر المتخصصون من :

وجود ملف «باتش» أو «تروجان».. إذ لا يستطيع «الهاكر» الدخول إلى جهازك إلا مع وجود ملف يسمى patch أو Trojan في جهازك، وهذه الملفات يستطيع الهاكر بواسطتها الدخول إلى جهازك الشخصي باستخدام أحد برامج التجسس التي ترتبط مع ملف «الباتش» الذي يعمل كـ«ريسيفر» يستطيع أن يضع له «الهاكر» «اسم مستخدم» و«رمزًا سريًا» يخوله أن يكون هو الشخص الوحيد الذي يستطيع الدخول إلى جهازك.

مؤكدين أن هناك العديد من الطرق للكشف عن وجود ملفات التجسس في جهازك، الطريقة الأولى: برامج الكشف عن ملفات التجسس والفيروسات باستخدام أحد برامج الكشف عن ملفات التجسس، وكذلك الحماية من التجسس و«الهاكرز» عن طريق عمل جدار ناري يمنع دخول المتطفلين.. وتستطيع أن تعرف إذا كان جهازك مخترقًا من خلال معرفة التغيرات التي يحدثها «الهاكرز» في نظام التشغيل مثل فتح وغلق الشاشة تلقائيًا، أو وجود ملفات جديدة لم يدخلها أحد، أو مسح ملفات كانت موجودة، أو فتح مواقع إنترنت، أو إعطاء أمر للطابعة، إضافة إلى العديد من التغيرات التي تشاهدها وتعرفها وتعلم من خلالها وجود متطفل يستخدم جهازك.

نصائح عالية

وهناك ٦ نصائح تجنبك الاحتيال عبر الإنترنت:

- لا ترد على رسائل البريد الإلكتروني التي تطلب معلوماتك الشخصية.
- لا تقم بالنقر فوق الروابط المشبوهة، وبدلاً من ذلك قم بزيارة مواقع الويب بكتابة محدد موقع المعلومات URL الخاص بها داخل المستعرض الخاص بك.
- استخدم كلمات مرور قوية وغيرها باستمرار.
- لا ترسل معلومات شخصية في رسائل البريد الإلكترونية المنتظمة.
- مارس أعمالك مع الشركات التي تعرفها وتثق بها فقط، حتى لا تقوم بتمرير اسمك ومعلوماتك الشخصية للآخرين.
- لحماية الكمبيوتر الشخصي الخاص بك: من الضروري استخدام جدار حماية وتحديث الكمبيوتر الخاص بك واستخدام برامج مكافحة الفيروسات.

هل يمكن تجنب السرقات الإلكترونية؟

د.آندي حجازي
أستاذة جامعية أردنية

إذا قلنا إننا أصبحنا نعيش في عالم الإنترنت، وعالم الإلكترونيات وعالم البطاقات الإلكترونية فإننا لا نبالغ! فانظر إلى الأجهزة من حولك كيف أصبحت تعمل باللمس على شاشاتها، أو على لوحات حروفها وأرقامها، فهل يمضي يوم دون تعامل مع تلك الشاشات اوالإلكترونيات؟

وانظر في محفظتك الشخصية كم بطاقة إلكترونية تحمل؟! فأبواب بعض الشركات والمؤسسات أصبحت لا تعمل إلا ببطاقة إلكترونية، وأبواب الغرف في الفنادق ذات الرفاهية أصبحت لا تفتح إلا ببطاقات إلكترونية، وكذلك أبواب بعض مواقف السيارات، وركوب القطارات (المترو) والحافلات العامة في الدول المتقدمة يتطلب البطاقات الإلكترونية، والدفع لمحطات تعبئة البترول ممكنٌ

عبر البطاقات الائتمانية، وكذلك شراء الحاجات والبضائع من الأسواق والمحال التجارية بات ممكنًا بواسطتها، وحتى محال الألعاب الإلكترونية وملاهي الأطفال أصبحت تعمل بالبطاقات الإلكترونية، والشراء عبر شبكة الإنترنت لا يتم إلا بالبطاقات الائتمانية، والدفع لبعض الفنادق والمطاعم والمستشفيات والجامعات، أو الحجز بها أصبح متاحًا عبر البطاقات ذاتها.. بل إن بعض الدول الغربية- كالولايات المتحدة وكندا- يفضلون الدفع والتعامل المالي بكل الأماكن بواسطة البطاقات الائتمانية أكثر من الدفع السيولي (الكاش).. وشراء تذاكر السفر عبر الانترنت أقل تكلفة على المسافر وشركة الطيران على حدّ سواء.

ومن فضل الله أننا لم نعد نرى طوابير الموظفين تصطف خلف مكاتب البنوك في نهاية كل شهر من أجل تسلم رواتبها الشهرية، حيث أصبح ممكنا استلامها في أي وقت من ليل أو نهار، في أول الشهر أو آخره، بواسطة البطاقات المصرفية.. أفلا نستطيع القول إننا أصبحنا نعيش في عالم البطاقات الإلكترونية على الرغم مما فيه من خير أو شر؟ وكأنه عالم الأحلام الافتراضي المتخيل الذي لم يكن يجرؤ الكثير من سكان الأرض يومًا على الحلم به، أو التفكير فيه ولو بخياله!

كل هذا التطور الإلكتروني هو من تقدير الله تعالى وفضله.. بأن فتح للإنسان أبواب العلم والاكتشاف والاختراع؛ لتوفير سبل الرفاهية والراحة، وتقليل الوقت والجهد والمسافات. ولكن البعض لا يقدر نعم الله تعالى، ويسيءُ استخدامها، ما بين لاعبٍ ولاه، وقاصد وغير قاصد.. فيرتكب من الآثام ما يؤذي به نفسه والآخرين! فنجد بعض الأشخاص، وخاصة من فئة الشباب ممن وهبهم الله تعالى ذكاءً مرتفعًا في الجانب الإلكتروني أو الحاسوبي، يستخدمونه في غير محله.. لا في الإبداع والإنتاج والتحسين، وإنما في اختراق بعض مواقع الشركات الكبرى، والدخول إلى برامجها المحوسبة بواسطة ما يطلقون من فيروسات، وهي برامج خطيرة، فيسرقون من بيانات تلك الشركات أو يحاولون تغييرها طمعًا في المال، فيبتزون أموالها، أو يسرقون من حساباتها أو حسابات عملائها بطريقة الكترونية، وبمبالغ هائلة قد تصل لمئات الآلاف أو الملايين، وتذكر تقارير مجموعة «فولي» للأبحاث الأميركية أن عام ٢٠٠٧ كان الأكثر قرصنة.. فتعرضت الكثير من الشركات الكبرى للخسائر، وتقدر بملايين الدولارات، نتيجة لذلك. فتم مثلا في العام ذاته اكتشاف عملية قرصنة كبرى على بيانات العملاء وبطاقاتهم الائتمانية لإحدى الشركات الأميركية الكبرى، والسرقة منها بمبالغ هائلة، نتيجة نجاح القراصنة في تعقب البيانات التي كانت ترسل من أحد فروع الشركة لاسلكيًا (عبر شبكة الواي فاي) إلى فرع آخر للشركة، وتذكر الشركة أنها أنفقت عقب ذلك عشرات الملايين على شراء أنظمة تأمين الحاسبات؛ لمنع القراصنة من الوصول لبيانات عملائها.

أسرار شخصية

وظهرت طريقة أخرى لقراصنة الإنترنت في إيذاء الأشخاص، تمثلت في اختراق البريد الإلكتروني للآخرين، لا لشيء بل من أجل التجسس عليهم، وكشف أسرارهم الشخصية، ولكن ماذا لو عرفوا أسرار غيرهم الشخصية؟! فهل تهمُّهم في شيء؟ أم هم يتقاضون أموالا لقاء تلك الأفعال؟ قد يكون هذا واردًا، ولكن هل تَحل لهم هذه الأموال؟ إن كان هذا التجسس على البريد الإلكتروني للأعداء، كما في المعارك والحروب، فقد يكون مبررًا، أما التجسس على الآخرين بهدف الإيقاع بهم أو التشهير بهم أو إيذائهم فهو من الأمور المحرمة لأن بها ضررًا للآخرين، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجۡتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ (الحجرات: ١٢).

وفي الحقيقة لم يسلم أبناؤنا من السرقات الإلكترونية، ولكن بشكل آخر وهو السرقة الفكرية (الأدبية والعلمية) لما ينشر عبر مواقع الإنترنت، فما ان يطلب معلم المادة تقريرًا أو معلومات عن موضوع معين، حتى ترى الطلبة يسارعون إلى محركات البحث في الإنترنت كجوجل وياهو وغيرهما.. ويضعون اسم الموضوع المراد البحث عنه، فتخرج لهم مباشرة كل المعلومات التي يريدون على طبق من ذهب، وكل ما يفعله أبناؤنا الطلبة هو طباعة الموضوع من الموقع كما هو تمامًا، دون أدنى جهد في التغيير أو التعديل أو حتى قراءته، ودون تفكير أو إمعان فيما عثروا عليه من معلومات في مدىً صحتها أو منطقيتها أو دقتها، فلا تجدهم يقرأون عن الموضوع في أكثر من موقع ومرجع، ومن ثم كتابة ما فهموه والخروج بموضوع جديد وبصياغة ذاتية!

تحصيل المعلومة

وفي إحدى المدارس الفرنسية حاول أحد المدرسين أن يثبت لطلبته أنهم لا يقرأون ما يجلبون من معلومات من الإنترنت، فطلب منهم الكتابة عن سيرة حياة أحد الأدباء الفرنسيين، واستطاع المعلم أن يدخل موقع ويكيبيديا (الموسوعة الإلكترونية) وأن يغير بالمعلومات عن حياة الأديب الذي طلب البحث عنه، وجعل بعض تلك المعلومات متناقضة وغير صحيحة وغير منطقية، ووقع الكثير من طلبته في الفخ.. فأحضروا تلك المعلومات المغلوطة من موقع ويكيبيديا (باللغة الفرنسية) كما توقع المعلم، ودون قراءتها، فأخبرهم بما فعل، وأنهم بالفعل لا يقرأون ما يحضرون من معلومات، ولا يتأكدون من منطقيتها أو دقتها أو موثوقية مصدرها، ولا يحاولون كتابة المعلومات بطريقتهم الخاصة.. وبالتالي فهم لا يتعلمون حقيقة: لأن المعلومة التي لا يَبذل الشخص جهدًا في تحصيلها غالبًا ما تنسى.. وفي أقرب وقت.

وقد تمكن بعض المعلمين من اكتشاف التقارير الطلابية المسروقة حرفيًا من الإنترنت، باختيارهم عبارة من المقالة التي يشكون في أنها ليست من تأليف طلبتهم، ويضعونها في محركات البحث كجوجل؛ لتخرج لهم جميع المقالات التي تتضمن تلك العبارة، وبالتالي يكتشفون أن هذا التقرير ليس من جهد الطالب.. ناهيك عن تكرر تقديم التقرير ذاته حرفيًا من طلبة عدة!

ألا يعتبر ما يفعله هؤلاء الطلبة سرقة فكرية؟! أم هو جهل فكري من طلبتنا؟ والأدهى والأمر من ذلك أن بعض الكُتاب والصحفيين ومؤلفي الكتب يسرقون موضوعات جاهزة من

بعض مواقع الإنترنت، ومن ثم ينشرونها في الصحف أو المجلات أو الكتب بأسمائهم، وكأنهم أصحابها الحقيقيون، ودون تغيير في مضمونها أو عباراتها، وأحيانا بتغيير في عنوانها فقط حتى لا يُشك في أمرهم! ألا تعتبر هذه سرقة يحاسَبون عليها يوم القيامة؟

إننا لا نعني عدم الاستفادة من شبكة الانترنت وما يُنشر بها من معلومات، وإلا فما فائدتها؟ ولكننا نقصد عدم سرقة جهود الآخرين ونسبتها إلى أنفسنا، بل ونكافأ عليها أحيانًا! وكيف سيكون وضع هؤلاء القانوني إذا استطاع صاحب دعوى ملكية فكرية إثبات أن عملًا ما هو من إنتاجه؟

ومشكلة السرقات الفكرية والإلكترونية أرقت الكثير في العالم، وجعلتهم يبحثون عن حلول لها، فتجد مثلا الشركات الكبرى والمؤسسات الحكومية والجامعات صممت أنظمة وبرامج حاسوبية قوية يصعب اختراقها، وبرامج مضادة للفيروسات وأنظمة أمان متعددة.



وبعض المصارف البنكية ابتدعت طرقًا لحماية أموال عملائها الذين يشترون عن طريق الانترنت، كإرسال رمز الأمان للعميل على هاتفه النقال حال انتهاء عملية الشراء عبر الإنترنت، ولا يتم استكمال عملية الشراء إلا بعد وضع الشخص رمز الأمان في المكان المناسب في الإنترنت، ثم تصله رسالة فورية بأنه قام بعملية شراء، فهناك ربْط بين الهاتف النقال والشراء عبر الإنترنت. وأيضا عند السحب من رصيد الشخص البنكي عبر بطاقته المصرفية تصله رسالة على هاتفه النقال تخبره بذلك؛ حفظًا لحقوقه.

وإن كانت الشركات الكبرى أوجدت حلولًا تحمي حقوق عملائها، فالسؤال: من يحمي أبناءنا من مشكلة السرقات الفكرية؟ ومن قيامهم بالاختراقات الحاسوبية غير المشروعة؟

٧ طرق لحماية الأبناء

إن الحماية الحقيقية لأبنائنا تأتي من التربية الأخلاقية لهم على مبادئ وتعاليم الإسلام، فهي التي تحميهم من الوقوع في الخطأ، والرجوع لجادة الصواب، ومن تلك الحلول:

أولا: تعليم الأبناء أحكام الإسلام في السرقة والغش والتجسس وإيذاء الآخرين، كقوله تعالى في النهي عن التجسس: ﴿ولا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢)، وقوله تعالى في تحريم السرقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨)، وقوله في تحريم الإيذاء: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨)، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ثانيًا: تعويد الأبناء منذ الصغر على عدم السرقة أو الغش وخداع الآخرين، ومتابعة ذلك السلوك إن بدا عند أبنائهم، فعندما يسرق الطفل لعبة أو مالًا أو حتى قلمًا من صديقه فلابد من البحث في أسباب هذا السلوك ووضع الحلول له؛ حتى لا يتطور ويتكرر إنْ أهمل ولم يتابَع من قبل الوالديْن والمرشدين التربويين في المدرسة، خاصة وأنَ الأطفال الصغار قد يأخذون حاجات الغير دون قصد سرقتها.. وإنما نتيجة قصور في فهمهم لملكية الغير، وأنها تختلف عن ملكيتهم الخاصة.

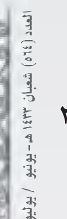
ثالثًا: استخدام أسلوب الحوار مع الأبناء، خاصة من بلغ سن التمييز وفوقه، وتعريفهم بمفهوم السرقة، وماذا تعني السرقة الفكرية؟ وما رأيهم فيها؟ وهل يحبون أن يسرق الآخرون جهدَهم الشخصي وينسبونه لأنفسهم؟ ما شعورهم تجاه ذلك؟ فكيف يقبلون بتقديم موضوعات من الانترنت دون تغيير أو تفكير فيها على أنها جهدهم الخاص؟

رابعًا: تعليم الأبناء أن الحصول على المعلومات دون أدنى جهد معناه عدم تعلم المعلومة، وعدم تخزينها في الذاكرة، ومعناه نسيانها بكل سهولة وعدم الاستفادة منها مستقبلًا. بالإضافة إلى أن أخذ المعلومة جاهزةً من الانترنت يقتل الإبداع والخيال، والتفكير الإبداعي والتفكير الناقد لديهم، فهم لا يفكرون ولا ينقدون ما يجدون من معلومات في مواقع تنشر الغث والثمين.. وليس هكذا تتطور الأمم والشعوب، إنما هذه طريقة لتأخرها وتراجعها.

خامسًا: بعض الأبناء، وخاصة من فئة المراهقين، قد يصرون على أفعالهم الخاطئة.. وهنا لابد من تهديدهم بالحرمان من بعض الأمور المهمة بالنسبة لهم، كالمصروف أو الخروج مع الرفاق، أو تهديدهم بإخبار الآخرين بأفعالهم، ولكن هذا لا يكون إلا بعد الحوار معهم، ومحاولة إقناعهم بتغيير سلوكاتهم السيئة كالتجسس والتلصص.

سادسًا: على المناهج والمدرسين في المدارس والجامعات القيام بدورهم في القضية: كتعليم الطلبة أخلاقيات التعامل مع شبكة الإنترنت، وتحذيرهم من خطورة اختراق مواقع الغير وإيذائهم، وتدريبهم على الطريقة الصحيحة في جمع المعلومات وكتابة التقارير والأبحاث.

سابعًا: لابد لوسائل الإعلام من أخذ دورها في إثارة موضوع السرقات الفكرية والإلكترونية وشتى الاختراقات الإلكترونية، وكيفية التعامل معها، وعقوباتها الدولية والشرعية، وكيفية تجنب الخسائر المالية لمستخدمي البطاقات.



لصوص الإنترنت.. من يحاسبهم؟!

مصطفى عباس- باحث سوري

ماذا تفعل إذا أمضيت عدة أيام وأنت مطرق متأمل، ولك جفن مؤرق، وفكر متقد، وجنبك يجافي الكرى، وعينك تهجر الوسن إلى أن انتهيت من كتابة دراسة فريدة في غاية الإبداع وقمة الإتقان أو مقالة كالشمس وضحاها.

ولكن فجأة وبينما كنت تقلب صفحات الشابكة العنكبوتية (الإنترنت).. وجدت أن أحدهم قد سرق تلك الدراسة، ونسبها نسبًا غير شرعي إلى نفسه، وليته سرقها خلسة، وهو يمشي على استحياء كما هي عادة اللصوص بل سرقها جهارًا نهارًا معلنا للملأ أنه السارق، حيث لصق اسمه بجانب تلك الدراسة، وقام بمسح اسمك. ثم إن ذلك اللص شعر بالإعياء والتعب بعد أن بذل ذلك الجهد الجهيد في النسخ واللصق.. فما كان منه إلا أن رسم بسمة رضًا صفراء على شفتيه وأقنع نفسه بأنه حقًا هو صاحب تلك الدراسة الإبداعية.. ومن ثم أسلم جفونه للنوم، وذهب في سبات عميق.. بعد طول سهر، ومعاناة سهد، وتمحيص وتدقيق..؟!

وماذا تفعل- أيها الشاعر المبدع- إذا سكبت أحاسيسك ومشاعرك في بحور الشعر المفعمة بالحب، ومزجت عواطفك الحرى بدماء دموعك، ومداد يراعك، ثم غرست فسائل إبداعك في ضميرك ووحي قلمك فنبتت في بستان فكرك قصيدة مفعمة بالوجدان، تبهر الألباب، وتطرب الأفئدة، وتوقظ الوسنان، وتشنف الآذان؛ وبينما كنت تقلب صفحات الإنترنت وجدت أيضًا أن أحدهم قد قام بسرقة تلك القصيدة منك، سرقها بكل ما تحويه من عواطفك وأحاسيسك، ونسب القصيدة نسبًا غير شرعي إلى نفسه، ولم يرع حرمة لعرض الشعر، وشرف بنات الأفكار، ولم يخف جرائمه الشنيعة تلك، بل وضع اسمه في نهاية القصيدة، ونسي أو تناسى أن الإنسان إذا بلي بارتكاب المعاصي فعليه أن يستتر! لاريب- أيها المفكر والأديب والشاعر- أنك ستشعر بالغضب، بل تكاد تميز من الغيظ، وقد تهمس في سر نفسك وتناجي طيف فكرك:

رحم الله لصوص تلك الأيام، وما أشد حياء لصوص الأموال، وسارقي النفائس! حيث كانوا يتخفون ويسرقون ووجوههم مصفرة، وفرائصهم ترتعد، وأياديهم ترتجف خوفًا وقلقًا، فأحدهم عندما يسرق مالًا أو ذهبا أو كنزًا يحاول جاهدًا أن لا يترك أي أثر يدل على فعلته الشنيعة تلك، وما رأينا سارقًا وضع قصاصة ورقية بعد عملية السرقة ووضح فيها اسمه، ونسب السرقة إليه.

هذا مع أننا نعلم أن السرقة سرقة وأن اللص لص سواء أكانت الأشياء المسروقة مالا أم فكرًا أم أي شيء آخر.. بل إن سرقة الفكر تكون أشد خطرًا من سرقة المال، لأن المال قد يحصل عليه أي شخص، فهو في متناول الجميع.. أما الإبداع السامي، والفكر المتألق، والعاطفة المشبوبة بلوعة كاتبها لتخرج قصيدة كحديقة ذات بهجة والمقال المتجدد والدراسة الجادة الفريدة فهذه الأشياء لا يستطيع أي شخص أن يحصل عليها لذلك هي أشياء خاصة بالمبدعين والمفكرين، وليست مشاعًا يرتع فيه كل من يريد ولا شرابًا سائغًا لكل الشاربين. فباب السرقة في الإنترنت مفتوح لكل من لا خوف من الله يحجبه، ولا ضمير يردعه، لأن الشابكة العنكبوتية مرتع خصب للأدعياء وهي في الوقت ذاته مستنقع آسن لكل من يعب منه ويرد لجاجه من لصوص الفكر، وسارقي المواهب وقطاع طريق النتاج الأدبي والثقافي والفكري، ففي الإنترنت يكتب من شاء ما شاء ويسرق من يريد لكل من يريد، أما في المجلات العلمية والصحف والكتب فقد نجد في حالات نادرة أن أحدهم قام بسرقة قصيدة أو رواية أو مقالة ونشرها في تلك الصحيفة أو المجلة أو الكتاب، لكن حتى وإن نشرها فإنه سرعان ما يفتضح أمره، ويرد عليه الكثيرون من أنصار رد الحقوق إلى أصحابها، وخاصة إذا كانت القصيدة مشهورة، وكان السارق- بالإضافة إلى سرقته- مغفلا، ويظن أن لا أحد يعلم من هو صاحب القصيدة ومبدعها.

وعلى كل الأحوال ليست النائحة كالثكلى، والخليقة التي تكسو صاحبها مهما حاول أن يخفيها فلابد أن تظهر يومًا ما للملأ..

وعلى المنتحل والسارق أن يعلم علم اليقين أن كل قصيدة أو مقالة أو دراسة ترث بالفطرة لغة وعواطف وفكر وأحاسيس وأسلوب كاتبها، فالمتمرسون بالنقد الأدبي والتذوق الفطري للنصوص يعرفون من النظرة الأولى كاتب النتاج الأدبي، وذلك قبل قراءة اسمه لأن لكل كاتب وشاعر في كتاباته سمات وخصائص وسم بها وميزات تميزه عن غيره من الكتاب والأدباء والشعراء، اللهم إلا من بدأ بكتابته مقلدًا للآخرين، وتقمص أساليبهم فإن الأمر قد يلتبس أحيانا على من لا خبرة عنده.. وكذلك قد يلتبس الأمر إذا كان الكاتب في بدايات كتاباته، ولم يقرأ له الناس إلا قليلا..

أظن أن الرسالة والنصيحة قد وصلت.. وإن كانت تساورني بعض الشكوك في خلو المستقبل ممن سيقوم بسرقة هذه المقالة، ويمحو اسمي ويلصق اسمه!



المسلمون.. صناع حضارة وأمراء الصناعة

بهيج سكيك
كاتب فلسطيني

تزداد الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين هذه الأيام باسم «محاربة الإرهاب» تارة وباسم «صراع الحضارات» تارة ثانية، ومرة ثالثة تحت عنوان «حوار الحضارات»، وهذا أحد الرؤساء الأميركيين يعلن «بداية الحروب الصليبية الثانية» في بداية غزوه لأفغانستان، وأحد الباباوات يتهجم على الإسلام حال تنصيبه وجلوسه على كرسي الفاتيكان في روما!! ثم يطالبوننا بـ«الاعتدال» و«الوسطية»، ويتهموننا بعدم احترام «حقوق الإنسان» غير المسلم طبعا الظروف نفسها التي نعيشها اليوم رافقت الحملات الصليبية العسكرية القادمة من أوروبا إلى المشرق الإسلامي على شكل موجات متتالية بداية من القرن الحادي عشر الميلادي تجتاح الأخضر واليابس بتحريض من رجال الدين وملوك وأمراء الإقطاع الطامعين في ثروات الشرق والحاقدين لسيطرة المسلمين على طرق التجارة البحرية والبرية القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا والصين إلى أوروبا. وكونوا «إمارات صليبية» في الرها وأنطاكية وطرابلس ومملكة في بيت المقدس التي استشهد على أسوارها خمسون ألف مسلم.

استمر الصراع محتدما بين المسلمين والصليبيين أكثر من قرن من الزمان إلى أن جاء «صلاح الدين الأيوبي» وكنس هذا الوجود الصليبي.

وبقدر ما كانت الحملات الصليبية دمارا ونقمة على العالم الإسلامي كانت هذه الحملات نعمة على أوروبا قاطبة، فقد تشرذم المسلمون وانقسموا إلى دويلات متناحرة وانطفأت جذوة الحماس وبدأوا يعيشون عصور الانحطاط.

لقد بقيت «الحضارة الإسلامية» طيلة ثمانية قرون زاهرة لا منافس لها في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والفنية، واحتك الأوربيون بهذه الحضارة في بلاد الشام وعرفوا أن حكامهم ورجال الكنيسة خدعوهم.

عادوا إلى أوروبا، وكانت إيطاليا أقرب المناطق الأوروبية إلى العالم، بل إن المسلمين كان لهم وجود في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا طيلة قرن ونصف من الزمان.. صقلية التي مازال متحفها يحتفظ بخريطة العالم المسلم «الإدريسي» المرسومة على لوح مستدير من الفضة، ومازالت مدينة ساليرنو Salerne في جنوبها تعتز بوجود أول «مدرسة إسلامية للطب» في أوروبا!! بدأت فيها شعلة ما عرف بـ«عصر النهضة الحديثة» والتي استمرت في

«الحضارة الإسلامية» بقيت طوال ثمانية قرون زاهرة لا منافس لها في شتى المجالات

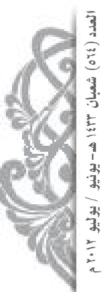
مخاضها ثلاثة قرون نقلت أوروبا إلى العصور الحديثة، وقد شهدت هذه القرون الثلاثة حركة الكشوف الجغرافية للأمريكتين واستراليا وطريق رأس الرجاء الصالح إلى شرق آسيا والهند، وتدفقت الأموال والذهب والمحاصيل الزراعية الجديدة الى أوروبا (إسبانيا والبرتغال ثم بريطانيا) مما أدى إلى الثورة الصناعية أو الانقلاب الصناعي الذي نقل أوروبا من صناعة اليد إلى الآلات، وعلى الأخص الآلة البخارية ونول النسيج، ثم تلى ذلك موجة الاستعمار الأوروبي الحديث لدول آسيا وإفريقيا للحصول على المواد الخام وأسواق لمصنوعاتها في هذه المستعمرات.

صناع الحضارة

اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وبلغت أقصى اتساعها في عهد الدولة العباسية لتمتد من حدود الصين شرقا إلى بلاد الأندلس غربا والتي تجزأت اليوم إلى حوالي ٥٥ دولة اسلامية، وهذا الاتساع وبالتالي تنوع المظاهر التضاريسية واختلاف الأحوال المناخية أدى إلى تنوع كبير في المنتجات الزراعية فيها والذي كانت الأساس الذي قامت عليه صناعات ناجحة مثل قصب السكر والقطن والكتان والأزهار والفاكهة والحبوب!! كما حوت أرض الإسلام الكثير من المعادن كالحديد والذهب والنحاس والفضة والأحجار الكريمة وجادت البحار بالأسماك والمراعي الواسعة أمدت الصناعة بالأصواف والجلود والوبر واللحوم، بفضل هذه المواد الأولية المتنوعة قامت في أنحاء الدولة الإسلامية صناعات مختلفة باختلاف تلك المواد وازدهرت بذلك الصناعة ازدهارًا كبيرًا وبلغت درجة عالية من الإتقان بالرغم من أنها كانت عملا يدويًا إلا أنها اشتهرت بالدقة والمهارة والإتقان.. أين كانت أوروبا في هذه الحقبة من ازدهار حضارة المسلمين؟

كيف اتصلت أوروبا بالحضارة الاسلامية؟

لم تكن الحروب الصليبية هي الطريق الوحيد الذي عبرت فيه الحضارة











الإسلامية إلى أوروبا، بل كانت هناك طرق ومعابر أخرى اتصل عن طريقها الأوروبيون، فهناك الأندلس التي استقر فيها العرب حوالي ثمانية قرون بلغت فيها الحضارة أوجها وأصبحت مدنها مراكز إشعاع حضاري يأتي إليها طالبو العلم من جميع أنحاء العالم، فهذه قرطبة «Corduba» أو«Cordoba» يحج إليها أحد باباوات روما ويمكث فيها سنوات يتعلم ثم إشبيلية (Sevilla) أو (Hispalis) وغرناطة «Granada» وطليطلة «ToIedo» التي أضيئت شوارعها بـ«الفوانيس» وأدخلت إليها المياه والحمامات العامة وعرفت «العزل الصحي» فكان الوافد إلى هذه المدن يُعزل لمدة ثلاثة أيام ليُتأكد من خلوه من الأمراض المعدية كما يتوجب عليه الاغتسال في «حمام عام» وينزل في «نزل» (فندق) INN. وسبقت الإشارة إلى جزيرة «صقلية» وجنوب إيطاليا التي فتحت على يد دولة الأغالبة، ومن مدنها «بليرمو» Paleromo عاصمة صقلية اليوم ومسني Messine وسرقوسة سيراكوز Siracusa وباري «Bari» ثم ساليرنو «Salerne» التي عرفت أول مدرسة للطب ما تزال إطلالها باقية إلى اليوم كما عرفت صقلية «دار الطراز»، وهي بمعناها اليوم دار الأزياء يزورها ملوك وأمراء أوروبا لحياكة ملابسهم وتطريزها بخيوط الذهب والفضة.

ومن الطرق المهمة التي ساعدت على نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا هو تبادل التجارة بين الشرق والغرب- من مصر والشام- التي يصفها ابن خلدون في مقدمته ص٤٥٣ «ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع».

وقد اغتنى التجار السماسرة الأوربيون من هذه التجارة وأثروا ثراء فاحشا خصوصا أصحاب السفن من تجار جنوه Genova والبندقية Venezia ونابولي Napoli وفلورنسا Florenze وهذا السبب الذي جعل «عصر النهضة الأوربية Renaissance يبدأ من إيطاليا القريبة من ديار الإسلام».

القائمة طويلة

وإذا كنا سنقتصر في دراستنا هذه على الصناعة التي تفوق فيها المسلمون ونقلت إلى أوروبا عن طريق تلك المعابر والسُبل السابق ذكرها.. سنجد أن القائمة طويلة يصعب حصرها.. ولما كانت أهم حاجات الإنسان في بداية عصر الدولة الإسلامية هي الملبس والمأكل فقد نشطت صناعات النسيج والأقمشة والسجاد والبسط وصناعة السكر ثم صناعة الزجاج والصابون والثلج والبارود، والسفن بأنواعها التجارية وصيد ومعقدات الفاكهة (المربيات) Jam لوفرة الفاكهة في ديار الاسلام منها الأترج- النارنج- والخوخ والمشمش والقرع والجزر والبلح ونحوها.. وصناعة طحن الحبوب في مطاحن مائية أو هوائية انتشرت في سائر أنحاء العالم الإسلامي وصناعة تجفيف السمك، أما صناعة العطور فقد نشطت وازدهرت في فارس والعراق وصار إقليم «سابور» في فارس كأنه باريس اليوم في شهرته بإنتاج العطور من زهور البنفسج والنرجس والسوسن والزئبق والمرسين والنارنج، أما مدينة «جور» في جنوب فارس والتي ينسب إليها الورد الجوري والذي استوطن دمشق والشام فيما بعد فكانت تصدر «ماء الورد» إلى المغرب والأندلس ومصر واليمن والهند والصين.

وفي المتحف الإسلامي بالشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة ركن خاص لمصنوعات ومجسمات معدنية لأدوات طبية استخدمها أشهر أطباء المسلمين، وركن آخر للسجاد بنقوشه ورسومه الجميلة وركن ثالث لأجمل المسكوكات والنقود المعدنية الذهبية والفضية والنحاسية لعصور إسلامية مختلفة، لقد انتشرت «دور الضرب» أو «دور السكة» في جميع أنحاء العالم الإسلامي واستعانوا بخبرة الساسانيين من الفرس والبيزنطيين وصار منصب «ناظر السكة» من المناصب المهمة في الدولة الإسلامية وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة الذهبية ووحدتها «الدينار» والعملة الفضية وحدتها «الدرهم» والكلمتان مشتقتان من العملة الإغريقية القديمة «ديناريوس» و«دراخما»، أما العملة النحاسية فكانت وحدتها «الفلس».

أما الصناعات الخشبية والحفر على الخشب والذي اكتسب اسم الأرابيسك (Arabisc) اشتهرت به مصر والباكستان والهند من أخشاب الساج والأبنوس والزان والعرعر وغيرها ولاتساع الموضوع وشموليته الصناعة في الحضارة العربية الاسلامية سنقصر دراستنا على بعض الدراسات والصناعات التي أثر على أوروبا وهي صناعة النسيج، صناعة السكر.

صناعة النسيج

لما كانت حاجات الإنسان قديما وقبل الإسلام تكاد تنحصر في مطلبين أساسيين هما المأكل والملبس فقامت شعوب هذه المنطقة بصناعة حاجتها من الملبس مما توافر لها من مواد خام لهذه الصناعة فقد عرف المصريون

زراعة الكتان الذي صنعوا من سيقانه ملابسهم واستخدموا زيت بذرة الكتان في طعامهم ووجدت كميات كبيرة من أنسجة الكتان في مقابر ملوكهم ملفوف بها «موميـاءات» فراعنتهم، وعرف العرب وبر الجمل وصوف الغنم وكانت ملابسهم خشنة غير دقيقة الصنع.. وعرف الفرس القطن وكذلك بلاد ما بين النهرين وكرمان... ومناطق آسيا الوسطى في خوزستان وطبرستان وأفغانستان عرفت خيوط الحرير لقربها من الصين، وكانت تصنع فيها أقمشة الديباج وخيوط الإبريسم في مدينة «مرو» في طبرستان ولما أصبحت هذه المناطق تستظل بمظلة الإسلام ازدهرت صناعة النسيج واعتبرت من أهم الصناعات بحيث إن أغلب حكومات الإسلام جعلته احتكارا لها وعرفت مصانعه باسم الطراز، وهي كلمة فارسية تعني التطريز أو الملابس، لقد أصبح لهذه الصناعة هيئة كبيرة من العمال والموظفين ووسائل نقل كثيرة خاصة به من مراكب ودواب.. لقد أطلق «موريس لومبار» في كتاب «الإسلام في عظمته الأولى» على الحضارة الإسلامية حضارة نسيج.. لأجل اللباس ولأجل الأثاث، وينسج معه السجادة أهم قطعة في المنقولات المنزلية ونسيج للخيام والجيوش.

لقد بلغت صناعة السجاد في الدولة الإسلامية درجة عالية من الإتقان ومازال السجاد العجمي (الفارسي) (Persian) يتصدر أفخر أنواع السجاد المصنوع من الصوف والحرير والقطن والجوت، وحملت أنواع السجاد أسماء المدن التي صنعت فيها برسومها ونقوشها الخاصة بها فهذا النقش «الشيرازي» و«التبريزي» و«الأصفهاني» وكان ينافسه السجاد التركي عموما وسجاد بورصة عاصمة بني عثمان الأولى ومثوى رفات عثمان وابنه أورهان.. كانت مدينة بورصة في البر الآسيوي تمثل نهاية الطريق الشهير «طريق الحرير» silk way الذي يبدأ من الصين حيث اكتسب اسمه من أهم بضاعة حملتها القوافل وهي الحرير والسجاد والبخور والعطور والأحجار الكريمة والتوابل وغيرها.. يمر عبر سلاسل جبلية معقدة في «هيمالايا» وسليمان و«قرة قورم».



يقول الدكتور فيليب حتى في كتابه «تاريخ العرب»: لم يكن هذا النشاط التجاري ليبلغ مداه لولا أن وراءه صناعة وطنية متقنة ومهمة وزراعة واسعة ومتنوعة.

ويضيف كان لأم الخليفة المستعين في عصر الرخاء العباسي سجادة حيكت لها خصيصا بلغت أكلافها مائة وثلاثين مليون درهم عليها صور لكثير من أنواع الطيور مصنوعة من خيوط الذهب وعيونها من الياقوت وسواه من الأحجار الكريمة.

أما أقمشة الملابس فأمرها عجيب عظيم، فقد اتخذت لها أسماء حسب المادة الخام المصنوعة منها التيل Linen الذي انتقلت صناعته من مصر حيث أتقن القبط صناعته، والبز أو النسيج القطني والخز الذي أدخلت صناعته من الصين عن طريق الفرس و«الديباج» وهو قماش ملون رقيق، و«السقلاطون» وهو نوع من الحرير الموشى بخيوط الذهب و«القطف» وعرف فيما بعد بـ«القطيفة» يصنع من الحرير المخلوط بوبر ذكر الأرانب، والسندس وقد ورد ذكره في القرآن الكريم.. وهو نوع من القماش الشفاف رقيق كالديباج حرف في اللغات الأوروبية إلى «Chifon»، كما حملت الأقمشة أسماء المدن الإسلامية التي صنعت فيها الدمقس Damascus نسبة إلى دمشق، والموسلين Mousseline نسبة إلى الموصل بالعراق اليوم، والكوفية لباس الرأس نسبة إلى مدينة الكوفة، والديبقي ينسب إلى مدينة دابق قرب مدينة دمياط بمصر، والقباطي نسبة إلى الأقباط في مصر، والتنيسي في مصر التي صنع فيها أجود أنواع الكتان.

كما اكتسب صناع هذه الحرفة أسماء الصناعات التي يصنعونها مثل: البزاز (بائع البز)، والخزاز، والقطان، والحائك، و«الطرزي» صاحب دار الطراز.

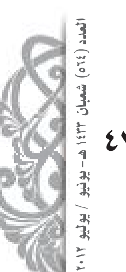
ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وظهور التمايز الطبقي صار لكل طبقة لباس وزي تعرف به، بل إن المناصب والرتب الحكومية كان لكل موظف فيها زي يعرف به، بل إن ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع اعتبر الزي من مظاهر الحضارة الإسلامية وفنونها.

فعرفت «الجبة» زي رجال الدين والأردية والسراويل والعمائم والقلانس والجلاليب وهو ثوب غليظ لعامة الناس، وسترة وقفطان، ورجال القضاء يلبسون «الطيالس» ومفردها «طيلسان»، أما الجند فكانوا يرتدون «بزة» تزينها شرائط حسب رتبة الجندي ومنها عرف بالشرطي، كما لبس بعضهم «الإزار» حول وسطه، وكان يصنع من الحرير أو القطن حسب المنزلة الاجتماعية لصاحبه.

ولبست النساء الرداء، والمطرف (رداء طويل له طرف) ودراعة، وملاية، والنقاب والذي اقتصر لبسه على الطبقة الأرستقراطية في بداية الأمر تأسيا بنساء النبي ﷺ، والسراويل التي عرفتها نساء العرب قبل الإسلام والذي عرفه الأوروبيون فيما بعد باسم «Pantalon».

وفي فارس اشتهرت مدينة فستان «Vistan» بصناعة نسيج يتلون بألوان الشمس، فكان يقال زوجة الخليفة ترتدي رداء من «فستان» ثم حذف حرف الجر (من) فصارت ترتدي المرأة «فستان»، وهذه الكلمة مازالت في المشرق الإسلامي- بلاد الشام ومصر وغيرها.

ونحن بهذا الصدد لن ننسى الصناعات



المرتبطة بالنسيج ومنها الصباغة، فقد كانت النيلة القرمزية التي تستعمل للتلوين بالأزرق فهي نبات أدخل من الهند إلى ما بين النهرين واليمن والمناطق المنخفضة في أغوار فلسطين وسورية، كما استخدم الزعفران في التلوين بالأصفر وورد النيل أو العظام للتلوين بالأحمر، ويعرف صاحب هذه الحرفة بـ«الصباغ».

وصاحب تكاثر وتنوع الخامات والمواد الأولية النسيجية ومواد الصناعة تقدم في تقنيات الصناعة فعرفت أنوال ذات سدى أفقي، وأخرى ذات سدى عمودي ثم النول ذو الدواسة نقلوه عن الصين، واستخدم النول مع المكوك الطيار في صناعة السجاد.

صناعة السكر

لم تعرف أوروبا المذاق الحلو إلا من عسل النحل أو السكر الذي تحتوي عليه ثمار الفواكه كالعنب والتفاح وغيرها، وكان استخدام العسل قاصرا على الطبقة المترفة لارتفاع سعره وقلة الكميات المنتجة منه! وكان السكر الذي يعرف باسمه العربي في لغات العلم- بالإنجليزية «Sugar» وبالفرنسية «Suere»- مأثرة أخرى من مآثر المسلمين على دنيا الحضارة. «ومع أنه ليس اختراعا عربيا.. إلا أن أياديهم البيضاء في تطوير صناعته ونشره لا يمكن أن تنكر». يعتقد أن الموطن الأصلي لنبات قصب السكر هو الهند ثم نقله الفرس أول مصنع له في «جُند بسابور» وانتشرت زراعة السكر ومعامل تكريره في سورية ومصر وفلسطين وقبرص وبحر قزوين وصقلية وإسبانيا، وكانت مصر الأسبق في تحسين هذه الصناعة، وصنعوا من السكر نوعا من الحلوى سميت «قنده» حرفت باللغات الأوروبية إلى «Candy» وظلت هذه المناطق العربية والإسلامية المصدر الأساس للسكر في العالم الإسلامي وأوروبا- حتى القرن السادس عشر الميلادي، وكانت الأندلس (إسبانيا) وصقلية من أهم المعابر التي عبرت منها صناعة السكر الى أوروبا! فقد ذكرت المصادر أن الإغريق في غزوهم لفارس والهند عرفوا نبات قصب السكر ووصفوه بأنه «ضرب من القصب المدهش ينتج نوعا من العسل بدول تدخل النحل».

ما أنجزه هؤلاء المبدعون الأقدمون هو الذي أوصل إنسان العصر الحديث إلى ما وصل إليه

نقل البحار- الملاح- دون أنريك زراعة قصب السكر من صقلية إلى جزر ماديرا عام ١٤٢٠م ثم تبعه كريستوفر كولومبس مكتشف العالم الجديد (أميركا) فأدخل زراعة قصب السكر إلى جزر الدمينكان في رحلته الثانية إلى هناك عام ١٤٩٣م ثم انتشرت زراعته في وسط أميركا (كوبا خصوصًا وجنوبها البرازيل)، وأصبح السكر تجارة دولية رائجة، وكان أول مصنع لتكرير السكر في أوروبا قد أسس في عام ١٥٧٣م في مدينة «أوجسبرج» وتلاه مصنع آخر في «درسدن» بألمانيا عام ١٥٩٧م.

وقد ارتبطت بصناعة السكر صناعات أخرى كثيرة أهمها صناعة الحلوى في العالم الإسلامي خصوصًا عصر الدولة العباسية وعصر الدولة الفاطمية التي كانت توزع الحلوى في عيد الفطر وعيد الأضحى وكانت توزع «قراطيس سكر القند» على العامة إذا ما رزق الخليفة بغلام وليا للعهد، ومن أنواع الحلوى التي كثر الحديث عنها وكتبت فيها الأشعار للخلفاء: الفالوزج واللوزينج والخشاف والجلاب والفطير والهريسة، وكانت جميعها أساسها السكر والدقيق والسمن.

كما عرف المسلمون «دبس القصب» المولاس Moulase ويطلق عليه في مصر العسل الأسود «دبس العنب» و«دبس الخرنوب» و«دبس الرمان» وهي مواد أساسية في عشاء ليالي الشتاء البارد في بعض المناطق.. ولما قام نابليون بونابرت بحملته الشهيرة على مصر عام ١٧٩٨م كان من أهدافه قطع الطريق بين بريطانيا العظمى في ذلك الوقت ومستعمراتها في الشرق خصوصا جوهرة التاج البريطاني (الهند) وصنع السكر من نبات آخر هو البنجر «Beets» وحسنت أنواعه، ورفعت نسبة السكر فيه وتمكنت العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) من استخلاص السكر من «تمر النخيل» إلا أنه كان «يتميأ» بسرعة ويصبح لزجا سريع العطب إذا تعرض لرطوبة الجو لذا بقي استخدام سكر التمر قاصرًا على صناعة الحلويات والمياه الغازية هناك.

وبعد، لا ينكر فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا إلا جاحد أو لئيم، ففي كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والفنية وغيرها نجد مآثره للمسلمين، وإن ما أثلج صدري وأنا اقوم بهذه الدراسة وفرة المصادر والمراجع التي وقعت عليها- عربية وغير عربية- بل تخصص البعض في الكتابة عن فن العمارة الإسلامية فقط وآخر عن الطب وأدواته، وهكذا إن ما أنجزه هؤلاء المبدعون الأقدمون هو الذي أوصل إنسان العصر الحديث إلى ما وصل إليه.

المراجع

١- الإسلام في عظمته الأولى: موريس لومبار- ترجمة ياسين الحافظ دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- ١٩٧٧م.

٢- تاريخ العرب: فيليب حتى وإدوارد جرجي وصيرائيل جبور- دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ١٩٧٤م.

٣- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى- د.عبدالمنعم ماجد- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٩٦م- ص٢٦٧.

٤- الحضارة العربية الإسلامية: د.إبراهيم سلمان الكروي- مركز الإسكندرية للكتاب ١٩٩٩م.

٥- الحضارات: لبيب عبدالستار- دار المشرق- بيروت ١٩٩٩.

٦- علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الانسانية: د.أحمد مدحت إسلام- دار الفكر العربي للنشر- القاهرة- ١٩٩٩م

٧- موسوعة أعلام الحضارة الإسلامية: مصطفى فتحي- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان- الأردن- ٢٠٠١م.

جودة مياه الشرب

م. خالد عنانزة
مهندس مياه وبيئة في الأمم المتحدة سابقًا

لقد ربط الخالق سبحانه وتعالى حياة الإنسان على هذه الأرض بالماء بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء:٣٠)، حيث يشكل الماء ٧٠٪ من جسم الإنسان ويدخل في جميع أجهزة الجسم الحيوية فهو يشكل ٨٣٪ من الدم ويحافظ على لياقة الجسم ودرجة حرارته ويساعد في هضم الغذاء وطرحه وبازدياد نقاوة الماء ترتفع كفاءة الجسم للقيام بعمليات الهضم وإذابة الطعام وتوصيل الغذاء إلى جميع خلايا الجسم، كما يقوم الماء بدور مهم في كثير من العمليات الحيوية حيث يعتبر وسطا، تجري فيه التحولات الكيميائية في الخلية.

نظرا لأهمية الماء فقد اهتم الإنسان منذ القدم بجودة الماء الذي يشربه، فالماء النقي ذو الجودة العالية شرط أساسي لضمان صحة الإنسان، لأنه يعتبر إحدى وسائل دخول مسببات الأمراض والمواد الكيماوية إلى جسم الإنسان إلى جانب الهواء الذي نستنشقه والغذاء الذي نتناوله. والاحتياجات الأساسية للشخص في اليوم تتراوح بين ٢٠ إلى ٥٠ ليترًا من المياه النظيفة الخالية من الملوثات الضارة والعوامل الممرضة لأغراض الشرب واحتياجات الطهي والمرافق الصحية، واستنادًا إلى منظمة الصحة العالمية تحدث ٤ مليارات حالة إسهال كل عام بالإضافة إلى ملايين الحالات الأخرى من الأمراض التي ترتبط بنقص الحصول على المياه الآمنة للاستهلاك البشري، ويموت كل عام ١,٧ مليون شخص بسبب الإسهال معظمهم من الأطفال دون الخامسة، وتتأثر صحة الإنسان بصورة خطيرة بسبب الأمراض المتعلقة بالماء، وتشمل الأمراض المنقولة بالماء مثل الكوليرا والتيفوئيد والأمراض الناتجة عن مياه الغسيل والتنظيف مثل بعض أمراض الجلد والعيون وحمى التيفوس، والأمراض الناتجة عن العوامل الممرضة التي تقضي جزءًا من دورة حياتها ضمن المياه مثل الديدان الفطرية والأمراض التي تنقلها الحشرات التي تعيش ضمن أو قرب المياه، مثل الحمى الصفراء والملاريا، ولا تتأثر نوعية المياه بالتلوث البيولوجي فحسب بل بالتلوث الكيميائي الذي يتم تصريفه في المياه نتيجة النشاطات البشرية في الزراعة والصناعة والمنازل حيث تسبب الزراعة تلوث مصادر المياه بالمخصبات الزراعية مثل النترات والمبيدات وما ينتج عنها من أمراض تؤثر على الإنسان، أما الصناعة فتشير إحصاءات الأمم المتحدة أن ٣٠-٤٠٠ طن من المعادن الثقيلة والمذيبات والرواسب الصناعية وغيرها من الفضلات تطرحها الصناعة سنويا في الأنظمة المائية العالمية، كما تدخل السوق الأميركية وحدها ٧٠٠ مادة كيميائية كل عام، كما يؤدي التخلص من مياه الصرف الصحي بدون معالجة في الأنظمة المائية إلى تلوث مصادر المياه السطحية والجوفية، فقد أشارت مصادر الأمم المتحدة أن ٨٠٪ من مياه الصرف الصحي تطرح بدون معالجة في الدول النامية.

الماء والتنمية المستدامة

تعتبر جودة المياه وتوافرها من المؤشرات المهمة للتنمية المستدامة انطلاقا من الدور الكبير الذي تلعبه المياه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأصبح ينظر لها باعتبارها سلعة نادرة يجب المحافظة عليها وإدارتها بطريقة تأخذ الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية بعين الاعتبار، وتعتبر قضية نقص موارد المياه وتردي نوعيتها بمثابة القضية البيئية الرئيسية في البلدان النامية والتي يتم التركيز عليها دوما كمسألة تتعلق بالأمن القومي والاجتماعي والاقتصادي حيث أصبحت المياه النقية حاجة ملحة وضرورية ليس فقط لمياه الشرب والاستخدامات المنزلية وإنما أصبحت ضرورة للتطور الحضاري والتقني لأي بلد، وقد طورت الأمم المتحدة بناء على مبدأ الحق في الحصول على المياه مجموعة من المؤشرات تعتمد على ثلاثة عناصر رئيسية هي: توفر الماء



Availability، ونوعية المياه water Quality، والإتاحة Accessibility أي القدرة على الوصول للمياه. وإذا علمنا أن العالم اليوم يعاني من مشكلة المياه على صعيدي شح المصادر المائية وزيادة الإجهادات البيئية نتيجة التلوث، وفي الوقت نفسه يزداد الطلب على المياه للاستخدامات المختلفة فإن هذا الواقع يفرض إدارة المياه بحكمة وواقعية.

كيف تكون جودة مياه الشرب مضمونة؟

لقد أعدت منظمة الصحة العالمية المبادئ التوجيهية والدلائل الإرشادية لنوعية مياه الشرب والتي تشكل نقطة مرجعية دولية لسلام مياه الشرب، وهذه المبادئ تعتمد على دراسات كافية عن تأثيرات المادة في الكائن الحي وتُراجع باستمرار. وتستخدم دول العالم هذه الدلائل الإرشادية لوضع مواصفات مياه الشرب الخاصة بها حسب ظروف وإمكانات كل دولة؛ لذلك تعتبر إرشادات منظمة الصحة العالمية غير ملزمة بينما مواصفات مياه الشرب الصادرة في كل دولة ملزمة حسب القانون. وتتضمن مواصفات المياه مجموعة من الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية التي تحدد الحد الأقصى المسموح به في مياه الشرب، وتشمل الخصائص الفيزيائية اللون والطعم والرائحة والمواد الصلبة الذائبة (TDS)، والمواد الصلبة العالقة (TSS)، ودرجة الحرارة والعكارة وغيرها، بينما تشمل الخصائص الكيميائية؛ الرقم الهيدروجيني (PH) والقلوية والحمضية والعسرة والأكسجين المذاب، والعناصر الثقيلة وغيرها. أما الخصائص البيولوجية فتشمل أنواع الكائنات الحية الدقيقة مثل القولونيات الغائطية. وعموما إن أي مياه منتجة لأغراض الشرب يجب أن توافق جودتها المتطلبات التالية:

١- متطلبات استساغة (جمالية): أن يكون الماء خاليا من الطعم واللون والرائحة ومقبولا للمستهلك.

٢- متطلبات صحية: أن يكون الماء خاليا من الميكروبات المسببة للأمراض والكيماويات السامة.

٣- متطلبات اقتصادية: يجب أن يكون الماء منتجا بطريقة اقتصادية.

ما هي مؤشرات تلوث الماء؟

الماء النظيف أساسي لصحة المستهلكين ويمتاز بأنه ليس له طعم أو لون أو رائحة، وبرغم أهمية هذه الإشارات الثلاث فإنها تعتبر مقياسا أوليًا فقط وتعطينا مؤشرًا، لذلك يجب الامتناع فورًا عن شرب مياه لا تبدو نظيفة، طعمها غريب أو تفوح منه رائحة سيئة، وللحكم على جودة مياه الشرب بشكل نهائي من الناحيتين الكيميائية والبيولوجية نحتاج لفحوصات مخبرية دقيقة، وتتطلب جودة مياه الشرب أن تكون المياه مستساغة لأغلب المستهلكين.. إن وجود الطعم والرائحة في مياه الشرب ينتج عن وجود مواد عضوية وغير عضوية في مصادر المياه تحدث طبيعيا أو نتيجة للنشاطات البشرية. ويشير وجود طعم ورائحة غير محبذين إلى فشل في عملية معالجة مياه الشرب، وفي حالات معينة قد يشكو المستهلكون من طعم ورائحة خفيفة في مياه الشرب، وهذا غالبا ما يعود إلى التعقيم الكيميائي، ففي أنظمة توزيع المياه الكبيرة قد تطبق جرعة كبيرة من الكلور لضمان متبقي كلور في أنظمة التوزيع. كما يسبب ذوبان المركبات غير العضوية وخاصة المعادن مثل الحديد أو المغنيز الموجود في المياه الجوفية رواسب تعطي الطعم المعدني للمياه بسبب تفاعلها مع الأكسجين عند تعرضها للهواء، ويمكن أن تسبب معادن النحاس والزنك الناتجة من الأنابيب المجلفنة والنحاسية مشاكل طعم معدني في المياه، وإذا زاد تركيز الكبريتات في مياه الشرب عن ٢٥٠ ملغم/ ليتر فقد يسبب طعما ملحوظا. ويمكن لوجود كبريتيد الهيدروجين في الماء أن يسبب رائحة البيض الفاسد، إن وجود البكتيريا والطحالب في المياه السطحية يمكن أن تنتج بعض المركبات العضوية التي تسبب رائحة غير محببة للمياه، كما يسبب وجود بعض المركبات العضوية المصنعة مثل الهيدروكربونات والزيوت البترولية والمذيبات طعما غير محبب يشبه طعم الديزل. أما اللون فيمكن للمستهلك أن يكتشفه إذا زاد عن ١٥ وحدة لون حقيقية True Colour Units TCU وينتج اللون في المياه بسبب ذوبان المواد العضوية مثل أحماض الفولفيك والهيومك وذوبان المعادن مثل الحديد الذي يسبب اللون البني للمياه. ومن الممكن أن تتغير جودة المياه خلال مرحلة النقل والتوزيع وهذا ناتج عن الصدأ والرواسب والتآكل والنزع والتفاعلات التي تتضمنها كيماويات المعالجة والتعقيم في نظام التوزيع.

تقييم إمدادات مياه الشرب ومراقبة جودتها

لقد تبنت بعض الدول استراتيجيات وطنية لرصد إمدادات مياه الشرب ومراقبة جودتها (مؤشرات كمية للخدمة) يجري تطبيقها لتقييم حالة مياه الشرب، وهذه المؤشرات تشمل ما يلي:

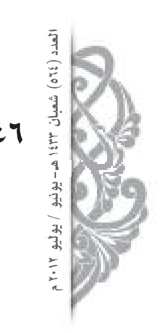
- النوعية: نسبة العينات أو الإمدادات التي تستجيب للقيم الدلالية الموضوعة من أجل جودة مياه الشرب والحد الأدنى من المعايير الخاصة بالمعالجة وحماية المورد المائي.
- التغطية: النسبة المئوية من السكان التي تتمتع بنظام يمكن تمييزه لإمدادات المياه.
- الكمية: متوسط كمية المياه المستخدمة من قبل المستهلكين في الأغراض المنزلية معبرا عنه بوحدة (اللتر/فرد/يوم).
- الاستمرارية: النسبة المئوية للوقت الذي تتوفر فيه المياه (يوميا، أو أسبوعيا، أو موسميا).
- التكلفة: التعرفة التي يدفعها المستهلكون المنزليون.

المطلوب التوعية والوقاية

إن المحافظة على جودة مياه الشرب هي مسؤولية كل مسلم في موقعه، ولابد أن يكون هناك تعاون من مختلف قطاعات المجتمع للحفاظ على المياه من حيث الكمية والنوعية، فقد أكد الإسلام على النهي عن الفساد في الأرض، قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الاعراف: ٥٦)، وعند البخاري أن الرسول ﷺ «كان يتوضأ بالمد» (ما يعادل ٢/٣ ليتر) ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد (ما يعادل ٢-٢,٥ ليتر)، ويبين هذا الحديث الطريقة المنطقية لاستخدام المياه بشكل مستدام في شبه الجزيرة العربية القاحلة حيث عاش الرسول ﷺ.

المراجع:

١- تقارير الأمم المتحدة حول تنمية مياه العالم، برنامج تقييم المياه العالمي، الأمم المتحدة.
٢- الماء والإصحاح في الإسلام، د.عبدالفتاح الحسيني، منظمة الصحة العالمية.
٣- دلائل جودة مياه الشرب، منظمة الصحة العالمية ٢٠٠٤.
٤- water in changing world report Unisco ٢٠٠٩.
٥- UNICEF handbook on water quality UNICEF NEWYORK ٢٠٠٨.
٦- Water quality for ecosystem and human health UNEP٢٠٠٦.



العدد (٥٦٤) شعبان ١٤٣٣ هـ - يونيو / يوليو ٢٠١٢ م

تربية العزة في الإسلام

العزة في اللغة مأخوذةٌ من العز، وهو: ضدّ الذل، تقول: عزّ يَعزُ عزًا فهو عزيز، أي: قوي، والعزيز من صفات الله -عز وجل-. قال الزجاج: الممتنعُ فلا يغلِبهُ شيء، وقال غيرُه: هو القوي الغالب على كل شيء. والعزة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب. من قولهم: أرضٌ عزاز. أي: صَلبة. قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، (النساء: 139) وتعززَ اللحم: اشتدّ وعز، كأنه حصل في عزاز يصعبُ الوصولُ إليه، والعزيزُ: الذي يَقهرُ ولا يُقهر. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. والعزة في اللغة تدور حول معاني: الغلبة والقهر والشدة والقوة والرفعة والامتناع ونفاسة الشيء وعلوّ قدره. والتعزيز هو التقوية، والعزيز اسم من أسماء الله الحسنى، أي: الغالبُ القويُ الذي لا يَغلبه شيءُ، وهو أيضًا المُعزُ الذي يَهَبُ العزة لمن يشاء من عباده. والإيمانُ بهذا الاسم يعطي المسلمَ شجاعةً وثقةً كبيرةً به، لأنّ معناه: أنّ ربَه لا يُمانَع ولا يُردُ أمره، وأنه ما شاء كان، وإنْ لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإنْ شاء الناس.

رشيد الحسن
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

العزة في الاصطلاح: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، وهي إحساس يملأ القلب والنفس بالإباء والشموخ والاستعلاء والارتفاع.

وهي ارتباطٌ بالله وارتفاعٌ بالنفس عن مواضع المهانة والتحرر من رقّ الأهواء، ومن ذلّ الطمع، وعدم السير إلا وفق ما شرع اللَه ورسوله ﷺ.

العزة هي الرفعة والبعد عن مواطن الذل والمهانة. فالله يأمرنا أن نكون أعزاء، لا نذل ولا نخضع لأحد من البشر، والخضوع إنما يكون لله وحده، فالمسلم يعتز بدينه وربه، ويطلب العزة في رضا الله – سبحانه – يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنا أذلاء، فأعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

والعزة التي أتحدث عنها: هي حالة نفسية تصاحبها قوة معنوية، وتنبثق منهما أقوال وأفعال تدل على الشعور بالفخر والاستعلاء والاستقلال عن الكافرين، وصدق الانتماء لهذا الدين مع تواضع ورحمة بالمؤمنين. والغاية منها: الرفعةُ بلا تكبر، وهي نابعةٌ من الخيرية التي يَنتجُ عنها الخيرُ للبشر من مناصرة للفضيلة ومقارعة للرذيلة واحترام للمثل العليا. والعزة ليستْ تكبرًا أو تفاخرًا، وليست بغيًا أو عدوانًا، وليست هضمًا لحق أو ظلمًا لإنسان، وإنما هي الحفاظ علىَ الكرامة والصيانَة لما يجبُ أنْ يُصانَ، ولذلك لا تتعارضُ العزة مع الرحمة، بل لعلّ خيرَ الأعزاء هو من يكون خيرَ

هي ارتباط بالله وارتفاع بالنفس عن مواضع المهانة والتحرر من رق الأهواء

الرحماء، وهذا يذكرنا بأنّ القرآنَ الكريم قد كرّرَ قوله عن رب العزة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تسعَ مرات في سورة الشعراء، ثمّ ذكَرَ في كلٍّ من سورة يس والسجدة والدخان وصَفَيّ: ﴿العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ مرة واحدة.

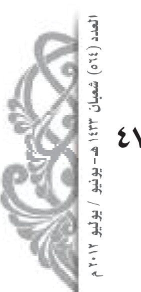
والعزة نوعان: -عزة ممدوحة. -عزة مذمومة.

فالعزة الممدوحة هي التي لله ولرسوله وللمؤمنين، فهي عزة حقيقية دائمة؛ لأنها من الله وبالله الذي لا يُغالَبُ ولا يُقاوَم سبحانه ﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

-أما العزةُ المذمومة فهي التي يتخذها الكافرون، قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾. (ص: ٢) وهذا وإنْ كان ظاهرُه العزةَ؛ ولكنْ في باطنه الذلة والعذابُ، ويرجعُ الأمر في حقيقته إلى الذلة المذمومة، قال سبحانه حكايةً عن حالِ الكافرين ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا × كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم: ٨١-٨٢). وقال تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾ (الدخان: ٤٩) ومعناه: ذق بما كنت تَعُدُّ نفسك في أهل العز والكرم، كما قال تعالى في نقيضه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المرسلات: ٤٣)، وقد نَزلت الآية الأولى.. في أبي جهل كما قال الزجاج وكان يقول: أنا أعزُّ أهل الوادي وأمنعُهم، فكان ردُّ الله سبحانه وتعالى، ذقِ هذا العذابَ إنك أنت القائل أنا العزيز الكريم.. ومفهومُ العزة يختلفُ باختلاف العقيدة التي يحملها الشخص، فيوجدُ هناك المَفهومُ الخاطئُ للعزة، والمفهومُ الصحيحُ لها.

فالمفهومُ الخاطئ: هو الذي تحدثتْ عنه الآيةُ المباركةُ حكايةً عن المنافقين في صدر الإسلام والذي يحمله كثيرٌ من الناس، حتي في زماننا الحالي، وهو أنّ العزة تتمثل في كثرة الأموال والأولاد والعشيرة، والجاه والسيطرة على الآخرين والقوة والبطش بهم والاستيلاء عليهم وقهرهم، حتى وإن كان ظلمًا وعدوانًا.

أما المفهوم الصحيح للعزة فهو المفهوم الذي تحدث عنه القرآنُ والسنة النبوية. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ المُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وهذه الآية نزلتْ في مقابلة قول المنافقين: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾، يريدون أنهم الأعزّ، وأنّ رسولَ الله والمؤمنين الأذلون، فبيّن اللهُ تعالى أنه لا عزةَ لهم، فضلا عن أنْ يكونوا هم الأعزين، وأنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. ومقتضى قول المنافقين أنّ الرسول ﷺ والمؤمنين



هم الذين يخرجون المنافقين، لأنهم أهلُ العزة، والمنافقين أهلُ الذلة، ولهذا كانوا يحسَبون كلَّ صيحة عليهم، وذلك لذلهم وهلعهم، وكانوا إذا لقوا الذين آمنوا، قالوا: آمنا، خوفًا وجبنًا، وإذا خلوْا إلى شياطينهم، قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزئون! وهذا غايةُ الذل. أما المؤمنون، فكانوا أعزاءَ بدينهم، قال الله عنهم في مجادلة أهل الكتاب: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فيعلنونها صريحة، لا يخافون في الله لومةَ لائم. وبمقتضى العزة الممدوحة يجب على المسلم أن يعتزّ بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فلا يُريق ماءَ وجهه ولا يَبذُلُ عِرضَه فيما يُدنسه، فيبقى موفورَ الكرامة مرتاحَ الضمير مرفوعَ الرأس شامخَ العرين سالمًا من ألم الهوان متحررًا من رقّ الأهواء ومن ذلّ الطمع، لا يسيرُ إلا وَفق ما يُمليه عليه إيمانُه والحقُّ الذي يحمله ويدعو إليه، يقول أحدُ الصالحين: ثلاثة من أعمال المراقبة: إيثارُ ما أنزل اللهُ، وتعظيمُ ما عظّم اللهُ، وتصغيرُ ما صغّر الله. قال: وثلاثةٌ من أعلام الاعتزاز بالله: التكاثرُ بالحكمة وليس بالعشيرة، والاستعانةُ بالله وليس بالمخلوقين، والتذللُ لأهلِ الدين في الله وليس لأبناء الدنيا.

إنّ التربية على العزة أمرٌ بالغُ الأهمية؛ لأنَّها تربيةٌ على معالي الأخلاقِ ومحاسنِها، لاسيما أنّ هذه الأهمية تزداد في هذه الأزمنة التي تَعجُّ بالفتن والمحن، حتى أصبحَ الذلُّ والخورُ والهوانُ يَدبُّ في الفرد قبل الأمة، وما ذلك إلا لأنّ الأمةَ ابتعدت عن كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ، والنهل من معينهما.

ومن عجب أنّ اللهَ يريدُ لهذه الأمة العزة والرفعةَ، ثم هي تريدُ الذلّ والهوانَ والصَغار، لقد أراد اللهُ لأمة محمد ﷺ أنْ تكونَ عزيزةً لأنه تعالى أراد لها أنْ تبنيَ الأرضَ وتعمرَها بالخير، ومن المعلوم أنه لا يبني الأرضَ ذليلٌ وإنما يبنيها القويُّ العزيز.

والإسلام لا يأمرُ المؤمنين بالعبادات والأخلاق أمرا قانونيا جافا، أو يعللها لهم تعليلا عقليا باردا، وإنما يربيهم عليها تربيةً أخلاقية خاصة: فنرى القرآنَ يبينُ جلالَ العبادة أو الفعل الأخلاقي من صلاة وصوم، أو صدق أو بر، عقلا ويكررُ الحديث عنه في مواضعَ متعددة، بإظهار محاسنه أو أمر به، أو ثناء على أصحابه، فينغرسُ حبُّه في القلب، وتتوجهُ له النفسُ لتؤديَه، وكذلك يبينُ ربُّنا تبارك وتعالى سيئات الشر ويكررُ الحديث عنه بينَ بيان لفساده أو استنكار لفعله، أو ذمّ لصاحبه. وبذلك يتحسسُ المرء جمالَ الخير ويميلُ إليه، ويتحسسُ قبحَ الشر عقلا وقلبا فيأنف منه.

فكان منَ المهمات التي تتحتمُ على الأمة الإسلامية بأسرها أنْ تتربى على معاني العزة، وأنْ تحيي هذه الخَصلة في نفوس أبنائها، ولنْ يستطيعَ فعلَ ذلك إلا الغيورون على دينهم.

ومجالاتُ هذه التربية واسعةٌ شاملةٌ لجميع البيئات، ولذلك يتحتمُ على الكلّ تربيةُ أفرادهم على العزة، الأسرةِ والمدرسةِ، والعلماءِ والمفكرين عبرَ دروسهم ومشاركاتهم في الإعلام المسموع والمرئي.

ومن فضائل العزة أيضا:

أنها تربط العبدَ بالله؛ لأنّ اللهَ هو الواهبُ الحقيقيُّ لها فيرتبطُ العبدُ بربه إيمانا ويقينا ودعاءً وتوكلا وخوفا ورجاء.

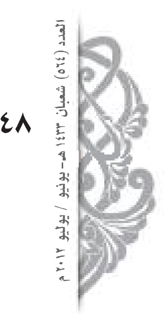
ومنها: أنّ هذه العزةَ لا تُنال إلا بطاعة الله، وطاعةُ الله مأجورٌ عليها صاحبُها. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: وأمّا قولُه تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ فمعناه مَنْ كانَ يُريدُ أنْ يُعز فليَكتسب العزة من الله فإنها له، ولا تنالُ إلا بطاعته، ومن ثَمّ أثبتها لرسوله وللمؤمنين فقال في الآية الأخرى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

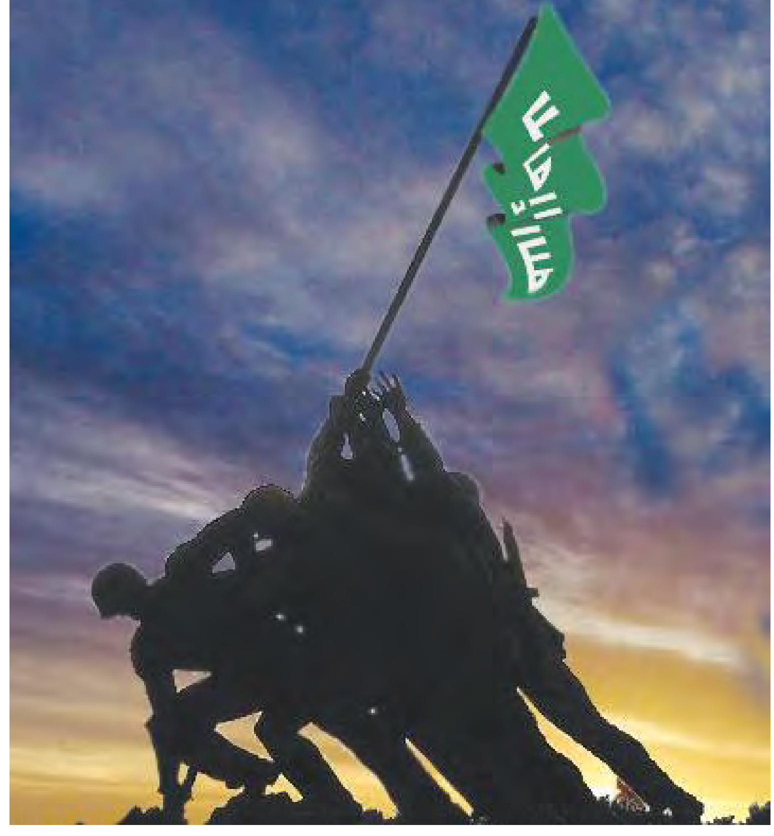
ومن فضائل العزة: أنّ المتصفَ بها بعدَ كونه مستحقا لها بتحقيق سببها الرئيس وهو طاعة الله قد شرّفَه اللهُ عز وجلَ بالنسبة إليه، ومَنْ أحسنُ ممن انتسبَ لربّ العزة والجلال.

ومنها: أنها تُحققُ للفرد المسلم قوتَه وشرفَه وكرامتَه وكبرياءَه، منْ غير تعد وترفُّع على الخلق بغير حق، فهي لا تجعله يتخبط خبطَ عشواء، ويذهبُ يمنة ويسرةً في طلبها وتحقيقها، بل تجعلُه متّزنا لأنّ مصدرَها واحدٌ، وأسبابَ تحقيقها معروفةٌ محدودة.

ومن فضائلها: أنها تُحقق للأمة المجدَ والسؤددَ لتتبوأ مكانتَها اللائقةَ بينَ الأمم إذا طُبقت بمعانيها الصحيحة، وابتعدت عن أسباب الذل والهوان. وهو ما حذّر منه الرسولُ ﷺ بقوله: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع وتركتمُ الجهادَ سلطَ اللهُ عليكم ذلا لنْ يَنزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». وسببُ هذا الذلّ، واللهُ أعلم، أنهم لمّا تركوا الجهادَ في سبيل الله الذي فيه عزُّ الإسلام وإظهارُه على كل دين، عاملهمُ الله بنقيضه وهو إنزال الذّلة بهم فصاروا يمشون خلفَ أذناب البقر، بعد أنْ كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعزُّ مكان. ففتنةُ الناس بالدنيا وما فيها منْ أموال وحرث وزرع إذا كانت مقدّمةً على أوامرِ الله وَترك نواهيه كانت الحقيقةُ المرةُ، وهي الذلّ.

ألا إنما التقوى هو العزُّ والكرم وحبُّك للدنيا هو الذلُّ والعدم





ومن فضائل العزة أيضا: أنها تحمي المسلمَ من الانحراف، وذلك حين يستعلي فيها المسلمُ بعزة نفسه على شهواته وملذاته المحرمة، فلا يفعلها خوفا من الله، وترفُّعا عن مواطن الحمق والرذيلة والمهانة.

ومن فضائلها: أنها تحررُ المسلمَ من رقِّ الأهواء والركوع والخضوع للمخلوقين، وتجعلُه لا يسيرُ إلا وفق ما شرع اللهُ ورسولُه.

كما أنها تحررُ المسلمَ من ذلِّ الطمع والجشع الذي يجعله عبدا لدرهمه وداره ومركبه، فتجدُه غيرَ مقتنع بما قسمَ اللهُ له، حتى يذهبَ لأكلِ الحرام من دونِ أدنى مبالاة، تعس وانتكس...

ومن فضائلها أنها تحققُ للمسلم إيمانَه بالله تعالى حينما يُذلُّ نفسَه وجسدَه بين يديْ مولاه ويمرغُ وجهَه في الأرض لخالقه. ومقابلةُ عزة الله بذلِّ العبد منْ أشرف المواطن وأحسنها لأنَّ الله خلَقَ عبادَه من أجل أنْ يُعزَّهم بطاعته، ولا يكونُ ذلك إلا بالتذلل له سبحانه.

كما أنَّ العزةَ تحققُ للمسلم كيانه وشخصيته في ظلِّ تعاليم الإسلام، وتنظيم الحياة وُفقَ ذلك في كافة المجالات.

وتحقق له ما يُوافقُ فطرتَه السليمةَ التي خلقه اللهُ عليها وما يحتاجُه في تلبية النقص والتقصير الحاصليْن من جرّاء وقوع المرء في أوحال الدنيا ورذائلها.

ومنْ فضائل العزة أنها تحققُ للأمة الإسلامية مكانتَها بين الأمم فتجعلُها قائدة لا مَقودة وسيدة لا مسودة.

وتمكنُ مَنْ تمسك بها من الذود عن حمى الإسلام في كل مكان، فلا يُمَسّ جنابُه مادامت فيه تلك العزة.

كما تربي أيضا على قول الحق وإقامة العدل بالعلم، وإتباع العلم بالعمل.

وتجعلُ من أفرادها دعاةً إلى الخير على الحق مُشفقين على الخلق.

ومن فضائلها أنها تحققُ للجماعة المؤمنة الترابطَ بين أفرادها، فالأخوة الايمانيةُ الحقيقيةُ التي تذوبُ في ساحتها الشعاراتُ والمصالح، شعارُها التواضعُ واللينُ والمحبة والشفقة، والمناصرة والنصحُ من غير فضيحة، كما تُعين على نصرة المظلوم وردعِ كيد الظالم ومحاربةِ الغاشم.

وإذا كانت العزةُ من حيث هي قائمةً بين الإثبات والنفي، فإنه لابدَّ من إثبات العزة المحمودة في النفس، لأنَّ العزةَ المنفية تتعلقُ برذيل الأخلاق، من كِبْر وذُلّ وهوان وضعف، فلو نفى المرءُ عن نفسه الكبرَ وجميعَ الأخلاق الرذيلة لم يكف ذلك في تحقيق المقصود بل لابدَّ من إثبات معنى القوة والكرم والشرف وغيرها من كريم الصفات في النفس، وهي وسواها من مقومات العزة الحقيقية، والإسلامُ يحث على مكارم الأخلاق قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا...﴾

فليس غاية الأمر في تزكية النفوس عموما كفّها عن مطالبها غير المباحة بل لابدَّ منْ إتمام مطالب التقوى، فالذي يوقِف داعيَ السوء والشرِّ من نفسه ويمنَعُها عنه عاملًا على إتمامَ التقوى هو الزكي.

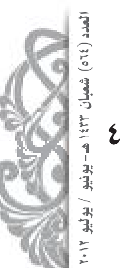
هذا وإنَّ المتأملَ في القرآن الكريم يُدركُ اهتمامَ القرآن ببناء شخصية الفرد المسلم بناءً قويا ولذلك نجد أنَّ الإسلامَ قد أحاط المرءَ منذ أنْ كان حَملا في بطن أمه بسياج من العزة متين فلا يمارسُ مع أمه الذلّ، أو أيَّ نوع من الإهانة كالضرب والشتم مثلا، لكيلا يصبحَ ذليلا في يوم ما، لأنه من المعلوم أنَّ مثل هذه العواملَ تؤثرُ على أعصاب الأمّ في هذه المدة منَ استقرار واضطراب، وأمن وخوف وسرور وحُزن، وتؤثرُ على حملها تبعا لذلك.

وكذلك إذا أصبحَ الولدُ يافعا لا يُمارس معه أيُّ مظهر منْ مظاهر الذلّ، بل على الأب أنْ يربيَه على الشجاعة والكرم والعبادات والأخلاق الفاضلة التي منْ شأنها أنْ تقودَه إلى العزة، ويمتنعَ عن ضربه أو شتمه أو الاستهزاء به أو تربيته على الجبن والبُخل وترك الطاعات والأخلاق الذميمة التي منَ شأنها أنْ تقودَه إلى المذلة والهوان.

ولو نظرَ المرءُ نظرةَ تأمل إلى فترة العهد المكي وما صاحبَها من أحداث لوجد أنّ القرآنَ كان يوجه إلى ترسيخ معانيَ العزة في نفس المسلم، وقد كان اهتمامُ القرآن وعنايتُه بهذا الجانب متنوعا على أربع هيئات؛ فمرةً يذكرُ لفظ العزة تصريحا، وأخرى يَذكر اللفظ الذي يؤول معناه إلى عزة، وثالثة يذكرُ السببَ الذي من شأنه أنْ يكونَ جسرا مُوصلا إلى بوابة العزة، ورابعةً بذم أضدادها ومقابلاتها.

وعموما فقد وردتْ لفظةُ العزة ومشتقاتُها في القرآن الكريم مائة وتسعَ عشرة مرة في ثمانٍ وأربعين سورة، كان نصيبُ الآيات المكّية منها للفظ الصريح أكثرَ من الآيات المدنية، وذلك من أجل تأسيس معنى العزة في النفوس. والله أعلم.

وأما آياتُ العزة المدنية فقد كانت صريحة في طلب العزة وتهييج نفوس المؤمنين على اكتسابها، والترهيب من تركها أو طلبها من غير مظانّها، ولا أدلّ على ذلك من آيتي سورة النساء وسورة المنافقون، فقد كانت في معرض الحديث عن المنافقين وذمّهم، بسببَ تعزّزهم باليهود قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (النساء: ١٣٩)، وردّ ادعاءهَمُ الباطل بأنهم أصحابُ شرف وعزة بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا



إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾، وجاءت آية سورة المائدة تَصبُّ في نفس الاتجاه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤) هذا وقد وردت لفظة العزة في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة، كان نصيبُ المكي منها ثمانيَ وأربعينَ آية، وكان لهذا الاهتمام المكي بهذه اللفظة حكمة بالغة من الله عز وجل، وهي أنّ الله أراد أنْ تمتلئَ أسماعُ المؤمنين بهذه اللفظة، وترسخ معانيها في أذهانهم، فيتربون على حبها في بداية الأمر، حتى يسيطرَ عليهمُ اليقينُ بعزة ربهم، ويستشعروا القوةَ في أنفسهم ويعتزوا بمن له الكبرياءُ وحده في السموات والأرض، ويتأبوا عل الهوان حين يأتيهم من أيّ مخلوق، ويفزعوا إلى الله ليُعزّهم بعزته.

وأما عن دور الأسرة في تربية العزة فإننا نرى ولخطورة دورها أنّ الله لمْ يختر لنبيه موسى عليه السلام أنْ يتربى إلا عندَ فرعون الطاغية، وذلك أنّ ما سوى بيت فرعون وآل فرعونَ من بني إسرائيل بيوتٌ ذليلةٌ مضطهدة يُقتل فيها الوليدُ الذكر، وتُستحيا فيها الأنثى حتى تكبرَ لتخدمَ في بيوت فرعون، وآل فرعون.

ويكمُنُ دورُ الأسرة في التربية على العزة بالالتزام بتعاليم الإسلام ظاهرا وباطنا، ومن ذلك:

–أولا: تربيةُ النشء على الإيمان بالله أولا، وأنه هو الذي خلقنا، فلا نتوجهُ لغيره، وأنه سبحانه الذي يستحقُّ منا العبادةَ والشكر، وتعويدُ النشء عند مُلماته البسيطة أو الصعبة على الالتجاء إلى الله سبحانه، وتربيتُه على الإيمان بملائكة الله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدَر خيره وشرّه، فكلُّ هذا منْ شأنه أنْ يُربيَه على الاعتزاز بالله والارتباط به.

ثانيا: تربيتُه على العبادات الأساسية، وتنميةُ المخزون العباديّ لديه، كالصلاة وإيصال الصدقة والذكرَ وزيارة الأرحام، لأنّ الطاعة تكون زادا للإنسان في تحصيل العزة كما قال ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠).

لو اجتمع الخلق على أن يثبتوا لأحد عزا فوق ما يثبته اليسير من طاعة الله لما قدروا

ثالثا: تربيتُه على مُدارسة سيرة النبيّ ﷺ العطرة وأصحابه الكرام والسلفَ الصالح، ومَلءُ قلوبهم بحبهم والاقتداء بهم، وتنميةُ الاعتزاز بهم؛ وذلك لأنّ في دراسة السيرة النبوية العطرة تقويةً للإيمان وزرعًا لقيَم الدين في النفس، وتعويدًا على مكارم الأخلاق، وثباتًا على الحق، وتمسكا بالإسلام، وذلك من شأنه أنْ يُنشئَ جيلا صالحا عزيزا.

رابعا: تربيتُه على خُلُق العفة عما في أيدي الناس، فالتعففُ عما في أيديهم يترتبُ عليه عدمُ إذلال نفسه تجاهَ الآخرين، أو أنه لا يُشعره بدونيته بينهم، بل بعزته وشموخه وكرامته، فلا يأخذُ وهو ذليلُ النفس، بل يأخذُ وهو مرفوعُ الرأس، ويُعطي وهو مرفوعُ الرأس.

والتعففُ عما حرّم اللهُ يترتب عليه رضا الله وعدمُ سخطه عليه؛ لأنّ التعففَ الذي هو بمعنى ترك المعاصي كبيرها وصغيرها يزيدُه عزة ورفعة عندَ الله وعندَ الناس، والمعصية لا تزيدُه إلا ذُلا وهوانا عندَ الله وعند خَلقه، قال الحسنُ رحمه الله: وإنْ هملجتْ بهمُ البراذينُ، وطقطقتْ بهمُ النعال، إنّ ذُلّ المعصية لفي قلوبهم، أبى الله إلا أنْ يُذلّ من عصاه.

ألا ترى أيها الأخُ القارئ كيف يَنفِر العقلاءُ ممن يَفعل المعصية أمامهم، فكيف بالله عز وجل وهو مُطّلعٌ على الخلق ولا يغيبُ عنه شيءٌ من أفعالهم وأقوالهم، وهو المستحقّ للخشية جلّ جلاله.

خامسا: امتثالُ الأبوين لمنهجية القدوة الصالحة في البيت، التي من شأنها تربيتُهم على الفضائل واكتسابَ الأخلاق الحميدة من أبويهم. ومنها العزة.

سادسا: التعاملُ السليمُ مع الأبناء في معالجة أخطائهم فالأسرة التي تُربي أبناءها في معالجة أخطائهم بالضرب والصياح وعدم مجالسة الكبار أو عدم الإجابة على أسئلتهم، فإنها بذلك تورثُ عند الأولاد فقدانَ الثقة التي هي مصدرُ أمانهم في المستقبل، وتتسببُ في ضَعف الشخصية التي من شأنها أنْ تحققَ لهمُ الذلّ في ذواتهم بدلا من العزة.

سابعا: تعويدُهم على مكارم الأخلاق وصفات الرجولة كالكرم والشجاعة والعزة وحسن التعامل والذوق الرفيع، فلا يقاطعُ متحدثا، ولا يسخرُ من أحد، ولا يرفعُ صوتَه على مَنْ أمامَه، ويعتذرُ عن الخطأ الذي يَصدر منه بسرعة، ولا يتجشّأ أمامَ أحد متعمدا، وغيرها من الأفعال الأخرى.

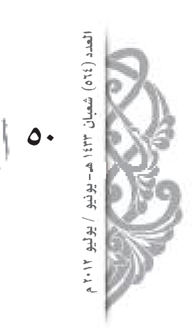
وتأتي أهميةُ المدرسة بعد أهمية البيت في تربية العزة من حيثُ إنّ الناشئَ يقضي ربعَ يومه تقريبا فيها ولمدة سنوات طويلة من عمره، ولاشكّ أنّ دورَها رائدٌ في التّربية من هذا الباب.. ولأنّ المدرسة تعتمدُ في تدريسها على التلقين المُحاط بوسائلَ مساعدة كوجود زملاءَ للنشء، وإمكانية إخراج طاقاته الكامنة في أكثرَ من نشاط وأكثرَ من وسيلة.

وأخيرا عزيزي القارئَ إذا عرفت أنّ اللهَ هو المعزّ، فاعلم أيضا أنّ الناسَ لو اجتمعوا جميعا على أنْ يرفعوك درجة لا يستطيعون، وإذا رفعك الله عز وجل درجة أو أكثرَ فلا يستطيعُ أهلُ الأرض أنْ يُنزلوك. ومعلوم أنه: إذا عرفتَ أنه المعزُّ لم تطلب العز إلا بطاعته.

قال بعضُ الصالحين: لو اجتمعَ الخلقُ على أنْ يُثبتوا لأحد عزًا فوقَ ما يُثبته اليسيرُ من طاعته لَما قدروا، لا تُعَزُّ إلا بطاعة الله... أَعزّ أمرَ الله يُعزّك الله، العاملُ الوحيدُ الذي يرفعُك ويخفضك هو الطاعة والمعصية، كلما أطعت الله ازددت عزا، وكلما عصيته هُنت عليه.

أهم المراجع:

– كتب التفسير
– العزة في القرآن الكريم، وائل بن محمد بن علي جابر.
– الهزيمة النفسية عند المسلمين، د.عبدالله الخاطر.
– العزة، محمد الهيدان.
– العزة، عبد الرحمن بن فؤاد الجار الله.



حكم بالغة... ووصايا بليغة

د. محمد حسان الطيان
أستاذ اللغة في الجامعة العربية المفتوحة

هذه وصايا وحكم تجمع بين البيان الساحر والإيجاز الباهر، وهي تنطوي إلى ذلك على أشرف المعاني، وأسمى الأخلاق، وأجل المواعظ، وقد صيغت بصياغة أين منها صياغة الذهب؟! ورسمت بريشة أين منها ريشة الرسامين؟! وقد وردت هذه الوصايا في كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي، منسوبة إلى سيدنا علي بن أبي طالب في بعض كلامه للحسين رضي الله تعالى عنهما. وفي هذه الكلمات الرائعات والوصايا المحكمات من فنون البلاغة والبيان ما يعجز عنه التعبير، إذ جمعت بين الإيجاز الرصين، والبيان العالي، والإبلاغ في التعبير، والحكمة الهادية، والسلاسة المعجبة، والقدرة على التنوع والتفنن.

سأوردها أولًا مرتبة في فقرات مرقمة بغية التعليق عليها، وتسهيل الرجوع إلى كل منها:

١- يا بني.. أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة. وكلمة الحق في الرضى والغضب. والقصد في الغنى والفقر. والعدل في الصديق والعدو. والعمل في النشاط والكسل. والرضى عن الله تعالى في الشدة والرخاء.

٢- يا بني ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

٣- اعلم يا بني أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قُتل به، ومن حفر لأخيه بئرًا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بيته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابر من الأمور عطب، ومن اقتحم البحر غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن سفه عليهم شتم، ومن دخل مداخل السوء اتهم. ومن خالط الأنذال حقر. ومن جالس العلماء وقر. ومن مزح استخف به. ومن اعتزل سلم ومن ترك الشهوات كان حرًا. ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس.

٤- يا بني، عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه، والعجب ممن خاف العقاب فلم يكف، ورجا الثواب فلم يعمل، والذكر نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والسعيد من وعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين.

٥- يا بني، ليس مع قطيعة الرحم نماء، ولا مع الفجور غناء. يا بني، العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله تعالى، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء، ومن تزين بمعاصي الله في المجلس أورثه الله ذلا، ومن طلب العلم علم.

٦- يا بني، رأس العلم الرفق، وآفته الخرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى. ومن أكثر من شيء عرف به. ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه. ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

٧- يا بني، لا تؤيسنّ مذنبا، فكم عاكف على ذنبه ختم له بالخير، ومن مقبل على عمله مفسد له في آخر عمره صار إلى النار، ومن تحرى القصد خفت عليه الأمور.

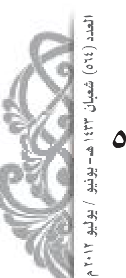
٨- يا بني، كثرة الزيارة تورث الملالة، الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم، إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

٩- يا بني، كم من نظرة جلبت حسرة وكم من كلمة جلبت نعمة، لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة وتبوأ أحسن الدعة.

١٠- الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التقحُّم في الذنوب، والشر جامعٌ لمساوئ العيوب، وكفى أدبًا لنفسك ما كرهته من غيرك. لأخيك عليك مثل الذي عليك لك، ومن تورط في الأمور من غير نظر في الصواب فقد تعرض لمفاجأة النوائب.

١١- التدبير قبل العمل يؤمنك الندم، من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، الصبر جنة من الفاقة، في خلاف النفس رشدها. الساعات تنقص الأعمار. ربك للباغين من أحكام الحاكمين. وعالم بضمير المضمرين. بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد. في كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص. لا تنال نعمة إلا لفراق أخرى.

١٢- ما أقرب الراحة من التعب. والبؤس من النعيم. والموت من الحياة، فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته. وبخ بخ لعالم علم فكف. وعمل فجد. وخافَ الثبات فأعد واستعد. إن سئل أفصح. وإن ترك سكت. كلامه صواب. وصمته من غير عي عن الجواب. والويل كل الويل لمن بلي بحرمان وخذلان وعصيان. واستحسن لنفسه ما يكرهه لغيره.



١٣- من لانت كلمته وجبت محبته. من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة. لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس. ولا أي طعاميه أكل.

التعليق

بدأها في المقطع الأول بما تبدأ به الوصايا أي بالفعل أوصى، مقرونا بفحوى التوصية، وقد اشتملت كل وصية من وصايا المقطع على فن الطباق وهو محسن بديعي يجمل الكلام ويقرب المعنى، وفق قول الشاعر:

والحسن يظهر حسنَه الضدُّ

«أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة. وكلمة الحق في الرضى والغضب. والقصد في الغنى والفقر. والعدل في الصديق والعدو. والعمل في النشاط والكسل. والرضى عن الله تعالى في الشدة والرخاء».

تأمل الطباق بين الغيب والشهادة، وبين الرضى والغضب، وبين الغنى والفقر...

وثنى في المقطع الثاني بجمل تشتمل على فن المقابلة: ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير. وكل نعيم دون الجنة محقور. وكل بلاء دون النار عافية.

فالشر يقابله الخير، والجنة يقابلها النار، والشر الثانية يقابلها الخير الثانية. وكذا في الجملة الأخرى...

ثم أردفها في المقطع الثالث بجمل شرطية جمعت صنوف الحكم:

«اعلم يا بني أن من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره. ومن رضي بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته. ومن سل سيف البغي قتل به. ومن حفر بئرًا لأخيه وقع فيها. ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته. ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره. ومن كابد الأمور عطب. ومن اقتحم البحر غرق. ومن أعجب برأيه ضل».

وهي كما ترى في غاية الإيجاز والإبداع، مع ما تشتمل عليه من عظيم المعاني والحكم. وبديع المحسنات والصور، فالبغي له سيف من سله قتل به، وتدبير السوء بئر من حفرها وقع فيها، وهو ما يسمى عند البلاغيين استعارة تصريحية.

من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره والحرص مفتاح التعب والتدبير قبل العمل يؤمنك الندم

وفي المقطع الرابع جمل اسمية لا يعدو بعضها المبتدأ والخبر، لكنه في غاية الجمال والاتساق: «الذكر نور. والغفلة ظلمة. والجهالة ضلالة...» وهي تشتمل على صور بيانية، تسمى عند أهل البلاغة بالتشبيه البليغ، إذ شبه الذكر بالنور، والغفلة بالظلمة.. دون ذكر أداة التشبيه أو وجه الشبه.

ويمتد بعضها ليشتمل على مكملات تزيد الجملة بهاء وسنى: «والسعيد من وعظ بغيره. والأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين».

وفي المقطع الخامس يستعمل النفي بليس مقدما خبرها على اسمها في أسلوب بلاغي يدعى بالقصر: «يا بني ليس مع قطيعة الرحم نماء. ولا مع الفجور غنى».

وفي المقطع السادس جمل شرطية متتابعة متراكبة، آخذ بعضها برقاب بعض، بل مبني بعضها على بعض، تسلمك الأولى للثانية والثانية للثالثة... وهكذا في نظام لا ينقضي من العجب: «ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه. ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار».

وفي المقطع السابع أسلوب التعليل، فقد نهى عن أمر ثم علل سبب النهي بكم التكثيرية: يا بني لا تؤيسن مذنبًا فكم من عاكف على ذنبه ختم له بالخير. ومن مقبل على عمله مفسد له في آخر عمره صار إلى النار.

وفي المقطع الثامن يبدو فن السجع: «يا بني كثرة الزيارة تورث الملالة... إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله». بين الزيارة والملالة، وبين نفسه وعقله.

وفي المقطع التاسع يستعمل لا النافية للجنس في نسق بديع يبدي علو الإسلام، وكرم التقوى، وحرز الورع، ونجاع التوبة، وجمال العافية: «لا شرف أعلى من الإسلام. ولا كرم أعلى من التقوى. ولا معقل أحرز من الورع. ولا شفيع أنجح من التوبة. ولا لباس أجمل من العافية».

وفي المقطع العاشر فن السجع أيضا بين التعب والنصب، وبين الذنوب والعيوب: «الحرص مفتاح التعب. ومطية النصب. وداع إلى التقحم في الذنوب. والشر جامع لمساوئ العيوب». ولا يخفى ما في التعابير الإضافية مفتاح التعب. ومطية النصب من صور. ومن جمال التعبير استعمال التمييز بعد كفى، في قوله: «وكفى أدبًا لنفسك ما كرهته من غيرك».

وفي المقطع الحادي عشر تصوير بديع مستقى من قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ إذ هو يشبه العدوان بأسوأ زاد يتزوده المرء لآخرته: «بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد».. ثم يتبعه بتعبير فيه أسلوب القصر: «في كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص» بتقديم الخبر على مبتدئه النكرة.

وفي المقطع الثاني عشر ضروب من المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، ففيه الموازنة، والسجع، والطباق، وحسن التقسيم: «ما أقرب الراحة من التعب. والبؤس من النعيم. والموت من الحياة، فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته. وبخ بخ لعالم علم فكف. وعمل فجد. وخاف الثبات. فأعد واستعد. إن سئل أفصح...».

وفي المقطع الثالث عشر كذلك بعض أنواع البديع كالجناس الناقص بين الحياء والحياة، والسجع بين كلمته ومحبته، والطباق بين الموت والحياة: «من لانت كلمته وجبت محبته. من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة. لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس. ولا أي طعاميه أكل».

وبعد، فهذا غيض من فيض، أشرت فيه إلى بعض ما تحويه هذه الوصايا والحكم من ضروب البلاغة والبيان والبديع، وهو منبهة على ما وراءه من هذه الفنون.

المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهوض

اتفق خبراء مصريون، متخصصون في شؤون الأزهر، على تدني مستوى التعليم في المعاهد الأزهرية، بمراحلها الثلاث، الابتدائي والإعدادي والثانوي، واعتبروا أن أسباب هذا التدني متعددة، وأنها تتراوح بين الفني، والإداري، والمالي، والنفسي، مشددين على أن الأمر يحتاج إلى اعتراف بالخطأ، والتحرك العاجل لإنقاذ الموقف المتردي، والذي أثر بالسلب على مستوى خريجي جامعة الأزهر، ومن ثم على منظومة الدعوة الإسلامية، والتي تشمل الخطباء والدعاة والوعاظ والأئمة والمفتين.

تحقيق : همام عبدالمعبود



قدم الخبراء، المهتمون بملف تطوير المعاهد الأزهرية في مصر، في تصريحات خاصة لمجلة «الوعي الإسلامي»، وصفات علاجية، تلاقت في ضرورة «إعادة العمل بنظام الكتاتيب»، و«عودة المشاريع الصيفية لتحفيظ القرآن الكريم»، مع «التأكيد على تخفيض أعداد المقبولين بالأزهر»، و«انتقاء المتميزين»، واختيار المعلمين الذين يقومون بالتدريس بالمعاهد «من أكفأ الخريجين المؤهلين»، و«تشكيل لجان متخصصة لتنقية وتنقيح ومراجعة المناهج الدراسية» في مختلف مراحل التعليم.

تشويه المناهج وتفريغها

في البداية، وردًا على سؤال حول أسباب تردي المعاهد الأزهرية، التي هي الركيزة الأساسية، ومركز الإمداد لجامعة الأزهر، ومن ثم للمنابر الإسلامية (المساجد)، والإعلامية (المقروءة والمسموعة والمرئية)، يقول موجه متابعة بمنطقة شمال المنيا الأزهرية الشيخ محمد هاشم: هناك أسباب عدة منها: الفني، والإداري، والمالي، والنفسي، والإيماني.

وعن الأسباب الفنية، يقول هاشم، والذي عمل سابقا معلمًا لمادة اللغة العربية بفروعها: تتمثل الأسباب الفنية في القائمين على وضع المناهج والخطط الدراسية التي جاءت في الفترة السابقة، لتخدم المخططات التي تهدف إلى إزواء دور الأزهر في المجتمع، وتنحيته جانبًا.. ضاربًا أمثلة بالخلل الموجود في مناهج مواد: الفقه، والتوحيد، والتفسير، فضلا عن تفريغ المناهج من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة.

ويفصل هاشم ما أجمله قائلًا: في مناهج الفقه، ألغي الفقه المذهبي، ليحل محله الفقه الميسر، والذي تحول من مادة علمية بحثية، إلى مجرد مادة وعظية إنشائية، لا تخرج طالبًا تأسس على دراسة العلم البحثي، والتي هي مهمة طالب الأزهر في المقام الأول، وإنما تخرج طالبًا درس معلومات عامة مثله مثل غيره من الطلاب، ولكن الحمد لله، ففي هذه النقطة، عاد الأزهر وقرر الفقه المذهبي مجددًا.

وفي مناهج مادة التوحيد، كان الكتاب المقرر كتاب «البيجوري في شرح الجوهرة»، لكنه ألغي من القسم الثانوي، ووضع محله كتاب «التوحيد»، وهو كتاب لا قيمة له من الناحية العلمية، فهو عبارة عن مادة إنشائية، وخرجت هذه المادة من ذهن الطالب تمامًا، حتى كأنه لم يدرسها إلا ثقافة عامة.

ويضيف هاشم: وفي مناهج مادة التفسير: ألغي المذهب القديم في التفسير، والذي كان يقوم على دراسة نوع من التفسير لأحد المفسرين، ووضعت كتب جديدة للتفسير، لا تحوي تفسيرًا، وإنما هي عبارة عن معاني بعض الكلمات فقط، وليس لجميع الكلمات، ولم يذكر إطلاقًا المعنى العام أو الإجمالي، أو أي وجه من أوجه علم التفسير.

ويلخص هاشم الأسباب الفنية قائلًا: لقد تم تفريغ المناهج من بعض الدروس التي

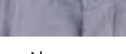







محمود القلعاوي

محمد هاشم


د. أكرم كساب

تغرس في نفوس الطلاب القيم النبيلة، والقدوة الحسنة، خدمة للنظام السابق، والتي منها حذف دروس المعاملات المالية، والجهاد في الفقه الإسلامي، مشيرًا إلى أن: «هذه الملاحظات هي أمثلة إجمالية، وليست على سبيل الحصر، ولا على سبيل التفصيل. وما ينطبق على هذه الأمثلة، ينطبق على الكثير من المواد الأخرى المقررة».

روشتة النهوض بالمعاهد الأزهرية

وعن مقترحات النهوض بالتعليم في المعاهد الأزهرية بجمهورية مصر العربية، ولكي يعود الأزهر إلى مكانته ولكي يمارس دوره كما كان في السابق، يقدم الشيخ محمد هاشم روشتة تتلخص في النقاط التالية:

١- استقلال الأزهر عن وزارات الدولة، فهذا يجعل له شخصيته المستقلة في اتخاذ القرارات التي تلائم طبيعته، والتي تتناسب مع منهجه ومقرراته.

٢- تشكيل لجان متخصصة يراعى فيها الإخلاص، أو يظن فيها الإخلاص والتخصص، لتقوم بمهمة مراجعة المناهج الدراسية، وإقرار ما يناسب الأزهر منها، وتصحيح الخطأ، وحذف المخالف.

٣- تشكيل لجان إدارية أيضا لمراجعة الخطط الدراسية، وترتيب الأولويات بالنسبة للمواد، ووضع المواد التي تساعد الطالب على التفوق في المقدمة.

٤- إضافة مادة للخطابة، تبدأ من القسم الإعدادي على الأقل، إلى القسم الثانوي، وتكون في القسم الابتدائي ضمن مواد الأنشطة، وتقوم عليها لجنة متخصصة في المواد الشرعية والعربية لتصحيح الأخطاء.

٥- إعادة الكتاتيب التابعة للأزهر، مع توفير الاعتمادات المالية التي تلزمها، فهذا من أهم الروافد المعاونة مع المعاهد في حفظ القرآن الكريم.

٦- إعادة مشروع التحفيظ الصيفي للمعاهد الابتدائية، وتوفير الأجور الرمزية كما كانت.

٧- التخفيف من الإجراءات الإدارية في التعامل بين الإدارات والمعاهد؛ لتسهيل تنفيذ الخطط الإدارية والدراسية.

٨- اختيار رؤساء المصالح على أساس التقوى والورع، أو ممن يظن فيهم ذلك، بأن يكون رئيس المصلحة قدوة في التزامه، وفي تقواه وورعه، وحضوره وانصرافه، وعمله؛ حتى يقدم المثل والقدوة لمن معه.

٩- مساواة محفظي القرآن الكريم بزملائهم المعلمين في الحقوق المالية والأدبية، إن لم يكن لهم حافز خاص بهم.

١٠- تفعيل الدورات التدريبية للسادة المعلمين، وأن تؤدى شكلًا ومضمونًا، وأن يقوم بها متخصصون خبراء.

١١- إعادة النظر في نظام الفصل الدراسي الأول (التيرم الأول)، وإن كان هذا يخفف عن الطالب إلا أنه لا يخرج لنا طالب علم، وإنما يخرج لنا أشباه طلاب، حيث يفصل الطالب عن المادة العلمية.

١٢- تفعيل حصص المكتبة.. فهي لا تؤدى في المعاهد، نظرًا لتكدس حصص المعلمين، فالكتب موجودة فقط على الأرفف، ولا تفتح للطلاب.

١٣- توفير المعامل بالمعاهد لإجراء التجارب العلمية، فغالبية المعاهد لا يوجد بها معامل، والموجود منها غير مجهز للعمل، ومواد المعمل غير متوفرة، والمتوفر منها كثير منه منتهي الصلاحية.

يجب ألا يقبل المتردية والنطيحة!

ويرجع عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين د.أكرم كساب أسباب تدني مستوى التعليم في المعاهد الأزهرية إلى أمور عدة منها: تدبير حكومي منظم لإضعاف التعليم الديني في مصر، تدني مستوى المعلم الأزهري، عدم مواكبة المناهج الأزهرية للتطور الحادث في المجتمع، فضلًا عن ضعف مستوى الطالب الأزهري، حيث يدفع إلى الأزهر في كثير من الأحيان بضعاف المستوى، ومن عجزوا عن مواصلة التعليم العام.

ويضيف كساب قائلًا: إن النهوض بالمعاهد الأزهرية، يحتاج بالضرورة إلى كفاية المعلم من الناحية المعنوية والمادية؛ حتى يتفرغ للإبداع في عمله، مع تطوير المناهج بحيث تتماشى مع التطور الحاصل الآن، واختيار طلاب الأزهر بدقة وعناية، بحيث لا يقبل المتردية والنطيحة وما شابه ذلك، والبحث عن النوابغ وتبنيها لثقل موهبتها، مع الاهتمام بالكتاتيب، لأنها «مفرخة» الأزهر.. فأزهري من دون القرآن لا قيمة له ولا وزن.

فصل الكليات العلمية عن الشرعية

وفي تعليقه على الموضوع قال، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والإمام والخطيب بوزارة الأوقاف المصرية، الداعية الإسلامي الشيخ محمود القلعاوي: إذا ما نظرنا للتعليم الأزهري، نجد أن هناك أسبابًا كثيرة أدت إلى هذا الضعف الواضح للعيان، بدايتها اختلاف النظرة الإعلامية للتعليم الأزهري عن التعليم العام، فالتعليم الأزهري شبه مجهول في تغطية الإعلام له، مقارنة مثلا بالثانوية العامة، هذا التجاهل يجعل النظرة إلى التعليم الأزهري متدنية، ولو دون قصد.

ويضيف الشيخ القلعاوي: ومن الأسباب أيضًا، ضعف المعلم بشكل عام، سواء في مستواه العلمي الحاصل عليه من جامعة الأزهر، أو عدم وجود تدريب جاد يحصل عليه أثناء عمله كمعلم في المعاهد الأزهرية، فضلًا عن طبيعة المناهج، فالطالب الأزهري يدرس العلوم الشرعية، إضافة إلى مناهج التعليم العام، مما يثقل كاهله، مقترحًا فصل الكليات الشرعية عن الكليات العلمية.

ويتابع قائلًا: وهناك الجانب الإداري، حيث ينخر فيه المحسوبية والوساطة، ومن ذلك فكرة الضم للمعاهد الأزهرية، والتي بموجبها يحق للمتبرع القائم على بناء المعهد الأزهري بالجهود الذاتية، أن يعين بعض المعلمين كنوع من التكريم له، غير أن هؤلاء في الغالب يكونون من ضعاف المستوى، مما يكون له أثره السيئ على العملية التعليمية، معتبرًا أن أسباب النهوض تكمن في علاج أسباب التخلف، فضلًا عن الاهتمام بالتعليم الأزهري، ورفع مستوى المعلمين بالأزهر، فنيًا وإداريًا وماديًا.



لغة الـ ض وكيف تغنى بها شعراؤها؟!

صلاح رشيد - ناقد أدبي

لم تحظ لغة في تاريخ لغات العالم بمثل ما حظيت به لغتنا العربية من الروعة والسحر والجمال والثراء وحسن التعبير والأداء.. هذا في الوقت الذي لم تتعرض لغة للعداء والهجوم السافر بمثل ما تعرضت له لغتنا الجميلة من شتى الضربات الخارجية والطعنات الداخلية من مستشرقين ومستغربين، وأناس من جلدتنا، وأناس غرباء عنا!

المهم أن العربية وجدتْ لها في كل العصور أنصارًا يذودون عن حياضها، فأنشئت لأجل ذلك المعاهد العلمية والمجامع اللغوية، وظهر علماء في اللغة ألّفوا حولها المعاجم والقواميس الشهيرة، أمثال: ابن منظور، والخليل، والثعالبي، والزجّاج، والزبيدي، وابن فارس، وغيرهم.

فلا عجب أن يكتب الصحفي أحمد بهاء الدين، قائلًا: «كان من حظي أنني زرت كثيرًا من البلاد الإفريقية، وعرفت الناس فيها، من الزعماء الكبار والحكام... إلى باعة الفاكهة في الأسواق الفقيرة... ووصلت إلى «تومبوكتو» وعرفت معرفة شخصية، الأشواق الهائلة لدى هذه الشعوب إلى اللغة العربية، وإلى العروبة، وإلى معرفة لغة دينهم.. كنتُ أسير في الأسواق فإذا عرف العامة أنني عربي قادم من مدينة الجامع الأزهر الشريف.. أحاطوا بي، لا حفاوة فقط، بل تبركًا، يمسحون بأيديهم ثيابي ثم يمسحون بها وجوههم.. فاللغة العربية- لأنها لغة دينهم- مقدسة، ومن يتكلمها كأنه من الأولياء الذين يتبركون بهم. كنت أحيانًا أهرب من الأسواق حين أشعر أن الرجال والنساء البسطاء يعاملونني وكأنني «ضريح متنقّل» لا ينقصهم إلا أن يربطوا في عنقي وأطرافي أحجبتهم وأدعيتهم»!

«العربية» حفظت التراث الإنساني من الضياع والاندثار

ولِم لا؟ فالعربية هي اللغة التي حفظت التراث الإنساني من الضياع والاندثار.. لذلك فنحن لسنا مطالبين بحماية لساننا فقط ولا مزيد على ذلك، ولكننا مطالبون بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه

الجارم وحافظ وعبده بدوي.. أشهر من تغنوا بها في القرن العشرين

بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وإن بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كله.. لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطق به في كلام منظوم أو منثور.

لكل هذا كانت «اللغة العربية» ومازالت فخر أبنائها، فقد تغنوا بها، ونظموا فيها بدائع أشعارهم، فهاهو الشاعر المسيحي السوري «جاك صبري شماس» يقول في قصيدته «أشرف اللغات.. لغة القرآن الكريم»:

هام الفؤادُ بروضك الريّان
أسمى اللغات ربيبة القرآن
أنا لن أخاطب بالرطانة يعربًا
أو أستعير مترجمًا لبيان
أودعتُ فيك حشاشتي ومشاعري
ولأنت أمي، والدي وكياني
لغةٌ حباها اللهُ حرفًا خالدًا
فتضوّعت عبقًا على الأكوانِ
وتلألأت بالضاد تشمخ عزةً
وتسيل شهدًا في فم الأزمانِ
فاحرص أخي العربي من غدر المُدى
واغرس بذور الضاد في الوجدانِ
ما كان حرفك من «فرنسا» يُقتدى
أو كان شعرك من بني «ريفان»
ولئن نطقتَ أيا شقيقي فلتقل:
خير اللغات فصاحة القرآن

كذلك، تغنى الشاعر الكبير «علي الجارم» بالفصحى، فهي التي علمته سحر البيان، حتى إن حسنها يعجز عن وصفه الشعراء، فهي سرّ الحسن، ولغة الفن الرائق، لأنها أقدم من التاريخ ذاته، فيقول:

يابنة السابقين من قحطان
وتراث الأمجاد من عدنان
أنت علمتني البيانَ فمالي
كلما لُحتِ حارَ فيك بياني؟
ربّ حُسنٍ يعوقُ عن وصف حُسن
وجمالٍ ينسي جمال المعاني
يابنة الضاد أنت سرٌّ من الحسن
تجلى على بني الإنسان
لغة الفن أنت والسحر والشعر
ونورُ الحِجَى ووحيُ الجنانِ

أما الشاعر الدكتور «عبده بدوي» فيرسم في قصيدته «اللغة.. والبلبل» صورة تشكيلية تاريخية واعية للعربية بعطورها الفواحة، وخيالها الذي يأسر القلوب.. فهي عنده دوحة ظليلة لمحبيها، وهودج العشق لأمتها، وقصة الأبطال الذين نافحوا عنها، حتى تنزّل بلسانها القرآن الكريم:

تابعتُ عطرك في صحراء أجدادي
ودرتُ حولك في صمتي وإنشادي
مازلتُ أذكرُ حرفًا فيه وسوسةٌ
من الجنان، ومن تفاحها النادي
قد كنت دوحة بان.. أنبتت رجزًا
قُرْبَ الخيام التي شُدّت بأوتادِ
وكنت هودج عشق فيه زلزلة
فالحب رغم التأسي رائحٌ غادي
وكنت قصة فرسان قد انهمروا
وأصبحوا والأماني عند ميعادِ
حتى تدفق فيك الوحي مبتهجًا
فأصبح الكونُ -كل الكون- في الضادِ
اللهَ يا فجرها فاضت قداستهُ
بالنور في «كعبة» بالشعر في «النادي»

وهاهي ذي تتكلم على لسان شاعرها المكي «مصطفى زقزوق» في قصيدته «اللغة العربية»، فتقول مفاخرة بروعة بيانها ودلائل إعجازها، وتفردها بين اللغات:

منحتك قُرْبي والحروفُ مضيئةٌ
بروعة آيات وتغريد طائرِ
منحتك ما عندي، فلم يبق غيرهُ
خلائقُ من نُبل وأمجاد غابري
وفوق جبيني أمةٌ عربيةٌ
مُفاخرةٌ بالضاد عن لهو ساخر

هذه هي «لغة الضاد» أم اللغات، وأصل كل اللهجات التي عرفتها الدنيا بأسرها، والتي أمدّت الأدباء والكُتّاب بوابل صيّب من البيان الأدبي الذي لم تشهد الدنيا له مثيلًا، من أجل هذا أصبحت هدفًا لسهام خصومها وشانئيها.. فتعرضت لأكثر من هجمة مغرضة.. ولم تكن الحرب عليها من حيث هي لغة عربية، وإنما لأنها لغة تقوم بدور التوحيد الآن، توحيد اللسان والفكر والثقافة كما قامت بدور التوحيد في الماضي، وهم لا يريدون لهذه الأمة

«جاك صبري شماس».. أبرز المسيحيين العرب الذين نافحوا عن الفصحى

أن تتوحد، ولأنها أيضًا لغة تستوعب تراث الحضارة الإسلامية، وبقاء هذه اللغة يصل هذه الأمة بماضيها، وهم لا يريدون لهذه الأمة أن تتواصل، ولا يريدون لهذا التراث أن يبقى حيًا وفاعلًا ومؤثرًا... فحُوربت بإحلال اللغات الأجنبية مكانها، كما حُوربت أيضًا بسلاح العاميات المحلية، وقد تولى كبر هذه الدعوة المستشرقون وعملاء الاستعمار في القرن الماضي ثم تبعهم عليها بعض أبناء هذه الأمة المخدوعين! وكأن الزمان استدار مثلما كان في مطلع القرن العشرين، حينما وقف شاعر النيل «حافظ إبراهيم» يرثي حال الفصحى، في قصيدته الشهيرة التي يقول فيها:

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمتُ فلم أجزع لقول عُداةِ
ولدتُ ولما لم أجد لعرائسي
رجالًا وأكفاءً وأدتُ بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعاتِ
أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

وقد جاء شعراء كثيرون يعارضون هذه القصيدة، منافحين عن شرف العربية وما ألمّ بها من دعاوى القوم وسوء فهمهم، فهاهو الشاعر الإسلامي «محمد حافظ محمد» يَمْتَن بفضل الفصحى، متمنيًا أن تستأنف دورها في صنع مسيرة الحضارة الإسلامية، فيقول في قصيدته:

ما زال فضلك يستجيش مشاعرًا
نظمت حقائق من لظى المأساةِ
ويعود صوت المدعين ليحتسي
مُرّ المزاعم في كؤوس رُفاتِ
ويجيء دورك في الحياة لتبدئي
هد التقدم فوق متن هُداةِ
فخطى التقدم لا تكون بغير ما
لغة تنير الدرب للخطواتِ.



مقامات الحريري.. درة أدبية فريدة

مجدي إبراهيم - باحث في التراث

في القرن الرابع الهجري- أي في العصر العباسي- ولد فن «المقامة» على يد بديع الزمان الهمذاني، وهو الذي اختار لفظ «مقامة» لحكاياته التي كان يمليها في مسجد نيسابور، ثم ظهر الحريري في القرن الخامس الهجري وكتب مقاماته في أواخر هذا القرن فنالت شهرة عريضة، وأعجب بها كثير من الأدباء أكثر من مقامات الهمذاني.

هذا وقد عُرف لفظ «مقامة» في العصر الجاهلي، وجاءت الكلمة بمعني المجلس،وبمعنى الجماعة الجالسين في المجلس، قال زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههمْ
وأندية ينتابها القولُ والفعلُ

وإذا مارجعنا إلى العصر العباسي، سنجد كلمة «مقامة» استعملت في المعنى الأدبي، ووردت بمعنى الحديث الأدبي المكتوب، وللدلالة على الحديث الذي يلقي في المجلس، وبهذا المعنى استخدمها بديع الزمان الهمذاني في المقامة الوعظية، إذ رأى عيسى بن هاشم شخصًا يلقي حديثًا في المجلس فقال لبعض الجالسين: من هذا؟ فقال الرجل: - غريب قد طرأ لا أعرف شخصه، فأصبر عليه إلى آخر مقامته، واستعمل هذا اللفظ في حديث السائلين الذي يُلقى في جماعة في شكل قصصي يهتم بالإسلوب، ويتخذ راوية وبطلًا، ويرىالبعض أن القصة الحديثة نشأت متأثرة بـ المقامة، وهو رأي وجيه، فكثير من المقامات تنطوي على عنصر قصصي أو مسرحي، ولا نستطيع أن نطبق هذا جميع المقامات، ولكن: من هو الحريري؟

هو: أبو محمد القاسم بن علي محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي، ولد سنة ٤٤٦ هـ بضاحية من ضواحي البصرة تسمى المشان وعاش فيها طفلًا، فلما كبر وشب تحول عنها إلى البصرة ونزل بحي بني حرام، لذا سمي بـ الحرامي.. أما كلمة الحريري، فنسبة إلى عمله، أي أنه يصنع الحرير ويبيعه، عكف الحريري على العلم والأدب، وتزوج وأنجب ثلاثة أولاد وكان يتردد على بغداد في ضيافة الخليفة المستظهر، وفي ضيافة الوزراء الذين أعجبوا به ونال عندهم حضوة كبيرة،

كان الحريري متمسكًا بدينه، وكان مع علمه وفصاحته قذرًا في نفسه وصورته ولست وهيأته،وكان قصيرًا دميمًا بخيلًا بدأ كتابة مقاماته في سنة ٤٩٥، وأتمها في سنة ٥٠٤، وقد كتب خمسين مقامة واتخذ له رواية وبطلًا، أما الرواية أبوزيد السروجي، فقد اختلف مؤرخو الأدب في حقيقته، فرأى بعضهم أنه شخصية خيالية من اختراعه، ورأى البعض أنه شخصية واقعية، ونسب بعضهم إلى الحريري قوله: «أبوزيد السروجي نسبة إلى السروج، كان شيخًا شحاذًا بليغًا، ومكنيًا فصيحًا (متسولًا عن طريق الأدب)، ومعنى هذا أن إبا زيد شخصية حقيقية رآها الحريري، وقال بعضهم إنه كن بصريًا نحويًا صحب الحريري ورؤى عنه الواسطي كتاب «ملحمة الإعراب» الحريري، وتذكر الروايات أن الحريري صنع أول مقامة سماها ««المقامة الحرامية» ثم ذهب إلى بغداد وعرضها على الكبار فأعجبوا بها وشجعوه على أن يضم إليها غيرها، فكتب أربعين مقامة، وحسده البعض عليها وأنكروا أنها من عمله وتحدوه أن يصنع مقامة مثلها فعجز عن ذلك، وعاد إلى البصرة، وأتمها خمسين.. وحينئذ اعترفوا بفضله وعرفوا أنها من صنعه. ونالت المقامات شهرة واسعة وتداولها الناس وأشاد بها الحكام والأدباء، ويقول ابن خلكان: «واشتملت المقامات على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرارها، ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة إطلاعه وغزارة مادته» وكان فخورًا بمقاماته معبجًا بها.. ونجده يكشف عن اعتقاده بتفوقه على بديع الزمان الهمذاني، حيث يقول على لسان بطله:

إن يكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل
والفضل للوابل لا للطل

والاسكندري هو بطل مقامات بديع الزمان، وأبوزيد بطل مقامات الحريري، فهو يرى أن مقامات بديع الزمان كالطل الذي يسبق المطر، وأن مقامات الحريري كالمطر الغرير، فمقاماته أعظم وإن سبقتها مقامات الهمذاني. وللحريري مؤلفات عدة، منها درة الغواص في أوهام الخواص، ملحة

حسده البعض على مقاماته وتحدوه أن يصنع مثلها .. ولما أتمها اعترفوا بفضله

الأعراب، شرح الملحة، وله ديوان شعر، أما أشهر أعماله فهي المقامات.

ظروف نشأة المقامات

الحريري هو أول من صنع مقامته الأولى متأثرًا بشيخ من المكدين رآه في المسجد يسأل الناس ويزعم أن الروم أسروا ابنه، فعمل المقامة الحرامية واشتهرت في الناس، فلما طالعها الوزير أنو شروان أعجب بها وكلف أبا محمدالحريري أن يزيد عليها غيرها وكان أنو شروان كريمًا، وقد مدحه الحريري وأورد شعرًا في مدح أنو شروان.. وهكذا يضتح أن الحريري أنشأ المقامة الحرامية، ثم شجعه بعض الرؤساء على أن يضم إلى هذه المقامة غيرها ففعل.

ولا خلافه في أن الحريري كتب خمسين مقامة، ويبدو أنه قصد بهذا العدد أن يضاهي مقامات بديع الزمان- فقد حفظ لنا من مقامات بديع الزمان خمسون مقامة- غير أنه لم يراع ترتيبًا بين مقاماته.

أما الحريري فقد راعى نوعًا من الترتيب في أولى مقاماته في آخرها، ولم يضع مقامته «الحرامية» في صدر مقاماته، مع أنها أول مقامة أنشأها، وإنما جلعها المقامة الثامنة والأربعين بين مقاماته، والحقيقة أنه لا قيمة لوضعها في هذا الموضوع، فنحن لا نلحظ ترتيبًا بين مقاماته من الثانية إلى الثامنة والأربعين، وإنما نرى الترتيب وحسن التخطيط في صدر مقاماته وفي آخرها، وقد بدأ بالمقامة الصنعائية، لأنه يروي أن صنعاء أول بلدة صنعت بعد الطوفان، وفي المقامة الأولى نرى الحارث بن همام (راوي المقامات) يخرج إلى صنعاء اليمن ويدخل ناديًا رحبًا، فيرى شخصًا يعظ الناس ويملك إعجابهم ويحصل على هباتهم ثم ينصرف ويتبعه الحارث بن همام، ويدخل الرجل مغارة فيتبعه الحارث فيراه مجالسًا تلميذًا له يحتسيان الخمر، ويلومه الحارث لمخالفة ظاهره لباطنه، ويسأل تلميذه: من هذا الرجل؟ فيقول التلميذ: هذا أبوزيد السروجي، وأن هذا أول تعرف له به، وهذا مناسب لبداية المقامات، وتتوالى المقامات حتى الثامنة والأربعين لا رابطة بينها ولا ترتيب كما يقول الدكتور أحمدأمين مصطفى في كتابه «الحريري صاحب المقامات» ثم يحسن الحريري خاتمة مقاماته، حيث نرى شيخًا ضعيفًا يحضر ابنه وينبهه إلى قرب ارتحال أبيه، وأن ابنه ولي عهده، ويغض من قيمة



المعايش الأربعة: الإمارة، التجارة، الزراعة، والصناعة.. ويشيد بحرفة ساسان، ويعني بها الكدية، ويرد الإبن مؤيدًا أباه ويدعو له بطول البقاء ويعده بالاقتداء به... وهذه المقامة مناسبة في وضعها بين المقامات، وهي تمهيد لنهاية أبي زيد السروجي.

«المقامة الخمسون»

ثم تأتي المقامة الخمسون، وفيها يقصد الحارث بن همام مسجد البصرة فيرى فيه شخصًا ذا أطمار بالية فيقصد تجاهه، فإذا هو أبوزيد السروجي، ويشيد السروجي بأهل البصرة، ويعلن الندم والتوبة، وأنه لا يبغى أعطيتهم وإنما يبغي أدعيتهم، وتدعو الجماعة له وتقدم له الهبات، وينصرف السروجي ويتبعه الحارث بن همام، ويختليان، ويؤكد السروجي الندم والتوبة ثم يودعه وينطلق، ويتتبع الحارث أخباره ويخبره الركبان أن أبا زيد لبس الصوف وصار عابدًا وأظهر الكرامات، ويرسل إليه الحارث بن همام ويحضره وهو ينشد شعرًا روحيًا، ويصلي الحارث خلف أبي زيد ويطلب وصيته فيوصيه ويودعه وداع فراق، وهكذا أجاد الحريري في بداية المقامات ومهد للخاتمة، ثم خاتمة مناسبة، وأما بديع الزمان فلم يرسم لمقاماته بداية ولا خاتمة.

العقدة والحل

في كثير من مقامات الحريري تبرز العقدة المثيرة للتطلع ومعرفة النهاية، وغالبًا ما يأتي الحل نابعًا من نفسية البطل وما عرف عنه من صفات وأخلاق، وفي بعض المقامات حكاية تثير الانتباه وتبعث التطلع ولكن النهاية تأتي ساذجة لا تشبع التطلع، وفي المقامة الصورية يخرج الحارث بن همام ويلقي فتية يصفهم بأنهم كمصابيح الليل ويسأل عن وجهتهم فيعرف أنهم متوجهون لحضور حفل عرس ويصحبهم إلى دار رفيعة البناء ويرون هناك شخصًا على قطيفة فوق دكة لطيفة، ويبرز أبوزيد ليلقي خطبة الزواج، وهنا أحداث مشوقة، ويأتي الحريري بأوصاف تزيد التطلع، كوصفه الفتيان بأنهم كمصابيح الليل ووصف الدار والشخص الجالس على القطيفة ولكن الحكاية تنتهي بالخطبة التي يلقيها أبوزيد ثم ينصرف، وقد تتعدد الأحداث وتتوالى في ترابط وإثارة كما في المقامة الوبرية، وغالبًا ما يأتي الحل نابعًا من نفسية البطل وما عرف عنه من صفات وأخلاق كما نرى في المقامة الواسطية، وتتعدد الحلول التي تعتمد على ذكاء البطل وخداعه كما في المقامة الرحبية، وقد يأتي الحل معتمدًا على سذاجة العوام كما في المقامة الحجرية، ويأتي فجائيًا كما في المقاملة البكرية، أو قدريًا لا بد لأبي زيد فيه كما في المقامة العمانية، وفي المقامة الزبيدية اعتمد الحل على القانون الشرعي.



ملامح مسرحية

والمدهش أن بعض مقامات الحريري تصلح أن تكون مسرحية فكاهية من فصل واحد، وتحوي الحوار الشائق، وفيها العقدة، وإن كانت ساذجة- منها الحل النابع من الحدث.

المقامة البرقعيدية: يتظاهر فيها أبوزيد بالعمي، ويعطي من مخلاته رقاعًا مكتوبة لألوان الأصباع لامرأته العجوز.. وفيها أشعار مؤثرة.

المقامة الإسكندرية: عن امرأة تزوجها رجل محتال باع أساس بيتها بزعم أن صناعته كسدت، واستطاع أن يقنع القاضي بفقره ونجح في أن يفرض له القاضي صدقات!

المقامة المعرية: وفيها يدخل أبوزيد إلى قاضي معرة النعمان ومعه غلام وسيم، ويدّعى الشيخ أن الغلام اغتصب مملوكة له كان قد طلب استخدامها فأخدمه إياها بلا عوض، ولكنه اغتصبها، ويفيض في وصف المملوكة التي اتضح أنها إبرة استعارها الغلام واستعملها فكسرها!

المقامة الزبيدية: وهي تصلح أن تكون مسرحية من فصلين، ففي سوق العبيد يعرض أبوزيد غلامًا للبيع ويفيض في مدحه، ويعلن العبد أنه يوسف، ويشتري الحارث الغلام، ويقبض أبوزيد الثمن وينصرف ثم يعلن الغلام أنه حر ويتنازعان ويذهبان إلى القاضي، ويعلن الغلام أنه أنذر الرجل وقال له: «أنا حر كيوسف عليه السلام»، ويحكم القاضي بحرية الغلام.

المقامة الحجرية: ويظهر أبوزيد حجامًا، ويحضر فتى يريد الحجامة، ولكنه مفلس ويطلب إمهاله حتى اليسر، ويرفض الحجام، ويشكو الغلام للناس، ويذم الحجام فيعطفون عليه ويقدمون له المال، ثم يتضح أن الغلام ابنه.

لماذا تفوق الحريري على الهمزاني في المقامات ؟

من أعظم منك يا محمد؟

«ألفونس دا لامارتين»
مستشرق فرنسي

لا أحد يستطيع أبدًا أن يتطلع، عن قصد أو عن غير قصد، إلى بلوغ ما هو أسمى من ذلك الهدف، إنه هدف يتعدى الطاقة البشرية، ألا وهو تقويض الخرافات التي تجعل حجابًا بين الخالق والمخلوق، وإعادة صلة القرب المتبادل بين العبد وربه، ورد الاعتبار إلى النظرة العقلية لمقام الألوهية المقدس، وسط عالم فوضى الآلهة المشوهة التي اختلقتها أيدي ملة الإشراك.

لا يمكن لإنسان أن يقدم على مشروع يتعدى حدود قوى البشر بأضعف الوسائل، وهو لا يعتمد في تصور مشروعه وإنجازه إلا على نفسه ورجال لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، يعيشون في منكب من الصحراء.. ما أنجز أحد أبدًا في هذا العالم ثورة عارمة دائبة، في مدة قياسية كهذه، إذ لم يمض قرنان بعد البعثة حتى أخضع الإسلام، بقوته ودعوته، أقاليم جزيرة العرب الثلاثة، وفتح بعقيدة التوحيد بلاد فارس، وخراسان، وما وراء النهر، والهند الغربية، وأراضي الحبشة، والشام، ومصر، وشمال القارة الإفريقية، ومجموعة من جزر البحر المتوسط وشبه الجزيرة الايبيرية، وطرفا من فرنسا القديمة.

فلذا كان سمو المقصد وضعف الوسائل وضخامة الناتج، هي السمات الثلاثة لعبقرية الرجال، فمن ذا الذي يتجاسر أن يقارن محمدًا بأي عظيم من عظماء التاريخ؟ ذلك أن أكثر هؤلاء لم ينجح إلا في تحريك العساكر، أو تبديل القوانين، أو تغيير الممالك، وإذا كانوا قد أسسوا شيئًا، فلا يُذكر لهم سوى صنائع ذات قوة مادية تتهاوى غالبًا قبل أن يموتوا.

أما هو فقد استنفر الجيوش، وجدد الشرائع وزعزع الدول والشعوب، وحرك ملايين البشر فوق ثلث المعمورة، وزلزل الصوامع والبيع والأرباب والملل والنحل والنظريات والعقائد، وهز الأرواح.

واعتمد على كتاب صار كل حرف منه دستورًا، وأسس دولة القيم الروحية فشملت شعوبًا من كل الألسنة والألوان، وكتب في قلوب أهلها - بحروف لا تقبل الاندثار - كراهية عبادة الأصنام المصطنعة، ومحبة الإنابة إلى الواحد

الرسول ﷺ استنفر الجيوش وجدد الشرائع وبنى الدول والشعوب وحرك ملايين البشر فوق ثلث المعمورة وزلزل الصوامع

الأحد المنزه عن التجسيم.

دفع حماسه أبناء ملته لأخذ الثأر من العابثين بالدين السماوي، فكان فتح ثلث المعمورة على عقيدة التوحيد انتصارًا معجزًا، ولكنه ليس في الحقيقة معجزة لإنسان، وإنما هو معجزة انتصار العقل.

كلمة التوحيد التي صدع بها - أمام معتقدي نظم سلالات الأرباب الأسطورية - كانت شعلتها حينما تنطلق من شفتيه تلهب معابد الأوثان البالية، وتضيء الأنوار على ثلث العالم.

إننا لن نصدق أبدًا بذلك.. هل هو كذاب أشر؟

فالكذب في الاعتقاد هو عين النفاق، والنفاق يفتقد قوة الإيمان، والباطل لا يعلو على الحق وإذا كانت قوة التأثير في مجال الصنعة هي الميزان الحقيقي لقوة الدفع فإن الإنجازات التاريخية هي الميزان الحقيقي لقوة الإيحاء، والفكر القوي هو الذي يدعو إلى الأسمى وإلى الأبعد، وإلى الأبدي، ومن يتحلى بهذه الصفات فلابد أن يكون صادقًا ومقنعًا.

وإن سيرة حياته، وتأملاته الفكرية، وجرأته البطولية على تسفيه عبادة آلهة قومه، وشجاعته على مواجهة شرور المشركين، وصبره على أذاهم طوال خمس عشرة سنة في مكة، وتقبله لدور الخارج عن نظام الملأ، واستعداداه لمواجهة مصير الضحية بين عشيرته، وهجرته، وعمله الدؤوب على تبليغ رسالته، وجهاده مع عدم تكافؤ القوي مع عدوه، ويقينه بالنصر النهائي، وثباته الخارق للعادة عند المصائب، وحلمه عندما تكون له الغلبة، والتزامه بالقيم الروحية، وعزوفه التام عن الملك، وابتهالاته التي لا تنقطع، ومناجاته لربه، ثم موته، وانتصاره وهو في قبره - إن كل هذا يشهد أن هناك شيئًا يسمو على الافتراء، ألا وهو الإيمان، ذلك الإيمان الذي منحه ﷺ قوة تصحيح العقيدة.. تلك العقيدة التي تستند إلى أمرين هما: التوحيد، ونفي التجسيم، أحدهما يثبت وجود البارئ، والثاني يثبت أن ليس كمثله شيء، وأولهما يحطم الآلهة المختلقة بقوة السلاح، والثاني يبني القيم الروحية بقوة الكلمة.

إنه الحكيم، خطيب جوامع الكلم، الداعي إلى الله بإذنه، سراج التشريع، إنه المجاهد، فاتح مغلق أبواب الفكر، باني صرح عقيدة قوامها العقل، وطريق عبادة مجردة من الصور والأشكال، مؤسس عشرين دولة ثابتة على الأرض، ودعائم دولة روحية فرعها في السماء، هذا هو محمد.

فبكل المقاييس التي نزن بها عظمة الإنسان، فمن ذا الذي يكون أعظم منه؟

ترجمة: د.محمد المختار ولد أباه - جامعة شنقيط العصرية



حين يُقتل الاحترام بالقسوة

مياسة النخلاني- قاصّة يمنية

كان قلق ريم يتضاعف كلما زاد التوتر من حولها فهاهي الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل ولم يعد أخوها إلى البيت، ومع كل دقيقة تمر يشتد غضب والدها ويبدأ بإلقاء عبارات اللوم على زوجته «فهذه تربيتها» كما تعود أن يردد كلما مروا بمواقف كهذه وكأنها قد أخذت عليه عهدًا أن تكون التربية حكرا عليها وحدها ولا دخل له في تربية أولاده، أم تراها مجرد عبارة يرددها كلما اقترف الأبناء خطأ أو هفوة لتبرير ابتعاده عنهم ومشاركته في تربيتهم وحل مشاكلهم!

كلّ ما كانت تفكر فيه حينها هـو كيـف سيكون استقبال والدها لذلك الذي خرق قوانين البيت الصارمة وتأخر كل هذا الوقت، فهي للأسف تعرفه وتعرف تصرفاته الخالية من العقلانية والحكمة في مثل هذه المواقف خاصة حين يكون الغضب هو المسلك الوحيد.

أخرجتها من أفكارها تلك طرقات على الباب وبكل تأكيد هي لأخيها الغائب الذي عاد أخيرًا وتمنت حينها لو لم يعد، فبمجرد ملامسة قدميه أرضية البيت فجر والدها- هداه الله- في وجهه كل شحنات الغضب المتراكمة داخله، وأخذ يهينه ويشتمه أمام الجميع لتنتهي جلسة التأنيب تلك بصفعة مدوية استقرت كالصاعقة على وجهه لتفجر الدموع من عيون الجميع فلم يكن سهلًا عليهم رؤية أخيهم الكبير يتعرض للإهانة بهذه الطريقة.

أمام هذا الاستقبال الحافل غادر خالد البيت حانقا حزينا، وما يدعو للدهشة والحيرة أن الأب بدأ هجومه عليه دون حتى أن يكلف نفسه عناء السؤال عن سبب التأخير!! فهل هي محاولة منه لإثبات وجوده؟ وكأن الحضور لن يكون قويًا إلا إذا كان العقاب شديدًا؟!

سؤال تبادر إلى ذهن ريم وهي تمسح دموعها.. لماذا لا يحاول الآباء الحصول على الاحترام الذي ينشدونه من أولادهم بالحب والحنان والتصرف الواعي؟! لماذا يضعون كل تلك الحواجز بينهم وبين فلذات أكبادهم ويعمدون إلى تحطيمهم بتصرفاتهم القاسية بدلا من الأخذ بأيديهم ومساندتهم؟

بعد مضي بعض الوقت عاد خالد إلى



البيت بوجه حزين، وروح منكسرة، توجه إلى غرفته بصمت، وبدا واضحا أنه لا يريد الحديث مع أحد.. تجاهلت ريم تلك الرغبة ولحقته إلى غرفته لكنها لم تجد ما تقول ولزمت الصمت هي أيضا.. في حين ظلت تسترق النظر إلى وجهه، وأخيرًا قررت الحديث:

«خالد..»

بابتسامة حزينة قاطعها:

«لا تقلقي يا ريم فأنا بخير، لست هشًا فأنكسر بهذه السهولة، ثم إنه أبي وعلينا تحمله، إن لم نتحمله– نحن أبناءه– فمن سيفعل؟ اذهبي ونامي ولا تحملي همّ شيء».

أسعدتها كلماته تلك، فنظراته وهو يتحدث تؤكد أنه بخير، وقبل أن تغادر التفتت إليه وسألته:

«ولكن لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟ والله أقلقتنا عليك».

«بينما كنت أذاكر عند فؤاد تعبت والدته فأخذناها إلى المستشفى، لم أستطع تركه لوحده فبقيت معه حتى تحسنت حالتها وأعدناها إلى البيت».

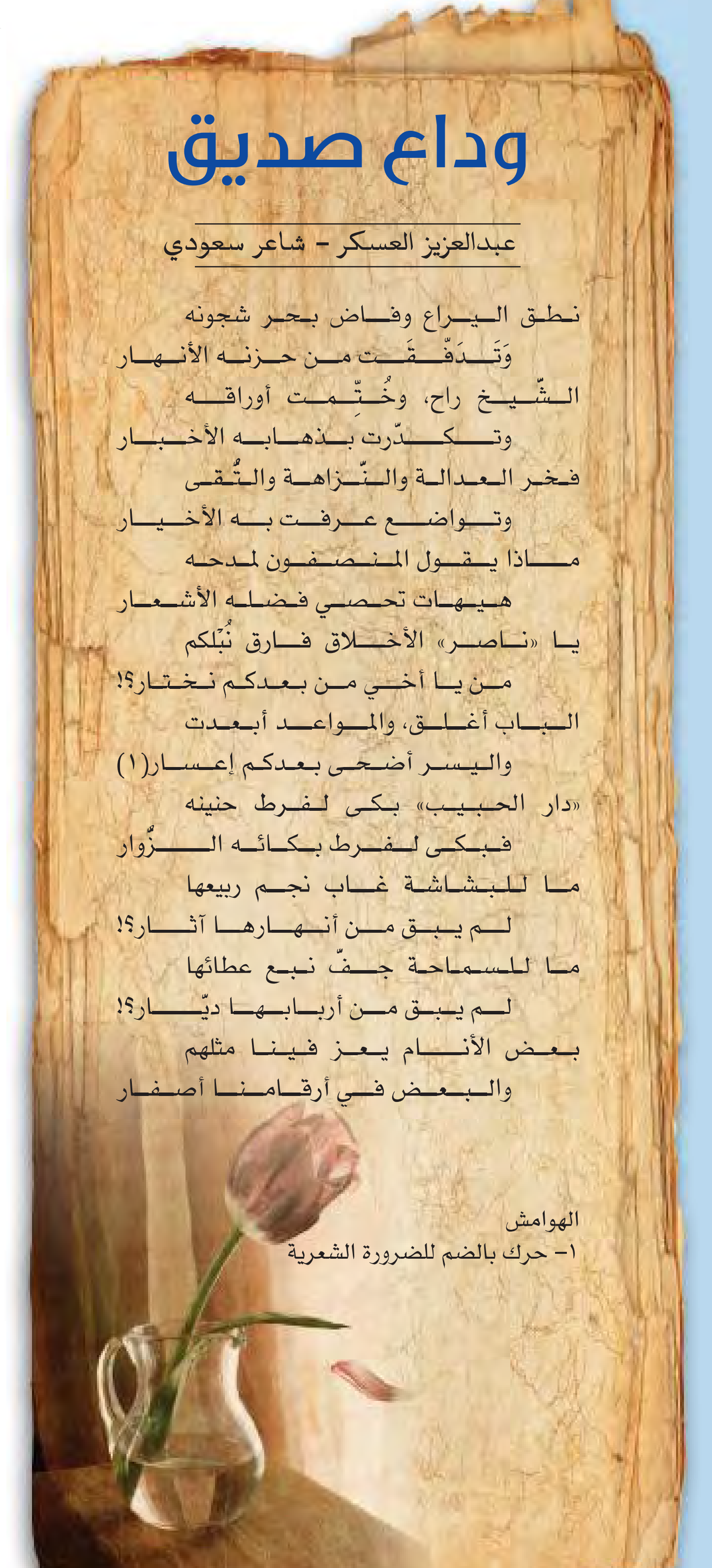
ابتسمت له وخرجت قبل أن يرى دموعها، فلماذا لم يعطه والده فرصة للحديث؟ لو كان سمعه لطبع على خديه قبلة حانية عوضا عن تلك الصفعة القاسية.

وفي طريقها إلى غرفتها استوقفها أبوها ونظرات القلق بادية عليه، سألها بلهفة:

«هل هو بخير؟»

طمأنته فإذا بعلامات القلق تتلاشى، أخذ نفسًا عميقًا ثم دخل غرفته.. نظرت له باستغراب، إنه فعلًا قلق، ولكن طريقته في ترجمة مشاعره كانت جدًا خاطئة.

دخلت غرفتها هي أيضًا والأمل يحدوها أن يحاول أن يكون أكثر انفتاحا مع أبنائه حتى لا يخسرهم، وأن يعطيهم الثقة والحب والحنان ليعيش معهم حلو العيش ويحصد معهم خير التربية.. فكرت أنه يومًا ما قد يدرك كم هو بعيد عنهم.. يومًا ما قد يُقدم على الاقتراب وتمنت من كل قلبها ألا يكون الأوان حينها قد فات.



وداع صديق

عبدالعزيز العسكر - شاعر سعودي

نطق اليراع وفاض بحر شجونه
وَتَدَفَّقَت من حزنه الأنهار
الشّيخ راح، وخُتِّمت أوراقه
وتكدّرت بذهابه الأخبار
فخر العدالة والنّزاهة والتُّقى
وتواضع عرفت به الأخيار
ماذا يقول المنصفون لمدحه
هيهات تحصي فضله الأشعار
يا «ناصر» الأخلاق فارق نُبْلكم
من يا أخي من بعدكم نختار؟!
الباب أغلق، والمواعد أبعدت
واليسر أضحى بعدكم إعسارُ(١)
«دار الحبيب» بكى لفرط حنينه
فبكى لفرط بكائه الزُّوار
ما للبشاشة غاب نجم ربيعها
لم يبق من أنهارها آثار؟!
ما للسماحة جفّ نبع عطائها
لم يبق من أربابها ديّار؟!
بعض الأنام يعز فينا مثلهم
والبعض في أرقامنا أصفار

الهوامش
١- حرك بالضم للضرورة الشعرية



نكبة فلسطين في ذاكرة شعراء الكويت

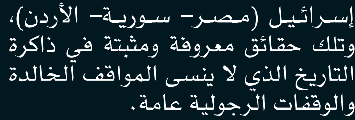
رفعت بروبي - كاتب مصري

بداية كلنا يعلم ما يحدث من أحداث رهيبة تستقطب أنظار العالم أجمع موجزها مخططات الإبادة المنظمة التي تقوم بها قوات الاحتلال الصهيونية والتي كادت أن تكون عمليات تطهير عرقي تستأصل فيها كل العناصر النضالية التي تشكل العمود الفقري للشعب الفلسطيني.

إنها المأساة الإنسانية للشعب المسلوب الإرادة والحرية والأرض والعرض والحقوق الإنسانية، مأساة ارتكبتها أيادي الصهاينة منذ عام ١٩٤٨م ولا تزال فصولها مستمرة حتى الآن.

ولقد كانت لنكبة فلسطين أشد الوقع في نفوس الكُتاب والشُعراء عامة، فجاءت أشعارهم تقطر دمًا وحزنًا على الوطن المسلوب والحق الضائع والشعب الفلسطيني المغلوب على أمره، وفاضت نفوس شعراء الأمة العربية بقصائد الشعر المتوهج، والتعبيرات الرصينة، والكلمات النارية تفضح كيان الصهيونية، وتعري حقيقتها، وتظهرها جلية واضحة أمام الرأي العام العالمي، وهنا نلقي نظرة سريعة على كوكبة ممتازة من شعراء الكويت الذين أثرَوا الحياة الأدبية عامة، وأثروا في الحياة الثقافية خاصة، إذ كان همهم الأول ومقصدهم الوحيد مساندة الشعب الفلسطيني الضائع والتحدث بلسانه وشرح قضاياه ومحاولة استنصاره وتقوية عزيمته، واستنفاره ليهب ثائرًا على العدو الغاصب، مستعيدًا لحقه في أرضه وماله وتراثه وبلاده عامة.

وكلنا يعلم كيف فتحت الكويت أبوابها لأبناء فلسطين بلا تحفظ منذ النكبة الأولى عام ١٩٤٨م، وقدمت لهم من فرص العمل والاستقرار ما لم يتح لهم في بلد عربي آخر، ولم يكن متاحًا لغيرهم بهذه الدرجة وبهذا الاتساع، وكذلك مسارعة الكويت لحضور مؤتمرات القمة ومساهمتها المادية الكثيرة والكبيرة لدول المواجهة مع




إسرائيل (مصر- سورية- الأردن)، وتلك حقائق معروفة ومثبتة في ذاكرة التاريخ الذي لا ينسى المواقف الخالدة والوقفات الرجولية عامة.

وليس مناقضة للحقيقة أن نقول إن الشعر الكويتي كان عاملًا مؤثرًا من عوامل التنمية الثقافية العربية، مخلصًا للأهداف القومية، معبراً عن روح أمة الإسلام في أفراحها وآلامها قادرًا على اكتشاف آفاق جديدة للفكر بما يرشد مسيرة الأمة الإسلامية الثقافية، فما خفي علينا جميعا اهتمام الشعر الكويتي بقضية فلسطين، و«الشعر الكويتي» يسجل لنفسه علامتي إضاءة منذ وقف بجانب عروبة فلسطين، وغضب واستعداء، وحفز، ورسم الآمال منذ فترة مبكرة جدًا، قد يدهش من لا يعرف أنها ترجع لعام ١٩٣٧م، أما الإضاءة الثانية فهي أنه ظل يصطحب هذه القضية معه أينما ذهب، ولم تكن فترة مرحلة أو ارتباط مناسبة (١).

الشعر الكويتي والقضية الفلسطينية

إن البعد الإنساني في الشعر الكويتي تتجلى إنسانيته في أفق الشاعر الكويتي بما يتجاوز النظرة الإقليمية الضيقة، هذه الإنسانية تتجسد في مستوى الصياغة الشعرية الرقيقة التي تجعل من هذا الشعر نموذجًا للجمال والصدق والهمة معًا، فلقد حقق الشعر الكويتي منزلة جديدة بالتقدير حين تأخذ مكانها في ديوان الشعر العربي بشكل عام ونذكر من هؤلاء الفرسان الشعراء: أحمد العدواني، محمد الفايز، خليفة الوقيان، عبدالله العتيبي، وأحمد السقاف، خالد سعود الزيد، فاضل خلف، يعقوب السبيعي وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم، ولكن نعرج على نماذج شعرية لبعض الشعراء ممن كافحوا من أجل القضية الفلسطينية، وعمومًا ويكفي الشاعر الكويتي فخرًا أنه أول من تنبه للخطر الصهيوني القادم وطالب بالتصدي له في فترة مبكرة جدًا، فالشاعر «صقر الشبيب» (٢) نشر أولى قصائده في مجلة «السجل» في ١٤ ديسمبر ١٩٣٧م، ومن الواضح أنها استجابة مباشرة للإضراب العام الطويل المعروف الذي قام به العرب في فلسطين في العام السابق ١٩٣٧م، واستمر ستة أشهر، ومن يجب أن تبدأ قصيدته بالنتيجة المرة الأخيرة، إذا تراجع العرب في مواجهة الهجرة لفلسطين، وكذلك التراجع أمام عمليات الاستيلاء المستمرة، قال شاعرنا «الشبيب»:

أيرفَعُ رَأسَهُ العَرَبي يَومًا
إذا امتلكت فلَسطينَ اليَهودُ؟
وهَل عُذرٌ له إن لَمْ تَجدهُ
بأغلى ما لديهِ يَجُودُ
وَراء الخُطبِ هَذا أيّ خَطب
تُصانُ لَه النفوسُ أو النُقودُ (٣)

فكانت هذه القضية المنشور المنظوم والراصد لكل أطراف القضية الفلسطينية، من الأسباب إلى المواقف، والنتائج المؤلمة إذا ما نكص من بيدهم الأمر فلم يؤدوا واجبهم، ثم يدين الشاعر الإنجليز لأنهم دبروا هذه المؤامرة الاستيطانية، وينبه الشاعر «عصبة الأمم» لواجبها، فهي- في نظره- منتخبة لإقامة العدل ولكنها سكتت على ما يلحق بالعرب من بغي وعدوان.

وقولي لي أَحُرٌ كل عضو
انضم لمبناك المشيد
أم الأعضاء فيك- كما اقتضاه
مشاع الظلم – للأقوى عبيد؟
ملوك العرب إن الأمر جد
وإن الله مطلع شهيد

ويدعم الشاعر قوله بتوافر أجناد الحق (الجيوش العربية) وتوافر الإمكانات اللازمة للزحف العربي المقدس:

فإن شعوبكم أجناد صدق
وظل المال فوقكم مديد

ويبين الشاعر أيضًا أن الخطب لن ترد العدوان ولن تسترد فلسطين، وأن العمل والكفاح هو اللغة الوحيدة:

إذا دوت الرعود بغير قطر
فهل تجدي ذوي المحل الرعود (٤)

وقد كتب «صقر الشبيب» عن فلسطين ست قصائد طوال أولها تلك التي عرضنا لشيء منها، وفي قصيدة أخرى له نشرت بعد شهر من القصيدة السابقة يطور مطالبه للرؤساء العرب بحشد إرادتهم لنجدة فلسطين:

ستبقى على الأحقاب حقبًا إلى حقب
خيالًا على رغم المنى وحدة العرب
وأي أمور الناس وحد بينهم
إذا لم توحد بينهم شتى الخطب
ولا خطب يبلي صبر كل أخي نهى
كريم ويطوي القلب منه على ندب
كهذا الذي يضحي ويمسي محولا
«فلسطين» من كرب شديد إلى كرب (٥)

لقد أبدع الشبيب بطريقته النظمية عام ١٩٣٨م وربما قبل أن يصارحنا بها شاعر آخر، ويحذر شاعرنا العرب من أن فلسطين قد تكون أول حلقة في سلسلة الاحتلال الأجنبي للدول العربية والإسلامية:

لعمر أبي ما «الإنكليز» بمنته
لهم مطمع إلا بناة منَ الرهب
فليست «فلسطين» بآخر حسوة
تبل صدى الأعداء بل أو الشرب
وإن لم تعضّهم بها وتروهم
مرارة ما ظنوا من السائغ العذب
ليلفظ منها ما أراد إزراده
فمٌ عاده بلع اللذيذ من النهب

إننا لا نكاد نجد شاعرًا كويتيًا ليست له قصائد عن فلسطين، ونذكر شعراء الجيل الماضي «فهد العسكر، خالد الفرج، عبدالله سنان، عبدالله حسين الروحي، فاضل خلف وغيرهم، وأننا لسنا بحاجة لذكر أشياء ثابتة ومعروفة إذا كان المثقف الكويتي في صورة الشاعر أو الملبين بالشعر لنداء فلسطين والوقوف معها واستصحابه لقضية فلسطين إلى كل محفل وموقع، وتبني الصوت الفلسطيني أينما ارتفع، ففي شهر ديسمبر١٩٨٧م كانت «ثورة الحجارة» تأخذ مكان «المانشيت» الرئيسي في صحف الكويت «الأنباء، الرأي العام» وغيرها، وكذلك المجلات مثل «الوعي الإسلامي» التي أفردت وبسخاء شديد صفحاتها وملفاتها الأدبية والصحافية لخدمة انتفاضة الحجارة، مدعمة بذلك بالصور والنداءات، وكان تلفزيون الكويت يذيع أغنية مصورة عن «ثورة الحجارة» أعدها الفنيون

فيه، كما كانت كلمة ممثل وفد الكويت في المحافل الدولية والمهرجانات معبرة عن مشاعر أهل الكويت وكل العرب تجاه القضية الفلسطينية، أي باختصار كان الشاعر الكويتي يصطحب «هم المشكلة الفلسطينية» أينما ذهب وارتحل وعن ذات الانتفاضة، فاضت نفس الشاعر «خليفة الوقيان» بقصيدته «البشارة» وفي التسمية علاقة ودلالة، يقول مطلعها:

الأرض ترجمهم حجارتها
ويفقأ عينك شوك النخيل
في القدس في «العشار» في «ميسان» في أنحاء
(غزة) في الخليل!
يتعانق الحجر النبيل

وكأنما رأى الشاعر أن انتفاضة الحجارة، هي وجه آخر للصمود ضد أعداء العروبة..

وكذلك يشاركه ذات الهم العربي الشاعر «فاضل خلف» في قصيدته «نهر مجردة» مساندته للنضال التونسي في «ساقية الأحرار» ثم لفلسطين:

فهل لك في نصر جديد محجل
يضيف إلى ماضيك صرحًا ممردًا
«فلسطين» قد حل البلاء بساحها
يُحاربها الأهلون والدهر والعدا
وهذا أوان البذل يا ابنة «عقبة»
فمدي إليها من بطولتك اليدا
وقولي لقاء اليوم في أرض «تونس»
وفي مهرجان «القدس» موعدنا غدا

إلى هذا الحد بلغت ثقة الشاعر بقرب حلول موعد النصر وحثه على الجهاد كي يستجيب القدر وكأنه يستحضر روح الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي من خلال قصيدته المعروفة بيننا

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر

أما الشاعر «محمد الفايز» فهو الذي تأسى كل الأسى لأحداث فلسطين ولبنان أيضًا فراح يغني لبيروت في أشعاره ومنها ديوان «بقايا لبنان»:

ألا لهفي على الجيل المُعنّى
فقد أمسى حزين الكبرياء (٧)

إذ يرى الشاعر أن لبنان ليس ضحية نفسه وإنما ضحية إخوته العرب.

فإخوة يوسف جاءوا أباهم
وهم يبكون يوسف في العشاء
ومازال القميص به دماء
وآخره مزقوه من الوراء

وفي ذات المضمار يطالبنا الشاعر «عبدالله العتيبي» بأبياته الصارخة والداعية للبحث عن جواب، في قصيدته «شارة مهمة» (٨):

عن القدس تسألني الأزمنة
وكل المسافات والأمكنة
وكل المساجد.. كل المنابر
كل القباب التي لفها اليتم

ثم يقول:

يا للسؤال الذي يطفئ العمر في لجة الانكسار
عن القدس ماذا أقول؟

إنها المواقف التالية للمثقف والأديب الكويتي- المواقف المستجيبة لكل تحول في القضية الفلسطينية، فنرى في تتابع الشعراء البطولات النادرة وصدق العزيمة والتصدي والأمل لأعداء العرب والمسلمين، ولكم شهد «المريد» (٩) المؤتمرات الشعرية التي أثرى فيها شعراء الكويت كل احتفالية شعرية تقام بل وكان شعراء الكويت بتفردهم وتميزهم مكانتهم الأدبية أولا ثم بنتاجهم الشعري الذي يلهب الأسماع ويلخص المشاعر في قصائد شعر حيوية تنبض إبداعًا وإقناعًا وثورة عارمة على أعداء الأمة والمسلمين جميعًا.

وعندما يجد الشاعر أناسًا في غمرة لهوهم، ناسين القضايا الكبرى كقضية يبدأ الشاعر في ايقاظهم من ثباتهم وتنبيههم للخطر المحدق بهم فيقول الشاعر «أحمد السياف» مخاطبًا التونسي المثقف أن يفكروا في فلسطين وأن يرتبوا علاقتهم على هذا الأساس فإذا كانت «تونس» قد عانت من الاستعمار فإنه من الخطأ أن تنسى تجربتها الخاصة إذا ذكرت فلسطين:

ما نسيناكم ففي وجداننا
لكمو شيدت بروج وقباب
أشربتم بعض وقت علقما
فشراب العرب في المشرق صاب
منذ نصف قرن عشنا نكبة
ملؤها بؤس وظلم واغتصاب

إنها الرؤية الصامتة للقضية الفلسطينية التي شغلت وجدان شعراء الكويت فراحوا في سباق مشرف يسارعون للمؤتمرات الأدبية، يحيونها شعرًا رصينًا- شارحًا أبعاد مأساة فلسطين المعاشة.

كل ما سبق سرده من نماذج شعرية لأدباء وشعراء الكويت كان غيضا من فيض، وعرفنا توجهات الدور الثقافي للكويت، الممتزج بالبعد الإسلامي والإنساني والذي يشغل مساحة ضخمة من الإنتاج الأدبي على مستوى الوطن العربي عامة، ومن المشرف أنه ما من شاعر كويتي إلا وفي ديوانه نصيب واضح لقصائد عن فلسطين، أو الجزائر أو اليمن، وغير ذلك من القضايا العربية، وهو أكبر دليل على توحد المجتمع الكويتي في الأزمات كافة والاهتمام بثوابت الوجود العربي الإسلامي الذي يشمل الدين، واللغة، والقيم الأصيلة، فهنيئا لكم شعراء الكويت وطنيتكم الصادقة ومشاعركم النبيلة التي تغلف قلوبكم وتنطق ألسنتكم بأروع الكلام.

الهوامش

١- «الكويت والتنمية الثقافية العربية»- د.محمد حسن عبدالله، والكتاب سلسلة عالم المعرفة صادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت (صفر ١٤١٢- سبتمبر ١٩٩١م).
٢- صقر بن سالم الشبيب، شاعر الكويت (١٨٩٢ - ١٩٦٣) وكان محافظا في شعره، جمع ديوانه وحققه «أحمد البشر الرومي»، عبدالستار فراج عن مكتبة الأمل بالكويت.
٣- ديوان صقر الشبيب، ص ١٨٩، والقصيدة تحت عنوان «الأعمال لا الأقوال».
٤- هذه الصورة الفنية القائمة على القياس مستمدة من البيئة الطبيعية في الكويت فقد كان المطر في ذلك الوقت- المصدر الأول لمياه الشرب والزراعة وهو صورة تراثية أيضًا.
٥- ديوان الشاعر «الخروج من الدائرة»، ص ٣٩ .
٦- ديوان الشاعر فاضل خلف وقد شغل وظيفة المستشار الثقافي بسفارة الكويت في تونس- وقصيدته «نهر مجردة» ص ٦٥ ومجردة نهر في تونس، كتب الشاعر عنه قصيدتين، قصيدته (نهر مجردة) ٦٥، و«على ضفاف مجردة» الذي حمل الديوان اسمها ص ٨٢ .
٧- ديوان محمد الفايز «بقايا الألواح»، ص ٤ .
٨- ديوان «مزار الحلم»، ص ٥١ .
٩- المريد: ضاحية صحراوية من ضواحي «البصرة» أقام بها الفرزدق بيتا وابتنى «جرير» لنفسه بيتا أيضا، وقد عمل العراق على إعادة الاسم باعتباره كان سوقًا من أسواق الشعر ودأب على عقده سنويًا في بغداد، وكان يجمع له الشعراء العرب من كافة الأقطار.
١٠- ديوان الشاعر أحمد السياف بعنوان «تونس»، ص ١٩٨.





عبقرية اللغة العربية الفصحى وكمالها (٢-٢)

عبدالله آيت الأعشير - باحث مغربي

إذا كانت العربية الفصحى بهذه المنزلة من دون تمار أو ريْب، وكان الأوائل حُرُصًا عليها أشد ًما يكوّن الحرص، ناهضين بها، ومكبِّرين لشأوها المُغرَّب، فإن ثلة من المحدثين العرب والمستشرقين كان لهم الفضل في إعادة السهم إلى النَّزعة وإرجاع الحق إلى ذويه، مؤكدين أن العربية ما تزال روضة ذفراء، وبحرًا لُجِّيًّا لا يقذف إلا دُررا مُستفرَهة، حيث إنها: «أرقى اللغات السامية، كما يقرر دارسو تلك اللغات، فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية، ولا غيرهما من هذا الفرع السامي. وهي كذلك من أرقى لغات العالم، فهي تمتاز- حتى عن اللغات الآرية- بكثرة مرونتها، وسعة اشتقاقها. فإذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ مَتعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص، بما يقابلها من كلمة إفرنجية وما يشتق منها، كانت اللغة العربية في ذلك- غالبا- أوفر وأغنى».

اللغة العربية بناء شامخ لم يتصعَّدْها ويشقّ عليها التعبير عن كل جوانب الفكر في العهود الأولى، حيث استطاعت أن تحافظ على تراث الإنسانية، وأن تستوعب مختلف الآثار الفكرية والعلمية والفنية من دون أن تستجد بتوليدات اللغات الأخرى، لأنها لغة شاعرية كما أكد العقاد. ألفاظها منسقة على نحو خاص مثل سبائك الذهب، منوعة المخارج، وقليلة الأحرف التي تتركب منها، ناهيك عن الحرص على تحقيق التوافق بين الصدى الصوتي، وبين المعنى في إطار ما يسمى التمثيل الصوتي للمعنى. بل إن في «اللغة العربية استعدادًا للرؤية الجوانية، يتذوقه من نشأوا على التحدث بها. وفي العربية بفضل تركيبها الداخلي وطراز الخلوة الذي توحي به، قدرة خاصة على التجريد والنزوع إلى الكلية والشمول.. ثم إن اللغة العربية لغة الغيب والإيحاء: تعبر بجمل قصيرة مركزة عمّا لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه إلا في الجمل الطويلة الفضفاضة».

أما المستشرق (هنري لوسيل) فيرفع عقيرته مؤكدا أن للعربية «ثروة من الاشتقاق من الأصل الواحد، وتقدم العربية أيضا نسقًا من قواعد الإعراب بسيطًا، وفيه قدر كبير من المرونة، كما تُقدّم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ونسقًا من الأفعال يتسم بالبساطة.. هذه الخصائص وغيرها تزود المتعلم- عن غير وعي

منه- بتصور للتعبير الإنساني جديد حقًا، وفيه خصوبة وثراء».

هذا ما شهد به أهل الدار والأعداء بالنسبة إلى جمال العبارة العربية التي تبدو في أثناء الحرص على الازدواج والإتباع مثل حتين المزهر، إذا نقرت أحد أوتاره رنت باقي الأوتار محدثة هزة نفسية، هي بلا ريب من تأثيرات السمع الساحرة، ولذلك قال الجاحظ: «نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول» بهذا يحق للعربية الفصحى أن تجر على غيرها من اللغات أذيال العز والمباهاة والجمال، إذ لو لم يكن للفصحى غير القرآن، لكان كافيًا أن يخرس شقاشق سائر اللغات، فهو الذي كللها بالحسن والبهاء، وجللها بالرقة والبيان في أكمل صورة، بل إن القرآن الكريم هو الذي حولها في أثناء انكماشها وضمورها في عهود الانحطاط والاحتلال الأجنبي من مجرد لغة مقحوطة، إلى لغة ثرية غضة مثل غصن أملود تسري فيه أمواه الحياة الجديدة، لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا، ألفاظ تذوب رقة، وتقطر براعة وجمالا، في براعة السبك، ودقة الوصف، وجودة اللمحة المعبرة التي تأتي بأوسع ما تجود به الإطالة. فإذا وُجد في العالم العربي مَنْ ماسَحَه الغربَ وألقى على عينيه غشاوة، فعمي عن رؤية هذه المزايا النيِّرات، فبدأ يخرج من مصانعه اللغوية المقحوطة كلاما طويل الذيل قليل النيل، مُلصقًا بالعربية أقسى النعوت، داعيًا إلىَ جعلها بمثابة الخادم الذي يُرتَفق به لأنها ليست- في نظره- لغة العلم والتقنية والاتصال، ولذلك يجب أن نستبدل بها الإنجليزية والفرنسية، فما ذلك إلا من تداني الهمَم، والانبهار الأعمى، والجهل بالطَاقات الهائلة التي توفرها الفصحى للتعبير الدقيق المستوفي لشروط التحديد، ناهيك عن الشجى، إذ كرهوا الجمع بين الساكنَيْن، أو المتحركَيْن المتضادَّيْن، كما كرهوا الملاقاة بين صوتَيْن لا يأتلفان ولا يلطف التفَوُّه بهما. ولنا في القرآن الكريم إسوة حسنة في عذوبة ألفاظه وطلاوتها، ورقتها عندما يكون السياق مدعاة للرفق واللين. وعندما يدعو الموقف إلى القوة في إظهار الحق تبدو الألفاظ جزلة متينة، بحيث إذا تلطف القرآن وترقق، فإنه يبدو كلامه مثل حتين أوتار العود، وإذا تجزل فهزيم الرعود. يروى أن نصرانيًّا مر بقارئ للقرآن، ثم وقف مدة وأجهش بالبكاء، فقيل له: مم بكاؤك؟ فقال: الشجى والنظم! إنه النظم الذي تنزَّلت فيه كل لفظة منزلتها، لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا، أفرغت فيها المعاني النيرات إفراغًا بديعًا عذب المذاق، بارع المساق، ولاسيما عندما تحرص العبارة العربية على الازدواج والإتباع، حيث تحدث الألفاظ والعبارات ما يشبه رنات أوتار المزهر التي تهز السامعين. وقد حَرَص العرب على احتداء وتمثل طريقة القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في ألفاظهم وعباراتهم التي أتَوْا فيها بالمتخير اللباب. انظر إليهم في تسمية الخيل من الخيلاء، والغنم من الغنيمة، والذهب من الذهاب، والناقة من التأنق والأناقة، والجمل من الجمال، لأن «الناقة كانت عندهم مما يتحسنون به، ويتباهَوْن بمُلكه، فهي (فعلة) من قولهم: تنوقت في الشيء إذا أحكمته وتخيرته.. وعلى هذا قالوا (جمل) لأن هذا (فعَل) من الجمال، كما أن تلك (فَعَلة) من تنوقت، وأجود اللغتين تأنقت، قال الله سبحانه: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل: 6)، ولست أزعم أنني أشق كِمَّ جديد إذا قلت إن الفصحاء اللاسنين لما رأوا ضروب التفنن والجمال التي يبديها هذان المخلوقان (الناقة والجمل) في أثناء سيرهما، لم يجدوا بُدًّا من نعت هذا السير بالرَّقص، الذي أخذوا منه صفة للراقصات المائلات، في أثناء ممارسة فن الرقص.

هذا هو واقع اللغة العربية الفصحى أيام جدَّتها، عندما انبسطت آفاق الفكر، وأخذ العرب بأسباب التقدم، وامتدت أفياء الحضارة، لم تضطر العربية- يومئذ- إلى الاستنجاد باللغات الأجنبية لجبر نقصها ببَنين وحَفَدة ليسوا من نسلها، وأبنائها البَرَرة، فإذا اضطرتهم الحاجة إلى استدخال لفظ أو اصطلاح أجنبي إلى حظيرة الفصحى، أجروا عليه تعديلات تجعله متلائما مع طريقة النطق، بحيث تقص أطرافه ويحذف مستبشعه ومستكرهه، حتى يصبح عربي الزيِّ، قد رضع العروبة من لِبان أمه الرؤوم. أما ما يفعله بعض الشُّداة الأغتام- اليوم- بالعربية من استعارة الألفاظ والاصطلاحات واعتلائها من دون أن يصادف ذلك مصلحة، وقمْشها محطوبة شعثاء غبراء، وتركها تعيث فيها اللهجات العامية فسادًا، فذلك هو العيُّ والحصر، وتلك هي الذلة والمسكنة التي نعدو إليها في قادمات الأجَدَّان- وقانا الله شر هذه العاقبة- ولا سيما أن هذه الفئة بعد أن انفتحت في وجوههم أبواب الإنجليزية والفرنسية، راحوا يهجِّرون سيلا جُرافًا قُحافًا من الألفاظ الأجنبية، يلطخون بها ثوب العربية القشيب، رغبة منهم في جبر نقيضة أوسدِّ ثَلَمة، لا مسوغ لها سوى أنهم لم يعرقوا في البحث، ولم يستذرعوا أمَّات المعجمات والرسائل اللغوية، ولم يكابدوا عرق القربة، ولم يسلكوا السبيل اللاحبة الناهجة في وضع أسماء واصطلاحات للمخترعات التي تتفتق عنها قرائح العلماء الذابرين، وهي حالة أخْلِق بها أن تكون وليدة الجهل والمروق من طاعة العبقرية اللغوية العربية، والتنازل المجاني عن ذاتيتنا وهُويتنا العربية، ونظرتنا للحياة «فأنت لا تستعمل الكلمة إلا ووراءها ماض عريق في الحضارة والفكر والاستعمال اليومي، ولا تستعملها إلا مع الوحي الذي توحيه لكل الذين استعملوها منذ كانت كلمة، وبكل ما شحنوها به من دلالات، ولا تستعملها إلا مع العبقرية التي عاشت فيها هذه الكلمة، إنها عبقرية تتعدى «الوسيلة» إلى الهدف، وبهذه العبقرية تتحدث كل من اللغة التي نستعملها. فنحن حينما نستعمل اللغة العربية لا تتخلى وهي في أقلامنا أو نطقنا أو إدارتنا عن عبقريتها الموحية، وحينما نستعمل الفرنسية لا تتخلى أيضا عن عبقريتها الموحية، ولو استعملناها في أسماء الحضارة، أو في الأدوات المنزلية...»، لأن لكل لفظة طاقة مشحونة بالمشاعر والأحاسيس والفكر، فهي لا تشبه اللباس نلبسه ثم نخلعه متى شئنا، بل هي مجموعة من الشحنات المنغرسة في النفس التي لا تنفصل عن هوِيتنا وإدراكنا للحياة من حولنا.

انظر على سبيل المثال إلى عبارة: «برُمَّته» التي نرددها صباحًا ومساءً، ونحن نقصد: «الأمر جميعه» ألا ترجعنا- بوعي أو من دون وعي- إلى قولة ذلك البدوي الذي باع ناقته، فقال للبائع: خذها برُمَّتها، أي: خذها بالحبل البالي الذي في عنقها؟ لاشك أن المشتغلين بتأثيل الكلمات يدركون

الكيفية التي انتقلت بها دلالة هذه العبارة من «الحبل البالي» إلى «الأمر جميعه» كما في قولنا: احترق المصنع برمته، أو استحصد الحقل برمته. وكذلك الألفاظ الآتية التي تعتورُها ألسنتُنا من دون أن يعرف– أغلبنا– أصلها البدوي، والطريقة التي سلكتها في انتقال دلالتها مثل: (المبرِّز، والحاجة، والمضمون، والخرافة، والقرْم، والوحر، والعلبة، والعجلة، والمخنَّث، والمليق، والورطة، والمنحة، والقرين، والقطار، والراقصة، والسطر، والصحيفة، والقرية، والبطاقة...) إذ المُبرِّز كما ورد في باب (السوابق من الخيل) من كتاب (مبادئ اللغة): الخيل التي تسبق «فإذا سبق وباين ما خلفه، فهو المبرز»، والحاجة من الحاجِّ: «شجرٌ له شوك، وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالأشياء، فأي شيء مَرَّ عليه اعتاقه وتشبث به. فسميت الحاجة تشبيها بالشجرة ذات الشوك أي أنا مقيم عليها، متمسك بقضائها، كهذه الشجرة في اجتذابها ما مرَّ بها، وقرب منها، أما المضمون فإن دلالته الوضعية تعني ما تتضمنه أصلاب الفحول من اللقاح. والخرافة هي نسبة إلى رجل اسمه خرافة وهو «من عذرة استهوته الجنُّ، فكان يحدث بما رأى، فكذبوه وقالوا: حديث خرافة». والقرم «بفتح القاف وسكون الراء السيد، وأصله الفحل من الإبل». والوَحَرُ من الوحرة وهي: «دويبة حمراء تلصق بالأرض، ومنه قيل: وَحِرَ صدر فلان عليَّ. شبهوا لصوق الحقد بالصدر بلصوقها بالأرض». وهكذا بالنسبة إلى جميع الألفاظ الآنفة الذكر التي ترجع دلالتها الأصلية إلى ما يتداوله العربي البدوي في بيئته من أقداح من الجلود أو الخشب بالنسبة إلى لفظة (العلبة)، أو الآلة والخشب التي تُؤلَّف لتحمل عليها الأثقال بالنسبة إلى (العجلة)، أو فم القربة والسقاء عندما يكسر وينعطف بالنسبة إلى لفظة (المخنث)، أو القطن والصوف الذي يلصق به المداد بالنسبة إلى لفظة (المليق) من لاق الشيء بي: أي حسن ولصق بي. وهلم جرا مما يُرْهِق تتبعه ويُتْعِب...

لا ريب أن هذه الألفاظ – وغيرها كثير– هي خلاصة تجربة الإنسيَّة العربية وعبقريتها، التي لا يمكن أنَ نستبدل بها غيرها، إلا إذا كنا مستعدين للتنازل عن هويتنا. إنها ألفاظ بدوية لا تزال تتمتع بحقوقها المدينية للعيش في عصر العولمة، بعد أن نزعت عنها أسمال البداوة، مكتسية مطارف رائقة المنظر، يظن من يتعرف إليها أنها وليدة العصر، بيد أنها تضرب في البداوة بجران مثل: القطار، والقرين، والمنحة، والراقصة، والكفأة، والذود، والهُنَيْدة... التي ترجع دلالتها إلى لفظة (الإبل). فهل تستطيع العبارة المعاصرة الآتية: «ترك السيارة حرة من دون أن يضغط على الحصار» أن تطربنا كما تطربنا العبارة البدوية الآتية: «ترك لها الحبل على الغارب»؟ لاشك أن في العبارة البدوية شيئًا يشبع حاجاتنا، على الرغم من أن الإبل حيوان يكاد يختفي من واقعنا المعيش، ولكن نجد للعبارة البدوية لذة جُوانية لا تقبل الوصف، وقد فضُلَت هذه العبارة بشيء تشهد به الفطرة، ولا يستطيع العقل أن يبرره، لأن هذه الفطرة هي التي أودعت في مثل هذه العبارة أسرارًا تختزن تاريخ الأمة وحضارتها، ولذلك يجب الوعي بأسرار هذه العبقرية التي تندمغ فيها ذخائر الفكر والتاريخ والدين والبيئة التي تنتقل من الأسلاف إلى الأخلاف، دون أن تفقد سحر الحياة التي تجعلها قادرة على الاستمرار والتوالد، لأنها لم تقطع حبل المَوَدَّة بينها وبين نُطَفها ومُضَغها التي تجدد لها الحياة، فتتولد من ذخيرتها جواهر الألفاظ اللطيفة الرائقة التي تغنينا عن الاستنجاد بألفاظ اللغات الأجنبية لجبْر نقيصة وهْميَّة، لا توجد إلا في أذهان ثلة من المنشَئين الألفاف الذين يخططون لإشاعة لغة عربية غريبة النِّجار عن المحتِد العربيِّ، أو على الأقل لغة تتنصل وتنسل من مرجعيتها وأصولها كما تنسل الحية من خرْشائها، حتى ينتهي بها التطوير المزعوم إلى تقطيع أوصالها وانقطاعها عن الأصل الذي ضمن لها مع كرور المَلَوَان خاصية الكمال التي جعلتها قادرة على التوسع في معاني المفردات القديمة، واستحداث دلالات جديدة، منطلقة من كمالها ومرونتها وقدرتها على الاستجابة لمطالب العصر، من دون مغادرة الأصل. وتتجلى هذه الطواعية، وهذا الكمال أوضح ما يكون التَّجلي في ثرائها المعجمي، وقدراتها الاشتقاقية والتوليدية، وكفاءتها في التعريب، وشجاعتها في الاقتراض لأجل الاستمرار والنماء، وفتّق أكمام المعرفة العلمية والتقنية التي لم يكن لها سابق معرفة بعوالمها، ومن ثمة تمكنت بفضل جهود المخلصين الصابرين من ارتياد آفاق البحث والتَّنَطُّس، والإضافة المحركة للألباب الراغبة في إشاعة العلم والمعرفة التقنية والسياسية والاقتصادية. فأحْيَت الأمة من رقدتها، وبعثت في شرايينها دماء الحياة، وغدَّت تفكيرها، وأحكمت بناء نسيجها الذهني والثقافي والديني على أساس القاعدة الإسلامية المشتركة من الخليج إلى المحيط.

هذه ملامح من موضوع عبقرية العربية الفصحى وجمالها وكمالها، نظرت إليها نظرة الطائر التي أوقفتني عند هذا الحد الذي يظهر أن إحياء الألفاظ القديمة البالية، يزيد العربية جاذبية وأسْرًا، ويحبِّبُها إلى أبنائها، لأن الذي لا يحب لغته ولا يعشقها، تهون في نظره أسباب بقائها، ويتساهل في فقدان كلماتها حتى ينتهي به المطاف إلى فقدان الهُوية، وهذه هي أحد أهم الأسباب الداعية إلى زوال الأمة وذلتها. وقديمًا قيل: ما ذل شعب إلا ذُلَّتْ لغته. وقانا الله شر هذه النازلة المزلزلة لحياة الأمم وكيانها.

ولقد اتضح مما أثبتنا آنفا أن قضية اللغة تمثل معركة المصير التي يجب أن يُستأنف القول فيها على الدوام، لتبديد كثير من الأوهام التي تقال في حق العربية الفصحى من دون احتراس، قبل أن تتكسر الإرادة وتخور العزائم، فتنقذ الأمة من اليأس والقنوط والضياع، وتُصان الهوية من الاختراق المجاني الكسول، ثم ينمَّى في الأفراد والجماعات روح الاعتزاز بالعروبة، والدفاع عن العربية، وتزود بالغُدد المُقَوِّية لمناعة الخلايا المضرة للغات المُهدِّدة ، وتقوى الدلالة الانتمائية للعروبة، بدل التسوُّل وطرْق أبواب اللغات الأخَر نستنجد بها لرتق أوهام معرفية لا توجد إلا في أذهان فئة المُزْوَرِّين عن حب العربية الذين يصرون على وضع عُصاب على أعينهم، لكي لا يبصروا جمالها وعبقريتها وكمالها، حتى أحرزت اللغات الأجنبية نصرًا مبينًا، أوقع الروع في نفوس غير قليل من أبناء العروبة.

أرجوزة في آداب الدعاء

لكاتبها حسن توفيق العدلي الأزهري الشافعي

تحقيق : صالح بن محمد بن عبدالفتاح بن عبدالخالق
باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

مما امتن به الله جل وعلا على عباده أن شرع لهم عبادة سهلة ميسورة مطلقة غير مقيدة بمكان ولا زمان ولا حال، فهي في الليل والنهار وفي البر والبحر والجو والسفر والحضر وحال الغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية، فالدعاء وايم الله وظيفة العمر وهي مع المسلم في أول منازل العبودية وأوسطها وآخرها ليسعى العبد دائمًا في حال الالتجاء والافتقار إلى خالقه ومولاه سبحانه وتعالى (١).

فللدعاء آداب ينبغي على الداعي مراعاتها حتى يتقبل الله تعالى منه دعاءه، امتلأت كتب العلماء بالتنبيه عليها، إما في مصنفات مفردة أو أخرى جامعة تشمل الكلام عليها وعلى غيرها من آداب العبادات المختلفة، ومن بين تلك المصنفات أرجوزة مفيدة سهلة الأسلوب ميسرة العبارات وقفت عليها ضمن مخطوطات المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف المصرية تحت رقم (١٠١٢) نظمها الأستاذ حسن توفيق بن عبدالرحمن العدل وهو أستاذ للعربية، وباحث، ومترجم ولد بالإسكندرية. وتعلم بالأزهر وبدار العلوم في القاهرة، واختير معلما للعربية في المدرسة الشرقية ببرلين، فقضى أكثر من خمس سنوات، وتخرج على يديه عدد من المستشرقين. وأصدر في برلين مجلة «التوفيق المصري» وعاد إلى مصر فعين مفتشًا في المعارف. ثم اختير أستاذا للعربية في كمبردج فذهب إليها سنة ١٩٠٣م. وجعل من أعضاء الجمعية الآسيوية الملكية، ولم يكن فيها أجنبي عن الإنجليز غيره. ومات فجأة وهو خارج من عمله في كمبردج، ونقل إلى مصر، فكان في جملة من شيع جنازته بها الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل. وذلك عام (١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م) (٢) هذا وأسال الله تعالى النفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قال فقير الرب توفيق حسن ... الحمد للإله وهّاب المنَن
ثم صلاةُ الله مع سلام ... على النبيِّ أشرفِ الأَنام
والآلِ والأصحابِ والأتباعَ ... ما قام في الأسحار يدعو داعي
وبعدُ فالدعا له آدابُ ... وقد أرادت نظمَها الطلابُ
لذاك قد نظمتُها وأرتجي ... من ربنا جلَّ قبولَ منهجي
فأول مقدم المحل ... إصلاحُ باطنٍ بأكلِ حلِّ
كذلك الإخلاصُ بعدما ذكر ... على المعاصي كونُه غيرَ مَصِرّ
عليه بالظلم كذا أن يعترف ... فإنه من العطايا يغترف
ثم حضورُ القلب عند الغُمّه ... وأن يعُمَّ بالدعاء الأمه
له يكون البدء للإجابة ... وموقنًا كذاك بالإجابه
للمنكبين يرفع اليدين ... لا ينظرَنْ إلى السما بالعين
وخفضُ صوتٍ ثمَّ أن يوقعْه في ... وقت فضيل(٣) ليكن بمسعف
تثليثُه وصدقُ الاضطرار ... لا يقنطَنْ من رحمة الغفَّارَ
كذاك لا يستبطيءُ الإجابه ... لأجل أن يحصل الإثابه
ثم الخضوعُ والخشوعُ جمعًا ... كذاك ألا يتكلفْ سجعًا (٤)
كذا الصلاةُ للنبي قبلَه ... وبعده مستقبلًا للقبله
كذا الوضو والغسلُ وافتتاحهُ ... بالذكر إذ به يُرى نجاحه
بعد الفراغ باليدين يمسحُ ... وجهًا له فاسمع لما قد رجحوا
هذا وتم النظم كاللآلي ... فالحمد لله على الإكمال
ثم صلاةُ وسلامُ الرب ... على النبي والآل ثم الصحب
ما نشر النظمُ لنا رحيقَه ... وطلع البدرُ على الحديقه

الهوامش

١- انظر: «تصحيح الدعاء» للعلامة بكر أبوزيد رحمه الله تعالى (ص ١٩-٢٠).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (١٨٦/٢).

٣- ذكر ابن القيم، رحمه الله تعالى، في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ط مكتبة ابن تيمية (ص ٣١) أوقاتًا ستة أسماها أوقات الإجابة الست وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر.

٤- السجع هو موالاة الكلام على رويّ واحد ونهي عنه لمنافاته للخشوع المطلوب في الدعاء، إذا قصده الداعي وحرص عليه، أما السجع الذي لا يقصده الداعي ولا يتكلفه فلا بأس به كالذيّ ورد في بعض الأدعية الواردة. انظر: تصحيح الدعاء لبكر أبوزيد (ص ٦٩).



محمد بن طارق الفوزان

باحث كويتي

إن كتاب المحصول لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦) (١) يعد من عمد كتب علم أصول الفقه، فهو عمدة في نقل الأقوال والاستدلال والإيرادات والنقود، وقد كان له أثر كبير على من ألف بعده في فن الأصول، بل لم يصنف مصنف في هذا الفن بعد المحصول إلا وقد استفاد منه فائدة كبيرة إما مباشرة أو بواسطة. ولما كان هذا الكتاب رفيع الشأن عالي المنزلة أردت أن أجمع ما ألف عليه من شرح أو اختصار، ولا أذكر هنا إلا ما كان محققًا أو مخطوطًا دون المفقود. وقبل الشروع في المقصود ينبغي أن تعلم أن الرازي لخص كتابه المحصول من أربعة كتب وهي: كتاب العمد للقاضي عبدالجبار (ت٤١٥) وشرحه لأبي الحسين البصري (ت٤٣٦)، وكتاب المعتمد لأبي الحسين أيضا، وكتاب البرهان لإمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨)، وكتاب المستصفى للغزالي (ت٥٠٥) (٢)، نص على ذلك القرافي في نفائس المحصول (٩١/١)، وابن خلدون في مقدمته (١٨/٣)، وقال الإسنوي (ت٧٧٢): «والمحصول استمداده من كتابين لا يخرج عنهما غالبا: أحدهما: المستصفى لحجة الإسلام الغزالي، والثاني: المعتمد لأبي الحسين البصري حتى رأيته ينقل منهما الصفحة أو قريباً منها بلفظها، وسببه على ما قيل: إنه كان يحفظهما» (نهاية السول بشرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. ص/٥-٦). وقد طبع المحصول في ستة مجلدات بتحقيق الدكتور طه جابر العلواني (مؤسسة الرسالة). والآن لنشرع في المقصود:

أولا: شروح المحصول والتعاليق عليه: وهي أربعة

١- نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي (ت٦٨٤)، وهو شرح موسوعي استمد مادته مما يزيد على ثلاثين كتابا، وأكثر فيه القرافي من الإيرادات ولا غرو فهو القائل: «وما لا أعرفه وعجزت قدرتي عنه فحظي منه معرفة إشكاله فإن معرفة الإشكال علم في نفسه وفتح من الله تعالى» (الفروق- ١٢١/١). وقد طبع النفائس في تسعة مجلدات (دار الكتب العلمية)، كما حقق- أعني نفائس المحصول- في ثلاث رسائل علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (الأولى للدكتور عياض السلمي، والثانية للدكتور عبدالكريم النملة، والثالثة للدكتور عبدالرحمن المطير).

٢- الكاشف عن المحصول في علم الأصول لشمس الدين الأصفهاني (ت٦٧٢)، قال ابن السبكي: «وشرحه للمحصول حسن جدا، وإن كان مؤلفه قد وقف على شرح القرافي، وأودعه الكثير من محاسنه، لكنه أوردها على أحسن أسلوب، وأجود تقرير، بحيث إنك ترى الفائدة من كلام القرافي- وإن كان هو المبتكر لها- كالعجماء، وتراها من كلام هذا الشيخ الأصفهاني قد تنقحت وجرت على أسلوب التحقيق- ولكن الفضل للقرافي» (طبقات الشافعية- ١٠١/٨). وقد طبع في ستة مجلدات (دار الكتب العلمية)، كما حقق في ست رسائل علمية في الجامعة الإسلامية

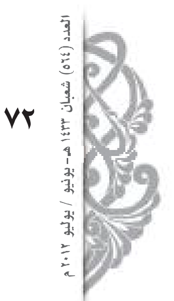
بالمدينة المنورة.
٣- وللآمدي (ت٦٣١) كتاب نقد فيه مواضع من المحصول واسمه: «المآخذ على المحصول». وقد حقق في جامعة الأزهر.
٤- ولسراج الدين الأرموي (ت٦٨٢) كتاب في ذلك أيضا واسمه: «مقاصد العقول من معاقد المحصول». له نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم (٣٠) آخرها في أثناء الكلام عن الأوامر.
ثانيا: مختصرات المحصول: وهي سبعة
١- اختصره الرازي نفسه في كتاب «منتخب المحصول». وقد حققه الدكتور عبدالمعز حريز في رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد شرح القرافي المنتخب وأحال عليه في نفائس الأصول (١٧٣٤/٤) لكنه أنكر نسبته للرازي (نفائس المحصول (١٠٥/١)).
٢- واختصره أمين الدين المظفر التبريزي (ت٦٢١) في «تنقيح محصول ابن الخطيب في أصول الفقه». وقد حققه الدكتور حمزة زهير حافظ في رسالة علمية بجامعة أم القرى بمكة.
٣- واختصره نجم الدين النقشواني (ت٦٥١ تقريبا) في «تلخيص المحصول لتهذيب الأصول». وقد حققه الدكتور صالح بن عبدالله الغنام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٤- «الحاصل من المحصول» لتاج الدين الأرموي (ت٦٥٦) وقد طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق الدكتور عبدالسلام محمود أبوناجي (دار المدار الإسلامي). واختصر البيضاوي هذا الكتاب في «منهاج الوصول إلى علم الأصول»، قال الإسنوي (ت٧٧٢): «واعلم أن المصنف (البيضاوي) رحمه الله، أخذ كتابه من الحاصل للفاضل تاج الدين الأرموي» (نهاية السول بشرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. ص/٥).
وقد طبع المنهاج عدة طبعات منها طبعة بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل في مجلد لطيف (دار ابن حزم)، وأما

الرازي جمعه من أربعة كتب وهذه شروحه واختصاراته

شروحه فكثيرة، والذي وقفت عليه مطبوعا أو مخطوطا من ذلك هو:
أ- معراج الوصول في شرح منهاج الوصول للأيكي الشيرازي (ت٦٩٧)، حققه الدكتور هاني الجبير والدكتور محمد غرم الله الفقيه، ولم يطبع بعد.
ب- شرح لظهير الدين عبدالصمد الفاروقي (ت٧٠٢)، مخطوطته بدار الكتب المصرية.
ج- معراج المنهاج لشمس الدين الجزري (ت٧١١)، وهو شرح مختصر سهل، وقد طبع في مجلد بتحقيق الدكتور شعبان محمد اسماعيل (دار ابن حزم).
د- شرح عبدالله بن محمد بن غانم برهان الدين العبري (ت٧٤٣) وقد حققه الدكتور حمد الصاعدي والدكتور



سلامة الأحمدي في رسالتين بالجامعة الإسلامية.
هـ- السراج الوهاج شرح المنهاج للجاربردي (ت٧٤٦)، وهو شرح مختصر فيه بعض التحريرات النفيسة، وقد طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور أكرم بن محمد أوزيقان (دار المعراج).
و- شرح المنهاج لشمس الدين محمود الأصفهاني (ت٧٤٩)، وقد طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور عبدالكريم النملة (مكتبة الرشد).
ز- الإبهاج شرح المنهاج للسبكي (ت٧٥٦) وابنه (ت٧٧١)، وهو أوسع شروح المنهاج وأحسنها، وفيه من التحريرات الأصولية ما ليس في غيره من كتب الأصول، وقد طبع في سبعة مجلدات (دار البحوث للدراسات الإسلامية- دبي).
ح- نهاية السول في شرح منهاج الوصول للإسنوي (ت٧٧٢) - وهو أشهر شروحه، طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور شعبان محمد اسماعيل (دار ابن حزم). كما ألف الإسنوي كتاب «زوائد الأصول على منهاج الوصول» طبع بتحقيق محمد سنان الجلالي في مجلد (مكتبة الجيل الجديد)، والغرض منه ذكر المسائل الأصولية التي لم يذكرها البيضاوي في كتابه المنهاج وذكرها الإمام الرازي في المحصول أو الآمدي في الإحكام أو ابن الحاجب في المختصر (مقدمة تحقيق زوائد الأصول. ص/١٢٨) وقد شرح الأبناسي (ت٨٠٢) الزوائد في «الفوائد شرح الزوائد» وقد طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور عبدالعزيز العويد (دار التدمرية).
ط- كافي المحتاج لابن الملقن (ت٨٠٤)، مخطوطته بمكتبة محمد بخيت المطيعي.
ي- التحرير لما في منهاج الأصول من المنقول والمعقول- وهو تعليقات على مواضع من المنهاج - لأبي زرعة العراقي (ت٨٠٦)، وقد حقق في كلية الشريعة بالقاهرة.
ك- الإبهاج في شرح المنهاج لأحمد بن إسحاق الشيرازي (ت٨٦٣)، حققه أحمد جاسم الراشد في الجامعة الإسلامية.
ل- تيسير الوصول إلى منهاج الأصول لابن إمام الكاملية



(ت٨٧٤)، وقد طبع في ستة مجلدات بتحقيق الدكتور عبدالفتاح الدخميسي (الفاروق الحديثة).

م- مناهج العقول شرح منهاج الوصول لمحمد البدخشي (ت٩٢٢)، وقد طبعته مع نهاية السول دار الكتب العلمية في ثلاثة مجلدات.

ن- شرح لقطب الدين الإيجي (ت ٩٥٥)، مخطوطته بمكتبة الأزهر.

س- بداية السول شرح منهاج الأصول للحسيني المارديني الشافعي، وقد طبع بمطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٣٠٣.

هذا وقد اشتغل جماعة باختصار المنهاج وتحشيته وتحشية شروحه وتخريج أحاديثه، ونظمه أبوزرعة العراقي (ت٨٠٦) في «النجم الوهاج» وشرح هذا النظم ابنه (ت٨٢٦)، وهو محقق في الجامعة الإسلامية في ثلاث رسائل. (الأولى لثامر بن عبدالرحمن نصيف، والثانية لفهد بن مسلم الرحيلي، والثالثة لبدر بن خضير المخلفي).

٥- واختصره سراج الدين الأرموي (ت٦٨٢) في «التحصيل من المحصول». وقد طبع بتحقيق الدكتور عبدالحميد أبوزنيد في مجلدين (مؤسسة الرسالة). قال محققه (١٢٤/١): «التزم باختصار كتاب المحصول، فلم يذكر فيه آراء لعلماء لم ينقل عنهم الرازي، وإنما كان ينبه على أدلة لم يرتضها، وقد يضيف دليلا ارتضاه، أو يدمج مسألة في مسألة أخرى» ملخصاً. وقد شرح ما وقع في التحصيل من غموض بدر الدين التستري في «حَل عُقَد التحصيل» وقد حقق لنيل الدكتوراه في جامعة الأزهر.

٦- واختصره القرافي (ت٦٨٤) في «تنقيح الفصول في اختصار المحصول» قال الدكتور عياض السلمي: «والكتاب ليس مجرد اختصار.. بل نقل المؤلف فيه نصوصًا كثيرة.. كما أن مؤلفه خالف فيه الرازي كثيرًا إلى حد يجعل تسميته مختصرًا للمحصول لا تصح إلا بشيء من التسامح» (شهاب الدين القرافي حياته وآراؤه الأصولية. ص/٦٩) وقد طبع الكتاب عدة طبعات مفردة كما طبع ضمن كتاب «الذخيرة» في الفقه للقرافي (يبدأ من ص/٥٥ من الجزء الأول إلى ص١٦١ من نفس الجزء) بتحقيق الدكتور محمد حجي (دار الغرب الإسلامي): إذ



أصل «التنقيح» مقدمة لكتاب «الذخيرة» حيث قال (٥٥/١): «المقدمة الثانية فيما يتعين أن يكون على خاطر الفقيه من أصول الفقه.. وسميتها تنقيح الفصول في علم الأصول لمن أراد أن يكتبها وحدها خارجة عن هذا الكتاب».

ولهذا الكتاب- أعني تنقيح الفصول- عدة شروح وحواش ومختصرات والذي وقفت عليه مطبوعًا أو مخطوطًا من ذلك هو:

أ- شرح القرافي نفسه. وقد طبع عدة طبعات وحقق في ثلاث رسائل بجامعة أم القرى (الأولى لسعد صالح عفيف، الثانية لحسن بن إبراهيم خلوفة، والثالثة لناصر بن علي الغامدي).

ب- شرح أبوزكريا يحيى المسطاسي الفاسي (توفي في أول القرن الثامن) «وهو عبارة عن تلخيص لشرح التنقيح للقرافي وأضاف عليه المسطاسي إضافات من شرح المحصول للقرافي وكتاب الإحكام لسيف الدين الآمدي وكتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي» (مقدمة تحقيق رفع النقاب عن تنقيح الشهاب- ٩٨/١). ولهذا الكتاب نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم: (٣٥٢)، وأخرى برقم: (٣١٤).

ج- التوضيح شرح التنقيح لأحمد حلولو (ت ٨٩٨)، وهو شرح نفيس. وقد طبع بتونس قديمًا، وحقق في رسالتين بجامعة أم القرى (الأولى للدكتور غازي بن مرشد العتيبي، والثانية للدكتور بلقاسم بن ذاكر الزبيدي).

د- رفع النقاب عن تنقيح الشهاب للحسين الشوشاوي (ت٨٩٩) «تميز الشوشاوي في شرحه بحرصه على التمهيد للأبواب والفصول والمسائل واعتنائه اعتناء كبيرًا بالأمثلة والتطبيقات الفقهية إضافة إلى هذا فهو يهتم بتحرير محل النزاع وبيان سبب الخلاف وثمرته» (مقدمة تحقيق رفع النقاب عن تنقيح الشهاب- ١٠٧/١). وقد طبع هذا الكتاب في ستة مجلدات بتحقيق الدكتور أحمد السراح والدكتور عبدالرحمن الجبرين (مكتبة الرشد).

هـ- تقييدات على تنقيح الفصول في مجلد كبير لأحمد بن عبدالرحمن التادلي. له نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم: (٨٠٥- أصول).

و- منهج التحقيق والتوضيح لحل غوامض التنقيح لمحمد جعيط (ت ١٣٣٧). وقد طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٤٥.

ز- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح لمحمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣). وقد طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٤١.

ح- مختصر تنقيح الفصول لمجهول. وقد طبع مع ثلاثة متون أصولية أخرى بعنوان: «متون أصولية مهمة في المذاهب الأربعة»، وعليه تعليقات الشيخ جمال الدين القاسمي (مكتبة ابن تيمية ١٤١٣).

٧- واختصره علاء الدين علي بن محمد الباجي (ت٧١٤) في «غاية السول في اختصار المحصول». وقد حققته أريج بنت فهد الجابري في رسالة بجامعة أم القرى وعنوانها: «غاية السول من علم الأصول».

٨- واختصره نجم الدين الغيطي الشافعي (ت ٩٨١). لهذا المختصر نسخة خطية في المكتبة السليمانية بتركيا ورقمها: (٧٩٢).

الهوامش

١- آثرت عدم الترجمة للأعلام؛ إذ المقام لا يحتمل التطويل، والعادة جارية بالاختصار في المقالات. والله الموفق.

٢- لعل الله أن ييسر لي كتابة مقال عن هذه الكتب الأربعة وأثرها على من بعدها.



السلوك الأخلاقي لعلم المحاسبة

د. سلطان السهو -دكتوراه في المحاسبة

تقدّم المحاسبة المالية معلومات هامة تساعد إدارة المؤسسة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوجيه الموارد الاقتصادية المتاحة لها، ومن ثم تسهل مهمتها في تخطيط نشاط المؤسسة وتوجيهه والإشراف عليه، كما تسهل مهمة الهيئات الحكومية المسؤولة عن الرقابة والإشراف على الاقتصاد القومي وجبايته للضريبة والزكاة، من خلال المعلومات المالية التي ينتجها.

تحدثنا في المقال السابق عن أهداف المحاسبة التي تتركز على مساعدة مستخدميها فيما تنتجه من معلومات في اتخاذ قراراتهم تجاه علاقاتهم بالمؤسسة؛ وذلك عن طريق إصدار تقارير مالية دورية عن مركزها المالي ونتائج أعمالها.

وتطرقنا أيضًا إلى النظرة الإسلامية لعلم المحاسبة، والتي تشمل- بالإضافة إلى تعيين الحقوق- الكشف عن النتائج، والوضع المالي بكيفية خاصة يُراعى فيها التمييز بين الحلال والحرام.

ونركز في هذا المقال على السلوك الأخلاقي للمحاسبة؛ فمن قواعد السلوك الأخلاقي لها:

الإخلاص والتقوى لمهنة المحاسب: إذ يجب أن يقصد المحاسب بعمله طاعة الله عز وجل، ولا يستهدف الرياء والسمعة.

وينتج عن مراعاة الإخلاص: عدم التحيّز والخضوع للمؤثرات والضغوط الخارجية، بل القيام بالعمل امتثالًا للالتزام الديني، والحس الإيجابي؛ خوفًا وطاعة للجليل، وبذلك يستحق المحاسب:

١. الثواب من الله عز وجل.

٢. المقابل المادي الذي يحصل عليه لقاء جهده المخلص.

٣. الثناء التلقائي عليه.

دون أن يجعل ما سبق- من ثناء- هدفًا يصبو إلى الوصول إليه، ولابدّ أن يتقي الله عز وجل، ويجعل مخافته نصب عينيه في السر والعلن، لاسيما وأن المال من فتن الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف ٤٦). وتتحقق التقوى: بامتثال أوامر الله عز وجل، واجتناب نواهيه، ومن مقتضى ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحمي نفسه من الانحراف والانزلاق المالي، متمثلًا بذلك قوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» (رواه أحمد).

وأن يتقي الله عز وجل في مزاولته المهنة: إذ يجب عليه ألا يقتصر في عمله على أداء الوجبات الوظيفية والمهنية فقط، بل يعمل لبلوغ مرتبة الإحسان وإتقان العمل، وذلك بأداء المهام المنوطة به على أحسن وجه ممكن، ولا يتحقق ذلك إلا بالتأهيل العلمي والعملي، والتّفقه الديني للمحاسب، وهو مطلب ديني في مجال عمله، لقوله ﷺ «إن اللّهَ عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» (رواه الطبراني).



عجيب أمر النساء.. وحكاية «حقّهن المسلوب»!!

د. إيمان بنت محمد علي عزّام - أكاديمية سعودية

منذ نعومة أظفاري وأنا أسمع نداءات وصيحات وجمعيات عن المرأة وحقوقها المسلوبة، وأتساءل عن حقي المسلوب، ومن الذي سلبه؟ فأجدني محاطة بالكرامة والتكريم ابنةً، ثم زوجة، وأمًا، وطالبةَ علم، ثمّ معلمة في ظل دين يعطي كل ذي حق حقه، وفي عز الانقياد لقانون الخالق الذي يعلم مَن خلق وهو اللطيف الخبير.

وتظل النداءات تتزايد، والصيحات تعلو يومًا بعد يوم.. حتى باتت سمجة تصمُّ الآذان، وأظل لا أفهم لها سببًا حقيقيًّا ألمسُه وأعيشه، وكأن الكلام عن حقوق المرأة نوع من جنون أصاب العالم وصرعة من صرعات العصر الحديث، ولكنها صرعة كلامية هذه المرة، فمقدار رقي المجتمع وحضارته بات يقاس بمقدار كلامه عن حقوق المرأة المسلوبة!!

وفي يوم من الأيام فاجأتني إحدى مناصرات حقوق الإنسان- وأنا المولعة بالفقه الإسلامي المتيّمة بأحكامه- بأن الكلام عن حقوق النساء من خيرات الثقافة الغربية، وأن المرأة وحقوقها لم تشغل يومًا المجتمع الشرقي فضلًا عن الفقه الإسلامي، واتخذت محاورَتي من كلمة قلتها- أنا- في زهو وفخر بأني شرفت بتحقيق كتاب فريد في موضوعه يتحدث عن أحكام النساء مستنَدًا جيدًا لما تقول، فنادرة هي المؤلفات الفقهية في موضوع أحكام النساء.

وكانت عبارتها كالقشة التي قصمت ظهر البعير، فأخرجت تراكمات المشاعر المكبوتة داخلي منذ زمن طويل، وتساؤلي الدائم حول السبب الحقيقي وراء انشغال الغرب بحقّ المرأة المسلمة في الوقت الذي يسكتون عما يحدث من قتل الشيوخ والشباب والأطفال والنساء في بعض بلاد المسلمين!

وفي اندفاعة غير مسبوقة في منهج النقاش العلمي، وبلهجة معتدة واثقة، قلت لها:

بلى شغلت المرأة الشرق والفقه الإسلامي؛ لأنها من عجائب الدنيا وفرائد الزمان، شغلت الشعراء والأدباء والفلاسفة والقادة والحكّام والفقهاء.

نعم شغلتهم.. فعجيب أمر النساء قديمًا وحديثًا وفي كل زمان، إنهن من آيات الله وعجائب قدرته، ملأن الدنيا، وشغلن الناس، كن نصف المجتمع يومًا ما، ولا ينتهي الزمان حتى يصبحن أغلبه.

صانعات الرجال، ومربيات الأجيال.. ضعيفات المظهر، قويات المخبر.. كيدهن عظيم، رأس شهوات الدنيا، وأكثر أهل النار، وأضر فتنة الرجال.. تأثيرهن أقوى من طلاسم السحر والسحرة.. تبكي وهي الظالمة، وتشكو وهي الآثمة..ومع ذلك لم تعرف منهن في رواية الأحاديث وضاعة ولا متهمة (١)، مفتاحها الكلمة الحانية.. رُقْية المحب، وبلاءُ المبغض.. تسيِّر العالم من وراء الخباء، أو كما يقولون: تحرِّك المهد بيمينها والعالم بيسارها.. يضْعُفن عن قليل ضرٍّ من جوع أو عطش أو برد أو حرّ، ويتحمّلن ما تنأى عن حمله الجبال فيُ الحمل والطلق والنفاس والرضاع والحضانة، ومسايرة طبائع الرجل.

إحدى سعادات الدنيا وأكبر شقوتها.. يكفرن العشير، ومع ذلك فعمل الصالحة منهن القيِّمة على حقوق ربها وأهلها يعدل الجمُعة والجماعة والجهاد.

بلغت المرأة المبالغ، ووصلت إلى أرفع المراتب.. آسية، ومريم، وخديجة أم المؤمنين، وفاطمة بنت رسول رب العالمين ﷺ.. الشفاء، والخنساء... قناديل نور، أمهات الأبطال والشهداء والعلماء والحكّام، منهن مَنْ هي في أعلى عليين.

ومن النساء من سفلت في أسفل سافلين، امرأة لوط وامرأة نوح.. وبين أولئك وهؤلاء أجناس وأنواع.

فعجبًا للنساء بما جمعن من سائر المتناقضات، وكيف يُظَنّ أن الفقه الإسلامي لم يشغله أمرهن ولم يُعنَ بأحكامهن: وهن اللاتي شغلن بعجائبهن العالم شرقه وغربه!

لقد ذكر الفقه الإسلامي أحكام المرأة وحقوقها بوضوح، وقلّة المصنّفات في أحكامهن دليل على اشتراكهن مع الرجل في أغلب الأحكام، وأن ما انفردن به جرى على جهة الاستثناء لا الأصل، فهو دليل إثبات على اهتمام الإسلام بالمرأة لا دليل نفي.

وعليه، إن كان ثمة حقوق مسلوبة يريد مناصرو حقوق الإنسان استعادتها، فليبحثوا عن حقوق الرجل، فإنه مَنْ أظن اليوم أنه سلبت حقوقه، ولكن ليبحثوا عنها هذه المرة في الفقه الإسلامي، فلا أظنهم يزعمون أن الشرق والفقه نسياه كما يزعمون أنه نسي المرأة؟

ضحكت محدثتي، وضحكتُ من نفسي.

لقد سُرِّي عني- بما قلتُ- ما نابني من ثورة، واستعدت توازني، وقلت بنبرة معتدلة:

لست أنكر أن هناك انتهاكات لحقوق المرأة في المجتمع المسلم سواء على مستوى الأفراد أو المجتمع أحيانًا، وأنه قد يحكم البعضُ بعضَ العادات والتقاليد باسم الإسلام زورًا أو جهلًا، لكني أؤمن بأن ذلك أحد انعكاسات الوهن الذي أصاب المجتمع المسلم في عصرنا في قِيَمه وأخلاقياته وفكره وجميع جوانب حياته.

فإن الوهن الذي أصاب المسلمين في علاقتهم بأبويهم وأبنائهم وخدمهم ومعلميهم هو ذاته الوهن الذي لحق قضايا النساء، والمجتمع الذي أصبح مليئًا بالجمعيات الخيرية ودور الأيتام، في ظل دين يقول رسوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين» مجتمع لا يحتاج جمعيات لحقوق المرأة بقدر ما يحتاج إلى عود جديد جاد إلى الدين لإعادة الأمور إلى نصابها، ولكن بالطريقة الصحيحة، وبمنهج الخالق وقانونه.

فلنتكلّم عن حق النساء، ولكن دون تضخيم وتعميم، وبغير أن تتطاول أعناقنا إلى الغرب في محاولة لاستيراد قيم لا تناسب ديننا وعرفنا وثقافتنا، وبدون أن نسمح للبعض بأن ينصّبوا أنفسهم حماة للمرأة ورعاة لحقوقها بدون أن يكون مرجعهم في ذلك الفقه الإسلامي.

فليكن الكلام عن حقوق المرأة إذا شئتم.. لكن من منظور الإسلام ووفق قانونه.

إن الطريق الصحيح للكلام عن حقوق المرأة المسلمة يبدأ من قراءة أحكام النساء في الفقه الإسلامي، فعلى المرأة أن تعرف حقوق ربها وأحكام دينها وحقوق زوجها وأبنائها والناس أجمعين وتؤديها ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، ولها أيضًا أن تعرف ما لها من حقوق، وكيف تنالها في دين وخير وكرامة.

الهوامش

(١) قال الذهبي- رحمه الله: «ما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها»، وقال السيوطي- رحمه الله: «وجميع من ضعِّف منهن إنما هو للجهالة»، انظر ميزان الاعتدال (٧/ ٤٦٥)، تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٣٢١).



لا يوجد طفل كسول!

بشرى شاكر- باحثة مغربية

في أحيان كثيرة ينسب الكسل والغباء لطفل ما نتيجة عدم نيله لعلامات جيدة في مادة معينة أو في امتحان ما، أو نتيجة أجوبته الخاطئة المتكررة ويبصم هذا اللقب حياة الطفل إلى الأبد، وخاصة حينما يميل بعض المدرسين نحو إهماله وعدم الاكتراث له ويطلبون منه الجلوس في آخر الصف ولا يوجهون له أية أسئلة، إذ يترسخ لديهم الاعتقاد أنه طفل كسول وغبي، وأن أية محاولات لجعله ينشط داخل القسم لن تجعل منه تلميذًا متفوقًا، فيختارون تركه في أحد المقاعد المدرسية وكأنه مجرد شيء لا دور له في الصف سوى أن يأتي ويخرج في الوقت المخصص له، وهناك آخرون يرون في العقاب وسيلة تربوية لهذا النوع من التلاميذ وهم أيضا يلجأون لإهماله بعد فترة زمنية معينة.

والحقيقة أنه لا يوجد طفل كسول وإنما يوجد طفل ذكي وطفل أقل منه ذكاء أو طفل ذكي وآخر أذكى منه ولكنه لا يعبر عن نفسه نتيجة موانع كثيرة يعاني منها بمفرده ولا يفقهها الآخرون.

قد يكون التلميذ أو الطفل الذي نراه كسولا وغبيًا أذكى من غيره بكثير، وقد يمنعه من المشاركة داخل القسم خجله مثلا من سخرية الآخرين، أو خوفه من نيل العقاب أو تلعثمه في الكلام، وأحيانا كثيرة عدم اندماجه في الصف إما لأن الآخرين يضحكون من شكله أو لباسه أو فقره وغير ذلك، وفي حالة المراهقين، نجد الكثير ممن يقال عنهم أغبياء وخاملون، إنما ينجم كسلهم عن اختيارهم لتوجه دراسي غير صحيح، وهنا يأتي دور الموجهين التربويين في توجيه الطالب التوجيه الصحيح، وقبل ذلك أساتذته بحكم قربهم له أثناء السنة الدراسية، وأيضًا على الآباء ألا يفرضوا آراءهم على أبنائهم فيما يخص توجهاتهم الدراسية.. فالابن ليس مرآة ينظر فيها الأب إلى نفسه والأم لنفسها عبرها، ولا هو أداة يبلغان عبرها أهدافًا لم يصلاها فيسقطانها عليه، وإنما هو كائن مستقل قد تكون له نفس ميول الآباء وقد تتغير ميوله عنهم، وفي كلتا الحالتين علينا أن نساعده في الاختيار دون أن نفرض عليه رأينا.

في بعض البلدان تمنح أهمية كبرى للتلميذ الذي يقال عنه في بلدان أخرى إنه غبي، بل ويعاد توجيه بعض الطلاب نحو شعب مغايرة في حالة دلت دراسة حالتهم على أن ميلهم نحو مواد علمية مثلا أكبر من ميلهم لمواد أدبية، والنتيجة أن هذا الطالب الكسول يتحول إلى إنسان ناجح وذكي، وفي واقع الأمر لقد كان ذكيًا منذ البداية وإنما لم يكن ناجحًا لأن عوامل النجاح لم تكن متوفرة لديه وحينما توفرت ظهر ذكاؤه.

كما أن هناك طفلا ذكيًا جدًا وطفلا ذكيًا نسبيًا حسب المقاييس المتعارف لقياس الذكاء عليها، أي «QI» ولكننا نجد الثاني أنجح بكثير من الأول وعلاماته مرتفعة، وهذا قد يعود لأنه يحسن استثمار إمكاناته المتوسطة بطريقة مثلى، أما الأول فيعتمد على الذكاء العقلي فحسب، وهذا النوع يكون ملتزمًا



بدروسه، وله منظومات يمشي عليها ولذلك فإنه لا يبدع بذكائه، لأنه لا يتوفر على مساحة الخيال التي يتوفر عليها الطفل الذي قيل إنه أقل منه ذكاء.

فكما أن هناك الذكاء الذهني فهناك الذكاء القلبي، وهو حسن تدبير الذكاء الذهني بالوجدان والعاطفة، فالطفل الناجح يعتمد ذكاء ذهنيًا ووجدانيًا وهنا يمكن ذكر قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة الحج: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

وقد يكون سبب كسل الطفل ليس غباء ولا نقصًا في الذكاء وإنما قد يعود خموله إلى الخجل، وهنا وجب معالجة الأسباب لإفساح المجال أمام الطفل ليعبر عن نفسه وعن ذكائه، فقد يكون نتيجة خوف من العقاب، وهنا أيضًا وصف الطفل بالغباء لن يكون حلا يجعله يعمل، وإنما السعي إلى نيل ثقته سيجعله بالتأكيد من المتفوقين، وهناك أطفال أذكياء جدا ولكن لديهم مشكلة في النطق، هؤلاء على آباءهم ومدرسيهم أن يحثوهم على القراءة فهي ستساعدهم على تحسين النطق وإبراز مهاراتهم للسطح، وطبعا القراءة يجب أن تراعي مستواهم الدراسي وأيضا عمرهم فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

كما أن النشاطات المدرسية الموازية، تمكن المربين من اكتشاف مواهب عديدة لدى من يعتبرون أغبياء وكسولين داخل الفصل الدراسي، وقد يظهر لنا ذكاء أكبر بكثير مما كنا نتوقعه بحيث نرى سرعة الحركات والانتباه إلى أدق التفاصيل، أشياء لم نكن نلاحظها داخل الفصل ولكنها كلها عوامل تساعد على إظهار الطاقات الكامنة داخل الطفل وتساعدنا على أن نجعل منه تلميذًا أو طالبًا متفوقًا فيما بعد.

وقد يمارس بعض الآباء أو المربين أسلوب الاضطهاد والتجريح على الأطفال نتيجة تحصيل علمي متدن، وقد يزيد هذا من سوء تركيزهم وعدم رغبتهم في الدراسة.

وفي الكثير من الأحيان تكون النتائج الهزيلة للطفل نتيجة مشكلة في التركيز الناجم عن مشكلة بصرية أو سمعية، ويعزى ذلك لغباء الطفل، في حين أن هذا الأخير يعاني في صمت من أمر عضوي، وهنا يجب على الآباء خاصة أن يستشيروا طبيبًا مختصًا ليستعلموا عن قدرات أبنائهم البصرية والسمعية، وكذلك قدراتهم الحركية أو إصابتهم بإحدى الحالات المرضية مثل «الديسليكسيا»، فالطفل حينما يكتب حروفًا متباعدة أو مقلوبة في غالب الأمر، لا يعني هذا أنه غبي ولكنه طفل «ديسليكسي» يملك ذكاء قويًا، ويبدو عليه ذلك من خلال حواره، ولكنه لا يستطيع نقل قدراته على الورق، ولديه ارتباك من اليمين لليسار، فغالبا ما يكتب كتابات مقلوبة، كما أنه أثناء القراءة قد يضيع المكان الذي وصل إليه إذا توقف عن القراءة قليلا، ولكن مهاراته اليدوية تكون كبيرة جدًا وأيضا ذكاؤه الخيالي يكون أوسع بكثير، ونسرع إلى نعت الطفل بالغباء والكسل، فيجب أن نلتفت للمهارات التي يحملها ولا نجعله يعتقد أنه طفل لا فائدة ولا أمل يرجى منه، كما أن الضغط عليه ليتعلم لا يجدي في شيء أبدًا، فقد يتحسن تدريجيًا في اكتساب مهارات جديدة وفي تحسين خطه ونطقه ولكن بالشدة الزائدة لن يكون أبدًا كأي طفل عادي، لذلك الأجدر بنا أن نبحث عن نقاط قوته لنجعله ينمي قدراته بدل أن نطلب منه المستحيل، فغالبا «الديسليكسيا» هو أمر وراثي ومستمر، وما هذا سوى أمر من بين الأمور التي قد تمنع الطفل من التفوق دراسيًا، والتي تنسب للأسف للغباء والكسل ولا نبحث عن كنهها الحقيقي.

وقد يكون التحصيل العلمي السلبي للطفل نتيجة جو متوتر داخل الأسرة وهنا لم نلوم الطفل على شيء نقوم به نحن؟ بل الأجدر أن نبحث عن استقرار أسري يمنح للطفل استقرارًا نفسيًا أولا قبل أن نطلب منه النجاح والتفوق.

وقد قال أنس رضي الله عنه في ذلك: «لقد عشت مع الرسول ﷺ ١٠ سنوات لم يقل لي افعل هذا أو لم فعلت هذا»، وهذا لا يدل على أن أنسًا وهو طفل صغير لم يخطئ قط، ولكن بدل أن يصفه الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام بالغباء والاستهتار فقد كان يعلمه بالقدوة ويرحم ضعفه.

فنأمل أن نقتدي بخير الأنام وألا نرى ذات المشهد يتكرر دائمًا من قبل آباء يفضلون ابنًا على الآخر ظنا منهم أنه أكثر ذكاء أو من قبل معلمين يتفاعلون أكثر مع الطلبة النشيطين ويصفونهم بالذكاء، بينما يهملون الأطفال الذي يرون فيهم خمولا وكسلا ويصمونهم بالغباء. فخمول الطفل لا يعني أبدًا أنه كسول أو غبي بل في الحقيقة لا يوجد طفل كسول على الإطلاق وإنما هناك طفل صاعد استقلالي قوي، وطفل هابط يحتاج إلى مساعدة ليكون ناجحًا أيضًا وربما يكون مستقبلا أذكى من غيره في الفصل.

الموهبة المفقودة!

بلال المريسي- كاتب صحفي

قد يتقدم إنسانٌ ويرتقي في سُلم الحياة لظروف تهيأت له، أو فرص سنحت له فبادر باغتنامها، ولكنّ.. سرعان ما ينزل عن مكانه الذي وصل إليه، ويتدحرج إلى أسفل ذلك السُّلم الذي صعد منه.

ربما لأنه صعد فجأة دون بذل مجهود أو طاقة!

وربما لأنه ما أصر على البقاء في تلك القمة، فرجع من حيث بدأ إلى أول درج السلم!

وربما لأنه اكتفى بما أنجز، فضعُفت عنده الهمة، واضمحلت الإرادة، فتراجع القهقرى، ولو أنه شمر عن ساعد الجد لارتقى من علو إلى علو ومن قمة إلى أخرى!

ومما يجعل الإنسان ثابتًا في مكانه المرموق ومستمرًّا في تقدمه ورقيه.. مواهبه وإبداعاته؛ فكلما زاد الإنسان من صقل مواهبه، وتفجير إبداعاته، ترقى إلى القمم الشمّاء دون تراجع أو انحطاط.

وخلال هذه الأسطر نسلط





الضوء على موهبة من المواهب التي فقدت أو ربما وجدت بتفاوت بين شخص وآخر، وهذه الموهبة لا تقلُّ أهمية عن موهبة العقل والذكاء والفطنة: بل إنها له كالملح للطعام والروح للجسم، وكثيرون هم الذين فشلوا في الحياة لفقدانهم هذه الموهبة من غير أن ينقصهم علمٌ أو ذكاء.

فحينما تنطوي ساعات يومك تكون بلا شك قد خالطت أصناف البشر الغث منهم والسمين، ورأيت من تصرفاتهم ما يزيد من إعجابك وسرورك وبهجتك وما تتمنى أنك لم تشاهده لما يحصل لك من الضيق والكدر، فتارة ترى شخصًا قد أوقف سيارته بجوار برميل القمامة ليضع فيه زجاجة مشروبه وعلبة الماء الفارغة، فيزيد إعجابك لتصرفه وتزيد مكانته عندك، في المقابل تجد شخصا آخر قد أخرج يده من نافذة سيارته راميًا زجاجته الى الشارع فتتأذى من هذا المشهد وتتمنى أنك لم تشاهده.

وشريعتنا الإسلامية لم تغفل عن هذا الجانب ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» (رواه مسلم).

فإذا ما ذهبت إلى صرافة النقود رأيت عجبًا، ترى شخصًا يتخطى من قبله من الناس دون استئذان أو احترام، بل أعجب من ذلك أن تجد غيره إذا ما جاء دوره بالصرف ينشغل بمكالمة عبر جواله؛ فإذا ما فرغ منها بقي ينظرُ في حسابه وربما أطال الوقوف والآخرون ينتظرونه، وفي المقابل تجد شخصًا يُجل الأكبر منه سنًا فيقدمه على نفسه، ولو كان مستعجلا لظروف طرأت عليه تجده يستأذن من قبله بأدب ووقار؛ فإن أذن له كان بها وإلا بقي ينتظر دوره حتى يأتيه، أما لو رن جواله وجاء دوره تجده يشير للذي خلفه بالتقدم عليه حتى يكمل مكالمته تلك.

ولعلنا بتلك الأمثلة السريعة قد أوضحنا وبينا تلك الموهبة المفقودة فيا ترى ما هي؟!

إنها «سلوك الروح» إنها رسالة الدين- أي دين كان- السمو بأخلاق الناس؛ إنها موهبة الذوق.

فالذوق كلمة جميلةٌ موحيةٌ، تحمل في طياتها معاني اللطف، وحُسن المعشر، وكمال التهذيب، ورهافة الحس، وحُسن التصرف، وتجنب ما يمنع الإحراج وجرح المشاعر والإحساس بلفظٍ أو إشارةٍ أو نحو ذلك.

فتجد الناس إذا أرادوا مدح شخص والثناء عليه، ينعتونه بهذه الخصلة الجميلة، والموهبة المفقودة فيقولون: فلان صاحب ذوق رفيع (ذواق)، بينما لو أردوا ذمه قالوا: فلان قليل ذوق أو بلا ذوق أو بليد الذوق وشتان بين هذا وذاك.

وشريعتنا السمحة وديننا الحنيف لم يهمل هذه الموهبة، بل اهتم بها أشد اهتمام، وذلك لينقل الناس الصورة الحسنة المعبرة عن عظمة هذا الدين، ويدعوا إليه بأخلاقهم قبل أقوالهم فيصبحوا الصورة الحية النابضة بتعاليمه وذوقياته.

وإليكم بعض تلك الذوقيات على عجالة فنصوص الوحيين زاخرة بذلك ولا يتسع المقام للحصر والإطالة، فالمسلم مأمور أن يأخذ زينته عند كل مسجد، وأن يأتي إلى الصلاة وعليه السكينة والوقار، كما أنه منهيٌّ أن يأكل ثومًا أو بصلًا لكي لا يؤذي غيره من المصلين، كذلك منهي عن رفع الصوت في المسجد، وإنشاد الضالة، والبيع والشراء، ولا يتخطى رقاب المصلين يوم الجمعة، ولا يتكلم والخطيب يخطب- أليس كل هذا من الذوق؟

وقس على ذلك في بقية أركان الإسلام وفي العبادات والقربات فستجد من الذوقيات ما يدهشك ويزيد من مقدار حبك لهذا الدين الحنيف، فتصبح نموذجًا من نماذجه وصورة حيةً نابضة بتعاليمه وذوقياته.

وحرص ديننا الحنيف على موهبة الذوق في فن التعامل مع الآخرين حرصًا حثيثًا، فتجده اهتم بموهبة الذوق تجاه الوالدين ليس منّةً من الولد، ولكن حقًّا لازمًا أقرته الشَريعة ودعت إليه الفطرة البشرية فمن الذوق تجاههما:

عدم رفع الصوت في حضرتهما، وعدم مناداتهما باسميهما، ولا تقدم أحدًا عليهما، ومن الذوق أيضًا إطاعة أوامرهما، وتنفيذ وصيتهما، وإكرام صديقهما، والدعاء لهما، إلى غير تلك الذوقيات، حتى روي عن الحسن البصري (رحمه الله) أنه كان لا يأكل مع أمه من الصحن الواحد، ليس كبرًا، ولكن خوفًا من أن تقع يده على شيء من الطعام وأمه تريد ذلك الشيء، بل كان يعُد ذلك عقوقًا فأين نحن من ذلك؟

ومما حرص عليه الإسلام الذوق مع الزوجة، فالمرأة رقيقة الطبع، مرهفة الحس، صافية الجوهر، إذ إنك تأسر لُبّها وتكسب ودها بكلمة، وتجرح مشاعرها وتكسر خاطرها بكلمة، فمن الذوق تجاهها إكرامها والتلطف معها، فقد جاءت وصية النبي ﷺ بذلك فقال: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوانٌ عندكم»، ومن الذوق أيضًا مراعاة مشاعرها والبيئة التي تربت فيها، فعندما تزوج النبي ﷺ مارية القبطية التي كانت تعيش على ضفاف النيل في الخضرة وجمال الطبيعة، أسكنها ﷺ منطقة «العوالي» في المدينة وكانت تمتاز بخضرتها وأشجارها.. أليس هذا من الذوق؟

كما أن من الذوق أيضًا التزين والتجمل للمرأة، فقد روي عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما قوله: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين هي لي.

وأما عن الذوق مع الأقارب والأرحام، فصل من قطعك، واعف عمّن ظلمك، واحلم على من أساء إليك، وزر من هجرك، فقد وردت الأحاديث أن صلة الأرحام تجعلك ممن يدخلون الجنة بسلام.

وأما عن الذوق مع بقية الناس، فأنزل كل واحد منزلته، واشكر من أسدى إليك معروفًا، وردّ له ذلك الجميل، واحترم أكبر منك سنًا، واعطف على أصغر منك سنًا، ووقر العلماء وأكرمهم، وشارك الناس بأفراحهم، وواسهم بأحزانهم ومصائبهم، وتفقدهم إذا غابوا، وسل عنهم باستمرار، وأبد اهتمامك بهم، تكسب ودهم، وتنال رضاهم.

وكما حرص الإسلام على موهبة الذوق في السّلم حرص عليه أيضًا في الحرب ففي الحديث: «لا تقتلوا طفلًا ولا امرأةً ولا شيخًا كبيرًا» كما جاء النهي عن قتل العسيف (الأجير) وأصحاب الصوامع (الرهبان).. أليس هذا من الذوق؟

ولكي تعيش مرتاح البال، باسم الثغر، صافي الجوهر، سعيد الخاطر، تحظى باحترام الآخرين لك، ومحبتهم إياك، كن صاحب ذوق رفيع، وابدأ بالتفتيش عن عيوبك وسارع في إصلاحها، وترقَ في مكارم الأخلاق، ودع عنك سفاسف الأمور، فستعيش عظيمًا وتموت عظيمًا وتبعث عظيمًا.

اللهم بصرنا بعيوبنا، واهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.



أساسيات لبناء شخصية المرأة المسلمة

سعيدة عبدالخالق
استشارية في قضايا الأسرة

إن المرأة بمنطق الإحصاء والتعداد نصف المجتمع، ولكنها بحكم تأثيرها في زوجها وأولادها ومحيطها أكثر من النصف، ولهذا قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

من لي بتربية النساء فإنها
في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق (١)

فالمرأة أكثر من نصف المجتمع وتشكل إحدى قواه الفاعلة وتقوم بدور مهم في صياغة حركته، ولهذا لا سبيل إلى إصلاح المجتمع إلا بإصلاح المرأة أولا.

ولذلك سأبين في هذه الدراسة بعض الأسس التي تُسهم في بناء شخصية المرأة المسلمة وإعادة صياغة شخصيتها عمليا وفكريا، وتوجيهها وفق تربية إيمانية متكاملة منبثقة من القرآن الكريم، لكي تسهم بدورها في إصلاح المجتمع وإخراج الأمة من مرحلة القصعة والغثائية، ولن يتأتى لها ذلك إلا بإعادة بناء شخصيتها وفق التصور الإسلامي ومنهجه الرباني من خلال التركيز على الأسس التالية:

ترسيخ فعل الإيمان في النفس

إن تنمية العلاقة بين المرأة وخالقها وترسيخ الإيمان به في نفسها له أثر بالغ على تشكيل شخصية مطمئنة لا تقع فريسة لأي صراعات نفسية، وتواجه كل ما يعترضها من صعوبات وتحديات، لأن الإيمان مصدر كل سلوك سوي ينبع من النفس الإنسانية، «وبه يمكن تغيير الإنسان من داخله، وإصلاحه من باطنه، فالإنسان لا يقاد كما تقاد الأنعام، ولا يصنع كما تصنع الآلات من حديد أو نحاس أو معدن، إنما يحرك من عقله وقلبه، يُقنعُ فيقتنع، ويُهدَى فيهتدي، ويُرغب ويُرهب فيَرغب ويَرهب. والإيمان

هو الذي يحرك الإنسان ويوجهه ويولد فيه طاقات هائلة لم تكن لتظهر بدونه، بل هو ينشئه خلقا جديدا بروح جديدة، وعقل جديد وعزم جديد وفلسفة جديدة» (٢).

والإيمان كذلك لا يعترف بالمراحل والأعمار التي وضعها علماء النفس والتربية واشترطوها لنجاح المجهود التربوي.

إنهم يقررون أن هناك سنًا معينة هي سن القبول لتكوين العادات، واكتساب الصفات وتهذيب الطباع والأخلاق، تلك هي سن الطفولة، فإذا كبر المرء أو المرأة على صفات خاصة فهيهات أن يحدث فيها تغيير يذكر، فمن شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

ولكن الإيمان هو الشيء الوحيد الذي تخطى قواعد التربويين والنفسيين، فالإيمان هو العنصر الوحيد الذي يغير النفوس تغييرا تاما وينشئها خلقا جديدا، ولا يقف في سبيل ذلك فتوة الشباب ولا كهولة الكهول، ولا هرم الشيوخ (٣).

ولنأخذ على هذا أمثلة حية لأشخاص عاشوا في عهدين: عهد الكفر وعهد الإيمان لنرى الفارق.

وحسبنا مثلا على هذا التحول الخطير رجل وامرأة عرف أمرهما في الجاهلية، وعرف أمرهما في الإسلام، الرجل هو عمر الذي رووا أنه بلغ في جاهليته من انحراف العقل أن عبَد إلهًا من الحلوى ثم جاع يوما فأكله، ومن انحراف العاطفة أن وأد ابنة له صغيرة كانت تمسح الغبار عن لحيته وهو يحفر لها مكانها في التراب.. عمر هذا ينتقل من الجاهلية إلى الإسلام، فيتحرر عقله حتى يقطع شجرة الرضوان خشية أن يطول الزمن بالناس فيقدسوها، ويقف أمام الحجر الأسود فيقول: أيها الحجر إني أقبلك وأنا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

وعمر هذا يبلغ من سمو عاطفته ورقة قلبه وخشيته لله ما ملأ صفحات التاريخ بآيات الرحمة الشاملة للمسلم وغير المسلم، بل للإنسان والحيوان حتى قال: «لو عثرت بغلة بشط الفرات لرأيتني مسؤولا عنها أمام الله، لمَ لمْ أسو لها الطريق؟».. هذا هو الرجل.

أما المرأة فهي الخنساء، المرأة التي فقدت في جاهليتها أخاها لأبيها صخرًا فملأت الآفاق عليه بكاءً وعويلًا، وشعرًا حزينًا، ترك الزمان لنا منه ديوانًا كان الأول من نوعه في شعر المراثي والدموع.

وغير ذلك مما قالته في رثاء أخيها صخر، كان هذا في جاهليتها فلما أسلمت كان لها شأن آخر، وكانت امرأة أخرى، فقد شهدت معركة القادسية ومعها بنوها الأربعة فقدمتهم إلى الميدان (أي إلى الموت) راضية مطمئنة، بل دافعة محرضة على القتال والثبات في أول الليل قبيل المعركة، فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب لا تلين وانقضوا كالصاعقة على أعداء الله حتى استشهدوا واحدا بعد واحد جميعهم، فلما بلغها خبرهم لم تلطم خدا ولم تشق جيبا ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين وصبر المؤمنين وقالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

ما الذي غير عمر القديم وصنع عمر الجديد؟

وما الذي غير خنساء النواح والبكاء إلى خنساء التضحية والفداء؟

إنه صانع المعجزات.. إنه الإيمان، إنه المفتاح الفذ لأقفال الحياة الكثيرة (٤).

صفوة القول: إن تفعيل الإيمان في حياة المرأة قضية أساسية تخرج الدين من كونه مسألة شخصية إلى اعتباره منهجا متكاملا يتغلغل في نسيج الممارسات الإنسانية المتعددة.

«ومن أهم الوسائل لترسيخ الإيمان في النفس تنمية الخلق الحسن فيها، وذلك من خلال التمكن من مدلولات الأخلاق وآثارها في النفس والمجتمع، مباشرة الأعمال الصالحة المساعدة على تنمية الأخلاق وتقويمها، مجاهدة النفس وتدريبها على الخلق الحسن، القدوة الحسنة، فهذه كلها وسائل مساعدة لبلوغ الإيمان أغوار النفس والوجدان وإدراك اليقين. ولاستعادة إنسانية المرأة واستجابتها لعوامل الإحياء، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)» (٥).

التحصن بالعلم والمعرفة

وقد وعى الأستاذ علال الفاسي هذه القضية فكان في طليعة من دعا إلى تحرير المرأة من رواسب الجهل ومخلفات الاستعمار، ودعا إلى مساواتها بالرجل في التربية والتعليم والتثقيف في كثير من كتبه ومقالاته ومحاضراته وخطبه، قال رحمه الله: «يجب أن تتمتع المرأة بما يتمتع به الرجل من حقوق، وأن تقوم بما يقوم به الرجل من واجبات، ولكي تستطيع ذلك يجب أن يفسح لها المجال، وتعد للقدرة على أداء ما يطلب منها» (٦).

فالتحصن بالعلم والمعرفة والتكوين الإسلامي هو الذي يضع لها الأرضية الصلبة التي تستقر عليها شخصيتها على مستوى فكرها وسلوكها وتوجهاتها، ومن شأن التكوين الديني أيضا أن يكسبها قدرا من التدين تتحصن به وتتميز به في انخراطها الاجتماعي العام وبدونه تكون كالريشة في مهب الريح.

التشبع بالقيم الإسلامية

هذا الأساس مرتبط بالذي قبله، بل هو ثمرته فلا يستقر في النفس شيء من فقه الإسلام وفهم مضامينه وأحكامه العامة ما لم ينبثق منه قدر ضروري من مكارم الإسلام وفضائله وقيمه.

إن المرأة الغربية، بل الإنسان الغربي عامة قد بلغ في الرقي الحضاري منزلة لا تضاهى ولكننا نراه- مع ذلك- قد يشقى بها وينتكس بسببها، وإنما ذلك لأنها حضارة مادية محضة لا تنسجم مع كل مقومات الحقيقة الآدمية الإنسانية، والغرب بحضارته ورقيه وتمدنه وبلوغه في ذلك الشأو الكبير والمرتقى السامق لا يستطيع أن يخفي أزمته الخانقة التي يعاني منها ويعيشها يوميا (أزمة القيم وأزمة الفراغ الروحي، والخواء القلبي والنفسي).

استرداد إنسانية المرأة

تشير الباحثة والشاعرة المغربية سعاد الناصر (أم سلمى) إلى أنه رغم كثرة الدعوات المستمرة لتحرير المرأة في عصرنا الحديث، ومحاولة إخراجها

من تخلفها ومعاناتها، وما حققته من نجاح في مختلف المجالات، فإن واقع المرأة يكشف عن وضعية ماسخة لها وعن عدم امتلاك ذاتها وانغماسها في عبوديات مختلفة من أبرز مظاهرها: اهتماماتها الهامشية التي لا ترقى إلى مستوى إنسانيتها ورسالتها في الحياة، ومن أبرز مظاهرها أيضا عبوديتها لجسدها بالانكباب على تزيينه وتقديمه في سوق العرض والطلب بشكل مهين للمرأة المعتزة بأنوثتها والمدركة لآفاق تحررها (٧).

وتستطرد قائلة «ويؤسفني أن أعلن بأن المرأة رغم تعليمها وتقلدها مناصب عدة، إلا أنها مازالت ترسف إما في مظاهر التخلف والجهل والخرافة، وتعيش في ظل مفاهيم خاطئة ومبتورة لبعض النصوص الشرعية، من مثل ﴿وقرن في بيوتكن﴾ و«ناقصات عقل ودين»، وإما تحولت إلى عبوديات أخرى تسربت إليها من الفكر الغربي فأصبحت ترسف في أغلال التغريب والاستلاب والاستغلال، فتحررت من تراكمات المفاهيم الخاطئة لتنتقل إلى مفاهيم لا تقل خطورة عنها، هذا بالنسبة للمرأة المتعلمة، أما المرأة الأمية فإن واقعها أمرّ، ولذلك يمكن أن نضيف إلى ما ذكرناه من عبوديات، عبودية الأمية والفقر والتهميش وغيرها التي تفوق فيه صاحبتها المتعلمة.

وبصفة عامة فإن واقع المرأة ينبئ عن خلل ناتج عن غياب فعل التحرر منه، ولن نستطيع ضبط هذا الواقع إلا إذا حررت عقلها واستقام فكرها. لأن تحرر العقل من الخرافة والجمود والتقليد والتبعية يدفعها إلى التأمل والتدبر، ونبذ أشكال العبوديات، وعدم الانسياق وراءها دون وعي أو بصيرة، كما أن استقامة الفكر واتزانه يدفعها إلى الوعي بحقوقها وواجباتها والأخذ بأحكام الشريعة وتطبيقها في حياتها باعتبارها كلًا واحدا لا يتجزأ، فتسترد إنسانيتها المتدحرجة بين الأقدام، وتمارس الحرية بمفهومها الحقيقي والتي تمدها بقوة فاعلة ومحركة لبناء شخصية متوازنة مع ذاتها الفردية والجماعية تمتلك القدرة على تغيير الواقع، وتحسين وضعيتها المادية والاجتماعية» (٨).



ونستطيع أن نقول: إنه كلما فهمت المرأة مدى عبوديتها لله وسما مفهوم التوحيد في نفسها، كلما حققت في هذه النفس مفهومها التحرري الصحيح الذي جاءت به الرسالة المحمدية الخاتمة، إذ نجد الإسلام برسالته السامية ينبذ كل أشكال العبوديات، ويعتبر المرأة إنسانا أولًا قبل أن يعتبرها امرأة أو أنثى لها جميع حقوق الإنسان، اللهم إلا في بعض الخصوصيات الدقيقة الخاصة بالمرأة، فالمرأة إنسان في المجتمع وامرأة فقط في بيتها ومع زوجها، بالإضافة إلى هذا فقد كرمها الإسلام واعتنى بها وبتربيتها منذ الطفولة، ففي الحديث «من كن له ثلاث بنات؛ فصبر على لأوائهن، وضرائهن، وسرائهن، أدخله الله الجنة برحمته إياهن. فقال رجل: واثنتان يا رسول الله؟ قال: واثنتان. قال رجل: يا رسول الله وواحدة؟ قال: وواحدة».

وكرمها وهي زوجة «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (الترمذي).

وكرمها أمًّا حينما أمر رسول الله ﷺ بحسن صحبتها لمن جاء يسأله: من أحق الناس بصحبتي؟ فقال: أمك (ثلاث مرات) ثم ذكر الأب مرة واحدة.

تقدير المسؤولية حق قدرها

إن أعدادا هائلة من النساء تدخل في إطار الطاقات الخاملة والعاجزة عن العطاء المنتج، نخرت الغثائية والسلبية والاتباعية فاعليتها فأصبحت أرقاما منسية لا تخرج عن كونها تكثيرا لسواد الصالحين وغيابا أو تغييبا لطاقات المصلحين.

من هنا كانت الدعوة إلى إشعار المرأة بخطورة رسالتها ودورها واستشعار مسؤوليتها تجاه نفسها ومجتمعها وأمتها واتجاه الإنسانية جمعاء، ودعوتها إلى الكف عن تمييع مهمتها وحصرها في اهتمامات هامشية تافهة.

وأول مجال ينبغي الوقوف عنده والتأكيد على خطورته وأهميته في بناء شخصية الأمة بأكملها مجال الأمومة، لأن الأم هي المنشئة الحقيقية للأجيال، والأب يشارك فيما بعد وقد يتولى الأمر وحده- أو بصفة رئيسية- بعد ذلك، ولكن الانطباعات الأولى في نفس الطفل، الانطباعات التي تندس في حسه وهو وليد وتكون شخصيته فيما بعد يأخذها من أمه أكثر بحكم التصاقه بها التصاقا حسيًا ومعنويًا حتى يملك على الأقل أن يسير ويوسع دائرة المجتمع الذي يعيش فيه.

الهوامش

١- ديوان حافظ إبراهيم (ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد الزين وأحمد أمين وإبراهيم الأبياري ط٢/ ١٩٨٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١/ ٤٠.

٢- في فقه الأولويات د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة- مصر- ط٤ ١٤٢١/ ٢٠٠٠، ص١٨٠.

٣- انظر: الإيمان والحياة د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة- مصر، ص٢٨٩.

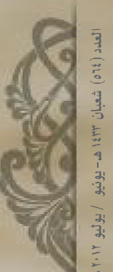
٤- الإيمان والحياة، بتصرف، من ص٢٩٠ إلى ص٢٩٣.

٥- مقال: من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة، د.أم سلمى مجلة «المحجة» المغربية- العدد ٢٣٠- مارس ٢٠٠٥، ص١٣.

٦- النقد الذاتي لعلال الفاسي- لجنة نشر تراث زعيم التحرير علال الفاسي الرباط، ط ٤/ ١٩٧٩- ص٣٠٤.

٧- انظر مقال: من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة، ص١٣.

٨- من أسس بناء شخصية المرأة المسلمة، ص١٣.



عبارات سلبية أمام طفلك

عبد الحق بوزرب - كاتب مغربي

من المحتمل أحيانا أن تردد أمام طفلك عبارات سلبية مائة مرة في النهار.. فلا تتعجب إن هو أصبح كذلك أيضا!

لذلك استعمل تفكيرك ومخيلتك، ولا تخاطبه دائما بصورة سلبية، بل حاول أن تتكلم معه بهدوء، وبصورة أكثر إيجابية.. فمن الأفضل ولمصلحة الطفل التركيز بشكل أساسي وبناء على كيفية تعديل أو تغيير السلوكات غير اللائقة، بدل التركيز على توجيه اللوم والانتقاد لشخص الطفل.

فسواء أكانت الرسالة «أنت كسول جدًا» أم «أنت طفل رائع» فإن هذه العبارات التي نطلقها نحن الكبار سوف تترسب بثبات في أعماق لا وعي الطفل.

وكم نسترجع نحن أثناء الأزمات التي نتعرض لها في حياتنا ما قيل لنا في طفولتنا.. أنت كسول، أنت صغير لا تفهم تماما مثل والدك.

ذهب أحد التربويين إلى مدرسة ابتدائية، ودخل أحد الفصول وسأل التلاميذ سؤالا غريبا: من منكم غبي لا يفهم؟!

العجيب أن بعض التلاميذ رفعوا أيديهم، هنا ارتفع صوت التلاميذ فلان وفلان رفعوا أيديهم، فقام التلميذان المشار إليهما في خجل فسألهما التربوي: هل أنتما فعلا كذلك؟ أجابا: نعم.. لكم الله يا من قلتم هذا.

الأب يقول: أنت غبي لا تفهم الدرس، الأستاذ يقولها أمام التلاميذ، التلاميذ ينادونه بها، حتى أصبحت حقيقة بداخل هؤلاء الأطفال.. ويدفع نفسه لا شعوريا إلى التماشي معها. يحكي أحدهم: كنت أجلس، وقد قامت «منى الصغيرة» بعمل رائع في دروسها فقلت لها: ما شاء الله! منى، أنت طالبة ممتازة.

كانت تنظر إليّ كأنها تسمع كلامًا غريبًا قالت: أعرف أنني لست جيدة في دروسي. عندها صدقوني كم ندمت على أنني أنا أو غيري قلنا لها: إنها ليست جيدة، حتى أصبحت قاعدة ثابتة عندها. وفقك الله.. استدركت الأمر وقلت لها: لا، لا. منى، أنت جيدة وممتازة أيضًا، أنا أعرف ذلك.

نحن نتفوه بكلام لأبنائنا وننساه، ولكنهم لا ينسونه.. ويؤثر سلبا فيهم، ونحن من نحصد نتيجة أفعالنا في النهاية، ولكم أن تتخيلوا مصير هؤلاء الأطفال، سيكونون مثلا يضرب للفشل.. ما لم ترعهم يد أمينة.

إحصائية

دراسة تقول: إن الفرد- وإلى أن يصل إلى سن المراهقة- يسمع ما لا يقل عن ٦٠٠٠ كلمة سيئة، مقابل بضع كلمات حسنة، لا تعليق.

بدلا من البكاء، تعالوا نستبدل كلماتنا بكلمات فعالة تنمي ثقة الطفل مثل: «الله يرضى عليك، الله يباركك يا بني، «يا رب تكبر واشوفك دكتور».. مثلا إذا طلبت من ابنك أن يحضر لك كوب ماء قل له: أحمد، الله يرضى عنك يا بني ناولني كأس ماء من الثلاجة، وعندما يأتي بها قل له: جزاك الله خيرًا، تشرب في الجنة إن شاء الله، وهكذا.

أحمد زويل- الحائز على نوبل في الكيمياء- أمه كانت تكتب على باب غرفته: غرفة الدكتور أحمد زويل.

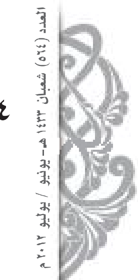
السلطان محمد الفاتح- فاتح القسطنطينية- كانت تأخذه أمه إلى الشاطئ، وتشير له بأصبعها إلى أسوار القسطنطينية وتقول له: أنت فاتح هذه المدينة، ولهذا اليوم أربيك.

قد لا يعرف التاريخ اسم هذه المرأة.. ولكنه عرف الكثير عن ابنها.. والذي لم يكن كذلك بعد فضل الله عليه، إلا بتربية واعية وأم عارفة، جزاك الله خيرًا يا أم محمد الفاتح، ورحمكما الله جميعًا.

إن الأمر كله يتلخص في الطريقة التي نقول بها الكلمات، فنحن باستطاعتنا أن نختار هذا القول لأطفالنا: أنا غاضب منك وأريدك أن ترتب ألعابك الآن! دون أن نخشى أية آثار لحديثنا على المدى الطويل.. أما إذا قلنا: أنت أيها المزعج الكسول، لماذا دائما لا تؤدي ما يطلب اليك؟ وكرر هذه الرسالة كلما حدث نزاع أو خلاف، عندئذ لن تكون النتيجة مفاجئة لأحد.. كن إيجابيا وانتبه لما تقوله لابنك.

كلامي ليس للآباء فقط، لكنه للجميع، فالطبيب عندما يأتيه طفل مريض فليحرص على مناداته بالبطل مثلا.

الأستاذ عندما يفشل أحد التلاميذ رجاء.. لا تشتمه، قل له: حاول مرة أخرى وأنا واثق من أنك ستنجح. fuq من الناس شعروا أن والديهم تعمدا تحطيمهم، أو كانا حاقدين، وكل ما في الأمر أن تربية الأطفال وتصحيح أخطائهم في ذلك الوقت كانت تتم بتلك الطريقة، تلك كانت عصور الجهل بفقه التربية بالنسبة لتنشئة الأطفال.





الشيخ محمد متولي الشعراوي مفسر القرآن

عُرف بأسلوبه الميسر والبسيط في تفسير القرآن الكريم، فكان كلامه سهلًا ومفيدًا وعميقًا، يفهمه الأمي قبل المتعلم، والغني كما الفقير، ما جعله يصل إلى قلوب وعقول الناس بسلاسة ومودة ومحبة، وكل ذلك انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل:125).. إنه إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي، أشهر من فسر القرآن الكريم في عصرنا.

حسام أبوجبارة
باحث أردني

ولد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في إبريل ١٩١١م بقرية «دقادوس»، في مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، في مصر، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره.

وفي عام ١٩٢٢م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغًا منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية عام ١٩٢٣م، ودخل المعهد الثانوي، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظي بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيسًا لاتحاد الطلبة، ورئيسًا لجمعية الأدباء بالزقازيق.

حياته العملية

بعد حصوله على إجازة التدريس، عمل الشعراوي مدرسًا في معهد طنطا الأزهري، ثم نُقل إلى الإسكندرية، وبعدها عمل في معهد الزقازيق، قبل أن يعود إلى معهد طنطا مرة أخرى. وفي عام ١٩٥١م أعير للتدريس في السعودية، حيث عمل مدرسًا للتفسير والحديث بكلية الشريعة في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة.

وفي عام ١٩٦٠م عاد إلى مصر وعيّن وكيلًا لمعهد طنطا الأزهري، ثم عمل مديرًا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف في محافظة الغربية. وبعدها عيّن مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر الشريف. وفي عام ١٩٦٤م اختاره شيخ الأزهر حسن مأمون مديرًا لمكتبه. وعقب حصول الجزائر على استقلالها عام ١٩٦٦م ابتعث رئيسًا لبعثة الأزهر الشريف في هذا البلد، وأشرف خلال مدة بعثته بالجزائر على وضع مناهج دراسية للغة العربية للطلاب الجزائريين.

وفي عام ١٩٧٠م عيّن أستاذًا زائرًا بكلية الشريعة في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة، ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا فيها. وبعد ذلك بثلاث سنوات، برز اسمه كداعية إسلامي عندما قدمه الإذاعي أحمد فراج في برنامجه «نور على نور» الذي استمر عشر سنوات، كان الضيف الدائم فيه هو الشيخ الشعراوي، مفسرًا للقرآن الكريم. ثم بدأت محاضراته تبث أسبوعيًا عبر شاشة التلفزيون المصري.

في عام ١٩٧٦م اختاره رئيس مجلس الوزراء المصري السابق ممدوح سالم وزيرًا للأوقاف، ثم أعيد اختياره في التشكيل الجديد للوزارة عام ١٩٧٧م. وبعد أن قدم الكثير لبلده ولأمته، رأى الشعراوي أن الأفضل له ولدعوته أن يكون حرًا في عمله فقدم استقالته من مهام الوزارة في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م.

داعية حول العالم

بعد استقالته من الوزارة، انطلق الشعراوي إلى مشارق الأرض ومغاربها داعيًا الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وموضحًا سماحة الإسلام ووسطيته، مفندًا لما يحاول البعض أن يلصقه بالإسلام من مفاهيم ضالة، فقام بزيارة الهند عام ١٩٧٧م، وباكستان عام ١٩٧٨م، والولايات المتحدة الأميركية وكندا عام ١٩٨٣م، وخلال تواجده في أميركا زار مقر الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، وألقى خطبة الجمعة في المسجد الملحق بمبنى الجمعية، كما زار المركز الإسلامي في لوس أنجلوس وألقى محاضرة عن قضايا المسلمين والمجتمعات الإسلامية.

وفي عام ١٩٨٤م قام بجولة في أوروبا شملت فرنسا وسويسرا وألمانيا وبريطانيا والنمسا وغيرها، حيث ألقى سلسلة من المحاضرات، وأجاب على استفسارات أبناء المسلمين هناك. ووضع حجر الأساس للمركز الإسلامي والمسجد الكبير في روما بحضور رئيس جمهورية إيطاليا وعمدة روما ومندوب عن الفاتيكان.

وفي عام ١٩٨٥م شارك في أعمال مؤتمر السنة النبوية الثاني في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأميركية، وفي ديسمبر ١٩٨٦م، اختير رئيسًا لمؤتمر السنة النبوية المنعقد بلوس أنجلوس وألقى محاضرات عديدة في أماكن شتى بالمراكز الإسلامية، ثم سافر إلى النمسا بمناسبة إنشاء مصرف إسلامي في العاصمة «فيينا»، حيث تكلم عن الفكر الاقتصادي الإسلامي، وفي عام ١٩٨٧م اختير عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

أسرة صالحة

تزوج الشيخ الشعراوي وهو في المرحلة الابتدائية بناءً على رغبة والده الذي اختار له زوجته، ووافق الشيخ على اختياره، وكان اختيارًا طيبًا لم يتعبه في حياته، ورزقه الله بخمسة أبناء: سامي، وعبدالرحيم، وأحمد، وفاطمة، وصالحة.

تقي كريم

تميزت حياة الشيخ الشعراوي بالورع والتقوى والخوف من الله تعالى في كل تصرفاته وسلوكاته إلى أبعد الحدود، وكذلك السعي بكل ما منحه الله عز وجل من قوة ونفوذ لعمل الخير ومساعدة المحتاجين، ويُشهد له أنه أنفق جميع ماله على أهل قريته، وأسس لهم دورًا للعلم ورعاية الأيتام والعلاج، وكان بيته مفتوحًا للفقراء.

أضف إلى ذلك علمه القرآني ومداركه التفسيرية المتميزة وأسلوبه الجذاب في إقناع الآخرين، حتى أصبح صاحب مدرسة خاصة في الفكر والتفسير القرآني، لقد كان حجة قرآنية تعلم منها الكثيرون في جميع أنحاء العالم.

كتبه ومؤلفاته

عدا عن الكثير من المحاضرات والدروس الدينية التي جاد بها الشيخ الشعراوي على المسلمين، مشاهدين ومستمعين، فقد قدم عددًا من الكتب كان من أشهرها وأعظمها «تفسير القرآن الكريم»، حيث منّ الله تعالى عليه بتفسير الأجزاء من ١-٢٧ من كتاب الله الكريم وانتهى أجله قبل أن يتم تفسير الأجزاء الثلاثة المتبقية منه.

من أهم مؤلفاته: «هذا هو الإسلام»، «معجزة القرآن»، «أسرار بسم الله الرحمن الرحيم»، «لبيك اللهم لبيك»، «المرأة كما أرادها الله»، «الشورى والتشريع في الإسلام»، «القضاء والقدر»، «أمثال القرآن الكريم»، «أوصاف أهل الجنة»، «مشاهد يوم القيامة»، «الشيطان والإنسان»، «الأدلة المادية على وجود الله»، «الإسلام والفكر المعاصر». وهذه الكتب هي تفسير موضوعي لآيات من القرآن الكريم جمعت بعناية فائقة، ورتبت ترتيبًا جيدًا، وروجعت مراجعة علمية دقيقة.

جوائز وتقديرات

تقديرًا لنشاطاته الدعوية وجهوده في تفسير القرآن الكريم، مُنح الشيخ الشعراوي العديد من الجوائز والتقديرات، كان من أهمها: وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، الذي منحه إياه الرئيس المصري الراحل السادات عام ١٩٧٦م بمناسبة بلوغه سن التقاعد، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٧٨م، ووسام الشيخ زايد من الدرجة الأولى، والدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية، كما منحه الرئيس مبارك وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨م خلال الاحتفال بيوم الدعاة، وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨م، واختارته محافظة الدقهلية شخصية مهرجانها الثقافي لعام ١٩٨٩م، واختير رحمه الله عام ١٩٩٧م شخصية العام الإسلامية في الدورة الأولى من جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

شاعر يعشق اللغة

عشق الشيخ الشعراوي اللغة العربية، فعُرف ببلاغة كلماته، وبساطة أسلوبه، وجمال تعبيره، وكان له باع طويل مع الشعر، فكان يجيد التعبير به في المواقف المختلفة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بآمال الأمة، حيث كان يشارك في العمل الوطني بالكلمات القوية المعبرة، وكان رحمه الله يستخدم الشعر أيضًا في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح معاني الآيات.

وعن منهجه في الشعر قال: «حرصت على أن أتجه في قصائدي إلى المعنى المباشر من أقصر طريق، بغير أن أحوم حوله طويلا، لأن هذا يكون الأقرب في الوصول إلى أعماق القلوب، خاصة إذا ما عبّرت الكلمات بسيطة وواضحة في غير نقص، وربما هذا مع مخاطبتي للعقل هو ما يغلب على أحاديثي الآن للناس».

كيف عرفه الناس؟

في عام ١٩٧٣م وبعد عودته من السعودية، ظهر الشيخ الشعراوي في التلفزيون المصري، حيث تم تقديمه من خلال عدة برامج كان من أهمها «نور على نور»، وهو أول برنامج تلفزيوني يظهر فيه الشيخ بعد العودة إلى مصر. بعد ذلك تم تقديم الشعراوي من خلال اللقاءات الأسبوعية المنتظمة والتي كان من خلالها يلقي بخواطره حول القرآن الكريم، ونستطيع أن نقول إنه المفسر القرآني الوحيد الذي قام بعملية التفسير من خلال إطار شفهي مرئي عبر شاشات التلفزيون في ذلك الوقت.

وبعد أن انتشرت حلقات الشعراوي وانتظمت أسبوعيًّا على مدار السنين، صدرت هذه الخواطر مطبوعة في أجزاء باسم «تفسير الشعراوي»، وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ولاقى إقبالًا جماهيريًّا كبيرًا، وهذا بالطبع شيء متوقع نتيجة انجذاب الجماهير وحرصهم على مشاهدة وتسجيل حلقاته الأسبوعية.

إلا أنه تكررت كثيرا على ألسن قراء «تفسير الشعراوي» حقيقة أن هناك فرقًا كبيرًا بين عملية مشاهدة وسماع الشعراوي وهو يفسر القرآن، وعملية قراءة تفسيره المكتوب والمطبوع، وظهر شبه اتفاق على أن الشيخ «يُسمع ولا يُقرَأ»، وترمي هذه العبارة إلى فقدان إمام الدعاة للجاذبية من خلال النص أو التفسير المكتوب. وتتجلى من هذه الملاحظة الفجوة بين النص المرئي والنص المكتوب. ويرجع ذلك إلى أن من قام بإعداد التفسير وكتابته هو شخص آخر غير الشيخ الشعراوي، حيث قام هذا الشخص بتفريغ التسجيل التلفزيوني على الورق ثم راجعه الشيخ قبل الطباعة.

ومن مآثر الشعراوي الأخرى دوره الكبير في إنشاء البنوك الإسلامية بمصر مثل المصرف الدولي الإسلامي للاستثمار، وبنك فيصل الإسلامي، حيث وقف الدكتور حامد السايح، وزير الاقتصاد والمالية المصري آنذاك، في مجلس الشعب وأشاد بتجربة التعامل بأحكام الشريعة الإسلامية في الاقتصاد المصري، وفوّض الشيخ الشعراوي لوضع خطوات إنشاء مؤسسات مالية تعمل وفق أحكام الإسلام.

وفاة إمام الدعاة

في فجر يوم الأربعاء ١٧ يونيو ١٩٩٨م توفي الشيخ الشعراوي في منزله بالهرم، بعد رحلة مع المرض، ودفن بمسقط رأسه في دقادوس، وكان يومًا مشهودًا اتسعت فيه القرية لاحتضان مئات الألوف من الناس الذين حضروا من شتى أنحاء مصر وبعض الدول الأخرى لتوديع شيخهم الى مثواه الأخير.



مركز البحوث الإسلامية (ISAM)

تركي النصر
الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

إسطنبول أو إستانبول هي من أبرز المدن في الجمهورية التركية، كانت في السابق تعرف باسم «القسطنطينية» عاصمة للإمبراطورية البيزنطية. غُيِّر اسمها بعد فتحها من قِبَل السلطان محمد الفاتح، لإسطنبول وصارت عاصمة للخلافة الإسلامية العثمانية.

تقع إسطنبول على مضيق البوسفور، وهي من المدن الضخمة القلائل في العالم التي تقع على قارتين (أوروبا وآسيا)، وتشكل مع المناطق التي تحيط بها عصب الحياة الاقتصادية التركية وبوابة أوروبا على الشرق.

إسطنبول الرابضة على سبعة تلال تعد إحدى أهم وأجمل مدن العالم وأشهرها، فهي كانت ولاتزال جسرًا حقيقيًا لانتقال الثقافات بين الشرق والغرب، مدينة يعشقها زوارها ناهيك عن ساكنيها، ولاتزال تحتفظ بعراقتها حتى يومنا هذا.

وتتمتع مدينة إسطنبول بإرث ثقافي زاخر يمتد لما هو أبعد من المعالم السياحية والمواقع الأثرية الشهيرة مثل «آيا صوفيا»، وجامع السلطان أحمد الذي يعرف أيضًا بالجامع الأزرق وقصر الباب العالي «التوب كابي» الشهير الذي كان مركزًا للحكم في الدولة العثمانية، كما تحتوي المدينة على العديد من المنارات والمراكز الإسلامية ومن أشهرها مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي.

يقدم وقف الديانة التركي منذ تاريخ تأسيسه خدمات مختلفة في مجال الأعمال الخيرية، كما يقوم بفاعليات مكثفة لتحقيق أنشطة علمية، ومركز البحوث الإسلامية الذي يُعرف اختصارًا باسم: (ISAM)، الذي أسس من قبل وقف الديانة التركي في هذا الإطار، يقوم ببحث التراث العلمي التاريخي للعالم الإسلامي مستخدمًا المنهجية العلمية.

يقدم الموروث التاريخي الإسلامي للإنسان المعاصر بمناهج علمية حديثة

إن هذه الأعمال التي كانت وسيلة لكسب «مركز البحوث الإسلامية» مكانته المرموقة كمؤسسة تحظى بالاحترام على المستوى العالمي، تشكل بلاشك مصدرًا علميًا غنيًا لرجال العلم والباحثين.

تأسيسه

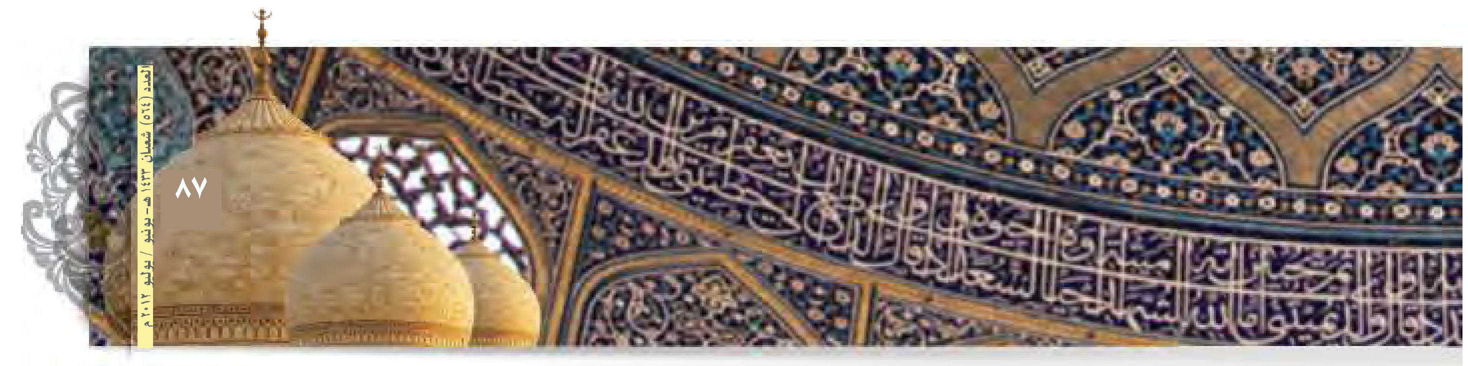
لقد أسس مركز البحوث الإسلامية (ISAM)، في عام ١٩٨٨م للمساهمة في تنشئة الباحثين في مجال العلوم الإسلامية، وتهيئة إمكانات المكتبة والتوثيق، وتنظيم الاجتماعات العلمية، ودعم مشاريع البحث، والقيام بنشر الأعمال العلمية وعلى رأسها الموسوعة الإسلامية، التي بدأ الإعداد لنشرها قبل تأسيس المركز، وإصدار المجلات العلمية.

قرر وقف الديانة التركي، الذي تأسس عام ١٩٧٥م، إصدار موسوعة إسلامية معتمدة على التأليف لدعم الخدمات التي توفرها رئاسة الشؤون الدينية التركية، وذلك في إطار أنشطته العلمية المتواصلة داخل تركيا وخارجها، ولهذا الغرض أسست الإدارة العامة للموسوعة الإسلامية التابعة لوقف الديانة التركي في إسطنبول عام ١٩٨٣م، وبعد فترة إعداد دامت خمس سنوات بدأ صدور الموسوعة في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٨م، في تلك الأثناء، وبهدف الاستفادة على وجه منهجي منظم من جهود الباحثين الذين أسهم الوقف في إعدادهم العلمي بتقديم منح لهم للدراسات العليا والدكتوراه، قرر الوقف تأسيس مركز للبحوث الإسلامية عرف اختصارًا بـ (ISAM) والذي باشر أعماله في مبنى الإدارة العامة للموسوعة الإسلامية عام ١٩٨٨م، وفي عام ١٩٩٣م دمجت هاتان الهيئتان تحت مؤسسة واحدة سميت: «مركز البحوث الإسلامية» لوقف الديانة التركي، وأسندت مهمة إعداد الموسوعة إلى هذا المركز.

الغاية من تأسيسه

إن الغاية من تأسيس







مركز البحوث الإسلامية تتلخص فيما يلي:

١- القيام بأبحاث علمية، مع التركيز على العلوم الإسلامية وما يدخل في إطار الدراسات الشرقية على وجه الخصوص.

٢- إصدار المؤلفات والترجمات والتحقيقات.

٣- إعداد الموسوعة الإسلامية ونشرها.

٤- القيام بترتيب ندوات ومؤتمرات علمية.

٥- تنشئة الباحثين وإنشاء مكتبة لهم، والعناية بشؤونهم.

٦- إعداد أفكار علمية ودينية ونشرها بهدف إرشاد الرأي العام.

هذا وقد عمل المركز منذ تأسيسه وحتى اليوم على تحقيق أهداف إنشائه من خلال القيام بأبحاث تتعلق بالحضارة الإسلامية وثقافتها ونشرها، وإقامة الاجتماعات العلمية في مختلف المستويات، وقد أصبح نتيجة نشاطاته هذه موضع احترام وطني ودولي.

يقوم مركز البحوث الإسلامية من جهة بتقديم الموروث التاريخي الإسلامي للإنسان المعاصر، اعتمادًا على مناهج علمية حديثة، ومن جهة أخرى يرصد التطورات الدينية والاجتماعية والثقافية والفكرية والتغيرات التي طرأت عليها، ويقدم هذه المعلومات المتراكمة للباحثين ورجال العلم والإداريين.

أقسامه ووحداته

يتكون مركز البحوث الإسلامية من ثلاث وحدات رئيسية هي:

١- الموسوعة الإسلامية.

٢- المكتبة والتوثيق.

٣- البحث العلمي.

ويديره مجلس الإدارة الذي يتكون من رئيس المركز وأربعة أعضاء. كما تقوم هيئة الباحثين بتنسيق البحوث العلمية الجارية في المركز، بينما تتولى هيئة تدقيق الموسوعة الإسلامية مهام تنظيم أعمال الموسوعة.

الموسوعة الإسلامية

إن الموسوعة الإسلامية التي بُدئ الإعداد لها عام ١٩٨٣م، وصدر منها المجلد الأول عام١٩٨٨م، هي بالكامل إنتاج علمي اعتمد على التأليف، وقائمة موادها تغطي:

١- العلوم الإسلامية والمفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالثقافة الإسلامية.

٢- العلماء الذين خلفوا آثارًا قيمة.

٣- الدول الإسلامية التي أسست عبر التاريخ وحكامها.

٤- التيارات والمذاهب المؤثرة في الحياة الدينية والاجتماعية.

٥- المؤسسات التاريخية والعلمية والثقافية.

٦- المراكز السكنية والعمرانية المهمة.

٧- الأديان والمذاهب الرئيسية الأخرى والأشخاص الذين لهم علاقة بالدين الإسلامي أو الثقافة والحضارة الإسلامية وإن كانوا غير مسلمين.

لقد صدر من الموسوعة الإسلامية إلى الآن أكثرها، ومن المخطط أن يصل عدد مجلداتها إلى ٤٠ مجلدًا، وشارك في تأليف موادها ما يزيد على ٢٠٠٠ كاتب من الباحثين المختصين من داخل تركيا وخارجها، وعند اكتمالها، بإذن الله، تعالى ستكون قد حققت نجاحًا مهما في ساحتها، إذ إنها ستكون منتهية بالكامل خلال ربع قرن، إن شاء الله.

المكتبة

أما المكتبة بمركز البحوث الإسلامية فهي عامرة بالكثير من المراجع في العلوم الاجتماعية، وعلى رأسها العلوم الدينية والتاريخ الإسلامي والحضارة والثقافة الإسلامية، وتعمل المكتبة وفق أحدث النظم والآليات الحديثة.

وتقوم المكتبة بمتابعة واقتناء الكتب والدوريات الحديثة النشر بانتظام وتضعها تحت يد الباحثين، وقد وصل عدد محتوياتها ما يقارب ١٧٥٠٠٠ كتاب بالإضافة إلى أكثر من ٢٤٠٠ دورية، ٦٥٠ منها يتابع بانتظام.

والمكتبة مفتوحة لاستفادة الأساتذة الجامعيين والباحثين وطلاب الدراسات العليا عن طريق التسجيل بها، وقد قامت المكتبة باقتناء المكتبات الخاصة لمجموعة من الشخصيات.

وتفتح المكتبة أبوابها كل أيام الأسبوع، ويطبق فيها نظام الرفوف المفتوحة بحيث يمكن لرواد المكتبة أن يأخذوا ما يريدونه من الكتب بأنفسهم من الرفوف ويقومون بالاطلاع عليها.

قواعد المعلومات

توجد في المركز قاعدة للمعلومات أعدت للإسراع بأعمال نشر الموسوعة الإسلامية، وللاستخدام الداخلي بالمركز، وترصد المعلومات البيبلوجرافية ما يقارب ٧٠٠٠٠٠ كتاب مخطوط ومطبوع من ١١٦ مكتبة داخل إسطنبول وخارجها (من ضمنها فهارس مخطوطات مكتبة السليمانية الشهيرة)، فبذلك يمكن استعمال الحاسب الآلي للتوصل إلى معرفة مكان وجود كتاب من الكتب المطبوعة أو المخطوطة في أي من المكتبات الـ ١١٦.

كما تم تكوين قاعدة معلومات الرسائل



الجامعية عن طريق جمع المعلومات لجميع رسائل الماجستير والدكتوراه في تركيا والمتعلقة بمجال اختصاص المركز ومن ثم إدخالها في قاعدة معلومات حاسوبية، ويجري متابعة وتسجيل ما يستجد، وتوجد في القاعدة حاليًا عناوين ١١٣٠٠٠ رسالة جامعية، وقد كونت هذه القاعدة للاستفادة منها لإعداد ونشر الموسوعة الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى قاعدة معلومات المقالات التي تحتوي على عناوين المقالات الموجودة في «كشاف مقالات تركيا» بين عامي ١٩٣٢ - ١٩٩٩م، يوجد فيها حاليًا ٥٨٢٠٠٠ عنوان، وكذلك توجد فيها جميع البيانات لكافة المقالات التي نشرت وتنشر في مجلات كليات «الدراسات الإسلامية» في جامعات تركيا.

المكتبة الإلكترونية

جهَّز المركز فهرسة آلية حسب المواصفات العالمية ويتم تحديثها بانتظام تحت تصرف الباحثين على شبكة الإنترنت، كما يمكن عن طريق قاعدة معلومات المصادر الإلكترونية الموجودة في المكتبة التوصل إلى مصادر مثل، القواعد والكتب والمقالات الإلكترونية.

التوثيق

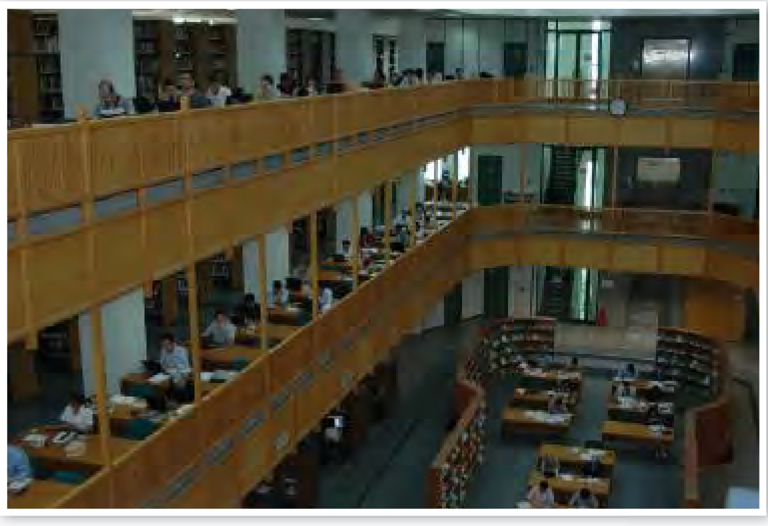
يوجد في وحدة التوثيق بالمركز ١٧٠٠٠ ملف وثائقي يختص بكل مادة من مواد الموسوعة، وقد كونت هذه الملفات بتكشيف ٧٣٨١٠ كتب، و ٤٧٠٠٠ عدد من ١٩٨٨ دورية تتعلق بمواضيع ذات صلة بمواد الموسوعة الإسلامية.

ويتم تحديث الملفات وتزويدها بالوثائق المستجدة بواسطة قيام الوحدة المختصة بتكشيف الكتب والمجلات الجديدة التي تقتنيها المكتبة ووضع المعلومات الجديدة في الملف الخاص بها، فهذه الملفات يستعملها الباحثون ورواد المكتبة وخاصة طلاب الدراسات العليا.

سجلات المحاكم العثمانية

من الخدمات المهمة التي يقدمها مركز البحوث الإسلامية للباحثين مجموعة سجلات المحاكم العثمانية، والتي تقع في (٤٠) مجلدًا ، وهي من إصدارات المركز.

وقد صورت لاستفادة الباحثين سجلات ٢٧ محكمة شرعية، والموجودة في أرشيف دار إفتاء إسطنبول (٩٨٩٥



دفترًا) ودفاتر نقباء الأشراف (٣٣ دفترا) وأختام القضاة (١٣ دفترا)، وصوَّر المركز السجلات الشرعية للمدن التركية الأخرى وعددها (٨٨٦٠ دفترًا) والمحفوظة في المكتبة الوطنية في أنقرة.

وحدة البحث العلمي

يعمل في وحدة البحث بمركز البحوث الإسلامية عشرون باحثا متفرغا قد أكملوا مرحلة الدكتوراه، تقوم هذه الوحدة بالتخطيط للأعمال العلمية تحت إشراف هيئة الباحثين المنتخبة من قبل مجلس إدارة المركز، وتُعِد برامجَ البحث والتطوير العلمي، وعملَ ما تراه لازما في سبيل تطبيق هذه البرامج.

وتعقد وحدة البحث اجتماعات علمية بمختلف صورها، وتقدم محاضرات منتظمة لطلبة الماجستير والدكتوراه، ويقام برنامج الباحث الزائر، وتعد نشرات علمية مختلفة.

الحلقات الدراسية

بدأ الباحثون بمركز البحوث الإسلامية منذ عام ٢٠٠٤م بترتيب حلقات دراسية ربيعية وخريفية تتناول مواضيع متعددة ابتداء من التاريخ الإسلامي وثقافته وانتهاء بالمدارس الفكرية الغربية، ومدة كل حلقة دراسية لا تقل عن ثمانية أسابيع، وهي تهدف إلى تقديم مكتسبات الباحثين العلمية وخبراتهم لطلاب العلم، وإلى تمكينهم من استخدام إمكانات المركز العلمية، وتعتبر هذه الحلقات تكميلًا للبرامج الدراسية لمرحلة الليسانس والدراسات العليا.

النشرات العلمية

يولي مركز البحوث الإسلامية اهتمامًا بنشر الأعمال العلمية المتميزة، وعلى رأسها الرسائل العلمية، لباحثي المركز الذين أكملوا الدكتوراه، كما يقوم المركز بنشر الأوراق والبحوث العلمية المقدمة في المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية التي ينظمها، ويعتبر تحقيق ونشر المخطوطات المهمة من التراث العلمي الإسلامي من بين أولويات مركز البحوث الإسلامية.

الكتب

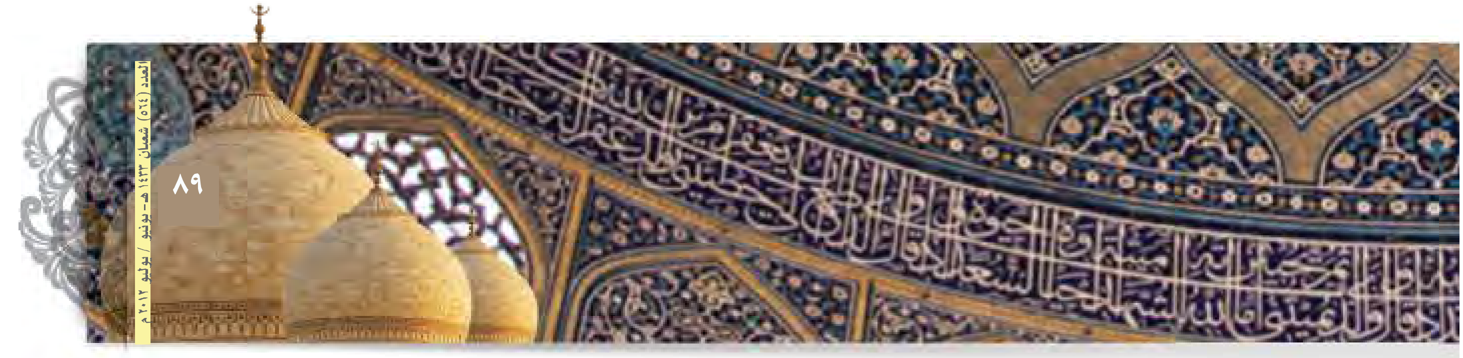
صدر عن مركز البحوث الإسلامية العديد من الكتب والإصدارات العلمية والأكاديمية، منها ما هو باللغة التركية ومنها ما هو بالعربية وغيرها.

ومن أهم اصداراته: كتاب «أحكام السوق» لأبي زكريا يحيى بن عمر الأندلسي (ت: ٢٨٩) رحمه الله، وهو كتاب قيم يتكلم عن ضبط حركة السوق بإشراف الدولة.

وكتاب «الأصل» المعروف بالمبسوط، للإمام العلامة محمد بن الحسن الشيباني.

أما الدراسات العلمية باللغة التركية فمن أشهرها:

١- الجامعة الإسلامية: علاقة مسلمي الهند بالدولة العثمانية وموقف إنجلترا (١٨٧٧-١٩٢٤م)، د.عزمي أورجان، إسطنبول١٩٩٢، ١٩٩٧ م.





٢- الإسلام في إندونيسيا والاستعمار الهولندي، د.إسماعيل حقي كوكصوي، أنقرة ١٩٩٥م.

٣- الصحوة الإسلامية في تركيا (١٩٥٠-١٩٦٠م)، د.شعبان ستم بولوكباشي، أنقرة ١٩٩٥م.

٤- التخصيص في علم أصول الفقه (التفسير الضيق للنصوص)، د.فرحات قوجا، إسطنبول ١٩٩٦م.

٥- العلوية اليوم (دراسة حول فرقة العلويين في تركيا)، د.إلياس أوزوم، إسطنبول ١٩٩٧م.

الدراسات العلمية باللغات الأخرى:

١-دور الأزهر السياسي في عهد السادات (١٩٧٠- ١٩٨١م) د.هلال كوركون، إسطنبول ١٩٨٨ (باللغة الألمانية).

٢- اللغة والتصرف والحكم (دراسة في أصول الفقه الإسلامي)، د.تحسين كوركون، إسطنبول ١٩٨٨، (باللغة الألمانية).

٣- الأديان والبحث عن الحقيقة، د.عدنان أصلان، إسطنبول ٢٠٠٦م.

٤- الأدلة على وجود الله، د.عدنان أصلان، إسطنبول ٢٠٠٦م.

٥- فهرس أوراق الصدر الأعظم، حسين حلمي باشا، إسطنبول ٢٠٠٦م.

التحقيقات:

١- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (ت:٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨م)، تحقيق د.طيار آلتي قولاج، إسطنبول ١٩٩٥م (٤ مجلدات).

٢- أحكام القرآن الكريم، لأبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ /٩٣٣م)، تحقيق سعد الدين أونال، إسطنبول ١٩٩٥م (مجلدان).

٣- لباب الكلام، لعلاء الدين الأسمندي (ت ٥٥٢ هـ/١١٥٧م)، تحقيق أ.م.د.محمد سعي أوزروارلي، إسطنبول ٢٠٠٦.

البحوث المقدمة في الاجتماعات العلمية:

١- الإسلام: التراث والتجديد، الملتقى العلمي الأول بمناسبة المولد النبوي الشريف، ٢٢ -٢٣ أبريل ١٩٩٦م، إسطنبول.

٢- الإسلام والتحديث (المعاصرة) الملتقى العلمي الثاني بمناسبة المولد النبوي الشريف ١٠ -١١ مايو ١٩٩٧م، إسطنبول.

٣- الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر، الملتقى العلمي الثالث بمناسبة المولد النبوي الشريف ٩ -١٠ مايو ١٩٩٨م، إسطنبول.

النشرات الدورية:

فهرسة آلية وفق المواصفات العالمية تُحَدَّث بانتظام

المجلة التركية للدراسات الإسلامية: وهي مجلة محكمة تنشر فيها المقالات العلمية المؤلفة في العلوم الإسلامية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى علوم السياسة والتاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع وتاريخ الأديان والآداب والثقافة، والتي تسهم بإضافات أصيلة ومبدعة في الفكر والثقافة الإسلامية، كما تنشر بها تعريفات بالكتب وتقييمات الاجتماعات والندوات العلمية، وقد بدأ صدورها عام ١٩٩٧م فأصبحت منذ عام ٢٠٠١ مجلة نصف سنوية، تقبل للنشر فيها بالإضافة إلى اللغة التركية المقالات المكتوبة بالعربية والفارسية والإنجليزية والفرنسية والألمانية.

وكانت مجلة الوعي الإسلامي حاضرة في هذه المؤسسة العلمية، حيث التقى رئيس تحريرها فيصل يوسف العلي بالسيد رئيس المركز د.محمد عاكف ونائب رئيس المركز الدكتور طونجاي باشا أوغلو فيها بتاريخ ٢٠١٢/٥/١٠م وسمع منه شرحًا مفصل عن المؤسسة بمختلف أقسامها، وعرض لكيفية التعاون العلمي والثقافي بين مجلة الوعي الإسلامي ومؤسسة إيسام مما يقوي الروابط الثقافية بين الطرفين.

نشرة مركز البحوث الإسلامية

تقدم في نشرة مركز البحوث الإسلامية الأخبار والتطورات حول أنشطة المكتبة والموسوعة ووحدة البحث العلمي وإصدارات المركز. فهي تصدر كل ثلاثة أشهر باللغة التركية ويصدر منها عددان سنويا بالإنجليزية.

كما تصدر نشرة «المجلات الواصلة حديثا ومحتوياتها» كل أربعة أشهر وتحتوي على فهارس الأعداد الأخيرة من الدوريات التي تتابعها مكتبة مركز البحوث الإسلامية بانتظام. وتصور هذه النشرة وترسل نسخ منها إلى جميع كليات «الدراسات الإسلامية» والآداب في جامعات تركيا.

الخاتمة:

ومما سبق ذكره يتضح لنا الدور الريادي الكبير الذي يقوم به مركز البحوث الإسلامية من خلال هذه الإعدادات والتجهيزات والطاقات، ولاسيما أن المركز جمع بين عراقة الماضي وحداثة الحاضر لخدمة هذا الدين الحنيف، فهو بحق منارة إسلامية رائدة يُحتذى بها.

فلذات أكبادنا والأمراض الجلدية!

د.عبدالرحمن النمر-طبيب مصري

الأطفال أكثر عرضة من الكبار للإصابة بأمراض الجلد، خاصة أمراض الجلد المُعدية، وسبب ذلك أن أكثر لعب الأطفال مع بعضهم البعض يدخل فيه الاحتكاك والتلامس بصورة عفوية، مما يسهل انتقال العدوى من طفل إلى آخر. كما أن الطفل أقل قدرة من الإنسان البالغ على العناية بنفسه والاهتمام بنظافته الشخصية، مما يجعله عرضة للإصابات المرضية عموما وإصابات الجلد خصوصا.

ونظرا لشيوع الإصابات الجلدية عند الأطفال، وبسبب أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به الوالدان لوقاية الطفل من المرض، خصوصا فيما يتعلق بالنظافة، نفرد السطور التالية لبيان أكثر أمراض الجلد شيوعا عند الأطفال.. وكيفية الوقاية منها.

الحَصَف

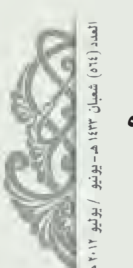
من أكثر أمراض الجلد شيوعًا بين الأطفال المرض المسمى «الحَصَف» (بفتح الحاء والصاد) Impetigo، وينتشر هذا المرض بصفة خاصة في الأسر الكبيرة العدد التي ينخفض فيها مستوى الاهتمام بالنظافة الشخصية، كما ينتشر المرض في المجتمعات الفقيرة التي لا يتوفر فيها ما يعين على النظافة، وكذا في الأماكن التي تكثر فيها الحشرات، خصوصا الذباب، الذي ينقل العدوى من طفل إلى آخر.

ينشأ الحصف نتيجة إصابة الجلد بنوع من البكتيريا المسببة للمرض تسمى «البكتيريا المكوّرة»، وعادة توجد البكتيريا المكورة في الطبيعة في تجمعات قد تكون عنقودية الشكل (مثل عنقود العنب) فتسمى «المكوّرات العنقودية» Staphylococci، وقد تكون متراصة بجوار بعضها على هيئة حبات المسبحة فتسمى «المُكوّرات السَبْحيّة» «Streptococci».

تـؤديَ إصابة الجلد بهذه البكتيريا إلى تكوُّن بثور (دمامل صغيرة) تتهرأ (تنفجر) بسهولة، فيسيل منها صديد (قيح) يحتوي على خلايا دم بيضاء ميتة وعلى بكتيريا، ويؤدي سَيَلان القيح على الجلد إلى إصابة مناطق جديدة منه تنشأ فيها بثور جديدة، وتتكرر هذه العملية بسرعة بحيث يمكن في أيام قليلة أن تصير منطقة بأكملها من مناطق الجلد مغطاة بالبثور.

تكثر البثور على المناطق المكشوفة من الجسم التي يمكن أن يحط عليها الذباب، أو التي يمكن أن تكتسب عدوى من ملامسة طفل مصاب.. هذه المناطق هي الوجه واليدان بصفة خاصة، إلا أن أي مكان في جلد الجسم يمكن أن يصاب بالحصف.

عندما تتهرأ البثور، تتكون عليها قشرة صفراء أو ذهبية اللون تكون ملتصقة بوسط أو مركز البثرة، وتكون مرتفعة عن الجلد عند الأطراف. وبسبب طبيعة المرض فهناك ميل لانتشار البثور واحدة بجوار الأخرى، بحيث تبدو المنطقة المصابة من الجلد وكأنها مغطاة ببثرة



واحدة كبيرة، عليها القشرة الصفراء المميزة.
يميل الأطفال المصابون بالحصف إلى نزع قشور البثور، ويؤدي العبث بالأصابع في البثور إلى نقل العدوى إلى مناطق جديدة من الجلد، كما أن نزع القشرة يؤدي إلى حدوث نزيف دموي بسيط من البثرة، وعندما تتكون جلطة دموية يتغير لون القشرة إلى لون مائل إلى البني، ويؤدي تكرار نزع القشور إلى حدوث عدوى من جديد في البثور ذاتها، وإلى تكوين ندبة في الجلد عند التئام تلك البثور بعد أسابيع عدة.

لدغ الحشرات
لا تكثر الحشرات إلا حيث ينخفض مستوى نظافة البيئة، وتبعا لذلك فإن أمراض الجلد الناشئة عن لدغ الحشرات لا تُرى إلا في أماكن ومجتمعات لا تولي نظافة البيئة اهتماما يُذكر.
في مقدمة الحشرات التي تلدغ الإنسان لدغا مؤذيا البراغيث والبعوض، وفضلا عن أن هاتين الحشرتين تنقلان أمراضا خطيرة إلى الإنسان، إذ تنقل البراغيث حمى التيفوس بينما ينقل البعوض الملاريا بأنواعها المختلفة، فإن لدغ هاتين الحشرتين يؤدي إلى تهيج الجلد في موضع اللدغ، وحدوث نوع من تفاعلات الحساسية في ذلك الموضع.
وليست الرغبة الشديدة في حَك (أو دَعْك أو فَرْك) موضع اللدغ إلا وجها واحدا من وجوه تفاعل الحساسية، وقد يؤدي حك الجلد بشدة إلى تقرُّحه، وبالتالي تسهيل إصابته بالميكروبات المتعددة، وقد يكون تفاعل الحساسية شديدا بحيث يؤدي إلى التهاب الجلد ونشأة بثور حول موضع اللدغ.
الجَرَب كذلك من أمراض الجلد الناشئة عن الحشرات، بيد أن الفارق في هذه الحالة هو أن حشرة الجرب تسكن تحت جلد المصاب، خصوصا في الثنيات بين الأصابع، وتؤدي حركتها تحت الجلد أثناء الليل (عندما تسكن حركة المريض ويصير جسمه دافئا تحت الغطاء) إلى تهيج الجلد، وإثارة رغبة شديدة عند المريض في حكّ الأماكن التي تتحرك فيها الحشرة، وتكثر الإصابة بالجَرَب في غياب النظافة الشخصية بوجه خاص، ونظافة البيئة بوجه عام.
ومما يجب الالتفات إليه أن الحيوانات الأليفة التي يتخذها بعض الناس في بيوتهم، مثل القطط والكلاب، قد تكون مصدرا لحشرات مؤذية مثل البراغيث والعُثّة، ولأن الأطفال يولعون باللعب مع الحيوانات الأليفة في بيوتهم، فلا عجب أن تكون الحيوانات من أسباب ابتلاء الأطفال بأمراض الجلد.

التهاب الجلد الزَّهَمي
هذا واحد من أمراض الجلد الشائعة في العام الأول من العمر وفي فترة المراهقة، ومن غير المعروف سبب هذا المرض، وإن كان يعتقد أن أحد فطريات الخميرة قد يكون مسؤولا عن ذلك.
«التهاب الجلد الزَّهمى» (بفتح الزاي المشددة والهاء) Seborrhoeic dermatitis، يصيب فروة الرأس وثنيات المفاصل، حيث يؤدي إلى ظهور بقع جلدية حمراء اللون مغطاة بقشور، وهذه القشور ليست إلا إفرازات دهنية جافة، (كلمة زَهَم معناها دهن)، ولا يحتاج علاج هذه الحالة إلى أكثر من تنظيف الجلد بمادة مطهرة، ثم دهنه بمرهم مضاد للالتهاب.

طفح الحفاض
من أمراض الجلد الشائعة عند المواليد والأطفال صغار السن، التهاب الجلد حول مناطق الإخراج، وهو ما يسمى «طفح الحفاض» Nappy Rash، (الحفاض بكسر الحاء هو اللفافة التي تغطي عورة الصغير ومقعدته).
سبب حدوث طفح الحفاض هو تهيج نسيج الجلد بالمواد الكيميائية المختلفة في إخراج الوليد (البول والغائط)، إذ تهمل بعض الأمهات نزع ملابس الصغير وتغييرها فور قضاء حاجته. كما تقتصد أمهات أخريات في استعمال الحفاض الجاهز الذي يجب التخلص منه بمجرد أن يقضي الطفل حاجته، فيترك الحفاض بما فيه من إخراج وقتا طويلا على جسم الطفل، وهذا اقتصاد في غير موضعه، إذ قد تبلغ نفقة علاج طفح الحفاض عشرات أضعاف ثمن الحفاض الجاهز الذي يُراد الاقتصاد في استعماله!

الثآليل
الثآليل (جمع ثُؤْلول) Warts، وهي أورام جلدية صغيرة تظهر على أصابع اليدين والقدمين غالبا، وقد تظهر على أماكن أخرى من جلد الجسم، وتعرف هذه الأورام عند عامة الناس باسم «السِّنْط»، وتنتج عن إصابة الجلد بفيروس من عائلة الفيروسات المسببة للأورام الصغيرة (Papilloma Virus).
عادة تختفي الثآليل تلقائيا بعد شهور عدة من ظهورها، إلا أن منظرها غير السار على الوجه أو على أصابع اليدين قد يدفع المريض إلى طلب العلاج في وقت مبكر، كما أن بعض الثآليل التي تنشأ على باطن القدم تكون مؤلمة أثناء المشي، الأمر الذي يتطلب علاجا مبكرا.

أورام الجلد المعدية
هذه أورام صغيرة شبيهة بحلمة الثدي تنشأ عن إصابة الجلد بفيروس، وكما توضح التسمية، فإنها أورام مُعْدية.
أورام الجلد المُعْدية Molluscum Contagiosum تصيب الأطفال- وكذا البالغين- الذين تنخفض مقاومة أجسامهم للعدوى بسبب سوء التغذية، أو الإصابة بمرض مزمن مثل الدرن (السل الرئوي)، أو مرض عضال مثل السرطان، أو نتيجة تعاطي العقاقير الكابحة لجهاز المناعة، وتكون الأورام ناتئة (بارزة) وردية اللون، في مركزها (وسطها) انغماد يجعلها شبيهة بالسرة، ولكن في حجم أصغر، وتكون هذه الأورام رخوة وعادة ما تذوي بالضغط عليها.
إن أمراض الجلد التي ذكرنا آنفا لا تجمع كل أمراض الجلد التي تصيب الأطفال، ولكنها الأكثر شيوعًا وانتشارًا من بين سائر ما يصيب جلد الأطفال من أمراض.. والقاسم المشترك بين أمراض الجلد الشائعة عند الأطفال أنه يمكن الوقاية منها جميعا، وتتلخص التدابير الوقائية في كلمة واحدة.. هي النظافة.
بطبيعة الحال لا يستطيع طفل صغير أن يقوم على نظافة نفسه، لهذا فمن واجب الوالدين أن يقوما بهذا الدور .

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

بيع جهاز كمبيوتر مبرمج عليه بعض ما يناقض العقيدة الإسلامية

(١٤/ ١٥٥/ ٤٣٨٩)

عرض على «لجنة الفتوى» بقطاع الإفتاء في الكويت الاستفتاء التّالي: جهاز كمبيوتر متخصص بالترجمة فعند إدخال كلمة «Father» التي هي بمعنى أب يترجمها إلى «الله»، ولعل هناك بعض الكلمات الأخرى التي تتنافى مع عقيدتنا الإسلامية، والسؤال هو:

ما حكم بيع وشراء هذا الجهاز؟ وإذا استطاع صاحب الشركة إلغاء هذه الكلمات وتبديل معناها هل يجب عليه ذلك؟ وإذا كان الجواب بالجواز مع عدم استطاعته تبديل هذه الكلمات، هل يجب عليه توضيح الخطأ العقائدي أو غيره للمشتري؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

أ- لا يجوز بيع وشراء هذا الجهاز مادام فيه هذا العيب المؤثر في عقيدة المسلمين، وذلك دفعًا للّبس الذي قد يحصل من ورائه للمستعمل.

ب - إذا استطاع البائع تعديل هذا الخطأ وأجرى عليه التعديل والتصحيح المطلوب؛ فإن بيعه وتداوله يصبح جائزًا شرعًا.

جـ - إذا عجز البائع عن تصحيح هذا الخطأ: فلا يجوز بيعه مطلقًا، والله أعلم.

حكم إجراء عمليات التّعاقد الإلكتروني

(١٧/ ١٤٦/ ٥٣١٠)

عرض على «لجنة الفتوى» بقطاع الإفتاء في الكويت الاستفتاء التالي: من الواضح أن هناك حاجة ملحة لخلق إطار متين من الثقة، من شأنه أن يوفر الاطمئنان لكل من يتعامل من خلال وسائل الاتصالات الإلكترونية الحديثة، وعلى رأسها الإنترنت، ليبيع ويشتري، وليطلب الخدمات لنفسه أو ليوفرها لغيره.

لذا: نريد التكييف الشرعي لهذه المعاملات، وبالأخص التعاقد الإلكتروني، فهي إما أن تتم للتزود بالمعلومات من خلال عقد، أو أن تتم لنقل ملكية الأموال والمنافع، أو لتوفير الخدمات.

فأجابت اللجنة بما يلي:

التعاقد عن طريق (الإنترنت، أو الفاكس، أو التلكس) أو غير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة، هو نوع من التعاقد بالكتابة إن كان بشيء مسجل مكتوب، أو من التعاقد بالمشافهة إن كان بصوت مسموع، وهو صحيح بالكتابة إذا استوفى شروطه الشرعية وتم فيه التحقق من شخصية المرسل والمرسل إليه، وكانت الوسيلة توحي بالجديّة (على الوجه المتعارف عليه)، وهو صحيح بالمشافهة بالصوت أيضًا، إذا تم التحقق من شخصية كل من المتعاقدين، وكان بصوت مسموع، ولغة مفهومة من كل منهما، واتحاد المجلس في هذه الحال الاعتبار فيه بمجلس القبول، كما في التعاقد بالمراسلة. والله أعلم.

توحيد الأذان بجهاز تحكّم آلي

(٣/ ٤٧/ ٧٠٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بقطاع الإفتاء في الكويت الاستفتاء التالي: نتيجة للتطورات الحديثة للأجهزة الإلكترونية خاصة في مجال الحاسب الآلي، وتعدد التطبيقات العلمية لها فقد أصبح بالإمكان تسجيل الأصوات إلكترونيًا في ذاكرة الحاسب الآلي عن طريق دوائر إدخال خاصة، ومن ثمّ بتصميم نظام متكامل يقوم بتسجيل الأذان إلكترونيًا وتخزينه في ملفات إلكترونية خاصة بالنظام، ثم اختيار الأذان المطلوب وبثه إذاعيًا حسب أوقات الصلاة، نرجو إفادتنا عن رأي اللجنة الموقرة في ذلك.

وبعد التداول أقرت اللجنة الإجابة كما يلي:

إن فكرة تسجيل أنواع وأصوات من الأذان إلكترونيًا، وتخزينها في ملفات إلكترونية خاصة، ثم اختيار الأذان المطلوب، وبثه إذاعيًا حسب أوقات الصلاة بواسطة أجهزة ترتبط مع شبكة المكبرات والموزعات الصوتية الموجودة داخل المساجد، لابد أن تستهوي كل قارئ وسامع، لاشتمالها على توحيد الأذان في البلد، وتخيّر الأصوات الندية للتأذين، وتحديد أوقات الأذان بواسطة جهاز الحاسب الإلكتروني الذي يقوم بضبطها بدقة.

لكن هناك سلبيات ومحاذير تقابل هذه المحسنات، وتقلل من شأنها، منها:

أولًا: إن المطلوب في الشّرع هو إنشاء الأذان والقيام بعملية التأذين فعلًا، وهذا البث الإلكتروني إنّما هو صدى للتأذين، وليس هو الأذان الفعلي المطلوب في الشرع.

ثانيًا: إن الأذان سنة للصلاة وشعيرة من شعائر الدين تتقدم الصلاة فعلًا، ويؤذن للصلاة نفسها بعض المصلين أنفسهم، ولهذا يأثم أهل المنطقة بذلك، ويرتكبون الكراهة بسبب ترك سنة الهدى التي أشار إليها الإمام أبوحنيفة بقوله: «لو اجتمع أهل بلدة على تركه قاتلتهم، ولو تركه واحد ضربته وحبسته».

ثالثًا: إن هذا الأسلوب المقترح للأذان-



لو سلمنا بشرعيته- يحصر فضله في مؤذن واحد، بل قد يفقد المؤذن مطلقًا إذا كان تشغيل الجهاز أتوماتيكيًا كاملًا، ويَحْرِم كثيرًا من المؤذنين من فضل الأذان العظيم، وقد صرحت به أحاديث وآثار كثيرة نذكر منها حديث: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» (رواه البخاري).

ومن أجل ذلك كله ترى اللجنة عدم شرعية استخدام هذا النظام المقترح للتأذين الموحد واستمرار العمل على ما توارثته الأمة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

نسخ الأشرطة والأسطوانات محفوظة الحقوق

(١٣/ ١٨٧-١٨٨)

- عرض على «اللجنة الدائمة» في المملكة العربية السعودية السؤال التالي:

هل يجوز أن أسجل شريطًا من الأشرطة وأبيعه، دون طلب الإذن من صاحبه بذلك، أو إن لم يكن صاحبه على قيد الحياة من الدار الخاصة به؟ وهل يجوز أن أصور كتابًا من الكتب وأجمع منه عددًا كبيرًا وأبيعه؟ وهل يجوز كذلك أن أصور كتابًا من الكتب ولكن لا أبيعه، وإنّما أحتفظ به لنفسي، وهذه الكتب التي تحمل علامة (حقوق الطبع محفوظة) هل أطلب الإذن أم لا؟

فأجابت اللجنة: لا مانع من تسجيل الأشرطة النافعة وبيعها، وتصوير الكتب وبيعها، لما في ذلك من الإعانة على نشر العلم إلا إذا كان أصحابها يمنعون من ذلك، فلابد من إذنهم.

- وسئلت «اللجنة» أيضًا: أعمل في مجال الحاسب الآلي، ومنذ أن بدأت العمل في هذا المجال أقوم بنسخ البرامج للعمل عليها، ويتم ذلك دون أن أشتري النسخ الأصلية لهذه البرامج، علما بأنه توجد على هذه البرامج عبارات تحذيرية من النسخ، مؤداها أن حقوق النسخ محفوظة، تشبه عبارة «حقوق الطبع محفوظة» الموجودة على بعض الكتب، وقد يكون صاحب البرنامج مسلمًا أو كافرًا. وسؤالي هو: هل يجوز النسخ بهذه الطريقة أم لا؟

فأجابت «اللجنة»: لا يجوز نسخ البرامج التي يمنع أصحابها نسخها إلا بإذنهم، لقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ»، ولقوله ﷺ: «من سبق إلى مباح فهو أحق به»، سواء كان صاحب هذه البرامج مسلمًا أو كافرًا غيرَ حربيّ، لأنّ حقّ الكافر غير الحربي محترم كحق المسلم.

حكم الاستثمار والتجارة في مقاهي الإنترنت

(٢/ ٢٨٤)

- عرض على «اللجنة الدائمة» في المملكة العربية السعودية السؤال التالي:

مما يدور عنه الحديث الآن مقاهي الإنترنت التي انتشرت في الآونة الأخيرة، وبأعداد كبيرة.. ما حكم الاستثمار والتجارة في هذه المقاهي مع وجود بعض المضار والمحرمات؟

فأجابت اللجنة:

إذا كان هذه الأجهزة يتم لمستخدمها التوصل إلى أمور منكرة باطلة، تضر بالعقيدة الإسلامية أو يتم من خلالها الاطلاع على الصور الفاتنة والأفلام الماجنة، والأخبار الساقطة، أو حصول المحادثات المريبة، أو الألعاب المحرمة، ولا يمكن لصاحب المحل أن يمنع هذه المنكرات، ولا أن يضبط تلك الأجهزة، فإنه- والحال ما ذكر- يحرم الاتّجار بها، لأنّ ذلك من الإعانة على الإثم والمحرمات، والله جل وعلا قال في كتابه العزيز: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢). وبالله التوفيق.

قرار «مجمَع الفقه الإسلاميّ» التابع لـ«منظمة المؤتمر الإسلاميّ» مجلة المجمع (ع ٥، ج ٣، ص ٢٢٦٧).

بشأن الحقوق المعنوية

إنّ مجلس «مجمع الفقه الإسلامي» المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من (١- ٦) جمادى الأولى ١٤٠٩هـ، الموافق (١٠- ١٥) كانون الأول (ديسمبر): ١٩٨٨م، بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع الحقوق المعنوية، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرّر ما يلي:

أولًا: الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية، والتأليف والاختراع أو الابتكار، هي حقوق خاصة لأصحابها، أصبح لها في العُرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتموّل الناس لها، وهذه الحقوق يعتد بها شرعًا، فلا يجوز الاعتداء عليها.

ثانيًا: يجوز التصرف في الاسم التجاري، أو العنوان التجاري، أو العلامة التجارية، ونقل أي منها بعِوَض مالي، إذا انتفى الغرر والتدليس والغش، باعتبار أن ذلك أصبح حقًا ماليًا.

ثالثًا: حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا، ولأصحابها حقُّ التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها. والله أعلم.

النسيان يتغشى الألفية

قال محمد هو ابن مالك
أحمد ربي الله خير مالك
مصليًا على النبي المصطفى
وآله المستكملين الشرفا
وأستعين الله في ألفية
مقاصد النحو بها محوية

تلك كانت الأبيات التي ابتدأ بها ابن مالك عمله القيم الذي توارثته الأجيال من بعده جيلًا بعد جيل، وسيظل مادامت لغة الضاد باقية، جامعًا شاملًا شوارد وأوابد علمي النحو والصرف، وقد أسماه «الخلاصة»، ثم اشتهر بعد ذلك بـ «الألفية».

وأستعين الله في ألفية
مقاصد النحو بها محوية

صاغ ابن مالك ألفيته الرائعة، في أرجوزة لطيفة، أي صاغها على أحد بحور الشعر وهو «الرجز» الذي يتكون من «مستفعلن» مكررة ست مرات في كل شطر ثلاث تفعيلات:

مُستفعلن مُستفعلن مُستفعلن
مُستفعلن مُستفعلن مُستفعلن

وابن مالك، هو إمام النحويين.. أبوعبدالله جمال الدين محمد بن مالك، المولود بـ «حيان» سنة ستمائة من الهجرة، والمتوفى بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة من الهجرة.

وانفردت هذه الألفية باهتمام الكثيرين من علماء اللغة وقاصديها دون غيرها من مؤلفات ابن مالك، ولأهميتها- في زمن كان يعنى باللغة العناية الفائقة- قصد كثيرون شرحها كل حسب استيعابه ومذهبه.

وقد يتساءل البعض: لماذا عمد الكثيرون إلى شرح ابن عقيل للألفية؟

أقول: – وهذا رجحة الأستاذ الدكتور زين الخويسكي- لما يتميز شرحه من عدم العمد إلى الإيجاز، كما لم يقصد إلى الإطناب، فقد جمع بين هذا وذاك، فضلًا عن بيانه لجميع مذاهب العلماء ووجوه استدلالهم، والسؤال هنا لماذا يتغشى النسيان الألفية؟

السيد مسعد

المحرر

جزاكم الله خيرًا، بالفعل كثيرون من طلبة العلم لا يلتفتون إلى أهمية الألفية بشروحها المتعددة على الرغم من أهميتها.. نشكر لكم لفت الانتباه، لعل المعلمين يلفتون نظر طلابهم إليها ولعل الطلاب أنفسهم يستعينون بها ولو لم تكن مقررة عليهم.

ونعتذر لاختصار ما أرسلتموه بسبب المساحة المقررة للنشر.

الرؤى مبشرات ومنذرات

جاء في الحديث الشريف أن الرؤية الصالحة جزء من ست وأربعين جزءًا من النبوة، وفي الحديث الآخر لم يبق من النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤية الصالحة يراها الرجل أو ترى له، ولهذا كان اهتمام الإسلام بالرؤى الصالحة اهتمامًا كبيرًا، فقد كان رسول الله ﷺ يجلس بعد صلاة الفجر مع أصحابه فيطلب منهم أن يقصوا رؤاهم عليه ليفسرها لهم فهي إما مبشرة لهم بخير اقترب أو تنذرهم مكروهًا قد يقع، فإذا نظرنا في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وما تدل عليه من المعاني والعبر التي تخص الرؤى ومتعلقاتها وجدنا أن أكثر الخلق قد غفل أو تغافل عن هذه النصوص الشريفة والمعاني النبيلة، فلا يعتبر برؤية تبشره بنعيم يسره، أو لرؤية تحذره من عدو يتربص به أو مكروه يحوم حوله فساوى بجهله بين الرؤى والأحلام.

فكم من خير لم ندركه وكم من شر لم نحذره، بسبب جهلنا بعلم تفسير الرؤى والأحلام.

عقيل حامد

المحرر

وكم من فروع نجهلها، وكم من أصول لا نتعمق فيها.

نشكر مساهمتكم القيمة

ميزان العدل

السيد رئيس تحرير «الوعي الإسلامي»
تحية طيبة.. وبعد

في افتتاحيتكم عن ميزان العدل ودعوتكم للإنصاف وعدم تضخيم مسائل الخلاف، وتحذيركم من آفة الانحراف.. ألا وهو الحسد.. وعدم تصيد الأخطاء، دعوة طيبة وكريمة.

إن الحياة تشبه نهرًا عظيمًا.. نتصور في ذلك النهر زورقين في كل منهما ملاح، أحدهما مزود بالمجاديف والدفة، في حين أن الآخر خال من الأدوات، الزورق الأول يوجهه صاحبه توجيهًا سديدًا، فيصِل إلى مصب النهر في أقل وقت وبأقل مجهود.

أما الآخر فيتقدم ببطء على حساب محركات التيار والريح، فيظل يتأرجح من هذا الجانب إلى ذاك، فلا يصل إلا في أطول وقت وبأكبر مجهود.

وأدوات الزورق الأول، لا تزيد عن الحكمة والتحلي بالصبر، والتخلي عن الشدائد والعصبية.

تحياتي لقلمك الذي يقطر شهدا، ولكلماتك التي يرفرف عليها طير محبتكم، وتسير في بهو الروح.

محمد محمود غدية

المحرر

نشكر لكم حسن الاستقبال وجميل النصح ودقة التشبيه، بارك الله فيكم ووفقنا إلى طاعته والعمل بهدي نبيه ﷺ.



زبد البحر

سبحانك ربي لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
فمن أسباب غفران ذنوبك التي كزبد البحر
مصافحتك لأخيك المسلم.
قال رسول الله ﷺ: «إن المسلم إذا لقي أخاه فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر».
(منقول)

المقاتل الكفيف

كان مشهدًا غريبًا على كل المسلمين الذين كتب الله لهم أن يشاركوا في معركة القادسية، الصحابي الجليل عبدالله بن أم مكتوم يتجه إلى سعد بن أبي وقاص قائد جيش الإسلام ويطلب منه أن يجعله حاملا للراية، دهش الحضور من طلب عبدالله بن أم مكتوم كفيف البصر والذي تكفيه مكانته في الإسلام وصحبته للرسول ﷺ وسنه الكبير قبل إعاقته من خوض مثل تلك المعارك الضارية، حاول الجميع أن يقنعوا ابن أم مكتوم بشتى الطرق والوسائل ليعدل عن هذا الطلب الغريب لأنه من المحتم أن يلقى حتفه إن هم وافقوا على طلبه، وبينما هم كذلك يحاولون إقناعه باستحالة ذلك إذا بالصحابي الجليل أضاء الله قلبه بنور الإيمان يصيح فيهم قائلا: «ادفعوا إلي الراية فإنني أعمى لا أستطيع أن أفر ولن أخاف كثرتهم»، ولم يجد المسلمون وعلى رأسهم القائد القدير سعد بن أبي وقاص سوى أن يجيبوا عبدالله بن أم مكتوم إلى طلبه فأعطوه الراية وقاده أحدهم إلى مكان متقدم بين الصفوف، ثم كانت المعركة وإذا بعبدالله يصول بين الصفوف يحمس المسلمين ويذكرهم بوعد النبي ﷺ لهم بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة وكان المسلمون يسمعون صيحات عبدالله بن أم مكتوم فيهم فيشتعلون حماسة ويتقدمون قوة وفدائية، ولم يكد ينتهي اليوم حتى كان المسلمون قد هزموا الفرس شر هزيمة، إنه نموذج للرجل الذي لا يعرف حدًا للطموح أو القوة أو المغامرة.
لقد ولد عبدالله بن أم مكتوم بمكة كفيفًا ولكنه كان شجاعًا شديد البأس، فقد كان أولى بمثل من هم في ظروفه ألا يغامر بالانضمام لقوة ربما تخسر فيطير مع تلك الخسارة عنقه من فوق كتفيه لكن الإيمان الذي ملأ قلبه أمده بالشجاعة.
وقد عظمت مكانة ابن أم مكتوم عن النبي ﷺ، فعندما كان ﷺ يخرج في غزواته كان يستخلف على المدينة هذا الصحابي الكفيف، وتذكر كتب السنة والسيرة أن ابن أم مكتوم استخلف على المدينة ١٣ مرة واستخلف عليها عندما قام النبي ﷺ بحجة الوداع وهذا درس عظيم نستخلص منه أن الكفيف إذا أعطي فرصة العلم والعمل يستطيع أن ينهض بتبعات جسام لا يزال البعض يتصورون أنه عاجز عن القيام بها.

نعيم السلاموني

المحرر: أصبتم، إنها عظمة الإسلام وحسن فهم المسلمين لغاية الدنيا ودورهم فيها وفق إمكاناتهم.

توبوا إلى الله

الموقف الحالي الذي تمر به كثير من دولنا العربية يقتضي الاعتراف والتوبة الصادقة إلى الله وخصوصا من بعض من ضبطوا بجرمهم وأدينوا بعملهم وهم لابد ملاقون ربهم.
ولكن للأسف فلقد أصروا واستكبروا استكبارًا، وعصوا ربهم ليلاً ونهارًا، وراحوا يكذبون ويراوغون ويظهرون طغيانهم عنادًا وتبجحًا، هؤلاء أياديهم ملطخة بالدماء وكروشهم مليئة بالثروات الحرام وأجسادهم ممزوجة بالعشق والهيام.
والتوبة الصادقة تقتضي رد المظالم وطلب الصفح من الأقوام واستجابة للرب العلام ﴿توبوا إلى الله﴾.
فكيف الحال بمن لم يتب من الأصل واستمر في غي العمل والفعل والقول؟
أرى وجوهًا عن التوبة قد أعرضت وعن الآيات نأت وتظن أنها بمكرها نجت وبكذبها خلت ولكن هيهات هيهات فإن ربك لبالمرصاد وهو أهلك قوم ثمود وعاد، فما قيمة هؤلاء اليوم مهما عاشوا من فساد وورعوا العباد وأترعوا من حرام الزاد وشيبوا البنين والأولاد.

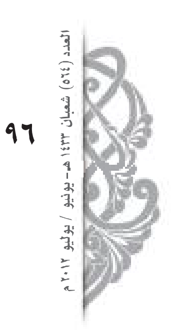
عبدالله الحسين محمد

المحرر

بارك الله فيكم، ونفع بكم الأمة وجعل دعوتكم للتوبة قبل فوات الأوان، من نصيب كل مدان.

ردود سريعة

- الدكتور يحيى سنبل من الدقهلية- مصر.. نشكر مساهمتكم بموضوع الشيزوفرنيا.. المرض الذي يعاني منه الملايين.
- الأستاذة أسماء رضا إبراهيم عبدالله.. مآثر الإمام علي التي أرسلت قبسًا منها تعين بالفعل على التواضع، بارك الله فيك.
- الأستاذ علي إبراهيم كشك.. قيمة الإمام البخاري لا خلاف عليها ولقد لخصت ببراعة ما قيل عن مولده وورعه وفضله وعبادته.. فلك الشكر على المساهمة.
- لم يتسع المقام لذكر جميع الكتاب الذين ساهموا باقتراحاتهم وإضاءاتهم لذا وجب الشكر والتنويه.



من غرر الحكم

بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

- ابن السيد البطليوسي: إن اختلاف الناس في الحق لا يوجب اختلاف الحق في نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه، والحق في نفسه واحد.
- أن تشق طريقك بابتسامة خير لك من أن تشقه بسيفك.
- ابن عطاء الله السكندري: الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها(١). أي أن أي عمل لا إخلاص فيه مثل الجسد الميت الذي لا روح فيه.
- العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر.. يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه(٢).
- إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك برتبة في كل مجلس ومقام ورأي فافعل، فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك، وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمهم من أمرك ما لم تعظم، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزين.. هو الجمال (٣).
- أكثم بن صيفي: من أصاب حظًا من دنياه فأصاره ذلك إلى كبر وترفع، فقد أعلَم أنه نال فوق ما يستحق، ومن تواضع وغادر الكبر فقد أعلَم أنه نال دون ما يستحق(٤).
- العالِم يعرف الجاهل لأنه كان مرة جاهلًا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن مرة عالمًا(٥).
- الرافعي: لا تكون امرأة معشوقة رجل إلا وهو يراها وحدها النساء جميعًا، ولا يكون رجل معشوق امرأة إلا وهي تراه وحده كل الرجال، فالحب وحدانية لا تقبل الشرك، ومن ها هنا يتأله(٦).
- لا ينبغي للحكيم أن يخاطب الجاهل، كما لا ينبغي للصاحي أن يخاطب السكران(٧).
- إذا لم يساعد الجدّ(٨) فالحركة خذلان(٩).
- إن العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن، فإنما مثل الحقد في القلب، إذا لم يجد محركا، مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا، فليس ينفك الحقد متطلعًا إلى العلل، كما تبتغي النار الحطب، فإذا وجد علة استعر استعار النار، فلا يطفئه حسن كلام، ولا لين، ولا رفق، ولا خضوع، ولا تضرع، ولا مصانعة، ولا شيء دون تلف الأنفس(١٠).
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الحق لو جاء محضًا لما اختلف فيه ذو الحجى، وإن الباطل لو جاء محضا لما اختلف فيه ذو حجى، ولكن أُخذ ضغث(١١) من هذا وضغث من هذا(١٢).
- نصحك من أسخطك بالحق، وغشك من أرضاك بالباطل(١٣).
- أرسطاطاليس: كما أن البهيمة لا تحس من الذهب والفضة والجوهر إلا بثقلها فقط، ولا تحس بنفاستها، كذلك الناقص.. لا يحس من الحكمة إلا بثقل التعب عليه منها، ولا يحس نفاستها(١٤).
- من أكثر من وعي الحكمة أوشك أن ينطق بها(١٥).
- الحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة(١٦).
- ابن عطاء الله السكندري: لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبًا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد(١٧).
- حلمك عن السفيه يكثر أنصارك عليه(١٨).
- لا تخف من الخطأ.. ولكن خف من الاستمرار فيه.
- اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل للنار بقدر صبرك عليها.
- محمود محمد شاكر: إن بعض القسوة في الحياة يكون كتشذيب الشجر في إبانه، يقطع منه ليزداد قوة على إثبات وجوده، وتقرير حقه في البقاء ناميًا فينان يسمو وينتشر، ويخضر ويثمر(١٩).
- ابن عطاء الله السكندري: إنما

جعلها محلًا للأغيار ومعدنًا للأكدار تزهيدًا لك فيها(٢٠). أي: جعل الله تعالى الدنيا مكانًا للأمراض والأسقام والمنغصات الكثيرة؛ لكي يزهد فيها العبد ولا يتشبث بها.

– من عتب على الدهر طال عتبه.

– ليس شيء أحق بطول سجن من لسان.

– المرء مخبوء تحت لسانه.

– محمود محمد شاكر: إن الباطل المشرق أضرى وأفتك بالبشر من صنوه وأخيه المظلم.. للباطل المظلم ردة، كردة الوجه القبيح(٢١) يزوي لها الناظر ما بين عينيه، أما الباطل المشرق المضيء فله فتنة تنادي كفتنة وجه الحسناء الخبيثة المنبت، تأخذ بعين الناظر، فيقبل عليها ملقيًا بنفسه في مهلك هذا الجمال الآسر، وإذا المنبت الخبيث درة مستهلكة في هذا التيار المترقرق من فتن الحسن والهوى(٢٣).

– للباطل جولة ثم يضمحل.

– الخطيب البغدادي: من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.

– إذا طبعت مرآة بصيرة القلب بتراكم صدأ الغفلة عن الرب، توارت وجوه الحقائق عن بواطن الإفهام، وامتنع عنها إنفاذ نور الإلهام، فأظلم وجه البيان بتصاعد أبخرة الخيالات، وغمامات الأوهام(٢٤).

– ابن عطاء الله السكندري: ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة(٢٥). أي: ما نفع قلب الإنسان شيء كما تنفعه عزلة مؤقتة يبتعد فيها عن الناس، يفكر في ربه وعظمة خلقه.

– إن المتكبر كالواقف في رأس جبل، يرى الناس صغارًا ويرونه صغيرًا.

– سائل الله لا يخيب.

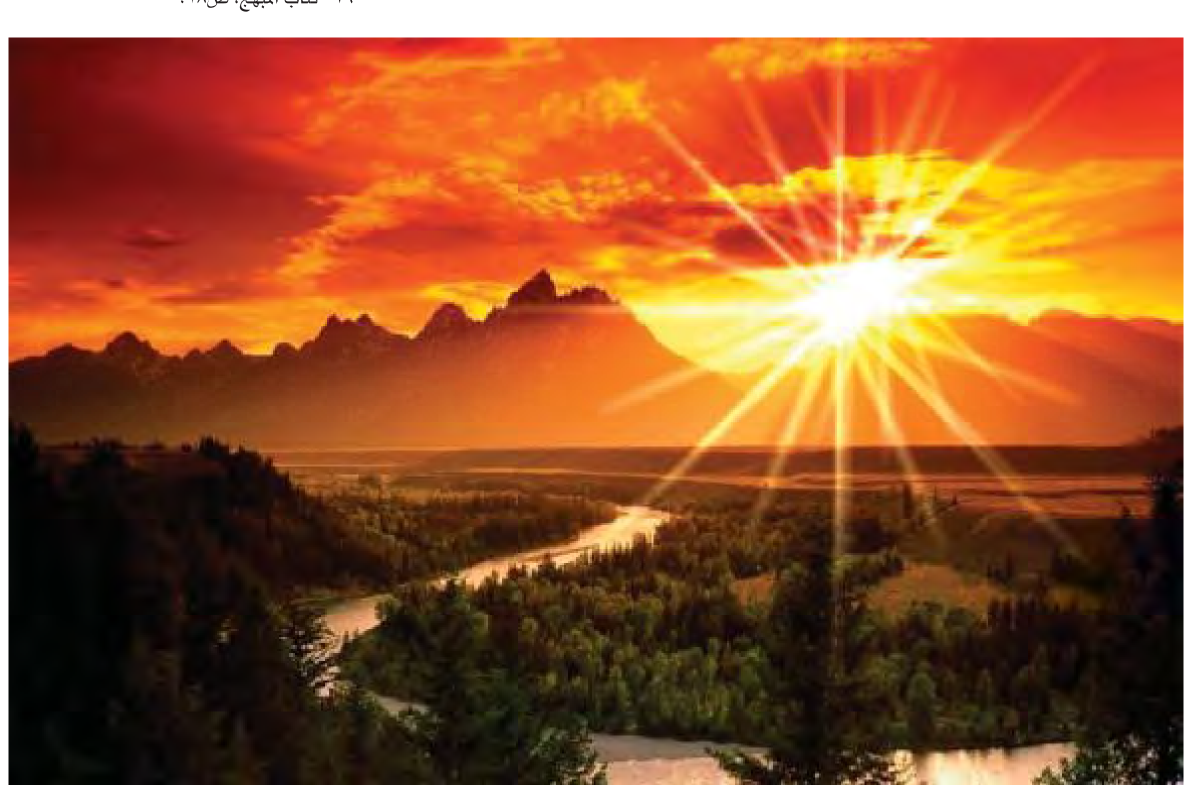
– سبحان من لا يُخلي عبيده عند المحن من المنح، وفي النقم من النعم(٢٦).

– يموت الطاغية فينتهي حكمه، ويموت الشهيد فيبدأ حكمه.

– لا يمكن لأحد أن يمتطي ظهرك إلا إذا كان منحنيًا.

الحواشي

١– الحكم العطائية، ص٢٣.
٢– الفوائد، ص٦٤.
٣– الأدب الكبير، ص١٠١–١٠٢.
٤– التذكرة الحمدونية ١٠٢/٣.
٥– أخلاق الوزيرين، ص٣٩٠.
٦– كلمة وكليمة، ص٤٥.
٧– الإعجاز والإيجاز، ص٥٣.
٨– أي: الحظ.
٩– البصائر والذخائر ١٥٣/٤.
١٠– كليلة ودمنة، ص٢٨٤.
١١– الضغث: قطعة.
١٢– البصائر والذخائر ٣٦/١.
١٣– البصائر والذخائر ٦٦/٣.
١٤– البصائر والذخائر ١٠٧/١.
١٥– البصائر والذخائر ١٩٩/٤.
١٦– كليلة ودمنة، ص١٣١.
١٧– الحكم العطائية، ص١٩.
١٨– نهاية الأرب ٤٨/٦.
١٩– جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ١٩٩/١.
٢٠– الحكم العطائية، ص٥٧.
٢١– أي: يرتد عنه الإنسان كما يرتد عن رؤية وجه قبيح.
٢٢– جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ٥٩٣/١.
٢٣– سير أعلام النبلاء، ٢٨١/١٨.
٢٤– البرهان المؤيد، ص٥٣
٢٥– الحكم العطائية، ص٢٥
٢٦– كتاب المبهج، ص٢٨.



فقه الواقع وحركية المجتمع



د.محمد سعيد باه
أستاذ جامعي - السنغال

«الفقه» مصطلح ركن في الفكر الإسلامي وظفه الله الشارع توظيفا ضافيا ثم بنى عليه علماؤنا أصولا لتفعيل الدين منهجا لإدارة دفة الحياة وكان مصدرا للازدهار أفضى إلى نشوء حضارة إنسانية راقية، لكن المسيرة تباطأت من اللحظة المنفلتة التي أخذ ظله فيها ينكمش فأضحى قالبا ضيقا يجمد الطاقات وليس مصدرا للإشعاع، وقيدا يبطئ السير ولامنهجا محمودا مؤطرا بإيجابية وحركية متوجهة.

وإحياءً لمعالم منهجية مباركة سديدة تتغذى من «فقه المقاصد»، نادى المصلحون، ممن هالهم الجنوح الحاد الذي أصابنا، بنفض الغبار المتكاثف عن أبواب الفقه، فرنّ صوت ينادي بإحياء «فقه الواقع»، وإعادة تفعيله لإعادة بناء العلاقة بين النص المنزل وبين الواقع الذي جاء لضبطه بما يلبي مطالب الجماعة المؤمنة لإدارة الكون، لكن، ما المضمون الحقيقي لفقه الواقع؟ ما معوقات تفعيله؟ ما الجسور التي يجب مدها بين الفقهين: النصي والواقعي؟

فقه الواقع: إدراك جديد لحركية المجتمع والعوامل المتحكمة في خطواته والمصادر التي يتغذى منها وما يطرأ في هذا الواقع إلى درجة أن تستوعب النظرة التي يلقيها «الفقيه» ، بين فينة وأخرى ليعدل المسار، حتى على الأشواق والميول.

معوقات تفعيل فقه الواقع: ضمور المصطلح وإفقاده أصالته ليصبح مجرد فتاوى معلبة جاهزة للتقديم دونما تسخين، وكان الأصل أنها أعدت إعدادا متناسقا مع خطوات المجموعة المؤمنة بالمنهجية التي أفرزت النصوص، وأدى هذا الزوغان إلى تصور أن النصوص هي المقاصد وليست طرائق لبلوغ المقاصد الكامنة في تضاعيفها؛ بتوهم أن الله خلقنا لتطبق علينا النصوص وليس أنَّ شرع الله كامن فيما ثبتت فيه مصلحتنا في الدارين.

حين نقرأ تاريخ الأمة نقع على نتوءات حادة وراءها نظرات جانحة أطلقها «فقيه» يعيش في جزيرة وسط مجتمع يموج موج البحر ويصطلي بنار الفتن؛ فبدلا من أن يزودهم بخراطيم المياه لإطفائها ظل يصبح عليهم موبخا لهم وأن نار جهنم أشد إحراقا، ثم انفض المؤمنون من حول موائد من ادعى الفقه «ممن حُمِّلوا الكتاب ولم يحملوه» وأصبح يفتن ولا يفتح ويفتق ولا يرتق.

فحين نتأمل في النهج الذي اختطه القرآن الكريم، يتراءى لنا أنه، حين الرد على التساؤلات التي كانت تثور في عقول المستجيبين لندائه في صيغ «يسألونك»، كان مهموما بإعطائهم جرعات تستجيب لما كانوا يعانونه من أدواء أو يجيش في جمعهم من مستحدثات.

من نماذجه أنه حين استغرب المجتمع المؤمن، وعيونهم مفتوحة على الحياة وما يمور فيها من ظواهر لافتة، فلاحظوا طلوع الهلال بحجمه المتناهي في الصغر ومضيه في اكتساب الوزن إلى أن يدق ثم يختفي إيذانا لمطلع جديد، جاءهم الرد مركزا على جانبه الوظيفي حين يوقت لهم الشعائر ويدلهم على أوان إيقاع الفروض ونحوها.

والملحظ الآخر، كان الجواب يتوجه إلى السائل أكثر من السؤال المطروح؛ وأهمية هذا المنهج، في فقه الواقع، أن السائل قد يطرح إشكالات غير واردة أو ما كان ليجني منفعة لو أجيب على قدر تساؤله بينما الفتيا تنزيل للحكم، نصا أو روحا، على الحادثة تنزيلا دقيقا يخالف «الإسقاط».

حين ننادي بفقه الواقع إنما نريد تجديد العلاقة بين النص وظلاله وبين الواقع المراد تسييجه وفق مراد الله المبني على ما يصلح حال ومآل العباد حسب ما يظهر لنا، نريد قراءة فاحصة للنص ودراسة مستوعبة للواقع تستجمع أطراف المستجدات على أساس التيسير غير المفضي إلى تعويم حقائق الدين، والضبط الشرعي الذي لا يفوت المصالح باسم الدين.

يتطلب فقه الواقع: جرعة مناسبة من معرفة بالنص مصقولة تعصم من الانحناء لضغط الواقع الشرس، وقسطا من القدرة على الموازنة والفرز والترجيح، ونظرة كلية سديدة تستشرف ما ستؤول إليه الخيارات حين نبيح أو نمنع، شعورا حادا بضخامة التبعة ونحن نوقع عن المشرع الذي نظم أحوال عباده وفرائضه عليهم بين عمودي: انتفاء الحرج في مطالب تحقيق الدينونة، وإرادة اليسر فيما افترض من شعائر.



خلك متصل
24434
صلاتي .. اتصالي بربي
لأول مرة
مسابقة .. بلا أسئلة
فقط سجل اسمك
واربح
Iphone 4S
Ipad 2
Galaxy note
سجل بموقعنا
Nafaess.com
nafaess.com
youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom







تحقيقًا للدور الرائد لجامعة القصيم في تعزيز البحث العلمي والإسهام في نشر المعرفة، وتخليدًا لذكرى العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله- عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة، الذي فاض عطاؤه ونهل من علمه القاصي والداني، تم إنشاء كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية.

أهداف الكرسي:

١- العناية بتراث الشيخ محمد بن صالح العثيمين العلمي، ونشره بكل الوسائل الممكنة.
٢- إبراز دور كلية الشريعة الحاضنة للكرسي، في تأصيل العلوم الشرعية، وإثراء البحث العلمي.
٣- دعم البرامج العلمية والبحثية للأقسام والوحدات العلمية المساندة في كلية الشريعة.
٤- التعاون مع المراكز والجهات البحثية والتعليمية داخل المملكة وخارجها.

وسائل الكرسي:

١- التعاون مع مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية فيما يحقق الأهداف المشتركة.
٢- تشجيع وتمويل البحوث والدراسات الشرعية ذات الموضوعات الجادة.
٣- عقد دورات علمية داخل المملكة وخارجها لتدريس العلوم الشرعية.
٤- طباعة ونشر البحوث والدراسات والمؤلفات والموسوعات العلمية.
٥- الاتصال بالمراكز والهيئات والمؤسسات العلمية فيما يحقق أهداف الكرسي.

المشرف العام
د. سامي بن محمد الصقير
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة
جامعة القصيم

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٦٥) رمضان ١٤٣٣ هـ - يوليو / أغسطس ٢٠١٢ م



رئيس التحرير الأسبق
في ذمة الله

الدعوة والتحديات المعاصرة

العمل الاجتماعي ودوره في التنمية

دروس من أقوال عمر رضي الله عنه

بُست.. مدينة العظماء

رمضان.. أفلا يتدبرون؟!

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

هدية العدد
أسطوانة
أعداد ٢٠١١
وإصداراتنا

جمعية قرية الأمل
القاهرة



عضو في الائتلاف الدولي لمنظمة EveryChild بإنجلترا

معاً
لمستقبل أفضل
لأطفال الشوارع

للاتصال بنا

مقر الإدارة الرئيسي :
٢١ ش د. احمد الخشاب - خلف مكتب مصر للطيران -
عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة .
تليفون وفاكس : ٢٢٧٢٤٥٦٣ - ٢٢٧٤٥١٩٩ - ٢٢٧٢٨٦٨٣
البريد الالكتروني : info@egyhopevillage.com
الموقع على الانترنت : www.egyhopevillage.com

المراكز والوحدات المتنقلة بالجمعية

الوحدات المتنقلة :

- تمتلك الجمعية عدد ٤ وحدات خدمة متنقلة تخدم اطفال الشوارع في اماكن تواجدهم بالقاهرة الكبرى والاسكندرية لتعريفهم بالجمعية وتقديم خدمات اسعافية فورية لهم تمهيدا لنقلهم الى مراكز الاستقبال النهارية .

مراكز استقبال نهارية :

- تضم الجمعية عدد اربعة مراكز للاستقبال بروض الفرج للفتيات و السيدة زينب للبنين ومنطقة عزبة الهجانة للبنين والفتيات والاسكندرية للفتيات وذلك للخدمة النهارية والرعاية الحرجة للأطفال بلا مأوى أو للاطفال المعرضين للخطر .

مراكز اقامة مؤقتة :

- تضم الجمعية عدد ثلاثة مراكز للرعاية المؤقتة في الاسكندرية للامهات الصغيرات ومركزين في مدينة العاشر من رمضان احدهم للبنين والاخر للبنات بهدف تعديل سلوكهم واعادة تأهيلهم و إكسابهم مهارات تعليمية وسلوكية بغرض اعادة الطفل لأسرته أو تحويله للإقامة الدائمة أو جمعيات أخري مع تدريبة من خلال الورش التدريبية بهذة المراكز .

مراكز اقامة دائمة :

- تضم الجمعية عدد ستة مراكز للرعاية الدائمة مركزين بمدينة نصر للبنين ومركزين بالعاشر من رمضان احدهم للبنين والاخر للبنات ومركز للامهات الصغيرات بالمقطم ومركز احلام الاطفال بالمقطم . حيث يتم في هذه المراكز استكمال الأطفال للمراحل التعليمية المختلفة أو التدريب المهني للمتسربين من التعليم وتحويلهم للمسار الحرفي والمهني سواء بالورش الداخلية بالجمعية أو من خلال المصانع المجاورة تمهيدا لاعداد الجمعية مسكنهم الخاص بهم عند التخرج .

كيف يمكنكم المشاركة

الكفالة

كفالة الطفل تبدأ من ٥٠ جنيها شهريا أو ٦٠٠ جنيه سنويا . فقط إملأ الإستمارة في أي مقر من مراكزنا .

التبرع النقدي

حساب الجمعية :
البنك التجاري الدولي فرع عباس العقاد - مدينة نصر
رقم الحساب :
١٤ - ٩٠ - ١٠٥٠٤ - ٤

التبرعات العينية

- كفالة مصاريف أحد المراكز (مأكل - ملبس - مأوى - إيجار)
- المساهمة في بناء مركز إيواء وتأهيل الأطفال بأرض الجمعية بمركز خدمات التجمع الثالث - القاهرة الجديدة

إنت عارف

- إزاي طفل الشارع بياكل وينام ؟
- ليه طفل الشارع بيعيش في الشارع وعمره ماراح مدرسه ؟
- إن طفل الشارع بيتعرض لاستغلال بدني وجنسي ونفسي ؟
- إن في بنات أصبحوا أمهات في سن ١٣ سنة ؟
- إن قرية الأمل منذ إنشائها قدمت خدمات لحوالي ٥٠٠٠٠ طفل صبيان وبنات وأمهات صغيرات تحت ١٨ سنه !

جمعية قرية الأمل

جمعية أهلية مشهرة تحت رقم ٣٥٥٤ بتاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٨٨ بوزارة التضامن الإجتماعي أسسها الراحل / ريتشارد همسيلي الانجليزي الجنسية بالإشتراك مع الكثيرين من المتطوعين والمهتمين من المصريين

إنجازات الجمعية منذ عام ١٩٨٨ وحتى عام ٢٠١٢

عدد الحالات التي تعاملت معها الجمعية على مدار ٢٢ عـام تعدى ٥٠ ألف حالة بين طفل وطفلة وأم صغيرة .

اجمالي عدد الأسر التي تم منحها قروض صغيرة بلغ ١١٨٤ أسرة بمتوسط ١٠٠٠ جنيه مصري للأسرة الواحدة .

محو أمية ٢٠٠٠ فرد من سكان المناطق المحيطة بمراكز الجمعية خلال الخمسة عشر عام الأخيرة .



تدريب ٢٠٨ أم معيلة على حرفة الخياطة والتطريز والطهي وذلك لضمان دخل ثابت بما يساعد على إستقرار الأسرة وأطفالها .





تخريج ١١٢ شاب بعد إتمام تأهيلهم بمراكز الإقامة عند عمر ٢١ عاما بشهادات جامعية ومساعدتهم على الزواج وإقامة أسرة جديدة .

الافتتاحية

المواسم تعود

المواسم تعود، والإنسان لا يعود، فينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، وقد جعل الله للأعمار مواسم، فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل، فهذا شهر شعبان قد قوّض للرحيل خيامهْ، وآذن بالفراق بعد الإقامهْ، وبشائر الهناء تهنئ الأمة بقدوم رمضان وتبشرهم بنيل الكرامهْ، موسم من مواسم الخيرات، تتجلى فيه البركات والرحمات، فيجب على الإنسان أن يتلقاه بالقبول والفرح والاهتمام، بأداء حقوقه، فيعمر نهاره بالصيام، وليله بالقيام، فواخيبة المفرط الكسلان، الذي لا يعرف قدر المكان والزمان، كزمان شهر رمضان، فالأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفَس خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم..

أهل يعود ما مضى لي راجعا؟ — أم هل أرى نجومه طوالعا
إذا تذكّـــرت زمــانا ماضيا — جدّد حزنا أنقض الأضالعا
بادر بذي الباقي وأدرك ما مضى — لعل ما يبـقى يكون نافعا

فعلى العاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، وربما حصل بتضييعه هلاكه، فمن عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرِّط في لحظة منه.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٦٥
رمضان ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
يوليو – أغسطس ٢٠١٢ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

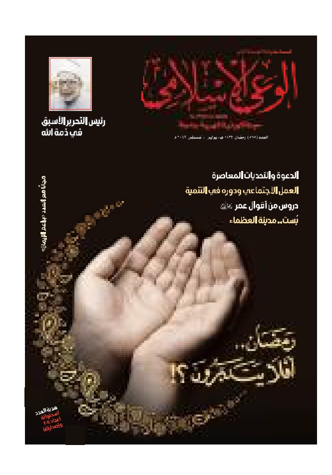
التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خديري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧.
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية – ٤ش الجلاء – مبنى دوحة ماسبيرو – الطابق ٦– مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



موضوع الغلاف

نرسم خارطة طريق مفصلة للفوز في هذا الشهر الكريم للتطهر من ذنوب مضت والتدبر في كتاب الله وللتحرك الإيجابي لمساعدة الغير وللإندماج في تلك الحالة الثقافية الإسلامية.

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١–٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

• اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
• لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
• سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
• الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
• مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم . – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
• المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
• مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
• الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
• المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
• سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
• قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
• ماليزيا – شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
• الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
• تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
• المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار •الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها .

المحتويات

كلمة العدد

الحيادية المنحازة!

لأول مرة في تاريخ العالم العربي تعيش الساحة الإعلامية حالة من التخبط والضبابية والالتباس في ممارسة وسائلها لدورها المنوط بها تجاه الرأي العام، فبالرغم من وجود أطر وأدبيات وأدوات علمية ومنهجية للمهنة فإن الواقع يكشف مدى تجاوز بعض الإعلاميين لأبجديات السلطة الرابعة وانغماسهم في بحر الأهواء والمصالح والقربات.

المتابع للمشهد الإعلامي يلاحظ تخلي كثير من وسائل الإعلام عن أخلاقيات الإعلام وميثاق شرف المهنة، حتى بات الضمير المهني في خبر كان مع توالي المغريات من قبل تجار الإعلام.

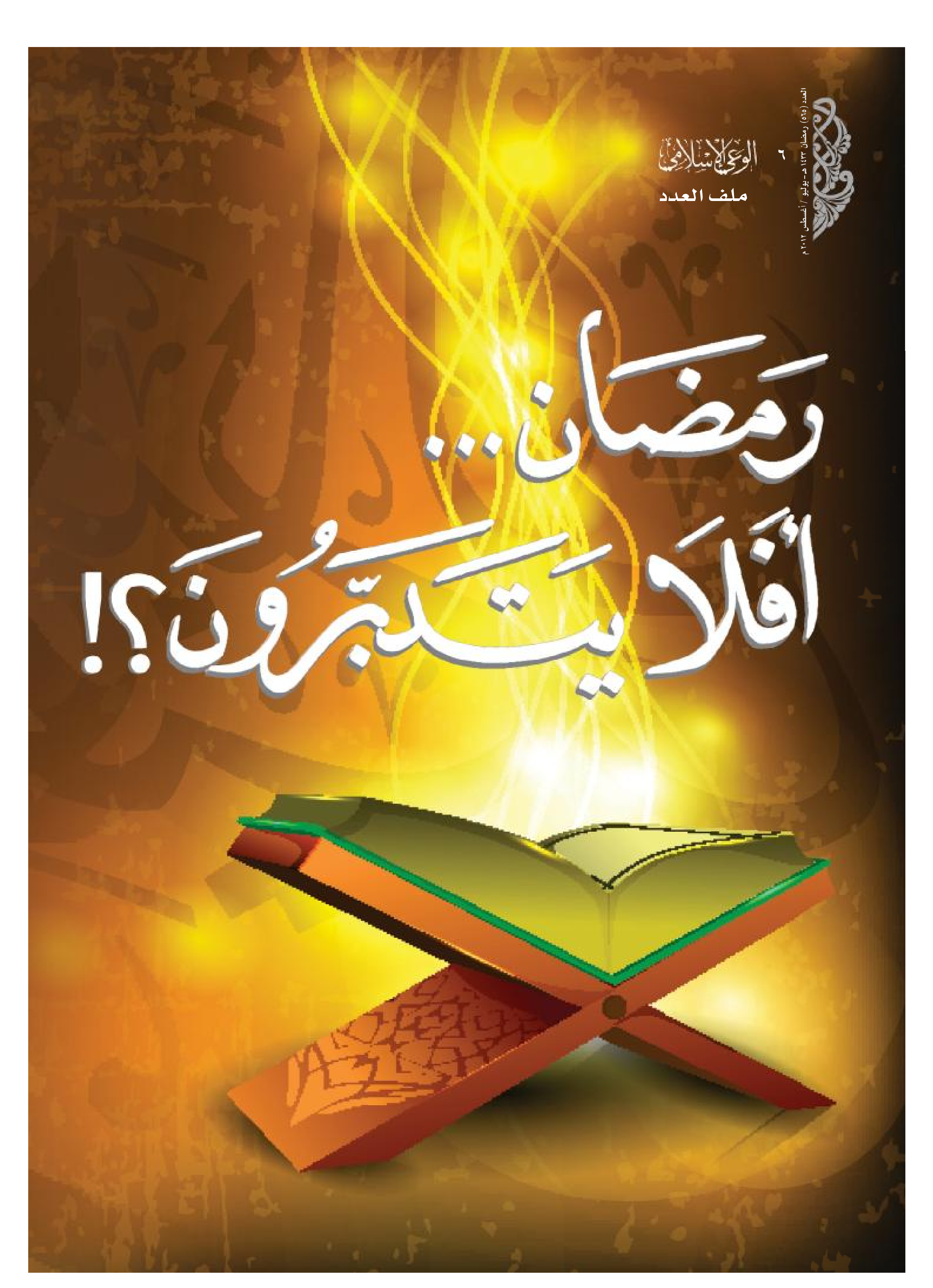
ولعل أحد أهم أسباب هذا الالتباس في المشهد هو غياب «الحيادية الإعلامية» التي سقطت في وحل الكذب والخداع والتلون، حتى رأينا كيفية توجيه الأخبار بالتضخيم والتشويه والتهويل، ما يصيب التناول الحيادي للقضايا والأحداث المطروحة في مقتل.

لذا يمكن اعتبار الحيادية القائمة حاليًا حيادية منحازة – إن جاز التعبير– إلى مصالح ملاك وسائل الإعلام، وأهواء القائمين عليها ورغباتهم الشخصية، ولا تمت بأي صلة لأخلاقيات الإعلام، وقيم المسؤولية الاجتماعية، لدرجة أن أحد وزراء الإعلام العرب السابقين قال: «من المستحيل أن تجد إعلامًا عربيًا محايدًا».

إن معيار النجاح المهني لأي وسيلة إعلامية مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالموضوعية والحيادية الحقيقية في التعاطي مع الأحداث المختلفة، لأن وسائل الإعلام في النهاية ما هي إلا نبض للمجتمع، ومرآة تعكس احتياجاته وأولوياته، وأداة تسهم في تشكيل الرأي العام، وطريق تعزيز القيم الحضارية.

التحرير

الاشتراكات • داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



رمضان... أفلا يتدبرون؟!

السلة المباركة والسير الميكانيكي

وكأنك تمضي على سير ميكانيكي، وعلى جانبك سلال من الزاد.. السير يمضي والسلال ثابتة.. بعضها ممتلئ عن آخره وبعضها بالكاد تلتقط منه المراد، وهناك سلال تضم الثمين وأخرى تضم الغث، وما عليك سوى مد يديك والتقاط ما ينفعك في رحلتيك الأولى والآخرة.

الأمر إلى هنا سهل ويسير، لكن العجب كل العجب ممن لا يبصر هذه السلة الرمضانية الضخمة الممتلئة عن آخرها بكل ما هو نفيس، والعجب كل العجب لمن تنشغل نفسه بميكانيكية السير والمناظر الفارغة عن اليمين وعن الشمال حتى يمضي وتفوته أطايب السلة المباركة.

فتخير أخي وحبيبي في الله، من أي الفريقين أنت.. هل ستنتبه وتنتظر ثم تقبل وتنتقي وتحمل الخير أم ستنسى وتنشغل ثم تدبر وتندم بعد فوات الفوت؟

«الوعي الإسلامي» تحرص عليك وتقدم لك- حبًا- خارطة طريق مفصلة، للفوز في هذا الشهر الكريم بأقصى ما يمكنك الاستفادة منه.. للتطهر من ذنوب مضت والتحصن من ذنوب يوجهها إليك أعداء الخير من كل صوب وحدب.. للتأمل والتدبر في كتاب الله وليس للتسابق في القراءة النظرية المتعجلة التي لا يستقر منها حكم أو توجيه أو حتى صفاء نفسي.. للتحرك الإيجابي لمساعدة الغير وفك كربات المكروب والمضي قدما في سبيل قضاء حاجة المسلم، وليس التمدد ممتلئا بما لذ وطاب من أكل وشرب أمام أجهزة إعلام تسحب منك- بخفة يد- ما التقطته للتوّ من السلة المباركة.. خريطة طريق للاندماج في تلك الحالة الثقافية الإسلامية المعتبرة واستلهام روح الجماعة وأنت تفطر مع مئات الملايين من بني أمتك الإسلامية عند غروب الشمس أو بينما تصلي معهم بعد العشاء وتتهجد متضرعًا إلى ملك الملوك.. لغرس أصول الحياة المستقيمة- بمعاونة شريكة رحلتك- في أبنائك وأحفادك برفق ولين وحكمة وإبداع أيضًا.

ومن الموضوعات التي حرصت «الوعي الإسلامي» على استكتاب أصحاب الأقلام المميزة فيها: ما يتعلق بعادات علينا إعادة النظر فيها كالهوس في التسوق قبل وأثناء رمضان، والإفراط في تناول الطعام، والعجز عن القيام، والكسل في أداء الواجب بحجة الإرهاق، بينما كثير من المسلسلات والأفلام والإعلانات التجارية تنهش في وجدانك وتعطل مسارك وتطفئ النور الذي عكسه عليك تعبدك.

وقد اجتهدت موضوعات ملفنا الرمضاني للإجابة عن الأسئلة الأكثر شيوعًا في الأذهان كل رمضان وهي: ماذا أعلّم أبنائي في هذا الشهر الفضيل من تحمل وصبر واستقبال لأصوات المقرئين المجيدين واستشعار حالة الفقراء من المسلمين وزيارة الأقارب والاندماج في مجتمع واحد مستخلف في الأرض ليعمرها ثم يرجع إلى الله ليحاسبه عما فعل، كما تناولت مخاطر الإعلام بمستوييه: العالمي الذي يتحكم فيه أبناء صهيون، والمحلي المقلد الساذج أو المتعاون على قلب الحقائق وتعمية المسلم وتغييبه، وكذلك كيف نقبل على هذه المناسبة بهمة عالية ولا نتركها تمضي إلا مثبتة معالم مضيئة على طريق الايمان.

علاء عبدالفتاح

ينبوع للطهر وموسم للتجدد

د.محمد سعيد باه - أستاذ جامعي- السنغال

تحية قرآنية عبقة وتهنئة رمضانية عطرة!

إذا عظم الزمان والمكان عظمت الخطيئة والعصيان. (الإمام الشافعي)

أُثر عن النبي ﷺ أنه كان إذا عاين طلعة رمضان البهية هتف بحبور دافق: «مرحبا بالمطهر! قالوا: يا رسول الله وما المطهر؟ قال: مطهر من الذنوب والخطايا».

في المدار المنتظم

وعلى هذا المدار المنتظم، وضع الإسلام منظومة لحياة الإنسان الذي اختار أن يتفيأ ظلال المنهج الرباني، تقوم على الدورات التجديدية (أيام الله)، وهي الدورات التي تشير إليها الآية الكريمة:

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة: ١٨٨).

ومن الناحية التطبيقية، تبدأ هذه الدورات بوضع قالب متسق لضبط الحركة اليومية للمسلم عبر قناة الصلوات الخمس التي تبقيه في حالة اليقظة وهو في دوامة تعقيدات يومه، ثم تكون أسبوعية بصلاة الجمعة الحاشدة التي تعطل بسببها أماكن الصلوات الأخرى إلى أن تكون سنوية بالمؤتمر الجامع في الرحاب الطاهر، حيث تتجدد الوشائج وتتقارب السماء والأرض وتطهر دموع المتبتلين الأدران المتراكمة وجه البسيطة.

ثم يأتي رمضان بعبقه وألقه وأجوائه الحالمة وفيه هذه الجوقة من المرتلين والمتبتلين الذين يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون، لطرق أبواب البر وفيه يجتازون دورة كاملة للمصالحة والتوبة والأوبة والتصفية تهيؤًا للارتقاء.

العيون الشاخصة وصيحة الحبور

بعد أيام قلائل ستتطلع الأبصار مشرقا ومغربا، تتراقص فيها ظلال الشوق والحنين، إلى آفاق السماء تستجلي وبتوق عميق هلال الشهر الكريم لعل بسمة الإيمان تشرق مجددا مع إطلالته في الأوجه التي كلحت بلفحات الجفاء الإيماني وتنبجس تلك الأشعة الهادئة المهدية في قلوب عششت فيها عصافير الهوى حتى باضت، حتى إذا عاينته صدحت الحناجر بتغريدة إيمانية صاخبة مسرورة بعودة موسم البشر الذي كان الصالحون قد دأبوا على اعتباره سوقا سنويا ينعقد وينفض وتعقد فيه الصفقات، حيث يبيع الجميع أنفسا فمنهم من يوبقها وآخرون يعتقونها.

نعم، حين يستدير الزمان كهيئته يوم خلقه الله، تتدفق أمواج الحنين، في قلوب المؤمنين، للولوج إلى دوائر الغفران، وتنسكب عبرات حرى لأن العطش الإيماني كاد يقتل من ساخت أقدامهم في رمال الوهم وهم يلهثون وراء طريد شارد من حظوظ دنيوية، كلما تحقق منها قسط انتفخت البطون واتسعت الجيوب وتعارك الناس في صفقات كلها غبن.

فما أن يردد المستقبلون صيحة الحبور تلك حتى يهمسوا بالمأثور من الدعاء المخصص لاستقبال الوافد الجديد الذي آب من وراء الحجب بعد غيبة طالت يبشر بانطلاقة العرس الإيماني، حتى يقع ذلك التبدل العميق في نمط الحياة اليومية لجمهور المؤمنين من أقصى ديار الأمة إلى أقصاها وينعقد موسم القرآن الحاشد في رمضان أو معرض رمضان للقرآن، أو على حد تعبير الشيخ القرضاوي: «ربيع الحياة الإسلامية»، ويجوب موكب ذلك العرس الجامع الشوارع والأندية وحتى الشواطئ العارية، فيسارع كل غافل إلى نفض الغبار عن مصحفه وتنعقد في المساجد حلقات تدارس الكتاب الكريم ويتزاحم الشباب والشيب وقد جثوا على الركب حول موائد الإيمان حيث الدندنات الحلوة.

سر الانقلاب الهائل

إي وربي! إن وراء هذا التبدل العجيب، الذي أراده الشارع الحكيم حين تعبد عباده بشعيرة الصيام وندبهم إلى القيام بالقرآن، في طريقة ممارسة الحياة الاعتيادية والتدينية وما يقع من انقلاب في أوقات الطعام والشراب وفي التحريم المؤقت لما كان من لحظات حلالا وفي مواعيد النوم والاستيقاظ، وفي استحداث أشكال وأنواع ممن ممارسة الشعائر، وفي فتح أبواب كانت موصدة لكسب الخير وتيسير الهداية وتعسير الغواية وإيصاد أخرى كانت مشرعة، إن من وراء كل ذلك لسرا هو الذي نريد استجلاء بعض كنهه في هذه التأملات السريعة عن علاقة رمضان بالقرآن وفي فعلهما المتجاوب المتكامل لإعادة بناء الإنسان وترميم ما تعرض للتلف من أجهزته الجسمانية والإيمانية كي يستأنف الصراع مع قوى الشر التي تناوئه ويناوشها وهو على كامل الجاهزية، وموقن بأن يدا من وراء حجب الغيب ستمتد بلطف لتسند خطاه كلما عثرت أو علقت في حبال مصيدة العدو المتربص، وأن عين من لا تأخذه سنة ولا نوم ترعى مسراه كي لا يضل ولا يشقى.

سنديرالحديث، في تأملاتنا هذه عن العلاقة الخاصة الرابطة بإحكام بين رمضان والقرآن وأثرهما في إعادة بناء الإنسان كلما أصابته رثاثة في إيمانه أو اجتاحته دوامة الغفلة وأبعدته عن مصدر الاستمداد الصافي أو مسه طائف من الشيطان لينسيه ذكر الله وفعل الخيرات وترك المنكرات، على قول الحق، جل في علاه، في محكم تنزيله:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٨).

الأبعاد الزمنية في علاقة رمضان بالقرآن

حين حاولت أن أديم النظر في هذه الآية بحثا عن الكوامن في تلك العلاقة المطردة، كان أول ما لفت نظري بروز الأبعاد الزمنية وأثرها في تفعيل وتعميق قيم الخير والحق والجمال التي يريد الإسلام أن تكون هي المحددات التي توجه حركة الإنسان المؤمن وهو يقطع المسافة القصيرة الفاصلة بين الحياتين التدريبية والمقيمة أو الآنية والأبدية:

﴿شهر رمضان الذي...﴾، هنا شهر بالتمام والكمال بمنزلة دورة تدريبية جماعية لسواد الأمة يتحركون رجالا ونساء كبارا وصغارا ينامون ويستيقظون يتسحرون ويفطرون على الرطب ويسرعون الخطى لتلبية نداء الفلاح في دقة موزونة، وكلهم في حالة شعورية منسجمة ليتخرجوا وقد تقاربت العواطف وتماسكت الأيادي وتناسقت الخطوات، فلا الذي قدر رزقه يموت تحت مطارق المسغبة، ولا ذلك الموسر ينتحر تخمة، إنها دورة شهرية تصقل فيها الأرواح كي تشف وترف وتسبك الألباب حتى تحد وتعقل، إنه برنامج لاستثمار عامل الزمن لتنمية القدرات وفق رؤية التشبيك التي ينادي بها الخبراء اليوم.

﴿حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة...﴾، هناك شهر يرمض

كل خبيث في النفس ويجتثه اجتثاثا ثم يغرس بدله كل طيب نفيس مورق مثمر، وهنا ليلة مبهمة لكنها مباركة، أي نداء صارخ للبحث عنها من بين ليال أخرى بمعالمها الوضاءة حتى إذا هديت إليها سبرتها لحظة ولحظة راكعة ساجدة في محراب التبتل بحثا عن تلك البركات التي تكفي زادا لخوض معركة متصلة وشرسة طيلة عام إلا شهرا، واستنزالا لشآبيب الرضوان، وتعرضا لتلك النفحات الربانية التي تهب على قلوب الغافلين فتفيض عليهم برد اليقين وطمأنينة من جافى جنبه عن المضاجع حتى مطلع الفجر وداوم على شهود البردين... .

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر...﴾، تأتي الليلة موصوفة مع تهويل ما تختزنه من مقادير لتلك البركات التي تهطل من السماء مع الاستعانة بعداد زمني لا يكاد مؤشره يستقر على رقم: ﴿خير من ألف شهر﴾، ثم إن الليلة هنا ترتبط برباط خاص بالليلة هناك في كونهما ليلتين لا ككل الليالي، فتتميز هذه، إلى جانب البركات المنهمرة من السماء حتى طلوع الفجر مع جوقة من الملائكة تشكل جسرا كونيًا فريدًا، بأنها اللحظة التي اختارها الله وجعلها الليلة التي: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾.

رمضان وصفا ووظيفة

أما رمضان من حيث الجذر والمفهوم التأصيلي، انطلاقا من الزاوية التي نعالج الموضوع انطلاقا منها، فقد نقل الإمام الشوكاني- رحمه الله- أنه إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها بالأعمال الصالحات، واستأنس بما ذهب إليه الماوردي الذي قال بأن «اسمه (رمضان) في الجاهلية «ناتق» لأنه كان ينتقهم لشدته عليهم» .

ثم أضاف الإمام عبدالرحمن بن الجوزي- رحمه الله- إلى معنى إحراق الذنوب وإذابتها معنى آخر في غاية اللطافة بقوله:

«وهو أي رمضان مطر يأتي قبل الخريف، وقيل رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة، ويرفض قوما إلى محل القربة والزلفى» .

الشفيعان المشفّعان

تبلغ وثاقة العلائق بين القرآن وشهره أنهما يتعاضدان يوم العرض على الله ليحاجا عن فئة خاصة من المؤمنين تميزوا بأنهم يُظمِئون النهار ويسهرون الليل مشفقين ممِا آتاهم ربهم يرجون رحمته ويفرَقون من عذابه، وهم الذين خصصت لهم هذه المكرمة:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته من الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال فيشفعان» .

رمضان شهر القرآن والقرآن كتاب رمضاني، بهذه الكلمات البسيطة وصف تشابك العلائق بين القرآن وبين رمضان، والمفصل الذي نتوق إلى أن نتوقف عنده ولو للحظة، ونحن على عتبة الشهر الكريم، شهر القرآن والإيمان المتجدد، يتمثل في حقيقة أن ثمة علاقة حميمة بين هذا الشهر وبين وحي السماء ما جعل له هذه النكهة الخاصة التي يستنشق الصالحون عبيرها، وهي العلاقة التي نجدها متجسدة في أن رمضان هو موسم الوحي وتكرار رحلات سفير الوحي بين السماء والأرض ناقلا رسالات الرحمن إلى من اجتبى من خلقه، وبهذا المعنى نقرأ حديث أبي المليح:

قال رسول الله ﷺ: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» .

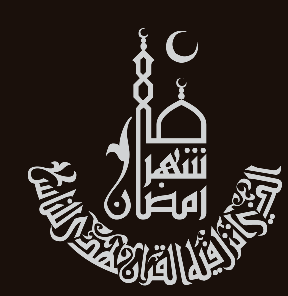
حيث المورد العذب

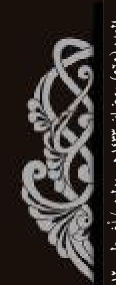
فحين يتسكع المؤمنون في ظلال رمضان الفيحاء وفي أيمانهم قبس من ذلك النور العلوي عليهم أن يستشعروا تلك المعاني المترادفة التي بدونها قد

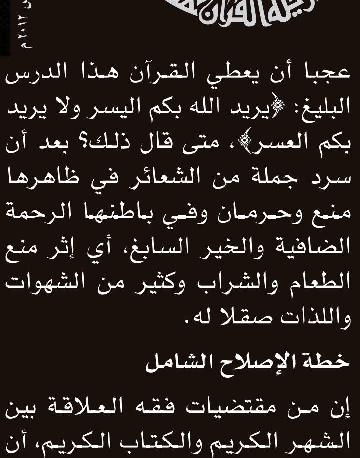


نفقد طعم الصيام ولذة الترنم بالآي البينات من الهدى والفرقان، ومن تلك المعاني ما يصوره لنا النبي ﷺ عن حالة المؤمن وما يكابده من عناء وهو يجر خطاه عبر عرصات الحياة ويتلقى الضربات الموجعات واحدة تلو أخرى، حتى إذا ضاقت به السبل وحاصرته أسلاك الحيرة أطلق ساقيه للريح بحثا عن مورد عذب يطفئ زلاله ظمأه ثم يعدو فتتحول الأنهر إلى سراب والآبار إلى جرف هار حتى إذا أوشك على الهلاك تلقفته نفحات شهر الري والريان:

«ورأيت رجلا من أمتي عطِشا كلما دنا



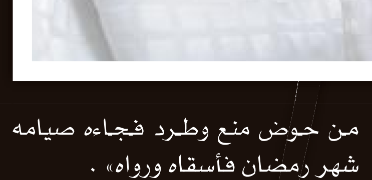




من حوض منع وطرد فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاه ورواه» .

المعاني الثلاثة

إن ضرورة معالجة تلك الاختلالات التي تصيب الإنسان نفسيًا وروحيًا ومعنويًا والتي تثقل كاهله وتكبل خطاه، تؤكد لنا حقيقة وجود تشابه مذهل مع حياة الإنسان المادية من خلال ما يتعرض له جانبه الجسماني من علل ويتعرض له من أعطاب فتحدث في حياته شروخا وربما أعطابا قد تميته إذا لم تتدارك بعلاج يشفي، ومن ثم يحتاج إلى تجدد في تلك الخلايا التي تتلف لطول التفاعل، هنا تتجلى أهمية تضامن وظيفتي الصوم والقرآن حين يعيدان له صحته النفسية وعافيته الجسدية وطمأنينته القلبية وطاقاته العقلية حتى إذا انفض السوق انطلق خفيفا سريعا وكأنما نشط من عقال ثم يمضي يقطع الأشواط عدوًا في صراع محتدم مع الباطل وتنشيط لموكب الحق.



المسارات المحددة

من المعاني التي تتجلى لنا، حين نتأمل في كتاب الله، ونحن ننبش بحثا عن العلاقة بين القرآن وبين رمضان، وجود ثلاث مسارات محددة لا تستقيم ولا تستقر حياتنا الإيمانية والمادية بدونها إلى جانب وجود ارتباط وثيق لكل عنصر منهما مع الآخر، وهي: الهدى والسلام والبركة، إنها المطالب العليا التي يلزم أن نحققها بالقرآن وبرمضان.

نحو التخوم الآمنة

كان من دأب الصالحين مع رمضان أنهم يمضون شطرا من العام يبتهلون إلى مولاهم أن يبلغهم تخومه حتى إذا استجيبت دعوتهم أظمأوا نهاره وأحيوا ليله وجددوا فيه فتل حبال الحب مع الله والوصل مع كتاب الله تلاوة وتدبرا وتربية للنفس وشحنا للعاطفة وجدّوا ووجدوا، ثم أمضوا الشطر الآخر في تبتل ووجل وإنابة خاشعة أن يكونوا ممن قبل منهم.

الومضات التي نبحث عنها

من الومضات التي نبحث عنها في ظل رمضان ونحن نقرأ سطور الكتاب المبين، معنى التيسير في حياة المسلمين الفردية والجماعية، أين التيسير في حياتنا اليومية؟ في العلاقات الاجتماعية، عند البيع والشراء، ساعة التقاضي والقضاء أو تطيير الفتيا، لحظة نؤم جمهور المصلين، وعندما نعلم جاهلا ولم يبلغ حد الجفوة أن بال وسط المسجد الجامع، ووقت نمسك بعضد المريض لنغرس فيه إبرة الشفاء، أليس أمرا عجبا أن يعطي القرآن هذا الدرس البليغ: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، متى قال ذلك؟ بعد أن سرد جملة من الشعائر في ظاهرها منع وحرمان وفي باطنها الرحمة الضافية والخير السابغ، أي إثر منع الطعام والشراب وكثير من الشهوات واللذات صقلا له.

خطة الإصلاح الشامل

إن من مقتضيات فقه العلاقة بين الشهر الكريم والكتاب الكريم، أن نستقبل الأول بحفاوة وقد أخذنا الثاني بقوة بعد أن نكون قد وضعنا خطة محكمة وميسرة على ضوء ما نستيقن أننا نملكه من القدرات والمقومات الجسدية والنفسية والمادية، فلنطلق عليها استرشادا اسم خطة «الإصلاح السنوي الشامل»، ولا بأس إذا اخترنا اسما آخر مشوقا، ونسعى من خلالها إلى عادة بناء ما تحطم في النفس وما اعوج من السلوك وما تلطخ في الإيمان نتيجة الاحتكاك بالهابط من الأخلاق؛ أو بسبب الضغط الذي يمارسه مروجو الفساد في الأرض.

كما تشمل هذه الخطة تقييم ما قصرنا فيه من حيث الأداء للكسب والإنفاق، وفي برنامج إدارة الأسرة، وفي الانتقال من دائرة الصلاح إلى المشاركة في مشروع الإصلاح العام، وهي الخطة الرمضانية التي يأتي القرآن الكريم ليضع عليها اللمسات الأخيرة بذلك الإجمال العجيب في مسارين متداخلين: ﴿لعلكم تتقون﴾، ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

فلنتصور روعة حياة أمة بكاملها تنفذ خطة تدور في محوري: «التقوى» في العلاقة مع الله خشية وحبًا ولهًا وعبادة وتقربًا ورجاءً وتفويضًا، من جانب، و«اليسر المجافي للعسر»، في أداء التكليف وفي المسلك اليومي وفي تنميط العلائق مع الخلق، وفي دعوة الواقفين خارج صف الإيمان إلى رحاب الخير من جانب آخر!!

نزول القرآن.. دلالات وواجبات

د. وصفي عاشور أبوزيد - مدير معهد نماء - مصر

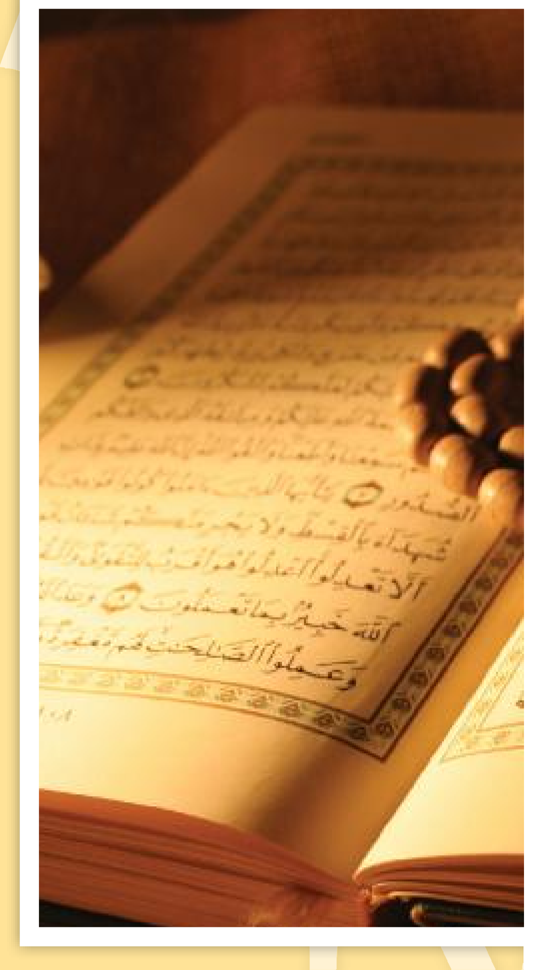
القرآن الكريم هو الكتاب الخالد لهذه الأمة، ودستورها الشامل، وحاديها الهادي، وقائدها الأمين، كما أنه الكتاب الخالد للدعوة الإسلامية، ودليلها في الحركة في كل حين، وله أهمية كبيرة في حياة الفرد، وفي حياة الأسرة، وفي حياة المجتمع، وفي حياة الأمة؛ فهو يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره، ويشرع من التشريعات ما يحفظ كيان الأسرة؛ تظللها السكينة وتحفها المودة وتغشاها الرحمة، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام الطاقات الكامنة في المجتمع، وينشد الأمة القوية المتماسكة الشاهدة على العالمين.

في القرآن الكريم نجد المناهج الثابتة، والسنن الجارية، والقيم السامية، والمثل العالية، والموازين العادلة، والقواعد الراسخة، والأفكار السامقة، والتصورات الراشدة، وغير ذلك مما جعل القرآن الكريم كتابا خالدا شاملا محكما يخاطب الإنسان والزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا القرآن الكريم أنزله الله تعالى في شهر رمضان الفضيل، وتحديدًا في ليلة القدر التي كانت واضحة ثم أخفاها الله تعالى لحكمة يعلمها، ولا يظهر لنا منها إلا الاجتهاد في العبادة وتحريها بالتهجد والاعتكاف والقيام والذكر والدعاء، والمسارعة في العبادة والخيرات.

وسوف يكون حديثنا من خلال آيات ثلاثة في القرآن الكريم، أو ثلاثة مواضع فيه.

الموضع الأول: في سورة البقرة من قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ



عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥-١٨٦).

والموضع الثاني: من سورة الفرقان، مطلعها، قال تعالى: ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ١-٤).

والموضع الثالث: سورة القدر كاملة، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر).

دلالات الزمان ومعالم بركاته

لنزول القرآن الكريم في شهر رمضان دلالات ومعان عقدية وإيمانية ونفسية وروحانية وأخلاقية وسلوكية، تحدث عنها علماؤنا حديثا ممتعا في تناولهم لتفسير الآيات المشار إليها قبل قليل؛ فهذا الإمام محمد أبوزهرة يقرر أن «اختصاص شهر رمضان بالصوم؛ لأنه نزل فيه القرآن، فيه تذكير بمبدأ الوحي، واحتفال بأكبر خير نزل في الأرض وهو بعث النبي ﷺ فإنه نور الأرض وإشراقها، والاحتفال به احتفال بنعمة الهداية، ونعمة الخروج من الظلمات إلى النور، ونعمة إرسال نبي الرحمة... وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هدى للناس... لأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وهو معجزة الله تعالى الكبرى، وهو بهذا هداية وتوجيه إلى مقام الرسالة المحمدية، وهو مع ذلك فيه آياته البينات... أي أن آياته بينات واضحة من الهدى وهو الشريعة التي جاء بها، والفرقان أي الأمر الفارق بين الحق والباطل، والظلم والعدل، والشورى والاستبداد، والإصلاح والإفساد، وعمران الأرض وخرابها» .

وهذه دلالات أغلبها عقدية وحضارية؛ فهو تذكير بابتداء الوحي، واحتفال بإرسال النبي وما يقتضيه ذلك ويستتبعه، وإنعام بما في القرآن من بينات واضحة، وأمور فارقة بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والظلم والعدل...الخ.

وقد أكد على هذه المعاني من قبلُ الإمامُ ابن كثير بقوله: «وقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ أي: ودلائل وحُجَج بينة واضحة جليَّة لمن فهمها وتدبّرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقًا بين الحق والباطل، والحلال، والحرام» .

وليس رمضان هو الزمان المختار لنزول القرآن فقط بل هو زمان نزول الكتب السماوية جميعا، وفي هذا ما فيه من تشريف للزمان، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: «يمدح تعالى شهرَ الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء» .

ويربط الشيخ محمد متولي الشعراوي بين الصيام باعتباره مدرسة للتربية، وبين التشريع باعتباره منهجا للتربية وترقية الإنسان، وهذه دلالة تربوية مهمة، يقول: «يعطي له - أي لشهر رمضان - سبحانه منزلة تؤكد لماذا سُمي، إنه الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، والقرآن إنما جاء منهجَ هداية للقيم، والصومُ امتناع عن الاقتيات، فمنزلة الشهر الكريم أنه يربي البدن ويربي النفس، فناسب أن يوجد التشريع في تربية البدن وتربية القيم مع الزمن الذي جاء فيه القرآن بالقيم، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن﴾» .

ويؤكد العلامة عبدالرحمن السعدي أن هذا الشهر العظيم قد حصل لنا فيه خير عميم بنزول القرآن فيه، فيقول: «الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة، فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعبادة مفروضا فيه الصيام» .

وقد حدد القرآن أن نزول القرآن كان في ليلة القدر الذي يشملها شهر رمضان، وفيها من الشرف والمجد والفضل، ومن البركات والفيوضات والتنزلات والرحمات - ما لا تدركه الإشارة ولا

تلحقه العبارة، يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور: «فَبَرَكَةُ الليلة التي أنزل فيها القرآن بركة قدّرها الله لها قبل نزول القرآن؛ ليكون القرآن بابتداء نزوله فيها مُلابسًا لوقت مبارك؛ فيزداد بذلك فضلًا وشرفًا، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها».

أما في سورة القدر فيأخذ بأيدينا صاحبُ الظلال في حديث شفاف منير يجعل النفس تسجد من عظمة القرآن، والقلب يخضع لسلطان كلام الله تعالى فيتحدث عن دلالات الليلة المشهودة الموعودة؛ ليلة القدر، قائلا: «الحديث في هذه السورة- يعني سورة القدر- عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال.. ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى.. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعا.. العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟﴾﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.. والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث تكاد ترف وتنير، بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود؛ نور الله المشرق في قرآنه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ونور الملائكة والروح وهم في غدوهم ورواحهم طوال الليلة بين الأرض والملأ الأعلى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.. ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقا مع نور الوحي ونور الملائكة، وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾».

ويشير العلامة ابن عاشور إلى معنى طريف حينما يطابق بين شرف الزمان المنزول فيه، وهو شهر رمضان وليلة القدر تحديدًا، مع شرف النازل فيه، وهو القرآن الكريم؛ فيقول: «والمقصود من تشريف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشريف آخر للقرآن بتشريف زمان ظهوره، تنبيها على أنه تعالى اختار لابتداء إنزاله وقتا شريفا مباركا؛ لأن عظم قدر الفعل يقتضي أن يختار لإيقاعه أفضل الأوقات والأمكنة، فاختيار أفضل الأوقات لابتداء إنزاله ينبئ عن علو قدره عند الله تعالى... وأعيد اسم﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾الذي سبق قريبا في قوله: ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١) على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن مقتضى الظاهر الإضمار، فقصد الاهتمام بتعيينها، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحا، وحصلت كتابة عن تعظيم ما أنزل فيها، وأن الله اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان».

وليس معنى إنزال القرآن في ليلة القدر أنه نزل على المسلمين في ليلة واحدة كما هو معلوم، وإنما نزوله إلى بيت العزة من اللوح المحفوظ، ثم نزل بعد ذلك منجما مفرقًا على رسول الله ﷺ؛ ليربي الأمة ويعلمها بحسب الوقائع في زمن امتد لثلاث وعشرين سنة.

واجبات هذا التشريف ومقتضياته

مادام نزول القرآن الكريم- أو بداية نزوله- كان حدثًا فاصلا في حياة البشرية، عاد عليها بالنور والعلم والهداية، وإنشاء الإنسان خلقًا آخر، وإيصال الأمة المسلمة لمنزلة الشهادة على العالمين، وغير ذلك من فضل وتشريف... ومادام هذا التشريف وذاك الفضل نزل في شهر رمضان؛ فإن لذلك واجبات ومقتضيات؛ لأنه ليس هناك تشريف دون تكليف، وليس هناك واجبات دون مقتضيات.

وأول واجب علينا نحو هذا الفضل الغامر أن نعظم أيام الله تعالى، يقول العلامة ابن عاشور: «هذا تعليم للمسلمين أن يعظموا أيام فضلهم الديني وأيام نعم الله عليهم، وهو مماثل لما شرع الله لموسى من تفضيل بعض أيام السنين التي توافق أياما حصلت فيها نعم عظمى من الله على موسى، قال تعالى﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (ابراهيم: ٥) فينبغي أن تعد ليلة القدر عيد نزول القرآن». فالإمام ابن عاشور هنا يريدنا أن نعظم أيام الله بأن نجعل ليلة القدر عيدًا لنزول القرآن، وهذا متفق مع أصل شرع من قبلنا، وهو ما جاء في رسالة موسى عليه السلام.

ومن هذه الواجبات: إكمال العدة: لأن الله تعالى يسر لنا تشريع الصيام، وذلل لنا الإتيان به في كل حال؛ حال الصحة والمرض، وحال السفر والحضر﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾.

ومن هذه الواجبات تكبير الله تعالى وحمده وشكره على هذه النعم وتلك المنن التي لا توجد لأمة من الأمم في كتاب من الكتب، ولا تشريع من التشريعات: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ومن هذه الواجبات عبادة الله تعالى، والدعاءُ هو جوهرها وروحها، بل هو هي؛ ولهذا جاءت آية الدعاء في آخر آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي في بيان معاني الدعاء والقرب، وأنواعهما: «والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾».

المنحة الربانية في السنة النبوية

د. ماهر عباس جلال
أستاذ لغة عربية لغير الناطقين بها



لقد أنعم الله على عباده بنعم لا تعُد ولا تحصى، وأجل ما تكون هذه النعم في مواسم إلهية تكثر فيها العطايا الإلهية، ويجود الله على عباده بـ«التنزيلات الربانية»، ويأتي على رأس هذه المواسم شهر رمضان الكريم.. ولم لا؟! وهو شهر الله كما قال ﷺ فيما روته عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: «شهر رمضان شهرُ الله، وشهرُ شعبانَ شهري».

وقد فضل الله تعالى هذا الشهر على سائر الشهور لقوله ﷺ: «سيد الشهور رمضان، وسيد الأيام الجمعة»، وقال أيضًا: «سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حُرمةً ذو الحجة».

ورمضان مشتق من الرمض، وهو حَرُّ الحجارة من شدة حر الشمس، ويجمع على رمضانات ورمضانين وأرمضاء وأرمضة. وقيل في سبب تسميته برمضان أقوال كثيرة، منها ما ذكره ابن حجر الهيتمي في كتابه «إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام» أن محمد بن منصور السمعاني وأبا زكريا يحيى بن منده أخرجا في أماليهما عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إنما سُمّي رمضان، لأنه يرمض الذنوب، أي يذهبها ويحرقها».

وقد اختص الله هذا الشهر بفضائل، منها أنه شهر القرآن الكريم، فقد أنزل فيه القرآن، قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الّذي أُنـزِلَ فيه الْقُرْآنُ هُدىً للنّاس وَبَيّنَاتَ منَ الْهُدَىَ وَالْفُرْقَانِ.. ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وفيه ليلة خير من ألف شهر، قال عز وجل: ﴿إِنّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَة الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ١-٣).

وقد فرض الله فيه الصوم، لقوله سبحانه: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (البقرة: ١٨٥)، ولقوله تبارك اسمه: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣)، حيث يجزل الله العطاء للصائمين، كما ورد في الحديث القدسي: «كل عمل ابن

آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

والصوم جزاؤه الجنة ومغفرة لذنوب العباد كما قال ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وهو شهر الصبر، فالصيام نصف الصبر كما قال ﷺ: «الصيام نصف الصبر، وعلى كل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصيام»، وقال أيضًا: «وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة».

وهو شهر النفحات الربانية، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، فيعين الله سبحانه عباده على الصوم والعبادة والطاعة، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا عن الرسول ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين».

وهو شهر التنزيلات والمنن الإلهية على العباد، فيجود الله سبحانه عليهم برحمته ومغفرته وعتق رقابهم، لقوله ﷺ: «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»، ولقوله أيضًا: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها، فلا يغلق منها باب واحد الشهر كله، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب واحد الشهر كله، وعلت عتاة الجن، ونادى مناد من السماء الدنيا كل ليلة: هل من مستغفر يغفر له؟ هل من تائب يتابُ عليه؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من سائل يعطى سؤْله؟ ولله تعالى عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفا، فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر- ثلاثين مرة- ستين ألفًا».

وهو شهر العطايا الإلهية، ففيه تتضاعف الحسنات، والسنة فيه تعدل الفريضة فيما سواه، لقوله ﷺ: «من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كمن أدى فريضة فيما سواه». والعمرة فيه تعدل حجة مع الرسول ﷺ كما قال ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة، أو قال: حجة معي».

ولننظر إلى عظيم جُوده سبحانه وجزيل ثوابه عز وجل في قوله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب السماء فلا يُغلق منها باب حتى تخرج آخر ليلة من رمضان، وليس من عبد مؤمن يصلي في ليلة منها إلا كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة بكل سجدة، وبنى له بيتًا في الجنة من ياقوته حمراء لها ستون ألف باب، لكل باب منها قصرٌ من ذهب موشى بياقوتة حمْراء».

وهو شهر التكافل الاجتماعي وتطهير النفس من داء الشح والبخل، فيشعر المسلم بأخيه المحتاج فيمد إليه يد العون والمساعدة، ويظل صومه معلقًا بين السماء والأرض حتى يؤدي زكاة الفطر كما في حديث أنس رضي الله عنه: «صيام الرجل معلق بين السماء والأرض حتى يؤدي صدقته»، فبالصدقة يتطهر الصائم من اللغو والرفث ليصعد صومه نقيًا خالصًا من أي شوائب أو أدران للمعصية، مصداقًا لحديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: «زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

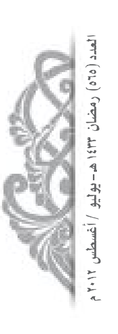
وكان رسول الله ﷺ أجود من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان، فقد سئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال: «صدقة في رمضان».

وهو شهر المواساة، ويزاد فيه رزق المؤمن كما قال ﷺ: «وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن»، وكان الرسول ﷺ يحض المسلمين على مواساة المعوزين الصائمين وإفطارهم ولو على مذقة من لبن أو تمرة أو شربة ماء.

قال ﷺ: «من فطر صائمًا كان له مغفرة من ذنوبه، وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء». قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: «يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع فيه صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة».

ورمضان شهر توحيد المشاعر، فجميع المسلمين يعزفون على أوتار إيمانية واحدة، يتسحرون في وقت محدد، ويمسكون في وقت واحد، ويصومون في وقت واحد، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ويفطرون في وقت واحد، ويلتزمون آدابًا واحدة وهي آداب الصيام وهو شهر التراحم، يجتمع الناس فيه عند الإفطار، وعند صلاة العشاء والتراويح، ويتزاورون ويتراحمون فيما بينهم، فكانوا أهلًا لأن يختصهم الله بهذه الفضائل والرحمات الربانية في هذا الشهر من دون سائر الأمم، مصداقًا لقوله ﷺ «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبي قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدًا، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم، وأما الرابعة فإن الله يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعًا». فقال رجل: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: «لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم».

فمرحبًا بك يا شهر الصيام، ومرحبًا بك يا شهر الفضائل، ويا شهر الطاعات، ويا شهر صفاء الروح وانتصار إرادة المسلم.. وهنيئًا للمسلمين بك يا شهر التنزيلات، ويا مغتسل التائبين، ويا موسم المتقين.







مخاطر الإعلام.. في شهر الصِّيام

د. عبدالصبور فاضل - عميد كلية الإعلام- جامعة الأزهر

حقّق الإعلام في السّنوات الأخيرة قفزات غيرَ مسبوقة، وأصبح هناك نوعان من وسائله، الأولُ: وسائل تقليدية، والآخر: وسائل جديدة جسّدتها شبكة المعلومات الدّولية التي قضت على كل الحواجز وحوّلت العالم من قرية صغيرة إلى غرفة متناهية الصّغر، ولكنّ يتفاوتُ تأثير هذهِ الوسائلَ من وسيلةٍ إلى أخرى بحيث يمكن القول أنّ أكثر هذه الوسائل تأثيرًا هي الفضائيات بمختلف أنواعها وشبكة الإنترنتِ بمُغْرياتها وخصائصها المتعدّدة، والأسْرةُ عندنا هي أهمُّ عناصر بناء المجتمع والحضارة الإسلاميّة،، ويُساندها في تحقيقَ هذا الدّور الفعّال ما يُؤدّيه الإعلامُ من دَورٍ إيجابيٍّ أو سلبيٍّ يَؤثّر بشكلٍ مباشر على تشكيل الحياة المعاصرة بكلّ عَناصرها ومؤسّساتها، ويَزيد من أهمّيّته «ثورة المعلومات والاتّصالات»، التيَ باتتْ تُشكِّل الوعيَ العامّ لَأمتنا في جميع المناحي، ممّا يُحتّم على كثير من وسائل إعلامنا- والفضائيات بشَكل خاصّ- مراجعةَ خُططها وبَرامجها؛ لتتواكَبَ مع ثورة المعلومات باعتبارِها

شريكًا في عملية التّنشئَة الاجتماعيّة.
ولا يخفى على أحد تَزَايد تأثير دور وسائل الإعلام ووسائل التكنولوجيا الحديثَة السّلبيّ، وخاصّة مع الانفتاح على ثقافة غيرَ المسلمين التي أتاحتْها وسائلُ التّقنيةَ الحديثة في ظلّ عدم وجود أيّ نَوع من الرقابة على كثَيرٍ من وسائل الإعـلَام، وهـو ما جعل الأُسْرةَ تتعرّضُ لأخطارٍ متتالية سوف تزداد بمرور الوقت وتتّفاقم ما لم تجد حلولًا عاجلة لأنّ دَورَ الإعلام أصبح طاغيًا، وكذلك الاختـراق الثّقافي والقيمي لمجتمعنا القوميّ من خلاله، الأمر الـذي أدّى إلى تبديد منظومة القيَم والمعاني الأسَريّة، ونَشر قيمَ ومعانٍ غربيةٍ مُضادةٍ لثقافتنا، تعمَل علَى تبديدِ هُويّتنا، بالإضافة إلى نَشْر سلوكيات منحَرفة، أدّت إلى التّفكّك الأسـريّ، وتمزَيقَ النّسيج الاجتماعيّ، كما أنّه عمد إلى نشر الثّقافة الاستهَلاكيّة.

ضعف الإنتاج المحلي والاعتماد على الأجنبي.. خطر كبير!

الفضائيات.. تتعمد تجاهل توصيات المؤتمرات

وتـزداد خطـورة وسـائل الإعـلام في المجتمعات الإسـلامية خـلال شهر رمـضان الـمبـارك، ورغـم الكتابات والمناشدات وتوصيات المؤتمرات وورش العمل المتكررة سنويًّا والتي تطالب هـذه الوسـائل بمراعاة مكانة الصيام وشعور الصائمين وروحانية الشهر الفضيل، فإنّ القائمين على كثيرٍ من وسائل إعلامنا «لا يُبَيّتون نيّةً للتغيير الإيجابي نحوَ مزيدٍ من المحافظة، والعودة إلى القيَم الإسلامية فيما يُطرَح ويُقدّم من موادّ إعلامية؛ فالإسفافُ يزداد بشكل ممنهَج، ويواصل اختراقَه لدركات الانحطاطَ الإعلامي، في ظلّ غياب مواثيق الشّرَف الإعلامي عن سدّة القيادة، الأمر الذي أحال سُوقنا الإعلاميّة إلى ساحة مفتوحة لا سُلطةَ فيها؛ يُنشَر فيها كلُّ صادر ووارد، من أمريكا والهند، وشرق آسيا وروسيا، وتركيا وفرنسا وغيرها» .
وقد صار التّخصّص في إعلامنا سِمَةً





«الإندبندنت».. تدافع عن الإسلام في مواجهة فضائية عربية!

عرض نماذج إسلامية رائدة في كل المجالات تخلق القدوة لدى الأجيال

مطلوب الاستفادة من تجارب الدول في الإنجازات المتقدمة

الترفيه قيمة إسلامية.. ولكن بشروط

بارزة اليوم، فمَع كمّ الإنتاج الرهيب وكَيْفه، وتعدُّد مصَادره الأميركيّة والهندية، والتركية والفارسية، والمكسيكية وغيرها، صار أربابُ القنوات يَلجأون إلى افتتاح المزيد منها، على شكل قنوات متخصّصة في «السينما والتمثيل»؛ تلبيةً لرغبات الجمهور المخدّر، ومع كلّ قناة ينزل مستوى التحفُّظ، ويهوي مؤشّر الأخلاق، فضلًا عن الإفساد العَقَدي والثقافي المنظّم.

والمعروف أنّ الإنتاج التلفزيوني في العالم العربي قليل جدًّا، ولذلك تعتمد غالبية قنواتنا على المنتج الأجنبي من أفلام ومسلسلات وغيرها وهي تحوي من الخطورة ما تحوي بحكم سيطرة اليهود على معظمها في العالم.

فمن الشبكات التلفزيونية المهمّة التي تسيطر عليها الصّهيونية في أميركا: شبكة «إن بي سي» التي تأسست عام (١٩٢٦)، وهي تُهيمنُ على (٢٠٠) محطة بَثّ تلفزيونية مَحليّة، و(٢٩٩) محطة للبثّ الإذاعي، ويتكون معظم كادرها من اليهود، وهناك شبكة «سي بي إس» التي تُعدُّ من أقوى الشبكات التلفزيونية الأميركية، ويصل نفوذها إلى كندا وأوربا وأستراليا ونيوزلندا، حيث تأسست عام (١٩٢٧)، وتسيطر على أكثر من (٣٠٠) محطة للبثّ الإذاعي، وأكثر من (٢٠٠) محطة تلفزيونية، ويديرها الرئيس التنفيذي اليهودي «توماس وايمان»، أما شركة «بي بي إس»، فهي شبكة للإذاعة والتلفزيون ترتبط بها (٢٠٠) محطة في (٤٣) ولاية أميركية، ويرأسها اليهودي «فرانك مانكي ديلس»، إضافة إلى أبرز الشبكات الإخبارية، وهي «سي إن إن»، وشبكة «فوكس» لميردوخ اليهودي.

إنّ نفوذ اليهود الصهاينة وسيطرتهم على وسائل الإعلام الأميركية تَفُوق كل تصور، حيث يسيطرون على أغلب دور النشر والإنتاج السينمائي والمكتبات العامة... إلخ. وإلى جانب سيطرة الصهاينة على أهم وسائل الإعلام في الغرب، فإنهم استطاعوا أن يؤسّسوا مؤسسات إعلامية في إسرائيل لا تقلُّ أهميتها وخطورتها عن الوسائل الإعلامية التي تحدّثنا عنها آنفًا.

إنّ امتلاك وسائل الإعلام والسّيطرة عليها، شأنه شأن أشكال الملكيّة الأخرى، متاح لمن يملكون رأس المال، والنتيجة الحتمية لذلك هي أنّ تُصبحَ محطات الإذاعة، وشبكات التلفزيون والصحف والمجلات، وصناعة السينما ودور النشر مملوكةً جميعًا لمجموعة من المؤسسات المشتركة والتكتّلات الإعلامية، وهكذا يصبح الجهاز الإعلامي جاهزًا تمامًا للاضطلاع بدور فعّال وحاسم في عملية التضليل .

جهاز مُضلّل

ولاشكّ أنّ الجهاز الإعلامي الصهيوني أكبر مضلّل وأعظم متلاعب بالعقول في هذا العصر، ويكفينا برهانًا على ذلك ما نقرأه من مقالات على صفحات الصحف والمجلات الغَربية التي تزكي أطروحة «صراع الحضارات» التي تحدث عنها «صامويل هنتجتون» في كتبه كثيرًا، وتنظر إلى الإسلام باعتباره دينَ التخلف وعدوّ الحضارة، كما نجد في السينما الغربية التي تُصورُ الإنسان المسلم بأبشع الصور، وتصفه بأقذر الصّفات – أعظم دليل على التضليل والتدمير الإعلامي الذي تمارسه الأجهزة الصهيونية المسيطرة على السياسة الإعلامية الدولية.

فأين إعلامنا الإسلامي من هذا التقدم الذي حازه الإعلام الصهيوني على مستويات عدة؟! وأين أمّة الإعلام من الإعلام؟! متى نمتلك أسلحة العصر ونلتحق بالركب الحضاري؟! ألم يَحن الوقت بعدُ لنُسمعَ العالم صوت الحق؟! إن لم يكن ذلك اليوم فمتى؟! يجب علينا كأمّة إسلامية ونحن على عتبات الشهر الكريم أنّ نجعله بداية الانطلاقة الكبرى وأنّ نسعى إلى خلق مؤسسات إعلامية مقاومة ومجاهدة بالمفهوم الواسع والشامل، تتبنى المواجهة الإيمانية والعقلانية على جميع الجبهات، وتقف سدًّا منيعًا ضدّ تسرب أي شكل من أشكال التطبيع والغزو الثقافي أو الاقتصادي، اللذين يمهدان للغزو العسكري الاستدماري، وهذا لا يتأتّى إلا بوجود إرادة صادقة، وعزيمة قوية، واتحاد كلمة الأمة، وتكاتف جهودها، رجال الأعمال بتمويلهم، والعلماء بعلمهم، والإعلاميون بأقلامهم وآلاتهم ومنابرهم، والعُمّال بسواعدهم، والشباب بحيويّتهم وطاقاتهم، والشيوخ بتجاربهم ونصائحهم، كلٌّ يعمل على شاكلته.

وإذا كان في رمضان تُصفّد الشياطين، إلا أنّها في وسائل الإعلام في كثير من الدول الإسلامية، تتنادى وتجتمع لتُقيم الأفراح والليالي الملاح، وتلعب بالأهواء وتلهب الشهوات وتفتح الباب على مصراعيه للتسيب والتحلل والرذيلة.





رمضان.. نهضة شاملة

علاء الدين حسن - كاتب صحفي

ما خلق الله- سبحانه وتعالى- شيئًا في هذا الكون عبثًا، ولا فرض الله- سبحانه- على العباد فريضة سُدى، وما حرم الله- جل وعلا- شيئًا إلا لحكمة بالغة، ولا أمر بفعل شيء إلا لمصلحة شاملة، ذلك أن شريعة الله- عز وجل- لها من المقاصد ما يصلح حياة الإنسان في دنياه، ويضمن له الهناء في معاده.

فالصلاة في طياتها من الحكم ما يتم به ربط الإنسان المؤمن بربه، وما يؤدي إلى إصلاح الذات، يتم ذلك عن طريق مراقبة الله بذكره في كل الأوقات.

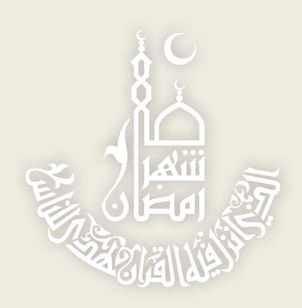
وشأن الصيام كشأن الصلاة، فقد فرض الله الصيام على عباده المؤمنين، وكان المقصد الأساس هو تقوى الله عز وجل.

فإذا صمت مخلصًا، وإذا ما علمك الصيام التقوى في أعمالك وأقوالك، فاعلم أن ثواب الصيام سيكون كبيرًا، وهاهو رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا» (رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري- ك الصيام- حديث رقم ٢٧٦٧).

فشهر رمضان شهر التقوى، شهر أنزل الله فيه القرآن، فيه تتلى وترتل آيات القرآن، فيه تفسر وتفهم معاني القرآن، فيه تتلألأ المجالس على مائدة القرآن.

ومن مقاصد هذا الشهر الكريم أنه يحيي وقدة الإيمان في قلب المؤمن، ويبعثها حية من جديد، مهما خبت تحت رماد الغفلة والتفريط.

ومن مقاصد الصيام أيضًا الانضباط في السلوك، مما يجعل الإنسان خلال يومه وليلته خاضعًا لضوابط الشرع



الحكيم، فلا يتصرف في ضروريات جسده إلا بنظام.

إن الصيام على الدوام عبادة
وسقاية في الخلد من ريَّان
خير الليالي منحة من فيضه
و«بدر» نصر في مدى الأزمان
فيه ملائكة السماء تنزلت
فتحقق العلياء للشجعان

تحرر فانطلاق

وشهر رمضان- من الناحية النفسية- يتميز بزلزلة السكون الملتصق بالطين، على أمل إطلاق الروح لتمضي في طريقها إلى العالم العلوي، لتقف في حضرة الإله وتعود بقبس من نوره تستعين به على ظلمات الأرض، وتستشعر في ذلك اطمئنانًا لم تتذوقه الحواس من قبل.

وهاهنا يواصل القلب الرحلة في سموات اليقين والوجدانات والوجد، ثم يسلم القياد للروح التي تنطلق سابحة في نور تحده حدود، متجاورة آفاق اللغات، لتتلقى الحكمة الإلهية والنور الرباني بلا وسائط، هذه الإشراقة وحدها تحرك الجوارح لتقوم الليل وتهجر النوم، وتستيقظ في فجر وسيم مترع بعبق الإيمان الذي يسبق نور الصباح.

رمضان كون نوراني يدور في سماء الصائم مولدا فيه أضوأ الخواطر، وأنزه الأفكار.

ورمضان يرتقي بالنفوس البشرية إلى مصاف الملائكة المقربين.

وفي رمضان تعمر المساجد، فيغدو الصائمون إليها جماعات، حيث أمَّنهم من الزلل، ورجاؤهم في الله، وهم كذلك يروحون منها وقد وقر في نفوسهم حب الخيرات: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

والمؤمن في رمضان جواد كريم، وقدوته رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وفي الجود فك الكربات، وسد الحاجات، وعون على النائبات، واستجابة إلى ما يحيي النفوس ويجدد إيمانها.

ورسول الله ﷺ يخطط لهذا الخلق تخطيطا سليمًا يقوم عليه نظام الجماعة، وكفالة الأفراد، ورسول الله ﷺ يفعل بالقدوة الحسنة ما يحمل أصحاب الأموال على الجود والسخاء، ليبني الإنسانية على عُمُد من الرحمة والائتلاف والإحسان، ولينهض بها من كبوات الشح والبخل والحرص، إلى ذروة الجود والكرم والمعروف، وما الله بخاذل رسوله، لأنه كان يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويعين علي نوائب الدهر.

وفي رمضان.. القلوب على الحب مقبلة، والصدور للخير منشرحة، والركب نحو الخير سائر، والجماعة في اتجاه التقوى منطلقة، والمشمرون الجادون متوفرون، تمتلئ بهم المساجد والجوامع، وتتلقاهم مواطن الطاعات، فطوبى لمن أوى إلى ربه، وصدق في الرغبة إليه.

مقاصد أخر

ومن مقاصد الصيام أيضا أنه يقوي الإرادة والعزيمة، وقد أدرك السابقون الأولون مقاصد وأهداف الصيام والقيام.

لقد صامت قلوبهم فامتلأت بنور الله، وتسامت وتعلقت بما عند الله.. فهل صامت قلوبنا؟

وصامت آذانهم عما يغضب الله، فما سمعوا كلامًا منكرًا ولا لغوًا ولا رفثًا ولا فجورًا.. فهل صامت آذاننا؟

وصامت أعينهم عما لا يرضي الله، فغضت عن محارم الله، وكثيرًا ما بكت من خشية الله.. فهل صامت أبصارنا؟

وصامت ألسنتهم فاشتغلت بتلاوة القرآن، وتركت الكذب والزور والفحش والبهتان.. فهل صامت ألسنتنا؟

وصامت أيديهم عما حرم الله فما غشت ولا دلست، ما نقصت ولا طففت، وما سرقت ولا زورت.. فهل صامت أيدينا؟

وصامت أنفسهم فأقبلت على الصيام والقيام، عرفوا مكانة مجالس العلم فحفتهم الملائكة، وعرفوا قيمة الجود والسخاء في شهر القرآن، فأكثروا من العطاء والبذل والإحسان.. فهل صامت أنفسنا؟

لقد وعوا حقيقة الصيام، فكان شهر رمضان عندهم غنيمة يتسابقون لنيل أكبر قدر من الثواب والأجر العظيم، قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه - حديث رقم ١١٥٣).

وفي الحديث القدسي الجليل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري في الصوم عن أبي هريرة- ح رقم ١٩٠٤).

والصوم لا يؤتي ثماره إلا بترك ما قد حرم الله.

قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري في الصوم عن أبي هريرة برقم ١٩٠٣).

وقال ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث...) (جزء من حديث رواه البيهقي والحاكم بسند صحيح).

وقال: «رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس من قيامه إلا السهر» (رواه ابن ماجه في الصيام عن أبي هريرة برقم ١٧٦٠).

وشهر رمضان حافل بالأحداث الكبيرة، ففيه نصر الله المؤمنين على المشركين في معركة فاصلة حاسمة بين الحق والباطل ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

وفي رمضان من السنة الثامنة لهجرة الرسول الكريم، فُتحت مكة المكرمة، وفي شهر رمضان ليلة القدر المباركة التي هي خير من ألف شهر.. ولله در القائل:

إنه الصَّومُ الَّذي أوصَى به
رحمةً بالنَّاسِ ربُ الحكمَاءْ



همة عالية وثبات قلب

منى السعيد الشريف - ناشطة تربوية

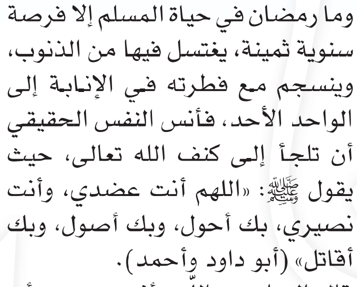
قديما قالوا إن الفرصة لا تأتي في العمر إلا مرة واحدة، فطوبى لمن استغلها، ورغم أن لهذا الكلام بعض المآخذ، إلا أنه ينطوي في ذات الأمر على بعض الفوائد، فالفرص في حياة الإنسان عامة متعددة ومتنوعة، وفي حياة المسلم أكثر تعددًا وتنوعًا، والسعيد من استثمر رصيد فرصه في النافع، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأماني.

إن عمر الإنسان نفسه أعظم فرصة، وما المرء إلا أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضه، وأغلى ما يسعى فيه المرء أن يعتق نفسه التي بين جنبيه من النار ومن غضب الجبار.. تلك هي رسالة المسلم النبيلة، التي كرس لها كل جوارحه وأوقاته، فعمر الأرض وعمر لحظاته كلها فيما يرضي الله تعالى.



وما رمضان في حياة المسلم إلا فرصة سنوية ثمينة، يغتسل فيها من الذنوب، وينسجم مع فطرته في الإنابة إلى الواحد الأحد، فأنس النفس الحقيقي أن تلجأ إلى كنف الله تعالى، حيث يقول ﷺ: «اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل» (أبو داود وأحمد).

قال المناوي: «اللّهم أنت عضدي أي معتمدي، قال القاضي: العضد ما يعتمد عليه ويثق به المرء في الحرب وغيره من الأمور «وأنت نصيري، بك أحول» قال الزمخشري: من حال يحول بمعنى احتال، والمراد كيد العدو، أو من حال بمعنى تحول، وقيل أدفع وأمنع، من حال بين الشيئين إذا منع أحدهما عن الآخر «وبك أصول» أي أقهر. قال القاضي: والصول الحمل على العدو، ومنه الصائل «وبك أقاتل» عدوك وعدوي. قال الطيبي: والعضد كناية عما يعتمد عليه ويثق المرء به في الخيرات ونحوها وغيرها من القوة.



كيف تفوتك الفرصة الرمضانية؟!

فلتشحذ الهمة، وتأخذ الأهبة لنيل بركات هذا الشهر الكريم.. ألا يسرك أن تكون من أهل باب الريان، ومن أهل العتق من النيران، ومن أهل جنة الرضوان، ومن أتباع هدي النبي العدنان.. كيف الفتور وقد سلسلت الشياطين، وغلقت أبواب الجحيم؟! وكيف التقاعس والرحمن قد منح الأمة ليلة القدر، وتكفل بجزاء الصوم؟! لا تستصغر همتك، ولا يهولنك مظهر الجوع والعطش، فإن من وراء الأكمة الخير الجزيل.

كتب العالم الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها «ميمون بن مهران» إلى عمر بن عبدالعزيز- رحمه الله: إني شيخ رقيق، كلفتني أن أقضي بين الناس، وكان على الخراج والقضاء بالجزيرة. فكتب إليه: إني لم أكلفك ما يعنيك، اجب الطيب من الخراج، واقض بما استبان لك، فإذا لبس عليك شيء، فارفعه إلي، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه، لم يقم دين ولا دنيا.

صاحب الهمة العالية يذلل الصعاب من خلال النظر إلى حسن العاقبة، فالفتور غير موجود في قاموسه الفكري والشعوري، فهو يتعامل مع الصعاب كواقع، الجوع والظمأ لا يقيد حركته، ولا يجعله واقفًا جامدًا مكانه، لأن همته العالية تسمو به إلى آمال وآفاق كبيرة وبعيدة، وينظر من خلال همته دائمًا إلى منح الله في أوامره.

ولقد كان من هدي علماء السلف أنهم كانوا إذا جاء شهر رمضان، يتركون العلم، ويتفرغون لقراءة القرآن، حتى قال بعضهم: «إنما هما شيئان: القرآن والصدقة». وكان الإمام الزهري- رحمه الله تعالى- كذلك. وكذلك كان الإمام مالك، وهو ممن اشتهرت منزلته وقيمته واهتمامه بحديث رسول الله ﷺ وتعظيمه له، حتى إنه كان لا يحدثهم إلا وهو على وضوء ويبكي ويتخشع، وكان يقدّر ويُجل حديث رسول الله ﷺ؛ ومع ذلك كان إذا دخل رمضان، لم يشتغل بالحديث بل يترك الحديث ويقبل على القرآن، وكذلك كان سفيان الثوري رضي الله عنه.

وقد تفتر النفس في الاستمرار على العمل الصالح والمداومة عليه، ولمعالجة هذا الداء لابد من العزيمة الصادقة على لزوم العمل والمداومة عليه، أيًا كانت الظروف والأحوال، وهذا يستلزم نبذ العجز والكسل والدعة والخمول، وإذا كان الإنسان يكره الموت الذي فيه انقطاع حياته، ويكره الهرم الذي فيه انهيار شبابه وقوته، ألا يدرك أن هناك أمرًا- لربما كان أشد منهما- وهو العجز والكسل، وضعف الهمة والتراخي، والتسويف وركوب بحر التمني، مما يقعده عن كل عمل صالح، ويثبطه عن كل برٍّ وطاعة.

وقد كانت حياة السلف، رحمهم الله، معمورة بطاعة الله حتى يلقوا ربهم، وأقوالهم وأحوالهم في ذلك كثيرة، قال ميمون بن مهران: «لا خير في الحياة إلا لتائب، أو رجل يعمل في الدرجات، ومن عداهما فخاسر».

وقال بعضهم يحكي حالهم: «كانوا يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس»، يريد أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير.

وفي الترمذي عنه ﷺ، أنه سئل: أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله» قيل: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» (صحيح الترمذي).

وبكى معاذ رضي الله عنه عند موته وقال: «اللهم إني لم أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، إنما أبكي لظمأ الهواجر وقيام الليالي

المظلمة، ومزاحمة العلماء بالركب، ومجالسة أناس ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر».

وقال أحد الصالحين عند موته: «إنما أبكي على أن يصلي المصلون ولست فيهم، وأن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم».

فما أعظم الانتكاسة بعد الطاعة، وما أقبح العود إلى الغفلة بعد الذكرى والموعظة، وقد كان من دعائه ﷺ: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» (صحيح الترمذي)، ومن دعائه أيضا: «اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور» (صحيح النسائي).

إن لإدمان المداومة على الأعمال الصالحة آثارًا حميدة منها: دوام اتصال القلب بخالقه وبارئه، مما يعطيه قوة وثباتا، وتعلقا بالله عز وجل، وتوكلا عليه، ومن ثم يكفيه همه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، ومن الآثار كذلك: تعاهد النفس عن الغفلة، وترويضها على لزوم الخيرات، حتى تسهل عليها فلا تكاد تنفك عنها رغبة فيها، وقد قيل: «نفسك إن لم تشغلها بالطاعة، شغلتك بالمعصية».

إن التوكل الحق قرين الجهد المضيء والإرادة المصممة وليس العجز والكسل، ولم ينفرد التوكل عن القوة والحزم إلى الضعف والتواكل إلا في العصور التي مسخ فيها الإسلام وأصبح بين أتباعه لهوا ولعبا.

وقد استعاذ عمر بن الخطاب- فاروق الإسلام- من الخور الذي ينتاب المسلمين في دعائه المشهور: «اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة»، ففاجر مصابر وتقي منهار مصيبة؛ لأن الفاجر الفاتك النشيط شيطان مريد، والتقي الخامل العاجز المقصر؛ جبان رعديد، والإسلام يريد رجلا قويًا حازمًا بصيرًا.

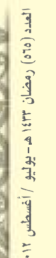
إن الإنسان كلما حقق من الإيمان والفاعلية، ارتفعت قيمة حياته لتنال السعادة والنجاح ورضا الله في الدنيا وسكنى الجنان في الآخرة، والعكس صحيح أيضًا.. فكلما قل نصيب الإنسان من الإيمان والفاعلية ضاعت قيمة حياته فعاش تعيسًا فاشلًا في الدنيا وباء بالخسران في الآخرة.

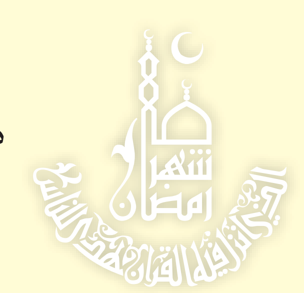
نحن أمة رمضان شهر الفاعلية.. فلقد أوجب الله تعالى على أفراد هذه الأمة أن يكونوا على قمة هرم الإنجاز والفاعلية حتى تستطيع الأمة أن تقوم بعبء هذه الأمانة الثقيلة.

ولعل ذلك هو سر حرص النبي ﷺ على أن يزرع في أصحابه حب الإنجاز والعمل، وكراهية العجز والبطالة والكسل، فكان ﷺ يعلمهم أن يقولوا في كل صباح ومساء: «...وأعوذ بك من العجز والكسل» (البخاري).

ومنهج الإسلام يحوي في ثناياه كل عوامل الإنجاز والفاعلية في تفرد ليس له نظير بين المناهج الأرضية، يقول «بريفولت» في أحد كتبه الشهيرة، وهو كتاب «بناء الإنسانية»: «إن ما يدين به علمنا للعرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل ندين لهم بوجوده نفسه، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود.









الإفراط.. خطر محقق!

أماني عبدالراضي وبشرى شاكر- القاهرة - دار الإعلام العربية

أظهرت دراسة علمية حديثة أن هناك علاقة وثيقة بين الإفراط في تناول الطعام وضعف وتراجع الذاكرة.. كما توصلت إلى أن الإصابة بأمراض الذاكرة والزهايمر ارتفعت للضَعف لدى الأشخاص الذين يتناولون سعرات حرارية عالية مقارنة بمن يتناولون سعرات أقل.. وكشفت أنه كلما زادت السعرات الحرارية الداخلة للجسم زادت فرص الإصابة بأمراض الذاكرة والزهايمر، كما أن المسنين الذين يستهلكون مزيدًا من السعرات الحرارية يوميًا تزيد لديهم مخاطر الإصابة بنوع من فقدان الذاكرة يسمى ضعف الإدراك المعرفي الخفيف..

«الوعي الإسلامي» طرحت الدراسة على عدد من المختصين وجاءتكم بالتفاصيل..

نبدأ مع خبير علاج السمنة وعضو الشبكة الدولية لإذابة الدهون د.أيمن بدراوي، الذي أكد وجود علاقة بين الإفراط في تناول الطعام وضعف الذاكرة، لما يسببه من زيادة نسبة الدهون والدهون الثلاثية في الدم، والتي تترسب على الأوعية الدموية وتؤدي إلى تصلب الشرايين، ما يؤثر في المخ ويؤدي إلى ضعف الذاكرة والإصابة بأمراض المخ الأخرى.

وأضاف: إن السمنة والإفراط في تناول الطعام تؤدي إلى حدوث كثير من المشكلات الصحية منها أمراض القلب والأوعية الدموية، وارتفاع ضغط الدم ومرض السكر وارتفاع الكوليسترول،

وكذا أمراض المفاصل خصوصًا مفاصل الركبة، وتأخر الحمل وجعل النساء أكثر عرضة لسرطان الثدي والرحم والقولون.

وأشار د.أيمن إلى أن هناك أسبابًا كثيرة لانتشار السمنة في العالم، منها قلة الحركة وعدم ممارسة الرياضة، وقضاء أوقات طويلة في التعامل مع الحاسوب والإنترنت، وبالطبع انتشار ثقافة الوجبات السريعة المضرة جدًا بصحة الإنسان.

ونصح بضرورة اتباع نظام غذائي سليم ومتوازن وصحي يحتوي بنسبة كبيرة على الخضروات الطازجة والفاكهة، ونسبة قلية من الدهون والكربوهيدرات والبروتينات، بالإضافة إلى ضرورة ممارسة الرياضة لتنشيط الجسم، والامتناع عن الوجبات السريعة.

مشكلات عديدة

بدوره، أكد د.نشأت شوقي أستاذ جراحة المخ والأعصاب، أن الإفراط في تناول الطعام يؤدي بالفعل إلى إضعاف الذاكرة، مبررًا ذلك بأنه يتسبب في العديد من المشكلات منها زيادة نسبة الدهون التي تدخل الجسم وتترسب في الشرايين، ومن ثم تحدُّ من كمية الدم الذي يصل إلى المخ، مما يؤثر في الوظائف التي يؤديها المخ، فيؤثر في الذاكرة ويقلل من كفاءتها.

وأشار إلى أن هناك العديد من الأضرار المرتبطة بالإفراط في تناول الطعام تؤدي إلى حدوث جلطات وشلل نصفي نتيجة ارتفاع ضغط الدم وزيادة نسبة الكوليسترول، إضافة إلى تراجع وضعف الذاكرة وخاصة فيما بعد سن الأربعين.

أسباب الإفراط

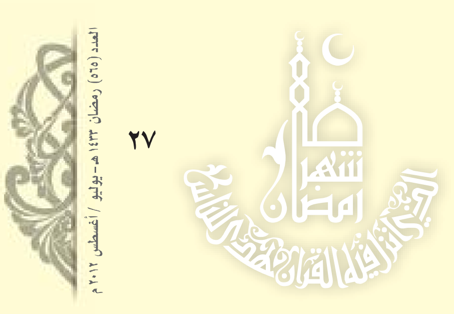
وفي سياق متصل، أكد د.عمرو عبدالوهاب، أستاذ أمراض الباطنة، أن الإفراط في تناول الطعام يسبب العديد من الأضرار على المعدة منها الارتجاع المريئي، ما يؤدي



د. عبدالرحمن عطية: أمراض القلب والقولون والأوعية الدموية والضغط أبرز المخاطر

إلى حدوث حموضة شديدة بعد الأكل، أيضًا حدوث سمنة وبدانة تضر جسم الإنسان وتؤثر في أدائه ووظائفه الحيوية، بالإضافة إلى مشكلات القلب مثل هبوط عضلة القلب.

وأوضح أن هناك نوعيات معينة من الأطعمة مثل الدهون والسكريات تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وأمراض السكر والأوعية الدموية، فتتصلب الشرايين، ما يؤدي إلى حدوث جلطات في المخ





والقلب، وكذا مرض الكبد الدهني الذي يؤدي على المدى الطويل إلى تليف الكبد.

وأشار إلى أن هناك سببين لزيادة الإفراط في تناول الطعام، أولهما نفسي فيكون الإنسان في حالة نفسية سيئة ومكتئبًا فيتحول إلى تناول الطعام بشراهة، أما السبب الثاني فهو وجود اضطراب في مركز تناول الطعام والشبع في المخ يؤدي إلى الإفراط في تناول الطعام.

د. أشرف رياض: الدهون المشبعة والمقليات تضر بالقلب والشرايين وتؤثر في المخ

تقنين الكميات

بينما أشار د.أشرف رياض، استشاري القلب والأمراض الباطنة بجامعة القاهرة، إلى أن الإنسان البالغ لابد أن يقنن كمية ونوعية الطعام التي يتناولها، موضحًا أن كمية الطعام المحددة تختلف للرجال عنها للنساء، كذلك بالنسبة إلى المجهود العضلي والذهني الذي يقوم به الفرد، فلابد لكل إنسان أن يقنن كمية السعرات الحرارية الداخلة للجسم مع كمية الأطعمة ونوعيتها.

وأوضح أن الإفراط في الطعام وتناول الأغذية ذات الدهون المشبعة مثل البيض والسمن واللحوم كثيرة الدهون، ترفع كمية الكوليسترول والدهون الثلاثية وخاصة عند الرجال، الأمر الذي يجعلهم أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب المختلفة كالذبحة الصدرية والجلطات، وهذا الأمر يقل في النساء؛ لأنهن يمتلكن هرمونات خاصة تقيهن من هذه الأمراض.

وأضاف أن الإفراط يصيب أيضًا بعسر الهضم وأمراض القولون المختلفة، وكثيرًا ما يحدث الانتفاخ والشعور بالغثيان والقيء وعدم الارتياح بعد تناول الأطعمة.. لذلك ينصح بتناول كمية محدودة ومتنوعة المصادر من الطعام مثل المواد البروتينية والكربوهيدراتية.. كما ينصح بتناول الخضروات لما لها من فوائد وسرعة في الهضم، إضافة إلى أنها خفيفة على الجهاز الهضمي.

وأكد أن السمنة أصبحت من أمراض العصر، ولم تعد قاصرة على كبار السن، بل تسللت إلى صغار السن بكثرة؛ نظرًا لتناول أطعمة غير صحية، وانتشار الوجبات السريعة الممتلئة بالدهون المشبعة التي يقبل عليها الشباب والأطفال صغار السن متأثرين بالإعلانات الدعائية لهذه الأطعمة شديدة الضرر.

وأكد على ضرورة الابتعاد عن تناول المقليات والدهون؛ لأنها تضر القلب والشرايين وتؤثر في المخ، وننصح

بضرورة تناول السلطة والخضروات الورقية لما لها من فوائد صحية إضافة إلى أنها غنية بالحديد.

أداء المخ

أما د.عبدالرحمن عطية، رئيس قسم التغذية وعلوم الأطعمة بجامعة حلوان، فأكد أن الإفراط في تناول الطعام بالفعل يؤثر في أداء المخ والذاكرة، ويسبب عدم تنشيط الدورة الدموية وقلة حركاتها، كما يؤثر في الألياف العصبية لدى الإنسان، ما يؤثر بدوره في أداء وظائف المخ كلية.

وأضاف أن هناك العديد من الأمراض التي تحدث نتيجة الإفراط في الأكل ومنها حدوث اضطراب معوي، وعسر هضم للمواد الغذائية، حيث إن الإفراط في الطعام يكون أكبر من كفاءة المعدة على الهضم، ومن ثم يحدث إمساك وانتفاخ وعسر مزاج.

وحذر د.عبدالرحمن من الإسراف في تناول الدهون المشبعة والمقليات، مؤكدًا أنها تحتوي على مواد سامة تؤثر في صحة الإنسان وتؤدي إلى تصلب الشرايين وحدوث جلطات المخ والقلب والذبحة الصدرية، كما نصح بضرورة الابتعاد عن السكريات؛ لأنها تؤدي إلى الإصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم، داعيًا إلى أن يتناول الإنسان وجبة غذائية متكاملة تحتوي على خمس عناصر غذائية تتضمن البروتين والدهون والكربوهيدرات والفيتامينات والأملاح المعدنية.

ويؤكد العلم الحديث أن جسم الإنسان يحوي من السموم والمعادن كمية هائلة، ويشير الأطباء إلى أنه فقط من المياه التي نشربها يلج الى جسمنا أكثر من مائتي كيلو جرام من المعادن والمواد السامة، هذا عدا الهواء الذي نستنشقه والذي يملأ رئتينا بثاني أكسيد الكربون والكبريت والرصاص. هاته السموم والمعادن لا يمكن للجسم التخلص منها دون آلية ما، ولا يمكنه امتصاصها مما قد يؤدي لضعف في النشاط العام للخلايا وبالتالي الشعور

د. نشأت شوقي: صلة قوية بين الإفراط في تناول الطعام وضعف الذاكرة

د. عمرو عبدالوهاب: يتسبب في اضطراب مركز التناول والشبع في المخ

بالوهن والضعف والبطء في التفكير، ولذلك فإن الآلية الأمثل للتخلص من هاته السموم هي الصوم فهو ينظف الخلايا منها ويطرح هاته السموم ويزيد مفعول الصيام خاصة إن كان منتظمًا ودوريًا، وبصيام شهر رمضان بأكمله وبنفس المساحة الزمنية يتحول هذا الصيام إلى آلية ميكانيكية يتعود عليها الجسم لطرح السموم خارج الخلايا.

كما أن المدخن الذي يصوم بانتظام يساعد جسمه على التخلص من سموم السجائر ويكون أكثر قدرة على الإقلاع عن التدخين من غيره.

وقد أكدت دراسات معاصرة أيضا أن الصيام يعالج مرض العصر الآن وهو البدانة التي تؤدي بدورها إلى أمراض عدة منها ارتفاع ضغط الدم والسكري والكولسترول وأيضا تكون سببا في أمراض العمود الفقري.

كما أن أعتى الأمراض الشائعة في المجتمع الغربي الآن والتي تصيب المسلمين بنسبة أقل وهو مرض الزهايمر، فوفقا لدراسة أجراها معهد أمراض الشيخوخة بولاية «بالتمور» الأميركية، تأكد أن الصيام لفترات منتظمة يحمي الدماغ من جل الأمراض التي يمكن أن تؤثر على وظائفه مثل أمراض الزهايمر والرعاش والشلل الدماغي، وهناك نوعان من الخلايا العصبية يزيد نموها أثناء الصيام مما يؤدي إلى نقص في السعرات الحرارية، وبالتالي تتصدى هذه الخلايا للأمراض سالفة الذكر.

كما أن معهد «انترمونتين ميديكال» في مدينة «موراي» الأميركية سبق أن أجرى بحثًا على نحو ٢٠٠ شخص بصحة جيدة طلب منهم الصيام لمدة ٢٤ ساعة فتبين أن نسبة الكولسترول ترتفع في الدم فيستعمل الجسم مخزون الخلايا الدهنية كمصدر حراري عوضًا عن الجلوكوز مما ينجم عنه نقص خلايا الدهن في الجسم وبالتالي يقل خطر مقاومة الأنسولين والتعرض لمرض السكري.

كما أن دراسة أخرى أجريت سنة ٢٠٠٨، على طائفة «المورمون» التي تصوم بانتظام، أوجدت أن خطر تعرض أفرادها للإصابة بأمراض القلب والشرايين وكذا السكتات الدماغية عند الذين يصومون أقل من النصف عند الذين لا يصومون بتاتًا، وأعيدت حديثًا الدراسة نفسها ولكن على المسلمين وتبين أن أفضل صيام هو ما يقوم به المسلمون حيث وصف الأطباء الأميركيون للمرضى هذا النوع من الصيام إذ تبين أن أفضل الصيام هو الذي تتخلى فيه عن الوجبتين الأساسيتين في الصباح وإلى الغروب أي الإفطار والغذاء، وهو صيام المسلمين نفسه الذي يبدأ من الفجر إلى الغروب، كما أكد هؤلاء الباحثون الأميركيون أن أفضل الصيام سنويًا هو صيام يومين في الأسبوع، وهنا يتجلى إعجاز آخر وهو صيام يومي الاثنين والخميس، وقد روى ابن ماجه والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قولها: «إن النبي ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس».



سبب في كثير من المشكلات الزوجية..

هوس التسوق الرمضاني.. كيف تواجهينه؟

دعاء الفولي - القاهرة - دار الإعلام العربية

في هذه الأيام تصرخ ميزانية الأسرة، وتئن من هوس التسوق الذي يجتاح الأسرة تزامنًا مع شهر رمضان، ويتسبب في كثير من المشكلات الأسرية التي قد تنتهي بالطلاق.. فمعروف أن تنظيم المصروفات من أصعب الاختبارات التي تواجه الزوجين مطلع كل شهر، ويتفاقم الأمر في رمضان.. وبطبيعة الحال تتحمل الزوجة المسؤولية عن عبء تنظيم المصروف كل شهر.. «الوعي الإسلامي» توجهت بالسؤال إلى عدد من السيدات حول الطريقة التي يتبعنها من أجل صمود الميزانية خلال الشهر الفضيل.

«من الطبيعي أن يواجه المتزوجون مشاكل مالية عديدة عند وضع ميزانية شهرية لاحتياجاتهم، خصوصًا في شهر رمضان؛ بسبب المتطلبات الزائدة في هذا الشهر».. هكذا بادرتنا «فدوى» - زوجة وأم موضحة: مهما كان الدخل المادي للزوج كبيرًا، فلابد أن تحدث حالات طارئة تجعله يتلاشى قبل نهاية الشهر، إذا لم تحسن الزوجة تدبير أمورها جيدًا. وفيما يتعلق بي، قمت بالاتفاق مع زوجي على وضع خطة نسير عليها خلال شهر رمضان، وبالطبع كنت أنا من تولاها، وأصبحت مسؤولة عن شؤون المنزل المالية، وكان زوجي يعطيني أكثر من نصف



خطة رمضان

من الأفضل معرفة الدخل السنوي للأسرة وكذلك المصروفات المطلوبة. ويجب ألا يزيد المصروف مطلقًا على الدخل، بل يجب أن يكون أقل منه بقدر الإمكان.

تدون المصروفات الثابتة ومواعيد استحقاقها.. كما يدون دخل الأسرة، لتحصل ربة البيت على ما تستطيع التصرف في حدوده خلال الشهر على البنود المختلفة وغير الثابتة، مثل الغذاء والاحتياجات المنزلية والنفقات الشخصية ومبلغ للطوارئ والمرض أو الهدايا وغيره.

على ربة البيت معرفة أن بداية أي شهر ليست مقياسًا لباقي أيام الشهر، حيث تزداد المتطلبات من تموين رئيسي مثل الأرز والسكر، والزيت والصابون وغيرها، من المستلزمات التي لا يتم شراؤها على مرات متعددة بل دفعة واحدة كل شهر.

بعد ذلك يقسم المبلغ المتبقي على الأسابيع الأربعة للشهر لشراء المتطلبات اليومية والأسبوعية مثل الخبز واللبن والخضر والفاكهة واللحوم.

ومن المهم جدًا تدوين هذه المصروفات أولًا بأول، حتى تستطيع ربة البيت أن تراقب ميزانيتها باستمرار؛ كي تتعرف على ما صُرف في كل بند، حتى إذا وجدت أن هناك زيادة في الإنفاق في أحد البنود تستطيع إنقاصه في الأسبوع التالي، وهكذا حتى يمر الشهر بسلام ودون مواجهة أي أزمات مالية.

إدارة الميزانية

لا يُشترط في إدارة ميزانية المنزل أن تكون بيد الرجل أو المرأة؛ لأنهما مكملان لبعضهما، بقدر ما يحتاج كلاهما إلى تفهم هذه الميزانية.. ومشاركة الطفل للعائلة في كيفية الصرف على بعض الأشياء، ولو كانت بسيطة تدربّه على تحقيق واكتساب حسن إدارة صرف ميزانيته.. ومن هنا يتضح أن للأسرة وتعاونها دورًا قويًا في الترشيد والادّخار.

التبذير مذموم

يؤكد د.حسين شحاتة أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، أن شهر رمضان ليس للأكل والشرب، إنما للعبادة، فالله سبحانه وتعالى نهى عن التبذير والإسراف، وأمر بالاعتدال والوسطية في كل شيء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، وقال تعالى:﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسرف وإن كنت على نهر جار».. فالإسراف محرم في رمضان وفي غيره من الأشهر، فينبغي على المسلم أن يتقي الله في أفعاله التي سيحاسب عليها.

راتبه كمصروف شهري، وبطبيعة الحال كان المبلغ يزداد مع كل زيادة تضاف إلى راتبه، لكنني ومع مرور الوقت لم أحسن تدبير أموري المادية جيدًا، فلم ألتزم بما سرت عليه منذ البداية، وأبسط مثال على ذلك إذا ذهبت إلى السوق فإنني أنفق دون حساب، وأقوم بشراء أشياء أجد أنني لست بحاجة إليها عندما أعود إلى المنزل، وفي كثير من الأوقات أصطحب الأولاد لأي مطعم لتناول الطعام أكثر من مرة خلال الأسبوع، ما يتسبب دومًا في عجز الميزانية قبل نهاية الشهر.

عزائم متكررة

بينما تقول «نهال» متزوجة حديثًا: عُرفت طوال حياتي بسمة النظام في كلِ أموري، فلم يحدثْ قط أن واجهت مشاكل مادية سواء عندما كنت طالبة أو عند عملي.. وبعد زواجي اتفقت مع زوجي على المساهمة معًا في المنزل، كل حسب راتبه، فكانت مساهمته ضعف مساهمتي، فشكلنا ميزانية ننفق منها طيلة الشهر، كما ندون احتياجاتنا على ورقة قبل الذهاب

للشراء، واستمر بنا الحال هكذا بضعة أشهر قبل أن نفيق على أمور لم نضعها في الحسبان، وكانت الطامة الكبرى مع هوس التسوق في الأيام التي سبقت شهر رمضان بسبب التحضير للعزائم المتكررة طوال الشهر الكريم! لدرجة أنني استلفت من والدتي أضعاف راتبي!.

اشتر ما تحتاج إليه

بدوره، أوضح أحمد كامل، مراجع لغوي، أن المسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة في الاستهلاك وشراء المستلزمات لشهر رمضان الكريم؛ لذا ينبغي تطبيق قاعدة: «اشتر ما تحتاج إليه لا ما تريده»، وهذا يغني عن الوقوع في هوس الشراء.. ويشكل التعاون بين الزوجين أحد أسرار نجاح الميزانية التي ينبغي الإعداد لها مسبقًا، ويتحقق إيقاف الهوس مثلًا بألا نشتري أربعة أصناف من الفواكه ونكتفي بصنفين، وهكذا. ومن أفضل الطرق للحد من هوس الشراء هو عدم الشراء وأنت صائم وتشعر بجوع، فقد أثبتت الدراسات أن الشراء بهذه الحالة يجعلك تشتري ما لا تحتاجه، والشراء بعد الإفطار أفضل من تعرضك لضغط الصيام، فتغضب الله بالإسراف وتخسر مالك.

الرجال يكرهون التسوّق

وبينما تأكد لدى كثير من علماء النفس والاجتماع أن حب المرأة للتسوق أمر طبيعي ناتج عن تكوينها النفسي وبيئتها الاجتماعية والتربوية، اختلفت الدراسات حول فكرة كره الرجل للتسوق، حتى فيما يتعلق بشراء احتياجاته الخاصة، واختلفت أيضًا الآراء، فالبعض قال إن ذلك عائد لتكوين الرجل النفسي، والآخر قال إن طبيعة الرجل العملية تجعله أقل اهتمامًا بأمور التسوق بشكل عام.. فعلى سبيل المثال توضح إيمان عاكف، أن أخاها مثلًا لا يحب الذهاب معها لشراء أي شيء يخصها، وأنه لا يفضل حتى انتظارها بل يجعلها تذهب مع صديقاتها وينتظرها في السيارة، أو يأتي ليأخذها بعد موعد محدد وذلك؛ لأنه غير صبور- على حد قولها- وهي تحتاج إلى وقت طويل لكي ترى أكثر من مكان لتشتري منه.

أما إيمان إسماعيل، (متزوجة)، فتقول إن زوجها يذهب للتسوق معها لكن بعد أن تقوم بإقناعه وهو ما يحتاج منها إلى مجهود كبير؛ لأنه يدعي أن التسوق يصيبه بالعصبية ويأخذ من وقته وحتى في يوم عطلته لا يحب الخروج والتحرك كثيرًا كما تحب هي. كما أنه لا يحب التسوق معها- على حد قولها- لأن ذلك يجعلها تبذر أكثر فيما يتعلق بالأموال الخاصة بالشراء، فبدلًا من أن يكون لها ميزانية محددة تعتمد على أن زوجها معها وتشتري ما تريد دون حساب.

إحساس بالأمان والسلطة

بدوره، يقول أستاذ الطب النفسي، د.أحمد عبدالله، إن فكرة التسوق يجب أن نبدأها بسؤال مهم، وهو: «لماذا تحب النساء التسوق أصلًا؟»، فقد تم إجراء الكثير من الدراسات على كثير من النساء في العالم، واتضح أن فكرة التسوق موجودة في عقول معظمهن، إذ يقوم التسوق بإشباع جانب الثقة بالنفس واقتناء العديد من الأشياء؛ لتكون ملك المرأة حتى وإن لم تفعل بها شيئًا محددًا، وهذا يعطيها الإحساس بالأمان والسلطة والرضا عن نفسها وعن حياتها، وقد يروح عنها بعض المشاكل الحياتية أو الضغط الذي يواجهها، حتى إن موضوع التسوق يصل عند بعض النساء إلى مرحلة الجنون أو النهم بالتسوق لمجرد الاقتناء دون وجود أهمية لذلك، ويتحكم في هذا عوامل السن والحالة الاجتماعية ومدى انشغال المرأة نفسها، فالمرأة العاملة تختلف في طريقتها في التسوق عن ربة المنزل، وكذلك الزوجة تختلف عن الفتاة العزباء وهكذا.

أما بالنسبة إلى الرجل، فهو يقوم بإشباع المنطقة الترفيهية في المخ عنده بطرق أخرى مختلفة تعادل التسوق عند المرأة، فكما يحقق التسوق للمرأة الرضا تحقق أشياء أخرى للرجل الرضا كمشاهدة مباراة كرة أو لعب الرياضة.

أما عن أسباب كره الرجال لفكرة التسوق في حد ذاتها، فهي تعود إلى أسباب عدة منها على سبيل المثال: تضمن التسوق للأموال التي يدفعها الزوج لزوجته للحصول على ملابس أو أشياء هو يرى أنه لا أهمية منها ولن تجدي، وإن كانت ستجدي فإن سعرها أغلى مما تستحق، وبالطبع لا ترى المرأة ذلك بل وتعتبر تعامل الرجل بحذر مع فكرة المال في الشراء أحيانًا هو بخل من جانبه، كما أن فكرة التعامل مع التفاصيل في التسوق للحصول على أفضل نتيجة- وهذا ما تفعله المرأة- لا يقبله الرجل أصلًا؛ لأن الرجل لا يحب التعامل مع التفاصيل بشكل عام ولا تهمه ولا يلتفت لها، أما المرأة فعلى العكس تلتفت للتفاصيل أحيانًا أكثر حتى من الفكرة الرئيسية، وهذا ما يجعل النساء تأخذ وقتًا طويلًا في التسوق والرجال لا يأخذون وقتًا طويلًا، ويجعل أيضًا معظم الرجال لا يحبون التسوق مع زوجاتهم نتيجة لتلك الأسباب.

أحد الأسباب أيضًا التي تجعل الرجال يكرهون التسوق وخاصة مع زوجاتهم هو أن الرجال ينظرون إلى الشيء الذي سوف يتم شراؤه من جهة الوظيفة؛ بمعنى أن الرجل يشتري الملابس لكي تؤدي وظيفة معينة، وهي أن تكون ملائمة للعمل أو ملائمة لأن يلعب بها الرياضة، لكن لا ينظر فعليًا إلى خامة الملابس أو شكلها الجمالي بدرجة كبيرة، أما المرأة فهي تنظر لكل الجوانب، بدءًا من وظيفة الملابس التي تشتريها ومرورًا حتى بخامة تلك الملابس وانتهاءً بشكلها الجمالي، ما يجعلها تذهب إلى أكثر من مكان؛ لكي تختار من بين اختيارات ضخمة، وهو ما لا يفعله الرجل، ومن ثم يكون ذلك سببًا وداعيًا أكبر لعدم حب الرجال للتسوق.

صيام الأطفال في الإسلام

سهير الشاذلي- باحثة مصرية

قديما كان لصيام الأطفال في شهر رمضان نكهة خاصة حيث يصر الأهالي علي إيقاظهم وقت السحور، ليس لمشاهدة المسحِّر الذي كان يشكل صورة «فلوكلورية» بديعة بفانوسه وطبلته وسلته، التي كان يجمع فيها ألوان الأطعمة لسحوره، بل لإيجاد محاولة للدخول في دائرة الكبار وممارسة الصوم، وكان الأهل يسعون لإقناعهم بالصوم فقط حتى الظهر، وعندما يصوم الطفل كامل النهار تحتفل أسرته بهذا الإنجاز وتُغدق عليه الأعطيات، ويتولي والده حمله على ظهره والسير به ابتهاجا وسرورًا، وكان الأطفال الصائمون يعّيرون لداتهم من غير الصائمين.



وعلينا أن نوضح لأبنائنا المعنى الحقيقي للصيام حتى تصل الفكرة واضحة للطفل، فمن القصور الشديد أن يصل معنى هذا الشهر للطفل على أنه فقط ابتعاد عن الطعام والشراب مما يؤدي إلى تعجب الطفل وتساؤله لماذا ينهانا الله عن تناول هذه المأكولات والمشروبات وقد تعودنا عليها وسمح لنا بتناولها طوال العام.. ولكي يجد الطفل إجابة عن تساؤلاته ولكي تكتمل هذه الصورة أمام الطفل نحتاج للكثير من الاهتمام الحقيقي لتوصيل الفكرة الحقيقية للصيام مثل التآخي بين الناس، فمواعيد الإفطار والإمساك عن الطعام واحدة، وهذا يقوي روح الجماعة بين المسلمين، خاصة أن الإسلام يحض ويشجع على العمل الجماعي، وأن للصيام فوائد اجتماعية وخلقية عظيمة الشأن فهو يربي في الإنسان فضيلة التقوى، وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣) والصيام يعوّد المسلم على الصبر وقوة التحمل والإرادة والعزيمة وهي من الصفات الضرورية للمسلم الصغير، كما يربي الصيام لدى الطفل صفة المراقبة والانضباط الذاتي، فالصائم لا يراقب أحدًا بصومه إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو المطلع عليه.

والصوم فيه إحساس من الغني بآلام الفقير الذي لا يجد قوت يومه، فالغني إذا ما صام فسوف يحس بألم الجوع، وهنا يدرك ما يعيش فيه الفقير الذي يصاحبه الجوع في رمضان وغير رمضان، والصوم فوق كل هذا فيه وقاية للمجتمع المسلم من الشرور والآثام لأن الصائم لا يمسك فقط عن الطعام والشراب وإنما يهجر جميع المعاصي والسيئات، فجوارحه تصوم عن كل ما هو خبيث من القول والعمل.

من شروط صيام الطفل المسلم أن يطيقه، لما روى في الحديث الشريف عن ابن عباس: «تجب الصلاة على الغلام إذا عقل والصوم إذا أطاق والحدود والشهادة إذا احتلم» وكذلك الحديث: «إذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام وجب عليه صيام الشهر كله»، وقد اختلف الأئمة في تحديد السن التي يجب على الآباء والأمهات أن يأمروا أولادهم عندها بالصيام، فبينما قال الشافعي وأبوحنيفة: «يؤمر الولد بالصيام وهو ابن سبع سنين»، نرى الإمام أحمد يحدد بداية الصوم بعشر سنين، وقال إسحق: «إن من واجب الآباء والأمهات أمر أولادهم بالصوم عند بلوغهم اثني عشر ربيعا»، ويقول الإمام الأوزاعي: «إذا طاق ثلاثة أيام تباعا لا يضعف فيهن حُمل على الصوم»، ويستحسن تدريب الصبيان المميزين على الصوم لما روي عن الربيع بن مسعود قال: «أرسل رسول الله ﷺ- غداة عاشوراء- إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان مفطرا فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه وتصُوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعب من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه عند الإفطار» (رواه البخاري)، كما يجب تشجيع الأطفال على الصيام إذا كانت صحتهم تتحمله ولا يجب أن يدفع الخوف على الأبناء أو على قدراتهم على الاستذكار والتحصيل أمرهم بترك الصيام حتى لا نزرع في الأطفال أن المهم هو فقط التفوق الدراسي، أما الشعائر الدينية فهي أشياء ثانوية نقوم بها عندما تسمح الظروف، وهذا عكس ما نرغب في ترسيخه في عقول وضمير أبنائنا، وهو أن الدين القيم والالتزام هو الأهم والأكثر أهمية، وإذا التزمنا بها فسوف ننجح في كل أمور حياتنا بعد ذلك.

دربوا أطفالكم على الصوم بالرفق واللين

إذا كان تدريب الأطفال على الصيام أمرًا مستحبًا فإن ضربهم على ذلك ممنوعٌ لما قد يؤدي إليه من الانحراف مستقبلا، فإن إجبار الطفل على الصوم قد يدفعه إلى تناول المفطرات سرًا ثم يتظاهر بالصوم وتكبر معه هذه الخيانة لأن الطفل عادة لا يُقدّر معنى الأمانة ولا يحترم المسؤولية، لذا يجب على الآباء والأمهات أن يدربوا أطفالهم على الصوم وأن يحببوا إليهم ذلك بالرفق واللين، ويجب على الآباء والأمهات أن يتدرجوا عند تدريب أطفالهم على الصيام وليكن هذه التدرج على النحو التالي:

١- عند وصول الطفل إلى سن سبع سنوات يمنع عنه الطعام والشراب لمدة ثلاث ساعات يوميا، ويفضل أن تبدأ هذه الفترة من العصر وحتى الإفطار، على أن يتم ذلك مرة واحدة أو مرتين كل أسبوع.

٢- وفي الثامنة من عمره يبدأ الطفل في صيام ثلاث ساعات كل يوم طوال شهر رمضان.

٣- وفي التاسعة من عمره يمكن مد فترة الصيام من الصباح وحتى أذان العصر على أن يكون ذلك يوما بعد يوم.

٤- وفي سن العاشرة يدرب الطفل على صيام ثلاثة أيام كل أسبوع صوما عاديا أي منذ الفجر وحتى أذان المغرب.

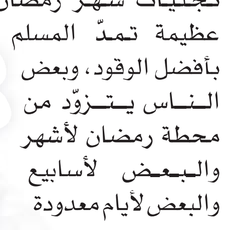
٥- وفي العام التالي، عندما يبلغ سن الحادية عشرة، يكون الطفل قادرا على صيام أيام الشهر الكريم كلها منفذا لأوامر الله في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣). بهذا نجعل الطفل مخلوقا يرقى نحو الخير والتقوى والصلاح ويصبح فردا سويًا في هذه الحياة.

ماذا أعلّم أبنائي في شهر رمضان؟

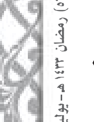
د. آندي حجازي- أستاذة جامعيّة في التربية والتعليم

إنّ حياة الإنسان تمرّ في محطات كثيرة وهو لابد وأن يقف عند تلك المَحطات للتزوّد بالوقود ليكمل مسيرة حياته بهمة وعزيمة، ورمضان هو إحدى تلك المحطات العظيمة المتجددة التي يتوقف عندها المسلم كل عام للتزوّد منها بالوقود حيث تجليات شهر رمضان عظيمة تمدّ المسلم بأفضل الوقود، وبعض الناس يتزوّد من محطة رمضان لأشهر والبعض لأسابيع والبعض لأيام معدودة فقط، وإن جاوز المسلم هذه المحطة دون تزوّد بالوقود فقد أضاع خيرا كثيرًا. ولكن ما نوع الوقودِ الذي نتزود به في رمضان؟ إنّ أفضل التزود يكون بالوقود الخالي من الذنوب والمعاصي والممتلئ بأعمال الخير والعبادة، وقد قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(البقرة: ١٩٧). وقد قال ﷺ عندما جاء رمضان: «قد جاءكم شهرٌ مباركٌ افترض عليكم صيامُه، تُفتحُ فيه أبوب الجنة وتُغلَق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم» (رواه أحمد والنسائي والبيهقي). وعن النبي ﷺ أنه قال: «الصلواتُ الخمسُ والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ لما بينهنّ إذا اجتبت الكبائر» (رواه مسلم). وقال ﷺ: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحاتٌ من رحمتَه يصيب بها من يشاء من عباده» (رواه الألباني في السلسلة الصحيحة). فمن عَقد العزم الصادق على اغتنام موسم رمضان والاستفادة من عروضه ونفحاته بعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة وصدَقَ الله في ذلك فإنّ الله تعالى يصدقُه ويعينه على الطاعة ويُيسر له سبل الخير فيه.

وقد يتساءل الوالدان بماذا أزوّد ابني في رمضان؟ هل أزوده بأنواع الطعام والشراب وما لذّ وطاب من أنواع الحلويات؟ أو من الترفيه والملاهي والألعاب؟ إن الأعمال الصالحة التي يمكن التزوّد







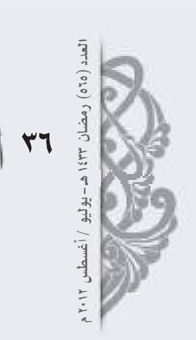


بها من محطة رمضان أكثر من أن تُعد، وتزويد الأبناء بالطاعة والوقود اللازم يختلف بحسب أعمار أبنائهم فطفل الست سنوات يختلف عن طفل العشر سنوات أو عن طفل الخمسة عشر عامًا، فمثلا طفل الروضة أو الصف الأول أبدأ بتشجيعه على الصيام في رمضان قدر المستطاع، بمعنى لو أنه استطاع الصوم لمنتصف النهار في كل يوم فهذا كاف، حيث من المهم أن يتعلم الطفل فكرةً الصوم لأنه مفهوم جديد عليه، وقدرة الطفل في هذا العمر على تحمل الجوع والعطش مازالت ضعيفة وهو بحاجة إلى الطعام من أجل نموه الجسدي والعقلي، فليس من المناسب إجبار الطفل على إتمام الصوم للنهار كاملا في هذا العمر، ولكن عندما يكبر قليلًا ويصبح في الصف الثالث أو الرابع ويبدأ يطلب بنفسه صيام النهار كاملا فإنه يكون قد كبُر بدرجة كافية لتحمل الصوم طيلة النهار وطيلةَ الشهر، وإذا ازداد وعيُه بدرجة مناسبة وبدأ يُدرك معنى الصيام كعبادة لله، فبإمكانه إتمام الصوم، ولا يجب منعه في هذه الحالة، بل تشجيعه من خلال الجوائز والهدايا على إكمال صيام شهر رمضان قدر استطاعته، مع تعليم الأبناء ضرورة صوم رمضان بنية خالصة لله، فإنه لا أجر لمن صامه بلا نية، وتعليمهم ثواب الله العظيم لهم لصوم شهر رمضان. حيث يفرح الله بعباده الصائمين ويباهي بهم الملائكة، يقول، انظروا يا ملائكتي إلى عبدي ترك طعامه وشرابه وشهوته لأجلي أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لعبدي. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسيّ: «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري).

ومن الأمور المهمة التي على الوالدين الاهتمام بها في رمضان هي تشجيع الأبناء على الصلاة واعتبار محطة رمضان نقطة انطلاق للابن لتعليمه الصلاة والمداومة عليها، فالطفل الذي لا يصلي أُعلّمه (كأم وأب) كيفية الصلاة وأشجعه عليها بشتى الطرق المحبّبة والمُحفّزة له، ومن الناجع في رمضان أن أصطحب أبنائي بمختلف أعمارهم إلى المسجد من أجل صلاة قيام الليل (صلاة التراويح) مع الإمام، وتعويدهم على هذه الصلاة يوميًا لما تترك من أثرٍ عميق في نفس الكبير والصغير على حدٍّ سواء، لما لها من حلاوة خاصة في القلب، وكثيرا ما يكون تَعوّد الابن وحتى البنت الذهاب مع والديهما إلى صلاة التراويح في المسجد وعند مقرئ يتمتع بصوت شجيّ يحبّ الأبناء سماعَه سببًا في بَدْئهم التفكير بأداء الصلوات الخمس والمحافظة عليها حتى بعد رمضان، فهذه نقطة بداية وتوقيت مناسب لا يجب أن يُستهان به لتدريب الأطفال الالتزام بالصلاة. فواجب الوالدين اصطحاب الأبناء في رمضان للصلاة في المسجد ذكورًا كانوا أو إناثًا لأداء صلاة الليل ولكل الصلوات للذكور في المسجد، فلابد من تعويد الأبناء الصلاة في بيوت الله تعالى لما لها من ثواب عظيم مضاعف بأضعاف كثيرة. وقال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري ومسلم).

وممّا يمكن تزويد الأبناء به من محطة رمضان من الخير والحسنات هو الشعور تجاه الفقراء والمحتاجين من خلال تشجيع الأبناء على الصدقة، وتكثر أبواب الصدقة في رمضان حيث التبرع للفقراء لكسوتهم أو إطعامهم وتفطير الصائمين، والتبرع بكسوة العيد للفقراء، والتبرع لبناء المساجد وصيانتها، والتبرع لأهل المجاعات والمنكوبين في كل البلاد الإسلامية الممتدة.. ومن الجميل أن يشاهد الابن أباه وهو يتصدق، بل ويعطي ابنه أو ابنته المال من أجل أن يتصدقوا هم بأنفسهم لتلك المصارف الشرعية بإشرافه، ومن المناسب أن يضع الوالدان في البيت حصّالة جماعية وعلى الأبناء التبرع بمقدار ما يستطيعون يوميًا وما تجود به نفوسهم من مصروفهم ويمكن تجهيزها من قبل رمضان، وتقديم هذا المال في نهاية شهر رمضان للجهة التي يجدون أنها محتاجة. «وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أجود بالخير من الريح المرسلة» (متفق عليه). وقال ﷺ: «أفضل الصدقة في رمضان». وقال ﷺ: «من فطّر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا» (حسن صحيح رواه الترمذي) .

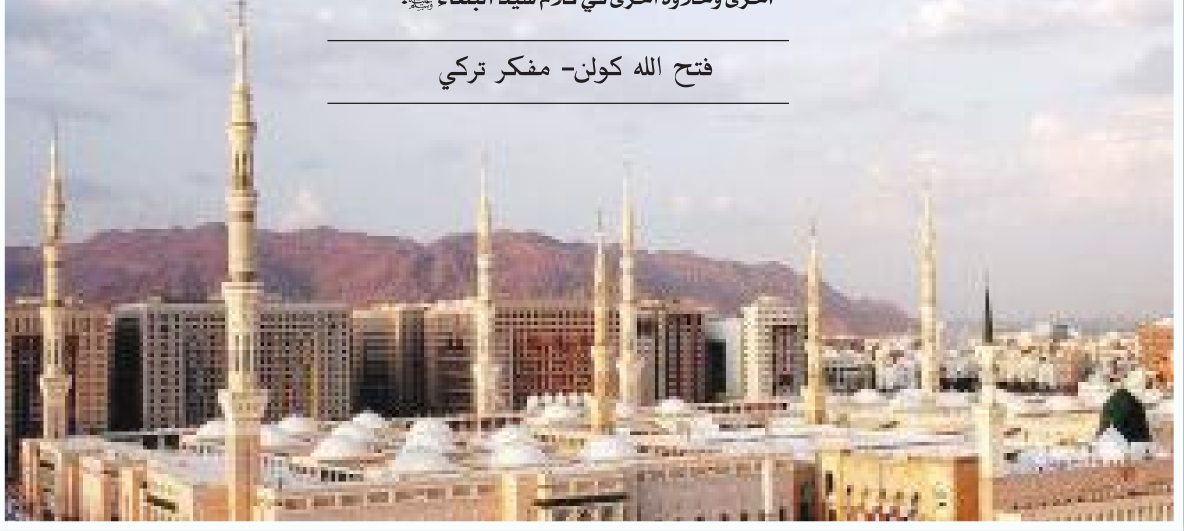
وقد يقترب من هذا الجانب زيارة الأقرباء ودعوتهم إلى مائدة الإفطار في رمضان بنية تفطير الصائمين وزيادة صلة الرحم والمحبة بين أبناء العائلة الواحدة، فالأفضل للوالدين تعويد الأبناء على ذلك الخير وتعليمهم الهدف من دعوة بيت عمهم أو خالهم أو خالتهم.. إلى وجبة الإفطار في بيتهم في شهر رمضان. ومن المهم تعويد الأبناء إخراج الزكاة إن كان الوالدُ يملك المال الذي دار عليه الحوْل وبلغ نصاب الزكاة، فلا بأس أن يُخبر أبناءه بأنه سوف يذهب لإخراج الزكاة عن ماله للجنة الزكاة في بلده من أجل إيصالها لمصارفها الشرعية، وتكون نيته تعليم أبنائه أن عليهم زكاة المال الذي بلغ النّصاب.



نبينا ﷺ وجوامع الكلم

لقد كان البُعد الآخر لفطنة رسولنا ﷺ هو أنه أوتي جوامع الكلم. أجل، كان سيد البلغاء، وكيف لا وقد اختاره الله ترجمانًا لكلامه ولكلماته. لقد أبدع الكثيرون حتى الآن الكثير من أروع الكلام وأبلغه وأجمله، كل حسب درجته وموهبته، ولكن هناك عمق آخر ولذة أخرى وحلاوة أخرى في كلام سيد البلغاء ﷺ.

فتح الله كولن- مفكر تركي



كان بيانه عذبا، وتعابيره ساحرة تدير الرؤوس وتخلب الألباب وتخفق لها القلوب حتى لتكاد تقف، وتستسلم له العقول، وتحيا به المشاعر الإنسانية وتنمو، وتعلو الأرواح به وتسمو وترفرف. لقد وهبه الله تعالى قدرة بيان جعلت مستمعيه المحظوظين يستمعون إلى بيانه الجامع الآسر للقلوب وكأن على رؤوسهم الطير، تغمرهم مهابته فينصتون له وقد انعقدت ألسنتهم وسحرت نفوسهم. عندما يتكلم ويسرد جواهر الحكم لا يملك أرباب العقول إلا الإنصات إليه، وعندما يصف الخير والجمال والصدق يأسر بحديثه العذب الخلاب الأرواح، وعندما يهاجم الشر والفساد بكلماته النارية يُغرق الكفر والمنكر في مستنقعه ذاته، أمـا عندما يزأر ببراهين دعوته ورسالته فإنه يفرّق خفافيش الظلام ويخرس أصحابَ الأرواح المظلمة.

كان ﷺ يدرك أهمية ما خصه الله من ألطاف ونعم إدراكًا واعيًا، فكان لا يرى بأسا من إعلانها تحديثًا بنعم الله عليه، لذا نراه يقول: «أنا محمد النبي الأمي». «أُوتيتُ فواتح الكَلِم وجوامعه وخواتمه» (١). «إنما بُعثت فاتحًا وخاتمًا وأُعطيتُ جوامع الكلم وفواتحه» (٢).

كان ببيانه الذي يشع نورًا وضياء يعلن أنه سيد خطباء الأولين والآخرين.

روضة الحق

كان سيد الأنبياء ﷺ بأنفاسه التي تحيي النفوس.. بلبلًا يشدو في روضة الحق.. كلما شدا عبّر عما في قلبه فتنساب الألحان الإلهية الساحرة من فمه.. كلماته الرقيقة الشبيهة بأكمام الورود النضرة وزهوره المتفتحة على أنداء الصباح لم تكن تشبه زهور الآخرين، كانت كل كلمة له على مائدة أقواله نضرة يانعة وجديدة وطرية طراوة قطرة الندى، ولم تتيسر نعمة تذوق بيانه الساحر الأخاذ وفهم معانيه إلا لمن سعد بحضور مجلسه من المحظوظين الأوائل.

لقد حد سيد الفصحاء من جوهر الكلام سيفًا صقيلًا قام- بمجرد رسمه حلزونًا فوق الرؤوس- بمطاردة كل خفافيش البيان الكاذب والمزخرف، وفرت كل الأكاذيب إلى أقصى بلاد العنقاء.

أعماق أخاذة

أجل إن كلماته تشبه البحار التي تنثر اللآلئ على السواحل بأمواجها أو بالشلالات المنهمرة من الأعالي أو بالعيون الفوارة من الأعماق الآخذة بمجامع القلوب.. فلا نستطيع قياس غنى أعماق هذه البحار ولا محتوياتها ولا ترجمة هذه الشلالات ولا بلوغ الذُّرَى التي تبلغها هذه العيون الفوارة أو الإحاطة بها.

لقد صرف المئات من الأدباء والمحققين أعمارهم في تدقيق جواهر كلامه والطواف حولها، وتوجه آلاف وآلاف من المفكرين إلى نبع الحياة هذا، وأفنى الكثير من الدهاة حياتهم في الغوص إلى أعماق معاني كلامه، ولكن معاني كلماته بقيت وراء أي نقطة تم الوصول إليها.

أجل، فكما لا تستطيع القطرة الواحدة تمثيل البحر بأكمله، وكما لا تستطيع الذرة الواحدة التعبير الكامل عن خصائص الشمس، لا يستطيع العلماء ولا الأولياء ولا الأصفياء الذين يمثلون جزءًا من الحقيقة المحمدية مهما كانوا كاملي الصفات بالنسبة للناس الآخرين أن يمثلوه التمثيل الكامل، ولا أن يعكسوا صورته بأكملها.

قلب يتسع

إن رسول الله ﷺ رغم أميته وعدم دراسته في المدارس مرشد كامل، بسبب متانة بنيته المادية والمعنوية وصفاء أحاسيسه ورصانة تفكيره وقلبه الواسع المنفتح والمتوجه نحو المعالي؛ فاستطاع بذلك تسلم الرسالة الإلهية كما هي، وحافظ عليها كما هي، وأبلغها للناس كما هي.. فقد كانت فطرته وخلقته ميسّرة لتنفيذ هذه المهمة، إذ تمت المحافظة على صفاء روحه وصانه الله من أي تأثير سلبي للتربية أو المعرفة البشرية ثم زينه بالوحي وأرسله للناس.. هذا هو معنى النبي الأمي والمرشد الكامل الذي لم ير مدرسة ولم يتعلم من الناس.

لقد كانت طبيعته وسجيته وأحاسيسه الظاهرة والباطنة وعقله ومنطقه مهيئًا وصالحًا للقيام بوظيفة النبوة ومهامّها، حيث قام بنقل الوحي حتى أصغر تفاصيله ودقائقه دون تعريضه لأي تبديل أو تغيير، بل ينقل الوحي الإلهي للناس كما ينقل المنشورُ الضوءَ المارّ من خلاله لكي يكون ملائمًا لعقول البشر.

طرق براقة

هذه الرسالة الإلهية النابعة من أطهر مكان والمتدفقة إلى أطهر قلب بُلِّغت للناس بألطف لسان وأفصحه وأنزهه حسب قدرة العقل البشري واستيعابه. وكما أنها أمارة من أمارات النبوة وإشارة إليها فإنها في الوقت نفسه دليل من أدلتها، وحجة من الحجج الدامغة وزادُه أثناء قطعه لتلك المفاوز الموحشة والطرق الوعرة وبُراقُه (٣) فيها.

وعندما كان يقدم للناس رسائل ربه كان يصرح في الوقت نفسه بنبوته ويعلن رسالته؛ وكذلك عندما كان يستعمل جواهر خزائن الوحي وأسراره الإلهية الساحرة في حل معضلات ومشاكل محدّثيه وأصحابه، كان يستعمل الوحي الإلهي نَفسه كسيف ماسي في إلزام خصومه وإفحامهم وإسكاتهم.

أسلوب خاص

علمًا بأن سيد البلغاء، وسلطان الفصحاء وممثل الحكمة إضافة إلى كنز العلم الإلهي الذي لا ينفد كان كثيرًا ما يوجه إليه العديد من الأسئلة، وكان هناك العديد من المسائل والمشاكل والمعضلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تنتظر الحل والأجوبة الشافية من لدن رسول الله ﷺ. فكان ﷺ يقوم بإيفاء حق وظيفته النبوية هذه لأن القلب المحمدي الصافي كان المرآة المجلوة لعكس العلم اللانهائي، ومركزه ومنزله ومهبطه وحديقته وبستانه. فكان يقوم بشرح القرآن الكريم فيقيد المطلق، أو يطلق المقيد، أو يخصص العام، أو يعمم الخاص، وذلك باستعمال أسلوبه الخاص وبيانه الفصيح علاوة إلى تبليغ رسالة القرآن. فهذه هي مهمة الرسول المبعوث إلى الناس كافة. وما كان بإمكان أي مصلح ومجدد ومرشد للإنسانية جمعاء ومبلّغ للناس أجمعين إلا أن يكون هكذا.

تلفيق الاتهامات

في العهد الذي شُرّف فيه النبي ﷺ بشرف النبوة كانت الفصاَحة والبلاغة أروج شيء في سوق الجاهلية، فقد كانت هذه الأمة- التي حكمت فيما بعد العالم بذكائها ودرايتها- أمة أديبة، لذا، فقد سحرها ما سمعته من الرسول ﷺ من تلاوة للقرآن الكريم أو من حديث أو خطاب، واستمعت إليه مذهولة مفتونة به ومعجبة بما تسمعه منه، أما هو ﷺ فقد فرض نفسه عليهم في كل فرصة، ولم يجد أعداؤه ما يَصِمونه به أو ما ينتقدونه به، ولو فعلوا هذا أيّ لو قاموا بتقديم أقل اعتراض أو نقد لما تأخر خصومه الموجودون حاليًا من تناول ذلك الأمر وتضخيمه وتكبيره وإيصال ذلك إلى كل شخص وإلى جميع أنحاء العالم من أجل إزالة محبته من النفوس.

وأمثال هؤلاء لا يتورعون عن تلفيق أحقر الاتهامات وأرذل الافتراءات حوله، ولكنهم مع تفتيشهم هذا لا يجدون شيئًا ضده، وأمام بيان رسول الله ﷺ وفصاحته وقوة تعبيره لم يستطيعوا أن يقولوا له حتى ما قاله فرعون لسيدنا موسى عليه السلام.

إن صوت من قال: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» يهدر من فوق ذروة سامقة بشكل لا يملك معه الأصدقاء والخصوم سوى الشعور بالاحترام والإعجاب والتوقير له ولبيانه المملوء فصاحة وبلاغة.

سماء المعرفة

أجل، لقد كانت سُنّته من الأمس حتى اليوم منبع المجتهدين الذي لا يضل وباب العلم الفسيح، والجناح القوي للسابحين في سماء المعرفة والنبع الصافي الرقراق لإلهامات الأولياء والأصفياء. فخلاصة علوم الشريعة، وكل طرق الصوفية وكل العلوم الكونية وأسرار القلب والوجدان نابعة من النبع الصافي لجواهر كلامه النوراني.

لقد بَيّن بيانًا واضحًا كثيرًا من المواضيع اعتبارًا من بدء الخليقة وخلق الإنسان وانتهاءً إلى يوم القيامة، يوم يساق المرء إما إلى الجنة أو إلى الجحيم... وتحدث عن القلوب المتفتحة للمعارف الربانية، وعن مشاهدتهم جمال الله في الآخرة.. عن الإيمان والعقائد.. عن أدق تفاصيل العبادات.. تحدث في مواضيع عديدة، واستعمل في كل موضوع اللسان المناسب والبيان المناسب إلى درجة أننا إذا استثنينا القرآن فلن نجد بيانًا مثل بيانه ولا فصاحة مثل فصاحته.

الهوامش

١- المسند للإمام أحمد، ٢/٢٥٠، ٤١٢؛ كنز العمال للهندي، ١١/١٤٢.

٢- البخاري، الجهاد ١٢٢؛ مسلم، المساجد ٦؛ وانظر: كنز العمال للهندي، ١١/٤٢٥.

٣- البراق: المركب الذي ركبه الرسول ﷺ في أثناء إسرائه ومعراجه. (المترجم).



رسالة لطيفة تتعلق بقوله ﷺ:

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

تأليف / أحمد بن أحمد بن محمّد السّجاعيّ الشافعيّ
ت: ١١٩٧ هـ

تحقيق / محمُود محمّد الكبْش

هذه رسالةٌ لطيفةٌ- كما وَسَمَها صاحبُها- في احتمالات عشرة تَرِدُ على ضمير: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته» أوردها من أقوال بعض المحققين في المذهب الشافعي؛ فأتى عليها واحدة واحدة، وبيّن مرادَهم فيها، والصحيحَ منها؛ فأحبَبْتُ إخراجَها محقّقة ليستفيد منها طالب العلم في مسألة فقهية تتعلق بها مسائل نازلة، لابد من بيان الحكم الشرعي فيها.

وقد اعتمدتُ في إخراج هذه الرّسالة على نسختين من «المكتبة الأزهرية»؛ كلتاهما كاملة، لا يوجد فيهما نقص ولا طمس، كتبتا بخط واضح، إحداهما محفوظة تحت رقم: (43900)، ورمزت لها بالحرف(أ)، والأخرى تحت رقم: (ع 15)، ورمزت لها بالحرف (ب)(1).

ولم أعتمد واحدة منهما أصلًا، وإنما لفّقْتُ بينهما بما يناسب المعنى؛ إذ لا فروق مؤثِّرة بينهما، وبالاعتماد أيضًا على ما أورده الأئمّةُ الشّافعيّةُ في كتبهم عند ذِكْرِ الاحتمالات الواردة في المخطوط.

التّعريف بمؤلِّف الرّسالة

هو أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد البدراويّ الأزهريّ الشّافعيّ السُّجَاعِيّ، نسبة إلى «السُّجَاعيّة»: قرية من مديرِية الغربية بمركز المحَلة الكبرى بمصر.

ولد بمصر ونشأ بها في أسرة علمية، كان أبوه من شيوخ الأزهر؛ فطلب العلم عليه، وعلى غيره.

ولـه مؤلفات كَثِيرة: أغلبها شروحٌ، وحواش، ورسائل، ومتون متنوعة؛ بين منثورٍ ومنظومٍ، وهي أكثر من (١٥٠) مؤلفًا في العقيدة، والفقه، والحديث، والتزكية، واللغة وعلومها، والفلك، والحساب والمنطق، وغيرها.

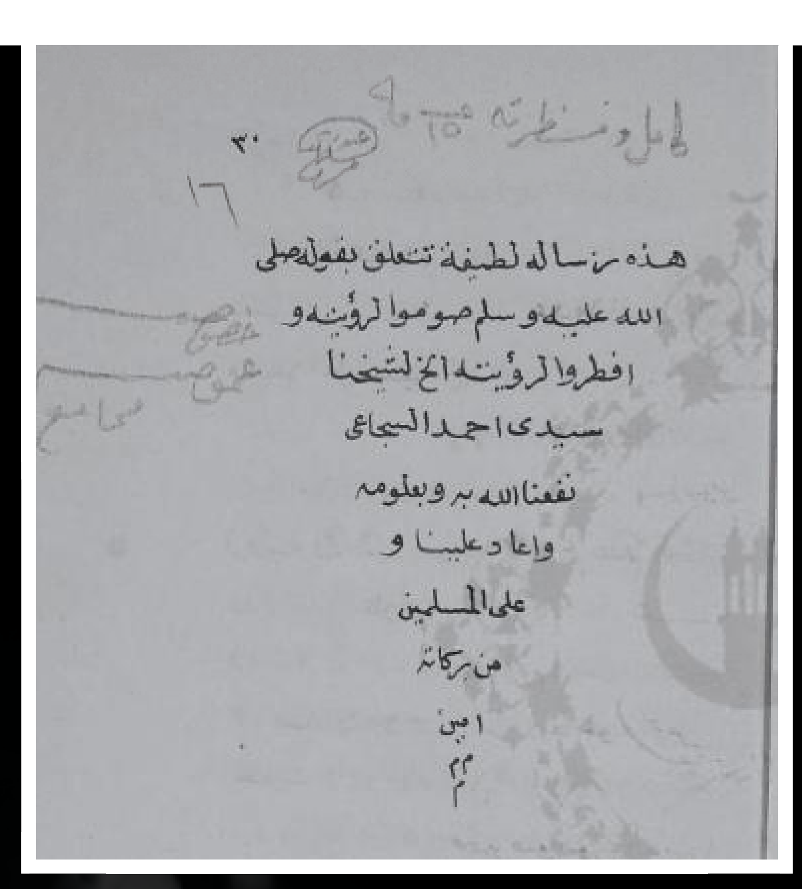
توفي الشّيخُ أحمد بن أحمد السُّجاعي في القاهرة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر سنة: (١١٩٧هـ)، وصُلّي عليه في الأزهر، ودُفِن عند أبيه بالقرافة الكبرى بتربة المجاورين(٢).

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله الّذي فَرَضَ صومَ رمضانَ على العالَمِين، ورتّبَ ذلك على رؤيتِه لأحد من عدول المسلمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا محمّد الأمين، وعلى آله وصحبه أَجمعين، أمّا بعدُ:

فإنّ بعضَ المحقِّقين، والعلماء المتّقين؛ أبْدَى احتمالات في قوله ﷺ: «صُومُوا لرُؤْيته وَأَفْطرُوا لرُؤْيته فَإِنْ غُمّ عَلَيْكُمْ؛ فَأَكْمِلُوا عدّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ»(٣).

قال: «يحتملها اللّفظ بحسب ذاته، وقد أردتُ أن أوردَها، أبَيِّنُ الصّحيحَ فيها عند الأعلام، وأذكرُ ما هو المراد من الحديث كما أوضَحَهُ الفقهاءُ السّادةُ


٣٠
١٦
هذه رسالة لطيفة تتعلق بقوله صلى
الله عليه وسلم صوموا لرؤيته و
افطروا لرؤيته الخ لشيخنا
سيدى احمد السجاعى
نفعنا الله به وبعلومه
واعاد علينا و
على المسلمين
من بركاته
امين

الأفهام.

أحدُها: أنّه إنْ حُمل ضمير «صُومُوا» و«رُؤْيَته» على الكليّة فيهما؛ كان المعنى: يصومُ كلُّ واحد إذا رأى دون غيره، أو حُمل عليها في الأوّل دون الثّاني؛ كان المعنى: يصومُ كلُّ واحد لرؤية واحد، أو عكسُهُ: كان المعنى: يصُومُ كلٌّ(٤) واحدٍ لرؤية كلِّ واحد.

ثانيها: أنّه إنْ حُملت الرّؤيةُ على ما هو بالبَصَر(٥)؛ كان المعنى: يصومُ مَن أبصرَهُ دون غيره؛ كالأعمى.

ثالثُها: أنّه إنْ حُملت الرّؤية على العلم؛ دَخَلَ التّواترُ، وخَرَجَ خبرُ الواحد(٦).

رابعُها: أنّه إنْ حُملت على ما يشمَلُ الظّنّ: دَخَلَ خبرُ المنَجِّم.

خامسُها: أنّها إن حُملت على إمكانها؛ دَخَلَ طَلَبُ الصّوْم إذا غُمّ، وكان بحيث يُرى.

سادسُها: أنّه إنْ حُملت على وجوده؛ لَزِمَ طَلَبُ الصّوْم، وإن لَم تُمكنْ رؤيتُهُ بأن أخبَرَ المنجِّمُ أنّ له قوسًا لا يُرى.

سابعُها: إنْ جُعِلَ ضميرُ «صُومُوا» لجميع الأمّة، و«رُؤْيَته» لبعضهم؛ لَزِمَ صومُ كلّهم لرؤية بعضِهم، ولَو واحدًا على نظير ما مَرّ.

ثامنُها: أنّ هذه الاحتمالات تأتي في الفطر، بقوله: «وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَته».

تاسعُها: أنّ ضميرَ «رُؤْيَته» عائدٌ لهلال رمضانَ فيهما، وهو غيرُ ممكنٍ في الثّاني.

عاشرُها: أنّ معنَى «غُمّ» استتَرَ بالغَمَام؛ فيخرج ما لو استتر بغيره، ويأتي في ضمير «عَلَيْكُم» ما في ضمير «صُومُوا»، وغيرُ ذلك من الاحتمالات، فراجعْ وانظرْ ما المراد منها أو من غيرها. والوجهُ الّذي لا يجوزُ غيرُهُ أنْ تُحملَ الرّؤيةُ على الإمكان في الصّوم والفطر»(٧). انتهى كلامُ (بعض)(٨) المحقّقين.

× قلتُ: أمّا الأوّل: فلا يَصحّ حملُ الحديث عليه؛ لمخالفة الأحاديث، فَقَدْ وَرَدَ أنّ ابن عمر رضيَ الله عنهما أخْبَرَ النّبيّ ﷺ أنّه رأى الهلالَ؛ فَصَامَ وأَمَرَ النّاسَ بصيامه(٩)، وشَهدَ أعرابيٌّ عند النّبيّ ﷺ بذَلك برؤيته؛ فَأمَرَ النّاسَ بصيامه(١٠).

وكلامُهُ ﷺ يُحمل على فعلِه، وخيرُ ما فُسّر بالوارد.

وقوله: «أو حُمل عليها في الأوّل دون الثّاني»؛ كان المعنى: يصوم كل واحد لرؤية واحد، هذا المعنى هو الذي ينبغي إرادتُهُ، فيكون مطابقًا للخبرَين المذكورَين، فقد صامَ كلُّ واحد بأمْرِ النّبيّ ﷺ لمّا شَهد ابنُ عمرَ رضيَ الله عنهما بذلك، ويقيّد الواحدُ بكونِهِ عدْلًا(١١).

نعم؛ إنْ أخْبَرَ فاسقٌ وصدّقَهُ المخبَرُ.. وَجَبَ عليه الصّومُ لذلك(١٢).

وقولُهُ: «أوْ عكسُهُ؛ كان المعنى: يصوم كلُّ واحد لرؤية كلِّ واحدٍ» هذا يَصُدُّ عنه الإجماعُ والأحاديثُ.

وأمّا الثّاني؛ فيُجابُ عنه بأنّ اللّام للتّعليل، أيْ: صُومُوا لأجل رؤيته، أي: رؤية بعضِكم له، ولو واحدًا.

وأما الثّالث(١٣)؛ فلا يصحّ؛ إذ الرّؤية بالتّاء: الإبصار بالعين؛ كما في كتب الفقه.

قال في «المصباح»: «رأيتُهُ: أبصرْتُه بحاسّة البَصَر، فرؤية العَيْن معاينتُها للشّيء، وجمعُها رؤًى، مثل مُدْية ومُدًى، وتراءَيْنا الهلالَ أي صوّبْنَا أبصارَنا نحوَهُ لننظرَهُ»(١٤)، انتهى.

وأمّا الرّابع؛ فهو مبنيٌّ على الثّالث، وقد علمْتَ أنّه غيرُ مراد. وإنّما وَجَبَ الصّومُ على المنجِّم ولمن صدّقَهُ؛ لأنّ علمَهُ بذلك منزّلٌ منزلة الرّؤية.

وأمّا الخامسُ؛ فهو قريبٌ؛ إنْ حُملَ الإمكانُ على الوجود مَعَ الرّؤية ولو لواحد، فلو أخبر أهلُ الميقات أنّه يمكن رؤيتُهُ في أوّل رمضانَ، ولم يَرَهُ أحدٌ لم يعوّل عليهم، ولو أخبروا بأنّه لا تُمكن رؤيتُهُ، وشهد عدلٌ برؤيته؛ فالّذي عليه أكثرُ الفقهاء أنه يُقبَلُ خبَرُهُ.

وقال بعضُهم: «أنّه إذا دلّ الحسابُ القطعيُّ على عدَم رؤيته لم يقبل قولُ العدول(١٥)، وتُردُّ شهادَتُهم(١٦) بها» انتهى(١٧).

وأمّا السّادسُ؛ فيأتي فيه ما تقدّمَ في «الخامس».

وأمّا السّابعُ؛ فهو كما لو حُمل ضميرُ «صُومُوا» على الكليّة دون رؤيته، وتقدّم أنّه الظّاهر الّذي ينبغي إرادتُهُ، ولا يخفى إذا تقرّر هذا.. تقرّر «الثّامن»(١٨) بأوجهه عليه(١٩).

وأمّا التّاسعُ؛ فالضّمير في «وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَته»(٢٠) عائدٌ على الهلال لا بقَيْد كونه هلالَ رمضان، ففيه نوعٌ لطيفٌ من أنواع البديع، وهو الاستخدامُ(٢١)، وضابطُهُ: أن تذكرَ لفظًا بمعنًى، وتعيد عليه الضّميرَ بمعنًى آخر، كقول الشّاعر:

وللغَزالة شيءٌ من تلفُّته ... ونورُها من ضيا خدَّيْه مكتسَبُ(٢٢)

فَذَكَرَ الغَزالَةَ(٢٣) بمعنى، وهو الحيوان، وأعاد الضّميرَ عليها بمعنى، وهو الشّمسُ؛ فإنّها تُطلَقُ على ذلك أيضًا.

وأمّا العاشر؛ فغيّرُ مسلّم؛ إذ الّذي في «المصباح»: غُمّ الهلالُ: استَتَر بغيم أو نحوهِ(٢٤)، فلا وجهَ لتخصيصهِ بالغَمَام.

وقولُه: «وانظر ما المراد منها» قد علمتَه ممّا سَبَق.

وقولُهُ: «والوجهُ الّذي لا يجوزُ غيرُهُ أن تُحمَلَ الرّؤية إلخ..» يَردُ عليه ما قدّمه من أنّه يدخُل طَلَبُ الصّوم إذا غُم، وكان بحيث يُرى.

والله سبحانَهُ وتعالى أعلمُ بالصّواب، وإليه المرجعُ والمآب، وصلّى اللهُ على سيِّد الأحبابِ(٢٥).

الهوامش

(١) ينظر: «فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية»: (٥٢٩/١).

(٢) يراجع في ترجمته: «الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام»، تأليف د.أحمد أحمد بدوي: ص (٢١)، و«الخطط التوفيقية»، تأليف علي باشا مبارك: (١١/١٢)، و«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» للبيطار: (١٢٦٦/٣)، و«هدية العارفين» للبغدادي:(١٨٠/١).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاريّ، كتاب الصوم، باب «قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا»، رقم: (١٨١٠)، ومسلم، كتاب الصوم، باب «وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال» رقم: (١٠٨١).

(٤) في «حاشية القليوبي» بدون: «كل».

(٥) في النسخة (أ): «بالصر».

(٦) في «حاشية القليوبي»: «العدل».

(٧) ينظر هذا الكلام في: «حاشيتي قليوبي وعميرة»: (٦٢/٢)، من كلام العلامة أحمد سلامة القليوبي، وهو منقول في «حاشية الجمل على المنهج»: (٣٢٧/٤).

(٨) غير موجودة في النسخة: (ب).

(٩) صحيح، رواه أبو داود (٢٣٤٢)، وابن حبان (٣٤٣٨)، والحاكم (٤٢٣/١)، ونصّه في أبي داود: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ؛ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ؛ فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ».

(١٠) ضعيف، رواه أبو داود: (٢٣٤٠)، والنسائيّ: (١٣٢/٤)، والترمذيّ: (٦٩١)، وابن ماجه: (١٦٥٢)، وابن خزيمة: (١٩٢٣)، وابن حبان: (٨٧٠/موارد) من طريق سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ وسماك مضطرب في روايته عن عكرمة. ونصّه عند أبي داود: عَنِ ابْنِ عَبّاس رضي الله عنهما قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ- يَعْنِي رَمَضَانَ-؛ فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا بِلَالُ أَذِّنْ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا غَدًا».

(١١) ينظر: «مغني المحتاج»: (٤٢٠/١).

(١٢) راجع المسألة في: «الفتاوى الفقهية الكبرى» للهيتمي: (٥٨/٢)، و«حاشية الجمل على المنهج»: (٣٣٠/٤).

(١٣) في النسختين «الثاني»، والصّحيح ما أثبتُّه.

(١٤) الفيومي، «المصباح»: (٢٤٧/١).

(١٥) في حاشية النسخة (أ): «قوله: العدول؛ لعله: العدل»، وكذا في النسخة (ب).

(١٦) في حاشية النسخة (أ): «قوله: شهادتهم؛ لعله: شهادته».

(١٧) نقله القليوبي عن العبادي، ثم قال: «وهو ظاهر جليّ، ولا يجوز الصوم حينئذ، ومخالفة ذلك معاندةٌ ومكابرةٌ»، انظر: «حاشيتا قليوبي وعميرة»: (٤٩/٢).

(١٨) في النسخة (ب): «ولا يخفى إذا تقرر الثامن».

(١٩) في النسخة (أ): «عليك».

(٢٠) في النسخة (ب): «والفطر والرؤيته».

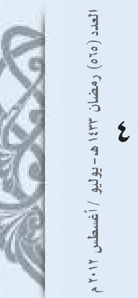
(٢١) عرّفه الحمويّ بقوله: «إطلاق لفظ مشترك بين معنيين؛ فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين، ثم تعيد عليه ضميرًا تريد به المعنى الآخر. أو تعيد عليه إن شئت ضميرين؛ تريد بأحدهما أحد المعنيين، وبالآخر المعنى الآخر»، «خزانة الأدب»: (١١٩/١). والفرق بين التورية والاستخدام أن المراد من التورية هو أحد المعنيين، وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد. المرجع السابق.

(٢٢) ينظر: «خزانة الأدب»: (١١٩/١)، ونَسَبَهُ إلى بعض المتأخرين.

(٢٣) في النسخة (ب): «الغازلة».

(٢٤) في «المصباح» (٤٥٤/٢): «أو غيره»، ثم قال: «و في حديث: «فَإِنْ غُمّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ»؛ أي فإن سترت رؤيتُه بغيم أو ضباب؛ فأكملوا عدة شعبان ثلاثين: ليكون الدخول في صوم رمضان بيقين» فأدخل الضباب، ويدخل فيه- قياسًا عليه- كلُّ ما حَجَزَ الرّؤيةَ؛ كالغبار، والدّخان الكثيف، ونحوها.

(٢٥) في النسخة (ب): «على سيدنا محمد».



الاستقامة بعد الفريضة



رومي الرومي
مدير إدارة الحج بوزارة الأوقاف الكويتية

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام وبه يتحقق أكبر مؤتمر إسلامي يشد من أزر وكيان المسلمين قاطبة ويوحدهم على كلمة سواء. وحقيقة الحج السامية في التجرد الكامل لله عز وجل من كل ما سواه والتطهر من الذنوب والمعاصي والآثام. لقوله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وها أنت أيها الحاج الحبيب قد أنعم الله عليك بزيارة بيته والوقوف بين يديه داعيًا ملبيًا نسأل الله سبحانه وتعالى لك قبول الحج والطاعات والعمل الصالح.

وها أنت تبدأ صفحة جديدة ناصعة البياض في حياتك خالية من الذنوب فهل لك أن يتبدل حالك مما كنت عليه قبل الحج إلى ما كنت عليه في الحج من الطاعة والتقرب من الله عز وجل والمحافظة على بلوغ رضاه لتنال صفة «أهل الحج المبرور»؟. وقد ذُكر عن الحسن البصري أن «الحج المبرور هو أن يرجع صاحبه زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة» ومن علاماته أن يرجع الحاج خيرًا مما كان عليه.

ودوامك على الطاعات هو مفتاح خلاصك يوم العرض الأكبر وهذا نبينا ﷺ يسأل: «أي العمل أحب إلى الله»؟ قال: «أدومه وإن قل».

فعلامات الصلاح المداومة على الطاعات والصبر عليها وإن قلت، فتشبث بعمل صالح تلزمه وتداوم عليه ولا تستحقرنه عسى الله أن يكتب لك حسن الختام ويحفظ لك بركة حجك.

ولا تكن من أولئك الذين لا يتذكرون الطاعات إلا في مواسم معينة فإن انصرفت هذه المواسم عادوا إلى حالهم الأول. ولا يفوتك أن تكثر من دعاء الله تعالى أن يعينك على الثبات في الطاعات فقد كان النبي الأكرم ﷺ يكثر من سؤال ربه أن يثبته على دينه وكان أكثر دعائه «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

أسأل الله عز وجل أن يثبتني وإياك على دينه الحق ويرزقني وإياك السعادة في الدارين.



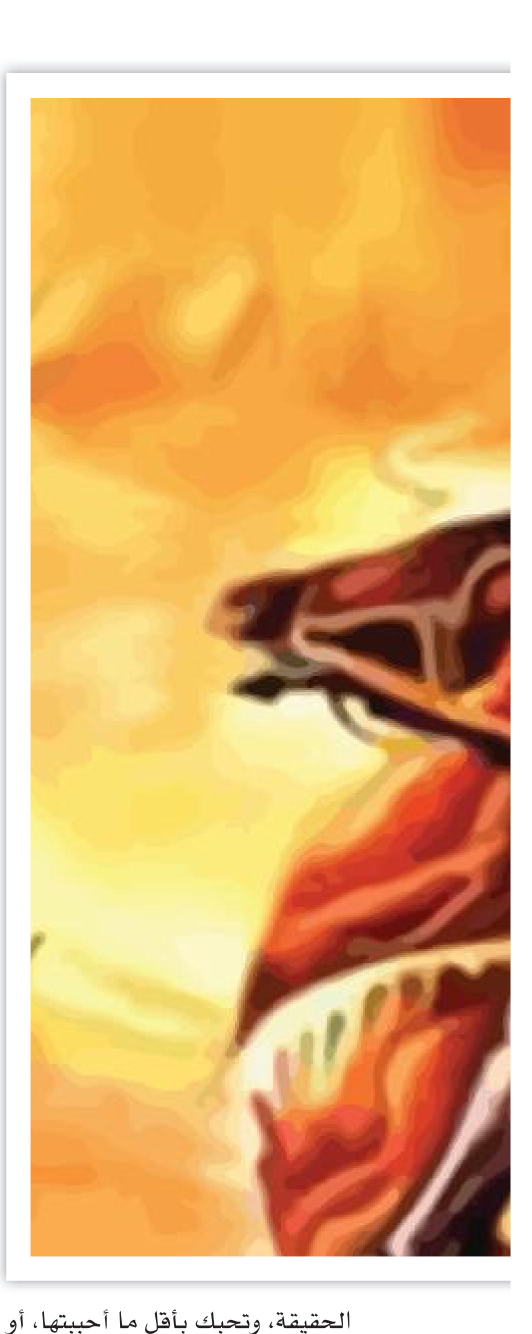


مؤتة.. أرض الشهداء

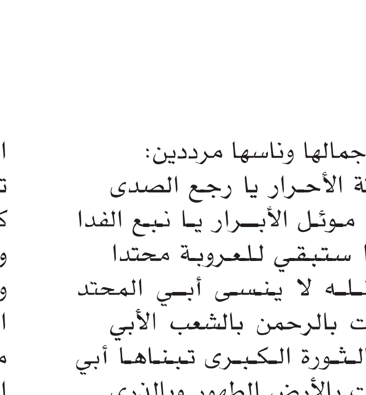
احمد ابودلو- كاتب أردني

انها مؤتة.. أرض الشهداء والدماء النقية.. وهناك اختلطت حبات التراب بنجيع الشهداء الأخيار، وتواصلت المسيرة من الأبناء البررة وامتد الحب وتوارثت الأجيال نقاء الأرض وصفاءها، وبقيت بصماتها عبر الزمن الذي شهد لها أنها في قلوب أبنائها وفي عيون أهلها.

نعم هي مؤتة.. الأرض والتاريخ والدماء، فإلى هناك حيث يأخذنا الآسر، حيث ندري ولا ندري كيف احتضنت هذا الجمال وهذا الحب الأزلي، فلها ألف حكاية وحكاية، والتاريخ دائمًا هو الذي ينقلنا حيث لا نريد، فالأردن مليء بالمواقع التي تثيرك، فكل المواقع والآثار لها وقع خاص بها ولها حكاية تسرك، فلابد من كشف السر المدفون في أعماقك الذي جعلك تهيم فيها حبًّا وهيامًا، يجب أن تبوح لها بسرّك لكي تبادلك البوح في بعض سرّها وبعض نصف



الحقيقة، وتحبك بأقل ما أحببتها، أو تمنحك بعض الحب عند حاجتها.. أو عند كرهها للآخر، فالمكان تمامًا كالمعشوق الذي لا يفارقك خياله أو ظله المتجذر فيك، فكيف إذا كانت هذه هي مؤتة التاريخ والشهداء والعلم والإنسان الطيب.. آه أيتها الرائعة المتجذرة فينا كحد السيف لا نقدر إلا أن نبقى على اندهاشنا عندما نغادر جمالها وناسها مرددين:



يا مؤتة الأحرار يا رجع الصدى
يا موئل الأبرار يا نبع الفدا
عهدًا ستبقي للعروبة محتدا
والله لا ينسى أبي المحتد
أقسمت بالرحمن بالشعب الأبي
بالثورة الكبرى تبناها أبي
أقسمت بالأرض الطهور وبالذرى
أن لا يقر على ثراها معتدي

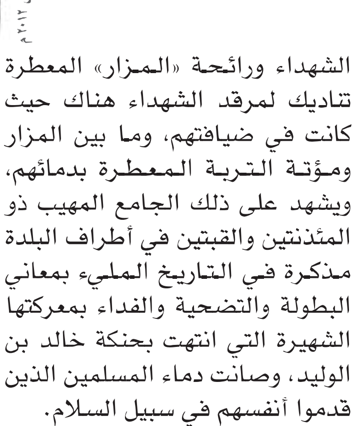
تلك الأرض التي ارتوت بدماء الشهداء (زيد وعبدالله وجعفر) أرض المجد والكبرياء العربية عبر التاريخ العربي الحافل بالأمجاد المثخنة بالجراح والمعطرة بالدماء.. فهناك في سهل مؤتة جرت أول معركة خاضها المسلمون خارج الجزيرة العربية.

فكانت غزوة مؤتة ولا تزال من أهم الغزوات في التاريخ الاسلامي التي خاضها المسلمون خارج الجزيرة العربية، وهي من أهم المعارك التي حدثت على أرض الأردن الطاهرة، كما كانت أول معركة يشارك فيها القائد خالد بن الوليد بعد إسلامه الذي أدخل مبدأ «الانسحاب التكتيكي» حتى يؤمن سلامة القوات بخطة خلاص محكمة، وكانت أول معركة يستشهد فيها قادتها الثلاثة كما أبلغهم النبي ﷺ بذلك قبل المعركة.

دخول المكان

نستأذن الجنوب وجبال المؤابيين عبر وادي الموجب لندخل الكرك الحبيبة حيث القلعة المهيبة التي بناها الصليبيون في القرن الثاني عشر الميلادي تحيط بالمدينة بأكملها والتي تظل شرفاتها في انحدار سحيق نحو البحر الميت.

ومن المدينة المؤابية المحاطة في الصحراء والجبال والأغوار والشواطئ الجنوبية للبحر الميت الذي مات في الزمن الغابر الحي في زمنها نواصل المسير جنوبًا حيث حملنا أمانة السلام على أرواح الشهداء ومدينتهم وأهلها، وعلى الطريق تتناثر بقايا «المشهد» حتى نصل مدينتنا، مدينة



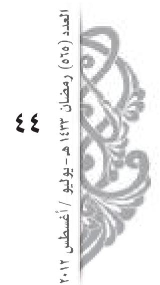
الشهداء ورائحة «المزار» المعطرة تناديك لمرقد الشهداء هناك حيث كانت في ضيافتهم، وما بين المزار ومؤتة التربة المعطرة بدمائهم، ويشهد على ذلك الجامع المهيب ذو المئذنتين والقبتين في أطراف البلدة مذكرة في التاريخ المليء بمعاني البطولة والتضحية والفداء بمعركتها الشهيرة التي انتهت بحنكة خالد بن الوليد، وصانت دماء المسلمين الذين قدموا أنفسهم في سبيل السلام.

مؤتة.. الأرض والتاريخ

الأردن كان جزءًا من بلاد الشام وملتقى للطرق المتجهة غربا إلى البحر الأبيض ومصر وشمال إفريقيا، وجنوبا إلى شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر وشرقًا للعراق والخليج وشمالًا لتركيا وسورية، واحتل الاردن بحكم موقعه منذ القدم مكانة مرموقة في الحضارة الإنسانية التي تأثر بها.

ومن أبرز الملامح التاريخية التي تدل على مكانة الأردن من ذلك التاريخ، تردد ذكر منطقة جنوب الأردن في النقوش الفرعونية القديمة، واشتهرت بصلتها الوثيقة بحوادث العهد القديم، وقامت فيها ممالك من أهمها مملكة أدوم وامتدت لجنوب وادي الحسا، وكذلك هناك مملكة موآب التي كانت من أهم الممالك في شرقي الأردن حيث امتدت من وادي الموجب شمالا وحتى وادي الحسا جنوبا، وأيضا هناك مملكة عمون في شمال الأردن. وكذلك شهدت منطقة الجنوب حركة العبرانيين عند خروجهم من مصر باتجاه فلسطين مرورا بسيناء ومدين فوقفت شعوب المنطقة في وجههم ومنعت دخولهم من أراضيهم، وفي مرحلة لاحقة تطور الصراع بين الطرفين بسبب أطماع العبرانيين التوسعية عبر نهر الأردن شرقًا وقد انتصر العمونيون عليهم وتحكموا بهم مدة ١٨ عامًا.

وقبل نهاية القرن الثامن قبل الميلاد احتل الآشوريون سورية ومن ضمنها شرق الأردن وبقيت المنطقة تحت



حكمهم حتى ٦٢٩ قبل الميلاد، وفي عام ٥٨٦ قبل الميلاد حكم البابليون بلاد الشام، واستطاع الفرس عام ٥٣٩ ق.م القضاء على البابليين وفرض السيطرة على المنطقة.

ومع مجيء العرب الأنباط من شمال الجزيرة وإقامة دولتهم في البتراء في القرن السادس قبل الميلاد بسطوا نفوذهم إلى دمشق شمالا وجنوب فلسطين غربًا واتخذوا غزة ميناءً لهم، وبذلك أصبحت البتراء مركزًا تجاريًا مهمًا في المنطقة واستمرت دولة الأنباط قوية حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد.

وفي عام ٦٤ ق.م جاء الرومان لاحتلال بلاد الشام وصار الأردن جزءًا من إمبراطوريتهم التي تركت بصمات مازالت باقية في أكثر المدن الأردنية، وبعد ذلك أصبح الأردن جزءًا من مملكة الغساسنة العربية التابعة للإمبراطورية البيزنطية.

وفي عام ٦٣٦م دخل الأردن في العهد الإسلامي وقامت على ثراه معارك بين المسلمين والبيزنطيين (اليرموك ومؤتة)، هؤلاء القادة الذين ضحوا في سبيل الإسلام هم خير دليل على تضحيات الأجداد لحماية البلاد والإسلام.

وازداد الأردن أهمية في العهد الأموي، فبطون الكتب مليئة بالحكايات والأسرار التاريخية عن المنطقة، والقصور المترامية في الصحراء شواهد على التاريخ، وشهدت المنطقة (الجنوب) ولادة أول حركة سرية في التاريخ الاسلامي فمن الحميمة أطاح العباسيون بأبناء عمهم الأمويين وبقيت المدن الأردنية حلقة الوصل التجاري بين بلاد الحجاز ومصر والشام بعدما انتقلت الخلافة إلى بغداد.

ومن هنا فالأردن مكان الانطلاق للأمة العربية ومن جزيرتها، ففي العام الثامن من الهجرة أرسل النبي عليه الصلاة والسلام جيشا صغيرا ليؤدب به الغساسنة الذين قتلوا حامل



كتابه واصطدم بجيش الروم الجرار في قرية مؤتة جنوب الكرك، وهناك استشهد القواد الثلاثة بعد أن ضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات والتضحية، وبذلك أصبحت مؤتة مفتاح التاريخ الاسلامي.

وتقع بلدة مؤتة إلى الجنوب من مدينة المؤابيين «الكرك» بحوالي ١٢كم حيث تشاهد من بعيد وسط سهل فسيح أمام هذه البلدة التي استشهد فوقها أبطال الإسلام، وتبعد المزار عن مؤتة ٣كم جنوبًا، وكلاهما على الطريق التي تربط عمان بالطفيلة ومعان.

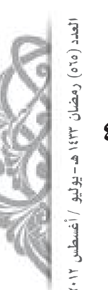
وفي المزار حيث يرقد الشهداء الثلاثة أقيم مسجد واسع بثلاث قباب خضراء، ومئذنتين شاهقتين، وفي الإيوان الشرقي لمدخل المسجد أقامت وزارة الأوقاف متحفا إسلاميًا يضم العديد من القطع الفخارية والمخلفات المادية والنقود الإسلامية.

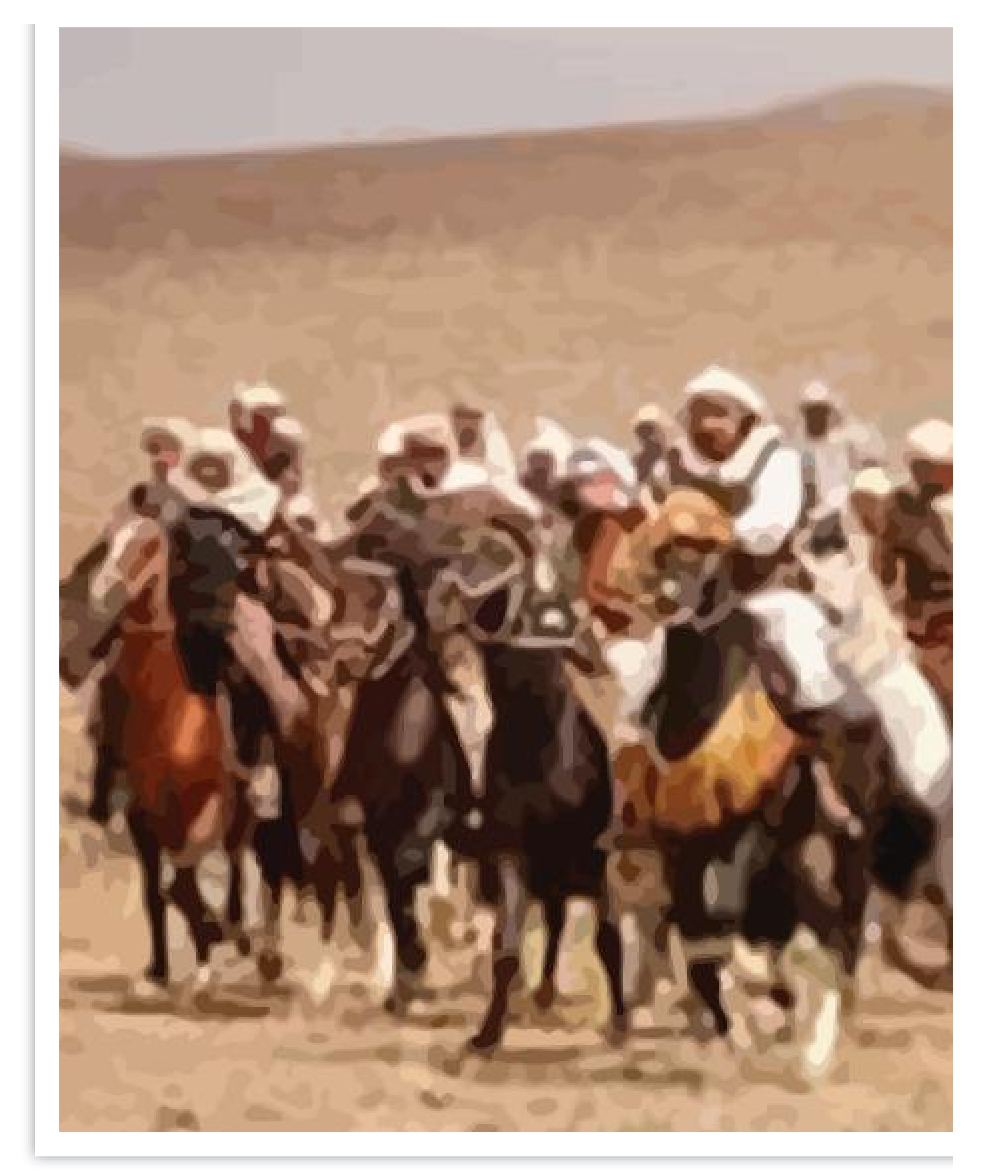
مؤتة المعركة

قال أبوهريرة: شهدت مؤتة، فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري فقال لي ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة، ما لك؟ كأنك ترى جموعا كثيرة. قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد بدرًا معنا، إننا لم ننصر بالكثرة... الواقدي ٢-٧٦١.

هناك على أرضها دارت معركة «مؤتة» بين الروم والمسلمين في العام الثامن للهجرة وسببها أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل الحارث بن عمير الأزدي إلى والي بصرى الشام، فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني سيد مؤتة، وهو في الطريق، ثم أرسل النبي ﷺ بعد ذلك سرية إلى «ذات أطلاح برئاسة عمرو بن كعب الغفاري وعدد رجالها خمسة عشر رجلًا» وفي هذا المكان الذي يقع بين الكرك والطفيلة دعا رجال السرية أهله الى الإسلام





فأبوا أن يجيبوا بل قتلوهم جميعا ونجا عمرو متحاملاً حتى وصل المدينة، ويذكر الطبري أن سكان ذات أطلاح هم قبيلة من قضاعة ورئيسهم يدعى سدوس.

وأشفق الرسول عليه السلام من عقبى السكوت على كلتا الفعلتين، خاصة أنه وصل له استعدادات الروم العسكرية وبعض القبائل العربية (بهراء وقضاعة ولخم وجذام وأهل البلقاء)، كل هذه الأسباب حملت النبي ﷺ على تجريد حملة غايتها الثأر للقتلى وتأديب المعتدي واختبار قوة الأعداء ومدى استعدادهم والتعرف على أسباب تجمعهم على أطراف الأردن المتاخمة للحجاز.

وفي شهر جمادي الأولى من السنة الثانية للهجرة (أيلول ٦٢٩م) جرد الرسول الكريم جيشًا بلغ عدده ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة.

وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبدالله بن رواحة على الناس، فلما قتلوا أخذ الراية خالد بن الوليد.

نقل المسلمون شهداءهم من أرض المعركة (المشهد) إلى مكان عرف فيما بعد بـ«المزار» وأخذ خالد في إنقاذ الجيش الإسلامي الذي لا قدرة له على مواجهة جيش الروم وحلفائهم العرب، فبادر بتغيير المواقع لجيشه (خطة إنقاذ) حتى يوهم الروم بأن المدد قد جاء وانطلت الخطة عليهم، وأنقذ خالد ما تبقى من الجيش عائدًا للمدينة، وقد صاح الناس فيهم يا فرار.. يا فرار.. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن الغنيمة في رجوعهم إلينا سالمين من موت كان محتمًا عليهم، بل إنهم الكرار إن شاء الله، وسمى خالد بن الوليد لحنكته العسكرية «سيف الله المسلول» وعندما علم أن تسعة أسياف تكسرت بيديه وهو يقاتل.

ومن نتائج المعركة كان لعودة الجيش إلى المدنية وقع شديد على نفوس المسلمين حتى خرج أهل المدينة لملاقاة الجيش وهم يقولون: يا فرار.. أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

وقد كان من نتائج المعركة ما يلي: استشهاد اثني عشر مقاتلا من المسلمين بما فيهم القادة الثلاثة، تخليص جيش المسلمين من معركة غير متكافئة، دخول القبائل العربية في شمال الجزيرة في الاسلام ونشره، كانت المعركة فرصة للمسلمين للاحتكاك مع جيوش خارجية لأول مرة.

الدروس المستفادة

برز من خلال هذه المعركة منذ بداية الحملة وحتى عودة الجيش إلى المدنية بعض المواقف والدروس المستفادة، ومنها رفع الروح المعنوية والتصميم على الهدف، حيث صمم الجيش على المضي في التقدم لملاقاة الروم رغم الأعداد الكبيرة للجيوش المعادية، والمرونة والخدعة، حيث ظهرت في الخطة التي طبقها خالد واستطاع خداع الروم دون أن يعرفوا نواياه الحقيقية، والشجاعة وقوة الشخصية، وظهرت في استبسال القادة الثلاثة الذين قاتلوا قتالاً مشرفًا وفي القائد الرابع وهو خالد بن الوليد وحنكته العسكرية، وكذلك الطاعة والنظام، وتتمثل في طاعة الجيش حسب وصية النبي ﷺ في تسلسل القيادة، ثم وصيته في القتال وعدم التعرض للشيوخ والأطفال والنساء.

وفي النهاية لقد كانت غزوة مؤتة صفحة مشرقة في تاريخنا العسكري الإسلامي، وتركت في نفوس الروم أثرًا من ملاقاة المسلمين، فلم يحاول الروم ولا أتباعهم من العرب أن يتعرضوا للمسلمين، وبقيت الدولة الإسلامية مهابة وعظيمة لأنها تستند إلى رجال عظماء ضحوا بأرواحهم في سبيل نشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها.

الدعوة والتحديات المعاصرة!

محمد الدسوقي
داعية إسلامي

إن الإسلام الذي أمر الله سبحانه وتعالى بالدعوة إليه ينتظم العقيدة التي تفسر للناس الكون من حولهم، والحياة التي يعيشونها، والوجود الإنساني.. كما ينتظم القوانين التي تتضمن المصالح التي لا قيام للمجتمع إلا بها، والمصالح التي تيسر للناس الحياة، والمصالح التي ترشدهم إلى العادات الحسنة والعرف الصالح، وتعرفهم بنظام العبادة والسلوك الطيب الحسن.

والإسلام ينتظم - أيضا - المبادئ التي تحفظ حقوق الفرد، وتحمي حريته، وتصون كرامته، وتدعو إلى العمل الجاد لدين الله سبحانه وتعالى، ولدنيا الناس، كما ينتظم العلاقات الإنسانية التي يمكن أن ترسي قواعد السلام العالمي، وتعاليمه تناهض النظام الطبقي، والتمايز العنصري، وتدعو إلى احترام العقل وقبول حكمه فيما له قدرة على



الفصل فيه.

وهذه القضايا هي في حقيقة أمرها قضايا الحياة التي جاء بها الوحي ليستقيم أمر الناس، ويأمنوا الضار وهم يحاولون التقدم الصحيح، والرقي المنشود.. ومن ثم عظم أمرُ الدعوة إلى الله تعالى، وجل شأنها، ويبدو ذلك جليا في آيات القرآن الكريم.. يقول عز وجل آمرا بالدعوة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

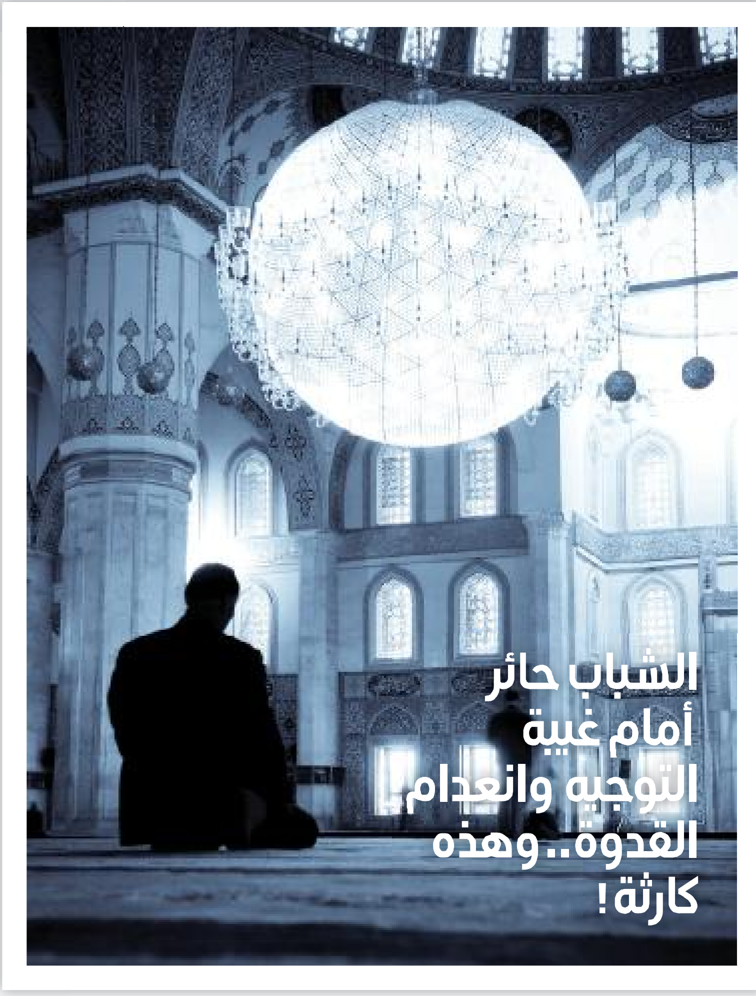
وهي وظيفة الرسول ﷺ، ووظيفة أتباعه من بعده.. يقول عز وجل:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والدعوة إلى الله عز وجل أحسن قول، وأهدى عمل.. يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، وقد أخذ الله تعالى الميثاق على أهل الكتاب أن يدعوا إلى كلمة الله الحقة فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

خير أمة

وإهمال الدعوة من كبائر الإثم، ومن موجبات العقاب.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠).

والأمة الإسلامية تميزت عن غيرها من الأمم بقيامها بهذه الفريضة.. يقول عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).. وبهذا تستحق الأمة الإسلامية رعاية الله سبحانه وتعالى، والاستظلال بظلال رحمته الوارفة.. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).


الشباب حائر أمام غيبة التوجيه وانعدام القدوة.. وهذه كارثة!

صفات الدعاة

إن الدعوة إلى الله عز وجل دعوة إلى الحق والخير، ووراثة للنبوة، ولا يصلح لها إلا عظماء الرجال، وصفوة الأمة، والذين مَنّ الله تعالى عليهم بصفات متميزة تعينهم على النجاح في أداء مهمتهم السامية.. ومن هذه الصفات:

– العلم بالدعوة، والرسوخ في الدين، ومعرفة العلوم التي تعين الداعية على النجاح فيما هو بصدده، ووعي المذاهب الاجتماعية، والاتجاهات الفكرية المعاصرة.

– العمل الذي يتمثل في قوة الإيمان، وشدة الإقبال على الله سبحانه وتعالى، والزهد فيما لا ينفع، وتذكر الآخرة والاستعداد لها.

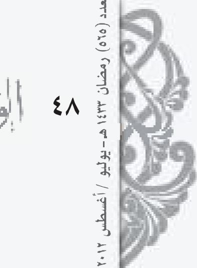
– التزام القانون الأخلاقي من الصدق والإخلاص والشجاعة في الجهر بالحق والصبر والمصابرة، والأمل في النجاح حتى لا يتسرب اليأس إلى النفس.

– القدرة على التعبير والتأثير، وحسن العرض، وقوة الحجة.

– فهم أساليب الدعوة، واختيار الأسلوب العصري والسهل والفصيح.

– لابد أن يكون الداعية قدوة حسنة فيما يدعو إليه من خلق حسن، وعزوف عن سفاسف الأمور، وتحمس للحق والخير.

نقول هذا بعد أن دخل ميدان الدعوة إلى



الله نفر ممن لا يحسنون عرض الإسلام، ويمثلون في الواقع عبئا عليه إذ تحسب تصرفاتهم وأفعالهم الشخصية على الإسلام وهو منها براء!

أسلوب الدعوة!

وضع الإسلام للدعوة أسلوبا حكيما، ومنهجا رشيدا.. فهو يقسم المدعوين أقساما ثلاثة، ويجعل لكل قسم أسلوبا خاصا به:

- القسم الأول: جماعة العلماء.. وهؤلاء يدعون بالحكمة.. وهي أعلى أنواع المعرفة، والمعبر عنها بالفلسفة التي يذعن لها العقل، ولا يجد بدا من الخضوع لها.
- القسم الثاني: عوام الناس.. وهؤلاء تكون دعوتهم بالموعظة.. وهي التعاليم التي تشعر النفس البشرية بنقصها، وخطر أمراضها الاعتقادية والخلقية، وتحملها على معالجتها حتى تشفى وتهتدي.
- القسم الثالث: طائفة المجادلين.. وهؤلاء ينبغي أن يكون الجدل معهم حسنا لا يشوبه عنف، ولا تخالطه غلظة.. وإنما تواجه الحجة بالحجة، وتقاوم الفكرة بالفكرة على أساس من المنطق السليم ابتغاء تجلية الحق والكشف عن وجه الصواب.

وهذا الأسلوب هو الذي ذكره رب العزة سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل: ١٢٥).

طرق الدعوة

الحقيقة التي لا مراء فيها أن الدعوة إلى الله عز وجل لها طرق كثيرة.. منها الخطابة والمحاضرات والندوات ودروس الوعظ والتذكير.. وهذه يكون تأثيرها كبيرا في النفوس متى صدرت عن إخلاص، ومتى أعدها الداعية وأداها بأسلوب حسن، وكانت تعالج واقع الناس، ومشكلات الحياة.

ومن طرق الدعوة: المساجد، والمعاهد، والمدارس، والصحف، والإذاعة، وسائر أجهزة الإعلام الحديثة التي لابد من أن توضع لها سياسة مرسومة، وخطط حكيمة حتى تثمر ثمارها، وتنتج آثارها من الاستضاءة بنور الوحي، والاهتداء بهداية الإسلام.

وحري بنا أن نؤكد أن أجهزة الإعلام الحاضرة تمثل الخطر القادم على المثاليات والأخلاقيات، إذ تستطيع أن تهدم في دقائق معدودة ما يبنيه الدعاة في أزمان طويلة لما لها من قدرة على اختراق المجتمعات المختلفة.. وهذا ما يدعو إلى ضرورة العمل لتطويعها في خدمة الإسلام والمسلمين.

إن أجهزة الإعلام في الحاضر مهيأة تماما لأن تكون سلاحا مشهرا في وجه أبناء الأمة الإسلامية بعد أن برع خصومنا في استخدامها ترويجا لدعاواهم الكاذبة، وانتصارا لفكرهم السام فأصبحت في كثير من الأحيان يدا ضاربة للمسلمين، ووسيلة للتشكيك في الدين، والحض على الرذيلة.

قدوة حسنة

وواجب الحكومات في تطويع تلك الأجهزة يسبق بكثير واجب الأفراد، فالحكومات هي المالكة لها، وهي المشرفة عليها، والمخططة لكل ما يقدم بها.. وعلى الحكومات أن تعيد إلى أجهزتنا الإعلامية هويتها الإسلامية، وأن تنتشلها من تلك التبعية المخزية لإعلام الغرب أو الشرق.

ومن طرق الدعوة أيضا: القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة التي لها شأن كبير وأثر بعيد المدى إذ هي علم هاد يشير إلى المثل الحي، والفضيلة المجسمة، وعرض للنموذج البشري الصالح الذي يراد محاكاته والاقتداء به.

ومنها أيضا تأليف الكتب السهلة الجذابة الجادة التي تعرف الناس بالإسلام، وتشرح لهم تعاليمه، وتقنعهم بأنه وحي الله تعالى إلى نبيه ومصطفاه محمد ﷺ، وأنه منهج كامل يتناول شؤون الحياة جميعا وأنه كفل للناس جميع حقوقهم الكافية لإسعادهم وجلب الرخاء والأمن والسلام لهم.. وأنه أوجد حضارة مشرقة وتاريخا مجيدا يوم أن طبق تطبيقا صحيحا.

ومن طرق الدعوة: إحياء الشريعة بتعلمها وتعليمها، والعمل بها، ودفع الشبهات عنها، وإظهار تفوقها على كل نظم الأرض وقوانينها الوضعية.

الدولة الإسلامية وظيفتها الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه وقيمه



الدعوة إلى الله أحوج ما تكون لأناس يصدعون بالحق دون خوف أو مجاملة!

وجه مشرق

ومن الطرق التي يجب العناية بها تنقية الثقافة الإسلامية من الرواسب التي أضيفت إليها كبعض التفسير للقرآن الكريم الذي لا أصل له، والأحاديث المردودة والضعيفة، ومسائل الفقه التقليدية التي تمثل الجمود والتعصب، والقضايا التي لا صلة لها بالإسلام.. فهذه وأمثالها من الحجب التي تحجب وجه الإسلام المشرق الجميل.

ومنها قيام الدولة الإسلامية برسالتها، فالدولة في الإسلام رسالتها الدعوة إلى الإسلام، ونشر تعاليمه العقائدية والعبادية، وقيمه الخلقية والاجتماعية.. وواجب الدولة ينحصر في أمرين:

- الأول: بذل المال وإنفاقه في نشر الدعوة وإعلانها حتى يدوي صوتها في العالمين.
- الثاني: وضع خطة منظمة للدعوة، واتخاذ الأساليب التي تضمن لها النجاح، والتمكين في الأرض.

تكوين الدعاة

إن هذا العصر عصر صراع فكري بقدر ما هو عصر صراع عسكري.. ولا يمكن للإسلام أن يقف أمام هذا الصراع، إلا اذا كان مسلحا بقوى هائلة من دعاة مؤمنين به، وفاهمين له، ومشبعين بروحه وواقفين عليه جميع قواهم وكل طاقاتهم.

وصراع الأفكار في العصر الحاضر قوي عنيد، ولابد من مقاومته بقوة تفوقه، وتتغلب عليه، والإسلام في ذاته قوة!.. ذلك أن الإسلام ليس فيه ما يشق على الناس فهمه، أو يصعب عليهم العمل به.

إن روحانية الإسلام روحانية مهذبة لا تغمط الفطرة حقها، ولا تميل بالإنسان يمينا أو يسارا.. كما أنه ليس فيه مادية بعض الأديان، ولا رهبانية البعض الآخر.

إن الجو مهيأ في الحاضر لتقبل الإسلام بعد أن فشلت النظم الوضعية في التخفيف من معاناة الناس، وبعد أن تنكرت تلك النظم للوجود وتحللت من كل الفضائل، والأخلاق والمثل والمكارم.. وبعد أن منيت بالفشل في المناحي السياسية، والاقتصادية والاجتماعية.

ولذا يلزم اختيار الدعاة من بين ذوي العقول المستنيرة، والنفوس الطاهرة، والعواطف الجياشة، والإرادة القوية، والسمت الحسن.

إن شخصية الداعية القوية هي التي تستطيع أن تؤثر التأثير المنشود في العقول والقلوب بعد أن يكون قد تزود بحفظ القرآن الكريم وفهمه فهما صحيحا، ومعرفة السنن الصحيحة والسيرة، وهدي السلف، والاطلاع على العلوم التي تبين مشيئة الله تعالى في المجتمع البشري.

يضاف إلى هذا ضرورة الاختلاط بالناس لمعرفة عاداتهم وتقاليدهم، وأمراضهم وعللهم.. فيكون الداعية مثل الطبيب في تشخيص الداء ووصف الدواء.

أخلاق الدعوة

والدعوة إلى الله عز وجل أحوج ما تكون إلى دعاة يخلصون الدعوة إلى الله لا للوظيفة.. ويصدعون بالحق دون مجاملة لأحد من الناس، ويكون سلوكهم صورة صحيحة لما يقولون، ويكونون قدوة حسنة في العلم والعمل والزهد ومكارم الأخلاق.

ولاشك في أننا بحاجة شديدة إلى أن نوفر لهؤلاء الدعاة معينا صافيا من الثقافة الإسلامية الرفيعة، وأن نوفر لهم التوجيه السديد والقيادة الواعية المستنيرة التي تقود مسيرة الدعوة قيادة صحيحة.

إن غيبة التوجيه، وفقدان القيادة الداعية، وانعدام القدوة، وحدوث التمزق بين أفراد الأمة وجماعاتها أمام كثرة التيارات الإسلامية التي يعجز شبابنا منفردا عن المعادلة بينها والتعرف على الصالح منها والطالح.. كل هذا أضر بالشباب المسلم، فأحدث عند البعض فراغا شديدا جعلهم يتوجهون وجهات لا إسلامية ليملأوا هذا الفراغ! ومن ثم أصبح هذا البعض لا يجيد التفريق بين ما هو إسلامي وما هو دخيل على حياة المسلمين! كما أحدث عند جماعة أخرى من الشباب نوعا من السلبية المميتة تجاه قضايا الإسلام.

والواقع الذي نعيشه اليوم يؤكد وجوب العناية بتكوين الدعاة تكوينا خاصا يتوازى مع عظيم مهمتهم.



ينوي تسجيلها كاملة بصوته

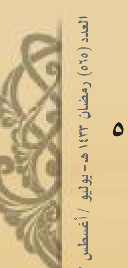
القارئ عبدالرشيد صوفي لـ «الوعي الإسلامي»: حملت على عاتقي إخراج القراءات من حيز التدوين

حوار: عامر أحمد

ارتبط صوته الشجَي الذي يتمدد في ربوع النفس بروايات قرآنية كادت أن تندثر، بل إن كثيرًا من أبناء الأمة الإسلامية، حتى من بعض طلاب العلم، لا يكاد يعرف عنها شيئًا.. تسمع السكت على الهمزة الذي تتجمل به قراءة حمزة، والادغام الذي تأسرك برونقه رواية السوسي، والإمالات التي تتزين بها قراءة الدوري عن الكسائي، وغير ذلك من أوجه جمال القرآن والقراءات وبهائها.. ختمات الروايات المختلفة للشيخ المتقن ذي الأداء الخلاب الذي يخلو من التكلف الشيخ عبدالرشيد بن شيخ علي صوفي انتشرت عبر أثير كثير من الإذاعات العربية والإسلامية ومواقع الإنترنت لينهل منها طلاب القراءات ومحبو القرآن في كل مكان.. «الوعي الإسلامي» التقت الشيخ عبدالرشيد صوفي فكان هذا اللقاء:







لهذا حفظت القرآن في شهر واحد... جزءاً كل يوم!

عجز المطابع البدائية كان سبباً في انتشار رواية حفص... ولا مانع من القراءة وفق المقامات... لكن بشروط!

● شيخنا المبجل.. من أين كانت بداية مشواركم القرآني؟

- كانت البداية مع الوالد- رحمه الله- الذي كان مقرئ البلاد (الصومال) وشيخها ومفتيها فترعرعنا وتربينا في مسجده في مقديشو (العاصمة)، وكان يدخلني في الحلقات منذ الصغر، وأذكر أنه كان إذا أقيمت الصلاة أجلسني أمام الصف، وهذا أستدل به على أنني كنت أقل من سبع سنوات، لأنني لو كنت أكبر من ذلك لأمرني بالصلاة، وكانت له حلقتان واحدة بعد المغرب وأخرى بعد الفجر، وفي كل حلقة يقرأ جزء بالتناوب، جزء في الصباح وجزء في المساء، مع العناية البالغة بالتصحيح والتجويد، كما أن هاتين الحلقتين كانتا فرصة طيبة لمن يريد أن يأخذ شيئًا من القراءات، فقد كان الوالد معه القراءات يدرسها ويعطي فيها إجازات.

ومن كثرة ما طرق سمعي من القرآن والقراءات التي كانت تقرأ عليّ عندما جاء وقت حفظ القرآن وجدت الأمر سهلاً، فعندما عزمت على حفظه ما أخذ مني غير شهر، فقد كنت أحفظ كل يوم جزءًا، وكان الحفظ المتقن في سن العاشرة تقريبًا، ومن بركات هذه الحلقات أن أكثر من يقرأ القرآن والقراءات في الصومال الآن (أكثر من ٩٨٪) تخرج في هذه الحلقات أو تخرج على من تخرج فيها.

أما مشوار القراءات فقد كان والدي يخصص دروسًا في الشاطبية، بل كان درس الشاطبية مثل القرآن، لا يتوقف أبدًا، لا في إجازة صيف ولا في يوم عيد ولا يوم عطلة ولا يوم جمعة... إلخ، وإذا انتهى الدرس، أي إذا انتهينا من شرح الشاطبية لا تؤخذ إجازة يرتاح فيها الطلبة والشيخ، كما هو معتاد عند المشايخ، بل كان يبدأ درس جديد في اليوم التالي مباشرة.

● نسمع لفضيلتكم مصاحف مرتلة بروايات عدة تذاع عبر الإذاعات العربية.. كيف تكونت فكرة تسجيل القرآن الكريم بروايات متعددة؟

- التسجيل الصوتي كان فكرة انبثقت من بعض تسجيلات هواة التسجيل من الطلبة الذين كانوا يصلون معنا، في مسجدي في قطر، فكانوا يسجلون القراءة في الصلاة، وكنت قد عزمت منذ أن بدأت أن أصلي بالناس أن أخرج هذه القراءات من حيز المحفوظات الضيق الذي لا يعلمه إلا القليل من طلبة العلم، لأن الله لم ينزل هذا القرآن بهذه الأحرف السبعة لكي تحفظ في مكان ولا تتداول، ولكن أنزلها لتقال للناس وتُقرأ، ومعظم من أسند في القراءات من أئمة قدامى إنما أخذوا هذه القراءات من أئمة في الصلاة، وكانت هذه مهمة وضعتها على عاتقي رغم قلة الموافقين لها، فهذا الفن صار غريباً ليس على المسلمين، بل على طلبة العلم، لذلك انتشرت بعض الروايات لا سيما رواية السوسي عن أبي عمرو في البيوت والإنترنت وقد سجلت في الصلاة ولم أتعمد تسجيلها، لكن بعض الإخوة سجلوا بعد أن استحسنوا الصوت، ثم سجلنا في مصر ختمة أخرى أمام لجنة من الأزهر الشريف وبمراجعتها، للسوسي أيضًا، وهي التي تذاع في إذاعة دولة الكويت، وهذا النوع من التسجيل المراجع الذي يحضره العلماء هو الأفضل، أما الصلاة فقد يقع فيها خطأ أو سهو أو نسيان.

● سجلتم السوسي والدوري عن الكسائي وخلف عن حمزة وحفص.. ما سر اختيار هذه الروايات تحديدًا؟

- لما رأيت أن القراءات تدون في الكتب وتدرس في حيز ضيق ولم تسجل صوتيًّا، إذ أول من سجل القراءات الشيخ الحصري، وقد سجل أربع روايات فقط، له حفص وله قالون وله الدوري عن أبي عمرو، وله ورش وكان الشيخ يريد أن يتم لكن وافته المنية قبل أن يستكمل المهمة، وجدنا أنه لابد من هذه التسجيلات، وقد حملت على عاتقي أن أخرج هذه القراءات من هذا الحيز الضيق، لكن قلت أنا لا أتحمل هذه المسؤولية وحدي، فأنا بشر قد أخطئ، فكانت المشورة أن أذهب إلى مصر وأسجل أمام لجنة من الأزهر ليكونوا مراقبين للتسجيل وأيضًا بعد الانتهاء من التسجيل يراجعونها مرة أخرى وهذا من فضل الله، وأول ما بدأت بدأت بخلف عن حمزة، وكان كبير المراجعين لي أثناء التسجيل فضيلة الشيخ أحمد عيسى المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية الذي قال: هذه الرواية من أصعب الروايات فلنبدأ بها، فكانت بداية طيبة ثم بعد ذلك جاءت رواية السوسي ثم الدوري عن أبي عمرو، وأنوي تسجيل كل القراءات بصوتي، والآن الحمد لله نحن بصدد تسجيل قراءة ابن عامر في الأزهر وسجلنا هشام من طريق الشاطبية، أما ابن ذكوان فنسجل من الطريقين الشاطبية والطيبة، وكل منهما سيوضع في ختمة مستقلة.

●لماذا يبدأ طلاب علم القراءات أولًا بالشاطبية، على الرغم من أن الطيبة حوت الشاطبية وزادت عليها طرقًا كثيرة؟

هذا الفن يُتلقى والتلقي يتضمن أن تتبع الملقي نفسه، والملقون لهذا الفن والأئمة لهذا الأداء لهم نظام وسلم لابد من اتباعه، فمن أراد أن يتعلم القراءات قالوا له أولًا الشاطبية، لأنها هي المفتاح، بها يفتح الله لك إن شاء الله في البقية، لكن لو أن أحدًا قال أنا سأبدأ بالطيبة من البداية فلا بأس ولا مانع من ذلك، والشاطبية تدرس في معاهد القراءات في مصر في مرحلة تسمى العالية، تدرس في ثلاث سنوات، وإدراكًا من الإمام ابن الجزري لأهمية


الشيخ في حوار مع رئيس التحرير

الشاطبية نظم الدرة المكملة للشاطبية، فالدرة لمن لا يعرف الشاطبية لا تفيده شيئًا، لأنها مكملة للشاطبية.

• برأيك لماذا انتشرت رواية حفص عن عاصم دون غيرها؟

- هذا الأمر يحتاج إلى فريق يكلف به، يبحث في البلاد التي فيها المخطوطات عن القراءات التي كانت منتشرة وما تاريخ انتشار رواية حفص بالضبط، والذي عندي إلى الآن في هذا الأمر، ولا أنسبه لنفسي، بل أخذته من الشيخ عبدالفتاح القاضي وأيضًا من بعض المخطوطات التي عندنا وعمرها قرابة ١٠٠٠عام من التاريخ الهجري أن الناس في بلاد المشرق كانوا يقرأون برواية الدوري عن أبي عمر، دل على هذا دليلان، الأول أن عندي مصحفًا خُطّ سنة ١١٧٣هـ في مصر، يقول كاتبه في المقدمة«واعلم أن هذا المصحف خط بما يوافق قراءة أبي عمرو، لأن أهل مصر لا يعرفون سواها، ولا يقرأون غيرها»، والثاني أن التفاسير الموجودة كلها كتبت على قراءة أبي عمرو البصري.

ويقال إنه لما بدأت المطابع في الانتشار، وأرادوا أن يطبعوا المصحف، وجدوا أن قراءة أبي عمرو تتضمن أحرفًا كثيرة لا يمكن كتابتها، فالأوائل كانوا يرمزون إليها بالألوان التي لم تكن متوافرة في المطابع في ذلك الوقت، مثل تسهيل الهمزات والادغام والإمالات، فلما أرادوا طبع المصحف طبعوه وفقًا للقراءة التي هي أقرب إلى الكتابة الموجودة على آلة الطباعة في ذلك الوقت فوجدوا أنها رواية حفص، لأنه لا يوجد فيها إمالات إلا حرفًا واحدًا ﴿بسم الله مجراها﴾، ولم يسهل إلا حرف واحد ﴿أأعجمي وعربي﴾، هذا الذي يتبادر، لكن المسألة تحتاج إلى تحقيق وبحث.

• ما رأيكم في قراءة القرآن وفق المقامات؟

لا علم لي بهذه المقامات، ولاشك أنّ ما يسمى بالمقامات أو بالألحان أو بالنغمات إن لم تكن متكلفة مخرجة لنص القرآن والتجويد عن الصواب إلى اتباع الألحان فهذا لا بأس به، أما أن يتكلف تعلمها وتصبح الشغل الشاغل، فهذا يقرأ بياتي وهذا سيكا...إلخ وتضيع الأحكام كما انتشر في السنين التي مضت، فهذا محل استنكار من العلماء، لكن الصوت الحسن مطلوب ومتفق على طلبه، فقد قال النبي ﷺ «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»، وأيضًا قصة أبي موسى الاشعري رضي الله عنه معروفة، لكن هذا الصوت الحسن المطلوب بإيجاز من القول شرطه ألا يخرج القرآن عن معناه ولا يتجاوز الأحكام، فلا آتي لأوافق النغمة فأزيد في المدود، وأزيد في الغنن... وهكذا.

• ماذا عن سرقة النفس، كما يسمونها؟

- سرقة النفس خطأ لأنه من التجاوز في الأحكام، أما بالنسبة للحرمة الشرعية فقد قال الإمام إبن الجزري:

وليس في القرآن من وقف وجب
ولا حرام غير ما له سبب

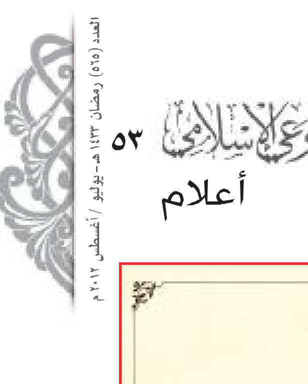
فما يذكر أنه يجوز أو لا يجوز معظمه اصطلاحي إلا ما أخرج عن مراد القرآن إلى معنى محرف للشرع، فهذا حرام.

• كثير من طلبة العلم وغيرهم يتساءلون: هل قرأ النبي ﷺ بكل هذه الأوجه التي لا تكاد تحصى مع تحريراتها؟

- نعم النبي ﷺ قرأ بكل هذه الأوجه أو قرئت عليه، ولا شك أنها كلها متلقاة عن جبريل عن رب العزة، ومن المهالك ما انتشر بين البعض جهلًا منهم من أن القراءة الأصلية عند النبي ﷺ كانت حفص والبقية أذن بها، أما التحريرات فهي قسمان قسم ثابت عند الأئمة القدامى ومنصوص عليه في كتبهم، وهو عبارة عن المراعاة والتناسق بين الأحكام، فلا تأتي مثلًا وأنت تقرأ بقصر المنفصل فتمد بعضه «واللفظ في نظيره كمثله»، لكن لكل أهل فن متنطعون، ونفس هذا الكلام يوجه إلى علم الحديث، فهذه التحريرات لإثبات النص الصحيح، فالتنطع منبوذ، حتى إن خلط الطرق بعضها ببعض إذا كان من متقن للروايات عارف بها فهو مكروه، وكذلك خلط رواية برواية، وأقطع ما فيه أنه كذب على الرواية.

• من أبرز الشيوخ الذين تأثرت بهم؟

- كلنا عيال على الحصري، عليه تدربنا وتعلمنا القراءة، كذلك أستمع إلى المنشاوي، أما المجودون فأحب أن أستمع إلى الشيخ محمد رفعت، والشيخ محمد عمران، ومن الموجودين أحب أن أستمع إلى الشيخ محمد أيوب.



الإجازة

وتتضمن أسماء الشيوخ
الفقير إلى الله تعالى
محمد أمين سراج
خادم العلوم الإسلامية
والمدرس بجامع السلطان
محمد الفاتح بإسطنبول

في رحاب الشيخ محمد أمين سراج

اسطنبول - خاص

في يوم الاثنين ٢٠١٢/٤/٣٠م بعد صلاة الظهر مباشرة زارت مجلة الوعي الإسلامي الشيخ محمد أمين سراج- حفظه الله- أمين الفتوى والمدرس بمسجد الفاتح في إسطنبول، والمولود عام ١٩٣١م في توقاد بلد العلماء، وشيخ الإسلام مصطفى صبري.

والشيخ أمين سراج لمن لا يعرفه، أحد العلماء المعروفين بالورع والزهد، فقد حفظ القرآن الكريم على يد والده رحمه الله، حيث كان يوقظه بالليل حتى لا يراه أحد ومع ذلك اكتشف أمره وسجن والده، حيث منعت أيام النكبة عام ١٩٤٣م تدريس العلوم الشرعية..

وقد تلقى العلم على يد بعض مشايخ مسجد الفاتح في إسطنبول كالشيخ محمد خسرو أفندي وهو من كبار مشايخ مسجد الفاتح، ورئيس القيمين الشيخ سليمان أفندي، وكلمة أفندي تطلق على أولاد السلاطين، وعلى العلماء.

ومن شيوخه أيضا العلامة الشيخ علي حيدر أفندي من كبار المشايخ في المشيخة الإسلامية في هيئة التدريس والإفتاء، والشيخ مصطفى لطفي أفندي، وقد تلقى العلوم الشرعية على أيديهم في الفقه الحنفي: مراقي الفلاح ومتن القدوري والهداية، وتفسير البيضاوي، وإحياء علوم الدين، والشفا للقاضي عياض، وصحيح البخاري والترمذي.

وفي سنة ١٩٥٠ رحل إلى مصر ودرس في الأزهر، والتقى العلامة شيخ الإسلام مصطفى صبري الذي خصص له يوم الخميس، والشيخ محمد زاهد الكوثري الذي خصص له يوم الجمعة.



وقد تخصص الشيخ في القضاء الشرعي، ودرس السنة الأولى ولم يكمل.

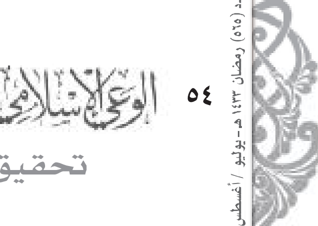
ومن شيوخه في مصر: الشيخ محمد حسنين مخلوف، وعيسى منون، والشيخ أحمد فهمي أبوسنة، وعبدالوهاب البحيري، وغيرهم من العلماء.

ورجع الشيخ إلى إسطنبول عام ١٩٥٨، وقد زار دمشق أكثر من مرة، بدعوة من صديقه الشيخ د.نورالدين عتر، والتقى بعدد من علماء دمشق، منهم: الشيخ الفقيه وهبي سليمان غاوجي الألباني، والشيخ محمد أديب كلاس رحمه الله، كما التقى بالشيخ المقرئ الفقيه عبدالرزاق الحلبي.

ويعمل الشيخ حاليا مدرسا بجامع السلطان محمد الفاتح بإسطنبول، ويدرس الطلاب في مسجد الفاتح بعد صلاة الصبح في شهر رمضان، كذلك درَّس العلوم الشرعية والقرآن، والفقه الحنفي كنور الإيضاح ومتن القدوري، وملتقى الأبحر، والهداية، والتفسير للقاضي البيضاوي، وإحياء علوم الدين، والبخاري والترمذي، ودرَّس سبع مرات كتاب الشفا للقاضي عياض.

وفي عام ١٩٨٩م أصدرت مجموعة من صفوة علماء العالم الإسلامي فتوى بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، وكان من بينهم: الشيخ محمد أمين سراج.

ولم يهتم الشيخ كثيرا بالتأليف، حتى إن بعض تلاميذه يدونون ما يقوله في دروسه، ولكنه ترجم مع آخرين، بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة التركية: ككتب العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى.





سيناريو الإعلام المطبوع في الألفية الثالثة (١-٤)

خبراء وأكاديميون يناقشون.. إعلامنا المطبوع في الألفية الثالثة.. الواقع والتحديات

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

كثيرة هي التطورات الراهنة التي يشهدها العالم الآن بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي لعبت دورًا هائلًا في المجالات كافة، ولاسيما الصحافة المطبوعة.. مع وجود دراسات عديدة ومخاوف أكثر بانقراض الصحافة المطبوعة للحد الذي يقول فيه المحلل تيم باجاران رئيس «كريييتيف ستراتيجيز»: «إن نهاية الصحافة المطبوعة والاستعاضة عنه بالصحافة الرقمية مجرد مسألة وقت».. لكن لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة إلى صحافتنا العربية المطبوعة، التي ارتبط بها القارئ بعلاقة حميمة من الصعب أن تمحوها صحافة الآلة.. تعالوا نتعرف عبر السطور التالية على واقع وتحديات صحافتنا المطبوعة في الألفية الثالثة.

«ثورة الاتصالات أدخلت الصحافة المطبوعة في اختبار صعب وجعلتها تواجه تحديات غير مسبوقة».. بهذه



الكلمات بدأ الكاتب الصحفي يحيى قلاش، السكرتير العام السابق لنقابة الصحفيين المصرية حديثه، موضحًا أن هذا ليس التحدي الأول للصحافة المطبوعة في العالم العربي، حيث سبق أن تعرّضت لتحديات مماثلة عندما ظهرت وسائل إعلام أخرى مثل الإذاعة ثم البث التليفزيوني، وفي كل تجربة من هذه التجارب كانت هناك أصوات تردد أن هذه الوسائل الجديدة ستكون بديلًا للصحافة المطبوعة، وهذا ما لم يحدث.

أكبر التحديات

وعلى الرغم من اعتباره أن التوجه إلى الصحافة الإلكترونية أصبح من أكبر التحديات التي تواجه الصحف المطبوعة في العالم أجمع، فإن «قلاش» يؤكد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الدول العربية، مبررًا ذلك بوجود نسبة كبيرة من الأمية الحاسوبية بين العرب، إضافة إلى نسبة كبيرة أيضا ليست لديها القدرة على امتلاك وسائل التكنولوجيا العصرية، ما يحول دون استيلاء الصحافة الرقمية على مكانة الصحافة المطبوعة، إضافة إلى جانب مهم وهو الارتباط الروحاني بين القارئ العربي والصحافة المطبوعة والتي يعتبرها جزءًا أساسيًا من عاداته اليومية.

أضاف «قلاش» أن الصحافة الإلكترونية والمدونات وغيرها تجارب بدأت تحظى

يحيى قلاش: التحديات التقنية ليست خطيرة بالنسبة للصحف العربية

د. هشام عطية: العالم يتخلص من صحافته الورقية.. ولدينا تتزايد!

بإقبال وانتشار في المجتمعات العربية، لكن ليس بالحد الذي يهدد الصحافة المطبوعة، وخاصة أن هذه الأخيرة تحظى بمصداقية أكبر مما ينشر عبر الوسائل الرقمية المختلفة.

وعن اختلاف واقع الصحافة العربية المطبوعة عنه في العالم، قال قلاش إن الصحافة المطبوعة في العالم كله تواجه تحديات كثيرة، لكنها في العالم الغربي أكثر: نظرًا إلى فقدان كثير من القراء الذين انصرفوا إلى الوسائل التكنولوجية، فالصحيفة في الأساس مشروع اقتصادي، وكثير من إمبراطوريات الصحافة في العالم بدأت تعمل على نقل مطبوعاتها إلى نسخ إلكترونية، فالتحديات التي تواجه الصحافة المطبوعة في العالم المتقدم أكبر منها بالنسبة إلى الصحافة المطبوعة في العالم العربي، ونفى بشدة فكرة اختفاء الصحافة المطبوعة على الأقل خلال قرن من الزمان!

دخول عصر جديد

أما د.هشام عطية، أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، فرجع بالحديث إلى الرصد العلمي للجهات المهنية المعنية بصناعة الصحافة، والتي ركزت في حديثها على أن الإعلام المطبوع بدأ يتقلص دوره من حيث عدد المطبوعات، وأرقام التوزيع، وذلك في العقد الأخير من القرن العشرين، والعقد الأول في القرن الحادي والعشرين، إلا أن هناك مناطق عديدة خارج الخريطة العالمية سارت عكس هذا الاتجاه وعلى رأسها المنطقة العربية، فهي المنطقة الوحيدة المحافظة على عدد المطبوعات بل إنها تزايدت.. لذلك يمكن القول إن الإعلام المطبوع في المنطقة العربية أفضل حالًا من معظم مناطق العالم، موضحًا أن العدد الإجمالي للصحف مستمر في التزايد كل عام، وبالتطبيق على مصر نجد أن الواقع يشير إلى أن عدد المطبوعات يزيد من آن إلى آخر ما بين إصدارات يومية وأخرى أسبوعية، وذلك لأن جيل

قراءة الصحف هم متوسطو الأعمار، وكبار السن، وهؤلاء تربوا على الصحف المطبوعة حتى أصبحت جزءًا من أسلوب حياتهم، والتفسير الآخر هو أن الإنفاق على الصحافة المطبوعة أكثر بكثير من الصحافة الإلكترونية، إضافة إلى أن المعلنين ليس لديهم الثقة في الإعلام الإلكتروني، فالقارئ يفضل متابعة الإعلام الورقي، إضافة إلى أبعاد أخرى سياسية واقتصادية، مشيرًا إلى أن المؤشرات الراهنة تجعلنا لا نشعر بالخطر من التحوّلات؛ لأن الصحافة ليست صناعة ورق، إنما مهنة إبداع، وتعامل مع مصادر.

وأكد عطية أن الصحافة المطبوعة تؤدي دورًا مهمًا في الحياة، من تبادل وطرح أفكار، حتى إن التليفزيون يأخذ منها أفكاره وتحليلاته، فالبرامج الحوارية تعتمد في المقام الأول والأخير على الإنتاج الفكري للصحافة.

وعن التحديات التي تواجه الصحافة الورقية أكد أنها لا تواجه تحديات كبيرة على المستوى العربي من خلال منافسة الصحافة الرقمية، إنما التحدي برأيه هو كيفية دخول العصر الجديد والتعامل معه كمهنة وليس كورق أو شاشة، وذلك بالاستجابة لاحتياجات العصر، والتعامل بالوسيط الجديد.

انخفاض معدلات القراءة

إلى ذلك، أكد د.سليمان صالح، رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن أهم المشكلات التي تواجه الصحافة المطبوعة تتمثل في انخفاض معدلات القراءة بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة.. وفي الوقت ذاته ازدياد اتجاه الأجيال الجديدة إلى أشكال أخرى حديثة من الاتصال، كذلك تناقص دخل الصحف من الإعلانات الأمر الذي أدى إلى انخفاض توزيع الصحف، حيث اتجهت وكالات الإعلان إلى التلفزيون بقنواته المتعددة المركزية والفضائية المشفرة والمفتوحة، رغبةً في الاستفادة من مزايا الإعلان المرئي، ما أفقد الصحافة جزءًا مهمًا من الموارد التي كانت تعتمد عليها المؤسسات الصحفية.

وتابع سليمان أن ارتفاع تكاليف إنتاج الصحف المطبوعة من التحديات المهمة التي تواجه الصحافة المطبوعة، وتشمل جانبين يتمثل الأول في اعتماد الصحف على مواد خام نادرة أو محددة وهي ورق الطباعة، ومع كل زيادة في أسعار ورق الصحف تتضاعف مشكلة الصحف المطبوعة؛ بينما يتمثل الثاني في ارتفاع نفقات إصدار الصحيفة كمشروع فكري إعلامي صناعي تجاري يحتاج إلى ملايين الدولارات.. إضافة إلى تحد جديد وهو تغيّر أذواق القراء واحتياجاتهم الإعلامية وذلك نتيجة للمتغيرات المجتمعية المختلفة، وظهور وسائل إعلامية منافسة، وفي هذا الإطار تبرز ضرورة لجوء الصحافة المطبوعة إلى نوعية جديدة من المحررين يستفيدون من تقنيات العصر في تطوير صحفهم بما يستقطب مزايا الصحافة الرقمية وفي الوقت ذاته يحتفظ بجمهور الصحافة المطبوعة.

وأكد أن ظهور الصحافة الإلكترونية كمنافس للصحافة المطبوعة أمر ينبغي الاعتداد به، موضحًا أن الصحافة الإلكترونية توفر على القارئ انتظار يوم كامل، في الوقت الذي يمكنه متابعة الجديد من الأخبار في أي وقت خاصة مع وجود خدمة التحديث التي يتم إدخالها على الصحيفة الإلكترونية.. وهذا ما لا يتوافر في الصحيفة الورقية؛ نظرًا إلى التكلفة العالية لإصدار طبعات إضافية من الصحيفة لمتابعة مستجدات الأحداث؛ لذلك تتميز الصحيفة الإلكترونية بنقل الأخبار والموضوعات في أي وقت.

واعتبر سليمان أن الانتشار الواسع للصحافة الإلكترونية من أكبر التحديات التي تهدّد واقع الصحافة المطبوعة في الألفية الثالثة، لكنه اتفق مع الآراء السابقة في أن الأمر مختلف بالنسبة إلى الصحافة العربية التي أكد أنها ليست بمنأى عن الاندثار، لكن هذا لن يحدث قبل قرون، بينما الأمر في دول العالم المتقدمة قد لا يستغرق سوى سنوات قليلة وتختفي منه الصحافة المطبوعة وتتحول جميعها إلى نصوص رقمية عبر الوسائط التكنولوجية.



د.سليمان صالح: لا بديل أمامها عن الأخذ بتقنيات العصر

سعد النادي: المستقبل ليس في صالح الصحافة المطبوعة!

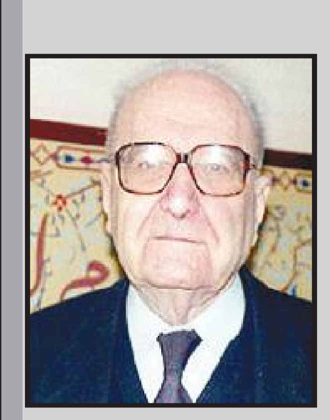
هذا مستقبلها!

وأشار سعد النادي، مدير الرصد والتحليل الإعلامي بالمرصد الإعلامي لمنطقة الشرق الأوسط، إلى وجود أكثر من واقع للإعلام المطبوع في العالم العربي، وخاصة مع تزايد موجات الربيع العربي في معظم الدول، حيث حدث انصراف من قطاع كبير من الجماهير العربية عن الصحف المطبوعة وخاصة المملوكة للحكومات أو تلك المحسوبة على الأنظمة السياسية وزاد الاهتمام بالصحف المستقلة التي تمتلك قدرًا أكبر من الحرية والاستقلالية عن السلطة، قائلًا: «إنه في جميع الأحوال حدث تحوّل لشريحة كبيرة من القراء إلى الإعلام الجديد؛ لدرجة أننا صرنا نسمع ما يسمى بالإعلام البديل أو الإعلام الإلكتروني أو الاجتماعي».

وعن التحديات التي يواجهها الإعلام المطبوع، رأى «النادي» أن هناك العديد من التحديات، أبرزها القدرة على ملاحقة واقع الحياة اليومية والمنافسة الشرسة التي يمثلها الإعلام الإلكتروني في ظل تزايد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر، وما تتيحه هذه الوسائط من قدرة على مشاركة الأخبار بسرعة مع عدد كبير من القراء.

وأضاف أن هناك تحديًا آخر أفرزته الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتسارع إيقاع الحياة بحدوث تغير في المزاج العام للقراء الذين أصبح شغلهم الشاغل هو الحصول على ملخصات مختصرة وسريعة للأخبار والموضوعات المختلفة إلى جانب ما يمتلكه الإعلام الجديد من مزايا كإضافة الصور الملونة ذات الجودة العالية وإمكانية إضافة مقاطع الفيديو والتفاعل الذي يحدث بين القراء والمواقع الإلكترونية من خلال المشاركة بالتعليقات أو في المنتديات الخاصة بهذه المواقع الإلكترونية.

«جارودي» .. في ذمة الله



فقدت الأمة الاسلامية المفكر الفرنسي، روجيه جارودي، عن عمر يناهز الـ٩٨ عامًا في بلدية شينفيير في سور مارن، جنوب شرق باريس.

ولد جارودي في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد، حيث اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، ودرس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس، وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام ١٩٣٧ عين أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه من ألبي.

خلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب لفرنسا الفاشية في الجلفة بالجزائر بين ١٩٤٠ و١٩٤٢، وفي عام ١٩٤٥ انتخب نائبًا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام ١٩٤٦.

وحصل جارودي على درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٩٥٣ من جامعة السوربون عن «النظرية المادية في المعرفة»، ثم حصل على درجة الدكتوراه الثانية عن «الحرية» عام ١٩٥٤ من جامعة موسكو.

طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٧٠م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفييتي، وفي السنة نفسها أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرًا له لمدة عشر سنوات.

أشهر المفكر الفرنسي إسلامه في ٢ يوليو عام ١٩٨٢ بالمركز الإسلامي في جنيف، ليبدأ نضاله الفكري والسياسي ضد الحركة الصهيونية العالمية ودولة الاحتلال الصهيوني في فلسطين.

في عام ١٩٩٦ أصدر «جارودي» كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، الذي شكك خلاله في أسطورة «الهولوكوست»، مكذبًا بالحجة والدليل المغالطات اليهودية حول عدد الضحايا اليهود في محرقة النازي، ليلاحقه الجانب الصهيوني قضائيًّا، ويَصدر ضده عام ١٩٩٨ حكم بالسجن سنة مع إيقاف التنفيذ من إحدى المحاكم الفرنسية.

نال جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٨٥ عن خدمة الإسلام وذلك عن كتابيه Promesses de l Islam «وعود الإسلام» وL Islam habite notre avenir «الإسلام يسكن مستقبلنا»، ولدفاعه عن القضية الفلسطينية، وحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة قونية في تركيا سنة ١٩٩٥.

ولقد أثرى «جارودي» المكتبة العالمية والعربية والإسلامية بعشرات المؤلفات التي ترجمت للعديد من اللغات، ومن أشهر مؤلفاته بعد إسلامه «وعود الإسلام»، و«المسجد مرآة الإسلام»، و«الإسلام وأزمة الغرب»، و«فلسطين مهد الرسالات»، و«الولايات المتحدة طليعة التدهور»، و«الإسلام دين المستقبل»، و«الإرهاب الغربي»، و«جولتي وحيدًا حول هذا القرن»، و«حوار الحضارات»، و«الإسلام وأزمة الغرب».



العمل الاجتماعي ودوره في التنمية

إدريس بوحوت
باحث مغربي في التنمية

قبل أن نقدم المفهوم العام للعمل الاجتماعي، تجدر الإشارة إلى أن العمل الاجتماعي يرد، في استعمالات الباحثين والمهتمين بالتنمية البشرية، والخدمات الاجتماعية، بعدة صيغ ومفاهيم، تختلف في التراكيب والمباني، لكنها تكاد تكون من باب تعدد الأسماء لمسمى واحد، والخيط الناظم الذي تنتظم فيه هو المقصد التنموي الإنساني الذي تسعى إلى تحقيقه مهما كانت تلك الأسامي.

وهكذا، نجد من بين تلك المفاهيم المتداولة في هذا الباب من قبل الباحثين (التكافل الاجتماعي، التضامن الاجتماعي، الخدمة الاجتماعية، العمل التطوعي، العمل الخيري، العمل الإحساني، العدالة الاجتماعية، الرعاية الاجتماعية، التغيير الاجتماعي... إلخ).

ومادام المقام لا يسمح بمناقشة بعض الفروق الرفيعة بين هذه المفاهيم، فإننا نكتفي ببعض التعاريف الشائعة والمتداولة بين الباحثين المهتمين، وسنشير فقط إلى ثلاثة مفاهيم في هذا المقام، لاعتبارين اثنين؛ أولهما لكثرة تداولها، وثانيهما لشموليتها واقتضائها لغيرها بشكل ضمني، وهي:

١- التكافل الاجتماعي

يقول أحمد عبده عوض: «التكافل الاجتماعي هو أن يتضامن أبناء المجتمع، ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية الأيتام، ونشر العلم.. بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد» (١).

٢- الخدمة الاجتماعية

للخدمة الاجتماعية تعاريف أجنبية، وأخرى عربية، ومن التعاريف الأجنبية للخدمة الاجتماعية، نختار تعريف هنسون ١٩٢٥، حيث يقول بأنها: «نوع من الخدمة التي تعمل من جانب على مساعدة الفرد أو جماعة الأسرة التي تعاني من مشكلات لتتمكن من الوصول إلى مرحلة سوية ملائمة، وتعمل من جانب آخر على أن تزيل بقدر الإمكان العوائق التي تعرقل الأفراد على أن يستثمروا أقصى قدراتهم» (٢). أما التعريفات العربية فكثيرة؛ منها تعريف أحمد كمال أحمد ١٩٧٦، حيث يرى بأنها «طريقة علمية لخدمة الإنسان ونظام اجتماعي يقوم بحل مشكلاته وتنمية قدراته ومعاونة النظم الاجتماعية الموجودة في المجتمع للقيام بدورها.. لتحقيق رفاهية أفراده» (٣).

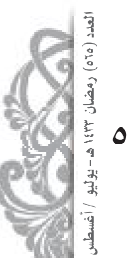
٣- العمل الاجتماعي

نجد من أهم تعاريف العمل الاجتماعي ما يلي: العمل الاجتماعي هو علم وفن ومهنة لمساعدة الناس على حل مشكلاتهم وقد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية (٤). كما أنه «يمكن تعريف العمل الاجتماعي التطوعي بأنه مساهمة الأفراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي أو بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال» (٥).

وبناء عليه نقول: إن العمل الاجتماعي يشمل كل أنواع الخدمة الاجتماعية التطوعية، وأشكال التضامن الإنساني الهادف إلى مساعدة الأشخاص في وضعيات صعبة (اجتماعية، نفسية، تربوية، صحية، أسرية...) بقصد إزالة كل المعيقات والمشاكل التي تكدر صفو عيشهم.

مبدأ الاستخلاف وفاعلية الإنسان

إن الحديث عن العمل الاجتماعي يرتبط أساسًا بالواقع الاجتماعي أولا؛ ثم بالعنصر البشري المستهدف في العمل الاجتماعي ثانيًا؛ وهذا الارتباط ليس هو وليد اللحظة، أو نتيجة تنظيرات فكرية معاصرة، بقدر ما هو منهج



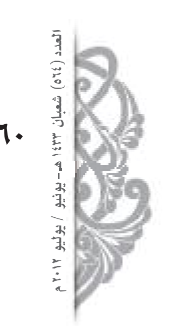
أصيل في الثقافة الإسلامية.
ومنشأ هذا الارتباط يرجع بالأساس إلى مجموعة من العوامل، منها طبيعة الإنسان الاستخلافية، وكثرة احتياجاته وافتقاره إلى غيره لسد الخصاص والعوز الذي يشكو منه؛ ومنها تفاوت الناس في درجات الفقر والغنى؛ ومنها استحالة استقالة البشر عن بعضهم البعض وعن المساندة والمعاونة والتضامن فيما بينهم.
والعنصر البشري في العمل الاجتماعي الهادف إلى التنمية صنفان: صنف فاعل في العمل الاجتماعي، ومسهم فيه؛ وصنف منفعل به ومستفيد منه.
ولا يمكن أن يتحقق وجود الصنفين وتفاعلهما؛ أخذًا وعطاءً، وتأثيرًا وتأثرًا، إلا بالفهم الجيد للتصور الإسلامي الذي ترشدنا إليه الآية الكريمة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠). والخلافة أو الاستخلاف من معانيها التوكيل والإنابة على أمر ما لرعايته وحفظه، ومعلوم أن الرعاية بجميع أشكالها وألوانها، سواء أكانت مادية صرفة، أو معنوية ومجردة، فإنها تندرج في جنس العمل الرسالي، والسعي السامي، والجهد الباني، بغض النظر عن شكل هذا السعي والعمل، ولا ضير أن يكون فرديًا، أو جماعيًا؛ كما أنه لا يضر أن يتم بشكل عفوي تلقائي، أو بشكل منتظم ومؤسساتي.
وفي كل الأحوال، فإن فاعلية الإنسان وتفاعله مع الآخر أمر محقق لا محالة، مع المحيط، ومع البيئة، بل مع الكون كله، وبفضل هذه الفاعلية والتفاعل تتحقق التنمية والتعدية لأوجه البر والإحسان، وتتراجع الأنانية، وتُجتث مظاهر الفقر والتخلف من المجتمع، وتُنزَّه الأمةُ عن العبثية والرذيلة.

بُعد الاستعمار أو التنمية

إن بُعد الاستعمار أو عمارة الأرض، بكل تجلياته وتمظهراته، لا يعدو أن يكون سعيًا وعملًا هادفًا صالحًا قاصدًا بشكل مستمر ومنتظم، غايته تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية، على

مالك بن نبي: إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من «اللا فاعلية» في أعمالنا

الرغم مما قد يشوب هذا المصطلح؛ أي «الاستعمار»، وما قد يتضمنه من دلائل قدحية، سياسية أو إيديولوجية أو عسكرية استنبتها «المستعمر»- لا، عفوا، بل الغرب المخرب- في تربة بعض السذج والأدعياء الذين يعلو صوتهم، مكاء وتصدية، هنا وهناك، مع أن الصواب أنه مصطلح قرآني بامتياز، وظفه القرآن بدلالته الإيجابية الفياضة، وبعمقه المقاصدي الرصين، وعلى من سولت له نفسه ادعاء نقيض هذا، أن يقرأ قوله تعالى- إن لم تسعفه بساطة التفكير، وسطحية التأمل والنظر التي تحول غشاوة دون ذلك- على لسان صالح عليه السلام لقومه ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ (هود: ٦١).
ولقائل أن يزعم أيضا، أنه قد يكون الإنسان غير مؤهل لهذه العمارة بمفهومها التنموي الشامل والواسع.!!
والجواب على هذا من وجهين، الأول: أنه لا تكليف على غير المؤهل، سواء في ذلك الأهلية الشرعية، أو الأهلية العقلية، وهما أهليتان متلازمتان كما هو مقرر شرعا، أما الثاني: أنه حين أُمِرَ الإنسانُ، الخليفة في الأرض بالسعي والمشي في مناكبها، كان ذلك على الكون الذلول المسخر لهذا الإنسان، حتى يحقق التنمية الإنسانية المنشودة. بمعنى آخر، لقد كانت كل الشروط الذاتية والموضوعية للسعي والعمل متوافرة كما يؤكد ذلك القرآن الكريم في غير ما آية، منها قوله عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل: ٧٨).
لذلك دعنا من هذه المزاعم الواهية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولنقف وقفة تأملية صادقة مع الذات لتشخيص مكامن الخلل، ولا شك أن أولى نتائج هذا التشخيص وأبرزَها، تحيلنا على مكمن الداء الحقيقي الذي يعاني منه المسلم العاصر في زمن كثرت فيه التحديات، وفشت فيه المثبطات التي تنخر العزائم، وتُضعف الهمم؛ إنها مثبطات ومعيقات تحد من النشاط البشري، وتجعله ميالا إلى الخمول والدعة والركود، كما شخص ذلك مالك بن نبي في القرن الماضي، حين تحدث عن الإنسان الجزائري خصوصًا، والمسلم عمومًا، في سياق حديثه عن المشكلة الاجتماعية التي يعاني منها المسلم في البلاد الإسلامية، مقارنة مع الإنسان هناك؛ في الغرب، حيث أكد أن «البلاد الإسلامية أزمتها ليست في الحركة (كما في الغرب) بل في «الركود»، فهي مشكلة الإنسان المتوطن فيها الذي عزف عن الحركة، وقعد عن السير في ركب التاريخ» (٦).
والإنسان الراكد الجامد الهامد، إنسان يصبح هو نفسه يعيق الحركة نحو الأمام، ويشل التنمية بركوده وجموده، ولأن هذا الركود ليس عجزًا بنيويًا فيه، بل هو أقدر وأقوى، وما العجز فيه إلا صفة عرضية، وقد ذكّرنا القرآن الكريم بنعمة القوة في قصة عاد، وكفار مكة الذين جحدوا هذه النعمة، قائلا: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (الأحقاف: ٢٦).
وقال عز وجل أيضا: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلًا ما تشكرون﴾ (الأعراف: ١٠).
فالتمكين حاصل، والمشكل يكمن في المُمَكَّن الذي يُعرض عن شكر الله، وعن



توظيف سلطان (٧) التمكين فيما أمر الله. لذلك نجد ابن نبي يقترح لتجاوز هذا المشكل ما أسماه بفكرة التوجيه التي يعرفها بقوله: قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف؛ فكم من طاقات وقوى لم تستخدم.. وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زاحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه متجهة إلى الهدف نفسه!

فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه» (٨).

فالأزمة إذن، أزمة تدبير وتوجيه للطاقات الإنسانية الخلاقة والمبدعة، آن الأوان لنكف عن هذا الإسراف، ونعمل جاهدين على ترشيد تلك الطاقات البشرية اللامحدودة، ونشكر الله على تلك النعم الممدودة، وتلك الآلاء اللامعدودة!

مجالات العمل الاجتماعي

لقد أولى الإسلام أهمية بالغة للعمل الاجتماعي، وتتجلى هذه الأهمية بالخصوص في الحث عليه والترغيب فيه، وبيان الأجر العظيم الذي يناله كل من يسعى في خدمة أخيه المسلم، وفي سيرة المصطفى ﷺ نماذج حية تعكس السبق الإسلامي لتهيئة الرسول ﷺ وتربيته على العمل الاجتماعي قبل أن يوحى إليه. لذلك نقرأ بشارة أمنا خديجة لرسول الله ﷺ في ساعة العسرة، كم تذكر ذلك كتب السيرة، لما عاد من غار حراء، تثبيتا لقلبه ﷺ «فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (٩).

ومعلوم أن صلة الرحم، والصدق في التواصل، وإكرام الضيف، ومساعدة المحتاجين والتخفيف عليهم كلها مجالات للعمل الاجتماعي، وهذا دليل واضح أيضا على أن النبي ﷺ كان اجتماعيا ويسعى في قضاء حوائج الناس، كما كان أمينا على ودائع الناس، لذلك نجده عندما هاجر أمر عليًّا برد الأمانات إلى أهلها.

إن مجالات العمل الاجتماعي التي يرشدنا إليها الدين الإسلامي متعددة ومتنوعة، وما هذه البشارة السابقة الجميلة والمشرقة للجانب الاجتماعي في سيرته ﷺ إلا غيض من فيض، وبالإضافة إلى ذلك، يمكن إجمال هذه المجالات فيما يلي:

١- الفرض الكفائي

قد يستخف البعض بالفروض الكفائية لكونها مقابلة للفروض العينية، والواقع أن الفرض الكفائي أشد وأخطر من الفرض العيني، ووجه الخطورة فيه من ناحيتين؛ لكونه يصبح فرضًا عينيًّا إذا تهاون الجميع في أدائه؛ ثم لأن الإثم والعقاب يعم الجميع في حالة التهاون فيه.

إذن، فهو عمل اجتماعي بامتياز؛ من حيث جهة الطلب (طلب جماعي)، ومن حيث جهة العقاب (عقاب جماعي)، بل من العلماء المعاصرين من يرى أن «الفروض الكفائية هي واجبات اجتماعية تتسع بسعة الحياة الاجتماعية، تؤديها المجموعة بكيفية تضامنية، إذا قام بها البعض سقط التكليف عن الباقين، لا استخفافا بحقها، وإنما لداع موضوعي هو انتهاء الحاجة إليها» (١٠).

بل إن الفرض الكفائي لوحده يحوي مجالات اجتماعية حيوية شكلت مجالًا خصبًا للمناقشات العلمية والفقهية بين العلماء أشار إليها د.مصطفى بنحمزة بقوله «لقد كان حديث العلماء النابهين عن فرض الكفاية أكثر أصالة وعمقا فتناول نشر العلم وبناء القوة المادية والمعنوية في الأمة، وإيجاد جميع المهن والتخصصات التي تحتاجها الأمة، ابتداء من الطب والصيدلة ووصولا إلى مستوى الحجامة والفصد، ومنها الإفتاء، وتحمل الشهادات، وإعانة القضاة على إقامة العدل، وتوفير الأمن، وحماية الثغور، والدفاع عن الكيان، ومنها إنقاذ الغرقى والمشرفين على الهلاك، وإطعام الجائعين، وكسوة العراة، ومنها أيضا القيام بحقوق الموتى طاعة لله وإكراما لآدميتهم» (١١).

٢- حفظ الضروريات الخمس

والضروريات الخمس كما حددها الأصوليون هي حفظ الدين والعقل والعرض والنسل والمال. ومجال الضروريات مجال مهم أيضا للعمل الاجتماعي، فإذا كان علماء مقاصد الشريعة الإسلامية يجمعون على أن الهدف الأسمى للمصلحة الشرعية هو جلب المنافع ودرء المفاسد، فإن العمل الاجتماعي الذي يسعى إلى التنمية الإنسانية لا تغيب عنه هذه المصلحة، فبناء المؤسسات الدينية، ونشر العلم، وإنقاذ الملهوفين في الحالات الطارئة، والحروب والثورات، وكفالة اليتامى والأرامل، وإصلاح ذات البين، والحفاظ على الأمن العام.. كل ذلك يمكن أن يقع تحت مظلة العمل الاجتماعي.

وعموما فإن مجالات العمل الاجتماعي متعددة لا يسمح المقام ببسطها الآن، كتلبية الحاجات الاجتماعية، من تعليم وصحة ومأوى، وحماية البيئة من أخطار التلوث والمواد الضارة، سيما وأننا نخلد هذا اليوم، اليوم العلمي للماء الذي يصادف ٢٢ مارس من كل سنة؛ والحفاظ على التراث بنوعيه المادي والثقافي؛ ومساعدة المزارعين والفلاحين المتضررين من جراء الكوارث؛ وإقامة المنشآت والمؤسسات الاجتماعية كدور الأيتام والمتشردين والمسنين... إلخ.

عود على بدء

مما سبق نستنتج أن العمل الاجتماعي شيء أصيل في الدين الإسلامي الذي يحث عليه حتى في اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان، كما في حديث الفسيلة المعروف، وسمو العمل في الإسلام ليس هدفا في حد ذاته، بل لما ينتج عنه من

حراك في مختلف دواليب التنمية التي يعتبر الإنسان محركها الأول والفاعل فيها وذلك لتحقيق الأهداف السامية من ورائه، والتي تتجلى في:

١- تقوية روح التعاون والتكافل بين جميع فئات المجتمع..
٢- مواساة المنكوبين والضعفاء والمحتاجين.
٣- تقوية وحدة الشعور بالانتماء للأمة.
٤- إعادة الاعتبار لقيمة العمل نفسه.
٥- تحقيق الأمن الاجتماعي.
٦- تحقيق التنمية الإنسانية.
٧- إبراز الصورة السمحة المشرقة للدين الإسلامي الذي يركز في جوهره على إنسانية الإنسان وكرامته.

الهوامش:

١- أحمد عبده عوض، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ط ١، ٢٠٠٨، ألفا للنشر والتوزيع، ص: ١٧، ١٨.
٢- سماح سالم ونجلاء صالح، أساسيات العمل في الخدمة الاجتماعية، ط١، ٢٠١٠، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص: ٨، ٩.
٣- المصدر نفسه، ص: ١٣.
٤- http://www.alndwa.net/index.php?option
٥- http://alwaei.com/topics/current/article.
٦- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، ط:٤، ١٩٨٧، دار الفكر، ص: ٨١.
٧- يقال: «(مكّن) فلان عند السلطان مكانة، عظم عنده وارتفع فهو مكين، ومكنته من الشيء تمكينا جعلت له عليه سلطانا وقدرة فتمكن منه»، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، كتاب الميم، مادة «مَكَنَ»، ط١، ٢٠٠٠، دار الحديث ص: ٣٤٣.
٨- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص: ٨٤.
٩- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط ٢٠٠٨، دار الفكر، ص: ٤٦.
١٠- مصطفى بنحمزة، العمل الاجتماعي في الإسلام، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، سلسلة دفاتر المركز (٣)، ط ١، ص: ١٢.
١١- المصدر نفسه، ص: ١٣.

رئيس التحرير الأسبق في ذمة الله


الشيخ حسن مناع

فقدت الأمة الإسلامية رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» الأسبق وأحد مؤسسيها الشيخ حسن مناع، رحمه الله عن عمر يناهز الـ ٩٠ سنة في الكويت، وقد نعاه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وجمع من العلماء والهيئات المعتبرة.

الشيخ حسن مناع صاحب رسالة إنسانية دعوية أمضى بها حياته وأعطى لها كل ما يملك من طاقة وصحة.

بدأت حياته العلمية بصعيد مصر حتى جاء للكويت يوم كانت شق غمام الرقي والحضارة بعد الاستقلال بعامين، درس بالمعهد الديني أربع سنين ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف وكان له أثر كبير في إنشائها وتطورها حيث تقلد كثيرا من المناصب وتجول بإداراتها مطورا لها ومبدعا بها، والشيخ حسن مصري الجنسية، نشأ في قرية ريفية، وكان أبوه عمدة القرية وأخواله من علماء الأزهر، حفظ القرآن الكريم كله في القرية، ثم التحق بمعهد طنطا الديني وحصل على ثانوية الأزهر عام ١٩٤٣م، ثم التحق بكلية أصول الدين وحصل على العالية عام ١٩٤٧م، ثم التحق بتخصص التدريس وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٩م، وفي العام نفسه تولى التدريس في المعاهد الأزهرية.

حطت رحال الشيخ في الكويت سنة ١٩٦٣ حيث درس في المعهد الديني فدرس لكثير من الطلاب في الكويت، حيث كان يدرس التفسير والحديث، بالإضافة إلى مادة النحو.

بعد انتهاء الإعارة رجع إلى مصر سنة ١٩٦٧، ولكنه عاد ثانية للكويت وعمل واعظا وخطيبا ومدرسا، بالإضافة إلى مدير معهد الخطابة والإمامة، ثم مستشارًا ثقافيًا، ثم رئيسًا لقسم الثقافة الإسلامية عام ١٩٧٢م، ثم رئيسا لتحرير مجلة «الوعي الإسلامي» عام ١٩٨٣م، ثم مستشارًا شرعيًا عام ١٩٩١م، ثم مستشارًا بالإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية حتى وفاته، حيث عاصر الشيخ ثمانية عشر وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية.

من أبرز مؤلفاته: كتاب «فتاوى وتوجيهات»، وكتيبات في مادة التوحيد في المعاهد الأزهرية، ومذكرات في مادة النحو لمعهد الكويت الديني، ومقالات دينية كثيرة في الصحف والمجلات.

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل، سائلين الله أن يلهم أهله الصبر والسلوان، وأن يرزقه الفردوس الأعلى، إنا لله وإنا إليه راجعون.

الموريسكيون في إسبانيا

انتماء الموريسكيين للإسلام شكل هويتهم.. وتسبب في طردهم من وطنهم!

د.علاء عبدالمنعم
مدرس بجامعة عين شمس

يبدو أن تاريخ الحضور العربي في شبة الجزيرة الأندلسية سيظل متمتعًا بمكانة خاصة في وجدان الوعي الجمعي للذات العربية، بحيث غدا اجترار هذا التاريخ واستدعاؤه من حين لآخر- في صيغته المكتوبة أو المصورة عبر أعمال سينمائية وتلفزيونية- ممارسة مألوفة يلجأ إليها العربي بغية تذكير جماعته بأخطاء الماضي لحفزهم على تجنبها في المستقبل في بعض الأحيان، وجلد الذات، وإيلامها في أحايين أخرى، ويبدو كذلك أن لعنة التحولات الحادة التي ميزت تاريخ الأندلس، وطبعته بنكهة درامية بالغة التأثير، قد انتقلت إلى تاريخ «الموريسكيين»، فإذا كانت حياة «الموريسكيين» في الأندلس قبل قرار الطرد الجائر، وفي أثناء محاكم التفتيش، تعد من المحاور التقليدية في كتب التاريخ الأندلسي في نسختيها العربية والأسبانية، فإن المرحلة التي تلي مرحلة الطرد من شبه الجزيرة الأيبيرية تظل مناطق معرفية معتمة، لا تزال في حاجة إلى مقاربات علمية دقيقة تكشف غوامضها وتفتح مغاليقها، ومن هنا تتأتى الأهمية الكبرى لكتاب «الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى» للكاتب الإسباني الشهير: ميكيل دي إيبالثا، وبترجمة د.جمال عبدالرحمن، ويتوزع الكتاب- الصادر عن المركز القومي للترجمة بمصر- على قسمين: يتناول الأول تاريخ «الموريسكيين» في الفترة التي سبقت عام ١٦٠٩م، ويعنى القسم الثاني بأخبار «الموريسكيين» بعد طردهم من إسبانيا، راصدًا أوضاع هؤلاء المطرودين في الدول التي هاجروا إليها بشكل جماعي، وأهمها المغرب وتونس والجزائر.

استهل المؤلف عمله باعترافه أن كتابه سيعنى بشكل خاص بمرحلة ما بعد عملية الطرد، أما مرحلة ما قبل الطرد فلن يهتم بها بالدرجة نفسها، وذلك لأن وضع «الموريسكيين» بعد الطرد ليس معروفًا بالقدر عينه لأسباب مختلفة، منها قلة الوثائق، والبعد الجغرافي للبلاد التي هاجر إليها الموريسكيون، وذوبان الموريسكيين نسبيا بين مسلمي المجتمعات التي استقبلتهم، فضلا عن سبب تاريخ عام يتمثل في تناقص قيمة المهزومين تاريخيًّا، فما إن تنتهي المأساة الوحشية حتى يخرجوا من الساحة ويختفوا من متون الكتب والوثائق.

المُدَجَنون

يميز الكاتب في البداية من مصطلحين مهمين هما «الموريسكيون» و«المُدَجّنون»، فيوضح أن المقصود بالأول مسلمو الممالك الأيبيرية (قشتالة وأرغون ونابرا) الذين أجبروا على اعتناق المسيحية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وأما المدجنون فيقصد بهم هؤلاء الأندلسيون الذين كان بمقدورهم ممارسة شعائر الإسلام في الأراضي المسيحية على مدى العصور الوسطى قبل عمليات التعميد الإجباري في القرن السادس عشر، فهم أبناء الأندلسيين أو المسلمين ممن كانوا يعيشون تحت الحكم المسيحي في شبه جزيرة أيبيريا، وقد اشتق لفظ «موريسكي» من كلمة Sarracenos أو Moros وهي الكلمة التي كانت تطلق على المسلمين في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

التمييز الثقافي

يتعرض «ميكيل دي إيبالثا» في القسم الأول للحديث عن وضع الموريسكيين قبل الطرد، فيؤكد أنه لم يكن من السهل تمييز الموريسكيين عن غيرهم بالاعتماد على مظهرهم الخارجي، أو شكلهم الجسدي، وإنما يمكن تمييزهم استنادًا إلى المجالات الثقافية، وأول عناصر الثقافة الموريسيكية العنصر الديني، فانتماؤهم للإسلام هو الذي شكل هويتهم، فالأصل التقليدي الإسلامي للموريسكيين يفسر استمرارهم كمجموعة على مدى القرن السادس عشر، منذ تنصيرهم الإجباري وحتى طردهم النهائي، وعلى الرغم من اختلاف تطبيق الموريسكيين للإسلام، فإن أصلهم الإسلامي هو سبب طردهم من وطنهم، فضلًا عن الإسلام فهناك مجموعة من العناصر المميزة للموريسكيين، منها اللغة العربية التي كانوا يحافظون عليها، ويستعملونها، ويقدسونها بوصفها لغة الدين، وكذلك عنصر المأكولات والمشروبات، فقد كانوا يفضلون مأكولات بعينها كلحم الضأن والحلوى، وكانوا يتجنبون لحم الخنزير والخمر، كما كانت هناك الملابس والموسيقى وأشكال الأفراح المميزة.

وبالنسبة للمدجنين- وهم المسلمون المقيمون في مملكة يحكمها المسيحيون، فهم حالةٌ أسبق من الموريسكيين، وقد كانت تحكمهم لائحة تنظيم أوضاعهم، وكانت هذه اللائحة تضمن لهم حرية العقيدة، وتحدد مقدار الضرائب التي يدفعونها، فقد كانوا يتمتعون بإذن رسمي بممارسة شعائر الإسلام، وهو ما يفسر رغبة مسلمي غرناطة بعد سقوط دولتهم في أن تطبق عليهم لائحة المدجنين، حيث لم يستطيعوا تفهم أن يفرض عليهم التنصير الإجباري، وخاصة في ظل تسامح الممالك الإسلامية، وإيمانًا بحرية العقيدة لغير المسلمين.

التوزيع الجغرافي

يرصد الكاتب بعد ذلك التوزيع الجغرافي للموريسكيين على الأقاليم التي كانوا يقيمون فيها، فيذكر أن عددهم في مملكة أرغون بلغ ٢٠٠ ألف، حيث شكل المسلمون ٣٤٪ من مجمل السكان، وكان عددهم في مملكة قشتالة ٢٥٠ ألف من إجمالي سبعة ملايين نسمة، أما مملكة غرناطة فقد كان الموريسكيون يشكلون أغلبية السكان حتى عام ١٥٦٨م، واستمرت لمدة عامين، ونتج عنها قرار ترحيل الموريسكيين من غرناطة وتوطينهم في أراضي مملكة قشتالة، هذا بالإضافة إلى عدد كبير منهم نزح إلى أقاليم إسبانية أخرى وإلى بلاد إسلامية، وبعد طردهم من غرناطة لم يبق منهم سوى عشرة آلاف أو خمسة عشر ألفًا، وهو ما يفسر النظر لغرناطة بوصفها واحدة من أقل الأماكن التي وجد فيها الموريسكيون لحظة الطرد النهائي، إذ لم يكن بها سوى ألفين فقط.

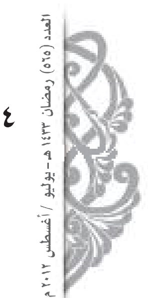
الوضع القانوني

يتعرض المؤلف بعد ذلك للوضع القانوني للمسلمين بعد صدور قرار التنصير- ونلاحظ اعتماد المؤلف في هذه الأجزاء على ملفات محاكم التفتيش- وحياتهم داخل مؤسسة «الجماعة» ثم قرار الطرد النهائي من وجهة نظر السلطات الرسمية والكنسية، لينتقل الكاتب بعد ذلك للقسم الثاني المهتم بتناول أوضاع الموريسكيين في الدول التي هاجروا إليها، أو بالأحرى في منفاهم.

الموريسكيون في المغرب

ينبه الكاتب في بداية القسم الثاني من كتابه أن الموريسكيين بعد طردهم من إسبانيا، لم يُعَدّوا موريسكيين إلا في الكتابات التاريخية الأوروبية التي تسميهم بهذا الاسم، لأنهم هم وأجدادهم كانوا موريسكيين عندما كانوا يقيمون في إسبانيا، والحقيقة أنهم بعد وصولهم إلى البلاد التي هاجروا إليها اندمجوا في المجتمعات الجديدة حتى اختفى هذا الاسم تمامًا.

وبينما كان الأوروبيون يطلقون على هؤلاء المطرودين موريسكيين أو غرناطيين إبان سنوات الطرد، كان أصحاب البلاد العربية المهاجرين إليها يسمونهم أندلسيين، وعلينا أن نتعامل مع هذه التغيرات في الأسماء بوصفها مؤشرات لاحتفاظ هؤلاء المهاجرين الجدد ببعض التراث ذي الأصل الإسباني، واندماجهم في الوقت نفسه في المجتمعات العربية الجديدة التي وفدوا إليها.



بالنسبة للوضع السياسي للمغرب في القرن السابع عشر، فقد كان المغرب يشغل حينها الأراضي نفسها التي شغلها في القرن العشرين، كانت مراكش هي العاصمة، وإن احتفظت فاس بمكانتها الخاصة، وعند وصول الموريسكيين كانت هاتان المدينتان هما المركزان الرئيسان المهمان في البلاد، وكانت مدينتا «رباط سلا» و«تطوان» هما الميناءان اللذان كان للموريسكيين فيهما دور بارز، وبالنسبة لدور الموريسكيين في السياسة الخارجية المغربية فيكشف الكتاب أنهم شاركوا فيها بقوة، فقد كان للمغرب دور هدف– في السياسة الخارجية– مشابه لهدف بقية الدول المغربية، وهو مواجهة العدوانين المسيحي، والبرتغالي، وهو ما يفسر توطينهم للموريسكيين وبخاصة في المناطق الساحلية التي شكلت الخط الأول في مواجهة العدو، وهو ما يفسر كذلك إلحاق الموريسكيين بالقوات البرية والبحرية كخطوة ضرورية لتدعيم الوضع السياسي للمغرب، ويوضح الكاتب حتمية أن نضع في اعتبارنا عناصر أربعة لفهم شكل انخراط المهاجرين الموريسكيين في المغرب، الأول: السلطة المركزية التي استقبلت الموريسكيين، ووفرت لهم أماكن الإقامة بما يتفق مع مصالحها الخاصة في استخدامهم في مواجهة العدو المسيحي، الثاني: خاص بالمجال العمراني، فقد كان للموريسكيين مصالح تتفق مع مصالح عناصر اجتماعية أخرى مثل البرجوازيين والمغاربة، العنصر الثالث: تمثل في المحيط الريفي الذي لم يستطع الموريسكويون الاندماج فيه لبنيته المحلية الخاصة، أما العنصر الرابع: فتمثل في قدرة الأندلسيين على الاندماج– في البداية– كطبقة اجتماعية من أصل أجنبي مع اليهود المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام والأجانب الموجودين بشكل مؤقت، إلا أن الموريسكيين سيكونون هم أقرب هؤلاء الأجانب للقب المغاربة، نظرًا للقواسم المشتركة بينهما، وأهمها الدين والثقافة.

وقد حاول موريسكيو المغرب القيام بما يشبه الاستقلال عن الشكل السياسي للمغرب، كما حدث في تطوان وضواحيها ورباط سلا، إلا أن موقف السلاطين السعديين في مواجهة محاولة الاستقلال هذه، وقوة القبائل المغربية وغيرها من الأسباب– التي يفيض الكتاب في تحديدها– نجحت في إجهاض حلم الاستقلال لدى الموريسكيين، ويختم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن اندماج الموريسكيين في المغرب من خلال عوامل متعددة أهمها: استيعاب النظام الحضري والعسكري، ووضع الأندلسيين في الحملة التي أرسلها السلطان «أحمد المنصور الذهبي» إلى السودان، والاندماج اللغوي على مستويات اللغة والألفاظ والألقاب العائلية.

الموريسكيون في الجزائر وتونس

يذكر المؤلف أن الوثائق المتوافرة عن الموريسكيين في الجزائر أقل بكثير عن نظيرتها الخاصة بالمغرب أو تونس، ثم يؤكد أن القرب الجغرافي أدى إلى أن تكون سواحل الجزائر مكانًا يتطلع إليه المهاجرون الأندلسيون منذ أن استوطن المسلمون ضفتي البحر المتوسط، وفيما يتعلق بهجرة الأندلسيين قبل القرن الثالث عشر فقد كان تأسيس مدينة «وهران» رمزًا لإقامة الأندلسيين في الجزائر نحو عام ٩٠٣، كما كان الأندلسيون هم الذين أسسوا مدينة فاس في أوائل القرن التاسع، فالتنقل المستمر بين الشاطئين، والذي أسهم فيه بصفة خاصة فريضة الحج بالإضافة إلى الرغبة في تحصيل العلم أو القيام بنشاط تجاري، قد أدى إلى استيطان جماعات أندلسية بلاد المغرب، وإلى استيطان مغاربيين في الأندلس، أما بالنسبة لهجرة الأندلسيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر فقد وصلت في القرن الثالث عشر موجة كبيرة من المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب ومنها الجزائر، نتيجة استيلاء المسيحيين على مناطق يقطنها مسلمون، وقد تشجع الأندلسيون في هذا القرن على الهجرة نتيجة اتصالهم بالمهاجرين الذين سبقوهم، وبعد هذه الهجرة الكبيرة، استمرت هجرة أفراد مدجنين إلى الجزائر، وقد أدى استيلاء الإسبان على غرناطة عام ١٤٩٢ إلى نزوح عدد كبير من المهاجرين إلى السواحل الجزائرية، وقد استقبلت وهران اعتبارًا من عام ١٤٩٣ عددًا كبيرًا من الغرناطيين، وتحولت إلى نقطة تنطلق منها الهجمات باتجاه السواحل الإسبانية.

لم تكن رحلة الهجرة من الأندلس إلى الجزائر آمنة دائمًا، بل إن المخاطر كانت تحيق بها في كثير من الأحيان، ويذكر المؤلف– دون توثيق– أن الموريسكيين النازحين تعرضوا لعمليات نهب قام بها– على حد ذكر المؤلف– سكان محليون كانوا ينظرون لهؤلاء المهاجرين بوصفهم أجانب، يرتدون ملابس غريبة، ويتحدثون لغة غير العربية، وربما هذا ما فسر الظاهرة اللافتة في الحالة الجزائرية، وهي عودة الموريسكيين من الجزائر، رغم أنها لم تكن شائعة، بسبب هذا العنف، بالإضافة إلى عدم قدرة كثير من الموريسكيين على التكيُّف مع المجتمعات الإسلامية، ويختم الفصل بالحديث عن النشاط الاجتماعي والاقتصادي للأندلسيين في الجزائر، وكذلك عن دورهم البارز في الجهاد البحري ضد الإسبان.

وبالنسبة لتونس فيبدو الأثر الموريسيكي ملحوظًا للغاية، وهو أثر لا يرتبط بالهجرة في مرحلة ما بعد الطرد فقط، وإنما يمتد إلى ما قبل هذا، في العصور الوسطى، حتى إن الأندلسيين المطرودين عند وصولهم تونس وجدوا أسرًا أندلسية مستقرة في تونس منذ سنوات طوال، وقد أسهم العلماء التونسيون في اندماج هؤلاء الوافدين في مجتمعهم الجديد من خلال ترحيبهم بهم، ومساعدتهم في تعلم أمور دينهم الإسلامي.



السلوك الأخلاقي لعلم المحاسبة

د. سلطان السهو -دكتوراه في المحاسبة - الكويت

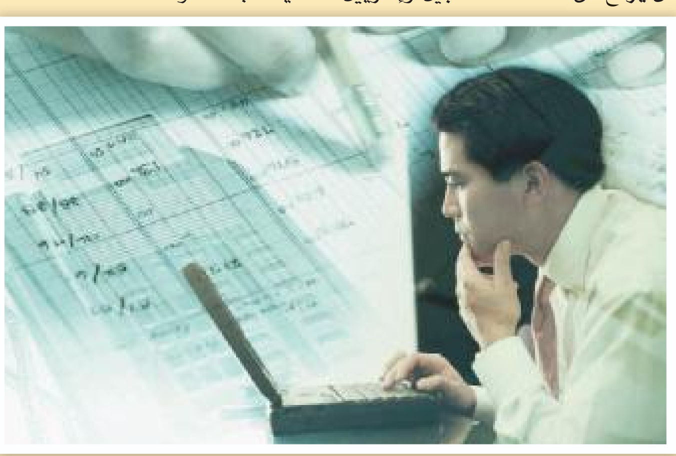
تقدِّم المحاسبة المالية معلومات هامة تساعد إدارة المؤسسة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوجيه الموارد الاقتصادية المتاحة لها، ومن ثم تسهل مهمتها في تخطيط نشاط المؤسسة وتوجيهه والإشراف عليه، كما تسهل مهمة الهيئات الحكومية المسؤولة عن الرقابة والإشراف على الاقتصاد القومي وجبايته للضريبة والزكاة، من خلال المعلومات المالية التي ينتجها.

المحاسب ملتزم أمام الله تعالى ثم أمام مجتمعه ومهنته ورؤسائه وعملائه ونفسه، بأن يؤدي واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية بأعلى مستويات الكفاءة والإتقان والمسؤولية؛ لأنها أمانة، قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨).

ولكي يتحقق ذلك فإنه يجب أن يرفع من تأهيله العلمي والعملي، والتفقه الديني، والبحث المستمر بأنواع المعاملات ومشروعيتها من خلال التعلم والقراءة المستمرة، والتنمية المستدامة لمعارفه الفنية والعلمية والدينية، وكذلك عدم قبول أعمال مهنية ووظيفية إلا إذا توافرت لديه الخبرة العلمية والعملية، والقدرة على البحث التي تمكنه من أداء ما يسند إليه من أعمال وواجبات بكفاءة عالية. ورحم الله مَنْ قال: «مَنْ جَهلَ قَدْرَ نَفْسه عَدلَ عَلَى نَفْسه وَعَدلَ عَلَى غَيْره، وَآفَةُ النّاس منْ قلّة مَعْرِفَتهمْ بِأَنْفُسهمْ».

كما يَنبغي لَه لكَي يَحقق مَا ذُكر؛ أن يضع خطة متكاملة لكيفية أداء الواجبات والخدمات الوظيفية، وتقييم نظام الرقابة، وجودة أعمال المساعدين له من محاسبين وإداريين؛ لذا يتطلب السلوك المهني والأخلاقي لعلم المحاسبة:

- الالتزام بمعايير المحاسبة الدولية.
- الالتزام بمعايير المراجعة المنبثقة من هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.
- أداء الأعمال والخدمات والواجبات الوظيفية والمهنية بالعناية التامة.
- الالتزام بالأمانة والموضوعية والاستقلالية عند أداء الواجبات والخدمات المهنية.



وهذا كله يتطلب من المحاسب عدم اللجوء إلى الخداع أو التضليل أو الادعاء فيما يتعلق بالتأهيل والخبرة الفنية والعملية المكتسبة التي يتمتع بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (أخرجه الترمذي).



دروس من أقوال عمر رضي الله عنه

د. محمد حسان الطيان - منسق مقررات اللغة العربية - الجامعة العربية المفتوحة

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:

«خذ الناس بالعربية، فإنها تزيد في العقل، وتثبت المُروءة».

هذه الكلمة من روائع ما نقل عن عمر رضي الله عنه، وهي تدل على نفاذ بصيرة، وقوة عارضة، وصواب رأي، فضلا عما تشتمل عليه من علو بيان، وفصاحة كلام، وروعة إيجاز.

إذ أدرك أبوحفص بحسه المرهف وحذقه البصير الخطر الداهم على العربية بعد كثرة الفتوح، وانتشار الصحابة في البلدان، ومخالطتهم للأعاجم، وبعدهم عن موئل الصفاء اللغوي، وبيئة الفصاحة والبيان، وخصوصا بعد تفشي اللحن في الكلام والقراءة والكتابة، وورود إشارات تؤذن بذلك.

وفيها تأسيس لقاعدة لغوية فكرية، باتت بحكم المسلمات في علم اللغة واللسانيات والفكر، وهي علاقة اللغة بالفكر والتفكير، والعقل والذكاء، هذه العلاقة الجدلية التي قطباها اللغة والفكر وكل منهما يؤثر ويتأثر، فكلما نمت اللغة وقويت نما الفكر وتطور، وكلما ضعفت وهزلت عاد الفكر واهيا هزيلا، والعكس صحيح أيضا. فالفكر السديد الصحيح يرقى باللغة ويسمو بها، والفكر الضعيف الضحل ينزل باللغة إلى الحضيض.



واللغة ليست مجرد رموز أو مواصفات فنية، بل هي أسلوب تفكير ونمط بناء وتثقيف للشخصية الإنسانية، وبقدر ما تكون اللغة دقيقة يكون الفكر دقيقًا والرأي صائبًا، فالإنسان عندما يفكر لا يستطيع ذلك إلا إذا وجد مخرجًا لكل فكرة بعبارة يقولها أو يكتبها، وما لم تتحول الفكرة إلى لغة فإنها تموت، ومن هنا فإن زيادة الثروة اللغوية يؤدي إلى زيادة الثروة الفكرية، ومن هنا أيضا كان الخلل في اللغة خللًا في التفكير كما قال الفيلسوف زكي نجيب محمود: «إذا دبّ خلل في اللغة دبّ خلل في التفكير» ذلك أن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة جدلية أزلية فلا فكر دون لغة ولا لغة دون فكر.

هذا وإن ضعف اللغة أو قوتها معيار تقاس به ثقافة الأمم وحياتها، فالمجتمع الذي تقوى لغته ترقى ثقافته وحياته وفكره. «وكم عز أقوام بعز لغات».

من شعائر الله

والعربية تزيد على سائر اللغات أنها شعيرة من شعائر الله جل في علاه، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، وهي إلى هذا الرباط المقدس المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض، ويصل مشرق هذه الأمة بمغربها، وحاضرها بماضيها ومستقبلها، وهي هوية الأمة.. ووعاء فكرها.. ووسيلة تواصلها.. وأداة المعرفة فيها.

واستهدافها يعطل نمو تفكير الأمة، ويلغي عقلها، ويطمس شخصيتها، ويعبث بثقافتها، ويقطع أوصالها، ويجفف ينابيعها، ويجتث جذورها ويتركها في مهب الريح، ولاسيما أنها لغة العقيدة والقيم والثقافة والحضارة والعلم والتعليم والعبادة.

وليست العربية لغة إقليمية تخص بلدًا معينًا أو شعبًا مخصصًا، بل هي لغة الأمة كل الأمة، ولست أعني الأمة العربية فحسب بل الأمة الإسلامية أجمع لأنها لغة القرآن الكريم.

من هنا كان لزاما على كل عربي صادق في ولائه، بل على كل مسلم ملتزم بإيمانه، أن يرعى هذه اللغة حق الرعاية، وأن يحفظها ويعنى بها حق الحفظ والعناية، يقول الإمام الزبيدي: «ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضّون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، فبها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلّغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه».

ومن تنكّب عن ذلك ففي عروبته شك، وفي إسلامه نقص، كما يصرح أستاذنا الدكتور مازن المبارك حيث يقول: «وليس مخلصا للإسلام ولا واعيا في خدمة كتاب الله من لم يدعه حبُّه وإخلاصه ووعيه إلى العناية باللغة العربية، إن العربية صوت القرآن وصورته، ولا يطعن فيها أو يفصلها عنه إلا شعوبي».

ومن هنا نفهم شطر الكلمة التي قالها عمر، أي «تزيد في العقل» أما شطرها الآخر، أي تثبت المروءة، فالمروءة كلمة جامعة لمكارم الأخلاق العربية التي جاء رسولنا الكريم ﷺ متممًا لها، وحاضًّا عليها، وأسوةً يؤتسى به فيها. والعربية بشعرها ونثرها وعيون أخبارها ودرر أمثالها، بل بنصوص قرآنها، وأحاديث أفصح من نطق بها، تهدي إلى هذه المكارم وتدل عليها، وتربي كل ناطق بها على أحسنها وأقومها. وفي هذا يقول شاعرها الحكيم أبوتمام:

ولولا خلالٌ سنّها الشعر ما درى
بغاةُ الندى من أين تؤتَى المكارمُ

وبعد فهل أزيدك شيئا؟ إن ما صدّر به عمر كلامه من قوله: «خذ الناس بالعربية» يشتمل على الحل الأمثل لما نعانيه اليوم من تردٍّ في لغتنا وضعف في عربيتنا، لأن الله يزَع بالسلطان ما لا يزَع بالقرآن، كما قال سيدنا عثمان.





أمين عبدالجبار - باحث يمني

يصعب الحديث عن الوقت أو الزمن بشكل مجرد من أي مضمون آخر غير مطلق الزمن؛ ذلك أنه في هذه الحالة سيكون الزمن فراغًا مطلقًا يصعب تخيل وجوده.. ونحن لا نريد في هذه التناولة أن نتحدث عن الزمن من حيث هو بحث من بحوث علم الفيزياء.. فذلك أمر يتكفل به أهل الاختصاص في هذا العلم، ولسنا منهم، وإن كان الاطلاع على أطراف من ذلك التخصص يقرب فهم ما نحن بصدده، ولأن الزمن بذلك المعنى آية من آيات الله الباهرة التي أودعها هذا الوجود الدال على عظمته وحكمته..

ليس ذلك مدار حديثنا هنا، وإنما الذي نريده ونقصده من حديثنا عن

الزمن أو الوقت في هذا الموضوع هو محتواهما.. فالعمر أو العقد منه – إذا قدر له أن يطول – أو الشهر أو اليوم أو ما دون ذلك، ليس هو العمر كما يفترض أن يكون.. وليس هو كذلك الذي تطلع عليه الشمس وتغيب، أو تتعاقب عليه الفصول وتتقلب فيه أحوال الطقس، وليس هو الذي تؤرخ به الأحداث ويُحتَفل فيه في المناسبات، كلا.. كلا، إنما هذه الوحدات الزمانية- في حقيقتها- هي ما يُدَوَّنُ لك فيها من أعمال خير وبر، وعليه فإن برهة عابرة في زمن مّاَ منَ حياة إنسانٍ مّا قد تكون بعمر أمم متطاولة في التاريخ، ولذلك فهم يسجلون تاريخ الأمم بعد ذلك باسم صاحب تلك اللحظة الفارقة، ولقد قال الله عز وجل عن أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠).

ليلة بألف شهر

ولا أَدَلَّ على أن قيمة الزمن بما يَسْتَبْقيه فيه من آثار، من أن ليلة واحدة قد تفوق في بركتها أَلفَ شهرٍ من العمل الصالح ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ٣)

وأما ما سوى ذلك من أيام مديدة وأعمار ممتدة، فلا يكاد يذكر ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ (المؤمنون: ١١٣).

ومهما كان من شأن العمر وما ملئ به فإن كل ذلك مذخورٌ لك أيها العبد مدخر لملاقاتك في الكتاب الذي أُلْزِمته ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (الإسراء: ٣١)، وذلك حين يُنصب من نفسك على نفسك حسيبًا.

والغاية في العدل أن تحاسب نفسك بنفسك. وإنك لست واجدًا في هذا الكتاب شيئًا دسّه أحدٌ عليك خلسة أو افتُئتَ عليك فيه مثقالُ ذرة، وإنما هو العدل المطلق: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧). إن هذا الكتاب هو زمنك ووقتك وعمرك، ولن يغادر ثانية واحدة دون أن يحصيها ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

إنه ليس مجرد إحصاء يراكم أرقاما لا معنى لها.. بل إنه يضع كل شيء في موضعه، إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

الإفلاس الحقيقي

يا الله.. ما أصعب أن يتخيل المرء أعمال الشر على صغرها تتجسد في الميزان أثقالاً، تتكاثر لتفضي بصاحبها إلى الهاوية؛ كما أبان ذلك رسول الله ﷺ، وهو يسائل أصحابه:

«أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار» (صحيح مسلم).

لقد كان ﷺ يستدعي إلى أذهان أصحابه تلك الصورة المفجعة للتاجر المفلس.. وهي صورة من بلاغتها جمعت المفارقة من طرفيها: التاجر بما يعنيه من التملك والغنى، ثم الإفلاس بما يفيده من مفاجأة التجرد من كل كسب، مصحوبًا بذل الإملاق.. إنها البلاغة النبوية.. وما من بيان غير كلام الله يستطيع أن يتجاوز رسم هذه الصورة التي تعني تفريط المرء بكسب وقت مضى في وقت لاحق، مما يحرق الوقتين معًا، وهي صورة جلاها القرآن الكريم كأبدع ما تكون التجلية، وأوجزها كأشد ما يكون الإيجاز ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢).

منحَ!

إن الذي يهدر أوقاته ابتداءً، خاسرٌ خائب؛ لأن هذه الأوقات- لو علم- منحة جليلة لا تتأتى لكل أحد، كما بين ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (رواه البخاري).

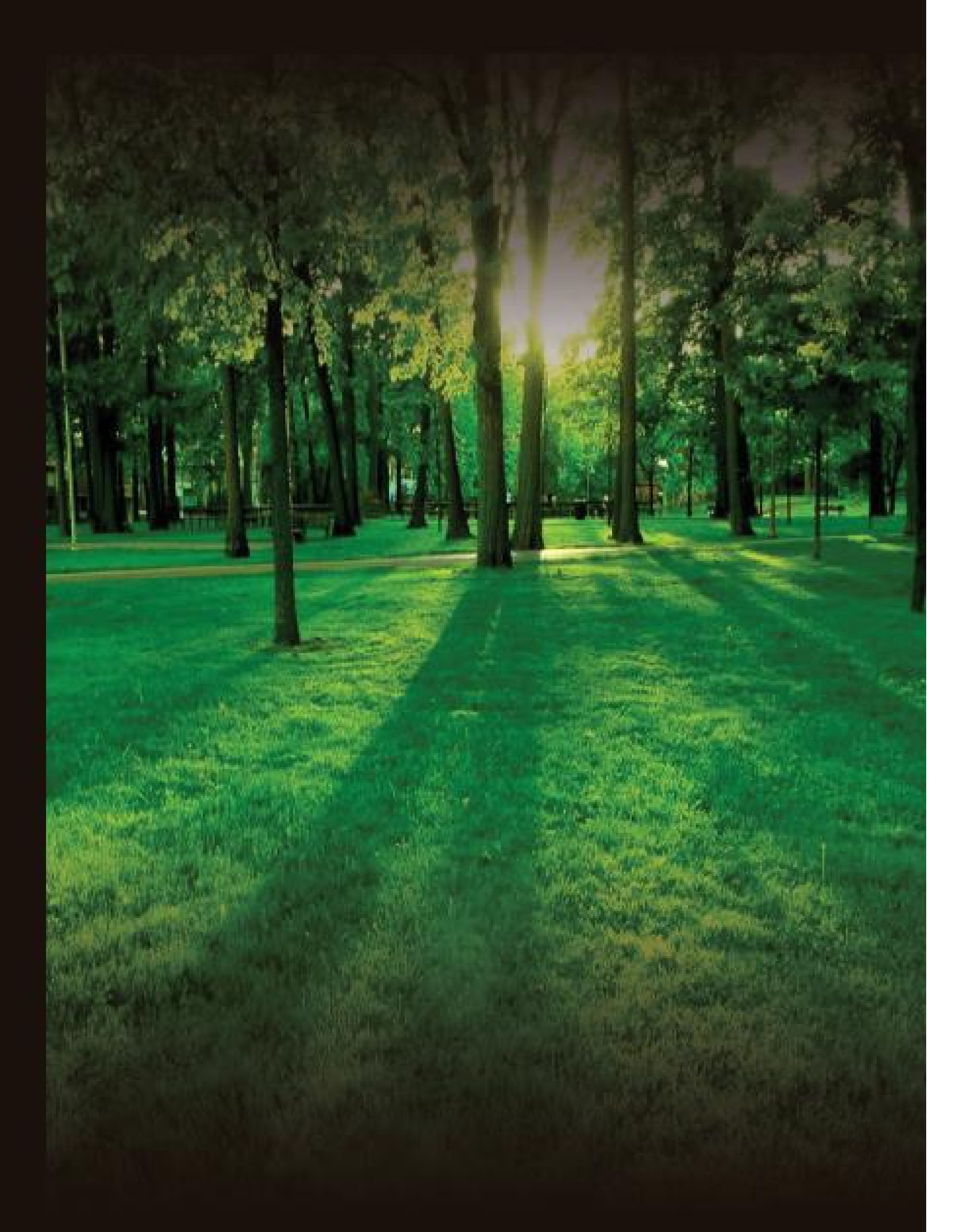
إذ هناك غير هذا الكثير المشار إليه في الحديث قليل من الناس لا يحظون بهاتين النعمتين.. كما في الحديث: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (صححه الألباني).

فإذا ما فوت الإنسان هذه المنح الجليلة ابتداءً ولم يهتبل فرص الحياة ليصّعد بها في درجات رضوان الله، عددناه خاسرًا خائبًا.. غير أن خسارته لا تقارن بذلك الغُفل الذي كد وكدح فيما ينفعه، وأتقن ما خُوّل من عمل وأجاد ما كُلّف من مهام في لحظات خاليات من العمر، كانت قد سجلت في سجل حسناته.



هكذا مضت ومضيت!

عطية الويشي
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية



لا أدري، هل كنت محظوظًا بحبها- بعدما استغرقت حينًا من الدهر أحلق في فضائها بلا أجنحة، كانت في فتنتها تبرجها كالزئبق السحري بين أحضاني، فلا أكاد أبلغ بها نشوة اللقاء ولذة الوصال، حتى تنسل من بين يدي المرتعدتين، كنت بطبيعتي محدود الخبرة قليل التجربة، شأني شأن كل مراهق يتخطى مدارج الطفولة البريئة بشيء من الاغترار الباعث على تفسير الأشياء من حوله بمنطق طفل ساذج!

لم أفطن إلى عينيها المكتحلتين اللتين كانتا ترقباني عن كثب شغفًا بي، وحنُوًّا عليّ، ورقة لي، ورغبة فيّ.

كان بريقها الوهاج يلتمع في عيون عارفيها فتخطف قلوبهم الموجوعة بآلامِ فراقها! لكنني كنت مِنْ بين مَنْ حولي محفوفًا برعايتها.

لاح لِيَ أنها تبدي بي اهتمامًا خاصًّا، وكنت كثيرًا ما أسأل نفسي: ما بال هذه ترغب في إنسان لم يزل بعد دون الفتوة؟!

كنت دائمًا أنام على أمل لقائها في الصباح، فإذا استيقظت وجدت نفسي بين أحضانها، أشعر وكأنها خلقت لي وحدي أنا، فلا أزداد إلا زهوا واغترارًا وانتشاء واختيالًا! لكني لم أعِ أن كثيرين من أقراني كانوا يتنافسونها، ينَامون مثلي هائمين بها وقد شغفوها حبًّا، يتمنونها ربما بأكثر مما أشتهيها لنفسي.

أحيانًا يراودني شعور بالغيرة والحقد فيما لو نافسني بها أحد سواي! لكنني لم أكن أركن لمثل هذه المشاعر السلبية إذ لم أكن مغاليًا في الغيرة عليها فيما لو تعرفت على غيري من الناس.

كنت أتفهم حبها لي وشغفها بي وكنت أقدر إقبالها عليّ، ولم أكن أشعر بأنها من صنف أولئك اللائي يحدثني أقراني عنهن «يتمنعن

وهنّ الراغبات»!، بل إنها كانت مطبوعة بإغراء طاغ وجاذبية لا تقاوم وإقبال ودود، لكنها مع كل ذلك كانت تنطوي على طباع غريبة لم تسعفني خبرة الحياة بفهمها!

كانت كالشمس في إسفارها وإشراقها وألقها الأخاذ! أذكر أن لقاءنا قبل الأخير كان ساخنًا أيما سخونة، مشحونًا بالعواطف وملتهبًا بحرارة الأحاسيس، حتى لقد صار قلبي من عشقها وفرط التعلق بها يفري ويغلي في قدور الوجد.. وعلى لهيب الشوق لها والهيام بها والإقبال عليها كلما اتقدت في القلب جذوة أمل لقائها!

كل ذلك، والأيام تمضي والسنون تمر دون وعد بزواج يوظف هذه العواطف ويؤمن لعلاقتنا الاستقرار والاستمرار في ظل زواج أبدي سعيد.

على مقربة من نهاية أحد اللقاءات، انتابني شعور بالتوتر والدهشة والذهول الذي لا يغادر قلقًا وخيفة، فقد لاحت لفراستي الواهنة بسمة صفراء تنبث من بين المساحيق التي أتقنت توزيعها هذه المرة حتى بدت وكأنها أجمل ما كانت في أي لقاء جمعنا! لكن هذا لم يلفتني عن مجاملاتها الممتزجة بالإشفاق والتململ! مضتْ ومضيتُ على استحياء من شيبي ورهقي وانحناءة ظهري، تجاعيد بدأت تجترئ في زحفها على وجهي! مضيت ولم أعبأ غارقًا في الأمنيات لعلي أحظى منها بالتفاتة رضا توحي بأمل في وعد بلقاء آخر عما قريب!

ما لبث أن انتابتني حالة من المروءة، فرُحتُ ألوم نفسي على هذا التعلق المهين، هممت أُقلِع برحال اليأس من عالمها الفتان، أخذتني منها نظرة إشفاق تومض بنذير خافت! لكن غمزات التصابي وهمزاته قد عادت لتصرفني عن نفسي اللوامة التي لم تكف عن وعظي وزجري والإشفاق علي مراهقتي السمجة!

تهاتفنا عبر أثير القلوب حول إمكانية لقاء قريب؟ وبالفعل التقينا- لكنه كان لقاءً كئيبًا، تغلب عليّ برودة الأحاسيس وجفاف المشاعر، كانت تنظر إليّ بنظرات غريبة، وكأنها تريد أن تبوح لي بسر أو تقول لي شيئًا، لكنها على أية حال لم تفعل.

على شفا واد سحيق في إحدى ضواحي قريتنا الجميلة.. ربوة عالية.. قباب بيضاء.. صمت وسكون يوحي بالوحشة تارة والرهبة تارة أخرى.. لكنه على أية حال كان لقاءً بعيدًا عن ثرثرة الناس وصخب الحياة وضجيجها وعن أعين المتطفلين والحساد، كان هناك شيء ما بداخلي يسخر مني، وكنت أشعر بمرارة سخريته، لكنني كثيرًا ما كنت أتجاوز هذه الوساوس تحت تأثير وهجها وشائقية حديثها الذي يخطف القلوب والأبصار!

برغم لذة اللقاء الأخير التي لم تنقض حتى وقت قريب من نفسي، كنت أشعر بشيء ما يعبث بسعادتي ويستخف بي! ولاسيما أن آخر عهدي بها عندما جاءت تعودني في مرض ألمّ بي على غير تحسُّب.

بدت وكأنها جاءت لتجدد عهد محبتنا، ولتقطع تلك الألسنة التي كانت تتناولها بين الحين والحين وترميها بالغرور والكذب.. تلك الأقاويل والاتهامات التي كانت تترامى عليها من جانب بعض كبار السن والبائسين الذين لم أرهم إلا يهرفون بما لا يعرفون.

لم أكن ألقي لتلك الثرثرات سمعًا ولا بالاً! ولم أكن ألتفت لأقوال الذين جربوا العشق قبلي، لكنني لاحظت في سلوكها ما يريبني فيها ويجعلني أكثر ميلًا وتقديرًا لما يتردد على ألسنة الناس عنها، لمَ لا أنصتُ للمجربين وأهل الخبرة قبلي؟!

كان مجرد حديث نفس هامس، ولكنّ صداه كان يتردد بصدري ندمًا وتحسرًا كالرعود التي تجتاحني فتبدو عليّ علامات الرعاش والتشنج..

وكنت كلما أفقت، وقعتْ عيناي عليها وكأنها تسترق النظر من طرف خفي وتتفرس في وجوه من حولي، مستأنسة بوجودهم.. توزع نظراتها علينا بطريقة مريبة.. كأنها تبحث عن غيري! تذكرت ما بين أول وآخر لقاء بيننا.. رأيته تاريخًا طويلًا من التفريط والتقصير في حق نفسي وربي وأهلي وخلّاني!

انتابتني غصّة فنظرت إلى من حولي قد جاءوا لعيادتي آملًا أن يسعفني أحدهم بكوب ماء بارد، لكنني لاحظت انهماكهم بأحاديث جانبية لم تزدني إلا ضيقًا وتأففًا! لم يفطن أحدهم إلى ما أريد سوى واحد منهم كان يجلس بالقرب من سريري الذي أتمدد عليه يداعب حفيدي الذي كان يحوم حولي في ترقب وحذر كي يجد مني بادرة استعداد لمداعبته كعادتنا، لاحظت أن عددهم قد زاد، تقدم إليّ الرجل بكوب ماء وقد امتلأت عيناه بدموع لم أفهم دواعيها، كنت مشغولًا بها.. إنه صديقي سعيد، الذي تأثرت لحاله الحزينة ولعبراته.

لم أدرِ على وجه التحديد ما الذي يبكيه؟! هامسته بصوت متهدج وقلت له: ما بال دموعك أخي سعيد؟ هل لك من حاجة يمكن أن أسعى لك في قضائها؟ هل عرض لك من هموم الدنيا ما أحزنك؟ عمومًا لا بأس، سعيد.. انظر هناك تجد قنينة عصير.. خذ كوبا واشربه لعلك تهدأ وتستريح! وسأستدعي من يأتيني ببعض مالي ربما تستعين به على تجاوز محنتك شريطة ألا تماطلني في سدادها كعادتك. حاولت إدخال السرور عليه فما أفلحت.

لكن سعيد كان يقابل كُلّ ذلك بابتسامة مفعمة بالهموم، فقرأت في عينيه إشفاقًا علي، فتلطف، وقال لي بعيون حزينة: وحد الله يا صديقي! فقلت بصوت عفوي خافت: لا إله إلا الله! غمرتني عرقة غزيرة أسلمتني بعدها بقليل إلى شرقة وشهقة، أنفاس تخرج مني ما بين الشخير والخوار فلا تكاد تعود إلا بشق الأنفس! يا ربي! ما هذا؟! سمعت جلبة وضوضاء وأصواتًا متداخلة مضطربة الإيقاع، تارة ترتفع وأخرى تنخفض، لم أستطع أن أفهم ماذا يحدث تحديدًا.. لكن الحقيقة التي كانت تتسرب مرارتها إلى نفسي فأغتص بها بين كل لحظة وأخرى، حقيقة غريبة تتنامى إلى أسماعي شيئًا فشيئًا، توحي بأني أوشكت ألا يبقى مني سوى مجرد ذكريات إنسان مولع بالدنيا!



القول المأثور في إحياء الصواب المهجور

بدَّل.. تبدَّل.. استبدل

عبدالله ايت الاعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

يشهد العارفون اليوم أن العربية الفصحى لم تعد تعبيراتها تستمد من أصولها، ومن منابعها الثرة؛ لأنها لم تعد في أيدي أبيناء الكلام العربي، الذين وضعوا أضواء ومنارات في السبيل اللاحبة، التي تهدي إلى كل مرشدة، بل أصبح أمرها مدبرًا من لدن سلطات وسائل الإعلام المختلفة، التي تمادت في الإطلالة علينا- صباحا ومساء- بعبارات خداج تشفع السم بالعسل، من خلال أمشاج الألفاظ والتعبيرات الطارئة التي تقذف بها من مصانعها اللغوية البراقة، والتي لم نسمع بمثلها في آبائنا الأولين.. لذلك لا ينبغي للباحث المدقق أن يصم أذنه عن هذا السيل الجراف القحاف، الذي إن لم يدمر كل شيء يصادفه، فسيذهب مع توالي الملوان(1) بالحصون والقلاع. تأسيسا على هذا اليقين، يتطلب النظر إلى قضية اللغة العربية الفصحى مراعاة التوازن بين أمرين مهمين هما: النظام والحرية. أما النظام فهو الذي يضمن للفصحى بقاءها صفية الكوثر، نقية الجوهر، خالية من الشوائب والأحراش التي تفعل فيها ما يفعل السوس في الخشب، باعتماد سياسة لغوية حريصة على التمسك بالقواعد والأصول التي تضمن لها سلطانها على الأفواه، لا ترضى عنها بديلا.. إلا إذا كنا مستعدين للتنازل عن أصالتنا وهُويتنا وعبقريتنا العربية. وأما الحرية فيسند أمرها إلى المجامع اللغوية، والشعراء المُفْلقين، والخطباء المصاقعة، والعلماء الذابرين، والمفَنّين البلغاء الذين استصحفت آراؤهم، ووُطِّئ لهم سبيل القول في إثراء الفصحى، وفي توسيع آفاقها بالإبداع والارتجال والقياس والتوليد والاشتقاق، والتعريب الذي يُبري المفردة المستحدثة نَضِرة لا عوَج فيها ولا أمتَ، من حيث السهولةَ والفصاحة واقْتعادُ المكانة المرتضاة، التي تزداد بها الفصحى غناء وكمالا يبعثان فيها الحياة، ويجددان أثوابها، في إطار من التمسك بالقواعد والقوانين التي تضمن لها البقاء.

وبما أن لغة القرآن الكريم تعد بلا امتراء حجة العربية الفصحى، وحارسها الأمين، ومَثَلها الأعلى، ودرْسها المقدم، الذي يجب أن يُوجَّه إليه شداتها لينهلوا من معينها الصافي، ويرتعوا في رياضها الزاهرة، فإنني غبَرْتُ وقتا أتأمل ببصر حديد جملة من التعبيرات الشائنة التي تقذف بها القنوات الفضائية العربية، فجعلت من وكْدي وسَدَمي تصحيح هذه العبارات، إيمانا منِّي أن مَن صحَّح لفظة أو عبارة مستعملة في غير ما نطق به القرآن والشعر العربي البليغ، فكأنما صحَّح الحياة، لأن تصحيح ما تقوله الكلمات يعد تصحيحا للفكر والمعاملات بين الناس؛ لإبادة سوء الفهم.

وحَريٌّ بتصحيح استعمالات اللغة أن يكون أمل الأمة كلها، لا رجاء طائفة من الغيورين الذين تسمع لهم صيحات هنا وهناك.. ألم يجب «كونفشيوس» عندما ساءت الأحوال في الصين بضرورة تصحيح اللغة، لأنه عندما تفسد اللغة تفسد المعاملات، ومن ثمة يفسد الفكر، وتُقلب الحقائق، وتضطرب المعاملات لاضطراب ما تقوله الكلمات على هذه الشاكلة.

بدَّل.. تبدَّل.. استبدل

الحاذق بقواعد العربية يدرك أن أغلب الذين يستعملون هذه اللفظة القرآنية فيما يقولون وما يطرسون، قد مرقوا من طاعة نظام استخدامها، حيث إنهم يوظفونها في غير ما نطق به القرآن الكريم، وما ذلك إلا من استحكام اللهجة العامية، وغلبة طبعها عليهم، حيث نقول بالعامية: «بدَّلْتُ القلم بالكتاب» إذا تركت القلم، وأخذت الكتاب.

هذا هو الاستعمال الذي درج عليه أغلب الذين يستعملون هذه اللفظة القرآنية، مثل قول أحد الصحافيين المشهورين في برنامج مشهور: لماذا لا يستبدل العرب الدولار باليورو؟ وهو يقصد أن يترك العرب التعامل بعملة «الدولار»، ليتعاملوا بعملة «اليورو»، وهو لعمري لحن فاحش، يُدخل الفساد في اللغة، ولا يرعى حرمة للعربية الفصحى، ناهيك أن مثل هذا الاستعمال يدفع المتلقي إلى فهم الآيات القرآنية بغير ما أراد ربُّ العزة، الذي استعمل هذه الألفاظ الثلاثة «بدل- تبدل- استبدل» جاعلا الشيء المتروك على الدوام هو الذي تلحقه الباء، كما يتضح من الآيات القرآنية الآتية: ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾(البقرة : ٦١) ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل





سواء السبيل﴾ (البقرة: ١٠٨)، وقوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾(النساء: ٢)، وقوله تعالى من سورة سبأ آية ١٦: ﴿وبدلناهم بجنَّتَيْهم جنَّتَيْن ذواتي أُكل خَمْط...﴾. في الآية الأولى من سورة البقرة يُوبِّخُ موسى عليه السلام أتباعه الذين طلبوا منه الفُومَ والعدس والبصل، بعد أن مَنَّ الله عليهم بطعام المَنِّ والسَّلوى، قائلا: أتتركون الذي هو خير؛ وهو المن والسلوى= العسل والطير المشوي، وترغبون في الذي هو أدنى الموجود بمصر= الفوم والعدس والبصل؟

أما الآية الأخرى من سورة البقرة فيوضح الله- عز وجل- أن من يترك الإيمان إلى الكفر فقد ضل الطريق الجدد الذي يأمن سالكها العثار. أما آية النساء فإن الله جل شأنه ينهى عباده المؤمنين أن يتركوا طيبات الأموال، ويأخذوا ما خبث من المال.. وقل الشيء ذاته بالنسبة إلى الآية الواردة في سورة «سبأ»، الذين لَمَّا عتوا عن أمر ربهم بدلهم بجنتيهم الخضراويْن ذواتي الثمار المشتهاة، جنَّتَيْن أُخريَيْن لا تُنْبِتان سوى ما تمُجُّه الأذواق.

بناء على ما سبق، يجب التذكير بالقاعدة الآتية: «المتروك المرغوب عنه هو الذي تلحق به الباء أو من على الدوام، والمفعول به هو المرغوب بالنسبة إلى استعمالات هذه الألفاظ الثلاثة الآنفة، وبذلك نطق الشعر العربي. قال الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري يرثي الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ونَسُوا وَصاةَ محمد في صهــــره
وتبدَّلوا بالعزِّ دار بَــــوار

وقال ابن الرومي:

وبُدِّلْتُ من ذاك البياض وحُسْنــه
بياضا ذميما لا يزال يســـود

وقال المعري:

شكوت من الأيام تبديل غـــادر
بواف ونقلا من سرور إلى هم

هذه أدلة لا تترك رسيسا من الشك في أن المتروك هو الذي تلحقه الباء أو من، نبذت منها نُبَذًا تكون أصواء تهدي إلى صفاء العربية.

١- الملوان: الليل والنهار، وتعرب الكلمة إعراب المقصور.

ربوع الشام

وليد الخطيب- شاعر سوري

صَبَرْنَا دَهْرَنا والصَبْرُ مَلاَ
وهَذا الشَيْبُ أَفْرَعَ واسْتَحَلاَ
وَهذا العُمْرُ يَومًا بَعْدَ يَوْمِ
يَزِيدُ الضَعْفَ ضَعْفًا لَيسَ إلاَ
وَما زلنا نَلوكُ المُرَّ لَوْكًا
وَمِنْ حِرْمَاننا شُفْنَاهُ فُلاَ
تَعوَّدْنا وَهَذا الإِلْفُ شَرٌّ
لِذا أَبْنَاؤُنا انْتَفَضُوا بِإِلاَّ
كَرامَتنا وَحقُّ الحُرِّ ثَبْتٌ
وَنَكْرَهُ أَنْ نُذلّ وَأَنْ نُذَلاَ
وَهَذي الشَامُ ثَارَتْ ثُمَّ قَالَتْ
نُرِيدُ لِشَعْبِنَا أَنْ يَسْتَقِلاَ
فَمِنْ حَقِّ الشُعُوبِ تَعِيشُ أَمْنًا
وَتَحْظى بالحُقُوقِ وَلا أَقَلاَ
يُوَفِّرها وَلِيُّ الأَمْرِ فَرْضًا
وإلاَّ كَانَ حَقًّا مُسْتَغِلاَ
فَخيْرُ الأَرْضِ نَبْعٌ مُسْتَمِرٌّ
يُعطِي مَنْ بها وَيزِيدُ فَضْلا
لِماذا لا أَراهُ وإِنَّ غَيْري
لَفي حُلَلِ الزَبَرْجَدِ قَدْ تَحلَى
لِماذا صَادرَ البَاغِي لِسَاني
وَلاحَقنِي وَطَارَدنِي وَأَجْلا
لأَنِّي لَمْ أُسِغْ رَأيًا سَخِيفًا
وَلَمْ أَبْغِ الفَسَادَ وأَنْ أَضِلاَ
لأَنِّي في الرَشادِ أَعِيشُ وَحْدي
غَرِيبًا لَمْ أَجِدْ عَونًا وَظِلاَ
فَيَا غَدَّار أَنْتَ وَرِيثُ عَهْدٍ
مَضَتْ أَيَّامُه السَوداءُ وَحْلاَ
أَتَسْلُكُهُ وَأَنْتَ بِهِ صَغيرٌ
بِماذَا تَنْتَهي إِنْ صِرْتَ كَهْلا
رُبُوعُ الشَامِ مَجَّتكُمْ بِمَقْتٍ
فَلا أَهْلاً بِكُم فِيهَا وَسَهْلا
كَفَى ظُلْمًا كَفَى قَهْرًا وَإِنِّي
وَحَقِّ اللهِ لَنْ أَرْضَاهُ حَلاَ
وإِنْ قَدَمْتُ رُوحي دُونَ عِرْضِي
لِهَذا أَحْسَنُ الأَشْياءِ بَذْلاَ
وَإِمَّا النَصْرُ كَيْ أَحْيَا كَرِيمًا
أُمَارِسُ مَا أُمَارِسُ مُسْتَقِلاَ



العِيدُ والشُّعَرَاءُ الحَزَانَى

مصطفى عباس- ناقد أدبي

الأســاسُ فـي العيدِ أن يكون نابضًا بالفرح، عامرًا بالحبورِ والبهجةِ، لا تفارقُ البسمةُ ثغرَ الناسَ ولا الإشراق مُحيّاهم، فالنفوسُ مطمئنةٌ، والقلوبُ مطمئنةٌ، والتهنئةُ متبادَلة، وحالةُ العيد كما قال الشاعر:

أتيتَ يا عيدُ والأرواحُ مشرقةٌ
فللبلابل ألحانٌ وتغريدُ

والعيد في الحقيقة هو محبةٌ وإخاءٌ، وصفاءُ قلوب، وخالصُ وداد، وتسامحُ نفوس، وصادِقُ دعاء، فهو الّذي ينشرُ المحبَّةَ، وينزِعِ من النفوس أشجارَ الحقد، ويجتثّ من القلوب جذور الضغائن، كما عبّر عن ذلك أحدُهم بقوله:

إنّ هــذا الـعـيـدَ جـاءْ
نـاشـرًا فـيـنـا الإخـاءْ
نـازعًـا أشـجـارَ حـقـد
مـصـلـحًـا مُـهـدي الـصـفـاءْ

ولكنّ، من المعلوم أن أحوال الناس تختلف، فالحياة دائمًا فيها حزنٌ عند قوم وسرورٌ عند آخرين، بؤس ونعيم، سُقم وعافية... ودموعُ الحزانى تسحّ حتى في العيد، فلا يشعرون بفرحه، لذلك نرى أن عبدالله بنَ الحسين بنِ الحجاج عندما بشرّوه بقدوم العيد قال:

قالوا: أتى العيد، فاستبشر به فرحًا
فقلت: مالي وما للعيدِ والفرحِ

العيد والأحزان

وفي يوم العيد يحاول بعض المحزونين أن يُخبّئوا أحزانهم وذلك حتى لا يُنغصوا على الناس فرحتَهم، في حين نرى أن من الناس من تأبى عبراتُه إلا أن تسيل، وجفونُه إلا أن تُقرّحها الدموعُ، وإذا كان الشجيُّ شاعرًا فتأبى قوافيه إلا أن تُنظم، وعاطفته الجيّاشةُ إلا أن تُسكب في بحور الشعر.

وعند ذكر العيدِ والشعراء فلزاما علينا أن نتذكر المتنبي وقصيدته التي يُسائل العيد فيها قائلًا:

عِيـدٌ بـأيّـةِ حـالٍ عُـدْتَ يا عِيدُ
بما مضَى أم لأمْـرٍ فيه تجْديدُ؟
أمـا الأحـبّـةُ فـالبَـيْـدَاءُ دونَهمُ
فـليْتَ دونَـك بـيـدًا دونَـهـا بِيدُ
لم يترك الدّهرُ من قَلبي ولا كبدي
شـيـئًا تَـتَـيّـمـه عـيـنٌ ولا جِـيْـدُ

والشعراءُ الذين لم تدخل البهجةُ إلى قلوبهم يوم العيد، بل دخلها الشجن والأسى، تختلفُ دواعي أحزانِهم باختلاف أحوالهم.

العيد والأسر

فمنهم من كان أسيرًا يوم العيد، وهل هناك أشدُّ حزنًا كأسيرِ يومَ العيد؟

هذا ما حصل مع الشّاعر أبي فراس الحمداني الذي حضره العيد، وهو أسيرٌ ببلد الروم فقال:

يـا عـيـدُ مـا جـئـتَ بمحبوبِ
عـلى مُـعَـنّـى الـقـلـبِ مـكَروبِ
يـا عـيـدُ قـد عـدتَ علـىِ ناظر
عـن كـل حـسـنٍ فـيـك محجُوبِ

ومنهم من أتى عليه العيد وهو نائي

الديار عن وطنه، تلفحُهُ نارُ الغربة.. هجرهُ الأحبابُ، فسكب العبرات، وتجرّع الحسرات، وفوق هذا كله نـزل به فقر مدقع، وإملاق مقيت.. فمن أين سيأتيه الفرحُ؟، وأنى للبسمة أن تلوحَ على محياه؟!، وهذه هي حالة الشاعر محمد بن هبة الله الذي قال:

وقائل قال يومَ العيد لي ورأى
تَمَلْمُلي ودموعُ العين تنهمرُ
مالي أراك حزينًا باكيًا أسفًا
كأن قلبَك فيه النارُ تَستعرُ؟
فقلت: إني بعيدُ الدار عن وطن
ومُمْلقُ الكفّ، والأحبابُ قد هجروا

ومن المواقف المؤلمة يومَ العيد، أن يرى الأبُ أن جميع صغار الحي قد حصلوا على الهدايا، وهو فقير لا يملك مالاً يعطيه لطفله الصغير، فهو لا يملكُ إلا الدموعَ الحرّى، ولهيبَ الزفرات، فأخذَ يُعلّلُ صغيره بالأمنيات والوعود، لعله أن يجد فيها شيئًا من السلوان، وذلك كما حصل مع الشاعر قيصر سليم الخوري عندما وصف حرمان طفله في العيد، وبكاء أمه بعدما عاينت ذلك المشهدَ، فيقول:

رأى بُنَيّ صغارَ الحيّ قد غنموا
في ليلة العيد أشياءً وما غنما
وجاءَ يسأل مالًا لستُ أملكُهُ
ولو أتى طالبًا روحي لما حُرما
وعدتُهُ وجفوني حشوُها أرَقٌ
وعدًا تعلقَ في أجفانه حُلُما
لما رأت أمُّه حالي وحالتَه
مالت لناحية تُذري الدموعَ دما

ومن المواقف التي تكونُ أشدّ إيلامًا، وأكثر تأثيرًا، موقفٌ لإنسان كان في العيد الماضي مَلكًا، يرفُلُ في أثواب السعادة، ويتقلّب في جنان الدنيا.. فما أتى عليه عيدٌ جديدٌ إلا وهو في المنفي بعيدًا عن وطنه، تداعبُ مقلتَهُ أطيافٌ لنعيم مضى، ومُلك تلاشى، وأعني بذلك المعتمدَ بنَ عبّاد الذي كان متربّعًا على عرش إشبيلية، ثم ما لبث أنْ لعبت به الدنيا، وقلبَ له الدهرُ ظهرَ المِجَنّ، فقيّده ابنُ تاشفين، ونفاه إلى «أغمَات» وهي مدينة بالمغرب فدخل عليه من بنيه، من يسلم عليه ويهنيه يوم العيد، وفيهم بناتُه، وعليهن أطمارٌ بالية، وكُنّ يبكينَ والضّياعُ قد غيّر صورَهُن، وحيّر نظرهن، وأقدامُهن حافيةٌ، وآثار نعيمهن عافيةٌ، فقال مخاطبًا نفسه، متذكرًا أعياده الماضيةَ التي كانت تأتيه وهو في الملك ونعيمه:

فيما مضى كُنتَ بالأعياد مسرورا
فساءك العيدُ في أغمَاتَ مأسورا
ترى بناتِك في الأطمار جائعةً
يغزلْنَ للناس ما يمْلكْن قطميرا
بَرَزْنَ نحوك لَلتّسليمَ خاشعةً
أبصارُهُنّ حسيراتٍ مَكاسيرا
يطأْن في الطين والأقدامُ حافيةٌ
كأنّها لم تطأ مِسكًا وكافُورا

العيد والأحبة

ومن الشعراء من يهيّجُ حزنَه يوم العيد رؤيةُ الناس يهنئون أحبابَهم، ويُضحون بقرابينهم، وهو وحيدٌ لا أحدَ يُهنّئُه، ولا خليل يواسيه، سوى دمع أحمرَ على وجنتيه يذرفُهُ ويُذريه، فهاهُو أبوالبقاء خالدُ البلويّ يقول:

أتى العيدُ واعتاد الأحبّةُ بعضَهم
ببعض، وأحبابُ المتيّم قد بانوا
وأضحى وقد ضحّوا بقربانهمْ وما
لديه سوى حُمْر المدامع قربانُ

وكذلك الشاعرُ أبوالفرَج سلامةُ بنُ بحر فقد أشعلَ العيدُ أشجانَه، وزاد همومه، لأنه ذكّره بعهد مضى مع الأحباب، ولم تبق منه إلا طلولُ الذكريات، فقال:

من سرّهُ العيدُ فما سرني
بل زاد همّي وأشجاني
لأنه ذكّرني ما مضى
من عهد أحبابي وإخواني

ونظيرهما أيضًا لشاعر غيره يؤكد فيهما أنْ لا عيدَ ولا فرحَ إلا بحضور الأحباب:

من سرّهُ العيدُ الجديـ
ـدُ فما لقيت به سرورا
كان السرورُ يتمُّ لي
لو كان أحبابي حضورا

ومما يثيرُ الشجنَ يوم العيد أن يرى الشاعرُ أعداء الأمة يَعيثون في الأرض فسادًا، ويُكثرون من بَغيهم وإجرامهم.. وذلك كما حلّ في فلسطينَ الثكلى، ومن ثَمّ في العراق الجريح.. وتذكرتُ في هذا الصدد قصيدةً لي نُشرت صباحَ يوم العيد عنوانُها: «عيدُ البائسين في العراق وفلسطين»، قصيدةٌ كانت مُترعةً بالبؤس، ومُتّشحةً بالأسى، ومطلعُها:

أين السعادةُ قل لي أيُّها العيدُ؟!
وفي فلسطينَ قتلٌ ثم تشريدُ

وأما بالنسبة لمُفضليّة الشاعر تأبّط شرًا، والتي خاطب فيها العيد، فقد ذكر أبوالفرج أن العيد فيها هو ما اعتادَ الإنسانَ من همٍّ أو شوق أو مرض أو ذكر

وفي بداية القصيدة خطابٌ موجّهٌ للعيد من تأبط شرًا (وهو لم يقصد عيدَ أضحى أو فطر لأنه شاعرٌ جاهليٌّ!!) يقول فيه:

يا عِيدُ مالَكَ من شَوْقٍ وإيراقِ
ومَرِّ طَيفٍ عَلَى الأهوالِ طَرّاقِ
يَسْرِي عَلَى الأَيْنِ والحيّاتِ مُحْتَفيًا
نفسي فداؤُكَ مِن سارٍ عَلَى ساقِ

وعلى كل الأحوال فإنه لم يُسَرّ في ذلك العيد الذي عادَه محمّلًا بالهموم والأشواق...

ختامًا: العيدُ في سروره وبهجته والتلهّف للقائه من أجمل ما في ذكريات الطفولةَ، وكلما تقدم الإنسانُ في العمر، وابتعد به قطار الزمن عن رياض الطفولة البريئة خَفّتْ بهجةُ العيد لديه، وما ذلك إلا لكثرة هموم الحياة، وتَجدُّد مُنغصاتها، وإنني أحببتُ أن أختم هذا المقالَ بأبيات حلوة مشهورةٍ للشاعر إيليا أبوماضي، يقول فيها:

أقبلَ العيدُ ولكنْ
ليس في الناس المسرّة
لا أرى إلا وجوهًا
كالحاتٍ مُكفهِرّة
أيها الشاكي الليالي
إنما الغبطةُ فكرة
لا تكنْ مُرًّا ولا تجـ
ـعلْ حياةَ الناسِ مرة
إنه العيدُ وإنّ الـ
ـعيدَ مثلُ العُرس مرّه

وأسأله تعالى أن يجعل أعيادَنا عامرةً بالمسرات، وأن يُفرّج كرب كل مكروب، وحزنَ كلّ محزون، إنه سميع قريب.



عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم

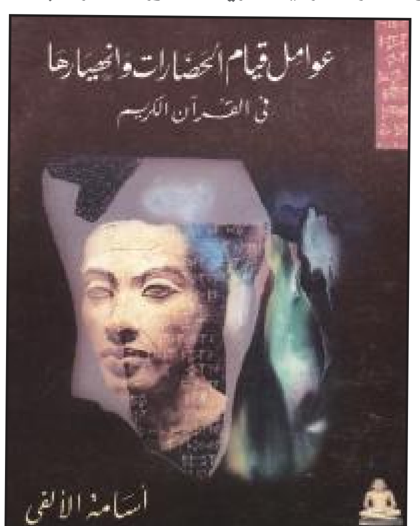
القاهرة: مريم عبدالحميد
دار الإعلام العربية

يبحث هذا الكتاب في العوامل المؤدية إلى قيام الحضارات أو سقوطها من خلال القرآن الكريم، إذ أوضح كتاب الله عوامل قيام الحضارات التي كثيرًا ما تكون ذات عوامل سقوطها، وقدم القصص القرآني نماذج لحضارات سادت ثم بادت، ولم يغفل الكتاب تناول الحضارة مشيرًا ومعددًا أسباب تدهورها، وكذا الحضارة الغربية التي حملت في طيات قيامها ونهضتها بذور أفولها؛ وفي الكتاب رد مباشر على دعاوى تصادم الحضارات التي نادى بها «هنتنجتون» وغيره، من خلال الإشارة إلى الدعوة القرآنية الكريمة لتحاور الحضارات بدلًا من تصادمها.

ينطلق مؤلف الكتاب أسامة الألفي من فكرة مفادها أن الحضارة- شأنها شأن الإنسان- لها سنن وعوامل تؤدي إلى قيامها، لو أحسن تطبيقها واستثمارها، صلحت مسيرتها، وإن أهملت تاهت وضاعت بين الدهاليز المظلمة، ومن ثَمّ يحاول الكاتب عرض تلك العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارات وصعودها، أو اضمحلالها وانهيارها.

المنهج القرآني

وبعد سعي لإيجاد مفهوم شامل لمصطلح «الحضارة»، يتوصل الكاتب إلى أن الجامع المشترك لمختلف المفاهيم السياسية والاقتصادية والتاريخية للحضارة هو الاستقرار، وأن الحضارة تعبّر عن حاجة إنسانية تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات؛ وأن العوامل التي تحكم قيام الحضارات وانهيارها «سنن» معينة تتسم بالثبات، وهذا ما تنبّه إليه المفكرون المسلمون، فانكبوا على دراسة المنهج القرآني في التعامل مع التاريخ البشري، وسعوا إلى الانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية كما فعل ابن خلدون مثلًا، فهناك سنن ونواميس تخضع لها الحركة التاريخية في سيرها وانتقالها من حال إلى حال. والإسلام لا يتصور أن القوى الاقتصادية



أو المادية وحدها يمكن أن تحدث أي تغيير أو تحول في المجتمع البشري، إنما تغيّر ما في نفس الإنسان هو الذي يتجلى في التغيير الذي يحدثه في ظروف البشر الخارجية، ومن ثم فإن فلسفة التاريخ الإسلامية هي تفسير التاريخ المعنوي؛ لأنها ترى في الإنسان كائنًا معنويًا، فالظروف الخارجية تؤثر في حياته لكن العامل الحاسم هو الإنسان نفسه.

عوامل قيام الحضارة

وأهم عوامل قيام الحضارة هو «العقيدة» فلا حضارة دون عقيدة تدفعها وتغذيها، وتقدم الشريعة الإسلامية نظامًا متكاملًا للحياة الإنسانية: سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا... فالتكاليف الشرعية في الإسلام ما وُضعت إلا للارتقاء بروح الإنسان وصياغة مجتمع العدالة والمساواة.

وثاني عوامل قيام الحضارة في الإسلام هو «الإنسان»، فعناية الإسلام بالإنسان وتأهله ليكون صانع الحضارة تمتد إلى آفاق رحبة متسعة، إذ حرص كتاب الله على أن يعرّف الإنسان أن جميع البشر متساوون، بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة، فالجميع سواسية أمام قانون إلهي رحيم أساسه العدل؛ فالإسلام حرص على تأسيس إنسان متوازن الشخصية، سويّ النفس، لا يطغيه الغنى، ولا ينسيه الفقر، لا يستخفه النصر ولا تسحقه الهزيمة، لا تبطره النعمة، ولا تزلزله المصيبة، مطمئن القلب، راضي النفس، متفائل الروح، لا ييأس وإن سُدت في وجهه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، موقن بأن مع العسر يسرًا، وأن بعد الليل فجرًا، وبعد الضيق فرجًا، وبأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

وفي المرتبة التالية يأتي العلم، وقد اتسم النهج الذي اتبعه القرآن الكريم

في دعوته المؤمنين إلى الأخذ بأسباب العلم بالشمولية والعلو فوق المتغيرات النسبية؛ ليناسب كل زمان ومكان، ومن هنا تتميز آياته بتوجهين: الأول دعوة الإنسان إلى تبصر آيات الله في الكون والنظر فيها، بل النظر في نفسه، والثاني الإشارة إلى حقائق علمية..

تعارف لا تصادم

ويدعو الإسلام إلى مبدأ تعارف الحضارات لا تصادمها، ففي أكثر من آية وموضع يؤكد لنا القرآن الكريم مبدأ الوحدة الإنسانية في المنشأ والميلاد، داعيًا إلى إقامة جسور من التعارف والتعاون بين البشر باعتبارهم جميعًا جاءوا من أب واحد وأم واحدة؛ وتعارف الحضارات يؤدي إلى تآلفها وتعاونها، ويفضي إلى الوئام، ويثري الفكر الإنساني، ويلبي حاجات البشر المختلفة؛ وذلك على عكس العولمة التي تعني فناء خصوصية الحضارات داخل حضارة واحدة معينة.

وقد اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا برسم ملامح أساسية للمجتمع المسلم، تساعده على الاستقرار وبناء كيانه الحضاري، الذي تتوافر له المبادئ والقيم القرآنية الخالدة مثل التوازن والحركية والتطور بوجوهه المختلفة، بما يلبي مطالب الإنسان الحياتية، ويزكي نزعته التي ترفض العرقية والطبقية والمذهبية، وتساوي بين البشر في الحقوق والواجبات، فلا يتميز أحدهم على الآخر إلا بتقوى الله، وقد أولى القرآن الكريم للأسرة جل اهتمامه؛ لأنها خلية المجتمع الأولى، وأطر علاقاتها على أساس توازن دقيق، من خلال رابطة الزواج، التي هي أسمى ألوان ارتباط البشر، فقد وصفها القرآن بـ«الميثاق الغليظ».

الكتاب: عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم.
تأليف: أسامة الألفي
جهة النشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.
عدد الصفحات: ٢٣٠ صفحة من القطع الصغير.

وفاة الداعية سعاد الولايتي


الولايتي خلال مشاركتها في الملتقى الكويتي التركي عام ٢٠١٠

فقدت الكويت إحدى داعياتها البارزات الأستاذة سعاد عبدالرحمن الولايتي بعد معاناة طويلة مع المرض فكانت الصابرة المحتسبة.

تلقت أم المثنى العلم الشرعي على يد العديد من المشايخ والعلماء، وعملت مدرسة للغة الإنجليزية، ثم تركت التعليم وعملت متطوعة سنوات طويلة في «لجنة التعريف بالإسلام» شغلت خلالها منصب «رئيس القسم النسائي»، مستثمرة دراساتها في الأدب الإنجليزي بجامعة الكويت، ودراساتها الشرعية، وكانت مثالًا رائعًا للدعوة والدعاة.

ولدت في مدينة الكويت عام ١٩٥٤م لأبوين كويتيين، وكان لأبويها اهتمام بالعلم والثقافة، واهتم والدها بالدعوة الإسلامية منذ مطلع شبابه، ورأس فيما بعد تحرير مجلة البلاغ الإسلامية الصادرة في الكويت، وكانت سعاد المولود الأول لوالديها، وكان للطابع الديني والثقافي الغالب على أسرتها أثر في اهتماماتها الدينية والثقافية مستقبلا.

تلقت سعاد تعليمها الابتدائي والمتوسط في مدرسة الزهراء الكائنة في منطقة القبلة وهي من الأحياء القديمة في مدينة الكويت، وأكملت دراستها الثانوية في ثانوية قرطبة التي كانت تقع في منطقة الشامية آنذاك، وفي عام ١٩٧٣م التحقت بجامعة الكويت وتخصصت في دراسة الأدب الإنجليزي، وقد تزايد اهتمامها بالأدب والدين في هذه الفترة.

في عام ١٩٩٠ وقبل الاحتلال العراقي الغاشم لبلدها بأشهر قليلة عادت مع أسرتها للكويت بعد حصول الزوج على درجة الدكتوراه من جامعة سانت أندروز باسكتلندا، وبعد تحرير الكويت أصدرت روايتها الأولى «واكويتاه» التي وثقت بها أحداث الغزو الغاشم، وتوالت إصداراتها الأخرى على مدى السنوات التالية، كما تولت تحرير صفحة الأسرة في مجلة المجتمع الكويتية، وفي الوقت ذاته كان لها زاوية أسبوعية في صحيفة الوطن الكويتية بعنوان «وقفة»، شرعت في عام ١٩٩٤م في دراسة العلم الشرعي على يد مجموعة من مشايخ الكويت، فدرست المذهبين الحنبلي والمالكي إلى جانب دراستها لمواد شرعية أخرى مثل أصول الفقه والحديث والقواعد الفقهية والعقيدة والسيرة النبوية وتزكية النفس، وحرصا منها على تدعيم أسلوبها الأدبي واللغوي قامت بدراسة النحو سنوات عدة.

في عام ١٩٩٧ عملت «مدير الشؤون النسائية» في لجنة التعريف بالإسلام، وهي اللجنة المتخصصة في دعوة المقيمين بالكويت من غير الناطقين باللغة العربية للإسلام، وخلال عملها قامت بتدريس الفقه باللغة الإنجليزية والعربية لداعيات اللجنة إلى جانب دروس الوعظ وكيفية الارتقاء بالشخصية الإسلامية، وبعد عشر سنوات من هذا العمل، آثرت ان تتفرغ لدراستها الشرعية ومؤلفاتها.

من أبرز مؤلفاتها: «واكويتاه» رواية في جزءين، «أريد أمًا» قصص قصيرة، «أزواج وزوجات» قصص قصيرة في جزءين. «تعلم كيف تتعلم» (مترجم)، «الداعية التي نريد» (دعوي).

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل، سائلين الله أن يلهم أهله الصبر والسلوان، وأن يرزقه الفردوس الأعلى، إنا لله وإنا إليه راجعون.



«بُسْت» مدينة العظماء

د. محمد محمدي النورستاني
باحث بوزارة الأوقاف الكويتية

سبق أن تحدّثت عن إقليم «سجستان»، موطن الإمام أبي داود السجستاني، وغيره من الأئمة السجستانيين والسجزيّين (1)، وقد ذكرت هناك أنّ مركزَ إقلَيم سجستان هو مدينة «زَرَنْج»، وكانت تُسَمّى أيضًا بـ«مدينة سجستان»، وفي هذا العدد أتحدّث عن مدينة من أشهر مدُن سجستان، وهي مدينةٌ «بست».

هي مدينةٌ قديمةٌ عدّها القُدامى من أعمال (توابع) سجستان (٢)، وكانت ثانية المدنِ الجليلة في سجستان بعد مدينة «زَرَنْج» مركز سجستان، قال ابنُ حوقلٍ النصيبي (ت بعد ٥٨٠هـ): «وبُسْت مدينةٌ ليس في أعمال سجستان بعد زَرَنْج أكبر منها، وهي وبئةٌ في نفسها، وزيُّ أهلها زيُّ أهل العراق، ويرجعون إلى مروءةٍ ويَسارٍ، وبها متاجرُ إلى بلد الهند، وبها نخيلٌ وأعنابٌ، وهي خصبةٌ جدًّا» (٣).

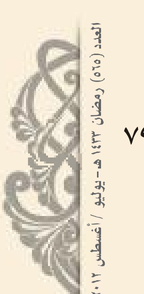
وقال المقدسي البشّاري (ت نحو ٣٨٠هـ) في وصف هذه المدينة، وفي وصف أهلها: «بُست قصبةٌ جليلةٌ، أهل دين (٤) ومروءةٍ ويسارٍ ونعمة، طيبةٌ خصبة، ولهم لباقةٌ وإسنادٌ ودرايةٌ، موضوعةٌ بين نهرين، وجامعةٌ للفاكهتَين، ليّنةُ الهوائين، نفيسة المدن، كثيرةُ القرى... وسمعتُ أبا منصور فقيهَ سجستان يقول: ما رأيتُ بلدًا على صغره أخصب ولا أكثر فواكهَ ونِعَمًا من بُسَت، إلا أنها وبيئةٌ متطرفة، صغيرة الرقعة، لها مدينةٌ عامرة، والجامعُ فيها، وربضُ الأسواقِ فيه، شربُهم من هيرمند (٥)، والنهرُ الآخرُ اسمُه «خُرّد روي» (٦)، يجتمعان على فرسخ، وعلى هيرمند جسرٌ من سفنٍ بقربِ موضع مجمع النهرين، وعلى نصف فرسخ من نحو غزنين (٧) شبهُ مدينة تُسمّى «العسكر»، ينزلُها السلطان...» (٨).

وتقعُ مدينةُ «بُست» على نهر «هلْمَنْد»، عند ملتقى النّهر الآتي من ناحية مدينة «قندهار» معه، إلى الجنوبِ من ملتَقى النهرَين.

وكانت دائمًا موضعًا جليلًا بسبب موقعها المهم، قال الاصطخري: «على باب بُست جسرٌ من السفُن، كما يكون على أنهار العراق» (٩).

فهي ذاتُ موقع حسن جدّا لكونها في الزاوية التي بَين هذَين النّهرين، في البقعة التي يُصبحُ فيها النهرُ صالحًا للملاحة، وحيث تلتقي الطرقُ الآتية من زَرَنْج وهراة، لتعبُرَ نهرَ هيلمند على جسر من السُّفن، ثم تتابع سَيْرَها إلى ما باتَ يُعرَفُ الآن بـ«باكستان»، ومن ورائها الهند، ممّا جعلها مركزًا تجاريًّا إلى بلادِ الهند (١٠).

وكانت تمتازُ بكثرة الزروع والنّخيل والأعناب والفواكه، نظرًا لوَفْرَة مِياهِهَا، وخِصْبِ أرضها، وقد نعمت هذه المدينة قرابةَ قرنٍ من الزمان بأوج ازدهارِها



في عهد الغزنويين، إذ استولى عليها سبكتكين سنة (٣٦٦هـ)، ففصلها عن ولاية «زَرَنْج»، وأصبحت «بُست» المقرّ الثاني لحكّام غزنة، الذين أقاموا فيها معسكرَهم الدائم «العسكر»، ومازالت آثارُ هذه القلعة موجودة إلى الآن.

ذكرُ ما حلّ بمدينة بُست من الخراب والدمار

بعد مدة من استقرار المدينة وازدهارها في عهدِ الغزنويّين امتدّت إليها حوادثُ الزمان لتغتال بهاءَها، فأجالَتْ فيها يدَ الخراب، وأحالَتْ بساتيْنَها الغنّاء إلى صَحْراء مُجْدِبة، وكان بدءُ ذلك حين اكتسحَ علاءُ الدين حسن جَهانْ سُوْز (أي محرق العالم) الغُوري مملكةَ الغَزْنَويين، وكانت إحدى مُدُنها، فلحقَها ما لحقَ بمُدُن الغَزْنَويّيْنَ من الخراب، وذلك حواليَ سنة (٥٤٥هـ) (١١)، وقد نَهَبَها علاءُ الدين، وأحرقَ القِلاعَ السلطانية فيها.

إلا أنّ ولاةَ الغوريين من سكّان هذا الإقليم ما لبثوا أن أصلحوا قصورَ الغزنويين في بُست، ورمّموا ما تهدّمَ من قلاعها، كما سكنَها من بعدهم الخوارَزْمْشاه.

أمّا التخريبُ الكبير فهو الذي أصابَ المدينةَ من قِبل المغول (ت ٦١٨هـ)، ويصفُها ياقوت في أوائل القرن السّابع الهجريّ فيقول: «والخرابُ فيها ظاهر» (١٢).

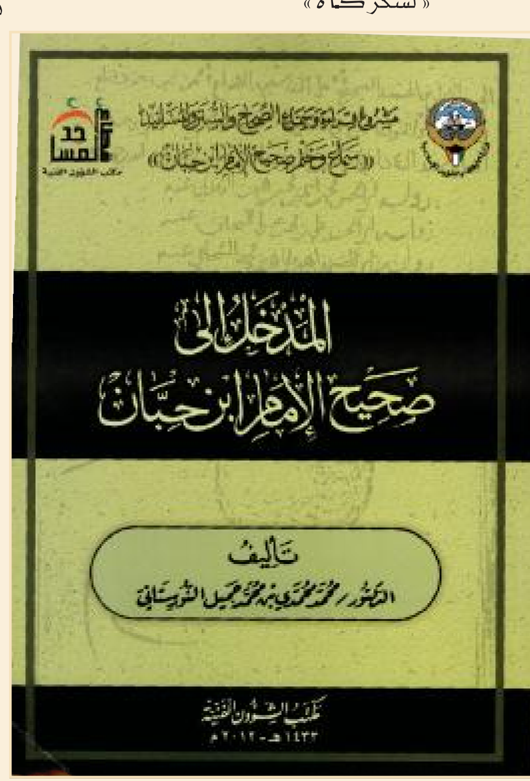
وكان من الممكن لهذه المدينة أن تَلْتقطَ أنفاسَها، فتُرَمّمَ ما تهدّمَ منها، لولا أنّ تيمور أجهزَ عليها في أواخر القرن الثامن، فأوقعَ بها وبما جاورَهَا الدّمَار، حين زحفَ إليها من زَرَنْج (١٣)، ولم يَبْقَ من بُسْتَ إلا حصْنُها الذي ظلّ يُقاومُ الأحداثَ بفضل موقعه الحَرْبيّ، إلى أن خرّبَه نَادِرْشَاه في القرن الثاني عشر الهجري، عام ١١١٧هـ/ ١٧٣٨م، ولا تزالُ أسوارُه قائمةً على شاطئ «الهيلمند»، كما أنّ الأطلالَ التي تَشغَلُ مساحةً كبيرةً من الأرض تَشهدُ على ما كان لعاصمة

ابن حبان.. المحدث الفقيه.. ولد فيها واحتضن ثراها جثمانه

الغَزْنَويين من عظمة وبهاء (١٤).

وحصنُ بُست مازال يُعرف بـ«قلعة بُست»، ومازالت أسوارُه قائمةً إلى الآنَ، كما أسلفت.

وبالقرب من مدينة «بُست» المندَثرَة، مدينةٌ أخرى الآن، تُسمّى «لَشْكَرْكَاه»، وهي مركزُ محافظة «هيلْمَنْد»، الواقعة إلى الجنوب الغربيّ من العاصمة «كابول» في أفغانستان، بين مدينتَي قندهار وزَرَنْج، وهذه المدينة (لَشْكَرْكَاه) تُعتَبَرُ هي مدينة بُسْت: لأنها أعيدَ بناؤها في الموقع الجديد، وسُمّي باسم حصْن بُست، ومعنى «لَشْكَرْكَاه»: موقع العسكر، وباسم بُست سُمّي مطار مدينة «لَشْكَرْكَاه»



الآن.

دخول الإسلام إلى بست

وقد اختلفَ المؤرّخون المسلمون في زمن دخول بست في حوزة المسلمين، ويُستَخلَص من كلامهم أنّ سجستان وكابل قد فُتحتا أيام الخليفة عمر بن الخطاب سنة (٢٣) بقيادة عاصم بن عمرو التميمي وعبدالله بن عمير، إلا أنّ أهلَها نقضوا بعده، فأعيدَ فتحُهما زمنَ الخليفة عثمان ﷺ بقيادة عبدالله بن عامر بن كريز سنة (٣٠هـ)، وقد ذكرَ الإمامُ ابنُ حبان هذا في ترجمة الربيع بن زياد، حيث قال: «إنّ عثمانَ بنَ عفان ﷺ في السّنة التاسعة والعشرين عزلَ أبا موسى الأشعَريّ عن البصرة، وعثمانَ بنَ العاص عن فارس، وولّى البصرةَ وفارس كلّها عبدَالله بنَ عامر بن كُرَيز، فأنفذَ عبدُالله بن عامر في أول سنة ثلاثين الربيعَ بن زياد إلى سجستان، وولّاه عليها، ففتح سجستان على يديه، وقد ذكرنا تلك القصة بتمامها في فضائل سجستان» (١٥).

والخلاصة أنّ مدينةَ بُست تقع الآن في محافظة هيلمَنْد، الواقعة إلى الجنوب الغربيّ من العاصمة «كابول» في أفغانستانَ، بين مدينتَي قندهار وزَرَنْج، وقد اندثرت هذه المدينة، ولم يبق منها سوى أطلالها الممتدّة على مساحة شاسعة، وسوى بقايا من أسوار حصنها الكبير، الذي يُعرف الآن بـ«قلعة بُست»، وقد نشأت مدينةٌ أخرى في القرب من الموقع القديم، وهي مدينة «لَشْكَرْكَاه»، ومطارُها سُمّي باسم «مطار بُست».

والجدير بالذكر أنّ كثيرًا ممن ألّفوا في البلدان أفاضوا في وصف بست، بل لا يكادُ مؤلّف في الموضوع يخلو من وصف هذه المدينة، إلا أنّ الكتاب الذي أشارَ إليه الإمامُ ابنُ حبان في كلامه السابق «فضائل سجستان» من المصادر التي يُتَوَقّعُ أن تكون أكثر تفصيلًا في وصف المدينة وأهلها؛ لأنه لأحد أئمتها البارزين.

مدينةُ «بُست» من معاقل العلماء

قد خرجَ من هذه المدينة أعلامٌ وعلماءُ كثيرون، منهم: الإمامُ حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطّابي البُستي (ت٣٨٨هـ)، وهو من نسل زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صاحب المؤلّفات الكثيرة، منها: «أعلام الحديث»، وهو شرح صحيح البخاري، و«معالم السنن» في شرح سنن أبي داود، و«غريب الحديث»، وكتب أخرى كثيرة.

ومنهم: شيخُ الخطابي الإمام ابنُ حبان البُستي، وهو الإمامُ أبوحاتم محمدُ بنُ حِبّان بن أحمد بن حِبّانَ بن معاذ بن معبد بن سَهيد التميمي البُستي (١٦). و«حِبّان» بالموحّدةِ المشدّدة، مع كسرِ أوّله.

و«التّميميُّ» نسبة إلى تميم جدّ القبيلة العربية المشهورة، وهو تميم بن مُرّ، الذي يصلُ نسبُه إلى عدنان، فهو عربيُّ الأصل، أفغانيُّ المولد والبلد.

وقد أجمعت المصادر على أنّ الإمامَ ابنَ حبان وُلِد في مدينة «بُست»، ولكن لم يُحدّدوا سنةَ ولادته، ويؤخذ من أقوال العلماء أنه وُلِدَ بين سنة (٢٧٥- ٢٧٩هـ)، وقد قاربَ الثمانين من عمره.

نشأ الإمامُ ابنُ حبان في مدينة بُست، وأمضى فيه طفولتَه وأوائلَ شبابه، ثم غادرَها إلا أنه عادَ إليها في آخر عمره، وتوفي فيها.

وكان الإمامُ ابنُ حبان من الأئمة الذين جمعوا بين الحديث والفقه، وهو على طريقة شيخه الإمام ابن خزيمة في الفقه، والذي لازمَه في الحَضر والسفر، وحذا حذوَه في الصحيح، وفي منهجه وطريقته في الفقه. وقد ذكرَ العلماءُ أنّ الإمامَ ابنَ حبان من المجتهدين، قال الإمام ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ): «أحدُ الحفّاظ الكبار المصَنّفين المجتهدين، رحلَ إلى البلدان، وسمعَ الكثيرَ من المشايخ...» (١٧).

وكان الإمامُ ابنُ حبان يَعيب على المحدّثين الذين يهتمّون بالإسناد فقط، دون الاهتمام بالمتون، كما كان يعيب على الفقهاء الذين يهتمّون بالمتون فقط، دون الاهتمام بطرق الأحاديث، وكان متعلّقًا بشيخِه الإمام ابن خزيمة لِما رأى فيه



الجمعَ بين الأمرين، قال- رحمه الله تعالى- في شيخه: «وما رأيتُ على أديم الأرض مَن كان يُحسنُ صناعةَ السنن، ويحفظ الصحاحَ بألفاظها، ويقوم بزيادة كلِّ لفظة تُزادُ في الخبر، ثقةً، حتى كأنّ السننَ كلّها نصبَ عينيه: إلا محمد بن إسحق بن خزيمة- رحمة الله عليه- فقط» (١٨).

وقد أشارَ إلى هذا الموضوع في مقدمة (صحيحه)، وكادَ ينفردُ بمذهب خاصّ فيما يتعلّقُ بزيادة الثقَة، حيثُ اشترطَ في المحدّث الثقة الذي تُقبَل منه الزيادة في المتن أن يكون فقيهًا (١٩).

ومما اشتُهر فيه الإمامُ ابنُ حبان هو الرحلة في طلب الحديث النبويّ الشريف، حيث إنه قد استغرقَ قرابةَ أربعين سنة في رحلاته إلى أن رجعَ إلى وطنه بُست أخيرًا.

وقد أشارَ الإمامُ ابنُ حبان إلى كثرة رحلاته قائلًا: «ولعلّنا قد كتبنا عن أكثر من ألفَي شيخ من إسبيجاب (٢٠) إلى الاسكندرية» (٢١)، و«إسبيجاب» إقليمٌ يقعُ أقصى الشرق الإسلاميّ في ذلك الوقت، وكانت ثغرًا من أشهر ثغور الإسلام على حدود القبائل التركية التي لم تدخل بعدُ في الإسلام، قال المقدسيُّ (ت نحو ٣٨٠هـ): «ويُقال: إنّ بها ألفًا وسبعمائة رباط، وهي ثغر جليلٌ ودارُ جهاد» (٢٢)، وكان هذه الأربطةُ للمجاهدين المتطوّعين، تَشترِكُ في بنائها مدُن ما وراء النهر قاطبةً.

كما أنّ الإسكندريةَ من أشهر مدن مصر، والتي كانت آخر مدينة يُرحَلُ إليها من جهة المغرب الإسلامي، فالإمامُ ابن حبانِ «يريد من قوله هذا أن يبيّنَ لنا أنه رحل إلى أقصى ما تمكن الرحلةُ إليه لطلب العلم في عصره... ولا يسعُنا إزاءَ هذا العددَ الضخم من الشيوخ في تلك الرقعة الواسعة مِنَ الأرض إلا أن نُرَدّدَ مع الذهبيّ قولَه: هكذا فلتكن الهمَم» (٢٣).

فرحلاتُ الإمام ابن حبان شملت أقصى الشرق وأقصى الغرب في البلاد الإسلامية التي كان يُرحَل إليها في ذلك الوقت.

هذا، وكأنّي بالإمام ابن حبّان يَستَمتعُ بتلك الرّحلات المنهكة، ويتلذّذُ بها: لأنها هي السبيلُ إلى حفظ سنة النبيّ ﷺ، وهذا الشعورُ واضحٌ من كثيرٍ من كلامه في كتبه، من ذلك قولُه في مقدمة صحيحه:

«... ثمّ اختارَ طائفةً لصَفوَته، وهَداهُم لزومَ طاعته، من اتّباع سُبُل الأبرار في لزوم السُّنَنَ والآثار، فزيّنَ قلوبَهم بالإيمان، وأنطقَ ألسِنَتَهم بالبيان، من

كشف أعلام دينه، واتّباع سُنَن نَبيّه بالدّؤُوب (٢٤) في الرِّحْل والأسْفار، وفراق الأهل والأوْطار، في جَمْع السُّنَن ورَفْض الأهواء، والتفقُّه بتَرْكَ الآراء، فتجرَّدَ القومُ للحديث وَطَلبوه، ورَحُلوا فيه وكَتَبُوه...» (٢٥).

فمادامَ أنه يؤمِّل بلوغ هذه الدرجة، فتلك الرحلاتُ مما تزيدُه سرورًا، وتزيلُ عنه آثارَ التعب والهموم.

وجديرٌ بالذكر هنا أنّ الإمامَ ابنَ حبان، صاحبَ تلك الرحلات الطويلة، قد ألّفَ معجَمًا لشيوخه على المدن، وسمّاه «المعجم على المدن»، وهو من الكتب المفقودة.

كما أنه ألّفَ كتابًا في آداب الرحلة، وهو من الكتب المفقودة.

والذين يتبيّنُ من استعراض شيوخ ابن حبان أنّه رحل عدّةَ رحلات بين إسبيجاب والإسكندريّة، وليست رحلةً واحدة، والأدلة الدالة على ذلك عديدة لا يتحمّلها هذا المقال.

ويبدو أنّ ابنَ حبان ظلّ يصحبُ كبارَ العلماء، ويتلقّى على أيديهم، حتى ودّعَ آخرَ شيخَين من كبار شيوخه (٢٦) عام (٣٢٥هـ)، ثم ذهبَ إلى سمرقند، فتولّى قضاءَها، وفَقّهَ الناسَ وعلّمَهم، ثم غادرَها وذهبَ إلى نيسابور، فعلّمَ بها سنة (٣٣٤هـ) قليلًا، ثم غادرَها إلى نَسَا حتى سنة سبع وثلاثين، حيث تولّى قضاءَها هذه المدةَ، ثم عادَ إلى نيسابور، فبنَى فيها مدرسةً، وقرأ الناسُ عليه جملةً من مصَنّفاته.

وفي عام (٣٤٠هـ) عاودَه الحنينُ الشديدُ إلى وطنه، فوصل إلى مدينة سجستان (٢٧) عاصمة إقليم سجستان، فعلّمَ بها... وخرجَ منها في نفس تلك السنة إلى مدينة بُست، بعد رحلة امتدّت أربعين سنةً من عمره، فحطَّ رحالَه فيها، وبنى دارًا ومدرسة، وذاعَ صيتُه، وصارت الرحلةُ إليه لسماع مصنّفاته، والإفادة من علومه، حتى وافاه أجَلُه عام أربعَة وخمسين وثلاثمئة، رحمه الله تعالى» (٢٨).

وقد أخذَ الإمامُ ابنُ حبان- رحمه الله تعالى- عن شيوخٍ كثيرين، كما أشارَ هو إلى ذلك، ومن أشهرهم:

١- الإمام الحافظ أبويعلى الموصلي، وقد روى عنه في صحيحه (١١٧٤) حديثًا.

٢- الإمام الحافظ الحسن بن سفيان الشيباني النّسَوي، روى عنه في صحيحه (٨٣٠) حديثًا.

٣- الإمام محمدُ بنُ الحسن بن قتيبة اللخمي العَسْقَلاني، روى عنه في صحيحه (٤٧٢) حديثًا.

٤- إمامُ الأئمة الحافظُ الحجة الفقيه شيخُ الإسلام أبوبكر محمدُ بنُ إسحق بن خزيمة السُّلَمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، قال عنه الإمامُ ابنُ حبان: «ما رأيتُ على أديم الأرض مَن كان يُحسن صناعةَ السنن، ويحفظُ الصحاحَ بألفاظها، ويقومُ بزيادة كلّ لفظة تُزادُ في الخَبر، ثقةً، حتى كأنّ السننَ كلّها نصبَ عينيهَ: إلا محمد بن إسحق بن خزيمة- رحمة الله عليه- فقط» (٢٩).

وقد لازمَ الإمامُ ابنُ حبان شيخَه الإمامَ ابنَ خزيمة في الحضر والسفر، وتخرّجَ به في الفقه، وحذا حذوَه في صحيحه.

وقد أخذَ عن الإمام ابن حبان أئمة كثيرون، منهم: الإمام الحاكم النيسابوري، والإمام ابن مندة، والإمام الدارقطني، والإمام الخطابي، والحافظ غنجار البخاري، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

ومما اشتُهرَ فيه الإمامُ ابنُ حبان: كثرة التأليف في كثير من فروع الشريعة، فألّفَ كتبًا كثيرةً في الحديث، والفقه، والبلدان، وغيرها.

ومن أشهر كتبه: صحيحُه، الذي عُرف بـ«التقاسيم والأنواع»، و«صحيح ابنَ حبان»، وكذلك: كتاب «الثقات»، و«المجروحين»، و«مشاهير العلماء»، و«روضة العقلاء»، وغيرها.

وقد فُقدت أكثرُ كتبه، ولم يصلنا من كتبه إلا النزر اليسير.

رحمَ الله الإمامَ ابن حبان، وأجزلَ له المثوبة، وتقبّل منه كلّ ما قدّمه للأمة الإسلامية، وأسكنَه فسيح جَنّاتِه.

الهوامش

(١) مجلة «الوعي»، العدد (٥٣٥)، (ص٥٢).

(٢) انظر: «مسالك الممالك» للاصطخري (ص٢٣٨)، «صورة الأرض» لابن حوقل (ص٤١٩).

(٣) كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص٤١٩).

(٤) أي: أهلُها أهل دين ومروءة.

(٥) كذا في المصدر، واسمُه الصحيح «هِلْمَنْد»، يعني: أنّ شربَهم من نهر هلمند.

(٦) يُسمى الآن «نهر أرغنداب» أو «أَرْكَنْداب».

(٧) أي: غزنة، يقصد: من جهة غزنة، وهي جهة الشمال.

(٨) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي المعروف بالبشّاري (ص٣٠٤).

(٩) مسالك الممالك، للاصطخري (ص٢٤٤)، وبنحوه قال المقدسي في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص/٣٠٤).

(١٠) انظر: بلدان الخلافة الإسلامية (ص/٣٧٧، ٣٨٣-٣٨٤)، مقدمة الشيخ شعيب (٨/١).

(١١) انظر: البداية والنهاية (٢٢٩/١٢)، نزهة الخواطر (٧٩/١)، تاريخ الدول الإسلامية (٦٢٥/٢-٦٣٠)، معجم الأسرات الحاكمة (ص/٤١٩).

(١٢) معجم البلدان (٣٢٨/١- بست).

(١٣) انظر: بلدان الخلافة الشرقية (ص/٣٨٤).

(١٤) دائرة المعارف الإسلامية (٢١٥/٣-٢١٩ بُست)، وانظر: مقدمة الشيخ شعيب للإحسان (٨/١)، الإمام محمد بن حبان البستي للحمش (١١٢/١-١١٣).

(١٥) الثقات، لابن حبان (٢٢٥/٤). وكتاب «فضائل سجستان» من الكتب المهمة لابن حبان، والتي مازالت مفقودة.

(١٦) انظر: الأنساب، للسمعاني (٢٤٨/١- البستي)، تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر (٢٤٩/٥٢)، معجم البلدان، لياقوت الحموي (٤١٥/١- بست)، تاريخ الإسلام (٧٣/٨).

(١٧) البداية والنهاية (٢٧٦/١١).

(١٨) «المجروحين» (٩٣/١).

(١٩) انظر مقدمة صحيحه (١٥٩/١).

(٢٠) «إسبيجاب» أو «أسبيجاب» مدينةٌ تقع في إقليم يحملُ الاسم نفسه، وتقعُ إلى الشمال من مدينةً طشقند- عاصمة أوزبكستان- إلى الشرق من نهر سيحون (سير دَرْيَا)، وهي مدينة سيرامَ الحالية، التي هي على نهر «أريس» أو «بدم»، وهو رافدٌ من روافد «سيحون» اليمنى، وهي تقع الآن في جمهورية كازاخستان. انظر: بلدان الخلافة الشرقية (ص/٥٢٧)، المسلمون في الاتحاد السوفييتي (٤٩٧/٢).

(٢١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٥٢/١).

(٢٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي البَشّاري (ص/٢٧٣)، وانظر: المسلمون في الاتحاد السوفيتي (٤٩٧/٢).

(٢٣) اقتباس من كلام الشيخ شعيب الأرنؤوط في مقدمة تحقيقه لصحيح ابن حبان (١٠/١)، أمّا كلام الإمام الذهبيّ ففي «السير» (٩٤/١٦).

(٢٤) أي: بالجِدّ والتعب، والاستمرار في ذلك.

(٢٥) مقدمة (صحيحه) (١٠٠/١-١٠١).

(٢٦) هما الحافظان: محمد بن عبدالرحمن الدغولي، وأبوحامد أحمد بن محمد بن الشرقي.

(٢٧) هي مدينة «نِيْمْرُوْزْ»، وهي مركزُ ولاية «نيمروز» في الجنوب الغربيّ من أفغانستان.

(٢٨) «الإمام محَمد بن حِبّان البستي ومنهجُه في الجرح والتعديل»، للشيخ عداب الحمش (١٥١/١-١٥٢).

(٢٩) «كتاب المجروحين» لابن حبان (٩٣/١).



تحفيز الناشئة على القراءة في الأسرة

أحمد حسن الخميسي- كاتب سوري

إذا أرادت الأسرة أن يغدو أبناؤها قارئين، فما عليها إلا أن تقوم بدعوتهم للقراءة، وتؤمن لهم المناخ المناسب، وتوفر الوسيلة، وتمارس فعل القراءة قبل أن تأمر به، وفيما يلي توضيح موجز لكل خطوة من هذه الخطوات:

أولًا: الدعوة للقراءة

تبين الأسرة للأطفال قيمة القراءة في حياة الفرد والمجتمع، ولاسيما القراءة الحرة خارج المناهج المدرسية، فالقراءة الحرة تدعم المناهج المدرسية، وتزيد التلميذ ثقافة وعمقًا في عقيدته وعبادته وأخلاقه، وتجعله يطل على العالم من أوسع الأبواب.

وهذه الدعوة للقراءة تكون في جلسات





حوارية هادئة بين الآباء وأطفالهم في الاجتماعات الأسرية في المنزل أو خارجه، وعلى الأسرة أن تتحين الوقت المناسب للتوجيه نحو القراءة الحرة المثمرة.

وفي أثناء الحوار تذكر لهم أمثلة توضح الفرق بين من يقرأ ومن لا يقرأ، وتناقشهم حول برامج الأطفال التلفزيونية التي تدور حول القراءة والثقافة والكتابة.

وتحثهم على المداومة على المطالعة يوميًا ولو قلت ليزدادوا علمًا، فالحبيب المصطفى ﷺ الذي هو أسوتنا كان يحرص كل الحرص على تلقي العلوم من ربه، وعن طريقة الملاحظة والتجربة في الحياة.

كما أن الأسرة تبين لأبنائها الصغار والكبار صدق مقولة «أنا أقرأ إذن أنا موجود».

وإذا أرادت أن تثبت الأطفال على القراءة، فلتكثر من الحوافز والجوائز التشجيعية، وتجري المسابقات القرآنية حول من يقرأ أكثر، ومن يفهم بشكل أعمق، ويتوجب أن يعقد الأب جلسة خاصة لقراءة القرآن مع أفراد الأسرة بما فيهم الصغار، وجلسة أخرى لقراءة كتاب مفيد.

ثانيًا: تأمين الوسيلة

إذا اقتنع الطفل بالقراءة وأقبل عليها فمن المفيد أن نؤمن له الكتاب المناسب له الذي يلبي تطلعاته في شكله ومضمونه، وأن يكون ملائمًا لسنه، فالقصص الموجهة للأطفال الصغار تختلف عن قصص الأطفال الكبار الذين تجاوزوا العاشرة، فلكل مرحلة عمرية ما يلائمها من الكتب، ولنحرص على أن نضع بين يدي أطفالنا قصصًا وكتبًا تنمي الاكتشاف والاختراع، عسى أن نكون أمة مخترعة لا نعيش على مخترعات غيرنا، وأن نكون منتجين لا مستهلكين.

ويتم تأمين الكتاب إما عن طريق الشراء وإما عن طريق الاستعارة، وجميل جدًا أن نصطحب أطفالنا إلى المكتبة أو إلى المعرض لنشتري معًا ما يجب أن يقرأه الأطفال، فإذا ما شبوا عن الطوق، ندعهم يشترون بأنفسهم مع بقاء النصح والإرشاد حول اقتناء الكتاب. ونحبب إليهم زيارة المركز الثقافي ومكتبة المدرسة واختيار الكتب التي تناسبهم وقراءتها، كما أننا نحثهم على قراءة مجلات الأطفال ومراسلتها. ثم نخصص لكتب الأطفال مكتبة جميلة بألوان جذابة، وندعو الطفل إلى ترتيبها وتبويبها دون أن نمنعه من الاطلاع على مكتبة الكبار.

ثالثًا: القدوة القارئة

لعلي أجزم أن أهم خطوة نقوم بها كي نشجع أطفالنا على القراءة أن يروا الكتاب بين أيدينا نطالعه بنهم وشغف، فإذا رأى الطفل أباه وأمه وإخوته يقرأون تشبه بهم فهو يعتبر أبويه قدوة مثالية بالنسبة إليه، وعلى الأغلب سيخفق الأب في دعوة أبنائه للقراءة إذا كان هو لا يقرأ.

السعادة كما يراها طالب

تسنيم منذر الكيالي- طالبة أردنية في المرحلة الثانوية

مازلتُ أذكر أوّل يوم لي في مدرستي الجديدة هذا العام وكأنّه كان بالأمس، والآن قد شارفت السّنة الدّراسيّة على الانتهاء.. فمتى مرّت كلّ هذه الأيّام؟! ولماذا لم يشعر معظمنا بمرورها؟! وهل ستمضي بقيّة السّنين بهذه الطّريقة وبهذه السّرعة الفائقة؟! أسئلة طالما حيّرتني وشغلت تفكيري.

نظرتُ إلى حياتنا وإلى طريقة عيشنا لعلّها تكون السّبب وراء مشكلتنا في أوقاتنا، فرأيتُ أنّ الطّالب يصحو من نومه مرغمًا مكرهًا على الذهاب إلى المدرسة وكأنها دار حبس وتعذيب، فلا يقوم من فراشه إلّا لأنّه لم يجد خيارًا آخر، ثم يهوّن عن نفسه قائلًا: ما هي إلّا ساعاتٌ قليلةٌ سأمضيها سريعًا مع رفاقي في المدرسة، ثمّ أعود إلى المنزل فرحًا عندما تنتهي، وبالفعل يجرّ الطّالب نفسه جرًّا إلى المدرسة، كالذي يحمل على ظهره جبالًا من هموم الدّراسة والمدرّسين فلا يستطيع المشي إلّا بتثاقل وانحناء.

ثمّ تبدأ الحصّة الأولى أو كما يعتبرها كثيرٌ من الطّلاب «الكابوس الأوّل»، فالذي لم ينم بالأمس ينام في هذه الحصّة مع إبقاء عينيه مفتوحتين عندما ينظر إليه الأستاذ ومغلقتين إذا أدار ظهره، وعندما يرنّ جرس انتهاء الحصة «جرس الإنقاذ» يستيقظ النّوام، ويبتسم كلّ عابسٍ لزوال الأحزان، وبعد ذهاب

المدرِّس الأوّل وأخذ قسط قليل من الرّاحة يأتي المدرّس الثّانيَ، فالثّالث، فالرّابع، والطّلاب مازالوا على الحال نفسه، فإن غاب أستاذ شعروا ببهجة وسعادة لا توصف، وأصبح الصّف وكأنّهُ شعبٌ انتصر أخيرًا على حكم ظالم جائر حكمهم لسنوات وقيّد حريّتهم ومُتعتهم فاحتفلوا برحيلِه إلّا من رحم ربّي من المعلمين المخلصين المحبوبين.

وسرعان ما ينتهي ذلك كلّه، فتنتهي ساعات الدّوام، ويركض الأولاد إلى منازلهم سعداء بعد أن كانوا متعبين ومنهكين، فمن رآهم قبل لحظات ظنّهم أمواتًا، فيعودون إلى البيوت فرحين، يستريحون ويسرحون ويأكلون ويرتاحون ويلعبون ويجلسون على الحاسوب تارةً، ويشاهدون قنوات التّلفاز تارةً أخرى، ويتكلّمون في الهاتف مع رفاقهم في ساعات طوال.. فيمر اليوم وتنقضي السّاعات بلا أيّ إنجاز يُذكر، ويعود الأولاد مرّة أخرى إلى الفراش حاملين هموم الغد وتستمرّ الأيّام وتتقدّم على هذه الحال.

كيف ولماذا نعيش؟

هذه صورة من صور الحياة التي نعيشها الآن أو بالأحرى نموتها الآن، فكلّ يوم يمرّ ينقص في المقابل من عمر الإنسانً شيئًا، وتكمل الأيّام سيرها مسرعة لا تنتظر أن يصحو من نومه هذا ولا ذاك.. وكثيرٌ من النّاس لا يعلم كيف يعيش، والأوْلى من ذلك أن يعرف المرء لماذا يعيش، وما الهدف الحقيقيّ من وجوده في الحياة؟ أهو يعيش فقط لأنّه وجد نفسه فجأةً من سكّان هذا الكوكب؟ فكان كمن ألقى بنفسه في نهر الضّياع، أينما جرى هذا السّيل فهو لا محالة ذاهبٌ معه أينما اتّجه دون تفكير، إلى أن ينتهي جريانه في نقطة ما فيلقيه وتنتهي حياته!

وللأسف فهذه حياة الكثيرين منّا، لا نشعر بأيامنا لأننا فقدنا الغاية منها، نريد فقط أن ننهي يومًا نعيشه الآن بأسرع وقت ممكن بحجّة أنّنا نتطلّع إلى المستقبل الذي يُخيّل إلينا أن السّعادة توجد دائمًا فيه.. فالطّالب يحلم بانتهاء المدرسة، فإن انتهت سنةٌ يتطلّع أن تنتهي السّنة التي تليها، فإن انتهت أمِل أن تمرّ السّنة التي بعدها أسرع منها حتّى يتخرّج ويترك المدرسة إلى الأبد، وعندما يتركها فإنّه يطمح أن يرتاد الجامعة، وعندما يضمن له مقعدًا فيها فإنه يحلم بالوقت الذي سيتخرج فيها ويأخذ شهادته الجامعيّة ويعمل بها ويعيش عيش الأغنياء والسعداء، وعندما يحصل على بعض هذه الأمنيات يبدأ يفكّر في الزّواج وإنجاب الأبناء ظنًّا منه أنّ السّعادة لا تكون إلا إذا تحقق له كل ذلك، فإن تحقق وأنجب الأبناء يرى أنهم مازالوا أطفالًا فيحلم باليوم الذي سيكبرون فيه ويعقلون، وهكذا تستمر الأحلام.

هذا طبع الإنسان؛ كلّما تحقق له مرادٌ يتمنّاه طمح إلى ما هو أعلى، ظنًّا منه أنّه سيكون أسعد النّاس إن وصل إلى ما تمنّاه، فما إن وصل إليه اعتاد عليه ووجده أمرًا عاديًا، بل طمع بالمزيد، تمامًا كمن يرى سرابًا من بعيد في وسط الصّحراء فيركض إليه، وعندما يصل إليه لا يجده شيئًا.. يركض الإنسان مستعجلًا يريد فقط أن ينتهي مما هو فيه ويفرّط بحاضره، لا لشيء إلّا لأنّه يريد اللحاق بمستقبله وعيشه فهو يخاف إن تأخّر أن يضيع عليه، لكنّه لو تذكّر أنّ الله قد كتب لكلّ امرئ منّا مصيره وعمله لاطمأنّ قلبه وما عاد يقلق على مستقبل ولا حاضر، فقد أيقن أنّه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له.

ألم تسمعوا بالحكمة التي تقول: «إنّ المستقبل في الدّنيا شيءٌ لا وجود له، إنه يوم لن يأتي أبدًا، لأنّه إن جاء صار حاضرًا». أجل، هذه هي الحقيقة التي أغمضنا أعيننا عن رؤيتها وأغلقنا آذاننا عن سماعها؛ ففي الدّنيا نمتلك فقط الحاضر، أمّا المستقبل الحقيقيّ الذي علينا أن نطمح إليه فهو مستقبلنا في الآخرة، والعاقل منّا من رأى حاضره الآن بين يديه فعمل به لآخرته، فليس هنالك وقتٌ آخر للعمل إلا به، لا الماضي الذي ذهب ولا المستقبل الذي لم يأتِ وقد لا يأتي!

ابدأ الآن

الآن هي اللحظة الوحيدة التي نمتلكها، فلا تقل سأكلّم فلانًا غدًا في موضوع ما بل كلّمه الآن إن استطعت، ولا تقلْ عندما تأتي الإجازة سأفعل كذا وكذا وأمارس كلّ هواياتي، بل ابدأ الآن ومارس هواياتك، ولا تقل سأدرس غدا بل ادرس الآن، ولا تقل سأفعل كذا وكذا غدًا بل افعله الآن، ولا تقل بأنّك ستكون الأسعد بين البشر عندما تكبر بل اسعد بحياتك الآن إن استطعت، فكمْ سمعنا من كبارٍ قالوا إنّهم عاشوا أجمل لحظات حياتهم في صغرهم، فلماذا لا نرى جمال الحياة في وقتنا الحاضر ونسعد بها نحن أيضًا؟ فالسّعادة بأيدينا نحن وليست بأيدي غيرنا، أبوابها مفتوحة دومًا أمامنا، ولكن علينا أن نسعى نحن إلى إيجادها لا أن ننتظر أن تجيء هي إلينا.

ومن أراد أن يكون سعيدًا أغمض عينيه عن أيّ تشاؤم أو أمر سلبيّ من الممكن أن يعكّر عليهً صفو حياته، فلا يرى إلّا ما فيه تفاؤل وأملٌ وإيجابيّة. فلا تكن كمن أراد الذّهاب في رحلة مع رفاقه، فلمّا رأى الحافلة قديمة ومهترئة ظلّ يشكو طول الوقت ولم يشعر بالسّعادة بعدها لأنّ مزاجه كان قد تعكّر، ولكنّه لو تجاهل هذه الأمور البسيطة ونظر إلى الجانب المشرق في الموضوع وحمد الله على أنه وجد أصلًا من يوصله إلى تلك الرّحلة لما شعر بضيق وتعاسة بل لارتاح قلبه واطمأن، فبحمد الله والرّضا بقضائه تكمن السّعادة.. فعش أوقاتك بكاملها الآن واستفد منها فيما هو نافع، ولا تبذرها فيما هو تافه ولا تؤجّل أمورك، ولا تسعى إلى إنهاء أمر ما بأسرع سرعة فقط لأنّك متشوّقٌ إلى الأمر الذي بعده، فمن يدري هل سيأتي هذا الغد أم لا؟!



أزواج على المقهى!

نعيم السلاموني - كاتب مصري

يخطئ الكثير من الأزواج عندما يظنون أن حق زوجاتهم وأبنائهم قاصر على توفير المأكل والمشرب والملبس، وهو غاية ما هو مطلوب منهم، فالعلاقة الزوجية ليست مالا يعطى ومأكلا يقدم أو ملبسا يشترى أو مصاريف أخرى، إنما هي أبعد من ذلك.

فالأصل في عقد الزواج يقوم على السكن والمودة والرحمة، وقد جعله المولى عز وجل آية من آياته يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

فالسَّكن هو أساس الزوجية ويقصد به سكن النفس والجسد للجسد ومن خلاله يتحقق الهدف الذي شرع من أجله الزواج، وقد ألزم الله الزوج بواجباته نحو زوجته من حق المعاشرة وأدب المساكنة وتوفير الراحة لها كما ألزمها هي بواجبات تقوم بها نحو زوجها، ولكن هناك غفلة من كثير من الناس عن قيمة قضاء الوقت الأكبر من الفراغ بين الأبناء والزوجة فالبعض يفر إلى المقاهي وجلسات الأصدقاء متصورًا أنه أدى واجبه نحو البيت مادام قد وفر الماديات المطلوبة ولا يعود إلا وقت النوم مع أن للمرأة حقوقًا مثله يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ



وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٦).

إن من آفات العصر هروب الزوج من المشكلات مع الزوجة والأولاد إلى المقاهي وجلسات الأصدقاء دون إدراك أن الأسرة بمن فيها الزوجة والأولاد مسؤوليته وسيحاسب عنها الزوج يوم القيامة يقول ﷺ «ولأهلك عليك حقا» فالأهل هم الزوجة والأبناء، وحقوق الزوجة من ضمنها الترويح عنها وإشعارها بالمودة والإقبال عليها أو الجلوس معها كما كان يحدث في أيام الخطوبة.

وعندما يكون المقهى أهم من البيت فإن خطورة ذلك تتمثل فيما يلي:

١ - الأثر السلبي على العلاقات الزوجية.

٢ - له تأثير أكثر سلبية على الأبناء الذين يفتقدون دور الوالدين من حيث الرعاية والمتابعة والرقابة فيتحول الجميع إلى غرباء تجمعهم وحدة المكان فقط.

٣- إذا ركز الزوج على الأمور المادية فقط مع عدم مراعاة الجوانب الإنسانية الأخرى فسوف يختل توازن الأسرة النفسي والاجتماعي ويصبح الأبناء في غياب الأب محاصرين بتيارات فكرية وثقافية تستهدف اختراق عقولهم.

٤ - يخلق إحساسًا بالغربة بينه وبين زوجته فيزيل الألفة والمحبة ويجمد المشاعر الطيبة التي تربطهما.

٥ - هناك قلة من الزوجات قد يطلبن الانفصال كي تبدأ حياتها مع رجل آخر لا تسرقه المقاهي.

٦ - إن الأبناء لا يتلقون تراكم خبرات أبيهم إلا ببقائه بينهم يرعاهم ويتابعهم ويعاقب ويكافئ فكيف يعلمهم الصلاة وهو لا يأتي إلا بعد أن يناموا وكيف يعلمهم الأمانة والشجاعة والصدق والإخلاص دون أن يروه؟!! وما الكوارث التي تقرأ عنها في الصحف إلا نتيجة شعور الزوجة بالوحدة وغياب الزوج كثيرًا عن البيت.

إن علاج هذه الظاهرة يجب أن يكون عبر الآتي:

١- نشر ثقافة الواجبات في الأسرة وذلك بأن على الإنسان أن يقدم واجباته مثل أن يطالب بحقوقه.

٢ - من الواجب ألا يترك الرجل بيته كثيرًا وأن يكون مؤنسًا لأهله، فوجوده في المنزل أطول قدر يضفي لونًا من الدفء ويقضي على الجفاء الذي يحدث في الأسر بسبب انشغال الزوج.

٣ - يجب على الزوج أن يكون متعاونا مع زوجته ويشاركها في تحمل المسؤوليات لتوفير سبل الحياة الكريمة.

٤ - على الزوج سرعة إنهاء الغربة والتي تؤثر على الأبناء وذلك بتطبيق مبادئ الإسلام من حيث التراحم والود وإشاعة المحبة بين أفراد الأسرة يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي يحافظ عليها وينفق ويعاملها معاملة طيبة ولا يبتعد عنها فترة طويلة.

٥ - حقوق الزوجية على بعضهما البعض أمر يجب الالتزام به مهما كانت الظروف فالهروب إلى المقاهي يخلق الجفوة بين الزوجين ويجعلهما أشبه بغرباء يعيشون تحت سقف واحد.

٦ - يجب أن يكون هناك وقت لاجتماع كل أفراد الأسرة يتبادلون فيه الحديث والمشاعر الطيبة ويعرض الأبناء مشاكلهم وأفكارهم وطموحاتهم ويتعاون الجميع على التصدي للمعوقات.

٧ - يجب أن يتفانى كل فرد في إسعاد الآخر ويجب أن يهتم كل فرد بما يهتم به الآخر.

المجمع العلمي المصري

ثاني أقدم مكتبة في العالم بعد الفاتيكان

(1798م - 2011م)

إبراهيم عثمان عبدالرحيم
باحث في التراث المصري



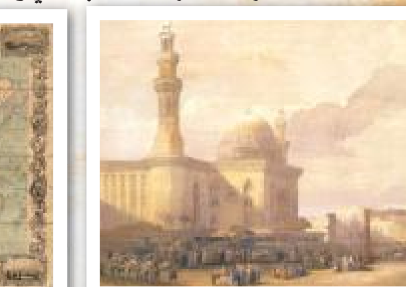
تعاقبت على المجمع العلمي المصري (ثاني أقدم مكتبة في العالم بعد مكتبة الفاتيكان) ثلاث مراحل زمنية من تاريخ مصر:

- الحملة الفرنسية؛ بقيادة نابليون بونابرت (1798 – 1801).
- فترة حكم محمد علي وأسرته (1805 – 1952)
- عصر الجمهورية سنة 1952 حتى سنة 2011

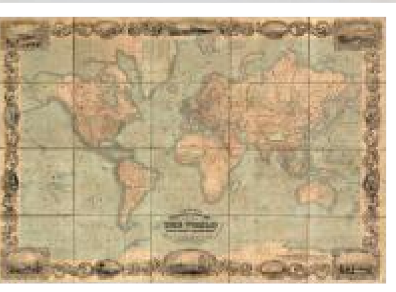
لم يُمس المجمع العلمي المصري فيها كتراث للمصريين، بل حوفظ عليه لكن مع تطور الزمن وسقوط النظام وبداية بزوغ مرحلة في تاريخ مصر حدثت المأساة الكبرى (حريق المجمع العلمي المصري) لكن لكل جواد كبوة، فانهضي يا مصر فأنت صاحبة أعرق وأقدم حضارة بشرية عرفها التاريخ على مر العصور.

أهم أقسام ومحتويات المجمع

يتكون المجمع العلمي المصري في مقره الحالي (حديقة وزارة الأشغال بناصية شارع الشيخ ريحان) قاعة رئيسية و6 غرف، غرفة للدوريات، غرفة للخرائط، غرفة للحاسب الآلي وكان يحوي المجمع ضمن مقتنياته نسخًا أصليَة مهمة على سبيل المثال:



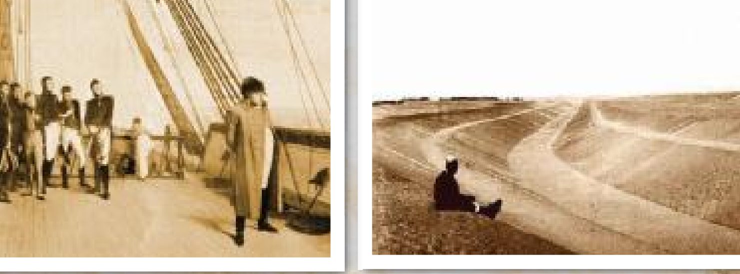
لوحات عمارة جامع السلطان حسن سنة 1846م



أطلس تاريخي دولي يرجع الى سنة 1847 م



محفوظات ليوناردو دافنشي من 6 أجزاء سنة 1840م



مجموعة لوحات حفر قناة السويس ووصف اللوحات



مذكرات نابليون بمنفاه سانت هيلانه سنة 1847م كما أملاها بنفسه عن الحملة بمصر وسوريا

تصميم جرافيك: هشام البسيوني

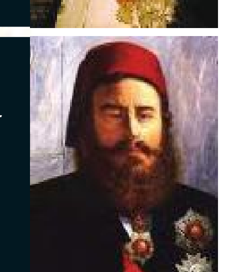
يحتوي المجمع العلمي المصري على 200 ألف وثيقة تضم كتباً ومخطوطات نادرة

مراحل تاريخ المجمع من التأسيس إلى الحريق

عام 1798

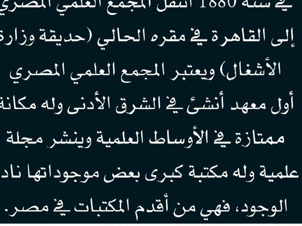
أسس نابليون بونابرت هذا المجمع في القاهرة واختير مونج رئيسًا له وبونابرت نائبا للرئيس. وكان يتكون من أربعة أقسام: (قسم الرياضيات – قسم الطبيعة – قسم الاقتصاد السياسي – قسم الآداب والفنون الجميلة) وكان الباعث على إقامة هذا المجمع العمل على التقدم العلمي في مصر ونشره في أنحائها.

عام 1859



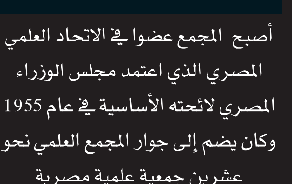
عقدت جلسته الأولى في بيت حسن الكاشف أحد أمراء المماليك بحي الناصرية وتعطلت أعمال المجمع بعض السنين حتى عادت الحياة إليه في سنة 1859 بمدينة الإسكندرية في عهد والي مصر محمد سعيد باشا.

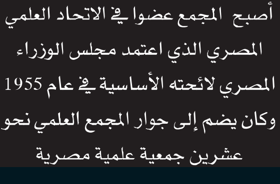
عام 1880



في سنة 1880 انتقل المجمع العلمي المصري إلى القاهرة في مقره الحالي (حديقة وزارة الأشغال) ويعتبر المجمع العلمي المصري أول معهد أنشئ في الشرق الأدنى وله مكانة ممتازة في الأوساط العلمية وينشر مجلة علمية وله مكتبة كبرى بعض موجوداتها نادر الوجود، فهي من أقدم المكتبات في مصر.

عام 1952





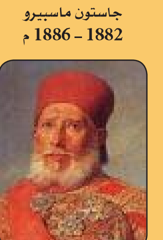
أصبح المجمع عضوا في الاتحاد العلمي المصري الذي اعتمد مجلس الوزراء المصري لائحته الأساسية في عام 1955 وكان يضم إلى جوار المجمع العلمي نحو عشرين جمعية علمية مصرية

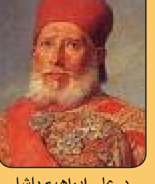
عام 2011

في ديسمبر من عام 2011 م شب حريق في المجمع العلمي، وتصدرت الصحف المصرية ووكالات الأنباء العالمية عناوين تعبر عن الحزن والآسى لما حدث فقد احترقت معظم محتويات المجمع البالغ عددها 200 ألف وثيقة ولم ينج منها سوى 25 ألف وثيقة فقط .

رؤساء المجمع العلمي المصري على مراحله المختلفه

















أوجست ميريت باشا
ترأس 3 مرات غير متعاقبة

جاستون ماسبيرو
1882 - 1886 م

يوسف أرتين باشا
(1889 – 1904)

اسماعيل سري
1919 م

د. علي ابراهيم باشا
1941 م

د. طه حسين
1943 – 1944 م

د. حسين فوزي
1968 م

د. سليمان حزين
1974 م

د.محمود حافظ
(توفى أثناء حريق المجمع)

أخـــــيرا..

لا يسعنا سوى أن نقول بالمعرفة والعلم وليس بالجهل ندعو إلى الحب من اجل التئام الشمل للحفاظ على هذا الوطن الجريح الذي تزامنت تداعيات حريق مكتبة المجمع العلمي المصري مع تهاوي مصرنا الغالية التي يتربص لها العدو من كل حدب وصوب لكى تسقط هذا البلد الغالي على قلوبنا فتحيا أحيا مصر أم العروبة وهبة النيل ومقبرة الغزاة التى تعاقب عليها حكام وثقافات مختلفة بلغات مختلفة فانصهرت فيها جميع الشعوب الوافدة عليها فهي تعتبر بوتقة تاريخها العميق .



تصدرت الصحف المصرية ووكالات الأنباء العالمية عناوين تعبر عن الحزن والأسى لما حدث في مصر من حريق المجمع العلمي ومنها:

ـ احتراق المجمع العلمي المصري خسارة لا يمكن تعويضها ـ عار علينا أن يبني المحتل الفرنسي المجمع العلمي المصري ويحافظ عليه الإنجليز ويحرقه أبناؤه المصريون ـ تدميره مأساة للثقافة العالمية ـ قلب مصر يحترق ـ جريمة في حق التاريخ ـ حريق يلتهم ذاكرة مصر التاريخية ـ الجهل يحرق المجمع العلمي أقدم مؤسسة علمية.



إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

ما يبطل الصوم وما لا يبطله

(ج١/ص٢٤٤/ف١٢٨)

عرض على اللجنة الاستفتاءُ التالي:

هل يبطل الصيامَ ما يلي؟:

١- إعطاء المريض حقنة دوائية تحت الجلد أو في العضل.

٢- إعطاء المريض حقنة من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل.

٣- إعطاء الحقنة في الوريد.

٤- إعطاء محلول الجلوكوز (نوع من السكر) في الوريد كعلاج، أو كمحلول لإذابة الأدوية، وكذا محلول الملح (السالاين) كمحلول لإذابة الأدوية التي تعطى في الوريد.

٥- استخدام التحاميل الدوائية وإدخالها في فتحة الشرج بين أذان الفجر وأذان المغرب.

٦- سحب دم من مريض كعلاج أو لغرض إجراء التحاليل الطبية عليه.

(أ) أجابت اللجنة عن السؤالين الأول والثاني بما يلي:

لا يبطل الصومَ إعطاءُ المريض حقنة دوائية أو من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل، وكذلك أيّما دواء يعطى بهذه الكيفية، والله أعلم.

(ب) قررت اللجنة بالنسبة للسؤالين الثالث والرابع الإجابة بما يلي:

إن إعطاء الحقنة الدوائية أو الغذائية من الجلوكوز، أو محلول الملح في الوريد لا يفطر، ولكن يحسن ألّا يتخذ ذلك حيلة لدفع الجوع، وذلك لأنّ المفطر هو ما وصل إلى الجوف أو الدماغ من فتحة طبيعية أو مباشرة، والله أعلم.

(ج) وبالنسبة للسؤال الخامس أجابت اللجنة:

إن استخدام التحاميل الدوائية وما في معناها من الحقن الشرجية المائعة، أو التي تتحلل؛ يفطر به الصائم، وعليه القضاء دون الكفارة، والله أعلم.

(د) وبالنسبة للسؤال السادس أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان يترتب على سحب الدم الضعف أو الهزال؛ يكره للصائم ذلك، ولا يفطر به بحال، والله أعلم.

استعمال الصائم قطرة العين

(ج١٦/ص٧٨/ف٤٩٠٢)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي، ونصه: أضطر أثناء الصوم لاستعمال القطرة لمرض يصيب عيني فما حكم صومي؟

أجابت اللجنة بما يلي:

القطرة في العين إذا لم يصل أثرها إلى الحلق لا تفطر الصائم بالاتفاق، فإذا وصلت إلى الحلق لا تفطر أيضًا عند الحنفية والشافعية، وذهب المالكية والحنابلة إلى أنها مفطرة، والله أعلم.

غسل الكلى هل يفطر الصائم؟

(ج١٨/ص١٥٦/ف٥٦٠٩)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي: والدي مريض بالكلى ويضطر للغسيل كل يوم، غسيل مائي يبدأ من الساعة ٨ الثامنة مساءً حتى الساعة السادسة صباحًا، فهل يحقّ له أن يصوم أو يفطر، حيث إن شهر رمضان على الأبواب، ووالدي مُصِرٌّ على الصوم.

أجابت اللجنة بما يلي:

هذا الغسيل لا يفطر الصائم، وأما بالنسبة لصيام هذا المريض؛ فإن اللجنة ترى أنه يجب الرجوع في ذلك إلى الطبيب المسلم العدل الذي يقوم بمعالجة هذا المريض والإشراف عليه، فإن رأى أن الصوم يضره فله الفطر، ثم إن كان يرجى شفاؤه- بحسب ظن الطبيب- فعليه القضاء بعد الشفاء إن شاء الله تعالى، بعدد ما أفطر من الأيام، وإن كان لا يرجى شفاؤه فعليه الفدية عن كل يوم أفطره بمقدار دينار كويتي يصرفه للفقراء والمساكين، والله أعلم.

إخراج الزكاة من المواد التموينية

(ج٣/ص٧٨/ف٧٢٣)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي: هل يجوز صرف زكاة الفطر أو صدقته من مواد التموين التي تصرفها الحكومة للناس في البلد، علمًا بأن هذه المواد تصرف بسعر أقل من سعر السوق، كما أن وزارة التجارة تخالف من يتصرف ببيع هذه المواد، وتحيله إلى النيابة العامة؟

أجابت اللجنة بما يلي:



يجوز صرف زكاة الفطر أو صدقته من مواد التموين التي تصرفها الحكومة في البلد، ولا أثر لاختلاف سعر الطعام المدعوم عن غيره لأنها إخراج عيني، فلا ينظر فيه للقيمة، وأما منع الجهات المختصة من بيعها ممن تسلمها من التموين فهذا لا يخل بماليتها، ويمكن للفقير أن يستهلكها أو يدخرها، والله أعلم.

حبس زكاة الفطر لقوم مخصوصين

(ج٦/ص٧٨/ف١٧٦٣)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي، ونصُّه:

نحن أعضاء صندوق خيري للجالية الخاصة بقريتنا، بالنسبة لزكاة الفطر يدفعها البعض على أهل قريته في فلسطين، ونستلمها في رمضان، ولا نستطيع إيصالها، أو لا نجد من ينقلها بسرعة (لتضييق العدو الاقتصادي وإجراءاته)، وربما نتمكن من إيصالها بعد العيد، فهل نأخذها بنية زكاة الفطر أم نتركها، ولا نأخذها من أصحابها حتى نبرئ ذمتنا أمام الله تعالى، وجزاكم الله خيرًا.

وأجابت اللجنة بما يلي:

الأصل والسنة إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها طيلة يوم العيد أما تأخيرها عن يوم العيد فيجوز في إحدى حالتين:

أولًا: أن يسلمها إلى جهة مأذونة لها من ولي الأمر بتقبل الصدقات وتوزيعها؛ لأن تلك الجهة صارت مفوضة عن الفقير.

ثانيًا: إذا أعدّ زكاة الفطر لقوم مخصوصين، وأخّرها لتسليمها لهم في أقرب وقت ممكن، وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «فإن أخرج الزكاة ولم يعطها قال: نعم، إذا أعدها لقوم»، المغني لابن قدامة: (٦٦٦/١).

ويجوز للجهات المأذون لها بجمع الصدقات وتوزيعها أن تتصرف بما فيه المصلحة، ولو بتبديل أعيان الصدقات المدفوعة، أو وضعها في جداول توزع بحسب الحاجة، والله أعلم.

دفع زكاة الفطر عن الخادم المقيم في بيت مخدومه

(٦٩٥٤/١٠٦/٢٢)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي، ونصُّه:

هل يلزم المخدوم بإخراج زكاة الفطر عن خادمه؟ علمًا أن الخادم يأكل ويشرب ويسكن في بيت مخدومه؟

أجابت اللجنة بما يلي:

الخادم الذي له راتب شهري أو سنوي أو غير ذلك لا تلزم صاحب العمل صدقة فطره، وإن تكفل بطعامه وشرابه ومسكنه، إلا أن يتبرع عنه، ويخبره بذلك، والله أعلم.

حبوب منع الحمل في رمضان

الموضوع (١٩٩٧/٤٠)

سئلت «لجنة الفتوى في الأزهر الشريف» السؤال التالي: يحرص بعض النساء على صيام كل أيام رمضان، ولتفادي الدورة الشهرية التي تمنع الصيام يتعاطى بعضهن أقراصًا تمنع الدورة، فما رأي الدين في ذلك؟

أجابت: رمضان شهر مبارك عظيم فيه من الخيرات والنفحات ما لا يوجد في غيره، وقد فرض الله فيه الصيام على المكلف القادر المستطيع، لينال الثواب العظيم، وخفف عن ذوي الأعذار فأباح لهم الفطر حتى يزول العذر، وعليهم قضاء ما فاتهم من أيام رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (البقرة:١٨٥).

وممن خفّف الله عنهم في رمضان المرأة في أثناء الدورة الشهرية، وفي مدة النفاس، فأوجب عليها الفطر كما أوجب عليها القضاء، والقضاء سيكون في أيام غير رمضان، والشهر الذى يجري فيه القضاء ليس له من الفضل وليس فيه من النفحات ما في رمضان، ولذلك يرى بعض النساء منع نزول الدم في رمضان ليصح الصوم ويَفُزْنَ بفضل رمضان من صيام ومن صلاة التراويح وقراءة قرآن.

ولا يوجد دليل يُحرم ذلك في كتاب أو سنة، ولا في مأثور السلف الصالح، بل جاء في المأثور عنهم أنهم كانوا يجيزون للنساء في موسم الحج أن يتعاطين ما يمنع نزول الدم حتى لا يُحْرمن من أداء الشعائر التي تشترط فيها الطهارة كالطواف حول البيت والصلاة في المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول بالمدينة، وكقراءة القرآن الكريم.

وكان منقوع شجر الأراك الذى يؤخذ منه السواك مفيدا في هذا الموضع، فوصفوه للنساء ولم ينقل اعتراض أحد عليه، ومع جواز ذلك أنصح باستشارة الطبيب قبل تناول أي دواء يمنع نزول الدم، فقد يكون فيه ضرر.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

اللّه تاجر لها في غزلها

جاءت امرأة إلى داوود عليه السلام قالت: يا نبي الله.. أربك...! ظالم أم عادل؟

فقال داود: ويحك يا امرأة هو العدل الذي لا يجور، ثم قال لها ما قصتك.

قالت: أنا أرملة عندي ثلاث بنات أقوم عليهن من غزل يدي فلما كان أمس شددت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب الى السوق لأبيعه وأبلغ به أطفالي فإذا أنا بطائر قد انقض علي وأخذ الخرقة والغزل وذهب، وبقيت حزينة لا أملك شيئًا أبلغ به أطفالي.

فبينما المرأة مع داوود عليه السلام في الكلام إذا بالباب يطرق على داوود فأذن له بالدخول وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار فقالوا يا نبي الله أعطها لمستحقها.

فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال قالوا يا نبي الله كنا في مركب فهاجت علينا الريح وأشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فهانت علينا الريح وانسد العيب ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت، فالتفت داوود «عليه السلام «إلى المرأة وقال لها: رب يتجر لك في البر والبحر وتجعلينه ظالمًا، وأعطاها الألف دينار وقال: أنفقيها على أطفالك.

ترتيلا منذر الكيالي

المحرر:
جزاك الله خيراً ابنتنا الكريمة.. فكم من متعجل لرزق ربه مع أن رزقنا في السماء، وكم من مسيء الظن بربه مع أن الله عند حسن ظن عبده به.

النصر والتمكين في اجتماع القلوب والأبدان

من المعلوم أن الأمة متى ما اجتمعت أبدانها واتحدت قلوبها، كتب الله لها النجاح والفلاح والنصر على الأعداء، ومتى ما تفرقت أبدانها واختلفت قلوبها، ضعفت قوتها وسادتها الفوضى والضياع والخسران، ومن أعظم الأدلة على ذلك أن الله أمرنا بالجماعة وعدم الفرقة والخلاف، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يسير مع أصحابه ذات يوم، وقد أنهكهم المسير وبلغ التعب بهم مبلغاً، وأصابهم الظمأ من شدة حر الشمس الساطعة أشد إصابة، فمروا بعشب وشجر، فأذن لهم النبي ﷺ بالنزول للراحة والاستظلال بالشجر، فلما نزلوا تفرقوا في الشعب وتحت الأشجار هنا وهناك، فرآهم النبي ﷺ الرؤوف الرحيم، فنهاهم عن ذلك وأمرهم بالاجتماع، وقال لهم إن تفرقكم هذا من عمل الشيطان، وقد أكد الهادي البشير ﷺ في حديث عام جامع شامل، على حقيقة يجهلها ويتغافل عنها كثير من الناس وهي من أعظم أصول وقواعد علم النفس والتربية، حيث قال خير البشر ﷺ «الجماعة رحمة والفرقة عذاب». فإذا اجتمعت الأسر والمجتمعات والأقطار والبلدان، كان اجتماعهم رحمة، وعمهم الخير والسلام والمحبة والأمان، وبذلك تزول الأحقاد والضغائن وتنتهي الغارات والحروب، فيا أمة الإسلام، والله لا نصر ولا تمكين لكم حتى تجتمع أبدانكم وتتحد قلوبكم، واعلموا أن رسول الله ﷺ عندما كان يصلي جماعة بأصحابه يقول لهم استووا اعتدلوا لا تختلفوا فتختلف قلوبكم. واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله تعالى» من هذا الحديث على أصل راسخ ثابت، هو أن اختلاف الأبدان دليل على اختلاف القلوب، وأن اختلاف القلوب هو أصل اختلاف الأبدان، وعلى الرغم من كثرة النصوص القرانية والأحاديث النبوية، التي بينت لنا الداء والدواء وخاصة في هذا المجال، لم يتنبه المسلمون لها ولم يفقهوا دلالتها الواضحة ومعانيها السامية الصافية، وكل ذلك بسبب ضحالة العلم وقلة التفقهه في الدين، وابتعادنا عن شرع ربنا الكريم، فعاشت أمتنا الإسلامية قرونا من الزمان في مستنقع الذل والهوان، فأوطاننا محتله، وثرواتنا وخيراتنا مسلوبة منهوبة جهارا نهارا كدمائنا المسفوكة وأعراضنا المنهوكة من غير خجل أو حياء، فيا من ترجون النصر والتمكين وحدوا قلوبكم كي تجتمع أبدانكم وتصولوا على الجناة البغاة صولة الفرسان في ميادين القتال، وتعيدوا لأمتكم مجدا رثيناه منذ زمان، وإن كان أكثرنا قد نسيناه أو فقدناه من الأذهان، فإلى متى؟ ومتى ينتهي هذا الحال؟

عقيل حامد

المحرر:
وهل يؤخر أمتنا العظيمة إلا الفرقة! صدقت يا أخي الكريم ولا يبقى أمامنا سوى الاتحاد في كل قطاعات حياتنا وليبدأ كل منا بنفسه فيرى إن كان لا يصل رحمه ثم يدعو لصلاة الجماعة ثم يبرز أهمية التسامي فوق الخلافات والمصالح الفردية الضيقة.



مفتاح الحياة

ملامح جميلة.. هادئة .. رقيقة .. ذات بهاء وصفاء.. فواحة الحضور تشبه في رقتها لوحة للفنان العالمي «رينوار».

استدعى جيش اشتياقه كله الذي توقف عن الحركة في كل الاتجاهات وهو يشهق من المفاجأة.. طيفها يدور في اللاوعي.. لا تقبض عليها الذاكرة من أثر حضورها الطاغي كانت المدينة تستسلم للنعاس.. وبقايا الباعة الجائلين أفواههم تتثاءب بعد أن سحبت الشمس أشعتها الأخيرة. نسيم هادئ رائق يتسلل الى رئتيه.. ازداد بريق عينيها الجميلتين الواسعتين.. وتوردت وجنتاها بعد أن سرى الدفء في أوصالها وهو يطلبها للزواج.. الإنسان لا يرى في المرآة إلا ما يريد رؤيته.. يرى الشعور وليس الواقع.. ونادرا ما يتطابق الإحساس مع الواقع.. وسط أجواء فردوسية.. أقيمت الزينات والاحتفالات بعرس كأنه ليلة من ألف ليلة.. ورزقهما الله بالبنين والبنات.. واتسعت تجارته.. وتعددت سفرياته إلى دول آسيا، كان دور الزوجة مهم جدًا في حياته.

فقد استطاعت القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها.. فهي الأم التي ترعى طفولته الكامنة.. والصديقة التي تشاركه همومه وأفكاره وطموحاته.. والابنة التي تستثير فيه مشاعر الأبوة.. والزوجة التي تعوضه عن كل نساء الدنيا.. كما نجحت في الاستحواذ عليه.

وهو الذي لم يعد يرى غيرها.. ولا يأنس إلا لها..

ولأن الطقس ليس معتدلاً طوال الوقت.. فقد تعرضت الزوجة لأزمة قلبية حادة بينما الزوج في واحدة من رحلاته البعيدة.. يتلقى هاتفا من ابنته تخبره بالأزمة التي انتابت الأم والزوجة والصديقة والحبيبة.. وعلى أول طائرة تغادر البلاد.. ومن المطار الى المستشفى في سباق مع الريح.. يتلقى صدمة مروعة في وفاة الزوجة نتيجة لأزمة قلبية شديدة.. استمر الأطباء لثلاث ساعات.. يحاولون إبقاءها على قيد الحياة بحقنها بالأدرينالين والصدمات الكهربائية.. والإنعاش القلبي الرئوي ولكن دون جدوى حين اقترب رفيق العمر من سريرها وهمس بكلمة السحر «أحبك» عادت الحياة إلى قلبها.. غير مصدقة قطع رحلته وعودته المفاجأة من أجلها.

«أحبك» كانت مفتاح الحياة.. والكلمة التي تحب سماعها.. وتعيد النبض في العروق.. أقوى من كل الصدمات الكهربائية وجرعات الأدرينالين.

أصيب طاقم الأطباء وجميع أفراد الأسرة بالذهول والدهشة.. عند عودة علامات الحياة والوظائف الحيوية في أجهزة الأم للعمل مرة أخرى.. وانتظام معدلات ضربات القلب والعودة الى عالم الأحياء.

محمد محمود غدية

المحرر:

المدهش أن البعض يبخل بهذه الكلمة البسيطة نطقًا، العظيمة أثرًا، على زوجته وأم أولاده وبناته ولا نعرف سببًا واضحًا لهذا البخل في المشاعر.. لو يعلم الناس يا أخي الكريم أهمية ما ذكرته لنا وكم يتغير سلوك الزوجة إلى الأفضل.. لسارعوا جميعًا الى غمر أسماع رفيقات دربهم بهذه الكلمة الساحرة ممتثلين لأوامر الله ورسوله التي توجهنا إلى حسن المعاشرة والرفق بالقوارير.

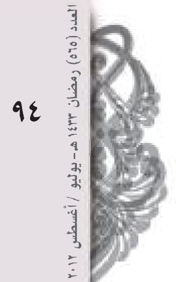
الصفوف الأولى

إذا جاز أن يكون لكل شيء مفتاح! فمفتاح هذه الأمة هو كتاب الله تعالى لما يشتمل على العناصر اللازمة، والمكونات الأساسية لخلق جيل فريد لا يصيبه الوهن ولا تأسره الشهوة ولا يقعده الألم، سيما أن الباطل مترس بعدده وعدته في جميع العصور والدهور كأنه لم يخل منه جيل قط وتلك هي سنة الدفع والمدافعة، ومن هنا كان أصحاب القرآن الذين يعملون به ويحفظون حروفه وحدوده هم أصحاب الصف الأول في المجتمع، ألم ترى أن المسلمين لما انكشفوا في غزوة حنين نادى رسول اللهﷺ على أصحابه قائلا لهم: يا أصحاب سورة البقرة.

وهو هو ذلك الذي دعا به مولى أبو حزيفة في معركة اليمامة إذ قال لأصحابه: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال حتى قال آخر في ذات الموقعة: أيهزم الدين وأنا حي؟ بئس حامل القرآن أنا، وكأن الأمة لا تنتصر إلا بحملة هذا الكتاب بل ولا تتقدم إلى الأمام وتأخذ مكانتها من الريادة والقيادة والتوجيه والتأثير إلا برجال أوفياء يحملوا هذا القرآن في صدورهم تتحرك به جوارحهم وتنطق به أفعالهم.

يكون القرآن هو محرك الأمة ودافعها الأول والأخير لما يصوغه من بناء الشخصية الإسلامية ونضجها وحسن وعيها، وسلامة إدراكها، ومتانة بنيانها حتى صرح «عمر بن الخطاب» بعد فتح القادسية بقوله: ما نغص على فتح القادسية إلا استشهاد سعد بن عبيد القارئ الذي كان ممن جمع الكتاب، إذن فأهل القرآن (والذين هم أهل الله وخاصته) هم الذين يصوغون الشهداء ويحملونهم على سنا الآيات وضوء المعاني التي بها يفتح الله تعالى بالنصر لأوليائه حتى يستعلي صاحب القرآن على الشدة ويقفز فوق الألم، فتسكن العاصفة ويتجاوز الآلام، وتخف الجراح وتلهج النفس بالثناء على فاطرها تستمطره الرحمة، وترجوه السكينة وهي مطمئنة وما تزال كذلك حتى تلتقيه.

علي مدني



رسالة إلى رئيس التحرير

السيد رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مع أطيب التمنيات
سرني ما نشرتم في العدد ٥٦٢ من مجلتكم المؤمنة عن كتابي، ولايزالون يقاتلونكم: في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان.. وحمدت الله - عز وجل - أن وصلت كلماتي

ولو كنَّ من القيان فأين حقوق الإنسان؟

من واقعنا نستمد أقوالنا وننشد ديننا ومن ذلك ما قرأته وأقرؤه بإعلامي الخليج بين فترة وأخرى عن انتحار خادمة أو اقبال بعض الخادمات على قتل في أسرة مخدومه.

وما التقيته، بنفسي وأنا بمطار دولة خليجية حيث وجدت فلبينية سال دمعها مدرارا وتواصل استمرارا وهي تهاتف جهارا.

فسألتها عن سر حزنها فعلمت منها أنها للفلبين ذاهبة وأنها لم ترى طفليها منذ عدة أعوام وأنهما الآن يصرخان في انتظار قدومها وأنها عانت وذاقت الآلام من كفيل جعلها لا تنام، وكنت أعجب من دول تدعي الإسلام وتتغنى بالإسلام أمام الأنام وترفع له الاعلام، وتزخرف ببعض مبادئه الإعلام، ثم في الحقيقة هي تمر عليه مر الكرام حيث الكثير من هؤلاء في واقع الأمر معه ألد الخصام.

فما إن يقع إنسان تحت يد هؤلاء إلا ويستعبده وبدون حقوق أو اهتمام وكأنه السخرة أو المسخرة التي تقاد باللجام، سواء من قبيل الكفالة او الاستخدام ويثقل كاهل المستخدم مشاق لم يكن يصدقها حتى المنام ومصاريف ورسوم تضيع معها الآمال ولقمة العيش بحيث يتمنى سرعة الختام.

ومن هذا الصنف البأيس الخادمات والخدام حيث شاهدت قناة تسمى الصحراء كانت تأتي بأخبار فحول الإبل وإذا بشاشتها تأتي بحديث هام لفضيلة الشيخ خلوقة بن محمد الأحمري وبعنوان «في بيتنا خادمة» وكم وفّى وللحق أدّى وقال إن الخادمة تعيش كدًا كدًا وللقيا أسرتها تعد الأيام عدًا عدًا وهي تعيش تحت قهر أسرة مكفولها فردا فردا والبعض يتخذ منها بديلا للزوجة وندا، بل والأبناء يعتلون ظهرها فحشا ولوطية ومدًا وهي في الأغلب الأعم لا تملك لهم ردًا إذ هي المقهورة المهددة قولا وفعلا وورودا، فبيتها في دولتها بحاجة ماسة لمرتبها زوجا وولدا، والحياة أمامها أقامت لها حائطا وسدا، فلا تملك دفعا أو صدا وهنا قال الشيخ إن الله سينتقم لهؤلاء بعد أن مد لمكفوليهم الإمهال مدًا، ويا قوم أين أنتم من قولهﷺ «من لا يرحم لا يرحم» «اخوانكم خولكم» وقوله تعالى «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» أين الإيمان؟ وهل عقد الخادمة ينص على استخدامها لذكور البيت وتكن جارية الجميع، فتجارى الفحل والوديع وتساحق صاحبات الخلق الشنيع؟ ياله من واقع فظيع يتخذ من الخادمة حمالة للقطيع في منظومة تداس فيها القيم وتضيع، ولم يعد الإسلام السد المنيع ويجاهر البعض بجرمه وله يذيع فتنتقم الخادمة أو الخادم أو يصبح هو الصريح ويذهب لدياره أو تذهب لديارها بمآسي ووضع مريع، حتى وإن حملت بهدايا فبأس الصنيع حيث ينتظر المجرمون أكلا من ضريع.

دكتور عصام الحسين حميد

المحرر:

لا نملك إلا الدعاء معك أيها الأخ الكريم والمعلم الفاضل بأن يرقق الله قلوب المسلمين أجمعين فيضربوا المثل كما كانوا في الرحمة والمودة.

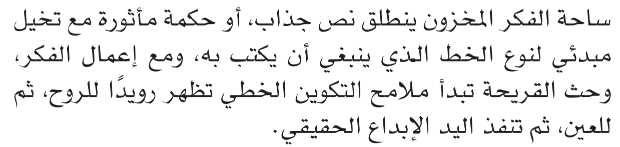
الخط العربي.. إبداع تشكيلي

الخط العربي يتمتع بإمكانات تشكيلية لا نهائية، فحروفه مطاوعة للعقل، وليَد الخطاط الحاذق إلى أبعد الحدود لما تتميز به من المد والقصر والاتكاء والإرداف والإرسال والقطع والرجوع والجمع مما لا يتوافر في أي من الخطوط في اللغات الأخرى، وهو فن يجمع الليونة والصلابة في تناغم مذهل، وتتجلى فيه قوة القلم، وجودة المداد المستمدة من النفحات الروحانية، التي تهيمن على الخطاط المبدع في لحظة الإبداع التي لا تكرر نفسها، فمن

أشتاق للبيت العتيق

رمضان أقبل
وبمكة أشواقي
مزدانة ترنو
إلى مشتاق
يحن قلبي إلى
يوم التلاقي
ليطوف ملبيًا
لذنب مطلاق
ومن زمزم الطهر
اسقني يا ساقي
ما بال إبراهيم
يطيق الفراق
يودع هاجرًا
ورضيعه الباكي
بغير زرع
ولا ماء يذاق
لكنه اليقين
بمالك الأملاك
دعا لبيت الله
بثمر وعشاق
فانفجرت العين
بمائها الرقراق
وأتاه غبر
من كل فج عميق
ليطوفوا شعسًا
بالبيت العتيق
أسماء فتحي





إلى قلوب كثير من المسلمين عن طريقكم النبيل.

د.فخر الدين قباوة

المحرر: الأخ الكريم د.فخر الدين، أسعدتنا مساهمتكم ووصلنا بحثكم القيم عن العولمة وكذلك المقالات الخاصة بالشهر الفضيل وسوف تنشر بمشيئة الله تباعًا.

ساحة الفكر المخزون ينطلق نص جذاب، أو حكمة مأثورة مع تخيل مبدئي لنوع الخط الذي ينبغي أن يكتب به، ومع إعمال الفكر، وحث القريحة تبدأ ملامح التكوين الخطي تظهر رويدًا للروح، ثم للعين، ثم تنفذ اليد الإبداع الحقيقي.

إن من يمعن النظر في الخط العربي يجد بينه وبين سائر الأشياء تشابهًا وتقاربًا نسبيًا، يميز ذلك من نبغ في فن الخط، وصار خبيرًا بأسراره وخفاياه، ومن ألطف الأدلة، وأظرف البراهين على ما للخط العربي من المنزلة الرفيعة أن الشعراء كثيرًا ما كانوا يشبهون محاسن المحبوب بأنواع الحروف العربية، فشبهوا الحاجب بالنون، والعين بالعين، والصدغ بالواو، والفم بالميم والصاد.

وعلى الرغم من كل هذه الإمكانات التشكيلية لا يجد الخط العربي الاهتمام اللائق به تعليمًا وإبداعًا.

علي إبراهيم كشك

الحرية قيمة إنسانية

يتحدث كثير من المفكرين عن وجود لونين من الحرية وهما: الحرية الطبيعية والحرية الاجتماعية. فالحرية الطبيعية هي تلك الحرية الوجودية التي فطر الخالق سبحانه وتعالى الإنسان عليها، والحرية الاجتماعية هي الحرية التي يمنحها النظام السياسي والاجتماعي القائم على منظومة أفكار ومعتقدات محددة وبحيث يكفلها المجتمع بكل هيئاتها وإداراتها لأفراده أجمعين من حرية الفكر والتعبير إلى حرية المعتقد والنقد، ولكل من الحرية الطبيعية والأخرى الاجتماعية طابعها الخاص.

فالحرية الحقيقية الطبيعية ليست شعارًا يمكن إطلاقه بسهولة للاستهلاك الدعائي بل هي ممارسة قائمة على الالتزام الأخلاقي تضمنه قوانين ونظم مؤسساتية في الدول، ولهذا فلا حرية حقيقية إلا مع وجود دولة حقيقية وعادلة ولا حرية إلا بأن نكون أحرارًا من الداخل لا أن نكون تابعين في تفكيرنا وأن نكون أحرارًا بإرادتنا وأن نكون مع الإصلاح الرشيد الهادئ العقلاني والحرية لا تعني أيضًا الانفلات السياسي ولا الغرائزي.. إنها قبل كل شيء مسؤوليتك في أن يكون قرارك من ذاتك من نفسك من قناعتك الوطنية القائمة على محبة الوطن والعلم والوعي، ولذا فإن للحرية إذن حدودًا وضوابط تتركز أساسًا على عدم الاعتداء على حريات الآخرين وعدم إثارة مشاعرهم ومقدساتهم بقطع النظر عن صحتها وأحقيتها وفاعليتها الحضارية.

محمد السيد عامر

المحرر:

نشكر إسهاماتكم الإنسانية المفيدة والحريصة على ترسيخ القيم دون إفراط أو تفريط.

ردود سريعة

- الشيخ خالد رزق تقي الدين، الأمين العام لمشايخ البرازيل، سعدنا بتحليلكم ظاهرة الاعتداء على الطفولة في هذا البلد الذي تضطلعون فيه ببذل الجهد لإظهار قيم الإسلام ونسأل الله العافية لنا ولهم.
- الفاضل فتحي موسى.. مساهمتكم «مأدبة القرآن» تلخص معاني الآيات المختارات مع تفسيرها وشرح الدروس المستفادة منها، لكنها متاحة في مصادر عديدة للمعرفة، نشكركم ونأمل في تواصل مستمر مع إسهامات أخرى لها تفردها.
- الأستاذ الدكتور أحمد عيساوي أسعدتنا مساهمتكم عن قلعة الإسلام في الجزائر لكن المسجد معاصر نسبياً ونود لو تساهم معنا في باب منارات بالكتابة عن مسجد تراثي ما، نضيء للقارئ طريق معرفته معمارياً وتاريخياً.
- الدكتور خالد راتب صدقت أخي الكريم الأمة الإسلامية إذا عاشت باسم الله ونور الهداية ستتقدم كل الأمم وتعود حضارتها لتشرق من جديد نفعاً على العالم بأسره.. جزاكم الله خيراً على المعلومات القيمة التي قدمتموها ولولا أن المجلة نشرتها من قبل لكانت مساهمتكم على صفحاتها تشرق باذن الله.
- الفضل عبدالصمد الإدريسي، مقالاتكم القيمة التي أرسلتها إلى المجلة تنم عن فكر عميق، لم يكتف بربط مشوار المفكر عبدالوهاب المسيري بصور ذهنية لمن سبقوه من عمالقة الثقافة الموسوعية فحسب، ولكنه جاء بسرد واع سهل ممتع، ومع ذلك فوفقاً لإشارتكم بأنها نشرت من قبلُ في دوريات أخرى لايمكن إعادة نشرها في «الوعي الإسلامي» طبقاً لسياسة تحرير المجلة.. نتطلع لمساهمات أخرى منكم خاصة بنا لنتشرف بنشرها.
- الفاضلة بشرى شاكر، نقدر لك حرصك على استنباط معاني الرحمة والرفق في الإسلام وتحذيرك من عواقب الشدة وإخراج الآيات عن سياقها الطبيعي لتناسب أهواء البعض.. نفعنا الله وإياك بمبادئ الشريعة السمحاء.
- الأخ الكريم محمد ثابت توفيق قصتك «مدن تعرف الرحمة في رمضان» تخاطب العقل والوجدان وتعكس همومنا جميعاً وتطلعنا إلى مراعاة المسلمين لخصوصية الشهر الكريم.. القصة طويلة لدرجة لا تسمح بنشرها وفقاً للمساحة المتاحة.. وفقكم الله لما فيه الخير دوماً.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات القراء الأعزاء ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوما.

من غرر الحكم



بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

– الأعمالُ العظيمة ما هي إلا أعمالٌ صغيرة كُتِبَ لها الاسْتمرارُ.

– أفلاطون: «ينبغي لكَ مع مَعْرِفَتِكَ بأنَّك من هذا البدن بمنزلة مَنْ هو في حبس، ألَّا ترومَ لنَفْسكَ إطْلاقَكَ منْهُ منْ قِبَلِ أنَّك لم تَحْبِسْ نَفْسَكَ فيه، لكن تنتظر الذي حَبَسَكَ فيه أن يُطْلقَكَ منْهُ» (١).

– مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُه كان كَمَن غَصَّ بالماء فلا مَساغَ له، و مَنْ خَانَه ثِقَاتُه فقد أُتيَ منْ مَأْمنه.

– مَـنْ كـان لـه مَـالٌ ولا يُنفقه في حقوقه، كان كالذي يُعَدُّ فقيرًا وإنْ كان موسرًا (٢).

– الرافعي: «لا تغضبْ من حماقة امرأة تحبّها، ولا تغضبي من حماقةِ رجل تُحبّينه، وإلا فأينَ تَدُسُّ الحياة سُمَّهَا إلا في ألذِّ أطعمَتِها؟» (٣).

– كلُّ غم كان سببًا للسرور، فهو سرورٌ، وكلُّ ظلمةٍ كانت طريقًا إلى النور، فهي نورٌ.

– عامر بن الظَّرِب: «دعوا الرَّأي يَغِبُّ حتى يَخْتَمِرَ، وإياكم والرَّأيَ الفَطِيرَ» (٤)، يريد أن على الإنسان أن يتأنّىَ في الرَّأي و يتثبَّتَ فيه حتى يستحكمَ رأيه.

– رُجوعُكَ إلى الله عزَّ وجلَّ عن ذنب قد عَمِلتَهُ خيرٌ لكَ من رجوعكَ إليهِ مع الصَّلَف (٥) من برٍّ قدْ أتَيْتَه (٦).

– ابن المعتز: «كَرَمُ الله عزّ وجل لا يَنْقُضُ حكمته، ولذلك لا يجعل الإجابةَ في كل دعوة» (٧).

– خذوا الحكمةَ ممن سمعتموها منْه، فإنه قد يقول الحكمةَ غيرُ حكيمٍ، و تكون الرميةُ من غير الرامي.

– الحكمة شجرة تنبُت في القلب، و تثمِرُ في اللسان.

– إنَّه مَنْ جمَعَ بين الحقِّ والبَاطل لم يجتمعا له، وكان الباطلُ أَوْلَى به، فإنَّ الحقَّ لم يزل يَنْفِرُ من الباطل، والباطلَ ينفر من الحقِّ (٨).

– توكَّل على الله، فهو أَوْفَى وكيلٍ، وأكْفَى كفيل (٩).

– ابن عطاء الله السكندري: «ليس المتواضع الذي إذا تواضعَ رأى أنه فوقَ ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضَعَ رأى أنه دونَ ما صنع» (١٠) أي- مثلًا- مَنْ جَلَسَ في آخر المجلس مثلًا ورأى أنه يستحقُّ الجلوس في صدره، وإنما فعل ذلك تواضعًا، فهو المتكبِّر. ومن رأى أنَّ مرتبتَه أحطُّ من ذلك وأن جلوسَه في آخر المجلس فوق ما يستحق لكونه لا يرى لنفسه قدرًا ولا رتبة، فهو المتواضع (١١).

– إنَ جوهرَ المتطور لا يقوم على التخلّي عن الثابت، و إنما على توفير العلاقة الحَيةِ والخِصْبة بينه وبين المتغيِّر (١٢).

– عندما تكتشف أمرًا بنفسك فإنَّك لن تنساه أبدًا.

– المستبدُّ برأيه موقوفٌ على مَدَاحِضِ الزَّلَل.

– مَنْ ثقَّلَ عليك بنفسه وغَمَّكَ في سؤاله، فأعِرْهُ أُذُنًا صمّاءَ وعينًا عمياءَ (١٣).

– الرافعي: «مَن خُلقَ بطلًا فلا عجبَ أن توجد له الأقدارُ من كل ما حوله مادةَ حرب» (١٤).

– محمد بن الحنفية: «ليسَ بحكيم مَنْ لم يُعَاشِرْ بالمعروف مَنْ لم يجدْ منْ مُعَاشَرَته بُدًا، حتَّى يجعلَ اللهُ له مِنْ ذلك فَرَجًا ومَخْرَجًا» (١٥).

– ليس العاقلَ الذي إذا وَقَعَ في الأمر احتالَ له، ولكن العاقلَ يحتال للأمر

حتى لا يقعَ فيه (١٦).

- لا خيرَ في طُولِ الرَّاحةِ إذا كان يُورثُ الغفلة، ولا في طولِ الكفَايةِ إذا كان يؤدي إلى المَعْجَزَة، ولاَ في كَثْرَةِ العيِّ إذا كان يُخْرِجُ إلَى البَلادَةِ (١٧).

- لا يجب عليكَ أن تقولَ كلَّ ما تعرف، لكن يجب عليك أن تعرفَ كلَّ ما تقول.

- ذو النون المصري: «ليس العَجَبُ ممن ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، إنما العَجَبُ ممن ابْتُلِيَ فَرَضِيَ».

- أَحبِبْ حبيبَكَ هَوْنًا ما، عسى أن يكون بَغيضَك يومًا ما، وأبغِضْ بغيضَك هونًا مَا، عسى أن يكون حبيبَك يومًا ما. أي: كنْ معتدلاً في الحبِّ والبغض، ولا تبالغ فيهما.

- الرافعي: «إذا لم يكن الإيمانُ بالله اطمئنانًا في النَّفْسِ على زلازلها و كوارثها، لم يكنْ إيمانًا، بل هو دعوى بالفكر أو باللسان لا يعْدُوهما، كدعوى الجبان أنه بطلٌ، حتّى إذا فَجَأَه الرَّوْعُ أَحْدَثَ في ثيابه من الخوف» (١٨).

- وكيع: «لا يكمُلُ الرجلُ أو لا ينبُل حتّى يكتبَ عمّن فوقَه، وعمّن هو مثلُه، وعمّن هو دونَه» (١٩).

- بديع الزمان النورسي: «لقد وضع الظُّلمُ على رأسه قَلَنْسُوَةَ العدالة، ولبست الخيانةُ رِداءَ الحَمِيَّة، وأُطلِقَ على الجهاد اسمُ البغي، وعلى الأَسْرِ اسمُ الحريَّة، وهكذا تبادلتِ الأضدادُ صُوَرَها».

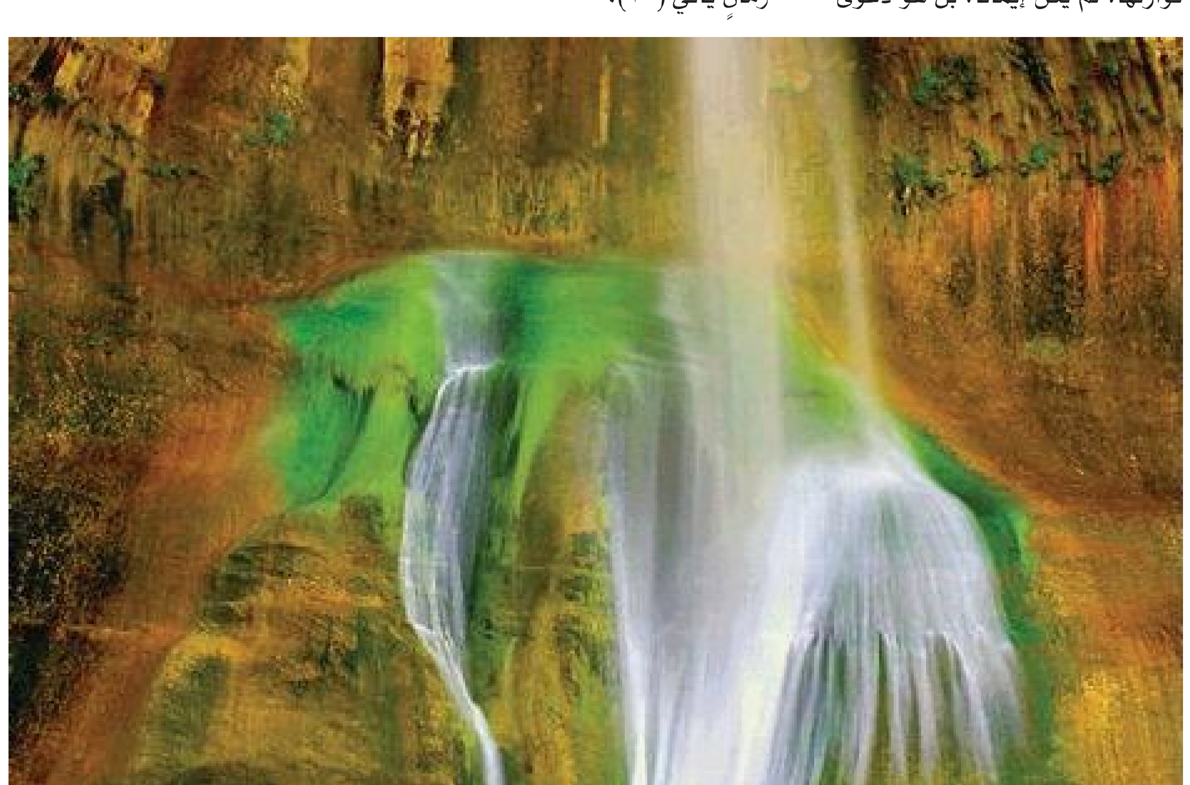
- مثَل المؤمن مثل النَّحلة، تأكل طيِّبًا وتضع طيبًا.

- المخلوق إذا خفتَه استوحشتَ منه وهربت منه، والله تعالى إذا خِفْتَه أنسْتَ به وقربت إليه.

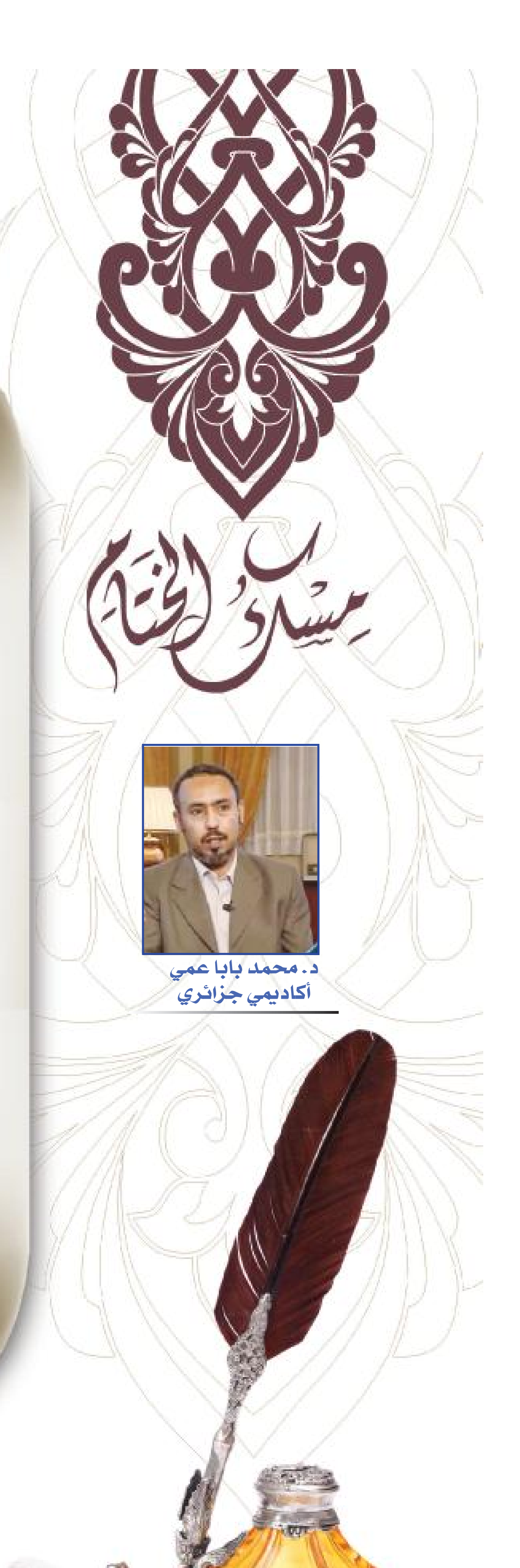
- مَعْروفُ زَماننَا هذا مُنْكَرُ زَمانٍ قد مَضَى، ومُنْكَرُ زَماننا هذا معروفُ زمانٍ يأتي (٢٠).

الهوامش

- البصائر والذخائر١/ ١١٠.
٢- كليلة ودمنة، ص ٩٨.
٣- كلمة وكليمة، ص ٣٤-٣٥.
٤- نهاية الأرب ٦/٧٧. الرَّأي الفطير: الرَّأي العجِل الذي لم يختمر بعد، مأخوذ من قولهم: عجينٌ وطينٌ فطير، وهو ما خبز أو طين به من ساعته قبل أن يختمر. و الفطير: كلُّ ما أُعْجِل به قبل نضجه. أساس البلاغة (فطر).
٥- الترفُّع و التكبّر.
٦- البصائر والذخائر٢/ ١٦٢.
٧- زهر الآداب ١/٥٩٩.
٨- التذكرة الحمدونية ١/٣٩٦.
٩- كتاب المبهج. ص ٢٩.
١٠- الحكم العطائية، ص ١٦٠.
١١- الحكم العطائية بشرح الشرنوبي، ص ١٦٠.
١٢- عصرنا و العيش في زمانه الصعب، ٤٦.
١٣- البيان والتبيين ١/ ٢٠٣.
١٤- كلمة و كليمة، ص ٣٦.
١٥- البصائر والذخائر ١/ ١٤٧.
١٦- التذكرة الحمدونية ٣/٢٦٦.
١٧- التذكرة الحمدونية ٦/٣٨٢.
١٨- وحي القلم ٢/ ٩٣.
١٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال١/ ١٦٦.
٢٠- البصائر والذخائر٤/ ١٩٩.



ويعود العيد!



د. محمد بابا عمي
أكاديمي جزائري

ويعود العيد، ليلقي بظلاله على العالَم أجمع، مسلمه وكافره، مؤمنه وفاجره، إنسيّه وجنيّه... ولينشر شذاه وعبيره عبر الأثير، فيحتفي مَن اهتدى، ويحار مَن أعرض عن طريق الهدى.

ويعود العيد، وقد سقطت عروشٌ ودُكّت جيوش، وعزّ قوم وذلّ آخرون، وفقرت عوالم وفُتنت أخرى، ومات بعضٌ منّا وأهلّت عيونُ بعض... الشمس لاتزال هي ذات الشمس، والقمر هو نفس القمر؛ ولا شيء تغيّر إلا عند بني البشر.

ويعود العيد، ومن الناس مَن آمن وعمل صالحًا، ورضي بما قدّر الله له واجتهد فيما قدَر، وأخلص النية لوجهه الكريم وصبر، وجدّ في المسير وما ضجر... ومنهم- والأسف ملءُ الجوانح- مَن أعرض واستكبر، وجاهر بالمعصية ولم يستح من خالق ولا مخلوق، ولم تنفعه العبر، فلم يثنه عن غيّه مرض ولا موت ولا فتن.

ويعود العيد، لنقول للجميع: «عيدكم مبارك، وكلُّ عام وأنتم والأمّة الإسلامية، والبشريةُ جمعاء، بخير»؛ ذلك أنّ العيد يدفعنا إلى قصد الخير وفعله، ويرفعنا بالروح الإيجابية وإحسان الظنّ بأهله، ويعلّمنا كيف نكره الكره، ونبغض البغضاء، ونفتح خندقا بيننا وبين الشحناء والرعناء.

ويعود العيد، لينحني الولدُ أمام أمّه يرسمُ قُبلة على جبينها البلوري، ويلقي التحية على والده يقبّل كلتا يديه الماسيتين، ويأوي الزوج إلى سربه بعد طول غياب، ويسافر الحبيب إلى حبيبه بأغلى التضحيات والأثمان... إنه عنوان الألفة بين القلوب، ودليل الرحمة المهداة من ربّ القلوب.

ويعود العيد، ثم يُطوَى من الأفق كلُّ شيء، في أقرب من لمح البصر: التعبُ والإنفاق، اللباسُ واللحم، السرورُ والتواصل، الابتسامةُ والكلمة، البشرُ والأضاحي... كل شيءٍ يختفي، فلا يبقى سوى «الأجر»، و«المثوبة»، و«القبول» عند الكريم المنّان القائل: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، والقائل بيانًا لهذا: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

ويعود العيد، وما لنا وللمتنبي، فحال عيدنا هنا كحاله هنالك، والعيد عيدٌ في مكة أو في دار السلام، في «مالبورن» أو في «ساندياغو»، في الجزائر أو في مدينة الإسلام... إذ التكبير تكبيرٌ، والمساجد مساجد، والمآذن مآذن، والصلوات صلوات، والحبور حبور.. كل ذلك عند الله سواء، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

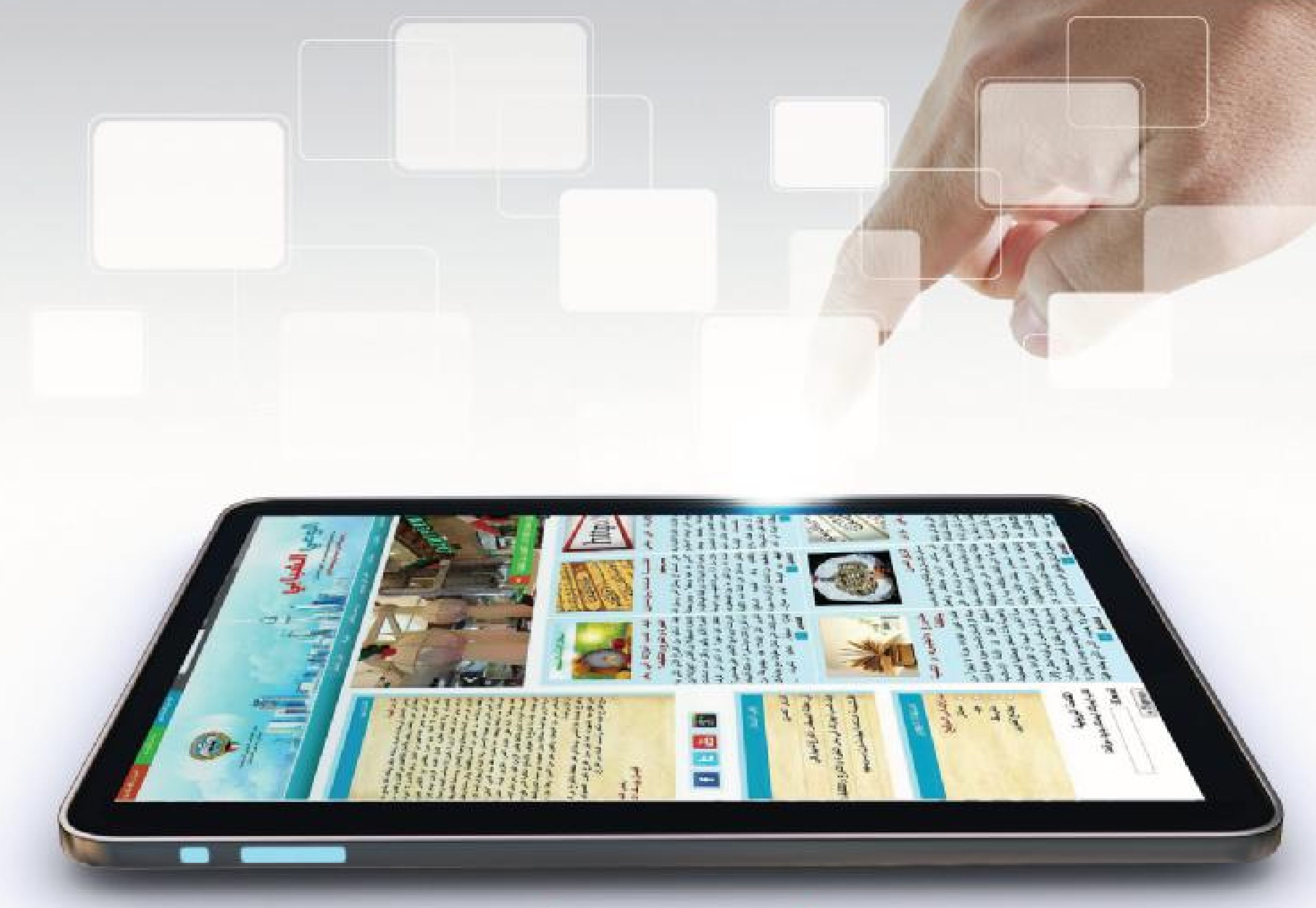
نعم، بميزان الأرض تختلف العوالم والمعايير والاعتبارات، لكن بميزان السماء لا فرق ولا فضل، إلا بمقدار القبول والرضا؛ فالمتّقي هنا مَرْضيٌّ، والفاجر مطرود؛ وهنالك لا يشفع شافعٌ لعاص، ولا يجحف مجحف حقّ مُطيع.. فهل نحن واعون، معتبرون، عاملون، عاملون؟!

ويعود العيد، وقد عاد... وسيعود... وشريط البشر يمرُّ كطابور طويل، يشرع فيه المولود وهو الأخير في الصف، ثم- بعد أمد- يختفي إذا جاء أجلُه وحلّ يومُه، بموتٍ عاجل أو آجل.. كيفما كان السبب، وأينما كان المكان، وحيثما حلّ الزمان.

طابور طويل.. طويل.. غير أن بعضًا من الناس، سيكونون يومها سُعداء بالقرب من الخلاّق ومن رحمته؛ فلا يشعرون إلا وقد غُمروا بريحان الجنان، وهم يتمرغون في سفوحها، ويطعمون أشهى ثمراتها، ويسمُرون مع أطيب خلاّنها.

أما الآخرون.. آهٍ من الآخرين.. فحالهم أبلغ من كلماتي، ومآلهم أسوأ من أن تدركه أوصافي!!

ويعود العيد، ونحن- فرادى، ومن معهدنا، ومن أكاديميتنا، ومن أوطاننا، ومن عالمنا- نحيّي كلّ أخ، وصديق، ورفيق، وعالم، وعامل، ومخلص، وصادق، ومجتهد، ومجاهد، وصابر، ومثابر... في أيّ مصر كان من العالم، وفي أيّ عصر وجد في الوجود.. ونقول للجميع: «جمعنا الله في رحمته، وأظلّنا بظله.. بعد أن يُرينا نصرًا ونصرة للمؤمنين، وفجرًا وميلادًا جديدًا للمتقين، ويومًا ومصيرًا حقيقًا لديننا الحبيب: الإسلام»..
ويومها نقول جميعًا، ونردّد: عيدكم مبارك.. مبارك.. مبارك.



اقرأ في العدد الأول من

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم هدى .
- جرائم الإنترنت على مقاس الشباب .
- أجازة سعيدة بصحة أفضل .
- كيف تضع قدمك على أعتاب النجومية .
- في عطلة الصيف أتفرغ لمهاراتي .

والمزيد من الموضوعات والتحقيقات ..

الوعي الشبابي مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا
www.shabab.alwaei.com
البريد الالكتروني
info@shabab.alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٥٦٦) شوال ١٤٣٣ هـ / أغسطس - سبتمبر ٢٠١٢ م



حوار مع عميد أول كلية تركية تدرس باللغة العربية
د.أحمد طوران

- أعلام دُفنوا في مصر وليسوا من أهلها
- بالعَوْربة نستقبل العَوْلمة
- حماية التنوع الثقافي والهوية من منظور إسلامي





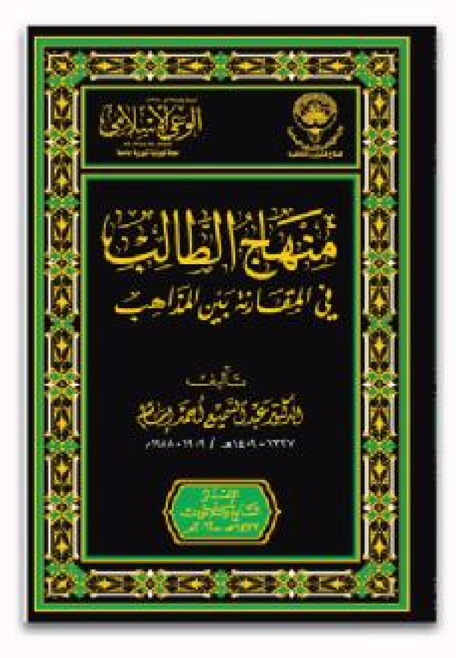
التعلم الذاتي.. واجب الوقت

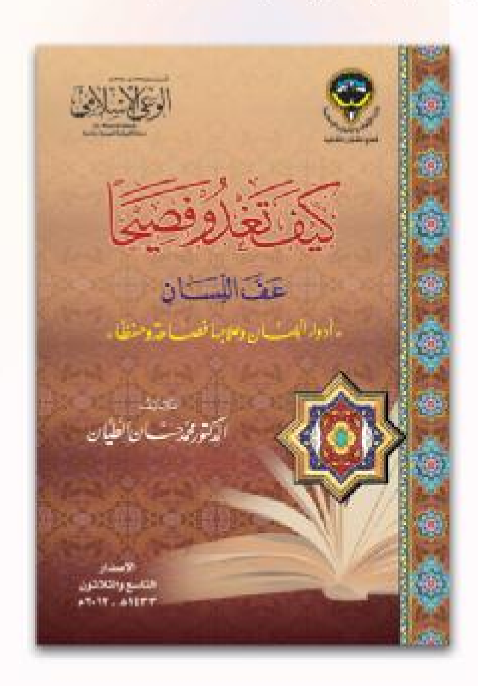
مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

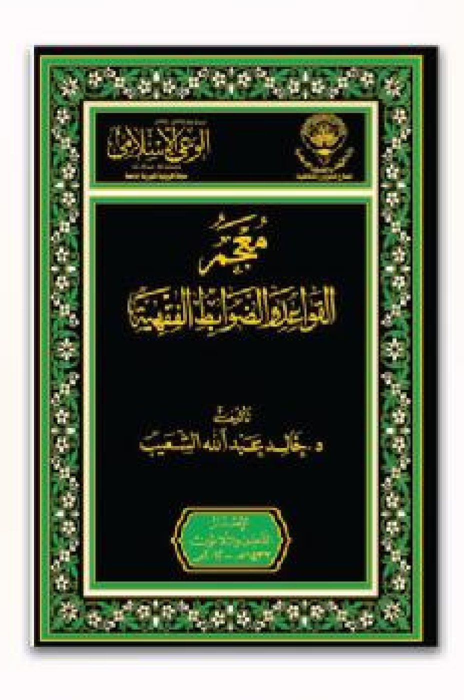


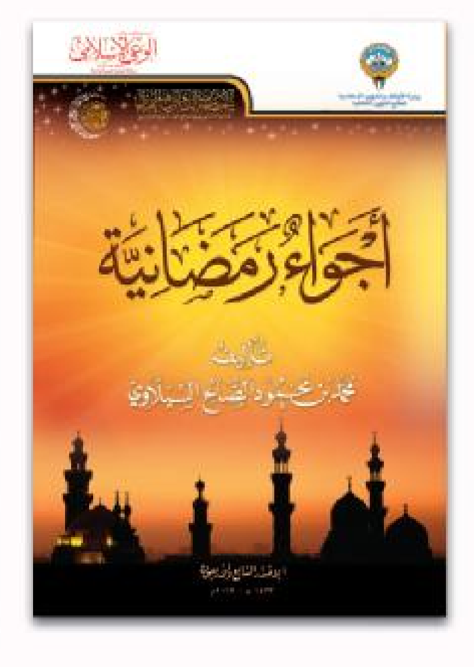


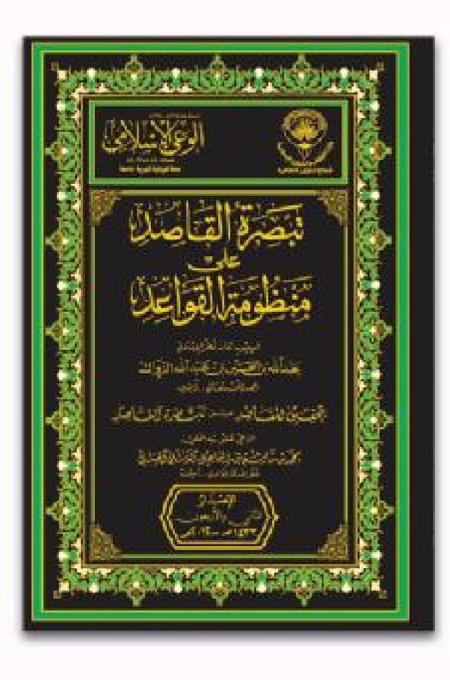
نهديكم جديد إصداراتنا













الافتتاحية

الشجرة قبل الثمرة

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



الكل يتطلع إلى الثمرة قبل الشجرة، فلم يعد للناس جَلَدٌ على درس، أو صبر على كدح، فقد استولت على النفوس الاستهانة بالمثل العليا، والمتعة اليسيرة العاجلة، وإذا تأملنا واقعنا وما نمر به من المحن والابتلاء، لاحظنا أن هناك مفاهيم غائبة عن فهم كثيرين، والتاريخ بين أيدينا حفظ لنا طرق النجاح ووسائله، وطرق الخراب ومعاوله، والواقع يعود لغياب هذه الحقائق، منها الاستعجال والتنازل، واليأس والقنوط، والخلط بين انتصار الأشخاص، وبين انتصار الأمة وظهور الحق والحقيقة، فعلينا الاعتدال في كل الأمور، فإن الزيادة عيب، والنقصان عجز، فإن خير الأمور أوسطها، وكما قال علي رضي الله عنه: «خير الأمور النمط الأوسط، إليه يرجع العالي وبه يلحق التالي».

وقال الشاعر:

لا تذهبن في الأمور فـرطا

لا تسألن إن سألت شططا

وكن مع الناس جميعًا وسطا

وعلماؤنا قد قعَّدوا قاعدة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه» وقضت حكمة الله في خلقه وأمره أنه «لكل أجل كتاب» وأن سنة الله تعالى لا تبديل لها، فمن أراد خرق هذه السنن، كانت نتائجها وخيمة، وآثارها أليمة، بل ربما أدت عجلته إلى هلكته وسوء خاتمته.

وقد وصف الله الإنسان بأنه عجول، لقصور علمه، وقلة حلمه، فأين العقول والطاقات في هذه الأمة، تساهم في كل ميدان، وتحبط محاولة كل شيطان؟ فالأمور بحاجة إلى دراسة متأنية، وتخطيط ورفق، وصبر وثبات، حتى تهدأ الثائرة وتسكن العجاجة.

ألم تر أن العقـل زيـن لأهله

وأن تمام العقل طول التجارب

صدق رسول الله ﷺ «ولكنكم تستعجلون».

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٦٦
شوال ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
أغسطس – سبتمبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية– ٤ش الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو– الطابق ٦– مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد



موضوع الغلاف

التعلم الذاتي طريق لنهضة الأمة من خلال ملء الفراغ بالعلم النافع وتحسين المستوى العلمي المتحصل سلفا والمضي على طريق النور دون انتظار لقطار التعليم الرسمي أو نظيره الخاص ودون جلد للذات.



أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها



الغزوات المحمدية في الشعر العربي القديم



تربية الأولاد في الإسلام



الأزبكية.. بركة محاطة بالقصور والحدائق

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

● اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
● لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
● سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
● الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
● مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
● المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
● مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
● الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
● المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
● سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذبية ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
● قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
● ماليزيا – شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
● الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
● تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
● المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار ●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري
●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

المتلاعبون بالعقول

لايزال كثير ممن يسمون بـ«قادة الرأي» في مجتمعاتنا يتلاعبون بعقول الناس وعواطفهم، ويوجهونهم إلى طريق مجهول غير معلوم.. في ظل حراك اجتماعي كبير تشهده دول إسلامية عدة، ما قد يترتب عليه آثار سلبية واسعة ستأكل الأخضر واليابس، دون اعتبار لمصلحة الأمة العليا.

إن تضليل عقول البشر على حد قول أحد المفكرين «أداة للقهر»؛ فهو يمثل إحدى الأدوات التي يتم تطويع الرأي العام بها لأهداف ثلة ممن يدعون «النخبوية»، ويسيرونه لقهر كل ما يخالف مشاريعهم وأفكارهم، حتى وإن كان على حساب الحقيقة والرغبة العامة.

والملاحظ أن وسائل التلاعب متنوعة، خاصة أن التكتلات التي تسيطر عليها تستخدمها لتحقيق مآربها ومصالحها، في الوقت الذي يظهر أثر مثل هذه الوسائل بشكل فعال في أوساط الجماهير.

إن العاملين في وسائل التضليل ما هم إلا رجال بيع، يحرصون على جذب الجمهور والمشاهدين بمختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة، لأنهم في النهاية يبيعون الجمهور لشركات الدعاية والإعلان.

لقد أثبت علم نفس الجماهير أن من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح، لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع، ولإخضاع الجانب الواعي والغريزي والعاطفي في الإنسان لأفكار ومشاعر معينة.

ولعل كلمة الفصل في كيفية مواجهة مثل هذه الألاعيب هي مقولة الرئيس البوسني الأسبق علي عزت بيجوفيتش: «ليس هناك دواء للصحافيين المستعدين للكذب في دولة ديموقراطية، باستثناء رفع سوية الشعب، والارتقاء بمستوى التعليم والثقافة العامة، بحيث يستطيع الناس أنفسهم تمييز الكذب من الحقيقة، والغث من السمين».

التحرير

الاشتراكات • داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



معاهدة البقط نموذج لحوار الأديان

عبدالرحمن عوض- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

لم تكن معاهدة البقط ٣١ هـ/ ٦٥١م التي أبرمت بين عبدالله بن سعد بن أبي السرح والي مصر وكاليدوزو ملك المقرة (دنقلة) مجرد معاهدة لوقف الحرب، بل كانت أول معاهدة سلام وتعايش وحُسن جوار بين العرب والأفارقة، لقد أتاحت هذه المعاهدة دخول العرب المسلمين بلاد النوبة مجتازين غير مقيمين فرصة نشر الدعوة الإسلامية، وتحويل بلاد النوبة السفلى والعليا ومملكة علوة إلى الإسلام رويدًا رويدًا حتى انهارت كنيسة دنقلة في ١٣١٦م وتحولت البلاد رسميًا إلى الإسلام بعد أن تحولت فعليًا قبلها بعشرات السنين، وربما قبل قرنين (١).

وكانت من بنود المعاهدة ما يلي:

١- إرسال النوبة ٣٦٥ رأسًا من الرقيق إلى والي مصر، من الشباب الذي يصلح للجندية أو الخدمة المنزلية أو العامة.

٢- دخول بلاد المسلمين مجتازين غير مقيمين والمعاملة بالمثل لدخول بلاد النوبة.

٣- عدم قتل أي مسلم في بلاد النوبة، واللاجئين من أهل الذمة.

٤- عدم إيواء أي عبد آبق للمسلمين.

٥- يرسل العرب للنوبة كميات من القمح والشعير وغيره.

وقد أضيفت عدة بنود بعد ذلك على المعاهدة التي استمرت أكثر من ٦٧٠ سنة، وقد اختلف المؤرخون حول مكان تبادل البقط في أسوان، وقد اتضح لنا بعد دراسة المكان أن جزيرة «فيلة» التي تبعد ٥ كم جنوب أسوان- قبل بناء السد العالي في ١٩٦٤م، كانت هي التي يتم فيها تبادل البقط، وعند بناء السد العالي غمرت المياه الجزيرة تمامًا، فنقلت الآثار إلى منطقة أعلى قبل غمر المياه، ومساحة الجزيرة كانت ٤٥٠ x ١٤٤م، كانت تختفي في الشتاء والربيع، حيث تغمرها المياه بعد بناء خزان أسوان في ١٩٠٢م (٢).

وقد التزم معظم ملوك النوبة



المسيحية آنذاك ببنود المعاهدة، وإن كانت هناك سنوات شهدت تلكؤ بعض الملوك، وتباطؤ البعض الآخر! وقد حدثت عدة تعديلات على المعاهدة، حيث طلب ملك النوبة من الخليفة المهدي العباسي ١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٥- ٧٨٥م تخفيض مقدار البقط، وأضاف المهدي بندًا جديدًا في المعاهدة وهو إرسال بعض الحيوانات النادرة من النوبة العليا للمسلمين، وقد أرسل أحد ملوك النوبة لخليفة المسلمين قردًا حائكاً!

وقد أورد المقريزي نص المعاهدة كاملة بعد تعديلاتها حتى عهده، وقد تمنت المعاهدة بعض البنود المهمة منها:

١- عدم التعرض لأي مسلم أو معاهد أو ذمي.

٢- حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون في بلاد النوبة.

٣- عدم إيواء عبيد المسلمين.

وكان هناك بند دفع دية القتيل المسلم، وهي موجودة منذ العصر العباسي الأول تقريبًا كما في بردية والي مصر موسى بن كعب الشهيرة ١٤١هـ/ ٧٥٨م وكانت دية القتيل ١٠٠٠ دينار (ألف دينار) وهو مبلغ ضخم بمقاييس ذلك العصر العباسي المبكّر (٣).

وقد اختلف الفقهاء والمؤرخون القدامى والمحدثون هل كانت المعاهدة صلحًا أم هدنة أم يُعامل النوبيون معاملة خاصة؟

وقد كان من نتائج هذه المعاهدة تسرب الثقافة العربية إلى بلاد النوبة كلها، حتى دخلت هذه البلاد في الإسلام منذ تلك المعاهدة ٣١هـ/ ٦٥١م، وتعرّبت تمامًا الآن في اللغة والثقافة العربية بكل مكوناتها وليس بينها مسيحي واحد الآن من أبنائها.

وقد كانت في أسوان جالية عربية أرستقراطية في القرن الهجري الأول، عملت على تسرب الدماء العربية والثقافة العربية والدين الإسلامي في بلاد النوبة بفضل التجار الرحّل والصناع وغيرهم من أرباب الأعمال الزراعية والتجارية والصناعية.

وبفضل القبائل العربية المتسربة إلى أسوان والنوبة، استطاع النوبيون الخروج من ربقة ملوكها الإقطاعيين، الذين كانوا يحتكرون الأراضي الزراعية وغير الزراعية في ٢٠٠هـ/ ٨١٧م على الأقل.

وقد ظهرت أول إمارة عربية في بلاد النوبة السفلى (من أسوان حتى الشلال الثاني) هي إمارة كنز الدولة أبوالمكارم هبة الله من بني ربيعة فيما بين ٣٢٣- ٤١٢هـ/ ٩٣٣م في منطقة وادي العلاقي بين البحر الأحمر شرقًا وبلاد النوبة شمالاً، وقد استمرت هذه الإمارة ألف عام حتى ١٩٣٣م وتلاشت.

هكذا كانت هذه المعاهدة خيرًا على بلاد النوبة، ونقلة حضارية جعلت بلاد النوبة السفلى إحدى المراكز الحضارية في مصر طوال العصر الإسلامي منذ ٢٠هـ حتى يومنا هذا.

وقد رفدت بلاد النوبة السفلى والعليا الفقه الإسلامي بكوكبة من الفقهاء والمحدثين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- يزيد بن أبي حبيب ٥٣- ١٢٨هـ، وهو أول مفت سوداني بمصر، ولاه الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أمر الفتيا مع ثلاثة آخرين (٤).

٢- ذو النون المصري ١٧٥- ٢٤٥هـ الصوفي الرائد، له عدة روايات للحديث.

٣- محزم بن عبدالله الأسواني المتوفى ٢٧١هـ، من أجلّة أصحاب الإمام الشافعي الآخذين عنه، كان قبطيا، وعاش بأسوان مفتيًا على المذهب الشافعي، وغيرهم من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية والشعراء والأدباء.

فالحمد لله رب العالمين الذي جعلنا مسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الغر الميامين، ومن اتبعه إلى يوم الدين.

هذه في عجالة معاهدة البقط التي مرّ على صدورها منذ عامين ١٤ قرنًا، وهي واحدة من أهم المعاهدات العربية الإسلامية التي أبرمت مع أمة إفريقية في ٣١هـ، تعد نموذجًا للتعايش السلمي وحوار الأديان التي لم تعرفه أوروبا إلا مؤخرًا منذ نصف قرن!

طبقته الخلافة الإسلامية ثم الدول الإسلامية حتى العهد المملوكي، كانت فيها الطرف الأكثر مرونة والأكثر دبلوماسية، دون إفراط أو تفريط.

وبفضل هذه المعاهدة قامت ممالك نوبية وإمارات عربية وإسلامية في السودان منها: مملكة سنّار ١٥٠٥- ١٨٢٠م، وسلطنة دارفور١٦٣٧- ١٩١٦م، ومملكة تقلي ١٥٧٠- ١٨٨٢م، وإمارة كنز الدولة (الكنوز) ٩٣٣- ١٩٣٣م وغيرها من مشيخات وعشائر.

وهي تحتاج منّا إلى دراستها في مؤتمرات وندوات دولية متخصصة، للاستفادة منها في بؤر الصراع الممتدة في آسيا وإفريقيا.

الهوامش

١- تاريخ الثقافة العربية في السودان. د.عبدالمجيد عابدين- ص ٢٥- دار الثقافة- ط٢- بيروت- ١٩٦٧م.

٢- معاهدة البقط- عبدالرحمن عوض- ص ٩- القاهرة- ٢٠٠٩م.

٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي المقريزي- ص ٢٠١- الذخائر ٥١- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ١٩٩٩م.

٤- لمحات من الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده- د.عبدالمجيد عابدين- ص ٥٨- ط١- القاهرة- ١٩٦٤م.

القيم السياسية في الإسلام

محمد فؤاد - كاتب مصري

ولد الإسلام في مكة، ومنها انتقل إلى المدينة، ومن هناك انتشر في جميع أنحاء العالم عن طريق الفتوحات بفضل قيمه السامية الثابتة التي ترتفع بشأن ومكانة الانسان والمجتمع، وقد قامت الدولة الاسلامية على مجموعة من القواعد والقيم أبرزها القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية، ومن أهم وأبرز القيم السياسية في الاسلام قيم الحرية، العدالة، الانتماء، الانخراط، التسامح.

الحرية

تمثل الحرية أهم القيم التي يسعى الإنسان المسلم وغير المسلم إلى الحصول عليها، وتندرج لفظة الحرية في الكتابات السياسية المعاصرة تحت مفهومين، أولهما الحرية السلبية التي لا تتعدى غياب القيود وانتفاء الإكراه المادي والمعنوي، وثانيهما الحرية الإيجابية التي تعني حصول الفرد على حقوقه وامتيازاته، ويتضح من المفهوم الثاني تميز الحرية عن غيرها من القيم الأخرى بسمات عدة منها «القدرة على الاختيار أو المفاضلة بين الأشياء المادية والمعنوية، الخصوصية حيث لا توجد حرية فيما يستطيع كل الناس أن يتمتعوا به كالهواء مثلا، فضلًا عن القدرة الإنسانية على تحقيق الأهداف»، وهناك علاقة طردية بين قيمتي الحرية والكفاية، وفي ذلك يقول د.عمار علي حسن في كتابه القيم «التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر»: تزداد حرية الفرد حين تزيد فرص إشباع حاجاته.

وقد كان الإسلام واضحا في هذه النقطة تماما حين أقام مبدأ الحرية على دعامتين أساسيتين أولاهما تأمين الإنسان من الجوع، وثانيهما تأمينه من الخوف، وتعتبر الحرية السياسية رافدًا من روافد الحرية العامة، ويعرفها د.عمار علي حسن في كتابه سالف الذكر بأنها مجموعة من المبادئ التي نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير المدنية، وتقوم الحرية السياسية في الإسلام على مجموعة من القواعد والأسس من بينها «حق الشعب في اختيار نوع الحكم الذي يريده ويناسبه، اختيار الحاكم بكامل إرادته ومحاسبته وردعه عن طريق الأجهزة النيابية والإعلامية، سحب الثقة منه وعزله حسب دستور محدد، جماعية القيادة أي عدم استئثار فرد واحد أو فئة معينة أو طبقة خاصة بالحكم، التزام الحكام برأي الجماعة أو الأغلبية، إزالة جميع أنواع التمييز بين أبناء الشعب، حق الفرد في الوصول إلى جميع المناصب في الدولة، أن يكون الفرد آمنا على حياته وماله وكرامته في ظل سيادة القانون، حرية الفرد في إبداء رأيه السياسي، وحرية التجمع والاجتماع وتشكيل الأحزاب والهيئات والجمعيات الأهلية وغيرها، بسط الدولة لسيادتها على أراضيها وعدم خضوعها لسيطرة دولة أو دول أخرى».

العدالة

العدالة هي القيمة الأساسية في الفكر السياسي الإسلامي وجوهره، وهي أيضا الفضيلة التي تنطوي تحتها كل الفضائل السياسية الأخرى، وحولها تدور كل تعاليمه وأحكامه الشرعية، وهي لديه فريضة واجبة وضرورة من الضرورات الاجتماعية والإنسانية، وليس حقًّا من الحقوق، ويمثل فرضها معيارًا للعلاقة السليمة بين الرعية وأولي الأمر، وتعرف الشريعة الإسلامية العدل بأنه مضاد الظلم والجور، ويتضح مما سبق ذكره قيام العدالة في الشريعة الإسلامية على جوانب قانونية وسياسية واجتماعية وإدارية، وتتمثل هذه الجوانب في عدل الولاة في الرعية، وعدل القضاة في المتحاكمين، وعدل الإنسان في أهل بيته، وحق المواطن في المشاركة في اتخاذ القرارات المجتمعية، وبناء على هذه الجوانب أو القواعد يقسم المفكرون العدالة إلى نوعين، الأول: العدالة التبادلية التي تقوم على المساواة المطلقة بشكلها الرياضي البحت، والثاني: العدالة التوزيعية التي تقوم على مبدأ الاستحقاق- أي أن يحصل كل فرد على ما يستحقه وفق إمكاناته واستعداداته وظروفه.

المساواة

تمثل المساواة الضلع الثالث في مثلث القيم الإسلامية العظيمة، حيث تشكل مع الحرية والعدالة المثل العليا التي يصبو الإنسان إلى تحقيقها منذ أول الحقيقة، وتعني المساواة بمفهومها العام وجود حالة من التماثل بين أفراد المجتمع أمام القانون بغض النظر عن الميلاد أو الطبقة الاجتماعية أو العقيدة الدينية أو الثروة أو الجنس أو المهنة.

الانتماء

تعتبر قيمة الانتماء من القيم السامية التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام أو في غيره من الرسالات السماوية والأديان الوضعية، ويعني

بها انتساب الإنسان إلى قيمة أو فكرة أو رمز أو مؤسسة اجتماعية بهدف الحصول على السعادة التي يشعر من خلالها بأهمية حياته وفائدتها وحماية نفسه من الصراع والضياع، وقد تجسدت قيمة الانتماء فيما يعرف في المؤلفات السياسية بالوطنية، أي الانتماء للوطن أرضًا وتاريخًا وحضارة، وانتماء الفرد إلى الوطن يدفعه إلى العمل الجاد والمشاركة البناءة في سبيل تقدم ورفعة بلاده، وبغير هذا الشعور قد ينزلق الإنسان في الاتجاه المضاد، ويصبح متطرف التفكير والسلوك، بل تثار علامة استفهام حول هدف حياته، وعلى وجه العموم فإن قيمة الانتماء تتجلى في عدة مظاهر من بينها تشجيع الصناعة المحلية، والاعتزاز باللغة الوطنية والزي الوطني، والالتفاف حول علم يمثل رمزا للدولة، والتمسك بالقيم العامة التي تتفق عليها الجماعة الوطنية، والاستعداد للتضحية من أجل الوطن حين يتعرض للأخطار، بل يذهب البعض إلى حد اعتبار التسامح في المجتمعات التي تتسم بفسيفسائية عرقية أو لغوية أو دينية أو غيرها هو دليل على الانتماء، إذ إن التعصب يشكل ثغرة واسعة ينفذ منها العدو الطامع إلى الصفوف المتراصة والمنتظمة فيمزق وحدتها ويبدد شملها ويفرض سلطاته عليها، لأنه يجد في التعصب تربة خصبة يبذر فيها بذور الشقاق.

الانخراط

تعني قيمة الانخراط المشاركة بصفة عامة من خلال المنظمات الحكومية أو الجمعيات الأهلية في المشروعات القومية التي تحقق رفاهية الإنسان والمجتمع، كما أنها تعني التعاون القائم على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية من أفراد المجتمع ومنظماته وقياداته والتي تنبع من اتجاه اجتماعي ومبادئ ثقافية وأخلاقية، أما المشاركة السياسية فتكمن في الأنشطة التطوعية التي يشارك بها الفرد بقية الجماعة الوطنية في اختيار الحكام وصناعة القرار وصياغة السياسات العامة بصفة

هناك علاقة طردية بين مستوى التأثيرات السياسية للفرد و الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها

مباشرة أو غير مباشرة، وتشمل هذه الأنشطة الانتماء إلى الأحزاب السياسية والترشح في الانتخابات والتصويت والإسهام في الحملات الانتخابية، والتبرع بالمال لتعزيز خيار سياسي معين، وحضور الاجتماعات السياسية، وإجراء اتصالات بشخصيات سياسية رسمية، وكتابة الخطب وإلقاءها، والقيام بالدعاية لصالح حزب سياسي معين، أو حركة اجتماعية، والمشاركة في النقاش والجدل العام، وجمع المعلومات حول السياسات المحلية والدولية. وهناك عوامل عدة تحدد الرغبة في المشاركة ومستواها ودرجتها وشكلها، يمكن عرضها على النحو الوارد بكتاب د.عمار علي حسن سالف الذكر على النحو التالي:

١- هناك علاقة طردية بين حجم مشاركة الفرد ومستوى المثيرات السياسية التي يتعرض لها في حياته.

٢- هناك علاقة طردية بين مستوى التأثيرات السياسية التي يتلقاها الفرد وبين الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ففي المتوسط العام فإن أبناء الطبقة المتوسطة يتعرضون لشواغل سياسية أكبر من أبناء الطبقة العاملة.

٣- يختلف مستوى الاهتمام السياسي للفرد تبعا لاختلاف الثقافة السياسية السائدة في المجتمع والتي تسهم في صياغة معرفة الأفراد بشؤون السلطة والحكم وصناعة القيم التي تترسخ في نفوسهم، وتشكيل اتجاهاتهم السياسية.

٤- في الغالب الأعم يميل الأفراد الأقل تعليمًا إلى تجنب المعلومات السياسية ورفضها في إطار ما يدور في أذهانهم من أوهام عن التمسك بكل ما يحمي الذات ويصون الهوية، لاسيما إذا كانت هذه المعلومات من النوع الذي يناقش بعض ما يعتقده الفرد حيال نفسه أو معتقداته الدينية.

٥- يرتبط الاهتمام السياسي بالنوع لاسيما في الفئات الأقل تعليما حيث ينشغل الذكور بالسياسة بدرجة أكبر من الاناث.

٦- يقود ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي للشخص إلى تعزيز شعوره بالثقة بالنفس ومن ثم رسوخ الاقتدار السياسي لديه، وسعيه إلى تنمية معارفه بالمجال العام، وإحساسه بأن بوسعه أن يؤثر في مجريات الأمور ويقوم بما عليه من واجب حيال وطنه.

٧- يؤدي شعور الإنسان بالاغتراب إلى تدني رغبته في المشاركة السياسية لأنه لا يثق في السياسة والسياسيين، ويحس باللاجدوى من الانخراط في أي عمل إيجابي.

٨- يميل الأشخاص القريبون من التجمعات والتنظيمات السياسية مثل العاملين في مختلف أجهزة الاعلام والمحامين إلى المشاركة السياسية أكثر من هؤلاء الذين يعملون في مهن بعيدة نسبيا عن الساسة والسياسة.

٩- تتزايد المشاركة السياسية بتقدم العمر لتصل إلى ذروتها في منتصفه، ثم تبدأ في التراجع مع زحف الإنسان نحو الشيخوخة الهادئة حيث يتضاءل الوقت الذي يخصصه الإنسان لممارسة النشاط السياسي، وتضعف صحته فتخذله حين يحاول بذل أي مجهود تتطلبه الحياة السياسية بتعقيداتها وتشابكاتها.

١٠- يقبل سكان المدن على المشاركة السياسية أكثر من قاطني الريف لأن أهل المدن أكثر تعرضا للمعلومات السياسية، وترتبط طبيعة المهن التي يعملون بها بالمجال العام أكثر من ارتباط أعمال الفلاحة.

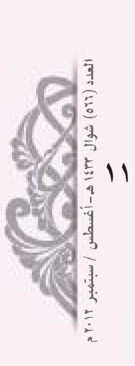


«الوعي الإسلامي» التقته أثناء زيارتها لجامعة الفاتح بإسطنبول

عميد «العلوم الإسلامية» د.أحمد طوران: نرسخ التعليم دينيًّا على أرفع مستوى علمي

حوار: وائل الحنبلي

في زيارة قامت بها مجلة «الوعي الإسلامي» لكلية العلوم الإسلامية بجامعة السلطان محمد الفاتح في إسطنبول، التقينا بالدكتور أحمد طوران أرسلان عميد الكلية التي أسست حديثا، وهي أول كلية تتم الدراسة في أقسامها باللغة العربية على مستوى تركيا بقرار جمهوري، باعتبار أن جامعة الفاتح تابعة للمديرية العامة للأوقاف، أي تندرج تحت هيكل رئاسة وزراء الجمهورية التركية، وللجامعة مجلس أمناء برئاسة: الأستاذ الدكتور حكمت أوزدمير الذي يعمل مع فريقه على تطورها يومًا بعد يوم وقد انصب الحديث حول وضع التعليم الديني في إسطنبول، خاصة مع الإشراقة الجديدة التي قدمتها الكلية في هذا المجال بمستوى علمي راق كما تفرع الحديث إلى تفاصيل الدراسة في الكلية وعدد طلابها وسنوات دراستها والهدف من إفراد اللغة العربية كلغة تعليم لأول مرة في تركيا منذ عشرات السنين.. وإلى تفاصيل اللقاء:





■ بداية، نود أن تشرح لنا الهدف الأساسي من إنشاء الكلية؟

- كلية العلوم الإسلامية التي تم افتتاحها تحت سقف جامعتنا حسب متطلبات العصر تهدف إلى ترسيخ التربية والتعليم في المجالات الدينية على أدق وأعلى مستوى علمي في بلادنا ولعلكم تعلمون أن الإنسان اهتم بالدين والعقيدة في كل زمان ومكان، وأحس بالحاجة الماسة إليهما منذ أن وجد في هذا العالم، ولذلك أنشأ عبر التاريخ مؤسسات تعليمية منهجية كثيرة رسمية كانت أو شعبية حتى يلبي حاجاته العقلية والروحية.

إن كليتنا تهدف إلى تنشئة أجيال مخلصة في التمسك بالقيم الإسلامية الأساسية، وفي إطار شمولية ديننا وسماحة لا تستبعد أحدا وتقدر كل إنسان، وتعتبر كل موجود هو من أمانات الخالق، ولذلك تطور وتجدد معلوماتها بصورة مستمرة، وتضع نصب أعينها أن خدمة الناس هي الهدف السامي، وتستطيع اتخاذ قرار صائب في ضوء ما تعلمه وبمنطق قوي وبثقة في النفس عالية.

■ على أي أساس تم اختيار اللغة العربية للتدريس بالكلية؟

- أحب أن أؤكد أن كليتنا بميزتها هذه تكون هي أول كلية تتخذ من العربية وسيلة للتدريس بهذا المجال في تركيا، أما السبب فيكمن في أن من أهدافنا الأساسية تمكن طلابنا من الوصول إلى مستوى عالٍ في معرفة اللغة العربية تحدثًا وكتابة إلى جانب المستوى الأكاديمي العلمي؛ ولذلك نهتم بنشاطات ثقافية وأكاديمية تساعد على تحقيق هذا الهدف، كما وضعنا بين أهدافنا تعليم إحدى اللغات الغربية التي أصبحت ضرورية في هذا العالم الذي تحول إلى قرية صغيرة.

■ نرى أن التطوير المستمر بات يشكل هاجسا في مجال التعليم بتركيا؟

- هذا حقيقي، فنحن نريد أن تتكامل البرامج الدراسية برؤية الإدارة المنفتحة على التجدد والتطور حسب الحاجات والإمكانات، وفي هذا الإطار نهدف لتجهيز طلابنا لحياتهم المستقبلية بتلبية طلباتهم وحاجاتهم.

■ كم يبلغ عدد الطلاب الدارسين وهل جميعهم من داخل تركيا؟

- عدد الطلاب ٨٠ دارسا (٦٠ من الداخل و٢٠ من خارج تركيا) يقوم بتعليمهم ١١ملعما بدرجة بروفيسور، وأستاذ مساعد.

■ وماذا عن مدة الدراسة في الكلية؟

- مدة الدراسة ٤ سنوات إضافة إلى سنة تحضيرية قبلها فيكون المجموع ٥ سنوات. وبعد أربع سنوات تتخرج أول دفعة تكون مؤهلة لتدريس اللغة العربية والعلوم الإنسانية.

■ ما هي الأوقاف المؤسسة للجامعة؟

- المديرية العامة للأوقاف قامت بتأسيس جامعة السلطان محمد الفاتح من أجل التعليم في مجالات العلوم الاجتماعية والهندسية والمعمارية والفنون الجميلة وتضم الأوقاف المؤسسة للجامعة كلا من وقف السلطان محمد الفاتح ووقف سنان آغا بن عبدالرحمن إضافة إلى وقف الوالدة نور بانو سلطان ووقف خديجة سلطان وأخيرا وقف الحاج عبدالعزيز آغا بن عبدالله.

■ وماذا عن الكليات الأخرى التي تضمها الجامعة ؟

- الجامعة تضم كلية الآداب وكلية الفنون الجميلة وكلية الهندسة إضافة إلى كلية العلوم الإسلامية التي نحن فيها الآن.

طلاب الكلية يزورون المجلة

زار وفد من كلية العلوم الإسلامية مجلة «الوعي الإسلامي» في مقرها بالكويت الشهر الماضي بهدف التعرف على دور المجلة التاريخي في التنمية الحضارية.

وقد استقبلهم رئيس التحرير، حيث قدم رئيس الوفد درعًا تذكاريًا للمجلة.







سيناريو الإعلام المطبوع في الألفية الثالثة (٢-٤)

الإعلام المطبوع.. إلى أين؟

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

«إعلامنا المطبوع في الألفية الثالثة.. الواقع والتحديات» تحت هذا العنوان تحدثنا في الحلقة الأولى عن التطورات التي يشهدها العالم بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وانعكاساتها على الصحافة المطبوعة المعاصرة في الوطن العربي ومخاوف انقراضها بفعل التكنولوجيا الحديثة، وذكرنا تأكيدات الخبراء بأنها بمنأى عن الاندثار في المستقبل القريب.. لنواصل في هذه الحلقة الحديث عن الدور الذي تمارسه الصحافة العربية حاليًا ولاسيما أن توفير المعلومات كانت ومازالت المهمة الأساسية لوسائل الإعلام بجميع أشكالها، والإعلام المطبوع جزء من منظومة متشعبة أصبح الجديد يلاحقها يومًا بعد يوم؛ ليضعه في مواجهة الوسائل الجديدة، إلى التفاصيل..

فـي كـتـابـه «الإعــلام والاتــصــال في المجتمعات المعاصرة» يتحدث د.سليمان صالح، رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام- جامعة القاهرة، عن تأكيد كثير من علماء الاتصال أن الوظيفة الأساسية للصحافة ووسائل الإعلام هي تغطية الأحداث الداخلية والخارجية وتوفير المعلومات عن هذه الأحداث بشكل سريع ومتميز، وهذه المهمة أطلق عليها أستاذ علم النفس السياسي هارولد لازويل اسم «مراقبة البيئة»، والتي تعني العمل على نقل المعلومات؛ لأن الحصول على الأخبار أصبح ضرورة للإنسان لكي يستطيع أن يحيا في المجتمع المعاصر، وأن يصدر أحكامًا صحيحة تلبي احتياجاته؛ لذلك تم النظر إلى وسائل الإعلام على أنها الوسيلة التي تنقل الأخبار، وتعتبر قدرة الوسيلة الإعلامية على النقل السريع للمعلومات المقياس الأساسي للنجاح والتميز.

ويرى سليمان أنه لكي تستطيع وسائل الإعلام أن تقوم بوظيفتها الأساسية للمعرفة فلابد أن تغيّر نظرتها إلى الإنسان، فتتعامل معه كمواطن وعضو في المجتمع، ومن ثم يحتاج إلى المعلومات التي يستطيع أن يستخدمها في تطوير حياته الاجتماعية وفي الحياة داخل



مجتمع يرتبط به ويشارك في بنائه وتطويره.

التوعية والحشد

وعن الدور المفترض أن يقوم به الإعلام المطبوع، قال د.عبدالعزيز السيد، رئيس قسم الإعلام بجامعة جنوب الوادي المصرية: الإعلام المطبوع له دور رائد، ويمكن أن يلعب دورًا في التوعية والحشد الجماهيري، وتقديم القضايا المجتمعية ومناقشتها وطرح أفضل الحلول لها؛ بشرط أن تكون ظروف العمل مناسبةً لخلق مناخ يساعد على إنجاز وتحقيق الهدف والدور المنشود، ومواجهة المعوقات التي تحول دون ذلك.

ورأى السيد أن الدور المنشود من الإعلام على مستوى الواقع السياسي العربي يختلف من سياسة تحريرية إلى أخرى، ومن طبيعة الخطوط الحمراء الموضوعة أمام الصحفيين والعاملين في تلك الصحف، وأمام تلك الضغوط المهنية والوظيفية والاقتصادية، إضافة إلى تقاليد المؤسسة وسياستها وأخلاقيات المحررين، ونمط تفكيرهم وأيدولوجياتهم الثقافية، والتشريعات والقيود تحول دون تقديم الصحف الأدوار بالشكل المطلوب، فالقيود والضوابط كلها عوامل تؤثر في طبيعة الأدوار التي لابد أن يؤديها الصحافيون في المجتمع، كل ذلك من إفرازات البيئة الصحافية العربية.

وأكد أن الدور الذي يؤديه الإعلام المطبوع في المجتمع من معرفة الحقائق والمعلومات تأثر في الفترة الأخيرة بظهور الشبكات الاتصالية، وأدوات الإعلام البديل كالإنترنت، ومواقع الصحف العربية والمدونات، مشيرًا إلى أن دور الصحف سيظل متدنيًا مع ازدياد المستوى التعليمي وخاصة الإلكتروني، وازدياد المستوى الاقتصادي؛ لأن تلك الفئات ستتصرف عن متابعة الصحف المطبوعة، وتتجه إلى الإلكترونيات.

وعن تقييم أداء الإعلام المطبوع في المجتمع، قال د.السيد: إننا نفتقد إلى الموضوعية التي تؤثر بشكل كبير في أداء الوظائف المجتمعية للصحافة، فالموضوعية لا تتحقق بنسبة ١٠٠٪ في أي صحيفة سواء حزبية أو قومية أو خاصة، والدليل على ذلك أن كل أخبار الصحف الأولى في مختلف الجرائد يتم معالجتها بشكل انتقائي وفقًا لسياستها، حيث تقدس كل صحيفة شيئًا وتخلص له، فالصحف الحزبية تقدّس الحزب المنتمية إليه، والخاصة تقدّس الممول، والقومية تقدّس السلطة الحاكمة.

د.عبدالعزيز السيد: يجب أن يعود إلى الجماهير وليس السلطة أو جماعات الضغط والمصالح

وتابع: الصحف نجحت في دور التوعية الصحافية بالمجتمع على المستوى التاريخي، على عكس الواقع المهتز لها اليوم، مشيرًا إلى ضرورة أن يعود دورها مرة أخرى ليرتبط باهتمامات ومصالح الجماهير وليس السلطة الحاكمة، وجماعات الضغط، والمصالح الخاصة، ورأس المال، والسلطة السياسية.

أما الأدوار التي يجب أن يؤديها الإعلام المطبوع في المجتمع على المستوى الحرفي، فأكد على ضرورة أن تطور الصحف من نفسها وفقًا للتغيرات المحيطة بها، والعمل على تطبيق الإعلام الاستقصائي، والبعد عن الطريقة القديمة في معالجة القضايا والمشكلات المجتمعية، وأن يؤدي دور «الحارس» الذي يمنع الجريمة أو الكارثة قبل حدوثها، لا أن يكون هو مشعلها.

تقييم ذاتي

من جانبه، قال صلاح عبدالصبور، أمين عام الاتحاد العربي للصحافة الإلكترونية: إن الإعلام المطبوع في الوطن العربي يظل المصدر الرئيسي للمعلومات، ونسبة كبيرة من الجمهور حتى مستخدمي شبكة الإنترنت لا يستغنون عن الصحف المطبوعة؛ نظرًا إلى أنها تمثل درجة كبيرة من المصداقية: نتيجة ارتباط كثير من الصحافيين والكوادر الصحافية المعروفة بها، وكذلك كُتاب الرأي، مشيرًا إلى أن وجود إعلام جديد من خلال شبكات الاتصال أو الفضائيات الموجودة، أسهم في الحد من أدوار الإعلام المطبوع بسبب عدم مواكبته السرعة المطلوبة في الأحداث.. لذلك يواجه الإعلام المطبوع تحديات كبيرة لإرضاء الجمهور، في ظل وجود وسائل أخرى أكثر تأثيرًا وإرضاءً، سواء عن طريق الفضائيات التي تقدم تحليلات لمصادر متنوعة قادرة على التحليل والتفسير، وكذا استضافة كبار الصحافيين من مختلف الصحف والانتماءات لتحليل القضايا الملحة، إضافة إلى الأدوار الطبيعة التي يقوم بها الإعلام في المجتمع، وهي أدوار تثقيفية وتنويرية من خلال عرض الأحداث وتحليلها، وتحريك الرأي العام في اتجاه معين.. وجنبًا إلى جنب تسير الصحف الإلكترونية مع الفضائيات في استقطاب جمهور الصحافة المطبوعة، وهذا لا يعني أن دور هذه الأخيرة قد اختفى، لكنه تأثر نسبيًا، وباتت مطالَبة بإعادة تقييم ذاتها لخلق أدوار جديدة تعيد بها القارئ.

وأكد عبدالصبور أن الإعلام سواء كان مطبوعًا أو إلكترونيًا له أدوار متشابهة، وهي بحث الأوضاع وتحليلها وتفسيرها، وتقديم الرأي والرأي الآخر، وتزويد الرأي العام بمعلومات حول قضايا مختلفة، وإن كان المحك الرئيسي هو تقديم المعلومة بشكل أسرع، وتقديم أكثر من خدمة، وهذا موجود ومتوافر أكثر في التلفزيون، أما «الإنترنت» فأصبح يقدم كل شيء عن طريق النص الفائق، في حين أن الإعلام المطبوع معتمد على المحتوى والصورة فقط، والذي يميزه هو تقديم خدمة رخيصة تستقطب الجماهير إليه.

ورأى أن المسألة مرتبطة بقدرة المستخدم على استخدام الوسيلة من عدمه، قائلًا إنه في فترة انقطاع الإنترنت كانت الفضائيات رقم واحد في كل شيء، بينما كان يتم توزيع الصحف كتوزيع المنشورات قديمًا، ففي ظل اختفاء كل الوسائل نجد أن الإعلام المطبوع قادر على القيام بكل وظائفه وأدواره، وفي تواجدهم يتأثر دوره ويواجه تحديًا كبيرًا.



.. وضاقت الدائرة

أدركني يا رب!

د. إيمان عادل عزّام - أكاديمية سعودية

منذ ما يزيد عن عشر سنوات انتقل إلى رحمة الله تعالى أحد الأفاضل من منسوبي كلية التربية بالمدينة المنورة، وفي ساعة وفاء أراد زملاؤه تحرير عدد خاص لتأبينه في نشرة أسبوعية تصدرها العلاقات العامة بالكلية، وطلبوا من الجميع المشاركة.

كنتُ إحدى القائمات على تلك النشرة، لم أكن أعرف المتوفّى، ولكني قرّرت الكتابة لأني أعرف ما يكفي لكي أكتبه في مثل هذا الموقف، كتبت يومها مقالاً أخاطب به نفسي وغيري على السواء.

ومضت الأيام سراعًا، وضاقت الدائرة، فصرت أعرف أكثر من يرحلون، ثم ضاقت الدائرة أكثر، فصار بعض من يرحلون ممن أحبّهم، ثمّ ضاقت أكثر وأكثر، وكلما ضاقت الدائرة؛ كنت أتذكر ذلك المقال الذي كتبته من ذلك المكان البعيد، خاصة العبارة الأخيرة منه التي كتبتها يومها بقلمي، لكني أصبحت أرددها عبر الأيام تارة بدموعي وتارة بروحي، وفي كل حال فقد صرت أخاطب بالمقال نفسي أوّلًا ثمّ أوّلًا ثم أوّلًا، وغيري ثانيًا..

قلت يومها: ركبت قطار الحياة، هو نفسه ذات القطار الذي ركبه الأستاذ الكريم

السؤال الذي مازال يؤرقني .. من تراهم أصحاب المحطة القادمة..؟

منذ سنوات، وركبه أبي الحبيب قبل أن يرحل منذ ثلاثة أعوام.. وركبه أستاذي الجليل الدكتور محمد العيد الخطراوي قبل أن يغادره منذ أيام، إنه قطار من نوع خاص، عرفت ذلك تمامًا منذ البدء حين أذيع قانونه، وأعلن نظامه بوضوح وبصوت عال يسمعه الجميع.. نظام محكم مثالي، فاز من اتبعه، وشقي من احتال عليه.

قالوا: إنه قطار سريع.. لا يتوقّف متى أراد ركّابه، إنما يتوقّف متى أريد له، فينزل أقوام بعينهم، ويبقى آخرون، ولا يجمع الراحلين جامع، فمن بينهم: شيوخ مسنّون.. وشباب في عمر الزهور.. وأطفال صغار.. قد أعذر من أنذر.

استمعت النداء، وجلست في مقعدي المحدّد لي، ومكثت ساعة أرقب من حولي.. بعضهم في سبات عميق.. وآخرون تشغلهم الحياة.. فتاة تقرأ كتابًا كريمًا.. طفل يلعب في دلال.. وآخر في عينيه ذهول، عرفت بعد حين أنه لا أمّ له. شاب يحتال ليأخذ مقعد جاره.. وآخر يسرق حافظة نقود..

على بُعد.. أرى كبارًا وصغارًا.. رجالًا ونساءً.. شبابًا وشيوخًا، كلهم في ازدحام.. يتدافعون بقوّة.. شيخ كاد أن يسقط.. لم يلحظه أحد. امرأة حبلى على كتفها طفل، ووراءها اثنان، أخاف عليهم شدّة الزحام! كلّهم أخذ شيئًا لا أدري ما هو؟ فبالكاد أراهم، ولكني رأيت وجوههم في طريق عودتهم إلى مقاعدهم، وعجبت لشأنهم! وجوه ضاحكة، لا يحمل أصحابها إلا القليل.. وأخرى عابسة، وأيديهم مثقلة بما تحمل.

فجأة.. يتوقّف القطار.. ينزل أقوام.. تسود لحظة صمت، وحالة وجوم، أسمع عويل امرأة، وبكاء طفل، وخفقات قلبي بين جنبيّ.. يسير القطار، تمرّ ثوان، ترتفع الأصوات، ويبدأ الصخب من جديد. ويظلّ القطار يسير، تزداد سرعته، تصير السنة شهرًا، والشهر يومًا، واليوم ساعة.. نعم، أذكر.. هكذا أذاعوا في قانون القطار يومها.

يمضي وقت.. يتوقّف القطار من جديد..



يخفق قلبي كما لم يخفق من قبل.. ويْلي أعرف من نزل!.. نعم أعرفه من بعيد.. قديمًا كنت لا أعرفهم.. واليوم أعرفهم من بعيد.. وغدًا.. ؟ وبعد غد..؟ أقطع تفكيري هربًا مما قد يصل إليه.. تسكن نفسي إليّ.. يسير القطار من جديد..

يسير ويتوقّف.. تعود الحياة وترحل.. تخلو مقاعد كثيرة.. ويأتي الغد الذي هربت منه.. ويرحل عني أبي وشيخي وقدوتي في ليلة رمضان المبارك منذ ثلاث سنوات، أبي محبّ المدينة المنورة.. يعرفه الكبير والصغير.. الغني والفقير.. امتلأ قلبه بحبّ رسول الله ﷺ وآله وأصحابه وجيرانه، حبًا لا يتصنّعه أو يتكلّفه، وإنما أوتيه بمحض فضل من الله تعالى، منحه الله تعالى قلبًا رحيمًا ويدًا مبسوطة في الخير، وافاه الأجل ليلة رمضان عام ١٤٣٠ هـ وتحقق حلمه في أن يدفن في جوار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة التي أحبّها حبًّا شديدًا.. سماءها وأرضها وأهلها وساكنيها، ودافع عن آثارها ومساجدها وجبالها دفاع العالم الغيور؛ فأحبته المدينة المنورة وأحبّه أهلها، واستجاب الله دعاءه، فأكرمه بأن دفن في تربها العطر ببقيع الغرقد..

رحل أبي- رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة- وفي فجر الأول من رمضان المبارك امتلأت جنازته بالمساكين يبكون أباهم ويغالبون أسرته وأبناء صلبه على حمله وإنزاله إلى مرقده في بقيع الغرقد..

ربي.. بركانٌ في الصدرِ
يشتعلُ الجوفُ كما الجمرِ
وزفرتِ الروحَ مع الزفرِ
لكني أومنُ بالقدرِ
وأنك مالكُ كل الأمرِ
أدركني ربي بالصبرِ..

وتابع القطار المسير.. ومنذ أيام قليلة في منتصف شعبان المكرّم غادرنا أستاذي الجليل الدكتور محمد العيد الخطراوي- رحمه الله وأسكنه فسيح جناته- درّسني في مرحلة البكالوريوس عدّة مقررات في اللغة العربية، كان رجلًا موسوعة، درس ليسانس في الشريعة ثم في التاريخ ثم في اللغة العربية التي عشقها واستقرّ مقامه بين حروفها، كان الدكتور الخطراوي من القلائل في عالمنا العربي الذين يعشقون ما يدرّسون، فيورّثون تلاميذهم ذلك العشق، فيكون العلم حقيقة نافعة، لا كلامًا يسوّد به وجه القرطاس، أو منهجًا علينا إنهاؤه.. لا أعرف أحدًا درّسه الدكتور الخطراوي إلا وقد ترك بصمته عليه بتلك الروح المرحة القوية المعطاءة، الدكتور الخطراوي- رحمه الله- علم من أعلام الأدب والشعر في السعودية بلدنا الحبيب، وله موقع على النت يمكن لمن يريد معرفة المزيد من شعره ومؤلفاته أن يطالعه، أحبّ- رحمه الله- المدينة المنورة وخدمها بمؤلفات عديدة، وأحبّته المدينة المنورة، فآوته معزّزًا ومكرّمًا إلى تربها الطاهر بجنة البقيع في يوم فضيل فيه تغفر الذنوب بفضل الله تعالى وكرمه وإحسانه.

رحم الله الدكتور الخطراوي، ورحم الله أبي وأسكنهما الفردوس الأعلى من الجنة مع حضرة النبي ﷺ وصحابته والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

نزل أستاذنا في محطّته، وكان أبلى بلاء حسنًا في قطار الحياة..

وتابع القطار المسير.. ويبقى السؤال الذي مازال يؤرّقني جوابه كلما خلا مقعد في قطار الحياة.. السؤال الذي شغلني منذ مقالي الأوّل.. السؤال الذي لا يودّ أحد سماعه، كما لا يعرف أحد جوابه.. من تراهم أصحاب المحطّة القادمة..؟

نسأل الله حسن الخاتمة.



حماية التنوع الثقافي والهوية من منظور إسلامي (٢/١)



د.حسن عزوزي
أكاديمي مغربي

مما لاشك فيه أن الثقافة تتخذ أشكالًا متنوعة عبر الزمان والمكان، وهذا التنوع يتجلى في أصالة الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية وكذا في تعددها وتفاعلها.

ويتزايد تنوع هذه المجتمعات يومًا بعد يوم، مما يستدعي التفاعل المنسجم والرغبة في العيش المشترك بين الأفراد والمجموعات ذات الهويات الثقافية المتعددة والمتنوعة.

وبالرجوع إلى إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي نجده يشير إلى أن التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي، وحيث إن التعددية الثقافية لا يمكن فصلها عن وجود إطار ديموقراطي فإنها تيسر المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة العامة، وإذا كانت الحقوق الثقافية جزءًا لا يتجزأ من حقوق الإنسان التي هي حقوق عالمية ومتكافلة فإن من حق كل شخص أن يتمتع بالقدرة على التعبير عن نفسه والإبداع في كل المجالات، كما أن له الحق في تعليم وتدريب جيدين يحترمان هويته الثقافية احترامًا كاملا فضلا عن الحق في ممارسة تقاليده وأعرافه الثقافية الخاصة المميزة.

إن إعلان اليونسكو عن التنوع الثقافي يكفل حرية التعبير وتعددية وسائل الإعلام والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والثقافي والحضور الكامل في وسائل التعبير والنشر وهي مفاهيم وقيم تعتبر في إطار القانون الدولي ضمانات للتنوع الثقافي.

ولذلك فإن كل إبداع ينهل من منابع التقاليد الثقافية لابد أن يزدهر بالاتصال مع الثقافات الأخرى، ويعتبر إحياء تراث الشعوب بمختلف أشكاله ونقله إلى الأجيال القادمة طريقًا لتغذية الإبداع الإنساني بكل تنوعه والتحفيز على تأسيس حوار حقيقي وفعال وهادف بين الثقافات يخدم الأهداف الإنسانية ويساهم في إقرار ثقافة العدل والسلام والحوار بين الحضارات والأديان.

إن المفهوم الدولي للتنوع الثقافي يؤكد على أن تهتم السياسات الثقافية لبلدان العالم بإتاحة الظروف المواتية لإنتاج ونشر صناعات وخدمات ثقافية متنوعة تكون لها القدرة على إثبات الذات على الصعيدين المحلي والدولي، ولذلك يعهد إلى كل دولة تحديد السياسة الثقافية التي ترجو من ورائها تنفيذ إسهامها الطبيعي في التنوع الثقافي.

الحفاظ على التنوع الثقافي

يوجد في الحضارة الإسلامية ضرب من الأدب يعرف بأدب الاختلاف الذي هو خلق إسلامي ومظهر إيجابي من مظاهر الحضارة الإسلامية، إنه يؤكد على قيم الحوار وأدب الخلاف في الإسلام، لما في ذلك من إنصاف للخصم واحترام للرأي الآخر وتفصيل لأسس التنوع الثقافي الذي حافظت الحضارة الإسلامية عليه عبر القرون، ولم يسبق أن حفظ حق التنوع الثقافي وكفلت حرية التدين كما حدث في ظل الحضارة الإسلامية، ومهما تم خرق هذا الحق في بعض الأحيان خلال عصور التراجع الحضاري فإن هذا الحق يعتبر من الثوابت التي لا تتغير.

وقد وردت في القرآن الكريم نصوص متعددة تؤكد التنوع وتدعو إلى قيمه وتؤصلها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)، وقوله عز وجل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

إن الإسلام ينكر نزعة المركزية المغرضة التي تريد العالم نمطا واحدًا والإنسانية قالبًا واحدًا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة: ٤٨)، فهو سبحانه قد خلق البشر للتنوع والاختلاف لكن لن يتحقق المراد من هذا التنوع إلا إذا كان هنالك حوار يرسخ قيم التوافق والتعاون والتعايش بين أتباع الحضارات والثقافات المختلفة، وهذه القيم تنبني على ثلاث



قواعد:
- قاعدة الاحترام المتبادل.
- قاعدة احترام الخصوصيات.
- قاعدة التسامح.

لقد تميزت الحضارة والثقافة الإسلاميتان بتركيزهما على اعتبار «طلب العمل فريضة على كل مسلم» وأن «الحكمة ضالة المؤمن»، مما ساهم في إغناء التراث الإنساني في شتى حقول العلوم والفنون والآداب، لقد حرصت الشعوب الإسلامية عبر التاريخ على إظهار رغبتها وتأكيد إرادتها في المشاركة في إغناء الرصيد الثقافي الإنساني على أساس من احترام حقوق الإنسان وصون المقومات المادية والمعنوية للكرامة الإنسانية واعتبار التنوع الثقافي والحق في الاختلاف مقومًا أساسيًا من حقوق الإنسان كما شرع لها الإسلام وحددتها القوانين الدولية.

إن نظرة الإسلام إلى الحق في التنوع الثقافي نابعة من كون القيم الروحية النابعة من مصدر ديني هي وحدها الكفيلة بتوجيه أنماط السلوك الحضاري الهادفة إلى صيانة الحضارة الإنسانية من الانحلال، وهو ما يقتضي التعرف على الآخر والاعتراف به، إذ بدون احترام الآخر في اختلافه لن يكون لقيم كالسلام والعدل والكرامة الإنسانية ولا للتسامح والمحبة والتآخي أي معنى، فثقافة السلام - مثلا - التي هي أحوج ما يكون العالم إليها اليوم بعد المستجدات العالمية الأخيرة تستوجب مبدئيًا الإقرار بمشروعية الاختلاف واعتباره أمرًا طبيعيًا بين الناس، ودليلا على التنوع الثقافي والحضاري، كما تستوجب أيضًا الإقرار بالتعددية في المعتقدات الدينية والهويات الثقافية، ولاشك أن أول ما يترتب عن الإقرار بمشروعية الاختلاف والتعدد الثقافي الالتزام بالحوار سبيلا إلى التفاهم ومنهجًا في التواصل والتعاون.

إن المقارنة الدينية هي الوسيلة المثلى للحفاظ على التنوع الثقافي وصيانته، لأن كل ما تم بناؤه على أساس من التوجيهات الدينية والمقاصد التشريعية للديانات السماوية يكون ذا جدوى ما دام ينبع من ذات الإنسان نفسه ولا يفرض من الخارج، وهو ما يكفل رفع الحواجز النفسية التي تعوق العمل على احترام وحماية مبادئ التنوع الثقافي وحث الدول على مراعاتها وإدماجها في سياساتها الثقافية والتنموية وأخذها بعين الاعتبار في علاقاتها مع الشعوب والأمم الأخرى.

الحوار الحضاري

إنه لا يمكن تصور حوار حقيقي بين الثقافات والحضارات إذا لم يكن هناك إقرار بمبدأ التنوع الثقافي، ومهما كانت هناك بعض وقائع الصدام والصراع، فالأمر ليس قدرًا محتومًا لأن العنف والجهل بالحقائق والخوف من الآخر ليست أمورًا حتمية بل هي نتاج للتربية والثقافة التي ينشأ عليها الفرد وتطبع سلوكه وردود أفعاله، ولذلك كان لابد في إطار التفاعل الحضاري من التمسك بالهوية الحضارية وحماية الشخصية الثقافية، ولاشك أن في كفالة الحق في التنوع الثقافي تأكيدًا على الخصوصية الثقافية لكل شعب من شعوب العالم وإبرازًا للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية التي تشكل في مجموعها الهوية الإنسانية العامة القائمة على أساس وحدة الجنس البشري ووحدة الصفات المشتركة.

من جهة أخرى تتأكد خصوصية كل ثقافة في إغناء التراث الإنساني من خلال الاقتناع بعدم وجود ثقافة راقية وأخرى منحطة، فلكل ثقافة غناها المتميز وثراؤها الخاص، جاء ضمن مبادئ وأهداف الإعلان الإسلامي للتنوع الثقافي:



إن لكل ثقافة قيمتها ومكانتها وإسهامها في إغناء التراث الثقافي الإنساني وأنها معنية بالعمل على تجسير هوة عدم الفهم بين الحضارات وعدم إخلاء الساحة للتوجهات المعادية وللهجمات المغرضة لتستمر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين والتجني على العقيدة السمحة.

إن الإسلام ينكر نزعة المركزية المفرطة التي تريد العالم نمطًا واحدًا، والإنسانية قالبًا واحدًا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف، فالمركزية الدينية التي تريد العالم دينًا واحدًا يشجبها الإسلام ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾(المائدة: ٤٨)، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ (هود: ١١٨).

إن الإسلام يرمي إلى حماية التنوع الثقافي والحفاظ على التعددية الحضارية في إطار سياسة تعاون دولي مبنية على أسس الحوار والسلم ونبذ منطق الهيمنة والقوة ويتضمن في الوقت ذاته إدانة العنف والإرهاب بشتى أشكاله ومصادره.

إن المنظور الإسلامي في حماية التنوع الثقافي والحفاظ على الخصوصيات الثقافية ينطلق من رؤى ثابتة تقضي بتحقيق أسس التفاهم والتحاور بين الدول والشعوب، إذ لا حوار إذا لم يكن هناك احترام للخصوصيات الثقافية التي تسمح بإيجاد تنوع ثقافي خصب تتلاقح من خلاله التصورات الثقافية لكل حضارة من الحضارات، ويمكن تقديم بعض هذه الرؤى من خلال ما يلي:

أ- إن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدرًا للنزاع ونبذ الآخر بل سبيلا إلى توسيع الأرضية المشتركة التي يشترط تحققها الاعتراف بالآخر وتفهم مشكلاته ومقاصده وإدراكه على قدم المساواة وعدم استهدافه بالتمييز أو التحقير أو الإلغاء.

ب- إن حماية التنوع الثقافي تقتضي من جميع الأطراف الاقتناع بكون القيم والقواعد المشتركة أساسًا للحوار وسبيلا للتلاقي والتعاون بدل المجابهة، والانفتاح بدل الانغلاق، والتفاهم بدل التجاهل، وإذا كان لابد من الاعتراف بأنه لا تزال توجد غربة فكرية للمسلمين عن الحضارة الغربية وغربة فكرية أعمق للغربيين عن الإسلام، فإن هذه العوائق يمكن أن تتبدد كلما كثرت اللقاءات الحضارية والثقافية بين الجانبين.

لا حوار حقيقيًّا إذا لم تحترم الخصوصيات الثقافية.. والتعارف الحضاري مبدأ قرآني

ت- ينبغي الاستناد إلى القيم الأخلاقية في الثقافات المختلفة في إعداد وصياغة منظومة عالمية للأخلاق والاعتراف بالمصادر المتنوعة للمعرفة، وبالتنوع الثقافي بوصفها سمات رئيسة للمجتمع الإنساني كرصيد لا غنى عنه لتقدم الإنسانية.

ث- إن صيانة وحماية قيم التعدد الثقافي لا تشكل ذريعة لإقصاء الآخر واستبعاده، فالتعارف الحضاري الذي هو مبدأ سام ونبيل دعا إليه القرآن الكريم يرمي إلى التواصل والتعارف بين الأمم والشعوب انطلاقًا من الخصوصيات الثقافية والتعددية الثقافية.

ج- لابد من احترام الشعائر الدينية والكتب المقدسة عند أهل كل دين باعتبار كل ذلك أصولا ومرتكزات للديانات التي تؤمن بها مختلف الأمم والشعوب، ولاشك أن احترام التنوع الثقافي والإقرار به يقتضيان عدم تشويه صورة الآخر وتمييع حقائق دينه والمس برموزه ومقدساته.

ح- إن حماية التنوع الثقافي للشعوب غير المتقدمة وإعادة الاعتبار لتراثها الثقافي وخصوصياتها الحضارية مدخل لتعزيز ثقافة السلام وإرساء سبل التكافل الثقافي الكفيلة بإظهار روح التعاون والتضامن اللذين هما عنوان الإقرار والاعتراف بالتنوع الثقافي وحقوق الآخرين.

خ- إنه لا وجود من حيث المبدأ لثقافة التربص أو المؤامرة عكسًا لما قد تفضي إليه الأحكام المسبقة ضد الثقافات والحضارات والصور النمطية للشعوب والأمم مع مواصلة الدعوة إلى الإفادة من مزايا العولمة وتلافي سلبياتها ومفاجآتها المحتملة.

د- إن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدرًا للنزاع والتوتر ونبذ الآخر بل سبيلا إلى توسيع الأرضية المشتركة ودعم فرص التوافق والتلاقي وتقليل الفوارق وحل النزاع بالطرق السلمية، وبالمنهج القائم على الحوار المؤدي إلى زيادة الوعي بالقيم المشتركة بين الشعوب جميعًا.

ذ- إن حصيلة التراث الثقافي المادي وغير المادي الذي يراعي التعدد الثقافي في جميع أبعاده هو الذي يشكل الإرث المشترك للإنسانية جمعاء والذي تستلهم منه ما يقوي أسباب التفاهم الدولي ويوفر فرص الحفاظ على الأمن العالمي.

إن مواجهة تحدي العولمة في سياق الحديث عن حق التنوع الثقافي تفرض حشد جميع الجهود لترسيخ الثوابت والمسلمات التي يؤمن بها المسلمون والإسهام في تعزيز قيم التعدد والحوار والتعارف الحضاري الذي دعا إليه القرآن الكريم من خلال الآية القرآنية ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وهو مبدأ إنساني حضاري مهم له أكبر الدور في ردع النزاعات والصراعات من جهة وتقريب الأفكار والمسافات ونسج أواصر التعارف والتفاهم بين الأمم والشعوب من جهة أخرى.

إنه بالتعارف والتواصل والاعتراف المتبادل يمكن تقريب الشقة بين مختلف الثقافات والحضارات وجعلها ينفتح بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد يسمح بالإقرار بالتعددية والتنوع الثقافي والاعتراف بما لدى الآخر من مقومات الإنتاج الثقافي والإبداع الحضاري.



التعلم الذاتي..واجب الوقت

لم تعد لدينا حجة كي نهمل أنفسنا ونحرمها من العلم الذي هو نور.. جامعات عبر الألياف الضوئية والكيبلات البحرية.. تخصصات في كل مجال.. وكتب مبسطة ومحاضرات عامة وأساتذة يبحثون عن متعلمين يعلمونهم ولا يريدون منهم جزاء ولا شكورا..

قديما كان التواصل مع المعلمين وأصحاب الخبرات مكلفا والآن صار شبه مشاع- على الأقل عبر الإنترنت- وصار بوسعك كرب أسرة أن تلفت نظر أفراد أسرتك إلى تلك البوابات السحرية للمعرفة.. الطفل له بوابته حيث متعة المعرفة واللعب التعليمي المفيد والمرأة لها بوابتها ومنتدياتها الخاصة في أمور دينها ودنياها والبالغون لهم التثقيف المناسب الذي يحول- بإذن الله- بين المرء وقلبه في هذه السن الحرجة.. يمكنك أن تدرس اللغة وأن تتقنها عبر أكاديميات تعليم تفاعلي ظهرت حديثا مثل «ملتقى الدارين» ومجانا لوجه الله.. يمكنك بدء مشوار الدراسات العليا بمصروفات بسيطة تبعا لجامعة عريقة مثل جامعة القاهرة.. يمكنك ذلك إذا أخلصت النية لله وحده وضيعت الفرصة على الشيطان؛ فرشّدّت مشاهدة فضائيات اللهو واللعب والزينة والتفاخر، إلى أقصى حد. مع إيجاد البديل الذي يشغل وقت فراغ الصغار بما هو مفيد من بوابات المعرفة والمتعة في آن واحد. أحد المعارف خاض هذه التجربة- قد تستحق لفت الانتباه- وقام بإيصال جهاز كمبيوتر بشاشة تليفزيون منزله بعد أن فصل مستقبل القنوات نهائيا وصار ينتقي هو ويعود أولاده على انتقاء ما يريدون مشاهدته عبر «اليوتيوب» وبقية الملتقيات والصفحات التفاعلية.. نجحت التجربة وإن قابل في البداية امتعاض الزوجة والأولا، ثم صار كل شيء على ما يرام بعد أيام.. يقول هذا الأخ: كل شيء أصبح متاحا الآن وما علينا إلا حسن الاختيار، لا التلقي الأبله لكل ما يفرض علينا فرضا، لأننا إذا أردنا أن نتعلم ذاتيا فعلينا أولا أن نتخلص- ذاتيا أيضا- مما يملأ أوقاتنا بالباطل.

إن «الوعي الإسلامي» عندما خصصت ملف هذا العدد لمحور التعلم الذاتي لتؤكد حرصها على نهضة الأمة عن طريق ملء الفراغ بالعلم النافع وتحسين المستوى العلمي المتحصل سلفا والمضي على طريق النور دون انتظار لقطار التعليم الرسمي أو نظيره الخاص ودون جلد للذات لا يفيد قدر ما يبث اليأس، ودون استعجال لنتائج كبرى بعد بذل مجهودات صغرى، ومع مراعاة سنن الله في الكون. وتعرض «الوعي» في هذا الملف لتجارب واقعية لشباب علموا أنفسهم بأنفسهم في منازلهم حتى وصلوا إلى كليات مرموقة، ولا أحد ينكر أن كاتب العبقريات عباس محمود العقاد علم نفسه بنفسه حتى صار على ما هو عليه وهناك آخرون ساهموا بجهدهم في تعليم أبناء منطقة كبيرة في جنوب مصر اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي. كما لم ننس الربط بين التعلم الذاتي والعمل الذي يستتبعه، فلا قيمة للعلم إن لم ينتفع به.

ولا يخفى على أحد موقف الإسلام من التعلم الذاتي، فكما تقول الدكتورة أندي حجازي: قد شجع الإسلام على العلم من خلال البحث في علوم الدين والدنيا، بل والسفر لاكتسابها أحيانا.

علاء الدين عبدالفتاح



أهميّة العِلم والعمل لخدمَة الإنسانية

هناء ثابت – باحثة في الدراسات الإسلامية

ها نحن نضع بين يديك أيها القارئ الكريم اللآلئ النفيسة ونقدّم لك من جواهر العلوم والمعارف ما يهيئ لك بناء التربية الصحيحة في نفوس أولادك وأهلك ومجتمعك على أحسن وجه، من خلال ما سطّره الإسلام من تعاليم لأجل توفير أحسن الرعاية الطيّبة لكلّ البشرية، وما يؤهّل لكلّ سالك الخروج من المآزق الحرجة والمسالك الضيّقة سالمًا مسلمًا.

فما أنت فاعل؟ بعد أن هديت إلى الرشاد، وعلمت ما لم تكن تعْلَم، أنت مطالب بعد أن اقتنيت هذه المجموعة الضخمة من الجواهر الثمينة، ببناء المستقبل الأخلاقي الباسم، والإسلام يطالبك بدفع الثمن!!

أتدري ما ثمن هذه الحِكَم والمواعظ؟؟

الثمن هو التنفيذ والتطبيق.. الثمن هو العمل بعد العلم.

فيا بناة المستقبل: ثمن العلم هو العمل، وهو سلوك الطريق السوي بعد الاهتداء على ضوء مصابيح الهداية، هو السير في مضمار العناية بالأخلاق وفق المناهج المخططة للسير المستقيم:

العلم والعمل محورا السير وشريكان في قرن لا يصلح أحدهما بدون الآخر، ومَثَلُ العلم كالمصباح المنير ومَثَلُ العمل كالشّخص الفَذ البصير، فمتى استضاء البصير بالنور تركّزت لديه قواعد الحياة وفق مناهج السير السوي ونالت الإنسانية رغبتها في سبيل مجد المستقبل!!

روي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى حي من قيس أعلّمُهم شرائع الإسلام فإذا قوم كأنّهم الإبل الوحشية، طامحة أبصارهم، ليس لهم همّ إلاّ شاة أو بعير، فانصرفت إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عمّار، ما عملت؟» فقصصت عليه قصّة القوم وأخبرته بما فيهم من السّهوة.

فقال: «يا عمّار، ألا أُخبرك بأعجب منهم؟ قوم علموا ما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم».. فعمّار بن ياسر يعجب من إنسانية ضيّقة لا تعرف في الحياة من هم لها أكثر من الشاة والبعير وانغماس في حدود هذه المادّية الضيّقة.. الشاة أو البعير وتفتنها موارد هذه الثروة عن متابعة



الهدف الإنساني في العلم، ويأسف عمّار أسفه الشديد على هؤلاء، فإذا برسول الإنسانية يأخذ أسفه هذا ويتناوله بالصّياغة الحكيمة ويقول له: «ألا أُخبركَ بأعجب منهم؟ قومٌ علموا ما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم» أي: عرفوا ما جهل أولئك ثم مازالوا يدورون في فلك التخلّف عن التنفيذ والتطبيق فكانوا والجاهل سواء في طمس معالم الطّاقة الإنسانية عن انطلاقتها التحررية نحو النجاح الموفّق المرتقب!! وليسوا سواء في المسؤولية.. مضيع على علم، وضائع على جهل!! فالعلم من شأنه أن ينير شعلة الوجود الإنساني لابتكار أيسر السبل نحو حياة أفضل.

والعالم من شأنه أن يتّخذ الإجراءات العملية لخدمة الإنسانية وفتح الأبواب التي أغلقها الجهل فإذا تعلّم المتعلّم ثم تنكّر للعمل فيكون مضيعًا على علم وليست هذه الصفة شيمة الفكر الوضّاء والعقل المتحرر.

كان سيّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول: «مثل الذي يحمل العلم ولا يعمل به كمثل الأعمى يحمل سراجًا ليستضيء به غيره».

وقال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يُعَلّم الناس الخير وينسى نفسه مَثل الفتيلة تضيء على الناس وتحرق نفسها أو كالسّراج يضيء للناس ويحرق نفسه»، وقال ﷺ: «إنّ أناسا من أهل الجنّة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون: بم دخلتم النار؟ فيقولون: إنّا كنّا نقول ولا نفعل!!»

لذا حَرص السلف الصّالح عند العلم أن يكون العمل قرينه ورفيقه وقالوا: غاية العلم العمل.. وإنّ العمل نتيجة لازمة للعلم وإلاّ كان العلم عبثًا من العبث، وليًّا للعلم عن قصده من الصلاح والإصلاح وخيانة ظاهرة للمجتمع يستحق عليها صاحبها المقت من الله ومن الناس، والأحاديث الشريفة صوّرت عِظم المسؤولية غدًا لِمن هجروا العملَ ولبسوا زينة القول فقال ﷺ: «كل علم وبال على صاحبه إلاّ مَن عمل به»، وفيما رواه الإمام أحمد عن منصور قال: نبّئت أنّ بعض من يلقى في النار يتأذّى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل؟ ما يكفينا ما نحن فيه من الشّر حتّى ابتلينا بك وبنتن ريحك، فيقول: كنت عالمًا فلم أنتفع بعلمي.

وقال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس وعَدَّ النبي ﷺ من جملتها: علمه ماذا عمل فيه؟ أي ماذا عمل فيما علم».

وعن الحسن قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطب خطبة إلاّ الله عزّ وجلّ سائله عنها أظنّه قال: ما أراد بها؟ وكان مالك بن دينار إذا حدّث بهذا الحديث بكى طويلًا ثم يقول: تحسبون أنّ عيني تقرّ بكلامي عليكم وأنا أعلم أنّ الله عزّ وجلّ سائلي عنه يوم القيامة، ما أردت به؟

وفي الحديث الشريف «أنّ الرجل لا يكون مؤمنًا حتّى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخالف قوله عمله و يأمن جاره بوائقه».

وكان أبوالدرداء يقول: إنما أخشى من ربّي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربِّ، فيقول: «ما عملت فيما علمت؟».

ومتى أدركنا هذا الهدي النبوي علمنا كيف أنّ السلف الصالح تباطأوا في الاستظهار إذ كان قصدهم الأجلّ هو استظهار العمل لا لوك اللسان وتكرار الرواية.. روى الإمام مالك في الموطأ: أنّه بلغه أنّ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلّمها.. وذكر عبدالله عن أبيه عمر قال تعلم أبي عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلمّا ختمها نحر جزورًا.

وكفى بالقرآن معلّمًا ومطالبًا المؤمنين بالعمل بما علموا إذ قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ – (الصّف: ٢-٣).

وهزّ القرآن جانب العقل الإنساني لاستطلاع النتائج المترتّبة على ترك العمل بعد العلم فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤).

وذكر الله سبحانه من شأن الدّاعي أنّ خلايا وجوده وحقيقة نفسه تنطق بما يقوله لسانه فقال حكاية عن شعيب صلّى الله عليه وسلّم إذ نصح قومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، فطبّق ونفّذ شعيب ما يقوله لهم من قبل أن يدعوهم إليه.

قال قاضي القُضاة (أبويوسف): كنت أمشي مع أبي حنيفة فقال رجل لآخر، هذا أبوحنيفة لا ينام الليل، فقال أبوحنيفة: والله لا يتحدّث الناس عنّي بما لم أفعل.. فكان يحيي الليل صلاةً ودعاءً وتضرّعًا، فأبوحنيفة العالم العظيم، منار الفقه الحنفي، كان الفضل في انتشار علمه وتفتّح روضه- عمله بما عَلم وورعه أن يقول الناس عنه ما ليس فيه، ومن أثر هذا الإلزام لنفسه أن تراءت له الحقائق ونفذ نور بصيرته إليها فطبق شرق الأرض وغربها ذكره وسارت الركبان بأقواله، كان يرى أن من الفقه العمل قبل القول.. فهذا سبب النجاح الباهر الذي كسبه في حياته من الأصالة في الرأي والنباهة في الذّكر، فممّا جعله صاحب الرياسة في الفقه إلزام نفسه بالتنفيذ العملي لما كان تَعلّم أو يُعَلِّم، فالعالم الذي يغبط على علمه هو الذي يكون مخزونه الاحتياطي من العمل أكثر بكثير من أقواله حتى تكون له في آفاق مجتمعه الأرصدة الضخّمة من ثمرات علمه يجني هو أوّل ما يجني من بركتها كما يجني الناس من ثمراتها.



وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلًا للّذي تحلّى بآداب دين الله علمًا وعملًا فأفاد واستفاد وأينع زهره وترعرع روضه كما ضرب مثلًا للّذي هوى وغوى ولم يقبل هدي الله ولم ينتفع بتعاليم السماء.. فقال ﷺ: «مَثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمَثَل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيّبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير فكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنّما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل مَنْ فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ» (رواه البخاري ومسلم).

ففرق عظيم بين أرض فيها من كلّ فاكهة زوجان أي تحفظ الماء ليشرب منه الإنسان والحيوان وبين أرض انتزعت منها الفائدة ولم يُبارك الله فيها فلا تنبت إلاّ العذاب والخراب وحرمان الإنسان والحيوان من نفعها وفي جنباتها العذاب الأليم!

ومن هنا يتبيّن عظيم المسؤولية ومقدار الدّقة في وضع البرامج العلمية ويظهر على مسرح الحياة عظيم المسؤولية على من يلي الإشراف على هذه المناهج والبرامج فعليهم تلقى مهمّة إيقاظ العزائم لدى روّاد العلم أن يشتاقوا للعمل مع العلم وعليهم توجيه الأنظار واختيار الأساليب المبتكرة في حلقات الدراسة ليلبس الطالب لبوس النفع من العلم ويفهم كيفية الوصول إلى ثمراته وحل معضلات الحياة على ضوء ما تحصل لديه من معرفة وعلم مثمر، والأمانة العلمية ستطالب النشء الصّاعد بتقديم أحدث النتائج المترتّبة على علمهم حتى لا تتخلّف الأمّة عن مسايرة ركب الحضارة ولتكون في مصافّ الأمم الحيّة المنتجة التي تركّز العلم لديها على قواعد العمل الراسخ المفضي إلى ازدهار مطرد.

فالعالم السطحي الذي يبقى وراء بريق الأقوال وحشو الدّماغ بالنظريات الفارغة يشقى وتشقى به أمّته، وقد استعاذ ﷺ بالله من علم لا ينفع وقال ﷺ: «إنّ أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه».

وصلّى الله عليه وسلّم مُعَلّم الناس الخير ورسول الهدى والإنسانية القائل: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يردّه عنْ ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عمله».

وقال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بما عَلِم أورَثه الله ما لم يعْلم».

المراجع
-إحياء علوم الدين: للغزالي.
-الهداية في الفقه الحنفي وشرحها، للمرغيناني.
-في سنن الله الكونية، محمد أحمد الغمراوي.
-العلم يدعو للإيمان، تأليف، أ.كريسي موريسون، وتعريب/ محمود صالح الفلكي.
-العلم والإيمان، محمد خشبة.
- مناهج الأدلّة في عقائد الملّة، لابن رشد.
-تراث الإسلام، لجمهرة من المستشرقين.
-الإبداع في مضار الابتداع، الشيخ علي محفوظ.

متعة حب المعرفة

إيمان القدوسي - كاتبة مصرية

سئل ابن المقفع: من أدبك قال: نفسي، كنت إذا رأيت حسنًا أتيته وإن رأيت قبيحًا اجتنبته.

وفي الحقيقة كل إنسان يظل في حال من التعلم الذاتي طيلة حياته، وما نتعلمه من الحياة وتجاربها أكثر عمقًا وأعمق أثرًا مما نتعلمه في المدارس.

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

تمنحنا الدراسة الأكاديمية أسس المعرفة وأساليب تلقي العلم، وإذا اكتفينا بهذا القدر فإن ما تعلمناه يكون عرضة للتلاشي والزوال، أما إذا طورنا معارفنا بالقراءة واكتساب المهارات في مجال تخصصنا فإننا نصل لدرجات من المعرفة العميقة ونرتقي بمهاراتنا.

تحضرني قصة شاب كان شغوفًا بتعلم اللغة الإنجليزية، فعلمها لنفسه تعليمًا ذاتيًا عن طريق متابعة البرامج التعليمية في إذاعة الـ«بي بي سي»، حتى أتقنها وصار قادرًا على سماع ومتابعة الإذاعة وعمل مداخلات في برامجها، وبينما كان أهله يلومون عليه هذا الولع باللغة الذي أثر على مستواه الدراسي في كليته، ظل هو ماضيًا في طريقه ينتقل من نجاح إلى نجاح حتى تخرج في كلية الآداب بتقدير عادي وانضم لطابور الباحثين عن عمل.

ثم تقدم للسفارة البريطانية بطلب للعمل كمترجم رسمي بناء على إعلان نشرته بصدد هذه الوظيفة وقد أدى جميع الاختبارات بتفوق ولكن ساوره القلق في إمكانية الفوز بالوظيفة لأن من تقدموا معه كانوا من الحاصلين على شهادات الماجستير والدكتوراه في اللغة، وكانت المفاجأة هي اختياره من قبل السفارة لأنه كان أكثر المتقدمين تمكنًا في اللغة يفهمها وينطقها ويتذوقها كأهلها، ووقتها اعترف الجميع أن جهوده في التعلم الذاتي لم تذهب سدى.

إن التعلم الذاتي في الحقيقة هو السبيل الذي يسير عليه كل المتميزين في مجالاتهم فلا يمكن لطبيب أو إعلامي أو مهندس أن يحتفظ بتفوقه وتميزه في مجال عمله إلا باتخاذ التعلم الذاتي منهجًا له يجعله متجددًا متابعًا مواكبًا لعصره دائمًا.

هل التعلم الذاتي ضرورة؟

- في الحقيقة نعم، هو ضرورة في كل مراحل الحياة، وسواء كان ذلك أثناء الدراسة في المدارس أو خارجها، الأصل في التعلم هو رغبة الفرد في اكتساب المعرفة، بل إن «حب المعرفة» هو قمة «هرم ماسلو» في الاحتياجات الفطرية للإنسان، أن أعرف أن اكتشف وأبتكر، أن أضع بصمتي الخاصة على صفحة البشرية، أن أنقش اسمي بأحرف من نور في سجل الخالدين، أن أسهم في جعل الحياة أفضل فيكافئني ربي ويشكرني الناس وأشعر بالتحقق وتقدير الذات وأنني قد أديت مهمتي كعبد صالح يترك وراءه بقعة من النور.

لو أن هذه الصفة اصطحبها الإنسان منذ الصغر لأفادته كثيرًا، ففي هذه الحال سيستفيد كثيرًا من الدراسة في المدرسة ثم الجامعة، وذلك لأنه سيتقبلها بنفسية المريد المحب للعلم فيستوعبها ويطورها أيضًا، وهذا هو ما فعله «بيل جيتس» حين كان طالبًا في المرحلة الثانوية وشغف حبًا بـ«الكمبيوتر» الذي كان وقتها اختراعًا جديدًا وليس في متناول الجميع، لقد بذل الفتى النابه كل ما في وسعه من وقته وجهده وماله القليل ليزداد معرفة بأسرار «الحاسوب» ولم يكتف بالمعرفة، بل قام بتطويرها وجعل الحاسوب جهازًا شخصيًا في متناول الجميع وأسس شركة «مايكروسوفت» العملاقة وحقق نجاحات مذهلة في تطوير الجهاز الذي أحبه فأفاد البشرية كلها بما أحدثه من تطوير، لقد بدأ الفتى «بيل جيتس» كطالب شغوف بالعلم يريد أن يعرف ويطور هذا الجهاز الجديد، وربما لم يدر بخلده أن يصبح من أشهر وأنجح وأغنى رجال العالم بسبب هذا الشغف بالمادة التي كان يدرسها في المدرسة كمادة هامشية.





د.آندي حجازي- أكاديمية أردنية

التعلم الذاتيّ أحد المهارات الأساسية المهمة للتعلم الفعّال المَرجو في مجتمع يهدف إلى المعرفة المستدامة ومواكبة التقدّم، وهو العملية التي يقوم بها المتعلمون لتعليمٍ أنفسهم بأنفسهم، مستخدمين طرقًا معينة تناسبهم لتحقيق أهدافهم.. فهو النشاط الواعي للفرد بأي عمر كان لتحقيق أهداف معينة تعمل على تنمية فكره وشخصيته.

والتعلم الذاتي هو استراتيجيات التعلم والتعليم الفعالة في مواجهة كثير من المشكلات التربوية، ومواجهة تطور العصر الحالي والانفتاح على العالم، وعلى الكم المعرفي الهائل المنتشر عبر وسائل الإعلام والوسائل التكنولوجية، فهو ضرورة لتدريب الأفراد على كيفية الاعتماد على أنفسهم في تحصيل المعرفة والعلم، حيث إن المعرفة التي يبذل الفرد جهدًا في سبيل الحصول عليها هي التي تُحدث التعلّم الحقيقي.. أما مجرد تلقّي المعلومة من الآخرين فإنه يجعل الآخر هو الفاعل في عملية التعلم لا الشخص نفسه، ما يعني تعلّمًا غير ذي معنى، وسريع النسيان بأقرب وقت.

والتعلم الذاتي ظهر منذ أن وُجد الإنسان على ظهر الأرض، واستمر على مرّ العصور من خلال محاولات الإنسان البحث عن المعرفة والمعلومات والإبداعات بنفسه وبجهده الذاتي.. واليوم عادت الأصوات تنادي بتفعيل التعلم الذاتي.. فقد اكتشف المسؤولون عن التربية والتعليم أن التعلم الأمثل والمحفّز للإبداع هو الذي يجعل المتعلم فاعلًا نشيطًا باحثًا عن العلم والمعرفة بنفسه، واكتشف المعلمون في المدارس أن عليهم تعديل طرق تعليمهم، وإشراك

الطلبة في عملية التعلم. فالتعلم الذاتي يجعل عملية التعلم متمركزةً حول المتعلم نفسه لا حول المعلم، بحيث يكون المتعلم حرًّا في اختيار ما يريد تعلمه، ومتى وأين وكيف يتعلم، ما يجعل التعلم أفضل وأكثر ديمومةً في الذهن، فهذا النوع من التعلم يعتمد على أن يبحث الشخص بنفسه- مهما كان عمره- عن المعلومة ويعالجها في عقله بشكل فاعل، فيختار منها ما يريد ويترك ما يريد، فيكون التعلم مقصودًا لا إجباريًّا، وبالتالي أكثرَ نفعًا للفرد وللمجتمع، وما ينطبق على المعلمين ينطبق على الآباء في البيوت، فليس عليهم أن يقدموا المعلومة جاهزةً لطفلهم، بل عليهم السماح لابنهم بالبحث عنها بنفسه والتفكير فيها، مع تهيئتهم للظروف المُعينة على ذلك.

فهذا لا يعني أن يُترك المتعلمون والأطفال خاصةً هائمين على وجوههم دون توجيه، بل إن هناك دورًا فاعلًا للمعلم والوالدين والمحيطين بالأشخاص في توجيههم، كأن يُوفِّر المعلم لطلبته في الصف والوالدان لأطفالهم في البيت الألعاب الهادفة، والأنشطة التعليمية، والمواقف والمشاكل التي عليهم التفكير فيها والتفاعل معها، والتعلم الذاتي من خلالها، وكذلك توفير المواد والأدوات اللازمة والوقت الكافي للتفكير، آخذين في الاعتبار مقومات وخصائص المتعلم العقلية والشخصية والنفسيّة والسلوكيّة والاجتماعية والعمريّة، كما أنه يتطلب توفير دافع وأسلوب وبيئة تُحفّز التعلم الذاتي.. كتقديم التعزيز المادي والمعنوي عند النجاح في المهام التعلمية، خاصة للأطفال الصغار، ولذا لابد من إحداث تغيرات جذرية في طرق التعليم والتفكير، بحيث تتسم بالمرونة والفاعليّة والجاذبية للأفراد، ما يعني أساليب تعلم أكثر متعة وفائدة للمتعلمين.

فالتعلم الذاتي هو تغيّر دائم ومستمر نحو الأفضل يُشعر الفرد بقيمته وكيانه ونشاطه في الحياة. وقد أثار عالم النفس ماسلو- صاحب الاتجاه الإنساني3 في التعلم والتعليم- أهمية جعل عملية التعلّم أكثر إنسانية واحترامًا لقيمة وذات المتعلم وإمكاناته وقدراته، ونادى بأن على المعلّمين أن يثقوا في طلبتهم وفي قدراتهم، وأن يحترموا شخصياتهم، وأن يُهيئ المعلم أو الوالدان في البيت للأفراد- أثناء عملية تعلمهم- الجو الذي تسوده الإيجابية والديموقراطية والقبول، من أجل التعلم الأفضل، مع ضرورة اعتقادهم بأن كل متعلم هو فريد في خصائصه واستعداداته.. وأن لكل إنسان القدرة على الإبداع إذا ما أتيحت له فرص التعلم الأمثل، والتي من أهمها توفير فرص التعلم الذاتي المخطط له بشكل جيد، وذلك أملًا في تحقيق الأفضل لنفسه ولمجتمعه من خلال ما يملك من علم ومعرفة وإبداع.

ولا ننسى موقف الإسلام من التعلم الذاتي، فقد شجع عليه من خلال البحث في علوم الدين والدنيا، بل والسفر لاكتسابها أحيانا، وقد قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهّل له به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء» (رواه أبوداود والترمذي وابن ماجة)، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرجَ في طلبِ العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن).

ميزات التعلم الذاتي

وأهم تلك الميزات:

مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد، فكل متعلم يتعلم وفق قدراته واستعداداته وأهدافه وسرعته.

- جعل الفرد نشيطًا فاعلًا وفرحًا أثناء عملية التعلم.
- ديمومة المعلومة في الذاكرة لأطول مدة للاستفادة منها مستقبلًا.
- تنمية الإحساس بالمسؤولية والاعتماد على الذات لأبنائنا، وهذا ما نحتاجه في واقع الحياة من أجل التطور والإنتاجية.
- إعداد الأبناء للمستقبل، وزيادة قدرتهم على حل المشكلات.
- توفير تحكّم أكثر في وقت التعلم للفرد ومكانه وأدواته وأساليبه ومحتواه، ما يعني تعلّما فاعلًا مفيدًا.
- يعتبر أسلوب التعلم الأفضل؛ لأنه يحقق للمتعلم التعلم الأمثل وفقًا لقدراته وإمكاناته وميوله ورغباته.
- المساعدة في مراقبة أداء الفرد لنفسه، وتقييم أدائه، وتقييم وتوجيه الآخرين له كالوالدين أو المعلم.
- يكون دور المعلم فيه مُوجّهًا ومُنظّمًا ومُسهّلًا للعملية التعليميّة، وكذلك دور الوالدين.

ومن أشهر طرق التعلم الذاتي، والتي يمكن للمتعلمين والمعلمين استخدامها.. ومع جميع الأعمار:

أولًا: التعلم المبرمج، والذي تقوم فكرته على أن يحدد المعلم أو المشرف على عملية التعليم مهمة معينة للطالب، ويقوم بتكليفه للقيام بهذه المهمة بالطريقة التي أعدها له مسبقًا، والتي تراعي قدرات ومستوى المتعلم، بحيث يُقسّم المعلمُ المهمةَ الكلية إلى مهام جزئية تُيسّر على المتعلم عملية التعلم خطوةً بخطوة، وصولًا إلى النهاية، فلا يستطيع المتعلم الانتقال إلى المهمة التالية ما لم ينفذ المهمة التي قبلها وفقًا لخبراته ومستواه، كما في حل المسائل الرياضية والفيزيائية، أو كالتعلم المبرمج بالحاسوب لمهام تعليمية معينة، كأن يقوم الطفل باللعب بألعاب حاسوب (كمبيوتر) معدة مسبقًا من المعلم، وتحقق أهدافًا تربوية محددة.

ومن ميزات هذا التعلم أنه يراعي الفروق الفردية وسرعة المتعلم الخاصة في التعلم، وفقا لقدراته وذكائه ومعلوماته.

ثانيًا: استخدام مصادر الانترنت والوسائل التكنولوجية، وهذا التعلم الإلكتروني والتكنولوجي يتضمن البحث

عن المعلومة عبر شبكة الإنترنت في أكثر من موقع، وكتابتها بلغة المتعلم، مع توثيق مصدر المعلومة، ولا يشمل ذلك فقط حصول المتعلم على المعلومات اللفظية المكتوبة، كالمعلومات المتفرقة والمقالات والحوارات والدراسات والأبحاث.. بل يشمل أيضًا حصولَه على البرامج السمعية والبصرية، كأفلام الفيديو والسمعيات المدعّمة للموضوع، أو التعلم من خلال إجرائه محادثات عبر الشبكة العنكبوتية مع أشخاص متخصصين حول الموضوع المراد تعلمه، ويشمل هذا النوع من التعلم ما يشاهد الشخص ويسمع عبر التلفاز والمذياع.

ثالثًا: استخدام أوراق العمل وصحائف الأعمال، وتتم عملية التعلم هنا من خلال إعداد المعلم- أو المعني بعملية التعلم- لأوراق تدعم عملية التعلم للموضوع، ومحاولة الفرد حلها بنفسه أو بمشاركة زملائه، وتتميّز صحائف الأعمال عن أوراق العمل بوجود الحلول لأسئلة الصحيفة في نهايتها؛ من أجل أن يتأكد المتعلم من الإجابات بنفسه دون الرجوع إلى المعلم، بينما أوراق العمل يمكن مناقشتها مع المعلم لاحقًا، بعد محاولة المتعلم الإجابة عنها بنفسه أولًا، ما يعين على التعلم الذاتي، وتصلح أوراق العمل كتعلم ذاتي مع الكبار والصغار باختلاف أعمارهم، كالتي تُستخدم في ورش العمل.

رابعًا: التعلم في مجموعات، حيث يعتبر التعلم التعاوني في مجموعات نوعًا من أنواع التعلم الذاتي؛ لأن الطلبة يتوصلون إلى المعلومة بأنفسهم من خلال تبادل الآراء والأفكار والحلول للمشكلات، وذلك ممكن في كل الموضوعات والمواد الدراسيّة.

فالتعلم في مجموعات لا يتعارض مع التعلم الذاتي بل هو داعم له، بدلًا من الاعتماد على المعلم في إيصال أفكار وأهداف الدرس بالطريقة التقليدية، ويمكن استخدام التعلم في مجموعات مع الكبار في ورش عمل كأسلوب مهم للتعلم الذاتي.

خامسًا: التعلم بالاستقصاء والاكتشاف، وهو البحث عن المعلومة من خلال استقصاء الطالب بنفسه عن المعلومة المراد تعلمها، فيمكن أن يبحث في الكتب والمجلات والصحف ووسائل الإعلام المختلفة، أو بسؤال الآخرين، أو من خلال التجريب، كأن يقوم المتعلم نفسه بإجراء التجارب الشخصية والمخبرية والحياتيّة، فالتعلم بالاستقصاء هو وسيلة رائعة للتعلم لا تتعارض مع إشراف المعلم أو الكبار، في حين يتميز الأطفال بحبّ الاكتشاف والمغامرة والتعلم عن طريق هذا الأسلوب الذي جُبلوا عليه.

سادسًا: الحقائب التعليمية: وهي برامج محكمة التنظيم ومهيأة من قبل المعلم مسبقًا، وتتميز هذه الحقائب بوضوح أهدافها وجاهزيتها من حيث الأنشطة التعليمية والمواد والأدوات اللازمة للتعلّم الفردي، كجاهزية أوراق العمل والأدوات المختبرية أو الأشرطة السمعية والبصرية، والنصوص اللازم قراءتها، والأسئلة والمهام والأهداف المراد تحقيقها، مع توضيحها الاستراتيجيات اللازمة للتعلم، بالإضافة إلى تقديمها لوسائل تقويمية مناسبة لمدى تحقق التعلم.

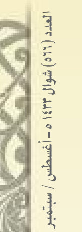
فالحقيبة التعليمية تعتبر وسيلة فعّالة في تحقيق عملية التعلّم الذاتي للفرد، تُسهم في إتقان التعلم، لأنه لا ينتقل إلى هدف تالٍ ما لم يحقق الهدف الذي قبله؛ لأن التعلم من خلالها متسلسل بأهدافه.

سابعًا: استخدام غرف مصادر التعلم، فتلك الغرف- أو ما يُعرف بمصادر التعلّم- تعمل على توفير مناخ تعليميّ مناسب للتعلم الذاتيّ يوفر للمتعلم الحرية والديموقراطية وآفاق التعلم الذاتي، فغرف المصادر توفّر بيئة مناسبة للتعلم بالاعتماد على الذات، من خلال ما توفره من وسائل تعليمية كالصور والرسومات والبطاقات والمجسمات والعينات والخرائط والحواسيب والكتب والمجلات



والأشرطة السمعية والبصرية، وأجهزة مختلفة، واتصال عبر شبكة الإنترنت، ومكان مفتوح لإنجاز المشاريع، وذلك مع توجيه من المعلم أحيانًا، أو من مسؤول الغرفة، مع تقديمه التغذية الراجعة للمتعلم.

ثامنًا: استخدام أسلوب حل المشكلات، وهو أسلوب رائع لتنمية التفكير الإبداعي والذاتي، وهنا يقوم المعلم أو الوالدان بتقديم مشكلة للمتعلم من واقعه، أو افتراضية





تتناسب مع عمره ومعارفه والأهداف المرجوة، ويُطلب من الشخص بدايةً جمع المعلومات حول المشكلة من مصادر مختلفة، ومن ثم التفكير في المعلومات المتاحة وبالأفكار الرئيسية والفرعية ذات العلاقة بالمشكلة؛ من أجل فهمها بشكل عميق، ومن ثم التوصل إلى حلول مقترحة للمشكلة، سواء أكان التفكير بشكل فردي أو جماعي، فالتعلم الذاتي يحدث سواء حاول الشخص حل المشكلة وحده.. أو بمشاركة زملائه في جلسات العصف الذهني لحل المشكلة، والتي تُنتج أفكارًا وحلولًا أكثر وأفضل.

تاسعًا: القيام بالرحلات والزيارات الميدانية، كزيارة المتاحف والآثار والمؤسسات المختلفة والحدائق والغابات.. وهذا أسلوب رائع في التعلم الذاتي، حيث يكتشف المتعلم المعلومة ويخبرها بذاته، حيث يشاهد الأمور والمواد المراد تعلمها ويسمعها ويتلمسها على أرض الواقع من خلال البيئة التي تتوافر بها المعلومة بتقريب الواقع له، وليس مجرد الحديث الغيبي عنها، ما يجعل التعلم أفعل وأبقى في الذاكرة طويلة المدى، وهذا الأسلوب لا يعتمد على المعلم فقط بل على الوالدين أيضًا لتنمية معلومات أبنائهم.

عاشرًا: التمثيل والدراما، وهذا أسلوب جذّاب في التعلم الذاتي، حيث يُطلب من المتعلّم تمثيل نص مسرحيّ أو مقطع تمثيليّ للمادة المراد تعلمها من تأليف المتعلم نفسه، أو بمشاركة مجموعة من المتعلمين، كما يمكن أن يكون من تأليف المعلم أو أحد الوالديْن، فهذه استراتيجية تعمل على تحقيق أهداف التعلم بطريقة ممتعة، حيث لا يحتاج المعلم لأن يقف أمام الطلبة ويسرد عليهم معلومات الدرس بطريقة تقليدية، فالتمثيل والدراما تجعل المتعلم فاعلًا نشيطا مبدعًا في تعلمه، وبالتالي فإنّ الخبرات المتعلمة بهذه الاستراتيجية لا يمكن أن تُنسى بسهولة.

الحادي عشر: القيام بمشاريع ذاتية، يطلب من المتعلم أن يقوم بمشروع بحث أو مشروع ذي علاقة بمادة التعلم، فيقوم المتعلم بإعداد خطة لعمله، وكيفية اختيار الموضوع وجمع المعلومات حوله، ومصادر البحث المناسبة، ومن ثم الأدوات اللازمة والتكلفة التي يحتاجها، ثم تنفيذ مشروعه. وقد تكون المشاريع فردية أو جماعية بمشاركة مجموعة من الطلبة، ويعتبر هذا من الأساليب الناجحة في التعلم الذاتي والإبداعي؛ لأن المتعلم يبذل جهدا بذاته لاكتشاف المعلومات والتفاعل معها، والبحث عن الطرق المناسبة لعرضها وإخراجها على أرض الواقع أمام الزملاء أحيانًا، كما يحدث في مشاريع التخرج للكثير من الجامعات، والتي تهدف إلى تنمية قدرات الطالب الجامعي على التعلم الذاتي المستقل والذي هو أساس العلم والإنتاج.

الثاني عشر: التعلم من خلال اللعب، وذلك بأن يوفر الوالدان أو المعلم في المدرسة ألعابًا تربوية فردية أو جماعية، وألعابًا منظمة تهدف إلى تحقيق نتاجات معينة، حيث اللعب طريقة ممتعة فاعلة تساعد الطفل على التعلم الذاتي الحر.

إن المجتمع المالك للمعرفة هو المجتمع المسيطر على مصادر القوى في العالم، ومستقبلُ الأمة رهنٌ بالقدرة على المشاركة البنّاءة في عالم المعرفة، والمجتمعاتُ المتقدمة تهتم اليومَ بالتعلم القائم على المتعلم ذاته في تحصيل المعرفة لا المعتمد على الآخرين، وذلك لاهتمام التعلم الذاتي بالخصائص والسمات الفردية للمتعلمين وقدراتهم ومهاراتهم وميولهم واستعداداتهم وأهدافهم. ويؤكد تقرير «منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية 2011» حول إدارة المعرفة في المجتمعات المتقدمة..أنّ نجاح الأفراد والمؤسسات والمجتمعات يعكس بالضرورة قدرتهم الذاتية على التعلم، لذا تُعد «مهارات مجتمع المعرفة» هي الأساسات الجديدة للمجتمع ولأفراده المتعلمين، ويأتي في مقدمتها مهارات التفكير الإبداعي، والتفكير الناقد، وحل المشكلات، والتعلم المستمر، والتعلم الذاتي.. فهي مهارات التعلم الفعال. ولذا لابد من التركيز على التمكّن من هذه المهارات منذ البداية؛ حتى يكون التعلم فعالًا ويُؤتي أُكله، بدلًا من أن يُترك مجتمع المعرفة ينتظر طويلًا ليحقق هذه المهارات.



التعلم الذاتي وأثره في المتعلم

سائر بصمه جي / باحث علمي من سورية

قد ندهش عندما نسمع أن رجلًا قد نال إجازته الجامعية في الثمانين من عمره في إحدى البلاد الغربية، ولكن ماذا لو أرد هذا الثمانيني أن يسعى للحصول على شهادة جامعية في بلادنا العربية؟ لاشك أنه سيجد من يتصدى له ببيت شعر لزهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم

أو تناله الألسن بالمثل الدارج «بعد الكبرة صوفة حمرة»، وتعني أنه جاء بعد هذا السن ليفعل ما كان يجب فعله في أيام الفتوة والشباب.. وذلك لظنهم واعتقادهم أنه قد فقد قدرته على التعلم، أو بالأحرى لن يجدي التعليم معه نفعًا. لاشك أنها قيود فُرضت أو نفرضها على أنفسنا، لنعبِّر بها عن عجزنا عن الاستمرار في تعليم أنفسنا مدى الحياة.

لننظر بداية في خصائص التعلم نفسها: فالهدف من التعلم أن يتغير سلوك المتعلم، وهو يحدث كنتيجة للممارسة أو الخبرة. ويختلف «التعلم» عن «الأداء» بأن الأول لا يمكن ملاحظته مباشرةً، بينما الثاني يمكننا ذلك ويؤتي أكله بشكل أسرع، وهو ما قد يلحظه أحدنا عندما يجري دورة تدريبية في موضوع ما.. لكن كثيرًا ما يؤثر التعلم، إضافة لمتغيرات أخرى، في الأداء(١).

كما يختلف مفهوم التعليم الذاتي عن مفهوم «تفريد التعليم»، الذي يقصد به مراعاة خصائص الفرد في كل جوانبه، ثم وضع البرامج التعليمية التي تناسب قدراته، وليس بالضرورة أن تكون هذه البرامج معتمدة على التعليم الذاتي.

وبإجراء مقارنة بسيطة بين مفاهيم التّعليم الذاتي Self-instruction الذي هو «ضربٌ من التعلم يستخدم فيه التلاميذ تعليمًا أو أي مواد أخرى مبرمجة، ولا يتلقون مساعدة مباشرة من معلم. ولو أن المقرر عادةً قد تم إعداده وفق غايات محددة للغاية»(٢).. والتربية الذاتية Self-education التي تعني «عملية دفع النمو والنماء والتعلم الذاتي من قبل المرء نفسه، وبوساطة دوافعه الذاتية، فيختار المرء هو بنفسه المنبهات التي يود الاستجابة إليها، ويحدد بذاته كيفية قولبة نفسه وتكيفها، وإلى أي مدى»(٣).. والتعلّم الذاتي Self-learning وتعريفه بأنه « نوع من التعلم الذي ينطلق من فلسفة مؤداها: أن التربية في حد ذاتها تعد الفرد مسؤولًا عن تثقيف نفسه بنفسه، وأن كل فرد في العملية التعليمية كائن قائم بذاته ومستقل عن باقي ذوات الآخرين، وهذه الفلسفة تشجع الاعتماد على النفس لا على المدرّس أو المدرسة أو الجامعة على أساس أن عملية التعليم والتعلم مستمرة دائمة مدى الحياة»(٤).. فإننا نجد تقاربًا كبيرًا في المعنى والمبنى



والمقصد، فهي جميعها تدور في فلك واحد، وتهدف لمساعدة الفرد على تكوين الشخصية المتكاملة المتوازنة، مع تزويده بالثقة بالنفس، وإمكانية تعليم نفسه بنفسه، الأمر الذي يساعد على التنمية الذاتية، والانتقال إلى عالم المعرفة، والاعتماد على النفس وتعليمه كيف يتعلم(٥).

أساليب التعلم الذاتي

لممارسة التعلم الذاتي فلنلاحظ ما يتعلمه الناس من خلال حياتهم اليومية؛ فالأطفال الصغار يتعلمون اللغة بالاستماع إلى الآخرين وهم يتحدثون، ثم يحاولون التحدث كما يفعل الآخرون، ويتعلمون كيفية ارتداء ملابسهم، أو آداب الطعام، أو ركوب الدراجات، أو إجراء الاتصالات الهاتفية، أو تشغيل جهاز التلفاز. ويمكن أن تكون التربية ذاتية عندما يحاول الناس الحصول على معلومات، أو اكتساب مهارات بمبادرة شخصية دون معلم.. وذلك عن طريق زيارة محل لبيع الكتب أو مكتبة أو متحف، وقد يشاهدون برنامجًا في التلفاز أو شريط فيديو أو قرصًا مضغوطًا، أو يستمعون إلى برنامج إذاعي، أو اكتساب خبرات حاسوبية معينة، وكذلك المشاركة في دورات تدريبية متخصصة في تنمية جانب معين لدى المتعلم.

وفي جميع هذه الحالات لا يطلب منهم النجاح في امتحان(٦)، وكلنا يعلم طريقة الطبيبة الإيطالية مونتسوري في تعليم الأطفال بين (٢-٥ سنوات) التي تعتمد على التربية الحسية للطفل، والقائمة على اكتساب الخبرات، وليس للمعلم دور سوى الإشراف على الأطفال.

لذلك اترك ولدك أو من تقوم بتعليمه يمارس ما يتعلم، وإن وقع في الخطأ أول أو ثاني مرة فإنه سيتعلم الصحيح في الثالثة، وتأكد أنه لن ينسى ذلك طوال حياته.

روى لي أحدهم عن مهندس ميكانيك تخرج حديثًا وتم فرزه إلى إحدى الدوائر الحكومية، ليترأس إحدى الورش المسؤولة عن صيانة محركات السيارات التابعة للشركة، وما أن تسلم مهامه إذ بالعمال في الورشة يرونه بينهم وليس في مكتبه، مرتديًا ثياب العمل وليس لباسه الرسمي، وقال لهم: أنا اليوم لست مهندسًا، وإنما جئتكم متعلمًا لفن الهندسة على أرض الواقع. لقد أدرك هذا المهندس أن أي عامل في ورشته لديه خبرة عملية تفوق خبرته النظرية التي حصل عليها في الجامعة، فما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد، وراح يتعلم ما كان ينقصه ليشعر في النهاية أن المعرفة لديه متكاملة في شقيها النظري والعملي، وبذلك يتفوق على العامل.

من هنا يظهر الفرق في الواقع: لماذا نرى خريجًا جامعيًا ناجحًا في الحياة؟ وآخر لم ينل نصيبه من النجاح؟ مع أنهما درسا في جامعة واحدة وتخصص واحد؟ السبب هو استمرار الأول في تعليم نفسه وتطويرها. واليوم نحن في عصر يتطلب- للحصول على فرصة عمل- الكثير من المعارف والمهارات التي قد لا توفرها الجامعات. وقد كنا نسأل زملاءنا الذين درسوا في الجامعات الأوروبية أو الأميركية عن طريقة إلقاء المحاضرات، فكانوا يقولون ليس ثمة ما يسمى بكتاب جامعي أو ملزمة، وإنما كنا نأخذ المحاضرة نظريًا، ومن أراد أن يدون شيئًا لدراسته للامتحان فعليه استخلاص المحاضرة بطريقته من المراجع التي يدبجها المحاضر على السبورة.

وبناءً عليه، علينا ألا نستهجن بعد اليوم دعاية لجامعة في اليابان تدعو من هم في سن الشيخوخة للانضمام إليها، والالتحاق بصفوفها الدراسية.. أوليس في عقيدتنا الإسلامية أن طلب العلم من المهد إلى اللحد فريضة؟!

لقد قال يومًا ما عالم التربية الفرنسي الشهير «جان بياجه»: «في دنيا التربية، يجب أن يتاح للأطفال أقصى قدر ممكن من النشاط الذاتي، باستخدام الأجهزة والأدوات التي تمكّنهم من تحصيل المعارف والخبرات، بحيث يفهمون ما يصلون إليه بأنفسهم.. وإذا حاول الكبار أن يسرّعوا في إحداث هذا التعلّم، فإنّ الأطفال سوف يحرمون من لذّة اكتشاف المعلومات بأنفسهم.. ».

وفي هذا القول دلالات كبيرة وواضحة تؤكد على مبدأ التعلّم الذاتي، الذي يجب أن يعتاد الطفل عليه من الصغر، لما فيه من توافق مع طبيعة الطفل التي تميل إلى البحث والاكتشاف، وإلى تفعيل التعلّم وتجويد نتائجه، وهذا يفرض على الوالدين والمربيّن أن يؤمّنوا للأطفال فرص التعلّم الذاتي، من خلال توفير المناخات الضرورية لهذا التعلّم، والأساليب والأدوات والوسائل المناسبة لقدرات الأطفال وقدرتهم على استخدامها وتوظيفها، بحيث يستطيعون التعامل معها والاستفادة منها بفاعلية كبيرة، فيشعرون بالسعادة والرضى عن الذات(٧).

الهوامش

١- مدنيك ، سارنوف ورفاقه. التعلّم، ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل. ط٣، دار الشروق. القاهرة، ١٩٨٩م. ص٣٥.

٢- نجار. فريد، المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية. ط١، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت. ٢٠٠٣م. ص٩١٣.

٣- نجار. فريد، المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية، ط١. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. ٢٠٠٣م. ص٩١٢.

٤- الرشيدي، بشير صالح، الموسوعة العلمية للتربية. ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الكويت. ٢٠٠٤م. ص١٥٥.

٥- الرشيدي، بشير صالح، الموسوعة العلمية للتربية. ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الكويت. ٢٠٠٤م. ص١٥٥.

٦- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ٢٠٠٤م.

٧- شماس، عيسى، موسوعة التربية الأسرية للأطفال، ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م. ص١٦٨.

هوامش حول التعلم الذاتي

د. محمد المشطاوي
باحث في المركز العالمي للوسطية بالكويت

مع تطورات العصر المتلاحقة والمتسارعة المتلاهثة لم يعد بإمكان أحدنا أن يقبع مستكينًا راضيًا عما حصله من علم أو معارف لم تفتأ أن تكون غير ذات بال، وخاصة إذا كانت في الجانب العلمي.. ومن هنا تأتي أهمية تمكين المتعلم- أي متعلم- من القدرة على مداومة التعلم وفق قدراته ورغباته وتطلعاته، وهو ما اصطلح عليه بالتعلم الذاتي، مرتكنين في هذا إلى أن وقت التعلم من المهد إلى اللحد.

المنطلق

من المنطقي أن يبدأ الحديث عن أهمية التعلم الذاتي وديمومته والاستمرار عليه من الحديث عن العلم كقيمة، والعلماء والمتعلمين كشريحة مجتمعية، وعلى أهمية العلم في نهضة الأمم ورقيها وسعادتها واستقامة منهجها. وقد ورد في هذه الأمور- في المدونة الإسلامية المعرفية والثقافية- الكثير والكثير، فهناك مدح «الذين يعلمون»، وهناك الحرص على غرس حب العلم، والحض عليه، وجعل مداد العلماء مساويًا وقرينًا لدم الشهداء.. والحرص على التمكن في العلم والإبداع فيه، وترك الدعوات السلبية التي تقول: ما الجديد الذي يمكن أن أقدمه؟ إذ «ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم: ما ترك الأول شيئًا؛ لأنه يقطع الآمال عن العلم، ويحمل على التقاعد عن التعلم، فيقتصر الآخر على ما قدم الأول من الظاهر، وهو خطر عظيم، وقول سقيم.. فالأوائل وإن فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشييدها، كما قال ﷺ: «أمتي أمة مباركة، لا يدري أولها خيرًا وآخرها»(١). وهناك أيضًا الحديث عن تذليل ما يعوق عن الاستمرار في العلم، أو الركون إلى الفطنة والذكاء وعدم الاعتماد على العلم والتعلم، فإنه «على كل خير مانع، وعلى العلم موانع منها: الوثوق بالذكاء، فهو من الحماقة، وكثير من الأذكياء فاته العلم بهذا السبب»(٢). وهناك تحديد لما ينبغي أن يحرص عليه المتعلم:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة
وصحبة أستاذ، وطول زمان

وقد روي البيت الثاني بـ(صحبة أستاذ) وبـ(إرشاد أستاذ)، مما يعني أن هدف صحبة الأستاذ هو إرشاد المعلم إلى آليات التعلم، فإذا اطمأن الأستاذ إلى آليات التلميذ وملكاته كان الطريق إلى التعلم الذاتي وديمومته، كما أن (طول الزمان) هنا يستلزم التمكن من آليات الاستزادة من العلم.

وتعد مقدمات كتب الببليوجرافيا حافلة بالحديث عن طريقة اكتساب العلوم والمعارف، ويمكن الرجوع إلى ما كتب تحت عنوان (تحصيل العلوم) أو ما يدل على ذلك في هذه الكتب.

تقسيم العلوم

وقد قسمت هذه المدونة العلوم والمعارف الإسلامية إلى شريحتين: علوم عملية وأخرى نظرية، الأولى تعتمد التجريب والعمل والممارسة العملية، والثانية تعتمد النظر، وعلوم آلية وعلوم غير آلية، فالأولى تُطلب لغيرها والثانية تُطلب لذاتها.. والملاحظ في هذا التقسيم- في أحد جوانب فلسفته- هو استيعابه لكل تطلعات الناس وميولهم، بمعنى أن من يميل إلى الجانب النظري فله الإبحار فيه، ومن يميل إلى العملي فله التضلع منه، ومن يميل إلى علوم الآلة فله الاغتراف منها.. وهكذا.

على أن هناك جانبًا لابد للجميع من إنجازه والإلمام به، وهو أساسيات العلوم، والعلوم الممهدة لغيرها، وهو ما اصطلح عليه بعلم الآلة كما مر.

البداية من المسلمات.. والتلقي عن العلماء

ولابد من الانطلاق في هذه المعارف والعلوم بتقسيماتها من بدايتها ومسلماتها، والتلقي في هذا عن العلماء «أهل كل فن»؛ إذ «إن إنصاف الرجل لا يتم حتى يأخذ كل فن عن أهله كائنًا ما كان، وأما إذا أخذ العلم من غير أهله ورجح ما يجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا من أهلها، وأعرض عن كلام أهلها؛ فإنه يخبط ويخلط ويأتي من الأقوال والترجيحات بما هو في أبعد درجات الإتقان، وهو حقيق بذلك»(٣). والمتعلم يهدف في هذا التلقي عن العلماء إلى تحصيل هدف العلم وحقيقته وهو «إيجاد الملكة» المتسلحة بالدليل، سواء كانت هذه الملكة تعتمد على «الاستحضار» أم «الاستحصال» (استحضار العلم في حالة الحاجة إليه، أو تحصيله والنجاح في هذا التحصيل)، وذلك هو لب التعلم الذاتي وهدفه، فإن التعليم الذاتي لابد أن يركز على ذلك. وتحصيل الملكة للمتعلم هنا ضروري؛ «لأن المتعلم إذا حصل له ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي، وحصل له نشاط في طلب المزيد، والنهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم»(٤).

والتلقي عن العلماء يتيح للطالب «المذاكرة والمناظرة والمطارحة» مع معلمه ومع زملائه، وقد قال المدققون: لا تأخذ العلمَ عن صَحَفي (من يقرأ من الصحف والكتب)، ولا القرآن عن مُصْحفي؛ إذ التلقي عن الكتب مباشرة دون معلم متقن لا يؤدي في الغالب إلى تمكن في العلم.

توريث العلم و«صنعته»

بعد التلقي عن العلماء وفي أثنائه يأتي الحرص على توريث العلم و«صنعته» بحيث يصبح ملكة، وفي سبيل هذا التمكين للملكة يأتي التمرين على العلوم وتفنينها سبيلًا للتعلم والتقدم الذاتي فيها، ومن ثم وجدنا شيوع مصطلح «فن كذا» التي تعني الاتقان والحرفية. كما أن هناك أيضًا تمتين حالة النقد الذاتي من خلال دراسة العلم، ويأتي دور الافتراض في العلوم الذي لعب دورًا في نموها، وهو ناتج أيضا عن كونها «صنعة»، وهو ما يؤدي إلى تمتين العلم وتمكينه وتوريثه لدى المتلقي بما يتيح له الانطلاق والإبحار فيه واستمرار تعلمه الذاتي؛ إذ «الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق ذلك الفن المتناول حاصلا»(٥)، وتحصيل هذه الملكة «موقوف على الأخذ والتعلم والتمرن والتدرب»(٦).

ومن أهم ملامح توريث الصنعة والدفع إلى إعمال العقل والفكر وضرورة الفهم والتدبر الحرص على التعليل وربط الأمور بمسبباتها، إذ اتسمت الثقافة العربية التعليمية وانبنت على «اعلم» «فإن قيل» «فإن اعترض» «قلت» و«يرد عليه» و«هب».. وهي عبارات تغرس الدافعية إلى التعلم الذاتي. وهذا الجدال التعليلي نتاج بناء نظام ونظرية تدعو إلى تمكين العلم بحيث يصبح ملكة وسجية، ومن هنا يمكن أن نفهم ما قاله الفارابي في نطاق ما نحن بصدده في الفصل الحادي والثلاثين من كتاب الحروف إذ قال: «فإن المتعلم إذا سأل عن شيء (هل هو كذا..) فإن المعلِّم إنما ينبغي أن يجيبه أولا أنه كذلك، ويردف ذلك بحجة جدلية يتبين عنها ذلك الشيء، وينتظر من المتعلم أن يأتي بما يبطل ذلك الشيء ويناقض ما أورده المعلم لا ليجادل ولكن ليستزيد من المعلم البيانَ.. فإن لم يفعل المتعلم ذلك من تلقاء نفسه بصّره المعلم موضع العناد في ذلك الشيء، وموضع المعارضة في تلك الحجة، ثم إبطال تلك المعارضة، وإبطال ذلك الإبطال، ولا يزال ينقله من إبطال إلى إثبات، ومن إثبات إلى إبطال، إلى ألا يبقى هناك موضع نظر ولا فحص»(٧).

أثر مجتمعي

ويمكن لنا أن نختم هذه الهوامش بالتذكير بما ورد من أثر المداومة على التعلم، وشيوع العلم الذي يتحقق من حرصنا على تعلمنا الذاتي وديمومته، فقد قيل: «يراد من العلماء عشرة أشياء: الخشية والنصيحة والشفقة والاحتمال والصبر والحلم والتواضع والعفة عن أموال الناس والدوام على النظر في الكتب وقلة الحجاب وألا ينازع أحدا ولا يخاصمه»(٨)، بما يعني أن المداومة على العلم والتعلم تنتج مجتمعا متميزا بهذه الخصائص السابقة.. فأي مجتمع صالح هذا؟!

الهوامش

(١) أبجد العلوم: ١١٠-١١١ (دار ابن حزم، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
(٢) أبجد العلوم: ١٣٢.
(٣) أبجد العلوم: ١٩٢.
(٤) أبجد العلوم: ٧٣.
(٥) أبجد العلوم: ١٠٢-١٠٣.
(٦) أبجد العلوم: ١٤٠.
(٧) كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، ص ٢٠٩ (دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م).
(٨) أبجد العلوم: ١٣٨-١٣٩.



تجارب قهرت الجهل

نهلة عبدالرحمن ومحمد عبدالعزيز - القاهرة : دار الإعلام العربية

«ومن لم يذق مرّ التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته».. هكذا تنبّه بهذه المقولة من أراد أن يبزغ نجمه في سماء العلم، وسعى لها سعيها، فالعلم يرفع شأن من لا شأن له، وبه تبنى بيوت لا عماد لها، والجهل يهدم بيت العز والشرف؛ لذلك اتبع الناس على مر العصور كافة الوسائل التي تمكّنهم من تحصيل العلم مهما كانت مكلفة وأيّا كانت سلبياتها كالتلقين لا الفهم، وهنا تقع المسؤولية الكبيرة على المعلم الذي يمثل أول مصدر للعلم يستقي منه الطالب معلوماته وخبراته، فإما أن يقوم هذا المعلم بإنشاء جيل يتخذ من الحفظ لا الفهم وسيلةً لتحقيق النجاح، وإما أن يساهم في دفع جيل مبتكر مفكر لمجتمعاتنا المتعطشة للمبدعين.. وبمرور القرون تتغير الأفكار والمناهج والأساليب والوسائل؛ لتتيح لمن لا يملك مالاً امتلاك أطنان من الكتب المليئة بالعلم بضغطة على زر الفأرة، فلم يعد العلم قاصرًا على الذهاب إلى جامعة، ولم يعد حتى المتخرج في هذه الجامعة قد حصَّل كل العلم، بل عليه الاستمرار في التعلم ذاتيًّا طوال حياته..

«نوارة أحمد علي يونس أبودومة».. هذا هو اسمها بالكامل، فتاة نشأت في صعيد مصر، وتحديدًا في مدينة الغنايم بمحافظة أسيوط، نشأت في أسرة كبيرة العدد، بين عشرة من الأشقاء، وأب متوسط الحال، وأمّ لم تتحصل على قدر من التعليم، لكنها وهبت كل حياتها لتربية هذا الكم الكبير من الأبناء.. ولأن «نوارة» نشأت في بيئة لا تميل إلى تعليم الفتيات، ولأن طبيعتّها شغوفة بالعلم والمعرفة، وجدت نفسها في مأزق كبير بين طبيعة بيئتها ورغبتها في التعلم، كانت قد بلغت الثامنة من عمرها دون أدنى أمل لها في أن تتعلم «ألف، باء، تاء».. حتى رأتها إحدى جارات والدتها، وكانت تعمل مدرّسة، وعرفت برغبتها في التعلم، ولأنها تعيّ جيدًا طبيعة العقبة المتمثلة في عدم اقتناع الأب بتعليم البنات؛ لذلك اقترحت مع الأم حلاً وسطا، أعطى بريق الأمل لـ«نوارة».

«نوارة» قهرت التقاليد وانتصرت.. و«أحمد» حارب الفقر واللغة الغريبة ونجح

تجسد الأمل في تبني هذه المدرسة لـ«نوارة» لتعليمها ذاتيًّا في المنزل، وأظهرت «نوارة» استجابةً سريعةً للتعلم أذهلت المدرسة، كانت تسابق عمرها والزمن لتحصيل ما فاتها وتحقيق حلمها، وفي وقت قياسي كانت قد اجتازت الامتحانات المؤهلة لاجتياز المرحلة الابتدائية، وعلى الرغم من عدم اقتناع الأب بما تفعله ابنته، وعلى الرغم من قيامها في الوقت ذاته بقسط من الأعباء المنزلية، واصلت «نوارة» تعليم ذاتها بنفسها وبمساعدة المدرسة التي ساقتها لها الأقدار، واجتازت المرحلة الإعدادية ثم الثانوية، كل ذلك من منزلها ودون أن تلتحق يومًا بأي مدرسة نظامية، ومات الأب قبل أن يشهد فرحة ابنته بهذه الخطوات التي قطعتها ابنته في طريق التعليم الذاتي، والتي تُوجت أخيرًا بالتحاقها بكلية الطب جامعة المنيا، وما زالت تواصل فيها بناء مستقبلها، حيث تعتبر الجامعة مجرد مرحلة في مستقبلها الذي يتواصل يومًا بعد يوم مع التعليم الذاتي.

قاهر اللغة

أما التجربة الثانية معنا فصاحبها «أحمد مصطفى» مؤسس فريق «نوبي تيم»، خريج الدبلوم الصناعي، الذي وجد نفسه أمام سوق عمل لا تقبل إلا باللغة الأجنبية الممتازة وإجادة الحاسب الآلي، فأدرك كما يقول إنه «من سار على الدرب وصل» وأخذ يؤهل نفسه لتعلم اللغة، لكن العقبة المادية كانت له بالمرصاد، لكنه لم يستسلم وخلق لنفسه طريقًا آخر ساعده على النجاح فيه شخصيته الاجتماعية الودودة التي جذبت إليه السائحين لما رأوه من حسن معاملته، فاعتمد على التبادل اللغوي معهم وإقامة المسابقات إضافةً إلى بعض المواد المتوفرة على الإنترنت للاستماع الجيد لأصول النطق في اللغة.

وأكد «أحمد» أن هذه الطريقة في التعلم لم تكسبه لغةً فقط، بل أكسبته ثقافةً أيضًا، فالتبادل يحدث في اللغة وفي الثقافة فيتسع أفق المتعلم ويصبح أكثر نضجًا، كما يذكر أن دور المعلم لم يكن غائبًا تمامًا، فلجأ إلى التنوع في الحصول على المادة العلمية من أكثر من مصدر.

أما عن الصعوبات التي واجهته فيؤكد أن تعلم أي لغة لا يمثل أي صعوبة إلا ما نضعها نحن لأنفسنا كأن نحدد مجموعة كلمات مثلًا نحفظها يوميًا بطريقة التلقين، والحفظ بالكم لا الكيف أو حصر التعلم في قواعد اللغة لدخول الامتحان والنجاح ثم الإلقاء بهذا الكم خارج عقولنا.. وفي هذا الشأن ينتقد «أحمد» طريقة تدريس اللغة في المدارس، مؤكدًا أنه لا يتم تدريسها بشكل مبتكر وفعال كأن يقوم المدرس مثلًا بتقسيم الفصل لمجموعات، وإعطاء كل مجموعة تكليفًا معينًا بسماع شريط باللغة الإنجليزية أو قراءة قصة أو إجراء حوار، فعلى المدرس أن يتحدث باللغة ويمارسها مع الطلبة وهي الطريقة التي ستشكل لهم صعوبةً في البداية، لكن سرعان ما سيعتادون على الحديث ويألفون اللغة، ويذكر أنه كان يحضر العديد من الندوات والجلسات الثقافية المقامة باللغة الإنجليزية على الرغم من كونها في مجالات لا تهمه كالطب والتجارة، لكن دأبه كانً تحصيل العلم وتطوير الذات، ففي المرة الأولى كان يستوعب 3% مما يقال، وكانت النسبة تزيد مرةً تلو الأخرى إلى أن أصبح هو بنفسه يحاضر في مثل تلك الندوات ويشارك فيها ويعيها بنسبة 100%.

وأما عن فكرة تأسيس فريق «نوبيا تيم» فكان الهدف منه اجتماعيًا خيريًا، حيث أراد «أحمد» أن ينقل فكر العمل

الجماعي الخيري الذي وجده عندما شارك مع فريقي «رسالة»، و«معًا» في القاهرة إلى النوبة، ثم تطورت الفكرة بعرضه لفكرته الخاصة باللغة على فريقه الذي وافق عليها وقاموا بالاتفاق مع محاضرين ليقدموا هذه الخدمة المجانية لتعليم اللغة وتعليم الحاسب الآلي؛ لتتحول النوبة إلى بلد يتحدث الإنجليزية بطلاقة بسبب شخص قرّر أن يعتمد على ما لديه من وسائل العلم ويعلم نفسه بنفسه، وهو الآن يعيد تنفيذ فكرته الخاصة بالتبادل اللغوي في الأكاديمية العربية لينقل تجربة نجاحه من مكان إلى آخر.

تعليم غير مباشر

إلى ذلك، يحدثنا أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية د.صالح محمد

جيل من المبدعين

يظهر «التعلم الذاتي» ليطرح نفسه كأحد أهم الأساليب التربوية الحديثة لخلق جيل من المبدعين، ويرجع أصل هذا الأسلوب التربوي-كما تذكر إحدى الدراسات «بمجلة المعلم»- إلى الطبيبة الإيطالية «ماريا مونتيسوري» التي طوّرت في أوائل القرن الـ20 الميلادي أسلوبًا جديدًا في التعليم يشجع الطفل على التعلم بنفسه ويكون الطفل هو المعلم والمتعلم في آن واحد، وذلك حيث أعدت «مونتيسوري» غرفةً تربويةً للتعلم الذاتي تم تجهيزها بكل ما يحتاج إليه التلاميذ لتطوير مهاراتهم العملية واللغوية والرقمية والحسية.

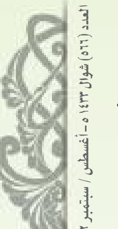
وفي محاولة من جانب المعلمة «لورنا ماهوني» أخصائية تدريب المعلمين على التعليم بطريقة «مونتيسوري» لتطوير الطريقة، افتتحت «ماهوني» مدرسة على طريقة «مونتيسوري» في بيتها الواقع في الشمال الشرقي من لندن، وفي هذه المدرسة لم تكن هناك بداية رسمية للدرس كما أنه لم يكن هناك لوح أسود في غرفة الصف ولا يحدد المعلم للتلاميذ المادة التي سيدرسونها على مدى اليوم فزمام المبادرة في يد التلميذ، وعلقت «ماهوني» على ذلك بقولها: «ليست مهمتنا هنا أن نضغط على التلاميذ وأن نعلمهم أشياء ذكية، كما أن المعلم ليس مركزيًا في النشاطات التعليمية على الإطلاق، كما تؤكد أنه ليس من شيء في غرفة الصف تم وضعه بالصدفة، فكل شيء في الصف موجود لغرضٍ واضح ومعروف». إلا أن أكثر أقوالها المثيرة للتساؤل: «أنا لا أضمن شيئًا، أنا لا أقول إن ابنك سيكون قد تعلم القراءة عندما يترك المدرسة».

الخطوة الأولى للإصلاح

التعلم الذاتي أسلوب جديد يسهم في إخراج جيل متميز مبتكر، وهذا ما تشير إليه العديد من الدراسات نذكر منها ما قرّرته استراتيجية التربية العربية في تقويمها لواقع التربية العربية بأن «الاهتمام كان منصبًا في طرائق التعليم على الإلقاء والتلقين من جانب المعلمين والحفظ والاستذكار من جانب المتعلمين، فكانت المواقف إلقائية تعليمية محضة لا تكاد تعول على التعلم وعلى المواقف الإيجابية والجهود الذاتية فيه»، كما أشار تقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية في العالم إلى أن التعلم الذاتي هو الخطوة الأولى لإصلاح النظم التربوية، وذكر «أن التعلم الذاتي المستند إلى حاجات وميول واستعدادات كل فرد سمة بارزة من سمات التربية اليوم وربما تربية المستقبل».

كما أكدت شبكة التجديد التربوي من أجل التنمية في البلاد العربية على أنه «لم يعد ممكنًا في عصر يتميز بتجدد المعلومات وتعدد مصادر المعرفة أن يظل التعليم مرادفًا للمدرسة محصورًا بين جدرانها يعتمد باستمرار على المعلم والكتاب بل أصبح من الضروري أن يزداد دور المتعلم في العملية التعليمية، وأن يزداد إسهام المجتمع خارج المدرسة بمؤسساته في تعليم الأبناء، وذلك بتمكين المعلم من الاعتماد على نفسه بصورة مستمرة في اكتساب المعارف والمهارات والقدرات اللازمة لتكوين شخصيته واستمرار تربيته لذاته».





صالح، قائلاً: التعلم الذاتي في أبسط مفاهيمه هو «كيف يتعلم المتعلم أو كيف يعلم المعلم المتعلم؟!» موضحًا الفارق بين مصطلحي التعلم الذاتي والتعليم التقليدي بأن التعلم الذاتي خاص بالمتعلم، أما التعليم التقليدي فهو خاص بالمعلم؛ لذلك فالتعلم الذاتي منوط بالحديث بشكل أساسي عن المتعلمين الذين يعلمون أنفسهم بأنفسهم بإرشاد وتوجيه من المعلم، وهذا لا يعني الاستغناء عن دور المعلم، لكن في الحقيقة دوره يتعاظم ويتعقد في ضوء المعطيات الجديدة ليصبح مرشدًا وموجهًا ومصنفًا، وذلك أن دور المعلم في التعلم الذاتي ليس كدوره في التعليم التقليدي الذي يجعله لا يهتم إلا بتدريس منهج معين في وقت محدد بغض النظر عن مدى استيعاب الطالب لهذا المنهج.

ويستشهد د.صالح بأحد أساليب التدريس الإبداعية التي قام بتنفيذها في كلية التربية بعقد مجموعة من الحلقات البحثية للنقاش وتبادل الآراء العلمية والذي يحدث في مكان واحد بحضور الجميع فيما يعرف بـ«السيمينار» لكن الإبداع كان في طريقة عقد هذه السيمينارات التي واكبت المستجدات التكنولوجية الحديثة من خلال الاتفاق على موعد محدد يجتمع فيه الأساتذة والطلاب على الشبكة العنكبوتية ويتم تحديد قائد لإدارة الحوار، ولم تكن هذه الفكرة قائمة على أساتذة وطلاب مصر فقط، بل تمت دعوة المهتمين من المملكة العربية السعودية والإمارات وغيرها من الدول، وقد أثمرت هذه التجربة بشكل مباشر من خلال تعليم الطلاب المهارات البحثية وبشكل غير مباشر من خلال تحسن قدرة الطلاب على التعامل مع التكنولوجيا الحديثة وقد حصلت هذه التجربة على أفضل ممارسة علمية بكليات التربية على مستوى مصر.

كما أكد د.صالح أهمية التنوع والإبداع في أساليب التعلم للمساهمة في إرساء مبادئ التعلم الذاتي، والتي تعني أن

لم يعد ممكنًا في عصر المعرفة أن يظل التعليم مرادفًا للمدرسة محصورًا بين جدرانها

د.صالح: يخرّج طالبًا كفئًا متكاملاً واعيًا بمشاكل مجتمعه لديه القدرة على نهضة بلاده

يقوم المعلم بالتدريس بالطريقة التي تناسب المتعلم وليست التي تناسب المعلم؟! موضحًا أن هناك من الطلاب من يفضلون التعلم من خلال الخرائط الذهنية والبعض من خلال الصور وآخرون من خلال الأسلوب القصصي وغيرهم بالمعادلات الحسابية.. لذلك يجب تقديم العلم بالطريقة التي يفضلها المتعلم.

ويتحدث الدكتور عن إحدى النظريات الحديثة في الأدب التربوي التي تثبت أن الجميع أذكياء ومن يطلق على غيره لفظ غبي أو متخلف فهو مخطئ، وذلك فيما يعرف بنظرية «الذكاءات المتعددة» وعلى الرغم من أن مؤسس النظرية يهودي إلا أن نظريته هذه تثبت عدالة الخالق، إذ إن لدينا جميعًا ذكاء منحه لنا الله لكن نبدع أو نتذاكى أو يكون لدينا نوع واحد من الذكاء يفترق أو يفارق أو يختلف عن الآخر.. فهناك مثلا من هو ذكاؤه بصري وغيره ذكاؤه رياضي وهكذا.. فدور المعلم أن يكتشف طريقة التعامل التي تنمي وتدعم ذكاء كل طالب.

وأكد الدكتور في حديثه على أهمية التعلم الذاتي الذي يخرّج طالبًا متكاملاً واعيًا بمشاكل مجتمعه كفئًا، لديه من القدرات والمهارات ما يؤهله للمشاركة الفعلية في نهضة بلاده، مؤكدًا أن السبيل لتحقيق أي نهضة هو النهوض بمستوى التعليم مستشهدًا بتجارب الدول التي أدركت ذلك كالولايات المتحدة التي أدركت أهمية العلم بعد فزعها من التقدم العلمي للاتحاد السوفيتي آنذاك وأطلقوا المشاريع القومية للعلوم، فمثل هكذا.. يجب الاهتمام بالعلم والعلماء والبحث العلمي وتخصيص جزء كبير من ميزانية الدولة لهذه الشؤون.

إلا أنه رأى أن أكثر ما يؤثر سلبًا في عملية التعلم الذاتي هو عدم مواكبة المعلم لمتطلبات هذا الوضع الجديد فمعظم المعلمين لا يحصلون على بعثات تعليمية أو دورات تدريبية فعلية تنمي من مهاراتهم ولا تكون هذه الدورات أكثر من كونها دورات روتينية لزيادة الدخل وليس لزيادة المستوى التعليمي للمعلم الذي ينعكس بالطبع على العملية التعليمية كاملةً، كما شدّد على ضرورة الالتزام بتأهيل المعلم في كليات التربية ولا يجب السماح لأي شخص بامتهان هذا العمل المؤثر في صناعة الأجيال.

النية والهدف

وينصح د.صالح كل من يريد أن يطور من ذاته ويتعلم ذاتيًا بأن يعقد العزم والنية أولاً متوكلاً على الله ثم يفكر في هدفه، فما الذي يريد أن يصل إليه في القادم من أيامه؟ وبوضوح رؤيته نصب عينيه فإن حماسته ستصبح شعلةً لا تنطفئ ولا يصيبها الملل ولا الفتور ويساعده على ذلك استعداده الدائم لملاحقة التطور واستخدام الوسائل التكنولوجية المتاحة لديه، إضافةً إلى الاهتمام بعنصر الوقت، فعلى الأقل يجب على كل فرد أن يخصص لنفسه ساعتين يوميًا فيما يعرف بـ«وقت تطوير الذات» يتعلم فيهما الجديد وينمي مهاراته؛ لأنه مهما حصَّل من العلم كل يوم تظهر نظرية جديدة، فعليه أن يدرك أن تحصيل العلم مستمر معه من المهد إلى اللحد، وأن يؤهل نفسه بنفسه وفقًا لما هو متاح من وسائل، وأن يتذكر دائمًا أن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة فلا يفتر حماسه.

أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (١)

محمد نبيل بهي
باحث في التراث الإسلامي

كانت مصر ولا تزال بحمد الله مقصدا لأولي العلم والفضل والأدب على مر العصور وكر الدهور.. رحلوا إليها ومروا بها، منهم من فارقها ومنهم من أحبها واستوطنها واستقر بها إلى أن مات ودفن في ترابها.

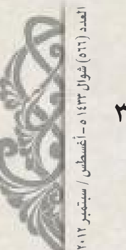
علماء وأدباء وشعراء قدموا إليها من بلاد بعيدة ونواح متفرقة، جاءوا إليها من الحجاز والشام واليمن والعراق والسودان وبلاد المغرب الإسلامي ومن إفريقيا ومن بلاد الاندلس- رعى الله أيامها- ومن بلاد الترك والعجم، جاءوا إليها من كل حدب وصوب.

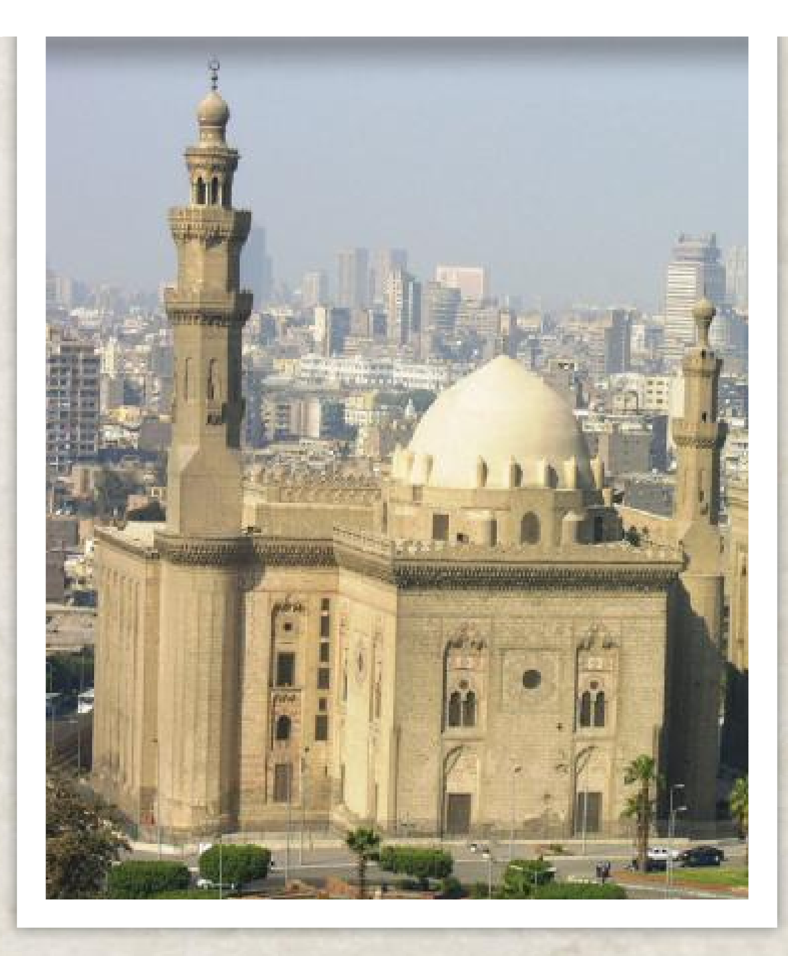
لذا كانت هذه الدراسة التي هي من فوائد المطالعة، فكان هذا الجمع لتراجم هؤلاء الأعلام الذين شرفت بهم مصر أحياءً وأمواتًا..

١- إبراهيم بن أبي بكر الدنابي العوفي، وهو من سلالة سيدنا عبدالرحمن بن عوف، حاسب عالم بالفرائض، أصله من دمشق الشام، توفي بالقاهرة سنة ١٠١٤هـ- ١٦٨٣م.

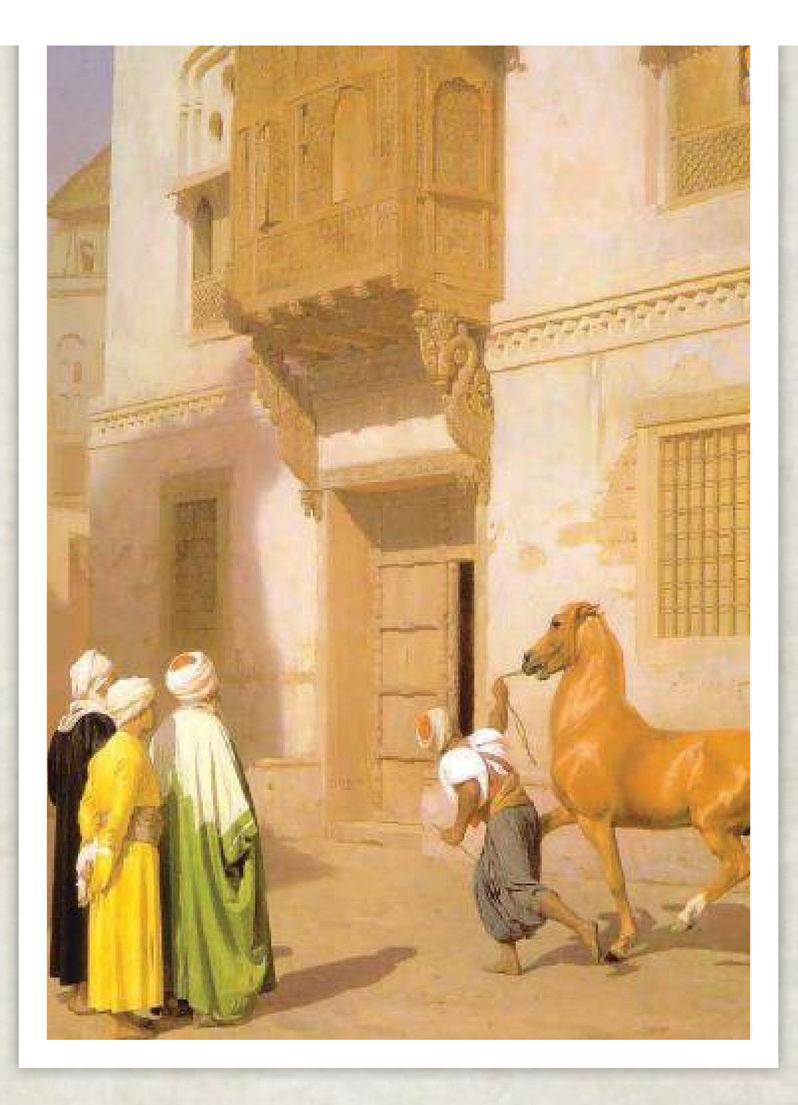
٢- إبراهيم بن حبيب زيدان، وهو شقيق جرجي زيدان منشئ مجلة الهلال الأدبية الشهيرة بمصر، قدم إلى مصر بعد أخيه وأنشأ بها مكتبة الهلال، ونشر وألف بعض الكتب







المدرسية، توفي بالقاهرة.
٣- إبراهيم بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس، من الولاة الهاشميين على مصر، توفي بها سنة ١٧٦هـ- ٧٩٢م.
٤- إبراهيم بن عبدالرحمن بن محمد بن إسماعيل الكركي (أبوالوفاء)، أصله من الكرك في شرقي الأردن، من قضاة الحنفية، توفي غريقا بمصر ببركة الفيل سنة ١٥١٦م.
٥- إبراهيم بن لقمان بن أحمد الشيباني الأسعردي، أصله من أسعرد، تتلمذ للبهاء زهير الشاعر المصري الكبير، وهو الذي حبس في داره لويس التاسع ملك فرنسا الذي قاد حملة صليبية على مصر سنة ٦٤٨هـ. توفي بالقاهرة.
٦- إبراهيم بن محمد بن أبي بكر المري المقدسي، فقيه من أعيان الشافعية، يشتهر بابن أبي شريف، توفي بالقاهرة في أيام الخليفة المتوكل على الله العباسي سنة ٩٢٣هـ- ١٥١٧م.
٧- إبراهيم أطفيش، الفقيه الإباضي المجتهد الجزائري، ولد في قرية بن يسجن بوادي ميزاب بالجزائر، له مؤلفات في التفسير والفقه والنحو والأدب، عمل في دار الكتب المصرية وشارك في تحقيق بعض ما نشرته، وهو أول من أسس مكتب (ممثلية) لسلطنة عمان بمصر سنة ١٣٧٥هـ، توفي بمصر سنة ١٩٦٥م.
٨- إبراهيم بن مصطفى الدباغ، شاعر فلسطيني من أهل يافا ولد بها وانتقل إلى مصر فتعلم بالأزهر وكف بصره، وتوفي بها سنة ١٩٤٧م.
٩- إبراهيم بن موسى بن دمج برهان الدين الكركي اللغوي المقرئ، كان عالما بالقراءات، ولد في كرك الشوبك بشرقي الأردن، استوطن مصر سنة ٨٠٨هـ وتولى قضاء الشافعية بالمحلة ومنوف وتوفي بها سنة ٨٥٣هـ- ١٤٤٩م.
١٠- إبراهيم بن موسى بن أبي بكر الطرابلسي. من فقهاء الحنفية ولد في طرابلس الشام وانتقل إلى القاهرة وتوفي بها سنة ٩٢٢هـ- ١٥١٦م.
١١- إبراهيم اليازجي، أديب لغوي، ولد ونشأ ببيروت، توفي بالقاهرة سنة ١٩٠٦م.
١٢- إبراهيم بن هاشم الفلالي، شاعر من أهل مكة ولد بها، وأقام بالقاهرة إلى أن توفي بها سنة ١٩٧٤م.
١٣- إبراهيم بن يحيى بن مهدي المكناسي التلمساني، أبوإسحق، فقيه مالكي فرضي أندلسي، رحل إلى بلاد كثيرة وتوفي بالفيوم بمصر سنة ٦٦٦هـ- ١٢٦٧م.
١٤- أحمد بن إبراهيم بن عبدالغني السروجي، فقيه كان حنبليًا وتحول حنفيًا، أصله من سروج بنواحي حران، له ردود على ابن تيمية ورد عليه شيخ الاسلام كذلك، توفي بالقاهرة سنة ٧١٠هـ- ١٣١٠م.
١٥- أحمد بن إبراهيم بن محمد، أبوزكريا الدمشقي ثم الدمياطي، فرضي فاضل مجاهد من فقهاء الشافعية، ولد في دمشق، ورابط في دمياط ومات بها مقبلا غير مدبر سنة ٨١٤هـ-١٤١١م.
١٦- أحمد بن الأمين الشنقيطي، لغوي أديب، نزيل القاهرة، وهو صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، توفي بالقاهرة سنة ١٩١٣م.
١٧- أحمد بن جعفر الدينوري، نحوي من أهل الدينور، رحل إلى البصرة وبغداد وأقام بمصر إلى أن توفي بها سنة ٢٨٩هـ- ٩٠٢م.
١٨- أحمد بن حمدان بن شبيب النميري الحراني، فقيه حنبلي أديب ولد ونشأ بحران، ولي نيابة القضاء بمصر فسكنها وأسن وكف بصره، وتوفي بها سنة ٦٩٥هـ- ١٢٩٥م.
١٩- أحمد بن صالح المصري، أبوجعفر، مقرئ عالم بالحديث وعلله، أصله من طبرستان، زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد وأخذ كل منهما عن الآخر، توفي بمصر سنة ٢٤٨هـ- ٨٦٣م.
٢٠- أحمد بن صالح بن منصور الأدهمي الطرابلسي، أديب حنفي، تولى نقابة الأشراف بالقاهرة إلى أن توفي بها سنة ١١٥٩هـ- ١٧٤٦م.
٢١- أحمد بن طولون، مؤسس دولة الحكم الطولونية بمصر، وهو تركي الأصل، توفي بمصر ودفن بها سنة ٢٧٠هـ- ٨٨٤م.
٢٢- أحمد بن عبدالعزيز بن حامد، أبوالحسن ابن ثرثال، محدث ثقة أصله من بغداد، توفي بمصر سنة ٤٠٨هـ- ١٠١٨م.
٢٣- أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبوجعفر، قاض من أهل بغداد، كان يحفظ كتب أبيه، ولي القضاء بمصر سنة ٣٢١هـ، وتوفي بها



سنة ٣٢٢هـ - ٩٣٤م.
٢٤- أحمد بن عبدالله بن حميد بن رزيق، أبوالحسن الدلال، محدث أصله من بغداد، توفي بمصر سنة ٣٩١هـ - ١٠٠١م.
٢٥- أحمد بن علي بن يوسف البوني، صاحب المصنفات في علم الحروف، متصوف أصله من المغرب، نسبة إلى بونة في الجزائر، وتسمى الآن عنابة، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م.
٢٦- أحمد بن عمر بن ابراهيم أبوالعباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث يعرف بابن المزين، كان مدرسًا بالإسكندرية، وتوفي بها سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م، وهو صاحب كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.
٢٧- أحمد بن عمر بن علي بن عبدالصمد، أبوالعباس، شهاب الدين البغدادي الجوهري المحدث الشافعي العالم بالتراجم، مولده ببغداد وسكن مصر وتوفي بها سنة ٨٠٩هـ - ١٤٠٦م.
٢٨- أحمد بن محمد بن حفص أبو سعد الماليني الهروي الحافظ المكثر المتصوف الرحالة. من أهل هراة ونسبته الى مالين من أعمالها. توفي بمصر سنة ٤١٢ هـ = ١٠٢٢م.
٢٩- أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين) الأصبهاني، الإمام المحدث المعمر الرحلة المسند الكبير، استوطن الإسكندرية، وكانت له بها مدرسة، وظل بها إلى أن توفي سنة ٥٧٦هـ - ١١٨٠م.
٣٠- أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي أبوالعباس الشريشي السلوي، متصوف مالكي برع في علمي الكلام وأصول الفقه ولد في سلا (بجوار الرباط بالمغرب) وإليها ينسب، استقر بمصر في الفيوم، وبها توفي سنة ٦٤١هـ - ١٢٣٤م.
٣١- أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري القرطبي، أبوالعباس ضياء الدين، كاتب مترسل، توفي بقنا بصعيد مصر سنة ٦٧٢هـ - ١٢٧٣م.
٣٢- أحمد بن محمد بن عبدالله، أبوالعباس الظاهري، جمال الدين من حفاظ الحديث، حلبي المولد والنشأة، توفي بالقاهرة سنة ٦٩٦هـ - ١٢٩٧م.
٣٣- أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي القرطبي، أبوالعباس العشاب، مقرئ من أهل قرطبة، نزل الإسكندرية وتوفي بها سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م.
٣٤ - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي الخواص الشافعي، فاضل فقيه من أهل القدس ولد بها، وتوفي بمصر سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م. (ص ٢٢٤ ج ١)
٣٥- أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم والمعروف بابن عربشاه، الأديب الرحالة المؤرخ صاحب كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٤هـ - ١٤٥٠م وأصله من دمشق.
٣٦- أحمد بن محمد البجائي شهاب الدين، نحوي من أهل الأندلس أصله من بجاية، انتقل إلى القاهرة فعمل مدرسا بالأزهر إلى أن مات بالقاهرة سنة ٨٦٠هـ - ١٤٥٦م.
٣٧- أحمد بن محمد الوتري الشافعي الرفاعي الموصلي الأصل، البغدادي الدار والنشأة، المصري الوفاة، توفي بمصر سنة ٩٨٠هـ - ١٥٧٢م.
٣٨-أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني، أبوالعباس، الأديب المؤرخ الحافظ صاحب الموسوعة البديعة في تاريخ أهل الأندلس وأدبهم (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، توفي بمصر سنة ١٤٠١هـ - ١٦٣١م.
٣٩- أحمد بن محمد مكي، أبوالعباس شهاب الدين الحسيني الحموي من علماء الحنفية، حموي الأصل، وهو صاحب كتاب «غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر» لابن نجيم الحنفي، توفي بمصر سنة ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م.
٤٠- أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي المغربي، أبوالفيض، محدث تفقه أولا على مذهب الشافعي ثم صار بعد ذلك لا يتقيد بمذهب، وهو رأس الأسرة الغمارية وأسنهم وأعلمهم، توفي بمصر سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي.. البناء النظري

د. حميد مسرار- باحث مغربي

لا خلاف في أهمية الأسرة ومهمتها الأساسية في بناء المجتمع، فهي المحضن الذي يتولى صيانة الأطفال وفي ظله تُتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وهي الخلية الأولى التي بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد، ولكي تقوم بواجبها الحضاري أسسها الإسلام على أسس ثابتة وركائز متينة، ومن هذه الركائز منظومة حقوقها، فهي صمام الأمان للحفاظ على الأسرة واستقرارها، ونظرًا لأهميتها اتخذها أرباب الفكر الحداثي مدخلا لتصويب السهام لها مما جعلها محط تشكيك خاصة مع وجود مسوغات ذلك وتعسف كثير من الناس في استعمالها. إذن أظن أن التأسيس لبناء نظري لحقوق الأسرة- يستمد أصالته من نظرية الحق في الفقه الإسلامي- أصبح مطلبًا ملحًا للرد على كل المعاندين في أحقيتها لمعالجة الواقع المعيش، إن الممحص في فلسفة الحق يجده يرتكز على ركائز ثلاثة وهي: الحق منحة من الله، الحق وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية، الحق بين سلطة الفرد وسلطان الدولة.

الحق في الفقه الإسلامي منحة من الله وليس وليد العقل أو الطبيعة، فالحكم الشرعي سواء أكان منصوصًا عليه أم مستنبطًا دلالة عن طريق الاجتهاد هو أساس الحق ومصدره، وبناء عليه يمكن بيان آثار ذلك في مجال الحقوق من خلال العناصر الآتية:

أ- البعد التعبدي في حقوق الأسرة.

ب- البعد القيمي والأخلاقي في حقوق الأسرة.

ج- البعد المصدري في حقوق الأسرة.

البعد التعبدي في حقوق الأسرة

تتأسس حقوق الأسرة على بعد عقدي تعبدي، فقد وصف الله عز وجل العقد الذي تقوم عليه الأسرة بالميثاق الغليظ تنبيهًا على خطورته ودعوة للاستجابة لمستلزماته، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١).

ومن مستلزماته الحقوق المتبادلة بين أفرادها، لذا دعا الشرع إلى الالتزام والوفاء بها استجابة لندائه ورجاء

استعمال الفرد لحقوقه الأسرية مقيد بضابطين.. تحقيق مصلحة الأسرة وعدم الإضرار بأحد

في ثوابه، وحذر من الاعتداء عليها والتعسف فيها.

إن حضور الجانب العقدي في حقوق الأسرة يحدو بالمكلف إلى الاستسلام الطوعي لها، استسلامًا مؤسسًا على العلم نابعًا من الرضا والحب راجيًا الثواب والجزاء الأخروي، وحضوره يجعلنا في منأى عن إشكالات عدة تعاني منها الأسر اليوم والتي تتجلى في عدم مراقبة الله عز وجل في أداء الحقوق مما قد ينجم عنه التعسف في استعمالها وابتغاؤها في غير المصلحة التي شرعت لها.

البعد القيمي في حقوق الأسرة

لقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من القيم الأخلاقية لتسهم في بناء وتنمية معاني التضحية والعطاء والإخلاص في العلاقات الأسرية فهي تحيي قيم الإسلام وتعبر عن مكانة الفضيلة في المعاملات الإنسانية (١)، لذا فهو ينظر لحقوق الأسرة نظرة مغايرة، لا تقوم على فكرة «الصاع» حيث ينصرف هدف الأفراد إلى المطالبة بالحقوق فقط، بل تقوم على التسامح والإيثار وتجعل من السمو الخلقي ركنًا ركينًا في بنائها.

البعد المصدري في حقوق الأسرة

ينطلق الفقه الإسلامي من اعتبار مصادر الحقوق هي نفسها مصادر الأحكام الشرعية، ليبقى التساؤل معلقا حول إمكانية الاجتهاد فيها؟ وللإجابة عنه نقول: إن الاجتهاد في حقوق الأسرة ينقسم إلى قسمين:

- الاجتهاد فيما لا نص فيه، وهو اجتهاد ينطلق من المقاصد العامة للشريعة



لا يجوز للدولة تقييد الحقوق الأسرية إذا كانت ثابتة بنصوص قطعية

الإسلامية والقواعد الكلية للأسرة، ويعتمد آليات الاستنباط المعروفة في الفقه الإسلامي.

- اجتهاد فيما فيه نص حقوقي، وهو بدورة ينقسم إلى قسمين:

- اجتهاد في فهم النص، ويكون في النص ظني الدلالة والثبوت أو ظني أحدهما، أما القطعي فلا مجال للاجتهاد فيه، وادعاء ذلك هو من قبيل هدم الثوابت التي تبنى عليها الأسرة.

- اجتهاد في تنزيله على الواقع، ويلاحظ أن نظرية التعسف رسمت طريقه واعتمدت آلياته، فقد بنت نظريتها على النظر في المآلات ودفع الأضرار واعتبار المقاصد. وكل ذلك من مسالك الاجتهاد التنزيلي.

وسائل لتحقيق مصالح الأسرة الشرعية

من الأسس التي يقوم عليها الحق في الفقه الإسلامي، اعتباره وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية، لذا فالنظر لحقوق الأسرة بهذا المنظور وأنها وسائل لتحقيق مصالح الأسرة يطرح علينا إشكاليتين، أما الأولى فاعتبار حقوق الأسرة وسائل يطرح علينا الإشكالية التالية: هل حقوق الأسرة ثابتة أم متغيرة؟ وأما الثانية فاعتبار غاية حقوق الأسرة المصلحة الشرعية يطرح علينا التساؤل الآتي: ما ضوابط هذه المصالح المرجوة من منح الحقوق؟

حقوق الأسرة بين الثابت والمتغير

يتبين للممحص في حقوق الأسرة أن منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير، فالثابت منها هو الذي لا يخضع للتغيير بتغير الزمان والمكان والظروف ومن أمثلة ذلك: حق التوارث والعدد والنفقة وغيرها، أما المتغير منها فهو الذي يخضع لظروف الزمان والمكان، ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والظروف، فهي حقوق اجتهادية لم يرد فيها نص قطعي، الغاية منها بلوغ المقاصد التي من أجلها شرعت، ومن أمثلتها مقدار النفقة والمهر...

ضوابط المصلحة في حقوق الأسرة

حرص التشريع الإسلامي على ربط الأحكام بمقاصدها، فضمن بذلك ديمومتها واستجابتها لجميع الحوادث المستجدة.

ولما كانت حقوق الأسرة تستمد مشروعيتها من الحكم الشرعي فهي بذلك تسمى لبلوغ المقاصد والمصالح التي رسمها الشرع، والمتتبع للمصلحة في الشريعة الإسلامية يتضح له أنها ليست على وزان واحد، فمنها الضرورية والحاجية والتحسينية، ومنها المعتبرة والمتغيبة، ومنها الخاصة والعامة، لذا فمعالجة حقوق الأسرة يجب أن يتأسس على هذه التقسيمات والمراتب، وذلك من خلال إعمال فقه الموازنات، فتتقدم المصلحة الضرورية على غيرها، والعامة على الخاصة والمعتبرة على ما سواها.

والمتأمل في مقاصد الأسرة يتبين له شموليتها لجميع مصالح الناس أفرادًا وجماعات، فضمنت بذلك للفرد مصالحه داخل الأسرة سكينة وتزكية ومودة ورحمة، وللجماعة مصالحها تأهيلًا للنشأ وتقوية للروابط الاجتماعية وامتدادًا لأواصر التكافل والتعاون، لذا فالخطاب الحقوقي

الأسري هو خطاب يوازن بين مصالح الفرد والجماعة، بل يجعل مصلحة الجماعة أولى من مصلحة الفرد إذا تعارضتا.

إن ما يدّعى اليوم من ضرورة تجاوز النصوص لصالح المصلحة الواقعية هو هدم للأسرة وثوابتها، فنخلص إذن إلى أن المصلحة المقصودة والتي هي غاية حقوق الأسرة هي تلك المصالح المنضبطة بضوابط الشرع وليس من تقدير العقل أو الواقع.

حقوق الأسرة بين سلطة الفرد وسلطان الدولة

منح الشرع للأفراد حقوقًا داخل الأسرة، وأمرهم باستعمالها وفق ما يحقق مصالحها وجعل للدولة حق التدخل في حالة التعسف في استعمالها ليبقى السؤال مطروحا عن مدى حرية الفرد في استعمال حقوقه الأسرية ومدى تدخل الدولة في تقييدها.

سلطة الفرد في استعمال حقوق الأسرة

تتميز حقوق الأسرة عن غيرها بأنها حقوق غيرية أو وظيفية غايتها تحقيق مصلحة الأسرة، لذا فالشرع حينما أناط الحقوق ببعض الأفراد دون بعض قيدها بضابطين:

الأول: تحقيق مصلحة الأسرة

ذلك بأن منح الحقوق لبعض الأفراد دون بعض غايته تحقيق مصلحة الأسرة، وكل استعمال لا يروم ذلك يعتبر لاغيًا، فحق التأديب على سبيل المثال حق للأب على طفله، لذا فهو مأمور برعاية الأصلح له. يقول الإمام الشاطبي: إن الأب في طفله أو الوصي في يتيمه أو الكافل فيمن يكفله مأمور برعاية الأصلح له (٢).

فإذا ما استعمله بشكل يؤدي إلى الإيذاء والإيلام فقد تعسف فيه يقول فتحي الدريني: فهو حق لم يتقرر ميزة للأب لتمكينه من استغلال أولاده في مصلحته الشخصية وإلا كان متعسفا ومنصرفا عن غايته التي من أجلها منح هذه السلطة وإنما تقرر من أجل مصلحة الأولاد أنفسهم (٣).

الثاني: عدم الإضرار

إن استعمال الحقوق بنية الإضرار هو عين التعسف، لذا فقد نهى الشرع عنه وحذر منه، وبما أن مجال الأسرة من أكثر المجالات التي قد يظهر فيها ذلك نتيجة للاحتكاك اليومي ونقص الوازع الديني، فقد نهت كثير من الآيات عن استعمال الحقوق فيها بنية الإضرار. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

فإذا كانت الولاية حقًا شرعيًا منحها الله تعالى لأقارب المرأة المؤهلين لذلك، فإن منع موليته من الزواج ممن ترغب فيه يعتبر إضرارًا عظيمًا بها، لذا جاز لها أن ترفع أمرها للسلطان ليدرأ عنها ذلك.

سلطة الدولة في تقييد حقوق الأسرة

إن تضارب المصالح بين أفراد الأسرة قد يجعل تدخل ولي الأمر أمرًا ملزمًا بغرض التوفيق والموازنة، وقد يؤول الأمر إلى التقييد والحد من بعض الصلاحيات، وذلك لتحقيق استقرار الأسرة واستمرارها، وتأسيسًا على ذلك نقول:

إن من حق ولي الأمر تقييد المباح من الحقوق بشروط أهمها:

١- أن تكون الحالة الملجئة حقيقية وليست مفتعلة.

٢- ألا يكون هناك طريق أو مخرج يحقق المراد غير هذا التقييد أو الالتزام، فإن كان ثم طريق آخر أو مخرج غيره لم يجز اللجوء إليه.

٣- أن تكون المصلحة عامة.

خلاصة القول

إن حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي تستمد أصالتها وأساسها الفكري من نظرية الحق بل تتأسس نظريًّا على ركائزه الثلاثة وهي: الحق منحة الله، الحق وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية، استعمال الحق بين سلطة الفرد وسلطان الدولة.

إن الانطلاق من هذه الركائز الثلاثة في معالجة حقوق الأسرة له نتائج مهمة تتجلى في:

- حضور الجانب العقدي والأخلاقي في حقوق الأسرة، وهو أمر له مزايا عديدة من أبرزها مراقبة الله عز وجل في استعمالها مما يعني تجنب التعسف في استعمالها.
- يجوز الاجتهاد في فهم النص الحقوقي ظني الدلالة والثبوت أو ظني أحدهما، أما القطعي فلا مجال للاجتهاد فيه.
- يجوز الاجتهاد في تنزيل النص الحقوقي على الواقع، ويلاحظ أن نظرية التعسف قد رسمت طريقه واعتمدت آلياته من النظر في الآلات ودفع الأضرار واعتماد المقاصد.
- حقوق الأسرة منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير.
- المصالح المرجوة من الحقوق الأسرية هي مصالح شرعية مفيدة بضوابط شرعية وليست مصالح عقلية واقعية.
- استعمال الفرد لحقوقه الأسرية مقيد بضابطين، وهما تحقيق مصلحة الأسرة وعدم الإضرار، لذا فكل استعمال لها يخالف مصلحة الأسرة ويروم الإضرار هو عين التعسف.
- لا يجوز للدولة تقييد الحقوق الأسرية إذا كانت ثابتة بنصوص قطعية، ويجوز لها تقييد المباح منها بشروط تضمن التنزيل الأسلم للأحكام على الواقع وبلوغ مقاصدها الشرعية.

الهوامش

١- الميادين: مجلة الدراسات العلمية في حقوق المعرفة الحقوقية والسياسية والقانونية والاقتصادية بوجدة فاروق النبهان ص ٧٤، مقال تحت عنوان: أهمية مراعاة القيم الإسلامية في قوانين الأحوال الشخصية.

٢- الاعتصام للشاطبي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة دون طبعة ٢٠٠٣.

٣- الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، فتحي الدريني، ص١٧٣.

بالعَوربة نستقبل العَولمة

يختلف المحللون السياسيون في تفسير مفهوم العَولمة، ويذهبون في ذلك مذاهب شتَّى يجمعها المبدأ الخلقي القديم الذي سيَّر السياسات الدولية، منذ عشرات القرون، كما رأينا في تاريخ الفراعنة والأكاسرة والقياصرة، وحياة الإسكندر المقدوني وهولاكو ورجالات الغزو الصليبي.

تطور مفهوم الهيمنة

على أن ذلك المبدأ القديم كان دافعه الهيمنة على البلاد والعباد، لتسخيرها في الخدمة والعبودية، وابتزاز ثرواتها وجهودها وتملك زمام التجارة والمنتجات الزراعية والحيوانية، والسيطرة العسكرية في مناطق النفوذ اللازمة، ثم صار له مفهوم جديد مَثَّله في القرنين الأخيرين أساطين الاستعمار في الشرق والغرب على العالم الإسلامي. وقد نتج عن ذلك تذبيح عشرات الملايين من المسلمين في الصين والهند والاتحاد السوفييتي وأوروبا وإفريقيا، ثم كان ما سمعنا من تضليل في أواخر القرن الماضي، كالسلام العالمي والفراغ العسكري والهلال الخصيب و«البوليس» الدولي والتدخل السريع.

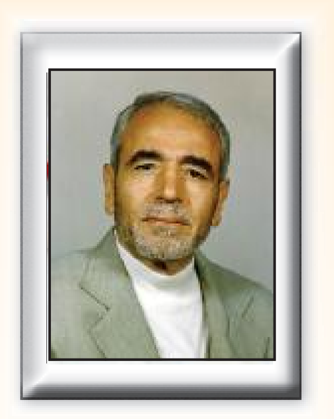
وأخيرًا ما شاع بين الأمم تحت شعار العَولَمة. وهو نفق سياسي يجب أن ينسب إلى صاحبه، فيكون اسمه: «التبويش» (١)، أي: صبغ العالم كله بالمطامع «البَوشية». فهو مذهبه الجديد تركه لخلفائه، إرثًا عدوانيًّا على العالم الإسلامي خاصة، يحملونه لتهديم الدين واللغات والخيرات. فلقد كشف هذا الزعيم الجديد عن الوجوه أقنعة الصداقة المزعومة، ووضع أمام الأبصار حقيقة ما في نفوس زعماء الدول العظمى، من أحقاد وفساد في النيات والأعمال، ثم حقق ذلك كله بتهديد المسلمين كلهم، وبدأ بنشر غزوات العدوان والتخريب في كل بلد لا يستجيب للانقياد والعبودية والذلّة والصَّغار.

وأمّا شعار «السلام العالمي» أو «السلام في الشرقِ الأوسط» فأُلْهُوّة من الأباطيل، يُضلَّل بها المسلمون ليستتيموا إلى عدوان الغزاة من اليهود والمتهودين، وما يجري في بلادنا من تهديم وتقتيل وتشريد ونهب للثروات والأوطان والأعراض والقيم. والأصل في «السلام» أنه اسم مصدر للتسليم والاستسلام لما يحمله من ظلال المودة والمسامحة.

وقد ورد ذكر السلام والسلم في القرآن الكريم بهذين المضمونين الكريمين، لتمييز الصِّلات الإسلامية الخاصة بنا والعامة لنا مع الأمم الأخرى. فكل خلط بين الشعارين في الاستعمال أو استبدال أحدهما مكان الآخر يخرّب لنا مفاهيمنا ويفسد علينا سبل العمل والتصرف في شؤون الحياة الدنيا والآخرة، ويحملنا نتائج الجهل والغباء والعبودية لغير الله في تقبل الأحكام والعواقب الوخيمة، كما نعاني الآن في جميع بلادنا من أنواع التشتت والعزلة ووسائل المذلة بالترف أو الجوع أو التقتيل والتخريب والاستعباد.

العولمة الحديثة

ذلك ما يقوم بتنفيذه اليوم زعماء العالم في الشعوب الإسلامية وبلادها، باجتياحها منطقة منطقة، غزوًا يهدّم ويزلزل ويقتل، ويستبيح حرمات



د. فخرالدين قباوة- باحث سوري

المساجد والمدارس والمستشفيات والجماعات والبيئات والأسر والأفراد. وهذا الإجرام يدخل علينا باسم السلام والعولمة، ليشيع الدمار والفتن والخلافات الوطنية والمذهبية والعنصرية، ويسرق خيرات الأرض والثروات الربّانية ومصادر التراث، تحت شعار الحرية والحماية ومحاربة الإرهاب، وتحت مظلة المنظمات الدولية. وهو ما تراه في أقطار البلاد الإسلامية، يتجدد يومًا بعد آخر، ويكتسح كل بادرة خير فيها، حتى لا تتفتح فينا بوادر الصحوة المباركة.

وها أنت ذا تجد زعماء العولمة يشجعون الخلافات الطائفية والمذهبية والقومية والوطنية والمحلية، والأطماع السياسية بين الأنظمة، ويباركون التقاليد الدينية الفارغة والنزعات الانهزامية الباهرة، من تشييد المساجد الشامخة المزخرفة حتى في البيت الأبيض، وإشاعة الطقوس الفضفاضة المهلهلة والخرافات والأوهام، وأحابيل الوعظ المخدِّر للهمم وإماتة النفوس والضمائر والألسنة، باللهجات المحلية والتفكير السطحي الرجراج والعبارات

الهفهافة المبيدة لكل تفتح أو صحوة أو تحرر. أما الفهم الديني الصحيح، والنشاط العلمي المتقن والإعداد لنزع ربقة العدوان، فأمور محظورة مهدَّدة بالمحق والإبادة، هي ومن ينادي بها أو يشرع في تقبلها أو تنفيذ شيء منها.

الإعراض عن العرب

فالهيمنة القديمة التي هبّت علينا رياحها بغزو نابليون لمصر، لدى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم، حملت معها سموم التبعية الأولى (٢)، إذ رأى محمد علي الكبير الوالي الغريب عن البلاد والعروبة أن استقلاله عن سلطان الخلافة لا يكون إلاّ بالانزياح عن النهج الإسلامي العربي، فسعى إلى مَحاربة الأقطار المعادية، يتعبد في أجوائها المخرّبة الموبوءة، ويستضيء بلهب مفاسدها المطروحة.

كان أول ما فعله أن أعرض عن التوجه العربي الإسلامي الكريم، فنقل نِعَمَ الحضارة الأوروبية وبركاتها، كما قال عنه بروكلمان في «تاريخ الشعوب الإسلامية» (٣)، وجعل قيادة الجيش لفرنسي هو «الكبتن سيف»، وصادر أملاك الأوقاف الإسلامية، وفرض أسلوب التعليم الأوروبي مع التدريس باللغات الأجنبية.. بل إنه أوفد البَعَثات من الشباب الغض إلى أوروبا لتعود بأساليب الفرنَجة، ثم بذرَ الخلاف في الأقطار العربية للانقسام، وسارع في إرسال الحملات لاحتلال بلاد الشام والجزيرة والخليج.

وقد ساهم في تحقيق ذلك وترسيخ جذوره الملتوية رموز الاستعمار الفكري والثقافي، كالذي كان في أرض الكنانة، من أمثال: رفاعة الطهطاوي ويعقوب صنوع وأحمد فارس الشدياق وقاسم أمين وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد وعبدالعزيز فهمي وجرجي زيدان وطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين ومحمود تيمور وإحسان عبدالقدوس، ثم ما كان من نظائرهم في الوطن الإسلامي كله وهم كثيرون جدًّا، من أمثال عبدالرحمن الكواكبي في بلاد الشام.

فقد أفسد هؤلاء وأمثالهم علينا القيم الإنسانية التي نعتز بها، وتحفظ لنا الحياة الكريمة، نقلوا إلينا مفاهيم مشوهة عن الدين والقومية والوطنية والإنسانية، وأثاروا في النفوس والعقول نزعات متطرفة، بما صنفوا من الكتب والمجلات والصحف الخليعة، وألقوا من المحاضرات، ودبجوا من الخطب والمقالات والمؤتمرات والندوات، وقنوات الإعلام صحافة وإذاعة وتلفزة وكبترة وتواصلاً.

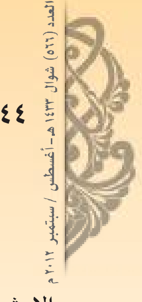
اللهجة العامية

ولما جاء عهد الثورة المصرية أصبحت أُمّة العرب تتلقى الإثارة والتوجيه باللهجة العامّية المحلية سنوات بعد سنوات، ثم انتقل ذلك إلى الخطاب الديني وأساليب التعليم في المساجد والمدارس والجامعات والأزهر الشريف، وعمّ وسائلَ الإعلام والإعلان والحوار في ميادين السياسة والعلم والفن والأدب، حتى أصبحنا نسمع تفسير القرآن الكريم باللهجة المصرية الضيقة أكثر من عشرين سنة، في الإذاعات والتلفزات العربية.

ومن ثَمّ شرعت الحكومات ومؤسسات العلم والأدب تشجع اللهجات المحلية، وتقيم الاحتفال بالنّظم النبطي والمواليّا والزجل والمقامات والأناشيد والأغاني والقصص الشعبي، فصار لها مواسم وجوائز وأسواق رائجة، تغطي الساحة الفنية وتزيل سيادة الأدب الرفيع، بل لقد أصبح الزجل والقصص الشعبي بوساوس من المستشرقين يُقحمان في مقرّرات كليات الآداب، وصارت الدرجات العلمية العالية تمنح على أبحاث عنهما وعن دراسات للأدب الشعبي واللهجات العامية، وقد تسنّم بعض الأساتذة كراسيّ علمية لذلك في الجامعات العربية.

وبهذا انطوى كل قطر من ديارنا على ذاته، وصار أبناؤه يصوغون القيم الإنسانية العالية وأساليب التفكير والحوار والبحث والتعليم والوعظ





والإرشاد من خلال منظور مصالحهم وشهواتهم ومنافعهم ولهجاتهم، وتزيدهم مقاعد الدراسة فسادًا بما يرون من الفوضى وإهمال الواجبات وتشويه للقيم والكرامة وعروبة اللسان. حتى إذا نجا أحدهم من مراحل التعليم الجامعي رأيته قد ودّع ما بقي فيه من نشاط وحماسة وإقدام وإنسانية وعروبة ووطنية، وصار لديه انعتاق وتسيّب في الولاء والتوجه، وبطالة وعطالة عن العمل والتفكير والتدبير، واستخفاف بالمعاني الإنسانية عامة، مع سخط ونقمة على عامة الأحياء والأموات.

وهاهو ذا الآن لا يحسن المواطنة الكريمة ليخدم أمته، ولا يملك مهنة أو خبرة ليبني عملًا إيجابيًا لبناء حضارة إسلامية، ولم يمارس الحياة العائلية اللازمة في أهله ليكون زوجًا يُكرم الزوجة ويعينها على أداء الواجبات وربَّ أسرة مستقرة تقدم للأمة جيلاً قويمًا ومجتمعًا سليم البناء والتوجه والإنتاج والعطاء.

وكذلك شأن الفتيات في كثير من مراحل الامّحاق هذه، بل هنّ أشد بلاء وأنكى، وإنما ينجُون من مآثر الجندية فقط، ثم تنصب عليهن في المواطن الأخرى سائر ألوان التثبيط والتوهين والتعطيل والتفريغ من كل معنى إيجابي حميد، وعندما يتخرجن في الكلية أو المعهد، يشعرن بالوحشة والعجز عن تبيُّن المستقبل المنشود، فليس لديهن الخبرةُ المنزلية للإسهام في تربية مواطنين صالحين وتقديم الأسرة الكريمة، ولا المهارةُ العملية لخدمة الوطن والأمة.

العَوربة لا العَولمة

مادام للعولمة تلك الاستطالات المتعددة المتشعبة، في حقول السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة والعقيدة واللغة والأخلاق والسلوك والعمل وميادين الحياة، فإن كل حقل من تلك الحقول يتصدى لحربه أهله من منظّرين وعاملين. والحكمة العقلية هنا تقتضي منا- نحن رجال عروبة اللسان- وجهًا عمليًا من السعي والاجتهاد يناسب البلاء المعاصر، نقدمه للأمم الغازية آية شكر على ما تلقفناه من فتات الموائد و«بالة البالات»، وخزي في الحياة وفي الممات.

وهأنذا أبسط ذلك الوجه بشيء من التفصيل، فنحن- علماءَ العربية- لن نواجه ذلك الغزو بأسلحة الحديد والنار والجراثيم أو شامل الدمار، لأنها لا تجدي شيئًا في هذا المعمعان، وإنما يكون سلاحنا هنا الفكر والتدبر بالعقل واللسان، والعملُ القائم على الوعي الكامل البنيان، لخدمة العربية لغة القرآن. فبالقول خطابًا وكتابة وتأليفًا وتعليمًا وتوجيهًا، نستطيع أن نتحمل تلك الواجبات، ونقدم ما نحمل من المَهام العظمى في ميداننا المبارك.

ومنذ بضع سنوات، نشأت مؤسسات علمية لغوية بعيدة عن الميدان السياسي، تكشف للقلوب والعيون والضمائر ظلمات التبعية التي نعيش فيها، وبوارقَ الأمل في تفتح فجر جديد، من الانطلاق والتحرر للشعب العربي والأمة الإسلامية، خلال معارك الوجود والحضور وتفعيل حياة عروبة اللسان، وتسديد المسار الذي انحرفت خطوطه بالانقياد النائم، ودخلت متاهات الضياع والتجهيل والاستسلام. وبهذا أصبحت العَوربة من أولى واجبات تلك المؤسسات، إذ صار أول الأهداف هو: الاهتمام باللغة العربية ورعاية شؤونها وتنميتها.

فالغاية الأولى لتلك المؤسسات المباركة هي الاهتمام، أي: الرعاية والخدمة والتنمية للغة العربية، بما يناسب حاجات الحاضر والمستقبل، في جميع مستويات التواصل اللغوي: حوارًا وتوجيهًا وتعليمًا وإعلامًا وتفننًا وبحثًا وتأليفًا. وتلك العمليات المتتابعة من الاهتمام تهيئ سلامةَ عروبة اللسان ومواكبتَها لمسيرة الحياة في الحقول المختلفة والمقتضيات الحضارية المتجددة.

والاهتمام يعني المراقبة والحرص على الوفاء والتنمية، وهو غير الحِفظ الذي أمَّنه الله- عز وجل- في قوله الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). ففي هذه الآية المباركة بشّرنا المولى- تعالى- أنه تكفّل بحفظ القرآن الكريم إلى الأبد من كل خلل أو نقص أو زيادة أو تحريف أو تبديل. وإنك لترى أن هذه البشارة الربانية تحمل في طياتها بشائر بدلالات كثيرة، لم يعرض لها العلماء. ومن ذلك أن الآية تتضمن أيضًا حفظ اللغة العربية والعرب والإسلام والمسلمين (٤)، وهذه بشارات بتأمين السلامة والخلود للعناصر المذكورة، مسجَّلًا في أمّ الكتاب واللوح المحفوظ، قبل أن يُنقل إلى المصاحف.

وقد وجبت تلك الدلالات باللزوم، لأن حفظ القرآن المجيد لا يتحصل في الفراغ، أو في نفوس الجن أو الملائكة، فاللغة العربية هي الوعاء الذي يحمل نصوص النظم الكريم، والعرب هم حملة عروبة اللسان، والإسلام هو الدين الذي يشتمل على القرآن الكريم ويبلغ رسالته، والمسلمون هم المؤمنون بذلك والحاملون له فهمًا واعتقادًا وعملًا وتبليغًا وجهادًا في سبيله، وعلى هذا تكون العناصر الخمسة: القرآن والعربية والعرب والإسلام والمسلمون، في مسيرة واحدة من الحفظ والصيانة أبدًا، لأنها تشكل مزيجًا متناصرًا متكاملًا، مصير كل منها مرتبط بمصاير الأخريات، فلا حاجة إذن إلى ما ينادي به بعض الغيورين على العربية، من نحو: الحفظ والحماية والدفاع، لأنه مؤمَّن بكفالة الله- عز وجل- والمحفوظ بأمر المولى العظيم غني عن جهود المخلوقات.

ومع هذا، فإنه لن يتحقق ذلك التأمين بالخيال والأوهام، ولابد له من جنود تقوم بتنفيذه وملاحقة أبعاده، وهذا يقتضي في الحقل اللغوي أن تتعاون جهود العرب والمسلمين، بالعَوربة الدائبة لرعاية اللسان المبين وخدمته وتنميته، في المعترك الحضاري العنيف بين الأمم والدول والأحلاف، إزاء غزو «العَولمة»، الذي يهدد الوجود

لابد من تثبيت الصحة اللغوية في النفوس والأقلام والأفهام وإشاعة استعمالها في كل مجالات الحياة

ويلوّث الألسنة والعقول والقيم والأذواق والأخلاق والعقائد والعبادات والأحكام والسلوك والعمل والعلم والفن والآداب.

وبناء على هذا كله فإن الإخوة العاملين في المجالس اللغوية الجديدة شرعوا يجددون العزم على تسلم زمام القيادة الفكرية للشعب العربي والأمّة المسلمة، وتوجيه الصحوة للانعتاق من كيد استشراق العدو واستغراب موجهي الفكرَين العربي والإسلامي المعاصرَين، وإنما يكون هذا الانعتاق برؤية واضحة للسبيل القويم، في توجّه العلم والعلماء والدرس والدارسين والبحث والباحثين والعمل والعاملين. والسلاح الفعال لهذه الصحوة ينحصر في الحقول اللسانية، لأن الوجه اللغوي للعَولمة هو الرِّدّة بالعرب ومن معهم إلى أحضان طُمطمانيات العامّيات المحلية، ومنها إلى نُفايات رَطانات الأوروبيات الخبيثة عامة والأميركية خاصة، للانصهار فيها تمثلًا وخطابًا وكتابة وبحثًا وتأليفًا وتأدبًا.

وهذا يعني تلويث الفكر واليد واللسان، والانقطاع عن الماضي والحاضر، والانصراف عن التراث بما فيه من علوم وآداب وفنون وتجارب وتأصيل حضاري. وهو تهديم لا تزعزعه الحكمة العقلية بمفهومها العلمي، ولا المواجهة السياسية الودّية المتطامنة، ولا المحبة من طرف واحد، وإنما يجب أن يقف له وجهًا لوجه أسلوب لغوي يتمتع بالقوة والنفاذ، طرحتْه على الإخوة العاملين في ميادين اللغة العربية باسم «العَوربة». وهو قطب حيوي يقابل ذلك الوافد المقيت، ويكون ندًّا له بالمرصاد. وقديمًا قيل: الحديد بالحديد يُفلَح.

معنى اصطلاحي

ونحن لا نعني بالعَوربة تعريبًا، كما يفهم بعض السامعين والقُرّاء، إذ كلنا عرب أو متعرّبون، والحمد لله رب العالمين. وغيرنا من الشعوب الإسلامية لسنا مكلّفين بتعريبهم أيضًا، إنما علينا التبليغ والإعلام والإيناس والتقريب والتعليم، فإن تعربوا بأنفسهم رغبة منهم فبها ونعمتْ، وإلاّ كنا قد قمنا بما علينا، وكفى الله المؤمنين الخصام.

والمراد بالعَوربة هو: تشييد الحصن الحصين لعروبة اللسان ومسيرتها العالمية، أعني ما قام به أجدادنا القدماء العرب من إحياء عروبة اللسان ببضع سنوات بين إخوتهم في الشام وشمالي إفريقيا وشرقيها، ثم نشر العربية عالميًّا بالتواصل الإنساني الكريم في التجارة والمصاهرة، من الأندلس إلى إندونيسيا ومن فاراب إلى جنوبيّ إفريقيا واليمن، حتى إنه مازال الأفغانيون غرب «مزار شريف»، وبعض أهل طاجيكستان، يتحدثون باللغة العربية (٥). ومثل هذا كثير في الجمهوريات الإسلامية من شرقيّ أوروبا وشماليّ آسيا، مع استعمال الحرف العربي في الكتابة أيضًا، رغم ما نزل بها من بطش الشيوعية الملحدة والرأسمالية اليهودية المعاصرة، وما فُرض عليها من أساليب العَولمة الغاشمة.

وتنفيذ ذلك العمل الكريم يتطلب منا الآن مرحلتين متواليتين، يكون منهما «تبويش التبويش»، أي: إفساده وتخريب مخططاته ومقاصده. وهاتان المرحلتان هما: السعيُ في بلادنا لتأسيس ما يتصدى بعروبة اللسان للصرخة العَولمية المسعورة، ثم الانطلاقُ بنشر العربية إلى مناطق نفوذ التيار العَولمي نفسه ثم إلى بؤرته في عُقر داره، لمزاحمته وغزو موطنه في هذا الكوكب الصغير. وذلك التصدي يكون بتثبيت الصحة اللغوية في النفوس والأقلام والأفهام، وإشاعة استعمالها في كل مجالات الحياة، وسيطرتها على العقول والضمائر، وصيرورتها الوسيلة الوحيدة في البيان والتعليم والوعظ والتوجيه والإعلام والإعلان والبحث، محبة ورغبة في الاستقلال والسيادة.

خريطة عمل

فالتعليم بمراحله المختلفة، والإعلام بأشكاله المتعددة، والإعلانِ بصوره المتفاوتة، والتوجيه الديني وعظًا وفقهًا وخطبة وتفسيرًا وإقراء، وتأليف البحوث العلمية والفنية والأدبية، والتعامل بمثل الكِبتار (الكومبيوتر) والمحمول (الموبايل) والبرساخ(٦) (الفكس) والتواصل (الإنترنت) والكَتْرُون (البريد الإلكتروني) والآليّة (الأتمتة)... كل ذلك يكون بالصحيح من الكلام. أما الحوار اليومي في السوق والشارع والنادي والمنازل فيكون باللغة الوسطى. وفي الاستمرار بهذا الاتجاه تعزيز المُناخ اللغوي الصحي، لتكوين الملَكة السليمة المعافاة، أي: عَوربة اللسان. وهذا يعني أن تكون المستويات اللغوية كما يلي:

١ – اللغة العربية الفصحى هي خاصة بالأدباء، فيما ينتجون من شعر ونثر فني، ليكون في أعلى مراتب الفصاحة والجمال والبيان، ليناسب العمل الأدبي الرفيع.

٢ – اللغة العربية الفصيحة تكون خاصة بالعلماء، فيما يصنفون ويبحثون ويؤلفون ويتحدثون، لأنهم يتناولون معلومات وحقائق عميقة تحتاج إلى التعبير الدقيق بالأسلوب الفصيح، للدلالة التي هي غاية في البيان.

٣ – اللغة العربية الصحيحة، وهي تشمل جميع اللهجات القبلية القديمة القرشية وغيرها إذا كانت قائمة على السلامة اللغوية، تجوز للموجِّهين في غير مجالات الفن الأدبي والبحث العلمي. فالمعلمون والأساتذة والمدرسون في جميع المستويات والمجالات المدنية والعسكرية، وخطباء الجوامع والمساجد، ورجال الوعظ والإرشاد والإعلام والإعلان والحوار والندوات والمؤتمرات العامة، والعاملون في ميادين القضاء من محامين وقضاة ومساعدين وخبراء، كل هؤلاء يكفينا منهم أن يحسنوا التعبير الصحيح وحده، دون مطالبتهم بالعربية الفصيحة أو الفصحى، لأن هاتين ليستا من مقتضيات أعمالهم في ميادين التوجيه والتعبير.

٤ – اللغة العربية الوسطى تقتصر عليها جماهير المواطنين غير المذكورين قبل من رجال ونساء وشيوخ وأطفال، خلال ممارستهم شؤون الحياة اليومية في المنازل والشوارع والأسواق والمنتديات والمسارح والملاعب والمهن المختلفة. ونعني بالوسطى التعبير القريب من

الصحيح من دون تقعّر في الإعراب وتفاصح وتقصد لدقيق البيان.

وفي هذا ما يقرّب الناس يومًا فيومًا من مستوى الصحيح والفصيح والأفصح، ويحمّل كل قطاع بشري ما يناسب عمله في ميادين الحياة اللغوية، لتحتفظ عروبة اللسان بوجهها المشرق في وظائفها المختلفة وغاياتها النبيلة، وتتنامى العَوربة مع الأيام لتفرض نفسها في ميادين اللغات العالمية، وتستعيد مجدها التليد بعون الله وتوفيقه.

وهذا التوزيع للمستويات اللغوية يذكرنا بما نطلبه من الصحة الجسمية بين الناس. فالعناية الصحية المشددة تكون لعدد ضئيل جدًا من الأمّة ولا يجوز تعميمها على الجميع، وحسب الجماهير أن يكون لديهم صحة الجسم وصفاء النفس، ليكون للأعمال نتاج طيب في الوطن الكريم، ثم بين هؤلاء وأولئك مستويات صحية تناسب الأعمال المنوطة بالناس. وإذا استطعنا أن نشيع العربية الصحيحة في جميع أنواع التعليم والإرشاد والإعلام، وعوّدنا أطفالنا أن يؤدوا بها القراءة الصامتة دائمًا، فإنني كفيل لكم بأن نتخفف من دراسة القواعد النحوية في جميع مستويات التعليم، عدا الاختصاص في الآداب والعلوم الشرعية، إذ يكفي سائر الطلاب أن يتبينوا بعض الحقائق النحوية خلال القراءة والدراسة للنصوص والعلوم المختلفة، بشيء من البيان والتوضيح.

نسعى في ذلك بين أبناء العروبة مسلمين وغير مسلمين، لأنه اللغة الوطنية الوحيدة في البلاد، ثم ننقله إلى الشعوب المُحبّة للغة الإيمان، في البلاد الأخرى من ديار المسلمين. فهؤلاء أنصار لنا وعون في المجالات العامة، نزوّدهم بما يَنشر بينهم لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وهم يقدسونها ويتطلعون إلى تعلمها والعبادة بها، فنكسب ودّهم وتفهُّمهم لمشكلاتنا الوطنية والقومية والسياسية، ونصرتهم لقضايانا في كل ميدان، ونعيد لعروبة اللسان مواقعها الإسلامية التي كانت لها في العصور الماضية، برغبة الإيمان وتطلّب الصلاح.

وبهذا نكون قد حصّنّا أفراد الشعب العربي والأمّة الإسلامية من الانزياح و«التأورب» و«التبويش»، ووسّعنا دائرة الردع للعُجمة والعامّيات المحلية، واكتسبنا شعوبًا يتجاوز عدد أفرادها المليار ودولًا تبلغ العشرات، ورددنا العَولمة اللغوية بالمناعة والصمود، ولم يبق لها فينا إلاّ ما نحتاج إليه من ترجمات وتعريب لمستحدثات العلم ومنجزاته والأعمال الاضطرارية.

فإذا حققنا مطالب هذه المرحلة المصيرية، من الصراع اللغوي، كان لنا القدرة على العَوربة العالمية، نقابل الغزو بمثله والرياح بإعصار. وهذا يعني أن ننقل معركة اللغات إلى الغُزاة في عُقر دارهم وحقل سلطانهم الثقافي، نقرّب العربية إلى مواطنيهم وأتباعهم من الأمم والشعوب بالوسائل الكريمة، ونزوّدهم بما ييسّر لهم تعلمها أو تداولها فيما بينهم، ليكون لنا بينهم ميدان تعارف حقيقي يزيل أكاذيب اليهودية والاستعمار، ويوضح واقع وفائنا للقيم الإنسانية وطيب الأخلاق ونبل المعاملة للجميع، ومن ثَمّ تنفتح فيهم مجالات لحضارتنا ودعوتنا وأسواق للمعاملات الاقتصادية الكريمة، ومداخل إلى القلوب والسرائر، فيما يَحتاج إلى تعرُّف أو تعاون أو تبادل أو نصرة أو إنصاف. وما ذلك على الله بعزيز.

وإذا كنا مطالَبين بإلزام أن نسعى في تبليغ الناس جميعًا مبادئَ التوحيد الإسلامي، ونهجَه القويم في العبادة والتشريع والمعاملات والأخلاق والسلوك، فإننا أيضًا مطالبون أن ننقل لغة القرآن الكريم والحديث الشريف إلى أولئك المبلَّغين، إذ بها يحسن الفهم والتوجه والعمل الواعي الحصيف. وهكذا يكون تلازم في العالمية بين الحنيفية وعَوربة اللسان.

ولسنا ندعي هذا بالظن والتوهم، لأنه حاضر بوضوح وبيان في عشرات من الآيات الكريمة. فقد ذكر علماء اللغة والنحو أن القرآن العظيم استوفى، مع نزوله بلغة قريش، عددًا ظاهرًا من لهجات قبائل العرب في الأساليب النحوية، وعددًا أكبر من الألفاظ التي كانت تستخدمها قبائل عربية أيضًا وأمم أعجمية. وفي هذا تحقيق بالخطاب وتأليف لقلوب الآخرين، وإشعار بأن القرآن الكريم ليس خاصًا بقريش أو بالعرب، وإنما هو للناس عامة، كما أن الدين الذي يبشِّر به هو لهم أيضًا في كل زمان ومكان.

فلكل أمة خصائصها التاريخية ولكل شعب سماته الشخصية، ولا يجوز العدوان على ذلك، بل له حرمته وتقديره وتنميته وحمايته، في رياض الروح الإسلامية العربية العالمية، وهذا ما لا تقره العَولمة التبويشية المستعلية، بل تريد أن تمسح آثاره من الكون بجرة قلم وتهديدِ غزو ومحقٍ من الوجود، ولذلك يكون فرق جوهريٌ كبير آخر بينها وبين العَوربة، إذ تتميز مساعي هذه بالتبليغ والإعلام والتعليم والإرشاد للحضارة الروحية: ﴿ادعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ والمَوعظَة الحَسَنَة وجَادِلْهُم بالَّتِي هِيَ أَحسَنُ﴾ (النحل: ٦)، وتصطبغ مخططات تلك لفرض الحضارة الوحشية بالذي هو أسوأ: الحديد والنار والهدم والدمار.

رسالة السماء

نحن نحمل بالعَوربة إلى الآخرين رسالة السماء، لأنهم في أمسّ الحاجة إليها، بما انصب عليهم من الكوارث والنكبات والحروب، فيها عشراتُ الملايين من القتلى والمشوهين، ومبادئ الإلحاد والمادية المغرقة والفواحش والمنكرات والمخدرات. ننقل إليهم مدنية روحية ولغة ربانية تستوعبان جماهير البشر، بما فيهم من تعطش وتطلع إلى منقذ من توحش القوى المدمرة للكون والحياة.

هذا هو القانون الطبيعي لاستجابة الإنسان كما قال منذ عقود أحد أساتذة الجامعة ببيروت (٧) يجري على أتم وجه. فلا بدع أن تَنقل حضارتُنا ولغتنا إليهم الهناء والرغد والرفاه والحلم والأنس والبهاء والهناءة. أما العَولمة البوشية فتحمل مدنية مادية ولغة هجينة وفتكًا وتدميرًا وتسلطًا مريرًا. فلابد أن تنفر منها النفوس، ويكونَ عجز عن فرضها بالقوة والجبروت والطغيان الشنيع،

فتنتهيَ بالإخفاق والإحباط والاندحار كما جرى لأسلافها من المتسلطين.

فلا يمكن أن يقارن به ما تسلكه العَوربة من سبل الدعوة إلى الخير والرشاد والسعادة في الدنيا والآخرة، كما حققها في التاريخ أجدادنا العرب المسلمون، حين فتحوا القلوب والعقول قبل المدن والقرى والمحيطات، ونوّروا العالم بأمجاد العروبة والإسلام. فإلى تمثل هذه الدعوة الوقائية العلاجية- أيها المحبون لعروبة اللسان- نتعاون في فهمها وتوضيحها وتحقيقها علمًا وعملًا.

ولما بدت سورية رائدة ميدان التعريب في أوائل القرن الماضي، وانطلقت بعضُ الدول الشقيقة تجاريها وتقتدي بها في قليل منه حرصًا على صفاء العربية من كل ضعف أو فساد، فإنه يتوجب علينا- نحن العرب- أن نتعاون في جميع الميادين الاجتماعية والتعليمية والتوجيهية والإعلامية والأدبية والسياسية، لتصفية عروبة اللسان من ذيول العامية والعُجمة، باتباع الخطوات التالية:

- فرض العربية الفصحى على الأدباء في كل شعر أو نثر، والعربية الفصيحة على العلماء في جميع الميادين، والعربية الصحيحة في وسائل الإعلام والإعلان والتعليم والوعظ والإرشاد، مع الرقابة الشديدة بالمكافآت والعقاب.

- الرقابة اللغوية لكل ما ينشر من الكتب والدوريات، وما يُعرض من اللافتات والدعايات والأناشيد والأغاني، والأفلام والمسرحيات والمسلسلات والقصص والروايات والأقاصيص.

- توجيه المصادر المقروءة، ليكون فيها الضبط اللازم لكل مستوى بحسب حاجته، مع التوظيف المنهجي لعلامات الترقيم.

- إحلال الرغبة والمحبة للعربية والتراث، بدلًا من الترهيب والتعقيد وتضخيم المسؤولية بالأوهام والتغليط.

- إيجاب استعمال العربية الصحيحة في التدريس لجميع المقررات، مع الحوار بما يناسب مستوى الطلاب.

- تشجيع الناس على القراءة الصامتة الصحيحة، والقراءة الجهرية المتقنة الأداء، في الرياض وما بعدها.

- تنمية الاعتزاز بعروبة اللسان، ورفض التثبيط لنجاحِ فصاحتها والاغترارِ بمظاهرِ الأمم الغربية.

- التمييز بين النحو العملي ليكون مما يدرسه جميع الطلاب بحسب مستوياتهم، وحصر النحو العلمي في أقسام اللغة العربية والأدب والدراسات الشرعية.

الممارسة العملية لما يُدرس من العربية، في ساعات الحوار والكتابة والقراءة، وإجراء الإعراب التطبيقي.

- التدريب على قراءة القرآن الكريم والنصوص الأدبية، وحفظ الكثير من الآيات والأحاديث والشعر والنثر.

- تشجيعُ الدراسات اللغوية والأدبية، وإكثارُ الحوافز لمدرسي العربية بإعداد القدوة الصالحة، والعنايةُ القصوى بالنابغين والمتميزين، لمتابعة البحث العلمي العالي والإنتاج البكر في خدمة العربية وتنميتها.

- تعريب مناهج التعليم وبرامجه في جميع المستويات، حفظًا للكرامة العربية من المهانة والصَّغار، وتهيئة العقول للبحث العلمي الرائد خدمةً لحضارة الإسلام.

- تكوين المهارات اللغوية، في التعبير والقراءة والكتابة والفهم والإنتاج للعلم والأدب.

- تأخير تدريس اللغات الأجنبية إلى المرحلة الثانوية، وجعل دراستها اختيارية، وتهميش دراسة اللغات الأجنبية في المستويات الجامعية العليا، ليتابعها من يحتاجون إليها فقط.

- توجيه البَعَثات إلى الغرب والشرق، بأن تكون لمن أتقن العربية واستوعب ثقافتها ونال إجازة علمية.

- تعريب البحث العلمي في الجامعات والمعاهد والمخابر وسائر القطاعات الخاصة والعامة.

- ترجمة الأبحاث العلمية والمصطلحات وأسماء الأدوات والآلات والأجهزة والأشياء المستوردة والمحلية.

- استعمال اللغة الوسطى في الحياة العامة بين الناس جميعًا، وإشاعتها تهيئة للتفصيح.

- استبعاد الإجابات الآلية «الأتمتة» في امتحانات المدارس والمعاهد والجامعات، ريثما يتمكن الطلاب من عروبة اللسان.

- تفصيح التعبير في التلفاز والكِبتار (الكومبيوتر) والتواصل (الإنترنت) والبِرساخ (الفكس) والهاتف المحمول (المَوبايل) والكَترُون (البريد الإلكتروني)، وعن الأعداد والأرقام لإحياء ما اندثر في العقول والألسنة والأقلام.

الهوامش

(١) في اجتماع لأعضاء الكونجرس يوم ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢، ذكر الرئيس الأميركي جورج بوش صلابة الاتحاد اليهودي والمسيحي الأبيض الثري، وهيمنة القوات الأميركية على العالم، وتحدث عن إطلاق الحرية في زراعة الأفيون بأفغانستان، ثم قال: «لن نتوقف حتى يصبح كل عربي مسلم مجردًا من السلاح، وحليق الوجه وغير متدين ومحبًا لأميركا، ولا يغطي وجه امرأته نقاب.. ونعتبر أن جميع المنظمات الدولية والسياسية، التي تعارض كل هدف يتعلق بالمصلحة الوطنية الأميركية الإسرائيلية، يجب حلها فورًا... سنقوم نحن- شعوبَ العالم من الجنس الأبيض المتحضر- بفرض معتقداتنا على عالم جائع لأموالنا ورسالتنا. ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللِّحَى، ولن تخضع النساء لشرط تغطية وجوههن وأجسادهن. ومن الآن فصاعدًا يحق للعالَم تناول الخمر والتدخين وممارسة الجنس السوي أو الشذوذ الجنسي، بما في ذلك سِفاح القُربى واللواط والخيانة الزوجية والسلب والقتل وقيادة السيارات بسرعة جنونية، ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرف نومهم. وبالنسبة إلى شركاتنا التي تنتج مثل هذه المنتجات فسيحقّ لها الوصول من دون عقبات إلى الدول المتخلفة التي منعت تلك الحريات عن شعوبها». انظر ص ١٧ من العدد ٨٣٠٠ لجريدة الخليج الصادر في ٨/ ٢/ ٢٠٠٢.

(٢) انظر كتابنا: ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان ص ٨ ـ ١٢.

(٣) ص ٥٤٤ ـ ٥٤٦.

(٤) انظر تفسير الجلالين الميسر ص ٢٦٢، والمفصل في تفسير القرآن الكريم ص٩٥٣، والمهارات اللغوية وعروبة اللسان ص ١٤٤.

(٥) موسوعة حلب المقارنة ٥: ٣٦٤.

(٦) البرساخ: نحت لاسم الآلة من البرقية المنسوخة، وهو لفظ وَدود وَلود يكون منه مصدروأفعال ومشتقات.

(٧) انظر موسوعة حلب المقارنة ٥: ٣٦٤ـ ٣٦٥.

تقريب تأصيلات ابن دقيق العـــ بالمقصود منه من خلال شرحـــ

د. لخضر بوغفور - أكاديمي جزائري

قد ينقدح في ذهن البعض أنّ ربط أحكام الشارع بمقاصده وحكمه مطلب سهل المنال إذا ما وقف على بعض مسلّماته النّظرية وكلّياته الجليّة، ولكن ما إن يسبر هذا المسلك على حقيقته وينظر في دقائقه ومتعلّقاته وتطبيقاته ويستحضر انتشار الحكم وخفاءها في جملة واسعة من الأحكام حتّى يدرك خطأ تصوّره الأوّل، قال ابن تيمية: «اعلم أنّ تعليق الأحكام بالأسباب المقتضية حصول المصالح من الأحكام أمر مضبوط، فأمّا الحكم والمصالح فإنّ تعليق الأحكام بها عسير؛ لكونها قد تكون خفيّة، وقد تكون غير مضبوطة»(١).

وقال عبدالله دراز: «لابدّ من النّظر المطلق في مقاصد الشّرع بواسطة الكلّيات، ولابدّ من تتبّع النّصوص أيضًا مع ذلك وهي الجزئيات، وبالأمرين معًا تصدر من النّاظر صور صحيحة الاعتبار عند الشّارع، وما أصعب هذا العمل!!...»(٢).

ومن ثمّ فحريٌّ بالنّاظر- علاوة على استعانته بربّه جل جلاله واستنزاله السداد منه- أن يستفرغ قصارى جهده في ضبط هذا المقام عسى أن يتجاوز هذا العسر بأمان ويستقيم نظره المقاصدي ويقترب من إصابة حكم الله عز وجل في المسألة التي يعالجها «على وجه لا يخلّ فيه المعنى بالنصّ، ولا بالعكس؛ لتجري الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض»(٣).

ومن أفضل وسائل تحقيق هذه الغاية الجليلة وقوفُ الناظر على ما رقمه بعض العلماء الراسخين الذين أمّوا هذا المسلك وبرعوا فيه، ومن أبرزهم الإمام المجدّد ابن دقيق العيد، الذي قال فيه الذهبي: «له يد طولى في الأصول والمعقول، وخبرة بعلل المنقول»(٤). وقال فيه أيضا ابن الزملكاني: «إليه المنتهى في التّحقيق والتدقيق، والغوص على المعاني»(٥).

ومن ثمّ تشكّلت فكرة هذا البُحيث في تتبّع جملة من إشاراته الرشيقة وتقريراته الرصينة التي فرّقها في شرحه على «عمدة الأحكام»، والتي هَدف من خلالها إلى تقريب علاقة النّصوص والأحكام الشرعية بالمقاصد المرعيّة وضبط بعض حدودها، ولا غرو في ذلك فهو القائل: «لست أنكر على من اعتبر أصل المصالح، لكن الاسترسال فيها وتحقيقها يحتاج إلى نظر شديد...»(٦).

وإخال أنّ إبراز مثل هذه الإشارات لهذا الإمام ولغيره من النّظار الكبار يسهم في إثراء الرصيد التأصيلي لجانب الضبط والإحكام في هذا العلم الجليل.

وتعظم الحاجة إلى طرق هذا الموضوع بالنّظر إلى شيوع ظاهرة المراعاة المغلوطة للمقاصد في الأمّة خصوصًا في وقتنا المعاصر(٧).

وقد جاء هذا البحث في تمهيد وفروع ثلاثة وخاتمة على النّحو التالي:

تمهيد

الفرع الأوّل: ما رجحت فيه كفّة الوقوف مع ظاهر النصّ.

الفرع الثاني: ما رجحت فيه كفّة مراعاة مقصود الشارع.

الفرع الثالث: ما له صلة بهما جميعا.

خاتمة

وقد اعتمدت في منهج دراستي هذه على تتبّع التأصيلات المقاصدية الذي ذكرها ابن دقيق العيد متعلّقة بموضوعنا، ثمّ قسّمتها بحسب ما سبق في الخطّة.

ورتّبتها داخل الفرع الواحد بحسب ورودها في كتابه مع جمع ما اتّحد معناه في موضع واحد، ثمّ ذكرت المناسبة التي جاءت في سياقها، وعلّقت عليها من خلال تجلية مضامينها وتقريب مقاصدها وذكر بعض الزيادات عليها.

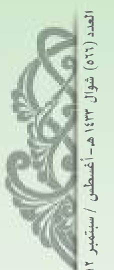
تمهيد

نقف قليلا في مطلع هذا البحث لنحرِّر مصطلح مقاصد الشّارع حتّى يستقيم لنا تصوّر التأصيلات الآتية ونعرف ارتباطها جميعا مع موضوعنا بغضّ النّظر عن النّوع التي تندرج تحته.

مقاصد الشّارع في الأصل هي مراداته من أفعاله ومن شرعه(٨)، والذي يعنينا منها في مسارنا الفقهي مراداتُه من أحكامه الشرعيّة، وتحتها نوعان جليلان(٩):

النّوع الأوّل: مقاصد الشّارع من خطابه الشّرعي، وهي الأحكام الشّرعية والمعاني التي قصدها الشّارع الحكيم من ألفاظ خطابه الشّرعي.

وما قرّره علماء الأصول فيما يتعلّق بدلالات الألفاظ خير معين على ضبط هذا النّوع.



ـــــيد حول علاقة النصّ الشرعي ـــــه على «عمدة الأحكام»

ومثال هذا النّوع ما يأتي طَرّقُه في التأصيلين الأوليين من كون الأمر النّبوي بغسل ولوغ الكلب هل يناط بقصد الشارع إلى الجمع بين المطهِّرين أو يناط بقصده الزيادة في التنظيف بالتراب؟

النّوع الثّاني: مقاصد الشّارع من مدلول خطابه الشّرعي، وقد أشار بعض المتقدّمين إلى حقيقتها، ومن هؤلاء ابن تيمية الذي يمكننا أن نستلّ من كلامه(١٠) التّعريف التّالي: «الغايات الحميدة والعواقب الحميدة التي ترمي إليها الأحكام الشّرعيّة».

فحينما يقرّر النّاظر مقاصد النصّ الشرعي من آية قرآنية أو حديث نبوي بطريقة النّوع الأوّل ينتقل إلى استجلاء ما وراءها من مصلحة مجلوبة أو مفسدة مدفوعة بطريقة النّوع الثاني.

ومثالها ما يأتي طَرّقُه في التأصيل الرابع من كون الصلاة الوسطى التي أكّد على المحافظة عليها، هل هي صلاة الفجر باعتبار مشقّة مجيئها في حال النّوم أم هي صلاة العصر باعتبار مشقّة مجيئها في وقت اشتغال النّاس بالمعاش؟

وكما ترى جليّا هما نوعان متكاملان لا يرشد نظر الفقيه إلاّ بملاحظتهما جميعًا، ولربّما عظمت عناية البعض بالنّوع الثاني وقصّروا في تحقيق النّوع الأوّل فزلّت فهومهم وشذّوا عن الجادّة.

والآن نلج إلى تأصيلات ابن دقيق العيد ذات الصلة بهذين النّوعين:

الفرع الأوّل: ما رجحت فيه كفّة الوقوف مع ظاهر النصّ.

التأصيلان الأوليان:

١- «النصّ إذا ورد بشيء معيّن، واحتمل معنى يختصّ بذلك الشيء لم يجز إلغاء النصّ، واطّراح خصوص المعيّن فيه»(١١).

٢- «المعاني المستنبطة إذا لم يكن فيها سوى مجرّد المناسبة، فليست بذلك الأمر القوي، فإذا وقعت فيها الاحتمالات، فالصواب اتّباع النصّ»(١٢).

أوردهما ابن دقيق في صدد حديثه عن مسألة هل يتعيّن التراب في غسل ولوغ الكلب أم لا؟ حيث اعتمدهما في ترجيح الرأي الأوّل بناء على احتمال قصد الشارع للجمع بين مطهِّرين الماء والتراب. وهو احتمال يزاحم بشدّة احتمال قصد الشارع زيادة التنظيف بالتراب الذي اعتمد عليه من جوّز قيام الصابون والأشنان(١٣) مقامه.

وفي هذين التأصيلين إشارة إلى ضابط مهمّ في مجال بحثنا، وهو أنّه إذا تجاذب الحكم الشرعي مقصودان.. مقصود قاصر على عين ما ورد في الحكم، ومقصود يشمل أعيانًا عديدة، وقوي الاحتمال الأوّل ولم يظهر رجحان الاحتمال الثاني وقفنا عند خصوصية النصّ.

كيف نتصرف إذا تجاذب الحكم الشرعي مقصودان أحدهم قاصر على عين ما ورد في الحكم والآخر يشمل أعيانا كثيرة؟

التأصيل الثالث:

استعمال ما دلّت السنّة على عينه أولى ممّا قد يؤدّي إلى المقصود من الحكم، ولكن ليس بصورة كاملة(١٤).

أورد ابن دقيق مضمون هذا التأصيل في صدد حديثه عن مسألة نتف الإبط وإمكان الاعتياض عنه بما يؤدّي إلى إزالة الشعر.

وفي هذا التأصيل إشارة مهمّة إلى ضرورة تنبّه النّاظر إلى مدى تحقيق الوسائل الخارجة عن النصّ لمقصود الشارع من حيث استيفائه بالكلّية أو لا، فإذا دلّت التجربة أو غيرها من الدلائل على الاحتمال الثاني كان التمسّك بالوارد هو الأفضل والأحرى مادام أنّه يحقّق المقصود بصورة كاملة.

التأصيل الرابع:

«للفضائل والمصالح مراتب لا يحيط بها البشر، فالواجب اتّباع النصّ فيها»(١٥).

أورده في صدد حديثه عن مسألة تعيين الصلاة الوسطى التي خصّها الشارع الحكيم بالحثّ في كتابه؛ ذلك أنّ بعض من اختار أنّها صلاة الفجر ربّما سلك في مقام الجواب عن الأحاديث التي صرّحت بأنّها صلاة العصر طريق التّعويل على ملاحظة المعنى الذي

قصده الشارع، «وهو أنّ تخصيص الصلاة الوسطى بالأمر بالمحافظة لأجل المشقّة في ذلك، وأشقّ الصلوات صلاة الصبح لأنّها تأتي في حال النّوم والغفلة. وقد قيل: إنّ ألذّ النّوم إغفاءة الفجر، فناسب أن تكون هي المحثوث على المحافظة عليها»(١٦).

وهنا اختار ابن دقيق قادحين اثنين يقدحان في صحّة هذا النّظر المقاصدي رغم ما بينهما من التفاوت من حيث القوّة، فقال: «هذا قد يُعارَض في صلاة العصر بمشقّة أخرى، وهي أنّها وقت اشتغال النّاس بالمعاش والتكسّب، ولو لم يعارض بذلك لكان المعنى الذي ذكره في صلاة الصبح ساقط الاعتبار، مع النصّ على أنّها العصر..»(١٧) ، ثمّ ختم بهذا التأصيل الرابع.

إذن فحوى هذا التأصيل لزوم الوقوف مع النصّ وعدم معارضته بمقصود يناقضه، وكذلك المنازعة في آن واحد فيما أُبْدي من تعليل بناء على عدم إحاطة النظّار بكلّ تفاصيل المصالح المعتبرة.

التأصيل الخامس:

«العبادات محلّ التعبّدات، ويكثر ذلك فيها. فالاحتياط فيها الاتّباع»(١٨).

أورده في صدد حديثه عن مسألة: هل يتعيّن لفظ التكبير في الإحرام للصلاة؟ حيث نقل عن أبي حنيفة بأنّه إذا أتى بما يقتضي التعظيم كفى اعتمادا على ملاحظة مقصود الشارع.

ولكن رجّح مسلك الجمهور الواقفين مع خصوص ما نُصّ عليه، وأيّد هذا الرأي بهذا التأصيل.

ومقتضاه أنّ المسألة مادامت من قبيل العبادات التي يكثر فيها التعبّد وعدم الوقوف على عين الحكمة، واحتملت تعميم حُكمها بناء على مراعاة المقصود، واحتملت الوقوف مع الوارد، صحّ للنّاظر أن يحتاط فيها لدين الله بلزوم المتيقّن وترك المشكوك فيه.

التأصيل السادس:

«ليس لنا أن نتصرّف في النّصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالي

لابد من الوقوف مع النص وعدم معارضته بمقصود يناقضه .. والترجيح يتبع المصالح

يمكن أن يكون هو المراد، مع اقتضاء اللفظ التعليل بغيره»(١٩).

أورده في صدد حديثه عن منع الشريعة من التصوير، حيث نقل عن بعض من اقتصر على كراهته قوله: «هذا التشديد كان في ذلك الزمان، لقرب عهد النّاس بعبادة الأوثان. وهذا الزمان حيث انتشر الإسلام، وتمهّدت قواعده لا يساويه في هذا المعنى، فلا يساويه في هذا التشديد...»(٢٠).

ولربّما كان لهذا التوجيه شيء من القوّة بالنّظر إلى أنّ صاحبه رام الجمع بين ملاحظة العرف الذي صاحب خطاب الشارع وبين الاحتياط لما دلّ عليه أصل خطابه من النّهي عن هذا الفعل، فكانت النتيجة النّزول إلى درجة الكراهة.

ومع ذلك جزم ابن دقيق ببطلان هذا القول لشيء واحد، ألا وهو مخالفة التعليل الذي بُنِي عليه للتعليل المنصوص عليه في سنّة النبيّ ﷺ (التشبّه بخلق الله)(٢١). وقال: «هذه علّة عامّة مستقلّة مناسبة، لا تخصّ زمانًا دون زمان»(٢٢).

وفي هذا التقرير تنبيه الناظر إلى لزوم التمسّك بأصل ثبات الحكم الشرعي سواء في أصله أو في درجته من الأمر أو النّهي، وألاّ يسرح بخياله في استنباط تعليل مقاصدي يجنح به إلى خرق هذا الأصل مادام الشارع الحكيم قد كفاه الزلل بنصّه على العلّة.

التأصيلان الأخيران:

١- «الأفعال متعارضة المصالح والمفاسد. وليس كلّ ذلك معلومًا لنا ولا مستحضرًا، وإذا تعارضت المصالح والمفاسد، فمقدار تأثير كلّ واحدة منها في الحثّ والمنع غير محقّق لنا، فالطريق حينئذ أن نفوّض الأمر إلى صاحب الشرع، ونجري على ما دلّ عليه ظاهر اللفظ»(٢٣).

أورده في صدد حديثه عن المفاضلة بين صيام نبيّ الله داود عليه السلام وبين سرده إلى الأبد، حيث مال إلى الوقوف مع ظاهر الحديث الوارد في تفضيل الأوّل منهما(٢٤)، وأيّد اختياره بهذا التأصيل.

ولم يلتفت إلى ما اعتمد إليه المخالف من كون العمل كلّما كان أكثر كان أوفر أجرًا، وعارض إجراء هذا الأصل هنا بما يحصل من التقصير في الحقوق بسبب الصوم الدائم.

وتقريبه أن يُعلم أنّ الشارع الحكيم إذا أمر بشيء ما أو نهى عن آخر أو فاضل بين الأفعال المتفاوتة أو رجّح بعضها على بعض أو حكم في أيّ قضيّة ما، ولم يظهر للنّاظر مناط حكمه على الحقيقة، أو ظنّ مناطًا معيّنًا قد يوجد ما يسنده في عرف الشارع ولكن يقود اعتباره إلى إضعاف سلطان النصّ الخاصّ، فهنا أيضًا لا مناص من الوقوف مع ظاهر النصّ.

٢- «لا شك أنّ التّرجيح يتبع المصالح، ومقاديرها مختلفة. وصاحب الشرع أعلم بتلك المقادير. فإذا لم يعلم المكلّف حقيقة تلك المصالح، ولم يستحضر أعدادها، فالأولى اتّباع اللّفظ الوارد في الشرع»(٢٥).

أورده في صدد حديثه عن المفاضلة بين النّكاح والتخلّي لنوافل العبادات، حيث مال إلى الوقوف مع ظاهر الحديث الوارد في تفضيل الأوّل منهما(٢٦)، وأيّد اختياره بهذا التأصيل.

وكما هو ظاهر فهو يندرج تحت سابقه، فكفى عنه.

الفرع الثاني: ما رجحت فيه كفّة مراعاة مقصود الشارع

التأصيل الأوّل:

«متى دار الحكم بين كونه تعبدا،

أو معقول المعنى، كان حمله على كونه معقول المعنى أولى؛ لندرة التعبّد بالنّسبة إلى الأحكام المعقولة المعنى»(٢٧).

أورد ابن دقيق العيد هذا التأصيل في صدد حديثه عن الأمر النّبوي بغسل ولوغ الكلب، هل يدلّ على تنجيس الإناء كما قال الجمهور، أو لا يدلّ لذلك بناءً على كون الحكم تعبّديًّا كما قال مالك؟

وقد رجّح الرأي الأوّل، وأيّده بهذا التأصيل فضلا عن دلالة نفس لفظة «طهور» الواردة في إحدى روايات الحديث.

ويمكننا تصوير هذا المرجّح الكلّي في حالتين اثنتين إحداهما أبلغ من الأخرى:

الحالة الأولى: أنّ الأصل والأغلب في أحكام الشريعة أنّها معلومة الحكمة ويندر فيها خلاف ذلك. ومن ثمّ إذا حصل تردّد في حكم ما بماذا نلحقه حتّى يمكننا أن نرتّب على حكمته أحكامًا جديدة لم ينصّ عليها اللفظ الشرعي، فهنا كما نصّت الكلّية الفقهية العقلية: «العبرة بالغالب والنادر لا حكم له».

الحالة الثانية: وهي أبلغ، وذلك إذا وقع علاوة على ما جاء في الحالة السابقة أن ورد في لفظ النصّ الشرعي ما يقوّي بصورة ظاهرة الحمل على المعقولية، كما وقع في حديثنا هذا.

التأصيل الثاني:

«إذا كان أصل المعنى معقولا قلنا به، وإذا وقع في التفاصيل ما لم يعقل اتّبعناه في التفصيل، ولم ينقص لأجله التأصيل»(٢٨).

أورده في صدد حديثه عن المسألة السابقة نفسها، وذلك في مقام ردّه على دليل المخالفين من المالكية الذين اعتمدوا على «ذكر هذا العدد المخصوص، وهو السبع؛ لأنّه لو كان للنّجاسة لاكتفي فيها بما دون السبع، فإنّه لا يكون أغلظ من نجاسة العذرة وقد اكتفي فيها بما دون السبع»(٢٩).

فأتى جوابه عن دليلهم من وجهين:

١- على سبيل الممانعة في الشقّ المتعلّق بدعواهم أنّ نجاسة الكلب لا تكون أغلظ من نجاسة العذرة، بل هي كذلك مادام غسل الأولى أبلغ وأكثر عددًا.

٢- على سبيل التسليم بالشقّ المتعلّق بدعواهم أن لو كان الأمر بالغسل للنّجاسة لاكتفي بما دون السبع.

وهو إشكال عويص يرد عليه، إذ كيف يستقيم توجيه هذه المطاوعة للخصم مع القول بمعقولية هذا الحكم؟

ولكنّه خرج منه، ونبّه إلى هذا التأصيل الدقيق، وقال: «ولذلك نظائر في الشريعة، فلو لم تظهر زيادة التغليظ في النّجاسة لكنّا نقتصر في التعبّد على العدد، ونمشي في أصل المعنى على معقولية المعنى»(٣٠).

وبهذا التقرير الرصين رسم لنا: الانفكاك بين جهة أصل الحكم وجهة تفصيلاته، بحيث يستقيم ميل النّاظر إلى تقصيد الأولى من غير وكس، وفي آن واحد يحكم على الثانية بكونها تعبّدية من غير شطط إذ لم يبلغها علمه، ﴿...قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ (الطلاق: ٣).

التأصيل الثالث: «المعنى إذا كان معلومًا كالنصّ قطعًا، أو ظنًّا مقاربًا للقطع، فاتّباعه وتعليق الحكم به أولى من اتّباع مجرّد اللفظ»(٣١).

أورده في صدد حديثه عن مسألة وقت الاغتسال لصلاة الجمعة، حيث قال قبله: «تبيّن من بعض الأحاديث أنّ الغسل لإزالة الروائح الكريهة(٣٢). ويفهم منه أنّ المقصود عدم تأذّي الحاضرين»(٣٣). وبناء على ملاحظة هذا المقصود الجليّ ردّ مذهب من بالغ في عدم الالتفات إليه حتّى سوّغ تأخّر الغسل عن الصلاة ولو أتى به قبل الغروب اعتمادًا منه على إضافة الغسل إلى اليوم كما ذهب إلى ذلك ابن حزم.

بل ردّ أيضا مذهب من سوّغ من الفقهاء تقدّم الغسل لكن على وجه لا يحصل به مقصود الشارع(٣٤).

وقد سبق في التأصيل السادس من الفرع الأوّل التحذير من اعتبار معانٍ مقاصدية وهمية تجنح إلى التلاعب بالنّصوص.

وناسب هنا التنبيه إلى ما يقابله وهو ضرورة مراعاة النّاظر للمقاصد التي يغلب على ظنّه مراعاة الشريعة لها فضلا عمّا ترقى إلى درجة القطع، وألاّ يغالي في الأخذ بظواهر النّصوص.

الفرع الثالث: ما له صلة بهما جميعا

التأصيل الوحيد:

«اعلم أنّ أكثر هذه الأحكام قد تدور بين اعتبار المعنى واتّباع اللّفظ، ولكن ينبغي أن ينظر في المعنى إلى الظهور والخفاء. فحيث يظهر ظهورا كثيرا فلا بأس باتّباعه، وتخصيص النصّ به، أو تعميمه على قواعد القيّاسين. وحيث يختفي، أو لا يظهر ظهورا قويّا فاتّباع اللّفظ أولى»(٣٥).

أورده ابن دقيق في صدد حديثه عن جملة من الصور المرتبطة ببيع الحاضر للبادي.. هل تدخل في النّهي النّبوي أم لا؟

وقد صدّر كلامه بالإشارة إلى خصوص هذه الصور، ولكنّه في الواقع ينطبق على سائر الفروع التي تخرّج على الأحكام الأصلية المنصوص عليها بناءً على ظهور مقصود الشارع فيها أو خفائه.

وهذا التأصيل في جزئيته المتعلّقة بتخصيص النصّ بناء على ملاحظة المعنى يشكل عليه ما ذكره في صدد تأييده لاختياره في مسألة: هل يتعيّن التراب في غسل ولوغ الكلب؟ حيث قال علاوة على التأصيلين الأوليين اللذين وردا في بداية الفرع الأوّل: «وأيضًا، فإنّ المعنى المستنبط إذا عاد على النصّ بإبطال أو تخصيص فمردود عند جمع من الأصوليين»(٣٦).

ولكن يقوي القول- من خلال الموازنة بين هذين النصّين- أنّ مذهبه تجويز تخصيص النصّ بالمعنى لأنّه نسبه إلى نفسه كما هو ظاهر هنا، وأمّا ما رقمه هناك فإنّما عزاه إلى هؤلاء الجمع، والعلم عند الله.

وقد أسّس هذا التأصيل لأربعة أنواع من الكلّيات تصريحًا وتلويحًا:

منها نوعان يتّحدان في الحكم الكلّي، وهو اتّباع اللفظ والوقوف مع ظاهر

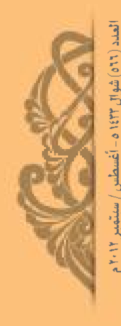
النصّ، وهما كالتالي:
النّوع الأوّل: حيث يختفي تعلّق مقصود الشّارع بالصورة المنظور فيها وينعدم.
النّوع الثاني: حيث يُحتمل تعلّقه بها، ولكن لا ترجح كفّة مراعاته على كفّة الوقوف مع ظاهر اللفظ.
وأمّا النّوعان الآخران اللذان يتّحدان في اتّباع مقصود الشّارع وعدم الوقوف عند خصوصية النّص فهما كالتالي:
النّوع الأوّل: حيث يظهر جليًّا تعلّق مقصود الشّارع بالصورة المنظور فيها.
النّوع الثاني: حيث يقطع النّاظر بتعلّق مقصود الشّارع بها، وهذا النّوع لم ينصّ عليه ابن دقيق في تأصيله هذا، ولكن يُفقه بطريق الأولى.
وقد أشارت عبارته «...وتخصيص النصّ به، أو تعميمه...» إلى جهتَي تعلّق المقصود بالصورة المتنازع فيها:
× جهة الوجود، وحينها يكون البحث في دعوى تعميمها بالحكم الأصلي.
× وجهة تخلّف المقصود، وحينها يكون البحث في دعوى كون هذه الصورة مخصوصة خارجة عن الأصل، فلينتبه إلى هذا في تصوّر ما سبق!!

خاتمة

وقفنا فيما خلا على أنواع مختلفة من الحكم الشرعي يعتريها النّظر المقاصدي، قوي في بعضها الوقوف مع خصوصية النصّ الشرعي الوارد فيها، وقوي في الأخرى الوقوف مع مقصود الشّارع في تعميم النصّ أو تخصيصه على اختلاف درجات إدراك النّاظر لذلك كلّه من حيث القطع والظنّ.
وربّما تجاذب الحكم الواحد الأمران جميعا باعتبار أصله وتفاصيله.
ومنخول الكلام في هذا المقام أنّ العبرة بما رجحت كفّته عند أهل العلم المحقّقين الذين عظّموا نصّ الشارع وقصده وسبروا غور هذه المضايق.
وحيث قال شيخ إمامنا العزُّ بن عبدالسلام: «أكثر المصالح والمفاسد لا وقوف على مقاديرها وتحديدها، وإنّما تعرف تقريبًا لعزّة الوقوف على تحديدها»(٣٧). فإنّ الشأن أيضا سيكون في كثير من جوانب النّظر المقاصدي المرتبطة بهذه المناطات التقريبية، فيحاول الناظر جهده ليكون دقيقًا في ميزانها لأجل أن يصيب حكم الله عز وجل فيها ما أمكن.
وما سبق من تأصيلات ابن دقيق، وما تمخّض عنها من صياغات جديدة شكّلت لنا في مجموعها منظومة من القواعد الكفيلة- إن شاء الله- بخدمة هذه الغاية.
فحريّ بقاصدي التحقيق في إجراء ثنائية «الوقوف مع النصّ مع ملاحظة مقصود الشارع» أن يحرصوا على استحضار ما سبق ونظيره من التقعيد المقاصدي الذي ذكره العلماء المجدّدون.
ولو جُمعت هذه القواعد جميعًا، ودُرست في بحث مستقلّ، وتأمّل الباحثَ في أبعادها وإشاراتها لربّما خرج عملًا نافعًا لهذا الفقه الحيّ.
والحمد لله حقّ حمده، وصلّى الله وسلّم على محمّد وحزبه ما ارتوى من تراث الأسلاف غليل واكتفى به.

الهوامش

(١) تنبيه الرّجل العاقل على تمويه الجدل الباطل ١/١١٧.
(٢) هامش الموافقات ٣/١٨٣.
(٣) الموافقات ٣/١٣٤.
(٤) تذكرة الحفّاظ ٤/١٤٨٢.
(٥) البدر الطالع ٢/٢٣٠.
(٦) نقله عنه الزركشي في البحر المحيط ٦/٨٠.
(٧) دراسة هذه الظاهرة على اختلاف درجات الخطأ فيها كانت موضوع رسالتي لمرحلة الدكتوراه بعنوان: «الخطأ في النّظر المقاصدي دراسة تحليلية نقدية تطبيقية».
(٨) انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٩.
(٩) انظر: محاضرات في مقاصد الشّريعة للرّيسوني، ص٩، رسالتي «الخطأ في النّظر المقاصدي» ص٢٦.
(١٠) انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٩.
(١١) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٦٢.
(١٢) المصدر نفسه ١/١٦٢.
(١٣) فارسِي معرّب، فيه لغتان ضمّ الهمزة وكسرها، وِشجر الأشنان يقال له الحَرْض، يُسوّى منه ما تُغسل به الثياب. انظر: جمهرة اللغة ٣/١٢٧٥، لسان العرب ٢/٨٣٧.
(١٤) مستفاد من كلامه في إحكام الأحكام ١/٣٥٠.
(١٥) المصدر نفسه ٢/٥٠.
(١٦) المصدر نفسه ٢/٥٠.
(١٧) من ذلك ما انتقاه صاحب عمدة الأحكام، وهو ما جاء في الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال: لمّا كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، شغلونا عن صلاة الوسطى حتّى غابت الشّمس» صحيح البخاري، رقم: ٢٩٣١، ص٥٩٤، وصحيح مسلم، رقم: ٦٢٧ (٢٠٣)، ص٢٤٨. وفي لفظ لمسلم: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر...». رقم: ٦٢٧ (٢٠٥)، ص٢٤٨. كما جاء هذا التصريح أيضا عند مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، رقم: ٦٢٨ (٢٠٦)، ص٢٤٨.
(١٨) إحكام الأحكام ٢/٣٧١.
(١٩) المصدر نفسه ٣/٢٥٦.
(٢٠) المصدر نفسه ٣/٢٥٦.
(٢١) روى الشيخان عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا متستّرة بقرام فيه صورة، فتلوّن وجهه، ثمّ تناول السّتر فهتكه، ثمّ قال: «إنّ من أشدّ النّاس عذابًا يوم القَيامة الذين يشبّهون بخلق الله» صحيح البخاري، رقم: ٥٩٥٤، ص١٢٦٨، وصحيح مسلم- واللفظ له، رقم: ٢١٠٧ (٩١)، ص٨٧٤.
(٢٢) إحكام الأحكام ٣/٢٥٧.
(٢٣) المصدر نفسه ٣/٤١٢.
(٢٤) وذلك في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه عنه الشيخان، حيث ورد فيه أنّ النبيّ أُخْبر بقول عبدالله: «والله لأصومنّ النّهار ولأقومنّ الليل ما عشت» فتدرّج معه ﷺ في التخفيف حتّى قال له في آخر الحديث: «فصم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود وهو أعدل الصّيام. قلت: إنّي أطيق أفضل منه يا رسول الله، قال: لا أفضل من ذلك». انظر نصّه كاملا في صحيح البخاري، رقم: ٣٤١٨، ص٧٠٢، وصحيح مسلم، رقم: ١١٥٩ (١٨١)، ص٤٤٧.
(٢٥) إحكام الأحكام ٤/١٧٦.
(٢٦) وهو ما جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنّ نفرا من أصحابه ﷺ قال بعضهم: لا أتزوّج النّساء، وقال بعضهم: لا آكل اللّحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فأنكر عليهم ﷺ طريقتهم تلك قائلا: «لكنّي أصلّي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي». هذا مختصره من رواية مسلم، وانظر نصّه كاملا في صحيح البخاري، رقم: ٥٠٦٣، ص١١٠٠، وصحيح مسلم، رقم: ١٤٠١ (٥)، ص٥٤٩.
(٢٧) إحكام الأحكام ١/١٤٥.
(٢٨) المصدر نفسه ١/١٤٨. وانظر أيضا: المصدر ذاته ٣/١٢١.
(٢٩) المصدر نفسه ١/١٤٥.
(٣٠) المصدر نفسه ١/١٤٨.
(٣١) إحكام الأحكام ٣/١٢٠.
(٣٢) كما في الحديث المتّفق عليه من رواية عائشة قالت: «كان النّاس ينتابون الجمعة من منازلهم والعوالي فيأتون في الغبار فيصيبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم العرق فأتى رسول الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال النبيّ ﷺ: «لو أنّكم تطهّرتم ليومكم هذا». صحيح البخاري- واللّفظ له، رقم: ٩٠٢، ص١٧٨، وصحيح مسلم، رقم: ٨٤٧ (٦)، ص٣٢٨.
(٣٣) إحكام الأحكام ٣/١٢٠.
(٣٤) انظر: المصدر نفسه ٣/١١٩- ١٢٠.
(٣٥) المصدر نفسه ٤/٣٨.
(٣٦) المصدر نفسه ١/١٦٢.
(٣٧) القواعد الصغرى ص١٧٢. وانظر: القواعد الكبرى ١/٣٠.





معلِّمتي ورقة الخريف!

د. محمد بابا عمي - أكاديمي جزائري

عفوًا آنستي، داستك قدمي فجرًا، في ساحة المسجد المجاوِر، كما الأيامُ الأخرى؛ بلا وعي في حقّك، ولا تفكُّر في حقيقتك.

أمّا صباح هذا اليوم البلّوري المبارَك، فقد استفاق الإدراك فيّ وجهتك، واستيقظ الاعتبار من كنانة قلبي، وكم من عبر تمرُّ عليّ ولا أبالي؟! فقليلًا ما تذكّرت، وركّزت، ونظرتُ، يا ويح قلبي الفاتر، ويا حسرتا على عقلي الصامت.

آنستي، لا يغرّنّك ازورارُ الناس عنك، جهلًا أو تجاهلًا، ظلمًا أو كبرياءً؛ ذلك أنّ نضارة الربيع تغريهم، وأنّ زهو الخضرة يسبيهم؛ فيكشحون وجوهَهم عن الجلال، منشغلين بزهرة الجمال؛ ويرمون المعنى في قعر دهليز الزمان، مبهورين بالشكل والمظهر والفاني من فتات المكان.

التقطتك يدي برفق، مخافة كسرك؛ فأنت الرقيقة قلبًا، الخفيفةُ ذنبًا؛ لَا، بل لا ذنب يثقلك ويخلد بكِ إلى الأرض؛ وأنت المرهَفة حسًّا، بينما الناس في الجفاء والجفوة مذاهب وفنون؛ وأنت، آنستي، شكلك شكلُ راحة يدي؛ بذلك التقت اليد، الّتي هي بعضٌ منّي، باليد التي هي كلُّك؛ وإن أكن سخيًّا ومعطاءً ببعضي، فأنت جميعك سخاءٌ وسخاءٌ.

نعم، تجاعيد جسمك المخمليّ الزهريّ، عنوان الفناء في الخدمة؛ فربيعًا كنت تعملين، والناس حينها يلهون ويلعبون؛ واليومَ لم تحتكري عرش الشهرة، ولم تبالي بكرسيّ النياشين، مثل الكثيرين من بني البشرَ؛ فأنت آنستي، قد مددت يد العون لمن يأتي بعدك، وسافرت إلى عالم الجزاء، هنيّة البال، طاهرة الفؤاد، مطمئنّة الباطن.

آه، آنستي، لو البشر من معناك يرْتشفون، ولحقيقتك يدركون، إذن لما كانت حروب، ولا قتل، ولا انقلابات، ولا حقد، فكلُّ واحدة من بني جلدتك آنستي، في مكانها اللائق بها، تمامًا، لا ترتفع عنه ولا تنخفض، ولا تقتل الوقت في زحزحة أخواتها أو إخوانها من منازلهم؛ وكلٌّ واحدة موقنة أنّ رزقها بيد من لا ينسى، ولا يغفل، ولا يضيع، وأنّ مصيرها، وحظها، موثوق بحبل من الإيمان متين، هي هكذا، موحّدة بالفطرة، لا تكلُّفًا؛ ولذلك كان تسبيحها أثيريّ النفحات، كونيّ اللفحات، ينشر عبيره عند آخر نقطة في الكون، ويسمعه الجن والإنس وكلُّ الخلائق، بلا خرخشة، لو أصاغوا أذنهم، ولو غسلوا قلوبهم بماء الورد.

هكذا، آنستي، كوني لنا مدرسة، نكن لك تلامذة؛ وعلّمينا فنّ التفكر والاعتبار؛ واحملينا على التسبيح النورانيّ السرمديّ، علّمينا أن نقول، ونعي ما نقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (الزخرف: ١٤-١٥)، لا عند امتطاء المراكب فقط، لكن- كذلك- عندما نعتلي صهوة المعنى والفهم، ونعلو ذروة العلم والعمل.

شكرًا، سيدي.. الجميلة الجليلة.. شكرًا.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

من الأقوال التي لا مطعن فيها أن العلاقة بين اللغة والفكر مثل شفْرتَي المقصّ، لا ندري أيهما أقطع، إذا صَفِت اللَغةَ، وخلتّ من الأحراش، جاء الفكرَ بالأفكار الأبكار، والأثمار الناضجة، وإذا انحسر الفكر ظهر الضمور والجمود على اللغة، وضُيِّقت منافسُها، ثم كان أمرها في إدبار. إذا صح أن أمر اللغة بهذه المكانة، فإن طوق نجاتنا نحن- العرب- في هذه الدنيا يكمن في الحفاظ على العربية الفصحى، التي بدأنا- ويالِلأسف- ننْسلُّ منها، كما تنسل الأفعى من خِرْشائها. يشهد على ذلك لغتنا المنطَوقة والمكتوبة التي نحشوها بأمشاج من الألفاظ والتعبيرات اللاّحنة التي لم نسمع بمثلها في آبائنا الأولين، كأن العربية الصحيحة شَعرٌ فوق رؤوسنا ثم كُشِط، لتقْتعد اللهجات العامية، واللَغات الأجنبية مكانها، بعد أن حازت نصرا مُبينا في شتى مناحي الحياة، فظهرت فئة من الأغتام، لا ترفع أصواتها المنكرة، وأقلامها المقحوطة إلا لغاية دنيئة، تزرع القنوط والإحباط، وتُهوّن من صفاء العربية الفصحى، لأن أمر هذا الصفاء والنقاء في مجتمع المعلومات، أضحى عنقاء مُجَنّحة،



وضربا من الأوهام متناسين أن هذا الصفاء اللغوي المفقود، هو المسؤول عن كثير من العلل والأوضار التي تعانيها مجتمعاتنا العربية في أثناء الرغبة في ترميم وإصلاح ما تبقى من المعارف الخاوية، التي يُطوّقون بها جيدَ العربية الفصحى. ولقد علّمنا آباؤنا الأولون أن اللغة لا تُعلّم إلا باللغة، وأن السمع أبو الملكات اللسانية، وأن الخطة البَزْلاءَ التي تبذر الإصلاح اللغوي الحقّ، يجب أن تبدأ بافتضاح أمر تلك المعارف الخاوية، وإبادة التشرذم اللغوي، قبل أن يصدمنا الزمن، وأن نزيل عن أعيننا الغشاوة التي تمنعنا من تبصرة بعض آلاء العربية الفصحى، إذ متى غاب الوعي بالخطة المحكمة، ضاع السعي إلى إدراك البُغية، وإلى استقطار المعارف الشائقة الماتعة التي يتقوّى بها عقل الأمة في بحر العولمة المسجور. وأحسب أن هذا الاحتراق اللغوي المنتشر في أرجاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، لا يطفئه إلا إصلاح اللغة الكفيل بصنع أفكار مبتكرة نافعة، فلا منجاة ولا عاصم لنا اليوم إلا بإصلاح ألسنتنا وما تقوله كلماتنا، باستنفار أولي العزم الذين أعرقوا في البحث عن كنوز الفصحى لاقتحام دياجي التشتت اللغوي برؤية استبصارية تُنجينا من الغرق في بحر اللغات الأجنبية، التي جيّشتْ جيوشا للاستيلاء على الحصون والقلاع، فإن لم تفز بِقدْح القَصْل، أوجدت طائفة من أبناء جِلْدتنا يخلطون رغبات التطوير بِبُنَيّاتِ طريق العولمة وطرائقها القدد، لتقطع ما أمر الله به أن يوصل، وتعيث في لغتنا الجميلة فسادا.

تأسيسا على هذه الحقيقة تأتي هذه الورقة اللغوية كوسيلة من وسائل المناعة الفعالة، صامدة في وجه دُعاة التغريب، داعية إلى التمكين للعربية الفصحى صافية مثل صفاء أعين الدّيكة، لأجل المحافظة على الكيان الروحي والفكري والاجتماعي والثقافي والديني والذوقي؛ الذي يمثل أسّ الهُوية العربية الإسلامية ومعدنها الأصيل، من دون الحجْر على منطقها الداخلي الذي يُوَلّد بَنين وحفَدة لا يزيغون عن سنن القواعد، ولا يتبعون في توليداتهم شَنَع اللغات على شاكلة هذه العبارة التي لا ترعى حرمة لعربية القرآن:

«يا ليت هذا القول يجد آذانا صاغية».

هذه عبارة تتردد في أثناء الترويج لبرنامج ديني في إحدى القنوات الدينية المشهورة، وفي غيرها من القنوات الفضائية؛ ولقد تكررت حتى تَكَرّجتْ وتقررت وسيطرت على الألسنة، وظن أغلب الذين تقرع أسماعهم، أن ما تقوله هذه العبارة هو أن المتكلم يتمنى أن يصادف قوله آذانا تستمع إليه وتُحسن الإصغاء. وهذا عند الإمعان في النظر خلاف المراد، مرجعه أن المتكم لا يفرق بين لفظتي «صغى - وأصغى». جاء في الصحاح: «صغا يصغو ويُصغي صُغُوًّا، أي: مال. وكذلك صَغِيَ بالكسر يصْغَى صَغىً وصُغيًّا. وصغَتِ النجوم، إذا مالت للغروب... وقولهم أكرموا فلانا في صاغيته، وهم القوم الذين يميلون إليه، ويأتونه ويطلبون ما عنده. وأصغيت إلى فلان، إذا ملتَ بسمعك نحوه...»(١) وأحسنت الاستماع إليه.

القول الفصل إذن أن «صغى» تعني مال، فهو صاغ وهي صاغية. قال تعالى من سورة التحريم آية رقم ٤ ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: مالت عن الحق فهي صاغية. أما «أصغى» فتعني أحسن الاستماع، فهو مُصْغ، وهي مصغية. قال ذوالرمة يصفُ ناقته بالفطانة وسرعة الحركة:

تُصْغي إذا شَدّها بالكور جانحةً
حتى إذا ما استوى في غرْزها تَثِبُ

إذا اتضح أن الهمزة زيدت لإفادة سلب المعنى، كما في الأفعال الآتية:

قسط = جار. قال تعالى من سورة الجن آية ١٥: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وأقسط = عدل. قال تعالى من سورة الحجرات آية ٩ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

ترب = افتقر. قال تعالى من سورة البلد آية ١٦: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ وأترب = استغنى، كأنه صار له من المال بقدر التراب.

خفى = أخرج. وأخفى = ستر وأضمر. قال تعالى من سورة الممتحنة آية ١: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾.

جاء = أتى. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (يوسف: ٥٨). وأجاء = ألجأ. قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ...﴾ (مريم: ٢٣).

فإن العبارة الفصيحة السليمة المعبرة عن حسن الإصغاء والإنصات هي: «ياليت هذا القول يجد آذانا مُصْغية» حيث إن صياغة اسم الفاعل من الرباعي بإبدال ياء مضارعه ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره. أما عبارة «ياليت هذا القول يجد آذانا صاغية» فهي من السوأة الصلعاء التي تقلب المعنى إلى الضد، فكأن المتكلم يتمنى ألا يسمعه أحد، وأن يطويَ الناس كَشْحَهُم عمّا يقول. وهذا محال، لا يدعو له إلا من جعل أنفه في قفاه.

الهوامش

١- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. الجزء السادس، باب الألف، فصل الصاد، ص ٢٤٠٠ و ٢٤٠١. ط٤ - ١٩٩٠.

شيء من التنوير

بريهان فارس عيسى
ناقدة أدبية

التنوير في واقعه وملموسيته هو نقيض التظليم، والنور هو نقيض الظلام. يستمد التنوير أفقه من أنوار العقل، ويستمد التظليم معناه من ظلمة الجهل.

هنا يمكننا أن نميز بين الإنسان المستنير الذي يمكن له أن يمسي قبس استنارة، وبين الإنسان الظلامي الذي يمكن له أن يمسي بقعة من ظلام.

لقد كان التنوير هاجسًا لأهل العقل والفكر والمنطق عبر التاريخ الإنساني، وحفل الفكر العربي والإسلامي بشخصيات دعت إلى منهج التنوير، وأن يستمتع الإنسان بمساحة الاستنارة لديه، ويستعين بها في إيقاع حياته اليومية.

إن المراحل الانتقالية التي تمر بها المجتمعات تفرض أنماطًا معينة من التفكير والأفعال، وحقيقة الأمر أن بنية المجتمعات هي التي تحقق المسارات الحياتية لها.

لقد مر العالم العربي والإسلامي بفترات تنويرية متقطعة إلى درجة أن الغرب قام بالاستناد على رموز التنوير في بلادنا، وهو يؤسس لمراحله التنويرية، ثم بدأنا نأخذ منه ما استند به علينا.

والمجتمعات عندما ترغب في خطوات ما، فلا شيء يمكن له أن يحول بينها وبين ما ترنو إليه.

في فترات ما كانت المجتمعات تتجنب ثورة الإنفوميديا، بل بعض الناس لم يدخلوا جهاز التلفاز إلى بيوتهم إلا في أوقات متأخرة، وتحت التسليم بالأمر الواقع بناء على محاولات الأطفال الذين كبروا وباتوا يلحون بطلب التلفاز، وحدث

الإنسان يميل بفطرته إلى معارف جديدة لم يكن يعلمها من قبل ويسعى إلى تبديد ما يواجهه في حياته من ظلمات

ذلك من خلال الهاتف، حيث كان البعض يخشى وجود هذه التقنية الاتصالية المباشرة في بيته، والآن يخشى البعض وجود الهاتف الخلوي في بيته، أو لدى أبنائه، وكذلك الأمر بالنسبة للتواصل مع الإنترنت حيث نرى البعض ورغم وجود الحاسوب والتجهيزات اللازمة للتواصل الاجتماعي أو الإنساني، فإنه يصر على عدم إيجاد الإنترنت في منزله، لأنه ينظر إلى ما يمكن للنت أن يحدث من مفاسد دون أن ينتبه إلى ثورة المنافع التي يقدمها هذا الإنجاز العصري المستنير، وأن الجيل الذي لا يجيد استخدام ثورة التقنيات المعاصرة، لا ينتمي إلى إيقاع هذا الجيل وهذا من شأنه أن يُحدث في سيكولوجيته شرخ اللاانتماء الذي ينعكس سلبا على جل مفهومه للحياة برمتها.

التنوير والأدب

يؤدي الأدب دورًا مهمًا في رقي الشعوب والمجتمعات البشرية، وقد استطاع الإنسان أن يحقق من خلال الأدب منجزات فكرية وثقافية مهمة، من ناحية أخرى عني الأدب بالإنسان، بأحلامه، بطموحاته، بنظرته إلى الحياة، بمشاعره. ولذلك سجل الأدب تفاصيل حياة الإنسان ولاقى هذا الإقبال من الناس على مر العصور.

عندما ندخل أي مدينة من مدن العالم، فإن المكتبات تلفت نظرنا، وهي مكتبات تحتوي على عصارة الفكر البشري من الآداب والفنون والعلوم. وبقدر رقي هذه المدن فإنها تحفل وتغتني بالرصيد الكبير من الكتب.

الأمر الآخر الذي حققه الأدب خلال مسيرته هو وجود مكتبة وطنية كبرى في كل دولة تحتوي على عيون وكنوز الأدب القديم والمعاصر وتقدم للزوار هذه الكتب على شكل إعارة.

في التراث العربي اهتم الكثير من الأدباء بعلاقة الناس بالأدب، ومن الكتب التي تحدثت عن منزلة الأدب كتاب «الفهرس» لابن النديم.

يقدم ابن النديم حصيلة فكرية هائلة ويفهرسها في كتابه، وقد وقع هذا

فكرة التنوير تقترن بفكرة المعرفة.. والمجتمع يستنير بأفكار ومنجزات حضارية جديدة على قدر ما يتقدم في درجات المعرفة البشرية

الكتاب في عشر مقالات هي:

١- اللغات والكتب المقدسة وعلوم القرآن.
٢- اللغة والنحو.
٣- الأخبار والأنساب.
٤- الشعر.
٥- علم الكلام.
٦- الحديث والفقه.
٧- الفلسفات.
٨- الأسماء والخرافات.
٩- الاعتقادات.
١٠- الكيمياء أو الصنعة.

بين التنوير والحقيقة

إننا نحتاج إلى مساحة الحقيقة سواء بيننا وبين أنفسنا، أو بيننا وبين أبنائنا، أو بيننا وبين الآخرين.

إن ثورة الانفتاح المعرفي تعين كثيرًا في كسر حاجز الخوف من التنوير من جهة، وتجعلنا نستجيب لها بحكم هيمنتها على وقائع الحياة اليومية من جهة أخرى.

التنوير هنا ينطلق من صلب العلاقات الإنسانية، والتواصل مع مستجدات العصر، والتحاور مع مختلف الأفكار، والميولات في علاقة اجتماعية حضارية إنسانية.

التنوير دومًا يقترن بما يمكن لنا أن نتمتع به من مساحة وقوة الحقيقة والإيمان بها.

وما حالة المواراة خلف الحقيقة إلا محاولة للركون إلى عزلة الظلام.

لقد مر الغرب بهذه الفترات، وعندما نقرأ مذكرات كبار الأدباء والمفكرين، نجد تسليط الضوء على تلك الوقائع المظلمة بالنسبة لتصرفات بعض الآباء والأجداد حتى مع أبنائهم الذين غدوا مفكرين وفلاسفة، ووضعوا تلك الممارسات تحت أضواء التحليل النقدي والاجتماعي والفكري.

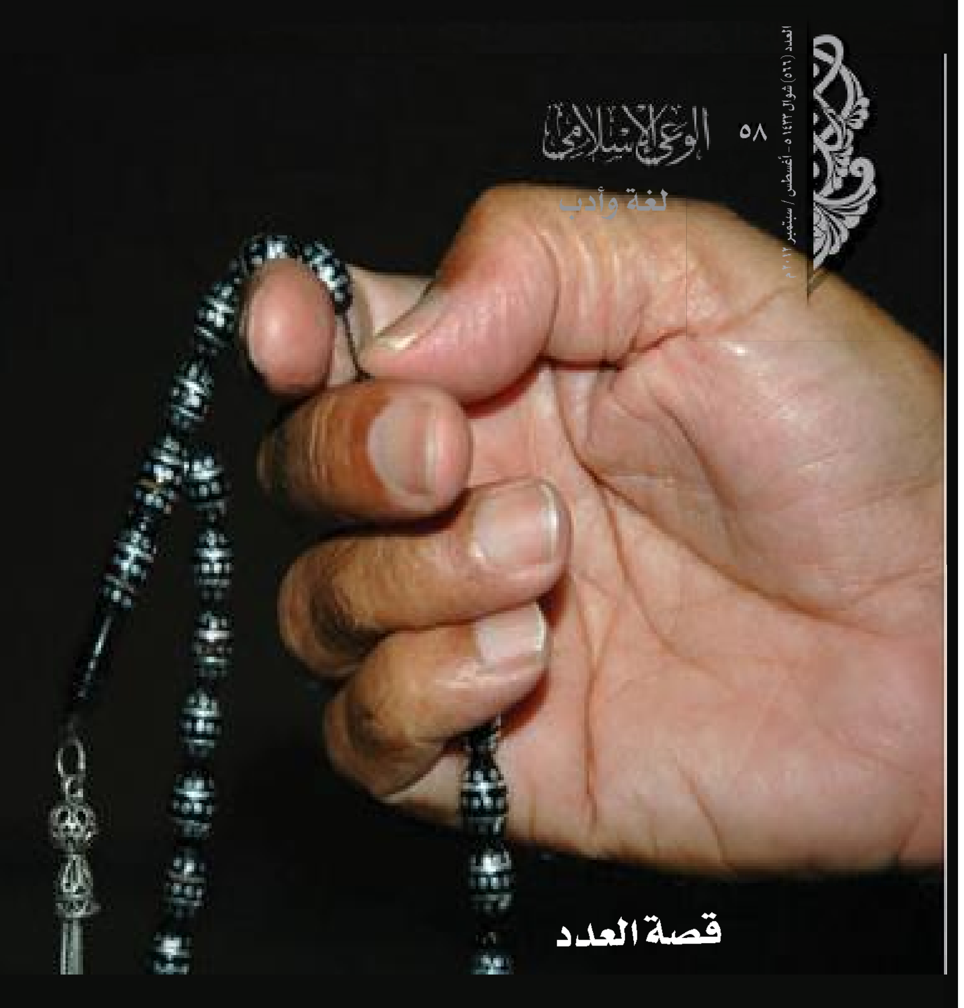
يدخل التنوير إلى جل تفاصيل حياة الإنسان، فيكون مستنيرًا في علاقته مع نفسه، ومع أسرته، ومع المحيطين به.

الخاتمة

تخطو المجتمعات الإنسانية خطوات متقدمة على قدر ما تتمتع به من مساحة التنوير، هذا التنوير الذي ينعكس إيجابًا على حياة المجتمعات، وعلى حياة الأفراد، فالتنوير يفرز العديد من المزايا مثل التسامح، وإتقان العمل، والإحساس بروح المسؤولية، والمحبة، والعطاء، والعدل. إضافة إلى ذلك فإن الإنسان المنفتح ذهنيًا يشعر بمسؤولية انتمائه إلى العائلة البشرية المتحابة، في حين أن الإنسان المنعزل الظلامي تتفاقم في دواخله عقد النقص والكبرياء، فتراه يتعالى على الذين تسببوا في إنجابه، ويعملون ما بوسعهم من أجل أن يقدموا له الطعام والشراب والسكن والثياب، وما في الحياة من مقومات معاشية، إنه كائن طفيلي يستهلك دون أن ينتج ودون أن يتواضع. هذا الإنسان هو أكثر الناس حاجة إلى قبس من التنوير يتسلط على أعماقه المظلمة كي يرى حقيقة ذاته، وحقيقة ما بلغه الآخرون من مراتب إنسانية وإحسانية عليا.

التنوير مثل المعرفة دومًا يمكن للإنسان أن يحقق خطوات جديدة فيه، ويمكن للإنسان في مرحلة متقدمة أن يكون مرجعًا للتنوير، فيستنير الناس بأفكاره، ومواقفه، وأحاديثه.

يتمتع الإنسان المستنير بالكثير من المزايا التي تتيح له سبل تيسير حياته وعلاقاته مع الآخرين، ولذلك يعزز في نفسه منزلة التنوير.



قصة العدد



السبحة

فريد محمد معوض
كاتب وقاص

هاهي لحظتك يا هنداوي..
أخذ يدفع حبات مسبحته بسرعة غير عادية.. وأحس بقلبه ينتفض في صدره وانحدرت دمعة تدعوه.

اعرض على الشيخ «رشدي» مشكلتك يا هنداوي.

كان الشيخ في صدر المحفل، والساحة تكتظ عن آخرها بالجالسين فقد خرجوا لتوهم من الجامع.

الشيخ يأتيه الناس من كل حدب وصوب يستمعون لكلمته، كلمته تنبع من القلب وتتلقفها القلوب وتطرب لها الآذان.

«نحن في حاجة لبناء مسجد جديد تتردد فيه كلمة التوحيد يسبح فيه بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله».

ويتسابق الجالسون.. يخرجون كل ما يستطيعون إخراجه من مال حتى يرتفع البناء.

نحن في حاجة لبناء مستشفى يعالج فيه المرضى الفقراء الذين لا يملكون مالا، جعلكم الله لهم معينًا وسندًا.. فهل من مستجيب؟

وتزحف الأقدام للأمام وتدخل الأيدي في الجيوب وتسمع صوت انفتاح حافظات النقود، كرم بلا حدود. والنفوس خاشعة خاضعة، وشمس القلوب ساطعة مشعة بنور لا مثيل له يملأ القلوب.

وهاهو الشيخ والدنيا حوله والساحة تمتلئ بالمصلين، والقلوب تواقة إلى عالم جميل ليس فيه ظلم، يلتحم فيه الجيران ويسود فيه الأمان ويخسأ فيه الشيطان ويذهب الشر بلا رجعة.

هاهو الشيخ.. اعرض عليه مشكلتك يا هنداوي.

مشكلتك الحقيقية أن الخجل يقف أمامك حائلا دون ما تريد، ألم يقل الشيخ «لا حياء في السؤال عن الدين»، ألم يذكرنا بقول نبينا الكريم ﷺ بأننا جميعًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

آه كيف أستطيع أن أقول.. ومن أين أبدأ.. أسألك يا ربي أن تعينني.. أنا العبد الضعيف الذي بلغ من الكبر عتيا.. امنحني القدرة كي أنتصر على نفسي.. آه وجدتها.. أحمدك يا رب أن هديتني إلى طريقة لا تخجلني ولا تظهرني في موقف الذليل.. ليس صلفا يا رب أو غرورًا.. إنما أريد ألا أكون ذليلاً إلا لك، فالمذلة لك عزة.. والمذلة لعبد مثلي هوان وضياع.. نعم لقد وجدتها.. هذه ورقة وهذا القلم سوف أكتب للشيخ كلمة وسوف أثنيها وأعطيها لمن سبقني في الصف قائلا له: أوصلها للشيخ قل له من عند عبدالله.

وسيقول الذي سبقني للذي يسبقه:

أوصل هذه للشيخ قل له من عند عبدالله.

وهكذا تنتقل الورقة بلا ضجيج ولا جلبة ولا صياح يؤذي.. حتى تصل لصدر المحفل حيث يجلس الشيخ، ويقرأ الورقة، لكن ماذا تكتب؟ المهم أن تستطيع أن توجز حياتك البالية في سطور.. أن تكون صادقاً مع نفسك ومع ربك.

وأخذ القلم يتحرك سعيدًا على الورقة يخط حروفًا وكلمات بينما تتساقط الدموع من عيني هنداوي على الورقة فتبللها، وما إن انتهى

من ذلك حتى طوى الورقة عدة طيات وغمز الذي يسبقه وأعطاه إياها كي يعطيها للذي يسبقه، لكنه وضع المسبحة في الورقة قبل أن يطويها، وأخذت الورقة تتنقل للأمام من واحد لآخر.. من صف إلى صف.. ترى ماذا تحمل هذه الورقة غير المسبحة.. هنداوي وحده الذي يعرف أنها تحمل موجزًا لحياته البالية.. هنداوي وحده قلبه يتضرع وينتفض كما تقدمت الورقة، والشيخ في صدر المحفل يفيض على الجالسين بعلمه الغزير.

وهنداوي يرقب الورقة بالمسبحة تتحرك للأمام، وما إن وصلت ليد الشيخ حتى خيل إليه أن قلبه قد توقف عن الوجيب، فتح الشيخ الورقة.. قرأها بلا صوت كعادته.. لعل سرًا لا ينبغي أن يطلع عليه أحد ثم أدرك أخيرًا وبفطنته أنه ليس بالورقة ما يخجل، فلم يكن اسم صاحب الورقة موجودًا بالورقة فقرأ على الجالسين بصوت عال وقوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا الفاضل بارك الله فيك وأكثر من أمثالك فالأمة بك دائمًا للأمام.

إن الإمام الحق من يشعر بآلام الناس ويسعى جاهدًا للتصدي لها.. أنا يا أخي الكريم شيخ بلغت من الكبر عتيًا.. تجاوز وجودي في تلك الحياة سبعين عامًا.. كم زيفت.. وكم سرقت.. وكم تجاوزت حدودًا.. حتى إخوتي أشقائي لم يسلموا مني.. كنت فظًا غليظ القلب لا يعرف الحب إلى قلبي طريقًا ولا أحترم شقيقًا ولا صديقًا.. وجهتي المال ورسالتي من أجل ثراء لا حدود له وقد كان.. وكثر مالي.. واشتد بأسي.. ولا تسأل كيف جار علي الزمان.. وكيف فقدت كل هذا السلطان لأن ما أصابني من فقر هو من نفسي.. وكل ما أود أن أقوله أنني لم أعد أملك سوى هذه المسبحة الرقيقة وهي من رائحة الماضي الذي لا أود أن أذكره.. لأنه يذكرني بخسة نفسي.. لقد ابتعتها يومًا بخمسين جنيهًا أيام كنت أملك الجنيهات.. ولم أعد قادرًا على العمل وقد صرت شيخًا كبيرًا.. وأود أن أحيا بقية عمري بلا مذلة.. خذ هذه المسبحة وأعطني ثمنها ومن الآن فصاعدًا فليكن تسبيحي على أصابعي.

وما إن انتهى الشيخ من القراءة وصوته يتهدج بالبكاء، والصمت قد حلّ في ربوع المكان.. قال الشيخ: من يبتاعها من أجل أخيه ونظر في المسبحة وقال كل حبة عليها لا إله إلا الله.. قال أحد الجالسين.. أنا آخذها بألف.

وصاح آخر: أنا آخذها بألفين.

وصاح آخر قائلا:

ثلاثة، أربعة ، خمسة، ودمعت عينا الشيخ.. هذا مبلغ كاف لمساعدة المحتاج في مثل هذه السن فنادى:

فليتقدم من يدفع خمسة وليتسلم المسبحة وليأت صاحب الورقة والمسبحة بعد أن ينصرف الجميع، وهنا انتفض هنداوي من موضعه مفاجئًا الجميع:

يا لكرمكم الذي ليس له حدود.. كم ظلمتكم وسرقتكم.. والآن تصفحون عني.. وتمدون لي يد العون، لا أريد كل هذا المال.. إن آفتي كانت بسببه.. يكفيني ربعه.. وحمدًا لله.

قال الشيخ: قضي الأمر يا رجل، هذا مالك، إن شئت أنفق منه ما تيسر على الفقراء.

رفع هنداوي يده شاكرًا ربه.. وانتقل الشيخ رشدي عباس لجواب آخر عن سؤال سأله أحد الشباب.

ثمرات المطابع

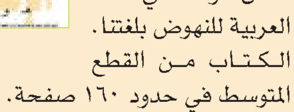
■ عبدالله يوسف الغنيم.. جغرافي من الجزيرة العربية

هذا الكتاب من القطع المتوسط لمؤلفه د.رشود الخريف،أستاذ جغرافية السكان في جامعة الملك سعود، صادر عن الجمعية الجغرافية السعودية عام ٢٠١٢ في ١٧٠ صفحة، حيث يقدم ترجمة وافية لعلم من أعلام الجغرافيا العربية، لدوره الفعال في إثراء العلم والمعرفة الجغرافية التي تزخر بها مؤلفاته المتعددة، ومشاركاته العلمية والثقافية.



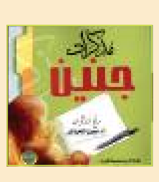
■ دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية

هذه هي الطبعة الثانية للمركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، حيث يقدم الكتاب نموذجا موحدا لرسم الكلمات العربية، وذلك ضمن منهج شامل موحد في اللغة العربية للنهوض بلغتنا. الكتاب من القطع المتوسط في حدود ١٦٠ صفحة.



■ مذكرات جنين

هذا الكتاب للدكتور صبري الدمرداش، يقدم فيه مذكرات حول المسألة الجنينية، وذلك لتعميق إيماننا بالله، من خلال بيان ما في الجسم من مكونات سخرت لبناء الإنسان. الكتاب صادر عن مكتبة المنار الإسلامية سنة ٢٠١٢ وهو من القطع العريض ويقع في ٢٨٥ صفحة.





الغزوات المحمدية في الشعر العربي القديم

د. محمود سعيد / عضو اتحاد كتاب مصر

من الحق أن المغازي لها ما لها من صدارة وعلوية في السيرة النبوية على الأخص، ولا يخفى ما لها من مرموق الأهمية في تاريخ الإسلام على الأعم وما ذاك إلا أن التصدي لها بالذكر، يورد على الخاطر صورًا صادقة ناطقة عن نفسية وواقعية المسلمين الذين عمرت قلوبهم بالإيمان واليقين كما أنها المثال الأمثل للجهاد في سبيل الله الذي هو بغية المتقين الذين يعقدون أملهم بالنعيم في عليين. وأول ما يقال في هذا الصدد خاصًا بالجهاد وعظيم فضله أنه يعد ركنًا سادسًا من أركان الإسلام ورتبة بين الإيمان بالله ورسوله. وروي عن أبي هريرة أنه قال: «سئل النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»، وهذا واضح الدلالة على أن الجهاد قبل الحج في الفضل، وهذا ما يدرك من أحاديث شريفة لا تحصى كثرة. بل وفي الشعر أيضًا برزت هذه الغزوات المحمدية لخير البرية، ولا عجب، فلم يزل النبي ﷺ يعجبه الشعر ويمدح به ويقول: هو ديوان العرب. وقوله ﷺ أنه ديوان العرب، من قواطع الأدلة على أنه جمع كل شيء عن العرب وعرّف بحياتهم في شتى جوانبها ونطق عنهم في كل ما وصفوا به الحياة من حولهم، وما شغلهم من شواغل، فهو بهذه المناسبة تاريخهم المفصل الجامع، ولعل حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ هو أصدق الأمثلة على ذلك. وعلى ذكر حسان قيل إن النبي ﷺ يتطيب شعره في تأييد الإيمان بالله. روي أنه كان ذات ليلة في سفر فقال: «أين حسان بن ثابت؟» فقال حسان: لبيك يا رسول الله وسعديك، فقال: «أجد» فجعل حسان ينشد من شعره والرسول يصغي إليه فمازال يسمع وهو سائق راحلته حتى كاد رأسها يمس الورك، ولما فرغ حسان من نشيده قال ﷺ: «لهذا أشد عليهم من وقع النبل». ذاك ما يقف بنا على منزلة حسان عند النبي ﷺ وفي فترة الغزوات والصراع بين الحق والباطل، ويبين لنا كيف أنه اتجه بشعره وجهة خاصة لا عهد للعرب بمثلها من قبل. ولقد تميزت شخصية حسان بعد إسلامه وبعد اتصاله بالرسول ﷺ وبالمواقف التي وقفها من الدين الحنيف في بزوغ فجره، فقد غلب على الشعر في تلك الفترة فن الهجاء على أنه تعبير عما اكتمن في نفوس المشركين على سواء، وكان هذا الهجاء عامًا أظهر منه خاصًا، لأنه كان عند المسلمين على الأخص دفاعًا شرعيًا، فهؤلاء المسلمون دافعوا عن دينهم مجاهدين بالسنان واللسان، وأدى حسان مهمته وهي قهر أعداء الرسول ﷺ، فشعره مصدر له قيمته وأهميته من التاريخ الإسلامي. انقطع حسان لمدح الرسول وجاهد من عاداه، ولقد نافح وناضل عن المؤمنين في غزوتي بدر وأحد، كما أنه في اختصاصه بجهاد المسلمين رثى «حمزة رضي الله عنه عم النبي ﷺ وبكى شهداء المواقع الإسلامية، ومنهم خبيب بن عدي وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وأخيرًا رثى رسول الله ﷺ. وشعر حسان يتسم بالصدق والواقعية، وهذا من صفته يوجب التعويل عليه كمصدر للتاريخ، فهو يذكر الحقيقة لاريب فيها وإن وشاها بمسحة من خيال، وذلك ما يقتضيه التعبير بالشعر، مثال ذلك قوله في رثاء خبيب بن عدي الذي استشهد في إحدى الغزوات الأولى كاشفًا عن شجاعته وخوضه المعركة لنصرة الإسلام فقال:

ما بال عينك لا ترقا مدامعها



سحا على الصدر مثل اللؤلؤ الفلق؟
على خبيب وفي الرحمن مصرعه
لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الحور في الرفق

إنه يصدقنا القول في وصف هذا المجاهد الشهيد في مصرعه، ويبين كيف أنه نال الشهادة لينال بها جنة الخلد وكيف كان مقدامًا رابط الجأش لا يتراجع أمام تقدم العدو، وهو يبكيه وحُق لشهيد أن يُبكى عليه، وفي هذا كله لم يبعد حسان عن الحقيقة في شيء.

إن هذا الشاعر العربي ذكر الحقيقة دون أن يتجاوزها إلى الخيال البعيد، لقد شبه الدموع باللآلئ وهذا قريب الشبه بالحقيقة كما كان أكثر اهتمامًا بالإشارة إلى أن هذا المجاهد استشهد في سبيل الله وزف إليه البشرى بدخول الجنة.

يتضح أن شعر الغزوات أدخل في التاريخ منه في الأدب، وشعر الغزوات فيه أخذ ورد بين حسان المدافع عن النبي ﷺ وبين الشعراء الذين عبروا عن عدائهم للنبي ﷺ.

لقد قام حسان بن ثابت بمهمته على الوجه الأكمل، وشرف برضا الرسول ﷺ عنه وهو يناضل بلسانه الفصيح الذي يؤثر أعمق الأثر في النفوس.

وحسبنا أن نورد قوله ﷺ له «أهج قريشا ومعك روح القدس، والله إن كلامك لأشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام».

هذه مقولة مشهورة ونحن ننظر إليها فضلًا عن أنها دعوة للذود عن الإيمان بالهجاء كما قال الصادق المصدوق يمكن أن تدخل في باب المنافرة والمناظرة، وبذلك يكون حسان بن ثابت صاحب فضل في تمييز شعره بلون خاص به، ولا عهد لنا بمثله في فترة من الزمان يؤرخ بها خصائص الشعر العربي.. فمن غرر شعره التي يقول فيها ردًا على من هجى الرسول ﷺ:

هجوتَ «محمدًا» فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

قال ﷺ: «جزاؤك على الله الجنة»، فلما انتهى إلى قوله:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

قال ﷺ: «وقال الله هو المطلع»، ولما انتهى إلى قوله:

أتهجوه ولست له بند
فشركما لخيركما الفداء

قال من حضر، هذه والله أنصف بيت قالته العرب.

ولنا أن نعد مثل ذلك مثالًا لتلك الروحانية الإيمانية التي غمرت شعر المغازي وبينت على الحقيقة أهميته وجدارته بنظرة تأمل وتمحيص، فقد عبر شعر حسان عن تلك الغزوات، وأجرى عليها صفاتها، وبين أنها ليست حروبًا وكفى، بل هي حروب لها ما لها من ملامح وسمات ينبغي التنبه إليها.

ومن قول حسان بن ثابت في غزوة بدر، وهو يتجه بخطابه إلى الحارث بن هشام:

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المنام خَريدةٌ
تسقي الضجيعَ ببارِدٍ بسام
كالمسك تخلطهُ بماءِ سحابةٍ
أوْ عاتقٍ كدم الذبيحِ مُدامِ
أقسمتُ أنساها، وأتركُ ذكرها
حتى تُغيَّبَ في الضّريح عظامي
إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتني
فنجوتِ منجى الحارثِ بن هشَام
تَرَكَ الأحبّةَ أنْ يقاتلَ دونَهمْ
وَنجا برَأس طِمرّةٍ ولَجام

عند هذا الحد يتهكم حسان بالحارث بن هشام ويصفه بالجبن والنكوص عن المعركة، بل والفرار منها وعجزه عن أن يذود عن حريمه وفي هذا كل العار.

وختامًا.. إن ما قيل عن شعر في الغزوات المحمدية يحتاج إلى مئات الصفحات وكثير من الدراسات مما لا يتسع له في تلك المقالة، لكن أعد إن شاء الله أن استكمل الدور في مقالات أخرى.

العلامة اللغوي د.محمد أبوموسى لـ«الوعي الإسلامي»:

البعد عن اللغة العربية هبط بالدراسات الشرعية

الإطلالة على ثقافات الآخرين مهمة.. والقرآن هو المعلم الأول

الشعر الجاهلي كنز ضائع.. وليس بعد كلام الله ورسوله ﷺ أفضل منه

حوار : زكريا الكندري

الأمة الإسلامية زاخرة بكثير من العلماء العظام الذين يحبون أن يعيشوا بعيدًا عن الأضواء في هدوء وتفكر وسكينة، وقد شهدت على مدى تاريخها الممتد شواهد جمة على هذه الظاهرة، دفعهم لهذا المسلك إخلاص المقصد ومعرفة عظيم ما عند الله من أجر إخفاء العمل، ولو أدى ذلك إلى التنازل عن حقوقهم، من هؤلاء الدكتور محمد محمد أبوموسى أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.. «الوعي الإسلامي» زارت العلامة اللغوي في منزله بحي المعادي في القاهرة وكان هذا الحوار:



• **بداية كيف ترون علاقة علوم الشريعة باللغة العربية؟**

– من المعروف أن أحد أهم أسباب هبوط الدراسات الشرعية هو البعد عن اللغة العربية، الأمر الذي يحتم علينا الرجوع إلى الوضع الأصلي والنهوض بالمعرفة اللغوية، فمهما يكن التخصص لابد من اللغة.

• **ما رأيكم في فلسفة تعدد الثقافات؟**

– تعدد الثقافات مطلوب والإطلالة على ثقافة الآخرين مهمة، ولا تقتصر على ثقافات أوروبا، بل تشمل كل ما يحتاج له، بغض النظر عن كونها ثقافة عربية أو غيرها، ويعتبر هذا إشباعًا لرغبة المثقف، لكن إذا كتب ثقافة عربية كتبها محضة غير مهجنة لتبقى على نقاوتها.

• **كيف يتدرب الطالب على إتقان اللغة؟**

– القرآن أول معلم ومدرب للسان، بالإضافة إلى المقالات الجميلة لطه حسين والعقاد ومحمود شاكر، وكتب الجاحظ كالبخلاء والحيوان، ويعيش مع كتب الجرجاني وأبوعلي الفارسي والزمخشري، هؤلاء بالرغم من أنهم أعاجم كانوا إذا كتبوا بالعربية لا يهجنون ولا يخلطون، وكذلك قراءة دواوين الشعر مثل دواوين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم والبحتري والمتنبي.

• **من أبرز العلماء الذين تهتم بكتاباتهم ومؤلفاتهم؟**

– العلامة محمود شاكر وكانت لي علاقة وصداقة معه، وهو من شيوخي وكان له اهتمام بالجيل الناشئ، بل كان بمجلس الكبار والوزراء يهتم بالجيل الواعد ويقدمهم على من حضر. ومنهم الرافعي والعقاد مع أني أرفض كثيرًا من آراء العقاد، ولكن هناك فرق بين عمق علمه وبين تفكيره.

• **هل لكم اهتمام بالشعر الجاهلي؟**

– ليس بعد كلام الله ورسوله ﷺ أفضل من الشعر الجاهلي، ويوشك أن يكون هذا إجماع الأمة، والشعر الجاهلي كنز ضائع.

• **ما أهم مؤلفاتكم؟**

– من أهم المؤلفات، أسأل الله أن ينفع بها، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، التصوير البياني.. دراسة تحليلية لمسائل البيان، الإعجاز البلاغي.. دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، دراسة في البلاغة والشعر، خصائص التراكيب.. دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، دلالات التراكيب.. دراسة بلاغية، آل حم غافر- فصلت دراسة في أسرار البيان، آل حم الشورى- الزخرف- الدخان.. دراسة في أسرار البيان، مراجعات في أصول الدروس البلاغية، من أسرار التعبير القرآني.. دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، شرح قصيدة بانت سعاد، المدخل إلى كتاب عبدالقاهر الجرجاني.

• **ما توجيهاتكم لدارس اللغة العربية؟**

– ألا يقتصر على النحو والصرف، لا بد من الملكة اللسانية من خلال القراءة، وكما قال ابن خلدون: العربية ما نطقت به العرب، فيبدأ من الطفولة وينشأ عليها وهناك ديوان الأطفال لشوقي يبدأ به، وقراءة القرآن أول معلم.

• **هل تتابعون مجلة «الوعي الإسلامي»؟**

– نعم، ولي فيها مقالات كثيرة بداية من سنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م بعنوان «مهلًا أيها الكبار».

• **كلمة أخيرة..**

– الرباط رباطان.. الجندي في سلاحه والعالم بقلمه، والعلم غير العملي معطل.

من هو أبوموسى؟

– الدكتور محمد محمد أبوموسى من مواليد ١٩٣٧م، درس في معهد دسوق الديني التابع للأزهر الشريف، ثم حصل على الثانوية الأزهرية في محافظة كفر الشيخ، وليسانس اللغة العربية من جامعة الأزهر عام١٩٦٣م، ونال درجة الماجستير عام ١٩٦٧م والدكتوراه عام ١٩٧١م، وكان عنوان رسالة الماجستير «بلاغة المفتاح.. دراسة وتعليق، وعنوان الدكتوراه «البحث البلاغي في تفسير الزمخشري»، درّس في جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية في ليبيا وجامعة أم القرى، وزار جامعة أم درمان، وناقش رسائل في الشارقة والبحرين.. من شيوخه الأستاذ عبدالسميع شبانة، ورفعت فتح الله، وأحمد كحيل، والشيخ الحجار، امتحنه شفويًا الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، والشيخ محمد علي النجار محقق الخصائص واختبره بالنحو، من زملائه د.محمد إبراهيم البنا محقق ابن كثير والسهيلي وأسد الغابة، وعبدالفتاح حجاب، وعبدالعز علاّم، وسيد العراقي.

مقالات د.أبوموسى في «الوعي الإسلامي»

م	الموضوع	العدد	الصفحة
١	مهلًا أيها الكبار	٢٢٤	١٠٠
٢	قراءة في مقدمات كتب القدماء	٢٣٠	٥٨
٣	حقائق غائبة	٢٣٤	٩٣
٤	ضرورة سيطرة التوجيه الإسلامي في ديار الإسلام	٢٥٦	٨٦
٥	إليه يصعد الكلم الطيب	٢٦٠	١٦
٦	ويلكم ثواب الله خير	٢٦٩	٣٠
٧	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب؟	٢٧٣	٦٨
٨	التراث حركة تأمل وإبداع	٢٧٤	٤٠
٩	حتى لا ينقطع ميراث النبوة	٢٨١	٣٦
١٠	البلاغة الغائبة	٢٨٧	١٢

م	الموضوع	العدد	الصفحة
١١	الخطابي وإعجاز القرآن	٢٩١	١٠
١٢	تصحيح مقولة في تاريخ الإسلام	٢٩٢	٣٥
١٣	يرفع الله الذين أوتوا العلم	٢٩٥	١٦
١٤	والله متم نوره ولو كره الكافرون	٣٠٢	٣٢
١٥	أمثال سورة النور	٣٠٥	١٢
١٦	قيم منهجية يجب أن تعود	٣٠٨	١٧
١٧	أفلا يتدبرون القرآن	٣٠٩	١٠
١٨	وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا	٣١١	٢٢
١٩	والذين هاجروا في الله	٣١٣	٣٦
٢٠	البلاغة القرآنية وتوضيح واجب	٣١٥	١٢
٢١	معذرة إليك يا شيخ الأصحاب	٣٤٠	٧٦

العدد (٥٦٦) شوال ١٤٣٣هـ - أغسطس / سبتمبر ٢٠١٢م

اللغة العربية ومواكبة التطور والحضارة



سالم بن عميران - كاتب يمني

تتميز اللغة العربية بأنها لغة مرنة، تتفاعل مع حركة الحياة، وتساير الزمان في تطوره في كل عصر، فهي في قومها أو مجتمعها كائن حي، ينمو ويتغير وفق متغيرات المجتمع، وتتميز عن غيرها من اللغات بخصائص متعددة تجعلها تواكب كل عصر، وما يجدّ فيه من مظاهر الحياة الجديدة والحضارة المتطورة، وتعد وسيلة مهمة في مواجهة تحديات العولمة؛ وذلك من خلال الأصول والقواعد التي وضعها الأوائل، وما قامت عليه من منهج علمي في التوليد اللفظي والدلالي لنمو اللغة وتطورها ومواكبتها للحضارة والحياة المتجددة، وأهم تلك الخصائص:

١) الإعراب:

ويقصد به احتفاظ العربية بالحركات في أواخر الكلمات، وهي أقوى خاصية من خصائص العربية (١).

٢) الاشتراك:

وهو أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر نحو «العين» تحتمل: «عين الماء»، و«عين المال»، و«عين السحاب» (٢)، ومن الألفاظ المشتركة ذات الدلالات الكثيرة «رب» وتعني في اللغة: «السيد» و«المالك» يقال: رب الضيعة، ورب الدار.

٣) التضاد:

وهو ألفاظ لكل منها معنيان أحدهما ضد الآخر مثل: «الظن» يرد بمعنى التوهم والشك، كقوله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢)، ويأتي بمعنى اليقين والعلم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ ملاقو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ٤٦).

٤) الترادف:

ويقصد به الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد، مثل: «الوصل» و«العطية» تقول: «وصلته» و«رفدته» و«حبوته»..(٣) واللغة العربية ثرية بهذه المترادفات، مثل: أسماء السيف والأسد والحية والعسل وغيرها (٤).

٥) القياس:

وهو استنباط مجهول من معلوم، ومن القياس في العصر الحديث ألفاظ كثيرة دعت الحاجة إلى استعمالها في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون مثل: المصدر الصناعي كالجاهلية والرهبانية، وما يصاغ على وزن «فعّال» للمبالغة مثل: السبّاك والبرّاد، واسم الآلة على وزن «مفعال» مثل «محرار»، وهو ما يعرف «بالترمومتر»، وما هو على وزن «مفعل» مثل: «منجل» فاشتقوا على قياسه: «مجهر» وهو المسمى «بالميكروسكوب» (٥).

٦) الاشتقاق:

هو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة، مثل «الضرب» يشتق منه أسماء وأفعال مثل: ضارب ومضروب ويَضْرب واضْرِبْ..

٧) التعريب (الاقتراض):

«وهو ما لفظت به العرب من غير لسانها فعربته فصار عربيًا بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحال» (٦) وذلك بعد إخضاعها لتعديل يسير في لفظ حروفها وإخراجها عن الأوزان العربية المألوفة بحيث تصبح مع تقادم الزمن سائغة حلوة الجرس كأنها أصيلة مثل: «إجاص» عن العبرية، و«إبريق» عن الفارسية، و«إبليس» عن اليونانية، و«بركان» عن اللاتينية، و«برميل» عن الإيطالية، و«مليون» عن الفرنسية...(٧)، ويطلق على هذا النوع من الألفاظ اسم «المعرّب»، وفي العصر الحديث ظهرت ألفاظ جديدة معربة، مثل (television) عربت إلى «تلفاز»، جريًا على صوغ اسم الآلة على وزن «مِفْعال»...

٨) النحت:

وهو عملية اختصار واختزال في الكلمات والعبارات؛ بأن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها، كقولنا: (سبحل) من (سبحان الله)، و(حوقل) من (لا حول ولا قوة إلا بالله)...(٨)، وقد استفاد المعاصرون من هذه الظاهرة، فقالوا: لحيوان الماء واليابسة «برمائي»، آخذين ذلك من كلمتي بر وماء...

٩) الإيجاز:

وهو من أبرز خصائص العربية، ويشمل هذه اللغة حروفها وألفاظها وتراكيبها منطوقة ومكتوبة فمثلاً: الحرف (ع) له أربعة أشكال في العربية (ع- ـعـ- ـع - عـ) وفي اللغة الأجنبية نحتاج إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالخاء (kh) والجيم (dg) (٩).

فمما سبق يظهر أن اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منبتًا، وأعزها جانبًا، وأقواها جلادةً، وأبلغها عبارةً، وأغزرها مادةً، وأدقها تصويرًا، لما يقع تحت الحس، وتعبيرًا عما يجول في النفس، وذلك لمرونتها على الاشتقاق، وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب، فليس هناك معنى من المعاني ولا فكرة من الأفكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات تصويرًا صحيحًا. (١٠).

واللغة العربية قادرة على الاستجابة للتطور الحضاري والتعبير عنه ليس العربي أو الإسلامي فقط؛ وإنما العالمي، وهذا يعني قدرتها على الاتساع لكل تطورات العصر والتوليد والاستيعاب بل والتعبير عن كل الحالات والأحوال والإجابة عن كل سؤال معلوماتي علمي أو ثقافي أو تجاري أو صناعي أو سياسي أو أدبي (١١) فلم تقف عاجزة عن تلك الحيوية ولا بدت عليها علامات الشيخوخة أو الاكتهال بل كانت - وما زالت - حية متطورة متميزة، ولعل ذلك هو السر الذي يجعلنا لا نقيس العربية الفصحى بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات في شكلها الحاضر لا يتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير والتفاعل مع اللغات المجاورة (١٢).

فأي كلمة نتداولها الآن ظلت تتناقل عبر آلاف السنين وتكتسب من كل جيل حرارة وطاقة جديدة من الاستخدام اليومي وجزءًا من روح الناس المتعاملين بها «وبالرغم من الرأي القائل بأن اللغة العربية تمارس وتفرض علينا أنماطًا من التفكير تكلست عبر أجيال مضت وأنها تمارس سطوة استبدادية بعكس اللغات الأخرى؛ فإن هذه اللغة هي الأكثر شبابًا وحيوية؛ فمهما بلغت شيخوخة العربية فإن ذلك يكسبها الكثير من الخبرات الحيوية والفنية ما لم يتمثل ويكتشف في لغة أخرى» (١٣).. فهل بعد كل ذلك توجه الاتهامات إلى لغتنا بأنها غير قادرة على مواكبة التطور والحضارة ؟!

الهوامش:

(١) انظر: كاصد ياسر الزيدي، فقه اللغة العربية، عمّان: دار الفرقان، ط١، ٢٠٠٤، ص٧٢.

(٢) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨ج١، ص ٢٩٢.

(٣) أبوالحسن الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق: فتح الله المصري، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٩٨٧، ص٧.

(٤) انظر: المزهر ج١، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٥) انظر: كاصد ياسر الزيدي، مرجع سابق، ص ٢٨٩ -٣٠١.

(٦) منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٢، ص ٥.

(٧) انظر: جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٩، ص ٧٢.

(٨) ينظر د. رمضان عبدالتواب، بحوث ومقالات في اللغة، القاهرة: مكتبة الخانجي ط١، ١٩٨٢، ص ١٨٢والمزهر ج١ ص ٣.

(٩) انظر: د. مازن المبارك، نحو وعي لغوي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩، ص ٦٢-٦٣.

(١٠) انظر: أحمد السائح، «العربية الفصحى»، مجلة دعوة الحق،: العدد السادس، مايو ١٩٦٩، ص ٦٤.

(١١) انظر: عمر عبيد حسنة، اللغة العربية تواجه التحديات، طالب عبدالرحمن، قطر: «كتاب الأمة»، العدد١١٦، ط١، ذوالقعدة ١٤٢٧، ص١٠.

(١٢) انظر: د. رمضان عبدالتواب، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(١٣) توفيق القباطي، «اللغة والحداثة في الأدب العربي» مجلة الحكمة، العدد ١٦٤ سبتمبر١٩٨٩م، ص ٥٦-٥٧.

تربية الأولاد في الإسلام

بهيج بهجت سكيك
أكاديمي فلسطيني

يأخذ البعض على المكتبة العربية قلة أعداد الكتب التي تُعنى بالتربية كعلم متخصص له سماته الخاصة، وتلبي حاجة المربي وولي الأمر وتواجه النظريات التربوية الحديثة في الغرب والتي حملت معظمها معاول الهدم- عن قصد وسوء نية- لتهدم القيم والمثل التي جاء بها الإسلام وبنى على أساسها حضارة زاهرة صمدت قرونا عديدة.. وقد ساهمت الحركات المشبوهة في طرح أفكار تربوية تصل بالشباب إلى مهاوي الردى ليسهل السيطرة على الأمة واستنزاف طاقاتها وقدراتها وخيراتها وتسخيرها لخدمة أغراضهم..

إلا أنه في السنوات الماضية ظهرت كتب عربية تصدت لهذه الموجة الهدامة واستعانت بتلك الكنوز التي يزخر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كأتم نظريات تربوية تلبي حاجات الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية..

من هذه الكتب «تربية الأولاد في الإسلام» للسيد/ عبدالله ناصح علوان، والذي عرفنا من سيرته وآثاره أنه من مدينة حلب الشهباء ولد فيها عام ١٩٢٨م وتلقى علومه الشرعية على يد علماء فطاحل وأكمل تحصيله العالي في الأزهر الشريف بمصر ونال فيه شهادة عالية سنة ١٩٥٤م وأثناء عمله مدرسا للتربية الإسلامية في حلب أصدر العديد من الكتب التربوية والدعوية والبحوث الإسلامية منها: التكافل الاجتماعي في الإسلام، تعدد الزوجات في الإسلام، حتى يعلم الشباب، صلاح الدين الأيوبي، فضائل الصيام وأحكامه، حكم التأمين في الإسلام، ثم كتابه هذا «تربية الأولاد





في الإسلام».

توزعت موضوعات «تربية الأولاد في الإسلام» على ثلاثة أقسام.. كل قسم يتناول عدة فصول وكل فصل يندرج تحته عدة موضوعات.. حيث جاءت موضوعات القسم الأول والثاني في كتاب واحد، وقد بلغت صفحات الجزء الأول ٦٢٥ صفحة من القطع المتوسط، احتل القسم الأول منها ١٤٠ صفحة تقريبا قسمت إلى أربعة فصول هي «الزواج المثالي وارتباطه بالتربية» الشعور النفسي نحو الأولاد وأحكام عامة ثم أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته. أما القسم الثاني فقد استأثر بباقي الكتاب وعنوانه «مسؤوليات المربين في التربية الإيمانية والخلقية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والجنسية».

أما القسم الثالث فقد طبع في كتاب آخر– الجزء الثاني– وبلغت عدد صفحاته ٤٩٠ صفحة من القطع المتوسط، توزعت على ثلاثة فصول.. الأول وسائل التربية المؤثرة، كالتربية بالقدوة والتربية بالعادة والتربية بالموعظة والتربية بالملاحظة والتربية بالعقوبة فشغلت ١٤٠ صفحة من الجزء الثاني.. أما القسم الثاني فموضوعه القواعد الأساسية في تربية الولد كقاعدة الربط الاعتقادي والروحي والفكري والاجتماعي. ثم قاعدة التحذير: التحذير من الردة والإلحاد ومن اللهو المحرم ومن التقليد ومن رفقة السوء ومن الحرام.. شغلت ٢٢٠ صفحة من الكتاب وكان عنوان الفصل الثالث– من الجزء الثاني– اقتراحات تربوية لابد منها.

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

هذا عنوان الفصل الأول من القسم الأول.. بيّن فيه المؤلف وجه ارتباط التربية بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية.. ولأن الزواج فطرة إنسانية فقد حارب الإسلام الرهبانية كما أن الزواج مصلحة اجتماعية للمحافظة على النوع وسلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ومن الأمراض وللمحافظة على الإنسان كما أن في الزواج سكن روحاني ونفساني، كما أن الزواج انتقاء واختيار على أساس الدين وعلى أساس الأصل والشرف.. واستشهد المؤلف بالاحاديث النبوية الشريفة عن أهمية الاغتراب في الزواج وتفضيل ذوات الأبكار وتفضيل الزواج بالمرأة الولود.

وفي الفصل الثاني عرض شيق وتحليل دقيق لموضوع الشعور النفسي نحو الأولاد وكيف أن الأبوين مفطوران على محبة الولد وأن الرحمة بالأولاد منحة من الله للعباد.. كما أن كراهية البنات جاهلية بغيضة. أما فضيلة من يتجلد لموت الولد فهي منزلة رفيعة من اليقين وأن من يصبر على ذلك يقطف الثمرات في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. وأعطى أمثلة حقيقية على تغليب مصلحة الإسلام على حب الولد.

أما الفصل الثالث فيتناول أربعة مباحث، هي أحكام عامة تتعلق بالمولود، وهي ما يفعله المربي عند الولادة– وتسمية المولود وأحكامها– وعقيقة الولد وأحكامها– وختان المولود وأحكامه– كما بين استحباب البشارة والتهنئة عند الولادة واستحباب التأذين والإقامة عند الولادة.

واستحباب تحنيك المولود وحلق الرأس.. كل ذلك مع أمثلة لما كان يفعله الرسول ﷺ في مثل هذه المناسبات. أما أحكام تسمية المولود فشرح متى يُسمى وما يستحب له من الأسماء وما يكره، ووجوب أن ينسب الولد لأبيه لا لأمه ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٥)، ثم تناول العقيقة ومفهومها ودليل مشروعيتها ووقتها وعقيقة الذكر وعقيقة الأنثى.. وأورد الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان وهل هو واجب أم سنة؟ وهل على الأنثى ختان.. وشرح خمس فوائد للختان.

أما الفصل الرابع– وهو من أهم فصول الكتاب– ويتناول أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته «إن الإسلام بتشريعه ومبادئه القويمة الخالدة قد وضع الأسس الكفيلة والمناهج الصحيحة لصيانة الجيل من الانحراف وحماية المجتمع من التشرد والضياع، وذلك بوضع الحلول للفقر وللنزاع والشقاق بين الآباء والأمهات، وحالات الطلاق، والفراغ، والبعد عن الخلطة الفاسدة ورفاق السوء، وسوء معاملة الأبوين للولد، ومشاهدة أفلام الجريمة والجنس، وانتشار البطالة في المجتمع – وأخيرا اليُتم».

مسؤوليات المربين

وهي هو عنوان الفصل الثاني من الكتاب، وقد احتلت موضوعاته من صفحة ١٤٧ حتى نهاية الكتاب في صفحة ٦١٠. صنفها المؤلف إلى سبع مسؤوليات: هي مسؤولية التربية الإيمانية والتربية الخلقية والتربية الجسمية والتربية العقلية والتربية النفسية والتربية الاجتماعية وأخيرا التربية الجنسية. استعان المؤلف بالآيات الكريمة المستفيضة.. ومجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين مسؤولية المربين بتبصير أولادهم بأصول الدين وأركان الإسلام ومبادئ الشريعة والحلال والحرام، وهذا يرتد على التربية الخلقية «إن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة»... «فهم مسؤولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق والأمانة والاستقامة والإحسان إلى الجار والمحبة للآخرين» كما أن عليهم معالجة بعض المظاهر السلوكية في مرحلة المراهقة، كظاهرة الكذب وظاهرة السرقة وظاهرة السباب



والشتائم وظاهرة الميوعة والانحلال.. وتحذيرهم من التشبه والتقليد الأعمى والنهي عن الاستغراق في التنعم والنهي عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء الخليع والنهي عن التخنث والتشبه بالنساء... والنهي عن السفور والتبرج والاختلاط والنظر إلى المحرمات.

أما مسؤولية التربية الجسمية فتكمن في وجوب النفقة على الأهل والولد واتباع القواعد الصحية في المآكل والمشرب والنوم والتحرز من الأمراض السارية المعدية ومعالجة المرض بالتداوي لا بالخرافات وتطبيق مبدأ لا ضرر ولا ضرار وتعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية ومعالجة الظواهر الجسمية المتفشية في المراهقين كظاهرة التدخين وظاهرة العادة السرية وظاهرة المسكرات والمخدرات.. وظاهرة الزنى واللواط.. ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

الواجب التعليمي

يرى المؤلف أن مسؤولية التربية العقلية لا تقل أهمية عما سبقها «فالتربية الإيمانية تأسيس والتربية الجسمية إعداد وتكوين والتربية الخلقية تخليق وتعويد، أما التربية العقلية فإنها توعية وتثقيف وتعليم» لذا فالواجب التعليمي والتوعية الصحية والعقلية هي أركان التربية العقلية لا فرق في ذلك بين بنت وصبي مع البعد عن الاختلاط في أماكن التعليم.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧-٨)، إن هذه حقيقة ناصعة يقررها القرآن الكريم، ويكون دور المربين بصقل هذه النفس وتوجيهها وتحريرها من كل العوامل التي تنقص من كرامتها واعتبارها.. ومواجهة الخوف والخجل والحسد والشعور بالنقص والغضب.

كما أفرد المؤلف الفصل السادس للتربية الاجتماعية وأهميتها في غرس القيم الاجتماعية: التقوى – الأخوة – الرحمة- الإيثار – العفو – والجرأة، ومراعاة حقوق الآخرين، كحقوق الأبوين وحقوق الأرحام وحق الجار وحق المعلم وحق الرفيق وحق الكبير، والالتزام بالآداب الاجتماعية العامة: أدب السلام – أدب الاستئذان – أدب المجلس – أدب الحديث – أدب المزاح – أدب عيادة المريض – والتذكير بمواقف السلف الصالح.

ولا تقل التربية الجنسية في أهميتها عن جوانب التربية الأخرى – خصوصا في هذا الزمن – وقد كثرت مواطن الإثارة والإفساد كدور السينما والمسرح وأزياء النساء الفاضحة والمجلات ومفسدة الصحبة والاختلاط بين الجنسين.

وفي الفصل السابع شرح المؤلف مراحل نمو الولد من سن (٧-١٠)، (١٠-١٤) ومن سن (١٤-١٦) سنة ثم مرحلة ما بعد البلوغ...

وشرح آداب النظر إلى المحارم.. وإلى المخطوبة وإلى الزوجة وإلى المرأة الأجنبية وأدب نظر الرجل إلى الرجل.. وأدب نظر المرأة إلى المرأة.. كما أباح النظر في حالات ضرورية كالنظر بقصد الخطبة وبقصد التعليم وبقصد المداواة وبقصد المحاكمة والشهادة.

ويطالب المؤلف بتجنب الولد الإثارات الجنسية وإبعاده عن مواطنها كدور السينما والمسرح والمواخير السرية والعلنية والصحبة السيئة والاختلاط



بين الجنسين وحدد وسائل إيجابية للإصلاح والتوعية والتحذير من خطر الزنى كالخطر الصحي والخطر النفسي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي والديني... كما كتب عن نظرة الإسلام إلى الجنس.. ولماذا شرع الله الزواج: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، وتحريم العزوف عن الزواج.. والثواب في تصريف الشهوة في الحلال ومراحل الخلوة بالزوجة عند الزواج.. وهو أمر يجب أن يطلع عليه كل شاب مقبل على الزواج ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ (النور: ٣٣) بغض النظر عن المحرمات وتقوية الوازع الديني، كما أجاز المؤلف مصارحة المربي أو الأب في القضايا التي تتعلق بالجنس واستشهد بكثير من الآيات التي تتحدث عن الاتصال والجنس وعن خلق الإنسان وعن الفاحشة منها (سورة البقرة: ١٨٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٧، والمؤمنون: ٥، ٧، ١٣ والأحقاف: ١٥، والإسراء: ٣٢، والنور: ٣) فما أحوج أهل الفكر والتربية والإصلاح أن يأخذوا بمنهج الإسلام في التربية الجنسية وأن يسيروا على هدى القرآن في الانضباط الغريزي.

وسائل التربية المؤثرة

أفرد المؤلف الفصل الأول من كتابه الثاني عن تربية الأولاد في الإسلام والذي يقع في ٥٠٠ صفحة لوسائل التربية المؤثرة وأهمها التربية بالقدوة، والرسول الكريم ﷺ هو القدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦) والرسول ﷺ قدوة في العبادة والكرم – والزهد – والتواضع – والحلم – والشجاعة والقوة الجسدية والثبات على المبدأ.

كما أعطى التربية بالعبادة ودورها في تنشئة الجيل ومنهج الإسلام في إصلاح الكبار عن طريق الربط بالعقيدة والتحريم للشر وفي إصلاح الصغار عن طريق التلقين والتعويد، والتربية بالموعظة بالآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ والتي تشمل عقوبة الحدود وعقوبة التعزيرات.

وقد تناول الكاتب الطرق التي أقرها الإسلام في المعالجة عن طريق الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه والإرشاد إلى الخطأ بالملاطفة والإشارة ثم بالتوبيخ والضرب.

واعتبر المؤلف الربط الروحي هو أهم القواعد الأساسية في تربية الولد وذلك بربط الولد بالعبادة والقرآن الكريم وبيوت الله وبذكر الله وبالنوافل وبمراقبة الله تعالى واشترط في المربي صفات أساسية هي الإخلاص، والتقوى، والعلم، والحلم، والاستشعار بالمسؤولية للوقوف في وجه مخططات التآمر التي كانت تقودها الشيوعية والصليبية واليهودية والماسونية ضد الإسلام.

الصحبة الصالحة

شدّد المؤلف على ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة ليكتسب منها ما ينمي شخصيته من روحانية مشرقة وعلم نافع، وأدب سام وأخلاق قويمة، هذه الصحبة التي تبدأ في البيت حيث إخوته وأخواته وأقاربه وصحبة الحي، وصحبة المسجد، وصحبة المدرسة، واستعان بتوجيهات القرآن الكريم وتحذيراته من قرناء السوء والفساد.. قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق: ٢٧) وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧).

وفي الفصل الثاني – من الجزء الثاني – تناول المؤلف قاعدة التحذير بإسهاب وبين كيف أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يهتمان بالتحذير من الشر، والتحذير من الإلحاد وكيف أن الإلحاد أعظم خطرا من الردة.. وحكم الإسلام على المرتد الملحد.. والتحذير من اللهو المحرم وأعطى أمثلة عليها كاللعب بالنرد والاستماع إلى الغناء والموسيقى الماجنة ورؤية الميسر وأعطى أمثلة على ألوان القمار المحرم كشراء أوراق اليانصيب، والمراهنة، ثم ألوان من اللهو الحلال التي شرعها الله وحثت عليها السنة النبوية كمسابقة الجري (العدو) والمصارعة، واللعب بالسهام واللعب بالحراب والفروسية والصيد.

الحلال بيّن والحرام بيّن

أما التحذير من الحرام فأفرد له المؤلف فصلا كاملا. وأعطى الأولوية للتحذير من حق الله تعالى – الذي هو وحده صاحب الحق في أن يحل ويحرم.

وبدأ في الحرام في الأطعمة والأشربة (الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وسباع البهائم وما ذبح على غير الطريقة الشرعية...) وانتقل إلى الحرام في الملبس والزينة والمظهر، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١)، وهذا يدل على عناية الإسلام بالمظهر والنظافة وتحريم الذهب والحرير على الرجال وتحريم التشبه بالمرأة وتحريم تغيير خلق الله – وهو ما يحصل في يومنا هذا من تحويل الذكر إلى أنثى وتحويل الأنثى إلى ذكر... وتحريم حلق اللحية وتحريم الصور والتماثيل وما يستثنى ويرخص منها.

كما طالب بتعلم الأولاد البيع الحلال وأنواعه والبيع الحرام وعدد من البيوع المحرمة: بيع الأشياء المحرمة (الخمر ولحم الخنزير والمعازف بأنواعها وأوراق اليانصيب..) وبين الحكمة في هذا التحريم، وبين أنواع البيوع المحرمة وحكمة تحريمها مثل بيع الغرر والبيع بالغبن والبيع بالاحتكار والبيع بالغش وبيع المسروق وبيع المغصوب والتكسب عن طريق الربا والميسر ثم انتقل إلى عادات حرمها الإسلام كالانتصار للعصبية والتفاخر بالنسب والنياحة على الموتى وانتساب الولد إلى غير أبيه، وأكل مهر البنت وحرمانها من الميراث، وطالب بتشويق الولد إلى أشرف الكسب. وقد أنهى المؤلف كتابه بتقديم اقتراحات تربوية لابد منها، مثل: دراسة مراعاة استعدادات الولد الفطرية حيث أمر الرسول ﷺ بإنزال الناس منازلهم وترك المجال للولد في اللعب والترويح.

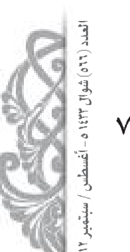
(كتاب جدير أن يقتنيه كل مسلم وولي أمر ومعلم مدرسة)



أطفال الكولسترول.. ليسوا في مأمن منه

هدير جلال - القاهرة : دار الإعلام العربية

الوراثة والأطعمة الجاهزة وعدم ممارسة الرياضة ونمط الحياة العصرية أهم الأسباب



د. هبة عبداللطيف: مخاطر ارتفاعه لديهم ممتدة إلى المراحل العمرية اللاحقة!

ارتفاع نسبة الكولسترول، مرض دائمًا ما يشكو منه الكبار لخطورته على الجسم، لكن مع نمط الحياة الحديث امتدت هذه الخطورة لتصل إلى الأطفال، وقد أكدت العديد من الدراسات والتقارير الصحية أن الأطفال عُرضة للإصابة بارتفاع الكولسترول.. وهو الأمر الذي يدق ناقوس الخطر وخاصةً في ظل الاعتقاد الخاطئ لدى الأغلبية العظمى من الآباء بأن الأطفال في مأمن من هذا المرض، ولذلك تنبه «الوعي الإسلامي» الآباء، وتكشف أسباب الإصابة وأعراضها والمخاطر الناتجة عنها.. وبالطبع كيفية المواجهة، كل ذلك عبر السطور التالية.. لمعرفة الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بارتفاع نسبة الكولسترول لدى الأطفال، توجهنا بالسؤال إلى د.هبة عبداللطيف زين، أخصائية طب الأطفال، التي وضحت أن الدهون والكولسترول أنواع عدة؛ دهون ثلاثية، ودهون منخفضة الكثافة LDL ودهون عالية الكثافة HDL، وتعد الدهون منخفضة الكثافة خطيرة جدًا وهي من أهم أسباب ارتفاع الكولسترول، بينما الدهون عالية الكثافة لها دور مهم في الأيض «عملية الهضم» وحماية الجسم من تصلب الشرايين.

وتحدّد د.هبة أسبابه ارتفاع الكولسترول، في رئيسية وثانوية؛ حيث تتمثل الأسباب الثانوية في زيادة تناول الدهون المشبعة، موضحةً أن هناك علاقة «وطيدة» بين تناول الدهون المشبعة وارتفاع نسبة الكولسترول والتي ينتج عنها الوفاة بأمراض شرايين القلب التاجية، كذلك تصلب الأطراف السفلية والشرايين المغذية للمخ، حيث إن هذه الأمراض تتأثر بعوامل بيئية وجنينية، كذلك بأسلوب الحياة؛ أي نُوعية الأكلُ نفسه، وكذلك ممارسة الشخص للرياضة، ومن الأسباب الرئيسية أيضًا العوامل الوراثية، فهناك مجموعة من الأمراض الوراثية تتحكم بها مجموعة من الجينات قد تؤدي إلى وراثة الطفل لمرض ارتفاع الكولسترول من أحد والديه.

أما الأسباب الثانوية لزيادة الدهون والكولسترول في الدم فتتمثل في نقص هرمون الغدة الدرقية والبدانة والسكري والفشل الكلوي وارتفاع هرمون الغدة الكظرية، كذلك تناول أدوية معينة.

أعراضه

وتقسم د.هبة أنواع الإصابة بارتفاع الكولسترول لدى الأطفال إلى نوعين؛ أحدهما شديد الخطورة تظهر أعراضه منذ الطفولة المبكرة في صورة تجمعات دهنية صفراء تحت الجلد خصوصًا في مناطق الأوتار والمفاصل وأعراض الذبحة القلبية، والتي إذا لم يُعالَج الطفل منها قد تؤدي إلى وفاته دون أن يبلغ سن الثلاثين، كذلك قد تحتاج بعض الحالات إلى تقنية البلازما لإزالة الدهون منخفضة الكثافة أو حتى إلى زرع كبد جديد.

أما النوع الأقل خطورة، فتظهر أعراضه في صورة زيادة في الوزن «بدانة» وارتفاع في ضغط الدم والإصابة بمتلازمة الأيض، كذلك الأمراض القلبية.

وتنصح د.هبة كل الآباء بضرورة علاج ارتفاع الكولسترول لدى الأطفال، وخاصة بسبب مخاطره العديدة عليهم، كذلك لأن بعض الآثار السلبية لارتفاع الكولسترول قد تظهر على الأطفال في مراحل عمرية لاحقة، فلقد أكدت العديد من الدراسات على أن نحو ٤٠٪ من الأطفال الذين يعانون ارتفاع نسبة الكولسترول يتعرّضون للإصابة بأمراض القلب في مرحلة الشباب.

الكولسترول والسمنة

وعن العلاقة بين السمنة ونسبة الكولسترول، تؤكد أستاذ تغذية الأطفال بالمعهد القومي المصري للتغذية، د.لبنى الحديدي، أن هناك علاقة وطيدة بين السمنة وارتفاع نسبة الكولسترول، مشيرةً إلى ما أظهرته نتائج الدراسات الأخيرة من أن تزايد حالات ارتفاع الكولسترول السيئ تتناسب طرديًا مع



الكولسترول

مادة دهنية شمعية أساسية في تكوين أغشية الخلايا في جميع أنسجة الكائنات الحية، يلعب دورًا أساسيًا في الاستقلاب الحيوي (التمثيل الغذائي)، وله نوعان، أحدهما طيب مفيد، والآخر ضار للصحة إذا زادت نسبته في دم الإنسان عن ٢٠٠مليجرام/ديسيلتر.. النوع المفيد وهو بروتين دهني مرتفع الكثافة يجب أن تكون نسبته في الدم أعلى من ٤٠ مليجرام/ديسيلتر. والنوع الضار إذا زادت نسبته في الدم عن ٢٠٠ مليجرام/ديسيلتر، وهذا يسمى بروتينًا دهنيًا منخفض الكثافة. ويصنع جسم الإنسان أغلب كميات الكولسترول الخفيف التي يحتاجها مما يتعاطاه من غذاء، كذلك يحصل على كميات أخرى موجودة جاهزة في بعض أنواع الغذاء، مثل صفار البيض والجمبري والصدفيات. ويقع إنتاجه بشكل رئيسي في الكبد والأمعاء وينقل في بلازما الدم بواسطة جسيمات البروتينات الدهنية.. والمستوى الطبيعي للكولسترول (الكلي) بالدم يجب ألا يتجاوز الـ٢٠٠ مليجرام/ديسيلتر. لكن التحليل الكلي لا يقدم نتائج دقيقة عن حالة الجسم وعن حماية القلب؛ لذلك لابد من تحليل الكولسترول إلى أجزائه (LDL-HDL).

د.نبيل الزهار: العناد والاكتئاب والخمول والتوتر.. أبرز الانعكاسات النفسية



تزايد نسب السمنة والوزن الزائد عند الأطفال؛ أي أنه كلما زادت السمنة ارتفعت نسبة الكولسترول.

وتوضح أن الأسلوب الأمثل لمعالجة ارتفاع الكولسترول لدى الأطفال يتمثل في عدد من الخطوات التي يلزم القيام بها معًا؛ الأولى هي اتباع نظام غذائي معين يعتمد على تحسين نوعية الطعام التي يتم تناولها، حيث يجب تقليل تناول الدهون بكمية كبيرة وتقليل النشويات والسكريات، كذلك الأطعمة السريعة كالأطعمة الجاهزة والمشروبات الغازية، وفي الوقت نفسه يجب زيادة الاعتماد على تناول الخضروات الطازجة والفاكهة.

بينما تتمثل الخطوة الثانية في ممارسة الرياضة، ويجب الحرص على الاستمرار في ممارستها وخاصة أنها تساعد على إذابة الدهون الخطيرة وعلى إنقاص الوزن.

وعن دور العقاقير الدوائية في علاج ارتفاع الكولسترول لدى الأطفال، شدّدت د.لبنى على ضرورة الحرص على عدم إعطائها للأطفال قبل سن البلوغ لمخاطرها على صحتهم، ما لم يتم ذلك تحت إشراف طبي كامل في الحالات الحادة فقط أي في حالات الخطر الشديد.

بدائل غذائية

واتفقت د.عفاف عزت، أستاذ التغذية والكيمياء الحيوية بالمركز القومي للبحوث، مع الرأي السابق، مؤكدة وجود علاقة بين السمنة وارتفاع نسبة الكولسترول، داعية إلى والإبتعاد عن القشدة والزبد والمكسرات، الابتعاد عن الأطعمة التي تعتمد على تقنيات الطهي والتي تحتوي على كميات كبيرة من الدهون، وفي المقابل يجب زيادة الاعتماد على المصادر الطبيعية للدهون مثل الزبادي والجبن، كذلك استبدال السمن والزبد بزيت الزيتون أو الذرة.

حمية الكولسترول



يسمح الأطباء لمن يعاني الكولسترول بتناول الأسماك، الزيوت النباتية، وعلى الأخص زيت الزيتون وزيت عباد الشمس، وزيت الذرة، وزيت الكتان.. وكذا المكرونة، البطاطس، الأرز، وجميع أنواع الخضار والفواكه عدا الأفوكادو، بالإضافة إلى الحليب خالي الدسم، الشاي، القهوة، الصودا..

بينما يمنعون وينصحون بالإقلال من أكل المواد التالية، لاحتوائها على كميات كبيرة من الكولسترول الضار ومنها: اللحم، الطيور، الوجبات السريعة، السمن، الزبد، البيض، الجبن الدسم، الجمبري والصدفيات والكابوريا.. ويجب ألا تتجاوز الدهون المشبعة المستهلكة نسبة ٧٪ من السعرات الحرارية اليومية، وألا تتجاوز نسبة الكولسترول اليومية ٢٠٠مغ.

انعكاسات نفسية

وبسبب ارتباط ارتفاع الكولسترول بسمنة الأطفال في أغلب الحالات، يؤثر ذلك في حالتهم النفسية وخاصة في ظل وجود حالة من التمييز بين الأطفال البدناء والأطفال الطبيعيين، وأيضًا حالة المعايرة بين الأطفال أنفسهم، وبسؤال أستاذ علم النفس التربوي وعضو الجمعية الدولية لدراسة التوتر والقلق، أكد د.نبيل الزهار، على الحالة النفسية للطفل البدين، بأن هناك تأثيرات سلبية للبدانة على نفسية الطفل؛ حيث يعاني ضغوطًا عديدةً تتمثل في رغبة أسرته في إنقاصه وزنه واتباع نظام معين للغذاء أو لممارسة الرياضة؛ لذلك نجد أن هؤلاء الأطفال يتميزون بالعناد والاكتئاب، والخمول، والتوتر الشديد.

وأضاف بأن البدانة تؤثر في ثقة الطفل بنفسه وعلى مفهومه لذاته؛ لذلك تجعل الطفل شديد الانطواء والانعزال ويرفض الاندماج، خوفًا من نظرة نظرائه في السن إليه.. لذلك من الضروري قيام الأسرة بمساعدة الطفل ودعمه وشرح أسباب البدانة وأنها لا تعتمد عليه فقط بل قد تكون بسبب عوامل وراثية أو أسباب مرضية.

صدق الأبناء يبدأ بصدق آبائهم

نعيم السلاموني - كاتب مصري

في الوقت الذي يحاول فيه أولياء الأمور غرس صفة الصدق داخل أبنائهم باعتبارها أسمى قيمة يمكن أن يمتلكها إنسان في هذه الحياة إلا إن الحقيقة الواضحة التي لا ينتبه إليها الكثيرون هي أن الأطفال يتعلمون الصدق إذا هم رأوا الكبار صادقين.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى كذب الأطفال:

١- الأبناء يتعلمون قول الصدق من الكبار الموجودين بالمنزل كالوالدين أو الإخوة الكبار المحيطين بهم فإذا كانوا يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم نشأ الطفل صادقا وكثيرا ما يكذب الطفل تقليدا لوالديه ولمن حوله.

٢- قد يلجأ الطفل إلى الكذب نتيجة سلوك الآباء، فالأم تعاقب الطفل لأي سبب خصوصا أثناء المذاكرة وتوجه إليه أشد العقاب فيخاف الطفل فيكذب.

٣- قد يلجأ بعض الآباء إلى الزج بأبنائهم في مواقف يضطرون فيها إلى الكذب، وهذا أمر لا يتفق مع أصول التربية السليمة كأن يطلب من الابن أن يرد كذبا على السائل عن أبيه تليفونيا بأنه غير موجود.

٤- قد يكون الكذب عند الطفل وسيلة مبررة لديه للحصول على مطالبه دون أن يدرك خطورته وسوءه.

٥- بعض الأطفال يلجأون إلى الكذب نتيجة الشعور بالنقص مثل الطفل الذي يدعي أن والده يعمل في مهنة بعيدة كل البعد عن حقيقة مهنته.

٦- البيئة التي ينشأ فيها الطفل من أسباب الكذب عند الأطفال، فإذا نشأ الطفل في بيت تتصف بالخداع وعدم الصدق فإنه يتعلم الاتجاهات والأساليب نفسها في مواجهة مواقف الحياة.

كيف تشجع الأسرة الأبناء على الصدق؟

١- المنزل هو أساس التنشئة الاجتماعية السليمة للسلوك فإذا نشأ الطفل في بيئة شعارها الصدق قولا وفعلا فإنه ينشأ صادقا وأمينا.

٢- توفير جو المحبة والشعور بالأمن وتوحيد المعاملة بين الأبناء والابتعاد عن القسوة.

٣- تعويد الطفل على الحب والتسامح وإبعاده عن الكراهية والانتقام.

٤- يجب أن تكون النصائح والمواعظ من الآباء وعلى الأب أن يكون قدوة للأطفال.

٥- يجب إثابة الطفل على صدقه وإقراره بالخطأ وذلك أنفع من عقوبته.

٦- التحدث معه عن الصدق وغيره من الأخلاق الطيبة بهدوء وإقناع.

٧- تجنب الظروف التي تشجع على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه وإذا اعترف الطفل بكذب ينبغي ألا نعاقبه.

٨- إشباع حاجات الطفل بالقدر الذي يتناسب مع إمكانات الأسرة.

٩- الابتعاد عن أسلوب العقاب القاسي والتوبيخ الجارح لأن هذا العقاب كثيرا ما يؤدي إلى ترسيخ العنف عند الأطفال.

١٠- على الأسرة مساعدة الأبناء على قول الحقيقة وامتداح الأطفال على صدقهم وأن يؤخذ الطفل بالرفق واللين.

خلاصة القول

إن الإسلام يوصي أن نغرس الصدق في نفوس أطفالنا حتى يصبح الصدق لديهم أمرا مألوفا في أقوالهم وأفعالهم وللأسرة دور عظيم في نشأة أطفالها نشأة سوية وذلك لا يتأتى إلا في ظل أبوين مؤمنين صادقين فإذا كان الأبوان صادقين في القول وفي السلوك ومع الأطفال ومع الكبار وفي العمل وحتى أثناء الضحك نشأ الأطفال هكذا صادقين مخلصين في كل أمورهم وعكس ذلك إذا كان الوالدان غشاشين ارتضع الأطفال الكذب والغش.

وما أصدق قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

فلنصدق دائما في كل أمورنا مع أطفالنا ولنباعد بين ألسنتنا والكذب حتى لا يبادر أبناؤنا بمحاكاتنا في تلك الرذيلة، فكيف تنهى الطفل عن التدخين والأب يدخن أو تأمره بأن يحافظ على الصلاة والوالد لا يصلي وتعاقبه على الكذب ويرى الأب يكذب.

إن الصدق عظيم الأثر في الأسرة وفي نهضة المجتمع، فأمانة العمل وصدق العامل يفرضان إتقان العمل.. إن كنز الحسنات في الصدق لا يحصى ولا يعد.

يقول تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ..﴾، (الأحزاب: ٢٤)

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: ٢١).

حيثما توجد الأسرة توجد التربية



جميل الأحمد
كاتب صحافي

لاشك أن التربية أهـمُّ عمل يمكن أن يقوم به الإنسان، وهي أسمى الوظائف على الإطلاق، فهي الوظيفة العليا لهذا المخلوق، لأن فيها صناعة الإنسان؛ إذ يُصنع الإنسان في محاضن التربية، فجهد المربي إنما يتجه إلى الإنسان مباشرةً، أما بقية أعمال البشر فإنما تتجه إلى المادة، فالحداد.. والنجار.. والمخترع..-على جلالة أعمالهم - يعالجون المادة ويخدمونها مباشرة، ومن هذه الناحية كانت تربية البشر من أشرف العلوم.

وعندما يقوم المربون والمعلمون بتوجيه الإنسان، فإنهم يصنعون منه مواطناً صالحاً فاعلاً، ولا يخفى ما في هذا الأمر من خدمة للمجتمع والأمة.

فالتربية نهايةً تصب في التنمية العامة للمجتمع، لذا يمكن اعتبارها مسؤوليةً، وقد أكد النبي ﷺ على معنى المسؤولية في التربية فقال: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته..».

أولادنا أشطار قلوبنا، وفلذات أكبادنا، ورياحين دنيانا، وثمرات حياتنا، بهم تحيا المنازل وتعمر الدور، وتغمر جوانبها الغبطة والسرور، وهم أينما كانوا قرة عين للآباء، كل جهد في سبيلهم محبب، وكل عناء في تحصيل أرزاقهم يطيب ويعّذب، نُسهرليناموا في رضىً واستبشار، ونجوع ليشبعوا ما تعاقب الليل والنهار، ونحوطهم من مزالق الحياة بالمهج والأرواح لأن حياتهم امتداد لحياتنا، ولأنهم حماة أمجادنا، وحَملة أسمائنا من بعدنا والأولاد وإن كانوا فتنة كما ورد في الأثر «الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة»، فإن رعايتهم لَلون من أزكى ألوان الطاعة، فلقد سأل موسى ربه: أيُّ الأعمال أحب إليك؟ قال: «ألطاف الصبيان فإنهم فطرتي، وإذا ماتوا أدخلتهم جنتي» ونحن بخير ما تخلقنا بأخلاق الله، فقد وسع فضلهُ البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والطائع والغادر، فنشرنا ألوية التعاطف فوق رؤوس ذرارينا، مؤدين حق الإنسانية التي وثّق الله بنا عراها.

إن الأبناء ودائع ينبغي أن تُرعى، وأمانات

لا يُشتغل بملاذه وشهواته عنها، إلا من فسدت فطرته، وخف دينه، واستوجب الجحود في خريف الحياة، حين يتطاول إلى بر الأبناء وهيهات، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد الذي يقول: «رحم الله والدًا أعان ولده على بره» (١) (إن الأبوة والأمومة هما أعظم تبعة تقع على كاهل الإنسان)(٢) وأبعد الناس عن شرف الأبوة هؤلاء الذين يتصل ترددهم بين أعمالهم ومقاهيهم، فلا يَلمُّون ببيتهم إلا حين تصرخ بهم بطونهم، أو يُلحُّ عليهم نوم ثقيل، دون أن يشرفوا على تصرفات الأبناء فيشدوا أزر العامل، ويشحذوا همة الخامل.

وأبعد الناس عن شرف الأمومة، هذه التي تضيق بالبيت ذرعاً، وهو مهبط رحمة الله ورضاه فتسرف في زيارات لا تتعلق بها فائدة، ولا تدعوا إليها ضرورة، وأين هؤلاء من الأجر الذي جعله الرسول ﷺ للعاكف في بيته، على تربية أولاده، وإعدادهم للغد الطيب بقدر أجر العاكف في المسجد؟

والرسول ﷺ في هذا الجانب من حياته، كما هو في شتى جوانبه، عظيم حقاً.

(لقد كانت فاطمة تدخل عليه، فيقوم لها، ويأخذ بيدها، ويقبلها، ويجلسها في محله)(٣)، (وكان إذا أراد سفرًا، جعلها آخر العهد به، ثم صلى ركعتين، ومضى فإذا قدم من سفر، جعلها أول العهد به، بعد أن يبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين)(٤)، وكان يحمل بنت زينب، وهو يصلي الفريضة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها.(٥)

وحدثت الصديقة بنت الصديق، «أنه أهديت لرسول الله ﷺ هدية، فيها قلادة من جزع، فقال لأهدينّها إلى أحب أهلي إلي، فقالت النساء:ذهبت بها ابنة أبي قحافة، ودهشوا حين دعا الرسول أمامة فعلق القلادة في عنقها» والرسول ﷺ بذلك يعلي من قدر الأنثى التي ظلت مقهورة مظلومة عبر الأجيال، تختلف الأنظار في مجرد إنسانيتها، حتى جاء الإسلام فأكد عزتها وانحنى باللائمة على الذين كانوا يوئدون البنات خوف العار، وقرنها في التكاليف الإلهية بأخيها الرجل!

قال شداد بن الهاد: «سجد رسول الله ﷺ سجدةً أطالها، فقال الناس عند انقضاء الصلاة يا رسول الله، إنك سجدت بين صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه أتاك وحي فقال -عليه السلام- كل ذلك لم يكن، ولكن ابني هذا – الحسن والحسين – ارتجلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»(٦).

أين مقررات علوم النفس والتربية، مما ترك سلفنا، من صور التوجيه الصحيح، في مثل قولهم «لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم أترك حبله على غاربه» إن الشر لن يخلص إلى ناشئتنا إن نحن وهبناهم من ذات أنفسنا هذا الاهتمام، والعود غضّ طريٌ والنفوس قابلة للتشكيل!

وخذوا مجيد الخلائق من تراث الرسول، فقلدوا بها أعناق بنيكم، وزينوا بها نفوسهم، فهي أجدى عليهم من المال المكنوز، الذي يبدده الحمقى في يوم أو بعض يوم، ثم تبقي عليهم حسرات الجهالة، وسوء التربية ما بقوا، وقد قال الرسول صلوات الله عليه «من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه وكنيته، وأن يعفه إذا بلغ، وأن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي» وقد قرأ النبي قول الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾(الأنفال: ٦٠) ثم قال «إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي» وسابق النبي عائشة، وصارع ركانة- مصارع قريش- وأمر عمر أن لا يمنع أهل الحبشة وهم يلعبون بحرابهم عند النبي، ورأى نفرًا من (أسلم) ينتضلون فقال: ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ارموا، وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم الرسول: ما لكم لا ترمون؟ قالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: ارموا وأنا معكم جميعاً».

ألا ترى الدستور النبوي الحافل بأسباب العزة؟! وماذا وراء الإسم الكريم والكنية الطيبة، والأدب الصحيح، ومبادرة الزواج عند اكتمال الشباب، ونضج الغريزة، وإمكان النهوض بتكاليف الأسرة الجديدة؟!

ولم يهمل الرسول الرياضة الروحية في هذه المرحلة التي يواجه فيها المراهق انفعالات شتى، ولكنه جعلها على قدم واحدةٍ مع الرياضة البدنية التي ضرَّب بنفسه فيها المثل، وجعل السباحة والرمي، رمزًا لما وراءهما من الرياضات الرفيعة، التي لا تهذب- وحدها- الأرواح، ولا تكبح الجماح، ولا تثمر ما ترجو من صلاح، حتى يتندى عليها قطر كريم من كتاب الله وسنة رسوله، وأمثلة القدوة الطيبة في سلفنا الكريم، و«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» وقد مدحت ابنة الشيخ الكبير موسى عليه السلام بقوة البدن وقوة الروح فقالت ما حكى الله عنها ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(القصص: ٢٦) حب الأبناء حق الإنسانية، ودين الأجداد عند الأحفاد، وهو سمة الأنبياء، وحلية المتقين يقول النبي ﷺ «من كن له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن- أي شقاءهن- وضرائهن- ما يسببنه من هموم ومتاعب- وسرائهن، ادخله الله الجنة برحمته إياهن، فقال رجل: واثنتان يا رسول الله؟ قال واثنتان قال الرجل يا رسول الله وواحدة؟ قال وواحدة»(٧).

وقالت عائشة «دخلت علي إمرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا، غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار»(٨)

الهوامش:

١- الجامع الصغير ج ٢ ص ٢.
٢- كرسي موريسون: العلم يدعو للإيمان ص١٤٤ترجمة الفلكي.
٣- البخاري في الأدب المفرد.
٤- المصدر نفسه.
٥- البخاري ج ٨ ص ٧
٦- المجازات النبوية ص ٢٨٨.
٧- كشف الغمة ج٢ ص ٨٩.
٨- المنذري ج٣ ص ٦٨ – ٦٩.

ظاهرة العنف عند الأطفال

د. عبدالله رمضاني - أكاديمي مغربي

الأصل في الأطفال الفطرة والبراءة، ولكن استعداد الإنسان لقبول الطباع السيئة قد يجعل من السلوك العدواني في أسوأ حالاته قنبلة موقوتة إذا حان أوان انفجارها تضررت الأسر الآمنة.

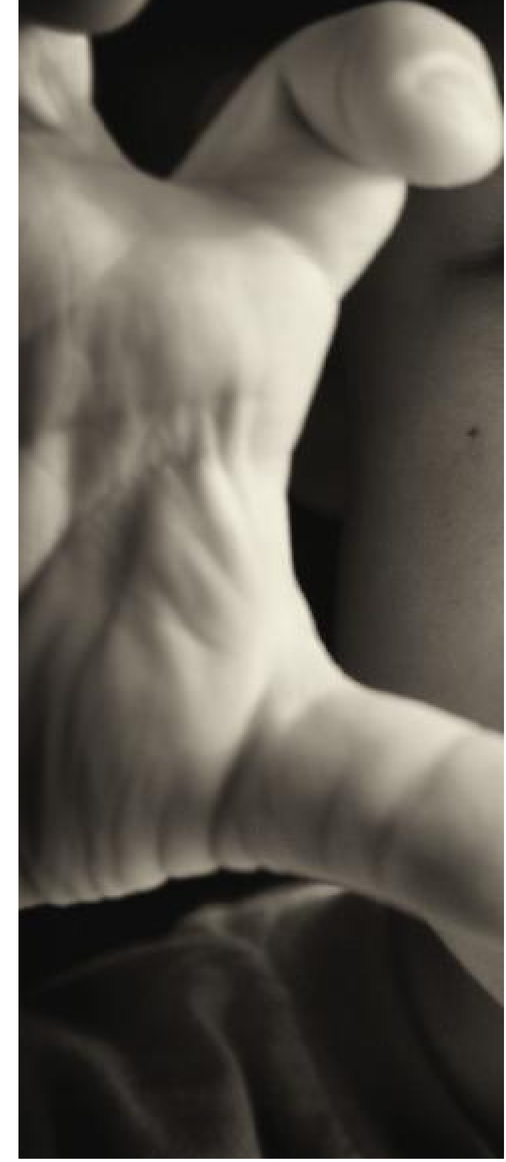
وسلوك العنف هو هجوم ليس له مبرر وفيه ضرر للنفس أو الناس أو الممتلكات والبيئة والطبيعة وقد يكون العنف لفظيًا أو عمليًا.

ومما يؤسف له، أننا أصبحنا نلحظ أن هذا السلوك الغريب قد استشرى بين صفوف الأطفال في مختلف سنوات أعمارهم سواء داخل البيت أو خارجه.. ولعل هذا ما جعلنا نتوقف عند هذه الظاهرة السلبية وغير الصحية محاولين تلمس أسبابها ودوافعها، وفي الوقت نفسه، باذلين جهدنا لإيجاد بعض الوسائل القمينة لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة.

مفهوم العنف

العنف لغة ضد الرفق ويراد به الشدة





والخرق. قال ابن منظور في لسان العرب حول تعريف العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. يقال عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة وأعنفه وعنّفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره..

وأما العنف اصطلاحًا: فقد نجده يختلف باختلاف التخصصات، فلدى علماء النفس والاجتماع يختلف تعريف العنف عنه لدى علماء السياسة والقانون وعلم الإجرام والانثربولوجي، لذا فهو مقرون بالوضعية والظروف المحيطة به.



ويُعرف مصطلح العنف من الناحية النفسية بأنه: السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارًا صريحًا بدنيًا كالضرب والقتل والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره.

ومن الناحية القانونية يُعرّف مصطلح العنف بأنه: سلوك يصدره الفرد بهدف إلحاق الأذى أو الضرر بفرد آخر يحاول أن يتجنب هذا الإيذاء سواءً كان بدنيًا أو لفظيًا تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ماديًا أو معنويًا.

وتشير الموسوعة العلمية (Universals) أن مفهوم العنف يعني كل فعل يمارس من طرف جماعة أو فرد ضد أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولاً أو فعلاً، وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية من خلال ممارسة القوة الجسدية بالضرب والقتل، أو يجسم القوة المعنوية من خلال تعمد الإهانة المعنوية لشخص ما بالسباب أو التجريح أو الإهانة.

بينما يؤكد قاموس راندوم هاوس (Hause dictionary Random) أن مفهوم العنف يتضمن ثلاث مفاهيم فرعية هي: الشدة والإيذاء والقوة المادية.

وعليه، يمكن تعريف العنف بأنه: كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وسواء كان هذا العنف جسديًا أو نفسيًا، ولا فرق في ذلك بين أن يكون فعل العنف والإيذاء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي، وهو سلوك إيذائي مدمر، قوامه ومرتكزه إنكار الآخر ورفضه وعدم احترامه.

دوافع العنف

تؤكد الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة أن هناك أمورًا تنمي وتدفع بهذا الطفل للقيام بهذه التصرفات الغريبة وغير الطبيعية التي تجمع تحت عنوان العنف عند الأطفال. ولعل من أبرز هذه الدوافع ما يلي:

١- البيت:

يأتي البيت في مقدمة الأسباب التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة في المجتمع، فالطفل الذي ينشأ في جو أسري يسوده الصراع والفوضى، وعدم الأمان، وافتقاد الحب، وعدم الاستقرار والتفاهم، ومعاملة الطفل على أساس أنه راشد معزول عن المشاعر والأحاسيس، فهو أبدًا لا يعرف أي شيء، ويخضع دائما لخطاب عمودي، واقع تحت سلطة أبوية قاهرة غير متفهمة ومستوعبة لحاجياته النفسية والاجتماعية، رأيه مرفوض ابتداء، أفكاره لا تسمع، اقتراحاته منبوذة سلفا، موقفه تبعي فقط، يُمنع دائمًا من التعبير عن غضبه، محبط ومكبوت، واحتياجاته لم تشبع حبًا ورعاية وفهمًا، وفي بعض الأحيان يشعر بعدم المساواة في المعاملة بين إخوته وتقسيم الاهتمام والحب بينهم.. لم يعد الطفل في ظل هذا الجو الأسري البغيض إليه إلا خشبة مسندة.. ترى كيف سيصبح الطفل فيما بعد؟ كل ذلك سيختمر في نفسه ووجدانه، وسيتحول بعد ذلك إلى كائن عدواني، يجد لنفسه العزاء في ذلك، ويفرغ فيه كل مكبوتاته النفسية والاجتماعية.

٢- المؤسسات التربوية والتعليمية:

يلتحق الطفل بالمدرسة ومعه حصيلة من المفردات الجديدة التي استقاها من البيت، ثم يدخل فضاءً جديدًا لم يعهده من قبل.. داخل هذا الفضاء الجديد تراه يعامل معاملة لا تستجيب وتكوينه الذهني والبيولوجي والنفسي الفتي، فالأسلوب التربوي الذي يمارسه المدرس أو المربي يتسم بالغلظة والقسوة، وأحيانًا يلجأ إلى استعمال ألفاظ هجينة ومفردات تجريحية تنال من ذاتية الطفل، وقد يتعدى الأمر إلى الضرب لأبسط وأتفه الأشياء.. لم يكن الطفل يتوقع أن هذا الأسلوب التربوي العنيف سيصاحبه حتى هذا الفضاء، إذ لدينا من المدرسين والمربين الذين مازالوا يعتقدون أن العنف وفرض الهيمنة والسلطة هو الكفيل الوحيد



بتقويم الاعوجاج السلوكي والفكري لدى الطفل، ففي نظرهم أن الطفل في مراحله الأولى يجب أخذه بشدة وقوة حتى لا يتهاون فينكسر عوده، وتثبط عزيمته، ويتحول إلى عضو سلبي في المجتمع.

في خضم هذا الجو التربوي القاتم تتلقح بذرة العنف في نفسية الطفل، وتبدأ في التفتح والنمو، وتصبح له قابلية كبيرة إلى تحويل هذا السلوك غير التربوي إلى ممارسة عدوانية تعكسها تصرفات وأنماط سلوكه، وعلى إعادة إنتاج السلوك نفسه في حياته العامة، فيصبح العنف بالنسبة له حينئذ هو المرادف الطبيعي للشخصية الفاعلة والوازنة في المجتمع، فممارسة العنف تعني بشكل أوتوماتيكي إثبات الذات وتقرير وجودها، وهذا في تقدير علماء التربية وعلم النفس استنتاج خطير يتوصل إليه الطفل، وهو إن تمكن منه يصير في ضوئه كائنًا عدوانيًا في أبشع صورة.

٣- الإعلام:

ونقتصر هنا على القنوات الفضائية ودورها في تكريس هذه الظاهرة لدى الأطفال.

تشكل القنوات الفضائية وسيلة خطيرة للتثقيف والإعلام والترفيه، ولا تحتل هذه المنزلة بالنسبة للكبار فحسب، بل إنها تحتلها في المقام الأول بالنسبة للأطفال أيضًا، فإن مشاهدتها عبر جهاز التلفاز لدى الطفل نوع من السلوك يستغرق فيه لإرضاء حاجاته النفسية، ويجد فيها ما يعينه على الهرب من الصراع النفسي والشعور بالفشل الذي يحس به في عالم الواقع، أو ربما يجد في برامجه بعض العون أو فكرة صائبة لحل مشاكله.

إن ما تعرضه القنوات الفضائية في وقتنا الحاضر من برامج ومواد إعلامية مختلفة، أفلام ومسلسلات حتى بعض الإنتاجات الإعلامية التي تكون معدة للأطفال بشكل خاص لا تخلو كلها من فيروس العنف، وقد يكون لذلك تأثير سلبي في حياة أطفالنا، إذ من المحتمل أن يختاروا من البرامج والتمثيليات وأفلام المغامرات وغيرها كثيرًا من قصص الجريمة، وبالتالي قد يتعلم الأطفال الجريمة والعنف من القصص المثيرة، ويكون لهم استعداد أكثر من غيرهم للقيام بأعمال العنف الجسمانية، كالضرب والركل، وأن يعبروا عن مشاعرهم بصراحة، ويفضلون تقمص الشخصيات الناجحة التي يرونها في الخيال، ويميلون إلى تقليدها سواء كانت شريرة أو تعمل في جانب الخير.

إن بعض الأطفال الصغار، وقليل من الكبار، يخلطون بين عالم الواقع وعالم الخيال، ويقلدون الأعمال العدائية التي يرونها على الشاشة في تصرفاتهم العادية في الحياة، وكثيرة هي الحالات التي أدت بالأطفال لإيذاء أنفسهم، بل تطور الأمر في بعض الحالات إلى فقدان الحياة، كما حدث بإحدى المدن المغربية من جريمة قتل قام بها ثلاثة أطفال قاصرين، وقد روع هذا الحادث الخطير أهالي المدينة وسائر المدن.. إذ أقدم ثلاثة أطفال صغار على تشخيص تمثيلية، يقوم أحدهم بدور القاضي، والثاني بدور المدعي العام، والأخير تقمص دور المتهم، وتداولت المحكمة الافتراضية قضية المتهم، فحكمت عليه بالإعدام شنقا، وبالتالي ما كان عليهم إلا أن ينفذوا الحكم، وكان الحادث المفجع، فرأوا الطفل المتهم معلقا على غصن شجرة، ظن الطفلان أنه يقوم بتمويه الموقف فحسب، لكن لما حركوه وجدوه ميتًا حقًّا، ففروا ذعرًا لما رأوا. وكما حدث أيضا في مصر حيث قام أحد الأطفال بتقليد شخصية «سوبرمان» ثم قفز من الطابق التاسع ليفقد حياته.

انظر كيف تحولت اللعبة إلى جريمة قتل لدى الأطفال! من أين لهم هذا السلوك العدواني لو لم يروا مثله على إحدى القنوات الفضائية؟!

والغريب في الأمر أن القنوات المخصصة للأطفال لم تسلم من هذا الداء العضال، إذ الطفل لم يعد يرى إلا أجسادًا صرعى، وحمامات من الدماء، هنا وهناك، وترسخ في أذهان الأطفال مفهوم «القوة للأقوى»، وإذا نظرنا نظرة متفحصة إلى الرسوم المتحركة المقدمة لأطفالنا، مثلا، نستطيع اكتشاف تقصيرنا الكبير في استخدام هذا الفن الخطير؛ فمعظم أفلام الكرتون والصور المتحركة المقدمة لأطفالنا أفلام أميركية أو غربية الصنع والهوية، وصممت لأطفال غير أطفالنا، وبعقلية غير عقليتهم، وتشجع عادات وأخلاقًا تتنافى مع أخلاقنا.

إن الطفل، كما يرى علماء النفس، يستشعر بحكم تكوينه الجسماني والعقلي أنه ضعيف وصغير، ولديه قدرة محدودة على التحكم بالبيئة الخارجية؛ لذا فهو يستمتع، ويشبع رغبته، ويطلق لخياله العنان في الحصول على هذه القوة من خلال التوحد اللاشعوري بما يشاهده من النماذج الشخصية التي تعكس مظاهر القوة البدنية والعقلية للبطل الذي لابد أن ينتصر على الآخرين.

فأي نشء نريد أن نربي ونكوّن ونبني أمام هذا المشهد الرهيب؟

٤- المجتمع:

يعتبر المجتمع نموذجا مكبرا للبيت، فإذا كانت الأسرة تهمل تربية أبنائها وأطفالها، ولا تعترف بحق طفولتهم، وتقسو عليهم، وتغلظ في معاملتهم، فإذا كان الأمر كذلك، هل سيكون المجتمع أرحم عليهم من بيوتهم وآبائهم وأمهاتهم، إن المجتمع سيعمل على تكريس الوضع، وسيرسخ ظواهره السلبية، وربما قد يزيد الطين بلة، فيأتي بألوان أخرى جديدة من العدوانية.

وفي هذا السياق، يلاحظ أن شوارعنا العربية والإسلامية قد تسربت إليها أنماط سلوكية غريبة وغير مألوفة، فعششت فيها وأفرخت، وأصبحنا نرى أطفالنا يقتفون، بوعي أو بغير وعي، أثرها إذ أصبحت في نظرهم تمثل عنصرًا أساسيًا في تكوين شخصيتهم، وإثبات ذواتهم، فالكبار يقدمون لهم دروسًا في الشتم والسب والمطاحنة والخصومة والصراع والضرب والتحقير والسخرية والهمز والنبذ، وكل أنواع الملاسنة البذيئة والممارسة الدنيئة.

في ظل هذا الجو المكفهر، ترى كيف سينجو الطفل من براثن هذه النزعة العدائية والعدوانية؟

إن هذه النزعة المرضية تتخلق شيئا فشيئا عند الطفل، بعد ذلك تصير لديه عادة، ثم يبدأ يرى كل من حوله يكنّ له العداء والضغينة، ويتوعده شرًا وأذى، لذا يصبح لزامًا عليه أن يردّ عليهم بجنس العمل أو أكثر، وأن يكشر عن أنيابه استعدادا للانقضاض عليهم قبل أن يفتكوا به افتراضا منه.

لقد تحولت براءة نفس الطفل إلى لظى مستعرة تأتي على الأخضر واليابس، وهذا ما يحزّ في صدورنا أن نرى أطفالنا فلذات أكبادنا على هذه الشاكلة، وعلى هذه الحالة، إنها حالة مأساوية مزرية تنذر بالخطر الهالك.

بعض الحلول المقترحة

لعلاج هذه الظاهرة السلبية لابد لنا من محاصرتها أولا، ثم يسهم الجميع، بنية صادقة وكلّ حسب موقعه، في وضع مخططات وبرامج تربوية وتعليمية واجتماعية وإعلامية وسياسية تستهدف هذه الظاهرة، كما يجب أن تتوافر إرادة سياسية تدعم وتقوي عضد هذه المخططات والبرامج الإصلاحية حتى تعطي ثمارها، وتؤتي أكلها.

فإذا أعددنا لهؤلاء الأطفال منبتًا طيبًا، وبيتًا طاهرًا وفاضلًا ومتفهمًا وواعيًا، ومتحليًا بالأخلاق الحميدة والقدوة الحسنة، وأعددنا لهم مؤسسات تعليمية وتربوية رائدة تشتمل على أطر ذات كفاءة علمية وخلقية، وجعلنا شوارعنا تعمها الفضيلة، ويسودها السلام، وأسهمنا في بناء مجتمع يقوم على مكارم الأخلاق، تسود بين أفراده روح التعاون والتضامن، وتربطهم جميعا أواصر الحنفية السمحة، وننتقي لهم قنوات فضائية هادفة وبناءة تسهم في إرساء دعائم الأخلاق، وتهذب طباعهم، وتصقل أرواحهم، وتحبب لهم كل أسباب الخير، وتجعلهم يمقتون كل دواعي الشر، وتغرس في قلوبهم ما يقوي حبهم للآخرين، وما يمنعهم من التطاول والاعتداء على حقوق أمثالهم أو غيرهم.. إذا هيأنا لهم هذا كله- أي ثقافة مناقضة ثقافة العنف- فإننا سنفلح في تحصين أطفالنا وحمايتهم من كل الظواهر السلبية السافلة، ويكونون خير خلف لخير سلف.

إن القضاء على هذه الظاهرة، ظاهرة العنف، رهينة بتسخير كل الوسائل المتاحة، وإشراك كل الفاعلين التربويين والاجتماعيين وكل مؤسسات المجتمع المدني أفرادًا وجماعات، مع وجود إرادة سياسية غيورة وحريصة على براءة الأطفال باعتبارهم رجال الغد وأمل المستقبل، لأن سلامة أطفالنا عقليًا ونفسيًا وجسديًا وسلوكيًا تعني سلامة وصحة مجتمعنا وأمتنا، ولن نجني الثمار إذا لم نحافظ على النبتة ونرعاها في مراحلها الأولى، ولن يصلح آخر هذا الأمر إلا إذا صلح أوله.



الاكتئاب التفاعلي.. داء المجتمعات العربية

بشرى شاكر
إعلامية مغربية



الاكتئاب حالة نفسية دارجة ومعروفة في عصرنا هذا على الخصوص، غالبًا ما تكون نتيجة عدة عوامل اجتماعية محيطة وقد تبدأ بالشعور بالإحباط أو الفشل أو الحزن لأمر ما، وأحيانا لا نستطيع التعرف على بدايتها إذ إنها تبدو في شكل أعراض قد تصيب أيًّا كان مثل صداع الرأس، آلام الظهر، آلام الأمعاء، وحينما لا يكون هناك أي سبب عضوي لمثل هذه الأعراض فيكون ذلك عبارة عن ناقوس خطر يهدد الجهاز النفسي للإنسان، وقد تكون إشارات التعرض للاكتئاب والذي إذا لم يعالج ولم تتغير ظروف حدوثه قد يتحول لمشكلة كبرى- أي إلى اكتئاب مرضي.

الاكتئاب مرض بدأ يجتاح مجتمعاتنا ومن المتوقع حسب دراسة علمية أجراها المرصد الصحي بفرنسا في المعهد الوطني للوقاية والتربية الصحية Inpes أن يصبح هذا المرض رقم اثنين في الأمراض الأكثر تعجيزًا سنة ٢٠٢٠.

لعل عوامل الحياة العصرية أو ما نسميه الآن بعصر السرعة والتكنولوجيا، كلها



تؤثر في الإنسان فتجعله مهددًا ومعرضًا للوقوع في حالات اكتئاب، وليس هناك من لم يمر بحالة اكتئاب ولو بسيطة ولأكثر من مرة في عصرنا الراهن.
إن الجهاز النفسي يملك وسائل دفاعية يدافع بها عن نفسه ولكن حينما تجتمع عوامل محيطة أكبر مما يمكن استيعابها وتشتد الأزمات والمؤثرات الخارجية فإن هذه الوسائل الدفاعية تفشل في التفاعل معها، وبالتالي يتأرجح الإنسان بين إحباط قد يتجاوزه وبين دخوله في حالة اكتئاب تفاعلي، وهنا أيضا يختلف الأمر من شخص إلى آخر..
هذا الاكتئاب التفاعلي قد يكون نتيجة ضغوط نفسية واجتماعية وعاطفية أو مادية، وغالبًا ما يكون نتيجة ضغط نفسي قد يبدو لنا صغيرًا وغير مؤذٍ، ولكنه يكون سبب دخول الشخص في اكتئاب تفاعلي، لكون هذا الضغط أصبح مستمرًا وامتد لوقت طويل ولم يخرج منه هذا الشخص بنتيجة، ويمكن أن يكون هناك ضغط قوي ولكنه عارض ويسبب حالة إحباط واكتئاب مرحلية تنتهي بانتهاء الظرف المحيط...
عمومًا فإن الاكتئاب التفاعلي يكون عبارة عن ردة فعل نفسي لحدث معين، وقد يكون أول مراحل الاكتئاب المرضي إذا لم يعالج، وأهم أسبابه الفشل في الزواج والانفصال والمشاكل الأسرية، والمشاكل في العمل من فقدان وظيفة أو ضغوط كثيرة، أو وفاة شخص مقرب...
وإن كان هناك أسباب قد تبدو مشتركة بين كل المجتمعات إلا أن الإحصائيات تقول إن الاكتئاب التفاعلي أكبر بكثير في المجتمعات العربية، ويعزى ذلك لأسباب عدة، أولها البطالة والشعور بعدم القدرة على تحقيق الذات، فقدان وظيفة أو عدم الاكتفاء ماديًا ومعنويًا بما تدره من ربح والإحساس بالتقليل من شأن الشخص ودوره، وأيضا ارتفاع نسبة الطلاق والانفصال في مجتمعاتنا العربية بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، ناهيك عن المشاكل الأسرية والخلافات التي للأسف لا ترقى لتعاليم ديننا الحنيف في شيء.
كما يقول بعض أخصائيو الطب النفسي أن المجتمعات العربية تكون أكثر عرضة للاكتئاب عمومًا لكونها بنظرهم مصابة بنوع من الرهاب الاجتماعي، بحيث إن هذا الاضطراب يكون سببه التربية والتنشئة غير السليمة، إذ يربى الطفل على الصمت والخوف وعدم المشاركة في قرار أو حوار، بل إن هناك من يستعمل الدين كوسيلة للترهيب عوض الترغيب، فيكبر الطفل وهو يعاني من هذا النوع من الرهاب، وينتج عن ذلك أن العديد من الأشخاص لا يتأقلمون مع المجتمع بسهولة، والرهاب الاجتماعي هو مرض عصابي مثله مثل الخوف والوسواس القهري، وكلها أمراض تؤدي إلى الاكتئاب بجميع أنواعه.
ويقول بعض المحللين أيضا إن الحالة الاقتصادية والاجتماعية الهشة لغالبية المجتمعات العربية هي سبب رئيسي في الشعور بحالات الاكتئاب التفاعلية خاصة مع زيادة نسبة التوتر والقلق من المستقبل ومن الحياة ككل لدى الأشخاص.. فلدى النساء، تشكل مشكلة العنوسة ونظرة المجتمع للمرأة العربية غير المتزوجة سببًا رئيسيًا في شعورها بالإحباط والاكتئاب، إذ إن ذلك يكون نتيجة رد فعل لما يسقطه عليها المجتمع كمعاملة سواء بشكل مباشر أو بالتلميح... هذا الأمر يختلف في البلدان الأوروبية، فالعنوسة قد تعتبر أمرًا غير محبذ ولكنها لا تصل حد المعاناة أو تتعرض المرأة للسؤال عن سببها أو يتصرف معها حسب وضعيتها الاجتماعية، بل إنها تعوض عن وحدتها بالعمل والدراسة، وتعد بالنسبة لها مرحلة مثل غيرها، وهو ما يجعل المرأة التي لم تتزوج في البلدان العربية وتعدت متوسط سن الزواج تكون أكثر عرضة للاكتئاب التفاعلي من النساء في أوروبا مثلا.
كما أن جل المواطنين في الدول العربية، يركزون أكثر على كسب قوتهم ورزق عائلاتهم، فإما لا يبالون بالترفيه وممارسة الرياضة وإما لا يستطيعون لذلك سبيلا بسبب قصر ذات اليد، بينما في الدول الأخرى لا تعد الرياضة وسيلة ترفيهية فقط، وإنما تكون حافزا للسيطرة على المشاعر السلبية وعلى معدل التوتر والتخلص من مخلفات الأرق والإعياء في العمل، فيصبح الإنسان أكثر إقبالًا على الحياة وأكثر نشاطًا لأداء وظيفته المهنية والاجتماعية عمومًا، بينما المواطن العربي في جل بلداننا والذي يكتفي بالعمل فقط، لا يجد متنفسًا لحالته النفسية، فيصبح بمنزلة قارورة تملأ ويحكم إقفالها، فتغدو مهددة بالانفجار في أي وقت.
من بين الأسباب أيضا التي جعلت المواطن العربي الآن أكثر عرضة لهذا النوع من الاكتئاب، تفاعله مع ما يجري حاليًا من أحداث وثورات في العالم العربي، بحيث بات الوطن العربي مسرحًا مهولًا للقتل والمجازر والتظاهرات وهي الأشياء التي لا تؤثر فقط على من يعيشها بشكل مباشر وإنما أيضًا على من يتلقاها من خلال القنوات التلفزيونية وبشكل مستمر، بحيث يدخل فيما نسميه اضطرابات الصدمات، وهو الأمر الذي يؤدي أيضا لزيادة الخوف من المستقبل وارتفاع الوساوس نتيجة عدم الشعور بالأمان وبالتالي إلى ظهور عوارض الاكتئاب.
وختاما، نبرز بعض أعراض الاكتئاب التفاعلي والتي على الشخص إن أحس بها بدون سبب فسيولوجي أن ينتبه إلى أنه قد يكون اكتئابًا تفاعليًا لشيء يحيط به وعليه أن يتدارك الأمر ومن معه لمساعدته على تجاوز سبب ما يحصل معه.
هذه الأعراض، هي الأرق وعدم القدرة على النوم، أو بالعكس صعوبة الاستيقاظ من النوم والإحساس بالرغبة في عدم مغادرة الفراش، سرعة رد الفعل والعصبية، الإحساس بالتعب والوهن وصداع الرأس وفقدان التركيز وأيضا الإحساس بآلام في المفاصل وخاصة الظهر، وانتفاخ الأمعاء والإمساك المزمن حتى مع نظام غذائي جيد وكذلك الشعور بالحزن والإحباط.

أسد بن الفرات

فاتح جزيرة صقلية

تعد جزيرة صقلية كبرى جزر البحر الأبيض المتوسط، وأكثرها سكانًا، مساحتها ٢٥٨١٥كم، تبعد عن شمال إفريقيا (تونس) ١٦٥كم، عاصمتها بالرمو، وهي تابعة لإيطاليا منذ الحرب العالمية الثانية، وتتمتع بالحكم الذاتي، تنازعتها منذ القدم قوى خارجية لأهمية موقعها الاستراتيجي، وقد خضعت تاريخيًا للفنيقيين ثم القرطاجيين فالإغريق ثم الرومان، وغزاها البرابرة، ثم انتقلت إلى البيزنطيين، ثم خضعت لحكم المسلمين حوالي ٢٦٤ سنة إلى أن سقطت في أيدي النورمان سنة ١٠٩٠م على يد روجر الأول.

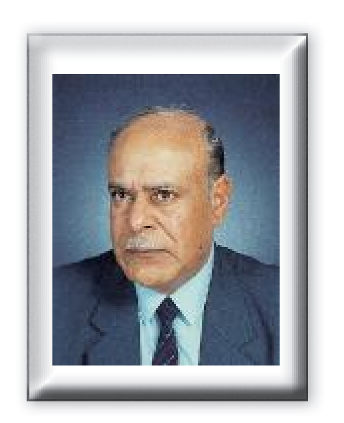
تعد الحديقة الكبرى لإيطاليا منذ القدم، فقد كان يخرج منها- كل عام مرتين- أسطولان محملان بمئات القناطير من القمح والفواكه والخضراوات والجلود المدبوغة باللون الأرجواني، والحرير اللازوردي والمواد الصوفية (١)، كانت الجزيرة تضم خليطًا من الأجناس أهم عناصره الإغريق والطليان وإلى جانبهم جماعات لهم، إلى جانب جاليات من المنفيين المذنبين والمجرمين والعساكر المتمردين، وامتلأت بقطعان العبيد والأسرى، وصغار الملاك الذين عجزوا عن الفلاحة، لما بهظتهم الضرائب، فهربوا من إيطاليا إليها، ودفعوا حريتهم ثمنًا لذلك (٢).

الفتح الإسلامي للجزيرة

فكر المسلمون في فتح الجزيرة وضمها إلى دار الخلافة كما هي الحال لكثير من المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، فقد قام المسلمون بغزوات عدة لها «غير أنه لم يثبت لهم قدم فيها، ولم تكن تلك الغزوات من أجل الغنيمة دائمًا» (٣)، إذ كان يحركهم دافع أسمى وهو الجهاد في سبيل الله، ولتأمين المسار البحري من جهة الشمال، حيث مركز الإمبراطورية الرومانية في روما التي تضمر العداء للفاتحين، والتي بدأت تستشعر منذ طلائع الفتوحات الخطر الداهم الذي استحوذ على مناطق متعددة من نفوذها (سورية- مصر - شمال إفريقيا- بلاد الأندلس).

فيروى أنه في عام ١٢٢هـ نزل حبيب بن أبي عبيدة، حفيد عقبة بن نافع فاتح إفريقيا أرض صقلية، ومعه ابنه عبدالرحمن، وفي نيته أن يمضي قدمًا في الفتح حتى يستولي علي الجزيرة كلها ، غير أن ثورة في إفريقيا شغلته عن غايته واضطرته إلى العودة لإخماد تلك الثورة، وقد كان من آثار تلك الغزاة أنها نبهت الروم إلى ناقوس الخطر الذي بدأ يقرع قريبًا من أسماعهم، فجعلتهم يتخذون من صقلية قاعدة حربية لحماية الإمبراطورية عند حدودها الجنوبية فعمروا فيه الحصون والمعاقل، وصاروا يخرجون مراكب تطوف بالجزيرة، وهي أمور زادت من صعوبة فتح الجزيرة، وربما صادفوا تجارًا من المسلمين فأخذوهم أسارى (٤).

قيل إن رجلًا من سكان الجزيرة اسمه «فيمي» لجأ إلى بني الأغلب في القيروان يستنجدهم لرد اعتباره وشرفه، فكان ذلك سببًا في غزو الجزيرة، غير أني لا أطمئن كثيرًا لصحة هذا الرأي، لأنه يختزل جهاد المسلمين في مجرد نجدة رجل ظلمه قومه بسبب الاعتداء عليه أو على زوجته، وهو خبر يرويه هو نفسه، ولا دليل معه عليه، فشهادته مجروحة، فضلا عن أن المسلمين كانوا حريصين



د. رفيق حسن الحليمي
كاتب وأكاديمي فلسطيني

على تأمين حدود دار الخلافة الفتية، من كل جانب يستشعرون منه الخطر، ولم تكن آنذاك قد وهنت عزائمهم ولم تدب في صفوفهم النزاعات كما هي الحال في أواخر عهدهم في بلاد الأندلس، حيث المؤامرات والنزاعات وملوك الطوائف.

ومما يذكر أنه كان بين صقلية وإفريقيا هدنة لم تنقض مدتها، لذلك جمع زيادة الله الأغلبي والي تونس وجوه القيروان وفقهاءها وكان فيهم «أسد» لاستشارتهم في الأمر، وبعد نقاش اختلف فيه الفقهاء، انتهى الأمر كما أفتى أسد بن الفرات، وأقلع الأسطول من مدينة سوسة يوم السبت النصف من ربيع الأول عام ٢١٢هـ في نحو مائة مركبة (٥).

أسد بن الفرات

(١٤٥هـ- ٧٦٠م - ٢١٣هـ- ٨٢٨م)، عربي صليبة، رحل في صغره مع والده إلى إفريقيا، ثم عاد فقرأ على مالك بن أنس بالمدينة، وذهب إلى العراق حيث التقى بتلاميذ أبي حنيفة النعمان، ثم رحل إلى مصر وعاد الى القيروان سنة



١٨٢هـ - ٧٩٧م، شهر عالمًا في الفقه فأسند إليه زيادة الله الأغلبي قضاء مدينة القيروان، قاد حملة الأغالبة على صقلية، ومات في أثناء حصار سرقسطة ضحية لمرض الطاعون (٦).

استمر جيشه في الجهاد، حتى تمكن بعد معاناة شديدة وحروب دامية، كان يقودها بطريقة صقلية من السيطرة على مدينة بالرمو، ومن ثم إخضاع الجزيرة كلها في عام ٨٢٧م، قيل: لم يتمكن المسلمون من السيطرة الكاملة عليها، فقد بقي القسم الشرقي القريب من جهة القسطنطينية التي كانت تمده بالرجال والعتاد في قبضة البيزنطيين، وفي عام ١٠٩٠م جاءت جيوش من الشمال بقيادة روجر الأول وأنهت الحكم الإسلامي للجزيرة.

حكم المسلمون الجزيرة ردحًا من الزمن (٢٦٤ سنة) وهي ليست بالزمن الطويل كما هي الحال في بلاد الأندلس، وعلى الرغم من قصر هذه المدة فقد ترك المسلمون بصماتهم الواضحة في الحياة، بقيت آثارها شاهدة على ذلك حتى أيامنا هذه.

دروس وعبر من غزوة الجزيرة

- حرص قادة المسلمين على فريضة الجهاد في سبيل الله، لنشر رسالة التوحيد، وإصرارهم على تأمين حدود دولتهم من كل عدوان محتمل.

- لم يكن غزو الجزيرة مغامرة غير مدروسة، فقبل اتخاذ القرار بالغزو كان هناك مشاورات وحسابات تؤكد حرصهم على المجاهدين واتخاذ الحيطة والحذر، فقد سأل الفقيه المالكي «سحنون» المجتمعين للتشاور: كم بين صقلية وبين بلاد الروم؟ قالوا: يروح الإنسان- بحرًا- مرتين وثلاثة في النهار ويرجع، قال: ومن ناحية إفريقيا؟ قالوا: يوم وليلة، قال: لو كنت طائرًا ما طرت إليها (٧)، وفي قوله تحذير من المغامرة من غزو الجزيرة لأنه وجد المسافة بين الجزيرة وبلاد الروم قريبة جدًا، بحيث تسمح بإرسال المدد من رجال وعتاد بسرعة غير متوافرة لدى جيش المسلمين، لكن هذا الرأي قوبل برأي آخر تبناه أسد بن الفرات، وهو ضرورة غزو الجزيرة لتأمين المسار البحري، ولمنع الاعتداءات على السفن التجارية للمسلمين، وتحرير أسرى المسلمين.

- لم يقدم الفقهاء، الذين استشيروا ومنهم أسد بن الفرات على الإفتاء بالغزو إلا بعد أن تحللوا من الهدنة التي كانت بينهم وبين صقلية، والتي لم تكن مدتها قد انقضت، وذلك بذريعة وجود أسرى لدى حكام صقلية، ولم يتم الإفراج عنهم مع تصاعد الاعتداءات على السفن التجارية، وقد كان أسد بن الفرات نفسه صاحب هذه الفتوى، ولذلك أسندت إليه قيادة الحملة.

- لم يثن التقدم في السن أسد بن الفرات عن الجهاد في سبيل الله، فقد أسندت إليه الحملة وهو في الثامنة والستين من عمره تقريبًا، فلا نامت أعين الجبناء، وكان يدرك صعوبة الطريق، ووعورة المسلك، ومخاطر ركوب البحر وقوة الأعداء، فقد كان فتح صقلية «عنادًا» مستمدًا من القوة النفسية التي خرج بها أسد بن الفرات فاتحًا أكثر من كونه سعيًا وراء غنيمة أو كسب» (٨).

- لم يكن حكم المسلمين لجزيرة صقلية وغيرها من البلاد التي خضعت للفتوحات مجرد نزهة أو رحلة صيد وجني غنائم، بل كانت عمارة للأرض، وللنفس البشرية، ونشرًا لعقيدة التوحيد، ففي صقلية شجع المسلمون خلال حكمهم على الزراعة، والتجارة والفنون والعلوم والآداب، وظهر في صقلية شعراء عرب مثل ابن حمديس الصقلي وغيره (٩) وبدأ المجتمع الإسلامي الواعد في صقلية يستقطب كثيرًا من المهاجرين الطامحين، وصارت المعاهد الإسلامية كعبة يقصدها كثيرون من علماء أوروبا، كان ذلك كله عندما تحدث العالم القديم في الأندلس وفي صقلية وشمال إفريقيا اللغة العربية، وسعوا إلى تعلمها سعيهم في طلب العمل والمعرفة، وقد استمرت الحضارة الإسلامية مزدهرة، تلقي بظلالها الوارفة على الحياة العامة في صقلية حتى خلال الحكم النورمندي الذي جاء في أعقاب الفتح الإسلامي (١٠).

الهوامش

١- د. إحسان عباس، العرب في صقلية: دراسة في الأدب والتاريخ ص ٢٨- دار المعارف المصرية.
٢- المرجع السابق ص ٢٩.
٣- نفسه ص ٣١.
٤- نفسه ص ٣٢.
٥- نفسه ص ٣٣.
٦- نفسه ص ٣٤، الميسرة ١٤٧.
٧- العرب في صقلية ص٣٣.
٨- نفسه ص ٣٥.
٩- نجيب العقيقي: المستشرقون ج١ ص٣٦٦، ص ١٠٤، العرب في صقلية ص ١٧٥ وما بعدها.
١٠- الموسوعة ص ١١٢٦.



من أقدم المقاصد الثقافية التي تميز القاهرة

الأزبكية.. بِرْكَة محاطة بالقصور والحدائق

تحقيق : هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد

خلدت الأزبكية، اسم منشئها الأمير التركي أزبك الذي كان قائدًا للجيش في عهد السلطان قايتباي (٨٧٢هـ-٩٠١هـ) ولهذا ارتبط اسم أزبك بالمنطقة فصارت تعرف بالأزبكية وقد أنشأ الأمير أزبك عددًا من المنشآت الدينية والمدنية، التي تطل على البركة وكان من ضمنها قصره الفخم، ومسجده الذي عرف باسمه.

وكان أيضًا من بين القصور العديدة التي أنشئت في حي الأزبكية قصر الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر وكان بقصره كثير من التحف النفيسة والكتب المجلدة الفاخرة.

«الوعي الإسلامي» زارت السور وجاءتكم بهذه التفاصيل.

عندما ننصت لصوت التاريخ يحكي لنا عن هذه المنطقة نعرف أنه في سنة ٨٨١هـ (حوالى ١٤٦٠م) قيض الله للبركة أميرًا هماما وقائدًا شجاعًا، ومحاربًا مغوارًا هو الأمير أزبك الخازندار، قد أمضى شطرًا كبيرًا من حياته في الكفاح والنضال، وجمع ثروة طائلة، فأراد أن يركن إلى الراحة، ويخلد إلى الهدوء والسكينة، ويتمتع باللهو والسرور.

ففكر أول ما فكر في أن يبني له قصرًا ضخمًا يجمع كل وسائل الترف والنعيم التي عُرفت في عصره، وقد وقع اختياره على بركة بطن البقرة التي قُدِّر لها أن تحمل اسمه فيما بعد، وكانت هذه البركة قد أصبحت أثرًا بعد عين، فقام أزبك بحفرها وتعميقها وبنى حولها، كما شيد مسجدًا وصفه المؤرخون بأنه بلغ النهاية في الجمال والفخامة، وأقبل الأعيان والأمراء من كل صوب على البناء في هذه البقعة الجميلة حتى نشأت في مدة وجيزة مدينةٌ قائمة بذاتها.

وقد سكنها بعض فقهاء المسلمين كشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، وقاض القضاة أبي الجيعان، والدشطوطي، وجلال الدين البكري وغيرهم ممن لا يحصيهم العد.

وكان الشعراء حينما يصفون بركة الأزبكية وحدائقها يقفون طويلًا أمام المناظر الطبيعية المختلفة، ولما دخل الفرنسيون مدينة القاهرة، وقع اختيارهم على الأزبكية لتكون مقرًا لهم ومقامًا.

وفي سنة ١٨٣٥م أمر محمد علي بردم البركة، ثم غرس مكانها حديقة واسعة وفي عصر الخديوي إسماعيل، حدثت تغييرات مهمة في خريطة الأزبكية، فقد أزيلت الحدائق وحولت إلى شوارع وميادين، وأقيمت في أمكنة منها المباني الفخمة، وظلت الحديقة التي غرست مكان البركة كما هي.

سور الأزبكية

وعلى السور الجنوبي منها أنشئ ما عرف بسور الأزبكية حيث السياحة الداخلية والخارجية واستعراض الكتب.

إذا مررت يومًا بجوار محطة مترو أنفاق العتبة بمنطقة وسط البلد، سيلفت انتباهك أناس من مختلف الأعمار، صغارًا وكبارًا، فتيات وشبابًا، نساءً ورجالًا.. وقد انتشروا في ثلاثة ممرات متتالية ويجمعهم هدف واحد وهو البحث عن كتاب أو مجلة في ما يقرب من ١٣٢ مكتبة صغيرة تضمها هذه الممرات المعروفة باسم «سور الأزبكية».. والتي تعتبر المقصد الرئيسي لكل طالب علم أو قاصد ثقافة أو راغب في المعرفة.

إذا كانت منطقة «وسط البلد» في العاصمة المصرية القاهرة ذات دور محوري بالنسبة إلى المثقفين بما تمثله من زخم إعلامي وثقافي ومعرفي، وبما تحفل به من مئات الأمكنة الفريدة التي ينساب من بين جدرانها عبق التاريخ ووهج الإبداع، وزخم التجارب الإنسانية، أماكن تتنفس إبداعًا متجددًا ممزوجًا



(سنن الترميذي) وقف لله بالجامع الجديد بالأزبكية - أصل هذا المخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٧٠٩)

برائحة عصور مختلفة، فإن «سور الأزبكية» الذي يتفرع من هذه المنطقة يعتبر بمثابة القلب في الجسد بالنسبة إلى كل مثقف أو راغب في السير على دروب المعرفة.

مقصد ثقافي

ويعتبر سور الأزبكية من أقدم المقاصد الثقافية غير الرسمية التي تتميز فيها القاهرة، يتوافد عليه أناس من مختلف الثقافات والأعمار، ما بين أدباء وسياسيين ومعلمين وطلاب وهواة، كل يمهد طريقه نحو الثقافة بأشكالها المختلفة، فيجد كل منهم ضالته في هذا المكان الجامع لمختلف الأذواق والثقافات، حيث تحتوي مكتباته العديدة على كل ما يبحث عنه القاصد من كتب دينية وسياسية وتاريخية وعلمية وأدبية ومنوعة.

يعود إنشاء هذا السوق إلى عام ١٩٣٣ حينما استأجر المعلم أحمد الحكيم كشكًا من البلدية بإيجار شهري قدره ٢٤٠ قرشا ونشر بضاعته من الكتب على جزء من سور الأزبكية، وهكذا ولدت مكتبات سور الأزبكية.

لكن ليس هذا هو السبب الوحيد للذهاب إلى سور الأزبكية، فقد حرص أصحاب المكتبات منذ سنوات بعيدة على أن يوفروا الكتب القديمة والنادرة بشكل خاص، والتي أعيا البحث عنها الطالبين في المكتبات الكبرى والرسمية، فلا يجدونها إلا لدى مكتبات السور، وحتى في حال وجودها في المكتبات الكبرى فإن أسعارها في سور الأزبكية تكون أقل كثيرًا من أسعار المكتبات ودور النشر المعروفة، كل ذلك جعله مقصدًا دائمًا للزائرين ومن يبحثون عمّا يروي ظمأهم للمعرفة والثقافة، لذلك وعلى مدى سنوات طويلة ظل السور مقصدًا للعائلات الساعية إلى بث روح الثقافة في نفوس أبنائها، وكذلك أصبح مركزًا لتشكيل ثقافة جيل أثرى عالم الثقافة العربية بشكل عام أمثال نجيب محفوظ وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم.

كتب قديمة ونادرة

تحت لافتة كُتب عليها «٨٩ سور الأزبكية»، ووسط زخم من الكتب القديمة جلس سمير أبوالعلا أو «عم سمير»، الذي أكد أنه ورث هذه المهنة منذ أكثر من ثلاثين عامًا، والرجل يعود بذاكرته إلى أربعينيات القرن الماضي أيام «رغد العيش» -على حد وصفه-، عندما كانت الكتب معلقة على سور حديقة الأزبكية أمام مبنى الأوبرا القديم، وتُباع على أنغام حفلات كوكب الشرق أم كلثوم، والموسيقار محمد عبدالوهاب.. وتراوده تلك الذكريات الجميلة بما فيها من وفود الزبائن من مختلف الجنسيات، والطبقات، والفئات، والأعمار، مشيدًا بمستوى العلاقات والتعاملات الراقية التي كانت تجمع البائعين بالزبائن طوال العام، والتي كانت أقرب إلى علاقة الصداقة منها إلى علاقة بائع ومشترٍ كما أصبح الحال في هذه الأيام.

وتوقّف «عم سمير» بالزمن قليلا لوصف الواقع الذي عايشه مع سور الأزبكية قائلا: «انتقلنا أكثر من مرة، الأولى إلى كوبري الأزهر في منطقة الدرّاسة، والأخيرة إلى مترو العتبة، وكنا في الأصل نستخدم سور حديقة الأزبكية في عرض كتبنا، لكن مع أعمال التطوير والتغيير التي شهدتها المنطقة اضطررنا إلى التنقل، حتى عدنا أخيرا إلى منطقة مترو العتبة».

وتكسو نبرة صوت «عم سمير» حالة من الحسرة على الخسائر التي حلت به وبزملائه؛ نتيجة الانتقال المتكرر للسور قائلًا: عانينا من الانتقال المتكرر، خاصة





حينما انتقلنا إلى كوبري الأزهر، وعانينا كثيرًا من الخسائر؛ نظرًا إلى ابتعاد المكان، لكن بعد عودتنا إلى منطقة وسط البلد بدأنا نستعيد نشاطنا الثقافي مرة أخرى، وعاد إلينا زبائن الأيام الماضية التي لا تعوّض أبدًا؛ لتعود العلاقات الجميلة التي كوّنها السور في أيام ازدهاره.

وعن سوق القراءة، قال بصوت لا يخلو من الأمل: على الرغم من أن الكتاب فقد قيمته نتيجة غلاء المعيشة، فإن السور فيه إبداعات وإصدارات عديدة وقديمة، وعلينا أن نضع دعائم أساسية للثقافة لدى الجيل الجديد، فالشباب ليس كلهم عازفون عن القراءة بل النسبة التي نتمناها غير موجودة ونأمل أن تتغير خاصة بعد ثورات الربيع العربي.

وعلى الرغم من تراجع الإقبال على سوق الكتب فإن لـ«عم سمير» وجهة نظر خاصة، حيث رأى أن هذا شيء طبيعي إلى حد كبير في ظل السيطرة الإلكترونية، التي تستغل طاقة الشباب بأشكال عديدة، بالإضافة إلى التعليم وقواعده التي تقوم بدورها في توجيه الأطفال إلى الوسائط الأخرى غير القراءة، بجانب التربية ذاتها، فلابد أن نربي أبناءنا على القراءة.

ولا تغيب مكتبات سور الأزبكية كل عام عن معرض الكتاب الدولي بالقاهرة، وعنه قال: «سور الأزبكية في معرض الكتاب هذا العام ظهر وسط جميع دور النشر في كل المخيمات الثقافية بارزًا، ووافقًا على قدميه، حتى إن أول ما تطأ قدم الزائرين أرض المعارض، تتوجه إلى مخيم سور الأزبكية، وأول ما يبحثون عنه كتابًا يكون بين أسواره».

وعن حال السور بعد التغيرات التي شهدتها مصر، قال عم سمير: «لاحظت هذا العام إقبالًا كبيرًا على الكتب السياسية والتاريخية والقانونية والأدبية، وكانت العناوين التي تحمل أي شيء عن الثورة هي التي تلفت أنظار الجميع، وكانت الأكثر إقبالًا عليها، إلى جانب كتب عن الأدب السياسي، والأدب الساخر، والكتب التعليمية، والروايات العالمية، بالإضافة إلى الكتب الدينية والثقافية والسياسية لـ عائض القرني، محمد عمارة، محمد قطب، محمد حسنين هيكل، وغيرها من الكتب، فاليوم الرغبة في المعرفة جامحة، الجميع يريد معرفة كل ما يدور حولهم من أمور سياسية وقانونية وفي مختلف المجالات».

المراجع

١ - في ربوع الأزبكية محمد سيد كيلاني.

٢- موسوعة القاهرة ١٠٠٠ عام مكتبة الإنجلو.

٣- تاريخ الجبرتي.

٤- حي الأزبكية مقالة الأهرام الصادر ١٩٦٩/١/٣١م، بقلم د.حسين عبدالعليم عليوة.



بحثًا عن أم القيم.. البركة

المنشاوي الورداني- مترجم في التلفزيون المصري

هل ذهب الصالحون.. وذهبت معهم البركة؟ هل انطفأت أنوار البركة الحقيقية أمام أنوار المدنية؟ في الأيام الخوالي.. كانت مرتبات ودخول الناس قليلة، ولكنها كانت مترعة ببركة عظيمة لا تبددها الأمراض والأرزاء. واليوم يتقاضى المستوظفون مرتبات كبيرة ولا تكاد تسد رمق طمعهم وإصرارهم على طلب المزيد في مطالب فئوية، ولا يعرفون حتى الآن سر عدم كفاية ما يتقاضون، ولا يعلمون حقيقة أنها قد تكون منزوعة البركة. وفي حياتنا قد تجد أسرةً قليلة الدخل والجهد ولديها سيارة متواضعة ولكنهم يعيشون حياةً سعيدةً تتمتع بالبركة، وعلى النقيض ترى أسرةً تحيا في القصر المشيد ولديها أرتال من المركبات الفارهة والمتع الفاخرة وتتحسر على تلك البركة والسعادة التي يحياها من يعيش في الكوخ المهين. إنها البركة التي كان الصالحون يستجلبونها بالإيمان والتقوى، والبعد عن المحرمات والإخلاص في العمل وإغاثة الملهوف والالتزام بقيم الإسلام فعليًا واليقين فيما عند الله من رزق حلال. تلك القيمة نعتبرها أم القيم.. لأنها باختصار قيمة باطنة وهي ثمرة الالتزام بالقيم الظاهرة: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان/٢٠) لذلك يخطئ الكثيرون من الناس عندما يظنون الخير في كثرة العرض ووفرة النماء، فقد تنقلب هذه النعمة إلى نقمة بالأرزاء والأمراض إذا لم تتوفر فيها البركة، والبركة عطاء إلهي وسر رباني لا يأتي إلا للباحثين عنه بما يوجب نزول هذه البركة ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...﴾(الأعراف ٩٦) لذلك كانوا يبحثون عن البركة تمامًا للخير وحفظًا للنعمة.

لعل أول من بحث عن البركة في السيرة النبوية السيدة حليمة السعدية عندما وجدت من بركات النبي ﷺ وهو طفل رضيع مدة عامين أو يزيد حيث تدفق اللبن في ضرعها وتدفق الخير في زرعها وزرع من حولها، كما لاحظت السيدة خديجة بركة هذا النبي وهو شاب فتي عندما ازداد النماء والخير في مالها وتجارتها فحرصت على الزواج بخير البرية.

ولقد كان النبي يعلم أهل بيته ضرورة البحث عن هذه البركة فكان يقول لفاطمة: «قُومِي فَاشْهَدِي رِزْقَ رَبِّك، عَزَّ وَجَلَّ، وَلا تَكُونِي مِنَ الْغَافِلِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ» (البيهقي).

كما علم النبي الأكرم ابنته فاطمة طريقة استجلاب هذه البركة بالإخلاص في الذكر.. ففي الصحيحين عن علي أن فاطمة شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟

إذا أويتما إلى فراشكما -أو أخذتما مضجعكما- فكبرا أربعًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم».

ويذكر أن الطعام انتهى من بيت علي وفاطمة، فقالت في الصباح: اذهب، فالتمس لنا طعامًا، لعل الله يرزقك، فأخذ علي فروًا ليتقي البرد، ثم تسلل إلى أرض اليهود، فإذا يهودي ينزح الماء من البئر على الجمل، فقال اليهودي: يا غلام، فقال علي: نعم قال: انزع غربًا بتمرة، فنزع علي غربًا، فأعطاه اليهودي تمرة، وكلما نزع غربًا أعطاه تمرة حتى ملأ يده وما إن ملأ يده حتى ذهب، فلقيه الرسول ﷺ فسأله: أين كنت؟.. فأخبره.

فقال: أين التمر؟ فأراه فدعا رسول الله ﷺ بالبركة وأكل منه تمرة، والبركة فيما بقي من أكله ﷺ تعادل الدنيا، فذهب إلى فاطمة فأخذا يأكلان.

ولقد كانت بركات النبي ﷺ موضع المشاهدة بين الصحابة ليتعلموا مواضع نزولها وطرق استجلابها: ذكر الإمام أحمد: عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله في غزوة غزاها، فأرمل فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام، فاستأذنوا رسول الله» في نحر الإبل فأذن لهم، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: فجاء فقال: يا رسول الله إبلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم ينحرونها؟ ادع يا رسول الله بغبرات الزاد، فادع الله عز وجل فيها بالبركة.

قال: أجل فدعا بغبرات الزاد، فجاء الناس بما بقي معهم فجمعه، ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة، ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضل فضل كثير.

فقال رسول الله عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني عبدالله ورسوله، ومن لقي الله عز وجل بهما غير شاك دخل الجنة».

وذكر ابن إسحاق في قصة حفر الخندق: أنه قد حدث أن ابنةً لبشير بن سعد - أخت النعمان بن بشير- قالت: دعتني أمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني جفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بغدائهما قالت: فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال: تعالي يا بنية ما هذا معك؟ قالت: قلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه فقال: هاتيه قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دعا بالتمر فنبذ فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

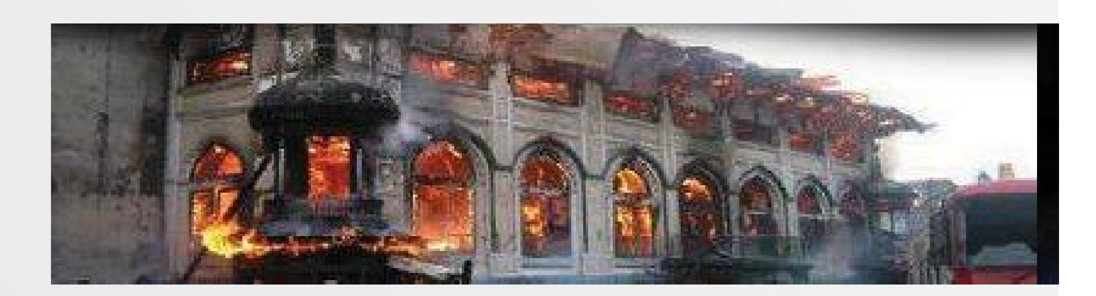


جرائم البوذيين في حق مسلمي بورما ضد الإنسانية!

التحرير

كأنهم ليسوا بشرًا.. فضلًا عن كونهم بشرًا مسلمين! نرى المذابح التي يساقون إليها ونرى أجسادهم المتفحمة ونرى إلقاء الجثث من مكان لآخر ونسمع عن اغتصاب فتياتهم وتمزيق أوصال أطفالهم وتحقير كبارهم وعلمائهم ثم نمضي لحال سبيلنا وكأن شيئا لا يحدث وكأنهم ليسوا بشرا!! إنهم مسلمو ميانمار (بورما) المنسيين، أولئك الذين تتجاهلهم حتى منظمات حقوق الإنسان الرهيفة الحس!

طوفان من المشاهد المرعبة والأخبار التي تقشعر لها الأبدان والصور التي تستكملها المخيلة تأسيسا على ما تتناقله بعض وسائل الإعلام.. طوفان يغرق آدميتك لأنهم آدميون مثلك.. يسحب عنك أخوتك لأنهم إخوانك في الدين.. يشكك في صدقك مع نفسك لأنهم هم الصادقون مع أنفسهم لم يتزلزلوا ولم يفرطوا في معتقدهم رغم بشاعة ما يمارس ضدهم، أما أنت فلم تكلف نفسك حتى عناء قراءة شيء عنهم!! ضع نفسك مكان أحدهم للحظات فهل تحتمل؟ هل تحتمل أن يغتصب أحدهم ابنتك أو يحرق ابنك أو يذبح أباك؟ هل تقبل كل مشاهد العنف على عائلتك أو بني وطنك؟ انظر إلى هذه الصور الحقيقية التي بثتها أجهزة الإعلام قبل أن ترد: هذه صورة حديثة لجماعات ترتدي الزي الأحمر وتضع على أنوفها كمامات.. تقف في مسلخ مفتوح.. ليس لدجاج أو لخراف وإنما لبشر مثلي ومثلك عرايا مذبوحين من الوريد للوريد وهذه صورة لموظف مسكين (يجب أن ترق قلوبنا له) يتحمل وحده عبء إلقاء الجثث من مكان مغلق إلى مكان آخر.. جثة أخيك المسلم تطير في الهواء والمصور المحترف التقط أكثر من لقطة متتابعة كي تصلنا





صورة الجثة الطائرة كأنها لعبة أو على الأقل جوال من التبن! ويحافظ القتلة على تنوع أساليب القتل حتى لا نمل فيحرقوا هذه المرة المسلمين أحياء ونرى صورة مساحة كبيرة من اللحم المشوي والعظام المتفحمة والأرض تبتلع الفضيحة طالما نعمي أبصارنا بأنفسنا كي لا نرى.

ماغ المتطرفة

وفق تقرير للعربية نت قبل أسابيع بلغت الحصيلة الأولية لحرب الإبادة التي تشنها مجموعة «ماغ» البوذية المتطرفة على المسلمين في بورما ٢٥٠ قتيلًا وأكثر من ٥٠٠ جريح وقرابة ٣٠٠ مخطوف، لكن يتواضع هذا الرقم أمام الأرقام التي نعرفها حاليا.

المدهش أن مليشيات الماغ البوذية المتطرفة بعد أن دمرت أكثر من ٢٠ قرية و١٦٠٠ منزل كتبت على كل قرية عبارة «خالية من المسلمين» وكأنهم وباء.. لقد استضعفوهم ونحن السبب، ولا يظن أحدنا أنه

مليشيات الماغ دمرت أكثر من ٢٠ قرية و١٦٠٠ منزل وكتبت عليها « خالية من المسلمين »

بمنأى من افتراس المتوحشين طال الزمان أم قصر.

وقد ذكر التقرير أن بعضا ممن فر من المذابح إلى بنجلاديش القريبة أعيد مردودا إلى مصيره بعد أن ضاقت السلطات البنغالية بحوالي ٣٠٠ ألف مسلم مضطهد فر إليها. فمتى نقبلهم نحن في بلادنا كلاجئين.. أين منظمة العمل الإسلامي؟ أين بقية المنظمات الحقوقية؟ أين الإنسان؟ هل تعرف أخي المسلم أن اللاجئين البورميين الذين وصلوا إلى بنجلاديش يعيشون في حالة مزرية؟ إنهم يحتشدون في منطقة «تكيناف» داخل مخيمات مبنية من العشب والأوراق وسط بيئة ملوثة ومستقعات تحمل كثيرًا من الأمراض مثل الملاريا والكوليرا فماذا نحن فاعلون؟

شاهد من أهلها

واستمع إلى الشيخ سليم الله حسين عبدالرحمن رئيس منظمة تضامن الروهنجيا وهو يؤكد أنه في عام ١٩٩٢ شردت بورما حوالي ٣٠٠ ألف مسلم إلى بنجلاديش للمرة الثانية ثم اتبعت سياسة الاستئصال عن طريق برامج تحديد النسل فتم منع الفتاة المسلمة من الزواج قبل سن الـ٢٥ عاما والرجل قبل سن الـ٣٠.

ودعنا نتساءل أخي الكريم مع من تساءلوا: أين دور دول المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان والهيئات العالمية مما يحدث في بورما؟! ولكن وكي لا نبخس الناس جهودهم فقد انطلقت عدة مراكز وجمعيات وأفراد إسلامية للتنديد بالتطهير العرقي الذي يحدث في بورما، من أعمال القتل والاضطهاد التي تستهدف المسلمين هناك.

إن ما يحدث من مجازر إبادة تحت غطاء ديني بعد إعلان الكهنة البوذيين الحرب المقدسة ضد المسلمين في إقليم أراكان في دولة بورما، ليستدعي المؤسسات الإغاثية والأمم المتحدة الإسراع لنصرة مسلمي بورما، وتقديم كل أشكال الدعم لهم، ووقف سياسة التهجير وتدمير المنازل والممتلكات والمساجد التي تقوم بها الجماعات البوذية المتطرفة (الماغ)، وهو ما يتنافى مع كل الأديان السماوية والقيم الإنسانية وحقوق الإنسان، التي أقرتها سائر المبادئ والاتفاقيات الدولية.



إعداد: محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

معنى «الفتوى»

الفتوى هي الجواب عما أشكل من الأحكام، أو خَفي عن بعض النّاس. وفرّق بعض العلماء بين «الفتوى» و«علمها»؛ فجعل «فقهها»: العلم بالأحكام بالكلية، و«علمها»: العلم بتلك الأحكام، وتنزيلها على النّوازل والأحداث.

فائدة: وقد ورد لفظ الفتوى في كتاب الله تعالى في سبعة مواضع هي:

الأول: قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنّ﴾ (النساء: ١٢٧).

الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦).

الثالث: قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف:٤٣).

الرابع: قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢).

الخامس: قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢، ٣٣).

السادس: قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات: ١١﴾.

السابع: قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (الصافات: ١٤٩).

حكم الفتوى

فصّل الإمام الشّاطبي رحمه الله القول في حكمها فقال:«سؤال المتعلم للعالم... يلزم الجواب إذا كان عالمًا بما سئل عنه، متعيّنًا عليه في نازلة واقعة، أو في أمر فيه نص شرعي بالنسبة إلى المتعلم، لا مطلقًا، ويكون السائل ممّن يحتمل عقله الجواب، ولا يؤدي

فتاوى الوعي

قيام ليلة عيد الفطر

الفتوى رقم (١٧١٥٤)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

قيام ليلة عيد الفطر-صلاة التراويح- بالمسجد ما حكم ذلك، وهل هي من رمضان أم من شوال؟

فأجابت بما يلي:

تخصيص ليلة العيد بقيام دون سائر الليالي يعتبر بدعة؛ لأنه لم يكن من سنة النبي: وقد قال:«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، سواء قامها منفردًا أو مع جماعة، وأما من كان له قيام معتاد في سائر الليالي، فلا بأس أن يفعله في ليلة العيد، لكن لا يكون جماعة، وليلة عيد الفطر ليست من رمضان إذا ثبت دخول شهر شوال.

تأخير صلاة العيدين عن يوم العيد

الفتوى رقم (١٩٤٤)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

هل يجوز تأخير صلاة العيد عن يوم ليلة رؤية هلال شوال إلى اليوم الثاني ليتمكن جميع العمال من المسلمين العاملين في المصانع والمكاتب من الحصول على إجازة يوم العيد من المسؤولين؟ وبما أن يوم العيد غير معروف لديهم سابقًا؛ فلذلك يصعب عليهم إخبار المسؤولين عن يوم بعينه للإجازة.

فأجابت بما يلي:

صلاة العيدين فرض كفاية؛ إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وذهب بعض أهل العلم إلى أنها فرض عين كالجمعة، وبما أن المركز الإسلامي يقوم بإقامة صلاة العيد بناءً على رؤية الهلال؛ فإن هذه الصلاة تسقط فرض الكفاية عمن لم يحضرها، ولا يجوز تأخيرها إلى اليوم الثاني أو الثالث من شوال من أجل أن يحضرها جميع المسلمين في لندن؛ لأنّ هذا التأخير خلاف ما أجمع عليه الصحابة ومن بعدهم، فإنّا لا نعلم أحدًا من أهل العلم قال بذلك، نعم يجوز تأخيرها إلى اليوم الثاني إذا لم يعلموا بالعيد إلا بعد زوال الشمس.

صلاة العيد في الشارع أمام المسجد

الموضوع (١١٢٣)

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر» السؤال التّالي:

يوجد بحي الشيخ مبارك بمصر القديمة بالقاهرة مسجد يتسع لجميع المصلين من أهل الحي، كما يوجد مسجدان آخران، وقد طلب بعض المصلين من الجمعية أن تقام صلاة العيد في الشارع أمام المسجد إحياءً للسنة النبوية الشريفة، وطلب السائل بيان الحكم الشرعي في هذا الموضوع.



السؤال إلى تعمّق ولا تكلّف، وهو مما يبنى عليه عملٌ شرعي، وأشباه ذلك، وقد لا يلزم الجواب في مواضع، كما إذا لم يتعيّن عليه، أو المسألة اجتهاديّة لا نص فيها للشارع، وقد لا يجوز، كما إذا لم يحتمل عقله الجوابَ، أو كان فيه تعمّق، أو أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط، وفيه نوع اعتراض» «الموافقات»: (٣٧٢/٥).

تاريخ الفتوى

أول من تولى أمر الفتوى هو الله سبحانه وتعالى، حيث قال في كتابه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ (النساء:١٢٧)، قال القرطبي في تفسيره: «نزلت بسبب سؤال قوم من الصحابة عن أمر النّساء وأحكامهن في الميراث وغير ذلك؛ فأمر الله نبيه عليه السلام أن يقول لهم: الله يفتيكم فيهن؛ أي يبين لكم حكم ما سألتم عنه». تفسير القرطبي: (٥ / ٤٠٢).

ثم قام بهذا المنصب الجليل خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله: قال ابن القيم رحمه الله: «وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده».

ثم قال رحمه الله: «وقد أمر الله عباده بالرد إليها أي: فتاويه عليه الصلاة والسلام حيث يقول: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» إعلام الموقعين: (١١/١).

«ثم قام بالفتوى بعده بَرْكُ الإسلام، وعصابة الإيمان، وعسكر القرآنَ، وجند الرحمن؛ أولئك أصحابُه؛ ألينُ الأمة قلوبًا، وأعمقُها علمًا، وأقلها تكلّفًا، وأحسنُها بيانًا، وأصدقُها إيمانًا، وأعمُّها نصيحةً، وأقربُها إلى الله وسيلة» إعلام الموقعين: (١١/١).

ثمّ قام بها علماء الأمّة بعد الصّحابة من التابعين وتابعيهم بإحسان من الأئمة المجتهدين، والفقهاء الصادقين، يعلمون الناس أمر دينهم، ويبيّنون لهم الحلال والحرام، عملاً بقولِ رسول الله: «يحمل هذا العلمَ من كلِّ خَلَف عدولُهُ؛ ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين» (رواه البيهقي).

فأجابت بما يلي:

جَرَت سُنّة رسول اللّه صلوات اللّه وسلامة عليه على صلاة العيدين في المصلى، وقد كان يترك المسجد في هاتين الصلاتين؛ كما روى أنه صلى العيدين في المسجد في يوم مطير، وقد جرى الخلفاء الراشدون على هذه السنة.

وقد صح هذا في مذهب الإمام أبى حنيفة، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويرى الإمام مالك أنّ صلاة العيد مندوبة خارج المسجد، ويكره أداؤها في المسجد بغير عذر.

أمّا الإمام الشافعي فيرى أن صلاة العيد في المسجد أفضل؛ إلا لعذر، كما إذا ضاق بالمصلين، وعندئذ يُسنّ الخروج للفضاء لصلاة العيد .

ومن هذا يعلم أنّ صلاة العيد في الصحراء سنة الرسولﷺ، وأنّه لم يصلها في المسجد إلا لعذر المطر.

وقد جرى على هذه السنة الخلفاء الراشدون، وصحّت هذه السنّة لدى الأئمة أبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل، ولم تصحّ عند الإمام الشافعي، ورأى أن الأفضل صلاة العيد في المسجد إلا لعذر الزحام في الصلاة.

هذا؛ وقد كانت صلاة الرسول -العيدين في الجبانة- والمراد بها المصلى العام في الصحراء، وكان من سنته أن يخرج إلى المصلى الذي على باب المدينة الشرقي، وكانت إذ ذاك لا حائط فيها ولا بناء، وكانت الحربة سترته يضعها أمامه.

ومن هنا؛ فإنّ صلاة العيد في الشارع أمام المسجد كما جاء بالسؤال لا تعتبر إحياء للسنة، بل السنة أن تكون الصلاة في الصحراء.

هذا؛ وينبغي للمسلمين ألا يختلفوا في أمر لهم فيه سعة، سيما وهو متعلق بالأفضلية، لا بصحة الصلاة، أو عدم صحتها، وعليهم جميعًا أن يتباعدوا عن أسباب الخلاف والنزاع ليتقبل اللّه العمل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(آل عمران:١٠٣).

صيام ستة من شوال - العجز عن فدية الصوم

(١٢٥/٢٤٢/١)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاءان التاليان، ونصُّهما:

أولاً: هل صيام الستة أيام من شوال لازم كل سنة أم يجوز أن أصوم سنة وأفطر أخرى؟

فأجابت اللجنة:

إنّ صيام ستة أيام من شوال سنة لا يجب الالتزام بها كل عام، والمواظبة عليها أولى.

ثانيًا: والدتي امرأة كبيرة في السِّنّ وقد أجريت لها عملية في القلب، ولا تستطيع الصيام، وليس لديها مال حتّى تطعم؛ لأنها أرملة، فما هو الواجب عليها؟

فأجابت اللجنة:

أنه إذا توفر لديها المال فعليها الإطعام، فإن لم يوجد فلا يكلف اللّه نفسًا إلاّ وسعها، ولا شيء عليها إن شاء اللّه تعالى.



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

أبَتَاه

ذَهَبَ الْوَفَا وَتَقَطَّعَتْ أَحْشَائِيَا
وَالنَّارُ تَحرِقُ فِي صَمِيمِ فُؤَادِيَا
النُّورُ أُطْفِئَ؟إِنَّهُ لَمْ يَنْطَفِئْ
سَيَعِيشُ بَيْنَ الْكُلِّ يَا إِخْوَانِيَا
أَعْمَالُهُ بَقِيَتْ لَنَا شَمْسَ الدُّنَا
يَا رَبِّ فَارْحَمهُ وَخَفِّفْ مَا بِيَا
يَا رَبِّ أَنْتَ (الْحَيُّ) تَبْقَى ذُخْرَنَا
وَالْكُلُّ حَتْمًا سَوْفَ يُصْبِحُ فَانِيَا
أَبَتَاهُ جَاوَرْتَ الْإِلَهَ مُنَعَّماً فَاهْنَأْ
بِحُسْنِ جِوَارِ رَبِّكَ رَاعِيَا
لَبَّيْتَ دَعْوَةَ رَبِّنَا مُتَشَوِّقاً
لَبَّيْكَ رَبِّي لَيْسَ غَيْرُكَ دَاعِيَا
أَبَتَاهُ هَلْ تُمسِي مَعَ (الْمَوْلَى) لَقَدْ
غَفَرَ الْإِلَهُ لَكَ الذُّنُوبَ مُعَافِيَا؟!
أَنْتَ الْعَطُوفُ عَلَيَّ يَا أَبَتَاهُ، هَلْ
ذَهَبَ الْحَنَانُ وَأَطْفِئَتْ أَنْوَارِيَا؟!
فَلَكَمْ حَرِصْتَ عَلَيَّ يَا أَبَتَاهُ فِي
صِغَرِي وَفِي كِبَرِي وَكُلِّ حَيَاتِيَا
رَبَّيْتَنِي، عَلَّمْتَنِي، نَبَّهْتَنِي
لَقَّنْتَنِي فِي رَحْمَةٍ قُرْآنِيَا
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَشْهَدُ يَا أَبِي
كَيْ يَغْفِرَ (الْمَوْلَى) ذُنُوبَكَ حَانِيَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ يَوْمًا يَا أَبِي
سَتَصِيرُ فِي الْأَجْدَاثِ تُصْبِحُ ثَاوِيَا
لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ حَلَّ فَلَيْتَنِي
قُدِّمْتُ مِنْ فَوْرِي وَحَانَ فَنَائِيَا
أَفْدِيكَ يَا أَبَتَاهُ أَفْدِي شَمْسَنَا
تَأْتِي، وَيَأْتِي بِالْأَمَانِ نَهَارِيَا
لَكِنَّ رَبِّي قُدِّسَتْ أَسْمَاؤُهُ
اخْتَارَ شَمْسِي هَلْ أَرُدُّ قَضَائِيَا؟!
رُحْمَاكَ رَبِّي لَا اعْتِرَاضَ عَلَى الْقَضَا
لَكِنْ دُمُوعُ الْقَلْبِ أَذْكَتْ نَارِيَا

محسن عبد ربه

٣٠ وسيلة لاستغلال الإجازة بنجاح

أيها الأخ الفاضل أيتها الأخت الفاضلة:
الصيف... باقة فرص فلا تجعله حزمة غصص؟
الصيف... استراحة هادفة فلا تجعله استباحة قاذفة؟
الصيف... فرصة لمزيد رقي وتكوين وتقدم.. ليس عطلة لنسيان وفقدان كل تعلم؟
الصيف... فرصة للتقرب من الله أكثر وأكثر وليس عطلةً لترك الحبل على الغارب أكثر فأكثر؟
الصيف... وقت والوقت هو الحياة فاغتنمه قبل الوفاة؟
وإليكم أحبتي بعض الوسائل لاستغلال إجازة الصيف بنجاح:
١- تلاوة كتاب الله تعالى من خلال ورد يومي.
٢- قراءة بتدبر في تفسير لكتاب الله تعالى.
٣- حفظ كتاب الله تعالى أو ما تيسر منه.
٤- قراءة سيرة النبي المختار ﷺ.
٥- حفظ المأثورات والمتون المفيدة.
٦- الصيام والقيام إيمانا واحتسابا.
٧- طلب العلم ومجالسة العلماء.
٨- ذكر الله تعالى على الدوام.
٩- الدعوة إلى الله وتقديم الكلمة الطيبة في المناسبات.
١٠- إفطار الصائم إما بالبيت أو تزويد المسجد بالتمر واللبن.
١١- قراءة كتب مفيدة وهادفة.
١٢- تلخيص بعض الكتب المهمة.
١٣- خدمة المسجد ونظافته وتزيينه.
١٤- صلة الرحم وزيارة الأهل والأحباب.
١٥- زيارة أهل الخير والعلماء والدعاة.
١٦- حضور الدورات والمحاضرات العلمية.
١٧- سماع الدروس الهادفة من خلال أشرطة الكاسيت والسيديهات.
١٨- مراسلة المواقع الإلكترونية والمساهمة بمقالات مفيدة.
١٩- تعلم لغة وإتقانها: الانجليزية والفرنسية.
٢٠- زيارة المعارض والفعاليات المفيدة.
٢١- تطوير خبرة، وممارسة هواية، وتعلم مهارة جديدة: الإعلاميات والخط.
٢٢- الدعوة عبر الانترنت بكلمة أو صورة أو...
٢٣- المساهمة في حماية البيئة بالانخراط في نواد للبيئة.
٢٤- ممارسة الرياضة كل يوم: المشي والجري....
٢٥- الانخراط في نادي رياضي: الكاراتيه والجودو...
٢٦- الدلالة على الخير: وتوزيع المطويات والأشرطة الدينية أو...
٢٧- زيارة مسؤول للتواصل أو للدفاع عن حقوق مستضعفين أو...
٢٨- مشروع الرسائل النصية القصيرة sms دعوةً إلى الله.
٢٩- جدد حياتك وخطط لها من خلال تغيير السلبي بالإيجابي.
٣٠- الزراعة فوق الأسطح، حفاظا على البيئة.

أبو عبدالله رشيد وجري - المغرب

المحرر:
جزاكم الله خيرًا أخي الكريم ونفعنا بما قدمت لنا، وليساهم الجميع بنهضة أمتنا الإسلامية بغرس هذه البذرة في نفوس أبنائنا منذ لحظة قراءة هذه السطور.



روح رمضان

مرَّ رمضان بعد أن جاء بالبشر والإحسان والسرور والاطمئنان ودخول البهجة على الانسان وعمَّ نوره كلٍ مكان مهما كانت المآسي والأحزان ففيه صُفد الشيطان وماله من خل وأعوان.

ولكن وللأسف فإن شياطين الإنس في كل مكان وهم بادون للعيان حتى تظاهر البعض وادعى أنه العطشان فالظلم واضح والإجرام فاضح مع الطغيان والقتل والرعب قد عمَّ كثير الأوطان والعدل قد أسدلت عليه ستائر النسيان والمسلمون في الأغلب الأعظم في لهو وعصيان وظن البعض أن المطلوب فقط تمر وإفطار مع شراب الرمان وبعض السمبوسة وبضع صدقات تُلقى في امتهان في الوقت الذي نجد مصادر هذه الصدقات من حرام وظلم يشيب له الولدان فأين روح رمضان الآن والتي لو تحققت لوصلنا للروح والريحان؟!

دكتور عصام الحسن حميد

ضاعت الأندلس يوم أن ضيعنا أنفسنا!

كان الناس قبل الإسلام أممًا وشعوبًا متفرقة، لكل أمة عاداتها وتقاليدها المختلفة، أما عقائدها فهي متباينة ومتناقضة، ومن أعظم الأدلة على تناقضها أنهم يعبدون آلهةً مختلفة، فمنهم من كان يعبد الكواكب والنجوم ومنهم من كان يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من كان يعبد النيران، حتى أرسل الله تعالى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فدعى الناس إلى الإسلام والاجتماع على المحبة والسلام وعباده إله واحد هو الله رب الأنام، الذي تفرد بالخلق والملك وحسن التدبير والبيان، فاجتمع الناس على نبي الإسلام، وتوحدت القلوب والأبدان، فتوحدت البلدان، ثم أرسل رسول الله الدعاة إلى مشارق الأرض ومغاربها، ففتح قلوب العباد بنور الإسلام، وأرسل الجيوش لفتح الأمصار، وهكذا استمر الخلفاء الراشدون بنشر الإسلام وفتح القلوب والبلدان، حتى عبروا بلاد فارس مشرقًا وفتحوا الأندلس مغربًا، وعلى الأندلس تسكب العبرات، فقد أقاموا فيها مجدًا زاهرًا، وبنيانًا عامرًا، حتى شاع ذكرها في الآفاق مدويًا، فاشتهر أمراءها من بين الأمراء ونبغ فيها الأدباء والشعراء، وسما فيها الوعاظ والخطباء وعلا فيها العلم والعلماء.

عقيل حامد

المحرر:

علينا أن نتفاءل أخي الكريم ونعمل، كل في مجاله، ونتقن عملنا ونربي أبناءنا على الإتقان ساعتها سنستعيد أمجاد الماضي وبدلاً من الأندلس تعود ألف أندلس.

هل تعلم

هل تعلم أن الأمم المتحدة تبنت مشروعًا لهذه العشبة المعجزة من أجل زراعتها وتكثيرها لتغذية الشعوب؟

إن الأمم المتحدة من خلال سفيرها لمشروع «امسام» تنصح بتناول هذه العشبة للتغلب والحماية من الأمراض حتى المستعصية والمستجدة منها مثل مرض انفلونزا الخنازير؟

هل تعلم أن منظمة الصحة العالمية تعتبرها «غذاء سوبر» وأفضل غذاء للمستقبل بسبب قيمتها الغذائية العالية جدًا؟

هل تعلم أن وكالة الفضاء الأمريكية تعمل على مشروع لزراعتها في الفضاء وتعتبرها الغذاء الرئيسي لرواد الفضاء؟

نعم..كل هذا وأكثر هو ما يجعل الاسبيرولينا أفضل غذاء موجود على الأرض، فهو غذاء كامل يضمنً توازن وقلوية الجسم ويحتوي على الأحماض الأمينية الأساسية في تركيبة سهلة وصحية، الإسبيرولينا غنية بالمواد الغذائية لدرجة أن جرام واحد من الاسبيرولينا يعادل كيلوجرامًا من الخضروات الطازجة من ناحية القيمة الغذائية ويحوي من الأحماض الأمينية المكونات الأساسية لحليب الأم والذي يساعد على نمو وتغذية دماغ ومخ الجنين والطفل، والاسبيرولينا غذاء فعال للحماية من هشاشة العظام وأمراض الدم كما يسهم بشكل كبير في علاج هذه الاعتلالات.

١- ما هي الاسبيرولينا؟

هي: إحدى الطحالب الخضراء المُزرقّة، والتي تنمو وتعيش في البحيرات المالحة، وقد تم اكتشافها من قبل العالم الفرنسي (كلمنت) عام: ١٩٦٢م، وتتوفر الاسبيرولينا على شكل أقراص، ويتم تناولها بعد الوجبات لتفادي الكثير من المشاكل الصحية التي تحدث بسبب نقص بعض الفيتامينات أو المعادن النادرة.

عيسى راغب

المحرر:

معلومات جيدة نشكرك عليها ونأمل في تلقي مساهمات أخرى.

رسالة إلى النفوس الحائرة

عندما دخلت الجامعة أصبحت أرى تطبيق الأفكار والمرجعيات في المجتمع رأي العين ورأيت الصراع محتدمًا بين الأفكار.

وقد كانت هذه المرحلة أصعب مرحلةٍ في حياتي لأنها كانت مرحلة التكوين الفكري والثقافي.

وخلاصة القول أقول: إنني مررت بمراحل متباينة فتارةً أميل إلى فكرة، وعلى الفور أتركها وأؤيد فكرةً أخرى وأدعو لها وأتحمس إليها وما ألبث أن أتركها لغيرها وهكذا.

وهذا سلوك طبيعي في هذه المرحلة (مرحلة التكوين) وقد اضطررت إلى الدخول في صراع عقائدي واستمعت إلى كل المشككين في الإسلام والعقائد ولكنني حسمتُ الأمر وقد دخلت في حوارات مع مسيحيين ويهودٍ وشيعة ودخلت في حوارات مع أهل السنة بكل توجهاتهم.

والخلاَّصة من هذا السرد هو أنني استفدت من كل هذه الحوارات-أنه عند الدخول في صراع فكري- لابد أن تحسم هذا الصراع بنفسك وأن تبحث فيه بنفسك ثم تحدد في النهاية أنت مع من؟

وهنا أتذكر محاضرةً لأحد العلماء عندما ألقى سؤالاً على الحاضرين: لماذا أنت مسلم؟ ولم يمهلهم لسماع الإجابة فأجاب: لأنني نشأت مسلمًا وولدت مسلمًا... ثم قال: هذا لا يكفي ولكن عليك أن تبحث بنفسك وتتعلم المزيد عن الإسلام.

فكانت هذه المحاضرة نقطة تحول في حياتي فانطلقت بعدها أبحث هنا وهناك حتى أجيب عن هذا السؤال فاستطعت الإجابة عليه بنفسي واقتنعت بها.

وأعترف أنني وجدت صعوبةً في بعض الأمور وهي:

العقيدة بها مصطلحات صعبة فعدت إلى أصلها و شرحها ووقفت على معاينها فيسر الله علي فهمها.

اللغة العربية بها صعوبة فعدت إلى أهلها واستفدت منهم.

بعض فروع العلم وجدت أنني لابد من مراجعة أهلها حتى جَلت ووضحت أمامي تمامًا.

وأثناء بحثي كنت محايدًا منصفًا مجادلاً من نوعٍ خاص (جدال الباحث عن الحقيقة) لا المجادل لمجرد الجدال.

لذلك على كل من يتحير في أي موضوع أو يشك فيه يجب عليه ألا يميل لأي رأي لمجرد أنه يوافق هواه، ولكن عليه أن يبحث بنفسه ويجهد نفسه حتى يصل إلى بغيته ومراده وأن يبحث بموضوعيةٍ ويجنب الأهواء والميول القلبية حتى يخرج بنتيجة ترضيه وتقنعه.

ولست هنا في معرض لتأييد الأفكار والتوجهات ولكن هذه روشتة علاج سريعة أحببت أن أعرضها للحائرين والتائهين والباحثين عن الحقيقة.

آدم آدم

المحرر:

أحسنت يا أخي الكريم، فالدين يأمرنا بطلب العلم والتعلم في كل وقت ومكان، لكن قد يطمئن البعض لفطرتهم وتشرح صدورهم لما ولدوا عليه ولا يحتاجون في خضم أحداث الحياة أن يتعمقوا مثلك ويبحثوا عن أسبابٍ محددةٍ وإن كان البحث أفضل والاطمئنان بعد السعي ألذ وأقوى.

قيام الليل

قيام الليل عبادة لله، صحة ورياضة للجسد، نافلة من نوافل العبادات الجليلة، بها تكفر السيئات مهما عظمت، وبها تقضى الحاجات مهما تعثرت، وبها يستجاب الدعاء، ويزول المرض والداء، وترفع الدرجات في دار الجزاء، نافلةٌ لا يلازمها إلا الصالحون، فهي دأبهم وشعارهم لما فيها من الخيرات.

قيل للحسن البصري-رحمه الله- التابعي الجليل: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره. ولمّا بيَّن لنا الباري سبحانه وتعالى جملةً من أوصاف عباد الرحمن كان من هذه الأوصاف التي نتلوها

مقترح في الحسبان

أنا من قراء هذه المجلة ومعجبة بأسلوبها في جمع المعلومات ونشر الثقافة ولكن أتمنى أن تضيفوا جانبا خاصًا بالجمال.

أميمة زكاغ

المحرر:

يسعدنا تلقي ملاحظتكم وستكون محل بحث قريبًا مع العلم أننا نفرد للجمال في العمارة وصور منتقاه أخرى أكثر من موضع، ومع ذلك يسعدنا تلقي مساهماتكم دومًا لإثراء المجلة. جزاكم الله خيرًا.





ونسمعها وتُقرأ علينا: أنهم تميزوا عن غيرهم بأنهم يمضون ليلهم في قيام وسجود حبًا في الملك المعبود، يقول الباري سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(الفرقان: ٦٤).

ولقد عبَّر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن فوائد العبادات والقربات المختلفة في ترويض الجسم فقال: «ولا ريب أن في الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته، ما هو من أنفع شيء له، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة، وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب.

عصمت عمر (أم الزهراء)

المحرر:

رزقنا الله وإياكم هـذه العبادة وهـذا الشرف حيث يخلو العبد إلى ربه.. يجتمع بالملك ويناجيه ويشكو له حاله ويرجو منه ثواب الدنيا والآخرة.

رسالة إلى هاكر

يا حـاقرًا بالـعربية إن شئت ... وهـاكرًا بالـفرنسية معانيها
تبيت للنفوس تهتك أستارها ... وتترك نفسك للعنكبوت يبنيها
إن كـنـت لـلـحـرمـة هاتكها ... فكيف بمن يهتكها وهو حاميها
أتذكـرة لا أموعـظـة لا تظنن ... إصـلاحًا قـط أو أنـك تبنيها
إن النفوس لـرب البـرية ملكها ... فابـحث لـنفسك مـن يداويها
أأخـاف عـبـدا يهتك سترها ... ولا أخـاف ربـها الـذي يزكيها
عـمـر الـفـاروق وبـخ شـاربًـا ... للخمر ليلًا فكاد بالنفس يهويها
فـقـال أحـرمـةً لـلـه تهتكها ... فـقـال فـأنـت لـهتكـتين آتيها
ما استأذنت بالباب صاحبها ... وتجسست على نفس الله ثانيها
فبكى عمر حتى ابتلت لحيته ... ومعه ابن مسعود بالصحاح يحكيها
فمـر الـزمـان وأتـى مسجده ... وعمر على المنبر للناس يهديها
فقال له ادنو ما هتكت سرها ... فقال ولا أنا عـدت أحتسيها
إن النفوس لـرب البـرية ملكها ... ما ظهر منها وما الستر يطويها
تعشو عـن ذكـر ربـها ساعةً ... فيـقيض لـها قـرينًا فيغويها
يزين لها حب الشهوات عن كثب ... وبـالـغـرور يـعـدهـا ويمنيها
ثم تـؤوب إلـى ربـها لائمةً ... لـما فـعلت وتستغفر فيقويها

● هذه القصيدة من وحي العدد ٥٦٤ عن ملف الحرب الإلكترونية
يوسف الحزيمري - تطوان- المغرب

ردود سريعة

● الأخ الكريم يوسف بن عبدالرحمن العفالق من المملكة العربية السعودية: وصلنا رثاؤك لفضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان، القاضي بالمحكمة العامة بالدمام ورئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بالمنطقة الشرقية سابقًا، أسكنه الله فسيح جناته، وجزاك الله خيرًا على حسن التعبير والامتنان لرجل مثله نحسبه على خير ولا نزكي على الله أحدًا.

● الفاضل عقيل حامد: وصلتنا مساهمتكم عن النصر والتمكين في اجتماع القلوب والأبدان، وكم نحن بحاجة إلى ذلك الاجتماع وتلك الجماعة التي أمرنا الله- بعد الاعتصام به - ألا نتركها.. لندع معًا أن يوحد الله أمر أمتنا، ويجمع أهل سوريا المناضلة في كل مكان على كلمة سواء أمام طغيان من استضعفوهم.. آمين.

● الأخ الفاضل محمد الروبي من بني سويف- مصر: مقالكم عن القيم الإسلامية ونشرها ثري بحديث التاريخ المصري القديم عبر برديات كتاب الموتى الفرعوني، وكذلك بالأحاديث الشريفة، وهو مزج جديد على الساحة.. نشكركم للمساهمة ونرجو مزيدًا من المساهمات المتعمقة والمتوسعة أكثر إن شاء الله في المرات المقبلة.

● الكاتب فوزي تاج الدين: مقالكم عن أن الزمان كله رمضان وصيامه يساوي صلوات العام سبق وتم نشر مقتطفات منه في مواقع أخرى، وهذا التجميع لا ترحب به المجلة، نرجو إفراد المجلة بجهد خالص منكم.

● د.أحمد السعيدي من المغرب: وصلتنا مساهمتكم بشأن تكريم الأستاذ الدكتور جعفر بن الحاج السلمي، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب جامعة عبدالملك السعدي في تطوان، لكن نشر مثل هذا النوع من المساهمات التي تعتمد على دعوة لتقديم أبحاث متخصصة ليس من سياسة المجلة.. على كل حال نشكر تواصلكم وندعوكم لمزيد من المساهمات عبر مقالات رأي في مجال تخصصكم.

● الأخ الكريم عبدالله علي حسين: نتفق معكم في أن الاقتصاد الإسلامي لم يأخذ حقه في التجربة مثل الاقتصاد الرأسمالي والآخر الاشتراكي.. لو كان لديكم بحث لم ينشر من قبل في هذا المجال يسعدنا استقباله.

● الكاتب د. سعيد كفايتي: وصلتنا قراءتك في كتاب الباحث البلجيكي المسلم الذي يدافع فيه عن المرأة في الإسلام، وهي قراءة مهمة عن كتاب مهم وستنشر القراءة قريبًا إن شاء الله.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات القراء الأعزاء ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيماناً من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوما.

من غرر الحكم



بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ-رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

- الحسن البصري: «اسْتَوَى النَّاسُ في العافية، فإذا نَزَلَ البَلاءُ تَبَايَنُوا» (١).
- الرافعي: «مائةٌ مِنْ مائة في التوكّل على الله تكون مائةً من مائةً في النجاح، ولكنَّ تسعةً وتسعين من المائة في التوكّل لا تكون إلا خيبةً محقَّقةً» (٢).
- الرافعي: «أشدُّ العداوة لا تكون إلا من أشدّ الحبِّ» (٣).
- الرافعي: «الحياةُ في المدينة كشُرب الماء في كُوبٍ من الخَزَف، والحياةُ في الطبيعة كشُرب الماء في كوبٍ من البلّور السَّاطع؛ ذاك يحتوي الماءَ وهذا يحتويه ويُبْدي جمالَه للعين» (٤).
- الرافعي: «إنَّ رضى المحبِّ قال في الحبيب أحسنَ ما يعرف، وما لا يعرف، وإنْ غضبَ قال فيه أسوأ ما يعرف، وما لا يعرف، وما لا يمكن أن يعرف» (٥).
- الرافعي: «ما العَقْل النَّاقصُ إلا كالعينِ المريضة: لا ترى أثرَ مرَضِها إلا في الأشياء التي تراها، والأشياءُ مع ذلك صحيحةٌ لا مَرَضَ فيها» (٦).
- الجاهلُ صغيرٌ وإن كان كبيرًا، والعالم كبيرٌ وإن كان صغيرًا (٧).
- عكرمة: «إنَّ للعلم ثمنًا فأعطوه ثمنه». قيل: وما ثمنُه؟ قال: «أن تضعه عند مَن يحسن حفظَه ولا يضيِّعه».
- ثعلب: «كلُّ شيءٍ يَعِزُّ حين ينزُرُ إلا العِلْمَ فإنه يَعِزُّ حينَ يَغْزُر» (٨).
- حاول الاضطلاعَ بأمور تفوق إمكاناتك، وخطِّط لما هو أبعَدُ من قُدُراتك، ثم ابدأ العملَ.
- ابن عطاء الله السكندري: «رُبَّ عمُرٍ اتسعتْ آمادُه وقلَّتْ أَمْدَادُه، ورُبَّ عمرٍ قليلة آمادُه كثيرة أمدادُه»(٩). أي: رب عمرٍ لشخص اتسع زمنُه حتى طال وقلّت أمداده، أي فوائده بأن كان الشخص من الغافلين، وربَّ شخص آخرَ قلَّ عمره لكن كان عمله من العظمة والنفع بمكان (١٠). وفي حكمة أخرى للسكندري: «مَنْ بُورك له في عمره أدركَ في يسيرٍ من الزمن مِنْ مِنَنِ الله تعالى ما لا يدخُل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة» (١١).
- إنْ لم تكنْ حليمًا فَتَحَلَّمْ، فإنه قلَّ مَنْ تشبَّهَ بقومٍ إلا أوشكَ أن يكون منهم.
- الدُّنيا كالماء المِلْح الذي لا يزداد شاربُه شُرْبًا، إلا ازداد عَطَشًا (١٢).
- الدُّنيا كلُّها همومٌ، فما كان منها في سرور فهو ربحٌ.
- الذِّكْرُ مغْنَاطِيسُ الوصلِ وحَبْلُ القُرْبِ (١٣).
- الحَزْمُ في الرأي سلامةٌ مِنَ التَّفْرِيط، وداعيةٌ إلى الظَّفَر (١٤).
- ما هَلَكَ مَنْ مالكَ ما وَعَظَكَ.
- الناكح مُغْترِسٌ، فلينظر امرؤٌ منكم حيثُ يَضَعُ غرْسَه (١٥).
- اجْعَلْ سِرَّكَ إلى واحدٍ، ومشورتَكَ إلى ألف (١٦).
- إذا انْتهى السِّرُّ من الجَنَان إلى اللسان، فالإذاعةُ مُستوليةٌ عليه (١٧).
- إذا أردتَ أن تُسْعِدَ نفسَك فأسْعِدِ الآخرينَ.
- ليست الشجاعةُ في أن تقول كلَّ ما تعتقده، بل الشجاعة في أن تعتقد كلَّ ما تقول.
- مَنْ أتَى فَضْلًا فقد أوْجَبَ شُكْرًا.
- مَنْ جعل الحمدَ خاتمًا للنِّعمة جعلَه الله مفتاحًا للمَزِيد (١٨).
- إذا أبْصَرتِ العَيْنُ الشهوةَ عَمِيَ القَلْبُ عن الاختيار (١٩).
- العتّابي: «حَظُّ الطَّالبِينَ من الدَّرْك، بحسب ما اسْتَصْحَبوا من الصَّبْرِ» (٢٠).

- إنَّ شرَّ الأَخِلَّاء مَن التمس منفعةَ نفسه بضُرِّ أخيه، ومن كان غيرَ ناظرٍ له كنَظْرَة نفسه، أو كان يريد أن يرضيهُ بغير الحق لأجل اتِّباع هواه (٢١).

- إن مُجاورَ رجالِ السوء ومُصاحِبَهم كراكبِ البحر: إنْ سَلِمَ من الغرق لم يَسْلَم من المَخاوف (٢٢).

- إنَّ في السُّكُوت ما هو أَبْلَغُ مِنَ الكَلام، فإنَّ السَّفيهَ إذا أعْرَضْتَ عنه تركْتَه في اغْتمام (٢٣).

- إنَّ مشقَّةَ الطَّاعة تَذْهب ويَبْقى ثوابُها، وإنَّ لذَّةَ المعصية تَذْهب ويبقى عِقَابُها.

- ابن عطاء الله السكندري: «أنت حرٌّ مما أنت عنه آيِسٌ وعبد لما له طامعٌ» (٢٤).

- أرسطاطاليس: «لا غنى لمن مَلَكَهُ الطَّمَعُ، واستولتْ عليه الأمانيُّ» (٢٥).

- لا تلُومَنَّ مَنْ أساءَ بك الظَّنَّ إذا جَعْلتَ نفسَك هدَفًا للتُّهَمَة (٢٦).

- العجَلةُ لا يزال صاحبُها يجتني ثمرةَ الندامة، بسبب ضَعْف الرَّأي (٢٧).

- مَنْ عميَ عن مَكامنِ الغدر في نفس عَدُوِّه كان قَمِينًا (جَديرًا) أن يرتَكِس في مَهَاويها.

- إنَّ العظيم بحق هو مَنْ يُشعر الجميع في حَضْرته بأنهم عظماء.

- أَوْلى النَّاس بالعفو أقدرُهم على العقوبة.

- العُجْبُ فَضيلةٌ يَراها صَاحِبُها في غيرِه فَيَدَّعيها لنَفْسه (٢٨).

- الجمال الظَّاهِرُ الحَسَن يَقْدرُ المُصَوِّرُ أن يحكيَه بالأَصْباغ، أمّا الجمالُ الذي لـلأَنْفُس فلا يمكن؛ لأنه للإنسان بالطَّبْع (٢٩).

- العَقْل أَمُورٌ بالمَعْروف، نَهُوٌّ عن المُنْكَر، فمَنْ لم يَنْهَهُ عَقْلُه نهاه أَدَبُه، ومَنْ لَم يَنْهَه أَدَبُه نَهَتْهُ التَّجَاربُ (٣٠).

- ليس الكاملُ من صدرَ عنه أنواعُ الكراماتِ، وإنما الكاملُ الذي يقعد بين الخَلْق يبيع ويشتري معهم، ويتزوج ويختلط، ولا يَغْفُلُ عن الله لحظةً (٣١).

- السَّريُّ السَّقَطيُّ: «صدْقُ الانقطاع ألَّا يكونَ لَك إلى غيرِ الله عزَّ وجلَّ حاجةٌ» (٣٢).

- كيف يكون عاقلًا مَنْ باع الجنَّةَ بما فيها بشهوة ساعة؟ (٣٣).



الهوامش

١- صيد الخاطر، ص ٢٦٩.
٢- كلمة وكليمة، ص ٣٦.
٣- كلمة وكليمة، ص ٥٦.
٤- وحي القلم ٤٩/١.
٥- كلمة وكليمة، ص ٣٨.
٦- تحت راية القرآن، ص٢٦٧.
٧- زهر الآداب ٤٢٩/١.
٨- أمالي القالي ١/ ١٧٥.
٩- الحكم العطائية، ص ١٧٤.
١٠- الحكم العطائية بشرح الشرنوبي، ص ١٧٤ بتصرف.
١١- الحكم العطائية، ص ١٧٤.
١٢- كليلة ودمنة، ص ٧٨.
١٣- البرهان المؤيد، ص٤٤.
١٤- التذكرة الحمدونية ٣١٦/٣.
١٥- البيان والتبيين ٢/ ٦٧.
١٦- البصائر والذخائر ١/ ٦٩.
١٧- نهاية الأرب ١٣/٦.
١٨- أخلاق الوزيرين، ص ٣٩٠.
١٩- أخلاق الوزيرين، ص ٣٨٩.
٢٠- زهر الآداب ١١٤٥/٢.
٢١- كليلة ودمنة، ص ٢٩٨.
٢٢- كليلة ودمنة، ص ٢٨.
٢٣- البصائر والذخائر ٤/ ٢٣٦. أي إن سكوتك عن الردِّ على السفيه يجعله في غمٍّ وانزعاج.
٢٤- الحكم العطائية، ص ٦٣.
٢٥- التذكرة الحمدونية ١١٧/٣.
٢٦- زهر الآداب ٧٨٠/٢.
٢٧- كليلة ودمنة، ص ٢٩٦.
٢٨- البصائر والذخائر١/ ٢٠٠.
٢٩- البصائر والذخائر ٩/ ٢١٤.
٣٠- البصائر والذخائر٤/ ٢٤١.
٣١- الكنوز الربانية، ص ٢٠-٢١.
٣٢- البصائر والذخائر ٢/ ١٥٧.
٣٣- الفوائد، ص ٤٥.



ما أشبه ولادة الشعوب بولادة الأفراد! فالفرد يبدأ نطفةً، فعلقةً، فمضغةً، فعظامًا، فلحمًا يكسو العظام.. ثم تحين لحظة الانفصال عن رحم الأم.. التي هي ذاتها لحظة الاتصال بالعالم الخارجي.

ثم تبدأ مرحلة الطفولة والنمو والإدراك.. ومن بعدها مرحلة الشباب بفتوتها وحيويتها.. ثم تعقبها الشيخوخة بما تحمل معها من ضعف وخمول وارتداد إلى مِثل سيرة الإنسان الأولى! هي إذن مراحل متتابعة ومتفاوتة.. يُسلِم بعضها إلى بعض.. ويُنبئ بعضَها عن بعض.

وهكذا حال الشعوب والمجتمعات والدول والحضارات، من الصعود والهبوط، فيما يسمى «الدورة العضوية»؛ وتعبير ابن خلدون مهم هنا، إذ يقول: «الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص».

يبدأ الشعب- أي شعب- في «المرحلة الجنينية» يبحث عن عوامل تشكُّله وتخلُّقه وصياغته.. فإذا وجدها وصادفت منه رحِمًا نظيفة من أسباب التحلل والاندثار والإجهاض، أخذت تلك العوامل في التفاعل والنمو تدريجيًا حتى تشرف على الاكتمال والفتوة والقوة.. في مرحلة تستمر ما استمر هذا الشعب أو ذاك محافظًا على عناصر قوته وشبابه، حَذِرًا من الأخطار والتحديات التي تواجهه..

فإذا تمكنت منه عوامل التحلل والتفكك والترف، قضت عليه- تدريجيًا أيضًا!- حتى يتقهقر في السباق الحضاري، ويجد نفسه في المؤخرة بعد أن حاز قصب السبق لدورات من الزمن..

لا غرو إذن أن يذهب بعض المفكرين إلى أن الشعوب والمجتمعات والحضارات يحكم سيرَها وتطورَها أو تدهورَها سننٌ وقوانينُ ثابتةٌ تشبه إلى حد كبير- قد يصل إلى التطابق الكامل- السننَ والقوانين التي تحكم عالم المادة والأحياء..

لقد بدأ مع الإسلام ميلادُ أمة وحضارة وشعوب لم تكن من قبله شيئًا مذكورًا، ولم يكن لها موطئ قدم على خريطة العالم، سواء السياسية أم الفكرية أم الحضارية. لكن بفضل المنهج الرباني الذي غرسه فيها سيد البشر ﷺ، صار لها في العالمين ذكر وأثر.. بل وآثار!.. في نقلة نوعية لم يعرف التاريخ لها مثيلًا..

ثم تتابع تاريخ هذه الأمة في موجات متعاقبة من الصعود والهبوط، والرقي والانحطاط، والنشاط والخمول.. وكان من فضل الله عليها أن أبقى فيها جذوة الإيمان مشتعلة، تنتظر من ينفخ فيها من رُوحه وعزمه وسعيه؛ فإذا بالأمة تنتفض من رقدتها، وتفيق من سباتها، كأن عهدها بالوجود أمس! وكأنها ما أصابها شيء من زمن الهزيمة!!

وهانحن أولاء نشهد- بعد عصور من التراجع الحضاري والسبات العميق- بشائرَ مولد جديد من دورات الزمن، يُرجَى فيها أن تُبعث شعوبنا من مواتها، وأن تحقق ذاتها وفاعليتها وتستعيد دورها واستقلالها الفكري والحضاري.

فلئن أصابها المرض العضال، فإنها- بفضل الله- لا تموت؛ ولئن دبَّ فيها الوهن وتمكَّن، فإنها قادرة بالنور الذي بين يديها (كتاب الله وسنة نبيها) على أن تجتاز المحن والعقبات.. شريطة أن تطرح اليأس جانبًا، وأن تبدأ في العمل الجاد فورًا بلا تباطؤ، وأن تدرك أنه إذا كان للفرد حياة واحدة، فإن للشعوب حيوات متعددة متجددة.. وتستطيع تلك الشعوب أن تعيد سيرتها الأولى متى أرادت.





السنوسي محمد السنوسي
كاتب صحافي









المشروع القيمي لتعزيز العلاقات الاسرية

فلاشات بنك السعادة

سلسلة من أجمل الفلاشات القيمية
تناقش وتعالج أخطر المشاكل الأسرية
بطريقة سلسة وشيقة وإبداعية



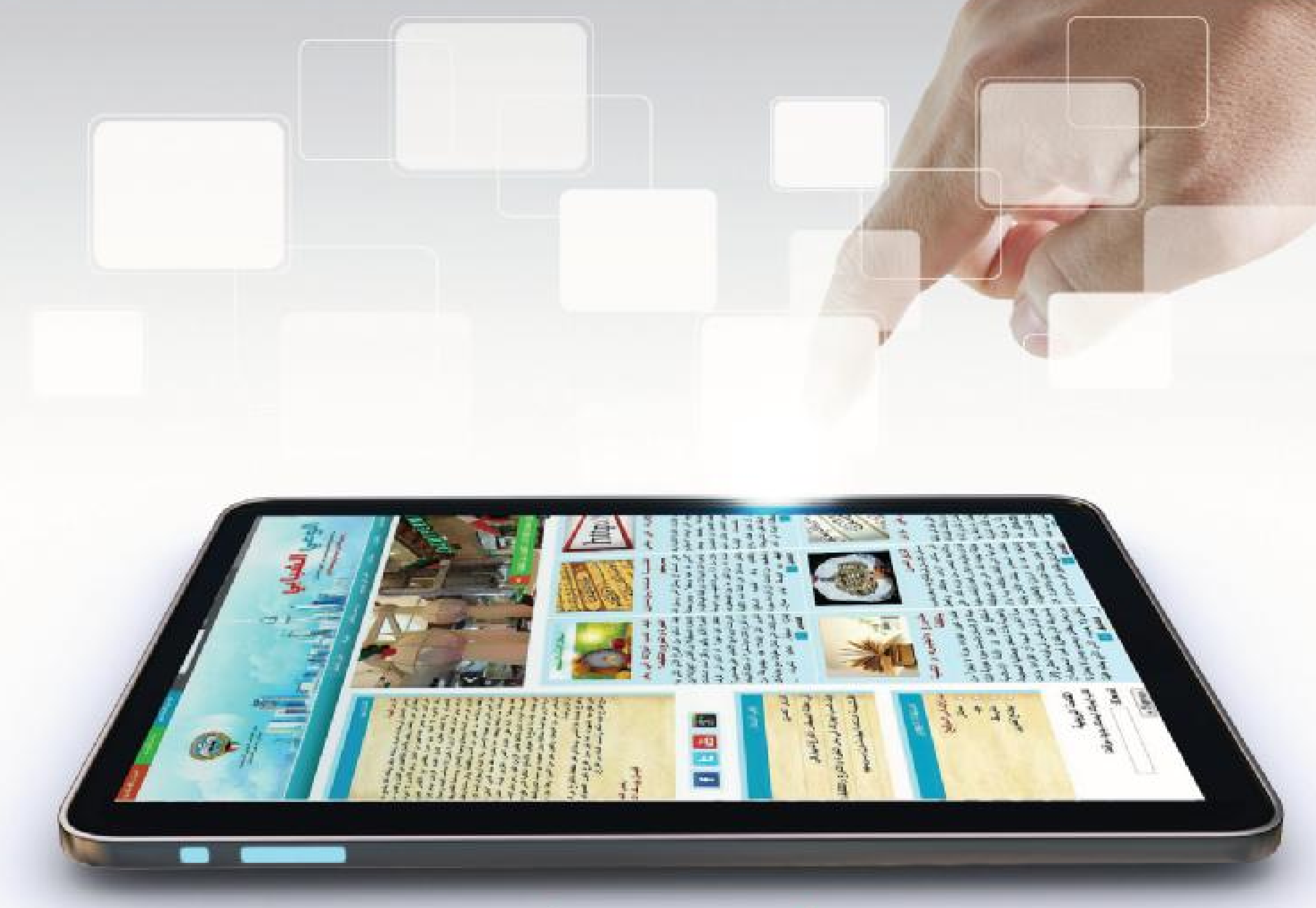
DVD

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

إدارة الإعلام الديني - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكويت- مجمع الوزارات - بلوك ١٦ الدور الأول تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦



هدية العدد: بوستر قواعد الإملاء

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٥٧٢) ذو القعدة ١٤٣٣هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢م

ملف العدد:
تغيير المنكر.. مسؤولية مشتركة



فلسفة العدل في التصور الإسلامي

التجربة الديموقراطية في الإسلام

قبرص التركية.. جنة بعبق ٩ آلاف عام

الحسبة في الكويت

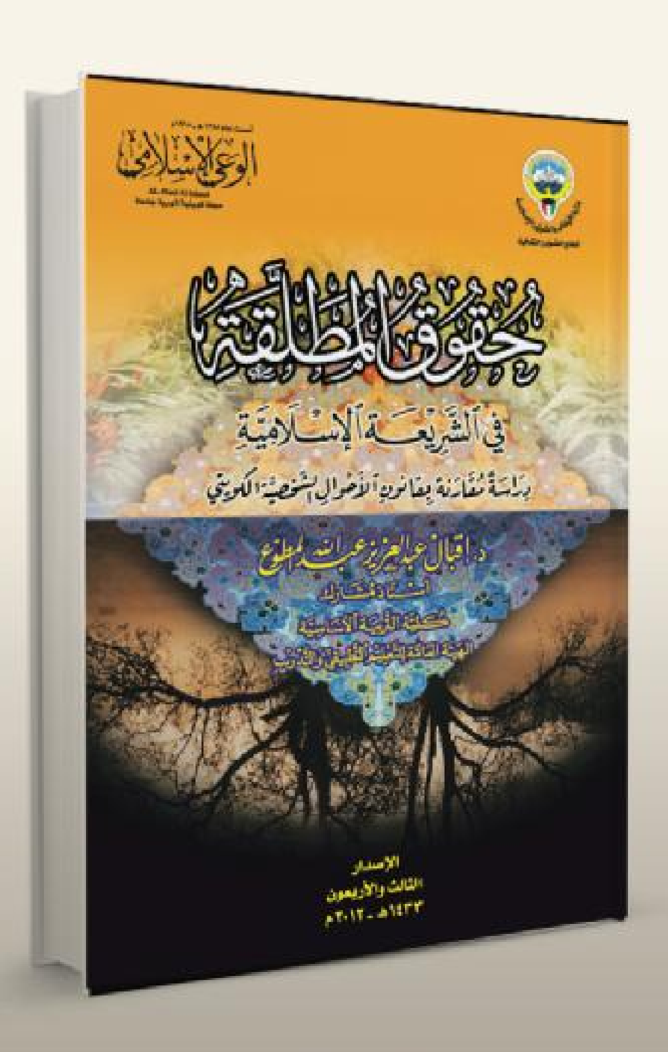
مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

ضجيج الحجيج

رسالة إلى قيادات الأمة لنفض الغبار عن كاهلها



تهديكم جديد إصداراتها



الإصدار
الثالث والأربعون
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الافتتاحية

الحسبة والإصلاح الاجتماعي

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



إن للحرية حدودًا لا يتجاوزها أحد، ولأجل ذلك قيّض الله للناس مرشدين من الأنبياء والمرسلين؛ ليكبتوا عبث الناس في تهافتهم على ابتغاء ما يصبون إليه، تجنبًا لما ينطوي عليه ذلك من أضرار، فسنوا لهم الشرائع والقوانين والنظم، وحملوهم على اتباعها؛ ليهنأ عيشهم، فطرأت من ذلك الشرائع والعوائد والآداب والأخلاق، وصارت الحريات محدودة بحسب الجمع بين مصالح الجماعات، وبألا يُلحِق المتصرف بتصرفه ضررًا بغيره، وألا يعود تصرّفه عليه بالمضرة والخيبة.

والإسلام دعا إلى صلاح البشرية من جميع النواحي، وبصلاح البشرية يستقيم نظام العالم؛ لأن الإنسان هو سلطانه، والإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام؛ لأنه نابت على أعراق الفطرة، فكانت جامعته فطرية، مقبولة في النفوس، سهلة التسرب إلى القلوب النيرة؛ لأن مبناها على سهولة الحق ووضوحه وبساطته، كما أخبر القرآن عن ضد الإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

إن مراعاة الأنظمة والقوانين والمحاسبة عليها من أهم العوامل التي تؤثر في استمرار بقاء المدنية، وواجب أن يراعى فيها دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق.

لأجل ذلك شرعت الحسبة، وهي وظيفة دينية اجتماعية، وهي من باب التعاون على البر والتقوى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والحسبة نظام رقابي تصحيحي، من شأنه الإشراف على المرافق العامة، وتنظيم عقاب المخالفين، وهو شامل لكل معروف في الأقوال والأفعال والهيئات، والنهي عن المنكرات، ويسمى صاحبها محتسبًا، ومن أبرز شروطه أن يكون عارفًا بالأحكام والأنظمة والقوانين، بدقة وتفصيل، مع العفة واللين، والرفق والرحمة والأمانة، وفي وقتنا الحاضر أجهزة الدولة هي التي تقوم بهذه الوظائف كلٌّ على حسب اختصاصه.. فأصبح نظامًا مدنيًا وأمميًا اجتمعت على استحسانه جميع الملل والنحل، ومن الخطأ البيّن الشائع أن يختزل هذا الإصلاح الاجتماعي في تغيير الفواحش وتقييد الحريات، فهو نظام عام، يحمل الناس على المصالح العامة، مثل المنع من المضايقة في الطرقات، وإزالة ما يتوقع ضرره، ومنع الغش والتدليس في المعايش وغيرها، وفي المكاييل والموازين ونحوها.

إن ترك مثل هذا النظام من أخطر عوامل الفوضى، فلابد من تحقيق المصالح ودفع المفاسد، كلٌّ بحسب اختصاصه، وعلى قدر طاقته، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦)

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٧

ذو القعدة ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

موضوع الغلاف



إن نهضة الأمة من كبوتها يطلب منها أن تجسد هذه الدعوة الخالدة في كل مكان وفي كل ركن من أركان الحياة وفق معايير دقيقة ومقادير مضبوطة.

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١-٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

● اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧) ● لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠ ● سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ● الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣ ● مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم . - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢) ● المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية ● مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع ● الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع ● المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف ● سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع ● قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر. ● ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣) ● الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦) ● تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦) ● المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار ●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها .

المحتويات

كلمة العدد

اختلاف لا خلاف

يظن البعض أن الاختلاف ظاهرة سلبية بدأت تنتشر في جميع الأوساط المجتمعية بالآونة الاخيرة، ولكن حقيقة الأمر أن هناك فرق نوعي بين الاختلاف والخلاف، فالأول محمود والأخر مذموم.

الاختلاف أمر طبيعي ووارد لأن هناك تباين في الآراء والأطروحات، و يعبر على حوارات ونقاشات إذا لم يداخلها تعصب، ويكون ناتجًا عن تغاير في الألفاظ، أو تفاوت في وجهات النظر.

أما الخلاف فهو تباين حقيقي يؤدي إلى النزاع، والشقاق، والعدوان، ولا يستند إلى دليل، بمعنى أنه ناشئ عن الهوى.

الاختلاف يكون المقصود فيه واحدًا، وإن كان الطريق مختلفًا، أما الخلاف يكون المقصود فيه مختلفًا، وأيضًا الطريق مختلف.

الاختلاف سنة كونية، ولكن مشكلة البعض غياب العقلانية والحكمة في طريقة الاختلاف والحوار، وعدم الاهتمام والوعي بقيم التسامح والكلمة الطيبة والألفة وروح الأخوة والمودة في مناقشاتنا.

لقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم، وذهب كلا منهم لما يراه ولكن ظل الود بينهم والحب، وجاء من بعدهم آخرون فاختلفوا مع بقاء الألفة والمحبة بينهم.

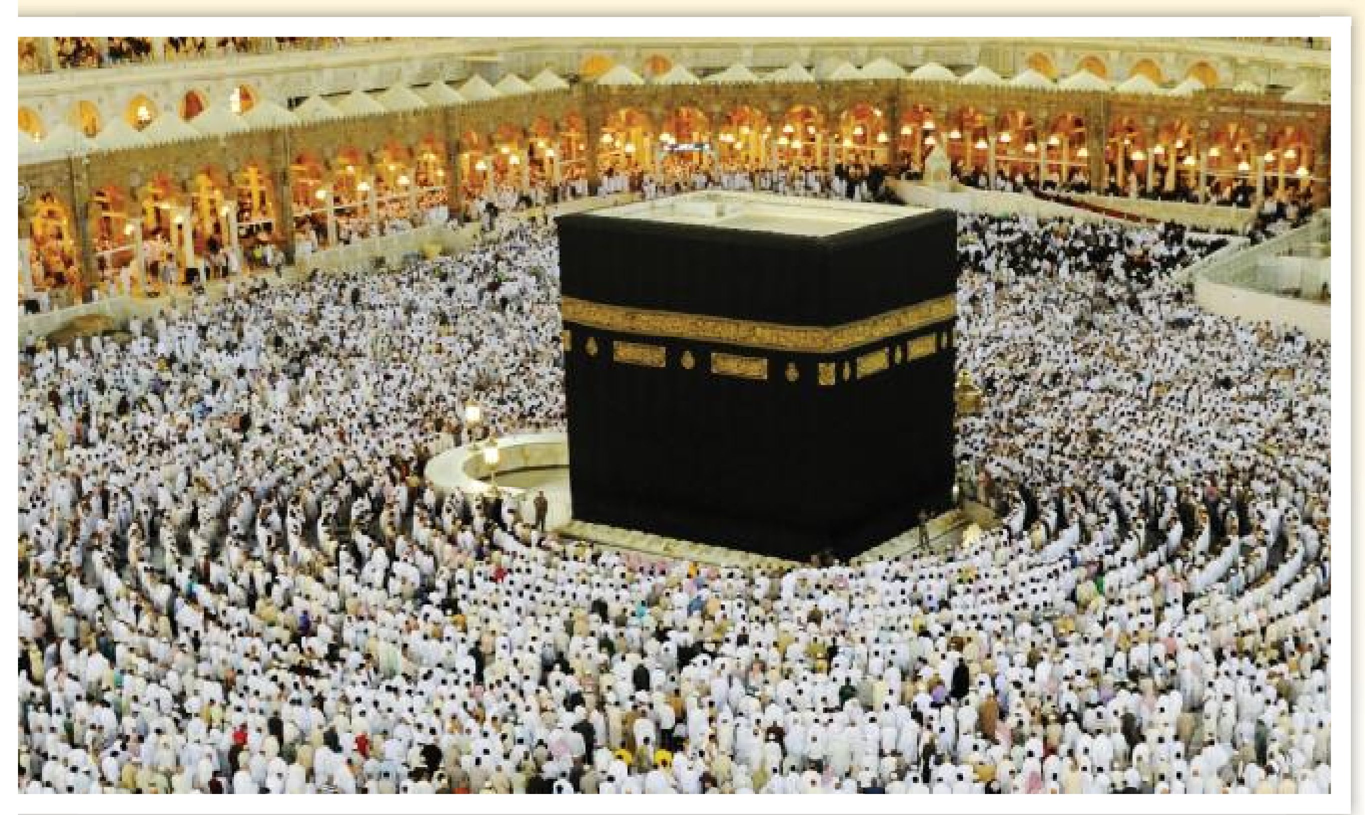
يقول يونس الثقفي رحمه الله: ما أعقل الشافعي! ناظرته يومًا من الأيام، فلم نتفق يقول: فافترقنا، فلقيني يومًا من الأيام، فأمسك بيدي، فقال لي: يا أبا موسى! ألا يستقيم أن نكون إخوانًا ولو لم نتفق في مسألة.

ولابن القيم مقولة نفيسة تبين هذا الأمر: «وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه».

التحرير

الاشتراكات • داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)





ضجيج الحجيج

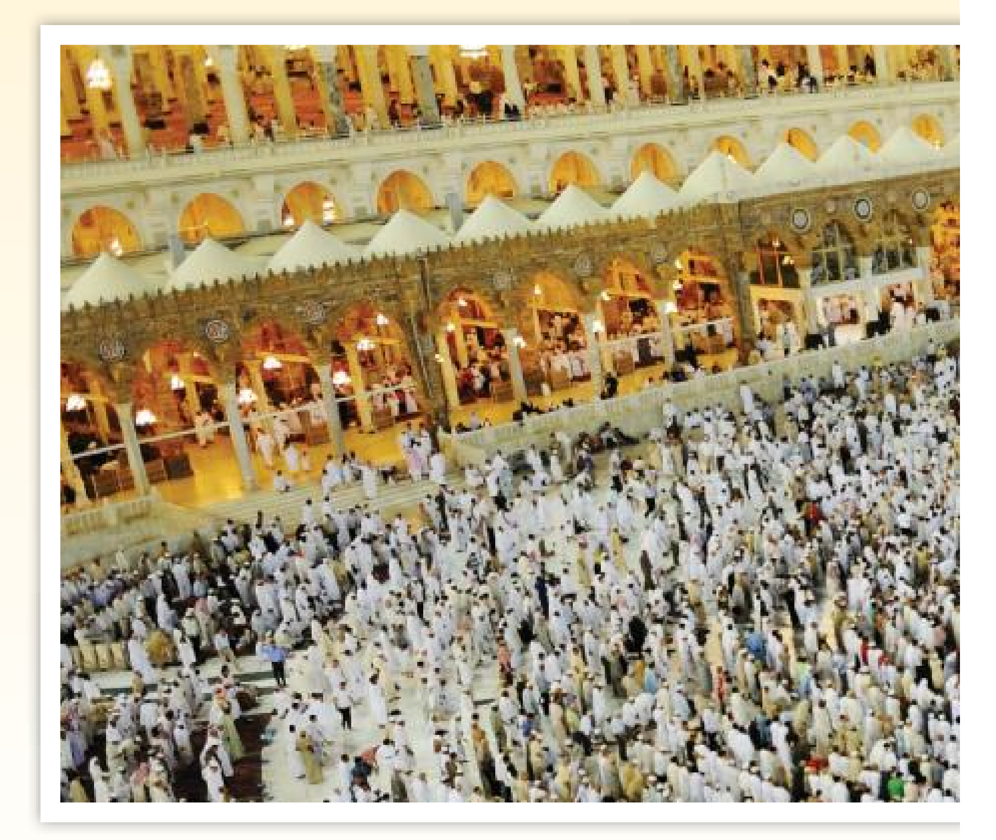
رسالة إلى قيادات الأمة لنفض الغبار عن كاهلها

د. محمد سعيد باه- أستاذ جامعي- السنغال

لن أتفلسف عن الحج في السطور التالية ولن أنضد النصوص لأؤكد على معاني مألوفة أو أكرر ما هو متعارف عليه من مكاسب الحج في الأجساد والأرواح والأرزاق، لكنني سأنشغل بتسجيل بعض الخلجات الدافقة التي تصطادها الأذن في حالة أن كانت واعية والتقاط اللوحات الزاهية التي تتناثر بين الجموع والتي تعكس كل واحدة منها حالة شعورية عميقة إذ تأتي أجواء الحج العبقة لتشكل محضناً دافئًا لتفجر تلك العواطف التي قد تظل مكبوتة ما لم تكن ثمة فرصة مواتية حين تشف الروح وترق ثم تطفق تبث أشواقها في عرس إيماني حاشد كلما كان فيه وهج وتدفق وبهجة.

كنت قد اعتدت في كل موسم يتزاحم فيه الحجاج للتنقل من شعيرة إلى أخرى، ولا يكتب لي الرحمن الحج إلي بيته، أن أرهف السمع لأتسمع لجؤارهم إلى ربهم وأشاطرهم ضراعاتهم الحانية، وكلي- مثل ملايين مملينة غيري في شتى بقاع جزيرة الأب آدم (على حد عبارة الفُلّان في تكنية الأرض)- تشوُّف إلى تلك البقاع التي باركتها يد الرحمن وسارت على أديمها خطا أبي الأنبياء قبل أن يخطر على أديمها حفيده الميمون





الذي سيأتي عندما تدلهم الخطوب وتنمحي المعالم ليختم الموكب السعيد ثم يفتح الباب لأمة التوحيد، وبذلك كان الفاتح الخاتم ﷺ ما حج حجيج وطاف مشتاق.

وفي عامنا هذا كتب الله لي أن أنخرط في الجموع التي ثابت إلى الحرم الآمن من كل فج عميق لشهود منافع الله لهم، جئت كما جاءوا، وقد لفحتني نيران البعاد عن رحاب مولاي، جئت وقد ضاقت بي الحيل وتقطعت بي السبل، جئت حاملا أوزاري وآلامي، جئت لأقرع باب الرجاء بأنامل الأمل بعد الجثو في محراب التبتل والأوبة إلى رحاب العفو والمغفرة حيث تطيب النجوى.

انخرطت في تلك الجموع الضارعة التي انصهرت في بوتقة العبودية المتجردة حيث تتساقط الشارات وتنمحي العلامات الفارقات: انخرطت وأنا أنقل الخطو تلو الخطو علّ حافرا يقع على حافر، كما يقول المتنبي، انخرطت وأنا ظامئٌ أنشد رشفا يبلل الروح بعد أن كاد اللهاث في بيداء التيه يفتتها تفتيتا.

الحاج الصغير

وأولى اللوحات في واحات الإيمان تلك كانت لقاء مع الحاج ذي الأشهر العشرة الآتي من «مالي» التي حملت يوما- وعن جدارة- نعت «الإسلامية»، شد إليه نظري بقوة بإحرامه المحكم وقد تسلق كتف والده وهو يشير بسباحته وسط تلك الجموع النافرة إلى عرفات الله حيث يصطاف الخيرون وقد تجاوبت أصداء حجاج الأرض بابتهالات جند السموات العلا.

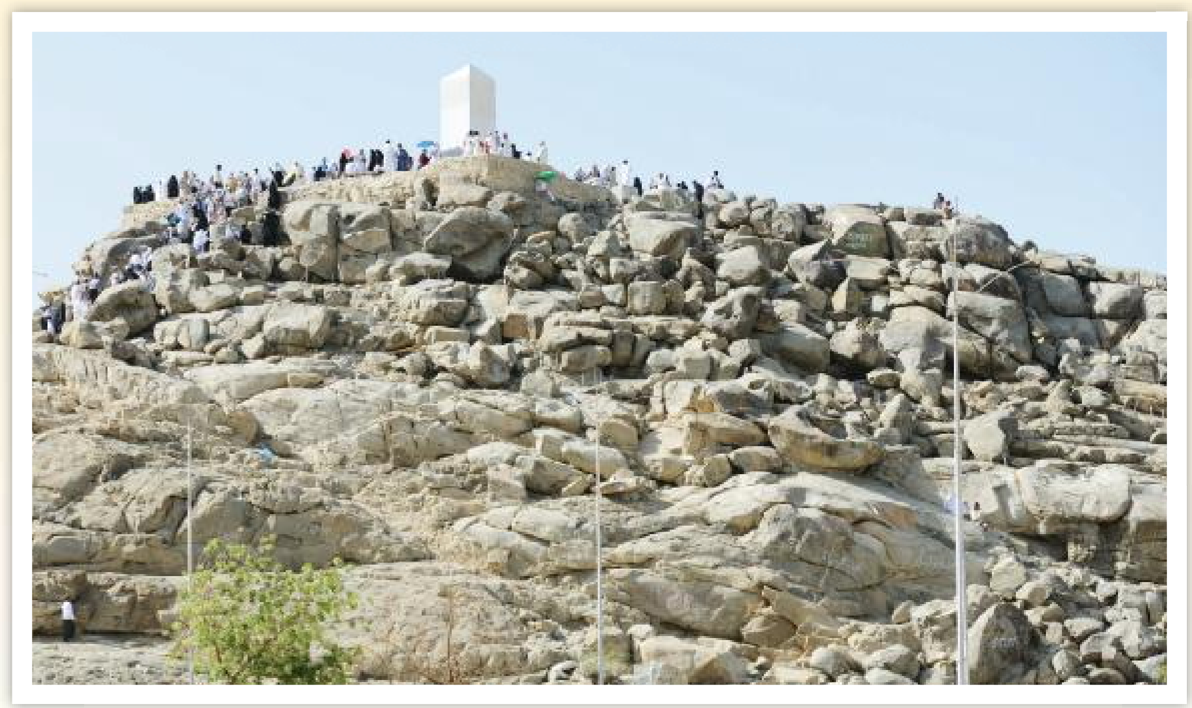
سألت أباه عن قصتهما، ولمَ يقحم هذا البرعم الذي لما يحن بعد أوان تفتقه، في هذا الحشد.. ألا يخشى عليه من عدوى الجراثيم المتطايرة ومن دهم الحشد الحاشد؟ قال مبتسما وكأن السؤال قد راق له أو استفزه: هذه زيارته (أي الحاج الصغير) الثانية لبيت الله الحرام ولما يدر عليه العام بعدُ حيث كان قد اعتمر رمضان الفائت، وإني أحب أن يستنشق عبير الوحي ليخالط دمه فينجو من حبائل الشيطان ومكر أتباعه من الجان والإنس وأربط روحه مع أطياف أمته بمن حضر أو غبر بحبال المودة الصافية وأبث إليه أشواق إخوانه وأسمعه أجمل سيمفونية في الوجود: «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك».

وبعد أن شيعته، وهو على عرشه الذي يمشي على اثنين، بنظرات والهة وسط الموج الملبي وجدت نفسي أتمتم: أنبته الله نباتًا حسناً وبلغ أشده واستخرج كنزه، ثم أسرعت الخطى وأنا أستحضر موكب الملك الإفريقي الذي حج ومعه الآلاف من الموحدين والمثاقيل من خالص الذهب، ولما مر بمصر هبطت أسعار أسواق الذهب بما أنفق في سبيل الله حتى بالغ من سجل أحداث تلك الرحلة الميمونة فزعم أنه لم تدركه جمعة في مكان إلا وابتنى فيه مسجدًا يذكر فيه اسم الله!

الطابور النيجيري

قال: من هؤلاء؟ قيل له: هذا الطابور من نيجيريا حيث موطن عمالقة الشمال الذين تحدث عن مآثرهم الكيلاني؛ أتبعتهم بصري ووجدتهم شبابًا مُردًا، لكن بعزائم وثابة وإرادة فولاذية يمشون بخطوات متناسقة مضبوطة، راقبت شفاههم ووجدتهم يتمتمون بحمد ذي الملكوت، ما ذكرني بحكاية رواها إمام دعاة هذا العصر الشيخ محمد الغزالي السقا الذي راقب حشدًا من الشباب وقد كادت الطائرة التي تقلهم أن تهبط بقدرة الذي يمسك الطير في الأجواء صافات قابضات، وحين سمعهم يتمتمون بالمأثور من الأذكار علق الرجل المهموم بمستقبل الأمة: لن يضيعوا إن شاء الله.

نعم، إن هؤلاء أيضًا لن يضيعوا ولن يضلوا مادامت خطواتهم تقودهم إلى جنبات هذا البيت الذي باركه الله وأمّن من يثوب إليه.



الصفوف الدوارة

حين صعدت إلى سطح المسجد وأخذني المشهد بروعته وبالأشعة المنبجسة منه، مشهد تراص الصفوف الدوارة حول هذا البيت العتيق وكأن سلكًا خفيًا يشد بعضها إلى بعض، رنّت في سمعي كلمات قالها السباعي: «لو كبّرت قلوب المسلمين كما تكبر ألسنتهم بالعيد لغيروا وجه التاريخ، ولو تصافحت نفوسهم كما تتصافح أيديهم لقضوا على عوامل الفرقة، ولو تبسمت أرواحهم كما تبتسم شفاههم لكانوا مع أهل السماء، ولو ضحوا بأنانيتهم كما يضحون بأنعامهم لكانت كل أيامهم أعيادا، ولو لبسوا أكمل الأخلاق كما يلبسون أفخر الثياب لكانوا أجمل أمة» .

«تعال يا أخي»!

سرت هذه العبارة اللطيفة الحانية والتي ملأناها حبًا وصدق عاطفة، سرت على مقربة مني، وأنا غير بعيد عن مدخل المسجد والجموع تزّاحم لتكون أكثر قربًا من الكعبة المشرفة، فما تمالكت أن التفت فوقع نظري على شابين يتخطيان الرقاب (ولا حرج هنا في هذا الزحام، كما قال لنا المعلم ﷺ، ما تدافع الحجيج) وسط هذا السيل الذي لا ينقطع من متبتل لله قانت ينشد رضوان مولاه في عليائه وقد تفتحت أبواب جوده للمتعرضين لنفحاته.

ولما تأملتهما وجدت أن أحدهما متفحم الجلد من آثار لفح شمس السافانا، كما قال ابن خلدون، في بلاد الأباطرة والملوك الحجاج، والآخر نبت في مكان ما من ضفاف المتوسط، ومن بعض العلامات الخاصة اكتشفت بسرعة أنهما ممن لفظتهم طاحونة الحضارة الغربية حيث يطوف الإنسان حول نفسه ويركع في محراب الفسق ثم يسجد لهواه، ولما ألقيا السمع بلغتهما دعوة إبراهيم فأسرعا الخطى كي لا يفوتهما قطار النجاة.

قلت إنهما ممن فر إلى الله وقد جاءاه يسعيان بل عجلا إليه ليرضى وعساه (جل وعز) أن يؤويهما، ثم دعوت الله أن يعودا سفيري خير وبر وبشر لهذا العرس الإيماني المتجدد وألا يكون كل بضاعتهما من الحج حزما من سواك الأراك لإحلاله محل الماركات الأخرى من الفرشاة.

أخي!

كم تمنيت- في هذه اللحظة الجميلة والتي بدا لي فيها أن عقارب الزمن قد تباطأت إلى أن كادت تقف- أن لو ذاقت البشرية المنهوكة طعم هذه الأخوة المنسوجة بخيوط المحبة والتي مزاجها قطرات الإيثار، ويومها تتبدل الحياة غير الحياة وتكتسي طابعا جديدا بتلك الألوان الزاهية حيث تذوب الفوارق وتختفي الأحقاد وتتحطم الحواجز العاليات كي تتداخل الصفوف، وفي نهاية عملية إعادة التركيب يولد الإنسان مجددا وهو يقطر طهرا ويفوح منه عطر الصلاح ويحمل عصا الإصلاح للذب عن حمى الفضيلة.

الغلام الرجل

مر بالقرب مني، وأنا مأخوذ بروعة المشهد العجيب، تأملت في قسماته فإذا هو غلام يافع يدفع عربة ارتفاعها أعلى من طوله وأوسع من عوده النحيف

ليطوف في الأدوار العليا امرأة مقعدة هدها مَرُّ السنين لكنها أبت إلا أن تقتحم العقبة وتدور مع عقارب أجرام الكون حول محور الوجود لتقتبس من مشعل التوحيد ما تنير به الدرب اللاحب ولو حبوًا.

طفقت أتأرجح بين تفسيرين لحالتي الصبي المطوف والمرأة المتربعة فوق العربة.

ألا يمكن أن يكون هذا الطفل- الرجل، الذي قد يظل مقعده في مصنع صناعة العقول وتكييف الشعور شاغرا، ضحية أخرى- وما أكثرهم!- لمجتمع عجز عن الأخذ بأيدي الجميع فلفظ بعضهم وتخلى عمن هم أحوج إلى الرعاية وأولى بالحدب عليهم، بسبب الاختلال في المفاهيم والشروخ في العلاقات الاجتماعية؛ تلك التي كانت يوما قوية الحبك وشديدة السمك؟

ثم ما المانع أن يكون هذا شبل من النوع النادر الذي يبارك بهم في أممهم فتشمخ بشموخهم وترتقي في إثر خطواتهم الواسعة درجات حتى تسمو بعلو كعبهم، وقد وصل به البر بالأم، وربما كانت جدة، أن قرر الدوران بها حول البيت ليذيقها لذة حرمتها منها قدماها؟!

وفي الحالتين فهو يسعى!

وكان سعيه مشكورا!

الحج انضباط في سلوك

خرجت من المطعم وأنا ألهج بدعاء حار للمُطعم المتفضل: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»، كدت أصطدم بهم لكني لم أسمع لهم ركزا، تشوفت إلى استكناه سرهم.. ما الذي جعلهم يبدون لحنا نشازا في هذا الهدير؟ همني الأمر حتى قدم لي صديق لي تفسيرا: إنهم في ماليزيا يدخلون معسكرات للتدريب العام لأسابيع قبل الوقوف على المواقيت فيخرجون منها بهذه اللياقة الروحية والجسدية فيحجون بلا رفث ولا فسوق ولا جدال ولا تدافع!

قلت يا ليت هذا الدرس التام يعمم على الأمة لنرى روح الانتظام حول البيت تسري من لحظة الوقوف عند الميقات حتى الشوط الأخير من الوداع الحار ثم يُكرر- بعد الأوبة إلى الديار وقد تساقطت الأدران وطهرت الأرواح- في المكاتب والمطاعم ومحطات الحافلات وعند الامتحانات ولدى دخول البنوك وحين دلوك الشمس إلى غسق الليل ولحظة أخذ المضاجع وساعة التقلب في الساجدين، وفي الطابور أمام المخبز!!

إن نهضة الأمة من كبوتها يطلب منها، بل يفرض عليها، أن تجسد هذه الدعوة الخالدة في كل مكان وفي كل ركن من أركان الحياة، ووفق معايير دقيقة ومقادير مضبوطة.

● إقامة الصلاة، أن تقيمها حبالا شديدة الفتل لا انفصام لها بينها وبين مولاها، أن تقيمها شعارا فارقا تتميز به بين الأنام التي نسيت الركوع والسجود للجبار.

● أن تقيمها برفع مناراتها، ولو كره الكافرون وهتف المتظاهرون، والترنم بندائها الخالد: «الله أكبر» بصوت يهز الأصنام المتربعة على القلوب وعلى الأفكار وعلى القيم وعلى السلوكات، أن تقيمها حصًنا حصيناً تحتمي به لتنجو من بطش الشيطان ومكر أعوانه.

● أن تشد أوتار القلوب إليها، لتملأ تلك الخاويات منها بنور من ربها، وأن تزيل منها ما عشش فيها من باطل الأفكار وهابط الأهواء، أن تشد القلوب إليها لتميل بها نحو تخوم البر والمحبة.

● أن تشد القلوب إليها لتملأها خيرا وجمالا وتفتحها على الأكوان وتتساق معها وراء الخلائق في تسبيحة مجلجة لواجب الوجود للتصالح مع عناصر الكون في إخباتها وإنابتها.

● أن تحذق فنون تلقيح الفسيلة: بأن تزرع كثيرًا لتحصد وفيرا فتطعم العالَم بدلا من استطعامه، بادئة بيتيم ومسكين في يوم ذي مسغبة.. أن تزرع كثيرا كي تمد يدًا بالعون وليس للاستجداء.. أن تزرع كثيرًا لتمتد يد متوضئة حاملة الزكوات إلى خارج ديار الأمة بعد تطهيرها من أدران العوز.. أن تزرع كثيرا لتحصد كثيرًا ثم تعيد الكرة تلو الكرة حتى تعيد أرض العرب والعجم مروجا خضراء وحدائق غلبًا تتجمل بها الحياة قبل أن تقوم الساعة وتحول بذلك النبوة الصادقة إلى حقيقة متجسدة.

● شكر المنعم المتفضل، أن نعلم البشرية العاقة جمعاء طريقتنا الخاصة في شكر المنعم على تتابع آلائه وتكرر عطاءاته، أن نقول لها، ونحن صادقون: بالحمد تدوم النعم وبالشكر تنهمر الرحمات، لكنه حمد العاملين وشكر المشمرين على إيقاع دعوات القائمين.

في انتظار الرجل الرشيد

طفقت أنصت وسط الجموع لعل همسًا ينبئني عن مكنون الأفئدة وأنا أحزم أمتعتي للرحيل نحو الغروب، وهنا خيل إلي أنني سمعت صوتا يقول:

هاهي الحشود وهاهم الأمم والشعوب قد حزمت أمرها وتصالحت مع حقائق دينها واتجهت مجددا بقلوبها صوب مطلع النور الساطع بعد أن انصرفت عن تلك البقاع البلقاء التي تهب منها زوابع الفتن ورياح الدمار العاتيات التي تكاد تقتلع خيام الخيرين من رُبَى الإنسانية.

وهذه دعوة تنطلق نحو آفاق السماء لعل ساعة الإجابة تكون قد أزفت فتتفتح أبواب السماء بالبركات وتتفجر الأرض بالخيرات وتعم المسرات ديار القوم المؤمنين.

وتلك يد لها تمتد في الظلام علها تعثر على الرجل الرشيد وتتمسك به بقوة ليأخذ بدفة السفينة التي أخذت تشق عباب الجاهلية الجديدة نحو الشطآن الآمنة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

في هذا المنحى ساق السديس موعظته في جمعة الحج حين هتف رافعا دعاءه الباكي مبتهلا إلى الله أن يبرم للأمة أمر رشد ويرزقها قيادة صالحة تأخذ بيدها في حنان ورفق..

ولما طويت سجادتي تمتمت وأنا أنهض نحو باب الملك: آمين يا مجيب المضطرين!.



خصائص خطبة حجة الوداع

عبد الباقي يوسف - كاتب سوري

تعتني خطبة حجة الوداع بختام ما أراد أن يقوله خاتم الأنبياء محمد ﷺ للناس، وهي خطبة تمتاز بأنها موجهة لإنسان كل زمان ومكان، إنسان كل لغة وقوم ولون.

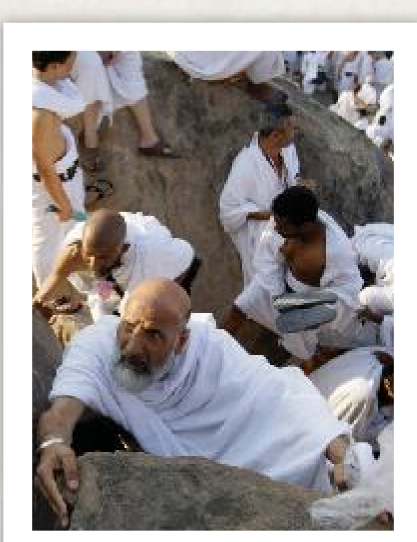
تكاد خطبة حجة الوداع تلخص مسير رسالة النبي ﷺ في الناس، تتفوح بأريج المسك الأخير الذي ينثره حامل ختم النبوة ﷺ، ليبقى طيب ريحه أبد الدهر، إنه طيب ريح وداع هذا الرجل الأمين للعالم، وهي بمنزلة تحية سلام إنسانية أبدية إلى الناس ما بقيت الحياة.

مشكاة خطبة حجة الوداع

لذلك أقبل الناس من مشارق الأرض ومغاربها، وعبر مختلف الحقب الزمنية إلى الاستنارة بمشكاة هذه الخطبة الخاتمة، التي أراد أن يختتم بها خاتم الأنبياء والرسل ﷺ حديثه إلى الناس، فكان الاحتفاء الكبير بها من قبل كل اللغات التي ترجمت إليها في العالم، وتركت أثرها البالغ على كل قارئ لمعالم هذه الخطبة الخاتمة، التي استفتحها خطيبها الأمين بالذي هو خير.

إن خطبة حجة الوداع الثمينة التي غلبت عليها النزعة الإنسانية بامتياز، هي بمنزلة مرآة يرى الإنسان نفسه في ثنايا سطورها.. إنها ملخص عمر بأكمله من حياة محمد بن عبدالله ﷺ، هذا العمر الحافل والغني بكل مقومات الحياة بكل جوانبها.

إنه يتحدث وهو يقف في أعلى قمة النضوج الإنساني، يتحدّث بجواهر الكلم التي تنبّه الإنسان إلى أهمية تمسكه بمزايا إنسانيته، وترويضه السليم لمعالم المنزوع الإنساني في فطرته، لأن النزعة الإنسانية تتقدم وتتفتح وتشرق كلما مارسها الإنسان وارتقى بها، وتصاب بالوهن والجمود والشلل إذا لبثت دون ترويض وممارسة، وعندها تستقوي النزعة العدوانية المقابلة لتمسي هي الطاغية بسبب ترويضها وممارستها، وكلما استقوت



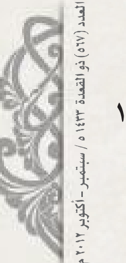
النزعة العدوانية وهنت النزعة الإنسانية، وكلما استقوت النزعة الإنسانية وهنت النزعة العدوانية.

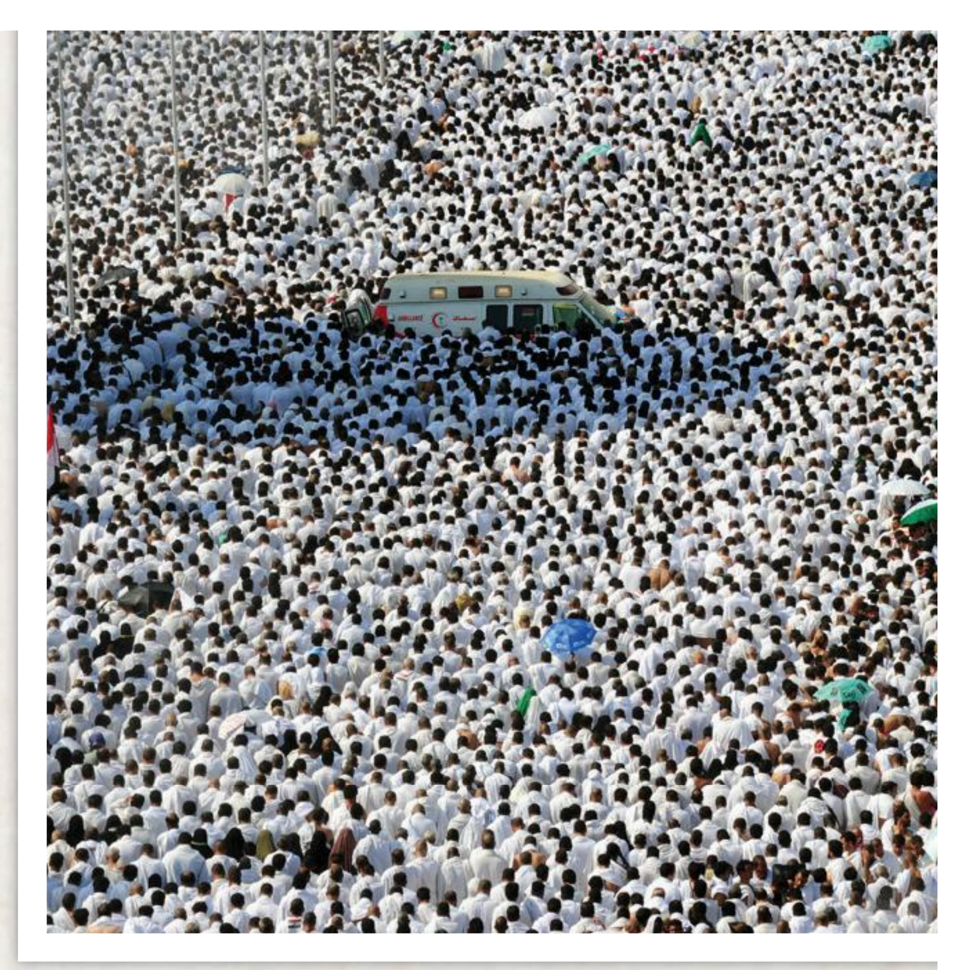
تبين لنا هذه الخطبة الجوهرة أن أفضل انتباه يكفل للإنسان التزامه بحدود الله، هو انتباهه إلى أهمية ممارسة مزايا إنسانيته، وفقط عندما يلتزم الإنسان بحدود إنسانيته، سيتولد من ذلك التزام بحدود النفس، حدود الآخرين، حدود الله، وعلى هذا فإن الذي يعتدي على حقوق نفسه، أو على حدود الآخرين فإنه مع ذات الخطوة يخرج عن إنسانيته، لأن الطبيعة الإنسانية لا تقبل أن يبقى الإنسان داخل منظومته الإنسانية وهو يعتدي على حياة أو أملاك أو أعراض إخوته، إنه في تلك اللحظات الاعتدائية الرهيبة يكون خارجًا عن إطاره الإنساني.

معالم النزوع الإنساني

تجلو النزعة الإنسانية في مستهل هذه الخطبة ببيان تحريم الاعتداء على حياة وممتلكات الآخرين، وللتحريم المباشر بصيغة الأمر وقعه الشديد في حفظ حق الإنسان وتمتعه بحياته وممتلكاته.

عندئذ يدعو النبي ﷺ عامة الناس بقوله: «أيها الناس»، الذي يتكرر دون





أن يقصر خطابه للمسلمين فقط، إنه خطاب عام للناس كافة من بعده؛ كي يؤدوا أماناتهم تجاه بعضهم بعضًا في عائلة إنسانية سمتها الأمانة، وينهى الإنسان أن يستغل حاجة وضعف الإنسان في عملية الربا، والاستبدال بالقرض الحسن، هذا القرض الذي هو في جوهره سلوك إنساني يعزز مشاعر المحبة والألفة والإحسان في المجتمع الإنساني.

إنسانية العلاقة بين الرجل والمرأة

تبين هذه الخطبة الكريمة أن الميثاق الذي يجمع بين الرجل والمرأة هو ميثاق غليظ في تكاملية للعلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة، فتبين حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، وهي حقوق كفيلة بإشادة دعائم بيت زوجي سليم، يتربى فيه أطفال يمكن أن يكونوا أعضاء صالحين نافعين، يسهموا في بناء الإنسان والبلدان.

يبين النبي ﷺ حدود الحياة الزوجية الآمنة بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا.. حَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ وَلَا يُدْخِلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ وَأَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ».

نعلم هنا أن منغصات الحياة الزوجية تأتي من الآخرين، ولذلك أخذت العلاقة الزوجية شيئًا من طابع السرية والكتمان لما يدور بين الزوجين، لأن البيوت الزوجية العامرة هي تلك البيوت المزدانة بالأسرار بين الزوجين دون السماح بتدخل الآخرين في إيقاع الحياة الزوجية.

لننظر إلى حديثه ﷺ لمعاشر الرجال: «إنما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرًا».

إنها دعوة كي يتذكر الرجل بأن المرأة هي أمانة لديه وعليه أن يحسن إليها ويكرمها، فهي شريكته في كينونته الاجتماعية، والحفاظ على استمرار الجنس الإنساني على الأرض، وبدونها للبث عازبًا منعزلًا وحيدًا، ولانقطع نسله، وانتهت الحياة في غضون سنوات معدودة، إنها تقف إلى جانبه دعامة أساسية في بناء واستقرار الحياة.

رابط الأخوة الإنسانية

توجه هذه الخطبة الإنسانية الخالدة إلى حق الإنسان على أخيه الإنسان، وواجب الإنسان تجاه الإنسان، فتذكر برابط الأخوة الإنسانية، هذا الرابط الذي يتساوى أمامه الناس جميعًا في الحقوق والواجبات الإنسانية تجاه بعضهم بعضًا.

إن محمدًا ﷺ يتحدث هنا عن كونه أتم أداء رسالة القرآن إلى الناس، ويريد أن يخبرهم بأنه سيغيب عنهم، بيد أنه يترك فيهم القرآن العظيم الذي يحفظه الله تشريعًا لهم.

كأن النبي ﷺ في إشارته الأخيرة للناس يقول لهم: لا شيء لكم من بعدي سوى ما أرسلني الله به، فيقول: «تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبدًا، كتاب الله».

سدرة المنارة الإنسانية

مع كلمات هذه الخطبة الوداعية التي يودّع بها النبي ﷺ الدنيا والناس جميعًا، نشعر بدفء النزوع الإنساني، وصدق المشاعر الإنسانية التي تعزز حالة المحبة بين الناس.

يقول: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى».

كلمات تذكر الناس بسواسيتهم كأسنان المشط، وهي تبث فيهم روح التواضع، ومشاعر الأخوة والمساواة والعدالة والحقوق والواجبات الإنسانية، فلا أحد أفضل من أحد سوى بارتقائه في درجات التقوى، هذه التقوى التي ترسخ الإنسان في قواعد إنسانيته كلما ارتقى في درجاتها حتى تبلغ به سدرة المنارة الإنسانية.

كلمة الختام

تكمن أهمية وخصوصية هذه الخطبة في أن خطيبها رجل استثنائي أنار ظلمات الأرض والإنسان برسالة الله الخاتمة إلى الناس أجمعين، إنه الرجل الذي فضل الله عليه لما كان بوسع كوكب الأرض أن يتبرك ويتشرف بهذا التنزيل المبارك، ولم يكن الناس ليحظوا برحمة تبيان وتشريع الذكر الحكيم، ولنتصور مدى شقاء الإنسان دون نور القرآن، ودون أن يقول له الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).



رحلة الحج.. دروس وعبر

على الخطيب - باحث دراسات إسلامية

لا يختلف أحد على أن الرحلة إلى البيت العتيق لا تعدلها رحلة أخرى إلى أي بقعة من الأرض، وشوق المسلم إلى هذه الديار شوق مشبوب بالعاطفة الملتهبة، والتي تجيش بالود والمحبة، حتى إن الدمع ليسيل منحدرًا على الوجنات لمجرد ذكر هذه المناسك، فكيف بالذهاب إليها؟! ورؤية البيت ومعايشة الحجيج، وربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، وذوبان الإنسان في وحدة شعورية متصلة، تبقى ذكراها في مخيلته زمنًا لا تنمحي..

وكم في هذه الرحلة من عظات ودروس مستفادة، ووقفات ولمحات ونفحات!

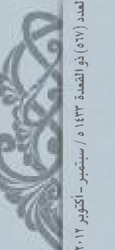
ومن بين هذه الدروس المستفادة من رحلة الحج ما يلي:

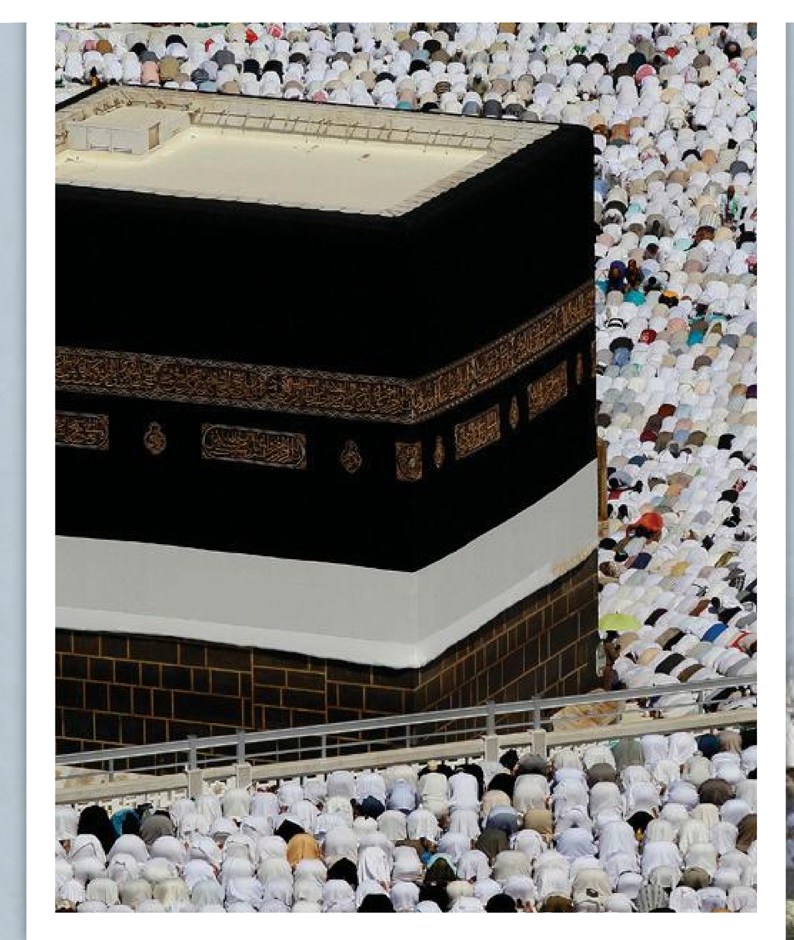
التجرد لله تعالى

وهو ما يعني سلامة القصد، وصدق التوجه إليه سبحانه، أو بمعنى آخر انخلاع النفس وانعتاقها من كل ما يحيط بها، وتخلصها من جميع ما يأسرها ويشدها إلى الأرض، ويبدو ذلك واضحًا عندما يلبس الحاج ملابس الإحرام.. تلك الثياب البيض أقرب ما تكون شبهًا بأكفان الموتى، والتي ليس فيها ما اعتاده الإنسان، فيصبح منقطعًا عن أسباب الدنيا.. إذ يترك الحاج أهله ووطنه وماله وتجارته: ليصفو بنفسه في آفاق علية ومكارم سنية.

الأسوة والاقتداء

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.. أي اقتداء بأبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام، الذي ترك





وطنه وقومه وهاجر له وقال: ﴿إني مهاجر إلى ربي سيهدين﴾، وليس ذلك فحسب بل لقد ترك زوجه وولده لله أيضًا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

وكذلك يفعل الحاج.. يترك الديار ويفارق الأهل والولدان فرارًا إلى الله، ولسان حاله يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

وكل ما يصيبه في سيره إلى الله من مكروه وأذى فإنما يحتسبه عند ربه؛ ليقع الأجر والجزاء منه سبحانه: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ويرددون مع الشاعر العربي:

إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمُ فَارَقُوا الأَذَى
وآتاهم موعود مَا في المصاحف

ومن ثم كان العطاء لهم أوفر، والمدد إليهم أسرع، والبر بهم أوفق. يقول عبدالقاهر الجرجاني: «إن من صحت تبعيته للرسول ﷺ ألبسه درعه وخوذته، وقلده سيفه، ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه، وخلع عليه من خلعه، واشتد به فرحه، كيف هو من أمته؟ ويشكر ربه عز وجل على ذلك، ثم يجعله نائبًا له في أمته».

الإذعان والتسليم المطلق لله تعالى

ذلك أن المؤمن بالله تعالى يسلم تسليمًا تامًّا، ويذعن إذعانًا مطلقًا لمن أزمة الأمور كلها بيديه، ومرد ذلك عنده إلى أمرين اثنين:

الأول: الرضا عن الله الذي لا يأتي إلا بخير ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾.

الثاني: الثقة في وعده وفي منهجه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

ومن ثم فقد تميز أصحاب النبي ﷺ بهاتين الصفتين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ونجد ذلك واضحًا كل الوضوح فيما يلي:

موقف سيدنا إبراهيم- عليه السلام- من ذبح ولده إسماعيل.. فقد أمر إبراهيم عن طريق رؤيا رآها أن يذبح ولده إسماعيل، فلم يتردد أو يسأل عن السبب؛ حتى لا يقدح في إيمانه بربه ويقينه به وثقته فيه، بل أذعن إذعانًا خالصًا لم تشبه شائبة، يصحبه في ذلك كله الرضا عن الله في أمره ونهيه.. فقام من فوره مناديًا على ولده مخاطبًا إياه: يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر قال: فافعل ما أمرك الله به. قال إبراهيم: وتعينني عليه؟ قال: وأعينك عليه. قال فإن الله أمرني أن أذبحك! قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين، وقد ذكر ابن عباس- رضي الله عنها- أن إسماعيل قال لأبيه: يا أبت اشدد رباطي كيلا أضطرب فينتضح على ثيابك من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك فيكون أهون بها على حلقي، وإن أردت أن ترد قميصي إلى أمي فافعل، عسى أن يكون أسلى لها عني.

وقد وصل الأمر من إسماعيل- عليه السلام- كما ذكر ابن عباس- رضي الله عنهما- عندما تلّه إبراهيم للجبين، وكان على إسماعيل قميص أبيض فقال له: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه ﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾.

وكذلك موقف هاجر عندما تركها إبراهيم في هذا الوادي بين الصفا والمروة.. قالت له يا إبراهيم: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا. إنها تعلم بيقين أنه ما تركها إلا لتنفيذ أمر الله، فأذعنت وسلمت لله أمرها من قبل ومن بعد.

إعلان العداوة للشيطان وأعوانه

وليس هناك أوضح ولا أبين من إظهار هذه العداوة، ورفع شعارها في شعيرة

رمي الجمرات «وذكر ابن كثير فيما رواه ابن عباس- رضي الله عنهما- أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي، فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات».

ومن المعلوم للمسلم ديانة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، ومن هنا فالحاج وهو يقوم برمي الجمرات يعلن شعار العداوة والكراهية للشيطان، كأنما يريد أن يقول له وهو يرجمه: لا سبيل ولا سلطان لك عليّ بعد اليوم، فلطالما أوردتني موارد الردى ومواطن الهلاك، هأنذا اليوم أرجمك قذفًا بالحجارة؛ لما تمثله من رمز الغواية والشرور.. فكم أشعلت من فتن، وهتكت من أستار، وقطعت من روابط، وأضرمت الأحقاد بين الناس، وأنا اليوم أجدد بيعتي لله في صعيد عرفات.. «لبيك اللهم لبيك»، ولذا قيل: إن الشيطان لم ير أحقر ولا أصغر من مثل هذا اليوم أبدًا.

البذل والتضحية

نرى ذلك واضحًا في موقف الخليل إبراهيم الذي ضحى بأغلى ما عنده.. ضحى بولده الذي جاءه وقد بلغ من الكبر عتيًا، فلم يضن به حرصًا على حياته، ولا شفقة عليه، بل لم يتردد لحظة في التضحية به تنفيذًا لأمر الله.. ولهذا وصفه ربه سبحانه بأنه وفّى لكل ما طلب منه ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾، لذلك استحق أن يكون للناس إمامًا، فقد ابتلي بابتلاءات عديدة فصبر، فآتاه الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

وتتمثل في:

الوحدة فكرًا وصبرًا.. فالبيت الذي يطوفون حوله هو بيت واحد (بيت الله الحرام)، والإله الذي يعبدونه إله واحد، والقبلة التي يتوجهون اليها في صلاتهم هي قبلة واحدة، والنسك التي يؤدونها واحدة لا اجتهاد فيها «خذوا عني مناسككم».. والزي الذي يرتدونه زي واحد، كما أن الهدف الذي جاءوا من أجله إلى هذا المكان هدف واحد، والنشيد الذي ينشدونه في عرفات الله نشيد واحد «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك».

- وحدة في الزمان ﴿الحج أشهر معلومات﴾.
- وحدة في المكان (البيت الحرام).
- وحدة في الشعائر والمناسك ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾.
- وحدة في المشاعر والعواطف.

إن عالمية الإسلام ورسالته الخالدة تبرز بوضوح والحجيج واقفون في عرفات الله بكل اللغات واللهجات والبلدان في زي واحد، وصعيد واحد، وشعار واحد، وزمان واحد، وفي الحج الأكبر أكبر وثيقة تكريم للإنسانية، فيها من حفظ الدماء وصيانة الأعراض وحماية الزوجات ما فيها.. وتبقى خطبة الوداع شاهدًا للمسلمين وعزهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

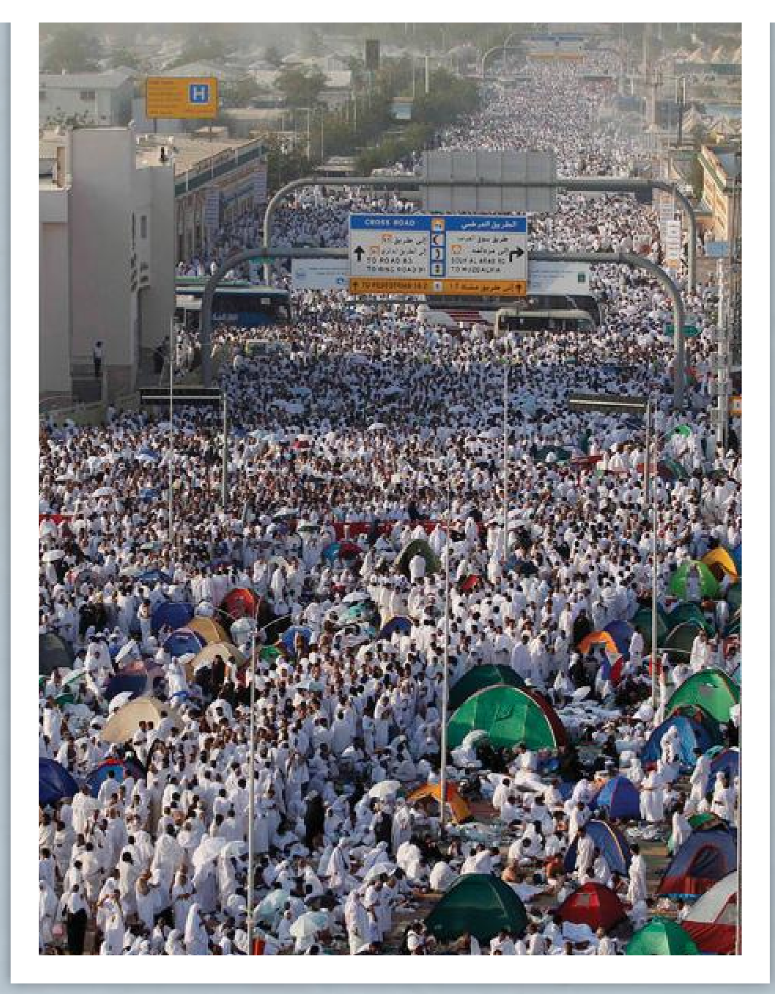
وفي الحج الأكبر يرتفع الأمل ويتحقق الرجاء بأن المسلمين هم صنّاع المجد، أصحاب العلم والفقه والدين الذي يصلح وجه الأرض، ويزين الدنيا من أقصاها إلى أقصاها.. فإن الدين قد تم، والنعمة قد كملت، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾.

يقول ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين» (رواه البيهقي وابن حبان)، ويقول أيضًا: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها».

نعم قد يضعف المسلمون أو يصيبهم الوهن، وقد يديل العدو عليهم بخيله ورجله في سنة وغفلة، لكنه لن يغلبهم أو يقضي عليهم، فإن هذا الدين منصور محفوظ ما بقي الليل والنهار.

إن الحج الأكبر هو مؤتمر المسلمين ورمز توحدهم وقوتهم.. شريطة أن يترجم ذلك إلى عمل متواصل لإعادة الأمجاد الخالدة، والتاريخ التليد، والقيم الأصيلة التي تجعل للمسلمين عيدًا تتجدد شمسه، وترتفع أعلامه، ويسعد رجاله ونساؤه ويقولون: متى هو؟!

قل عسى أن يكون قريبًا.





التدين المغشوش.. الواقع والمأمول

عثمان إسماعيل - باحث مصري

تكمن ظاهرة التدين المغشوش في ذلك الانحراف السلوكي (الديني) المفاجئ أو المقصود للنفس البشرية المسلمة، أو أنها محاولة من أعداء الإسلام الذين يتربصون به وبأهله الدوائر لطمس فطرة الله في تلك النفس ومحو معالمها الحقيقية كي تنال منها تشويهًا وتدميرًا، محققة أهدافها بناءً على ما تدعو إليه مذاهبهم القبيحة، والتي تسعى جاهدةً لمحو تلك الفطرة التي قال عنها سبحانه وتعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

ومن هنا يمكن القول بأن هذه الظاهرة ما هي إلا ظلم النفس لذاتها خَلْقًا وفطرةً وتكوينًا وهدفًا نرى ذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 117)، ولما كانت النفس البشرية التي أراد لها الله تعمير هذا الكون أساسها سمة العقل وصفاء القلب وشفافية الروح وإرهاف الحس والسبح في عالم الألوهية تعبدًا وتدبرًا وتأملًا، تلك النفس المطمئنة التي تسمو إلى أرقى درجات الإيمان قولًا وعملًا، فكان من الطبيعي أيضًا أن تتوقف هوية تلك النفس على درجة الإيمان ومعيار التمسك به، ومن هنا تباينت أنماط النفس، فبقدر ما يستطيع الإنسان أن ينتصر على دنياه ويكبح جماح شهواته ويسمو بنفسه الى عالم الرقي الروحي نقاءًا وصلاحًا يستطيع أيضًا بضعف إيمانه وعزيمته أن يهبط الى عالم الحضيض وحقارة الذات وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(الشمس: 7)، وبذلك فقد وضعت سمة الخيار والاختيار أمام تلك النفس البشرية، فإما جمال الفضيلة وإما قبح الرذيلة وما يقاوم ذلك التيار سوى التمسك بقوة الإيمان وإما الاستسلام بالضعف وزعزعة العقيدة.

وإذا كانت ظاهرة (التدين المغشوش) لها جذورها التاريخية تمثلت في صنوفه المختلفة من (تدين مموه) قائم على الادعاء أو رؤى التفلسف والتكلف والتصنع، وهو في حد ذاته رد فعل لخبايا وعوامل نفسية تتوهم أنها قادرة على تغيير الحقيقة التي أراد لها الله تعالى أن تكون، وإزاء ذلك ينبغي لنا أن

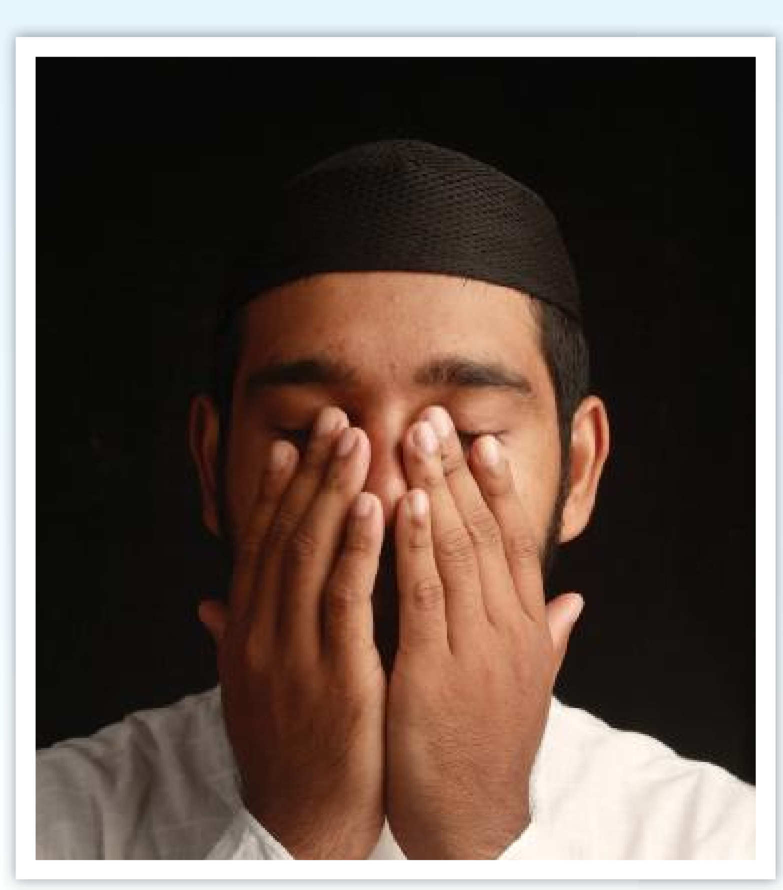
ننظر الى تلك الظاهرة نظرة عصرية ورؤية واقعية تحت تساؤلات عدة تعطي صورة متكاملة تعتمد على جدال واقعي ملموس يقودنا إلى جلاء الحقيقة ومعالجة ما حولها.

لذا تبدو بواعث ظاهرة التدين المغشوش وعوامل انتشارها في محاور عدة تتمثل في ذات الإنسان والأسرة والمجتمع والمؤسسات الدينية والتربوية، ومن الطبيعي أن تكون النفس البشرية ضحية تلك المنظومة بما تملك من سلبيات أو تجاهل قاتل، وفشل ذريع في مراعاة تلك النفس بناءً وتربية، وتبدو أسباب انتشار تلك الظاهرة فيما يلي:

● ترويج أعداء الإسلام لأفكار مقصودة ومخططة قد تصل إلى (المذاهب) مستخدمين أدق الوسائل وأكثرها تأثيرًا وفعالية على فئات عمرية معينة قد تستجيب-من وجهة نظرهم- لما يروجون له منتظرين بشغف نتائجه وآثاره.

● الغفلة التي تعيشها الأسرة وتجاهلها لثوابت ومبادئ الإسلام الأساسية، وعدم إعطائها مساحة أكبر لاستيعاب الفكر الديني الصحيح لأبنائها، والطامة الكبرى تبدو في ضعف الوازع الديني في الوالدين، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل.. كيف يستقيم الظل والعود أعوج...؟! مما يضع الضحية بين شقي الرحى وبراثن الفتك حيث يزج بها إلى ضيق الأفق الديني وعالم التشويش الفكري.

● اتساع دائرة مجال الفتوى وكثرة الفتاوى وانتشارها وإعطاء الفرصة لمن يجهرون بها دون معايير أو مقاييس أو تدخل أو مراقبة مما يؤدي إلى خلط واختلاط الأمور بعضها ببعض مما يؤدي إلى الفوضى الفكرية والمتاهات الفقهية وذلك لعدم وجود مرجعية ثابتة محددة تسأل عما تقول وتحاسب عما تفعل بعيدًا عن قبح التضليل والعبث بعقول العامة، وتضعها في مراحل

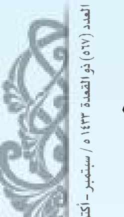


التنوير الفكري واستيعاب ثوابت الدين ومبادئه.

● محاولات اضطراب وتقليص ترسيخ الفكر الديني الصحيح والإخفاق في المحافظة على تجديده من حين إلى آخر في مؤسسات الدولة التربوية، وتهميش هوية التربية العقائدية وأصول التدين الحقيقي وتقليص أسس البناء المنهجي في تكوين الشخصية الإسلامية الحقة مما يعرضها لعواقب الجمود والاستسلام لأفكار ومذاهب الآخرين لما لا؟ وقد فقدت سمة التفكير وروح التدبر وصفة التأمل.

● ضعف الخطاب الديني مضمونًا وتوجيهًا وأهدافًا ووسائل مما يفقد معه القدرة على بناء الذات ومواجهة الآخر حجة واقناعًا، على الجانب الآخر نرى أن الخطاب الديني يستلزم اللين والسماحة ومبادلة الحجة بالحجة في رفق ومودة وهذا مما حذر الله تعالى رسوله الكريم في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159)، وفي موضع آخر نقرأ قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125).

● تجاهل صفة التثبت والتحقق في اختيار الأصدقاء الذين ربما يكونون في حقيقتهم رسل دمار فكري وضياع ديني وهدم أخلاقي وطريق منظم ومنهج مخطط لتشويش وتضليل السمة العقلية والذهنية ونسينا أن نضع نصب أعيننا حديث رسول الله ﷺ «المرء على دين



خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

● الولوج إلى عالم التزمت القاتل حيال تطبيق تعاليم الإسلام والحرص بشدة على ممارستها بعيدًا عن سماحة الإسلام ولينه وعفته ومروءته وتكيفه مع طبيعة النفس البشرية مما يدفع ضعاف الإيمان أن يتصوروا أن الإسلام يتعايش بصفة العدوانية والبطش بمن حوله، ومن هنا قد تستسلم النفس البشرية إلى عالم النفور والهروب ومعها لا يستقر الفكر الديني الصحيح ولا يهدأ ولا يجد من يرشده ويساعده ويأخذ بيده إرشادًا وإنقاذًا لم لا وقد قال سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (ق: 45) وفي موضع آخر ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(الغاشية: 22).

● التعنت والإصرار على ممارسة سطحية التفكير والفهم الذي لا يتعدى قشور الأشياء والبعد عن المغامرة في تحمل العناء للفهم الصحيح للدين، والتسرع في إصدار الأحكام دون مرجعية فقهية تكون ثمار قراءات واجتهادات متعددة لمصادر دينية موثقة متباينة يكون مردودها نقاء الفكر وصقل العقل وصواب الحق وسداد الرأي.

● وإذا كان ما سبق يمثل بعضًا من أسباب وهوية التدين المغشوش فمن الواجب أن نرسم صورة واقعية للنفس البشرية التي هي ضحية تلك الظاهرة حيث...

● يغلب على تلك النفس الترنح في مرحلة اللاوعي مما قد يصل إلى درجة اختلال الشخصية وتعيش في عوالم العناد والإصرار على ثبات الصفة والقناعة بما عليها من حال يصعب فهمه، مع ضبابية الفكر وغيبوبة العقل، وهذا ما ينطبق عليه قوله تعالى ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: 14-15).

● وهذا الإصرار على تلك السطحية والقناعة بعالم الوهم ما هو إلا محاولة لإقناع الذات وراحة النفس للتحايل والبحث عن مخرج يجده مسوغًا ليبرر ما بداخله من قبح العناد وزيف الحقيقة ووهم التحدي بعد أن سخط الله عليها فقال في شأنها ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:7).

● وقد تأخذ ظاهرة التدين المغشوش سمات عدة منها كثرة الحلف الكاذب والتظاهر بين الناس تكلفًا وتصنعًا في ممارسة الدين والتدين خضوعًا لمؤثرات نفسية تتمثل في العناء-الجحود-النفاق- الشعور بالنقص-الانقيادية-التقليد الأعمى-الفراغ الديني.

على أن تلك المؤثرات النفسية كفيلة بأن تجعل من النفس البشرية ضحية لا تفيق من غيبوبتها وتكون أسيرة مؤثرات متباينة تتشبث بتلابيب من يستسلم لها وتلقي به في مزالق الحمق وعوالم التهميش البشري.

ويمكن القول بأن تلك الرذيلة تندرج تحت ما يطلق عليه «التظاهر بغير ما في الضمير» وهي رذيلة النفاق، وهي في ظاهر المصطلح ضرب من أقبح ضروب النفاق المدمر لعلاقة الإنسان بذاته وبربه وبالآخرين أما في باطنه فهو السخط الإلهي على تلك النفس التي أبت وعاندت وجحدت فطرة الله التي فطر الناس عليها وخالفت طبيعة البشر فكان هذا عقابها.

وإذا كانت ظاهرة التدين المغشوش تعتمد على مردود ثقافة الذات الخاوية دون إقناع وثقافة الآخر الحائرة دون تثبت أو تحقق مما ينتج عنها الصراع الثقافي والنفسي، فينبغي مواجهة صنوف الصراعات بأن نقلب لتلك الظاهرة الوجه الآخر ونضع نصب أعيننا حديث رسول الله ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي» وهذا ما نقرأه في كتاب الله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: 56).

ومن الحمق أن تستهوي النفس البشرية تلك الرذيلة تحت أية مؤثرات وأية ضغوط أو قناعات واهية لتلقي بها إلى قاع الدمار النفسي والمادي متجاهلة أساليب النجاة واحترام الفطرة والنفس البشرية التي أكرمها الله وكرمها عن باقي المخلوقات بالسمة الذهنية والتي لا تجلب لمن يحترمها ويصونها سوى كل هيبة ووقار واحترام.

ولنا أن ندرك أن التدين المغشوش أخطر على الإسلام من الكفر ذاته وذلك لأن الكفر عرف طريقه ونهايته وكيفية تجنبه ومحاربته ولكن التدين المغشوش أساسه الغموض والحيرة متشعب الأخطار وعر الدروب، لا يرحم مهما كان هدفه، وأيًا كان مقصده، له أذنابه وذيوله التي لا تفتأ تنهش فيمن تواجهه، ولكن التمسك بالله وقرآنه وبالرسول ﷺ وسنته الشريفة لهو الطريق الوحيد الأصلح والأمثل وأن تتعايش النفس البشرية المسلمة مع عقيدتها قولًا وعملًا عندئذ ندرك قوله تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:7) فالنصر ليس مقرونًا بالجهاد فقط ولكن انتصار النفس عندما تصلح من ذاتها فيخلص لها الله تعالى تقويمًا وتقييمًا، ورضًا واطمئنانًا ويبعدها عما تواجهه صونًا وحفظًا ووقايةً وحمايةً.

مما سبق يمكن القول بأن التدين الحقيقي هو «الحياة» لأنه جوهرها وترجمتها إلى قيم وسلوك وضوابط هذا هو التكامل في مفهوم الدين، المفهوم الشامل الذي يؤكد أن الدين الحياة فإذا ما تحقق مضمون هذا المفهوم صار تدينًا حقيقيًا يعتمد على منظومة من القيم الراقية من خلال علاقة الإنسان بذاته وبربه وبمن حوله، عندها تستقيم النفس ويطمئن القلب ويصفو الضمير وتسمو الذات فوق شهوات النفس وحقارة الدنيا لتجد هويتها كما أراد لها خالقها سبحانه وتعالى.

القارئ الشيخ أحمد عامر يفتح قلبه لـ «الوعي الإسلامي»:

القرآن علمني الأخلاق والخير

قراء الرعيل الأول لن يتكرروا لأنهم وهبوا كل حياتهم وإخلاصهم لأمانة الكتاب المبين

هالة عبدالحافظ - القاهرة
دار الإعلام العربية

ولد في بيت يتخذ من القرآن الكريم نبراسًا وميراثًا ومعينًا لا ينضب.. يتمتع بصوت قوي ومتميز، حينما تجلس إليه تشعر أنك أمام شاب في الثلاثين من عمره، على الرغم من أنه في الخامسة والثمانين، تجده دومًا حاضر الذهن، باسم الوجه، قوي الصوت، جهوري التلاوة، طويل النفس.. إنه حالة فريدة من المقرئين الذين نذروا أنفسهم للقرآن الكريم.. هذا هو الشيخ أحمد محمد عامر قارئ مسجد السيدة زينب وعضو مجلس إدارة نقابة القراء المصرية، والحكم الدولي لمسابقات القرآن الكريم حول العالم.. والذي التقته «الوعي الإسلامي» لنتعرف على أبرز المحطات القرآنية في مسيرته.. فإلى التفاصيل.

• على مدى أكثر من ثمانين عامًا بدأت رحلتك النورانية.. فهل تعطينا بعض الملامح البسيطة لهذه الرحلة؟

- بداية، اسمي أحمد محمد أحمد عامر، ولدت في يوم ٣ مايو ١٩٢٧م، في قرية «كفر العساكرة» التابعة لقرية «الصالحية» مركز «فاقوس» بمحافظة الشرقية ، ونشأت في بيت عُرف ببيت القرآن، فقد كان والدي من قراء القرآن البارزين في البلدة، كما كان منشدًا للتواشيح والابتهالات الدينية، وكان جدي أيضًا الشيخ «أحمد عامر» حافظًا للقرآن، بارعًا في تلاوته.. وفي الرابعة من عمري التحقت بكُتَّاب القرية مع أخي الأكبر الشيخ محمد، وبدأت رحلتي القرآنية على أيدي شيوخ قريتي ومنهم الشيوخ محمد أحمد ميدان، ومحمد السهويتي، ومحمد عكيلة.. كنت أتنقل بين كتاتيب القرية ومن شيخ إلى شيخ سعيًا وراء الإتقان والتجويد، حتى أتم الله عليّ حفظ القرآن الكريم وأنا في الحادية عشرة من عمري.. وكنت قد التحقت في أثناء ذلك بالمدرسة الابتدائية حتى الصف الثالث، وعلى الرغم من تفوقي وقدرتي الكبيرة في الجمع بين تحصيلي الدراسي وحفظي لكتاب رب العالمين، إلا إنني آثرت أن أتفرغ للقرآن وألا أنشغل بأي شيء غيره، فتركت المدرسة، وما لبثت أن تركت البلدة إلى بلدة أخرى، حيث دعاني ابن عمتي المقيم ببلدة «الضهير» مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية لأتدارس القرآن على يد أحد شيوخ القرية البارزين في التلاوة بالأحكام، الشيخ «عبدالسلام الشرباسي» رحمه الله وبالفعل تعلمت على يديه تجويد القرآن، فقد كان عالمًا فذًّا بأحكام القرآن وتلاواته، وهو جد فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتي مصر الأسبق رحمه الله عن طريق الأم، ودرست على يديه رواية حفص عن عاصم، وروايتي ورش وقالون عن نافع، ثم بعد وفاة «الشرباسي».. اتجهت إلى الشيخ «إبراهيم نجم» في بلدة العزيزة بمحافظة الدقهلية، وبدأت عنده في تعلم القراءات السبع.. وكنت وقتها في الثالثة عشرة من عمري.. وكنت في تلك الفترة قد بلغت منزلة كبيرة في رحلتي القرآنية، وأصبحت معروفًا في قريتي وجميع القرى والبلاد المجاورة، وبلغت من درجة الإتقان في تلاوة آي الذكر الحكيم أنني زاملت كبار قراء الرعيل الأول والثاني مثل الشيوخ عبدالفتاح الشعشاعي، طه الفشني، عبدالعظيم زاهر، الحصري، عبدالباسط عبدالصمد، محمود البنا، ومصطفى إسماعيل وغيرهم.

أدعو الشباب إلى الالتزام بتقوى الله وطاعة الوالدين للنجاح في دنياهم وآخرتهم

• ومتى جاءت مرحلة انضمامك إلى الإذاعة المصرية؟

- في العام ١٩٥٦م، نصحني عديد من المحبين بالتقدم إلى لجنة المقرئين بالإذاعة المصرية، فتقدمت لاختبار من قبل لجنة برئاسة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وكان من أعضاء اللجنة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله والدكتور محمد عبدالله دراز وكيل الأزهر السابق، والدكتور أحمد علي بكلية أصول الدين، وفضيلة الشيخ عبدالمحسن شطا، والأستاذ محمد حسن الشجاعي، والشيخ عبدالفتاح القاضي أستاذ علم القراءات، وقد اجتزت الاختبار من المرة الأولى بتقدير جيد جدًّا.. لكن لم يتسن لي القراءة مباشرة في الإذاعة، وذلك بسبب وقوع العدوان الثلاثي ضد مصر في ذلك العام، والذي قُصف فيه مبنى الإذاعة، وكانت بدايتي الفعلية مع الإذاعة في العام ١٩٦٣م، ومازلت إلى اليوم من قرائها.

• وماذا عن زياراتك لبلدان العالم الإسلامي؟

- في عام ١٩٥٨ اختارت وزارة الأوقاف مجموعة من القراء للسفر إلى الخارج عن طريق مسابقة، وكنت فيها من الأوائل، وكان معي العالم الجليل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، والشيخ الحصري، والشيخ محمود عبدالحكم، والشيخ دسوقي مرعي، وتعددت أسفارنا من البحرين، إلى الهند، اليمن، سوريا، الصومال، عدن، فرنسا، موريتانيا، يوغسلافيا، باكستان، وتايلاند، أبو ظبي، الكويت، دبي، قطر، البرازيل، أمريكا، إيران، الجزائر، المغرب، تركيا، والسعودية، وظللت طوال ثلاثين عامًا أذهب إلى لندن في رمضان، وذهبت أيضًا في شهر الحج إلى بيت الله الحرام، وأعتز كثيرًا بزيارتي الأولى للكعبة وكانت عام ١٩٦٤، حينها شعرت بسعادة غامرة على الرغم من بساطة الإمكانيات حينها، وكانت هذه المرة من أسعد زياراتي لبيت الله الحرام ببركة القرآن ودعاء سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وكنت في كل رحلاتي أجد بفضل الله حفاوةً بالغةً في كل الدول التي أزورها، على المستويين الرسمي والشعبي، ومن ذلك في أثناء زيارتي إلى الهند في العام ١٩٧٢م، حرص الدكتور ذاكر حسين أول رئيس جمهورية مسلم

للهند على استقبالي وتكريمي تكريمًا حافلاً.. وهو ما تكرر في العام نفسه في ماليزيا، حيث ذهبت إليها حكمًا دوليًا لمسابقة للقرآن الكريم بحضور الملك عبدالحليم شاه ملك ماليزيا، والذي قام بتكريمي بحفاوة بالغة.. وتكرر الأمر في العديد من البلدان الإسلامية التي كانت تستعين بي حكمًا في مسابقات القرآن الكريم.

● وماذا عن ذكرياتك في الكويت؟

- ذهبت إليها عام ١٩٧٥، كنت بصحبة الشيخين محمد متولي الشعراوي، ومحمود البنا، وكنا دائمي الذهاب إلى مسجد السالم بالسوق، وكنا نقرأ للإذاعة، وذهبنا إلى مسجد عبدالله العثمان في النقرا لنقرأ القرآن الكريم، وكان يجتمع حول الشيخ الشعراوي أمم لا يعلمها إلا الله، وكان يراجع معي الشيخ إبراهيم محمد رمانة.

● عاصرت الشيخين الحصري والشعراوي.. حدثنا عنهما؟

- الشيخ الحصري كان صديقي ويكبرني بعشر سنوات، كنا مثل التوأم، تعرفت إليه في إحدى المناسبات، وحينما استمع إليّ قال لي «أبشرك بمستقبل عظيم»، وفي إحدى زياراتنا إلى دولة قطر جلسنا متجاورين على كرسي الطائرة وكان ذلك في العام ١٩٧٨، حينها ذكرني بقوله لي وتنبؤاته بمستقبلي، وكم كنت محظوظًا؛ لأنني زاملت وقرأت مع مشايخ كثيرين كالشيخ مصطفى إسماعيل، وعبدالباسط عبدالصمد، وشعيشع، وعبدالعظيم زاهر، ومحمود عبدالحكم، وعبدالعزيز علي فرج، والبهتيمي، وكل القراء القدامى.. أما الشيخ الشعراوي فكان على خُلق كريم، وكان من العلماء الذين فيهم نفحة من نفحات الله سبحانه وتعالى، وقد زاملته في رحلتي إلى الكويت .

قرأت في الكويت لأول مرة في عام ١٩٧٥ بصحبة الشيخين الشعراوي والبنا

● ماذا عن تلاميذك.. هل ترى بينهم من يعيد مكانة العلماء الأجلاء الذين رحلوا كالشيخ عبدالباسط عبدالصمد أو المنشاوي؟

- لديّ تلاميذ كثيرون، وكل منهم وفقًا لجمال صوته يُرزق ببركة القرآن، لكن أغلب مستويات هؤلاء التلاميذ لا ترتقي إلى مستوى الرعيل الأول من القراء الأجلاء، أعتقد أنهم لن يتكرروا، فقديمًا كان الشيوخ يتفرغون للقرآن قلبًا وقالبًا، فكان هو حياتنا كلها، أما الآن فالأمر ليس كذلك لدى كثيرين.

● ماذا علمك القرآن؟

- علمني الأخلاق، حيث قال رسولنا الكريم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فالقرآن الكريم علمني الصدق، الأدب، الإحساس، طاعة الله، طاعة الوالدين، الإحسان إلى الجيران، التعامل الطيب مع الجميع، تعلمت وما زالت أتعلم منه الكثير والكثير، فالخير والعلم في كتاب الله لا ينتهي أبدًا، ومن شب على شيء شاب عليه.

● ما موقفك من النغم والترنم والتطريب في التلاوة؟

- القرآن له مقامات خاصة حُجاز، سيكا، صبا، عجم، لكن يجب ألا يبالغ القارئ في استخدام هذه المقامات بصورة تخرجه عن حدود القرآن وآدابه وأحكامه.

● ما نصائحك للشباب المقبلين على حفظ القرآن؟

- أول نصيحة أدعوهم إلى الالتزام بتقوى الله، ثم أدعوهم إلى طاعة الوالدين، حتى ينجحوا في دنياهم وآخرتهم.

● أخيرًا.. ماذا عن أسرتك؟

- رزقني الله بستة أبناء ٤ ذكور وابنتين، الأكبر اللواء «محمد» بالجيش المصري ويبلغ من العمر ٦٠ عامًا، ثم الدكتور «أحمد» أستاذ بكلية طب الزقازيق، الثالث الشيخ «ناصر» مقيم شعائر بمركز فاقوس، ثم الابنة الرابعة «أماني» مأمورة ضرائب، والخامس الدكتور «خالد» رئيس قسم الأسنان بمستشفى فاقوس العام، والسادسة الدكتورة «آيات» مدرسة بكلية الطب جامعة الزقازيق.. وجميعهم من حافظي القرآن الكريم بدرجات متفاوتة.. والحمد لله الذي جعلهم نبتًا طيبًا، ورثوا عني أفضل ميراث، آيات الكتاب المبين.

أسلموا على يديه

على الرغم من تقدم الشيخ في السن، إلا أنه يتعامل بحماس شاب في الثلاثين من عمره، فيذهب إلى العاصمة البريطانية لندن منذ ١٧ عامًا ليؤم المسلمين في صلاة التراويح بالمركز الإسلامي بالقرآن الكريم كاملاً خلال شهر رمضان..وقد منّ الله عليه بأن أسلم على يديه عشرات من البريطانيين والباكستانيين والبنجلاديش الذين يتوافدون على المركز الإسلامي في شرق لندن والذي يتجاوز عدد المصلين فيه ١٥ ألف مسلم ويعتبر من أكبر مساجد المدينة، وقد تتلمذ عشرات الشيوخ البارزين على يدي الشيخ، ولا يزال حتى اليوم يقوم بمهمته في تحفيظ القرآن دون أن يتقاضى أجرًا.

تغيير المنكر.. مسؤولية مشتركة

لا دولة بلا قانون، ولا قانون بلا تطبيق ومتابعة.. الدولة تسن التشريعات التي تغير المنكرات وتحول دون تفشيها في المجتمع، وتخصص جهات بعينها للمتابعة والتنفيذ، لكن المجتمع بأسره مطالب بالمراقبة والإبلاغ والتحقق من أن القانون سائد ومحترَم.

كل منا مطالب باليقظة والانتباه وتحري الصواب فيما نفعل أولا وفيما يجري حولنا ثانيا، ثم التصرف- ثالثا- بإيجابية.. وإبلاغ السلطات المختصة بأي خرق لتطبيق القانون الذي لم يسن إلا للمصلحة العامة.. وحتى إن لم تلتزم مؤسسات الدولة بالقانون فعلى المجتمع رفع الأمر للسلطة الحاكمة والعمل على تغيير المنكر.

وإذا كان الايمان هو «ما وقر في القلب وصدقه العمل» وإذا كان الدين هو المعاملة وإذا كان القوم الذين ركبوا في سفينة خرقها بعضهم قد نجوا لأنهم أخذوا على أيدي من ظن أنه حر على الاطلاق يفعل ما يشاء، وإذا كان قوم قد هلكوا لأنهم لم يتناهوا عن منكر فعلوه، وإذا كنا مأمورين بأن نتقي فتنة لا تصيبن الذين ظلموا- منا- خاصة.. فأي ملجأ من الله إلا إليه؟ وأي عذر لدينا كي لا نطبق ديننا في كل سلوكيات حياتنا؟ إذا كنا نؤمن بأن الإسلام دين حركي لا رهبنة ابتدعوها ما كتبها الله على أحد، فلماذا لا نتحرك بإيجابية ونغير ما استطعنا من سلبيات إلى خانة الإيجابيات؟ كلنا نتام وبعضنا يصحو.. كلنا يمضي إلى مهامه اليومية وبعضنا يقلد «التنابلة».. كلنا يرى ما لا يسر الخاطر ومعظمنا يدير الوجه ويستكمل السير وكأن شيئًا لا يعنيه!! مع أن الأمم التي تقدمت بعد أن خَلَدَت أمتنا للدعة والراحة تركت لنا رسالة عبر الأثير الحضاري موجزة فيها أسباب تقدمها، ومنها تربية النشء على الايجابية والنظر إلى الغابة لا إلى الشجرة فقط! والأمر المدهش هنا أننا نتعامل مع المنكرات على أنها لا تخصنا ولن تلحق بنا ضررًا طالما لم نقم نحن بها مع أنها فتنة حذرنا الله منها ومع أنها وباء يمتد أثره شئت أم أبيت عبر السمع والبصر والفؤاد وكل أولئك الذين نحن عنهم مسؤولون .

ينظر كل منا إلى المنكر ولا يغيره لأنه ينظر تحت قدميه فقط، لا يرى إلا حذاءيه اللامعين العابرين على أنقاض من مضوا قبله.. لا يرى إلا شجرة من ألف شجرة تمتلئ بهم الغابة.. نظرته بهذا الضيق الذي يستحيل معه أن يرى أن الآفة عند غيره سرعان ما تنتقل إليه وإلى أهله وأن سلبيته وسطًا مناسبًا جدًا لنمو هذه الآفات المدمرة.

ومع ذلك فالتغيير لا يكون إلا بحكمة وموعظة حسنة ومستندًا إلى ما سيؤول إليه من ردود فعل تتصل بالواقع، لا متأثرًا بالماضي فقط ولنا في رسول الله أسوة حسنة أستاذ البشرية في تغيير المنكر بحسن المعاملة.. الذي لم يغضب لنفسه قط إلا لحد من حدود الله.. الذي لان قلبه لمن جذبه من ثيابه، وأمر أن يزاد له في عطيته جزاء ما روعه صاحبه الفاروق عمر.. الذي أرشد الصحابة إلى صب الماء على أذى أعرابي في مسجد ثم علمه برفق أن المساجد لا يصلح فيها ما فعل وإنما هي للصلاة وقراءة القران وذكر الله.

إن «الوعي الاسلامي»، وهي تفتح ملف تغيير المنكر، تضع نصب عينيها جناحي التغيير وهما الإيجابية والرفق معًا.. مناشدة الجميع التحليق بهما من أجل مستقبل أفضل لعالمنا الإسلامي.

علاء الدين عبدالفتاح





تغيير المنكر.. أي تغيير؟ وأي منكر؟

السنوسي محمد السنوسي - باحث إسلامي

لطالما أثار موضوع «تغيير المنكر» إشكاليات متعددة، ونقاشًا متجددًا في الفكر الإسلامي، وشغل مساحات واسعة منه، قديمًا وحديثًا، ومثّل إحدى المسائل المهمة التي دار عليها وارتبط بها ظهورُ انقساماتٍ فكرية وحركية على السواء.

ذلك أن موضوع «تغيير المنكر» ليس موضوعًا فكريًا منبت الصلة بالواقع، بل هو وثيق الصلة به، ويصب في القلب منه. ولمَ لا؟! وهو يهدف إلى تغيير هذا الواقع وتبديله؛ أيًا كانت الصورة التي يطمح إليها، والوسيلة التي يسلكها.

ودائمًا تكون الأفكارُ التي لها صلة بالواقع، وليست مجرد تمارين عقلية وتوهمات منظّرين، ذاتَ طابع خاص؛ إذ يتعدى أثرها «عالمَ الأفكار» إلى «عالم الأشياء»، وربما يقلبه رأسًا على عقب!

ولا شك أن موضوع «تغيير المنكر»، موضوع متشعب الجوانب، وله مداخل متعددة يمكن أن نعالجه من خلالها؛ كما أنه يتماسّ مع أبعاد عدة: فقهية ومعرفية واجتماعية ونفسية وتاريخية، تفرض على الباحث أن يتطرق إليها، أو يضعها في اعتباره على الأقل، لاسيما إذا كنا بصدد الحديث عن تغيير إيجابي فعّال، ولسنا بصدد الحديث عن «مجرد تغيير» قد تكون نتائجه وعواقبه أسوأ بكثير مما كنا نظنه خطأً وخطرًا!

لكنني أحب أن أتناول هذا الموضع المتشعب والممتد من خلال التطرق- بإيجاز- إلى أربع نقاط، أحسب أنها تعطي ولو مجرد إشارات مضيئة إلى هذا الموضوع متعدد الأبعاد.

• التغيير.. حاجة مستمرة

لقد اختص الله سبحانه ذاتَه العليةَ بالكمال المطلق، والتنَزُّه عن أية نقيصة، فهو سبحانه لا يحتاج إلى شيء لأنه خالق كل شيء، واختص سبحانه أنبياءه ورسله بالعصمة؛ لأنهم يبلغون الوحي عنه إلى خلقه؛ أما من عداهم من سائر البشر، فيجوز في حقهم الخطأ والصواب، والخير والشر.

والإنسان لا يخلو حاله من أحد أمرين، إما من خير يعان عليه من الله ويوفقه إلى أسبابه، وإما من شر تحرضه عليه نفسه الأمارة بالسوء أو الشيطان الوسواس الخناس. فهو- أي الإنسان- متأرجح بين هذين الحالين؛ لذلك كانت حاجته إلى التوبة والاستغفار ومراجعة النفس والاستدراك على ما يفوته من خير أو ما يقع فيه من إثم، حاجة ضرورية لا يستغني عنها مادام فيه عرق ينبض.

وإذا كان هذا حال الإنسان الفرد، فإن المجتمع لا يشذ عن هذه القاعدة؛ فحال الأمم والشعوب لا يخلو من نهضة فتحتاج إلى المحافظة عليها وتأكيدها ودفعها إلى الأمام، أو من تخلف وانحطاط فتحتاج معهما إلى منبّهات وشواحذ وإلى من يفجر فيها الطاقات المعطلة والإمكانات المهدرة للتغلب عليهما.. ومن هنا كانت حاجة الفرد والمجتمع إلى «التغيير».

وإذا وضعنا نصب أعيننا المغريات والجواذب الكثيرة التي باتت تتنازع عقل المسلم وقلبه ونفسه- على مستوى الفرد والمجتمع- وأن تلك الشواغل تلح بإصرار واستماتة كل لحظة على صرفه عن المهمة التي خلقه الله سبحانه من أجلها، حتى أصبحت تقتحم عليه أشد الأمكنة والأزمنة خصوصية به- لأدركنا مدى حاجة الإنسان الشديدة إلى «التغيير» الذي يمنحه أسباب التحصين والمواجهة، ويمده بحبل النجاة وسط هذه الموجات المتتابعة المظلمة من عوامل الهدم والهدر.

فلا يتصور إنسان أنه استغنى عن تجديد نفسه ومراجعة موقفه، ولا تحسب أمة أنها لا تفتقر إلى محاسبة الذات وإعادة النظر في الخطوات والإمكانات والطموحات.. وهذا هو المعنى الأوسع والأشمل للتغيير المطلوب الذي هو حاجة مستمرة.

• تغيير المنكر أم ترسيخ المعروف؟

قد ينطلق الإنسان في سعيه لتغيير الواقع المحيط به من موقع الساخط والمتمرد والقاسي والقاضي، وليس من موقع الناصح والشفيق والرؤوف والداعية! ولا شك أن اختلاف هذين الموقعين ليس اختلافًا نفسيًّا وعاطفيًّا فقط، بل هو يستتبع بالضرورة اختلافًا فكريًّا في ترتيب الأولويات وطريقة النظر إلى حجم الأخطاء الحاصلة وأهميتها، واختلافًا سلوكيًّا في الوسائل التي يتخذها لتغيير هذا الواقع.

ومن العجيب أن بعض الدعاة يتخذون من الموقع الأول منهجًا وطريقة، على العكس تمامًا مما تدلنا عليه سيرة النبي ﷺ في دعوته قومه، وهم الذين كانون مخالفين بالكلية للمنهج الذي يدعو إليه.

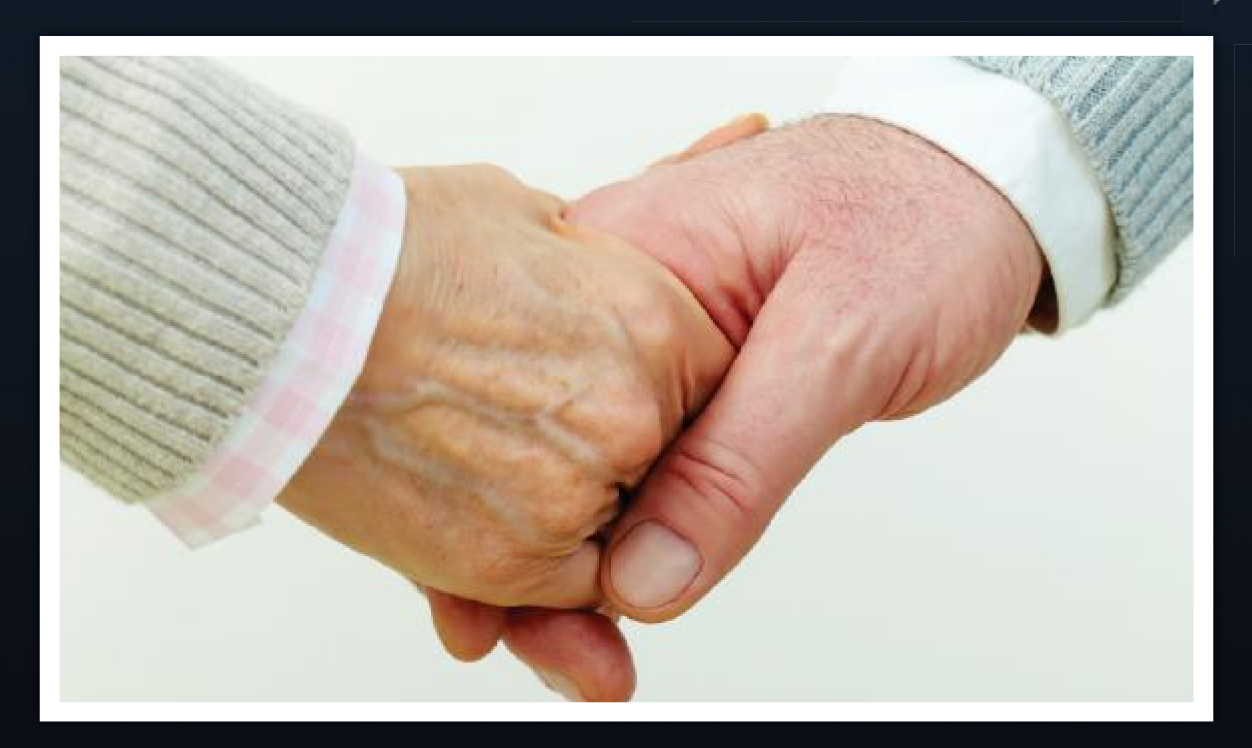
ولنتأمل معي تلك الكلمات الأولى- الرقيقة والواضحة في الوقت ذاته- التي خاطب بها النبي ﷺ قومه بني هاشم حين دعاهم بعد أن أمر بدعوة عشيرته الأقربين، فقال لهم: «إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ؛ وَاللَّه لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا، مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ، مَا غَرَرْتُكُمْ؛ وَالله الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، إِنِّي لَرَسُولُ الله إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللَّه لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا، أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا»(١).

ولذلك لم يكن عجبًا أن امتن الله سبحانه علينا بأن بعث إلينا رسولًا رؤوفًا رحيمًا، في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) فدلَّ ذلك أن هاتين الصفتين في مقدمة ما يجب أن يتحلى به الداعية.

فهذا السؤال: بأيهما نبدأ؛ تغيير المنكر أم ترسيخ المعروف؟ يلفت النظر إلى أن البعض- للأسف- قد لا يرى فيما حوله إلا المنكر، وما هو خطأ ومرفوض، ولا تقع عينه إلا على الأسوأ في حياة الناس؛ وهذا يورثه- بلا شك- سخطًا على واقعه، وربما يأسًا منه، ويؤثر على الوسائل التي يسلكها والأحكام التي يصدرها.

إن مجتمعاتنا بخير، والحمد لله، لكنّ ما تراكم عليها من عوامل الهدم والهدر حجب فيها صفات طيبة، وأطلق العنان للشهوات والمنكرات؛ ونحن نحتاج في المقام الأول إلى أن نحسن الظن بأنفسنا وبمجتمعاتنا، وإلى أن نتحلى بالصبر والرؤية المتفائلة والنفَس الطويل، إضافة إلى بذل الوسع في الدلالة على الخير وإرشاد الناس إليه أولًا، بدلًا من الإلحاح على فكرة التنفير من الخطأ والتحذير منه.

فكثيرٌ مما نراه خطأ، سينمحي تلقائيًّا بمجرد أن نعمل على ترسيخ المعروف، ونرشد برفق إليه، ونفسح المجال أمامه.. فمثلًا قد تعلم عن إنسان أنه سيئ الخلق، وعاقٌّ لوالديه، ويؤذي جيرانه، ويأتي المنكرات.. فإذا أنت شغلت نفسك بتحذيره من كل صفة ذميمة من هذه الصفات، فستحتاج وقتًا طويلًا، وربما ينفر منك ولا تنفع معه النصيحة! أما إذا أحسنت له القول، وأقمت معه جسرًا من المودة والتآلف، ودللته برفق على سبل الخير من قراءة القرآن ومجالسة الصالحين ولزوم دروس العلم؛ فإن درجة تأثره تكون أكبر، والوقت اللازم ليتخلص من الصفات الذميمة سيكون أقل.. وهكذا بدلًا من أن تلعن الظلام، أوقدْ شمعة.



• **ما التغيير المنشود؟**

إن التغيير الذي أعنيه في هذا المقام لا يقف عند تصور ساذج بسيط أو صورة وحيدة للمراد منه وهو التبديل(٢)، بل يشمل تصورًا مركّبًا لأن الحياة نفسها مركّبة، وصورًا متعددة للتغيير، تشمل تقديم النصح والإرشاد والتوجيه، والاستفادة القصوى مما هو ممكن ومتاح، وصولاً إلى ما هو مأمول ومطلوب، مع تنوع في الوسائل والأدوات حسب ما يقتضيه الحال والمقام.

فالتغيير المنشود ليس شكليًا وإن كان الشكل جزءًا منه، وليس فرديًا وإن كان الفرد أساسَه ومنطلقَه، وليس سياسيًّا وإن كانت إقامة الدولة سياجَه وإطارَه. هو في الحقيقة تغيير يستهدف الجوهر قبل المظهر، والمضمون قبل العنوان، والنفس قبل الجوارح، والأخلاق قبل القانون، والمجتمع قبل الدولة، وكم كان القرآن الكريم دقيقًا غاية الدقة وهو يرسي تلك المعادلة التي تمثل «قانونًا حضاريًا ثابتًا» فيما يتصل بالتغيير الفعّال، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

فما بالنفس- من معتقدات وقيم وتصوُّرات- هو المستهدَف الأول من التغيير المنشود، وهو الأساس الذي تنبني عليه كل أوجه التغيير الأخرى، وصولاً إلى إقامة الدولة التي تحافظ على مكتسبات التغيير على مستوى الفرد والمجتمع، وترد عنها محاولات الكيد والاختراق، وتسعى أيضًا في الوقت ذاته إلى إشاعة هذا الهدي الرباني بين الإنسانية المتخبطة في الظلمات. ولذلك قلت: إن التغيير المنشود هو «عملية مركبة»، سواء على مستوى المراحل (الفرد، الأسرة، المجتمع، الدولة)، أو الأدوات (التربوية، الإعلامية، الاقتصادية، القانونية، السياسية).

أما الذين يتصورون وجود مرحلة واحدة للتغيير- بعضهم يركز على الفرد والأخلاق، وبعضهم يركز على الدولة والسياسة- أو يتصورون وسيلة واحدة له- مثل الوعظ والإرشاد أو العمل السياسي، وبعضهم يجنح إلى العنف والانقلابات- فلا يأخذون في اعتبارهم مفهوم التغيير بوصفه مفهومًا مركبًا يتطلب السير بخطوات متوازية في المراحل المتعددة والأدوات المتنوعة، بشرط أن يكون بعيدًا عن العنف والتطرف.

وللشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- كلمات هادية في هذا الباب، حيث يقول: «إقامة دين شيء، واستيلاء جماعة من الناس على الحكم شيء آخر؛ فإن إقامة دين تتطلب مقادير كبيرة من اليقين والإخلاص ونقاوة الصلة بالله، كما تتطلب خبرة رحبة بالحياة والناس والأصدقاء والخصوم، ثم حكمة تؤيدها العناية العليا في الفعل والترك والسلم والحرب» (٣).

وهنا تبرز أيضًا الجهود المميزة للمفكر الجزائري مالك بن نبي، الذي صاغ مفهوم الحضارة- باعتبارها ثمرة التغيير المنشود- في معادلة شهيرة، حيث خلص إلى أن الحضارة ناتج: الإنسان + التراب + الوقت؛ وأن تلك المعادلة تحتاج لمَزْج عناصرها وإحداث التفاعل بينها إلى ما يسميه «مركّب الحضارة»، وهو يتمثل في

«الدين»؛ فالدين يصنع من أطراف هذه المعادلة المفردة كيانًا واحدًا ذا فاعلية وحيوية، كما يجتمع الهيدروجين والأكسجين في معادلة، فيتكون منهما «الماء» بفعل القانوني الكيميائي «المركّب الحضاري»(٤).

وأحب أن أضيف أن «الوقت» هنا يشمل معنيين: المعنى الأول (وهو الشائع) إدراك أهمية الوقت في حياة الأفراد والمجتمعات، فلا يُصرف في اللهو واللعب وتوافه الأمور؛ أما المعنى الثاني فهو إدراك أن إنجاز معادلة التغيير يحتاج لوقت وصبر وتؤدة؛ لأن العجلة في إنجاز المراحل تؤدي إلى إفقادها الفاعلية المطلوبة، بل قد تؤدي إلى عكس المراد!

• ما المنكر المرفوض؟

هذه نقطة مهمة وأساسية ينبغي أن تكون واضحة ضمن التصور الشامل والمفهوم المركب لعملية التغيير المنشود؛ وقد أدى إغفالها إلى ظهور جماعات العنف المسلح التي كان من الواضح أنها تحلّت بقدر كبير من الإخلاص والحماسة، لكن غاب عنها -للأسف- عمق التجربة وحسن الفقه(٥).

فلاشك أن طريق الإصلاح أمامه في مختلف مجالات الحياة عقبات كثيرة، تراكمت عبر أزمنة مختلفة، وتحت وطأة خطط لم تكل عن إضعاف المسلمين ومحاصرتهم في دائرة التراجع والانحطاط.

وأمام هذه التحديات الكثيرة والمتغلغلة في المجتمع، إنْ لم ندرك الأولويات المطلوب إنجازها، والخطوات العاجلة التي لا تحتمل تأخيرًا، والوسائل الفاعلة التي تحدث تراكمًا إيجابيًّا دون آثار جانبية، والمنكر الأشد ضررًا ولا يمكن السكوت عنه.. فإننا قد نصنع بأيدينا -ومن حيث لا ندري- عقبات جديدة تضاف إلى ما هو حاصل على أرض الواقع!!

ومن هنا، يمكن أن ألخص أهم الشروط والقواعد والضوابط التي وضعها العلماء عند التصدي لتغيير المنكر، فيما يلي(٦):

- ليس كل ما قد يتصوره البعض منكرًا لأول وهلة هو منكر في الحقيقة، ولابد من مراعاة مساحات الاجتهاد والتنوع في الفقه الإسلامي، وأن يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

- وليس مطلوبًا أن نجمع الناس على كل أمر راجح، سواء تعلق الرجحان بالفعل أو بالترك، ولهذا رفض الإمام مالك دعوة الرشيد أن يحمل الناس على كتابه «الموطأ»، وأرسى الفقهاء قاعدة أصيلة في هذا الباب وهي «لا إنكار في المختلف فيه» ضمن «فقه الخلاف».

- وليس كل منكر غير مختلف فيه، يمكن تغييره في التوّ واللحظة؛ فهناك اعتبارات أخرى مثل القدرة على تغييره، وتحديد المخاطَب بهذا التغيير، وهل يتعارض تغييره مع ما هو أكثر ضررًا منه، وهنا تَرِد قاعدة «ارتكاب أخف الضررين» ضمن «فقه المآلات» و«فقه التدرج».

- وليس كل مسلم مخاطَبًا بوسائل التغيير الثلاثة المعروفة الواردة في الحديث النبوي: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانُ» (رواه مسلم)؛ فهناك من يخاطَب بوسيلة التغيير باليد، مثل الحاكم أو الدولة تجاه المواطنين، والأب تجاه أبنائه، ومن يخاطب بوسيلة الإنكار باللسان وهم العلماء الذين يجمعون بين «فقه النص وإدراك الواقع»، وكذلك يخاطب بها كل مسلم يحسن معرفة مسألة جزئية فيتصدى لها؛ لحديث النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (رواه البخاري). أما وسيلة الإنكار بالقلب فتبقى متاحة لكل مسلم يرى منكرًا لا يملك تغييره بغير القلب لأي سبب كان، وذلك كله ضمن «فقه المتاح».

ثم من قبل هذا ومن بعد، ينبغي -كما أشرنا- أن نقدم الدعوة والتربية والتوجيه أولًا، وأن نسلك من الطرق والوسائل أيسرها وأكثرها حكمة ومناسبة، وأن ندرك أننا مطالبون ببذل الجهد واستفراغ الطاقة، ولسنا مكلفين بتحقيق النتائج والغايات.

وأن نفهم جيدًا أننا أمام واقع معقّد ومركّب ومتشابك، لا تكفي لتغييره كلمة مخلصة، ولا ضربة حازمة؛ وإنما يتطلب سعيًا حثيثًا يواصل الجهد بالليل والنهار على هدى وبصيرة؛ وبالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

الهوامش

(١) جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، ١/ ٥١، ط١، ١٩٢٣. مكتبة الحلبي، القاهرة.

(٢) التغيير: عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى، مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض. والتغيير إما في ذات الشيء أو جزئه أو الخارج عنه. انظر: معجم «الكليات» لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د.عدنان درويش، ومحمد المصري. ص: ٢٩٤، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م،. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١١٢، كتاب الأمة رقم ١، ط٣، ١٤٠٢هـ، قطر.

(٤) راجع كتابه «شروط النهضة»، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، ص: ٤٥/ ٤٦، طبعة ١٩٨٦م، دار الفكر، دمشق.

(٥) يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه الرائع «مشكلات في طريق الحياة الإسلامية»: إن المدافعين ﷺ عن الإسلام رضي الله عنه لا ينقصهم غالبًا الحماس والإخلاص، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه. إنهم يحسبون أن حال المسلمين اليوم وليد عِلل عارضة، ومن السهل إزالتها في أيام معدودات.. وما على الشباب إلا أن يتقدم ويقاتل ويحطم ما أمامه من عوائق، وسوف يبتسم له النصر بعد مرحلة أو مرحلتين!! وهذا الاستعجال كان وراء متاعب كثيرة، وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية، بل ربما زاد خصومها تمكينًا وضراوة! ص: ١٧، المصدر السابق.

(٦) يمكن مراجعة المزيد عن هذه الشروط والقواعد والضوابط وغيرها في: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ابن تيمية، «دعاة لا قضاة» حسن الهضيبي، «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» د.يوسف القرضاوي، «الحاكمية في الفكر الإسلامي» د.حسن لحساسنة، «القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي» د. محمد أبوالفتح البيانوني.





الإعلام وتغيير المنكر..

بين الضرورة المجتمعية والحرية الشخصية

د.عبدالله بدران
صحافي في وكالة كونا الكويتية

لاشك في أن الناظر في أوضاع المسلمين حاليًا، وما يعتريهم من نقص وعجز وتخلّف في مجالات عديدة، وابتعاد عن تعاليم دينهم، وانجرار وراء التقليد الأعمى للغرب، وانحراف عن الرؤية السديدة والمسار الواضح، وأخذهم إنجازات الغرب العلمية دون محاولة تقليده واللحاق به، واستشراء لأمراض نفسية وسلوكية فيهم، قد يصاب بالإحباط واليأس، وتتمكن منه فكرة أن الخلاص من هذا الواقع أمر شبه مستحيل.

لكن المسلم الحق، الذي آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا ومنهجًا وشريعة، وبالنبي محمد عليه السلام هاديًا وداعيًا وقدوة وإمامًا، لا بد من أن يدرك أن هذا الأمر سيزول بزوال أسبابه، وسيتغير بتغير الأمور التي أدت إلى وجوده.

ولقد عبّر البيان الإلهي عن ذلك بالقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(الرعد:11)

والمسلمون مدعوّون اليوم إلى السير في الدرب الذي سلكه السلف الصالح في التمسك بدينهم وعقيدتهم، والتشبث بكتاب خالقهم عز وجل وسنة نبيهم ﷺ، والسير بدينهم وفق المنهج الرباني الذي اختطه الله لعباده، وعدم مخالفة ذلك الصراط مهما كانت الأحوال، حتى يستطيعوا تحقيق التغيير الذي يجب أن يحدثوه في الأرض، ويحققوا مبدأ

أمة الشهود على الخلق، وينطلقوا نحو العمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الميادين المتاحة لهم، مستخدمين كل السبل والأدوات المتاحة، ومستعينين بشتى الوسائل والأساليب التي تعينهم على ذلك وتساهم في تحقيق ما ينشدونه.

والملاحظ حاليًا أن أصحاب المنكرات صاروا أكثر جرأة على إظهار ما يفعلونه، وأشد حرصًا على فشوز ذلك بين الخلائق، وأصبح لهم منظمات تساعدهم، وهيئات تتكفل بهم، وجهات تحتضنهم، وتقدم لهم الدعم والمساندة والمؤازرة.

إن الإعلام الإسلامي يجب أن يكون له دور فاعل ومؤثر يتواكب مع واجب الدعاة ويسانده، وتكون له إسهاماته الواضحة في ذلك الأمر.

ومن هنا فإن الإعلام الإسلامي مطالب بتفعيل وظائفه الأساسية، ووضعها موضع التنفيذ المناسب، لتحقيق مضمونها وإنقاذ محتواها.

ومن المعروف أن من أهم الوظائف التي يضطلع بها الإعلام الإسلامي هي:

1 – بيان الحق ودفع الباطل والفساد.

2 – دفع الناس إلى المثل الأعلى وإقناعهم بالعودة إلى الدين القويم.

3 – تنظيم حياة البشر على أسس سليمة مستمدة من الإسلام.

4 – تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5 – تحقيق التعارف والتعاون والتآلف بين المسلمين.

6 – الترويح والترفيه ضمن ما هو مشروع.

فعلى سبيل المثال يلجأ الإعلام الإسلامي إلى الإفادة من تغيير المنكر عن طريق العظة والاعتبار، وذلك حين يلجأ إلى التذكير بقصص القرآن الكريم والأحاديث النبوية عن الأقوام السابقة التي تضمنت عبرًا وعظات جلّية، كان هدفها الأساسي تقديم صورة للمسلمين عما جرى للأقوام السابقة الذين أضاءت نفوسهم بأنوار الحق والهداية بعد أن شاع لديهم الأمر بالمعروف وارتدعوا عن المنكرات، وتبيان الخاتمة السيئة لمن أعرضوا عن درب الهدى، وتنكبوا طريق الغواية والضلال، ونبذوا تعاليم رسلهم وراء ظهورهم، واستمروا في سلوك المنكرات.

ولقد أوضح البيان الإلهي ذلك بالقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111)

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: 9)

ويلتزم الإعلام الإسلامي بنشر الأخبار التي تحمي المجتمع من أعدائه الداخليين والخارجيين، وكشف مؤامراتهم، وفضح أعمالهم، ووقفهم عن التمادي في بث الفتن ونشر الاضطرابات.

كما أخذ الإعلام الإسلامي منحى خاص أي في تعامله مع المتسببين في انهيار النسيج الداخلي للمجتمع الإسلامي، أو الباثين أفكارًا تدعو إلى إباحة المحرمات وتحليل المنكرات.

ويمكن إدراك ذلك من الحالات الاستثنائية التي يسمح فيها الإسلام بالغيبة والتشهير، ومن تلك الحالات حالة المطالبة بالحقوق والاستعانة على تغيير المنكر، وبذل النصح لطالب المشورة، وكون المخالف للقانون إنسانًا مجاهرًا بمخالفته ولا سيما إذا كان يقوم بوظيفة عامة.

بين الحرية والضرورة

إن ثنائية الحرية والسلطة أو الحرية والاستبداد وما ترتب عليها من صراع سياسي واجتماعي أسهمت في تحويل مفهوم الحرية من مجرد فكرة تجريدية إلى حق من حقوق الإنسان تكفله المواثيق الدولية والدساتير وترعاه التنظيمات السياسية والشعبية المعنية بالحريات وحقوق الإنسان.

ومن الضرورة بمكان إحداث توازن بين الحريات والمقومات الأساسية للمجتمع فلا يجور المجتمع على الحرية باسم المصلحة العامة أو الحريات الشخصية ولا تجوز الحرية على القيم الدينية والأخلاقية وتتحول إلى أداة إفساد وتدمير وانحلال.

والحرية في الشريعة الإسلامية أصل عام يمتد إلى كل مجالات الحياة فليس هناك حرية من الحريات لم يتم تعريفها، فالحرية قيمة إسلامية ملزمة وفطرة مما فطر الله الناس عليها تؤكدها سيرة رسل الله وتثبتها نصوص القرآن والسنة.

يقول الله تعالى في سورة التوبة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: 71).

ويقول عليه الصلاة والسلام «إن الناس إذ رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

والشريعة الإسلامية إذ تقرر الحرية لا تعني إطلاق هذه الحرية بغير قيود أو حدود، فالحرية تعني أن تجد حدًا لها فيما يكفل لكل فرد أن يتمتع بحريته إزاء أخيه، وتجد حدًا لهما فيما يكفل لمصالح المجتمع ألا تتعرض للخطر، ومن هنا فإنه يمكن العمل على تغيير المنكر بطريقة منهجية سليمة دون المساس بالحريات الشخصية التي كفلها الإسلام للفرد، ومن دون أن يتعارض ذلك مع الفطرة السليمة ومع حاجات المجتمع الضرورية، ولا تعارض بين ذلك كله إلا في أذهان من يرون أن الإسلام عدو الحرية ومناقض لها.

وبقدر ما التزمت الدولة الإسلامية بالحرية والاجتهاد والتسامح، وعملت على بناء مجتمعاتها وفق قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقدر ما تقدمت وصارت عواصمها منارة للفكر والعلم، وبقدر ما انتهكت هذه المبادئ بقدر ما تراجعت وتفككت وانهارت ولا ينبغي أن تغيب عن أذهان دعاة الحرية الفكرية والسياسية التي تستند إلى الإسلام حقيقة يشهد عليها تاريخ البشرية في مختلف أديانها وهي أن أسوأ صور الظلم وأفدحها ما كان مستنداً إلى نظرة دينية يساء فيها استخدام نصوص الدين بتأويلها وفق أهواء الظالمين أو يدس على الدين ما ليس منه.

وإن كان تأويل النصوص الدينية والانحراف في تطبيقها قد أصاب العديد من المجتمعات بالركود والتخلف فإن التمرد عليها وإنكارها قد أصاب حرية الرأي بالترهل والشذوذ فأصبحت سلاحًا ضد الفضائل والعادات والتقاليد والأعراف والبناء العائلي والاجتماعي، وإذا انهدم البناء الأسري والاجتماعي انهدم كل شيء.



تغيير المنكر بين مسؤولية الفرد وسلطة الدولة

هاجر حسونة - محمد سعد - القاهرة : دار الإعلام العربية

من البديهي أنّ تغيير المنكر من الأصول الإسلامية التي جاءت لدرء المفاسد، لكن إذا تيقن المسلم أو غلب على ظنه الراشد أن تغييره للمنكر سوف يترتب عليه وقوع منكر أعمّ، فإن جمهور أهل العلم يذهبون إلى ترك تغييره إلى الأدنى دفعًا لوقوع ما هو فوقه.. المنكر هو كل ما يأتي به الإنسان من قول أو فعل مخالف للشرع.. فهل أصبح تغيير المنكر فريضة غائبة حاليًا، وما درجات تغييره في هذا العصر؟ وما ضوابطه في الأسرة والمجتمع؟ وهل التغيير بالقوة من صلاحيات الفرد أم سلطة الدولة؟ وماذا إذا تخلت الدولة عن دورها في تغيير المنكر؟

علماء الدين: التغيير يبدأ من الإنسان نفسه وينتهي بولي الأمر

د. محمد المنسي: التغيير للعامة بالقلب.. وللعلماء باللسان.. ولولاة الأمر باليد

د. محمد كامل: لا يغير المنكر إن جر ضررا أكبر

في البداية أوضح د.محمد المنسي –أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة– أن المعروف كل ما أمر به الشرع، والمنكر هو كل ما نهى عنه الشرع، وقد ذكره الرسول ﷺ في حديثه: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وهناك بعض العلماء فسروا هذا الحديث على أن الأفراد العاديين هم من يغيروا بقلبهم، أما العلماء والمفكرون والفقهاء والإعلاميون وأئمة المساجد فيغيروا بلسانهم، أما التغيير باليد فهو سلطة ولي الأمر والدولة، والذين لهم حق الطاعة، وإلا اختل نظام الأمن في المجتمع وانتشرت البلطجة والخروج على القانون تحت شماعة تغيير المنكر، فالأولى أن يقوم بهذا التغيير ولي الأمر، هناك قوانين تم تشريعها وفقًا لكتاب الله وسنة رسوله؛ لذا على الإنسان أن يغير المنكر في نفسه أولاً وفي دائرته المحيطة به وبين أصدقائه ومن يستمعون إليه، بحيث لا يترتب على كلامه فتنة أو ضرر، وأن يترك أمر التغيير الفعلي إلى الحاكم أو من يمثله.

بين الفرد والسلطة

أما د.محمد كامل –أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعه الإسكندرية– فأكد أن الأصل في الإنكار لابد أن يكون متفق عليه، فهناك قاعدة شرعية تقول: «لا إنكار في المسائل الاجتهادية» فصلاة الوتر مثلًا قد أصليها ركعة واحدة، وغيري يصليها ثلاث أو خمس، فلا نستطيع أن نقول إن هذا منكر، فهو مختلف فيه، بينما المنكر معناه كل محظور حدده الشرع، وله شروط عديدة أهمها: أن يكون المنكر حاليًّا أي وقع في هذه اللحظة وليس ماضيًا ولا متنبئًا بالمستقبل، وألا يكون مختلفًا فيه، وأن يرجى من وراء تغييره نفع، فإذا جلب ضررًا وفتنة وجب تركه طالما ضرره أقل بكثير من الضرر الناتج عن تغييره، ففي بداية عهد الإسلام كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، وعندما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، لكن منعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه.

وحول دور الفرد في تغيير المنكر أكد «كامل» أنه لا يجوز للفرد العادي أن ينهى عن المنكر إلا بلسانه أو قلبه، فلو استخدم يده قد يترتب على ذلك ضرر أكبر، حيث إن التغيير يتم وفقًا لضوابط وحسابات حتى لا تشيع الفوضى وتنتشر الجريمة في المجتمع؛ لذا فقد اختص القرآن الكريم وأحاديث نبينا ﷺ ولي الأمر بهذا التغيير وتوقيع العقاب المناسب وفقًا لما يراه، فقد يستمع الإنسان في الطريق أناسًا يتلفظون بكلمات بذيئة فلا يمكنه أن يحملهم بالقوة على التخلي عن هذه البذاءات، وأقصى ما يمكنه هو النصح باللسان أو الإنكار بالقلب، وفي عصر الدولة الإسلامية كانت ولاية الحسبة وظيفة الدولة لرفع الضرر وتغيير المنكر، وتقوم الأجهزة المختلفة للدولة وولي الأمر بهذا الدور في عصرنا الحديث.

أما عن دور الأسرة وآلية تغيير المنكر، فأكد أن رب الأسرة يجب في حقه تغيير المنكر في بيئته الصغيرة، مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وهذا واجب أساسي على الأب داخل الأسرة أن ينهى أولاده عن المنكر ويعلمهم تعاليم الإسلام والتربية السليمة، والمدرسة أيضًا تقوم بهذا الدور.

ولفت في هذا الصدد إلى ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين من أن التغيير باليد لا يمكن إلا من ذي السلطان؛ يعني الأمير أو نوابه الذين جعلهم قائمين مقامه، لا من أفراد الناس، خصوصًا في عصرنا هذا؛ لأنه قد يظن الفرد منا أن هذا منكر وليس بمنكر، فيغيره بيده ويحصل في هذا مفاسد عظيمة.

درجات التغيير

بدوره، أكد د.صبري عبدالرءوف أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، أن النصيحة في تغيير المنكر يجب أن تكون بأسلوب فيه رفق مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فلا نمنع الناس التوجيه ولكن لابد أن يكون التوجيه بأسلوب جميل ومحفز ومشجع ولا ينتج عنه ضرر، فالمنكرات التي تتم في وسائل الإعلام ثقافة دخلت في مجتمعنا والدولة لم تقم بدورها في منعها، وهذه المشكلة لابد من توجيه الضوء عليها لصالح الوطن وثقافته، فلابد من تنقيح كل ما ينتج عبر الوسائل المختلفة من الكتب والتلفزيون والسينما والإعلام، فالدولة بأي حال من الأحوال لا تستطيع أن تتخلى عن دورها في تغيير المنكر في المجتمع، ولا يجوز شرعًا أن ينصب الإنسان نفسه مكان الدولة أو ولي الأمر فقد يترتب عليه ضرر، وليس من المستحسن أن يتقبل الإنسان أن يحاسبه إنسان ليس له سلطة! فهي سلطة لم يعطها الإسلام لأحد من الناس ولكن أعطاها للدولة وولاة الأمور.

وتابع د.عبدالرءوف: معروف أن درجات تغيير المنكر ثلاث: اليد، فاللسان،





د. صبري عبدالرؤوف: النصيحة يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة

د. الجندي: لا يجوز فضح من أتى المنكر مستترا

فالقلب، مصداقًا لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».. فإذا نظرنا إلى المرتبة الأولى وهي تغيير المنكر باليد؛ نجد أن التغيير هنا يكون بمنع المنكر ومعاقبة مرتكبيه، ولا يقوم به إلا من تتوفر لديه القدرة والاستطاعة كالأمة مع السلطة الحاكمة، والحاكم والقاضي مع الرعية، والرئيس مع مرؤوسيه، والوالد في بيته.. وعند عدم القدرة على ذلك يكون التغيير باللسان، بإخبار مرتكب المنكر بالحكم الشرعي لفعله، ونصحه وإرشاده وتخويفه بالله، وإذا فقد الأمل في تغييره باللطف يلجأ إلى القول الغليظ الخشن، وأخيرًا التهديد بإنزال العقوبة.. لتأتي المرحلة الثالثة وهي التغيير بالقلب ولا تكون إلا إذا غلب الظن بأن تغيير المنكر باليد أو باللسان سيؤدي إلى منكر أشد، ومعنى التغيير بالقلب هو البراءة من المنكر وأهله والامتناع عن القيام بأي شيء من شأنه تأييد الباطل وأهله ومساعدتهم عليه.

أما د.محمد الشحات الجندي أستاذ الشريعة وعضو مجمع البحوث الإسلامية، فيؤكد أن الأصل في تغيير المنكر أنه ولاية شرعية منوطة بالحاكم أو الإمام، فلا يجوز للفرد أو المواطن العادي أن يغير المنكر بيده منفردًا؛ لأن بعض الأفراد قد يقومون بتغيير المنكر طبقًا لفهم خاطئ، لذا على كل من يسعى إلى تغيير المنكر أن يتفقه أولاً في الدين، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ليتفقهوا في الدين وينذروا قومهم﴾؛ لذلك لا يجوز للأفراد تغيير المنكر دون تفقه في تعاليم الدين الإسلامي؛ لذلك يجب على المؤسسات الدينية أن تغرس الوعي في نفوس المسلمين؛ لكي يعلموا أن تغيير المنكر واجب ولا يجوز الإخلال بالواجبات الدينية والدعوية.

وتحدث أيضًا عن الضوابط التي يتم على أساسها تغيير المنكر، موضحًا أن من أهم هذه الضوابط ألا يحل بسبب تغيير المنكر باليد منكرًا أعظم وأكبر منه، أو تفويت معروف أعظم منه، وفقًا للقاعدة الشرعية التي تقول: «إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».. أيضًا أن يكون إنكار المنكر باليد سرًا إذا كان صاحب المنكر متسترًا ليس معلنًا له، أما إذا أظهر المنكر فيجب الإنكار عليه علانية. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من فعل شيئًا من المنكرات كالفواحش والخمر والعدوان وغير ذلك، فإنه يجب الإنكار عليه بحسب القدرة، فإن كان الرجل متسترًا بذلك وليس معلنًا له أنكر عليه سرًا وستر عليه، كما قال النبي ﷺ: «من ستر عبدًا ستره الله في الدنيا والآخرة»، أما إذا أظهر المنكر وجب الإنكار عليه علانية.. ومن الضوابط المهمة أيضًا ألا يتجاوز الحد المشروع إن كان المنكر من المنكرات التي يمكن إتلاف بعضها وترك البعض الآخر.. وأخيرًا فإن المنكر الذي يجب إنكاره هو المنكر المجمع عليه، أما المختلف فيه فيترك أمره للعلماء.. وأخيرًا ينبغي على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يتسم بالرفق عند إنكار المنكر وأن يكون عالمًا بما ينهى عنه.

وحول الاحتساب وأثره في التغيير أكد «الشحات» أن الحسبة منصب رفيع كان يقوم به المحتسب في العصر الإسلامي الأول ومهمته تتلخص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان المحتسب يساهم في الرقابة على الأسواق ومراقبة الطرقات لعدم ارتكاب جريمة أو سرقة وهي سلطة من سلطات الدولة تسندها لمن ترَ فيهم القدرة على ذلك.

التغيير بالقلب..

السيد شعيب - باحث مصري

وضعت الشريعة الإسلامية الغراء ثلاث وسائل لمقاومة الشر والمنكر في المجتمع الإسلامي، وهي على الترتيب في الوجوب: التغيير باليد أو باللسان أو بالقلب، كما جاء في الحديث الشريف: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه).

والمنكر هو كل ما قبحه الشرع وكرهه وحرمه، وتغييره بالقلب بمعنى كراهته واستقباحه والنفور منه ومن أهله، والاستطاعة هي التمكن من التغيير دون ضر أو فتنة تلحق بالإنسان.

والتغيير بالقلب يجب عند العجز عن التغيير بالوسائل الإيجابية باليد أو اللسان؛ إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال النبي ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان»، وفي رواية أخرى: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

ولقد توهم كثير من الناس أن التغيير بالقلب هو مجرد تمني التغيير، أو مجرد كره الشر فيما بيننا وبين أنفسنا، وعدم الرضا عنه بقلوبنا، دون أن يبدو علينا أدنى أثر لهذه الكراهة وعدم الرضا.

وقد يدفعنا ذلك الشعور السلبي إلى مخالطة أصحاب المنكر وأهل الفساد ومعايشتهم والتغاضي عن مناكيرهم وشرورهم.

والواقع أن هذا الفهم يعد تحريفًا لمقاصد الشريعة الإسلامية؛ لأن الاكتفاء بكراهية المنكر مع بقاء المعاملة لصاحبه على بشاشة أو المجاملة والمحافظة على تحيته وتكريمه كما يُكرم المحسنون؛ يعد من وجوه النفاق.

ولقد اعتاد أناس على معاشرة أهل السوء وأصحاب المنكر دون الشعور بالحرج أو إبداء الامتعاض أو مقاطعة هؤلاء؛ ظنًا منهم أن المراد بالتغيير القلبي هو الاكتفاء بالكراهة القلبية والوجدانية للإثم أو المنكر وليس بعد ذلك من سبيل!

وفي هذه الأيام تأول كثير من الناس قوله ﷺ: «فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» خطأً، فاستحلوا لأنفسهم مخالطة أصحاب المنكرات دون الإسهام الإيجابي في تغيير ذلك المنكر حتى ولو بالقلب.

يقول د.محمد عبدالله دراز في كتابه «دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية»: «إن التغيير بالقلب يسهم - أحيانًا كثيرةً - في تصحيح الأوضاع الخاطئة وإزالة المنكر، وذلك إذا اتخذ الإنسان موقفًا متحفظًا من المسيء والمجرم وأشعره بأنه كمية مهملة وأنه محروم من التكريم والتعظيم الذي كان قد تعوده؛ يشعر باستياء الآخرين من سلوكه، ويشعر أخيرًا بأنه في وحشة وعزلة بسبب هجران الآخرين له ومقاطعتهم إياه، ثم هو موقف نشعر فيه نحن بأننا بدّلنا موقفنا المائع الفاتر المتراخي، موقف المجاملة الكاذبة لكل أحد ولو على حساب الحق والفضيلة، واتخذنا موقفًا آخر من الجد والغيرة والشعور بمسؤوليتنا ومسؤولية كل منا عن الحقوق والآداب العامة».

ولقد صرّح القرآن الكريم بأن كراهية المنكر بالقلب دون أقل مظهر إيجابي أو سلبي ليس مقبولًا عند الله، بل يعد مشاركة في المنكر والإثم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

ولنا من السيرة النبوية العطرة القدوة الحسنة؛ حيث قاطع النبي ﷺ الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دونما عذر، ونهى الصحابة رضي الله عنهم عن كلامهم والتواصل معهم حتى تاب الله عليهم.. يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، فاجتنبَنا الناسُ وتغيروا لنا حتى تنكّرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله: هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم... إلى آخر الحديث (رواه مسلم في صحيحه باب حديث توبة كعب بن مالك).

كما بينت السنة النبوية أن بني إسرائيل حين فقدوا الغيرة على حرمات الله وجالسوا أصحاب المنكر وآكلوهم وشاربوهم، استحقت عليهم اللعنة، قال ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم.. ثم جلس - وكان متكئًا - فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرًا» (رواه أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه).



مراحل تنفيذ القرار في المجلس البلدي حتى الخمسينات بالكويت

مختارات لبعض أعمال المجلس البلدي في مدينة الكويت

الحسبة في الكويت

التحرير

تعاملت الكويت مع الحسبة منذ نشأتها وعرفتها في صور متعددة بحسب الظروف التي مرت بها، وكان ولاة الأمر يمارسون الحسبة بأنفسهم ويباشرونها يوما بيوم عن طريق اتصالهم المباشر بالناس والمجتمع والأسواق والحوادث.

وظهرت الحسبة بوضوح أكثر عندما ظهر المجلس البلدي الذي تولى عملية الحسبة على الأسواق والطرق والسلوك العام، على الأخص ما تعلق بالمعاملات والتصرفات.

كان ظهور المجلس البلدي في عهد الشيخ أحمد بن جابر آل صباح الحاكم العاشر الذي استمر حكمه من ١٩٢١ إلى ١٩٥٠م، حيث وافق على إنشاء هذا المجلس بالتوافق مع جهود المتحمسين لذلك من الوجهاء والأهالي ولحاجة المدينة إلى تنظيم وترتيب بعد زيادة عدد سكانها واتساع رقعتها الحضرية.

صباح السوق

ارتبطت الحسبة بشخص المحتسب الذي عرف عنه التجول في الأسواق ومتابعة الحرف يراقب أعمالهم ويحذر من الغش والتلاعب، وقد عرفت بهذا شخصية مهمة في عهد الشيخ أحمد الجابر هي شخصية الشيخ صباح الدعيج الصباح الذي عرف باسم «صباح السوق».

والسؤال هنا هل وجد في الكويت «محتسب» بهذا المسمى، أو من كان يقوم بمهمته، حتى لو لم يكن يسمى بمسماه؟ الجواب نعم، كان هناك من يقوم بذلك وقد تمثل ذلك في ثلاث شخصيات من أفراد الأسرة الحاكمة.. الأول هو الشيخ صباح بن دعيج أو «صباح السوق»، وهو ما اشتهر به لقيامه بالحسبة على الأسواق خاصة في جانبها الأمني وما تعلق بمشاكل البيع والشراء والنزاعات التي لا ترقى إلى الحاكم أو القاضي.

والشخصية الثانية «الشيخ عبدالله الأحمد» الذي تولى مهمة عامة هي مهمة الأمن العام في البلاد أو الاحتساب العام فيما يتعلق بالمنازعات والخصومات والسرقات وعموم المشكلات الاجتماعية والمالية سواء بين الأفراد أو الأسر أو الجماعات أحيانًا فيما لا يرقى إلى القضاء أو الحاكم، والشخصية الثالثة «الشيخ عبدالله المبارك» في الخمسينيات والستينيات.

● مختارات لـ: «إعلانات البلدية بشأن نظافة البيوت والطرقات» فيما يتصل بالحسبة:

أولًا: جاء إعلان البلدية الصادر في ١٧ ذو القعدة ١٣٤٨هـ وفيه: «الزبل والقمام وكناسة البيوت لا تُرمى في الشوارع

ولا على السمائد بل ترمى في الأبيات التي للبلدية أو ترمى في البحر أو خارج البلد».

وجاء أيضًا: «لا يجوز لأحد دفق مياه أوساخ البيوت في الطرق ولا أن يتغوط فيها– أي في الطريق».

ويتشابه هذا مع نصوص الحسبة، قال السنامي في «نصاب الاحتساب» في: سكة نافذة في وسطها مزبلة فأراد واحد منهم أن يفرغ مزبلة بيته ويحوله إلى هذه المزبلة فتأذى به الجيران، كان لهم منعه عن ذلك ولكل واحد من عرض الناس ذلك، لأن من أحدث تصرفًا في السكة النافذة ويتضرر به العامة كان لكل واحد حق المنع، وإنما يختص أهل السكة بسكة غير نافذة».

والسكة النافذة: أي الطريق السالكة، ومعنى سكة هي الطريق المستوي، وبه سميت سكك البريد، وتطلق على الزقاق، وقيل إنما سميت الأزقة سككًا لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل، ومنه «فأهرقها فجرت في سكك المدينة»، في صحيح البخاري.

أما عن المياه الآسنة من البيوت كما في (رابعًا) من إعلان البلدية أعلاه، فيشبه ما جاء في «نهاية الرتبة» للشيزري في قوله:

وكذلك كل ما فيه أذى وإضرار على السالكين، كالميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء ومجاري الأوساخ الخارجة من الدور في زمن الصيف إلى وسط الطريق، بل يأمر المحتسب أصحاب الميازيب أن يجعلوا عوضها ميسلًا محفورًا في الحائط مكلسًا يجري فيه ماء السطح، وكل من كان في داره مخرج للوسخ إلى الطريق فإنه يكلفه سده في الصيف ويحفر له في الدار حفرة يجتمع إليها».

● الرفق بالدواب في نقلها لمواد البناء وغيرها من المواد الأخرى:

كما أصدرت البلدية إعلانًا في الرفق بحيوانات النقل مما يدل على تأصل البعد الشرعي والإنساني في قراراتها ونصه: «نعلن إلى جميع أهل النقل من عربات ودواب فيجب عليكم من تاريخه أن يكون حمل العربة اثني عشر هندرًا والحصان والحمار الكبير أربعة هنادر فقط وكل من يخالف ذلك يوضع عليه غرامة عن كل هندر روبيتان حتى لا يخفى». وفي إعلان آخر «على أهل الحمير الذين يبيعون الماء.. أن ينزلوا القرب عن ظهور الحمير مدة وقوفهم إلى أن يباع الماء فيرجعوها إلى ظهور الحمير.. ومن يخالف ذلك يعاقب ويؤخذ حماره».

وفي الوقت نفسه لم ينس المجلس الرفق بدواب النقل خاصة منقولات الأسواق، كما جاء في إعلان البلدية الآخر ونصه «تعلن لعموم الحمّارة أن يراعوا حملات الدواب ولا يحملوها فوق الطاقة فالدابة القوية لا يجوز تحميلها أكثر من كيسي سكر أو ثلاث كواني عيش أو ثلاثة أمنان تمر أو ما يقارب ذلك من الحمولات الأخرى والدابة الضعيفة لا يجوز تحميلها أكثر مما تطيق ومن يخالف يعرض نفسه للمسؤولية والجزاء» (١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ).

وهذا يشبه ما قاله الشيزري في «نهاية الرتبة»: أن يضعوا الأحمال عن ظهور الدواب، لأنها إذا وقفت والأحمال عليها أضرتها وكان في ذلك تعذيب لها وقد «نهى رسول الله ﷺ عن تعذيب الحيوان لغير مأكله»، وفي فصل المنكرات المعتادة في الشوارع والمحلات، قال ابن المناصف «ومن ذلك ما يستخفه الناس من أذى البهائم والعنف على الدواب، كإثقالها بالأحمال التي لا يستقل بها، وإرهاقها في سرعة المشي بالضرب والزجر الشديد، حتى يستخرج منها فوق وسعها مثلما اعتيد فعله الآن في حمالي الزرع ونقّالي الحجارة والجص».

في منع التبرج والتجول في الأسواق بغير حاجة جاء في إعلان البلدية في رمضان سنة ١٣٥٧هـ نصه: «نعلن للعموم أنه ممنوع دخول النساء المتبرجات بزينة خاصة في الأسواق طول أيام العيد كما أنه ممنوع بتاتًا على عموم النساء حضورهن العرضات أو التجول حواليها، فيجب على عموم الأهالي منع نسائهم عن ذلك ومن يخالف يعرض نفسه لإيذائهن في العقوبة، ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٧هـ»، (والعرضات رقصات شعبية بالسيوف والطبول وتقام في المناسبات كالأعياد ونحوها).

وفي منع الجلوس في الطرقات لغير حاجة، جاء إعلان آخر في البلدية ونصه: «نعلن للعموم أنه لا يجوز لشخص أن يجلس في دكاكين الطرق بدون حاجة ومن يخالف يعرض نفسه للمسؤولية والجزاء، ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ».

وفي إعلان آخر «ليكن معلومًا لدى الجميع بأنه ممنوع على النساء تجولهن من في الأسواق ما عدا اللواتي يأتين لقضاء الحوائج البيتية ومن يخالف ذلك يعاقب، ٨ ذو الحجة»، مما يؤكد وجود نظام الحسبة في البلدية بصورة لا تدع مجالًا للشك، وتثبت ما بنيناه من فرضيات في أول البحث.

قال ابن المناصف في «تنبيه الحاكم»، في المنكرات المعتادة في الشوارع والمحلات، ما نصه: «ومن ذلك تبرج النساء المتصرفات بأنواع الزينة البادية وأسباب التجمل الظاهرة على حال اختيال المشي واستعمال منتشر الطيب واستظهار ما يستدعي الفتنة فمثل هؤلاء ينبغي منعهن من التصرف على هذه الحالة».

وقال الشيزري: «ولا أن يجلس الرجال في طرقات النساء من غير حاجة، وكذلك النساء لا يجلسن على أبواب بيوتهن في طرقات الرجال». وهذا مصداق لقول النبي ﷺ الذي حدد ضوابط الجلوس في الطرقات عندما قال: «إياكم والجلوس في الطرقات»، وحدد ضوابط الجلوس في قوله: «فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حقها: قال كف الأذى، وغض البصر، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

١– انظر: بحث بعنوان «أوجه التشابه بين قرارات البلدية ونصوص الحسبة وآثارها في الضبط الحضري لمدينة الكويت حتى بداية الخمسينيات»– المجلة العربية للعلوم الإنسانية– جامعة الكويت– د.وليد المنيس– السنة: ﻏ.م.

رحلة الحِسْبة في حضارة الإسلام

محمد شعبان أيوب
باحث مصري في الدراسات التاريخية

إن الحسبة نظام إسلامي فريد لم تأت به حضارة من الحضارات قبل الإسلام، وتعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة تعطى لشخص أو هيئة لتقويم الاعوجاج، وتغيير المنكر، والسعي في إصلاح المجتمع وفق ضوابط الشرع الحكيم.

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم، فهو شامل للتصورات والمبادئ التي تقوم على أساسها العقيدة الإسلامية، وشامل للموازين والقيم الإسلامية التي تحكم العلاقات الإنسانية، وشامل للشرائع والقوانين، وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة أخرى هو دعوة إلى الإسلام عقيدة ومنهجًا وسلوكًا؛ بتحويل الشعور الباطني بالعقيدة إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والنواهي الإسلامية.

وأول من احتسب في تاريخ الحضارة الإسلامية، هو رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على صُبْرة (كومة) طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟». قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقوم بوظيفة المحتسب بنفسه، فكان يتولى



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُوَجّه الناس إلى الحقّ والصراط السوي، ويمنَع الغشّ، ويحذر منه، وكان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يمرُّ في السوق ومعه الدِّرّة (العصا)، فيزجر بها غلاة الأسعار والغشاشين(٢).

وظل نظام المراقبة والحسبة موجودًا طوال العهد الراشدي والأموي، وإن لم يحمل صاحبه لقب المحتسب؛ إذ عُرف هذا المسمّى في العصر العباسي، وقد عين زياد بن أبيه عاملاً على سوق البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان(٣).

ومنذ العصر العباسي بدأت وظيفة المحتسب تأخذ شكلاً مغايرًا، فأصبحت معروفة بين الناس منذ الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور؛ وتيسيرًا على المحتسبين، وتنظيمًا للمجتمع؛ نقل المنصور أسواق بغداد والمدينة الشرقية إلى مناطق أخرى متخصصة، وبعيدة عن مركز المَدينة ودواوينها، فنقل الأسواق إلى باب الكَرْخ وباب الشعير، وعَيّن لها محتسبين؛ يُراقبون شؤونها، ويضبطون مخالفاتها(٤).

وقد تطورت وظيفة المحتسب في ظلّ الخلافة العباسية من مراقبة المكاييل والموازين، ومنع الاحتكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الإشراف على نظافة الأسواق والمساجد، ومراقبة الموظفين للتقيد بالأعمال، حتى مراقبة المؤذِّن للتّقيّد بأوقات الصلاة.

ومن ثمّ بحثَ ولاة الأمور عن المحتسبين أصحاب المهارة والعلم والحزم، فقد حُكي أن «أتابك طغتكين سلطان دمشق زمن السلاجقة طلب له محتسبًا، فذُكِرَ له رجلٌ من أهل العلم، فأمر بإحضاره، فلمّا بصُر به قال: «إنّي ولّيتك أمر الحسبة على النّاس؛ بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر. قال: إن كان الأمر كذلك، فقُم عن هذه الطّرّاحة، وارفع هذا المسند؛ فإنّهما حريرٌ، واخلع هذا الخاتم، فإنّه ذهبٌ، فقد قال النبي ﷺ في الذهب، والحرير: «إنّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمّتي، حِلٌّ لإنَاثِهَا»(٥)، قال: فنهض السّلطان عن طَرّاحته، وأمر برفع مسنده، وخلع الخاتم من أصبعه، وقال: قد ضممتُ إليك النظر في أمور الشُّرطة، فما رأى النّاس محتسبًا أهيب منه»(٦).

واهتم المحتسبون في الحضارة الإسلامية بكل ما ينفع المسلمين، وألّفت المصنفات العديدة في ذلك، ولكن ما يلفت النظر، وما يُدلل على رُقي وظيفة المحتسب في حضارتنا، اهتمامها ببعض التفاصيل التي قد لا يتنبه إليها أحدٌ، فهذا ضياء الدين بن الإخوة(ت ٧٢٩هـ) يذكر مجموعة من الإرشادات العامة التي يجب للمحتسب أن يُطَبّقها، ولا نجد أحدًا قد سبقه إلى هذا المعنى، ففي حديثه في الحسبة على الفرّانين والخبازين يقول: «ينبغي أن يأمرهم المحتسب برفع سقائف أفرانهم، ويجعل في سقوفها منافس واسعةً للدُّخان، ويأمرهم بكنس بيت النّار في كلّ تعميرة... وغسل المعاجن، وتنظيفها، وَيتّخذ لَها أبراشًا (حصير)، كلٌّ يرش عليه عودان مصلّبان لكلّ معجنة، وَلا يعجن العجّان بقدميه، ولاَ بركبتيه، ولا بمرفقيه؛ لأنّ في ذلك مهانةً للطّعام، وربّما قطّر في العجين شيءٌ من عرق إبطيه، أَو بدنه، ولا يعجن إلاّ وعليه ملعَبَةٌ (ثوب) ضيّقة الكمّين، ويكون مُلثّمًا أيضًا؛ لأنّه ربّما عطس، أو تكلّم فقطر شيءٌ من بصاقه، أو مخاطه في العجين، ويشدُّ على جبينه عصابةً بيضاء لئلاّ يعرق فيقطر منه شيءٌ، ويحلق شعر ذراعيه لئلاّ يسقط منه شيءٌ في العجين، وإذا عجن في النّهار فليكن عنده إنسانٌ على يده مذبّةٌ يطرد عنه الذّباب»(٧).

وعرفت بلاد المغرب والأندلس وظيفة المحتسب منذ فترة مبكرة، ومن العجيب أن المحتسب كان يستعين بالصبيان والفتيات، ليُعينوه على معرفة التاجر الغشّاش، فكان «المحتسبُ يدسُّ عليه (أي على التاجر) صبيًّا أو جارية يبتاع أحدُهما منه، ثم يختبرُ الوزنَ المحتسبُ، فإن وجد نقصًا، قاسَ على ذلك حاله مع الناس -فلا تسأل عمّا يلقى- وإن كثر ذلك منه ولم يَتُبْ بعد الضرب والتجريس في الأسواق، نُفي من البلد، ولهم (المحتسبون) في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه؛ لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات، وتتفرع إلى ما يطول ذكره»(٨).

وقد كانت وظيفة المحتسب في العصر المملوكي على جانب كبير من الأهمية، خاصة في أوقات البلاء والمرض والأوبئة، فقد ذكر المقريزي أن القاهرة والأرياف قد تَعَرّضت لوباء قاتل في عام ٨٢٢هـ، فنُودِيَ في الناس من قِبَل المحتسب: أن يصوموا ثلاثة أيام آخرها يوم الخميس... ليَخْرجوا مع السلطان، فيدعوا الله بالصحراء في رفع الوباء، ثم أُعيد النداء... أن يصوموا من الغد، فتناقص عدد الأموات فيه...» (٩).

بل من مهام المحتسب الأخرى، أنه كان يمرُّ بالشوارع والطرقات في وقت الحرب والنفير، فينادي في الناس بالخروج مع السلطان أو الأمراء لملاقاة الأعداء، فقد تحدّث المؤرخ ابن العديم في «بُغية الطلب» عن كيفية النفير في مدينة طَرَسُوس شمال الشام، فمما قاله عن وظيفة المحتسب في هذه الأوقات: «يطوف المحتسب ورجالته الشوارع كلها، فإن كان ذلك نهارًا انضاف إلى رجالته عدد كثير من الصبيان، وساعدوهم على النداء بالنفير، وربما احتاجوا إلى حشد الناس لشدّة الأمر وصعوبة الحال، فأمرَ أهلَ الأسواق بالنفير، وحضّهم على المسير، في أثر الأمير أين أخذ، وكيف سار..» (١٠).

الهوامش

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا (١٠٢).
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٧٨/٢.
(٣) الصلابي: الدولة الأموية ٣١٥/١.
(٤) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٨٠/٤.
(٥) مشكل الآثار للطحاوي (٤٢٠٩).
(٦) ابن الإخوة: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٧٨.
(٧) ابن الإخوة: معالم القربة في طلب الحسبة ص١٥٠.
(٨) المقري: نفح الطيب ٢١٩/١.
(٩) المقريزي: السلوك ٤٩٥/٦، ٤٩٦.
(١٠) ابن العديم: بُغية الطلب في تاريخ حلب ٨٤/١.

التجربة الديموقراطية في الإسلام

زبير سلطان - رئيس جمعية البحوث في اتحاد الكتاب العرب

أثار انحياز غالبية التوجهات الشعبية العربية في اختياراتها لأعضاء المجالس التشريعية إلى الإسلاميين، ورغبتها في بناء نظام سياسي إسلامي في العديد من دول الربيع العربي، دهشة وتعجبًا لدى العاملين من المراكز البحثية والفكرية والسياسية في العالم، حيث أظهرت هذه الرغبة نتائج الانتخابات التشريعية التي تمت في كل من مصر وتونس والمغرب، وسبب تلك الدهشة أن جماهير تلك البلدان ثارت وانتفضت ضد أنظمتها الاستبدادية من أجل الديموقراطية، ووفق تصوراتهم الخاطئة بأنهم وفق هذا الاختيار والرغبة يعودون إلى الاستبداد، وينحرفون عن الديموقراطية التي يرونها في شكلها وأسلوبها ونظامها فقط في ما يطبق في دول الغرب.

إن هذا التصور لدى هؤلاء جاء من خلفية تاريخية وفكرية خاطئة في فهمهم ومعرفتهم للإسلام وشريعته ونظامه وتاريخه السياسي، وعن عدم اطلاعهم على التجارب الشورية الديموقراطية، التي تم تطبيقها في دولة المدينة المنورة التي أسسها الرسول ﷺ، وبدأت أولى ممارساتها في وضع أول دستور في تاريخ العرب، ألا وهي «صحيفة المدينة»، وأرسى فيها مبدأ المواطنة، وحقوق المواطن في تلك الدولة، قبل أن يعرف الغرب مبدأ المواطنة بألف عام..

وفي الخلافة الراشدة أقام المسلمون أول أشكال الديموقراطية في العالم بمفهومها «الشوري»، الذي تجلى في تطبيق سيادة القانون على كل أفراد الدولة، بمساواتهم دون تمييز أمام القانون، حيث يتساوى أمامه الجميع من الخليفة إلى أقل مواطن في الدولة، دون النظر إلى انتمائه الديني أو القبلي أو العرقي، كما تكفلت الدولة بحماية حقوق المواطن، وبحريته في ممارسة شعائره الدينية، وباختياراته الشخصية سواء أكان في العمل أو السكن أو الانتقال أو النقل أو المعارضة للسلطة مادام لا يرفع السلاح في وجه الدولة.

وقدمت الخلافة الراشدة أنموذجًا فريدًا في اختيار رأس السلطة (الخليفة)، يقوم على مبدأ الديموقراطية الشورية، وباختيار وموافقة عامة أفراد الدولة، فكان هذا الأنموذج الشكل الديموقراطي الوحيد المتنور في عصر مظلم، كانت تسوده نظم الطغيان والظلم والديكتاتورية، والتي كانت قائمة في الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية وفي ممالك في الحبشة والصين، وسبب تفرد هذا الأنموذج على عصره، أنه نسف كل الأسس التي كانت تقوم عليها تلك النظم، بحيث لم يعتمد في أسلوب اختيار مؤسساته الرئاسية والتشريعية على الوراثة، كما كان قائمًا في تلك الدول، وأحدث أسلوبًا ديموقراطيًّا شوريًّا في عمليات الاختيار والانتخاب والترشيح والاستفتاء، فكانت تلك الخلافة الراشدة متقدمة على عصرها بعدة قرون.

الإسلام والديموقراطية

مصطلح الديموقراطية يعني باللغة اليونانية حكم الشعب، والنماذج الديموقراطية التي مورست في العالم، ولا تزال تمارس، لم تكن كلها ذات نمط وسلوك وشكل واحد، فكل نظام في العالم مارس الديموقراطية وفق البنية الثقافية والسياسية والاجتماعية السائدة في مجتمعه، وقد أجمع معظم المفكرين في العالم على أن النظام الديموقراطي هو الذي يعبر عن إرادة الأغلبية من الشعب.

وهذا ما تم في الخلافة الراشدة، حيث مارس المسلمون الديموقراطية وفق مصطلح الشورى الذي يقوم على المبدأ العام للنظام السياسي الشوري الديموقراطي، وانطلق من القاعدة القرآنية الكريمة: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨). والشورى حين تقرأ أسسها ومضامينها ستجدها نظامًا سياسيًّا ديموقراطيًّا، يقوم على مبدأ البيعة في الاختيار، أي على اختيارات الأغلبية من الشعب، عبر مؤسسات تشريعية إسلامية، أولها مؤسسة «أهل الحل والعقد».

وقد بدأ العمل بالنظام الشوري مع عهد





الرسول ﷺ، فكان يستشير أصحابه من رجال ونساء في كثير من القضايا السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، ولم يُستثن أحد من أفراد الدولة من الشورى، واستثنيت من الشورى فقط أحكام الدين من فرض وندب ومكروه ومباح وحرام (١).

وأول الأشكال العملية للديموقراطية الشورية، كان في وضع دستور الدولة في السنة الأولى من وصوله إلى المدينة المنورة، وبداية تأسيس دولة الإسلام فيها، ومن يقرأ بتأمل وموضوعية في تلك الصحيفة، سيجد أهم ركائز النظام الديموقراطي الذي يطبق اليوم في الغرب، قد تضمنها دستور المدينة، ونذكر منه الفقرات التالية للدلالة على ذلك:

«إنهم أمة واحدة من دون الناس»، عبرت تلك الفقرة على تشكل أمة جديدة من بين الأمم لها خصوصيتها الفكرية والعقائدية والثقافية والاجتماعية، كما أن لكل أمة على الأرض شخصيتها التي تميزها عن الأمم الأخرى، فالأمة الفرنسية لا تتطابق مع مفاهيمها وعاداتها ولغتها وثقافتها مع الأمة الألمانية أو البريطانية

على المعجبين بالديمقراطية الغربية أن يطلعوا على صحيفة المدينة التي أرست مبادئ المواطنة قبل الغرب بأكثر من ألف عام

أو الهندية أو الروسية وغيرها، وكذلك كل أمة لا تتطابق بشكل كامل مع الأمة الفرنسية.

«إن المؤمنين لا يتركون مفرحا من بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل» وهو مبدأ للتكافل الاجتماعي عام في رفع القيد المالي (الدّيْن) عن مواطن الدولة سواء في دفع الفدية أو الدّية للداخل والخارج..

«لا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا يُنصر كافر على مؤمن» إخلاص المواطن لوطنه وحماية استقلاله، وحماية القرار السياسي للدولة والمجتمع.

من نصوص مبدأ المواطنة في صحيفة المدينة:

١- من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

٢- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٤- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته (٢).

٥- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

لهذا التطبيق العملي للديموقراطية الذي يرى أهم ما في ركائزها مبدأ المواطنة، يطبق نصًا وروحًا في دستور الدولة الإسلامية الأول، وعلى جميع رعايا الدولة سواء أكانوا مسلمين أو من الديانات الأخرى.

الشورى في اختيار الحاكم

أوضح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسألة البناء الاختياري للحاكم المسلم، الذي يرتكز على مبدأ الشورى الديموقراطية، فأكد رضي الله عنه أن يتم اختيار الحاكم من خلال المؤسسات الشورية الديموقراطية المبنية على الاختيارات الحرة البعيدة عن كل أشكال القسر، وأن أي حاكم في الإسلام لا يأخذ شرعيته إلا من خلال الشورى، وإلا سيكون فاقدا للشرعية، فقال رضي الله عنه: «فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له».

واستنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما قال أعرابي عن البيعة لأبي بكر رضي الله عنه، مما دفعه لأن يلقي خطابا في المسجد النبوي قال فيه: «إنه قد بلغني أن فلانا قال: لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، فلا يغرن امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمّت، وإنها قد كانت كذلك، إلا أن الله قد وقى شرها، وليس فيكم من تتقطع الأعناق إليه مثل أبي

بكر، فمن بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له، هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا» (٣).

أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الخطاب العلني للأمة الإسلامية، أن يؤكد أن الشورى هي النظام السياسي الوحيد للمسلمين، وفي ضوء ذلك عقد اجتماع السقيفة بعد وفاة الرسول ﷺ، وتم فيه بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين وفق الشرعية الديموقراطية، ومن خلال مؤسسات تشريعية للشورى، وأن الشورى ضرورة ملزمة، كما هي شرط أساسي لازم في بيعة الحاكم المسلم.

وأكد على بطلان تنصيب الحاكم من دون المرور بقواعد بيعة الغالبية من الشعب ومن خلال المؤسسات الشورية الديموقراطية المعروفة لدى المسلمين، وأفتى أنه إذا جنح رجلان عن المؤسسة الشورية، وقاما بالمبايعة من دونها، أولا: ببطلان البيعة وعدم شرعيتها، ثانيا: في حال استبد الرجلان على رأيهما، وأصرا على تلك البيعة الانفرادية من دون الأخذ برأي الجماعة، يكونان قد ارتكبا جريمة سياسية، وشقا الطاعة، وخرجا عن الجماعة، واعتبرها مفسدة كبيرة، لأنها ستؤدي إلى إشعال الفتنة بين صفوف جماعة المسلمين، مما يؤدي إلى سفك دماء المسلمين، فعقوبتهما إن لم يتراجعا القتل درءًا للمفسدة، وحقنا لدماء المسلمين.

- التجارب الديموقراطية الأربعة في العهد الراشدي.

- التجربة الأولى البرلمان «اجتماع السقيفة».

وهو الاجتماع الذي عقد عقب وفاة الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة، حين شعرت فئة من الأنصار بضرورة الإسراع في انتخاب حاكم للدولة الإسلامية الناشئة بعد وفاة مؤسسها ونبيها، فالقوى الداخلية والخارجية المعادية للدولة الإسلامية ولرسالتها التوحيدية تتربص بها الدوائر، وتتحين الفرص للانقضاض عليها، فلابد من حاكم يجمع صفوف أمة الدولة، وينهض بها، لمواجهة الأخطار المحدقة بها من جهات متعددة، وبمتابعة نشر رسالة التوحيد في إنحاء العالم، التي هدفها إخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

كما كانت هناك لاشك دوافع ذاتية للاجتماع من قبل شريحة من الأنصار بقيادة سعد بن عبادة رضي الله عنه، التي رأت بأن يتولى أحد الأنصار السلطة، لشعورهم بأنهم يملكون الحق في هذا، كونهم سكان المدينة الأصليين، وهم الذين ناصروا الإسلام والرسول ﷺ، ومن مدينتهم انتشر نور الإسلام في الجزيرة العربية، فعقد نفر من قبيلة الخزرج والأوس وبعض أفراد من قبائل المدينة اجتماعًا، وانضم إليهم بعض المهاجرين منهم أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنهم. وعنه قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان من أخبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم» (٤).

أي إن الاجتماع ضم نخبًا من المهاجرين والأنصار، مما يعطي هذا الاجتماع الشرعية القانونية والدينية، وأن يحمل صفة أول مجلس تشريعي في الدولة الإسلامية، موضوعه ملء شاغر منصب رئاسة الدولة، الذي شغر بعد وفاة رأس الدولة ومؤسسها الرسول ﷺ.

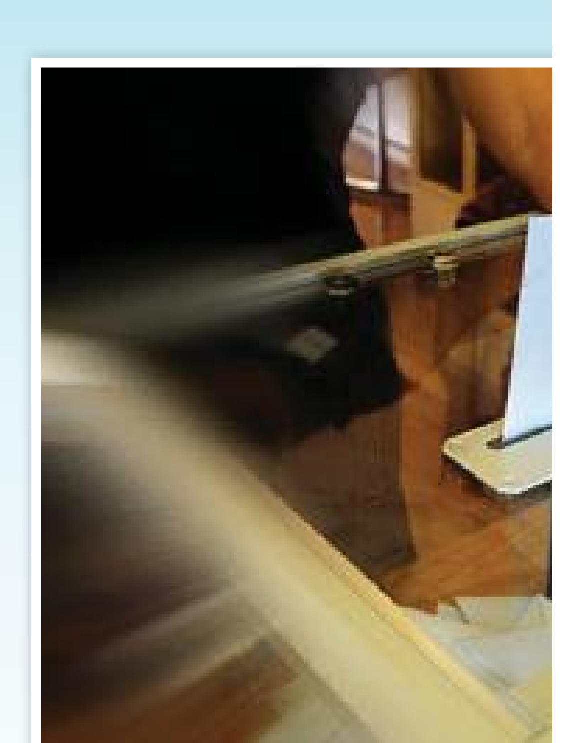
الحوار والنقاش داخل الاجتماع

من يقرأ ما ورد في كتب التاريخ والسير عما دار من مناقشات وحوارات داخل الاجتماع، ثم يقارنها اليوم مع أي حوارات ومناقشات في أي مجلس تشريعي في أوروبا وأميركا واليابان، التي تدعي بأنها تطبق الديموقراطية على أعلى أشكالها، سيجد أن ما دار في اجتماع السقيفة لا يختلف من حيث الشكل أو الموضوع عما يدور في تلك المجالس الديموقراطية.

حيث دارت المناقشات والحوارات في اجتماع السقيفة في جو ديموقراطي، كما يجري داخل المجالس التشريعية اليوم في دول العالم الديموقراطي، حيث ظهر داخل الاجتماع التباين في الآراء، والتضاد في الطروحات، والتوافق والاختلاف، والرأي والرأي الآخر، والغالبية والأقلية، كما ساد الاجتماعَ جوٌّ ديموقراطيٌّ، تقدم زمنيًّا على غيره بما يزيد على ألف عام، ونعود إلى بعض النصوص التي نقلتها كتب التاريخ، لنرى التالي:



- بداية الاجتماع يقدم سعد بن عبادة رضي الله عنه نفسه مرشحا لمنصب الرئاسة بالخطاب التالي للمجتمعين من الأنصار، قبل وصول المهاجرين، فبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه قال: «يا معشر الأنصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب، إن محمدا ﷺ، لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم فما آمن به إلا قليل، ما كانوا يقدرون على منعه ولا على إعزاز دينه ولا على دفع الضيم حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ورزقكم الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا، وأعطى البعيد



المقادة صاغرًا فدانت لرسوله بسيوفكم العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض قرير العين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دونهم».

– فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفقت، وأصبت الرأي، نحن نوليك هذا الأمر، فإنك مقنع ورضا للمؤمنين.

– فقالت طائفة منهم: وإن أبى المهاجرون من قريش، وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه؟

– فقالت طائفة أخرى: فإنا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون ذلك.

– فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: هذا أول الوهن (٥).

– وبعد أن حضر المهاجرون، قال رجل من الأنصار بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا، وقد دفت إلينا دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر.

– ورد عليه أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «إن الله قد بعث فينا رسولا شهيدًا على أمته ليعبدوه ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومه لهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشَنف الناس لهم، فهم أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصارًا لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور.

– وتحدث بعده الحباب بن المنذر بن الجموح قائلا: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدروا إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز وأولو العدد والمنعة وذوو البأس، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أبى هؤلاء ما سمعتم، فمنا أمير ومنكم أمير.

– فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «هيهات لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن تؤمكم ونبينا من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، ولنا بذلك الحجة الظاهرة، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته!».

– وقال أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير! (٦).

– فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير من الخزرج وقال: يا معشر الأنصار إنا والله وإن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين ما أردناه به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به الدنيا، ألا إن محمدًا ﷺ من قريش، وقومه أولى به، وايم والله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فاتقوا الله ولا تخالفوهم.

– رد أبوبكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه قائلا: يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلا إلا وأنتم له أهل، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، هم أوسط العرب دارًا ونسبًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، ثم أخذ بيد عمر بن الخطاب وبيد أبي عبيدة الجراح رضي الله عنهم جميعا.

– وحين اشتدت الضجة، شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن الاختلاف بين الطرفين قال لأبي بكر ابسط يدك أبايعك. فبسط يده، وكان أول المبايعين هو الصحابي الأنصاري الخزرجي بشير بن سعد فبايعه، ثم بايعه عمر بن الخطاب ثم أبوعبيدة بن الجراح.

– وعندها قال سيد الأوس أسيد بن حضير وبعض الأوس: والله لئن وليتّها الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر» فبايعوه، فبايعته الأوس ثم الغالبية من الخزرج (٧).

وانفض الاجتماع على موافقة الأكثرية على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة المسلمين، فكانت تلك البيعة المرحلة الأولى لها وسميت بالبيعة الخاصة، ثم انتقل إلى المسجد لتتم البيعة العامة الجماهيرية لعامة الناس.

ما سقناه من شواهد ووقائع تاريخية، يتبين لنا أن ما حدث كان عملية ديموقراطية برلمانية، تنفذ اليوم في شكلها وأسلوبها في العديد من الدول الديموقراطية، حيث رأينا التالي:

أولًا: أن الاجتماع كسب شرعيته السياسية والدينية والقانونية من حيث التمثيل.

ثانيًا: حدد موضوعًا واحدًا في جلسته وهو انتخاب حاكم للدولة.

ثالثًا: لم يكن في الاجتماع مرشح واحد، بل طرح فيه أسماء أربعة مرشحين للرئاسة، الأول سعد بن عبادة، ثم طرح أبوبكر عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، ثم رشح عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهم جميعا.

رابعًا: تم انتخاب الخليفة (الحاكم) على مرحلتين ديموقراطيتين:

أ– المرحلة الأولى: الانتخاب عن طريق



مؤسسة تشريعية تشكلت بسرعة لضرورة حماية أمن الدولة ووجودها، اكتملت فيها الشروط القانونية والشرعية.

ب- المرحلة الثانية: جرى بعد موافقة البرلمان الاستفتاءُ الشعبي العام على انتخاب الحاكم بطريقة «البيعة»، ليأخذ الشرعية القانونية عن طريق البيعة من قبل عامة الناس، ولم تشر أية وثيقة تاريخية عن إكراه تم لأحد ليبايع رغمًا عنه، بل أشارت إلى حرية البيعة، والدليل امتناع البعض عن البيعة، وتأخر البعض عن البيعة لعدة أشهر حتى بايع.

التجربة الثانية: الاختيار بعد الاستشارة وهذا ما حدث في انتخاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قام الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حين شعر بدنو أجله باستشارة أهل العقد والحل من «أهل الشورى»، في اختيار من يستخلفه بعد وفاته. وبعد أن أجرى استشارات موسعة تبين له أن رأي الأكثرية مع ترشيح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمنصب الخلافة.

كما وجد أن هناك أقلية تعارض ترشيح عمر رضي الله عنه، وكان سبب المعارضة ما يتسم به من الشدة والحزم.. وخضوعا لرأي الأكثرية، كتب أبوبكر الصديق رضي الله عنه كتابا لأهل الشورى ولجميع أفراد الأمة، اقترح فيه ترشيح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمنصب الخلافة تضمن اقتراحًا دون إلزام، وترك فيه الرأي للأغلبية بالقبول أو الرفض، قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرًا» (٨).

وبناءً على اقتراح الخليفة لاختيار خليفة لهم من بعده، اجتمع الناس حول بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي كان مريضًا جدًا، وحين اجتمعوا أطل عليهم، وقال لهم: وإني استخلف عليكم عمر، فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا (٩).

إن هذا الأسلوب الذي مارسه الخليفة، وهو على فراش الموت بالاختيار بعد استشارة ديموقراطية لأهل الشورى، اتخذ لظروف الدولة الصعبة التي تمر بها، حيث لم يمض إلا أشهر قليلة من حرب دامية داخلية، والتي أطلق عليها المؤرخون- حرب الردة- كما كان جيشها الذي يضم خيرة أبنائها، يشن في تلك اللحظات حربا كبرى على أعظم دولتين في العالم آنذاك الروم والفرس، موزعًا على جبهتين الأولى في العراق ضد الفرس، والثانية في الشام ضد الروم.

وأمام هذا الحالة السياسية والعسكرية للدولة، وما يتطلبه الظرف الداخلي والخارجي، تم استخدام هذا الأسلوب الاختياري من قبل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، ومن خلال قراءة سير عملية الاختيار يتبين للباحث أن ما جرى كان ضمن النظام الديموقراطي وفق أسلوب الشورى، أعقبها مبايعة جماعية من قبل أفراد الدولة من دون إكراه أو قسر سلطوي.

التجربة الثالثة للديموقراطية: لجنة مصغرة لاختيار الخليفة

قدم الإسلام أنموذجًا ثالثًا ديموقراطيًا للشورى، قدمه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين شعر بدنو أجله، بعد تعرضه لمحاولة اغتيال من قبل قوى حاقدة ذات جذور خارجية.. هذا الأنموذج يقوم على اختيار مجموعة من أبرز المؤهلين لقيادة البلاد، يعطون مدة زمنية لا تتجاوز ثلاثة أيام لاختيار خليفة من بينهم وعرض هذا الاختيار على أهل الشورى، ثم عرض الاختيار على عامة الناس لإقرار هذا الاختيار أو رفضه عن طريق البيعة.

وطالب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتلوا إن لم يتوصلوا إلى حل في اختيار أحدهم، والسبب خشيته رضي الله عنه من الفتنة وانقسام الأمة الإسلامية إلى مجموعات متناحرة، في وقت كانت الدولة بأمس الحاجة إلى الوحدة والتماسك، وهي تخوض معارك عنيفة مع أعظم دولتين في العالم آنذاك الروم والفرس.

فاختار ستة من صفوة أهل الشورى «أهل العقد والحل»، ومن لهم الأسبقية في الإسلام، ومن تبقى من العشرة المبشرين بالجنة، وممن يجمع عليهم المسلمون في اختيار خليفة عليهم، وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن

عبدالله رضي الله عنهم.

واجتمع الستة، ووافقوا على اقتراح عبدالرحمن بن عوف ﵁ بألا يكون من ضمن المختارين للخلافة، وتترك له رئاسة الشورى، ليقوم بالاستشارات مع أهل الشورى ووجهاء القوم، ليصل إلى الشخص الذي تجمع عليه الأمة من بين الخمسة المرشحين.

وتوصل بعد ثلاثة أيام من الاستشارات بأن يكون الخليفة إما علي بن أبي طالب أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فوضع شروطًا على من يقبل تولي الخلافة منهما، ووفق ما جاء في تاريخ الطبري: أن عبدالرحمن بن عوف ﵁ بعد الانتهاء من الاستشارات، جمع الناس في المسجد النبوي في المدينة المنورة، وقال بأحد هذين الرجلين، إما علي وإما عثمان، ثم أخذ بيد علي وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي.

ثم أخذ بيد عثمان وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، ثم بايعه وبايعه المهاجرون والأنصار (١٠).

وبذلك تم اختيار عثمان بن عفان ﵁، ولا نريد أن نخوض في عملية الاختيار، وأيهما هو الأحق أو الأجدر، ولكننا هنا لنبين أشكالًا من تجارب الديموقراطية التي استخدمت في العصر الراشدي، الذي يعتبر الأنموذج الأمثل لرسالة الإسلام، وقد وجدنا من خلال حديث رئيس الشورى عبدالرحمن بن عوف من خلال حديثه للناس، الذي اجتمعوا في المسجد النبوي، إنه أشار إلى توسع حالة الشورى لتشمل العامة من رعايا الدولة إضافة إلى رجال الشورى من أهل العقد والحل.

الأنموذج الرابع للديموقراطية: «الاستفتاء العام للأمة»

قدم الإسلام أنموذجًا ديموقراطيًا للعالم بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁، وفراغ السلطة ولحاجة الأمة لقائد عظيم ينقذها من الفتنة ومن خوف الأمة وخشيتها على الدولة من التفتت والانقسام والتشرذم، حيث تذكر المصادر التاريخية أن جموع الناس من المهاجرين والأنصار بعد مقتل عثمان ﵁ توجهوا إلى الإمام علي بن أبي طالب ﵁ لمبايعته، فقال لهم: «لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به»، فقالوا: «ما نختار غيرك»، ورفض ترشيحهم، إلا أنهم أصروا على مبايعته، وترددوا إليه مرارًا، وقالوا له في آخر لقاء لهم به: «إنا لا نعلم أحدًا أحق به منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ».. فقال: «لا تفعلوا فإني أكون وزيرًا خيرًا من أن أكون أميرًا». فقالوا: «ما نحن بفاعلين حتى نبايعك»، قال: «ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد».. وكان الإمام علي ﵁ في بيته، وقيل كان في حائط لبني عمرو بن مبذول، فخرج إلى المسجد، وعليه إزار وطاق (قميص) وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئًا على قوس، فبايعه الناس، وكان أول من بايعه من الناس عبيدالله وبايعه بقيمة الناس من المهاجرين والأنصار (١١). كانت هذه البيعة العامة من كل رعايا الأمة الموجودة في المدينة (العاصمة) ومن الخاصة، وهم رجال الشورى «أهل العقد والحل» للخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﵁.

تجارب الشورى الإسلامية لم تفرض على المسلمين تشكيل نظامهم السياسي بل تركت لهم حرية اختياره على قاعدة الشورى المنبعثة من إرادة الأمة

الخاتمة

إن تجارب الشورى الإسلامية الديموقراطية في نماذجها الأربعة دلالة على حيوية الإسلام، وعدم فرض أنموذج وحيد على المسلمين في تشكيل نظامهم السياسي، بل ترك لهم حرية في اختيار الشكل السياسي، على قاعدة الشورى المنبعثة من إرادة الأمة، التي هي من إنتاج العقيدة الإسلامية القائمة على الحرية والعدل والمساواة.

إن الإسلام الذي قدم الديموقراطية في صورة الشورى تتوافق مع كل عصر وزمن، وهذا ما يرد على كثير من القوى الفكرية التي كانت تقول إن الإسلام نظام جامد، وغير متحرك ومتطور، بل اتهم بالظلامية والاستبداد، ولكن دون أن يدرسوا الإسلام ويطلعون على منهجه وعقيدته القائمة على الحرية والاختيار حتى في الدين حين قال القاعدة القرآنية ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فالإسلام لم يكن إلا مع حرية الإنسان واحترام اختياراته.

المصادر

١- القرطبي الجامع لأحكام القرآن الجزء ٦٦- ص٢٧ المكتبة الأزهرية- ١٩٦٥.
٢- ابن هشام- السيرة النبوية- القسم الثاني- الجزء الرابع- ص٦٥٧- منشورات دار الخلود- بيروت.
٣- ابن هشام- السيرة النبوية- القسم الثاني- الجزء الرابع- ص ٦٥٨.
٤- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- الجزء الثاني- ص٣٢٨- بيروت- دار صادر- ١٩٧٩.
٥- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- الجزء الثاني- ص٢٢٩.
٦- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- الجزء الثاني- ص٣٣٠/ ٣٣١.
٧- د.نبيه عاقل- تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين- ص١٩٣/ ١٩٤- دمشق المطبعة الجديدة- ١٩٨١.
٨- محمد عمارة- الاسلام وحقوق الإنسان- مصدر سابق ص١٠٨.
٩- ابن الأثير- المصدر السابق- المجلد الثاني ص٤٢٦.
١٠- المصدر السابق- ابن الأثير- المجلد الثالث- ص٧١، تاريخ الطبري- ج٣- ص٢٣٨.
١١- ابن الأثير- المجلد الثالث- ص١٩٠، ١٩١.



حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ فنِمتَ

د.إيمان عادل عزام - أكاديمية سعودية

كـآلاف غيري سمعت عن مسلسل «عمر»، لكني لم أر غير الدعاية، فرأيت عصًا.. ويدًا.. وكتفًا.

لم تكن العصا هي عصا سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه التي كان يضرب بها في الحق لا يخاف لومة لائم.

واليد التي رأيت لم تكن تلك اليد التي صافحت رسول الله ﷺ ونزل فيها قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾.

ولم يكن ذلك الجسد هو ذات الجسد الذي لم يضعه صاحبه على الأرض مستلذًا بنوم منذ عرف الله تعالى، ولم تمر في فكري غير ثوان؛ لأتيقّن أني لو رأيت وجه الذي في المسلسل، فلن أرى النور الذي أضاء وجهًا رأت عيناه رسول الله ﷺ.. ولو سمعت صوته، فلن يكون هو الصوت الذي نزل القرآن بتأييده سبع عشرة مرّة!!

إنه ليس سيدنا عمر، ولا مثاله، ولا يجسّده، ولا يصوّره.

إنه فتى يحكي معلومات جمعها عن صاحب رسول الله ﷺ لكنه لم يتقن الحكاية؛ لأنه يحكيها، فيدخل فيها صورته، ورؤية المخرج، وزوايا عدسة المصوّر، ثمّ مؤثّرات (رتوش) لتجتذب الجماهير، وتناسب مستوى الذوق الرفيع الذي وصلنا إليه!!

وهكذا.. عاهدت نفسي وأهل بيتي ألا أرى هذا المسلسل ولو صدفة.

لم يحتج الأمر مني إلى كثير من التفكير، ولم يحتج من أهلي إلى شيء من الإقناع، فصدى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يتردّد في نواحي البيت: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ...»(رواه أحمد).

إني أتذكر جيّدًا ما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه أنه قال: ما رأيت هاشميًا أفقه من علي بن الحسين، سمعت علي بن الحسين وهو يسأل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: منزلتهما منه الساعة(١).

إن رسول الله ﷺ هو أفضل خلق الله تعالى وحبيبه، ومكان سيدنا أبي بكر وسيّدنا عمر- رضي الله عنهما- مكانهما منه الآن حينما تزوره ﷺ فتجدهما ضجيعيه، لا يبعدان عنه أشبارًا.

إن أصحاب رسول الله ﷺ كافة هم صفوة البشر الذين وصلت سيرتهم





الإنسانية في قمّة كمالها، إنهم تربية رسول الله ﷺ.. أليس تقولون إن: «الصاحب ساحب»؟ كيف بنا بصاحب صاحَب رسول الله ﷺ؟! الإنسانُ الكامل، ذلك الكمال الذي تعجز اللغة عن التعبير عنه.

إن صحابة رسول الله ﷺ هم المثل العظمى.. والقيم العليا.. هم تجسيد ديننا بكل ما حوى من معان وقيم ومبادئ وأخلاق وأحكام.

إنك حين تعجز عن إدراك معنى العزيمة إلى الدرجة التي يقوم المرء فيها ليله، ويجاهد نهاره صائمًا محتسبًا، ولو كان حديث عهد بعرس أو كان طفلًا يشبّ على أطراف قدميه ليقنع رسول الله ﷺ أن يأخذه معه في الجهاد، فاذهب إلى حياة الصحابة ستجد هذه الصور عندهم كثيرة وفيرة، وستجد معها شخصًا يحدّث نفسه: كيف يلقى الله غدًا وليس معه على التقصير عذر؟!

وحيث عسر عليك أن تتصور حبًّا لرسول الله ﷺ يفوق حب النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين، فارحل سريعًا إلى ساحة أحد لترى عيناك حقيقة بشر تحوّلوا في طرفة عيّن إلى دروع تحول بين رسول الله ﷺ وبين ما يؤذيه، ولو كان شوكة، إنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقس على ذلك- يا أخي- كل ما يضيق عقلك عن تصوّره، الإيثار لحدّ الموت، الزهد الذي يحمل أمير المؤمنين صاحب الفتوح على أن يلبس ثوبًا فيه اثنتا عشرة رقعة.. الخشوع في العبادة إلى الحدّ الذي تقطع فيها قدم الصحابي فلا يشعر، الرحمة.. العدل.. العطاء.. البناء.. العزّة.. الصدق.. نقاء السريرة.. حبّ الخير للبشرية أجمع.. مراقبة النفس.. الإخلاص.. التوكّل.

لقد وسعتهم تلك المعاني العظيمة بل غلبوها، فصار كل واحد منهم معنى بنفسه، فكلٌ منهم أمة وحده.

إنهم صحابة رسول الله ﷺ الذي اهتز عرش الرحمن يوم مات واحد منهم.

إن صحابة رسول الله ﷺ ليسوا ملائكة معصومين، لكنهم بشر كاملون، وقد «كمل من الرجال كثير.. »، نعم.. كاملون؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ أو قل: لأنهم تربية رسول الله ﷺ.

إنهم أصحاب رسول الله ﷺ رأوْه بأعينهم، وصافحوه بأيمانهم، وفدوْه بأرواحهم. جالسوه في مجلسه، أحبّوه وأحبّهم، سجدوا بسجوده، وقاموا بقيامه، خاطبهم وسمع منهم، سمعوه وكلهم أذن.. حتى كأنهم صفحات نقية

حمر رسول الله ﷺ رسالته عليها، فإذا بالنبي الأميّ يكتبها بماء الذهب، فلا تصدأ ولا تمحى، وتبقى سيرتهم ترويها الأجيال جيلًا بعد جيل، ويظلّ الأمل في المسلمين- وإن بعدوا- ما بقيت سيرتهم تروى بينهم.

أخي المسلم، احك السيرة العظيمة لسيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، لكن اروها كما هي، فإنك لن تستطيع أن تضيف شيئًا على كأس ممتلئ، ولو أضفت على كأس مملوء لأنقصته، فلا تفعل.

احك سيرة أمير المؤمنين، ولا تدخل فيها رؤياك، وصورتك، وصوتك، وجسدك.. احكها كما حكاها المسلمون، وكما هي في الكتب، وكما تأثّرتَ أنت بها، فقرّرت أن تجعلها مسلسلًا.

احكها كما هي.. ولا يخدعنك بريق مال لم يكن يساوي عند سيدنا عمر رضي الله عنه سوى التراب.

كفاك دعاوى فارغة: إننا علينا أن نعلّم النشء.. ونعرّفهم برموز الإسلام ورجالاته.. ولابد من اجتذاب النشء.. ولكل عصر وسائله.. و.. و..

أفق يا مسلم.. إنها لعبة جديدة يلعبها الشيطان عليك.

أي ناشئ يرى مسلسل عمر؟!

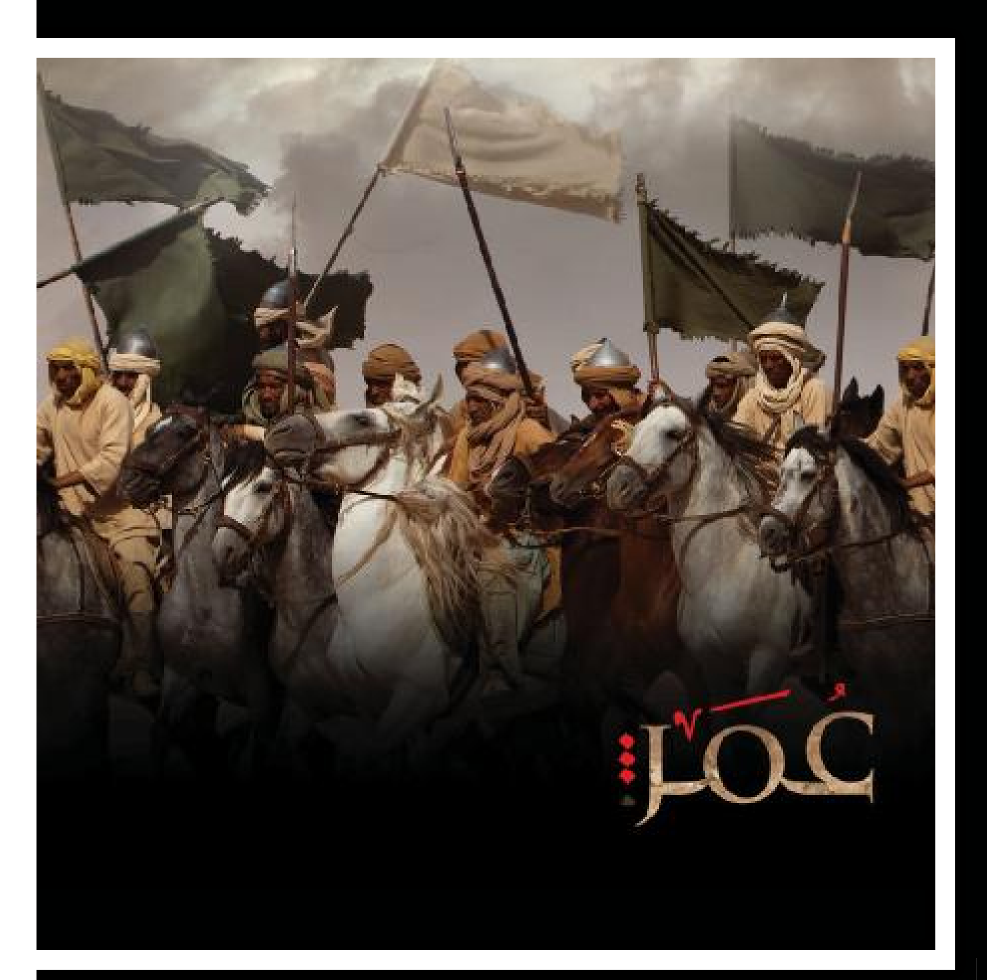
فرضنا أن الناشئة ترى المسلسل، وتستفيد منه.. ألا تستطيع الناشئة أن تعرف الصحابة أو تحبّهم إلا من خلال مسلسل تلفزيوني!!

ترى ماذا سنفعل ليعرف أبناؤنا باقي ديننا؟! وهل كلّ معنى يسهل تجسيده؟!

كيف عرف المسلمون الصحابة وأحبوهم في أعصر سابقة لم تكن المسلسلات جزءا منها؟!

لماذا نجحوا فيما فشلنا فيه؟

لقد درست في علوم التربية أن الطفل لا يفهم غير الصور المجسّدة، فإذا كبر فهم المعاني المجرّدة؟ وأنت تخبر أن تعريف النشء برموزنا يكون من خلال المسلسلات، فهل معنى هذا أن البشرية تتراجع، فلم تعد تفهم



غير الصور المجسّدة؟! أو ربما نحن فقط الذين نتراجع؟! فلست أظنّ الناشئة في الدول المتقدّمة تعتمد على المسلسلات في غرس قيمهم، وتعريفهم بتاريخهم وتراثهم.

أو.. لنقل الحقيقة ولنعترف بأنّ سيرة أصحاب رسول الله ﷺ أصبحت تجارة رابحة لمنتجين أرادوا أن يربحوا من صحوة المسلمين.. وقد لا نعرف لهم اهتمامًا بالدين قبل أو بعد هذا المسلسل!!

أو اعتراف آخر: إنّك- أيها المشاهد- تريد المعرفة مع شيء من التسلية و«الوناسة».

خبت وخسرت إن فعلت، اذهب والهُ كما شئت، بعيدًا عن منطقتنا المحرّمة.

إن صحابة رسول الله ﷺ جزء من الدين، وليس ديننا لعبًا ولهوًا.

إننا مع إحياء سير الشخصيات العظيمة في نفوس المسلمين، والتشرّف بالحديث عنهم في كل مناسبة ممكنة، بل ودون مناسبة.. وكثيرة هي الدموع التي تسكب في مجالس الأستاذ عمرو خالد، وهو لم يجسّد صورة صحابي واحد، فالتأثير وقع، والسيرة حُكيَت، وبقيت الصورة مقدّسة من كلّ تخبيط وتخليط؛ لنحتفظ بالصورة في رحابة الخيال الواسع لم تمسّها يد تسيء، ولا تحدّها عدسة تغيّر وتبدّل، إن الخيال يتسّع لأكثر ما ترينا إياه عدسة المصوّر أو فكر المخرج، فيتلوّث تاريخنا ببعض ذلك؛ لأنه كما قلت لك: الكأس مملوء





والزيادة عليه تنقصه، فكيف إن كان المزيد معيبًا؟!

إن موازنة المصالح والأولويات في نظري أن تظل قدوتنا ومثلنا ساحة مقدّسة ومنطقة محرّمة لا تستباح، ولا يوارب هذا الباب فلا توضع له القيود والشروط، بل يغلّق ويسدّ سدًا.

وإن تثقيف الجهلة من المسلمين- في نظري- ليس بأوْلى من الحفاظ على تلك القدوة.

ليظل المسلمون بعيدين عن القراءة، ليظلوا في مهاوي الجهل، وإن كانت سورة (اقرأ) أوّل سورة نزلت على نبيّهم.

ليظل الدين آخر أولويات مسلمينا، ليظلوا لا يعرفون حتى أسماء الخلفاء الراشدين.. ليظل الفتى منهم يعرف الشات والنت وكل البرامج، وكل المسلسلات والمباريات وأخبار المشاهير.. ليظلوا نائمين.. ليظلّ الظلم والذلّ والمهانة والفقر والجوع في بلاد المسلمين.. ليظل المسلمون كالقصعة تتهافت عليها الأمم تهافت الذباب.. ليهلك أفراد وجماعات، أو لا يهلكوا.. لكن.. لتظل قدسية رموزنا محفوظة لا تُمَسّ؛ حتى إذا جاء اليوم الذي يفيق فيه المسلمون من هذا السبات الذي طال ليله؛ هبّوا إلى قدوتهم، فوجدوها كما هي في كتب رواها الصالحون العلماء، فلما رووها كان لسانهم طاهرًا لا يعرف الكذب والزور والنفاق والمجاملة والغفلة واللعب، وكان قلبهم ذاكرًا، وكانت جوارحهم طائعة ممتثلة ذاقت حلاوة الطاعة فتمسكوا بها، فرووا لنا السيرة العطرة، وسرى إلينا من بين السطور حال من حالهم.

فإلى أولئك الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.. علّموا المسلمين حبّ القراءة.. وماذا ينبغي أن يقرأوا. اغرسوا في قلوبهم حبّ النبي ﷺ وآل بيته وأصحابه منذ الصغر.

أكثروا من ذكر صحابة رسول الله ﷺ وانتقوا عبارات تحكي الإجلال والتوقير والحبّ، وتمثّلوا هذه المعاني ليسري حالكم إلى أبنائكم، فيرضعوا هذا الحبّ في حليب أمهاتهم.

أقسمت عليكم يا مسلمين.. ليظل المثال محفوظًا، لا تجرحوه ولا تشوّهوه، ولا تفتحوا الباب للجرأة عليه، حافظوا عليه وصونوه، لا تعبث به الأيدي ولا يصله غبار، أو حتى احتمال غبار.

اتركوا لنا صحابة رسول الله ﷺ، فإن أبيتم أن تتركوهم لنا، فاتركوهم لرسول الله ﷺ وتذكّروا حديث البخاري يوم أتى أبوبكر النبي ﷺ فقال لرسول الله: إنـي كان بَيْني وَبَيْنَ ابنِ الْخَطّاب شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إليه، ثُمّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفرَ لي، فَأَبَى عَلَيّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ. فقالَ: يَغْفِرُ الله لك يا أَبَا بَكْر ثَلَاثًا، ثُمّ إِنّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْر، فَسَأَلَ: أَثَمّ أَبوبَكْر؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إلى النبي ﷺ فَسَلّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعّرُ حتى أَشْفَقَ أبوبَكْر، فَجَثَا على رُكْبَتَيْه، فقال: يا رَسُولَ اللّه، والله أنا كنتُ أَظْلَمَ.. مَرّتَيْنِ. فقالَ النبي ﷺ: «إِنّ اللّهَ بَعَثَني إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقَالَ أبوبَكْر: صَدَقَ، وَوَاسَاني بِنَفْسه وَمَاله، فَهَلْ أَنْتُمْ تاركو لي صَاحِبي؟ مَرّتَيْنِ، فما أُوذِيَ بَعْدَهَا»(رواه البخاري).

أقسمت عليكم.. اتركوا لرسول الله ﷺ أصحابه، ولكم عليّ عهد أن أروي لكم شيئًا من سير الصحابة، الحين بعد الحين، كلما تيسّر بإذن الله.

الهوامش

١- تاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٣٨٨.



مصطلحات علم الجرح والتعديل في العربية
مصادرها وأنماطها وقيمتها الحضارية

د. خالد فهمي
كلية الآداب- جامعة المنوفية- مصر

حرصت الفكرة الإسلامية من بدايتها على العناية بما يؤسس لها من نصوص، وأحاطت ذلك كله بعدد وافر من التدابير المانعة من تزوير هذه النصوص، وهو الأمر الذي بدا واضحًا من خلال الأمر النبوي الشريف بحفظ الوحي، وتأديته على وجهه الذي صدر عليه، يقول النبي الكريم ﷺ: «نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما هي» (سلسلة الأحاديث الصحيحة- ص٢٠٥- حديث ١١٢١)، وهناك أحاديث كثيرة تأمر بحفظ السنة المشرفة، وتنهى عن الكذب والدس عليها، عمدتها جميعا حديث المصطفى ﷺ: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (أخرجه السيوطي وصححه في الجامع الصغير ٢/١٨٦). ومن أجل ذلك وغيره تفردت الحضارة الإسلامية بعلم الجرح والتعديل؛ ذلك العلم الذي يعنى ببيان أحوال رواة حديث رسول الله ﷺ من جهة العدالة والضبط، أو من جهة عدمهما، وبهذا نستطيع أن نقرر أن علم الجرح والتعديل وجزءًا من جهازه الاصطلاحي نشأ في العصر النبوي الكريم بدافع ديني وتعبدي بامتياز.

وقد ثمن كثير من العلماء ظهور هذا العلم، وعدوه علامة على ترقي الحياة العقلية والعلمية للمسلمين، أذكر منهم فرانتز روزنتال في كتابه عن مناهج التأليف عند المسلمين.

ينظر إلى علم الجرح والتعديل من جهتين، إحداهما تراه فرعا من علم مصطلح الحديث، وأخراهما تراه علمًا مستقلًا، ولا تناقض بينهما إلا من جهة درجة العناية، والخدمة العلمية.

ويملك علم الجرح والتعديل مجموعة كبيرة من المصطلحات تحمل مفاهيمه؛ تسمى بمصطلحية الجرح والتعديل ويحتفظ التصنيف العربي الإسلامي بعدد وافر من أنواع المصادر التي تعد المركز الجامع لمصطلحية هذا العلم.

ومن المهم أن نقرر أن هذه المصادر ليست جميعًا على درجة واحدة من الأهمية بطبيعة الحال، لكنها جميعا لازمة عند فحص هذه المصطلحية أو جمعها، أو بيان مفهوماتها ومعانيها.

وفيما يلي محاولة لرصد مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل الموزعة على نوعيها الأساسي، والثانوي:

كتب شروح السنة الشريفة

ذلك أن عددًا من هذه المدونات الشريفة كانت قد أفردت عددًا من أبوابها لبيان الأمر بحفظ السنة، والنهي عن الوضع فيها، أو الكذب عليها.

وليس من شك في أن شروح هذه الأبواب قد تضمن بعض مصطلحات أحوال الرواة، وبيان الرأي في عدالتهم ودينهم وتقواهم وورعهم، وضبطهم وإتقانهم.

ولعل الشروح المطولة من مثل: فتح الباري، لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم هي العمدة في هذا الباب.

تفاسير القرآن الكريم

لقد جاء في الذكر الحكيم عدد من الآيات، تعالج فيما تعالجه قضية التفسيق، والتعديل وآثارها على حركة المجتمع، وما ينشأ عنه من علاقات، من مثل قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات: ٦)، وفحص هذه الآية الكريمة ينتج إمكان الخروج بمصطلحين من مصطلحية علم الجرح والتعديل هما:

١- الفاسق، وقد انتقل هذا اللفظ بدلالته اللغوية والقرآنية إلى المجال الاصطلاحي.

٢- الجهالة، وقد انتقل هذا اللفظ بعد تطوير في دلالته اللغوية والقرآنية عن طريق تخصيص دلالته أو تضييقها.

٣- ومن هنا فإن مراجعة هذه التفاسير ولاسيما الموسعة تمثل كنزًا، وإن يكن ثانويًا لجزء من مصطلحية هذا العلم الخطير.

كتب التاريخ العام

تعنى كتب التاريخ العام، ولاسيما تلك التي تعنى بالتأريخ للعلماء، وطبقاتهم والحكم عليهم، بعدد وافر من المعلومات التي تدخل في الصميم من اهتمام علم الجرح والتعديل، ومن ثم فهي بشكل أو بآخر من المصادر المهمة لمصطلحيته، بما هي معينة في كثير من مادتها أحوال الرواة، واتخاذ موقف منهم بناء على ما توافر من حيواتهم، وصفاتهم الشخصية، وصفاتهم العلمية.

كتب مصطلح الحديث

ذلك أن علم التحديث في انشغاله بفرعي الحديث أو جزأيه: السند والمتن، يعنى بطبيعة تكوينه بالمصطلحات الحاملة لمفاهيم أحوال الرواة تعديلًا وتجريحًا.

ولعل كتب أمثال ابن الصلاح، والبلقيني، والرامهرمزي، والسيوطي، والنووي، والخطيب البغدادي، والقاضي عياض من المصادر المهمة في هذا السياق بما تحويه من مصطلحات الجرح والتعديل في بعض أبوابها التي خلصت لمعالجة بعض أسباب رد الأحاديث بسبب من أحوال رجال السند، أو بعض أسباب قبول الأحاديث بسبب من أحوال رجال السند من جهة أخرى.

كتب الرجال

وذكر هذا النوع من مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل يبدو منطقيًا؛ إذا عرفنا أن علماء الحديث يعدون كتب الرجال المصدر المهم المركزي لهذا العلم، وقد تنوعت كتب الرجال، واتخذت مناهج مختلفة يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

يقول سيد عبدالماجد الفوري في «معجم المصطلحات الحديثية»، ص ٢٨١- ٢٨٢- دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م): أهم مصادر الجرح والتعديل:

١- كتب الثقات، لأمثال ابن صالح العجلي المتوفى ٢٦١هـ، وابن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، وابن شاهين الواعظ المتوفى سنة ٣٨٥هـ، وللذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

٢- كتب الضعفاء، لأمثال البخاري سنة ٢٥٦هـ، والنسائي سنة ٣٢٢هـ، وابن موسى العقيلي سنة ٧٤٨هـ، وغيرهم.

٣- الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء، لأمثال البخاري، أبي يعلى القزويني سنة ٤٤٦هـ، ولابن عبدالهادي سنة ٩٠٩هـ وغيرهم.

٤- كتب رواة كتاب حديث بعينه، من مثل: رجال البخاري للكلاباذي سنة ٣٩٨هـ، ولأبي الوليد الباجي سنة ٤٧٤هـ، ورجال مسلم لابن منجويه الأصفهاني سنة ٤٢٨هـ، ورجال الموطأ للسيوطي ٩١١هـ، وغيرهم.

٥- كتب الرجال الخاصة ببلد بعينه، من مثل: تاريخ علماء أهل مصر لابن الطحان سنة ٤١٦هـ، وأخبار أصبهان لابن نعيم سنة ٤٣٠هـ، وتاريخ جرجان للسهمي سنة ٤٢٧هـ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي سنة ٤٦٣هـ وغيرهم.

٦- كتب السؤالات، من أمثال: سؤالات ابن الجنيد سنة ٢٦٠هـ لابن معين سنة ٢٣٣هـ، وسؤالات ابن أبي شيبة، لابن المديني سنة ٢٣٤هـ وغيرهما.

كتب تصنيف العلوم

عرفت حركة العلم عند المسلمين نوعًا من التصنيف يعنى بالتعريف بالعلوم، وأقسامها، المختلفة، وذكر أشهر الكتب في كل علم منذ زمن مبكر من عمر الإسلام.

وقد ورد في كثير من هذه الكتب باب يعرف بهذا العلم وبمصنفاته، وهو ما استلزم ذكر عدد من المصطلحات الخاصة ببعض قضاياه ومسائله.

يقول صديق حسن خان القنوجي في أبجد العلوم ١٧٩/٢: «علم الجرح والتعديل: هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة (هي مصطلحاته) وعن مراتب تلك الألفاظ».

ومن المصنفات المعروفة في هذ الميدان:

١- أبجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ

٢- مفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده سنة ٩٦٨هـ.

لم تقف حدود هذا الأثر الحضاري عند حدود التطبيقات في مجال علم الحديث النبوي الشريف فقط وإنما تجاوزته إلى عدد آخر من العلوم

معاجم المصطلحيات

عرف التراث المعجمي العربي مجموعة كبيرة من المعجمات الجامعة لمصطلحات العلوم جميعا التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية.

وقد ضمت هذه المعاجم- ولاسيما المعاجم المصنفة تصنيفًا موضوعيًا يجعل لكل مصطلحية علم فصلًا بعينه- فصولًا تشرح مصطلحات علم الحديث، ومصطلحاتُ الجرح والتعديل فرع منه.

وقد اشتملت المعجمات التالية على عدد من مصطلحات علم الجرح والتعديل:

١- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي ٩١١هـ.

٢- التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني ٨١٦هـ.

٣-التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا سنة ٩٤٠هـ

٤- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي سنة ١٠٣١هـ.

٥- الكليات، للكفوي ١٠٩٤هـ.

٦- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ١١٥٨هـ.

٧- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون= دستور العلماء، للأحمد نكري سنة ١١٧٣هـ. ومراجعة هذه المعجمات جميعًا وفق منهجية ترتيب كل منها يقود إلى الحصول على مجموعة كبيرة من مصطلحات هذا العلم، وفيما يلي أمثلة على ذلك الذي نقرره:

- مصطلح الثقة في التوقيف للمناوي ص ٢٢١، والتعريفات للجرجاني ص ٧٥، والكليات ١٣٢، والتعريفات لابن كمال باشا ١٥٢، ودستور العلماء ٣٧٦/١.

- م الضبط في التعريفات للجرجاني ١٤٢ وابن كمال باشا ٢٦٠ والكليات ٥٧٩ والتوقيف ٢٢١ ودستور العلماء ٢٦١/٢ وكشاف اصطلاحات ١١١٠/٢.

- م الضعيف في التعريفات للجرجاني ١٤٣ وابن كمال باشا ٢٦٣ والكليات ٥٢٩ ودستور العلماء ٢٦٩/٢.

- م العدل في التعريفات للجرجاني ٥٢ وابن كمال باشا ٣٣٥ وكشاف اصطلاحات ١٨٧/٢ والكليات ٥٥٦ والتوقيف ٢٨٠ ودستور العلماء ١١٨/٣.

وغير ذلك من المصطلحات كثير في مجموع هذه المعجمات مما يجعلها مصادر مهمة في هذا الباب.

معاجم مصطلحات علم الحديث

عرفت المعجمية الإسلامية المختصة في العصر الحديث عناية ظاهرة بتصنيف معجمات جامعة للمصطلحات الحديثية قام عليها أفراد ومجامع، وكان طبيعيًا أن تضم هذه المعجمات فيما تضمه من مصطلحات عددًا من ألفاظ الجرح والتعديل على اعتبار أن هذا العلم جزء أصيل من علوم الحديث النبوي الشريف تبحث في أحوال رواته أو رجاله.

ومن المهم جدًا استصحاب المعاجم



الحديثية التالية ونحن بصدد الحديث عن مصادر مصطلحية الجرح والتعديل (وسوف نوردها مرتبة ترتيبا تاريخيا بحسب صدورها).

١- معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور نورالدين عتر، ثم أضاف إليه وحوله إلى معجم ثنائي (عربي/ فرنسي) د.عبداللطيف الشيرازي الصباغ وداود عبدالله كريل وصدر سنة ١٩٧٩م.

٢- قاموس مصطلحات الحديث النبوي، لمحمد صديق المنشاوي، صدر بالقاهرة سنة ١٩٩٦م (ودرسه دراسة نقدية د.خالد فهمي في كتابه: ثقافة الاستهانة، القاهرة سنة ٢٠٠٣م).

٣- معجم المصطلحات الحديثية، د.محمود أحمد الطحان ود.عبدالرزاق الشايجي، ود.نهاد عبدالحكيم عبيد، صدر بالكويت سنة ١٩٩٨م.

٤- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، د.محمد ضياء الأعظمي، صدر بالرياض ١٩٩٩م.

٥- معجم مصطلحات الحديث، لسليمان مسلم الحرش، وحسين إسماعيل الجمل، صدر بالرياض سنة ٢٠٠١ (الطبعة الأولى منه كانت سنة ١٤١٦هـ).

٦- معجم مصطلح الحديث النبوي، لمجمع اللغة العربية، بالقاهرة صدر سنة ٢٠٠٢م

٧- المعجم الوجيز في اصطلاحات أهل الحديث، صدر بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.

٨- معجم مصطلحات الحديث وعلومه أشهر المصنفين فيه، د.محمد أبي الليث الخيرآبادي صدر بعمان ٢٠٠٧م.

١٠- الدر النفيس: معجم مصطلحات علوم الحديث، لناصر الحلواني، صدر بالقاهرة سنة ٢٠١١م.

والتوقف، أما مصطلح «المجهول» بما هو من ألفاظ الجرح والتعديل، كاشف عما تقدمه هذه المعجمات المذكورة لمصطلحية هذا العلم الجليل، وفيما يلي بيان لمواضع وروده في هذه المعاجم العشرة، بترتيب ذكرها هنا:

(١ ص٢٥٨- ٢ ص١٠٣- ٣ ص١٤٦- ٤ ص٣٥٢- ٥ ص٥٤- ٦ ص٦٢- ٧ ص٢١٧- ٨ ص٦٦٢- ٩ ص١٣٢- ١٠ ص٣٧٧).

وقد اعتنت هذه المعاجم جميعا بتعريفه، وبذكر أقسامه (مجهول العين- وجهول الحال) وما يدخل معها في علاقات ترادف.

معاجم مصطلحات الجرح والتعديل

وقد ظهر بأخرة عدد قليل من المعجمات المختصة بجمع ألفاظ الجرح والتعديل بشكل مستقل، بغية بيان مفاهيمها، ومراتبها، وقد توصلت إلى عدد منها هي:

١- الشروح والتعليل، لألفاظ الجرح والتعديل، ليوسف محمد صديق، صدر بالكويت ١٩٩٠م.

٢- معجم ألفاظ الجرح والتعديل، لسيد عبدالماجد الغوري، صدر بدمشق سنة ٢٠٠٧م.

٣- معجم ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل النادرة والمشهورة، لسيد عبدالماجد الغوري، صدر بدمشق سنة ٢٠٠٧م.

٤- معجم الجرح والتعديل، د.خيري قدري، صدر بالقاهرة ٢٠٠٧م.

وقد اتبعت هذه المعجمات طريقة سهلة في ترتيب الألفاظ: سعيا للتيسير على عموم المستعملين، تمثلت في اتباع منهج الترتيب الألفبائي النهائي غير التجريدي المعروف باسم الترتيب الألفبائي الجذعي، الذي يورد الكلمات بحسب أوائلها من غير رد إلى الجذور.

والوقوف أمام هذه المصادر المتنوعة دالٌّ على الأهمية المتميزة التي أولتها حركة العلم الإسلامي لهذا الفرع المعرفي، ودال كذلك على وعي العلماء المسلمين بأهمية فحص طرق حمل العلم، وبالعناية بأخطر ما يتعلق بالنقد الخارجي للنصوص المؤسسة للعلم، وهو الأمر الذي قاد إلى تفرد الثقافة الإسلامية بهذا العلم.

أنماط مصطلحات الجرح والتعديل

فكرة توزيع ألفاظ الجرح والتعديل على أنماط فكرة تتوخى تحقيق أكثر من هدف يأتي في مقدمتها:

١- معالجتها شكليًا للإفادة منها في بنوك المصطلحات، أو المكانز اللغوية.

٢- معالجتها آليًا.

٣- قياس قدرة اللسان العربي على التعاطي مع مفاهيم مثل هذا العلم، واستيعابه لها بالتعبير عنها صرفيًا.

وفحص مصطلحات الجرح والتعديل يضع أيدينا على نمطين غالبين، هما:

١- نمط الصيغة المفردة.

٢- نمط الصيغة المركبة، بتنوع التراكيب في العربية.

وفيما يتعلق بنمط الصيغة المفردة، فقد اتخذ هذا النمط أشكالًا متنوعة توزعت على أنواع كثيرة من مثل: الاسم، بنوعيه: اسم ذات، وأسماء معنى، ومن مثل: المصدر، والمشتق، ومما جاء عليه من المصطلحات (الإمام/ تالف/ ثبت/ ثقة/ جبل/ جراب/ جيد/ حافظ/ حجة/ خيار/ دجال/ ذاهب/رضا/ ساقط/ شيخ/ صدوق/ صويلح/ ضابط/ ضعيف/ فطن/ كاذب/ كذاب/ كيس/ لين / مأمون/ مبتدع/ متروك/ متقن/ متماسك/ مطرح/ مطروح/ مطعون / مقارب/ مقبول/ منكر/ هالك/ واه/ وسط/ وضاع).

والملاحظ هنا هو غلبة استعمال صيغة المشتق بأنواعها المختلفة (اسم فاعل/ أو الصفة المشبهة به/ أو اسم المفعول/ أو صيغة المبالغة) وهو أمر يبدو منطقيًا؛ لأن طبيعة المشتق بحكم تعريفه لفظ يولد للتعامل مع المعاني الطارئة، لولاها لم يولد.

أما النمط الآخر، وهو نمط الألفاظ التي اتخذت شكلًا مركبًا، فقد تنوعت صوره، لتظهر مصطلحات الجرح والتعديل في الصور التالية:

١- المركب الإضافي.

٢- المركب الوصفي.

٣- المركب الإسنادي (الاسمي/ والفعلي).

وفيما يلي محاولة أولية لتوزيع ما جاء من مصطلحات الجرح والتعديل على هذا النمط، فمن أمثلة ما جاء على صورة المركب الإضافي (وصورته: مضاف + مضاف إليه اسم ظاهر): حمالة الحطب/ رجل سوء / سارق الحديث / متروك الحديث/ مجهول

العين/ جيد الحديث/ صالح الحديث/ ضعيف الحديث وغير ذلك.

ومن الأمثلة التي جاءت على صورة المركب الإضافي (وصورته: مضاف + مضاف إليه ضمير): إباضي/ خشبي/ صفري/ عثماني/ قدري/ قعدي/ ناصبي/ واقفي وغير ذلك.

وثمة عدد آخر من المصطلحات جاء على نمط التركيب الوصفي، مكون من موصوف وصفته من مثل: ثبت حافظ/ ثبت حجة/ ثقة ثبت/ ثقة جبل/ صدوق ثقة/ صدوق مبتدع/ عدل حافظ/ عدل ضابط / متقن ثبت/ وضاع واه وغير ذلك.

وثمة عدد آخر أكثر تواترًا جاء على نمط التركيب الإسنادي بصوره الثلاثة؛ الاسمي والفعلي، وشبه الجملي، ومن أمثلتها جميعًا: البلاء فيه من فلان/ جبل في الكذب/ صدوق له أوهام/ غيره أقوى منه/ فلان أحب إلي فيه/ فلان أوثق منه/ فلان تعرف وتنكر/ له أوابد/ له غرائب، وغير ذلك.

وربما جاء التركيب الاسمي مفتتحًا بفعل ناسخ من مثل: ليس بالثقة/ ليس بالحافظ/ ليس بالحجة/ ليس بشيء/ ليس من أهل الحفظ... إلخ.

وربما جاء التركيب الاسمي مفتتحًا بلا النافية للجنس وهي ملحقة بالحروف الناسخة من مثل: لا أحد أثبت منه/ لا شيء... إلخ.

ومما جاء من هذه المصطلحات في صورة تركيب فعلي: اختلف فيه/ ارم به/ تركوه/ تغير/ سكتوا عنه/ طعنوا فيه/ طرحوه/ يتكلمون فيه/ يروى عنه... إلخ.

وتفسير كثرة أمثلة هذا النمط التركيبي الإسنادي راجع إلى التنوع الذي يتميز به التركيب الإسنادي الاسمي بتعدد أشكال خبرة وبدخول النواسخ عليه، والتركيب الفعلي بتعدد أشكاله بناء للمعلوم والمجهول، وإثباتًا ونفيًا، وهو التنوع المناسب لتنوع أحوال الرواة جرحًا وتعديلًا.

وهذان النمطان الرئيسيان وما تفرع عنهما من أنماط تحتهما دليل حاسم على مرونة اللغة العربية.

علم الجرح والتعديل وجهازه الاصطلاحي يقدم مثالا فريدا على إيجابية العقل المسلم

إن دراسة الجهاز الاصطلاحي لعلم الجرح والتعديل تنتج حقيقة مهمة جدًّا مفادها الإخلاص العظيم للعلم، وتقدير منزلته السامية عن طريق حياطته بعلم كامل يقف أمام حامليه ورواته للناس بفحص أحوالهم، وبيان صفة كل راو من جهة الجرح و الرد واطراح المرويات، أو من جهة التعديل والقبول، واعتماد المرويات.

وهذه أول قيمة من القيم الحضارية الكامنة في هذا الجهاز الاصطلاحي لهذا العلم، ذلك أن حماية العقل المسلم بحماية ما يروى له، أو ينقل إليه من مواد العلم المختلفة بعد حضاري مهم جدًّا يعكس الروح الحضارية التي أنيتها الإسلام في تربة الثقافة الإنسانية.

ومن جهة ثانية فقد أمد هذا الجهاز الاصطلاحي منهج العلم الإسلامي ثم الإنساني روحًا نقدية دعمت ما ورثته مناهج العلوم عن اليونان القدماء، وغذته، وعمقت جذور هذه الروح النقدية، وفتحت أمامها آفاقا جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ومن جهة ثالثة فقد أوجد هذا الجهاز الاصطلاحي مثال على قدرة العقل العربي بفضل الإسلام العظيم على الابتكار والتجديد، وتأسيس المعرفة اللازمة لتعميق آثار العلم في الحياة.

ومن جهة رابعة فقد أعطى هذا النموذج شعورًا قويًّا بقدرة اللسان العربي على استيعاب المفاهيم المستحدثة، بما ظهر من مرونتها في التعبير الشكلي أو الصرفي عن مفاهيم الجرح والتعديل في صور وأنماط متنوعة بشكل ظاهر.

ومن جهة أخرى فإن ما تراكم من مصادر الجهاز الاصطلاحي لعلم الجرح والتعديل له أثر آخر مهم جدًّا لما قدمه هذا الفرع المعرفي من دليل على ترقية الإسلام للحضارة والحياة العقلية العربية والإسلامية بوجه خاص وللإنسانية بوجه عام.

ولم تقف حدود هذا الأثر الحضاري عند حدود التطبيقات في مجال علم الحديث النبوي الشريف فقط، وإنما تجاوزته إلى عدد آخر من العلوم في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية فأثرت في مناهجها المختلفة.

ومن أظهر الأمثلة على التأثر بمناهج الجرح والتعديل في مجال دراسة اللغة العربية ما يلي:

أولًا: تصميم عدد من المعجمات العربية على نتائج علم الجرح والتعديل، وتطبيقاتها على المرويات اللغوية على ما نرى في بناء معجم تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، المعروف بمعجم الصحاح، وفي معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، حيث ظهر من خلال بنائهما ومقدماتهما التأثير الواضح والمباشر لقيمة بيان أحوال علماء اللغة ورواتها وصولًا إلى تقدير مروياتهم في هذا الباب العلمي.

ثانيًا: تصميم قطاه من أدبيات فقه اللغة، على ما أحدثه علم الجرح والتعديل في الحضارة العربية، وهو ما نراه بشكل واضح جدًّا في بناء كتاب «المزهر في علوم اللغة» للسيوطي، وهو أوسع مصادر فقه اللغة العربية القديمة، حيث استلهم السيوطي منجز علم الحديث ولاسيما في فرع الجرح والتعديل في تقسيماته للكتاب، وتقسيماته لقضاياه ومسائله ومعالجاته التفصيلية.

ومن هنا فإننا نقرر بشكل إجمالي لا شبهة للمجاز فيه أن علم الجرح والتعديل، وجهازه الاصطلاحي يقدم مثالًا فريدًا على إيجابية العقل المسلم، وقدراته الفائقة في الميدان العلمي الحضاري.



أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (٢)

محمد نبيل بهي
باحث في التراث الإسلامي

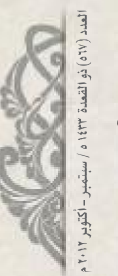
نواصل عرض وبيان الأعلام الذين دفنوا بمصر وليسوا من أهلها وهم:

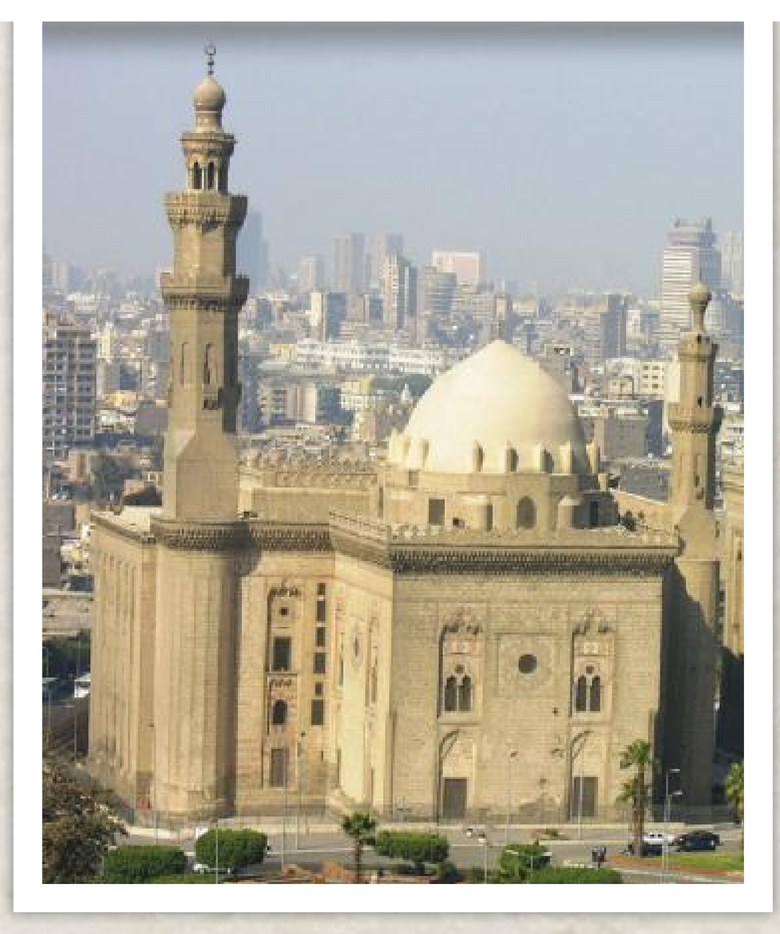
٤١- أحمد بن مروان الدينوري المالكي أبوبكر: من القضاة أصله من دينور، توفي بمصر سنة ٣٣٣هـ = ٩١٥م. وله كتاب في الرد على الإمام الشافعي. (ص ٢٥٦ ج ١).

٤٢- المحب البغدادي: أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي: فقيه حنبلي ولد ببغداد ولي قضاء الحنابلة بالقاهرة سنة ٨٢٨ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٤ هـ = ١٤٤٠م. (ص ٢٦٤ ج ١).

٤٣- ابن أبى حجلة: أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمساني أديب شاعر من أهل تلمسان سكن دمشق وولي مشيخة الصوفية بالقاهرة ومات فيها بالطاعون سنة ٧٧٦ هـ = ١٣٣٧٥م، وكان حنفيًّا يميل الى مذهب الحنابلة. (ص ٢٦٨ ج ١).

٤٥- أحمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب جمال الدين ابن الصابوني، ويقال له ابن المقري: الحلبي الأصل الدمشقي المولد والمنشأ نزيل القاهرة، وهو من المحدثين توفى سنة ٧٣١ هـ = ١٣٣٠م. (ص ٢٧١ ج ١).





٤٦- السمين الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي. اللغوي المفسر المقرئ الشافعي من أهل حلب، استقر بالقاهرة وبها مات سنة ٧٥٦ هـ =١٣٥٥م، وهو صاحب كتاب الدر المصون مطبوع. (ص ٢٧٤ ج ١).

٤٧- المنجنيقي: إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي الوراق، حافظ ثقه بغدادي الأصل استوطن مصر ومات فيها سنة ٣٠٤ هـ = ٩١٦م. (ص ٢٩٣ ج ١).

٤٨- الشاشي الحنفي: إسحاق بن إبراهيم الخراساني الشاشي فقيه الحنفية في زمانه: انتقل إلى مصر وولي القضاء بها، وتوفى بها سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٧م. (ص ٢٩٣ ج ١).

٤٩- إسحاق بن يحيى بن معاذ: والٍ من كبار القادة في العصر العباسي تولى إمرة مصر للمتوكل ومات بها سنة ٢٣٧ هـ = ٨٥١م. (ص ٢٩٧ ج ١).

٥٠- أسعد بن إبراهيم طراد: أديب لبناني من أهل بيروت تعلم بها وعمل تاجرًا بمصر وتوفى بزفتى بمصر سنة ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١م. (ص ٢٩٩ ج ١).

٥١- أسعد خليل داغر: أديب لبناني ولد في كفر شيما بلبنان، عمل في مصر في تحرير جريدة المقطم، انقطع للأدب وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥م. (ص ٣٠٠ ج ١).

٥٢- الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب اللخمي: سيد لخم وشيخها بمصر حضر فتح مصر هو وأبوه عامر، ولما بايع المصريون لعبدالله بن الزبير كان الأكدر في جملة الداعين له وأحد من بايعوه مختارين، قتله مروان بن الحكم بعد استيلائه على مصر سنة ٦٥ هـ = ٦٨٥م. (ص٦ ج ٢).

٥٣- ألفريد عيد: ألفريد بن حنا عيد، طبيب أصله من سوريا، نشأ بمصر ومات بها سنة ١٩١٥م، ويقال أنه أول من أدخل المعالجة بأشعة رنتجن إلى مصر. (ص ٧ ج ٢).

٥٤- إلياس زخورة: كان نشيطًا في جمع التراجم وهو لبناني الأصل هاجر إلى مصر شابًا بصحبة يعقوب صروف وفارس نمر في باخرة واحدة، له كتاب (مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر) في ثلاثة أجزاء طبع سنة ١٨٩٧م، وتوفى بمصر سنة ١٩٣١ م وله طرائف. (ص ٩ ج ٢).

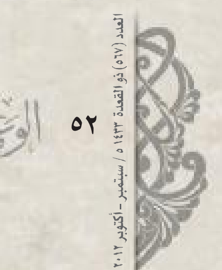
٥٥- أمين شميل: كاتب باحث ولد في كفر شيما في لبنان وأنشأ في القاهرة مجلة الحقوق احترف التجارة ثم المحاماة وهو شقيق الطبيب الكاتب شبلي شميل، توفى بمصر سنة ١٨٩٧م. (ص ١٥ ج ٢).

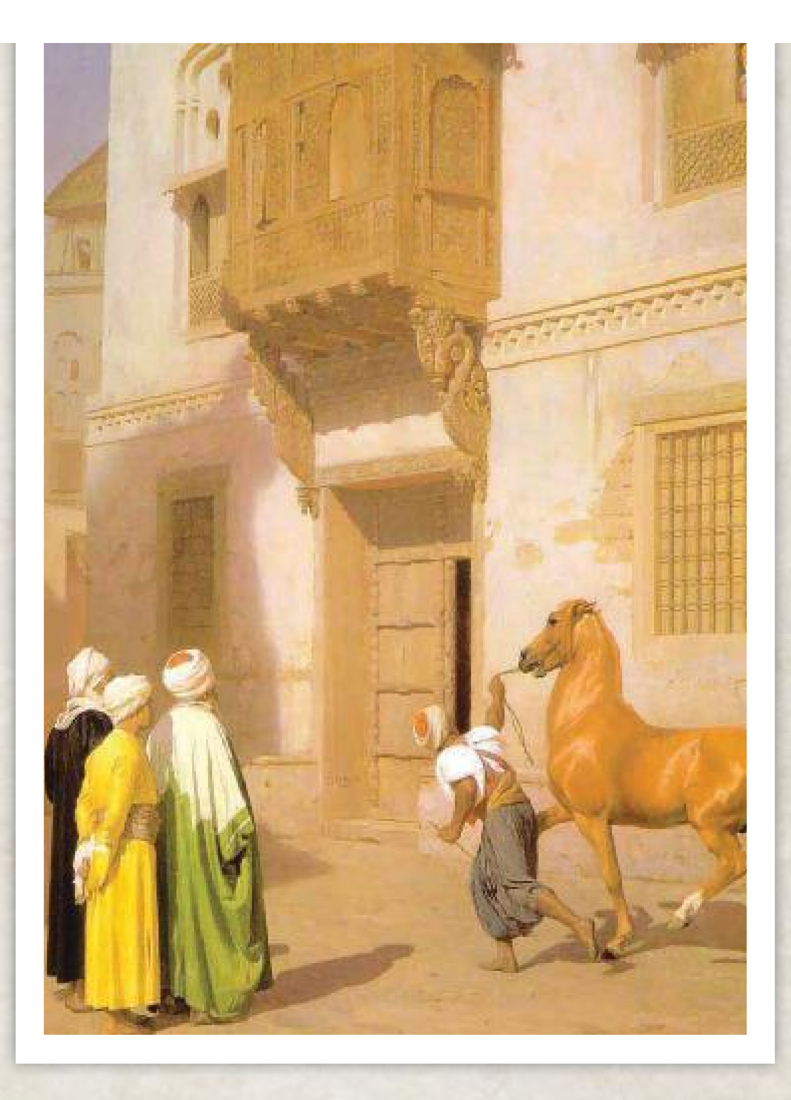
٥٦- أمين باشا المعلوف: طبيب عالم بالنبات والحيوان والفلك ولد في الشويفات بلبنان، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، عمل طبيبًا بالجيش المصري والجيش العراقي، له معجم الحيوان والمعجم الفلكي عاد إلى مصر ومات بها سنة ١٩٤٣م. (ص ١٩ ج ٢).

٥٧- أنطون الجميل: من آل الجميل، ماروني لبناني، كاتب متأنق في أسلوبه، يجيد الفرنسية كأهلها، ولد في بيروت سنة ١٩٠٨م، انتقل إلى مصر فاشترك مع أمين تقي الدين في إصدار مجلة الزهور (أدبية)، عمل فى الاهرام وتولى رئاسة تحريرها، وكان عضو مجلس الشيوخ المصري والمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة، منح في أواخر عمره لقب باشا، واستمر في تحرير الأهرام إلى أن توفى بالقاهرة سنة ١٩٤٨م. (ص ٢٧ ج ٢).

٥٨- بشارة تقلا: أحد مؤسسي جريدة الأهرام ولد في كفر شيما بلبنان، انتقل إلى الاسكندرية سنة ١٨٧٥ م فأصدر مع أخيه سليم جريدة الأهرام أسبوعية ثم يومية، ولما حدثت ثورة عرابي امتنع مع أخيه عن مناصرتها فأحرق العرابيون مطبعتها بالإسكندرية، فلم ينقطعا عن اصدار الأهرام وتوفى أخوه سنة ١٨٩٢م فاستقل بها ثم نقلها إلى القاهرة سنة ١٨٩٨م ووسع حجمها، توفى بالقاهرة سنة ١٩٠١م. (ص ٥٢ ج ٢).

٥٩- بشارة زلزل: طبيب باحث من أهل لبنان: تعلم في الكلية الأمريكية ببيروت، له ذيل على كتاب (دعوة الأطباء) لابن بطلان سماه (تكملة الحديث في الطب





القديم والحديث) توفى بالإسكندرية سنة ١٩٠٥م، (ص ٥٢ ج٢).

٦٠- ابن العلاء القشيري: بكر بن محمد بن العلاء بن محمد أبو الفضل القشيري ويقال له: بكر بن العلاء، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة، انتقل إلى مصر قبل سنة ٣٣٠هـ وتوفى بها سنة ٣٤٤هـ = ٩٥٥م، له كتب منها: أحكام القرآن والرد على المزني وأصول الفقه وغيرها من الكتب. (ص ٦٩ج ٢).

٦١- العصفوري: أبو بكر بن محمد العصفوري متأدب له شعر وموشحات، ولد بدمشق وانتقل إلى مصر فسكنها وتوفى بها، له ديوان شعر مخطوط، توفى سنة ١١٠٣ هـ = ١٦٩٢م. (ص ٧٠ ج ٢).

٦٢- بكير بن الأشج: بكير بن عبدالله بن الاشج، من أعلم أهل عصره بالحديث، ثقة، ولد ونشأ في المدينة ورحل إلى مصر فأقام بها إلى أن توفى بها سنة ١٢٢ هـ = ٧٤٠م. (ص ٧٢ ج ٢).

٦٣- بول كازانوفا: مستشرق فرنسي جزائري المولد، سافر إلى باريس سنة ١٨٧٩م، وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية الحية، عمل مدرسًا للعربية وآدابها بفرنسا سنة ١٩٠٩م، زار مصر ثلاث مرات آخرها سنة ١٩٢٥م منتدبًا لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية، توفى بالقاهرة سنة ١٩٢٦م، (ص ٧٨ ج٢).

٦٤- جرجي زيدان: جرجي بن حبيب زيدان، منشئ مجلة الهلال بمصر، وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد وتعلم في بيروت ورحل إلى مصر فأصدر مجلة الهلال وتوفى بالقاهرة سنة ١٩١٤م، له: تاريخ التمدن الإسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتراجم مشاهير الشرق، وغيرها من المؤلفات. (ص ١١٧ ج ٢).

٦٥- التباني: جلال بن أحمد بن يوسف الثيري القاهري، فقيه حنفي، أصله من بلدة في بلاد الروم يقال لها ثيرة، قدم القاهرة واستقر في محلة التبانة خارجها، أخذ الفقه عن الإتقاني والعربية عن ابن هشام وبرع فيهما، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع، له شرح المنار في أصول الفقه واختصار شرح البخاري لمغلطاي وغيرها من الكتب، توفى بالقاهرة سنة ٧٩٣ هـ = ١٣٩١م. (ص ١٣٢ ج ٢).

٦٦-جميل نخلة المدور: متأدب من أهل بيروت، سكن مصر، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٠٧م اشتهر بكتابيه (حضارة الإسلام في دار السلام وتاريخ بابل وآشور. (ص ١٣٩ ج ٢).

٦٧- جورج أبيض: الممثل المسرحي. بيروتي المولد والنشأة توفى بالقاهرة سنة ١٩٥٩م. (ص ١٤٤ ج ٢).

٦٨- جوهر بن عبدالله الرومي (المشهور بالصقلي): أبو الحسن القائد باني القاهرة والجامع الازهر، كان من موالي المعز العبيدي صاحب إفريقية وسيره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨هـ، مكث بمصر حاكمًا لها إلى أن قدم المعز سنة ٣٦٢ هـ فحل محله وصار هو من عظماء القواد في دولته إلى أن توفى بالقاهرة سنة ٣٨١ هـ = ٩٩٢م. (ص ١٤٨ ج ٢).

٦٩- ابن أبى الشجناء: الحسن بن عبدالصمد أبى الشجناء العسقلاني أبو على، ويقال له: الشيخ المجيد، منشئ له خطب ورسائل جيدة كان القاضي الفاضل يحفظ أكثرها، أصله من عسقلان، قتل بالقاهرة مسجونًا سنة ١٠٨٩م وله نظم في ديوان رآه ابن خلكان.(ص ١٩٥ ج ٢).

٧٠- حسن بن عجلان بن رميثة: شريف حسني من أمراء مكة ولد ونشأ فيها وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنيابة السلطان في جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة، توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر للقاء السلطان الأشرف برسباي فتوفى بها سنة ٨٢٩هـ = ١٤٢٦م. (ص ١٩٨ ج ٢).





الزبدة من زبدة المناسك وعمدة الناسك بالمناسك

نظمُ العلّامة الشّهيد يوسف بن عبدالكريم الأنصاريّ المدنيّ الحنفيّ - توفي (1177هـ)

حقّقها واختصَرَها : محمود محمد الكبش

هذا نظمٌ في المناسك بديعٌ، جمَعَ فيه مؤلّفُه ما ذكرَهُ الإمامُ الملا رحمةُ الله السّندي في كتابه الوجيز «المنسك الصَغير»، فأتى عليه جميعه سبْكا ونظمًا، فأحكم وأبدع، وأخرج لنا نظمًا في (المذهب الحنفيّ) غايةً في الرّوعة والسّلاسة.

وقد اعتمدتُ على نسختين؛ أحدهما من مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة كُتِبَتْ عام (١٢٣٩هـ)، والأخرى بخط الشيخ عبد القادر السندي المدني كُتِبَتْ عام (١٣١٠هـ)، فقابلتُ بين النُسختين، ثمّ ضبطتُ نصّها، وقدّمتُ لها، وشرحتُ في الأصل المحقّق غريبَها، وعلقتُ عليها، وقد بلغ عدد أبياتها قبل الاختصار (٤٨٦) بيتًا.

وها نحن نضع بين يدي القارئ الكريم «زبدة الزبدة»؛ بنحو (١٣٠) بيتًا بعد الاختصار والتهذيب، ولعل الأصل يخرج مطبوعًا قريبًا بإذن الله تعالى كاملًا غير منقوص.

أما النّاظم فهو العلّامة الشّيخ الفاضل النّحرير الفقيه البارع يوسف بن عبد الكريم الأنصاريّ المدنيّ الحنفيّ، ولد بالمدينة المنوّرة سنة إحدى وعشرين ومائة وألف (١١٢١هـ)، ونشأ على طلب العلم والأدب؛ فأخذ عن والده، والشّيخ محمد بن الطيب الفاسي، والشّيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكوراني، والشّيخ أبي الطيب السّندي، وغيرهم.

وألّف ونظم ونثر؛ ووجّه له منصب الافتاء بالمدينة.

ومن مؤلفاته: هذه المنظومة (زبدة المناسك وعمدة الناسك بالمناسك)، وقد شرحها الشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي شرحًا لطيفًا. وللناظم أشعار كثيرة، ومؤلفات بديعة، وكانت وفاته شهيدًا بالمدينة المنورة سنة سبع وسبعين ومائة وألف (١١٧٧هـ)، ودُفن بالبقيع رحمه الله تعالى(١).

المقدمة

الحـمـدُ لـلـه الـذي قـد جَـعَـلا ... لـبـيـتِـه الـعـتـيـقِ فـضـلاً وعُـلا
حـتّـى غَـدَا مـثـابـةً وأمْـنـا ... لـلـنّـاس؛ فـهْـو المـسـتـجـارُ الأسـنـا
وفَـرَض الحـجَّ عـلـى الجـمـيـعِ ... مِـن قـادرٍ عـلـيـه مُـسـتـطـيـعِ
ثـمّ الـصّـلاةُ والـسّـلامُ الـعـاطِـرْ ... عـلـى نـبـيّ شَـعَّـرَ المـشَـاعِـرْ
وعـلّـم المـنـاسـكَ الأنـامـا ... وبيّـن الحـلالَ والحـرامـا
وآلِـهِ والـصّـحْـبِ مـا داعٍ دَعَـا، ... وطَـاف بـالـبـيـت، ولـبّـى وسَـعَـى
مِـن مُـسـلـمٍ يـأتـي بـهـذا الحـجّ ... مِـن شُـقّـةٍ عـمـيـقـةٍ وفـجّ
وبـعـد؛ فـاعْـلـم أنّ لـلـحـجِّ جُـمَـلْ ... مـن لـم يـحـزْهـا حـجُّـه؛ حـجَّ الجَـمَـلْ



وليس بالجهلِ بها من عذْرِ؛ ... فابدَأْ بما هو الأهمّ، وادْرِ
وقد نظمتُ هذه المنظومَهْ ... فيها لكي تُمسي بها معلومَهْ
وجيزةً قريبةً للفهمِ ... إذ يَسْهُلُ الحفظُ بحُسْنِ النّظْمِ
سمّيْتُها بزبدةِ المناسكِ ... وعمدةِ النّاسكِ بالمناسكِ
تبصرةً لطالبِ البدايَهْ ... تذكرةً لصاحبِ النّهايَهْ
جعلتُها لِبَيْتِهِ منهاجَا ... فكلُّ بيتٍ جامعٌ منهاجَا
وأسألُ اللهَ بها أنْ ينفعا ... بفضلِهِ الجمَّ العبادَ أجْمَعَا

بابُ حكمِ الحجّ

الحجُّ فرضٌ مرّةً في العمْرِ ... فورًا إذا شخصٌ خَلا مِن عذْرِ
وفرضُه العينيُّ بالكتابِ، ... وسُنَّةِ النّبيّ والأصحابِ
ثمّ عليه انْعَقَدَ الإجماعُ، ... فليس في وجوبِهِ نِزاعُ

بابُ شرائطِ وجوبِ الحجّ

شرائطُ الوجوبِ فيه سبْعَه؛ ... أوّلُها: الإسلامُ، والعلمُ مَعَه
إن في ديارِ الحرْبِ، والبلوغُ ... بفرضِهِ، والعقلُ، والبلوغُ
والوقْتُ، والحرّيَّةُ، استطاعَه؛ ... كمِلكِ زادٍ مشبِعِ المجاعَه
وخمسةٌ شرائطُ الأداءِ، ... سلامةُ الجسمِ مِن الأدواءِ
وعدمُ الحبْسِ، وأمنُ الطُّرُقِ ... ومَحرَمٌ لمْرَأَةٍ؛ فَحَقِّقِ
وعدمُ العِدَّةِ؛ أي في حقِّها ... وذاك في وقتِ خروجِ أهلِها

بابُ الأعذارِ المانعةِ مِن وجوبِ الحجّ

موانعُ الحجِّ: عدوٌّ، وفِتَنْ، ... ومَرَضٌ، والحبْسُ يا ربّ الفِطَنْ
منها: الصّبا، وعدّةٌ، ورقٌّ، ... أبوّةٌ، والدَّيْنُ يُستَحَقُّ
والحصْرُ في العمرة والحج سَوا، ... لكن عن الكعبة فيها لا سِوى
فتلك عشْرَةٌ أَتَتْكَ كاملَهْ ... منقولةٌ عن ذي العلومِ الفاضلَهْ





بابُ المواقيتِ

ميقاتُ أهلِ الشّامِ بطْنِ الجُحْفه،   وأهلُ طيْبَةٍ بِذِي الحليفَه
وللعراقِيّينَ ذاتُ عرْقِ،   وأهلُ نجدٍ قرْنُ ذاكَ الشّقّ
ثمّ يَلَمْلَمٌ لأهلِ اليَمَنِ.   وجحفَةٌ مكروهةٌ للمَدَنِي

بابُ أقسامِ الحجِّ

الحجُّ إفرادٌ، قِرانٌ، مُتعَه؛   وذاك لا سواهُ؛ فاحفظ جَمْعَه
فالأوّل: النيَّةُ بالحجِّ فقط،   والثّانِ إن بالحجِّ عمرةً خَلَطْ
فهو القِرانُ، وهو للآفاقي،   وأفضلُ الكلِّ على الإطلاق
وبعدَهُ فالأفضلُ التَّمَتُّعُ،   وهْو أداءُ النُّسُكَيْنِ أجْمَعُ
في أشهرِ الحجِّ أتَى بالعمْرَهْ،   وحجَّ عامَهُ، ولم يؤخِّرَهْ
مِن غيرِ إلمامٍ صحيحٍ آتي   بينهما، وينوي مِن ميقاتِ
ولا تمتُّعٌ ولا قِرانُ   لِمَن لَهُ بمكّةَ استيطانُ

بابُ فرائضِ الحجِّ

فرائضُ الحجِّ ثلاثةٌ فَقَط   أوّلُها: الإحرامُ، وهو يُشْتَرَط
ثمّ الوقوفُ، والطّوافُ، وهما   ركنان في الحجِّ، فَدَعْ مَن وَهِمَا
فهذِهِ فروضُهُ لا غيرها،   لكن لها فرائضٌ تأتي بها
فرضانِ في إحرامِهِ: التّلبيةُ،   أو ما يكون مثلَها، والنّيَّةُ
ونيةُ الطّوافِ قالوا فرْضا،   كذاك ترتيبُ الفروضِ أيْضا

بابُ واجباتِ الحجِّ

وواجباتِ الحجِّ خُذْ يقينَا   عدَّتُها إثنانِ مَعْ عِشْرينا
أوّلُها: الإحرامُ مِن ميقاتِهِ   والسّعيَ بين المَرْوَتَيْنِ آتِهِ
كذلك البدايةُ مِنَ الصَّفَا   قَدْ جاء عن طَهَ النَّبيِّ المصطفَى
ثمّ استدامةُ الوقوفِ موقِفَه   إلى الغُروبِ في أراضِي عَرَفَه





كــــذا وقـــــوفُ مـــا أتــــى مـخـتــارا ... لـيــلاً لِمَــــن قــد وَقـــــفَ الـنّــهَـــارا
كـــذلـــكَ الـــوقـــوفُ فـــي المـزدَلـفَــه ... بـعـدَ طـلـوعِ الـفـجـرِ؛ كُـنْ ذا معـرِفَـه
والـــرمـــيُ لـلـجـمــارِ فـــي أيّـــامِــهِ، ... والحـــلْـــقُ والـتّـقـصـيـرُ مِـن إتمـامِـهِ
وواجـــــبٌ كـونُـهُـمـا فـــي الحَـــــرَمِ، ... والـــوقـــتُ إن فـــــاتَ؛ فَـجَـبْـرٌ بِــــدَمِ
كـــذلـــكَ الـــطّـــوافُ لـــلـــوداعِ ... لـغـيـــرِ مـــكـــيٍّ بِـــــلا نِـــــزَاعِ
والمشـــيُ فـي الـسّـعْـيِ وفـي الـطّـوافِ ... مـع اقـتـــدارٍ لا مَـــعَ اعْـتِـسَــافِ
وركـعـتــا الـــطّـــوافِ لـلـــزّيــارَهْ ... كـــذا تــيـــامُـــنٌ بــالاســـتـــدارَهْ
وسَـــتْـــرُ عـــــورةٍ، وقــــــدْرٌ طــاهِـــرُ ... مِـــن ثـــوبِـــهِ لـلـعــورتَــيْـنِ ســاتِــرُ
وأكـــثـــرُ الـــطَّـــوافِ لـــلـــزّيــارَهْ ... أيـــــامَ نـحـــرٍ حّــقّـــقِ اعـتِـبــارَه
وكـــــلُّ مـــــا زاد عــلــى أكــثــرِهِ ... فـــــذاكَ واجـــــبٌ؛ فَـحُـــزْهُ واذْرِهِ
ثـــمّ الـــطّـــوافُ مِـــن ورا الحطـيـمِ ... والـــرّمـــيُ قــبْــلَ الحـلْــقِ ذو تـقـديـمِ
وذبــــــحُ قــــــارنٍ وذي تمــتُّــعِ ... يــكــونُ بـيـنَ الــرّمــي والحـلْــقِ فَــعِ
وواجــــــبٌ ذبـحُـهُـمــا يـــــا صـــــاحِ ... أيـــــامَ نـحـــرٍ صـــحَّ فـــي الـصِّـحــاحِ

بابُ سُنَنِ الحجِّ

وسُـــــنَنُ الحَــــجِّ تُـعَــدُّ تِـسـعَــهْ ... وعَـــــشَـــرَ؛ الـكــلُّ أتَــتْــكَ دَفـعَــهْ
أوّلُـــهـــا: الـــطّـــوافُ لـلـقــدومِ، ... وهْـــــو لــــذي الآفــــاقِ لا المُـقـيـمِ
لمــفــردٍ وقــــــارنٍ، كـــــذا الـــرّمَــلْ ... مِــن الــطّــوافِ فـــي الـثّـلاثـةِ الأُوَلْ
والمـشــيُ فــي بـاقـي الـطّـوافِ بـالمـهَـلْ، ... والـسّـعـيُ لا يـسـعَـى لَـــهُ عَـلَـى عَـجَـلْ
هـــرولـــةٌ فـــي وسَــــطِ المـيـلَـيْـنِ، ... فـــي الـسّــعْــيِ سـنــةٌ بـغَـيْــرِ مَـيْــنِ
ثـــمّ المـبـيـتُ جـــاءَ بـالمـزدَلـفَـهْ، ... كــــذاك أيــــامُ مِـنَـى المـشَـرَّفَـهْ
والـغُـسْـلُ سـنَّـةٌ أوِ الـتَّـوَضّــي ... فـــي ســاعــةِ الإحـــــرامِ ممّــا يُـرْضِــي
والــلُّـبـس لــــلإزارِ والــــــرِّدَاءِ، ... ورَكْـعَـتَـا الإحــــرامِ لــــلأداءِ
وبـعـدَهـا الإحـــــرامُ، والـتّــكــرارُ ... لــقــولِــهِ: (لـبّــيــكَ يـــا غــفّـــارُ)





والابتداءُ في الطّوافِ بالحَجَرْ، ... والاستلامُ - كلّ شوطٍ - معتَبَرْ
كذا استلامُ ركنِهِ اليماني ... عندهما قد جاءَ باستِحْسَانِ
والاضْطِباعُ في طوافِ حجّ ... وعمْرةٍ؛ فاعمَلْ بِهِ وَرَجّ
كذاك بين السّعْي والطّوافِ ... أتى استلامُ الحجرِ الشّفافِ
والذّكْرُ في الطّوافِ والمتابعَهْ ... ما بينه وركعتَيْهِ التّابعَهْ
كذاك في أشواطِهِ الجميعِ، ... والسّعيُ مثلُ ذاك في الصّنيعِ
وخُطبةُ الإمامِ في ثلاثهْ ... مواضعٍ؛ فحقّقَنْ أبحاثَهْ
والغُسْلُ للوقوفِ، والنُّزولُ ... بأبطحٍ؛ أتت بِهِ النُّقولُ

بابُ مستحبّاتِ الحجّ

والمستحبّاتُ له كَثيرَهْ ... يعلَمُها ذو العِلمِ والبصيرَهْ
أكثرُها يختصُّ بالإحرامِ ... في الحجّ والعمرةِ للتّمامِ
منها: فيستحبُّ عند النِّيّهْ ... تقليمُ أظفارٍ، ومشْطُ اللّحْيَهْ
وقصُّ شاربٍ، وحلْقُ العانَهْ، ... والنَّتْفُ مِن امْرَأَةٍ مكانَهْ
ونَتْفُ إبطَيْهِ أو الحلاقَهْ، ... وبالسّواكِ يدلُكَنْ أشْداقَهْ
ولْيَغْتَسِلْ بالسِّدرِ مُنقي البَشَرَهْ ... ثمّ يسرِّحْ رأسَهُ وشَعَرَهْ
ولُبْسُ ثَوْبَيْنِ: إزارٌ وردًا، ... وإنْ يكونا أبيضَينِ جُددا
أفضلُ فيه، أو مغَسَّلَينْ ... والدّهْنُ والطِّيبُ بغَيْرِ عَينْ
ثمّ يصلّي سُنّةَ الإحرامِ، ... ثمّ ليَدْعُ عَقِبَ السّلامِ

بابُ مكروهاتِ الحجّ

وكُرِهَ التّقديمُ للإحرامِ ... عَن أشهرِ الحجّ بذاك العامِ
كذلك الإحرامُ فاعرف أمْرَهْ ... لقارنٍ بالحجّ مَعْهُ عُمْرَهْ
والعقدُ للرّداءِ والإزارِ ... بحبلٍ اوْ خلالٍ اوْ أزْرارِ
وعصبُ شيءٍ منه أي مِن نفسهِ ... كَيَدِهِ، لا وجهِهِ ورأسِهِ



كـذا انـتـفـاعٌ منه بالممنوعِ ... فيه بما ليسَ مِنَ المشْرُوعِ

وتـرْكُ ما كانَ مِنَ الصُّعودِ ... على الصَّفَا والمروةِ المعهودِ

كذلكَ المبِيتُ في غيرِ مِنَى ... ليلةَ تِسعٍ؛ فاحْفَظَنَّ السُّنَنَا

بابُ أحكامِ العمْرةِ

وعندنا العمْرَةُ - صاحِ - سُنَّهْ ... مِنَ المؤكّداتِ؛ فاحْفَظَنَّهْ

فاعلمْ بأنّ ركنَها شيْئَانِ، ... كذلكَ الواجبُ فيها اثنانِ

فرُكْنُها: الإحرامُ، والطَّوافُ، ... سعيٌ وحلْقٌ واجبٌ مضافُ

وحكمُها كالحجِّ في الإحرامِ، ... وسائرِ الأمورِ بالتّمَامِ

ميقاتُها التّنعيمُ للمكّيِّ، ... والغيرُ مِن ميقاتِهِ المَحْكِيِّ

وصِفَةُ الأداءِ حيثُ دَخَلا ... مكةَ للمسجدِ جاءَ أوّلا

فطافَ للعمرةِ مثلَ الحجِّ، ... وقَطْعِ (التّبيَكَ) بِهِ، والعجِّ

ثمّ لْيُصَلِّ ركعتَينِ تلوَهْ، ... ولْيَسْعَ ما بينَ الصّفَا والمروَهْ

ثمّ لِيَحْلِقْ أو يقصَّ شَعَرَهْ، ... والحلْقُ خيرٌ قد روَيْنَا خَبَرَهْ

بابُ مفسداتِ الحجِّ والعمرةِ

ويفسُدُ الحجُّ على الإجماعِ ... قبلَ الوقوفِ- صاحِ- بالجِماعِ

كذاكَ قبْلَ أكثرِ الطّوافِ ... لعمرةٍ، وذاكَ غيرُ خَافِ

والحكمُ في كلٍّ يكونُ واحِدا ... إنْ مُكْرَهًا أو ناسيًا أو عامِدا

ويلزم المضيُّ في الأفعالِ ... مثلَ الصّحيحِ منهما في الحالِ

ثمّ القضاءُ واجبٌ مِن قابلِ ... عليه، ثمّ الدَّمُ حالَ عاجلِ

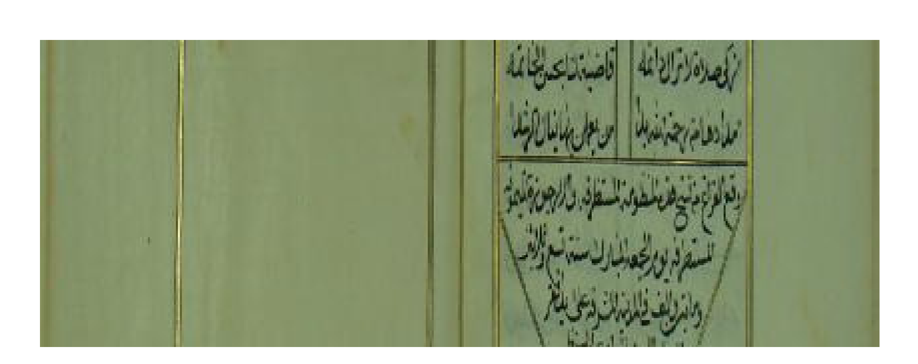
كتابُ الجناياتِ

واعلمْ بأنّ حاصلَ الجنايهْ ... مِن مُحْرِمٍ عند ذَوِي الدِّرَايهْ

عبارةٌ فيهِ عنِ ارْتكابِ ... ما كانَ محظورًا بهذا البابِ

إنْ كانَ في الإحرامِ أو في الحَرَمِ ... كالطِّيبِ أو لُبْسِ المخيطِ؛ فافْهَمِ





ومثلُهُ تغطيةٌ للرّاسِ، ... كذلك الوجهُ بلا الْتِباسِ
وكالجِماعِ، وإزالةِ الشَّعَرْ ... والظُّفْرِ، أو تعرُّضٍ لصَيْدِ برّ
وتركِ واجبٍ، وقطعِ الشَّجَرِ ... مِن حَرَمٍ، وقَلْعِ عُشْبٍ أخْضَرِ

بابُ الهدْيِ

الهديُ ما يهدونَهُ إلى الحَرَمْ ... مِن إبِلٍ، وبَقَرٍ، ومِن غَنَمْ
أقلُّه شاةٌ، ويُجْزي فيهِ ... ما كان في أُضْحيةٍ يجزيهِ
والشّاةُ تجْزي تَرْكَ ما قد وَجَبا ... إلّا اذا طافَ لفرْضٍ جُنُبا
أو جامعَ المحرمِ بعد ما وَقَفْ ... من قبل حلْقٍ، نحْرُ بدنٍ لا أخَفّ
ويأكلُ المهدي إذا تطوّعا ... أهدى مِن الهدْيِ، وإنْ تَمَتّعا
كَذَا مِن القِرانِ، لا من غيرِهِ، ... وخُصّ ذبحٌ فيهِ وقتَ نحْرِهِ
وكلُّ ما مرّ عليكَ مِن دَمِ ... فَذَبْحُهُ مخصَّصٌ بالحَرَمِ

خاتمة

وَمَن نّوى الرّحلةَ للرُّجوعِ ... فليقصِدِ المسجدَ للتّوْديعِ
ثمّ لْيُصَلِّ ركعتَيْنِ فيهِ ... ويسألِ اللهَ الذي يبْغيهِ
ثمّ لْيُوَدّعْ باكيًا خيرَ البَشَرْ ... ثمّ أبا بكرٍ وبعدَهُ عُمَرْ
مصلِّيًا مسلِّمًا وباكيا ... ملتمسَ العَوْدِ إليهِ ثانيا
هذا؛ ونرجُو الواجبَ العِبادَهْ ... كيما يُميتَنا على الشّهَادَهْ
والنُّطْقِ بالتّوحيدِ والإقرارِ ... للمصطفى رسولِهِ المختارِ
صلّى عليهِ اللهُ ما نامٍ نَمَا ... وآلِهِ وصحبِهِ وسلّما
أزْكى صلاةٍ لا تزالُ دائمَهْ ... قاضيةً لنا بحُسْنِ الخاتمَهْ
إمدادُها مِن رحمةِ اللهِ بَدَا ... مَن يعمَلَنْ بِها يَنَالُ الرّشَدَا

تمّت

---

(١) راجع ترجمته في: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي (٢/ ٢٤٨)، و«الأعلام» للزركلي(٨/ ٢٣٩)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٣/ ٣١١) وغيرها.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٣)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

أفضل ما أوطئ به الحديث في هذه الحلقة اللغوية الثالثة، التأكيد أن الذي أنهضني لتحبير هذه السطور، تصحيح نظرتنا إلى اللغة العربية الفصحى، لأنها هي أمُّنا الرؤوم التي أرضعتنا بلبانِها، وهي أثمن ما تبَقّى لنا في بحر العوَلمة الجارف؛ من أجل ذلك لابد من المحافظة عليها كما نحافظ على أعيننا، ومن الدفاع عنها وصيانتها كما نصون أشهى مرغوب لدينا؛ من أن يُزَوّره العابثون الذين يعيثون في الأرض الفَساد. ولقد أمدّتْني التجربة أن الفساد في اللغة العربية الفصحى بدأ قليلا مثل جرثومة متناهية الصِّغَر، ثم شرعت نُطفتُه في التحول من حَال إلى حال، حتى توسعت مناحِي القصور في ثوبها القشيب، وكاد الخَرْقُ أنْ يتّسع على الراقع، وما ذلك إلا من تداني الهِمَم، واحتقار الذات، وما تَدُل عليه الكَلمات من مقومات الإنْسيّة العربية. فنحن حين نستعمل كلمة، لا نوظفها إلا مع ما تزخر به من عبقرية موحية بكل الأحاسيس والمشاعر التي أنتجتْها البيئَة العربية المترامية الأطراف. من أجَل ذلك لابُدّ من تجنب السقوط في حبائل أنصاف الحلول التي تنظر إلى اللغة باعتبارها مجرد وسيلة للتعبير. فاللغات في عصر العولمة دخلت في تزاحم وتصارع واقتتال لا يَفْتُر؛ حتى تزْوي اللغة المغلوبة في حدود ضيِّقة.



وهي حقيقة لسنا في حاجة إلى أن نقيم البرهان الساطع عليها، حيث بدأ كثير من أبناء العروبة يَزْوَرُّون عن الفصحى، مُوَلّين أوجههم شطر اللغات الأجنبية، التي اقتعدت الصدارة في مجتمع المعرفة الذي فغر فاه لابْتلاع ما تبقى لديها من جاذبية تتمتع بها خطوطها التي استمدت أصالتها من القرآن الكريم، حتى قال المستشرق «ريتر»: «إن الكتابة العربية أسهل كتابات الدنيا وأوضحها، فمنَ العبَث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح»(١) الأمر الذي دفع الفرس والصين والهند إلى الاحتفاظ في قصورهم بالخطوط العربية لما لها من جمال آسر خلاب. ذلك هو حال الخط العربي، فماذا نحن فاعلون أمام هذا السّيْل الجُراف القُحاف من الرسائل الإلكترونية القصيرة التي حرّفت قواعد الإملاء العربي، مختزلة الكلمات، مستبدلة الأرقام ببعض الأصوات غير المتيسرة في الإنجليزية والفرنسية مثل: «العين والغين والحاء والخاء والصاد...».

ولقد استبان لي في أثناء التأمل والسياحة بين ما يُنْشر ويُنْطقُ من كلام عربي بَزَل فيه الفساد حتى كاد أن يترك العربية الفصحى على مثْل مقْرف الصّمْغة، أن المحافظة على قواعد الإملاء، وعلى الفصاحة لا يمكن أن تفرض على الأيدي والأفواه، فرضًا قسريًا، وإنما سبيلها اللاحبَة الناهجة التي لا قُحَم فيها، هي هذه الورقة اللغوية في هذه المجلة الغرّاء، وفي غيرها، عسى أن تألف الأيدي والألسنة معرفة الفصيح الصحيح، وأن تستعمله حتى تُرَسّخَه العادة التي تُعدُّ طبْعًا ثانيا. وإذا كان هناك من يستصغر هذا المجهود، فإن الأعمال العظيمة لا تتولد إلا من الأعمال الصغيرة صادقة النّيـة، كما النهر العظيم الهادر، لا يكون إلا من صغار الفوالج والجعافِر والأسْريّة.

هذه هي السبيل التي تُبْقي على عربيتنا الفصحى سليمة معافاة، ناهيك عن الحصانة الربانية التي ظلت تتمتّع بها من فوق سبع سموات، رغم الكسل اللغوي الذي انتاب مجتمعاتنا اللغوية من خلال التضحية والتفريط في بعض الألفاظ القرآنية، التي غُيّرتْ دلالاتها الراقية باتجاه دلالة انحطاطية على هذه الشاكلة: «لقد دمر الاستعمار الفرنسي والبريطاني العالم العربي» حين نبحث عن تاريخ لفظة «الاستعمار» نتبيّن أنها لفظة قرآنية وظفها القرآن والفصحاء راقية الدلالة تفيد البناء والتعمير والتشييد؛ قال تعالى من سورة هود آية رقم ٦٠: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَه غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي وجعلكم عُمّارها. وفي سبب تأليف أبي منصور الثعالبي لكتابه «فقه اللغة وأسرار العربية» أورد في مقدمة الكتاب ما يأتي: «فاستأذنْتُه في الخروج إلى ضيعة لي متناهية الاختلال بعيدة المزار؛ فأجمعُ فيها بين الخلوة بالتأليف وبين الاستعمار، فأذنَ لي... وأمر، أعلى الله أمْرَهُ، بتزويدي من ثمار خزائن كتُبه...»(٢) وفي مقدمة ابن خلدون نصادف لفظة الاستعمار بنفس الدلالة حيث يقول: «الحمد لله الذي له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت، العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى أو يخفيه السكوت. القادر فلا يعجزه شيء في السموات والأرض ولا يفوت، أنشأنا من الأرض نَسَمًا واستعمرنا فيها أجيالا وأمما». (٣) و«أعمره المكان واستعمره فيه، جعله يعمره. وفي التنزيل ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. أي أذنَ لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها. وفي الأساس واستعمر الله عباده في الأرض، طلب منهم العمارة فيها».(٤) هذا ما تقول به أمّاتُ المصادر، أما ما يتفوّه به المعاصرون، ومَنْ لفّ لفّهم من الألفاف الذين لا يُوزَن لهم رأي، فإن لفظة «الاستعمار» انتقلت دلالتها من الرقي إلى الانحطاط، وبذلك يصح لديهم نعت «الاستدمار» أو «الاستضمار» و«الاحتلال» بهذه اللفظة القرآنية، التي لا ينبغي لنا ولا لغيرنا أن نُحْدث فيها تغييرا إلا إذا كنا مستعدّين أن نتنازل عن مقومات وجودنا وعبقريتنا. تأسيسا على هذه النصوص التي تقطع دابر أي متردد مُرتاب، فإن العبارة الآنفة يجب أن نطردها من حظيرة الفصحى، وأن نستبدل بها العبارات الآتية التي تعكس نهب الخيرات وتدمير العمران:

- لقد دمّر الاحتلال الفرنسي والبريطاني العالم العربي. أو:
- لقد دمر الاستضمار الفرنسي والبريطاني العالم العربي. أو:
- لقد دمر الاستدمار الفرنسي والبريطاني العالم العربي.

الهوامش

■ الخط العربي ورحلته مع الفن الحديث، د. إيناس حسني. مجلة دبي الثقافية. السنة السابعة، العدد رقم ٦٦. ص ٧٢. نوبمر ٢٠١٠. الإمارات العربية المتحدة.

■ فقه اللغة وأسرار العربية – أبومنصور الثعالبي. شرح وتقديم د. ياسين الأيوبي. ص ٣٧. ط ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت.

■ مقدمة ابن خلدون. تحقيق د. علي عبدالواحد وافي. الجزء١ص ٢٨١. الطبعة ٣ – دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة.

■ شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس. محب الدين أبوفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي. مادة عمر. باب الراء فصل العين. المجلد ٣– ص ٤٢٢. دار الفكر.

وعاد محمد!

مياسة النخلاني - قاصة يمنية

كان الطريق مظلما حالكا يحاكي الظلمة التي تموج في أعماقه، ففي مثل هذه الساعة من الليل قلما يسير أحدهم في هذا الشارع سوى القطط والكلاب الضالة، ولكن هيهات أن يبالي فما عادت تفرق معه وما عاد الظلام يخيفه أو يرعبه وما عادت الوحدة تؤثر فيه.

أحيانا وفي غمرة ذلك الهدوء المشحون بعتمة الليل تجد كثير من الأفكار والتساؤلات طريقها إلى مخيلته.. فإلى متى هذا الضياع والتيهان إلى متى ستظل أقدامه تجره في هذا الطريق المظلم دونما هدف أو رغبة في التوقف والعودة إلى الوراء.. وإلى متى يظل حبيس نفسه التي تحمل الكره للجميع دونما تمييز أو سبب واضح؛ معاقبا إياهم بجر نفسه إلى مزيد من الهلاك وعدم الإدراك، ولكن ما إن تتشعب التساؤلات التي يعجز عن إيجاد إجاباتها حتى يسارع بطردها قاذفا إياها بين حنايا الظلام الذي يلفه لترتد عليه مجددا وبقوة أكثر من ذي قبل..

«الله يهديك ويصلح حالك» دعوة أمه له كل صباح ومساء من كثرة ما ترددها على مسامعه صارت تطن في أذنيه في كل حين، كم يود لو أنه يصرخ في وجهها ويقول لها: كفاك عبثا، فلا جدوى مني غير أن رقة صوتها وهي تنطق بهذه الكلمات تمنعه من البوح بتلك الرغبة، وعوضا عن ذلك يقبل يديها ثم يمضي إلى حال سبيله.

والده المسكين عبثا يحاول اصطحابه إلى مسجد الحي للصلاة، وفي نفسه أمنية هي أن تكون تلك الصلاة فاتحة خير على قلبه التائه في سراديب الظلام، لكن كلمة المسجد بحد ذاتها تصيبه بالجنون، بل تجعله ينتفض كمن قرصته أفعى شديدة السمية، يتذكر جيدا تلك الليلة عندما أصر عليه والده الذهاب معه لأداء صلاة العشاء، حين حاول التملص منه برفق مخفيا في أعماقه موجات من الغضب والنفور لكن إصرار والده أعجزه عن إخفائها أكثر فلم يشعر بنفسه إلا وقد حطم كل ما كان أمامه ليترك البيت غاضبا وسط دهشة والده ودموع أمه، هو نفسه لا يعرف لماذا ينتابه هذا الشعور كلما ذكرت أمامه كلمة مسجد هل يعقل أن يكون الشيطان قد استبد به إلى هذا الحد وتملكه حتى جعله يرى بيت الله كسجن يخاف أن تطبق عليه قضبانه.

«أووف مالي ولهذه الأفكار اليوم» ركل قارورة فارغة كانت ملقاه أمامه بقوة ثم أكمل سيره فهو لا يحب أن تجره أفكاره إلى هذه النقطة التي تصيبه بالضيق والضجر أعطى لقدميه كامل الحرية لتأخذه حيث تشاء فما عاد يهتم بالوجهة التي سيذهب إليها، المهم أن يمضي بعيدا عن هذا الجو المشحون بالأفكار المتضاربة، فإذا بهما تأخذانه للسير من أمام مسجد الحي الذي طالما تجنب المرور بالقرب منه على مدى سنوات طويلة، وقف محتارا فليست أفكاره فقط من تتآمر عليه بل حتى قدماه، فهو لا يحب المرور من هنا في أي ظرف كان، بل حتى عندما كان يحتاج المرور من هنا للوصول إلى مدرسته كان يضطر للسير مسافة مضاعفة، المهم عنده ألا يمر من هنا، فلماذا يجد نفسه اليوم واقفا هنا؟!

حاول عبثا الابتعاد؛ فهذا المكان لا يشعره بالارتياح ولكن قدماه خانتاه وتشوش أفكاره أوهن من قواه فأسند ظهره إلى أقرب جدار ملقيا برأسه إلى الوراء.. مازال السكون يلف المكان، سوى من حركة صدره يعلو ويهبط بحركات متسارعة ومضطربة..

كان حينها في العاشرة من عمره حين أحضره والده إلى هنا ليحفظ القرآن على يد الأستاذ عبدالله، كم كان فخورا حينها كونه سيكون أحد طلاب الأستاذ عبدالله الذي كان يعتبر زينة شباب الحارة وأكثرهم علما وأدبا والتزاما.. كانت بدايته مع الأستاذ عبدالله أكثر من رائعة وكان تأثره به يفوق الوصف حتى إنه صار يقلده في كل شيء.. لبسه ومشيته وحديثه.. وكل ما يقوله الأستاذ عبدالله لا مجال لمراجعته أو التعدي عليه، لم يكن وحده الذي يحب الأستاذ عبدالله بل كل زملائه في المسجد ينتابهم نفس الإحساس حتى إنهم كانوا يتنافسون من سيكون الأكثر قربا من معلمهم المحبوب الذي لم يكن يعيبه شيء سوى أنه كان شديدا جدا، وإن لم يكن ذلك حينها يؤثر فيهم كثيرا.

في ذلك اليوم وعندما كان يستعد لأخذ مكانه ككل يوم استعدادا للدرس ناداه أستاذه طالبا منه أن ينتظره في الخارج، ترك مكانه ترتسم على محياه علامات الاستفهام وخرج وهو لا يعلم ما القصة، وبعد قرابة الساعة ناداه أستاذه وأمام الجميع أخذ يهينه ليعرف حينها أن أحد الزملاء كان قد وشى به عنده، وبذنب هو لم يقترفه.. حاول الدفاع عن نفسه، لكن صوت الأستاذ عبدالله كان أكبر وبعصا غليظة، وأمام الجميع تلقى أعنف ضرب في حياته، لم ينبس ببنت كلمة ولم يذرف أي دمعة رغم أن الإحساس بالألم والمهانة قد أطبق عليه.

لملم شتات نفسه وكتبه وعاد للبيت حيث أغلق على نفسه غرفته.. تأمل طويلا يديه.. كانتا تهتزان أمام نظره، لكن ليس من الألم بل يحركها ذلك البركان الذي يغلي في أعماقه، وما هي إلا لحظات حتى غطت عيونه سحابة من الدموع.. دموع حارة أخذت تنهمر من عينيه مصحوبة بصرخات مكتومة حتى إن والدته سمعت بكاءه.. لكن عبثا حاولت إقناعه بفتح الباب أو معرفة ما الذي حدث له.

فقد إحساسه بكل ما حوله ومن حوله وبات ليلتها متخما بمشاعر المرارة والقهر وعشرات الأسئلة تغزو تفكيره دون أن يحصل على إجابة شافية.. فلماذا لم يكلف أستاذه نفسه العناء ليستفسر منه عن مصداقية الوشاية التي وصلته؟ لماذا لم يسمح له بإكمال الدرس مع الزملاء ليعنفه فيما بعد، عوضا عن طرده من الدرس بذلك الأسلوب المهين؟ ولماذا لم يعاقبه بعيدا عن عيون الجميع بين نظرات تشف وشفقة؟ وبأي حق يعامله تلك المعاملة؟!

نام ليلتها ودموعه على خديه وفي الصباح وفي طريقه إلى المدرسة تجنب عمدا المرور من أمام المسجد، ومن حينها وهو يتجنب المرور من هناك ورغم محاولات أمه وتساؤلات والده فإنه رفض بشكل قاطع الذهاب مجددا إلى دروس المجسد، وعبثا حاولا إقناعه بالعودة، بل من حينها لم يصل ولم يقرأ آية من القرآن، بل كان يتعمد التباهي بذلك أمام أصدقائه ليبلغوا الأستاذ عبدالله بذلك..

انطلقت تسبيحات من مأذنة الجامع الذي يستند على جداره.. فتح عينيه واعتدل في جلسته ماسحا دموعه التي لم يكن يدرك أنها قد غسلت خديه كما حدث في تلك الليلة قبل سنوات طويلة.. فرغم اعتقاده أن السنوات قد محت ما حدث من ذاكرته فإنها ماتزال راسخة في أعماقه.. لكن يا ترى هل نجح في معاقبة أستاذه على فعلته تلك؟ ألم تكن خمسة عشر عاما من الضياع واتباع الهوى كفيلة برد الإهانة التي تسبب له بها؟

على من يضحك؟! فلا أحد يعاقب سواه ولا أحد يدفع فاتورة أفعاله سواه.. هو الوحيد الذي يسددها يوما بعد يوم، وعاما بعد عام، ولا يدري إلى متى سيظل يسددها من عمره الذي ينطوي أمام ناظريه دون الحصول على عائد مجد سوى مزيد من الضياع.. أطلق تنهيدة عميقة ونفض عنه ما علق من تراب، وهم بالرحيل، فإذا بوالده يناديه: «محمد ألن تدخل لتصلي الفجر معي»

حاول البحث في أعماقه عن تلك المشاعر الغاضبة التي عادة ما يواجه بها والده كلما دعاه إلى الصلاة، فلم يجدها وعوضا عنها أحس برغبة جارفة للانصياع وراء رغبة والده الذي لم يمل ولم ييأس منه يوما ما، مسح ما تبقى من دموع بكمه ولحق به تاركا وراء ظهره أعواما طويلة من العناد والتيهان والندم.

الأحرف والقراءات القرآنية في ضوء الدرس اللغوي

محمود الهايشة - باحث في التراث



صدر في منتصف شهر جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ- مايو ٢٠١٢م عن سلسلة دراسات إسلامية التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - وزارة الأوقاف المصرية، العدد (٢٠٣) كتاب «الأحرف والقراءات القرآنية في ضوء الدرس اللغوي»، للأستاذ الدكتور، محمد المختار المهدي، الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية، ويقع الكتاب في ٩٥ صفحة من القطع الصغير.

وقد تناول هذا البحث نشأة اللغة الإنسانية، وتعرض لما قيل: إنها توقيفية استنادًا إلى تعليم الله لآدم الأسماء كلها، وما قيل: إنها مواضعة أو محاكاة قياسًا على مراحل الطفولة، واستنبط البحث من القرآن الكريم تصورًا جديدًا يجمع بين الرأيين؛ إذ كان منهما جزء وراثي مما علمه آدم لأولاده وجزء بمحاكاة لأصوات البيئة وجزء بالمواضعة.

وتعرض لكيفية انقسام اللغة إلى لهجات، وإلى الاصطلاح على تقسيمها إلى سامية وحامية ويافثية ثم دلف إلى اللغات السامية، ومنها اللغة العربية الشمالية والجنوبية، وانقسامها إلى لهجات، وفضل الكعبة في شيوع لهجة قريش في أسواق مكة، ونزول القرآن أولا بها، وبدء نزول الأحرف في المدينة عند أضاة بني غفار تيسيرًا لقراءته حتى وصلت إلى «سبعة أحرف كلها شاف كاف».

وشرح معنى الحرف اعتمادًا على ما ورد بالمعاجم وانتهى إلى أنه يشمل اختلاف الأداء الصوتي كما يشمل اختلاف الكلمات في المعنى مع اتحاد اللفظ، أو في اللفظ مع اتحاد المعنى، أو في الشكل مع اتحاد المعنى وضرب لذلك عدة أمثلة.

وفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع فالأولى منسوبة لرب العزة، والثانية منسوبة للقرّاء الذين انتشروا في البلاد المفتوحة يعلمون الناس بما سمعوه من رسول الله ﷺ وعرج على ضوابط اختيار هؤلاء السبعة وفكرة عن سيرتهم، وضرب لذلك كثيرًا من الأمثلة، وبخاصة ما ورد من الشواذ.

وأثبت البحث أن تعدّد القراءات لم يكن بسبب ترك الشكل والنقط، ولكن التلقي كان هو العمدة في ذلك وأقام الدليل الواضح على ذلك وردّ على شبهة المستشرقين، وفي البحث أمثلة لاختلاف القراءات باختلاف اللهجات العربية.

يَا غَزْوَةَ الْأَحْزَاب.. إِنِّي رَاجِعٌ لِلْقُدْسْ

محسن عبدالمعطي - شاعر مصري

جَمَعَ الْيَهُودُ قُوَاهُمُ وَتَرَصَّدُوا ... لِقِتَالِنَا دَوْمًا وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا
مِنْ عَهْدِ(أُسْوَتِنَا الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى) ... وَصَّوْا بِحَرْبِ رِجَالِنَا لَمْ يَهْمَدُوا
اَلْبَغْيُ جَاءَ لِهَدْمِ صَرْحٍ شَامِخٍ ... لِلْحَقِّ إِنَّ الْبَغْيَ دَوْماً يَحْقِدُ
يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ هُبُّوا وَاسْمَعُواً ... لِرَسُولِنَا فَهُو الأَمِينُ الْمُرْشِدُ
فَإِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ أَفْلَحْتُمُ ... إِنْ تَنْفِرُوا فِي دَرْبِ رَبِّي تَسْعَدُوا
سَتُحَارِبُونَ الْبَغْيَ يَا أَهْلَ الْهُدَى ... وَسَتَظْفَرُونَ عَلَيْه إِنْ تَتَوَحَّدُوا
قَامَ (ابْنُ أَخْطَبَ) يَبْتَغِي (أُمّ الْقُرَى) ... وَيُنَاشِدُ الأَحْزَابَ أَنْ يَتَلَبَّدُوا
لِقِتَالِ مَنْ أَهْدَاهُ رَبِّي رَحْمَةً ... لِلْعَالَمِينَ وَنُورُهُ لاَ يَنْفَدُ
وَتَشَكَّلَتْ فِرَقُ الضَّلَالِ كَثِيفَةً ... مَا أَبْشَعَ السُّفَهَاءِ حِينَ تَجَنَّدُوا!
لِإِبَادَةِ الإِسْلَامِ كَانَ حِسَابُهُمْ ... خَطَأً لأَنّ الْحَقَّ دَوْماً يَخْلُدُ
جَاءَتْ (يَهُودُ) وَ(أَشْجَعُ) بِغَزَارَةٍ ... وَ(بَنُو فَزَارَةَ) وَ(الأَسُودُ) تَحَشَّدُوا
وَ(بَنُو قُرَيْظَةَ) فِي (الْمَدِينَةِ) جَيْشُهَا ... مَنْ بِالْخِيَانَةِ طَيْفُهُ يَتَجَسَّدُ
وَ(كِنَانَةُ) احْتَشَدَتْ بِجُنْدٍ طَامِعٍ ... وَالْكُلُّ فِي دَرْبِ الضَّلَالِ مُقَيَّدُ
وَالْمُشْرِكُونَ تَعَجَّبُوا مِنْ أَمْرِهِمْ ... (فَيَهُودُ) تَدْعُوهُمْ لِكَيْ يَتَوَعَّدُوا
قَدْ مَالَ قَائِلُهُمْ وَقَامَ مُسَائِلاً ... عَنْ دِينِ (أَحْمَدَ) فَهْوَ نُورٌ يُنْشَدُ
يَدْعُو إِلَى الإِحْسَانِ فِي تَشْرِيعِهِ ... يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ فَهْوَ الْمُنْجِدُ
قَالَ الْيَهُودُ لأَهْلِ (مَكّةَ) فَجْأَةً ... أَصْنَامُكُمْ خَيْرٌ كَبِيرٌ فَاعْبُدُوا
بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ هُمْ قَدْ آمَنُوا ... حَقّتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةٌ فَتَبَدَّدُوا
أَيْنَ النّصِيرُ لِغَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ ... وَبِنُورِ رَبّ النّاسِ لَمّا يَهْتَدُوا ؟!!
وَدَعَى الْيَهُودُ شُيُوخَ (غَطَفَانَ) الّتِي ... خَرَجَتْ بِجُنْدٍ لَيْسَ يَعْنِيهَا حَدُ
وَ(بَنُو النّضِيرِ) وَ(قَيْنُقَاعُ) تَكَاتَفُوا ... وَتَسَابَقَتْ أَشْبَاحُهُمْ وَتَجَسَّدُوا
وَتَشَاوَرَ(الْمُخْتَارُ): كَيفَ خَلَاصُنَا ؟!! ... الأَمْرُ شُورَى بَيْنَكُمْ وَمُمَهّدُ
(سَلْمَانُ) يَا بْنَ الْفُرْسِ هَذَا مَوْقِفٌ ... يَحْتَاجُ رَأْيَكَ إِنّ رَأْيَكَ يُرْشِدُ
هَذَا هُوَ الرّحْمَنُ أَلْهَمَكَ الْهُدَى ... لَقَد اهْتَدَيْتَ بِهَدْيِهِ سَتُسَدّدُ
لِلْخَنْدَقِ الْمَيْمُونِ سَارَعَ عَقْلُهُ ... حَفَرُوهَ فِي صَبْرٍ وَرَبُّكَ يَسْنِدُ
قَامَ (ابْنُ وُدّ) بِاقْتِحَامٍ سَاجِرٍ ... (عَمْرُو بْنُ وُدّ) بَاطِشٌ مُتَشَدّدُ
هُوَ فَارِسُ الشّرْكِ الْعَنِيدُ بِطَبْعِهِ ... تَحْدُوهُ نَفْسٌ فِي الْوَغَى لاَ تَبْلُدُ
هَتَفَ (ابْنُ وُدّ) لِلنّزَالِ مُنَادِياً ... خَشِيَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ فَتَرَدّدُوا
زَأَرَ (ابْنُ عَمّ مُحَمّدٍ) فِي وَجْهِهِ ... وَكَأَنّهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ جَلْمَدُ
اللّهُ أَكْبَرُ يَا (عَلِيٌّ) تَقُولُهَا ... أَهْوَى ابْنَ (ابْنَ وُدٍّ) فِي الدّمَاءِ مُهَنّدُ
أَذِنَ الإِلَهُ بِنُورِ فَجْرٍ بَاثِقٍ ... لِلْحَقّ إِنّ الحقّ دَوْماً يَصْعَدُ
هَذَا ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُومُ بِدَوْرِهِ ... وَلِنُصْرَةِ الدّينِ الْحَنِيفِ يُمَهّدُ
وَيَشَاءُ رَبّكَ أَنْ تَهِيجَ عَوَاصِفٌ ... خَلَعَتْ خِيَامَ الأَشْقِيَاءِ فَأُجْهِدُوا
رَحَلَ الْبُغَاةُ بِمَكْرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ ... وَالْمُؤْمِنُونَ بِجُنْدِ رَبّكَ أُيّدُوا
يَا غَزْوَةَ الأَحْزَاب..إِنّكِ آيَةٌ ... لِلسّائِلِينَ وَإِنّ مَجْدَكِ يُقْصَدُ

موريتانيا.. مواطن الشعر والفصاحة

جاك صبري شماس - ناقد أدبي

لقد دفعني حب هذا الشعب إلى الكتابة عنه وعن أرضه الخيرة، التي حملني ثراها فترة من الزمن، اعتبرتها فترة من أعز فترات حياتي.. إذ حافظ الشعب على قيمه وتقاليده العربية الإسلامية رغم قساوة الظروف التي مر بها.

يقف الإنسان مبهورًا أمام عظمة الأمة العربية التي حملت الأمانة فكانت أقوى من الجبال، واستطاعت أن تؤدي واجبها بالشكل الذي أرادته السماء عندما خاطب رب العزة رسوله الكريم بقوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾، لقد حمل قوم الرسول ﷺ الذكر العظيم وانتقلوا به من جزيرتهم إلى أبعد نقطة في هذا العالم، وكانت تزخر بالمساجد كما وصفها أحد الكتاب.

والموريتاني بشكل عام- قديمًا وحديثًا- قد طرق أغراض الشعر، من مدح ورثاء ووصف وغزل، ولم يتأثر حتى وقت قريب بالأساليب الشعرية الحديثة التي تأثر بها الشعراء الشباب بعد الستينيات، يقول الشاعر عبدالسلام العلوي:

فلما تحادثنا تبينت أنها ... فتاة من الفتيات غير بتول
فقلت لها بالله هل لك هاهنا ... خليل؟ فقالت لا تكن بسؤول
فقالت جهول ذو جفاء وغلظة ... ولكنه غر كثير ذهول

ولم تخل أشعارهم من مخاطبة الرسم والطلل على غرار الجاهليين.. ومن روائع هذه المخاطبة ما يقوله الشاعر شويعر البوحسني، وهو لقب غلب عليه، كما هو من قبيلة أبناء أبي فال:

أمن ذكر سلمى أن عرفت لها رسما ... كما رجعت حسناء في المعصم الوشما
فرجت دموعًا بالدماء صبابة ... وأغرى بك الدكار أزمانها الهما
بلاد بها أسماء كانت مقيمة ... وكانت نواحيها مجالسنا فهما
فما زلت أبكي في الديار وأنثني ... كئيبًا وما لاقيت قد أوهن العظما

وكانت العواطف والأفكار والأخيلة التي

زخرت بها قصائد الشعراء تعبيرًا عن ثقافة عربية رصينة، مدعمة بالشعور بالانتماء إلى أمة استطاعت أن تصنع تاريخًا أدبيًا في الكم والنوع، قصرت عنه أمم كثيرة، ويمتد إلى أكثر من ألفي عام من الزمان، متمثلًا في حملها رسالات السماء ونشر العدالة والدعوة إلى التوحيد وإعمال الفكر، والنظر إلى ظواهر الكون والتأمل فيها؛ من أجل إثراء العقل وتحريك الوعي الذاتي.. ويتضح ذلك في دعوة القرآن العظيم للإنسان والبشرية جمعاء للتأمل والتفكير: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾.

ويظهر تأثير الكتاب والسنة على قصائد غالبية الشعراء، ويصف الشاعر المصطفى بن عبدالله الأمة العربية وحملها الإسلام بأجمل وأعذب الألفاظ:

الناس تفخر بالأحساب والنسب
والدهر يأبى سوى التنويه بالعرب
يا أمة للعلى هبت وما قصرت
عن درك قمته في أشرف الرتب
العدل والحلم كانا في شمائلها
لذلك اختارها المولى لذا السبب

ويدعو الشاعر محمد الحنشي إلى التمسك باللغة العربية والحفاظ عليها لأنها لغة القرآن والوحدة:

حار البليغ وهانت الأقلام
لغة الهدى تنبو بها الأيام
من بعد ما كان الرسول دعا بها
وتنزل القرآن والأحكام
لغة العروبة عزها وقوامها
مهما يكن للآخرين قوام
الوحدة الكبرى طموح نفوسنا
والمقصد المنشود والإلهام

لقد زخرت موريتانيا بالأقلام الشعرية، وكفاها فخرًا أنها بلد المليون شاعر وموطن الفصاحة، والاعتداد بالتراث العربي والإسلامي، وتسطر هذه المآثر في بطون الكتب لتكون زادًا لأبناء الأمة.. فالشاعر الخليل بن محمد بن النحوي كاتب يتميز بالهدوء والحياء، ومتبحر في علوم الدين، احتل مناصب عديدة في بلده، وهو أحد المؤسسين لرابطة الآداب والفنون الموريتانية.

إنه يقف صامدًا في وجه الأعداء الذين يريدون النيل من وطنه، وتأتي قصيدته الوطنية شامخة لتسكن في ذرى القمم بقوله:

تفتقي بالجبال السود خضراء
وامرعي فالرياض السمر غناء
اليوم يعرفني من كان يجهلني
لا العين عميا ولا الآذان صماء
تقدمي يا حشود المجد والتحمي
فالفجر في أفقنا المخضر وضاء

والشاعر محمدي بن القاضي من الشعراء الشباب الذين يتمسكون بصناعة الشعر القديمة، وهو مشبع بالروح الوطنية، وصحفي ناجح في عمله، وكان يدعو إلى الألفة والمحبة والإخاء بين أفراد الشعب، والدعوة بأعلى صوته مطالبًا بالوحدة ونبذ التفرق وتحرير ما اغتصب من أرض العرب يقول:

عرفت وجهك حاشى لست أنساك
بغداد ما أنا إلا من ضحاياك
فيك انتشقت عبيرًا من أصالتنا
هنا قرأت كتابًا من سجاياك
أهواك في القدس في أحضان قرطبة
ألقى الحضارة شمًا في ثناياك

أما الشاعر أحمد ولد عبدالقادر فهو شاعر ثائر، وصوت عال ينادي بالحرية، وهو الأمين العام لرابطة الأدباء الموريتانيين، اطلع على علوم الدين، وأبحر في كثير من أمهات الكتب العريقة، وله قصيدة «بذور الحياة» صورة جميلة للفرح:

موكب النور هل ترى من بعيد
وجهه مشتاقك الحزين العنيد
أنا طيف وهاجس عربي
لم يصافحك بعد موت الجدود
أنا شنقيط هل سمعت بوحي
من رمالي أو درة من عقودي
جئتك اليوم زائرًا وشعوري
باقة الفخر والوفا للعهود
موكبي خافقي وعزمي شراعي
ودليلي أصالتي وصمودي

والشاعر الشاب المتنور محمد محمود، له ملحمة شعرية تحمل عنوان «غضب الطلائع»، وتتضمن دعوة صريحة إلى وحدة كلمة العرب، وهو يذكّر المستمعين بمآثر الأجداد، ومواقفهم السامية النبيلة نحو بناء الوطن الكبير.

مأساة يعرب أم طغاة أو عباء
جعلوا كرامة يعرب كبش الفداء
كم حرض الشعرا ونادوا يعربًا
يا للكرامة ثم لا يجدي النداء
أيام كان العرب في رهج الوغى
مثل الأسود بواسلًا يوم اللقاء
يا معشر الأحرار إن شبابنا
يرنو إليكم آملًا كل العطاء

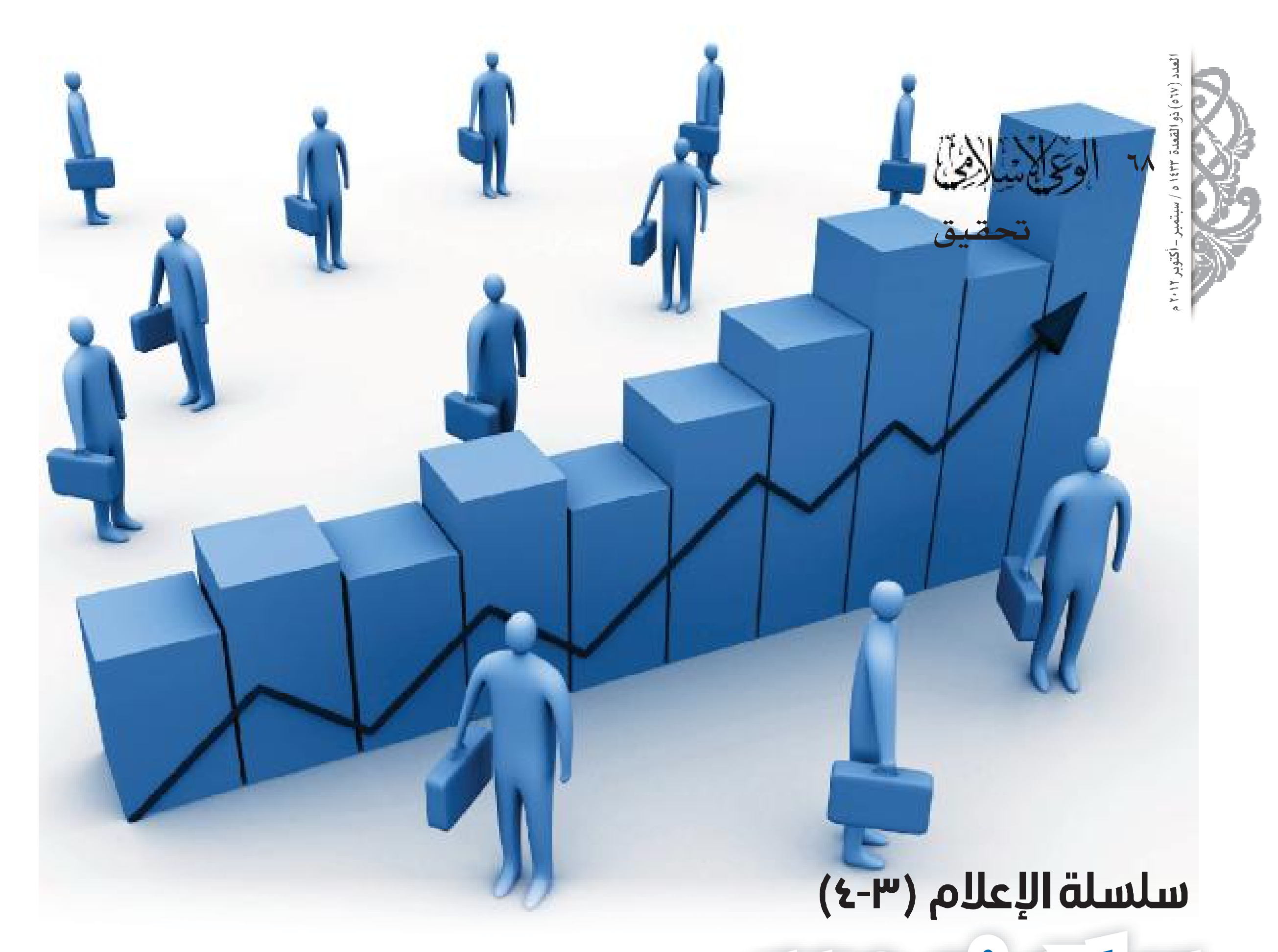
الشاعر محمد المصطفى بن جدّ من الأرباء النابهين، وقد تلقى علومه على يد المشايخ وحفظ القرآن، وقرأ المعلقات وكثيرًا من الكتب، وتأثر بالشعر الأندلسي يقول:

وزهور نورها تحت النسيم
راقصات عرفها مسك صميم
نيرات الزهر كالطرف النخيل
تنثني تتباهى قد تميل
والبساتين تروى والهديل
من شفاه الورق أحلى سلسبيل

وله قصائد عدة يركب فيها الصعب، ويدعو إلى كلمة تلم شمل العرب، وهو متأكد أن أية أمة لا يمكن أن تخلد وتحقق أهدافها السامية إلا بالبذل والعطاء والتضحيات يقول:

أيها الشيب والشباب هلموا
لبناء الحياة هيا لتسموا
ثم نعلو على الصعاب جميعًا
فواريها في التراب هلموا
إن صعب الحياة در ثمين
دونه موج كالجبال خضم

ونذكر الشاعر إسماعيل ولد محمد، وهو شاب طموح بارز، على تلقيه العلم وحصوله على الشهادة التحق بالشركة الوطنية للصحافة وعمل فيها موظفًا، كما عمل مذيعًا في الإذاعة الموريتانية، ثم التحق فيما بعد بمدرسة الشرطة الوطنية، تأثر بالبوصيري وله قصائد في مدح الرسول ﷺ.



سلسلة الإعلام (٣-٤)

سلاح ذو حدين.. الاستثمار في الصحافة المطبوعة

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

تناولنا في الحلقة الأولى من هذه السلسلة واقع الإعلام العربي المطبوع في الألفية الثالثة وتحدياته، بينما رصدت الحلقة الثانية الدور الذي تمارسه الصحافة العربية في الوقت الحالي الذي صار الاعتماد فيه أكثر على «الميديا» الحديثة في الوصول إلى المعلومة والتفاعل معها، وأثر ذلك في الصحافة المطبوعة.. وهانحن في الحلقة الثالثة نتعرّض لوجه آخر وهو الاستثمار في الصحافة المطبوعة، وصناعة إعلام مختلف يعيد الصحيفة أو المجلة المطبوعة إلى يد القارئ.. فإلى التفاصيل..

«كثيرون لجأوا إلى الاستثمار في الإعلام المطبوع، بعد أن سادت لفترة طويلة تصورات بأن الإعلام الحكومي المطبوع يمثل وحده وجهات نظر الدولة وحكامها»..

بهذه الكلمات بدأ مدير مركز «أصوات» للدراسات الإعلامية، الإعلامي محمد ناصر، حديثه، موضحًا أن هذا الاعتقاد دفع إلى ظهور حاجة ملحة إلى وجود إعلام مستقل، فظهرت صحافة قالت على نفسها إنها «مستقلة»، لكنها ليست كذلك، إنما أصبحت صحافة خاصة لها تصورات معينة للواقع السياسي والاجتماعي من خلال المواقف والعلاقات مع مؤسسات الدولة، والمؤسسات الأخرى، ظهرت كتيار مضاد للصحافة الرسمية التي كانت تعبّر بشكل كامل عن الأنظمة الحكومية السائدة، فقبل ظهور ما يسمى بالصحافة الخاصة كانت الصحف القومية تؤيد الحكومات في كل قراراتها.

صحافة المواطن

وتابع ناصر: ظهور صحف رجال الأعمال، الذين لهم مصالح اقتصادية خاصة أسهم في تأثير نمط الملكية في السياسة التحريرية والمضمون المقدم، والدليل على ذلك أنه كان للصحف خطوط حمراء، فلا يمكن لأي صحيفة اختراق الحياة الشخصية، لكن الأمر اليوم أصبح عاديًا، فالمهم ألا تمس الصحيفة مصالح رجال الأعمال، وعلى سبيل المثال عندما حدثت أزمات بسبب الخصخصة وبيع شركات القطاع العام بمصر تحدّثت الصحف عن هذه الأزمات؛ لأن رجال الأعمال جزء أصيل من الاقتصاد الحر، وكانت الحكومة لها توجه رأسمالي.

وأعرب ناصر عن عدم إنكاره أن الصحافة الخاصة أسهمت في ظهور بعض الكتاب الجدد المثقفين، أصحاب الفكر والرؤية، وأسهمت أيضاً بدرجة كبيرة في توعية

الإعلامي محمد ناصر: صحافة رجال الأعمال استفادت من سلبيات الصحف الرسمية

الناس، حتى لو لم تكن هذه هي أحد أهدافها المعلنة، في ظل الصحف القومية التي لم تتحرر من قيودها القديمة.

وأكد ناصر أن غالبية الصحف الرسمية فقدت مصداقيتها لدى القارئ، وأنه على الرغم من انتشار الصحف الخاصة فإن الصحف الرسمية لم تتغير تغيرًا جذريًا حقيقيًا يلمسه الجمهور بين سطور صفحاتها، وسياساتها كما هي، وكل سلبيات الصحف الرسمية تصب في صالح الصحف الخاصة التي لابد أن تلقب بالمستقلة، لكن سياساتها فرضت عليها مصطلح «خاصة».

ثلاثة عناصر

بينما أوضح الناشر هشام قاسم، مؤسس جريدة «المصري اليوم»، التي تعد أول تجربة تأسيس لصحيفة مستقلة في مصر، أن بدايات الصحف الخاصة متواضعة نسبيًا، بظهور صحيفة مستقلة يومية، فوجود صحيفة مستقلة- بمعنى الكلمة يكون لها تصوّر تحريري جيد، وتكون قادرة على الوجود وسط الصحف العالمية- يتطلب ثلاثة عناصر رئيسية، أولها زيادة حجم الاستثمارات: بمعنى وجود شركات مساهمة حقيقية هي التي تصدر هذه الصحف، وليس مجرد أشخاص يديرون بفكرهم مؤسسات صحافية، ولا يجب أن يكون الصوت الأعلى هو صوت فرد يتحكم في كل كبيرة وصغيرة وفقًا لمصالحه الخاصة واعتبارات معينة، فهذا يتنافى مع حرية الصحافة ومبادئها وأخلاقياتها التي لابد أن تقوم عليها، فالمضمون المقدم لابد أن يكون خاليًا من أي اعتبارات ومصالح.

وتابع قاسم: العنصر الثاني هو وجود مزيد من التجارب لكثير من الصحف المستقلة؛ لأن المنافسة هي العامل الوحيد الذي يؤثر في المنتج ويبرز جودته، وهذا لا يعني المنافسة على مستوى الصحف القومية والحزبية فقط، بل على مستوى الصحف المستقلة ذاتها، فهذا من شأنه أن يزيد من حدة المنافسة، ويجعلها أكثر شراسة، وذلك لمصلحة الوطن وإرضاء شرائح كبيرة من الجمهور.

وعن العنصر الثالث قال: ويبقى التدريب هو أهم عنصر، وذلك يعني تدريب كوادر بشرية على قيم عديدة ومهارات كثيرة، فلابد أن ننمي لديهم قيم الولاء التام للصحيفة ولخدمة الشعب، ولا تؤثر فيهم أي مدخلات مهنية على محتوى ومضمون الرسالة المقدمة للجمهور، أيضًا تنمية المهارات لديهم بما يتوافق مع مستحدثات العصر.

سلاح ذو حدين

ورأى مؤسس صحيفة «المنتدى العربي» المستقلة، عادل دسوقي، أن الاستثمار في الصحف سلاح ذو حدين، أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، ففكرة وجود استثمار صحافي في البيئة الإعلامية يثريها، ويخلق روحًا تنافسية بين شتى أنماط التقسيمات الصحافية الموجودة سواء حزبية أو قومية، وهذا برز على سبيل المثال حينما ظهرت جريدة «المصري اليوم»، حيث تراجعت أرقام توزيع الأهرام وهي الصحيفة الرسمية الأولى في مصر، ما دفع الصحف القومية والحزبية وحتى الخاصة التي خلقت هذه الروح إلى بذل مجهود، وكسر الحاجز السلطوي إلى حد ما، حتى تضاهي متطلبات العصر مع وجود الجرائد الأخرى، معتبرًا ذلك الميزة أو «الحسنة» الوحيدة التي خلقها الاستثمار الصحافي.

واقترح أن تكون أولى خطوات الإصلاح الإعلامي الصحافي المطبوع الخاص هي الفصل التام بين التحرير والإدارة، حتى لا تتضارب المصالح، وأن تكون هناك رقابة عليها من قبل مؤسسات إعلامية من انتخاب أشخاص عاديين، فيكون هناك إشراف خارجي، يقيم الرسالة من منظور أخلاقي هادف، وأن يمارس الصحافيون عملهم وفقًا لمعايير احترافية ومهنية، ويقوموا بتقديم معلومة والقارئ يحكم، مطالبًا بألّا يكون المالك شخصًا واحدًا، بل أشخاصًا كثيرين، فلا يتحكم فرد في جريدة

مناصرة أم معارضة؟

في سلسلة «المئويات» وتحت عنوان «الصحافة وحريتها.. الفنون ووحدتها»، يوضح المفكر محمد مندور، في محاضرة ألقاها في فترة الخمسينيات بمعهد الصحافة تحت عنوان «الصحافة المؤيدة والمعارضة» أن الصحف في البلاد الديموقراطية ذات الأنظمة النقابية تنقسم عادة إلى مؤيدة ومعارضة؛ أي مناصرة للحكومة أو معارضة لها، والأخيرة هي ما تسمى بالصحف الخاصة أو الشعبية التي كثيرًا ما تلقى رواجًا لدى الجمهور، وإقبالًا أكثر من الصحف المؤيدة أو القومية، وذلك يرجع- من وجهة نظره- إلى خمسة أسباب سياسية ونفسية:

أولها أن الحكم يضيق برأي الأحزاب ويضعفها..

أما السبب الثاني فهو أن المعارضة تتحدث دائمًا عن مُثل عليا وأهداف خارقة، حتى إذا تحمّلت مسؤولية اصطدمت الآمال بالحقائق وقهرت القدرة على بلوغ مدى الأمل، وتستغل المعارضة هذه الحقيقة البديهية؛ لكي تكسب الشعب الذي يتغذى بالآمال.

ويأتي السبب الثالث بشكل نفسي، حيث إن القراء أحيانًا عن وعي أو عن غير وعي، عادة لا ترتاح نفوسهم إلى كثرة المديح في الغير، وذلك لأن المديح كثيرًا ما يجرح الكبرياء الشخصي، وربما كانت هذه الحقائق النفسية ما يفسر تعذر الناس من الصحف المؤيدة، خاصة إذا ذكرنا أن هذه الصحف تلعب دور الصديق الجاهل عندما يسرف في المديح والمبالغات، فيغير هذا الزبد التافه جوهر الفعل الخيّر الصالح- على حد قوله.

وعن السبب الرابع يقول: إن الناس تُقبل على صحف المعارضة والنقد بوعي منهم أو بغير وعي؛ لأنها تشبع غريزة متأصلة في النفوس، وهي غريزة التسامي، غير أن المعارضة قد تعترف للآخر بفضل، ولعل هذا الاعتراف يزيد من معارضتها قوة وتأثيرًا، وذلك لأن بمثل هذا المنهج النزيه تكسب ثقة القراء وخاصة القراء الذين لا ينتمون إلى حزبها.

وأخيرًا: إن القراء يعتقدون عادة أن الصحف المعارضة هي التي تنشر كل الحقائق والأخبار ولا تخاف شيئًا بينما يظنون أن الصحف المؤيدة كثيرًا ما تقتصر على نشر ما يشرف الحكومة أو يعزّز من مكانتها عند الجمهور، ويغفل أشياء أخرى.

العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣ هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢ م

مدرب التعليم والتفكير الإبداعي في جامعة الملك عبدالعزيز
د. عبدالله الحسني لـ «الوعي الإسلامي»:

أطمح في تدريب معلمي القرآن بالعالم الإسلامي

للحلقة القرآنية قواعد وأسس يجب أن تتبع

حوار: حسني السيد

الدكتور عبدالله بن سعيد الحسني من أبرز المدربين السعوديين المحترفين في برامج التفكير وحل المشكلات بطرق إبداعية.. في زيارته إلى الكويت بدعوة كريمة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التقته مجلة «الوعي الإسلامي» وحاورته أثناء لقائه مع رئيس التحرير، ظهر الأربعاء ٢٧ يونيو الماضي.. تناول الحوار عددًا من القضايا التي تهم كل حافظ أو ساعٍ لحفظ القرآن الكريم، من كيفية نقل المحفوظ من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة، والأسس التي ينبغي أن تقام عليها الحلقات القرآنية، مرورًا بالمشروعات التربوية الخاصة بأبنائنا في الإجازة الصيفية، وإن كان الدكتور الحسني قد قدم إجابات مختصرة إلا إنها دقيقة وشافية وتكشف للقارئ المسلم عن عالَم طالما احتجنا لمن يحدثنا عن خصائصه.. وإلى تفاصيل الحوار:



● لك باع طويل في مجال تدريب العاملين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، كيف تشكلت لك هذه الخبرة؟
- بفضل من الله تعالى تشكلت هذه الخبرة من خلال عملي في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالطائف مدة تزيد على ٢٢ سنة في متابعة وإدارة الحلقات القرآنية.

● ماذا أضاف لك جمعك بين التدريب في مجال الحلقات القرآنية والتدريب في تعليم التفكير؟
- أضاف لي الكثير من خلال توظيف بعض إستراتيجيات التفكير، فمثلا من خلال تركيزي في هذه الدورة على أهمية مراجعة حفظ القرآن باعتباره أهم عمل يجب التركيز عليه، أبين كيفية نقل المحفوظ من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة بالتكرار لأن حفظ آيات ما في الحقيقة يبدأ بعد تسميع الطالب الحفظ الجديد بامتياز.

● من خلال حضوري للدورة رأيت إبداعكم في التدريب الموجه لمعلمي ومعلمات التحفيظ، فما أهمية هذه الدورة لمن يعمل في التحفيظ من غير المعلمين والمعلمات؟
- هذه الدورة موجهة للمعلمين والمعلمات وكذلك المشرف التعليمي أو الفني بالدرجة الأولى، وفي رأيي حضور كل من له اهتمام بهذا المجال ضروري من حيث معرفة كيف تدار هذه الحلقات وكيف يمكن حل المشكلات عند وجود ضعف في جانب منها.

● كيف ترى مستوى حلقات تحفيظ القرآن في الكويت؟
- لا أستطيع أن أعطي رأيي في هذا الموضوع بحكم أنني لم أقم بزيارتها، وليس لي علم بالمستوى العام فيها.

● الجيل الحالي جيل لم يعد كالسابق يتلقى معلوماته من المعلم والوالدين فقط، برأيك كيف يمكن توجيه النشء توجيهًا تربويًا وفق المنهج القويم؟
- نحن لا نقلل من أهمية قيام المعلمين أو الوالدين بدورهم الفاعل في غرس القيم الجيدة لدى الأبناء أو بناء وتعديل السلوك، فكلاهما له دور فاعل ومهم في هذا الأمر.

الإجازات فرصة لمشروعات تربوية في المدارس والجامعات

ولابد أن يصاحب ذلك مشاريع تربوية جيدة في المدارس والجامعات بما يتوافق مع ديننا الحنيف وقيمنا الإسلامية، خاصة في أوقات فراغ الشباب كالإجازات الصيفية أو غيرها وبما يعود عليهم بالنفع والفائدة.
وقد أثلج صدري ما رأيته في الكويت من وجود مؤسسات واعية تعمل برقي ورؤية إسلامية سليمة تقوم بدور فاعل تجاه الشباب.

● بناء على زيارتك لبعض الدول العربية، برأيك ما مدى الاهتمام بحلقات التحفيظ في الآونة الأخيرة؟
- الحمد لله، الوضع العام جيد وهناك اهتمام واجتهاد واضحان في كل الدول العربية في مجال تعليم القرآن الكريم وهناك رغبة متزايدة من الناس في تعلم القرآن الكريم وحفظه، وهذا أمر يبشر بخير.

● هل كل هذه المؤسسات لديها الخبرة الكافية في إدارة هذه الحلقات؟
- لدى الكثير منها ولله الحمد الخبرة الجيدة في إدارة الحلقات وشؤونها، وتبادل الخبرات بين هذه المؤسسات واجب للتطوير والتجديد وإصلاح الخلل.

● ذكرت في الدورة أن الحلقة القرآنية تعتبر منظومة متكاملة، هل يمكن اختصار هذا الموضوع بما يفيد القارئ الكريم؟
- الحلقة القرآنية مثلها مثل أي عمل متكامل، لها قواعد وأسس يجب أن تقوم عليها، منها:
١- اختيار الإدارة والإشراف الجيدين.
٢- اختيار المكان المناسب.
٣- اختيار المعلم الكفء.
٤- إجادة المعلم للمهارات والمقومات الصحيحة في الأداء والحفظ والمراجعة والتجويد.
٥- وجود نظام اختبارات حازم يقوم ويعزز الحفظ والمراجعة.

● ما طموح الدكتور عبدالله الحسني؟
- طموحي بالنسبة لهذه الدورة هو أن أدرب بها جميع المعلمين والمعلمات والمشرفين والمشرفات في العالم الإسلامي لتقوم هذه الحلقات على أسس صحيحة وقوية.

الدكتور الحسني في سطور:
- دكتوراه في علم النفس.
- مدرب معتمد من مركز ديبونو لتعليم التفكير في الطائف وجنوب المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية، مفوض بمنح شهادة المدرب المعتمد وإعداد المدربين في برامج التفكير «تريز لتنمية الإبداع وحل المشكلات بطرق إبداعية، وبرنامج الكورت لتعليم التفكير، والقبعات الست، والذكاءات المتعددة، وبرنامج اسكامبر لتنمية الإبداع، وبناء وتعديل القيم والسلوك، والتفكير الناقد، والتفكير العلمي، والمستشار الأسري».
- مدرب أول ومدرب مدربين من الأكاديمية الدولية للتدريب والاستشارات.
- مدرب محترف معتمد من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.
- مدرب محترف معتمد من البورد العربي للتدريب والتنمية والاستشارات.
- مدرب محترف معتمد من المركز العالمي الكندي PCT.
- مدرب محترف معتمد في إستراتيجيات التفكير الإبداعي TRIZ من فلري سوخوف مؤسس جمعية تريز في أوروبا.
- مدرب محترف معتمد من مركز LIL في الولايات المتحدة الأميركية.
- مدرب ممارس للكورت من بيتر ديبونو المشرف على مركز ديبونو في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.
- ممارس في التعلم السريع من مركز التعلم السريع بأميركا.



كيف نربي أبناءنا على البحث العلمي والابتكار؟

محمد مسعد ياقوت - عضو الإتحاد العالمي للعلماء المسلمين

من الآن ينبغي على الأسرة أن تهتم بتنشئة أبنائها على حب البحث العلمي والابتكار؛ وذلك لأن التطورات التقنية المتلاحقة باتت لا تسع إلا كل ذي فكر وبحث وإبداع، إضافة إلى الفجوة المتزايدة بين مستوى خريجي الجامعات ومتطلبات سوق العمل.. فالخريج في واد وسوق العمل في واد آخر، وتنشئة الأبناء على البحثَ العلمي والابتكار سيستفيدُ منها الطالب بشكل أو بآخر إذا أردناه أن يكون مواطنًا نافعًا لنفسه ودينه ووطنه.

لكن الأسرة العربية لا تهتم بهذه التنشئة في واقع الأمر، وذلك لأسباب كثيرة أهمها:

١- غياب الثقافة التربوية والنفسية لدى الآباء والأمهات، وعدم وجود برامج كافية من الحكومات ومنظمات المجتمع المدني تستهدف تثقيف الأسر تربويًا ونفسيًا.

٢- الظروف الاقتصادية المتردية للأسر في أغلب الدول العربية، والانشغال بالكدّح، وجمع المال الذي يُشبع البطون بالكاد، الأمر الذي يجعل الأسرة في حياة كالموت الرتيب.

والمجتمع العربي عمومًا- مع الأسف الشديد- لا يهتم بنشر ثقافة البحث العلمي والابتكار، سواء على مستوى الحكومات أو الشعوب، لاسيما في وسائل الإعلام التي تبالغ في نشر المواد الترفيهية غير الهادفة، إضافة إلى الكم الهائل الذي تنشره من الترهات والفن الرخيص والسينما القائمة على نشر الرذيلة!



والمجتمعات العربية إذا اهتمت بشيء من البحث فإنها تُقدم العلوم الإنسانية على البحث التقني العملي، فالعلوم الإنسانية مادة خصبة للأفكار والمذاهب والفلسفات العتيقة التي لا ينبني عليها كثير عمل، بينما العلوم التقنية والتقدم الصناعي والزراعي أمرٌ يُزعج أعداء الأمة، ومطلوب من الأمة أن تركع في هذه الميادين، وأن تكون تابعة مقلدة مستهلكة.. وهذا- دون شكٍّ- بسبب الفساد السياسي والإداري الذي تعاني منه الأنظمة العربية في مجملها، وغياب الرؤية الإصلاحية لدى صانعي القرار.

وإذا أردنا أن نقف على أهمية تنشئة الأبناء على البحث العلمي والابتكار.. فعلينا أن نراجع النماذج التاريخية من أكابر العلماء والأعلام الذين نهضوا بأممهم، وننظر كيف نشأوا، فالأئمةُ الأربعة مثلًا جميعهم نشأ في أسرة مشجعة على العلم، ومجتمع تسوده روح التنافسية في تحصيل المعارف، وقد رأينا كيف كان الإمام الشافعي في طفولته يروح ويغدو على الإمام مالك، وكيف كان يشجعه في طفولته، وقد تنبه الإمام مالك إلى نبوغ الشافعي منذ طفولته. وابن سينا- وهو طبيب مسلم من بخارى- مذ أن كان طفلًا وهو يحضر مجالس أبيه العلمية، وغير ذلك نماذج كثيرة تؤكد حقيقة النشأة العلمية التي تخرّج فيها العلماء الأفذاذ، مما لا يدع مجالًا للشك في أهمية دور الأسرة في هذا الصدد.

ويجب على الأسر والمدارس أن تُعنى بالطلاب الموهوبين، وأن تقدم لهم الدعم الكافي معنويًا وماديًا، بحيث ينشأ الطفل الموهوب في بيئة معززة لقدراته، داعمة لمهاراته، مشجّعة لمواهبه، ومن ثم يتم توجيه هذه المواهب منذ الطفولة التوجيه السليم السديد.

ومن ضمن العلامات التي تظهر على هؤلاء الطلاب، ونستطيع على أثرها التنبه لهم كمشاريع جيدة لعلماء ومبدعين:

١. حب الاستطلاع والاكتشاف.
٢. عدم رضائه بالإجابة البسيطة.
٣. قوة ملاحظاته وقدرته على التمييز بين الأشياء والقرائن.
٤. إنتاج الأفكار المتدفقة.
٥. طرح الحلول غير التقليدية.
٦. خيال خصب واسع.

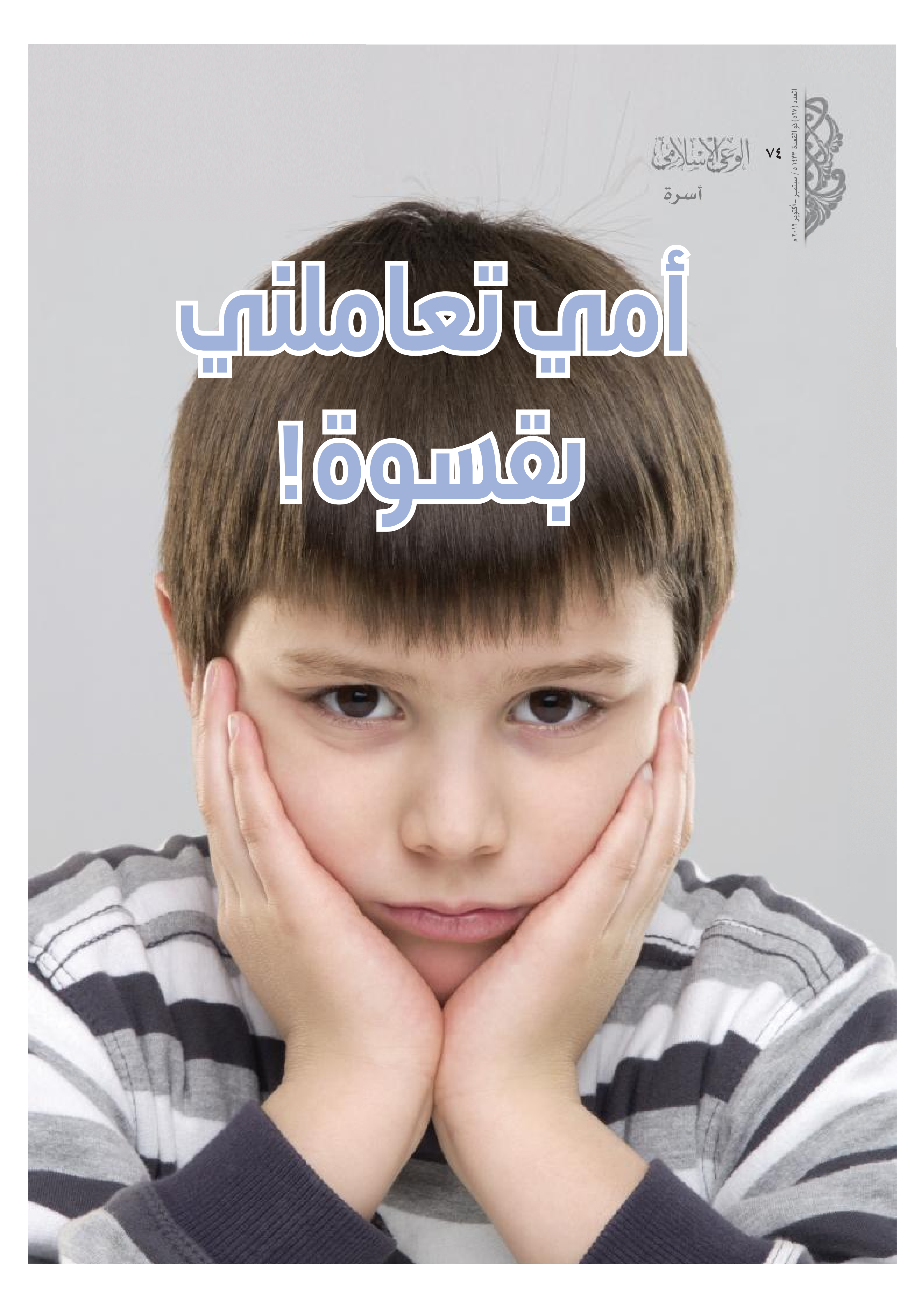
وحتى ينشأ أولادنا نشأة علمية، ينبغي أن نغرس في وجدانهم «الأمانة العلمية»، وأن يتعلموا منذ نعومة أظفارهم أمانة النقل، ودقة التوثيق، وعزو المقولة لقائلها، وأن يستكتب الوالدُ ولده في موضوع يسير، كموضوعات التعبير، فيُجرّبه ويدربه، ويناقشه.. من أين أتى بهذه العبارة؟ ومَن قائلُ هذه الجملةِ؟ وكيف تنقل من كتاب؟ وكيف توثّق في الهامش؟ وهكذا، وتلك المهارات العلمية البسيطة تسع جميع طلاب المراحل التعليمية.

وينبغي على الآباء والمعلمين أن يمارسوا أساليب تعليمية كافية في غرس قيم البحث العلمي والابتكار في نفوس الأبناء والطلاب، وذلك من خلال تفعيل الأنشطة المصاحبة للعملية التعليمية، وأقرب مثال نضربه على ذلك، حينما يخرج الوالد أو المعلم في رحلة خارجية مع الطلاب لزيارة بعض المعالم الأثرية، يستطيع أن يكتشف في هذه الزيارة الميدانية بعض الجوانب الإبداعية عند طلابه من خلال أسئلتهم، وحينما تنقضي الرحلةُ حبذا لو كُلف الطلاب بكتابة تقرير عما رأوه من معالم، وأن يسطّروا بأناملهم انطباعاتهم عن هذه الرحلة بكل حرية، ويسألوا عما عاينوه من سلبيات، وما لمسوه من إيجابيات، وما يرونه من مقترحات.

انظر كيف صارت الرحلةُ الميدانية بابًا من أبواب تنمية الابتكارية، وغرس قيم البحث العلمي عند الطلاب، إضافة إلى اكتشاف الطالب الموهوب.

وهكذا تكون سياسة الوالد والمعلم في التعامل مع الطلبة، فهو بين الفينة والأخرى يدفعهم نحو زيارة ميدانية، أو رحلة استكشافية، أو مباراة رياضية، أو نشاط من أنشطة الجوالة، أو عقد ورشة نقاشية، أو يشرف على مؤتمر يُقيمونه بأنفسهم، ويكتشف في ثنايا هذه الفعاليات الباحث والرسّام والأديب، ويعرف من يميل إلى الطب، ومن يميل إلى الهندسة، ومن يميل إلى الأدب.. كل هذا في جو من الشورى والنقاش الحُر الذي يعزز القدرات الذهنية لدى الأبناء.

ثم يأتي اليوم الذي يصطحب فيه الوالد ولده، والمعلم تلميذه إلى مركز من مراكز البحوث، ويتعلم الطالب عمليًا كيف يبحث عن كتاب، وكيف يفحص عينة، وكيف يتّبع مرجعًا حتى يصل إلى منشأه، وكيف يُعد استطلاعا، وكيف يزور عالمًا أو متخصصًا زيارة علمية مفيدة.



الوعي الإسلامي
٧٤
العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣هـ / سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٢م
أسرة
أمي تعاملني
بقسوة!

خالد الحارثي - باحث سعودي

القسوة تبدأ بتخلي الأم عن دورها الطبيعي في العطاء والرعاية والرحمة لأبنائها وبناتها، كأن تكون مفرطة الأنانية أو مفرطة القسوة أو تتنكر لواجبها وتهتم فقط بشؤونها الشخصية، ويمكن أن تكون هناك أسباب أخرى تحطم العلاقة الأمومية السليمة بالأبناء والبنات، كما أن بعض الأمراض العقلية قد تكون سببًا في سوء العلاقات الحميمة، بسبب اضطراب التفكير وظهور الهذيانات المتعددة والشكوك، ما لم تعالج مثل هذه الحالات بشكل صحيح.

أما من جهة البنت فإن الأسباب التي تجعلها تعتبر أمها عدوة لها يمكن أن تكون أسبابًا مشابهة لاضطراب الأم من حيث اضطراب شخصية البنت وضعف الالتزام الخلقي والديني والتربوي وأيضًا الاضطرابات العقلية والشك المرضي وغير ذلك.

والعلاقات الحميمة بين أقرب المقربين ليست حبًا خاصًا.. وينطبق ذلك على العلاقة بين الأبناء وأمهاتهم وآبائهم، وأيضًا بين الأبناء والبنات أنفسهم، وذلك لأن أي علاقة إنسانية طبيعية تكمن فيها جوانب من الإحباط إضافة إلى الإشباع، والإحباط يولد المشاعر السلبية والكره، وتتدرج هذه المشاعر السلبية في شدتها ونوعيتها، فمنها الانزعاج العادي والغضب والسباب، وتصل في شدتها إلى العداوة الواضحة والبغضاء وإلى الإيذاء والقتل في أحيان أخرى نادرة.

وهذه المشاعر السلبية لا يمكن التعبير عنها بشكل واضح وصريح في كثير من الأحيان بسبب الشعور بالذنب والخوف، ويؤدي كتمان هذه المشاعر والخوف منها وعدم تقبلها- على أنها جزء طبيعي من حياة البشر- يؤدي إلى التعبيرات الملتوية والمتعددة المظاهر عن هذه المشاعر، كما يؤدي إلى القلق الغامض أو الرغبة الشديدة في التنافس والحسد، أو إلى أعراض مرضية جسدية، وتؤدي أيضًا إلى إزعاج الأبوين بشكل غير مباشر كأن تؤجل تنفيذ طلباتهم أو تنسى أو غير ذلك من مظاهر كبت المشاعر السلبية العدوانية.

ولابد للأبناء من تقبل هذه المشاعر دون الشعور المبالغ فيه بالذنب كي لا تنفلت هذه المشاعر المزعجة أو تتضخم دون ضبط أو فهم أو تقبل، وبعض الأشخاص تظهر في أحلامهم المزعجة أو في الكوابيس المتكررة صور ورموز تعبر عن غضبهم وانزعاجهم من الأم أو الأب أو الإخوة المنافسين لهم، وهم يتألمون من ذلك ويتنصلون من مشاعرهم ويعزونها إلى الجن أو الشياطين أو إلى اقتراب الجنون، ولا يمكنهم أن يتقبلوا أنفسهم وأن يتفهموا مشاعرهم الداخلية السلبية وإحباطاتهم من أقرب الناس إليهم وما ينتج عنها من مشاعر سلبية مؤلمة.

وتنتشر حالة البنت التي تحس بمشاعر سلبية تجاه أمها ولاسيما في مرحلة المراهقة، وتبدأ بوادر ذلك منذ الطفولة، وتزداد مع التقدم في العمر وممارسة البنت لأدوارها الزوجية والأمومية.

أي علاقة إنسانية طبيعية تكمن فيها جوانب من الإحباط إضافة إلى الإشباع

وترجع هذه المشاعر السلبية إلى تنافس البنت مع أمها، فهي تقلدها وتأخذ أدوارها في أعمال المنزل والمظهر والثياب منذ الطفولة، ومن المعروف أن الأم أيضًا تنافس ابنتها وتحاول السيطرة عليها بشكل أو بآخر، وكل ذلك من الأمور العادية التي يمكن تفهمها وتقبلها مع الانتباه إلى عدم التطرف والمبالغة في عملية التنافس هذه، وفي بعض الحالات تتغير الصورة عادة بأن تطغى المشاعر الإيجابية وتخف تدريجيًا حدة المشاعر السلبية ومظاهرها المتعددة.

وتتدخل الظروف أو الحاجات الشخصية غير المشبعة فتزداد المشاعر السلبية العدائية والتنافسية إلى درجة تسبب المشكلات ولاسيما في مرحلة المراهقة، ولابد من تخفيف هذه المشاعر من خلال تفهمها وتعديلها بجرعات من الحب والعطاء والرعاية من قبل الأم، فالمراهقة تتميز بالتمرد والتقلبات الفكرية والعاطفية والتجارب المتعددة في مختلف المجالات، وربما يكون قليل من التمرد لا بأس به، ما لم يكن تطرفًا أو تصرفات شاذة وغريبة.

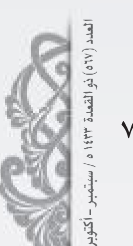
وعادة يتغلب الجانب الإيجابي في العلاقة بين الآباء والأبناء والبنات والأمهات، ويتمثل الجيل الجديد القيم والصفات الإيجابية التي يحملها الأهل، وإلا فإن عددًا من العقد النفسية والاضطرابات السلوكية والشخصية والصراعات تنتج عن ذلك، وربما يحتاج الأمر إلى المساعدة النفسية والتربوية للتخفيف من حدة تلك المشكلات عند ظهورها.



أهمية سرد القصة للأطفال

د.آندي حجازي - أستاذة جامعيّة أردنيّة

القصة هي حكاية تقوم على الأحداث والصراع والعقدة والحل والشخوص والزمان والمكان بهدف الإمتاع والتسلية والتعليم وتوسيع المدارك، وتعتبر القصة وسيلةً مهمةً من وسائل التعلم والتعليم وإيصال المعلومات والسلوكيات والقيم المرغوب بها، فهي عبارة عن منظومة مركبة من شخصيات وأحداث وحبكة وحلول تجذب انتباه المستمعين، ولذلك تتطلب القصة مهارةً في سردها فهي عمل فنيّ واتصاليّ ومهاريّ وتعلميّ يحتاج إلى جهد وفن.. ولقد كانت القصة وعلى مرّ الزمن محط اهتمام الأطفال والبالغين على حدّ سواء، ووسيلةً لتناقل المعلومات والأحداث التاريخية؛ فمثلًا برزت في أزمان كثيرة شخصية الحكواتي الذي كان يجتمع أهل الحي أو القرية من حوله للاستماع إلى قصصه وحكاياته ذات الحبكات المتقنة، والحلول الوفيرة، والنهايات المتعددة.. فقد كانت الحكايات والقصص آنذاك وسيلة لنقل أخبار البطولات والفتوحات والعلماء والشعراء والمبدعين السابقين.. بالإضافة إلى القصص الخيالية، ولذلك كان الحكواتي



يمتهنها كمهنة أحيانًا لما تحتاجه من جهد في التأليف، ومن أسلوب يستطيع نقلَ المستمع إلى العالم الَّذي يريد، بحيث يُعْمِل المستمع في خياله وفكره وإبداعه الخاص لتصور الأحداث والشخصيات.

ولكن هذه الشخصية (الحكواتي) اختفت او انقرضت كظاهرة في عصرنا الحديث، لأنه اُستعيض عنها بالوسائل الحديثة كالتلفزيون والراديو والانترنت والصحف والمجلات، فما الأفلام والمسلسلات التي تعرض في التلفاز إلا قصص تتوافر بها الأحداث والشخصيات والعُقَد والحلول، وبميزة أنها مصوّرة وترتكز على حاستيّ السمع والبصر معًا، ولكن مع تقليل توظيف الخيال للمستمع كما كان في السابق.

وتبقى القصة.. وعلى مَرّ الزمن عنصر جذب واهتمام كبير للصغار والكبار على حدٍّ سواءً، ومادةً قيّمة لنقل الأفكار والقِيم، وتسليةً للنفوس مع تحقيق الأهداف المبتغاة، ولذلك نجد أن الله تعالى وهو العالمُ بطبيعة النفس البشرية من انجذابها للأسلوب القصصي في التعليم، ومن شغفها لكشف الأحداث والغموض، ولحبها للاستماع والتعلم؛ قد استخدم الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وبطرق شتّى، وقد قال تعالى:﴿نحن نقصُّ عليك أحسنَ القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ (يوسف:٣)، وأرى أن أسلوب القصة قد جاء في القرآن الكريم بثلاث طرق رئيسة وهي:

سرد القصة كاملة، وكأنها عرض لسيرة ذاتية منذ الصغر وحتى الكبر في سورة واحدة بتفاصيل مهمة موضحة للأمور مما يجعل القارئ يعيش أحداث القصة كما في قصة يوسف عليه السلام، فقد أوردها الله تعالى مفصلةً بطريقة مشوقة جدًا لدرجة أنك لا تمل منها مهما قرأتها مرارًا وتكرارًا، فتنجذب إليها لما تجد بها من عناصر القصة المحكمة، وتستخلص منها العبر والحكم والفوائد



العظيمة؛ كالصبر والتسامح وتحمل الألم والرفعة، وفضل الله وكرمه، وأخذ الحذر لتجنب الحسد والغيرة، وشكر الله على نعمه.

سرد عدة قصص مكتملة في سورة واحدة وبشكل غير تفصيلي ولكن مؤدٍّ للهدف، بتضمنها الشخصيات والأحداث والحبكة والنهاية كما في سورة الكهف، والتي بدأها الله تعالى بقصة أهل الكهف، ثم قصة أصحاب الجنتين، فقصة الخضر مع موسى عليه السلام، وانتهاءً بقصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج، مع اتضاح العبرة والحكمة في كل قصة.

عرض قصص متفرقة في أكثر من سورة للشخصية ذاتها، كما في قصص الأنبياء موسى وإبراهيم وصالح ونوح عليهم السلام.. بحيث يتضح في كل مرة جانب من جوانب القصة الرئيسية والسيرة الذاتية للنبي والهدف من رواية القصة.

فسرد القصص من الأساليب المشوقة والهامة لتعليم الأطفال والكبار، سواء أكانت القصص من تأليف من يرويها، أو ممّا ورد عبر الزمن لأخذ العبرة والفائدة، فالقصة لها أهمية كبيرة في حياة الطفل وتعلمه وتنمية شخصيته؛ لما يمكن أن يتعلم من خلالها عن العالم الحالي والسابق والتاريخ وما حدث به، ولذا نرى أن هناك جهتين عليهما الاهتمام بسرد القصص للأطفال وهما:

أولاً: المعلمون والمربون في المدرسة

تعتبر القصة وسيلةً رائعةً لجذب الانتباه لما يريد المعلم قوله أو إيصاله للأطفال وحتى المراهقين، وذلك في جميع المواد الدراسية، وأذكر أنني عندما كنت أمارس مهنة التعليم في المدرسة عندما أبدأ بسرد قصة سواءً للأطفال أو المراهقين فإنّ الطلبة ينجذبون بحواسهم وأعينهم، وتصبح آذانهم صاغية، ويتركون ما هم منشغلين به بأيديهم، وتتفتح عقولهم طلبًا لسماع القصة، والعقدة التي بها وصولاً إلى نهايتها، فكنت أجد القصة وسيلةً رائعةً لتحقيق أهداف الدرس وقيمه التربوية المراد التأكيد عليها كالَصدق والأمانة، ومساعدة الآخرين، ورضا الله تعالى، ورضا الوالدين، والشجاعة، واستغلال الوقت..

ولكن على المعلم أو المعلمة مراعاة العمر أو المرحلة العمرية للطلبة، واختيار القصة المناسبة لهم والأسلوب المناسب لسرد القصة، فمثلاً يمكن مع طلبة رياض الأطفال استخدام العرائس والدمى لعرض القصص.. والأطفال الصغار يحبون قصص الحيوانات والطيور والطبيعة والأطفال لارتباطهم بالمحسوس أكثر من المجرد، أما في مرحلة المراهقة فإنهم يفضلون قصص المغامرات والبطولات والغموض، ويحبون استخدام أسلوب التمثيل والمسرح في التعليم؛ فما المسرح المدرسي وتمثيل المسرحيات إلا نوع من أنواع القصص التي تكون مثيرةً جدًا لانتباه الطلبة، ويشعرون من خلالها أنهم عنصر فاعل في التعلم والتذكر، كما يمكن أحيانا توفير الفرص للطلبة بتأليف القصص وسرد بعضها على زملائهم بأسلوبهم فهي أيضا مهمة لتعليم الطلبة.

وعلينا إدراك أنّ القصص لا تُنمي فقط الجانب المعرفي واللغوي للطالب

أسرة



من خلال تنمية معلوماته ومعارفه ومفرداته وتراكيبه اللغوية وقدراته الكتابية والتأليفية، بل وتنمي الجانب الاجتماعي والانفعالي، والجانب الأخلاقي والحس الوطني والديني من خلال غرس المفاهيم الأخلاقية والتربوية والمفاهيم الإيجابية، مما يُسهم في بناء شخصية متكاملة متوازنة للطفل، فلا يجب إغفال هذا الأسلوب في التعليم لأنه جدّ مشوق ومثمر، خاصةً وأنّ القصة لاتُنسى وتَترك أثرًا طويل المدى في النفس، فمن منّا لا يذكر قصةً سمعها من أحد معلميه في السابق؟ فالقصة أسلوب ينطبع في الذاكرة.

ثانيًا: الأمهات والآباء في البيت

لا يجدر بالوالدين الغفلة عن أهمية سرد القصص للأطفال وخاصة الصغار منهم، بل ويجب تعويدهم على سردها لهم يوميًا قبل النوم، لما لها من متعة وسعادة وأثر في نفس الطفل بل ويتخيل نفسه بطلاً فيها أحيانًا، ويمكن للأم أو الأب تقديم الكثير من القيم والسلوكات المرغوب بها أو المراد التخلي عنها وتعديلها؛ من خلال عرض قصص لأطفال كانوا يمارسون تلك السلوكات وماذا حل بهم أو كيف غيّروها.. فالقصة أسلوب غير مباشر لتغيير السلوك وتشجيع الطفل على نبذ السلوك السيء وإتيان السلوك الحسن؛ كنبذ الكذب والغش والسرقة، والتشجيع على الصدق والإخلاص... فالقصة مهمة لشخصية الطفل العقلية والروحية والسلوكية والأخلاقية والانفعالية، فهي تُعرفه الصحيح من الخطأ، وإذا كان الطفل يعاني من مشكلة سلوكية معينة، فالقصة أسلوب مثالي لتقويمها، بالإضافة إلى أن القصة تستثير اهتمامات الطفل بالمعلومات التي تحويها كالجبال والأنهار والينابيع والغابات والصحابة.. وهي تنمي حصيلته اللغوية، ومفرداته، وتزيد من قدرته في السيطرة على اللغة والنطق للكلمات، وتنمي معرفته بالماضي والحاضر، وتوسع من مخيّلة الطفل ومداركه.

وقصص الوالدين يمكن أن تكون خياليةً أو واقعيةً، من تأليفهم أو مكتوبة أو مصورة، باللغة العربية أو الإنجليزية، ويجب أن تكون هادفةً وبمستوى الطفل العقلي والزمني، وبلغة سهلة وواضحة، وجذابة ومرحة مع مُراعاة التنغيم في الصوت ورفعهً وخفضه بحسب الموقف وشخصيات القصة، وأن تراعي القصة ميول الطفل واهتماماته، ومن أجمل أساليب سرد القصة، جعل الطفل ذاته الذي تُسرد له القصة هو بطل القصة نفسها فهذا الأسلوب له أثر كبير جدًا في نفس الطفل وتعلمه وتحسّن سلوكاته وأفعاله، بالإضافة إلى تحسين قدرته على حل المشكلات.

وقد يسأل الوالدين متى أبدأ سرد القصص لأبنائي أي في أي عمر؟ وماذا أسرد لأطفالي فأنا لا أتقن تأليف القصص؟ بإمكان الوالدين سرد القصص للأبناء من عمر الثلاث سنوات أو أربع مع تبسيط الكلمات واستخدام بعض الصور ويمكن الاستمرار في سرد القصص لعمر ١٥ عامًا على الأقل، فحتى الكبار يحبّون سماع القصص إن كانت بأسلوب مشوّق ويناسب عمرهم الزمني وقدراتهم العقلية، وبالحقيقة توجد الكثير من القصص لسردها، فمن الجميل سرد قصص الأنبياء وقصص القرآن الكريم، وقصص من سيرة رسول الله محمد ﷺ للتعلم من حياته وبطولاته وأخلاقه، وأيضًا سرد قصص الفتوحات أو أبطال وفرسان الإسلام، وقصص العظماء والمخترعين والعلماء وخاصةً من تاريخنا الإسلامي العظيم، وهناك القصص الشعبية، وقصص المغامرة، وقصص الفكاهة، والقصص العالمية..

وجاء في بعض الإحصاءات إن ٧٥٪ من الأمهات كنّ في الماضي يسردن القصص لأولادهن، وأما اليوم فتصل النسبة إلى ١٥٪ فقط لانشغالهن داخل البيت وخارجه، ومهما تعددت الأسباب وتنوعت لابد من الانتباه والالتفات للأطفال وإعطائهم مساحةً وقتية كافية من الاهتمام وبناء الشخصية وتعديل السلوكات، فعليك أيتها الأم وأيها الأب تخصيص جزء من وقتك ولو خمس أو عشر دقائقَ من أجل سرد القصص لأبنائك وسترى أثرها ومفعولها السحري في النفوس، فالقصة فكرة وعبرة وتعلم وإبداع وتغيير في الأفكار والسلوكات.

الشيخ عمر سليمان الأشقر في ذمة الله

التحرير

فقدت الأمة الإسلامية أحد علمائها البارزين الشيخ د.عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر (١٩٤٠م- ١٠ أغسطس ٢٠١٢)، وهو أحد علماء الدين السنة شغل سابقًا منصب أستاذ في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في عَمان الأردن.



مولده

ولد عام ١٩٤٠م بقرية برقة التابعة لمحافظة نابلس بفلسطين، وهو من بيت علم إذ إن أخاه هو د.محمد سليمان الأشقر أحد علماء أصول الفقه.

الدراسة

خرج الأشقر من فلسطين وهو ابن ثلاث عشرة سنة إلى المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية وأكمل دراسته الثانوية هناك، ثمّ أكمل الدراسة في جامعة الإمام في الرياض، وحصل على البكالوريوس من كليّة الشريعة، ثم عمل أمين مكتبة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومكث فيها فترة من الزمن ثم غادر إلى الكويت عام ١٩٦٥م، واستكمل الأشقر- رحمه الله- رحلته العلمية بدراسة الماجستير في جامعة الأزهر ثم حصل على الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام ١٩٨٠م وكانت رسالته في «النيات ومقاصد المكلفين» في الفقه المقارن، وعمل مدرسًا في كلية الشريعة بجامعة الكويت، وخطيبًا في مساجد وزارة الأوقاف الكويتية.

بقي الشيخ بالكويت حتى عام ١٩٩٠م ثم خرج منها إلى المملكة الأردنية فعين أستاذًا في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية وبعدها عميد كلية الشريعة بجامعة الزرقاء، ثم تفرغ للبحث والكتابة، وأصدر عددًا من الكتب والأبحاث.

مشايخه

- الشيخ د.محمد بن سليمان الأشقر وهو أخوه الكبير وشيخه الأول.
- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
- والشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
- والشيخ عبدالجليل القرقشاوي من مشايخ الأزهر.

مؤلفاته

للدكتور عمر الأشقر مؤلَّفات كثيرة نذكر منها:

- مقاصد المكلفين فيما يتعبد به رب العالمين.
- مجموعة كتب العقيدة.
- القياس بين مؤيِّديه ومعارضيه.
- الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية.
- الصيام في ضوء الكتاب والسنة.
- حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية.
- المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم.
- معالم الشخصية الإسلامية.
- نحو ثقافة إسلامية أصيلة.
- جولةٌ في رياضِ العلماء وأحداث الحياة.
- مواقف ذات عبَر.
- وليُتَبِّروا ما علَوا تتبيرًا.

إضافةً إلى العديد من الأبحاث والدراسات الأخرى.

وفاته

توفي رحمه الله في العاصمة الأردنية عمّان يوم الجمعة ١٠ أغسطس ٢٠١٢م الموافق ٢٢ رمضان في العشر الأواخر لعام ١٤٣٣هـ بعد معاناة مع المرض عن عمر يناهز ٧٢ عامًا.



محاصرة بقانون دولي متعنت.. وصمت عربي غير مبرر!

قبرص التركية.. جنة بعبق ٩ آلاف عام

التحرير

تستطيع أن تشتم رائحة التاريخ في كل بقعة من بقاع قبرص التركية، بل تشهده في ملامح أهلها الطيبين المسالمين الذين مزجوا بين القديم والحديث، والأصيل والمعاصر.

في شمال قبرص مدينة ساحلية صغيرة تسمى «كارينيا» «Girne» ، بها مساجد صغيرة عدة، منها مسجد أغا جعفر باشا (1589) Aga Cafer Pasa القائم قريبًا من المرفأ الساحر، تصعد إلى ساحته عبر سلم قليل الدرجات، وتدخله لترى المسابح معلقة بمسامير على الواجهة، أما المؤذن ومقيم الصلاة فيقف داخل إطار خشبي منخفض، لا يرتفع عن الأرض سوى نصف متر تقريبًا، ويظل في مكانه يصلي خلف المصلين وبجانبه آخر.

الأتراك والسوريون هما الجنسيتان الغالبتان هناك، ومع أهل البلاد من القبارصة اليونانيين والزائرين المسلمين يملأون المساجد وقت الصلوات الخمس.. كنا في رمضان الماضي هناك، ولمسنا شوق كل أولئك إلى الدروس الدينية والمواعظ الحسنة، كما لمسنا غياب الحجاب عن معظم العابرات في الشوارع اللهم إلا واحدة فقط بدت مع بناتها ممتثلة لأمر دينها.

في نيقوسيا المسلمة

وهنا في ليفكوشة أو نيقوسيا حيث المنطقة الخضراء- التي تقسم العاصمة بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك- يقع مسجد لالا مصطفى باشا بعمارته القوطية الغائرة في التفاصيل، واتساعه المميز المستوعب لكل هذه الجنسيات التي أتت منبهرة بالمكان، متلمسة عبق التاريخ في الزمان.

تدخله «الوعي الإسلامي» وتتحدث مع أحد عماله، رفعت السوري، الذي يحكي لنا كيف يحتاج المسلمون هنا إلى كل دعم توعوي؟ وكيف تحتاج قبرص إلى وقفة عربية مساندة تقاوم الجحود العالمي لهذا الكيان الوليد الذي ظهر للنور عام ١٩٨٣



الرئيس القبرصي التركي درويش «أروغلو» Dervis Eroglu وعلى يمينه مرافقه

بعد مجازر شهدتها الجزيرة، وراح ضحيتها القبارصة المسلمون الأتراك، ولم تتوقف إلا بعد إنزال تركيا لقوات مسلحة أمنت الناس على حياتهم، وفصلت بين الشمال ذي الأغلبية المسلمة والأصول التركية والجنوب ذي الأغلبية المسيحية والأصول اليونانية.. يقول: أستغرب تجاهل الناس لنا وكأننا أجرمنا حين طالبنا باستقلالنا.

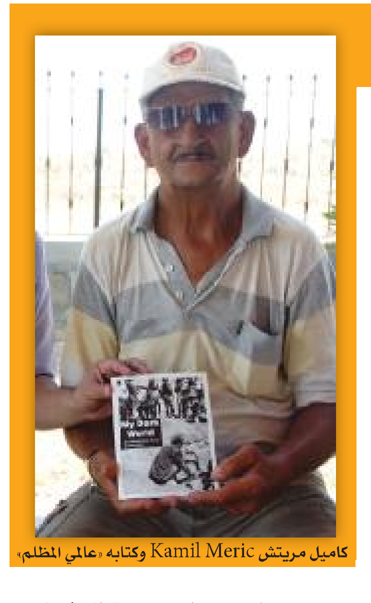
نلمح في المسجد صفحات من القرآن الكريم، محفوظة من القرن السادس عشر داخل صندوق زجاجي بجوار المنصة التي يقف خلفها رفعت وزملاؤه. وفوقها عدة ساعات منضبطة على توقيت الصلوات الخمس والإمساك عن الصيام.

نخرج من المسجد لنصعد درج قلعة بحرية تطل على ميناء تجاري سفنه محرومة من الإقلاع إلا إلى مرافئ تركيا فقط لا غير! بينما ميناء الشق الجنوبي من الجزيرة معترف به دوليًا، وتبحر سفنه إلى أي مكان في العالم، بعد أن نالت قبرص الجنوبية (اليونانية) اعتراف الأمم المتحدة بها كدولة، والاتحاد الأوروبي كعضو مستقل.

احتفال السلام

نتأمل المدينة التي بدأت تزدحم بالمحتفلين ومعلقي الزينات.. كانوا يحتفلون بمرور ٣٨ عامًا على يوم السلام، ويشرح لنا مرافقنا «حسن




كاميل مريتش Kamil Meric وكتابه «عالمي المظلم»

تونا» «Hasan Tuna» كيف نزلت القوات التركية إلى مرفأ بقبرص لحمايتهم من هجمة عرقية تعرضوا لها، باعتبارهم قبارصة مسلمين ذوي أصول تركية، من إخوانهم وجيرانهم القبارصة ذوي الأصول اليونانية.

يلتقي الإعلاميون بالرئيس القبرصي التركي درويش «أروغلو» «Dervis Eroglu» الذي يشرح باختصار الموقف الدولي الحالي من بلاده آملًا في تقدم المباحثات مع الجار الجنوبي وكسر الحصار قريبًا عن شعبه.

نتجه إلى الجنوب الغربي للوقوف على قبور ٨٠ ضحية كل جريمتهم أنهم مسلمون ينتمون إلى ٣ قرى قبرصية.

لقد قرر أفراد من القبارصة اليونانيين المتطرفين أنها قرى تحل لهم دمًا ونساء ومالًا فحاصروها، وقبضوا على رجالها بحجة أنهم يريدون أن يأمنوا شرهم، ثم مضوا بهم- كما حكى لنا شاهد عيان هو الناجي الوحيد من أفراد عائلته- وأعدموهم بالرصاص، ثم ألقوا بجثثهم بواسطة الجرافات في حفرة طبيعية وأحرقوها، ثم تفرغوا للنساء والأطفال فصنعوا فيهم ما صنعوا.

وقفت على الحفرة المتسعة التي أصبحت مزارًا تاريخيًا أتخيل المشهد ثم عدت مع الإخوان إلى حيث نصب تذكاري مسجل على رخامه أسماء كل من قضوا في هذه الحرب العرقية الشرسة.. كل قطعة رخام تحمل أسماء عائلة من العائلات المسلمة التي عثروا على جثثها، والأعمار المدونة تشير إلى الهمجية وانعدام الشفقة، فهي تبدأ من ٤ أشهر حتى ٩٥ عامًا.

يقول الرجل الحزين الذي ألف كتيبًا بعنوان «عالمي المظلم» كاميل مريتش Kamil Meric: كنت صبيًا عام ١٩٧٤م عندما قررت تركيا حماية القبارصة المسلمين الأتراك، فأنزلت جزءًا من قواتها في الميناء، لكن حرب الإبادة التي بدأت لم تكن لتتوقف فورًا، واستغلت بعض القوات من القبارصة اليونانيين عدم وصول القوات التركية بعد إلى الجنوب حيث نحن الآن، فهجمت علينا وفعلت ما فعلت.

سألته إن كان قد رأى بأم عينيه عملية الإبادة؟ فقال: لا، لقد هربت، لكني حين عدت بعدها بأشهر وجدت المأساة مرسومة على أطلال قريتي، لكن كثيرًا من المراسلين الأجانب غطوا الأحداث، ورأوا بأعينهم ما جرى في قرانا.

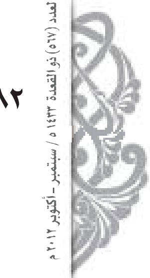
متحف الهمجية

عودة إلى نيقوسيا مرة أخرى، حيث نزور الآن متحف البربرية ٢ شارع عرفان بك منطقة كومسال، بالقرب من المنطقة الحدودية أو الخط الأخضر.. هذا هو بيت الدكتور نهاد إيلهان، كان ميجورا يخدم في الوحدة القبرصية التركية في عام ١٩٦٣.

تحكي لنا المرافقة القبرصية «أسو مختار الله» «Asu Muhtaroglu» أنه في أثناء الاضطرابات بين الطوائف من ديسمبر من نفس العام، هاجم المتطرفون من القبارصة اليونانيين منزل هذا الطبيب، ولم يرحموا أحدًا من أهله، حتى أطفاله الثلاثة أطلقوا عليهم النيران في حمام البيت فسقطوا داخل المغطس غارقين في الدماء الذكية، وسرعان ما لحقت الأم بأطفالها.

نتأمل على الجدران صور قتل وتعذيب للمسلمين القبارصة، وفي نهاية الردهة على اليسار نجد الحمام المغلق بباب زجاجي حيث يمكنك تخيل مشهد المغطس وقد ألقيت فيه جثث الأطفال وأمهم.. على الجدران كذلك نجد مقتطفات من الجرائد الأجنبية التي غطت الحدث في حينه، جاء تقرير جريدة لوفيجارو (باريس) بتحرير المراسل كلوس ماكس، في ٢٥و٢٦ يناير ١٩٦٤، كالتالي: لقد رأيت جثث الأم وأطفالها الثلاثة الصغار في حوض الاستحمام، فقط بسبب أن رب الأسرة ضابط تركي.

أما مقتطف صحيفة هيرالد (لندن). في ١ يناير ١٩٦٤ فكان: ليلة من الرعب.. مقتل ٣٥٠ قرويًا من الرجال والنساء والأطفال، وكانوا جميعًا من الأتراك.



العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣ هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢ م

مكتبة شيخ الإسلام السيد فيض الله افندي

استطلاع : وائل الحنبلي
تصوير : هداية الله نثار

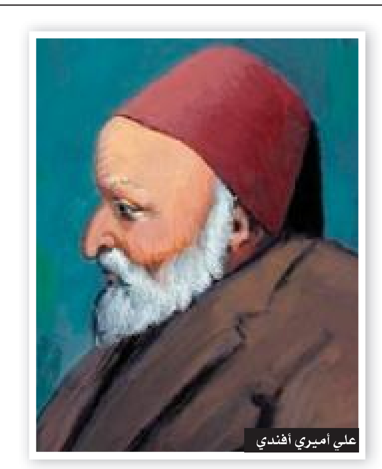
لَقَبُ: «شيخ الإسلام»، منصبٌ أو مكانةٌ؟ لُقّب كثيرٌ من العلماء في كُتب التراجم والتاريخ بهذا اللّقب، وتكلّم العلماءُ حول معناهُ وحكمه(١)، غير أنّ لهذا اللّقب طابعٌ خاصٌ في زمن الدّولة العثمانية، فله منصبٌ مرمُوق، ومكانةٌ سامقة.

فلعلّك تقف مُتعجّبًا إذا علمتَ أنّ شيخَ الإسلام في الدّولة العثمانيّة يَحكمُ على السُّلطان ويَعزله(٢)، والسُّلطان لا يَحكم عليه.

وقد يَربو عجبُك ويتفاقَم إذا علمتَ أيضًا أنّ ما يتقاضاهُ شيخُ الإسلام مُقابلَ منصبه، أكثرُ ممّا يتقاضاهُ السُّلطان في تلكَ الدّولة(٣).

أيُ دولة تلك، وأيُ علماءَ أولئك؟!

لا ينقضي عجبي حينَ أقرأ لمتفلسف ختم الله قلبَه وهو يُحارب الدّولة العثمانيّة، تارةً بحجّة أنها دولةُ السُّلطان الآمر النّاهي وحدَه، وتارةً بأنها دولةُ الجهل والظّلم والاستبداد. ولله في خلقه شؤون، وكما قيلَ: الجنونُ فنون. نعود لحديثنا فنقول:



ومن شيوخ الإسلام في زمنِ الدّولة العثمانيّة، بل من أشهرهم مكانةً وأثرًا: شيخ الإسلام فيضُ الله(٤) محمّد بن محمّد بن حبيب التّبريزي الأصل، الأرْضرُومي المولد والنّشأة.

ولادته ونشأته

ولد: ٨ شوال، سنة (١٠٤٨) (٥).
تَعلّم مبادئَ العلوم على أبيه أوّلًا، ثمّ على ابن خاله إسماعيلَ بن مرتضى أفندي.

وقرأ الحديثَ على الشيخ محمّد ظاهر بن عبدالله المغربي.

وبعدَ ذلك تتلمَذ على العلّامة محمّد واني أفندي (ت١٠٩٦)(٦)، وتزوّج ابنتَه.

وهذا الشيخُ هو الذي وجّه المترجَم إلى استانبول سنة (١٠٧٤)، وبعدَها إلى مدينة أَدرْنة، حيث إقامةُ السّلاطين هناك.

حياتُه والنّقاطُ المهمّة فيها

بعدَ رجوعِ المترجَم من الحجّ سنة (١٠٨٠)، عيّنه السُّلطانُ محمّد الرّابع مدرّسًا لولده السُّلطان مصطفى الثاني (وكان أميرًا وقتَها).

وفي سنة (١٠٨٤) عُيّن مدرّسًا في دار الحديث، بالمدرسة السُّليمانيّة، وفي سنة (١٠٨٧) قاضيًا للعسكر.

ثمّ في سنة (١٠٨٩) صار مدرّسًا للسُّلطان أحمد الثالث (وكان أميرًا وقتَها).




المكتبة من الخارج

وبهذه الوظيفة ذاع صيتُه بـ«جامع الرِّياستَين»، رِياسة تأديب وتَعْليم السُّلطان، ورياسة المشيَخة الإسلاميّة.

وفي جمادى الأولى سنة (١٠٩٧) عُزل عن مناصبه بسبب إهمالٍ وقع منه، لا يَليق بأمثالَه.

ولكنْ بعدَ خمسة أيام عُـيِّن قاضيًا لضاحية أيوب باستانبول(٧).

وفي سنة (١٠٩٨) صار نقيبًا للأشراف.

وعندما انتقلت الخلافةُ إلى السُّلطان سليمان الثاني، نُصِّب شيخًا للإسلام، في ١١ ربيع الآخر سنة (١٠٩٩).

ولكنّ ما لبث أن عُزل عن منصبه بعدَ ١٧ يومًا، بسبب خلافاتٍ جرت في أُمورٍ عسكريّة بالدّولة.

وبعدَ عزْله عاد لبلده أرْضروم، وبقيَ فيها سبعَ سنين، اعتنى بالتدريس والتأليف.

يقول رحمه الله(٨): «وعقدت مجلسًا حافلًا للحديث الشريف، اجتمعتْ فيه جماعاتٌ كثيرةٌ من العلماء والطّلبة، فأقرأتُ «صحيحَ البخاريّ» من أوّله إلى آخره، وختمتُ بجامعها الكبير، في العشر من رمضانَ، وتَرك أهل البلد يومئذٍ أشغالَهم، وحضر هناكَ رجالُهم وصبيانُهم، حتى العجائزُ، وضاق منهم الجامع، وهو أكبرُ من جامع آيا صوفيا، وامتلأتْ الأزقّةُ وسطوحُ البيوت في أطرافه، وقدَ حُرِّر عددُهم بخمسين ألفَ نفس، فدعونا ربَّنا عندَ ختامه بالحاجات».

وفي زمن السُّلطان مصطفى الثاني، دُعي إلى مدينة أدرنة، وأُسندتْ له المشيخة في ١١ شوالَ، سنة (١١٠٦)، وبقي في منصبه أكثرَ من ثماني سنوات.

وعندما توجّه السلطانُ بنفسه للفتوحات الإسلامية بأوروبا في بلاد النّمسا، كان شيخ الإسلام يندفع بين صفوفِ الجنود ويشجعهم على الجهاد، ثم يخبر السلطان عن أحوال الجند ومستلزماتهم.

وأثناءَ المعارك كان- رحمه الله- يبقى إلى جانب السُّلطان الشاب، يُشجّعه عندَ فتوره، ويُهدّئه عندَ اضطرابه.



الوقفية التي كانت تختم على الكتب الموقوفة

أثّر شيخُ الإسلام فيض الله أفندي بالسُّلطان تأثيرًا كبيرًا، وكادتْ زمامُ الأمور أن تكونَ بيده، وجَعَل شيخ الإسلام يسعى لرفع الظلم ومساندة الضّعفاء، واستطاع أن يَرفعَ بعضَ القَوانين التي فيها شدّةٌ وحرجٌ على المسلمين.

ممّا جعَل الصّدرَ الأعظمَ والوزراءَ الكبار يَحملون عليه، ويحيكون ضدّه.

ونَبَغ أولادُ شيخ الإسلام، وبزّوا أقرانَهم، واستطاع بذلكَ فيضُ الله أفندي أنْ يأخذَ عهدًا من السُّلطان بأن تكونَ المشيخةُ لأحدهم، وعيّن ولدَه فتح الله نقيبًا للأشراف، وولدَه مصطفى قاضيَ العسكر.

فعكّر ذلك صفوَ حاسديه وسعَوا به إلى أنْ تمكّنوا من عزله، في ١٣ ربيع الأول سنة (١١١٥).

وبسبب ذلك تعدّى على حرمة المترجَم بعضُ الجند السُّفهاء من العسكر، وقتلوه وشانوا به، وذلكَ في ٢١ ربيع الآخر، سنة (١١١٥).

وترك تسعة أولاد، وعدّةَ بنات. إلا أنّ الله تعالى عوّضه بأولاده خيرًا، فاثنان من أولاده ارتقَوا منصّةَ مشيخة الإسلام، هما: مصطفى (ت١١٥٨)(٩)، ومرتضى (ت١١٧١)(١٠)، وبقيتْ أُسرتُه من الأُسر العلميّة في الدّولة العثمانيّة، كما تقول المصادر والمراجع.

فنحن نرى أنّ شيخَ الإسلام فيض الله أفندي بقيَ في سُدّة المشيخة في الولايتَين ثمانيَ سنوات، وخمسةَ شهور، ويومَين، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيحَ جِنانه.

المدارس التي درّس فيها

تولى التّدريسَ في أهمّ المدارس الدينيّة في الدّولة العثمانيّة، فمنها:

مدرسة آيا صوفيا، ومِحْرِمان سلطان بمنطقة أُسْكُدار، وحيدر باشا، ودار الحديث في المدرسة السُّليمانيّة.

أخلاقه

عُرف المترجَم رَغم مناصبه الرّفيعة، بتبسُّمه، وملاطفتِه جليسَه،



ومزاحه ومؤانسته مكسُوّين بوقارٍ وجلال.

مؤلفاته

- أذكار الأفكار في وِرْد العَشيِّ والإبكار.
- ترجم كتابَ: «روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار» إلى اللغة العثمانيّة(١١).
- تعليقات على حاشية الخَلْخالي على شرح العقائد للدواني.
- حاشية على تفسير البيضاوي(١٢).
- حاشية على حاشية العصام الإسفرائيني على تفسير البيضاوي، (سورة النّبأ)، أجاب فيها عن اعتراضاتِ العصام على البيضاويّ.
- حاشية على الدُّرر والغرر، رَبَط فيها الفروعَ بالأصول، ولم يُكملها(١٣).
- رياض الرّحمة.
- لطائف نامه.
- نصائح الملوك.
- مجموعة فتاوى، المسّماة بـ: (الفتاوى الفيضيّة(١٤))، قام بجمعها شيخ الإسلام رفيق أفندي (ت١٢٨٨)(١٥)، وطُبعت بالمطبعة العامرة باستانبول سنة (١٢٦٦).

وكنتُ أتمنّى أنْ أتوسّع في الكلام عنها لقرّاء المجلّة الأكارم، ولكنّي بعيدٌ عن وطني ومكتبتي، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد.

آثاره وأوقافه الخيريّة

- أَرْضروم: جامع، مدرسة، دار القرآن، مكتبة، حمام.
- أدِرْنة: سبيل ماء.
- الشام: دار الحديث.
- مكة المكرّمة: مسجد.
- المدينة المنوّرة: مدرسة الشِّفا، بيت وقف على المعلّمين، مكتبة مدرسة الشّفا(١٦)، أوقف فيها: (٣٠٠٠) كتاب، وهي من المكاتب التي ضُمّت لمكتبة الملك عبدالعزيز، ولكنْ مع الأسف فإنّ فهارس المكتبة حاليًّا تُشير إلى (٩٨٠) مخطوطًا، و(٥٤٢) مطبوعًا(١٧).
- استانبول: مسجد، بيت وقف على المعلّمين، سبيل، دار الحديث الفيضيّة.

ودارُ الحديث الفيضيّة هي مبتغانا في هذا المقال، ضمنَ هذه المجلّة، بارك الله في القائمينَ عليها، ورَحِم مؤسّسيها بفضله وكرمه(١٨).

وسنفرد مقالًا عنها مستقلًّا في العدد القادم، بإذن الله تعالى.

مكانها ووصفها

تقع هذه المكتبةُ في أجمل المحالِّ باستانبول، في منطقة الفاتح، غربيَّ جامعِ السُّلطان محمَّد الفاتح، في شارع ماجار كَرْدِشْلَر، بعدَ شارع فوزي باشا، على يمين الذَّاهب إلى جامعة استانبول.

ولكنْ مع الأسف تحوَّل اسمُها في التنظيم الجديد للشارع إلى مكتبة (ملَّت).

غيرَ أنَّ وقفيَّتها المنحوتةَ المذهَّبةَ على جدرانها لا تزال ناطقةً باسمها الأصليِّ، معرِّفةً ببانيها، وسنةِ تأسيسها.

وأمَّا وصفُها:

فداخلُها يُغشى بالسَّكينة والأُنس، حيث يجد قبالتَه فوَّارةً محاطةً بسُبُلٍ من الماء الزُّلال، وكأنَّ واقفَها شيخُ الإسلام يقول له: يا طالبَ العلم ابدأ بالحسن والوَضاءَة قبلَ العلم والقراءَة.

ثم تنحرف يَسرةً لتَدخل قاعةَ الدِّراسة والقراءَة، فإذا وَلجْتَها وقفتَ مُتحيِّرًا تَوْهًا(١٩)، أأدخُل يَمنةً أو يَسرة.

فإنك ترى يَمنةً عِليِّةً(٢٠) كُتب فوقَ بابها:

لمفتي العصر فيض الله تَبقى
مآثرُ للجنانِ غدَتْ مثيله
وكلُّ النَّاظرين يقول أرِّخْ:
أجاد وشاد مدرسةً جميله

وإذا نظرتَ يَسرةً وجدت عِليِّةً أُخرى كُتب عليها:

لمفتي الوقتِ فيض الله شادُوا
بناءً كالجنانِ لمن يَراهُ
فلما تمَّ قال السَّعدُ أرِّخ:
لفيض الله طُوبى ما بناهُ

ولكنْ- أخي القارئَ- لا تحار! وادخل يَمنةً مُتيمِّنًا لتجد قاعةَ القراءة والبحث، والتي كُتب على بابها من الدَّاخل كلامًا لا يَستغني عنه طالبُ علم، بل إنْ غَفَل عنه خَسر حقيقتَه، وما نَال جناه، سترى مكتوبًا:

«عن ابن سيرينَ قال: إنَّ هذا العلمَ دِينٌ، فانظروا عمَّن تأخذونَ دِينَكم».

هل علمتُم ما الفرقُ بين دراستِنا


صورة قديمة من أرشيف المكتبة

ودراستهم؟! هل أيقنتُم الفرقَ بينَ تعليمنا وتعليمهم؟!
أعود فأقول: هذه الغرفةُ الآنَ مزوَّدةٌ بحواسيبَ آليَّة مربوطة بشبكة واحدة، يُستطاع من خلالها الاطلاعُ وبدقَّة عالية على المخطوطات المحفوظة في هذه المكتبة.
ثمَّ ارجع القهقرى، وادخل الغرفةَ اليُسرى، لتجدَ قاعةً جُعلت الآنَ متحفًا للوثائق واللَّوحات الفنيَّة، وبعضِ المخطوطات القيِّمة.
ولكن إذا أردت الخروجَ منها ارفع رأسَك لتقرأ:

لله مِن بيتٍ به
تَبقى العلومُ العالياتُ
نعم الثوابُ أرْخوا:
والباقياتُ الصَّالحاتُ

إشارةً إلى أنَّ وقف المدرسة والمكتبة يَبقى ثوابُ واقفها ولا يَنقطع، استئناسًا بقوله تعالى: ﴿والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عندَ ربِّك ثوابًا وخيرٌ أملًا﴾.
والمدرسة مؤلَّفة من عشرة غُرف، وساحة سماويَّة فيها بئرٌ وميضأة.
ويُذكَر أنَّ المعماري الذي شيَّدها اسمه: محمَّد آغا القَيسري، ولا تتوافر معلوماتٌ عنه.
وبعدما وصفتُ لك، وجعلتُك كأنك تمشي فيها، ماذا يُصيبك إذا أخبرتك أنَّ الزِّلزالَ الذي أصاب استانبول بداية القرن الماضي، هدم بعضَ جدرانها، وأوصل إليها خرابًا كبيرًا!!



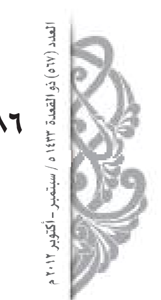


الورقة الأولى من سنن أبي داود ويظهر فيها خط الحافظ المنذري

ليس هذا فحسب، ماذا سيُصيبك أيها القارئ الكريم، إنْ علمتَ أيضًا أنَّ البلديَّة بعدَ الزِّلزال أرادتْ هدمَها، وتحويلَها إلى حديقة عامَّة؟!
بل ماذا سيُصيب شَيخَ الإسلام فيض الله أفندي إن حُدِّث بهذا، أو عَلم به؟!
ولكنْ عنايةَ الله تعالى تداركتْها بلطفه، وسعى وجاهد للحفاظ عليها ولترميمها شيخُ الإسلام مصطفى خيري أفندي (ت١٣٣٩)، جزاه الله خيرًا.
فرُمِّمت المكتبة، وعادت لحياتها الأُولى.
وبعدَ الانتهاء من ترميمها سنة (١٣٣٤)، تولَّاها بوظيفة رسميَّة علي أميري أفندي.
وبعدَ ذلك صارت المكتبةُ ثلاثةَ أقسام:
- القسم الأول: فيض الله، وفيه (٢٣٠٢) مخطوطة تقريبًا.
- القسم الثاني: علي أميري، وفيها: (١٦٠٠٠) كتابًا تقريبًا، ما بينَ مطبوع ومخطوط بلغات مختلفة.
- القسم الثالث: قسم الوثائق، ويضمُّ عددًا كبيرًا من الفرمانات والبراءات، والوثائق والجرائد العثمانيَّة، وبعضِ اللَّوحات الخطيَّة النَّادرة.
والأستاذ علي أميري بن محمَّد أفندي ولد بمدينة ديار بكر، عام (١٢٧٤).
كان أديبًا عالمًا مؤرِّخًا، عاشقًا متولِّهًا بالكتب وجمعها، وتُروى عنه قصصٌ في ذلك.
يُتقِن اللُّغة الفارسيَّة والعربيَّة، إضافةً للغته العثمانيَّة.
ويُذكَر أنه عندما وصل في العمر إلى السَّنة الثامنة كان يقرأ الكتابات القديمة المنحوتة على الأحجار التي يَعجز عنها الدَّكاترة اليوم.
إضافةً لذلك فإنه خطاطٌ مبدع، تَرك لوحات فنيَّةً موجودةً إلى الآن في بعض مساجدِ ديار بكر.
وقد أثْرى علي أميري المكتبةَ بكثيرٍ من الكتب المخطوطة والمطبوعة القيِّمة.
توفي رحمه الله في ١٥ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٢)، ودُفن في مقبرة الفاتح(٢١).

بعض مخطوطاتها القيِّمة

- «سنن أبي داودَ السِّجستاني»، وهي بخطِّ محمَّد بن يحيى القرشي، فرغ منها سنة (٦٥٤)، والقدرُ الموجود هو (١٦) جزءًا، إلى آخر باب التولِّي يومَ الزَّحف.
وهي منقولة من أصل الحافظ المنذرِيِّ، ومقروءةٌ عليه، وعليها خطُّه.
وتمتاز بجَودتها وصحَّتها، إضافةً إلى حواشٍ مهمَّة قُيِّدت عليها، فيها: فوائدُ حديثيَّةٌ ولغويَّةٌ عزيزة.
والنسخة في مكتبة فيض الله برقم (٤٤٢)، وهي في (١٨١) لوحة.
- «السِّياسة الشَّرعيَّة في إصلاح الرَّاعي والرَّعيَّة»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨).
والنُّسخة كُتبت سنة (٨٥٠)، وهي نسخةٌ خزائنيَّةٌ مذهَّبة، قد وضعتْ في معرض الوثائق يراها الزَّائرون.
والنسخة في مكتبة فيض الله برقم (١٢٩٠)، وهي في (١٣٦) لوحة.
- «الدُّرر الزَّاهرة في شرح البحار الزَّاخرة»، للحافظ بدرالدِّين محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥)، و«البحار الزَّاخرة» منظومة فقهيَّة على المذاهب الأربعة، لأبي المحاسن حسام الدِّين الرَّهاويِّ الحنفي.
وقد ذُكر في ترجمة العينيِّ أنه سمِع هذه المنظومةَ من ناظمها(٢٢).
وهذا الكتابُ من الأهميَّة بمكان سامق، حيث أراد العَينيُّ أنْ يُحرِّر المذاهبَ





اللامع الصبيح لشرح الجامع الصحيح

الثلاثة: المالكيَّة والشافعيَّة والحنابلة، وذلك بالرُّجوع إلى كتبهم المعتمدَة.

فأسأل الله تعالى أن يُقيِّضَ له مَن يُظهره إلى عالَم المطبوعات.

والنُّسخة بخطِّ المؤلِّف برقم (٨٢٠)، في (٤١٤) لوحة.

- «التَّعريف والإخبار بتخريج أحاديث الاختيار»، للحافظ ابن قطلوبغا (ت٨٧٩)، والنُّسخة بتمامها بخط المؤلِّف، وصل فيه إلى كتاب المساقاة، والكتاب يُعتبر فتحًا عظيمًا في تخريج أحاديث كُتب المذهب الحنفي، فتراه يُسند ما لم يجده المخرِّجونَ الزَّيلعيُّ وابنُ حجر، وذلك بالرُّجوع إلى كتب الإمام محمَّد بنِ الحسن الشَّيبانيِّ، وغير ذلك.

والنسخة في مكتبة فيض الله برقم (٢٩٢)، وهي في (١٧٨) لوحة.

- «الأمالي» للمحدِّث محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن الشِّحنة الصَّغير الحنفي (ت٨٩٠)، أملاها بالمدرسة المؤيَّديَّة بالقاهرة في سبعينَ مجلسًا.

وهي على طريقة المحدِّثين، يُسند الحديثَ من طريق شيوخه، ثمَّ يُخرِّج الحديثَ من الكتب المشهورة، ويتكلَّم على الأحاديث جرحًا وتعديلا.

والنُّسخة في مكتبة فيض الله برقم (٢٦٦)، في (١٢٠) لوحة، هيَّأ الله لها مَن يَنشرها.

وهذه النُّسخة هي الوحيدةُ في العالم حسبَ «الفهرس الشَّامل للتراث العربيِّ المخطوط»(٢٣).

وأخيرًا فإني أسأل الله تعالى أنْ يَحفظَ هذه المكتبة، وأنْ يَنفعَ بها القارئينَ والزائرين، وأنْ يحفظ المولى جلَّ وعلا مراكزَ العلم والنُّور في العالم.

رحم الله شيخ الإسلام فيض الله أفندي، ورحم مَن قرء بمكتبته أو زارها.



خط شيخ الإسلام

الهوامش

(١) انظر حولَ معنى هذا اللّقب كلامًا مفيدًا عند السّخاويّ في «الجواهر والدُّرر»: ٦٥/١، وتلخيصًا جامعًا عندَ العلّامة عبدالفتاح أبوغدة في «العلماء العزابَ»: ص٣٠.

(٢) وقد جرى هذا مرارًا في الدّولة العثمانيّة، وعَزل العلماءُ وشيخُ الإسلام السّلطانَ إنْ ظهَر منه ما يُخالف مصلحةَ الدّولة والمسلمين، انظر مثلًا خلعَ السّلطانِ محمّد الرابع في« تاريخ الدّولة العثمانيّة» للدكتورَ الصّلّابي ص٣٠٨.

(٣) انظر مقدّمة: «الدولة العثمانيّة دولةٌ مفترًى عليها» لعبدالعزيز الشّنّاوي، ومقدّمة: «تاريخ مؤسّسة شيوخ الإسلام في العهدِ العثماني».

(٤) وجاء في «سلك الدُّرر»: (فضل الله)!

(٥) وجاءتْ سنةُ ولادته محرّفةً في «سلك الدُّرر» ٦/٤: «ثمان وأربعينَ ومائة»، والصّواب: (وألفَ).

(٦) أنظر ترجمتَه في «عثمانلي مُؤلّفلري»: ٥٠/٢.

وأبعد صاحبُ «تاريخ مؤسّسة شيوخَ الإسلام»: ٥٧٤/١ فتَرجم علمًا آخرَ مسمًّى بمحمّد، ولكنْ وفاتُه سنةَ: (١٠٠٠)، أي: قبلَ ولادةِ شيخِ الإسلام بأكثرَ مِن أربعينَ سنة!

(٧) هي المنطقة المحيطة بمسجد أبي أيوبَ الأنصاريّ، وتُعتَبر مِن أكبر وأجملِ الضّواحي باستانبول، بعدَ منطقةِ الفاتح.

(٨) ترجمة فيضِ الله لنفسه: ق٢٥/ب.

(٩) انظر ترجمتَه في «تاريخ مؤسّسة شيوخ الإسلام»: ٦٦٦/١، وله ذكرٌ في «سلك الدُّرر»: ٣٢/١.

(١٠) انظر ترجمتَه في «تاريخ مؤسّسة شيوخ الإسلام»: ٣١/٢، وله ذكرٌ في «سلك الدُّرر»: ٣٩/١.

(١١) «روضَ الأخبارَ» لمحيي الدّين محمّد بن خطيب قاسِم (ت٩٤٠)، و«ربيع الأبرار» للزّمخشري، انظر «كشف الظّنون» لمصطفى حاجي خليفة: ٨٣٢/١.

(١٢) منها نسخةٌ في جامعة إستانبول، كما في «الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط التفسير»: ٧٤٤/٢.

(١٣) لم تُذكر في مصادر التّرجمة، وإنما ذَكرها فيضُ الله في ترجمته لنفسه: ق١٩/أ.

(١٤) تحرّفت هذه الكلمةُ في «هدية العارفين» إلى: (القيضية).

(١٥) انظر ترجمتَه في «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الإسلام» رقم: ٢٢٠/٢.

(١٦) وللتوسّع في معرفة هذه المدرسة والمكتبة انظر «المكتبات العامّة بالمدينة المنوّرة، ماضيَها وحاضرها» لحماديَ علي التونسي: ص٣٨.

(١٧) الموقع الرّسمي لمكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنوّرة على الشّبكة العنكبوتيّة.

(١٨) مصادر التّرجمة:

ترجمة فيض الله لنفسه، (مخطوط) ضمنَ السّليمانيّة، «تاريخ مؤسّسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني» لأحمد صدقي شقيرات: ٥٧٣/١، «سلك الدُّرر» للمرادي: ٦/٤، «عثمانلي مؤلّفلري» لمحمّد طاهر بروسه لي: ٣٩٣/١ (باللّغة العثمانيّة)، «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي: ٨٢٣/١، «البروشور الرّسمي للمكتبة» (باللّغة التركيّة)، الموقع الرّسمي لمكتبة ملت على الشبكة العنكبوتيّة (باللّغة التركيّة)، زياراتٌ ميدانيّة مُتعدِّدة للمكتبة.

(١٩) تاه تيهًا وتوهًا: ذَهَبَ في الأرض تَحيُّرًا.

(٢٠) العلّيّة: الغُرفة.

(٢١) ويُنظر في وصف المكتبة وترجمة علي أميري: البروشور الرّسمي للمكتبة (باللّغة التَركيّة)، الموقع الرّسمي لمكتبة ملت على الشبكة العنكبوتيّة (باللّغة التركيّة)، زياراتٌ ميدانيّة مُتعدّدة للمكتبة.

ويُنظر: «مجلة معهد المخطوطات العربية»: العدد الرابع، ص١٤٣، ١٤٤.

(٢٢) «الضّوء اللّامع»: ١٣١/١٠.

(٢٣) «الفهرس الشّامل للتراث العربيِّ المخطوط- الحديث الشّريف»: ٢٤١/١.



من مقارنات القرآن الكريم بين المؤمنين والمنافقين

عبدالعزيز صالح العسكر
كاتب سعودي

من أصرح الآيات الكريمة التي قارنت بين المؤمنين والمنافقين آيات سورة التوبة، ومنها هاتان الآيتان:

١- قال الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

٢- وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

قال المفسرون: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، أي متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان، كأبعاض الشيء الواحد بالشخص، وقيل: أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين، وتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم في الآية: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (التوبة: ٥٦). (تفسير أبي السعود، ج٣ ص١٦٧).

وقال أبوالسعود: «﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً، إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً، والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى بعض بالولاية، وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية، للإيذان بأن نسبة هؤلاء (المؤمنين) بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك، ونسبة أولئك (المنافقين) بمقتضى الطبيعية والعادة». (ج ٣ ص ١٦٨).

وقال أبو السعود: «إن ذكر الإناث عند ذكر المنافقين للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر والنِّفاق». (ج ٣ ص ١٦٦-١٦٧).

وقال القرطبي: «قوله تعالى ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف، وقال في المنافقين: ﴿بعضهم من بعض﴾ لأن قلوبهم مختلفة، ولكن يضم بعضهم إلى بعض في الحكم. وقال في معنى ﴿ويقبضون أيديهم﴾ في الحديث عن المنافقين: وقبض أيديهم عبارة عن ترك الجهاد، وفيما يجب عليهم من حق». (الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٢٧ و ١٢٩).

وبقراءة لما ذكره المفسرون يتضح لنا:

أ- أن بين المنافقين ارتباطًا وتنسيقًا بمقتضى الطبيعة والعادة كما قال أبوالسعود- رحمه الله-، ولكن ارتباطهم ارتباط مصالح وشهوات، وتكون المحبة بينهم بمقدار ما يتحقق من تلك المصالح والشهوات، ومن الممكن أن تزول المحبة ويضعف الترابط إذا طرأت مصالح وشهوات أخرى!

ب- في النساء منافقات لا يقل خطرهن على الأمة عن خطر منافقي الرجال إن لم يكن أسوأ أحيانًا.

ج- أن بين المؤمنين ارتباطًا مبنيًا على العقيدة والدين، فهو ارتباط وثيق دائم، وهو ارتباط غير مرتبط بالمصالح، ولا تؤثر فيه عواصف الشهوات، ولا تضعفه وشاية الوشاة، أو مؤامرات المنافقين وأسيادهم من الكفار. إن الارتباط بين المؤمنين قوي مهما تباعدت الديار، واختلفت الألسن، وتباينت الأنساب والأعراق.. بعضهم أولياء بعض ولاية تعني: النصرة، كما تعني الرحمة، كما تعني المحبة القوية والثقة، وحسن الظن بمن يستحقه دينًا وعقيدة وصلاحًا واستقامة.

د- إذا كان المؤمنون والمؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإن المنافقين والمنافقات يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؛ عنادًا وإفسادًا وكيدًا وحقدًا وحسدًا، ولا تنفك تلك الصفات عن أهلها. فالمؤمنون يأمرون بالمعروف تعبدًا لله، وينهون عن المنكر تعبدًا لله، وإصلاحًا للمجتمع، وحبًّا للناس وغيرة عليهم. والمنافقون والمنافقات يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف طاعة للشيطان، وعنادًا للمؤمنين، واتباعًا للشهوات، وحسدًا للمؤمنين؛ لما يرونهم فيهم من أمان وطمأنينة وسعادة في رياض الإيمان وطاعة الرحمن.

هـ - وعقاب الله تعالى عاجل وآجل، فإن المنافقين نسوا الله ونسوا أوامره ونواهيه فنسيهم، فهم ينتقلون من قلق إلى قلق، ومن همّ إلى همّ، ومن حسرة إلى حسرة. ومن أزمة إلى أزمات، ومهما دعوا وابتهلوا إلى الله- وهم على نفاقهم- فإن الله لا يستجيب لهم؛ لأن أفعالهم تكذب أقوالهم.. والله تعالى يقول: ﴿وما هم منكم﴾. أما المؤمنون فهم في رحمة الله ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾، ومَن رحمه الله غفر له.. وكفر عنه سيئاته، ونصره على من ظلمه، وجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب. ولن يضر المنافقون المؤمنين إلا أذى، وهو ما رأيناه في التاريخ، ونراه اليوم من زمر المنافقين في كل مكان، ولكنهم: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

والله تعالى يسلي المؤمنين ويبشرهم فيقول ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾.

نسأل الله العافية والسلامة من النفاق، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين الصادقين، وأن يتولانا برحمته ومغفرته.. إنه أرحم الراحمين.





إعداد: محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

الفتوى في الصدر الأوّل

لم يكن الصحابةُ جميعُهم من أهل الفتيا، وما كان يُسألون جميعًا عن أحكام الشريعة والدِّين، وإنّما كان ذلك مختصًّا بالحاملين للقرآن منهم؛ العارفين بناسخه، ومنسوخه، ومتشابهه، ومحكمه، وسائر دلالاته؛ بما تلقّوْهُ من النبيّ صلى الله عليه وسلم، أو ممّن سمعه منهم من عليِّتهم.. كما يقول ابن خلدون رحمه الله في مقدِّمته. (مقدمة ابن خلدون ٤٤٦).

ومن هنا عدَّ الإمام ابن القيم رحمه الله– ممّن حُفظت عنهم الفتوى من الصحابة– مائة ونيفًا وثلاثين نفسًا فقط؛ ما بين رجل وامرأة، وذَكَر أنّ المكثرين في الفَتوى منهم سبعة هم: عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين. (إعلام الموقعين– ١/١٢).

وكان أبوبكر الصّديق، وعثمان بن عفان، وأنس بن مالك، وأبوسعيد الخدري، وأبوهريرة، وأبوموسى الأشعري رضي الله عنهم أجمعين من المتوسّطين في الفتوى، مع عظيم شأنهم وعلوِّ مكانتهم في العلم والرِّواية والحفظ.

والباقي من الصّحابة الكرام مُقلُّون في الإفتاء، مع ما أثر عن بعضهم من غزارة العلم والحفظ والدِّراية.

× والمتأمِّل في سيرتهم المباركة يلمَس مَسْلكًا في الفتوى عجيبًا، زانه الخوف من الله أن يقولوا عليه ما لا يعلمون، وهو الذي يفسِّر كثيرًا من أقوالهم في التّحذير من الفتوى، وتهيُّبهم أمرها، ويمكن بيانه من خلال العناوين التّالية:

أولًا: خوفُهم منَ الفتْوَى بلا علم:

عن عبدالله بن بشر أنّ عليَّ بن أبي

فتاوى الوعي

الحج حالاً.. والدّفع بالأقساط.
(١١/١٥٦/٣٢٩١)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

تقوم بعض حملات الحجّ بعمل دعاية واسعة لدعوة الناس إلى أداء فريضة الحج بالأقساط؛ وذلك لجذب أكبر عدد من الرّاغبين في أداء هذه الفريضة. فهل هذا العمل جائز شرعًا؟ وهل الحجّ بهذه الطريقة جائز شرعًا؟ علما بأنّ الله تعالى فرض الحج على المستطيع.

فأجابت اللجنة بالتّالي:

ما تقوم به بعض حملات الحج من دعوة النّاس لأداء فريضة الحجّ بالأقساط عَمَلٌ جائزٌ شرعًا: إذا كانت جملة المبالغ محدّدة سلفًا، وخالية من الفوائد الربوية. والحجّ بهذه الطريقة جائزٌ شرعًا، ويسقط الفرض به، ولا شيء فيه، وإن كان الحجّ ليس واجبًا عليه في هذه الحالة لعدم امتلاك ما يستطيع به الحج. والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هدي التمتّع لمن اعتمر في شوال ثمّ حجّ من العام نفسه
الفتوى رقم (١١٣١)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التّالي:

إنّي أديت مناسك العمرة في شهر شوال ١٣٩٥هـ، وبعد تأديتها رجعت إلى بلدتي، وبما أني عازم إن شاء الله على تأدية فريضة الحج هذا العام ١٣٩٥هـ، فهل يكون علي هدي أم لا؟ جزاكم الله خيرًا.

فأجابت بما يلي:

جمهور الفقهاء يرون أنّه ليس عليك هدي؛ لأنك لم تتمتع بالعمرة إلى الحج في سفرة واحدة، حيث ذكرت أنك رجعت بعد أداء العمرة في شوال عام ١٣٩٥هـ إلى بلدك، ولم تبق بمكة حتى تؤدي الحج.

ويرى بعض الفقهاء أن عليك الهدي إذا حججت من عامك، ولو رجعت إلى بلدك أو إلى أبعد منها: لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ (البقرة: ١٩٦) والفتوى والعمل جاريان على قول الجمهور من عدم وجوب الهدي في ذلك. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



طالب رضي الله عنه سُئِل عن مسألة، فقال: «لا علم لي»، ثم قال: «وَأَبْرَدَهَا عَلَى الكَبِد: سُئِلْتُ عَمَّا لَا أَعْلَمُ، فَقُلْتُ: لَا أَعْلَمُ» (متفق عليه).

شدَّة وَرَعِهم مَعَ وجودِ مَن يكفيهم

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما فيهم رجلٌ إلّا وهو يحبُّ الكفايَةَ في الفَتْوَى» (الفقيه والمتفقه-٧٠٨).

حرصُهم على عَدَم التّسرُّع في الفَتْوى

كان الصحابة رضي الله عنهم لا يكاد أحدهم يفتي إلّا فيما نَزَل؛ ثقةً منه بأنّ الله تعالى يوفِّق عند نزول الحادثة من يجيب عنها، وكان كلُّ واحدٍ منهم يَوَدُّ أنّ صاحبَهُ كفاه الفَتْوَى.

عن جعفر بن برقان رحمه الله أنّ عمر رضي الله عنه، كتب إلى معاوية رضي الله عنه يعاتبُهُ في التّأنّي، فكتب إليه معاوية: «أمّا بعد.. فإنّ التّفهّم في الخبر زيادةٌ ورُشْدٌ، وإنّ الرّشيد من رَشَدَ عن العجلة، وإنّ الخائب من خاب عن الأناة، وإنّ المتثبّت مصيبٌ أو كاد أن يكون مصيبًا، وإنّ العَجِل مخطئٌ، أو كاد أن يكون مخطئًا، وإنّ من لا ينفعُهُ الرِّفقُ يضيره الخرْقُ، ومن لا تنفعه التّجاربُ لا يدرك المعالي» (رواه عبدالرزاق في مصنّفه١١/١٦٥).

وممّا يدلّ دلالة واضحة على ذلك قولُ أبي حصين رحمه الله في النّازلة تنزل في عهد عمر رضي الله عنه، والصّحابةُ متوافرون، وعمر رضي الله عنه كافيهم علمًا وخوفًا من الله، ومع هذا يقول: «إنّ أحدَهم ليفتي في المسألة، ولو وَرَدَت على عمر بن الخطاب لَجَمَعَ لها أهلَ بدرٍ» (رواه البيهقي في المدخل- ح ٦٥٧).

إعراضُهم عمّا لم يقعْ من المسائِل

عن طاوس رحمه الله قال: قال عمر رضي الله عنه: «لا يحلُّ لكم أن تسألوا عمّا لم يكن؛ فإنّه قد قضَى فيما هو كائنٌ» (أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» رقم: ٢٩٢).

وعن مسروق رحمه الله قال: «سألْتُ أبي بن كعب رضي الله عنه عن شيءٍ فقال: أكان هذا؟ قلت: لا؛ قال: أجِمّنا- يعني: أرِحْنا- حتّى يكون، فإذا كان اجتهدْنا لك رأيَنا» (أخرجه أبوخيثمة زهير بن حرب في «كتاب العلم» رقم: ٧٦).

ماذا تفعل الحائض بالطواف إذا خشيت سفر الحملة؟

(١٢/١٥٩/٣٦٦٧)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

تعترض بعض النِّسوة فترة الحيض، فتمنعها عن طواف الإفاضة، وسعي الحج، ويحين موعد سفر الحملة قبل أن تطهر من حيضها، فكيف تتصرف؟ وماذا يلزمها لإتمام شعائر الحج؟

وقد أجابت اللجنة بالتّالي:

طواف الإفاضة ركنٌ من أركان الحجِّ بإجماع الفقهاء.

والجمهور على أنّ الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر شرطٌ من شروط الطواف، وعليه فلا يجوز للمرأة الحائض أن تطوف في حيضها حتّى تطهر منه.

وذهب الحنفية إلى أنّ الطّهارة من واجبات الطواف، وليست شرطًا فيه، وعليه فإنّ الجمهور يرون أن على المرأة الحائض البقاء في مكة حتى تطهر، ثم تطوف وتسعى، والحنفية يجيزون للحائض إذا أرادت السفر قبل طهرها أن تعتصب وتطوف في حيضها، وعليها ذبح بدنة في الحرم فداء لذلك، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل يوكل على رمي الجمار ثم يسافر قبل وقت الرمي؟

الفتوى رقم (١٧٣٤)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

هناك أناس يوم العيد أو ثاني العيد، يوكلون على من يرمي عنهم الجمرات، ويسافرون إلى بلادهم، هل يعتبر حجهم كاملاً أم أنّه غير ذلك؟

فأجابت بما يلي:

أمر الله سبحانه في كتابه الكريم بإتمام الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وتمامهما لا يحصل إلا بإخلاصهما لله، والمتابعة فيهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لمسلم أحرم بحج أو عمرة أن يخلَّ بشيءٍ من أعمالهما، أو أن يرتكب من الأمور المنهي عنها ما ينقصهما.

ومن وكّل في رمي جمراته أيام التشريق أو أحد أيام التشريق، ونفر يوم النحر يعتبر مخطئًا مستهترًا بشعائر الله، ومن يوكل في رمي الجمرات اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر من أيام التشريق، ويطوف طواف الوداع ليتعجل بالسفر فقد خالف هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أمر به في أداء المناسك وترتيبها، وعليه التوبة والاستغفار من ذلك، ويلزم من فعل ذلك دم عن ترك المبيت بمنى، ودم عن تركه رمي الجمرات التي وكل فيها ونفر، ودم ثالث عن طواف الوداع، وإن كان طاف بالبيت لدى مغادرته؛ لوقوع طوافه في غير وقته؛ لأن طواف الوداع إنّما يكون بعد انتهاء رمي الجمرات.



إعداد: خالد محمد خلاوي

تطوير البحث على «تويتر»



أعلنت شركة تويتر عن تحديث وتطوير البحث على شبكتها للتواصل الاجتماعي على الإنترنت، ضمن خدمة جديدة أطلقت عليها اسم «البحث الأبسط»، وذكرت الشركة في موقعها أن البحث الجديد أصبح أذكى، حيث يقوم بعرض التغريدات ذات الصلة الأقرب إلى العبارة أو الكلمة المراد البحث عنها، بالإضافة إلى المقالات والحسابات والصور ومقاطع الفيديو المرتبطة، وقالت الشركة: إن ميزات البحث الجديدة متوفرة الآن على موقع الخدمة الرئيسي «twitter.com» وتطبيقي تويتر لهواتف «أندرويد» و«آيفون».

وبحسب موقع «عالم التقنية» فإن قائمة التحديثات الجديدة في بحث تويتر تضم:

- توفير ميزة الإكمال التلقائي عند إدخال الكلمات.
- الإكمال التلقائي يعرض نتائج متعلقة بالهاش تاق والحسابات التي تتابعها.
- يوفر بحث تويتر التصحيح الإملائي للكلمة، وهذه الميزة متوفرة للغة الإنجليزية فقط.
- إمكانية البحث عن الحسابات من خلال كتابة الاسم الحقيقي للمستخدم، أو اسم المستخدم المسجل فيه.
- إضافة خيار عرض نتائج البحث من الحسابات التي تتابعها فقط.

جوجل تدشن الإصدار الجديد من نظام التشغيل كروم

أعلنت جوجل عن إطلاق النسخة ٢٠ من متصفح الإنترنت جوجل كروم، لنظام التشغيل كروم السحابي في أجهزة كروم بوك.

ومن أبرز المزايا الجديدة لهذا الإصدار:

- دعم جوجل درايف.
- دعم مستندات جوجل دون الاتصال بالإنترنت.
- تحديث الـ Firmware للكروم بوك.
- تحديث Pepper Flash.
- إعادة تصميم واجهة المستخدم لأنظمة Cr-48.
- التحويل إلى محرك الـ touchpad مفتوح المصدر على نظام Cr-48.
- إصلاح عدد من حالات انهيار النظام.



مايكروسوفت تطلق النسخة التجريبية من أوفيس ٢٠١٣

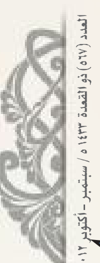
أطلقت شركة مايكروسوفت النسخة التجريبية من حزمة تطبيقات أوفيس ٢٠١٣ بالإضافة إلى نسخة محسنة من تطبيقات أوفيس ٣٦٥ وذلك خلال مؤتمر صحافي أقامته في سان فرانسيسكو يوم ١٧ يوليو، ومن أبرز ما يميز الجيل الجديد من حزمة أوفيس هو التركيز الكبير على الأجهزة المحمولة، والشاشات اللمسية والتقنيات السحابية.

وذكر موقع aitnews.com المتخصص في أخبار التقنية أن أبرز ميزات التطبيق الجديد هو دعم اللمس ضمن مختلف الواجهات، وذلك لتنفيذ المهام والتحكم بحجم النص من أجل قراءة أفضل، بالإضافة إلى دعم الكتابة بشكل مباشر على الشاشات اللمسية باستخدام أقلام خاصة بالنسبة للحواسب اللوحية، بحيث يستطيع المستخدم تسجيل الملاحظات وتحويل خط اليد إلى نصوص بشكل تلقائي.



وأشار الموقع إلى أن مايكروسوفت تسعى إلى توجيه مستخدمي النسختين إلى خدمة التخزين السحابية التابعة لها SkyDrive عبر تشجيعهم على تسجيل الدخول باستخدام حسابات «مايكروسوفت لايف» الخاصة بهم. وستسمح هذه الميزة للمستخدمين بتخزين ملفاتهم في السحابة على مخدمات مايكروسوفت، حيث يمكن مزامنة الملفات وفتحها من أي منصة تمتلك اتصالاً بالإنترنت.





ثلاجة ذكية تتصفح الإنترنت وتتسوق

لأول مرة في عالم الأجهزة المنزلية تظهر ثلاجة ذكية متعددة الإمكانات قد تُحدث طفرة في عالم الأجهزة التي من نوعها، حيث تتيح الدخول على الإنترنت لإجراء عمليات التسوق وتحميل وصفات الأطعمة.

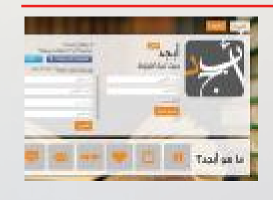
وبحسب ما ذكرته وكالات الأنباء فقد كشفت إل جي عن الثلاجة الجديدة ضمن فعاليات معرض السلع الاستهلاكية في دورته الأخيرة في لاس فيجاس، ومن المنتظر طرحها في الأسواق قريبًا مقابل نحو ٣١٠٠ دولار أميركي.

ومن أبرز خواص الثلاجة وجود كاميرا وشاشة لمس إل سي دي تتيحان عرض محتوياتها من الداخل، كما تتمتع الثلاجة أيضا بخاصية التحكم عبر الصوت لتسهيل نقل محتوياتها. أما أهم ميزاتها فهو تسجيل المحتوى الغذائي بداخلها، وإعداد قائمة بالأغذية الناقصة وإضافتها إلى حساب التسوق عبر الإنترنت، ما يعني توفير الوقت والجهد على المستخدم.

وتتكيف الثلاجة الذكية تبعًا لطبيعة أفراد الأسرة المستخدمة من حيث النوع والسن. فهي تعد قوائم بالأطعمة المفضلة لديهم من حيث النوعية والقيمة الغذائية، مع مراعاة متطلبات المستخدمين كاملة.



نصائح مهمة لحماية جهازك من الفيروسات والهاكرز



أصبح تسلل الفيروسات والهاكرز إلى الأجهزة من خلال الإنترنت أمرًا يقلق مستخدمي الشبكة العنكبوتية، ولذلك فإن حماية جهازك الشخصي أصبح من الأهمية بمكان. ونقدم لك هنا أهم نصائح خبراء التقنية في الحماية والوقاية من الفيروسات والاختراقات بأنواعها..

وأهم هذه النصائح:

تنصيب الإصدارات الجديدة من برامج الحماية من الفيروسات على جهازك، فالبعض يختار نسخة قديمة من برامج الفيروسات قد يصعب تحديثها، وهناك برامج مجانية على الإنترنت وأخرى مدفوعة متوفرة بالأسواق، ويمكن أن يؤدي برنامج مكافحة الفيروسات إلى تبطيء جهازك، لكنه يمثل أول خطوة نحو حماية الجهاز، سواء من الفيروسات أو المرفقات المصابة في رسائل البريد الإلكتروني.

تنصيب برنامج الجدار الناري ضد الاختراق (فاير وول) وأفضل هذه البرامج برنامج Zone Alarm.

استخدام برامج المحادثة الموثوق بها: حيث إن معظم عمليات الاختراق تكون من برامج المحادثة، فيجب توخي الحذر عند تنصيب برنامج محادثة أو مكالمات مجانية، واختيار برنامج من شركة موثوق بها.

تحديث جهازك وبرامج مضادات الفيروسات أولًا بأول.

عدم تحميل مرفقات رسائل البريد الإلكتروني التي تأتي من مصدر مجهول، ويفضل الكشف على مرفقات الرسائل الإلكترونية عن طريق برامج الحماية قبل فتحها.

استخدام كلمات مرور معقدة وطويلة لحساباتك على الإنترنت، ويفضل تغييرها بشكل دوري؛ ليصعب على الهاكر اكتشافها والسطو عليها.

عمل نسخ احتياطية على أقراص مدمجة أو وحدات تخزين خارجية من ملفاتك المهمة على الجهاز بشكل دوري.

إزالة الملفات المؤقتة بعد تصفح الإنترنت، ففي كل مرة تتصفح فيها الإنترنت يعمل جهاز الكمبيوتر على تخزين معلومات التصفح لزيادة السرعة. فعلى سبيل المثال، يتم تخزين المعلومات عندما تتقدم بطلب شراء عبر الإنترنت، أو تستخدم بعض الخدمات المصرفية على الشبكة المعلوماتية.. ولكنك قد لا تدري عندما تتعرض بياناتك لهجوم فيروسي أو اختراق من القراصنة «الهاكرز»، حينئذ قد تفقد معلومات سرية إذا لم تتخذ الإجراءات السليمة لحماية جهازك.

تشفير جهاز الراوتر حتى لا يسهل على أي قرصان من قراصنة الإنترنت الدخول إلى شبكتك، أو ربما سرقة المعلومات المخزنة على جهازك.

استخدام متصفح آمن للإنترنت يقوم بفحص مواقع الإنترنت قبل الدخول عليها، ويحتوي على أدوات مكافحة التجسس.

مواقع مفيدة

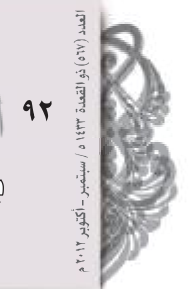


موقع «أبجد».. شبكة عربية للتواصل بين القراء والمؤلفين

يعتبر موقع أبجد أول شبكة عربية من نوعها للتواصل الاجتماعي بين القراء والمؤلفين، بغرض التواصل فيما بينهم، وتبادل الآراء والتوصيات عن الكتب، بالإضافة إلى كتابة المراجعات ومتابعة المؤلفين.

ويتيح الموقع للقراء البحث عن عناوين الكتب والمؤلفات، وإبداء الإعجاب بالكتب، ويمكن الاشتراك على الموقع مباشرة أو عمل اشتراك من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

رابط الموقع: http://www.abjjad.com/Beta



القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

المرونة أساس النجاح

الطريق إلى التميز ليس مستحيلاً، فقط أنت بحاجة إلى أن تعرف كيف تصل، وأن تسير على الطريق، ومهما كانت المسافات بعيدة فعليك بالاستمرار.

عليك في البداية إدراك أساس مهم للغاية، وهو أن تعلم أن نجاحك لا يعتمد على عملك ومهاراتك العملية فحسب، بل يعتمد أيضًا على مهاراتك الشخصية وأفكارك وأخلاقك ومرونتك ومهاراتك الاتصالية وقدرتك على التخطيط لحياتك واتخاذ القرارات وتنفيذها.

ثم يجب أن يكون لديك مفهومك الذاتي عن العالم، وإدراكك أن البيئة المحيطة بك مختلفة تمامًا عنك وعن معتقداتك الشخصية وأفكارك، فتعلم المرونة، وتدرب على الاختلاف في الرأي، وتعلم أنه حين تختلف مع رأي شخص آخر فهذا لا يعني أنك تختلف معه على طول الخط أو تختلف معه كليًا، بل أنت في هذه الحالة تختلف مع فكرته فقط أو رأيه.

ولا تنس أن النجاح والتميز في العمل أو الأسرة، أو الحياة عمومًا لا يأتي دفعة واحدة، بل هو عبارة عن سلسلة من الإخفاقات والنجاحات، وعليك أن تملك الإرادة لتجاوز الفشل والارتقاء نحو النجاح.

● حسام أبو جبارة

المحرر:

الأخ الكريم حسام فتحي أبو جبارة من فلسطين شكرًا جزيلاً على مساهمتك القيمة وإن لم يتسع المقام لنشرها كاملة فإننا نؤكد على حديثك ونصائحك الغالية، كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه «المسلم هين لين سهل» وبالتالي هو مرن يتقبل الإختلاف وفي انتظار مزيد من مشاركاتكم.

لحظة توبة

إنها حقًا لحظة من أجمل وأروع لحظات العمر.. تلك اللحظة التي يتوب فيها الإنسان عن المعاصي والذنوب ويعود خاضعًا خاشعًا لله رب العالمين، والتوبة لا تكون مجرد لحظة فقط وإنما هي توبة دائمة متواصلة وعزم أكيد على عدم العودة إلى المعاصي مرة ثانية، هي أيضًا توبة مستديمة واستغفار دائم لرب العالمين تلك هي التوبة الحقيقية لا التوبة المزيفة التي يظن صاحبها أنه يخادع بها الله عز وجل (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).. فالتوبة الصادقة تطهر صاحبها من كل معاصيه وما اقترفه من آثام وذنوب ولسوف

الدين النصيحة

الدين النصيحة جملة بليغة تحمل معاني ودلالات عظيمة قالها المصطفى ﷺ وحث على النصيحة.. ذلك لما لها من دور عظيم وأثر بالغ على المسلمين، لاسيما إن كانت هذه النصيحة خالصة لوجه الله تعالى فالنصيحة وظيفة الرسل السابقين عليهم السلام الذين آمنوا بالله، ونصحوا قومهم ودعوهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك والأوثان وكان آخرهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين الذي نصح أمته، وتركها على المحجة البيضاء، ودلهم على الخير كله، وفي هذا الحديث يكرر الرسول ﷺ الدين النصيحة ثلاث مرات، وذلك تأكيدًا لأهميتها ومنزلتها.

عبدالعزيز السلام أوثال

المحرر:

حفظك الله وحفظنا وأدام علينا نعمة التناصح فمن أسباب هلاك أقوام أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر يفعلونه ولا يستمعون لنصيحة صادقة وإن كنا نركز كما قلت أخي الكريم على أسلوب التناصح وأهمية ألا تكون النصيحة منفرة أو محرجة أو مقللة من شأن المنصوح.. نفعنا الله ونفعكم بما أوردتموه.

فلسفة التغيير

لاشك أن قضية التغيير، قد أصبحت من القضايا الأساسية في عالم اليوم، عالم التطورات السريعة عالم لا تتوقف مسيرته، ويتأخر من لا يعد العدة لخصمه، وبما أننا جزء من هذه المسيرة، وبما أن الإنسان هو المخلوق الذي سخر الله له سائر المخلوقات في هذا العالم، فلابد من التأثر والإجابة لهذه التغييرات، ولكن بما يتفق مع خصوصياتنا الثقافية والتاريخية والعقائدية حتى نستطيع المحافظة على ذاتيتنا، وحتى لا نتأخر عن ركب التقدم، والعالم الذي نعيش فيه، ويجب أن يتفاعل برؤية إيجابية بين التأثير والتأثر.



يلقى جزاء التائبين الصابرين المجاهدين الذي جاهدوا النفس ولم ينصاعوا وراء أهوائهم.

● **أحمد عبداللطيف النجار**

المحرر:

وصلتنا مجموعتكم من القصص الهادفة وإن كانت تعكس الواقع الأليم الذي تعيشه بعض الأسر البعيدة عن القيم الاسلامية فإنها مازالت تحتاج الى تعميق أسلوبي كنوع من الفن السردي .

في الأزمات وأوقات الشدة.. تظهر معادن الرجال

في حياة الأمم تحدث أزمات قد تهدد وحدة الصف بين أبناء الأمة وتنذر بأخطار قد تدمر صروح هذه الوحدة وفي قمة هذه الشدائد تظهر معادن الرجال من خلال مواقفهم التي من أهم صفاتها نبل القصد وحسن النية في الوقوف بعزيمة قوية لا تعرف اليأس وبعزائم الرجال تنقشع أوقات الشدائد وتلتئم الصفوف وتتوارى النزاعات والخلافات والانشقاقات.

ولاشك أن في وقائع التاريخ الكثير من الأحداث، ونماذج متعددة من ذلك الماضي البعيد يمكن أن تنير الطريق لكل من يريد بناء أمة أو المساهمة في استعادة وحدة صفوف تحت لواء واحد .

● **محمد السيد عامر**

المحرر:

صدقت أخي الكريم وهل تنتصر الأمم وترتقي إلا بسواعد هؤلاء الصادقين المخلصين الذين لا يرجون إلا ثواب الآخرة.. لقد قرأنا رسالتك وتأملنا الأوضاع في البلدان التي تشهد أزمات طاحنة ورأينا كيف أن معادن الرجال ظهرت بالفعل في وقت الشدة لتحمي البلاد والعباد .

ولذلك يجب أن يكون التغيير، والإعداد له، شاملًا شمول الضروريات والحاجيات الإنسانية، وينبغي أن يشمل التغيير كافة مجالات الحياة بأبعادها المختلفة.

الدكتور عبدالرحمن محمد

المحرر:

الأخ الكريم د.عبدالرحمن وصلنا كتاب فلسفة التغيير لمؤلفه يحيى الزنط وناشره مكتبة مدبولي الصغير، لكن العرض لم يكن واضحًا للقراءة، نشكر مساهمتك وفي انتظار المزيد من المساهمات على أن تكون واضحة.

واقعنا واللّه المستعان

شأن ذا العصر ابتلاء واضطراب
واغـتـصـاب لحـقـوق واسـتـلاب
وعميٌ عن واجبات شأنها الصون
والـتـقـديـر مـن دون ارتـيـاب
وغدا ذو العلم كالمغمور في اليم
لا يُــدرى بــه بــين الـعـبـاب
وصغير الـقـوم أضحـى عندهم
كـبـيـر بـالـسَـوء الانـقـلاب
ولـئـام الـنـاس فـيـهـم شرفـت
وشريف القـوم أضحى لايهاب
وتـسـاوى الـنـاس فـيـما بينهم
ضاع ذو الفضل وضاع الانتساب
لا تـرى فـيـهـم غـيـورًا بحفظ
الحق والـعـدل ويـهـدى للصواب
غـاض فـيـهـم نـبـع حـق وسعى
فـيـهـم الـظـلـم بـأظـفـار ونـاب
وظـنـون الـنـاس سـاءت فـغـدوا
في اعـتـداء وافـتـراس كالذئاب
وخـلـت أفـئـدة مـن رحـمـة
فـتـراهـا فـي اقـتـتـال واحـتـراب
يـفـتـك الأقــوى بمـن هـم دونه
مثل بـهـم عـاث فـيـهـم لـيـث غاب
وفـشـى المـنـكـر فـيـما بينهم
وتمــادوا فــي نـفـاق وخـلاب
لـيـس لـلـمـنـكـر نـاه لا ولا
آمـر بـالـعـرف مـن بـين الصحاب
يـتـرامـون عـلى المـمـنـوع كالحلو
إذ تـأتـيـه أسـراب الـذبـاب
أكـلـوا الـسـحـت احـتـيـالًا وربا
ويـحـهـم كيف نـسـوا يـوم الحساب
حـق أن نـبـكـي عـلى أحـوالنـا
بـدمـوع سـاخـنـات وانـتـحـاب
أيـهـا الـقـوم ارعـوا وانـتـبـهـوا
وارجـعـوا قـبـل مـعـاناة الـعـذاب
إن تـخـلـى الـنـاس عـن أخلاقهم
فـسيغـدو جمـعـهـم صرعـى تباب
أدرك الـكـل إلـهـي مـنـقـذًا
وأتـانـا بـالـلـطف مـن أرحـب باب
واهـدنـا وارحـم مـغـيـثـاً حالنا
بـعـد أن حـاقـت سـود الصعاب

● عدنان حقي

المحرر: أخي عدنان يسعدنا أن تتابع مواد المجلة بهذا الشغف وهذه الدقة ونتطلع ليوم نتمكن فيه من نشر كل مساهمات القراء خاصة الموهوبين أمثالك.

تعقيب على تحقيق المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهوض

بادئ ذي بدء نتقدم بخالص الشكر والتقدير لمجلة المسلمين الغراء «الوعي الإسلامي» على اهتمامها أخيرًا بقضية التعليم الأزهري، وأسباب ترديه وعوامل نهوضه.

وقد سبقتها زميلات أخرى من المجلات والصحف المصرية تحديدًا إلى ذلك الشأن الأزهري، مثل مجلة الأزهر، وبعض الجرائد مثل الأهرام واللواء الإسلامي وآفاق عربية والأسرة العربية والأخبار والجمهورية وغيرها، وكذلك مجلة المجتمع الكويتية.. ونتمنى من «الوعي الإسلامي» مواصلة سبر أغوار هذا الملف الشائك، وتلك القضية الكبرى وتحليلها بل وتشريحها، وفتح الباب على مصراعيه للكتابات المتخصصة الحقيقية، العميقة والمخلصة في المقام الأول، والمهتمة والمهمومة فعلًا بقضايا التعليم الأزهري ومعاهده وجامعته العريقة تاريخًا وحضارة وعلمًا وتنويرًا؛ حتى نصل سويًا إلى الوقوف على أهم وأدق أسباب تردي الأزهر الشريف ومعاهده.. ونحدد معًا -وبدقة عالية- عوامل النهوض الحقيقية الفعالة للأزهر جامعًا وجامعة ومعاهد.

كما أتقدم بشكر جزيل وتحية خالصة وخاصة للأخ الفاضل الأستاذ همام عبدالمعبود، الذي تعودنا منه على الكتابات الجيدة، والتحقيقات المهمة، والحوارات الشائقة عبر مجلتنا الجميلة «الوعي الإسلامي» وغيرها من الدوريات المحترمة، مثمنًا جهده الطيب في طرح بعض مشاكل وقضايا التعليم الأزهري بقطاع المعاهد الأزهرية، التي هي قضية كل مثقف مسلم، وبحثه عن أسباب تخلفها الراهن، ووضع الحلول المناسبة والأدوية الناجعة لذلك؛ حتى تتقدم وتتطور تلك المعاهد العلمية العظيمة، وتؤدي دورها الحيوي الخطير والمهم في حمل الشأن الإسلامي عمومًا، والدعوة الإسلامية خصوصًا.. والنهوض بأمتنا الإسلامية نحو الأفضل والأجمل دائمًا بإذن الله تعالى، وذلك في تحقيقه المهم والمعنون بـ«المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهوض» والذي قامت بنشره «الوعي الإسلامي» في عددها رقم (٥٦٤)، شعبان ١٤٣٣هـ يونيو/ يوليو ٢٠١٢م.

وهو في مجمله تحقيق طيب، وإن كانت عليه بعض الملاحظات المهمة من وجوه عدة، لكنه نجح إلى حد معقول في إماطة اللثام عن بعض العيوب التي تعيق تقدم العملية العلمية والتعليمية والدعوية بالمعاهد الأزهرية، من خلال محاوراته مع بعض المقربين من التعليم الأزهري وقضاياه، وإن كان بعضهم غير متخصص في ذلك بالمعنى الدقيق.. في هذا التعقيب المبدئي المختصر سوف نتناول بعض أسباب تردي وضعف وترهل المعاهد الأزهرية علميًا وتعليميًا وإداريًا وسياسيًا، وذلك على سبيل الاستدراك فقط على هذا التحقيق الجيد، لفتح المجال أمام المهتمين والمتخصصين والمختصين بهذا الشأن، لأهميته الكبرى، وكذلك فتح طاقة أمل ومد طوق نجاة للمضارين من هذه الأسباب المعيقة لعملية التعليم في المعاهد الأزهرية، وفي مقدمتهم طلبة وتلاميذ هذه المعاهد المظلومون من وجود مثل هذه الأسباب، والتي تعد في نظرنا أسباب تخلف وفساد بكل تأكيد، ثم من بعدهم أولياء أمور هؤلاء الطلاب، ثم المعلمون بهذه المعاهد، ثم الأزهر الشريف ذاته، ثم الدولة المصرية، ثم الأمة الإسلامية.. في هذه السلسلة المرتبطة والمتقاربة من بعضها.

أما شرح وتحليل وتناول هذه الأسباب وغيرها، والتعليق عليها، وإثبات مدى ضررها وخطرها على العملية التعليمية بتلك المعاهد، وطرح سبل التخلص منها، ومعالجة آثارها السيئة على العلم والتعليم والمتعلمين والمعلمين، وعلى كل من له علاقة انتفاع منخرمة من نجاح مسار العلم بهذه المعاهد.. فسيأتي تفصيله لاحقًا بإذن الله تعالى، كما ذكرنا آنفًا إن كان هناك مجال ومساحة.

ومن بين أهم أسباب تردي عمل هذه المعاهد الأزهرية علميًا وتعليميًا، والتي عشناها شخصيًا لمدة عقد ونصف من الزمن بين جدران تلك المعاهد وفي فصولها الدراسية ومراحلها التعليمية الثلاث كتلاميذ وطلاب قبل الجامعة ثم بالتدريس فيها بعد الجامعة لفترة أخرى، في نظرنا هذه الأسباب:

١- الكم الهائل المقرر من مادة القرآن الكريم، وهذا السبب هو أخطر عيوب التعليم الأزهري على الإطلاق.

٢- العدد الكثير من المواد الدراسية.

٣- اللغة الجافة التي تقدم بها كتب التراث في المواد الشرعية والعربية.

٤- عدم وجود مجموع معين أو نسبة نجاح محددة في الشهادة الإعدادية بتلك المعاهد للالتحاق بالثانوي الأزهري.

٥- نموذج تصحيح الإجابات في الامتحانات، وسوء تعامل المصححين معه.

٦- النظام العجيب والمتخلف جدًا لنظام الدور الثاني (الملاحق) بتلك المعاهد.

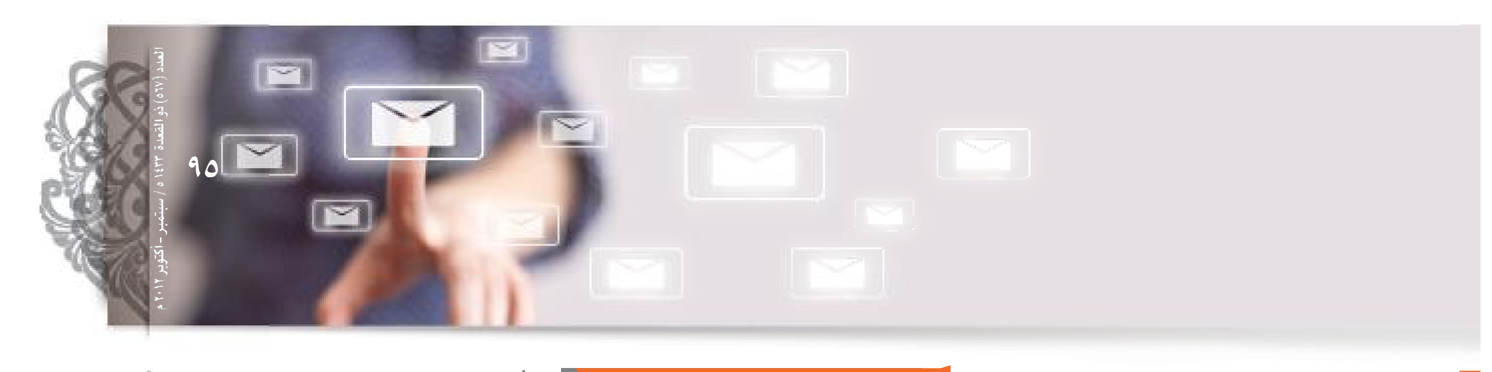
٧- جدول الامتحانات ونظامه السيئ.

٨- عدم وضوح نظام المواد الدراسية بالأزهر، خاصة الشرعية منها، من حيث عددها والحد الأقصى من هذه المواد.

٩- الاختبار الشفهي (الشفوي) وويلاته ومصائبه الكارثية المدمرة.

١٠- عدم توحيد الجهة التي تقوم بوضع وتقرير المواد الدراسية على طلبة تلك المعاهد.

١١- ضعف إخراج الكتب الشرعية والعربية التي يدرسها الطلاب تربويًا، من حيث قلة الاختبارات والتقويمات والأسئلة ونماذج الإجابة بها.



١٢- سوء وتردي المنشآت والمباني التعليمية في كثير من أبنية هذه المعاهد.

١٣- عدم وجود المناطق الأزهرية (مديريات التربية والتعليم بالمحافظات في التعليم العام) بالمراكز، كما هو الشأن في الإدارات التعليمية بالتعليم العام بكل مركز وليس بالمحافظة فقط.

١٤- التقصير الشديد وضعف الوعي والضمير من معظم الأزهريين أنفسهم في حق التعليم الأزهري، وعدم انتفاضتهم على هذا الوضع المتردي والبالغ السوء، رغم وجود هذا الوضع الكئيب منذ سنوات عديدة.

١٥- اختيار المذهب الفقهي للتلاميذ الصغار مبكرًا في بداية المرحلة الإعدادية.

١٦- ضعف الاهتمام بحصة التربية الفنية ومواد الرسم، والخط العربي والتصوير والمجسمات والموسيقى والإنشاد والتمثيل وغيرها.

١٧- قلة الاهتمام بحصة أو محاضرة التربية الرياضية للطلاب، وكذلك قلة عدد المعلمين وغيرهم.

١٨- عذاب الطلاب فيما يسمى بطابور الصباح (طابور الذنب) من حيث إرهاق الطلاب وإضاعة وقت مهم لهم ولمعلميهم.

١٩- عدم المراجعة الجيدة لما يتم تحفيظه للتلاميذ من القرآن الكريم من المسؤولين عن شؤون القرآن بقطاع المعاهد الأزهرية.

٢٠-قلة وجود مكتبات كبرى ومتخصصة ليقرأ فيها الطلبة والمعلمون وجميع العاملين، على أن تعمل في الدراسة وبعدها وحتى في الإجازات وعطلة نهاية العام، وعمل مشاريع القراءة الصيفية.

محمود زويل

الحركة الطلابية المغربية

تعتبر الحركة الطلابية المغربية هي مورد لإنتاج النخب بامتياز وطالما أن هناك حركة طلابية حاملة لهم رسالة المجتمع ومؤمنة بمبادئ وقيم اجتماعية نبيلة إلا وكان للمجتمع نخبة نزيهة، وساهمت الحركة الطلابية منذ عقود من الزمن في إنتاج رموز للإصلاح ومقاومة الفساد، كما أنها ساهمت كذلك في مقاومة مد الفساد القيمي والأخلاقي من داخل الجامعات المغربية بالإضافة إلى دعم القضايا العادلة وإلى جانب ذلك كان لمنظمة التجديد الطلابي دورًا رياديًا إلى جانب أطراف الحركة الطلابية منذ تأسيسها في ٨ مارس ٢٠٠٣ كجمعية مدنية شبابية طلابية تعمل أساسًا في الوسط الطلابي وقبل ذلك من خلال عملها كقطاع طلابي لحركة التوحيد والإصلاح منذ سنة ١٩٩٦ من خلال الوحدة المباركة بين حركة التجديد والإصلاح ورابطة المستقبل الإسلامي التي وازتها وحدة فصائلية طلابية ما بين فصيل فعاليات طلابية التابع للرابطة وفصيل الطلبة التجديديين التابع لحركة التجديد والإصلاح وهاته الوحدة أنتجت لنا فصيلًا طلابيًا وهو فصيل الوحدة والتواصل، والجدير بالذكر أنه كان يسود خطأ شائعًا ومازال يسود إلى الآن وهو أن منظمة التجديد الطلابي جاءت بديلًا عن فصيل الوحدة والتواصل من داخل أوطم أو حتى الإتحاد الوطني لطلبة المغرب كمنظمة نقابية وحقيقة الأمر هو أن المنظمة توازي القطاع الطلابي لحركة التوحيد والإصلاح من خلال دورها، أما فصيل الوحدة والتواصل فيظل لائحة نقابية انتخابية مقترحة من داخل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بعد الحظر القانوني والعملي ومنظمة التجديد الطلابي فهي جمعية مدنية وليست منظمة نقابية.

● **يوسف الفاسي- عضو منظمة التجديد الطلابي وفاعل حقوقي**

المحرر:

نشكرك أخي يوسف على فتح نافذة معرفية تقل لنا شيئًا عما يجري في مضمار الحركة الطلابية المغربية ونأمل في مزيد من المساهمات التي تتفق مع الخط الرئيسي للمجلة.

ردود سريعة

● الأستاذة الكاتبة سهير أبوبكر الشاذلي من مصر: وصلتنا رسالتك التي تعكس مدى متابعتك الدقيقة لكل ما ينشر في الشأن الثقافي الإسلامي، ونشكرك على التنبيه الخاص بمقال «الموريسكيون» في إسبانيا، بتاريخ رمضان أغسطس، وسيتم لفت نظر كاتب المقال واتخاذ اللازم.. جزاكم الله خيرًا.

● الشاعر المبدع محمد أحمد جلو: قصيدتكم تدل على خبرة شعرية وطول باع في نظم القوافي، لكنها لا تناسب، بسبب غزليتها، سياسة تحرير المجلة، نشكركم وننتظر منكم مساهمات أخرى في موضوعات مختلفة.

● الأخ الكريم جبر الخالدي: مساهمتكم بشأن الخليفة أبي بكر الصديق بدت مكررة من حيث المعلومات المتاحة وأسلوب العرض، نقترح إفادة المجلة بمساهمات أخرى تصبون فيها من خبرتكم العميقة.

● الفاضل د.عمر محمود السيد محمود: يبدو أن موضوع الطب البديل مازال يثير الجدل في الأوساط الثقافية المختلفة. ولذا فإن وجهة نظركم التي تؤكد بيع الوهم للمرضى، تحترم في حد ذاتها، وإن كانت تلقى ردود فعل غاضبة من آخرين استطاعوا أن يوثقوا فائدة الأعشاب الطبية وغيرها من أساليب العلاج التكميلي.. أسعدتنا مشاركتكم، وفي انتظار مشاركات أخرى.

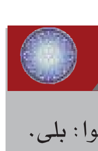
● الباحث أحمد مصطفى علي: مقالتك بشأن أسباب تشويه صورة الحضارة الإسلامية لدى الغرب مميزة. وسيتم بحث كيفية الاستفادة منها وفق سياسة التحرير بعيدًا عن التعرض للديانات الأخرى.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

أدوأ الداء



قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الدَّاء؟ قالوا: بلى. قال: الخُلُقُ الدَّنيُّ واللِّسَانُ البذيُّ.
وقال بعض الحكماء: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ.
وقال بعض البُلغاء: الحَسَنُ الخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ في راحة، والنَّاسُ منهُ في سلامَة، والسَّيئُ الخَلقِ النَّاسُ منهُ في بلاءٍ، وهو مِنْ نَفْسه في عناء.
وقال بعض الحُكماء: عاشِر أهلك بِأحْسَنِ أخلاقكَ فإنَّ الثَّوَاءَ (الإقامة) فيهم قليل.
(أدب الدنيا والدين للماوردي)

من درر الشافعي

قال الإمام الشافعي رحمه الله:
ليس بأخيك مَنْ احتجت إلى مداراته.
ليس الخطأ أن يرمي الإنسانُ الهدف؛ إنما الخطأ ما تعمده.
ليس العلم ما حفظ العالِم، بل ما نفع.
ليس من المروءة أن يخبرَ الرجلُ بسنِّه، لأنه إن كان صغيرًا استحقروه، وإن كان كبيرًا استهرموه.
(مناقب الشافعي للبيهقي، وتوالي التأسيس لابن حجر)

أوَّل القضاة

أول قاض في الإسلام: «عمر بن الخطاب رضي الله عنه».
أوَّل من تَولى القضاء في مصر: «قيس بن أبي العاص السهمي».
أوَّل من تولى القضاء في البصرة: «إياس بن صُبيح».
أوَّل من تولى القضاء في المدينة: «عبدالله بن نوفل».
أول من تولى القضاء في دمشق: «أبو الدرداء، عويمر بن مالك بن قيس».
أول من تولى قضاء المالكية في دمشق: «عبدالسلام بن علي بن عمر بن سيد الناس».
أول من تولى قضاء الحنابلة في دمشق: «عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي».
أول من تولى قضاء القسطنطينية: «خضر بن جمال الدين بن أحمد».
(معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

عليك بالرفق

أثنى رسول الله ﷺ على الرفق، وبالغ فيه فقال: «مَنْ أُعطي حظَّهُ من الرفق فقد أُعطي حظَّهُ من الخَيْر، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير» (رواه الترمذي).
وقال ﷺ: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق» (رواه أحمد).
وقال ﷺ لعائشة: «عليك بالرفق؛ فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». (رواه احمد).

آداب المناظرة

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إذا ما كنتَ ذا فضلٍ وعلمٍ ... بما اختلفَ الأوائلُ والأواخرُ
فناظرْ مَنْ تُناظر في سكونٍ ... حليمًا لا تَلِجَّ ولا تكابرْ
يفيدك ما استفاد بلا امتنانٍ ... مِنَ النُّكت اللطيفةِ والنَّوادرْ
وإيَّاك اللَّجوجَ وَمَنْ يُرائي ... بأني قد غلبتُ ومَنْ يُفاخرْ
فإنَّ الشَّرَّ في جَنَبات هذا ... يُمَنِّي بالتَّقاطعِ والتَّدابرْ

(ديوان الإمامِ الشَّافعي)

أربع فيهن صلاح دينك

قال صالح بن كيسان: خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبدالملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلامًا أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك، قال: ما هي؟ قال: لا تَعِدَنَّ أحدًا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنَّك مرتقى سهلاً إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن الأعمال آخرًا فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر.
(التماس السعد في الوفاء بالوعد لأبي الخير السخاوي)



ريح الموت

دخل جرير والفرزدق والأخطل على عبدالملك بن مروان، وبين يديه صحفة من ذهب، فقال: هي لأجودكم فخرًا بنفسه.

فقال الأخطل:

أنا القطران والشعراء جَرْبَى
وفي القطران للجربى شفاءُ

قال الفرزدق:

فإن تك زقَّ زاملة فإنِّي
أنا الطاعون ليس له دواءُ

قال جرير:

أنا الموت الذي آتي عليكم
فليس لهارب مني نجاء

فقال عبدالملك: «ربح الموت».

(لطائف عربية)

يا نفس ألا تستحين

قال أبوالعَبَّاس المُوصلي رحمه الله: «يَا نَفْسُ، لا فِي الدُّنْيَا مَعَ أَبْنَاء المُلوك تَتَنَعَّمِين، ولا فِي طَلَب الآخِرَة مَعَ العُبَّاد تَجْتَهِدين، كَأَنِّي بِك بَيْنَ الجَنَّة والنَّار تُحْبَسِين، يَا نَفْسُ أَلَا تَسْتَحِين».

(موسوعة أقوال الحكماء)

فضائل العلم

قال ابنُ حزم رحمه الله: «لو لَمْ يكن مِنْ فضل العِلم إلا أَنَّ الجُهَّال يهابونَك ويُجِلُّونك، وأَنَّ العلماء يحبونك ويكرمونك، لكانَ ذلك سببا إلى وجوب طلبه، فكيفَ بسائر فضائله في الدنيَا والآخرَة! ولو لَمْ يكن مِنْ نقص الجهل إلا أَنَّ صاحبهُ يحسدُ العلماءَ ويغبطُ نظراءهُ مِنَ الجُهَّال، لكانَ ذلك سببًا إلى وجوب الفرارَ عنهُ، فكيفَ بسائرِ رذائله في الدنيَا والآخرَة».

(مداواة النُّفوس لابن حزم)

الأشرار يبتغون مساوئ الناس

قال أحد الحكماء لابنه: «الأشرار يبتغون مساوئ النّاس، ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الآلمة من الجسد ويترك الصحيحة».

وقال أحد الملوك لولده: ليكن أبغض رعيتك إليك أشدهم كشفًا لمعايب النّاس، فإنَّ للناس معايب وأنت أحق بسترها، وأنت إنما تحكم بما ظهر لك، والله يحكم فيما غاب عنك؛ واكره للناس ما تكره لنفسك، واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره، ولا تصغ إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاشّ، وإن قال قول نصيح.

(أخبار العرب ٣/٦٣).



كم من محتقَر احتيج إليه

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع ، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما كما يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه، لكن كم من محتقَر احتيج إليه، فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضر .

ولقد احتجت في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم.

واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا يعلم، لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربًا .

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في ألا يظاهر بالعداوة أحدًا لما يبنت من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض، وإقدار بعضهم على ضرر بعض.

(صيد الخاطر)

يخاف ويرجو

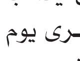
قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بُنَي، خَفْ مِنَ الله خوفًا لا تيأس فيه مِنْ رحمته، وارْجُهُ رجاءً لا تَأْمَن فيه مكرهُ، ثُمَّ فسَّرهُ فقال: المؤمن كذي قلبين، يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر».

(الوعظ المطلوب للقاسمي)

الخزانة الفارغة

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: الأيام تُبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى يوم القيامة خزانة فارغة فتندم.

(حفظ العمر لابن الجوزي)



علامة صدق التائب

«مِنْ علامة صدق التائب في توبته أَنْ يَستبدِلَ بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة، وبفرح ركوب الذّنب الحزن عليه، والسرور بحسن الإنابة، وفي معناه قول بعضهم: لا يكون العبد تائبًا حتى يُدْخلَ مرارة مخالفة النَّفس مكان حلاوة موافقتها».

(الوعظ المطلوب للقاسمي)

فلسفة العدل في التصور الإسلامي

أ.د. أمان قحيف
مفكر إسلامي

كشف الدين الإسلامي الحنيف النقاب عن أهمية العدل في حياة الناس وأشار الى أن استمرار التوازن والاتزان في المجتمع البشري على هذا الكوكب يرتبط إلى حد كبير بتحقيق العدل- كقيمة إنسانية رفيعة- بين الإنسان وأخيه الإنسان.. ولأن حفظ الاتزان داخل المجتمعات الإنسانية على هذا الكوكب يرتبط إلى حد كبير بإقامة العدل فقد أشار الله تبارك وتعالى في قرآنه الكريم إلى أن تحقيق العدل بين الناس يعد من الأهداف السامية التي أراد السميع العليم تحقيقها عن طريق إرسال رسله الكرام معهم الكتب السماوية المنزلة، قال ربنا عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

ولقد ذكر المفسرون في معنى هذه الآية «أن الله تعالى أرسل الرسل بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة وأوحى إليهم الكتب السماوية والميزان ليلتزم الناس بالعدل في معاملاتهم».. فالمعاملات البينية بين الناس يجب أن تقوم على العدل وفقًا لمنهج الرسل والأديان.

ويعد العدل ضرورة بل حتمية لاتساق الحياة واستمرارها داخل المجتمعات الإنسانية، لذا فقد نبه القرآن الكريم المؤمنين إلى عدم الانسياق وراء عواطفهم وأهوائهم عند التعامل مع الناس كي لا يبتعدوا عن العدل وكي لا يقتربوا من الجور، فثمة ضرورة حتمية لتحقيق العدل داخل بنية المجتمع المسلم وخارجه، حتى وإن كان هناك من ظلمنا وتطاول علينا وأغضبنا وجعلنا نبغضه؛ كل ذلك لا يجب أن يكون- من الوجهة الشرعية- مدعاة أو مبررًا للجور والظلم؛ لأننا نكون أقرب للتقوى بقدر ما نكون أصحاب سلوك يتسم بالعدل بين الجميع، قال الحكيم في تشريعه العليم بطبائع خلقه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

ولأن استمرار التماسك داخل بنية المجتمع يرتبط إلى حد كبير بتحقيق العدل بين مختلف أبنائه فقد نبه الله تعالى إلى ضرورة أن يطبق العدل بين الناس أجمعين دونما نظر إلى الروابط التي تربط بين من يقوم بالفصل في المنازعات وبين أحد طرفي النزاع، بل طالب القرآن الكريم بالعدل حتى وإن كان الإنسان سيحكم على نفسه أو على والديه، وهما من أمر الله تعالى بالإحسان إليهما طوال الوقت وطالب بعدم التبرم في وجههما ولو بكلمة «أف»، قال ربنا في تأكيد واضح على ضرورة الأخذ بالعدل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥).

ولاشك أن في قول النبي ﷺ لأسامة بن زيد عندما جاء يتشفع في حد من حدود الله: «... إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».. لاشك أن في هذا الكلام دليل قاطع على ضرورة تطبيق العدل بين كل أفراد المجتمع، لأن غياب العدل يعني فساد الحياة الاجتماعية ويؤدي إلى تدميرها من خلال إحساس بعض الناس بالظلم، هذا الإحساس الذي لا يرفعه من النفوس إلا الرجوع السريع إلى العدل بين الجميع.









المشروع القيمي لتعزيز العلاقات الاسرية

فلاشات بنك السعادة

سلسلة من أجمل الفلاشات القيمية
تناقش وتعالج أخطر المشاكل الأسرية
بطريقة سلسة وشيقة وإبداعية



DVD

الإشراف العام

صلاح أبا الخيل

youtube.com/nafaesscom

twitter.com/nafaesscom

facebook.com/nafaesscom

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com

إدارة الإعلام الديني - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الكويت- مجمع الوزارات - بلوك ١٦ الدور الأول تلفون : ٢٢٤٨٧٣٢٧ / ٨ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

العدد (٥٦٨) ذو الحجة ١٤٣٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٢ م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



د. القاسمي يكتب:
حصاد السنين..
ثلاثون عاما من العمل
الثقافي في الشارقة

- فقه الرحمة عند النبي ﷺ
- الإسلاميون من الدعوة إلى الدولة
- رجال عاطلون.. ظاهرة أم واقع تحياه البيوت؟!
- مشكلات المقاصد .. ما ذكره العز بن عبدالسلام نموذجًا

القرآن دستور حياة

ملف العدد

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

هدية العدد: بوستر آداب المسجد



لا تنقضي عجائبه

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

إن حاجة الأمة ماسة لفهم القرآن، ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئا..

فتدبَّر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

وهو كلام رب الأرباب، لا تنتهي عجائبه وكله عجاب، هو حبل الله المتين، أوثق الأسباب، تشتاق إليه قلوب العلماء اشتياق الظمآن إلى الشراب، لم ينزل لنقرأه باللسان دون فهم وبيان، ولا لنعلقه على مداخل البيوت والحيطان، ولا لنجعله تمائم على الأطفال والصبيان، فالمقصود فهم معانيه لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف عقله وفكره عليه، فالقرآن هو المعجزة الباقية، والحجة البالغة، وليس هناك من قوة إقناع، أبقى أثرًا في النفس من النص القرآني، فهو يأخذ بمجامع القلوب، ويسمو بها إلى صالح العمل، فيهدي الأمة إلى طريق الخير والسعادة، لما يتضمنه من الخصائص العلية، والدلائل الجلية، في آياته البينات، والأمثلة الواضحات، تبصرة للناس لعلهم يعقلون ويتفكرون، وحقيقة الإيمان هي التي صورها لنا القرآن، وجعلها شرطا في استحقاق لقب المؤمنين الصادقين، ولقب المتقين، ولقب أولي الألباب، فعليك أن تنظر في مرآة القرآن الكريم لترى فيها صورة الإيمان الصادق، وصورة الإيمان البهرج الزائف، فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وأنزله بأبدع معنى وأعذب أسلوب، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٨

ذوالحجة ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

أكتوبر – نوفمبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ

الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية –٤ش الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو –الطابق ٦– مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد



موضوع الغلاف

جاء القرآن من رب رحيم ليرشد الناس إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة معًا.. وبذلك يفلحون.

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

● اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
● لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
● سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
● الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
● مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
● المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
● مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
● الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
● المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
● سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
● قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
● ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
● الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
● تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
● المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار ●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

الإدارة الراشدة

سار خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز ﷺ على المنهاج النبوي في الإصلاح الراشدي، من خلال حرصه على إحداث نقلة نوعية في السياسة العامة للدولة الإسلامية، وبنائه لقواعد متكاملة الأركان للوقاية من الفساد الإداري، واختياره للولاة وللعمال الثقات الخيرين الأبرار ممن اشتهروا بالأمانة والعلم والقوة والتواضع وعفة النفس، والعدالة، وحسن الخلق والرحمة والقدوة الحسنة ومشاورة الآخرين والنصح وعدم الأنانية والكفاءة والذكاء والحكمة.

فمن المعلوم أنه لا يستطيع أحد تحقيق النجاح إلا إذا اختار بطانته بعناية تامة، لذا عني خامس الخلفاء الراشدين عناية فائقة باختياره بطانته ومستشاريه، فعندما عزل رئيس الحرس خالد بن الريان، نظر في وجوه باقي الحرس ودعا عمرو بن المهاجر الأنصاري فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا الإسلام، ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أنه لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي.

لقد سعى الخليفة الراشدي الى تحقيق السلامة من الفساد الإداري، بالحرص على معالجة الخلل والاعوجاج، مثل الخيانة والكذب والرشوة والهدايا للمسؤولين والأمراء والإسراف وممارسة الولاة والأمراء للتجارة، واحتجاب الولاة والأمراء عن الناس ومعرفة أحوالهم، والظلم للناس والجور عليهم وغير ذلك.

إن نجاح مشروع عمر بن عبدالعزيز الإصلاحي خلال عامين- فترة خلافته- يؤكد أنه كان ذا قدرات إدارية كبيرة في فن التخطيط والتنظيم والقيادة والتوجيه ومعرفة الناس. وأنه امتلك رؤية إصلاحية تجديدية واضحة المعالم، هدفها الرجوع بالدولة والأمة لمنهج الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، بالإضافة الى التفاف الأمة حول هذا المشروع عندما لمست صدق القائم عليه وإخلاصه.

التحرير

الاشتراكات • داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



الإسلاميون.. من الدعوة إلى الدولة

السنوسي محمد السنوسي - كاتب متخصص في القضايا الفكرية

قبل أن ندخل إلى الإشكالية التي يطرحها المقال، ويحاول أن يستكشف بعض جوانبها ومآلاتها، من المهم أن نعرّج على المصطلحات الثلاثة التي يتناولها المقال.

أما «الدعوة» فالمراد منها «الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، والمقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه وهو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ الذي جاء به محمد ﷺ من ربه سبحانه وتعالى: فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها»[١].

و«رجل الدعوة» هو المسلم الذي يجعل العمل للإسلام همه الأول وشاغله الأكبر، به يعمل وإليه يسعى ويدعو، فهو ليس المسلم الذي ورث الإسلام عن أبويه ولا يعنيه أمر الإسلام في قليل أو كثير، ولا حتى المسلم الذي يمارس شعائر الإسلام في حدها الأدنى دون أن يشكل الإسلام له منهجًا في الحياة بكل تفاصيلها.. بل هو ذلك المسلم الذي يتخذ من الإسلام عقيدةً وفكرًا ومنهجًا ومنطلقًا عن قناعة تامة وثقة لا تتزعزع.

إصدار القوانين

وأما «الدولة» فهي «الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع، والناظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، بحيث تعلو إرادة الدولة شرعًا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع، وذلك من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين، واحتكار حيازة وسائل الإكراه وحتى استخدامها في سبيل تطبيق القوانين، بهدف ضبط حركة المجتمع، وتأمين السلم والنظام، وتحقيق التقدم في الداخل والأمن في الخارج، وإلى جانب الاستخدام العام للمصطلح بمعنى الجسم السياسي للمجتمع، هناك استخدام أكثر تحديدًا يقتصر فيه المعنى على مؤسسات الحكم، وتتألف عناصر الدولة من الشعب والأرض والسلطة»[٢].

و«رجل الدولة» تعبير يطلق على الشخصية السياسية التي تدرك عمق اللحظة التي يمر بها وطنها، وتمتلك مفاتيح عملية لإدارة الموارد والأزمات، ولديها رؤية طموحة وواقعية[٣].

رجل السياسة

وهناك مصطلح آخر قريب الصلة به، وهو «رجل السياسة»، وبعض الكتابات تشير إلى أنهما يشتركان في الكثير من الصفات والقدرات، غير أن «رجل الدولة» يتميز بالبعد الاستراتيجي عن الواقع والمستقبل، ويغلّب مصلحة الوطن على المهاترات السياسية والمصالح الحزبية الضيقة، التي تشكل في كثير من الأحيان عائقًا أمام المصلحة الوطنية.

وأما «الإسلاميون» فهم مجموعة من المسلمين يتحركون بالإسلام ويدعون إلى تطبيقه في واقع الناس، وإلى تحويله إلى برنامج عملي، وليس فقط مجموعة من المبادئ والمفاهيم النظرية التي تنعكس في شعائر متناثرة. وبتعبير آخر «المسلمون هم كل من يتدين بدين الإسلام، أما الإسلاميون فهم طلائع الفكر والعمل الإسلامي المشتغلون بصناعة الفكر، والذين يقودون العمل لوضع هذا الفكر في الممارسة والتطبيق: فكل إسلامي هو مسلم، وليس العكس دائما بصحيح»[٤].

بين الدعوة والدولة

وهنا يثور سؤال مهم: وما الفرق بين مرحلتي: رجل الدعوة ورجل الدولة؟ وهل المطلوب أن يغادر كل الإسلاميين المرحلة الأولى إلى الثانية؟

ونقول: إن مجالات العمل الإسلامي تندرج جميعها- نظريًا- تحت مفهوم الدعوة، أي الدعوة إلى الإسلام كما أشرنا، لكن من حيث التطبيق العملي هناك مستويات أو مجالات عدة يتفرع إليها العمل الإسلامي؛ فهناك المستوى الإيماني والتربوي، أي ترسيخ العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة، وهذا هو المجال الذي يتبادر إلى الأذهان عند الحديث عن «الدعوة».. وهناك المستوى السياسي وتكوين نخبة تستطيع تحويل الأفكار والأطروحات إلى برامج عملية وخطط واقعية، وهذا هو المجال الذي يُعنى به «رجال السياسة» و«رجال الدولة»، ثم هناك أيضًا مستوى العمل الاجتماعي وتكوين روابط مع الجماهير بالعمل الخيري وغيره فيما يُعرف حديثًا بالعمل الأهلي أو المدني.

ومن ثم فليس من المعقول ولا من المطلوب أن ينتقل كل الإسلاميين من مرحلة «رجل الدعوة» التي ألِفُوها كثيرًا إلى مرحلة «رجل الدولة» التي باتت أكثر إلحاحًا، بل المقصود هو العمل على تكوين طبقة أو نخبة تقود العمل السياسي والحزبي، وتحقق التواصل السياسي مع الجماهير، وتمتلك القدرة على تسيير دفة الدولة وتقديم البديل الذي تتوق إليه الشعوب، بعد أن عانت عقودًا من الزمن من أنظمة رسّخت الاستبداد والفساد.

ولاشك أن لكل مرحلة رجالها وصفاتها ومؤهلاتها وشروطها وإشكالياتها، وأنه آن للإسلاميين أن يتعاملوا مع كل مرحلة بمنهجية وخطط ومؤسسية، بعيدًا عن الارتجالية والاجتهادات الفردية، فضلًا عن التصورات الساذجة البدائية.

صفات مشتركة ومغايرة

ويمكن أن نشير بإجمال في النقاط الآتية إلى المطلوب من الإسلاميين للانتقال من رجل «الدعوة» إلى رجل «الدولة».. لكن أجدد التأكيد أولًا على أنه إذا كان لكل مرحلة من هاتين المرحلتين خصائص وصفات تميز كلًّا منهما، فإن بينهما أيضًا خصائص وصفات مشتركة: فالصفة التي سأذكرها في رجل «الدعوة» قد تكون مطلوبة أيضًا في رجل «الدولة».. ولكن ليس بنفس الدرجة والأولوية، وكذلك العكس.

رجل «الدعوة» ينطلق من الحلال



والحرام.. أما رجل «الدولة» فينطلق من المصالح والمفاسد أو من الصالح والأصلح، وهذا ليس معناه أن رجل «الدولة» بعيد عن الالتزام بالحلال والحرام، لكن الأمر في المجال السياسي يخضع لوجهات نظر متعددة، ليس بالضرورة أن يكون فيها حلال وحرام، أو صواب وخطأ.. بل مساحة الضوابط الشرعية (الحرام) في السياسة قليلة جدًا.

رجل الدعوة

رجل «الدعوة» يبحث عما يحفظ له «خصوصيته» وذاته الفكرية والمعنوية.. ورجل «الدولة» يبحث عن «المشترك» بينه وبين الآخرين، ويدخل في ائتلافات مع غيره حتى مع من لا يتفق معهم في كل الأمور، فيفتح حوارات ونقاشات موسعة مع كل الأطراف وفي كل القضايا.

رجل «الدعوة» لا يحب المغامرة ويخاف من الوقوع في «الفتن» ويتبع «الأحوط»، أي أعلى درجة في الأحكام الشرعية تحقق الورع والزهد.. ورجل «الدولة» يقتحم المجالات مادام لا يوجد نص قاطع يمنع، كما يكون أكثر جرأة ولا يخشى الوساوس، ويتبع الأيسر أي الأخف من الأحكام الشرعية.

رجل «الدعوة» يغلب عليه الإحساس بالمسؤولية الفردية والنجاة بالنفس.. ورجل «الدولة» يهتم بالمسؤولية الجماعية ويبحث عن حلول للجميع.

رجل «الدعوة» قد يكتفي برأي واحد ورثه وألِفَه عمن يثق فيه.. ورجل «الدولة» يحاول أن يرى المسألة بوجوه متعددة؛ ليكوّن بنفسه رأيًا يطمئن هو إليه، ويكون أقل تقليدًا لغيره ويحاول الابتكار.

رجل «الدعوة» قد تكون مواجهته للمشكلات هي أن يهرب منها! لأن «الفرد يَسَعُه ما لا يسع الجماعة»، أي يمكن أن يلتزم الفرد بأمر معين، لكن من الصعب أن يلتزم الناس كلهم بهذا الأمر.. فمثلًا إذا كانت السينما يغلب عليها الإباحية وأفلام الغرائز فمن السهل على رجل «الدعوة» أن يقاطعها ويهرب منها ولا يحتك بها؛ لأنه لا يجد نفسه أصلًا مضطرًا للتعامل معها.. أما رجل «الدولة» فتجب عليه مواجهة المشكلات والبحث عن حلول إيجابية غير تقليدية.

رجل «الدعوة» قد يرى في الأحزاب الليبرالية والعَلمانية عدوًا للدين تجب محاربته.. لكن رجل «الدولة» يرى فيها منافسًا سياسيًا مطلوب التغلب عليها وسحب البساط الجماهيري من تحتها.

تفاصيل

رجل «الدعوة» ينطلق من عالم «المثل والقيم الفاضلة»، وقد يستعلي على الواقع أو يرفضه أو يتجنبه أو يصطدم معه.. ورجل «الدولة» ينطلق من «الواقع والممكن» ومما هو متاح، ويسعى لتغيير ما هو سيئ بالصبر والتدرج والمرحلية، ويحاول أن يتعايش مع الواقع، لا أن يرفضه أو يتجنبه.

رجل «الدعوة» خطابه وعظي ويركز على الثوابت والمُطْلَقات، أي الأمور التي لا تقبل النقاش والاختلاف.. ورجل «الدولة» خطابه عملي، وفي المتغيرات ومساحات الاجتهاد والإبداع؛ لأن رجل «الدعوة» لا يملك إلا الموعظة، بينما رجل «الدولة» يجب عليه أن يقدم حلولًا للمشكلات، وألا يكتفي بالمواعظ.

رجل «الدعوة» يتحدث عن القيم والأهداف.. ورجل «الدولة» يتحدث عن الخطوات والبرامج والتفاصيل، وتحويل القيم إلى خطط واضحة.

رجل «الدعوة» يهتم بتغيير المنكر، وقد لا يكترث بالعواقب.. أما رجل «الدولة» فينظر إلى النتائج والمآلات قبل أن يقدم على اتخاذ أي خطوة.

مد الجسور

من المهم أن نشير إلى أن تكوين طبقة «رجال الدولة» والسياسيين المحترفين لا الهواة.. هو أمر يحتاج إلى وعي عميق وجهد متواصل، والأهم إلى زمن تتشكل فيه تلك الطبقة.. وليس مصادفة أن يكون معظم السياسيين قد عرفوا العمل العام والسياسي منذ أن كانوا طلابًا بالجامعة، فهذا جهد مطلوب من الإسلاميين أن يضعوه في اعتبارهم على المدى الطويل.

أما على المستوى القصير، وبالنظر إلى تصدّر الإسلاميين المشهد السياسي بعد الربيع العربي، فنحن بحاجة إلى خطوات عاجلة لسد هذا الفراغ.

وهنا أؤكد على ضرورة مد الجسور مع السياسيين الوطنيين الشرفاء الذين لهم خبرة بالعمل السياسي، ومتاهات دولاب الدولة المتشعب والعميق، وفي الوقت نفسه يحترمون الهوية الإسلامية ولا يجدون غضاضة في احترام خيار الشعوب.. بعكس الذين كانوا يبدون قدرًا لا بأس به من التعاون مع الإسلاميين قبل الربيع العربي ثم لما أُجريت الانتخابات وانحازت الجماهير إلى الخيار الإسلامي قلب هؤلاء ظهر المجن للإسلاميين وناصبوهم العداء، وكأن الإسلاميين سرقوا أصوات الجماهير لا أن الجماهير هي التي اختارتهم عن طواعية واقتناع!!

إضافةً لذلك يجب أن يسرع الإسلاميون في إنشاء مراكز بحثية سياسية واستراتيجية تستفيد فيها من الكوادر العلمية عند غيرهم، فالعمل الحركي لابد أن تغذيه عقول ودراسات وأبحاث تنير الطريق وتقدم الحلول والبدائل، وصولًا إلى الدراسات الاستشرافية التي تتوقع وتحلل وتسابق الزمن والأحداث.

الهوامش

١ - أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ص٥، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨م.

٢ - موسوعة السياسة، تحرير د.عبدالوهاب الكيالي، ج ٢ ص ٧٠٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٣ - راجع المزيد في مقال «الدولة ورجل الدولة» د.محمد عبدالستار البدري، «الشرق الأوسط» عدد ١٢٠٤٣، ٢١ ذو الحجة ١٤٣٢هـ.

٤ - حوار الإسلام والعلمانية، د. محمد عمارة، ص٤، كتيب هدية لمجلة «الأزهر» عدد صفر ١٤٣٣هـ.



د. إيمان عادل عزّام - أكاديمية سعودية

عندما يصف عالمٌ الشمسَ فإنما يصفها بما أمكن له أن يصل إليه علمه، فهو قد يقرب من الحقيقة، ولكن يصعب أن يحيط بها، لأن الله تعالى يقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾، هذا.. والشمس مخلوق سخّره الله تعالى للإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (إبراهيم: ٣٣) فما بالنا بسيد البشر، بل سيد المخلوقات.. سيدنا محمد ﷺ حبيب الله تعالى ومصطفاه، وخاتم أنبيائه، وخيرته من خلقه! فمهما قدّمت دراسات تتناول سيرته العطرة أو أخلاقه الزكية، فإنما تبقى محاولات تحكي ما وصل إليه جهد الباحث والدارس حسب فهمه هو ليس إلا.

فإنه من العسير أن يفهم العقل أو أن تفصح اللغة والعبارات والمفردات عن لطائف وأسرار أخلاق من اصطفاه الله تعالى، وأهداه رحمة للعالمين، وفضّله على مخلوقاته أجمعين، ومدحه بعبارة جامعة عظيمة في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، فلا يبقى للدارسين إذًا إلا نقل الروايات العظيمة عن رسول الله ﷺ من بطون الكتب، وتقديم بعض إشارات وتلميحات لمعانٍ يبقى الفكر عندها مشدوهًا مطرقًا معجبًا مطأطئًا في إجلال لنبيّنا محمد ﷺ.

ومن تلك الدراسات المتواضعة التي تحكي جهد المقلّ بحث شاركت به في مؤتمر نبي الرحمة محمد ﷺ الذي أقامته الجمعية العلمية السعودية للسنّة بوطني الحبيب المملكة العربية السعودية في عام ١٤٣١هـ، وتناولت فيه دراسة خلق الرحمة عند رسول الله ﷺ في مظهره المتّصل بالأسرة؛ لأنّ الأسرة هي المقياس الحقيقي الذي يكون به التفاضل بين الناس، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله...»(١)، والسبب في كون الأسرة هي المقياس يحتمل معنيين: الأول: أن الأسرة هم الأفراد الذين يبعد معهم المرء عن التصنّع والتكلّف والمداراة، فتكون المقياس الصادق من جهة، والثاني: أن الأسرة هي المقياس الكامل فمتى غلب على امرئٍ حسن الخلق مع أهله في معظم أوقاته رغم طول المخالطة واختلاف الأحوال، كان خير الناس.



وأهم ما وصلتْ إليه الدراسة ما يلي:

● خلق الرحمة أحد أهم الأخلاق في دين الإسلام، وأهم خصائص رسالته، فقد سمّى الله تعالى نفسه باسم الرحمن الرحيم، وخصّ الله تعالى هذين الاسمين بفاتحة كتابه، وبالبسملة التي تفتتح بها سور القرآن، وبعث الرحمن الرحيم رسوله رحمة مهداة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، و«نبي الرحمة» أحد أسماء النبي ﷺ التي ذكرها لنفسه كما روى الترمذي- رحمه الله(٢).

● تشير النصوص الشرعية إلى ارتباط الرحمة بكثير من مكارم الأخلاق، أوّلها: الإيمان، والإحسان إلى الخلق، والسلم، والمسالمة، والوسطية، وبر الوالديْن، واللين، ولطف القول، والعفو والحلم والتسامح، وآخرها: الكرم، وتشير إلى هذا الربط بين الرحمة والأخلاق المذكورة شواهد من نصوص الكتاب والسنّة.

وصلت الدراسة من تعريف الرحمة إلى أن الرحمة شعور وسلوك، فالرحمة في الجزء الشعوري منها خلق فطري، وهي رقّة خلقها الله في قلب ابن آدم، ثم الرحمة في الجزء العملي منها عبارة عن سلوك هو صورة من صور الإحسان عند الاستطاعة، أو العبرات عند العجز، قال تعالى عن الجانب الفطري ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال ﷺ عن الجانب السلوكي: «لن تؤمنوا حتى تراحموا»(٣)، أما العبرات، فقد قال ﷺ: «فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الرحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان».

● من تأمل نصوص السنّة القولية والفعلية التي ورد فيها وصف سلوك ما بأنه رحمة لاحظ البحث أن في الموقف نوعًا من أنواع الضعف البشري يثير الرحمة بجزأيْها الشعوري والسلوكي لدى الشخص الرحيم، وكان

الرحمة والحب وجدا بصورهما الكاملة عند رسول الله ﷺ ولهذه الأسباب كانت الأسرة معيارا لقياس حسن الفرد أو سوئه

صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى في ملاحظة الضعف الذي هو ملازم لكل الكائنات، وفي فهم حاجات الخلق والتعامل مع المخلوقات كافة بالرحمة العامة المطلقة المنضبطة بالشرع.

لأن البحث يهتم بالأسرة، والعلاقات في الأسر يظهر فيها الحب والرحمة جميعًا، فقد اهتمّ البحث بتوضيح العلاقة بين الرحمة والحب وبيان الفروق بينهما، كي يكون انتقاء الأمثلة والشواهد من الجزء الذي منبعه خلق الرحمة تحديدًا، وكانت الفروق على النحو التالي:

الفرق الأول: أن الرحمة عامة تعمّ الخلق أجمع: مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، صغيرهم وكبيرهم، حيّهم وميّتهم، بل هي عامة تعمّ المخلوقات من إنس وجنّ وحيوان ونبات، بل قد تبلغ الرحمة الجماد، فلما اتخذ ﷺ منبرًا، وكان قبله يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، قال جابر بن عبدالله كما جاء في الصحيح: «صاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمّها إليه تئن أنين الصبي الذي يُسكّن»(٤)، أما الحبّ فهو مخصوص، لذا صرّح النبي ﷺ بحبّه لأشخاص معينين، منهم السيدة عائشة- رضي الله تعالى عنها- واشتهر ذلك بين الصحابة، وفي حديث عند البخاري: «وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها»، واعتذر النبي ﷺ عن حبه لبعض نسائه، فقال: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»(٥)، وهذا الفرق مذكور في الأحاديث: فقد قال رسول الله ﷺ عن الرحمة: «لن تؤمنوا حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم . قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة النّاس رحمة العامة»(٦).

الفرق الثاني: أن الرحمة مطلقة حيث تكون في كلّ الأحوال غير مقترنة بالمسرّة، ولا بما يناله المحبّ من محبوبه من وجوه النفع والرضا، فهي رقّة جُبل عليها القلب عادة ما يثيرها ضعف في الآخر، وينتج عنها الإحسان إلى من به ضعف أو حاجة بوجه من الوجوه، وذلك بخلاف الحبّ الذي يرتبط كما تقدّم بالمسرّة أو الشعور بالرضا أو النفع، ويكون ميلًا إلى معيّنين يمكنهم جلب هذه المسرّة بوجه من الوجوه.

اهتم البحث بالتأمّل في صفة وجود الرحمة والحبّ في حياة رسول الله ﷺ ووصل إلى:

١- أن رسول الله ﷺ رحم الخلق أجمع، وأحبّ نفرًا من أسرته وغيرهم، لكنه اتخذ الله سبحانه وتعالى وحده خليلًا، فالحبّ في أعلى مقاماته، وهو مقام الخلّة، مخصوص بالله تعالى، فقال ﷺ في حديث طويل: «.. ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته... » الحديث (٧) ، فكان صلوات الله وسلامه عليه يقوم الليل حتى تتورم قدماه (٨) وهو الذي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ويقول عن الصلاة: «يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها» (٩)، وخيّر ﷺ بين مفاتيح خزائن الدنيا ثم الجنّة وبين لقاء ربه، فاختار لقاء الله (١٠) فرسول الله ﷺ لم يتخذ خليلًا غير ربه.

٢- أن الرحمة والحب وجدا بصورتهما الكاملة عند رسول الله ﷺ، فالحب عند رسول الله ﷺ حب معصوم، فالحبّ عنده ليس هوى، وكذلك الرحمة عند

نبي الرحمة منضبطة بضابط الشرع، فالرحمة عند رسول الله ﷺ ليست ضعفًا: عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا أو امرأة» (١١) فقول السيدة عائشة: «ما ضرب رسول الله ﷺ» هذا رحمة.. وقولها: «إلا أن يجاهد في سبيل الله» هذا شرع.

٣- أن الرحمة في أخلاق رسول الله ﷺ فوق الحبّ، والعربي يقرأ في أسلوب الحصر في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أن منبع تصرّفاته ﷺ كلّها هو الرحمة، ولكنها الرحمة الكاملة المنضبطة بضابط الشرع كما قدّمنا.

عرض البحث نماذج من رحمة النبي ﷺ في تعامله مع أسرته مستخرجة من أحداث السيرة النبوية تؤيّد ما وصلت إليه الدراسة في إطارها النظري، وروعي في اختيار أمثلة البحث جانبان:

١- توافر الضابط الذي به تتميز الرحمة عن الحب، وهو ملاحظة جانب الضعف في الموقف الذي أثار رحمة نبي الرحمة ﷺ.

٢ - أن تكون المواقف متنوعة من حيث اتصالها بمن يمثّلون أفراد أسرة رسول الله ﷺ من أبناء و بنات أو آباء أو نساء أو أصهار... الخ، ومن حيث درجة القرابة من ولد وولد ولد.

وأنتقي من المشاهد العديدة مشهدًا أعرضه للقارئ في هذا الملخّص يكون كالمثال لغيره، وهو مشهد يحكي الرحمة المنضبطة بضابط الشّرع الذي يحثّ المسلم على التخلي عن زهرة الحياة الدنيا وإيثار الآخرة، حيث يرقّ صلوات الله وسلامه عليه لحاجة ابنته الحبيبة السيّدة فاطمة- رضي الله عنها- حيث أثّر الرّحى في راحتيّها فأجهدها، فأتت تسأل أباها من السّبي ما يعينها، فلم تجده، روى سيدنا عليّ رضي الله عنه «أن فاطمة- رضي الله عنها- شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ سبيٌّ، فانطلقتْ، فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلّمكما خيرًا مما سألتماني: إذا أخذتما مضاجعكما، تكبّران أربعًا وثلاثين، وتسبّحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» (١٢) فقد حملت رحمة نبي الرحمة ﷺ على المبادرة إلى الذهاب إلى ابنته فاطمة- رضي الله عنها- حين بلغته حاجتها فور إخباره رغم أن الجوّ كان باردًا والزمن شتاءً، ولم ينتظر ﷺ حتى تأتيه ابنته ثانية سائلة عن الإجابة، بل لم ينتظر ﷺ حتى يأتي الصباح فيأتيها، بل سارع إلى ابنته وزوجها وقد أخذا مضاجعهما، فلما دخل بيت فاطمة- رضي الله عنها- وهمّ عليٌّ رضي الله عنه بالقيام أدبًا، أمره ﷺ أن يبقى في مكانه، وقعد ﷺ بين الزوجيْن اليافعين على فراشهما، تلمس قدمه الشريفة صدر عليّ رضي الله عنه حتى وجد عليّ برد قدميه على صدره، على وفق ما تنبّهت إليه الدراسات الحديثة من أهميّة التقارب الجسدي بين المتخاطبيْن، ثمّ أرشدهما الأب (الرسول ﷺ) برحمته المعصومة بالشّرع بما هو خير لهما من خادم.

وعمومًا، فإن المشاهد الحاكية عن رحمة رسول الله ﷺ بأسرته عديدة، حوى البحث طرفًا طيبًا منها.

فالحمد لله تعالى أن جعل ديننا دين يسر ورحمة، وخصّنا بنبي الرحمة ﷺ، والرحمة في حقّنا واجب حتمي ليس مجرّد خلق من نافلة الأخلاق الحسنة، يشهد لذلك قوله ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (١٣) ورغم أن في الرحمة جزءًا شعوريًّا خلقةً إلا أنه يمكن اكتسابها بإدامة العمل بالجزء السلوكي منها، يقول الإمام الغزالي ت ٥٠٥هـ- رحمه الله: «... هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلّف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعًا انتهاء. وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، أعني النفس والبدن، فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح، فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دوْر» (١٤).

وهذا مصداق قوله ﷺ فيما روى أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم» (١٥).

وصلِ اللهم على نبي الرحمة سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١- صحيح ابن حبان (٤٨٤/٩)، حديث رقم (٤١٧٧).
٢- الشمائل المحمدية (ص٣٠٦)، حديث رقم (٣٦٨).
٣- مجمع الزوائد (٨/ ١٨٦- ١٨٧) قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».
٤- صحيح البخاري (١٣١٤/٣)، حديث رقم (٣٣٩١).
٥- رواه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٢٠٤/٢)، حديث رقم (٢٧٦١).
٦- مجمع الزوائد للهيثمي (١٨٦/٨- ١٨٧). قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».
٧- صحيح البخاري (٣/ ١٣٣٧)، حديث رقم (٣٤٥٤).
٨- من حديث أبي هريرة. انظر: الكنى والأسماء (٢/ ٦٢٢)، (١١١٤).
٩- سنن أبي داود (٤/ ٢٩٦) ، حديث رقم (٤٩٨٥).
١٠- المعجم الكبير للطبراني (٣٤٧/٢٢) ، حديث رقم (٨٧٢).
١١- الشمائل المحمدية للترمذي (ص٢٨٨). حديث رقم (٣٤٩).
١٢- صحيح البخاري (١٣٥٨/٣)، حديث رقم (٣٥٠٢).
١٣- رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٣٦). حديث رقم (٣٧٤).
١٤- إحياء علوم الدين (٥٩/٣).
١٥- مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢٦٣) حديث رقم (٧٥٦٦) . سنن البيهقي الكبرى (٤/ ٦٠) حديث رقم (٦٨٨٦).

د.يوسف إبراهيم مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بالقاهرة:

تطبيق زكاة «الركاز» على النفط والغاز.. ضرورة

حوار- صابر رمضان

أكد الدكتور يوسف إبراهيم مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بالقاهرة أن المركز يهدف إلى العمل على نشر المعرفة الاقتصادية من منظور إسلامي، والإسهام في علاج المشكلات الاقتصادية من هذا المنظور، وطالب بتطبيق زكاة «الركاز» على النفط والغاز، وذلك في دراسة عن زكاة «النفط» قدمها مؤخرًا، وبيّن أن الأصل في المال العام أنه ليس فيه زكاة، لكن إذا أصبح في حوزة جماعة من الأمة دون غيرها كالبترول ولم يعد ينفق في مصالح الأمة ككل، فيجب أن تخرج عنه زكاة «الركاز» بقيمة ٢٠٪ من الناتج لتنفق في مصالح المسلمين. واعتبر د.يوسف أن الهدف من الزكاة هو تمكين الفقراء ليصبحوا قادة أعمال وليست صدقة. كما أكد أن الوقف في التاريخ الإسلامي هو الذي بنى الحضارة الإسلامية في الحقيقة، وهو الذي يستطيع أن يبني حضارتنا أو يضيف إليها، ولكن ما ينقصنا هو أن ندعم فكرة الوقف عند الناس بعد أن جفّت لديهم منابع الخير بفعل السلوكيات الخاطئة للحكومات المستبدة. وأشار إلى أن بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» طالب الغرب بالتعلم من الصيرفة الإسلامية حتى يحسن من وضع مجتمعاته، حتى أن كثيرًا من الدول الغربية أقامت بنوكا إسلامية ولجأت إلى الصيرفة الإسلامية مثل «فرنسا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا» وكل هذه البلاد بها منشآت تسير على نهج الاقتصاد الإسلامي. لكن المسلمين لم يرضوا بنظام الصيرفة الإسلامية ولم يستفيدوا منه حق الاستفادة «الوعي الإسلامي» التقت به وهذا نص الحوار:

● **هناك أموال إسلامية تقدر بـ ١,٤ تريليون دولار تستثمر في الغرب فكيف تراها؟**

- هذا شيء مؤسف للغاية وأعتقد أنه لابد من وقفة سريعة جادة كي تعود الأمور لمسارها الصحيح، والحقيقة أن هذه الأموال معرضة للضياع مثلما حدث عندما بدأت الأزمة المالية العالمية، حيث كان إفلاس عدة بنوك في أميركا وأوروبا سببًا في ضياع ملايين الدولارات من أموال المسلمين المستثمرة لدى الغرب، ولهذا أدعو إلى التوقف عن هذا الاتجاه وتوجيه استثماراتنا وأموالنا إلى أسواقنا العربية والإسلامية، ويكفي أن تكون استثمارات العرب آمنة في بلاد العرب.

السوق العربية

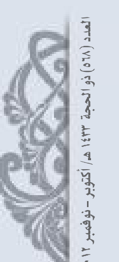
● **السوق العربية المشتركة مطروحة منذ أكثر من نصف قرن.. ومع ذلك لم تر النور فما الأسباب؟**

- أُنشئت بالفعل وانضم إليها عدد من الدول العربية مثل: «مصر والأردن والكويت» ودول أخرى، ولكن ككل اتفاقياتنا وأنظمتنا المشتركة لا تصمد أمام الظروف والمشكلات المختلفة، فترانا نتخلى عنها دون حتى أن نلغيها، وأذكر أن هناك وحدة ثلاثية بين «مصر وليبيا والسودان»، أقيمت لمدة ثلاثة أعوام بين «السادات والقذافي وجعفر النميري»، وأعتقد أنها ما زالت قائمة حتى الآن على الورق، ولم يكلفوا أنفسهم عناء إلغائها، فكثير مما تقوم به الدول العربية من تعاون بينها لا يستمر عند أول عقبة أو لا يستمر، ومن ثم يفقد الأهمية وينسى، والحقيقة ليس لهذا من سبب إلا افتقاد الإرادة السياسية لدى الحكام الذين ينشؤون هذه الأسواق المشتركة أو غيرها، فالحكام في العالم العربي تحكموا في شعوبهم وهم الذين يقررون لها، ومن ثم لا توجد مساندة شعبية لهذه المشروعات، وللأسف كل مشروعاتنا كانت من وحي الحكام لأجندات خاصة بهم، وهذا هو السبب الذي يجعل المؤسسات الاقتصادية البينية العربية لم تحقق شيئًا في تاريخها الطويل وهي قد أنشئت قبل المؤسسات الدولية الموجودة في العالم اليوم، فقد أنشئت قبل «صندوق النقد الدولي» وقبل «البنك الدولي للإنشاء والتعمير»، وقبل «السوق الأوروبية» وقبل الأسواق المختلفة مثل «النافتا» في أميركا الشمالية، فنحن سباقون في التوقيع على الأوراق لكن في التنفيذ لم تظهر أية ثمرات لهذه الاتفاقيات!

زكاة الركاز

● **لكم دراسة عن «زكاة النفط».. حدثنا عنها وعن كيفية تحصيلها وإنفاقها؟**

- الدراسة خلاصتها أنها تجيب عن تساؤل أو ترد على بعض الفقهاء الذين قالوا إن البترول ليس فيه زكاة بحجة أنه مالٌ عامٌ وينفق على مصالح المسلمين وليس في المال العام زكاة، وأقول لهم: هذا الكلام سيكون صحيحًا لو أن البترول بالفعل ينفق على المسلمين جميعًا، ولكن الحقيقة التي نعيشها الآن أن جزءًا من البترول موجود في مصر ينفق على المصريين فقط، وجزءًا موجودًا في إيران ينفق على الإيرانيين فقط، وجزءًا موجودًا في غيرهما من البلاد، وليست القضية قضية البترول، وإنما كانت المناجم والمحاجر وسائر ما يستخرج من الأرض كالحديد في المغرب والذهب في مصر، وهناك موارد كثيرة مملوكة للمسلمين، فلو أن البترول بالذات يُنفق بالفعل، أو لو كانت لنا دولة واحدة، وكان البترول ينبع فيها ونقوم باستخراجه، وإنفاقه في مصالح المسلمين لما قلنا بالزكاة،





نحن سباقون في التوقيع على المبادرات المشتركة كالسوق العربية أما الفعل فلا!

«الغرب» استفاد من الصرافة الإسلامية أما نحن فلم نستفد منها!

لكن لمّا أصبح البترول حكرًا على فريق واحد من الناس قلنا بالزكاة، وهناك بعض الدول –لا تقدر بأكثر من قبيلة– أصبحت تمتلك البترول، والبعض الآخر من الأفراد صار يحتكره مثل «حسن بلقية» في «بروناي» في جنوب شرق آسيا، فعدد سكان دولته محدود، ولكن بها ثروة بترولية كبيرة، فهل إنفاق البترول في «بروناي» على سكانها فقط.. إنفاق على جميع المسلمين أم أنه إنفاق على أقل من قبيلة؟! إذن طالما لا توجد دولة إسلامية كاملة تقوم باستخراج البترول وتوزيعه على المسلمين، فالأصل أن المال العام ليس فيه زكاة، لكن إذا أصبح في حوزة جماعة من الأمة دون غيرها ولم يعد يُنفق في مصالح الأمة ككل، فيجب أن تخرج عنه زكاة «الركاز» بقيمة ٢٠٪ من الناتج، وبكل تأكيد إذا خصصت الدول البترولية الإسلامية ٢٠٪ من عائداتها النفطية لتنفق في مصالح المسلمين فإن هذا كافٍ لتحقيق التنمية الاقتصادية في شتى دول العالم الإسلامي.

تمكين الفقراء

● كيف تصبح الزكاة قوةً للاقتصاد الإسلامي؟

– الزكاة إحدى الأدوات التي يستخدمها النظام الإسلامي في القضاء على الفقر والبطالة، فهذان الأمران أعد الله تعالى لهما فريضة الزكاة لكي يتخلص المجتمع منهما، والزكاة تمثل نسبةً كبيرة من دخول الناس معظمها يمثل ٢,٥٪ من الدخول لكن بعضها يمثل ٥٪ أو ١٠٪ كما في الدخول الزراعية، وبعضها يمثل ٢٠٪ كما في «الدخول المنجمية»، فهي مبلغ كبير من المال تحصل عليه الدولة، والزكاة تُنفق في ثمانية أوجه مثل: «ذوي الحاجة والبطالة، والفقراء والمساكين، وأبناء السبيل....»، وهناك أولويات.. والزكاة لا تنفق كنقود تعطى للمحتاج في يده، وإنما تقدمها الدولة على شكل أدوات الإنتاج للمحتاج، فالزكاة لا تقدم نقدًا في الأساس بالرغم من أننا قد نقدمها نقدًا، فالأصل فيها أن نقدم أدوات الإنتاج للذين لا يجدون هذه الأدوات، والأصل فيها أن نبني مشروعات يعمل فيها الذين لا يجدون عملاً، والأصل فيها أن تقضي الدين عن المدين، فقد شرعت في الإسلام لإغناء الفقراء، وتمكينهم من أن يكونوا أصحاب أعمال، بمعنى أن من الزكاة التي يحصلوا عليها يصبحوا أغنياء ولا يعودوا فقراء، ولكنهم يعطونها ويقدمونها للدولة في العام التالي، والزكاة تعطى ما يغني ويكفي ويزيد، ويقول عمر بن الخطاب: «إذا أعطيتم فأغنوا كرروا عليهم الصدقة، وإن راح على أحدهم مائة من الإبل»، وهي ثروة كبرى، والزكاة في بعض بنودها تقدم ما يسد حاجة المسافر الذي أطلق عليه القرآن الكريم: «ابن السبيل»، فالزكاة تسد عَشَر حاجات للإنسان في الحقيقة، توفر المطعم والمسكن والملبس وأدوات الإنتاج، وكتب العلم وأداة الانتقال والعلاج وقضاء الديون والزواج والسياحة، حتى السياحة تدخل في حد الكفاية الذي توفره الزكاة، وعليه فعلاقة الزكاة بالاقتصاد القومي هي علاقة الجزء بالكل.



الصرافة الإسلامية

• أقدمت بنوك غربية وآسيوية على انتهاج الصرافة الإسلامية كيف ترصدون ذلك وكيف تري مستقبلها؟

- الصيرفة الإسلامية كان مرضيًا عنها من الدول غير الإسلامية، ولم يكن مرضيًا عنها من الدول الإسلامية، وكنا نقر بها إذا أقرها الغرب، ولكن كلامنا «مجرد كلام»، أما الغرب فينفذ ما يقوله، فهم يسعون للوصول إلي ما ينفع اقتصادياتهم وما يفيد مجتمعاتهم، ومن ثم إذا رأوا في الصيرفة الإسلامية ما يفيدهم لجأوا إليها، حتى إن «البابا بنديكدت السادس عشر» قال: «على الغرب أن يتعلم من الصيرفة الإسلامية حتى يحسن من وضع مجتمعاته، ويقضي على الأزمة التي وقع فيها عام ٢٠٠٨» وكثير من الدول الغربية أقامت بنوكًا إسلاميةً ولجأت إلي الصيرفة الإسلامية مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا كل هذه البلاد بها منشآت تسير على نهج الاقتصاد الإسلامي.

الصكوك

• تعتبر ماليزيا أهم دولة إسلامية في سوق الصكوك الإسلامية، وتليها بعض دول الخليج مثل الإمارات.. فلماذا لا

هدف الزكاة تمكين الفقراء ليصبحوا قادة أعمال وليست صدقة

توجد في مصر مثلاً سوق مماثلة؟

- إن شاء الله ستوجد في القريب العاجل: فقد أوعز «البنك المركزي» إلي «البنك الأهلي» أن يطرح صكوكًا إسلاميةً للعاملين المصريين في الخارج، ونحن الآن بصدد البحث المتسع في قضية الصكوك، وعقدنا ندوة بالمركز عنوانها «الصكوك الإسلامية وسبل تطبيقها في مصر» وقدم فيها سبعة من الأساتذة الكبار أبحاثًا حول الإطار التشريعي لهذه الصكوك، والفرق بينها وبين الشهادات بما يدفع الناس إلى الإيمان بها وتطبيقها وكيف أنها لا تمثل عبئًا على الميزانية، ولكن عبأها يتحمله المساهم في الصك، ويعتبر هذا تنظيرًا مبدئيًا أو «الفرشة» الأساسية التي ستقام عليها فكرة الصكوك الإسلامية بمصر.

• ما الاقتصاد الإسلامي.. وماذا عن مكانته بين النظم الاقتصادية الأخرى؟

- الاقتصاد الإسلامي مفهوم يقصد به بناء الاقتصاد في المجتمع على هدي الإسلام، فكل اقتصاد لا يتعارض مع تعاليم الله وتشريعاته التي أنزلها في كتابه وجاءت بها السنة المطهرة، هو اقتصاد إسلامي، فطالما ابتعدنا عما حرمه الله في الإنتاج والاستهلاك، وفي التعامل فيما بيننا أيضًا، فنحن إذن نمارس الاقتصاد الإسلامي سواء في المجال الزراعي والصناعي والتجاري في الخدمات في شتى الميادين، فليس لنا هيكل مختلف عن الهيكل العام لأي اقتصاد، وإنما الفرق بيننا وبين أي اقتصاد آخر هو أننا نبنى هذا الهيكل ونؤسسه على هدىً من شريعة الله تعالى، حيث وتنفذ فيه التعليمات التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في ميادين الأعمال والاقتصاد.

• أخيراً.. ما الجديد لدى المركز؟

- قمنا بإطلاق مشروع يقوم على تأليف ١٥ مؤلفًا تتناول فروع الاقتصاد الإسلامي المختلفة لتكون تحت تصرف الجامعات التي تريد تدريس هذه المقررات وبدأنا منها بثلاثة هي: «أصول الاقتصاد الإسلامي» و«اقتصاديات الزكاة والوقف» و«النقود والبنوك في الإسلام»، وجار ترجمة وطباعة كتاب: «القوانين الوسطية في الاقتصاد الإسلامي» للإنجليزية والفرنسية بناءً على طلب الشيخ صالح كامل، والمركز يعقد ٤ منتديات سنويًا ويصدر مجلة علميةً كل أربعة أشهر صدر منها للآن ٤٣ عددًا، ونقدم الجوائز التشجيعية في مجال الاقتصاد الإسلامي باسم الشيخ صالح سنويًا.



القرآن دستور حياة

يخطئ من يظن أن القرآن الكريم مجرد كلمات تتلى آناء الليل وأطراف النهار.. يخطئ من يظن أن كتاب الله تعويذة ورقية تقي من حوادث الطرق، أو من سرقة المحلات والبيوت وغيرها.. يخطئ من يظن أن تعاليم محكم التنزيل شيء وسلوكياتنا في الحياة شيء آخر..

فالقرآن الكريم منهج حياة، ودستور شامل ما فرط الله فيه من شيء، وإذا كانت طبيعة الدساتير الأرضية- كما عهدناها- تتطرق إلى المبادئ العامة، وتضع ما يضمن للمواطنين حقوقهم وحرياتهم وتنظم واجباتهم وتهذب أخلاقهم، فما بالنا بالدستور الإلهي وشرعة الحياة التي ضمنت حق المخالف قبل حق المتبع؟ ألم يقل سبحانه وتعالى:﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾؟

ألم يضمن حق من يريد العاجلة في الدنيا غير منقوص؟ ألم يمد الله بالأجر الدنيوي هؤلاء وهؤلاء ﴿وما كان عطاء ربك محظورًا﴾؟

ولكن القرآن الذي جاء من رب رحيم يرشد الناس أجمعين إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة معًا.. في العاجلة والآجلة.. لا يريد منح العطاء في الرحلة العابرة فقط، بل في المستقر والمنتهى أيضًا، ولذا جاء بمبادئ سامية وتعاليم راقية، فصل فيها حينًا لحكمة بالغة، وأجمل حينًا، تاركًا للسنة المطهرة أن تفصل، وللناس من بعدها أن ينظموا قوانينهم وفقًا لتلك المبادئ القرآنية العامة.. وبما لا يخالف الأحكام التي نص عليها صراحة.

فما بالنا- بعد كل هذا- نتجاهل المبادئ ونركن إلى الراحة والدعة بعد ترديد متعجل لكلمات لم ينزل أثمن منها؟! ودون تدبر كاف أو حتى نية صادقة للعمل بكل مبدأ وكل إرشاد أهدانا إياه رب العالمين.. تدبروا يرحمنا ويرحمكم الله.. آمين.

علاء الدين عبدالفتاح



■ محمد الدسوقي محمد

القرآن الكريم دستور الحياة الذي يضع القواعد الأصيلة للحضارة السامية التي يريدها الإسلام الحنيف، ويحمل إلى البشر روحًا ربانية عظيمة تبغي صبغ الحياة بصبغة إيمانية، تتحقق بها مصالح الأفراد والجماعات والمجتمعات، وينتقل بها الناس إلى الحياة الأبدية آمنين سعداء، وفرحين مطمئنين.

والقرآن الكريم هو المنهج المستقيم، والقدوة الحسنة، ومفتاح السعادة للخلق في الدنيا والآخرة، فلقد جعله الله تبارك وتعالى أمانًا، وشاطئ نجاة للبشرية، من اتبعه سلم وفاز، ومن جعله وراء ظهره ضل وغوى، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦)، كما أنه مرجعُ البشر في عقائدهم، ومبادئهم، وغاياتهم، وهو الحكم الفصل بين الناس فيما يختلفون عليه من أمور في مختلف مناحي الحياة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

وهو العاصم من التردي في الرذائل، والسير وراء الفتن، والتخبط في اعتناق

■ هذا المقال ورد للمجلة منذ سنوات ولم ينشر من قبل.

الآراء المضللة، والمذاهب الخربة، وهو أيضًا سياج عظيم يحمي من التيارات الإلحادية والأفكار الهدامة التي تهب على المسلمين من كل اتجاه.

وإن كانت الكتب السابقة على القرآن الكريم قد نالت منها أيدي الآثمين بالتبديل والتحريف، وهذا ثابت لقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه.. ﴾ (المائدة: ١٣)، وبقوله تعالى أيضًا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.. ﴾ (البقرة: ٧٩).. فقد شاءت إرادة الرحمن الرحيم أن تكون للقرآن الكريم صفة الدوام والخلود، ولذا لم يسند الله تبارك وتعالى حفظه إلى أحد من البشر، وإنما تولّى عز وجل ذلك، فحفظه من التحريف والتغيير، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

دعوة متأنية

ولقد تميز القرآن الكريم بالدعوة المتأنية، فكان نزوله مفرقًا ليجيب على ما يطرح من أسئلة كانت تعن لأصحابها، وليرد كيد الأعداء، ويكشف مآربهم الوضيعة، وليوجه المؤمنين إلى المزيد من التمسك بدينهم الذي هدوا إليه.

وهداية القرآن فاقت كل هداية، فهو دليل الإصلاح، ومصباح الإرشاد، وسبيل الحكمة، وآية الله الناطقة.. ففي مجال العقيدة دعا إلى توحيد الله عز وجل، ووضح عظمته وقدرته، ودعا إلى نبذ الأصنام والأنداد، وفي مجال العبادة شرع العبادات ليربط المؤمن بربه فيما يؤديه من شهادتين، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج..

وفي مجال التشريع شرع للناس ما يلزمهم، وما يحتاجون إليه في سلوكهم، وحرّم عليهم ما يضرهم، ويودي بمجتمعهم.. وبيّن للناس الطريقة المثلى في علاقات بعضهم ببعض، أفرادًا وأزواجًا وحكومات، وشعوبًا ودولًا، وأجناسًا.

وبالإضافة إلى أن القرآن الكريم هداية للبشرية، ومنجاة لها من التيه والضلال والعبث فإنه بشرى طيبة لمن يحسن التمسك بقواعده، ويتحلى بقيمه، ويخضع حياته في صغيرها وكبيرها لمبادئه وأصوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، وقال تعالى أيضًا: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ..﴾ (المائدة: ١٦). ولقد عني الرسول ﷺ بتوكيد هذا الدور العظيم للقرآن بقوله: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.. » (رواه الدرامي في مسنده).

والقرآن الكريم نعمة تعطى للناس، تقرب إليهم، وتيسر لهم ظروف الحياة ومناسباتها مع رياضة خاصة أو عبادة خاصة، والناس يستبينون منه الهدى في تفسير الحياة وتدبيرها.. والقرآن في ذلك فرقان واضح يفرق بين الحق والباطل، ويتميز به تاريخ الإنسانية في عصره عن كل عصر قبله، وهذا معنى الفرق والتميز في كلمة الفرقان الذي فيه آيات بينات.

ولسوف يبقى القرآن محفوظًا في الصدور، وفي السطور ما بقي الزمن، وما بقيت الدنيا، وذلك لأنه كلمة الله تعالى الباقية إلى أن تقوم الساعة، ويقوم الناس لرب العالمين، ولقد تكفل الله بحفظه كما تكفل بجمعه وبيانه. قال رب العزة سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٦- ١٩).

والقرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ المقروءة والباقية لا للإنس فحسب بل للجن أيضًا، قال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن: ١).

ولإعجاز القرآن الكريم وجوه شتى.. فهو معجز في لفظه، وفي معناه، وشرائعه، وأخباره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤).

خصوم القرآن

ولقد أثر القرآن الكريم- بما فيه من إعجاز- في أعدائه قديمًا وحديثًا، فاستطاع أن ينتزع من أفواه البعض، رغم التعنت والمكابرة والعناد، كلمة حق إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن هؤلاء القوم الضالين أدركوا حقيقة الإسلام ونبل غايته، ولكنهم أبوا إلا أن يعيشوا في ضلالهم، مؤثرين نفوذهم الدنيوي الفاني والزائل على آخرتهم.

روى ابن اسحق عن محمد بن مسلم بن شهاب عن الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي في بيته، فأخذ كل واحد منهم مجلسًا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا، فقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، وجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة، ثم انصرفوا.

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا

طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.. وهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن قلوبهم فيصدونها، وتجاذبهم إليه نفوسهم فيمانعونها.

ولم يقف أمر تأثير القرآن الكريم في قلوب خصومه عند كفار قريش، بل تعداه إلى التأثير في علماء الغرب المحدثين.. والمنصفون من هؤلاء يشهدون بعظمة القرآن الكريم، يقول المستشرق «كارلايل» وهو من أساتذة جامعة كبردج: «إن علوية القرآن في حقيقته العالية.. فهو حافل بالعدل والإخلاص، والدعوة التي بلغها محمد ﷺ إلى العالم حق وحقيقة».

ويقول المؤرخ الإنجليزي «جيبوته»: «إن موحدًا ذا رأس مفكرة لن يتردد في الاعتراف بوجهات نظر الإسلام، فقد يكون الإسلام دينًا أعلى من تطورنا الفكري اليوم».

ويؤكد «ستنفاس» أن القرآن الكريم واحد من أهم الكتب التي انتقلت إلى الناس ليستفيدوا منها، فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة بتحقيق التوفيق والهداية للناس في حياتهم.

ويجزم الفيلسوف الفرنسي «الكس لوازون» في كتابه «حياة محمد» بأن الرسول ﷺ قد «خلَّف للعالم كتابًا هو آية البلاغ، وسجل الأخلاق»، ثم يؤكد أنه «ليس من بين المسائل العلمية التي كشفت حديثًا أو المخترعات مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية».

ومع بزوغ فجر كل يوم يشرح الله عز وجل صدورًا كثيرة للإسلام، ويكون أول قولهم بعد إسلامهم الإشادة بعظمة القرآن الكريم وبأنه- وبحق- الهداية التي لم يسبق إليها، ولا يلحق بها.

فضله على أصحابه

والمسلمون- في حاضرهم- مطالبون بمزيد الإقبال على القرآن الكريم تلاوة وفهمًا، وإعمالًا لحواسهم في إدراك ما جاء به من أسس قويمة بغية العيش في حياة آمنة مطمئنة، والفوز برضوان الله تعالى في الآخرة. قال تعالى: ﴿.. فاقرأوا ما تيسر من القرآن .. ﴾ (المزمل: ٢٠).

والذي لا شك فيه أن للقرآن الكريم فضلًا عظيمًا على أصحابه، وأول ما يمن الله تعالى به على قارئ القرآن الكريم السكينة، قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

والسكينة مملكة من ممالك الله العليا يختص بها من يشاء من عباده، فإذا حلت بالقلوب أكسبتها طمأنينة واستقرارًا، ومن ثم فقد ورد ذكرها في القرآن في مواقف حاسمة تكاد تتخلع منها القلوب لشدة ما فيها من الهول والفزع.

ورد ذكر السكينة عندما كان رسول الله ﷺ في غار ثور مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان الموقف شديدًا ومفزعًا، قال تعالى: ﴿.. فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا .. ﴾ (التوبة: ٤٠).

كما ورد ذكر السكينة في غزوة حنين، وقد احتدم الخطب، وساد الفزع،



واضطربت الصفوف، وأحكمت الشدة حلقاتها، والنبي ﷺ ينادي في ثبات وعزيمة: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب.. »، ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ (التوبة: ٢٦).

إن نعمة السكينة تنزل مع الرحمة والملائكة على الذين يجلسون يقرأون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم، إنهم ينالون شرفًا كبيرًا وقدرًا رفيعًا، إذ أن الله جل جلاله يذكرهم فيمن عنده من الملأ الأعلى.

والقرآن يدفع بأصحابه على طريق الصلاح والخير، ويزيد من ميزان حسناتهم.. يقول ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.. لا أقول: ألَم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» (رواه الترمذي).

ولا يتوقف نفع القرآن الكريم لأصحابه عند هذا الحد، بل يتخطاه ليكون شفيعًا لهم يوم القيامة.. يشهد لهم بالقيام على تلاوته وتدارسه، كما يقف- بأمر الله تعالى- مدافعًا عن صاحبه، يقول ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (رواه مسلم)، ويقول ﷺ أيضًا: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما» (رواه مسلم).

ولو لم يكن للقرآن الكريم فضل على أصحابه غير هذا لكفاه، لكن الله تبارك وتعالى تفضل على المسلمين فجعل لقارئ القرآن منزلة في الجنة يستحقها بتلاوة القرآن الكريم، وعلى قدر التلاوة تكون المنزلة، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (رواه أبوداود والترمذي).

وعلى المسلم ألا يعرض القرآن الكريم للنسيان، ويكون ذلك بدوام تعهد التلاوة، والقيام عليه، يقول ﷺ: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» (متفق عليه).

آداب قراءة القرآن

لقد وصف رب العزة القرآن الكريم بأنه «حبل الله».. ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ووصفه بأنه «أحسن الحديث»، ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا..﴾ (الزمر: ٢٣)، كما أكد أنه «شفاء ورحمة» .. ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة﴾ (الإسراء: ٨٢)، وأسماه الله تعالى «النور» لما فيه من الهداية للأبصار والبصائر، ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وهو كلام الله تعالى، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة: ٦)، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي قدس الله تعالى وأجل بها قرآنه.

وقد أكد رب العزة سبحانه هذا الإجلال والاحترام للقرآن الكريم، فحكم بألا يمسه إلا المطهرون، قال سبحان وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٧-٨٠).

ولقد أدرك علماء المسلمين أهمية أن يتوافر في المسلم عدد من السمات الخاصة عند حمله القرآن الكريم أو تلاوته .. وقد وصلت هذه السمات إلى خمس وسبعين سمة عند البعض، نرى لزامًا أن نشير إلى بعضها، ومن أهم تلك السمات:

- ينبغي لقارئ القرآن- والمقرئ له- أن يقصد بذلك وجه الله تعالى.
- على القارئ أن يصون يديه- في حال قراءة القرآن- من العبث، وعينيه من تفريق نظرهما من غير حاجة، وأن يصلي ركعتين في موضع جلوسه ثم يجلس للقراءة.
- ألا يمس القرآن إلا طاهرًا لقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾.
- يفضل أن يستقبل القبلة للقراءة.
- ينبغي أن يكون مجلسه واسعًا ليتمكن جلساؤه فيه، وأن يبكر بقراءته في أول النهار.
- ألا يقرأ القرآن بتلحين الغناء، وألا يجهر بعض على بعض بالقراءة فيفسد عليه، وألا يقرأ القرآن في الأسواق ومواطن اللغط واللغو.

العودة لكتاب الله

وجدير بالمسلمين- وقد تراكمت مشكلاتهم وتعقدت نتيجة البعد عن الدين- أن يسارعوا بالعودة للأخذ بأحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، إنهم إن فعلوا يكونوا- بحق- خير أمة أخرجت للناس.

إن الحاضر يدعو إلى التوجه الفوري لتنفيذ أحكام الله ومبادئ دينه الحنيف؛ خروجًا من آلام العصر الذي أصبح الفرد فيه لا يأمن على نفسه من يومه أو غده، فضلًا عن كونه لا يأمن على ذويه.. قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام: ١٥٣).. وكم تعالت الأصوات- ولا تزال- مطالبة بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في كل شؤون الدنيا؛ أملًا في الفوز بسعادة الدارين.

والذي لا ينكره إلا جاحد أو حاقد أو مكابر أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على تخليص البشرية من آلامها ومشكلاتها، غير أنه يوجد من بين أبناء المسلمين من يساعد أعداء الإسلام في العمل بكل وسيلة لصرف المسلمين عن دينهم، وليظلوا ممزقين في طول الأرض وعرضها، وفقراء يقتل بعضهم بعضًا.

فما أحوجنا حقًّا إلى العودة إلى القرآن والسنة النبوية منهاجًا يحمي الحاكم والمحكوم.. فهل نحن فاعلون؟!

من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه

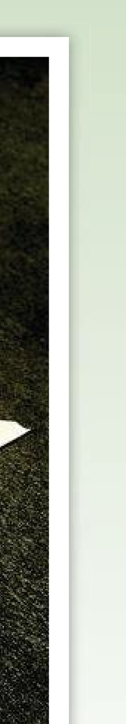
نظرة في آيات حمل عيسى ابن مريم عليه السلام وولادته

عبدالعزيز بن صالح العسكر
عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

لقد كانت حياة عيسى عليه السلام ومولده وما سبقه من حمل أمه له ثم ولادته آيات ومعجزات تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته، وقد قصها القرآن الكريم بأسلوب رائع وبلاغة فائقة ونظم بديع يترك في النفس عظيم الأثر وعميق الدروس.

ولا تتسع صفحات كثيرة لتعداد تلك الآيات والمعجزات، ولكنني سأشير هنا إلى بعض منها وفيها آيات للموقنين.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ وتستمر الآيات الكريمة في سياق مراحل حمل عيسى وولادته.. ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.. ومرحلة أخرى ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾.. ومرحلة أخرى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.. ثم يأتي الجواب بعد أن أبلغتهم أنها نذرت للرحمن صومًا فينطق الرضيع ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُالله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي



وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.
قال علماء التفسير: لما أحست مريم عليها السلام بآلام الوضع، وكان الحمل بمراحله كلها في ثلاث ساعات من النهار كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فحين أحست بآلام الوضع بحثت عن شيء تستند إليه ولم تجد إلا جذع نخلة يابسة في الصحراء؛ فاستندت إليه.
معجزة كبيرة أن يكون الحمل والوضع في ثلاث ساعات فقط، ثم تليها المعجزات.. امرأة في المخاض يطلب منها أن تهز نخلة وأيّ طاقة تملكها لتهز بها النخلة؟ إنّها ستلمس جذع النخلة فقط، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان جذعًا نخرًا فلما هز نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف، ثم اخضر فصار بلحًا ثم احمر فصار زهوًا، ثم رطبا» كل ذلك في لحظات من جذع يابس.. إنّها آيات الله الباهرة.
وتكمل المعجزة بأن يقع الرُّطب بين يدي مريم عليها السلام لم «ينشدخ» منه شيء كما ورد في رواية ابن عباس.. سبحان الله! المعهود أنّ الرطب إذا وقع على الأرض يفسد بوقوعه ولا يستفاد منه.. ولكن الرطب نزل على مريم جنيًّا سليمًا لم يفسد منه شيء.
وكم في هذه الآيات من العبر.. إنّ هذا الطفل الرضيع ينطق ولكنه يقول كلامًا فيه تربية وتعليم وحجة وبيان وردٌ على المغتربين والضّالين.. ونُلخّصُ ما ورد في نطقه عليه السلام في المهد في النقاط التالية:
أ – قال (إني عبدالله) صفته الشرعية فهو بشر عَبْدٌ لله ورسوله؛ وليس ابن الله كما قال المفترون الظالمون الضّالون من النّصارى في مفترياتهم وكذبهم على الله ورسوله.
ب – قال (وجعلني مباركًا أينما كنت) وهذه صفة عباد الله الصالحين: فهم مباركون أينما رحلوا وحيثما نزلوا.. فواحدهم مبارك على نفسه وأهله وإخوانه وجيرانه وطلابه، فنفعه عام مستمر لا ينقطع بتغير الزمان أو المكان أو تقدم السن.. وقد رأينا في علمائنا مصداق ذلك فقد بلغ بعضهم الثمانين سنة ونفعه مستمر للداني والقاصي؛ أما العاجزون من ضعاف النفوس فإن نفعهم محدود ضيق منقطع.



ج – قال (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيًّا) فالصلاة عمود الدين ليس في شرعنا فقط، وهي مورد عذب لتجديد الإيمان وقوة اليقين وتجديد الصلة بالله تعالى.. وهذه الشعيرة مما يوصي به الآباء أبناءهم والأنبياء أتباعهم، ويسألون الله العون على ذلك.
د – قال (وبرًّا بوالدتي) وهنا يأتي الوفاء وشيم الصالحين ومكارم الأبرار؛ فعيسى عليه السلام لا أب له ولذلك أوصاه ببر والدته.. أما نحن فإننا مطالبون ببر والدينا طول حياتنا.. وبر الوالدين من أبواب الجنة وسعة الرزق والبركة في العمر وبر الأبناء.
وأختم هذه الإشارات السريعة بذكر بعض المواقف في قصة عيسى عليه السلام وأمه مما ذكره المفسرون: فقد ذكروا أنها عليها السلام انتبذت مكانًا شرقيًّا لأنهم كان يعظمون المشرق ولذلك كانت عبادة النصارى إلى المشرق فجعلوه قبلة لهم.. وقال المفسرون: إنّ امرأة مدّت يدها لتضرب مريم استنكارًا لحملها وولادتها فأجفّ الله شطرها.
وقال رجل: ما أراها إلا زَنَتْ فأخرسه الله تعالى.
وتأتي الآيات البينات مُعددة لمفتريات النصارى داحضة لأقوالهم بما لا يدع مجالًا للشك؛ فعيسى عليه السلام عبدٌ لله ورسول وليس ابنًا لله، وقد رفعه الله تعالى ولم يُقتَل كما يزعمون. قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا. بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾.. في هذه الآيات الكريمة صور من بلاغة القرآن الكريم وأدلة على وحدانية الله وقدرته، وبراهين على أنّ دين الله واحد (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ) وخاتم الأنبياء هو محمد ﷺ، ولا يقبل الله بعد نبوة محمد دينًا آخر ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾.

الشيخ الطبلاوي للوعي الإسلامي:

علينا إحياء «الكتاتيب» وتحسين أحوال القائمين عليها!

هالة عبدالحافظ - القاهرة
دار الإعلام العربية

قالوا عنه: آخر حبة في سبحة القرّاء الكبار، تجاوزت جموع محبيه الآفاق والحدود، تنقل بين جميع بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي صادعًا بآيات الذكر الحكيم، وتميز بصوت قوي متميز يُقلَد ولا يُقلِد.. هذا هو المقرئ الشيخ محمد محمود الطبلاوي الذي التقته «الوعي الإسلامي» للحديث عن مسيرته النورانية وأبرز محطاتها وذكرياته فيها.. إلى التفاصيل.

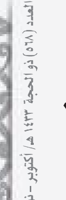
خضت تجربة قرآنية ومسيرة نورانية على مدى سنوات عمرك.. فما أبرز المحطات الرئيسية في رحلتك مع كتاب الله؟

هذه المسيرة عبرة لمن يريد أن يسلك طريق الحق والإيمان، وأحب أن أعرف نفسي بأني محمد محمود الطبلاوي نقيب القراء، وقارئ الأزهر الشريف، بدأت طريقي مع كتاب الله من عمر الخامسة وانتهيت من حفظه كاملاً في عمر التاسعة، وحرصت على مداومة مراجعة شيوخي حتى لا يتفلت مني، ولم يكن الطريق مفروشًا بالورود، لكني بفضل الله امتلكت إزاء العديد من الصعاب والمشاق التي واجهتني عزيمة لا تلين، دعمتها بحبي للذكر الحكيم، وكان والدي يضرع إلى السماء داعيًا رب العباد أن يرزقه ولدًا ليهبه لحفظ كتابه الكريم وليكون من أهل القرآن، واستجاب الخالق القدير لدعاء عبده الفقير إليه، ورزق والدي بمولوده الوحيد، ففرح بي فرحة لم تعدلها فرحة في حياته كلها، لا لأنه رزق ولدًا فقط، إنما ليكون له ابن من حفظة القرآن الكريم، ووالدي فعل خيرًا عندما أصرّ وكافح وصبر وقدم لي العون والمساعدة، ووفر لي كل شيء حتى أتفرغ لحفظ القرآن الكريم.

ما الصفات التي يجب أن يتميز بها قارئ القرآن؟

صفات القارئ الجيد أن تكون له مدرسة خاصة به في التلاوة، فلا يُقلد أحدًا؛ أي «يُقلَد ولا يُقلِد»، مع حفظ القرآن الكريم بأحكامه، مع مخارج الحروف، وإعطاء كل حرف حقه.. ومن خلال تجربتي الشخصية مع التنزيل الحكيم فإنني بدأت قارئًا صغيرًا غير معروف كأي قارئ شق طريقه بالنحت في الصخر، وملاطمة أمواج الحياة المتقلبة، كل ذلك في بداية حياتي القرآنية قبل بلوغي الخامسة عشرة من عمري.. وكثيرًا ما كنت أتحين الفرصة التي أخلو فيها مع نفسي وأتذكر بدايتي مع القرآن ونشأتي وأول خطواتي على درب الهدي القرآني، وما وصلت إليه الآن فأشعر أنني مدين بالكثير والكثير لكل صاحب فضل عليَّ بعد ربي العلي القدير، فأدعو لوالدي ولمشايخي بالرحمة والمغفرة، ولزملائي الذين شجعوني واستمعوا إليَّ وأنا صغير وجعلوني أشعر بأنني قارئ موهوب.

أيضًا في مجال الدعوة إلى الله عليه أن يقرأ القرآن بما يرضي الله، فكل ما خرج من القلب، يصل إلى القلب، فالإنسان عندما يقرأ بقلب حاضر ونية سليمة، يستطيع أن يصل إلى جموع الناس، والشخص الذي يُحبه الله، يحبب فيه عباده، فمثلاً الشيخ محمد رفعت توفي منذ زمن بعيد لكنه ما يزال حيًّا



بيننا بصوته، فالتقوى أساس كل شيء، ولا بد من المداومة بشكل يومي على قراءة القرآن في حدود خمسة أجزاء في اليوم، وعن نفسي أبدأ قراءته يوم الجمعة وأختمه يوم الخميس، بمعدل ختمة كل أسبوع.

وماذا عن بداية انتشارك في العالم الإسلامي؟

- لم أنتظر أن يأتي إليّ الراغبون، بل حرصت على أن أتنقل بين جميع الأرجاء تاليًا ومجودًا للتنزيل الحكيم، فسافرت إلى أكثر من ثمانين دولة عربية وإسلامية وأجنبية، بدعوات خاصة تارة، ومبعوثًا من قبل وزارة الأوقاف والأزهر الشريف تارات أخرى، ممثلًا مصر في العديد من المؤتمرات، ومحكمًا لكثير من المسابقات الدولية التي تقام بين حفظة القرآن من كل دول العالم.. ومن الدعوات التي أعتز بها دعوة تلقيتها لأتلو القرآن أمام جموع المسلمين لأول مرة في تاريخ اليونان، كذلك دعوة من الحكومة الإيطالية لتلاوة القرآن الكريم بمدينة روما لأول مرة أمام جموع غفيرة من أبناء الجاليات العربية والإسلامية هناك.. فضلًا عن مئات الزيارات لمختلف دول العالم العربي لاسيما دول الخليج.. وكنت دائمًا أتجول بين البلدان، لإحياء الليالي القرآنية.

أعتقد أن هناك محطة سابقة لانطلاقتك الخارجية ألا وهي محطة التحاقك بإذاعة القرآن الكريم؟

- بالفعل، فمع تزايد طلابي نصحني

أتوسم خيرا في الجيل الجديد

كثير من المحبين بالتقدّم للالتحاق بالإذاعة كقارئ بها، فاستجبت لذلك دونما إصرار، إلا أنني لم أجتز الاختبار في المرة الأولى، بل تكرر أكثر من مرة اعتمدت بعدها قارئًا بالإذاعة بإجماع لجنة اختبار القراء، وحصلت على تقدير «الامتياز»، وكان ذلك في العام ١٩٧٠م، والحمد لله أنني كنت القارئ الوحيد الذي اشتهر في أول ربع ساعة انطلق فيها صوتي عبر الإذاعة، فاختزلت موهبتي القرآنية المسافة الطويلة التي تفصل القارئ مع مستمعيه من التلاوة الأولى التي انطلق بها صوته الرخيم عبر أثير الإذاعة إلى جميع أرجاء مصر والأمة العربية والإسلامية، وكانت إشكاليتي مع الإذاعة تتمثل في

لم يكن طريقي مفروشًا بالورود.. وواجهت كثيرًا من الصعاب بعزيمة لا تلين

الانتقال النغمي، وكانوا يأخذون علي افتقاري للانتقال الموسيقي في أدائي، وكان ردي دائمًا أني لا أؤمن بالموسيقى، وطبيعة القرآن لا تحتاج إليها، ويكفي أن الله منحني صوتًا ونفسًا وأداءً، والحمد لله الذي منحني هبات عديدة.

تنقلت بين العديد من بلدان العالم.. فما أبرز المواقف التي لا تُنسى في حياتك؟

- تعرّضت على مدار سنين عمري للعديد من المواقف، كنت ذاهبًا إلى الهند، وتحديدًا إلى جامعة «الندوة» لحضور مؤتمر بصحبة دكتور زكريا البري وزير الأوقاف في ذلك الوقت، وتأخرت بنا الطائرة، وحضرنا الحفل بعد بدئه بربع ساعة، والشيخ أبو الحسن الندوي كان عالمًا جليلاً، وكان يعرفني شخصيًا، وفور دخولنا الحفل زج بي الشيخ البري في مقدمتهم؛ لأني كنت أرتدي الزي الأزهري، وإذا بالشيخ أبو الحسن يصيح بصوته الجلي قائلاً: «الآن حضر وفد مصر وعلى رأسه الشيخ الطبلاوي، فلنبدأ حفلنا من جديد».

حدثنا عن أهمية الكتاتيب في تعليم وتدريس القرآن الكريم وأهمية الحاجة إلى عودتها مجددًا؟

- أتمنى عودة الكتاتيب مجددًا؛ لأنها خرَّجت كل القراء والعلماء العظماء كالشيوخ مصطفى إسماعيل، عبدالباسط عبدالصمد، محمد صديق المنشاوي، والشيخ محمد الغزالي العالم الجليل، الشيخ يوسف القرضاوي، وذلك لأن الكتّاب كان به نظام حفظ متقن، حيث كان يتم حفظ «لوح» ويتم قراءته وتسميعه على الشيخ أو كما كان يطلق عليه «سيدنا»، إضافة إلى استرجاع ما تم حفظه سابقًا حتى لا يُنسى، هكذا كان النظام المتبع، فالحفظ في الصغر كالنقش على الحجر، والحفظ في الكبر كالنقش على الماء؛ أي يُمحَى من الذاكرة سريعًا.

وهل في حال عودتها ستحقق أغراضها، وتُخرج علماء أجلاء مثلما كانت قديمًا؟

- بالفعل ستخرج الكثير من المستويات الفكرية، سواء كانوا قراءً أو كتابًا أو علماء، لأن الإشكالية في المحفظ، فإذا لبينا احتياجاته المادية انعكس أداؤه وإخلاصه على الطلاب، حتى يكون لديه القدرة على العطاء ومواجهة ضغوط الحياة، ولابد أن يكون المحفظ ذا مظهر مشرف، له وللبلد الذي ينتمي إليه.

مَن أبرز الشيوخ الذين تتلمذت على أيديهم وماذا تتذكر لهم؟

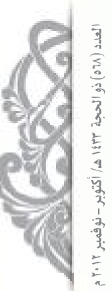
- بالتأكيد الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، وأتذكر أنه كان يسكن قريبًا مني أمام مسجد مصطفى محمود بمنطقة المهندسين، وكان دائمًا يتصل بي بعد صلاة العصر، ويسألني إذا كنت مشغولاً بشيء كي يأتي ليجلس معي، وأتحدث معه أمام البيت في القرآن ولياليه، فكان من أقرب أصدقائي هو والشيوخ مصطفى إسماعيل، محمد صديق المنشاوي، عبدالعظيم زاهر، كامل البهتيمي، وكلهم شيوخ أجلاء.

ومَنْ أبرز الشخصيات الذين قمت بالقراءة لهم أو أمامهم؟

- قرأت أمام شخصيات عديدة، كالملك خالد بن عبدالعزيز-رحمة الله عليه- عام ١٩٧٩ في الرياض، وقال لي: «يا شيخ طبلاوي القرآن نزل هنا في الجزيرة العربية، وطُبع في إسطنبول، وقُرأ في مصر»، وقرأت أمام الشيخ خليفة بن حمد القطري، وقرأت في الكويت في جامع الشيخة بدرية، ولا شك في أن أهل الكويت مشهود لهم بالكرم وحسن الضيافة.. وقد ظللت أذهب إلى الكويت خمس سنوات متتالية في رمضان، وفي إحدى زياراتي كنت مع الشيخ شعبان الصياد، والشيخ راغب غلوش، وكنا نتناوب قراءة أجزاء القرآن نسخة مرتلة، وكنا نسمى «الثلاثي».

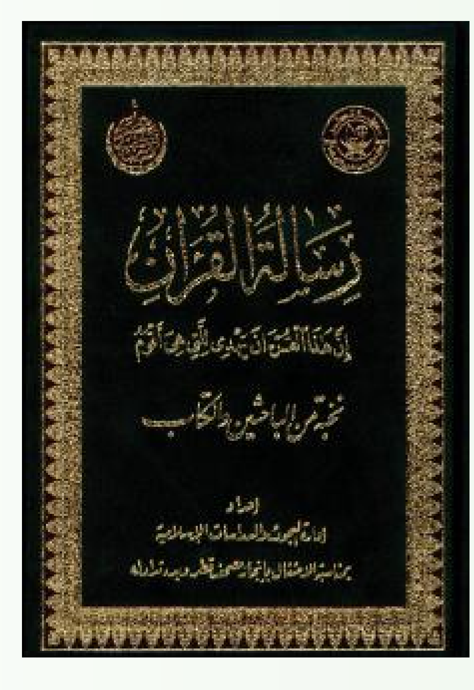
ماذا عن قيام كبار القراء بتسجيل القرآن؟

- لا شك في أن كل الشيوخ الأجلاء قاموا بتسجيل ختمات قرآنية، فمثلاً أنا سجلت خمس ختمات، اثنتين مرتلتين، ومثلها مجودتين، وختمة للتعليم، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.



رسالة القرآن بعيون نخبة من الباحثين

نشرت إدارة البحوث بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر الطبعة الأولى من «رسالة القرآن» في ربيع الأول ١٤٣١هـ فبراير ٢٠١٠م وهي من تأليف نخبة من الباحثين والكتاب البارزين، وضمت الرسالة الفريدة المنشورة في ٦٢٠ صفحة من القطع المتوسط ١٧بحثًا عن القرآن الكريم منها ما تعرض للنص الرباني كمصدر للمعرفة ومحور للنشاط الفكري (د.عبدالعزيز التويجري) ومنها ما تعرض له من حيث عالمية الخطاب (د.ناصر العمر) كما ضمت الرسالة بحثًا بعنوان «الحرف القرآني في لغات الشعوب الإسلامية وثقافتها» (د.يوسف أبوبكر) وآخر بعنوان من مقاصد القرآن (د.ثقيل الشمري) وقدم الدكتور (د.محمد الجليند) بحثه بعنوان «قراءة كونية لكتاب الله» أما الأبحاث الأخرى فجاءت



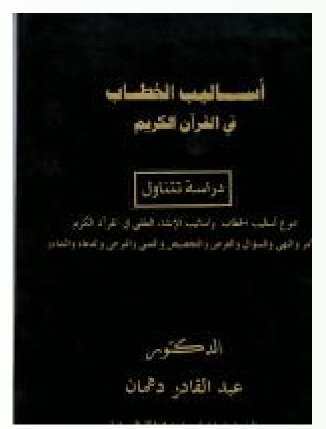
بعناوين: هيمنة القرآن وخلوده (د.أحمد الإمام) والاجتهاد الفقهي والأصولي في القرآن الكريم (د.نور الدين الخادمي) والقرآن ودوره في نهوض الأمة (د.عمر المقبل) وكيف يكون القرآن سبيل النهوض (د.أحمد فرحات) ومصدرية القرآن للثقافة ومحوريته لكل أنواع النشاط (نورة سعادنة) والقرآن عطاء حضاري متجدد (أمين الصلاحي) وخلود الخطاب القرآني ومقوماته (د.صالح الزنكي) والسياقات القرآنية والأنساق العلمية:علاقة الاستيعاب والتجاوز (د.محمد صالح) والقرآن الكريم بين خصوص اللسان وعموم الرسالة (د.عبدالرحمن بودرع) والقرآن محور النشاط الفكري (د.محمد شبير) وعالمية الخطاب القرآني (د.عبد الكريم حامدي) ويهدي للتي هي أقوم (عمر حسنة).

أساليب الخطاب في القرآن الكريم

أثرى الإمام والخطيب بالكويت د.عبدالقادر دهمان المكتبة القرآنية بدراسة معمقة تتناول أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم، وقد تعدت الدراسة ألف صفحة، معتمدة على أكثر من ٧٠٠ مرجع موثق.. وجاء فيها بالتفصيل كيف تم توجيه الخطاب من رب العزة سبحانه بصيغ المتكلم والغيبة، وفي أي موضع كان موجهًا إلى النبي ﷺ بلفظ مباشر، أو إلى جماعات بعينها.

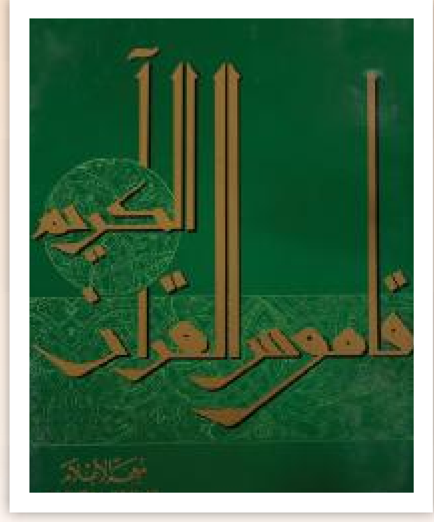
كما تناولت الدراسة الخطاب من الرسل ومن غير الرسل، وتوقفت عند ضوابط ومصطلحات الخطاب القرآني المكي، وكذلك نظيره المدني، مفرقة بين حال الإنسان ومشاعره، فهناك مطلب لخطاب الكرامة وآخر للإهانة وثالث للتهكم.. إلى آخره.

وفي أساليب الطلب في الخطاب القرآني تعرض الباحث إلى موضوعات الأمر والنهي والإباحة، ثم الاستفهام والتمني والدعاء، وأخيرًا عرّف الباحث النداء في القرآن وقسّمه إلى: نداء قرآني عام إلى المخلوق، وآخر للأعلام.



هدية الكويت للعالم الإسلامي





التحرير

قدمت الكويت مشروع «قاموس القرآن الكريم» هدية إلى العالم الإسلامي، وهو أول قاموس يصدر باللغة العربية، جامعًا الجوانب التشريعية والتاريخية والأثرية والجغرافية والنباتية بالكلمة والصورة والخريطة، وقد ترجم هذا القاموس إلى بعض اللغات، وسيترجم بعد ذلك إلى لغات أخرى.

وكان سمو الأمير الراحل جابر الأحمد- يرحمه الله- قد عهد إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي أن تنفذ هذا المشروع تخطيطًا ومتابعة، حتى يكون بين يدي الناس «قاموس القرآن الكريم» بل العالم أجمع.. يقول رئيس المشروع د.عبدالله يوسف الغنيم: توالت اجتماعات فريق العمل؛ لتتبين أولًا أهم المعالم التي تحدد المطلوب في وضوح، وتحدد الطريق الموصلة إلى هذه الغاية، ونظر الفريق فوجد أمامه نص الوعد الأميري الكريم بقاموس القرآن الكريم، والقاموس- كما جرى به الاستخدام في الآونة الأخيرة- يعني المعجم، أي الكتاب الجامع لمفردات الموضوع، الشارح لها بقصد البيان والتفسير، وانطلاقًا من هذا الحد، فالقواميس أو المعجمات، ليست





مستوى واحدًا، سواء في استقصاء المفردات ومواد الموضوع، أو في المدى الذي يذهب إليه الشرح والتفسير لهذه المواد، وكل ذلك بناء على نوع القاموس، ومجاله، والهدف منه.

ويضيف الغنيم: والقرآن الكريم هو كتاب الله، وكلمته الخاتمة للرسول الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ، فعليه مدار الدين كله، ومدار الحركة الإنسانية لكل من آمن برسالته، ولقد كان هذا الكتاب العظيم منذ نزوله محط أنظار المؤمنين به، فهو معهم في كل شؤون حياتهم الاعتقادية والفكرية، والخلقية والتربوية، والاجتماعية والاقتصادية، وكان مدار نظر العلماء على توالي العصور منذ نزوله إلى اليوم، يتناولونه بالدرس لاستنباط الأحكام وقواعد السلوك، وللإبانة عن مضامينه ومراميه، ولتفسير إشارته ومعانيه، أو يحاولون الكشف عن وجوه إعجازه وأسرار بيانه، أو يقررون ما يتعلق بتاريخ نزوله وآداب تلاوته ووجوه قراءته، ومن ثم تفرعت عن القرآن الكريم علوم الشريعة المختلفة، وعلوم اللغة والبيان وغيرها، وتوسع العلماء في هذه الفروع حتى أصبحت علومًا مستقلة لها كتبها وعلماؤها.

مداخل القاموس

ويوضح د.الغنيم مداخل القاموس بقوله: نظر فريق العمل، فوجد أن أولى ما يتجه النظر إليه، هو القرآن نفسه، موضوع هذا القاموس: ما هو؟ وما مصدره؟ وكيف نزل.. ؟ إلى آخر هذه التساؤلات، فتم تأليف خمسة مداخل جامعة تتناول هذه التساؤلات، وهي:

١- الوحي مصدر القرآن الكريم: نزوله، وجمعه، وأحكام تلاوته، للدكتور محمد نعيم ياسين.

٢- التعريف بالقرآن الكريم: تاريخه وبعض علومه، للدكتور أحمد حسن فرحات.

٣- مضمون القرآن الكريم في قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون، للدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة.

٤- لغة القرآن للدكتور أحمد مختار عمر.

٥- طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم: القواعد الأصولية اللغوية، للدكتور عجيل جاسم النشمي.



دعوة قرآنية إلى تنمية الحس الجمالي

د.محمد سعيد - باحث أكاديمي

البحث والنظر في قيم الجمال من البحوث العميقة التي اهتم بها علم الأخلاق، باعتباره علمًا يقوّم الملكات الإنسانية المختلفة، ويسدد نظَرة الإنسان في اتجاه إيجابي وهو يحيى حياته الفردية والجماعية، ويتقلب في آلاء هذه البسيطة.

والإنسان مفطور على حب تذوق القيم الجمالية في كل فعل يفعله أو يُفعل له، وفي كل مُيسّر يُسّر له، لذلك تجده بالفطرة يُقبل إقبال الفرح الطرب على كل ما يتلقاه ويواجهه، إذا توفرت فيه شروط الصحة والحق، وغشيته ولفته قوالب الحسن والجمال، وقل مثل ذلك في باقي النعم التي منّ بها المنعم على خلقه، أطعمةً و دوابَّ و جناتِ الأزهار و تضاريسَ في غاية الحبك والإحكام، وآفاقَ السموات وزينتها.. وما لا عد له من قبيل آيات الجمال المقروءة والمنظورة.

وعلى هذا النسق يبحث الأستاذ الدكتور سعيد بن أحمد بوعصاب الطنجي هذا الموضوع ويحرر فيه كتابًا جديدًا- هو الثاني في حلقة تآليفه- وسمّاه بعنوان «القرآن الكريم والدعوة إلى الحس الجمالي» نشرته مطبعة ليتوغراف بطنجة ط١ /٢٠١٢ في ٢٠٨ صفحات من الحجم المتوسط.

استُهل الكتابُ بمقدمتين، الأولى للدكتور محمد الشربجي الشامي، أستاذ الدراسات القرآنية في كليتي الشريعة والآداب بجامعة دمشق، فرج الله كربها، ختمها بقوله: «وكان أسلوبه سلسًا، ولغته سليمة، وألفاظه جميلة، وعبارته جزلة، وسجعه جميل دون تكلف أو تصنع، يأسرك عند قراءته، فلا تكاد تترك الكتاب إلا وقد أتيت على آخره»، وهو ما نستشف منه طبيعة الشكل والقالب الفني الذي حوى المضامين التي عالجها المؤلف في كتابه، إذ لا يستساغ أن تقارب موضوعًا دقيقًا يتتبع مواقع الجمال في الآفاق بلغة بعيدة عن نَفَس الذوق الرفيع والإحساس المرهف، لذلكَ تجدني أوافق د.الشربجي في هذا التعليق الجميل الذي أبداه تجاه التركيب اللغوي والمعجمي والأسلوبي للكتاب.

والمقدمة الثانية لصاحب الكتاب، والذي أبدى فيها شغفه بموضوع الجمال وما حبّره قلم المرحوم فريد الأنصاري في

كتابه «جمالية الدين»، إلا أن استهواءه لهذا التأليف وجده «قد وقف عند معان محدودة، وقضايا معدودة، وددت لو أن شيخنا الحبيب تناول قلمه غيرها، فضمها إلى أخواتها».. لذلك عقد الأستاذ سعيد بوعصاب العزم على خوض غمار بحث وصف موضوعه بـ «جد خطير»؛ لأنه وُظفت له منابرُ ووسائل جد معتبرة «لتلعب بالأفهام، وتزخرف الكلام فتضل الأنام، حيث حصرت الحديث فيه في جانب الأجسام، وغفلت ما للروح من سمو المقام، فكان لزامًا على كل من له بالفن إلمام، أن يعمد لإماطة اللثام..».

قيم كونية

ونظرا لما لحق الفكر والحضارة الإسلاميين من سوء فهم وغرابة تأويل، من قِبل بعض المعاصرين الذين أدركوا من الدين طقوسًا ورسومًا جافة وتقاليدَ؛ بدل شرائعَ وأركان وقيم كونية خالدة، فإن المقام- كما يرى صاحب الكتاب- حري بأهل العلم وجمالية القول أن يبرزوا «تلك الأخلاق الجمالية الرفيعة، التي كانت تمثل زمن حضارة الإسلام الوجه الحقيقي للمسلمين، إذ هي تبرز الذوق الرفيع، والسلوك النبيل، والرؤية الجميلة، والنظرة الراقية، والحركة البانية، كما أن الخطاب الدعوي بحاجة ماسة اليوم إلى إبراز مكامن الحسن والجمال في العرض والأسلوب، والمعنى والموضوع.. ».

يمكن تقريب متن الكتاب للسادة القراء عبر تقسيم بنيته إلى محورين، المحور الأول: نظري خصه للحقل الدلالي والمفهومي لكلمة «الجمال»، ولسمات ومعايير الجمال في النص القرآني. فالسمات لخصها المؤلف في:

١- الدقة والإحكام. ٢- التناسق والنظام.
٣- الإبداع والابتكار.
٤- التبديل والاستمرارية. ٥- التنوع والإكثار. ٦- السهولة واليسر.

أما خصائص الجمال التي ضبط القرآن موازينها وحدودها فاستوعبتها خصيصة «الربانية» التي تربط الانسان بربه، وتربط مظاهر الجمال وسحرها بفعل صانع الجمال وموجده، على نحو من الروعة واللذة والبهاء.. وخصيصة «السمو» والذي يرمز به إلى العفة اللفظية والفعلية في التعاطي مع مواقع الجمال في مختلف ضروب الحياة.. وأخيرا خصيصة «الشمول» الذي أثار فيه الخلط- الذي وقع فيه البعض فجعلوا «الفن» و«الجمال» واحدًا- «والواقع أن الفن هو ميدان واحد من ميادين الجمال المتنوعة والمتعددة، ذلك أن الجمال في الذوق القرآني يربي في المسلم المتأمِّل تلمسَ قيم الجمال في منحاها الشمولي والتركيبي، بدل الفعل التجزيئي والتصنيفي الذي سقط فيه الكثير. فأية قيمة لجمال الصورة- يقول الأستاذ سعيد بوعصاب- التي تسحر الألباب إذا كان صاحبها فجّ السلوك، سيئ الأخلاق، ذابل الروح، قد جمع في داخله كل معاني الشر التي يستعاذ منها في كل الأحوال..».

ورصد المحور النظري الأخير «مقاصد التربية الجمالية في القرآن» التي تهدف إلى تنمية الجانب الإيماني، وتكوين الشخصية السوية المتكاملة، وتنمية ملكة الإبداع والإتقان، والتحلي بالذوق العالي.

وانتقل المؤلف في حيز عريض من كتابه إلى الجانب التطبيقي، والذي وسمه بـ «مع القرآن الكريم في تنمية الحس الجمالي»، حيث أبان فيه قدرة وبراعة في استشفاف واستقصاء ملامح الجمال التي نوه إليها الوحي، ولفت انتباه قارئيه ومستمعيه (الوحي) عبر العصور والقرون إلى أهمية إعمال النظر في الآيات المنظورة، وإحكام الصنعة والخلق والجمال فيها. ولأن الباري تعالى وضع الكون وصنعه لمرام وغايات.. فمن الطبيعي والمنطقي أن تُستثمر آيات الكون في آيات القرآن لتثبيت عقائد الناس وتوحيد نظرتهم تجاه موجِد الوجود وتوحيده، ومن ثمة اتباع هديه وشرائعه، وهكذا توقف المؤلف مع الآيات القرآنية التي ترصد جمالية السماء، والأرض، والبحر، والإنسان، والصورة، والحيوان.

وفي الشعائر التعبدية تتبع المعالم الجمالية الشفافة والعميقة في كل من شعيرة الصلاة، والصدقة، والصيام، والحج. ثم انتقل إلى تقصي قيم الجمال في الأحوال الشخصية. وقسمه إلى قسمين:

١- «في جانب فقه الأسرة» التي استوحى درر جمالياتها من الصداق، والزواج، والمعاشرة الزوجية، والأبناء والحفدة، ومعالجة الشقاق، والطلاق، والميراث، والعدّة.

٢- «في جانب الآداب الاجتماعية»، واكتفى فيها بقيمتين كبيرتين في الحياة الاجتماعية: جمالية الاستئذان وجمالية الضيافة.

وفي المعاملات يسبر غور الجمال والقيم العليا في: المعاملات المالية، والتجارة، والدَّين، الحدود والكفّارات، والعلاقات الدولية، والسلام، والجهاد.

فن القول

وفي آخر قسم تناول المؤلف جمالية فن القول من خلال مهارات التواصل وعنونه بـ«القرآن الكريم ومعالم التربية الجمالية في الأخلاق»، وتتبع فيه جماليات التأدب في مخاطبة الله تعالى، وفي مخاطبة الرسول ﷺ، وفي مخاطبة الوالدين، وفي مخاطبة الناس عامة. وختم بجمالية الأفعال: الذوق في طريقة المشي، والإقبال على المتكلم بالوجه، والعفو عند المقدرة، والشفاعة الحسنة، وبذل المعروف.

ثم نبه قبل الختم إلى جمالية الخطاب الدعوي القائم على «الحكمة والموعظة الحسنة» و«المعرفة بمضمون الخطاب ومآل الخطاب وظروف الخطاب زماناً ومكاناً». وفي كل ذلك كان المؤلف يغذي تحريره بالاستشهاد والنقل عن الشاطبي والطبري ومحمد الطاهر بن عاشور وسيد قطب ومحمد المكي الناصري، ومسفر القحطاني وفريد الأنصاري ومحمد عمارة وفهمي هويدي، وغيرهم كثر، مما أثمر حصيلة مرجعية مهمة تفيد الباحث في الجماليات وفق المنظور الإسلامي.

لقد وفق المؤلف في اختيار الموضوع، الذي نستشف منه أن صاحبه لاحظ حدود التعامل مع النص القرآني الذي لا يفارق حدّ القراءة الظاهرية والتفسير البسيط والمعاملاتِ المناقضة لجوهر نَص الوحي وقيمه العليا، لذلك نقول- وبموضوعية- إن التأليف ذو راهنية ملحاحة، ولفت صريح- وبلغة جذابة- لأهمية اهتمام المسلمين بجمالية التدين في كل مناحي الحياة.



العلوم القرآنية ببليوجرافية شاملة

فاطمة الزهراء عبده
ماجستير المكتبات وتقنية المعلومات - جامعة القاهرة

في أثناء البحث عن أوعية معلومات علوم القرآن الكريم بغرض عمل ببليوجرافية تجمع بيانات هذه الأوعية وجدنا العديد من الببليوجرافيات والمراجع التي تساعد الباحث للوصول لكل ما صدر حول علوم القرآن، واتضح أنه لا توجد حاجه لعمل ببليوجرافية جديدة فجاءت الفكرة بعمل ببليوجرافية بالببليوجرافيات الخاصة بمجال علوم القرآن الكريم، تقوم بحصر وجمع وتصنيف تلك الأعمال الببليوجرافية حول هذا الموضوع الهام، وتنوعت أشكال أوعية المعلومات الببليوجرافية هذه فقد عثرنا على ببليوجرافيات في شكل رسائل جامعية ومقالات بحثية و كشافات وفهارس مكتبات وكتب تحليل ونقد وعروض علمية تحليلية، كذلك هناك قواعد بيانات بحثية مجانية على شبكة الإنترنت في مجال علوم القرآن الكريم، وقد قمنا بضم نموذج من هذه القواعد الإلكترونية للبيانات وعمل عرض موجز لها ولأهداف هذه القاعدة وطرق البحث بها ونوعية مصادر المعلومات التي تحتويها، وسوف يتم عرض ببليوجرافيات علوم القرآن الكريم في البداية، يليها عرض موقع قاعدة بيانات أوعية القرآن الكريم.

وجاء جمع بيانات الببليوجرافية من خلال زيارة للعديد من المكتبات «المكتبة المركزية لجامعة القاهرة- مكتبات مصر العامة- دار الكتب» كذلك البحث في فهارس مكتبة الملك فهد بن عبدالعزيز، ومكتبة الإسكندرية، كذلك ضمت الببليوجرافية جميع الببليوجرافيات الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه بالعربية والإنجليزي.

أولًا: الببليوجرافيات وفهارس المكتبات :

Binark، Esmet. World Bibliographic of Translations of The Meanings of The Holy Quran: Printed Translations، ١٥١٥-١٩٨٠ / Prepared by IsmetBinark، HalitEren ، Edited with introduction by EkmeleddinIhsanaglu، ١٩٨٦.

Tadros، Fawzi Mikhail. The Holy Koran in The Library



of Congress : a Bibliography، ١٩٩٣.

٣- أبوالغيث، فؤاد بن عبده. دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ. مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: نصف سنوية محكمة. ع ٢ (ديسمبر ٢٠٠٦) ص ٢٩٩-٣٨٠.

٤- أوغلون سليمان ملا إبراهيم. نظرة عامة للدراسات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم في عهد الجمهورية (١٩٢٣-١٩٩٥م) في تركيا. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. ع٣٢ (١٩٩٧). الكويت - جامعة الكويت.

٥- البرغش، نورة. ببليوجرافية إحصائية موضوعية عن تفسير القرآن العظيم/ إعداد فاطمة العنديس، إشراف آمال عبدالمجيد (١٩٨٠).

٦- البنداق، محمد صالح. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز بالمستندات- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣.

٧- بهجت، مجاهد. من مكتبة إعجاز القرآن الكريم: فهرسة وصفية مكتب للكتب الحديثة في الإعجاز اللغوي والبياني، ٢٠١٠.

٨-الجيوسي، عبدالله. كشاف الدراسات القرآنية: المقالات (حتى نهاية عام ٢٠٠٢م/ ١٤٢٤هـ)، ٢٠٠٥، ٢ مج.

٩- الحجي، صالح سليمان. فهرس مخطوطات جامعة الرياض: القرآن الكريم وعلومه/ إعداد يحيى عبدالعزيز عمر، عزت ياسين صالح، ١٩٧٧.

١٠- حسن محمد خليفة. اتجاهات التراجم والتفاسير القرآنية: مع ببليوجرافية كاملة لترجمات وتفاسير معاني القرآن الكريم في اللغة الأردية. جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ١٩٩٠- سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية.

١١- الحسيني السيد أحمد. رسائل الشريف المرتضى/ علي بن الحسين الشريف المرتضى- بيروت: دار القرآن الكريم ١٩٨٥.

١٢- الحلو عامر. معجم الدراسات القرآنية عند الشيعة الإمامية- بيروت: دار الموسم للإعلام ١٩٩١.

١٣- الدليرو، المهدي. فهرس مخطوطات خزانة تطوان/ إعداد محمد بوخبزة- تطوان: مطبعة الشيوخ ٨١-١٩٨٤.

١٤- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية حتى عام ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م: جهود الأمة خلال خمسة عشر قرناً- جدة : مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي، ٢٠١١- سلسلة الكشافات والأدلة.

١٥- الرمادي، أماني زكريا. كشافات النصوص: دراسة نظرية مع التطبيق على كشافات نص القرآن الكريم والحديث الشريف- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ - السلسلة الثالثة ٥٤.

١٦- سيزكين، فؤاد تاريخ التراث العربي/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، راجعه وعرفه مصطفى وسعيد عبدالرحيم، (الرياض): وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٩٨٢- ١٩٨٤- ٢ مج في ١٠ ج (مج ١ ج١ علوم القرآن والحديث).

١٧- شواخ، علي. معجم مصنفات القرآن الكريم، ١٩٨٣، ٤ مج.

١٨- شواخ، علي. معجم مصنفات القرآن لعلي شواخ / مراجعة حسني عبدالرحمن الشيمي. عالم الكتاب: مجلة متخصصة. ع١، مج٨ (مارس ١٩٨٧ م) ص. ٨٤-٨٧.

١٩- الشيمي، حسني عبدالرحمن. المرجعية في خدمة النص القرآني: دراسة مبدئية للأعمال المرجعية حول القرآن الكريم. حولية المكتبات والمعلومات. مج ١(١٤٠٦ هـ) ص. ١٦٩-١٨٦.

٢٠- الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير: تفسير للقرآن الكريم: جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير «الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط» وغيرها بأسلوب ميسر وتنظيم حديث، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية- بيروت: مكتبة الغزالي، (١٩٧)- سلسلة مع أعلام المفسرين ٦-٢٠.

٢١- الصفار ابتسام مرهون. معجم الدراسات القرآنية، ١٩٨٤.

٢٢- طلعت أشرف محمد فؤاد. بشرى السعيد بمصنفات علم التجويد- مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٧ هـ.

٢٣- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. أنواع التصنيف المتعلقة بالقرآن الكريم- دار بن الجوزي ٢٠٠١.

٢٤- عبدالهادي، محمد فتحي. التراث العربي الإسلامي: ببليوجرافية بالإنتاج الفكري العربي من ١٨٨٢-١٩٩٨- لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٩- سلسلة منشورات الفرقان ٤٩.

٢٥- عطية محي الدين. التفسير والمفسرون: قائمة ببليوجرافية منتقاه. عالم الكتاب: مجلة متخصصة. مج ٥. ع٣ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٨٤) ص٥٣٤-٥٤٢.

٢٦- عطية، محيي الدين. إعجاز القرآن: قائمة ببليوجرافية منتقاه،

١٤٠١– ١٤٠٤. عالم الكتاب: مجلة متخصصة. مج٥، ع٤ (يناير ١٩٨٥) ص ٧٠٨ – ٧١١.

٢٧– الفريوائي عبدالرحمن عبدالجبار. جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم– الهند: الجامعة السلفية، ١٩٨٠.

٢٨– الفنيسان، سعود بن عبدالله. آثار الحنابلة في علوم القرآن: المطبوع، المخطوط، المفقود. –(د. م : د. ن.)، ١٩٨٩.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: المصاحف المخطوطة/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت.– عمان، الأردن: المجمع، (١٩٨٦)– سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ٤ مج.

٣٠– الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: رسم المصاحف/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت– عمان، الأردن: المجمع، ١٩٨٧– سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

٣١– الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات القراءات / إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت– عمان، الأردن: المجمع، ١٩٨٧– سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ٢ مج.

٣٢– الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات التجويد / إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت– عمان، الأردن: المجمع، (١٩٨٩)– سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ٣ مج.

٣٣–الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات التفسير/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت.– عمان، الأردن : المجمع، (١٩٨٧)– سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٢ مج.

٣٤– الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات التجويد/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت– عمان، الأردن: المجمع ١٩٩٤– ط٢، مزيدة ومنقحة– سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٦٣.

٣٥– فهرس كتب التفسير في مكتبة المصغراف الفلمية في قسم المخطوطات في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية/ إعداد عمادة شؤون المكتبات، ١٩٩٧.

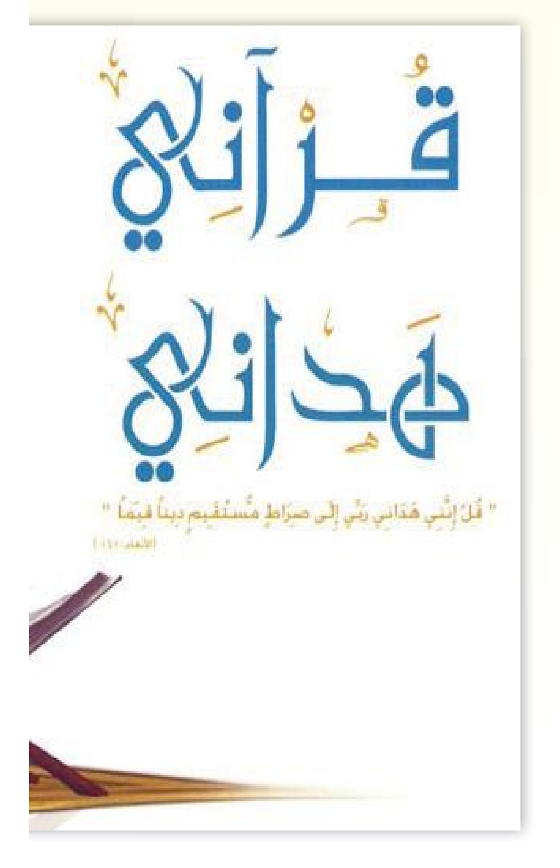
٣٦– فهرس مخطوطات التفسير والتجويد والقراءات وعلوم القرآن في مكتبة الملك عبدالعزيز/ إعداد مجموعة من الباحثين، ترتيب وتصنيف عمار بن سعيد تمالت، إشراف ومراجعة عبدالرحمن بن سليمان المزيني، تقديم صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، ٢٠٠٨.

٣٧– فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم/ إعداد مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٣– ٣ مج.

٣٨– القدواني عبدالرحيم. ببليوجرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزية من سنة ١٦٤٩ – ٢٠٠٢م: دراسة نقدية– المدينة المنورة: مركز الترجمات، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (عمل تحت الطبع).

٣٩– القرني، عبدالله بن مجدوع من الدراسات المعاصرة في علوم القرآن: عرض، وتلخيص، ونقد/ إشراف مناع خليل القطان، ١٩٧٤– الأصل. الشهادة العالية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٢ هـ.

٤٠– الكنوي، محمد بن عثمان– فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي: علوم القرآن، ١٩٧١– منسوخ على آلة كاتبة.



٤١– الهيلة، محمد الحبيب. فهرس مخطوطات مكة المكرمة: قسم القرآن وعلومه– لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٤.

٤٢– يوسف، محمد خير رمضان. علوم القرآن الكريم: ببليوجرافية مما صدر في المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ – ١٤٠٩ هـ. عالم الكتب : مجلة متخصصة. مج ١٢، ع ١ (نوفمبر ١٩٨٩) ص ٥٤ – ٧٠.

٤٣– العقيقي، نجيب. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتّى اليوم– ٣ مج – ط٤ – القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.

٤٤– النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق في الأدبيّات العربية– الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٩٩٣.

ثانيًا: دوريات متخصصة

١– مجلة البحوث والدراسات القرآنية:



مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه- المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٨٤- ١٤٠٥هـ، تصدر مرتين سنويًا.
٢- مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية: مجلة علمية محكمة - ع٤ (ابريل ١٩٩٥)، سنوية.

ثالثًا : الرسائل الجامعة

١- التاجوري، محمد عاطف عبدالكريم. جهود الشيخ محمد حامد الفقي(١٣١٠-١٣٧٨هـ/ ١٩٨٢- ١٩٥٩ م) في تفسير القرآن الكريم: دراسة وتحليل/ إشراف محمد نبيل غنايم (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم الشريعة الإسلامية، ٢٠١٠.
٢- رشواني، سامر عبدالرحمن. جهود العلماء في الدفاع عن القرى منذ بداية القرن الثالث حتى نهاية القرن الخامس للهجرة/ إشراف محمد إبراهيم شريف- القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٧ - الأصل (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم الشريعة الإسلامية.
٣- الرمادي، أماني زكريا. الإنتاج الفكري حول القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسية في القرن العشرين: دراسة ببليوجرافية/ إشراف محمد فتحي عبدالهادي، محمد محمود السروجي. (أطروحة ماجستير)- جامعة الإسكندرية- كلية الآداب، ١٩٩٣.
٤-الرومي، عبدالله عبدالرحمن بن سليمان. موارد السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن من الدراسات القرآنية ومنهجه فيها: جمعًا ودراسة، ٢٠١٠- الأصل (أطروحة ماجستير)- جامعة الملك سعود، ١٤٢٢ هـ.
٥- الشمراني، سهيل سالم. الجهود النحوية والصرفية في تفاسير القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثاني الهجري/ إشراف محمد عبدالعزيز عبدالدايم- القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٧- الأصل (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم النحو والصرف والعروض.
٦- عمر، محمد أنور صاحب بن محمد. موارد الحافظ بن حجر العسقلاني رحمه الله في علوم القرآن من خلال كتابه الفتح الباري/ إشراف حكمت بشير ياسين. (أطروحة ماجستير)- الجامعة الإسلامية، ١٣-١٤١٤ هـ.
٧- كامل، عرفة حلمي. المعاجم الحديثة للقرآن الكريم: دراسة في المادة والمنهج/ إشراف محمد حسن عبدالعزيز. (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، ٢٠١٠.
٨- المتولي، صبري. منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم: (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٦- الأصل (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية الآداب.
٩- المطيري، عبدالله محمد. الآثار الكلامية في كتب التفسير حتى نهاية القرن الثامن الهجري : دراسة تحليلية نقدية/ إشراف عبداللطيف محمد العبد، عبدالحميد عبدالمنعم مدكور (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم الفلسفة الإسلامية ٢٠١٠.
١٠- الندوي، سعد حسن بن محمد مرتضى الحسيني. المكتبة القرآنية في الهند في القرن الثاني عشرة الهجري: المطبوع منها والمخطوط/ إشراف أبي الحسن علي الحسيني الندوي. (أطروحة ماجستير)- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧ هـ.

رابعًا: أوعية معلومات

نظرًا لكثرة الإنتاج الفكري في مختلف مجالات المعرفة، وتزايد أعداد الباحثين والدارسين، واتساع آفاق تخصصاتهم، فقد ظهرت الحاجة إلى إنشاء قاعدة معلومات لكل مجال من مجالات المعرفة تحتوي على بيانات الوصف المادي لجميع الوثائق التي صدرت في المجال. ولعدم وجود قاعدة بيانات متخصصة في مجال علوم القرآن ترصد الكم الهائل من أوعية علوم القرآن، جاء اهتمام معهد الإمام الشاطبي بذلك، فقام بإعداد قاعدة البيانات الببليوجرافية لأوعية المعلومات القرآنية على الحاسوب لتكون أكبر أدوات الضبط الببليوجرافي لأوعية علوم القرآن في العالم العربي والإسلامي، مواكبة للتطور الهائل الذي حدث في عالم تقنية المعلومات الإلكترونية، وحرصًا منه على تيسير المعرفة .www.qsc.org.sa

ويمكن استقصاء جميع الموضوعات الرئيسة والفرعية والدقيقة في علوم القرآن وترقيمها ترقيمًا يراعى فيه الإشارة إلى مختلف الجوانب التي يمكن تناول الموضوع ومعالجته من ناحيتها، استنادًا إلى قوائم مكانية وزمانية ولغوية وشكلية، يوجد هذا التصنيف على الرابط التالي http://www.quran-c.com/images/tasneef.pdf لمن يرغب في التعرف عليه.

قصة طبع المصاحف في مصر

صلاح حسن رشيد- باحث مصري

بظهور المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي، وانتقالها إلى العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر حدثت نهضة في طباعة المصاحف الشريفة، ورواجها، وتيسيرها للتعليم والمدارسة والحفظ والتدبر.

وتباهت دور النشر والمطابع في إبراز المصحف المقدس في «أبهى صوره، وأروع منظر، وأبدع تنسيق.. وعلى أشكال شتى، وألوان متنوعة، وحُجُوم مختلفة» كما يقول فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي شيخ عموم مُقرئي القرآن والقراءات في مصر سابقًا، في كتابه «المصحف الشريف أبحاث في تاريخه وأحكامه»، والصادر أخيرًا عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، في طبعته الثانية.

قواعد الرسم

لكن هذه المطابع الحديثة «لم تراع في طبعه أن يكون على قواعد الرسم العثماني، التي كُتب عليها في عهد عثمان- رضي الله عنه- وفي عهد بقية الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، بل طبعته مطابقًا لقواعد الإملاء المُحدثة، اللهم إلا في النزر اليسير من الكلمات، كتبته على مقتضى الرسم العثماني».

وطوال هذه العقود الزمنية كانت كتابة المصاحف بعيدة من الرسم العثماني، بالمعنى العلمي والتاريخي، إلى أن «قيض الله لها عَلَمًا من أعلام القرآن، وجهبذًا من جهابذته، وهو العلامة المحقق المغفور له الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي، صاحب المؤلفات المفيدة، والمصنفات الممتعة، فكتب مصحفًا جليل الشأن، عظيم الخطر، عُني فيه بكتابة الكلمات القرآنية على الرسم العثماني، كما عُني فيه ببيان عدد آي كل سورة في أولها، عند علماء العدد المشهورين، على اختلاف مذاهبهم، واضعًا على الفاصلة المختلفة فيها اسم من يعدها، كذلك بيّن أماكن الوقوف، ووضع على كل موضع منها العلامة الدالة على نوع الوقف..».

الكتابة والجمع

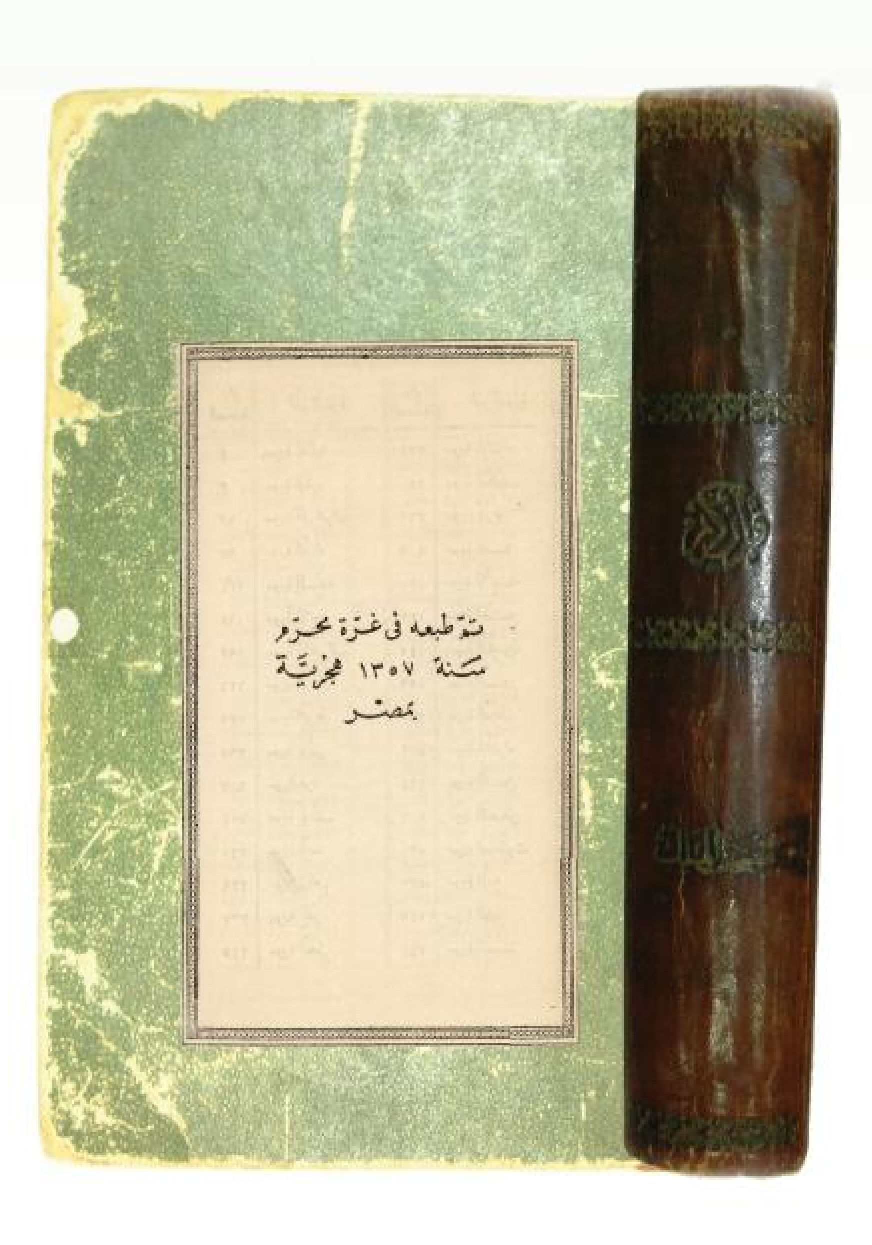
وقد صدر هذا المصحف بمقدمة جليلة أبان فيها أن هذا المصحف حرر رسمه، وضبطه على ما في كتاب المقنع للإمام الداني، وكتاب التنزيل لأبي داود، ولخص في المقدمة تاريخ كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي، وجمعه في عهدي أبي بكر وعثمان- رضي الله عنهما- كما لخص فيها مباحث الرسم والضبط، وبيّن فيها علماء العد المشهورين، وعرف فيها معنى السورة والآية، كل ذلك في عبارة وجيزة مفيدة، وتركيب سهل بديع، وقد طبع هذا المصحف في المطبعة البهية في القاهرة لصاحبها الشيخ محمد أبي زيد سنة ثمانية وثلاثمائة وألف هجرية، بحسب كلام الشيخ القاضي.

وأصبح هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم، وعلماء القراءات، والمعول عليه عندهم، المقدم على سائر «المصاحف؛ لما اشتمل عليه من المزايا الآنفة الذكر، وكان يُطلق عليه «مصحف المخللاتي» بيد أنه لم يبرز في صورة حسنة تروق الناظر، وتنشط القارئ؛ لرداءة ورقه، وسوء طبعه، إذ إنه طُبع في مطبعة حجرية».

ويمضي العلامة عبد الفتاح القاضي في رصد تاريخ طبع ونشر المصحف الشريف قائلاً: «ولقد وجهت مشيخة الأزهر الشريف غايتها إلى المصحف، فأمرت بتكوين لجنة من أساطين العلم، ونوابغ الأدب، من المغفور له العلامة الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد، شيخ المقارئ المصرية الأسبق، والمرحومين الأساتذة: حفني ناصف، ومصطفى عناني، وأحمد الإسكندري؛ للنظر في المصحف الشريف، في رسمه وضبطه، وفي ما يجب أن يكون عليه، فاضطلعت اللجنة بهذه المهمة الشاقة، وقامت بما أسند إليها على أتم وأكمل وجه، فكتبت القرآن كله على حسب قواعد الرسم العثماني، وضبطته على ما يوافق رواية حفص بن سليمان الكوفي، أحد رواة قراءة عاصم بن أبي النجود، وبينت في ترجمة كل سورة عدد آيها، على مذهب حفص المذكور، وأنها مكية أو مدنية، وأنها نزلت بعد سورة كذا، ووضعت بعد كل آية رقمها الخاص بها، كما وضعت علامات للوقوف، والأجزاء، والأحزاب، والأرباع والسجدات، والسكتات.

نهج الرسم

وقد ذكرت هذه اللجنة الأزهرية الموقرة في ذيل هذا المصحف المطبوع، تحت عنوان «تعريف بهذا المصحف الشريف» النهج الذي سارت عليه في كتابة المصحف، في رسمه



وضبطه، وعدد آياته، وبيان أجزائه وأحزابه، وأرباعه، وبيان مكيه ومدنيه، وبيان وقوفه، وعلاماتها، وبيان سجداته ومواضعها، وعلاماتها، وبيان سكتاته ومواضعها، وعلاماتها.

وعلى رغم ما أنجزته هذه اللجنة من عمل خرج في صورة شيقة كريمة، حتى عُد من آثارها الخالدة- كما يقول الشيخ القاضي- فقد لاحظ على طبعة المصحف الأولى بضع هنّات في الرسم والضبط والوقوف، وترجمات السور، وبعدما نفدت نسخ هذه الطبعة الأولى، من المصحف الشريف، وقررت دار الكتب المصرية إعادة طبعه، قرر شيخ الجامع الأزهر الشريف تكوين لجنة برئاسة الشيخ عبد الفتاح القاضي، وتحت إشراف مشيخة الأزهر، ومكونة من أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد علي النجار العالم المحقق رحمه الله، والشيخ المرحوم علي محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية الأسبق، والشيخ عبد الحليم بسيوني المراقب في الأزهر سابقًا، فقاموا بمراجعة المصحف على أمهات كُتُب القراءات، والرسم والضبط، والتفسير، وعلوم القرآن الكريم، وأصلحوا ما فيه من بعض المآخذ، وصدر في طبعة ثانية محققة، وقبلتها الأمة بقبول حسن.



فقهًا ومعجمًا وجغرافية وزراعيًا

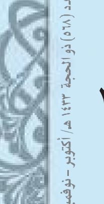
الماء في الدراسات التراثية (١- ٢)

د. محمود مهدي- دكتوراه في تاريخ الصيدلة العربية

وقع تحت يدي كتاب «التلوث مشكلة العصر»(١) للدكتور أحمد مدحت إسلام، وهو كتاب قيّم في مجاله، تناول فيه بإسهاب قضية تلوث الهواء والماء: أسبابا ومظاهر ونتائج. وقد استوقفتني إحدى فِقْرَات الكتاب التي جاء فيها: «ولم تكن فكرة تلوث الماء أو تلوث البيئة بشكل عام تشغل الأذهان فيما مضى، وكانت أغلب المدن في العصور الوسطى- في أوروبا خاصة- تلقي بمخلفاتها بما فيها الفضلات الآدمية في المجاري المجاورة لها...»(٢) ولما كنتُ قد حررتُ دراسة عن «إصلاح الهواء وفساده في التراث الطبي العربي»(٣) أوضحتُ خلالها جانبًا من جهود علمائنا في مجال مكافحة تلوث الهواء، وبيان الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان من جرائه، فقد وددت لو أشار د.أحمد إسلام إلى ما بذله علماؤنا من جهود في مجال الدراسات المائية، وسأحاول في هذه الدراسة الموجزة إلقاء الضوء على بعض هذه الجهود.

فوائد جمة

الماء أكسير الحياة، جعل الله منه كل شيء حي، يحتاجه الإنسان والحيوان والنبات وغيرها، فجسم الطفل المولود حديثًا يحتوي على ما يقرب من ٨٠٪ من وزنه ماءً، وتقلُّ هذه النسبة تدريجيًا خلال مراحل النمو حتى تصل إلى ٥٠٪ من وزن الجسم عند الشيخوخة. وأنسجة الجسم تحتوي على نِسَبٍ متفاوتة منه، فالبدن لا يستغني عنه مطلقًا في عملياته الحيوية كافة؛ لذا فالإنسان لا يستطيع الحياة بدون ماء إلا أيامًا معدودات، ومعلوم أن الماء يذيب الفيتامينات والأملاح والأحماض





الأَمنيّة والجلوكوز، ويساهم بشكل كبير فيِ هضم وامتصاص ونقل واستخدام العناصر الغذائية، وهو الوسيط الآمن للتخلص من السموم والفضلات، كما يُسهم في إنتاج الطاقة البدنية، وعليه يعتمد التنظيم الحراري في الجسم، فيقوم بضبط نظام الجسم لتحمل الحرارة والبرودة، ويدخل في تركيب جميع الأطعمة، وغير ذلك من الفوائد.

الدراسات الفقهية

يعتبر الإسلام طهارة المسلم والمسلمة من الحدث الأصغر والجنابة والحيض والنفاس شرطًا في صحة العديد من العبادات كالصلاة والطواف ومسّ المصحف. والماء هو المصدر الأولَ لهذه الطهارة؛ لذا فقد حض على طهارة البدن ونظافته قال تعالى: ﴿إِنّ اللهَ يُحِبُّ التّوَّابِيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وحثّ على المحافظة على طهارة الماء وعدم تلويثه. والدراسات الفقهية المائية اعتمدت على مصدرين أساسيين هما الكتاب والسُّنّة اللذان استطاع الفقهاء استنباط الكثير من الأحكام المائية منهما، كتقسيم الماء إلى طاهر (غير ملوث) وهو ما لم يتغير طعمه ولونه وريحه، وغير طاهر (ملوث)، وهو ما فقد صفةً من الصفات السابقة، وقَسّموا الماء إلى جارٍ وراكد، وعذب ومالح، وسطحيّ كماء البحار والأنهار، وما يجري على الأرض من ماء المطر، وجوفيّ كماء الآبار والعيون. وحذّر الإسلام منَ تنجيس الماء الراكد بالبول فيه، فقد روى أبوهريرة أن رسول الله قال: «لا يبولنّ أحدُكم في الماء الدائم، ثم يغتسل منه»(٤) وبيّنوا كيفيةَ إصلاح نجاسة (تلوث) ماء الآبار التي تنفق فيها الحيوانات، أو تقع فيها نجاسة تغيّر طبيعتها وذلك بتكثير الماء، أي بتركِ الماء يكثر، أو بصبِّ ماءٍ طاهر فيه، أو نزحه حتى يتجدد ماؤه. كما اشتملت كتب الحسبة على العديد من التوجيهات المتعلَقة بصلاح الماء وعدم إفساده، كنهي النساء أن يغسلن الثياب بالقرب من موضع السقاية؛ لعدم تلويث الماء بالأقذار، والنهي عن غسل الخضروات في البرك والصهاريج لأنه لا يؤمن نجاستها، والحض على تغطية صهاريج مياه الحمامات وعدم تركها مفتوحة حتى لا تتنجس(٥). لذا فيمكن القول: إن العناية بالأحوال المائية الفقهية تزامنت مع نزول آيات القرآن الكريم، وتوجيهات النبي ﷺ ثم تطورت وتفرعت عند الفقهاء، وتُعَدُّ هذه الأحكام من أقدم الدراسات المائية.

الماء في الدراسات المعجمية

شغل الماء بال العديد من علماء اللغة، فخصّه بعضهم بمؤلّف مستقل، وبعضهم ضمّن بعض مصنفاته فصولًا مائية، وممن كتب عن الماء في التراث المعجمي أبوزيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥هـ) الذي صنّف كتاب المطر، وفيه جمع ما ورد في كتب اللغة عن المطر، وما يلحق به من الأنواء والغيوم والرعد والبرق. وأبوعبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) الذي ألّف كتاب «الغريب المصنّف» وفيه ذكر(٦) عدة أبواب ضمّنها الكثير من أسماء الماء بحسب أحواله من جريان وثبات، وعذوبة وملوحة، وصفاء وكُدرة، وَرِقّة وسلاسة، وقِلّة وكثرة، وبرودة وحرارة، وما كان منها سيلًا أو نابعًا أو من آبار. والآبار ونعوتها، ونعوت حَفْرِهَا، وانهيارها، وتنقية مائها... الخ. ووَضع ابن الأعرابي (٢٣١هـ) كتاب «البئر»، وفيه جمع كثيرًا من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها، واستخراج المياه منها، وقِلّة تلك المياه وكثرتها، وأنواعها، وأسماء كل نوع، وآلات استخراج المياه من الآبار(٧). والثعالبي (٣٥٠هـ) في كتابه «فقه اللغة وسِرّ العربية» عقد عدة فصول في أسماء المطر عامة، وأسمائه بحسب الأزمنة وأوصافه، وتفصيل كمية الماء وكيفيتها، ومجامع الماء ومستنقعاتها، وتفصيل أسماء الآبار وأوصافها، والحياض، وترتيب السيل وتفصيله(٨). وأبوعبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي (٤٢١هـ) في كتابه «مبادئ اللغة» خصص بابًا للمياه وأوصافها وأماكنها، ذاكرًا الألفاظَ اللغوية الدالة على مراحل حفر



الآبار، ودرجات عذوبتها وملوحتها، والآبار الدائمة المياه والمنقطعة، والبعيدة القعر والقريبة، والقنوات والأنهار(٩). وعلى الرغم من أن هذه الدراسات في جوهرها لغوية، إلا أنه يمكن أن يقال: إنها قد أتت بتعريفات بخواص الماء وفعالياته وأشكال وجوده في الطبيعة. ودراسة لهيدرولوجية(١٠) الآبار، وأثبت بعضها وجود نوعين من الجريان: الجريان الثابت المتوازن، الجريان غير الثابت. ومن جهة أخرى الجريان السطحي، والجريان تحت السطحي. وقدمت مفهومات أساسية في المياه الجوفية والآبار، ومفهومات تتعلق بتلوث الماء، وأفادت في اقتراح بعض المصطلحات الأصلية التي تخدم مفهومًا مائيًا حديثًا(١١).

في الدراسات الجغرافية

قدم العلماء الذين اهتموا بالبلدان والأقاليم والتقاسيم والرحلات عن الماء معلومات جدّ مفيدة؛ حيث تحدثوا عن البحار والمحيطات، والأنهار وفيضاناتها وعذوبة مائها، والسدود المقامة على فروعها، ومنابع بعضها ومصباتها، وما يصلح منها كمجار ملاحية وما لا يصلح، وكيفية الإفادة من مياهها في الزراعة، وما حُفر منها بشريا كنهر كثير الذي احتفره كثير بن عبدالله السلمي بالبصرة(١٢)، وما شقته المياه كنهر النيل، وبعض طرق رفع المياه من المجاري المنخفضة كالرفع بالرحَى إلى مجاري الشرب بالمدن، وتخزين مياه الشرب في صهاريج، والبحيرات ومواردها المائية، بل تحدثوا عن بعض صور تلوث المياه وفتكها بالناس(١٣)، كما وصفوا الكثير من العيون والآبار.

مؤلفات الفلاحة

استطاع العرب قديما التعرف على الأماكن التي يوجد بها ماء خفيٌّ، وتمكنوا من تحديد درجة قربه أو بُعْده عن سطح الأرض، معتمدين في ذلكَ على خبرتهم وفراستهم، ومستدلين بشم التراب ورائحة بعض النباتات وحركة الحيوان. ومع ازدهار النهضة العلمية العربية تطورت هذه المعارف إلى علوم لها قواعدها وقوانينها. وكانت لعلماء الفلاحة والزراعة عناية خاصة بطرق إنباط المياه الجوفية وهندستها، ومن الكتب المؤلفة في هذا المجال كتاب «الفلاحة النبطية» لابن وحشية (ق٣هـ) وكتاب «إنباط المياه الخفية» لأبي بكر محمد بن حسين الكرجي (٤٢١هـ)، وكتاب «الفلاحة» لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم ابن البصال (أوائل ق٦هـ)، و«المقنع في الفلاحة» لابن العوام الإشبيلي (أواخر ق٦هـ)، ثم توالت التأليفات، وقد تضمنت هذه الكتب كثيرًا من المعلومات القيّمة حول كيفية الاستدلال على وجود الماء، وسمات الجبال المحتوية على مياه جوفية، وتقسيم للمياه الجوفية، وصفات المياه الصالحة للشرب... الخ. وفي كتاب الفلاحة تحدث ابن العوام عن أنواع المياه المستعملة في ريّ الأشجار والخضر، وما يوافق من أنواع المياه كل نوع من أنواع الخضر، وقسّم الماء إلى عذب ومر، ومالح وقابض، ومخالط للمعادن، وتحدث عن طرق الاستدلال على وجود الماء في باطن الأرض عند حفر الآبار، وهذه الطرق قسمان:

أولهما: ما كان عن دربة وخبرة وإدامة الطلب، والجامعُ من الناس لهذه الصفات يمكنه الاستدلال على وجود الماء باستعمال حواسه كالتالي:

- عند رؤية الندى بالعين ولمسه باليد، خاصة في أول ساعة من النهار وآخر ساعة منه.
- إذا كانت حجارة الجبل مغبرة بتراب

ناعم، فإن تندّت دلّ على وجود الماء، ومع كثرة الماء وقلته تكون كمية النّدى.

● بالتنصت على سطح الجبل، فإذا سُمع للجبل دويٌّ دائمٌ على حال واحد لا يختلف كان صوتَ ماء.

● إذا كانت التربة سوداءَ أو شديدةَ الغبرة، لزجةً إذا أصابها أدنى ماء، دلّ ذلك على وجود الماء.

● إذا كان طعم التربة عديم المرارة والملوحة، فهي ريانة ذات ماء.

● إذا وجد نبات البابونج والحبق والخبازى ولسان الثور(١٤)، ففي الأرض ماء.

● إذا كانت رائحة التربة كرائحة الطين المستخرَج من الأنهار والسواقي، فالماء قريب من سطح الأرض.

ثانيهما: ما كان عن تجربة عملية، ومن التجارب أن تُحْفَر حفرة في الأرض بعمق ذراع، ثم يؤتى بإناء من نُحاس أو رَصَاص أو فَخّار على هيئة نصف دائرة، تتراوح سعته ما بين تسعة أرطال إلى أحد وعشرين رطلَ ماء، ويُلْصَق في قعر الإناء قطعة من الصوف الأبيض المنفوش بالشمع أو الزفت، وتُمْسَح جوانب الإناء الداخلية بالزيت، ثم يُكَبُّ الإناء على وجهه في الحفرة، ويُغَطى بالتراب ويُتْرَك يوما وليلة، ثم يُنْبَشُ التراب عنه آخر الليل قبل طلوع الشمس ويخرج، فإن وجدت الصوفة مبتلة رطبة، دلّ ذلك على وجود الماء، وعلى حسب رطوبة الصوفة تكون كثرة الماء وقلته(١٥). ومن المتأخرين في هذا المجال خير الدين بن تاج الدين بن إلياس زاده (١١٢٧هـ) الذي أفاد من الدراسات التي سبقته في مؤلفه «فلاح الفلاّح» وجاء الباب الأول من كتابه في الاستدلال على وجود الماء (١٦). ووضع أبوالعباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري (١١٨٢هـ) كتاب «عين الحياة في علم استنباط المياه» وفيه عرّف بالمواضع التي فيها ماء، والتي ماؤها قريب، والتي ماؤها بعيد، وما يُستدل به على ذلك من أمارات ذكرها، كما تكلم فيه عن حفر الآبار، وطرائقه، ووسائل معالجته.

في الدراسات البيئية

اهتم العرب عند إنشاء مدنهم بتوافر مجموعة من الشروط البيئية اللازمة لصلاح الإقامة والمعيشة في هذه المدن، وكان من أهم هذه الشروط أن تكون المدينة مجاورة لمصدر مائي عذب، أو قريبة منه، لأن الماء سيروي الإنسان والحيوان والنبات، ومن النبات يكون غذاء الإنسان والحيوان، ومن خشبه تبنى المساكن وتتوافر الطاقة المحتاج إليها في الطهي والتدفئة. ويرى ابن خلدون أن المدن تحتاج لحواجز طبيعية تعوق هجوم الأعداء عليها كالأنهار والهضاب الوعرة، والوقوع باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يصل إليها العدو إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة؛ فيصعب عليه النَّيل منها، ويتضاعف تحصينها (١٧)، وتحدث أبوزيد البلخي عن الشروط الواجب توافرها في البيئة الصالحة للإعاشة، فأشار إلى أن أفضل المساكن هي التي تجاور الأنهار العذبة التي تنبع من منابع طيبة التربة خالية من الشوائب الرديئة المفسدة لطعم الماء أو رائحته، وأن تكون مجاري الماء مكشوفة للشمس ليرققها ضوء وشعاع الشمس، ويُحْدِث فيه نوعًا من الخفة واللطافة، وتكون سريعة الحركة في جريها، وأن تكون بعيدة عن مواضع المستنقعات، والتُّرَب الفاسدة، والمياه الآجنة(١٨). ومياه المناقع والبطائح حتى لا ترتفع منها أبخرة رديئة ويتأذى بالمجاورة له»(١٩). ويربط محمد بن أحمد التميمي المقدسي (ق ٤هـ) تلوث الماء بتلوث الهواء فيقول: «إن الجو-الهواء- إذا فسد بنوع من أنواع الفساد الداخلة عليه فلا محالة أنه يفسد لأجل ذلك أيضا الماء المجاور لتلك الأهوية الفاسدة: لقبوله ما يُحْدِثه فيه الهواء من الحر أو البرد أو العفن أو الغلظ»(٢٠) هكذا أبدى علماء المسلمين اهتمامًا واسعًا بقضايا المياه من جوانب عدة: شرعية ولغوية وبيئية، وهذا يعني أنها كانت ذات مكانة متميزة في الحضارة الإسلامية.

الهوامش

١- العدد ١٥٢ من سلسلة عالم المعرفة، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٩٠.
٢- التلوث مشكلة العصر: ٩٥.
٣- نُشرت الدراسة بمجلة «الوعي الإسلامي»، العدد (٥٦٠) ربيع الآخر ١٤٣٣هـ- فبراير، مارس ٢٠١٢ م.
٤- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد.
٥- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، رسالة محمد بن أحمد التجيبي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥ : ٣٢، ٤٢، ٤٨.
٦- الغريب المصنف: ٤٣٩/٢.
٧- كتاب البئر: ٦.
٨- فقه اللغة: ١٤٧.
٩- مبادئ اللغة: ٧٣.
١٠- تتكون كلمة هيدرولوجيا من مقطعين الأول Hydro ويعني ماء، والثاني logy ويعني علم. وبذلك فإن كلمة هيدرولوجيا تعني «علم الماء» الذي يختص بدراسة مياه الأرض من حيث: حركتها، ووجودها، وتوزيعها، وخواصها الكيميائية والفيزيائية.
١١- الماء في التراث العربي الإسلامي: ٣٤.
١٢- معجم البلدان: ٥:٣٢٣.
١٣- رحلة ابن بطوطة: ٨٤/١.
١٤- البابونج: معرب بابونه الفارسية، وهو القريص عند العرب. وهو حشيشة ذات زهر كبير النفع في التحليل، ينبت في الأماكن الخشنة، وبالقرب من الطرق. وهو ثلاثة أصناف، الفرق بينها في لون الزهر. ينظر: الجامع: ١٠١/١، والحبق: نبات طيب الريح، مربع السوق، ورقه كورق الخلاف، فيه مشابهة من الريحانة التي تسمى النمام، ويكثر نباته على الماء. ينظر: الجامع: ٢/ ٢٥٤، والخبازى: قيل هي الملوخيا البرية، وقيل هي بقلة مستديرة الورق فيها لعابية، ولها زهر أبيض مشوب بحمرة، تؤكل مطبوخة، ويتداوى بها لما فيها من البرد واللزوجة. ينظر: الجامع: ٢/ ٣١١، ولسان الثور: هو نبت ربيعي غليظ الورق، خشن أحرش إلى السواد، يفرش على الأرض، ساقه مزغب، بين خضرة وصفرة كرجل الجراد، يرتفع من وسطه ساق نحو ذراع فيه زهر لازوردي، يخلف بزرًا مستديرًا لعابيًّا. ينظر: الجامع: ٤ / ٣٨٢.
١٥- كتاب الفلاحة: ابن العوام الإشبيلي، مدريد، ١٨٠٢: ١٣٧.
١٦- فلاح الفلاّح: مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الرياض، رقم ٨٩٤: ٣/ ظ - ٥/ و.
١٧- مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت، ١٩٨١: ٢٧٥.
١٨- متغيرة الطعم أو اللون أو الرائحة.
١٩- مصالح الأبدان: ٣٥٤.
٢٠- مادة البقاء: ١٨٥.

مشكلات المقاصد

(ما ذكره العزّ بن عبدالسلام نموذجا)

د. لخضر بوغفور -أكاديمي جزائري

جرت العادة في كثير من العلوم والمعارف أن يقف قاصدها على جملة من المشكلات التي ربّما أحدثت له نوعا من اللّبس والاضطراب فيما تلقّاه من مسلّمات هذا العلم أو ذاك، فكان حريّا بطلّاب التحقيق أن يسعوا في تجليتها وفكّ قفلها.

وعلم المقاصد خير شاهد على ما أقول، فما إن يشرع طالبه في جمع مفرداته حتّى تعرض له جملة من القضايا والمسائل تشوّش عليه انسجام أصول هذا العلم مع فروعه، سواء تعلّق الأمر بمقاصد الشارع من خطاباته الشرعيّة أو من مدلولاتها(١).

وإذا كان قد مضى معنا طرق بعض وسائل ضبط هذا العلم من خلال الوقوف مع بعض تأصيلات ابن دقيق العيد في علاقة النصّ الشرعي بالمقصود منه، فإنّنا في هذه الورقات نؤمّ الغاية نفسها- إن شاء الله- من خلال حلّ بعض مشكلات هذا العلم التي عالجها أحد أعلامه الكبار، ألا وهو عزّالدّين بن عبدالسلام.

وهو بلا ريب أهل لتلمّس ما عنده في هذا المقام، فقد قال عنه تلميذه القرافي: «كان شديد التحرير لمواضع كثيرة في الشريعة معقولها ومنقولها، وكان يُفتح عليه بأشياء لا توجد لغيره...»(٢). وقال عنه ابن حجر بأنّه: «كان عاليَ الهمّة، بعيد الغور في فهم العلوم...»(٣).

والإمام العزّ كان موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير من خلال بحث جهوده في علم مقاصد الشريعة، إلاّ أنّني لم أعن وقتها ببحث هذا الجانب عنده على الوجه الذي خرج به هذا البحيث.

وقد قدّمت له بتوطئة ثمّ سردت في فرعين اثنين ما وقفت عليه لصيقًا بالموضوع من خلال ما ذكره العزّ ثمّ انتهيت إلى توصية البحث.

توطئة

إذا تأمّلنا في ماهية المشكلات التي سردها الإمام العزّ أمكننا تصنيفها باعتبار مصدرها إلى نوعين بارزين:

النّوع الأوّل: إشكالات صدرت عن بعض الزائغين والتزموها حتّى قدّموها على المحكمات القطعيّة التي أجمعت عليها الأمّة من جهة ما توهمّوه من معارضتها للمقاصد المرعيّة، ولربّما لبّست زندقتهم هذه على طائفة من الأمّة وأحدثت في أنفسهم شيئًا من الاضطراب في تصوّر بعض مفردات الشريعة، وخصوصا في عصرنا الحاضر بسبب فشوّ ظاهرة تقديم أوهام العقل على أنوار النّقل.

وهنا لا يعدو عمل النّاظر أن يوجّه هذه الإشكالات وينبّه إلى مناطاتها الحقيقية بعد أن سكنَت نفسه إلى زيفها وتهافتها.

النّوع الثاني: إشكالات صدرت عن الإمام نفسه حول جملة من القضايا الشرعيّة، ويمكننا تقسيم هذه القضايا إلى ما يلي:

١- قضايا محكمة، ولكن ربّما خفيت مناطاتها على النّاظر وعسُر عليه توجيهها مقاصديًا.

٢- قضايا ظنّية، ربّما عمد المخالف فيها إلى ملاحظة مقاصد الشارع في إصدار أحكام مخالفة لما بدا للنّاظر.

وهنا يدقّ عمل النّاقد البصير بمواقع التشابه والتداخل، ويشتدّ جهده في دفع الإشكال المقاصدي.

وقد يصيب الجواب السديد، وقد يُخطئه، وقد يُسلِّم بمؤدّى الإشكال، وقد يتوقّف عن تبنِّي أيّ حكم في المسألة المنظور فيها بسبب عدم اهتدائه إلى حلّ ما عرض له وعدم تكلّفه لهذا الرأي أو ذاك، قال العزّ: «الموفّق من رأى المشكل مشكلًا، والواضح واضحًا. ومن تكلّف خلاف ذلك لم يخل من جهل أو كذب»(٤). وقال أيضا: «من تكلّف أن يجعل المشكل واضحًا، فقد كلّف نفسه شططًا»(٥).

وعلى ضوء موقف الإمام العزّ من هذه المشكلات جاءت تعليقاتي المختصرة على جلّ أجوبته مسترشدًا فيها بما وقفت عليه من كلام أهل العلم راميًا من خلالها تقريب جهده في هذا المقام مع زيادة البيان واستدراك بعض ما فاته التّنبيه إليه ومناقشته فيما ينازع فيه محاولًا في كلّ ذلك الوصول إلى الجواب الأقرب إلى الصواب، والله تعالى أعلم بالصواب.

الفرع الأوّل: مشكلات النّوع الأوّل

المشكل الأوّل:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «بلغني عن بعض الزنادقة الذين أعمى الله قلوبهم أنّه قال: في الشريعة عدل وجَور. ومثّل الجَور بإيجاب الدّية على العاقلة»(٦).

ويعظم كذب هؤلاء وكفرهم من جهة أنّهم نسبوا الجور إلى الشريعة على حدّ نسبتهم العدل إليها، وإنّما هذه المسألة جعلوها مجرّد مثال.

جواب المشكل:

قال الإمام: «كيف يكون هذا جورًا؟! والأموال كلّها لله، والعباد كلّهم ملكه وطوع يديه. وقد دفع هذا المالك الأعظم والسيّد الأعلم بمصالح عباده أموالاً إلى عباده، وشرط عليهم في أمواله أن يصرفوا بعضها في مصالحهم، وأن يصرفوا بعضها إلى فقرائهم، وبعضها إلى أهل ضروراتهم، وأن يصرفوا بعضها إلى من أخطأ من جناتهم، جبرًا للمجني عليه، وإحسانًا إلى الجاني بإرفاقه لأجل خطئه، وصلة لرحمه، ودفعًا لما يُتوقّع من مفسدة قتل الجاني.

فمن زعم أنّ السيّد إذا تصرّف في أمواله بما يصلح عبيده بالجهات المذكورة كان جائرًا، فإنّه أعمى البصر والبصيرة، فاسد السريرة، متظاهر بالإسلام، وليس بمسلم ﴿...وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد: ٣٠) هل للعبد أن يجوّر سيّده إذا أعطاه ماله بهذه الشروط؟!

ومن ضعف الإسلام ترك هذا الزّنديق يتصرّف بين الأنام! فالمال مال الله، والعبيد عباد الله ﴿...أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤). ولو أعطى هذا الأحمق عبده شيئًا، وشرط عليه مثل ما شرطه الله على عباده لما عدّ نفسه جائرة مسيئة، بل عدّها عادلة محسنة. ولو قُتل هذا الخبيث من حين سُمع منه هذا الكلام لكان ذلك إجلالا للدّين وإعزازا للإسلام»(٧).

المشكل الثاني:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «إن قيل: كيف تُقطع يدٌ ديتها خمسون من الإبل أو خمسمائة دينار بربع دينار أو بعشرة دراهم كما قال أبوحنيفة رحمه الله؟»(٨).

وهو يشير في هذا الاستشكال- المبطّن بالزندقة والتشكيك في حكمة الشارع البالغة- إلى ما نُسبَ إلى أبي العلاء المعرّي كما نصّ عليه في كتاب آخر له، حيث قال: «كان المعرّي مستخفًّا بالشريعة، فأنشد:

يد بخمسِ مئين عَسْجَد(٩) وُديت
ما بالها قُطعت في ربعِ دينار؟»(١٠).

جواب المشكل:

قال الإمام: «قلنا: ليس الزجر عمّا أخذه، وإنّما الزجر عن تكرير ما لا يتناهى من السرقة المفوّتة للأموال الكثيرة التي لا ضابط لها، ولو شرط الشرع في نصاب السرقة مالاً خطيرًا لضاعت أموال الفقراء الناقصة عن النصاب الخطير، وفي ذلك مفسدةٌ عامّة للفقراء»(١١).

وجوابه هذا محلّ نظر، ويعترض عليه من جهة أنّه ربّما فُهم منه عدم اعتبار الشارع بضياع أموالٍ كثير من الفقراء التي لا تبلغ نصاب السرقة، ولهذا تعقّبه البلقيني بقوله: «يقال عليه: فما شرطه الشارع في نصاب السرقة ربع دينار مفوّت لما دونه من أموال الفقراء، كثمن دينار ونحوه...!»(١٢).

والإمام نفسه نقل في موضع آخر- عقب إيراده لبيت المعرّي- جوابًا يبدو في ميزان التحقيق أرجح وأسلم وأيسر، وهو قول القاضي عبدالوهاب المالكي:

صيانة العضو أغلاها وأرخصها
صيانة المال فافهم حكمة الباري!(١٣)

الفرع الثاني: مشكلات النّوع الثاني

المشكل الأوّل:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «نصّ الشرع على أنّ شهادة الزّور وأكل مال اليتيم من الكبائر؛ فإن وقعا في مال خطير، فهذا ظاهر. وإن وقعا في مال حقير كزبيبة أو تمرة فهذا مشكل!»(١٤).

استشكل الإمام بهذه المسألة على ما أصّله نفسه من التلازم بين الحكم على المعصية بكونها كبيرة وبين ما يترتّب عنها من مفاسد، وأنّ الكبائر تتناقص بحسب تناقص هذه المفاسد(١٥).

جواب المشكل:

قال الإمام: «فيجوز أن يجعل من الكبائر فطامًا عن هذه المفاسد، كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر، وإن لم تتحقّق المفسدة فيه. ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السّرقة»(١٦).

والظاهر رجحان احتماله الأوّل من جهة موافقته لظواهر النّصوص الواردة في اعتبار هاتين الكبيرتين، ومن جهة ما نظّر به من سدّ الشارع الحكيم الطريق المفضي إلى الوقوع في المفاسد الظاهرة، قال تلميذه ابن دقيق العيد: «المفسدة لا تؤخذ مجرّدة عمّا يقترن بها من أمر آخر، فإنّه قد يقع الغلط في ذلك. ألا ترى أنّ السابق إلى الذهن أنّ مفسدة الخمر السّكر وتشويش العقل، فإن أخذنا هذا بمجرّده لزم منه أن لا يكون شرب القطرة الواحدة كبيرة؛ لخلائها عن المفسدة المذكورة، لكنّها كبيرة فإنّها- وإن خلت عن المفسدة المذكورة- إلاّ أنّه يقترن بها مفسدة الإقدام والتجرؤ على شرب الكثير الموقع في المفسدة، فبهذا الاقتران تصير كبيرة»(١٧).

المشكل الثاني:

نصّ المشكل:

ذكر الإمام الحديث القدسي الذي قال فيه ربّ العزّة جل جلاله: «ولن يتقرّب إليّ عبدي بمثل ما افترضت عليه»(١٨).

ثمّ قال: «لاشكّ أنّ هذا الحديث معمول به إذا ساوى الفرض النّفل، كما في درهم الصدقة ودرهم الزكاة، وفي حجّ الفرض وحجّ النّفل. وفي صوم الفرض وصوم النّفل، فإنّهما متساويان من كلّ وجه.

أمّا إذا تفاوتا بالقلّة والكثرة، مثل إن زكّى بخمسة دراهم وتصدّق بعشرة آلاف درهم، أو زكّى بشاة وتصدّق بعشر شياه...»(١٩).

جواب المشكل:

قال الإمام مجيبًا عمّا أورده في قواعده: «فيحتمل في مثل هذا أن يكون الفرض أفضل من النّفل من غير نظر إلى تفاوت المصلحتين. ويحتمل أن يخصّ الحديث بالعملين المتساويين في المصلحة

كدرهم الزكاة مع درهم الصدقة، وشاة الزكاة مع شاة العقيقة، ولكنّ فيه مخالفة لظاهر الحديث.

وليس ببعيد من تفضّل الربّ سبحانه أن يأجر على أقلّ العملين المتجانسين أكثر ممّا يأجر على أكثرهما، كما فضّل أجر هذه الأمّة مع قلّة عملها على عمل اليهود والنّصارى مع كثرة عملهم(٢٠)...»(٢١).

ويتجلّى من خلال هذا الجواب أنّ الإمام رغم كونه ساقه على وجه الاحتمال إلاّ أنّه مال بصورة ظاهرة إلى طرد أصل تفضيل الواجب على النّفل.

وأمّا في كتابه الأمالي فلعلّه مال إلى التزام مؤدّى هذا المشكل، حيث نقل منه الزّركشي قوله: «قال البيهقي لا يعدل شيء من السنن واجبًا أبدًا، وهو مشكل؛ لأنّ الثواب والعقاب مرتّبان على حسب المصالح والمفاسد، ولا يمكننا أن نقول ثمن درهم من الزّكاة تربو مصلحته على مصلحة ألف درهم تطوّعا، وأنّ قيام الدّهر لا يعدل ركعتي الفجر. هذا خلاف القواعد»(٢٢).

وقد عقّب الزّركشي عليه بجملة أمور بعضها يرجّح هذا المسلك وبعضها يرجّح ذاك، وفيما يلي بيانها وتقريبها:

١- أراد من خلاله- فيما يبدو- الاعتراض على كلام العزّ بناء على تنظير مسألتنا بمسألة فرض العين وفرض الكفاية، حيث اشتهر مذهب جمهور العلماء في تفضيل الأوّل رغم أنّ مفسدة ترك الثاني أعظم، قال الزّركشي: «...ليست مفسدة ترك النّهوض بمهمّات شعائر الدّين أقلّ من مفسدة التارك لفرض عين، بل أكثر لما فيه من خرم نظام مصالح العباد».

٢- «أنّ ما مثل به قد يُلتزم، إذ ترك التطوّع صدقة كان أو صلاة لا إثم فيه وإن كثر بخلاف الفرض وإن قلّ، فناسب تأكّده والاعتناء به بزيادة الثواب، فلا يمنع إطلاق التفضيل».

٣- «في كلام أصحابنا في الفروع صور تقتضي ترجيح النّفل على الفرض. منها: أنّ إبراء المعسر أفضل من إنظاره، لحصول الغرض وزيادة، ومنها: أنّ ابتداء السلام أفضل...»(٢٣).

«إبراء المعسر أفضل من إنظاره» مثال لترجيح النفل على الفرض

وهكذا تلاحظ أنّ الأمرين الأوّل والأخير يرجّحان تقديم النّفل هنا، والأمر المتوسّط يرجّح البقاء على ظاهر الحديث.

وكان قد أشكل عليّ- في رسالة الماجستير- الترجيح في مسألة الموازنة بين فرض العين وفرض الكفاية، واستحسنت وقتها رأي الطوفي بأنه «يمكن الجمع بين القولين، بأنّ كلا منهما أفضل من وجه»(٢٤). ولعلّ مسألتنا من هذا الباب أيضا، فيكون الفرض أفضل باعتبار تأكّده وحرمة مخالفته، ويكون النّفل أفضل باعتبار كثرة مصالحه، ومن ثَمّ يزول الإشكال، والله تعالى أعلم بالصواب.

أو رجح الإصلاح كالأسارى
تُفدى بما ينفع النّصارى(٤٨)

فلأن يجوز استنقاذ جميع أهل بلد ما ببذل مال رجل واحد منهم من باب أولى طردًا لأصلي تقديم مصلحة النّفس على مصلحة المال، وتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

المشكل الثالث:

نصّ المشكل:

قال الإمام- في صدد تقريره لعدم قصد الشارع لمشقّة العباد-: «فإن قيل: قد روى البخاريّ ومسلم في صحيحيهما مسندًا عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله، يصدر النّاس بنسكين، وأصدر بنسك واحد؟ قال: «انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم، فأهلّي منه ثمّ القَينا عند كذا وكذا- قال: أظنّه قال: غدًا- ولكنّها على قدر نصبك، أو قال: قدر نفقتك(٢٥)»(٢٦).

جواب المشكل:

وإنّما يرد الإشكال على رواية «على قدر نصبك» من جهة ما علم من عرف الشارع من قصده إلى مصالح العباد لا إيقاعهم في الحرج بالمشاقّ التي تتعلّق أحيانًا بالأحكام الشرعيّة كما نبّه الإمام بقوله: «قلت: هذا مشكوك فيه، هل قال: «على قدر نصبك»، أو قال: «على قدر نفقتك»؟»(٢٧) فإن كان الواقع قوله: «على قدر نفقتك»، فلاشكّ أنّ ما يُنفق في طاعة الله يفرّق بين قليله وكثيره، وإن كان الواقع قوله: «على قدر نصبك» فيجب أن يكون التقدير: على قدر تحمّل نصبك.

وقد علمنا من موارد الشرع ومصادره أنّ مطلوب الشرع إنّما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقّة مصلحة، بل الأمر بما يستلزم المشقّة بمنزلة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المرّ البشع، فإنّه ليس غرضه إلاّ الشفاء.

ولو قال قائل: كان غرض الطبيب أن يوجده مشقّة ألم مرارة الدواء؛ لما حسن ذلك فيمن يقصد الإصلاح، وكذلك الوالد يقطع من ولده اليد المتآكلة حفظا لمهجته، ليس غرضه إيجاده ألم القطع، وإنّما غرضه حفظ مهجته، مع أنّه يفعل ذلك متوجّعا متألِّما لقطع يده...»(٢٨).

ولكن حمله للحديث على مضاف محذوف تقديره التحمّل محلّ نظر، وأعتقد أنّه غير كاف في توجيهه التوجيه الصحيح، فتحمّل المرء للمشقّة قد يرافقه قصده لها وربّما لا.

وإنّما المناسب لما ذكره الإمام هو الاحتمال الأوّل الذي تنسجم على ضوئه تصرّفات الشريعة، قال سعد الشثري: «ليس المراد بالحديث النّصَب المقصود للمكلّف، وإنما المراد النّصب الواقع في العبادة الذي لم يقصده المكلف»(٢٩).

المشكل الرابع:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «قد استُثْني من سقوط الوسائل بسقوط المقاصد أنّ النّاسك

الذي لا شعر على رأسه مأمور بإمرار الموسى على رأسه، مع أنّ إمرار الموسى على رأسه وسيلة إلى إزالة الشعر فيما ظهر لنا»(٣٠).

جواب المشكل:

قال الإمام: «فإن ثبت أنّ الإمرار مقصود في نفسه، لا لكونه وسيلة، كان هذا من قاعدة من أُمر بأمرين، فقدر على أحدهما وعجز عن الآخر»(٣١).

ولكن الواقع عدم ثبوت ما ورد في هذا الشأن سواء ما ذُكر من آثار أو ما ادّعي من إجماع على إمرار النّاسك الأصلع الموسى على رأسه(٣٢)، ومن ثمّ فالأصل التزام مؤدّى هذا المشكل وطرد قاعدة سقوط الوسائل بسقوط مقاصدها في هذا الفرع وما يشابهه.

قال ابن القيّم في صدد حديثه عن مسألة ختان الأقلف التي نظّر بها لمسألتنا: «الصواب أنّ هذا مكروه لا يُتَقرّب إلى الله به، ولا يُتَعبّد بمثله وتُنَزّه عنه الشريعة؛ لأنّه عبث لا فائدة فيه، وإمرار الموسى غير مقصود، بل هو وسيلة إلى فعل المقصود، فإذا سقط المقصود لم يبق للوسيلة معنى»(٣٣).

المشكل الخامس:

نصّ المشكل:

«الرّمل مشروع إلى يوم الدين. ومثل هذا لا يقاس عليه؛ لأنّ القياس فرع لفهم المعنى»(٣٤).

جواب المشكل:

قال الإمام: «يجوز أن يقال: إنه ﷺ رمل في حجّة الوداع مع زوال السبب تذكيرا لنعمة الأمن بعد الخوف لنشكر عليها، فقد أمرنا الله بذكر نعمه في غير موضع من كتابه، وما أمرنا بذكرها إلا لنشكرها»(٣٥).

وتلاحظ أنّ الإمام ذكر هذا التوجيه على سبيل الاحتمال، وأمّا تلميذه ابن دقيق العيد فجزم بمعقولية هذا الحكم، وأناطه بمعنى آخر فقال: «في ذلك من الحكمة تذكّر الوقائع الماضية للسلف الكرام، وفي طيّ تذكّرها مصالح دينية. إذ يتبيّن في أثناء كثير منها ما كانوا عليه من امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة إليه، وبذل الأنفس في ذلك. وبهذه النّكتة يظهر لك أنّ كثيرا من الأعمال التي وقعت في الحجّ، ويقال فيها: (إنّها تعبد)، ليست كما قيل...» (٣٦).

وإذا دلّت نصوص الشريعة على ثبات الحكم مع زوال المقصود الظاهر منه كما في مسألتنا، فلا يضرّ بعد ذلك جهلنا بالمعنى الحقيقي الذي يناط به في مستقبل الزمن.

ويندب الفقيه إلى الأناة في توجيه هذا النّوع من الأحكام في حال عدم وجود أمارات ظاهرة على التحديد، ومن ثمّ فيبدو لي أنّ موقف الإمام العزّ في احتمال ما ذكره أسلم من جزم تلميذه، والعلم عند الله تعالى.

المشكل السادس:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «إن قيل: كيف أبحتم كفر اللسان بالإكراه حفظا للدماء، مع كونه من أعظم المفاسد، ولم تبيحوا القتل والزنا واللواط بالإكراه، مع كون مفاسدها دونه؟!

قلت: في هذا نظر، وهو مشكل»(٣٧).

جواب المشكل:

قال الإمام: «فيمكن أن يفرّق بغلبة الإكراه على الكفر وندرته في القتل والزنا واللواط. ويمكن أن يفرّق بأنّ التصوّن عن كلمة الكفر حقّ لله وحده، والتصوّن عن الزنا والقتل واللواط حقّ لله ولعباده، فشدّد الأمر فيه.

ويمكن أن يقال: إنّ مفسدة القتل واللواط تتحقّق، ومفسدة كفر الأقوال والأعمال لا تتحقّق، لأنّ مفسدتهما هي الاستهزاء والاحتقار، والمكره غير مستهزئ ولا محتقر، إذ لا يتحقّق ذلك مع الإكراه»(٣٨). كما أشار إلى هذه المسألة في المسائل والأجوبة، ونبّه إلى تعليل آخر لعدم جواز الزنا بالإكراه مجيبًا على ما قد يُستشكل بأنّ مفسدة قتل النّفس أعظم من مفسدة الزنا، فقال: «المسألة من باب تقديم الواجب على المندوب؛ لأنّ ترك الزنا واجب ودفع الصائل مندوب على هذا، وإن قلنا إنّه يجب فقد تعارض واجبان أحدهما مقطوع بوجوبه وهو ترك الزنا.. والآخر غير مقطوع بوجوبه وهو دفع الصائل لاختلاف الناس فيه، ودرء المفسدة المقطوع بوجوب دفعها أولى من المظنونة»(٣٩).

لا يطّرد هذا الإشكال إلاّ بعد التسليم بهذه الأحكام، أمّا إباحة كفر اللسان بالإكراه فظاهر بآية النّحل، وأيضا انعقد الإجماع على عدم إباحة قتل معصوم بالإكراه(٤٠).

وكذلك عدم إباحة اللّواط بالإكراه ظاهر، ولم أقف على من تسامح فيه. قال ابن القيّم: «إن قيل لو وقع مثل ذلك لرجل، وقيل له إن لم تمكّن من نفسك وإلا قتلناك، أو منع الطعام والشراب حتى يمكّن من نفسه وخاف الهلاك فهل يجوز له التمكين؟ قيل لا يجوز له ذلك ويصبر للموت، والفرق بينه وبين المرأة أنّ العار الذي يلحق المفعول به لا يمكن تلافيه وهو شرّ مما يحصل له بالقتل أو منع الطعام والشراب حتى يموت؛ فإنّ هذا فساد في نفسه وعقله وقلبه ودينه وعرضه، ونطفة اللوطي مسمومة تسري في الروح والقلب فتفسدهما فسادًا عظيمًا قلّ أن يرجى معه صلاح.

ففساد التفريق بين روحه وبدنه بالقتل دون هذه المفسدة»(٤١).

وأمّا حكم الإكراه على الزنا فمحلّ خلاف(٤٢)، وعليه فلا يرد هذا الإشكال على من يجيز الإقدام على الزنا إذا أكرهته المرأة نفسها، حيث يقوى القول بالترخّص حفظا لمهجته على الأصل من تقدّم مرتبة حفظ النّفس.

المشكل السابع:

نصّ المشكل:

قال الإمام- في صدد حديثه على اختصاص الأموال الزكويّة بالحُكْم: «إن قيل: إنّما اعتبرت النُّصُب ليكون المال محتملا للمواساة، فهلاّ أوجبتم الزكاة على من يملك من الجواهر والخيل والحمير والبغال والقُرى(٤٣) والبساتين والدّور والدكاكين ما يساوي مائة ألف دينار، لاحتمال ماله للمواساة. وكيف لا يجب على هذا الزكاة، وهي واجبة على

الضعيف ذي العيال في خمس من الإبل أو في جزء من بعير في صورة الخلطة؟»(٤٤).

جواب المشكل:

قال الإمام: «قلت: إن اشتملت قراه وبساتينه على الأموال الزكويّة من النّخل والكرم والزرع كانت زكاتها مجزية عن زكاة رقابها، وإن لم يكن فيها مال زكوي، فإنّ ثمار بساتينها تُباع بالنّقود في الغالب، وكذلك تؤجّر أراضيها بالنّقود في الغالب، فإن بقيت نقودها حتى حال عليها الحول، قامت زكاة النقود مقام زكاة رقابها. وإن اتّجر بنقودها قامت زكاة التجارة مقام زكاة النقد. وكذلك القول في اتّجار الدور والدكاكين...»(٤٥).

ويردّ بهذا الجواب السديد على بعض أهل العلم الذين ربّما توسّعوا في ملاحظة معنى المواساة حتّى استحدثوا أموالًا زكوية جديدة لا تشهد لها الشريعة في نصوصها ولا في قياساتها المعتبرة.

المشكل الثامن:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «قواعد الشريعة مبنية على أنّ المفسدتين إذا تعارضتا دفعت العظمى بارتكاب الدنيا، وإذا تعارضت مصلحتان حصّلت العليا منهما بتفويت الدنيا. ويُشكل على ذلك أنّ الأمّة أجمَعت على أنّ العدوّ لو نزل على بلد وخاف أهله من استئصال العدوّ لهم وسألوه أن يعطوه مال فلان أو امرأته ويرحل عنهم أنّ ذلك حرام عليهم مع أنّ المفسدة الواحدة أخفّ من مفسدة الجميع. فهذا مشكل»(٤٦).

جواب المشكل:

قال الإمام: «الجواب عنه أنّ مصالح الشرع ومفاسده منها ما عُلم كسائر الأحكام المعلّلة، ومنها ما لم يعلم كالتعبّدات فهذا مما لَم يعلم مفسدته. ويجب أن يعتقد أنّ المفسدة التي قُدّمت على الاستئصال غير مفسدة مال فلان وزوجته عملا بعادَة الله عز وجل في شرائعه. نعم لو كان هذا الحكم ثبت بالاجتهاد كان مشكلا لأنّ الاجتهاد يعتمد المفاسد المعلومة دون المجهولة»(٤٧).

لا يطّرد هذا الإشكال إلاّ بعد التسليم بهذا الحكم، وأنا أشكّ جدًّا في ثبوت هذا الإجماع فيما يتعلّق ببذل المال مقابل الحفاظ على مهج كافّة أهل البلد. ولم أقف على من وافق الإمام على نقله هذا. ويبدو لي عدم صحّته؛ لأنّه يسوغ للأمّة في نظير هذا الحكم فداء أسيرها بالمال الكثير الذي يتقوّى به العدوّ على غيّه تقديما لمصلحة استنقاذ فرد منها، كما قال سيدي عبدالله العلَوي في صدد تمثيله للذرائع الملغاة إجماعا:

أو رجح الإصلاح كالأسارى
تُفدى بما ينفع النّصارى(٤٨)

فلأن يجوز استنقاذ جميع أهل بلد ما ببذل مال رجل واحد منهم من باب أولى طردًا لأصلي تقديم مصلحة النّفس على مصلحة المال، وتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

الهوامش

(١) مضى الكلام على هذين النّوعين في تمهيد بحثي السابق، والذي عنونت له: «تقريب تأصيلات ابن دقيق العيد حول علاقة النصّ الشرعي بالمقصود منه من خلال شرحه على عمدة الأحكام».
(٢) الفروق ١٥٧/٢.
(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر ٣٥١/٢.
(٤) القواعد الكبرى ٤٠٠/٢.
(٥) المصدر نفسه ٤٤/٢.
(٦) المصدر نفسه ٣٩/١. وللاستزادة في الجواب عن هذا الإشكال انظر كلام ابن القيّم في إعلام الموقّعين ٢١٧/٣-٢٢٠.
(٧) القواعد الكبرى ٣٩/١. وللاستزادة في الجواب عن هذا الإشكال انظر كلام ابن القيّم في إعلام الموقّعين ٢١٧/٣-٢٢٠.
(٨) مسائل وأجوبة في علوم متعدّدة لـ١٩٤/أ.
(٩) العَسْجَد: الذهب، ويطلق أيضا على الجوهر كلّه كالدّر والياقوت، وعلى البعير الضخم، والمراد هنا المعنى الأوّل. انظر: القاموس المحيط ٣١١/١.
(١٠) المسائل والأجوبة لـ١٩٤/أ.
(١١) القواعد الكبرى ٣/١، ٢٩١
(١٢) الفوائد الجسام على قواعد ابن عبدالسلام ص٣٥٤.
(١٣) انظر: المسائل والأجوبة لـ١٩٤/أ.
(١٤) القواعد الكبرى ٣٠/١.
(١٥) انظر نصّ كلامه في المصدر السابق ٢٩/١، ٧٨.
(١٦) المصدر نفسه ٣٠/١.
(١٧) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٤٤١/٤.
(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ٦٥٠٢، ص١٢٤٧.
(١٩) القواعد الكبرى ٤٤/١.
(٢٠) دليله قول النبيّ ﷺ: مثلكم ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النّهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثمّ قال: من يعمل لي من نصف النّهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النّصارى، ثمّ قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنّصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقلّ عطاء؟ قال: هل نقصتكم من حقّكم؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء. أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ٢٢٦٨، ص٤٢٢.
(٢١) المصدر نفسه ٤٤/١.
(٢٢) البحر المحيط ٢٩٤/١.
(٢٣) انظر نصّ كلامه كاملا في المصدر نفسه ٢٩٤/١-٢٩٥.
(٢٤) شرح مختصر الروضة ٤١٠/٢.
(٢٥) صحيح البخاري، رقم: ١٧٨٧، ص٣٥٣، وصحيح مسلم- واللفظ له- رقم: ١٢١١ (١٢٦)، ص٤٧٩.
(٢٦) القواعد الكبرى ٥٢/١.
(٢٧) انظر: فتح الباري ٦١١/٣.
(٢٨) القواعد الكبرى (مع اختصار) ٥٢/١-٥٣. وانظر ما ذكره ابن تيمية في هذا المقام في مجموع فتاويه ٢٨١/٢٥.
(٢٩) شرح القواعد الفقهيّة ص٥٤.
(٣٠) القواعد الكبرى ١٦٩/١.
(٣١) انظر تفصيل ذلك في رسالتي عن مقاصد الشريعة عند الإمام العزّ عند حديثي عن قاعدة سقوط الوسائل بسقوط المقاصد.
(٣٢) القواعد الكبرى ١٦٩/١.
(٣٣) تحفة المودود بأحكام المولود ص١٧٦.
(٣٤) القواعد الكبرى ٩/٢.
(٣٥) المصدر السابق ٩/٢. وأشار إلى هذه الحكمة أيضا في المسائل والأجوبة لـ١٦٣/ب.
(٣٦) إحكام الأحكام ٥٢٩/٣.
(٣٧) المسائل والأجوبة لـ١٨٢/ب- ل١٨٣/أ.
(٣٨) القواعد الكبرى ٢٦٩/٢.
(٣٩) المسائل والأجوبة لـ١٨٢/ب- ل١٨٣/أ.
(٤٠) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٦٠/٣، جامع العلوم والحكم ٣٧١/٢.
(٤١) الطرق الحكمية ٨٠/١.
(٤٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٦٠/٣، جامع العلوم والحكم ٣٧٢/٢، الموافقات ٥١٢/٢.
(٤٣) من استعمالاتها في اللغة أنّها تُطلق على المساكن والأبنية والضِّياع. كما في لسان العرب ٩٣/١٢.
ويبدو أنّه مراد الإمام في عبارته هذه.
(٤٤) القواعد الكبرى ٢٩٣/٢.
(٤٥) المصدر السابق ٢٩٣/٢.
(٤٦) المسائل والأجوبة لـ١٨٩/ب.
(٤٧) المصدر نفسه لـ١٨٩/ب.
(٤٨) انظر: مراقي السعود مع شرحه نشر البنود ص٢٦٠.

القضاة وميزان العدالة

محمود علي
باحث دراسات إسلامية

كتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين ولاه القضاء فقال: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري: سلام عليكم، أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحل حرامًا، أو حرم حلالا، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك فيه، وهديت فيه لرشدك؛ أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

الفهم.. الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق.

يقول تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧-٩)، والميزان يعني العدل، كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وهكذا قال سبحانه ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾، فخلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل فهما جوهر كل الشرائع وسياج أمن البشرية وأساس سعادتها.

والعدل صفة من صفات الحق سبحانه واسم من أسمائه الحسنى وقد أمر الله عباده بالعدل ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وأمر بالقسط وهو صنو العدل، فقال ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٨)، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: ٢٩) ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٤٢)، وما أعظم محبة الله تعالى لعباده المقسطين ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢) وقد وردت الآية ثلاث

على القاضي فهم ما يقال فهما لا يساوره شك وأن يعرف لغة المتحدثين وطرائق كلامهم وطبيعة حياتهم

مرات في المصحف الشريف (١).

والعدل هو حلم الإنسان الدائب الذي لم يكف دومًا عن السعي إلى تحقيقه وكان سعيه قد كلل بخطوات من نجاح أكدت كل خطوة منها هذا التلازم الرفيع بين العدل وارتقاء الإنسانية في درجات سموها كما أكدت أن الإنسانية ليست ببالغة ذراها الرفيعة في قمة وجودها الذي يتجلى في القبس النوراني الكامن فيها إلا محمولة على راحة العدل وساعده.

العدل لغة

العدل لغة: الإنصاف، وعدل عدلا وعدولا وعدالة: واستقام الشيء عدلا أي أقامه وسواه، وعادل بين الشيئين أي وازن، واعتدال يعني توسط بين حالين في كم أو كيف أو تناسب، وجو معتدل من الحرارة والبرودة. ويقال حسنة الاعتدال أي القوام وتعادلا أي تساويا (٢).

والقسط صنو العدل، فأقسط أي عدل ويقال أقسط في حكمه وفي الآية الكريمة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى....﴾ (النساء: ٣) والقسط يعني العدل، ويقال أيضًا ميزان القسط أو موازين قسط وفي الآية: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ....﴾ (الأنبياء: ٤٧) والقسط الحصة والنصيب (٣).

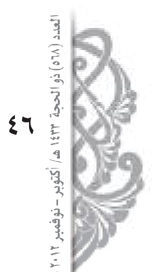
ويأتي في معنى العدل أيضًا الإنصاف، ونصف الشيء نصفًا أي بلغ نصفه، وأنصف فلان أي عدل، وتناصف القوم أي أنصف بعضهم بعضًا والأنصف الأكثر إنصافًا (٤).

والعدل أيضًا يعني التوسط والوسطية – فمن معاني الوسطية التي وصفت بها الأمة الكريمة وترتب عليها شهادتها على البشرية كلها – العدل الذي هو ضرورة لقبول شهادة الشاهد، فما لم يكن عدلا فإن شهادته مردودة مرفوضة، والعدل والتوسط والتوازن كلمات متقاربة المعنى، فالعدل حقيقة توسط بين الطرفين المتنازعين والأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى إحداهما، وهو بعبارة أخرى موازنة بين الأطراف بحيث يعطى كل ذي حق حقه دون بخس أو جور.

ومما قاله المفسرون في قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم: ٢٨)، أوسطهم أي أعدلهم، ويؤكد هذا الإمام الرازي في تفسيره بقوله: «إن أعدل بقاع الشيء وسطه لأن حكمه في سائر أطرافه على سواء واعتدال، فالوسط يعني إذن العدل والاعتدال ويعني التعادل والتوازن بلا جنوح إلى الغلو أو التقصير (٥).

العدل في القرآن الكريم

ورد لفظ العدل في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، وورد أيضًا القسط، فقد ورد لفظ عدل ومشتقاته نحو «عدلا، لأعدل، اعدلوا، تعدل، تعدلوا»





اثنتين وعشرين مرة، وورد لفظ القسط ومشتقاته «أقسط، أقسطوا، القسط، يقسطوا، القسطاس، المقسطين» خمسا وعشرين مرة.

العدل والقضاء

إن الحكم بين الناس فيما ينشب بينهم من نزاعات وخلافات، أو فيما يقع من جرائم الدم والعرض والمال وغيرها هو من أخطر الأمور وأصعبها؛ ذلك لما فيه من مسؤوليات جسام تقع على عاتق القاضي، ليس فقط في الفصل والحكم ولكن من كل كلمة ينطق بها أمام الخصوم، بل وكل حركة أو تصرف في مجلس القضاء، فلابد أن يسوي بين خصومه في كل شيء، وتلك المسؤولية عظيمة أمام الله تعالى وأمام ضميره.

ولا غرو أن يتورع السلف عن تولي القضاء حتى كان الحاكم يحاول قهرهم على توليه بالحبس والضرب، وقد ورد في السنة النبوية ما يحذر من المسارعة إلى ولاية القضاء إلا لمتمكن من دينه، وكمال عقله، كما حذر المصطفى من السعي لدى ولي الأمر لتولي القضاء فلم يكن يولي أحدا شيئًا إذا طلبه، لما في توليته على تلك الحال من شائبة هوى النفس وحب الظهور وبعده عن حقيقة الولاية وهي الفصل في المنازعات وإيصال الحقوق إلى أصحابها لوجه الله تعالى، باعتبارها مسؤولية جسيمة وليست ترفًا واستعلاء على الغير ولا ذريعة لجلب مصلحة شخصية (٧).

وعن أنس قال: سمعت رسول الله يقول: «من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه أنزل الله ملكًا يسدده» (٨).

ولعظم المسؤولية وجلالها قال المعلم الأول: «من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين» (٩). وقيل إن المراد ذبح من حيث المعنى لأنه بين عذاب الدنيا إن رشد، وبين عذاب الآخرة إن فسد، وقال الخطابي: المراد ما يخاف عليه من هلاك دينه، فالذبح بالسكين فيه إراحة للمذبوح وبغيرها يكون الألم أكثر تعبيرًا ليكون أبلغ في التحذير.

القضاة ثلاثة

والقاضي اسم من قضى بين اثنين، أو حكم بينهما سواء سمي خليفة أو سلطانًا أو نائبًا أو واليًا، والقضاة ثلاثة كما قال المصطفى ﷺ: «قاضيان في النار وقاض في الجنة، فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة»، ومن الحديث يتبين قدر المسؤولية وجسامتها، وبالتالي فمن يتولى القضاء يجب أن يكون نصب عينيه أنه واحد من ثلاثة وهو ليس بمفازة من النار إلا بأن يعلم الحق ويقضي به.

صفات القاضي العادل

وإذا ما كان القاضي أهلا لتولي القضاء، وجلس مجلس القضاء، فيجب أن تتوفر فيه الاستقامة والنزاهة، وسعة الصدر، وعفة اللسان، والتواضع والصبر والبشاشة، واستقلال الرأي، وهدوء الفكر، وهكذا نجد صفات الفضل كلها قد اجتمعت في القاضي، ويجب أن يخلص القضاء لله فمن أخلص قضاءه لله تعالى قذف في قلبه نورًا واستضاء به للحق فعرفه وحكم به.

كما لا يكفي في القاضي ورع بلا علم، ولا علم بلا ورع؛ فلا فضل لقاض ورع أمن الهوى ولم يعلم الحق فقضى بغيره، ولا فضل لعالم عرف الحق وصده عنه الهوى فقضى بغيره.

والقاضي يجب أن يكون بشوش الوجه منفرج الأسارير رطب اللسان حلو الكلام يجيد مخاطبة كل إنسان بطريقة تناسبه وتلائمه دونما تفريط أو تعجيز، فيجد لديه العامة وغيرهم الصدر الرحب لسماع وتلقي كل ما لديهم من مظالم دونما ضجر أو كدر. يقول سيدنا عمر في رسالته: إياك والغضب والقلق والضجر.

عدالة الشكل

إن الجلوس في مجلس القضاء يلقي كثيرًا من التبعات على صاحبه بدءًا من الالتزام التام بكل ما يفرضه جلال الموقف من ارتداء ثوب العدالة والتحلي بأخلاقها، وحسن معاملة المتقاضين، والمساواة بين الخصوم في كل شيء وأصغر شيء، فشكل العدالة بمعنى العدل في الأمور الشكلية- أولا- من أعظم الأمور التي تبث الطمأنينة في نفس وقلب المتقاضي، وتبعد عنه كل نوازع الخوف أو الرهبة ما يجعله يعرض مظلمته أو شكايته وهو مطمئن غير مرتبك أو مرتعد.

أما إن لاقى وجهًا عبوسًا ولفظًا فظًا وقلبًا غليظًا أو معاملة غير كريمة لأيقن باختلال ميزان العدالة من البداية واهتز يقينه، وجزعت نفسه، وبات فاقدًا أي أمل لنيل حقه.

فالعدالة عند القاضي مظهر وجوهر، قلب وقالب، شكل وموضوع، قول وفعل، هي كل حياته وهكذا يجب أن يكون (١٠).



يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته لقاضيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «آس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك».

القضاء في الموضوع

يجب على القاضي أن يفهم ما يدلى إليه فهمًا لا يخالطه شك، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان عالمًا بلغة المتحدثين وطرائق كلامهم، وملمًا بكافة شؤون الحياة وما يدور فيها، بل وفاهمًا لطبيعة البلدة التي يقضي فيها وطبائع أهلها، فهي أمور تيسر له مهمته في النفاذ ببصيرة واعية للب القضية وجوهر النزاع ومن ثم الولوج فيها على وعي تام وعلم أتم. يقول سيدنا عمر في رسالته: «فافهم إذا أدلي إليك، وأنفذ إذا تبين لك.. والفهم الفهم فيما أدلي عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عندئذ، واعرف الأمثال ثم اعمد فيها ترى أقربها الى الله وأشبهها بالحق.

يقول العلامة ابن القيم الجوزية- يرحمه الله- في إعلام الموقعين: إن واجب القاضي أن يعلم ما يقع، وأن يحكم فيه بما يجب؛ الأول مداره على الصدق، والثاني مداره على العدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا﴾ (الأنعام: ١١٥).

وفهم القاضي من نوع خاص فهو إنما يفهم في الله ولله، ويقيم هذا الفهم بالإضافة إلى الذكاء وسلامة الذوق ووفرة العلم بالقانون في أدق أحكامه وأخص أسراره وغاياته، ووقوف القاضي على طبائع الناس وأحوالهم وإلمامه بأعرافهم وعاداتهم، ويفسد هذا الفهم غلبة الميل والهوى والاستسلام للتعسف والتردد، وكثرة ما يقع فيه القاضي من السهو والغفلة.

وقيل لو اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق سيئة وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص.

ويقول صلاح عبدالصبور في واقعة على لسان القاضي ابن شريح: «... القاضي لا يفتي بل ينصب ميزان العدل، لا يحكم في أشباح بل في أرواح أغلاها الله إلا أن تزهق في حق أو إنصاف، الوالي والقاضي رمزان جليلان للقدرة والحق لا تدنو من مرماها أفراس القدرة لا تبلغ غايتها إلا إن أمسك فرسان الحق بزمام أعنتها».

القاضي يقبل الصلح

يجب على القاضي أن يعرض الصلح على الخصوم، بل ويقبله منهم إذا كان فيه إنصاف للمظلوم طالما لا يحل حراما ولا يحرم حلالا؛ جاء في الرسالة: فالصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حراما أو حرم حلالا.

القاضي رجاع إلى الحق

إذا حكم القاضي حكمًا وتبين له فيما بعد أنه كان مخطئًا فيما قضى به وتبين له وجه الحق في الدعوى، فلا عليه إن عدل عن حكمه الخاطئ؛ جاء في الرسالة: «ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس وراجعت فيه نفسك وهديت فيه إلى رشدك أن تراجع فيه الحق، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

الخاتمة

وهكذا يكون القاضي عادلًا إذا ما اهتدى إلى الحق واستنار قلبه بالعدالة، وقد حوت رسالة عمر بن الخطاب العديد من قيم وتقاليد القضاء التي لم يرد أحسن منها في التشريعات العصرية، وهكذا ستظل تلك الرسالة نبراسًا يقتدي به القضاة على مر العصور والأزمان، ولم لا وهي صادرة عن أمير المؤمنين وهو مضرب المثل في العدل، وصدق فيه القول: «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

الهوامش

١- الآيات: (المائدة: ٤٢، الحجرات: ٩، الممتحنة: ٨).
٢- المعجم الوجيز ص: ٤٠٩.
٣- المرجع السابق ص: ٥٠١.
٤- المرجع السابق ص: ٦١٩.
٥- الخصائص العامة للإسلام. د. يوسف القرضاوي ص: ١٢٣.
٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم د. محمد فؤاد عبدالباقي ص: ٥٥٠، ٦٥٣.
٧- هذا حلال وهذا حرام د. عبدالقادر أحمد عطا ص: ٣٨٩.
٨- أخرجه الترمذي وأبوداود.
٩- أخرجه الترمذي وأبوداود.
١٠- قيم وتقاليد السلطة القضائية للمستشار: أمين طه أبوالعلا.

العدد (٥٦٨) ذو الحجة ١٤٣٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٢ م

أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (٣)

محمد نبيل بهي
باحث في التراث الإسلامي

نواصل عرض وبيان الأعلام الذين دفنوا بمصر وليسوا من أهلها وهم:

٨١- حاجي باشا: خضر بن علي بن مروان بن علي بن حسام الدين الأيديني: طبيب متكلم من فقهاء الحنفية أصله من قونية سكن مصر وتوفي بها سنة ١٤١٧م. ص ٢٠٧ ج ٢.

٨٢- الخالدي: خليل بن جواد بن بدر بن مصطفى الخالدي المقدسي: رحالة من فقهاء الحنفية كان من أعلم الناس بالمخطوطات وأماكن وجودها. توفي بالقاهرة سنة ١٩٤١م. ترجم له الشيخ أبوغدة في العلماء العزاب. ص ٣١٧ ج ٢.

٨٣- خليل مطران: الشاعر الكبير من كبار الكتاب له اشتغال بالتاريخ والترجمة ولد في بعلبك بلبنان وتوفي بمصر سنة ١٩٤٩م وكان يلقب بشاعر القطرين. ص ٣١٢ ج ٢.

٨٤- رفيق بك العظم: عالم بحاث من رجال النهضة العلمية في سوريا ولد في دمشق نشأ مقبلًا على كتب التاريخ والأدب زار مصر في صباه ثم استقر بها. وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٥م. من كتبه: (أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة). (البيان في كيفية انتشار الاسلام).ص ٣٠



ج ٣.

٨٥- زينب فواز العاملي: أديبة مؤرخة ولدت في تبنين من قرى جبل عامل ببلاد الشام تعلمت بالإسكندرية وتوفيت بالقاهرة سنة ١٩١٤م.

من كتبها:

(الدر المنثور في طبقات ربات الخدور). وهو كتاب جليل القدر في تراجم مشاهير النساء قديمًا وحديثًا.

(الرسائل الزينبية). وهو مجموع مقالاتها المتنوعة في الأدب واللغة والاجتماع.

ولها أيضًا: (مدارك الكمال في تراجم الرجال) إضافة لثلاث روايات أدبية. ص ٦٧ ج ٣.

٨٦- عادل الغضبان: متأدب له نظم أكثره في المناسبات حلبي الأصل. سافر في صباه إلى القاهرة فتعلم بمعهد الآباء اليسوعيين وعمل في مطبعة دار المعارف وتولى تحرير مجلتها الكتاب. توفي بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م. ص ٢٤٣ ج ٣.

٨٧- عبدالرحمن الكواكبي: رحالة من الكتاب الأدباء ومن رجال الإصلاح الإسلامي ولد وتعلم في حلب وأنشأ بها جريدته الشهباء وجريدة الاعتدال. رحل إلى مصر بعد مضايقات واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٩٠٢م. له: (أم القرى) و(طبائع الاستبداد). وقد نشر د. عمارة دراسة عنه، ونشر أعماله الكاملة. ص ٢٩٨ ج ٣.

٨٨- الجوهري: عبدالرحمن بن إسحاق السدوسي: قاض كان فقيهًا حاسبًا عاقلًا ولد في «سر من رأى» وولي القضاء بمصر واستقر بها إلى أن مات سنة ٩٣٢م- ٣٢٠ هـ. ص ٢٢٩ ج ٣.

٩٠- الحافظ العراقي: عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن أبوالفضل زين الدين: بحاثة من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد ومولده في رازنان من أعمال إربل تحول مع أبيه صغيرًا إلى مصر فتعلم فيها ونبغ ورحل إلى الحجاز والشام ثم عاد إلى مصر واستقر بها إلى أن توفي سنة ٨٠٦ هـ = ١٤٠٤م.

له: (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار). وهو في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

وله كذلك الألفية في علم مصطلح الحديث وقد شرحها في كتابه (فتح المغيث).

وغيرها الكثير من الكتب في الحديث والسيرة. ص ٣٤٤ ج ٣.

٩١- القاضي الفاضل: عبدالرحيم بن علي بن السعيد اللخمي: وزير من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان بفلسطين وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وبها توفي سنة ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م. كان من وزراء صلاح الدين الأيوبي ومن مقربيه وكان يقول فيه (لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل) جمعت رسائله ومكاتبته في دواوين. ص ٣٤٦ ج ٣.

٩٢- العز بن عبدالسلام: الإمام عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي سلطان العلماء. ولد ونشأ في دمشق. ولي القضاء في مصر وتوفى بها سنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦٢م.

له: (الإلمام من أدلة الاحكام).

و(قواعد الأحكام في إصلاح الأنام) أو القواعد الكبرى ص ٢١ ج ٤.

٩٣- عبدالغني المقدسي: عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي: حافظ من حفاظ الحديث ومن العلماء برجاله. ولد في جماعيل (بالتشديد) قرب نابلس وانتقل صغيرًا إلى دمشق ثم رحل أصبهان والإسكندرية وتوفي بمصر سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م.

له: (الكمال في أسماء الرجال) في أسماء رجال الكتب الستة.

و(الدرة المضية في السيرة النبوية) و(عمدة الأحكام من كلام خير الأنام) وهو من أشهر كتب الأدلة الفقهية. ص ٣٤ ج ٤.

٩٤- عبدالقادر بن عبدالكريم الورديغي المغربي: فقيه مالكي نحوي فاضل وجاور بالأزهر في القاهرة إلى أن توفي سنة ١٣١٣ هـ =١٨٩٥م.

له: (سعد الشموس والأقمار وزبدة شريعة النبي المختار) وهو كتاب في فقه المذاهب الأربعة وهو مطبوع. وله رسالة في القضاء وغيرها من الكتب. ص ٣٩ ج ٤.

٩٥- عبدالقادر بن عمر البغدادي: علامة بالأدب والتاريخ والأخبار. ولد وتعلم وتأدب ببغداد وأولع بالأسفار فرحل إلى دمشق وأدرنه ومصر وجمع مكتبة نفيسة وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢ م. له (خزانة الأدب) وكتب غيرها في الأدب واللغة. ص ٤١ ج ٤.

٩٦- عبدالقادر بن مصطفى الرافعي: فقيه حنفي من علماء الأزهر. ولد في طرابلس الشام. تعلم بالأزهر وعلت شهرته في الفقه الحنفي حتى لقب بأبوحنيفة الصغير ولي إفتاء الديار المصرية قبل وفاته بثلاثة أيام. توفي بالقاهرة سنة ١٩٠٥م. ص ٤٦ ج ٤.

٩٧- القطب الحلبي: عبدالكريم بن عبدالنور بن منير الحلبي قطب الدين: من حفاظ الحديث حلبي الأصل والمولد مصري الإقامة والوفاة. توفي بمصر سنة ٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م.

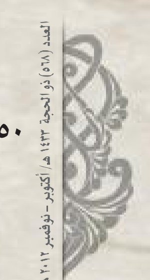
له: تاريخ مصر في بضعة عشر جزءًا. وشرح للسيرة النبوية للحافظ عبدالغني وشرع في شرح البخاري لكنه لم يتمه. ص ٥٣ ج ٤.

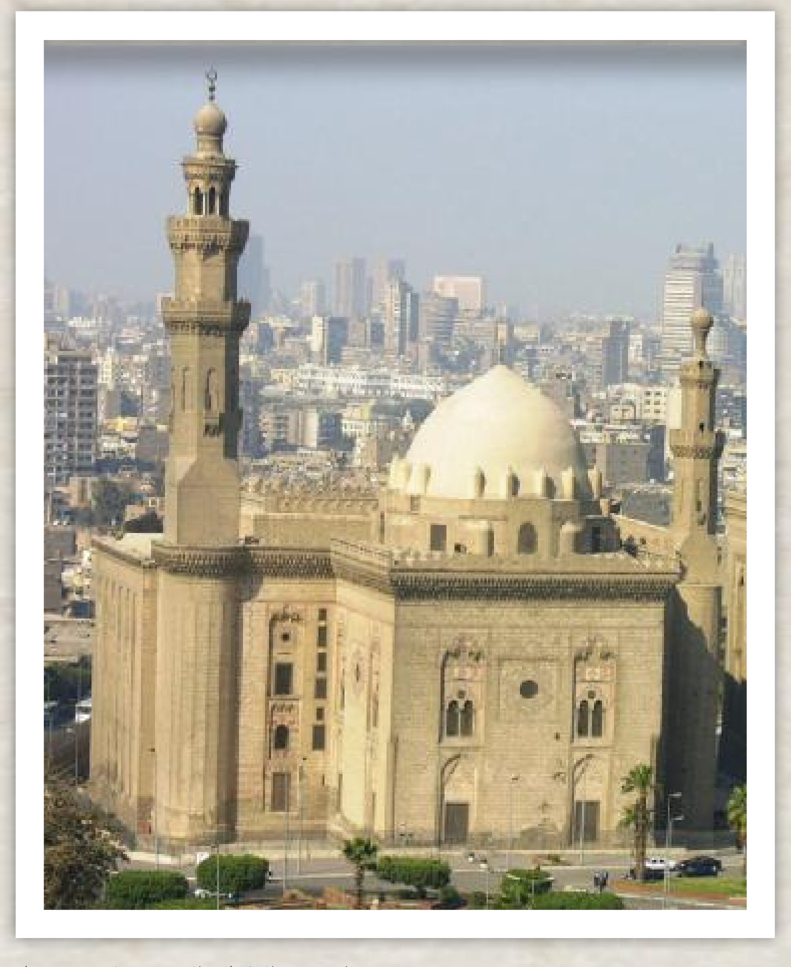
٩٨- ابن أبي جمرة: عبدالله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي أبومحمد: من علماء الحديث. توفي بمصر سنة ١٢٩٦م. من كتبه: (النهاية) اختصر به كتاب البخاري. وله (بهجة النفوس شرح مختصر البخاري) وهو كتاب مفيد مشتهر. ص ٨٩ ج ٤.

٩٩- الزيلعي المحدث: عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي جمال الدين: فقيه عالم بالحديث من الزيلع (في الصومال الآن) توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٠م. له: (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) في مذهب الأحناف وله أيضًا (تخريج أحاديث الكشاف) وهو غير الزيلعي شارح الكنز.

١٠٠- ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الخميري المعافري: مؤرخ كان عالمًا بالسيرة والأنساب وأخبار العرب. ولد ونشأ بالبصرة وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م.

وهو صاحب السيرة النبوية المشتهرة بسيرة ابن هشام. ص ١٦٦ ج ٤.





١٠١- القاضي عبدالوهاب البغدادي: قاض من فقهاء المالكية الكبار له نظم ومعرفة بالأدب. ولد ببغداد وتولي القضاء في أسعرد بالعراق ورحل إلى الشام فمر بمعرة النعمان واجتمع بأبي العلاء المعري وتوجه بعدها إلى مصر فعلت شهرته وتوفي بها سنة ٤٢٢ هـ = ١٠٣١ م.
من كتبه:
(التلقين) و(النصرة لمذهب مالك) وشرح المدونة و(الأشراف على مسائل الخلاف) ص ١٨٤ ج ٤.

١٠٢- الزيلعى الفقيه: عثمان بن على بن محجن فخر الدين الزيلعي: فقيه حنفي قدم القاهرة من بلاد الصومال سنة ٧٠٥هـ فأفتى ودرس وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ له: (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) في ست مجلدات و(بركة الكلام على أحاديث الأحكام) ص ٢١٠ ج ٤.

١٠٣- نور الدين الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي: مؤرخ أديب أصله من حلب. توفي بمصر سنة ١٠٤٤هـ = ١٦٣٥ م. من كتبه (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) المعروف بالسيرة الحلبية و(زهر المزهر) اختصر به المزهر في اللغة للسيوطي. وغيرها من الكتب. ص ٢٥١ج ٤.

١٠٤- ابن بلبان: علي بن بلبان بن عبدالله علاء الدين الفارسي المنعوت بالأمير: فقيه حنفي سكن القاهرة وتوفي بها سنة ٧٣٩ هـ = ١٣٣٩م.
له: (المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية) وأشهر كتبه (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) في تسع مجلدات. ص ٢٦٨ ج ٤.

١٠٥- ابن النفيس: علي بن أبي الحزم القرشي علاء الدين: طبيب محدث مكتشف الدورة الدموية الصغرى أصله من بلدة قرش (بفتح القاف وسكون الراء في ماوراء النهر) ولد في دمشق وتوفي بمصر سنة ١٢٨٨م. له مؤلفات في الطب والفلسفة والمنطق والحديث والسيرة منها:
(الموجز في الطب) اختصر به قانون ابن سينا.
(فاضل بن ناطق) على نمط حي بن يقظان.
شرح الهداية لابن سينا في المنطق.
(الرسالة الكاملية في السيرة النبوية) ص ٢٧١ ج ٤.

١٠٦- المسعودي: علي بن الحسين بن على أبوالحسن المسعودي: مؤرخ بحاثة رحالة من أهل بغداد قدم مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م. له: (مروج الذهب) و(التنبيه والإشراف) و(أخبار الامم من العرب والعجم). وغيرها من المؤلفات. ص ٢٧٧ ج٤.

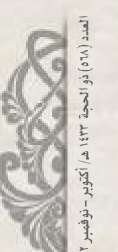
١٠٧- ابن العديم: عمر بن أحمد بن أبي جراوة العقيلي كمال الدين: مؤرخ محدث من الكتاب الأدباء. ولد بحلب وتوفي بها سنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦٢ م. له: (بغية الطلب في تاريخ حلب) و(دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري). ص ٤٠ ج ٥.

١٠٨- عيسى منون: الشيخ الفقيه الأزهري درس في الأزهر وكان شيخًا لرواق الشوام ومن هيئة كبار العلماء صنف كتبًا منها (نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول). توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م. ص ١٠٩ ج ٥.

١٠٩- ابن جماعة: محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي بدرالدين: قاض من العلماء بالحديث ولد في حماة وولي الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر ثم الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي وتوفي بمصر سنة ٧٣٣هـ =١٣٣٣ م. من كتبه:
(المنهل الروي في الحديث النبوي) و(كشف المعاني في المتشابه من المثاني) و(تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم). وغيرها من المؤلفات. ص ٢٩٧ ج ٥.

١١٠ -القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبدالله من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة استقر في منية ابن الخصيب (المنيا حاليًا) وتوفي بها سنة ٦٧١ هـ = ١٢٧٣م. من كتبه: (الجامع لأحكام القرآن) وهو المعروف بتفسير القرطبي و(الأسنى في شرح الاسماء الحسنى) و(التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وغيرها من المؤلفات النافعة المفيدة. ص ٣٢٢ ج ٥.

١١١- الامام الشافعي:
محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبوعبدالله: أحد الأئمة الأعلام وأحد أذكياء الدنيا. واضع علم أصول الفقه وأحد الأئمة الأربعة. ولد في غزة هاشم بفلسطين



سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م وقبره بها معروف مشتهر . ص ٢٦ ج ٦.

١١٢ -محب الدين الخطيب: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق وتعلم بها وبالأستانة ثم رحل إلى مصر وأنشأ بها مجلتيه (الزهراء- الفتح) من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين بها. تولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها. له: (ذكرى موقعة حطين) و(الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه) وكتب أخرى. ص ٢٨٢ ج ٥.

١١٣- الخانجي: محمد أمين بن عبدالعزيز: كتبي عالم بالمخطوطات وأماكن وجودها. ولد في حلب ثم انتقل إلى القاهرة سنة ١٨٨٥م فأنشأ بها مكتبة الخانجي التي ساهمت في نشر عيون ودرر ونوادر تراثنا العربي. توفي بالقاهرة سنة ١٩٣٩م. ص ٤٤ ج ٦.

١١٤- محمد حبيب الله بن عبدالله بن مايابى الشنقيطي: عالم بالحديث ولد وتعلم بشنقيط رحل إلى مراكش والحجاز ثم استقر بمصر مدرسًا في كلية أصول الدين بالأزهر وتوفي بها ١٩٤٤م. من كتبه: (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) و(دليل السالك إلى موطأ مالك) و(هداية المغيث في أمراء الحديث) ص ٧٨ ج٦.

١١٤- محمد الخضر حسين: عالم أديب باحث يقول الشعر من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة. ولد بنفطة بتونس درس بالزيتونة وعمل بها مدرسًا ثم رحل إلى دمشق والأستانة وبرلين استقر بدمشق ثم تركها إلى مصر لاحتلال الفرنسيون لها. نال شهادة العالمية من الأزهر ثم صار عضوًا في هيئة كبار العلماء ثم بعدها عين شيخًا للأزهر. توفي سنة ١٩٥٨م بالقاهرة. ص ١١٣ ج ٦.

١١٥- محمد زاهد الكوثري: فقيه حنفي جركسي الأصل ولد بقرية شرق الأستانة وتعلم في جامع الفاتح ودرس فيه. اضطرته الظروف إلى السفر إلى مصر تنقل بينها وبين الشام ثم استقر في مصر موظفًا في دار المحفوظات. كانت له معرفة بالغة بالمخطوطات ونوادر المطبوعات ونشر الكثير من الكتب بتحقيقه وعنايته وتقديمه. توفي بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م. ص ١٢٩ ج ٦.

١١٦- محمد بن عمر التونسي: أديب من أهل تونس استقر بمصر وتوفي بها سنة ١٨٥٧م. من مؤلفاته: (الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية) و(تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد المغرب والسودان). ص٣١٨ ج ٦.

١١٧- مرتضي الزبيدي:
محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي: علامة اللغة والحديث والرجال والأنساب: من كبار المصنفين أصله من واسط بالعراق ومولده بالهند في بلجرام ومنشأه في زبيد باليمن ووفاته بمصر سنة ١٧٩٠م = ١٢٠٥هـ له (تاج العروس في شرح القاموس) وهو من أهم كتب اللغة اهتمت بنشره دولة الكويت. و(إتحاف السادة المتقن شرح إحياء علوم الدين للغزالي) وغيرها من الكتب. ص٧٠ ج٧.

١١٨- محمد محمود بن التلاميد بن محمد التركزي الشنقيطي:
المشتهر بابن التلاميد: علامة عصره في اللغة والأدب شاعر أموي النسب. ولد في شنقيط وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٠٤م. عمل مع الإمام محمد عبده في نشر درر التراث العربي. له الحماسة السنية في الرحلة العلمية. وتصحيح الأغاني وغيرها من المؤلفات. ص ٨٩ ج ٧.

١١٩- الطرطوشي:
محمد بن الوليد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي أبوبكر الطرطوشي: أديب من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشة بشرق الأندلس رحل إلى الإسكندرية واستقر بها إلى أن توفي سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦م. له (سراج الملوك) واشتهر به وله كتب غيره. ص ١٣٣ ج ٧.

١٢٠- أبوحيان النحوي الأندلسي:
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني من كبار علماء العربية والتفسير والحديث والتراجم. ولد في إحدى نواحي غرناطة ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي بها سنة ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م. من مؤلفاته: (البحر المحيط) في التفسير ومختصره (النهر الماد) و(طبقات نحاة الأندلس) وغيرها من الكتب. ص ١٥٢ ج ٧.

١٢١- محمد رشيد رضا القلموني البغدادي الأصل صاحب ومنشئ مجلة المنار تلميذ الإمام محمد عبده وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ولد في القلمون إحدى قرى طرابلس الشام رحل إلى مصر واستقر بها وأصدر مجلته المنار بها وأنشأ مدرسة لإعداد الدعاة بها. توفي بمصر سنة ١٩٣٥م. له: تفسير المنار وتاريخ الإمام محمد عبده في ثلاثة مجلدات. ص ١٢٦ ج ٦.

١٢٢- مصطفى صبري:
من علماء الحنفية فقيه باحث تركي الأصل والمولد والنشأة ولد في توقات وتعلم بقيصرية في الأناضول وعين مدرسًا في جامع الفاتح بإستنبول ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية وقاوم الحركة الكمالية وبعد الحرب العالمية الاولي هاجر إلى مصر بأهله سنة ١٩٢٢م واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٩٥٤م.
من مؤلفاته: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) و(موقف البشر تحت سلطان القدر) وكتاب في أحكام الطلاق. ص ٢٣٦ ج ٧.

١٢٣- خير الدين الزركلي:
خيرالدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي: ولد في بيروت ونشأ بدمشق: شاعر أديب عمل سفيرًا للدولة السعودية بالقاهرة واستقر بها وألف فيها كتابه (الأعلام) الذي يعد من أهم كتب التراجم في العصر الحديث. وكان هو العمدة في جمع هذه التراجم. توفي رحمه الله بالقاهرة سنة ١٩٧٦ م.



من مناهل الأدب: «البيان والتبيين» لؤلوة الجاحظ

د.محمد حسان الطيان
منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة
عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

البيان والتبيين للجاحظ أحد الموارد التي يستقي منها الأدب، وتكتسب بها الفصاحة، وترتقي بها اللغة، فكم استقامت به ألسنة.. وكم استوت به ملكات، وكم ارتقت عليه أذواق.

ولا غرو، فهو أحد دواوين الأدب التي ذكرها ابن خلدون في كلمته المشهورة: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها»(١).

والحق أن هذا الكتاب يجمع أفانين الأدب المختلفة، فتجد ما شئت من شعر جميل، ونثر بديع، وخطب فصيحة، وأمثال سائرة، وحكم بليغة، تتوجها آيات بينات من الكتاب العزيز، وأحاديث نضرة من كلام سيد الفصحاء ﷺ.

ويسوق كل ذلك بأسلوبه الأخّاذ سيد من سادات البيان في تاريخنا الأدبي المشرق هو الجاحظ، وناهيك به أميرًا من أمراء البيان، وفارسًا من فرسان الفصاحة والبلاغة والأدب.

ويكفي في التدليل على أهمية الكتاب وقيمته ومكانته أن أورد بعض ما قيل فيه، وأن أقتبس نصوصًا منه.



قالوا في البيان والتبيين..

١- قال المسعودي في مروج الذهب: وكتب الجاحظ -مع انحرافه المشهور- تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان؛ لأنه نظمها أحْسَنَ نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أجْزَلَ لفظ، وكان إذا تخوّفَ مَلَلَ القارئ وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة، وله كتب حسان منها: كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغُرَرَ الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به(٢).

٢- وقال الصفدي في نصرة الثائر على المثل السائر:

وحسبك بكلام يثني عليه أبوعثمان عمرو الجاحظ، وهو من أحذق أئمة الأدب، وأعرفهم بما يقول، وأبصرهم بمدارك العقول، وقوله في مثل هذا حجة، وما قرره في الأبيات هو المحجة.

وما أحسن قول القاضي الفاضل: وأما الجاحظ -رحمه الله- فما منا معاشر الكتاب إلا من دخل من كتبه الحارة، وشن الغارة، وخرج وعلى الكتف منها كارة.

وقد أولع الفاضل رحمه الله بذكره في ترسله، وذكر تصانيفه، ولو لم يكن له في كتب الأدب إلا كتاب البيان والتبيين لكفاه ذلك فخرًا.

ويقال: مما فضل الله به أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم، عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسياسته، والحسن البصري بعلمه، والجاحظ ببيانه(٣).

٣- وقال الطناحي في مقاله أجمل كتاب في حياتي البيان والتبيين للجاحظ: ويبرز من بين مؤلفات الجاحظ كتابه البيان والتبيين معلمًا ضخمًا من معالم كتب العربية، وبابًا واسعًا من أبواب الفكر العربي.

ولهذا الكتاب في حياتي أثر ضخم، فهو الذي قادني إلى كتب الجاحظ الأخرى، فقرأتها كلمة كلمة، ولم أتعامل معها تعامل المراجع الخاطفة، ثم هو الذي جذبني إلى كتب العربية الأخرى، ومن قبل ذلك ومن بعده فهو الذي أذاقني حلاوة البيان العربي، وهو الذي هداني إلى هذه الأنغام الجليلة الفخمة المترقرقة من مختار الكلام: شعرًا موزونًا معقودًا بقواف محكمة، ونثرًا مصقولًا مسنونًا يتهادى بالحرف العربي مشرقًا وضيئًا متسقًا؛ لينصبّ في السمع، ويتولّج في القلب، فيحدث تلك النشوة الغامرة، ويُمتع بذلك الطرب المؤنس الودود(٤).

نصوص من البيان والتبيين

أ- مقدمة الكتاب:

قال أبوعثمان عمرو بن بحر، رحمه الله:

اللهمّ إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السّلاطة والهذَر، كما نعوذ بك من العيّ والحَصَر.. وقديمًا ما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما(٥).

ب- مقولات في التذوق والنقد:

١- أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه(٦).

٢- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك(٧).

٣- رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ.. والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه(٨).

ج – وصف رائع للبيان النبوي:

وأنا ذاكرٌ بعد هذا فَنًّا آخرَ من كلامه ﷺ:

«وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلّ عن الصّنعة، ونُزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى، قل يا محمد: ﴿وما أنا منَ المتكلّفين﴾ (ص: ٨٦).

فكيف وقد عابَ التشديق، وجانب أصحاب التقعيب(٩)، واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصورَ في موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشيّ، ورغبَ عن الهجين السّوقيّ، فلم ينطقْ إلا عن ميراث حكمَة، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصْمة، وشُيّد بالتأييد، ويُسّرَ بالتوفيق.

وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ، وغشّاهُ بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَيْن حُسن الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته.

لم تسقط له كلمة، ولا زَلّت به قَدَم، ولا بارَتْ له حجّة، ولم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَبَ الطّوال بالكلم القصار.

ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصّدق ولا يطلب الفَلْج(١٠) إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة(١١)، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يَلْمز(١٢)، ولا يبطئ ولا يُعجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر(١٣).

ثم لم يَسْمع الناسُ بكلام قَطّ أعمّ نفعًا، ولا أقصَدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزنًا، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرَم مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه ﷺ»(١٤).

د – فن التمثيل في زمن الجاحظ:

ومع هذا إنّا نجدُ الحاكية من الناس يَحكي ألفاظَ سُكان اليَمَن مع مَخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئًا، وكذلك تكون حكايتُه للخُرَاسانيّ والأهوازيّ والزّنجي والسّنديّ والأجناس وغير ذلكَ، نعم حتّىَ تجده كأنه أطْبَعُ منهم، فإذا ما حَكى كلامَ الفأفاء فكأنما قد جُمعَتْ كلُّ طُرْفَة في كل فأفاء في الأرض في لسانٍ واحد، وتجدُه يَحكي الأعمى بصُوَر يُنشئها لوجهه وعينيه وأعضائه، لا تَكاد تجد من ألف أعْمَى واحدًا يجمع ذلك كله، فكأنّه قد جَمَع جميعَ طُرَف حركاتِ العُميان في أعمَى واحد.

ولقد كان أبو دَبُّوبة الزّنجي، مولى آل زياد، يقف بباب الكَرْخ بحضرة المُكَارين، فينهقُ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرِم حسيرٌ، ولا مُتعَبٌ بهيرٌ إلا نَهَقَ، وقبل ذلك تسمع نَهيق الحمار على الحقيقة، فلا تنبعث لذلك، ولا يتحرّك منها متحرّك حتّى كانَ أبو دبُّوبة يحرّكه، وقد كان جَمَعَ جميعَ الصور التي تجمع نهيقَ الحمار فجعَلَها في نهيق واحد، وكذلك كان في نُباح الكلاب.

ولذلك زعمت الأوائلُ أنّ الإنسانَ إنما قيل له: العالَمُ الصغيرُ سليلُ العالَم الكبير: لأنّه يصوّر بيديه كلّ صورة، ويحكي بفمه كل حَكاية، ولأنّه يأكلُ النّباتَ كما تأكل البهائم، ويأكل الحيوانَ كما تأكل السّباع، وأنّ فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالًا(١٥).

الهوامش

١- مقدمة ابن خلدون، ٣/١٢٧٧-١٢٧٨.
٢- مروج الذهب، ص١٩٥.
٣- نصرة الثائر على المثل السائر، ص١٤٠.
٤- مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ٢/٥٢٧.
٥- البيان والتبيين، ١/٣.
٦- البيان والتبيين، ١/٨٣.
٧- البيان والتبيين ١/١١٥.
٨- البيان والتبيين ١/٤٤.
٩- التقعيب كالتقعير، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه.
١٠- الفوز والظفر.
١١- الخلابة: المخادعة.
١٢- الهمز: العيب في الغيبة. واللمز العيب في الحضرة.
١٣- من الحصر وهو العي في الكلام.
١٤- البيان والتبيين. ٢/١٦-١٨.
١٥- البيان والتبيين. ١/٦٩-٧٠.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٤)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

في زمن طارت الفصاحة فيه من الأفواه مِثْل جرادة العيّار*، حتى أصبحنا نَعْلُكُ العربية الفصحى علك اللِّجام، ولم يعد لسيبويه وأمثاله من المُخضْرمِينَ وزْنٌ، ولا للحذاقة والفصاحة وجود. أضع بين أيدي القراء هذه الحلقة اللغوية الرابعة، منبِّها إلى أن الإعراض عن العربية الفصحى، لم يكن قط من سيِّئات هذا العصر، يَشْهد على ذلك كتبُ «لحْنِ العامّة» التي تنُوف عن أربعة وثلاثين كتابا، بدءًا من كتاب «ما تلحن فيه العامة» لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى ١٨٩ هـ، مرورا بكتاب «لحن العامة» لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي المتوفى ٣٧٩ هـ، وكتاب «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي المتوفى ٥٠١ هـ وكتاب «تقويم اللسان» لأبي الفرج



عبدالرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ، انتهاءً بتيسيرات المحدثين أمثال الشيخ إبراهيم اليازجي، والشيخ عبدالقادر المغربي، والشيخ مصطفى الغلاييني، والشيخ عباس أبوالسعود، والأب أنستانس الكرملي، والشيخ إبراهيم السامرائي، والشيخ أحمد مختار عمر، والشيخ شوقي ضيف رحمهم الله، وغيرهم ممّنْ يُرْهِق تتبعهم ويُتْعب، مِنَ الذين حاولوا إسعاف العربية الفصحى من هذا الوباء الفتاك الذي أدخل عليها الشطط، وترك عليها ندوبا قد رُمّتْ على فساد، وسوء فهم مفضِيَيْن إلى اختلال المعاملات، كنتيجة حتمية لغموض واضطراب ما تقوله تلك الكلمات التي نُلْقيها جزافا من دون أن ندرك ضيْمَها وخَطَلَها على شاكلة هذه العبارة؛ التي توظف لفظة قرآنية في غير منزلتها ودلالتها التي ترتضيها: «لقد حوكم الظالم أمام الملإ» وهم يريدون أنه حوكم أمام الجمهور، أو أمام عامة الناس ورعاعهم. وهذا مخالف للصواب المراد، لا ترتضيه ولا تقبله لغة القرآن الكريم، الذي يُعدُّ الحافظ الأمين لعروة العربية الوثقى، لا انفصام لها، ولا تصحيف، ولا تحريف، مادام هو الضامن الذي يُقلِّد لغتنا الجميلة قلائد الفضل، التي تجعلها تجُرُّ أذيال الفخر على باقي اللغات وتخْرس شقاشِقها.

فعلى الرغم من إدراكنا أن دلالة الكلمة ليست ثابتة في كل الأماكن التي تستعمل فيها، ولا تختَصُّ بمعنى قارٍّ، لأن دلالتها تُحَدَّد بضميماتها وعلاقاتها مع جاراتها من الكلمات التي تُغَيِّر أرْدِيَّتها مثل الألفاظ الآتية التي استعملها القرآن الكريم بدلالات عديدة حسب سياق ورودها (قضى، وكلمة، وروح، وقرن، وأمة...) فإن صيانة العربية وتنقيتَها من الشوائب، ومَعْيَرتَها حتى لا تنفلت الدلالة إلى حدود مارقة لم نسمع بمثلها في الأولين والآخرين، الذين يوزن لهم الرأي ويؤتَمُ بهَدْيِهم، أنْهضَني إلى تخطئة هذه العبارة بالشواهد المُخْرسة التي لا تترك شعاعا من الحَمْلِ على أي مذهب تيْسيري على هذه الشاكلة:

لقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة «الملأ - ملئه - ملئهم - ملأه» ثلاثين مرة تدل كلها على سادة القوم وخاصتهم من أهل المشورة، مثل قوله تعالى من سورة النمل آية ٣٢: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي...﴾ وقوله تعالى من سورة ص آية ٦٩: ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ وقال ابن منظور في اللسان: «والملأ: الرؤساء، سموا بذلك لأنهم مِلاءٌ بما يحتاج إليه. والملأ، مهموز مقصور: الجماعة، وقيل: أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدّموهم، الذين يرجع إلى قولهم... ويروى أن النبي ﷺ، سمع رجلا من الأنصار وقد رجعوا من غزوة بدر يقول: ما قتلنا إلا عجائز صُلْعًا، فقال عليه السلام: «أولئك الملأ من قريش، لو حضرت فِعالهم لَاحْتقرتَ فِعلكَ؛ أي أشراف قريش...»(١) الملأ إذن هم عِلْيَة القوم، والجمع أملاء. تأسيسا على هذه الشواهد التي تقطع دابر أي معترض، فإن العبارة الآنفة يجب طردها من حظيرة الفصحى لأنها تُدْخِل سوء الفهم إلى لغة القرآن. لذا يجب أن نستبدل بها العبارة الآتية إذا كنا نقصد حضور عامة الناس وجمهورهم: «لقد حوكم الظالم أمام الجمهور، أو أمام عامة الناس».

---

* جرادة العيار: العيار رجل مستعجل في أكل جرادة مشوية. ولما وضعها في فمه، أحرقته ثم طارت، فضرب به المثل.

١ - لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. المجلد الأول. باب الهمزة فصل الميم. ص ١٥٩. الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤، دار صادر بيروت.



رسالة إلى الريح الصقيع!

د. محمد بابا عمي - أكاديمي جزائري

ليلا نزلتَ..
عند اشتداد الظلمة حللتَ..
مع عواء الذئاب سريتَ..
وفي جحور الخفافيش انتشيت..
حملتُ ريشتي لأكتب لك «احتجاجا»، أو بالأحرى، لأخطّ عنك «مرافعةً»..
فتصلّبت أصابعي بسببك..
أصلًا، كلُّ شيء يتصلّب في حضرتك..
ألستَ الذي تهجم على الأكواخ والبيوت والقصور، فتملأها حقدًا وحنقًا، فتغير قلب الزوج على زوجته، وتنفّر الابن عن والده؟!
ألستَ الذي تيتّم الأيتام مرّتين، وترمّل الأرامل فتّرتين.. فتزيد على حرمانهما حرمانًا أشدّ، ولا تبالي؟!
ألستَ مَن حوّلتَ وطننا «دشرةً» للمتصيّدين والعملاء، فأغريت البعض منّا على البعض الآخر، وسكبت روح الانتقام على القلوب، حتى بات الإخوة يكيدون لإخوتهم.. بلا حنوّ ولا رحمة؟!
لا تغترّ، أيها الريح الصقيع، فعمرك قصير وحُلمك حقير، وظهرك قصيم، وغدك جحيم..
مِن هنالك..
مِن فوق هضبة بلدتي..
من شامخ القمم..
من غَوَر القلب الرحيم..
من جذور الفكر الحكيم..
مِن هنالك.. يلُوح لي شعاعٌ من النور، ويلوّح لي طيف من الجنة، معلنا بأوضح عبارة:
«نعم، أحلكُ وقت للظلام هو في الوقت نفسه بشائر أنوار الفجر. والليل يحمل جنين نور النهار، ويحمل بردُ الشتاء وثلجُه جنين الربيع»..
غدًا، ستشرق الشمس يا ولدي..
غدًا، سيعمٌ الدفء يا بلدي..
غدًا.. هو لنا، هو خالصٌ للقلوب المؤمنة الضارعة، وهو رهنُ إشارة الأفئدة المفعمة بالحب والصدق والصفاء، إنه ملك «العقل والمعقولية» بلا منازع..
غدًا.. هو حاضنٌ للقرآن، معانق للإيمان، ملازم للبيان..
آه لو تعرفون.. آه لو تصبرون.. بضع ساعات فقط، لا أكثرَ.. سيحلُّ الفجر..
أجل، سيسود الفجر.. وإن يك فجرًا كاذبًا، فالفجر الصادق يعقبه.. لكنه لن يجيء أبدًا إذا أنتم استعجلتم وتهالكتم، لن يأتي أبدًا إذا أنتم تقاعستم وتكاسلتم..
أمّا إذا تشرنقتم وتمزّقتم، فسيعود الزمن إلى الوراء، وسيسير القهقرى؛ ويقينًا سيطول ليلكم، بل ليلنا.. وليلُ البشرية بقدّها وقديدها..
يا بطلَ الحقيقة، يا جيل الأمل، يا أحبتي.. يا شباب العشرة والعشرين حولًا.. باختصار، أنتم طيف الأمل، مِن مُهجكم سيغدو الليل قصيًّا، وسيكون النهار دنيًّا.. بكم فقط، لا بغيركم..
فلا تبدّدوا لحظة واحدة في التفاهات والسخافات والحماقات..
صِلوا الثانية بالثانية، والثالثة بالثالثة.. في نسج خيوط المستقبل، بلا توانٍ ولا تلكؤ..
ثقوا في أنفسكم، فنحن جميعنا ثقة فيكم..
لا تصغوا لمن سوّد خاطركم، ولا تكترثوا بمن وضع أمامكم علامة السلب «ناقص»، فلم ير فيكم سوى الخراب والسراب..
لا تبدّدوا.. صِلوا وثِقوا.. لا تصغوا



ولا تكترثوا.. لكن، ارحموا، ووقروا، واحترموا، فكلٌّ من عاش قبلكم أحبّكم؛ حتى الذي سبّكم- يومًا- إنما فعل ذلك حبًّا لكم؛ غير أنه لم يدرك ولم يع كيف يعبّر عن كوامنه.. أمِن العقل أن تُردّ هديته على وجهه، حتى وإن جاءت نتنة منتنة؟!

أيها الريح الصقيع.. خطابي لك كلماتٌ وعباراتٌ، وخطاب جيل البطولة سيكون بالعمل، وبالحركة، وبالإبداع، وبالتفاني.. سيكون كلامهم فعلًا، وفعلهم فعلًا.. وسيعلم الذين ظلموهم «أيّ منقلب ينقلبون».. بل سيقال لهم رغم أنفهم: «انتظروا إنا منتظرون»..

أيها الريح الصقيع.. لا تنتظر مني رسالة.. ولا احتجاجًا.. ولا مرافعة.. فقد ولّى «زمن التنديد»، ولن يعود.. بحول الله لن يعود.. ذلك أنّ الفعل غدًا هو الجواب، وشبابنا اليومَ هم فصل الخطاب..

أمّا أنا، فحسبي أني قرأت فجر هذا اليوم قوله تعالى ﴿ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتخذه وكيلًا﴾، فجفّ حلقي، وهطل كالشلال عرَقي.. وقلت: «إذن، اللهُ تعالى، ينتظر مني اللحظة، أن أتخذه، وأجعله وكيلًا لي؟! لكن، ما بالي تردّدتُ، وما دهاني فسوّفت؟!»..

وحينها تجمّلت، وتشجّعت، فقلت: ياربِّ، وكّلتك.. أنت وحدَك وكيلي.. أنت سبحانك حسبي.. اللهمّ اهزم بقدرتك الصقيع الذي أطال ليل أمّتي.. وابعث من جيل الأمل خالدا، وصلاح الدين، والفاتح.. آمين.. آمين.. آمين..

فاستغرقتُ في البكاء.. حتى غرقتُ في محيطات دمعي.. أملًا مشرقًا، وفجرًا جديدًا..

وقفتُ هناك في عرفة

نجاح عبدالقادر سرور- شاعر مصري

وقفتُ هناك في عرفة

أناجي الله في لهفةْ
دموعي كل عنواني
وأرجو العفو والرأفة

وقفتُ هناك في عرفة

رفعتُ إليه كَفّيّا
ودمعي ملء عينيّا
يزلزل بالهدى فيّا
وتاجي الطُّهر والعِفة

وقفتُ هناك في عرفة

أطهّر ها هنا قلبا
أناجي بالتقى ربّا
لساني لم يزل رطبا
بذكر الله في أُلفة

وقفتُ هناك في عرفة

يطير القلب تَحنانًا
لكعبتنا وأقصانا
لِطيبةَ ثم قُدسانا
فؤادي صار في لهفة

وقفتُ هناك في عرفة

جعلت القلب لاثنين
فؤادي صار نصفَين
أرى في النصف حرَمَيْن
وفي الأقصى أرى نصفَهْ

وقفتُ هناك في عرفة

أنا الإسلام لي فَخري
نبيِّي سيد البشَرِ
وأنوار الهدى قصري
وديني البحر والضفّة

وقفتُ هناك في عرفة

أنا الإسلام ربّاني
على حُبّ وإيمانِ
ربيعي آيُ قرآني
وفِعْل الخير لي حِرفة

وقفتُ هناك في عرفة



بلاغة الإمتاع في الأدب الإسلامي القديم

عبداللطيف خروبة - أديب مغربي

لقد تعرض ديوان الأدب الإسلامي القديم إلى نوع من الإهمال والتهميش، فالعديد من النقاد والدارسين قديمًا وحديثًا انصبَّ اهتمامهم على الأدب في العصر الجاهلي والأموي والعباسي، ويقفزون على الأدب الإسلامي، وحتى حين يعرضون له فإنهم ينصرفون إلى جانب الإيقاع والمبنى ويتركون المعنى، لأنه في نظرهم لا يرقى إلى المستوى الذي عهدوه في الأدب الجاهلي والأموي والعباسي، فالمعْنى الذي كان يُؤخذ بعين الاعتبار عندهم هو المعنى الكاذب، ولذلك سادت عندهم مقولة: «أعذب الشعر أكذبه»؛ إلا أن المتأمل في معاني الأدب الإسلامي القديم يجدها عكس ما ذهب إليه أولئك، فهو أدب ممتع جميل.

وهذه المقالة تسعى إلى سبر أغوار بلاغة الإمتاع في معاني هذا الأدب، ممثلًا في الشعر الذي قيل في صدر الإسلام ، فما هي بلاغة الإمتاع؟ وما هي تجلياتها في معاني ومضامين أدبنا الإسلامي القديم؟

بلاغة الإمتاع هي التأثير الفني الجمالي الذي يخلفه النص الإبداعي في نفسية المتلقي وذوقه، وبلاغة الإمتاع لا تقوم فقط على أساس إثارة المتلقي عبر الانزياح، وخرق المألوف في اللغة على مستوى دلالة الكلمة أو التركيب النحوي والبلاغي أو الإيقاعي، وإنما تكون أيضًا على صعيد المعنى الذي يتضمنه النص في مختلف الأغراض والموضوعات.

إن تجربة الأديب الإسلامي القديم لم تكن تعاني نقصًا ولا ارتباكًا، لأنها تجربة تمتح من فيض الإسلام ونوره، فالدين الإسلامي فعلٍ الحركة الأدبية عامةً والشعرية خاصةً، ذلك أن القرآن الكريم نقل الشعرية العربية إلى درجة راقية في الإبداع لم تكن من قبل، فالقرآن الكريم أنتج آفاقًا واسعة أمام الشعراء لإبداع كتابة شعرية جديدة تمتح من بيان ومعاني النظم الرباني (١)، وبذلك فإن المعاني الشعرية لها تأثيرها الجمالي ومتعتها، وهذه المتعة تتأسس على الإسلام وما جاء به من تعاليم ومفاهيم وتصورات جديدة مغايرة للمألوف، وما يحمله من رؤى جديدة إلى الكون والحياة، فالإسلام فتح المواهب المؤمنة الصادقة، المتحررة من قيود الجاهلية، في الإبداع الشعري.. فالحياة الدنيا عند الأديب المسلم أصبحت هينةً، والكون كله يسبح بحمد الله عز وجل، والجمال يتجلى حين ينفع الشعر في ردع قيمة رديئة، وحين يساعد على إبراز القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة، أو حين يعمل على نصرة العقيدة، فجمالية المعنى تتحدد فيما يتضمنه الشعر من قيم وآداب(٢)، وحين يصبح الشعر داعمًا للدعوة إلى الإيمان، ويمسك بيد الإنسان ليقوده إلى الحق والخير والنور.

إن الأدب الإسلامي ممتع في كل أغراضه وموضوعاته ومعانيه، فهو من الجوانب المهمة التي تحصل بها بلاغة الإمتاع، ذلك أنه يحمل الروح الإبداعي وجوهره(٣).. فبالنظر إلى الفخر نجده خاليًا من الوهم والخيال والادعاء، يقول الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه مفتخرًا بقومه الذين فضلوا اتباع الهدى الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم يطيعون أوامره وينتهون عما نهى عنه، ولا يعترضون عليه أبدًا:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

إنهم جادون في نصرة النبي ﷺ في كل الظروف والأحوال

أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم
فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا(٤).

وهذا كعب بن مالك يفتخر باتباع قومه الأنصار أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم يجاهدون تحت لوائه غير مبالين بالعدو، جاعلين من أجسامهم حصنًا منيعًا له

وفينا رسول الله والأوس حوله
له معقول منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه
يمشون في الماذي والنقع ثائر(٥).





ومن الأبيات الجميلة في الفخر هذه الأبيات التي أنشدها عبدالله بن رواحة بين يدي النبي ﷺ، فابتسم عليه الصلاة والسلام عند سماعها:

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا
حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلًا ما له غير(٦).

أما المديح فإن ما يميزه عن الشعراء الإسلاميين الأوائل هو خلوه من الكلام المغلوط، أو بما لا ينطبق على الممدوح، فقد كان مديحًا حافلًا بالمعاني السامية والصفات السمحة وخاصة إذا تعلق الأمر بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول حسان بن ثابت مادحًا قومه الأنصار الذين اجتمعوا تحت قيادة النبي ﷺ في الوقت الذي تفرق الناس وراء الأهواء المختلفة:

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلبٌ يؤازره
فيما يحب لسان حائك صنع (٧)

ويقول مادحًا خير البرية معتبرًا ما يقوله من أحكام لا يمكن رده بأي حال من الأحوال، لأن كلامه ينور العباد:

مبارك كضياء البدر صورته
ما قال كان ضياء غير مردود (٨)

وما قيل عن المدح والفخر يمكن أن يقال عن الهجاء، فالشاعر الإسلامي لم يستعمل المعاني الساقطة ولا الأوصاف التي لا وجود لها في الشخص الذي يهجوه، يقول كعب بن مالك في هجاء بني النضير يوم أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة لما خانوا عهده وغدروا به:

لقد خزيت بغدرتها الحبور
كذلك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب
عزيز أمره أمر كبير (٩)

ويعتبر الشاعر ذلك جزاءً مناسبًا لهم، لأنهم خانوا خير البرية، وهذا كلام حق لا كذب فيه ولا مبالغة ولا بهتان:

فلما أشربوا غدرًا وكفرًا
وحاد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق
وكان الله يحكم لا يجور(١٠)

وهذا حسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه، بعد أن هجا النبي عليه الصلاة والسلام، وأعلن الحرب ضده، ويصفه بالخواء الروحي، وهذا يجعله لا يساوي شيئًا، عديم الوزن والقيمة:

ألا أبلغ أبا سفيان عني
فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمدًا فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء (١١)

الرثاء: إن الرثاء تعبير عن الحزن فالعين تدمع والقلب يخشع ولكن من غير لطم الخدود، ولا شق الثياب أو ضرب الرؤوس كما كان يفعل الجاهليون، وقد خص الشعراء في عصر صدر الإسلام برثائهم رسول الله بعد وفاته، والصحابة رضوان الله عليهم، وكذا ذويهم وأهاليهم وخاصة المؤمنين منهم، يقول كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبدالمطلب وقتلى غزوة أحد، مشيدًا بأخلاقه النبيلة، ويبشره بمصيره في الجنة، جزاء الصبر وطاعة الرسول، فالحياة ليست ضيقة كما يراها الجاهليون، وإنما صارت واسعة رحبة، وهذا لا يدركه إلا المؤمن بالله:

فقلبك من ذكرهم خافق
من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم في جنان النعيم
كرام المداخل والمخرج (١٢)

وهذا عبدالله بن رواحة يرثي حمزة الذي كان لاستشهاده في غزوة أحد، وقع شديد على نفس النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أن موته فاجعة أصابت المسلمين جميعًا، ويذكر خلاله الحميدة رضي الله عنه:

بكت عيني وحق لها بكاها
وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا
أحمزة ذاكم الرجل القتيل؟
أصيب المسلمون به جميعًا
هناك وقد أصيب به الرسول(١٣)

ويدعو له بالجنة ويواسي الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا المصاب الجلل، لأن الموت فرض على كل إنسان، وهو قضاء لا راد له، ولا شيء أمام المسلم إلا التسليم للقضاء:

عليك سلام ربك في جنان
مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبرًا
فكل فعالكم حسن جميل(١٤)

وللمرأة المسلمة مساهمات شعرية تتميز بجمال معانيها في هذا الباب، فهذه صفية بنت عبدالمطلب ترثي أخاها حمزة رضي الله عنه، ورغم الحزن ولوعة الفراق، تبدو راضية بالقضاء، بل ترى في شهادته عزًّا وتفوقًا، لأن المسلم طالما يتمنى الشهادة في سبيل الله، ويناضل من أجلها، لما فيها من الأمن والاستقرار في الآخرة:

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
وزير رسول الله خير وزير
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي
لحمزة يوم الحشر خير مصير(١٥)

إن أجود الرثاء ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رحيله إلى جوار ربه، فالمسلمون لم يقدروا على فراقه، فالعيون فارقها النوم، والقلوب غادرها الصبر، يقول حسان بن ثابت:

ما بال عيني لاتنام كأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعًا على المهدي أصبح ثاويًا
ياخيرمن وطئ الحصى لاتبعد(١٦)

ويتمنى لو أنه لم يولد، لأنه لا يطيق فراق الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، كما لم يطقه كل الصحابة:

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم
يا لهف نفسي ليتني لم أولد (١٧)

إن فقد النبي ﷺ لم يكن سهلاً على الصحابة رضوان الله عليهم، لأنه كان نورًا وهدى ينير الأرض ويهدي أهلها إلى الحق ويدعو ربه عز وجل أن يجمعه بالنبي والمؤمنين في جنة النعيم:

يارب فاجمعنا معًا ونبينا
في جنة تثني عيون الحسد (١٨)

ورغم هول الصدمة، وعظمة المصاب فإن الشاعر لا ينسى الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنها أمر من الله عز وجل، والمؤمن يزداد بها منزلة وأجرًا عند الله تعالى:

صلى الإله ومن يحف بعرشه
والطيبون على المبارك أحمد (١٩)

إنه رثاء يحمل معاني سامية، يجعل المتلقي يستمتع لهدير النهر الشعري الذي يجري بين الكلمات والحروف والعبارات، ويدفع إلى استحضار عظمة النبي صلى الله عليه وسلم، ومكانته بين الصحابة رضي الله عنهم، والأمجاد التي حققها المسلمون بقيادته.

وهكذا يتضح أن الأدب الإسلامي القديم أدب في غاية الجمال، لأنه يقوم على الأسس الجمالية لهذا الدين، يمتع المتلقي بالمعاني التي تكمن بين طياته، لأنها معان صافية في كل أغراض الشعر، مباحةً لا تخالف التصور الإسلامي، خالية من العصبية المقيتة، ومن النزعة الفردية، ومن الكذب والمراوغة، وتزوير الحقائق.

إنها معان تتميز بالصدق والتمسك بالحق، وبذلك خرج من ضيق الجاهلية إلى سعة الإسلام، ومن العبث والغوغائية إلى الجد، وهذا ما لم يلتفت إليه كثير من النقاد والدارسين قديمًا وحديثًا، وهو في كل ذلك لم يفقد رواءه وجماله، فصار أدبًا رفيعًا، وحاز بذلك قصب السبق، فهز نفوسًا أكثر مما هزها الشعر الجاهلي أو غيره، مما لا ينكره الدارس المحايد والناقد الموضوعي.

الهوامش

١- دراسات أدبية ونقدية ص٥٨ د.جميل حمداوي. ط١ مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ٢٠٠٧

٢- الشعر العربي القديم.. رؤية إسلامية، حميد سمير. كتاب دعوة الحق، العدد ١٣ ط٢٠٠٢ المغرب.

٣- رسالة الأدب والشهود الحضاري ص١٠٩، منشورات المشكاة ١٩٩٥ المغرب.

٤- ديوان حسان بن ثابت ج١ ص١٠٢ تحقيق د. وليد عرفات، ط دار صادر بيروت لبنان.

٥- السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧١٢ ط١ دار صبحي بيروت لبنان ٢٠٠٧ .

٦- العصر الإسلامي شوقي ضيف، ص٤٩ ط دار المعارف مصر.

٧- ديوان حسان ج١ ص١٠٣ .

٨- نفسه ص١٢٨ .

٩- -١٠- السيرة النبوية ج٣ ص٨٨٠ .

١١- ديوان حسان ص١٨-ج١

١٢- السيرة النبوية ج١ ص٨٣١ .

١٣- -١٤- نفسه ص٨٤٧ .

١٥- نفسه ص٨٥٢ .

١٦- -١٧-١٨-١٩- ديوان حسان ج١ ص٢٦٩





حمد الرومي في ذمة الله

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء ٢٠١٢/٩/٦م الشاب/ حمد سليمان خالد الرومي نجل سكرتير التحرير عن عمر يناهز العشرين عامًا ، حيث ولد حمد في يوم ١٩٩٣/٧/٧م، وكان قبل وفاته طالبًا بكلية الآداب بجامعة الكويت، وعرف بنشاطه في المجال الصحفي والاجتماعي، حيث عمل في نادي الارتقاء الصحفي بجمعية الإصلاح الاجتماعي، وكان يحرر باب (المحرر الصغير) بمجلة براعم الإيمان التي تصدر مع مجلة الوعي الإسلامي، وشارك في العديد من الفعاليات التي أقامتها المجلة وكان آخرها زيارة أقسام الأطفال في المستشفى الأميري وتوزيع الهدايا على المرضى، وشارك حمد أيضًا في العديد من الفعاليات الإسلامية الدعوية ومنها مشاركته في نصرة النبي ﷺ بعد نشر الرسوم المسيئة في الدنمارك، ويذكر أقرانه وأصحابه من خلال حساباتهم على تويتر أنه يرحمه الله كان بارًا بوالديه وأقاربه حريصًا على التواصل الاجتماعي مع أصحابه وأقرانه، ودائم العمل على تطوير نفسه فحصل على شهادة مدرب معتمد في التنمية البشرية قبل وفاته.

تتقدم أسرة التحرير في مجلة «الوعي الإسلامي» ومجلات «الوعي الشبابي» و«براعم الإيمان» بخالص التعازي لسكرتير التحرير سليمان خالد الرومي لوفاة نجله حمد، داعين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

و«**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**».



.. والزميل الفخراني في رحاب الله

فقدت الصحافة العربية عامة ومجلة «الوعي الاسلامي» خاصة أحد أبنائها العاملين في قسم التحرير الزميل رضا السيد الفخراني الذي وافته المنية يوم الأربعاء ٦-٩-٢٠١٢م في أحد المستشفيات بمصر عن عمر يناهز٥١ عامًا بعد صراع مع المرض استمر لأشهر عدة.

والفقيد الفخراني من مواليد العام١٩٦١م وحاصل على الإجازة في اللغة العربية من جمهورية مصر العربية، وقد بدأ حياته المهنية في الكويت مدرسًا للغة العربية، ثم عمل في مجال الصحافة متنقلاً بين عدة وسائل إعلامية كويتية حتى استقر في العمل لدى جريدة «الجريدة» مراجعًا للصياغة، وفي وكالة الانباء الكويتية «كونا» محررًا في النشرة المحلية، بالإضافة إلى مشاركته بشكل جزئي في مجلة الوعي الاسلامي كمحرر ديسك.

وكان الفخراني يعاني من مرض عضال في الكبد ألزمه البقاء في أحد المستشفيات المصرية لفترة، حيث خضع لعملية جراحية، إلا أن الآلام ما لبثت أن عاودته من جديد، وقد قضى الأشهر الأخيرة من حياته متنقلاً بين مصر والكويت.

وكان الفقيد بالرغم من مرضه الشديد مؤمنًا بقضاء الله راضيًا به مطمئنًا حسن الظن في ربه بل كان يتمتع بروح عالية من الدعابة، لم تغب عنه حتى في أحلك أيامه مما أكسبه احترامًا وحبًا وإشادة من الجميع.

وتتقدم أسرة التحرير بأحر التعازي لأسرة الفقيد سائلين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

و«**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**».

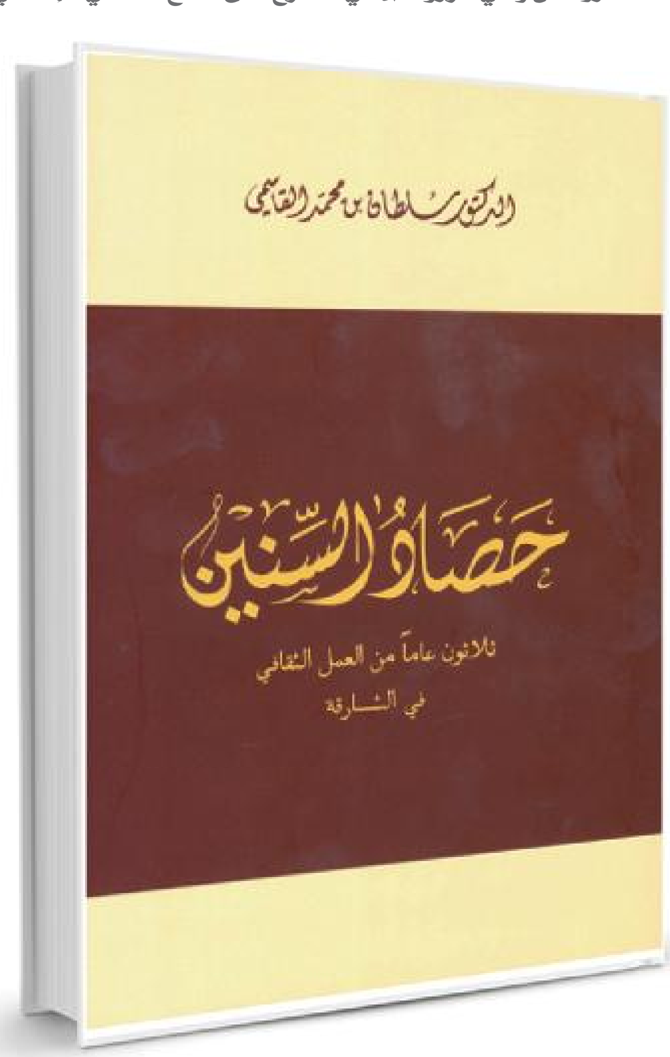


ثلاثون عاما من العمل الثقافي في الشارقة

حصاد السنين..

التحرير

يواصل عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الإبحار في العمل الثقافي من خلال صفحات كتابه الجديد «حصاد السنين.. ثلاثون عامًا من العمل الثقافي في الشارقة» الصادر عن «منشورات القاسمي»، والذي أعلن عنه في الدورة الثلاثين لمعرض الشارقة الدولي للكتاب، ذلك ليسلط الضوء على مشوار ثقافي طويل، ينطوي على مشروع ثقافي، يستمد رؤاه من وحي الموروث المحلي المفتوح على المنتج الثقافي الإنساني.





مشروع ثقافي يستعرض د.القاسمي ملامحه ومحطاته الرئيسية من خلال٤٢٣ صفحة من القطع المتوسط، تدعو القارئ إلى القيام بجولة عبر ثلاثين سنة من العمل الثقافي الجاد والشامل.. الذي يشمل مختلف مناحي الحياة الثقافية والفنية في الشارقة بامتداداتها الطبيعية الوطنية والعربية والعالمية، وذلك استجابة لرؤية المؤلف، التي تقوم على مقولة أن الفعل الثقافي إنساني بطبعه وفطرته السليمة، ولا يقف عند حدود قومية أو عرقية أو دينية بعينها، وربما لهذا السبب جاءت فصول الكتاب الخمسة والثلاثين بلا عناوين، بالمعنى التقليدي المعهود، بل عمد المؤلف إلى متتالية الزمن، كي تأخذ النصيب الأوفر حظًا في تقسيم هذه الفصول حسب السنين، وتعاقب فصول المشروع الثقافي في الشارقة عليها، بدءًا من عام ١٩٨٣ حتى عام ٢٠١١م.

بناء مجتمع

الخيط المنهجي البادي بوضوح

في مسيرة المؤلف ومؤلفه (حصاد السنين) يبدو جليًا من خلال ربط المشروع الثقافي، الذي يشتغل عليه د.القاسمي بلا كلل أو ملل، منذ أن كان طالبًا في القاهرة وحتى الآن، لا يتوقف عند مظاهر الحياة الثقافية في البلاد، بل يطول كنه هذا المشروع ومصدر مشروعيته ومبتغاه متمثلا بالمجتمع عمومًا وبفئة الشباب فيه على وجه التحديد، حيث تطالعنا أولى كلمات الكتاب بالعبارات التالية: «في بداية سنة ١٩٦٧، كنت أعكف على وضع خطة مدروسة لإعادة الشباب إلى الاهتمام بمجالات الثقافة، وقد عزمت أن أولي الثقافة والآداب والفنون اهتمامًا بالغًا في المرحلة التالية»، كما يظهر هذا الاهتمام بقطاع الشباب في مواقع عدة من الكتاب كأن يقول الدكتور القاسمي: «أعربت عن أملي في أن يتجاوب شباب المنطقة مع طموحاتي نحو خلق قاعدة ثقافية تشمل الآداب والفنون، وهدم التمادي في مجال البحث عن الأرباح والثروة، متجاهلين أهمية الثقافة.. وأنه لابد من السمو بالروح، وبنائها بالثقافة والفنون».

لغة سردية

الارتقاء بروح الانسان من خلال الثقافة والفنون وبها.. مقولة تتحول في حالة مشروع د.القاسمي الطموح إلى مشروع عمل يغص بالنشاطات والمبادرات والأفكار التي رأى الكثير منها النور، ومنها ما ينتظر، وما حاد صاحبها عن الطريق الذي خطه لنفسه ولمجتمعه قيد أنملة، لا، بل إن هذه الطريق تتعبد كل يوم بمزيد من هذه المبادرات والفعاليات، التي يستعرضها المؤلف بصورة متأنية في كتابه، ويأتي على ذكر تفاصيلها بلغة سردية مشوقة، ومن بينها المعرض الأول للكتاب في الشارقة، الذي أقيم لأول مرة في الثامن عشر من يناير سنة ١٩٨٢ بمركز «اكسبو الشارقة»، وافتتحه د.القاسمي بنفسه في تقليد لا يزال مستمرًا حتى يومنا هذا.

إن أوجه الحياة الثقافية بمختلف إشراقاتها في الشارقة والإمارات هي محور «حصاد السنين» ولها تعود البطولة في كل صفحة من صفحاته، التي يبدو حرص مؤلفها جليًا عندما يتعلق الأمر بنقل صورة المشهد الثقافي في الشارقة، على مدار العقود الثلاثة الماضية، مشرقة كما هي للعالم بعيدًا عن أي تزويق، حيث يمضي المؤلف بسرد وقائع الفعاليات الثقافية التي شهدتها الإمارة، والقرارات التي اتخذها بهذا الشأن، والتصورات التي كانت مجرد أفكار تدور بخلده وشقت طريقها إلى حياة الناس وأصبحت جزءًا منها، بعد أن أطلق د.القاسمي مقولته الشهيرة التي يوردها في مقدمة كتابه والتي تقول: «إنه قد آن الأوان لوقف ثورة الكونكريت في الدولة لتحل محلها ثورة الثقافة».

وتوجز خاتمة الكتاب كل ما ورد فيه، حيث يؤكد أن «من يقرأ هذا الكتاب سيجد أن ما ذكر فيه هي الأنشطة الثقافية المميزة فقط، التي تؤسس مباشرة على الفعل الثقافي، مع وجود مئات من الأنشطة، من شعر ورواية وقصة، ومعارض فردية وجماعية للفنون التشكيلية، لعرب وأجانب، ومسرحيات عربية وأجنبية، يتكامل فيها مشروع الشارقة الثقافي»، الذي أنجز خلال ٣٠ عامًا، من ثلاثة أنشطة إلى ألف وستمائة نشاط في السنة.

د.القاسمي في سطور

- حاكم إمارة الشارقة، الإمارات، منذ عام ١٩٧٢.
- عضو المجلس الأعلى لاتحاد دولة الإمارات، منذ عام ١٩٧٢.
- بكالوريوس في العلوم، تخصص الهندسة الزراعية، كلية الزراعة، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٧١.
- دكتوراه الفلسفة في التاريخ بامتياز، جامعة إكسيتر، المملكة المتحدة، ١٩٨٥.
- دكتوراه الفلسفة في الجغرافيا السياسية للخليج، جامعة درم، المملكة المتحدة، ١٩٩٩.
- الرئيس الأعلى لجامعة الشارقة منذ عام ١٩٩٧.
- الرئيس الأعلى للجامعة الأميركية في إمارة الشارقة منذ عام ١٩٩٧.

مؤلفاته

«أسطورة القرصنة العربية في الخليج»، و«الاحتلال البريطاني لعدن»، و«الخليج في الخرائط التاريخية». والأعمال المسرحية مثل «عودة هولاكو»، و«القضية»، و«الواقع صورة طبق الأصل». وكتب السيرة مثل «سرد الذات»، و«حديث الذاكرة»، و«حصاد السنين».

أرجوزة البليدي المالكي في أحكام الحضانة

تأليف : محمد بن محمد الحسني التونسي المالكي المعروف بالبليدي (1096- 1176هـ)

تحقيق : صالح بن محمد بن عبدالفتاح

يقول راجي عفو ربٍّ مالكِ ... محمدُ الأندلسيُّ المالكي
الحمد لله وصلَّى ربُّنا ... على النبيِّ العربيْ شفيعِنا
محمدٍ وأنبيا الرحمنِ ... وملَك(١) وتابعِ العدنان
وبعد فالقصد بيان الحاضن ... مرتبا مع شرطه المعاين

مراتب الحضانة

فالأمُّ ثم أمُّها في النسب ... فجدةُ الأمِّ لأمٍّ فأبِ
ما لم تكن قربى فتلك اللَّذْ تؤم ... فخالةُ الطفل لأبوين فأمّ
دون التي للأب في المفتى به ... فخالةُ الأم كذا فانتبه
فعمةُ الأم تليها الجدة ... مُنح من رب العباد عِدّة
للطفل من أب فجدةُ الأب ... كما تقدم من هناك فاطلب
فالأبُ ثم بعده الشقيقه ... ثم التي للأم(٢) بالحقيقه
لا حضن لاخت لأب(٣) وكذا ... أخ لأب عندنا في محتذا
ولهما في ظاهر المدونه ... عن(٤) ابن ناجي يا أخي مدوّنه
ثم يلي في الحضن أختُ الأب ... فعمةُ الأب فكن ذا طلب



فخالةٌ له فبنتُ الأخ أو … لاخت أو الأكفا ثلاثة رووا
ثم وصيٌّ مطلقًا ولو ذكر … لمحرم ومثلُها ذات صغر
أخٌ شقيق فلأم(٥) ثم جدّ … لغير أم وله فلا تعد
وعده اللخمي ذا بيان … ثم ابنُ أخٍ يا ذوي العرفان
هل جدٌّ اعلا داخل فيما مضى … أو لا احتمالان كما للمرتضى
إمامنا الحبر ابن رشد ولهم … في الجد الاعلى بحث إن كان لأم
فالعم فابنه فمولىً اعلا … فأسفل وأسقطنّ الخالا
مع كون أمٍّ هاهنا قد غلّبوا … لبُعْد ذا قد أسقطوا لا تعجبوا
كذاك أسقطَنّ بنتَ العمِّ … وبنتَ عمةٍ مزال الهمِّ
وعمة لجدة وخاله … لها كذاك ثم بنت الخاله
نحو ثلاثٍ وثلاثين من الـ … مراتب الغر فقد نلت الأمل

شروط الحضانة

وشرط حَضْنٍ عقلٌ ذي كفاية … أمانةٌ حِرْزُ مكانٍ غايه
حضان ذي رشد وإلا فكذا … إن كان ذا ولاية فحبذا
سلامةٌ من عاديِ الأمراض … عُرفًا منحت مُترَعَ الحياض
بلوغ ذي الحضن كذا الإسلام … لا يشترطه عندنا الإمام

شروط الحضانة

وإن يسافر عاصب ومن له … ولاية المال كما قد نبّهوا
ستّ بُرودٍ وهو حرٌّ مَأْمَنُ … طريقُه بلدتُه اللذْ يسكن
ولم يكن مساويًا في الدرجه … له مع الأم رقيت الدرجه
ولم تسافر معه فإنها … تسقط عنها وتفارق ابنها
حديثه صلى عليه ربي … قد خص منه ذا لحفظ النسب



وغير أنثى محرمًا مطيقة   ولو أمينا فزت بالحقيقة

ومطلقًا يلزمه من يكفُل   لازلت في العلم مجيدًا تفضُل

لا حضن يا صاحِ لزوجة بَنَت   بغير محرم لمن قد حضنت

أو أهل حضن أو ولي المال   وإن يكن ذا فلها في الحال

ما لم يك المحضون أنثى وتعد   إن قالت المرضع غيرها يرد(٦)

أو يك رقًّا طفل أو ذو كفل   يكون بالحضن قليل الشغل

أو يسكتْن سنةً من عِلْمِه   حُكْمًا دخولًا أحسن بنظمه

ولن يعود حَضْنُها إذا خلت   عن زوجها ما لم تكن قد جهلت

كذاك إسقاط بغير عذر   من مرض أو سفر فلتدر

وبعد عام معه أو لم يهن فراق   محضون لشخص أن يضن

وحيث ماتت جدة وأم   خالية فحضنها يؤم

كذاك أنثى حضنها لم يكن   قبل زواج فحري وقمن

إلى البلوغ الحضْن يبقى للذكر   إلى دخول البيت من غير ضرر

فهاك خمسينَ من الأبيات   نرجو بها الختم على الثبات

ثم صلاةٌ وسلام الله   عليك دومًا(٧) يا عريض الجاه

وآلِك الغرِّ الكرامِ البرره   وصحبِك المنتخبين الخيره

ما عيس حادٍ طربت وحنت   ساجعةٌ وذات شجن(٨) حضنت

الهوامش

(١) في (ب): ومالك.
(٢) في (ب): للأب وهو خطأ.
(٣) في (ب): للأخت للأب.
(٤) في (ب): عند.
(٥) في (أ): فلأخ وهو خطأ والمثبت من (ب).
(٦) في (ب): ترد بالتاء.
(٧) في (أ): دوامًا والمثبت من (ب).
(٨) في (ب): شاج.

التربية .. وسلوكيات الناشئة

الزبير مهداد - كاتب مغربي



يحتاج الطفل فترة حضانة طويلة نسبيًا، تلزم الوالدين والقائمين عليه بإحاطته بكل ما يساعده على النمو جسميًا وعقليًا واجتماعيًا. ومن خلال التفاعل الذي يتم بين الطفل والمحيطين به، يأخذ نموه الاجتماعي مساره في إطار ثقافة معينة، متميزة بلغتها وقيمها ومعاييرها السلوكية. وهذه المضامين اللغوية والقيمية والسلوكية تكسب الطفل خبرات اجتماعية تساعده على تحقيق تكيفه وإحساسه بالأمان والاطمئنان وسط جماعة يشعر بانتمائه إليها وتماثله معها [١].

في هذا المحيط المنزلي، وفي فترة الطفولة خاصة، تتشكل شخصيات الأفراد وتتحدد سماتها. فالشخصية هي النتاج النهائي لمجموع السمات والعادات التي تميز الفرد، وهي كما تظهر لدى الفرد لا تشكل جانبًا واحدًا من جوانب بنائه النفسي، ولكنها الصورة المتكاملة في البناء. والتنشئة الاجتماعية تجعل جوانب البناء تبدو في صورة متكاملة، وتجعل سمات الشخصية تعبر عن ثقافة معينة، أي إن صفات وخصائص معينة تظهر عند الفرد فتجعلنا ننسبه إلى أمة معينة، فهناك محددات اجتماعية تعطي الشخصية خصائصها المعينة التي لا تطمسها التغيرات التي تطرأ عليها.

شخصية مواطنينا سلبية ومأزومة

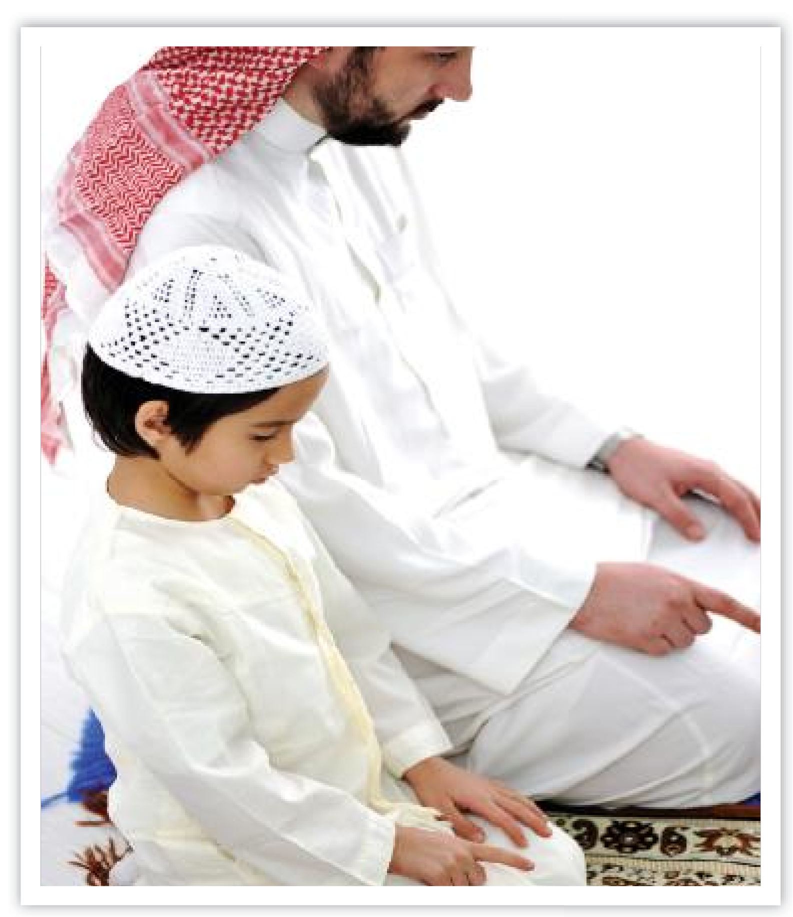
إن الشخصية على المستوى الفردي نتاج اجتماعي، والجانب الاجتماعي يشكل النواة التي ينهض على أساسها بناء الطابع الذي يشترك فيه غالبية الأفراد المنتمين إلى ثقافة ما[٢].

فما هي الثقافة التي تعبر عنها سمات الشخصية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية اليوم؟ إنها شخصية توصف بالوصولية والانتهازية، متذبذبة القيم غير ملتزمة دينًا، تقدس الثروة، ولا تتورع عن

الانغماس في الفساد الخلقي والسياسي، بدون طموح علمي ومفتقرة لروح المبادرة الأدبية والثقافية، جاهلة متعصبة، تغيب قيم التسامح والحوار، وقيم التضامن والتكافل والإخاء، مع إحساس بالاغتراب النفسي والثقافي، وغير ذلك من السمات التي يمكن التقاطها بسهولة من الدراسات النفسية والاجتماعية التي تزخر بها الكتب والمجلات الأكاديمية، وتدل بصدق على أن مجتمعنا قد أصبح بلا هوية ولا شخصية حضارية، وأنه يعيش أزمة حضارية أفقدته بوصلته، وأصبح الناس تائهين تابعين مقودين، والواقع الذي دعي المواطن العربي المسلم إلى الاستغراق فيها بعيد عن قيم الثقافة العربية الإسلامية وخصائصها ومبادئها.

يصف أحد الباحثين هوية المواطن العربي بأنها متذبذبة متصدعة متأزمة التركيب، والمواطنون غير مؤهلين للإسهام في تنمية مجتمعاتهم وغير قادرين على رفع التحديات التي تواجههم على المستوى الحضاري(٣) ويضيف هذا الباحث بأن التركيبة النفسية والاجتماعية للمواطنين تحمل كثيرًا من الصفات أغلبها سيئ سلبي، ويرجع الباحث أسباب هذه الوضعية إلى نظام التنشئة الاجتماعية التي تكتسي صفة خاصة بحكم انتمائنا لمجتمع خضع منذ عقود من الزمن لمجموعة من التحولات في أنماط قواعده الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، مما حدا به إلى التعامل مع المعطيات الحضارية بنوع من التشتت والقلق وصعوبة بناء نسق تربوي جديد يمكنه من السير قدما نحو الأهداف المبتغاة(٤).

لقد أهدرت المعاني الدينية وابتعد الإنسان عن القيم النبيلة والتعامل الاجتماعي القويم، فدبت المصلحة الشخصية الفردية والأنانية والابتعاد عن روح الجماعة، وانتشرت آليات التعاملات التجارية والمادية إزاء انحسار القيم الاجتماعية والسلوك السوي الذي يتفق مع التوجهات القيمية للدين في بناء المجتمعات الإنسانية. بالرغم من المكانة البارزة التي احتلتها الأديان في تاريخ البشرية، والدور المهم الذي لعبته في بناء الحضارات وتعبئة البشر في سبيل إنجاز المهام الكبرى التي لا يمكن أن يتأتى للبشرية إنجازها بمعزل عن التدين(٥).



طرق تنشئة خاطئة

إن طرق التنشئة الاجتماعية للأفراد تمثل دورًا سلبيًّا في تعيين نوعية الشخصية وفي تركيب الهوية من حيث ارتباطها بالبنية الاجتماعية للعائلة وبأنماط التفاعل المتأزم مع المحيط، أزمة الهوية التي اعترتنا نتجت بلا ريب عن آثار التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي عاشها العالم منذ الحرب الكونية الأولى والتي أخضعت دولنا قسرًا لهيمنة الثقافة الغربية وأجهزتها العسكرية وأنظمتها الاقتصادية والتي تختلف اختلافًا كليًّا عن قيمنا وثقافتنا، فأزيح الدين من حياتنا واستبدلت قيمنا الأصيلة بقيم غير ثابتة وغير واضحة، وكانت النتيجة هذه الهوية المتذبذبة والمتأزمة وهذه الشخصية السلبية الانعزالية.

إن عيوبا تعانيها مجتمعاتنا تشكل أسباب أزمة عميقة ومنبعًا لأخطاء فادحة، والخروج من الأزمة يتطلب عملًا واضح المعالم لإعادة تثبيت الهوية الإسلامية في الأفراد ولإعادة تشكيل الشخصية المسلمة وبناء الأفراد والمجتمعات على أساس إسلامي.

لاشك أن السرعة في التغير الاجتماعي وتواتر الأحداث وقوتها كان لها أثر في خلخلة البناء الاجتماعي وزحزحة مكانة الدين في هذا البناء، وأحدثت انقلابات جذرية في المجتمعات مست القواعد الدينية والقيم المجتمعية وكل ما يتصل بالتنظيم الاجتماعي؛ بالرغم من أن الدين ظل يشكل أحد أهم الركائز لدى الإنسان منذ قيام البشرية إلى الآن. مما يستدعي بإلحاح النظر في مكانة الدين لتنظيم حياة الناس وإضفاء حال الطمأنينة والسكينة التي افتقدوها.

تذبذب قيمي

في المجتمع، في كل مؤسساته الفرعية، يجب أن تسود القيم المستمدة من الإسلام ومعانيه السامية وتقاليده الراسخة العريقة والعادات التي تستلهم التراث الأصيل، وداخل الأسرة، وهي أهم المؤسسات الاجتماعية الفرعية، يجب أن تسود المعايير الثقافية المتماثلة مع معايير المجتمع، لأن الوسط العائلي يعتبر أحد أهم محددات سمات شخصيات الأفراد وملامح هويتهم، لأن تنشئتهم تتأثر بعناصره ومكوناته وظروف أهله وقيمهم واتجاهاتهم، فحين توجد معايير ثقافية

متماثلة داخل ثقافة معينة تتصل بأساليب تنشئة الفرد، فإنه من الممكن القول بأن تلك المعايير سوف تخلق أساليب مشتركة للاستجابة، تعد مسؤولة عن القدر المشترك من السمات الأساسية بين أفراد المجتمع الواحد أو أفراد الثقافة الواحدة(٦) وسيوجد إذ ذاك فهم مشترك بين فئات المجتمع وإطار عام للقيم التي ينبغي التزامها بما يحقق غايات المجتمع في بلوغ النهوض الحضاري وفق أسس واضحة(٧).

إننا نضبط سلوكنا على ضوء القيم، فكلما كانت هذه القيمُ واضحةً، كان ممكنا توقُّعُ نوع السلوك والتنبؤ به، فالفرد قادر دومًا على تعزيز مكانة القيم، وجعل دوافعه الداخلية ووعيه وإدراكه الأخلاقيّ، أساسَ استجابته السلوكية وضابطَ تفاعله الاجتماعيّ.. فالحكمُ الخلقي واتخاذ القرار متأصّلان في قدرة الإنسان على التقييم.

هذا لا يعني أن جميعَ القيم التي قد يحملها الناشئة داعمةٌ للحياة، إذ يمكن التمييز بين نوعين من القيم، فهناك قيم تُدمّر الإنسانَ من الداخل وتمزقُ النسيجَ الاجتماعي الروحي في المجتمعات وتلوّث الطبيعة، وهناك قيم تبني العالمَ الداخلي للإنسان، وفي الوقت نفسه تجْدلُ النسيجَ الاجتماعيّ الروحي في المجتمع، قيم تتمحور حول علاقات جميلة بين الناس وحول احترام الطبيعة.

يمكننا أن نتحدثَ عن قيم الحياة، ولكن لا معنى للحديث أو الكتابة عن القيم بمعزل عن الممارسة والسياق المجتمعي بمختلفُ أبعاده، كما أنه من الخطأ الحديث عن قيم في السياسة، وثانية في التعليم، وثالثة في الدين وأخرى في الاقتصاد أو الأسرة أو في الفنون؛ وكأن هناك مجموعات مختلفة من القيم في المجالات المختلفة، فذلك يؤدي إلى اضطراب ثقافي اجتماعي وتذبذب أخلاقي.. إن تجزئةَ القيم حسب المجالات المختلفة في الحياة هو مظهر آخر من مظاهر الانفصام الثقافي الذي نعانيه.

التربية ترسخ القيم

إن للفرد إمكانات ذاتية متنوعة غير مستقلة، وقدرة فطرية على الاستجابة السلوكية السليمة، وهناك دومًا معايير وقيم سليمة يجب إشاعتها وإحلالها محل القيم والمعايير السلبية السائدة، وضمان تحقيق تفاعل الفرد معها، هذه القيم لازمة لبناء حضارة تستمد خصائصها من ديننا، حضارة أصيلة وشاملة وقوية.

إن الثقافة تشكل الشخصية الأساسية لدى الأفراد(٨)، ويستدل على وجودها من الانتظام الملاحظ في سلوك الأفراد والعناصر المكونة لها يجب أن تكون منسقة تنسيقا طبيعيًا أو متطابقة في المعنى الواحد إلى حد معقول، فالسلوك الاجتماعي للفرد يحدده التراث الثقافي الذي يقيم معايير داخل الأفراد، وهذه المعايير يجب أن يكون متفقًا عليها بشكل عام بين الأفراد الذين يرتبطون معا بعلاقات حياة مشتركة أو تعاون(٩).

وهذا الاتفاق هو الذي ينشأ عنه التقارب والتشابه في الخلفية الاجتماعية، مما ينعكس بشكل قوي على تفاعلهم ويجعلهم يتقاربون فيما بينهم ويلتحمون «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا»، ويزدادون إعجابًا ببعضهم وتمييزًا لاختياراتهم الثقافية الجمعية وقيمهم واتجاهاتهم المتشابهة، حيث تغدو هذه الأمور ذات أهمية فردية وجماعية.

لهذا فمعرفة التربية وأصولها الثقافية والاجتماعية أمر ضروري لكل من يريد أن يربي الناشئة على الوجه السليم؛ إذ على ضوء مفهومنا للتربية وأهدافها وتدبير الطفولة ونموها وقضاياها وتنشئتها، يتوقف نجاحنا في تعاملنا مع الصغار؛ وبوضوح الهدف من التربية في ذهن الراشد، معلمًا كان أو أبًا، وشخوصه أمام نظره على الدوام يستطيع أن يتخذ منه مقياسًا يقيس به عمله ونتائجه من آن لآخر.

وجهل الأسرة بالتربية وأصولها والطفولة ونموها وحاجاتها، وطرق التعلم الاجتماعي وقواعده، يحول دون قدرتها على رصد ملامح التطور النفسي والبدني للطفل، ويؤدي إلى توظيف المعلومات الناقصة والخاطئة في تربية وتوجيه الناشئة دون وعي بخطورتها، وتنقل الأسرة ما هو سائد في وسطها من أساليب واتجاهات التنشئة وهي في أغلب الأحيان اتجاهات غير سوية، وتتم عملية النقل بمحاكاة المحيطين بها من آباء وأمهات وغيرهم، أو تقليد ما تتم مشاهدته عبر وسائل الإعلام، ويدعمه الإيحاء الذي يمارسه الآخرون بواسطة التعبير والمقارنة والمأثورات الشعبية، مما يؤدي إلى تبني وترويج قيم وعادات سيئة وتبريرها والدفاع عنها.

إننا مسلمون، فيجب أن يكون فهمنا للتربية مرتبطا بالمنظور الإسلامي الشامل للكون والإنسان والحياة، ويكون نظامنا التربوي خاضعا للضوابط الدينية والثقافة الأصيلة والقيم الإنسانية الإيجابية، وفي الوقت نفسه متفاعلًا مع المتغيرات الحادثة على المسرح الاجتماعي، وهذا الأمر يتطلب تحقيقه إشاعة معرفة بالإسلام وحقيقة دعوته ومراميها ومقاصدها بين عموم المربين وكل الآباء والأمهات، وتثقيفهم ثقافة إسلامية عامة وتربوية متخصصة، حتى يتمكنوا من أداء وظيفتهم التربوية وإنشاء أجيال تتحلى بسمات شخصية إيجابية، تُحكم القيم النبيلة في سلوكها واستجاباتها ولا تُحكم الأهواء الشخصية التي تتعارض مع مصالح الآخرين وتهدد الاستقرار والتماسك الاجتماعيين.

الهوامش

١- إبراهيم خليفة: المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥، ص ٦٥.

٢- إسماعيل الملحم: وحدة الشخصية القومية للأمة العربية، مجلة الوحدة، الرباط، عدد ٢٢-٢٣ (يوليو ١٩٨٦) ص ٩١.

٣- نورالدين قربال: إشكالية هوية الإنسان المغربي، جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم ٢٨ مايو ١٩٩٥ ص ٣.

٤- قربال، المرجع نفسه.

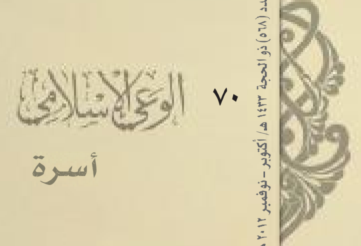
٥- للتوسع انظر: علي ليلة: رأس المال الديني والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مجلة الديموقراطية (الأهرام) السنة السابعة العدد ٢٦ أبريل ٢٠٠٧ ص ٤١-٥٠.

٦- محمود رجاء حنفي: الثقافة وأثرها في تشكيل شخصيات الأفراد، «الوعي الإسلامي»، عدد ٣٦٧ سنة ١٤١٧ ص ١٨.

٧- زيد بن عبدالمحسن الحسين: إطلالة، مجلة الفيصل عدد ٢٥٥- ص ٧.

٨- محمود السيد أبوالنيل: علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٥، جزء٢- ص٣٣.

٩- حنفي، مرجع سابق ص ١٩.



هل يحقق تعري الفتاة المسلمة جمالها؟!

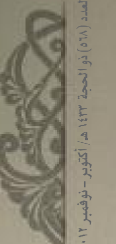
خالد الحارثي- كاتب سعودي

أنا فتاة.. أريد أن أكون جميلة وجذابة تلاحقني نظرات الإعجاب، يسحرٍ بي كل من يراني، ويقف مذهولاً أمام مفاتني ومحاسني، أريد أن أكون بأبهى حلة في كل وقت، ولتحقيق ذلك علي أن أواكب صرخات الموضة بكل أشكالها وعلي أن أتحرر من هذه القيودِ المحيطة بي والتي تسمى أعرافًا وتقاليد وقد أصبحت بالية ولا فائدة منها سوى أن تضيق علينا الخناق، وتقف عائقًا أمام تحررنا وانطلاقنا نحو الحضارة والتقدم.

هكذا وللأسف باتت الكثير من فتياتنا المسلمات يفكرن في وقت أصبح فيه تقليد الغرب بكل ما يفعل من منكرات هاجس هؤلاء الفتيات وشغلهن الشاغل، فما يكاد الغرب يلقي علينا بنفاية من نفايات دور أزيائه والتي تسمى الموضة حتى تسارع الفتيات لاقتنائها وتقليدها دون أي تقيد بعرف أو خلق أو دين.

ولكل هؤلاء الفتيات أقول: من حقك أن تكوني جميلة وأن تكوني بأبهى صورة وأروع شكل، ولكن اسألي نفسك ولو للحظة، هل كشف جزء من بطنك وظهرك يحقق لك الوصول إلى غايتك.

أما علمت يا أختاه أنه لا معنى للجمال إَن كان رخيصًا وسهل المنال، وهل تأتي قيمة اللآلئ إلا من كونها محجوبة داخل الأصداف، وهل تأتي قيمة الألماس إلا من كونها داخل الأرض، ولو أن الجواهر



كانت ملقاة على الطرقات لما كان لها قيمة تميزها عن الصخور والأحجار.. أختاه.. إن جسدك غالٍ فلا ترخصيه ولا تسمحي لأحدٍ برؤيته إلا بحقه، إن جسدك ليس مشاعًا للجميع يرونه بالمجان بل هو حكر على شخص واحد وهو الزوج، ولا يراه إلا بثمن غال وهو العقد والمهر.

أختاه.. إن كنت ترين أن التحضر والتمدن يكون باللباس الخليع غير المحتشم فأنت مخطئة، فالتحضر يكون بسعة العقل ورقي الفكر، وقد تلاحقك نظرات المارة وأنت تسيرين مكشوفة ولكنها نظرات غرائزية وشهوانية، وقد تشدها مفاتنك، ولكنها تنظر لك أيضًا على أنك إنسانة رخيصة مبتذلة، وقد يظهر لك من يراك إعجابًا بجسدك ورشاقتك، وسحر مفاتنك ولكن صدقيني لن يحمل لك أية نظرات احترام أو تقدير.

أختاه.. إن التزامك باللباس الشرعي هو رمز عزتك ورفعتك وكرامتك وإن من يعجب بك لمجرد رؤية جسدك شبه العاري هو إنسان غير جدير بأي احترام أو تقدير، ومن يستحق التقدير حقًا هو من يعجب بك لخلقك ودينك والتزامك.. إن التحرر يكون بسلامة القلب ورقي العقل وترفعه عن الجهل والتقليد الأعمى لكل ما نرى.

عزيزتي لا تظني أن الغرب يريد بك خيرًا عندما يصور لك العري على أنه بوابة التألق والتميز والحضارة، بل إنه يريد إذلالك والقضاء على قيمك وأخلاقك وأن تصبحي فريسة سهلة بين أنياب الذئاب تنهش من جسدك وكرامتك من دون أي عناء.

عزيزتي إن مبتدعي هذه الموضة وهو العري على يقين تام بأن المرأة المسلمة إن ضاعت ضاع المجتمع كله، وإن فسدت فسد المجتمع الإسلامي كله ولذلك بات الغرب يتفنن في إبداع أنواع كثيرة من الأزياء والموديلات وما يسمى «بموضة الربيع والصيف والشتاء» ليشغلك بها عن تحقيق الهدف من وجودك وعن القيام بدورك كزوجة وأم وعنصر فعال في المجتمع.. فاعلمي يا أختي أن تطورنا ونهضتنا بيدك أنت، فكوني فتاة صالحة نقية ملتزمة لتصبحي أمًا صالحة تنجب وتربي جيلًا قادرًا على إعادة أمجادنا ونصرة إسلامنا.

أختي العزيزة: أنت جوهرة ثمينة صانك الإسلام وحماك وحفظ لك كرامتك، والدليل في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: 59).

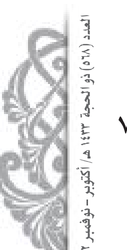
فالزي الإسلامي حماية لك، وهو الدرع الذي يبعد عنك السوء ويفرض احترامك على كل من يراك.

– وأخيرًا أوصيك يا أختي بأن تتقي الله في جسدك ولباسك، وحذار من العري والتبرج ولا تنسي قول رسولنا الكريم ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (رواه مسلم).



هكذا أنصف الإسلام المرأة

هناء ثابت
كاتبة وباحثة من سوريا



كان لماضي المرأة بلا ريب أثرٌ عظيمٌ في نفسها إذ حملها على التَخَلّق بأخلاق اقتضتها حالتها غير ما غرسته فيها الطبيعة من المواهب الفطريّة وقد تثبت فيها تلك الأخلاق المكتسبة مع توالي الأجيال ومما زادها ويزيدها وضوحًا: (التربية والانتخاب الجنسي.. فبالتربية تتدرّب الفتاة على السجايا المرغوب فيها فتقوى تلك السجايا بالتمرين وبالانتخاب الجنسي وتنمو فيها الصفات التي تروق للرجل إذ إنّه لا يتزوّج إلاّ مَّن اتصفت بها فتتوارث تلك الصفات من جيل إلى جيل وتبرز شيئًا فشيئا.. في حين أنّ الصفات المكروهة تضعف وتتلاشى لاجتناب الرجل كلّ امرأة متصفة بها، وهذا هو المُراد بالانتخاب الجنسي).

فما هي إذن الصفات والسجايا التي اكتسبتها المرأة من ماضيها؟ أمّا من الوجهة الجسمانية فقد اكتسبت ضعف العضلات والجسم عمومًا وهو نتيجة معيشتها الهادئة بالنسبة إلى معيشة الرجل، وأمّا من الوجهة المعنويّة فالصفات التي برزت فيها هي: «الميل إلى الحياة البيتيّة والعناية بمهام المنزل والحياة والخوف والجَلَد والصبر والاهتمام بالجزئيّات والأمور الدقيقة والسعي إلى اجتذاب الرجل وإرضائه لأنّه يقف عليه كلّ شيء والطاعة واللّين إزاء ربّ الدار وصاحب القوة والسلطان (وذلك يجعلها تخشّن الكلام مع مَنْ دونها من الخدم كأنّها بذلك تثأر لنفسها)، ولديها مهارة غريبة في حرز رغبته كي تستبقه إلى إنجازها.. وحذق في تضليله وخداعه إذا كان قاسيًا (أوعلى الأقل إخفاء عواطفها إذا اضطرت إلى ذلك).. تلك بعض الصفات التي نَمَت في خُلُق المرأة لأنها كانت لازمة لها حتى تعيش مع الرجل وتحوز رضاه.

وكيف تتوقّع من المرأة المنزوية في دارها أن تكون لها نفس القدرة الفعليّة التي نالها الرجل من جرّاء احتكاكه بالعالم واهتمامه بالمسائل الخطيرة.. العموميّة والخصوصيّة، فإنّها ما برحت تُعامَل.. إمّا بالازدراء أو بالتمليق وكلاهما مُضِرٌ على السواء، وقد نجم عن ذلك أنّهاَ عاشت في عزلة وجهل أو اكتفت بإنماء مواهب سطحيّة تبهر أكثر مما تفيد والرجال غالبًا يكرهون النساء العالمات صاحبات الخُلُق القوي والعقل الراجح؟ بل كيف لا تكون المرأة نعجة عديمة الاستقلال والذاتية المعنويّة مع ما تحمله من ضغط الرأي العام أجيالاً طويلة ذلك الرأي الجاهل الذي يبيح للرجل كلّ شيء ويأبى إلاّ أن يؤاخذها بأدنى هفوة، ذلك الرأي الذي لا يلوم إلاّ الضحيّة؟

إنّ الحديث اليوم عن اتصاف المرأة بالإنسانية واستحقاقها كرامة الإنسان أمر بديهي مُسَلّم به لا يحتاج لإعادة ولا إلى ذكر ولكننا نذكر ذلك الواقع التاريخي الأسود قبل الإسلام ليعلم كلّ إنسان فضل الإسلام الحنيف على الإنسانية إذ كان هو المعلّم المؤثّر في التقدم الإنساني العظيم.. ولتحسّ المرأة أنّها مدينة في فوزها بحقوق الآدمية والكرامة.

فقد أقر القرآن الكريم مشاركة المرأة للرجل في الإنسانية فهي جزء مخلوق منه ثم هي شريكة في بثّ الحياة البشرية على هذه المعمورة، وتجلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

كذلك قرر القرآن استقلال المرأة عن الرجل وأنّها مسؤولة عن نفسها مسؤولية مستقلة عن الرجل وأنها تثاب على عملها الصالح ثوابًا كاملاً لا ينقص شيئًا عن ثواب الرجل: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيرًا﴾.. وألغى القرآن الكريم ما جرت عليه التقاليد في الجاهلية من حرمان المرأة من التملّك فأقر لها هذا الحق وجعله حقًّا لها، في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ فقرر الإسلام لها حق الملكية والإفادة بالكسب وقد أثبت هذا الحق للمرأة في جملة مستقلة، بقوله تعالى: ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾.. ولم يقل جلّ شأنه: للرجال والنساء نصيب مما اكتسبوا فأفاد بذلك استقلال المرأة في حقوقها عن الوصاية وأنّها في أصالة هذا الحق كالرجل سواءً بسواء فأقر لها حق التصرف بنفسها وألغى ما كانت عليه الجاهلية في ميراث النساء فكانوا إذا مات الرجل جاء أحد أقربائه وسبق إلى امرأة الميّت وألقى عليها الخمار فكان أَوْلى بها من نفسها.. حيث قال تعالى: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا..﴾ وهكذا ما زال القرآن يُعْلي من شأن المرأة ويغرس في نفسها الثقة والإيمان بحقوقها حتى أصبحت تقف أمام الخلفاء موقف الجسارة دفاعًا عن تلك الحقوق وتصحيحًا للخطأ فيها.

كما رفع القرآن من منزلة المرأة الأدبية واستنقذها من الحضيض وبوأها الأوج فبقيت في سماء المجتمع الإسلامي شيئًا مقدّسًا تتطاول إليه الأنظار بالحماية والرعاية.. فهي في هذا الجو من الاحترام والتقديس تمتعت بنعمة الإسلام.. وتطوّرت المكانة التي كانت تشغلها المرأة وتحررت من عصور الاستلاب والاستغلال وتمتعت بمكانة هامّة في المجتمع.. حيث ساواها مع الرجل وأعطاها معظم حقوقها في كلّ شيء، لذلك نرى أنّ المرأة هي الأساس في المجتمع، وقد لاقت اهتمامًا كبيرًا منه لدرجة أنّها تشكل نصف المجتمع.

–ومن هذا كله يظهر لنا: أنّ الإسلام قد خفض للمرأة جناح الرحمة وشملها في جميع تشريعاته بعطف كريم ورعاية رحيمة وسما بها إلى منزلة رفيعة لم تصل إلى مثلها في أيّ شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة وحديثة.. وساوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ولم يفرّق بينهما إلاّ حيث تدعو هذه التفرقة طبيعة كلّ من الجنسين ومراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها.



سلسلة الإعلام (٤-٤)

صحافة العرب المطبوعة.. سيناريوهات المستقبل

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

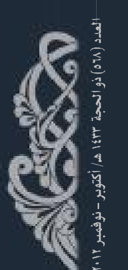
«التكيف- البحث عن مستقبل جديد من خلال الاندماج مع كيانات أكبر- التوزيع المجاني- اتباع أسلوب الصحافة الاستقصائية- التوازن بين المحلية والقومية والعالمية- تغيير الشكل المقدم».. لم تكن هذه العناصر سوى بعض الرؤى والمقترحات لمستقبل آمن للصحافة المطبوعة العربية، وهي محور الحلقة الرابعة والأخيرة في هذه السلسلة التي تناولنا في الحلقة الأولى منها واقع الإعلام العربي المطبوع في الألفية الثالثة وتحدياته، بينما رصدت الحلقة الثانية الدور الذي تمارسه الصحافة العربية في الوقت الحالي الذي صار الاعتماد أكثر على الميديا الحديثة في الوصول إلى المعلومة والتفاعل معها، وأثر ذلك في الصحافة المطبوعة.. وتعرّضت الحلقة الثالثة للاستثمار في الصحافة المطبوعة، وفي هذه الحلقة نتابع رؤى مختلفة حول مستقبل الصحافة العربية المطبوعة بما يتناغم مع روح العصر والمستقبل.

سيناريوهات المستقبل

تناولت العديد من الدراسات والمناقشات التحدي الذي يواجه الصحافة المطبوعة ومستقبلها وانتهت إلى ثلاثة سيناريوهات ذكرها سامي السعيد النجار تحت عنوان «رؤية الخبراء للعوامل المؤثرة على مستقبل قارئي الصحف المطبوعة في مصر»، حيث يتمثل السيناريو الأول في أن تصبح الصحف الإلكترونية بديلًا عن الصحف المطبوعة، ويدللون على ذلك بتوقف واختفاء الكثير من المطبوعات الورقية في السنوات الأخيرة، وتراجع أرقام توزيع الصحف، وتراجع عائداتها الإعلانية لصالح الوسائل الإلكترونية المستحدثة، ومن ثم تتمكن الصحيفة الإلكترونية من تقديم نطاق واسع من الخدمات التي لا تستطيع الصحف المطبوعة أن تقدمها، بينما يؤكد الاتجاه الثاني على أن الصحافة الإلكترونية لن تصبح أبدًا بديلًا عن الصحافة المطبوعة، انطلاقًا من أن تاريخ وسائل الإعلام التقليدية لم يشر إلى ذلك، ومن ثم من المتوقع أن تسير صناعة الصحافة المطبوعة مع الصحافة الإلكترونية على شبكة الإنترنت بشكل متواز مع تزايد في الاتجاه لاستفادة الصحافة المطبوعة من شبكة الإنترنت، وأخيرًا يرى السيناريو الثالث أنه لا يمكن الحكم على مستقبل الصحافة المطبوعة أو حتى الصحافة الإلكترونية الآن، لكن من المؤكد أن هناك تأثيرات عدة سوف تطرأ على الصحافة المطبوعة وأهمها الاتجاه إلى المحلية وإلى التخصصية.

التكيف

«لابد أن نعلم جيدًا أن الصحافة شيء إنساني إن وجد فيه الإنسان وجدت الحاجة إلى الأخبار والإعلان، ووجدت





أيمن الصياد: لا بديل عن التكيف والتكامل بين الصحافة العربية والتكنولوجيا

متغيرات جديدة تكيفت معها».. بهذه الكلمات عبر أيمن الصياد، رئيس تحرير مجلة «وجهات نظر»، عن مستقبل الإعلام المطبوع، مؤكدًا أنه ممن يميلون إلى وضع خطوط فاصلة حادة بين ما يسمى بالإعلام التقليدي والجديد، وهذا لا يعني التقسيم، لكن كل ما في الأمر أن المحيط والواقع يتغير، فالإعلام مثله مثل أي كائن حي لابد أن يتكيف مع واقع جديد ومعطيات العصر كي يعيش، مشيرًا إلى أن صحيفة الأهرام قبل ثلاثين عامًا كان فيها خطاط يكتب لها المانشتات، وقبل عشرين عامًا انتهى هذا الخطاط، فما حدث هو تكيف مع معطيات الواقع الجديد وتدخل قوي للتقنيات.

ونفى الصياد فكرة انقراض المطبوعات الورقية إلا إذا لم تتكيف مع الواقع الجديد، وحدّد عددًا من الصيغ التي لابد أن تتغير في المطبوعات وفقًا لمتغيرات العصر، وتتمثل في أن تلعب المطبوعات الورقية وظيفتها الأساسية، وتركز في منافستها مع الإعلام الجديد على أكثر ما تتميز فيه، فعلى سبيل المثال الأخبار لا تتناسب مع المطبوعات الورقية؛ لأنها تحتاج إلى سرعة؛ لذلك لابد من النظر للأمور نظرة متعمقة ومتفحصة، تعمل على التحليل والتفسير وتقديم الآراء.. ولابد أن نعلم أن الإعلام محتوى ووسيلة، فالمحتوى لابد أن يترك الخبر ويبحث فيما وراءه ويحلله ويفسّره بعمق ويقدم للقراء آراء، أما الوسيلة فهي في تطور تدريجي فكان هناك تلغراف وفاكس حتى توصلنا إلى الإيميل وكل الوسائل الموجودة التي تتناسب مع معطيات العصر.

وتابع: هناك في الإعلام ما يسمى بالوسيلة التكاملية، فاليوم كل الوسائل تخدم الخبر، فعندما تستضيف إعلامية شهيرة سياسيًا بارزًا نجد الخبر في رسائل الـ«إس إم إس»، ونجد الحوار على المواقع الإلكترونية، وفي الوقت ذاته نجده على يوتيوب وتويتر وفيسبوك، فهنا حدث تداخل وتكامل.. ما يعني أن فكرة الإعلام قائمة اليوم على علاقات شبكية وليست مركزية؛ فلا يوجد شخص واحد دائمًا هو المرسل للرسالة، ولا يوجد شخص واحد مستقبل لهذه الرسالة، وهكذا يكون الاتصال شبكيًا وهذا هو التكيف.

واختتم الصياد مؤكدًا أن المستقبل ليس محصورًا في ما هو موجود الآن؛ لأن هناك مساحة واسعة لا يمكن التنبؤ بها، ذاكرًا مقولة «باروين»: «لو لم ينمُ الإنسان ويتطور مع واقعه لانقرض».

تغيير جذري

بينما أكد أحمد أبو القاسم، سكرتير عام نقابة الصحفيين الإلكترونيين المصرية، أن الصراع على البقاء بين الصحافة الإلكترونية والورقية سيصبح جزءًا من التاريخ أو التراث، متوقعًا أن تتغير الصحافة المطبوعة خلال السنوات القادمة تغيرًا جذريًا عن السنوات الماضية، وربما تم توزيع طباعاتها مجانًا كما تفعل معظم دول أوروبا، وسيكون هناك سعي لإصدار صحف متخصصة كالفن، والرياضة، والاقتصاد، وأيضًا دوريات علمية.

وقال إنه من الصعب اليوم أن يدفع القارئ ثمن وجبة تقدّمها له المطبوعات، دون أن يختارها، في حين أن هناك مواقع تقدم الوجبات التي يريدها القارئ وعلى أعلى مستوى، وكاملة الأركان، فاليوم المطبوع متحكم في القارئ، بسياسته وتوجهاته، وآرائه، في حين أن القارئ هو المتحكم في الإلكترونيات، وهو السيد- على حد قوله.

وتابع: الصحافة الإلكترونية قلبت الموازيين، وتوصلت إلى Ipad لقراءة الوسائط والكتب، وتتفنن في طرق عرض الصحافة إلكترونيًا، فاليوم هناك المواقع التي تُبث مباشرة من قلب الأحداث بالصوت والصورة، وتجلى ذلك في الكثير من الصحف والمواقع في أميركا وأوروبا، فعندما تنشر المظاهرات مباشرة، ستكون أكثر تأثيرًا وانتشارًا في حين إن المطبوعة سيكون تأثيرها محدودًا.

ورأى أن المستقبل ليس للصحافة المطبوعة على الإطلاق، وكان الجدال دائمًا بين هل العلاقة بين الصحافة المطبوعة والإلكترونية تكاملية أم هي علاقة صراع بقاء، فهذا اليوم لم يعد هناك جدل على الإطلاق، مشيرًا إلى وجود هفوات للصحافة الإلكترونية مع مرور الوقت ستتلاشي، وهي عدم ثقة المعلن بها؛ لذلك يضطر إلى أن يدفع أكثر في الورقية فقط لثقته فيها، ففي الورقية يدفع مبالغ أكثر بنسبة من ٣٠-٤٠٪، لكن مع مرور الوقت ستزداد الثقة لما فيها من مغريات، ونسبة التعرض لها أعلى من الورقية بكثير.

وتوقّع أبو القاسم أن تجدد الصحافة الورقية من نفسها ولكن دون جدوى؛ لأنه سيكون لها نهاية عاجلاً أم أجلاً، أما الصحافة الإلكترونية ستطور من نفسها، متوقعًا أن يكون الوضع في الوطن العربي خلال الفترة المقبلة كالوضع في الدول الأوروبية، بأن أجزاء من الأخبار ستكون باشتراك مادي كواشنطن بوست، نيوز ويك، وسيتم تجديد الاشتراك بشكل أسبوعي، مع توصيل كابل لرؤية التليفزيون من خلال الإنترنت abc newsء، وسيتغير أسلوب عرض المادة، مع تزايد ملحوظ في نمو

مواقع للصحف الإلكترونية ليس في مصر وحدها، بل في كل البلدان العربية.

لا بديل عن الصحافة المطبوعة

واختلف د.سليمان صالح، رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام- جامعة القاهرة، حول مستقبل الإعلام المطبوع، حيث طرح في كتابه «مستقبل الصحافة في ضوء ثورة الاتصال» مجموعة من العوامل التي رأى أن معها يستحيل أن تصبح الصحف الإلكترونية بديلًا للصحافة المطبوعة وأهمها نوعية المعرفة، حيث أشارت الكثير من الدراسات التي تناولت علاقة الجمهور بالإنترنت إلى أن جمهور الإنترنت لا يبحث عن المعرفة، إنما أكثر الأشكال استخدامًا للإنترنت هو إرسال الرسائل الإلكترونية، وأن نسبة الذين يستخدمون الإنترنت للحصول على الأخبار والمعلومات لا يزيد على ١٥٪ من عدد المستخدمين، وكذلك طبيعة المعلومات المتاحة المقدمة على شبكة الإنترنت، حيث يغلب عليها طابع التجزئة والتناثر، وهي سمات لا يمكن أن تشكل معرفة لها معنى، فالفرد يمكن أن يتنقل بسرعة عبر مجموعة من الروابط في القصة ليحصل على كثير من المعلومات، لكنه في النهاية لا يستطيع أن يحدد موقفه بوضوح من الحدث، لأنه بذلك يفقد السياق العام للقصة عبر الروابط وتشغله الصور والمعلومات المسلية والتفاصيل الكثيرة على حد قوله، وأخيرًا خصائص المعلومات على الإنترنت، حيث رأى أنه ينقصها الدقة والتوازن والموضوعية وأن نسبة كبيرة من الجمهور تشكك في مصداقية ما تحصل عليه من الإنترنت في مقابل الصحافة المطبوعة.

واقترح د.صالح مجموعة من الآليات تعتبر استراتيجية متكاملة يمكن للصحافة المطبوعة من خلال الالتزام بها المحافظة على بقائها وتتمثل في النقاط التالية:

- ضرورة إعادة النظر في الوظائف التي تقدمها الصحافة المطبوعة.
- ضرورة أن تعكس الصحافة المطبوعة تنوع المجتمع.
- ضرورة أن تقوم الصحافة المطبوعة بتبني نموذج جديد للمعرفة.
- تطوير المعايير المهنية والأخلاقية الحاكمة للعمل الصحفي.
- ضرورة العناية بإعادة تأهيل المحررين وتدريبهم وتطوير مهاراتهم وقدراتهم على تغطية الأحداث بأساليب جديدة.

أفكار شبابية لازدهار الصحافة المطبوعة

قام عدد من طلاب كلية الإعلام جامعة القاهرة قسم صحافة (تمهيدي ماجستير)، وهم (مهيرة عماد، مي سعيد، أحمد قطب، أحمد المهدي، منى عمر، شيماء سيد وغيرهم» بالتوصل إلى عدد من الأفكار لازدهار الصحافة المطبوعة في الوطن العربي، أهمها:

- تغيير علاقة الصحف الورقية بالجمهور، من خلال الاهتمام بالقواعد اللغوية والمهنية والإدراك التام لما يريد القارئ قراءته أو معرفته وتشكيل علاقات جيدة بين الصحيفة والجمهور.
- يعد عنصر الإخراج مهمًا جدًا للمحافظة على مكانة الصحيفة الورقية، والتميز على النسخة الإلكترونية، فلابد من الاهتمام به وتطوير الشكل الإخراجي للمطبوعة وتدريب المخرجين والصحفيين على نظم الإخراج الجديدة ومواكبة التطور الدائم لها.
- عدم الفصل بين المخرج والمنفذ.
- التكامل بين المطبوعة والموقع الإلكتروني، فمن الممكن أن تكتفي الصحيفة بوضع العناوين المهمة من خلال الموقع الإلكتروني لديها، وطلب الرجوع إلى النسخة المطبوعة لبقية الخبر أو المقال، ومن ثم سوف يزيد احتياج القارئ إلى المطبوعة.
- تنمية أصول الجريدة عن طريق شراء أجهزة تساعد على تطوير العمل الصحفي.
- الاهتمام بالجانب الإنساني للموضوعات، وببريد القراء مع تخصيص عدد من الصفحات له ليس فقط نصف صفحة.
- إضافة البريد الإلكتروني للموضوع بالجريدة للتواصل مع الصحفي لتحقيق التفاعلية.
- تدريب الصحفيين على أهمية السرعة لمواكبة الصحافة الإلكترونية.
- عمل اختبارات ودورات للصحفيين للتعامل مع أجهزة الكمبيوتر.
- توجيه الصحفيين لمحاولة معرفة رغبات الجمهور.
- أن تعامل الجريدة الصحفي على أنه مبدع وليس موظفًا أو حكرًا عليها.
- تعديل قوانين الصحافة الخاصة بحرية إصدار الصحف والسماح بالتنوع.
- لابد من وجود توجه حقيقي من قبل الحكومة لمساندة الصحافة المطبوعة.
- عمل استطلاعات يومية للرأي في كل باب من أبواب الصحيفة المطبوعة حول المواضيع الأكثر جذبًا وإثارة للجدل وعمل استفتاءات شهرية حول أبرز الشخصيات في الشهر على سبيل المثال عن طريق اختيارات القراء.
- الاهتمام بالصحافة الخدمية وتقديم خدمات تجذب القارئ.
- الإعلان عن محتوى الجريدة مسبقًا على الموقع الإلكتروني.
- الإكثار من الإصدارات المتخصصة.
- على الصحافة المطبوعة التقليل من المقدمات الطويلة والدخول إلى النقاط المهمة دون إطالة، كما في النسخة الإلكترونية.
- محاولة الاستفادة من المدونات BLOGS والاستعانة بمعلومات منها ونشرها بالمطبوعة.
- تقديم كتّاب رأي جدد. فلطالما داوم القراء على شراء مطبوعة معينة من أجل كاتب مفضل.

(رجال عاطلون).. ظاهرة أم واقع تحياه البيوت؟!

القاهرة : منير أديب



«رجال لا يعملون» حقيقة يعيشها آلاف الرجال وظاهرة لا يقتصر وجودها علي قُطر دون آخر سواء كان عربيًا أو حتى أجنبيًا؛ وإنما تمتد لتشمل بيوتات مازالت تعاني من بطالة الرجل قبل المرأة بل علي العكس تمامًا، فهذه البيوتات تشهد على أن المرأة هي العاملة الوحيدة فيها بينما يغط الرجل في نوم عميق مرات بإرادته ومرات أخرى بسبب الظروف الاقتصادية التي يعيشها الناس.

هذه البيوت افتقدت قوامة الرجل على كل المستويات، فما عاد يعمل الرجل لأسباب لا علاقة لها بما يتذرعه هؤلاء الرجال من أنه ينتظر الوظيفة المناسبة أو أن الراتب لا يكفي، وقد حاولنا من خلال هذا التحقيق سرد القصص المأساوية للرجال العاطلين وظروف عدم عملهم وتأثير هذه الظاهرة على المجتمع والأسباب الحقيقية وراء رضا هؤلاء الرجال بما صنعوه لأنفسهم من مهنة اللا مهنة، فإلى نص التحقيق الذي تطرقنا فيه لرأي الدين في هذه الظاهرة وهل هناك علاقة بينه وبين الخلفية الدينية للرجال والتي تدعو دائمًا للعمل والاجتهاد؟.

من قصص البطالة

في البداية يقول ثروت محمد: أنا من أسرة غنية جدًا وكنت أعمل في أحد البنوك ولكنني تركت الوظيفة لأنني كنت أشعر بأنها عبء عليّ، فقد كانت تستلزم مني الاستيقاظ مبكرًا مع العلم أنني لم أكن في حاجة إلى ما يأتيني منها.

وأضاف، كثير من الناس يبحث عن وظيفة وعمل ولكنني كنت أصرف راتبي كله، وأنا لست في حاجة إليه، فلدي مزرعة كبيرة امتلكتها عن والدي.

وذكر، استدنت أكثر من مرة من البنوك، ولكن لشراء مستلزمات خاصة بمزرعتي، ولا علاقة لذلك بعدم عملي، ولست نادمًا على تركي العمل، فأنا بطبيعتي أرفض القيد حتى وإن كان من خلال وظيفة.

وأنهى كلامه، بأن له أصدقاء كثيرون تركوا وظائفهم، ودخلوا ضمن العاطلين بإرادتهم الحرة، فتركوا وظائفهم لعدم حاجتهم لها.

وتحكي رضا سيد، قصة زوجها مع البطالة بقولها: «منذ تزوجنا من عشر سنوات ولا هم له غير الجلوس على المقهى فيقدمها على عمله فهو يقضي عليها أكثر من ٨ ساعات متفرقات طوال



اليوم ومرات لا نراه إلا عند النوم ومرات أخرى لا يأتي إلا منتصف الليل ونحن نائمون».

وتضيف، أن أغلب وقته يقضيه في التسلية مع أصدقائه، وإذا لم يجد شيئًا يفعله يقوم بإثارة المشاكل إما بين أولاده أو بينه وبيني ليصبح البيت كالجحيم بسبب بطالته.

ومع الأزمات المالية المتطاحنة تقول رضا، يطلب زوجها منها العمل في أكثر من مكان ولا تحركه أي نخوة ولا تدفعه رجولته للخروج للعمل ظنًّا منه أن البيت مملكة الرجل لا المرأة، فالمرأة عليها أن تعمل وتكد والرجل عليه أن يجمع المال وينفقه.

وذكرت، ذات مرة أحببت أن أحرك ما بقي من نخوة بداخله فافتعلت له قصة من خيالي لعله يخرج للعمل ويحلف عليّ بعدم الخروج من البيت للعمل.

قلت له يوما: «إن الرجل الذي أعمل معه تحرش بي جنسيًّا، وإنني ما عدت أطيق العمل معه، ففوجئت برده البارد عليّ قائلًا: قومي بضربه بالحذاء، ووقتها أيقنت أنه لا فائدة منه وإن وجوده زي عدمه.

والأعجب حسب قول رضا، أنه طلب منها أن تقوم بتوفير فرصة عمل لأبنتهما التي تبلغ من العمر٩ سنوات كخادمة في إحدى البيوت وهو ما رفضته بقوة، ومن يومها والمشاكل بيننا للركب، وهو الشيء الذي لن أسمح به ما دمت حية.

يقول توفيق ممتاز، أنا من طبقة متوسطة وميسورة الحال ولكنني في ذات الوقت أعاني كثيرًا من قلة العمل، فرغم أنني بحثت كثيرًا عن عمل مناسب إلا أنّ محاولاتي جميعها باءت بالفشل.

وأضاف، حاولت أكثر من مرة قبول عمل لا يناسب مؤهلي، ولكنني في النهاية اضطررت لترك العمل وأصبحت عاطلا بلا عمل.

وأكد، أنه مازال يبحث عن وظيفة، وهو الآن عاطل وسبب عطله ليس بدافع منه، ولكن بسبب المجتمع الذي لم يوفر له وظيفة حتى الآن أو على الأقل لم يوظف إمكانياته.

مصروف للرجل

وتضيف فوقية سالم، إن زوجها لا يحب في حياته قدر حبه للراحة والنوم والسهر مع الأصدقاء وأنه يعود للبيت صباحًا، متسائلة، إذن كيف يعمل؟

تقول: حدثت مشكلة بيني وبينه بعد زواجنا بستة أشهر بسبب قلة عمله، وتدخل في هذه المشكلة أهلي، ولكنه وقتها تعلل بعدم وجود الوظيفة المناسبة وأن الوظائف الموجودة لا تدر دخلًا مناسبًا له وأنه فقط في انتظار العرض المناسب، وكلها لا شك علل وأسباب واهية.

وتذكر، أنها سمحت لنفسها أن تخرج للعمل بعدما وجدته يرفض العمل وبالتالي لا تجد أي أموال تصرف من خلالها علي البيت ووقتها- حسب ما تقول- وجدت معارضة شديدة من والدها، ولكنها أصرت على العمل كي تحافظ على بقاء البيت كما هو.

وحول مأساتها تقول فوقية، ليت الأمر يكتفي بذلك، ولكنه يأخذ مصروفه مني ويقوم بإنفاقه على ملذاته وشهواته، فالمال الحلال الذي جاء بالجهد والكد ينفقه زوجي في الحرام.

وتضيف، أثرت معه مشكلة ذات يوم كان الهدف منها أن أترك له البيت حتى أعرف كيف يقوم بالإنفاق علي بيته وعاودته بعد ثلاثين يومًا ففوجئت بالبيت وقد استضاف فيه أصدقاؤه ذوي الأخلاق السيئة فبدلًا من جلوسهم على المقهى كانوا يقيمون في بيتي.

ضرب ليلًا ونهارًا

طلبت منه ذات يوم أن يلتزم بمصروفاته الشخصية ويترك مصروفات البيت والأولاد على عملي فأثار معي مشاكل الدنيا وأخذ يضربني ليل نهار، وانتهي به الأمر بأن أوقفني عن العمل في محاولة للضغط عليّ في الوقت الذي يرفض فيه العمل، مما اضطررت للتعامل معه بالنظام السابق وتحمل تبعات هذا الاختيار من البداية.

تحكي سيدة أخري قصتها مع ابنها رفضت ذكر اسمها بقولها: «نسخة من أبوة خلص الجامعة وانضم لإخواته البنات، منتظر من يقوم بالإنفاق عليه دون أن يحاول العمل،

البعض يتخلى عن «القوامة» مقابل إنفاق الزوجة

غياب قيمة العمل سببه غياب الدين عن بعضهم

واستهلك كل وقته في البحث عن الوظيفة الميري والمرتب المغري وظل على هذا الوضع أكثر من خمس سنوات.

والأدهى من ذلك، كما تقول والدته، أنه يبحث عن عروسة وكل يوم يفاجئها بخطبته لبنت شكل.

ويقول الحاج صلاح، يبلغ من العمر خمسون عامًا: «لا يمكن لصاحب المهنة أن يعمل دون أن يكون مهيئًا لذلك وبالتالي يبدو للبعض أننا عاطلون وفي حقيقة الأمر نحن نعمل أفضل ما يكون وإذا عملنا فإننا نجيد ما نعمل والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا عمل أحدكم عملًا فليتقنه».

ويضيف، أنه يؤمن بعمل المرأة وأن الحياة تستلزم مساعدة كل طرف للطرف الآخر، لأن الحياة صعبة وهذا لا عيب فيه.

وأكد، أنه لا يضغط على زوجته للعمل وأن مسألة عملها مرتبط بشعورها بحجم المسئولية والمصاريف التي يتطلبها البيت.

غياب المفاهيم الدينية

ويقول الدكتور محمد عبد المنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر الشريف السابق: إن انتشار هذه الظاهرة دليل على غياب الثقافة الدينية في المجتمع، وبالتالي غياب قيمة العمل التي حث الإسلام عليها من خلال استشهادات قرآنية كثيرة وأحاديث مروية عن الرسول ﷺ.

وأضاف، إن تفضيل الرجل على المرأة يكون بقدرة الرجل على العمل والتكسب، فالله تعالى يقول «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم».

ويلفت، إن الإسلام حكم هذه العلاقة فجعل رعاية الأسرة وتوفير فرص سبل الحياة الهانئة من الأعباء التي تقع على كاهل الرجل، فإذا أخل بها وجب تطليق الزوجة منه وعدم طاعتها له، والحالة الوحيدة التي تعمل فيها الزوجة هو أن يكون الزوج مريضًا أو في ظرف يمنعه من العمل.

التأثير علي المجتمع

ويقول الدكتور أحمد زايد، أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة: «إن هذه الظاهرة تؤثر سلبًا علي المجتمع وأكثر ما تترك أثرًا علي الأبناء نظرًا لاختلال المهمات بين الأب والأم، فلا يعرف الأبناء أيهما من مهامه العمل؟».

وأضاف، إن كثيرًا من الأبناء لا يحبون العمل ولا يقدسونه نظرًا لأنهم يجدون الأب مشغولًا عنه في أمور سطحية وغير قادر علي الكسب ولا يرغب مطلقًا في العمل، وهو يقلد في ذلك والده، فمن شابه أباه ما ظلم.

وأكد أن هذا النوع من الرجال يكون سببًا في ضياع الأسرة بأكملها من الأم حتى أصغر الأبناء وبالتالي يظهر أثر ذلك جليًا علي المجتمع ككل.

وطالب المؤسسات الاجتماعية بدور أكبر في توعية بعض الآباء بخطورة هذه الظاهرة على الأسرة والمجتمع معًا، وهذه الخطوة تكون على المستوى الاجتماعي والبنيوي للمجتمع بأكمله.

دراسة

كشف الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بالقاهرة، أن عدد العاطلين عن العمل في مصر بلغ ٣ ملايين و١٨٣ ألف عاطل خلال عام ٢٠١١، بنسبة تبلغ ١٢٪ من إجمالي القوى العاملة، وإن نسبة البطالة بين النساء تصل إلى ٢٣٪ وإن أعلى نسبة من العاطلين تضمها فئة عمرية تتراوح بين ٢٠ و٢٤ سنة بنسبة ٤٠٪، تليها الفئة العمرية الممتدة بين ٢٥ و٢٩ سنة بنسبة ٢٣٪، ثم الفئة العمرية «١٥-١٩ سنة» بنسبة ١٠٪.



مسجد إشبيلية الجامع.. درة على جبين إسبانيا!

إعداد: تركي محمد النصر

«إشبالي» المدينة المنبسطة، هو الاسم القديم لهذه المدينة العريقة قبل أن يعرّبه العرب إلى «إشبيلية»، وهي مدينة كبيَرة عظيمة كانت أيام المسلمين من أعظم مدن الأندلس، وتعد اليوم من أكبر وأجمل مدن إسبانيا، وهي عاصمة منطقة الأندلس.. ومحافظة إشبيلية في جنوب إسبانيا، وتقع على ضفاف نهر الوادي الكبير.

عدد سكانها في عام ٢٠٠٧م حوالي ٧٠٠ ألف نسمة، مما يجعلها رابع أكبر مدينة في إسبانيا في السكان، بعد مدريد وبرشلونة وفالنسيا، وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، تقع إلى الجنوب الغربي من قرطبة بالقرب من المحيط الأطلسي.

قال ياقوت الحموي في معجمه: «وإشبيلية .. قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشّرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت به غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن، فإنّه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم، قريب في العظم من دجّلة والنيل، متيسر فيه المراكب المثقّلة، يقال له وادي الكبير».

وقال الحميري في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار: «ويطل على إشبيلية جبل الشرف، وهو شريف البقعة، كريم التُّربة، دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طولاً وعرضًا، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه، واشتباك غصونه.. ».

بدأت إشبيلية عصرها الجديد المشرق عندما فتحها المسلمون، وارتفعت أعلام الإسلام على الأندلس، وتقدّمت جيوش طارق بن زياد (ت: ١٠٢هـ) تفتتح المعاقل والحصون عام ٩٣هـ، ثم قدمت موجة أخرى من الفاتحين بقيادة موسى بن نصير عام ٩٧هـ، فأتم فتح المدن التي لم يفتحها طارق بن زياد، وآلت إشبيلية إلى المسلمين بعد حصار دام شهورًا عدة؛ لحصانة أسوارها ومناعتها، واختارها موسى بن نصير حاضرة للأندلس لوقوعها على البحر، وارتباطها بطرق مع سائر المدن الأندلسية الأخرى، وسهولة اتصالها ببلاد المغرب، قاعدة الجيوش الإسلامية، في حالة قيام الأندلس بالثورات، ولكن إشبيلية لم تتمتع بهذا التفوق، إذ تحولت العاصمة إلى قرطبة عقب مقتل عبدالعزيز بن موسى عام ٩٨هـ.

أصبحت البلاد مسرحًا للفتن والفوضى، بعد أن انبعث الصراع القبلي بين عدد من الولاة الأمويين، وبقي الأمر بينهم كذلك حتى دخل الأمير عبدالرحمن بن معاوية الأندلس (ت: ١٧٢هـ)، وأنقذها من الفتن التي شملتها، فقضى على مظاهر الفوضى المستحكمة بها، وكوّن دولة عربية إسلامية تعد امتدادًا للدولة الأموية.

لم يحدث كبير تغير بعد الفتح الإسلامي لإشبيلية، غير ذلك الذي حدث في الجانب الديني والاجتماعي، ووفد إلى إشبيلية عدد من العرب وسكنوها، إلا أنهم آثروا النزوح إلى العاصمة قرطبة، ولما استقر فيها جند حمص عام ١٢٤هـ. نزلت بإشبيلية قبائل عدّة عربية مثل: بني موسى، وبني زهر، وبني حجاج، وبني الجد، وبني خلدون، وتحول كثير



من النصارى إلى الإسلام: لحسن معاملة المسلمين لهم.
وفي عام ١٥٨هـ، اعتلى عبدالرحمن بن معاوية سرير الملك بقرطبة، فتمتعت إشبيلية في عهده- ومن خلفه من بني أمية- بازدهار شامل في حياتها، وأقام فيها أمراء بني أمية المنشآت العظيمة الخالدة، وكان عصر عبدالرحمن الأوسط العصر الذي اتصلت فيه إسبانيا الإسلامية بالمشرق العباسي لأول مرة اتصالاً مباشرًا، ذلك أن إسبانيا في عهدها الإسلامي الأول، وخاصّة في عهد عبدالرحمن الداخل، كانت تحافظ على مُثُلها وتقاليدها الشّاميّة.
استولى المعتمد بن عباد (ت: ٤٨٨هـ) على مقاليد الأمور بإشبيلية عام ٤٣٣هـ، وجعلها حاضرة لمملكته الصغيرة، وشهدت إشبيلية في عصر بني عباد ازدهارًا لم تشهده من قبل، ووصل بها الأمر أن أصبحت أعظم مدن إسبانيا الإسلامية، بعد أن تخلت لها قرطبة عن الزعامة، ولكن سرعان ما بدأت عظمة إشبيلية بالتلاشي، خاصة عندما توالى عليها عدد من خلفاء الموحدين الضعفاء، حتى وصل الأمر إلى دخول جيوش قشتالة إليها بعد حصار دام ١٧ شهرًا، كان ذلك في سنة ٦٤٥هـ.

الحياة العلمية في إشبيلية

تُعدُّ إشبيلية مركزًا من مراكز الثقافة الأندلسية العريقة، حيث يوجد بها جامعة قديمة ترجع إلى قرنين من الزمان، تحتوي على كليات للآداب والحقوق والعلوم وكليةٍ مستقلة للطب، وتدرس العربية قليلًا بكلية الآداب، وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم.. منهم في العلوم الشرعية أبوعبدالله بن عمر بن الخطاب الإشبيلي (ت: ٢٧٦هـ) وهو قاضيها، وفيها من اشتهر بالطب وتوارثوه جيلًا بعد جيل، وهم بنوزهر، وأشهرهم أبوالعلاء بن زهر بن أبي مروان (ت: ٥٢٥هـ)، كان من علماء الطب بالمغرب وتُوفي بإشبيلية، وأبوبكر بن زهر الحفيد، محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر، ولد سنة ٥٠٧هـ، وكان أوحد زمنه في صناعة الطب، وكذلك كان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية، كما اشتهر منها من علماء الزراعة أبوالعباس أحمد بن محمد بن الخليل المعروف بابن الرومية (ت:٦٣٧هـ) عالم النبات الأموي المشهور، وكان عالمًا محدثًا تلقى عنه الكثير من التلاميذ العلوم الشرعية، وأبوزكريا يحيى بن محمد بن العوام الإشبيلي (ت:٥٧٥هـ)، وهو أول من عرف وحدد الترب على أساس نوعها، والنباتات التي تختص بتربة دون غيرها.

إنشاء المسجد

بلغت إشبيلية ذروة مجدها وعظمتها في عهد الموحدين، وخاصة في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (ت: ٥٨٠هـ)، وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور (ت: ٥٨٥)، وأصبحت بحق حاضرة الأندلس وازدهرت فيها الحضارة والعمارة.
ومن معالم إشبيلية الحضارية الحي العربي القديم، حيث الشوارع الضيقة التي لا تسمح إلا بمرور السيارات الصغيرة، والهدوء العجيب الذي تنعم به الشوارع نهارًا، وجداول الماء التي في أفنية البيوت، والجدران التي تحمل نقوشًا عربية منقولة بأشكالها المعروفة في القصور والمساجد، وأكثرها يكرر جملة «لا غالب إلا الله».
وأُنشئ في المدينة منذ تأسيسها في العصر الإسلامي مسجدان جامعان..
الأول: مسجد ابن عديس، الذي بناه الأمير عبدالرحمن الأوسط عام ٢١٣هـ، ومازالت بقاياه ظاهرة حتى اليوم، وإن كانت تقوم عليها كنيسة سان سلفادور، وكانت قد أصيبت مئذنة المسجد في عام ٧٥٧هـ بأضرار جسيمة؛ نتيجة لزلزال عنيف هدم الجزء العلوي منها، وأقيم مكانها طابق النواقيس الحالي، ثم هدم المسجد بأكمله عام ١٠٨١هـ باستثناء المئذنة والبهو، وبنيت مكانه الكنيسة الجديدة.
لما ضاق مسجد ابن عديس- بعد مضي ثلاثة قرون على إنشائه- على المصلين من أهل إشبيلية، وكانوا يصلون في رحابه وأقبيته، وفي حوانيت الأسواق المتصلة به، فيبعد عنهم التكبير بالفريضة.. أمر الحاكم الموحدي أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ببناء مسجد جامع بالقصبة.
الثاني: المسجد الجامع بالقصبة الذي أسسه أبويعقوب يوسف، وهو منارتنا في هذا البحث.

عمارة الجامع

بدأ العمل المبارك في بناء هذا الصرح في شهر رمضان المبارك عام ٥٦٧هـ، وعُهد إلى شيخ العرفاء أحمد بن باسة الإشبيلي- وهو من أبرز خبراء البناء والتصميم والتخطيط وتنفيذ المشاريع الموحدية الكبرى والبناءين من أهل إشبيلية ومراكش وفاس- بذلك، وقد حفر المهندسون أساسه حتى وصل الحفر إلى الماء، ثم وضع أساسه من الآجر والجير والجص والأحجار، وأسست دعائمه تحت مستوى سطح الأرض.



صحن أوسط يدخل إليه من ١٥ بابًا ومئذنة تظهر للعين من بعد.. والبهو الرئيس تزينه أشجار البرتقال

استمرت عملية البناء من غير توقف ولمدة أربعة أعوام، حتى وصل البناء إلى التسقيف، وشابه- إلى حد كبير- مسجد قرطبة الجامع من حيث الاتساع والفخامة، واهتم العرفاء ببناء قبة المحراب، وأودعوا فيها كل عبقريتهم.

المنبر

صُنع للمسجد منبر من أغرب ما قدر عليه من غرابة الصنعة، اتخذ من أكرم الخشب مفصلًا منقوشًا مرقشًا محكمًا بأنواع الصنعة والحكمة في ذلك، من غريب العمل، وعجيب الشكل والمثل، مرصّعًا بالصندل، مجزّعًا بالعاج والأبنوس، يتلألأ كالجمر بالشعل، وبصفائح من الذهب والفضة، وأشكال في عمله من الذهب الإبريز يتألق نورًا، ويحسبها الناظر لها في الليل البهيم بدورًا.

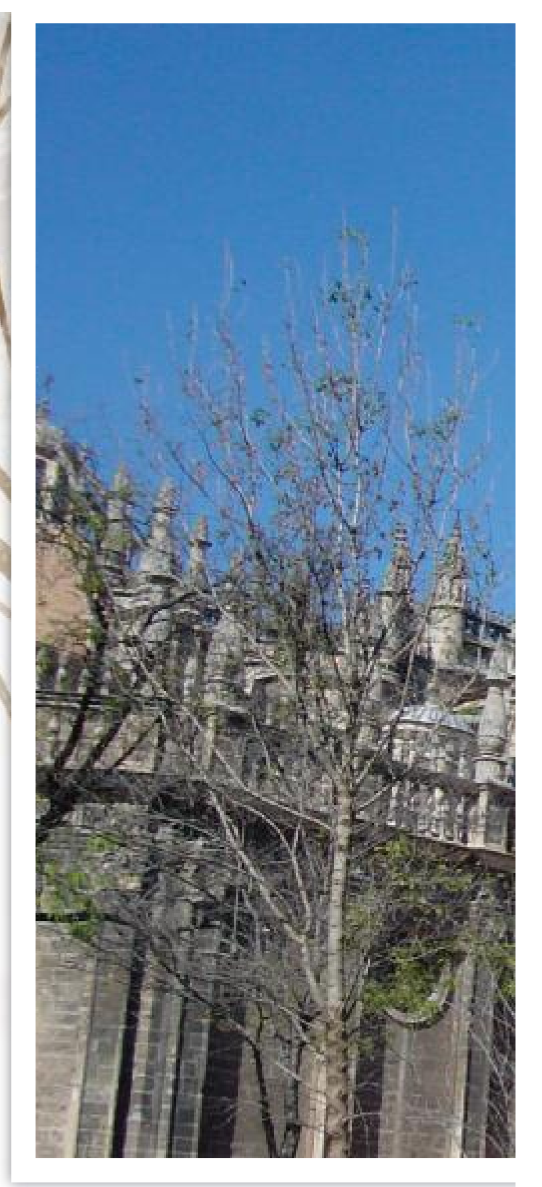
ثم أقيمت له مقصورة أحاطت بالمحراب والمنبر لصلاة الخليفة، وبني ساباك يربط بين المسجد والقصر؛ حتى يتسنى للخليفة أن يمشي فيه أثناء خروجه من قصره إلى الجامع للصلاة، وكان المسجد يشتمل على سبعة عشر رواقًا عمودية على جدار القبلة، البلاط الأوسط منها أكثر البلاطات اتساعًا، وعقود الجامع منكسرة تستند إلى دعائم من الآجر، وكان يدعم جدران الجامع الخارجية دعامات ضخمة لتدعيم الجدران، وافتتح الجامع في احتفال حضره الخليفة الموحدي أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، وولي عهده الناصر، وجميع بنيه وأشياخ الموحدين، والقاضي وأعيان المدينة، وخُطبت أول جمعة من على منبره بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ٥٧٧هـ.

المنارة الشامخة

بعد الافتتاح المبارك، أمر الخليفة الموحدي أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ببناء مئذنة شامخة للمسجد، إلا أنه تُوفي في هذه السنة فتوقف العمل، ولما تولى ابنه أبويوسف يعقوب المنصور الذي خلف أباه؛ أمَرَ والي إشبيلية بالإشراف على إتمام مشروع أبيه، وإكمال بناء مئذنة تجاوز في ارتفاعها مئذنة قرطبة، ولم توضع اللمسات الأخيرة النهائية بتعليق التفافيح الذهبية بأعلى الصومعة إلا بعد فراغ هذا الخليفة من غزوة «الأراك» أو «الأرك» في شهر شعبان من سنة ٥٩١هـ، وارتفعت المئذنة في رشاقة مشرفة على سهول إشبيلية، لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الأندلس، تظهر للعين على مرحلة من إشبيلية مع كوكب الجوزاء، تثير إعجاب المسلمين والنصارى فيما بعد على السواء.

وصف المسجد

تخطيط الجامع هو عبارة عن مساحة مستطيلة يتبع طراز المسجد التقليدي، وهو الصحن الأوسط والأربع ظلات المحيطة به، ويُدخل إليه عبر خمسة عشر بابًا، سبعة منها في الضلعين الشرقي والغربي، والباقي في الضلع الشمالي، والباب الرئيسي يعرف بـ«باب الزعفران»، ومازال يحتفظ بمصراعيه، وصحن الجامع عرضي عرف باسم «بهو البرتقال»؛ لكثرة أشجار البرتقال المزروعة بأرضيته، ويحيط بالصحن



بائكات الظلات الأربعة، وظلة القبلة تشغل ثلثي مساحة الجامع، وتتكون من سبع عشرة بلاطة تسير عقودها عمودية على جدار القبلة، أما الظلتان الجانبيتان فتتكون كل منهما من بلاطة واحدة.

النهاية الحزينة

لما سقطت إشبيلية في يد «فرناندو الثالث» ملك قشتالة سنة ٦٤٦هـ، قام بتحويل المسجد الشامخ إلى كنيسة أسماها كنيسة «سانتا ماريا»، وحفظت بها رفات فرناندو الثالث ملك قشتالة، وشيّد بالجامع قبر للرحالة «كريستوفر كولومبس» مكان مربع المحراب، وظل المسجد قائمًا على تلك الحال دون أن تصيب عمارته أضرار جسيمة، وتلاحقت عليه بعد ذلك المصائب على إثر الزلازل التي ضربت البلاد، فاضطر المجلس الكنسي بإشبيلية إلى اتخاذ قرار بهدمه وبناء كاتدرائية إشبيلية مكانه، وبالفعل هدمت الجهة القبلية للجامع، ووضع حجر الأساس في البناء الجديد عام ٨٠٤هـ، وظل بهو الجامع المعروف بـ«بهو البرتقال» محتفظًا بسلامته إلى حد كبير، حتى تهدمت مجنبته الغربية عام ١٠٢٦هـ. ولم يتبق من جامع الموحدين إلا دعامات البائكتين الشمالية والشرقية المطلة على الصحن، وعدة عقود تطل على بهوه من جهتي الشمال والشرق، ومن بين هذه العقود عقد الباب المعروف بباب الغفران، ومصراعا الباب المصفح بالبرونز وكتاباته الكوفية.

أما المئذنة فقد تحولت بعد سقوط إشبيلية إلى برج للأجراس ملحق بالكنيسة، ثم أزالت إحدى الصواعق الجزء العلوي من المئذنة عام ٨٩٩هـ، كما سقط جزء آخر منها في زلزال عام ٩٠٩هـ، وأقام الإسبان مكان هذا الطابق العلوي طابقًا جديدًا من البناء عام ٩٧٤هـ، نُصب في أعلاه تمثال من البرونز يدور مع الرياح، ومن هنا أطلق عليه اسم «خيرالدة» أو «دوارة الهواء»، وتحول هذا الاسم إلى «خيرالدا»، وأصبح يطلق منذ أوائل القرن الثامن عشر على البرج بأكمله، ولا يخفى على الزّائر أنّ «الخيرالدا» اليوم هي إحدى معالم إشبيلية الخالدة، لدرجة أنّها جرت في وجدان وتراث الإشبيليين، حتّى كادت تضاهي سمعة نهرها (الوادي الكبير) الذي يحمل اللفظ العربي نفسه.

خاتمة

سقطت قرطبة عاصمة الخلافة القديمة، وكبرى قواعد الأندلس، ومثوى العلوم والآداب.. بعد أن ملكها المسلمون أكثر من خمسمائة عام، وكان سقوطها عام ٦٣٣هـ ضربة قاسية، وكارثة جسيمة في العالم الإسلامي كله، وعُدّ سقوطها نذيرًا مهددًا بخضوع معظم البلاد إما عاجلًا وإما آجلًا، وتبعها بالسقوط بلنسية عام ٦٣٦هـ، ودانية عام ٦٤١هـ، وجيان عام ٦٤٣هـ، وشاطبة ومرسية عام ٦٦٤هـ، وإشبيلية عام ٦٤٦هـ.

استولى النصارى على آخر المدن الإسلامية (غرناطة)، وخفق علم النصرانية فوق مآذن جوامعها، وطويت صفحة الأمجاد والبطولات بأصابع الخيانة والذل، وانتشرت أخبار مذابح الصليبيين في الممالك الإسلامية، وقد وصف الشاعر أبوالفداء الرندي (ت: ٦٨٤هـ) أفعالهم بقصيدته المعروفة:

لكلِّ شيء إذا ما تم نقصانُ
فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسان
هي الأمورُ كما شاهدتها دُولٌ
من سره زمنٌ ساءته أزمان
فاسأل بلنسيةً ما شأنُ مرسيةٍ
وأين شاطبةٌ أم أينَ جيّان
وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان
حيث المساجد قد صارت كنائسَ
ما فيهم إلا نواقيسٌ وصلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثي وهي عيدان

وتقف مئذنة مسجد إشبيلية الجامع، ويبدو الشموخ عليها واضحًا رغم وضع الأجراس فوقها، وكأنها تقول: «هأنا مازلت مسلمة، وسيرجع إليّ المسلمون في يوم ما، ليملأوا سمائي نورًا وتكبيرًا».

غربت شمس الإسلام عن بلاد الأندلس، بعد أن أنارت هذه البلاد لقرون، أقاموا خلالها أروع حضارة عرفها الغرب، وكان من أثر حضارة الإسلام أن فتحوا أدمغة الغرب إلى العلم والحضارة، وأحيوا فيه إنسانيته، بعد أن عاش تحت الأوهام والخرافات قرونًا.

وبقيت حضارة المسلمين شاهدة وناطقة على المجد التليد الذي شيده المسلمون، فهاهو جامع إشبيلية وجامع قرطبة وقصر الحمراء والزهراء، معالم حضارية تحكي قصة المسلمين في الأندلس المفقود، قال أحدهم متألمًا:

وقفتُ بالزهراء مستعبرًا
معتبرًا أندب أشتاتًا
فقلت: يا زهراء ألا فارجعي
قالت: هيهات وهل يرجع من ماتَ؟!
فلم أزل أبكي وأبكي بها
هيهات يُغني الدمع هيهاتا

المراجع:
١- المسجد الجامع بقصبة إشبيلية، د.عماد عجوة.
٢- معجم البلدان لياقوت الحموي.
٣- العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي، د.محمد محمد الكحلاوي.
٤- العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس، د.أحمد التوني رستم.
٥- لماذا غربت شمس الإسلام عن الأندلس، د. أبو النور أحمد الزعبي.
٦- الأعلام، لخير الدين الزركلي.
٧- ابن العوام الإشبيلي، د.محمد هشام النعسان.
٩- المساجد والقصور في الأندلس، د.عبدالعزيز سالم.

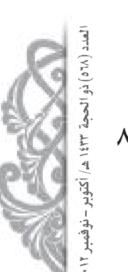


هل تقود أدوية الإقلاع عن التدخين إلى الانتحار؟!

هدير جلال - القاهرة : دار الإعلام العربية

«وداعًا للتدخين، حياة بلا تدخين».. هذه بعض الوعود الكثيرة التي نتابعها في الإعلانات الخاصة بالأدوية المضادة للتدخين.. لكن هل فكر أحد منا في مدى صلاحية هذه الأدوية؟ وهل تعرف على نسب النجاح التي حققتها في القضاء على التدخين؟!.. الواقع أن دراسات عديدة أثبتت فشل هذه الأدوية في القضاء على التدخين، بل وأكدت المخاطر العديدة التي تسببها في التأثير على الحالة النفسية لمستخدميها، ما قد يؤدي بهم إلى الاكتئاب والانتحار، فضلًا على تسببها في العديد من الأمراض القاتلة كالسرطان وأمراض القلب والرئة.. «الوعي الإسلامي» سألت المختصين حول هذه الأدوية، وجاءتكم بالتفاصيل.

حالة من الحيرة يعيشها كل من يريد أن يقلع عن التدخين.. أيهما يصدق! هذه الإعلانات التي تعده بتقديم وسيلة سهلة تساعده على تحقيق حلمه بالتخلص من وباء التدخين، أم يصدق الدراسات العلمية التي تحذره من استخدامها، ومنها ما كشفته إحدى الدراسات من





أن الأدوية المضادة للتدخين أو تلك التي تساعد على الإقلاع عنه لها آثار جانبية خطيرة أبرزها الدخول في دوامة الاكتئاب التي قد تقود بدورها إلى الانتحار، وأوضحت الدراسة التي نشرتها المجلة (أتلانتك) الأمريكية أن نحو 90% من حالات الانتحار المبلغ عنها في الولايات المتحدة الأمريكية كانت لأشخاص يتناولون أدوية لمكافحة التدخين؛ لذلك طالبت الدراسة من يحاولون الإقلاع عن التدخين بالبحث عن وسائل أخرى لتجنب الأدوية المضادة للتدخين؛ لأنها تضر أكثر مما تنفع.

آثار جانبية خطيرة:

وبسؤال د.محمد رؤوف حامد، أستاذ علم الأدوية، والنائب السابق لرئيس هيئة الرقابة على الأدوية، عن صحة هذه الدراسات، أكد مصداقيتها، موضحًا أن لهذه الأدوية مخاطر عديدة من أهمها التأثير في الجهاز العصبي، فالتدخين يعني دخول النيكوتين إلى الجسم، وأي مادة تدخل إلى الجسم لكي تعطي آثارًا مقاربة للنيكوتين، يلزم أن يكون لها آثار جانبية خطيرة متعلقة أكثر بالناحية النفسية.. ومعروف أن الدواء المقصود في هذه الدراسة يتكون من مادة «فارينكلين»، التي تتكون من نيكوتين لكنه أضعف من النيكوتين الموجود في السجائر العادية، وأي دواء من هذه النوعية يحدث تلوثًا في الجسم، فضلاً على أن مثل هذه الأدوية يكون لها آثار جانبية غير معروفة من قبل، وهذا أمر خطير؛ لذلك تحتاج إلى المتابعة وإلى إجراء كثير من التجارب للتأكد من صلاحيتها وكيفية الحد من خطورتها.

وأوضح حامد أن معظم هذه الأدوية تسبب تأثيرات نفسية خطيرة، كأن تجعل الشخص أكثر توترًا، وأكثر إحباطًا ما قد يدفعه إلى الانتحار، ولعل هذه التأثيرات هي التي دفعت إحدى شركات الأدوية المسؤولة عن بيعه في مصر إلى الإعلان عن تأثيراته الجانبية.

كما أكد عدم اقتناعه بهذه النوعية من الأدوية، موضحًا أن علاج إدمان التدخين أو إدمان المخدرات، يلزم أن يتم وفقًا للأسلوب العلمي الذي ثبت نجاحه في علاج الإدمان، عن طريق إعطاء جرعات من نفس المادة التي يتناولها الشخص، لكن يتم التقليل التدريجي من هذه الجرعات: فمثلاً يتم إعطاء الشخص 50 سيجارة في الشهر الأول ثم 40 في الشهر الثاني و30 في الشهر الثالث وهكذا إلى أن يتم سحب آثار هذه المادة نهائيًا من الجسم، وهنا يلزم أن يتم متابعة هذا العلاج عند أحد المتخصصين.

ويتم هذا العلاج بالتوازي مع علاج آخر وهو «العلاج السلوكي النفسي»، الذي يتم عن طريق وضع أسئلة تطرح على الشخص لمعرفة اهتماماته، ويتم الاستفادة من ذلك بتوفير أعمال تشغل الشخص عن التفكير في التدخين، مثل ممارسة هواية معينة كالقراءة أو لعب إحدى أنواع الرياضة المفضلة لديه، فالشوق للتدخين يقل عندما يبدأ الشخص بتنمية مهارته أو الاهتمام بأشياء أكثر منفعة، وبفضل هذا العلاج تقل التأثيرات الناتجة عن انسحاب النيكوتين من الجسم بطريقة آمنة.

لم تثبت فعاليتها!

وأتفق معه د.رفعت أبوالفتوح، أستاذ أمراض الصدر والحساسية، مؤكدًا أن معظم الأدوية المضادة للتدخين وكذلك السيجارة الإلكترونية، لم يثبت فعاليتها بعد في مكافحة التدخين، فهي مازالت تحت البحث والتجريب، فضلاً على عدم استخدامها من قبل العديد من الأشخاص؛ لذلك نتائجها غير مؤكدة بعد.

وأضاف «أبوالفتوح» بأن العامل الحقيقي المؤثر في قدرة الشخص على الإقلاع عن التدخين هو رغبة وإرادة هذا الشخص؛ أي هل يريد إنقاذ نفسه ومن حوله من مخاطر التدخين أم لا؟، فالرغبة القوية تغني عن الاستعانة بأية أدوية، والعكس لو استعان الشخص بكافة الأدوية الموجودة في العالم ولم يكن لديه الرغبة الحقيقية للإقلاع عن التدخين لن تفيده هذه الأدوية، وأكد «أبوالفتوح» على المخاطر الكبيرة للتدخين بقوله «أنصح كل أب أو شاب أن يقلع عن التدخين لحماية نفسه ومن حوله، فتأثير التدخين لا يعود فقط على الشخص المدخن بل أيضًا على الآخرين».

وحدّد «أبوالفتوح» أهم مخاطر التدخين على الجسم بقوله: ليس صحيحًا أن التدخين يؤثر في الرئتين والقلب فقط، بل تمتد آثاره للجسم بأكمله مسببًا العديد من الأمراض منها النزلات الشعبية الحادة التي من شأنها التأثير في الرئتين وعلى عضلة القلب، كذلك يسبب سرطان الرئة والحنجرة، وارتفاع ضغط الدم، والذبحات الصدرية وقرح المعدة، إضافة إلى الشيخوخة المبكرة،



حيث يضعف جسم الشخص ويصبح غير قادر على القيام بأي شيء يتطلب قوة بدنية.

وأردف أبوالفتوح قائلاً: إن مخاطر التدخين تمتد إلى الجنين في رحم الأم، فإذا كانت الأم مدخنة أو تعرضت لاستنشاق كمّ كبير من دخان السجائر قد يؤدي ذلك إلى أنّ تلد أطفالاً مشوهين، وللتدخين آثار سلبية على نمو الجنين والحالة الغذائية للأطفال حديثي الولادة، حيث إنهم يعانون صعوبة في النمو بشكل طبيعي، كما أن أوزانهم تكون أقل من نظائرهم في السن، كما يؤدي أيضًا إلى الولادة المبكرة أو الإجهاض.

الإرادة القوية:

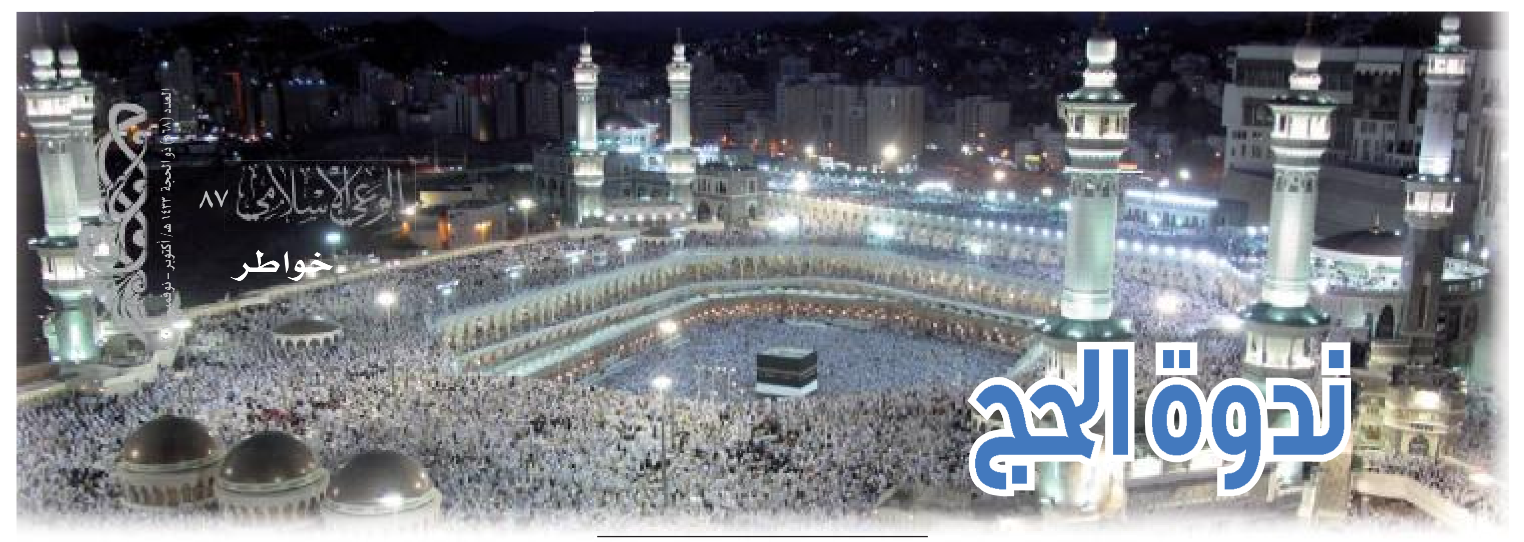
ولأن الإقلاع عن التدخين هو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه معظم المدخنين، ومنهم من ينجح في ذلك ومن يفشل؛ لذلك يؤكد د.نبيل الزهار، أستاذ علم نفس بكلية التربية جامعة قناة السويس، أن المدخن شخص ضعيف الإرادة، فهو يعتمد على التدخين كشيء أساسي في حياته، ولا يستطيع العيش بدون دخول النيكوتين في جسده؛ لذلك أصبحت كل أهدافه تنصب على إشباع هذا الجانب بغض النظر عن مدى الأضرار التي ستعود عليه؛ لذلك تجده دائمًا شديد العصبية ويعاني حالة من التوتر الدائم.

وأكد «الزهار» أن الإرادة القوية هي العامل الأساسي والأكثر أهمية للمساعدة على الإقلاع عن التدخين، فالشخص الذي يرغب في الإقلاع عن التدخين يجب أن تتولد لديه الإرادة القوية حتى يتمكن من ذلك، وهذه الإرادة لا تتواجد في الغالب إلا بعد فوات الأوان؛ أي عند وقوع الشخص في مشكلة صحية خطيرة كإصابته بمرض في القلب كتصلب الشرايين أو مشكلة في الرئتين أو الصدر وغيرها من الأمراض الخطيرة التي تكون نتيجة طبيعية للتدخين، فهنا ينصح الطبيب المريض بالإقلاع عن التدخين وإلا فأنه يسبب المزيد من المشاكل الصحية التي قد لا يمكن حلها.

وأوضح «الزهار» أن دعم الأسرة أيضًا له دور كبير جدًا في تشجيع الفرد على الإقلاع عن التدخين، وأكد على ضرورة أن يكون هذا الدعم معنويًا وعاطفيًا، وألا يكون في شكل إهانة أو إجبار؛ لأن ذلك سيأتي بنتيجة عكسية تجعل الشخص يتمسك أكثر بالتدخين..مؤكدًا أن الدراسات العلمية أثبتت أن معظم المدخنين يقومون بعملية التدخين في البداية كتقليد منهم لآبائهم، فإذا كان الأب مدخنًا يصبح الابن مدخنًا أيضًا، والأمر لا يتوقف فقط على الآباء بل أيضًا على الأشخاص وثيقي الصلة أو شديدي القرابة لهذا الشخص، حيث يتوحد معهم، ومن ثمّ يبدأ في تقليدهم، ومن هنا وجّه «الزهار» طلبًا لكل أب حريص على صحة أبنائه بأن يتوقف عن التدخين حتى لا يقلدونه لاحقًا.

تدخين تليفزيوني!

كشف صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي التابع لرئاسة مجلس الوزراء المصري، عن ارتفاع نسب مشاهد التدخين وتعاطي المخدرات في الدراما التليفزيونية الرمضانية من 51 ساعة خلال عام 2010 إلى 71 ساعة خلال عام 2012.



محسن عبدربه
ناقد أدبي

عقدت الندوة الشهرية لأسرة أبي أحمد، وبدأت أمينة الندوة أم أحمد الندوة بقولها: زوجي العزيز أبا أحمد، أبنائي محمد أحمد محمود محمدي حمادة حمدي، بناتي نورا عزة علا إيمان توحيدة.. يقول الله- عز وجل- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧). رفع الابن محمد يده قائلًا: لقد تعلمنا أن الاسم المفرد يكون مجرورًا بالكسرة، فلماذا جاءت كلمة ببكة مجرورة بالفتحة؟! قالت أم أحمد: لأنها ممنوعة من الصرف أي التنوين، للعلمية والتأنيث.

قالت توحيدة: وما معنى كلمة بكة؟ ولماذا سميت بذلك؟!

قالت أم أحمد: بكة بالباء لغة في مكة، سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تدقها، قال حمدي: ما معنى الحج في اللغة؟! قالت أم أحمد: الحج في اللغة هو القصد، قال محمدي: وما المراد بالاستطاعة؟! قالت أم أحمد: تحمل مشاق السفر إلى البيت الحرام، قالت عزة: ما معنى ﴿أول بيت وضع للناس﴾؟! قالت أم أحمد: إن أول بيت بني لعبادة الله، هو الذي ببكة، قيل: هو أولها من حيث القدم، وقيل: من حيث الشرف، قالت علا: ما معنى ﴿آيات بينات﴾؟ وما هي تلك الآيات؟!

قالت أم أحمد: آيات واضحات، منها مقام إبراهيم، ومنها أن من دخله يأمن على نفسه ولا يتعرض له أحد، عند أبي حنيفة: من دخله لا يقبض عليه ولو كان قاتلًا، بل يرجأ إلى الخروج، قالت نورا: ما معنى ﴿ولله على الناس حج البيت﴾؟ قالت أم أحمد: فرض الله على الناس حج البيت أي: قصده، قال أبو أحمد: ما معنى الحج وما أشهره؟! وما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)؟! قالت أم أحمد: المراد بالحج وقته، وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، وقيل كله. فلا رفث: فلا مباشرة للنساء أو فلا فحش في الكلام، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ولا خروج عن حدود الشريعة، ومعنى قوله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أي: ولا خصام مع الرفقاء، قال حمادة: ما معنى الإفاضة من عرفات؟! قالت أم أحمد: النزول منه، قال أحمد: ما معنى المشعر الحرام؟! ولماذا سمي مشعرًا؟! قالت أم أحمد: المشعر الحرام جبل يقف عليه الإمام، وسمي مشعرًا لأنه معلم العبادة، قال محمود: ما معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾؟ ولمن الخطاب؟! وما سبب نزول هذه الآية؟!

قالت أم أحمد: ثم انزلوا من عرفة حيث ينزل الناس، لا من المزدلفة لتترفعوا عن الخلق، والخطاب لقريش.. فقد كانت تترفع عن الناس فنزلت هذه الآية لردعها عن ذلك.

قالت إيمان: ما المراد بالمناسك؟! قالت أم أحمد: العبادات المختصة بالحج، قال أبو أحمد: ما معنى قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾؟ وما سبب نزول هذه الآية؟! وما الإشعار في هذا؟! قالت أم أحمد: ليس عليكم إثم ولا ذنب أن تطلبوا فضلًا من ربكم بالتجارة في أثناء أشهر الحج، وقد كانوا في الجاهلية يقيمون أسواقًا للتجارة، فلما جاء الإسلام تأثموا من ذلك فنزلت هذه الآية تبيح لهم الاتجار في أشهر الحج، وهذا إشعار لهم أن هذا الدين لم يفرض عليهم ليحرمهم من الكسب ويعطل مواهبهم، ولكن ليهديهم أقوم السبل ويحفزهم إلى أسمى الغايات.

قالت عزة: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠)؟ قالت أم أحمد: فإذا أتممتم عبادتكم الخاصة بالحج فاذكروا الله بقدر ذكركم آباءكم أو أكثر، وقد كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فذكروا مفاخر آبائهم ومحاسن أمهاتهم. قال حمدي: ما المراد بالأيام المعدودات في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٠٣)؟! قالت أم أحمد: أيام التشريق الثلاثة. قالت توحيدة: ما معنى وأذن؟ أي: وأعلم، الخطاب لإبراهيم عليه السلام، رجالًا: أي مشاة، جمع رجل، ضامر: أي مهزول هزله السفر، ضمر البعير يضمر ضمورًا. فج الفج: الطريق الواسع المحصور بين جبلين، جمعه فجاج. عميق: بعيد القاع.

قال أبو أحمد: يا أبنائي، الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وفيه يلتقي المسلمون من جميع الأجناس والألوان تلبية لخالقهم وحبًّا له، تظهر فيه وحدتهم وقوتهم ومهابتهم، فيعمل لهم الآخرون ألف حساب، كما أن في الحج تذكيرًا بالآخرة: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٦).



إعداد: محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

شرطُ العلمِ فيمَن تصدّر للفتوى وعُرِف بها:

عَرَفَ الصّحابةُ قيمةَ العلمِ في حياة العالم والمتصدّر للنّاس تعليمًا ودرسًا؛ فكان أحدهم لا يتكلّم إلا بما عَلِمَ، ولا يحدّث إلّا بما سَمِعَ، ولا يَخوض في شأن الفتوى وإرشاد النّاس إلّا العالمون منهم، ولا تُعقَد المجالسُ إلا لمن عُرِف بالفهْم والتقوى، ولا يفتي في الحلال والحرامِ وأحوال النّاس إلا مَن توافرتْ فيه شروطُ المجتهدين.

وقد وَرَدَ عن الصّحابة ما يدلُّ على أهميّة هذا الشّرط والتزامه منهجًا علميًا وعمليًا في حياتهم، فأقوالهم دلّتْ على سيرتهم، وحثُّهم النّاسَ على العلم وترغيبهم فيه واضحٌ، ونَهْيُهم مَن ليسَ أهلاً في العلم أن يخوضَ فيها منهجٌ متّبعٌ، وتحذيرُهم من المتعالمين الّذين يفتون النّاس في كلّ شيء ولا يتورّعون شرعةً ودينً؛ وبذلك عظّموا شأنَ الفتوى؛ فلم يُؤثَرْ عنهم شيءٌ من أغاليط الجهّال، أو شواذّ المسائل والأحكام.

وممّا أُثِرَ من أقوالهم في صفة المفتي ونعته وحاله، بل ويمكن اعتبارُه مَعْلَمًا من معالم المنهج الّذي سار عليه مَن قعّد لهذا الفنّ، وَوَضَعَ أصولَه وضوابطَه -من العلماء والأصوليّين- ما يلي:

١- عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: «ألا أنَبِّئُكُم بالفقيه حقّ الفقيه؟ مَن لم يقنّط النّاسَ من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنْهم مكرَ الله، ولم يترك القرآنَ إلى غيرِه، ولا خيرَ في عبادة ليس فيها تفقّهٌ، ولا خير في فقه ليس فيه تفهّمٌ، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّرٌ» (رواه الدّارميّ: (١/٨٩)، والآجري في «أخلاق العلماء»: (ص: ٧٢)).

فتاوى الوعي

حديثُ النّبيِّ ﷺ في تغييرِ المنكرِ

السّؤال الثّاني من الفتوى رقم (٣٦٣٣)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسّعودية السّؤال التّالي:

حديث (تغيير المنكر)؛ هل المقصود: لكي يتغيّر المنكر أن نترك المكان الذي به منكر، أم نظلّ.. ونكرهه، وننكرُه بقلوبنا؟ أفيدونا مأجورين.

فأجابت بما يلي:

المسلمون في إنكار المنكر درجات؛ منهم من يجب عليه إنكارُ المنكر بيده؛ كولي الأمر، ومن ينوب عنه ممن أعطي صلاحية لذلك، كالوالد مع ولده، والسيد مع عبده، والزوج مع زوجته: إن لم يكف مرتكب المنكر إلا بذلك، ومنهم من يجب عليه إنكاره بالنصح، والإرشاد، والنهي، والزجر، والدعوة بالتي هي أحسن دون اليد والتسلط بالقوة؛ خشية إثارة الفتن وانتشار الفوضى، ومنهم من يجب عليه الإنكار بالقلب فقط؛ لضعفه نفوذًا ولسانًا، وهذا أضعف الإيمان، وقد بيّن النّبيُّ ﷺ ذلك في قوله: «من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وإذا كانت المصلحة الشرعية في بقائه في الوسط الذي فشا فيه المنكر أرجح من المفسدة، ولم يخش على نفسه الفتنة بقي بين من يرتكبون المنكر، مع إنكاره حسب درجته، وإلا هجرهم محافظة على دينه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ضلال الآخرين

الموضوع (١٩٩٧/٦١)

سئلت «لجنة الفتوى في الأزهر الشريف» السؤال التالي:

أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وهل من الحديث ما يقال: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وهل تناقضٌ بين الآية والحديث؟

فأجابت اللجنة بالتالي:

هذه الآية تنصُّ على أنّ الإنسانَ لا يتحمّل وزرَ غيرِه إذا كان هو مهتديًا، لكنّ الاهتداء لا يكون إلا بالقيام بالواجبات، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالسُّكوت على المنكر ممنوع، ولابُدّ من تغييرِه بإحدى الوسائل الممكنة، ففي الحديث الشريف: «من



وهذا القول جامعٌ في بابِه؛ لاشتماله على جملة من الشّروط التي يجب أن تتوافرَ في المفتي مِن: رحمة بالنّاس، وصدق في الإفتاء، وعدم تهاون في تـرْك الـنّـاس ومعاصيهم، وضبط الرُّخص في الأحكام، واشتراط العلم، وفهم الواقع والحال، واعتماد القرآن والسُّنّة مستندًا في الفتوى، وترك الفتوى بلا علم.

٢- وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال: «مَنْ أفتَى الناسَ بفُتيا وهُو يَعْمَى عنها؛ فإنّما إثمُها عليه» (رواه الـدارمـيّ: (١٦٠)، والبيهقي في «المدخل» ص (١٧٩)).

٣- وعن ابن سيرين رحمه الله أنّه قـال: قـال حذيفة رضي الله عنه: «لا يفتي النّاسَ إلّا ثلاثةٌ: رجل قد عَرَف ناسخ القرآن ومنسوخَهُ، أو أميرٌ لا يجد بُدًّا، أو أحمقُ متكلّف» (رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: (٢٢١٤)).

٤- وعن نافع رحمه الله عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «العلم ثلاثةٌ: كتابٌ ناطقٌ، وسُنّة ماضية، و(لا أدري)» (رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه»: ص(٧٢٠)).

وقد أشار الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله إلى ما يستفاد من الآثار الـواردة عن الصحابة في اشتراط العلم فقال: «أصول الأحكام في الشّرع أربعة: أحدُها: العِلمُ بكتاب الله، على الوجه الّذي تصحّ به معرفةُ ما تضمّنه من الأحـكـام: محكمًا ومتشابهًا، وعمومًا وخصوصًا، ومجملاً ومفسرًا، وناسخًا ومنسوخًا. والثّاني: العِلْمُ بسُنّة رسول الله ﷺ الثابتة من أقواله وأفعاله، وطرق مجيئها في التّواتر والآحاد، والصّحة والفساد، وما كان منها على سبب أو إطلاق. والثّالث: العِلْمُ بأقاويل السّلَف فيما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه؛ ليتبعَ الإجـمـاعَ، ويجتهدَ في الـرّأي مع الاختلاف. والرّابع: العِلْمُ بالقياس الموجب؛ لردّ الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها، والمجمَع عليها؛ حتّى يجدَ المفتي طريقًا إلى العلم بأحكام النّوازل، وتمييز الحقّ من الـبـاطـل، فهذا ما لا مندوحة للمفتي عنه، ولا يجوز له الإخلال بـشـيء منه»«الـفـقـيـه والمتفقّه»: ص(٦٩٣)).

رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، فمن لم ينكر المنكر لا يكون مهتديًا، والإنكار يتّفق مع الحديث: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فلا يوجد تناقض بين الآية والحديث، ويوضّح هذا ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن قيس قال: «خطبنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه؛ أوشك أن يعمّهم اللهُ بعذابٍ مِن عندِهِ» وهو حديث حسن صحيح.

وروى أبوداود والترمذي وغيرهما عن أبى أمية الشعباني قال: أتيت أب ثعلبة الخشني: فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أيّة آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾، قال: أما واللّه لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول اللّه ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا وهوىً متبعًا ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك، ودعْ عنك أمرَ العامة، فإنّ من ورائكم أيامًا: الصبرُ فيهن مثلُ القبض على الجمر، للعامل فيهن مثلُ أجرِ خمسين رجلاً يعملون مثلَ عملكم»، والكلام كثير في هذا الموضوع.

وخلاصتُهُ: أنّه لابُدّ من الاهتمام بأمر المسلمين، ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا فعل ذلك فقد اهتدى، وبالتالي لا يقع عليه وِزرُ مَن ضَلُّوا الطريقَ.

السّكوت عن رشوة الموظّف

(٦/٤٠ع/٨٤)

(٣٢٩) عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

هل يجوز للموظّف تبليغُ رئيسه عن المرتشي، أو السّارق، أو الذي يستغل وظيفتَهُ (سواء كَانَ زميلاً له، أو رئيسًا له، أو مسؤولاً عنه) في تحقيق مصالحه الشخصيّة، حيث سمعتُ أنّه لا يجوز قطعُ الأرزاق مع وضوح الحديث: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (أخرجه مسلم).

أفتونا فيما نحن مختلفون فيه، وجزاكم الله خيرًا.

وقد أجابت اللجنة بالتّالي:

في مثل هذه الحال يجب على من يطّلع عليه أن ينصحَه سرًّا، فإن لم يرتدعْ أنذرَهُ بأنّه سيبلغ الأمر لرؤسائه، فإن لم يرتدع أيضًا: أبلغ الأمر إلى من يستطيع منعهُ من هذه التّصرفات: والله أعلم.



إعداد: خالد محمد خلاوي

تعرف على الوظائف الجديدة في بريد مايكروسوفت Outlook

أطلقت شركة «مايكروسوفت» أخيرًا خدمة بريد إلكتروني جديدة باسم Outlook وهذه الخدمة الجديدة ستكون البديل لخدمة البريد الإلكتروني الشهيرة الهوتميل، وركزت مايكروسوفت في خدمة بريدها الإلكتروني الجديدة على البساطة في التصميم وسهولة الاستخدام والسرعة في استخدام وظائف البريد الإلكتروني.

ومن مميزات بريد «مايكروسوفت» الجديد إمكانية ربطه مع حساباتك في الشبكات الاجتماعية للتواصل معهم من خلال البريد، وأيضًا يمكن ربط حسابك في تطبيق المحادثة «سكايب» مع البريد ومن ثم إجراء محادثة الصوت أو الفيديو من داخل البريد مباشرة بالإضافة إلى دمج خدمة الحوسبة السحابية SkyDrive في خدمة البريد الإلكتروني الجديدة فإن المستخدم يتمكن من إرسال المرفقات كبيرة الحجم.

Outlook.com
A preview of modern email from Microsoft

وتعد شركة "مايكروسوفت" بأن الخدمة الجديدة لن تقوم بتحليل رسائل البريد الإلكتروني لعملائها، فضلًا عن عدم استخدامها لأغراض الدعاية والتسويق، بالإضافة إلى أن خدمة البريد الإلكتروني الجديدة ستكون خالية من الإعلانات.

وأوضحت الشركة أن عملاء خدمة البريد الإلكتروني

إصدار النسخة الثانية من تطبيق «كتابي»

يعتبر تطبيق «كتابي» من أهم التطبيقات التي تشد الانتباه على جهاز «الآيفون» لما يحتويه من كتب قيمة يتجاوز عددها المائتي كتاب، وتغطي مختلف الموضوعات.. فمنها ما هو ديني ومنها ما هو تربوي ومنها ما هو ثقافي، ويتيح التطبيق تصفح فهرس الكتاب للتأكد من محتواه وملاءمته لاهتماماتك، بالإضافة إلى مشاركة آرائك وتعليقاتك وتبادل النقاشات لتكون تجربة قراءة تفاعلية مميزة.

وبحسب موقع عالم التقنية فإن مجموعة Froot المتخصصة بتطبيقات الهواتف المحمولة الذكية والمملوكة من قبل شركة الحلول التقنية أطلقت النسخة الثانية من تطبيق «كتابي» ومن أهم التحديثات التي جاءت في هذا الإصدار ما يلي:

إمكانية استعراض والبحث عن كتبك المفضلة بسهولة حسب اسم الكتاب والتصنيف واسم المؤلف.

إضافة خاصية استرجاع الكتب، التي تمكنك من استرجاع كتبك المشتراة سابقًا.

إمكانية تسجيل الدخول للحصول على كتب مجانية.

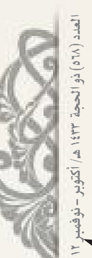
تشغيل القراءة الليلية، لقراءة أسهل ليلًا.

إضافة علامات للقراءة، والبحث داخل الكتاب.

دعم فني مباشر (Live Chat Support) لحل جميع مشاكل القراء.







Hotmail يمكنهم تسجيل الدخول في الموقع www.outlook.com بنفس بيانات المستخدم والتحويل إلى خدمة البريد الإلكتروني الجديدة، إلا أن عملية التحويل ليست إجبارية نظرًا لأن العناوين القديمة التي تنتهي بـ «@hotmail.com» ستظل سارية بعد عملية التحويل.

وبالإضافة إلى ذلك يتمكن المستخدم حسب الرغبة من الحصول على عنوان Outlook جديد إلى جانب العنوان القديم للبريد الإلكتروني.

ويتم استعمال خدمة البريد الإلكتروني Outlook الجديدة على الهواتف المحمولة المزودة بنظام تشغيل «جوجل «أندرويد»» عن طريق التطبيق المجاني من Hotmail.

أكثر من ١٠ مليارات رسالة يوميًا على برنامج «واتس أب»

أعلنت خدمة المراسلة الفورية الشهيرة «واتس أب» whatsapp من خلال حسابها في «تويتر» عن وصول عدد الرسائل اليومية في الخدمة إلى ١٠ مليارات رسالة عبر الهواتف الذكية، وقالت الشركة إن عدد الرسائل المستقبلة وصل إلى ٤ مليارات رسالة و٦ مليارات للرسائل المرسلة، وتعتبر خدمة «واتس أب» من أشهر خدمات المراسلة الفورية التي استطاعت أن تستقطب الملايين من المستخدمين حول العالم وجعلت الناس تنسى استخدام الرسائل النصية التقليدية.



كيف تجعل حسابك في «تويتر» حسابًا معتمدًا؟

يلاحظ متصفح موقع «تويتر» أن بعض الحسابات على الموقع تظهر بجوار أسماء أصحابها علامة (√) وحولها دائرة زرقاء بهذا الشكل، هذه الحسابات هي الحسابات المعتمدة أو الموثقة من «تويتر»، يعرفها «تويتر» نفسه بأن التحقق هو نظام للتحقق من صحة الهويات على موقع «تويتر» وذلك لمنع الالتباس ويُمكن المستخدمين من اكتشاف مصدر المعلومات الحقيقي بسهولة، إلى جانب شعار التوثيق ستجد عبارة «Verified Account» أي حساب موثق.

وذكر موقع عالم التقنية أن «تويتر» بدأ اعتماد هذا النظام من عام ٢٠٠٩ وهو موجه أساسًا للشخصيات العامة والمشاهير لإثبات صحة حساباتهم والتحقق من الحسابات الحقيقية من المزيفة لمنع تقمص أو استعارة أسمائهم ونسب أشياء وتصريحات إليهم أو حتى لتشابه الأسماء، وبالتالي فبكل سهولة أنت كمستخدم عندما تبحث مثلا عن حساب الرئيس الأميركي باراك أوباما سوف تظهر حسابات كثيرة بهذا الاسم، ولكن الحساب الموجود بجانبه تلك العلامة هو الحساب المعتمد الحقيقي للرئيس الأميركي.

وطبقا للتصريحات الرسمية لشركة «تويتر» فإن نظام الحسابات المعتمدة لا يتعامل إلا مع الأشخاص ذوي الشهرة والموثوقية العالية والذين يعانون من تشابه الأسماء أو التدليس كشرط أولي للقبول مثل الرؤساء أو رؤساء المؤسسات الحكومية أو المنظمات الدولية أو السياسيين أو الفنانين أو المشاهير عامة من رياضيين أو كتاب أو مؤلفين وغيرهم من الشخصيات العامة بالإضافة إلى دفع مبلغ ١٥ ألف دولار لجعل حسابك معتمدًا.

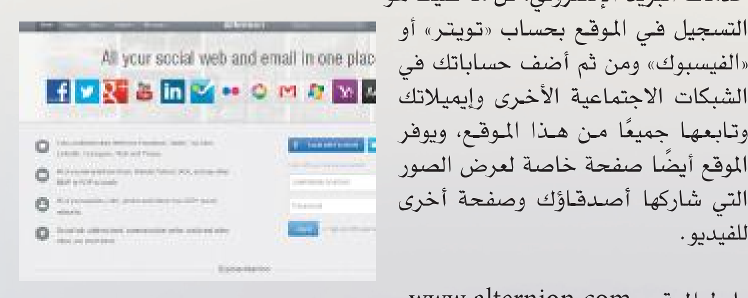
أخيرًا هل تريد معرفة كل الحسابات المفعلة في العالم ومجمعة في مكان واحد؟ ادخل على هذا الحساب الخاص بدعم «تويتر»..

ستجد كل الحسابات المفعلة، وهي حتى الآن وصلت لما يساوي نصف مليون حساب حول العالم للمشاهير والحكومات والمؤسسات والشركات الكبيرة.

https://twitter.com/#!/verified/following

تابع جميع حساباتك وإيميلاتك من موقع واحد

يقدم موقع Alternion خدمة متابعة جميع حساباتك في الشبكات الاجتماعية والبريد الإلكتروني من مكان واحد، حيث يدعم الموقع أكثر من ٢٢٠ موقعًا وشبكة اجتماعية وأشهر خدمات البريد الإلكتروني، كل ما عليك هو التسجيل في الموقع بحساب «تويتر» أو «الفيسبوك» ومن ثم أضف حساباتك في الشبكات الاجتماعية الأخرى وإيميلاتك وتابعها جميعًا من هذا الموقع، ويوفر الموقع أيضًا صفحة خاصة لعرض الصور التي شاركها أصدقاؤك وصفحة أخرى للفيديو.



رابط الموقع : www.alternion.com





القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

النص الرقمي في عصر الثورة الرقمية

التقنية الحديثة لم تعد خيارًا لدى المبدع هكذا يرى كثير من الأدباء والنقاد لاسيما المتحمسين منهم للثورة الرقمية، ومادامت التقنية الحديثة قد دخلت في خصوصيات المبدع الحياتية فإنه من عدم الانصاف أن نؤمن بأثر التقنية في حياتنا العامة ولا نلتفت إلى تأثيرها في الأفكار والرؤى، ولقد توقع بعضهم تقدم الأدب الرقمي على الساحة الأدبية بل وظهور أجناس أخرى من رحم الثورة الرقمية تبعًا لما يستجد على الساحة الالكترونية، فنحن في زمن الصورة والحركة واللون والإبهار وكل ذلك يجد رواجًا عند المتلقي فالكتاب الإلكتروني مثل الذي يقدم النص من خلال وسائط مصاحبة استقبله الكثير من القراء بالترحاب لأن عملية توظيف التكنولوجيا في عملية الكتابة يمكن الكاتب من بث حياة جديدة في نصوصهم من خلال استخدامهم للوسائط المصاحبة التي تمتع المتلقين وإذا كانت كل مجالات المعرفة قد استقبلت التقنية الحديثة بالترحاب الواسع فأولى بالأدب ألا يكون بمنأى عن التكنولوجيا والثورة الرقمية التي خلقت مجتمعًا افتراضيًا جديدًا يتشكل من خلال فضاء العالم الافتراضي والذي يطلق عليه العلماء (المجتمع الرقمي) وهو لاشك يختلف عن المجتمع الواقعي ليس في عالم التجارة الإلكترونية فحسب ولكن كذلك في العلاقات الإنسانية والعاطفية أيضًا وهذا التطور خلق منظومة من القيم والأخلاقيات الخاصة بالإنسان الافتراضي ولابد للأدب الرقمي أن يعبر عن هذا الإنسان ومجتمعه الذي يعيش فيه.

إن التاريخ الأدبي يقول إن ميشيل هويس هو أول من أصدر رواية تفاعلية في العالم بعنوان (الظهيرة) ١٩٨٦ ثم توالت بعده الروايات التفاعلية في الأدب الغربي، وعند إصرار الناقد الأردني محمد سناجله التنظيري في الواقعية الرقمية تحت عنوان (رواية الواقعية) وتلتها أعمال أخرى مثل شات– صقيع وغيرهما قوبلت أعماله برمتها للاستنكار والرفض وأصحبنا أمام إشكالية وجود الأدب الرقمي على الساحة الأدبية، فدعاة القدامة في العالم العربي متمسكون بالكتابة الورقية، ويكيلون الاتهامات لأصحاب النهج الجديد الذين جاءوا في نظرهم بأدب يقيض أركان قرون كثيرة من الكتابة الورقية ويصفون الأدب الرقمي بأنه أدب بلا مشاعر إنسانية.

• محمد أحمد عبدالقادر محمد

المحرر:

جزاكم الله خيرًا أخي محمد المدرس بالأزهر والخطيب بالأوقاف ولعلنا نحتاج لمثل هذه المساهمات التي تفتح نافذة أمام ما هو جديد في عالم الأدب والفكر.

«في رياض الذكر»

الذكر يبعث الرغد

حيي، هدى، حمى البشر

يسري فكم يروي أمنًا

يأسوا فكم يشفي ضرًا

أنس الديار الخالية

صحو النفوس الغافلة

نور الشموس الباهية

والروضات الناضرة

والنسمات الشادية

والرحمات النادية

بالنبضات الذاكرة

• محمد دنيا

المحرر:

الأخ الكريم محمد طلعت محمد دنيا وصلتنا مشاركتكم الشعرية وهي خمس قصائد ونشكرك عليها وسيتم نشرها تباعًا في هذا الباب لضيق المساحة في «المتن».

محاكاة

شـرف الشـعـر العـبـري بمـا قدمه الشعراء في مدح الحبيب محمد ﷺ لينقعوا به ظمأ نفوسهم ونفوس المؤمنين في شتى بقاع الأرض، وهم في الحقيقة يسهمون بدور كبير في ربط المسلم برسوله الكريم ليتمكن مـن الاقـتـداء والـتـأسـي.. ومـن هنا اختلف الشاعر في مدح المصطفى عن الشاعر في مدحه إنسانًا آخر، لأن المدح في رحاب النبي موظف في مقصد آخر غير مقاصد الشعراء من مدحهم العام، كما اختلف الشعر نفسه، فشعر المديح الدائر حول النبي



المعاصي تزيل النعم

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦).

عندما قرأت هذه الآية تأسفت، نعم تأسفت يا إخوتي، تأسفت على حالنا اليوم، لقد تراءت لي الكثير من الصور في حياتنا اليومية، أين كان التثبيط عنواننا الأبرز؟

يا إخوتي، إن في الحياة امتحانات واختبارات، للأسف الشديد قد نفشل فيها، وقد نذل أمام أهوائنا، وأسفاه على هذا الحال.

لا أريد من خلال كلامي هذا أن أزيدكم تثبيطًا، إنما أردت التنبيه والاستيقاظ من الغفلة التي نحن فيها، هذا الدين عظيم جدًا، ومن الواجب علينا أن نكد ونعمل لنوفيه حقه.. حالنا اليوم يدل على غير ذلك، لكن من المواجب علينا إخوتي المحاولة، من الواجب علينا ذلك.

إن أردنا فعلًا النهوض بهذه الأمة، يجب علينا أولًا أن ننهض بأنفسنا، هل فهمتم قصدي؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

قال بعض السلف أذنبت ذنبًا فحُرمت قيام الليل سنة، وقال آخر أذنبت ذنبًا فحُرمت فهم القرآن، وفي مثل هذا قيل: إذا كنت في نعمة فارعها... فإن المعاصي تزيل النعم.

والله ثم والله ثم والله، إن المشاكل تكمن في كل واحد منا، إن سعينا لإصلاح مواطن العطب فينا، لكان ذلك بمثابة القوة التي تجذب قوى معها، فتتحول إلى مشروع كبير، مشروع هدفه إعادة مجد أمتنا.

كم نتمنى أن يتحقق هذا الأمل، كم نتمنى أن يتحقق هذا الحلم، ولكن!

وما نيل المطالب بالتمني.... ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا

العمل والمثابرة والثبات هي عناوين أي نجاح، فلنأخذ بها، فلنجسدها في واقعنا، فلنحاول، فإنه من أخذ بالأسباب وتوكل على رب الأسباب ما خاب بإذنه سبحانه وتعالى أبدًا.

في أمان الله

• **أسامة طبش**

المحرر:

مساهمتك مكتوبة بأسلوب رائق وصوت الحماسة ينبعث منها، وكذلك واضحة هي الغيرة على حال الأمة، نضم صوتنا إلى صوتكم أخي الكريم من الجزائر.

ـــــــاة بردة البوصيري

مختلف تمامًا عن شعر المديح حول غيره، وقد بدا ذلك الاختلاف منذ تقدم كعب بن زهير- بلاميته لسيدنا محمد مادحًا معتذرًا.. ومن أشهر ما قدمه الشعراء في مديحه مطولة الإمام البوصيري الميمية المسماة البردة، ما جعل الشعراء كلهم يتبارون ويحرصون على محاذاته فيها بالتشطير وبالتربيع وبالتخميس وبالمعارضة.. والشعراء في محاذاتهم للبوصيري لم يسلموا له قيادهم كاملًا، فقد كان لكل منهم مع رسول الله المصطفى وجهة فرضتها عليهم ظروفهم الخاصة، ودفعهم اليهم منطلقهم الخاص في معايشته وأغراهم بها ظلالهم الخاصة التي لازمتهم في أثناء مصاحبته الوجدانية على ضوء المسار البوصيري في قالبه الفني.

ومن أهم الشعراء الذين حاذوا بردة البوصيري: محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، علي أحمد باكثير، ميشيل الله ويردى (عطيه الله).

• **مجدي إبراهيم**

المحرر:

الباحث الكريم الأخ مجدي إبراهيم جزاك الله خيرًا لم تتسع الساحة لنشر الدراسة كاملة ولعل المقدمة تكون سببًا في تتبعها خاصة أنكم أتقنتم العمل فشكرًا لكم.

اللغة العربية.. لغة القرآن

مما يؤسف له أننا نعيش في هوان للغتنا العربية فقد قل لها النصير وكأنها لغة أجنبية وهذا يشدنا إلى الخليفة الملهم عمر بن الخطاب وانتصاره للغة العربية.

رحم الله عمر بن الخطاب ﵁ حين أمر أحد ولاته بضرب كاتبه لأنه أخطأ في كلمة واحدة في رسالة موجهة من الوالي إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ تلك الغيرة المتدفقة منه على لغة القرآن الكريم ومن كلماته الخالدة «تعلموا اللغة العربية فإنها تثبت القلوب وتزيد في المروءة».

ذلك التوجيه العمري يعني أن تعلم اللغة العربية يحقق نتيجتين كلتاهما من أنبل وأجل الصفات الإنسانية والتربوية.

النتيجة الأولى: تثبيت القلوب والنتيجة الثانية: زيادة المروءة.

والقلب في اللغة بعامة وفي الاستعمال القرآني بخاصة يستخدم بمعنى العقل ويستخدم بمعنى الجانب الشعوري والعاطفي في الإنسان هذا زيادة على استخدامه بمفهومه العلمي بمعنى «العضلة الضاخة للدم».

أما المروءة ففسرها صاحب الصحاح بالإنسانية ونعود إلى ما سبق تكون النتيجة الأولى هي تثبيت النفس والشعور والعقل أما النتيجة الثانية فهي زيادة الملامح والصفات الإنسانية في الإنسان.

ولكن كيف يتم تحقيق هاتين النتيجتين عن طريق تعلم اللغة العربية والإجابة تتخلص بقدر فهمي في أن من يتعلم اللغة العربية ويتعمقها ويخلص الود لها بفروعها المختلفة ووجوهها المعنوية والجمالية سيكون همه منصرفًا إلى القرآن الكريم ببيانه المعجز وأبعاده الفكرية والروحية وقيمه الاجتماعية والنفسية يفهم كل ذلك بل يعايش كل ذلك فيكون تثبيت القلب وزرع الطمأنينة فيه.

كما أن تعمق اللغة العربية ومعرفة أسرارها ووجوهها الجمالية سيقود الانسان الى معايشة النماذج الشامخة النبيلة من الشعر والنثر.

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمة».

وقد أكد عمر بن الخطاب ﵁ هذا المعنى بقوله: «ارووا الأشعار فإنها تدل على الأخلاق».

وكل أولئك سيؤدي إلى تهذيب الذوق وصقل النفس وتصفية الروح وزيادة المروءة.

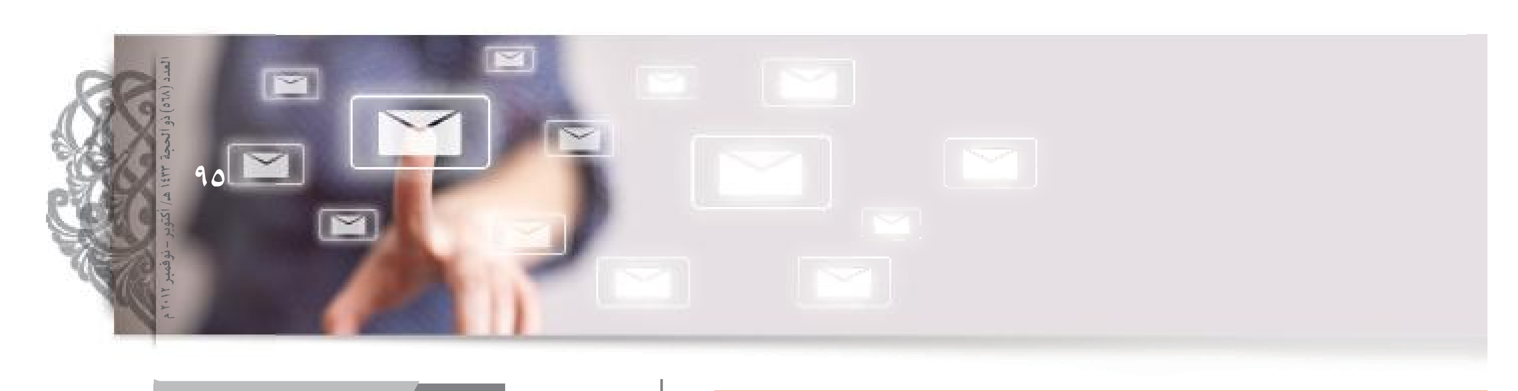
وقد رأيت صدق مقولة عمر بن الخطاب ﵁ بنفسي وأنا كنت طالبًا في المرحلة الثانوية فقد كان أضلع أساتذتنا في اللغة العربية وأحرصهم على التزام الفصحى في الشرح والحديث هم أكرمهم أخلاقًا وأنبلهم عاطفة وأحياهم ضميرًا.

• محمد السيد عامر

المحرر:
إن تهذيب الذوق وصقل النفس وزيادة المروءة من الأسس التي يتربى عليها المسلم ونشكر لكم التركيز عن الوسائل التي تؤدي لذلك.

الشجرة..قصة قصيرة

تنتظم دقات عصاه على الأرض، تتوالى وهو يمضي والليل، يشق الظلمة متجهًا إلى مبتغاه، الأرض أسفلتيه سوادها يمتد بامتداد البصر، لوقع الارتطام المنتظم رنين يهز قلب الليل الغارب، يحدق في شجرة السدر ذات الفروع الكثيرة والأوراق الصغيرة وهي ملتحفة بالعتمة، واقفة كحارس على مدخل بيت «المجدور» الذي تاهت حدوده في طيات الظلمة فلم يبد منه إلا سواد هلامي لا حدود له.. تواصل العصا دقاتها وهو ينظر إلى الشجرة وثمارها الصغيرة الملقاة على الأرض التي افترشها ضوء اللمبة الأصفر الهابط من أعلى الباب الحديدي الباهت السواد، ينظر إلى الحبات الصفراء راغبًا فهي فاكهة فجره لكنه وعلى غير رغبته يواصل السير مديرًا وجهه عنها رغم أنه كان يوميًا يجمعها قبل الفجر مثل الآن فرحًا بكثرتها، قائلًا إن هذا ليس رزقه وحده بل رزق المصلين القلائل الذين يشاركونه القيام في هذا الوقت، يجمع النبق في كيس صغير، وحينما يصل المسجد يفتح الصنبور عليه ثم يوزعه على الموجودين مؤكدًا أنه علاج ناجع لمرض السكر وأشياء أخرى، يقولها مداعبًا الكبار وأصحاب اللحى البيضاء مثله، إلى أن جاءت مرة أقعى فيها أسفل الشجرة يجمع النبق كعادته وإذا به يرتعد في مكانه وترتجف نبضاته فزعًا وهو



يرى إلى جواره ظلًا أسود يطوى الفراغ صاعدًا لأعلى، وحاجزًا عن عينيه النور تمامًا وصوت حاد يحاصره: هذه سرقة.

رفع رأسه بالكاد إلى مصدر الصوت محاولًا لم شتات نفسه والتحكم في ارتجافُ يديه ليجد «المجدور» أمامه يرميه بنظرات موبخة، اهتزت الحروف على شفتيه قليلًا قبل أن يتمكن من تجميعها متسائلًا: كيف؟

ويصمت قليلًا قبل أن يجد حروفًا أخرى وجدها ملائمة للموقف: لكنها على الأرض.. مشاع للمارة!

اعترض المجدور بحدة: بدون إذني؟

عاودت الحروف الانكماش على شفتيه وهو يشعر بساقيه المتهالكتين أصلًا تهددان بانهيار كامل، همس محاولًا التعلق بأي قشة تنجيه من بحر خجله هذا: وهل ترفض؟

قال الآخر بجفاء: نعم أرفض ومضى عنه.

يتذكر تلك الحادثة وهو يمضي يوميًا على ذات الطريق تدق عصاه الأرض الإسفلتية وسط الطريق بعيدًا عن بيت المجدور والشجرة وحبات النبق الصغيرة التي يلفها الضوء الأصفر بوشاحه فيصقل صفرتها أمام عينيه إلا أنه يدير وجهه عنه ويمضي، وحين يسأله أحدهم عن سبب انقطاع هداياه اليومية يكتفي بابتسامة صغيرة قائلًا إن الشجرة لم تعد تعطي قاصدًا أنها لم تعد تعطيه، إلى أن جاء اليوم ووجد المجدور أمامه بعد الصلاة، مد يده مسلّمًا واستعد للخروج غير أن الآخر اعتقل يده المعروقة بارتجافتها في باطن كفه وهو يهمس له: أذنت لك.

أدار عينيه نحوه محدقًا في وجهه محاولًا تفهم ما وراء كلماته، يرى نور المصابيح الساري في المكان ينهمر على ملامحه المجدورة من أثر مرض قديم ألم به في صغره وترك علاماته على وجهه مما جعل الناس يتركون اسمه الحقيقي شعبان وينادونه المجدور، بدت الرحمة رائقة الماء في أعماق عينيه بينما على شفتيه ملامح اعتذار على هيئة ابتسامة خجلى.. افلتت اليد المعروقة من باطن اليد الأخرى في رفق وقد أدرك ما هناك وهو يسأل: ما لأمر؟

أحنى المجدور رأسه هامسًا: لم تعد الشجرة تعطي ثمرًا.

● **محمد عباس داود**

ردود سريعة

● الأستاذ الدكتور أحمد يحيى علي- كلية الألسن- جامعة عين شمس، سعدنا بدراستكم القيمة عن رواية «شاعر ملك» على الجارم ولكننا نظرًا لضيق المساحة في دورية مثل الوعي الإسلامي- نعتذر عن نشرها مع كامل احترامنا وإعجابنا- بها ولعل القارئ الكريم يتابعها على صفحات مواقع أو دوريات متخصصة في النقد الأدبي.

● الدكتور إبراهيم طرابية نشكرك على مساهمة «ظاهرة هبوط المساكن» وتفسيركم لقوله تعالى الآية ٧٤ من سورة البقرة ويسعدنا متابعة حلقاتكم عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على ملتقى الدارين عبر الشبكة العنكبوتية كل اثنين في العاشرة مساء بتوقيت القاهرة كما ذكرت في رسالتك.

● الكاتب شريف قاسم وصلتنا مقالتكم عن «مجريات الأحداث في أقطار العالم الإسلام» ونشكر حسكم الوطني الواضح فيها، لكنها «للأسف» لا تناسب سياسة المجلة من حيث الابتعاد عن مواطن الخلاف السياسي.

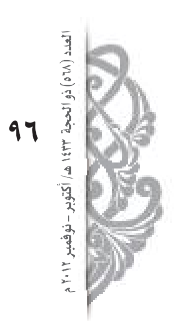
● المهندس أيمن عبدالفتاح جهدكم واضح في وضع الأسئلة الخاصة بمسابقة «لنعش مع القرآن» وسيتم دراستها قريبًا بإذن الله تعالى.

● الكاتب محمد أحمد شقرون مقالكم في جوف الكعبة سبق نشره في موقع «الألوكة»، وتبعًا لسياسة التحرير لا يمكن إعادة نشره في «الوعي الإسلامي» نرجو مزيدًا من المساهمات حصريًا للمجلة.

● الأستاذ فتحي موسى محمود بعد مراجعة بحثكم المرسل إلى المجلة بعنوان «شاركهم في الأجر» ٢٠ خصلة من خصال الخير تعدل ثواب الحج والعمرة، اتضح أنه سبق نشره في موقع «إسلام أون لاين» بما يخالف سياسة التحرير ولذلك رفض نشره، راجين ألا يتكرر إزدواج النشر.

● الباحث أحمد مصطفى علي حسين، وصلنا مقالكم «المتعصبون.. بشر في عجينة الشيطان» وفيه مخالفات شرعية تمنع من نشره بالمجلة، نشكركم وفي انتظار مساهمات أخرى يمكن نشرها.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.



من غرر الحكم



بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ -رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» . وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

الرافعي: «إنما النّكبةُ مَذهبٌ من مذاهب القَدَر في التّعليم، وقد يكون ابتداءُ المصيبةِ في رَجل هو ابتداءَ الحكمة فيه لنفسه أوَ لغيره، ومَا من حزين إلا وهو يشعر في بعض ساعات حُزْنه أنه قَد غُيِّبَت فيه أسرارٌ لَم تكن فيه، وهذا من إبانة الحقيقة عن نفسها وموضِعها كما لألأ في سَيف بَريقُهُ».

وحي القلم ٢/ ١٠٦.

- مَنْ ذاقَ طعْمَ المعرفة وجد طَعْمَ المحبّة.
جاء في «صيد الخاطر» لابن الجوزي: «إنَّ الرضى من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته (أي: الله) رضيت بقضائه، و قد يجري في ضمن القضاء مراراتٌ يجد بعض طعمها الراضي. أما العارف فتقلُ عنده المراراتُ لقوة حلاوة المعرفة. فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارةُ الأقدار حلاوةً». ص ٩٥.

الجاحظ: - «اعلَمْ أنّك متى تفرّدتَ بعلمك استرسَلْتَ إليه، ومتى ائتَمنتَ على نفسك نَـواجمَ خَـواطـرك، فقد أمكنت العـدوّ من ربْقةَ عُنُقكَ، وبنيةُ الطّبائع وتركيبُ النُّفوس، والذي جرت عليه العادةُ، إهمالُ النفس في الخَلا، واعتقالُها في المَلا».

رسائل الجاحظ (رسالة الوكلاء) ٤/ ٩٧.

«العلْمُ كالغَيْث ينزل من السّماء حُلْوًا صَافيًا فتَشْرَبُه الأشْجارُ بعروقها فَتُحَوِّلُه على قَدْر طُعُومها فيَزْدَادُ المُرُّ مَرارةً والحُلْوُ حَلاوةً؛ فكذلك العلْم تَحْفَظُه الرّجَالُ فَتُحَوّلُه على قَدْر هممَها وأهْوائها فيزيدُ المُتَكبِّرُ كِبْرًا والمتَواضعُ تَوَاضُعًا».

إحياء علوم الدين ١١/ ٢٦.

-يحيى بن خالد لأولاده: «انظروا في سائر العلوم، فإنّ مَنْ جهل الشيء عاداه، وأكره أن تكونوا أعداءً لشيء من العلوم».

المصون في الأدب، ص ١١٣.

-مَنْ عُرفَ بالحكْمَة لاحَظَتْهُ العُيونُ بالهَيْبَة.
-الحلْمُ مَطيَّةٌ وَطيئةٌ تُبَلِّغُ رَاكبَها قَاصيةَ المَجْد، وتُمَلِّكُه نَاصيةَ الحمْد.

نهاية الأرب ٦/ ٥٠.



-مَرارةُ الدُّنيا حَلاوةُ الآخرة، وحلاوةُ الدُّنيا مَرارةُ الآخرة.
-ذِكرُ الله أعذَبُ ما طرح إلى الأفواه، يا سَعادةَ من شُغفَ به لسانُه، واشتقّته شفتاه.
-إنّ البَلاءَ كلّ البلاءِ أن يكونَ الرّأي لمن يملكُه دون مَنْ يُبْصِرُه.

البيان والتبيين ١/ ٢٥٣.

-مَرارةُ الدُّنيا حَلاوةُ الآخرة، وحلاوةُ الدُّنيا مَرارةُ الآخرة.
-ذِكرُ الله أعذَبُ ما طرح إلى الأفواه، يا سَعادةَ من شُغفَ به لسانُه، واشتقّته شفتاه.
-إنّ البَلاءَ كلّ البلاءِ أن يكونَ الرّأي لمن يملكُه دون مَنْ يُبْصِرُه.

البيان والتبيين ١/ ٢٥٣.

-ليكنْ أصدقاؤك كثيرًا، وصاحبُ سرِّك واحدًا من ألف.
-إذا قصّرَتْ يدُك بالمكافآت، فأطلْ لسانَك بالشُّكر.
-ابن عطاء الله السكندري: «إذا علمتَ أن الشيطانَ لا يَغفُلُ عنك فلا تغفلْ أنتَ عمّنْ نَاصيتُك بيدِه».

الحكم العطائية، ص ١٥٦.

-صحبةُ الأخيارِ تورثُ الخيرَ، وصحبةُ الأشرارِ تورثُ الشَّرّ، كالريحِ إذا مرّتْ على النّتْن حملتْ نتنًا، وإذا مرّتْ على الطِّيْبِ حملتْ طِيبًا.

الصداقة والصديق، ص ٥٤.

-مَنْ عُدِمَ فَضيلةَ الصِّدْقِ في مَنْطقِه فقدْ فُجِعَ بأكْرَمِ أخْلاقِه.

البصائر والذخائر/١ ٩٤.

-بإجالة الفِكْرِ يُستَدرُّ الرَّأيُ المُصيب.
- رأيُ الشيخِ خيرٌ من مَشْهَدِ الغُلام. المراد: أن خبرةَ وتجربةَ الكبير في السِّنّ مقدّمةٌ على رؤية الشاب.
-على العاقلِ أن يَجْبُنَ عن المُضيّ على الرّأي الذي لا يجدُ عليه مُوافِقًا وإنْ ظنّ أنّه على اليقين.

الأدب الصغير، ص ٢٢-٢٣.

-إذا أملقْتَ فتاجرِ اللهَ بالصّدقة.
-رُبَّ صدقة من بيْنِ فَكّيْك خيرٌ من صدقةٍ من بطنِ كَفَّيْكَ.
-ربّما كان السكوتُ جوابًا.
-الصّمتُ حكمةٌ وقليلٌ فاعله.
-عجبًا لمَنْ عُومِلَ فأُنْصِفَ كيف يَظْلِمُ، وأعْجَبُ منْهُ مَنْ عُوملَ فَظُلِمَ إذا عامَلَ كيف يَظْلِمُ!

البصائر والذخائر/٣ ٣٥.

- الشّعْبِيُّ: «العِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِه وَظَنّ أَنّهُ نَالَهُ، وَمَنْ نَالَ الشّبْرَ الثّانِيَ صَغُرَتْ إلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنّهُ لَمْ يَنَلْهُ، وَأَمّا الشّبْرُ الثّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا».

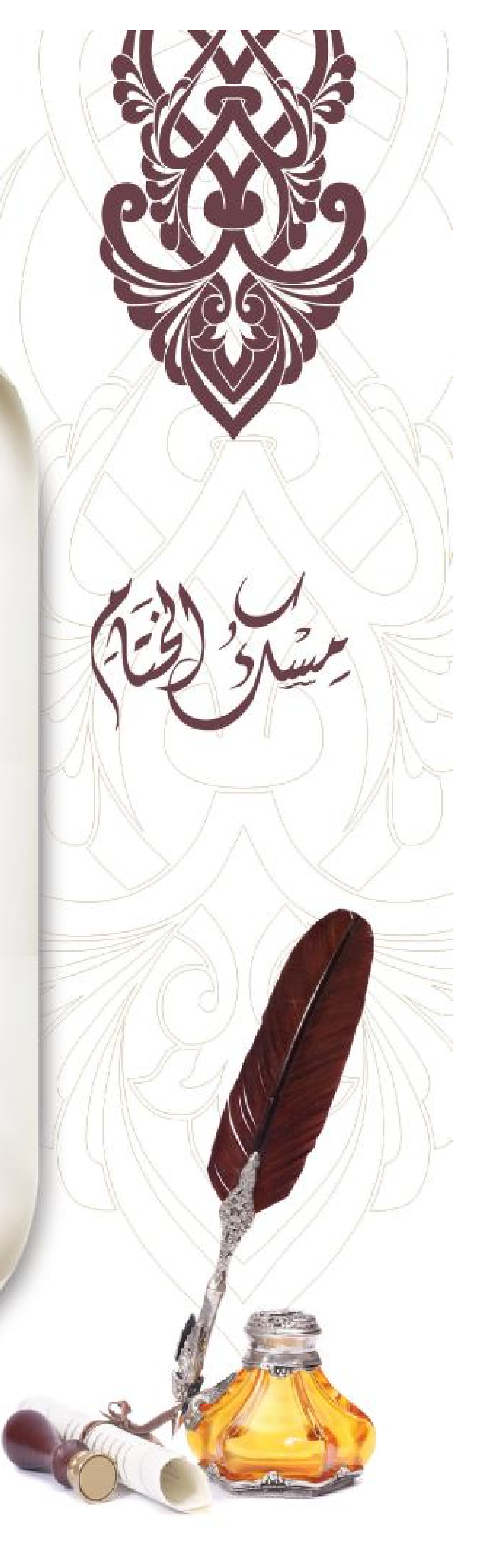
أدب الدنيا والدين، ص ٨٤.

- سهل بن هارون: «النّاس مُوَكّلُون بتعظيم الغريب، واستِطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الرّاهن، وفيما تحتَ قُدرتهم منَ الرّأي والهوى، مثلُ الذي لهم في الغريب القليل، وفي النادر الشاذّ، وكلِّ ما كان في ملك غيرهم، وعلى ذلك زهِدَ الجيرانُ في عالِمهم، والأصحابُ في الفائدة من صاحبهم، وعلى هذا السّبيلِ يستَطرِفون القادمَ عليهم، ويرحَلون إلى النّازح عنهم، ويتركون مَن هو أعمُّ نفعًا وأكثرُ في وجوه العِلم تصرُّفًا، وأخفُّ مؤونةً وأكثرُ فائدة».

البيان والتبيين ١/ ٩٠.

- عبد الله بن مسعود ﵁: «العِلْمُ أكثرُ مِنْ أن يُؤتى على آخره، فخُذوا من كلِّ شيءٍ أحْسَنَه».

الإعجاز والإيجاز، ص ٤٤.



أزمة النخب

في باحة الوادي الفسيح حيث آلاف المصلين جلسوا يكبرون الله تعالى في يوم العيد، منتظرين الصلاة، وشاكرين الله عز وجل أن أتم عليهم نعمة الصيام، أقبلت صاحبتنا الطبيبة اللامعة في ثيابها الأنيقة كالعادة وبشرتها البيضاء الصافية لتشهد معنا الصلاة.. إننا نكاد لا نراها في الصلاة الجامعة إلا في هذا الموسم السنوي، حيث أقبلت ممتعضة من ضجيج الأطفال وزحام الناس، وفرشت سجادة الصلاة التي كانت تحملها حيث أرادت أن تجلس، وكأنها خائفة من تلوث الميكروبات التي ربما تحملها بسط المساجد. لكمن صاحبتنا آثرت أن تصلي ركعتين قبل أن تجلس، فأخذت أرمق صلاتها، فوجدتها لا تحسن الركوع ولا السجود، ولا تكاد تنتصب قامتها بينهما إلا بالنذر اليسير، فتعجبت من كبرها وجهلها، وهي التي ملأت شهرتها الآفاق في طبها، والتبحر في علوم تخصصها.

هل وجدت صاحبتنا الطبيبة المرموقة صعوبة- وهي القارئة النهمة لمراجع الطب الضخمة- في أن تطالع في وقت فراغها كتابًا عن صفة الصلاة؟! أم أنها بالأحرى تفتقد لترتيب أولوياتها في يومها بل وفي عمرها، أم أنها لا تدرك أبعاد رسالتها على الأرض التي خلقها الله لها؟ إنها فعلًا أزمة النخب الذين يستغرقون أعمارهم في دنيا مؤثرة، ويستنزفونها في شهرة معجبة، دون أن يقيموا وزنًا لشمولية الإنسان في الحياة كحرفي ماهر، وعابد متضرع، وتائب منيب، وورع فقيه، واجتماعي تواصلي له العديد من الحقوق، وعليه الكثير من الواجبات. طبيب قد خاض في بحور العلم ولا يحسن الصلاة، ومهندس نحرير لا يتحرى الحلال من الحرام، ومدرس شغوف بالمادة أكثر من شغفه برسالته، ومحام مولع بثغرات القانون أشد من ولعه بإنصاف المظلوم.. إنها نماذج – وما أكثرها- عن نخب باهتة، قد أعطت للجموع الغفيرة من حولها انطباعًا في غاية المرارة، عندما رسخت في الأذهان أن العلم للدنيا وليس للقيمة التي أشاد الله بها في محكم كتبه، والعقلاء في مدحهم للعلم وأهله على مر الزمان.

إن العلم وجد ليعطي للإنسان قيمة ملائكية تزخر بالفضائل، حتى يصير صاحبه شامة بين الناس، ونبراسًا لأتباع الحق، وقدوة للباحثين عن الوضاءة في حياتهم، وهذا هو الذي أعطى للعلماء رونقهم وبهاءهم ووجاهتهم بين الناس في الدنيا والآخرة.

وعندما يتحول العلم من قيمة إلى وسيلة للكسب الجزيل ولدر الربح الوفير فقط لا غير، حيث المنصب الرفيع والسلطة المرموقة.. عندها تكون الطامة الكبرى، والكارثة المحققة، لأن الوجاهة العلمية في الدنيا إن خلت من فضائلها صارت مرتعًا للجشع والابتزاز والانتهازية.. وكم سمعنا ورأينا أمثال هؤلاء ممن يطببون الناس ولا يعرفون للرحمة سبيلًا، ومن يعلمون الخلق ولكن علمهم لمن يدفع أكثر، ومن يوجهون سلطاتهم لمن ينتفعون من ورائهم.. سمعنا عن سرقة الأعضاء البشرية، وعدم احترام حقوق الملكية الفكرية، والفتاوى المأجورة.. وغيرها من تصرفات نخب لا ترقب في أنفسها ولا مجتمعها إلًا ولا ذمة. إن أمثال هذه النخب المادية- لا الربانية- تترك في المجتمع جروحًا غائرة، وتبعث رسالة للناس في غاية السوء عن العلم وأهله، وينظر إليهم الجميع ليس على أنهم الصفوة والقدوة، ولكن على أنهم حرفيون شأنهم شأن أي حرفة أخرى، إلا أنهم يحترفون العلم لا أكثر ولا أقل.

هنا تغيب عن العلم قيمته الدفينة في تهذيب النفس، ويصير في مخيلة الخلق وسيلة من وسائل الكسب ورغد العيش، وساعتها كبّر على الأمة أربعًا، وعدها من أصحاب القبور.

فمتى يعود- مثلًا- للفريق الطبي شعار ملائكة الرحمة، ويسترد المعلم هيبته وشموخه وريادته التي أولاها له العلم، ونجد في النخب ضمائر حية تزامنًا مع مهارة مهنية؟

متى يسترد العلم دوره في حياة النخب، ونرى منهم: اللمسة الحانية، والعطف على الضعيف، وإيثار شرف المهنة على ربحها، والتعالي عن سفاسف الأمور؟

منى السعيد الشريف
باحثة مصرية





إدارة الإفتاء تهديكم

مجلة





- المذهب الحنفي
- فتاوى الإمام النّووي
- أدب المفتي والمستفتي
- هل يقع الطلاق المعلق؟
- مجموعة الفتاوى الشرعية



تصدر عن إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الإفتاء - ص- ب ١٣ الصفاة ١٣٠٠١ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٨٧٤٨٢ - ٢٢٤٨٧٤٨٤ فاكس: ٢٢٤١٨٧٢٣
إميل: eftaa@islam.gov.kw - الموقع الالكتروني: www.islam.gov.kw/aftaa